يناير ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا

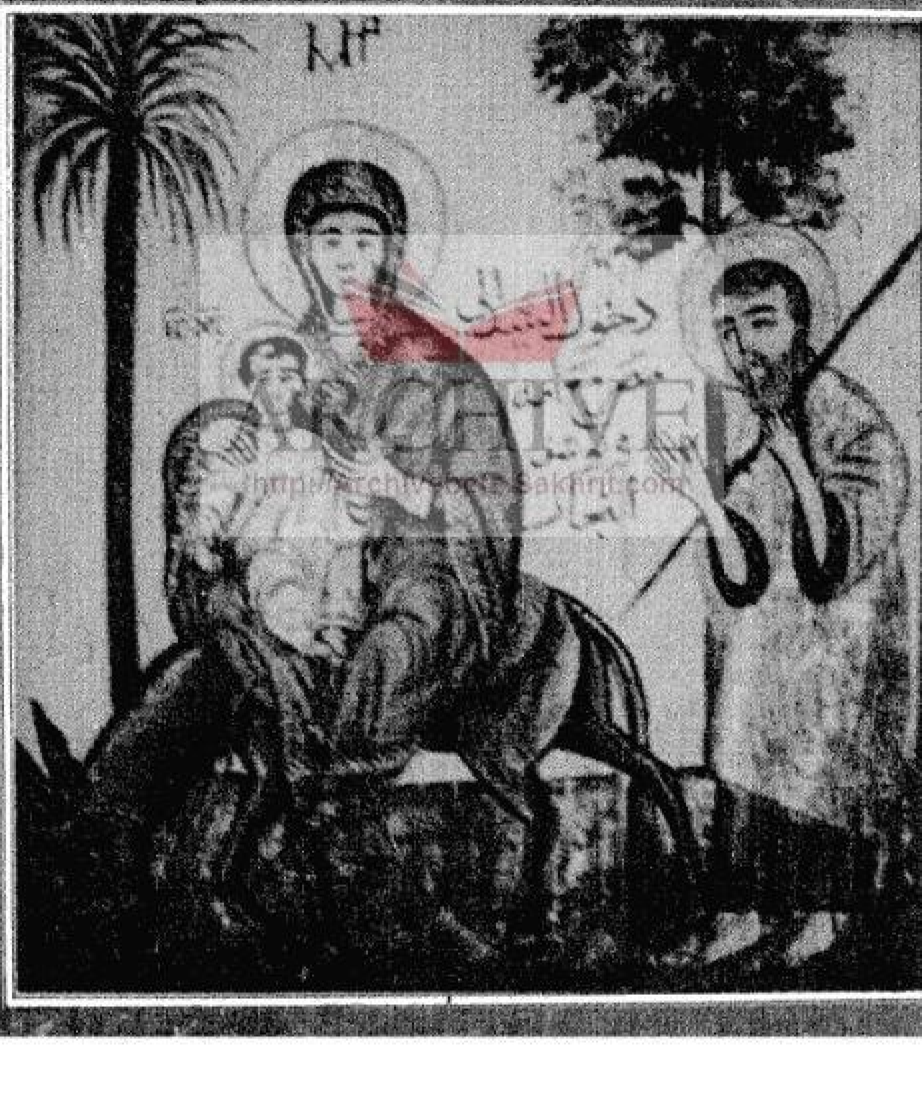
# الهلال

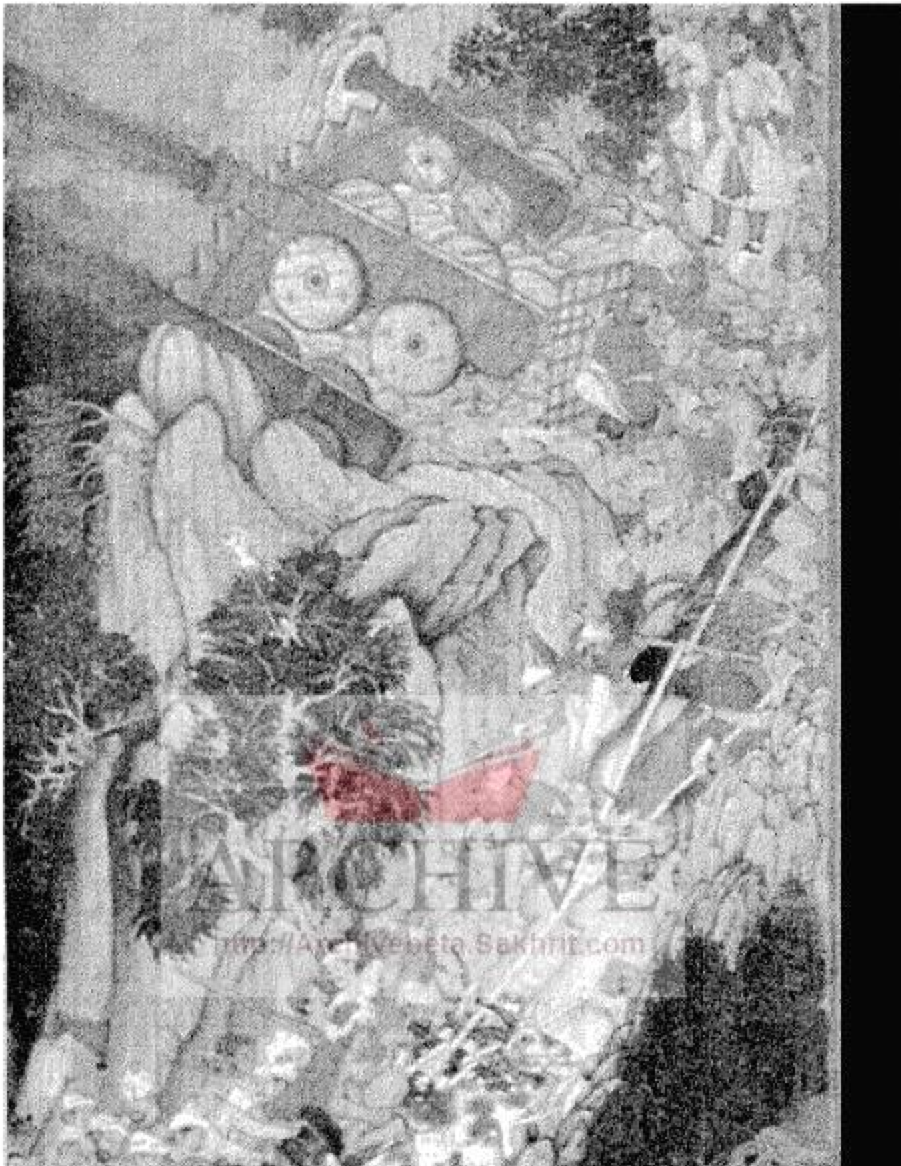
عدد خاص

## هذا العالم المتغير

## الأيقونات القبطية

بقلم: البابا شنودة





# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية
تصدر عن دار الهلال
أسسها جورجي زيدان عام
١٨٩١ م - أول يناير ١٩٨٨ م
١١ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ




## من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامى رسمها الفنان ((مسكين)) تمثل الهجوم على حصن ام بحور فى راجستان بتركيا عام ١٥٦٨ وقد رسمت اللوحة فى عام ١٦٠٠ ميلادية وهى تعبر عن تكاثف الجيوش من اجل تحقيق النصر وهى احدى لوحات عديدة رسمها الفنان حول نفس المعركة .

واللوحة محفوظة فى متحف فيكتوريا بلندن وتبلغ مساحتها (( ٣٣ × ٢ر٢١ سم ))



الغلاف : تصميم : الفنان
حلمى التونى

في هذا العدد

● عالم متغير ●
● جزء خـاص ●



● فكر وثقافة ●

## ● فن تشكيلى ●



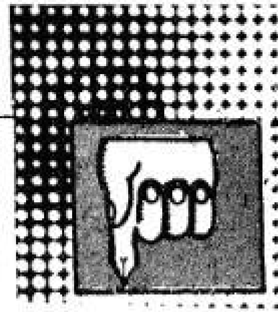
## ● قصة وشعر ●



## ● دراسة الهلال ●



## ● الأبواب الثابتة ●



## عزيزي القارئ

# نحن ... وهذا العالم المتغير

التغيرات العاصفة في العالم من حولنا ، تبدو أسرع من البـــرق ، وأعجب من الخيال ، وأعنف من كل التوقعات .. مع أن التغير هو القانون العام في الكون كله : الجديد يحل محل القديم ، وكل شيء تتحكم فيـــه الصيرورة الدائمة والتغير الذي لا ينقطع أبداً .

وتشمل التغيرات الآن كل شيء في العالم من حولنا ، ونعني عـــالم المتقدمين الذي تتصدره الدولتان العظميان في الشرق والغرب .. ويتمثـــل التغير هناك في ثورة التكنولوجيا ، وثورة علوم الفضاء ، وثورة المعلومات ، وثورة التوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والأدبيـــة والفنية الخ ..

ان كل شيء عندهم يتحرك ويتغير بلا هوادة ، باحثاً عن أقصر السبل وأسرعها للتقدم ، لأن التوقف معناه التخلف الذي أصبح يساوي الدمـــار والانحلال كما حدث ـ مع الأسف ـ في بلدان العالم الثالث التي توقفـــت بعد ثورات تحررها الوطني ، فعادت القهقرى الى السيطرة الاستعمارية وان اختلف أسلوب السيطرة الجديد عن الأسلوب القديم .

وقد وضع كل من الغرب والشرق برنامجه البعيد المدى لدخول القرن العشرين في قفزة واحدة ، بحيث صار العالم من حولنا يتغير كل يـــوم تقريباً ، ويستبدل بالقديم الذي كان جديداً بالأمس القريب ، جديداً آخـــر مبتكراً يطلق أحدث صيحات التقدم في كل مجالات النشـــاط البشري التي اتسعت حتى شملت الفضاء الأعلى ، وحسبك أن السفينة الفضـــائية التي سوف تهبط على المريخ بعد ثلاثين سنة ، يصنعونها منذ الآن ! ..

وقد ادرك الشرق والغرب كلاهما ان التغيير لا يتم على اكمل وجه الا بعد التخلص من عبء التسليح القاصم ، فعقدا معاهدة ازالة الصواريخ المتوسطة المدى ، وهي بداية لم يكن يتصور احد منذ سنوات انها يمكن ان تبدأ ، ولكن روح التغيير اكتسحت العقبات التى وقفت فى طريقها ! ..

وقد بلغت الوتائر التى يتغير بها العالم ما لم يشهد التاريخ له مثيلا منذ بدء الخليقة ، ومع ذلك تمر أعاصير التغير على أمم كثيرة فلا تحرك ساكنا كأنما استغرقت هذه الأمم فى كهف نوم عميق ! ..

وقديما سقط العالم العربي فى امتحان التغيرات المتلاحقة خلال الاربعمائة سنة الماضية منذ بداية عصر النهضة الأوربية ، مع أن تلك التغيرات كانت فى غاية البطء بالقياس الى التغيرات التى نشهدها الآن ، وقد بلغ بنا العجز أنه لا يوجد حتى يومنا هذا بلد عربي واحد يمكن وصفه بأنه صناعى متقدم بالمعنى الذى يعنيه التقدم الصناعى فى وقتنا الحاضر ، وهو يعنى ببساطة انتاج آلات الانتاج البالغة التطور ، واستخدامها الاستخدام الأمثل ، مع القدرة على السير جنبا الى جنب مع المتقدمين فى جميع الأحوال ! ..

وكل ما بلغناه استيراد بعض آلات الصناعة ، وتجميع بعض الأجهزة، وتجديد بعض مصانعنا الخفيفة التى استوردناها منذ عشرات السنين - كمصانع النسيج مثلا - تجديدا بالغ التواضع بالنسبة لما وصل اليه المتقدمون !.. وتجرى فى الوقت نفسه تهيئة المجال للشركات العملاقة العابرة للقارات والقوميات لتبنى عندنا فروعا لبعض صناعاتها الكاسدة ، مما يعد امتثالا للتخلف والعجز عن التطور والتغير فى عالم لا يكف لحظة عن التسابق فى هذا المجال ..

وكل ذلك ينعكس على الأدب والفن وجميع فروع العلم والثقافة التى يتلقاها الانسان العربي ! .. ان الأديب والفنان والمفكر ، لا يبدع احدهم مختليا بنفسه فى كوكب الزهرة او كوكب عطارد ، بل ينتج او يبدع فوق ارضه وبين قومه ، وفى عصره ، ناقدا وداعيا الى التطور والتغير ، أو مجتدا وداعيا الى الجمود والرجوع الى الوراء .

وليس عجيبا - وحالنا كذلك - أن يجيء الكثير أو ما يشبه الكثير من ابداع الأدب والفكر فى بلادنا ، رافضا ما يقع فى العالم من تغيرات ، أو محملقا فيه بغير فهم ، أو هاربا من القرن الواحد والعشرين الى القرن الحادى عشر !..

ويقدم « الهلال » فى هذا العدد بحوثا متنوعة فى معنى التغيير فى بلادنا وفى العالم ، ويتجلى فى هذه البحوث تطلع شعبنا ومفكرينا الى التغيير والتطوير فى كل مجال .. وليست الدعوة الى التغيير والتقدم الا الدعوة الى الحياة الأرقى ، والمجتمع الأكثر عدالة وانسانية !..

المحرر




# التكنولوجيا أداة التنمية والتقدم فى العالم المعاصر

بقلم : د. عصام السيد جلال



منذ أواسط هذا القرن اتضحت حقائق التنمية فى العالم المعاصر ، ولم تعد مكونات الإنتاج هى العمل ورأس المال والمواد الأولية كما كانت فى المرحلة السابقة ، بل أصبح التقدم التكنولوجي مسئولا عن أكثر من ٨٥٪ من الزيادة فى الدخل ، بالنسبة لكافة الدول الصناعية .

وفى نفس الوقت يتدهور سعر المواد الأولية فى السوق العالمية لما يطرحه العلم من بدائل مثل ، الألياف الصناعية بديلا للصوف والقطن ، وألياف الزجاج بديلا للنحاس ، واللدائن بديلا للخشب والحديد .

● وقد وعت كثير من الدول النامية هذه الحقائق ، بحيث أصبحت الدول النامية المتقدمة مثل البرازيل والهند وكوريا وتايوان وأمثالها تصدر سلعا صناعية بما يصل الى ٧٠ بليون دولار ، منها أكثر من ٢٠ بليون دولار من

---

● الأستاذ الدكتور عصام السيد جلال : رئيس اللجنة الاستشارية للأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا

السلع المعتمدة على تكنولوجيا متقدمة مثل الكومبيوتر وأجهزة الفضاء .

وتقوم دول منها بتصدير مصانع متكاملة ، مثل محطات توليد الكهرباء ، ومصانع الأسمنت ، وانتاج آلات الانتاج نفسها .

ولتحقيق هذا التطور ، تعتمد هذه الدول على أجهزة فنية وعلمية قادرة على نقل التكنولوجيا من الخارج مع تطويعها وتطويرها ، ولكنها تنشىء المؤسسات القادرة على تقييم واختيار وادارة تسويق هذه التكنولوجيات ، بدرجة عالية من الكفاءة .

ومن الواضح أن كل هذه النشاطات تتوافر لها الخبرات ، والخبراء اللازمون لها فى مصر ومع ذلك تأخرت مصر التى كانت من الدول الرائدة ، والسابقة فى أوائل الستينيات الى اواخر صفوف الدول النامية التى تعلمت منها فى هذا الوقت .

وأصبحنا فى حالة اعتماد كامل على الغير ، ويستنزف ذلك ملايين وملايين من دخلنا الشحيح ، اضافة إلى البلايين التى تستنزفها الديون والخلل فى الميزان التجارى .

وفى الحقيقة لم يعد يمكننا الأستمرار فى اهدار الكفاءات ، والخبرات مع اهدار الموارد والفرص ، أصبح من اول الضرورات لمصر ان تلتزم بسياسة تنموية طويلة المدى ، تعمل على تعبئة الموارد والكفاءات لتحقيق مردود عال يغطى احتياجات الـ ٥٢ مليونا من السكان

ولتحقيق ذلك لابد أن نبادر الى اعتماد وتطبيق السياسة القومية للتنمية التكنولوجية ، التى وافقت عليها الحكومة منذ خمس سنوات ومازالت ملقاة فى أراشيف البيروقراطية التليدة .

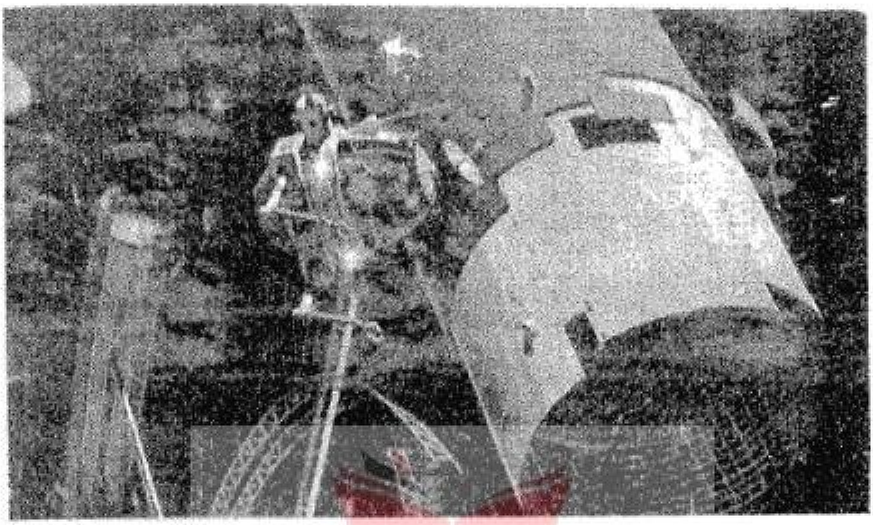
## تحديد الأهداف

وتهدف هذه السياسة ، الى تحديد اهداف تكنولوجيا قومية فى مجالات القطاعات الاقتصادية الحاكمة ، مثل النسيج والاسكان والصناعات المعدنية ، وأهداف تكنولوجيا فى مجالات متقدمة ، مثل الطاقة والاتصال والمواد الجديدة .

وتلتزم كل القطاعات بنصيب فى المسئولية نحو تحقيق هذه الأهداف ، فترسم برامج التعليم بما يوفر الكفاءات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف القومية ، حسب البرامج المعتمدة وتلتزم أجهزة التخطيط والتمويل باعطاء الاستثمارات الأولوية اللازمة ، وتلتزم أجهزة الاستيراد والتسويق بحماية الصناعة المحلية ، ودعمها واعطائها الحوافز اللازمة ، وكذلك كتعاون الضرائب والجمارك الخ .

**ومن هذا التوجه القومى المتكامل والجهود المشتركة ، نستطيع ان نحقق ماحققته هذه الدول من تقدم واكتفاء ونستطيع أن نخلق فرص العمل ونحقق**

# التكنولوجيا أداة التنمية والتقدم في العالم المعاصر



مستويات الدخل التى تحفظ لنا عقول ابنائنا ، وخبراتهم التى تستنزفها الهجرة ونمول نحن نمو الآخرين الاكثر مالا وأقل احتياجا .

وفي الحقيقة ان خبرة مصر الماضية ، وماتملكه من اعداد ضخمة من الكوادر الفنية والعلماء ، تؤهلها لأن تحتل مركزا مرموقا فى مجال البحث العلمى والتطوير التكنولوجي ، ولكن بدون سياسة قومية واضحة محددة ، واهداف قومية ملزمة ومبرمجة وتخطيط سليم ومتكامل وادارة علمية واعية ، سيستمر تبديد واستنزاف الموارد والقدرات وتتضاعف الفجوة بيننا وبين العالم المتقدم .

واذا كان لكل الدول النامية حوافز لسلوك هذا الطريق ، فحوافزنا اكثر الحاحا خاصة مع الأزمة الاقتصادية التى نعانى منها والانفجار السكانى ، واستنزاف العقول والخبرات من وراء الهجرة والتهديد للأمن والاستقرار فى المنطقة التى نعيش فيها .

وكل هذه الضرورات الملحة ليس لها حلول الا تقدم وتطور علمى وتكنولوجى يضعنا على بداية الطريق نحو غد مشرق ومجتمع مستقر ونام .

# أقوال معاصرة


محمد حسنين هيكل


اميل حبيبى


د. فؤاد زكريا

● "لا أتكلم فى السياسة الداخلية لبلدى وانا خارجه"
ريمون بار رئيس وزراء فرنسا السابق

● "إسرائيل هى الخطر الرئيسى الذى يهدد الأمن القومى العربى"
محمد حسنين هيكل

● "لم يبق من أطراف المؤامرة الكبرى على شعبنا من لم يعترف بدوره فيها سوى الطرف العربى"
الأديب الفلسطينى اميل حبيبى

● "لا استطيع العودة الى وطنى قبل كتبى"
الأديب الروسى الكسندر سلچنتزين

● "إننى منفى فى اللغة الفرنسية"
الشاعر الجزائرى مالك حداد

● "البكارة تثبت شرف البنت ، فما الذى يثبت شرف الصبى"
ميشيل خليفة المخرج الفلسطينى

● "قدر كبير من الطاقات الذهنية لمفكرى الأمة العربية يضيع هباء فى أمور كان ينبغى ان نكون قد تجاوزناها"
الدكتور فؤاد زكريا

● الولايات المتحدة ليس لها وجهة سير عقلانية ، إنها تترنح بين مواقف مسرفة فى التطرف"
ماتى ستينبرج ـ الجامعة العبرية بالقدس

# القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# مستقبل الاشتراكية

**أعلنت السيدة مرجريت تاتشر، غداة فوز حزبها للمرة الثالثة فى انتخابات مجلس العموم البريطانى، أن مهمتها الرئيسية فى وزارتها القادمة ستكون القضاء على الاشتراكية**

هكذا أصبح القضاء على الاشتراكية هدفاً يعلن، كما يمكن أن يكون القضاء على الفساد، أو القضاء على الجريمة، أو القضاء على الفقر والجهل والمرض، هدفاً لبعض الحكومات. كان أعداء الاشتراكية، حتى وقت قريب، يسمونها بأسماء أخرى: النظم الشمولية، البيروقراطية الحزبية، سيطرة الدولة، الخ. أى أن الهجوم كان موجهاً الى الأشكال السياسية للنظام الاشتراكى، لا الى الأساس الاقتصادى. الآن، وقد هزمت أحزاب اليسار فى المانيا وفرنسا، وبقيت مقصاة عن سلطة الحكم فى ايطاليا، أصبح الأساس نفسه وهو الملكية الجماعية لوسائل الانتاج، بحيث يمتنع استغلال الانسان للانسان، هدفاً لهجوم القوى المحافظة.

وفى الوقت نفسه أخذت الأحزاب الاشتراكية التى تتربع على سدة الحكم منذ عشرات السنين، فى الاتحاد السوفييتى والصين والى حد ما فى دول أوربا الشرقية، دون شريك ولا منافس ولا معارض، أخذت هذه الأحزاب تراجع الأشكال السياسية التى تحكم من خلالها فتسمح باختلاف الآراء، وتسمح بحرية النشاط الفردى غير المستغل.

معنى هذا أن الأحزاب الاشتراكية قد اضطرت الى الاعتراف بأخطائها السياسية، فى حين أن الأحزاب المحافظة لا ترى مايدعوها الى مراجعة

مبادئها الاقتصادية التى تتلخص فى النشاط الفردى الحر .

والمعنى الأعمق هو أن النظام الرأسمالى فى أوربا الغربية يتطور بسرعة نحو النمط الأمريكى ، نمط التوسع المستمر فى الانتاج والاستهلاك معا ( أن تأكل الكعكة وتحتفظ بها - أو تزيدها - فى الوقت نفسه ) وهو نمط ديناميكى ، مرن ، لا يسمح لعلاقات الانتاج بأن تتحدد بحيث تأخذ شكل تناقضات تتطلب حلولاً جذرية ، ولكنه - لهذا السبب نفسه - مضطر الى أن يتمدد راسيا وأفقيا ، بدون توقف . ومادام هناك مجال يتمدد فيه فلن يصادف أزمات خطيرة تهدد كيانه .

## ثقل الديون الخارجية

لقد وصل هذا النمط الى قمة ازدهاره ، مصطحباً فى يده "أسلوب الحياة الأمريكى" من كوكاكولا وأفلام وسوبر ماركت وبلوجينز الخ . وان أخذت تلوح بعض الصعوبات التى نشأت عن امتداده فى أوربا الغربية واليابان . ولكن هناك امكانيات واسعة فى أقطار العالم الثالث ، بل فى الكتلة الشرقية نفسها ، التى بدأت بعض أقطارها - يوغوسلافيا ، رومانيا ، بولندا ، المجر - تشكو مثلنا من ثقل الديون الخارجية ، وزيادة الاستهلاك على الانتاج .

وهذه هى المقدمة الضرورية لاستيراد التكنولوجيا الغربية المتقدمة ، والانخراط - من ثمَّ - فى النظام الاقتصادى العالمى الجديد الذى يسيطر عليه الرأسمالى الامريكى .

ولعل هذه هى المرة الاولى ، فى تاريخ جيلنا ، التى يقف فيها المعسكر الاشتراكى - كما يسمى احيانا - موقف المدافع . لقد حاربت روسيا السوفييتية ، فى اوائل العشرينيات ، ضد جيوش الروس البيض ومن ورائها الدول الرأسمالية الأوربية فيما سمى بحروب التدخل . ولكن « النظام » السوفييتى ، و« الايديولوجية » الماركسية اللينينية ، كانا يهاجمان الرأسمالية فى عقر دارها ، بينما كان الجيش الأحمر يحارب الغزاة على الأرض الروسية . **الموقف الآن مختلف ، فالدول الاشتراكية تحاول ترتيب بيتها ، لكى تحاول الصمود لغزو من نوع آخر : غزو اقتصادى تكنولوجى إيديولوجى ، مصحوب بكل « اكسسوارات » الغزو من تجسس ودعاية الخ .**

ما هى الخطط ، والخطط المضادة ، التى تفرخ الآن فى كل من المعسكرين ؟ هل يأمل المعسكر الشرقى فى أن تزيد التناقضات داخل المعسكر الغربى ؟ هل يفكر فى الوسائل التى يمكنه اللجوء اليها لاذكاء هذه التناقضات ؟ هل يأمل المعسكر الغربى فى أن ينفجر المعسكر الشرقى من الداخل حين يفرض على مواطنيه حرمانا أشد ، من أجل توفير الاعتمادات الهائلة اللازمة لمواجهة برنامج « دفاعى » مثل حرب النجوم ؟ هل ... وهل ... وهل ...

**ربما كان الاسترسال فى هذه التساؤلات - ونحن شعب من مشجعى الكرة ، كما اننا مشهورون بالفهلوة - ظريفا ومسليا ولكننا يجب الا ننسى - فى الوقت نفسه - اننا دولة ذات نظام اشتراكى ، واننا انفتحنا قبل الصين والاتحاد السوفييتى ، فلسنا بعيدين ، عن هذه المعمعة التى تدور بصمت وذكاء بين العملاقين . بينما تتعالى**

# القفز على الأشواك

أصوات الشعوب الصغيرة المشتبكة في حروب طاحنة في أجزاء كثيرة من العالم . ومنها ـ مع الاسف الشديد ـ مايدور على أبوابنا . ولانعرف له حلا .

والأسئلة المطروحة علينا كثيرة وعويصة ، ومنها ماهو عاجل وملح ايضا . ولعلنا لاندرك مدى الأخطار التى تهددنا ، ولكننا يجب ان ندرك ـ من واقع اتصالاتنا الدولية واوضاعنا الداخلية معا ـ أننا غير بعيدين عن الصراع الدائر بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى ، واول مايجب علينا لفهم طبيعة هذا الصراع وموقفنا منه ان نتبين أصوله وتحولاته حتى لا ننخدع بالتحولات الوقتية او المحلية .

فاشتراكيتنا تمثل نمطا من التنظيم الاقتصادى السياسى خاصا بالعالم الثالث . وأهم خصائص هذه النظم هى انها تزامنت مع الحصول على الاستقلال السياسى والبحث عن الهوية القومية ومحاولة تحقيق شىء من الرخاء الاجتماعى ، وهذه البدايات تؤذن باختلافات عميقة عن النموذج الاشتراكى الذى تخيله ماركس او لنين او حتى ماوتسى تونج ، وامكن تطبيقه ، بدرجات مختلفة من النجاح ، فى روسيا والصين واقطار اوربا الشرقية . ومهما قيل من أن الاشتراكية تتشكل باشكال مختلفة تبعا لاختلاف البيئات وخصائص الشعوب فانها ترتكز دائما على « حزب » يمثل مصالح الطبقة العاملة ويسيطر على جهاز الدولة والجيش . وربما كان على الحزب ان يتمم مرحلة الاستقلال السياسى وان يعجل بالتنمية الاقتصادية ليحقق مستوى معيشة أفضل لغالبية الشعب ، ولكن سياسته تظل مرتكزة دائما على الجانب الاجتماعى ـ كما يدل الاسم « الاشتراكية » ـ اى على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والاشتراك العادل فى ثمراته ، اما فى دول العالم الثالث التى حصلت على استقلالها او استكملته بعد الحرب العالمية الثانية فقد امتزجت الأهداف الثلاثة : تأكيد الاستقلال السياسى (متمثلا فى إقامة كيان قومى كبير) وتنمية الموارد وحسن توزيع الدخل . يضاف الى ذلك ان معظم اقطار العالم الثالث « فوجئت » بالاستقلال ـ فى واقع الأمر ـ فلم تكن لديها احزاب ذات كوادر قادرة على قيادة هذا التطور بجوانبه الثلاثة ، وتقديم جانب على جانب تبعا لاستراتيجية واضحة ومرنة فى الوقت نفسه . ومن ثم أصبح جهاز الدولة الوطنية هو المسيطر ، مرتكزا ـ فى معظم الأحيان ـ على القوة المادية للجيش ، بالرغم من ان هذا الجهاز كان فى نفسه هشا بحكم حداثة تكوينه .

## ● اشتراكية .. ولكن !

ونظرا لتمركز النظام السياسى الاجتماعى حول الدولة ، بدت « اشتراكيات » العالم الثالث ، لكثير من المراقبين ، اشبه بالنظم الفاشية . فالنظم الفاشية ايضا جعلت للدولة السلطان المطلق على الأفراد والطبقات ، واعتمدت على اذكاء الروح القومية بحيث جعلت منها عقيدة جامعة وقوة دافعة . على أن اشتراكية العالم الثالث لم يكن بمقدورها

ان تكون فاشية كاملة كما لم يكن بمقدورها أن تكون اشتراكية كاملة ، لأن جهاز الدولة على الرغم من قوته النسبية بالقياس الى الحزب ، لم يكن يملك الدعائم المادية ولا الخبرة التنظيمية اللازمة للهيمنة على جميع قوى الشعب ، بل كثيرا ما لجأ الى ضرب هذه القوى بعضها ببعض .

لهذه الأسباب مجتمعة لجأت اشتراكيات العالم الثالث الى الحلول الجزئية والوقتية . فلم تحاول ان تدخل تغييرا جوهريا على نظام الانتاج الزراعى فيما عدا شراء بعض المحاصيل الرئيسية - ولاسيما التصديرية منها - بالسعر الذى تحدده والقيام بتسويقها فى الخارج . وبقى قطاع الزراعة كله - فيما عدا استثناءات قليلة - قائما على الملكية الفردية . ووقفت فى صف مستأجر الأرض ضد المالك وبقى قطاع الاسكان كذلك - ويشمل الاسكان الاستثمارى - قائما على الملكية الخاصة ، مع اعطاء جميع المزايا للمستأجر . وانحصر نظام الانتاج الاشتراكى فى القطاع الصناعى ، الذى أممت الدولة ماكان قائما منه وتوسعت فيه كما أضافت صناعات جديدة . وساعد على نمو هذا القطاع الأخير أنه استجاب لجميع الأغراض التى طمحت الى تحقيقها الدول الاشتراكية حديثة الاستقلال فى العالم الثالث : زيادة الانتاج ، عدالة التوزيع ، الاستقلال الوطنى العزة القومية . ولكن الجمع بين هذه الأهداف كلها كثيرا ماتم على حساب الملاءمة الاقتصادية ، التى تنحصر فى انتاج سلعة قادرة على منافسة السلع الاجنبية المماثلة

من حيث الجودة والسعر . ولم يكن ثمة حل لذلك الا تقييد الاستيراد . ولكن ضعف الانتاج المحلى مع تزايد الاستهلاك جعل الاستمرار فى هذا التغيير مستحيلا . وهكذا لجأت اشتراكيات العالم الثالث الى فائض المجتمعات الرأسمالية . فكانت مشكلة الديون .

## القطاع العام .. إلى أين ؟

ومشكلة دين مصر العام - أصبحت معروفة ، ولو أن الماليين يختلفون فى تقدير حجمها تبعا لاعتبار بعض الودائع الكبيرة قروضا أو عدم اعتبارها كذلك . ولكن يكفى أن نذكر هنا بأن الرقم الذى يعطونه عادة وهو أربعون مليار دولار تقريبا يعادل - مع التسامح فى التقدير - أربعة أمثال الناتج القومى الكلى ! ووضع كثير من الدول فى العالم الثالث لا يختلف كثيرا عن وضع مصر .

بعض الناس يسارعون الى القول : ان النظام الاشتراكى اثبت فشله فى بلدان العالم الثالث ، متأثرين ، ولا شك ، بتراجع الأحزاب الاشتراكية فى دول غرب أوربا ، وقيام حكوماتها المحافظة بتحويل كثير من مؤسسات القطاع العام الى القطاع الخاص ، بينما اخذت بعض الدول العريقة فى الاشتراكية - وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى والصين - ترفع بعض القيود عن النشاط الفردى .

فهل صحيح أن النظام الاشتراكى ، بقطاعه العام ، أصبح عبئا على كاهل شعب كشعبنا ، بدلاً من أن يكون اداة لتحقيق التقدم والرخاء ؟

ان المساحة الواسعة التى تركت للقطاع الخاص فى الخطة الخمسية الجديدة قد لا تعنى تحولاً ، ولا بداية تحول ، عن النظام الاشتراكى الى النظام الرأسمالى . فالتجارب الماضية ، فى حياة

## القفز على
# الأشواك

الشعوب كما هى فى حياة الأفراد ، لا يمكن أن تحصى . من الذى يمكنه أن يتخيل - مثلا - صناعة كصناعة الأسلحة ، أو صناعة التعدين ، مملوكة للقطاع الخاص ؟ ان هذه المؤسسات الضخمة ، وما أشبهها ، قائمة فعلا ، ولا طاقة للقطاع الخاص على النهوض بها . ولكيلا نظلم القطاع الخاص الصناعى فى بلد كبلدنا يجب أن نقرر أن له تاريخين لا تاريخا واحدا . فتاريخه الأول يرجع الى أوائل العشرينيات حين أسس بنك مصر وشركاته ، وكان نموذجا احتذته مؤسسات أخرى كبيرة وصغيرة . هذه هى النواة التى تسلمها القطاع العام وتماها وأضاف اليها الكثير . أما التاريخ الثانى الذى بدأ بعد الانفتاح فلا يكاد يذكر بجانب النشاط التجارى المحموم الذى جلب لأصحابه ثروات ضخمة بدون مجهود ولا مخاطرة . ان هذه الأموال لا ينتظر أن تسهم فى بناء الاقتصاد المصرى ، ولو استطاعت الحكومة أن تستولى على نصيبها منها بتحصيل الضرائب المتأخرة عليها لكان ذلك مرضيا ، ولو استطاعت أن تقنع أصحابها بتحويل قسم منها الى سندات حكومية ذات عائد جيد لكان ذلك اقصى مانطمع فيه . ولكن ذلك لن يحدث ، بطبيعة الحال ، الا اذا عجزت هذه الفئات عن ممارسة نشاطها المعهود ، أى اذا توقف الانفتاح الاستهلاكى .

أما القطاع الخاص الانتاجي فقد فتحت له الخطة الجديدة أبواباً عدة للاستثمار ، منها الاسكان والاستزراع . ولكننا نشهد مايشبه أن يكون بداية تناقض بين رجال الاعمال وأجهزة الدولة . فرجال الأعمال غير مطمئنين الى جعل القطاع الخاص "تابعا" للقطاع العام ، فمعنى هذه التبعية أن يكونوا خاضعين لخطة كاملة تضعها الدولة ، ويمكن أن يراعى فيها تحقيق أهداف سياسية واجتماعية قبل الأهداف الاقتصادية ، ورأس المال الخاص لا يعترف الا بمبدأ واحد وهو مراعاة متطلبات السوق . بجانب ذلك هناك الشكوى المستمرة من "البيروقراطية" ، وهى كلمة مهذبة تتضمن أشياء مثل الرشوة والمحاباة ، ورأس المال الخاص يمكن أن يقبل الأولى ( اذا لم تتجاوز حدوداً "معقولة" ) ولكنه يجزع أشد الجزع من الثانية .

واذا تتبعنا تاريخ القطاع الاشتراكى ، أو الاشتراكية عموما فى العالم الثالث ، جاز لنا أن نقول إن الراسمالية الجديدة ، المنتجة ، تخشى أن تنتقل اليها عدوى القطاع العام ، التى نخرت فى أساس الاشتراكية نفسها ، ومرجعها الى جرثومتين : تقديم المصلحة السياسية العاجلة لنظام الحكم ( المظهرية ، التحبب الى الجماهير ، الخ . ) على المصلحة الاقتصادية للمجتمع ككل ؛ واستغلال النفوذ لتحقيق مكاسب خاصة .

### ● مستقبل مظلم

ولكن كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟ هذا سؤال يجب أن يطرح ويناقش بصراحة تامة ونحن نبدأ خطة خمسية جديدة ، ونعلم أن الاقتصاد المصرى ان لم يسترد عافيته خلال هذه السنوات

الخمس فسوف يكون المستقبل مظلما حقا ، بل حالك الظلام . ويضاعف من اهمية هذا السؤال أن هناك أموالا ضخمة مجمعة فيما يسمى شركات توظيف الأموال ، تقف مترددة ، لم تدخل بعد ، دخولاً حقيقياً ، ميدان الانتاج ولا تلام . الخطأ ، فى تقديرى ، يرجع الى البداية .

ولا يهم ، فى هذه البداية ، أن يكون الذى لعب الدور الأول هو الجيش ، أو حزب من الأحزاب . فالمهم هو النتيجة : إن الجيش أو الحزب تمخض عن "زعيم ملهم" قال انه جاء بالاستقلال ، وجاء بالحرية ، وكما جاء بالاستقلال والحرية سيجىء بالرخاء للمعدمين ، وكل ماعلى الشعب هو أن يسير خلفه ويهتدى بهداه .

لقد خرجت الجماهير من معركة الاستقلال السياسى راضية بأنها تملك حكومة من ابنائها . ولكنها فوجئت بهذه الحكومة تتصرف وكأنها أصبحت هى المالكة لها . ولم يكن أمام الجماهير هدف آخر ، بعد أن أوصلت "حكومتها الوطنية" الى الحكم ففقدت رابطة الأمة ، ولم تبق لها سوى رابطة القطيع .

هل يكفى أن تقترن الاشتراكية بالديمقراطية لتصحيح الخطأ ؟ ان هذا السؤال أصعب من سابقه . فنحن مازلنا فى أول التجربة الديمقراطية . ولكن اذا جاز لنا أن نتنبأ بالمستقبل ، اعتمادا على استقراء التاريخ ( وهو معنى أن نختار ) فإننا نرى أن الديمقراطية وحدها لا تكفى .

فالديمقراطية صيغة سياسية اجتماعية ابتكرها الغرب لتحقيق التوازن بين المصالح المختلفة . أى أنها لا تشكل بذاتها قوة دافعة للتقدم . انها لا تسير العربات فى الطريق ، ولكنها تنظم المرور . أما القوة الدافعة للتقدم فلا يمكن الا أن تكون مثالا للحياة الطيبة . وقد كان المثال الذى قام عليه الاقتصاد الغربى والمجتمع الغربى كله هو المصلحة الخاصة . أنك اذا عملت لتحقيق مصلحتك الخاصة فقد أفسدت المجموع أيضا ـ فالغش والخيانة لا يعودان بالضرر على المجتمع فقط ، بل ان ضررهما الأكبر يقع على الخائن والغشاش .

المهم لنا الآن أن مجتمعاتنا لا تستطيع أن تقتبس هذا المثال الرأسمالى ولا أن تتناساه أيضاً ( فسيظهر على كل حال فى شكل انحرافات لا تحصى داخل النظام الاشتراكى ) ونحن نعتقد أن المجتمعات الناشئة ( ونحن مجتمع ناشىء ) لا يمكن أن تجد هذا المثال الا فى الدين . ان المصلحة الشخصية لا يمكن أن تجعلنا ـ على أحسن الفروض ـ الا تابعين أذلاء . أما المثل الدينية التى تعيش الماديات بقيمها المعنوية فيمكن أن ترد علينا كرامتنا ، حتى ولو بقينا فقراء . فالشريعة لم تحدثنا عن الديمقراطية بل حدثتنا عن الشورى ، ولم تحدثنا عن راسمالية ولا اشتراكية بل حدثتنا عن عدل واحسان وليس معنى هذا ان الاشتراكية والديمقراطية نظامان غريبان مقيتان ، بل هما نظامان من صنع البشر ، يمكننا أن نقتبس محاسنهما وننفى سوءاتهما ، ناظرين الى أحوالنا ، ومسترشدين بالمثل العليا التى حوتها الشريعة .




# المستقبل واستشراف المتغيرات

## ● النخبة العربية ضحت وعانت ولكنها لا تقبل الرأى الآخر بل تحاول الانقلاب عليه

## ● كثيراً ما نردد ما قاله الآخرون عنا والسؤال الآن: لماذا لا ننزل إلى أرض الواقع وندرسه بأنفسنا



**●● ما هى المحاور الاساسية التى يجب على المفكر العربي والمثقف العربى من صفوة المجتمع ان يضعها فى اهتمامه فى الفترة الراهنة ؟**

**ما هى اولويات العمل الفكرى واين نحن من الغرب ، وما هو موقفنا من بعضنا البعض ، كفئات متعددة وكفاعليات مختلفة ، وما هى الخطوات المطلوبة من اجل استشراف المستقبل والوعى بالمتغيرات التى ستشكل صورة العالم فى القرن الواحد والعشرين؟**

**كيف نرى تاريخنا وتاريخ الاخر ، وما هى العوامل المؤثرة حقا فى مسيرته ، وما هى أدوات التحليل الفعالة التى يجب علينا التسلح بها من اجل الوقوف على الحقيقة ؟**

**هذه الاسئلة وغيرها ، كانت موضع حوار طويل بين الهلال وبين المفكر العربى (( رشدى فكار )) هنا نص ما ادلى به من اجابات كما جاءت على لسانه بطريقة تدفق فيها الكلام ففرض الشكل الذى نعرضه للقارىء فى الصفحات التالية : ●●**

ـ ١ ـ

لا شك أن إنسان القرن العشرين مطالب باستيعاب عدة محاور ، يأتي في مقدمتها محور ذاته ، ويتطلب هذا عمقا تاريخيا لا يعتمد على الرؤية الانشائية ، وانما على ثوابت التاريخ ·· وهنا ستطرح ـ بالنسبة للانسان العربي ، أو انسان أمتنا المعاصر ـ مدى استيعابه لواقعه التاريخي ·

اقول : استيعابه ولا أقول الالمام أو التصفح ، باعتبار ان الواقع التاريخي كما تطرحه الابستمولوجيا ـ أو التقدير المعرفي ـ في نهاية القرن العشرين يتطلب تجاوز المؤرخين الى علمية وفلسفة التاريخ ، وأيضا ، لسيولوجية التاريخ ، ونعني أولا أن التاريخ السردي ، أو التاريخ المسترسل ينظر اليه الان بعد هذه الانطلاقة التي وصل إليها التقنين المنهجي لعلوم الانسان على أنه صياغة « فكرانية » من المؤرخين في غرفة مغلقة ، فهم لا يصوغونه في قلب الاسواق ، ولا في قلب الممرات الدموية في التاريخ ، بمعنى أن المؤرخ يعيش عصره فعلا ، ولكنه حينما يصوغ هذا العصر التاريخي فانه يفعل ذلك في غرفته ، أو في مكتبه المغلق عليه ، ومن هنا لا يمكن أن ينفصل عن تذوقه أو انتمائه ، أو ميوله المذهبية وتصفية حساباته مع الاخرين ، وخصوصا حساباته مع عصره ، فهل هذا العصر الذي يعيش فيه كان عصرا معطاء بالنسبة له أم عصرا مستبعدا له بالفعل ·

ـ ماوتسي تونغ



ـ [illegible]



# المستقبل
## واستشراف المتغيرات

ومن هنا تبرز لنا البصمات التى يضعها المؤرخ فى صياغته التاريخية، يضع معاناته هو من عصره ومدى خسارته أو نفعيته منه ، لهذه الرؤى الحالية المتكاملة لتراث الانسان أو صياغة الشخصية التاريخية له .

**ويمر المؤرخ بعد هذا التسلسل بتصفية وغربلة باسم علمية التاريخ ، لا فكر التاريخ ، فالفكر من صنع المؤرخ ، وفعل التاريخ من صنع البشر ، وفعل التاريخ هو الوقائع ( وننفى هنا مصطلح مادية التاريخ التى يتشدق بها البعض ) .**

– ٢ –

الفعل التاريخى هو محاولة بناء التاريخ من وقائعه الصغرى ، أى استبعاد التاريخ المسترسل الذى صيغ فى غرفة الى التاريخ الذى يبنى لبنة لبنة انطلاقا من الوقائع الصغيرة التى تمثل النهج العام ، ثم بعد ذلك يبدأ البناء ، فيضاف الى الواقع الاقتصادى والعامل البيئى والعامل التربوى والعامل النفسى والعامل الدينى والعامل الديموجرافى والعامل السلالى .

**هذه الصياغة الهائلة لعلم التاريخ .. لنفس الفترة ، تمر بالغربلة الثالثة وهى فلسفة التاريخ . وهى لاتعنى فقط الوقوف عند ثوابت ومحة التاريخ ، وانما تعنى التعليل .**

ففيلسوف التاريخ هو فيلسوف المنعرجات الكبرى للتاريخ ، فالتاريخ يكون مسترسلا وايقاعيا ، وليس لدى فيلسوف التاريخ ما يقوله ، وانما يتحرك عندما يتزلزل التاريخ ، حينما يخرج عن استرساله الايقاعى وتحدث سقطة أو اقامة ، كالاحداث الكبرى التى تغير التاريخ ، هنا يخرج فيلسوف التاريخ كى يعلل لنا .

– ٣ –

**هل عالم التاريخ يتحرك من موقف مسبق يصوغ على ضوئه الفعل التاريخى ؟ أم أنه يترك الفعل التاريخى ليصوغ رؤياه هو ؟**

هذه نقطة بالغة الاهمية والحساسية .. تضيف الى الهم هما اخر ، هو هم المعانى فى القرن العشرين .

كان المفروض أن تصاغ علمية التاريخ فى واقعها ، فى عصرها انطلاقا من أن الواقع التاريخى يتحدث عن نفسه ، ولكن لان انطباع المؤرخ يحدده ، فان عالم التاريخ يعطى فى النهاية انطباعا عن الواقع ، لانه يتقمص دور فيلسوف التاريخ .

وبالنسبة للتراث فاننا يجب أن نميز بين تراث البشر وتراث المسلمين .. نميز بين الجانب الالهى والجانب النبوى الذى من المفروض أن يكون له قناعة ايمانية غير قابلة للمضاربة .

فنحن حين نؤرخ لهذه الامة فاننا نتناول العصر النبوى فى اطار المعنى، فهناك المؤمن به وهناك الرافض له ، وهناك المتسائل ، وكل له خطابه .

فالمؤمن بالعصر النبوى واضح فى منهجه بلا شك فى الهداية ، أما الرافض له فيعلل لماذا رفض ويقود التحدى والمواجهة معه انطلاقا من معطيات العصر ، لانه فى عصر الرفض ، أما المتسائل فانه يطرح لماذا يتساءل حول أى نقطة للاجابة

● د. رشدي فكار: إنسان القرن العشرين مطالب باستيعاب العديد من المحاور التي يأتي في مقدمتها محور ذاته.

● الفعل التاريخي هو محاولة بناء التاريخ من وقائعه الصغرى لبنة لبنة من الوقائع المحسوسة

على هذا الرفض ، هذه هي جوانب ذات طابع قدسي ، لذلك لا يجب أن تتضارب أو نحشر بهـا باسم تراث البشرية ٠

فتراث البشرية هذه ، في رحلة ما بعد النبوة عبارة عن سلف صالح وائمة وفقهـاء ومجتهدين ومؤرخين ومتكلمين ... الخ ٠ وهم بلا شك قد اجتهدوا ، ودور المجتهد أن يتقبل رأى المجتهـد الآخر ، أي لا تتم المصادرة والالغاء ٠٠ والمفروض أن **نضع في حساباتنا ــ عندما نتعامل مع التراث الذي خلفه لنا البشر ــ ما اسميه بنظرية التلوث التاريخي ، او الافتعال التاريخي ٠**

ــ ٤ ــ

**ما المقصود بالتلوث التاريخي ؟**

انه نتاج الصراعات التي اجتاحت مثـلا العصر الاموي وعرفت باسم الفتنة الكبـرى التي تجعلني أتساءل الى أي حـد اشتعلت ــ بعـد وقوع المواجهات ــ وأخـذت في طريقها المصداقية ، وبالتـالي يمكن أن نبرر فتنا أخرى في المستقبل ٠ فاذا كان الصحابة قد افتتنوا فلماذا لا نفتتن نحن ؟ هناك جانب هام للغاية فيمـا يخص هـذه القضايا على مستوى التلوث فيما يعني افتعالات وانتماءات وترسيبات ، لانه لابـد أن نضع في اعتبارنا أن البشر ليس من السهل غسلهم بالساحيق خلال فترة زمنيـة ٠٠ هناك الانسان التناقضي كما يقول « يونج » أحد كبار علماء النفس ، وهنـاك النموذج السلعي اللاجمعي المترسب في اللاشعور ، فمن الصعب أن يتخلى عن نفسه ، وحوله ترسبات قد تكون سلالية أو طائفية او عقائدية او لاشعورية ، وبالتالي يرى الامور من معيارها ، لذا لابد أن نعي التزييف التاريخي ٠

ثم نأتي الى قضية المصـادرة التاريخية ، فكثيـر من الاحداث تتم مصادرتها ، ليس لانها تافهة ، ولكن لانها أكبر من أن تروى أو تقـال ، فتصادر ، حادث كبير يقع في مدينة، وتسرق دجاجة في مدينة أخـرى ، فيتكلم النـاس عن سرقة الدجاجة ، ويطرى على الحدث الكبير المصادرة ، فهو لم ير ولم يسمع ٠

**اما اذا تحدثنا عن نظرية الضياع التاريخي ، فالكثير من الوثائق اما انها ضاعت في الغزوات والمواجهات او المعارك الحربية الكبرى ، كمـا حدث في سقوط بغداد أو انها مازالت ضائعة ، مخطوطات لم يطلع عليهـا احد ولم تنشر بعد ٠**

ــ ٥ ــ

بعد محور التراث هنـاك محـور

# المستقبل
## واستشراف المتغيرات

المعاصرة وهو ينشطر الى شقين : واقعى المعاصر ، وواقع الاخرين ، فالمفروض أن الانسان حتى يعى متغيرات العصر لابد أن يعى واقعه الذى يعيشه والواقع المحيط به ، وكى نكون صرحاء ، فالكثير من النزعة المكتبية تسيطر على رؤية الواقع المعاش فيه ، فبدلا من أن ينزل الباحث الى الواقع ويستنطقه ويستكتبه ، فانه يكتفى بمراجعته فى مكتبه لبعض الكتب التى كتبت عن واقعه المعاصر وما قاله الاخرون ويتبناه · ونحن فى أشد الى الحاجة الى أن لا نقف عند قالوه عن ماضينا ، وقيل عن ـ وقالوا عن ـ حاضرنا · وسنقول عن مستقبلنا · هذه رؤية تجريدية على المستويات الثلاثة · المفروض أن الواقع المعاش فيه يلمس عن طريق الاستنطاق والاستجواب ·

وعلى سبيل المثال فاننا كثيرا ما نستشهد فى مؤلفاتنا بما قاله المستشرق فلان ، هذا المستشرق الذى نزل الى الميدان ، ونردد ما قاله خبير تتعرف الامم المتحدة ، السؤال : لماذا تنزل أنت الى القرى ؟ لماذا لا تنزل الى الميدان وتمارسه وتتعرف عليه . وعلى أنعكاسات الواقع ، لكى تتعرف على مردود العقل وتستوعب المتغيرات ·· مثلما يمكن أن تجده فى كتب مكسيم رودنسون وجاك بيرك وغيرهما من المتقسين ، أما الاخرون أمثال جيب ومار جوليتز والكثير من الاسماء الاخرى فهم من الذين يستحقون الهجوم

هذه هى التى أسميها النزعة الاستشراقية المكتبية · طبعا هناك استشراق مكتبى · المستشرقون منذ خمسين عاما واكثر كانوا ينزلون ويعيشون مع الناس ، أما الان فهناك نزعة استشراقية مكتبية ، حيث يجلس الواحد منهم فى مكتبه يراجع ويستخرج من بين هذه الكتب والمقتطفات التى يستعملها منها ·

ان عملية التعايش المدروس مع الواقع مهمة لهذا الواقع ·

### لماذا ؟

لان واقع الاخرين ومدى المصداقية فى التعامل معه مرتبطان باحاسيس واقعة ، لان أساس الاخر دائما هو الاخر·والمفروض حتى تتسلح بمراجهة موضوعية مع الاخر وتقيم حوارا معه · على رزانة وجدية ، لابد أن تكون واعيا من أنت ، لا بما قالوه عنك ·· واعيا بمن أنت ، بمعنى انك عرفت واقعك ·

هناك أهمية للتعرف على واقع التراث قبل التعرف على واقع الاخرين ، لان التعرف على واقع الاخرين فانه لن يرى ما وقعه الا من خلال الاخرين ، ويصبح محسوبا عليه لا محسوبا علينا ، أصبح يترجم انعكاساتهم ، ويترجم آفاقهم المبينة من خلال هذا الواقع ، نقول ان من أخذ على عاتقه مهمة التنظير أو مهمة البحث ، أو مهمة التواجه مع المتغيرات أو هموم الامة ، المفروض أولا ان يستوعب ذاته ، ثم يبدأ التعرف على واقع الاخرين ·

وتبدأ قضية واقع الاخرين بالسؤال : هل يتعرف على واقع الاخرين بنية الرفض ، أى بواقع

رفضى هو أن أتحدى الاخر وأستحوذ عليه وأحتويه ، أم أنه يدخل الى هذا الاخر بمعيار المستعصى المتطلع اليه. الاول هو القدوة والاخر هو السائد ، فحضارة الغرب حضارة سائدة .
وفى تصورى الشخصى أعتقد أن كلتا النقطتين مستبعدتان ، أن يدخل الى الاخر من منظور رفضه ، أو أن يدخل الى الاخر من منظور تقبله واستعطافه اذا ما حاول أن يستوعبه ، أى يدخل اليه عن طريق تفهمه .

لكن عندما يراد التغلغل لفهم الحضارة الغربية ، فهى ليست حضارة شكلية ، بل هى حضارة « رهيبة » لها من المعاناة ، والهموم ، والتصفيات الكبرى والمسيرة ، والتجاوز فى أطار الفلسفة والعلوم والمنهج ، لابد أن يجعل الانسان يفكر فيما هو أمامه .
بمعنى أن التنظير الغربى ليس بالسطحية التى يعتقدها البعض ، أبدا ، بل هو تنظير متمرد ، شقى ، رهيب ، خاصة أنه انطلق من مبدأ الاحتجاج والرفض واعطاء البدائل ، أى أنه من البداية كان يريد أن يلعبها ، فهو ليس الانسان المتهيب أو المتردد ، بل هو انسان يحتج ويرفض ويعطى بدائل .

وبالتالى فان القرن التاسع عشر هو عصر البدائل باسم فلسفة الانسان ، حيث قام بتصفية حسابات الماضى كله ، هناك من صنفها فى أطار نظرية التطور ، ومن صنفها باطار نظرية الوضعية مثل قوانين الاحوال الثلاثة عند أوجست كونت ، هناك أيضا تصنيفات عملية ، واحتجاج وتجاوز .

الى هذا الانتفاخ للانسان الذى نظر اليه على أنه بديل واقتنع به البعض بدرجة أنه انفجر مثلما حدث عند نيتشة فى أخلاق السادة ، واعتبر أن الماضى هو أخلاق العبيد وهناك أخلاق السادة ، هذه الامور حقيقة — ليست بالبساطة ، ولهذا فعلينا فى البداية أن نطرح واقع الاخرين قبل أى شىء اخر .

— ٦ —

**واذا كان لابد من الكلام عما يجرى على ساحة الفكر فى الوطن العربى ، فاننى اعتذر مسبقا لمخالفتى لراى الاخرين ، فانا افضل تعدد حيثيات الامة فى المواجهات ..**
ولا أميل مطلقا الى الاراء أحادية الرؤية ، وقد أتيح لى أن أتعدد فى حيثياتى ، فلدى حيثيات الحضارة العربية الاسلامية ، ثم حيثيات الحضارة الغربية ، ولا أعتقد أن التجربة كانت تجربة سيئة ، فتعدد الحيثيات اكسبنا نوعا معينا من الاضواء ، فالى حد ما لا أعتقد أنه تم الغاء ، بل تم احتواء وتجاوز ، بمعنى تخريج للحيثيات ، ( أى حيثية متجاوزة على مستوى جدلى بحت ) بمعنى أن هناك حيثية الام ، وحيثية النقيض ، ثم حيثية متجاوزة ، بمعنى أننى لست طفيليا على حضارة الغرب .. ولا غريبا على حضارتى ، فأنا ابن الدار ، ولهذا لا اعتقد أن هذه قضية علينا أن نتحاشاها ، بل أن نلقى بانفسنا فى خضم الكون الذى يتحرك حركة شديدة فى اختزال الازمنة والاشياء وحتى الانسان .

— ٧ —

**لابد من الاعتراف بأن الغرب هو « التغير » ، ومن الصعب أن نرى غرب العصور الحديثة ، غرب عصر**

# المستقبل
## واستشراف المتغيرات

المتنوير ، غرب عصور البدائل فى القرن ١٩ · ثم غرب حضارة التقنية المتطورة ، لاننى أعتبر أن الغرب عبر الحضارة الغربية من كل فترة زمنية تأخذ رداء يتمشى مع الاختزال والتجاوز · ففى البداية جاءت المدارس النقدية الفلسفية ، ثم جاءت فترة المدارس العلمية ، أى المتنظيس العلمى ، ومحاولة الشعور بلذةتشريح الظواهر الطبيعية وادخالها المقابر ، وتشريح بعض القوانين منها ، بدأت تفتح الشهية لتشريح الانسان ، ومحاولة التعرف على أعماقه ، والتعرف على علوم الانسان ، وعلم النفس ، والانثروبولوجيا ·· الخ ·

هذا التنظير العلمى ، تأتى اليه المعرفة التقنية فتكسبه رداء اخر ، وهو رداء الاندفاع والاختزال ، لان الحضارة الغربية الان تركز أساسا على السرعة أكثر ما تركز على الابداع والخلق الجذرى · لان لديه حصيلة ضخمة من القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وتسرع الان فى الهضم عبر التكنولوجيا · ولدى البعض التباس فيما طرحته فى بعض مؤلفاتى فى نظرية المراهنة الصناعية ، حيث حدث التباس دائم حول « من يقود من يرى » بمعنى أنه فى عصر التنوير كانت الفلسفة تقود ، ثم جاء دور العلم الذى يرتكز على الفلسفة ، ثم جاءت الصناعة وبدأت تقود العلم مرتكزة على التكنولوجيا ، ثم جاءت التكنولوجيا لتقود العلم والصناعة ، أى أننا الان فى عصر التكنولوجيا التى أصبحت مساعدا للصناعة المستأنسة بالعلم · بمعنى أن الصناعة كانت فى فترة ما المعيار ، حيث نقول : القائدالعلم ، القائد الصناعة، القائد المعرفة التكنولوجية ، حينما كان الخلق والابداع والتنظير العلمى هو القائد · فقد كان كل شيء فيخدمة العلم والمعرفة ، بعد أن كانت تابعة للعلم ، أصبح العلم تابعا لها ، أصبحت الصناعة تطلب من العلم أن يتقدم ، وتقوم الصناعة بهذه المهمة بعد أن استأنست العلم ، ولم تضع فى حسابها أن التكنولوجيا ستقوم معها بنفس المنهج ، وهى أن التكنولوجيا بدورها كانتمجرد وسيلة للانتاج والتسلسل والسبيل الصناعى للتنميات القروية · نقول :

« الصناعى » حتىنتجنب « المردودية » فالمستقبل الان للتكنولوجيا لا فى « المردودية » · ولذا ما نلاحظه الان فى صناعات كثيرة تلقى «بمردوديتها» فى الهواء الطلق ، عن طريق تجربة تكنولوجيا تؤكد مصداقية التكنولوجية ولا تؤكد مصداقية الربح ، بمعنى أن الملايين يتم صرفها على الأقمار أو صواريخ أو أشياء يلقى بها فى الهواء ، فأصبحت التكنولوجيا هى التى تقود الصناعة وتقود العلم ·

هذه التكنولوجيا اختزالية لان التكنولوجيا أساسا نوع من «التقنن» والضغط عن طريق التنسيق والتنظيم والانضباط وتوزيع العمل وتصميم التخصص ، انها عملية رهيبة ، وبالتالى ، فان ما تنبأ به فى نهاية هذا القرن أن التكنولوجيا ستقوم بعملية اختزال لمجالات رهيبة ، ليس

فقط اختزال المسافات واختزال الاجهزة ، بل اختزال الادوار ، يعنى أن شيئا سيقوم بعدة أدوار فى أطار محدد للغاية . وهكذا سيكون الاختزال مشكلة كبرى ، لان المجالات ستتسع عن طريق الاختزال ، وهناك من يختزل ويخطو خطوات عملاقة ، واذا فسرنا القضية حسب تقنيني المعرفى ، فاننا نجد أن الدول العظمى تتسابق الان فيما أسميه بدورات الحلقات الخمس .

والمعروف أن للعلم ثلاث حلقات ، وللمناهج حلقتين ، وحلقات العلم هى : وصف ، تعليم ، استكشاف ، أما المنهج فحلقتاه هما : مناهج البحث ، ومناهج الشرح ، مناهج البحث للوصف وجانب من التعليل ، ومناهج الشرح للاستنتاج والاستكشاف .

والمفروض أن يتم اختزال هذه الحلقات الخمس من ١٥ – ٢٥ عاما بعد أن كان ذلك يحدث كل ٤٠ عاما . فلنفرض أن باحثا بدأ يتدرب ويتخصص فى الحلقات الخمس ، وقضى عشر سنوات فى التدريب ، لكنه يكتشف بعدها أنه لم يفعل شيئا ، فقد تغيرت المناهج وتغيرت الحلقات ، فيراها بصورة مبسطة فيما يسمى الان بالتجسس العلمى والصناعى . وبعض الدول العظمى لا تضيع الوقت ، وتنتظر حتى ينتهى الاخر من التصميم وتقوم بتصويره ، لانه سيكون هناك من يقوم بالتصميم بعد ٥ سنوات ، فى هذه الناحية الدقيقة من التخصص التى قد يكون الاخر قد تجاوزها ، وهذا الصراع الاعظم له امكانات كبرى فى قضية اختزال الدورات ، وانا اعتبر أن الاتحاد السوفييتى فى هذا ذا دفعات عمودية ، أما الولايات المتحدة فان دفعاتها افقية ، وهذا لان لديها امكانيات اقتصادية وفائضا هائلا من التراكم المعرفى الذى يسمح بالتصويب والتخطيط ، ويسمح لنفسه باكثر من طريق ،أما الاخر فليس لديه هذه الامكانات ، لذا فانه يفعل المستحيل كى يختزل ، وهو يختزل فى الامور الشديدة . أى يريد أن يسبق فى اختزال الزمن السابق اختزاله فى زمانه ، أى يلعب أدوار القرن الحادى والعشرين .

– ٨ –

## اين نحن من كل هذا ؟

لى شخصيا رأى أعتقده ، فأنت حينما تكون فى سباق غير متعادل فهل من الاولى أن تدخل هذا السباق غير المتكافىء فى وسائله أو فى تعرفك على أرضيته ، ولا فى امكانك استيعاب قدراته ، أم الاولى أن تبحث عن طريقة أخرى للسباق ؟

لقد طرحت هذا مع مجموعة من الباحثين فى الغرب ، وأنا أتفق معهم فى هذا التطور فيما يسمى بنظرية التباين فى التقدم ، ولكن القضية ليست سهلة ، وحسب رأيى – وقد يكون رأيا خاطئا وقد أصححه – هو أن السباق مع التقدم حاليا قضية صعبة ، وكل ما تستطيع أن تفعله ، أن تخفف من وقعه بخلق حواجز له عن طريق بعض الامور ، ما نراه الان فى الازمات الاقتصادية والمواد الاولية ، ولكن الغرب يمتلك من قوة التقنين والقدرات الهائلة : ...

# المستقبل
## واستشراف المتغيرات

والعلمية والمنهجية وهو ما يجعله يجد البديل بسهولة ، فيأخذ البدائل من نفسها ، لذا فانني أعتقد أن السباق في هذا المضمار ضروري ٠٠ فالمتقدم يتمنى أن تسابقه في ميدانه ، وهذا ما اكتشفته شخصيا في التقنين المعرفي لتعميمه على علم الانسان ، فقد كان الهدف من تاليف موسوعتي في علم الانسان ــ وهي في أربعة أجزاء ــ هو محاولة الوقوف ، ولا اقول التمرد ــ أمام هذا التعميم الرهيب الذي يعمق انتصار المتقدم في العلوم التجريبية ، فقد انتقد في كل شيء ، لقد انتصر في العلوم التجريبية ، ولكنه بقدراته الذهنية الهائلة ادعى أنه انتصر في كل شيء ، بما في ذلك علوم الانسان ، وقد يكون انتصاره في علوم الانسان تدميرا لعلوم انسانك وتدميرا لك ٠٠ انتصاره هو اكتشافه لكل خباياك ونقاط ضعفك ، وهو في النهاية سيعطيك نسخة ثم انسانه ولكن حسب المقاس ، فهو الذي يصوغ ، لهذا اعترضت على التقنين المعرفي لعلم الانسان في كل مكان ، فلكل انسان تقنينه المعرفي الذي ينطلق من همومه ونشأته ٠ فالتجريد العلمي هو سيد الحضارة الغربية بشقيها لان الحضارة الغربية كل لا يتجزأ ٠ ليبرالية وماركسية ، لانها ترتكز على الوسائل الثلاث : التقدم العلمي ، المعرفة التكنولوجية ، التطبيق الصناعي ٠

ثم الى جانب هذا الحلقات الخمس التي تحركها ، وكلا الاتجاهين يتم تبنيهما ، وقد استطاع الغرب القيام بعملية الحضارة السائدة ، وقد يختلف الاتجاهان الرئيسيان في الغايات أو في التقنين للمجال الزماني ، أو في وسائل الوصول حسب طبيعة كل بيئة ، لان هناك من لديه التراكم ، والامكانات ، وهناك من ليس لديه شيء ، فيحاول التحرك في شكل قفزات وليس في شرائح ، ويمكن أن نسميه ــ مثل حالة الاتحاد السوفييتي مع جورباتشوف ــ محاولة تحقيق قفزة ، فقد شعر بأن التموج لا يؤدي الى نتيجة ، ولا فائدة من حراس الثورة ، ووجد أنه يريد قفزة ، لانه يشعر بالمواجهات التي تنتظره ؛ بينما الاخر موجات وشرائح ، فالانسان لديه فائض هائل من التراكم المعرفي ومن الامكانات الهائلة ، وحدث هذا الاختيار لان لديه أيضا مخزون ومستودعات عقول تاتيه من الغرب ، فكل شاب غربي يجد في نفسه الامكانية يتجه الى الولايات المتحدة ، وهكذا يحدث في العالم الثالث ٠

فالولايات المتحدة لديها ما يسمى بجنة الاختيار ، أما الاخر فيعرف أن قضيته وطبيعته لا تجعلانه مؤهلا لهذه القضية ، ولذا فان محاولة القيام بقفزات محسوبة ومنضبطة بقناعة ، وانها ليست مخاطرة ، وأعتقد أن جورباتشوف عقل رهيب ، وأن أفقه الذهبي ليس بالبساطة التي يعتقدها البعض ٠ فهو انسان الساعة بالنسبة للاتحاد السوفييتي ٠ انسان الاجابة ، الرد على المرحلة ٠

## ـ ٩ ـ

**أما المشكلة بالنسبة لنا فهي كيف تتنفس في هذا الجو الخانق ؟**

هذا العالم الذى يبدو كصالون ذئاب ، فالذئاب متوحشة فى صالون لا يؤذن لها بالجلوس فيه الا بحسبان .. ولابد من مؤهلات متعددة حتى يسمح لها بالجلوس بحسبان ، وعلى أن أعود وأكرر أنه لابد أن ترى الامور بمعيار التكتلات الكبرى ، فاكبر خطأ يقع فيه البعض هو أنه من الصعب أن يسمح القرن القادم للاجساد القزمية بالبقاء والتنفس ، وسوف يحتويها ولكن بطريقة عقلانية ومحسوبة ، وبالتالى من يريد أن يبحث ، فالقرن ٢١ سيكون قرن التهميش المجانى ، أى لن يلزم أن يهمشك ، بل أنت نفسك ستقول : لقد قبلت التهميش ، لان ليس لدى ما أقوله ، فالركض صعب ، وبالتالى حتى لا نخرج من هذا التهميش المجانى ، فعلينا أن نتطلع الى التكتلات الكبرى ، كيف يكون هناك تكتل يسمح بخلق قدرة مواجهة ، لان القرن ٢٧ سيشهد بلورة تكتلاتكبرى ، الصين ، والهند والولايات المتحدة الاوربية ، تكتلات بدات البحث عن هويتها ، فلا مجال فى الصالون القادم لاى جسد مرتخ ، او ضعيف .

نحن ايضا فى حاجة الى التخفيف من الانا المتضخم ، بحيث لا نكون على مستوى القرارات حتى بالنسبة للشعوب .

فلا داعى ان نلقن الشعوب من الان أن البقاء لن يكون الا للتجمعات الكبرى ، وهذه الانا المتضخمة موجودة حتى فى الاسرة . فالاسرة منتفخة . تحاول أن تطرح هذه القضية فى البناء الانسانى : بناء الانسان ، بناء الطفل . بمعنى أنه من الصعب على الانسان الذى كون بطريقة قهرية حضارية أو على طريقة ، هكذا تسير الامور ، ان تنتظر منه اجابات ابداعية . .لانه ملزم أن يتحرك ، فما أحوجنا ان نطرح نسقا موحدا للطفل . اتمنى أن يجتمع البعض ـ وانا لا أميل الى التنظيمات كما لا أضع من نفسى موجهـا ـ على الاقل من الان لخلق نسق بدا حوجى للطفل الموحد القادر أن يواجه القرن الحادى والعشرين . ونعطى له بعض المبادىء أى الابجديات هذه القضية أطرحها . لان بناء الشوارع والامتداد العمرانى فهذا سياتى تلقائيا لان هذا من طبيعة العصر ـ وما أراه كباحث هو أن هناك اشياء باتفاق القاعدين أن يجتمع العظام ويصلون الى رأى . ففى رأيى أن بقاء الحال من المحال . اذن حتى تبقى دار أم لقمان على حالها علينا أن نهيىء لها .. ونستعيد هذا المحال . وهذا من طبيعة التغيير الجذرى . كيف ؟ أن يظل هذا الفائض من مليارات البشر الخمسة تحت تصرفنا الدائم . بمعنى أن هذه هى التنمية . وها نحن موجودون حتى لا تغرقوا فى الديون والتبعية وتتابع الازمات . ولكن الاخر حريص دوما على أن نكون تابعا فى طريقه ، منعزلا ، واذا قررت الا تسلك هذا الطريق . فسوف يطرق من أسفل الباب ويقول لك : هذا طريقى . لانه يعلم جيدا انك يجب الا تسلك طريق الاخر ـ ويحدث هذا فى تجربة الصين .

فتجربة الصين حاليا هى اكبر

# المستقبل
## واستشراف المتغيرات

دليل على الاستئناس ، فلدى اقتناع أن الدول العظمى فى العالم المتقدم تكنولوجيا وصناعيا وعلميا اذا ما وجدت نموذجا بدأ يفلت منها · فانها تفعل المستحيل من أجل استئناسه بكل الطرق · وهنا يأتى المحك الاكبر لان جانبا كبيرا مرتكزا على تغيرات · لان ركيزة كبرى لتقدمك هو أن تسير فى ركابه فى الوقت الذى تبدأ فيه تتحفز ، لا لتهاجمه أو تحاربه ·· ولكن كى تقول له : « لقد تعبت » · كى تجلس ، سيقول لك أنا فى حاجة لن يأكل ما تبقى من موائدى · أو من يحمل المتاع عنى أو يغسل لى الاوانى ·· أو ما أشبه ذلك · أو أنا فى حاجة لان أفرغ له الامور · لابد أن يأخذك معه · لذا فان تجربة الصين هى تجربة رائعة حقا · لانها تؤكد ان هناك ايقاع كونى ·

بالاضافة الى ذلك فاننى أعتقد أن القضية فى الصين لها ظروف · ولا أعتقد أن معزوفة الصين اصبحت نهائية · فتصفية الحسابات فى الصين بدأت بين القيادات بعد رحيل ماو تسى تونج وأثرت على مسيرة الصين حاليا ، وأنا أتصور أن الجانب الذى استبعد هو الذى أخذ المبادرة ·

ان ماو تسى تونج هو كونفوشيوس بعباءة ماركسية · حتى يحمى نفسه من الدب الابيض الذى بجانبه · عباءة مضادة للروس ، والمعروف ان ماو رؤية صينية صينية ، ولكن القضية أصبحت ان الامم كثيرا ما تعانى · والمشكلة قد تستعمل فى النهاية · فهل كان التصحيح على مستوى النخبة او القيادة صاحبة القرار ـ مع احترامى لقيادة الصين ـ حتى فى عصر ماو · فالتركيز اكثر مما يجب على تقبل الجماهير هو الذى أدى الى ما هو عليه الامر الان

اتصور لو ان ماو ارتكز على النخبة أكثر من ان يرتكز علىأسطورة القرار القدسى لماو او على ثقل الجماهير · هو فى الواقع الرصيد الاكبر · ربما اتفق هنا مع تحاليل ماكس ليندر والتحاليل الخاصة للوكاتشيه حول النخبة فى أنها ليست صاحبة القرار فى النهاية · لان القرار هو للقيادة ولكن ضمان لاستمرار الصلاحية · وانما تغير النخبة هو الذى يؤمن استيراد تجربة او لا يؤمنها ·

ـ ١٠ ـ

وبالنسبة للنخبة العربية فحاشا لله ان اكون مجاملا · فهذه النخبة تركز أكثر على المنظم وصاحب القرار ·· وانا اتساءل فى النهاية : هل هى صاحبة القرار ؟ هى شىء أخر بالنسبة لما تتأثر به وتؤثر فيه · والشىء الذى يلفت النظر بالنسبة للنخبة العربية انها نخبة لا اقول تجاهلت أو نسيت ـ وانما أقول انشغلت بما افتعل لها من دور ، وصهرت فى دور ، وكان عليها أن تعى ان لها دورا أولا · وما تبقى من دور تؤديه كما يطلب منها · كيف ؟

نلاحظ أن النخبة وظفت لمواجهة الاستعمار · ونجحت · ولابد أن

أسجل لها هذه الاصابة المباشرة ٠٠ بمعنى أن النخبة فى الوطن العربى كانت على مستوى المسئولية ووصلت الى درجة التضحية والفداء بالروح والموت وبقناعات هائلة ٠ وبالتالى كانت أحد الجيوش الاساسية ٠ وقد سعى الاستعمار الى أن يؤثر فى هذه النخبة ولكن محاولاته لم تنجح مثل البعثات والاغراءات ٠ وقد وجد نفسه أمام نخبة قالت له : « لا » ٠٠ ولعبت دورهـــا حقيقة فى الاستقلال ٠ ولا يمكن انكار هذا الدور ٠ ولو كـانت هذه النخبة غير واعية ٠ وغير مؤهلة له ٠ فلا يمكن أن نقول ان الجماهير يمكن أن تتحول الى وقـــود ٠ لان وسائل الاستعمار وســـائل تدمير ، النخبـــة كانت أقوى من وســـائل الجماهير المستضعفة المغـــلوبة على أمرها ، ولكن وســـائل التعبئة التى كانت محصورة فى امكانات محدودة للغاية خصوصا فى الاحتماء بالذات، هذه النخبة الواعية بدورها فى مواجهة الاستعمار ، لم تكن نخبة ملجمة ، بل جربت المعـــاناة والهموم ٠ وترجمت المعاناة ٠٠ وكان يمكنها أن تستخدم الطريق السهل ٠ هذا أيضا جانب من النخبة لاحظته فى الجامعة العربية ويســـتحق أن نسجله حتى من باب الوفاء ٠

يبقى الدور الاساسى ـ وهو محور الارتكاز ـ وهو شـــعور النخبـــة بمسئوليتها فى تيسير حركة المجتمع ٠ فقـد كـان المفـــروض أن تعلن عن وجودها ـ ولا أقول تتحدى ـ فقـــد لاحظت مرات كثيرة أمام ســـخونة الساحة أو صعوبتها انها بدأت ـ ولا أقول تتراجع ـ تعتبر ان الدور الذى تقوم به ليس له أهمية ٠ فلو أن نخبة فى مجتمع ما بين المجتمعات العربية دون اللجوء الى الدم أو الانقلابات أو الذبح ، وما الى ذلك ، استطاعت أن تعطى ايقاعا متجانسا فى تفهمها لذاتها وتظهر أنها مهيأة لان تتفهم ، لكان الامر مختلفا ٠

الان الكثيـــر من الادوار تلغى عن طريق الانفعال والاندفاع ، حقيقة كان المفروض أن تتفهم هـــذه النقطة ، بمعنى أن تستوعب قوتهـا أولا حين تتفهم ويتطلب هذا من النخبة ، أن تتفق على حد أدنى ، أعتقد أن النخبة خسرت فترات كبرى فى اطار الالغاء٠ فالكل يلغى الاخـر ، كل على حـــق ولكل دوره أن يلغى الاخر ٠ ودوره أن يلغى الاخر ٠ فكانت نخبة الغائية ٠٠ كان المفروض أن تتقبـــل الساحة الرأى والرأى الاخر ٠ وعلى النخبة أن تبحث عن وضع اطار كحد أدنى للتفاهم باعتبار أن الاهم ليس أن أحد الطرفين أهم من الاخر ٠ بل الهدف كيف نبلغ هـــذه الرسالة ـ لاننا فى النهاية أصحاب رسالة وعى وتعبئة ٠ وهـــذا ينعكس على القيـــادة ، وينعكس فعـــل القيادة علينـــا ، وينعكس فعل القيادة على الجماهير ثم يعكس ويترجم من الجماهير الى القيادة ٠ أى تقوم بدور توصيلى نزيه بعيدا عن العنف والاندفاع ٠

وأتصور ـ كنخبوى ـ فى الغرب وفى الموجات الفكرية أن هناك حقيقة غائبة عنا من البداية ، فحين أشـــعر بمن لا يتفق معى فى الرأى ألغيه ٠٠ بينما فى الغرب ـ وقـــد عشت معهم تجارب كبـــرى ـ أنه حين يختلف الواحد فى الرأى مع الاخـــر فانه يحاول أن يستوعبه ٠ بمعنى أن يكون أكثر اقترابا ، أى يحاول أن يدافع عنه ، ويبدأ التفاهم ٠




# حاضر المجتمع المصري ومستقبله

بقلم : د . سيد عويس



لكى نحكم على اى مجتمع نتعرف على مايلى :

● مكان المرأة فيه ومكانتها الاجتماعية .

● مستوى رعاية الطفولة فى هذا المجتمع من حيث (الرغبة فى الانجاب ، المستوى النوعى للأطفال ذكورا او اناثا ، ومن حيث عددهم مثلا) .

● مستوى سيادة الاتجاه العلمى الحديث والتكنولوجيا العصرية فى هذا المجتمع .

● مستوى الحياة التى يعيشها أعضاء هذا المجتمع من حيث :

ـ المستوى المادى (الصحة العامة ، نوع التغذية وكفايتها ، المسكن اللائق مثلا) .

ـ المستوى المعنوى (المستوى الفنى ، مستوى الثقافة بمعناها العام ، المستوى الفكرى مثلا) .

وإذا تأملنا ماسبق ، نلاحظ انه فى ضوء ظروف المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر سواء أكانت اقتصادية ام سياسية ام اجتماعية ثقافية فانه يواجه

مشاكل عديدة منها بل أهمها المشكلة الاقتصادية . وهذه المشكلة ذات أهمية قصوى لأنه يصاحبها عادة مشاكل اجتماعية لها تأثيرها على اعضاء هذا المجتمع سواء أكانوا أطفالا ام شبابا أم كبارا .

ويبدو أننى فى ضوء الخبرة المنتظمة التى مارستها فى موقع العمل الذى اعمل فيه منذ فترة طويلة ، سأركز على المنهج الذى اقترح اتباعه ، وهو ليس بجديد ولا يخفى على أحد من القادة الثقافيين المصريين المعاصرين . لأننى كباحث علمى اجتماعى قد تأكد لى ، دون شك ، ان هذا المنهج الذى امارسه انا وزملائى الباحثون العلميون الاجتماعيون يوميا فى بحوثنا ودراساتنا هو المنهج السوى الذى يجب ان نأخذ به .

---

● من هذا نبدأ

---

اننى ارى ، بادىء ذى بدء ، ان نبادر بما يلى :

– ان نحاول معرفة ما هو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر ، وماهو كائن موجود فعلا فى مؤلفات قادتنا الثقافيين المصريين المعاصرين ، أى أن ماهو كائن عن المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر من وجهات نظر هؤلاء السادة من المتيسر التعرف عليه حتى وإن اختلفت وجهات النظر هذه وتباينت . لأن هذا الاختلاف او التباين يضفى الثراء ، مافى ذلك من شك ، على هذه المعرفة .

واقصد بما هو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر كما سبق ان ذكرت ماهو معروف فعلا عند هؤلاء القادة . ذلك ان المجتمع المصرى فى ضوء تاريخه القديم المستمر وفى ضوء ثقافته ذات المصادر المتعددة وفى ضوء ظروفه الاقتصادية والسياسية وغيرها ، هو فى حقيقة الامر موسوعات ثقافية حية لايمكن ان يحيط بها ، كلها ، كل القادة الثقافيين المصريين المعاصرين .

إننا ، وهذا ما اقترحه بكل تواضع نستطيع ان نلقى الضوء على خبرات السادة الأجلاء على ماهو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر وذلك لأننا اذا عرفنا ما هو كائن نستطيع ايضا اقتراح تغييره تغييرا مقصودا الى مايجب ان يكون او الى مايمكن ان يكون .

وابادر بالقول بأن ماهو كائن ليس كله بالضرورة شيئا بغيضا . فما هو خير موجود وما هو شر موجود ايضا . أى أن مقومات وجود المجتمع المصرى المعاصر واستمراره موجودة مافى ذلك من شك .

وليس ادل على ما اقول سوى ان ننظر الى تاريخ هذا المجتمع القديم قدم الدهر ، المستمر استمرار الحياة ونفيد من التجارب ونحفظ الدرس . وفى ضوء ظروف مجتمعنا الحاضر فاننا نلاحظ اننا ، فى مسيس الحاجة الى الخبرة المنتظمة .

ولكى نعرف ماهو كائن فى المجتمع المصرى المعاصر عن طريق الخبرة المنتظمة فانه يجدر بنا على سبيل المثال

# حاضر المجتمع المصرى ومستقبله

محاولة الافادة من المنهج الفنى والمنهج العلمى العصرى معا .

ذلك ان الفن الصادق فضلا عن المتعة التى ييسرها للانسان وفضلا عن كونه نافذة من النوافذ الاجتماعية السوية التى تنفس النفس البشرية عن طريقها التوترات التى تكون عادة نتيجة للاحباطات التى تنبثق من الظروف الاجتماعية المعاشة ـ هو اى الفن الصادق مثله مثل العلم ييسر الحصول على الحقائق عن الماضى وعن الحاضر وعن المستقبل . ومن ثم فنحن فى حاجة الى نوع من المصالحة بين الفن الصادق وبين العلم . اى ان الحاجة الى الاثنين فى ضوء ظروف مجتمعنا حاجة ملحة .

ـ والملاحظ انه لايوجد غد (او مستقبل) الا فى ضوء الماضى وفى ضوء الحاضر فالماضى هو الحاضر الذى كان ، فى حين ان المستقبل هو الحاضر الذى سيكون .

اى أن الماضى والحاضر والمستقبل كلها تمثل متصلا واحدا .

## ● بعض التحديات

ومعرفة ما هو كائن عن طريق الفن الصادق وعن طريق المنهج العلمى العصرى (لكى نحصل على الخبرة المنتظمة المرجوة) ليست سهلة ولكنها ليست مستحيلة . اى ان جمع الحقائق او الوصول الى الافتراضات او الفروض التى فى ضوئها تجمع الحقائق عما هو كائن فى مجتمعنا الحاضر على الرغم من صعوبتهما امر ميسور . وحتى تحليل هذه الحقائق لتيسير عملية استخراج النتائج امر ممكن . ولكن مشكلة المشاكل فى ضوء تباين الخلفيات الثقافية هى عملية التشخيص . ومن الوان هذا التباين بل من أهم هذه الألوان تباين البناء الايديولوجى (اى القيم الثقافية العامة) .

ويبدو ذلك واضحا جليا عند مناقشة مفهومى :

ـ تغيير ماهو كائن إلى مايجب ان يكون .

ـ تغيير ماهو كائن الى مايمكن أن يكون .

ولعل مفهوم « بناء الانسان » أو « إعادة بنائه » الذى يتردد كثيرا فى هذه الايام ان يصلح ليكون مثالا يوضح الصعوبة التى تنجم عادة من عملية التشخيص المشار اليها . فالملاحظ ان المجتمع المصرى لم يتفق حتى الآن على مفهوم : (المواطن المصرى الصالح) .

إن الأقوال فى هذا الموضوع عديدة جدا وتكون متعارضة احيانا ومتنافرة أحيانا أخرى . والملاحظ ان الاتفاق على معنى هذا المفهوم ليس سهلا ولكنه ممكن . والملاحظ ايضا ان هذا المفهوم متغير . اى ان شخصيات المواطنين الصالحين فى المجتمعات المتباينة ، متباينة ايضا . ومن ثم تكون الادوار الاجتماعية لكل مواطن صالح ، التى يتوقعها منه كل من هذه المجتمعات ،

متباينة كذلك . اى ان نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته واسلوب تفكيره وآماله والوان معاناته تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى ولد فيه ويعيش .

والملاحظ أن مفهوم « بناء الانسان » أو « اعادة بنائه » غير واقعى . فالطفل منذ ان يولد يعطى قبل ان يأخذ . فمنذ ولادته تصبح الزوجة اما ويصبح زوجها ابا ، وقد يصبح الطفل عما او خالا او عمة او خالة . واذا كان ذكرا يكون عقبة فى سبيل ميراث الآخرين . والمثل الشعبى المصرى يقول : « الصبى يمنع العدو » .

اى أن الطفل لايبنى . فهو يعطى ويأخذ ، وبقدر ما يأخذ يعطى . أى أن هناك علاقة بينه وبين من يقوم على تنشئته . علاقة ايجابية عندما يعطى وقد تكون سلبية عندما يأخذ . فهو ليس جدارا يبنى وانما هو كائن حى ينشأ .

والملاحظ أيضا أننا اذا اعتبرنا ان ثروة مصر الحقيقية هى شعبها فاننا نجد ان النظرة نحو اعضاء هذا الشعب نظرة غير رشيدة فى معظم الأحيان . نجد ان رموز السلطة فى الأسرة وفى المنظمة التربوية وفى العمل وعلى مستوى المجتمع ككل اى على مستوى مؤسساته فى الأسرة وفى المدرسة وفى المستشفى وفى الجمعيات الاستهلاكية وحتى فى المحكمة وغيرها وغيرها .. هذه الرموز سواء كانوا آباء أو ازواجا أو مدرسين أو أطباء أو رؤساء ـ لايعاملون أعضاء الشعب المصرى المعاملة اللائقة . والأمثلة على هذه المعاملة غير الرشيدة عديدة جدا . وفى ضوء البحوث والدراسات العلمية التى قمت باجرائها أو اشرفت عليها نجد أن الضحايا الحقيقيين لهذه المعاملة هم الأطفال والشباب والمرأة ماعدا تلك التى تؤدى دور الأم . ذلك ان النماذج السلوكية الواجب عليهم ان يتخذوها عديدة ومتباينة لعدم وجود الاستراتيجية الاجتماعية (بمعناها العام) الواضحة المعالم والأهداف اى التى تستند الى الايديولوجية الواضحة المعالم والأهداف ايضا .

والنماذج السلوكية العديدة المتباينة تفرض بالضرورة الحيرة والقلق والتوتر على اطفال المجتمع المصرى وشبابه ، وهؤلاء يشكلون القطاع الاكبر من أعضاء المجتمع المصرى الذين يتحملون او سوف يتحملون عبء عمليات التغيير الى الافضل ، اى يتحملون او سوف يتحملون عبء عمليات تنمية المجتمع المنشودة . وهى عمليات لايمكن ان يقوم بها الا هؤلاء الاشخاص فهى بهم تتحقق وثمارها إن تحققت لهم وللاجيال القادمة من بعدهم . وعلى الرغم من ذلك نجدهم ، فى ظل الضباب الذى يحول بينهم وبين الرؤية الواضحة ، لايشتركون فى تحمل عبء صياغة القرار وإصداره . وفضلا عن ذلك تراهم يواجهون الثنائيات (العقل والنقل ، السلف والخلف ، الاصالة والمعاصرة ، الكم والكيف ، القومية الوطنية مثلا) ، ومن هنا تقع البلبلة وتصادم الافكار ، ولن يجدى عن ذلك ابدا الوصايا المفروضة من اعلى . بل على العكس تكون لهذه الوصايا المفروضة آثار وخيمة . منها واخطرها ضعف الانتماء الاجتماعى . ويزداد خطر هذا الاثر عادة اذا خلت الساحة من النماذج السلوكية السوية ، ومن ثم يحاول ان يملأ هذه الساحة الادعياء من أصحاب

الدعوة ومعتنقى الآراء فتبرز النماذج التى لاتلائم مايصبو اليه المجتمع الجديد مجتمع المستقبل .

والملاحظ كذلك ان العبرة ليست فى الاتفاق على معنى مفهوم "المواطن المصرى الصالح" فحسب بل ان اكثر من ذلك اهمية هو الاتفاق على الوسائل التى تحقق اعداد المواطنين المصريين الصالحين . فالاختلاف على هذه الوسائل فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر هو السائد . فقد يتفق البعض على أجهزة تكوين المواطن المصرى الصالح (الاسرة والجيرة والمنظمة التعليمية والمنظمة الدينية ومنظمة شغل اوقات الفراغ والمنظمة السياسية فضلا عن اجهزة الثقافة والاعلام مثلا) ، ولكن الاختلاف والتباين بل والتنافر تكون كلها عادة حول اى الأجهزة اصلح واجدى

## من نتائج هذه التحديات

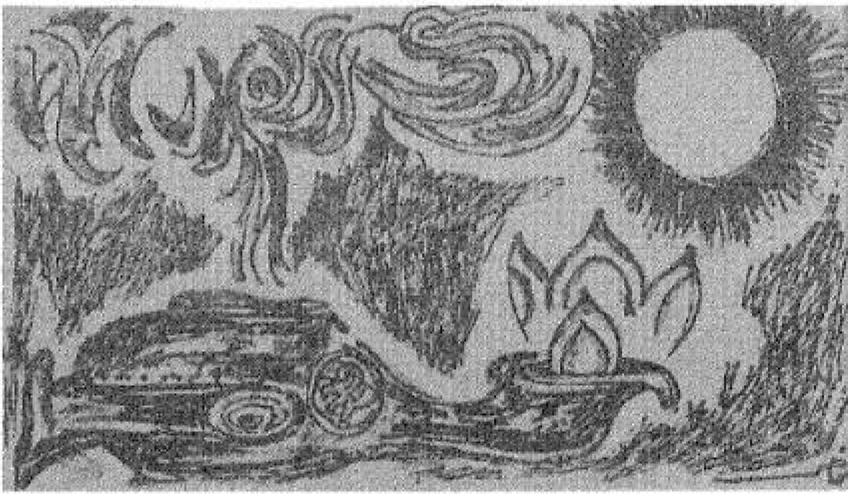
ويلاحظ أن اهم نتائج التحديات التى ذكرت من قبل هو وجود ظاهرة الازدواجية الثقافية التى تعني ببساطة انه ليس كل مايقال يمارس ، أو بمعنى أكثر صراحة ليس كل مايقوله القادة الثقافيون فى المجتمع اى مجتمع يمارسونه . ومن هؤلاء القادة على وجه الخصوص القادة السياسيون . انهم يعظون الآخرين ولايمارسون مايعظون به .

وتوجد هذه الظاهرة فى كل المجتمعات الانسانية ولكننا نلاحظ ان عوامل وجودها تختلف فى مجتمع عنها فى مجتمع أخر . وذلك لان المجتمعات الانسانية مختلفة تاريخيا وثقافيا . وبالاضافة الى ذلك نجد ان مستويات المعيشة فى المجتمعات الانسانية ونظرة اعضائها نحو الحياة فضلا عن مستويات تحقيق الاساليب التكنولوجية فيها تكون عادة مختلفة .

والملاحظ أنه منذ ان بدات سياسة الانفتاح فى المجتمع المصرى ، فان ظاهرة التغير الاجتماعى قد بدت واضحة . وان هذا التغير الاجتماعى لم يكن على اساس التخطيط العلمى . وكان من نتائج هذه الحقيقة المؤلمة ان وجدت :

– ظاهرة التخلف الثقافى . وظاهرة التفكك الاجتماعى .

والمعروف ان الظاهرة الثانية تكون مصحوبة عادة بالعديد من المشاكل الثقافية الاجتماعية . ومن هذه المشاكل التى واجهها اعضاء المجتمع المصرى وبخاصة الشباب الذين يكونون حوالى ثلثى اعضائه ، مشكلة اللامعيارية . واصبح الكثير من اعضاء المجتمع المصرى المعاصر مجرد أشياء أو بضائع يلهثون من اجل استهلاك البضائع التى لايقدرون على انتاجها ، واصبحت سياسة الانفتاح فى الواقع سياسة للانفتاح



الاستهلاكي وليس للانفتاح الانتاجي .
ولم يكن من نصيب الخبراء المصريين الاكفاء ان تتاح لهم الفرصة لابداء آرائهم او ان يعطوا الفرصة للاشتراك فى عمليات تطبيق هذه السياسة . وكانت نتائج حرمان هؤلاء الخبراء الاكفاء من القيام بواجبهم الوطنى ان برزت من مكمنها قيم المظهرية والحسد والنفاق وعدم الانتماء الوطنى والتفاخر وغيرها من القيم غير الحميدة . وسادت من أجل كل هذه الظروف مشكلة اللامعيارية التى سبق ذكرها .

ولعل من النتائج الخطيرة التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر وجود ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية دونما تخطيط علمى سليم . ونحن اذ نلاحظ مدينة القاهرة فى الوقت الراهن نجد انها ليست فقط مدينة مزدحمة ولكنها فى ضوء انماط سلوك اعضائها أصبحت مدينة حضرية ريفية كذلك .

ويعني كل ذلك أننا أصبحنا نلاحظ وجود ألوان من الصراعات الثقافية والعيوب الاجتماعية فى محيط اعضاء المجتمع المصرى الذين يعيشون ليس فقط فى مدينة القاهرة بل فى معظم انحاء هذا المجتمع . ومن هذه العيوب الاجتماعية قد نجد الشعور بالعداوة نحو كل او بعض مؤسسات الدولة . ونلاحظ أن الجرائم غير المنظورة (الاجرام الخفى) فى ازدياد فى الوقت الحاضر . ومن هذه الجرائم نذكر جرائم الرشوة وتعاطى المخدرات والاتجار فيها ، والجرائم الجنسية وانماط عديدة من التهريب والسرقة بأسلوب النشل .

ومن نتائج بحوث المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية اتضح مايلى .

# حاضر المجتمع المصرى ومستقبله

ـ يبدأ تعاطى المخدرات فى سن الشباب فنجد ان :

نحو ١٣,٨٪ بدأوا التعاطى فى سن ١٦ .

ونحو ٥٧,٩٪ بدأوا التعاطى فى سن ١٦ ـ سن ٢٢ .

ونحو ٣٨,٢٪ بدأوا التعاطى فى سن لايزيد على ٢٨ عاما .

ـ وعلى وجه العموم لوحظ ان العمر الذى يغلب ان يبدأ فيه التعاطى هو مابين ١٥ ـ ١٧سنة أى العمر الذى يبدأ الشاب عنده تدخين السجاير .

وتعاطى الادوية النفسية (مايسمى بالمواد المخلقة) .

والمخدرات الطبيعية (كالحشيش والأفيون) .

وشرب الكحوليات .

ـ وتكرر ظهور هذه الحقيقة بالنسبة لتلاميذ المدارس الثانوية والمدارس الفنية المتوسطة وفى دراسات على شرائح أخرى من المجتمع المصرى .

والملاحظ ان الهجرة الى الخارج ، مؤقتة كانت او دائمة ، قد اتاحت الفرصة لوجود مشاكل اجتماعية معينة . فالذين يهاجرون ليسوا فقط من اعضاء المجتمع ذوى المستوى الثقافى الرفيع ، ولكنهم من العمال المهرة ونصف المهرة الذين يحرمون مصرنا الخالدة من خدماتهم . كل ذلك فى نظير بعض المال من العملات الحرة . ومع ذلك فاننا نجد ان قيمة "المظهرية" تتغلب على الكثير من تصرفات هؤلاء المهاجرين فبدلا من ان يأتوا بالمال الذى تحتاج اليه البلاد فانهم يسرفون فى شراء السلع الاستهلاكية . وانتهى الامر بهم الى ان يحققوا القيم غير الحميدة التى من وراء المثل الشعبى المصرى :

« امشى على عدوك معرش ولاتمشيش عليه مكرش » وه لبس البوصة تبقى عروسة » مثلا ... ٠

---

## ● النظرة الى المستقبل

---

يواجه المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر تحديات خارجية تتضمن التقدم العلمى العصرى والتكنولوجيا الحديثة وبخاصة ماتحقق من ذلك فى حضارة البلاد الغربية وعلى راسها الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . ومن ثم فاننى ارى ان الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر تؤكد على ضرورة العمل الجاد فى ضوء العلم العصرى . ولعل اول مايهتم به القادة الثقافيون المصريون فى الوقت الحاضر ان ييسروا التعرف على « هويتنا » بمعنى « ذاتيتنا الثقافية » اى التعرف على الاجابة عن السؤال من نحن ؟

فالاجابة عن هذا السؤال تيسر لنا ان نتبنى الدعوة الى احد الموقفين التاليين :

ـ اما أن نجد انه ليس فى الامكان

ابدع مما كان فنؤكد الهوية المتفق عليها فى نفوس اعضاء المجتمع المصرى ، ونسخر لها اجهزة التنشئة الاجتماعية لكى تغرس سماتها فى نفوس اعضاء هذا المجتمع .

- واما ان نحاول تغييرها فى ضوء استراتيجية نتفق ، كما سبق ان اوضحت ، على اهدافها ووسائلها وامكاناتها المالية والبشرية . حتى تواكب الحضارة العصرية السائدة التى أرى وأرجو ان يتفق معى اولو الأمر على ان ابرز سماتها :

- سيادة العلم العصرى . والديمقراطية بأنماطها . واحترام انسانية الانسان المصرى .

● ما الذى يجب علينا عمله ؟

وعلى الرغم من تفاؤلى بمستقبل المجتمع المصرى المعاصر الذى اراه بحق فى فترة مخاض فى الوقت الحاضر ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، فإننى اود بكل تواضع ان الفت النظر الى مايحدث فى الشارع المصرى ودواوين الحكومة والمحاكم والشهر العقارى والجمعيات الاستهلاكية والمقابر والمزاد العلنى وملاعب الكرة فضلا عن بعض ملامح من التطرف الدينى والتطرف السياسى والتطرف الاجتماعى (ارتكاب الجرائم مثلا) .

وهذا امر متوقع . فالقادة الثقافيون وصفوة المجتمع المصرى يعلمون فى ضوء تاريخ مصر الطويل ان شعبها قد عانى كثيرا وبخاصة فى خلال الفترة من عام ٥٢٥ ق . م حتى عام ١٩٥٢ اذ كان كل حكامها غير مصريين وكان معظم هؤلاء الحكام قساة ظالمين ، ومن ثم فأننى اقترح مايلى :

١ - التأكيد على الحقيقة التى تقول ان مصرنا الخالدة هى لكل عضو من اعضاء مجتمعها

٢ - الحاجة الماسة الى الدعوة الى العلمانية بمعنى الفصل بين الدين والدولة . أى ان يكون الدين لله جل وعلا والوطن للجميع .

٣ - غرس الحاجة الى الانتماء الوطنى فى قلوب وعقول كل المصريين .

٤ - الحاجة الماسة الى تعريف مفهوم المواطن المصرى الصالح ، بمعنى المواطن الذى يستطيع عن وعى اداء ادواره الاجتماعية التى يتوقعها المجتمع المصرى .

٥ - الحاجة الماسة الى وضع الاستراتيجية الاجتماعية التى فى ظلها يتيسر للقادة الثقافيين المصريين القيام بواجباتهم موضوعيا لكى يتيسر لنا مواجهة المشاكل الثقافية الاجتماعية وغيرها التى يعانى منها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر حتى يستطيع اعضاؤه ان يواجهوها ويوجهوها الى الافضل ، ومن ثم يستطيعون ان يواكبوا ركب الحضارة الغربية اوروبية او سوفييتية او امريكية ، فضلا عن حضارة البلاد المتقدمة والصناعية الاخرى .




# خطوط البداية للوفاق الثانى بين العملاقين

بقلم: د. سامح منصور

**إن معطيات الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٧ المنتهى تحمل للعام الجديد متغيرات أساسية ربما لم يشهدها عام جديد منذ حقبة السبعينيات**

**وهى متغيرات وإن كانت تحمل الأمل فى استرخاء التوتر بين العملاقين فى أوربا ، فهى ترفع علامة استفهام عن أثر الاتفاق على الساحات الأخرى للصراع وفى مقدمتها الشرق العربى ! ...**

**ورصد أهم المتغيرات التى حدثت فى نصف العام المنتهى هو المدخل الطبيعى لفهم ملامح الأحداث فى العام الجديد .**

أولا : يشهد الاتحاد السوفييتى تغيرات اقتصادية بالدرجة الأولى وإن كانت سياسية الدلالة . وهى ليست مجرد تعديل طبيعى يصحب أى تغيير فى الزعامة ولكنه فى جوهره أبعد من ذلك وأعمق بحيث يشمل مجمل السياسات السوفييتية فى الداخل والخارج .

وبعيدا عن تفاصيل المتغيرات فى سياسة القيادة السوفييتية الجديدة ـ فانها تعنى فى النهاية أن ضربة قوية



رونالد ريجان

ميخائيل جورباتشوف



توجه الى قوى اليسار المتطرف داخل التجربة السوفييتية لصالح مايطلق عليـه مجـازا "الليبـراليـة الماركسية"

ثانيا : تشهد الولايات المتحدة فى غيبة عن الاعلام العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص متغيرات يمكن دون مبالغة القول انها ثورة على الطريقة الأمريكية ، بمعنى أنها ثورة بدون مدافع وتظاهرات وقتلى رغم أن ضحاياها سياسيا كثيرة .

فمنذ وصول ريجان للحكم وأقصى اليمين الأمـريكى يتحكم فى اقدار السياسة الأمريكية فى الداخل والخارج ، وإعادة انتخابه كانت اشارة بأن هيمنة هذا التيار سوف تطول رغم ان سلوكه فى الداخل والخارج كان يفتقد الى أبسط مانحتاج إليه دولة عملاقة مثل الولايات المتحدة وهو العقل ! ...

وقد بدأت القوى الليبرالية تنظم صفوفها لانقاذ الولايات المتحدة . وفعلا امكن ولأول مرة منذ سنوات طوال أن تصبح السيطرة فى الكونجرس بمجلسيه لحزب غير حزب الرئيس وبالتالى يصبح الرئيس الأمريكى مجرد رمز عاجز عن تحقيق سياسات التيار الذى اوصله إلى البيت الأبيض ، واستطـاع اليمين الأمريكى أن يبحث عن بديل ، وكان فى مجلس الأمن القـومى والمؤسسـات المعاونة مثل المخابرات المركزية ، ولكن الأمر لم يستقر طويلا اذ سرعان مافجرت فضيحة تبادل السلاح بالرهائن وهى ماعرف بفضيحة ايران جيت . والمهم فيها انها كشفت عن مدى انهيار القيم لدى اليمين الأمريكى . فهو يكذب حتى على المؤسسات الدستورية ، وهو فى الوقت الذى تقوم دعايته على محاربة المخدرات يتاجر فيها لحساب ثوار نيكاراجوا . وهو فى الوقت الذى يتحدث فيه عن الكرامة القومية يدخل فى مساومة رخيصة مع ايران للافراج عن الرهائن حتى اصبحت

الهيبة الأمريكية نفسها هى الرهينة لدى ايران وربما لدى غيرها أيضا ! ...

ولم تقف الثورة على الطريقة الامريكية عند حد استخلاص السلطة التشريعية من أيدى أقصى اليمين وكسر مؤسسات الرئاسة وفضح حقيقة قيم هذا التيار .

لقد تجاوزت الثورة على الطريقة الأمريكية العمل السلبى وهو هدم قلاع اليمين واتجهت الى الايجابى بفرض السياسات التى كان يدينها ليس ليقبلها بل لينفذها بدون قناعة قبل أن يخرج ... وكانت أداة الفرض والتغيير هى الأزمة الاقتصادية التى بدأت فى بورصة نيويورك .. وبعيدا عن تفاصيلها فالمهم انه ترتب عليها قبول تيار اليمين المتطرف بقيادته فى البيت الأبيض فرض الضرائب على اصحاب الدخول العالية للحد من العجز فى الميزانية . وهو ماكان يرفضه هذا التيار منذ بداية سيطرته على المقدرات الأمريكية .

وكان أيضا وهو مايعنينا بالدرجة الأولى فى هذه الدراسة ان قبل هذا التيار مجبرا تخفيض الاتفاق الحربى الذى تضاعف فى ظل سيطرة سياسة التوتر وصنع الأزمات التى اتبعتها الولايات المتحدة منذ الثمانينيات ... والحرب العراقية الايرانية ـ وهو محركها ـ تجسيد فعلى لفلسفة هذا اليمين المتطرف ! ...

وترتب على ذلك أنه فرض على هذا التيار أن يمد الجسور التى كان من أول انجازاته حين وصل إلى البيت الأبيض ان نسفها وهى التى توصل الى الاتحاد السوفييتى ... ولعل ذلك يفسر العصبية الهيستيرية التى أصيب بها بعض أعضاء الكونجرس حين قيل إن الزعيم السوفييتى سوف يتحدث الى الكونجرس بمجلسيه ! ...

ولعله من المفيد أن نتذكر ان هذه الثورة الامريكية قد أطاحت برءوس رموز اليمين الأمريكى المتطرف ابتداء من كيركباتريك رئيسة الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة وانتهاء بوزير الدفاع الأمريكى وبينهما اكثر من مستشار امن قومى وأكثر من مساعد ... وكانت معركة اختبار القوى الأخيرة هى معركة تعيين أحد القضاة فى المحكمة العليا حيث اختار الرئيس المرشح بعد الآخر من أقصى اليمين وكان كل مرشح يسقط فى معركة الحساب وفتح الملفات .

**وكانت محصلة التغيير فى واشنطن لصالح التيار الليبرالى الأمريكى وهنا لابد من تسجيل ملاحظة بالغة الأهمية وهى ان التغيير يشير الى انه لم يتم لا فى موسكو ولا فى واشنطن تصفية التيار الآخر تماما ... فذلك ليس فقط لأنه مستحيل ولكنه ايضا غير متصور .**

واستمرار وجود التيار الآخر سواء فى موسكو أو واشنطن يعنى ليس فقط استمرار الصراع من أجل التغيير بل وهو المهم ان السياسة المطروحة فى كل عاصمة منهما تعكس التوافق أو على حد

التعبير الشعبى « توليفة » بين التيارات المتعارضة ...

ثالثا : أن الصف الثانى من عمالقة كل تحالف يشهد تغيرات هى بالصدفة جاءت مع متغيرات العملاقين .

فنجد فى الصين تغيرا ليس فقط فى جيل الكهول الى من هم أكثر شبابا نسبيا وإنما أيضا فى الخط السياسى ، فاذا كان الخط قد جنح أو شطح الى اقصى اليمين بعد ماوتسى تونج ... وهو امر طبيعى كرد فعل انسانى فانه بعد تذبذب كان لابد له من الوصول الى نقطة وسط وهو مايجرى بالفعل .

ونجد فى اليابان بصدفة لاتتكرر فى جيل واحد هى الأخرى تشهد انتقال السلطة من جيل الى آخر ، وهو يرتبط فى نفس الوقت بمتغيرات سياسية مثل فتح اسواق اليابان للسلع الأجنبية ، وفى مقدمتها الأمريكية وهو مالم يكن متصورا طرحه من قبل .

وخوفا من تشعب المعلومات لكثرتها فلابد من مقاومة إغراء جاذبية هذه التفاصيل اكتفاء بالمؤشرات التى تتعلق بمستقبل العلاقات الدولية على العام الجديد .

واعتقد ان اهم مايعنيه التغيير فى الصف الثانى من عمالقة كل تحالف هو ان التغير فى الصين والذي جاء ملازما للتغير السوفييتى وان لم يكن اى منهما نتيجة الآخر قد أتاح فرصة طال انتظارها وهى وقف الصراع بين عملاقى المعسكر الشيوعى ، ومعطيات الاحداث فى الاشهر الاخيرة من العام المنتهى تشير الى ان الوصول الى هذه النتيجة فى العام الجديد أمر ممكن بل ووشيك الوقوع .

واذا كان الخلاف السوفييتى الصينى يتجه نحو الحل أو على الأقل الحد من درجة الصدام فإن الأمر على العكس تماما فى المعسكر الغربى حيث بدات ملامح صراع ناشىء بين الولايات المتحدة واليابان ، وإن كانت جذوره بالغة العمق وقديمة فإن الأزمة الاقتصادية هى التى فجرت المخزون ... ومهما كانت قدرة القيادة فى واشنطن او طوكيو على التحكم فى هذا الصراع فإن المؤكد استحالة منعه على كل منهما ، بل ان المؤشرات كلها تدل على أن المانيا الغربية سوف تدخل دائرة الصراع مع واشنطن لنفس عوامل الصراع مع اليابان فى القريب وقد يكون هذا القريب هو العام الجديد أو الذى يليه على افضل الفروض ، ولعله لابد من التذكرة بان كلا من اليابان والمانيا كان البطل المهزوم امام التحالف بقيادة واشنطن فى الحرب العالمية الثانية وترك مجال السياسة للعمل فى الاقتصاد حتى اصبح عملاقا يهدد العملاق الأمريكى المريض ! ..

وهكذا يتحدد الملمح الثالث بانه فى الوقت الذى قد تخف فيه درجة الصراع داخل التحالف الشيوعى ، فهو يتصاعد وبسرعة داخل التحالف الغربى ومع عناصر قادرة على الاستمرار فيه .

هذه هى اهم معطيات العام المنتهى الى العام الجديد لتشكل توجهات احداثه . ويبقى ان نحاول قراءة ملامح احداث العام الجديد ، وهى باليقين ليست عملية « تخمين » او قراءة

نجوم ، وانما هى عملية ترجمة لمعطيات العام السابق ، وبقدر ماتكون دراسة هذه المعطيات دقيقة ، بقدر ماتقترب القراءة من الواقع باستثناء المفاجآت غير المحسوبة .

فالواضح من ان المتغيرات فى واشنطن وموسكو قد ادت الى لقاء القمة فى آخر اشهر العام المنتهى ومعه اتفاقات العملاقين على صواريخ اوربا وغيرها وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من الانفراج - الوفاق - الثانى ، وانتهاء الحرب الباردة التى كانت قد عادت فى ظل ريجان .

● تعبير عن النوايا

والواقع أنه من الخطر المبالغة فى التفاؤل باتفاق العملاقين فهو بالنسبة للعالم مجرد تعبير عن النوايا بامكان التخفيف من حدة التوتر اذ أن جوهر الاتفاق بينهما يعود بالفائدة عليهما بالدرجة الأولى ، فهو اساسا يحقق تخفيفا فى أعباء الانفاق الحربى على اقتصاد كل منهما .

فقد أكدت الأزمة الاقتصادية الأمريكية الحادة سقوط نظرية أقصى اليمين الأمريكى بأن الاقتصاد الأمريكى ليس فقط يحتمى بل وينتعش بالمزيد من الانفاق الحربى على عكس الاقتصاد السوفييتى ، وظهر أن كلا منهما لم يعد يحتمل هذه الأعباء مهما اختلفت درجة العبء بينهما ، فقد وصلت بمرور الزمن الى حد الخطر على اقتصادهما .

ثم إن الاتفاق فى حد ذاته ليس اكثر من تحصيل حاصل ، فالتوازن فى قوة هذه الصواريخ على الجانبين بالغ الدقة مع ترسيخ فكرة استحالة أن تكون أوربا ساحة حرب مرة أخرى ، وبفرض المستحيل بأن كانت الساحة فانها لايمكن أن تقتصر على أوربا بل هى باليقين اكثر من غيرها ستمتد الى كل منهما ولذلك كان الاتفاق على إزالة الصواريخ متوسطة المدى المنتشرة فى أوربا على الجانبين أى إزالة الخطر من احتمال الصدام بين العملاقين .

وليس معنى ذلك التهوين من قيمة الاتفاق بل هو مجرد معالجة للجانب الآخر منه ، فمؤكد انه اتفاق تاريخى بمعنى انها المرة الأولى التى يتفق فيها العملاقان على تدمير سلاح أى سلاح ! ...

وتأكيدا على أن الاتفاق ليس اكثر من خطوة لابد أن يكون واضحا أن زعيم كل من الدولتين رغم كل مايتمتع به من سلطات وصلاحيات هو ليس صاحب الرأى النهائى أو على الاقل الوحيد .

معنى ذلك ان توقيع الاتفاق بين الزعيمين لابد أن يتبعه الحصول على توقيع مؤسسات كل دولة وفق نظامها ... وهو ماقد يبدو للبعض سهلا ولكنه فى الواقع غير ذلك ، ويكفى ان اتفاق سولت ، بين العملاقين لم يصدق عليه من الكونجرس الأمريكى حتى الآن .

صحيح ان الكونجرس يسيطر عليه تيار اكثر قبولا للمعاهدة الجديدة وأن تيار اليمين لايمثل نسبة تعوق دون الحصول على النسبة المطلوبة لاقرار الاتفاق ، ولكن يبقى احتمال اجراء اى تغيير فى الاتفاق ، وهو مايعنى العودة مرة أخرى الى السوفييت .

واذا كان اليمين الأمريكي رغم انكساره قد نجح فى إلغاء جلسة الكونجرس بمجلسيه التى كان مطروحا ان يتحدث فيها الزعيم السوفييتي فان ذلك يعنى أن هذا التيار ان لم يكن قادرا على توجيه الأحداث فهو على الأقل قادر على عرقلتها .

واعتقد رغم كل التحفظات ان احتمال اقرار المعاهدة من الكونجرس الأمريكي هو الاحتمال الأرجح .

● محاذير على الاتفاق

حتى فى موسكو تبدو نفس المشكلة قائمة وان كانت بصورة مختلفة لدرجة أن الزعيم السوفييتى فى حديثه مع أعضاء الكونجرس الأمريكى بمقر السفارة السوفييتية قال ان اقرار المعاهدة من مجلس السوفييت الأعلى لن يكون سهلا بل وكشف ان حوالى نصف الرأى العام السوفييتى لديه محاذير على الاتفاق ، وخصوصا ان الزعيم السوفييتى لم يحسم تماما الموقف مع خصوم التطوير ولكن الأرجح ان تمر الاتفاقية إذا ما اقرها الكونجرس الأمريكى .

وهو دليل على استمرار الشك بين العملاقين وعدم الثقة واذا كان هذا هو تصرف الموقعين تجاه بعضهما فانه يصبح من الطبيعى القلق من الجانب الآخر للاتفاق لدى اوربا من جانب والعالم الثالث من جانب آخر ، وهو مادفع تيارات فرنسا وبريطانيا إلى تأكيد الاستمرار فى برامجهم الذرية وتطويرها بحيث تواجه مسئولية المرحلة الجديدة .

وإذا كان رفع المظلة الذرية لكل من العملاقين عن أوربا يضع حدا لاحتمالات الصدام بينهما فإنه فى نفس الوقت يثير مخاوف الدول الأوربية ، وبالتحديد الغربية ، فهو يؤكد المقولة التى طرحها ديجول فى الستينيات بأن الولايات المتحدة لايمكن أن تعرض أمنها للخطر بسبب أوربا ، وأنه لابد من انشاء قوة ذرية أوربية . **والواضح أن الاتفاق بين العملاقين سوف يدفع بالتحرك الأوربى نحو اتخاذ خطوات عملية على الأقل لتنسيق القوة الذرية بينهم ان لم يكن توحيدها وهو مايخرج من سيطرة العملاقين .**

ووضحت ترجمة الاتفاق على الدول الأوربية فى ظهور بداية تقارب عسكرى مازال فى مرحلة المحاور ، وأكثرها وضوحا محور باريس ألمانيا الغربية ومحور باريس لندن ثم لندن بون . واذا كانت المحاور متكاملة فإنها مازالت فى اطار التقارب والتشاور ويصعب رسم الصورة لمستقبل هذه الحركة وخاصة اذا مارست واشنطن ضغطا حقيقيا على هذه الدول سواء بالايجاب أو السلب ، إذ أن صمت واشنطن أمر يصعب تصوره .

**الأخطر من ذلك هو ان الاتفاق على اخراج اوربا من دائرة الصراع بين العملاقين يعنى بالنفى ان العالم الثالث هو ساحة الصراع المفتوحة بينهما وخاصة انها ساحة بلا صواريخ ولا قنابل ذرية ! ..**

ويصبح الصراع بين العملاقين صراعا على مناطق النفوذ دون مخاطر الصدام المسلح ، وهو يعنى أن المرحلة الجديدة من الانفراج مالم يتم الاتفاق سريعا بين العملاقين سوف تكون فى العام الجديد هى مرحلة تصاعد الصراعات الاقليمية .

وقد حرصت الولايات المتحدة على تهدئة عدد من جبهات الصراع الاقليمى حتى انعقاد مؤتمر القمة بواشنطن وذلك حتى لاتوضع أى منها على مائدة المباحثات .

فالولايات المتحدة حرصت على اقناع اسرائيل بعدم القيام فى هذا الوقت بالذات بأية عملية انتقامية على عملية الطائرة الشراعية حتى لايكون الصراع الفلسطينى الاسرائيلى على مائدة القمة ، وارجو أن يكون واضحا أن استخدامى لتعبير الصراع الفلسطينى الاسرائيلى ليس من باب السهو أو الخطأ كما حرصت واشنطن على دفع جنوب افريقيا بسحب قواتها من انجولا قبل المؤتمر ، وبالتالى لايبقى مطروحا سوى مسألة اليهود السوفييت أو قوات كوبا بانجولا ! ...

وإذا كان هذا هو الهدف الأمريكى فان الغريب الا تحاول الأطراف الأخرى ان كانت لها مصلحة فى إثارة قضاياها للعمل على عكس ذلك فمثلا لو كان موعد العملية الفدائية الرائعة التى قام بها أربعة شباب فلسطينيين بالطائرات الشراعية قد تم يوم افتتاح مؤتمر القمة بين العملاقين إلا إذا كان وهو ما أتمناه ، أن الموعد قد اختير بالقصد بعيدا عن مؤتمر القمة تأكيدا بأن الحل لن يكون غير فلسطينى ! ...

وإذا كان هناك حرص أمريكى على ابعاد بعض الصراعات الاقليمية عن مؤتمر القمة فإن هناك حرصا سوفييتيا على ابعاد مايهمه من صراعات ايضا عن المؤتمر .

**وأعتقد أن الصراع الإقليمى المرشح للاستمرار رغم انه كان ومازال مشتعلا قبل المؤتمر وبعده فهو الحرب العراقية الايرانية . ولا اعتقد ان العام الجديد يحمل بوادر أمل فى الوصول الى اتفاق ، فهى الصراع الأمثل لتحرك العملاقين ، إذ أن استمرار الحرب قد حقق مالم يكن ممكنا أن يحدث بدونها**

فقد حققت سياسة إيران فى الحرب بقصد أو بدون قصد كثافة الوجود البحرى الأمريكى مدعما ببقية أطراف حلف شمال الأطلنطى ، واستمرار الحرب هى ضمانة استمرار الوجود الأمريكى المكثف ، وهو ماكان مرفوضا من دول الخليج العربى ، بل وكان مصدر ادانة لمن يمد يده لتشجيع اى تواجد عسكرى أمريكى بالمنطقة .

واستمرار الحرب ايضا أتاح للسوفييت ماكان مستحيلا أن يتحقق فى الظروف الطبيعية ، فالعلم السوفييتى يرفرف فوق أربع ناقلات كويتية تعبر الخليج رغم تعتيم الاعلام .

كما أن استمرار الحرب مع الوجود البحرى الأمريكى قد دفع البرجماتية الايرانية الى تصحيح موقفها من السوفييت ، وهو ماكان صعبا تحت راية

الثورة الاسلامية ، وايران هي واحدة من ثلاث دول تقع على حدوده ، وهو حريص على ان يكون له وجود فيها ، ولايبقى منها امامه سوى تركيا ! ..

وقد لايعرف البعض أن هناك اتفاقا بين ايران والاتحاد السوفييتى منذ الحرب العالمية .. وأن ايران الثورة أعلنت الغاء الاتفاق وهو مالم يعترف به السوفييت لسبب بسيط أن هناك نصا فى المعاهدة يحرم الالغاء من طرف واحد ، ووفق هذه المعاهدة يصبح من حق السوفييت الوجود عسكريا على أرض ايران فى حال تعرضها لغزو .. وطبعا لن يتحرك السوفييت الا اذا كان الغزو امريكيا ... وهو ماتحرص ايران الآن على توضيح أن المعاهدة موضع الحوار مع السوفييت حتى تذكر واشنطن بهذا البند من المعاهدة مع اننى أعتقد ان فكرة توجيه ضربة امريكية لايران غير مطروحة ولكن المهم أن السوفييت قد وجدوا لهم مكانا فى صراع الخليج رغم أن مواقف دول المنطقة وفى مقدمتها ايران كانت ضد اى وجود سوفييتى حتى أن بعض الدول كانت لاتسمح حتى ولا بسفارة . فأصبحت الدول التى بلا سفارة سوفييتية مجرد واحدة ! ...

**ويبدو ان العام الجديد سوف يكون عام الصراعات الإقليمية . وهو اختبار النوايا بالنسبة للانفراج الثانى ـ الوفاق ـ بين العملاقين .**

فاليمين الامريكى المتطرف وهو مازال برمزه الاعلى ريجان فى السلطة سوف يسعى الى تحقيق اى مكاسب حتى ولو كانت ببعض المغامرات المحسوبة باعتبار ان ذلك هو الأمل الوحيد لامكان تحقيق انتصار فى معركة الرئاسة التى تبدأ حملتها مع نهاية العام الجديد ، وهو سوف يختار مجالا يكون السوفييت طرفا فيه سواء مباشرة أو غير مباشرة حتى تضع دوائر صنع القرار الأمريكى ان الاتفاق مع السوفييت تهديد مباشر للأمن الأمريكى .

وافضل دائرة صراع اقليمى لتحقيق هدف اليمين الأمريكى هى أمريكا اللاتينية وفى مقدمتها نيكاراجوا وهو ماحدث بالفعل باكبر عملية للمتمردين قبل نهاية العام ..

ولعل هذه الحسابات التى يتوقعها السوفييت لتحرك اليمين الأمريكى المتطرف هو أحد العوامل وراء تأجيل بعض الاتفاقات التى كان يمكن أن توقع فى مؤتمر القمة بواشنطن الى صيف العام الجديد لمؤتمر القمة التالى فى موسكو قبل انتهاء مدة ريجان مباشرة ، وهو مايحد من حرية اليمين الأمريكى الى حد ما خوفا على الاتفاقات التى لم توقع وبالتالى يفقد الرأى العام الأمريكى اى يفقد الانتخابات .

**فالواضح ان العام الجديد ليس عام الانفراج ولكنه عام اختبار النوايا بين العملاقين والأطراف الدولية الأخرى صاحبة المصلحة سواء فى الحرب او الانفراج اما السلام فهو مازال حلما بعيد المنال . ولعل مؤتمر القمة بين العملاقين فى الربيع القادم ينجح فى تحويل الانفراج الى وفاق ، ومهما كان تطور الصراع بين العملاقين فان المعنى الجوهرى لاتفاقاتهما وخلافاتهما هو أن القوى الوطنية فى اى صراع اقليمى هى وحدها القادرة على تحقيق اهدافها .**




# التغيرات فى النظام العربى

بقلم: د. أحمد صدقى الدجانى

**البحث فى المتغيرات الجارية فى مختلف جوانب حياتنا وثيق الصلة بالعصر الذى نعيشه. فقد شهد هذا العصر منذ بدايته فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ما يسمى بتفجر ثورة العلم، وتفجر ثورة التحرير. وما أكثر ما يتردد الحديث فيه عن "عصر الانفجار المعرفى وتدفق المعلومات"، وعن "تغيرات فى سائر الميادين بعامة وتطورات مذهلة فى ميدان العلوم وتطبيقاتها بخاصة"، وعن "تقلص الأبعاد وسيادة قانون الاعتماد المتبادل فى الاقتصاد"، وعن «أخطار الانفجار السكانى والأسلحة النووية وتخلخل طبقة الأوزون المحيطة بأمنا الأرض». والحق ان هذا الحديث الذى أخاض فيه الباحثون يدعونى كلما تناولت موضوع ما يوصف "بالتغير المتسارع فى عالمنا المعاصر" الى لفت النظر بداية الى حدود هذا التغير ومحدداته.**



● إن من الضرورى عند الحديث عن التغير الذى نعيشه التمييز بين الافكار الكلية التى تمثل اساسيات العلم والمعلومات الجزئية التى تتعلق بالتفاصيل فحديثنا عن ان معرفة الانسان المعاصر تضاعفت مرات عن معرفة اسلافه يصدق

على المعلومات الجزئية . وحديثنا عن التغير يدعونا الى استحضار الثوابت التى تحددها طبيعة الانسان فى تفاعله مع المكان والزمان .

## نظام اقليمي

والبحث فى التغيرات الحادثة فى « النظام العربى » يدعونا بداية ايضا الى تحديد مفهومنا لهذا الاصطلاح ، ومن ثم التعرف على نشأته ، واصوله ، ومواثيقه وواقعه .

النظام اصطلاح جديد يستخدم فى اكثر من علم . وهو يعنى بصورة عامة مجموعة القواعد والاتجاهات العامة التى يشترك فى اتباعها افراد او دول ، ويتخذونها اساسا لتنظيم حياتهم الجمعية وتنسيق العلاقات التى تربط بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم . ويقوم عليها بناء سياسى او اجتماعى او اقتصادى او ثقافى ، وما يجرى فى هذا البناء من تفاعلات ، والعلاقات المحددة لطريقة اداء العملية السياسية . وقد استخدم اصطلاح النظام الاقليمى فى علم السياسة ليشير الى "مجموعة العلاقات والتفاعلات بين مجموعة الدول التى تقع داخل إقليم جغرافي واحد ، وتخضع لقواعد وقوانين منتظمة ، وتستوحى الولاء لفكرة وسلطة عليا » .

"النظام العربى" هو "نظام اقليمى ساحته هى الوطن العربى ، واعضاؤه هم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية" . ومفهومه مفهوم حديث حداثة ولادته عند قيام جامعة الدول العربية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، لان اصطلاح النظام يتعلق بدول وكيانات رسمية تتعاهد فيما بينها على العمل معا ضمن صيغة معينة . وقد ظهرت ارهاصات قيام هذا النظام منذ نهاية القرن الماضى بفعل تحولات حدثت فى بنية الفكر العثمانى السياسى الذى اخذ يتأثر بالنموذج الغربى ، ووضحت هذه الارهاصات عند قيام الثورة العربية عام ١٩١٦ ثم عند اقدام اتاتورك بالغاء العمل "بنظام الخلافة" عام ١٩٢٤ ، وفشل محاولات الحفاظ على هذا النظام التى جرت فى اكثر من بلد عربى . واشتدت الحاجة منذ ذلك الحين الى قيام نظام عربى وانظمة اخرى لملء الفراغ الذى حدث بفعل هذا الالغاء .

قام النظام العربى ينظم العلاقة بين دول عربية استقلت حديثا بعد ان تسلط عليها الاستعمار الغربى فترة واعتمدت هذه الدول المفهوم الغربى للدولة الوطنية ذات السيادة . وكانت شعوب هذه الدول وشعوب اخرى تعيش قبل تسلط الاستعمار الغربى عليها فى ظل نظام الخلافة الذى حكم "دار الاسلام" على مدى ثلاثة عشر قرنا . وكانت لهذا النظام مفاهيمه حول مختلف القضايا الداخلية والخارجية ، وما يتصل من علاقات فى مختلف المجالات التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولقد وجدت فى ظل هذا النظام كيانات سياسية ، ولكنها كانت اجزاء من الكيان الكبير الواحد الذى هو المعبر عن استمرارية "الدول العربية والاسلامية" . وكانت تقوم بين هذه الكيانات علاقات قننها الفقهاء . ومن امثلتها ما اورده القلقشندى العظيم صاحب "صبح الاعشى فى صناعة الانشا" فى فصل المهادنات عن "صاحب مواد البيان" "وقد يتعاقد عظماء اهل

الاسلام على التوادع والتسالم واعتقاد المودة والتصافى ، والتوازن والتعاون والتعاضد والتناصر . ويشترط الاضعف منهم للاقوى تسليم بعض مافى يده والتفادى عنه بمعاطفته ، والانقياد الى اتباعه ، والطاعة والاحترام فى المخاطبة والمجاملة فى المعاملة ، او الامداد بجيش ، او امتثال الاوامر والنواهى وغيرها مما لا يحصى" ثم يعقب القلقشندى وقلت "وقد يكون الملكان متساويين فى الرتبة او متقاربين ، فيقع التعاقد بينهما على المسالمة والمصافاة ، والمؤازرة والمعاونة وكف الاذية والاضرار وما فى معنى ذلك ، دون ان يلتزم احدهما للاخر شيئا يقوم به او اتاوة يحملها اليه ، ولكل مقام مقال .."

إن ما نقصد اليه من ايراد هذا النص ومن استحضار نظام الخلافة عند الحديث عن نشأة النظام العربى ، هو ان نلاحظ التغير الذى حدث ابتداء من مفهوم "شرعية النظام" فى الدولة الحديثة وصولا الى مفهوم "الجنسية والمواطنة" ، وان ننبه الى ان العلاقة التى تقوم بين الدول فى "النظام الغربى" القائم على مفهوم الدولة الغربية الحديثة تختلف عن تلك التى كانت تقوم بين "الامارات" و "عظماء اهل الاسلام" فى ظل "نظام الخلافة" ، فى أنها علاقة بين دول تقوم بينها "حدود" ولكل منها "سيادة" ، بينما كانت تلك علاقة بين كيانات تقع فى ظل دولة كبيرة واحدة وتفصلها خطوط ادارية ولها مرجع اعلى واحد هو رأس "نظام الخلافة" .

## ● ميثاق جامعة الدول العربية

لقد نشأ النظام العربى فى ظل الوضع الدولى الذى شهد قيام منظمة الامم المتحدة . وكانت شعوب امتنا العربية تتابع نضالها من اجل تحرير وطنها وتحقيق وحدته . وقد نظمت العلاقة بين الدول العربية السبع التى توافقت على تأسيس هذا النظام مجموعة مواثيق اعتبرت اساسا له تلتزم بها كل دولة تريد ان تصبح عضوا فيه . وابرز هذه المواثيق هو "ميثاق جامعة الدول العربية" .

وتم إقرار ميثاق جامعة الدول العربية يوم ١٩٤٥/٣/٢٢ ، وجاء مقصورا على تفصيل البنود الخاصة بتنظيم العلاقات العربية . وترك الحديث عن تفصيل البند الخاص بالتعاون والبند الخاص بتقوية الروابط فى بروتوكول الاسكندرية الى "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وملحقها العسكرى" التى وافق عليها مجلس الجامعة فى ابريل ١٩٥٠ .

إن استذكار ما تضمنته هذه المواثيق ضرورى لرصد التغيرات فى النظام العربى ، ولاستشراف مستقبله وتشوقه ورؤيته وصنعه . ولنا ان نشير الى ما تضمنه البند الاول من البروتوكول وهو خاص بالجامعة العربية المزمع انشاؤها ان "لكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة العربية او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه

الاحكام او روحها .. ولا يجوز فى اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . "كما نشير الى ماتضمنه البند الخامس وهو قرار خاص بفلسطين ينص الجزء الاول منه على ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية ، وان حقوق العرب لايمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى ..

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين ، بالعمل على "تحقيق امانيهم المشروعة ، وصون حقوقهم العادلة" ولقد خصص ميثاق الجامعة ملحقه الاول لفلسطين مشيرا فيه الى ان "البلاد العربية المنسلخة من الدول العثمانية اصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لاية دولة اخرى ، بعد ان سقطت عنها ولاية تلك الدولة ، وان "معاهدة لوزان" اعلنت ان امر هذه البلاد لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولى امورها ، فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية امران لاشك فيهما ، كما انه لاشك فى استقلال البلاد العربية الاخرى ، واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى اعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربى من فلسطين للمشاركة فى اعماله . وقد اصبحت فلسطين ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية عضوا كامل العضوية بالجامعة عام ١٩٧٦ .

ما الذى نستخلصه من دراسة مواثيق النظام العربى التى أرست أساسه ونظمت عمله ؟

هناك مجموعة حقائق يمكن استخلاصها ، وهى تمثل الأركان التى يقوم عليها هذا الأساس ، ولنا أن نذكر منها بخاصة مايلى :

**أولا : ـ ان النظام العربى ينطلق من فكرة انتماء اعضائه الى امة واحدة فى وطن كبير يشمل جميع الدول العربية . وهو من ثم يتبنى اهداف هذه الأمة فى تحرير اراضيها الرازحة تحت الاحتلال الاجنبى ، وفى تحقيق التعاون بين شعوبها وصولا الى صيغ وحدوية متقدمة ، وفى الدفاع عن الوطن العربى الكبير ، وفى تامين المصالح العربية . وتمثل فكرة الانتماء هذه إطاره المرجعى**

ثانيا : ـ ان النظام العربى يقوم على توافق اعضائه على الالتزام بمواثيقه ، وتعاقدهم على العمل المشترك فى مختلف المجالات وفق ما قرروه معا . وهذا التوافق ضرورى لأن عدم الالتزام يهدد النظام .

ثالثا : ـ ان النظام العربى ملتزم بقضية فلسطين ، ودفع اخطار الغزو الصهيونى للوطن العربى ، والعمل على تحرير الأراضى العربية الواقعة تحت الاحتلال الاجنبى .

**رابعا : ـ أن مصر قامت بدور خاص فى إقامة هذا النظام ـ وتحملت مسئولية خاصة فيه بحكم كونها دولة**

# التغيرات فى النظام العربى

المقر ، ومقر اللجنة العسكرية .

خامسا : ـ أن الدول الأخرى المؤسسة للجامعة لها ثقلها فى هذا النظام . وأن لهذا النظام أعمدة عدة حددتها مواقع اعضائه واستطاعاتهم .

لقد بدت هذه الحقائق بمثابة الثوابت التى تحكم النظام العربى عند قيامه . ولم تلبث أن طرأت احداث كثيرة خلال العقود الاربعة الماضية تحملت معها تغيرات ، ووضعت النظام العربى على المحك ، وأوصلت الى مانراه من واقع النظام اليوم . فإلى أى مدى مست التغيرات الثوابت ؟ وكيف نتعامل مع واقع النظام العربى ؟

● موجات التحرير

لنا أن نشير من بين الاحداث التى طرأت الى إقامة الكيان الصهيونى العنصرى على جزء كبير من أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وإعلانه دولة باسم "اسرائيل" ، وانتهاجه سياسة عدوانية توسعية تجاه الأمة العربية والأرض العربية متحالفا مع قوى الاستعمار الغربى القديم والجديد . وقد بلغت هذه السياسة ذروتها عام ١٩٦٧ ثم عام ١٩٧٨ ثم عام ١٩٨٢ ، من خلال حروب شنتها .

نشير أيضا الى نجاح عدد من البلاد العربية فى التخلص من نير الاحتلال الاجنبى وقيام دول عربية مستقلة فيها ، انضمام هذه الدول الى عضوية النظام العربى التى وصل عددها الى اثنين عشرين فضلا عن فلسطين .

ونشير الى استقلال عدد كبير من البلاد الآسيوية والافريقية وجزء كبير منها تسكنه شعوب اسلامية ـ ضمن تدفق موجات التحرير ، وقيام عدد من الدول المستقلة فى هذه البلاد . ولقد قام نظام الدول غير المنحازة ليضم فى عضويته الكثير من هذه الدول اثناء الستينيات ووسط وضع دولى أشتد فيه التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى . ثم قام نظام دول المؤتمر الاسلامى إثر الاعتداء الصهيونى على المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ ليضم فى عضويته الدول الاسلامية وقام فى الفترة بين قيام النظامين نظام الوحدة الافريقية ليضم دول القارة الافريقية

وكان للنظام العربى مكانه الخاص ودوره الخاص فى جميع هذه الأنظمة ، وبخاصة فى النظام الاسلامى .. ويلفت النظر هنا أن جل الدول الاعضاء فى هذه الانظمة الأربعة فى بلاد كانت تقع ضمن نظام الخلافة أو تحكمها علاقات قوية به .

نشير أخيرا إلى ماتعرض له النظام العربى بخاصة وهذه الأنظمة الثلاثة الأخرى بعامة من ضغوطات القوى الكبرى لفرض التبعية عليها .

● عدم المساس بالثوابت

لم تمثل الاحداث التى طرأت فى العقود الثلاثة الاولى من قيام النظام العربى مساسا بثوابته ، لان اتساع العضوية فيه كانت دعما له ، ولان الاحداث الاخرى لم تجر فى داخله ولكن العقد الرابع من عمر النظام شهد الحدث الذى احدث تغيرا إساسيا فيه ـ وهذا الحدث هو ابرام مصر

معاهدة سلام منفرد مع الكيان الصهيونى .

كان لهذا الحدث اثاره على "النظام العربى" . وقد نجم عنه توقف مصر عن عضويتها فى الجامعة العربية ، ونقل مقر الجامعة الى تونس ، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وجل الدول العربية ، وواضح ان خطورة اثاره مرتبطة بكونه تعرض لثوابت النظام حين لم يتحقق فيه شرط التوافق ، واتخذ موقفا مغايرا فى الصراع العربى الصهيونى ، وحمل فى طياته تصورا مختلفا لدور مصر فى النظام العربى .

لقد اشتدت الاخطار على النظام العربى فى العقد الماضى من السنين ، حتى بدا للبعض انه آيل للتداعي ، وانه على وشك الانهيار . وكانت هذه الاخطار على نوعين خارجي وداخلي . ولعل الخطر الخارجى الاكبر الذى هدد هذا النظام هو محاولة الولايات المتحدة الامريكية فرض تسويات منفردة بين الدول العربية المجاورة لفلسطين والكيان الصهيونى وصولا الى انهاء النظام العربى واستبداله بنظام اقليمى تكون "اسرائيل" فيه اليد العليا . ولا يزال هذا الخطر ماثلا ومتضمنا فى صيغة المؤتمر الدولى المظلة التى تتبناها الولايات المتحدة الامريكية كاطار للتسوية ولانهاء الصراع العربى الصهيونى وتستهدف هذه المحاولة تصفية قضية فلسطين ، وتمكين اسرائيل من فرض شروطها على الدول العربية المجاورة ، واسناد دور لها فى المنطقة ككل ويجعلها القوة الاولى فيها .

ولقد تعددت الاخطار الداخلية وتنوعت على صعيد اوضاع القطر العربى الواحد ، وعلى صعيد العلاقات الثنائية بين قطرين عربيين ، وعلى صعيد العلاقات العربية داخل النظام . ومن امثلتها ما تسببه قوانين الجنسية القطرية من اضعاف للاقتصاد العربى ، وبخاصة فى غياب تقنين مبدأ المواطنة العربية ، وذلك بعرقلتها التنقل والعمل واضعافها حركة الاستثمار . ومن امثلتها ايضا تدخل الدولة القطرية غير المدروس فى اقتصاد الامة بالقوانين التي تصدرها ارتجالاً او من خلال نظرة ضيقة تغفل حقيقة الانتماء إلى وطن عربى كبير . ومن امثلتها تشجيع قيم الاستهلاك فى مجتمعاتنا . وهذه الامثلة جميعها على الصعيد الاقتصادى وهناك ما يماثلها على الصُعد الاخرى .

استطاع النظام العربى ان يصمد فى وجه ذلك الخطر الخارجى الاكبر الذى هدده ، وإن اصابه الوهم . وقد اثبت قدرته كنظام على الاستمرار ، وبدا البديل المطروح له مفزعا . واكدت مجريات الاحداث فى المنطقة حقيقة توجه السياسة الصهيونية للعدوان والتوسع من جهة ، وحقيقة انه لا غنى لاية دولة عربية عن الارتباط بهذا النظام العربى .

● صمود النظام العربى

لقد جاء انعقاد قمة عمان فى نوفمبر ١٩٨٧ ليقدم دليلا اخر على صمود هذا النظام العربى وقدرته على الاستمرار . كما جاء تعبير مصر عن حرصها على تأكيد انتمائها العربى ليوفر مناخا صالحا لمعالجة ما أصاب النظام من شرخ حين تجمدت عضوية مصر فيه . وواضح ان هذه المعالجة تتطلب من جميع اعضاء النظام العربى ان يحسموا فى اختياراتهم الوطنية والقومية والدولية فيما يخص

تعاملهم مع الصراع العربي الصهيوني ومواجهتهم للسياسة العدوانية الصهيونية التوسعية ، فلا امن قطرى الا من خلال امن قومي ، ولا يمكن للانتماء القطرى ان يتنكر للانتماء القومي ، ولا ان يكون ضحية اصطناع تصادم معه . ولا مجال للتخلي عن النظام العربي او لاستبدال نظام اقليمي به يدخل فيه الكيان الصهيوني الدخيل . وان التهديد الاساسي والرئيسي لأى قطر عربي وللوطن العربي كله هو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني التوسعي ويختلف هذا التهديد بطبيعته عن اية تهديدات اخرى ناجمة عن نزاعات بين اعضاء النظام العربي او مع دول الجوار الجغرافي للوطن العربي . ولابد من توثيق الصلة بين النظام العربي والنظام الخاص بدول المؤتمر الاسلامي ، واحكام آلية للتعاون بينها في مختلف الميادين وفيما يتعلق بقضية فلسطين بخاصة . والامر نفسه يصدق على النظامين الافريقي وعدم الانحياز . ولا جدوى من الوقوع في اسر الاستقطاب الدولي لانه يعني الحكم بالتبعية على اية دولة تستقطب . ومن هنا فلا مجال لقبول مؤتمر دولي ، ولا لتسويات منفردة تحاول الولايات المتحدة فرضها . ولابد ان تتجسد هذه الاختيارات في تشريعات وممارسات توجد الحقائق الوحدوية بين اعضاء النظام العربي .

إن هذه الاختيارات هي الاستجابة الفاعلة لثوابت النظام العربي ، وان التمسك بهذه الثوابت لا يقطع الطريق أمام حدوث تطور صحي في هذا النظام ، يحسن من آلية عمله . وما اكثر ما تردد الحديث على مدى اربعة عقود حول اعادة النظر في صيغة النظام العربي ، وقد اقترن احيانا بمراجعة للمواثيق الاساسية والانظمة . ولكن ذلك لا يعني الاخلال باساس هذا النظام من خلال المساس بثوابته . فالتوافق العربي هو السبيل في معالجة القضايا العربية انطلاقا من الانتماء العربي . والالتزام بقضية فلسطين ومواجهة الغزو الصهيوني هو السبيل لحماية الامن القومي والامن القطرى . والقيام بالدور في اطار الكل هو السبيل امام الجزء كي يحقق وجوده . والجزء هنا هو الدولة القطرية والكل هو النظام العربي بمجموعه .

واضح ان نهوض النظام العربي بمسئولياته يقتضي تكثيف الجهود لانهاء الحرب بين العراق وايران ، وقد نشبت هذه الحرب ضمن الدائرة التي تمثل نظام المؤتمر الاسلامي بين دولتين عضوين فيه تنتمي احداهما في الوقت نفسه للدائرة العربية ، وهي تنذر اليوم بالتوسع في المنطقة وبالامتداد ، الامر الذى يهدد النظامين معا ، ويخل اخلالا شديدا بمتطلبات مواجهة التوسع الصهيوني وسياساته العدوانية .

ومن هنا فالحاجة ملحة الى بناء موقف واحد من قضية فلسطين والقدس يرأب الصدع في النظام العربي ويمكنه من توفير الثقل اللازم لانهاء الحرب . واعادة الوئام الى الدائرتين العربية والاسلامية . وتنظيم علاقة قوية بينه وبين نظام المؤتمر الاسلامي يتحقق من خلالها تأمين عمق وطننا العربي وصولا الى بلوغ اهدافنا وقيامنا بدور فعال في عالمنا .

# عالم متغير

## الخطوة التالية في عام ١٩٨٨

# لقاء الرفاق على مفهوم جديد للاشتراكية

بقلم : عبد الرحمن شاكر

إذا كان العام المنصرم ١٩٨٧ ، قد توج قرب نهايته ، باللقاء في واشنطون بين ريجان وجورباتشوف ، لتوقيع ما وصف بأنه الاتفاق التاريخي على إزالة الصواريخ النووية القصيرة والمتوسطة من أوربا ، فإن لقاء آخر ، قد دار "الغزل" ، أو الحوار حوله ما بين جورباتشوف ، وزعيم الصين دنج سياو بنج ، في أواخر العام المنصرم أيضا . وفي هذه الصورة يبدو جورباتشوف وكأنه "واسطة العقد" ما بين زعماء العالم ما بين ريجان ودنج سياو بنج ، مرورا بالمسز تاتشر التي قابلها في طريقه الى واشنطون ! ولعل "شبابه" النسبي إزاء هؤلاء الزعماء جميعا ، يساعده على حفر صورته التاريخية ، وترك طابعه على العصر ، فهو المرشح لأن يبقى في حكم بلاده أكثر من أي واحد منهم . والعكس صحيح أيضا : فحاكم في مثل عمره لإحدى القوتين الكبيرين في العالم ، يجعله جديرا ، بل ومسئولا عن أن يكون أقدر على التعبير عن "روح العصر" ، أكثر من قرنائه من زعماء العالم .

# لقاء الرفاق ١


جورباتشوف


ريجان


مرجريت تاتشر

وحتى الآن ، لم يقصر جورباتشوف فى اثبات جدارته فى هذا المضمار . فالاتفاق الذى تم بينه وبين ريجان ، انما كان بناء على مبادرة منه ، اى جورباتشوف ، وهو جزء من تطبيق نظرته الكلية الى الاوضاع السياسية ، سواء داخل بلاده ، أو فى علاقاتها الدولية ، فهو أول زعيم سوفييتى ينجح فى تخطى حاجز الخوف المتبادل ، أو جانب كبير فى هذا الحاجز ، ما بين بلاده والعالم الخارجى ، خاصة الدول الراسمالية أو الامبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة الأمريكية . ويدرك أن هناك خطرا يفوق احتمال الهزيمة السياسية لهذا البلد أو ذاك ، هذا النظام الاجتماعى أو الآخر المنافس له ، هو خطر دمار الجماعة الانسانية ، وربما الحياة برمتها ، لو وصل الصراع ما بين المعسكرين ، الى حد نشوب الحرب النووية بينهما . اما عن الاوضاع الداخلية ، فجورباتشوف ايضا هو أول زعيم سوفييتى يعترف بالتخلف الاقتصادى فى بلاده إزاء ما تم انجازه فى العالم - والجزء الراسمالى منه - من ثورة تكنولوجية . ويعتبر ان المدخل لتخطى هذا التخلف ، هو فى سياسة "العلنية" التى تسمح بالاعتراف به وبسواه من أوجه القصور . والعلنية تقود الى الديمقراطية ، أى حرية النقد والتعبير عن الرأى ، واختيار القادرين على الاحساس بنبض الجماهير الشعبية والفوز بثقتها ، ومما يمثل جسرا بين تفهمه الجديد لأوضاع بلاده ونظرته الى العالم خارجها ، اعترافه بان الملكية العامة لوسائل الانتاج ، التى هى عصب النظام الاشتراكى فى بلاده ، ليست هى الكلمة الاخيرة او

الوحيدة في تحقيق التقدم الاقتصادى ، وانما هناك جوانب فى النشاط الاقتصادى أولى بها المبادرات الفردية ، ولآليات السوق دورها فى دفع عملية الإنتاج ، وتخليصه من الركود البيروقراطى ، بل وتقريبه من العدل الاجتماعى ، حيث يكف الذين ينتجون سلعا لا يريدها أحد ، عن تقاضى أجور غير مكتسبة ، تمثل عبئا على المجتمع برمته ، وتعوق ديناميكية اقتصاده وقدرته على الانطلاق الى آفاق أعلى .

● الاقتصاد والتغيرات الاجتماعية

ومن هنا مدخل اللقاء بين جورباتشوف ودنج سياو بنج ، الزعيم "الجديد" للصين الشعبية ، الجديد بافكاره وان كان شيخا طاعنا فى السن ! فلا يسع جورباتشوف الا ان يعترف بان النظرة الاقتصادية الواقعية قد بدأ بها دنج سياو بنج فى الصين ، ربما لأن الاقتصاد الصينى أكثر تخلفا من السوفييتى ، وربما لأن الغلواء المذهبية فى السنوات الأخيرة لماوتسى تونج قد فاقت كل الحدود من خلال ثورته الثقافية ، التى أراد بها للصين ان تقفز مباشرة الى "الحكم الشيوعى" ، اى المساواة شبه التامة ، حتى ما بين العمل اليدوى والعمل الفكرى دون اعتبار للحقائق الاقتصادية ، فلم يجن الا مساواة فى الفقر ، وعرقلة فى النمو الاقتصادى ، حتى اضطر دنج سياو بنج الى التصريح بان الحقائق الاقتصادية فوق النظريات ، بما فيها ما قاله ماركس أو لنين . وكان ماركس مظلوما معه ـ حيث كان أول من حذر الاشتراكيين من محاولة "حرق" المراحل التاريخية للنمو الاقتصادى وما يستتبعه من تغييرات اجتماعية !

يعترف حاليا كل من جورباتشوف ودنج سياو بنج بان على بلادهما ان تتعلم الكثير ، وتكتسب الكثير من تكنولوجيا الغرب المتقدمة ، وان تعدل من الأوضاع الداخلية فيهما حتى تستطيع استيعاب عناصر تلك الثورة التكنولوجية . وهذه النظرة الاقتصادية الواقعية هى وشيجة نسب لا يمكن تجاهلها ما بين زعيمى الدولتين الاشتراكيتين الكبريين فى العالم ، لو كانت الاشتراكية او الماركسية اللينينية لم تكف فى الماضى لتحقيق التقارب بين بلديهما وحزبيهما ، بل كانت ـ بوجه من الوجوه ـ موضعا ، وربما سببا للنزاع الطويل المستمر بينهما !

● الديمقراطية والقومية

من بين ما اتهمت به الصين الاتحاد

السوفييتي ، حينما نشب النزاع بينهما في الستينيات في عهد كل من ماوتسي تونج وخروشوف ، انه يتبع ازاءها سياسة تعبر عن "شوفينية" الدولة او الامة الكبرى ، خلافا لما تقضي به "الدولية البروليتارية" ، حيث تعني الشوفينية ضربا في التعصب القومي ، والرغبة في بسط النفوذ والسيطرة على امم اصغر او اضعف . وذلك حينما امتنع الاتحاد السوفييتي عن تسليم الصين سر القنبلة الذرية ، ورفض تسوية اقتصاده باقتصادها ، او التنازل لها عن جزء من سيبريا تعتبره من حقها ، وهي اولى به لحاجتها الى مزيد من الارض الزراعية بالنظر الى ضخامة عدد سكانها . واخيرا حينما سحب خبراءه واوقف مساعداته الاقتصادية لها ، مما هدد الصناعة الصينية الوليدة فترة بالشلل والحق بها اضرارا ملموسة .

والواقع ان شوفينية الامة الكبرى لم تكن الصين البادئة بتوجيه تهمتها الى الاتحاد السوفييتي ، من بين الدول الاشتراكية ، بل سبقتها الى ذلك يوغوسلافيا ايام تيتو وصدامه الشهير مع ستالين . وهذه التهمة تتململ من تحت اي عمل صارخ لجا اليه الاتحاد السوفييتي لفرض اوضاع معينة على احدى الدول الاشتراكية ، بما في ذلك تدخله العسكري في المجر ، وفي تشيكوسلوفاكيا ، وفي المانيا الشرقية ، والتلويح بذلك لبولندا في ازمتها خلال الاعوام الماضية ، وحاليا تتهم الصين الاتحاد السوفييتي بممارسة تلك السياسة ذاتها بالتدخل المباشر في افغانستان ، وغير المباشر عن طريق فيتنام في كمبوتشيا ، حتى ان دنج سياو بنج قد صرح اخيرا بانه لن يقبل اللقاء المقترح مع جورباتشوف الا اذا "امر" اتباعه في فيتنام بالانسحاب من كمبوتشيا ! وزاد على ذلك دنج سياو بنج زرائية على اللقاء الذي تحقق بين جورباشوف وريجان ـ قبل ان يتم اللقاء بينه هو وجورباتشوف ـ بانه انما تم لينسق زعيما القوتين الكبريين في العالم خطواتهما لبسط نفوذهما المشترك عليه ـ اي على العالم ! معيدا بذلك الى الاذهان ما درج عليه الصينيون اخيرا من وصم السوفييت بانهم اشتراكيون امبرياليون !!

على ان الاتحاد السوفييتي لم يعد يحتمل تهمة اخرى بالشوفينية ، ليس في علاقته كدولة كبرى بالمجتمعات الاخرى فحسب ، بل ايضا في علاقاته الداخلية . فالاتحاد السوفييتي دولة اتحادية كما يدل اسمه ، تتكون من عدة قوميات ، وتهمة الشوفينية يمكنها ان تمتد ليلحق غبارها بالقومية الكبرى داخله وهي القومية الروسية . وقد ادت المتغيرات الجديدة بما فيها ما تم اكتسابه في عهد جورباتشوف من حريات ديمقراطية ، الى بروز تعبيرات

من هذا النوع ، من جنس التظاهرات التي وقعت في موسكو من جانب التتر المطالبين بحقهم في العودة الى شبه جزيرة القرم التي اقصاها عنهم ستالين إبان الحرب العالمية الثانية ، والاضطرابات التي وقعت في كازاخستان ، حينما اقصي سكرتير الحزب الشيوعي بها - بتهمة الفساد - واسمه "دين محمد كوناييف" - وحلّ محله رجل روسي ! وكذلك الاضطرابات التي شهدتها بعض دويلات البلطيق للمطالبة بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتي ، فضلا عن "الصراع المزمن" التي تقف وراءه الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية باسم حقوق الانسان ، التي لا تعني عندهم سوى حق اليهود في الهجرة من الاتحاد السوفييتي وحريتهم في الدعوة الى ذلك ، مهما يكن ما تعنيه تلك الهجرة من تخريب للاقتصاد السوفييتي ، او تسريب لبعض اسراره الهامة اقتصاديا وعسكريا !

ديمقراطية جورباتشوف الجديدة ، تستلزم منتهى الحذر والحساسية في التعامل مع القوميات الاخرى داخل الاتحاد السوفييتي او خارجه . وجزء من الديمقراطية لا يتجزأ المساواة التامة في حقوق السيادة القومية وحق تقرير المصير ، والاحترام المتبادل والمراعاة في كل ما يتعلق بالعلاقة ما بين القوميات المختلفة صغيرها وكبيرها ، قويها وضعيفها ، وذلك ما لابد من ان يدخل بشكل كامل صادق ، في صياغة الفكر الاشتراكي الجديد ، في ظروف عالمية جديدة ، بل يصبح المدخل الأولى والكلمة الأولى في الاشتراكية ، هي حرية الشعوب أولا ، حريتها من القهر الخارجي او الاستبداد الداخلي ، واختيار نظامها الاقتصادي واوضاعها الاجتماعية من منطلق هذه الحرية ، دون تدخل او وصاية من جانب الشقيق - او بالاحرى "الرفيق" الأكبر - مهما تكن توجهاته ، وايا ما كانت درجة سلامة نيته ومقاصده - حيث الطريق الى جهنم - كما يقال - قد يكون محفوفا بدوره بالنوايا الحسنة !

### ● اشتراكية جديدة

وعلى ذكر التصور الجديد للفكر الاشتراكي وما يقتضيه فقد كان لدى الصينيين ، تعديل "رومانسي" الطابع لمقولة الماركسية الشهيرة عن البرجوازية والبروليتاريا باعتبارهما قطبي التناقض الاجتماعي ، وكثيرا ما عبر عنه الصينيون خلال احتدام صراعهم بالسوفييت ، بقولهم ان الانقسام الطبقي الحقيقي في العالم الان هو انقسام هذا العالم الى "برجوازية" هي المجتمعات الصناعية الاشتراكي منها والرأسمالي على

السواء . أما "البروليتاريا" فهي المجتمعات المتخلفة المحرومة من التطور الصناعي ، وكانوا يعتبرون بلادهم ، الصين ، منتمية الى تلك البروليتاريا ، وطليعة بلدان العالم النامي ـ أو المتخلف ـ ازاء مجموعة الشمال البرجوازية !

هذه المقولة ينبغي أن يتأملها جورباتشوف فهي تصف الكثير من الاوضاع الاقتصادية في العالم ، وينبغي له هو ودنج سياو بنج ـ اذا ما قدر لهما ان يلتقيا ـ ان يتناجيا حولها طويلا ، والا يكتفيا بمجرد الحديث عن المشاكل المباشرة بين بلديهما . فمما يليق بهما كرفاق ، ومن موقع مسئوليتهما عن اكبر بلدين اشتراكيين في العالم أن يتعاطيا الهموم النظرية للفكر الاشتراكي في مجمله . وما ينبغي ان تكون عليه صورته في عالمنا المعاصر .

فمن موقع التسليم المشترك بان الحرية والمساواة ما بين الشعوب أمر لا غنى عنه حتى يتحقق العدل الاجتماعي على نحو صحيح ، والتسليم المشترك ايضا بان الديمقراطية هي القاعدة الذهبية لحكم الشعوب مهما يكن توجهها الاجتماعي ، يستطيعان ان يعيدا من جديد حديث وحدة الحركة الاشتراكية في العالم ، الذي بدأ في عهد خروشوف ثم توقف ، وكان الصراع الصيني السوفييتي واحدا من اهم عناصر توقفه ، ولا أعني بذلك الوحدة ما بين الاحزاب الشيوعية فحسب ، بل بينها وبين الجناح الاخر للحركة الاشتراكية العالمية ، وهي الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في غرب اوربا ، وذلك ما تتجه اليه حاليا الشيوعية الاوربية في تلك المنطقة من العالم ولاشك في ان المؤازرة الصينية السوفييتية سوف يكون لها اكبر الاثر في تعزيز هذا الاتجاه .

أما من الناحية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية ، فمن موقع التسليم المشترك ايضا بان بلديهما بحاجة الى الاستعانة بالتكنولوجيا المعاصرة التي انتجتها المجتمعات الغربية ، وربما الى مواردها المالية ايضا ، وما يقتضيه ذلك من تعديلات داخلية في النظام الاشتراكي يجعله اقرب الى فكرة الاقتصاد المختلط . والتسليم الى جانب ذلك بالمقولة الصينية عن انقسام العالم الى شمال برجوازي وجنوب بروليتاري ، وما الت اليه اوضاع العالم الثالث من تدهور شنيع في ظل الانقسام العالمي ما بين المعسكرين وصراعهما على مناطق النفوذ ، يجعلهما يسلمان ـ اى جورباتشوف ودنج سياو بنج ـ بان العدل الاجتماعي الحقيقي ، أو التحول "الاشتراكي" الفعلي الذي يمكن ان يتم في عالمنا المعاصر ، هو استخدام الامكانات

الاقتصادية والعلمية الجبارة التى تملكها الدول المتقدمة صناعيا وتهدر الكثير منها فى صنع وسائل الدمار ، فى تنمية الموارد الاقتصادية لدول العالم الثالث "المضروبة" او المضروب عليها بكل وسائل الاستغلال والتبعية بما فى ذلك الديون التى تعجز معظمها حاليا عن سدادها نتيجة للمبادلات الطويلة الظالمة ما بين منتجاتها من المواد الخام والسلع الصناعية . وان ذلك التوجه لتلك الامكانات الاقتصادية هو البديل الوحيد لانتاج وسائل الدمار التى كان اتفاق ريجان وجورباتشوف هو الخطوة الأولى فى الكف عن التوسع فى انتاجها ، كما أنه المخرج الوحيد الصحيح من الكساد الكبير فى الاقتصاد الراسمالى العالمى الذى كان الانهيار الاخير فى اسعار الاسهم والسندات فى البورصات العالمية واحدا من نذره الكبرى بعد انهيار عام ١٩٢٩ .

وغنى عن القول ان تحولا اجتماعيا عقلانيا على هذا النحو فى العالم ، يقتضى أول ما يقتضيه تصفية مختلف اشكال القهر القومى والعنصرى اللذين تعانى منهما كثير من شعوب العالم مثل ضحايا الصهيونية فى فلسطين والتمييز العنصرى فى جنوب افريقيا ... . فهل يغلب التعقل وحسن الادراك على حكام العالم ام تستبد بهم ، وبمصيره معهم ، احلام الطامعين واطماع المتعجرفين ؟!



سياسة الدولة

قيل إن ارسطو طاليس كتب كتابا إلى الاسكندر الأكبر يعلمه فيه كيف يسوس دولته . فقال : إعلم أن العالم بستان سياجه الدولة ، والدولة سلطان تحيا به السنة ، والسنة سياسة يسوسها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكنفهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية عبيد يتعبدهم العدل ، والعدل مألف وهو صلاح العالم .

# الإسلام والقومية والوحدة العربية

بقلم: د. محمد عمارة

**من الناس من يعجب لماذا لم يشهد تاريخنا الفكري الحديث، في مصر، جدلا حقيقيا حول علاقة العروبة بالاسلام ؟!.. ثم يكتشف هذا البعض أن سبب ذلك كامن في أن "العقلاء لا يناقشون البديهيات ؟!" .. واذا كان الشطط في الجدل حول هذه القضية هو آفة دخيلة على العقل العربي المسلم الناضج .. فلقد يكون مفيدا التذكير بالحقائق التي تحكم هذه العلاقة، مع تكثيفها في عدد من النقاط.**

إن الاسلام، من حيث هو عقيدة وشريعة، هو "وضع إلهي"، جاء به الرسول، صلى الله عليه وسلم للناس كافة .. فهو دين عالمي، ليس خاصا بجنس من الأجناس أو قومية من القوميات .. وهو، بهذه الصفة، وبهذه الطبيعة يؤلف رابطة "الأمة" ـ أي الجماعة والجامعة ـ بين كل الذين يتدينون به، من مختلف الأجناس والقوميات واللغات ..

لكن هذا الاسلام العالمي، في عقيدته وشريعته، قد تميز وامتاز بأنه دين الفطرة، [ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم .. ][1] .. ولذلك، فإنه ـ في الأمور الحياتية ـ لا يقفز على "الواقع" ولا ينكره ولا يتجاهله، مادام غير مناقض لمقاصد الشريعة، التي جُماعها: تحقيق انسانية الانسان، كخليفة عن الله، سبحانه، في هذا الوجود ..

والانسان المسلم اذا عاد الى فطرته، في موضوعنا، لا شك انه واجد مايلي: لهذا الانسان المسلم حنين وروابط وولاء وانتماء لموطن ولادته ومرتع نشأته ومحل ذكرياته .. وله مثل ذلك نحو "الوطن" الذي شب فيه .... وكذلك نحو "وطن" الأمة التي يشترك معها في اللغة الواحدة، التي تسهل سبل الاتصال والتفاعل والوحدة، ومن ثم تنمي الألفة وعوامل الانتماء والولاء ـ وخاصة اذا ماكانت هذه اللغة هي لغة دينه الأقدس وتراث هذا الدين وفكره .. وله كذلك حنين وولاء وانتماء الى الجماعة التي تدين بدينه، وهي أمة الاسلام ... ثم هو، من

وراء ذلك ، انسان مدعو الى أن يكون عضوا عاملا ومتفاعلا - بالتأثير والتأثر - مع روابط الانسانية التى تضم كل بنى الانسان .

انها "الدوائر" التى تنطلق من الأخص الى الخاص الى العام فالأعم .. من القرية ، الى الاقليم ، الى الوطن ، الى الدائرة القومية ، الى الجامعة الاسلامية ، الى العالم .. دونما تعارض أو تناقض أو تضاد ...

وهى ذات الفطرة التى تنفى التناقض بين ولاء الانسان المسلم لأسرته ، وعائلته ، وشعبه ، وأمته ، والانسانية ..

وهى ذات الفطرة الانسانية التى لم تعرف التناقض بين حب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لمكة - التى خاطبها عند الهجرة بقوله : « إنك أحب أرض الله الىّ ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت » ! - وهو الحب الذى تحرك حنينا جارفا عندما قدم الصحابى أصيل بن عبد الله الهزلى من مكة الى المدينة ، فسأله الرسول :

- « يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟

- قال : عهدتها قد أخصب جنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق اذخرها[٢] ، وأسلب ثمامها[٣] ، وأمشر سلمها » ![٤]

- فقال له صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل !.. دع القلوب تقر .. لا تُحْزِنَّا » ![٥]

هى ذات الفطرة التى لم تعرف التناقض بين هذا الحب الأخص الذى امتلأت به نفس الرسول لمكة ، وبين انتمائه الجديد ، منذ الهجرة للمدينة ، التى سأله أهلها - يوم العقبة - :

- « هل عسيت ، إن أظهرك الله ، أن ترجع الى قومك وتدعنا » ؟!

- فكان جوابه : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم - [ أى منزلى فى منازلكم .. وقبرى فى مقابركم .. ومن طلب دمكم فقد طلب دمى ! ] - أنا منكم ، وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ![٦]

ولقد استمرت هذه الفطرة الاسلامية تعصم "وطنيتنا" من ضيق الأفق الذى يخلق التناقض بينها وبين "قوميتنا" ، كما يعصم "قوميتنا" من التعصب الذى يصطنع العداء بينها وبين جامعتنا الاسلامية ، التى هى السياج العام لوطن الاسلام والمسلمين ، **فكان التدرج فى الولاء والانتماء فطرة انسانية ، لا علاقة بينها وبين العصبية الجاهلية** ، التى نهانا عنها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عندما قال : « دعوها ، فإنها مُنْتِنَة »[٧] ، وميز بينها وبين حب الانسان لقومه فى الحق ، ونصرته لهم فى الحق .. عندما سأله الصحابى واثلة بن الأسقع :

- « يارسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه » ؟

- فأجاب الرسول : « لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » ![٨]

وعندما علمنا ، صلى الله عليه وسلم ، **أن عروبتنا ليست "عرقية - عنصرية" وإنما هى دائرة انتماء حضارية وثقافية** ، فقال : « ايها الناس ... ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان - [ اللغة ] فمن تكلم العربية فهو عربى[٩] » !

ولقد استمرت هذه الفطرة الاسلامية الانسانية تنفى التناقض بين دوائر انتماء

الانسان المسلم ، حتى وجدنا صياغتها الجيدة والدقيقة عند داعية الاسلام ومجدد فكره فى القرن الرابع عشر الهجرى الامام الشهيد حسن البنا [ ١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م] الذى قال :

« كان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصا على خير وطنهم ، وتفانيا فى خدمة قومهم .. فالاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها ، أن يعمل كل انسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدم أكبر مايستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها ، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحما وجوارا ، حتى انه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة ، ايثارا للأقربين بالمعروف ، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها ، وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه ... فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أى انسان أن يخلص لبلده ، وأن يفنى فى سبيل قومه ، وان يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار هذا من وجهة القومية الخاصة .

## ● الاسلام نشا عربيا

ثم ، إن هذا الاسلام الحنيف نشا عربيا ، ووصل الى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الامم باسمه على هذا اللسان ، يوم كان المسلمون مسلمين !. وقد جاء فى الأثر : اذا ذل العرب ذل الاسلام . وقد تحقق هذا المعنى حين ذال سلطان العرب وانتقل الامر من ايديهم الى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن اليهم . فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه . ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتاييدها ومناصرتها . وهذا موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية ...

إن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة ، باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود ، ولا يرون باسا بان يعمل كل انسان لوطنه ، وان يقدمه فى العمل على سواه . ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية ، باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض ، ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية ، باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامى العام . ولى أن أقول بعد هذا : إن الاخوان يريدون الخير للعالم كله ، فهم ينادون بالوحدة العالمية ، لأن هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ، ومعنى قول الله تبارك وتعالى : [ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ] .(١٠)

وانا فى غنى ، بعد هذا البيان ، عن ان اقول : إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، وبان كلا منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها .. »(١١)

تلك هى كلمات الإمام الشهيد حسن البنا ، تؤكد علاقة "الوفاق ـ والاتساق" بين "الوطنية" و"القومية" و "جامعة



الامام حسن البنا



الشيخ محمد عبده

الاسلام" ، فى فكر المسلم ونشاطه العملى ، وتنفى التعارض والتناقض بين هذه الدوائر انطلاقا من الفطرة الاسلامية ، واستهدافا لتحقيق المصلحة الخاصة والعامة للمسلمين .

تلك هى : علاقة الاسلام وجامعته بالقوميات والأوطان ـ التى هى واقع فى إطار هذه الجامعة ـ ..

إن القومية ـ بهذا المعنى ـ ليست مذهبا مناقضا لعقيدة الاسلام ، وليست فكرية . [ أيديولوجية ] ـ مناهضة للاسلام ـ الذى هو فكرية الأمة ـ وانما القومية هنا "دائرة انتماء" ، تسبقها "الوطنية" وتتلوها "جامعة الاسلام" ..

● ففى العقيدة الاسلامية : لا اثر لاختلاف الواقع .. وتعدد القوميات .. وتنوع اللغات ولا لتغاير الزمان والمكان .

● وفى السياسة الاسلامية : اعتراف بالتنوع ، الذى يثرى فكر الأمة وتجاربها .. دون أن يصل الى التناقض الذى يفتت وحدتها ويبدد قواها .

● الفكرة الثانية فكرة "الوحدة العربية" ..

وهذه الفكرة تعنى ، نظريا وعمليا : الدعوة لـ "الوحدة العربية" ، والعمل على اقامة "دولة عربية" للجماعة البشرية التى تتحدث العربية ، والتى تعيش فى الوطن العربى ... انها تعنى : ضرورة :

● وحدة الدولة ..

● وعروبة هذه الدولة .. فى وطن الأمة العربية .

وفى اعتقادى ـ انطلاقا من منطق "الفطرة الانسانية الاسلامية" ـ ان الانسان المسلم لن يستطيع تحقيق وحدة امته الاسلامية الا عبر تحقيق وحدة امته بالمعنى القومى ، وهو لن يستطيع تحقيق وحدة امته ، بالمعنى القومى ، الا عبر تحقيق الوحدة والنهضة فى "الوطن" الذى يعيش فيه ... فقضية "الوحدة" مثلها مثل

قضية "الانتماء والولاء" ، فيها "الدوائر" التى تلى الواحدة منها الأخرى ، دونما تعارض أو تناقض أو تضاد ..

ثم ، إن **"عروبة الدولة"** ليست بالفكرة الطارئة على الفكر السياسى الاسلامى ، ولا هى بالدعوة الغربية عن إبداع مجتهدينا ومجددينا ...

● فالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده يرى أن **"عجمة الدولة" التى طرأت على الدولة العباسية قد كانت كارثة سياسية ، تعدت أضرارها من "الدولة" الى "الدين" !.. فنراه يتحدث عن هذه السلبية التى تمثلت فى سيطرة "الترك" على الخلافة ـ الدولة ـ العربية ، فيقول :**

« **انظر ، كيف** صارت مزية **من مزايا الاسلام** ـ [ تسامح المساواة ] ـ **سببا فيما صار اليه** أهله : كان الاسلام دينا **عربيا ، ثم** لحقه العلم فصار علما **عربيا ، بعد** أن كان يونانيا ، ثم أخطأ **خليفة** ـ [ المعتصم العباسى ] ـ فى السياسة ، فاتخذ من سعة الاسلام سبيلا الى ماكان يظنه خيرا له ، ظن أن الجيش العربى قد يكون عونا لخليفة علوى ، لان العلويين كانوا ألصق ببيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الأمم التى ظن أنه يستعبدها بسلطانه ، ويصطنعها بإحسانه ، فلا تساعد الخارج عليه ، ولا تعين طالب مكانه من الملك ، وفى سعة أحكام الاسلام وسهولته مايبيح له ذلك ، **هناك استعجم الاسلام وانقلب عجميا** . خليفة عباسى أراد أن يصنع لنفسه ، وبئس ماصنع بأمته ودينه ، أكثر من ذلك الجند الأجنبى ، وأقام عليه الرؤساء منه ، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة فى قبضتهم ، **ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الإسلام ، والقلب الذى هذّبه الدين** ... »[١٢]

فعروبة الدولة كانت سبيل قوتها ومنعتها ، وعجمتها كانت بداية الجمود والضعف والانحطاط ..

● والامام الشهيد حسن البنا يرى نفس الرأى ، عندما يعرض ـ فى رسالة [ بين الأمس واليوم ] ـ لأسباب تدهور المسلمين .. فيقول :

**إن** « من أهم عوامل **التحلل فى كيان الدولة** الاسلامية ... **انتقال السلطة والرياسة** الى غير العرب ، **من الفرس** تارة والديلم تارة أخرى **والمماليك** والاتراك وغيرهم **ممن لم يتذوقوا طعم** الاسلام الصحيح ، **ولم تشرق قلوبهم** بأنوار القرآن لصعوبة **إدراكهم** لمعانيه ! .. »[١٣]

● **وكما دعا حسن البنا الى الوحدة** العربية ، بقوله : « **إن العرب هم عصبة الاسلام وحراسه .. ومن هنا كانت وحدة العرب امرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه** » .. دعا إمام الاحياء الاسلامى فى الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس [ ١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م ] الى وحدة الدول العربية المستقلة ، وحدة سياسية ، والى تحرير الأوطان العربية

المستعمرة ، لتلحق بهذه الوحدة العربية ، فقال :

**إننا ، اذا قلنا : العرب ، فإننا نعنى هذه الامة الممتدة من المحيط الهندى شرقا الى المحيط الاطلانطيقى غربا ، والتى تنطق العربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقدارا عظيما من دمها ، وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة . هذه الامة العربية تربط بينها ـ زيادة على رابطة اللغة ـ رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الالم ، ورابطة الأمل . فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لا محالة ... والوحدة السياسية بين شعوبها المستقلة استقلالا حقيقيا .. تُمكن .. وتجب .. »[14]**

**إذن .. فتميز العرب فى محيطهم ، والدعوة الى عروبة "دولتهم" والى "وحدتها" ، ليس بالفكر الغريب عن فكر الاسلام السياسى ، ولا هو بالغريب عن ثمرات اجتهاد المجتهدين والمجددين الاسلاميين فى فكرنا الإسلامى ..**

ولذلك ، فلم يكن غريبا على "إسلامية" الثورة الايرانية أن يشترط دستورها "ايرانية . رئيس جمهوريتها الاسلامية »[15] .. ولا غريبا على النهج الاسلامى فى السودان الشقيق كون رئيس الدولة فيه سودانيا ..

---

هوامش

(١) الروم : ٣٠

(٢) الاذخر : نبات حجازى . واعتق : صارت له أفنان .

(٣) والثمام : نبت حجازى . وأسلب صار له خوص . (٤) أى أورق .

(٥) ابن الاثير [ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ] ترجمة الصحابي "أصيل" . طبعة دار الشعب القاهرة .

(٦) رفاعة الطهطاوى [ الأعمال الكاملة ] جـ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ـ نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز ـ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٧ م .

(٧) رواه البخارى والترمذى .

(٨) رواه الامام أحمد وابن ماجة .

(٩) [ تهذيب تاريخ ابن عساكر ] جـ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .

(١٠)الأنبياء : ١٠٧ .

(١١) [ رسالة المؤتمر الخامس ] ص ٤٥ ـ ٤٩ . طبعة دار الاعتصام . القاهرة ١٩٧٧ م .

(١٢) [ الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ] جـ٣ ص ٣١٧ ، ٣١٨ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٤ م .

(١٣) [ مجموعة رسائل الامام الشهيد] ص ١٣١ ، ١٣٢ . طبعة دار الشهاب . القاهرة .

(١٤) ابن باديس [ كتاب آثار ابن باديس ] جـ١ مجلد ٢ ٣٩٨ ص ـ ٤٠٠ جمع وتعليق : د . عمار طالبى . طبعة الجزائر ١٩٦٨ م .

(١٥) انظر [ الدستور الاسلامى لجمهورية إيران الاسلامية ] طبعة مؤسسة الشهيد . ايران . قم ١٩٧٩ م .

# الأيقونات القبطية

بقلم : البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

**كلمة ايقونة لها اصل يوناني بمعنى صورة او شبه او مثال . . ولكنها تستخدم فى الكنائس بمعنى اصطلاحى ، يقصد بها الصور المقدسة المكرسة او المدشنة ، سواء للملائكة او الشهداء او القديسين المعترف بهم رسميا فى الكنيسة . مثال ذلك ايقونة رئيس الملائكة ميخائيل وهو يهزم الشيطان ، او صورة الشهيد مارجرجس او الشهيد مارمينا ، او القديس انطونيوس مؤسس الرهبنة ، او القديس الانبا بولا اول السواح او اول النساك ، او القديسة دميانة الراهبة والشهيدة ، او امثال هؤلاء القديسين الذين تبنى على اسمائهم كنائس ..**





وبعض هذه الايقونات خاص بالاعياد المسيحية ، او بعض حوادث هامة فى التاريخ الكنسى ، وبعضها خاص بالسيد المسيح له المجد او ببعض تلاميذه وحوارييه ، او ببعض معجزات او أحداث وردت فى الانجيل المقدس .
ولعله من أشهر الايقونات ، تلك الايقونه التى رسمها القديس لوقا الانجيلى للسيدة العذراء مريم وترجع الى عشرين قرنا من الزمان .





● ايقونة الملاك ميخائيل رسمها الفنان ابراهيم ويوحنا الارمينى فى المتحف القبطى

# الأيقونات القبطية

والايقونات تنال تكريما خاصا فى الكنيسة ، هو توقير منسوب أصلا الى القديسين الذى تمثلهم الايقونات ، مثلما يعلق شخص فى بيته صورة والده أو جده ، أو صورة أحد الرؤساء أو القواد ، احتراما وحبا لهذا الاب أو الرئيس أو القائد ، وتكريما له ٠

**وفى الكنيسة توقد الشموع امام الايقونات المقدسة ٠**

وذلك اعترافا بأن هذا القديس كان نورا لجيله أو لاجيال كثيرة ، وأن حياته كانت منيرة ٠ واعترافا بأنه كان يبذل حياته لاجل الاخرين ، مثلما تذوب هذه الشمعة وهى تضىء غيرها ، وتظل تضىء حتى تنتهى حياتها ٠٠ أو أن هذا القديس كان يهدى غيره فى طريق الرب ، مثلما تهدى الشمعة بنورها من يسير فى الظلمة ٠ وفى ايقاد شمعة أمام صورة القديس ، تذكر لقول السيد المسيح فى الانجيل « أنتم نور العالم » ٠٠

**والايقونات المقدسة يرفع البخور حولها أيضا ٠**

ذلك لان البخور فى الكنيسة يرمز الى الصلوات المرتفعة الى فوق ، الى السماء ، الى الله مثل البخور ٠ وكما أن البخور زكى الرائحة ، كذلك تكون الصلوات ٠ والبخور الذى يرفع أمام صلوات القديسين يرمز الى انهم كانوا رجال صلوات ، وكانت صلواتهم زكية الرائحة تصعد الى السماء مقبولة أمام الله ٠

## ● حامل الأيقونات

ويوجد فى كل كنيسة ما يعرف باسم الايقونامسكاس أى حامل الايقونات وهو أمام الهيكل ، ويعرف أيضا باسم الحجاب ، وتعلق عليه ايقونات معروفة توضع بترتيب خاص ٠٠ منها ايقونة العذراء تحمل السيد المسيح فى الناحية البحرية ، وأيقونة يوحنا المعمدان فى الناحية القبلية ، وايقونة العشاء الربانى من فوق ، وحولها أيقونات تلاميذ المسيح ، مع ايقونات أخرى ٠٠

## ● الأيقونات والفن

**وقد كانت الايقونات مجالا واسعا تبارى فيه كبار الفنانين فى العالم ، فانتجوا لوحات رائعة ازدانت بها اشهر الكنائس والكاتدرائيات الكبرى فى الشرق وفى اوروبا وفى بلاد مصر** ٠٠ وتنوع فن الايقونة ، فهناك الفن القبطى ، والفن البيزنطى ، والفن الايطالى ، والفن الروسى ٠ وكل نوع من هذه الانواع له طابعه الخاص الذى يتميز به ٠ ووجد من يرسم بالريشة ٠ ومن يرسم بالفحم أو الزيت ٠ ووجدت أيقونات بالفريسكا ، وأيقونات بالموازييك ( الفسيفساء ) ٠ وأصبحت هناك مدارس لفن الايقونة ، تهذب وتنمى المواهب وتقودها فى طراز معين تتميز به ٠

وشاهد عصر النهضة فى اوروبا فنانين عظاما أمثال ميشيل انجلو الذى كان نحاتا تتلمذ على دوناتللو وعلى دمنكو جرلنداير وتأثر بفن باكيو دى لاكورشا ٠ وهو الذى زخرف كنيسة سوستينا بالفاتيكان برسوم على مساحة تبلغ ثلاثة الاف متر مربع ٠ ومن اشهر الفنانين فى ذلك العصر أيضا رافائيل سانزيو

وقد زخرف أيضا قاعات فى الفاتيكان أطلقوا عليها اسمه ٠

## ● الفن القبطى

ابتعد الفن القبطى عن نحت التماثيل ، ونبغ فى رسم الايقونات ٠ **ولا شك أن الاقباط قد ورثوا كثيرا عن أجدادهم الفراعنة الذين كانوا قد نبغوا فى الرسم٠ووجدت على جدران** معابدهم صورا للفراعنة وزوجاتهم وجنودهم وخدمهم ٠ ولكن الايقونة القبطية أخذت هذه الروح الفنية ، واسبغت عليها الروح الدينية ، سواء من جهة الروح أو الاشخاص ٠

وان كان الفن القبطى قد تأثر بالفن الفرعونى ، فانه فى فترة معينة من الزمن قد تأثر أيضا بالفن الاغريقى الرومانى ٠ ولكنه ما لبث أن نفض عنه هذا الاثر ، ورجع قبطيا خالصا، وبخاصة لانه لم تعد له صلة بالطابع البيزنطى ابان الخلاف والصدام بين

● وجه ملائكى فى ايقونة



الاقباط والدولة البيزنطية ، سواء من الناحية السياسية أو الناحية الدينية ٠ وهكذا صارت للفن القبطى خصائصه المميزة له ٠

## ● الفرق بين الصورة والايقونة

الفارق الاول والاساسى هو أن الايقونة لها طابعها الدينى ، بينما الصورة قد تمثل أى شىء ٠ فهناك فن قبطى شعبى لا علاقة له بالدين ، يمثل الحياة الاجتماعية ، أو فيه صور طيور أو حيوانات أو اشجار ، وكل هذا لا علاقة له بالدين ، ولا تسمى مثل هذه الصور ايقونات ٠

الفارق الثانى هو المادة التى ترسم عليها الصورة ٠ فهناك بلا شك صور دينية قد رسمت على عظام أو على فخار ، أو فى مخطوطات ٠ ولكننا لا نستطيع أن نسميها ايقونات بالمعنى الدينى المحدد ٠ انما هى صور أو رسومات ، ولذلك يمكننا أن نقول القاعدة الاتية:

**كل ايقونة هى صورة ٠ ولكن ليست كل صورة تسمى ايقونة ٠**

وهذا لا يمنع من وجود صور رائعة ، ونقوش جميلة جدا فى داخل كثير من المخطوطات القبطية ، تزينها وتسبغ عليها طابعا فنيا فى منتهى الابداع ٠ ولكنها ليست من الايقونات الا بالمعنى اللغوى ، وليست لها نفس معاملة الاكرام والتقديس الخاصة بايقونات الكنائس التى تدشن بزيت الميرون المقدس وتوقد حولها الشموع ٠٠٠

## ● حرب الايقونات

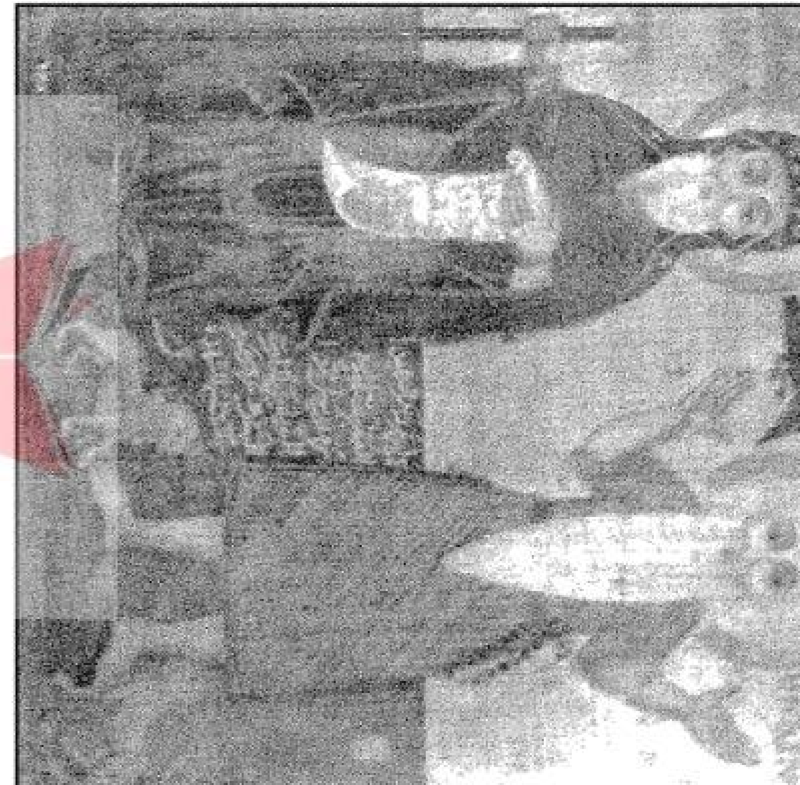
ظهرت فى أوروبا بوجه خاص فى بدء قيام البروتستانتية فى القرن الخامس عشر ، حيث كثرت التماثيل فى العالم الكاثوليكى ووضعها فى الكنائس وتقديس الناس لها ٠ وكان الانتقاد الأساسى الموجه لها هو ما

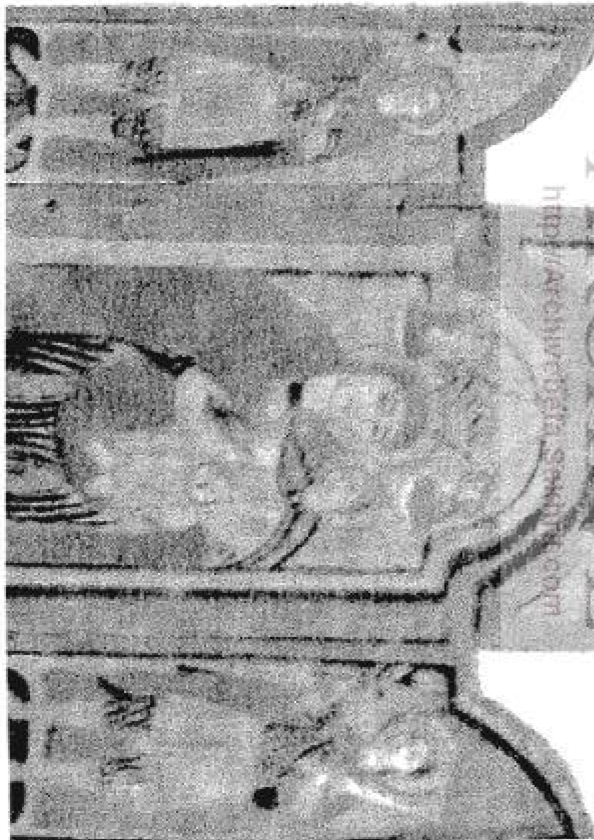




– القديسة بربارة استشهدت من اجل الايمان بالمسيحية فى عام ٢٢٧ ميلادية

الصورة الاولى للقديس الانبا انطونيوس وبجواره الانبا بولا والثانية للسيدة العذراء والطفل يسوع والصور بدير الانبا انطونيوس بالبحر الاحمر





# الآيقونات القبطية

قاله الرب فى الوصية الثانية من الوصايا العشر فى سفر الخروج : « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الارض من تحت ... » .

ولكن الرد على ذلك كان تكملة الاية وهى قول الرب : « لا تسجد لهن ولا تعبدهن » .( خر ٢٠ : ٥ ) .

**فهناك فرق بين اكرام الصور ، وعبادة الصور :**

فالايقونات ليس المقصود بهـا العبادة ، وانمـا اكرام صاحب الصورة ، وتذكر حياته المقدسة ومحاكاتها . كما انهـا شرح عملى وتوضيح لمـا ورد من قصص فى الكتاب المقدس ، واشتراك للحس مع العقل فى التأثر والفهم . وقد تتقدم الصورة تأثرا أعمق بكثيـر من الكلام .

**والفن القبطى وقف فى وضـع متوسط .**

فلا هو أنكر الايقونات انكارا كاملا كما فى البروتستانتية ، ولا هـو أجاز وضع التماثيل فى الكنائس كما فى الكاثوليكية . وانما استبقى الصور فقط لتأثيـرها الروحى . ولاتزال الصـورة الدينية تستخدم فى كل كنائس العـالم فى دروس التربية الكنسية التى تقدم للاطفال .

ولم تقم فى الكنيسة القبطية اطلاقا حرب ايقونات كما حدث فى الغرب .

**الايقونات فى الكنائس :**

شملت هـذه الايقونات أنواعا متعددة ، منها :

**١ - ايقونات الفريسك على جدران الكنائس وأعمدتها وفى داخل قبابها :**

وعرف الاقباط فى هـذا المجال الرسوم الملونة .ومن أمثلة ذلك صور رائعة للسيد المسيح وللرسل والقديسين على جدران كنيسة دير البراموس بوادى النطرون ، وصورة للعذراء فى ميلادها للمسيح ، وفى انتقالها من هذا العالم على جدران قباب كنيسة دير السريان بوادى النطرون أيضا . وايقونات لبعض القديسين فى دير القديس ارميا بسقارة ترجع الى القرن السادس . ولوحات فى دير باويط ترجع الى القرن الخامس ، وايقونة للفتية الثلاثة ترجـع الى القرن الخامس ، وايقونات لشـاهد من الانجيل توجد على جدران دير « أبو حنس » المنحوت فى الجبل . وتوجد لوحات فى باويط تمثل داود النبى فى حربه مع جليات ، واخرى له وهو يعزف على قيثارته .

وتوجد ايقونة جميلة فى المتحف القبطى ترجع الى القـرن العـاشر ( بالفريسك ) تمثل آدم وحواء وهما يأكلان من الشجرة المحـرمة ، مع منظر مجاور لهما بعد أن أكلا .

وتوجد ايقونات جميـلة منقوشة على اعمدة كنائس ابى سرجة والمعلقة وغيرهما فى مصر القديمة . كما توجد ايقونات أيضا على جـدران هياكل البجوات فى الواحات الخـارجة . وكذلك ايقونات ممـاثلة فى الدير الابيض بسوهاج ، وفى دير القديس سمعان بأسوان ، وفى دير ارميـا بسقارة .

**٢ - توجد ايقونات قديمة بالموزاييك ( الفسيفساء ) :**

كما فى بلدة فاو بقنا ، وفى دير طور سينا . ومن اهمها صورة للتجلى فيها السـيد المسيح مع موسى النبى



● فن الحفر على الخشب الذى جاء لمصر من العصر الروماني اليوناني

وايليا النبى .

**٣ ـ توجد أيقونات منقوشة على الخشب :**

سواء بالحفر أو بالبارز . اذ يوجد باب فى المتحف القبطى يرجع الى القرن الخامس ، كان فى كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة . وهو من خشب الجميز ، ويحتوى على عدة حشوات فى واجهته تمثل مناظر للسيد المسيح داخل اكليل يحمله ملاكان . وأيقونة لقديس داخل مقصورة يحمل كتابا .

ويوجد فى الكنيسة المعلقة بمصر القديمة افريز من الخشب يرجع الى القرن الخامس ، عليه نقش بارز يمثل دخول السيد المسيح الى أورشليم .

وتوجد أيقونة رائعة للبشارة محفورة على الخشب ، ومحفوظة حاليا فى متحف اللوفر ، وقطع كثيرة فى المتحف القبطى بالالوان المذابة فى الغراء .

**وتوجد أيقونات على القباب الخشبية التى تقام فوق المذابح فى الهياكل :**

كصورة السيد المسيح على عرشه التى فى المتحف لقبة الكنيسة المعلقة وكذلك لوحات فى كنيسة أبى سيفين بفم الخليج ، وباب كنيسة أبى سرجه وقد وجد الاقباط أن الخشب اكثر

ـ ايقونه الشهيد مارجرجس رسمها الفنان ابراهيم فى عـــام١٤٠٩ ميلادية



● **وجه مصري .. وعينـــان لامعتان في ايقونة**



ثباتا من لوحات الفريسك التي كانت تطمس أو تخرب أحيانا ·

**٤ ـ توجد أيضا ايقونات قبطيـة على النسيج :**

وقد اشتهر هذا الفن وبخاصة في أخميم · وتوجـد كثير من الستائر لابواب الهياكل في كل الكنائس عليها صور للمسيح أو العـذراء أو بعض القديسين · وبعض من هذه الستائر والمنسوجات موجـود في متحف اللوفر · كذلك صور كثيرة تنسج في الملابس الخاصة بالخدمة الكهنوتية · وقد روى المقريزي شهرة الاقباط في النسيج ونقوشه · وكان هذا الامر معروفا من عصور الفراعنة في مصر القديمة ·

**٥ ـ وتوجد ايقونات على الخـزف والعـاج :**

مثل صورة للعذراء وللمسيح في المتحف القبطي ، وأخرى لمعجزة اقامة لعـازر من الموت ، وأخـرى لمعجزة شفاء الاعمى ·

وما أكثر الصور التي على خزف المسارج التي كانت توجـد في دير مار مينا بمريوط ·

**٦ ـ توجـد ايقونات على بعض المعادن كالذهب والفضة والبرونز :**

وأحيانا كانت توجد في ميداليات خاصة بالاسـاقفة ، أو نقوش على بعض المجامر أو الكئوس ·

**ملاحظـات :**

ونلاحظ أن كثيـرا من الايقونات كانت تحمـل كتابات اما باللغـة القبطيـة في العصور القديمة ، أو بالقبطية أو العربية فيما بعد ·

ولا شك أن فن الايقونة قـد تأثر بالروح الدينية وبالرهبنة وبقصص الكتاب · وأصبحت كثير من الايقونات تمثل رموزا معينة ومفاهيم دينية ·

وما أكثـر الايقونات التي تمثـل القديسين الرهبان · ولعل من أشهرها ايقونة القديس أنطونيوس ومعه الانبا بولا · وايقونة أخرى مشهورة للسيد المسيح يضع يده على كتف الانبـا مينا ( رئيس دير ) · وترجع للقـرن السادس · وتوجد حاليـا في متحف اللوفر ·

وفي عصرنا الحـاضر ، كثرت الايقونات في الكنـائس سـواء بالفريسك أو الموزاييك · ورأينـا أسماء بارزة من الفنانين أمثال راغب عيـاد ، وحبيب جورجي ، وايزاك فانوس ·

**وتستخدم الايقونات في الكنائس وفي غيرها · وفي الاماكن المعرضة للهواء والشمس يستخدم الموزاييك أكثر من الفريسك لانه أكثر ثبـاتا واحتمـالا للاوضـاع الجوية ، أو يستخدم نقش الايقونة على الخشب ·**

قضايا حيوية

## حول "شخصية مصر التاريخية"

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

تناول الصديق مصطفى نبيل في عدد اول نوفمبر ١٩٨٧ من مجلة الهلال موضوع « مصر وشخصيتها التاريخية » واستعرض فيه ما رآه من شخصيات عامة للشخصية المصرية وفند ما قيل من اتهامات وجهت الى شعب مصر دون أن ينزلق الى مستوى الشوفينية مستشهدا في عرض موضوعه بآراء بعض الكتاب من مصريين واجانب · وفي ثنايا كل ذلك نجده يحلق فوق فترات التاريخ الفرعوني والقبطي والاسلامي وهي فترات لا يصح ان يجرى تناولها بمثل هذه السرعة وفي مثل هذا المقال المحدود · وهو يكاد يدلي بدلوه مع من ذهبوا الى ان مصر مقبرة الغزاة ؛ يأتون ثم يرحلون او يبتلعهم وادى النيل او تمتصهم تربته ـ فيتمصرون » وكان شيئا لم يكن · ومثل هذه الآراء لا يمكن أخذها على علاتها دون ربطها بالسياق التاريخي : فالذين تمصروا

**من الغــزاة هم الذين دالت الامبراطورية التي انتموا اليها فى السابق فلم يجدوا سوى الوطن الثانى ليضمهم وينتموا اليه فى مواجهة السادة الجدد وما اكثرهم !**

ولعل الفترة الفرعونية التى امتدت آلاف السنين وخلفت للعالم كل هذه المنشآت والكنوز الاثرية هى أخصب فترات التاريخ المصرى ٠ ولن نأخذ بتفسير واحد حول أصل المصريين وقيام الحضـــارة فى وادى النيل منذ أقدم العصور ٠ فهناك رأى يذهب الى أن المصريين القدماء من أصل افريقى ـ ويأخذ بهذا الرأى المؤرخون الافارقة المحدثون الذين يباهون بحضارة مصر الفرعونية ، كما يأخذ به المؤرخ الانجليـــزى الشهير أرنولد توينبى الذى يذهب الى أن المصريين القـــدماء كانوا متوسطى القامة فلم يستطيعوا الصمود امام الأفارقة الطوال الــذين زحزحوهم عن أماكنهم وألجئوهم الى المستنقعات التى كانت تغطى مصر نتيجة لفيضانات النيل ٠ وهناك بدأ المصريون يواجهون تحدى البيئة، وعبر مئات ، بل آلاف السنين بدءوا يواجهون فيضان النيل وقحطه ، فبنوا الوادى ونظموا الرى وتوزيع المياه واكتشفوا الزراعة وأقامـــوا حكومة مركزية تسخر الجهود وتسيطر على كل شىء للحصول عـلى الفائدة المشتركة أو لدرء الخطر المشترك ـ **وتوج كل ذلك توحيـــد الوجهين ، وحينئذ تعدت الحضارة المصرية القديمة مرحلة المحـاولة الخطأ وبدأت تبنى وتشيد وتؤسس دولتها ودياناتها وأساطيرهـا ٠**

ورأى توينبى هذا يتعارض مع ما قاله المؤرخ الاغريقى هيرودوت الذى ذهب الى أن مصر هبة النيل ـ اذ يؤكد توينبى أن مصر هى هبـــة المصريين ٠٠ اذ النيل يمر بعدة بلدان لم تشهد أحداها قيام حضـارة شبيهة بالفرعونية ٠ أما سير فلندرز بترى فانه يربط قدماء المصريين ـ أو حكامهم على الاقل ـ بهجرات شعوب جنوبى شبه الجزيرة العربية وهى الهجرات التى ينسب اليها الفينيقيون والحضارات الفينيقية ٠

على أن مما ساعد على نمو الحضارة المصرية القديمة أن مصـــر ظلت فترة طويلة بمنأى عن الغزوات الخارجية الكبرى مما وفر فرصة للاستمرار والتراكم الحضارى ٠ فالبحر المتوسط يحدها شـــمالا والصحراء تحيط بها من الشرق والغرب والشلالات والجنادل تحميها من الجنوب ٠٠ **وكل ذلك مما سهل الدفاع عنها فترة طويـلة الى أن ظهرت شعوب أخرى اخترقت هذا النطاق ووفرت تحديا جديدا للمصرى القديم الذى آلمه غزوة الهكسوس حتى طردهم وتعقبهم الى عقـــر دارهم ليقيم أول امبراطورية فى التاريخ المصرى ، وحينئذ اتســعت** آفاق المصرى بحيث ظهر التوحيد للمرة الاولى على ضفاف النيل عـلى يد الفرعون أخناتون ٠ وما أن تفككت الامبراطورية الفرعونية بفعـل ضغط شعوب محاربة كالحيثيين وشعوب البحر المتوسط البحرية حتى سهل على الامبراطوريات التى تشكلت فى العالم القديم أن تحتل مصر الواحدة تلو الأخرى ، وظل الحال على هذا المنوال حتى ظهـــرت

في

قضايا حيوية

امبراطوريات أخرى آخرها الامبراطورية البريطانية التى غابت شمسها فى الامس القريب نتيجة لظهور دولتين اقوى منها ـ وحينئذ استعادت مصر استقلالها للمرة الأولى بعد مئات ـ بل آلاف ـ السنين • ولقد أدى كل ذلك الى قول القائلين بأن المصريين غير جديرين بالاستقلال ، وممن رددوا هذا القول سير رجنالدونجت حين قابله سـعد زغلول وصحبه فى أعقاب الحرب العالمية الاولى يطلبون منه السماح لهم بالسفر الى باريس لعرض قضية استقلال بلادهم على مؤتمر الصلح• فلقد ذكرهم ونجت بسلسلة الامبراطوريات التى احتلت البلاد منذ أقدم العصور ، وذهب الى أن بريطانيا أحسن هذه الامبراطوريات وأحنها على المصريين ـ فلم اذن قصم العلاقة والمطالبة بالاستقلال !!

واذا تمعنا قول ونجت هذا لادركنا ما ينطوى عليه من مغالطات • فمصر لم تخضع لغيرها برضاها ، بل انها ارغمت على ذلك ، ولطالما انتفض المصرى وثار ، الا أن ثوراته لم تنجح لانه فى كل مرة كان يواجه عدوا أقوى • والمسئول عن ذلك كله هو موقع مصر الجغرافى الفريد ما بين آسيا وافريقيا واوروبا مما جعل كل امبراطوريات العالم تطمع الى السيطرة على البلاد ، ولو أن الدكتور جمال حمدان يعتز « بعبقرية المكان » هذه نتيجة لكونه قد جعل مصر تحتك بشتى الحضارات التى قامت فى العالم القديم • فرغم أن هذا المكان «العبقرى» هو الذى جعل مصر تأخذ بالديانة المسيحية وتطبعها بطابعها، ثم بالدين الاسلامى الذى كانت القاهرة فى العصور الوسطى بمثابة مركز الدائرة بالنسبة اليه ليس فقط من الناحية الثقافية ، وبخاصة بعد تدمير بغداد على أيدى التتار ، ولكن كذلك من الناحية الحربية حين قضت على الخطر الصليبى وأوقفت المد المغولى • وهذا المكان « العبقرى »هو المسئول ايضا عن انفتاح مصر على الحضارة الغربية فى العصر الحديث ، وان يكن من ناحية أخرى قد عرضها للغزو الفرنسى فى أواخر القرن الثامن عشر وللاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ . وهو أيضا الذى أغراها بمحاولة تزعم العالم العربى الذى كانت تتوسطه وتقع على أرضها اكبر قاعدة للغرب فى الشرق الأوسط،

ومن ثم فان بريطانيا هي التي اثارت الخطوة الأولى صوب محاولة توحيد العرب سياسيا وثقافيا واقتصاديا وذلك لخدمة مصالحها فى المنطقة بمسايرة المد القومي العربى الصاعد ·

ورغم أن مصر واكبت مسيرة التاريخ من أولها الى آخرها ما بين مد وجزر فهل بامكاننا أن نحدد تعريف من هو المصرى ؟ لقد اختلط الشعب المصرى بشعوب كثيرة أخذ منها وأعطى : فبدل لغته المرة تلو الأخرى كما بدل ديانته وثقافته · ولكن ألا توجد ثوابت مافى طبيعته ؟ والملمح الواضح أن المصرى متدين سواء أكان يعبد رع أو آمون أو ثالوث البطالمة أو كان موحدا حسب دين المسيح أو دين الاسلام · والمصرى أيضا صلب ويتشبث بما يراه حقا ، وهذا ما أورثه اياه القهر الذى عاناه عبر تاريخه الطويل · أما السلبية التى أشار الصديق مصطفى الى اتهام البعض المصرى بها، فانها ليست اصيلة فى طباعه ، بل انها ناتجة عن احساسه عبر تاريخه بانه لا يجنى ثمرة كده ، بل هو يعمل ويشقى من اجل آخرين يأخذون دون ان يعطوا ·· فاذن لماذا يجهد المصرى نفسه فيما لا طائل من ورائه ؟

وفى معرض مقاله يود الصديق مصطفى لو كثرت المؤلفات التى تجمع أطراف تاريخ مصر من أوله الى آخره وان يكن من ناحية أخرى يشير الى صعوبة ذلك ، وهى صعوبة لا يمكن تذليلها إلا بتعاون عدد من المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى تحت اشراف لجنة تضم فطاحل المؤرخين · وفى الواقع لقد جرت محاولات لكتابة مثل هذا التاريخ الشامل ـ ومن ذلك سلسلة « تاريخ مصر » التى صدرت فى بريطانيا فى ستة أجزاء وتوقفت عند مشارف التاريخ الحديث · وهناك أيضا سلسلة « تاريخ الأمة المصرية » التى أصدرتها الجمعية الجغرافية « الملكية » المصرية ، وهى السلسلة التى كتبها كبار المؤرخين الأوروبيين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى تأصيل التاريخ المصرى ولو أن الأجزاء الخاصة بتاريخ مصر الحديثة كانت منحازة بوجه عام الى الأسرة الحاكمة التى تداولت الحكم منذ عهد محمد على · كما قامت جامعة القاهرة بجهد متواضع حين أصدرت فى عام ١٩٤٢ كتاب « المجمل فى تاريخ مصر العام » الذى اشترك فى تأليفه نخبة من المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى · حقيقة لقد جرت محاولات تالية على الأقل لاعادة كتابة مايتعلق بتاريخ مصر الحديث ، الا أن حصيلة ذلك لم تر النور لأسباب تتعلق بصعوبة العمل الجماعى فى بلادنا · ولعل محاولة جديدة تتبناها الدولة كفيلة بخروج هذا الحلم الى حيز التنفيذ، خاصة وقد كثر عدد المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى · أما أن يتولى هذا العمل شخص واحد وهو ما يلمح اليه الصديق مصطفى فان هذا الجهد يحتاج الى عمر المؤلف فيما لو آثر الكتابة العلمية الدقيقة · واذكر بهذا الصدد أن المؤرخ الفرنسى فرناند برودل قد أمضى ربع قرن فى كتابة مجلداته الثلاثة الخاصة بتاريخ البحر المتوسط فى القرن السادس عشر ·

## قضايا حيوية

# بل الذكرى الواحدة والتسعون

وداد عبد الله

خلال قراءتي للهلال اسعدتني رحلة الأستاذ محمد سيد كيلاني برابوره العتيد في ربوع ماضينا القريب ، وان كنت قد افتقدت خلالها محطة أراها هامة جليلة الأثر في تطوير مجتمعنا متميزة كظاهرة اجتماعية في حياتنا الحاضرة وهي السينما التي وفدت الينا في أواخر القرن الماضي ضمن مستحدثات العصر التي تمخضت عنها ثورة الصناعة حينذاك كالقطار والباخرة والترام والمنطاد وما الى ذلك من مخترعات ذات طابع جماهيري يتفق وروح العصر بوجه عام . ولعل ما أثر عن سائقي قطارات الأمس من دقة في المواعيد والتزام بالعمل هو ما يجعلني أشك أن سائق الوابور قد تجاوزها سهوا خاصة أن أمامه على الخط أكثر من « سيمافور » ينبه الى وجودها مثل مطلع الأغنية السينمائية التي اتخذها سيادته عنوانا لمقاله أو التنويه بعصر الكهرباء التي تعد السينما احدى ثمارها اليانعة أو حديث استاذيها الكبيرين مصطفى درويش ورفيق الصبان على مقربة منه عن الذكرى الستين للسينما المصرية بافتراض أن مولدها تم في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على يد السيدة / عزيزة امير بطلة ومنتجة فيلم « ليلى » .

ويؤسفني أن أقرر هنا خطل هذه المعلومة التاريخية الشائعة لما تحويه من مغالطة صارخة لا يصح ولا يجدر بنا أن نسلم بها أو نسكت عليها وقد بلغنا شأوا بعيدا في مضمار الدراسة والبحث والمنهجية العلمية . والرأى عندى أن مرجع هذا الخطل هو أننا نغفل أو نتغافل في نظرتنا الى بدعة السينما عن ازدواجية طبيعتها أولا كاختراع تكنولوجي تطور تدريجيا الى تخليق فن مركب شامل وثانيا كصناعة

ولود تحمل فى أحشائها بويضات هذا الفن المركب ان جاز التشبيه ٠ وقد صدق الناقد الانجليزى روجر مانفيل حين أطلق عليهـا الفن / الصناعة ٠

ان مولد السينما المصرية جاء مساء يوم فى الشهر الاول من عام ١٨٩٦ ـ كما يقرر جورج سادول عميد المؤرخين السينمائيين فى كتابه « تاريخ السينما فى العالم » حينما اقبل مصورو اخوان لوميير ـ المخترع الفرنسى بالاتهم السينمائية وعرضوا صورهم المتحركة أمام أنظار الحاضرين من رواد قهوة « زوانى » بالاسكندرية أو صالة « سانتى » بالقاهرة فانبهرت أنفاسهم رهبة واعجابا ثم الفوها وتعايشوا معها حتى أصبحت جزءا من نسيج حياتهم مثل سائر المخترعات المستوردة ٠ فاذا كنا أرخنا لمولد القطار بين ظهرانينا بعام ١٨٥٤ وللترام بعام ١٨٩٦ وللسيارة بعام ١٨٩٨ ٠٠ وهلم جرا، لماذا لم نؤرخ لنشأة السينما عندنا بعام ١٨٩٦ خاصة اننا نعلم جيدا أن بذرة اختراعها مختلطة الامشاج وان الجهاز السينمائى الذى اخترعه لوميير بمصنعه فى فرنسا وحمله مندوبوه معهم فى سباق تسويقه عالميا ـ كان « بروجين » أى يصور المشاهد الواقعية ثم يعرضها ، مما أتاح له أن يدخل قلوب الناس ويمتزج بها ويكسب جنسيتها ؟ ونحن لا نتجنى بهذا على الحقيقة فقد بدأ مؤرخو السينما فى شتى البلدان التى نزل بها مصورو لوميير ببضاعتهم الجديدة التاريخ لنشأة السينما الوطنية عندهم بأول عرض للصور المتحركة شد أنظار مواطنيهم ؟ فلماذا استثنينا أنفسنا وحرمنا السينما المصرية من سنوات طوال يمكن أن تطاول بها عمر السينما العالمية ؟ السبب أنه لم تكن ثمة دراسات جادة تصاحب نشأة السينما فى بلادنا وكانت ساحتها فى بواكير هذا القرن ملعبا مفتوحا لكل من هب ودب يدخله من أية ناحية ويمارس فيه أى نشاط يعجبه دون تأهيل علمى ويهرف بما يعرف وما لا يعرف فكان أن أطلق أحد كتاب الصحافة المأجورين ـ وما أكثرهم وقتذاك ـ فرية أن صناعة السينما بدأت على يد السيدة / عزيزة أمير ورددها من بعده آخرون حتى شاعت وأصبحت من مسلمات تاريخنا السينمائى الى يومنا هذا ٠٠ ولنقرأ ما نشره الأستاذ مصطفى أمين فى مقاله الأسبوعى بأخبار اليوم تحت عنوان « عزيزة أمير مؤسسة صناعة السينما » منذ أسابيع قليلة ٠

واذا كانت الدراسات الجادة المتأنية قد طعنت فى صحة هذه المقولة وأرجعت التاريخ الذى نشأت فيه صناعة السينما ـ ولا ننسى أنها أحد شقى المسمى الذى قال به روجر مانفيل ـ الى تواريخ سابقة عليه مثل سنة ١٩١٢ التى شيد فيها المخرج السينمائى توجـو مزراحى « استديو » سينمائيا بمدينة الاسكندرية أو مثل سنة ١٩١٧ حين أسس بعض موظفى الحكومة تحت رعاية الأمير عمر طوسون شركة لصناعة الافلام او مثل سنة ١٩٢٣ التى رشحها شيخ السينمائيين

المرحوم أحمد كامل مرسى فى مقالة بكتاب دعم السينما لعام ١٩٨٧ - أى قبل وفاته ببضعة أشهر - بدءا للتاريخ السينمائى، فاننا نلاحظ مرة أخرى أنها خلطت جميعا بين وجهى العملة السينمائية كما يخلط المرء بين تاريخ سك العملة الفضية فى مصر وبين تاريخ ضرب القطعة المعدنية المدون على أحد وجهها · وهو خطأ كما ترون مبين ·

ولقد سـبق أن نبهت الى حقيقة عمر السينما المصرية فى تقرير رفعته بوصفى مديرا عاما للأرشيف القومى للفيلم عـام ١٩٨١ الى لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ، ولكن تبين لى يا سيدى أنه لا أحد فيها يعنيه أرقام التاريخ بقدر ما يعنيه أرقام الكسـب والخسارة فى صناعة الأفلام ·

وأرجو - انصافا للسينما المصرية الرائدة والقائدة - أن تصحح تاريخ مولدها فى عام ١٨٩٦ وأن تشهروا عمرها الحقيقى - أى الواحد والتسعين - حتى يكون الاحتفال بذكراها شهادة حق موثقة تقطع دابر الأباطيل والأقاويل الطائشة التى غلفت بداية حياتها · ولعل جهـد الباحثين الجادين المقتدرين على الغوص فى بطون التاريخ يكشـف لنا عن جديد يؤكد ما انتهيت اليه · وفقنا الله جميعا ·

قصة قصيرة





# الهانم .. والبائعة الصغيرة

بقلم :
ناديه كيلانى

● رفلت في ثوب فضفاض ، يكشف عن ذراعيها وجزء كبير من صدرها .. وقد تضوع الجو بعطرها .

ادارت قنوات التليفزيون حتى ارتضت احداها .. استرخت فوق أريكتها المريحة المفضلة .

على الحائط رقم لا تعيره التفاتا ولكن نفاذه الى مخيلتها اقوى من تظاهرها بعدم المبالاة ، فلم تجد بدا من مواجهته .

قاسية جدا هذه النتيجة .. تتساقط أوراقها فى سرعة عجيبة تذكرنا بحقائق من الافضل نسيانها .

قاسية جدا يبدنا التى تثبتها قبالة العين فى الحائط .

الثالث عشر . يصمد أمام عينيها . يتحدى ذاكرتها . تداعت المعانى .. لم يبق معها من مصروف الشهر سوى عشرة جنيهات فسألتها :

ـ هل ستكفى الجنيهات العشرة حتى آخر الشهر ؟ .

قالت النتيجة :

ـ كيف ؟.. والراتب كله ضاع فى أقل من نصف الشهر .

لم تهزمها الاجابة ، فعاجلتها قائلة :

ـ ولكن بالبيت كل شىء تقريبا .. الزيت يكفى حتى آخر الشهر .. اللبن الجاف موجود .. الثلاجة عامرة باللحم والبيض والربى والجبن .. ديون الشهر الماضى مدفوعة بالكامل .

مشكلة المشاكل تغلبت عليها .. مصروف الاولاد .. أعطيت كل واحد منهم مصروف الشهر كله .. ولن أسمع كلمة « هات .. هات » .. فى أوقات الضيق ..

النتيجة مصرة على ازعاجها :

ـ الخضار .. الفاكهة .. المخبز .. انتفضت والقفة ..

اذن فلن تكفى جنيهاتى العشرة .. شامتة فى أنت أيتها النتيجة .. ما أقبح نظراتك الصفراء .. لا بأس : اذا احتجت الى عشرة جنيهات أخرى أو عشرين فالبركة فى ماما ثم أعيدها فى بداية الشهر القادم كالعادة .

عادت تسترخى وقد لانت ملامحها اثر خاطر شجع البسمة أن تغزو شفتيها .

ـ لعل الله يرزق باضافى أو منحة ليست على البال .. المهم لا معنى للقلق ، والعشرة جنيهات .. لاتزال « صحيحة » .

استرخت .. تتابع باهتمام برنامجها المفضل ..

دق جرس الباب ..

تسابق اليه الاطفال ..

جرى أحدهم الى أمه :

ـ فتاة صغيرة تبيع عدسا وأرزا وبقولا جافة ..

ـ لا أريد شيئا من هذا .. دعها تنصرف .

عاد الصغير الى الفتاة .. ارتد الى أمه :

ـ تقول اشترى ولو نصف كيلو .. فهى تريد شراء طعام لاخوتها .

ـ ادخلها ..

لفافات .. لفافات من أثواب فوق بعضها البعض تلف انسانا صغيرا يتدحرج على الارض .. صدأ الجسم يطل من بين نوافذ الاثواب وأبوابها .. يضم الرأس منديل .. يكاد يعصره ، وقد نفرت بعض خصلات المجعدة المغبرة .. انتشرت فوق هذا الكائن طبقة كثيفة من القشف :

ـ اشترى أى شىء يا ست هانم .. ربنا يسترك .. أريد شراء طعام لاخوتى ..

مأساة تمشى على قدمين ـ صوت حزين ووجه بائس .. عينان تائهتان .. تجربة ثرية لفنان مرهف الحس ، يعتصره الالم يجسدها قصيدة أو رسما أو نحتا .

ـ اجلسى ..

تربعت الفتاة فوق الارض .. أسندت رأسها الى كفها فوق ركبتها هكذا اكتمل التمثال المشرد ..

ـ أنت التى تطعمين اخوتك ؟..

ـ نعم ياست هانم .

ـ كم عددهم ؟

ـ أربعة .. كلهم أصغر منى .. أبى وأمى شيخان لا يقدران على العمل ..

ـ أين بضاعتك ؟

ـ بضاعتي ثقيلة .. احملها فوق رأسي ، تركتها أسفل العمارة عند البواب .

ـ لم لا تعملين عند احدى الاسر .. خيرا من اللف في الشوارع؟

ـ الناس في ( حتتنا ) يقولون لمن تشتغل في بيت ( يا خادمة ) لكني لا ارفض اذا طلبت مني احدى السيدات اللاتي ابيع لهن .. مسحا.. غسيلا .. اي شيء .

تلفتت حواليها .. دققت في « بلاط » الشقة بعينين صغيرتين مدورتين وقالت :

ـ أتريدين أن أمسح لك الشقة ؟

قفز قلبها وراء نصف المبلغ الذي تمتلكه .. تخيلته يذوب ويتحول الى كفين صغيرتين تدوران فوق ( البلاط ) وهو يئن تأثرا بانينها .

نظرات الفتاة وهي ترجو الموافقة تترنح فيها دموع يبدو انها لم تسفحها منذ ساعات .

أما الصوت فمرتعش تعس يحبس رغبة قوية في البكاء .. نهضت السيدة لتنجو بنفسها من حصار النظرات والصوت .. غابت قليلا وعادت بكوب من عصير الليمون .. اختطفته الفتاة بسرعة وأخذت تلقي به في جوفها على دفعات بنهم .. لكنها أبطأت في ثلث الكوب الاخير ، فاخذت ترشف منه على مهل وهي تتلذذ به خوفا من نفاذه .. أخيرا وضعت الكوب ومسحت فمها بكم جلبابها :

ـ أتريدين عنبا .. أو فريكا أو فولا ؟

ـ عندي كل هذا حتى الشهر القادم .

ـ ربنا « يخليك » يا ست هانم .. ويخلي لك عيالك .. اشتري ولو نصف كيلو .. سأشتري طعاما لاخوتي

قاطعتها :

ـ بكم كيلو الفريك ؟

ـ جنيهان .

ـ معي عشرةجنيهات صحيحة .. أظنك لا تستطيعين فكها .

هب التمثال ..تحول فجأة الى مارد .. دست يدها في جيب جلبابها الطويل المقلم .. أخرجت رزمة من الاوراق المالية مختلفة الفئات وشرعت في استبعاد الاوراق الكبيرة حتى وصلت الى جوف الرزمة حيث ترقد الجنيهات .. وبدأت في العد .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. ثمانية .. تفضلي يا ست هانم .. ناولتها ورقتها المالية الوحيدة .. تابعتها بعينيها حتى تمددت بجوار اخوتها من الفئة نفسها وغابت معهم في الجيب الطويل .

انفرجت شفتاها عن ابتسامة ساخرة وهي تدير ناظريها ناحية النتيجة فخالتها تزهو ببسمة المنتصر .

ـ ها أنت ذي لم تستطيعي حماية العشرة جنيهات من يد البائعة « الصغيرة » .

أفاقت على صوت الفتاة :

ـ خذي كيلو لوبيا .. ربنا يخليك ..

ـ لا .. كفي .. أسمعت ؟

ـ حاضر يا ست هانم .

عاد لصوت الفتاة حزنه ولوجهها شقاؤه ، وقالت :

ـ اعطيني ثوبا قديما .. أطال الله عمرك .. ليس عندي « هدوم » .

ـ ليس عندك « هموم » .

ـ ماذا قلت يا هانم .. ؟

ـ لم أقل شيئا .. اكلم نفسي .

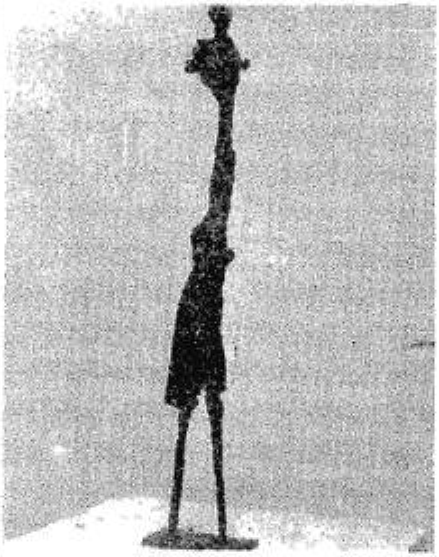
أعادت الفتاة طلبها:

ـ أرجوك يا هانم.. اعطيني جلبابا ..

ـ هانم !.. للاسف ليس عندي يا ست الهوانم .



معاناة .. للفنان محمد هجرس



انسان القرن العشرين .. للفنان صبحي جرجس

# تأملات في معرض
# النحت المصري المعاصر

بقلم : محمود بقشيش

قدم المركز القومي للفنون التشكيلية عرضا شاملا ، هاما ، في مجال النحت . وأهمية هذا المعرض تكمن في كونه أول معرض في تاريخ الحركة التشكيلية المصرية ، يضم إبداع النحاتين المصريين منذ عشرينيات هذا القرن حتى الآن ؛ أى منذ « محمود مختار » حتى جيل الشباب . ورغم خطورة هذا المعرض فإنه لم يحظ بما تحظى به أية ممثلة ناشئة من الإعلام ، والإعلان عنها ، لهذا لا تندهش إن صادفك جمهور يمكن عده على أصابع اليد الواحدة ، أو اليدين على أحسن تقدير ، وربما اكتشفت بينه وجوها مألوفة ، تتردد بحكم عملها في مجال الفن !

● لكن ... لنتجاوز هذه المحنة ، ونفترض أن بين الزوار الخمسة اثنين يهتمان بالفن ، ويختلفان فى التلقى والتفسير : أحدهما يحتشد بتصورات مسبقة ، ويرى ضرورة أن يكون للفن ملامح قومية ، ولا يجيز العمل الفنى « بصك » الإعجاب إلا إذا التزم شروطه المتصورة . أما الثانى .. فقد جاء للمتعة الخالصة . صافى النفس . غير عابىء بما إذا كانت تلك المظاهرة من المنحوتات ضمها زمن واحد ، أو أزمنة مختلفة . وقرر الاثنان تبادل الرأى فيما يخص الانطباع الأول - المتعجل !

اتصور أن يقول الأول : « إننى ألمح تلك الملامح القومية .. بصورة واضحة .. فى الجيل الأول ، غير أنها تتراجع خطوة . فخطوة مع تقدم الزمن ، وسرعة الاتصال ، فأرى ازدياد تغلغل النموذج الغربى ، وانخفاض سطوة الموروث الفنى المصرى »

ويرد عليه الآخر ، الذى ظن أن المنحوتات تنتمى الى جيل واحد من الفنانين : « بل إن هناك مشتركا لايمكن إغفاله . ذلك المشترك . المسيطر . هو الطابع السكونى ، والميل الى البنائية ، والهندسية ، والاناقة ، ومراوغة البوح ! .. حتى الشطط .. الذى نلمحه فى بعض الأعمال .. لا يخرج - جوهريا - عن تلك الروح المسيطرة . المحافظة ! »

إن كليهما ، وإن اختلفا من زاوية الرؤية ، قد تكاملا . ومن ثم .. فمن الاصوب أن نصحبهما فى جولة مع ذلك المعرض التاريخى ، حتى نتمكن من التشخيص ، والمتعة فى نفس الوقت ، وان نتحلى بمرونة فى عبور الأزمنة ذهابا وإيابا .. إذا استدعت ضرورة المقارنات ، أو استخلاص حكمة ما .. ذلك !



تستقبل الزائر .. مباشرة - نماذج من أعمال « محمود مختار » .. رائد النحت المصرى المعاصر ، وأول من طرح على مستوى الانجاز النحتى ، والفكرى ، قضية الخصوصية القومية فى الفن . ولا تزال القضية مطروحة . ولا تزال الاجتهادات ، والاجابات تأتى - إيجابا وسلبا - بما يؤكد أن ما تركه هذا المبدع الكبير يعيش فى ضمائر الفنانين ، محركا لنوازع الخلق لديهم .. بالتحدى ، والاضافة ، أو مغريا بالتقليد .

ضمت مجموعته نماذج - مثالية - لرجال ونساء القرية : أمثال .. حارس الحقول ، وشيخ البلد ، وفلاحات بالغات الرقة ، يقمن بالعمل ، أو ينصرفن الى ذواتهن ، وتغرينا تلك التماثيل بمصاحبتها فى حالاتها المختلفة - والمعتدلة فى نفس الوقت - كما تدعونا إلى تأمل كتلها الصافية ، التى تلبس - بحساب ، واختيار - أقنعة . مستخلصة من ملامح المنحوتة

الفرعونية . وتخاطبنا برسائلها الاخلاقية التى تتوحد مع الكتل نقاء وهدوءا .

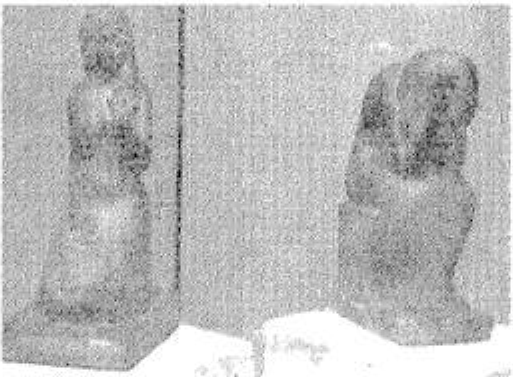
إن منهج « مختار » ـ الفني والأخلاقي ـ يجعله يعمد إلى كبح جماح الرغبات الداخلية بكواتم الحياء ـ كما فى تمثال : عند لقاء الرجل ـ حيث يخفى معالم الوجه الفاضحة ، ولايترك لمعالم الجسد الأنثوى سوى الهمس فى إعلان الوجود ! . فإذا "حزنت" المراة حال دون سقوطها فى اليأس برصانة الكتلة الجرانيتية اللامعة ، وأقواسها المعبدية الحانية ، وأناقة خطوطها الخارجية والداخلية !

إن مجمل إبداع « مختار » كان ، ولا يزال ، دعوة للمصالحة مع الموروث الفني المصرى : ( البنائى ـ السكونى ) ، والموروث ( الاخلاقى ـ الدينى ) ، وإن خرجت منحوتة « الخماسين » من أسر القناع الفرعونى ، ولكنه خروج غير مكتمل ، وبتعبير أدق : خروج محكوم بالحذر ، والتوجس ! اضطر اليه اضطرارا حتى يستطيع أن يقدم دعوة صريحة إلى المقاومة

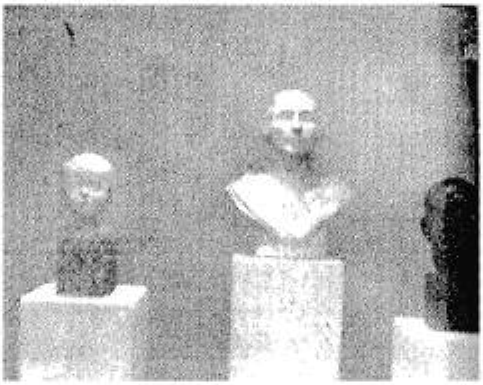
## ● التزام بالأسلوب الأكاديمى

كان تأثير منهج « مختار » ( التوفيقى ) كبيرا على الجيل اللاحق له ، وبدرجات متفاوتة على الأجيال الأخرى . جاء الجيل اللاحق له من النحاتين مبهورين بما أنجزه : شاهدوا نموذجا واضح المعالم ، يجسد ملامح البيئة ، والتراث ، وشيئا من روح العصر .

وأزعم أن الحس النقدي لذلك الجيل كان خابيا ـ على النقيض من زملائهم من المصورين ـ فتلقوا التقدير الذى ناله « مختار » فى صالون باريس المحافظ باعتباره تقديرا غير مشروط . ولو تأملوا الأمر لأدركوا أن « مختار » نال تقدير الصالون لكونه ـ أولا ـ محافظا فى فنه . ففى الوقت الذى قبلت فيه منحوتات « مختار » رفضت لوحات أبرز مؤسسى حركة الفن المعاصر فى العالم . ومن ناحية أخرى فقد كان للالتفاف الجماهيرى المصرى حول تمثال نهضة مصر أثر ساحر فى ذاكرة ذلك الجيل .. الذى حرص على ما أنجزه الأستاذ ، خاصة فى مجال الموضوعات ، بينما التزموا التزاما كبيرا بالأسلوب « الأكاديمى » فى موضوع « الصورة الشخصية » ( البورتريه ) ـ كما فى أعمال الفنانين : ( إبراهيم جابر ١٩٠١ ـ ١٩٧١ ، أحمد عثمان ١٩٠٨ ـ منصور فرج ١٩١٠ ، عبدالقادر رزق ١٩١٢ ـ ١٩٧٨ ، عبدالحميد حمدى ١٩١٧ ـ ١٩٧٨ ، أنور عبدالمولى ١٩٢٠ ـ ١٩٦٦ ، مصطفى متولى ١٩١١ ،



نماذج من اعمال الفنان انــور عبد المولى



مجموعة تماثيل للفنان عبد القادر رزق

كمال عبيد ١٩١٨ ، كامل جاويش ١٩١٩ ) وغيرهم .. على أن هذا الجيل قدم خدمة جيدة للأجيال اللاحقة ، فقد كان أكثرهم أساتذة فى الكليات الفنية ، واحتل بعضهم مناصب وظيفية مؤثرة ، وكان نتيجة ذلك انهم خلقوا ـ دون قصد ـ جيلا متمردا على الجمود الاكاديمى ، مجددا التواصل مع رسالة « محمود مختار » عبر دروب أخرى !



● علامة ثانية فى النحت

تتجاور منحوتات « جمال السجينى » مع منحوتات « محمود مختار » و« السجينى » هو العلامة الرئيسية الثانية فى النحت ، وقدم اجتهادا ، وإجابة مختلفة على نفس القضية التى طرحها « مختار » : فقد وسع من مصادر الإلهام .. فلم يكتف باستلهام « الفرعونية » بل امتد الى « الاسلامية » ، والعمارة الفطرية ، والفن الشعبى بالاضافة إلى استلهام إنجازات النحت المعاصر الغربى ، وبالذات إنجازات « هنرى مور » و« وزادكن » ، ونوع فى الخامات ، ومجالات الابداع : فمارس الرسم ، والتصوير ، والطرق على النحاس ، والخزف ، إلى جانب إبداعه الأصيل فى مجال النحت ، ونوّع فى « ظاهر » الأساليب الفنية .. فتارة يقترب من الأصول « الواقعية » شكلا ، و« الدعائية » مضمونا ، وتارة ينبذ المباشر فى التأثير ويلوذ بالرمز ، وأحيانا ينغمس فى الزخرفة .. وعلى الرغم من هذا التنوع فى « الظاهر » فإن المشترك بينها جميعا هو الاحتفال بالرموز ،

و« الميل » إلى « الحركة » الناشئة من التحليل التكعيبى « أحيانا » ، واشدد على لفظة « الميل » ، لأن « الحركة » عنده « داخلية » ، كما فى منحوتة بعنوان « أمومة » .. سنتحدث عنها ، أو « ملمسية » كما فى منحوتته الزخرفية [ التمساح ] ، أو وصفية كما فى مطروقة بعنوان ( شجرة المصير ) وهي بشكل عام حركة جزئية ، تلمس عنصرا من العناصر المجردة او المشخصة ، لكنها لا تمس جوهر التصميم الهرمى ( فى معظم الأحوال ) ، غير أن هذه الحركة الجزئية ، والمذاق اللاذع المتسلل إلى نحت ورسوم « السجينى » ، تميزه عن منحوتات « مختار » الرقيقة ؛ التى بدت إلى جوار منحوتات « السجينى » اكثر مما ظنناه لها من صفاء ، وهدوء !

ظهرت آثار « هنرى مور » ، واثار عشق « السجينى » المتاخر للعمارة الريفية فى سبيكة نحتية ، جمعت بين الكتلة العمارية ، والفراغ ، والشكل الانسانى ، والمنحوتة بعنوان [ أمومة ] ، وتعد من انضج منحوتاته ، وتكتسب ـ فى تقديرى ـ كثافة شعرية : ففيها اكتفاء بكل ماهو جوهرى ، و« حبكة » مدهشة فى الشكل والمضمون .. وعلى الرغم من براعة « السجينى » التى لانظير لها فى مصر ، فى مجال المطروقات النحاسية ، فإن مطروقاته قد افتقدت إلى شاعرية وإحكام هذه المنحوتة ، التى تتبدى فى فطرية أسرة . إن الفراغين اللذين يقتحمان جوف الكتلة يقومان برسم وجه الطفل المستغرق فى التهام ثدى الأم .. فى استمتاع ، وأمان ، كما يقومان برسم وجه الأم المتطلعة فى حنوّ إلى رضيعها ، بينما هو يغوص فى خدر فى السرير الدافىء ، الطرى ، الذى شكلته أمه بساقيها الممتلئتين ، القويتين ! .. إن الفراغين المقتحمين لايقومان فقط بدور الرسام بل « يسهمان إسهاما فعالا فى "التعبير" فبهذين الفراغين تحقق التحام فم الطفل بثدى الأم بصورة موحية بالالتهام لا الرضاعة ! .. كما أوحى بارتفاع الوجه ، الذى بدا كما لو كان « يراقب » حالة الرضاعة ، أو الالتهام فى سعادة ! .. فى نفس الوقت قام الفراغان بإثارة انتباه المشاهد الى منطقة التفاعل الدرامى ، وخلق « حركة » عن طريق الحوار بين الكتل وفراغاتها ، وكان من الطبيعى أن يقدم الحماية لمنطقة التفاعل عن طريق الشكل الهرمى الراسخ ، الذى تعلوه قبة تحنو على الجميع !

● نحاتا الخامات الصعبة !

هما ، بغير منازع ، « محمود موسى » ١٩١٣ ، « عبدالبديع عبدالحى » ١٩١٦ .. ولم تكن الأحجار الصلبة ، بالنسبة لهما ، مجرد وسائط نحتية ، بل

باعتبارها فلسفة ، وإن اختلف موقفهما من تلك الفلسفة : فإذا كانت الأعشاش الهشة لسكنى الطير ، والبيوت لسكنى الانسان ، فمشتقات المنحوتات الفرعونية ـ لكي تعيش بدورها ـ يجب أن تسكن أصلب الأحجار .. وهذا مايراه « محمود موسى » . وتستطيع أن تلحظ في منحوتاته التزاما بقوانين السلف في الكتلة ، وأعماله « توحى » بفنان موصول الذاكرة بانجازات النحت الفرعونى ، وإذا كان « مختار » قد تطلع إلى النموذج الغربى دارسا ، ومستلهما منه ما يتسق مع طبيعته فإن « محمود موسى » قد قاطع هذا النموذج مقاطعة كلية ، ونكاد نشعر مع منحوتاته اننا امام نحات فرعونى « يحاول » التجديد ! .. وتشكل الطيور والحيوانات الأليفة الموضوع المحورى فى أعماله : وهى كتل تتسم بالدقة في البناء ، والأناقة في التنفيذ ، ونقاء فى معالم الشكل . اما الطرف الثانى فى الثنائى الشهير فهو عاشق للجرانيت لسبب مختلف : يعشقه لصلابته لا لتاريخيته! .. ومن هنا لاتعنيه المشابهة بين منحوتاته وأصول الفن الفرعونى ، بقدر ما يشغله استخلاص أقصى إمكانات الخامة : وهى خامة تفرض الحذر ، والاحترام على من يتعامل معها . لا تغتفر اى هفوة : فالخطأ الصغير معناه الفشل . ليست متسامحة كخامة الخشب ، التى تسمح باقتحامها من الداخل والخارج بيسر .. بل عنيدة .. تترك لك سطحها الخارجى الصلب ، وتحذرك من مغبة المجازفة ، وتجاوز حدود السطح ! .. ورغم ذلك فقد نجح « عبدالبديع » فى تحدّيها في عدد من منحوتاته ، منها منحوتة « القط والثعبان » المعروضة بالمعرض ، حيث فرّغ ما بين الساقين الخلفيتين للقط .

إن « عبدالبديع » يستعير قناع الفرعونية ، بل يستعير الحجر ـ نفسه ـ ملاذا لمعظم منحوتاته . يسجل به الواقع كما هو ـ خاصة في الوجوه ـ أما طيوره وحيواناته فقد كرس أغلبها لثنائيات رمزية ، تستطيع ان تستخرج منها إيحاءات شتى : كما في منحوتته « القط والثعبان » ، التى تمثل قطا منقضا على ثعبان بكامله . انيابه في رأسه ، وجسده يضغط على كامل جسد الثعبان ! .. وفضل ان يختار لحظة الانتصار الساحق للقط على الثعبان ، وإن لم يكشف جسد القط الناعم ، اللامع ، وجسد الثعبان ، غير المصقول ، عن أى أثر من آثار المعركة ، بل قد « يوحى » الجسد الطرى الممتلىء للقط في وضعه هذا أنه اقرب الى المضاجعة منه إلى المعركة ! ..

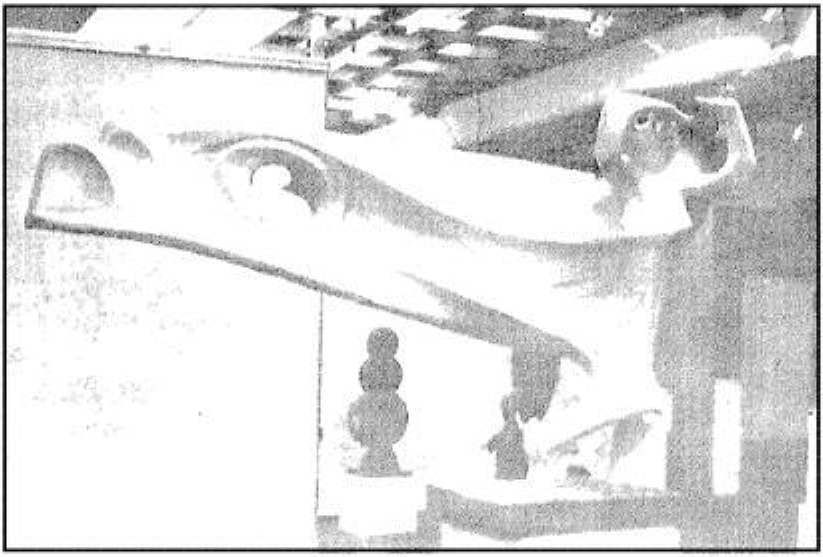
## ● فنانو المعادن الصلبة !

يُعد « صلاح عبدالكريم » أبرز مبدعى « النحت الحديدى » فى مصر ، وأول من مارسه ، وروّج له ، بعد عودته من بعثته إلى فرنسا وإيطاليا عام ١٩٥٨ ، والطريف .. أنه لم يكن فى نيته أن يكون نحاتا ! .. والمصادفة

حدثت عندما شاهده « بيكار » يصنع سمكة وحشية من نفايات الحديد ، كان يريد لها أن تكون شكلا للزينة ، فشجعه على الاشتراك فى بينالى « ساوباولو » ، واشترك بالفعل ، وكانت المفاجاة أن فاز بالجائزة الأولى ! .. واعقبتها جوائز دولية ومحلية ، ونشر تمثاله « الصرخة » فى قاموس « لاروس » العالمى ، وهو معروض ضمن مجموعته فى هذا المعرض . إن « أهم » منحوتاته تدور حول الحيوانات والحشرات والأسماك ويختار من بينها المتوحش ، والشرس ، ولم يظهر الانسان فى منحوتاته إلا مرتين : مرة .. شهيدا ، والأخرى مبدعا ! .. وأعماله المعروضة وغير المعروضة تتسم بخصوبة الخيال ، والبراعة فى جمع شتات من الأشكال الاستعمالية كالمفكات والمقصات والمسامير والصواميل والبلى وشرائح الحديد المهندسة .. الى غير ذلك من الأشكال غير المتجانسة ، يبنى ، ويحلل ، وينغم بها أشكالا مجسمة .. تلتزم النسب الواقعية ، إلا إذا شاء لها أن تكون شكلا زخرفيا للزينة . ورغم الطابع الوصفى لاشكاله النحتية فإنه يمدها بشحنات تعبيرية . واللافت للنظر ، أنه .. مع الادوات السلسة كأدوات التصوير الزيتى يتجه الى التحريف التكعيبى ، بينما مع أدوات النحت الصلبة . غير المتجانسة . يحرص حرصا شديدا على ترويضها لكى تحقق النسب الواقعية ، والهيئة الوصفية ، ذات الطابع السكونى ، رغم الاشارات التوضيحية الدالة على فعل عنيف : كانفتاح فم حيوان إيحاء بصرخة ، أو ارتفاع أرجل إحدى الحشرات إيحاء بقتال . إن مثل تلك الاشارات لا تعدو التنبيه الى النوايا : فكتلة الحشرة - على سبيل المثال - « تنوى » القتال .. دون أن تبدو فى حالة قتال فعلى . إن الحركة عند « صلاح عبدالكريم » تشبه الحركة عند « السجينى » من حيث تموضعها فى ( الجزء ) دون أن تمس الهيكل الكلى للعمل الفنى .

★ ★ ★

نعود مع منحوتات « آدم حنين » - ١٩٢٩ - إلى استلهام الموروث الفرعونى .. مع التشبع بروح الكتاب المقدس . اتسمت أعماله بطابع شعرى . رقيق . هادىء . يكمن فى داخله حزن دفين مقاوم . كتل طيوره نحيلة . موجزة . تشابه الانسان فى وقفته . تحتج بالصراخ ، وتستشهد بالصُلب . إن طيوره المرهفة ( المثقفة ! ) تبدو غريبة عن كل طيور المعرض إذا وضعت الى جوار أوزة « عبدالبديع » الحجرية ، المتوحشة . ضاعت ! وإذا وضعت إلى جوار حمامة « كمال عبيد » الممتلئة بالصحة والعافية والطمانينة .. تبددت ! ..



استشراق للفنان عبد الهـــادي الوشاحي

ويختار الفنان « أحمد عبدالوهاب » - ١٩٣٢ - طريقا أكثر صراحة ووضوحا إلى الفرعونية . ينتخب منها وجه « إخناتون » بعد أن زاده نحافة ، ورهافة ، وأظهره في تجليات مختلفة تدور جميعها في إطار التأمل . صفٌ وجوه « إخناتون » صفوفا .. لا ندري إن كانت قد جاءت لتحاكمنا ، أم تدعونا للعودة معها الى الزمن السحيق ! ..

إن منحوتات « أحمد عبدالوهاب » تدخل في إطار « النحت الشعرى » ، وهذا الاطار ليس مدرسة ، أو أسلوبا فنيا بالطبع ، ولكنه « حالة » شعورية مزاجية تمس عديدا من فناني هذا المعرض أمثال : آدم حنين . كمال خليفة فاروق إبراهيم . محمد سيد توفيق . سمير ناشد . صبرى ناشد .

## عشاق المنحوتات الخشبية !

ويمثلهم في المعرض : محمد هجرس . صبرى ناشد . سمير ناشد . محمد سيد توفيق . صالح رضا . ومادمنا قد أشرنا للعشق . فنستطيع أن نقرر أن « صبرى ناشد » هو أول من أقام معرضا كاملا من هذه الخامة ، وهو يعترف - والاعتراف سيد الأدلة ! - بأنه العاشق الولهان الأول ! .. ضمت مجموعته عملا نحتيا معقدا بعنوان ( مصير الانسان ) أبرز فيه كل مهاراته في التوغل في كتلة خشبية واحدة . استخرج منها ( مظاهرة ) من العناصر البشرية

المتراكبة ، والفراغات ، كما ضمت مجموعته منحوتات تمثل نباتات .. اتسمت بالرقة ، والبساطة ، والرشاقة ، ويشاركه « سمير ناشد » فى رشاقة منحوتاته ، واقترابها من التلخيص التجريدى ، الذى لايفقدها أصولها الواقعية ، ويتميز « محمد سيد توفيق » ببلاغة الايجاز ، وليونة الأشكال ، وهدوئها .. سواء فى أعماله التجريدية أو التشخيصية . واشترك « محمد هجرس » ببعض الأعمال من النحت الخشبى تميزت بالحيوية والحدة والجراة .: خاصة تمثال بعنوان [ جذع ] .. يمثل « إيحاء » بجذع إنسانى مندفع . وأعماله المعروضة تشكل صرخة احتجاج ضد واقع مستفز : فشكل الجذع - على سبيل المثال - يوحي بلحظة التحام في معركة ما ، ولقد أضاف التحليل التكعيبى لمنحوتاته - ذات الطابع « الدينامى » - حدة . ويشكل إبداع « هجرس » - فى تقديرى - جملة اعتراضية مع منحوتات « مختار » ، وإن اختلفت عن جملة « صلاح عبدالكريم » الاعتراضية .. فى كون اعتراض « هجرس » اعتراضا نقديا ، وهو ما سنراه - بصورة أوضح - عند الحديث عن أعمال « عبدالهادى الوشاحى » ، وإذا كان قبس « مختار » قد توقف عند الحاجز النقدى لابداع « هجرس » ، فقد توقف لأسباب أخرى عن الوصول إلى إبداع « صبرى ناشد » و « سمير ناشد » فى حين تسلل هذا القبس إلى إبداع « محمد سيد توفيق » ملونا بروح شاعرية أخاذة . أما « صالح رضا » فيستحق وقفة خاصة ! .. فهو يختلف مع بقية عشاق هذه الخامة ، كما يختلف مع « مختار » فى مفهوم « النحت » .. دون أن يرفض بصورة قاطعة قومية الابداع التشكيلى - وبمعنى أدق - ينحاز فى « بعض » إنتاجه - بصورة واضحة - إلى النموذج الغربى ، ويتعلق فى البعض الآخر بالموروث الاسلامى والشعبى ، يحدث هذا الازدواج .. أحيانا .. فى فترات متعاقبة ، ويتداخل .. أحيانا .. فى الفترة الزمنية الواحدة ، وفى المعرض الواحد . وإذا كان بقية زملائه يتعاملون مع منحوتاتهم تعاملا مباشرا فإنه يترك للمساعدين ، وللمخرطة مهمة التنفيذ .. بينما يقوم هو بدور المصمم والمشرف على التنفيذ . وتمثل مجموعته تنويعات على « وحدة » الخرط العربى .. وقد طلاها بالألوان البراقة : الذهبية والحمراء ، وشكل بها عرضا أقرب إلى العرض المسرحى .. وبالنسبة لى فقد استمتعت بالتنوع ، والرنين المعدنى للألوان البراقة .. ذلك الرنين الذى كان يتركنى دائما عند السطح !

## رهافة شعريــة

وإذا كان « مختار » لم يغفل الكلاسيكية الاغريقية والرومانية ، وسمح

لبعض آثار هذا الاعجاب أن تظهر فى كثير من ملامح فلاحاته الفاتنات ، فقد بالغ « فاروق ابراهيم » - ١٩٣٧ - فى هذا الاعجاب ، وسمح له بتجاوز الوجه الى غطاء الجسد ، فصارت الثياب الشفيفة ، والكثيفة بطلاً .. يبرر وجود التمثال ... وإن اكتسى كل هذا برهافة شعرية . ومن أجمل الأمثلة على ذلك تمثال عنوانه الوصفى [ امرأة تسير ] .. يمثل امرأة عملاقة ، ينبت فى قمتها رأس طيفى . صغير .. يؤكد صرحية الجسد . قدماها صغيرتان . تلمسان الأرض لمسا خفيفا . وتمنح الثياب الفضفاضة المرأة جلالا أسطوريا ، تسهم فيه خطوة لاتكاد تبين للقدم اليمنى ، ولقاء رقيق بين اليدين .

ورغم أن هذا التمثال صغير الحجم .. فالعين تراه صرحيا ، يناسب فراغا طبيعيا إلى جوار النيل ، أو فى مداخل قناة السويس ويتفق مع هذه الروح الشعرية ، ويختلف فى المنابع « محيى الدين طاهر » الذى يقيم جسور التواصل مع « مختار » .. مع الاحتفاظ بخصوصية إنتاجه يلجأ إلى البسيط من الموضوعات ، وتكويناته خالية تماما من اى ترهل « ميلودرامى » ، فاجساده رشيقة . رقيقة ، ووجوهه سمحة ، وعالمه سلامى ، يدعوك دائما إلى الاستزادة من المسرات الصغيرة .. رغم ماساوية حياته الشخصية ! ... وإذا كان المعرض بشكل عام - يبتعد عن ملامسة واقع الناس المباشر .. محلقا - على أحسن الفروض - فى نطاق المثل الأعلى .. أو تائها فى ضبابية رومانسية .. فإن المثال « محمد مصطفى » هو الفنان الوحيد الذى انشغل بموضوعات من واقع الناس البسطاء . الكادحين .. دون أن يسقط فى تشنج الدعائية ، وترهل « الميلودرامية » . فهو يلتزم الواقع موضوعا ، دون أن يفقده هذا الالتزام البناء المحكم ، والتوازن المحسوب بين الكتلة وفراغاتها

● الحوار الخلاق

ترتفع درجة الاثارة ، والاشتباك الخلاق مع « مختار » عندما نصبح فى رحاب رباعية « عبدالهادى الوشاحى » النحتية . تتوسطها رائعته - التى أتمنى أن أشاهدها فى ميدان من الميادين - وعنوانها : [ استشراف ] عندما عُرض هذا التمثال للمرة الأولى فى بينالى القاهرة العربى الثانى ، لفت أنظار النقاد ، والفنانين اليه . وتنوع شكل الاهتمام ، وتباين ، ورغم ذلك ، فقد كان هناك إجماع .. جاء صريحا أحيانا ، ملتويا أحيانا أخرى ، حول الحضور المفاجىء لهذا الشكل المنحوت .. ففى المنحوتة جراة فى التكوين ، وحيوية فى الأداء ، وخروج على الطابع السكونى ، الذى يميز المنحوتة المصرية ، وفى نفس الوقت تعبير عن أحلام واقع إنسانى لم تنطفىء آماله بعد ، ومثل « مختار » .. حاول أن يقيم جسور التواصل مع الموروث المصرى والوافد ، وإن اختلفت درجات الاستلهام . ويمثل التمثال

# النحت المصري المعاصر

اندفاع كيان نحتى إنسانى . شبه مجرد . وطيرانا جريئا لكتلة غطاء جسد . إن تلك الكتلة المزدوجة ، وكتلة « مختار » فى الخماسين .. تمثلان كيانين نحتيين يقاومان رياحا واقعية ، ورمزية ، وفى حين يركز « مختار » على عنصر المقاومة ، والاصرار عليها ، يضيف « الوشاحى » عنصر التطلع ، واستشراف الآفاق البعيدة .. وفى حين اختار « مختار » للحظته المشحونة ـ لحظة اندفاع الكتلة ـ واقعية النسب ، وواقعية ردود الأفعال ـ وإن أسقط التفاصيل ـ تحرر « الوشاحى » ـ بمباركة مشروعية إنجازات الفن المعاصر ـ من كل هذا .. وفى الوقت الذى التزم فيه « مختار » ـ أو بمعنى أدق ـ تمرد تمردا « محسوبا » فى هذه المنحوتة .. على الطابع السكونى ، طير « الوشاحى » غطاء الجسد ، ووضع نفسه ومتلقيه أمام كتلتين ،. أو مشكلتين ! .. وبدلا من أن تكون كتلة الكيان الانسانى ملء العين كمنحوتة « مختار » .. استقطبت الكتلة الطائرة فى الفراغ الاهتمام الأول . انشا « الوشاحى » علاقة مركبة بين الكتلتين ، ويكتشف المتامل لهما أن اندفاع تلك الكتلة الطائرة ليس رد فعل « ميكانيكى » لاندفاع كتلة الكيان الانسانى إلى الأمام ، فهى لا تندفع باستقامة نحو الأمام ـ مثل فلاحة « مختار » ـ بل تجمع بين الاندفاع والسكون ، الاندفاع إلى أكثر من اتجاه . والسكون

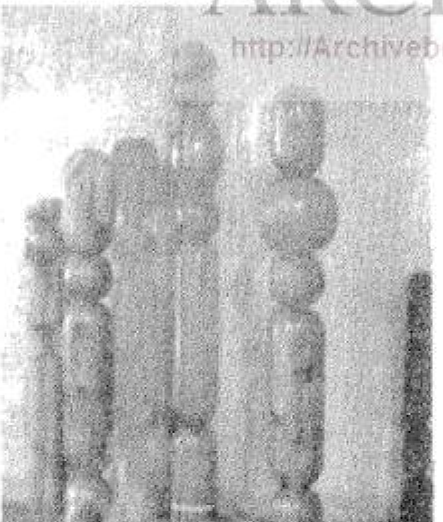


طيور للفنان سمير ناشد



٩٦

نماذج فنية .. لصالح رضا



المتشبث بركائز ثابتة . الاندفاع العنيف . المضطرب . والسكون المشحون

★ ★ ★

إن حركة أجيال النحاتين المصريين تؤكد أن « محمود مختار » : مبدعا ، ومنظرا كان ولا يزال فى ضمير الفنانين - إيجابا وسلبا - أى بالانحياز لأسلوبه .. تقليدا ، أو إضافة ، أو تمردا ، غير أن الابداعات المتمردة عليه ، والناقدة له اتسمت بالفردية ، ولم تحفر تيارات أسلوبية ، « فيكاد » أن يسود أسلوب فنى واحد عبر أزمنة الأجيال المختلفة .. هو الأسلوب ( الرمزى - التعبيرى ) مع قليل من ( التجريد ) ، وهذا ملمح لا مثيل له فى حركة النحت الغربى - مثلا - حيث تتعاقب ، وتتداخل الأساليب الفنية المتنوعة والمتصارعة . أما الموجات الجماعية التى حدثت فهى موجات كانت تخص إمكانات « الخامات » الجمالية والتعبيرية « معزولة » عن المصارعات الفكرية الخلاقة . وبعيدة عن ملامسة الواقع .

● الحصاد التشكيلى للعام الماضى

كانت أبرز الأحداث التشكيلية فى العام الماضى هى : بينالى القاهرة العربى الدولى ، والمعرض العام للفنون التشكيلية ، ومسابقة الصحراء وقد كان بينالى القاهرة فرصة للاحتكاك بين الفنانين المصريين ونظرائهم من الوافدين من دول أجنبية .. غير أن ارتباك الادارة ، وضآلة الميزانيات حالت دون تحقيق هذا الهدف ! .. فلم تتمكن الادارة - على سبيل المثال - من استضافة لجنة التحكيم الأجنبية .. كما اضطرت الى الاستعانة ببعض المراكز الأجنبية للحصول على لوحات فنان كانت معروضة .، لأن دولته لم تهتم بالاشتراك او حتى بالرد على طلب الاشتراك فى البينالى ! .. كما استعارت « الادارة » لوحات فنان مات منذ زمن بعيد .. والمسابقات - كما هو معروف ، وبديهى - للأحياء فقط ! .. كما اضطرت « الادارة » أيضا إلى إلغاء الجوائز المادية والاكتفاء بالميداليات التذكارية ! .. لكن مهما كانت النواقص - غير المفاجئة - فإن وجود تظاهرة إبداعية لمبدعين من العرب والأجانب شيء يستحق التقدير والاهتمام . ويأتى المعرض العام ليؤكد إستمرار سياسة ثبت خطؤها وهى سياسة فتح الأبواب لكل من ( هب ودب ) بدلا من الاختيار الدقيق .. بحيث يصبح الاشتراك فى المعرض العام إعترافا رسميا بالفنان . كما يتيح هذا الاختيار فرصة تقديم صورة موضوعية للابداع المصرى فى مجال الفن التشكيلى .. أما العروض التشجيعية للمبتدئين فمكانها قصور الثقافة ، ومراكز الشباب .

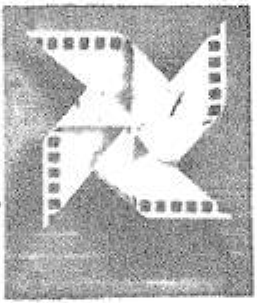
# تعويذة

شعر: ماجدة بركة

شىء ما فيك يحيرنى
شىء ما ..
يتفتح اول معناى
كالزهرة تتفتح إذ يلمسها ناى
ينفخ فيه مجبوبٌ روحه
يغمرنى فيضٌ
من بحرك يغمرنى فيضْ
اكتب
هذا دينٌ فى عنقى لك
امنحك دثارى .. تمنحنى ظلَّك
تلمسنى بعصاك السحرية فى آخرها نجمة فجرٍ وهاجه
تخلقنى من طينٍ ابيضْ
طين يُجبل منه الغُرباء
وتُشكَّل منه الشمس المبتردة فى ملكوتِ الماء
وعلى اطراف اناملىّ البللورية
اكتب بالنقش حروفا من تعويذتك المسحورة
المسُ وجه الاشياء
تصحو مبهوره !
انا قلبٌ متبولٍ أوسعه الوجد جراحا
راعية الأرض الجبلية
واقفةٌ فى الفجر
بالعنق المرفوع
والكتفين المسدلتين
تنتظر الظلّ
تتقافز بين يديها أغنام بيضاء طفله
توجعنى حيا
توسعنى دمعا
تنثرنى زهراً أبيضَ
يجرفه نهرٌ
فى كرمٍ مجدول الاغصان
أغفو .. إغفاء الفنان
يتناوبنى ظِلٌ .. ضوءٌ
ضوءٌ .. ظلٌ



أغمس فى ضوئك اهدابى العطشى
أرحل فى لمحة ضوءٍ بزغت
فى بحة صوتْ
اكل من كرمك
اشرب من
إبريقكِ
أترع برحيقك
أغفو فى الصحو
تحصى شعرى وتراً وتراً
شعرى ، ناموسيتك الليلية
تُخبّىء سِرّك فى شفتىّ
تُودِعُنى آخر انفاسك
ينحسِرُ البحرُ الابيض عن ساقىّ
فالملح فوقهما الاصدافْ
والسحبَ الغواصة بالرائحة البحرية



مهرجان السينما

# من القاهرة إلى الجليل

بقلم : مصطفى درويش

تميز مهرجان القاهرة السينمائى الأخير بنجاح وإقبال من الجماهير منقطعى النظير .

ولا غرابة فى هذا ، ففى خلال اربعة عشر يوما تحولت القاهرة إلى كعبة للأطياف ، يحج إليها المشاهير من نجوم الفن السابع فى العالم مثل "روبرت وايز" المخرج الأمريكى صاحب "قصة الحى الغربى" و"صوت الموسيقى" و"جون بورمان" المخرج الانجليزى صاحب "الأمل والمجد" ، "ليو الاخير" و"ماى زتيرلبخج" المخرجة السويدية صاحبة "العاشقة" ، "العاب الليل"



● تتساقط عليها الافلام من مشارق الارض ومغاربها ، من استراليا والصين ، مرورا بشبه القارة الهندية والعراق ، حتى الأرض السليبة فى فلسطين .

من النرويج وكندا فى اقصى الشمال حتى مشارف القطب الجنوبى فى الارجنتين .

تقام فيها ـ ولاول مرة ـ عروض لكوكبة من أفلام خمسة من كبار مخرجى العالم تكريما لهم "وايز ، ميترلنج ، فيلليني ( ايطاليا ) اراجون ( اسبانيا ) ، عاطف يلمز (تركيا) .

يبتدع عرض بانورامى لبعض افلام ممثل هو "ميشيل بيكولى" الذى قام باداء دور "كافاريللى" الجنرال الفرنسى صانع السلام فى "الوداع يابونابرت" للمخرج "يوسف شاهين" ، ودور "كسار" فى "الرجل المحجب" لصاحبه المخرج

اللبنانى "مارون بغدادى" الهارب من جحيم بيروت متأبطا شر "الطائفية" المقيت .

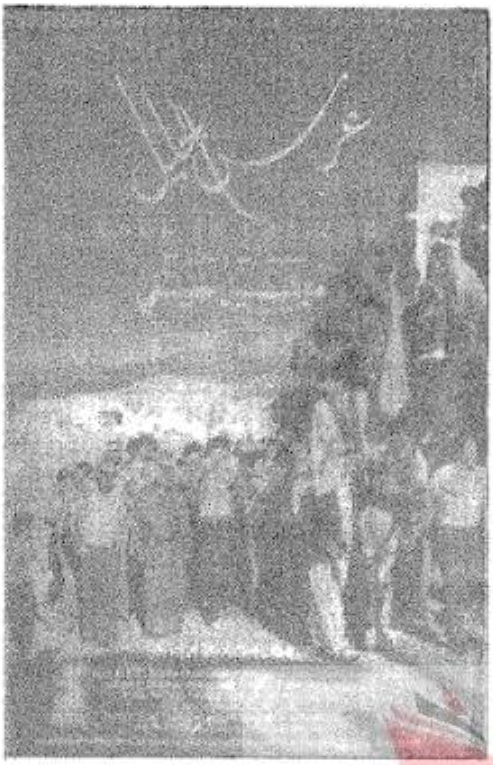
● ضجيج بلا طحن

والمدهش ان ينجح المهرجان كل هذا النجاح رغم ما وضع فى طريقه من عقبات **لعل اهمها تعنت القائمين على شئون الرقابة وجنوحهم الى التمسك بتعليمات ومحظورات عفا عليها الزمن فى محاولة يائسة منهم لمنع اربعين فيلما او يزيد ، او بمعنى اصح التحول بالمهرجان الى أطلال .**

**وثانيا حملة التشكيك التى تبناها نفر من النقاد محترفى السفر الى الخارج ، فى محاولة منهم لحجب نور المعرفة السينمائية الحقة عن جماهير المتفرجين .**

ومهما يكن من أمر هذا الانتصار الذى لم يكن ليتحقق الا بفضل ارادة صلبة تقف صامدة لعربدة الصارخين ، الطامعين فى الا يكون للسينما مهرجان على ضفاف النيل ، فالاكيد ان صفوة المهرجان لن تقاس بالافلام التى عرضت ، وكم تبلغ عدا ، وانما ستقاس بما سيترك بعده من آثار .

والآن ، وقد وصل فُلك المهرجان الى بر الامان ، وانتهى كل شىء بسلام ، فماذا عرض فيه من افلام ، وهل بعضها سيغير من خصائص النفس بحيث يضطرها الى انحاء من التصور والتصوير لم تكن مألوفة من قبل ، وبالتالى يقوّى فى فن السينما عندنا عنصر التطور والانتقال ؟

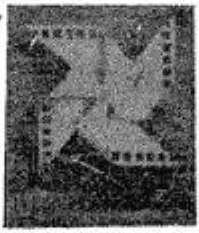


عرس الجليل .. حدث هـام فى المهرجان

● القديم الجديد

بداءة كان للسينما الامريكية ، كما هو الحال فى أغلب المهرجانات العالمية ، وجود كبير ، وكان لافلامها نصيب الاسد من الاقبال .

وهى فى هذه المرة ، لم تكتف



بالاشتراك بافلام مصنع الاحلام فى هوليوود . كما "القطيفة الزرقاء" ، "سر نجاحى" ، "نافذة غرفة النوم" ، "أطفال الصمت" و"الأرملة السوداء" .

وإنما اشتركت ـ ولأول مرة ـ بأفلام متمردة على هوليوود ، رافعة راية الاستقلال .

وأول ما يلاحظ على افلام هذه السينما المسماة بالمستقلة أنها خصبة ، مختلفة بعض الشىء عما ينتجه مصنع الأحلام العتيق ، وبنفقات اقل بكثير .

وهى فى سعيها للتجديد انما تحاوله على استحياء شديد ، ودون ان تنظر الى انماط السينما القديمة نظرة سخط .

فمثلا فيلم "فتاة الصين" للمخرج "آبل فيرارا" لا يعدو ان يكون تكرارا لقصة الحى الغربى المستوحى من مأساة "روميو وجولييت" مع أخذ يسير بسبيل البساطة المتحررة نوعا ما من قيود الانتاج الكبير .

و"الرقص القذر" لصاحبه المخرج "اميل اردولينو" ـ انجح افلام تلك السينما فى المهرجان ـ اشبه فى أوجه كثيرة "بحمى امسية السبت" الذى جعل من "جون ترافولتا" نجما ، اقرب اليه روحا واتجاها .

وكذلك الحال بالنسبة لسائر أفلام تلك السينما ، "فأنّا" ينسج مخرجه "بوريك بوباڤيتش" على نفس منوال "كل شىء عن حواء" الفيلم الحاصل على جائزة الاوسكار منذ حوالى اربعين عاما .

و "الارض الموعودة" لصاحبه المخرج "مايكيل هوفمان" يذكرنا بافلام الطريق التى حاولت هوليوود أن تجدد بها شبابها قريبا من نهاية الستينيات .

و "ابن البلد" لصاحبه المخرج "جيرولد فريدمان" مستوحى من قصة بنفس الاسم للاديب الامريكى الاسود "ريتشارد رايت" ، وهى قصة كثر الكلام عنها ، وكاد النقاد يجمعون على الاعجاب بها ، الامر الذى حدا بمؤلفها الى الاسراع ، بل قل الاندفاع ، الى اخراجها فى فيلم فاتر ، فاشل قريبا من نهاية الاربعينيات .

هذا ، وقد تحمس لها "طه حسين" ، حتى انه لخص خير مافيها لقارىء مجلة "الكاتب المصرى" فى سالف الزمان .



## التيه العظيم

فاذا ما تركنا السينما الامريكية القديمة ، الجديدة معا ، والتى تجترّ افكار افلامها السابقة ، وتدور بهذا الاجترار فى حلقة جهنمية لافكاك منها .

وانتقلنا الى افلام المهرجان الاخرى استطلاعا للمجهول ، وجدنا انفسنا فى متاهة تشابكت فيها المسالك وتشابهت .

فما اكثر الافلام ، وما اقل النقد الجاد الجيد الذى يقودنا الى حيث العمل السينمائى الذى يستحق التضحية بالوقت والمال .



عروس الجليل



والى اليوم السابع من المهرجان ، كان الجمهور يلهث حائرا وراء الافلام الممتازة ، دون مرشد يهديه ، يستمتع بصورها دون فهم لجوانب اخرى منها كالحوار والافكار ، ذلك ان جميع الافلام - باستثناء فيلمين صينيين - كانت بدون ترجمة عربية .

بل ان جميع اعمال "فيلليني" المتكلمة بالايطالية كانت فيما عدا فيلم الافتتاح "مقابلة" و "جولييتا والارواح" بدون ترجمة انجليزية او فرنسية .

حقا ، قد تحقق قدر من الفهم لبعض الافلام الاوروبية التى تتناول قضايا انسانية لها اتصال بمشاكل وطننا او القيم المبثوثة فى وجداننا .

● روميو وجولييت

**فمثلا ماساة "بيير وجميلة" فى فيلم المخرج الفرنسى "جيران بلان" ، كانت فى متناول الفهم ، لانها عبارة عن قصة حب بين فتى فرنسى وفتاة عربية من اصل جزائرى ، تنتهى بمقتل الفتى بطعنة من شقيق "جميلة" التى تنتحر كما "جولييت" فى مسرحية شكسبير**

**وكان صاحب الفيلم يريد ان يقول ان اى حب بين اثنين لهما اصول خلقية**

وثقافية مغايرة ، لابد ان ينتهي بهما الى الضياع والهلاك .

## ● الحجاب الحاجز

ومأساة المرأة الريفية المتزوجه فى "اربعون مترا .. المانيا" أول عمل للمخرج التركى "توفيق باصر" هى الاخرى لم يتعثر كثيرا فهم المشاهد لها .

و"باصر" فى فيلمه هذا ، قد شاء لبطلته التى اصطحبها زوجها التركى المتزمت الى "المانيا الغربية" حيث يعمل من اجل لقمة العيش ، شاء لها ان تبقى رهينة شقة ضيقة سعتها اربعون مترا مربعا ، لا تخرج منها ابدا حتى يجىء الموت زوجها او سجّانها .

فاذا بها تواجه المستقبل المجهول ، وحيدة ، مقصوصة الجناح فى بلد غريب لاتعرف من امره شيئا .

وكأن المخرج التركى الواعد يريد بفيلمه ان يسلط الضوء على عادات وتقاليد لا تتناغم مع روح العصر ، لا تستقيم مع حضارة محورها العلم والانفتاح .

## ● اليوم السابع

كل هذا كان حتى اليوم السابع .



الرقص القذر .. سينما قديمة جديدة

وبالتحديد حتى الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم . عندما صفق جمهور سينما مترو المبهور لا لفيلم من الافلام ، وانما لنفيسة من نفائس الفن السابع جاءته من ارض الجليل ، تحمل من زرقة سمائها ، وطيب مائها وهوائها ، ولألاة نجومها عطرا للنفوس العطشى الى فلسطين .

حقا ، لقد كان الجمهور فيما يشبه الانخطاف من فرط ما رأى امامه من روعة وبهجة ، حتى ان "ميشيل خليفى" صاحب "عرس الجليل" قد مر فى خاطره اثناء هذه النشوة ان رائعته النفيسة قد ولدت من جديد .

وهنا قد يكون من المناسب ان اروى عن نفسى اننى لم اشاهد افلاما روائية عن فلسطين تستحق الوقوف عندها الا فى ثلاث لحظات متباعدة .

اولاها كانت عندما شاهدت فى بغداد رائعة "توفيق صالح" "المخدوعون" المستوحاة من قصة الشهيد "غسان كنفانى" .

اما اللحظة الثانية ، فكانت عندما شاهدت رائعة "برهان علوية" (لبنان) "كفر قاسم" فى مهرجان قرطاج بتونس .

وكانت ثالث اللحظات عندما شاهدت "عرس الجليل" هنا فى القاهرة .

● يوم الحساب

وهى عندى اكثر اللحظات الثلاث روعة وجمالا ، لا لأن عرس «خليفى" أت الينا من بقعة عزيزة على قلبنا .

ولا لأنه أول فيلم عربى يتوج بجوائز كبرى فى ثلاثة مهرجانات عالمية (كان ، سان سباستيان ، مونتريال ١٩٨٧) فى غضون أشهر قليلة .

ولا لأنه أول فيلم روائى عربى عن فلسطين روح الوطن العربى يخرجه واحد من ابنائها ، ولد فى الناصرة منذ سبعة وثلاثين عاما ، ولايزال ، رغم الاحتلال ، يبدع اعماله السينمائية على ترابها ، ووسط اهلها .

وانما لأنه أول فيلم عربى سياسى على مستوى راق من الوعى والجمال ، تنفتح له ابواب عقول وقلوب الجماهير فى عاصمة الوطن العربى .

فمناط النجاح بالنسبة لاى عمل سينمائى عربى كبير ، ليس بعرضه فى مهرجان اورشليم "القدس» السينمائى كما "اليوم السادس" ليوسف شاهين او فى غيره من المهرجانات ، وانما بمقدار استقبال الناس له هنا فى مصر ، الاقبال عليه من منطلق الحب والفهم ، الاستمتاع به غذاء روحيا تتجاوز به النفس مصاعب الحياة .

ولقد تحقق كل هذا لنا فى اليوم السابع من المهرجان بفضل ابن فلسطين "خليفى" وفيلمه "عرس الجليل" الذى اراه عرسا للسينما العربية

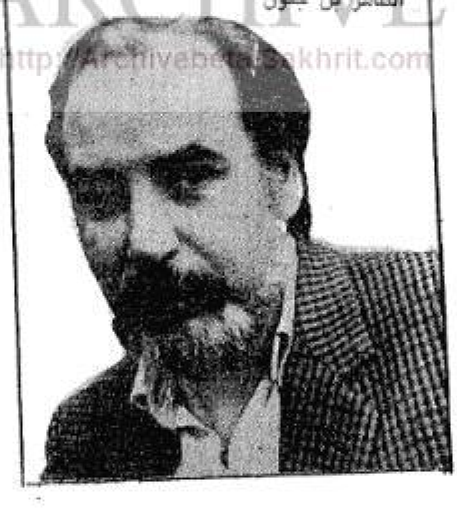
عن رواية الطاهر بن جلون

# "ليلة القدر"

بقلم: د. على الراعى

فاز الكاتب المغربى الطاهر بن جلون بجائزة جونكور فى نوفمبر الماضى عن روايته « ليلة القدر»، وهو أول أديب عربى يحصل على هذه الجائزة ويتناول الناقد الكبير د. على الراعى الرواية بالنقد والتحليل .




الطاهر بن جلون

**من مادة الاحلام والاساطير والطقوس والتهاويم والخيال الجامح والواقع المحيط ، كتب الروائى المغربى الطاهر بن جلون روايته المستفزة الاخاذة الغريبة: (( ليلة القدر )) عملا فنيا يشوق ويمتع ، عجن فيه بن جلون هذه المفردات الفنية المتناثرة ، وجعل منها وحدة آلفت بين الاضداد ، ولحمتها جميعا فى جسم العمل الفنى ٠**

و « ليلة القدر » رواية واقعية فى بعض ملامحها ٠ غير أن هذا الواقع متحفز ، متوفز يتحرق شوقا الى ان يطير الى اجواء الخيال لدى ادنى فرصه تواتيه ، او يقدر على خلقها ٠ لم يعد الامر هنا أن الواقعية تسعى الى مزيد من الثراء بالتفتيش فى محتويات اللاوعى ٠ انها فى الواقع تند[illegible] هى نفسها فى الوعاء الفنى وتلتحم بما يحويه من الوان ، وتصبح جزءا من كل متناسق وجميل فى اكثر مواضعه ٠ وطوال الرواية لا تكف المشاهد الواقعية عن التحول الى ما هو لا واقعى ،يبدأ الصعود من اسفل درجات الواقع مثلما يحدث فى ساحة الرواة ، وفى الماخور وفى مشهد الاغتصاب وفى السجن ثم يتحول هذا الواقع السفلى فجأة الى أعلى درجات الوهم ،والنبوءة والشعر،والخيال كما هو الحال فى فصلى «الروض العطر» « والميثاق » وفى هذا الاخير يحكى معلم القرآن قصة تردده على بلد خيالى عجيب الشأن ، فيه خزانة للكلمات ، وكتب يحفظها رواة من الرجال والنساء الجميلات ٠٠ بلد وصل اليه المعلم فوجد الاشجار تظلله والسماء تمطر بللورا ، وطيورا تسبقه



لترشده الى السبيل . والتقى فيه بأنبياء نفوسهم فرحانة واصدقاء الطفولة غابوا عن نظره وصبايا عشقهن حين كان صغيرا ، الى أخر مفردات الخيال المجنح الذى تحمله « الف ليلة » ، التى يرد ذكرها ضمن كتب الخزانة وتتعهد طائفة من الجميلات بأن تروى حكاياتها ، وكل منهن ترتدى ثياب شهر زاد .

ثم يبلغ تحول الواقع الى خيال اقصاه حين تؤدى التراتيل والترانيم والرؤى والعيش فى جنبات طبقة رقيقة جدا من الضباب او العتمات الى ان تلتقى الفتاة مع مشرفة الصمام وأخيها معلم القرآن ، بعد أن أصبح هذا وليا يقصده الناس طلبا للبركة . يلتقى الثلاثة وقد لفهم الضباب ونأى بهم عن الواقع نأيا تاما . اصبحوا أطيافا او رؤى تضطرب بين واقع كانوه وحاضر لم تعرف معه هل حدث لهم ما حدث ام ان الامر كله مزيد من الهلوسة والخيال الجميل المريد !

تقول الفتاة التى تروى حكايتها : « قصتى ليست عظيمة ولا تراجيدية . هى ببساطة : غريبة . تغلبت على كل انواع العنف لكى استحق العاطفة واستحق ان اصير لغزا .. ما سأسرده لكم يشبه الحقيقة لقد كذبت . احببت وخنت . عبرت البلاد والقرون، وغالبا ما نفيت نفسى وحيدة بين الوحيدين .. كنت طفلة مضطربة الهوية .. بنتا كنت ، مقنعة بمشيئة اب أحس بنفسه ناقص الرجولة ومهانا لانه لم يرزق ولدا .

ومن ثم عاشت البنت اكذوبة كبرى. ارغمها ابوها على أن تلبس وتعيش كالاولاد حين ابصرها طفلة حديثة الولادة لم ير فيها الا ولدا . عميت عيناه عن رؤية أعضائها الحقيقية ولم ير فيها الا الولد الذى ادمن حمله فى خياله حتى انتهى الى التصديق بوجوده . هكذا كان الاب ينتقم من حظه ومن زوجة لم يحبها ابدا : زوجة باهتة ، خائفة ، ومن بناتها اللواتى قذفته بهن الواحدة تلو الاخرى ، كأنما كانت هى الاخرى تتآمر عليه .

وحين حضرت الاب الوفاة ليلة السابع والعشرين من رمضان - ليلة القدر المباركة - طلب من ابنته الغفران . اعلن انه يعتقها ، وحثها على ان تغادر الدار اللعينة ، ان تسافر وتعيش وتترك وراءها النكبة الموشكة ان تلحق بالاسرة عقب وفاته .

ولم تكن البنت فى حاجة الى من يحثها على الانطلاق . ما ان انتهت مراسم الدفن التى رأستها بوصفها الذكر الوحيد فى الاسرة ، حتى فتحت روحها وجسدها للحياة المقبلة، واطلقت كل قوى خيالها الجامح .رأت لدى المقبرة عروسا تقبل نحوها وتضع على كتفيها برنسها الفاخر ، وتقول : اذهبى اليه فهو ينتظرك على فرس بيضاء مرقطة بالرمادى . ثم تمتد ذراع قوية تحيط بخصرها وترفعها الى الفرس .

هكذا تزور الفتاة واحدا من الاماكن الكثيرة التى تعمر الرواية والتى يضطرب وجودها اضطرابا قلقا

بين الحقيقة والخيال تمتثل الفتاة نفسها : أفى الحلم يقوم المكان أم فى الحقيقة ؟ زارت جمهورية الاطفال – قرية من مائة طفل بين ذكور واناث يربط بينهم جميعا انهم جاءوا هربا من ظلم ، وانهم قد اوقفوا الزمن ، وجعلوا من القرية سفينة تمخر عباب مياه صاخبة ، وقطعوا كل رباط لهم بالماضى · والان ها هى ذى فتاة تهبط عليهم من العالم الذى افلحوا فى نسيانه ،وتهدد بزلزال يفشى اسرار القرية السبعة ، ويسلمها الى الدمار· لقد وقع الراشد الوحيد فى الجزيزة – الفارس الجميل الذى اختطفها – فى اسر الفتاة ، واخذ يفشى السر الاول ، واعدا بالمزيد · لهذا تقرر طرد الفتاة من القرية · قال لها احد الاطفال : انت نفسك طيبة ، ولكنك تحملين معك الشؤم حيثما حللت ·

وخرجت الفتاة من القرية – من الروض العطر كما سمتها – ولكن بعد أن انزلقت عن روحها وجسدها اخر الاربطة · تخلل الهواء والضوء والعطر جسمها الذى عانى طويلا من القيود والاحباس ، واصبحت الان حرة فى الروح والبدن ·

● **الحق وحرية التفكير**

وتمضى من بعد تمارس حريتها الجديدة · يغتصبها رجل فى دغل ، فلا تبدى مقاومة ، وتسجل أن هذه هى المرة الاولى التى يشتبك فيها جسد ما مع جسدها ! ويسلمها الرحيل الى حمام عام فى بلدة ، تقصده لتغتسل مما أصاب جسدها من آثار الاغتصاب · فتتعرف الى المشرفة على الحمام : امرأة لحيمة ، قوية ، تقرر أن تصحبها الى بيتها وتلحقها بخدمة اخيها الضرير ·

اخوها هذا معلم للقرآن فى كتاب الناحية· ربته اخته منذ طفولته الباكرة، بعد ان فتك المرض ببصره ، وفتك بها هى نفسها فشل مخز فى الزواج · هجرها زوجها وتركها لا زوجة ولا مطلقة، فغسلت الملابس فى بيوت الاكابر وطبخت فى الاعراس · وحصلت لاخيها على منحة خيرية ، فصار معلم القرآن لاطفال الحى ·

بين الاخ واخته وحدة لا تنفصم · لا يفصمها الا مجىء الفتاة · سرعان ما يأتلف المعلم مع الضيفة ، ويدور بينهما النقاش الفلسفى العميق ، ويتحاور جسداهما فى علاقات جنسية حميمة تبدأ فى ماخور ! تقول الفتاة لمعلم القرآن : أعرف المنافقين جيدا · يستندون الى الدين للسحق والهيمنة · وانا استند الى الحق فى حرية التفكير وحرية الاعتقاد من عدمه · اننى فى قطيعة مع العالم · أو على الاقل مع ماضى الشخصى · أحاول أن أكون سعيدة ، أعيش حسب قدراتى، بجسدى الخاص ·

**بهذا الفهم الرومانسى للحرية – اقتلاع الفرد لنفسه من الوسط المحيط – رفض الارتباط بشىء حتى لا يربط الفرد شىء –** انكار الدار والاهل والاطفال ، العيش دائما على أهبة الاستعداد ، عيش سابق على العقبات وربما سابق على الزمن ايضا ، بهذا العتاد الرومانسى الهش تمضى الفتاة فى طريقها مؤمنة ان هذا خير رد على صلف الرجال ، وقسوتهم · وحين تقتل عمها الشرير البغيض الذى جاء يطاردها مطالبا بارث آل اليها بغير حق ، تستعرض وهى فى السجن حياتها فى الاسرة وتلحظ أن اباها وضعها تحت الزجاج ، فى منأى من الغبار واللمس، محمية من الريح والبرد والجوع ، حبيسة عائلة هى بدورها حبيسة المرض.

# "ليلة القدر"

والخوف والعتة · ثم تقرر ان حياتها كرجل متنكر كانت أكثر من خطيئة · كانت نفيا · ولو كان قدر لها ان تكون فتاة بين الفتيات ، فلربما حلت بها الاحداث العنيفة ، ولكنها لم تكن لتكون بائسة ملطخة بالعار والسرقة والكذب ·

لكن « ليلة القدر » لا تشغل نفسها بحياة وحرية فرد واحد وحسب ، هو الفتاة ، وانما تلتفت التفاتا عميقا ومؤثرا الى مصائر غيرها من النساء · أمها أولا : ما أبشع الصورة التى ترسمها لتسلط الاب الهمجى عليها وقهرها قهرا يخرب الروح والبدن · تقول الام لابنتها : كل ما أطلبه شهر أو شهران أعيشهما بعد موت أبيك · أود ان اتنفس لبضعة ايام · لا أريد أن أرحل فى حياته ، لاننى سأرحل مجروحة بشكل مضاعف مخربة على على نحو مرعب ومهانة · أود أن أصرخ صرخة واحدة تصعد من أعماق النفس صرخة لابدة تنتظر ، وأريد أن أعيش لكى لا أموت وهى ما تزال تأكلنى وتفتك بى ·

ولكن هذا المطلب العزيز يمتنع على الام · سرعان ما تسقط فى غياهب الجنون ، وتغادر دارها الى بيت احدى الخالات ، تغادره وهى تمشى على أربع ، مثل حيوان تعس لا يرغب فيه أحد ! ·

أما الاخوات السبع ، فان تحرش الاب بهن دائم · يصرخ ويتوعد ولا يحتمل ادنى تقصير فى خدمتهن له ، احداهن تخلع جلبابه والاخرى تغسل له رجليه ، والثالثة تنشفهما ، بينما تعد اثنتان اخريان الشاى · وويل لن ترتكب اقل هفوة · وفى مقابل هذه الخدمات يكن الرجل لبناته الكره العميق والرغبة فى القتل · حين يعم الناحية وباء التيفود ، يتناول هو عقاقير التحصين ، ويحرمها على بناته وزوجته ، أملا فى ان يمتن جميعا ! ·

تبدأ « ليلة القدر » بداية شديدة الجذب · ساحة خالية وصلت اليها العجوز التى كانت فتاة الرواية يوما ما ـ وصلت بعد طول السفر تبحث عن الراوى الذى دمرته قصة حياتها : حاول ان ينسجها فتعذر عليه ذلك · وحين رأته العجوز وجدت الناس قد انفضوا عنه · تنكروا لماضيه الطويل حين كان سيد الساحة وضيف الملوك والامراء وأخرج جيلا من الشعراء الجوالين ، ولكن الحمق وخرق فى الذاكرة قد سلبه فنه وجمهوره معا ·

ثم جلست الى راو اخر ، كانت هى مستمعه الوحيد · وجدته ينهال باللوم على الزمن ، زمن عديم الطعم ، الخبز فيه بائت واللحم فاسد وزبد الناقة زنخة · يتبين الراوى فى العجوز شيئا أكبر مما تبديه الوجوه : لها سر تصونه فى قلبها ، ومن ثم فهى لا تصلح للمماحكات مع الرواة · ويجد راو اخر انها لا تصلح للتعامل معه · هو يروى عن طريق اعادة تركيب الحياة موضوع الرواية · يخرج من صندوقه آثارا شخصية لاسرة من المستعمرين الفرنسيين ويروح يصفها ويتخيل من استعملها كيما تشترك الصور مع الكلمات فى بعث حياة مضت ، فلما تتبرع العجوز للراوى بخاتم تحمله ،

يعتذر من عدم قبوله ويحيده اليها فهو ثمين ، معبأ ويحفل بالذكريات ·
واستخدمت راوية امـــرأة أسلوبا اخر · ادارت شريط كاسيت يحمـــل موسيقى بربرية ورقصت قليلا ثمجعلت تتكلم بالايات والحكم · فاعترض عليها المستمعون وقالوا جئنا نسمع الموسيقى ونراك ترقصين · الحكاية حكايةوليست موعظة · غير ان المرأة ما كانت راوية حكايات وحسب · انها حاملة التراث، أوفدها الاجداد بكتاب لم يفتح ابـــدا لتنبه أهل العصر وتقول لهم وتعيد وتحذرهم من مصير المنافقين ·
وتنصرف الراوية بعد أن تســـأل العجوز : من انت ؟ تنصرف قبـل ان تسمع جوابا · ومن ثم لا تجد العجوز بدا من ان تكون هي راوية حكايتها ، تقص احداثها وفصولها علينا فنتلقى منها شكلا متميزا لفن الرواية ، تقـدم بعض من وصفه ·
وننهي قراءة « ليلة القدر » فترن في اسماعنا كلمة العجوز في وصف حياتها مع ابيها متنكرة كرجل · قالت « ان هذه الحياة كانت أكثر من خطيئة · كانـت نفيا » · وندقق النظر في هذا القول . فنجده ينطبق على الطاهر بن جـلون ذاته · منفاه في اللغة الفرنسية التي كتب بها روايته ، قد جعل الروايـة تبدو كأنها وضعت في صـندوق من زجاج ـ الصورة ذاتها التي استخدمتها العجوز في وصف حياتها · الروايـة عربية ولا عربية ·فرنسية ولا فرنسية· مثلما كانت الفتاة رجلا ولا رجـل · بنتا ولا بنت · ولو كان قدر لابن جلون ان يكتب روايته بالعربية ، فلربمـــا داخلتها بعض العيوب ، ولكنها بالقطع كانت تكون أكثر صدقا ·
كما هي الآن ، الرواية تعكس رؤية مثقف مغربي يضع على عينيه منظارا من صنع فرنسا · وقد اضافت الترجمة التي قام بها محمد الشركي ـ عـلى جمالها وجلالها وشاعريتها ـ الى هـذا الشعور بعدم الانتماء الكامل للتـراب المغربي ، بما فعلته في مواضع كثيرة من التزام شـكل الجمل الفرنسـية وتراكيبها ·



### وصف الهوى

سئلت اعرابية عن الهوى فقالت : لامتع الهوى بملكه ، وقبض الله يده واوهن عضده ، فإنه جائر لاينصف في حكم ، اعمى لاينطق بعدل ، ولاينصر في ظلم ، ولا يرعوى للذم ، ولاينقاد لحق ، ولايبقى على عقل وفهم ، ولو ملك الهوى واطيع لرد الامور على ادبارها ، والدنيا على اعقابها .

# الغناء العربى بين التطوير والتغيير

بقلم : كمال النجمى

**يثير مشروع دار الأوبرا الجديدة فى القاهرة الذى مازال حتى مطلع هذا العام الجديد تخطيطا على الورق ، مسألة مستقبل فن الأوبرا فى مصر ، ثم فى البلاد العربية من وراء مصر ، لأن كل شىء يدخل مصر سرعان ماتفتح له البلاد العربية أبوابها ..**

● ويزعم بعضهم أن الغناء الأوربى كله بجميع ألوانه ـ وليس الغناء الأوبرالى فقط ـ سوف يتحول تدريجيا الى بديل للغناء العربى ، الذى هو لون من ألوان غناء العالم الثالث ، أما الغناء الأوربى فهو غناء العالم الأول ، وقد بدأ العالم الثالث يغير جلده ، وأول مايجب تغييره فيه هو الغناء ! ...

ويقولون إن الألحان العربية بمقاماتها وضروبها ، وزخارفها المعروفة وغير المعروفة لاتصلح للمسرح الغنائى الحقيقى ، فلا مناص إذن من أن نمد أيدينا بسرعة وجراة إلى مائدة الموسيقى الأوربية الحافلة ، لنستعطى منها لمسرحنا الغنائى مايقوم بأوده ، غير مبالين بما ينالنا من نظرات السخرية ، تسلطها علينا أحداق الأوربيين وأبناء عمومتهم ، أو خئولتهم الأمريكيين ! .

ولكن المتفائلين ـ وأنا منهم ـ يقولون إنه من الممكن جدا قيام مسرح غنائى عربى ، بالموسيقى العربية وحدها ، إذا توفر على خدمتها وتطويرها وتثبيت مناهجها جماعة من الموسيقيين العلماء الموهوبين ، ولا أعنى بالعلماء خريجى الكليات والمعاهد الموسيقية وحدهم ، فإن هؤلاء يدرك حقيقة علمهم بالموسيقى من أعطوهم شهادات التخرج ، وبينهم أشباه أميين فى علوم الموسيقى ، وفى تذوقها الفطرى .. دعك من الأمية الفكرية وغيرها .

لقد حان الوقت للبدء فى إقامة صرح للموسيقى العربية ، يستقل بكيانه عن



ام كلثـــوم



محمد عبد الوهاب

صرح الموسيقى الأوربية ، ولايكون بينهما ـ مع ذلك ـ عداء ولا شحناء ، ولكن أخذ وعطاء ، بدون أن نهيل التراب على موسيقانا ونرفع راية الموسيقى الأجنبية خفاقة فوق الرءوس ! ...

## ● لغة الوجدان العربي

هذه مهمة صعبة ، لكنها واجبة ، لأن الموسيقى العربية لغة الوجدان العربي ، فلا يستطاع ولا يصح نبذها ثم التطفل على لغة الوجدان الأجنبي ! ... وما أشبه حالها هنا بحال اللغة العربية التي تجتاز الآن اتعس أوقاتها ، ولكن أحدا من العقلاء لايمكن أن يتصور طرد اللغة العربية من بلادها واحلال لغة أوربية مكانها بدعوى صعوبة النحو والصرف والاملاء ، واستغلاق علم العروض وعلم القافية على الأفهام ، وتعذر التعامل مع كتب الخليل بن أحمد وسيبويه والمبرد وثعلب والزجاج وابن دريد وأمثالهم ! .

إن الموسيقى العربية البحتة ، وألوان الغناء العربي ، تحتاج إلى عمل كثير ، أساسه الاخلاص والغيرة ، وهما لايوجدان إلا في أهل هذا الفن العربي المحبين له ، الحريصين على بقائه ونمائه ...

وعلى ذكر محبي الغناء العربي والموسيقى العربية من الموسيقيين العلماء الموهوبين ، أقول إنني سمعت أخيرا عند بعض الأصدقاء جزءا من تسجيل اوبرا دون جوان ، موسيقى موزار ، ... وكانت احدى الفرق

الايطالية قد عرضتها فى دار أوبرا القاهرة القديمة قبل احتراقها ...

استرعى انتباهى صوت المطرب الايطالى الذى يغنى فى دور « دون جوان » مقطعاً أوبراليا على عزف ماندولين منفرد .وهذه القطعة الغنائية بالماندولين ، انفردت بها هذه الاوبرا الموزارية .. وقد ادهشنى أن الماندولين ـ وهو يستخدم فى الأغانى العربية أيضا ـ يمضى مع مطرب الاوبرا ، وترتفع نبضات اوتاره مع « زعقات » الصوت « الباريتون » اللامع .. كما ترتفع هذه النبضات مع صوت شجى الأداء من الأصوات العربية ...

وأنا لست من هواة الأصوات الأوبرالية .. وأعرف كيف يدربونها ويتخذونها بديلا للأصوات الطبيعية التى لايستقيم الغناء العربى إلا بها ، ويشدونها بطريقة غير انسانية حتى يصبح المغنى كانه « أسد » يزار فى غابة ، وتصبح المغنية كانها « أسدة » تجاوب قرينها الأسد بمثل زئيره ، أو أشد منه ! .

### ● احترام الآلة المنفردة

ومع ذلك استمتعت بهذه القطعة الأوبرالية مع الماندولين المنفرد .. وقلت لنفسى : ها نحن أولاء أخيرا نرى الآلة « المنفردة » المضطهدة من بعض نقادنا الموسيقيين ، تعمل بكل طلاقة وطلاوة فى اوبرا من تأليف الموسيقار موزار ، لا من تأليف الموسيقار حسب الله عميد « الآلاتية » فى شارع محمد على بالقاهرة قديما .

ويا طالما نظر الجهابذة عندنا شزرا الى الآلة المنفردة واعتبروها رجسا من عمل الشيطان لأنها فى رأيهم رمز للألحان العربية « الميلودية » ذات الصوت الواحد الذى لم يرتفع بعد إلى عالم الهارمونى والكونتربوينت وتعدد الأصوات والتأليف البوليفونى ...

صحيح ان عزف الماندولين فى اوبرا موزار مع مطرب باريتون ، يختلف عن عزف القانون المنفرد مثلا وراء مطرب كصالح عبدالحى ـ رحمه الله ـ ولكن الاختلاف هنا لايحجب مغزى الدور الفنى للآلة المنفردة ، وأهمية وجوده حتى فى اكثر ألوان الموسيقى تركيبا ، وناهيك بموسيقى موزار تركيبا وتعقيدا .

إن القانون والناى والكمان العربى والعود والبزق وآلات الايقاع العربى ، لايمكن طردها من اية موسيقى عربية متطورة ، ولايمكن طرد الموال الأحمر والموال الأخضر والدور والموشح والطقطوقة من أى غناء مسرحى عربى ، بل ينبغى أن تصعد جميع هذه الفنون والآلات فوق خشبة المسرح .

كل ماهنالك انه يجب وضع كل اولئك فى مواضع صحيحة جديدة من فن الموسيقى وفن الغناء عند تطويرهما ورفعهما الى مستوى العزف الأوركسترالى ، والغناء الأوبرالى .. إلى آخر مايعرفه سادتنا الموسيقيون من قريب ولا نعرفه إلا من بعيد .



رياض السنباطى



محمد القصبجى

ويقتضى ذلك أن تتطور الموسيقى العربية والغناء العربى فى طريق مستقل ، فيكون لها صرح ، وللموسيقى الأوربية صرح ، ويكون منا نحن العرب أمير فى دولة هذا الفن ، ومن الأوربيين أمير .. فلا يستبدون بنا ولانستبد بهم ، ولا يلغون فننا ، ولانلغى فنهم ! ..

● قضية الغناء والموسيقى

ثمة مشكلات فنية وعلمية « وتشريحية » تتحكم فى قضية الغناء والموسيقى ، وتصنع الفروق الأساسية بين لون من الغناء ولون آخر .. ولكن هذا كله لايعنى انقطاع كل صلة بين الغناء العربى وألوان الغناء الأوربية ومنها الغناء الأوبرالى ، بل هو على رأسها ، وإن أوشك أن يصبح غناء متحفيا عند كثير من الأوربيين ، وعند الأكثرين من الأمريكيين ..

ومن الممكن الوقوف فى بعض الألوان الغنائية فوق أرض مشتركة بين غنائنا وغنائهم ، وبخاصة الغناء الكلاسيكى العربى الدينى الذى نسميه غناء المنشدين ، فانه يلتقى فى بعض مواضعه الصوتية والفنية مع الغناء الأوبرالى ، مع أن الأوبرا الغنائية هى بنت شرعية للتراتيل الكنسية الكاثوليكية الأوربية القديمة ذات التاريخ المعروف ، وقد تحدثنا عن ذلك فى مقالة سابقة بالهلال ، فنجتزىء بها عن الاستطراد فى هذا الاتجاه ..

هذا معناه انه لاضرر من تمرين الأصوات العربية على الغناء العربى المتقن - الكلاسيكى - وعلى الغناء غير العربى أيضا كغناء الأوبرا ، ولاخوف من تشويه الأصوات العربية الطبيعية المشدودة على النطق العربى الفصيح كما ورد فى القراءات القرآنية السبع أو العشر ، ولكن الانحراف عن الأصول الصحيحة فى التدريب يشوه الأصوات العربية تشويها يؤذى اسماع العرب ... وأسماع العجم ! ...

والصوت الجميل القوى يصبح أجمل وأقوى إذا تم تدريبه على أصول الغناء العربى المتقن والغناء الأوربى الكلاسيكى بلا خلط بينهما ولا تضارب ... ويمكن أن يقال ان أم كلثوم تلقت جانبا من التدريب على الغناء الأوربى

**الكلاسيكي باشراف الملحن الكبير المرحوم محمد القصبجي ، كما تلقى محمد عبدالوهاب في شبابه الأول - خلال العشرينيات - تدريبا من هذا القبيل على أيدى موسيقيين اوربيين في القاهرة .**

● هز الغناء العربي

ولكن هذا التدريب لم يخلط الماء العذب الفرات بالماء الملح الأجاج ، فلا أم كلثوم ولا عبدالوهاب أصبح أحدهما مطربا « فرانكو آراب » ... بل حافظ كلاهما على عربية لسانه وغنائه طوال حياته ، ولم يعرف أحدهما في أى يوم كيف يغنى بصوت مستعار كما يفعل الأوبراليون ، لأن الصوت العربي اذا بلغ الغاية في التدريب ، يصبح أقدر على التحليق في أجواز الدرجات الصوتية العليا من الأصوات الأوبرالية المستعارة ... وكذلك كانت أم كلثوم كما نذكرها جميعا في ألحان السنباطي وزكريا أحمد والشيخ أبي العلاء .

ولو عاشت أم كلثوم لما غنت على مسرح الأوبرا الذى يبنيه لنا اليابانيون الا أغانيها العربية ، كما غنتها قديما على مسرح الأوبرا الذى بناه لنا الخديو اسماعيل ثم أحرقه القضاء والقدر سنة ١٩٧١ بعود من الكبريت ! ...

الا أن العشرات من خريجات وخريجي أقسام الأصوات في كلية التربية الموسيقية والكونسرفاتوار ، سوف يشقون طريقهم الى مسرح الأوبرا الياباني في أرض الجزيرة ، فقد امتلأت بلادنا بدارسي ودارسات فن الأوبرا ... ومن حسن الحظ أنهم يدرسون معه الغناء العربي دراسة وافية ، حتى ليقال ان من بين مغنيات الأوبرا الجديدات عددا لايستهان به ممن يستطعن أداء الألحان العربية أداء صحيحا ، مطربا ، ولكن هذا الطريق ليس ممهدا ولا سهلا ، وهو ملىء بالأشواك لا بالأزهار والرياحين .

ومهما تكن الأحوال اليوم أو غدا ، فانه ينبغي هز الغناء العربي بعد رحيل أم كلثوم وصمت عبدالوهاب هزا عنيفا ، فلابد لنا من غناء وموسيقى ينحسم معهما التطفل الذى طال أمده على مائدة الموسيقى الأوربية في مجال الموسيقى البحتة بوجه خاص ...

وسيبقى فننا بغنائه وموسيقاه ... عربي الوجه واليد واللسان ، وسيتاح له أن يتطور الى جانب الموسيقى الأوربية ، مستقلا عنها ، قائما الى جوارها قيام الند لا قيام التابع في ظل المتبوع ، أو قيام التابع تعظيما للمتبوع ...

وآخر القول وأوله ، أن الموسيقى العربية والغناء العربي هما بنت اللغة العربية وابنها ، ولا يمكن اسدال الستار عليهما ، الا بعد اسداله على اللغة العربية ! ... أى على الأمة العربية ذاتها ، بقضها وقضيضها ، من المحيط الى الخليج ، وأرجو الا يكون ذلك ممكنا ، فان كان ممكنا فأرجو الا يحدث في حياتنا ، وأن يتركنا نموت عربا كما عشنا عربا طوال هذه الحياة الصعبة الجهمة التي نحمد الله على مكروهها ، ولايحمد على مكروه سواه ! ....

# لغويات

● نسمع بعضهم يقول « المنصة » بفتح الميم ، يقصد المكان العالى او الكرسى الذى يجلس عليه الرجل ، والصواب كسر الميم ، لأن المنصة بفتح الميم هى الحجلة التى تعد للعروس ..

● احد مذيعى كرة القدم يذكر قدامى اللاعبين دائما فيقول«القدامى» بفتح القاف ، وهو خطأ ، والصواب ضمها .. وهناك كلمتان صحيحتان اخريان هما : القدماء ، والقدائم ..

● يقال للمغضوب عليه : اذهب .. الى حيث القت رحلها ام قشعم!. وام قشعم هى ناقة لرجل عربى قديم نفرت فالقت رحلها فى النار التى يستدفىء عليها القوم ، فسارت مثلا .. ويقابلها عند الافرنج قولهم : اذهب الى الجحيم ! ..

● يقال فى الامثال : ويل للشجى من الخلى !.. والشجى هو الحزين ، والخلى هو الخالى من الحزن والهم ، يحاول أن يشرك الشجى معه فى فرحه ومرحه ، ولا يبالى أن « الشجى » حزين مهموم !..

● « التى » ... تصغيرها « اللتيا » بفتح التاء وتشديد الياء ،وكان اعرابى قد تزوج امراة طويلة فسماها « التى » واكتفى بهذه اللفظة،فساءت اليه فطلقها وتزوج امراة قصيرة فسماها « اللتيا » تصغيرا لها بسبب قصرها فنالته بالسوء ايضا ، فطلقها وعزم الا يتزوج بعد هاتين المرأتين ، وقال : « بعد التى واللتيا لا اتزوج ابدا » .. فذهبت مثلا ! ..

● اذا كتب احد الادباء : « لا غرو من كذا » فمعناها : لا عجب من كذا » .. ومثلها : « لا غروى » ! .. ولكن الادباء لا يستعملون الآن هذه اللفظة الأخيرة .. ومن الفعل « غرا .. غروا » جاءت كلمة « غراء »وهى المادة اللاصقة المعروفة ، ولفظها عربى صحيح ، ويظنها بعضهم عامية!..

# وتريات إنجي

بقلم : كامل زهيري

**المثلث الذهبى للرسامات المصريات الثلاث تحية حليم وانجي افلاطون وجاذبية سرى يكتشف مصر .. بعيون نسائية . وجاذبية سرى اقرب فى لوحاتها للموسيقى النحاسية . فالوانها رنانة . واغلبها فصيح وصريح وصارخ . وتحية حليم بين الثلاثة هى عازفة الناى الشجى الحنون ، وهى فى لوحاتها قمة الحنان والشجن .**

**اما انجي افلاطون فهى اقرب الى الموسيقى الوترية .. اى عائلة الكمان والفيولا والفيولانسيل .**

**أن الحان الكمان العذب والمعذب تعلو من لوحاتها .. !**



● مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، وقبل الثورة ، وصلت نهاية طريق مسدود . وبين الحرب والثورة كانت حرب فلسطين . وهزيمة ٤٨ . وبين وباء الكوليرا وحريق القاهرة كان عصيان الفلاحين ومظاهرات الطلبة .

وهكذا عرفت مصر الحرب والثورة ، والكوليرا والحريق ، والعصيان والمظاهرات وكان كل شىء يؤذن بالانهيار والانقطاع .

وظهرت خلال الحرب وبعدها مباشرة دعوة السورياليين . واستلهمت جماعة «الفن والحرية» اسمها وعقدت القران بين الحرية والفن استلهاما لبيان الشاعر الفرنسى "اندريه بريتون" مؤسس السوريالية فى فرنسا و "ليون تروتسكى" صاحب فكرة "الثورة الدائمة" . واطلقت الجماعة على نفسها اسم "المستقلين" . واصبحت لها مجلة اسمها "التطور" اقترضتها من سلامة موسي . ومجلة اسمها "دون كيشوت" بالفرنسية . واعتزت بالماركسية تفسر لها المجتمع . والفرويدية تفسر لها الانسان . وشنت حربا هوجاء على الاكاديمية . واتهمت

الاكاديميين انهم سجناء الاكاديميات . ورفعت ستار البحث فى المجهول ، والبعد عن المألوف ، واعادة الاعتبار للخيال ، واستلهام اللاوعى والصدفة والتلقائية ، واعتبرت الفن - كما قال رائدها الشاعر جورج حنين - مخزنا للبارود « لان الفن لا يمكن ان يكون عاطفيا » . فهو ضد النظام القائم ، وضد الطبقة الحاكمة . وضد الخنوع ، وضد الركوع البوذى" .

واذا كانت هذه الحركة قد عجزت فى النهاية عن تغيير مصر كما اطلقت احلامها . أو تبجحت فى عناد ، وحدثت احداث سياسية واجتماعية ابتلعت اهدافها ، وسحبت الارض من تحت اقدامها . فقد نجح السورياليون فى تغيير انفسهم على الاقل . وانضم اليهم عشرات من الفنانين المصريين والمتمصرين والاجانب . وكان بعضهم على موهبة فذة . والتحقت اسماء ، واختفت اسماء ، ومنها فؤاد كامل وابو خليل لطفى وراتب صديق وعايدة شحاته ( وبعدها حسن التلمسانى وسمير رافع ) وغيرهم . لكن المثلث الذهبى « لهذه الحركة كان بلا شك يتكون من جورج حنين الشاعر ، وكامل التلمسانى الرسام والسينمائى فيما بعد ورمسيس يونان الرسام والكاتب .

وكان الشاعر أغزرهم ثقافة . وكان المحرض . وأيضا الجسر الذى يصل جماعتى القاهرة وباريس . فقد كان يكتب بالفرنسية . وكان صديقا لاندريه جيد وهنرى ميشو وايف بونفوا - وكان الشاعر بريتون يكاتبه صائحا : « كم أحتاج اليك » . على الرغم من أن الحركة السوريالية امتدت من فرنسا لالمانيا الى اسبانيا والمكسيك . وكان فيها من الرسامين والشعراء النابهين سوبو واندريه ماسون وماكس ارنيست وبيكاسو وايلوار واراجون قبل انشقاقهما .

وكان اعقل الثلاثة واكثرهم صمتا هو رمسيس يونان ، وكان صمته يستمر اياما بقربه من البوذية التى كان كتمانها يخفى عنفاً شاعرياً هائلاً . وكان يملك ناصيتين هما الكتابة والرسم . ولكن أعنفهم واكثرهم صخباً واغناهم تجربة كان كامل التلمسانى .

ولا اظن ان احداً يمكن ان يرى الرسام التلمسانى مرة واحدة ويستطيع نسيانه . فقد كان سريع الملل ، عاطفياً مشحونا بالقلق جياشاً . وكان صوته عريضاً اجشاً وفكه يعبر عن فحولة . وحاجباه ثقيلان متقاربان . وشاربه كث كثيف . ولا يحمل تحته فماً . بل فوهة . تظنها فوهة مدفع او فوهة بركان .

وتميز الثلاثة - حنين والتلمسانى ويونان - بانهم متعددو الموهبة يؤمنون بوحدة الفنون . وبالعلاقة بين الصوت واللون ، وبين الكلمة والخطوط ، وهو التقليد الذى ارساه الشاعر بودلير والكاتب زولا مع الرسام مانيه ، وتأكد فى العلاقة الحميمة بين أدباء وفنانى وشعراء السوريالية من بودلير وميشو وسوبو ودالى وارنيست وليجيه .

## التعبير بخطوط جديدة

وقد وصلت انجى افلاطون مبكرا ، وهى فى السابعة عشرة ، وعبرت جماعة الفن والحرية . واكتشفت هواية الرسم مبكرا ، وكان والدها استاذ العلوم يطلب منها نقل صور الحشرات الملونة ، وعمدت

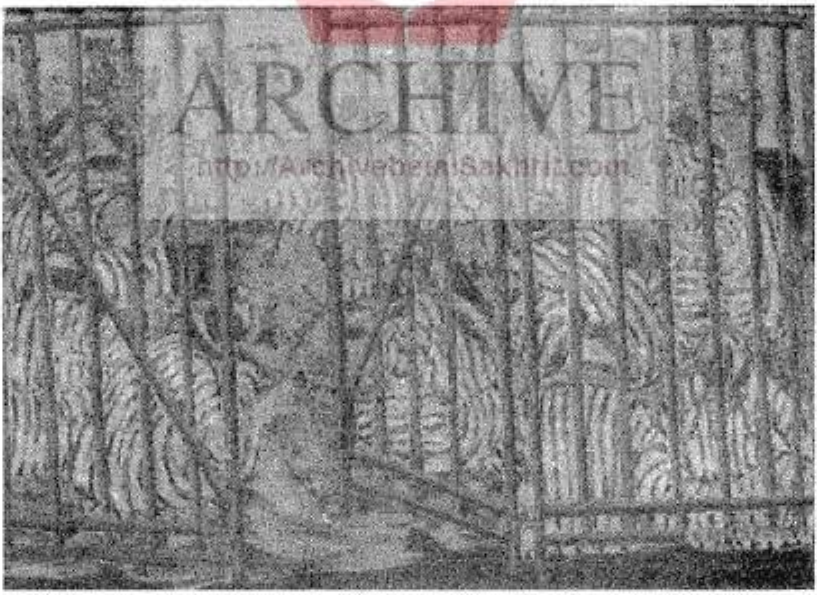
# وتريات إنجي

لنقل صور البطاقات البريدية ، ثم ذهبت - وكانت تسكن وسط القاهرة الافرنجية أو الرومية على تعبير الجبرتي - في شارع شمبليون لمراسم الفنانين وأغلبهم من الفرنسيين والطليان . ولكنها تمردت على تعليمهم او لم تسترح بخيالها الجامح وعصيانها المبكر لدروس هؤلاء . وكانت خالتها متزوجة من رسام كبير هو أحمد راسم . وكانت المتذوقة لوسيين فاركاش المثقفة من مرتادي المعارض وتعرفت على معارض الفن والحرية ، وكانت لوسيين صديقة الطفولة والصبا لوالدة انجي وخالتها ، فنصحت بأن يقوم كامل التلمساني بتدريس الرسم للصغيرة التي ترفض الرسم الأكاديمي .

وقد ظن كامل التلمساني أن تلميذته تعتبر تعلم الرسم نوعا من الثقافة النسوية الجميلة ، مثل تعلم البيانو أو اتقان البرودريه . وكانت المفاجأة انه وجدها تعبر في رسومها عن عالمها الداخلي بخطوط جديدة وشحنة نفسية هائلة .

وتذكر انجي أفلاطون هذه الأيام ، انها كانت في مدرسة داخلية تتعلم الفرنسية ، ولاتدرس التاريخ العربي ، والمدرسة الداخلية النسائية لها أسوار عالية ومن ورائها اشراف حديدي . ولم تكن الصغيرة تجد متنفساً من هذا الجو الا في الخيال التاريخي ، اثناء دروس التاريخ ، وتاريخ

من وراء القضبان



الثورة الفرنسية بالذات ، فقد كان الفصل ينقسم الى فريقين كما انقسمت فرنسا . وكانت انجى افلاطون تختار جانب اليعاقبة والجبليين اى المتطرفين الذين تصارعوا مع الجيروند سكان السفوح !

ولأن ثقافة كامل التلمسانى كانت غنية ، تحطمت فيها الحدود بين المسرح والأدب ، وبين الرسم والنحت ، فكان ينتقل بها - فى فرنسية غنية من القراءة وركيكة فى النطق - بين عصور الفن العديدة ، وكان أعظم ماقدمه الأستاذ لتلميذته انه لم يلقنها ، ولم يفرض عليها مدرسته ، بل ولم يعرض عليها رسومه خشية التأثير عليها ، وتركها للتعبير عن نفسها كما تحس ويتراءى لها .

وقد تراءت لها فى هذه المرحلة المبكرة صور تشبه الأحلام العنيفة ، فرسمت صورتين شهيرتين منها « الفتاة والوحش » ، لفتاة تخرج من وسط اللهب ، واشجار تشبه الثعابين المحنطة ، وطيور خيالية جارحة تنقض من السماء .

وعرضت انجى افلاطون - صغرى اعضاء جماعة الفن والحرية - عام ١٩٤٢ فى المعرض الجماعى للرسامين ، وكان بينهم رائد آخر يشق عصا العصيان على التعاليم الاكاديمية ويبحث عن التعبير الصادق والحر عن مشاعره وهو محمود سعيد .

ولقيت يوما انجى افلاطون ترحيبا من شاعر كبير مثل جورج حنين - وهى لازالت فى السابعة عشرة - حتى انه يكتب عنها فى جريدة الأسبوع المصرى بالفرنسية عام ١٩٤٢ : •

- « إن مفاجأة المعرض .. هذه الفنانة الشابة - معرض فنانى مصر المستقلين - وهى تستثمر الامكانات المحدودة نسبيا المتاحة لها بذكاء نادر ، فانها تقطع كثافة وتداخل غصون اشجارها بمساحات معبرة شفافة لإراحة نظر المشاهد ، وهى تحدد بمهارة بؤرة لوحاتها متمثلة تارة فى منطقة اضاءة ، تنبعث من تحت الورق ، وتارة أخرى فى طائر احلام يتحدى سكون الفضاء ، وحوله باتقان كل عناصر عالمها الخيالى » .

وهكذا كان جواز سفرها الأول للالتحاق بجماعة الفن والحرية هو الخيال ، وكان درسها الأول هو الاستقلال عن الرسم الاكاديمى الذى ينقل العالم الخارجى كما هو ، أو يقلد الطبيعة .

وقد ظلت انجى افلاطون تستفيد من هذا الدرس الأول مستعينة بخيالها فى رحلة طويلة طالت أكثر من أربعين عاما .

★★★

على أنه من الانصاف لهذه الجماعة أن تؤكد أنها لم تعلن عصيانها على الرسم الاكاديمى رغبة فى اشعال النيران فى الماضى تماما ، لأننا نجد كامل التلمسانى يهاجم الجيلين الأول والثانى ، من الفنانين المصريين الذين سافروا ليتلقوا الفن فى أوربا ، وقفوا - على حد تعبيره - موقف الضعيف المحتقر أمام القوى السيد ، فأخذوا ينقلون من السيد صورة ويقلدونها ، فوقع فى ذلك النسخ وهو أن التقليد سجين « للمتاحف وحبيس فى الاكاديميات » . ويقول التلمسانى أنه يستثنى من هؤلاء « العبيد » راغب عياد ومختار ومحمود سعيد .

• ويكشف رأيه فى محمود سعيد عن رؤيته فيقول :

- أن محمود سعيد - من رجال المدرسة

# وتريات إنجي

وهكذا حافظت انجى افلاطون منذ الدروس الاولى على يد كامل التلمسانى على فكرة الاستقلال الفنى ، والحفاظ على ثروة الخيال المتمرد والمتدفق ، ولكنها لم تبعد طويلا فى هذه الحركة ، كما ان الحركة نفسها استمرت لمعرضين اخرين ، حتى المعرض الخامس ، ثم تعثرت بسفر البعض للخارج ، وكان اخر معارضها هو معرض فؤاد كامل ١٩٥٩ ، وظلت انجى قرابة عامين من العشرين عاما التى امتد فيها عمر حركة الفن والحرية ، لأن انجى افلاطون سرعان ما انقطعت عن الرسم وانخرطت فيما هو اكبر واخطر ، نعنى بذلك الحركة السياسية اليسارية والحركة النسائية المصرية ..

القديمة ـ إلا أنه الوحيد الذى استطاع أن يعبر عن داخلية نفسه ، بطريقة بها الكثير من الاحساس الصادق العميق والشعور المرهف والتأمل الدقيق فى عالم قلبه ووجدانه ، وهو الوحيد الذى نجح لدرجة ما فى خلق الجو الشعرى فى صوره .. الجو الذى يتخلله نسيج من العتمة والظلام ، حاك الخطوط فى الوانه صاغها حسه من عواطفه التى وجدت فى اللون والصورة» .

## ● استرداد المصرية

وكان ذلك فرصة هائلة لتعرف نفسها وتكشف عيوبها واخطرها انها تجيد الفرنسية ، وترتبك بالعربية ، وانها لا تعرف عن المجتمع المصرى شيئا كثيرا ، وانخرطت بما تسميه استرداد المصرية او التمصير ، وكشف لها العمل مع الاخرين انها لم تكن فقط سجينة الطبقة ، بل سجينة المدرسة الداخلية ، بل قادها التمرد من سجن المدرسة وسجن الطبقة الى السجن فقط .

واى تفسير للعلاقة بين الرسامة والطبيعة لابد ان يدخل فى اعتباره تكرار السجن فى حياتها ، بالمعنى المادى والطبقى والروحى ، واللغوى ايضا ، حتى اصبح الفن عندها هو انعتاق مستمر ، واصبحت الطبيعة شيئا اخر غير ما تراه من الاشجار والاغصان ، او المناظر الطبيعية .

ان خمسة اعوام فى الضيق تلد الشوق للرحابة ، وقد تدربت انجى على رسم شجرة قائمة امامها فى سنواتها الخمس .

ان قفل الابواب مع الغروب والصحو مع الفجر يعيد ارتباط السجينة بالضوء والطبيعة ، ويفرض عليها اكتشاف الضوء الساطع والضوء الساخن والضوء الذابل . والخروج من السجن الى الرحابة ، ومن الضيق الى النسيم ، هو نفسه خروج من العتمة الى الضوء .

وقد كانت حياة انجى افلاطون متميزة فريدة ، ولعلها من الرسامات القليلات فى العالم اللائى جربن تجربة السجن السياسى وتجربة العمل الاجتماعى ، وتجربة الخروج من العتمة الى الضوء . ونستطيع ان نزعم ان تجربة السجن الاخيرة ـ عام ٥٩ لم تكن سوى تكرار لسجون اخرى فى سجن الطبقة وسجن المدرسة . ولهذا اصبح الخلاء حرية ، ولم



عنبر المعتقلات ۱۹٦۰

القتاة والوحش سنة ١٩٤٢



# وتريات إنجي

يعد الفضاء فراغا بل اصبح انعتاقا . وبقدر ما نضجت انجى افلاطون داخليا ، اتسعت نظرتها للعالم الخارجى ، ولم يعد المنظور الخارجى منظورا اليه من الخارج ، ولم يعد الضوء يسقط على الاشياء ، بل اصبح الضوء داخليا ينبع ايضا من المنظور .

## الاقتراب من الحوشية

ولوحات انجى افلاطون ليست سوى لوحات نفسية ، لانها اصبحت ترتب الأشجار والغصون وحركة الفلاحين او العمال او السجينات ، ترتيبا تفرضه رؤيتها الداخلية . ومن هنا كان التبسيط والتحوير وحرصها على الالوان المضيئة .

فالالوان عند انجى افلاطون مشبعة ، وظلالها مضيئة ، لان اللون ـ وهنا تقترب انجى من الحوشية والوحشية ـ لترسم لوحات مشمسة تسطع منها الشمس . وهى لوحات مشرقية تسطع فيها الشمس ، لان الشمس لا تسطع من الشرق الجغرافى ، بل تسطع من اللون واللوحة .

والشمس فى مصر تشعل اللون كما ان الليل يطفئها . ومصر فيها الشمس ساطعة ، والنور من كل الزوايا والجوانب ، وهو يسقط فوق الشيماء ، وينبع منها ، انه يتخلل كل شىء .

ومن هنا كان ابتكارها لتقطيع الخطوط . وكما ابتكر بعض الوحشيين التنقيط ـ وقد حاولت انجى اثناء السجن استخدام التنقيط فى رسم صديقتها الشجرة ـ ابتكرت انجى افلاطون او اطاعت ما بداخلها فاخرجت فى لوحاتها طريقة جديدة وخاصة متميزة فى رسم الخطوط ، وهو التقطيع . ويؤدى تقطيع الخطوط الى خدعة بصرية .

وكما كان التأثيريون يستخدمون الالوان ـ الاصلية والمكملة ، لكى تستنتج العين اللون الساكت المكتمل ، فان انجى افلاطون استخدمت تقطيع الخط ، لتقوم العين بالتحرك ما بين الخطوط المتقطعة المتقاربة .

ان خطوط انجى افلاطون تشبه حبات السبحة او ثقوب المشربية لكن تتابع الخطوط ، والخبطات اللونية ، وضربات الفرشاة فى خط متقطع متواصل غير متصل يدلى دائما بالحركة ، تماما لحركة الموج الهادىء فوق سطح الماء .

وهكذا انتقلت انجى افلاطون من عالم الخيال المتمرد ، ومن انتقام الشجرة ( ١٩٤٢ ) والفتاة والوحش ( ١٩٤١ ) ومن الطائر الاسطورى والنسور الجارحة والغربان الناعقة والمناظر المأساوية المؤلمة والنباتات المتشابكة كالادغال ، ومن هذه القتامة والعتمة الى اللون كلغة مستقلة . ولم يعد اللون تابعا ، ولكنه يعبر تعبيرا مستقلا . وهى تقدم لنا بذلك عالمها الخاص ، لان اللوحات تقدم الطبيعة ، ولكنها لوحات نفسية ايضا ، تقدم المعادل للضوء ، وهو اللون النقى ، ولهذا ملأت لوحتها عن اخرها ، لان اللون هنا ممزوج بالخيال ، واللون لا يصبح مجرد صباغة بل لونا مشعا فى ذاته

وكما يقول احد الوحشيين ، جوستاف مورو : اننى لا اومن بما ارى ، ولا بما

المس ، ولكن بما احسه داخليا . فاننا نجد انجى افلاطون تقدم الطبيعة كما تحسها ، وهى اقرب الان للمدرسة الوحشية التى قدمت الجديد وقمتها ماتيس الذى لعب الضوء المشرقى عنده دورا كبيرا ومتفجرا ، وعند مورو وماركن ومانجان وديران ودونى ويراك وغيرهم .

وقد تكون انجى افلاطون اكثر اعتدالا ، او اقل جراة من غلاة الوحشيين الذين امنوا بحرية اللون او بما يسمونه اللون النقى ، بان تصبح الاشجار - فى اللوحة - بنفسجية ، والارض حمراء - والبيوت خضراء ، كما قال ماتيس .

ان اللون عند انجى افلاطون يمتزج بالخيال ، وبغير الخيال يصبح اللون صباغة . وهو لون مشع بالضوء . وكان لوحتها المضيئة اصلا - بالفراغات البيضاء - تضيف اليها الوانا واضواء مشعة .

● قضية المنظور

وكما تطرح انجى افلاطون فى رسومها قضية الحركة ، ومعالجتها بالتقطيع ، فهى ايضا تطرح قضية الضوء المشرقى وهى قضية لا تقتصر على رسامى البحر الابيض ، ولم تبدأ منذ زيارة ديلاكروا للجزائر ، او اقامة بول كلى فى المغرب العربى ومصر ، او ماتيس فى جنوب فرنسا وجنوب البحر الابيض ، لانها قضية تشغل عيون كل رسامى المشرق من اليابان والصين وفارس والهند ايضا . وهى تثير قضية المنظور عند رسامى النهضة ، لان النور يسقط على الاشياء من الخارج ويؤدى الى الظل ، بينما رسام الشرق يوجد وسط النور ، حيث تتعدد مصادره من خلفه وامامه ، وفوقه وتحته ، وبذلك تبهت الظلال ، وتشع الالوان ، وتختفى المقدمة فى اللوحة والمؤخرة ، وقد خطت انجى افلاطون خطوات حثيثة نحو الغاء البعد الثالث فى لوحاتها ، لان الانتقال يكون باللون ، والتقديم والتأخير ليست بينهما مسافة بصرية بل مسافة نفسية . ومن هنا كانت لوحاتها -كما قلنا لوحات نفسية - وان كان اغلبها من الطبيعة المصرية ، واعتمدت كثيرا على موسيقية التوافق والتناغم وإنشاء العلاقات بين غصون الشجر وأذرع البشر والحركة المتوافقة بين النبات والمخلوقات ، وبين الارض والافق .

ولعل ما يشبع عينيها هو تلك الخصوبة المصرية العجيبة . لان السماء فى مصر مليئة بالطيور ؟ والارض مزدانة بالخضرة المزدحمة غير المنمقة والجو خصب . يئز بالحركة التى تظهر فى الحصاد والجمع والزرع والحرث والغرس والرى والنقل والتقاط الثمار .

وقد شغفت الرسامة بهذه الحركة التى تملؤها بالحرية ، واستطاعت كما تقول بضربة الفرشاة ، واتجاهاتها الصريحة والوانها النقية ان تعبر عن الحركة حولها وامامها وداخلها .

واذا كانت قد استفادت من حركة الفن والحرية بدرس الاستقلال الروحى ووحدة الفنون ، فقد شغفت بالتنقل بين ربوع مصر ، خارج القاهرة الى المنيا وبنى حسن و "ابو قرقاص" ، وقرية نجاة ، ودير "ابو قرقاص" ، وجراجوس على بعد ساعة من الاقصر ، والاقصر فى البر الشرقى ، واسوان والجزر النوبية و سيناء والعريش وجنوب سيناء والواحات وسيوه ، وكانت رحلتها فى ربوع مصر الضوئية



صورة ذاتية للفنانة
انجى افلاطون سنة ١٩٥٨

الترحيل الى
الواحات ١٩٥٨.





واللونية غذاء لعينها وروحها ، فاكملت لنا رؤية مصر بعيون نسائية كما فعلت زميلتها تحية حليم وجاذبية سرى .

وكانت انجى متميزة فى تجربتها للخروج من سجن الطبقة ودخول سجن المرأة ، والخروج من سجن القناطر الى الطبيعة . واستطاعت ان تحافظ على الدرس الاول وهو الاستقلال ، فلم تسقط فى الزخرفية ، وان نبغت فى التنسيق والموسيقى بين الخطوط والالوان . ولم تسقط فى الواقعية الاشتراكية الدعائية - حتى فى عام ٥٦ او انتماء رسمها للفدائيين وعروس الجنوب سناء المحيدلى .

قادها الاستقلال والعصيان الى التمرد والثورة ، ثم دخلت اخيرا مرحلة النقاء اللونى والصفاء النفسى لانها كابدت خلال رحلة طويلة حب مصر واستطاعت ان تخرج من عذابها عذوبة نسائية خاصة ، جعلت لوحاتها اشبه الى الوتريات التى تحس منها ان صوت الكمان العذب - او المعذب يعلو من انحائها .

# الدراسة العلمية لبيئة حفرة المركب الثانية للملك خوفو

بقلم: د. فاروق الباز

د. فاروق الباز عالم الفضاء المصرى ، ومدير ابحاث الفضاء بجامعة بوسطن ، يعد من ابرز العلماء المشتغلين بابحاث الفضاء فى العالم ، حيث شغل منصب نائب الرئيس للعلم والتكنولوجيا فى مؤسسة آتيك ، كما عمل فى معامل بلل بمدينة واشنطون كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

قام بالاشراف على اهم كشف علمى داخل الحفرة الموجودة جنوب الهرم الاكبر ، واحضر ادق الاجهزة العلمية والمتقدمة فى العالم ، وطوال الفترة الاخيرة عكف على التوصل لحدث علمى كبير ، هو اكتشاف مركب جديد داخل هذه الحفرة .

د. الباز يكتب للهلال عن تجربته المثيرة التى سوف تغير مفاهيم جديدة فى البحث عن الآثار وطبقها فى مصر ام الحضارات فى الدنيا .

**منذ اكثر من عامين سؤلت من قبـــل هيئة الآثار المصرية عن امكانية دراسة بيئة الحفرة الثانية جنـــوب الهرم الاكبـــر والتى اكتشفت مع الاولى فى عام ١٩٥٤ أثناءازالة أتربة كانت قد تكدست على السطح الجنوبى للهرم .. ومنذ ذلك الوقت عـكفت عـلى اعداد ما يلزم لمثل هـــذا العمـــل الدقيق مع ضرورة عدم المساس بمحتويات الحفرة أو بيئتها بـــأى شكل .**

وفى بادىء الامر تشكلت لجنة علمية من علماء متخصصين فى فروع العـــلم المختلفة بالولايات المتحـــدة الامريكية للنظر فى المراحل المختلفة وعرضها على اللجنة الدائمة للآثار ولجانها العلميـــة المتخصصة فى هيئة الآثار المصريةوالتى تشمل العديد من الخبراء المصريين من الجامعات ومراكز البحوث المختلفة . وخطوة بخطوة تم اعداد الخطة البحثية وبدأت التجارب على معدات البحثوالتى أعدتلهذه المراحل :

**اولا** : الحفر فى احدى الكتل الغطية للحفرة المكونة من حجر طره الجيرى بعمق حوالى مترين أو أقل دون استخدام هواء مضغوط .

**ثانيا** : فصل الحفار وكل المعـــدات البحثية عن الهواء الخارجى حتى لا يتم أى تلوث للهواء الموجود داخل الغـــرفة ( اذا كانت محكمة الاغـــلاق كما كـــان محتملا ) .

**ثالثا** : أخذ عينات من الهواء بداخل الغرفة لتحليلها . اذا ماكانت الحفرة مغلقة تماما تكون عينـــات الهواء هـــذه هامة من الناحية العلمية لانها تدلنـــا على تركيب الغلاف الجوى للارض كما كان فى عهد القدماء المصريين أى قبـــل تغييره فى عصر الصناعة واحـــتراق كميات هائلة من الوقود التى نتج عنها زيادة فى نسبة ثانى أكسيد الكربون .

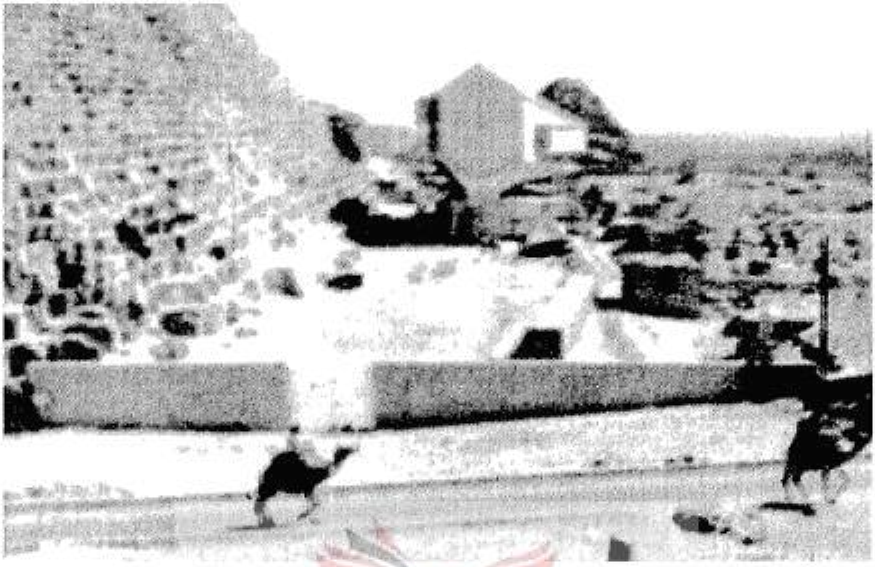
**رابعا** : تصوير مكونات الحفـــرة ومحتوياتها دون استخدام ضوء يزيد من درجة الحرارة بداخل الحفرة .

**خامسا** : اغـــلاق الحفرة باحكام واعادتها الى ما كانت عليه .

وبعد تجارب عديدة ومناقشات علمية مثمرة فى مصر وفى الولايات المتحـــدة الامريكية اتفقت آراء العلماء علىأفضل السبل للوصول الى الهدف المنشود . وبدأت التجربة فى الاسبوع الثانى من شهر اكتوبر عام ١٩٨٧ ، واســـتمر العمل لمدة اسبوعين أمكن بعدها الاجابة على كل الاسئلة التى كانت قد طرحـــت قبل البدء فى العمل .

وقبل بداية العمـــل قامت أجهـــزة الرادار بتوضيح معالم الحفرة . وهذه الاجهزة تبث موجات رادارية الى بطـــن الارض ثم تقيس عودة هذه الموجـــات عندما تصطدم بفارق ما بين طبقتين من الصخور أو ملتقى الصخر بالهـــواء داخل الحفرة . ونتج عن ذلك اختيـــار انسب أماكن الحفر تقريبا فى ثلـــث المسافة فى الحفرة أى على بعد عشرة

# الدراسة العلمية لبيئة حفرة المركب الثانية للملك خوفو



مواقع البحث العلمى تغطيه خيمة بجوار متحف الملك خوفو جنوب الهرم الاكبر

موقع الدراسة بعثليه علم هيئة الآثار المصرية وفى الخلف هرم خوفو



امتار من نهاية الحفـــرة الشرقية لان الحفرة طولها ٣٢ مترا ٠

وتم اختيار الكتلة للحفر في هـــذا المكان وبدأ اعدادها بتسوية سطحها حتى يتم لصـــق الاسطوانة المعـــدنية لجهاز الاحكام فيهــــا لكى لا يتسرب هواء الى داخل الجهاز أثناء عمليات الحفر أو التصوير أو أخذ العينات ٠

الدكتور فاروق الباز وبيده الحفار الذى استطاع ان يعمل حفرة قطرها ٩ سم



وبدأ الحفر باستخدام حفار لايستخدم ماء أو أى شىء آخر للتبريد ، صنعته خصيصا مؤسسة بلاك أند ديكر والتى كانت قد صنعت حفارا استخدمه رواد الفضاء على سطح القمر لاخذ عينات دون المساس بمكوناتها الكيميائية ٠٠ وهذا الحفار يتكون من ثلاث دوائـــر أكبرها ٩ سنتيمترات لانه لابد وأن تدخل أجهزة التصوير والتى قطرها ٨٫٥ سم٠ وكان الحفار يقوم بحفر بوصة واحدة فى حوالى دقيقة ونصـف ويتـــوقف العمل لازالـــة ناتج الحفـــر بشافطة للاتـربة والفتـات والتى أخـذت منهـا العينات دوريا للتعرف على خصـائص الكتلة ٠ وبعد حفر كل بوصة تترك آلة الحفر لتبرد تماما حتى لا تـزيد مـن درجة حرارة الصخور لانها لا تستخدم مبردا ٠ واستمر العمل فى الحفر لمدة ٤٦ ساعة تم فيها حفر ١٦٠ سم وهـو السمك الكلى للكتلة المختارة ٠

وكانت عمليات الحفر تتم أثناء قياس دقيق للضغط المعرض له الجهاز ٠ ولم يتغير هذا الضغط على الاطلاق منبداية الحفر وحتى نهايته ٠ كذلك لم يتـــغير الضغط عند اختراق سقف الحفـــرة والتعرض للهواء بداخل الحفرة ، وكان فى ذلك دلالة أولى أن الحفرة لم تـكن محكمة كما كان محتملا ، لانها اذا كانت محكمة فينتظر زيادة الضغط بداخلها مع الزمن ٠

## ● الفوبون داخل وخارج الحفرة

بعد ذلك بدأنا فى أخذ عينات الهواء فى أوعية معدنية معقمة ومفرغة مـن الهواء امتلأت بحوالى ٧٠ لترا مـن هواء الحفرة للتحليل فىالمعامل المختلفة وخصوصا معامل هيئة الارصاد الجوية الامريكية « نوا » فى ولاية كولورادو ٠

# الدراسة العلمية لبيئة حفرة المركب الثانية للملك خوفو

**واتضح من التحليل المبدئي لبعض الغازات أن الفريون يتواجد بنفس النسبة داخل وخارج الحفرة أى أن هناك اتصالا بين البيئتين** • أما نسبة ثانى أكسيد الكربون فاتضح أنها توجد داخل الغرفة تقريبا ضعف قيمتها بالخارج ، وربما كان سبب ذلك هو انتاج غاز ثانى أكسيد الكربون من محتويات الغرفة وهذا أمر طبيعى اذا كانت محتوياتها عضوية مثل الخشب والقماش وما اليها •

وأثناء أخذ عينات الهواء تم تمريرها فى محاليل معقمة وكذلك فى فلتر دقيق لحجز أى أحياء مثل البكتيريا أو الميكروبات • واتضح من دراسة المحاليل فى جامعتى الازهر وقناة السويس وكذلك هيئة الطاقة النووية المصرية أنها خالية تماما من البكتيريا • ودراستنا للفلتر فى معامل جامعة بوسطن **أيضا** اثبتت عدم وجود أى بقايا لخلايا • **ولاننا نعتقد أن الحفرة لابد وأن تكون بداخلها بكتيريا لأن بيئتها الداخلية** تسمح بذلك ومكوناتها **أيضا تشجع ذلك فاننا نعتقد أن العينات خالية لانها أخذت** من ارتفاع متر تقريبا **من سطح مكونات الحفرة حيث تكون قد ترسبت البكتيريا على هذا السطح بعيدا عن الهواء المأخوذ منه العينة •**

أما عن الكاميرا الأساسية التى استخدمت للتصوير فهى من تكنولوجيا متقدمة كانت قد صنعت أساسا لدراسة جدران المفاعلات النووية للكشف على أى شقوق دقيقة بها ، أضيف على هذه الكاميرا ضوء لا تشع منه الحرارة من صنف « فيبر أوتيكس » وكان فى داخل سلك قطره سنتيمتر واحد حوالى ٨٠٠ خط لنقل الضوء المصنع خارج الحفرة ليضيىء ما بداخلها دون تغيير بيئتها •

## ● اكتشاف مركب جديد

وأوضحت هذه الكاميرا تفاصيل سطح محتويات الحفرة والتى كان بها شبه كبير لمحتويات الحفرة التى فتحت فى عام ١٩٥٤ وهى المركب المقسم الى أجزاء بعضها مغطى بالحصير • ولا شك فى أن مجموعة الاخشاب على سطح المحتويات هذه تشير الى أن الحفرة الثانية أيضا تحتوى على مركب ربما اختلف عن الأول فى أنه أصغر حجما وليس على سطحه مجاديف •

وأوضحت الصور أيضا أن المؤشرات بتعامل الهواء الخارجى مع الهواء بداخل الحفرة حقيقى وأن لها مؤشرات تعضدها منها :

(أ) وقوع أجزاء كبيرة وكثيرة من المونة ما بين كتل سقف الحفرة •

(ب) تسرب بعض الماء ما بين كتلتين وبخط واضح على حائط الحفرة •

(ج) وضوح مستوى كان الخشب يصل اليه من قبل ثم هبط •

(د) تهشم بعض الاخشاب تماما كما كان الحال فى الحفرة الأولى وخصوصا فى طبقات الخشب القريبة من قاعدة الحفرة •

كل هذا يدل على أن البنية داخل

الحفرة التالية لم تكن محكمة الغلق كما كان محتملا · ويدل ايضا على أن التجربة قد نجحت نجاحا باهرا في التعرف على بيئة الحفرة وما فيها ودون المساس بها ، ومن الجدير بالذكر هو أن قياس درجة الحرارة فى الحفرة أعطى ٣١ درجة تقريبا ونسبة رطوبة عالية تصل الى ٩٢٪ تقريبا · وربما كان من أسباب الحفاظ على أخشاب المركب الثانى هذا تلك النسبة العالية من الرطوبة الدائمة أى أنها لا تقل أو تزداد ·· ومن المعروف أن درجة الرطوبة كانت قد قيست فى حالة الحفرة الأولى وكانت ٨٨٪ أى قريبة من نسبتها فى الحفرة الثانية · وتجرى الآن دراسة هذه الظاهرة لما لها من أهمية فى الحفاظ على أخشاب الحفرتين · بعد الانتهاء من الخطوات العلمية المدروسة تم اغلاق الفتحة باستخدام خليط من الحجر الجيرى الذى نتج عن الحفر والجبس تماما كما فعل قدماء المصريين فى اغلاق الفتحات ما بين كتل سقف الحفرة ، ومعنى ذلك أن جميع العمليات وحتى نهاية المشروع قد تمت بدون المساس ببيئة الحفرة أو محتوياتها ·

وأهمية هذا المشروع تجىء فى نتائجه التى تشتمل على ما يلى :

**أولا :** تطبيق تكنولوجيا متقدمة وطرق فريدة فى علوم الآثار للدراسة العلمية لبيئة موقع أثرى هام دون اصابته بأى أضرار من أى نوع ·

**ثانيا :** التعرف على بيئة الحفرة والتى اتضح أنها على اتصال بالبيئة خارج الحفرة ولكن مكوناتها الغازية تختلف ( مثلا الزيادة فى نسبة ثانى أكسيد الكربون ) وهى أكثر حرارة ورطوبة من البيئة الخارجية ·

**ثالثا :** ايضاح مكونات الحفرة وحالتها ـ وكان مفروضا أن تكون الأخشاب فى حالة سيئة للغاية نتيجة للوضع البيئى المشار اليه ، وربما كان السبب أن الخشب مازال محتفظا ببعض صفاته المتينة هو ثبات نسبة الرطوبة ( مع علوها ) · وربما كان هذا موضوع بحث لأهميته فى ترميم والحفاظ على اثار مماثلة من الخشب ·

**رابعا :** وضع صورة كاملة عن محتويات الحفرة وبيئتها لهيئة الآثار المصرية حتى يمكن لمتخصصيها أخذ القرارات الصائبة فى كيفية التعامل مع هذا الأثر العظيم ، والتأنى فى التصديق على رفع المركب أو ابقائه فى مكانه ·

**خامسا :** اهتمام علماء الآثار بنتائج المشروع بين أن له تطبيقات مستقبلية عديدة ليس فقط فى مصر ولكن فى انحاء كثيرة من العالم ·

ولذا فاننى أعتقد أن هيئة الآثار المصرية وكل مستشاريها فى الجامعات والمعاهد المصرية لهم أن يفخروا بهذا العمل العلمى الفريد المرموق · ولنا جميعا الشرف أن أول تطبيق للتكنولوجيا المتقدمة فى علوم الآثار تم هنا على أرض مصر أم الحضارات وبالقرب من الأثر الوحيد من عجائب الدنيا السبع الذى ما زال قائما الا وهو الهرم الأكبر ·

# استفتاء الأدباء والفنانين ١٩٨٨

## الأدب والفن والثقافة بين عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨

## استفتاء يشترك فيه ٢٠ كاتبا وفنانا ويجيبون عن ١٠ أسئلة هامة

ماذا دار فى ساحتى الفكـر والثقافة فى مصر والعالم خلال عـام ١٩٨٧ . والى أى مدى ينعكس هذا على ثقافة العـام الجديد ..

كان هذا مدار الاستفتاء الذى استطلع فيه « الهلال » آراء مجموعة من الادباء والمفكرين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات والمدارس الادبية والفكرية

وتفرع هذا السؤال الشامل الى عشرة أسئلة التفت حولها واختلفت آراء الادباء والمفكرين الذين اجابوا عنها (*):

١ - أحسن كتاب باللغـة العربية او اللغات الاجنبية قراته فى عام ١٩٨٧

٢ - اهم رواية ( مصرية - عربية - عالمية )

٣ - اجود ديوان شـعر او قصيدة

٤ - ابرز كتاب ادبى

٥ - اعمق كتاب دينى

٦ - اشمل كتاب سياسى

٧ - اجمل معرض تشكيلى واحسن لوحة فنية

٨ - انجح مسرحية - فيلم - مسلسل تليفزيونى

٩ - امنياتك للثقافة فى عام ١٩٨٨

١٠ - مشروعاتك الادبيـة او الفنية لعام ١٩٨٨ .



د. احمد ابوزيد



المخرج احمد زكى



اسامة انور عكاشة

● لم يفز كتاب بعينه باكبر الاصوات وان كانت بعض الاراء قد اتفقت على مؤلفات المفكر فهمي هويدى الاخيرة . واكد البعض الاخر ان كتاب "ملفات السويس" والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل لا يزال هو كتاب العام

● اكدت معظم الاراء ان مؤلفات علاء الديب وبعض الروائيين العرب هى افضل ما صدر فى عام ١٩٨٧

● تباينت الاراء حول دواوين الشعر ولم يتفق اثنان حول نفس الرأى ..

● حظى معرض رواد السوريالية فى مصر على مركز الصدارة بين معارض ١٩٨٧ ..

● فيلم العام هو "زوجة رجل مهم" رغم انه لم يعرض جماهيريا بعد . والمسلسل هو "ليالى الحلمية" . حسب اتفاق معظم الاراء .

● امنيات المفكرين للعام الجديد وردية طوبوية كعادة اهل الفكر .

● جعبة المفكرين للعام الجديد مليئة بالعطاء والوعود بالانجاز .

● اعترض بعض النقاد والمفكرين على الاشتراك فى ابداء الرأى لتكرار الاسئلة فى مجلات وصحف اخرى سواء هذا العام او فى الاعوام السابقة .

● بعض المفكرين يتعاملون مع الفنون المرئية بالكثير من التجامل .

● احسن كتاب سياسى فى العالم هو "اعادة البناء والتشييد" لجورباتشوف

● اخر استفتاء من نوعه قدمته الهلال عام ١٩٨٤ . وهناك فرق واضح بين الاراء فى كلا المرتين وقد اجاب على هذه الاسئلة تسعة عشر كاتبا ومفكرا هم بحسب ترتيب الحروف الابجدية : د . احمد ابوزيد - اسامة انور عكاشة - بهى الدين الرشيدى - جلال السيد - جمال قطب - حسن محسب - سناء البيسى - صلاح منتصر - د . غالى شكرى - فاروق جويدة - فاروق شوشة - كامل زهيرى - محمد عودة - مصطفى بهجت بدوى - هشام ابوالنصر ، احمد زكى ، محمود امين العالم - محمد جلال - د . مصطفى عبدالمعطى

■ د. احمد ابو زيد

١ ـ مراسلات ومكاتبات داروين ( جزءان ) .

٢ ـ « رواية المطبخ » للكاتب الفرنسى انطوان لوران وهى مكتوبة مباشرة بالانجليزية .

٣ ـ « أشعار قديمة » ( لاراجون ).

٤ ـ انتجونات ( جورج شتاينر ) .

٥ ـ ايران من الداخل ( فهمى هويدى ) .

٦ ـ صنع القرار السياسى ( سيد عليوة ) ومؤلفات سيد ياسين .

٧ ـ محاولة احياء السريالية .

٨ ـ أوبرا تانهاوزر لفاجنر التى شاهدتها فى لندن .

٩ ـ زيادة فى ازدهار حركة الابداع . رغم ما لوحظ أن اغلب الروائيين الجدد يتسمون بالسطحية ويفتقرون الى العمق .. وعدم الاهتمام بالدراسة .

١٠ـ استكمال تأليف « معجم الاعلام » فى الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع » تمهيدا لاصداره . ودراسة الصحارى المصرية بتكليف من المركز القومى للبحوث .

● احمد زكى وكيل وزارة الثقافة لشئون المسرح

١ ـ مائة عام من العزلة ( جارثيا ماركيز ) .

٢ ـ الندامة ( للدكتور يوسف ادريس ) .

٣ ـ هذى بلادى ( صلاح عبد الصبور ) .

٤ ـ مسرح ٨٦ ( فؤاد دوارة ) .

٥ ـ المصحف الشريف .

٦ ـ ملفات السويس ( محمد حسنين هيكل ) .

٧ ـ معرض أنجى أفلاطون .

٨ ـ زمن حاتم زهران ( فيلم ) ـ ليالى الحلمية ( مسلسل ) .

٩ ـ عودة المسارح المغتصبة لهيئة المسرح .

١٠ـ اخراج تاجر البندقية لشكسبير والبهلوانات لتوم ستوبارد .

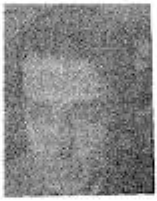
● اسامة انور عكاشة

١ ـ الصحوة الاسلامية فى ميزان العقل ( د. فؤاد زكريا ) .

٢ ـ الرحلة ( لطفى الخولى ) .

٣ ـ انغام سبتمبرية ( صلاح جاهين ) ، دواوين محمد عفيفى مطر .

حسن محسب



جمال قطب



٤ ـ ثوار الفكر فى عصر النهضة ( د. لويس عوض ) .
٥ ـ على امام المتقين ( عبد الرحمن الشرقاوى ) .
٦ ـ أمن مصر القومى فى عصر التحديات ( حافظ أسماعيل ) .
٧ ـ بينالى الاسكندرية .
٨ ـ نحن نشكر الظروف ( مسرحية ) ضربة معلم ( فيلم ) ، عصفور النار ، ليالى الحلمية (مسلسل)
٩ ـ افتتاح الاوبرا الجديدة ، اعادة طبع سلسلة الالف كتاب .
١٠ـ اصدار مجموعة قصصية جديدة ( مقاطع من أغنية قديمة ) ، اكمال مسلسل « ليالى الحلمية » وكتابة مسلسل « أيام حسن المصرى » .

## ● بهى الدين الرشيدى « سفير بوزارة الخارجية »

١ ـ ملفات السويس ( محمد حسنين هيكل ) .
٢ ـ الفجر لاول مرة ( اقبال بركة ) رغم صدورها منذ سنوات فلم اقرأها سوى هذا العام .
٣ ـ دواوين صلاح جاهين .
٤ ـ سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ( جوزيف واهموس ـ ترجمة د. محمد فتحى الشاعر )
٥ ـ التسامح الدينى والتفاهم بين المعتقدات ( اصدار اتحاد المحامين العرب ) .
٦ ـ بريستوريكا ( جورباتشوف ) ، وترجمته « اعادة البناء والتشييد » .
٧ ـ معرض الفنان احمد الرشيدى



سناء البيسى



صلاح منتصر

رائد المدرسة التعبيرية فى مصر .
٨ ـ نحن نشكر الظروف (مسرحية) ، البداية لصلاح أبو سيف (فيلم) عصفور النار ، ليالى الحلمية ( مسلسل ) .
٩ ـ النزول بالثقافة للشارع المصرى فى مضمون علمى وأدبى قومى وعالمى مبسط وجذاب .
١٠ـ البدء فى تسجيل واقعنا القومى من خلال أحداث الماضى وتطلعات المستقبل .

## ● جلال السيد

١ ـ أمن مصر القومى فى عصر التحديات ( حافظ اسماعيل ) .
٢ ـ زهرة الليمون ( علاء الدين ) .
٣ ـ خطاب الديكتاتور الموزون ( محمود درويش ) .
٤ ـ فى دائرة الابداع ( د. شكرى عياد ) .
٥ ـ التدين المنقوص ( فهمى هويدى ) .

٦ ـ من يملك مصر ( سامية سعيد ).
٧ ـ .....
٨ ـ العسل عسل والبصل بصل ( مسرحية ) ، عصفور النار ( مسلسل ) .
٩ ـ صدور موسوعة عربية .
١٠ـ اصدار كتاب عن المؤرخ الكبير د. محمد انيس .

## ● جمال قطب

١ ـ عبقرية الحضارة العربية ( اشترك فى تأليفه عشرة كتاب عالميين ) .
٢ ـ البهلوان ( يوسف ادريس ) .
٣ ـ ديوان عزيز اباظة .
٤ ـ اعادة قراءة الشوامخ من الكتب . مثل عبقريات العقاد .
٥ ـ القرآن الكريم ... فقط .
٦ ـ .....
٧ ـ بينالى الاسكندرية .
٨ ـ ليالى الحلمية كمسلسل ، أما المسرحيات فهى تهريج فى تهريج .
٩ ـ أن نتحول الى الابحاث الجدية والثقافات الرفيعة .
١٠ـ نشر باقى السلسلة الفنية التى صدر منها ( الفن والحرب ) ، ( روائع الفن العالمى الحديث )

## ● حسن محسب

١ ـ ثقافتنا فى مواجهة العصر ( د. زكى نجيب محمود ) .
٢ ـ مائة عام من العزلة ( جارثيا ماركيز ) .
٣ ـ دماء على ستار الكعبة ( فاروق جويدة ) .
٤ ـ فى صالون العقاد ( انيس منصور ) .
٥ ـ القرآن الكريم دائما .
٦ ـ ملفات السويس ( محمد حسنين هيكل ) .
٧ ـ منعتنى ظروفى الصحية من مشاهدة معارض ...
٨ ـ اعادة رؤية ريا وسكينة ـ عصفور النار لمحمد فاضل و ( رفاعة الطهطاوى ) .
٩ ـ اللهم أصلح أحوال الثقافة والمثقفين والمثقفات .
١٠ـ نشر رواية « رفاعة الطهطاوى » و « الاحلام المتوحشة » الرواية التى تنشر مسلسلة الان فى مجلة كويتية .

## ● سناء البيسى

١ ـ ايران من الداخل ( فهمى هويدى ) .
٢ ـ رواية غابريللا ( قرنفل وقرفة ) للكاتب البرازيلى خورخه آمادو ثلاثية رأفت الهجان ( صالح مرسى ) .
٣ ـ الاعمال الكاملة لفاروق جويدة.
٤ ـ .....
٥ ـ ارساليات فى البيت النبوى ( صافى ناز كاظم ) .
٦ ـ .....
٧ ـ معرض رواد السريالية فى مصر .
٨ ـ الواد سيد الشغال (مسرحية) ، زوجة رجل مهم ( فيلم ) ، ليالى الحلمية ( مسلسل ) .
٩ ـ اقامة معرض لاعمالى الفنية ، الانتهاء من كتابة أول رواية طويلة ، وارتفاعا فى أسهم الفن التشكيلى . وأن ينال الفنان فى حياته قدرا من التكريم .

## ● صلاح منتصر :

١ ـ الهجرة الى العنف ( عادل

جمـودة ) ، أولى المعـادلات ( جيفرى آرثر ) ٠

٢ ـ أبو الرجـال ( د٠ يوسف ادريس ) ٠

٣ ـ أغنيات لعشاق الوطن ( محمد التهامى ) ٠

٤ ـ .....

٥ ـ .....

٦ ـ أمن مصر القومى ( حافظ اسماعيل ) ٠

٧ ـ لوحات صلاح طاهر

٨ ـ ضربة معلم ( فيلم ) ٠

٩ ـ .....

١٠ـ ان تخطو الدولة خطوة ايجابية بتدعيم انتاج الكتاب ٠

## ● د٠ غالى شكرى

١ ـ الارهاب الدولى فى العالم ( نوام تشومسكى ) ٠

٢ ـ سيدة القاهرة ( نويلباربيير )٠

٢ ـ ديوان عفيفى مطر ٠

٤ ـ ذاكرة النسيان ( محمود درويش ) ٠

٥ ـ الفكر الاسلامى ( محمد اركون ) ٠

٦ ـ الانفتاح واعادة البناء ( جورباتشوف ) ٠

٧ ـ معرض الفنان عدلى رزق الله المقام فى أتيليه القاهرة ٠

٨ ـ مسلسل ليالى الحلمية ٠

٩ ـ انعقاد مؤتمر وطنى للمثقفين المصريين لبحث مشكلات الثقافة الحقيقية ٠

١٠ـ الانتهاء من دراسة حول « الموجة الجديدة فى الادب المصرى الحديث » ٠ ثم انجاز الجزء الثانى من « ديكتاتورية التخلف العربى » وكتابة فصول حول الانتاج الثقافى فى مصر ابان السنوات التى عشتها بباريس ٠

## ● فاروق جويدة

١ ـ أمن مصر القومى ( حافظ اسماعيل ) ٠

٢ ـ روايات نجيب محفوظ الاخيرة٠

٣ ـ يوميات سياف عربى ( قصيدة نزار قبانى ) ٠





د٠ غالى شكرى



فاروق جويدة



فاروق شوشة



كامل زهيرى

٤ ـ لا يوجـد
٥ ـ .....

٦ ـ .....

٧ ـ معرض يوسف فرنسيس .
٨ ـ مسرحية لا يوجد ، فيلم البداية ( لصلاح أبو سيف ) .
٩ ـ افتتاح الاوبرا الجديدة ، وعرض مسرحيتى « دماء على ستار الكعبة » .
١٠ـ مسرحية جديدة عن الخديو اسماعيل ، ديوان شعر جديد ، وترجمة « الوزير العاشق » الى الانجليزية .

## ● فاروق شوشة

١ ـ ثورة حضارية زاحفة ، وماذا عن مستقبل مصر ( راجى عنايت ) .
٢ ـ بقايا النجوم ( عبد الوهاب داوود ) .
٣ ـ الاعمال الكاملة لمحمد ابراهيم ابو سنة .

محمد جلال



٤ ـ قصيدة وصورة ( د. عبدالغفار مكاوى )
٥ ـ الشيعة والمهدية والدروز ( الشيخ عبد المنعم النمر ) .
٦ ـ ملفات السويس ( محمد حسنين هيكل ) .
٧ ـ معرض تجليات للفنان الدكتور عبد الرحمن النشار .
٨ ـ .....
٩ ـ محو الامية ، ودور أكبر للمثقفين فى صياغة المجتمع المعاصر والغاء القيود على حركة الكتاب المصرى .
١٠ـ نشر ديوانى الجديد ( يقول الدم العربى ) ، وكتابى « مواجهة ثقافية » ، واضافة رصيد جديد من ثروة العقل المصرى الى المكتبة التليفزيونية .

## ● كامل زهيرى :

١ ـ كتاب بالفرنسية عن الفيلسوف ديكارت .
٢ ـ الف سنة من العزلة ( رشيد بوجدرة ) .
٣ ـ ديوان الفيتورى ـ المجلد الثالث .
٤ ـ .....
٥ ـ .....

٦ ـ ايران من الداخل ( فهمى هويدى ) .
٧ ـ السريالية فى مصر .
٨ ـ مسرحية ( لاتوجد ) ، فيلم ( زوجة رجل مهم ) ، مسلسل ليالى الحلمية ) .
٩ ـ .....

١٠ـ اعادة طبع كتبى القديمة « امبل فى خطـــر » ، « الموســوعة الاشتراكية » .

## ● محمد جلال

١ ـ توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة ( د. ناجى نجيب ) .
٢ ـ زهر الليمون ( علاء الديب ) .
٣ ـ قصيدة لأمل دنقل تقول : من قال لا .. فلم يمت .
٤ ـ الفن والحرب ( جمال قطب ) .
٥ ـ لم اقرأ بعد الكتاب الذى يناقش الأفكار التى يتبناها التطرف .
٦ ـ تاريخ المصريين ( سلسلة يحررها د. عبد العظيم رمضان
٧ ـ معرض انجى أفلاطون .
٨ ـ ع الرصيف ( نهاد جاد ) ، البيه البواب ( فيلم ) ، على الزيبق ( مسلسل ) .
٩ ـ ان تورق أحلام وزير الثقافة فاروق حسنى أعمالا تبدأ بالاوبرا حتى تصل الى أصغر قرية مصرية .
١٠ ـ انتهى من كتابة رواية جديدة اكمل بها ثلاثية : عطفة خوخة، قهوة الموردى ، فرط الرمان .

## محمد عودة

١ ـ رسائل الى بورقيبة ( محمد مزالى ) .
٢ ـ رواية بريطـــانية حازت على جائزة أحسن رواية لعام ١٩٨٧ حول مصر ابان الحرب العالمية البريطانية لمؤلفة من مواليـــد مصر .
٣ ـ أشعار عبد المعطى حجازى .
٤ ـ الشيخوخة لكاتبة مصر الاولى لطيفة الزيات .
٥ ـ « الاســلام والثورة » للكاتب الهندى أصغر على انجنير .
٦ ـ اعادة البنـــاء والتشـــييد لجورباتشوف .
٧ ـ معرض انجى أفلاطون .
٨ ـ العســل عسل والبصــل بصــل ( مسرحية ) ، بلاتون ( فيلم ) ، الكتــابة على لحم يحتــرق ( مسلسل ) .
٩ ـ أن تبدأ الثقافة من القاع وألا تقتصر على المدينة وأن توزع بالعدل على المواطنين .
١٠ـ كتابة ثلاثية تاريخية حــول الثورة العربية ـ ثورة ١٩١٩ ـ ثورة ١٩٥٢ .

## محمود أمين العالم

١ ـ الاسلام والحداثة ( عبــد الله المدنى ) صدر بالفرنسية
٢ ـ مدن الملح ( عبـــد الرحمن منيف ) .
٣ ـ أنت واحـدها وهى أعضــاؤه انتثرت ( عفيفى مطر ) .
٤ ـ النص كموضـــوع فلســفى ( بالفرنسية ) .
٥ ـ .....

٦ ـ أزمة القروض الدولية ( رمزى صالح ) ٠

٧ ـ معرض ناجى العسلى فى المتجمع ٠

٨ ـ مسرحية « قضية قديمة » للفرنسى روبير حسين ، اليوم السادس ( فيلم ) ، عصفور النار ( مسلسل ) ٠

٩ ـ وحدة المثقفين العرب والمزيد من ارتباطهم بقضايانا العربية وهموم شعوبنا ٠

١٠ـ الانتهاء من كتابين أحدهما عن الشعر والآخر عن القصة ٠

## ● مصطفى بهجت بدوى

١ ـ اللوبى الاسرائيلى فى الكونجرس ( كتاب أمريكى ) ٠

٢ ـ حديث شخصى ( بدر الديب ) ٠

٣ ـ قصيدة فى تحية مصر للشاعر العراقى عبد الرازق عبد الواحد

٤ ـ فى صالون العقاد ( أنيس منصور ) ٠

٥ ـ وثائق الرد على البهائية ( د٠ بنت الشاطىء ) ، الفاروق عمر ( عبد الرحمن الشرقاوى ) ٠

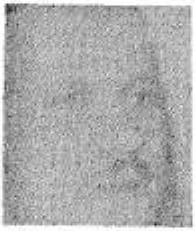
٦ ـ السلام الدامى ( محمد ابراهيم كامل ) ، من قتل حسن البنا ( محسن محمد ) ٠

٧ ـ معارض لوحات الفن التأثيرى لا التجريدى ٠

٨ ـ ٢ تحت الارض ( مسرحية ) ، عودة مواطن ( فيلم ) ، ليالى الحلمية ( مسلسل ) ٠



محمود امين العالم



مصطفى بهجت بدوى

٩ ـ منذ عام ١٩٥٢ اتمنى حملة فعالة لمحو الامية ٠

١٠ـ الانتهاء من كتاب « حكايات سبتمبر ٤٢ » ، اصدار ديوانى الثامن ٠

## ● مصطفى عبد المعطى

١ ـ مصر فى عيون الغرباء ( ثروت عكاشة ) ٠

٢ ـ رأفت الهجان ( صالح مرسى )٠

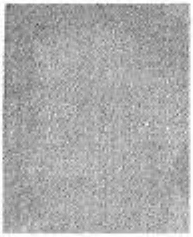
٣ ـ قصيدة شهوة تتقدم فى خرائط المادة ( أدونيس ) ، قصيدة سلوان ( فاروق جويدة ) ٠

٤ ـ شخصية مصر ( جمال حمدان )٠

٥ ـ قبل السقوط ( فرج فودة ) ٠

٦ ـ ملفات السويس ( محمد حسنين هيكل ) ٠

٧ ـ معرض فن النحت المصرى المعاصر ـ منظر للفنان الايطالى جنتليتى ٠



محمد عودة



يحيى حقي

٨ ـ ايزيس ( مسرحيــة ) ، صيف بيكاسو ( فيلم ) ، الحــرب ( مسلسل تلفازى ) .

٩ ـ أن تشـارك المؤسسات فى مصر فى النشاط الثقافى .

١٠ـ معرض لأعمـالى فى التصوير فى نهاية مارس القادم .

## ● د. هشام ابو النصر

١ ـ ملفات السويس ( لمحمد حسنين هيكل ) .

٢ ـ اللجنة لصنع الله ابراهيم .

٣ ـ « تلك الايام » لبهيج اسماعيل .

٤ ـ هناك كتب كثيرة .

٥ ـ محمد رسول الحـرية لعبـد الرحمن الشرقاوى .

٦ ـ التطـرف الدينى من يونيــة ١٩٦٧ لعادل حمودة .

٧ ـ معرض جرافيت .

٨ ـ ( مسرحية ) : ابن البلـــد ، للدكتور عبد العزيز حمودة .
( فيلم ) : لا يوجد .
( مسلسل ) : ليالى الحلمية .

٩ ـ الا يستمر الكساد الفنى الـذى عرفناه فى عام ١٩٨٧ ، وتدخل الدولة لمساعدة المثقفين والثقافة خاصة فى السينما والمسرح .

١٠ـ فيلم « جبل ناعسة » عن رواية لمصطفى نصر ، فيلم « الفخ » عن رواية لاحمد يونس ، واعداد لافلام أخرى منها « المراهقون » و « يحدث فى مصر الآن » عن رواية يوسف القعيد .

١ ـ ليلة زفاف بنت الرئيس ( حسن عبد المنعم )

## ● يحيى حقى

٢ ـ الليل .. الرحم (محمد روميش)
٣ ـ ...
٤ ـ ...
٥ ـ ...
٦ ـ ...
٧ ـ ...
٨ ـ ...
٩ ـ أن تتحول حالة الركود النسبى التى نشعر بها الآن الى يقظة ســواء من جانب النقـاد أو المبدعين ، وأن يتوالى سطوع الاسماء التى بدأت تظهر نجومها فى سمائنا . وينبغى موالاة تشجيعهم والمراهنة عليهــم ، وأتمنى أن يحـظى باب عرض الكتب بايجاز وباب عرض الكتب باسـهاب بجمال أوســع فى وسائلنا الاعلامية كالصــحف والاذاعة والتليفزيون .
ولا أريد أن يصدر كتاب واحــد دون أن يرد له ذكر فيها مع ذكــر اسم الناشر والثمن ، وحــبذا لو اضيفت على هذا الباب اسماء بعض الكتب الهامة التى صدرت حديثا فى مختلف اقطار العالم العربى

شهريات

# رأى فى الثقافة

## سوق الألقاب الرخيصة

شاعت وانتشرت في حياتنا الثقافية هذه الايام القـاب لا حصر لهـا ، ان دل شيوعها على شيء فانما يدل على غيبوبة الوعي العام وغياب النقد الجـاد الذى يقيم الخبيث من الطيب ويضع الامور في نصابها الصحيح ويوضح مراتب الناس والكتاب منهم بصفة خاصة ٠

واخطر واكثر هذه الالقاب التى يمنحها من لا يملك لمن لا يســتحق لقــب الكاتب الكبير الذى اطلقه البعض على شـاب فى عشرينيات العمر لم يكن قد نشر بعد كتابا ، ومنحه البعض الاخر لكاتب من كتاب الدرجة الرابعة الذين لم تـر ناقدا جادا امال راسه ناحية اعماله حتى ولو « بشتيمة » ، ومنحـه البعض الآخر لكاتب كل افضاله انه قدم سلسلة من احط واخس مسلسلات الســينما التجارية الرخيصة التى سيلعن الناس عصرنا لانهـــا انتشرت وشاعت فيــه ، ومنحها البعض الاخر لموظف في احـد دواوين الحكومة قبع في غفلة من الزمن عـلى جهاز للنشر ، فامتلك على الناس قدرة المنع والمنح ٠

هل سيمتنع الناس عن المشاركة في هذه الهوجة بالكتابة عنها ؟ لا نظــن ، كل ما نرمي اليه بمثل هذه الكلمة أن نسجل الشهادة ، لان أغلب الناس أضحوا بلا ثقة فيما يكتب او يقال ٠ ما هي اذن الا كلمة للتــاريخ ، لان الشيء الوحيــد المتوفر الان هو النواح على الماضى والحاضر ، ربما من أجـل التــاريخ وللتاريخ فقط ! ٠٠

عبده جبير

## تليفزيون

### امسية ثقافية مع السيد ياسين

لا شك انها كانت واحــدة من اهم الامسيات الثقافية التى يقدمها فـاروق شوشة اسبوعيا ، مثل هذه الامســية تساهم بحيويتها التى نكاد نفتقــدها فى بعض الاحيان ، حينما تستضـيف الوجوه المعادة من دكاترة الجــامعة العواجيز ٠



فاروق شوشة

لكن هذه الامسية التي جرت مع السيد ياسين كانت من الحيوية والاهمية مما يدفعنا الى دعوة مقدم البرنامج للسير في الطريق ، وتضفير الحلقات بمثل هذه الوجوه الجادة من مفكرينا الذين لم تنته بضاعتهم بعد ، ولديهم ما يقولونه للمشاهدين من المهتمين بالثقافة الذين يكاد الملل يقتلهم من المسلسلات والاغاني والرقص المجاني الذى هو لا بالفن ولا حتى بالتسلية .

كان قول السيد ياسين في هذه الحلقة الهامة عن أن الثقافة لم تعد « هواية » للمثقفين وانما ضرورة لتنمية المجتمع ، وانه لا خلاص لمجتمعات العالم الثالث دون برنامج واضح وصارم من اجل العودة الى ادراك اعتبار الثقافة اهم واول الخطوات الجادة للخروج بها من المازق الكبير الذى تعيشه ، كان هذا القول وغيره مما جاء في هذه الامسية الهامة دليلا قاطعا على أنه لم يزل بيننا ، خاصة من بين العاملين بالكتابة السياسية ، من هم في عداد الاحياء ، وسط وجوه كثيرة يعلوها الاصفرار وترتسم على ملامحها البلاهة .

ولا نملك حيال مثل هذه الامسية الهامة الا المطالبة باعادتها والاعلان عنها بشكل بارز فى حلقة تسبقها .

شهريات

## مسرح

● « ابن البلد » والجرائم المسرحية

● افتتح المسرح القومي موسمه الشتوى بعرض مسرحية « ابن البلد » عن نص « الظاهر بيبرس » للدكتور عبد العزيز حموده واخراج أحمد زكى . والعرض كما يشير اسمه الاصلي يتخذ من سيرة بيبرس مادة لتناوله المسرحى .. وبعيدا عن الدخول فى قضايا المسرح التاريخى أو التراثي ، يمكننا في البداية ان نزعم بديهية بسيطة فحواها : ان الفن لا يمكن أن يكون بديلا عن التاريخ او عن أى شيء آخر ، لانه ـ ببساطة ـ فن له معطياته وقوانينه المختلفة عن كل ماعداه . فاذا كان الظاهر بيبرس بطلا مظفرا حقق انتصارات كبيرة لشعبه ولامته ، فيمكننا من خلال الفن ان نفترى على التاريخ ونكذب على الناس ونراه ـ كما نحب ـ خائنا وفاسدا ومعزولا عن الجماهير ، اقول يمكننا ذلك ، شريطة أن يصبح لكل هذا ضرورة فنية وقيمة فكرية تجب الحقيقة التاريخية فى الاهمية . ومسرحية « ابن البلد » التى تبدأ بتغيير الاسم الاصلى ، تعتمد فى معطيات بنائها على عدة محاور ، اهمها محور السلطة الذى يمثله الحاكم المنتصر بيبرس الذى يريد الانفراد بالحكم غير أبه بالشرعية ،وفيمواجهته محور الشعب الذى يجسده البطل الشعبى عثمان بن الحبلى الذى سانده في انتصاراته وأراد مشاركته الحكم بحثا عن تحقيق حلم العدل والحرية للشعب ، واخيرا وليس آخرا محور الفن فى قلب كل هذا ويعتليه الفنان الشعبى صاحب المقامات التى كان يدور

بها فى الاحياء الشعبية وراء حيلة المسرحية البدائية ·

هذه المحاور الثلاثة يمكن اذا أحسن استخدامها أن تصنع بناء مسرحيا سامقا وتخلق صراعا لا يهدأ وتحمل أفكارا وآراء جديدة ، يمكنها بالتالى ان تبرر للمؤلف سبيله لتزييف التاريخ ولى عنق الحقائق ·

ولكنك تفاجأ أن المؤلف لا يتعب نفسه بصنع شىء مما وقع عليه من شخصيات ، يمكنه ـ ان اراد ـ أن يخلقها خلقا ، فتحيا وتتصارع ، أو من هذه اللحظة التاريخية الخصبة ، ولا يشغل فكره بكشف أغوار كل هذا ، وتكتشف أن سعيه للتاريخ ليس الا مجرد حلية يتخفى وراء منمنماتها لكى يغرقنا بآرائه الشخصية فى قضية الحكم ، انه يأخذ من الشخصية قشورها وشكلها الخارجى ويبقى على الاسماء والمعانى المجردة ، ويسوق على لسانها كل ما يريد أن يقوله وكأننا فى محاضرة ، ولا يتورع أن يستنطق الشخصية بما يراه وبما يعيه هو ويفهمه ، ومع الاختلاف المفروض بين الشخصيات تجد الجميع يتحدث نفس الحديث بنفس المنطلقات ، أن تصبح الشخصية بوقا له يريد ان يقول من خلالها رأيه كمؤلف وهو : ان الحاكم الفرد لا يمكن أن يصنع شيئا بمفرده وبمعزل عن جماهيره ، حتى ولو كان مثل بيبرس بانتصاراته الساحقة ·

وهذا كلام جميل حقا ، يمكنه أن يفيد لحظتنا الحاضرة مما يضفى بعض المعاصرة على القضية القديمة ، ولكننا هنا لا نستخلص هذا الكلام من الدراما الحية ، ولكن من عبارات تلقى هنا وهناك ، يسوقها المؤلف بعد ان يدد وقته ووقتنا بشكل مباشر وسط كلمات متتابعة عن حب مصر والعمل من أجل مصر ·· الى أخر مولد الغناء السقيم الذى افتتحه د· رشاد رشدى بمسرحياته فى مطلع السبعينيات ولم ينفض بعد !

والمؤلف يبرر قلة حيلته فى « نشرة العرض » بتصريح يرفض فيه مسرح التطهير الزائف الذى يشحن المتلقى ويستفزه ، اذن هو يريد أن يقدم مسرحا للتامل ، لا بأس ·· وتبحث أنت فى نص المؤلف عن شىء يدعو للتامل فلا تجد الا الرثاء ، فاكداس الكلمات هى التى تلاحقك ، وهو لا يفتأ أن يضعها ـ أيضا ـ وسط مزاعم « المعطيات القومية لتطوير شكل مسرحى قومى » ـ وهذا نص كلماته !! ـ فهو يضع رأيه غير المسرحى على لسان شخصيات نمطية ، ويحشو نصه بنقل أبواب كاملة لشمس بن دانيال وتجسيدات لخيال الظل والاعيب للاراجوز ورواة وغناء شعبى ورسائل الى بيبرس ـ يستغرق القاء احداها على المسرح ربع ساعة كاملة ! ـ الى آخر هذه الخزعبلات التى يتشبع لها كرادلة الهوية المفتقدة للمسرح المصرى ·

واسوأ ما فى هذا الاتجاه الذى يتبناه المؤلف ، والممتد من السبعينيات حتى الآن ، هو تعلقه كغيره فى معظم الاعمال التى تكتب على هذا النحو بشخصية عاهرة ، فيها كل الصفات المنحطة والوضيعة ، نجدها كغيرها من الشخصيات تبرر كل تصرف لها باسم مصر (!!) وقد تتعجب من هذا ، ولكن يزول تعجبك حين تقرأ كلمة المؤلف : حبى لا يعرف الحدود لمصر ولكل ما هو مصرى !·

أيوجد أكثر من هذا امتهانا وابتذالا للكلمة ؟·

ناهيك بعد كل هذا عن التاثرات الكثيرة واللافتة للنظر بالدراما الشكسبيرية ـ وخاصة فى تكنيك المشهد، وكذلك النقل دون تنقيح لبذاءات الفن

الشعبى القديم ، فتفاجأ بأباحية ممجوجة لا ضرورة فنية لها ، وبالفاظ تخدش حياء المتفرج .. فما بالك وهذا يجرى على خشبة المسرح القومى ومن خلال مخرج لا حول له ولا قوة ، ولا يمتلك رؤية واضحة ومحددة ، اذ تختلط عليه فى العرض عدة مدارس اخراجية ، وظهرت موهبته المحدودة فى القص واللصق الذى لم يقم بشىء غيره ، وانحصرت حركة الممثلين ـ كما فى معظم أعماله ـ فى التجوال والفسحة على خشبة المسرح ، بلا معنى أو هدف، وهو يزيد من هذا اذ يجمع الرواة الشعبيين لكى يقفوا صفا واحدا فى مقدمة المسرح كلما عن له ذلك لكى يرووا السيرة البيبرسية فى ايقاع مميت يأخذ بكل شىء ، ان كان هناك شىء ، ومعه مهندس ديكور انجليزى ، صمم ديكورات تلتهم ثلاثة أرباع خشبة المسرح ، فى معنى تشكيلي يبتعد عن الرؤية المسرحية والروح المصرية والفهم لطبيعة الحى الشعبى والقلاع المملوكية ـ وبعد هذا يتحدثون عن الهوية ! ـ ومعه طاقم ردىء من الممثلين ، يتبارون فى التشنج والزعيق ، ولا يعرفون ضمن ادواتهم ما يسمى بضبط الانفعال، فالكل يصرخ فى وتيرة متصاعدة استجداء لتصفيق جمهور واجم منصرف الى « افيهات » لفظية وجنسية وحركات مبتذلة ومعهم مسخ مشوه الصقور بممثل قزم صار وجوده مع أقرانه موضة المسرح فى السنوات السابقة ..

والخلاصة أن هذا العرض فى مجمله ليس الا روشتة ناجحة فى اصابة المسرح المصرى بعاهة مستديمة ، وانه محصلة جيل افقد المسرح دوره وعليه أن يحمل أوراقه ويرحل بعيدا عن المسرح .

محمد الشربيني

## • فن تشكيلى

### ● ماذا اصاب بينالى الاسكندرية

لم تعد زيارة بينالى الاسكندرية يصاحبها المتعة التى تنتاب المشاهد عندما يهم بدخوله، فلا شك أن «الخطاب يبدو من عنوانه » هذا المثل القديم الشهير الذى ينطبق تماما على مدخل متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، فتحس معه انك تدخل الى مصلحة حكومية لا تملك شيئا سوى حطام زرع تحول لونه من الاخضر الى « الترابى » ..

كنت اتوقع عند زيارتى للبينالى فى دورته السادسة عشرة أن أجد فى صدارة المعرض صورتين للراحلين حسين صبحى رائد الحركة الفنية بالاسكندرية والاب الروحى لها والراحل كمال الملاخ الذى كان له اكبر الاثر والتشجيع لفنانين أصبحوا الآن فى قمة الشهرة ويتقلدون مناصب راقية ، لكن المثل القائل « البعيد عن العين بعيد عن القلب » هو السيد الآن ..

وتتوالى المفاجآت داخل صالات البينالى بداية من اضاءات لا تفى بأى

فاروق حسنى وزير الثقافة



غرض وانتهاء بعدم العناية بحسن الاخراج الفنى والخلفيات .. وقديكون هذا التقصير من جهات عديدة لا جهة واحدة بعينها ، لكن في النهاية هو المظهر العام لكل زائر للبينالى .

وبداية فقد بهرتنى اعمال الفنانين الاسبان ، ليس ابهار العمل الفنىالذى يحترم عقلية المشاهد ولكنه ابهار المساحة الكبيرة التى تصدم الفنان المتخصص نفسه .

وبرغم أن الف باء البينالى - أى بينالى - الحداثة والتجديد فاننى لم الحظ هذا الجديد.. اللهم الا بعض الأفكار الساذجة التى تستخف بعقول المشاهدين القليلين جدا ، والذىاطفات السيدات الموظفات بمتابعة الزوار الاضواء قبل الانتهاء بنصف ساعة أى فى الثانية عشرة والنصف ظهرا ، وكان يوما فى منتصف الأسبوع .

مررت مرور الكرام على أجنحة فرنسا ويوغوسلافيا والبانيا وقبرص وخلافه .. حتى جناح مصر وهو الجناح الرئيس بالدور العلوى لم يلفت نظرى شيء جديد .. لوحات مكررة ، وأسماء مكررة ومقررة .

تمنيت فى ختام جولتى للبينالى ، أن يتنبه ابن الاسكندرية الفنان التشكيلى فاروق حسنى وزير الثقافة الذى لم يعمل يوما واحدا فى سلك التدريس الجامعى ، أن يتنبه ويستعد للبينالى السابع عشر من الآن بنظم جديدة ، وقوانين مرنة ، تتيح الفرصة لشبان عديدين من الفنانين الذين لم تتح لهم فرصة العمل فى التدريس بكليات الفنون .. لأخذ مواقعهم على خريطة البينالى القادم .

عادل ثابت

## ▪ رسائل جامعية

### ● الدعاية الانتخابية والنظام السياسي

نوقشت بكلية الاعلام رسالةدكتوراه عن( وسائل وأساليب الدعايةالانتخابية فى النظم السياسية المختلفة ) ،للباحث صفوت العالم . تناولت الرسالة أساليب الدعاية الانتخابية مع التطبيق على انتخابات مجلس الشعب الكويتى فى فبراير ٨٥ ، وانتخابات مجلس الشعب الهندى فى ديسمبر ٨٤ ، وانتخابات الرئاسة الأمريكية فىنوفمبر ٨٤ . ثم أعقب ذلك بدراسة حالة عن انتخابات مجلس الشعب المصرى فى مايو ٨٤ .

وناقش الباحث د . محمد على و د. على عجوةالاستاذان بقسمالعلاقات العامة بكلية الاعلام ، و د . السيد عليوة وكيل كلية التجارة بجامعة حلوان .

وفى معرض تناول الباحثلانتخابات مجلس الشعب المصرى - عام ٨٤،كان من أهم مااستوقفه الشعارات التىخاض بها حزب العمل الانتخابات السابقة اذ ركزت فى معظمها على اعتبار الحزب امتدادا لحركة مصر الفتاة ، واعلان الحزب فى ندواته وملصقاته تمسكه بالاشتراكية كنهج ومبدأ والتاكيد على التلازم بينها وبين فكر حركة مصر الفتاة . أيضا اهتم حزب العمل بالتاكيد على ارتباطه بثورة يوليو .

وعن الانتخابات الكويتية أكدت الدراسة على ملامح المجتمع القبلى الذى يبدو واضحا فى الكويت ومدى تاثير ذلك على العملية الانتخابية . فتصبح مسالة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية هى الأهم بالنسبةللمرشح،

الذى يقيم الولائم تدعيما لعلاقاته تلك، نظرا لتأثيرها الكبير فى المجتمعات القبلية حيث تسود القيم العربية القديمة من ايثار الكرم والفخر بالانساب . واكبر دليل على ذلك هو ذكر الاسم الرباعى للمرشح ، لمساعدة الناخبين على معرفة الأصول القبلية للمرشح .

أما المناقشة فقد بدأها د . على عجوة بأن أخذ على الباحث اعتماده فى تعريف الدعاية ، على مراجع قديمة وغير متخصصة . وقال ان الدعاية وتعريفها العلمى الحديث يعتمدان أساسا على كون الدعاية وسيلة رئيسية للاستمالة والاقناع وأصبحت اليوم علما كاملا له مناهجه وأسسه وأساليبه .

**وقال د . على عجوة أن الرسالة لم توضح موقف الصحف المساقبالقومية من الاحزاب المختلفة فى الانتخابات، وعما اذا كانت قد اتسمت بالحياد فى النشر عن الاحزاب المختلفة** أم أنها اقتصرت على **الدعاية للحزب الحاكم** . وقال د. على عجوة أن هذه المسألة الهامة كان يجب أن يتنبه اليها الباحث فى رسالته .

وعن اقتراح الباحث بانشاء صندوق قومى لتمويل الدعاية الانتخابية للأحزاب ، حتى يكون هناك تكافؤ بين كل حزب وآخر ، قال د . على عجوة أن هذه الفكرة لا تلائم مجتمعنا، لأنه يصعب بدقة تحديد الوضع المالى لكل حزب .

وبدأ د . السيد عليوة مناقشته للباحث قائلا انه موضوع غير تقليدى وهام فى نفس الوقت ، لانه يتناول أزمة الديمقراطية البالغة التعقيد لاحتوائها على مجموعة عناصر، تناول الباحث واحدا منها .

واتفق د . عليوة مع ما قاله د. على عجوة فى أهمية توضيح موقف الصحف القومية ، ومدى انحيازها للحزب الوطنى الحاكم أثناء الانتخابات .

وأخذ د . السيد عليوة على الباحث غياب منهج التحليل المقارن بين أنظمة الانتخابات المختارة كعينة للدراسة ، وأيضا غياب المقارنة بين أساليب الدعاية الانتخابية المختلفة فى وسائل الأعلام مثل التليفزيون واللافتات والملصقات والندوات وغيرها .

ثم تساءل د . عليوة عن سبب اختيار الباحث للنظم الانتخابية فى كل من الهند والولايات المتحدة والكويت للدراسة .

وفى النهاية ناقش الباحث د. محمد العوينى المشرف على الرسالة ، فأثار بمناقشته عددا من القضايا الهامة . وقال ان أهمية الدراسة تكمن فى أنها بالاضافة الى تحليلها للواقع المحلى للنظام الانتخابى ، فانها لم تغفل البعد الدولى للنظم الانتخابية .

وعن أسباب اختيار الباحث لدراسة النظم الانتخابية فى كل من الهند والكويت والولايات المتحدة ، قال د . العوينى لانها نماذج غير تقليدية ورائدة على الاقل بالنسبة للهند والكويت ـ وان لم تكتمل فيها التجربة الديموقراطية ـ ولكنها دولة صغيرة لديها العديد من العناصر البحثية التى يمكن تطبيقها على بلاد أخرى . فأحيانا يحتاج الباحث الى عينة صغيرة لدراستها وتحليلها . أيضا جاء اختيار الكويت لانها نموذج لنمو حجم التجربة الديموقراطية بها ـ فى فترة معينة ـ بالرغم من انخفاض عدد سكانها ـ والذى كما قال د . السيد عليوة ـ انهم فى مثل عدد سكان دائرة انتخابية واحدة فى مصر .

وأضاف د. العوينى ، أما الهند فتم اختيارها لتجربتها الرائدة بالنسبة لدول العالم الثالث فى مجال الانتخابات . **اذ تشكل في الهند لجان انتخابية**

مكونة من هيئة مستقلة من القضاة يشرفون على الانتخابات وينظمونها تنظيما دقيقا ٠

فالانتخابات فى الهند تخضع لنظام صارم ، يحرم الرشوة ، وانتحال شخصية الناخبين واكراههم على انتخاب مرشح معين ٠ وهذا دون شك يفتح باب الأمل لنا فى دول العالم الثالث، ويطرح للمناقشة قضية هامة للغاية ٠

وقال د ٠ العوينى انه مما يحسب للباحث انه لم يبدأ بالنموذج الأمريكى نتيجة عقدة الانبهار التى عادة ما يقع فيها البعض ٠

ثم أشار الى نقطة هامة وهى عدم خضوع الانتخابات عندنا لنظام دعائى معين ، بل ان الدعاية الانتخابية لدينا تقوم غالبا على « الفهلوة » وبلا أسس علمية ٠ نظرا لعدم الاعتماد على الخبراء فى مجال العمل الدعائى ٠وعن الانتخابات كقضية تتعلق بوجود رأى عام ، قال د ٠ العوينى انه حتى اليوم لا نعرف فى مصر الاستفتاءات التى يمكنها قياس ميول وآراء الناخبين فى فترات مختلفة ، أيضا تنقصنا الاستفتاءات واستطلاعات الرأى عن فاعلية البرامج الانتخابية المختلفة ، ثم تنقصنا الاستفتاءات فى قضية هامة وتشغلنا كثيرا وهى مسألة احجام معظم ناخبينا عن الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات ٠

ووجه د٠ العوينى نداء الى صناع القرار فى مصر وقال أن هناك حاجة ملحة للبدء بعمل استطلاعات الرأى ـ حتى وان رغبوا فى أن تبقى سرية ـ وقال انه شىء ضرورى وهام أن يعرف صناع القرار تأثير سياساتهم على الناس ، وعدم ترك مهمة اجراء هذه الاستفتاءات على « الآخرين » ٠٠

وختم د ٠ محمد العوينى مناقشته بقوله ان النظام الانتخابى الحالى فى مصر يساعد على التفسخ الوطنى والاجتماعى ، لأن نظام القوائم يعتمد على وضع مرشح على رأس القائمة ، غالبا ما يكون اعتماده على البعد العشائرى والقبلى ٠

**هبة عادل عيد**

## ● ندوات

● هوجولوتشر : ومشكلة اللغة فى الأدب الغربى ٠ والسويسرى

تجىء أهمية الندوة التى عقدت فى الشهر الماضى مع الروائى السويسرى هوجولوتشر من خلال عدة نقاط تثير النقاش أولها السؤال ما هو السبب الذى من أجله يمكن لكاتب أن يزور بلدا آخر ٠ هل للتعرف على أدب هذا البلد وأدبائه أم لتقديم نفسه ٠ أم للاثنين معا ٠٠ بالنسبة للوتشر ٠ فقد جاءت زيارته لهذه الأسباب جميعا ٠ فهو مثل أقرانه من الأدباء السويسريين يعانون من تعتيم اعلامى شديد خارج حدود بلادهم ٠ وذلك للازدواجية الشديدة التى يعانيها الكاتب فهو محاصر بين انتمائه لبلاده سويسرا ٠ وبين لغة بلد آخر يتكلم بها ويعبر عنها ٠ ويوجه أدبه فى المقام الأول لأبناء هذا البلد ٠ بل انه يتعامل فى المقام الأول مع الناشرين فى هذا البلد٠ وعليه فان من الصعب أن نقول أن كاتبا مثل لوتشر ألمانيا لأنه سويسرى الجنسية والانتماء ٠ لكن كتبه تطبع فى ألمانيا ويوزع جزء منها داخل الجزء الألمانى من سويسرا ٠٠ وعليه فهو شبه مجهول لأبناء وطنه الذين لا يقرأون بالألمانية ٠

وهذا هو حال الأدب السويسرى فى مجمله والذى يسمى بأدب اللغات الأربع

وهى الفرنسية والألمانية والايطالية والانجليزية · ورغم اجادة بعض الكتاب لهذه اللغات حديثا وكتابة · فان الأدب له لغة واحدة فقط · فلا يمكن للوتشر أن يكتب روايته الواحدة بأربع لغات· أو أن يتعاقد مع أربعة دور نشر لنشرها وقد يجىء هذا عفوا عند نجاح احدى الروايات مثلما حدث فى مسرحيات فردريش درينمات وماكس فريش · الا أن لغة المسرح تختلفتماما عن لغة الرواية ·· وعندما واجهت الكاتب ـ مولود عام ١٩٢٩ ـ بملحوظة أن الكاتب السويسرى معزول وغير معروف بالمرة أخذ يحدثنى عن جان جاك روسو · وعن كاتب فاز منذ سنوات بجائزة جونكور الفرنسية· دون أن ينفى أن العشرات من الأدباء الذين يتضمنهم كتالوج الادب السويسرى المعاصر مجهولون تماما خارج بلدهم· والسبب الرئيسى هو اللغة وليست القيمة الأدبية· والطريف هنا أناللغات الاربع هى أكثر اللغات انتشارا فى العالم ·

وحول اللغة واللهجات استغرق الحديث ساعتين ونصف · وكان من المفروض فى هذا اللقاءأن يتم الحديث حول نقاط أخرى ثلاث منها : الأشكال الأدبية التى أخذها الادب العربى الحديث عن الأدب الأوربى · ومصادر الأدب العربى · ثم الالتزام بالأدب ·· ولكن الحوار الساخن حول الادب واللغة « أكل » الوقت وتضاربت الآراء التى عبر عنها كل من الكاتب الكبير يحيى حقى وادوار الخراط والدكتور صبرى حافظ ورضوى عاشور ود · فتحى عبد الفتاح ·

من أغرب ما لاحظته فى الندوة · أن الأساتذة الكبار قد لا يجيدون ادارة ندوة محدودة العدد ـ رغم أهميتها ـ لا من حيث الموضوعات المطروحة والامساك بها · ولا من حيث اللغة التى يمكن بها ادارة الندوة فقد تحدثت الندوة بلغات عربية وألمانية وفرنسية · ثم جاء لوتشر بذكاء خارق ليدير الحديث بالانجليزية فاصبحت لغة الندوة فى النصف ساعة الأخير· بينما استهلكت عملية الترجمة أكثر من نصف الوقت ·

**محمود قاسم**

## مكتبة الهلال



**الكتاب : ايران من الداخل**
**تأليف : فهمى هويدى**
**الناشر : مركز الأهرام ، ٤٠٨ ص ، ٧ ج م**

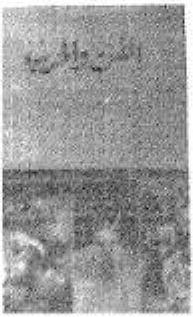
● ليست قضية هذا الكتاب هى الدفاع عن الثورة الايرانية ، أو

ادانتها واتهامها ، وانما قضيته الأساسية وهدفه الأول هو محاولة فهم الذى يجرى هناك ، من خلال الاتصال المباشر والجهد الميدانى ، ودون وصاية أو وساطة ، فقد أزعم أن سلوكنا العام تجاه الحدث الايرانى فريد فى بابه ، لا هو مسبوق ولا هو ملحوق، وأزعم أن هناك قرارا ضمنيا يرفض أى نوع من المعرفة أو الفهم الموضوعى والمحايد لمجريات ذلك الحدث الكبير ، الذى هز العالم فى عام ١٩٧٩، وقد رتب هذا الرفض حالة من الخصام والقطيعة ، لا للسياسة الايرانية ولا لرموزها ، ولكن للمعلومات المتعلقة بمجمل الوضع الايرانى ، من مصادرها الطبيعية الأمر الذى عزلنا بالكامل عن ادراك الحقيقة فى أى جانب من جوانب الواقع الذى استجد بعد الثورة » .

بهذه الجملة الخطيرة التى تعكس قضية من أخطر قضايانا ، بل يمكن القول انها انها أخطر أسباب تخلف العالم النامى ، يبدأ فهمى هويدى هذا الكتاب ، الذى هو أشبه بالموسوعة العلمية النابضة بالحيوية والدليل العلمى لفهم الوضع ومجريات الامور فى ايران ، وربما تكون هى المحاولة الاولى من نوعها فى هذا الاتجاه ، اتجاه أن نبدأ أولا بالتعرف على المعلومات الكاملة لاى حدث ، ثم تاتى اى خطوة تالية .

فى هذا الكتاب الفذ لا ياتى هويدى بالرأى والموقف مجردا من الاستناد للوقائع ، كما لا يكتفى بالوقوف عند الحدث ، بل هو يتابع الجذور والاصول، ليتقدم بها فى تطورها الذى حدث بالفعل دون أن « يفتى » أو يخطب تلك الخطب العصماء التى تضلل الكاتب نفسه قبل قرائه .

فهمى هويدى يقدم لنا مرجعا مهما نرى خلاله بالفعل ايران من الداخل، ليس فقط من داخل الحدود ، وانما من داخل الايديولوجيا ومن داخل التاريخ ، الامر الذى يدفعنا للاعتذار عن قصور هذا التعريف المختصر على أن تكون لنا عودة للكتاب على صفحات «الهلال» .



**الكتاب : الفن والحرب**
**تاليف : جمال قطب**
**الناشر : دار مصر للطباعة ـ ١٤٦ ص،**

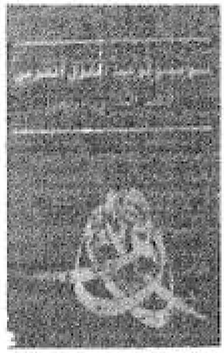
بعد رحلات طويلة ممتدة بين متاحف العالم والكتب واللوحات يتوقف فناننا المعروف جمال قطب صاحب الاسلوب المميز فى رسم اغلفة كبار كتابنا المشهورين والرسوم المصاحبة لابداعاتهم ليجمع حصيلة هذه العريضة الممتدة فى الزمان والمكان فى سلسلة من الكتب الفنية التى تصاحب فيها الكلمة الصورة ويبدأ فى نشرها بأول كتاب عن الفن والحرب .. الذى جمع

فيه أهم اللوحات العالمية التي استلهم فيها الفنانون حروب التاريخ ومواقف البطولة والاحداث الساخنة ، ليرسموها في لوحات أصبحت من معالم الفن العالمي ·

وهنا لا يقوم الفنان بمجرد نشر هذه المستنسخات فقط بل انه يقوم بدرسها وتعريف القارىء بها وتبيان مواطن الجمال والعظمة فيها من جميع النواحي التي تشكل عناصرها الفنية ·

انه كتاب نادر من مكتبتنا العربية التي تفتقر الى أمثاله من الكتب الفنية الكبيرة التي تضم في جنباتها اللوحات بالوانها الاصلية· ونرجو أن يتمكن الزميل الكبير من نشر بقية السلسلة حتى تعم الفائدة ·

**الكتاب : سوسيولوجيا الغزل العربي**
**تاليف : الطاهر لبيب**
**ترجمة : مصطفى المسناوي**
**الناشر : دار عيون ـ المغرب**
**١٩٢ ص ، ٣٥ د م**



الطاهر لبيب مفكر تونسي وأستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية ، والامين العام للجمعية العربية لعلم الاجتماع ، هو واحد من الباحثين العرب الجدد الذين يسعون الى فتح مجالات جديدة للبحث والدراسة · وكان قد صدر له من قبل كتاب آخر عن دار عيون المغربية بعنوان : « سوسيولوجية الثقافة »

ثم يأتي هذا الكتاب الذي كتبه الطاهر لبيب بالفرنسية وترجمه ( للمرة الثانية بعد ترجمة أخرى صدرت له في دمشق قام بها حافظ الجمالي ) وهذه المرة يترجم الكتاب القاضي المغربي مصطفى المسناوي رئيس تحرير مجلة بيت الحكمة ، في صياغة عربية رفيعة، ودقة علمية شديدة ، فالمترجم أيضا من هذه النوعية القليلة من الكتاب العرب الذين يركبون الصعب ويسعون للدقة ويعملون بجدية · على أي حال يدرس هذا الكتاب الشائق ظاهرة تفشت في القرن السابع ( الميلادي ) ابان العصر الاموي اذ شرع عدد معين من الشعراء في التغني بالحب ، خارج القواعد المحددة حتى ذلك الحين، وتغنوا بما يسميه المؤلف بالحب العذري والحب الغامر ، ويسعى الى محاولة معرفة لماذا حصل هذا الامر في الزمان والمكان وعلى حد ما قاله أندريه ميكل الكاتب الفرنسي فان الطاهر لبيب ، أول من وضع اصبعه على هذه الحقيقة، الذي لاحظ أن نمط الحب الذي كان يتغنى به هذا الشعر الجديد ولد في بعض القبائل التي قلصها التاريخ وهمشها الى حد بعيد ، والتي تساهم ، أو ساهمت قليلا ، في الحركة الكبرى لتوسع القبائل العربية خارج الجزيرة العربية في عقود الاسلام الاولى·
انها دراسة شائقة تستحق الاهتمام والقراءة بتمعن من باحث شاب يبشر بالكثير من العطاء·

# حين يضل الفيلسوف طريقه



كارل سبيرز



بقلم : د. أحمد أبو زيد



تتناول الصحافة العالمية في هذه الأيام بالحديث حياة الفيلسوف الألماني الشهير مارتن هايدجر الذي يعتبره الكثيرون أبا للفلسفة الوجودية وأحد المفكرين الكبار الذين أثروا في فكر سارتر ولعبوا دورا كبيرا في توجيه الفكر الأوربي خلال فترة طويلة من القرن العشرين ، ومع أن كتابات هايدجر لم تلق من الذيوع والانتشار مالقيته كتابات ومؤلفات غيره من الفلاسفة الوجوديين لغموض تفكيره في كثير من الأحيان وصعوبة أسلوبه واستخدامه كثيرا من التعبيرات التي يصعب ترجمتها إلى اللغات الأخرى ، ومع أن بعض أفكاره تعرضت إلى كثير من النقد والهجوم بسبب ( المنطق ) - أو انعدام المنطق - الذي يكمن وراءها على مايقول بعض معارضيه ، فإن هذه الكتابات والأفكار ذاتها تعتبر احدى الركائز الصلبة التي قامت عليها الوجودية ، وإن كان هو نفسه يتنصل من هذه الفلسفة ويأبى على نفسه أن يوصف بأنه فيلسوف وجودي .

ويرجع هذا الاهتمام المفاجىء بفلسفة هايدجر وحياته الى ظهور كتاب جديد عنه يكشف - كما يقال - عن علاقة الفيلسوف بالنازية ويحاول التدليل والبرهنة على أنه كان من أشد أنصار الاشتراكية الوطنية والضالعين مع الحركة الهتلرية ، وظهرت إثر ذلك عدة مقالات فى الصحف والمجلات الفرنسية بالذات تهاجم الفيلسوف وفلسفته وتسخر منهما ، وكان من الطبيعى أن يتصدى إلى ذلك الهجوم بعض مشايعى فلسفة هايدجر فيتولون الدفاع عن الرجل الذى مات عام ١٩٧٦ ولم يعد قادرا بذلك على الدفاع عن نفسه بنفسه ، وتلقفت بعض الصحف العربية - كعادتها - هذه الأخبار وكتبت عن هايدجر وصلته بالنازية دون أن تدرى - فى الأغلب - أن القصة قديمة ومعروفة للجميع وأن الحلفاء كانوا على علم بها حين احتلوا ألمانيا وأن هايدجر خضع للتحقيق الدقيق وأن حياته وعلاقاته كانت موضع بحث وتدقيق ومساءلة وأن كل تلك التحقيقات الطويلة لم تسفر فى آخر الأمر عن شىء ذى بال ولذا لم يحرم الحلفاء الفيلسوف من حقوقه المدنية وإن كانوا منعوه من التدريس بالجامعة لعدة سنوات عاد بعدها الى تلاميذه وإلى دروسه .

والظاهر أن بعض ( الأصابع ) كانت وراء إثارة المسألة من جديد بعد كل هذه السنين ، وقد يكون ذلك جزءا من الحملات الضارية التى يشنها يهود العالم والصهيونية العالمية على كل من يرتابون فى أنه كانت له علاقة من قريب أو بعيد بالنازية كما حدث مثلا بالنسبة لمستشار النمسا كورت فالدهايم الذى يبدو أن قضيته لم تنته بعد ، ففى الأخبار الأخيرة جاء ان التليفزيون البريطانى خصص مليون جنيه استرلينى لاخراج برنامج تليفزيونى عن هذه القضية وأنه جند لذلك عددا كبيرا من الكتاب والمؤرخين



والساسة والعسكريين لمناقشة الموضوع من كل جوانبه فى أسلوب درامى مثير ، وانهم اتصلوا بكورت فالدهايم نفسه ليظهر فى البرنامج ، ولكن الرد على ذلك الطلب جاء « باردا كالثلج » ، حسب التعبير الذى استخدمته جريدة التايمز التى أوردت هذا النبأ منذ أسابيع قليلة ، ولن تكون قصة مارتن هايدجر على أية حال آخر القصص ، وانما هى مجرد حلقة واحدة ضمن مسلسل طويل يتتبع فيه اليهود امثال هؤلاء الاشخاص بالمحاكمة او القتل والاغتيال اذا لزم الأمر أو الاكتفاء بالتشهير وتلطيخ السمعة اذا كان الموت قد سبقهم وخطف منهم الفريسة .

ولكن من هو مارتن هايدجر الذى تقوم حوله كل هذه الضجة الآن ؟ وما أهميته فى تاريخ الفكر الفلسفى المعاصر ؟

• • •

ولد مارتن هايدجر فى عائلة كاثوليكية فى ٢٦ سبتمبر عام ١٨٨٩ فى مدينة صغيرة فى جنوب غربى المانيا . وقد تلقى تعليمه الجامعى بجامعة فرايبورج حيث تلمذ على يد الفيلسوف الألمانى الشهير ادموند هوسرل مؤسس المذهب الفينومنولوجى او نظرية الظاهرانية كما يترجمها بعض الدارسين ، وقد ابدى هايدجر اهتماما خاصا بدراسة اللاهوت الكاثوليكى والفلسفة المسيحية فى القرون الوسطى ولذا كانت رسالته عن الفيلسوف الاسكتلندى الفرنسيسكانى دنز سكوتس ( القرن الثالث عشر ) وبعدها انخرط فى سلك التدريس بجامعة فرايبورج ، والواقع انه كان قد ابدى بعض الميول القوية نحو الدين منذ الصغر ، بل انه حين أنهى دراسته الثانوية التحق لبعض الوقت بالجزويت كما أن اهتمامه بالفلسفة يرجع ، هو ايضا ، الى ايام الدراسة الثانوية حيث قام بدراسة مركزة عن الفيلسوف الكاثوليكى فرانتس برنتانو ( أواخر القرن التاسع عشر ) وأدى به ذلك الى الاهتمام بالفلاسفة الاغريق السابقين على سقراط والذين كان يمتزج فى تفكيرهم الشعر بالفلسفة بالعلم وتؤلف كلها عندهم وحدة فكرية متكاملة .

● اتجاه للوجودية

كتاب هايدجر الأول والأساسى كان عن « الوجود والزمان » وقد صدر عام ١٩٢٧ وأهداه الى استاذه هوسرل ، وفى العام الثانى تقاعد هوسرل وشغل هايدجر الكرسى الذى كان يجلس عليه الأستاذ ولكنه لم يسر فى نفس الاتجاه الذى رسمه هوسرل ، فقد كان واقعا تحت تأثيرات فكرية وفلسفة أخرى هى التى أدت به الى الوجودية ، فقد كان هناك تأثير الفيلسوف الدينماركى الشهير سورين كيركجور الى جانب بعض التأثيرات من كتابات فيلسوف المانيا العظيم نيتشه ، والاثنان يعتبران من المبشرين بالوجودية والمؤسسين لها ، وبظهور هذا الكتاب الأول ارتبط اسم هايدجر بالوجودية ، وقد اهتم فيه بدراسة الوجود الانسانى على اعتبار انه نوع أو شكل الوجود الذى يعرفه الانسان أفضل من بقية الاشكال أو الأنواع والصور الأخرى للوجود ، وكان هايدجر يحاول دائما أن يتخذ من الوجود الانسانى

« نافذة » يستطيع أن يطل منها على الوجود فى ذاته ، ولكنه لم يحاول ان يبين لنا بوضوح مايقصده من ذلك ، وعلى الرغم من غموض الكتاب وصعوبته فانه انتشر انتشارا كبيرا كما أن كثيرا من المصطلحات والعبارات التى تمتلىء بها كتابات الفلاسفة الوجوديين والتى ساعد سارتر بالذات على انتشارها استمدت فى الأصل من كتاب « الوجود والزمان » واذا كان عصر ازدهار الوجودية قد انتهى بنهاية الخمسينيات فان تأثير هايدجر ظل قائما ومستمرا وأخذ يزداد وينمو بعد فترة الخمسينيات ، وهو أمر غريب بالنسبة لمفكر عاش عيشة هادئة وتكاد تكون منزوية ومنعزلة ولاتتعدى نطاق الدراسة والتحصيل والتعليم .

ومع ذلك فان الوقائع تشهد بان مارتن هايدجر كان قد انضم الى صفوف النازية فى بداية ظهورها عام ١٩٣٣ ثم انصرف عنها بعد شهور قليلة وعلى التحديد فى شهر فبراير من العام التالى ( ١٩٣٤ ) وان كان هناك من الكتاب من يرى انه ظل على صلة بها حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

وليس من شك فى أن « الاشتراكية الوطنية » كانت قد جذبت اليها عددا كبيرا من المثقفين ، أول الأمر ، فلقد شاهد هؤلاء المثقفون الأوضاع المتردية فى أوربا بوجه عام وفى المانيا بوجه خاص فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ( الحرب الكبرى ) وعاصروا التغيرات الجذرية التى طرأت على أنماط التفكير التقليدى ونوع البلبلة التى وقع ضحيتها عدد من كبار المفكرين والأدباء والكتاب بحيث انقاد بعضهم وراء بعض الدعاوى الايديولوجية البراقة التى لم تسفر فى آخر الأمر عن شىء ، كما أصبحت بعض النظريات الكبرى الراسخة تعتبر فى نظر الكثيرين ( موضة قديمة ) كما حدث بالنسبة مثلا لكتابات فيبر وترويلتش فى المانيا ، ووجد الأساتذة الشبان فى الجامعات الألمانية بعد موت أو اختفاء الأساتذة الكبار نوعا جديدا من الاثارة الذهنية فى أعمال لوكاتش وماكس شيلر التى أرست قواعد ما أصبح يعرف باسم ( سوسيولوجيا المعرفة ) ، وسيطر الشعور بالاغتراب على عقول بعض هؤلاء المثقفين ازاء هذه الأوضاع وأحسوا ان الطريق الوحيد للتخلص من ذلك الشعور المؤلم هوالبحث والتفتيش فى أعماق الذات والتعمق فى فهم الأمور على أمل أن يؤدى ذلك إلى ايقاظ روح الشعب والى ولادة المجتمع ولادة جديدة ، كما كانوا يرون أن كل المذاهب والبرامج الليبرالية والماركسية الشائعة لن تستطيع تحقيق ذلك الاحياء الجديد ، وعلى ذلك نظر الى الاشتراكية الوطنية على انها الملاذ الأخير الذى قد يتقدم وينقذ المجتمع كله من الضياع .



ولقد تراجع كثير من هؤلاء المثقفين عن موقفهم حين أدركوا أبعاد الهتلرية التى كانت تتخفى وراء دعوى الاشتراكية الوطنية وان كان معظمهم لم يجاهروا بعدائهم لها وبذلك اعتبروا فى كثير من الأحيان ضالعين مع النازية أو على الأقل متعاطفين معها كما هى الحال بالنسبة لمارتن هايدجر ولكنه ربما كان من أخطر مايؤخذ على هايدجر فى ذلك هو تنكره تحت تأثير الاشتراكية الوطنية لأستاذه الفيلسوف الألمانى اليهودى إدموند

هوسرل . وهو موقف يكشف عن مدى الضعف الأخلاقي ولا يمكن التهوين منه رغم كل ماقد يقال عن أن تنكر التلاميذ لأساتذتهم مسألة شائعة وظاهرة تكاد تكون عادية في كثير من الأوساط العلمية والأكاديمية .

### ● تأييد مطلق للفوهرر

وعلى أى حال فان استيلاء هتلر على السلطة عام ١٩٣٣ كان نقطة تحول رئيسية وخطرة فى حياة هايدجر ، فقد رحب الفيلسوف علانية وبدون مواربة بمجيء الفوهرر وقيام الاشتراكية الوطنية واعتبر ذلك بداية عصر جديد لألمانيا ، وربما يكون هناك من المثقفين والكتاب والمفكرين فى ألمانيا من رفض النازية ولكنه آثر الصمت بينما حاول عدد قليل منهم مثل الروائى الكبير توماس مان أن يرفع صوته معربا عن عدائه لها كما آثر نيتشه النزوح لبعض الوقت الى سويسرا ، ولكن مارتن هايدجر ومعه عالم النفس التحليلى جوستاف يونج كانا من بين المثقفين الذين وجدوا فى أنفسهم الشجاعة للاعلان صراحة عن تأييدهم للاشتراكية الوطنية والسير فى ركابها ولو الى حين .

ولقد كانت الجامعات الألمانية ـ حتى قبل مجيء هتلر الى السلطة ـ تعانى كثيرا من الضغوط والتوترات وتموج بالدعوة الى قيام نوع من الثورة الوطنية وتسيطر عليها روح الرفض والتنكر والمقاومة للأساتذة والعلماء اليهود بحيث كانت آراء وأفكار ونظريات هؤلاء العلماء تجد كثيرا من الاهمال أو النقد والهجوم ولم يسلم من ذلك أينشتاين نفسه ونظرية النسبية ، ووصل ذلك العداء الى الذروة تحت الحكم النازى بحيث ان مدير جامعة فرايبورج الذى كان يعارض النازية وعداءها لليهود وموقفها من حرية الفكر وجد نفسه مضطرا الى الاستقالة من منصبه احتجاجا على ذلك المناخ غير الصحى ، واختار الأساتذة هايدجر بالاجماع ليكون المدير الجديد للجامعة .

وجاء خطاب هايدجر الافتتاحى بمناسبة تعيينه رئيسا للجامعة تأييدا صريحا للنازية ، ووصل به الأمر الى حد التهجم على كثير من المبادىء الأكاديمية والثناء على الغاء الحرية الاكاديمية التى كان يرى انها تحمل فى ثناياها كثيرا من الأخطار وتهدد الروح المعنوية للشعب . ولكن من الانصاف مع ذلك ان نذكر أن هايدجر لم يختم خطابه بالشعار المألوف حينذاك والذى يتضمن تمجيد هتلر ( هايل هتلر ) وانما ختمه بعبارة من جمهورية أفلاطون هى « إن الأشياء العظيمة تتعرض الآن للخطر » . ومع ذلك فكثيرا ماكان هايدجر يشيد بالفوهرر وبالهتلرية فى أحاديثه وخطبه التى كان يلقيها فى مختلف المناسبات ، ويعزى اليه أنه قال فى احدى هذه الخطب : « إن الفوهرر نفسه ، وهو وحده ، يمثل حقيقة ألمانيا فى الحاضر والمستقبل كما انه هو قانونها » .

وعلى أى حال فإن الفترة القصيرة التى شغل مارتن هايدجر فيها منصب مدير جامعة فرايبورج كانت فترة مليئة بالخطب والاقوال والأحاديث التى تمتزج فيها ـ على حد قول أحد مؤرخى الفكر

المعاصر ـ مصطلحات الوجود والزمان بألفاظ وشعارات الأيديولوجيا النازية التى كانت تدور فى معظمها حول فكرة الدم والأرض .

ورغم هذا كله فإن من الصعب أن يقال ان فلسفة هايدجر الوجودية كان لها صلة بالنازية أو أنها أثرت فيها أو مهدت لها الطريق للانتشار والذيوع ، كما أنه من الانصاف ان نقول أيضا أن علاقة هايدجر بالنازية تدهورت أو على الأقل ضعفت وتراجعت بسرعة فائقة ، وانه لم يلبث ان هاجم الهتلرية بعد الحرب ووصفها بأنها انفجار تاريخى لمرض بنائى أصاب جسم البشرية ككل واعترف بأن التخلص من سموم النازية القاتلة ليس بالأمر السهل أو الهين وأنه سوف يحتاج الى وقت طويل .

★★★

والواقع ان مسألة علاقة هايدجر بالنازية كانت قد اثيرت على نطاق واسع منذ أواخر الحرب العالمية الثانية بحيث اضطر هايدجر الى أن يتوقف من تلقاء نفسه عن التدريس بالجامعة عام ١٩٤٤ ، وفى عام ١٩٤٥ خضعت هذه العلاقة والدور الذى لعبه فى الحركة الهتلرية للفحص والتحقيق الرسمى أمام محكمة شكلت خصيصا لذلك الغرض ، وقد انتهت المحكمة الى تصنيف هايدجر ضمن الفئة « الأقل مسئولية » عن أفعال الحزب النازى وجرائمه وان كانوا « متعاطفين » مع ذلك مع الاشتراكية الوطنية وهذا معناه أن هايدجر لم يكن عضوا عاملا فى الحزب النازى ولم يكن نشطا فى تنفيذ سياسته أو تحقيق أهدافه ؟ .

ولذا سمحت المحكمة له بالعودة الى ممارسة عمله بالجامعة والتمتع بكل حقوقه الوظيفية والمهنية ، ومع ذلك لم تسمح له سلطات الاحتلال ( الحلفاء ) بالعودة الى الجامعة الا فى عام ١٩٥١ وقد يظل يلقى المحاضرات والدروس حتى تقاعده عام ١٩٥٩ ، وكان لمحاضراته ودروسه فى تلك الفترة تأثير قوى وفعال إذ كانت تجد لها صدى فى أوساط المشتغلين بالفلسفة بوجه خاص فى ألمانيا ، بل ان تأثيرها تعدى حدود المانيا الى فرنسا باعتباره أحد أساطين الفلسفة الوجودية التى كان سارتر يحمل لواءها هناك ، فكأن موقفه عام ١٩٢٣ لم يؤثر تأثيرا جديا على مكانته وسمعته فى الأوساط الفلسفية ويستوى فى ذلك أتباع الفينومنولوجيا أو الوجودية وان كان ذلك لم يمنع بعض المفكرين من أمثال كارناب وكارل بوبر من أن يسخروا من كتاباته ومن أسلوبه الصعب المعقد وأن يصفوا المصطلحات التى يستخدمها بأنها نوع من الهراء اللفظى .

● محاولات غير صريحة

ولقد كان البحث عن معنى الوجود الانسانى ومعنى « انسانية » الانسان من أهم المشكلات التى تشغل فكر مارتن هايدجر ، ولكن كلامه حول هذا الموضوع يسوده الغموض الذى يعتبر خاصة مميزة لمعظم كتاباته وقد تحول هذا الغموض فى أواخر حياته الى نوع من « الشاعرية » ربما نتيجة لتأثره بأعمال شاعر ألمانيا الغنائى العظيم هولدرلين ١٧٧٠ ـ ١٨٤٣ الذى كان قد طال اغفاله ونسيانه حتى تم ( اكتشافه ) من جديد فى أوائل هذا القرن ، ويذهب بعض مؤرخى الفكر الغربى المعاصر الى أن كتابات هايدجر عن الوجود هى محاولة غير صريحة للبحث عن الله كما انها تعبير ( مقنع ) عن

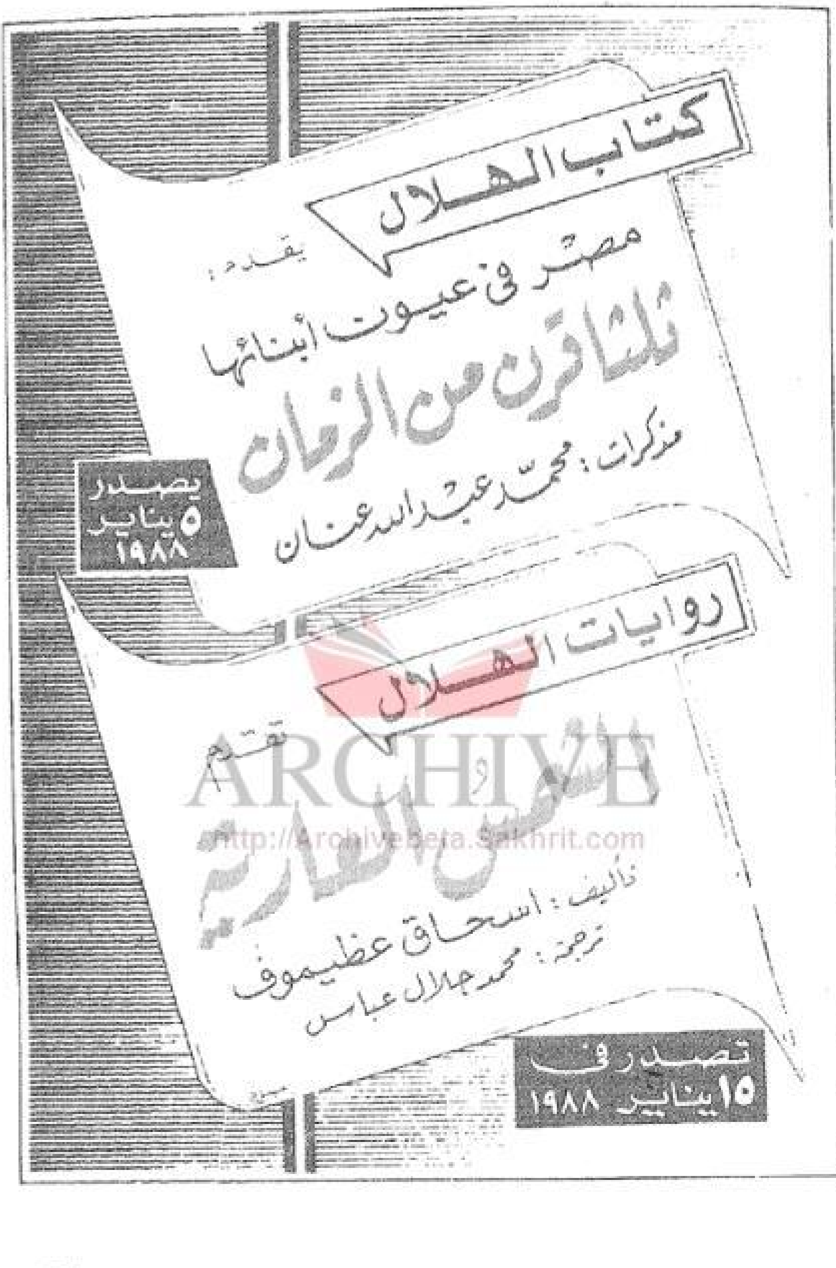
الايمان بوجود الله وأن التعبيرات الغامضة الصعبة تخفي وراءها نفس المواقف التقليدية القديمة ازاء الدين ، فعلى الرغم من موقفه الوجودى الذى يبدو لأول وهلة رافضا لفكرة الله ومنكرا لوجوده ، فان هايدجر كان ينتمى قبل كل شيء الى عائلة كاثوليكية وأنه كان يبدى منذ الصغر اهتماما بالدين كما درس اللاهوت والفلسفة المسيحية فى الجامعة وقد انضم لبعض الوقت الى الجزويت على ماسبق أن ذكرنا ، وربما يكون هايدجر اهتم بإثارة كثير من التساؤلات حول الوجود وماهيته ولكنه لم يكن يبدى اهتماما مماثلا بالوصول الى أجوبة قاطعة أو محددة لتلك التساؤلات ، فقد كان المهم فى نظره هو أن يثير الانسان التساؤلات طيلة الوقت دون أن ينتظر اجابات لها أو حتى يستمع لأى جواب ان كان ثمة جواب .

وحين تقاعد هايدجر من عمله بالجامعة عام ١٩٥٩ آثر أن ينسحب من الحياة فى المدينة ويعود الى موطنه الأصلى فى منطقة الغابة السوداء الشهيرة ، وهناك استمر فى الكتابة حول موضوعات متنوعة ابتداء من فلاسفة الاغريق قبل سقراط الى طبيعة الفن والعمل الفنى الى الشعر الى معنى التكنولوجيا وغير ذلك من المشكلات التى تهم الانسان المثقف الحديث ، ولكن الموضوع الرئيسى الذى ظل يشغل فكره طيلة الوقت رغم ذلك كان دائما هو البحث عن معنى الوجود مع الاهتمام باللغة باعتبارها اداة التعبير عن الوجود وأوضح مظهر له ، فالانسان على أكثر تقدير هو « راعى الوجود » الذى يكشف عن حقيقته وماهيته عن طريق اللغة .

ومات مارتن هايدجر فى المدينة الصغيرة التى ولد فيها وهى مدينة مسكيرش فى بادن بجنوب غربى المانيا ، وكانت وفاته فى اليوم السادس والعشرين من شهر مايو عام ١٩٧٦ .

وبعد احدى عشرة سنة من وفاته وبعد اثنين وأربعين عاما من تبرئة ساحته أمام القضاء الألمانى من تهمة الانتماء الى الحزب النازى والدعوة الى النازية والمشاركة فى تنفيذ سياستها ثم اضطرار الحلفاء الى رد اعتباره اليه بعد سقوط كل هذه التهم ، يظهر فى أوربا من يحاول اثارة القضية من جديد على زعم انه تم العثور على وثائق وأدلة جديدة تدينه وتكشف عن مدى تورطه مع النازية .

وايا ماتكون الحقيقة وراء هذه الدعاوى الجديدة فان مجرد اثارة هذه القضية من جديد وبعد طول هذا الزمن هو فى حد ذاته مؤشر واضح على المكانة التى كان يتمتع بها مارتن هايدجر فى الفكر الأوربى المعاصر ومدى التأثر بآرائه وكتاباته ؟ كما أنه من الناحية الأخرى دليل على أن أصحاب الفكر الأصيل يفرضون أنفسهم دائما ـ وبصرف النظر عن حياتهم الخاصة وأهوائهم الشخصية ـ على العالم وهم أموات بنفس القوة التى كانوا يشغلون الناس بهم وبأفكارهم وأرائهم اثناء حياتهم ، وهذا هو الدرس الحقيقى الذى يمكن أن يخرج به المرء ليس فقط من هذه القضية ولكن ايضا من دراسة حياة هؤلاء المفكرين المبدعين الأفذاذ .


كتاب الهلال
يقدم:
مصر في عيون أبنائها
ثلاثون من الزمان
مذكرات: محمد عبد الله عنان
يصدر ٥ يناير ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
تأليف: اسحاق عظيموف
ترجمة: محمد جلال عباس
تصدر في ١٥ يناير ١٩٨٨

# العالم في سطور

## باريس

### نهر النيل .. راقصة

« اعتقد انه لا توجد رحلة اشهر في الادب الفرنسي من تلك الرحلة التي قام بها مكسيم ديكا وفلوبير الى الشرق » ..

بهذه الجملة عرض الكاتب الفرنسي جان دوتور - عضو الاكاديمية الفرنسية - للطبعة الحديثة من كتاب « رحالة في مصر عام ١٨٥٠ : النيل » ففي عام ١٨٤٩ كان مكسيم ديكا اديبا متفتحا مليئا بالحيوية . وكان معجبا بفلوبير الى حد بعيد الذي كان يناهزه عمرا . ولم يكن يرغب سوى في اعداد كتيبات ادبية . وقد فكر الشابان في القيام برحلات حول العالم وامكنه الحصول على بعثة للسفر الى القاهرة . وعاد ليكتب وقائع رحلته في كتاب شائق ضم في طبعته الاولى مجموعة من الصور الجميلة للمدينة عبر نهرها العظيم بلغت سبعين صورة .

ويقول دوتور ان الشاب الفرنسي ديكا عندما جاء الى مصر لم يضع عينيه في جيبه . بل بدا مشدوها بالشرق وعالمه . لذا جاء كتابه اخاذا ساحرا . وان هذا الجو لم يكن يفسده شيء سوى الادارة التركية .

ولم يزر ديكا القاهرة وحدها . بل اخذ يجوب مصر باكملها من صعيدها الى الدلتا . ومن شرقها الى غربها المدن والقرى . وقد اهتم بكل ما رآه سواء في الاثار او التاريخ او العلوم.

واطرف ما قاله دوتور عن الكتاب - مجلة لوبوان في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ - ان ديكا قد وصف نهر النيل بشغف غريب في صفحتين متكاملتين . وبدا كانه يمارس مع النهر رقصة الاستربتيز التي يتأمل فيها الرجال بشغف امرأة تنزع ملابسها قطعة وراء اخرى حتى تظهر في النهاية بادية الحسن . ومن هنا تصدق مقولة « من يشرب من النيل فلابد ان يعود اليه ثانية » .

ورغم ان مكسيم ديكا قد وضع كتبا اخرى .. مثل كتابه « ذكريات ادبية » المنشور عام ١٨٨٢ - فان كل اعماله قد تلاشت اهميتها الى جانب كتابه عن النيل ..



# الربـــاط

## ● الادب المكشوف غريب فى وطنه

هل العرب هم اكثر الناس عشقا للجنس ؟

قد يبدو السؤال غريبا . لكن الملحق الذى اصدرته مجلة « اكتوى » الفرنسية ـ العدد ٩٤ ـ منذ شهرين حول الادب الاباحى كشف عن ظاهرة غريبة . وهى انه بعيدا عن القيود الاجتماعية والرقابية فان الكاتب العربى يطلق لخياله العنان ..ويصبح اشد اباحية من كتاب كثيرين فى بلاد العالم المعروف بتحطيمه لحواجز التابو .

فبعد الجنس المكشوف فى رواية « ليلة القدر » لابن جلون . فان هذا الملحق يضم نصوصا من الادب الاباحى لادباء متعددين يكتبون باللغة الفرنسية وبالاطلاع على النماذج المختارة من هذا الادب سوف نرى ان ثلاثة منهم من العرب . هم الجزائرى رشيد بوجدرة فى روايته « المرث » والمغربى محمد شكرى فى روايته « الخبز الحافى » والاديب محمد مرابط فى روايته « الحب من اجل بضعة شعيرات » .

الغريب ان هذه النصوص مترجمة مباشرة عن اللغة العربية . عدا النص الذى كتبه مرابط فهو مترجم عن اللغة الانجليزية . وتحت عنوان « ويسكى فى الصحراء » يمكن ان نشاهد نموذجا مخففا للغاية من هذا الادب .



رشيد بوجدرة

استلقت مينا على المقعد وبدأت فى التعرى . فخلعت رداء نومها الاخضر ومشدها ثم ظلت لحظة واقفة بلا اى ملبس سوى سروالها . ثم اتجهت اخيرا الى السرير . استدار محمد وجلس فوق المقعد واخذ يحتسى ببطء حتى لم يعد يتبقى شىء من الويسكى احس بالندم لانها شربت حتى الثمالة لقد تصور انه قرر كل شىء ولكنه احس ان مينا لن تفعل شيئا الا برغبتها معه وتساءل كيف تنتابها الرغبة فى ان تنام فوق هذا السرير القذر ؟

قام . وخلع سترته وقميصه ثم بنطلونه . وتردد ثم جلس على السرير بسرواله وبمجرد ان نام وضعت ذراعها حوله . فعانقها وقبلها وتبادلا كلمات الحب وكرراها بالتبادل » ..

السؤال الان .. هل هناك تفسير لهذه الظاهرة . هل ما يحدث امر طبيعى ؟ ام هى محاولة للخروج من كل محرمات المجتمع الذى يعيشون فيه .. الغريب انه فى الوقت الذى يقابل فيه العرب هذه الاعمال بمفاهيم ضيقة ويرفضونها . فان دور النشر الغربية تفتح لها ذراعيها وتنشرها على قارىء غير عربى .. ويصبح الادب العربى غريبا فى وطنه !

## مدريد

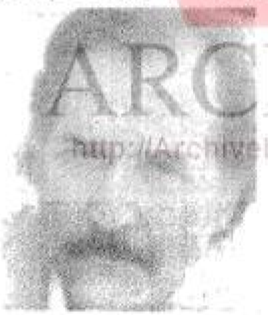
● اضخم جائزة ادبية فى العالم .. اسبانية

فى موسم الجوائز الادبية العالمية، منحت جائزة سرفانتس للكاتب المكسيكى المعروف كارلوس فونتس .

قيمة الجائزة هنا انها تمنح للادب المكتوب باللغة الاسبانية ايا كان موقع كاتب هذه الرواية . لذا فهى قد تروح الى اى كاتب فى امريكا اللاتينية . وليست محصورة داخل الادب المكتوب فى اسبانيا وحدها .. وليت القائمين على الجوائز الممنوحة للادب العربى يقرءون هذه الفقرة ..

اما كارلوس فونتس فهو احد المع كتاب الرواية المكسيكية المعاصرة وهو - ٥٨ عاما - كاتب غزير الانتاج ليس فقط فى عدد رواياته . ولكن فى عدد الصفحات التى تضمها هذه الروايات مثل روايته قبل الاخيرة « ارضنا » التى تقع فى الف صفحة كبيرة . وكذلك رواياته الاخرى « اغنية الضرائر » و « اكثر الاماكن هدوءا » و « المنطقة المقدسة » واغلب هذه الروايات سياسية فى المقام الاول . فهى تتحدث حول تاريخ المكسيك الحديث فى حكايات شهرية مثل روايته ارضنا التى تدور احداثها فى قرن كامل من الزمن . وهذا ليس غريبا على كتاب امريكا اللاتينية جميعهم وبصفة خاصة على فونتس نفسه . فهو ليس كاتبا متحررا او معارضا . ولكنه بشكل ظاهرة غريبة عرفت عن الكثير من ادباء القارة اللاتينية : حيث يعمل الكثير من الادباء فى السلك الدبلوماسى لبلادهم . ويعملون وظيفيا كسفراء فى العديد من الدول . مثل الميهولكار بنتير . واوكتافيا فيوباث واخرون . اما فونتس فهو يعمل منذ سنوات سفيرا للمكسيك فى باريس

تتميز جائزة سرفانتس بأنها تمنح الكاتب الذى يفوز بها اكبر مبلغ يمكن ان يحصل عليه كاتب فائز بأية جائزة عالمية على الاطلاق . فاذا كانت القيمة المادية لجائزة نوبل تبلغ ٣٩٠ الف دولار . فان المبلغ الممنوح فى جائزة سرفانتس - وهو بالطبع اسم الكاتب الشهير صاحب دون كيشوت - يصل الى ٥٠٠ الف دولار . لذا فان الجائزة لا تمنح عن عمل بعينه بل مجموعة اعمال الكاتب الفائز بها ..



كارلوس فونتس

## أطلنطا

● الحارس الجديد .. زنجى

فقد ادب الجنوب الامريكى فى عام ١٩٨٧ اثنين من ابرز رجاله فى

القرن العشرين ٠ وهما ارسكين كالدويل الذى رحل فى مايو الماضى ٠ ثم الاديب الزنجى جيمس بولدوين الذى مات فى اوائل ديسمبر وهو احد الذين تصدوا للتفرقة العنصرية وخصصوا اقلامهم لمناهضتها وقد استقى الكاتب وقائع رواياته من الحياة التى عاشها اقرانه فى منعزلات الزنوج فى المجتمع الامريكى ٠

ولد بولدوين فى عام ١٩٢٤ بحى هارلم ٠ وعن معاناته فى هذا الحى يقول : « كنت طفلا حين عوملت لاول مرة كزنجى قذر ٠ طفل صغير بين الخامسة والسابعة من العمر ٠ لم نكن ندرك الامور جيدا ٠ ولكن كنا نشعر اننا مهانون ٠ ومما زاد الطين بلة ان يلاحظ المرء فيمن حوله ان امه واباه واخواته ايضا من الزنوج القذرين ٠ فتشعر فجأة انه من المحتم عليك ان تعيش بين بشر يحتقرونك انت واسرتك ٠ وسوف تكتشف السبب : انك لست ابيض فبمجرد ان يولد طفل فى اسرة زنجية فان ابواه يعرفان انه سيعود يوما الى المنزل متسائلا : ماما ٠ من هو الزنجى ؟ وعن وعى او دونه سيحاول الابوان ان يعدا نفسيهما لهذا اليوم ٠ للاجابة على هذا السؤال » ٠

عن هذا العالم عبر بولدوين فى رواياته العديدة منها « ذلك البلد الاخر » المنشورة عام ١٩٦٠ والنيران فى الزمن القديم » ١٩٦٣ ٠ و « احرق ياطفلى احرق » عام ١٩٦٥ ٠ وروايته الذائعة الصيت « جرائم قتل فى اطلنطا » المنشورة عام ١٩٨٢ وهى عبارة عن تحقيق روائى حول حادث



جيمس بولدوين

حقيقى دار فى احدى المدن الامريكية يتعلق بالتفرقة العنصرية ٠

ورغم ان بولدوين لم يكتب شيئا سوى عن الجنوب الامريكى : فانه اختار الاقامة بجنوب فرنسا منذ حوالى اربعين عاما ٠ وعندما اختار ان يعيش بعيدا عن الولايات المتحدة ردد : « لست سوى شبح ، فاللعنة عليك يا امى » ٠ ورغم ذلك فان بولدوين كان يرى ان المعاناة التى عايشها هو واهله فى بلاده كانت لها دور كبير فى تعميق ابداعه ٠ وحول هذا يردد : « ليس من الممكن ان تكون انسانا او فنانا دون ان تكون لك قواك المعنوية فالحياة الانسانية هى اكثر الاشياء تقديسا ٠ ونحن حراسها » ٠

ولكن ماذا يمكن ان يحدث اذا سقط الحارس ٠٠ قانون الحياة يقول ان هناك حارسا جديدا سوف يقوم بالدور

## العالم في سطور

### لندن

### ● العلم يقتل الطيور

دافني دي مورييه هي صاحبة اشهر ثلاث روايات في الادب العالمي المعاصر .. وقد قدم الفريد هيتشكوك روايتين منها الى السينما وهما « ريبكا » . ثم « الطيور » .

احتفلت دافني في الشهر الماضي بعيد ميلادها الثمانين . وانضمت بذلك الى زمرة الكاتبات الانجليزيات اللاتي بلغن العقد التاسع وعلى رأسهن بربارا كارتلاند ( ٨٠ عاما ) أيضا بربارا كوبر ( ٩٠ عاما ) وفرانسيس بارتدج ( ٨٧ عاما ) .

وبمطالعة هذه الاسماء سنجد ان السيدة دي مورييه هي أسعد بنات جيلها حظا رغم أن بربارا كارتلاندا أكثر منها شهرة . الا ان اعمال الكاتبة تحظى باهتمام النقاد والقراء معا . ورغم ان الكاتبة قد توقفت عن الابداع منذ سنوات فان رواياتها تعاد طباعتها بشكل مكثف في دور النشر العالمية والعربية ايضا .

الطريف ان الكاتبة قد بدأت حياتها كفنانة تشكيلية . كانت شديدة الاعجاب بالفنان الايطالي مايكل انجلو . وقد دفعها حب الفن التشكيلي الى الاقامة في مدن عديدة منها باريس وبرلين . وتمنت أن يهبها الله القدرة على ان تكتب مثل كاترين مانسفيلد . وبدأت كتابة روايتها الاولى « ريبكا » عام ١٩٢٩م . وتقول ان الذي دفعها للكتابة ان « الافكار بدأت تموج في رأسها اشبه بالبشر الذين يتحركون فوق رصيف احدى المحطات المكتظة » . ورغم ذلك فلم تستطع الانتهاء من روايتها «ريبكا» الا بعد تسع سنوات . وتركتها لفترات من الوقت كي تكتب روايات اخرى منها « حانة جمايكا » المنشورة عام ١٩٣٦م . وفور أن ظهرت رواية « ريبكا » التقطها هيتشكوك واخرجها في فيلم يعد علامة بارزة في تاريخه الفني . واسند دور الزوج الى لورانس اوليفييه اما دور الزوجة فقد قامت به « جوان فونتين » .

من اشهر روايات دافني الاخرى : « ابنة العم راشيل» ١٩٥١ و«ابدا قبل منتصف الليل » عام ١٩٧٢م . فضلا عن رواية « الطيور » التي اخرجها هيتشكوك أيضا في فيلم شهير .

اغرب ما يتعلق بحياة الكاتبة . انها قد هجرت عالم الادب تماما منذ عام ١٩٧٠م وكرست كل جهدها من اجل البحث العلمي .





لقطة من فيلم الطيور

## جنيـــف

### متشرد وخالد

قبل ايام ، وبالتحديد ليلة عيد الميلاد « الكريسماس » منذ عشرة اعوام اسلم اشهر متشرد فى العالم الروح عن عمر يناهز التسعين ٠

وبين اول بيان صحفى تحت كلمة « المهد » من مجلة « المـاجنت » الانجليزية الصادرة فى الحادى عشر من مايو ۱۸۸۹ يعلن للملأ عن مولده فى الخامس عشر من الشهر الماضى

واخر بيان يعلم الانسانية فى مشارق الارض ومغاربها برفاته فى منفاه الذهبى ببلدة « فيفى » بربوع سويسرا ٠

عاش شارلى شابلن حياته بالطول والعرض ٠

فلقد اخرج ومثل وانتج عشرات الافلام عبر خمسين عاما او يزيد ٠

منها القصير « كسب العيش ١٩١٤» والطويل « الصغير ۱۹۲۲ » الصامت « معظم الافلام » والمتكلم « المسيو فيردو ١٩٤٦ » الكوميدى والتراجيدى « اضواء المسرح ١٩٥٢ » ، الابيض والاسود واللون « الكونتيسة من هونج كونج ١٩٦٤ » ٠

تبادل الحب مع كوكبة من فاتنات هوليوود ، لعل اشهرهن « بولانجرى » ملكة اغراء العشرينيات و « بوليت جودارد » التى اختارها ممثلة امامه فى رائعتيه الدكتاتور العظيم ١٩٤٠ » « الزمن الحديث ١٩٣٥ »

تزوج ثلاث مرات وفى كل مرة كانت الزوجة تصغره بكثير «اونا» ابنة الاديب الكبير « اوجين اونيل » واخر الزوجات ، كانت فى عمر الزهور ( ۱۸ ) ، عندما تزوجها ، وله من العمر ٥٥ عاما ٠



شارلى شابلن

وفوق كل هذا نجح فيما لم ينجح فيه فنان او سياسى من قبل او من بعد ، نجح فى ان يكون معبود الجماهير ، لا فى بريطانيا وطنه الاصلى ، ولا فى الولايات المتحدة وطن اطيافه ، بل فى كل ركن من اركان المعمورة ، حتى ولو كان قصيا ٠

ومن وقائع حياته التى لا تنسى ما حدث له عند اول عودة له الى وطنه الاصلى ( ١٩٢١ )

فلقد استقبلته الجماهير استقبال الابطال ، حملته على الاعناق من قطار « المركب » الى محطة ووترلو ٠

ومن وقائعها الاخرى ، وقفته الشجاعة ضد النازية وجرائمها فى « الديكتاتور العظيم » ، كشفه للعسكرية وتآمرها فى « مسيو فيردو » نضاله ضد الكارثية وبشائعها فى « ملك فى نيويورك » ( ١٩٥٧ )

ويضطره خطر المكارثيه ـ وهو خطر غير قليل ـ الى مغادرة الولايات المتحدة سعيا الى الحرية ( ١٩٥٢ )

ويظل بعيدا عن الارض التى انجب فيها روائعه ، لا يعود اليها الا بعد عشرين عاما ٠

وهكذا اصبح المتشرد الشقى حملا وديعا ٠ او كما تقول الاغنية الامريكية « حبه سهل » لانه لا خطر منه ، ولا خوف على مصنع الاحلام ٠٠ ومن هنا التكريم !!

### ٨٠ عامًا على ميلاد :

# ألبرتو مورافيا

بقلم : محمود قاسم

**احتفل الكاتب الايطالى المعروف البرتومورافيا منذ عدة اسابيع بعيد ميلاده الثمانين . تجىء اهمية هذا الخبر ان مورافيا ـ رغم هذا السن ـ لايزال كاتبا معطاء ، لايكف عن الابداع الادبى . وكتابة النقد السينمائى وتتصدر رواياته الجديدة قائمة المبيعــات فى ايطاليا وخارجها .**

**وها هو مورافيا يحمل سنواته الثمانين ـ المعنية بالخصوبة والتدفق ـ فوق كاهله ويأتى الى القاهرة فى اواخر يناير الحالى فى زيارته الثانية لها وذلك بدعوة من الهيئة العامة للكتاب لحضور المعرض الدولى العشرين للكتاب .**

السؤال : هل هــذا الخبر مفرح ... الشيخوخة واصبحوا « حالات » ادبية من الماضى . الى هذا الحد ؟

لنعرف أن مورافيــا ـ وهو اهم كتاب اللغة الايطالية الذين على قيد الحياة ـ لايزال يكتب بنفس الحمية والحماس اللذين عرفا عنه منــذ أن نشر كتابه الاول ، وكأنه كاتب شــاب يبحث عن الشهرة رغم أنه حصل على أعلى درجاتها منذ ستين عاما . هذا فى الوقت الــذى جفت فيــه قريحة كتــاب عــديدين وصلوا الى سن

ومورافيــا يتربع الان على عرش الادب الايطالى الحديث رغم امتــلاء الخريطة الادبية بالاف الاسماء التى تنشر أدبها تباعا . ولم يجىء تربعــه فوق الساحة من خلال أعمال أدبية أصبحت الان فى ذمة التاريخ . بل انه لا يزال يكتب أعمــالا أدبية تثير النقاشات ، كما انه يكتب مقالات أدبية ونقــدية بصفة منتظمــة فى الصحــف



والمجلات منها بابه الاسبوعى فى النقد السينمائى بمجلة « اسبرسو » ، وهى نفس المجلة التى خصصت عنه ملفا ضخما قبل الاحتفال بعيـــد ميلاده الثمانين بشهر واحد .

ومورافيـــا ليس غزير الانتـاج الادبى . بمعنى انه لم يقدم الكثير من الروايات خــلال عمره الادبى ــ ٦٠ عاما ــ فرواياته لا تزيد على العشرين واحدة . الا ان هذه الكتب قــد حققت دومـا أعلى المبيعـات وترجمت الى أغلب اللغات المقروءة . منها اللغة العربية فى طبعات عديدة بعضها ترجمـــات كاملة . والبعض الاخر ترجمات مختصرة . وقد أصبح مورافيا موضة للقراءة فى النصف قرن الماضى . وزادت شهرة هــذه الروايات أكثر بعد أن أصبحت أفلاما سينمائية قام أشهر المخرجين باخراجها .. واسندت بطولتهـــا الى شهيرات نجمات السينما الايطالية والعالمية .

جاءت أهمية مورافيـــا من قدرته على الغوص فى أغوار النفس البشرية . يصف ضعفها ويتغلغل فى كوامن قوتها . فجعل من قلمه مبضعا حادا يشرح به النفوس والمجتمع . فاهتم بالطبقات الاجتماعية التى ظهرت فى ايطاليا منـــذ سنوات عديدة خاصة أبناء الطبقة البرجوازية . وقـد اهتم مورافيا بصفة خاصة بالعـــلاقة بين الرجل والمرأة خاصة عندما يتسرب اليأس الى جدرانها فيتشقق ويتهـدم

المسرح . واذا كان البعض قد تصور أن مورافيا كان اباحيـــا فى بعض ســـطوره . فان كل الذين حاولوا التقليد به قد فشلوا وراحت أعمالهم أدراج الرياح بينمـــا بقيت روايـات مورافيا .

## الأصل هو الشاذ !

ولد البرتو [illegible] المعروف باسم مورافيا فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٠٧ بالعاصمة الايطالية روما . وكان [illegible] من مرض سل العظام ممـــا اضطره الى ملازمة الفـــراش لاكثـــر من خمس سنوات . وخلال سنوات المراهقة بدأ مورافيا فى كتابة روايته الاولى . ولم يكن قد تعدى السادسة عشرة . وقد كتبها مورافيا وهو حبيس جـــدران احدى مصحات الاستشفاء الواقعة فى منطقة الالب . لذا جـــاءت روايته « زمن اللامبالاة » بمثابة ملحمـــة عائلية . وهى تدور حول اليأس الذى أصاب عائلة ايطالية موسرة فتفسخ

أواصرها . وتحطم هيكلها الشامخ . « المرض يعطيك نظـرة مختلفة الى الحياة . مختلفة بالمقارنة الى نظرة الانسان الصحيح والمعافى . ولكن المرض فى حد ذاته ليس سببا لليأس. فاليأس هو أن تنظر الى الحياة كما هى عليه وعلى الانسان أن يحدق دون مواربة فى وجه الواقع ، والحياة تملك تلك الابتسامة المشرقة التى يتصورها البعض » .

والملاحظ أن اليأس هو البطل السرمدى لاغلب روايات مورافيا .

منذ روايته الاولى المنشورة عام ١٩٢٩ وحتى روايته الاخيرة « الرجل الذى ينظر » المنشورة عام ١٩٨٥ . واليأس هو مزيج من حالات شعورية عديدة منها الكآبة والملل والوتيرة الواحدة . والشعور بأن لا مخرج من هذه الحالة النفسية الا بالانتحار . وقد واجه مورافيا هذه الحالة عند محاولة زوجته الكاتبة السا مورانته الانتحار يوما ما . « اليأس هو الوضع الطبيعى للانسان والامل هو الشاذ » .

ورغم هذا فان حياة الكاتب الخاصة والادبية كانت تخلو من اليأس والكآبة . فقد عرف النجاح منذ الوهلة الاولى . ولم يعرف الفشل يوما . وعقب ظهور روايته التحق بالعمل فى العديد من الصحف الايطالية التى أوفدته فى سفريات عديدة داخل وخارج ايطاليا . ورغم قيامه بالرحيل الى العديد من دول العالم كالولايات المتحدة والمكسيك والصين والكويت ومصر . فانه كان يميل الى البقاء فى مدينة ايطالية بعينها مثل مدينة كابرى التى اقام بها خمس سنوات فى أوائل الثلاثينيات وخصص عنها رواية تحمل عنوان ١٩٣٤ وهى احدى أحدث رواياته . اما أشهر أعماله فقد كان يكتبها فى أجواء معينة حيث يوحى لنفسه أنه محبوس داخل جدران لا مخرج منها مثلما حدث مع روايته « أوجستينو » المنشورة عام ١٩٣٦ . ثم « أنا وهو » المنشورة عام ١٩٧٩ والتى قيل أن الكاتب استغرق فى كتابتها أكثر من سبع سنوات .

اما أشهر روايات الكاتب الاخرى فهناك « المتثل » ١٩٤٧ ، « الحب الزوجى » ١٩٤٩ ، « امرأة من روما » ١٩٤٩ ، « الاحتكار » ١٩٥٤ ، « امرأتان » ١٩٥٧ ، « الملل » ١٩٦٠ ، « الانتباه » ١٩٦٥ ، « الملك العارى » ١٩٧٨ .

● البرجوازية فاسدة

وبالنظر الى هذه الروايات نجد الكاتب يشهر قلمه لانتقاد أبناء الطبقة البرجوازية التى تحمل فى طياتها عوامل فنائها . فهى التى ساعدت على وجود الفاشية الايطالية . ولم يسع مورافيا الى تغريب عالمه ، بل قدمه واضحا مكشوفا . فلم تهرب شخصياته الى الغيبيات والفلسفيات وما وراء الطبيعة . وقد أعلن الكاتب دوما أنه تلميذ نجيب فى مدرسة فيدور دوستويفسكي وتولستوى . ثم

انه تجاوز ابداع هـذين العملاقين محاولا صبغ أدبه بصبغة معاصرة ٠

وعن حياته الخاصة ٠ فقد ارتبط الكاتب بثلاث من النساء خلال حياته ٠٠ الاولى كانت الكاتبة المعروفة السامورانته حيث ارتبطـا معـا لعشرين عاما امتدت بين عامى ١٩٤١ و ١٩٦١ ٠ ورغم انفصالهما فانهما ظلا صديقين الى أن رحلت فى عام ١٩٨٥ ٠ أما المرأة الثانية فهى الكاتبة داتشيـا ماريانى احدى المهتمـات بالمشاكل النسوية ٠ وقد ارتبطا معا منذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٨٠ ٠ ويقول حول هذه التجربة : « تزوجت مرتين وعرفت من خلالهما أن للمرأة تأثيرا غير محسوس ، ومن الصعب أن يشرح الانسـان حقيقة شعوره بالنسـبة الى نفسه أو بالنسـبة للآخرين » ٠ أما الارتباط الثـالث فقد تم فى عام ١٩٨٦ مع فتاة تدعى كارمن لليرا تصـغر الكاتب بسبعة وأربعين عاما ٠ ويقـول فى مجـلة لونوفيل اوبسرفاتور حـول هـذه التجربة : « الحب شيء مختلف تماما عن الزواج ٠ فزواج المرء عن حب قد لا يدوم وقتا طويلا » ٠

اعتكف مورافيـا سبع سـنوات بأكملها كى يكتب روايته « أنا وهو » المنشورة عام ١٩٧٩ ٠ واستنفد أيضا الكثير من الوقت فى المحاكم الايطالية حتى يمكن السماح بنشر هذه الرواية ٠٠ والشخصية الرئيسية فى هـذه الرواية فتاة صغيرة تدعى أمنية ٠٠ يشير اليها الكاتب بضمير « أنا » ٠ فهى تجلس أمامه تروى له حكايتها ٠ فهى فى التاسعة عشرة من عمرها ٠٠ تحدثه عن السنوات الخمس الاخيـرة من حياتها ٠ أو بالاحـرى سنوات المراهقة التى يعتبرها الكاتب أكثـر السنوات ثراء فى حياة المرأة ٠ الا أن أمنية تسميها « سنوات الجرم » ٠٠ فقد حاولت فيها أن تدمر أمهـا والشاب اليسارى الذى أحبها ٠ تقول انه كان عليها أن تمارس ما يمكن أن تعيشه الفتاة فى مثل هذه السنوات٠ التجربة الاولى ٠ العلاقات السرية ٠ والبحث عن مفاتيح الاشـياء ٠ والسؤال عن الالغاز المحاطة بها ٠

وسعيا وراء معرفة جذور الاشياء يسعى الكاتب الى لقاء الام ٠٠ التى تخبره أن أمنية ليست ابنتها ، وانها تبنتهـا ذات يوم من امرأة ـ الام الحقيقية ـ تعمـل غانية ، وتتحدث فيولا أن الفتاة لم تمش فى ركـاب أمها لانها كانت تفتقر الى الجمال ٠ وعندما استطاعت أن تقلل من وزنها وتجرى عملية تجميل لم تتورع عن لفت نظر الرجال والارتباط بهم ٠٠ وتخبره المرأة أيضـا أنها تتمنى لو أحبتها ربيبتها وعاملتها كأم حقيقية٠

ويهتم الكاتب بأن يحدث مواجهة بين أمنية وفيولا فيما يسميه بالحرب المدنية الاجتماعية ٠ فيكتشف أن كلتا المرأتين مصابتان بحـالة من اليأس رغم انهما مسلحتان بما يمكنهما من مواجهة المعتركات التى حولهمـا ٠

ويقول مورافيا ساخرا فى هـــذه الرواية ان الحروب تولدت فى التاريخ من اثر ما يدور فى مخادع النساء ، وان ما دار بين امنية وامها ليس سوى احد هذه الحروب ٠

● لست متفائلا ..

اذا كانت السامورانته قد وضعت عينيهـــا عـلى رواية « امرأتين » لمورافيا وهى تسطر اخر رواياتهـــا « تاريخ » المنشورة عام ١٩٨٣ ٠ فان البرتو مورافيا قد وضع عينيه على رواية « الجبل السحرى » وهـــو يكتب روايته ١٩٣٤ ٠ كما وضع عينيه على رواية اخـــرى الكاتب الامريكى ويليام ستايرون هى « اختيار صوفى » .. واليأس الذى يصيب البشر هو البطـل المطلق فى هـــذه الروايات جميعها ٠ وهو حالة يأس عام يمكن للمرء أن يستشفها من خـــلال بعض الاشخاص ٠ ولوتشيو بطـــل رواية ١٩٣٤ شاب فى السابعة والعشرين من العمر ٠ مصاب بمرض عضال ٠ لذا فهو ينتظر قـــدوم الموت بين لحظة واخرى ٠ ويساعد هـــذا المرض فى زيادة شعوره باليأس ٠ وكلما سعى الى فتح دائرة يلج منهـــا الامل ٠ تنغلق حوله دوائر من اليأس ٠ لذا فانه يقرر الذهاب الى مدينة كابرى ٠ نفس المدينة التى عاش فيها الكاتب فى نفس هذه السنوات خمسة أعوام٠ ورغم جمال المدينة فان لوتشـيو لم يجد شيئا فيها يجذبه من حالته التى يجتازها ٠ وسعيا للهـروب من هذا الشعور فانه يقرر كتابة رواية تدور احداثها فى الثلاثينيات ٠ أو بالتحديد فى عام ١٩٣٤ ٠ هذا العام الذى كان هتلر قد استولى قبله تمـــاما على مقاليد الحـــكم لكن بطلنـــا يقرر الانفصال تماما عن الزمان والمكان الذى يعيش فيه ٠ فيتصور أن بطـل روايته التى يكتبها مصاب مثله بحالة تدفعه الى الانتحار ٠

وتبدأ أحداث الرواية فوق سفينة صـغيرة تنقل الشاب الى كـابرى ٠ وفوق ظهـر السفينة يروعه زوجـان المانيـــان جاءا الى ايطـــاليا فى رحلة سياحية ٠ وبمراقبـة الزوجة يتصور أن عينيها تشعان يأسا أقرب الى ما يعانيه ٠ « كنت أنظر اليهـا وتنظـر الى ٠ فاندهشت واكتشفت شيئا كنت احسه ولم أعشه قط .. وهو اننا غير قادرين على أن نتلاقى أو نتصل من خلال النظرات فحسب ٠ بل بالحوار أيضا وباسلوب مميـــز وواضـح » ٠

وكانه وقع أسير هـــاتين العينين البائستين ٠ فيقرر أن يتابع المرأة ٠ فيقيم فى نفس الفنـدق الذى ينزلان به ٠ وكانه مستنجر بطل روايـــة

« اختيار صوفي » . ويحاول سدى أن يتلاقى بالمرأة أو يحاورها لكن بلا جدوى . فهي لا تريد منه سوى النظرات فحسب . ويصر لوتشيو على محادثتها أمام حمام السباحة فتجبره أن يكتب لها رسائل . وتعده أن ترد عليه . وفي رسالتها الاولى اليه تحدثه عن انتحار الشاعر الالماني هاينرش فون كلايست مع حبيبته في عام ١٨٢٨ ـ راجع مقالنا حوله في مجلة الكويت ١٩٨٣ ـ وقد انتحر الاثنان عندما شعرا أن حبهما في طريق مسدود . ويتكهن لوتشيو ان المرأة تبقى لو تكررت صفحات التاريخ . وكأنها بذلك تدعوه للانتحار معها .

ولا يبرر الكاتب الاسباب التي تدفع المرأة الى هذا السلوك فزوجها رجل غيور يحبها . ويميل الى تصويرها دائما . لذا تقرر الرحيل مع زوجها فجأة رغم انها تعرف ان أختها التوأم سوف تحضر الى الفندق بين ساعة وأخرى . وفي هذه الاثناء يكون لوتشيو قد تعرف على امرأة أخرى تدعى سونيا . وهي مخلوق غامض . تكبره بسنوات طوال . وتعمل أمينة في أحد المتاحف . ويقال انها هربت من روسيا خوفا من بطش السلطات . ولانها امرأة غامضة يقرر العودة مرة أخرى الى أختها الالمانية . وعندما يقابل أختها التوأم تحدثه انها تختلف كثيرا عن شقيقتها .. وانها تهتم بالسياسة . وتأتي معها بزميلة ألمانية وتخبره أن النساء الالمانيات يحببن في الرجل الايطالي النموذج الكازانوفي .. ويكتشف الشاب أن اليأس ليس حالة فردية تصيبه وحده بل هي حالة الكثير من البشر .

وعند سؤال الكاتب عن الدافع الذي من أجله اتجه الى الكتابة السياسية تحدث الى مجلة « كل العرب » قائلا : « لست مناضلا ، ولكنني الكاتب الاوربي الوحيد الذي ذهب الى دمشق من أجل اجراء مقابلة مع ياسر عرفات . وكنت المثقف الاوربي الوحيد الذي شارك في مؤتمر الفلسطينيين بالكويت .. الوحيد الذي كان موجودا في بكين أثناء الثورة الثقافية . لا أريد أن أناضل . بل أن أفعل . والمسألتان مختلفتان .. »

لا شك أن السينما قد لعبت دورا كبيرا في تقديم الادب الى جمهور أوسع . ويمكن للسينما أن تحقق شهرة كبيرة لأدب الكاتب . وقد وضعت السينما عينيها على روايات مورافيا منذ سنوات طوال . وقد تباينت الافلام المأخوذة عن روايات الكاتب . فحقق بعضها شهرة عالمية كبيرة .. ومر بعض هذه الافلام مرور الكرام .

# العالم غدا

## ● دواء مصرى للايدز

يقيم د . أحمد شفيق حاليا فى زائير لتجربة الدواء الذى اكتشفه لعلاج مرض فقدان المناعة المكتسبة ( الايدز ) ، وذلك بناء على توصية من منظمة الصحة العالمية ، بعد نجاح التجارب المعملية التى اجريت على الدواء .

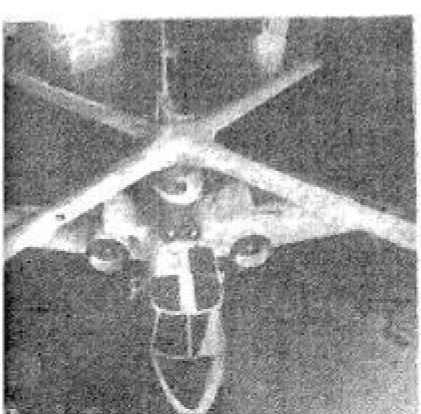
ويعمل الفريق الذى يرأسه د . شفيق فى اطار المركز العالمى لابحاث مرض الايدز فى زائير ، الذى يشارك فى ابحاثه اكبر المعاهد العلمية المهتمة بالمرض مثل المعهد الامريكى للايدز ومعهد باستير الفرنسى والمركز الاوربى لابحاث الايدز وقد اثبت الدواء الذى توصل اليه د . شفيق فعالية كبيرة مقارنة بالعلاجات التقليدية المتبعة حاليا والتى لا تجدى فتيلا مع هذا المرض ..

**وجدير بالذكر أن القاهرة ستشهد خلال شهر مارس مؤتمرا دوليا للايدز، سيشارك فيه الى جوار امريكا وفرنسا وزائير عدد من الدول الاوربية والعربية ، وسيكون الدكتور شفيق مقررا عاما للمؤتمر الذى يركز فى ابحاثه على الجديد فى طرق العدوى والعلاج ..**

المعروف أن وزارة الصحة المصرية تقوم بحملة مكثفة لفحص المشتبه فى اصابتهم بالمرض ( مرضى الحميات ومدمنى المخدرات والمقبوض عليهم فى قضايا الاداب والمساجين والعائدين من الخارج ) وفحص مشتقات الدم المستوردة ، وصرحت مصادر وزارة الصحة أن ما تم العثور عليه يناهز ٣٠ حالة ايجابية ( حاملة للفيروس ) منهم ١٦ أجنبيا أعيدوا الى بلادهم . والباقون مصريون انتقل اليهم المرض فى الخارج ..

## ● طائرة هجين

نشرت أخيرا ظاهرة صناعة الطائرات التى تجمع بين صفات الحوامات ( الهليوكبتر ) والطائرات العادية ، بغية الاستفادة من أحسن ما فى الطائرتين : السرعة ، الاقتصاد



في الوقود ، القــدرة على الهبوط العمودي في أى مكان ٠

وقد صممت وكالة الفضاء الامريكية ( ناسا ) طائرة من هذا النوع مع شركة سيكورسكي تحت اسم « دبليو وينج » تقوم بالاقلاع عموديا ، وحين تصل الى ارتفاع معقول تكف مراوح الحوامة عن الحركة لتواصل الطائرة رحلتها كطائرة عادية ، بسرعة تصل الى الف كيلومتر في الساعة ٠٠ أى تفوق بثلاث مرات سرعة أحدث طائرة حوامة قتالية ٠٠ وجدير بالذكر أن حاسبا الكترونيا متقدما جدا هو الذي ينسق حركة الطائرة الجديدة ٠٠

## ● التراث العربي في خطر

ذكر تقرير صادر في الكويت عن حركة « الثقافة العربية » أن التراث بجميع أنواعه مهدد في كافة الدول العربية ، لمجموعة من الاسباب أهمها وجود المناطق الاثرية وسط الانشاءات الحديثة ، وعدم الوعي بأهمية التراث وعمليات السرقة والنهب التجاري ٠

وقد أكد التقرير على انتشار عمليات تزييف التراث ونهبه في كثير من البلدان العربية رغم حماية التشريعات ، وان هناك محاولات تبذل بمساعدة اليونسكو ، لاستعادة عدد من القطع الاثرية التي نهبت ٠٠

هذا كما أكد التقرير غياب الطرز العربية والاسلامية في تصميم المدن العربية الحديثة ، وبين أن هناك عجزا هائلا في مجلات الطفل وكتاب الاذاعة والتليفزيون والمسرح ٠٠

## ● أوربا تغزو الفضاء

● أقام معهد الدراسات والبحوث بالاسكندرية محطة لتحليل بيانات الاقمار الصناعية للاغراض البحثية والتعليمية ، بالتعاون مع منظمة اليونسكو ، وقد تكلف انشاء المحطة ٤ ملايين دولار ٠

**● وافقت الدول الاوربية على تنفيذ برنامج من الانشطة الفضائية يتكلف ١٣ مليار دولار حتى عام ٢٠٠٠ ، وذلك في اطار وكالة الفضاء الاوربية ، ويتضمن البرنامج تطوير صاروخ الحمل « أريان - ٥ » ، على أن يتم اطلاقه عام ١٩٩٥ ، وصنع مكوك فضاء ( هرمز ) وصناعة اربع كبسولات فضائية ٠٠**

● ظهر في الاسواق اليابانية تليفون يتمتع بقدرات غير عادية ، اذ أن له ذاكرة تستوعب ٩٩ رقما ، ويتلقى الرسائل المصورة ، ويحوى وحدة لنسخ الصورة ( الصورة المرفقة ) ٠

● في ندوة دولية عقدت في بكين أعلن استاذ أمريكي أن الابر الصينية أثبتت فاعليتها في علاج الاشخاص المصابين بمرض فقدان المناعة المكتسبة ( الايدز ) ٠ وأكد ان العلاج بالابر الصينية لا يسمح فقط بالحماية والوقاية من المرض على المدى الطويل ، ولكنه أيضا يمكن أن يخفض من احتمالات الانتكاسة ٠

## العالم غدا

### ● مستعمرات على المريخ

سيجرى معهد الابحاث الفضائية التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية برنامج دراسات من فوق أحد قمرى كوكب المريخ ، وتحمل السفينة التى ستطلق اليه أواسط هذا العام نفس اسمه « فوبوس » وستكون مثقلة بالاجهزة والمعدات التى تقوم ببرنامج البحث . ويشارك فى التجارب العلمية لرحلة فوبوس ١٢ بلدا من بينها فرنسا والمانيا الاتحادية وسويسرا والسويد ، بالاضافة الى وكالة الفضاء الاوربية .

وستكون السفينة عرضة للشمس طوال الرحلة التى تستغرق ٢٠٠ يوم لذا ستقوم الاجهزة المختلفة بدراسة المناطق المشعة من الشمس والبنية الداخلية لها ، علاوة على نبضات شدة الاشعاع الشمسى ، كما ستقوم بدراسة الظروف الفضائية المختلفة على امتداد الرحلة .



وستقوم السفينة بتجارب مكثفة تستغرق ٢٠ دقيقة وهى لا تبعد عن قمر المريخ الا عشرات الامتار ، وستستخدم لاول مرة أشعة الليزرلتبخير مواد التربة ، توطئة لالتقاطها ثم تحليلها ، وسيتم خلال ٢٠ دقيقة أخذ عينات من حوالى ١٠٠ موقع على سطح فوبوس .

هذا كما سيجرى تصوير سطح فوبوس بالالوان وبدقة ستمكن من وضع خريطة له . وستقوم السفينة ايضا بتصوير المريخ والنجوم البعيدة تصويرا ضوئيا . كماسيجرى تصوير فوبوس بالاشعة تحت الحمراء لدراسة المواد الكامنة تحت سطحه ذلك بينما سيهبط جهازان من السفينة على سطحه أحدهما ثابت سيقوم بحفر التربة وتحليل عينات من الحفر ، والثانى متنقل ( يقفز من موقع الى اخر ) سيقوم بفحص طبيعة سطح فوبوس وارسال قياسات خاصة بالاهتزازات والزلازل .



وبالاضافة الى مواصلة برامج دراسة المريخ من المنتظر ارسال سفينة أخرى الى قمره الثانى ديموس .. والاهتمام بالقمرين يأتى من منطلق ترجيح وجود مواد على سطحيهما تساعد فى بناء المستعمرات على المريخ ذاته .

### ● تليفزيون السنوات القادمة

أمكن أخيرا انتاج تليفزيون يبلغ قطر شاشته ٩٥ سنتيمترا ولم تستخدم شاشة بهذا الحجم من قبل

الا فى نظام العرض بالاسقاط ·· ويشعر المشاهد أمام التليفزيون الجديد أنه جالس أمام شاشة سينمائية بالفعل ··

ومن المتوقع أن يجرى قريبا انتاج شاشات تعرض ١١٢٥ خطا ( بدلا من ٥٢٥ خطا فى التليفزيون التقليدى ) وذلك يعنى أن وضوح الصورة سيرتفع بدرجة يجعلها تنافس فى الجودة صور أفلام ٣٥ ملليمترا ·

هذا ولن يمضى وقت طويل حتى يبدأ العرض بأجهزة تليفزيون الحائط الذى يعمل بشاشات عرض من الكريستال السائل ، وذلك بدلا من أنابيب الكاثود المستخدمة حاليا ·

ولن ينصرم القرن الحالى الا والعالم يشهد نوعا جديدا من التليفزيون ( الرقمى ) الذى سيمكن المشاهد من المشاركة فى العرض الجارى على الشاشة ··

## قياس التسمم بالتدخين

فى اطار اقناع المدخنين بالاقلاع عن هذه العادة القاتلة تمكنت احدى الشركات الاوربية من تطوير جهاز سهل الحمل والاستعمال يقيس نسبة غاز أول أكسيد الكربون ، وهو من الغازات السامة ، فى زفير المدخن · ويتم ذلك عن طريق نفخ المدخن فى حلقة بلاستيكية ليدخل الغاز الموجود بالزفير فى تفاعل كيميائى مع مادة موجودة فى أداة استشعار الكترونية لتنتج شحنة كهربائية تتناسب مع كمية الغاز ، وتحرك مؤشر القياس فى الجهاز ··

وبينت القياسات باستخدام هذا الجهاز أن نسبة الغاز فى زفير المدخن أكبر بعشر مرات من كميتها فى زفير غير المدخن ، والطريف أنه ظهر أن معدل وجود الغاز فى زفير المدخن أكبر منه لدى غير المدخن ، حتى أثناء عدم التدخين ·

## اقدم متحف طبى فى العالم

تحتفل الاوساط الثقافية والطبية فى المانيا الشرقية هذه الايام بمرور ٧٥ عاما على افتتاح المتحف الصحى الالمانى فى مدينة « درسدن » والذى يعتبر أقدم متحف من نوعه فى العالم ، وأهم معروضاته هو « الانسان الزجاجى » الذى اشتهرت بصناعته المانيا وهو نموذج للجسم البشرى من الزجاج يوضح كل أجزائه الداخلية ·

والمتحف عبارة عن مركز قومى للبحوث الطبية وللمعلومات المتعلقة بالتعليم الصحى ، ومركز لصناعة تصدير الادوات التعليمية الطبية ونماذج المعارض الصحية لشتى أنحاء العالم ، ( نموذج الانسان الزجاجى الموجود فى متحف القاهرة الصحى جاء الى مصر من هناك ) ، ويتكون المتحف حاليا من ١٥ قاعة عرض يبلغ اجمالى مساحتها اكثر من الف متر مربع وهو حافل بالاجهزة الالكترونية الحديثة التى تجعل من الممكن لزائر المتحف أن يقوم بإجراء التجارب المختلفة بنفسه ·· ولا يقتصر دوره على مجرد المشاهدة فقط ·

صفحات مجهولة من حياة

# ناظم حكمت

## عندما يصمت الشاعر قهراً

بقلم : د. محمد حرب

**ازعم هنا اننى اقدم لقارىء الهلال ، صفحات مجهولة عن ناظم حكمت « ١٩٠٢ ـ ١٩٦٣ » ، ستكون صدمة لمحبى ناظم ولكل الشعراء المصريين الذين تأثروا به فى الخمسينيات وفى الستينيات من هذا القرن ، ولكل من احبه من المثقفين ، وهؤلاء يعرفون حياته وتطوره الفكرى والشعرى حتى عام ١٩٥١ ، اما بعد ذلك فصفحات مجهولة عن ناظم فى تلك الفترة حتى مماته ، من شأنها القاء الضوء على فنه وادبه .**

● وناظم حكمت ليس جديدا على العالم الثالث ، ومنه مصر ، فلقد زار مصر ، وعن العدوان الثلاثى وصمود بورسعيد كتب قصيدته المشهورة ، وكان صديقا شخصيا للعديد من كتاب مصر وشعرائها : عبد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور وغيرهما من مجموعة أعلام الشعر الحديث فى مصر . كما قدمه من الروسية الى العربية ماهر عسل وقدمه من التركية مباشرة الى العربية فى ترجمة قوية وجميلة الدكتور اكمل الدين احسان ، مدير المركز الاسلامى باستانبول ، حين ترجم عن ناظم ملحمته الذائعة الصيت حرب الاستقلال ، ومسرحيته البديعة : قصة حب أوفرها دوشيرين ، وصدرت الترجمتان فى القاهرة فى الستينيات ، كما ترجم له كاتب هذه السطور بعض قصائد عن التركية عندما كان يجرب ما تعلمه من الترجمة من التركية الى العربية اثناء مرحلة ما قبل الوعى ، وأسهم محمد البخارى بترجمة مجموعة قصائد لناظم عن الفرنسية الى العربية . وناظم شاعر ترك بصماته على الأدب العالمى ، وحاز اعجابا لا مثيل له ، فترجمت اشعاره الى اللغات

ناظم حكمت ..
١٩٠١ - ١٩٦٣م






- غلاف مذكرات زكريا سرتل
"ناظم حكمت في سنواته الأخيرة"



- زكريا سرتل
صاحب المذكرات

الواسعة الانتشار والى اللغات المحدودة الانتشار ،ترجم الى الروسية والى الانجليزية والى الفرنسية ، كما ترجم الى العربية ـ وخاصة في العراق ـ كما ترجم الى مختلف اللغات الآسيوية الافريقية .

قال عنه الاتراك : « ناظم حكمت اكبر شاعر فى القرن العشرين ، وليس في العالم كله شاعر يضارع ناظم حكمت عبقرية شعرية » وقال عنه بابلونيرودا : « اننا لا نحسب في عداد الشعراء عندما نقف بجوار ناظم حكمت » .

وسبب زعمي ، أن صدرت فى استانبول ، مذكرات على قدر كبير من الأهمية الأدبية والفنية ، هي مذكرات زكريا سرتل ، رفيق ناظم حكمت ، ومصاحبه فى المنفى ، منذ خروج ناظم من تركيا وحتى موت ناظم عام ١٩٦٣ .

وزكريا سرتل ، كاتب تركى مشهور كان عضو نقابة الكتاب الأتراك ، كما كان أقرب الناس الى قلب ناظم . وكان منفيا مثله ، وكان مؤنسه فى غربته ، واستمر نفى زكريا حتى بعد موت الشاعر ناظم حكمت ، الى أن قامت الحكومة الاشتراكية فى تركيا بقيادة بولند أجاويد ، فاستصدرت أمر عفو عن زكريا سرتل ، فعاد الى بلاده . واستقبل استقبالا كبيرا ، واستكتبته الصحف ، واستكتبته دور النشر ، وتسابقت فى ذلك . وكان ان استجاب لطلب جريدة كون آيدين اليومية ( وكون آيدين كلمة تركية معناها صباح الخير ) ، فكتب لها وفيها مذكراته مع ناظم حكمت فى البلدان الديمقراطية الاشتراكية . وطبعت هذه الجريدة ، هذه المذكرات بعد ذلك في كتاب بلغ ٢٨٨ صفحة .

كانت المفاجأة كبيرة والصدمة اكبر اثناء نشر هذه المذكرات ، فاجتمع اتحاد نقابة الكتاب الاتراك اجتماعا طارئا ليتخذ ، قرارا تاريخيا ، بفصل زكريا سرتل من الاتحاد ، ومن نقابة الصحفيين .

قام الكاتب والاديب التركى عزيز نسين ـ المشهور فى مصر وفى العراق ـ باعلان استقالته من نقابة الكتاب الاتراك ، ومن رياستها ، بسبب اتخاذ قرار فصل زكريا سرتل، خاصة انه ـ أى عزيز ـ كان متغيبا

ناظم حكمت فى سجن بورصة



عن الاجتماع · قال عزيز نسين · ان فصل هذا الكاتب الكبير من الاتحاد نبس من عمل موجه ضد حرية الكلمة ·

## ● قصة كاذبة

**من الجديد في هذه المذكرات وهي بعنوان : « ناظم حكمت في سنواته الأخيرة » أن القصة التي حكاها ناظم حكمت ـ عندما كان في مصر ـ عن هربه من تركيا ، كانت قصة كاذبة اختلقها ناظم اختلاقا ·**

يقول زكريا سرتل : لماذا كان ناظم حكمت مضطرا لمغادرة وطنه ؟ ثم يجيب على هذا بقوله ان ناظم حكمت كان قد قضى في سجون تركيا ثمانية عشر عاما ، وكان بعدها عاطلا · ولم يكن يحب اداء الخدمة الوطنية ( العسكرية ) في وطنه تركيا · ولما عرض عليه رفاقه تهريبه من تركيا ، وافق · القصة التي يرويها ناظم هي ( : العام : « ١٩٥١ » قارب بخاري يشق عنان البسفور بعد الفجر ، بهدوء ويتجه الى سفينة رومانية بيضاء متجهة من استانبول الى رومانيا · تنتشل هذه السفينة ، الشاعر ناظم حكمت · يصعد عليها · فاذا به يجد صورته تتصدر المائدة في قاعة احتفال أعدها القبطان · وتتجه السفينة الى بوخارست · وفي مينائها يجد ناظم ، وزيرة الخارجية الرومانية ، على رأس وفد من كتاب رومانيا وشعرائها ، في استقباله )

يقول زكريا سرتل ـ رفيق ناظم حكمت ، وأقرب الناس الى قلبه : ان هذه القصة غير حقيقية ، واشك فيها · لان ناظم كان يميل الى المبالغة وكان مفتونا ·

## ● صمت الشاعر قهرا في بولندا

ومن رومانيا ، الى المجر يذهب ناظم حكمت وسط احتفالات الكتاب به، لكن ناظم ـ كما يقول سرتل في مذكراته ـ ( لم يستطع فهم المأساة التي يعيشها المثقفون المجريون ) ·

ومن المجر الى بولندا · وبولندا هي موطن ناظم حكمت الأساسي ، **ويجدر القول هنا ان ناظم حكمت ينتمي الى أسرة بولندية تسمى آل بورجنسكي ·**

في بولندا ، **استقبل البولنديون ، ناظم حكمت ، لا على انه شاعر تركي بل على انه بولندي منهم لذلك كان** استقباله في بولندا حافلا · يقول سرتل ( وهناك في وارسو ، زاره اقاربه البولنديون · وفي وارسو مثلت مسرحيته العبيط · وكان كل

ـ ناظم حكمت بعد اضراب شهر عن الطعام



بولندى يقـابل ناظم فى بولندا ، يحدثه عن ظلم ستالين ، وان ستالين اقتطع جزءا من الأراضى البولندية ، وضـمها الى أوكرانيا . لكن ناظم سكت قهرا ) .

ومن شـعر ناظم حكمت وهو فى بولندا :

« حبيبتى ! .. واحد من أجدادى
هاجر من بولندا
وترك بلاده فى عام ١٨٤٨ .
قد يكون لهذا ، شاربى الشقر .
وقامتى مديدة
والأغنية البولندية تهزنى » .

● صمت الشاعر قهرا فى بلغاريا

وجهت الحكومة البلغـارية دعوة الى ناظم حكمت لزيارتهـا باعتباره العالمى المعـروف ، لكى يقوم بدور الوسـيط بين بلغـاريا والاتراك القـاطنين فى المنطقـة التركية من بلغـاريا . وكان السـكان هناك يشـتكون من حرمان منطقتهم من الكهرباء ، ومن الطرق المرصوفة ، ومن الطرق الرئيسية ، ومن اضطهاد اللغة التركية ومن القانون البلغارى الذى يجبر الأتراك هناك على تغيير اسمائهم بأسماء بلغـارية ( ومازال الكلام لزكريا سرتل ) فوصـل ناظـم الى بلغاريا وتوجه الى المنطقة التركية وقابل الأتراك ، وأخذ يقنعهم بقبول الواقع ، واذا بهم يتكلمون ويتكلمون قـالوا له : يا أخانا ناظم أنهـم ينظرون باحتقار شديد الى مساجدنا .. انهم يا أخانا ناظم يريدون منـا أن ننسى لغتنا الجميلة .. يريدون منا ان ننسى .. ( على ذلك صـمت الشاعر قهرا ) .

● صمت الشاعر قهرا فى أذربيجان

كان لناظم حـكمت مآس فكـرية وروحية فى منفاه ، فقد كانت اشعاره تمـر ـ بموجب قانون النشر ـ على رقباء لا يمتون للأدب ولا للفن بصلة، وكان من حق الرقيب أن يتصرف فى أشعار ناظم دون أن يأخذ رأيه فيها . مع العلم بأن ناظم اعتاد فى تركيـا أن تنشر أشعاره أولا ، فاذا رآهـا المسـئولون مخالفة للنظـام ، قدم الشاعر للمحكمة ) .

وفى المنفى كان ناظم حكمت يسأل عن أصـدقائه فيسـمع اجابات غريبة : أعدم البعض ، ونفى البعض الى سيبيريا ، وقتل البعض الآخر .. ويسمع الشاعر هذا فيصمت قهرا .

وفى أذربيجـان ، وهى منطقة تركية يتحدث أهلها التركية . قابل ناظـم ـ وهـو فى المنفى ـ رئيس جمهورية أذربيجان : ميرزا ابراهيم . اقترح الشاعر الضيف على الرئيس أن يصدر قرارا بأن تكون اللغـة التركية هى اللغة الرسمية الأولى فى أذربيجان لأنها لغة شعبها ، خاصة ان دسـتور جمهورية أذربيجـان ، يعطى أهلها الحق فى هذا ، فاصدر الرئيس ابراهيم ميرزا قرارا جمهوريا بذلك ، لكن قرارا أعلى صدر بعزله من رياسـة الجمهورية وتقـديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة ، وكان أن ورط الشاعر ناظم حكمت ، الرئيس ميرزا ابراهيم . وعندما عوتب ناظم فى هذا صمت قهرا .

وعندما اذاع المؤتمـر العشرون للحزب الشيوعى السوفييتى ، مآسى ستالين : ( بأوامر من ستالين ، قتل عشرة ملايين مسلم ) ص ١٦٥ من





ـ ناظم حكمت مع زوجته منور — ناظم حكمت مع عابدين دينو (١٩٥٠)



ـ ناظم حكمت في مدرسة في بلغاريا سميت باسم «مدرسة ناظم حكمت الابتدائية».



المذكرات . ( بأوامر من ستالين نفى شعب القرم التركى الى صحارى قازاخستان نفيا جماعيا فوريا ) ص ١٦٥ أيضا . بدأ ناظم حكمت ينقد سياسة ستالين فى قصيدته المشهورة ( الأمل ) التى قال فيها :

انى أنظم الأشعار . لن تطبع !
لكنها ذات يوم ، سترى النور .
انى أنتظر خطابا يأتينى بالبشرى .
قد يكون يوم وفاتى ، مقدمه .
لكنه سيأتى بالتأكيد .

يستمر الكاتب التقدمى زكريا سرتل فى حديثه عن رفيق كفاحه قائلا : عاش ناظم حكمت بورجوازيا فى بلاد البروليتاريا ، وكانت أول مسرحية تمثل له فى موسكو هى فرهادوشيرين .

تمنى ناظم حكمت أن تشتهر أشعاره فى أوربا وأمريكا ، فأرسل قصيدته ( السلام ) الى هيمنجواى ، طالبا منه ترجمتها الى الانجليزية ، وأرسل الى المغنى الزنجى الأمريكى بول روبسون ليغنيها بعد أن ينتهى هيمنجواى من ترجمتها . لكنهما لم يحققا له أمنيته رغم الحاحه عليهما ، وهنا أيضا صمت الشاعر قهرا .

تبدأ قصيدة ناظم حكمت ( السلام ) بقوله :

شابا ، كان ، ذلك الصياد اليابانى
ذاك الذى قتلته : سحابة فى البحر .
استمعت الى أغنية له ، غناها لى أصدقاؤه .
وكان الوقت ، مساء أحد الأيام الشديدة الصفرة ..
فى الباسفيك

أما أكثر فصول مذكرات زكريا سرتل ، الكاتب الاشتراكى الذائع الصيت فى تركيا ، هى التى تحكى تنكر ناظم حكمت ، لزوجته ورفيقة كفاحه : السيدة منور . مع أن ناظم كتب فيها أشعارا ترجمت الى لغات كثيرة ، واذكر أن قصائده فى زوجته منور ظهرت فى ترجمتها العربية فى مجلة الكاتب القاهرية فى أواخر الستينيات تقريبا ، بعنوان ( الى زوجتى الحبيبة ) ويقول ناظم فيها :

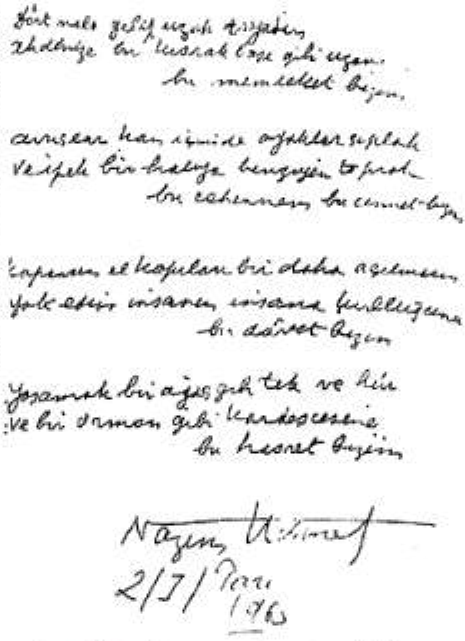
افكر فيك يا مدينة استانبول ..
يا مدينتى ذات العينين الزرقاوين
زرقة عينى زوجتى ..

والسيدة منور ، بلغارية ، كما يبدو من قصائد ناظم اليها ، وقد وصل عدد رسائل الحب المتبادلة بينهما ٨٠٠ رسالة أثناء الغربة والنفى ، وفى قصيدة عنها نظمها ناظم فى صوفيا عاصمة بلغاريا ، يقول :

تسلمت خطابا من
زوجتى الحبيبة منور ، تقول لى فيه :
حدثنى عن صوفيا .. كأنى
يا ناظم أعرف اللغة البلغارية .
كيف هى صوفيا يا ناظم ؟
كنت أسمع من أمى : ان صوفيا
مدينة صغيرة .
كانت تكبر ..
تخيل !! كان ذلك منذ واحد واربعين عاما .

عندما هرب ناظم من تركيا ، هرب على أمل أن تلحق به زوجته السيدة منور وابنهما محمد . وبعد محاولات مضنية تمكنت منور من السفر بابنها الى وارسو عاصمة بولندا ، وهناك أرسلت لناظم وجلست تنتظره . ولكن المفاجأة أن ناظم كان قد وقع فى موظفة روسية تسمى فيرا . كانت فى الرابعة






والعشرين من عمـرها وناظم فى الثامنة والخمسـين • تزوجـا • وبعـدها تلقى خبر وصـول زوجته التركية منور وابنهمـا محمد ، الى وارسو • كانت مفاجـأة سيئة لناظم حكمت • قابلها فى وارسـو متبلد الحس والذهن • إعتذر لها وقال :

« يا منور لن أستطيع الحياة معك » فانهارت • وعندما أفاقت قال لها : وماذا بيدى ! انى مضطر للحياة فى موسكو ، فابق انت هنا فى وارسو • البولنديون طيبون • وسيجدون لك عملا وسكنا •

وكان الطفل محمد ناظـم حكمت فى تلك اللحظة يتقدم نحو أبيه ، الذى غرست منور فى قلبه الحب الكبير له • لكن ناظم لم يعد كسابق عهده • لم تتحرك فيه شاعريته ، ولم تستيقظ فيه عاطفـة الأبوة ، فلم يتحـرك لاحتضان ابنه محمد •

- ناظم حكمت فى مهرجان شباب برلين

وعاد ناظم حكمت الى موسكو ، الى زوجته فيرا الروسية •

وفى ٢ يونيو عام ١٩٦٣ مات ناظم حكمت فى موسـكو على اثر نوبة قلبية أصابته • وعرف العـالم كله النبأ بعد أن قطعت اذاعة موسكو ارسالها لتذيع الخبر •

ومات ناظم حكمت بعيدا عن وطنه ، وفى أرض لم يعد يحبها ، مات بعيدا عن زوجته منـور ذات العـينين الزرقاوين ، وبعيدا عن ابنه محمد الذى نظم فيه الأشعار • •

مات الشاعر التركى الكبير ناظم حكمت بعد أن أسمع صوته وأشعاره الى العالم كله •

ومات بعد قليل من نظم قصـيدة يقول فيها :

ترى •• هل من حوش منـزلى تخرج جنازتى ؟!

ولكن كيف تنزلون جثتى من الطابق الثالث ؟!

فالمصـعد الكهربائى لا يتسـع لتابوتى !

وسلالم بيتى ضيقة •• أضيق من ان تسعه •

## أنت .. و الهلال

**• يا وابور قل لي •**

● طالعنا في عدد نوفمبر من « الهلال » مقالة « يا وابور قل لي » مع ما صاحبها من الصور الوثائقية والرسوم التاريخية القيمة ، ولذا نود أن نهديكم ملاحظتنا التالية بشأن هنة صغيرة شابت تلك المقالة اللطيفة المفيدة ، فقد ورد بالمقالة أن كلمة « وابور » تحريف بسيط للكلمة الانجليزية Vapour · وهذا غير صحيح ، فان كلمة وابور تحريف لكلمة Vapeur الفرنسية ، واليكم الاسانيد الدامغة على ذلك :

ـ قطار السكة الحديد يسمى بالفرنسية Train á Vapeur بينما يسمى بالانجليزية Railway Train

ـ أما القاطرة البخارية ـ كقاطرات ذلك الوقت وليس كقاطرات الديزل المصرية ـ فهي تسمى بالفرنسية Locomotif á Vapeur وبالانجليزية Steam Locomotive

ـ لاحظ أن البخار الناتج عن غليان الماء يسمى بالانجليزية Steam ، أما كلمة Vapour الانجليزية فتطلق على البخار الذي يتصاعد من أي سائل في درجات الحرارة العادية التي هي دون درجة غليان السائل · واذا نظرت في أي قاموس انجليزي/فرنسي تحت كلمة Steam الانجليزية ستجد أن الكلمة الفرنسية المقابلة لها هي Vapeur ـ فمثلا المحرك البخاري اسمه بالانجليزية Steam Engine وبالفرنسية Machine a Vapeur ذلك انه لا توجد في الفرنسية كلمتان مختلفتان للبخار الناتج عن الغليان وللبخار الذي يتصاعد على درجات الحرارة العادية ، فكلاهما Vapeur ، بينما تختلف الانجليزية في أن البخار الناتج عن الغليان يسمى Steam

وقبل الاحتلال الانجليزي لمصر لم تكن اللهجة العامية المصرية تحوي كلمات من أصول أوروبية غير الايطالية والفرنسية واليونانية · وحتى بعد الاحتلال الانجليزي لم تدخل العامية المصرية

كلمات انجليزية تذكر • هذا بينما الكلمــــات الايطالية الاصل فى العامية المصرية بالعشرات حتى الان ، تليها فى العـــــدد الكلمات الفرنسية ثم اليونانية ، أما الانجليزية الاصل فقليلة جدا •

فمثـــلا : بعض المصريين يسمون للثلجـــات الان باسمها الانجليزى Ice Cream• ولكن حتى منتصف القرن الحالى كانت تسمى أحيانا « جلاس » ـ كما فى أغنية عبد الوهاب : « عشـــان تحرمى تاكلى جلاس وتدوبى فى قلوب الناس » ـ وهـــو الاسم الفرنسى منطوقا كأصله بلا تحريف ، ولـــكن اغلب المصريين كانوا يستخدمون الاسم الايطـــالى « جيلاتى » Gelatti أى مثلجـــات منطوقة نطقا ايطاليا سليما • أما الجيل السابق ـ فى القـــرن التاسع عشر ـ فكان يسمى المثلجات « دندورمة » وهو الاسم التركى للمثلجات •

ومازال بعض المصريين يستخدم كلمة جيلاتى الى الان • كمـــا انك تسمع فى الموالد فى الريف باعة المثلجات ينادون عليها باسمها التركى « دندورمة » •

هذا وقد جمع هذا الضعيف الذى يخاطبكم اكثر من مائة لفظ مصرى حديث مأخوذ عن الايطـــالية ، ولعل اللغويين يستطيعون استقصاء اكثر من ذلك من الكلمـــات العامية المصرية الايطـــالية الاصل •

ومن اشهر الكلمات اليونانية الاصل واكثرها استخداما فى اللغـــة الدارجة المصرية كلمـــة « ترابيزا » أو « ترابيزه » بمعنى منضدة أو مائدة ، وهى بنفس نطقها اليونانى تقريبا •

وفى سوريا ولبنـــان لا يقولون ترابيزة مثلـــا بل يقولون « طاولة » ( بكسر اللام ) ويتصورون انها عربية بينما هى ايطالية Tavolé بمعنى منضدة ـ Tavola بمعنى مائدة • والصحفيون المصريون يقولون « تنس الطاولة » ويتصورون انها تعريب سليم لكلمتى Table Tennis بمعنى لعبة الـ Ping Pong بينما التعريب يجب أن يكون « تنس المنضدة » •

ومن الغريب أن كلمة « مائدة » العربية بمعنى « منضـــدة الطعام » قد اختفت من اللهجات العامية المعـــاصرة فى البـــلاد العربية ، ولكنها ـ سبحان الله ! ـ مازالت تستخدم فى مالطة ، فان أهلها يقولون « مايدا » Maida فى مقابل كلمة « السفرة » المصرية أو Tavola الايطالية • ولا يخفى أن اللغة المالطية نصفها تقريبا من أصول عربية والنصف الاخر كلمات ايطالية •

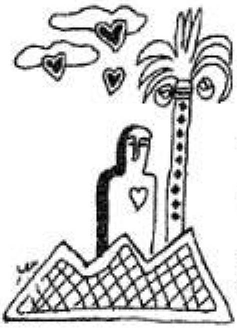
هذا حديث ذو شجون ، وشكرا لكم على تلك المقالة الطلية

**قارىء مصرى**

## • مـــواطـــن •

على ســحب الايام يحملنى الحب
فينثرنى فى روحـه الوطن الرحب
فيجمعنى فى ومضة الضوء مضغة
مخلقة تحوى الوفا اينمــا يصبو
فيحضنها طفلا ، يباركهـــا فتى
وينفقها ·· اين استطال به الجدب
ومن يحفظ الاوطان ودا ـ تهب له
علىالدهر خلدا روحه دمعها العذب

عبد الرحيم الماسخ
سـوهاج



## • وفـــاء •

● لفت نظرى فى « الهلال ـ نوفمبر ٨٧ » تخصيصكم صفحتين ونصفا للقارىء احمد عامر وكنت أتمنى أن تخصص هذه المساحة لعدد من الاصدقاء سواء كان ذلك للرد أو للنشر ، ففى رأيى أن ذلك كان أجدى ، لان هذه الصفحات هى نافذتنا الى دنيا الادب وليس بمعقول أن يحتل قارىء واحد النافذة لمدة شهر بينما هى تتسع للعشرات ·

ويسعدنى أن أرسل اليكم هذه الابيات :

اذا مـــا رأيت شـــموسا تجلت
وبدرا يغـــالب بدر الســـماء
وطيرا وديعـــا يرفرف حـــرا
يمد الجنـــاح بعرض الفضـــاء
وضحكة طفل على الخلق تزهـــو
تمثل فيها جمـــال الصـــفاء
وأما رؤما تهدهد طفـــلا
وعن ناظريه تذب الهـــواء
اذا ما رأيت نبيـــل المعـــانى
وطيب الخصال · كذا الكبـــرياء
اذا مـــا رأيت ســـناء يبـــدد
ظلمـــة ليل وينضـــو الرداء

اذا ما رأيت قلـوبا تصـافت
على العهـد أو اقسمت بالولاء
اذا مـا رأيت دلال الصـبايا
وعقل الشيوخ ... فهـذى وفاء

عبد الرحمن عبد المحسن البطة
المنصـورة

## • غروب الحضارة •



ليت شـعرى أين نحن ... وقـد أصبحنا هشيما
عن جيل أبدع في كـل ... مجـال صـورا
من البطولة وعمق الفكر ... لم يخـونوا أبـدا
كان العقاد عملاقهم و ... غـدير يرنو بعيـدا
وشوقى شاعرهم الفـذ ... واصـدق من تغنى
في حب الرسول انشـدى ... وبرديته خير شـاهدا
أين نحن ؟...
في زمن صرنا نخطىء ونحسبه صوابا
لا يا رفاق الحياة ما هذه شيمه
الاحـرار
ولا لمسة الأدباء
ولا فكر العقـاد

عبد السلام فاروق عبد العظيم
غراب
كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة

● تعليق :

ـ هذا ليس شعرا يا بنى ، لان الاوزان تنقصه ، ولا تقصـد البحور ، بل مجرد التفعيلات ، دعك من المعـانى ، أما الصـحافة فتستطيع أن تصبح صحفيا بعد استكمال دراستك اذا كنت موهـوبا في الصحافة لا مجرد حامل للشهادة في الاعـلام ، ولا يشـترط في الصحفى أن يكون شاعرا على الاطلاق ، بل لعل العكس هو الصحيح ، ولكن يجب أن تكون على قدر كاف من العلم باللغة العربية التى تكتب بها ، فضلا عن اللغة الاجنبية .

## • الوهم السحار •

يتبدل زمنى ما يلبث ... يتقـدم يرجع ينهـار
وانا مـلاح التشبث ... بسار ضـد التيـار
يدركنى صحبى ناصية ... لافتـة من فوق جـدار
بعيونى تسـبح الرعة ... ضاقت بهداها الانهـار
في صـدرى تصـدح أغنية ... منعت في كل الاقطـار
كالطير اهاجر كى ابحث ... عن أرض تهوى الاشـعار

بيمينى زهــرات تالق ... بشمالى سيف بتــار
بجوارى ظل يتـــرفق ... يتكتم غضبة أعصــار
ما فتر طموحى ما اخفق ... والحظ يولى الادبـــار
فالموت يا ولدى ان نياس ... ونسمى الكبوة اقــدار

د. عبد الفتاح ابراهيم تركى
كلية التربية للبنات
مكة المكرمة

## • طـرائف •

● زار شاعر اسمه توفيق أحد أصدقائه من الشــعراء وكان يملك مصنعا للاحذية فأهداه حذاء كتب عليه هذين البيتين :

لقد اهديت توفيقـــا حـــذاء
فقـــال الحاسدون وما عليـــه
اما قال الفتى العـــربى يومـــا
شـــبيه الشيء منجـــذب اليـــه

فرد عليه توفيق بهذين البيتين :

لو كان يهدى الى الانسان قيمته
لكنت اسالك الدنيا وما فيهــــا
لكن تقبلت هــذا النعل معتقــدا
ان الهدايا على مقــدار مهديهـــا

● رشح بيــرم التونسى الزجـــال حسين شفيق المصرى كأمير للشعر الحلمنتيشى يقول عنه : يكفى انه تفوق على كل الشعراء فى هذا النوع من الشعر انه شخصية لا تتكرر والشعر الحلمنتيشى أصعب بكثير من الشعر المالوف ومن أجمل ما قاله شفيق المصرى على غرار ما قاله ابن الفارض ولكن بالطريقة الحلمنتيشية :

فى فؤادى لحبيبى عـــزبة ... زرعت شوكا وفيها الدمع رى
ويأرض الحب اشجار لهــا ... ثمر يأكله المشـــتاق نى
انني من وحشــتى فى ظلمة ... ومحياه كلوب فيـــه ضى

ولم يدم الحال على ما هو عليه ففى ندوة ادبية حضرها عدد

من الزجالين على رأسهم بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى وأبو بثينة هاجم حسين شفيق بيرم التونسى فما كان من بيرم الا أن رد عليه قائلا :

يا حسين ابن شفيقه ... فجرت منك الخليقه
أبدا تصدر كالناقوس ... أصواتا عتيقه
هل ترى الناقوس قد غير ... فى الدنيا زعيقه
ام رأيت الجحش يستبدل ... ما عاش نهيقه

● كان الشاعر البائس عبد الحميد الديب يسكن حجرة مهملة حقيرة فى منزل متهدم فمر عليه صاحب البيت وكان موسرا فقال الديب :

يمر على سكناى فى ذيل بيته
مرور عيون الموسرين على القلس
اراني بها كل الاثاث ولا ارى
سوىقلم ثاو علىالارض او كرسى
فقلت له هذى حدودى كما ترى
فما مسكنى فىالبيت بلأنا فىرمسى
واسمعته صوت الدراهم فانثنى
يقدم اعذار اليهود من الوكس
واخضع فقرى كبره وثراءه
وأى غنى للمرء غير غنى النفس؟
اذا كانت السكنى باجر مذلة
فما ارحب المجان فى غرفة الحبس

● فكر الاستاذ فكرى أباظة رحمه الله فى الزواج وكان قد بلغ الخمسين فلجأ الى خاطبة تدعى أم هناوة واعطاها صورة له كتب خلفها الشروط التى يطلبها فى زوجة المستقبل وكانت :

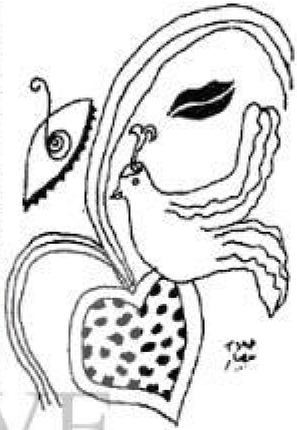
اخاصمها تصالحنى واغضبها فترضينى
وامرها فتسمعنى وتخضع لى تجاريقى
فان اصبحت فى كدر تواسينى تسلينى
وان امسيت فى فلس تعدل لى موازينى
بهذا الشرط اقبلها وهذا الشرط يكفينى

ومن الطريف أن الخاطبة ظلت أكثر من عشر سنوات تبحث له عن عروس تتوفر فيها هذه الشروط دون جدوى حتى توفيت الخاطبة وقضى فكرى أباظة حياته كلها بلا زواج .

محمد أمين عيسوى
هيئة قناة السويس ـ
الاسماعيلية

## • حالة •

قمر يمر على السحاب وينتحب
شجر يسافر فى الفؤاد وفى البلاد ويحترق
ما بين جرحي والتقاء الاعين العاشقة
كلمـــات حب
يطويهـــا الغمـــام
ويذيعهـــا اهزوجة
خدشت سكون الافق عاصفة
ويعيدها مطرا ... سلاما ... اغنية
ويعود للركن القصى
وانزوى فى حجرتى
بحثا ... عن وجه قاتلتى التى
سلبت صفائى ثم قالت : راحلة
يا صاحبى لا تندهش
فالقلب لو مر الحمام على ذراه
قـد ينخدش



عزمى أحمد عبد الوهاب

## • مع الأصدقاء •

● محمود عبد الحفيظ عبد العزيز ـ اداب الزقازيق :
ـ قصيدتكم التى عنوانها « الى الشاعر البيطرى » .. شديدة اللهجة أيها الشاعر الشاب ، ولن يتحملها الشاعر أحمد عامر ، فاسمح لنا بأن نكتفى بهذه الاشارة اليها .. والطيب أحسن .

● عبد السلام فاروق عبد العظيم ـ كلية الاعلام ـ القاهرة :
ـ نرحب بالانتاج الأدبى للشباب ، وننشر منه الجيد والناضج بلا نظر الى الاسماء ولا الى السن التى بلغها الكاتب أو الشاعر .

● ايمان ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :
ـ قصائدك التى تلقيناها ينقصها الوزن ، والمهم وأنت فى هذه السن الصغيرة التزود بالعلم والقراءة ، وسيجىء النشر فيما بعد ان شاء الله ..

● عبد الله السمطى ـ آداب عين شمس :
ـ هون عليك يا بنى ، فمازلت فى أول الطريق ، وسوف تجد

فرصتك ذات يوم ان شاء الله ، ولا تسـخر من شعراء جيلك ولو كانوا ضعافا فى الشعر فانهم مازالوا ناشئين · وسينجح الموهوبون ويستمرون ، ويفشل الادعياء وتنقطع بهم الطريق !

● **سمير ابو الحمد حافظ ـ الاسماعيلية :**

ـ لم نقصد اضحاك احد على أحد ، ولكن أردنا تقديم صورة من المتاعب التى نلقاها فى التعامل مع قلة محدودة من هواة النشر ·· ونشكركم على رسالتكم ·

● **منير فوزى ـ المنيـا :**

ـ شعرك لا بأس به ونتوقع لك مزيدا من النضج ، ولكن نرجو الا تهاجم فى رسائلك الينا زملاءك من الشعراء ، فنحن لا نعـرفهم شخصيا ، وانما نعرف ما يرسلونه الينا من أشعارهم وننشر منه ما يصلح للنشر · وليس صحيحا أن ما ننشره من الشعر اقل طبقة من الشعر الذى أرسلته الينا ·· وقاك الله غرور الشباب ! ··

● **محمود أحمـد المصلى ـ المنصورة :**

ـ قصائدكم الكثيرة التى تلقيناها تدل على حبكم لنظم الشعر فى كل وقت · ولكن المجال ـ كما ترى ـ أضيق من أن يتسع لكـل ما نتلقاه من الرسائل ، فمعذرة !··

● **جمال جابر على ـ البلينـا :**

ـ قصيدتكم المسماة « الشعر والشيطان » لا تخلو من الاخطاء النحوية واللغوية ، ولا عبرة بأن تكون الابيـات موزونة اذا كان الكلام حافلا بالاخطاء ، يفتقر الى المعانى ··

● **على حوم ـ اذاعة شمال الصعيد بالمنيا :**

ـ الخفر فى اللغة معناه « الحياء » وليس « المياه » كما فى رسالتك ، والخفراء الذين يحرسون القرية غير الخفر الذى هـو الحياء ·· وقولك انك برسالتك الينا الحافلة بالشتائم قد « أشفيت غليلك » خطأ لغوى أيضا ، لأن « اشفى » معناها « اهلك » ـ من الهلاك ـ والصحيح أن تقول : « شفيت غليلى » ·· ولو كان فى ردك غير الشتائم لنشرناه بلا خوف من رئيس التحرير ، يا عزيزى الناشىء اللطيف !·· وقد حولنا رسالتك الى رئيس التحرير كنموذج من بلاغة بعض الشعراء الجدد ·· وكان الله فى عون صديقنـا الاستاذ فهمى عمر رئيس الاذاعة ، فما عساه يصنع فى مذيعين يتركون الميكروفون ويتعلقون بالشعر الذى لا شأن لهم به ؟!

● **السيد محمود خضير الحجاجى ـ الاقصر :**

ـ اقتراحاتك كلهـا منفـذة فى الهلال ، فحـاول أن تدقق فى القراءة ، أما شعرك فينقصه الوزن ، فحاول أن تتعرف على العروض

● **د· احمد عامر ـ شربين :**

ـ لك عندنا قصائد كثيرة جـدا ، فانت غزير الانتـاج ، وسنحاول أن نجتزىء من بعضها ما يصلح للنشر ان شاء الله فلا تقلق !··

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤



اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا



| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


٢٠
رحلة أسبوعيًا
الى ٩ مدن
أفريقية
٩٤
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأقصى والأوسط
ودول الخليج
العربي
٦٧
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا
ليكن اختيارك الأول ..
مصر للطيران
مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتبًا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
دائمًا في خدمتكم ..

# بنك الإسكندرية التجارى والبحرى

## ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة

مراسلين فى جميع أنحاء العالم

ACMB

شهادات الإدخار **الثلاثية**

شهادات الإدخار **الخمسية**

ذات الدخل الربع سنوى

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- حسابات توفير وودائع بالعملات المصرية والأجنبية.
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار.
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان.
- شهادات إدخار بفائدة مجزية.

★ ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك وفروعه

الإسكندرية: المركز الرئيسى: ٨٥ طريق الحرية ت: ٤٩٢١٥٥٦ / ٤٩٢٩٢٠٣ / ٤٩٢١٢٣٧ تلكس: ٥٤٥٥٣١ - العنوان البرقى: كومارت - ص. ب ٢٣٧٦

فروع جديدة:

القاهرة: ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة البحر حرب ت ٧٧١٢٤٤ / ٧٦٧٢٣٣

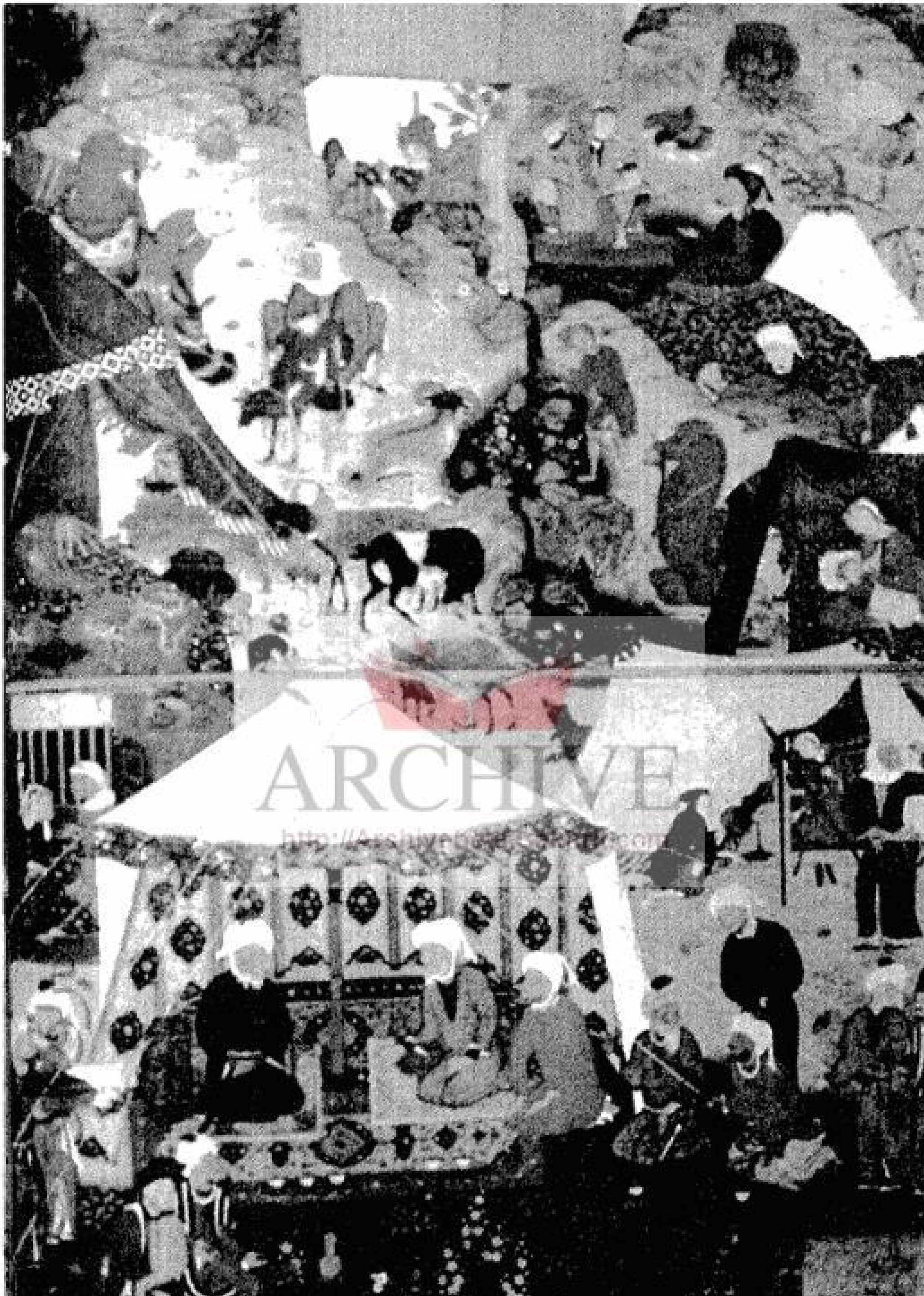
الإسكندرية: ٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب ت ٨١٠٩٩٣ / ٨٠٢٩٦٤

# الهلال

فبراير ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشًا

- عرس الجليل... أم عرس فلسطين؟!
- مستقبل الثقافة في مصر





# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢ م - أول فبراير ١٩٨٨ م ١٣ جمادى الثاني ١٤٠٨ هـ ...

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

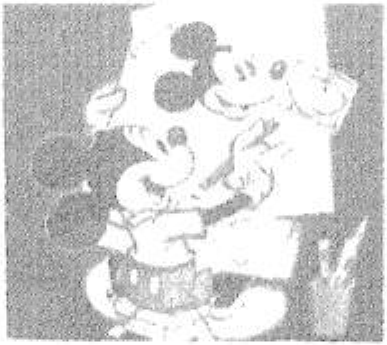
المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

## من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامي تحمل عنوان (( الحياة فى المدينة )) رسمها الفنان سعيد علي مستوحاة من خماسية الشاعر الايراني نظيمى وهى احدى لوحتين كبيرتين تعبران عن انماط الحياة فى مدينة تبريز ابان القرن السادس عشر . ويعتبر سعيد علي احسن الرسامين الذين ينتمون الى مدرسة تبريز فى الرسم . وتتميز رسوماته بالمنمنمات البالغة الدقة مما يكشف الى اى حد بلغت موهبة الفنان ..



الغلاف : تصميم الفنان
محمود الشيخ

ص

## فكر وثقافة



## قضايا حيوية :

● رسائل صحفية ●



● فن تشكيلي ●



● شعر وقصة ●



● دراسة الهلال ●





● الأبواب الثابتة ●

# عزيزي القارئ

نستعير عنوان كلمتنا هذه من كتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" للدكتور طه حسين - رحمه الله - لمناسبة انقضاء نصف قرن على صدور هذا الكتاب الذى كانت له عند صدوره سنة ١٩٣٨ أهمية كبيرة، ومازالت حتى الآن أهمية حاضرة باقية ذات شأن، فضلا عن أهميته التاريخية.

لقد عالج طه حسين فى كتابه هذا قضايا كثيرة، مثل هوية مصر، والتعليم المصرى، والثقافة المصرية.. وكان متفائلا فى نظره إلى هذه الأمور وغيرها.. ففى تلك الأيام - منذ خمسين عاما - كانت مصر تبدأ مرحلة من استقلالها السياسى الذى انتزعته من الاستعمار البريطانى بعد نضال طويل، وكان مشروع بناء المجتمع المصرى فى عهد الاستقلال مطروحا بكل جدية وتفتح واستبشار، تحف به الآمال العريضة فى قيام الدولة المصرية العصرية التى مهدت لها خطوات الاستقلال سبل التقدم، بعد أن تخبطت مصر مدة عقدين أو ثلاثة فى بداية الاحتلال البريطانى تتطلع للعودة إلى الماضى، إيالة عثمانية تستظل براية خاقان البرين والبحرين فى اسطنبول.. ثم عاشت عقب الحرب العالمية الأولى بضعة عشر عاما تقارع الاحتلال البريطانى حتى عقدت معاهدة سنة ١٩٣٦ فكانت برغم عيوبها خطوة استقلالية جوهرية فى حينها، فتحت الباب للتفكير والعمل من أجل بناء مشروع دولة عصرية مستقلة كبيرة الموارد، عظيمة الآمال فى الحرية والديمقراطية والرخاء والتطور والتقدم بلا انقطاع.

وخفتت عندئذ تلك الأصوات القليلة ذات النشاز التى كانت تتمسح فى تاريخ مصر القديم بمختلف أطواره وأدواره.. فصمتت دعاة الفرعونية ودعاة الالتحاق بأوربا جملة وتفصيلا، من القبعة على الرأس إلى الحروف اللاتينية على صفحات الكتب والجرائد، وصمت دعاة التفرقة الدينية، وجفف الباكون على الخلافة العثمانية دموعهم،



د. طه حسين



عبد الناصر

وانكمش دعاة تقليد الأسلاف في كل شيء من إطلاق اللحية حتى إطالة شعر الراس وتقصير القميص أو الجلباب ، وإسدال الحجاب على المرأة .

وأدرك الجميع كما يقول طه حسين في كتابه .. "أن السياسة شيء ، والدين شيء آخر ، وان نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية ، قبل أن يقوما على أى شيء آخر" ..

فلا يمكن عمليا العودة إلى أنماط حياة اندثرت ومضت عليها القرون الطوال كما مضت على كنوز توت عنخ أمون ، وآثار سلاطين الدول المصرية المتعاقبة .. ولا يمكن التعلق بحلم المدينة الفاضلة والحياة الطوبائية فيها ، لأن هذه المدينة لم يكن لها وجود قط على امتداد تاريخ مصر الفرعونية أو مصر الرومانية أو مصر الأموية أو مصر العباسية أو مصر الطولونية أو مصر الاخشيدية - حتى في عصر كافور الإخشيدى الذي امتدحه المتنبي !.. أو مصر الفاطمية ، أو المملوكية أو العثمانية ، أو مصر مراد بك وابراهيم بك التي ألقت سيوفها المطعمة بالذهب تحت أقدام بونابرت !.. فلا معنى لبناء مشروع مصر المستقبل على أوهام تساور بعضنا عن مصر الماضي !..

لقد كان كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" عند صدوره وبعد صدوره بأكثر من ثلاثين عاما ، برهان التفاؤل والثقة بمستقبل الثقافة في مصر ، لأن مستقبل مصر في الثقافة والحياة بوجه عام ، كان أيامئذ يبعث التفاؤل والثقة . ولم يكن ثمة ما ينذر بالردة الثقافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية الخ ..

فإذا كنا نرى الآن نذر هذه الردة بعد أن صار الكتاب وثيقة تاريخية . فلا بأس بأن نسأل : ألم تكن لطه حسين إذن بصيرة نافذة إلى المستقبل ؟!..

## عزيزى القارىء

بلى !.. كانت لطه حسين هذه البصيرة النافذة إلى المستقبل ، ولكن المستقبل اضطرب مساره وتبعثر ، بل خرج عن مساره وأوشك أن يتبدد فى التقلبات العاصفة التى جاء بها عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، عالم الحرب الباردة ، والمواجهة النووية ، فلم يسلس المستقبل قياده لمصر ولا لأية دولة فى العالم الثالث ، أو حتى فى العالم المتقدم .. ولا يمكن اعتبار ما يجرى الآن فى عالمنا الثالث ردة نهائية إلى الماضى ، ولكنه انقطاع مؤقت فى الطريق إلى المستقبل ، وإن كان انقطاعا شديد الوطأة برغم طابعه المؤقت ، وهو يستلزم الأناة واليقظة والعمل الدءوب وعدم الاستسلام لليأس ..

وتصادف ذكرى نصف قرن لكتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" افتتاح معرض الكتاب الدولى فى القاهرة ، والسؤال المتعلق به : ماذا فى هذا المعرض مما يساهم فى بناء مستقبل مصر ؟!..

كما توافق هذه الذكرى مرور سبعين عاما على ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو التى حققت نداء طه حسين بأن يكون التعليم والثقافة كالماء والهواء لجميع المواطنين ، وتحطيم احتكار التعليم لطائفة قليلة من أصحاب الامتيازات الطبقية الأنانية ، كانت تفرض الجهل وعدم مواصلة التعليم على أغلبية الشعب .

ولكن مياهاً كثيرة جرت فى نهر المجتمع المصرى بعد كتاب طه حسين وبعد وفاة عبد الناصر ، وصار من الضرورى النظر إلى مستقبل الثقافة فى مصر من جديد لكى تصبح هذه الثقافة سلاحا فى يد الشعب المصرى ، لا فى يد القلة الأنانية ، فهذا هو الطريق لبناء مصر المستقبل ، ودرء أخطار الرجوع القهقرى إلى ظلمات الكهف والرقيم والنوم الذى هو والموت سواء ..

إن هذا الهدف الوطنى الحيوى قد ناقشته مجلة الهلال مع عدد من المفكرين والكتاب ليعالجوه فى مقالات وبحوث ننشرها تباعا ابتداء من من هذا الشهر ..

فبلادنا الآن أمام خيارين : أن تتقدم نحو المستقبل فتعيش مع سائر الأمم التى تتقدم !.. أو تتجمد ثم تتراجع بظهرها إلى الهاوية ، فتعيش فى لفائفها وضماداتها كما تعيش المومياء ، تنتسب إلى الماضى بموتها ، وإلى الحاضر بوجودها ماثلة تحت أنظار المتفرجين على عجائب التحف والآثار !..

# مستقبل الثقافة في مصر

بقلم : د. أحمد أبو زيد

**الذين يتابعون عن كثب معالم النشاط الثقافي والفكرى في مصر والعالم العربي لابد أن يكونوا قد لاحظوا بعض الظواهر التى أخذت تطفو على سطح حياتنا الثقافية فى السنوات القليلة الماضية والتى قد يكون لها نتائج بعيدة، وخطيرة على مستقبل الثقافة وعلى قدراتنا على تجديد العقل المصرى والفكر العربي بوجه عام . ولعل أخطر هذه الظواهر هو الموقف العدائى الذى تقفه قطاعات معينة بالذات فى مجتمعنا المصرى من فكر الغرب وثقافته، ومحاولة التهوين من جدوى ذلك الفكر والتشكيك فيه وفى الدوافع التى تكمن وراءه . وقد تذهب فى ذلك إلى حد اتهام الثقافة الغربية بأنها تشكل تهديدا مباشرا للهوية الثقافية المصرية العربية الإسلامية . ومن هنا كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عما يطلق عليه أحيانا اسم الامبريالية الثقافية أو الاستعمار الثقافى، وأحيانا أخرى اسم الغزو الثقافى أو غربنة الثقافة أو تغريبها وغير ذلك من تسميات لم يكن لنا عهد بها من قبل .**

بل إن هذا الموقف العدائى كثيرا ما يمتد الى الجهود التى يقوم بها بعض المفكرين والمبدعين فى مصر ممن تأثروا بالثقافة الغربية فى محاولاتهم إعادة النظر فى أوضاعنا الثقافية وتقويم هذه الأوضاع، وقد يصل الأمر بهذا العداء إلى حد السخرية والاستهزاء من هذه الجهود والاستهانة بأداء هؤلاء المفكرين والمبدعين وتسفيه أفكارهم والتشهير أحيانا بأشخاصهم والانتقاص من أقدارهم، بل والتشكيك فى انتمائهم الوطنى وفى عقيدتهم الدينية واتهامهم

بالمروق والتنكر لقيم المجتمع وتقاليده وأعرافه وأخلاقياته إذا هم عارضوا الأوضاع الاجتماعية التقليدية المتوارثة أو انتقدوا بعض التصرفات ومظاهر السلوك العامة وطالبوا بتغييرها وتطويرها لكى تتمشى مع متطلبات العصر . وكثيرا ما تفلح هذه الأساليب فى قمع الفكر ووأد الآراء والتفسيرات الجديدة وصرف أصحابها ـ فى الظاهر على الأقل ـ عن الافصاح عن وجهات نظرهم حتى يجنبوا أنفسهم الحرج والعنت .

## القيود .. وحرية الرأى

وتمثل هذه الظواهر الجديدة أحد جوانب أزمة الثقافة والمثقفين فى مصر وفى العالم العربى بأسره . كما أنها تكشف من ناحية أخرى عن بعض نواحى القصور فى حياتنا الثقافية وفى فهمنا للثقافة ومقوماتها ودورها فى بناء الفرد والمجتمع . فمصادرة الفكر وفرض القيود على حرية الرأى ووضع القيود والعقبات أمام الأفكار الجديدة والاجتهادات الرائدة فى ميدان الثقافة لن يؤدى إلا إلى العزلة والانغلاق والابتعاد عن التيارات الثقافية العالمية وبالتالى الى التخلف الفكرى والثقافى ، فالفكر يزيد عمقا وثراء ونموا من خلال الاحتكاك بالافكار والآراء الأخرى والاستعارة الواعية من مختلف الثقافات عن طريق الاختيار والانتقاء مع التصدى فى الوقت ذاته للأفكار التى لاتتلاءم مع القيم والأوضاع الاجتماعية ليس بالمصادرة والمنع والقمع وإنما بالمناقشة والدراسة والنقد مع الارتقاء ـ او الترفع ـ عن تحويل قضايا الفكر الى معارك شخصية تضيع معها المشكلات الثقافية الهامة .

هذه وغيرها أمور مطروحة الآن للدراسة والبحث على نطاق واسع فى المجتمع المصرى وفى بعض المجتمعات العربية الأخرى ، لأن الظاهرة تكاد تكون عامة وتهدد الثقافة العربية كلها بالعزلة عن اتجاهات الفكر العالمى والاكتفاء بالالتفاف حول الذات . وقد بات كثير من المفكرين والكتاب والمثقفين بل وبعض الهيئات العلمية والمؤسسات الأكاديمية يدركون أهمية العمل على فحص واختبار الواقع الثقافى الذى نعيش الآن فيه وتقييم ذلك الواقع فى ضوء الأبحاث الميدانية الموضوعية التى تدرس هذا الواقع وترصده من كل جوانبه . وليس أدل على ذلك الاهتمام من أن مؤسسة علمية مرموقة مثل المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يكرس الآن جهوده لدراسة هذا الواقع الثقافى من خلال مشروع بحثى يهدف الى إمكان وضع سياسة ثقافية جديدة تقوم على أسس صلبة ومتينة وراسخة من البحث والتحليل والفهم والتقييم . ويستعين المركز فى إتمام هذا المشروع الضخم بعدد من المهتمين بمشكلات الثقافة والمتخصصين

والدارسين الذين يعكفون الآن على وضع خطة البحث الذى ينتظر أن يستغرق بضع سنين .

ولكي تثمر هذه الجهود فإن النظرة الى الثقافة فى هذه الحالة لابد أن تكون

نظرة عامة وشاملة بمعنى ان تؤخذ الثقافة فى كل أبعادها الاجتماعية



والسياسية على اعتبار ان الثقافة لاتوجد ابدا فى فراغ وإنما هى ترتبط دائما بمجتمع معين وتتفاعل مع النظم والانساق الاجتماعية السائدة فى ذلك المجتمع . والتى تؤثر بالضرورة فى الحياة الثقافية وتنعكس فيها بشكل أو بآخر . ولن يتيسر ذلك إلا إذا أخذت ، الثقافة بمفهومها الواسع الذى يأخذ به علماء الأنثربولوجيا والذى يتجاوز المفهوم الضيق للكلمة أو المعنى الدارج والشائع بين الناس . فالمفهوم الانثربولوجى للثقافة حسب تعريف إدوارد بيرنت تايلور

فى كتابه عن « الثقافة البدائية » .. يشمل « ذلك الكل المركب الذى يتألف من المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الفرد من حيث هو عضو فى مجتمع » . فالثقافة بهذا المعنى تشمل إذن السلوك والتصرفات والانجازات الابداعية والمبادىء والقيم التى تكمن وراء هذا السلوك ووراء تلك الانجازات . ويقول آخر إن الثقافة هنا تعنى « كل المظاهر الروحية والمادية فى المجتمع من حيث إنها تصدر عن القدرات الابداعية

للانسان أو تقوم على تلك القدرات » . وهذا هو التعريف الذى استقر عليه الرأى فى مؤتمر ( السياسات الثقافية فى أوربا ) الذى عقد فى هلسنكى عام ١٩٧٢ . وقد يمكن اختصار كل هذه التعريفات وغيرها للثقافة فى عبارة قصيرة وموجزة وهى أن الثقافة .. اسلوب الحياة فى المجتمع .. بكل ما يتضمنه ذلك « الأسلوب » من سلوك وتصرفات ومن معارف وإبداعات وقيم .

ولكن إذا كانت الثقافة بهذا المعنى الواسع لاتوجد أبدا فى فراغ وإنما ترتبط دائما بالاتساق والنظم السائدة فى المجتمع الذى تقوم فيه تلك الثقافة فإنها لاتوجد بالتالى بمعزل عن غيرها من الثقافات الأخرى التى يتاح لذلك المجتمع أن يتصل بها ويتبادل التأثير والتعامل معها نتيجة لانتشار وفاعلية وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرى التى تلعب دورا أساسيا وهاما فى ذلك والتى يتعدى تأثيرها وفاعليتها كل الحواجز والحدود السياسية والدولية والعرقية والاجتماعية . والواقع أن الأوضاع الثقافية فى مصر تتأثر من هذه الناحية بكثير من الآراء والأفكار والتيارات الفكرية الواردة من الخارج وذلك بحكم موقعها الجذاب وليس المقصود بذلك الثقافة العربية الاسلامية التى تعتبر الثقافة فى مصر على أية حال جزءا عضويا منها وامتدادا لها ، وإنما المقصود أيضا التأثيرات الثقافية الأجنبية الوافدة من الغرب بحكم الاتصال الثقافى والتى تلقى كما ذكرنا بعض التصور والهجوم من بعض قطاعات وقضايا المجتمع لأسباب لا داعى للدخول فيها الآن وإن كنا نرجو أن نعرض لها فى مقال آخر .

وهذا كله معناه فى آخر الأمر أن اى محاولة لوضع سياسة ثقافية شاملة يجب أن تأخذ فى الاعتبار كل هذه الابعاد والعناصر المعقدة المتباينة وأن تحيط بمكونات الثقافة ومضمونها قبل أن تعكف على تقيمها لمعرفة جوانب القوة والضعف والقصور فيها تمهيدا لوضع سياسة ثقافية جديدة تعالج هذه النقائص .

● ● ●

وليس وضع سياسة ثقافية جديدة للمجتمع بالامر السهل الهين . فعلى الرغم من كل ماقيل وما يقال وما كتب ولايزال يكتب حتى الآن عن الواقع الثقافى فى مصر وعن الحاجة الملحة الى التخطيط الثقافى وضرورة وضع سياسة ثقافية جديدة تسترشد بها الدولة وصانعو القرار فى مشروعاتهم المستقبلية فإن معظم هذه الكتابات تعتمد على الانطباعات الشخصية وتعبر عن وجهة نظر خاصة بأصحابها فحسب دون أن تقوم فى الأغلب على دراسات أو بحوث ميدانية أو دراسات منهجية وموضوعية . ولذا فإن معظم تلك الكتابات التى تمتلىء بها الآن الصحف بوجه خاص كتابات عامة تنقصها الدقة والعلمية وتصاغ فى الفاظ فضفاضة وتمتلىء بالاحكام التقييمية التى تنقصها الدقة والتفاصيل ولاتكاد تعتمد على معلومات مؤكدة وصحيحة . وصحيح أن هناك بعض الدراسات التى أجريت على بعض جوانب النشاط الثقافى فى مصر

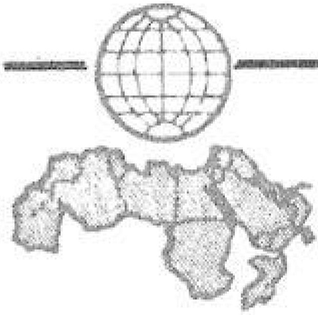
مثل حركة المسرح ورصد الحركة النقدية فى فترات معينة وما الى ذلك ، ولكن هى فى الأغلب دراسات اكاديمية بحتة لاتكاد تجد طريقها الى غير المتخصصين وقليلا ماتكون فى متناول الكتاب الذين يعرضون على صفحات الجرائد والمجلات لموضوع السياسة الثقافية على الرغم من أهمية هذه الدراسات والبحوث الاكاديمية .

**وهذا كله معناه أن أى حديث عن رسم سياسة ثقافية لابد من أن تسبقه وتمهد له دراسات ميدانية وبحوث مسحية شاملة ترصد لنا بدقة وبطريقة علمية واقع الحياة الثقافية فى مصر ومختلف أوجه النشاط الثقافى العام** بحيث تكون أمامنا خريطة واضحة وتفصيلية عن هذا الواقع وتكشف بجلاء عن التيارات الفكرية والادبية والفنية ونوع التفاعل بينها ودورها الذى تلعبه فى أثراء الحياة الثقافية واستجابة المجتمع بفئاته المختلفة لها ومدى ملاءمتها لاحتياجات المجتمع من حيث الكم والنوع واسهام المثقفين بمختلف انشطتهم الابداعية ونظرة المجتمع الى أعضائه المفكرين والمبدعين والمكانة التى يحتلونها فيه ورأى الدولة فيهم ورأيهم هم أنفسهم فى الدولة ونظام الحكم والحريات التى يتمتعون بها والتى تسمح لهم الدولة بها والقيود التى قد تكون مفروضة عليهم وعلى آرائهم وكتاباتهم والمسئوليات التى يضطلعون بها فى تغيير المجتمع والمؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية ومجالات نشاطها الثقافى وتقييم ذلك النشاط وغير ذلك من الموضوعات التى لاتكاد نجد لدينا معلومات وافية ودقيقة عنها رغم أهميتها القصوى لفهم الواقع الثقافى من ناحية واستخدامها كأداة وركيزة يمكن أن نقيم عليها أية محاولات لوضع سياسة ثقافية جديدة .

وإجراء هذه البحوث الميدانية تعترضه بغير شك كثير من الصعوبات وربما كان أهون هذه الصعوبات ، هو الحصول على المعلومات الرقمية والاحصائية الخاصة بمظاهر النشاط الثقافى المختلفة رغم صعوبة ذلك فى حد ذاته ، مثل عدد الهيئات والمؤسسات الثقافية وعدد المحلات العامة والمتخصصة فى كل فرع من فروع الثقافة وعدد الكتب ونوعيتها ونوع القراء الذين يقبلون على كل نوع منها والوقت الذى يخصصونه لكل نشاط ثقافى على حدة وعدد دور السينما والمسارح ونوع الافلام والمسرحيات التى تعرض فيها وساعات الارسال الاذاعى والتليفزيونى موزعة على البرامج المختلفة ومدى الاقبال عليها وما الى ذلك من معلومات . وهذه معلومات مهمة وأساسية بغير شك ولكنها لاتكفى فى ذاتها لاعطاء المؤشرات الصحيحة للاتجاهات الثقافية فى المجتمع كما أنها لاتكفى لتكوين فكرة واضحة ومتكاملة عن نوعية الثقافة والمستوى الثقافى العام ومدى التجاوب والتفاعل بين المفكرين والمبدعين أو من نسميهم بوجه عام صانعى الثقافة وجمهور المتلقين لهذا الابداع أو لتلك السلع الثقافية رغم نجاح ذلك التعبير ، كما أنها لاتبين مدى إسهام المفكرين والمبدعين فى الحياة العامة ودورهم فى تغيير نمط هذه الحياة وما الى ذلك .

ومن هنا فإن البحث فى هذه الأمور الثقافية عن طريق الاكتفاء باستخدام قوائم الأسئلة التقليدية التى يعتمد عليها الكثير من الباحثين فى دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية لن يجدى كثيرا فى دراسة هذه الظواهر الثقافية المعقدة وإن كانت تساعد بغير شك مساعدة فعالة فى توضيح الصورة كما أنها قد تؤكد وتساند وتعزز التحليل الكيفى حين يحتاج الأمر الى ذلك . فالأمر يتطلب إذن الاستعانة والالتجاء الى أساليب ومناهج اخرى للبحث تتفق مع طبيعة الظواهر الثقافية والمبادىء وأنساق وأنماط القيم التى تكمن وراءها والتى تقوم عليها هذه الأوضاع الثقافية . وليس هنا على اية حال مجال للحديث عن هذه المناهج والوسائل والأساليب . ولكن المهم هو الا تقتنع البحوث والدراسات التى يتم إجراؤها بأية وسيلة وطبقا لأى منهج بأن تكون ذات طابع تقريرى بحت أو أن تقتنع وتكتفى بتسجيل الواقع دون تقييمه حتى يمكن تعرف آراء الناس ووجهات نظرهم إزاء هذه الانشطة الثقافية المختلفة وبخاصة من حيث مدى تلاؤمها أو تنافرها مع القيم الاجتماعية ومع التراث ومع رغبات الناس وتصوراتهم لمفهوم الثقافة والدور الذى يجب أن تحتله فى حياتهم وحياة المجتمع وذلك على اعتبار أن الناس هم فى آخر الأمر أصحاب المصلحة الحقيقية أو المستفيدون من هذه المشروعات الثقافية .

ومن المؤكد أن اجراء هذه البحوث والدراسات يحتاج الى كثير من الجهد والوقت والمال وأنه نشاط يصعب أن يضطلع به فرد واحد أو عدة أفراد وإنما هو مشروع قومى ضخم لايمكن أن تقوم به إلا هيئة قومية لها قدراتها البشرية والعلمية والمالية على السواء . وهذا هو الذى دفع المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الى القيام بهذا المشروع ضمن برنامجه الضخم لتقييم السياسات الاجتماعية بوجه عام والمبدأ المهم الذى لابد من الاسترشاد به هو ضرورة معالجة شئونه الثقافية بالأسلوب العلمى الرصين الدقيق بعيدا عن الدعاية والتشنجات والانفعالات والأحكام الذاتية المغرضة عن التعصب والتزمت وضيق الافق . فوضع سياسة ثقافية رشيدة سيتعلق فى آخر الأمر بمستقبل المجتمع والانسان المصرى ومستقبل الاجيال كلها . واتباع المنهج العلمى الدقيق السليم الرصين وأساليب البحث العلمى الموضوعى ادعى الى أن تأتى خطط العمل الثقافى اكثر شمولا ودقة واكتمالا واشد فائدة وفاعلية وتأثيرا فى تحديد مستقبل الانسان المصرى والمجتمع .



# أقوال معاصرة



جورباتشوف

● فلنتوقف ونفكر .. ان الروح المحافظة والرغبة في القفز فوق المراحل هما وجهان لعملة واحدة .. »

**جورباتشوف**

امين عام الحزب الشـــــيوعى السوفييتى

● « ما يحدث في فلسطين يهز ضمائرنا وضمائر العالم .. »

**البابا شنوده الثالث**

● « المنظر الطبيعى الذى اوثره هو الوجه الانسانى »

نستور المندروس مصور سينمائى



يوسف ادريس

● « لا ترضى ابدا بالجيد المتوفر ، ابتكر الاجود »

ريموند لوى المصمم الصناعى الفرنسى

● اذا كنا قادرين على العظمة فلماذا التفاهة ؟

د . يوسف ادريس

● صداقتنا مع اسرائيل اساسية لا تتزعزع »

**جورج شولتز**

وزير الخارجية الامريكى



فرانسوا ميتران

● « اوربــا غائبــة ، فى الوقت الذى يقررون فيــه مستقبل العالم »

الرئيس الفرنسى

**فرانسوا ميتران**

● « اليابانيون لا يدعونك تقهقه ضاحكا منهم سوى مرة واحدة »

**بول ميدمنت**

المحرر بمجلة الايكونمست

# اللحظة التاريخية
# لكتاب
# مستقبل الثقافة فى مصر

بقلم : د. فؤاد زكريا

**التطلع إلى المستقبل من سمات اللحظات التاريخية المتفائلة ، على حين أن العودة إلى الماضي والتغنى بما كان عليه الأجداد لا يشيع إلا فى عصر يسوده التشاؤم والإحباط .. هذه الحقيقة البسيطة والواضحة كل الوضوح تمثل فارقا أساسيا بين لحظتنا التاريخية الراهنة ولحظة الأمل والتفاؤل التى ظهر فيها كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » . فقد كان محور « المستقبل » هو المسيطر على الكتابات التى أنتجها العقل المصرى فى اللحظة التى كانت جميع الشواهد فيها تدل على أن أمورنا قد آلت إلينا ، وعلى أن الدفة التى ستوجه مسار المجتمع المصرى قد تحولت ، أخيرا ، إلى أيدينا بعد أن ظلت طويلا فى أيدى الآخرين ..**

أما اليوم ،وبعد أن مضى نصف قرن على ذلك العصر المتفائل ، فإن البؤرة التى تدور حولها الكتابات والمناقشات والندوات هى الماضى والتراث و « الأصالة » . أما المستقبل فيقف على الدوام موقف الدفاع ، فأقصى ما يحلم به الكاتب « التقدمى » هو أن يكون للحديث عن المستقبل مكان مشروع



د. طه حسين

وسط طوفان الكتب والأحاديث والخطب التى تدور كلها حول محور الماضى . وإذا استطعنا اليوم أن نقيم ندوة أو ندير نقاشا عن المستقبل ، أعنى عن مجتمعنا فى عام الفين ، مثلا ، فإن الآراء التى نعرضها تدور كلها حول فكرة يغلب عليها طابع التشاؤم ، هى هل سنتمكن من الحفاظ على أوضاعنا الراهنة عندما يحل القرن القادم ؟ وحين نطرح هذا السؤال ، فإن شغلنا الشاغل ، حين نفكر تفكيرا « مستقبليا » ، هو أن نحتفظ بهذا « التردى » بحيث لا يتحول إلى « انهيار » ، ومشكلتنا الكبرى هى أن يستمر الكفاف المادى والمعنوى الذى نقنع به اليوم ، لأن الغد يحمل فى طياته احتمالا قويا لزوال هذا الكفاف ذاته ، بحيث يغدو « مجاعة » على المستويين المادى والمعنوى فى أن معا ..

نعم ، إن المستقبل يشغل قدرا من اهتمامنا ، الذى تطغى عليه فى وقتنا الراهن محاولة بعث الماضى من مرقده فى ذلك الكهف الذى لبث فيه قرونا عديدة ، ولكن هذا الاهتمام بالمستقبل يتخذ طابع الخوف من الا يكون لنا أى مستقبل ..

إنه يمثل تساؤلا عن إمكان استمرارنا فى الوجود ويعبر عن رغبة ملحة ، تصاغ فى معظم الأحيان بنغمة يائسة فى أن نصد عن أنفسنا تلك الاحتمالات المخيفة التى ينطوى عليها حاضر متدهور لابد أن يفضى إلى مستقبل حالك ، وهكذا فإن فكرنا المعاصر ، إذا استطاع أن يجد مكانا للحديث عن المستقبل وسط طوفان الفكر الراجع الى الوراء ، فإن حديثه هذا لايعالج المستقبل بوصفه أملا فيما هو افضل وإنما ينتظره بقلق وتوجس ، واقصى ما يسعى إليه هو تجنب ما يحمله

المستقبل فى طياته من كوارث تنذر بهدم كل شيء ..

● التفاؤل والسذاجة !

كان حديث طه حسين عن مستقبل الثقافة فى مصر ، إذن حديث المتفائل الذى ينظر إلى المستقبل بوصفه تفتحا لامكانات لا حدود لها .. إمكانات الدولة ذات التاريخ العريق .. التى جثم الاحتلال على صدرها حينا من الدهر ثم لاحت بشائر الخلاص منه وعودة زمام الأمور الى ابنائها المخلصين ، واليوم بعد ان مضى نصف قرن على هذه النظرة الوردية التى تامل بها طه حسين مستقبل العقل والروح فى وطنه ، يحق لنا أن نتساءل : ما الذى حدث خلال الأعوام الخمسين التى انقضت منذ ذلك الحين ، بحيث اصبحنا نرى فى هذا الكتاب اثرا من الماضى البعيد ، ونجد فيه تفاؤلا اقرب إلى السذاجة إذا ما قيس بالواقع المرير الذى عانيناه خلال تلك العقود الخمسة ..

لقد تداعت الأحداث بعد ظهور هذا الكتاب مباشرة ، بحيث سارت فى طريق كان لابد أن يؤدى إلى هدم الآمال العريضة التى كان يحلم بها مؤلفه .. فبعد عام واحد ، اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية .. وبغض النظر عما جلبته الحرب ذاتها من مصائب على البلاد التى دارت فيها رحى المعارك .. فإننا الآن نذكر هذه الحرب لأنها هى التى قدمت المبرر المباشر لإقامة دولة اسرائيل بعد عشر سنوات من ظهور كتاب طه حسين ، وكان قيام هذه الدولة فى قلب العالم العربى بداية سلسلة من الأحداث التى قضت على الطابع الليبرالى لانظمة الحكم فى أهم الاقطار العربية ، وأحلت محله ثورات عسكرية سيطرت على بلادها بوصفها رد فعل على تخاذل الأنظمة العربية امام اسرائيل فى حرب ١٩٤٨ ، وأصرت على التمسك بالحكم تحت ذريعة أنها هى وحدها القادرة على التصدى لهذا العدو الذى لا يردعه إلا مجتمع عسكرى مسلح .. وبهذه الحجة اخذت الحريات العامة .. تتداعى واحدة تلو الآخرى .. وأخذ الفكر المتفتح والمستنير .. والمرتبط بتفاؤل ما بعد الاستقلال ، يتراجع ليحل محله فكر سلطاوى مرتكز على عبادة الفرد ، وبلغت الكارثة ذروتها حين تبين أن تلك المواجهة العسكرية التى اتخذتها ثورات الجيوش العربية ذريعة لحكم بلادها ، قد أسفرت عن هزائم تفوق فداحتها كل ما وقعت فيه الحكومات المدنية من قبل .. وارتبط بالهزائم العسكرية الفادحة ، انكماش متزايد لمشروع النهضة الوطنية وجمود بل تراجع ، فى مستوى تفكيرنا ونوعية المشكلات التى تنشغل بها عقولنا ، وظهور نزعات سلفية رجعية لم تزدهر بفضل مزاياها الخاصة بقدر ما ازدهرت بفضل سوء

تصرف الحكومات المتعاقبة معها .

* * *

ولا جدال فى أن محاولة تقديم إجابة مفصلة عن السؤال الأساسى : ما الذى حدث بالضبط خلال نصف القرن الذى انقضى منذ ظهور « مستقبل الثقافة فى مصر » ؟ هذه المحاولة تعنى تقديم عرض شامل لتاريخ مصر خلال هذه الفترة الحاسمة ، ولابد أن يكون التاريخ المقصود هنا « تاريخ حضارة » ، بكافة جوانبه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، فضلا عن الجانب السياسى بطبيعة الحال .. ولما كانت تلك مهمة يستحيل إنجازها فى حيز محدود .. فضلا عن انها تتجاوز بمراحل جهد أى فرد بعينه ، فقد بدا لى أن من الطرق الممكنة إيضاح الفارق بين اللحظتين التاريخيتين : لحظتنا الراهنة ، ولحظة تأليف كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر اختيار بعض المفاهيم المحورية التى دار حولها طه حسين فى هذا الكتاب ، واستعراض التطورات التى طرأت منذ ذلك الحين ، والتى أضفت على هذه المفاهيم معانى متباينة ، حتى انتهت بها إلى ما اصبحت عليه فى وقتنا الراهن ..

● الشرق والغرب

كان المفهوم الأساسى الذى تبلورت حوله افكار رئيسية فى هذا الكتاب ، هو مفهوم الشرق والغرب . وكان السبب الحقيقى للأهمية التى احتلها هذا المفهوم فى الكتاب ، هو انه يتحكم فى تحديد الاتجاه الذى ينبغى أن يتخذه مشروعنا الثقافى للمستقبل كما تصوره طه حسين : فهل يتجه هذا المشروع صوب الحضارات الشرقية ، ام يسير فى اتجاه الحضارة الغربية ؟ كان الجواب الذى اكده طه حسين بصورة قاطعة هو أن مشروعنا الثقافى للمستقبل ينبغى أن يكون جزءا لايتجزأ من الثقافة الغربية بمعناها الشامل ، لأن تاريخنا الثقافى كان على الدوام أوثق ارتباطا بالحضارة الغربية منه باية حضارة أخرى .

ولكى يدلل طه حسين على قضيته الأساسية هذه ، لجا إلى مجموعة من الحجج التاريخية التى كانت فى حقيقتها اقرب إلى المغالطات منها إلى أى شيء آخر . فهو يرى أن الثقافات الكبرى فى العالم تنقسم إلى اثنتين : الثقافة الغربية ، وثقافة الشرق الأقصى ، اى الصين واليابان ، ومن السهل بالطبع ، إذا كان هذا هو التقسيم الرئيسى للثقافات ، أن نستنتج أن علاقاتنا الثقافية بالشرق ( مفهوما بهذا المعنى ) لم تكن لها أهمية على مر التاريخ ، وانما كان المسار الرئيسى لروابطنا الثقافية يسير نحو الغرب . ومع ذلك فإن طه حسين يعترف بوجود صلات قوية بيننا وبين « الشرق القريب الذى نسميه فلسطين والشام والعراق ، اى هذا الشرق الذى يقع فى حوض البحر الأبيض المتوسط !! (★) ومعنى ذلك أن الجانب الشرقى من ثقافتنا كان يتمثل فى انتمائنا إلى ثقافة البحر المتوسط ، التى كانت وثيقة

الصلة بالثقافة الغربية خلال مراحل التاريخ .

ولعل القارىء قد لاحظ هنا أن إدراج العراق ، بحضارته البابلية والآشورية العريقة ، ضمن ثقافات البحر المتوسط ، فيه قدر كبير من التعسف ، إذ كانت تلك حضارة آسيوية بمعنى الكلمة . بل إن طه حسين يتجاهل فى هذا الصدد البعد الآسيوى والبعد الافريقى للحضارة المصرية تجاهلا شبه تام : فعلاقات مصر بوادى النيل ، أى بالسودان والحبشة وبقية البلدان الافريقية ، كانت لها اهمية تاريخية كبرى ، ومع ذلك فلا مكان لها بين هاتين الحضارتين اللتين اكتفى بهما طه حسين . وهذا ينطبق على الجزيرة العربية واليمن وإيران ، التى تنتمى إلى حضارات عريقة لا علاقة لها بالشرق الاقصى ، وليست متوسطية ولا غربية .

وهكذا كان فى التقسيم الحضارى الذى استهل به طه حسين كتابه قدر واضح من التبسيط المخل . ومع ذلك فإنه يقفز منه إلى احكام قاطعة ، من امثال : « وإنما كانت مصر دائما جزءا من أوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية » ( ص٢٧ ) او « فكل شىء يدل على انه ليس هناك عقل أوربى يمتاز عن هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب ، وإنما هو عقل واحد ، تختلف عليه الظروف المتباينة المتضادة فتؤثر فيه آثارا متباينة متضادة ، ولكن جوهره واحد » ( ص ٢٩ ) أو : « حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها والوانها أوربية خالصة » ( ص٣٢ )

وفى سبيل الوصول إلى هذه الأحكام الشديدة التعميم ، والشديدة الخطورة فى الآن نفسه ، يأتى طه حسين بسلسلة من « الأدلة » التاريخية إثباتا لوجهة نظره فى ارتباط تاريخنا الثقافى بالتاريخ الأوربى ، ويكاد يصادر على حق الآخرين فى التشكيك فى هذه الأدلة ، إذ يؤكد أن هذه الروابط بيننا وبين أوربا « أوليات لا معنى لاضاعة الوقت فى إثباتها . » ( ص ١٨ ) .

وهنا يحق للمرء أن يتساءل : ما الهدف الذى كان يرمى إليه طه حسين من هذا التبرير التاريخى الطويل ؟ هل كانت المسالة مجرد انبهار بالثقافة الأوربية ، كما قال خصومه ، او « عمالة » للغرب ، كما قال أعداؤه الأشد تطرفا ؟ من المستحيل أن يقبل المرء توجيه اتهام كهذا الى رجل حمل على اكتافه عبء التنوير فى بلاده لمدة تربو على اربعين عاما ، كان حسه الوطنى خلالها فوق مستوى كل شك . ومن جهة أخرى فإن هذا الكتاب ، الذى احتوى هذا الدفاع التاريخى المتحمس عن ارتباط الثقافة المصرية بثقافة البحر

المتوسط ، ومن ثم بالثقافة الغربية ، كان هو نفسه الذى تضمّن حملة شعواء على التعليم الأجنبى فى مصر ، ندد فيها بانفصال هذا التعليم عن واقع مجتمعنا ، ودعا إلى مراقبة الدولة للمدارس الأجنبية « مراقبة دقيقة تكفل محافظتها على مقدار من التعليم يلائم حقوق الوطنية المصرية وواجباتها . » ( ص ٦٧ ) بل إنه دعا إلى الحد بعض الشىء من حرية الصحافة والإذاعة والسينما ( أى وسائل الإعلام ، بلغتنا الحالية ) فى نقل معالم الحياة الأوربية إلى المواطنين ، نظرا إلى اختلاف ظروف الحياة بين مصر وأوربا ( ص ٣٨٢ ) وحتى لا يلحق الضرر « بالذوق والخلق » ( ص ٣٨٣ ) . وأخيرا ، فقد طالب بالتوسع فى إدخال مناهج اللغة العربية والتاريخ والدين فى جميع المدارس الاجنبية ( وهو ما تحقق فيما بعد خلال عهد الثورة ، وإن لم يعترف الذين طبقوا هذه السياسة عندئذ بريادة طه حسين فى هذا الميدان )

وعلى اية حال فإن المفكر الذى ينادى بأن يدرس ابناء وطنه جميع عناصر الثقافة القومية ، بدلا من أن يكتفوا بدراسة الثقافات الغربية ، لايمكن أن يكون ناكرا لهويته وأصالته ، أو منسحقا فى الثقافات الدخيلة ، كما يحاول خصوم طه حسين أن يوهمونا . وحقيقة الأمر هى أن ما كان يهدف إليه من هذا الاندماج بالثقافة الغربيّة ليس إلا تاكيد استقلالنا ، الذى لايتحقق فى نظره إلا بأن نفكر ونتصرف فى كل شىء كالأوربيين ( ص ٤٣ ـ ٤٥ ) وكذلك « أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون أندادا ولنكون شركاء لهم فى الحضارة . » ( ص ٤١ ) .

ومع ذلك فإن طه حسين لم يكن يحتاج ، فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف ، إلى كل هذه الشواهد التاريخية المصطنعة التى حاول أن يثبت بها انتماء مصر إلى حضارة البحر المتوسط ، وانفصالها عن الحضارات الشرقية . فقد كان يكفيه القول إن التطور والتقدم الحضارى العصرى يتحقق فى الغرب ، وأن اسهامنا فى هذا التطور والتقدم لن يتحقق إلا إذا استوعبنا الثقافة الغربية استيعابا تاما أى انه كان يستطيع أن يبنى دعوته على مبدأ المصلحة القومية ، بدلا من أن يلتمس لها جذورا تاريخية غير مؤكدة ، لاسيما أنه هو ذاته الذى دافع عن مبدأ إقامة السياسة على أساس « المنافع ، والمنافع وحدها » ( ص ٢٠ ) .

وبطبيعة الحال فلم يكن من المتوقع ، فى اللحظة التاريخية التى حدد فيها طه حسين موقفه هذا ، أن يكون تفكيره فى موضوع علاقة مصر الثقافية بالغرب ، وبأوربا على وجه التحديد ، قد اكتسب تلك الأبعاد المعقدة التى أصبحنا نفكر من خلالها فى هذا الموضوع ذاته فى عصرنا الحاضر . فمنذ ذلك الحين ، ولم تعد العلاقة بين بلادنا والغرب تسير فى ذلك الاتجاه الواحد البسيط ، اتجاه تأثر النمط الأقل تقدما بالنمط الأكثر تقدما ، وإنما

اكتشفنا - بعد جهد ومعاناة فى أحيان كثيرة - ان الغرب ليس كيانا ذا بعد واحد ، وان ازهار التقدم الغربى يصعب فصلها عن اشواك السيطرة والعدوان المسلح والاستعمار ، وان اعتقاد اوربا بـانها تحمـل شعلة « الحضارة العالمية » ، كثيرا ما كان تغطية لنزوع شديد الى رؤية العالم من خلال مفاهيمها الإقليمية الخاصة ، وإلى فرض المعايير الأوربية على الغير بعد إعطائها طابعا « كونيا » مزيفا ، اى الى ما اصبحنا نعرفه الآن باسم « المركزية الأوربية » ومجمل القول إن الغرب كما نعرفه الآن لم يعد وجهه الوحيد هو ذلك الوجه الليبـرالى المتسامح المستنير الذى عرفه طه حسين ، بل إن تجربتنا معه اضافت إليه وجها آخر عدوانيا ، استعلائيا ، شديد التمركز حول ذاته ، وهو ما يضفى على علاقتنا الراهنة بالغرب طابعا شديد التعقيد .

● التبعية والاستقلال :

وعلى هذا النحو ذاته نجد مفهوم الاستقلال يتخذ ، فى لحظة التفاؤل والأمل التى ظهر فيها كتاب طه حسين ، طابعا واضحا ، يرتبط ارتباطا مباشرا بنظرته الخاصة إلى الغرب فكما هو متوقع ، يؤكد طه حسين فكـرة « الاستقـلال عن الغـرب بـاتبـاع أسلوبه»!! اى انه يدعونا إلى الأخذ بالديمقراطية الغربية فى السياسة ، واتباع الأساليب الغربية فى التعليم والاقتصاد ، لأن هذا هو السبيل الوحيد للاستقلال الحقيقى عن الغرب . وهو يؤكد أن الاستقلال ليس سياسيا فقط ، وإنما تكملة تلك « الحضارة التى تقوم على الثقافة والعلم والقوة التى تنشأ عن الثقافة والعلم ، والثروة التى تنتجها الثقافة والعلم » (ص ٩) .

ويبدو ان التطور اللاحق للأحداث قد اثبت اننا لم نستوعب هذه الحقيقة البسيطة جيدا ، وكان لابد لنا من الانتظار حتى تقع كارثة ١٩٦٧ لكى ندرك أن كفاحنا فى الميدان السياسى قد طغى على اهتمامنا باكتساب أسباب القوة فى ميدان العلم والثقافة ، وأن الفجوة الحضارية بيننا وبين أعدائنا كانت إحدى الأسباب الرئيسية للهزيمة الساحقة التى لحقت بنا . وربما كان طه حسين يتنبأ بالمجرى الذى اتخذته الأحداث فى هذا الميدان حين اعرب عن خشيته من الا نعرف كيف نتنفع من الاستقلال ، فقال : « اخاف ان نقصر (بعد الاستقلال) فى ذات انفسنا ، فنهمل مرافقنا ... فنتأخر ... وننحط » (ص ١٠) .

على أن ماينبغى ان نتوقف عنده هو الفكرة الرئيسية التى اكد فيها ان الاستقلال الحقيقى عن الغرب لايتحقق إلا باتباع أسلوب الغرب نفسه . فهو يسير على هدى من المبدا القائل إننا إذا عرفنا كيف نسلك ونفكر ونتعلم

ونتثقف بالأسلوب الغربى ، كان هذا أقصر الطرق وأفضلها للتخلص من سيطرة الغرب . ولاشك أن مياها كثيرة قد تدفقت فى هذا المجرى منذ أن طرح طه حسين أفكاره هذه فى لحظة التفاؤل والأمل التى ألف فيها هذا الكتاب . فقد أصبح الاتجاه السائد فى الفكر العربى الحالى هو النظر إلى هذا النوع من الأخذ بالأسلوب الغربى فى الفكر والحياة ، لا على أنه الوسيلة المضمونة لتحقيق الاستقلال ، بل على أنه مظهر مؤكد من مظاهر « التبعية » . وأصبح مفهوم الاستقلال عندنا مرتبطا بالتحرر من النموذج الغربى ، فى كافة مظاهره وأشكاله ، وتتفاوت درجة هذا التحرر ما بين الدعوة الى اتخاذ موقف نقدى من هذا النموذج ، والدعوة إلى رفضه رفضا قاطعا ، مع العودة الى نموذج مرتبط بتراثنا الحضارى وبهويتنا الأصيلة . ولكن المهم أن دورة الزمن خلال نصف قرن قد أضعفت كثيرا مبدأ تحقيق الاستقلال عن الغرب باتباع أساليب الغرب ، ودعمت إلى حد بعيد المبدأ القائل إن الاستقلال عن الغرب لايكتمل إلا بالبحث عن نموذجنا الحضارى الخاص ، المستمد من تراثنا وتاريخنا .

ومع ذلك فمن الصعب القول إن المشكلة ، بعد أن مرت بهذا التطور الكبير ، وانتقل تفكيرنا فيها من طرف الى الطرف المضاد ، قد وجدت أخيرا حلها النهائى فى عصرنا الحاضر . ذلك لأن عددا لايستهان به من زعماء حركات التحرر المعاصرة ، ومن كبار المثقفين الوطنيين فى آسيا وافريقيا ، كانوا متأثرين بالنموذج الغربى تأثرا واضحا ، دون أن يقلل ذلك من وطنيتهم أو يضعف من سعيهم إلى تحرير بلادهم من قبضة الغرب . ويبدو ، فى بعض هذه الحالات على الأقل ، أن مبدأ استخدام النموذج الغربى وسيلة للاستقلال عن الغرب لم يعلن إفلاسه تماما ، حتى فى عصرنا الراهن . ومن جهة أخرى فإن السعى إلى إيجاد نموذج تقليدى أو تراثى ، مستقل عن النموذج الغربى ، لم يثبت دائما نجاحه فى تحقيق هدفه . فالعودة إلى السلفية فى بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة مثلا ، لم تحقق لهذه المجتمعات نهضة حقيقية ، بل إنها أدت ، من الوجهة العملية ، الى مزيد من التبعية للغرب فى الميدان الاقتصادى والعسكرى والسياسى ، على الرغم مما تدعيه لنفسها - على المستوى الإعلامى - من عودة إلى الأصالة وتحرر من العناصر الدخيلة و « المستوردة » وهكذا يبدو أن قضية الاستقلال والتبعية فى الميدان الثقافى مازالت مفتوحة بعد نصف قرن من النداء المتفائل الذى وجهه طه حسين إلى أمته فى أول عهدها بالاستقلال السياسى .

● الليبرالية

من الأوصاف التى تشيع نسبتها إلى مفكرى التنوير المصريين فى النصف الأول من القرن العشرين ، وعلى رأسهم

طه حسين ، صفة الليبرالية ، وترتبط هذه الصفة فى الأذهان بمجموعة من السمات التى تميز بها المجتمع الأوربى منذ القرن السابع عشر ، والتى ازدادت وضوحا بعد الثورة الصناعية على وجه التحديد . فالليبرالية هى التعبير الفكرى والسياسى عن دفاع الرأسمالية عن الحرية الاقتصادية ، أى عدم تدخل الدولة فى آليات العرض والطلب فى السوق ، ومايترتب على ذلك ، ويرتبط به ارتباطا وثيقا ، من تمثيل نيابى وضمان لحريات التفكير والتعبير والتجمع وتكوين الأحزاب ، الخ .. وكثيرا ما يوجه إلى أقطاب التنوير من المصريين انتقاد مؤداه أن اتجاههم الليبرالى قد استعار نظاما ظهر فى أوربا فى فترة صعود البورجوازية ، ولايمكن أن يفهم إلا فى هذا الإطار ، ومن ثم فهو لايصلح لبلاد العالم الثالث فى مرحلة التحرر والسعى إلى التنمية الشاملة وتغليب العدالة الاجتماعية على الحريات الشكلية التى تتمسك بها الليبرالية لكى تجعل طريق الرأسمالية ممهدا وميسورا .

ومع ذلك يبدو أن هذا التزمت فى تفسير الليبرالية ، وفى تأكيد الارتباط بينها وبين الأصل الذى نشأت فيه (وهو فى ذاته ارتباط صحيح بغير شك ) ، ولا يساعدنا على فهم النزعة الليبرالية فى العالم الثالث فهما كافيا . إذ يبدو أن كثيرا من المفكرين المستنيرين فى العالم الثالث يفصلون بين الليبرالية وبين أصلها الأوربى البورجوازى ، ويتعلقون بها بسبب ما تنطوى عليه من مكتسباب بشرية يمكن الانتفاع بها خارج الإطار الذى ظهرت أصلا فيه . وهذه بالفعل سمة تميز الأفكار والاتجاهات العقلية الكبرى فى تاريخ البشرية : فصحيح أنها تظهر فى الأصل مرتبطة بإطار معين تدين بوجودها له ، ولكنها تغدو بعد ذلك قادرة على كسر هذا الإطار ، ولدى بعض عناصرها على الأقل القدرة على أن تبنى لنفسها حياة مستقلة عن ظروف نشأتها ، وتغدو مكتسبات للبشرية جمعاء ، بعد أن تثبت التجربة أن لها قيمة تسمح بتطبيقها فى نطاق أوسع بكثير من ذلك الذى ظهرت فى إطاره .

وبدون هذا التوسع فى تفسير معنى الليبرالية يستحيل أن نفهم ظواهر كثيرة فى التاريخ المعاصر للعالم الثالث . وفى هذا الصدد نكتفى بالإشارة إلى حالة طه حسين كنموذج له دلالته الواضحة . ذلك لأن الرأى الشائع ، الذى يضع طه حسين ضمن كبار الشخصيات الممثلة للفكر الليبرالى فى التاريخ المصرى المعاصر ، لابد أن يراجع تعريفه لليبرالية حين يجد طه حسين يدعو بقوة إلى إشراف الدولة على التعليم بجميع مراحله ، فيقول « الدولة هى المسئول الأول ، والمسئول الأخير ، والمسئول قبل الأفراد والجماعات ،

وبعد الأفراد والجماعات ، عن تكوين العقلية المصرية تكوينا يلائم الحاجة الوطنية الجديدة التى .. تنحصر فى تثبيت الديمقراطية وحياطة الاستقلال » (ص ٧٧ ) هنا تظهر مفارقة لدى هذا المفكر الذى كان يدعو طيلة حياته إلى الأخذ بأسلوب الديمقراطيات الغربية ، ولكنه فى الوقت ذاته يقدم برنامجا مفصلا يقوم كله على فكرة إشراف الدولة إشرافا كاملا على التعليم ، أى انه ينتزع الإشراف على التعليم من ايدى الأفراد والهيئات والمؤسسات الخاصة بكافة انواعها ، ويجعله خاضعا لتخطيط مركزى تتولاه الدولة .

ولا يخرج طه حسين عن الإطار التقليدى لليبرالية فى هذه المسالة فحسب ، بل إنه يشير إشارات واضحة إلى ضرورة تخطيط سياسة المجتمع ككل لصالح الطبقات الفقيرة . فهو حين يتحدث ، مثلا ، عن خطر انتشار البطالة نتيجة للتوسع فى التعليم ، يقول : « كل هذا خطر لاشك فيه ، ولكنه لا يعالج بتضييق التعليم ، ولا بإنشاء نظام الطبقات ، ولا باحتكار العلم لطائفة قليلة وفرض الجهل على كثرة الشعب ، وانما يعالج باصلاح النظام الاجتماعى نفسه ، وجعله قادرا على أن يتيح لأبناء الوطن جميعا ان يعيشوا على ارض الوطن ، وأن يعيشوا من كدهم وجدهم وعملهم ، لا ان يعيش بعضهم على حساب بعض ... ولا أن يذوق بعضهم البؤس ... ليستمتع بعضهم الآخر بهذا النعيم الآثم البغيض ... يجب أن يتعلم الشعب إلى اقصى حدود التعليم ، ففى ذلك وحده الوسيلة إلى أن يعرف الشعب مواضع الظلم ، وإلى أن يحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويذلونه ويستاثرون بثمرات عمله وجده . » (ص ١١٧ ) .

وهكذا توضع قضية التعليم فى إطارها الاجتماعى الصحيح ، ويصبح نشر التعليم عملا ثوريا من الطراز الاول ، بل يصبح خطوة أساسية نحو إزالة الفوارق الاجتماعية ، ونحو الثورة على الأوضاع الظالمة والتفاوت الطبقى الصارخ . ومن المؤكد أن إشارة طه حسين الاخيرة إلى ان وصول الشعب الى اقصى حدود التعليم هو الذى يمنحه الوعى الـ ُفى لمحاسبة مستغليه ومضطهديه - هذه الإشارة تعلل ، إلى حد بعيد ، استمرار ظاهرة الأمية بنفس نسبها القديمة تقريبا فى معظم أرجاء العالم العربى حتى يومنا هذا ، على الرغم من كل ما مر به من « ثورات » !

ولكن الأمر المهم حقا هو أن المفكر الليبرالى ، فى العالم الثالث ، كثيرا ما يجد لزاما عليه أن يوسع معنى الليبرالية بالقياس الى ماهو مألوف فى التراث الغربى البورجوازى ، ولايرى باسا من الجمع بين عناصر ليبرالية وعناصر تنتمى إلى صميم الفكر الاشتراكى فى مركب واحد ، وهذا تعديل وتطوير ينبغى أن يؤخذ دائما بعين الاعتبار ، حين نتناول تاريخ مايسمى بالفكر « الليبرالى » فى بلادنا .

بحيث لاتنطبق على الليبراليين فى مجتمعنا نفس الأحكام التى اعتدنا أن نطلقها على هذا المذهب في الفكر البورجوازى الغربى .

● حدود العودة إلى الماضى :

وآخر ما أود أن أعرض له ، فى هذا الحديث عن اللحظة التاريخية لكتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، هو المقارنة بين الموقف الذى اتخذه طه حسين فى هذا الكتاب من التراث ، وموقفنا الراهن من هذه المشكلة . ففى الوقت الذى ظهر فيه هذا الكتاب ، لم تكن مسألة الجمع بين الدين والسياسة واردة على أى نطاق واسع ، ولذا تحدث طه حسين عن هذه المسألة بلهجة واثقة ، إذ قال « فالمسلمون إذن قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أى شىء آخر » ( ص ٢١ ) . وعلى أساس هذا الموقف الذى يتخذه ويدافع عنه بكل ثقة ، يبدو له الحديث عن العودة إلى نمط للحياة عرفناه في عصور ماضية ، كالعصر الإسلامى أو غيره حديثا يدعو إلى السخرية : « وإنى لاتخيل داعيا يدعو المصريين إلى أن يعودوا إلى حياتهم القديمة التى ورثوها عن آبائهم فى عصر الفراعنة أو فى عصر اليونان والرومان أو فى عصرها الإسلامى ... وأسأل نفسى : أتراه يجد من يسمع له ؟ ... فلا أرى إلا جوابا واحدا ... وهو أن هذا الداعى أن وجد لم يلق بين المصريين إلا من يسخر منه ويهزأ به » بل انه يذهب إلى حد القول إنه حتى المتطرفون فى التمسك بالتراث لن يقبلوا مثل هذه الدعوة للرجوع إلى الماضى : « والذين نراهم فى مصر محافظين ومسرفين فى المحافظة ، ومبغضين أشد البغض للتفريط فى التراث القديم ، هؤلاء أنفسهم لن يرضوا بالرجوع إلى العصور الأولى ، ولن يستجيبوا لمن يدعوهم إلى النظم العتيقة إن دعاهم إليها » ( ص ٣٥ ) .

هكذا كانت تطرح مشكلة الدين وعلاقته بالسياسة منذ خمسين عاما فى مصر : استبعاد تام لوجود أية علاقة بينهما ، واستخفاف بالدعوة إلى تطبيق أى نموذج تراثى على الحياة المعاصرة ، وفصل كامل بين النظم التى ينبغى أن ندير شئوننا العامة بموجبها والنظم الموروثة عن عصور سابقة ، وحين نمعن النظر فى هذا الجو العقلى الذى كان يعيش فيه طه حسين ، ونرى إلى أى حد انحدر مستوى مناقشتنا لهذه الموضوعات فى عصرنا الحاضر ، لا نملك إلا أن نحس بالأسى على ذلك التراجع الذى أصاب حركة التنوير العقلى فى مصر خلال نصف القرن

الأخير . فقد استطاع الأصوليون وخاصة فى العقدين الأخيرين ، أن يفرضوا على الفكر المصرى تنازلات هائلة ، ولم تعد مشكلة تطبيق النظم التى وصفها طه حسين بأنها « عتيقة » تقابل بالسخرية أو بالاستبعاد ، وإنما أصبحت تؤخذ بجدية شديدة ، وتصوَّر فى أحيان كثيرة على أنها السبيل الوحيد « للنهضة » ! والأدهى من ذلك أن التفكير الشعبى قد انتقل بعد اعتناق المبدأ العام - مبدأ تطبيق نظام ينتمى إلى عصور سالفة بوصفه المخرج الوحيد من أزمة العصر الراهن - إلى التمسك الشديد بالتفاصيل ، كالدفاع المتحمس عن اللحية والحجاب ، وأحيانا النقاب ، وكأنه جزء لايتجزأ من عناصر « النهضة » المزعومة ، والأخطر من هذا كله أن الفكر المستنير ، الذى نجح خصومه فى إثارة العداء تجاهه بعد أن أطلقوا عليه اسما لايعرف عنه أكثر الناس سوى أنه اسم يدعو الى الكراهية ، هو « الفكر العلمانى » ، أصبح يجد نفسه فى موقف الدفاع ، حتى غدا الحوار لدى معظم « العلمانيين » يدور على نفس الأرض التى يقف عليها الطرف التراثى ، أى أنه أصبح حوارا حول النصوص ، وحول آراء الفقهاء الأقدمين ، بحيث أصبحت غاية معظم « العلمانيين » هى إثبات وجود نصوص دينية أو أقوال للفقهاء تدعم وجهات نظرهم « التقدمية » ، ومعنى ذلك ، بكل بساطة ، أنهم يدعمون المنهج النصِّى الذى يفكر بموجبه الطرف الآخر ، فى نفس الوقت الذى يظنون فيه أنهم يعارضون أفكاره ، وتلك هى الهزيمة بعينها ! .

* * *

وبعد ، فإن الزاوية التى اخترت أن أتأمل منها كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، لمفكرنا التنويرى العظيم طه حسين ، كانت زاوية المقارنة بين لحظته التاريخية الخاصة ، بكل ماكان يشرق فيها من أمل وتفاؤل بالمستقبل ، ولحظتنا الراهنة ، كيما يدرك القارىء مدى رحابة الآمال التى كنا نعقدها على استقلالنا فى مستهل عهدنا به ، ومدى إحباط التطور اللاحق لهذه الآمال ، وقد اخترت أن أقوم بهذه المقارنة من خلال مجموعة من المفاهيم الأساسية التى طرأت عليها تغيرات جوهرية منذ صدور هذا الكتاب المهم حتى وقتنا الراهن .

وكل ما آمله هو أن تحفز هذه المقارنة قارىء هذا المقال على التفكير بكل جدية ، وبلا أدنى محاولة للتنصل أو التهرب ، فى السؤال الأساسى الذى طرحته فى مستهل هذا المقال : ما الذى حدث بالضبط خلال نصف القرن الأخير ، وقضى على آمال طه حسين وتصوراته المتفائلة لمستقبل الثقافة فى مصر ؟ .

بقلم: د. محمد عمارة

# طبيعة الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين

**إذا نحن شئنا أن نكثف الحديث فى هذه القضية «المشكلة» والمثارة - على نحو متفجر وحاد - فإننا نستطيع أن نجمع خيوطها وحقائقها فى عدد من النقاط:**

- ١ -

إن طبيعة الخلاف بين الاسلاميين - الذين يرون الاسلام دينا ودولة - وبين العلمانيين الذين يرونه دينا لادولة هى طبيعة سياسية، وموضوعها هو «الفروع».. وليست طبيعة دينية، موضوعها العقائد والاصول..

وهذه الحقيقة على جانب كبير من الدقة والاهمية، ويؤدى اغفالها أو إهمالها الى منزلق خطر فى الاحكام الفكرية بواقعنا الاسلامى الراهن على وجه الخصوص..

ذلك أن موضوع هذا الخلاف بين الاسلاميين والعلمانيين ليس عقائد الاسلام وأركانه. وإنما موضوع الخلاف هو «الدولة».. ونحن اذا استثنينا إخوتنا الشيعة الامامية فسنجد سائر تيارات الفكر الاسلامى مجمعة على أن «الدولة - الخلافة - الإمامة» هى من «الفروع» وليست من «اصول الدين واركانه»... ولذلك فان الخلاف فيها انما يجب تصنيفه تحت احكام وأوصاف: «الصواب» و«الخطاء» و«النفع» و«الضرر» وليس تحت احكام وأوصاف: «الكفر» و«الإيمان».

وإذا كان لى أن أسوق من فكر السلف نصوصا شاهدة على هذه الحقيقة الفكرية، فإننى أشير الى:

- قول الشهرستانى [ ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ ١٠٨٦ - ١١٥٣ م ]: «إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد..»[١]
- وقول عضد الدين الايجى [ ٧٥٦ هـ ١٣٥٥ م ] والشريف الجرجانى [ ٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣ م ]: «إن الإمامة ليست من اصول الديانات والعقائد، بل هى من الفروع المتعلقة بافعال المكلفين.. وإنما ذكرناها فى علم الكلام - [ وهو علم أصول الدين ] - تاسيا بمن قبلنا، اذ قد

جرت عادة المتكلمين بذكرها فى أواخر كتبهم »[٢]

● وقول حجة الاسلام أبو حامد الغزالى [ ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م ] « إن نظرية الامامة ليست من المهمات ، وليست من فن المعقولات فيها ، بل من الفقهيات .. ولكن ، اذ جرى الرسم باختتام المعتقدات بها اردنا ان نسلك المنهج المعتاد ، فان القلوب عن المخالف للمالوف شديدة النفار .. »[٣]

● وقول الجوينى ، إمام الحرمين [ ٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ ١٠٢٨ ـ ١٠٨٥ م ] « إن الكلام فى الامامة ليس من اصول الاعتقاد »[٤]

● وقول شيخ الاسلام ابن تيمية [ ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م ] إنها ليست من اركان الاسلام الخمسة ، ولا من اركان الايمان الستة ـ [ وهى الايمان : بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الأخر ، والقدر ] ـ ولامن اركان الاحسان ـ [ التى هى : أن تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فإنه يراك ][٥]

● وقول العلامة ابن خلدون [ ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م ] : « وشبهة [ الشيعة ] الإمامية فى ذلك إنما هى : كون الإمامة من أركان الدين .. وليس كذلك ، إنما هى من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق »[٦]

« فالدولة ـ الخلافة ـ الإمامة » ـ بكل مايتعلق بها ـ هى من مباحث « الفروع » ، واحكام واوصاف الفكر والمفكرين المختلفين فيها يجب الا تتعدى اطار « الخطأ » و « الصواب » الى اطار « الكفر » و « الايمان » .. وهذا الاطار ـ اطار « الخطأ » و « الصواب » و « الضرر » و « النفع » هو ـ فى اعتقادى ـ الاطار الذى يجب أن يحكم خلافنا ، نحن الاسلاميين ، مع العلمانيين الذين لايتبنون « العلمانية ـ الثورية ـ الشمولية » الداعية الى اقتلاع الدين من اعتقادات الافراد والشعوب .

ـ ٢ ـ

وهذه الحقيقة « الفكرية ـ الاسلامية » تزداد أهمية وتأكيدا ، عندما ننظر اليها فى اطار الاسلام وضوء فكره الذى دعا ويدعو الى « التحرج الشديد » فى الحكم على معتقدات من يشهدون بتوحيد الله ونبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وخاصة إذا كان هذا الحكم فى اتجاه « التكفير » واخراجهم من حظيرة الاسلام ..

وإذا كان لى ان أسوق شواهد على هذه النعمة التى تميز بها الاسلام ، ودعانا الى التزامها والحرص عليها ، فى مواجهة « الكهانة والكهنوت » و «السلطة الدينية» للأحبار الذين انتزعوا لأنفسهم سلطان الله فى الحكم على معتقدات البشر .. فإننى أشير الى :

● قول الله ، سبحانه : [ ياأيها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام : لست مؤمنا تبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا][٧] .

● وقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه أسامة بن زيد ـ قال :

«بعثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى سرية ، فصبّحنا الحرقات (مكان) ـ من جهينة ، فأدركت رجلا ، فقال لا إله إلا الله فطعنته ، فوقع فى نفسى من ذلك ، فذكرته للنبى ، صلى الله عليه وسلم .

فقال : «أقال : لا إله إلا الله وقتلته ؟! ، قال : قلت : يارسول الله ، إنما قالها خوفا من السلاح ، قال ، صلى الله عليه وسلم : « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا » ؟! .. فمازال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ! »

ـ [ أى حتى يجب الاسلام هذا الذنب العظيم ] ـ !! ..

# طبيعة الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين

وبعد أن مضى عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدث ان تدارس بعض الصحابة هذا الحديث ودلالاته ... «فقال رجل - فى صيغة التبرير لقتل ذلك الذى قال: لااله إلا الله -:

- الم يقل الله: [ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ][8] ؟!

فرد عليه صحابى ممن شهد هذه السرية، التى حدث فيها هذا الحدث، قائلا فى صيغة الاستنكار لهذا المنطق:

- لقد قاتلنا حتى لاتكون فتنة. وانت واصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة»[9] !!

فقتل من يشهد أن لاإله إلا الله - وإن بتكفيره - والتكفير، اسلاميا، قتل! هو، فى نظر الاسلام «فتنة»، ولايمكن ان يكون «منعا للفتنة» بحال من الأحوال؟..

● وقول حجة الاسلام الامام الغزالى: «ينبغي الاحتراز من التكفير ماوجد الانسان الى ذلك سبيلا، فان استباحة الدماء والأموال من المصلين الى القبلة، المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، خطا. والخطا فى ترك الف كافر فى الحياة اهون من الخطا فى سفك محجمة[10] من دم مسلم»[11] !

● وقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده «لقد اشتهر بين المسلمين، وعرف من قواعد احكام دينهم انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الايمان من وجه واحد، حمل على الايمان[12].

## - ٣ -

ولم يكن هذا الفكر الذى امتاز وتميز بسماحة الاسلام، والنهى عن الحكم على الضمائر بالكفر.. لم يكن مجرد «فكر نظرى» بل لقد تميزت به المسيرة الاسلامية، وعرف طريقه الى «الممارسة والتطبيق».. ولعل من المفيد ان نشير الى موقف مماثل عرفته حياتنا الفكرية فى العقد الثالث من هذا القرن الميلادى العشرين..

ففى ابريل سنة ١٩٢٥ م خرج واحد من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية بمصر، وهو الشيخ على عبدالرازق [ ١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م ] على الناس بكتابه: [ الاسلام وأصول الحكم ]، وفيه قال بعلمانية الاسلام، وانفرد دون علماء الاسلام بالادعاء ان الاسلام دين لادولة، ورسالة روحية خالصة، كالرسالات التى سبقته، لاعلاقة له بسياسة المجتمع وتنظيم شئون العمران.. وقال الرجل، ضمن ماقال: «إن محمدا، صلى الله عليه وسلم، ما كان الا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لاتشوبها نزعة ملك ولاحكومة، وإنه، صلى الله عليه وسلم، لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها. ما كان الا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولامؤسس دولة، ولاداعيا الى ملك»[13]

فماذا كان موقف علماء الاسلام من هذه الدعوة للعلمانية والزعم بعلمانية الاسلام، والتسوية بينه وبين المسيحية التى طلبت من اتباعها أن يدعوا مالقيصر لقيصر ومالله لله ؟؟..

إن علماء الأزهر الشريف - ممثلين فى "هيئة كبار العلماء" - وكانوا يومئذ ائمة الإسلام على امتداد عالمه - لم يدر بخلدهم

« تكفير» على عبدالرازق ، ولا القاء الشبهات على عقيدته وايمانه .. وكل الذى فعلوه ، بعد أن اجتمعوا ، فى صورة « هيئة تأديبية » هو تقرير « عدم لياقة» صدور مثل هذا الفكر من «احد العلماء» الشرعيين ، فأخرجوه من «زمرة العلماء» دون أن يتهموه فى عقيدته الدينية[14] ! فكان ذلك موقفا عمليا تطبيقيا لعلماء الاسلام :

● يرفض العلمانية وفصل الدين عن الدولة رفضا قاطعا لا لين فيه ولاتردد ..

● لكنه لايكفر العلمانيين ، لأن الخلاف معهم « سياسى» فى «الفروع» ، وليس فى ركن من اركان الاسلام او عقائده وأصوله .

● والعلمانية : ـ بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة ـ هى وافد غربى ، لامكان لها فى واقعنا الاسلامى ، لأنها : «حل أوربى لمشكلة أوربية » .. والحوار مع دعاتها ضرورة اسلامية ، من أجل هزيمة منطقها وتخليص عقول « المتغربين » من سلطانها .. لكن الخلاف معهم هو خلاف « فكرى ـ سياسى » « موضوعه « الدولة » .. وهى من « الفروع » التى تقف أحكام واوصاف الخلاف والاتفاق فيها عند «الصواب» و «الخطأ» دون أن تتجاوزه الى «الكفر» و «الايمان» !..

إننا يجب ان نميز «أحكامنا» عن «احكام الله » سبحانه .. وأن نمتنع عن آفة تقليد أهل الديانات الاخرى ، الذين اغتصب كهانهم وأحبارهم سلطان الله فى الحكم على الضمائر والعقائد ، وفى اضفاء الطبيعة الدينية الكهنوتية ـ تحليلا وتحريما ، وغفرانا وحرمانا ـ على أحكامهم البشرية .. وقدوتنا فى ذلك حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم .. فلقد روى أنه «كان اذا أمّر أميرا على جيش او سرية ، اوصاه : إذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

## الهوامش

(١) [نهاية الاقدام فى علم الكلام ] ص ٤٧٨ طبعة وتحقيق الفريد جيوم . بدون تاريخ ولامكان الطبع .

(٢) [ شرح المواقف ] ج ٣ ص ٢٦١ طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

(٣) [ الاقتصاد فى الاعتقاد ] ص ١٣٤ . طبعة صبيح القاهرة . بدون تاريخ

(٤) [ الارشاد ] ص ٤١٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ .

(٥) [ منهاج السنة ] جـ١ ص ٧٠ ـ ٧٢ طبعة القاهرة : سنة ١٩٦٢ م .

(٦) [ المقدمة ] ص ١٦٨ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

(٧) النساء : ٩٤

(٨) الانفال : ٣٩

(٩) رواه مسلم وابو داود وابن ماجة والامام احمد

(١٠) المحجمة : كوب صغير يجمع فيه « الحجام » ـ بالفصد ـ الدم الفاسد

(١١) [ الاقتصاد فى الاعتقاد ] ص ١٤٢

(١٢) [ الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ] جـ٣ ص ٢٨٣

(١٣) على عبدالرازق [ الاسلام واصول الحكم ] ص ١٥٤ . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

(١٤) انظر حيثيات حكم هيئة كبار العلماء فى المرجع السابق . ص ٧٢ ـ ٩١

# القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# بيع القطاع العام

الحمد لله ، لم يعد سادتنا الاقتصاديون من وزراء حالين وسابقين ومتربصين ( باصطلاح إخواننا الجزائريين ) بقادرين على صد العوام أمثالنا عن الكلام في الاقتصاد ، منذ فتحوا على انفسهم هذا الباب بالكلام في بيع القطاع العام . فقد شعر مئات الألوف - ولعلى اقول الملايين - من العاملين في هذا القطاع ان الموضوع يمسهم مباشرة . وبما ان قادة الراى من سياسيين واعلاميين يهتمون عادة بما تهتم به الالوف والملايين ، فقد وجدوا من الضرورى ان يخوضوا كالذى خاضوا .



لم نعد نقرأ كلاما مبهما عن «مشكلاتنا الاقتصادية» ، او اخبارا مكتوبة عن «جدولة الديون» او شكوى عبثية من «خسائر القطاع العام» بل اصبحنا امام خيار عملى مطروح لمواجهة المشكلات ومعالجة الخسائر ، وحل معضلة الديون من الاساس ، واخذ علماء الاقتصاد بكل سماحة ورحابة صدر يدبجون المقالات ويعقدون الندوات ، ويعلنون مادار فيها للجمهور وهى علامة من علائم الصحة التي كنا نفتقدها فى حياتنا العامة قبل سنوات ، مثلها مثل « شركات توظيف الاموال » التى استقطبت مدخرات مليون عائلة مصرية او اكثر ( حسب تقديراتنا الجزافية المعهودة ) فجعلت مشكلات علم الاقتصاد داخلة فى اهتمامات كل أسرة ، كما اجبرت الدولة - بكل مؤسساتها وعلى كل مستوياتها - على مخاطبة الملايين فى أمور الاقتصاد .

أليست هذه بشائر النهضة ؟ أليست هذه هى القاعدة المادية لديمقراطية

حقيقية ؟ وسط كل المظاهر السلبية التى تحيط بنا ، بل بسبب هذه المظاهر الكثيرة ، يجب ان نسجل كل بادرة ، مهما تكن صغيرة من موارد الانتعاش . **ولكننا فى الوقت نفسه يجب الا ننسى ان اخطر ادوار المرض يمكن ان يكون دور النقاهة لذلك نطالب بالمزيد من الحرص . والمزيد من الفهم والمزيد من إخلاص النية فى العمل . وسنظل نشاغب الاقتصاديين لا استهانة بعلمهم الغزير ، وخبرتهم الواسعة ، بل لنذكرهم بحقائق الحياة العادية التى ربما نسيها المختص .**

وحقائق الحياة تفرض نفسها دائما بطريقة تتجاوز علم العلماء كما ان التعامل مع هذه الحقائق يمكن ان يجرى بطريقة يسيرة جدا ، قريبة المنال جدا ، لا تحتاج الا الى فكر صحيح ، وعزم صادق والحلول الجذرية ـ كما تسمى ـ يمكن ان تظهر بالتدريج ، بل ان للمصادفة دورا فى اكتشاف هذه الحلول ولكن المصادفة اذا وردت على ذهن واع مترقب كشفت له مجالا واسعا للتنظير والتطبيق . ولكنا نعرف قصة اكتشاف ارشميدس لقانون الاجسام الطافية وقصة اكتشاف الكسندر فلمنج للبنسلين ولا أظننى انتقص من ذكاء رجال السياحة او خبرتهم حين اقول ان « اكتشاف » امكانية الاستثمار السياحى الواسع عن طريق انشاء القرى السياحية الكثيرة على امتداد الساحل الشمالى وسواحل سيناء والبحر الاحمر ، قد تم بما يشبه المصادفة ولكننى اتصور ان هذه المصادفة يمكن ان تفتح مجالا واسعا ، بل مجالات للاستثمار لم تكن داخلة فى حساب المخططين

فآفتنا الكبرى هى أننا حين نخطط وحين ننظر ننقل عن علوم الدول المتقدمة وننسى واقعنا . وما من نظرية فى الاقتصاد الا وهى نابعة من واقع معين ، مرتبط بزمان ومكان معينين ، وظروف مادية وبشرية معينة ، ويبدو لى ان هناك فجوة بين مذهب الفزيوقراطيين ونظرية آدم سمث يجب ان نملأها ( صديقى القارىء : لا تهتم بهذه الالفاظ فانا لم ارد بها الا التبجح ، او ان اكيل للاقتصاديين بصاعهم). ان مزايا المكان والارض يجب ان تستغل فى الوقت الراهن اكمل استغلال الى ان يتم تطوير انتاجية العمل كذلك يجب ان يكون دور الدولة فى توجيه الاقتصاد مختلفا عن التخطيط الاشتراكى وعن تصحيح المسار الرأسمالى لأن بلدا متخلفا كبدلنا يحتاج الى تنمية القدرات البشرية كحاجته الى تنمية الثروة ، ومن ثم فتشجيع المبادأة الفردية وصقلها بالتعليم والتدريب ، ثم رعاية المشروعات التى يستطيع الافراد القيام بها ، والاضطلاع بالمشروعات الكبيرة التى تدعمها اقرب الى تحقيق التطور المطلوب . كما ان خفض الانفاق الحكومى والعائلى ـ او ابقاءه منخفضا ـ يجب ان يكون سياسة ثابتة للدولة فحيث يكون الناتج الوطنى الاجمالى اقل من المعدل المنشود فعدالة التوزيع تعنى فى الحقيقة العدالة فى توزيع الاعباء ، أو ان شئت عبارة اكثر صراحة وقسوة العدالة فى توزيع الفقر ولا عيب فى هذا .

**● وماذا عن « الايديولوجيات » ؟**

لقد اصبحت البدعة فى ايامنا هذه ان

المعز تسلي

## الأشواك

يقول كل صاحب فكرة فى الاصلاح انه لا يصدر عن « ايديولوجية » ما ، وسبحان المعز المذل كلهم يتبرأون من الايديولوجيات وقد كانت الى وقت غير بعيد شيئا جليلا فى عالم الفكر وكل مفكر ليست له ايديولوجية فهو مفكر ناقص ، ولذلك فقد كان اول واجباته ان ينضوى تحت لواء ايديولوجية ما ليعترف به اصحابها مفكرا ، ويشترك معهم فى قذف اصحاب الايديولوجيات الأخرى بالحجارة ولا أدرى لماذا كره الناس الايديولوجيات فجأة هكذا ألانها كلمة اعجمية ؟ فما اكثر الكلمات الأعجمية التى تجرى بيننا فى الاسواق وتتبرج لنا على شاشات التليفزيون . وقد كان فى استطاعتهم ان يعربوها ، كما فعل اخواننا فى المغرب ، فيقولوا « ادلوجة » مثل امزوجة واضحوكة وكان فى استطاعتهم ان يترجموها فيقولوا « نحلة » ، ومن معانى النحلة كما ورد فى اللسان الديانة والدعوى والمذهب ، وكتب « الملل والنحل » مشهورة فى تاريخ الثقافة العربية .

فاذا كنا نتبرأ اليوم من الايديولوجيات او نأبى ان ننتسب الى نحلة ما حتى لا يقال عنا اننا نردد فكرا مستوردا ، او نروّج مذهبا غربيا فاسدا ، او شرقيا ملحدا فلنطرح الكلمة دون معناها فمعناها مشتق من الفكر وهل يكون فكر بدون فكر ؟ ولكن الكلمة طالت شيئا ما لتدل على أن الفكر ايضا يجب ان يستطيل ويطرد ليحيط باطراف الواقع وبذلك يمكننا ان نتخذ موقفا معينا منه . وأظن أن هذه أيضا صفة ضرورية للفكر المنتج .

وليس الجمود الفكرى أو التسليم الأعمى شرطاً للايديولوجية أو المذهب أو النحلة إلا لدى الجامدين المستسلمين ، ولا الاستفادة من أفكار الآخرين وتجاربهم لاصلاح أحوالنا عيباً إلا اذا استعبدنا لهذه الافكار والتجارب . هذه القضايا تعد من المسلمات ، ولكننا نحتاج إلى أن نسلم بها حتى نستطيع أن نفكر فى مشكلاتنا الكبرى تفكيراً سليما مستقيما ، وعلى راسها مشكلة القطاع العام ، وهل يكون علاجها بالتخصيص بعد التعميم أو التأميم .

لن نستطيع ان نحل مشكلة واحدة من مشكلاتنا بدون "ايديولوجية" او نحلة او مذهب . ولن نستطيع ان نحلها بإيديولوجية مستوردة ولا بتجاهل الواقع العالمى المعاصر . منذ اقيم القطاع العام ونحن لا نعرف لأنفسنا "إيديولوجية" معينة . صحيح أن تملك الدولة ( باسم الشعب ، كما يقال ) لوسائل الإنتاج المهمة ( وغير المهمة احيانا ) سمة رئيسية من سمات النظام الاشتراكي ، ولكننا كنا نتحدث فى الوقت نفسه عن "الرأسمالية الوطنية" ، كما كنا نتخاصم حول "اسم" اشتراكيتنا : أهي اشتراكية علمية او اشتراكية عربية . وبعد عشر سنين من هذه الاشتراكية جاءت عشر اخرى من "الانفتاح" : انفتاح إلى الداخل للسلع المستوردة ، وانفتاح إلى الخارج للبعثات والزيارات .

واظن اننا مازلنا اشتراكيين اسماً . ولو ان أحداً من العاملين فى الاقتصاد او المال لا يمكنه أن يجيبك بأننا كذلك فعلاً . ولذلك فضل العقلاء منا أن ينفضوا أيديهم من "الإيديولوجيات" جملة وتفصيلا . أما غير العقلاء فبعضهم يدافعون عن القطاع العام باسم "اموال الشعب" و "مكاسب الطبقة العمالية" ناسين ان "اشتراكيتنا" لا تعترف بالصراع الطبقى ، وبعضهم يدعون إلى تصفيته باسم "الحلول البرجماتية" ناسين أن "البرجماتية" هى ايضا إيديولوجية يمكن أن تؤدى إلى اشياء من قبيل "إيران جيت" .

أى أن الذى يتخلى عن "الإيديولوجية" قلما يسلم من رشاشها . ولكن الأدهى أنه ربما تخلى أيضا عن قواعد التفكير السليم .

هذا أستاذ من أساتذة الاقتصاد نعرفه ، ونجله ، ونفيد من علمه ، ونحترم مواقفه ، يبدأ دفاعه عن القطاع العام بايراد الأرقام المتوقعة لأرباح هذا القطاع فى ميزانية العام الحالى ( ٨٧ ـ ٨٨ ) . وهذا استدلال ضعيف من وجهين : الأول أنه مبنى على توقع أو احتمال ، لا على واقع ، والثانى انه مبنى على علامة ( وهى مقدار الربح بالنسبة إلى إيرادات الدولة من ابواب أخرى ) لا على موضوع الإثبات نفسه ( نسبة الربح إلى رأس المال ) ، وهما وسيلتان للإقناع الخطابى لا تقبلان فى البرهان العلمى . ومن الواجب أن نقرر أن الكاتب لا يلبث أن يعدل عن هذه الطريقة ويأخذ فى مناقشة صلب القضية وهو أن القطاع العام فى مجمله لا يحقق العائد الذى يعد مقياساً للنجاح الاقتصادى ، ثم يتساءل عن أسباب هذا الإخفاق ، وهل ينتظر أن يتكفل "التخصيص" بإزالة هذه الأسباب ، أو ينبغى البحث عن وسائل اخرى .

**وعلى الطرف المقابل يطالعنا اقتصادى كبير آخر بدعوى أن بيع القطاع العام انما يعنى فى الحقيقة تمليكه للشعب . وينسى أو يتناسى أن السواد الأعظم من "الشعب" لا يملك ما يشترى به قسماً صغيراً من هذا القطاع العام ، وأنه إذا أريد تمليك بعض شركاته للعاملين فيها كما يقال أحياناً فلابد من تشريع خاص يجعلهم مالكين له دون أن يدفعوا ثمنه ، كما ملكت أراضى الإصلاح الزراعى للفلاحين ، أو بشروط ميسرة جداً كما توزع الأراضى المستصلحة حديثاً على شباب الخريجين ـ وهذه فكرة لم تطرح على الإطلاق ، وقد تكون غير قانونية أو غير عادلة بالنسبة للشركات الرابحة ، ولكنها حل يمكن أن يكون مقبولاً لمشكلة الشركات الخاسرة .**

أما المغالطة المنطقية فى دعوى هذا الاقتصادى الكبير فكانت فى رده على اعتراض المعترضين بأن القطاع الخاص قد اثبت فى السنوات الأخيرة أنه ليس اكثر نجاحاً من القطاع العام . فقد أرجع ذلك إلى التعقيد البيروقراطى والفساد الإدارى ( فى أجهزة الحكومة ) . إذن فهذه هى العلة : الإدارة الحكومية التى تعوق نشاط القطاع العام كما تعوق نشاط القطاع الخاص . ومن يدرى ؟ فقد لا تكون الإدارة الحكومية مجرمة إلى هذا الحد ، وقد تكون القوانين القائمة كافية ، إذا طبقت بحزم ، لمعالجة انحرافاتها . ولابد من ترشيد الإدارة الحكومية

# المشى على الأشواك

وتطهيرها فى جميع الأحوال ، لأنها داخلة فى جميع مرافق الحياة ، ولأن تداخلها فى شئون الاقتصاد بالذات سمة من سمات المجتمعات المعاصرة ، حتى أشدها تمسكا بالحرية الفردية .

● لماذا إذن هذه الضجة ؟

يتساءل المراقب من بعيد : إذا كانت هذه حقيقة الأمور بالنسبة إلى القطاع العام والقطاع الخاص ، فلماذا طرحت قضية "بيع" القطاع العام فى هذا الوقت بالذات ، حين أثقلت ضمائر الناس بمشكلة الديون ( والدين هم بالليل وذل بالنهار ) ، وعيل صبرهم من الأخبار اليومية المستمرة عن مفاوضات الحكومة مع البنك الدولى ، وصندوق النقد ( كدت أكتب صندوق الدين ) ، ونادى باريس ؟

هل يراد تحطيم ما بقى من معنويات هذا الشعب ؟

إن الواحد منا يستحى أن يبيع قيراطين فى قريته ورثهما عن أبيه . فكيف يبيع "العدة" التى يأكل منها هو وعياله ؟

وكيف يستقيم القول إن القطاع العام ملك "للحكومة" ، وليس ملكا للشعب ، بينما نملأ الجو كلاماً عن "الديمقراطية" . والديمقراطية هى حكم الشعب ؟

وهل صحيح أننا تخلينا عن التحيز والهوى ، حين تخلينا عن "الأداليج" ؟

إن "الأداليج" أو الإيديولوجيات ، تعبر عن مصالح ، وتعارض الإيديولوجيات يعنى تعارض المصالح ، وقد تذهب الايديولوجيات ولا تبقى سوى المصالح ، متنكرة فى ثوب النفع العام ، ولكن المنطق المتهافت يكشف كذب هذا الادعاء . فإذا أريد "النفع العام" حقيقة فلتسقط الاقنعة أولاً عن المصالح المتعارضة ، حتى يحل الوفاق محل الخداع . ويصدر العمل عن اقتناع .

والذين يدافعون عن بقاء القطاع العام متهمون بأنهم إنما يدافعون عن الأوضاع القائمة لأنهم يستفيدون من فسادها : فهم بين عامل استمراء "التسيب" فى الجزاءات والإجازات ، وسياسى يتملق هذا العامل ، وإدارى يستوى لديه الربح والخسارة ، مادامت مصلحة الجهاز أو المؤسسة مسخرة لقضاء مصالحه الخاصة . ولهذه الاتهامات كلها شواهد من الواقع .

والذين يطالبون "بالتخصيص" متهمون بأنهم يخدمون مصالح الإمبريالية العالمية واعين أو غير واعين . وهى تهمة لا تحتاج إلى دليل ، لأن "الإمبريالية العالمية" لم تزل تصرح فى كل مناسبة بتأييدها للقطاع الخاص ، وربما ربطت ما تقدمه من معونات بتشجيع القطاع الخاص وتوسيع مجاله . وقد لاحظنا من قبل أن التغيرات الداخلية قلما تسلم من مؤثر خارجى . على أن العوامل الخارجية لا تفعل فعلها إلا حين تصادف استعداداً داخليا . ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا استنتجنا وجود هذا الاستعداد وطبيعته

من قول دعاة التخصيص إنهم لا يطالبون بتخصيص القطاع العام كله بل جزء منه فقط . وحين يسألون عن ماهو هذا الجزء : الرابح أم الخاسر ؟ يرتبكون قليلاً ثم يضطرون إلى الاعتراف بأنه لابد أن يكون الجزء الرابح ، إذ من البديهى أن المشترى لا يشترى مؤسسة خاسرة ، فإن فعل فبأبخس الأثمان . وربما ذهبوا إلى أن واجب الدولة أن تنشىء المؤسسات الاقتصادية وتقوم بإدارتها إلى أن تصل إلى درجة الربحية ثم تبيعها للناس . وربما ضربوا المثل باليابان . وربما ضربوا المثل بالقرى السياحية . وهنا يرتاب المرء فى أن فئة معينة لها مصلحة فى شراء أقسام معينة من القطاع العام . وهل تكون هذه الفئة إلا من رأيناهم فى مزادات القرى السياحية من أثرياء عصر الانفتاح ، الذين جمعوا ثروات ضخمة من عمليات الاستيراد والاستثمار العقارى ذات العائد السريع ( ولا نقول أكثر من ذلك ) ؟ هؤلاء كونوا ثرواتهم على حساب المصلحة العامة ، أى على حساب المواطنين العاديين ، واحتالوا على الحكومة أو عملوا على فسادها ، وقد ضاق المجال أمامهم حين قلت الأموال السائلة ، وقل الاستيراد تبعا لذلك ، واضطروا إلى أن يخوضوا فى الخفاء معركة ضارية ضد فئة رأسمالية أخرى ، فئة الرأسماليين الحقيقيين الشرفاء الذين يقبلون على التنمية والتصنيع بحسب إمكانياتهم المتوسطة أو الكبيرة أو المتواضعة أحيانا ، ولا يطالبون «بتخصيص» القطاع العام ، فمجال الاستثمار أمامهم طويل عريض كطول هذا الوادى ، وعرضه ، وطول آماله وعرضها ، ولكنهم ـ على العكس ـ يطالبون بتدعيم القطاع العام مع ترشيده وتطهيره من بؤر الفساد التى غرستها فيه الفئة الأولى .

**لو جمعت محصلة هذا النقاش كله ، وأسقطت منها ما هو ظاهر البطلان ، لبدا طريق الإصلاح واضحاً لاحباً لا يحتاج سلوكه إلا إلى شىء من العزيمة ، والصدق مع النفس ومع الآخرين . يومئذ يمكن أن تتلاقى الأفكار على إيديولوجية تنير لنا الطريق ، إيديولوجية نابعة من واقعنا ، معبرة عن مصالحنا ، لا ينعت أصحابها بالتبعية أو الجمود .**



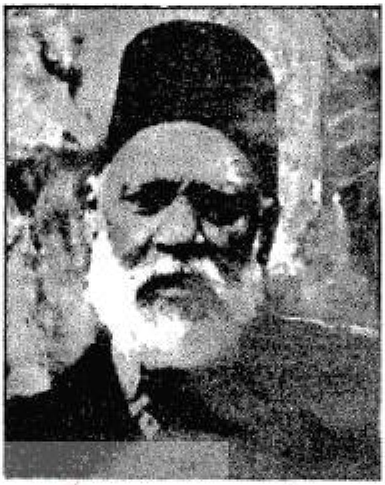
### هـدايا

ركب الرشيد وجعفر بن يحيى عن يساره فالتقى الرشيد فى طريقه بأحمال ثقيلة مقبلة ، فسأل عنها فقالوا له : هذه هدايا خراسان من على بن عيسى وكان الرشيد ولاه عليها بعد الفضل ابن يحيى .. فقال الرشيد : اين كانت هذه الهدايا ياجعفر أيام أخيك ؟ فأجاب جعفر : كانت فى منازل أصحابها ياأمير المؤمنين !

# من أسرار الثورة العرابية

## مستشرق كبير يحترف الجاسوسية

بقلم : د. محمد رجب البيومى



احمد عرابى

●● ظهرت الكتب التاريخية موجزة ومطيلة ، تتحدث عن الثورة العرابية ، ومفصلة ماكان من احداثها ووقائعها ومع تعدد هذه الكتب وتشعب دراساتها المختلفة ، فإننى لم أجد من خص فظائع الجاسوسية الإنجليزية ببحث يوضح مراميها البعيدة ، تلك التى كان لها أثر كبير فيما تمخضت عنه الثورة من نتائج خطيرة ، وأقرب مثال نستشهد به فى هذا المجال ، كتاب المؤرخ الكبير الاستاذ عبد الرحمن الرافعى عن الثورة العرابية ، فهو على إتساع أبوابه ، ووفرة معلوماته ، لم يتحدث عن الجاسوسية الإنجليزية التى تمثلت فى جهود المستشرق الإنجليزى المسمى « بعبد الله بالمر » وليست أعماله بالخافية ، فقد تحدث عنها من كتبوا من الإنجليز انفسهم عن الثورة العرابية فى حيدة ونزاهة واقرب مايفد الى الذهن من هؤلاء هو المؤرخ المعاصر للأحداث الدامية « ولفريد بلنت »●●

وكلنا نعلم ان الرجل الكبير قد شارك فى توجيه الاحداث قدر المستطاع وانتشر ماكتبه عن مأساة الاحتلال الانجليزى انتشارا مدويا فى الشرق والغرب ، وانا اعجب كيف فات مؤرخى الثورة العرابية من كتاب مصر ان يقفوا وقفات متأنية عند حديثهم عن هذا المستشرق ! وكأنهم خدعوا بما يكتب عن جهاده العلمى فى ميدان الاستشراق تبشيريا وغير تبشيرى ، وليس ذلك بالعذر الناهض ، فهذا الجاسوس المحترف قد لقى حتفه بعد موقفه الخائن ، وقامت محاكمة إنجليزية ظالمة أدانت البرىء لتأخذ بثأره دون أن تتحرى الوقائع الناطقة بالصواب ، كما قام من الكتاب الانجليز انفسهم من أدان هذه المحاكمة الظالمة ، وكل ذلك مما يلفت الذهن إلى دور هذا الجاسوس الذى اتشح برداء البحث ليصبح الة فى ايدى الاحتلال القاهرة ، ولئن جاز ذلك من محترف سياسى لايمت الى دنيا العلم بادنى الصلات فكيف يجوز ممن تصدى للتدريس فى اعرق الجامعات ، وكتب وحقق ونشر ، وذهب له فى دنيا الاستشراق صيت بعيد ، بل كيف تنحط كرامة العالم الى مستوى اللصوصية الدنيئة حين يكون الة للتضليل والتغرير بالاميين السذج ممن لايفهمون فى امور السياسة كثيرا أو قليلا ، واذا لم يؤتمن مثل هذا الجاسوس على مسلكه الشخصى ، افيؤتمن على ابحاثه العلمية ، والامانة صفة عامة تشمل السلوك الانسانى كما تشمل البحث العلمى لانها روح تفيض ، واتجاه يسيطر فاذا تعذرت فى جانب ، فقد كشفت عن تغلغل عميق فى جميع الجوانب ، دون نزاع .

قلت ان الذين تناسوا صنيع هذا الجاسوس قد خدعوا بما كتبه زملاؤه وتلاميذه عنه ، حين تحدثوا عما سموه بجهوده العلمية دون أن يشيروا فى قليل أو كثير إلى دوره السياسى الخائن ، مع أنه لقى حتفه عقب قيامه بهذا الدور ، وكان من واجب المؤرخ أن يقف عند


الشيخ عبد الله ادرين بالمر

مصرع من يتحدث عنه بأعجاب وتقدير ، فيتساءل كيف صرع وما المقدمات التى أدت إلى ذلك ، ولكن الذين يلبسون الحق بالباطل عن هؤلاء التلاميذ والزملاء يكتفون بقولهم انه مات فى ظروف غامضة وكلمة الظروف الغامضة لاتقال إلا حين تغيب الحقائق ، وتسكت الوقائع فيقع المؤرخ فى لبس أمام مايرين حوله من الصمت الحائر . أما حين تدون هذه الحقائق ويكشف عنها النقاب فى عدة كتب ، بل حينما يقوم إنجليزى غيور فيكشف دور هذا الخائن بما لامزيد عليه من الأدلة الشاهدة . فكيف نقول بعد ذلك أنه قتل فى ظروف غامضة إلا إذا كان المقصود هو إسدال الستار عن جرائم شنيعة أصبحت ملكا للتاريخ وحدم لانها لاتتعلق بالرجل فحسب ، بل تمتد إلى تاريخ أمة مسكينة لم تحارب فى ميدان واحد ، بل حوربت فى عدة ميادين . وكان من بينها ميدان الجاسوسية الذي جند له الاحتلال أعوانه من رجال السياسية الخادعة ، ثم إمتد إلى اساتذة الجامعات فى إنجلترا ليكونوا بعض هؤلاء ! أرايت ايها القارىء العزيز كيف يقوم الجاسوس بدوره فلا يسجل عليه فى تاريخ الثورة عندنا ، ثم نجدُ من يعلم حقيقة هذا الدور المنكر من تلاميذه فيحاول ان يطمسه بما لا يدل عليه من العبارات العائمة ، ومع ذلك تشيد بالجاسوس مؤلفا ، وبالمتحدث عنه مؤرخا ، وكلاهما لا يسير مع الحق فى الطريق .

## ● من التاريخ العلمي

لدينا كتب خاصة بالاستشراق الاوربى انجليزيا وغير انجليزي ، كتبها أساتذة من إخواننا العرب ، ولكنهم رجعوا إلى المصادر الاوربية وحدها ، وقد غفلت عمدا عن وقائع فادحة لامجال لاخفائها ، وماكتبه المستشرقون عن زملائهم « ادورد هنرى[1] بالمر ( ١٨٤٠ ـ ١٨٨٢م ) الذى سمى نفسه ( الشيخ عبد الله بالمر ) فلم يكتف ان يكون عبد الله ، بل انتحل المشيخة ليظهر بمظهر احد علماء الازهر الشريف . اقول ماكتبه هؤلاء عن زميلهم كان المصدر لمن تحدثوا عنه من اخواننا الباحثين فسكتوا عن دوره الجاسوسى تبعا لسكوت القوم . واظهر من دون تاريخ « بالمر » هو المستشرق الانجليزى الاستاذ « برنارد لويس » المحاضر فى مادة الدراسات الاسلامية بجامعة لندن ، حيث عقد عدّة فصول تحت عنوان ( مشاركة الادب الانجليزى فى الدراسات العربية ) وخص فيها « بالمر » بتاريخ حافل قال فيه انه اظهر منذ طفولته قدرة ماهرة على تعلم اللغات فاجاد الانجليزية والفرنسية والايطالية بطلاقة ، ثم تعرف باحد الهنود من المسلمين فجذبه الى دراسة اللغات الهندية والفارسية والعربية ، واختص العربية بعناية حيث صارت لغته المفضلة التى يكتب بها الابحاث وينظم الشعر العربى ايضا !! ثم اتصل بالمر بجامعة كامبردج وواصل دراساته الاسلامية دراسة متوغلة جعلته يطمح الى زيارة الشرق العربى سنة



فردينان ديلسبس

١٨٦٩ موفدا عن جمعية كشف فلسطين ، وهى فى اصلها جمعية يهودية ! ولنضع النقاط على الحروف نقول ان الرحلة كانت ذات اهداف سياسية تظهر البحث العلمى وتخفى الكيد الصهيونى ! ثم عاد إلى إنجلترا ليكون استاذا للغة العربية فى كامبردج ! واشترك فى الكتابة الصحفية بالجرائد الإنجليزية مختصا بمسائل الشرق ! والمستشرق الجاد المتجه للبحث العلمى يعكف على مصادره العلمية دون ان يكون كاتبا بالجرائد اليومية ليساير الاهواء الاستعمارية !! ثم يقول الاستاذ برنارد لويس عن صاحبه مانصه . وفى سنة ١٨٨٢ ( سنة الثورة العرابية ) زار مصر مرة اخرى وقام برحلة جريئة على ظهور الخيل فى شبه جزيرة سيناء ، وهى منطقة يعرفها جيدا لزيارته لها من قبل ، وقد اصبح ركوب الشيخ عبد الله فى الصحراء يذكر بين المستشرقين كما تذكر الاساطير ، وكانت خاتمته فاجعة ، فقد كان ذلك الوقت زمن الاضطرابات فى الشرق الادنى ولذلك كانت الاشعار فيه اكثر من مخاطرة عادية ، فقتله قطاع الطرق من البدو فى عودته من رحلته فى الصحراء ، وإنقطعت بذلك تلك الحياة الحافلة عن عمر مبكر يناهز اثنين واربعين عاما .

هذا ماكتبه برنارد لويس ! وحديثه يشى بتعمد اخفاء الحقائق ، لان كلامه عن اضطرابات الشرق الادنى يعنى قيام الثورة العرابية ، وهى لم تكن مصدر خطر على من يذهب الى سيناء وحدها ! بل **يكمن الخطر لدى من يعبر القناة إلى السويس ليتصل ببعض العرب ويفرق الذهب كما سنشير من بعد ! وهنا تتضح جاسوسيته حين يدعو إلى مساعدة الانجليز فى قمع الثورة ، فيثور عليه بعض المخلصين ، ويلقى حتفه ! اين قطاع الطرق إذن ؟**

ثم يواصل برنارد لويس حديثه عن مؤلفات ( بالمر ) فيقول إنه ليس دارساً للعربية فحسب ، بل تعمق روح الأمة العربية وتغلغل فى استشفاف لغتها ، وكان يخاطب زملاءه بالعربية لا بالانجليزية لأنه يجيدها اكثر من إجادته لغته الأصلية ، وكان ينظم شعرا ، مثل قوله :

**ليت شعرى هل كفى ما قد جرى**
**مذ جرى ما قد كفى من مقلتى**

والحقيقة أن البيت من شعر ابن الفارض الشاعر المصرى الكبير وقد ادعاه ( بالمر ) لنفسه ، وهذا ما يؤكده ( إخلاصه ) العلمى العميق الذى اشاد به ( برنارد ) ! ولا نطيل فى سرد ما ذكره الباحث عن مؤلفات الرجل ، فهى فى صميمها لا تفيد العرب قدر ما تفيد الاستشراق من باحثى العربية ليكونوا

اعواناً لوزارات الخارجية وإدارات الاستعمار أما نحن العرب فمؤلفات الرجل بإزائنا لا تضيف الجديد !

هذا مجمل التاريخ العلمى "لإدوور هنرى بالمر" الذى تسمى باسم الشيخ عبد الله ، وأطلق لحيته ، وحمل مسبحته ، وارتدى الجبة والقفطان ، أما جاسوسيته التى أدت إلى مصرعه ، فقد جاء موعد الحديث عنها :

## ● تخطيط استعمارى

كان عرب سيناء على صلة بمشايخ العرب الذين يسكنون حول القناة فى بلاد مصر ، وقد عرفت وزارة البحرية البريطانية عمق هذه الصلة بما لاحظته من كثرة التزاور بين الفريقين ، على حين تخوفت من أن ينضم عرب سيناء إلى عرب مصر فيعملوا على ردم القناة ، مما يعوق تقدم الجيش الانجليزى ، ويمهد الطريق لنصرة عرابى باشا فيما يعتزم القيام به من مجابهة حربية لأعداء البلاد ، وقد علمت أن الأستاذ "ادوارد بالمر" الذى يجلس على كرسى الاستاذية بجامعة كامبردج كان على صلةٍ تامةٍ بمشايخ العرب فى سيناء ، ويستطيع أن يحملهم على أداء مهمتهم السياسية إذا أغراهم بالمال ، وفعلاً هيأت له وزارة الحربية عدة أكياس ذهبية بلغ مجموعها عشرين ألف جنيه ذهبى ، وللجنيه الواحد رصيده القيم إذ ذاك ، إذ يستطيع العربى أن يشترى به جملاً ونعجة ، فاستجاب ( بالمر ) لهذه الدعوة المنكرة ، مرحبا وقد جاء فى خطاباته التى كتبها لزوجته ، وهو فى عمله الجاسوسى شرقى سيناء ما يفيد أن باب الكسب قد اتسعت منافذه لديه ، وانه ادخر من المال ما سيجعله يعيش بعد عودته فى لندن هانئاً ناعما ، ومعنى ذلك انه حرص على أن يحتفظ بمبلغ خاص مما اخذه ليرشو به الذين لا يفقهون شيئا من أمور السياسة ، أو الذين يسهل بيعهم وشراؤهم من عرب الطَّمَاوِيَّة وأمثالهم بالشرقية ، وقد اثبتت الحقائق أنهم كانوا فى مقدمة الخونة ، فكانوا ساعداً آخر لعلى خنفس الذى أغراه محمد سلطان بالخيانة ، وقد اتجهِ ( بالمر ) إلى يافا وجمع فريقاً من مشايخ البدو بعد أن فرق عليهم ما يطمعهم فى مهمتهم الصعبة ، فوافقوا على الفور ، وأعدت الوسائل لسفر مجموعة منهم الى السويس تحت قيادته ، وقد التقى بالأسطول الانجليزى وهو يروح ويغدو حينئذ فى القناة دون حائلٍ ، لأن عرابى باشا قد صدق الوعد الكاذب الذى قطعه "فرديناد دليسبس" بحياد القناة ، فسارع ضباط الأسطول باستضافة ( بالمر ) وتهيئة السبل إلى إنجاح مهمته ، وخف القادمون من البدو لأداء رسالتهم الملوثة ، ونجحوا فعلاً فيما اعتزموه ، ثم قامت المعركة الرهيبة فى ( التل الكبير ) وقرّبها ( بالمر ) عيناً ، إذ جاءت الرياح بما يشتهيه ، فتأكد انه سيرجع غانماً ، وكتب الرسائل الى زوجته مبشرا ، وقد طبعت هذه الرسائل بعد وفاته ، فكانت شاهداً خطياً كتبه بيده معترفا ، ليدل على معدنه الخلقى الهابط ، وما كان

يدرى حين بادر بإعلان فوزه المادى لزوجته أن القدر وراءه بالمرصاد

● مصرع الجاسوس

عرف المخضلون من الاعراب حقيقة الدور البشع الذى قام به ( بالمر ) مع رفيقين من الانجليز أحدهما ضابط برى والآخر ضابط بحرى ، فدبروا لهم كمينا قاتلا فى ظلمة الليل ، وأوردوهم مورد الموت ، وتركوا جثثهم فى العراء حتى جاء الخبر إلى الكولونيل الإنجليزى "وارين" الحاكم البريطانى بالسويس ، فأراد أن يحتاط لنفسه ، فساق جنوده العتاة ليعتقلوا من يرونه من العرب ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، حتى امتلأ بهم المكان ، وبعد نقاش صورى أصدر حكمه بإعدام خمسة من الرِّجال الأشداء ، باعتبارهم القاتلين ، وهى جريمة منكرة تدل على همجية متوحشة ، حين يؤاخذ البرىء بما لم يقترف ، وحين تلصق التهم إلصاقا بأبرياء كل جريمتهم أن سوء الحظ أوقعهم فى هذا المكان عند هجوم الجنود ! فساقوهم الى الإعدام ، وإذا كان الكولونيل "وارين" قد عزا قتل الإنجليز الثلاثة إلى رغبة الاستيلاء على ما كان بأيدهم من الذهب ؟ فلماذا لم يجد منه قليلا أو كثيراً لدى من صدر الحكم بإعدامهم ، وقد هوجمت خيامهم وبعثرت أدواتها ، وطرحت فى العراء ، دون أن يوجد بها درهم واحد ! إن الأكثر غرابة فى هذا التصرف البغيض أن الأقلام قد سكتت عن تدوينه ، رهبةً من سطوة المحتل ، حتى قيض الله كاتبا انجليزيا كبيراً عرف بحبه للعدل والإنصاف ، وأشتهر بصداقته لأبطال الثورة المصرية ، وفى مقدمتهم الأستاذ الإمام محمد عبده ، وله عن المفتى الأكبر مذكرات يومية تدل على إعجاب زائد بمواقف الأستاذ الإمام ، كما كان أبرز من سجل فظائع الاحتلال الانجليزى فى كتابه الشهير ( التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر ) وقد ترجمه الأستاذ عبد القادر حمزه ونشر متتابعاً بجريدة البلاغ اليومية ثم جمع فى كتاب خاص ، هذا الكاتب الأمين هو الأستاذ ( ولفريد سكاون بلنت ) وأذكر أن كتاب الهلال قد نشر بعض آثاره منذ أشهر فذاعت بين الناس .

● دفاع بلنت

بدأ الاستاذ بلنت تحقيقه التاريخى مؤكدا ان الاستاذ « بالمر » عالم ممتاز فى العربية يدرس أصولها وادبها فى جامعة كمبردج ولكنه استجاب للّورد نور ثبروك حين دفعه للقيام بمهمة سرية لدى البدو فى شرق قنال السويس ، مزودا بمبلغ كبير يتجاوز عشرين الفا من الجنيهات الذهبية ليشترى بها ضمائر الضعفاء ضد حكومة القاهرة .

يقول بلنت « وبما اننا فى وقت حرب بكل معانيه ، وبما أن الحقيقة المرة ان الاستاذ ( بالمر ) ومرافقيه البحرى والعسكرى كانوا يرتحلون متنكرين ومعهم ثلاثة الاف من الجنيهات ، فانه واضح كل الوضوح ان اولئك الانجليز الثلاثة يقومون بدور الجواسيس ، فليس قتلهم اذن جريمة عادية ، ولكنه جريمة سياسية تقع تحت العفو الشامل الموعود ، ولكنَّ هذا لم يَحُلْ دون الاصرار على الانتقام الشنيع .

اما كيف حصل هذا الانتقام فان الاستاذ بلنت قد شرحه دون لبس حين قال :

ارسل القائمقام « وارين » الى الصحراء قوة عسكرية كافية ، كما امدته حكومة الخديو توفيق ببعض البدو ، وما ان وصل الركب الى المكان حتى شرع فى عملية القبض على الاعراب بالجملة رجالا وأطفالا ونساء ، خبط عشواء ، وقفل راجعا بمن قبض عليهم ليودعوا بسجن السويس رهن التحقيق ، واخذوا فى اقامة قضية ضد خمسة رجال ليلقوا القصاص الرئيسى عن قتل ثلاثة من الانجليز ، ثم ارسلوا الى الزقازيق ليعانوا شكليات مضحكة امام محكمة اصدرت عليهم الحكم بالاعدام ، وفق تقرير كتبه انجليزى لا يعرف اللغة العربية ، ولم يسمع اى اعتراف من المتهمين يدل على ارتكاب شيء محظور ، واقيمت المشانق فورا للتنفيذ العاجل دون امهال وقد ظل اقاربهم من النساء والاطفال والشيوخ معتقلين دون اتهام باى جريمة حتى قام « بلنت » نفسه بعرض قضيتهم الفاجعة على « السير بنسون ماكسويل » فتم الافراج عنهم وقد تعجب ماكسويل كثيرا لسجن النساء والاطفال »

ان هذه المحاكمة الفاضحة لا تقل همجية عن مأساة دنشواى ، وقد سجلها كاتب انجليزى لايتهم بالاختلاق الكاذب على بنى قومه ولكنه جوبه بمنكر فظيع فلم يطق السكوت .

● تاريخ الثورة العرابية

لعلنا القينا الضوء على بعض النشاط الجاسوسى الذى لم يدون اكثره ، فتاريخ الثورة العرابية قد ظل فى منطقة الظلام حقبة طويلة تجاوزت نصف قرن ، لان بعض الذين لاتشك فى اخلاصهم الملتهب قد اساءوا الظن بزعيم الثورة وقالوا عنه انه اشأم رجل عرفته مصر ، هذا ما قاله مصطفى كامل نفسه ، فاجتذب الى اتجاهه نظرا ممن كتبوا تاريخ الثورة فلم يبذلوا غاية الجهد فى تمحيص الحقائق ، بل اندفعوا الى تسجيل التسرع وعدم الحنكة السياسية والتكبر المتغطرس من قائمة الصفات الخاصة بالبطل المفترى عليه احمد عرابى ، ومازالت مقالات الصحف فى مناسبات ما سُمّى بالفتنة العرابية تتوالى منكرة كل فضل للزعيم الامين ، واذكر ان قلينى فهمى كتب عدة مقالات عن عرابى باشا مؤيدا وجهة نظر القصر الحاكم فلم يجد من يرد عليه غير عبد السميع عرابى نجل الزعيم ، وكان الرد لا ينشر بتمامه ، على ان الحق لا يعدم انصاره ، فقد قام الاديب المؤرخ الاستاذ ابو السعود بكتابة بحث تحليلى عن الثورة العرابية انصف فيه الزعيم المضطهد انصافا كبيرا ولكن عوامل خفية شاءت ان تحجب انتشاره ، فلم يكتب له الذيوع على وجه يجعله واسع التداول ، متعدد الطبعات لموضوعه الخطير ، اما الاديب الممتاز حقا ، والمؤرخ المدرهُ تحليلا واقناعا ودعما بالمنطق والاسناد فهو الاديب الشاعر الاستاذ محمود الخفيف اذ اصدر مؤلفه الضخم ( احمد عرابى المفترى عليه ) بعد ان والى نشر فصول منه فى مجلة الرسالة ، وقامت الحرب العالمية الثانية فاحتج الانجليز على مواصلة البحث فى قضية الاحتلال الجائر وموقفهم من الالمان حينئذ لايبشر بالفوز ،



مصطفى كامل



الشيخ محمد عبده

فارجأت الرسالة مضطرة ما اعده الاستاذ الخفيف للنشر ، ولكنه واصل البحث فى حمية مؤمنة حتى فاجأ به القراء بعد عامين من انتهاء الحرب ، واذا كان احمد شوقى ، قد وصم احمد عرابى بالصغار والهوان فان الاستاذ فخرى ابا السعود رحمه الله قد نظم قصيدة خالدة فى تمجيد بطل الثورة ، رد فيها على من انتقصوا الكفاح البطولى لابطال مصر فى معركة التل الكبير فكان مما قال فى تحفة ممتازة نشرت بالرسالة

ولم أرَ يوم التل عاباً وسبّة
ولم اره الا أغرَّ مخلدا
أنخجلُ أنْ قمنا نذود عن الحمى
ويسحب اذيال الفخار من اعتدى
فيا من راى ابناء مصر اذ انبروا
الى غول الاستعمار جيشا مجردا
فلما راى وعر الطريق ولم يجد
كما ظن نهجا للنجاح معبدا
تسلل من شرق البلاد محاذرا
هزيمته فى الغرب ان تتجددا
ومال الى الاعراب والغدر طبعهم
يريد من القوم اللصوص مؤيدا
جرى بتره فيهم وسالت سفينه
تمزق عهدا للقناة مؤكدا
كفته خيانات اللئام عدوّه
ومابث من جند الفساد وارصدا
سلام على ليث تولى زمامها
اعف الورى قصدا وانقاهموا يدا
جزيرته ان رام مصر عزيزة
وشاء لها ان تستقل وتسعدا

ومثل هذا الشعر الصادق لايجد من يرويه ، وهو جدير ان يكون على كل لسان ، وان يقراه الطلاب فى المدارس لانه ينصف مظلوما ، ويحيى مجدا ، ويؤرخ لنضال شعب كريم .

---

**الهامش**

(١) يسمى فى بعض الوثائق ( ادوين بالمر )

# ذلك الثوب

بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



لعل هذه الأفكار كانت تجول بذهن يوسف، أو تتواثب على شفتيه، وقد أمسكت سيدته بثوبه ...

هوذا الثوب خذيه
ان قلبى ليس فيه
انا لا املك هذا
الثوب بل لا ادعيه
فانزعى الثوب إذا شئـ
ـت وإن شئت اتركيه
إنما قلبي لقد
اقسمت الا تدخليه
انا لا املك قلبى
وكذا لن تملكيه
عبثا قربك منه
هوذا قلبى اساليه
زوجك الغائب قد اعـ
ـهدنى مالا وعرضا

بل وقد ملكنى فى
بيته طولا وعرضا
إنه عهد وثيق
كيف اهوى فيه نقضا
وإذا ماكنت خوا
نا أخون العهد فرضا
كيف أعصى الله ربى
وبهذا الشر أرضى
ناسيا عقلى ودينى
طارحا تقواى ارضا
فابعدى عنى دعينى
إن أخلاقك مرضى
اى فخر لك فى ثو
بى وقد اخلعتنيه
هوذا الثوب خذيه
إن قلبى ليس فيه
آه لو تدرين ما أعـ
ـلم عن إبرام جدى
قصة الطاعة والمذ
بح والابن المعد
طاعة غنى بها العا
لم من عهد لعهد
طاعة أورثتها قد
اصبحت عنوان مجدى
طاعة لله لا للشر
ان الشر يردى
طاعة للروح لا للجسـ
ـم إن الجسم عبدى
ساطيع الله حتى
لو أطعت الله وحدى
كيف أعصى الله منقا
دا لذا الشر الكريه
هوذا الثوب خذيه
ان قلبى ليس فيه

حكاية مغربية

# .. وقد يغضب القاضي!

د . الطاهر أحمد مكي





يوجد ولا يوجد .

يوجد الحبق والزنابق لمن يصلي على المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى اله ومحبيه ، غمركم الله برحمته ، واسبغ عليكم نعيم فضله ، ومتعكم بالصحة الدائمة .. ويسر لكم الزوجة الصالحة ، والابناء البررة .

ثم الحمد لله ، واهب الجاه والثروات ، وموزع الخير والبركات ومقسم الارزاق والاعطيات ، ومانح النعم الكثيرات .

لقد فتح يده السخية للحاج قدّور الموثق يأخذ منها ماشاء بلا حساب

فازدهرت اعماله ونفقت ارزاقه ، وكثر زبائنه بسرعة مدهشة لم يالفها من قبل ، وامتلأ جيبه بالمال ، وشكرا له على ملوهب ومنح تملكته الرغبة قوية فى ان يحمل لاسرته بعض ما وهبه الله من خير ، هدية

منه ، زيادة على ماعودهم اياه ، وعبر الطريق الى بيته لفته بهجة غامرة ، وراح يتحدث الى نفسه ، بصوت مسموع : ماذا افعل وماذا اترك يا اله الحاج قدور ، قدور استاذ كل الموثقين !

فيما يبدو لى من الخير ان اكمل فرحتى باكلة عظيمة وشهية لأسرتى تملأ بطون الاولاد والبنات ، وترضى الزوجة والاخوات ، ولا تحتمل الخطا والصواب ، وبعدها يغطون فى نوم عميق ، وابقى انا وام البنين وحدنا يقظين نكمل المشوار ، ولكن خد بالك ، لاتنسى ان الابواب مفتحة على الخارج ، ونظرة الحسود قارصة لاذعة ، ومضنية قاتلة ويمكن ان تخلف وراءها ضحايا واشلاء .

استدار الحاج المحظوظ فجاة ، ورفع قامته وثبت خطاه واخذ طريقه الى السوق لكى يشترى خير ما هناك من لحم وفاكهة ، وهو فى الطريق مرّ به صياد ، وعرض عليه سمكة موسى كبيرة وجميلة وابهجت الموثق وبهرته فبرقت عيناه ، وعلا وجيب قلبه ، واوقف الصياد واخذ يساومه ويفاصله ، واحتد الامر بينهما حتى اوشك ان يتحول الى شجار وفى النهاية سلم الصياد بما اراد المشترى فدفع له الحاج قدور خمسة ريالات ، دون ان يرى فى الثمن غلوا او مبالغة .

وعلت البهجة اسارير الرجل الطيب ، واحس بالسعادة تغشاه من كل جوانبه فامسك بالسمكة ، وراح يهزها وعلى ايقاع اغنية شعبية اخذ يتغنى بها ، مرددا بعض الوصايا التى قراها فى الف ليلة وليلة على لسان شهر زاد واخذت الافكار تتزحلق فى خياله ، واحدة وراء اخرى الى ان انتهى عند فكرة واضحة ثبت عليها ، واستقرت فى ذهنه ، ولم تتحرك من مكانها وبدأ يردد هواجسه فى كلمات خافته :

حمقاء وجاهلة هذه الايام التى نمر بها ، ولكنها لم تبلغ من الحمق حدا تحول فيه بين مسلم تقى وبين ان يقع على كنز ثمين فى بطن هذه السمكة ولم لا ؟ الم يحدث فى الايام الخوالى ان وجد المحظـوظون احجارا نفيسة وجواهر غالية فى بطون الحيتان ؟

وجن بهذه الامال وبدا له قشر السمكة فى توهجه كانه قطع من الماس ، المع من ماء بحيرة صافية ، يخفى وراءه كنوزا سوف تغنيه الى الابد ولن يحتاج معها الى العمل والكد ، ولم يخرجه من الذهول وشرود الفكر الا تحية القى بها عليه فتى :

ـ السلام على هذا الـوجه الصبوح .

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يابنى .

ـ اصاب الله بالعمى من ينظر بسوء الى سمكتكم الجميلة ، كم كلفتك يا والدى ؟

ـ خمسة ريالات !

ـ صحة وعافية .

واصل الموثق طريقه ومضى لسبيله ، وبعد برهة من سيره التقى بسيدة محترمة منقبة ، وما ان رات مافي يده حتى بادرته :

- بسم الله الرحمن الرحيم ، الواحد الاحد ، الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد ، قل لي يلحاج قدور : كم ثمن هذه السمكة اللذيذة التي سوف تمتعك وتجعل يومك ملكيا ؟

- ريالان !

ثم اضاف الحاج قدور في نفسه ، وقد بلغ به الضيق مبلغه : لعن الله من يندفع ليفسد عليّ متعة هذه الأكلة ، ألا يمر واحد فقط ، غني او فقير صغير او كبير ، دون ان يدس انفه فيما لا يعنيه ، وان يعرف من اين جئت بهذه السمكة وكم ثمنها ؟ ثم بصق فوق السمكة لكي يحصنها من الحسد ولكن ، اه ... حتى ولا هذا بعث فيه الثقة وجعله يمضي مطمئنا لان كل واحد من ابناء جيرانه يصادفه في الطريق يمتلىء فضولا ، ويدس عينيه في السمكة متعجبا ، او مستكثرا ، او متلهفا ، حتى ان عجوزا عوراء وقاكم الله الشر وحماكم من السوء جرات على ان تساله ايضا ومثلها ياتي بالسوء من اطراف الدنيا ، فتشاءم الموثق منها ، وغضب من هذه الصدفة اللعينة ، واقسم بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الاخر ، ان شرا سوف يصيبه مع اول سائل يلقاه .

ولسوء الحظ كان اول من صادفه رجل ولي ، كث اللحية ، اشيب الشعر خطيب مفوّه ، وبليغ مقتدر ، فسلم على الحاج قدور بلطف ثم ساله :

- أطال الله حياة خير فقهائنا واعلمهم ، وانقاهم روحا ، واذكاهم فهما ، انها سمكة جميلة ..

ولم يسمع الموثق اكثر من هذه الجملة ، وهاج من الغيظ ، اعماه الغضب ، فضرب وجه الرجل الطيب بالسمكة على جانبيه في سرعة وحنق ، مما اوقعه في اضطراب وذهول شديدين .

واحدث الاعتداء هرجا شديدا بين المارة والمشاهدين وهم يجهلون خلفيات الامر ، والسوابق التي اثارت غضب الحاج قدور وجعلته يتصرف على هذا النحو ، وقد تعاطف المارة مع الرجل الولي واظهروا استياءهم مما حدث له صراحة وفي اصوات مرتفعة وتميز من بينها كلها صوت الولي وراح في صراخ جريح يرمي بوابل من الشتائم على الحاج والناس يسمعون :

- انت كلب وابن كلب ، ياجاحد ، يامنكر الله ، سوف اشكوك الى

القاضى ليحكم بينى وبينك ، يامطعون ، ياقليل الحياء ، انظر الى شيخوختك المليئة ، بالخزى والعار ، ضرب الله بيتك آمين .. آمين !
وما ان انتهى من كلماته حتى اتجه الى القاضى يطالب بحقه ، وتبعه المعتدى وأدخل الاثنان على القاضى .
وبدأ القاضى المحاكمة فى الحال ، وبعد ان استمع الى الشهود وكان هائجا وثائرا لفداحة الاعتداء بلا مبرر على ولى طيب واخذ يوجه الكلام الى المعتدى المسىء :
- هل جننت ياقدور ، ياابن الخطيئة ياوش اللعنة ؟ يجب ان تقطع يدك حتى لاترتكب ثانية هذا التصرف المنافى للعرف والأخلاق وضد من ؟ ضد هذا العجوز ذى اللحية الوقور ، عليك وحدك يقع اثم الجريمة وستنال ماتستحق من عقوبة تجعلك عبرة لغيرك سوف اجلدك كما لو كنت شيالا فى السوق ، أليس لك فى خيرة سابقيك من الموثقين وصالحيهم اسوة .
كان قدور يستمع الى حديث القاضى ، وقد تداخلت الكلمات فى سمعه وغم عليه معناها وقد استمع الى هذه الشتائم مطاطىء الراس مطرقا زائغ العينين نصف ذاهل ، وفجاة تفجر الدهاء والمكر والحيلة فى داخله ، فقاطع القاضى :
- صل على النبى .
واستجاب القاضى مطيعا ومرددا الصلاة على النبى ، فذلك واجب كل مسلم عندما يسمع اسمه ، ولكى لا ينقطع حديث التوبيخ والزجر فيفقد جانبا من فاعليته ، اجاب فى سرعة وبحمية زائدة :
- اللهم صلِّ عليه ، وعلى آله ، وبارك فيه ، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .
ثم واجـه المتهم ، وواصل توبيخه :
- قلة الحياء هذه التى حدثت منك لم نسمع بها ابدا لا نحن ولا آباؤنا من قبل .
فقاطعه الحاج قدور :
- صلِّ على النبى
ولم يكن القاضى فى حالة تسمح له بان يستجيب للحاج قدور ولكنه مع ذلك هز رأسه وهو يردد :
- صلِّ الله عليه وسلم وبارك فيه آمين .
ثم توجه الى العجوز الطيب واضاف :
- يا ابا الفضل قرين الشيطان هذا - لعنة الله - اساء اليك ..
وفجاة قاطعه الموثق ثانية :
- صلى على النبى
وفى هذه اللحظة استدار القاضى كى يرفع دعاءه وقد انتابه سخط شديد ، وبدأ يلعن قدور واسلافه ،

كابرا عَن كابر ، وجدوده طبقة وراء طبقة ، والله وحده يعلم الى اين كان سيصل بهم ، لولا ان المتهم اعترضه من جديد ، وفى هدوء شديد ، قال له :

- صلّ على النبى .

وهنا كان الغضب قد بلغ من القاضى غايته واستحوذ عليه كلية فخلع خفه ، وبقوة قذف به فى وجه الحاج قدور الذى قابل صفعة الحذاء فى انفه بابتسامة ، وقال :

- ياسيدى القاضى طيبتك شاعت فى الافاق وعدلك اشتهر بين كل الناس ، وعرف عنك القاضى والدانى فكرك المتزن ، وجدك فى تناول القضايا ، ومع ذلك اتى فعلك على كل ماتخيلته فيك ، وتصورته كغيرى لقد غاظك صبرى .

ومازلت صابرا ولن اطلب منك شيئا غير ان تصلى على نبينا صلى الله عليه وسلم ، وان تدعو الرحمن الرحيم ان يسعدك ويوسع لك فى الرزق .

ترى الى مدى كان سيبلغ بك الحال ياسيدى القاضى لو كان ماطلبته منك إثما او شيئا طائشا ؟





حكايات مغربية

# لغويات

● البرد الشديد فى هذه الايام يسمى « البرد القارس » بالسين لا بالصاد كما يكتبها الان بعضهم .. ويقال : قرس البرد ، اى : اشتد .. اما الفعل « قرص » بالصاد فلا شأن له بالبرد او الحر ، ومعناه فى العربية كمعناه في العامية تماما ، وهو القرص بالاصبعين في موضع من الجسم في عز الشتاء او فى عز الصيف ، او فى اى فصل من فصول السنة ! ..

● بعض الناس يسمى ابنه الاول « عبد الله » .. فاذا رزق ابنا ثانيا سماه ــ على سبيل التدليل أو التصغير ــ « عبد اللاه » .. وهذا الاسم الثانى هو نفسه الاسم الاول ولكنه منطوق كأنما سبقه حرف جر ، كقولك : « .. الى عبد الله » .. أو كأنما هو مضاف اليه كقولك : « .. بيت عبد الله ».. فان لفظ الجلالة هنا ينطق وكأنه مرسوم هكذا : « عبد اللاه » .. ومن هنا جاء اسم « عبد اللاه » الذى لا أصل له الا هذا ، ولا يصح نطقه هكذا الا بالشرط النحوى الذى ذكرناه ، من الجر أو الاضافة .. وقديما كان الادباء يتندرون بقول عبدالله النديم : « لا حول ولا قوة الا بالله، اشتبه المراقب باللاهى » .. فان قوله : « بالله » ينطق تماما كقوله « باللاه » .. وهذا « جناس » لفظى كما يسميه الادباء .. وكان النديم يريد بقوله « اللاه » أن يقول : « اللاهى » .. أى الذى يلهو ، فحذف الياء تخفيفا ، وأعطى « الجناس » حقه .. وهذا مثل تخفيفهم كلمة « الوادى » الى « الواد » ومنه فى القرآن الكريم : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » .. والشعر العربى حافل بالتخفيف فى الالفاظ ، وممن خفف « الوادى » الى « الواد » .. أمير الشعراء أحمد شوقى فى أبيات كثيرة من شعره ، كقوله :

وربوة الواد فى جلباب راقصة ... الساق كاسية والنحر عريان

● يقولون : خش .. يخش ، أى : دخل .. يدخل ، وقولهم هذا صحيح فصيح ..

● ويقولون : سمعنا خشخشة النقود الفضية ! .. ومعنى: تخشخشت النقود أو الحلى : اصطك بعضها ببعض فأحدثت صوتا ، والعامى هنا مثل الفصيح نطقا ومعنى ..

● ويقول اولاد البلد : فلان لغمط يديه بالطعام ، والاصل الفصيح هو « لعمظ » بعين بدلا من الغين ، وظاء بدلا من الطاء ، فكأنما نقل اولاد البلد نقطة الظاء الى العين ، لا اكثر .. وهذا نوع من التصحيف يحدث فى الكلام الفصيح ايضا ..

والفعل الفصيح « لعمظ » ــ بالعين والظاء ــ معناه : نهش اللحم من العظم ، وقريب من هذا معنى اللفظ العامى « لغمط » كما ينطقونه فى الكلام الدارج ! ..

# قضايا حيوية

## من الذى يكتب التاريخ..؟

بقلم: محمد حجازى

طالعتنا الصحف بخبر مقتضب ، يعلن تولى الدكتور عبد العظيم رمضان الاشراف على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، الذى يضم لجنة علمية من كبار أساتذة التاريخ المعاصر ، وأن الذى أصدر هذا القرار هو الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب ..

والخبر علاوة على انه يثير الدهشة ، فأنه يثير اعتراض قطاع كبير من المهتمين بقضية كتابة تاريخ مصر والذين يعنيهم فى المقام الأول الوثائق والمراجع التى تشكل المصادر الاساسية لمادة هذا التاريخ ويستند الاعتراض على عدد من الأسباب الموضوعية فى مقدمتها : ـ

اولا :



د. عبد العظيم رمضان



د. سمير سرحان

ان هذا الخبر جاء خاليا من أي ملامح أو تفاصيل تحدد على نحو واضح ومفهوم المهمة التى على هذه اللجنة اداؤها ؟ ... أو يفسر الدافع الذى ادى الى انشائها ....

وهل هى كيان تنظيمى جديد يجرى ابتداعه وانشاؤه ؟ ! ... أم أنها صورة معدلة ، ... واستطراد متغير الشكل لهيئة سابقة مثل لجنة كتابة التاريخ مثلا ؟ !

واذا كان ذلك كذلك .. فهل استحداث هذه اللجنة ينسخ ما سبقها ؟ !

ويلغى ما كان قبلها أو ما كان على شاكلتها من لجان أو هيئات أخرى ؟ ! .. وهل لها نفس الهدف أم هى ذات هدف مختلف ومهمة متغيرة .. ؟ !

● تشويه التاريخ !

ولايمكن للمرء الا أن يتساءل عن الدور الذى ستقوم به اللجنة فى وقت أصبحت فيه كتابة التاريخ سوقا يتزاحم فى ساحتها اصحاب الغرض والهوى .. وفى زمن يجرى فيه تشويه تاريخ مصر قديمه وحديثه مع سبق الإصرار والترصد وباجتراء لم يسبق له مثيل ، ولحساب قوى خارجية وداخلية غير خاف عداؤها السافر لقضية مصر الوطنية وأمانيها القومية .

فهل أتت اللجنة لتقوم ما أعوج ولكى تحق الحق وتزهق الباطل ..

**ثانيا :**

واذا كان ذلك هدف اللجنة وغايتها ، فانه يملى بالتبعية اتخاذ معايير بالغة الدقة لاختيار من يتولى رئاستها ؟ .. ولا يكفى أن يكون ذلك الشخص حاصلا على المؤهلات العلمية التى تتطلبها طبيعة الوظيفة ، أو مستوفيا لمسوغات التعيين حتى يكون ذلك مبررا لشغله هذا المنصب الهام ..

ولكن أهم من ذلك كله ، أن تتوافر فيه الموضوعية وعدم التحيز حيال أحداث ووقائع التاريخ ، ... وأن تكون سيرته الذاتية شاهدا له بالحيدة والتجرد من الانتماء لفكر دون فكر ، وتيار دون آخر ، أو تفضيل جماعة سياسية على غيرها ، والا يكون متورطا فى الخصومات

## قضايا حيوية

والصراعات الحزبية على اى نحو ..

ولا نحسب أن الاستاذ عبد العظيم رمضان هو ذلك الشخص .. بل انه هو النقيض تماما ، وأبعد ما يكون عن الموضوعية التى تؤهله لشغل هذا المنصب ...

صحيح انه من حق الاستاذ رمضان ان ينحاز لاتجاه سياسى بعينه ، وأن يخاصم اتجاها آخر ، .. ومن حقه كذلك أن يعطى لأحداث التاريخ ووقائعه الترجمة التى تنسجم مع موقفه من هذه الأحداث ، وان يفسرها على النحو الذى يبرهن صواب رؤيته وسلامة نظرته ..

ولكن ذلك كله يتم ، من الموقع الذى اختار ان يحتله .. وينطلق من المنظور الذى ارتأى - تفضيلا او تمحيصا ، او لأى أسباب أخرى - أن يطل منه على هذه أو تلك من مراحل التاريخ ، ... وبقصد دعوة آخرين غيره الى تبنى أحكامه ووجهة نظره والانضمام الى موقفه الذى أختاره لنفسه .. لكن هذه كلها اعتبارات توجب إعفاءه من هذا المنصب الحساس ، خاصة فى الظروف الحالية ، وتنحيته عن الحكم فى قضية هو على أوثق الصلات بأحد أطرافها ..

**ثالثا :**

وهذا يفرض علينا بالتبعية التعرض الى موقف الدكتور رمضان، بصفته أحد الكتاب الذين عالجوا أحداث ووقائع التاريخ المصرى المعاصر وتناولوه بالنقد والتقييم وصدرت منه بالتالى على الأحداث والأشخاص أحكام حددت له موقفا معروفا تجاه هذه الأحداث والشخصيات .

فالدكتور رمضان مارس على مدى ما يقرب من ثلاثين عاما كتابة ما قال عنه إنه .. تاريخ .. وبغض النظر عن مدى صواب أو خطأ ما كتب فانه دوّنه فى اطار المعارك السياسية الحادة التى شهدتها الساحة السياسية المصرية منذ رحيل الرئيس جمال عبد الناصر حتى الآن وبعد اشارة البدء للحملة المعاديا لثورة يوليو ولقائدها ..

### ● انحياز واضح

وفى خضم هذه المعركة الضارية التى مازالت دائرة الرحى ، أدلى الاستاذ رمضان بدلوه ، واتخذ موقفا واضح الانحياز لمفاهيم سياسية بعينها فى مواجهة مفاهيم سياسية أخرى ..

ووظف كل ادواته وامكاناته لخدمة .. قضية فريق ضد فريق مقابل .. وهذا ينزع عن الاستاذ رمضان صفة الحيدة والموضوعية ..

وغنى عن أى قول أو تعليق ان الجهد الذى سيبذله الاستاذ رمضان فى مجال السرد أو التحليل أو التعليق .. او التقييم لأحداث تاريخنا المعاصر ، بما فى ذلك

جهده المنتظر فى اللجنة التى تشكلت برئاسته ، سيكون متأثرا أشد التأثر بوجهة النظر التى تبناها وكرس من أجلها فكره .. وجند فى خدمتها أدواته ..

وحتى لو اقتصر ذلك الجهد على مجرد تجميع الوثائق والمستندات فانه سيكون اكثر ميلا واهتماما فى البحث والترويج للوثائق التى ترجح وجهة نظره ، وتثبت ما توصل اليه من نتائج واحكام ، ... وأقل اكتراثا بالبحث والتنقيب عن اية وثائق أخرى تدحض هذه النتائج وتشكك فى تلك الأحكام ..

● تذبذب وعدم استقرار

رابعا :

أنه بمراجعة ما كتبه الاستاذ رمضان ، عن أحداث ووقائع التاريخ المعاصر ، يتضح أن مواقفه حتى وقت قريب تأرجحت فى الانتقال من جبهة الى جبهة ، ومن معسكر الى معسكر ، بشكل كان يعكس التذبذب وعدم الاستقرار ، ويؤكد أن الشىء الثابت الوحيد فى حركة التبدل التى اتسمت بها آراؤه ومواقفه ، على مدى حقبة من الزمن انتقلت فيها فى نفس الوقت مقاليد السلطة من قيادة الى قيادة ، وتغيرت فيها توجهات الحكم من النقيض الى النقيض .. فبينما كانت كتابات الدكتور رمضان فى بداياتها تبين انه من اكبر المتحمسين والمؤيدين لثورة يوليو .. اذ ينتهى به المطاف الآن الى مواقع اليمين الرجعى الذى يضمر لثورة يوليو الد الخصام ..

وبعد أن كان الدكتور رمضان عضوا فى حزب التجمع ، ... إذ به الآن مثقف سياسى لحزب بقايا الحياة السياسية لعصر ما قبل الثورة « الوفد الجديد » ...

وبطول المسافة التى قطعتها رحلة الاستاذ رمضان السياسية تنوعت كتاباته .. وتعارضت وتناقضت ولم تفلح كل المعاذير التى انتحلها فى تبرير هذا التلون ، أو فى صياغة منطق يسوغ مثل تلك التحولات ..

● تجاوز واضح !

خامسا : أن اللغة التى استخدمها الاستاذ رمضان فى طرحه وعرضه آرائه كانت فى معظمها أبعد ما تكون عن لغة المؤرخ ، بل كانت لغة السياسى الحزبى المنغمس حتى أذنيه فى معارك الجدل الحزبى ، وكثيرا ما كانت تتجاوز الأصول المرعية فى لغة الحوار العلمى المعتمد على مقارعة الحجة ، لتدخل فى نطاق التجريح والاساءة الشخصية والتعريض الذاتى بكل من يخالفه الرأى ...

ولنا أن نتصور اداء لجنة التأريخ التى شكلها الدكتور سمير سرحان تحت رئاسة شخصية حفل تاريخها بالمبارزات الحزبية وتبادل الاتهامات والحملات الصحفية ، .. وبغض النظر عن مدى انتصارها للحق أو تجنيها عليه ، فإنها أثناء هذه الاشتباكات تخلت عن أصول المحاجاة العلمية ، واستحلت اللجوء الى أساليب التنابذ الشخصى ..

وفى النهاية .. فإن كل هذه الجوانب معروفة للجميع وغير خافية على أحد ، وهذا من شأنه أن يثير التساؤل عن الحكمة التى دعت الاستاذ الدكتور سمير سرحان الى اختيار الدكتور رمضان لتولى هذا الاختيار ، بينما يوجد من علماء مصر ومؤرخيها عشرات بل مئات ، إن لم يكونوا اكثر من الدكتور رمضان علما ، فهم بالقطع اكثر منه حيدة ...

قضايا حيوية

# أزمة الأستاذ الجامعي

بقلم : د. محمد عبد الحميد عليش

**تشهد حياتنا الفكرية هذه الايام احداثا متتالية فيما يتعلق بتطوير التعليم في مصر . فمن المؤتمر القومي للتعليم ، الى المناقشات الحادة في مجلس الشورى ، الى حركة وزير التعليم النشطة من اجل وضع قانون جديد للجامعات المصرية ، حتى يمكن أن نطلق على هذه الايام محليا اسم ايام التعليم دون مبالغة .**



ولقد كثر الحديث عن الجامعة المصرية وهبوط مستوييها العلمي والاداري ، وعن دورها الاساسي والهام في تطور المجتمع وخدمته ، كما كثر الحديث في أحيان أخرى عن القصور والتسيب في نظامنا التعليمي عامة ، ومحاولات تشخيص العلاج لهذه الظواهر .

ورغم كثرة المحاولات الجادة لتشخيص العلاج ، فانها جميعا ظلت قاصرة عن القاء الضوء على الدور الهام والاساسي للاستاذ الجامعي ، على طريق الاصلاح الحقيقي للجامعة المصرية خاصة ، والنظام التعليمي المصري عامة .

لا يختلف اثنان على أن الاستاذ الجامعي المصري - رغم كفاءته - يعاني في السنوات الاخيرة أزمة حقيقية تكاد تعصف به تماما ، وتذهب

بالبقية الباقية من مكانته الاجتماعية التى كان يتمتع بهـــا فى الماضى ·
وتتلخص أبعاد الازمة فى الجوانب التالية :

## اولا : الحرية

لا ينكر أحد ان الجامعة هى المجال الحقيقى والمتسع للجدل والمناقشـات الحرة تماما ، والبعيدة عن التعصب لرأى أو فكرة ، كما انها المكان الوحيد الصـــالح لتبادل الآراء والافكـــار ومناقشة قضايا المجتمع ، أيا كانت صعوبة هذه المشكلات وحساسيتها ·كما لا ينكر أحد أن الاستاذ الجامعى ـ بحكم مكوناته وخبـراته ومؤهلاته ـ قادر على ادارة هذا الحوار الحـر بروح العـــلم السمحة وأساسـياته المعـروفة ·

لكن السنوات الاخيرة شهدت ـ رغم ادعاءات الحرية والديمقراطية ـ كبتا نفسيا هائلا ، وضـــغطا عقليا لهؤلاء الاساتذة وصل فى بعض الاحيان الى تجنيد بعض الطـــلاب للتصنت على اساتذتهم ، والى حد السجن والتعذيب وتلفيق التهم لبعض الاساتذة والاغراء بالمناصب للبعض ، والفصل من العمل والابعاد عن الجامعة للبعض الآخر ،ومراقبة مطبوعاتهم وتسييســـها فى بعض الاحيان ·

ولقد تسبب ذلك فى هجرة بعض علمائنا واساتذتنا ، وتركهم للوطن ، والاستقرار فى الغربة على الرغم من حبهم الشديد لهذا الوطن ، ورغبتهم فى العمل على تقدمه واسعاده ، وكذلك فى انصراف الغـــالبية العظمى الى الاكتفاء على محاضراتهم ودروسهم فقط ، والقـــاء هذه المحـــاضرات والدروس فى عبارات واضحة محددة،لا تحتمل أية تأويلات ، وعدم السماح بالمناقشات وابداء الآراء فى كثير من قضـــايا الوطن الملحة والحيوية ، مما حرم الشباب من فرصة الاستفادة من خبرة هؤلاء الاساتذة ، واندفعوا يبحـثون عن اجابة لما فى أنفســــهم خارج الجامعة ومن غير المؤهلين ، وفقد الاساتذة مكانتهم بين طلابهم كمربين ومرشـــدين وموجهين عنـــد الازمات ووقت الضرورة · وبالتالى فقد شعبنا فرصا وآراء كان من الممكن أن تساهم معه فى حل ازماته ، أو تساعده على عبورها بأمان ، ولم تعد للعلماء من شعبنا مكانة يحترمها الناس بل عمدت أجهزة الاعـلام فى الصحافة المصرية وغيرها الى التقليل من هذه المكانة بتركيزها على سلبيات هذه الفئة التى يجب أن نعمل جميعا على دعمها واحترامها ·

## ثانيا : الناحية المادية

تلعب المادة دورا أساسيا فى تقييم نظرة المجتمع الى الافراد ، ونظرة الافراد الى أنفسهم ، وخاصة فى هذه الايام التى ارتقت فيهـا المادة لكى تصبح تقريبا المعيار الوحيد لتقييم الناس ، وساعدت أوضـــاع أعضاء هيئة التدريس المالية فى حدة الازمة التى يعانون منها ، مما أصابهم بنوع من الاحـــباط نتيجة للواقــــع الذى يعايشونه والفكرة المفترضة فيهم · ولعل ذلك سببا مباشرا فى انصراف أساتذة الجامعة ـ على الاقل البعض منهم ـ عن أعطاء العملية التعليمية حقها الكامل من وقتهم وجهدهم ، والى ظهور مشكلة الدروس الخصـوصية بين الجامعيين ·

## ثالثا : الحقوق المدنية

ونصل هنا الى مشكلة أساسية فى حياة الاستاذ الجامعى وهى من يدافع عن حقوق الاستاذ الجامعى ؟ فالتدريس الجامعى مهنة ، وهى وان كانت من

## قضايا جامعية

اشرف المهن فانها لا تتساوى فى الحقوق مع غيرها من المهن داخل هذا المجتمع . وليس أدل على ذلك من عدم وجود نقابة أو هيئة ينتظم فيها كل أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات المصرية ، تسعى للحفاظ على حقوقهم أو تعمل على توفير هذه الحقوق لهم .

هناك ما يسمى « نوادى هيئات التدريس » . وهى نواد خاصة بكل جامعة على حدة ولا يربطها ببعضها الا صلات واهية . وهذه النوادى لا تزيد فى كونها على مراكز اجتماعية يلتقى فيها بعض الاعضاء فى بعض الاحيان ليس الا . وليس لها دور يذكر فى نشاط اجتماعى او سياسى او وظيفى لاعضاء هيئات التدريس .. وبعضها يخضع لاشراف وزارة الشئون الاجتماعية ، ويتقاضى اعانة سنوية لا تزيد على حد علمى على خمسمائة جنيه مصرى وحين تطلعت بعض الانديه الى أن يكون لها دور على مسرح الاحداث العامة ، مثل محاولات نادى هيئة التدريس بالاسكندرية ، حين استغل فرصة اللقاء السنوى لسيادة رئيس الجمهورية الراحل مع أعضاء هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية ، ليناقش معه بعض القضايا العامة ، وليتقلوا اليه فى أدب واستحياء بعض مشاعرنا ، اذ بالنادى يفرغ من محتواه بتعيين رئيسه عضوا فى مجلس الشورى ، والغاء اللقاء السنوى الذى كان يعقد فى السادس والعشرين من يولية ، ذكرى رحيل الملك عن مصر فى عام ١٩٥٢ ، ونظم لقاء آخر – فى الاسكندرية – فى ذكرى ١٥ مايو اقتصر على خطاب لرئيس الجمهورية فقط .

اما باقى الاندية ، فانها تعانى من المشاكل لتدخل السلطة السياسية فى انتخابات أعضاء مجالس ادارتها . ويكفى خضوعها لقانون العيب كما انها مجبرة بحكم هذا القانون على عرض أسماء المرشحين لمجلس ادارتها على المدعى العام الاشتراكى ، وأن تمنحه مدة ٢٥ يوما للموافقة على أسماء السادة المرشحين . وهذا القيد الثقيل يتسبب فى انصراف الغالبية العظمى عن المشاركة فى أنشطة الاندية وانتخاباتها .

### ● من المسئول ؟

اذن من المسئول عن الاستاذ الجامعى ؟ أهى وزارة التعليم العالى ؟ لقد الغيت هذه الوزارة من مدة طويلة بحجة استقلال الجامعات ،

مما حرم هيئات التدريس من وجودوزير يمثلهم فى مجلس الوزراء وتسبب ذلك فى الفصل بين الجامعات وصعوبة التنسيق بينها · ولست أعنى بذلك التقليل من دور وزير التعليم فيهذا المجال باعتباره رئيس المجلس الاعلى للجامعات ، لكن المشكلة أن المجلس ركز اهتمامه فى القضايا التعليمية دون مشاكل الاساتذة وقضاياهم ·

**دور رئيس الجامعة :**

قد يرد على الخاطر مباشرة أن رئيس الجامعة هو المسئول عن كل ذلك ، ولا ننكر مسئولية رئيس الجامعة عن قضايا كل العاملين فى الجامعة ، لكن مشكلة رئيس الجامعة أنه محمل بأعباء كثيرة لا يمكن حصرها · ويأتى على رأس الجامعة بالتعيين دون انتخاب حر ديمقراطى من رجال الجامعة مما يضع الرجل فى موقف حرج بين متناقضات متطلبات وظيفته ·

ان جعل منصب رئيس الجامعة بالانتخاب ، وعدم القابلية للعزل ، قد يجعله مدافعا عن حقوق أساتذة الجامعة التى هى أولى الاساسيات لاصلاح نظام التعليم · كما يجب أن يكون الرئيس متفرغا ، ولا يحق له الجمع بين رئاسة الجامعة وعضوية المجالس النيابية حتى يتفرغ لاعباء منصبه ·

**الحصانة الجامعية :**

هل نختلف فى أن كرامة الاستاذ الجامعى هى الاساس فى اعطائه قيمته الحقة ، وهل نختلف فى انه قد وصل الى مكانته هذه بعلمه واجتهاده ومن ثم يجب الحفاظ له على ذلك ، وأن نصونه بعيدا عن أى امتهان أو تقليل من مكانته ·

ان بعض فئات المجتمع الخاصة تتمتع بحقوق دستورية تحفظ لها هيبتها ومكانتها ، فرجال الجيش لا يتم التحقيق معهم الا بحضور مختصين من النيابة العسكرية ، والقضاة مستقلون لا يعزلون ، والصحفيون تدعمهم نقابة الصحفيين ، والمحامون من خلفهم نقابة المحامين ، فمن للأستاذ الجامعى ؟ أكررها ، وهو الذى علم هذا القضاء ، وعلم ذلك المحاماة ·

ترى أليس من حق الاستاذ الجامعى الا يقبض عليه أو يحقق معه الا بحضور أحد أساتذة كلية الحقوق فى جامعته أو من تنتدبهم الجامعة لحضور هذا التحقيق فى حالة التعرض للمساءلة ؟ · اننى لا أطالب أن يكون هناك أحد فوق القانون ، لكننى أطالب فقط بالحفاظ على مكانة الاستاذ الجامعى وهيبته ، لان حريته وكرامته من حرية الوطن وكرامته · وليس من المطالب المبالغ فيها أن توجد حصانة جامعية تمنع القبض على الاستاذ الجامعى ، وتمنع عزله أو ابعاده عن عمله الا اذا توافرت الادلة الحقيقية على انحرافه وارتكابه ما يستوجب العقاب ، وأن نحافظ على سمعة الاستاذ الجامعى ولا نشهر به حتى تثبت ادانته قضائيا ، ويجب أن يعلم الجميع أن أعضاء هيئات التدريس بشر ، وأن انحراف أحدهم أو بعضهم لا يضير مجتمعهم بكامله ·

## رابعا : التامين الصحى

قضية أخرى أشير اليها ، وهى حرمان أعضاء هيئات التدريس من

قضايا جبوبة

نظام العلاج أسوة بكثير من المؤسسات والشركات والهيئات • فليس هناك فى الجامعات مشروعات لعلاج الاعضاء وأسرهم سواء بالمجان أو بالاجر المخفض ، رغم اهمية هذه المشكلة •

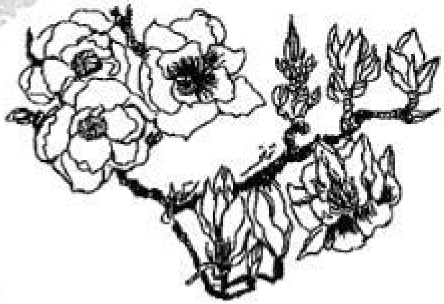
انتى اشيد هنا ـ بهذه المناسبة ـ ببعض الزملاء الكرام من اساتذة كليات الطب الذين تبرعوا بتخفيض أجور الكشف لزملائهم فى نفس الجامعة بنسبة ٥٠٪ ولكن ذلك لا يكفى لان قضية العلاج أساسية ، وتتطلب حلا قوميا على مستوى كل جامعة أو الجامعات جميعها • ومن ثم اطالب بايجاد نظام متكامل للكشف والعلاج فى حدود امكانيات الاعضاء •

بالاضافة الى كل هذه المشاكل ، هناك قضايا اخرى كثيرة تتعلق بنظام الترقى ، والسنوات المطلوبة لكل فترة من فترات حياة الاستاذ الجامعى ، والتفرقة القائمة فى هذا المجال بين الجامعات الاقليمية والجامعات المركزية مما سبب خللا فى الكادر الوظيفى بين أعضاء هيئات التدريس ، وأثار بينهم عوامل منافسة وعدم تكافؤ ، وليس هذا مجال التعرض لهذه المشكلات •

الى جانب ذلك كله ، أعترف بمسئولية أعضاء هيئات التدريس عن الكثير من جوانب النقص ، وأن هناك الكثير من السلبيات الناجحة عن سلوكهم ومن أنفسهم ، وعلينا ايضا أن نناقشها بنفس الصراحة ، حتى نطهر مجتمع أعضاء هيئات التدريس من الكثير من الشوائب التى تؤخذ عليه •

هل يكفى ذلك كله للفت نظر المسئولين الى واقع أساتذة الجامعات لاخذه فى الاعتبار على أساس انه الخطوة الاساسية الاولى فى اصلاح التعليم الجامعى ، ومن ثم تطوير التعليم عامة فى مجتمعنا ، مما يساهم فى نهضة بلادنا وتطورها • أدعو الله ، والله ولى التوفيق •

# لحظات الإبداع



شعر: عبده محمد سلطان

إذا نظرتمْ إلى نظمى وأقوالى
بكلّ حرْصٍ كما كنتم لأمثالى
وَحُكْمَ العدل فى شعرى وحكمَتِهِ
وافصح الشّعر عمّا دار فى بالى
وجاد شرحاً لما ابغى وأمُلهُ
واظهر المُختفى عنكمْ بأحوالى
لَرَاقكمْ كلّ نظمٍ خطّهُ قلمى
وإنْ سلوتم قريضى لستُ بالسّالى
"هلالكم" راقنى حتىّ تملّكنى
شوقٌ لألقاهُ يوماً بعد ترحالى
فلا يَصُدّنَكُمْ شعرى لكثْرتِهِ
فقد اتانى بوفرٍ بعد إقلال
هيهات يأتى إذا ولّى لمقصِدِهِ
وصدّنى الهمُّ عنْ تحقيق آمالى
كم من ليالٍ سهرت الليل أطلُبُهُ
وقد جفانى ولم يوفى بإقبالِ
والنّاس قاطعتهم حتى أُهذّبهُ
من غير خلٍّ ولا راعٍ ولا والِ
فاسْألُ الله انْ تبقى مَودّتنا
وَيُعْجَبُ النّاس من شعرى وأقوالى

قصة قصيرة

بقلم: د. محمود اسماعيل

# السادة المحترمون

## اشياء

غرفة فسيحة قميئة.. صور سريالية تطل خلال بقايا طلاء رمادى داكن .. « اخناتون » يختنق فى غبار لوحة يتيمة .. مروحة - تلبيبا - تعارك - عبثا - اشعة شمس خريفية متلصصة .. منضدة زان مستطيلة تتحدى جبروت الزمان .. مفرش جوخ اخضر يستر ما امكن من عورات المنضدة .. اوراق مسطرة واخرى مقسمة الى مربعات تدارى ثقوب المفرش المهلهل .. فوق المفرش تناثرت اقلام بعضها ثمين ومعظمها بخس .. مقاعد خشبية فى عمر المنضدة تنظر شذرا المقاعد من جلد - زائف - تصغرها سنا - كليم اسيوطى يفرش ربع مساحة الغرفة المتربة .. تليفون صامت - بلا ارقام - يرقد مستسلما فوق مكتب « ايديال » حديث ..

## اشياء اخرى

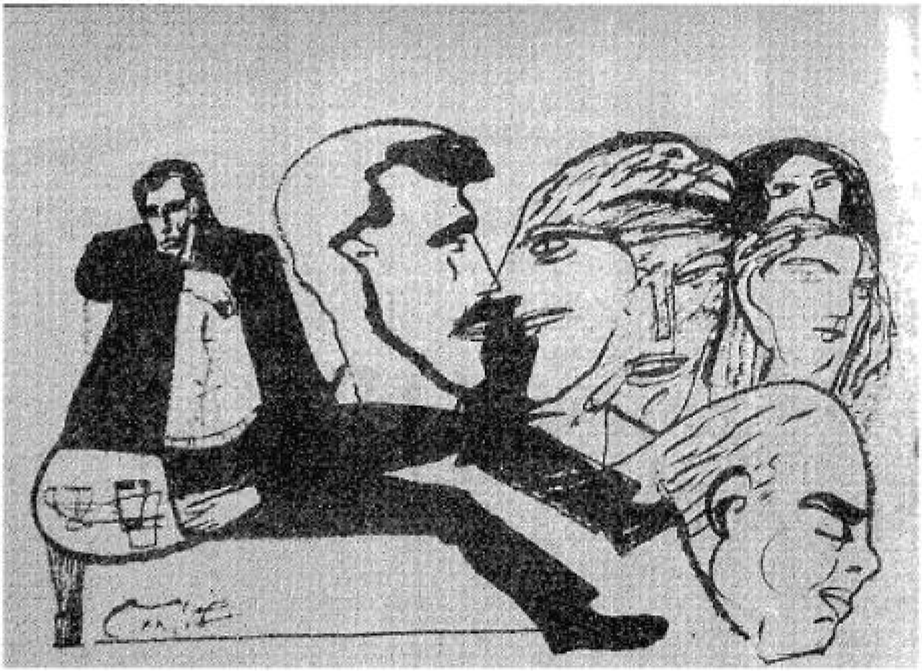
وجوه ادمية متباينة الملامح والاعمار تصطنع وقارا حول المنضدة .. صناديق تبغ اجنبى ومحلى تنتظر حكما بالاعدام حرقا .. عدد من القداحات وصناديق الكبريت تترقب لحظة تنفيذ الحكم .. مطفاتان من بللور محلى بخس.. عدد من فناجين القهوة واكواب الشاى والحلبة والكركديه بعدد الافواه الملتفة حول المنضدة .

## ملامح الوجوه

من الصعب رصدها لعدم استقرارها على حال .. !! ويمكن القطع بانها تختزل كل انفعالات السعادة والتعاسة .. الجهامة والانفراج .. الاستحسان والامتعاض .. الانفة والاحتقار .. الزهو والخنوع .. الخبث والسذاجة .. الصرامة واللطافة .. العجلة والصبر .. التوثب والانساب .. التوثب والانسحاب .. الاكتئاب والابتهاج .. العدوان والمسالمة .. الاقدام والاحجام .. الوضوح والابهام .. التحفز - التطاول .. العدوان .. !!

## حركات الايدى

قبضة تلوح بالسبابة .. كفان تلتقيان عند نقطة نظام .. ابهام بين الاسنان .. يد تعبث بالنقود .. اخرى تلكم المنضدة .. ثالثة ترسم بالسبابة والابهام حرف الـ ٧ .. رابعة تكتب .. خامسة تشطب .. سادسة تصافح .. سابعة تمد سبابتها لعين مجاورة .. ثامنة تلكز .. تاسعة تلكم .. عشرات تفصل .. !!



### حركات الارجل

بعضها بحذاء بعض .. بعضها فوق بعض.. بعضها منفرج .. بعضها ملتئم .. بعضها يبوس بعضها .. رجل تنبه .. أخرى تحذر .. ثالثة ترتعش .. رابعة تنتفض .. خامسة تستند على جارتها .. سادسة تخلع حذاءها .. سابعة تركل .. ثامنة تتاوه ..تاسعة تهرب .. عشرات تغادر .. !!

### اصوات

انا الاستاذ .. انا تلميذك .. هذا في اطار التخصص .. شهادتي من اكسفورد .. مؤلفاتي اكثر .. انت غير متفرغ .. كنت في اعارة .. صالح الطلبة.. النصاب القانوني ـ الساعات الاضافية.. عشرون الف دولار .. الميزانية لا تسمح.. رأى الاغلبية .. هذا تطفل .. هذا تطاول .. ساعتذر نهائيا .. اخزى الشيطان المسالة زادت عن الحد .. قسما بالله .. والمسيح الحى .. انا .. انتم.. انت .. انت وغد .. انت نصاب .. يا ابن الـ .. !!

### الاشياء مرة اخرى

الغرفة كما هي بمحتوياتها.. ما استجد هو : توقفت المروحة .. زحزحت المنضدة .. المقاعد مختلطة .. صناديق التبغ خاوية .. المطفاتان طافحتان .. سودت وجوه بعض الاوراق المسطرة برسوم ساذجة لزهور ووجوه آدمية وحيوانية وطيور وخطوط متداخلة وكلمات غير مفهومة واشكال هندسية .. سودت وجوه بعض المربعات وبعضها الاخر على حالته الاولى .. وبعض ثالث مزق..

الغرفة خالية الا من الرئيس .. الرئيس في تشنج يدق رأس التليفون الاخرس .. يرد عامل .. يصيح فيه الرئيس : وصلني بالسيد العميد فورا .. !!

فشل السادة المحترمون في توزيع مواد العام الدراسي الجديد .. !!

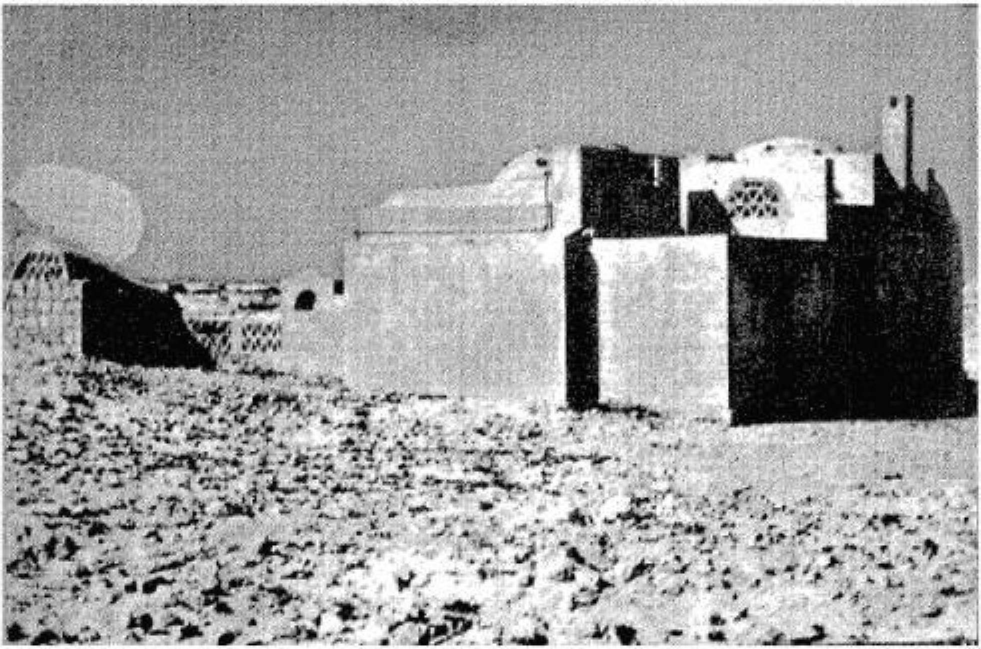
دروب العبقرية

# حسن فتحى

# والهوة بين النبوغ والواقع

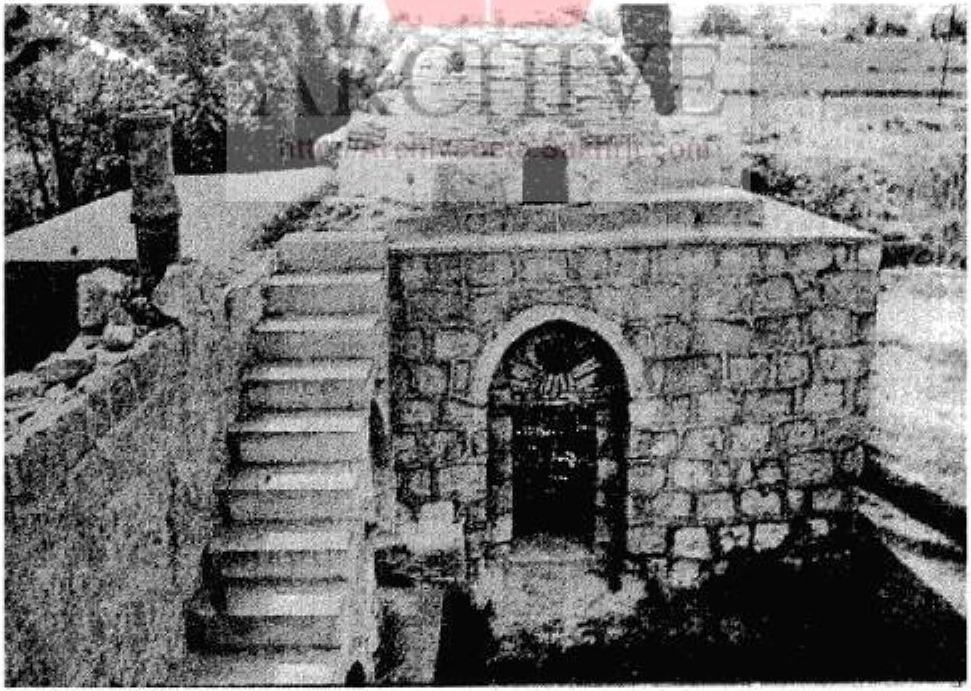
بقلم: محمد فتحى





الركن الجنوبي من احد المباني التي صممها حسن فتحي

بيت رياض ٠٠ نموذج شهير من تصميمات المهندس حسن فتحي



# حسن فتحي

**خمسون سنة تقريبا والمهندس النابغ حسن فتحي لا يكف عن الدعوة لافكاره بين ظهرانينا ، دون ان يجد منا اذنا صاغية ، او تجد افكاره ما تستحقه من تجسيد في ربوع بلادنا .. لكننا ننخرط اليوم ، مع مجيء اسم الرجل الينا على متن جائزة عالمية ، في التصفيق له والتمسح فيه ..**

**ورغم ان هذا التصفيق قد يرضي جانباً من نفس حسن فتحي فان نابغة زاهدا مثله لا يمكن ان يقنع بجائزة اقل من خدمة افكاره لمواطنه « الانسان الفقير » الذي كرس حسن فتحي حياته كلها له ، ومن خدمة هذه الافكار لشعبه، بدرجة لا تقل عما خدمت به شعوب العالم الاخرى ..**

لعلها حقيقة من اقسى الحقائق على نفس الانسان الذي يهب حياته مخلصا لمواطنيه أن يجد العالم كله مقتنعا بافكاره دون أن يستجيب لها بنو جلدته .. وأن يجد افكاره تخدم الناس في الشرق والغرب ( من الهند حتى أمريكا الجنوبية ) بل وحتى في اسرائيل ( ! ) دون أن يستفيد منها اقرب الناس اليه .

ولكونها حقيقة مؤسية تكشف عن الهوة بين النبوغ الفردي والواقع الاجتماعي يستلزم الامر الوقوف عندها ، بما تستحقه من اسهاب .. ولا بأس أن نبدأ القصة من أولها .

● **عقدة الذنب والمسئولية**

لم تكن علاقة المهندس الشاب حسن فتحي بالريف تتعدى ، حتى يوم تخرجه ، علاقة السماع عن بعد .. ويوم بدأ عمله الهندسي وقاده هذا العمل الى طوخ ، ثم الى واحدة من عزب والده العديدة ، كانت صدمة مروعة ربطته ، هو سليل الاغنياء ، بالفقراء مرة والى الابد .

امام بيوت الطين المعتمة القذرة ، المبنية بلا نوافذ ولا دورات مياه ، المكومة على بعضها في كآبة ، التي يتجاور فيها الناس مع المواشي في حيز واحد .. امام ذلك كله احس حسن فتحي بما يشبه عقدة الذنب ، كما احس بمسئولية شخصية عن هذه المأساة .

**بات المهندس الشاب وشغله الشاغل**

هو البحث عن حل لهذه المشكلة ، وقادته روافد عديدة الى حل ناجع اخذ عليه لبه ووجدانه فكرس له حياته .

احد هذه الروافد نبع من دراسة العمارة الفرعونية والقبطيةوالاسلامية من جانب والعمارة « الشعبية » فى مختلف الوان تجسدها من جانب اخر، حيث استخلص الرجل خلال الدراسة السهبة المتأنية عوامل الاستمرارية فى كل من العمارتين .. ولم يكن ذلك تمسكا بأهداب الماضى بقدر ما هو فهم للعلاقة العضوية بين البيئة والانسان وضرورة ارتباط العمارة بهما ، الامر الذى لابد أن تنعكس « نثرياته » فى حركة البناء على امتداد التاريخ .

وعلى أهمية هذا الرافد العمارى ظل الشىء الاساسى الذى يحكم فكر حسن فتحى هو الطابع الانسانى للمسكن .. أى الطابع الذى يجعله يلبى احتياجات الانسان النفسية والعاطفية بقدر ما يلبى احتياجاته المادية .

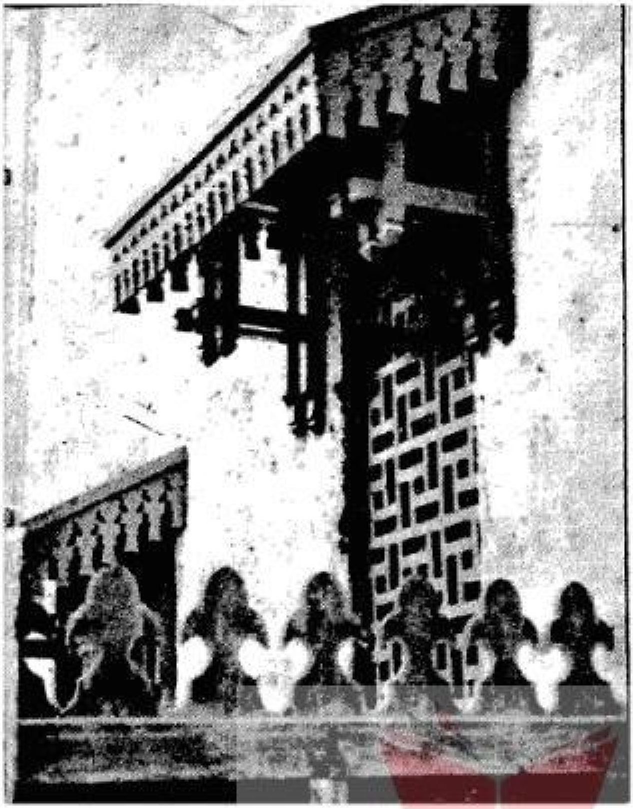
## ● عمارة الانسان الفقير

المهم انه مشاركة فى الزخم الوطنى الذى لف المجتمع مع ثورة ١٩١٩ ، واعتمادا على الثقافة الشاملة التى تجمع بين الرسم والدين والموسيقى والادب ، واستلهاما للتراث فى ضوء التجارب الابداعية الحديثة ، خرج حسن فتحى بحل عبقرى لمشكلة بناء مسكن للانسان الفقير يبدأ من ضرورة تعبير الناس عن احلامهم وآمالهم بصدد البيوت التى يرغبون فى سكناها وأخذ ما يعبرون عنه بعين الاعتبار ، ويمر بتدريبهم هم أنفسهم على طرق الانشاء التقليدية بعد اخضاعها للقوانين الهندسية والظروف البيئية المختلفة ولمفاهيم العلوم الانسانية ( الاجتماع ، والسكان ، و ... ) ، مع الاعتماد أساسا على الامكانات المحلية فى البيئات المختلفة ( الحجر الجيرى ، والطفلة ، و ... ) ، والاحتفاء بالقبة كعنصر عمارى أساسى كحل لمشكلة السقوف المسطحة ، وكعنصر لتكييف جو المسكن صيفا وشتاء ، مع الاهتمام بالرونق العام والمسحة الجمالية الجديرة بالانسان .. وتلك كلها أمور لا تحصر فقط التكاليف واستخدام المواد الغالية المنقولة والمستوردة ( حديد التسليح ، والاسمنت ، والاخشاب ، و ... ) فى أضيق نطاق ، بل تساعد على راحة الانسان وتحفظ له آدميته وصحته البدنية والنفسية ...

ولم يكتف المهندس النابغ بالتصور النظرى العلم الذى توصل اليه ، بل جاهد فى بناء نماذج متعددة مثل قرية القرنة بالبر الغربى للاقصر وقرية باريس فى الواحات ، واستراحة الساحل الشمالى فى سيدى كرير .

وتطلعا منه الى تعميم هذه النماذج راح يحلم بانشاء مؤسسة علمية غير تجارية أو معهد للتكنولوجيا الوسيطة يكون ضمن مهامه وضع دليل عمل لتصميمات وانشاءات « العمارة

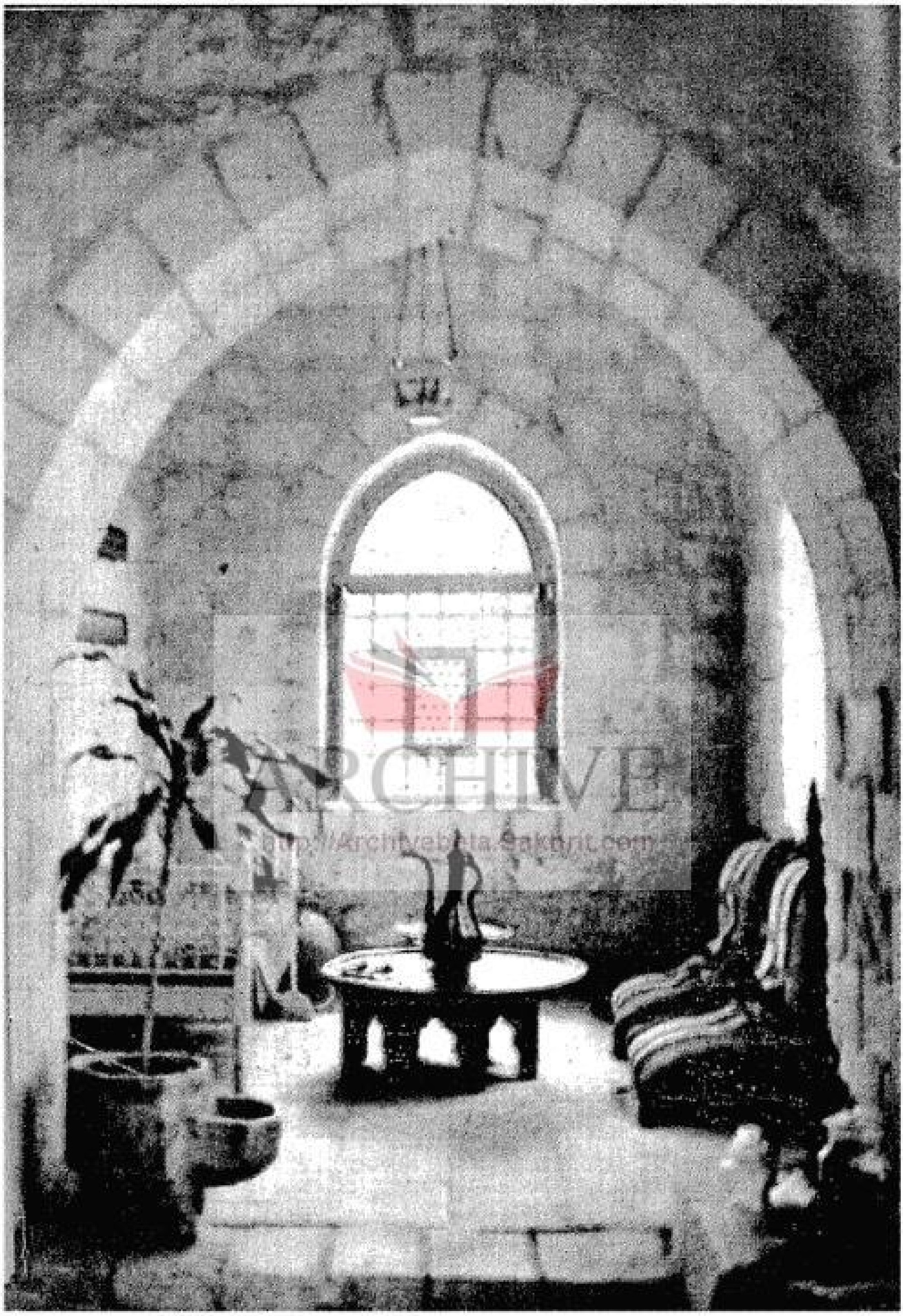
# حسن فتحي



النافذة العربية ..
الشكل الجمالي والشمس
والهواء ...

نافورة .. مغزولة
بالارابيسك ...





# حسن فتحى

الانسانية » ، واقامة مشروعات ارشاديه ونماذج للبيوت ، يمكن أن تبنى بالتعاون بين الناس ، باستعمال التكنولوجيا الوسيطة والمهارات الاساسية ، وتربية المشرفين الذين سيحتاج اليهم الناس خلال عملية البناء الذاتى ، ذلك بالاضافة الى تدريب البنائين والصناع المهرة

## ● غياب الابعاد التنموية الاستراتيجية

وعلى الرغم من كون التصور السابق تصورا استراتيجيا متكاملا من وجهة النظر التخصصية المهنية ، فانه لم يتجاوز اطار المشروع الرومانسى ، ولم يكن ليمر فى مجتمع تأسر الباب المتخصصين المتقربين فيه العمارة الاوربية الباهظة التكاليف ، التى لا يمكن التفكير معها فى بيوت لجموع الفقراء ، بالذات ومن يحترف بناء البيوت لا يفكر الا فى نوعية البيوت التى يمكن أن تدر أرباحا كبيرة .. **ذلك بالاضافة الى حاجة مشروع من هذا النوع الى سياسة متكاملة لادارة الاسكان وتوفير الاراضى ضمن تصورات استراتيجية ابعد تأخذ بعين الاعتبار السياسات الاقتصادية وسياسات التنمية ، بجوانبها الاجتماعية والحضارية والبيئية ، وبالذات فيما يخص انشاء مجتمعات** جديدة بعيدة عن الرقعة الزراعية ووادى النيل ، وتلك كلها أمور تطرق أبواب المجتمع طرقا هينا بعد ، فما بالنا بمصر الثلاثينيات والاربعينيات .

المهم انه حين كل حسن فتحى من الصراخ والسعى لجأ الى القلم وخط صفحات كتابه « قصة القريتين » . **لكن ناشرا عربيا لم ير اهمية لان يخرج هذا الكتاب الى النور . وما كان من حسن فتحى الا ان ترجم كتابه الى الانجليزية ، لا ليجد طريقه الفورى الى النشر فقط ، بل وليحدث دويا هائلا ..**

## ● قبلة فقراء العالم

لقد جاءت افكار النابغ المصرى تلبية لحاجة عالمية عارمة يمكن أن ندركها اذا عرفنا اولا أن احصائيات الامم المتحدة تبين أن خمس سكان كوكبنا ( الف مليون نسمة ) يعيشون فيما يشبه العراء ، وأن خمسين الفا من هؤلاء يموتون سنويا بفعل ظروف التشرد القاسية .. وأن المستقبل فى هذا الصدد سيكون أشد قتامة فعدد من لا مأوى لهم سوف يتضاعف اذا ما تطور الامر على النحو الراهن ، ليصل قبل نهاية القرن الى ٢٠٠٠ مليون شخص .. واذا عرفنا ثانيا أن دراسات مختلفة تكشف أن عدد المساكن الواجب اقامتها خلال ما تبقى من سنوات القرن العشرين ، للتغلب على هذه المشكلة ، ينبغى أن يتجاوز ما بنته البشرية جمعاء منذ أن عرف الانسان كلمة المأوى أو البيت ، بعد أن كان يعيش فى الكهوف منذ فجر التاريخ .

لم يكن بمقدور المعمارى الغربى ( ومن باب أولى المتغربون ) ان يعى ظروف العالم الثالث أو الفقير ، الذى يعيش فى بيئة مختلفة تماما ، ولم تكن القضايا التى أثارها حسن فتحى تقتصر فى اهميتها على مصر ،

لهذا توالت الطبعات الانجليزية من كتابه ، وترجم الى ٢٣ لغة ، وصار مرجعا أساسيا من مراجع العمـــارة فى جامعات العـــالم •• ولم يقف الامر عند هذا الحد •

مع الزمن صـــار حسن فتحى قبلة البلدان الفقيرة فارسلت انديرا غاندى تطلب حضوره الى الهنـــد ليمارس نشاطه هنـــاك كمواطن شرقى يحوطه التبجيل والتكريم • واستدعته بعض بلدان امريكا الجنوبيـــــة ليبنى لهم نماذج من عمارته ، وليعلم النـــاس طرق انشائها ، وباتوا يستغلون مـــا تعلموه منه حتى صــــاروا يبنون مطـــاراتهم ( سان تافى ) بالطـــوب النيء ••

ومع الزمن تصـــاعدت مظـــاهر الاحتفاء بأفكار حسن فتحى ، وجهود الاستفادة منها حتى بلغت درجتيمكن أن ندرك أبعـــادها من تبنى الامم المتحدة طوال عام ١٩٨٧ ( العـــام الذى أعلنته عاما لايواء من لا مسكن لهم ) افكار « عمارة الانسان الفقير »

والطريف أن الصيحة التى أطلقها حسن فتحى حول البنـــاء الافقى مع

البوابة الداخلية لبيت رياض •• يمثل الواقع المجسد لحلم المهندس حسن فتحى



حسن فتحى

مراعاة الظروف البيئية ، وبصفتها عمارة للفقراء ، تجد طريقا حاليا كصيحات مستقبلية تحاول انتشال انسان المدن الكبرى الـذى يعيش بعيـــدا عن الطبيعة ، غارقا وسط مؤثرات سلبية مثل الكثافة السكانية وعجلة الحياة المتسارعة والضوضاء والاهتزازات ، والهـواء والمياه الملوثين ، بعد أن ظهر ما تنطوى عليه الغابات الخرسانية من عوامل تحت الاصابة بالازمات القلبية والقـرح المعدية والامراض العصبية والنفسية

و ٠٠٠ ، وخير دليل على ذلك مشروع المعمارى الامريكى باولو سولارى ، الذى اشتهر فيما مضى بقدرته على تخطيط المدن العصرية وتنفيذ أعقد التصميمات وأكثـرها غرابة ، ثم كرس حياته أخيـرا لوضع مشروع بنور فى تلك افكار حسن فتحى هـو مشروع مدينـــة اركاسنت فى ولاية اريزونا ، ووقف نشاطه على تنفيذه بالجهود الذاتية ٠

● التكريم الحقيقى لحسن فتحى

وكان من الطبيعى بعد ذلك كله أن تتوالى الجوائز ومظاهر التقدير على حسن فتحى من جميع أنحاء العالم ٠ وهكذا وصلنا الرجل من الغـرب ،

منزل القبة : التهوية والاضاءة ٠٠ والاتساع



وهكذا رحنا نهلل ونصفق له ونتمسح فيه . وكل ذلك يمكن أن يبقى مجرد مظاهرة مرضية ما لم نتجاوزه الى ماهو أجدى بالنسبة لمجتمعناوبالنسبة للتكريم الحقيقى لحسن فتحى - كما يراه هو نفسه - وهو أن يستفيد الانسان المصرى الذى بذل الرجل حياته فى سبيله .. من أفكار عمارة الانسان الفقير .

لقد بينا من قبل كيف عاكس الواقع المتخلف المشروع الرومانسى الطليعى لحسن فتحى لكن ظروف مصر تغيرت كثيرا ، حتي انه لا يكاد يمر يوم الا ونسمع أنه لا أمل للانسان المصرى فى عيش كريم ما لم يخرج من الوادى الضيق للنيل ، الى جوار أحاديث عن ضرورة بناء المجتمعات الجديدة والهجرة الى الصحراء وبناء وحدات سكنية لاستيعاب الاسر التى تعيش فى الاكواخ والمدافن ، وللقضاء على ظاهرة اشتراك أكثر من أسرة فى شقة واحدة ، ذلك بينما نسمع تأكيدات رسمية حول تبنى الدولة توفير الاراضى ومواد البناء .. ان كنا قد وصلنا الى هذه الاقتناعات فعلا فهل يمكن ان يشب بنا الطوق لتطور كل هذه الاحاديث الى تصورات استراتيجية تأخذ بعين الاعتبار السياسات الاقتصادية والانمائية ، بجوانبها الاجتماعية والحضارية والبيئية ، بما يجعلنا نطاول القامة العملاقة لحسن فتحى ونستفيد من أفكاره .

ان المرء قد يفهم حدوث التباس فى فهم مدى حاجة المجتمع الى أفكار عالم نابغ مهتم بشئون الفضاء مثل فاروق الباز ، أو عالم نابغ مهتم بزرع الاعضاء مثل مجدى يعقوب ، أو عالم نابغ ليكتشف أقمارا جديدة لكوكب زحل مثل عصام معروف ، أو عالم نابغ يقدم فتحا علميا وعالميا جديدا فى مجال أشعة الليزر مثل أحمد زويل .. أقول قد يحدث التباس فى ذلك كله لكنها مأساة فيما يخص مجتمعنا الفقير ( قبل أن تخص حسن فتحى ) أن يظل الرجل يدعو بين ظهرانينا الى عمارة الانسان الفقير ما يقرب من نصف قرن بينما تأخذ بخناقنا أزمة الاسكان ، ناهيك عن موجات الانشاء السرطان فى الريف والمدن على حد سواء .

المر .. الاضاءة والاتساع



# مع يحيى حقي ... في ذكرى ميلاده

# خطوط في صورة من بعيد

بقلم: محمد روميش

بقصة « قنديل ام هاشم » شارك مباشرة في التساؤل الذي يمور به ضمير الشعب في مصر — ان لم يكن ضمير الشعوب في الشرق — « انظر الحي اللاتيني لسهيل ادريس ، وموسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح » ·· هذه الحضارة الغربية الكاسرة ، وفي لحظة انتصارها هذه ، ماذا ناخذ منها ، وماذا ندع ·· واذا كان هذا هو تفسير « القنديل » الذي ارتضيه على ما سياتي تفصيلا فان « السلطة » بغبائها التاريخي ، فهمت « القنديل » على نحو اخر ، فبعد نشرها « سنة ١٩٤٤ » استدعى احمد حسنين باشا ، رئيس الديوان الملكي — فيما كان — يحيى حقي ، الذي تانق وذهب مختالا ، وادخل الى احمد حسنين ، كان واقفا وراء مكتبه ، وعاجل يحيى حقي ، مستنكرا وامامه نسخة من القصة :

— ايه ده يا يحيى اللي بتكتبه ·· مش شايف قدامك الا الفقراء ··

« مجموعة القنديل تتضمن قصصا اخرى عن اهالي الصعيد » « ويتابع احمد حسنين » يا أخي اعمل زي نجيب الريحاني !!

وتذكرني هذه الواقعة ، بما كتبه · لويس عوض ، وكان بصدد تحديد موقف الاديب نجيب محفوظ ، من ثورة يوليو ·

« ان نجيب محفوظ في ثورة يوليو كنجيب الريحاني من النظام الملكي ·· كلاهما ينتقد النظام من داخله » ·

وبقصة « صح النوم » أحب اعمال يحيى حقي القصصية الى نفسه ، لانها « تطبيق صارم للمبدأ الذي نادى به من ضرورة التزام الدقة والعمق في أسلوب الكتابة »

« اشجان عضو منتسب — في مقدمة المجلد الاول من الاعمال الكاملة ص ٥٢/٥٣ » ومن خلال هذه القصة اشتبك يحيى حقي — مع ثورة يوليو في جدل عنيف ، في وقت كان الكثيرون يترقبون وينتظرون · « هي أول عمل فني في أدبنا العربي تناول ثورة ٢٣ يوليو ، صدرت ولم يكن قد مضى على الثورة ثلاث سنوات ( ابريل ١٩٥٥ ) ولعلها كتبت قبل ذلك التاريخ بكثير ، اى في أعقاب الثورة ·· « سبعون شمعة في حياة يحيى حقي ص ٢١٩ » ·

ويحيى حقي نفسه يذكر انه في قصته هذه قد تنبأ وحذر من الديكتاتورية العسكرية ·· وفي القصة مشهد لا يغيب مغزاه ·· فالراوى — في القصة — بعد قيام الثورة ، فوجىء أن من يتولى تغيير احوال البلد من « الامس » الى « اليوم » قد

عصر النهضة . صورة صادقة وعميقة الغور للنفس الانسانية ، ويكتشف عبر المعاناة الدءوب ، مازال ونحن قراءه معه ، تشابك النفس الانسانية وتعقدها ، مجموعات « أم العواجز » و « الفراش الشاغر » و « دماء وطين » و « قنديل أم هاشم » و « صح النوم » و « عنتر وجولييت » .. وهو فى ابداعه القصصى ابن « المدرسة الحديثة » ذلك الاصطلاح الذى لا يخلو منه كتاب يؤرخ لتاريخ القصة المصرية ..

وكانت كلمة المدرسة الحديثة تطلق اطلاقا عاما ، واطلاقا خاصا ، ويقصد بالعام ، كل كتاب الطليعة ، الذين يثورون على القديم ويدعون الى التجديد ، .. أما من حيث الاطلاق الخاص ، فللآداب أنصار جدد ، انشطروا بحكم نزعات تفكيرهم ، الى مدارس متحدة الغاية ، مختلفة الوسائل .. هناك مدرسة لطفى السيد وهناك مدرسة المازنى وعبد الرحمن شكرى والعقاد .. وهناك مدرستنا» جريدة الفجر ٢٥ مارس ١٩٢٥ — أحمد خيرى سعيد — أو ناظر المدرسة كما يسميه يحيى حقى — وتمتاز هذه المدرسة بالعناية بالعلوم الحديثة والفنون الجميلة ، اهتمامها بالآداب « القصة القصيرة فى مصر — ص ٨٩ — عباس خضر — » ويضيف سيد حامد النساج أن « خلود العمل الفنى وبقاءه فى نظر أصحاب هذه المدرسة فى فن القصة ، كامن فى بعده عن القديم من ناحية ، وفى تجنبه محاكاة الاعمال التى لم تنبع من البيئة المصرية الواقعية ، وفى ارتباطه بالواقع المصرى شكلا وموضوعا واسلوبا .. متمسكة بالشخصية المصرية المستقلة « تطور فن القصة القصيرة فى مصر — طبعة ١٩٦٨ ص ١٦٧ » .



يحيى حقى

اطلع على أوراق ومذكرات الراوى فى غيبة منه .. وكان الراوى — فى القصة أيضا — يحذر من استفحال أمر العسس ، التى لا يجب أن يطلق لها العنان ، ويحيى حقى حين يتحدث عن قائد الثورة ، له تعبير محدد لا ينساه ولا يغيره ، ويذكره كلما ذكرت الثورة وقائدها « أنه رجل صعب » وهو يعنى أنه ليس من الصحيح أن تدين الرجل ، وتكتفى بذلك ، وأنت مرتاح الضمير ، كما أنه ليس من العدل أن تبرئه من الاخطاء ، وفيك روح المؤرخ المحايد.. « انه رجل صعب » ..

وبقصة « البوسطجى » كان أول من استخدم « الفلاش باك » أى البدء بالاحداث المتأخرة فى القصة « اشجان .. ص ١٥٢ »

وقد انعتق من تعثر بدايات الرواد ليسجل استشرافا ابداعيا باقيا .

وبعدد متواضع — نسبيا — من القصص القصيرة ، نسج على مهل ، على امتداد لنصف قرن ، وبروح فنانى

ويرجع يحيى حقي نشأة « المدرسة الحديثة » في القصة وتمسكها « بالمصرية » الى ثورة ١٩١٩ « ان القصة القصيرة تملصت بصعوبة من ابناء القصور ليتولاها ابناء الشعب ، ولم يكن هذا التملص الا انعكاسا ومجاوبة لتملص مصر ذاتها في ثورة ١٩ من عهد التبعية والاحتلال والحماية الى عهد التحرر وتثبيت الشخصية والاستقلال ·· وكان لابد ان يتحول الادب من الرومانسية الى صراحة المذهب الواقعي ·· ولكن كما ان ثورة ١٩ فقدت سريعا قدرتها على التحول من الانقلاب السياسي الى الانقلاب الاجتماعي ، كذلك بقيت المدرسة الحديثة عند اسفل السلم لم تتجاوزه الى فوق ، فقد اقتصر اغلب انتاجها على الوصف الفوتوغرافي ·

« فجر القصة القصيرة ـ المؤلفات الكاملة ـ ص ٢٥٢ »

وبفكره الثاقب ، وبروحه الصافية قدم في ابداع الناقد ، مشاهد حية ، من تاريخ القصة المصرية ·

وصاحب مدرسة « نقد ادبي » شجاعة وجسورة ، اقرأه وهو يقيم مسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم « تبدو للكثيرين ـ الاشارة واضحة الى توفيق الحكيم أن الادب في مصر فردي لا يصدر عن روح عامة قوية هي التي تعطي لتأخذ وتوحي لتستمع ، لكن ليس من العدل ان نلقي الذنب على مصر ، الذنب كله واقع على الكتاب الذين همهم أن يعلموها قبل أن يفهموها ، وعلى احساسهم الضعيف المنقطع عن روح مصر · لذلك فان هذا « الادب الفردي » لا يفترق عن الصرخة تدوي في واد أو عن الهباء يتناثر ، واذا نفق امام أعيننا ، فانه يمضي لا يستحق منا الشفقة والرثاء ·· ثم يتابع ·· هل لنزعات التصوف محل في مصر ، ان مصر في ميدان قتال مادي يستلزم منها أقصى ـ الجهاد ، وسلاحها فيه اعتداد بالنفس والتسامي بها والشعور بقيمة هذا الشعب المظلوم المردوم في الطين ·· فقصة « أهل الكهف » خطرة على شبابنا لانها تذيغ أبصارهم عن هذه الحقائق ·· على حين انه لا خلاص لمصر الا على يد « مجهود مشترك » يبذل فيه كل شخص أقصى ما لديه دون نظر الى منفعته المباشرة ·· « أهل الكهف » بالنسبة لتوفيق الحكيم نجاح ·· وبالنسبة لمصر مؤلف مشكوك في فائدته ··

وشارك ـ يحيى حقي ـ بهذا كله في تخليص اللغة العربية من قبضة العصور الوسطى ، وبرطمة الاجانب والمستعمرين والاغراب من مماليك واتراك وشركس ، وارناؤود ، وهو يرضى أن تغفل جميع قصصه وكتاباته ·· اذا لم يلتفت احد الى دعوته الى التجديد اللغوي ·· وهو يطالب باسلوب يتميز بالحتمية والدقة والوضوح ·· لان اللفظ وعاء الفكر ، ولا وضوح للفكر الا بالاسلوب العلمي الدقيق ·

« أشجان ··· ص ٤٥ » ولا مجال لان يصبح أدبنا أدبا انسانيا ، الا اذا تخلص أسلوبنا من عيبين كبيرين : الميوعة والسطحية ، لنعتنق بدلا عنهما التحديد والحتمية ·· أما صفة الصدق فأمر مسلم به « خطوات في النقد ـ المؤلفات الكاملة ـ ص ص ١٥٨ » ·

وهو مع ايمانه باللغة العربية الفصيحة « لانها هي الاقدر على بلوغ المستويات الرفيعة ، على ربط الماضي

بالحاضر ، على توحيد الامة العربية « اشجان ... ص ١٨ » فانه لايتردد فى استعمال كلمات عامية « لاننا كنا نتلهف أن يكون الادب صادق التعبير عن المجتمع » « المرجع السابق ص ١٨ » اقرأه وهو يرثى الفنان حسين رياض : ... كان حضور حسين رياض ينسيك أن تنشغل الشغل كله بأوصافه البدنية ، فلا ندرى أهو مكلبظ ، هل له كرش ، هل هو قصير الرقبة ، هل هو ملظلظ الاوداج « مدرسة المسرح ص ٩٦ » ، ولا أحد يجمع كلمتى « ملظلظ » و « الاوداج » معا الا يحيى حقى .

الا انه لا يطلق دعوته الى استعمال الكلمات العامية دون قيود ، انه يضع لها ضوابط وقوانين ، الا تكون فى اللغة العربية الفصيحة كلمة تؤدى نفس معنى الكلمة العامية ، وأن تحمل الكلمة العامية شحنة لا تتوافر فى الكلمة الفصيحة المقابلة ، وقد يعن لنا أن نختلف مع يحيى حقى ، فهو يرتكب الفعل ، ثم يبحث عن تبريره وتفسيره والرأى عندنا أنه نشأ فى بيت « غلب عليه الشغف برشاقة اللفظ .. والتنبه لزلة اللسان مهما كانت طفيفة « اشجان ... ص ٢٧ » .

الا أن البيت الذى نشأ فيه يحيى حقى يقع فى حى شعبى عريق هو حى السيدة زينب ، وكان يحيى حقى وهو خارج مصر يغلبه الحنين الى مصر والى تعابير مثل « يادلعدى » .. « اجرنه » أى ان البيت لغة العربية الفصيحة ، والحى الشعبى دس فى روحه حب اللغة العامية .

... صاحب مدرسة أفراد من الاجيال الجديدة ، فقد رأيناه وان انتسب الى « المدرسة الحديثة » التى أعقبت ثورة ١٩ ، فقد احس الجمود الذى أصاب هذه المدرسة ، وواصل هو مسيرة معاناة الخلق والابداع ، وحين عين فى أبريل ١٩٦٢ رئيسا لتحرير مجلة « المجلة » حتى ديسمبر ١٩٧٠ ، كانت فرصته أن يحول مقر « المجلة » الى ندوة متصلة لا تكاد تنفض « أشجان ... ص ٤٨ ـ ٤٩ » وبموقعه هذا قدم للحياة الادبية جيلا من القصاصين والنقاد والشعراء ، جيلا شكل ظاهرة ادبية ، لم تتكرر ، جيلا نشأ فى ظل سلطة سياسية قوية ، واحتفظ افراده باستقلاليهما الفكرى والفنى فى مواجهتها ، ولذلك سدت فى وجوههم منافذ النشر ، والنفاذ الى قرائهم .. ودفعوا الثمن .. ذلك هو ما عرف بجيل الستينيات ، الذى حول يحيى حقى مجلة السلطة الى « ندوة متصلة لا تكاد تنفض » يجد فيها افراد هذا الجيل ، من يستمع اليهم ، ويناقشهم ويرعاهم ، ويفتح لهم صفحات « المجلة » بعد أن كانت قبله ، وقفا على غيرهم ·بل ان يحيى حقى كان ينشر الاعمال الفنية ، التى لاتتفق مع منهجه هو فى الابداع ، الا انها كانت على مستوى النشر ، وهذا كاف .. وقد خاض يحيى حقى معركة شريفة فى ترقية هذه الكتابات ، وقد ضم كتابه « الشودة البساطة » وصاياه العشر لذلك الجيل الذى كان جديدا .. وفى بيت يحيى حقى كانت تمتد الندوات ، نحمل أوراقنا ، وبتهيب شديد ، ندق الجرس ، ويجىء الصوت الابوى الجميل الودود ، نسمعه ، وهو يفتح الباب ، وقبل ان نراه :

ـ أهلا ايها الصديق العزيز ...

ونفرد أوراقنا ، تحمل طين الدلتا ، وصحراء الصعيد وتحوم مقولته « ان القصة المصرية قد تملصت بصعوبة من قبضة أبناء القصور ، ليتولاها أبناء الشعب للتعبير الصادق عن الشعب »

# رسالة فى الصبابة والوجد

# محاولة روائية فى رحاب التصوف

محمد السيد عيد

**هذه هى أحدث روايات جمال الغيطانى ، الذى قدم لنا من قبل : الزينى بركات ، الزويل ، وقائع حارة الزعفرانى ، الرفاعى ، والتجليات .**

**ويعرف الذين يتابعون الغيطانى انه شديد الولع بالتراث ، وانه يقيم بناءه الروائى فى معظم أعماله على أسس تراثية ، ويعرفون ايضا أنه فى الفترة الأخيرة اهتم اهتماما خاصا بالتصوف .. ومن هنا تصبح « رسالة فى الصبابة والوجد » حلقة فى سلسلة متصلة .**

**ولعله من المفيد قبل أن ندخل إلى الرواية أن نقف وقفة قصيرة عند التصوف حتى يتسنى لنا أن نفهم ما أراد الغيطانى أن يعبر عنه ، وكذا طريقته فى التعبير .**

وبداية نقول إن تعريف التصوف ليس أمرا سهل المنال ، فقد قدم له الصوفية مئات التعريفات دون أن يتفقوا على تعريف نهائى ، ومن هذه التعريفات مايقوله الجنيد :

« التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به » .

ومنها تعريف الكتانى :

« التصوف صفاء ( أى صفاء النفس ) ومشاهدة ( أى مشاهدة لله ) » .

ومنها قول جعفر الخلدى :

« التصوف طرح النفس فى العبودية ( أى العبودية لله ) والخروج من البشرية ، والنظر الى الحق بالكلية » .

ومنها قول الشبلى :

« بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده .

فى العصر الأموى ، عندما تراكمت الثروة لدى الفاتحين ، وعرف المجتمع

# رسالة في الصبابة والوجد

بقلم

جمال الغيطاني

دار الهلال



جمال الغيطاني ..
متصوف في محراب الرواية

الاسلامى الترف ، وسكن العرب القصور بعد الخيام ، وأكلوا طعام الأمصار بعد التمر واللبن ، واقتنوا الجوارى الروميات والفارسيات ، وعرفوا مناطحات الكباش ، ومناقرات الديكة .. فى هذا العصر دخلت الحياة الروحية منعطفا جديدا ، إذ ارتبط التعبد عند البعض بالهروب من المجتمع ، فذهب العباد الى الجبانات فرارا من الحياة المغرقة فى الترف المادى ، وفرضوا على أنفسهم جوعا اختياريا ، وراحوا يذرفون الدمع غزيرا حتى رمدت أعينهم من كثرة البكاء .. وأصبح الخوف ـ هو سيد الموقف .

ولم يلبث الخوف الا قليلا ثم تراجع أمام شىء جديد بدأ يظهر فى الساحة ، وهو : الحب .. إذ رأى بعض العباد أن عبادة الله خوفا من ناره ، أو طمعا فى جنته ، انما هى عبادة التجار الذين يبحثون عن المنافع من وراء العبادة ، فاستبدلوا بهذا وذاك عبادة الله دون النظر لمنفعة ، لأن الله يستحق أن يعبد لذاته ، وقد عبرت رابعة العدوية عن هذه المعانى فى أقوالها بشكل جيد .. تقول رابعة :

« ماعبدته خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته فاكون كالأجير السوء .
عبدته حبا له وشوقا إليه »

ولم ينته المطاف بالحب عند هذا الحد ، إذ ظهر رجال غالوا فى هذا الحب ، وراحوا يعلنون اتحادهم بالله ، أو حلوله فيهم ، وكان الحلاج يقول « مافى الجبة إلا الله » ، وكان يقف فى قلب السوق يصيح شاكيا من دلال الله عليه قائلا :

« يا أهل الاسلام أغيثونى ، فليس يتركنى ونفسى فأنس بها .

وليس يأخذنى من نفسى فأستريح منها وهذا دلال لا أطيقه » .

### قصة رحلة علمية ولغة تراث

كانت هذه مقدمة لابد منها ، ندخل بعدها إلى رسالة الغيطانى فى الصبابة والوجد .. روايتنا عبارة عن رسالة طويلة من شخص الى آخر يروى له فيها قصة رحلة علمية قام بها الى الاتحاد السوفييتى لحضور مؤتمر فى الآثار فقابل خلالها فتاة شعر نحوها بالحب فجأة ، إذ رآها بين شجرتى توليب ذات صباح ، فراح يقترب منها ، ويدور فى فلكها حتى شغفت به ، ثم تجاوبت معه قرب نهاية المؤتمر ، إلا أنه لم يكن يطمح فى علاقة جسدية كاملة بينه وبينها ، بل كان يريد فقط أن يبدى وعورة الشوق ، ويحظى بالوصل ، ويحتفظ فى خياله بصورة للمحبوب يسترجعها فى كل حين .

ولاتلبث أن تنتهى الرحلة ، ويعود بطلنا الى القاهرة ، لكنه لاينسى ماكان ، فيستمر فى الاتصال لكن الفتاة الروسية لاتتجاوب حتى يشعر بالضنى ، فيكتب الرسالة الى صديقه يشرح له فيها حاله .

والرواية بهذا الشكل يمكن أن تكون قصة حب عادية الا أن الغيطانى يحرص كل الحرص على أن يجعل الأمر غير ذلك ، بأن يهدم كل الجوانب الواقعية للقصة .

فى الصفحة الأولى يشككنا الكاتب فى أن القصة كلها قد حدثت ، إذ يقول لصديقه :

« قوى على الشك أن ماجرى ، جرى » .

وفى الصفحة الثانية يزيد من تشكيكنا ، إذ يقول لصديقه فى سبب كتابته إليه :

« هكذا وليت بهمى صوبك ، لعلى باسترجاع ماتبدد ، وروايتى لما يخيل الى أنه جرى ، اقف على توكيد يطمئننى ، يرسخ الحجة عندى » .

ولايقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتجاوز ذلك الى التشكيك فى وجود الصديق نفسه ( الذى توجه اليه الرسالة ) ، ونشعر من السياق أن هذا الصديق ربما كان هو الراوى نفسه :

« لكن يشفع لى عمرا ( كذا ) انقضى بيننا ، جعلك كأنى ، حتى لو عسرت المودة ، وانفرط العقد ، وتباعد الشمل ، وندرت اللقيا ، بقيت أنت كالجهة التى لاتدرك بالحواس ، وانما يتوجه المرء اليها » .

ثم يلقى الكاتب فى الطريق بعبارة توحى لنا بأن البطلة ربما كانت غير موجودة هى الأخرى ، وأنها مجرد وهم تجسد للبطل ذات يوم عاكسا صورة من صور التجلى الإلهى ، اذ يصفها بقوله :

« فبقدر ماهى محدثة ، بقدر ماهى قديمة ، موغلة » .

والقِدم كما هو معروف عند دارسى الفلسفة صفة لله ، وهو مقابل للحدوث كصفة لكل ماعداه سبحانه .

وفى نهاية الرواية يأتى الغيطانى بحكاية تؤكد أن مارواه لم يحدث ، وأن المحبوب ليس بشرا ، وأن الأمر كله رمز لعالم صوفى أبعد مما تعطيه الصورة الحسية المروية .. تقول الحكاية التى يرويها شيخ جليل

« وقد بلغ بى قوة الخيال أن كان حبى يجسد لى محبوبى من خارج لعينى ، فلا أقدر أنظر اليه ويخاطبنى وأصغى اليه وأفهم عنه ، ولقد تركنى أياما لا أسيغ ( كذا ) طعاما كلما قدمت لى المائدة ، يقف على حرفها وينظر الىّ ، ويقول لى بلسان اسمعه بأذنى : « تأكل وأنت تشاهدنى ؟ »

فأمتنع عن الطعام ولا أجد جوعا ، وامتلىء منه حتى سمنت ... الخ » .

هكذا ضرب الغيطانى الحدث والشخصية من الناحية الواقعية ، لكنه لم يكتف بهذا ، بل استخدم لغة خاصة لتوجيه أنظارنا الى الجهة التى يريدها ، ويؤكد من خلالها لا واقعية الحدث .. لغة تراثية غير لغتنا اليومية المألوفة ، تبدأ دوما بكلمة « إعلم » كما تبدأ الكتابات التراثية العربية .

## اللغة الصوفية

ولا يكتمل الحديث عن دور اللغة التراثية فى تحقيق الاحساس بالانفصال عن الواقع الا بالوقوف بشكل خاص عند اللغة الصوفية التى تعتمد عليها الرواية الى أبعد الحدود ..

وأول مانلمحه فى لغة الرواية عموما هو اعتمادها على القاموس الصوفى بشكل هائل .

ونلاحظ هنا أن الكاتب وظف هذه المفردات بشكل جيد للتعبير عما يريد ، ولا بأس هنا من تقديم نماذج لبيان توظيف اللغة الصوفية :

● يصف البطل حبيبته قائلا : « لم تكن تسعى انما تفيض » .

والفيض مصطلح صوفى اشراقى ، يرى أن الله الكامل ، تفيض ذاته بما هو دونه ، كما تفيض الشمس بالأشعة مثلا ، أو يفيض العطر بالرائحة .

والفيض عند الصوفية يمثل نظرية فى وجود العالم واستمراره ، وغير ذلك ، ولولا أن الله يفيض ماكان هذا الكون ولا كنا .

واستخدام كلمة « تفيض » هنا يوحى بأن البطلة تشع من ذاتها على العالم المحيط بها وكأنها تمنحه صورته التى يراها الكاتب ، كما توحى باكتمال المحبوبة وطبيعتها غير الانسانية .

● ويتساءل بطلنا عما يريده من حبيبته فيقول :

« هل أبغى الفناء ، الاتحاد ؟ لا أدرى » .

والفناء والاتحاد مصطلحان صوفيان ، يشير الأول الى ذوبان ذات الانسان فى الذات الالهية ، ويشير الثانى الى مرحلة من مراحل العبادة الصوفية ، يتحد فيها الانسى بالإلهى ، ويصبح الانسان والله كائنا واحدا .

## تعبيرات المتصوفة

والملمح الثانى من ملامح اللغة الصوفية فى روايتنا ـ بعد القاموس ـ هو : انتشار التعبيرات الخاصة بأهل التصوف .

وهى جميعا تعبيرات ذات دلالات خاصة ، يفهمها أهل التصوف ، ويعرفون ماترمى اليه من ابراز لعدم قدرة الحواس والعقل على ادراك كل شىء ، وتصوير لحال الصوفى فى خوضه بحار التعبد ولججه من أجل الوصول لله وتبيين لحالته حين الوصل به ... وغير ذلك من المعانى ... ولاشك فى أن هذه التعبيرات ذات الدلالة الخاصة قد ساهمت فى إشعار

## محاولة روائية في رحاب التصوف

القارىء بأن الرواية ترمى الى ماهو أبعد من الحدود الواقعية للحدث أو الشخصيات وهذا ما أراده الكاتب اساسا باستخدام هذه اللغة .

ويتجاوز الأمر فى روايتنا المفردات والتعبيرات الى الجمل الكاملة ، ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الجملة الصوفية لها خصائصها التى سبق أن أشرنا اليها مثل : الرمزية ، والشاعرية ، والشفافية ، وغير ذلك من السمات التى نجدها فى لغة روايتنا ...

ومن أمثلة الجمل الرمزية :

● يصف البطل نفسه فى حالات عدم الوصل بقوله : « فلا يتبقى الا قفر المفازة وغول الطريق » ..

وقوله « مفازتى موحشة » .

والقفر ، والمفازة ، والغول ، والوحشة ، كلها ليست أشياء حقيقية هنا ، بل هى مجرد رموز تصور حالة البطل الداخلية .

وإذا تركنا الحديث عن الطابع الرمزى للغة الى الطابع الشاعرى الشفاف لها لوجدنا الكثير مما يقال ، فنحن هنا أمام لغة شاعرة ، فياضة ، والأمثلة كثيرة :

● يصف كاتب الرسالة حاله فيقول :

« ... فأنا حائم ، ماض ، دوار ، مأسور ، محترق بذاتى ، منتقل من كينونة الى كينونة ، لا راد لى ولا كابح » .... الخ » .

● ويصف ما رآه فى عينى محبوبته :

« حاولت النفاذ عبر عينيها ، فانقلعت عبر رياض ومفازات ولمست قمم أشجار نادرة ، وجزت وديانا وبيدا ، وطفت بمدن لم أطأها ، وفاتتنى أرض لن أبلغها الا بشق الأنفس ، راقلا فى نعيم .... الخ » .

إنها لغة شفافة ، تحرك المشاعر بايقاعها السريع ، ومفرداتها الموحية ، لكن ينبغى هنا أن أطرح سؤالا ، هو :

هل اللغة الشعرية وقف على لغة التصوف ؟

الاجابة : لا ...

لكن الشاعرية هنا جزء مكمل للطابع العام للغة الصوفية ، وتسهم مع القاموس الصوفى ، والتعبيرات الصوفية ، والسمات الأخرى للجملة الصوفية فى رسم الجو العام الذى أراد به المؤلف أن يضرب الواقعية فى روايته .

●

فى ضوء ما مضى إذن يمكن القول : إن النظرة الصوفية أصبحت هى الطريق الوحيد أمامنا لتذوق هذا العمل ..

وأعنى بالتذوق هنا المفهوم الصوفى للكلمة ، من حيث أن الادراك الذوقى ( القلبى ) هو ضد للإدراك العقلى .

والرواية فى ظل هذه النظرة الذوقية تعكس تجربة روحية رمزية للكاتب ، حظى فيها بالوصل مرة ، ثم عاش محروما من تكرار الوصل ، يتذكر ماكان ، حتى بعدت به المدة ، وداخله الشك فى أن ماحدث قد حدث ، فراح يجأر بالشكوى لنفسه ، إذ اتحد فيه الشاكى والمشكو اليه فى وقت واحد .

### تشكك فى نسبة العمل للرواية

وقد يعترض القائلون بأن الرواية عمل فنى موضوعى على تجربة الغيطانى باعتبارها تجربة ذاتية .

باطنية ، وبالتالي يرون ضرورة ابعادها من ميدان الرواية .. لكن ماتلاحظه أن الغيطاني كان يحدس بهذا ، لذلك قدم فى روايته مستويين :

- مستوى باطنى
- مستوى ظاهرى

وقد تحدثنا من قبل عن المستوى الباطنى ، وسنواصل الحديث عنه بعد قليل ، لكنا نتوقف قليلا للحديث عن المستوى الظاهرى ..

القضية الأولى التى تبرز على هذا المستوى هى قضية الزمن ...

إن دوران الزمن يزعج بطلنا طوال الوقت ، لأنه يجعل كل شىء يحمل فى ذاته نقيضه ، نهايته ، وهذه الحقيقة افسدت عليه حياته ، ضيعت بهجة اللقاءات ، وفوتت عليه فرصة الاستمتاع بأية لحظة جميلة ..

وتصل مشكلة البطل ذروتها حين يشعر أن الحياة نفسها تحمل بذرة الموت ، لأن هذه الحقيقة تصيبه بما يشبه الكابوس ، وتنتهى به الى محاولة الانتحار ، والتردد على عيادات الطب النفسى ، والقلق الدائم حتى نهاية عملنا الفنى .

ولاشك فى أن الغيطانى كان ذكيا اذ اختار هذا البعد بالتحديد ليكون البعد الظاهرى الأول فى روايته ، لأن فكرة الزمن ليست بعيدة عن جوهر تجربته ، بل هى مدخل اليها ، والتأكيد على الطابع الزمنى للانسان ومايتنتج عنه من أحاسيس ومشاعر مثل : حتمية الموت ، وعدم بقاء أى شىء ... التأكيد على هذا يجعل التفكير فى الخروج من محدودية الطبيعة البشرية ، والسعى للتعلق بما هو إلهى ودائم أمرين مشروعين .

والقضية الثانية التى تبرز على المستوى الظاهرى هى التحول الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى فى الستينيات ... فبطلنا الذى يحمل فى نفسه رغبة فى اصلاح العالم ، كان مضطرا الى الوقوف فى وجه الأوضاع التى عاصرها فى هذه الفترة ، وقد شارك - حين فاض الكيل - فى التظاهر ضدها ودفع ثمن ذلك اياما ثقيلة فى المحتقل ، شعر بعدها بالانكسار وابتعد عن المشاركة الايجابية ..

وصديق البطل الذى رافقه فى رحلته العلمية الى الاتحاد السوفييتى ، كان عليه أيضا كرجل عمارى شريف أن يخوض حربا مع اللصوص الجدد ...« لصوص المقاولات » ... وناضل كى يثبت على الطريق ولا يميل مع من مالوا الى الهوى ...

ومما يحسب للغيطانى قدرته على الربط بين هذه القضية الظاهرية والبعد الباطنى لروايته ، ولعل النص التالى من الرواية يوضح هذا :

« ... حتى حلت سنوات العقد السابع فتدنت الأحوال ، وتقهقرت الأمانى ، وتقلصت الساحة ، حتى ضاقت فأصبحت ذاتى ، صار همى أن أقيم المراصد والقلاع على عجل حتى يبقى الجوهر سليما والنواة بمنأى » .

إن هذا النص يقدم لنا التبرير لتحول البطل الى عالم الصوفية ، لذا فإنه رغم ارتباطه بالبعد الظاهرى يلقى لنا ضوءا على البعد الباطنى ( فيما يتعلق بشخصية البطل ) .

## الشاعر فتحي سعيد في ديوانه

# بعض هذا العقيق

بقلم : الشاعرة جليله رضا



فتحي سعيد



جواز سفري : العالم
الغربة : مسكني
العنوان : عاصمة الاحزان
رقم البنيان : ميدان النسيان
الاسم : مسافر
المهنة : شاعر
الريح : جواد
البحر : مداد
مجهول السن من كثرة ما ترك الزمن من البصمات
يبدو في سن الاهرامات
يتألم لكن لا يتكلم • وجهته شطآن • نحو المبهم •• نحو المبهم •

هذا هو شاعرنا الكبير « فتحي سعيد » يتكلم عن نفسه في صدق وصراحة • وجزاه الله خيرا فلقد كفاني حيرة وصفه •

وعندما اسعدني الحظ وهممت بقراءة ديوانه « بعض هذا العقيق » احسست اولا في العنوان عذوبة لفظ شفاف ثم اوغلت في صفحاته هامسة :

هذا شعر جيد وهذه أفكار فنان موهوب ·
والحق أقول · ان شعره لم يدهشني فالشاعر فتحي سعيد احـد الذين يتزعمون المدرسة المتحررة الابتداعية ·
وله قصائد فى غاية الجودة والاصالة وديوانه هـذا يحتوى على الكثير منهـا ·
وانى اذ أبدأ بعرض الديوان اقتطف من كل حوض زهرة دون أن اتقيد بموضـوع القصيدة ·
لقد عرف شاعرنا كيف يسمو بشعره حين أضفى عليه لمسات ذكاء وخيال فخرجت الابيات مغلفة بتركيبات مبتكرة يتطلع اليها القارىء برهة قبل أن يستوعب معناها ثم يكمل رحلة القراءة فى متعة واعجاب ·
ومادام القارىء قد تفهم مضمون القصيدة فقد وفق صاحبها فى توصيل تجربته اليه وهذه أولى عوامل النجاح ·
مثال ذلك فى قصيدة « الليلة ماذا » يقول الشاعر :

« الليلة ماذا ؟ الليلة تقتات بطعم تذكارى
نقبض بالنظر الى ايقاع الافكار
نوقعها بحبائل رؤيا عشوائية
الليلة ماذا ؟ ·· الليلة قلبي هاجر
يقرع اجراسا كاتدرائية
ينقض على مملكة الكلمات الميتة الحبلى
بعجائب دنيانا السـفلى
نغمد نصل المتناهي في قلب الاخطاء السرية
ونشد بها قوس الاشعار المطوية »

## ● الانفعال والتجربة

وهكذا فالشعر الجيد لا يقف عند حدود التعبير الواقعي بل يتخطاه مستحضرا ما هو فوق الطبيعة ·
وكثيرا ما ينبثق الشعر الجيد من ذلك المزيج العجيب الذى يحدثه اقران الذكاء بالخيال ·
ولكن ذلك لا يمنع من وجود الموسيقى العذبة فى شـعر صاحب الديوان ولا من الانفعالات المصاحبة للتجربة ·
فلكى تؤدى الصورة مقاطع دورها لابد أن تساير الانفعال وجوه ·
وفتحى سعيد متأثر بشعر شارل بودلير شاعر فرنسا الكبير فيهتف موجها اليه قصيدته :

« يا شاعرى الرجيم ، يا طفلى اليتيم ·· يا صاحبى العظيم
الجرح ·· والسكين ·· والجلاد ·· انت والغريم ·
أرجوحة الشـذى وليلك السقيم
مباخر السـموم ·· بواخر الكروم »

وهكذا يميل شاعرنا الى الشاعر الفرنسى رغم ما فى حياة بودلير من أحداث جسام ولكن شاعرنا ينظر الى الجوهر ويعطف على أخيه الفنان البائس وينظر الى فنه بعين الدهشة والانبهار ·
والحق فان بودلير كان عظيما فى شعره كتب عنه جاك مارتيان يقـول :

« ان الدور الرئيس الذى لعبه بودلير ورامبو هو كونهما ادخلا على الفن الطريقة المؤدية الى الروح . انهما اداروا ظهريهما للشعر الحالم الرومانتيكى الذى يعج بالاناقة اللفظية ويخب فى ثوبه الفضفاض . واندمجا على عكس ذلك فى الابهام لانهما شعرا أن عليهما أن يستقبلا الحياة بهذه الوسيلة حتى يتسنى لهما حل الغازها » ..

أجل .. لقد أغنى بودلير ورامبو الشعر بتصوراتهما الجديدة واحتلا افاقا لم تكن قد اكتشفت بعد وأدخلا فى الشعر نوعا من الحزن أما لغز الوجود .

ويمضى الشاعر فتحى سعيد فى قصيدته «الافعى» وهى تعبير عن ذات القصيدة وصفتها . وانى أرى انها تدعو الى قراءتها بما فيها من طرافة وحبكة فنية ولقد ذكرتنى بقصيدتى التى أسميتها « الزائرة الحسناء » صفة للقصيدة .

ويصف شاعرنا كيف فتح الباب ذات مساء شديد البرودة فيقول :

اشتد عواء الريح . فاصطك صرير الباب
انفرج فقلت انجاب
الله الغائب آب .. فأطلت رأس الأفعى .
جاءت تسعى . دارت بالغرفة طافت بالاركان
فتحت السنة النيران
وثبت اعانقها ، أضحت مكان .
رجفت .. رقصت واعتصرت من دمها قارورة عطر
ولبست لها جلد الثعبان .. قدمت لها كاسا .. شربت
قدمت لها اخرى . ثملت ، خرجت تترنح سكرى
وتلوت فى الاحشاء .. قصيدة شعر ..

## حزن مؤلم

ونأتى بعد ذلك الى شعره الوطنى فى ديوانه « بعض هذا العقيق » فهو وان كان قليلا لكنه على اية حال واجه جميع احداث الوطن فى تحد وعنف .

ففى قصيدة « كل شىء » وانا اسميتها القصيدة السوداء . فان كل شىء على وجه الارض يخيل الينا عند قراءتها انه مات . حتى شبح الموت نفسه وذلك عقب أحزان يونيو فى عام النكسة حيث يقول :

كل شىء جف .. مات . الهوى والاغنيات
فرحة الاطفال .. احلام البنات
نشوة الآباء .. زهو الامهات
الفراشات وزهر الربوات
الق الحقل واعواد النبات
باحة الدار وصيف الامسيات
كل من فيها موات فى موات

تصوير محزن مؤلم تشدنا اليه قسوة المعاناة الشعرية والعذوبة المنطوية تحت عبء الكلمات الحزينة والبحر الجنائزى وموسيقاه الشجية وهذه الالفاظ وكلها كلمات تبكى مع القصيدة . مثل فرحة ، احلام ، نشوة ، زهو ، الهمس والناى وأعواد النبات وبقية القصيدة لا تقل روعة وجمالا عما سردت من أبيات قلائل .

واليوم وقد ســـاد الشعر الهادف وازداد نتاجه وبرز المشـــهد السياسي والقومي والاجتمـــاعي تحت الاضواء . فقد واجه الشـعراء مشكلات الارض وما عليهـا .

وهكذا يعرض لنا فتحي سعيد مواضيعه اليومية بكل ما تعج من مظاهر واحداث ، يعرضها في لغة سهلة واضحة احيانا وحينا يكتنفها غموض سائد ولكنه مليء بالطرق الايحائية للتعبير عن ذاتيته وترجمة اســـــراره .

وفي رأيي مهما كان الشعر غامضا فبالقليل من التأمل نصل الى نفس تفهم الشعر الواضـــح .

ذلك أن الغموض ـ شبهه بعضهم ـ بالهبوط اللولبي للفر ـــة نحو الزهرة حيث يبدو عليها التردد في كل نقطة من نقاط طيرانها ثم بغتة نرى ، عندما تلمس الفراشة الزهرة ، أنها كانت متجهة نحوها منذ بدء طيرانهـــا .

وعلى كل فالمهم في الشعر أن يثير وأن يؤثر . يثير صاحبه ويؤثر في قارئه سواء غمض أو وضح .

فهناك اذن موازنة رائعة تقوم بين عقل وحس شاعرنا .

تلك الموازنة التي تشهد على توحد العالم الخـــارجي والداخلي لديه وبينه وبين الحقائق المنطوية في أغوار نفسه .

وييأس الشاعر من وفاء الاصدقاء ومن اخلاصهم وتعاونهم فيشكو كما يشكو كل انسان من أخيه الانسان .

ولكنه شاعر . حزنه أشد وطأة وأعمق . وليس له من وســـيلة للشكوى غير الشعر يتلوه في اذن صديقه فيتثاءب :

شكوت مرة لصاحبي فضاق بي
وقلت دعه للمســـاء ريما اذا الشراب
امتد بيننا وطاب .. يحلو له الاصغاء ، يشتهي السماع ..
واقبل المساء .. ودب في عروقنا الخدر
وعندما شرعت في تلاوة القصيدة
تثاءب الضجر . ومد كفه يحابث المذياع
ومد عينه يقلب السطور في الجريدة !
ويتلو شكواه على القريبة لكنها :
مالت .. علا غطيطها . سحبت فوق الغطاء
نامت ..
وفي الصباح اقبل الاثنان
والصقا بي تهمة الكتمان

وفي قصيدة « حادث يومي » يتجسد القصـــيدة بكل ما فيها من معان في حقيقة الحادث حيث يتقابل الغرباء في مكان ما يتيحه القدر ، يتبادلون الحكايات وأنباء الزوجات والابناء ويحلو السهر . حتى اذا انفض السامر مضى كل في سبيل كأن ما كان لم يكن :

وتبادلنا القبـــلات
وتبادلنا الاحضـــان
وكتبنـــا في الورقات
الهـــاتف .. والعنوان

ثرثرنا كالعادة حول قضايا الانسان
وبكينا الاطلال ومسحنا بالاركان
وتذاكرنا ضجر الزوجات
وبعض شقاوات الابناء
ونفثنا حلقات الدخان
في نهم .. وقصصنا اجنحة الاشياء
ونفضنا اعقاب سجائرنا فوق حروف الشعراء
وينهى الشاعر قصيدته فى سخرية :
وابتلعتنا الطرقات
وانحدر كلانا تتعثر عيناه خلف العدسات
في اول منعطف صادفناه
مزقنا الورقات »

قصيدة صريحة صراحة الشاعر نفسه لانفاق فيها ولا ميوعة عاطفية ، هى حادث يومى يتواجد فى كل مكان ولكن الامر هنا يتعلق بالشاعر ، بل بشاعر مرهف وعين لماحة ورغبة فى اعماقه تصيح « لو كانت الحياة غير ذلك » .

وقبل أن اترك ديوان « بعض هذا العقيق » للشاعر فتحى سعيد استعرض مع القارىء بعض أبيات من قصيدة « كان ليلا » وهى عن شهيد كربلاء . ويقول الشاعر فى حزن .

كان ليلا مترع الشجو يتيم الانبياء
خضب الدم حناياه ففر الندماء
تحت جنح من سواده
فذراع فى الهواء
وذراع تنزع النجمة من صدر السماء
وذراع تدفع الريح وتجرى فوق ماء
كشراع
وذراع في نجيع الشهداء
وذراع فى ذراع فى ذراع
تتدلى فى العراء
فتردى عن جواده
مستطار اللب مسلوب النداء
واستفاقت كربلاء
بعض اشلاء وانهار دماء
ذات ليل موجع الشجو يتيم الانبياء .

واظننى بعد هذا قد تناولت الكثير من قصائد فتحى سعيد ووضعت امام القارىء صورة واضحة جلية لا يعوزها الشرح يستطيع من خلالها أن يدرك اتجاهات الشاعر الفنية .

ان الشاعر فتحى سعيد شخصية ادبية مستقلة فى التفكير والتعبير ، ذو ثقافة واسعة استمدها من قراءاته واطلاعه .

وديوانه « بعض هذا العقيق » يمثل عقلا نفذ الى اعماق الوجود والحياة ..

عرض كتاب :

# زكي مبارك ونقد الشعر

بقلم : صافي ناز كاظم

**مع مجموعة من ظلموا من اعلام تاريخنا الادبي ، الذين تاهوا في صراعات التعصب حين تركزت بقع الضوء الاعلامية على اسماء بعينها لتتوجها بمفردها اعلاما للاستنارة والنهضة في مصرنا المحروسة ، بينما غمط حق من وقفوا باقدامهم ثابتة وحدهم دون مريدين او اصدقاء او مزورين ، مع مجموعة من ظلموا هؤلاء يقف الدكاترة زكي مبارك رائدا شامخا من رواد النقد العلمي الفني ، الادبي ، الابداعي .**



ولقد استشعر الدكاترة زكي مبارك هذا الظلم حتى ابان شهرته وهو على قيد الحياة يملك قلما بتارا مشهورا مثل السيف المصلت الحاد ، عبر من خلاله عن شهادته بعبقريته وشهادته كذلك بأنه نبي مهان في أرضه وأنه لو توفاه الله فلن يعوض : « ... اذا كان لي ما أبكي عليه يوم وفاتي فهو ذلك المعنى ، سأذكر ان الدنيا كان فيها رجل واحد يشقى ليسعد الصديق ويموت ليحيا الصديق .. ثم ماذا ؟ سأذكر حين أموت أنني كنت أكرم خلق الله في رعاية الجمال وسأذكر ان الله اصطفاني لهذه الرسالة الروحية ... سآسى عليكم يا بني آدم حين أموت فقد كان في نيتي أن أسعى لتحقيق فكرة السوبرمان لتعيشوا في دنياكم عيشة شاعرية ، ولكن ماذا أصنع وأنا كما تعلمون لا أملك فسحة الاجل ولا طول البقاء ؟ سأتحسر يوم أموت على ضياع الثورة الشعرية التي تموج في قلبي ووجداني ولن يكون لي الا عزاء واحد ، هو أن الله شاء أن يحرم العالم من رجل كله قلب ووجدان ، لان العالم لا يستحق ان يحيا فيه قلب مثل قلبي ولا يستأهل أن يعيش فيه رجل يملك ما املك من عظمة النفس وقوة الروح والعالم من بعدي هباء في هباء .. ! »

# زكي مبارك
## ونقد الشعر

( زكي مبارك ونقد الشعر ص ٢٢ ، ٢٣ ) .

ولد زكي مبارك بقرية سنتريس ، بالمنوفية في ١٨٩١/٨/٥ وتوفي في ١٩٥٢/١/٢٣ ، أي انه لم يكد يبلغ من العمر الا الستين ، حصل خلالها على أكثر من شهادة دكتوراه في الادب والنقد من مصر ، ومن فرنسا حتى استحق أن يلقب : بالدكاترة زكي مبارك . كسب عداء معظم أقرانه وأبناء جيله الذين رموه بالغرور وسلاطة اللسان ، واذا كانت هذه حقيقة فهي نتيجة للاحساس بالظلم : فالظلم والتجاهل يولدان نقيضين : اما النهوض للدفاع ، بكل أسلحة الدفاع ، أو الاكتئاب واليأس والاستسلام للجحود بل واحيانا بالتزلف له في هزيمة كاملة !

ولم يكن الدكاترة زكي مبارك ممن يرضون بالهزيمة أو التصاغر ، ولذلك كان استحضاره لفرديته « السوبرمانية » ليخرج على الجميع فارضا عبقريته بالقوة : قوة العمل الجاد المتواصل الدءوب العميق الغور ، والذي لا يخلو في نفس الوقت من الدعابة و « الدردشة » مع الرشاقة وخفة الظل المتناهية الذكاء . ومع قوة عمله كانت لديه ايضاقوة الاستغناء عن تقييم الاخرين له ، مفضلا أن يقيم نفسه بنفسه : « في يقيني أنني سأحول النقد الادبي في مصر تحولا جديا وسأعلم القراء كيف يبحثون عن الحجج والبراهين قبل أن يغرموا بتلمس النزوات الصغيرة التي يلقي بها الكتاب هنا وهناك وهم يتجادلون ويتحاورون » .





( زكي مبارك ونقد الشعر ص ٣٧ )

***

مع مؤلفاته التي أهمها كتابه « النثر الفني » ، تناثرت مقالات زكي مبارك الغزيرة ، ونشر معظمها في مجلة الرسالة ، واستطاعت ابنته الاستاذة كريمة زكي مبارك ـ في ولاء مستميت من جانبها ـ أن تجمع بعضا من هذه المقالات وتكون منها وحدة موضوعية:

« نقد الشعر » ، وتضمنت هذه المقالات دراسات ـ لها أسلوب الحديث الودود المنساب كالجدول الرقراق ـ عن : ديوان محمود سامي البارودي والذاتية البارودية ، وديوان حافظ ابراهيم ، والجزء الثاني من الشوقيات، وتعريف بالبهاء الزهير ، وديوان علم الدين المحيوي وحياته ، وأخبار ومدرسة أبي تمام ، واشعار ابن النحاس وديوان الشاعر العراقي السيد محمد سعيد الحبوبي · وهذه المقالات هي نماذج تطبيقية للمنهج النقدي للدكاترة زكي مبارك الذي يعمد الى جذب الفاكهة من قلبها في احتجاج غير خاف على هؤلاء الذين يملئون معدة القراء بالقشر الجاف حتى التشبع بالملل وسوء التغذية ، فلا يصلون أبدا الى بؤرة التذوق الممتع· وزكي مبارك في طريقته هذه يرفع قلمه ليطيح باراء د · محمد حسين هيكل في البارودي ، والاستاذ أحمد أمين في مقدمته لشرح ديوان حافظ ، ثم يقربنا من شخصية كل من حافظ و شوقي الانسانية بضعفها ولمحات شرها ، ويجعلك بسرد هذا الضعف والشر للشاعرين الكبيرين اكثر حبا لهما واكثر قربا ·

***

انك عندما تقرأ هذا الكتاب « زكي مبارك ونقد الشعر » اعداد كريمة زكي مبارك ـ وهو من سلسلة كتاب الزهراء للاعلام العربي ـ تتغلغل فيك الفائدة وتشعر بالصحة الفكرية والمتعة الثقافية ، وتعرف كيف يمكن أن ترتاح وانت تزداد علما ووعيا من ناقد ابداعي كان يجب أن تؤرخ به هو بداية النقد العلمي وليس الدكتور محمد مندور ـ الذي جاء مع زملائه د · لويس عوض و د · علي الراعي و د · أنور المعداوي جيلا من بعده ـ كما يزعم المدروشون المتعصبون لمذاهبهم السياسية على حساب الحقيقة والعلم والتاريخ ، هؤلاء الذين يحسبون دائما أن الدنيا ليست سوى انوفهم القريبة جدا من أعينهم والتي لا يرون غيرها لضعف بصرهم الشديد ·

# رسالة ألمانيا

من: مصطفى نبيل

## التعويض
أحدث مسرحية تبين كيف يكفّر الألمان عن عقدة الذنب!

## عندما تساءل رئيس الجمهورية.. من هو الألماني؟

## الوحدة العربية والوحدة الألمانية



ليس من رأى كمن سمع ، وليس من شاهد كمن قرأ ، وتلك هى حكمة السفر .

تملكنى هذا الشعور عندما كنت أتجول فى أنحاء ألمانيا الاتحادية ، بين مدنها ومصانعها ومعاهد بحوثها الاستراتيجية ، أحاور العديد من المسئولين والكتاب والمواطنين .

ميناء هامبورج ، بوابة ألمانيا على العالم ،
وتظهر المبانى التاريخية ، مع العمارة الحديثة




---

أبحث خلف السطح عن سر التقدم ، الذى حققته ألمانيا .. والذى لا نملك أمامه سوى أن نحمل معنا همومنا وقضايانا ، نقرأ الأشخاص

والأحداث والقضايا بعيون عربية ، نقارنها بالسطور المنقوشة على صفحات بلادنا ..

---

صور التقدم تراها في كل مكان ..

عندما أتجول في مصنع رونالدز ، الذى أقيم في منطقة هادئة خارج ميونيخ ، والذى ينتج آلات الطباعة والديزل والبواخر ، الصناعة هنا هي سر التقدم ، ومحصلة المعرفة والتجربة الانسانية ، النظافة الشديدة والنظام الدقيق في كل ما حولك ، وخلال زيارتي التي استمرت نصف يوم ، لم اشاهد عاملا يرفع عينه عن الآلة التي امامه ، الانسياب في المصنع يتم بصورة دقيقة لا تسمح باية مفاجات ، مع حركة تطور دائم ، توسيع وتجديد ، المصانع القديمة جنبا إلى جنب مع المصانع الجديدة ، عملية مبرمجة للانتقال الى عصر ما بعد الصناعة ، التي تستخدم الالكترونيات والكمبيوتر .

هل سر التقدم يكمن في المتاحف والمعارض والمسارح المنتشرة في كل بلدة مهما صغرت ، ؟ والتي تقدم العروض الفنية المختلفة ، والتي ابدع مصمموها وزينوها باللوحات والتماثيل ، يحتشد الالمان بنظام شديد امام أبواب مبنى « الفيللا رموني » في برلين يستمتعون بروائع الموسيقى ، ويستقبلون الفرقة الموسيقية بحماس منقطع النظير ..

هل سر التقدم يكمن في وضع كل فرد في مكانه الصحيح ؟ . لقد لاحظنا أن كل من التقينا بهم في مواقع العمل المختلفة ، الرسمية أو في معاهد البحث ، يتمتع بالكفاءة العالية ، وأن ما يقومون به ليس مجرد عمل وانما رسالة مقدسة يحملونها بكل الصدق والجدية ..

هل سر التقدم .. ان المانيا الاتحادية وهي الدولة الرأسمالية ، تقدم التعليم المجاني في كافة مراحله ، بما في ذلك الجامعات ، بل وتقدم الحكومة للطلبة غير القادرين قروضا يسددونها بعد تخرجهم ، بشرط حصولهم على أجور تمكنهم من السداد ، وأن أحد المهام الرئيسية للحكومة الاتحادية تقديم العلم ونشر المعرفة ، واعتبار التعليم المدخل الصحيح للنهضة واتاحة الفرصة أمام كل قادر ، لذلك سبقت المانيا العالم في تضافر العلم والصناعة ، ومازالت قوانين التامين الالماني ركنا هاما من أركان التقدم وكانت المانيا سباقة في العمل بهذا النظام والذى بدأته في سبعينيات القرن الماضي أيام بسمارك ..

ومازالت المانيا تقدم كافة انواع الدعم للمنتجين .

## الخراب والعمار

تقدم تلك الصور المتلاحقة الاجابة على سؤال كيف انتقلت المانيا من الخراب والدمار بعد الحرب العالمية الثانية الى العمار والحضارة ، بعد ان دمرت معظم مدنها ، وبعد خسارتها

لسبعة ملايين من ابنائها خلال الحرب ، وكيف أصبحت أعظم قوة اقتصادية فى غرب اوربا . فسر التقدم مرهون بارادة الانسان وقدرته على البناء ، وتصميمه فى كل الظروف على الانتصار .

فبعد هزيمة المانيا ، وتقلص مساحتها ، وبعد أن كانت تمتد من النرويج حتى جبال البرانس . انكمشت واقتطعت منها أراضى السويد وعادت الى تشيكوسلوفاكيا ، وعادت الالزاس واللورين الى فرنسا ، وعادت اجزاء من اراضيها الى بولندا ، واختفت او كادت بروسيا ، وتوزع الشعب الألمانى إلى دول ثلاث ، ألمانيا الاتحادية والمانيا الديمقراطية والنمسا .

واثبتت التجربة الألمانية انه رغم كل هذه الأهوال خرج الشعب الألمانى من الممر المظلم الطويل ، ورغم خسارته أرضه ملك إرادته وأعاد بناء معظم مصانعه التي دمرت ، بل وكانت فرصة لتجديدها وتحديثها ، ويرفض الألمان إطلاق كلمة « المعجزة » على ما تم إنجازه ، باعتبار أنها وليدة عمل الانسان وقدرته على التخطيط ، والتحرك فى إطار الفرص المتاحة ، واستفاد من الأموال الأمريكية التى تدفقت طبقا لمشروع مارشال ، ولم يبددها . وأحسن استخدام الاستثمارات الأمريكية التى قدمت فى المشاريع المشتركة من أجل تطوير صناعته . كما اجاد توظيف التيار الجارف من اللاجئين من المناطق الألمانية المختلفة كايد عاملة مدربة ، واستغل تخفضه من الميزانية العسكرية من أجل البناء . وهو ما استمر حتى عام ١٩٥٥

وأصبحت ألمانيا الاتحادية اليوم أكبر قوة إنتاجية فى دول السوق الأوربية المشتركة ، تقف عملتها مع العملة اليابانية فى صدارة اقوى العملات فى العالم ، اقوى دولة صناعية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واليابان ، وحتى ألمانيا الديمقراطية التى تختلف فى نظامها الاجتماعى تحتل الترتيب التاسع . وهى الأقوى والاغنى فى دول أوربا الشرقية ، ولا يسبقها سوى الاتحاد السوفييتى .

وأصبحت الأوضاع الاقتصادية لألمانيا الاتحادية تفوق الكثير من الدول التى انتصرت عليها عسكريا ، فهل يكمن السر فى الشخصية الألمانية .. ؟ فالشعب الألمانى شعب عاطفى ــ رغم ماتراه من تجهم ــ احيانات يتفانى فيما يقوم به ، ولديه قدرة على التنظيم والعمل الجماعى ، وكل فرد يؤدى ما يوكل اليه على الوجه الأكمل ، ويتمتع الألمانى بقدرة عالية على التبسيط ، مما يساعد على الانجاز ، كما لا يفوق الشعب الألمانى شعب اوربى آخر فى كثرة المطالعة ونوعياتها الجادة ، وهو شعب فنان ، تسمع فى كل مكان الألحان العزبة ، ويكفى أنه قدم عبقريات لاتضارى فى الموسيقى . والملاحظ انه لم يتفوق فى كل مجالات الفنون ، فإذا كان قد قدم كبار الموسيقين فإنه لم يقدم ذات المستوى فى السينما مثلا .. !

● صورة الألمانى

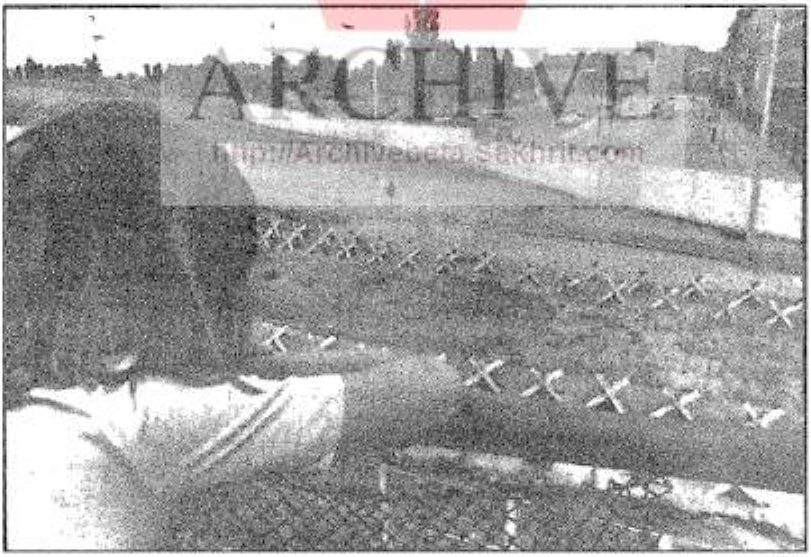
وكانت التجربة الألمانية على الدوام

محل تقدير فى عيون المصريين ، ومازالت المنتجات الألمانية هى الأفضل من سواها فى الأسواق المصرية ، فتثق فى قدرة الفن الألماني ، ومازال يتردد على السنة العامة أسماء لاقتصاديين ألمان ، مثل شاخت وايرهارد . ولعل ذلك يعود الى أن ألمانيا ليس لها تاريخ استعمارى مع العرب ، وأن المستشرقين والرحالة الألمان كانوا الأكثر إنصافا ..

ولم ينل من هذه الصورة ، ما وقع فى ألمانيا خلال القرن الماضى ، وانها كانت على الدوام قوة صناعية كبيرة ، ولكنها متخلفة سياسيا . فقد تأخرت فى تحقيق وحدتها القومية ، وحافظت طويلا على اباطرتها وملوكها ودوقاتها ، وتخلفت فى الأخذ بالمبادىء الليبرالية والديمقراطية ، وتخلفت فى المنافسة الاستعمارية الضارية التى نشبت بين الدول الاوربية والتى كان مسرحها العالم كله ، هذا رغم ريادتها للدول الاوربية فى العلوم والثقافة والفلسفة والموسيقى .

وكانت كلما نهضت تساق الى حرب ضارية ، وقد اشتبكت خلال المائة عام الاخيرة فيما لا يقل عن خمس حروب ، عام ١٨٦٤ و عام ١٨٦٦ وعام ١٨٧٠ وعام ١٩١٤ وعام ١٩٣٩ ، وكانت اهم

السكين التى تشق قلب برلين ، وبعد سنوات التقسيم الطويلة ، تقف على جانبى السور ، قيم متباينة ونظرة الى ألمانيا والعالم مختلفة ...



أسباب خسارتها فى الحربين العالميتين الأخيرتين عزلتها داخل أوربا ، وعجزها عن كسب حلفاء يعتد بهم . !

● الأزمة عندنا وعندهم

ونعود إلى جولتنا ..

يخيل إلىّ أن الكلمات عندنا لاتحمل ذات الدلالات عندهم ، فالأزمة عندنا ليست كالأزمة عندهم ، فرغم ما يتردد حول الأزمة الاقتصادية ، وأزمة البطالة ، وانهيار البورصة ، وانخفاض معدل الانتاج ، تجد الأسواق عامرة بأفخر المنتجات ، ويكاد العالم الغربى لا يعرف ارتفاعا فى مستوى معيشته مثل ما يتمتع به فى وقتنا الراهن ، صحيح تواجه ألمانيا بين وقت وآخر أزمات أو عقبات ، ولكنها تعالج على أنها تحديات ينبغى التغلب عليها وسرعان ما تتخطاها ، بعد أن تشخصها وتضع الحلول اللازمة لمواجهتها ، ولديها الأدوات التى تمكنها من التغلب عليها أو التقليل من تأثيرها .. ولا يتسع المقام هنا لعرض آليات النظام الاقتصادى وقدرته على تصحيح مساره ..

● التعويض

ولكن لكل شعب أزماته ومشكلاته ..

ولعل أبرز المشكلات فى ألمانيا هى الفجوة الكبيرة بين الأجيال ، ورفض الجيل الجديد للمنطق الذى تقدمه



تشكيل على الزجاج فى نافذة أحد المبانى التاريخية ...



ترك سكان برلين الغربية هذه الكنيسة ، وعقارب ساعتها كما هى ، لترى الأجيال الجديدة أهوال الحرب ...



الاجيال التى عاشت الحرب العالمية الثانية ، مما يعكس الفجوة بين الحاضر وصور الماضى ، فالجيل الذى شهد الحرب يحتل المناصب القيادية ، وترى الأجيال الجديدة انه مازالت تحكمه عقدة الذنب ، والجيل الجديد ليس لديه هذا الشعور ، بل ويستنكره ويطالب الجيل السابق بالكف عن تعذيب الذات ، والتوقف عن إجترار الماضى وكثرة الحديث حول جرائم النازية فى كل وسائط الاتصال !

وينعكس الجدل بين الأجيال على الكثير من الأعمال الفنية ، لعل ابرزها مسرحية « التعويض » لكاتبها مايكل شنيدر ، التى كانت تعرض خلال زيارتنا والتى تؤكد أن ذات الأسر واحيانا ذات الأشخاص التى كانت تسيطر على الحياتين السياسية والاقتصادية أيام حكم النازى ، مازالت هى ذاتها التى تسيطر اليوم على الحياتين السياسية والاقتصادية ، مما يدفعهم الى « التعويض » عن طريق ترديد جرائم الماضى ، كاحدى صور الدفاع عن الذات واستقبلتها الأجيال الجديدة بحفاوة بالغة كتعبير صادق عن الواقع الذى يعيشونه .

ويدور جدل آخر حول التاريخ وكيفية معالجته ، وهو موضوع يرتبط أيضا بأحداث الماضى كما يرتبط « بالهوية » ويتناول قضية ساخنة ، هى .. هل الدولة هى الدولة القومية .. ؟ وهل يختلف الألمان عن الآخرين .. ؟

والمؤرخ عندما يستنطق ماضيه فإنه يستنطق بالضرورة حاضره ، ونجد رئيس جمهورية المانيا يتساءل فى كتاب « المانيا .. صور تسجيلية » ماذا تعنى كلمة المانى بالتحديد .. ؟ !

وقد سئمت الأجيال الجديدة الاجابات التبريرية التى تعالج الماضى ، وصدر أخيرا كتاب عنوانه الهة التاريخ » لمؤلفه هايدى وايت ، يعالج ضرورة أن يستهدف التاريخ تحرير الحاضر من عبء الماضى ، بأن يقدم أبعاد الموقف الفكرى فى أحداث التاريخ وفى العصور المختلفة ، ويؤكد أن الحقيقة الرئيسية فى التاريخ هى « التغير بفعل الزمن » ، والأمم تقيم الحجج والادلة التى تدعم هويتها ومطالبها فى التاريخ المشترك ، وقد سبق وفصمت العلاقة بين التاريخ كعلم والتاريخ كقوة محركة ، منذ حديث الفيلسوف الألمانى نيتشه حول فائدة التاريخ واضراره العملية فى الحياة .

وهو حوار مكتوم يهدف الى تحرير الأجيال الجديدة من آثام الماضى ، ويعالج قضية الوحدة الألمانية .

ويخيل إلىّ ، أن هناك اتفاقا غير مكتوب افراد بين الشعب الألمانى ، ينص على اختزان بعض الأهداف وعدم البوح بها ، حتى لايعيدوا الى الاذهان مخاوف لاتزال تسيطر على نفوس أولئك

الذين عانوا من الحرب واكتووا بنيران الاحتلال ، كما ينص على التسليم مؤقتا بالأمر الواقع ، عدم تجاوز الاطار الذى خطه التوازن الدولى الدقيق ، والاستفادة بالفرص القائمة فى إطاره .

## الوحدة الألمانية

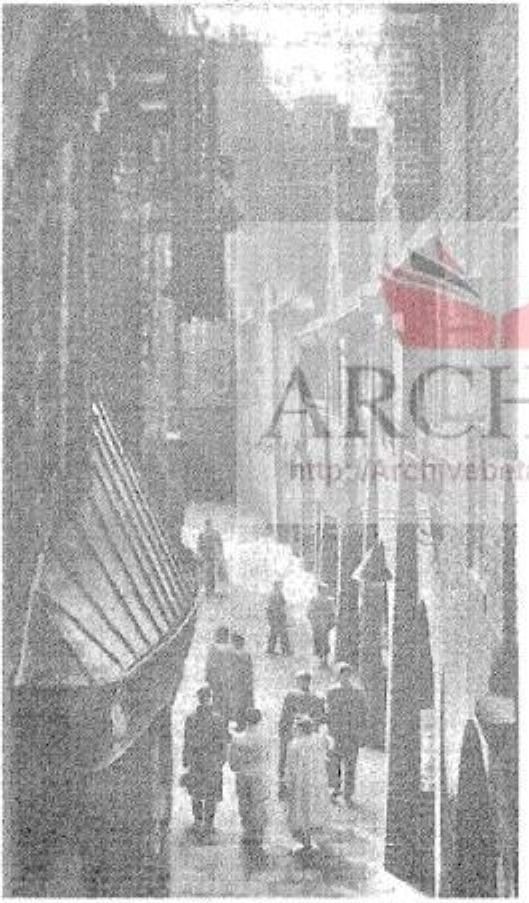
ما الذى بقى من أهداف الشعب الألمانى ، ويحتاج الى إتفاق غير مكتوب لتحقيقه ؟ هدف الشعب الألمانى تحقيق الوحدة الألمانية ، التى يصعب تحقيقها فى الظروف الدولية الراهنة .

فكيف تعامل الألمان مع هذا الهدف وكيف يبقونه حيا ؟ وهو فى نفس الوقت أحد أهداف البلدان العربية التى تسعى لتحقيق وحدتها القومية ، فكيف يعالج الألمان هذا الموضوع وكيف يعالجه العرب .؟

غنى عن البيان التشابه ، بين أوضاع العالم العربى ، وأوضاع المانيا ، من جانب أن الكثير من أوضاع العالم العربى هى نتاج الترتيبات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، سواء فيما يتعلق باتفاقية يالتا أو مشروع قيام اسرائيل عندما كانت على قائمة الترتيبات فكرة قيام اسرائيل ، وتهدف ترتيبات مابعد الحرب الى منع قيام الوحدة ، ويهدف المشروع الصهيونى إلى قطع الاتصال فى العالم العربى بين المشرق والمغرب ، ووضع حاجز يمنع الاتصال الجغرافى ، وإقامة عامل توتر يستنزف الطاقات العربية ، ويصرف الاهتمام عن البناء والتقدم وهذه الترتيبات وقعت فى النصف الثانى من الأربعينيات .

فى المانيا .. بقيت مشكلة توحيد شطريها ، بعد أن مزقتها الحرب إلى دولتين ونظامين مختلفين ، فى كل

أحد دروب مدينة بريمن التاريخية ، التى تنتشر فيهــــا الحانات ، وتنتعش الصنـــاعات اليدوية ..



منهما قوات أجنبية ، القوات السوفييتية فى ألمانيا الشرقية ، والقوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية فى ألمانيا الغربية ، يفصلهما ٨٢٥ ميلا من الحدود القلقة ، التى تشق الأمة الألمانية ، وأصبحت العاصمة القديمة برلين ليس فقط مقسمة ، بل جزيرة محصورة تقع داخل أراضى ألمانيا الشرقية ، وتبعد عن ألمانيا الغربية بحوالى ١١٠ أميال .

ويعرف الألمان أن أية محاولة لوصل ما انقطع ، ستصطدم بتوازن دولى دقيق ، مما سيضع العالم أمام خطر إشعال الحرب ، ومازال هذا « الأمر الواقع » محل رعاية واهتمام الشرق والغرب معا ، وتدور المنافسة حول قدرة كل طرف على استخدام هذا « الأمر الواقع » ضد الطرف الآخر .

فقيام ألمانيا موحدة يقلب الموازين وسط أوربا ، ويبرز قوة جديدة منافسة للشرق والغرب معا .

ومن أصعب الأمور تلمس التفكير الألمانى فى هذه القضية خلال زيارة خاطفة ، ولكن يمكن تلمس خطوطها من خلال مناقشات جرت ، وحقائق أعلنت .

يقوم التفكير الألمانى على فكرة بسيطة ، تقول .. « ليس حلا لمسألة ما أن تلغيها أو تفر منها وتتناساها ، وإنما تواجهها وتبحث عن حل لها » ، وإذا كانت الوحدة غير ممكنة التحقيق فى المرحلة الحالية ، فلا يغيرنا تأجيلها ، فقد تحققت فى يناير عام ١٨٧١ ، ويمكن انتظارها من جديد ، ولكن علينا أن نخلق أوضاعا عملية لا تمكن أى طرف من القيام بعمل يصادر إمكانات تحقيقها فى المستقبل ، وأن تتفق الأطراف على ضبط عملها وأساليب ممارسة اللعبة السياسية بحيث تؤثر على إمكانات تحقيق الوحدة فى المستقبل .

ومن الناحية العملية لا توجد قوة سياسية تتجاهل قضية الوحدة الألمانية ، وتأخذها فى اعتبارها عند اتخاذ قراراتها ، وقد تم الاتفاق بين القوى السياسية على عدم استغلالها من أى طرف لدواع انتهازية أو غوغائية ، ولدى المحافظين بعض التحفظات خشية امتزاج سكان ألمانيا الديمقراطية الذين عاشوا طويلا فى ظل الفكر الماركسى بسكان ألمانيا الاتحادية ، وهذا ما لا تستسيغه الكنيسة الكاثوليكية لأنه يؤدى إلى إنضمام ٨١٫٣ ٪ من البروتستانت الى ألمانيا الموحدة يعيشون اليوم فى ألمانيا الديمقراطية .

أما القوة الوحيدة التى تميزت بموقف خاص ، فهو الحزب الجديد ، حزب الخضر الذى حصل فى الانتخابات الأخيرة على ٢٤ مقعدا فى البرلمان أى ٨٫٣ ٪ من أصوات الناخبين والذى يطالب بالاعتراف بألمانيا الديمقراطية ، مثلما سبق وتم

الاعتراف بالنمسا ، كما صرح المتحدث الرسمي باسم الحزب ، وأكمل قائلا .. « إن ما نشترطه هو قيام ديمقراطية حقيقية في ألمانيا الشرقية ، وعندها يمكن أن تتحقق الوحدة بإرادة شعبية .

وقد ساهم في بلورة الاتجاهات نحو الوحدة الألمانية ، ما أطلق عليه سياسة « الأوست بوليتيك » أي سياسة التعاون مع الشرق ، التى لا تعترف سوى بوجود دولة ألمانية واحدة تمثل الأمة الألمانية ، بعد أن أصبح في ذمة التاريخ مبدأ هالشتين ، الذى يقضى بأن تقطع بمقتضاه حكومة بون علاقاتها الدبلوماسية مع كل دولة تعترف بدولة ألمانية غيرها .

أما الموقف على الجانب الآخر من الحدود ، فتتبنى ألمانيا الشرقية بقاء دولتين ألمانيتين تحت شعار أمة واحدة ودولتين ، فاللغة الواحدة ، لا تشكل حائلا دون انفصال الدولتين الألمانيتين ، فالنمسا يتحدث شعبها اللغة الألمانية ، ولم يمنع ذلك من الاعتراف بدولة النمسا ، وانه لا يوجد قاسم مشترك يجمع دولة العمال والفلاحين في ألمانيا الديمقراطية مع الدولة التى ورثت الفكر الرأسمالى من النازية !

ومن تصريحات إريك هونيكر رئيس ألمانيا الديمقراطية .. « إن الجمع بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ، مثل الجمع بين النار والماء .. » ، ورغم ذلك قام بزيارة رسمية لألمانيا الاتحادية خلال العلم الماضى ، ويذكر بعض الألمان الغربيين انه خلال الجولة أسر هونكر في أذن كول قائلا .. « لا مصلحة لنا في الخلاف ، وعلينا أن نرعى مصالح شعوبنا بعيدا عن الشرق والغرب .. » .

وكانت الوحدة الألمانية محل بحث عند لقاء المستشار الألمانى كول مع جورباتشوف في موسكو وخلال الزيارة قال جورباتشوف لكول .. « لسنا مسئولين عن تقسيم ألمانيا ، ولسنا مستعدين للبحث في وحدة ألمانيا قبل مضى ألف عام .. » !!

وقد تمكن الألمان من تحقيق الكثير في ظل الظروف الدولية المتغيرة ، وتمكن أديناور من توحيد المناطق الألمانية الثلاث التى احتلها الحلفاء في ألمانيا الغربية في ٥ مايو عام ١٩٥٥ ، وسرعان ما تمكن من إعادة تسليح ألمانيا بعد نزاع دولى عنيف ، وخارج كل ترتيبات ما بعد الحرب ، وانضمت ألمانيا الى حلف الأطلنطى ، عندما احتاجت الولايات المتحدة إلى إعادة تسليح ألمانيا لمواجهة السوفييت في وسط أوربا .

وهاهى ألمانيا تصبح الدولة الخامسة في تصدير السلاح بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وفرنسا وبريطانيا ، وتنتج الدبابة ليوبار ١ و ٢ ، وصواريخ رولاند ، والمقاتلات الألفا ـ جيت بالاشتراك مع فرنسا ، وطائرات هليوكوبتر مضادة للدبابات .

وها هى الظروف الدولية ، تسمح بالتحالف بين الأعداء ، بين فرنسا وألمانيا ، ويقوم محور : أديناور ـ ديجول ، وبرانت ـ بومبيدو ، وشميت ـ ديستان ، وكول ـ ميتران .

وهذا يعنى أن ألمانيا يمكن لها فى ظل ظروف دولية متغيرة أن تقترب من هدفها .

فكيف تعالج ألمانيا الاتحادية مسألة الوحدة فى ضوء هذه الوقائع .. ؟

تعتبر الحكومة الاتحادية نفسها السلطة المعنية بامر جميع الألمان ، واصدرت المحكمة الدستورية العليا لألمانيا الاتحادية حكما يؤكد إنتماء ألمانيا كلها الى امة واحدة ، وينص الحكم على أن الدولتين ، هما جزءان من دولة ألمانية باقية بشعبها الواحد ، ولايمكن النظر الى ألمانيا الديمقراطية كارض أجنبية ، و « ان الرايخ الألمانى لم يختلف نتيجة انهياره عام ١٩٤٥ ، وتعامل ألمانيا الاتحادية مواطنى ألمانيا الديمقراطية كمواطن ألمانيا الاتحادية ،

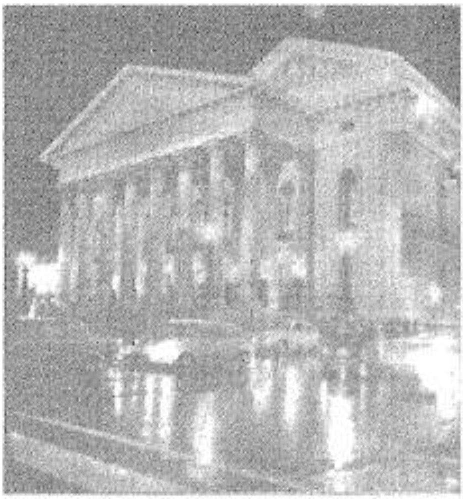
لذلك اعتبر كل ألمانى تطأ قدماه أرض ألمانيا الاتحادية مواطنا يستطيع الاقامة والحصول على جواز السفر ، والتمتع بكافة حقوق المواطنة ، وقامت منظمات لرعاية وضمان حل مشاكله ، كما قامت منظمات أخرى لتعميق الوحدة بين صفوف الألمان ، مثل منظمة ألمانيا الموحدة ، التى تضم مئات الألوف من سكان ألمانيا الغربية الذين لديهم اقارب فى ألمانيا الشرقية .

ومن الناحية الثقافية ، تحتفى ألمانيا الغربية باى إنتاج علمى أو فنى لكل من يتحدث اللغة الألمانية بصرف النظر عن محل إقامته .

وعندما زرنا وكالة أنباء ألمانيا الغربية فى هامبورج ، ذكر مديرها ، ان ميثاق تاسيسها ينص على أن يكون مقر الوكالة فى عاصمة ألمانيا ، واخترنا بعد الحرب مقرا مؤقتا لنا فى هامبورج ، فمازلنا نعتبر ان برلين هى عاصمة ألمانيا ، ولكنها تعيش وضعا خاصا ، ونرى بون عاصمة مؤقتة ، لذلك استمر مقر الوكالة فى هامبورج ، ولم يذكر لنا .. حتى متى يستمر هذا الوضع .. ؟ !

وكانت أهم القرارات التى اتخذتها ألمانيا الاتحادية ، التى تتناول علاج قضية الوحدة من الناحية الاقتصادية ، فاعتبرت الحكومة الاتحادية نفسها ممثلة للأمة الألمانية . واعتبرت أن اتفاقها مثلا مع السوق الأوربية المشتركة هو اتفاق الأمة الألمانية مع السوق ، مما يتيح لألمانيا الديمقراطية تسويق منتجاتها فى دول السوق وفى دول الكوميكون فى ذات الوقت .

وجعلت الحكومة الاتحادية من برلين نموذجا للتعاون الذى يستهدف رفع مستوى معيشة الألمان الشرقيين ، وقدم لنا مسئول العلاقات بين الشرق والغرب فى برلين المعلومات التالية : « تبلغ القيمة الكلية لما تنفقه ألمانيا الاتحادية فى ألمانيا الديمقراطية حوالى ٢٫٥ مليار مارك ألمانى ، بخلاف القروض والتسهيلات المصرفية . ومليار مارك أخرى ترسلها العائلات فى



مشهد ليلى .. للمتحف القومى بميونخ

المانيا الغربية لأقاربها فى المانيا الشرقية » .

وتهدف الحكومة الاتحادية من هذه السياسة ، عدم مصادرة المستقبل ، وترك الأبواب مفتوحة أمام جيل جديد فى ظروف دولية أفضل . يستطيع هذا الجيل أن يحقق وحدة المانيا ، مع الايمان العميق بانه لايمكن إخماد قوة المانيا ..

وهنا نلاحظ أن أسلوب معالجة الوحدة الألمانية ، لا يقدم حلولا تم صنعها واعدادها ، وأصبحت صالحة للاستخدام ، وإنما يقدم طريقة حية للتفكير ، الذى لايقف عاجزا أمام المعضلات ، ولايقف حائرا أمام ماقدس من أوهام ..

ويمكن لنا الآن أن نتأمل فكرة الوحدة العربية التى كانت أحد أهم أهداف المنطقة العربية ، وأحد شعارات أقسام واسعة من الرأى العام العربى ، وعندما واجهت الفكرة العقبات ـ التى كان بعضها محليا أو إقليميا أو دوليا ـ سرعان ما ارتدت هذه القوى وأخذت تتنكر لهدفها القديم ! .

ورب قائل أن هناك اختلافا بيننا وبينهم ، ولكن تبقى تجربتهم هاديا للفكر والفعل العربى .

يملك العرب كل أسباب القوة ، فهم يزيدون على مائة وخمسين مليونا ، وأكثر من عشرين دولة ، ويملك العرب الموقع الجغرافى الاستراتيجى ، وينقصنا غياب التفكير العلمى ، وكثيرا ما نجهض الممكن فى سبيل المستحيل ، وليس لدى العرب إتفاق غير مكتوب يتناول الممكن والمؤجل ، ويختزن أهداف الأمة ، ولا نعمل العقل العربى فى البحث عن الطرق والوسائل لكى يتحول التعدد الى مصدر قوة بدلا من أن يكون عامل تفكك وتناحر ، ولم ندرك بعد انتهاء عصر حروب السيف والرمح ، التى تلعب فيها الحماسة والشجاعة الدور الرئيسى . أن الشجاعة التى نحتاج إليها هى جسارة العقل والقلب ، والقدرة على المبادرة والابداع ، وأن القوة تتمثل فى درجة التعليم واستيعاب المعرفة التكنولوجية ، وهى أيضا مدى القدرة على ممارسة حرية الفكر والضمير .

وليس لدينا دولة عربية تعتبر كل المواطنين العرب مواطنين ، ولم يتحقق بعد حتى ربط الدول العربية بشبكة مواصلات برية .

ويكفى فى ألمانيا ، أن الجيل الحاضر لم يصادر المستقبل أمام الأجيال الجديدة ، فهل نحن فاعلون .. ؟ !

# قاطرة جديدة للتاريخ العربى

## بقلم: عبد الرحمن شاكر

وقد اقترنت هذه الانتفاضة أو الثورة ، بتبدل آخر فى الموقف العربى ، وهو قرار مؤتمر القمة العربى فى عمان أخيرا ، بالموافقة على إعادة العلاقات مع مصر .. وهو القرار الذى ترتب عليه عودة العلاقات بين معظم الدول العربية ومصر ، وكان مفهوما أن السبب فى هذا التحول ، هو رغبة الدول العربية ، وخاصة في الخليج ، فى استرداد الوجود المصرى باعتباره رصيدا استراتيجيا للقوة العربية لاغنى عنه ، خوفا من اتساع نطاق الحرب الايرانية ـ العراقية لتشمل طائفة أخرى من دول الخليج العربية ، وأملا فى وضع نهاية سريعة لتلك الحرب ، وصدا لما أوجسته تلك الدول خوفا من مطامع ايرانية فيها .

نحن إذن أمام عنصرين من التحرك العربى ، أحدهما شعبى وهو مايحدث فى الانتفاضة الفلسطينية على الأرض المحتلة وردود فعله فى مختلف المجتمعات العربية ، والثانى تحرك حكومى ، من جانب الدول العربية بما فيها مصر ، وبين كلا العنصرين علاقة جدلية بحيث يؤثر كل منهما فى الآخر ، ويتأثر به ، ويمتد التأثير الى الموقف العربى فى جملته .

فمما لاشك فيه أن الانتفاضة الفلسطينية ، انما جاءت بعد قمة عمان وما تلاها من عودة العلاقات العربية بمصر ، من واقع احساس لدى الجماهير الفلسطينية الثائرة ، بالتخوف من أن تكون القضية الفلسطينية على وشك أن تغوص فى بحر من الاهمال او النسيان ، ليس من جانب القوى العظمى وحدها التى اجتمع قطباها الرئيسيان ريجان وجورباتشوف معا فى واشنطن ، وناقشا مشكلات نزع السلاح النووى بينهما وتطرقا الى سواها من المشكلات الدولية دون أن يرد للمشكلة الفلسطينية أو مايسمى بالنزاع العربى

**مما لاشك فيه أن العروبة في أيامنا هذه تشهد مدا متصاعدا بعد انحسار طويل ، وأن الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة كانت العلامة الرئيسية لهذا المد ووقوده المحرك أيضا . فالثورات ـ وهذه ثورة فعلية بمفهومها الشعبي ـ هي قاطرة التاريخ عند علماء السياسة ، ولايستطيع أحد أن يحسب نتائجها مقدما منذ البداية . ولكن مما لاشك فيه أن التاريخ لابد وأن يتبدل من بعدها ، وبسببها مهما يكن من ركوده قبلها .**

الاسرائيلي ذكر فيما بينهما ، لم يكن التخوف من أن يكون النسيان على هذا المستوى الدولي فحسب ، بل على المستوى العربي أيضا ، حيث تبدو الدول العربية أكثر اهتماما بقضية الخليج منها بقضية فلسطين ، بما في ذلك « تسامح » الدول العربية ازاء الصلح المصري مع الدولة الصهيونية ، وهو ماسبق لها أن قطعت علاقتها بمصر بسببه ! ويبلغ الاهتمام العربي بقضية الخليج الي الحد الذي تعلن فيه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية انها على استعداد لارسال مقاتليها للدفاع عن بعض الدول العربية في الخليج ، والكويت على وجه التحديد ! وبالطبع ليس معنى ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الأخرى كانت على وشك أن تنسى قضية فلسطين ، بل ان موقفها يعني في الواقع أمورا عدة ، منها أن المنظمة تحمل الهموم العربية كما تريد لسائر العرب أن يشاركوها همها الأكبر ، وأن بالخليج وبالكويت بالذات وجودا فلسطينيا واضحا هو أحد ثمار الشتات الفلسطيني الذي ترتب على الغزو الصهيوني ، ومن غير المعقول أن يشارك الفلسطينيون غنم الوجود في الكويت دون غرمه اذا ماتعرضت للخطر أو العدوان ! وفي النهاية فان هذا الموقف يعكس بوضوح شديد جوهر القضية العربية ، وهي أن الدفاع عن الوجود العربي في مجمله هو قضية واحدة ، ينبغي أن يحمل مؤونتها جميع العرب بجهود موحدة .

● آفاق الانتفاضة

ولقد كان من أهم الظواهر الملحوظة في الانتفاضة الفلسطينية انضمام الجماهير العربية في الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ اليها ، وهم من قد عرفوا من قبل

## قاطرة جديدة للتاريخ العربى

باسم « عرب اسرائيل » اشارة انهمّ يحملون دوليا الجنسية الاسرائيلية ، والمفروض فيهم انهم بعض مواطنيها أو رعاياها ! لقد قيل ان هذه الجماهير قد استردت وعيها العربى بالفعل ، ولكننى ما اظن ان هذا الوعى قد غاب عنها قط ، وانما كانت خاضعة لظروف قاهرة جعلتها تقبل الهويةالاسرائيلية مرغمة بدلا من مفارقة ديارها ، تلك المفارقة التى لاتخدم فى نهاية الأمر الا الغزو الاستيطانى من جانب الصهيونية .

إن هؤلاء ماهم الا جزء من عرب فلسطين مهما تكن الهوية التى الحقت بهم ، ولكن من ينطبق عليهم تعبير « عرب اسرائيل » ، هم فيما أعتقد ، اليهود العرب ، أو اليهود الذين يتكلمون العربية ، ممن كانوا فى فلسطين قبل الصهيونية ، ومن نزحوا إليها من مختلف البلدان العربية ، وهؤلاء القوم وان كانوا محسوبين حاليا أو هم بالفعل من القوى التى تعمل فى خدمة الصهيونية ، فان موقفهم قابل لأن يتبدل اذا ما استمر المد العربى أو تصاعد ، متمثلا فى تلك الانتفاضة ومايترتب عليها فى الوضع الفلسطينى خاصة والوضع العربى اجمالا .

وشرط لهذا التبدل أن تزداد طبيعة الصراع وضوحا ، وتزداد رؤيته استقامة ، باعتبار أن الاستعمار الصهيونى الاستيطانى ، هو فى واقع الأمر غزوة أوربية أخرى مثل الغزوات الصليبية فى الماضى ، وعمادها ومؤسسو حركتها هم الخزر الأشكناز من شرق اوربا والقوقاز الروس أساسا ، ولا يزال هو المعين الذى يستمدون منه مددهم البشرى ، ويريدون تفريغ الأرض العربية من سكانها لتوطينهم ، **هؤلاء هم الذين يفرضون الوجود الاستيطانى المعادى للطبيعة العربية لفلسطين والمنطقة المحيطة بها ، وهم الذين ابتدعوا إحياء العبرية لغة للدولة التى فرضوها على فلسطين ، بعد أن كانت العربية قد استوعبت ابناء هذه المنطقة من قديم بغض النظر عن الدين الذى يعتنقونه .**

هؤلاء الأوربيون الأشكناز هم عنصر العداوة الرئيسى للوجود العربى فى فلسطين ، وإذا كان منهم من يدركون خطورة الوضع الحالى ربما اكثر من « مواطنيهم » من اليهود الشرقيين « السفارديم » ، ويطالبون بسرعة التوصل الى حل تكون فيه سلامة دولتهم عن طريق التعايش السلمى مع جيرانها بمن فيهم العرب الفلسطينيون ، فهم ايضا الاكثر قدرة على الفرار الى العالم الذى ينتمون اليه ، وتشكو دولتهم الآن من أن كثيرا منهم يرحلون الى الولايات المتحدة الامريكية ، أسوة بمعظم الخزر الأشكناز خلال القرن العشرين ، وأن مغريات الحياة واحتمالات اصابة الثراء هناك تجتذب المهاجرين من الدولة الصهيونية ذاتها ، حتى أصبحت نيويورك وحدها ، بها من حملة الجنسية الاسرائيليةّ من يكفون لتكوين ثلاث فرق من جيش الدفاع

الاسـرائيلى ! ... على عكس اليهـود الشرقيين ـ وخاصة « العرب » منهم ، بمعنى أن من نزحوا من البلاد العربية أو كانوا من سكان فلسطين الأصليين ، فإن مستقبلهم على المدى الطويل هو فى استرداد الاحساس بعـروبتهم ، وأن مصيرهم مرتبط بالقدرة على الاندماج من جديد مع سائر سكان المنطقة من العرب ، شريطة أن يطرحوا أوهام الصهيونية فى اعادة ملك اسرائيل من النيل إلى الفرات ، وأن نساعدهم على ذلك برفض التصوير الصهيونى لطبيعة الصراع ، واظهار المضمون القومى له ، الذى يتلبس برداء الدين .

● الفرس والعرب

والمبدأ ذاته أو قريب منه ينطبق على الجانب الآخر من هموم المشرق العربى ، وهو حرب الخليج ، ومضاعفاتها القائمة والمحتملة ، فهناك ايضا خلط شديد بين الطابعين القومى والدينى للصراع ، إلا أن الأخير فى هذه الحالة يتخذ شكل الصدام بين مذهبين كلاهما ينتسب الى الاسلام ، وهو مما يزيد الأمور تعقيدا . فالحقيقة التى تفرض ذاتها كل يوم أن هناك أطماعا فارسية فى ذلك الجانب من جزيرة العرب ، كانت قائمة من ايام الشاه ، وكان تكثيف الوجود البشرى ولو عن طريق تهريب الأفراد ، الى دويلات الخليج الغنية احدى وسائل تحقيق تلك الأطماع بمحاولة تغليب العنصر الفارسى على العنصر العربى ، ولم يكن لظاهرة من هذا النوع أن تمثل مشكلة فيما مضى من تاريخ هذه الأمة ، حيث كان كل المسلمين ، أو من ينتسبون الى الاسلام ، لايكادون يفرقون بينه وبين العروبة ، حينما كانوا يتخذون العربية لسانا لهم باعتبارها لغة الكتاب والسنة ، وبها جاء الاسلام ، ولكن بعد ظهور النزعات القومية واستقرارها وهذا من حق أصحاب كل لسان وتراث ثقافى متميز أن يصطنعوه ، لم يعد من حق أحد أن ينازع العرب أصحاب اللسان الذى نزل به الاسلام رايته قط ... وإذا كان الفرس قد آلوا فى معظمهم الى اعتناق المذهب الشيعى ، فى مقابل غلبة المذهب السنى على العرب ، وعلى معظم المسلمين فى الواقع ، فلا ينبغى أن يستغل الخلاف التاريخى بين المذهبين لتدليس أطماع غير عربية فى أرض العرب ، خاصة أن أصحاب هذه الأطماع قد طرحوا الالتزام بلسان العرب باعتباره لسان المسلمين ! ومن حق العرب ومن واجبهم أن يدافعوا عن الوجود العربى فى ديارهم بكل مايستطيعون ، وعليهم أن يعوا هذه الحقيقة ويكونوا اكثر صونا لوحدة صفوفهم من أن يمزقها الانتماء الى هذا المذهب او ذاك ، مما عرفه تاريخ الاسلام .

إن الوعى القومى فى هذه الحالة ليس ترفا ، ولكنه ضرورة حياة ، لقد كانت النزعة الاقليمية أكثر استعلاء فى هذه المنطقة بالذات من أرض العرب ، بسبب الثروة البترولية الطارئة ، وكانت النظرة الأنانية ضيقة الأفق تصور لكثير من سكان تلك المنطقة ان العروبة نزعة عدوانية تحاول انتزاع مافى أيديهم أو بالأقل مشاركتهم فيه من موقع العوز والفقر والحاجة ، ولكن الأحداث قد اثبتت لهم أن

# قاطرة جديدة للتاريخ العربى

الخطر عليهم لاياتى من عرب امثالهم ، وانما من سواهم ، ممن يبغضون عروبتهم ، بل ينكرون عليهم البعض حتى اسلامهم ، ولو كانوا هم من نزل عليهم وبلسانهم هذا الدين !

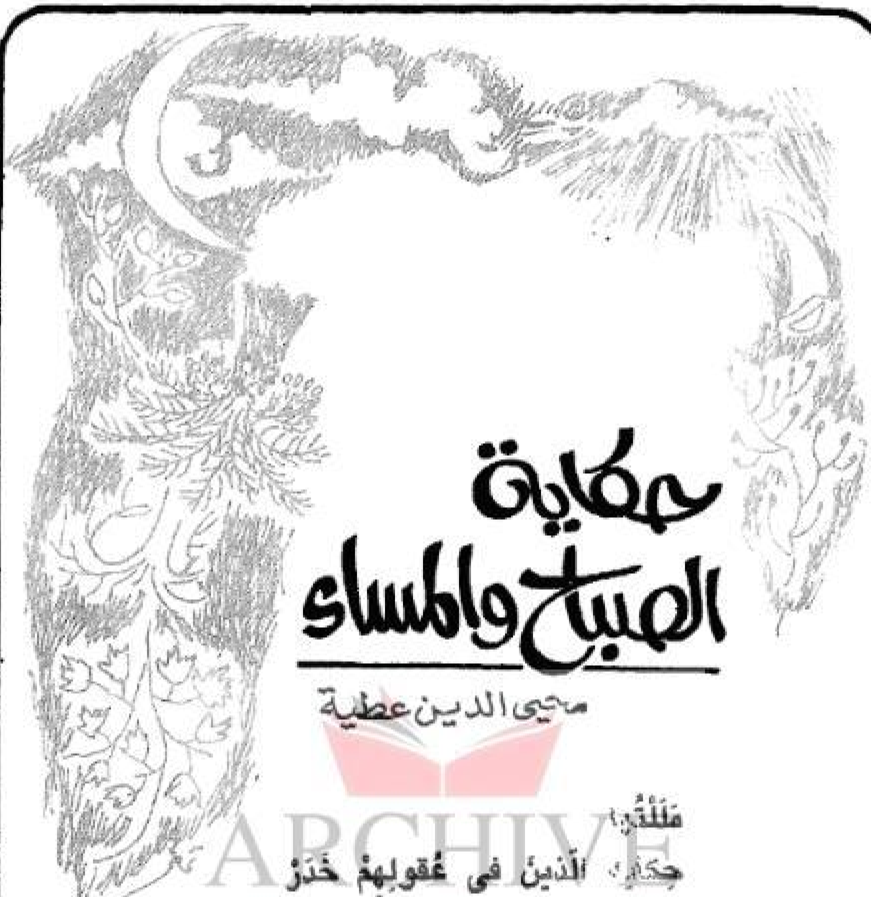
فإذا كان للإقليمية ان تنتمى لتفسح مكانها لوعى عربى صحيح ، بأن هذه المنطقة عربية واحدة ومصيرها واحد ، وأن احدا لن يفلت من المجزرة اذا استعرت وخاصة الكيانات الصغيرة التى قامت فى الخليج ، فانها تذهب وتذهب معها أيضا أوهام كثيرة عن امكان استدامة اوضاع ان ان تخرج من التاريخ ، من العصبية القبلية واهدار حقوق المواطنة ولو على المستوى الاقليمى ، فى حق التعبير والتفكير والعمل السياسى ، وحقوق الفرد فى الرعاية الاجتماعية ... ومن شأن تطور داخل مختلف المجتمعات العربية فى هذا الاتجاه أن يزيد من تقاربها فى اتجاه مجتمع عربى واحد ، تطالبها ضرورات البقاء بأن تنجزه ، وتلح عليها فى ايجاد صيغته السياسية المستقرة .

● **الدور المصرى**

ومما لاشك فيه أن استرداد الدور المصرى ، بعد طول غياب عن الساحة العربية ، لا يمكن أن يكون مجرد عودة الى اوضاع ماضية ، بل ان ذلك مستحيل من بعض الوجوه ، ولكن اهم عناصر الدور المصرى الجديد ، هو مقابلة المسئولية التاريخية بما تستحقه من وعى بما تمليه على الجزء الأكبر ، والأكثر تطورا فى نواح كثيرة من الوطن العربى تجاه سائره ، ان دور الطليعة ينتظر مصر من جديد ، ولكن عن غير طريق الاملاء ومحاولة فرض الارادة الذاتية ، بل عن طريق الاقناع والاستمالة والتوعية ، وضرب المثل بما ينبغى أن يُظل الوطن العربى من حرية والتزام اجتماعى ، باعتبارهما شرطين لاغنى عنهما ـ على مستوى الامة العربية كلها ـ لقيام التزام قومى على نحو صحيح ، قادر على خلق القوة الضرورية لمواجهة الأخطار المهددة للوجود العربى من ناحية ، وتحديات العصر من ناحية أخرى .

والمسئولية ـ كما هو واضح ـ فى ذلك كله ليست مسئولية الحكومات وحدها ، ولا القائمين عليها مهما تكن درجة وعيهم ، وانما هى فى المقام الأول مسئولية الشعوب العربية ذاتها وهى صاحبة المصلحة ، واداتها فى الوصول الى صيغة الوجود الصحيح لها هو تواصلها الفكرى والثقافى ، من خلال وعاء حضارتها وعلامة وجودها واعنى لسانها العربى !

■■■



# حكاية الصبح والمساء

محيى الدين عطية

مَلْلتُو!
حكاي الَّذينَ فى عُقولِهِمْ خَدَرْ
يَرَوْنَ فى مَنامِهِمْ
سَحابةً نَسيجُها أشِعَّةُ القَمَرْ
فَيَرْكُضون ، يَلْهَثونَ خَلْفَها
وَيَرْكَبونَ فى سَبيلِها مَراكِبَ الخَطَر
يُحَطِّمونَ فى طَريقِهِم
مَدائِنَ الكُرومِ وَالنَّخيلِ وَالشَّجَرْ
وَفى الصَّباحِ يُدْرِكونَ انَّها
سَحابَةٌ بِلا مَطَرْ

# عرس الجليل ... أم عرس فلسطين

بقلم : مصطفى درويش

**الاستقبال الخرافى لعرس الجليل فى القاهرة العاصمة العربية الوحيدة التى سمحت بعرضه ، والاحتفال المدهش به لايكاد أحد يتصوره أو يقدره .**

**الانبهار به والحماس وصلا الى حد جنوح البعض الى القول بأنه خير من ألف فيلم .**

**ولست محتاجا الى ان افصل هذا الاستقبال وماصاحبه من حماس وانما الاحظ ان من اهم الاسباب التى دفعت الى كل هذا .، انه اول فيلم روائى سياسى عربى ينجح صاحبه فى الخروج به ـ رغم جهابذة الاحتلال الاسرائيلى ـ من المعتقل الكبير الذى اقامته الصهيونية للشعب العربى فى فلسطين .**

● وهو خروج يذكرنا بملحمة « يلمز جوناى » ـ الطريق ـ التى نجح اصحابها فى اخراجها من ظلمات السجون فى الاناضول الى النور ـ فكان ان حققوا بذلك فتحا مبينا للسينما التركية فى مهرجان كان .

وعلاوة على ماتقدم فان فرصة مشاهدته فى عاصمة الوطن العربى واكبت الانتفاضة الشعبية الكبرى فى فلسطين تلك الانتفاضة التى زلزلت الأرض من تحت اقدام قوات احتلال عنصرى دام اربعين عاما . هزت ضمير العالم حتى انه اصبح لا حديث للانسانية الا ماصنعته الطير الابابيل . ترمى جنود



المختار وابنه حسان الذي يخاف عليه من نفسه



اسرائيل بحجارة من سجيل على امتداد فلسطين من الجنوب في غزة حتى الشمال في الجليل .

وفوق هذا ، فقد كان العمل السينمائي العربي الوحيد المتكلم بلغة الآباء ، الذي استطاع - من بين جميع الافلام العربية المعروضة في مهرجان القاهرة - ان يجمع بين الجدة والجدية ، يزاوج بين الجمال والجلال .

وفي الحق - فهو يمثل انعطافة في مسار السينما العربية ، فكما انه قبل يوم عرضه في السادس من ديسمبر لعام ١٩٨٧ هنا في العاصمة

# عرس الجليل
# ... أم عرس فلسطين

« القاهرة » كان يؤرخ لسينما المؤلف في الوطن العربي بالمومياء « ليلة حساب السنين » فانه بعد هذا اليوم اصبح يؤرخ لسينما المؤلف ذات الطابع الجماهيري على امتداد الوطن برائعة ابن الناصرة « ميشيل خليفي » .

والان الى « عرس الجليل » نفسه في محاولة منا لاكتشافه من الداخل ، حتى نستطيع ان نتبين كيف ملك العقول والقلوب .

● قصة حب

بادىء ذى بدء ، قد يخيل الينا اننا نستطيع ذلك من خلال القصة ، فما هي ؟

موجزها كما كتبه صاحب العرس يخلص في أن ثمة قرية فلسطينية عربية تخضع منذ اربعة شهور لحكم عرفي فرض عليها عقب قيام بعض التظاهرات العنيفة رئيسها المختار يطلب الى الحاكم الاسرائيلي العسكرى ان يرخص له بعقد قران ابنه ، واقامة عرس لذلك على جانب كبير من الابهة ، مما يستلزم رفع الاحكام العرفية ، ولو الى حين .

يتردد الحاكم تخوفا من تحول العرس الى شغب سياسي ولكنه سرعان مايوافق مشترطا ان يستمر العرس مدة لاتزيد على اربع وعشرين ساعة ، وان يكون هو وضباطه ضمن المدعوين باعتبارهم ضيوف شرف .

يقبل المختار لانه كان يعتقد ان التسامح حتى مع العدو في أوقات الاعياد والافراح والمآتم . أمر واجب وما أن يعود الى القرية ، حتى يسعى الى اقناع الجميع ولكن اهل القرية اختلفوا معه في شان هذه الدعوة . وكان عليه ان يحشدهم تأييدا لقراره ، لأنه من الواجب عليهم ان يقفوا مع حلمه مساندين .

وغني عن القول ان هذا الموجز لعرس الجليل لايشفي الغليل .

ومن هنا كان اضطرار صاحبه الى ان

ضباط الاحتلال



يكتب مذكرة ايضاحية قصيرة تحت الموجز سالف البيان .

ومن بين ماجاء فيها ان عرس الجليل ان هو الا قصة تحد فجّر صراعا بين الهين ، بالمعنى التراجيدى للعبارة ، احدهما الحاكم القابض على زمام السلطة العسكرية والاخر المختار القابض على زمام السلطة الابوية .

كلاهما يحاول اجتذاب القدر الى صفه . وكلاهما يفشل فيما سعى .

واذا بالشعب وحده المنتصر .

وفى ختام مذكرته يقول ابن الناصرة عن فيلمه انه محاولة لدفع الاسطورة الى الاقتراب من الواقع حتى تتحول به الى واقع مصطبغ بالشاعرية ، واقع مركب تسكنه الصورة والصوت والايقاعات والاحساسات والمشاعر ومناظر الطبيعة ، يتناغم فيه كل ذلك حاملا رسالة الحرية .

وفى الحق ، فان هذه المذكرة لاتشفى الغليل الا فى قليل .. فما هو ؟

الفيلم فى مفهوم ماتقدم ، وان كان فى الظاهر يبدو واقعيا ، فإنه ليس من السينما المنتمية الى المدرسة الواقعية فى شىء

فالقرية فيه ، وهى من قرى الجليل التى تعيش مضرجة بالدم والدمع تحت حكم الارهاب العرفى ان هى الا رمز لأرض فلسطين الطيبة .

والمواجهة فى هذه القرية ليست اساسا بين الهين .. الحاكم الاسرائيلى والمختار .

عروس الجليل •• ليلة حب



# عرس الجليل
# ... أم عرس فلسطين

**وإنما بين قوتين .. جنود اسرائيل واهل القرية . وهي بدورها انما ترمز الى المواجهة القائمة الدائمة بين جيش الاحتلال وشعب فلسطين .**

## ● الألغام .. لماذا ؟

وفي هذه المواجهة الرمزية لانسمع اصوات طلقات رصاص تنطلق لتصيب في مقتل ولاترى جروحا مفتوحة تنزف ودماء شهداء تسيل على ارض الجليل .

وانما نسمع اشعارا واغاني شعبية وزغاريد وهتافات ، نرى عروسا جمالها يخطف الابصار ، تغتسل كما الحور العين بالعطر والريحان .

وعريسا بارع الحسن ممتطيا جوادا اصيلا ، موزعا بين روعة الحب ، ولوعة الواجب .

وفرسا عربيا جامحا في حقل مزروع بالألغام الاسرائيلية ( حتى لانزرعه قمحا كما قال الصبي « حسان » شقيق العريس ) يتهدده موت لاتعرف له حكمة ، ولاغرضا ولاغاية .

حتى اذا ماتصاعدت الأحداث في الحركة الاخيرة من العرس ، منتهية بالقوة الاسرائيلية التي فرضت نفسها ضيفا ثقيلا على أهل القرية ، منسحبة من العرس وسط اللعنات وهي تجر اذيال الخيبة ، احسسنا اننا بازاء رمز جامع يشير الى وقائع خطيرة ، بازاء عمل فني كبير استطاع ان يقول الكثير عبر صور شعرية تستلهم واقعا مجنحا بأساطير نحار أين تبتديء ، وأين تنتهي .

**هكذا كان رسم المواجهة في « عرس الجليل » وكان صاحبه يريد برسمه هذا ان يقول بلغة المجاز ان معركة الشعب في فلسطين ضد المحتل الدخيل ، ماهي الا معركة في سبيل البقاء .**

## ● الكلمة الوليمة

وان الانتصار فيها ، انما يستلزم استعمال جميع الاسلحة المتاحة ، وفي مقدمتها الحفاظ على الهوية الفلسطينية .

فمثلا في « المنام » حيث رأى المختار جده يطل عليه طالبا اليه اقامة عرس يكون « من اجمل الاعراس يتباهى به في الشرق والغرب ، تلبس فيه النساء افضل فساتينهن » هذا المنام ليس من الخرافة في شيء ، والعرس الذي تولد عنه ، هو عرس الهوية ، ذلك ان مجرد توجه المختار الى مبنى الحاكم العسكري وقوله له « انا بدّي اعمل العرس ويكلفني شو مايكلف » ، هو في حد ذاته ينطوي على قدر كبير من التحدي .

ومن هنا فرض الحاكم العسكري حضوره على العرس مع نفر من ضباط جيش الاحتلال ، كرد فعل استفزازي لهذا

التحدى ، وكوسيلة لاهدار الكرامة ، وافساد فرحة الافصاح عن الهوية .

فلا شيء اخطر على جيش الاحتلال من استمرار شعب فلسطين محتفظا بهويته ، متمسكا بها ، وذلك ان الابقاء عليها حية ، نقية ، والممارسة لطقوسها ، فيه تكذيب وأى تكذيب لدعوى الصهاينة تبريرا لاحتلال فلسطين ، والقائمة على اساس انهم جاءوا الى ارض بلا شعب ، الى صحراء قاحلة غير مأهولة فجعلوها جنات تجرى من تحتها الانهار !!

ولست مغاليا اذا ماقلت ان الهوية الفلسطينية ، هى التى تعطر عرس الجليل ، بدءا من افتتاحيته فى مقر الحاكم العسكرى حيث المواجهة الأولى بين قائد قوات الاحتلال والمختار .

وهى التى تفجر ينابيع حركاته الأربعة ، كما يحلو لابن الناصرة ، « خليفى » أن يسمى اجزاء فيلمه .

## ● جذع النخلة

فعندما يفشل العريس فى فض بكارة العروس ، اذا بنا نفاجأ بها - وبعد طول معاناة - وهى « تحل بكارتها » بنفسها بدلا من العريس ، وذلك حتى تمكن التراث من الاستمرار .

وعندما يهرب الطفل « حسان » من ابيه المختار الدائم الخوف عليه من نفسه ، لايجد مكانا « يأوى اليه سوى جذع شجرة زيتون » .

**وعندما تتناول مجندة جيش الاحتلال مالذ وطاب من طعام نساء فلسطين ، فيغمى عليهم من المسرة ، فانها لاتفيق الا بفضل هؤلاء النسوة ، وهن يرتلن من حولها الايات ترتيلا ، وهن يخلعن عنها اللباس العسكرى الكئيب ، ويلبسنها بدلا منه ، ثيابا فلسطينية مطرزة ، تسر الناظرين .**

**وعندما يفر الحصان الرهوان ، فيقع فى أسر حقول الألغام ، فانه لايعود الى ارض الأمن والامان ، بفضل الطلقات النارية المزعجة التى تنطلق من فوهات بنادق جنود الاحتلال ، وانما يعود بفضل عبارات الملاطفة والمرحبا العربية ، التى يهدهده بها المختار فى حب وحنان .**

**وانطلاقا من هذا الاتجاه الانسانى فى « عرس الجليل » وذلك بفضل حبكته التى تركز على اهمية الهوية ، وضرورة الحفاظ عليها فى مواجهة الصهيونية ، فانه بهذه المثابة يعتبر من الافلام العربية القليلة التى استطاعت ان تنصف ماضينا وحاضرنا فى فلسطين ، وان تعيد ادخال قصتنا - نحن العرب - فى مسار التاريخ المشترك للانسانية .**

# جولة المعارض

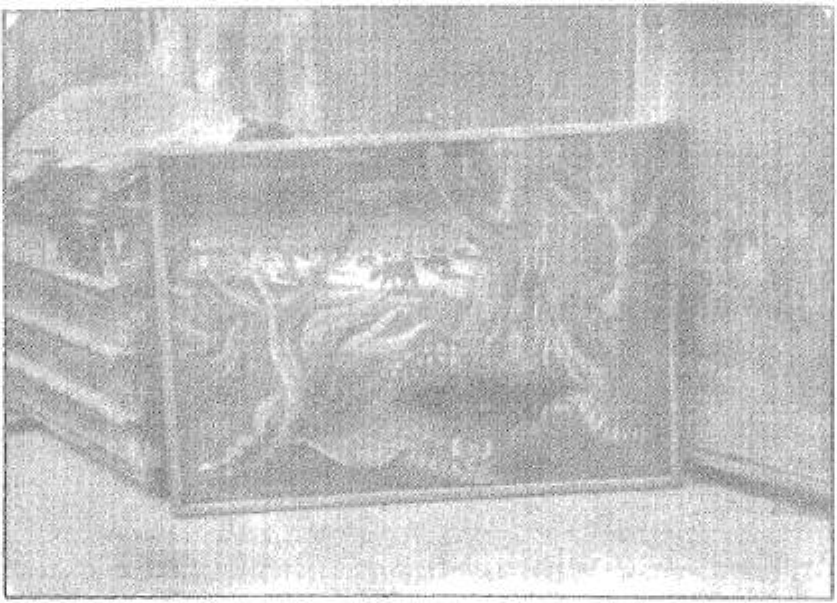
## معرض سمير رافع وتواصل الأجيال

بقلم : محمود بقشيش

كان معرض المصور « سمير رافع » ألمع معارض الشهر الماضي بما جاء به من عبق الاربعينيات حيث « الجماعات » التشكيلية التى أحدثت تحولات رئيسية فى الحركة التشكيلية المصرية . وجعلت « الفن » يلامس واقع البيئة ، وهموم الناس بنفس الدرجة التى يستلهم بها لغة التصوير المعاصر الغربى مرورا بانجازات عصر النهضة . لم تكن تلك الجماعات جزرا مهجورة بل متفاعلة . وقد ظهر تأثيرها المتبادل - على سبيل المثال - فى الملامح الاسلوبية ، وفى كثير من تفصيلات الملامح الانسانية . كضخامة الأطراف وخشونتها وفطرية الوجوه ، وربما كان الأهم هو الاشتراك فى كسر « هيبة » اللوحة الكلاسيكية . و « حيادية » الأسلوب الأكاديمي ، ومد خطوط الاتصال مع واقع الناس .

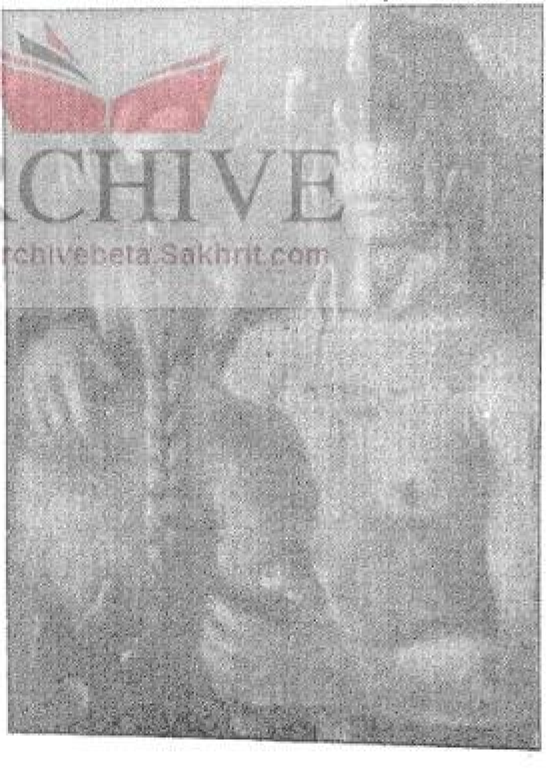


● وكان الأسلوب - الأب - المسيطر على أجنحة تلك الجماعات هو الأسلوب التعبيرى ، وإن ظهر بأوجه متعددة ، فقد ظهر وجهه « السيريالى » فى جماعة ، ووجهه « الرمزى » فى جماعة أخرى .. وهكذا ، لهذا لم يكن مستغربا أن تلمح بعض الاستعارات « السيريالية » فى أعماله الأولى مشاركا فى هذا جماعة « الفن والحرية » توجهها الى هذا الاسلوب ، وإن حاول أن يستلهم - بواسطة هذا الاسلوب - بعض كلاسيكيات التصوير الغربى ، ولم يحل هذا الاستلهام دون ظهور الطابع الذاتى . فظهرت المرأة - الاسطورة - كيانا جامعا بين حسية الجسد الانسانى ، وخشونة « بعض » مظاهر النبات ، كما فى لوحة « دافنى » .. ويلتقط « رافع » من « المرأة - الاسطورة » لحظة تحولها الى نبات ، والتزم فى تلك



خراب .. لوحة
للفنان سمير رافع





من وحي مصر .. للفنان
سمير رافع ١٩٤٨ ..

# جولـة المعـارض

اللوحة - بل قل فى لوحات تلك المرحلة - بكثير من النسب الواقعية ، واسس تصميم عصر النهضة بما يتميز به من رصانة واتزان سكونى ، واقتصاد فى اللون ، وقد بالغ «رافع» فى هذا الاقتصاد .. وإن تمرد عليه فى فترة الخمسينيات ، فظهرت الألوان صريحة ، متالقة . إن الايحاءات الروائية تجد ملاذا فى التعبيرية والسريالية والرمزية .. لهذا تتيح للمشاهد استخلاص عديد من القراءات وبالنسبة لى .. أعترف بأن تلك اللوحة تصدمنى كلما وقعت عيناى عليها ، وأهرب منها الى لوحة أخرى .. رغم احتفاء نقاده بها ومن ابرزهم الناقد « الكونت دار سكوت » الذى قال :

[ يمكن للمتفرج أن يتخيل نفسه « ابولون » وقف فجأة عن مواصلة الجرى بينما « دافنى » الهاربة تتحول الى شجرة غار ] وسأتصور نفسى ( ابولون ) فماذا أرى ؟ : أردافا مثيرة ، وجلدا ناعما .. وماتكاد ترتفع العينان الى العمود الفقرى حتى يصاب صاحبهما بالهلع ... ففى موضع العمود الفقرى تتصلب انياب شرسة مخترقة جسد « دافنى» الجميل ، ويتشعث شعرها ، وينتحل شكل الافرع الخريفية الحادة ! .. وإذا كانت تلك الصدمة قد جاءت من المفارقات « السيريالية » فاننا نتعاطف مع استفزاز عالم لوحة أخرى - بعنوان افتراضى لنقل انه «خراب» ونتقبل تحريضه لنا بصدر رحب ! .. فقد احتشد بكل العناصر المنطقية ، والمتسقة التى تدعونا الى الوقوف مع الفنان فى موقفه من واقع يراه كريها ؛ فالاشجار منخوبة ، وثمار الاذرة مرتع للدود ، والأبقار تبدو على البعد تائهة منكسرة والسماء ملبدة بالغيوم ، والظلال الممتدة توحى بالوحشة ، وفروع ، وأوراق الشجرة والنبات تستنجد بالسماء وتتلوى ألما . ويظهر اللون صريحا فى مواضع كثيرة من اللوحة ، موحدا بين « المبنى والمعنى » فالقريب ملون بالالوان الساخنة والبعيد بالألوان الباردة ، ويتشكل بالقريب والبعيد مسرحا مأساويا ، يستفز فى المشاهد كوامن الغضب والنفور - ليس من اللوحة بالطبع - ولكن من صورة الواقع كما رآها الفنان . تحتل مفردة المرأة ركيزة محورية فى لوحاته ، وتتأرجح بين الرمز والواقع ، وهى فى معظم الحالات عارية ، تكشف عن صلة قربى بانجازات عديد من كبار المصورين المعاصرين أمثال : بيكاسو ، ورووه وماتيس وغيرهم ، كما تكشف فى نفس الوقت عن صلة القربى بجوهر المنحوتات الفرعونية من حيث وضوح المعالم ، وسكونية التكوين .. أو بمعنى أدق ما يطلق عليه : الحركة الداخلية - كما تظهر فى نموذج بعنوان افتراضى : « الراحة » حيث يظهر فى اللوحة شكلان انسانيان يتعاكسان فى وضعيهما المسترخى ، ويتأبطا كلاهما ذراع الآخر ، ويقف على رأس احدهما

جرو يبدو مندهشا ، ومكملا فى نفس الوقت دائرة التكوين الثنائى . نفذت اللوحة عام ١٩٥٣ ، وتظهر الالوان ، واللمسات بها أكثر صراحة ، والبعد ـ أو عمق اللوحة ـ أكثر تلخيصا وفى حين تحتل المرأة مركز البطولة يظهر الرجل هامشيا مشلول الارادة ، وتحتل البطولة الثانية ، « السمكة والطائر » : رمزان للاخصاب والحرية . إن هذا المعرض يستحق دراسة تحليلية موسعة لايتسع لها المجال الآن وربما اتيح لى او لغيرى ـ فيما بعد ـ القيام بهذه الدراسة .



سمير رافع .. فى حالة رسم



- ولد بالقاهرة عام ١٩٢٦
- حصل على دبلوم مدرسة الفنون الجميلة العليا ( قسم الزخرفة ) عام ١٩٤٨ ، ودبلوم المعهد العالى للتربية الفنية عام ١٩٥٠ وكان ترتيبه الأول فى الشهادتين .
- كان عضوا فى جماعة الفن المعاصر التى أسسها «حسين يوسف امين» وشارك فى جميع معارضها من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٣ .
- نشر الناقد البلجيكى « الكونت دار سكوت » فصلا فى كتاب عنوانه : [ مصورو ونحاتو مصر المعاصرين ] عام ١٩٥١ .
- حصل على منحة لدراسة تاريخ الفن فى جامعة السوربون عام ١٩٥٣ .
- عمل فى الجزائر وقام بتدريس تاريخ الفن بها .
- نشر فى مصر سلسلة ممتعة من المقالات تحت عنوان [ مذكرات فنان مصرى بباريس ] نشرت فى مجلة الهلال .
- مقيم حاليا فى باريس منذ عام ١٩٥٣ حتى اليوم .

# تجليات عبد الرحمن النشار

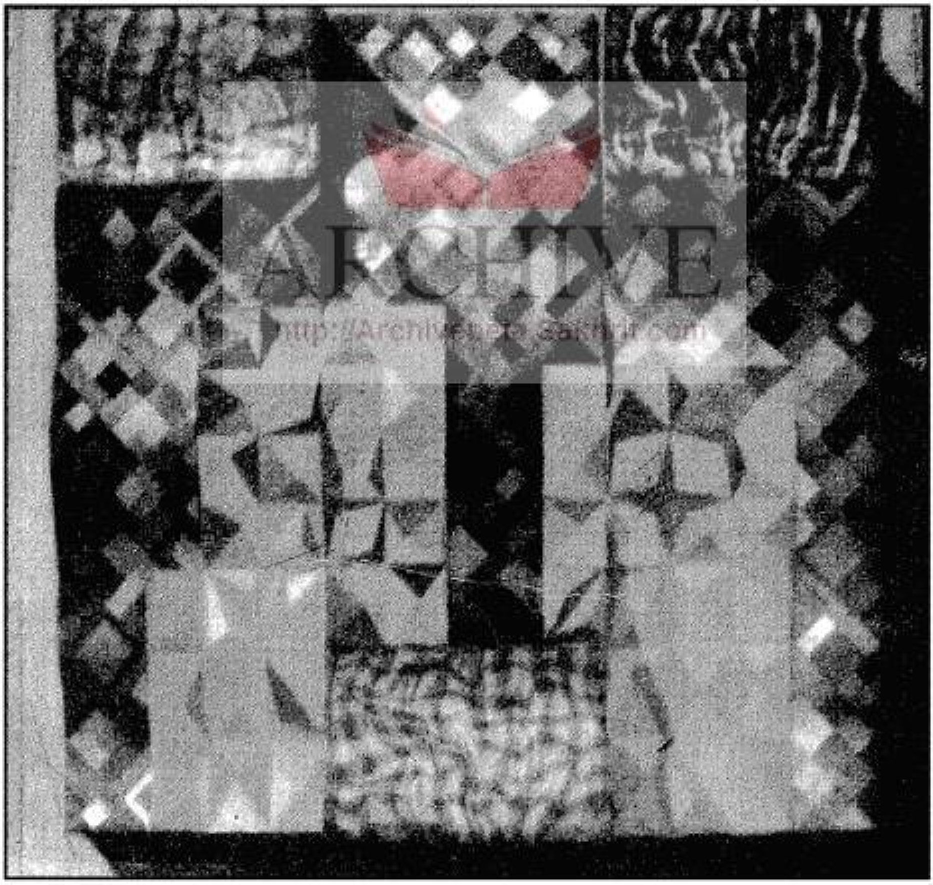
قوبل معرض الفنان «عبد الرحمن النشار» بدرجة كثيفة من التعتيم الاعلامى كما قوبل فى الندوة التى اقيمت لتقويم المعرض بمذبحة استهدفت الاجهاز على تاريخه الفنى، ورغم تلك القسوة فاننى اعد هذا المعرض من المعارض الهامة خلال هذا الموسم. اذكر اننى عند أول لقاء بمعرضه، وخاصة بلوحاته الثلاث الكبرى ابتهجت، وأخذت بالبراعة والاتقان والصبر.. وحتى عندما توغلت فى عالمه واستوقفنى بعض ما أخالفه فيه.. كانت سطوة البهجة والاحترام لاتزال قائمة فى نفسى. اختار «النشار» اسم «التجليات» عنوانا لمعرضه، ودعوة يوجه بها المشاهد الى مدخل من مداخل لوحاته، فالتجليات مجالها «اشراق» الروح.. ولاتستطيع الكلمة المنطوقة، أو اللون المرسوم «وصف» تلك الحالة.. بل الايحاء بها، وعلينا فى الجانب المقابل ان نتلقى هذا الوحى لنغوص أكثر فأكثر فى ذواتنا، فالفنان لايريد لحواسنا ان تلامس «عبثية» الواقع، أو ـ بدرجة أعلى ـ ان تشتبك معه أملا فى خلاص أرضى. لهذا كان اعتصامه بالمجردات ضرورة.. وإن أضاف هجينا من «جوهر» نظام المنمنمات، والزخارف الاسلامية، والمدرسة البصرية الغربية، كان من نتيجته ـ ولمزاج شخصى يتميز به «النشار» ـ امتلاء سطح اللوحة الى حد التخمة بالألوان الصداحة. المهندسة.. غير انها هندسة عاطفية تتكىء على التداعيات. ولم يكتف بهذا بل شاء ان يضيف لثوابت الالوان فوق مسطحاتها ظلالا تتغير بتغير موضع اللوحة من الضوء فاصطنع تموجات مجسمة فى شكل اللوحة: المكونة من جزئيات منفصلة فى الأساس. ولقد اختار «الشكل المربع» اساسا جماليا للوحاته. ويستخرج أقصى مايستطيع من اشتقاقات المربع، والمستطيل.. ويكسر سياق اشتقاقاته تلك بكيانات صغيرة تتميع بليونة خطية، ومن التوافق والتخالف بين ماهو عضوى وماهو هندسى ينشأ حوار داخلى.. يسوده غطاء من درجات لون مسيطر فى اغلب الأحوال. وفى اللوحة المنشورة نلاحظ تنويعات على وحدات ثلاث! فاللوحة الكلية تتكون من ثلاثة قطاعات طولية، وثلاث وحدات من الاشكال الموحية بالعضوية تشكل فيما بينها هرما مقلوبا، وثلاث وحدات أخرى يتسيدها اللون الأحمر يغاير به تماثل الوحدات الطولية، والهرم المقلوب متساوى الضلعين.

رغم الجهد المضنى الذى لاتخطئه العين فى هذه اللوحة وغيرها من لوحات المعرض فاننى اعترف بأن وحداته الهندسية. الحمراء. المعترضة.

ووحداته العضوية المفروضة فرضا قد حالت بينى وبين الاستغراق فى سلام مع اللوحة ! .. غير أن أهم لوحات معرضه هى تلك اللوحات الثلاث الكبرى المسماة : « ملحمة الكون » ، فعلى الرغم من اعتمادها على التركيب المعقد بين وحدات ملتصقة فان الأغطية اللونية المسيطرة على اللوحات تكشف عن براعة وصبر تثيران الانتباه ، كما توحى بالسلاسة وتفصح عن التماسك أكثر من غيرها من لوحات المعرض .. ولو كنت مكان الفنان لاكتفيت بعرض تلك الثلاثية .

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٢
- استاذ التصوير ورئيس قسم التعبير الفنى بكلية التربية الفنية
- حصل على دبلوم اكاديمية الفنون الجميلة ببودابست عام ١٩٧٠ .
- الأمين العام لنقابة الفنانين التشكيليين .
- اشترك فى العديد من المعارض المحلية والدولية ونال العديد من الجوائز
- لوحات المعرض منفذة بالألوان الزيتية على قماش مثبت على خشب .

علاقة هندسية .. للفنان
عبد الرحمن النشار



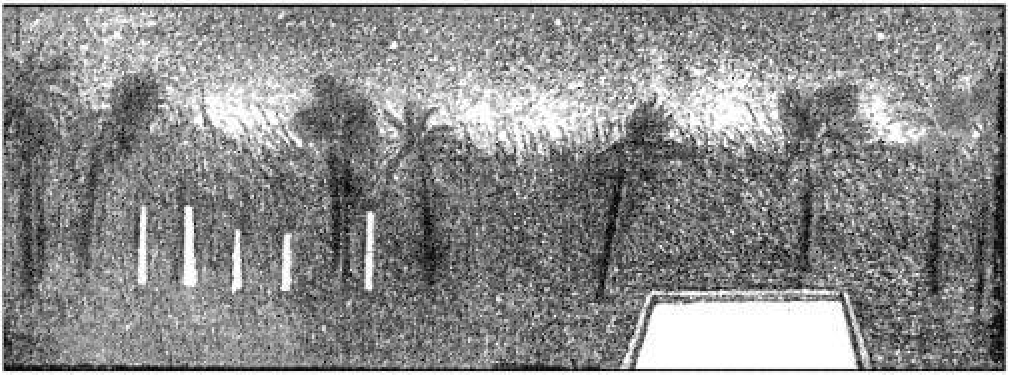
# جولــة المعــارض

# همسات ليليــة

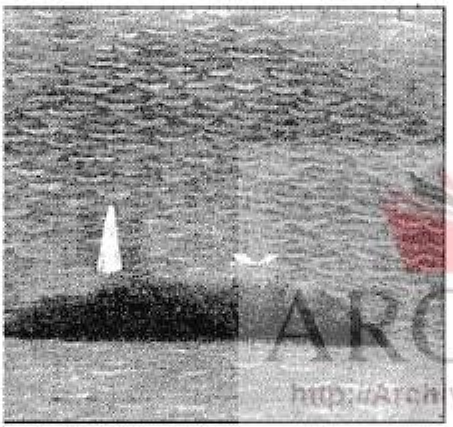
## فى معرض الفنانة الفنلندية ( تولا ليهتنين )

اذا كانت لوحات «النشار» تدعونا الى الانفلات من اسر الزمان والمكان فلوحات « تولا ليهتنين » تغرينا بالمكان الأليف ، ولكنها تقدمه لنا بالصورة التي تجعلنا نتساءل :

كيف لم نره على هذا النحو من قبل ! .. ولم تتعال على المتلقى غير المتخصص ؛ فلم تحرف شيئا مما تراه كل العيون ، ولم تستنسخ الواقع بما فيه من عبثية ، بل اختارت مما لامسته من مثيرات واقعية ، وشكلت به مسرحا شعريا يتألق فيه همس الاضاءة القمرية ، وتشعر ان الفنانة تدعوك « وحدك » لتتأمل ذلك الذى سحرها ؛ فتعد لك مقعدا ومنضدة لتجلس وتتأمل ضوء القمر البعيد وانعكاساته على مفرش المنضدة ، وعلى نخيل الفيوم ، وقد تلبى أحلامك القديمة بالانفلات من ضوارى المدينة الى جزيرة صغيرة وسط محيط .. ليس بها سوى مظلة صغيرة . مقفلة ، ومقعد صغير هش . وربما حمدت الله لأنك لاتعيش فى هذه الجزيرة المجهولة .. لكن لأن ماتراه مجرد لوحة من صنع الخيال . فسرعان مايعاودك الحنين الى حلمك القديم ، وتتمنى أن تصير روحا هائمة ، تحلق فوق تلك ( الجزيرة ـ اللوحة ) وتدعونا الفنانة مرة أخرى الى همس الحقول والنخيل فى الليل .. حيث تذوب الفوارق ، وتشكل فيما بينها كيانا كليا .. يترقب نثار النجم المضيئة ، والفجر القادم ، وتقف بنا عند طائر ، أو زهرة ، وتدعونا برفق الى الاستمتاع بما فى اختياراتها المرئية من شعر ، ولقد ابتعدت عن الاستعراض الشكلى عبر وسيطها المفضل : الجرافيك ؛ فهى تريد أن تعلن لنا أنها ـ ببساطة ـ أحبت مشاهد من البيئة المصرية وارادت أن تنقل لنا هذا الحب ، وعلى الرغم من احتفالها بالمدى ـ الفراغ ، واختفاء العنصر البشرى ، وظهور العناصر الحية فرادى .. فاننا لانستشعر ، مطلقا ، وحشة الاغتراب الأوربى ، فهى تدعونا الى الانفلات من ضوارى المدنية : غابات الاسمنت ، والبشر .. الى لحظات نتأمل بها « وحدنا » مابنا وما بالطبيعة من جمال لنعاود الثقة فى الانسان ، أو ـ على الاقل ـ نشحذ القدرة على التعايش مع تلك الغابات !



منظر استوائى للفنانة تولا ليهتين



جزيرة مهجورة للفنانة
تولا ليهستين ...

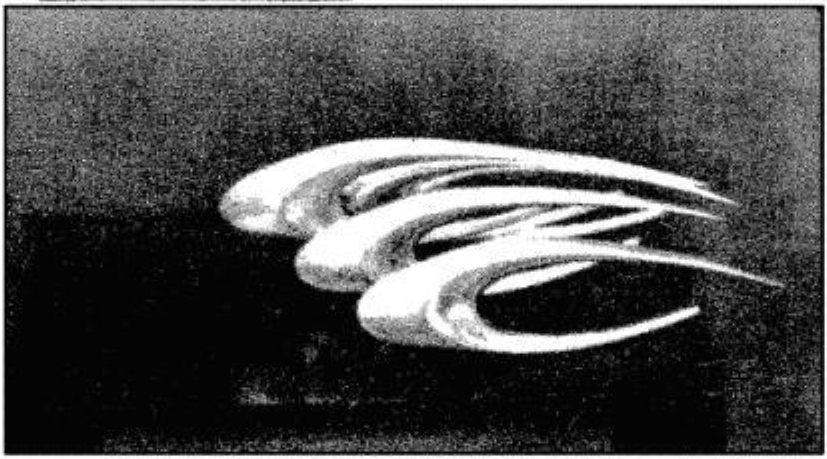
● ولدت فى تمبرى عام ١٩٥٦
● تخرجت فى اكاديمية الفنون بفنلندا عام ١٩٧٤ .
● شاركت فى العديد من المعارض المحلية والدولية .
● نالت العديد من الجوائز والمنح الدراسية والتفرغ من الحكومة والهيئات والمعاهد الفنلندية .
● هذا هو معرضها الأول فى مصر وقد جاء حصيلة لرحلة سابقة لها الى مصر .

جولة المعارض

# محمود شكرى والكتل الطائرة

منذ أقام النحات «محمود شكرى» معرضه الخاص الأول عام ١٩٨٤ وهو يواظب على تقديم معرض سنوى فى مجال النحت المعدنى والخشبى المجسم، والميدالية. تتميز أعماله بالاتقان والرشاقة، ويميل واضح الى التلخيص الذى يقترب من التجريد دون أن يقطع هذا الاقتراب الصلة مع الأصول الواقعية، ولايثقل اشكاله بالرموز بل يدعونا الى التوقف عند منحوتاته باعتبارها نحتا أولا وأخيرا: أى كتلا يحيطها الفراغ من كل جانب، ويخرقها اختراقا.. ويتحالف الفراغ الخارجى والداخلى فى رسم خطوطه الكتلة، أو الكتلة «الخطية».. التى تبدو مقاومة لجاذبية الأرض.. فتكاد تطير، وكما ألهم طائر «برانكوزى» عديدا من الفنانين فقد ألهم «محمود شكرى»، الذى كرّس عديدا من الطيور فى أوضاع متنوعة، تارة تقترب من ملامح طائر ما، وتارة يكتفى بالايحاء به، وينتظمه فى متتاليات توحى بالحركة والاندفاع والطيران. وتستغرقه جماليات الفراغ والكتلة فيتلاعب بهما لاقناع العين دون أن يشغله أن يكون لفنه هوية قوية أو اشتباك ما مع الواقع.. ومع ذلك تحسب له براعته الفائقة فى معالجة الخامات المختلفة، و «محاولاته» تحدى «سكونية» المنحوتة المصرية المعاصرة والقديمة.

- ولد عام ١٩٤٧ بالشرقية.
- تخرج فى كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٦٩.
- يعمل استاذا مساعدا بكلية الفنون التطبيقية (قسم النحت)
- اشترك فى العديد من المعارض المحلية والدولية.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٤
- نال الجائزة الأولى فى مسابقة «مختار» عام ١٩٨٥
- نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٦



طيور للنحات محمود شكرى



« العاصفة » في عيون محمد عبله

# الفنان محمد عبله :
# البحث عن حلم الطفولة

بقلم : عزالدين نجيب

يمكننا ان نعتبر معرض محمد عبلة بلورة ناجحة لكل خبراته الفنية السابقة ، وانتقالا جريئا من عالم التجريد والزحام والبحث عن لغة تشكيلية ، الى عالم جديد عليه ، يمتزج فيه الفكر بالاسطورة ، والحلم بالواقع ، والمكان باللامكان ، مستعيدا من كهوف الذاكرة براءة الطفولة ، ومن صفحات التاريخ حس الخلود فى التصوير المصرى القديم ، ومن التراث الشعبى ملامح طقوسية تقف على مشارف أعمال فناننا الراحل عبدالهادى الجزار ، ومن التراث الفنى المعاصر اطيافا من الفنان الروسى العالمى مارك شاجال ، ومن السرياليين بوجه عام ، ممتلكا ـ قبل كل ذلك وبعده ـ حرية مطلقة فى التحليق نحو افاق لانهائية .

# البحث عن حلم الطفولة

لقد وصل محمد عبلة الى هذه الرؤية بعد رحلة شاقة بحثا عن أرض صلبة يقف عليها وينتمى اليها .. فبعد أن أنهى دراسته بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية عام ١٩٧٧ ، بدأ سلسلة من الرحلات الاستكشافية - أو الصعلكة الفنية - خارج مصر ، استغرقت ست سنوات ، طاف خلالها العراق وسوريا ولبنان واسبانيا وفرنسا والمانيا والنمسا ويوغسلافيا وتركيا واليونان وسويسرا وايطاليا ، وأنجز خلالها دراسات فى الحفر والنحت وعلم النفس ومارس العلاج بالرسم .. وخلال كل ذلك لم يتردد فى تجريب اى اسلوب فنى يعن له دون تعصب ، لكن دائما كان هناك مرفأ يؤوب اليه فى نهاية كل رحلة ، وهو الروح المصرية ، التى تتمثل عنده فى طبيعة الناس والمكان ، حيث راح يملأ دفاتره ، باسكتشات ، لملامح من الحياة المصرية فى الريف والأحياء الشعبية .

والبداية الفنية لمحمد عبلة مع مشروع تخرجه ١٩٧٧ الذى استمده من الحياة فى الريف ، كانت تؤهله ليكون واحدا من امهر مصورى المناظر الطبيعية وحياة البيئة ، بما يملكه من حس مرهف لالتقاط جزئيات الطبيعة والبشر مع خبرة اكاديمية عالية ، لكنه من نوع الفنان القلق ، الباحث دائما عن الجدة والدهشة ، وفى كل تجربة جديدة يقدم عليها كان يسعى اولا الى أن يدهش نفسه قبل أن يدهش الآخرين ، لكن ما أن يفقد العمل قدرته على الادهاش حتى ينحيه جانبا ويبحث عن مصدر جديد للدهشة !

وقد بلغ هذا البحث ذروته الإبداعية عنده فى أعماله عام ١٩٨٥ ، التى لم تزد عن تراكم كميات لاتحصى من النقط اللونية متجاورة دون أن تضمها ، أشكال ، موضوعية أو حتى هندسية من أى نوع .. فقط وضعها لتحدث حركة بصرية متماوجة متلاطمة كجيوش النمل أو جموع البشر ، أو كخلايا ميكروسكوبية .. وقد فاز عن احدى هذه اللوحات فى العام نفسه بالجائزة الاولى فى مسابقة القاهرة فى عيون الفنانين ، التى أقامها المركز القومى للفنون التشكيلية .

وبالرغم من قدرته فى تلك الأعمال على الادهاش والابهار ، فانها كانت بعيدة عن المزاج المصرى ، لأنها وليدة ثقافة أوربية اساسا ، وربما كانت متوجهة اليها أكثر من توجهها الى المجتمع المصرى .

• • •

فى معرضه الجديد نرى اختلافا جوهريا ..

إن الانسان أصبح بطلا محوريا فى جميع اللوحات ، شكلا ومضمونا وقد نستطيع تتبع تطوره الدرامى ( أو بنائه الهارمونى ) من خلال أربعة مجموعات من اللوحات المتتالية زمنيا فى انتاجها ، قد نسميها تجاوزا حركات موسيقية .

فى المجموعة ( أو الحركة ) الأولى ، نراه أقرب الى المنطق الواقعى فى المقاهى والحمامات الشعبية ، من خلال جو من الفطرة والسذاجة ، وهنا نستطيع

أن نتعرف على معالم المكان المسقوف بالاقواس والعقود الحجرية ، ذات منظور هندسي واقعي ، وألوان قليلة محايدة تغلب عليها الرماديات ، والايقاع العام فيها بطيء يميل الى السكون والتوقع أو التربص .

وفي الحركة الثانية تتلاشى قليلا سيطرة المكان ويزداد غموضا ، وتتضح

الانسان بطلا محوريا في لوحات محمد عبلة



# البحث عن حلم الطفولة

ملامح الأشخاص من أبناء الطبقات الشعبية في جو يقترب من عالم «عبدالهادي الجزار» بما فيه من سحر وشعوذة وجنس ، وهنا تزداد الحركة الداخلية في الأشخاص والعلاقات ويتسارع الايقاع حتى نكاد نسمع ضربات للدفوف ، كاشفة عن تناقضها مع دلالاتها الواقعية .

وفي الحركة الثالثة : تختفي تماما معالم المكان ، وكذلك البعد الثالث ، لتتناثر على سطوح اللوحات مشخصات «ارابيسكية» على خضم من موجات لونية ناصعة ، تتوالد من بينها مساحات ضوئية مراوغة ، تحدث حركة بصرية لاهثة ، وتبدأ في الظهور كائنات حية أخرى بجانب الأشخاص ، مثل الطائر الرابض بهدوء ، الذي سيصبح فيما بعد عنصرا جوهريا في الحركة الأخيرة .. وهكذا يبدأ عالم الرمز يتأكد مع تباعد الفنان تدريجيا عن الواقع المباشر ، وتكتسب لمسات الفرشاة

الصمت .. لوحة لحمد عبلة





« قهوة قاهرية » لوحة للفنان محمد عبله

سخونة وعضوية لانظير لهما فى المجموعتين السابقتين ، وتصبح الألوان أكثر اشتعالا وبعدا عن محاكاة الطبيعة ، ويتصاعد دور الطائر ـ الرمز ـ حتى يتخذ شكلا ادميا يواجه ( الانسان ـ الطفل الملك ) ، ليدخل بنا عالم الحدوتة الشعبية بكل ارهاصاتها ومتاهاتها السحرية ، فاذا بكل العناصر التشكيلية فى هذه الحركة ( من خطوط والوان وملامس ) تنبض بتوتر وحركة تتصاعد الى ذروة اللحن .

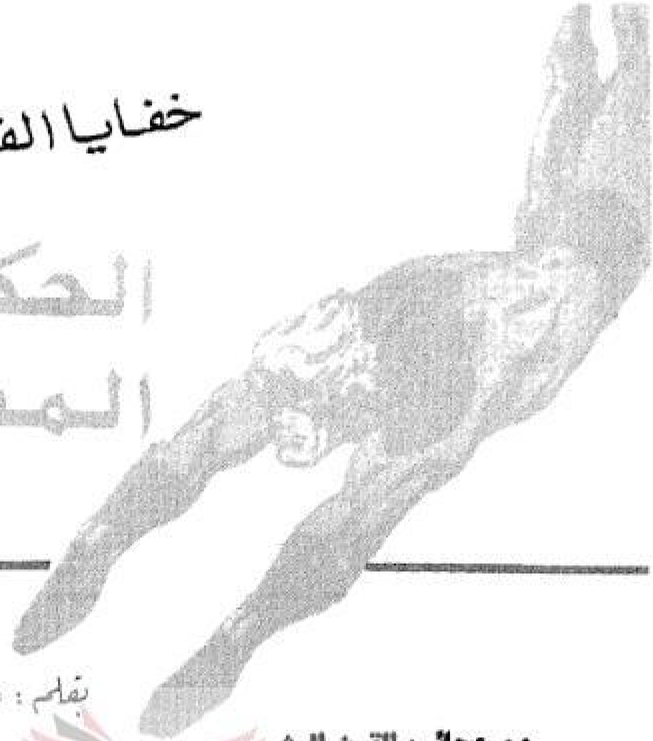
وننتقل بعد ذلك الى المجموعة ( أو الحركة ) الرابعة ، حيث نجدها تهدأ تدريجيا لتصل الى قرار راسخ وئيد الحركة ، كثيف الألوان ، قليل الأشخاص ، اذ نراهم غالبا فى أوضاع جانبية مستوحاة من الرسوم المصرية القديمة ، مجنحين كالبراق ، رابضين كالتماثيل ، متواجهين فى مناجيات أو محاكمات سرية . وهنا يبرز دور المرأة وتزداد سطوتها على الفراغ ، كأنها حارسة لكل التقاليد والمواريث ، ويربض قبالتها « مالك الحزين» حينا ، أو يقف الطاووس بقربها مختالا .

وإذا كان ثمة مايعيب هذا المعرض الجيد ، فهو تكرار العناصر نفسها من لوحة الى اخرى بحيث اعطت تراكما عدديا كان يمكن اختصار الكثير منه دون أن يفقد المعرض شيئا من قوامه ، ومن ناحية أخرى فإن الجو الاسطورى للأعمال قد هيأ أذهاننا للولوج الى مضمون فكرى معاصر ، لكنه انتهى عند مجرد هذا « الجو » حيث يصعب أن نكتشف من خلاله فكرا فلسفيا . ولست بذلك اطالب الفنان بأن يجعل من لوحاته ناقلات للأفكار الفلسفية ، لكننى أعنى أنه طالما اختار مفردات تشكيلية ذات دلالات رمزية ، فإن عليه الا يجهض رموزه قبل أن تصل الى دلالاتها .

لكن يبقى أن الفنان محمد عبلة قد غامر بدخول هذه الغابة المتشابكة من الرؤى الجمالية والتعبيرية ، ليخرج منها بعمل فنى جياش بالحياة والأنغام .

# خفايا الفن التاسع

# الحكايات المصورة



بقلم : محمود قاسم





**من عجائب القرن العشرين انه عرف مجموعة من الشخصيات الخيالية نالت شهرة واهمية اكثر بمراحل طويلة من رجال كثيرين حكموا دولا وتزعموا عصورهم . واغلب هذه الشخصيات ولد في غرف صغيرة ضيقة قام بصناعتها شخص واحد يجلس وامامه مجموعة من الورق المتناثر يملاها بحكايات مسلية يتلقفها القراء بشغف وينتظرون المزيد . مماجعل من القصص المرسومة اكثر الفنون انتشارا من بقية فنون القرن العشرين ..**






اصبحت شخصيات الحكايات المصورة اشهر من رؤساء الدول

فلا نغالي اذا قلنا ان فن القصص المرسومة اصبح اكثر انتشارا أو شهرة وجماهيرية في بعض البلدان من فنون عديدة .. خاصة السينما في بعض المراحل . لذا اطلق عليه اسم الفن التاسع ـ الفن الثامن هو البوب ـ فقد قام بتصدير مجموعة من الشخصيات الشهيرة والحكايات الطريفة الى السينما . وكم تهافت السينمائيون على الحكايات المرسومة ينهلون منها ويستفيدون من نجاحها مثلما فعلوا مع فنون اخرى كالرواية والمسرح .

والمتتبع لما يصدر سنويا من قصص مرسومة في المجلات المتخصصة ـ او في مجلدات منفصلة ـ في كافة انحاء العالم سوف يعرف ان حكايات هذا الفن تبلغ سنويا اضعاف الانتاج السينمائي العالمي، وفي السنوات الاخيرة ـ مثلا ـ ارتفع عدد المؤسسات التي تخصصت في اصدار مجلدات القصص المرسومة لدرجة انه في مدينة باريس وحدها يصدر سنويا ٦٠٠ حكاية يباع منها قرابة ١٨ مليون نسخة . وهي اعداد اكبر بالطبع من عدد الافلام التي يتم صناعتها في شركات الانتاج الفرنسي . لذا فان هذا الفن قد خلق ثقافة جديدة . لها جمهورها الخاص المتذوق . وهو ليس جمهورا منفصلا عن الفنون الاخرى . فهو يقرا هذه الحكايات المرسومة ثم يذهب لمشاهدتها في السينما او التليفزيون . وفي السنوات الاخيرة اصبح هذا الفن احد المواد الرئيسية في الجامعات الاوربية والامريكية . واصبح احد ابرز الفنون الحديثة التي انبثقت عن الفنون التشكيلية . وبدات تقام له المعارض الفنية السنوية . وفي آخر معرض اقيم في باريس منذ عدة اشهر بلغ عدد الزوار حوالي مائة وسبعين الف زائر ..

ويقول فرانك موبيرا في مجلة الاكسبريس ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ ـ ان بعض القصص المصورة قد اعطت للفن التشكيلي المعاصر شكلا هندسيا متناسقا مثلما فعل الرسام المعروف ادجار

# الحكايات المصورة

جاكوب صاحب القصص المشهورة من التاريخ المصرى القديم والذى استفاد من التراكيب العمارية الفرعونية وهو يرسم حكايتى « أسطورة الهرم الاكبر » و « سجائر فرعون » .

ويرى فيليب برونسون ـ العدد الاول من مجلة القصص المرسومة ـ انه فى بداية الامر لم يكن ينظر الناس الى هذا الفن نظرة جدية وان هذه القصص الان قد أصبحت فنا له أعلامه البارزون الذين يحظون بشهرة تضارع ما يتمتع به صناع السينما مثل والت ديزنى صاحب شخصيتى ميكى ماوس والبطة رونالد . والفنان الفرنسى هيلاجيه صاحب شخصية تان تان .. الصحفى

سوبرمان .. من الالبومات .. الى السينما



الشاب . وقد تصور البعض ـ فى بادىء الامر ـ ان هذه الحكايات المرسومة نوع أدبى مميز . من السهل قراءته . وهو فن حى ينفتح على عوالم واسعة ليس من السهل حصرها . ابتداء من الخيال العلمى والمغامرات البوليسية وأدب الرحلات الى القصص الدينية . وحكايات التاريخ . ثم ـ فى السنوات الاخيرة ـ الحكايات الاباحية ..

ومن المهم أن نشير الى أن فن القصص المرسومة ظل طيلة عمره فنا مستقلا فى حكاياته . يتفنن أصحابه فى ابتداع شخصيات وموضوعات جديدة . ولم يلجأ الى الاقتباس من الفنون الاخرى مثلما فعلت السينما عندما اقتبست الروايات والمسرحيات . ولم يحدث هذا الا فى اضيق الحدود . ومن ابرز هذه المحاولات تلك القصص المرسومة المأخوذة عن جيمس بوند فى أوائل الستينيات . وهذه القصص مثلا مأخوذة عن النص الادبى الذى كتبه ايان فلمنج وليس عن الفيلم السينمائى .. فحكايات جيمس بوند التى كانت تنشرها جريدة أخبار اليوم أسبوعيا فى عام ١٩٦٤ لم تظهر فى السينما سوى عام ١٩٦٩ تحت عنوان « فى خدمة صاحب الجلالة » .

## ● الانسان .. هو الاصل

ومن الصعب حصر أسماء أبطال الحكايات المرسومة فى العالم . لكننا بلا شك نعرف ميكى ماوس وبقية عائلة والت ديزنى ـ كذلك هناك سبيرو وتان تان . والشبح . وسوبرمان . والرجل الوطواط . وقد اعتمدت الحكايات المرسومة فى أول عمرها على هذه الشخصيات . وكان على كل فنان ـ أو مؤسسة ـ ان يصنع شخصية مميزة وجذابة وفريدة عن بقية الشخصيات . فبينما اهتم ديزنى « بأنسنة » الحيوانات الصغيرة كالفار والبط والقط . فسان

ميرجية اختار تان تان البسيط الذى يمثل مرحلة وسطى بين الطفولة والشباب يتسم بالطيبة والجرأة والبساطة وحب الخير • يساعده فى مغامراته التى لا تنتهى شخصيات عالمية مثل «الكابتن هادوك» المفتشين تيك وتاك » • وكلبه الصغير ميلو • اما مجلة فارفيل كومكس قد اصبحت فنا له اعلامه البارزون بشخصيات خارقة مثل سوبرمان وفلاشمان والرجل العنكبوت • وسوف نتحدث عن نماذج محددة من هذه الشخصيات وصناعها •

هذا العام يحتفل العالم بمرور ٦٠ عاما على ميلاد الفار الشهير ميكى ماوس • الذى سيبقى على صورته المعهودة يغالب الزمن • فلا يشيخ • ولا تصيبه التجاعيد • نشيطا • مليئا بالحيوية • يقوم بملايين المغامرات مثلما فعل طيلة عمره المديد • وميكى ماوس هو وليد اشهر فنانى الحكايات المرسومة وافلام الرسوم المتحركة فى القرن العشرين • ففى عام ١٩٢٧ فوجىء ديزنى وهو فى مكتبه الصغير بفار صغير يخرج له من حيث لا يعلم • وينظر اليه فى ثبات • ثم يلاعب شواربه ويختفى مثلما ظهر • فى هذه اللحظة ولدت شخصية ميكى ماوس التى فكر ديزنى أن ينقلها الى عالم السينما من خلال افلام التحريك • لكن امكانات صناعة السينما لم تسعفه فقدم اول حكاية كاملة مرسومة فى اول يناير عام ١٩٣٠ • وكانت السيناريوهات الاولى من تاليف ديزنى نفسه يرسمها فنان يدعى أوب افريكس • ثم ما لبث ان انضم اليهما رسامون اخرون • وما لبثت هذه الرسومات أن عبرت المحيطات • مما دفع ديزنى الى انشاء مجلة خاصة تحمل اسم ميكى ماوس • وسعيا للتنوع ابتدع شخصيات اخرى مثل العم بطوط وتعلوب



اصبحت رسومات الالبومات المصورة بالحركة والحياة

وعبقرينو والعم دهب ومحظوظ • وقد تمت ترجمة هذه الحكايات المرسومة الى كل لغات الدنيا • وانشئت مجلات مخصصة لمطبوعات والت ديزنى منها طبعة تصدر باللغة العربية • وفى الاربعينيات – مثلا – كانت تباع منها قرابة ٣٥ مليون نسخة فى طبعتها الامريكية •

## ● تان تان .. اشهر من ديجول

أما الفنان الفرنسى هيرجيه (١٩٠٧ – ١٩٨٣) فقد بدأ رساما فى العديد من الصحف والمجلات • وعمل فى البومات قصصية عديدة • ورغم انه لم يتعلم الرسم فى أى مدرسة فانه اصبح بفضل شخصية تان تان اكبر مدرسة فى فن الحكايات المصورة • وقد أبتدع هذه الشخصية ابان سنوات الحرب • وفى عام ١٩٤٦ ظهر العدد الاول من المجلة فى بلجيكا • وقد بلغت شهرة تان تان العالمية الحد الذى جعل

# الحكايات المصورة

الرئيس الراحل شارل ديجول يقول معلقا لصديقه الاديب اندريه مالرو : لا يوجد منافس لى فى بلادى – وخارجها – سوى هذا الصحفى الصغير تان تان الذى تبيع مجلداته سنويا اكثر من ٥٠ ألف نسخة .

ويقول هيرجيه إن فى القصص المرسومة قد جاء امتدادا للتطور الطبيعي الذى شهدته الفنون التشكيلية. فبعد التعبيريين الذين طرحوا اهمية الضوء . والتكعيبيين الذين القوا بالموضوع أرضا وخلف نفس المهنة « اصبحنا فى نفس الغاية . » . ويتحدث عن كيفية العمل فى هذه القصص : « فى البداية تبزغ فى اذهاننا افكار بالغة البساطة . ثم تبدأ مباراة الرب اليها يعرفه الفرسان الثلاثة. حيث نبدأ فى تاليف السيناريو واجربه على من حولى. وغالبا ما يأتى السيناريو اثناء العمل . وعندما ننتهى من الخطوط العامة نبدأ فى الرسم» . ويرى هيرجيه ان صعوبة هذا الفن تاتى فى ان على الفنان ان يستمر حتى نهاية الصفحة « فاذا وصلت مثلا الى الصفحة ٤٢ فانك تجد ان هناك فكرة افضل لما يدور فى الصفحة رقم «١٥» ، اذن بعد ان تكتب مختصرا للسيناريو فى صفحتين او اكثر . فعلينا البحث عن وريقات صغيرة ترسم فيها هياكل الشخصيات توضح فيها الحوار والاشارات . ثم تقدم لكل منهما الحركة التى يمكن ان تتسم بها » .

لا شك أن الدور الذى لعبته مجلة مارفيل كوميكس الامريكية كان هاما فى صناعة شخصيات تنتمى اغلبها الى نوع الخيال العلمى والفنتازيا . مثل الرجل العنكبوت. وكابتن امريكا ورجل اشعة الاكس . والرجل المطاط لسوبرمان التى اصبحت فيما بعد عام ١٩٣٩ مجلة منفصلة. وقد ابتدع هذه الشخصية الاخيرة الرسامان جيرى سيجال وجوشو ستر فى عام ١٩٣٣ عقب الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تعرضت لها الولايات المتحدة . ويقال ان سوبرمان قد جاء لانقاذ البلاد من عثرتها التى اصابتها . الا ان اول رسم لهذه الشخصية لم يظهر الا بعد ذلك بخمسة اعوام .

## سوبرمان ..والازمة الاقتصادية

وسوبرمان هو البطل القادم من كوكب كريبتون البعيد . يمتلك من القوة ما لم يبلغه احد من البشر. وهو فى احد جوانبه المواطن العادى الذى يحب فتاة لا تشعر جيدا به ..وعندما يستشعر اى خطر يحوط العالم من حوله . ينقلب الى الجانب السوبر فيستطيع الطيران . ويمكنه اختراق الارض او منع قنبلة ذرية من الانفجار وسوبرمان هو احدى شخصيات الحكايات المرسومة التى تمت ترجمتها الى اللغة العربية منذ عشرين عاما.. ثم توقفت المحاولة بلا سبب ..

اما الفنان « الفى كريسلر » فقد فكر فى ابتداع شخصية محببة ذات ابعاد جديدة . وهى شخصية البحار بوباى . وهو انسان اقرب الى العادى لكنه متميز ببضعة اشياء مثل الانتفاخ البارز فى ساعديه . والغليون الذى يضعه على طرف فمه الايسر . وقبعة البحار . واندفاعه الشديد فى سلوكه العام . وغباء مميز فى تصرفاته. وهذا الغباء سبب لارتباط القارىء به . فهو يتصرف على السجية وهو شخص غير لطيف مع النساء خاصة رفيقته النحيفة اوليف . ويمثل بوباى نموذجا






فالنتينا .. نموذج الحب في الحكايات المرسومة

تان تان .. من مغامرة لمغامرة

للبطل المضاد الذى انتشر بعد ذلك فى السينما . ساخر التصرفات وقبيح الشكل . من أشهر مغامراته « أنازى مانا » وهو أيضا احدى شخصيات الحكايات المرسومة التىوجدت طريقها الى السينما . ففى عام ١٩٨٠ أخرج روبرت ألتمان فيلما عن هذه الشخصية ـ وهو مخرج بالغ الحرية ـ لاقت نجاحا كبيرا . وبذلك اصبح بوباى شخصية للكبار والصغار معا . وجاء لرؤية هذا الفيلم هؤلاء الرجال الذين كانوا اطفالا فى الثلاثينيات ومعهم ابناؤهم وأحفادهم .

● فالنتينا .. امرأة خليعة

اذا كانت الحكايات المرسومة للاطفال قد وجدت بها مكانا فى الصحف والمجلات مع مطلع القرن العشرين فان الفنانين قد انتظروا ستين عاما ليقدموا حكايات للبالغين . ومن أبرز هذه القصص مغامرات « باريباريللا » التى تحولت الى فيلم سينمائى . ثم قصص الهاريكارى . وبدأت تظهر مجلدات موجهة بصفة خاصة للكبار دون الصغار . ومثلما توجد أفلام للكبار فقط . قدم الفنانون حكاياتهم لهؤلاء البالغين . وفى ايطاليا مثلا عمل الفنان كرياكس على تقديم عشرات القصص الاباحية المرسومة فى مجلدات بيعت منها ملايين النسخ وأصبحت هذه الحكايات تنافس المجلات الخليعة وتفوقها فى المبيعات . وقد ابتدع كرياكس شخصية امرأة بالغة الحسية تقوم بمغامرات ماجنة فى عشرات الحكايات . وأصبحت فالنتينا تنافس كلا من ميكى ماوس وتان تان . ويقول كرياكس أن فالنتينا هى مزيج من نساء

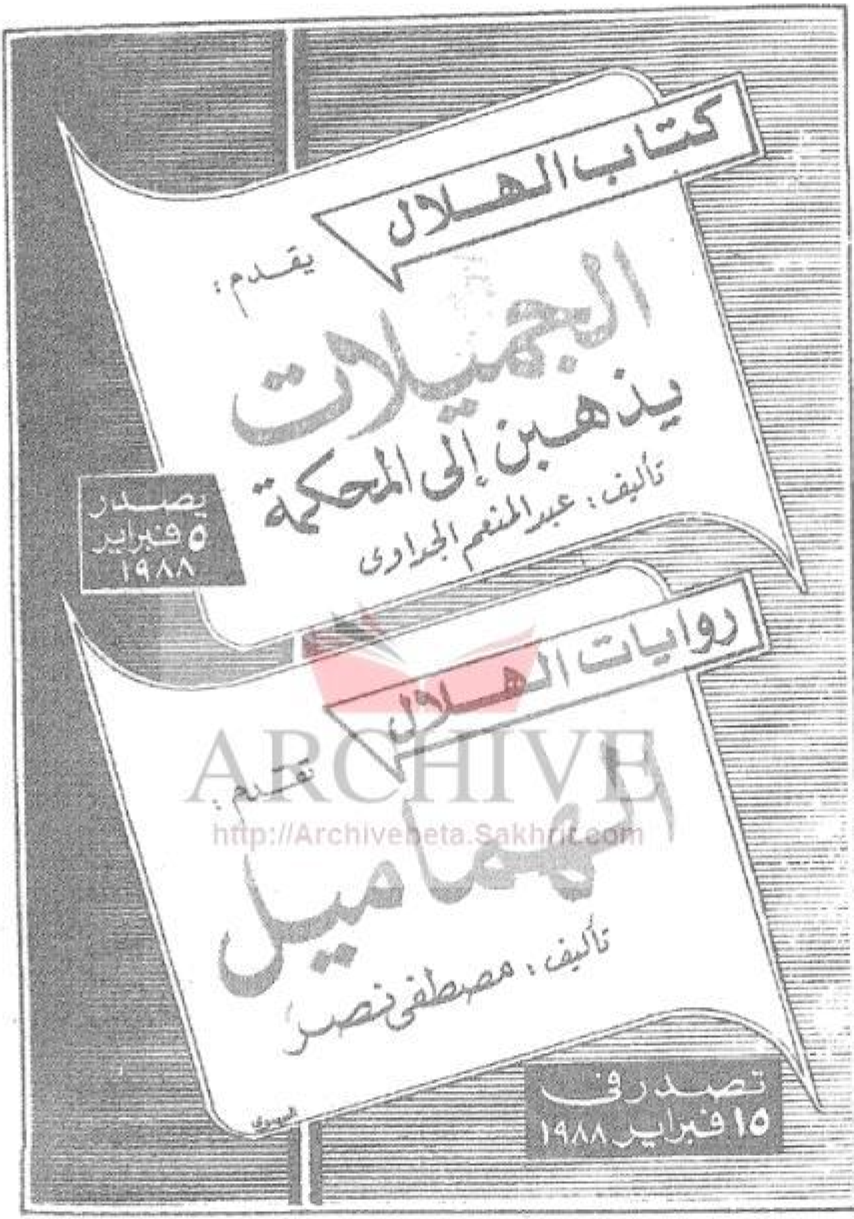
عديدات عرفهن التاريخ والادب مثل مدام بوفارى وتاييس ومالومى الى ايمانويل وجوستين . ومن الجدير بالذكر أن السينما استعانت بكرياكس كمستشار فى العديد من الافلام المكشوفة مثل « قصة أو » و « عشيق الليدى تشاترلى » وخماسية « ايمانويل » .

## ● العرب .. وثقافة المستقبل المرسومة

هذا العام ، تحتفل مجلة « سمير » بمرور ٣٢ عاما على انشائها . وقد سعت المجلة طوال هذه الاعوام على خلق حكايات عربية مميزة فى مغامرات يقوم بها البواسل من الكشافة والتى رسمها الفنان الراحل المبدع هارون . ثم شخصية عصام التى رسمها الفنان روجيه كاميل الذى سافر الى فرنسا ثم بلجيكا للرسم فى مجلات الاطفال وابدع هناك شخصية عربية مرحة باسم « فوفى » .. كما ابدعت المجلة شخصيات أخرى مثل البطل العربى المغوار علاء الدين .. وشخصية الفتى الشجاع دنش . وفى السنوات الاخيرة ظهرت شخصيات أخرى مثل الجوالة العرب . وزيكو الشغوف بالعلم . ورغم كثرة هذه الشخصيات فان مغامراتها وحكاياتها لم تظهر فى البومات منفصلة حتى الآن سوى اعداد بسيطة من مغامرات البواسل فى أوائل الستينيات . ورغم نجاح هذه التجربة فانها لم تتكرر الا فى أضيق الحدود . فقد نشرت رواية « المملوك الشارد » لجرجى زيدان فى طبعة شعبية مرسومة فى عام ١٩٦٧ . ونشرت حكاية تنابلة الصبيان فى عام ١٩٦٩ . ورغم نجاح هذه التجارب فان اسباب توقفها غير محددة . كما ان فكرة عدم الاستفادة من نجاحها لاستمرارها لا تزال ايضا غير معروفة الاسباب . فالبعض يرجع هذا الى ازمة الورق والبعض الاخر الى ان انتشار القصص المرسومة فى العالم ليس سوى ظاهرة عالمية مؤقتة سوف تقل اهميتها فى السنوات الاخيرة .

ورغم ان العالم العربى غنى بمجموعة كبيرة من رسامى الحكايات المرسومة . فان أيا من هؤلاء الفنانين لم يتحمس لاصدار حكاياته المسلسلة فى البومات كاملة منفصلة . ومن هؤلاء الرسامين بيكار صاحب شخصية سندباد، وهبة عنايت ، وايهاب وعبد العال ، ومحمد ابو طالب ، ومصطفى حسين . وفى الفترة الاخيرة سعت « كتب الهلال للاولاد والبنات » الى اصدار بعض اعدادها التى تعتبر حكاية مرسومة باكملها مثل « كنوز الادغال » تاليف ورسم التهامى .

وايمانا بدور مثل هذه الحكايات فى المستقبل . فان القائمين على صناعتها فى دور النشر العالمية يرون انها ثقافة المستقبل لبساطتها وسهولة دخولها الى قلب وعقل القارىء . ويمكن من خلال هذا الفن المستقبلى الاستفادة من التاريخ والعلوم والفنون ليس فقط للجيل الجديد . بل للقراء فى مختلف الاعمار والثقافات ومن هنا تجىء اهمية وحساسية عصر الحكايات المصورة .


كتاب الهلال
يقدم :
الجميلات
يذهبن إلى المحكمة
تأليف : عبد المنعم الجداوى
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم :
الهماميل
تأليف : مصطفى نصر
تصدر فى
١٥ فبراير ١٩٨٨

ش
شهريات

## رأى فى الثقافة

**طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس « هاينمان » تقرر « دشت » كتبهم !**

● بينما يكون هذا العدد من الهلال بين أيدى القراء ، تكون - ربما - قد حلت بالعرب كارثة ثقافية نعرضها للقارىء ، ولمن يهمهم الأمر ، لنتدارسها ثم نسعى لوضع الحلول لها ، بسرعة ، إذا كان لايزال لدينا حس بالخبر ، وحس بالوقت ، بل إذا كان لايزال لدينا حس بالكرامة .

الحادثة التى جرت أن دار « هاينمان » للنشر فى لندن كانت تصدر سلسلة تحمل اسم « مؤلفون عرب » منذ نحو خمسة عشر عاما أصدرت خلالها قرابة الـ ٢٥ عنوانا مختلفا بعضها لطه حسين وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ، وفتحى غانم ، وعدد آخر من الكتاب العرب على رأسهم الطيب صالح ، ومحمود درويش ، وغسان كنفانى ، وزكريا تامر وغيرهم ، ولسبب أو آخر أرسلت إدارة هاينمان للمشرف على السلسلة ، المترجم والمستشرق المعروف « دينيس جونتسون ديفز » خطابا رسميا تبلغه فيه أنها قررت إغلاق السلسلة ، ومنحته فرصة قصيرة يتصرف خلالها فى السلسلة التى يملك حق الاشراف عليها بموجب التعاقد بينه وبين الدار .

وقد ساقت هاينمان سبب الخسارة لاتخاذ هذا القرار ، وحتى هنا فالدار حرة ، وليس مطلوبا منها أن تكون « شهيدة » الأدب العربى ، لكن

الكارثة أن الدار أبلغت المشرف بأنها ، أيضا ، قررت التخلص ( فى النص : تدشت ) النسخ المتبقية من السلسلة التى تقدر بنحو خمسة عشر ألف نسخة من الخمسة والعشرين عنوانا .

وكان على دينيس أن يقوم فى الفترة الماضية بالاتصال بعدة جهات عربية على رأسها مكتب الجامعة العربية ، والمنظمة العربية للثقافة والعلوم ، وجهات أخرى عديدة ، لتتقدم لانقاذ ، لانقول هذه النسخ ، بل الأسماء العربية الكبيرة من الدشت .. وللأسف فإنه ، وحتى كتابة هذه السطور ، لم يتقدم أحد .

لقد أبلغت وزارة الثقافة المصرية بالموضوع .

كما أبلغت هيئة الكتاب الذى أكد لى دينيس أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة منذ نحو شهر ونصف أنه قام بالاتصال بمسئولين فيها ولم يجد لديهم أى تجاوب .

والآن هناك اقتراحان محددان هما :

١ ـ أن تقوم الجهات الثقافية المعنية بإنقاذ ولو الكتب المصرية فقط من عملية الدشت .

٢ ـ أن تسارع هيئة الكتاب بالاتصال بهاينمان لإنقاذ السلسلة ، بأن تضم مشروع ترجمة الأدب العربى للانجليزية الذى تقدم به هى نفسها ، الى « مؤلفين عرب » وهى بذلك تضم سمعتها الى سمعة دار نشر عالمية محترمة ، كما تخفف على نفسها وعلى الدار الانجليزية تكاليف الترجمة والنشر ، بالإضافة الى أنها تضمن الانتشار فى دائرة أوسع من الدائرة التى تتحرك فيها .

وقد سبق لهيئة الكتاب أن قامت بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العراقية ، ودار أخرى ايطالية لنشر كتب الاطفال ، وهذا يعنى أن « النشر المشترك » يدخل ضمن خططها حتى لايخرج علينا البيروقراطيون بحجج اللوائح .

فهل تتقدم الهيئة لتكون المنقذ لهذه السلسلة الوحيدة المخصصة للأدب العربى فى أية لغة حية . لا ، بل نقول هل من يتقدم لإنقاذ أسمائنا الكبيرة من الدشت ، وأن نتحرك بسرعة وبما تمليه علينا المسئولية الأدبية .. حتى لانفاجأ بالموضوع منشورا فى الصفحات الأولى من صحف التابلويد الانجليزية التى تسعى وراء كل فضيحة ، خاصة إذا كانت فضيحة عربية ؟

● عبده جبير

## الطاهر وطار - لقاء الاسئلة

●● في إطار الاحتفاء الذى لاقاه الكاتب الجزائرى المعروف « الطاهر وطار » اثناء زيارته للقاهرة اخيرا ، كان هذا اللقاء ـ الندوة ـ الذى اقامه له اتيليه القاهرة بحضور النقاد : ابراهيم فتحى ، امينة رشيد ، محمود العالم ، والكاتبة فتحية العسال ، والقاص عبدالله الطوخى ، وادارة الدكتور سيد البحراوى وأعده الباحث الجزائرى « رشيد كوارد » الذى يقوم الآن باعداد رسالة دكتوراه عن الطاهر وطار فى جامعة القاهرة ، ويتضمن النص ايضا الأسئلة التى اثارها جمهور الحضور بالاضافة الى تساؤلات النقاد ●●

● تعد رواية الطاهر وطار « اللاز » اول رواية فنية عربية ، جزائرية متكاملة ظهرت فى السبعينيات . لذلك فإن وطار يعد ـ كما يقول معظم النقاد ـ رائد الرواية العربية الجزائرية .. وحول سؤال عن بطاقته الشخصية ومراحل حياته اجاب :

●● كانت طفولتى الأولى فى قرية صغيرة بالشرق الجزائرى ، حيث رايت النور سنة ١٩٣٦ فى قرية « مداوروش » الواقعة بين مدينتى « عنابة » و « تبسة » . وسط عائلة تضم اربعة اولاد . ادخل والدى اثنين الى المدرسة الفرنسية ، والآخرين إلى المدرسة العربية وكنت واحدا منهما .

هكذا عشت فى صفاء الطبيعة ونقائها ، نقاء الروح والوجود . زودت وتشبعت بمشاهد الطبيعة الرائعة : فى السهول الواسعة اعزف الناى راكضا خلف قطعان الاغنام .. كان هذا قبل ثورة التحرير ، وبعدها ، تضافرت عدة عوامل لتكوين شخصيتى .

● قبل الحديث عن هذه العوامل ، هل واصلت تعليمك فى القرية ام خارجها ؟

●● بعد تخرجى فى مدرسة « مداوروش » انتقلت الى قسطنطينة ، الى معهد « بن باديس » ، ومنه الى جامع الزيتونة بتونس فى بداية عام ١٩٥٤ .. لذلك فقد تشبعت بالتراث العربى ـ الاسلامى ، وهذا ما يجعلنى اقول دائما « انا التراث » فى ردى على من يسالنى عن علاقة التراث باعمالى .

● وعلى المستوى الايديولوجى

●● اعرف ما تريده من هذا السؤال : واجيب صراحة بان اهم العوامل التى ساعدت على تكوين نضجى الفكرى ، بل اقول توجهى الايديولوجى هى :

١ ـ عدم انسجامى مع الاساتذة او مناهج التعليم المطبقة فى ذلك الوقت سواء فى معهد بن باديس او جامع الزيتونة .

٢ ـ قراءاتى للادب العربى وتاثرى بصفة خاصة بالادب المهجرى .

٣ ـ الثورة الجزائرية كحركة تغيير فعلية وجذرية ، ومساهمتى فيها حيث تاكدت مقولة الفعل المتبادل بين الانسان والثورة ضمن علاقة جدلية .

٤ ـ ما امتاز به من روح التمرد لقى صداه فى ثورة التحرير .

٥ ـ الجو السياسى الذى عشته منذ



الطاهر وطار

الثورة الى يومنا هذا ، فانا جزء من النهضة الشاملة للشعب الجزائرى .

## ● الكتابة دفعة واحدة

● لماذا تكتب وكيف؟

●● لا اكتب كل يوم ، بل اعيش كل يوم ، يولد الموضوع فكرة ، شحنة تهزنى ويستمر معى من ٤ الى ٥ سنوات ، اقرا له ، أعيش له ، أصادق الناس او اخاصمهم فى إطاره ، ثم انفرد فى ركن ما ، بعيدا عن المدينة ، واصب كتابتى دفعة واحدة ، اكتب لمدة عشر ساعات متسلسلة واحيانا اكثر فالزلزال مثلا عند كتابتها كنت اشتغل ست عشرة ساعة فى اليوم ، واعتبر هذا تحريرا ، وليس كتابة أو تاليفا ، لأن الكتابة عشتها قبل هذا الوقت .. عندما ينضج العمل اعتمد على نقطتين :

١ ـ ما اسميه بالمقدمة المنطقية التى التزم بها .

٢ ـ رسم الشخصيات بأبعادها المختلفة نفسية ، اجتماعية ، ثقافية ، إقتصادية ، مثيولوجية ، فتاتى بذلك غير منقادة ، بل فى كثير من الأحيان تسبقنى فى الحركة

## انا الرائد

● هل توافق آراء النقاد على كونك رائدا للرواية العربية الجزائرية ؟

●● إن مثل هذه المكانة لايحس بها المبدع إلا بعد أن تفرض ـ إن صح التعبير ـ عليه من قبل الاخرين ، ومع ذلك أقول إننى فعلا ، رائد الرواية العربية الجزائرية ، وهى الريادة التى لم تات من فراغ ، وإنما مما تمتاز به أعمالى من حداثة فنية ، وجراة فى تناول الواقع ، والالتزام بقضايا مجتمعى ، وضمنها قضايا المجتمع العربى والعالم الثالث ، فقضايا الانسان فى هذا العالم .

● يلاحظ فى أعمالك التنوع فى استخدام الأساليب الفنية ، أو لنقل الشكل الفنى من رواية لأخرى ، فهل معنى هذا انك تحاول تجريب بعض الأشكال المعروفة فى عالم الرواية أم انك بصدد البحث عن شكل جديد تميز به أعمالك ؟

●● إذا كانت قضية الشكل والمضمون قد حسمت فاقول إن الموضوع يفرض شكله ، وانا فى أعمالى لا ابحث عن شكل وإنما اكتب بطريقة عفوية ، وفى إطار مدرسة الواقعية الاشتراكية .

● ما هى أحب أعمالك إليك ؟

●● فى البداية كانت « اللاز » لكن الآن انا مشدود اكثر الى « الحوات والقصر » .

● لماذا ؟

●● لما تتضمنه هذه الرواية من شكل تراثى ، ومضامين إنسانية فهى قصة لما يجرى فى العالم الثالث من قمع للحريات الديمقراطية خاصة فى البلاد العربية ، والتى لم يستطع وعى على الحوات ان يفهمها .

● هناك اتهام بخصوص الحوات والقصر وهو انها مستلهمة من ألف ليلة وليلة .. كيف ترد على الاتهام ؟

●● فى الحقيقة كثير من الزملاء والقراء قالوا هذه حكاية معروفة ومستلهمة من ألف ليلة وليلة . وانا اتساءل هل توجد هذه الأسطورة بالفعل فى ألف ليلة وليلة . او اى تراث آخر؟ لقد قرات الف ليلة فى الخمسينيات وكتبت « الحوات والقصر » فى اواخر السبعينيات دون العودة إلى الف ليلة . وفى رايى اننى خالق هذه الأسطورة من اولها الى آخرها ، ثم اننى اقول دائما : انا التراث الانسانى كله ، وحين اكتب لا احفر بفاس او باية اداة عن اية نقطة مضيئة او مظلمة لكى اوظفها ، وإنما يحضرنى الشنفرة كما يحضرنى اسخيلوس او المتنبى وحمدان قرمط ، فى عرس بغل مثلا حاولت ـ وهذا مالم ينتبه اليه النقاد ـ ان اتغنى بوحدة الوجود ، وحاولت ان اكتب فى إطار مقدمة منطقية معروفة تقول : « إن البورجوازية لا يمكن ان تكون ثورية إلا إذا انتحرت .

## ضرورة الجنس :

● الحديث عن عرس بغل يجر بعفوية الى الحديث عن الجنس البارز بصورة حادة فى هذه الرواية .. ما هو تعليقك ؟

●● لم اذهب فى اعمالى الى الجنس كجنس مقصود لذاته . ففى عرس بغل ، وبالرغم من أن الأحداث تجرى فى معمل للجنس ( مبغى ) فإننى لم اعرض اى مشهد جنس باعتبار اننى لست فى حاجة اليه اصلا ، . يبرز فقط جمال الفتاة ، وتعطش الآخرين اليها . وحتى البنات هنا هن عبارة عن عاملات ، مجهدات ، مرهقات ، مبتزات .

ونفس الملاحظة يمكن تسجيلها عن اللاز ، فقد كانت هناك ضرورة فنية لاستخدام الجنس ، وهى محاولة إيجاد المعادل الذى يجعل الناس يتقززون من « بعطوش » لارتكابه جريمة مضاجعة خالته ، لاننى كنت ارى ان لفظة الخيانة لا تكفى لادانته ، إضافة إلى ان الاقدام على مثل هذه الجريمة من شانه ان يوقظ وعيه . وهذا ما كنت اقصده فى آخر الأمر .. ولعل هذا ما يميزنى عن باقى زملائى من كتاب الرواية الجزائرية خاصة رشيد بوجدرة ، فهو بدأ ينشىء مدرسة جنسية دون اى مبرر او ضرورة ، إنه يكتب لقراء غربيين ، الأمر الذى يجعلنى اختلف معه ، واتقزز عند قراءة أعماله .

● الآن نذهب إلى سؤال عام : هل ترى ان للرواية العربية شكلا خاصا يميزها على الرواية الغربية ؟

●● إن للغرب رواية عالمية ذات شكل عالمى ، وفى رايى ان الرواية عندنا قد تاصلت منذ « ذات الخضر » للبستانى فى مصر ، حيث بدات الرواية تتاصل شيئا فشيئا حتى اصبحت مثل اى لباس جاءنا من اوربا فلستوعبناه ، مثل اى موسيقى او آلة اخرى نصنعها . فلماذا ننتظر مثلا حتى يكتب جارسيا ماركيز رواية فنجرى لنقلده ، وننسى ان لدينا منطلقا وطريقا ومجتمعا ، جارسيا ماركيز عاد فى روايته للملحمة الاغريقية فاعجب به الغرب لانه قدم لهم اصول تراثهم فى شكل جديد ، مع فانتازيا اوربى موجود بامريكا معاش لهنود حمر وشعوب اخرى ، اعجبوا به لكنهم لم يقلدوه ، بينما عندنا نحن نجد عشرات وعشرات يقيسون كل كاتب بجارسيا ماركيز .

## بن جلون والجائزة :

● كيف تلقيت نبأ نيل الطاهر بن جلون جائزة الجونكور ؟

●● لابد ان تفهم اولا ان هذه الجائزة تمنح قبل كل شىء لدار نشر وقد تصادف ان الطاهر بن جلون نشر عملا له هذه السنة بدار نشر معروفة هى ليسول ، لكن الاول

إنها تبعث على الفخر كون عربي ينال جائزة في وسط غربي حاقد على العرب .

وفي نهاية الندوة ابدى الطاهر وطار شكره للحاضرين ، وقرر انه لم يكن يتصور انه مقروء في مصر على هذا النحو .

## مسرح

### ثلاثة عروض في المسرح الحديث

### ● مارا ـ صاد

في الخامسة من مساء كل يوم يبدأ تقديم هذا العرض الذى اعده واخرجه محمد عبدالهادى عن نص بيترفايس التسجيلي ، وهو مواجهة شعرية جسدها المؤلف عن فترة ما بعد الثورة الفرنسية باللجوء لبعض اساليب هذه النوعية من المسرحيات التى تهتم أولا بالوثائق والحقائق التاريخية والعرض الموضوعى ، ويلعب بحيلة المسرح داخل المسرح ليعرض علينا الاحداث التى يقوم بتمثيلها مرضى مصحة شارنتون العقلية في حمام



المصحة ، بمواجهات بين عدة اوجه وتيارات للثورة ، يبرز منهم وجهان : احدهما يمثله ( جان بول مارا ) احد زعماء الثورة الفرنسية الذى يؤمن بالتغيير الاجتماعى الجذرى مهما كانت التضحيات والنتائج كطريق وحيد للخلاص ، والآخر في مواجهته ( الماركيز دى صاد ) الذى يعتقد بتوسيع نطاق الحرية الفردية كحل بديل ، او بمعنى اوضح : وجه ضد الفساد الاجتماعى ، وآخر مع ضعف الطبيعة البشرية ، وقد اختزل المخرج من نص فايس الكثير وان حافظ على الروح العامة والافكار الهامة ، وبالرغم من خلطه بين ادوات المسرح التسجيلي والبيرختيه ، فإنه حاول بجهد ان يحافظ على المعنى الاول والقيمة الاساسية التى تبناها النص : في الوقوف بين الضرورتين الثوريتين .

وساعد المخرج سبعة من الممثلين الاكفاء : احمد مختار ـ عزة الحسيني ـ عزة كامل ـ عبير لطفي ـ عبدالله الشرقاوي ـ محمود حميده ـ على خليفه ، وببعض قطع الديكور وبملابس بسيطة موحية ومن اللحظة الاولى يدخل ممثلوه الستة جمهورهم في حالة من التوحد داخل المصحة النفسية ـ رغم عدم اهمية ذلك في هذه النوعية من المسرحيات ـ ويستخدم ادوات الموسيقى الموهوب انتصار عبدالفتاح في المؤثرات الصوتية بشكل لافت للنظر ، يفقدها قوتها التعبيرية وجمال ما تحدثه ، ولكنه ينجح في النهاية في ان يقدم عرضا جادا وطموحا ومشرقا لمجموعة من الشباب نامل منهم الكثير .

### ● خمس نجوم

على النقيض من العرض الأول جاء الثاني على نفس المسرح : مسرحية « خمسة نجوم » التى كتبها أحمد ستيت واخرجها عادل زكى عن نص يقال إنه قد فاز

بجائزة تليفزيونية ، والحق انه عرض مخجل ولا يشرف المسرح الحديث ، وقد يبدو للوهلة الأولى انه يناقش قضية هامة ، ولكنه يتلمس فقط قشورها دون وعي بحقيقتها ، فهو يريد ان يعالج في عمله مشكلة الاسكان ويطرح حلا بان يقوم احد الملاحظين الذين يشرفون على بناء فندق ( ٥ نجوم ) بمخالفة الاوامر والرسومات الهندسية لكى يبنى بدلا منه عدة مساكن شعبية لكى تنهار على رءوس سكانها عديمى الاخلاق !

هكذا كانت مقولة العرض الرئيسية : ان مشكلة الاسكان هي اولا واخيرا مشكلة اخلاق ، وتنتهي بالطبع بنفس كليشيهات النصائح المباشرة المعتادة في هذه العروض السقيمة .

فاذا كان النص والمعالجة بهذا الهزال والفجاجة ، فما بالك ومعه مخرج لم تسعفه امكاناته المحدودة في ان يقدم رؤية فنية ذات قيمة ، فقد حشد مجموعة من الممثلين لايعنى معظمهم إلا كم استجلاب الضحكات من الجمهور ، وهم يستخدمون من اجل ذلك كل ما في الصور المخزية والمستهلكة جريا وراء الأسلوب المتبع والسائد في العروض التجارية ، وتفاجأ بان الكل يمسك بالميكرفون ويغني ويرقص احيانا ـ هكذا ـ من اجل ماذا ؟ لا ندرى .. ولايبقى امام من شاهد العرض سوى الأسف على اضاعة الوقت فيما لانفع من ورائه أو إفاده .

## ● عريس لبنت السلطان

هذا نص جيد لمؤلف درامي متمكن هو محفوظ عبدالرحمن ومخرج شاب واعد هو محسن حلمي ، ولكن المحصلة للأسف لا ترضى او جاءت دون التوقع .

القيمة الرئيسية في المسرحية تحمل قضية معاصرة ترتدى ثوبا تاريخيا ، يناقش المؤلف فيها كل القضايا المتعلقة بالحرب والسلام من خلال دراما بسيطة مفادها ان التتار يرسلون برسولهم الى بلدة تقع بين بغداد ومصر لارغامهم على الاستسلام بزواج قائد التتر من ابنة حاكم المدينة ، وهكذا تنقسم المدينة بين كتلة كبيرة تقبل ذلك مادام في هذا نجاتها ، واخرى قليلة العدد بقيادة الرسول العربى ترفض الاستسلام من اجل كرامة البلدة وشرفها .

والعرض يمزق هذه القضايا الجادة ويجنح الى متاهة ( الفرسكة ) والتبسيط المخل بمساعدة مجموعة من الممثلين ، وضح انهم لم يكن يعنيهم سوى الظهور على اعناق الآخرين واولهم المؤلف !

والمشكلة ـ في ظني ـ تكمن في هذا الاتجاه الذى يتبناه المخرج ، الذين يجنح الى تحويل الدراما المسرحية الى ما يمكن تسميته بالعروض الخفيفة من خلال استخدام وسائل المسرح المتعددة من اجل تقديم مشاهد تتحول الى وحدات منفصلة تمثل في كل منها بناء منفردا بعد ان اضيف اليها الغناء والرقص وما شابهما ، مع تعمد واصرار على كسر ايهام اللحظة بخروج الممثل على النص او بالتلسين على قضايا يومية تعيش في عقل وقلب المشاهد .

نحن لا نقدس النص المسرحي ، ولكننا نعرف ان اختيار النص هو مسئولية المخرج اولا ، ومادام المخرج قد اختار فلابد ان يكون امينا مع اختياره ، ويقدمه كما قرأه مكتوبا عند اختياره .

إن عرض « عريس لبنت السلطان » قد يبهجنا قليلا ويضحكنا قليلا ويذكرنا ببعض همومنا قليلا . ولكنه يحزننا كثيرا على مخرج بدد موهبته التى لاشك فيها !

● محمد الشربيني

## حوار الألوان فى مائيات ٨٧

● قدم الفنان عدلى رزق الله مجموعة من اعماله التى رسمها عام ٨٧ فى معرضه الذى اقامه أخيرا بقاعة اتيليه القاهرة .

ونرى فى هذه الأعمال طيبة وعبق الأرض التى عاش فيها الفنان بكل ما فيها من حنو وقسوة مجتمعين ، بالاضافة الى رقة الفنان الحالم الذى يرتفع فى كثير من أعماله إلى درجة الشفافية الروحانية .

، وكعادته يتمسك الفنان بخامة الالوان المائية رغم صعوبتها الشديدة ، ومع ذلك فهو يسيطر عليها ليعلو بها الى درجات تجعله يقتنص نعومة فائقة فى الخطوط العرضية والطولية ذات الالوان المائية المتدرجة الباهرة ، تراه يحاور إبريق الماء ، ويتحدث مع الألوان بتاور مع المساحات البيضاء فى دفق من الأعمال ساعده عليه تفرغه الكامل لعمله .

فى هذا المعرض الجديد كبرت المساحات ، وتاصلت معها التجربة ، وباتت تكويناته ذات بريق يلمح فيها المشاهد جدة تاخذه الى الاقاصى وتدفع الى التامل فى سبر اغوار الحياة ، قاصدا الاستزادة من المتعتين البصرية والمعنوية اللتين تبحران فى شفافية الألوان .

ولعل من اهم ما يتصف به عدلى رزق الله انه بجانب عمله الفنى يحاول أن يلقى الضوء على اعماله من خلال الكروت الملونة التى تصاحب معرضه دائما مع كتالوج جديد فى فكرته . اقترب هذه المرة من الصحيفة وضمنه كتابات لادوار الخراط وحسين بيكار وزهران سلامة وهو يقوم بدور مدير العلاقات العامة لمعارضه وهى من أصعب المهام التى يواجهها الفنان فى مصر .. فكلنا نعرف ان الفنان التشكيلى فى أوربا وأمريكا يقوم بمهمة واحدة فقط هى التفرغ للابداع والانتاج ، اما مسئولية الاعلام عن اعماله ومعارضه وتسويقها فيتولاها شخص اخر له مواصفات معينة .

● عادل ثابت

الام من اجمل لوحات الفنان عدلى رزق الله من مائيات ٨٧



# مكتبة الهلال



الكتاب : قصة ديون مصر الخارجية
تاليف : د . جلال امين
الناشر : على مختار للنشر ، ١١٨ص

يضم هذا الكتاب بين دفتيه الدراسات التى كان الهلال قد نشرها متوالية فى أعداده السابقة ، وهى تقوم بالدراسة المتأنية المستفيضة ، والتحليل العلمى العميق ، والاسلوب المتزن الدقيق الذى يمتاز به قلم الدكتور جلال امين كما عودنا دائما فى كتاباته ، تقدم الدراسة قصة ديون مصر الخارجية منذ محاولة محمد على إنشاء اول دولة عصرية فى العصر الحديث الأمر الذى اضطره الى التعامل مع العالم الخارجى ، إن يكن من لجل تصدير المنتجات المصرية وعلى راسها القطن ، او من اجل استيراد المعدات التى اراد بها تكوين جيش عصرى وبناء دولة مدنية ، بعكس ما كان حادثا قبله ايام العثمانيين حيث لم تكن لمصر علاقات اقتصادية خارجية لأسباب عديدة ، ويستطيع محمد على فى النهاية ان يقيم تنمية بلا ديون .. ثم تنتقل الدراسة الى عصر سعيد باشا الذى لم يحقق فى عهده تنمية وإن كان حقق الكثير من الديون ، وتتوالى فصول الدراسة بين عصر إسماعيل وعصر الاحتلال الانجليزى لمصر ثم ديون عبدالناصر الذى كان اللجوء الى الاقتراض فى عهده مبررا تماما ( وهى لم تزد على اى حال فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٥ على ٨٠٠ مليون جنيه مصرى ) ولم يخلق لمصر من الأعباء ما كان يصعب عليها النهوض به مع الاستمرار فى التنمية .. ثم فترة السادات التى زادت فيها الديون زيادة مذهلة ، حتى ينتهى إلى فترة الثمانينيات .

هذا الكتاب إذن محاولة لاعادة قراءة التاريخ الاقتصادى المصرى من زاوية النزوع إلى الاستقلال الاقتصادى والتحرر من الديون الخارجية بقلم عالم كبير ووطنى كبير

الكتاب : واشنطن تخرج من الظل
تاليف : جيفرى ارونش
ترجمة : سامى الرزاز
تقديم : محمد سيد أحمد
الناشر : دار البيادر ـ ٣٢٤ ص
٥ ج م .



تناول هذا الكتاب السياسة الأمريكية تجاه مصر فى الفترة الممتدة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦ ، وكاتبه محاضر وباحث فى الشئون الدولية وصحفى متخصص فى قضايا الشرق الأوسط وعلى الرغم من انه امريكى فقد درس فى جامعة اكسفورد البريطانية ، واهمية هذا الكتاب ، كما يقول محمد سيد أحمد تكمن فى انه يقدم الرواية الامريكية للعلاقات بين واشنطن والقاهرة ، أو بوجه ادق للسياسة الأمريكية تجاه مصر فى العقد الذى أعقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وهو العقد الذى تداعت فيه الأحداث ليتوجها انتقال السلطة الى الضباط الأحرار .

وكانت السنوات ما بين ٥٤ و ٥٦ هى السنوات التى لم تحسم فيها الثورة بعد مواقفها من الولايات المتحدة ، وهى بالتالى الفترة التى لايزال يكتنفها الغموض ، لذلك فان ترجمة هذا الكتاب بما يضمه من وثائق ومستندات عمل هام ، وإضافة للمكتبة العربية ، وسد لنقص كان ينتظر الاستكمال ، خصوصا وأن الكثير من الوثائق الرسمية التى يستند اليها الكاتب لم تكن متاحة من قبل وكشف عنها اخيرا .

**الكتاب : حرب أكتوبر**
**تأليف : إدجار أو بلانس**
**تقديم : أمين هويدى**
**ترجمة : سامى الرزاز**
**٢٧٦ ص ، ٥ ج م .**



العنوان الأصلى للكتاب هو لا غالب ولا مغلوب عن حرب يوم كيبور وإن كان هذا يرمى من البداية بتحيز الكاتب لوجهة النظر الاسرائيلية التى ارادت أن تصور ان حرب اكتوبر قد تم إكتسابها عن طريق الثغرة ، لكن الحقيقة أن المؤلف حاول جاهدا أن يكون موضوعيا ، وأن يعبر عن وجهة نظر مستقلة كونها من خلال بحثه الذى جاء نتيجة لقاءات وزيارات للبلدان المعنية بهذه الحرب بل ولميادين القتال الفعلية ، حيث خبر ما جرى من ضباط شاركو فى القتال ، وهو على أى حال يرى وإن كان يعبر عن حذر شديد ، انه « ربما كان العرب الذين ارادوا الحرب هم الذين كسبوا اكثر من غيرهم ، فرغم أن خيار الحرب كان ، من الناحية العسكرية البحتة ، محاولة مغرقة فى الخيال ، فإنها نجحت فى كسر الحالة المهينة التى كانت قد تبلورت تقريبا من « اللاسلم واللا حرب » والتى كان يبدو أنها تخدم مصالح الجميع عداهم .

يقول امين هويدى ( ان هذا الكتاب يتميز بوجه خاص بموضوعيته واعتداله وحياده ولا سيما عدم تبنيه لوجهات النظر الاسرائيلية ؛ وهو الامر الشائع فى الغرب ) عن هذه الحرب العظيمة ، حيث يقدم رؤية شاملة وتحليلا نقديا متزنا لمجرياتها على الجانبين .

# حكاية مع الباليه والتراث الشعبى

نجوى صالح

**نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من (( عليه عبد الرازق )) راقصة الباليه المصرى ، بقاعة سيد درويش بالهرم .. بعنوان (( حكاية ايوب )) وقد صاحب المناقشة - عرض لموسيقى الزمار البلدى والدف والسلامية والربابة وكلها آلات شعبية ضاربة فى القدم قدمها الموسيقى سليمان جميل ، بمصاحبة ثلاث راقصات اختارتهن الباحثة كمثال للباليه من التراث الشعبى (( حكاية ايوب ))**

وردت حكاية ايوب فى العهد القديم فى « سفر ايوب » عليه السلام ، وعرضها القرآن الكريم فى ايات قلائل، كما تغنى بها الفنانون الشعبيون ، وقد امتد اثرها الى ابنائنا المعاصرين كفكرة للصبر والمعاناة ، وهما الثنائى المتلازم فى الدراما الخير والشر . وهى من القصص التى تناولتها الاجيال حتى وصلت الى جيلنا المعاصر كمحفوظة كاملة يميل اليها قاعدة عريضة من الشعب .

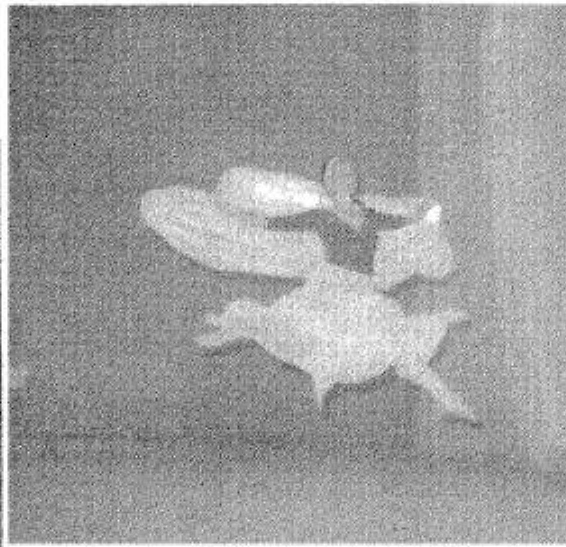
وايوب المصرى رجل غنى ، خير ، متصدق يعرف الله ويقدم له القرابين هو وزوجته ، وأولاده السبعة ، له سوق كبيرة وتجارة واسعة ، تتضمن عدة الاف من رءوس الابقار والاغنام.

ويظهر جساس الشرير ويستشيط غضبا، لان ايوب يمتلك كل هذا الخير العميم، فضلا عن زوجة فائقة الجمال - فى العهد القديم والقرآن كان ناالشهم الشيطان ، وكما جاء فى العهد القديم كلم (الشيطان الرب وقال له ان ايوب يعبدك لانه يملك كل شىء ) هنا امره الرب - سفر ايوب الاصحاح الاول ، ( فقال الرب للشيطان هو ذا كل ماله فى يدك ، وانما اليه لا تمد يدك ) - وبدات الكوارث تنزل على ايوب على يد جساس فيقضى على اولاده وبيته وماشيته وسوقه التجارية، وتبدا القروح تظهر فى جسده وتنتشر ، ويبدا لحمه فى التساقط ..

ويبدا جساس فى اغراء « زوجته » بترك الرجل العليل ، ولكنها تابى ،



علية عبد الرازق الشاء ناقشتها شهادة الدكتوراه



رقصة منفردة من باليه « حكاية أيوب على لحن الربابة والطبلة

وأخذت زوجها وخرجت الى الصحراء بحثا عن حياة وعلاج للعليل ٠

وتمر السنوات سنة بعد أخرى وهما يعيشان فى بلاء مستمر و « أيوب » متمسك بصبره وايمانه بربه وظل على هذه الحال ثمانية عشر عاما ، وحينما اشتد بهما الجوع تذهب «زوجته» الى بلدة مجاورة ، لتبحث عن عمل تقتات منه هى وزوجها ، ولكن سيدات البلدة يرفضن مساعدة « رحمة » لغيرتهن على أزواجهن من جمالها ولكنهن يساومنها على بيع ضفائرها لتحصل على ما تريده من طعام ، ويحززن ذوائبها ، وتعود « رحمة » حاملة الطعام لزوجها ، ولكنها تجد رجلا مهيبا جميلا ومعافى فتسأله عن « أيوب » فيظهر انه زوجها ، وقد رضى عنه ربه وهداه الى نبع من الماء يشرب منه ، والى نبات الزعراع الذى دلك به جسده حتى شفى من مرضه وبدأ أيوب يجادل « رحمة » من أين أتت بالطعام ، وبدأ الشك يأخذ منه كل مأخذ ، الى أن أطلعته على ذوائبها التى جذتها والتى باعتها لنساء القرية لتحضر له الطعام ٠٠ فاطمأنت نفسه ثم أعاد الله عليه جميع نعمه التى حرم منها امتحانا لصبره وايمانه » ٠

وقد نأخذ تصورا آخر للقصة عند الراوية الشعبى محمد اسماعيل عتريس حينما قالت رحمة لزوجها عندما سألها عن ذوائبها ٠

حكاية مع البالية والتراث الشعبي

**لكن يا رحمة فين شعرك**
**تسعين جديلة مضفرة**
**قالت شعرى بعته عليه**
**خايفة على العرض السليم من المعيرا**
**ايوب توضى وصلى ركعتين**
**وقال يارب تعود لى شعر المرا**
**باذن الله استجاب دعوته**
**اكمنها على البلاوى صابرة**
**يرجع كلامى على رايحة تصحا من النوم**
**تلقى شعر العز مدلول من ورا**
**وبنى لها ايوب قصر على البحرين**
**وجم الناس يتفرجوا على القصور النايرة**
**واختم كلامى بصلاة المصطفى**
**يكن لنا شفيع فى الاخرة**

تقول الدكتورة علية عبد الرازق ، ان الذى حدث منذ الاف السنين فى ايوب ما زال يكمن فى الوجدان المصرى عبر هذه الحقبة من الزمن فنجد فى زمن الفراعنة انهم كانوا يصبغون ملابسهم برعرع أيوب فى الربيع وهو نبات أخضر ، ولكنه يفرز صبغة حمراء اللون ، ونجد كثيرا من بنات الصعيد حتى يومنا هذا يدلكن اجسادهن فى شم النسيم بنبات رعرع أيوب ٠٠ وتستطرد الباحثة : « ان اخذ عمل من التراث هو اكثر فعالية لادماج هذا الشعب فى العمل الفني، واحساسه بانه قطعة من ماضيه ، وعلينا أن نستفيد من تراثنا بدلا من أن نتركه للاخرين ٠٠ فقد رأيت فى روسيا عملين مستوحيين من التراث المصرى هما باليه كليوباترا لفوكين ، وهو يعتبر من اضخم الاعمال التى اخرجها هذا المخرج والراقص فى ان واحد وعملا اخر وهو «ابنة فرعون» للمخرج « بتى با » وهو دراسة وافية من الجانب التاريخى والديكور ٠

وتستطرد د ٠ علية عبد الرازق الحاصلة على لقب فنان من موسكو ، ان اول عمل قدمته فرقة الباليه المصرية هو باليه ( نافورة باختشى سراى ) « لزخاروف » وهذه القصة مأخوذة من اشعار « بوشكين » الشاعر الروسى ولقد احدث زخاروف بباليه « باختشى سراى » نقلة جديدة وطفرة جديدة فى عالم الباليه باضافته فى اخراجه لهذا العمل أسلوب الاخراج المسرحى الدرامى الى لغة الحركة الراقصة « البانتوميم » وقد تم اختيار هذا الباليه بشكل خاص ليقدم كاول عرض فى مصر لانه يدور فى جو شرقى قريب من الروح المصرية، ثم ان موسيقى « أسافييف » مجسدة للشخصيات ، وقد حاولت اعطاء انغام عاطفية وموسيقى واضحة معتمدا على طابع وانغام عصر الشاعر بوشكين ، ولكن مع محاولة التجديد واعطاء الحرية والابداع عن طريق التكنيك الحديث للموسيقى ، واستطاعت بذلك أن تعبر وتنقل صورة واضحة عن المكان الذى تدور فيه الاحداث ٠



ان الموسيقى الشعبية لا تنصاع لقواعد التاليف الموسيقى ، ذلك أن العاطفة التى منحتنا القطعة الموسيقية المثقفة ، غير العاطفة التى منحتنا القطعة الشعبية ، والذهن الذى تحكم فى الحالة الاولى غير الذهن الذى حفظ الثانية عن طريق السماع ، واداها عن طريق التقليد .

والموسيقى التى تؤلف من الحان وايقاعات شعبية لا يمكن أن تقاد بالنوتة المدونة ، ذلك أن الفنانين الشعبيين لا يقرءون النوتة ولكن يتم العزف عن طريق حفظ الالحان مع الايقاعات .

لذلك فالموسيقى الشعبية المستخدمة فى أيوب كتراث شعبى وجب أن تحوى الكثير من التلقائية حتى تتواءم مع الجو الذى ولدت فيه القصة حتى وصلت الى الرواة الشعبيين . وموسيقى أيوب مختارات من الباحثة لموسيقى سليمان جميل التى لم تؤلف خصيصا للباليه ، ولكنها استغلتها فى الاداء الحركى بالرغم من وجود صعوبة فى التراكيب الحركية الموسيقية .

وقد حاولت الدكتورة علية عبد الرازق عمل مزج شامل بين الحركة والموسيقى من خلال الالحان حتى تحافظ على البناء الحركى الكلاسيكى للباليه . وهذا من الصعوبة بمكان لان الموسيقى الشعبية تعتمد على «التمبو» الواضح .. والموسيقى الغربية فى الباليه بالذات تعتمد على اللحن .

وبالنسبة للديكور فقد أنجز الدكتور رمزى مصطفى ديكورا بسيطا للغاية ، وقد سالت الباحثة عن سر بساطة الديكور فى أيوب ، خاصة أنه كان يمكنها استغلال بذخ الجو القديم أيام ان كان ايوب رجلا غنيا ، وردت قائلة « لسهولة نقله وعرضه فى خارج حدود مصر ، وهذا ما اتمناه ! » .

# العالم في سطور

باريس

## ● الرواية المعاصرة .. في ندوة عربيــــة عالميــــة

ماذا يعني كل هذا الحشد الادبي الذي يتم في الثالث من مارس القادم ولمدة ثلاثة ايام لمناقشة « الابداع الروائي اليوم » بين مجموعة كبيرة من الروائيين والنقاد العرب والفرنسيين في معهد الاعلام العربي المطل على نهر السين .

المعاني عديدة . فهذا هو اول تجمع ادبي من نوعه بين ادباء يمثلون اتجاهات مختلفة في فرنسا والعالم وبالاطلاع على الاسماء التي ستشارك في هذا اللقاء سوف نرى ان القائمة قد ضمت ادباء ينتمون غالبا - من ناحية السن - الى نفس الجيل . فاثروا المكتبة الروائية بصورة مميزة ومدوها بعطاء متدفق يسري في شرايينها منذ ما ينيف عن العشرين عاما . مع وجود بعض الادباء من اجيال سابقة ونقاد متميزين اي ان قائمة المشاركين قد تم اختيارها بعناية فائقة . مما سيجعل النقاش ساخنا حول قضايا الرواية التي تعتبر بلا منازع اهم فنون الكتابة في القرن العشرين .

فمن مصر سوف يحضر جمال الغيطاني ، وبهاء طاهر ، وغالي شكري ، وادوار الخراط ، ومن لبنان هناك سهيل ادريس والياس خوري . ومن العراق جبرا ابراهيم جبرا وفؤاد التكرلي ومحسن جاسم الموسوي . ومن الجزائر محمد ديب والطاهر . ومن سوريا حنامينا . ومن فلسطين اميل حبيبي .

اما من الجانب الفرنسي ، فهناك الان روب جرييه ، وشانتال شواف يمثلان تيار الرواية الجديدة . بينما يمثل ادباء اخرون كافة اتجاهات الرواية - واغلبهم من الشباب - مثل جان مارك روبير وديديه ديكوان وايف سيمون المطرب الذي تحول الى التأليف . وقد سبق للهلال ان قدمت اغلب هذه الاسماء على صفحاتها .



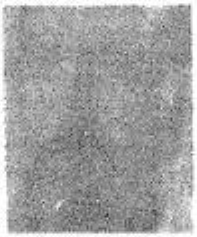
اميل حبيبي



ايف سيمون



ادوار الخراط



طاهر بن جولون

بروكسل

## ● ايف سيمون .. من الطرب . الى الرواية



لو شاهدته منذ عشر سنوات ما تخيلت ان هذا الشاب الهيبى سيصبح مؤلفا مشهورا وان كاتبا وفيلسوفا كبيرا مثل ميشيل فوكو يقول عن روايته الاولى « المحيطات » : « لقد اثارنى هذا العمل تماما ، وبكافة اشكاله » ..

انه ايف سيمون ، اسم معروف فى عالم الطرب والغناء بفرنسا ، حققت اسطواناته أعلى المبيعات فى عام ١٩٧٥ .. ورغم انه لم يترك الجيتار مغنيا وملحنا حتى الان ، فان روايته السادسة « المسافر الرائع » ظهرت فى الشهر الماضى لتؤكد موهبته الفذة .. فلم تكن رواياته الخمس السابقة مجرد « حالات » تاليفية ظهرت عند ممثلات فرنسيات .. بل بدا مدى ارتباطه بمشاكل عصره ، وبجديته فى تناولها ، واختيار الشكل الروائى المتطور للتعبير عنها .

تدور أحداث الرواية الجديدة حول شاب يدعى ادريان .. يعمل مصورا .. وينتقل بآلة تصويره الى ثلاث بقع ساخنة من العالم : الى كينيا كى يسجل وحشية الانسان ضد حيوانات الغابة التى تنقرض بين فرائسه يوما وراء يوم . ثم الى هيروشيما التى دمر فيها الانسان أخاه الادمى . وأخيرا الى قاعدة كيب كنيدى حيث حيث يصعد الانسان للمرة الاولى ـ عام ١٩٦٩ ـ الى القمر .. وكأنه سينقل اليه دماره وليس علمه .

وفى رحلته هذه يصحب أدريان فتاة تدعى ميلينا ، تعمل ممثلة ، ومن أصل تشيكى ، وكلما شاهد الاثنان حدثا مروعا يدور حولهم فى العالم يزداد التصاقهما ببعضهما البعض ،

من أهم روايات ايف سيمون الاخرى : « الحب فى النفس » ، « القطار المريع » ، « الايام الملونة » ، « رجل قوس قزح » وهى جميعها تتناول مشاكل ومعاناة الابرياء فوق الارض .

## ● اليوم الثامن . . .
## ماذا يمكن ان يحدث لو ..

وكان الجوائز الادبية عائق للاديب عن الاستمرار .. أو كأنها هى الهدف الاسمى الذى يجب أن يتوقف عن الابداع بعد الحصول عليه .. أو عليه أن ينتظر بضع سنوات كى يبدأ من جديد .. ليتقدم بخطوات حثيثة ثقيلة ، كأنه يكتب لاول مرة .

حدث هذا مع الكاتبة الكندية انطونين ماييه ـ ٥٥ عاما ـ بعد أن حصلت فى عام ١٩٧٩ على جائزة جونكور الادبية . فمنذ ذلك الحين لم تصدر رواية جديدة للكاتبة التى شغفت بالتاريخ القديم .

« اليوم الثامن » هو اليوم الذى خلق فيه الله ( عز وجل ) آدم .. وذلك بعد ان استراح فى اليوم السابع .. وذلك فى فجر البشرية .. آدم هنا يسمى بالسيد « الطيب » اما حواء فهى « الطيبة » التى كان يمكنها البقاء فى البلاط الملكى بالفردوس • لقد كان عليهما النزول الى الارض وانجاب أبناء كثيرين .. وأبناؤها دائما مخلوقات متناقضة ، وتوائم متنافرة • فهناك البدين والنحيف ، والطويل والقصير ، رجل الغابة وانسان المدينة •

ومن الواضح أن الكاتبة هنا تعيد نسخ الميثولوجيا الدينية بمنظورها الخاص • فتقوم باعادة صياغة للتاريخ البشرى من خلال منطق « ماذا كان يمكن ان يحدث لو .. » :

- ان آدم وحواء لم يعصيا الامر .. وبقيا فى الجنة ؟
- ان قابيل وهابيل لم يتصارعا .. وكونا معا مدينة طوباوية ؟

وعشرات من الاسئلة المماثلة •




## ● الازهر .. رواية فى القمة ..

« الازهر .. هبة الاسلام » ..

عنوان الرواية التى حققت أعلى ارقام فى مبيعات الكتب بيوغسلافيا خلال العام الفائت • من تأليف الكاتب ترايان بتروفسكى الذى يشغل الان منصب رئيس مهرجان الشعر الدولى باستروجا فى جنوب يوغسلافيا •

تدور أحداث الرواية حول شاب أوربى عاش فى مصر بعض الوقت • فأخذته الحياة العربية وتعاليم الاسلام وسماحة أهله • فتردد على بيوت الله وخاصة الازهر • وتناقش مع بعض الدارسين به، خاصة من يجيدون اللغات الاجنبية • ووجد نفسه أخيرا يعتنق الاسلام •

الاديب تريان بتروفسكى ـ ٤٧ عاما ـ يكتب بلغته المحلية المقدونية ، وهى تختلف عن اللغة الرسمية ليوغسلافيا ـ اللغة الصربوكرواتية ـ وقد ترجمت روايته « الازهر » الى لغات أوربية عديدة فى المانيا وفرنسا وايطاليا والمجر .. وهو يكتب الشعر والقصة القصيرة الى جانب الرواية • ترجمت بعض قصائده الى اللغة العربية ، حيث صدر له ديوانان بلغة الضاد هما « دانتى فى الاسكندرية » و « صمت ابو الهول » • كما اقيمت له امسيات شعرية بمناسبة يوم الارض الفلسطينى فى المسرح القومى بمدينة سكوبيا مصحوبة بعرض مسرحى يقدم اشعاره التى تدور حول المقاومة والحق الفلسطينى •

مهرجان امسيات ستروجا الشعرية يقام فى اغسطس من كل عام • وقد سبق ان اهدى جائزته الذهبية لادباء مثل ماركيز والشاعر يانيس ريتسوس

## طوكيو

## ● عندما تتنفس الجرائم

كان الاديب الياباني سيشو ماتسوموتو هو بلا جدال نجم المهرجان التاسع للرواية والفيلم البوليسيين الذى عقد فى مدينة جرونبل . وهو اجتماع سنوى يلتقى فيه المهتمون بالرواية والفيلم البوليسى فى العالم .

وسعيا وراء تقديم سيشو للقارىء الاوربى راحت الصحف تتحدث عنه وتقارنه بالكاتب المعروف جورج سيمنون .. فهو يكتب على طريقته ، وغزير الانتاج مثله ، ٣٠٠ رواية فى ثلاثين عاما ـ كما انه يقاربه فى العمر . لكن الفارق الوحيد بينهما ان سيمنون بدأ مع نهاية العشرينيات . وبدأ سيشو الكتابة فى عام ١٩٥٧ .

ولد الكاتب اليابانى فى عام ١٩٠٩ . مارس مهنة الطباعة وعمل فى ميدان النشر ثم اتجه فى فترة متأخرة من حياته الى الرواية البوليسية . فنشر مجموعة كبيرة من الروايات من اشهرها « القناع » و« آنية من رمل » و « الانجيل الاسود » ، « مؤتمر الضباب » .

يقول سيشو ان العصر الذهبى للرواية البوليسية فى اليابان قد بدأ فى العشرينيات وان هذه الروايات وجدت صدى واسعا لدى الناشر اليابانى الذى جرؤ وقام بطباعة ملايين النسخ من نفس الرواية . وقد سعى الكاتب الى الاستفادة من هذه الظاهرة فاخذ يمزج الحبكة البوليسية بالوضعية السياسية لبلاده تحت الاحتلال الامريكى . لذا فانه يرى أن اهمية الرواية البوليسية ليست فى حبكتها او الحدث الدرامى . ولكن فى دافعية الجريمة . فالجرائم فى حياتنا كالاشجار تتنفس بيننا وتنتشر .

## ستكهولم

## ● النساء .. اشباح فى حياة برجمان

المصباح السحرى ..

هو العنوان الذى اختاره المخرج السويدى لمذكراته الخاصة التى نشرت فى ديسمبر الماضى . تحدث فيه عن تجارب نصف قرن فى استوديوهات السينما وفوق خشبة المسرح عرف فيها الكثير من الفنانين والنساء ولحظات الابداع .

جاءت اهمية هذه المذكرات فى انها تمثل وجهة النظر الاخرى حول مذكرات سابقة دونتها ممثلات ارتبطن فى حياتهن الخاصة وداخل الاستوديوهات كنظام عمل بانجمار برجمان مثل زوجتيه الس فيشر والجريد فولين . ثم بعشيقتيه ليف اولمان وبيبى اندرسون . حيث راحت كل واحدة منهن فى كتاب منفصل تتحدث عن الرجل وافكاره وعن المخرج وابداعه .. ويبدا برجمان فى هذه المذكرات اشبه بشبح بعيد يدور فى فلك نساء جميلات وممثلات شهيرات . الا ان « المصباح السحرى » وجود حقيقى لشخص يرى فى نفسه كائنا مزعجا لكل من حوله . مشتتا ـ او ممزوجا ـ بين مواضيع عدة تتجاذبه كلما فكر فى تقديم فيلم جديد ، لذا فان هؤلاء النسوة لسن ـ بنورهن ـ سوى اشباح باهتة عليها تجسيد افكاره وخيالاته . لذا اطلق على كتابه المصباح السحرى الذى يحوى بداخله جنيا ينفذ أوامره حسبما يشاء .

# رسالة سويسرا




# الأدب العربي ناطقاً بالألمانية

بقلم: جميل عطية ابراهيم

**صدرت منذ عدة أسابيع الترجمة الالمانيـــة لرواية «اللجنة» لصنع الله ابراهيم عن دار نشر لينـــوس السويسرية، ترجم الرواية هارتموت فاندريش وهـــو مستشرق المانى معـروف وسبق له ترجمه عدة اعمال ادبيــــة من العربية الى الالمانيه ، من اهمها قصص الكاتب الفلسطينى غسـان كنفانى وروايتا الكاتبـــة الفلسطينية سحر خليفـة ومجموعة قصصية للكاتب المصرى محمد المخزنجى ..**

وبهـذه المناسبة اعد برنامج حافل لمؤلف الرواية للقــاء عدد من الكتاب والمهتمين بالادب العربى فى سويسرا بواسـطة « جمعية بروهيلفيتسيا » السويسرية وهى جمعية شبه حـكومة منوط بهــا القيام بمهام العلاقات الثقــافية الخارجية .

وتجدر الاشارة الى أن وزارة الثقافة المصرية قد تحملت نفقات سفر المؤلف الى سويسرا وهو تقليد جديد اتبعته الوزارة مع المؤلفين المصريين الـذين تصدر لهم اعمال بلغـات اجنبيـة فى الخارج .

وقد كشفت زيارة صنع الله ابراهيم الى سويسرا عن عدة حقائق هـــامة يجب الاشارة اليها فى هذا المجـال ـ فاذا كان الاهتمـام الغربى بالعـالم العربى قد انحسر كثيرا فى السنوات الاخيرة بعد انخفاض سعر برميل النفط ، فان الدوائر الثقافية لا تزال مهتمة بمعرفة ما يدور على الساحة العربيــة من ابداعات خلاقة ، فمـا خسره العرب على الساحة السياسية بفعل انقســامات الساســة وتردى المواقف السياسـية فى المنطقة بصفة عامة ، يعوضـــه ابناء هذه الأمــة بالابداع الاصيل .

كما ان هناك حقيقة اخــرى يجب عدم اغفـــالها ، وهى ان القــارىء

الغربي مشوق الى الاطلاع على الروائع مهما كان مصدرها او منبعها ، ودور النشر التى تعمل على اسس تجارية بحتة تسعى لتلبية هذه الرغبة بغض النظر عن الجنس أو اللون او الدين ، ومعظم المعوقات يأتي اغلبها نتيجة للاوضاع العربية وضعف دور النشر العربية وفقدان ادوات الاتصال الفعالة بين الكاتب العربي ودور النشر الاجنبية .

وفى حديث مع المسئولين بدار نشر لينوس التى اخذت على عاتقها فى العام الماضى نشر سلسلة من الأدب العربى باللغة الالمانية ، افادت المسئولة عن الدار ان رواية «اللجنة» لصنع الله ابراهيم وزعت ٤٠٠ نسخة فى فترة لا تتجاوز أربعة اسابيع وهى ظاهرة مشجعة وانه من المنتظر ان يتضاعف توزيع الرواية بعد الحملة النقدية الواسعة التى صاحبت زيارة المؤلف فى سويسرا حيث أبرزت الاذاعة والصحف السويسرية انباء الرواية وافردت للمؤلف عدة صفحات فى الاعداد الثقافية لمعظم الصحف الناطقة بالالمانية فى سويسرا .

ولهذا ظهرت الترجمة الالمانية وعلى غلافها اعلان يقول : أشرب كوكاكولا؛ كما تسعى الدار حاليا لنشر رواية جمال الغيطانى « الزينى بركات » فى هذه السلسلة فى الشهور القادمة وقد افاد المترجم انه على وشك الانتهاء منها .

والمهم هنا ليس ترجمة رواية أو عدة روايات الى لغات أجنبية ، بل هى ظاهرة يجب رصدها ، ففى الوقت الذى كان فيه صنع الله ابراهيم يطوف فى المدن السويسرية ، أتى كاتب سورى آخر يعيش فى المانيا الاتحادية منذ عشرين عاما الى سويسرا لتسلم جائزة كبرى عن الكتابة للأطفال باللغة الالمانية مباشرة هو الكاتب السورى رفيق شامى .

وهو كاتب صدرت له عدة كتب بالالمانية فى مجال الكتابة للاطفال حيث يجمع بين الحلم الشرقى والواقع الغربى للحياة ، وربما رفيق شامى لا يعرفه الكتاب والقراء فى العالم العربى ولكن يكفى القول انه فاز بثلاث جوائز عن كتابته للاطفال وانه يعيش حاليا من عائد كتاباته بعد أن ترك العمل ككميائى وتفرغ لادبه .

وعلى الطرف الاخر من سويسرا - والتى تشبه من الناحية الجغرافية السلحفاة - كان الطاهر بن جلون فى جنيف يوقع للقراء على الترجمة الفرنسية لروايته « الليلة المقدسة » الفائزة بجائزة الجنكور لهذه السنة ، وهى رواية كتبت بالفرنسية مباشرة ثم اعاد المؤلف ترجمتها الى العربية بنفسه

ومن الجدير بالذكر أن رواية الطاهر بن جلون السابقة « ابن الرمل » قد وزعت ٨٧٠ الف نسخة فى أقل من عام ، كما ان رواية الكاتب اللبنانى أمين معلوف « ليون الافريقى » زادت المبيعات منها بالفرنسية على المليون نسخة فى العامين الماضيين .

واذا كانت الروايات العربية المنشورة باللغة الالمانية سواء المترجمة أو المكتوبة مباشرة بلغة جوته ، لم تحقق نجاحات تماثل المنشور باللغة الفرنسية حتى الآن ، فان هذا لا يقلل من أهمية الظاهرة التى أشرنا اليها فى صدر هذه الرسالة ، وهى أن الادب العربى قد بدأ يعرف على نطاق واسع ، وان ما خسره العرب على الساحة السياسية نتيجة للانقسامات ، يعوضه حاليا ابناء هذه الامة من المبدعين بجهودهم الذاتية ..

• قصة مترجمة

# زهور صناعية

بقلم: جبرييل جارثيا ماركيز
ترجمة: محمود علي مراد

لبست « مينا » ثوبها الذى لا اكمام له وهى تتحسس طريقها فى ظلمة الفجر وكانت فى الليلة السابقة قد علقته بالقرب من الفراش • واخذت تقلب فى الحقيبة بحثا عن الكمين المستعارين فلم تجدهما • وقالت لنفسها لعلهما معلقان فى احد المسامير المثبتة فى الجدران او خلف الابواب، وبحثت عنهما محاولة الا تحدث صوتا لكيلا توقظ جدتها المكفوفة التى كانت تنام معها فى نفس الغرفة • ولكنها ، حين تعودت عيناها على الظلمة ، اكتشفت ان الجدة كانت قد نهضت • وذهبت الى المطبخ لتسالها عن الكمين • وقالت الجدة الضريرة :

ـ هما فى الحمام • لقد غسلتهما بعد ظهر امس •

كان الكمان فعلا فى الحمام ، وكانا معلقين على سلك بمشبكين من الخشب ، ولكنهما كانا مبتلين • وعادت « مينا » الى المطبخ ووضعت الكمين على حجارة المدفاة •وكانت الضريرة امامها تحرك بن القهوة وحدقتاها الميتتان مصوبتان الى جدار الطرقة المنخفض المصنوع من الطوب والذى وضعت عليه اصص زرعت فيها اعشاب طبية • وقالت « مينا » :

ـ ارجوك يا جدة الا تقربى اشيائى فالشمس فى هذه الايام لا يمكن الاعتماد عليها •

وحركت الضريرة وجهها نحو الصوت وقالت :

ـ نسيت ان اليوم هو اول يوم جمعة فى الشهر وانه يوم القداس • وبعد ان تحققت بشمة عميقة من ان القهوة جاهزة سحبت الوعاء الفخارى من الموقد وقالت :

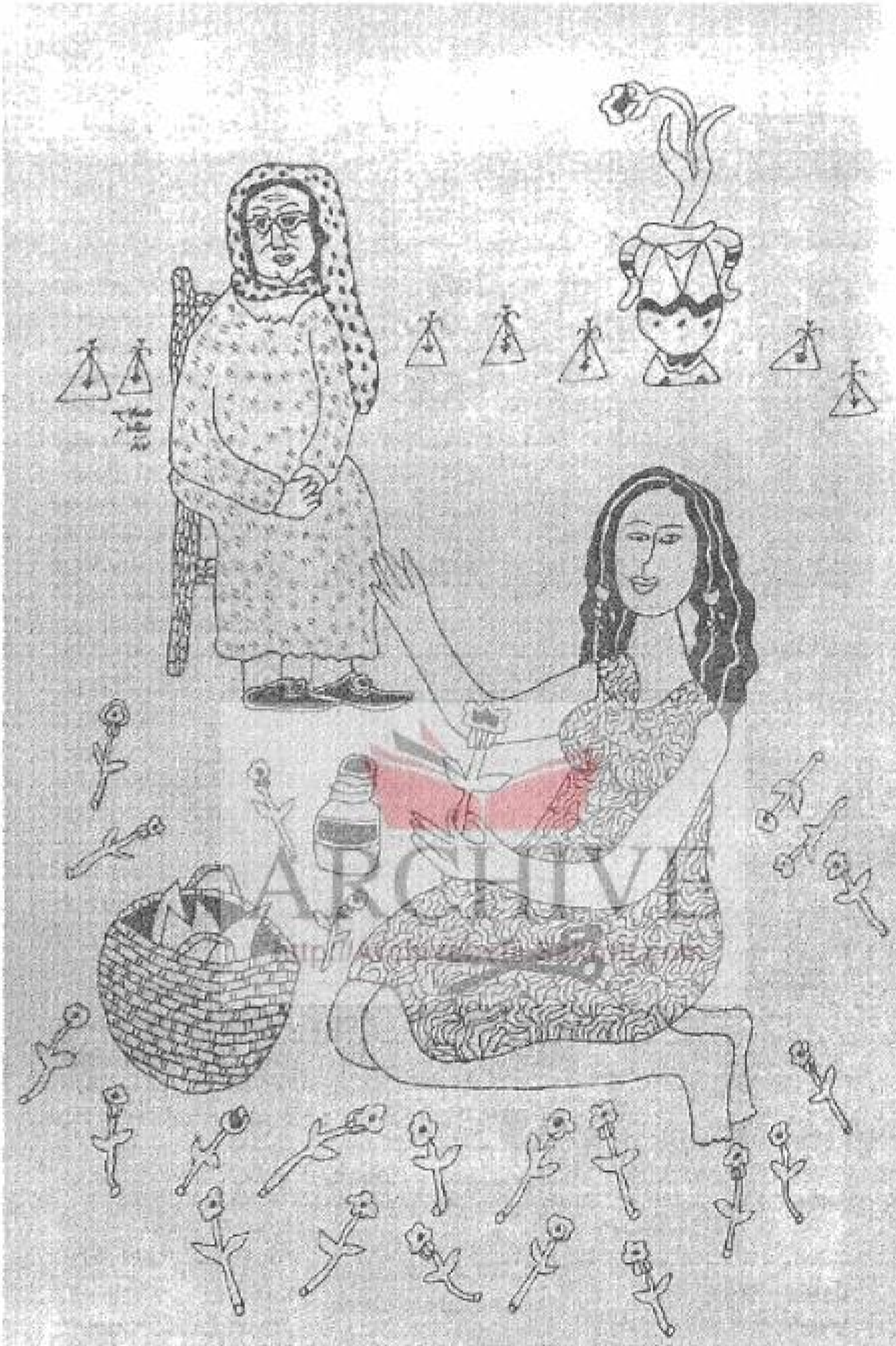
ـ ضعى ورقة اسفل الكمين لئلا يتسخا من حجارة المدفاة •

ومرت « مينا » باصبعها على حجارة المدفاة فوجدتها متسخة بالفعل ولكن بطبقة من الهباب المتجمد لا يحتمل ان توسخ الكمين اذا لم يحتكا بشدة بالحجارة ، ولكنها قالت :

ـ اذا اتسخ الكمان فانت المسئولة •

وسكبت الضريرة لنفسها فنجانا من القهوة ثم قالت وهى تجر مقعدا الى ناحية الطرقة :

ـ انت غاضبة، وتناول القربان والمرء غاضب حرام •



## زهور صناعية

وجلست لاحتساء القهوة امام شجر الورد فى الحوش ٠

وحين سمعت « مينا » صوت ناقوس الكنيسة وهو يدق دقته الثالثة التى تدعو الناس الى القداس التقطت الكمين من ظهر المدفاة ٠

كانا لا يزالان مبتلين ولكنها لبستهما بالرغم من ذلك فان القسيس « انخيل » لن يقبل مناولتها قطعة الخبز المقدس التى تمثل لحم المسيح وجرعة النبيذ المقدس التى تمثل دمه وهى ترتدى ثوبا بذراعين عاريتين ٠ ولم تغسل « مينا » وجهها وازالت بفوطة بقايا احمر الشفاة من شفتيها واخذت من الغرفة كتاب الصلوات والطرحة وخرجت الى الشارع ٠ ولكنها عادت الى البيت بعد ربع ساعة ٠

وقالت الضريرة وهى جالسة امام شجر الورد فى الحوش :

– ستصلين الى الكنيسة بعد تلاوة الانجيل ٠

وتوجهت مينا رأسا الى المرحاض وقالت :

– لن استطيع الذهاب الى القداس ٠ الكمان مبتلان وثوبى كله غير مكوى ٠

وشعرت بأن نظرة فاحصة تلاحقها ٠

قالت الضريرة :

– اول جمعة من الشهر وتتخلفين عن القداس ؟

وحين عادت « مينا » من « المرحاض » سكبت لنفسها فنجانا من القهوة وجلست الى جوار الضريرة وهى تستند الى احد قائمى الباب المصنوعين من الجير ٠ ولكنها عافت القهوة وتمتمت حانقة وفى حلقها غصة :

– كله منك ٠

وصاحت الضريرة :

– انت تبكين !

وقامت ووضعت الرشاشة الى جوار اصص الزهور وخرجت الى الحوش وهى تردد :

– انت تبكين !

ووضعت « مينا » الفنجان على الارض ثم نهضت وهى تقول :

– من الغيظ !

واضافت وهى تمر غير بعيد عن الجدة :

– يجب أن تعترفي بدورك فى هذه العملة للقسيس لكى يغفر لك ذنبك ٠ انت التى حرمتنى من تناول القربان فى هذا اليوم المقدس ٠

وظلت الضريرة فى مكانها بدون حركة حتى اغلقت « مينا » باب غرفة النوم ، ثم سارت حتى نهاية الطرقة وانحنت وظلت تتحسس بيديها الى الى ان عثرت فى الارض على الفنجان الذى تركته حفيدتها دون أن تمسه ٠ وبينما كانت تفرغ مافيه من جديد فى وعاء القهوة غمغمت لنفسها :

– الله يعلم انى مرتاحة الضمير ٠

وخرجت ام « مينا » من غرفة النوم وسالتها :

– مع من تتحدثين ؟

قالت الضريرة :

– لا اتحدث مع احد ٠ وقد قلت لك من قبل أن عقلى قد خف ٠

دخلت مينا غرفتها واغلقت الباب على نفسها

وفكت ازرار « بلوزتها » واخرجت ثلاثة مفاتيح كانت مشبوكةفيها بدبوس مشبك وفتحت باحدها درجا داخليا بالدولاب اخرجت منه صندوقا خشبيا صغيرا فتحته بالمفتاح الاخر . وكان في داخل الصندوق مجموعة من الخطابات ورقها ملون ملفوفة في رزمه وحولها حلقة من « الاستيك » . ودست « مينا » هذه الخطابات داخل بلوزتها واعادت الصندوق الى مكانه وقفلت درج الدولاب بالمفتاح ثم ذهبت الى المرحاض والقت الرزمة في قاعه .

وقالت امها :
ـ كنت احسب انك في الكنيسة .

وتدخلت الضريرة :
ـ هي لم تتمكن من الذهاب الى القداس . كنت قد نسيت أن اليوم هو اول جمعة في الشهر فغسلت الكمين عصر امس .

وغمغمت « مينا » :
ـ وهما لا يزالان مبتلين .
قالت الضريرة :
ـ عملك يا « مينا » كان مرهقا هذه الأيام .
فردت « مينا » :
ـ على ان اسلم مائة وخمسين « دسته » من الورد في عيد القيامة .
واشتد صهد الشمس والساعة لم تبلغ السابعة صباحا . واحضرت « مينا » الى الصالة مشغل الورود الصناعية: سبتا مملوءا بأوراق مما يصنع منه تويج الورد ، واسلاك ، وتشكيلة من الورق المطاط ، ومقصين، و « فتلة » خيط ، واناء صمغ . وبعدها بلحظة حضرت «ترنيداد» وتحت ذراعها علبة من الكرتون وسألت « مينا » لماذا لم تذهب الى القداس .

وقالت « مينا » :
ـ لم يكن عندى « كمان » لثوبى .

قالت « ترنيداد » :
ـ كان بوسعك أن تستعيرى كمين من اى واحدة .
وجرت كرسيا لتجلس الى جوار سلة أوراق الورد التويجية .

وقالت « مينا » :
ـ كان الوقت قد تاخر .
وانتهت من صنع وردة ثم قربت السلة لتجعد بالمقص اوراق الورد . ووضعت « ترنيداد » العلبة الكرتون على الارض وانكبت على العمل .
ولاحظت « مينا » العلبة فسالت صديقتها :
ـ اشتريت حذاء ؟
فاجابت « ترينداد » :
ـ بل هي فئران ميتة .
ولما كانت « ترينداد » متخصصة فى تجعيد ورق الورد عكفت «مينا» على صنع سيقان من السلك للورود كانت تغطيها باوراق خضراء . وظلت الفتاتان تعملان في صمت دون ان تتنبها الى ان اشعة الشمس كانت تتقدم في الصالة المزينة بصور لمناظر رعوية وصور عائلية . وحين انتهت « مينا » من اعداد سيقان الورود تحولت الى « ترينداد » بوجه مستغرق في ملكوت لا مادى . وكانت «ترينداد» تجعد اوراق الورد بمهارة تثير الاعجاب ولا تحرك الا اطراف اصابعها بحركات لا تكاد تحس وساقاها مضمومتان بشدة . ولاحظت « مينا » حذاء صديقتها الرجالى، وراقبت ترينداد من نظراتها دون أن ترفع راسها من عملها واكتفت بسحب قدميها الى الوراء ، ثم توقفت عن العمل وسالت صديقتها :

ـ ما الاخبار ؟
ومالت « مينا » ناحيتها وهمست :
ـ ذهب .
واسقطت « ترينداد » المقص فى حجرها وسالت :

- أهذا ممكن ؟

فرددت « مينا » :

- ذهب .

ونظرت اليها «تريندادا» دون أن تطرف عيناها . وارتسم بين حاجبيها المفقودين خط رأسي . وسألت :

- ماذا ستفعلين الآن ؟

وأجابت « مينا » دون أن يرتجف صوتها :

- لا شيء .

وخرجت « تريندادا » قبل العاشرة .

وسرى عن « مينا » بعد أن أفضت بسرها الى صديقتها وطلبت منها أن تتمهل لحظة ريثما تلقى بالفئران الميتة في المرحاض . وكانت الجدة الضريرة تقلم أشجار الورد . وقالت لها «مينا» وهي تمر أمامها :

- أراهن أنك لا تستطيعين أن تخمني مافي هذه العلبة . وهزت الفئران في العلبة .

واستمعت الضريرة الى الصوت وقالت :

- هزيها مرة أخرى .

وكررت « مينا » الحركة ولكن الخبيرة لم تتمكن من اكتشاف ما بداخل العلبة حتى بعد أن استمعت الى الصوت مرة ثالثة وقد وضعت سبابتها على شحمة أذنها ، فقالت « مينا » :

- انها الفئران التي وقعت ليلة أمس في مصيدة الكنيسة .

وحين عادت « مينا » من المرحاض مرت أمام الضريرة دون أن تتكلم ، ولكن الضريرة تبعتها . وحين وصلت الى الصالة كانت « مينا » تجلس وحدها بالقرب من النافذة الموصدة لتنتهي من صنع الورود الصناعية .

قالت الضريرة :

- « مينا » . اذا أردت أن تسعدي في حياتك فلا تحكي أسرارك لغريب .

ورمقتها « مينا » دون أن تنبس . وجلست الضريرة في الكرسي المواجه لها وأرادت أن تشترك في العمل ولكن « مينا » نهتها عن ذلك .. وقالت الضريرة :

- انت عصبية .

فردت مينا :

- بسببك !

وسألتها الضريرة :

- لماذا لم تذهبي الى القداس ؟

فردت عليها :

- انت أكثر من أي شخص آخر - تعرفين السبب .

وقالت الضريرة :

- لو أن المسألة هي مسألة الكمين فقط لما حملت نفسك مشقة الخروج من البيت .. ولكنك خرجت للقاء شخص كان في انتظارك في الطريق .

وقال لك هذا الشخص شيئا كدرك .

ومرت « مينا » بيدها أمام عيني الجدة وكأنها تمسح مرآة غير منظورة ، وقالت :

- انت تخمنين كل شيء !

وقالت الضريرة :

- انت ذهبت الى المرحاض مرتين هذا الصباح ومن عادتك الا تذهبي اليه الا مرة واحدة .

واستمرت « مينا » في صنع الورود .

وسالت الضريرة :
ـ ايمكنك ان تريني ما تحتفظين به في درج الدولاب ؟
ورشقت « مينا » الوردة التي كانت بيدها في اطار النافذة دون تعجل واخذت المفاتيح الثلاثة من « بلوزتها » ووضعتها في يد الضريرة وضمت اصابعها عليها وقالت:

ـ اذهبي لرؤيتها بعيني راسك .
وتحسست الضريرة المفاتيح الصغيرة باطراف اصابعها ، وقالت :

ـ عينا راسي لا تستطيعان النظر في قاع المرحاض .
ورفعت مينا راسها واحست للتو بان الضريرة كانت تعلم انها تنظر اليها . وقالت :

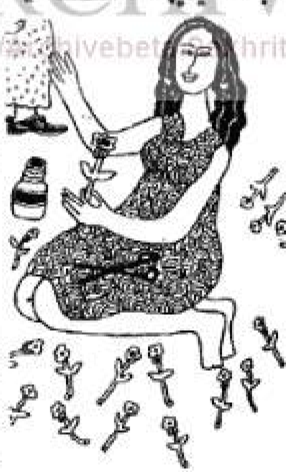
ـ الق بنفسك في قاع « المرحاض » اذا كانت اشيائي تهمك الى هذا الحد .

وتجاهلت الضريرة هذه المقاطعة وقالت :
ـ انت تكتبين دائما في الفراش حتى يطلع الفجر .

وقالت « مينا » :
ـ كيف يتأتى لي ذلك اذا كنت تطفئين النور بنفسك ؟

فقالت الضريرة :
ـ انت تضيئين « بطارية » اليد الصغيرة ومن طريقة تنفسك استطيع ان اعرف ماذا تكتبين .
وبذلت « مينا » جهدا للسيطرة على اعصابها وقالت دون ان ترفع راسها :

ـ على فرض ان هذا صحيح ، ما وجه الغرابة فيه ؟
واجابت الضريرة :
ـ ليس فيه غرابة كل ما في الامر انه يفوت عليك قداس الجمعة الاولى من الشهر .
وجمعت « مينا » بكلتا يديها « شلة » الخيط والمقصين وحفنة من السيقان والورود التي لم تتم من صنعها ووضعت الكل في السلة ونظرت الى الضريرة وبادرتها :



ـ تريدين ان تعلمي ما الذي فعلته في المرحاض ؟
وبقيت المرأتان في حالة ترقب الى ان اجابت « مينا » على السؤال الذي طرحته :

ـ ذهبت لاتبرز .
ورمت الضريرة المفاتيح الصغيرة الثلاثة في السلة وتمتمت وهي تتجه الى المطبخ :
ـ كان من الممكن ان يكون هذا عذرا مقبولا ، وكان من الممكن ان اقتنع به لولا ان هذه هي المرة الاولى التي اسمع منك فيها كلمة بذيئة .
وجاءت ام « مينا » من الطرقة في الاتجاه العكسي وهي محملة بأفرع شائكة ، وسألت:

ـ ما الحكاية ؟
واجابت الضريرة :
ـ الحكاية ؟ الحكاية اني مجنونة . ولكنكم ، فيما اظن ، لن تفكروا في ارسالي الى مستشفى المجاذيب ما لم ابدأ في رمي الناس بالحجارة !

# يا وابور قل لى

# ما أدخله القطار على اللغة والأدب

بقلم : محمد سيد كيلانى

**هذا هو الجزء الاخـــير من رحلات محمد سيد كيلانى فى المكان والزمان عبر مائة سنة ، مع دخول القطار الى مصر وما طرا خلال تلك الفترة من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية**

يطلق المصريون كلمة « وبور » ــ وهى تحريف للكلمة الانجليزية Vapour ومعناها البخار ــ على كل مايدور بالبخار .

يقول المصريون : وبور المية ، وبور النور ، وبور الطحين ، وبور الغاز ، ربما لأنه عند تحريفهم للكلمة الانجليزية استبدلوا بحرف الـ V الذى لاوجود له فى العربية حرفا موجودا فيها هو الواو .

وقد سجل التاريخ طرفة من الطرائف التى اتى بها شاعر أراد مدح ملكة انجلترا فكتوريا فنطق الاسم بالواو « وكتوريا » .

على أية حال فإن المصريين كما استخدموا وبور استخدموا أيضا كلمة « قطار » لمجموع العربات .

والمعنى اللغوى لكلمة « قطار » يعنى ، القافلة التى تتألف من عدة جمال ، كما استخدموا كلمة « قاطرة » للعربة التى تضم الآلة التى تجر العربات و« تقطرها » وراءها .

وقد أغنى دخول القطار فى بلادنا اللغة العربية بالعديد من الكلمات الأخرى التى اطلقت على الآلات كما اطلقت على الأشخاص الذين يتعاملون مع القطار .



السينما فوق قضبان القطار .. لقطة من باب الحديد

فأطلقوا كلمة .. « عَطَشْجي » .. على العامل الذى يمد القطار بالماء ، وكلمة « محولجى » على العامل الذى يحول القضبان عند المفارق ليوجهها فى الاتجاه المراد للقطار المرور فيه ، كما أطلقوا كلمة « تذكرجى » على الموظف الذى يبيع التذاكر للمسافرين ، وقد شاعت ورسخت هذه الكلمة على الرغم من أنها فى الأصل ترجمة خاطئة لكلمة ticket الانجليزية التى تعنى : تصريح بالركوب فى وسيلة من وسائل الانتقال ، أو الدخول إلى اجتماع .

كما أطلق المصريون كلمة « مزلقان » على البوابة التى تخصص لعبور الناس ، راكبين أو راجلين ، فوق قضبان السكة الحديد ، وكلمة « محطة » لموضع وقوف القطارات فى أماكن معينة مجهزة بأرصفة ومكاتب وموظفين وتستخدم للصعود أو الهبوط من القطار .

أما كلمة « فلنكات » ومفردها « فلنك » فهى بالانجليزية Flang ومعناها قضيب أو انبوبة ، وتستعمل بالعربية فى نفس المعنى ، كما استعملوا كلمة « عنابر » ومفردها عنبر وعنوا به البناء المخصص لاصلاح وصيانة مايفسد من القاطرات والعربات . ولاوجود لهذه الكلمة فى اللغة العربية بالمعنى الذى نقصده اليوم .

وفى أول الأمر أطلقوا على امتداد القضبان اسم « أخاديد الحديد » أو « طرق الحديد » ثم استقر الأمر أخيرا على اسم « السكة الحديد » ، واحيانا يقولون شريط السكة الحديد .

وكما وصفوا هذه الأشياء وصفوا القطارات بأنواعها وفخامتها ، فذلك الذى يقف فى جميع المحطات فى المراكز والنواحى أطلقوا عليه اسم « القشاش » وكأنهم أرادوا أن يقولوا أن القطار « يقش » كل من هب ودب فى طريقه أما

## ياوابور قل لى

ذلك الذى يقف فى عواصم المحافظات «الاكسبريس» وذلك الذى يقف فى أسيوط فقط، سواء كان قادما من أسوان أو ذاهبا اليها يقولون عنه «المفتخر».

وكانوا أحيانا يطلقون على القطار نفسه «وبور البر» تمييزا له عن «وبور البحر» ثم أطلقوا على هذا الأخير اسم «باخرة»، ولم ترد هذه الكلمة فى كتب اللغة على أية حال، وهى ترجمة غير دقيقة للكلمة الانجليزية Steem Ship

★★★

أما فى الأدب فقد وقف الشعراء أمام القطار طويلا مندهشين مذهولين من هذه الآلة الجبارة، محاولين كشف ماغمض من أسرارها، وقد اشتركوا جميعا فى الاعراب عن حيرتهم امام هذا الاختراع العجيب :

يقول عبدالله النديم :

نظر الحكيم صفاته فتحيرا
شكلا كطود بالبخار مسيرا

بل أن رفاعة الطهطاوى صرخ :

العقل فى الوابور حار
نرجو الجواب فلا يحير

وهكذا بدوا كأنهم لايدركون سر القوة التى تحرك هذا الجسم الحديدى الضخم، بل كأنهم لم يفهموا أنها قوة البخار.

وقد اكثر الأدباء من إيراد الصور الخيالية من التشبيهات والاستعارات فى وصفهم لسرعة هذا الجسم، ومن المعروف أن سر الجمال فى التشبيه هو رسم صورة للمشبه تقربه للأذهان، وقد حاول الأدباء ذلك بقدر المستطاع، بل بالغ بعضهم كثيرا حتى ذكر أن سرعته تفوق سرعة الضوء.. من ذلك قول البارودى :

ولقد علوت سراة ادهم لو جرى
فى شاوه برق تعثر اوكبا
يطوى المدى طىّ السجل ويهتدى
فى كل مهمهة يضل بها الخطا
يجرى على عجل فلا يشكو الوجي
مد النهار ولايمل من السرى

فهذا القطار يقطع المسافات الطويلة دون أن يضل طريقه أو يخطىء قصده، وهو ليس كالجمل الذى قد يصاب بألم فى أخفافه فيعجز عن السير، بل يمكنه أن يسير طوال النهار وطوال الليل دون أن يتعب أو يمل.

### ● التغنى بفضل القطار

ومن طريف مايروى فى هذا الصدد أن عبدالله باشا فكرى كان قد سافر إلى السويد على رأس وفد مصرى لحضور مؤتمر للمستشرقين انعقد تحت رعاية ملك تلك البلاد، وكان من أعضاء هذا الوفد الشيخ حمزة فتح الله فألقى قصيدة بدأها بأبيات فى وصف الناقة على عادة العرب القدماء، فعارضه عبدالله فكرى بقصيدة بأبيات فى وصف القطار والتغنى بفضله، معرضا فى هذا بالناقة التى تساق بالسوط، وتشد عليها الرحال، والقطار يسبق الرياح ويتركها وراءه حزينة متعبة مجهدة تتعثر فى سيرها.

قال :

ثم امتطينا للسويد ركائبا
لا الركض يجهدها ولا التسيار




محمد عبد الوهاب محمود سامى البارودى

**تسعى على عجل الى غاياتها**
**كالماء ساعد جرية التيار**
**سرع الخطا لا السوط هل بجلدها**
**يوما ولاشدت بها اكوار**

على اية حال لايملك المرء إلا أن يقول إنه إذا كانّ من المعروف أن المشبه به يجب أن يكون اقوى من المشبه فإن معظم الأدباء الذين عرضوا لوصف القطار لم يوفقوا كثيرا فى تشبيهاتهم مثال ذلك قول عبدالله النديم :

**تلقاه حال السير افعى تلتوى**
**او فارس الهيجا اثار العثيرا**

فالقطار اقوى من الافعى واقوى من الفارس .

وقال آخر فى وصف قنطرة شيدت على النيل ليعبر عليها القطار :

**لله ما ابهى وابهج قنطرة**
**سمح السعيد بها فزانت كوثرة**
**وبصنعها سكك الحديد مديدها**
**اضحى لوافر نفعها ما اقصره**
**وكانها والموج تحت رصيفها**
**ملك ينظم بالشهامة عسكره**
**وكتائب العربات تلثم أرضها**
**وتجوز وهى بامنها مستبشرة**

لقد أعجب هذا الشاعر بالقنطرة التى أزدان بها نهر النيل والتى ساعدت القطار على العبور فقصرت المسافات وقربت البعيد ، فاستحقت شكر العربات التى هـوت على أرضها تقبلها تقبيل الشاكرين .. تمر وهى آمنة مطمئنة ..

ومن الشعر الشعبى جاء قول أحدهم :

**يامصر كم وابور نار**
**اضحى كطير فى القفار**
**يسعى باجنحة البخار**
**لاتدرك الريح الغبار**
**منه كبرق فى الظلام**
**يسرى فيزرى بالعتاق**
**شرقا وغربا فى السباق**
**ويكاد يخترق الطباق**
**بعجيب عزم لايطاق**
**لم يبق للبعد احتكام**
**كم من تلغراف فريد**
**بسلوكه الوادى حميد**
**هو للرعايا كالبريد**
**ياتى به النبا المفيد**
**فى لمحة من بعد عام**

هكذا كان الناس يتغنون فى أمر القطار بمثل هذا الشعر .

ومما لاشك فيه أن شعرا كثيرا قد قيل فى وصف القطار ، ولكن لم يصلنا منه إلا القليل ..

ومن الشهير الذائع تلك الأغنية التى يتغنى بها محمد عبدالوهاب :

**ياوبور قل لى**
**رايح على فين**
**عمال تجرى بحرى وقبلى**
**ياوبور قل لى طريقك وين**

هكذا أثرى دخول القطار لغتنا العربية ، كما أثر على نواح عديدة فى حياتنا على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية .

# العالم غدا

● المؤسسات العلمية في عام ١٩٨٨

● بمناسبة بدء العام الجديد تبلورت اتجاهات انشطة مؤسسات البحث العلمي في مصر . وأهم هذه الاتجاهات هو قيام المؤسسات العلمية بوظيفة بيوت الخبرة والمكاتب الاستشارية ، فيما يخص ما تحتاجه المؤسسات الاخرى من دراسات .

ولعل أهم المحاور التي سيدور حولها نشاط هذه المؤسسات هو اهتمام البحث بالمشاكل القومية التي تحتاج الى دراسات تكاملية من الزوايا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، ومنها مشاكل الصناعات الصغيرة وتنمية القرية واعداد خرائط الموارد الطبيعية ..

هذا وسيجري خلال عام ١٩٨٨ تكثيف الجهود الخاصة بانشاء معهد الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية التابع لأكاديمية البحث العلمي . ودعم وتطوير الشبكة القومية للمعلومات بهدف تقديم الخدمات العلمية للباحثين والعلماء ..

ومع عودة العلاقات المصرية العربية ستكثف المؤسسات العلمية من نشاطها العربي مع مواصلة علاقاتها بالمؤسسات العلمية الافريقية

وهناك آمال حول ترجمة نتائج الابحاث العلمية الى جهود تطويرية في المجالات الانتاجية وتنمية الابتكارات ، وبخاصة في مجال الطاقة الشمسية .

وستدخل المؤسسات العلمية مجالا جديدا هو مجال تبسيط العلوم حيث ستقوم بتنفيذ البرامج للاذاعتين المسموعة والمرئية ، وتصدر سلسلة من الكتب العلمية المبسطة .

● مولود عمره الف عام

تتزايد عاصفة الاحتجاج وعدم الرضا في العالم « المتقدم » بصدد مجموعة من الممارسات الطبية التي تمس المواليد والاجنة البشرية . فقد قام مستشفى لوماليندا أخيرا بنقل قلب مولود جديد الى طفل لم يتجاوز عمره أيام .. صحيح أن الطفل صاحب القلب المنقول كان يعاني من عيب خلقي في المخ ، لا يترك له أدنى فرصة للعيش بعد الولادة . لكن المتبع قبل هذه الممارسات كان اجهاض حاملات مثل هذه الاجنة ، بالذات وقد صار بامكان الاطباء التعرف على العيوب الخلقية في مراحل مبكرة من فترة الحمل ..

ويبرر الداعون الى الابقاء على هذه الاجنة والاستفادة من أعضائها ( القلب والرئتين والكليتين .. ) .



باعتماد حياة بشر آخرين على نقل مثل هذه الاعضاء لاجسادهم . وان كانت هذه الحاجة تصلح مبررا للممارسة السابقة فان ممارسات عابثة اخرى لوكالات استئجار الارحام ـ وهى وكالات تجارية تتكسب من الانجازات الحلمية ـ لا يمكن ان تثير الا ما هو سلبى من الاحكام والمشاعر .

ومن هذه الممارسات تجميد الاجنة وحفظها لاى عدد من السنين لتزرع بعد ذلك فى أرحام تستأجر لاغراض الحمل . والغريب أن الامر هنا قد تجاوز الاحلام المستقبلية أو التخطيط الفكرى .. اذ اعلن العالم البريطانى ديفيد ويتنجهام انه جمد بالفعل جنينا عمره يومان ، وسوف يجرى الاحتفاظ به ليزرع فى رحم امرأة عام ٢١٨٧ (!) ومن الغريب انه يدافع عن مثل ذلك الاجراء بدعوى أن الجنين الذى يجرى تجميده لا يزيد على كونه مجموعة من الخلايا لا تمت من قريب أو بعيد للكيان البشرى .. الخطير ان هذه الممارسات ناهيك عن كونها عبثا بمقدسات الحياة

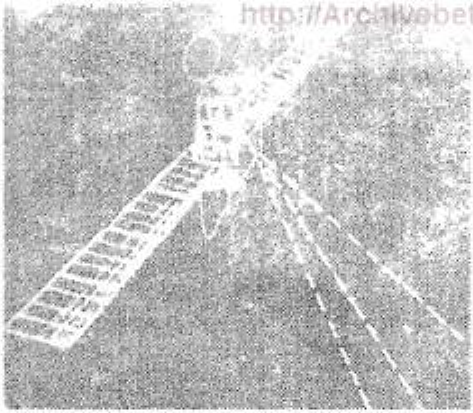
وتجاوز من الاطباء لصلاحياتهم ، تمهد لان يصير الاطفال الاصحاء هدفا لمثل هذا العبث التجارى ..

## ● مكتبة الكونجرس فى القاهرة

اقيمت بالمركز الثقافى الامريكى فى القاهرة محطة استقبال لبث الاقمار الصناعية تستقبل رسالة يومية حول أحدث مجريات السياسة والاقتصاد والعلوم والرياضة من الشبكة العالمية التى انشأتها هيئة الاستعلامات الامريكية فى واشنطون ، التى تبث ارسالها الى اوروبا وبعض البلدان الاخرى ..

ومن المستحدثات التقنية التى زود بها المركز أيضا حاسب الكترونى ، ضمن الوظائف التى يقوم بها توصيل الباحثين المصريين بالمصادر الامريكية، غير المتوفرة فى مكتبة المركز ( ١٢ الف كتاب مع المراجع والفهارس والدوريات ) .. وبين المصادر التى يستطيع المصرى أن يتصل بها الان مكتبة الكونجرس اكبر مكتبات العالم .





العالم غدا

## ● بدلا من قتل الخيال

تجارب عديدة جرت فى أنحاء مختلفة من العالم وعلى آجال زمنية متفاوتة استهدفت عدم حصر التلاميذ داخل دائرة التلقين والحفظ والتقنين فى اطار المقررات المدرسية ، لان ذلك يقتل روح الابتكار والابداع ولا يتيح الفرصة لتنمية الخيال ..

ولكن هناك تجربة جديدة تجرى فى الولايات المتحدة يرعاها د٠فيليب لوبيت ( فى مدارس مدينة نيويورك ) بالاشتراك مع عدد من الفنانين المهتمين بالشعر والدراما ٠ وهذه التجربة تكرر وتطور ما جرى فى مسرح الطفل الكويتى من اتاحة الفرصة أمام الطفل للمشاركة بنفسه فى تطوير العمل الدرامى وتنمية الحدث ، بما يتفق وتخيلاته الخاصة ، وسط جماعة سيكولوجية تتيح له جوا من الامان النفسى بل والدعم والتشجيع بما ينمى قدراته الابداعية ٠

وبين أهداف تجربة د٠ لوبيت اختيار الاطفال ذوى المواهب المتميزة فى كافة المجالات ، ورعايتهم كل فى المجال الذى يبرز فيه ٠٠ وقد قام د ٠ لوبيت أخيرا بزيارة للقاهرة عبر فيها عن أمله فى الا تظل تجربته سجينة الولايات المتحدة ، وأن تخرج الى بلدان العالم المختلفة ، وأن يستفيد منها الاطفال المصريون ٠

## ● الدولتان (( الاعظم )) فى الطلاق

● كشفت آخر دراسة نشرتها أكاديمية العلوم الاجتماعية السوفييتية أن الاتحاد السوفييتى يحتل المركز الثانى فى العالم من حيث عدد حالات الطلاق بعد الولايات المتحدة الامريكية ٠ وقد ظهرت الى جوار الاسباب التقليدية للطلاق : ( الادمان ، سهولة اجراءات الطلاق، معيشة الزوجين فى منزل احدى اسرتيهما ٠٠ ) أسباب تبدو غريبة على الواقع السوفييتى مثل الرغبة فى انجاب الذكور ، والنفور من مشاركة المرأة فى النشاط الاجتماعى

● وافق المسئولون فى البيت الابيض الامريكى ، بصورة مبدئية ، على أن تساهم الحكومة الامريكية فى تمويل مشروع اطلاق محطة



فضائية صغيرة يديرها القطـــــاع الخاص ..

● أوضح الاطباء الصينيون أن الغناء يساعد الانسان على العلاج من السعال والزكام ويرجع ذلك الى أن الغناء يضطر المرء على الاحتفاظ بالشهيق لفترة طويلة ، الامر الذى يجعله يعتمد بصورة أكبر على التنفس البطنى ( بأقصى امكانات الرئتين ) ، بدلا من التنفس الرئوى السطحى ، وذلك يزيد من الطاقة الحيوية ، كما يقلل من الضغط على الرئة .. هذا كما أثبت الصينيون أن النشـاط المصاحب للغناء يؤدى الى خفقان القلب وتوتر عضلاته مما يساعد فى السيطرة على السعال .. وذلك كله ناهيك بالطبع عما يصاحب الغناء من مشاعر الفرح والابتهاج .

● بدأت التجارب فى عـدد من البلدان المتقدمة تقنيا لقيام الكمبيوتر بدور الرقيب بعد برمجته بتفاصيل المواد التليفزيونية الممنوع عرضها ..

## ● الازواج وآلام المخاض

من المسلم به أن بعض الازواج يشعرون بما تشعر به نساؤهم خلال فترة الحمل . وقد ساد تفسير مؤداه أن ذلك يجرى بدافع التعاطف لهذا كان الشائع أن ذلك يحدث للازواج شديدى المودة والحب لزوجاتهم .

لكن دراستين أجريتا فى امريكا أخيرا ( فى كليتين بولاية بنسلفانيا ، وانتاريو الكندية ) على الازواج ونسائهم الحاملات فى نفس الوقت بينتا أن الامر لا يجرى بدافع التعاطف فقط .

لقد أكدت الدراستان وجود عوارض الحمل لدى الرجال لكنهما لم تجدا توازيا بين ذلك وبين الحب ، بل وأكدتا اختفاء أعراض « التعاطف » بين الزوجين مع اقتراب الحمل فبينما يتصاعد قلق الحوامل يخفت قلق أزواجهن .

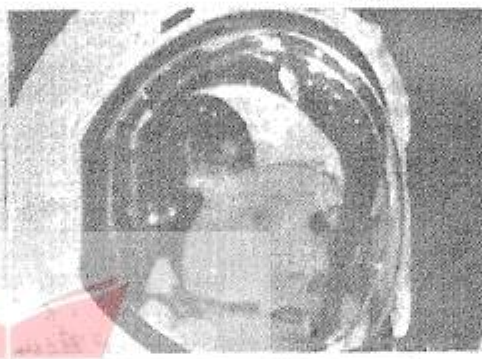
ولعل أطرف التفسيرات التى خرجت بها الدراستان أن الامر يمكن أن يكون بقايا « لحمى النفاس الاصطناعية » التى كان الاجداد القدامى يؤكدون بها دورهم فى عملية التناسل .. ومن التفسيرات الطريفة الاخرى أن يكون هدف الزوج هو الخلود الى الفراش بعد ولادة الزوجة حتى تتماسك الزوجة سريعا بعد الوضع ولا تتهامل فى خدمته ..

## ● الاستعداد للذهاب الى المريخ

على متن سفينة الفضاء السوفييتية « سيوز ـ ت م ـ ٣ » عاد الملاح الكونى يورى رومانينكو ( ٤٣ سنة ) بعد أن قضى ٣٢٧ يوما فى الفضاء القريب من الارض .. يعمل فى المحطة المدارية « مير » .. وكان الملاح قد شكا خلال الايام الاخيرة من تحليقه ، من حالة التبلد وفقدان الاهتمام .. لظروف العزلة التى يعيشها الملاح خلال تحليقه .. ومن المعتقد أن يظل الطاقم الكونى الجديد الذى حل فى محطة « مير » محل طاقم رومانينكو فترة أطول فى الفضاء اذ ان ذلك ينطوى على أهمية أساسية بالنسبة

## العالم غدا

للبحوث الجارية حول ارسال مركبة مأهولة الى المريخ .. فرحلة الذهاب والعودة وحدها تستغرق عامين ونصفا ..



● مفتاح كنز الطاقة

ربما لم يعرف تاريخ البشرية هدفا علميا وتقنيا آخر وظفت فيه امكانات بشرية ومالية ( ما يقدر بالمليارات من الدولارات ) مثلما حدث بالنسبة لطاقة الاندماج النووى.

لقد نجح العلماء فى فك عقال الطاقة الناتجة عن انشطار نواة العناصر الثقيلة النادرة فى الطبيعة مثل اليورانيوم ( القنبلة الذرية ) والطاقة الناتجة عن اندماج أنوية العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين ( القنبلة الهيدروجينية ) ، ثم نجحوا بالتحكم فى طاقة الانشطار ( المحطات النووية المعروفة ) لكن عشرات السنين من كد العلماء فى السيطرة على طاقة الاندماج لم تفلح فى الابتعاد عن دائرة الحلم ..

لكن العلماء نجحوا أخيرا فى تسخين المادة التى ستتحد أنويتها لتوليد الطاقة الاسطورية الى درجة الحرارة المطلوبة لذلك ، وهى مائة مليون درجة ( تقول أن الجو حار جدا عندما تقترب درجة الحرارة من ٤٠ درجة م) وفى مضاعفة فترة الابقاء على المادة فى درجة الحرارة هذه مئات المرات ، لكن مازال ينقصهم ثانية أو ثانيتان ، لتحقيق مدة الثبات المنشودة لحدوث التفاعل ..

وهكذا يقف العلماء على عتبات انتاج أول وحدة تجريبية لانتاج طاقة الاندماج النووى ، والمتوقع ظهور المحطات التجارية من هذا النوع عام ٢٠١٥ تقريبا . ولا تقتصر المسألة على أن الطاقة الجديدة لا تلوث الجو ولا يتطاير عنها مخلفات ضارة ، ولا على أن مفاعلاتها لا تنطوى على أية مخاطر .. ذلك اننا نسد بها أيضا بعض الدين لأجيال المستقبل بعد أن بذرنا وأسرفنا فى استخدام نصيبهم من خامات الطاقة ..

● الايدز على النمط الاسيوى ليس خطيرا ، لكنه على المستوى المصرى مخيف

اذا كان المثل اللاتينى يقول ان القارة الافريقية تقدم جديدا كل يوم ، فان القارة الآسيوية هى قارة العجائب والسحر والابداع .. واذا كان الفكر الماركسى قد كشف فى القرن الماضى عن نمط جديد فى الانتاج بسبب

علاقات الانتاج السائدة فى البلدان الآسيوية فى ذلك الحين ، فان التقرير الاخير لمنظمة الصحة العالمية يشير الى نمط متميز لمرض الايدز فى آسيا أطلق عليه النمط الاسيوى وذلك بالمقارنة بالنمط الافريقى للوباء أو طاعون العصر « الايدز » أو مرض نقص المناعة المكتسبة القاتل . أما النمط الغربى للمرض وهو الشائع فى الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية الصناعية فله سمات مميزة تميزه عن النمطين السابقين .

النمط الغربى لمرض الايدز كوباء : يقول التقرير ان الاغلبية من المصابين بالفيروس القاتل من الشواذ جنسيا أو الذين يتناولون المخدرات والعقاقير بواسطة الحقن — أما القلة من من المصابين فهم من المتزوجين أو الذين اصيبوا بالمرض عن طريق نقل دماء لهم ملوثة بالفيروس اثناء جراحات او على اثر حوادث ، وفى معظم الحالات قلة نادرة مصابة من الاطفال ، وقد انتقل اليهم بواسطة الامهات قبل الولادة .

النمط الافريقى للوباء : الاغلبية المصابة بالفيروس من المتزوجين وتوجد نسبة عالية جدا من الاطفال المرضى بالايدز فى البلدان الافريقية وينتشر المرض فى افريقيا بين المتزوجين وينتقل الى الاطفال اما الاقلية فهى بين الشواذ — وتحذر المنظمة بالنسبة للقارة الافريقية من انتشار المرض مستقبلا عن طريق الدماء الملوثة والادوات الجراحية لضعف امكانات الكشف وتصوير الدماء قبل الحقن بها وكذلك بالنسبة لتعقيم الادوات الجراحية فى المستشفيات وغيرها .

النمط الآسيوى للوباء : يفيد تقرير منظمة الصحة العالمية ان المرض لم يظهر فى البلدان الآسيوية الا أخيرا جدا وذلك عن طريق الحقن بدماء ملوثة بالفيروس أو مشتقاتها مستوردة من البلدان الغربية الموبوء بالمرض القاتل .

وقد سجلت تقارير منظمة الصحة العالمية فى ديسمبر هذا العام ٦٦ الف حالة مصابة بهذا المرض فى ١٣٣ دولة — وتحذر المنظمة من هذه التقديرات الرسمية وترى انه توجد مئات الالاف من الحالات التى لم يتم اكتشافها أو تسجيلها لضعف الامكانات فى معظم البلدان كما أن هناك أربعين دولة ترفض أخطار المنظمة بتطورات المرض بها .

ويقول تقرير سابق للمنظمة ان عدد الحاملين لفيروس المرض من المتوقع أن يصل الى ١٠ ملايين حالة بنهاية هذا العقد .

وتقوم حاليا منظمة الصحة العالمية بحملة أعلامية واسعة للحد من انتشار المرض عن طريق التوعية ، ويعلن خبراء المنظمة انه ليس من المتوقع التوصل الى مصل او لقاح للقضاء على الفيروس فى المستقبل القريب على الرغم من الجهود المبذولة حاليا على نطاق واسع .

وتؤكد المنظمة فى تقاريرها أن التوعية بطرق انتقال المرض على نطاق واسع هى خير سبيل لمكافحة انتشار هذا الوباء القاتل وقد اعلنت المنظمة معارضة قوية لكل الاجراءات القمعية أو العنصرية ضد المرضى وطالبت بتوفير حياة كريمة لهم مع عناية طبية مكثفة — لان المخاطر الناتجة عن العقوبات او الاجراءات الشاذة سوف تؤدى الى انتشار المرض سرا بسرعة انتشار النار فى الهشيم ليس على المستوى المحلى ولكن على المستوى العالمى أيضا والعالمى أيضا .



صورة رقم « ١ »

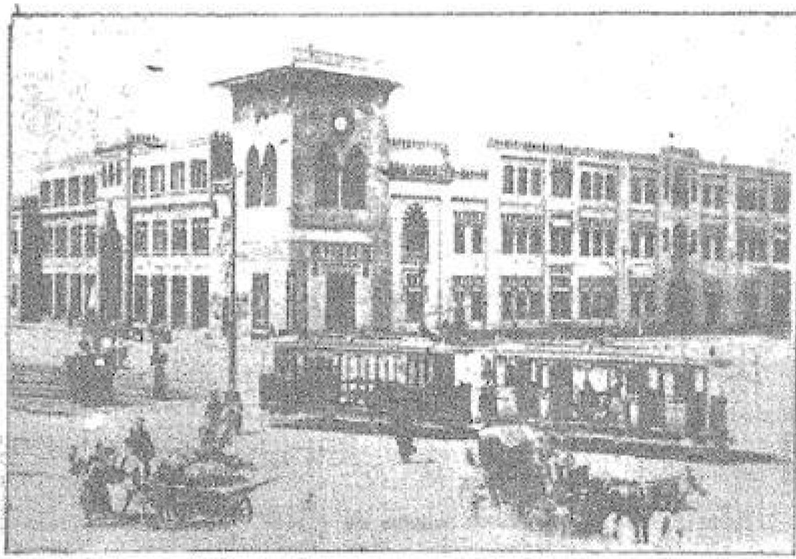
# مجموعة البوسطات تصور أحداثا تاريخية للقاهرة والأسكندرية

تحقيق: سمير عبد المجيد



**مواطن سكندرى هــــوايته الاحتفاظ بالصور القديمه التى تفسر تاريخ بلاده وتبين حضارتها وتقديمها على فترات مختلفة فى مطلع هذا القرن .. وهـــذه الصور التى قام بتجميعهـــــا لمحافظة الاسكندرية الجميلة .. ومحافظة القاهرة العاصـمة الام .. ومدن القناة رمـــز البطولة والكفاح .**

وقد بدات الهـــواية عنـد المواطن المصرى عبد الوهـاب عبده محمد منذ ثلاثين عاما فيقول : « بدات افــــكر فى الاحتفاظ بهذه الصـور ابتداء من عام ١٩٥٠ حينمـــا قامت مجلة « المصور » بنشر مذكرات الامير محمد على توفيـق على عدة مراحل من بينها ضــرب الاسكندرية • فوجدت مجموعة



صورة رقم « ٢٠ »

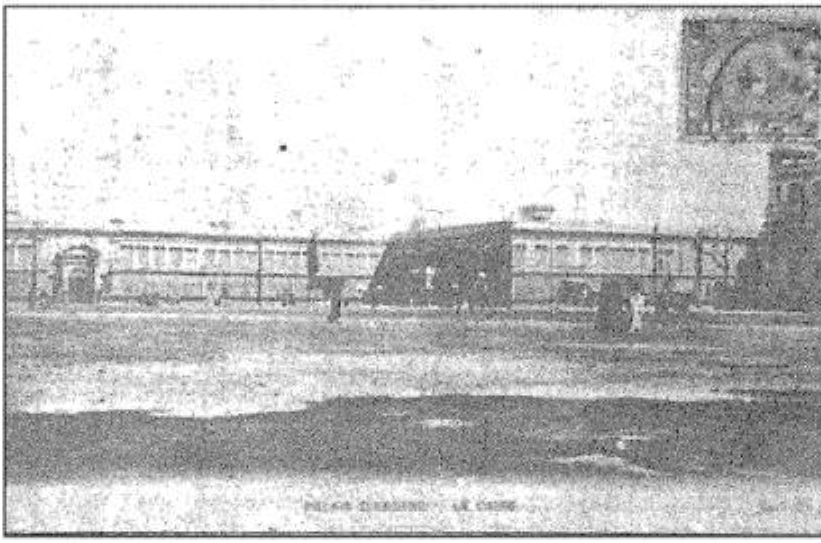
من هذه الصور فاشترت ان احتفظ بها طيلة هذه السنوات .. كما اثار ذلك فضولى لان اجمع معلومات مصورة عن بلدى خلال هذه الفترة .

● كيف جمعت هذه الصور؟

يقول المواطن عبد الوهاب عبده : فى الخمسينيات كنت اذهب الى منطقة المنشية التى كان بها انذاك مكتبات تبيع هذه الصور وكان ثمن الصورة الواحدة ٥ مليمات وجمعت هذه الصور فى البومات للقاهرة والاسكندرية ومدن القناة ، وتضم اكثر من ١٢٠٠ صورة منذ أوائل هذا القرن حتى قبيل تحرير البلاد فى يوليو ١٩٥٢ .. وهذه بعض الصور التى اخترناها من بين هذه الالبومات .

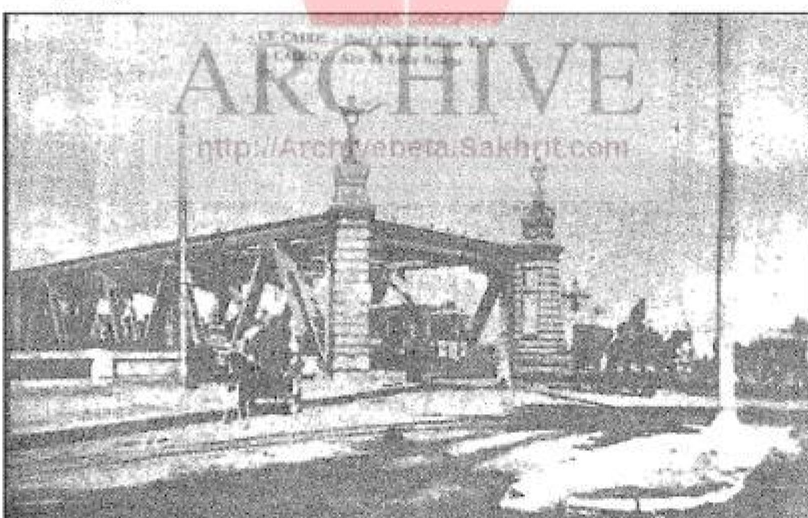
الصورة الاولى تبين محطة رمسيس بالقاهرة ويظهر بالميدان جنود فرقة الموسيقى الانجليزية عائدين من المحطة عام ١٩٠٧ بعد وداعهم للورد كرومر الذى تقرر طرده من مصر فى هذا الوقت بعد نشر مصطفى كامل لفضائحه فركب من القاهرة الى الاسكندرية ليسافر عبر البحر الى بلاده .

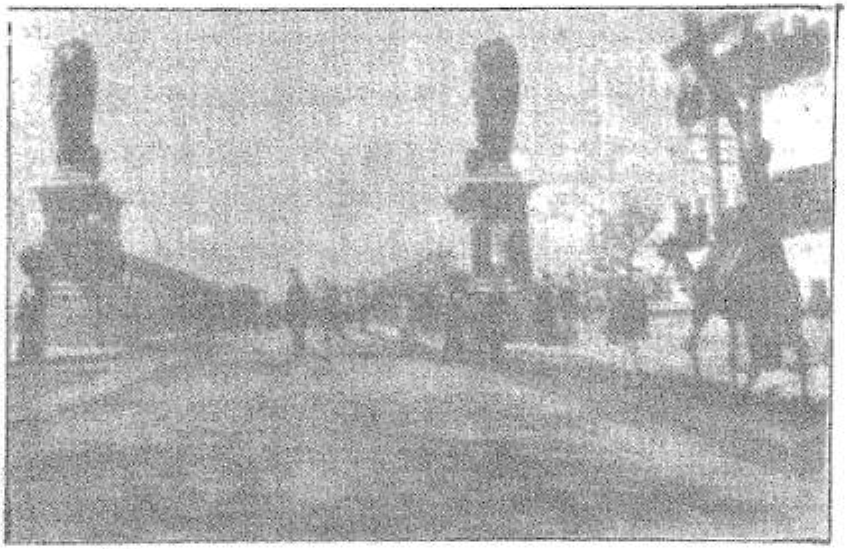
الصورة الثانية لمحطة القاهرة عام ١٩٠٧ وتوضح الصورة الشكل المعمارى الرائع الذى كانت به المحطة فى ذلك الوقت ولم يكن بالمحطة السور الذى اقيم ، ثم تمت



صورة رقم « ٣ »

صورة رقم « ٤ »





صورة رقم « ٥ »

ازالته وترى الابواب خاليـة من المسافرين والزحـام وترى عربات «الحنطور» و «الكارو» وبعض المارة والتـرام الذى كتب عليه «ترعة الاسماعيلية» وترى فى الصورة خلو الميدان المظلوم الان من الكبـاري العلوية والسيارات المزدحمـة ومئات الالوف من الجمـاهير كأنهم يوم الحشر ·

الصــورة الثالثة لقصر عابدين عام ١٩٠٩ فى عصـر الخديو عباس حلمى الثـانى ·· وترى امام القصر جمـلا وحمارا وعربة «كارو» ويظهر بالصورة ان الشارع كان ترابا ولم يكن معبدا ولعلك عزيزى القارىء تعرف ماذا يضم هذا الميدان الان من اسوار وابواب وكبارى وزحام !!

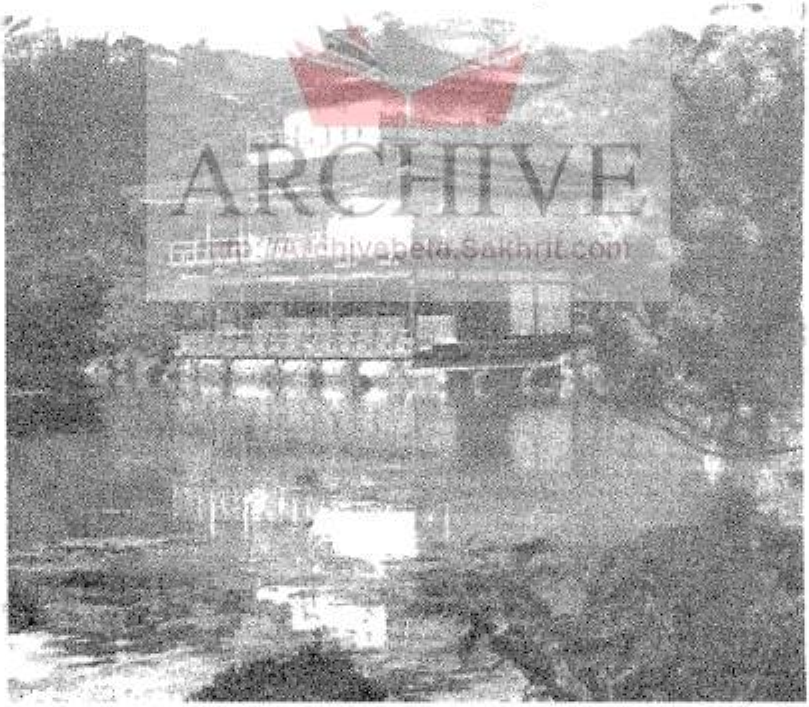
الصورة الرابعة لكـوبرى « ابو العلا » الذى اقيم عـام ١٩٠٩ وترى فى الصورة بعض الجمال وبعض المارة وعربات « الكارو » ولم تكن الشوارع من الاسفلت بل كانت ترابا فى ذلك الحين ·

الصورة الخامسة لكـوبرى قصر النيل عام ١٩١٩ وثكنات قصر النيل لم تكن قـد ازيلت فى هذا الوقت ·· وقد شاهدت هذه الثكنات احداث الثـورة العرابية وحكم الاتراك والشراكسة من قبلها · وتبين الصـورة ايضا الهدوء وراحة البـال زمان ويظهر بالصورة جمـل يقوده صاحبه وبعض المارة·· واليوم ماذا نقول ·· ؟!

# عن المقومات الثقافية في التجربة اليابانية

بقلم: د. السيد أمين شلبى

فى عام ١٩٤٥ ، وبعد هزيمتها النهائية فى الحرب العالمية الثانية ، كانت اليابان تقف وسط الحطام : فقد محيت إمبراطوريتها القوية من الخريطة وتقلصت إلى ما كانت عليه عام ١٨٦٨ حين بدات خطواتها الثابتة نحو التحديث والمكانة ، ودمرت مدنها ومراكزها الصناعية ، وبدا شعبها الذى انهارت معنوياته مشرفا على المجاعة ، وباختصار ظن العالم أن اليابان قد انتهت ..



إلا انه فى عام ١٩٥٠ ، اى بعد خمسة اعوام من الانهيار بدأت اليابان تستعيد استقرارها المالى ، وتعيد بناء الجزء الاكبر من مدنها ومؤسساتها الصناعية ، وتوفر الطعام لشعبها ، وتوسع من تجارتها وتزيد من إنتاجها الصناعى مرتين عما كانت عليه فى الثلاثينيات .. وترفع من دخل الفرد فيها إلى مستوى ما قبل الحرب . ومع عام ١٩٥٥ ، وكانت اليابان قد حققت هدفها الأول فى ان تستعيد تماما قوتها الاقتصادية ، توجهت جهود اليابان كلية إلى تحقيق الهدف الثانى والذى تاقت له منذ زمن طويل وهو اللحاق بالغرب ، وفى الحقبة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٠ بلغ معدل النمو السنوى للدخل القومى ٩,٥٪ وكان بذلك اعلى معدل نمو فى العالم ، وبلغ فى الستينيات ١٠٪ ، ومع عام ١٩٦٨ وصلت اليابان الى العملاق الثالث فى العالم من حيث القدرات الاقتصادية والصناعية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وتشير التوقعات انه مع نهاية هذا القرن سوف تتجاوز اليابان الولايات المتحدة فيما يتعلق بالانتاج الصناعى ودخل الفرد ..

وقد اثار هذا الأنجاز الذى حققته اليابان عددا من الأسئلة المتصلة بالمقومات التاريخية والحضارية .. ويدور السؤال الأول عما إذا كان هذا التقدم متصلا او مقطوع الصلة بالتاريخ والتطور اليابانى ، ويتساءل المسئول الثانى عن كيف حقق اليابانيون هذا الانجاز وبعبارة أخرى ماذا لديهم من مقومات وخصائص روحية وثقافية وحضارية ، جعلت هذا الذى حققوه ممكنا ..





النموذج الثقافى الاوربى يسيطر على الروح اليابانية المعاصرة

بوذا ونرفانا العصر ..

اما السؤال او القضية الثالثة التى اثارتها الظاهرة اليابانية فتدور حول ازمة الشخصية اليابانية والتى نشأت عن الصراع بين ما تبنته اليابان من اساليب واسس الحضارة الغربية وبين المقومات والخصائص الذاتية للشخصية اليابانية ..

## الأصول التاريخية للتجربة اليابانية

ولمناقشة السؤال الاول فسوف نجد ان الانطباع الخاطىء عن هذا الانجاز اليابانى انه نتيجة عمل واداء الفترة التى تحقق فيها . والحقيقة هى ان هذا التقدم الاقتصادى والصناعى والعلمى الذى بلغته اليابان اخيرا هو النتيجة الطبيعية لعملية تحديث تذهب بعيدا فى التاريخ اليابانى .. ورغم حقيقة انه حتى وقت حديث جدا تطور المجتمع اليابانى والثقافة اليابانية فى عزلة نسبية فإن هذا لا يعنى بأية حال ان الامة اليابانية قد بزغت من فراغ غير متأثرة بقوى اجنبية .. فمع بداية القرن السادس كان احد ساسة اليابان المرموقين ( شوتكو ) يرسل البعثات للصين لدراسة امجاد الثقافة الصينية ويستورد التكنولوجيا والمؤسسات الاجتماعية والسياسية الصينية المتقدمة ورغم الموقف الصارم الذى وقفه الحكام اليابانيون من بعثات التبشير الغربية ، وممن نجحت فى تحويلهم إلى المسيحية ومنع أى يابانى من السفر إلى الخارج ، وعدم السماح لأى من الاوربيين بالعيش فى اليابان اللهم إلا حفنة من الهولنديين انحصروا فى جزيرة صغيرة فى ميناء نجازاكى ، رغم هذه العزلة المفروضة على النفس فانها لم تعن ان اليابان بقيت على جهل تام بالتطورات فى الخارج .. فقد قدم هذا المركز الهولندى نافذة على العالم ، واصبحت الهولندية لغة التعلم الغربية فى اليابان ومن خلال كتب أحضرت من هولندا تمكن الدارسون اليابانيون من ان يبقوا جزئيا ، على الأقل ، مسايرين للتقدمين العلمى والثقافى فى الغرب ونتيجة لذلك ، وحين التحقت اليابان بالعالم وتعرضت لعناصر التحديث كانت تمتلك مجموعات صغيرة من الرجال قادرين على تناول التكنولوجيا الغربية ومفاهيمها ، غير ان عملية الاندفاع نحو بناء أمة حديثة بدأت بشكل جاد مع عهد الامبراطور ميجى ( ١٨٥٢ ـ ١٩١٢ ) وخلال عهده الذى بدأ عام ١٨٦٨ . وتؤرخ به نهضة اليابان الحديثة ، واستمر أربعا واربعين سنة ، بدأت اليابان فى الانفتاح اكثر فاكثر على العالم الغربى وسافرت بعثات يابانية إلى الخارج ، والتحقت بالجامعات وعملت فى المعامل والمعاهد وقدم البناء الصناعى المتقدم لفرنسا وبريطانيا نموذجا للمصنع اليابانى ، واصبح جيش اليابان الحديث تكرارا للجيش الألمانى ، والأسطول البحرى اليابانى على نموذج الأسطول البريطانى اقوى الأساطيل البحرية فى العالم .. وهكذا يمكن ان نستخلص ان الظاهرة اليابانية ليست شيئا مستجدا او عارضا وإنما هى شىء مستمر ومتصل ولها جذورها فى التاريخ اليابانى ..

## الخصائص الثقافية للفرد والمجتمع اليابانى

والقضية الثانية التى تثيرها التجربة اليابانية تتصل مباشرة بالفرد اليابانى : بخصائصه الذاتية ، وقيمه الروحية والثقافية بعلاقاته بذاته وبيئته ، بمؤسسته التى يعمل فيها وبمجتمعه ، كما تتصل بالمجتمع والأمة اليابانية ومقوماتها العرقية والثقافية ، وجميع هذه الخصائص سواء المتصلة بالفرد او المجتمع ، إنما

تقدم مفاتيح نلج بها إلى الفهم والاجابة عن التساؤل عما مكن اليابانيين من تحقيق ما حققوه .. فى هذا يتفق رجال التاريخ ، والاجتماع ودارسو الحضارة اليابانية على عدد من الخصائص المميزة للشخصية والكيان اليابانى :

أ - الاهتمام بالجوانب الروحية :

رغم كل مظاهر التغير فى الحياة اليابانية ثمة شيء يبدو مستمرا وصامدا فى الحياة والشخصية اليابانية هو الاهتمام بالامور المتصلة بما يسمى باليابانية Seishien وهو ما يترجم تقريبا بالروح Spirit ويرتبط هذا العامل بالقدرة على تحمل المعاناة ، والألم ، والثبات والجلد كما يشير إلى حالة عقلية لا تحتوى على تناقضات او مؤثرات داخلية . والاهتمام بامور الروح انما يستهدف أهدافا عملية فالتامل لساعات طوال وتحمل المشاق الجسدية ، واتباع نظم روحية اخرى ، إنما يقصد لأهداف دنيوية من تحسين الأداء فى العمل أو الدراسة . ويحكم هذا الاتجاه الاعتقاد بان الانسان يستطيع ان يحقق غير المتوقع وما هو فوق طاقة البشر حين يعمل قواه الروحية . ووفقا لهذا الاتجاه فإن الصعاب لا تحتمل بشكل سلبي اومن اجل ذاتها ، وإنما من اجل تهذيب النفس وتدريبها على التعامل مع مشاق الحياة ويصور مثل يابانى قيمة المعاناة بقوله « ليس هناك شيء اجمل فى الشخصية الانسانية من الملامح التى تعكس المعاناة العظيمة » غير ان التاكيد على المعاناة ومعانيها لا يعنى استبعاد المسرات الجسدية فهى شيء مقبول ولكن يجب ان تكون فى موضعها ، والشخص الجاد الناجح هو الذى يوائم بينها وبين مطالب الروح أو يخضعها لها فلكى يسيطر الانسان على اى موقف او عمل يجب ان يسيطر اولا على نفسه ويتجه مفهوم الروح الى تاكيد فكرة السلطة والتدرج الرئاسى فالشخص الذى يقبل هذه الفكرة هو الذى يتصرف فى عمله بولاء وهو نفس الشخص الذى يصبح فى الوقت المناسب ، قائدا صالحا ..

وفى سياق هذا النظام يتعلم الفرد التغلب على الرغبات الشخصية التى تعوق إنجاز الجماعة ، وفى موقف احترام السلطة فانه لايطلب من الفرد ان يتخلى عن حياته كما كان الحال فى نموذج الساموراى وانما يطلب منه ان يتخلى فى موقف ما عن مسراته الشخصية وارائه الفردية وامتيازاته اذا ما تناقضت مع إنجاز اهداف وواجبات أعظم .. هذا العنصر إنما يقف على النقيض من المادية والفردية الغربية ، وأصبح من العوامل الفريدة التى تمتلكها الشخصية اليابانية ، واصبح التقدم اليابانى الحديث شهادة على روح اليابان الخاصة وطابعها القومى بحيث انه إذا ما تراجعت هذه الروح وهذا الطابع القومى ، وهو ما يخشاه اليوم كثير من اليابانيين فربما تهدد ما حققته اليابان ..

ب - تجانس المجتمع اليابانى :

رغم أن اليابانيين نادرا ما يعترفون بذلك ، فإن مجتمعهم مغلق مقصور عليهم . والطريقة الوحيدة لاكتساب القبول الكامل من اليابانيين هى أن تولد فى قبيلتهم فهى إذن عملية طويلة من الانصهار الثقافى والعرقى التى جعلت اليابان من اكثر الأمم تجانسا فى العالم ، وهو السبب الرئيسى وراء قدرة اليابانيين على الاخذ بالأساليب والقيم الغربية ومع هذا مازالوا محتفظين بإحساس حاد بشخصيتهم الخاصة كما ان هذا الاشتراك فى خلفية عريضة مشتركة يفسر قدرة اليابانيين على قراءة عقول ووجوه بعضهم البعض ، ولهذا فإنه ليس من الممكن لمهاجر أو لأبناء المهاجرين ان يصبحوا يابانيين بالطريقة التى يصبحون بها أمريكيين .. فالطريقة التى تصبح بها يابانيا هى نفس الطريقة التى تكون فيها من

قبيلة الزوكو أو الشونا فى افريقيا : ان تولد فى القبيلة . لذلك ، فإن شعب اليابان او على الأقل ٩٧٪ منه ، هم حقا اعضاء قبيلة عظمى واحدة متوحدون ليس فقط بالمواطنة المشتركة او اللغة المشتركة إنما برابطة الدم الواحد والذاكرة المشتركة والقواعد القبلية المشتركة والتى يرجع بعضها الى ما قبل التاريخ ، وعلى هذا فحين يقول احد اليابانيين ، إننا نحن اليابانيين ١٠٠ مليون من الأشقاء ، فإن هذا ليس من قبيل المبالغة أو الخيلاء ، انه فقط يحاول أن يفسر ماذا يعنى أن يكون المرء يابانيا ..

جـ - الإحساس بالمسئولية وروح الجماعة :

يسيطر على اليابانى إحساس بالمسئولية تجاه المجموعات المختلفة التى ينتمى اليها : شركته ، مؤسسته ، مجتمعه ، وهكذا . ومع هذا الأحساس المسيطر بالانتماء لدى اليابانى ثمة إدراك حاد بتعرضه وتعرض مجتمعه للخطر . واليابان التى تبدو الآن قوية بشكل يدعو لحسد العالم الخارجى وتمتلك اكثر اقتصاديات العالم تقدما وكفاءة تبدو بالنسبة لليابانيين معرضة للخطر بشكل مستمر . فثمة اعتقاد دائم بالخطر الكامن ، ربما كان مدفوعا بالزلازل والأعاصير التى تخرب الجزر اليابانية عبر كل تاريخها المعروف . وهو الاعتقاد الذى تدعم بحقيقة أن اليابانيين عام ١٩٤٥ كانوا هم وحتى الآن الأمة الوحيدة التى تعرضت لهجوم ذرى ..

وقد يجادل البعض بـأنه رغم ان المخاوف التى يخشاها اليابانيون قائمة ، فإن احدها لن يتفق او على الأقل فى صورة كارثة . ومع هذا فثمة اقتناع بأن الضغوط التى تفرضها هذه المخاوف على اليابانيين هى ضغوط حقيقية وهى تساعد على دعم مظاهر أخرى فى الشخصية اليابانية : القيم القبلية ، الأخلاق الكونفوشيوسية ، التركيز القوى على تدرج السلطة والولاء .. كل هذه العوامل أنتجت مجتمعا تأخذ فيه مسئولية الفرد نحو الجماعة اولوية لا تتقهقر فى اية امة شرقية او حتى فى التى تأخذ بالنظم الجماعية مثل الاتحاد السوفييتى ..

وبينما يميل الأمريكيون مثلا الى النظر الى العمل والتفكير الجماعى كشىء يعوق المبادرة ويؤخر التقدم ، فإن اليابان تقدم نموذجا حيا على ان هذا ليس بالضرورة كذلك . فثمة فارق مهم بين الأمر اليومى للأدميرال البريطانى نلسون الى جنوده « إن إنجلترا تتوقع ان يؤدى كل رجل واجبه » وبين أمر الأدميرال اليابانى توجو لجنوده خلال الحرب الروسية اليابانية « إن مستقبل أمتنا وامبراطوريتنا يعتمد على اداء كل فرد منكم » فهنا نجد ان الأدميرال اليابانى اكثر بكثير فيما يطلبه ويتوقعه من جنوده مجسدا لمبدأ أن لا حدود لما يدين به الفرد اليابانى لمجتمعه ..

د - العمل وفقا لتوافق الآراء :

يبغض اليابانيون اسلوب المواجهة المباشرة ، ولتفادى ذلك فانهم غالبا ما يعملون على اساس من توافق الآراء ورغم ما قد يسببه هذا من عوائق فإنه فى النهاية يمثل مصدر قوة ... ويترتب على هذا الأسلوب فى العمل ان الفرد الذى ينشد تحقيق مصلحته الشخصية على حساب

الرفاهية الجماعية إنما ينظر إليه كشىء مكروه لا يلقى اى تشجيع .. ووفقا للسلوك اليابانى العادى فإنه قبل أن ترتبط اية مجموعة بعمل جديد ، فإن كل اعضائها او على الاقل هؤلاء الذين لهم اختصاص بالموضوع يجب أن يدرسوه ويوافقوا عليه .. وهذا المبدا والأسلوب الذى يتم إنما ينظر إليه كشىء مفيد فى تجنب الصراعات الشخصية ...

## ازمة الهوية اليابانية

اما القضية الثالثة التى اثارها التطور اليابانى والتى بدات تظهر بحدة فى اوائل السبعينيات فهى اتجاه اليابانيين الى البحث فى ذواتهم وعن هويتهم . حدث هذا اولا بفعل وطاة الاحساس بأن اندفاعهم وراء أساليب وقيم الحياة الغربية قد يؤدى الى طمس شخصيتهم القومية ومقوماتها والتى كانت فى نهاية الامر اساس ما حققته اليابان ، كذلك شهدت بداية السبعينيات ظهور آلاف الكتب تحاول ان تجيب عن سؤال من هو اليابانى ، كما تسود اليابان اليوم موجة من التطلع الى الماضى وتاخذ مظاهر عدة فى الحياة اليابانية ، وقد عبر احد الكتاب اليابانيين اخيرا عن هذا الاتجاه بقوله « إن اليابانيين يريدون أن يعودوا الى زمن كانت فيه اليابان اكثر يابانية » ..

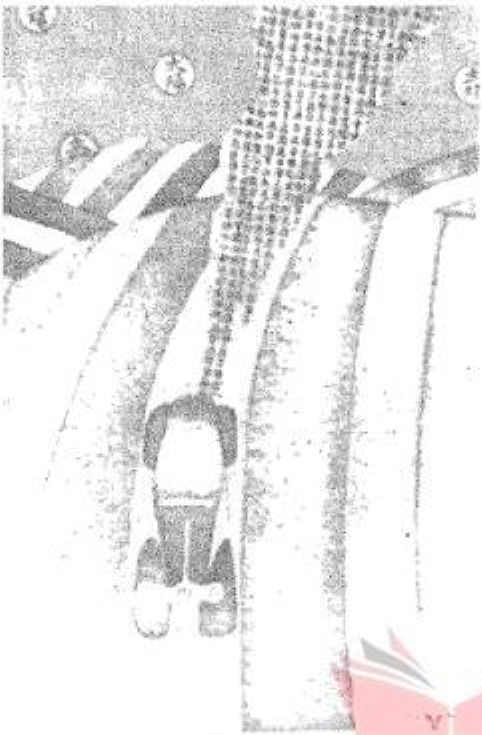
وفى بحث علماء الاجتماع اليابانيين عن تفسير لظهور هذه الموجة من البحث عن الذات والاحساس بازمة الهوية اليابانية يعتبرون أن اكثر التفسيرات شيوعا هو أن اليابان عبر تاريخها الحديث قد احتاجت واتبعت عمليا .. نموذجا لسياستيها

اصبحت الطفلة لوحة فنية
فى عيد الشمس ( ايسوبه )



زخارف من الفن اليابانى
القديم ( القرن السابع عشر )





غزت الحكايات اليابانية المصورة عالم الاطفال فى جميع انحاء تلفازات العالم

الداخلية والخارجية وفى هذا قد قدمت غرب أوربا وبدرجة اقل الولايات المتحدة هذا النموذج فى سنوات ما قبل الحرب ، وقد جاهدت اليابان لكى تلحق بهذا النموذج بل وتتجاوزه . وبعد الحرب كانت الولايات المتحدة هى البلد الوحيد الذى قدم النموذج لليابان ، وخاصة فى مجالات الدفاع والعلاقات الخارجية حيث اتبعت الحكومة اليابانية بشكل متماسك قيادة الولايات المتحدة للعالم الغربى . غير انه فى نهاية الستينيات تجاوزت اليابان الغرب المتقدم فى التكنولوجيا والانتاج القومى ، ونتج عن هذا ان الغرب لم يعد يقدم نموذجا صالحا لتقليده .. وجاءت الهزيمة المعنوية للولايات المتحدة فى الهند الصينية ، وتراجع الديمقراطية الأمريكية لكى تجرد اليابان من نموذجها الأخير ..

وهكذا بقيت اليابان بدون نموذج خارجى لتقليده واصبح على اليابان الآن ان تخلق رؤيتها الخاصة لماهيتها والى اين تتجه ..

وإذا كان تراجع النموذجين الغربى والأمريكى من دوافع اليابان للبحث فى التراث والبحث عن هويتها الخاصة ، فإن دافعا اكبر لذلك جاء من الصين . فمنذ عهد الميجى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حاولت اليابان بشكل متزايد الابقاء على الصين ضعيفة ، واستمر هذا ليكون حجر الزاوية فى السياسة اليابانية حتى فترة مابعد الحرب ، غير ان تطبيع الولايات المتحدة لعلاقاتها مع الصين ، وتطبيع

اليابان أيضا للعلاقات معها جعل اليابان للمرة الأولى فى تاريخها الحديث تواجه صينا موحدة ومتقدمة عسكريا ، وكان هذا بمثابة صدمة حضارية لليابان ، فبعد فترة طويلة من العيش على النموذج الغربي ، واجهت اليابان فجاة عملاقا لم يحتفظ فقط بقيمه الشرقية وتكامله كامة وانما انجز أيضا إصلاحا اجتماعيا بعيد المدي ، وهكذا اجبرت حقيقة الصين الجديدة اليابانيين على ان ينظروا إلى الماضى وإلى تراثهم الحضارى ، وإعادة تقييم اسلوب التحديث لا فى ضوء المستويات الغربية وانما من خلال تقييم قيمهم الذاتية .

ومن مصادر أزمة الهوية اليابانية وضع اليابان ومكانتها ونظرتها إلى نفسها فى محيطها الأسيوى . فمنذ بداية عملية التحديث زجت اليابان بنفسها فى عالم يسيطر عليه الغرب ، ولم تكن اسيا وافريقيا جزءا من هذا العالم ، وكانت القيم الغربية هى المعايير العالمية . وقد ولد هذا لدى اليابان ، البلد الآسيوى ، إحساسا بالنقص تجاه الغرب إلا انها فى نفس الوقت شعرت بتفوقها على جيرانها الآسيويين لان اليابان قد نجحت فى تبنى التكنولوجيا الغربية وهو الإحساس الذى اقامت عليه اليابان مطالبها بالزعامة الآسيوية ، وهكذا وبعد أن نبذت اليابان اسيا المتخلفة تعود الآن وبعد ان اصبحت غير اسيوية وقوة صناعية وعسكرية لكى تدعى أن عناصر تفوقها تؤهلها لان تقود اسيا . وهكذا فإن اليابان الحديثة ليست غربية تماما ولا اسيوية كلية ، ومع هذا فهى تتطلع لان تكون عضوا ، وعضوا بارزا على الاقل فى كلا العالمين وهنا يكمن احد عناصر أزمة الهوية اليابانية ..

ابتسامات

**عتاب**

قالت الزوجة تعاتب زوجها : قبل الزواج كنت تدللنى وتدعونى « عروستك الصغيرة » فرد الزوج قائلا لها : وكيف رضيت بالاقتران برجل يقول مثل هذا السخف ؟!

**تحذير**

كانت النجمة الفاتنة تتأهب للقاء منتج معروف فقالت لها صديقتهـا :

ـ كونى على حذر •• فهذا المنتج سيىء السمعة ، واذا اختلى بك فى مكتبه فقد لا يتورع عن تمـزيق ثوبك فقالت النجمة : أشكرك على هذا التحـذير •• ومادام الامر كذلك فمن الافضل ان ارتدى ثوبا قديما !!

**عقبة وحيدة**

قال الممثل الهزلى « جاك بار » عندما أتطلع الى الوراء تبدو حياتى كسباق طويل واحد للمواقع وانا العقبة الوحيدة فى هذا السـبـاق !

## أنت و الهلال

### • ملاحظات على عدد ديسمبر ١٩٨٧ •

• هذه ملاحظات على عدد ديسمبر الماضي من مجلة الهلال :

ـــ فى قاع ص ٥٧ توجد نبذة داخل اطار بعنوان « الهوى » هذه النبذة بذاتها مكررة فى قاع ص ١٦٥ ، بأرضية مختلفة !!

ـــ فى ص ١٠٢ س ١٢ جاء ذكر « محمد شعراوى باشا » ، وصحة الاسم « على شعراوى باشا » ٠ وقد ترتب على ذلك أن اختار سكرتير التحرير صورة الاستاذ محمد شعراوى نجل على شعراوى باشا ( وهدى هانم شعراوى ) لنشرها مع المقال ( ص ١٠١ ) !!

ـــ فى صفحة ١٠٤ نشرت صورة جاء تحتها انها للسلطان عبد الحميد ( الثانى ) الذى هو اخر سلاطين العثمانيين وقد توفى عام ١٩١٨ ٠ ولا علاقة بين صاحب الصورة والسلطان المذكور ، اذ انها تمثل السلطان عبدالحميد الاول ( ١٧٢٥ ـ ١٧٨٩ ) !!

ـــ فى صفحة ١١٣ صورة لبشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان الاسبق على انها صورة الشاعر بشارة الخورى الذى ورد اسمه فى المقال ( وكان يلقب : الاخطل الصغير ) ٠ وبالطبع لا علاقة بين الصورتين ٠

**قارىء**

• تعليق

ـ نشكركم على هذه الملاحظات ، وقد وقعت هذه الهنات سهوا فى زحمة العمل فمعذرة الى القراء ، وقد حذفنا من رسالتكم السطور الحادة اللهجة لأنه لا داعى لها ، اذ أن هذه الاغلاط ليست مقصودة بطبيعة الحال ٠ ويحدث مثلها واكثر منها فى الصحف اليومية والاسبوعية وغيرها ٠٠ وانك نفسك كنت ناسيا رقم صفحة ١١٣ فى فقرتك الاخيرة فوضعناه لك مما يدل على اننا نعرف اين وقعت الاغلاط ،واذا كانت الصور خطأ فلاشك ان سكرتير التحرير يعرف الفرق بين عبد الحميد الاول والثانى وبين محمد شعراوى الذى لم يكن « باشا » وبين على شعراوى باشا ، وبين بشارة خليل الخورى الذى كان رئيسا للجمهورية اللبنانية وبشارة عبد الله الخورى الشاعر المشهور الذى ورد اسمه كاملا فى المقال لمنع اللبس بين الاسمين ٠٠

● الرجوع الى الحق

● لقد أسعدني كثيرا · وغدوت لفضلكم أسيرا · ما نشرتموه علـــى صفحات مجلتكم الغراء · العظيمة الشماء · التى لا تنالها الخطـــوب ولا تزعزعها الانواء من نشركم لتلك الرسالة · وتعليقكم على هذه المقالة · فانى يا سيدى لك شاكر · ولمعروفك ذاكر · فلك من الله حسن الجزاء · ولك منى جزيل الثناء· فقد دللت على الطريق وكنت الناصح والصديق · فالآن اتضحت هويتى وهى مطلبى وبغيتى · « وطالما أن الشعر » لاحظ لى فيه·ولا دراية لى بضبط أوزانه وقوافيه ، فالابتعاد عنه أفضل · والنثر بالمرء أجمل ·

ولكنى أراك يا سيدى تحسب على الهنات · وتتلمس لى العثرات ولان تقع منى هذه الهفوات ، فتلك بعض المضحكات · ولقد قيل : « ان لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة ، وقد يخطىء المرء ويصيب · وليس هذا فى البشر عجيب والى لقاء قريب ·

**جمال محمد جمال طلحة**
**اشنواى ـ الغربية**

● تعـليق :

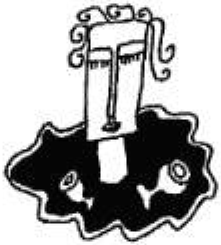
ـــ نهنئك فانت مثل يحتذيه الادباء الشبان فى الرجوع الى الحــق ، فقد نصحناك ان تترك الشعر لانه ليس من طباعك وان تتفرغ للنثر وحـده ، فصدعت بالحق وتركت الشعر وشكرتنا على النصيحة ونحن نشكرك عــلى قبولها ، اما نثرك فلا يعيبه الا السجع المتكلف ، فاكتب نثرا غير مسجوع لان زمن السجع قد انقضى ، وانت تقول فى رسالتك هذه : « طالما ان الشـعر لاحظ لى فيه »ولا يصح هنا قولك « طالما ان » وهو خطا شائع جـدا حتى على اقلام والسنة مشاهير الكتاب ، والصواب أن تقول : « ما دام الشـعر لاحظ لى فيه » ·

وقولك : ليس هذا فى البشر عجيب » صحته ان تنصب الكلمة الاخيرة لانها خبر « ليس » فتقوله : ليس هذا ·· عجيبا ··



● لاغتراب

انا تائه فى بلاد السفر
فكيف اعود لأرضى مصر
فتلك الخلاعة لا ·· لم « ترى »
يزف عليها شراع السهر
« فاشتقت ان يبقى فى مقلتيها»
بقايا حياد لهذا البشر
أخذت الكئوس « واقذفتها »
فدوى صداها لكى تنكسر
« وثورت » وغادرت هذا المكان
ملاذ المجون جنون الحضر



**رافت زكى صادق**
**من ديوان « أسرار »**

● تعليق :

ــ اجتزانا من قصيدتك بهذه السطور أو الكلمات لكي تأذن لنا بـأن نصارحك أن لغتك العربية ينقصها النحو والصرف ، وان شعرك تكثر فيه الأوزان المضطربة ، وقد وضعنا لك كلمة « ترى » بين قوسين لانها خطأ نحوى ، ووضعنا السطر الخامس بين قوسين بسبب اختلال وزنه ، ووضعنا « اقذفتها » بين قوسين لان صحتها « قذفتها » وكلمة « ثورت » خطأ املائى، صحته « ثرت » .. ويدهشنا انك تسرعت فجمعت هذا الكم الهائل من الاخطاء بين دفتى ديوان ، وكان يجب أن تتريث وتسأل العرفاء بالشعر : أهـذا شعر ؟! .. وتسأل العرفاء باللغة : أهذه لغة ؟! .. ولو انك سألتهم لتبين لك وجه الحق فى شعرك ولغتك ، وعدلت عن جمعهما فى ديوان !! ..

● اغتالونى عاشقا



يا فاتنتى ذهب الصيف وجاء البرد
يا فاتنتى .. الأسئلة الآن بلا رد
يا فاتنتى حملونى للأسواق فلم يجدوا لى ثمنا
قالوا الوجه .. قديم لا يصلح لليوم ..
قالوا اليد قصيرة ..
والبئر عميقة ..
قالوا رأسك مسحوق
لا يثبت فيه النقش
مضغونى حينا .. لفظونى ..
قالوا خذ قلبك وارحل يا فاتنتى .. ان الماضى أصبح رمزا ..
أصبح نوعا من أنواع الهمس ..
أصبح يحكى وكان ..
الدنيا ماتت أمس ..
أصبحنا نبتاع هواء لنعيش ..
نرمى خبز الأمس .. ونقتات الميتة والدم ..
نأكل جسم سفينتنا .. السائرة بعرض البحر ..

**نبيل خالد ــ المنصورة**



تقول أريدك أن تستمرا
وأن تبدع الفن رسما وشعرا
فلو علمت أنها وحى فنى
تفوق الخيال جلالا وقـــدرا
ولو علمت أننى فى حماها
أرى كل شىء ضياءا أو سحرا
فتنت بها روضة للجمال
ولكن جعلت افتتـــانى سرا

**حسن على محمد جابر**
**الاسكندرية**

## الأخطاء المطبعية

● أود أن أذكرك اننى سبق أن أرسلت لك رسالة فى شهر ابريل ٨٦ وقرأت ردك منشورا فى عدد شهر مايو من نفس العام ترجو منى صرف النظر عن الاخطاء التى أراها فى بعض مطبوعات الهلال ، وحجتك أن الأخطـــاء تحدث فى كثير من الصحف الأخرى،سواء كانت أخطاء مطبعية أو أخطاء فى معلومات ، ولكن توالت الاخطاء كل عدد من أعداد مجلتك ومجلة كل قارىء، وحينما وصلنى عدد شهر نوفمبر ٨٧ من روايات الهلال « اماديوس » لـــم استطع أن أمسك نفسى عن الكتابة لاظهر لك وجهة نظرى فقد طفح الكيـــل فى اللامبالاة وسوء المراجعة واهمال مراقبة الطباعة حتى وصلت أن تتجاهلوا صفحات كاملة بدون طبع ، وتحذف نهائيا من الرواية مما جعلها لا تصلح للقراءة ، بل تثير غيظ كل قارىء يتسلم عدده ، ولا أعلم كيف حدث هـذا وهل هذا الخطأ حدث فى الكتاب المرسل لى أنا فقط أم هو فى جميع النسـخ المطبوعة ؟! ..

عزيزى .. أفضل ألف مرة أن تقدم نصيحتك ونقدك لمن تضع يدك فى أيديهم لتخرج لنا عملا متكاملا حتى يصل الى القارىء مع العلم بأننى مشترك فى الهلال وكتاب الهلال وروايات الهلال ، وابنتى مشتركة فى كتاب الهلال للأولاد والبنات .

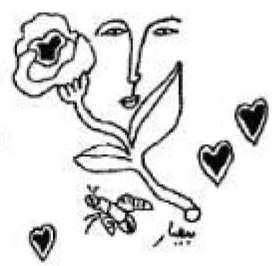
**عبد المطلب مرسى عبده**
**ادفو شرق ــ مكتب بريد البحيرة**

## تعليق

ــ هذه أخطاء شديدة الوقع على النفس بلا جدال ، ولكن العذر فيها هو أنه لابد فى الاعمال الكبيرة من أخطاء جسيمة أحيانا ، وان كانت تفتقر الى التبرير . أما نصائح محرر هذا الباب لقرائه فلا شأن لها بهذه الاخطاء لان وظيفته هى الكتابة فقط ، وكثيرا ما تقع الاغلاط المطبعية فى كتابته ذاتها، فى هذا الباب أو فى غيره من الابواب أو فى المقالات التى يحررها باسمه .. ونكرر الاعتذار .

# أنت و الهلال

● طموح



اذهب كل صباح .. افتح نافذتى للشمس
اتنفس رائحة الورد ..
انزل صوب زهيرات اتحسس .. اتحسس ما فعل الليل
تلسعنى نحلة .. افرك خدى ! ..
ينفرط الدمع على شفتى ..
تقول زوجتى : اما زلت تبكى الزهور ..
اقول لها : سازرع زهرا بلون جميل ..
وانى اخاف اذا فات عمرى ..
وما نلت قصدى ..
بكاء الشمس ، وطفلى الصغير ..

**السيد ابراهيم عطية**
**كفر صقر**

● شياطين



أرادت متابا ، فقالت : متابا
ويارب ، كفر من السيئات
وحجت ، وزارت ، وعادت بوجه
نقى ، وقلب نوى الطيبات
وحتى تظل على طهرها
واقبالها .. داست الذكريات
وقالت : نسيت .. بلا رجعة
حياتى قبلا بدنيا الشتات
ورقم ( التليفون ) .. غيرته
بمعنى : نفيت جميع الصلات
وياليت من عنده صورتى
يمزق ، يلقى .. مع المهملات !!
الى هذه الاخت الفيتنى
اقول : تضم الى المؤمنات
ويا حبذا لو دعونا لها
بصدق التواصل فى التائبات !!
ولكننى .. لم تطل فرحتى
فقد طوردت من كل الجهات
وكل يقول : ارجعى ، وارجعى
فقد ضل من كان .. ماضيه فات !!

**رمضان ابو غالية**
**وكيل قويسنا الثانوية للبنين**

● مع أصدقائنا

● سمير عبد الصبور :
ـ قصائدكم التى بعثتم بهـا الينا ينقصها الوزن وصحة اللغـة ٠٠

● فكرى مبروك ادريس ـ جزيرة عليوة بمركز الحسينية :
ـ نشـكركم على محاولتكم بحث أسـباب عدم شـعور الشـباب بالانتمـاء !٠٠

● اشرف محمد ابو العز ـ المعصرة ـ حلوان :
ـ طالعنا باهتمام أبياتكم التى عنوانها « عرفت الحب » ونرجو لـكم التقدم الدائم نحو المنضج فى نظم الشعر ٠٠

● ايمان ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :
ـ قصيدتك التى عنوانها الى « أستاذى » لا شان لها بالشعر ولا النثر ٠٠فاذا كنت تلميذة كما تقولين فالتفتى الى دروسك وحاولى أن تتعلمى الكتابة باللغـة العربية ، واتركى هذا التخليط الذى تسمينه شعرا !!٠٠

● الحسين محمود خضيرى الحجاجى ـ الاقصر :
ـ لم نحلل قصائدك ، لانه مازال بينـك وبين القصائد مسافة طويـلة نرجو أن تقطعها فى الوقت المناسب ، ولا تتعجل النشر ولا تسال عن رأى النقاد قبل أن تكتب ما يستحق النقد ٠٠

● ايمان محمد محمـود احمد :
ـ قصصك القصيرة الثـلاث تـدل على استعدادك لكتابة القصة ، فحاولى الاستزادة من العلم بفن القصة مع الاهتمام باللغة العربية ٠

● وحيـد فهمى حسـن ـ الاسكندرية :
ـ لا ندرى ٠٠ هل تقصد أن تكتب قصة ؟ أم خاطرة عابرة ؟! أم نكتة ؟!٠ حاول أن تتفهم جيدا فن القصة ، فانه ليس بالامر الهين !٠!

● أحمد فهمى غنيم ـ شبراخيت :
ـ قصيدتك التى تقول فيها : « يا غادة اشجينى » صحيحة الاوزان ، ولكن لغتها تحتاج الى مراجعـة ، أما معانيها فنترك الحديث عنها لان المهم فى مرحلتك هذه الاوزان واللغـة ٠

● أحمد عبد السلام احمد ـ بنى مر ـ اسيوط :
ـ قصيدتك التى تقول فيها : « سوف أظل أبحث عنك ، لاجمع عناقيـد الحب المبتور ، فى زمن التشرد » ٠٠ ليست شعرا لانها خالية تماما من الاوزان، ويمكن أن تسميها شعرا منثورا ٠٠ ولا نتحدث عن معانيها !٠٠

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :
ـ صفحة « ابتسامات » لم تنقطع نهائيا عن الهلال كما تظن ، أما المجلات الفكاهية المتخصصة فيبدو انه لابد من توافر شروط اجتماعيـــة وسياسية واقتصادية لكى تنجح وتستمر ٠٠

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤



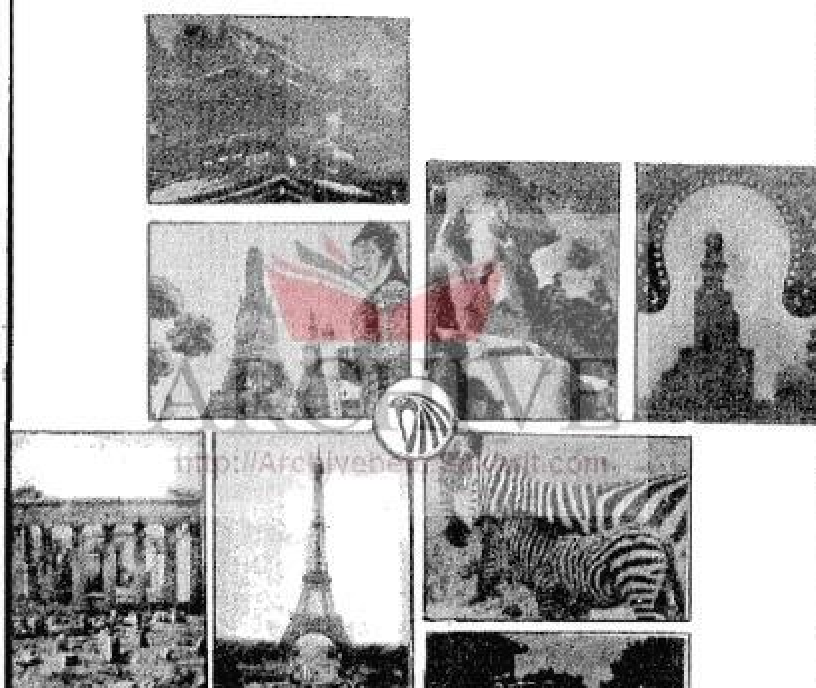
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |

# مصر للطيران

مواعيد مناسبة ... خدمة متميزة ... كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات

**٨٠ مكتباً لمصر للطيران فى جميع أنحاء العالم ترحب بكم**





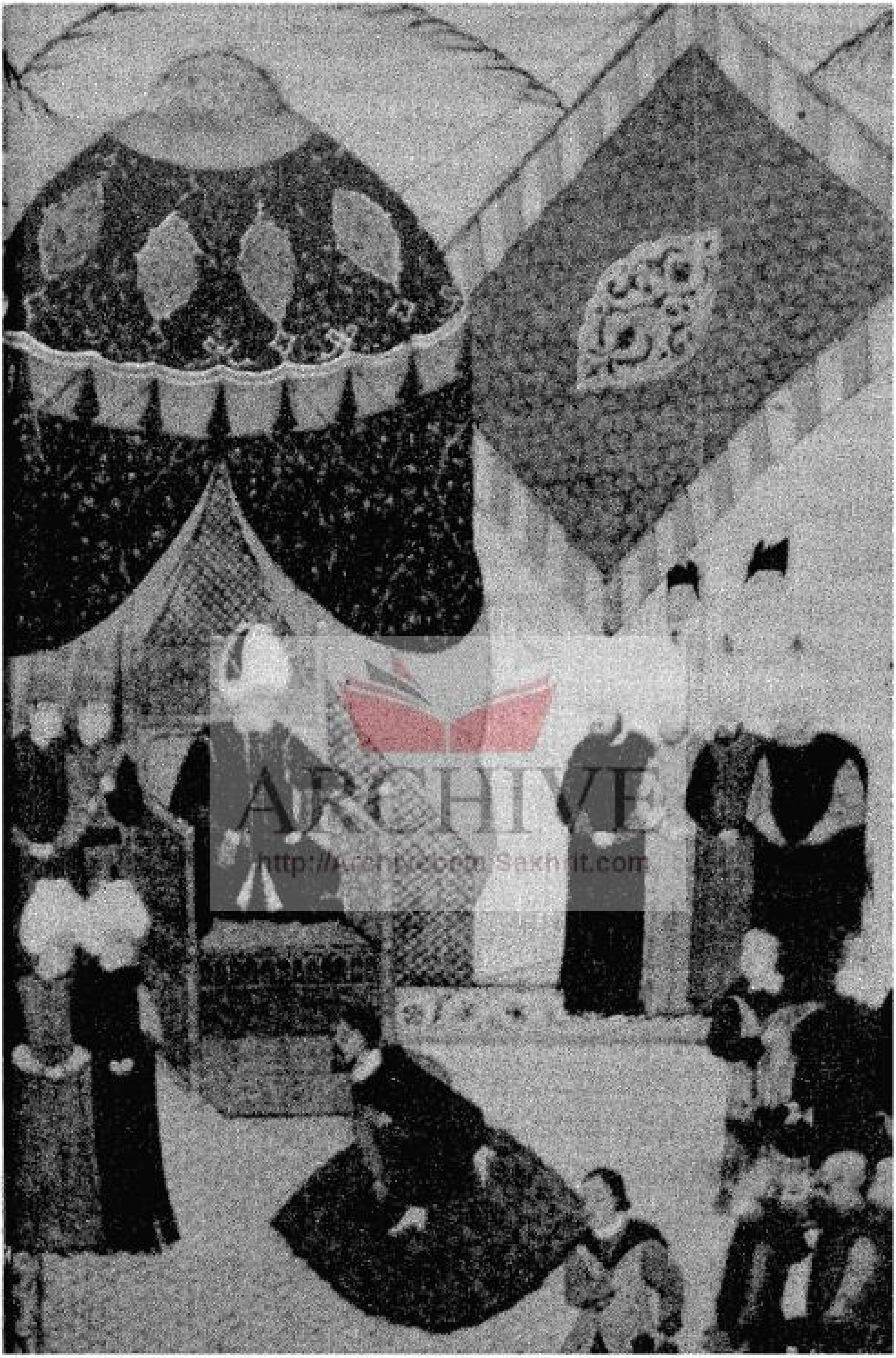
مصر للطيران

اختيارك الأول دائماً



"الفلسطينيون"
لوحة لانجي افلاطون


مارس ١٩٨٨ الثمن ٦٠ قرشا
تونس
ورياح التغيير
أسطورة
الغزو الثقافي
السينما
القسوة والشذوذ



# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جرجي زيدان علم ١٨٩٢ م - اول مارس سنة ١٩٨٨ م
١٢ رجب سنة ١٤٠٨ هـ .



## من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامى تصور نافخى الزجاج وآتونهم فى سورنامة .. للفنان التركى عثمان . وهى احدى لوحات عديدة صور فيها الفنان حياة الناس فى مدينة اسطانبول . اللوحة محفوظة فى متحف توبكاى بتركيا . وهى تصور مدى اهتمام الفنان بالاتساع والالوان البهيجة ...



تصميم الغلاف للفنان
حلمى التونى

في هذا العدد

## ● فكر وثقافة ●

ص



## ● قضايا حيوية ●

● رسائل صحفية ●



● شعر وقصة ●



● فن تشكيلى ●



● دراسة الهلال ●





● الابواب الثابتة ●

## عزيزي القارئ

# الأقلام العريقة على صفحات الهلال

قبل مثول هذا العدد من « الهلال » للمرحلة النهائية فى تنسيق الصفحات ، وهى المرحلة التى تسبق الطبع مباشرة ... جلسنا فى الملتقى اليومى العفوى لكتاب ومحررى الهلال ، نتحدث فى جميع الأمور كالعادة ، وألقى أحدنا فجأة هذا السؤال : من هو الآن اقدم الأدباء والشعراء عهدا بالكتابة فى الهلال ؟! ..

آثار هذا السؤال قرابة مائة عام من الزمان قضاها « الهلال » فى خدمة القارىء العربى بلا انقطاع .

لقد كتب فى « الهلال » منذ صدوره سنة ١٨٩٢ حتى الآن أشهر أدباء وشعراء ومفكرى مصر والبلاد العربية والاسلامية ، أمثال جرجى زيدان ولطفى السيد وأمير الشعراء شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم وشاعر القطرين خليل مطران وشاعر مصر أحمد محرم وشاعر العراق معروف الرصافى وشاعر لبنان بشارة الخورى وابراهيم ناجى وعلى محمود طه وجبران خليل جبران والآنسة مى ومصطفى لطفى المنفلوطى وطه حسين والعقاد ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين ومصطفى صادق الرافعى وسلامة موسى والمازنى ومنصور فهمى وفكرى أباظة ومحمود تيمور وابراهيم المصرى وزكى مبارك والدكتور أحمد زكى وطاهر الطناحى ، والمؤرخون عبدالله عنان وحسن الشريف وعبد الحميد العبادى وعبد الرحمن الرافعى ، والفنان زكى طليمات وتوفيق الحكيم وعلى ادهم وبنت الشاطىء وأمين الخولى وزكى نجيب محمود وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض محمد ... الى مئات آخرين من ذلك الرعيل ، ثم مئات جاءوا بعدهم ...



فتحي رضوان

وقد بارك الله فى أعمال كثير من كتاب الهلال فتواصلت كتاباتهم على صفحاته أكثر من خمسين عاما ، وعلى رأس هؤلاء ، الأستاذ فتحى رضوان الذى بشرتنا الأنباء القادمة من مستشفاه فى لندن بأنه يتماثل الآن للشفاء بعد وعكة شديدة لازمته بضعة أشهر ثم أخذت أخيرا تنقشع بحمد الله ..

إن فتحى رضوان كاتب موسوعى غزير الانتاج ، يكتب فى الأدب والسياسة والدين والتاريخ والقانون والفن ، ويؤلف الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات ، وأسلوبه فى الكتابة عربى فصيح بليغ يندر مثيله فى زماننا هذا الذى استعجم فيه الكاتبون باللغة العربية ! ...

ويكتب الأستاذ فتحى رضوان فى « الهلال » منذ خمسة وخمسين عاما ، ففى عدد فبراير سنة ١٩٣٢ نشر له « الهلال » مقالة باسمه الثلاثى : سيد فتحى رضوان ، وكانت عن « تركيا القديمة وتركيا الحديثة » أى تركيا فى عصر الخلافة العثمانية الطويلة الأمد ، وتركيا بعد استيلاء كمال أتاتورك على مقاليد حكمها ، وإلغائه السلطنة ثم الخلافة ، ثم الحروف العربية والأذان باللغة العربية ، فضلا عن عصفه بالعمامة والطربوش باعتبارهما رمزا للماضى العثمانى ! ..

ولم يكن فتحى رضوان قد أكمل دراسته بكلية الحقوق حين نشر هذا المقال الذى استوحاه من رحلة قام بها الى تركيا حينذاك ، فلما نال شهادة الحقوق كتب فى الهلال - أغسطس ١٩٣٢ - مقالا عنوانه : « ١٣ عاما فى مدارس مصر » يذكر فيه كيف قضى فى التعليم الابتدائى أربع سنوات ، وفى الثانوى خمسا ، وفى الحقوق أربعا ، وقد نقد فيه المناهج الدراسية فى جميع هذه المراحل ، وتحدث فيه عن تركيا الحديثة ايضا واشاد بطريقتها فى تدريس التاريخ لتلاميذها ، ونوه بأنها اسقطت من مفاخرها التاريخية جبابرة السلاطين القدماء وأمثال محمد الفاتح وسليم الأول الذى جمع بين السلطنة والخلافة .. وقد أوضح فتحى رضوان فى هذين المقالين موقفه الفكرى والسياسى والاجتماعى بجلاء تام فى ذلك الوقت ..

كان فتحى رضوان حينذاك فى الثالثة والعشرين من عمره ، حديث التخرج فى كلية الحقوق ، ناشئا فى ميدان العمل السياسى الحزبى ، يتولى منصب « السكرتير العام لجمعية مصر الفتاة » التى يرأسها زميله الأستاذ أحمد حسين والتى تحولت بعد سنوات الى حزب صغير ولكنه ضخم الضجة والتأثير ...
وكان كلاهما معجبا بمشاهير زعماء الدول الاوربية فى تلك الأيام أمثال أتاتورك

# عزيزي القارىء

وهتلر وموسوليني ، ولكنهما سرعان ماتبينا أن هذه طفولة سياسية وأن هؤلاء المستبدين هم فى الحقيقة أعداء شعوبهم ، يقودونها بكلماتهم الحماسية المعسولة الى الدمار .. فانقلب فتحى رضوان وأحمد حسين بعد قليل من السير فى طريق الزعامة الاستبدادية ، الى داعيتين من أبرز الدعاة إلى الديمقراطية والتنديد بالدكتاتورية ودخلا كلاهما السجن فى معركتهما الطويلة من أجل الديمقراطية والحرية الاجتماعية والسياسية للشعب المصرى والشعوب العربية ..

ولم يكن نشاط فتحى رضوان مقصورا على حزبه ، بل كان يمتد إلى مجالات كثيرة أخرى ، وبعد جولة قصيرة ترك الحزب واستقل بنفسه ، ثم عاد بعد الحرب العالمية الثانية الى الحزبية ، ولكن تحت راية الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل الذى كانت بقيته مازالت قائمة فى تلك الأيام ..

وقد تطورت افكار فتحى رضوان مرحلة بعد مرحلة ، منذ كتب مقالته الأولى فى « الهلال » حتى اليوم ، فأصبحت كرامة الانسان وحريته وعدالة الأوضاع التى يعيش فيها ، هى جوهر كفاح فتحى رضوان ، كاتبا وخطيبا ومحاميا وسياسيا ، وهو يرى أن الحرية هى جوهر الاسلام ، وأن الانسان بدون الحرية لايبلغ الكرامة ولايحيا الحياة الصحيحة ، وقد ذهب زمان الفرد المستبد ، أو الدكتاتور نصف الاله ـ كما يُسَمَّى ـ وجاء زمان الجموع الغفيرة ، اى الشعوب التى تضمن بعملها وكفاحها الحرية والكرامة والعدالة لجميع ابنائها ...

إن جميع كتابات فتحى رضوان منذ تخلص من حماسته الرومانتيكية فى صباه الباكر ، كانت تعبيرا عن مواقف نضالية وقفها على امتداد عشرات السنين ، دفاعا عن الحقوق الوطنية والديمقراطية والاجتماعية للشعب المصرى ولجميع الشعوب العربية ، بل إن له إلى ذلك نظرة انسانية شاملة للجنس البشرى كله .. فلا عجب أن رأيناه فى الآونة الأخيرة ينشط فى لجنة الدفاع عن حقوق الانسان ويجعل من قلمه البليغ شواظ نار على الصهيونية والاستعمار الجديد والطغاة فى كل مكان .

واننا لنرجو للأستاذ الكبير فتحى رضوان عودا حميدا بعد ذلك الغياب عن ميادينه التى طالما صال فيها وجال ... وان قراء « الهلال » الذين صحبوا مقالاته خمسة وخمسين عاما ، لفى شوق إلى المزيد من تلك النفثات الطيبات ..

# اختفاء

# سعيد أبى النحس المتشائل

## ● رواية سياسيّة متفجرة
## ● رواية إميل حبيبى عربيّة الشكل والمضمون

بقلم : د. على الراعى

**من انباء لندن أن رواية الكاتب الفلسطينى إميل حبيبى : "المتشائل" قد قدمت على شكل عرض مسرحى من نوع المونودراما ، نهض به الفنان الفلسطينى محمد البكرى وقدم له المؤلف إميل حبيبى .**
**وكان العرض قد ترجم إلى الانجليزية ، وصدرت الطبعة الثانية منه اثناء وجود إميل حبيبى فى لندن .**



بعد حرب الأيام الستة ، يسمع سعيد ابو النحس المتشائل صوت المذيع وهو يدعو العرب المهزومين الى رفع اعلام بيضاء فوق اسطح منازلهم ، كى يناموا ، من بعد ، فى بيوتهم آمنين . يتردد سعيد قليلا ثم يجد من الأسلم له ان يرفع هو الآخر العلم الأبيض ، فيصنع من ملاءة فراشه علما ابيض يعلقه على عصا مكنسة ، وينصبه على سطح بيته فى شارع الجبل فى حيفا ، إمعانا فى اظهار ولائه لدولة اسرائيل .

ولا يتبين سعيد هول مافعل إلا وصديق عمره ، يعقوب ، الذى يخدم دولة اسرائيل ، يجره من ثيابه ويدفعه على الدرج ، مقتادا إياه إلى رئيسه الصهيونى الكبير ، ماذا حدث ؟ وكيف تكون المبالغة

## اختفاء

### سعيد أبي النحس المتشائل

فى إظهار الولاء مستحقة للعقاب ؟ يقول يعقوب لسعيد : ياحمار ! ترفع العلم الأبيض على بيت لك فى حيفا ، وهى جزء من إسرائيل ؟ تريد أن تقول إن حيفا مدينة عربية ، هزمت فى الحرب ، وأبدت رغبتها فى الاستسلام ؟ نداء الاستلام موجه إلى عرب الضفة وليس إلى عرب اسرائيل .

ويقول سعيد : بل أنا افرط فى اظهار الولاء لحكومة اسرائيل . فيرد صديقه : أصبح الرجل الكبير يرى ان افراطك هو تمويه على تفريطك . ويستعيد اصلك وفصلك فيجد فيهما الدليل على انك لست غبيا ، وانما انت تتغابى ، والا ، فلِمَ لمْ تعشق سوى "يعاد" المناضلة ، ولم تتزوج إلاّ "باقية" المتآمرة ، ولم تنجب الا "ولاء" الذى يحمل السلاح ضد الدولة ، يرد سعيد : الم يسأل الرجل الكبير أيضا : لمَ لمْ أولد سوى عربى ، ولماذا لم أجد وطنا سوى هذه البلاد ؟

بهذا السؤال الساخر تبرز شخصية سعيد ابى النحس المتشائل . فهو المهذار الحكيم ، الذى يتبين الحق والحقيقة ، فيؤلمه مايرى ، ولا يجد فى نفسه قدرة فورية على دفع الأذى عن نفسه وعن اهله ، فيطوى الألم بين جوانحه ، ويبدى التغابى أمام زبانية البطش وعملائهم . ثم يغلب الألم حذره . فيجد نفسه يشرع لسانه فى وجوه الظالمين ، ساخرا متندرا ، فيقع فى ورطة بعد أخرى ، تحمله الى السجن ، والتعذيب ، فلا يجدى العقاب فى تحويله عن الطريق .

هو المهرج الفيلسوف ، اينما وجد : جحا ، أو مضحك الملك لير ، أو المتشرد شارلى أو المطحون الدائم فى مسرحيات الريحانى . غير ان سعيد أوفى من هؤلاء ثقافة ، واكبر نصيباً من الالم ، فهو يبكى ، لا حاله وحسب ، ولا حال مليكه ، ولا حال طبقة من الناس ، وانما هو يتقطع اربا ، حزنا على وطن ضاع ، واهل له ضيعوا الوطن ويواجه عدوا شرسا ، لايقنع بأن يغلب عدده ، بل يريد ان يلتهمه التهاما ، يأكله ويتمثله فى جسده ، فيختفى جسد الضحية ويتحول الى دم ولحم يبينان المفترس ويشدان من أزره .

● تعرية فاضحة للعدو

هذا هو الاستعمار الاستيطانى ، الذى يندب اميل حبيبى بطله الفذ سعيد ابا النحس المتشائل ليعريه لنا تعرية كاملة فاضحة . سعيد هو عيننا فى اسرائيل . واحد من عرب الداخل يرى ويتمزق ، ويكابد الاهوال ، ولكنه ـ أيضا ـ يتبين ، ويهتدى ، ويهدى وطنه السليب حبيبة متجددة الظهور اسمها "يعاد" وزوجة دائمة الوفاء اسمها "باقية" وابنا مناضلا ، يمثل الجيل الجديد ، الذى يثور على خنوع عرب الجيل الحالى ـ جيل هو الأخ الأكبر لأطفال انتفاضة الحجارة التى سوف يتأتى لها ان تثور فى زمان قادم .

يعاد هى حبيبة سعيد الأولى لقيها طالبة فى قطار كانا يركبانه فتعلق بها





اميل حبيبى

قلبه ، واحبته هى ، ثم فرقت بينهما غيرة زميل من زملاء سعيد ، وشى به للناظر ، ففرق مابين الحبيبين . ثم قام فراق اكبر بعد نكبة ١٩٤٨ . ذهبت "يعاد" إلى الناصرة وتسلل سعيد الى حيفا والتحق بخدمة الصهاينة . ثم تسللت يعاد من الناصرة الى حيفا لتلقى سعيد وتشكوه الى نفسه ، فقد طارت شائعة بأنه قد وشى بأبيها الى السلطات الصهيونية ، فزجوا بالأب فى السجن .

"يعاد" هى الحبيبة الدائمة لسعيد فهى تمثل إرادة العودة . وحين يتكاثر عليها عسكر اسرائيل ويدفعونها إلى داخل سيارة حفلت بغيرها من المبعدين ، تنادى بأعلى صوتها : "سعيد" ياسعيد ، لايهمك فإننى عائدة ! "وتعود" يعاد بعد عشرين عاما ، شابة جميلة واعية قوية ، تشبه أمها ، يعاد الأولى . فقد كانت هذه قد ماتت وأسمت بنتها يعاد وابنها سعيد ، تاكيدا لهذه العلاقة التى لا تنفصم بين سعيد ويعاد . بين نضال عرب الداخل مع القمع الاسرائيلى وارادتهم التى لا تلين بعودة وطنهم اليهم .

## ● الغربة في كل مكان

أما سعيد ، ابن يعاد ، فقد لقيه المتشائل فى سجن "شطة" الرهيب ، وكان الصهاينة قد زجوا بالمتشائل فيه جزاء محاولته "الانقلابية" رفع علم أبيض على داره فى حيفا . كان سعيد معددا على

# اختفاء

سعيد أبي النحس المتشائل

سرير ، عاريا تماما ، الا من طلاء ارجواني ، هو دمه الذي سال بعد التعذيب لهذا سماه المتشائل "الملك" ، اشارة الى الرداء الارجواني الذي يرتديه الملوك . يقول سعيد المتشائل : يارجل ، يا والدي ، ويضمد جراحه بالحديث عن جراحه هو ، فتعود الى المتشائل انسانيته التي ابتزها زبانية الصهاينة بالصفع والركل واهدار كل ماهو كريم في الانسان .

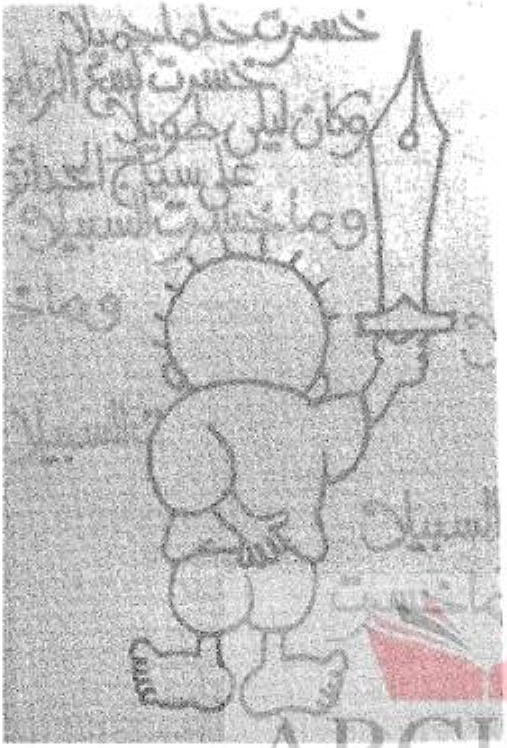
تقول يعاد الثانية للمتشائل وهي تحاوره : ان اخذتني الصهاينة هذه المرة ، فالوضع الآن يختلف . يرد المتشائل : ولكنهم لم يتغيروا . فتقول يعاد : هذه مأساتهم . أما نحن فتغيرنا فيقول المتشائل : يأخذونك الى ديار الغربة ؟ فترد الفتاة : الغربة في كل مكان ، أخذوني أم تركوني . فما الحل ؟ يقول المتشائل : نختبيء . تسأل الفتاة : عشرين عاما أخرى ؟ يرد المتشائل : حتى تتغير الامور . فمن يغيرها ، تسأل الفتاة يقول المتشائل : الشعب . ترد : وهو مختبيء ؟ يقول المتشائل انا وانت نختبيء ويكافح أخوك سعيد ، تقول الفتاة : كي يهدى الحرية للمختبئين ؟ لا جدوى من الالتصاق بشيخ في اواخر عمره لا فائدة من العودة الى البداية . ستذهب "يعاد" الثانية ولكن "يعاد" الثالثة سوف تأتي . الماء لا يترك البحر يتبخر ثم يعود في الشتاء ، يعود انهارا وجداول . دائما يعود .

★★★

وكان سعيد المتشائل قد تزوج "باقية" ، فأفضت اليه بسر خطير . قالت له : أصبحت املي ، ياابن عمي ، وانا أريد العودة الى خرائب قريتي "الطنطورة" . ففي كهف في صخرة ، صندوق حديدي مليء بذهب كثير ، مصوغات أسرتي ، وضعه والدنا هناك ، وانبأنا بأمره ، حتى يلجأ اليه كل محتاج منا . أريد ان ننتشل الصندوق ، فيغنينا عما أنت فيه . فلا أريد لأولادي إحدوداب الظهور .

وكان من دأب أسرة المتشائل أن يمشي افرادها وظهورهم محنية ، وأبصارهم في الأرض ، بحثاً عن مال سقط سهواً من صرة عابر سبيل ، لعلهم يهتدون الى كنز يبدل حالهم تبديلا . أما سعيد المتشائل فقد قرر الا يموت مقوس الظهر كاسلافه ، فاقلع منذ طفولته الباكرة عن البحث عن كنز الخلاص تحت قدميه ، وراح يبحث عن اكنز فيما فوق ، في الفضاء اللا نهائي ، تلمسا لكائنات أرقى من البشر ، أخذ يحلم بأنهم قادمون يوما ما ليبدلوا حياته المملة ، أو يأخذوه معهم . ظل في هذا الحلم حتى قامت دولة اسرائيل الغاصبة ، فلم يفارقه الانشغال بخلاص يأتي من الفضاء السحيق .

والآن ، ها هوذا كنز حقيقي وقع له . فماذا يفعل به هو وزوجه باقية ؟ قررا أن يخفيا أمره عن الناس ، حتى عن ابن ولد لهم فسمياه ، ولاء ، بعد اعتراض الكبير



الصهيونى على الاسم المقترح : فتحي ! كبر ولاء ، وجعل لنفسه حياة خاصة ، واخفى وراء حياته وقلة حيلته امام مشاكل الحياة الصغيرة ، سراً خطيراً : أنشأ مع اثنين مع زملاء الدراسة ، خلية سرية ، وانتشلوا الكنز واشتروا به سلاحا وذخيرة ومتفجرات وأقاموا مخزنا ومخبئاً . ثم قبض على الزميلين بينما التجأ ولاء إلى المخبأ فجاء عسكر صهيون يطاردونه ، ويجرجرون والديه لاقناعه بالتسليم . وتحاول الأم اقناعه ، ولكنه يرفض التسليم ، ويدفع بأنه سئم حياة الذل التى يحياها الفلسطينيون تحت نير الاحتلال الاسرائيلى . ولا يطول الحوار بين الام وابنها ، فما تلبث الأم ان تنضم الى "ولاء" ويختفى الاثنان ، لا يدرى أحد ـ ولا الصهاينة ـ أين ذهبا . لم يغرقا . لم يلفظهما البحر وإنما اختفيا وحسب . فقرر الصهاينة حبس نبأ اختفائهما عن التداول ، حفظا لماء وجه العنجهية الصهيونية .

★★★

كما تتطور فكرة الكنز من وسيلة للخلاص الفردى لدى "المتشائل" واسلافه الى اداة للنضال ضد المغتصبين ، خدمة لقضية كبرى ، كذلك يتغير "المتشائل" من موقف "الصامت ذلا" ـ كما يصف نفسه ـ إلى موقف الشديد الرغبة فى الخلاص ، حين تكون "يعاد" بجانبه ، العاجز عن الخلاص حينما تنأى عنه . تقول له "يعاد" أعود فى الشتاء ، فلما تعود وتجده عاجزا عن الحركة تقول : هذا شتاؤك وحدك ويقول له شاب يمسك بصحيفة وقد رآه يجلس على "خازوق" العجز : من لا يريد "الخازوق" ، عليه ان ينزل الى الشارع معنا .

ولكن "والمتشائل" يتشبث بخازوقه ، ولا يلبث ان يطير به الخيال الى رجل الفضاء الذى يأتى لينقذه . يطير الاثنان ، "والمتشائل" محمول على ظهر الرجل . وترى "يعاد" المنظر فتقول : حين تمضى هذه الغيمة تشرق الشمس !

---

● كنوز الحكمة والفكاهة

تغوص هذه الرواية الفذة غوصا بارعا فى التراث القصصى العربى ، تصل الى أعمق أعماقه ، ثم تطلع محملة بكنوز من

# اختفاء
## سعيد أبي النحس المتشائل

الحكمة والفكاهة والسخرية والخيال المجنح ، توظفها جميعا فى خدمة موضوع متفجر شديد الالتصاق بالواقع ، هو احوال عرب فلسطين تحت الاحتلال الصهيونى الغاشم ، وتخرج علينا ـ فى الوقت ذاته ـ بشكل فذ للرواية هو ـ بالقطع ـ عربى الهوية والروح والمنطلق .

تقرأ الرواية فتدرك على الفور لماذا قامت انتفاضة الحجارة ، وتوقن ان مايصوره اميل حبيبى من تصدٍ بطولى للحكم العنصرى الاسرائيلى ، هو حق واقع ، وليس بلاغة كاتب، أو امنية مطحون عاجز . وقد تسأل : لماذا جعل إميل حبيبى شخصيته الرئيسية رجلا رضى بأن يعمل مع الصهاينة ، فلا تلبث ان تتبين انه انما اراد تصوير تمزق بعض عرب الداخل بين ضرورة الخضوع لامر واقع ورغبة لا تهدأ فى التحرر من هذا الواقع . كذلك اتخذ الكاتب من بطله اداة للسخرية من المتعاونين والمتخاذلين ، ومن بعض العملاء الملتحفين بالرفض النارى القاطع لدولة اسرائيل ، اخفاء لتعاونهم الفعال معها ( شخصية الباذنجانى المحامى ) . كما عبَّر إميل حبيبى التعبير الفنى البليغ عن عبث محاولة العمل مع الحكم الاسرائيلى وانتهاء هذه المحاولة إلى طريق مسدود يحوطه العجز من كل مكان . ترمز الرواية الى هذا القبول بالخازوق الذى يقعد عليه كل فلسطينى يتعاون مع اسرائيل . يجلس عليه الى الابد ، لا هو يتحمله ، ولا هو قادر على الهبوط منه الى الارض ، بل قد تشتد أزمته فإذا هو يقاوم كل من يحاول تخليصه منه . إذ ذاك لا يكون أمام المتعاون مع اسرائيل الا أن يذهب عقله ، فيطير على أجنحة الجنون الى الفضاء السحيق ، كما حدث لسعيد أبى النحس المتشائل .

لكى يخرج إميل حبيبى الشكل العربى للرواية امتص رحيق الف ليلة ، وشملته روح الجاحظ الساخرة حينا ، المتفاكهة حينا آخر ، وصدر فى روايته عن طريقة كتابة الرسائل فى التراث العربى ، وعن حكمة كليلة ودمنة ، ثم لم يقتصر على التراث العربى ، بل رفده بالتراث العالمى ، حين انشأ علاقة ما بين روايته ورواية فولتير : "كانديد" .

والمحصلة النهائية : رواية فذة ، عربية الشكل والمضمون ، لعلها الأولى التى تثبت بجدارة ان فى وسع الرواية العربية المعاصرة أن تترك جانبا الشكل الغربى الذى اتخذته وعاء لها فأقامها حتى الآن ، الى شكل خاص بالعرب ينبع من تراث قصصى زاخر وطويل .

ذلك انه اذا كان بوسع بعض الناس ان يظلوا يماحكون فى ان الادب العربى الشعبى قد عرف المسرح ، فليس فى قدرتهم ان ينكروا ذخائر العرب القصصية وحيويتها الفاتنة الباقية بعد ازدهار الاهتمام بالف ليلة وغيرها من قصص العرب وبعد ما قدم اميل حبيبى من برهانه الناصع هذا .

# أقوال معاصرة


حسنى مبارك

● « انتهت كامب ديفيد ، وعفى عليها الزمن .. »

● « المشكلة هناك .. فشامير لا يريد .. وبيريز لا يستطيع »

● الرئيس حسنى مبارك

● « افعال اسرائيل كلها مبررة ، والمذنب هو الطفل الفلسطينى الذى دفع الجندى الى ارتكاب الخطأ .. »

● الشاعر محمود درويش


محمود درويش

● « اسرائيل ستغرق تحت وابل من الحجارة اذا لم تتنبه الى حل القضية الفلسطينية .. »

● المحامية الاسرائيلية « فيليشيا لانجر »

● « حكومة ريجان اسوأ واغبى واعند حكومة شهدتها هذه البلاد فى تاريخها .. »

● المفكر الفلســـــطينى « ادوارد سعيد »

● « السينمائيون العرب يفتقدون الجنون .. »

● المخرج التونسى « مرزاق علواش »


ادوارد سعيد

● « هل على الانسان ان يتوقف عن العمل حتى لا يصبح هدفا ســـهلا .. » !

● جمال الغيطانى

● « دارسو التكنولوجيا من الشباب هم احصائيات تجارة المســـتقبل .. »

● جى روكفللر عضــــو مجلس الشيوخ الامريكى

# سوانح في ثورة الحجارة

## شعر: نزار ... وغناء: فيروز

بقلم: كمال النجمي

**هل سمعت او قرات الاشعار التى القاها بعض الشعراء والشاعرات فى معرض الكتاب الدولى اخيرا؟!**

**ان كثيرا من هذه الاشعار قيل تمجيدا لثورة الحجارة فى فلسطين العربية .. وقد اشتهرت من بين هذه الاشعار قصيدة نزار قبانى التى نظمها متكاملة الاوزان من بحر (( الخفيف )) .. ولكن الصحف نشرتها مقطعة الى تفعيلات وكلمات كما كان الشاعر كامل الشناوى ــ رحمه الله ــ يفعل بشعره حين ينشره ، فقد كان يتعمد تقطيع الابيات المتكاملة الاوزان الى تفعيلات، فيظنها غير العارفين بالشعر ــ وما اكثرهم ــ شعرا تفعيليا مبتكرا من اخر طراز ، ويكتب عنها بعض النقاد ويتحدثون بوصفها من صميم الشعر التفعيلى**



● ونزار قبانى هو فى صورة من الصور ، ابو العتاهية الجديد ، ولكن مقلوبا او معدولا ، او زائدا او ناقصا .. فان نزارا شعبى اللغة حتى لتظنه احيانا شاعرا زجليا لا شاعرا فصيحا ، او تظنه كاتب عمود صحفى سريع لا ناظم قصيدة شعرية رصينة ..

ولولا ان نزارا فى ظاهر شعره هو شاعر اللذة والمرح والرقص كانه ابو نواس ، وان ابا العتاهية كان شاعر الالم والاكتئاب والسخط على الدنيا ، لقلنا : هذا من ذاك !.. فانهما يشتركان فى اللغة الشعرية


فيروز


نزار قبانى

الشعبية وتعبيرات الشارع ، حتى ان الشطار والعيـــارين والرقاصين أو « الزفانين » والجوارى الخـادمات والفعـلة والمـلاحين ، والسوقة فى شوارع بغداد ـ على عهد الرشيد ـ كانوا يترنمون بشعر أبى العتاهية كما تترنم شوارع المدن العربيـــة الان بشعر نزار !٠٠

وكما انتقلت عدوى أبى العتاهية فى عصره الى بعض الشــــعارير والشعرورات ، فقلـدوه بدون ابداع وبدون شاعرية ، فكذلك أصابت عدوى نزار بعض الشـعارير والشعرورات فى أيامنا ، فقلدوه تقليـد الغرابيب للطاووس ٠٠

وقد سمعت ورأيت فى التليفزيون ـ أيام معرض الكتـاب ـ احـدى الشعرورات القادمات من بلد شقيق ، تلقى قصيدة عن انتفاضة الحجارة ، سلخت معانيها والفاظها بغلظة وبلا ذكاء عن قصيدة نزار ومن أشعاره الاخرى ٠٠

● وقد أعادت انتفاضة الحجارة لى بعض الذكريات الادبية والفنية ٠٠ منذ عشرين عاما كتب نزار قبانى قصيدته المشهورة « هوامش على دفتر النكسة » ٠٠ وصودرت هذه القصيدة فى مصر ، وكنت حينــذاك محـررا بمجـلة المصور ، فحملنى الاجتراء وقلة التبصر ، على أن أكتب نقـدا عنيفا ضد « الرقابة » التى صادرت القصيدة ، وذهبت بمــا كتبت الى الاستاذ أحمد بهاء الدين رئيس تحرير المصور أيامئذ فأمر بجمع المقـالة ونشرها ٠٠ وقد تم جمع حروف المقالة فعلا ، أما نشرها فلم يتم ، لان النشر كان بيد الرقيب ، وقـد أدى الرقيب مهمتـــه على أحسن وجه ، فشطب المقالة من أولها الى آخرها ٠٠

وكان رد الاستاذ بهاء الدين على الرقيب بسيطا ٠٠ فقد أعطى نسخة من « بروفة » المقالة لاحد المسـافرين الى بيروت وطلب اليه تسليمها الى الشاعر نزار الذى كان مقيما هناك ٠ ومازال تعليق نزار على هـــذه

« البروفة » موجودا عندى مع نسخة من قصيدته التى ادهشنى حين تسلمتها أن طباعتها شديدة الاناقة كأنها طباعة ديوانه « طفولة نهد » ·· مع أن « النكسة » شيء آخر !··

ظلت قصيدة النكسة ممنوعة فى مصر حتى رأى عبد الناصر السماح بتداولها ·· وفكرت ام كلثوم عندئذ فى غناء شيء منها كما غنت – مثلا – شيئا من رباعيات الخيام ، ولكنها وجدت كلاما عنيفا ومؤلما ، فعدلت عنها الى قصيدة من شعره عن « البندقية الفلسطينية » غنتها فى أواخر الستينيات ثم اختفت القصيدة فى محفوظات الاذاعة مع جميع الاغانى الاخرى التى يتردد فيها اسم فلسطين !··

كانت « البندقية » هى الشعار الواقعى والبديهى للتحرير ·· تحرير مصر أو تحرير سوريا أو تحرير فلسطين ، ولكن كانت هناك وجهات نظر أخرى لم أعرفها الا حين « حصلت فى دمشق » – أى نزلت فى دمشق زائرا ، وذلك حسب التعبير القديم البليغ – وكان حصولى بدمشق فى أواخر سنة ١٩٦٩ مع زملاء كرام أذكر منهم محمد عودة وفيليب جلاب ومجيد طوبيا ، وكنا جميعا ضيوفا على وزارة الاعلام السورية !··

● تعبير بالرمز الفنى

وأرادت الوزارة اكرامنا فدعتنا الى شهود مسرحية غنائية كانت المطربة فيروز تقدمها فى دمشق ، ولعل اسم هذه المسرحية – اذا صدقتنى الذاكرة – هو « جبل الصوان » ·· أو قريب من هذا الاسم !

ظهرت فيروز على المسرح فى البداية تغنى قصيدة فى مدح « بنى أمية » ·· ففهمت من غنائها أن بنى أمية فى دمشق هم غير بنى العباس فى بغداد ·· وغير الفاطميين فى القاهرة !·· وكان ذلك مضحكا حقا ·· فان بنى اسرائيل هم الذين يحتلون أرض أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، فما معنى هذا الغناء الذى كأنه يقول لنا : « اياك أعنى فاسمعى يا جارة » !؟

ثم جاءت المسرحية الغنائية ··

وكانت تدور حول فلسطين « السليبة » ·· بالرمز الفنى لا بالخطابة المنبرية ·· وكان التعبير بالرمز الفنى أشد وضوحا من الزعيق المنبرى ، فمن السهل أن أعظك وأرفع صوتى فى سمعك وأهزك من الاعماق مادمنا فى معركة ، ولكن من الصعب أن نصنع فنا للمعركة أو من المعركة ، أى نتحسس بالفن الصراح أشواك المأزق ومخالب المشكلة ! ··

مع ذلك خرجت من هذه المسرحية الغنائية ساخرا من عبثيتها ، وبخاصة خاتمتها ، وكتبت عنها مقالا يجمع بين الاعجاب بالفن والسخرية من قصور الفهم السياسى لقضية فلسطين ··

فالمسرحية تبين لنا أن الغزاة الصهيونيين قد اقتنعوا فى النهاية – نهاية المسرحية – بأنهم يجب أن يرحلوا من الارض التى غزوها

بالحديد والنار ، واجتمعوا فيها من أربعة أركـــان الدنيـــا ، واغتصبوها ومزقوها بالفتك والهتك تمزيقا لم يكن ليخطر فى بال برابرة الفاتحين أمثال هولاكو وهتلر !

لقـد أوحت المسرحية الى الغــزاة السفاكين أن يندموا ويذرفوا الــدمع الســخين ويجمعوا أمتعتهم ، ثم يرحــلوا عائدين الى البــلدان التى جاءوا منها ، تاركين الارض المروية بالدمع والدم لشعبها الذى غلبوه على أمره وسلبوه حقوقه واستبعدوه !·

وهكذا جمع « ايزاك شــــامير » متاعه القليل ، ووضع عصـــاه على كاهله وشد رحاله الى بلاده «بولندا» التى خــلع نفسه من أرضها منـــذ خمسين عـــاما ليزرع نفسه فى أرض فلسطين ، ويقتلع منها نفوس أهلها ·· فيالهـــا من معجزة ، تشبه معجــزة « كسر الحاجز النفسى » ذات السمعة السيئة ··

قلت لبعض من كان الى جانبى فى المسرح :

ـ كيف يندم الغزاة ويسلمون بالحق دون أن تلحق بهم هزيمة فى ميادين القتـــال ، وكيف يردون سيوفهم الى أغمــــادها وهم منتصرون وأصحاب الارض منهزمون ، هزيمـــة الهنود الحمر فى معركتهم ضـــد الوحش الاوربى الاشقر ؟!···

● وأذكر الان أن بعض ما كتبتـه عن هـــذه المسرحية كـــان مؤداه : « كيف تصح فى الاذهان هذه النهاية السعيدة الرومانتيكية المثالية التى لا تقع ولا فى الاحلام ، فالصهيونيون لم يهجموا على فلسطين ولم يرتكبوا فى حق أهلهـا جرائم يفزع منهــــا الشيطان نفسه ، لكى يثوبوا فىنهاية « المسرحية » الى الرشـــد ويعــلنوا التوبة ويرحلوا كالملائكة الاطهار دون أن تخدش وجوههم أظافر طفل عربى واحد » !

---

● طفل فلسطين ·· سيد الموقف

---

ومن حسن الطالع أن ما أشرنا اليه من أظافر الطفل العربى قد صـــار حقيقة ، وأصبح هـــذا الطفل سيد الموقف بعد عشرين عاما من عرض تلك المسرحية التى زفت الينا البشرى بعودة الصهيونيين الى آدميتهم بعد امعانهم الوحشية عشرات السنين فى فلسطين وما حولها من اقطـــار بنى أمية وبنى العباس وبنى أبى طـــالب ابن عبد المطلب ، الذين هم جميعـــا أبناء عبد مناف بن قصى بن كلاب ·· الى آخر النسب المتوج بجدهم مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ! ·

● وأذكـــر أن المرحـــوم عاصى رحبانى جاء مع فيروز الى مصر بعد ذلك بعام أو عامين ، فناقشنى فيمـا كنت كتبته من ملاحظات ونقدات لفكرة المسرحية ·· وكان رأيه أن النهـــاية الرومانتيكية لهذه المسرحية لا تعيبهـا من الناحية الفنية ، وان عابتهـا من الناحية السياسية ، فوافقتــــه على رأيه ، لان النهـــاية الرومانتيكيـــة المستحيلة الوقوع هنا ، انما جاءت تعبيرا عن تعـــلق مؤلف المسرحية بشرف الانســـان وضميره ·· ولكن المؤلف قد نسى أن الانسان يفقـــد شرفه وضميره وفهمه للخير والشر ، عندما يعتنق الصهيونية التى هى بنت عم النازية ، بل هى أم النازية ، لان

## سوانح
### فى ثورة الحجارة

هرتزل جاء قبل هتلر ، وبن جوريون قبل جورنج وروزنبرج وهملر !...
فكيف يمكن أن يتعلق مؤلف مسرحي بما لا وجود له وهو شرف الغازى الصهيونى وضميره ؟!. لقد كنا نرجو طبعا أن يكون وجود ذلك ممكنا ، ولكن « انى يكون وليس ذاك بكائن » .. وقد استحالت أسباب وجوده ؟!...

● مسرح سيد درويش

لقد كان سيد درويش في مسرحه الغنائى قبل خمسة وستين عاما أقرب الى « الحقل » من مسرحية « جبل الصوان » .. مع أنه كان يصرخ فوق مسرحه بكلام يقول : « دقت طبول الحرب يا خيالة » .. و « أحسن جيوش فى الامم جيوشنا » و « الجيش رجع م الحرب بالنصر المبين » .. ولم تكن ثمة حرب ولا جيوش ولا نصر مبين ولا غير مبين .. كان هناك شعب أعزل فى قبضة جيش احتلال ، ولكن المسرح الغنائى المصرى كان يشتعل بالحماسة لضرب العدو ، ولم يخطر على بال سيد درويش قط أن عبيد قصر الدوبارة البريطانى سوف يحمل عصاه ويرحل فى لحظة نادرة من لحظات يقظة الضمير ! .

كانت مسرحيات سيد درويش الغنائية تتعلق بالتاريخ ، وتحاول أن تصله بحاضر الشعب وتثير حماسته للعمل الجاد بما تعرضه على عينيه من احلام اليقظة المسرحية .

والفن حين يغنى لكفاح شعب من الشعوب ، لا يكون هدفه أن يردد الشعارات أو يلتزم بالحروف ، فان الفن الصادق البليغ حين يعبر عن كفاح شعبه يتحول الى جزء من وجدان الشعب !.. كان هذا رأيى ومازال فى مسرحية فيروز وفى مسرحيات سيد درويش وما يجرى مجراها فوق المسرح أو على الشاشة أوعلى أمواج الاثير ، فان القوانين التى تتحكم فى سير معركة أو مصير حرب ليست هى القوانين التى تتحكم فى التعبير الفنى ، وان كان الفن بقوانينه ومواصفاته الخاصة لا ينكص عن خطوات أبناء شعبه ، ويتلقى الفن فى حالات الهزيمة والنصر ، نصيبه من الويلات أو الثمرات !.

ان الغناء المسرحي وغير المسرحي حين يشارك فى الكفاح الشعبى ، قد يبدو أحيانا كانه شارد أو تائه أو متعثر الادوات والاساليب ، ومع ذلك يبقى داخل دائرة الكفاح ، مادام صادق التعبير ، وليس مجرد تلفيق كلمات ، أو تلفيق الحان ، أو تزويق شعارات ...

ومن اسف انه لا يوجد الان من هذا الفن شىء يذكر ، لان بواعثه لم تعد قائمة ، الا ان ثورة الحجارة فى الارض الفلسطينية الدامية ، جديرة بان تبعث الفن العربى من مرقده كما مست جذوتها قلب الشعر العربى فحاول أن ينبعث شعرا عربيا مرة اخرى ، ولكن الشعارير والشعرورات يسدون عليه منافذ الانبعاث !..

وما امجد ثورة الحجارة ، وما اهون اشعارنا واغانينا مهما كان بعضها جميلا ومؤثرا !..

# قصيدة الانتفاضة

# رسالة إلى غزاة لا يقرأون!

شعر: سميح القاسم



سميح القاسم



تقدموا تقدموا!
كل سماء فوقكم جهنم
وكل ارض تحتكم جهنم
تقدموا
يموت منا الطفل والشيخ
ولا يستسلم
وتسقط الام على ابنائها القتلى
ولا تستسلم
تقدموا
بناقلات جندكم
وراجمات حقدكم
وهددوا
وشردوا
ويتموا
وهدموا
لن تكسروا اعماقنا
لن تهزموا اشواقنا
نحن قضاء مبرم
تقدموا

# رسالة إلى غزاة لا يقرأون!

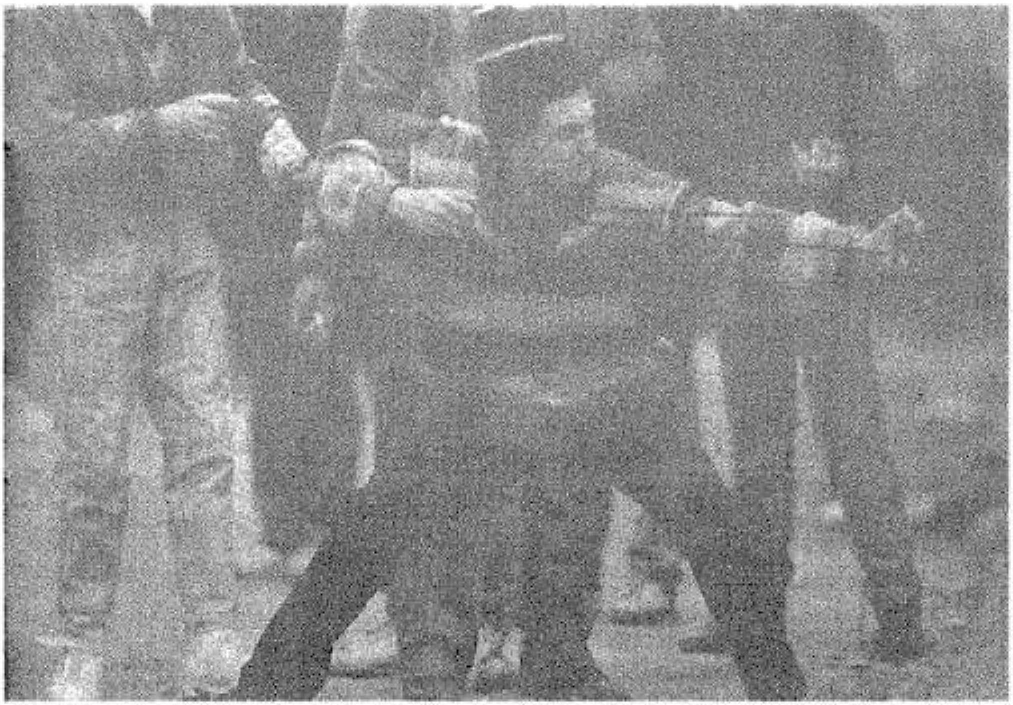
طريقكم وراءكم
وغدكم وراءكم
وبحركم وراءكم
وبركم وراءكم
ولم يزل امامنا
طريقنا وغدنا وبرنا وبحرنا
وخيرنا وشرنا
فما الذي يدفعكم من جثة لجثة
وكيف يستدرجكم من لوثة
للوثة
سفر الجنون المبهم
تقدموا
وراء كل حجر كف
وخلف كل عشبة حتف
وبعد كل جثة فخ جميل محكم
وان نجت ساق
يظل ساعد ومعصم
تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل ارض تحتكم جهنم
تقدموا
حرامكم محلل
حلالكم محرم
تقدموا
بشهوة القتل التي تقتلكم
وصوبوا بدقة لا ترحم
وسددوا للرحم ان نطفة من دمنا
تضطرم
تقدموا
كيف اشتهيتم واقتلوا
قاتلكم مبرأ
قتيلنا متهم
ولم يزل رب الجنود قائماً ساهراً
ولم يزل قاضي القضاة المجرم...
تقدموا
لا تفتحوا مدرسة
لا تغلقوا سجناً
ولا تعتذروا، ولا تحذروا، لا
تفهموا
اولكم آخركم
مؤمنكم كافركم
ودأؤكم مستحكم

فاسترسلوا
واستبسلوا
واندفعوا
وارتفعوا
واصطدموا
وارتطموا
لآخر الشوط الذي ظل لكم
وآخر الحبل الذي ظل لكم
فكل شوط وله نهاية
وكل حبل وله نهاية
وكل ليل وله نهاية
وشمسنا بداية البداية
لا تسمعوا / لا تفهموا / تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم

غزة تبكينا
لانها فينا
ضراوة الغائب
في حنينه الدامي الى الرجوع
تقدموا
من شارع لشارع
من منزل لمنزل
من جثة لجثة
تقدموا
يصيح كل حجر مغتصب
تصرخ كل ساحة من غضب
يضج كل عصب:
الموت... لا الركوع
موت... ولا ركوع!!
تقدموا...
ها هو ذا تقدم المخيم
تقدم الجريح والذبيح والثاكل
والميتم
تقدمت حجارة المنازل
تقدمت بكارة السنابل
تقدم الرضع والعجز والارامل
تقدمت ابواب جنين ونابلس
اتت نوافذ القدس صلاة الشمس
والبخور والتوابل
تقدمت تقاتل!
تقدمت تقاتل!
لا تسمعوا
لا تفهموا
تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل أرض تحتكم جهنم...



وكل أرض تحتكم جهنم!!
لا خوذة الجندي
لا هراوة الشرطي
لا غازكم المسيل للدموع





# بين الأطراف المهشمة والانهيار العصبي !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

من أول ما يسترعي النظر في أخبار الانتفاضة الفلسطينية ، التي لا تزال مستمرة حتى كتابة هذه السطور ، منذ أكثر من شهرين ، والتي عرفت ودخلت التاريخ باسم « ثورة الحجارة » .. ان الذين نقلوا الى المستشفيات لم يكونوا الفلسطينيين وحدهم ، الذين أصيبوا بطلقات الرصاص . ومات كثير منهم . أو ضربوا وهشمت أطرافهم بأيدي جنود جيش الاحتلال الصهيوني وهراواتهم الغليظة ، من خشب الزان أو الحديد ! بل نقل الى المستشفيات أيضا عدد من هؤلاء الجنود ، ليس بسبب أن بعضهم قد شجت رأسه مثلا ، بسبب حجر رجمه به صبي فلسطيني ، وان كان ذلك واردا وجائز الحدوث ، ولكن لأن هؤلاء الجنود كانوا مصابين بما هو أفدح من شج الرأس ، في ظاهر عظامها وجلدها ، مصابين من داخلها بالانهيار العصبي !

اما لماذا أصيب هؤلاء الجنود ، الذين هم افراد من اقوى قوة مسلحة فى المنطقة العربية ، التى يحلو لهم أن يسموها بالشرق الاوسط بهذا الانهيار، وهم لا يواجهون قوة عسكرية موازية فى عدتها وعتادها ، بل جموعا عزلاء من السلاح ، الا من الحجارة او سكين هنا ، وقنبلة حارقة هناك ، يدوية الصنع بدائية التركيب، من الطراز المعروف باسم كوكتيل مولوتوف ·· لماذا يصاب هؤلاء بالانهيار العصبى فى مواجهة تلك الجموع ، فذلك يعود الى اسباب كثيرة تتعلق بهؤلاء الافراد وطبيعة المواجهة التى وجدوا انفسهم فيها :

● عموما ، فجيش الاحتلال الصهيونى ، المطلوب منه أن يسيطر على الارض الفلسطينية المحتلة ، فى مواطن هذه الانتفاضة فى الضفةالغربية للاردن وقطاع غزة ، منذ اكثر من عشرين عاما ، لا يزال من الناحية العددية البحتة ، اقل بكثير من عدد الافراد الفلسطينيين الذين يحملون الحجارة ويرمونه بها ، فهؤلاء يمكن أن يكونوا ببساطة _ كل الشعب الفلسطينى ، او ذلك الجزء من الشعب الفلسطينى هناك ، كل صبى او فتاة او شيخ او امراة ، يستطيع أن يحملالحجر ويرمى به فيصيب حيث يصيب ،او يفزع من يفزع من جند الاحتلال هناك ·· لن يجدى مع أحدهم ولن ينقذه من الرعب ، أن يأتيه الحجر من اى مكان ، من وراء هذا الجدار او تلك الشجرة ، أنه يحمل أعتى الاسلحة الاتوماتيكية ، ينطلق رصاصها ، ليفتك بالجموع المتجمهرة ، أو يحمل قنابل الغازات المسيلة للدموع ، او الهراوة الغليظة التى ينهال بها ضربا على من يقع فى يده من الافراد الفلسطينيين ، حتى يهشم عظامه ، ويتحرى أن يفعل ذلك ، بل ندخل بعضهم على المصابين من الفلسطينيين فى المستشفيات، وضربوهم وتحروا أن يهشموا اطرافهم ، تحت شعار أن اليد المهشمة لن تستطيع أن تلقى بالحجر ! وضحايا تهشيم العظام على هذا النحو يبلغ عددهم حوالى الالف حتى الان ، بخلاف من ماتوا ويبلغ عددهم _ حتى الان ايضا _ قرابة المائة !

بالرغم من ذلك ، فلا تزال القلة المسلحة من جنود جيش الاحتلال ، حتى ولو كان وراءهم المستوطنون اليهود الذين جلبوهم الى تلك الارض المحتلة، ويؤازرونهم باطلاق النار مباشرة على الفلسطينيين لينقذوا ماء وجه جيش الدفاع الاسرائيلى ·· لا يزال هؤلاء وأولئك ، قلة ، مذعورة ازاء الاغلبية العزلاء من سكان تلك الارض ، لانهم وكانهم مارد قد انشقت عنه الارض ، قد طرحوا عن انفسهم الخوف والرعب ، من ذلك الجيش المدجج بالسلاح وقرروا ان يواجهوه جميعا دفعة واحدة ولا يزالون يفعلون حتى الان ·· سقطت هيبة السلاح المتفوق فى يد الجندى من الجيش الصهيونى فى مواجهةالارض وسكانها وحجارتها ! فاستحال الرعب فى قلبه من أن يأتيه الحجر من هنا أو هناك إلى انهيار عصبى ينقل بسببه _ دون ان يلحقه خدش _ الى المستشفى !

● قد يكون من أفراد الجيش الصهيونى ، حتى من اليهود ، سواء كانوا من أصول عربية ، أى من اليهود الشرقيين الذين نزحوا من مختلف البلدان العربية ، او كانوا من سكان فلسطين الاصليين، او حتى منالاوربيين الاشكناز الذين جلبوا الى هذه المنطقة ، من يكون لديه قدر من يقظة الشعور ، يجعله يحس بانه يخوض حربا ظالمة

بكل معانى الكلمة ، ضد جموع عزلاء ، تقيم على الارض التى ولدت فيهـا ، وتحس بأنهـا محـرومة من حقـوقها الطبيعية ، وتتظاهر احتجاجا عـلى أوضاعها السيئة ، ثم تفاجأ بمن يصب عليها النيران من مدافعه الرشاشة أو قنابله المسيلة للدموع ، ويبطش بأفرادها بالهراوات الغليظة ، ربما يكون مثل هذا الجندى قد استشعر مدى الظلم الذى يجد نفسه مطالبا بايقاعه بالاخرين وربما يكون أيضا قد استشعر أنه لا يخوض حربا ظالمة فقط ضد هـؤلاء العزل ، بل يائسة أيضا ، ليس لها مستقبل ، فطبيعة الامـور ، ليس أن يرحل سكان الارض عنها كما يشتهى غلاة الصهاينة ، بل المحتلون من مغتصبى بلادهم ، وبين الشعور بثقل الضمير والياس والخوف ، قد يصل الجندى اليهودى فى الجيش الصهيونى بدوره الى المستشفى ، مصابا بالانهيار العصبى ! •

## ● المدلول السياسى

على أن المواجهـة التى ينال أحد طرفيها وهو الطرف الفلسطينى ، عقابا شنيعا قاسيا وهو تهشيم أطراف من يقعون فى قبضـة جنود الاحتـلال الصهيونى ، والانهيار العصبى للطرف الاخر ، الذى يوقع بهم هذا العقـاب ، يكاد يكون حظ كل طـرف منهمـا فيها تعبيرا رمزيا عن الموقف السياسى لكل منهما !

فالشباب الفلسطينى ، الذى يتعرض لهذا العقاب البشع ، الذى نال عـدة مئات منه حتى الان لا شك أنهم يعانون الاما مبرحة مما أصـابهم ، ولكنهم يحسون نخوة الفداء والتضحية من أجل وطنهم المغتصب وحقوق شعبهم السليبة ، وهم واثقون ، أن من يعش منهم ويخرج من هذه المحنـة ، سوف يكون رمزا لاجيال تاتى من بعده ، من الشباب الفلسطينى ، وقدوة لهم فى التضحية والفداء ، وربما أبعد من هذا أن يمتد هذا الشعور بالتضحية وضرورتها من أجل القضية الفلسطينية ، الى سائر شباب الامة العربية ، التى ترى فى هذه القضية قضيتها الاولى ، والتى لـم تخسرها حتى الان الا لتمزق صفوفها ، وعجزها عن توحيد ارادتها ، فكانت ـ ولا تزال على ضخامتها ـ أشبه بالجسد المكسور الاطراف ، الـذى يحتـاج الى علاج طويل لكي يلملم شعثه وينهض فى مواجهة أعباء الحياة الحـرة الصادقة ، واستمرار الانتفاضـة الفلسطينيـة ، وهـو الوهـج الذى يضىء الطريق أمام هذه الامة ، فى لم شعبها ، وتجميع قواها ، وبذل مـا يتعين عليها بذله من تضحية فى سبيل مبادئها العليا •

أما الطرف الاخر الصهيونى ، فان الانهيار العصبى هو مستقبله هو والكيان المصطنع الذى فرضه على بلادنا وتثق به مختلف مواقف سياسته بما فى ذلك اختلاف وجهات النظر لدى صناع هـذه السياسة :

● فهناك القوى التى تدرك ـ داخل

الكيان الصهيوني – أن الانسحاب من الارض المحتلة هو المخرج الوحيد ، من هذه المواجهة التى يمكن ان تطول الى غير ما نهاية ، ويكون لها ضحايا باستمرار من الطرفين •

وبالتالى فلا مفر من قبول مبدأ «السلام مقابل الارض »، والتخلى عن حلم « اسرائيل الكبرى » ، وأن ضم الاراضى المحتلة الى « دولة اسرائيل » ، كما يطالب المتطرفون ، معناه أن يصبح العرب بعد جيل أو جيلين اغلبية فى هذه الدولة وتفقد بالتالى طابعها اليهودى، بالنظر الى أن معدل المواليد بين العرب اكبر منه بين اليهود •

● أما الفريق الثانى فهو يرى ان الانسحاب من الضفة الغربية وغزة ليس فقط تضييعا لحلم اسرائيل الكبرى ، ولكن ايضا لا احد يدرى اذا ما بدأ الانسحاب أين يتوقف؟ ومعنى الانسحاب من الضفة وغزة أن تقوم هناك دولة فلسطينية ، ولا بد أن يتحول العرب الذين لا يزالون يعيشون فى الارض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ – وقد أيدوا الانتفاضة الاخيرة بالاضراب والتظاهر – الى أعوان « للدولة » الفلسطينية الوليدة اذا قامت من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى دولة فلسطينية ديمقراطية يتعايش داخلها أبناء مختلف الاديان على قدم المساواة ، وهو ما يعنى عندهم نهاية الحلم الصهيونى •

وهم لا يزالون يحلمون بأن يخرج الفلسطينيون من الارض المحتلة فى الضفة الغربية للاردن وقطاع غزة ، ليحل محلهم مستوطنون يهود ممن يجلبونهم من القوقاز الروسى أساسا ، ولكن محصول هذه الهجرة وهذا الاستيطان ، لا يزال ضئيلا حتى الآن، من حيث الكثافة البشرية ، ورغم انتزاع معظم أراضى الضفة والقطاع من جانب الدولة الصهيونية بمختلف الذرائع ولمختلف الاغراض، ومن شأن الانتفاضة الحالية أن تزيد من اعراض المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتى ، على المجىء الى هذه الارض الملتهبة بالصراع الدامى، وهؤلاء المتشنجون من الصهاينة المتعصبين ، بعضهم يفكر فى اجتياح الضفة الشرقية للاردن أيضا ، لغرض تهجير العرب فى الارض المحتلة اليها ، بل واقامة المستوطنات اليهودية فى الضفة الشرقية أيضا ! ولكن ذلك التفكير الجنونى من شأنه اذا ما نفذ أن يوسع نطاق المقاومة بالحجارة وغير الحجارة ! ومن غير المنتظر أن يتوقف رد فعله على سكان الضفة الشرقية للاردن وحدها ، بل لابد أن يشمل منطقة الشام كلها على الاقل ، ويجتلب صورا متعددة من التلاحم العربى مع المقاومة الفلسطينية •

ان ذلك هو بعض ردود ثورة الحجارة التى تشهدها الارض المحتلة من فلسطين حاليا ، وهو ان كان يفرض حالة من الارتباك السياسى » والانهيار العصبى « على الدولة الصهيونية وساستها ، بل على بعض القوى الدولية المساندة لها ، بما فى ذلك ، او على رأس ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، التى ترسل بمبعوثيها بمبادرة لا تريد الاعلان عنها حتى الان ! كأنها لا تعرف الحل او المخرج ، او تعرف حتمية مضاعفاته على المشروع الصهيونى برمته وتحاول تحاشيها ، فان ذلك المردود لن يبلغ مداه التاريخى الا بمقدار استمرار تلك الانتفاضة من جانب ، وتنبه مختلف قوى الامة العربية على ايقاعها من جانب آخر ••

سينما

# القسوة والشذوذ

بقلم : مصطفى درويش

**حقا خير الكلام ماقل ودل ، فها هو كتاب او بمعنى اصح كتيب قيم رغم انه يقع فى اربعين صفحة الا قليلا .**

**هاهو يرسم للثقافة الشعبية الامريكية صورة صادقة صحيحة تدينها بوصفها ثقافة عرجاء ، تفتقد الاستقامة والاستقلال**

**فما هو هذا الكتيب ، ولماذا خلص صاحبه الدكتور «لورنس ميشلاك» من جامعة ميشيجان فى رسمه لهذه الثقافة الى تلك الصورة الكريهة البغيضة .**



● الكتيب عنوانه «قاس وشاذ .. صور سلبية للعرب فى الثقافة الشعبية الامريكية »

وموضوعه كما يدل عليه عنوانه مداره انغماس ماأصطلح على تسميته بالثقافة الشعبية فى الولايات المتحدة - الاغانى النكات ، برامج التليفزيون ، الكاريكاتير الحكايات المصورة الافلام وماشابهها ، انغماسها فى أوجه من التحيز والتحامل جنح بها الى تعصب مقيت ضدنا نحن العرب .

وبادىء ذى بده يستهل صاحب الكتيب دراسته ساخرا فعنده أن «شكوى المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط من الجهل الأمريكى بالعالم العربى .. شعبه ، ثقافته سياساته وتاريخه ، هذه

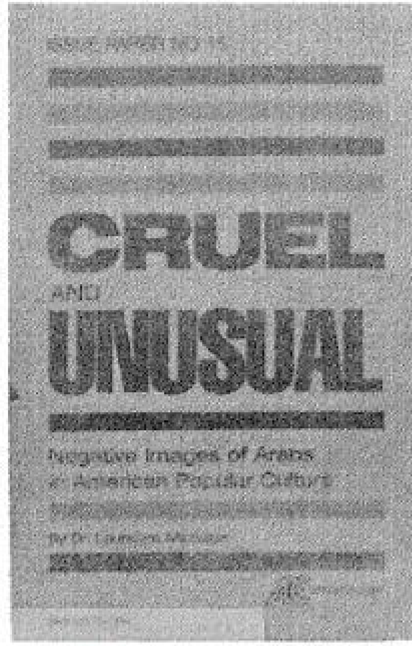
الشكوى ليس ثمة مبرر لها من الواقع الذى يكذبها تماما .

فالأمريكيون يعرفون الكثير عن العرب ، والمشكلة ان معرفتهم هذه اكثرها كان ولايزال خاطئا.

ومن ثم فمهمة التعرف على العالم العربى لاتبدأ بالتعرف على أشياء جديدة ، وانما تبدأ بفك التعرف على الاشياء التى كنا نظنّ اننا على معرفة بها»

## ● الأصل والصورة

وهو لايعمد فى دراسته لهذه الظاهرة الى الاستنباط المنطقى ، وانما يعتمد على الملاحظة المباشرة للثقافة الشعبية الامريكية فى أوجهها المختلفة ، اكثر مما يعتمد على اى شىء آخر ، وآية ذلك نماذج هذه الثقافة التى بثها فى كل صفحة من




الوصايا العشر .. فيلم صهيوني .. لم يرد له ذكر



## القسوة والشذوذ

صفحات الكتيب وهى نماذج لصورة العربى فى عيون الامريكيين .. على بابا ، السندباد البحرى ، لص بغداد ، تاجر الرقيق ، راقصة الحريم ، لعنة المومياء ، فرسان مرتدين ملابس فضفاضة يهاجمون الفرق الاجنبية حامية الحضارة ، وهكذا .. وهكذا .

وهذه النماذج تبدأ بالاغانى وتنتهى بالافلام

وطبعا كان توقفه عند نماذج مصنع الاحلام طويلا

فهوليوود بافلامها التى تصور العرب على وجه مشوه تشغل نصف الكتيب او يزيد .

ولاعجب فى هذا التوقف الطويل ، فالامريكيون مولعون بالافلام ، واقبالهم على مشاهدتها يتزايد مع كل الايام .

بل ان الافلام ، وحتى بعد ان تغادر دور العرض ، لاتموت ، بل تبعث على شاشات التليفزيون الصغيرة ، اطيافا حية

### ● الانبهار .. لماذا ؟

ومن غرائب هذه السينما المسيطرة على عقول وقلوب الامريكيين ، انها ومنذ فجر تاريخها ، منبهرة بفكرة العربى .

فعندما اقام «توماس اديسون» اول استديو فى العالم (١٨٩٣) كان فيلم «رقصة الاقنعة السبعة» من أوائل الافلام التى انتجها هذا الاستديو كيما تشاهد من خلال فتحة صغيرة فى صندوق اسموه «كينيتو سكوب» وهو اختراع شبيه فى حجمه وشكله بصندوق الدنيا .

ومع تطور تكنولوجيا العرض ، خطت الافلام الى الأمام شيئا فشيئا .

واذا بها تتحرر من ضيق صناديق المشاهدة منطلقة الى رحاب المسارح ، ثم تنتشر فى جميع أرجاء العالم ، لاسيما اوروبا والولايات المتحدة .

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى بأوروبا خرابا متصلا ، حتى تقدمت أمريكا ابان سنوات العشرينيات لتحتل المركز الأول فى السينما العالمية ، وتظل محتلة له ، لاتتخلى عنه من ذلك الحين والى هذه الساعة .

وما كان يستمتع به الجمهور على الشاشة وقتذاك ، وكما الآن ، هو الشىء المجلوب الغريب .

ومهما شطح الخيال ، فليس ثمة فى التصور ، ماهو اكثر غرابة واثارة للدهشة من الشرق الأوسط .

ومن هنا قيام هوليوود اثناء عقد العشرينيات بانتاج سبعة وثمانين فيلما على الأقل ، كل واحد منها له اتصال من قريب أو بعيد بموضوعات عربية .

ولو اطلعنا على قائمة الممثلين والممثلات الذين لعبوا ادوارا فى هذه الأفلام الغريبة العجيبة ، لما وجدنا أحدا من نجوم هوليوود إلا وله فيها بعض نصيب .

«جارى كوبر» و «وليم باول» و «رونالد



سالومي .. ورقصة الاقنعة السبعة منذ البدايات

كولمان» و «رامون نوفارو» حاربوا جميعا فى صفوف الفرقة الأجنبية ، انقذوا ساحرات فاتنات مثل «اليس تيرى» و «بولا نجرى» و «جلوريا سوانسون» و «نورما تالمادج» من أسر مشايخ أشرار .

«ويليم بويد» ظهر امام «مارى استور» و «بوريس كالوف» فى «فارسين عربيين» ، وهو فيلم عاطفى كوميدى تقع احداثه فى فلسطين اثناء الحرب العالمية الأولى .

---

● الشيخ وولده

---

وافلام عقد العشرينيات هذه تنقسم الى مجموعتين رئيسيتين وأخص مانلاحظه فى افلام المجموعة الأولى أنها من نوع المغامرات الميلودرامية المتسمة بالغرابة .

أحداثها تجرى فى الصحراء ، العرب فيها أهل عنف وجنس يخطفون النساء البيض ، يخرجون من البيداء همجا هامجا ابتغاء الاعتداء على الفرق الأجنبية الساهرة على الحدود حماية للحضارة .

واذا ماانتقلنا الى المجموعة الثانية ، فسنجد أن الكوميديا الخفيفة هى المقوم الاساسى الأول بين مقوماتها ، وان العرب فيها اهل هزل ومسخرة وتهريج .

ولعل «الشيخ» (١٩٢١) و «ابن الشيخ» (١٩٢٦) هما اشهر افلام المجموعة الأولى ، فكلاهما مثله «رودلف فالنتينو» فتى الشاشة الأول حينذاك .

ونظرة طائرة على هذين الفيلمين تكشف عن مدى اجتراء السينما الأمريكية علينا نحن

# سينما

## القسوة والشذوذ

العرب ، وغلوها في الاساءة الينا فما ان يلتقى الشيخ احمد في الفيلم الأول بالبطلة ، وهي فتاة انجليزية تبحث عن متعة المغامرة في الصحراء ، حتى يهيم بها ، يختطفها يحاول ان يرتكب معها الفحشاء .

وابن الشيخ في الفيلم الثاني ، واسمه هو الآخر «أحمد» يقع في حب «ياسمين» وهي راقصة وابنة أحد الفرنسيين «المرتدين» فاذا ما ذهبت به الظنون الى ان قلبها غير خالص له سعى الى اختطافها ، وهمّ أن يغتصبها لولا ان تدخل الشيخ والده في الوقت المناسب ورده عن ارتكاب المعصية .

واضح اذن ان هذين النموذين «الشيخ وابنه» ليس فيهما شيء من شرقنا العربي .

وأن المتفرج لايخرج من الدار التي تعرض له هذين النموذجين ، حتى يكون قد ترسب في ذاكرته اعتقاد بأن حياة العرب قوامها شهوات جامحة مدارها الاختطاف والاغتصاب والاقتتال .

وحتى بعد أن تكلمت افلام هوليوود قريبا من نهاية العشرينيات ، وبعد ان اكتست بزاهي الألوان بدءا من منتصف الثلاثينيات ، - وحتى بعد ذلك - ظل التناول للعرب بالتشهير والتحقير في الافلام كعهدنا به ايام السينما الصامتة .

بل ان هوليوود قد هداها التفكير الى اعادة صنع العديد من افلام التشهير والتحقير هذه ، كما هو الحال مع «جنة الله» ( ١٩٢٧ - ١٩٣٦ ) «لص بغداد» ( ١٩٢٤ - ١٩٤٠ - ١٩٦١ - ١٩٧٨ ) «وقسمة» ( ١٩٢٠ - ١٩٣٠ - ١٩٤٤ - ١٩٥٥ ) .

ومن اظرف ماحدث في هذا الخصوص ان فيلم «بوجست» قد تكررت مرات اعادة صنعه على وجه لفت نظر الممثل الكوميدى الراحل «مارتى فيلدمان» فكان ان اخرج فيلما ساخرا عن الفرقة الاجنبية اسماه «آخر اعادة صنع لبوجست» ( ١٩٧٧ ) غير ان اغرب التحقير هو عندما يغلو الفيلم في التعصب الى حد جعل العربي مجرد جزء من خلفيته ، جزء خفي او بلا وجه .

ولعل الدار البيضاء ( ١٩٤٢ ) تمثيل «همفرى بوجارت» و«انجريد برجمان» وواحد من اشهر الافلام في تاريخ السينما ، لعله خير مثال في هذا المجال .

فهو زاخر بالشخصيات الامريكية والفرنسية والالمانية ، بل وحتى التشيكية .

ولكن اين العرب ؟

باستثناء شخصية مغربى شرير ، وهي شخصية ثانوية لعب دورها الممثل البدين «سيدنى جرينستريت» ، فليس ثمة وجود لشخصيات عربية اخرى ، وذلك رغم ان قصة الفيلم تجرى احداثها على ارض المغرب .

والاعجب هو ذلك المشهد من «الدار البيضاء» الذى ينشد فيه الفرنسيون «المارسيليز» في محاولة منهم لاغراق صوت الالمان الذين كانوا ينشدون بحماس «احرس الراين» .

كل ذلك على ارض اجنبية ، وبالتجاهل التام لأهل المغرب المكرهين على استضافة هؤلاء الاغراب الثقلاء الذين يتنازعون سيادة العالم .

### ● الحرب والسلام

وفى رأى صاحب الكتيب ان الصراع العربي الاسرائيلي قد افرز نوعا جديدا من افلام الحرب المنحازة الى الجانب الاسرائيلي انحيازاً شديدا .

ففى هذه الافلام يقوم نجوم ذوو شعبية كبيرة مثل «كيرك دوجلاس» و«يول برونر» و «جون واين» و «فرانك سيناترا» و «بول نيومان» يقومون بأداء دور الاسرائيليين وأصدقائهم الامريكيين .



غزاة صندوق العهد المصري
فيه شرير متعاون مع النازي

أما على الجانب الآخر من الجبهة .. فالعرب جنود قساة القلب ، لا نراهم إلا نادرا ، ومن بعيد .

فهم مثلا فى فيلم « الخروج » يقتلون بوحشية فتاة لاجئة لها من العمر خمسة عشر عاما ، وفي فيلم « ألقى ظلا عملاقا » الذى وصفته جريدة « نيويورك تايمز » بأنه الفصل الاخير من تاريخ اسرائيل حسب هوليوود نراهم ضاحكين صاخبين ، وهم يطلقون النار على سيدة اسرائيلية فى سيارة نقل معطلة فى قاع واد .

واهم مايلفت النظر فى هذه الافلام انها تصور الصراع العربى الاسرائيلى على نحو ماكان يصور الصراع بين رعاة البقر والهنود ، فالعرب دائما وابدا هم الاشرار ، والاسرائيليون هم الاخيار ..

وهذا الجنوح الى وضع العرب فى قالب الاشرار ، كتب له ان يستمر طوال عقدى السبعينيات والثمانينيات ، بل وان يتعاظم فى افلام « كالريح والاسد » ( ١٩٧٥ ) و« شبكة تليفزيون » ( ١٩٧٧ ) « والاحد الاسود » ( ١٩٧٨ ) و « المهر الاسود » ( ١٩٧٩ ) و « غزاة صندوق العهد المفقود » ( ١٩٨١ ) و « الفردوس » ( ١٩٨٢ )

## ● الخـوف

وهنا يزعم الباحث صاحب الكتيب ان اليهود ليس لهم دور كبير فى هذا الشذوذ الذى اصاب السينما الامريكية على وجه اصبحت معه لا ترسم العرب الا فى صورة مشوهة غير مطابقة للحقيقة الواقعة ، صورة يكاد الا يستثنى منها أى فيلم .

وأن مسئولية ذلك إنما تقع على اوربا ، وذلك لأنه منذ انتشار الاسلام والاوربيون يعيشون فى خوف ورعب من شعوب الشرق الاوسط ، وبخاصة بعد غزو العرب لجنوب اوربا ، ووصول العثمانيين ورثة العرب الى مشارف فيينا ..

وقد انعكس ذلك على امثالهم وقصصهم ومسرحياتهم وحكايات اسفارهم ، واشعارهم ورسوماتهم .

فالمطلع عليها يلمس الوانا من التحيز ضد العرب والتحامل عليهم .

والوان التحيز والتحامل هذه قد اصطحبها المهاجرون معهم الى العالم الجديد حيث اصبحت جزءا لا يتجزأ من تراث امريكا الشعبى .

وهذا الزعم أراه بعيدا عن الصواب .. فمن المعروف أن الصهيونية تكاد تتحكم فى صناعة الفيلم الامريكى تحكما تاما .

ومع ذلك فقد آثر صاحب الكتيب الا يعرض لهذا التحكم وآثاره ، وآية ذلك اختفاء كلمة « الصهيونية » من بحثه ، فهى ورغم تاثيرها الكبير فى مسار الثقافة الشعبية الامريكية ، وبالذات السينما ، لم يرد لها ذكر ولو مرة واحدة .. الأمر الذى يملأ النفس دهشة وأسفا .

# أعياد ميلاد في فبراير

بقلم: صافي ناز كاظم

● في طفولتي كان يوم ١١ فبراير اجازة لانه كان عيد ميلاد الملك السابق فاروق وكان برنامج حديث الاطفال بالاذاعة يحتفل به احتفالا هائلا بالاغنيات الجديدة وحشد كل المجموعات الغنائية التي يحبها الاطفال في مشاركة جذابة . وعندما ذهب الملك توقف احتفال الدولة والاذاعة بيوم ١١ فبراير لكنه انحفر في ذاكرتنا ولم نستطع ان ننسى انه كان عيد ميلاد الملك .



وفي عام ١٩٥٦ - بعد اشتغالي بالصحافة بعام - تعرفت على الاستاذ احمد بهاء الدين وكان وقتها رئيسا لتحرير مجلة صباح الخير وبسبب اهتمامي بمعرفة تاريخ ميلاد كل من اتعرف عليه ، عرفت ان احمد بهاء الدين من مواليد ١١ فبراير ايضا ولكنه ولد عام ١٩٢٧ ، اي اصغر من الملك السابق بسبع سنوات بالتمام والكمال . ومنذ ان عرفت الاستاذ احمد بهاء الدين وهو صديق عزيز ، اختلف معه سطحيا في بعض الامور او جذريا في معظم الامور لكنه ظل صديقا عزيزا على المستويين الانساني والثقافي. والحقيقة ان اختلافاتي معه نشأت بعد ان توثقت علاقتاي الثقافية والصحفية،والغريب ان هذه العلاقة الوثيقة تمت بعد اول لقاء معه ، حين ذهبت استطلع رأيه في

موضوع صحفي كنت أعده لمجلة الجيل الجديد التى كانت تصدرها أخبار اليوم، ولا أذكر من التفاصيل سوى أننى انبهرت بذكاء الاستاذ بهاء وكتبت أقول إنه فى الحقيقة الاستاذ دهاء لفرط ذكائه اذ انه الوحيد من بين من اخترتهم لموضوعي الذى اكتشف أن القطعة الادبية التى كنت اقدمها على أنها من كتابتى مأخوذة من كتاب قديم لتوفيق الحكيم . وكانت فكرة الموضوع تريد أن تستشف هل الاراء النقدية تقدم رأيا فى العمل الادبى بغض النظر عن مؤلفه ، أم أنها تتأثر بالرأى المسبق فى الكاتب نفسه . وكان من بين من سألتهم الاستاذ العقاد والاستاذ احسان عبد القدوس الذى قال ان القطعة ركيكه وأننى ـ بصفتى مؤلفتها كما تصور ـ بحاجة الى المزيد من القراءة !

وكان عنوان الموضوع « آراء مثيرة فى أسلوب توفيق الحكيم » ! ـ المهم ان الاستاذ بهاء هو الوحيد الذى لم تنطل عليه اللعبة ونظر لى من فوق نظارته وهو يقول : « انت عاوزه رأيى فى أسلوب توفيق الحكيم !؟ » ـ وعملت معه بعد ذلك خمس سنوات تحت رئاسته فى مجلة المصور من ١٩٦٦ ـ ١٩٧١ وكانت من أخصب سنوات عملى الصحفى التى بلورت فيها شخصيتى كناقدة للمسرح والادب وكنت اكتب مستحضرة خلاصة دراستى المتخصصة فى نقد المسرح وخلاصة قدراتى على التعبير البعيد عن التقليد والدارج لاكون عند حسن ظن مستوى التذوق الرفيع الذى يتمتع به رئيس التحرير أحمد بهاء الدين . وتبعد المسافات وتقترب وأرفع سماعة الهاتف أو لا أرفعها لاقول : كل سنة وانت طيب لأحمد بهاء الدين ، لكن لا يمكن أن يمر



أحمد بهاء الدين

١٦ فبراير من دون أن أردد بينى وبين نفسي: اليوم عيد ميلاد احمد بهاءالدين.

● فى نفس الشهر فبراير يوم ١٣ يأتى عيد ميلاد صديق آخر له فضل كبير فى تكوينى الثقافى والفنى ، وهو الفنان منير كنعان الذى يبلغ هذا العام ٦٩ سنة .

واقف مشدوهة أمام الرقم ٦٩ عاما ؟ أنا لا أستطيع أن أتخيل كنعان الا فى الرابعة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين حين كان أول من تلقانا فى أخبار اليوم يوم ذهبنا فى نوفمبر ١٩٥٥ لنقابل الاستاذ مصطفى أمين ليقبلنا صحفيات تحت التمرين فى مدرسة أخبار اليوم . وكان الاستاذ مصطفى امين قد أتم فى ٢١ فبراير ١٩٥٥ ، ٤١ عاما ويعلو فى الصحافة المصرية ـ مع توأمه الاستاذ



مصطفى أمين



الفنان منير كنعان

على أمين ـ عرش الفن الصحفي وفق مفهومات جديدة خاصة بأخبار اليوم • كانت أخبار اليوم فى ذلك الوقت هى الجانب الصحفي لكل من أراد أن يتعلم الفن الصحفي وكان الاهرام يبدو الى جوارها خاملا تقليديا فاترا • واستقبل مصطفى أمين مجموعتنا من الانسات طالبات الصحافة بترحاب شديد وكنا أول كتافة نسائية تدخل أخبار اليوم ـ ( كانت المجموعة مكونة من سناء البيسى وسناء فتح الله وسناء الغزالى وسميحة صبور وصافى ناز كاظم ) ـ وكانت أعمارنا تتراوح بين الثامنة عشر والتاسعة عشر ـ ( أنا كنت ١٨ سنة ! ) ـ واذا كنت أرى الان أن الاستاذ مصطفى أمين كان فى عز شبابه ٤١ سنة فقط، الا أن الامر ساعتها عام ١٩٥٥ كان يبدو لنا مغايرا ، فقد كنا نراه من كبار السن ! وكنا ننده‍ش أنه هكذا من كبار السن وفى منتهى هذه الحيوية • الان ٢١ فبراير يأتى عيد ميلاد مصطفى أمين الرابع والسبعين وأراه فى عز الشباب ، ذلك لانني أنا نفسى ـ من يصدق ؟ ـ صرت فى الخمسين من عمرى •• آه كيف حدث هذا ؟ لا أدرى !

هل تغيرت معايير الاحساس بشكل عام فأصبح سن السبعين والستين سنا شابا وصارت الاربعين والثلاثين سنا طفوليا ودون ذلك أناس لم يدخلوا الحياة بعد ، هل هذا احساس عام أم أنه مجرد احساس داخلى لمن تشعر أن الخمسين التى بلغتها قفزت اليها فى غمضة عين ؟

● كلما جاء شهر فبراير أحيط يوم ١١ ، ١٣ ، ٢١ منه بدوائر وأقول هذه أعياد ميلاد الذين أسدوا الى فى الصحافة جميلا عظيما : فهذا أحمد بهاء الدين الذى ساعدنى على طرح بلورتى لشخصيتى الكاتبة ، وهذا الفنان كنعان الذى أجرى فى دمائى حب الفن التشكيلى وعلمنى الاحساس بالالوان والكتلة والفراغ ودربنى على كيفية رؤية الاشياء ، وهذا مصطفى أمين الذى شق لى طريق الصحافة من أعرق أبوابها وأخذ بيدى وأنا أحبو لاشب عن الطوق لاقف أمامه وانظر اليه نظرة نقدية وأقول بثقة ـ غرسها فى قلبى ـ أنا مختلفة معك ! • وأختلف معه فى السياسة وفى بعض ما يرفض وبعض ما يقبل ، لكننى أحس أننى أقف على أرضية أوقفنى هو عليها ، منذ البداية، أرضية تحترم مهنة الصحافة وتعتز بشرف القلم • وكل فبراير وانتم جميعا بخير !•

شعر :
جليله رضا

# عمّى الطيب



ماذا اصنع ياربّى فى امّى المزواجْ ؟
هل قُدّر لى افتح للطارقِ باب المزلاجِ ؟
أن أشهد أمّي تتزيّن وتُزف لكل الخُطّاب ؟
وأنادى « ياعمّى » كل الأزواج ؟
فإذا ما عارضت يقال ادسّ الأنفْ
فأنا فى البيت الصغر .. وأنا فى البيت الضيف
أنا أعلم أنك يا أمّى مازلت مع الدهر جميلة
لايعبث بشبابك عُمْر ... لاتشبع منك العينان
لكنك طيبة القلب وصافية النيّة ..
يُغريك خطيبك بالكلمات المعسولة
فإذا مانام على فُرشك في استمتاع
صار إلها وهويت أنا يا أمى للقاع ... !
ورأيتكِ تخفين الوجه الفاتن فى صدر الأحزان .. !
ولماذا يا أمى يدفن أزواجكِ كل كفاءاتى ... ؟
وأنا فى سن التمييز وإبداء الرغبات ..
ولماذا تحيين مع الأزواج وقد غلّتك قيود ...
وابنك يرقص ، رقص الموت ، على حبل مشدود ...
لكني اليوم أصلّى كل صباح ومساء :
فلعلّ الزوج الحاضر يغدو لك خير عزاء ...
حتى أدعوه ـ بلا زيف ـ يا « عمّى الطيب » ... !

# القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# في الاقتصاد أيضاً... لكل مقام مقال

**إذا اقبلت من اقاليم اللغة والأدب واوغلت قليلا فى علم الاقتصاد ، فسوف تجد نفسك تقول لنفسك : رحم الله اسلافنا العظام فقد علمونا قاعدة تصلح عليها الأعمال كما تصلح الاقوال، . قاعدة لا تهدم القواعد ولا تخلط المذاهب ولكنها تعطى "المتغيرات" حقها ، فانت تصطنع لكل مناسبة مذهبا من القول يلائمها ، نثرا او نظما ، جدا او هزلا ، رزانة او طيشا . وربما اقمت مذهبك من اول الامر على اسلوب مزيج مبتكر من شتى الاساليب ، كما يمزج المصور الوانه . ولكنك إذا اخذت فى مذهبك لم تعدل عنه إلى ما ينافره زاعما ان مقامات الكلام تختلف فى العمل الواحد بين بدءٍ ووسط وانتهاء .**

وتخيل المعرى لو دس فى إحدى لزومياته شيئا يشبه كلام ابن سكرة ، أو البهاء زهير لو ضمن إحدى رقائقه شيئا من تعمق أبى تمام - كيف كنت تجدهما ؟

«لكل مقام مقال» : مبدأ معناه أن تختار على بصيرة ، ولكنك متى اخترت أصبح اختيارك التزاما ، وتحتم عليك أن تمضى فيه إلى نهايته ، لتجنى ثماره حلوها ومرها . فانك إن ساورتك فيه الظنون حتى نفضت يديك منه وانقلبت إلى غيره كنت كالذى ينزل غزلا ثم لا يلبث أن ينقضه ويشرع فى سواه .

سيضحك منا بعض الاقتصاديين قائلين : أهل الأدب مغرمون بالتشبيه ، والتشبيه فى العلم لا يجوز ، ولكننى أسالهم : ما بال قانون شيرمان الذى سنه


لينين


ستالين


جورباتشوف

الكونجرس الأمريكي سنة ١٨٩٠ بقى معمولا به على مدى السنين ، لأن الفكر الاقتصادى السياسى الأمريكي جرى على اعتبار «المنافسة» شرطا من أهم شروط الاقتصاد الحر ، إلى درجة أن القوم اختلفوا فى الخمسينيات من هذا القرن حول السياسة التى ينبغى اتباعها إزاء الشركات العملاقة وساد فى وقت من الأوقات رأى أنه إذا كان إنتاج سلعة ما محصورا فى عدد قليل من هذه الشركات فسوف يكون من السهل أن تتفاهم فيما بينها على قتل المنافسين الأصغر حجما ، وأجبرت بعض الشركات على أن تقسم نفسها إلى عدد من الشركات الصغرى ، ولكن الخلاف ، كما نرى ، لم يتجاوز تفسير المبدأ إلى هدم المبدأ نفسه . إنما كان قصارى جهد المدافعين عن الشركات الكبرى أن التنافس فيما بينها يظل قائما ولا سيما فى مجال البحث العلمى والابتكار التكنولوجى ، اللذين لا تقدر عليهما الشركات الصغرى .

**● توجيه الفكر عندنا**

وقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن «الانفتاح» الاقتصادى فى الاتحاد السوفييتى ، وكأن «الاشتراكية» آذنت بزوال فى وطن الاشتراكية الأول . ومنطق المحللين الغربيين ـ وهم الذين ينفردون بتوجيه الفكر عندنا مع الأسف الشديد ـ أن الاعتبارات العملية «البرجماتية» تغلب النظريات . وحقيقة الأمر كما نراها أن ما يصنعه جورباتشوف اليوم فى الاقتصاد السوفييتى ليس بعيدا عن الفكر الاشتراكى ، بل هو فى الصميم من هذا الفكر . وبعض الكتاب يشيرون ـ فى هذا السياق ـ إلى «السياسة الاقتصادية الجديدة» التى نفذها لينين من أوائل ١٩٢١ ، أى بعد أكثر قليلا من ثلاث سنين من استيلاء البلاشفة على السلطة ، ولم تنته إلا مع بدء التخطيط الخمسى (١٩٢٨) فى عهد ستالين . فإلى جانب السماح للقطاع الخاص بمجال واسع للاستثمار ، طلب من الشركات المؤممة أن تحقق أرباحا عن طريق المنافسة فى سوق مفتوحة ، وربما كان هذا أكثر مما يفكر فيه جورباتشوف فى الوقت الحاضر على الأقل . وربما ظننا أن هذه السياسة

الاقتصادية الجديدة كانت اجراء مؤقتا عمد اليه لينين لتفادى الأزمة ، ولكن الحقيقة هى أن النقاش حول تسيير الاقتصاد الاشتراكى لم ينقطع فى أيام لينين ولا بعد لينين والمشهور عن **الخصومة الحادة التى نشبت بين ستالين وتروتسكى ولم تنته الا بنفى الاخير ثم موته قتيلا فى منفاه ، ان محورها كان «الثورة المستمرة» : هل** يجب على الحكومة الثورية فى روسيا أن تدعم وجودها دون أن تنتظر نجاح الثورة فى الأقطار الاخرى، ولاسيما الاقطار الراسمالية المتقدمة ، أم يجب ان تنظر الى نفسها على انها بداية فقط ، تتلوها ثورات فى سائر اقطار العالم ، كل بحسب المرحلة التى بلغها من التطور؟ ولكن نظرية « الثورة المستمرة» عند تروتسكى كانت مبنية على تحليل دقيق لطبيعة العلاقة بين أى نظام اقتصادى اشتراكى «مستقل» وبين الاقتصاد العالمى . ومع أن عامة المؤرخين لاينكرون فضل السياسة التى اتبعها ستالين لبناء مجتمع صناعى ، خلف «الستار الحديدى» المشهور ، فى صمود الاتحاد السوفييتى أمام الهجمة النازية العارمة ( مهما يكن الرأى فى قسوة هذه السياسة أو فظاظة شخصية صاحبها ) فان وصف تروتسكى لما يمكن أن ينتهى اليه اقتصاد اشتراكى منغلق يبدو رائعا فى تنبيه بالمرحلة المتأخرة من الاقتصاد السوفييتى . كتب تروتسكى فى سنة ١٩٣٠

« إن قوة الاقتصاد السوفييتى ترجع الى تأميم وسائل الانتاج وتوجيهها المخطط . أما نقطة الضعف فى الاقتصاد السوفييتى ، بصرف النظر عن التخلف الموروث من الماضى ، فترجع الى تخلفه الحاضر ، نتيجة لما حدث بعد أكتوبر ، ومعنى ذلك انه لايمكنه الافادة من موارد الاقتصاد العالمى ، لا على اسس اشتراكية ولاحتى على اساس رأسمالى ، سواء تمثلت هذه الموارد فى اعتمادات دولية عادية ، أم فى «التمويل» ذى الأهمية الحاسمة بالنسبة الى الأقطار المتخلفة . ان تناقضات الماضى الرأسمالى وماقبل الرأسمالى لايمكن أن تختفى من تلقاء نفسها ، بل انها تظهر بعد سنوات الانحدار والتدمير ، وتزداد شدة وحدّة كلما تطور الاقتصاد السوفييتى ؛ وللتغلب عليها او حتى تخفيفها يلزم اللجوء فى كل لحظة الى موارد الاقتصاد العالمى .

## • مستقبل القطاع العام

لاشك أن أنصار الستالينية كانوا يعدون مثل هذا الكلام فى وقته كفرا . ولايمكن لعقل بشرى ، حتى فى وقتنا هذا ، ان يحكم اى السياستين كانت أصلح ، من وجهة النظر الاشتراكية ، طوال السنوات العشر التى سبقت الحرب العالمية الثانية . ولكن المهم ان كلا الرجلين ــ ستالين وتروتسكى ــ كانا يستضيئان بالنظرية الماركسية اللينينية لمعالجة مشكلات الحاضر . كانت هناك نظرة عالمية وكانت هناك فى الوقت نفسه معرفة صحيحة بالواقع المحلى ، ومواجهة

صريحة له . كان النشاط اليومي - والدعاية اليومية - يصدران عن فكر وفلسفة ، وكان الجدل ينظر الى خبرات الماضي كما ينظر الى مطالب الحاضر والمستقبل .

اخشى أن هذا هو مانفتقده نحن ، حين نناقش اليوم قضية مثل قضية القطاع العام . لم نبحث فى تاريخه : كيف نشأ ، وماذا كانت مصادره ؟ ماذا كانت علاقته بالجهاز التنفيذى ، قانونا وواقعا ؟ مادور « المؤسسات » ، ثم « الامانات الفنية » ، ثم الهيئات العامة ، بالنسبة الى الجهاز التنفيذى من ناحية ، والى الشركات المنتجة من ناحية أخرى ؟ ماتأثير هذا كله فى الإنتاج ؟ من البديهى أن دراسة تاريخية وثائقية من هذا النوع ، بعد أن سلخ القطاع العام مايقرب من ثلاثين سنة من العمر ، هى أولى الخطوات التى ينبغى القيام بها حين يطرح مستقبل هذا القطاع العام على مائدة البحث . ولاشك ان مواد هذه الدراسة موجودة فى الادراج ، ولكنها تنتظر أن تجمع وتحلل .. وقد لايكون اغفال مثل هذا العمل راجعا الى الكسل وحده ، فهناك قدر من الشجاعة لازم لفتح الملفات القديمة ، وفيها مايسوء بعض الناس كشفه ، ولكنك لايمكنك أن تعالج المريض قبل أن تكتشف حقيقة مرضه ، وحقيقة المرض لاتتبين بدون معرفة تاريخ المرض ..

ربما كنا فى حاجة الى قدر غير قليل من الشجاعة ايضا لنطرح على انفسنا اسئلة من نوع اخر :: هل كانت ثمة فلسفة ما وراء هذا القطاع العام ؟ واذا كانت هذه الفلسفة قد وجدت ، فالى أى حد استجابت لمتطلبات الواقع ؟ والى أى حد كانت قادرة على الاستمرار ؟ والى اى حد كانت قادرة على التطور ؟ وما موقفنا اليوم من هذه الفلسفة ؟ هل نقبلها أو نرفضها أو نصححها ؟

إننا لانستطيع أن نتجنب هذه الاسئلة كلها احتماء بما نسميه اعتبارات عملية أو «برجماتية» او اقتداء بما نزعم انه .. يجرى الآن فى الشرق او فى الغرب . ويا ويلنا من هذه «الآن» ! فنحن ناخذ توجيهاتنا من آخر الأخبار التى تاتينا من الخارج . و « آخر» الاخبار تاتينا غالبا متاخرة ومنقوصة - ولهذا نسير دائما فى الذيل ، ونسير دائما متعثرين .

وآخر الأخبار ان السيدة تاتشر ماضية فى تخصيص القطاع العام بهمة لاتعرف الكلل . وبما أننا لم نكن فى يوم من الايام «اشتراكيين» صرحاء كالاتحاد السوفييتى أو الصين ، فنحن نجد مثل السيدة الحديدية اقرب الى اذواقنا . ومع ذلك فنحن لانملك الشجاعة لنقول مثل ماتقول ! ان مهمتنا ، منذ الساعة ، سوف تكون القضاء على الاشتراكية ! فالسيدة تاتشر مثل المستر ريجان ، ومثل الرفيق ستالين أو الرفيق تروتسكى أو الرفيق جورباتشوف ، لها فلسفة فى الاقتصاد والسياسة ، ولها شعب واع يمكنه أن يقبل هذه السياسة أو يرفضها ، ووراء الشعب والحكومة معا تقاليد ديمقراطية تلزم الفريق المهزوم ان يتقبل الهزيمة ويحاول أن يصلح من سياسته استعدادا للامتحان القادم .

والسيدة تاتشر تبدو الآن فى قمة مجدها . ولكننا قبل أن نتخذها قدوة فى الاقتصاد والسياسة ينبغى أن نتقبل فلسفتها أولا . وفلسفتها فى رفض

الاشتراكية فلسفة فردية ترى هى نفسها أنها جزء من طبيعة الشعب الانجليزى . فهل هى جزء من طبيعة الشعب المصرى أيضا ؟ ثم يجب ان ننظر فى الظروف التاريخية الحضارية التى جعلت هذا الشعب يخرج عن «طبيعته» هذه ـ ان صح زعمها ويعطى صوته للعمال الذين ساروا فى سياسة التأميم خطوات كثيرة متوالية . ثم يجب الا ننسى تأثير النظام الاقتصادى العالمى وهو نظام رأسمالى يتمتع بكثير من اسباب القوة فى الوقت الحاضر ، ومايمكن ان يكسبه الاقتصاد الانجليزى أو يخسره اذا تخلى عن التأميم ودخل شريكا كاملا فى هذا النظام .

هذه كلها اسئلة يجب ان نضعها امامنا اذا اردنا ان نتعلم من درس تاتشر .

وانجلترا «المحافظة» تبدو لنا «حالة» نموذجية للديمقراطيات الغربية فى هذه اللحظة التاريخية بالذات ، مثلما كان يقال عن فرنسا حتى وقت قريب .

فالديمقراطيات الغربية ، كما يقول لصكى ، تتميز بأنها تجمع بين نقيضين : فالسلطة السياسية فى يد الطبقات الشعبية ، بينما السلطة الاقتصادية فى يد فئة صغيرة من الراسماليين . لهذا يجرى العمل فى كل مايمس المجتمع على نوع من المصالحة بين هاتين القوتين ، وتحتاج سياسة كهذه ، من جميع المشاركين فيها ، الى مهارة عظيمة ، حتى تكون المخاطرة بنصف هزيمة ، أقل ضررا من نصر متعجل . وقد مرت السيدة تاتشر ، قرب نهاية وزارتها الأولى وفى بداية وزارتها الثانية ، بتجربة نموذجية تثبت صحة هذه النظرية :

فى سنة ١٩٨٢ نشبت حرب الفوكلاند بين المملكة المتحدة والأرجنتين . كانت الأرجنتين هى البادئة بالعدوان ، ولم تكن حكومتها العسكرية ، ذات السجل الأسود فى الارهاب الحكومى ، تحظى باحترام احد . ومع ان الأعمال الحربية التى قام بها أسطول المملكة المتحدة لم تكن دائما «نظيفة» ، بل كانت محل مساءلة فى مجلس العموم ، فان الشعب الانجليزى ، الذى لم يبق له من عظمة الامبراطورية البريطانية التى «لم تكن» تغرب عنها الشمس الا شبح الكومنولث الهزيل ، انتشى بهذه الكأس الصغيرة من خمرة النصر ، واعاد تاتشر الى الحكم بأغلبية كبيرة .

فى هذه الظروف بالذات بدأ اضراب عمال مناجم الفحم . كان زعيم الاضراب نقابيا تعوزه الحصافة ، فلم يدرك المستر «سكارجيل» ان الوقت غير ملائم لفرض شروطه على الحكومة . ودام الاضراب حوالى العام ، حتى انهار بلا نظام كما يتبدد الجيش المنهزم . وتأكد نصر السيدة تاتشر فى الخارج بنصر فى الداخل .

لقد تضعضعت النقابات . وبدأت السيدة تاتشر تفكر فى تقليم اظافرها بسن قوانين عمالية جديدة أكثر صرامة . ولكنها ، فى الوقت نفسه اقبلت بجد على مشروعها الأكبر والأخطر : هدم

الاشتراكية ، وذلك بسحب قسم كبير من القاعدة العريضة التى يعتمد عليها حزب العمال .

● استقطاب الغنى والفقير

لقد كان من نبوءات ماركس التى لم تتحقق عتقاده بأن التطور الرأسمالى لابد ان يؤدى إلى استقطاب الغنى والفقير أى أن الأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرا ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا . لعل الأغنياء ازدادوا غنى بالفعل ، ولكن قسما كبيرا من الفقراء نالوا ايضا نصيبا من الغنى . ويمكن أن يقال فى تفسير ذلك إن النظام الرأسمالى أبدى مرونة غير منتظرة واستطاع أن يطور نفسه من نواح كثيرة ، ليس أقلها خطرا اجتذاب قسم كبير من الطبقة المتوسطة الى صفه ، باشراكها - ولو بنصيب محدود - فى مكاسبه . إن هذه الطبقة - وفئات كثيرة من الطبقة العمالية نفسها ، لا يقل خوفها من استبداد الطبقة العاملة - ممثلة فى النقابات وزعمائها ، أو فى «دكتاتورية البروليتاريا» الأشد ضراوة - عن خوفها من طغيان الرأسمالية .

هذا هو الرديف الضخم الذى تستطيع حكومة محافظة أن تعتمد عليه فى تدعيم سلطتها السياسية . وهكذا يمكن أن يختفى - ولو مؤقتا - التناقض الذى تحدث عنه لصكى بين السلطة السياسية والسلطة الاقتصادية . فهل يمكن أن ينتهى هذا الوضع إلى شكل جديد من أشكال الرأسمالية ، ذلك الذى يسميه بعض الكتاب «الرأسمالية الشعبية» ؟ هل انتهى دور حزب العمال فى السياسة البريطانية كما تزعم صحافة المحافظين ؟ وهل يعنى هذا انفراد المحافظين بالسلطة (ولو من خلال حزبين يتنافسان على الحكم بطريقة «ديمقراطية» ، كما هى الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية) طوال المستقبل المنظور ؟ إنها مفاجأة طريفة ، على كل حال ، ان تنجح الأحزاب الرأسمالية فى دول أوربا الغربية فى تحقيق ما ظل الاشتراكيون الديمقراطيون يعملون لتحقيقه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى : أعنى تصفية خصومهم - سياسيا - بهزيمتهم فى الانتخابات !



مرجريت تاتشر

علينا أن ننتظر قبل أن نجيب عن هذه التساؤلات . فهذا حزب العمال يعيد النظر فى سياساته ، ويقرر ان يهتم بمطالب ميسورى الحال أيضا ، لا المعدمين فقط .

ونحن نتابع هذه التطورات لنكون على دراية بالقوى العالمية التى تحيط بنا . هذا مهم بدون شك ، ولكن الأهم هو أن نكون على دراية أكبر بظروف حضارتنا وتاريخنا وجهادنا القريب ، وأن تكون لنا قيمنا التى نحاول تحقيقها محكومين بظروفنا الخاصة وبالأوضاع العالمية فى الوقت نفسه .

**وإلى أن نعرف بالضبط ماذا نريد ، وكيف نصل إلى ما نريد ، ستظل أعمالنا ، مثل أقوالنا ، نابية عن السياق ، خارجة عن «المقام» !**

# مستقبل الثقافة فى مصر

# تفاؤل أم تحدّ...؟!

بقلم: د. عبد العظيم أنيس

**لايستقيم الحديث عن كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» دون الحديث عن المناخ السياسى العام فى مصر عندما أملى طه حسين مادة هذا الكتاب وعندما نشره. ولقد عبر الصديق الدكتور فؤاد زكريا فى مقاله بالعدد الماضى من الهلال عن رايه بان حديث طه حسين فى هذا الكتاب كان حديث المتفائل الذى ينظر الى المستقبل بوصفه تفتحا لإمكانات لاحدود لها فليسمح لى د. فؤاد زكريا ان اخالفه الرأى، وان اقول ان طه حسين يبدو فى هذا الكتاب اقرب الى المفكر الذى يكتب وثيقة للتاريخ خوفا من ان ياتى المستقبل بما لاتشتهيه انفس الأحرار، وربما اقول الراديكاليين، من امثال طه حسين.**



فالواضح من مقدمة الكتاب وآخره أن هذا الكتاب قد املاه طه حسين مابين يوليو سنة ١٩٣٧، يوليو ١٩٣٨؛ وعندما بدأ فى املائه كانت وزارة الوفد على رأس السلطة مشغولة بصراع مرير مع القصر ممثلا فى الملك ومع الأزهر ممثلا فى الشيخ المراغى ومع أحزاب الأقلية ممثلة فى الأحرار الدستوريين ثم السعديين بعد ذلك الذين انشقوا عن حزب الوفد، ومع جماعة الاسلام السياسى ممثلة فى الاخوان المسلمين، لكن طه حسين انتهى من املاء الكتاب وقد طردت وزارة الوفد من الحكم فى ديسمبر سنة ١٩٣٧، وعادت وزارة الاقليات السياسية بزعامة محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين بانتخابات زائفة قاطعها الوفد، وشنت على الوفد آنذاك أبشع حملة باسم الدين قادها الشيخ المراغى فى أحاديثه الدينية التى كان يحضرها الملك فى المساجد وشارك فيها بعض أصدقاء طه حسين القدامى من امثال محمد حسين هيكل وعباس العقاد.


د . طه حسين


الشيخ المراغى


عباس العقاد

ولم يكن فى كل هذا مايدعو طه حسين الى التفاؤل وهو المفكر الذى كان يتعاطف مع الوفد ، حزب الجامعة الوطنية ، ولايتعاطف مع القصر ولا قيادات الأزهر أو جماعات الاسلام السياسى ، لعل النبرة الواضحة فى كتاب طه حسين هى أقرب إلى نبرة التحدى ، تلمسها حتى فى هذه الأبيات لأبى العلاء المعرى التى وضعها فى صدر الكتاب ، ومن الغمز الهين الموجه الى وزير المعارف ومن هجومه على سياسات الأزهر التعليمية وانتقاده لشيخه .

لقد أبرمت المعاهدة عام ١٩٣٦ مع بريطانيا ، وعاد الوفد الى الحكم بعد انتخابات حرة ، وأمن مؤقتا شر دار المعتمد البريطانى ، فأخذ يستعد لتقييد سلطة القصر ، ففى خطاب العرش للوزارة الجديدة أعلن النحاس باشا عزمه على تعيين وزير للقصر فى حكومته بحيث لايتصرف الملك فى شأن سياسى الا من خلال الوزارة ، وبحيث تستعيد الحكومة سلطتها فى الاشراف على الأزهر بما فى ذلك تعيين شيخه دون الملك ، ومن نية الحكومة فى توحيد القضاء وإلغاء الأوقاف الأهلية ، وبدأت وزارة الوفد تعد مشروعات قوانين جديدة من أهمها قانون بفرض عقوبات معينة على كل مخالفة لأحكام الدستور وانتهاك لها ، ومنها أيضا قانون انتخاب العمد انتخابا مباشرا فى القرى تحت اشراف رجال النيابة والقضاء .

وعندما طرح الشيخ المراغى فكرة تتويج الملك الجديد فاروق بالقلعة وأن يقلده هو سيف جده محمد على ثم يؤم الحاضرين للصلاة كإمام للمسلمين ، عارضت وزارة الوفد بشدة هذا الاقتراح ، واعتبر النحاس مثل هذا العمل بمثابة اقحام للسياسة فى شئون الدين ومحاولة لاحياء الخلافة وهو ماسعت له بريطانيا مع الملك فؤاد فى العشرينيات .

وكل هذا الصراع العنيف بين الوفد وحكومته من جانب وبين الملك والأزهر وأحزاب الأقلية والاخوان المسلمين من جانب آخر ، اتخذ مسارب غير شريفة فى كثير من الأحيان ، فالهجوم على الوفد تم باسم الدين وادعاء أن النحاس مطية

لمكرم عبيد والأقباط وشارك فى هذا الهجوم شخصيات كان من المفروض من واقع ماضيها أن تتنزه عن ذلك مثل عباس العقاد الذى كان يؤكد فى مقالاته أن مكرم عبيد هو المعارض الرئيسى لتتويج الملك دينيا ، ومثل محمد حسين هيكل الذى غمز فى خطابه بشبين الكوم الى نفس المعنى ، فضلا عن الشيخ المراغى الذى كان يتحدث أمام الملك فى أحاديثه الدينية عن « الثعالب الذين ركن الاسلام الى مودتهم وهم يدعون الى غير هذه المودة » ، وكان يقصد بذلك الأقباط .

أما الاخوان المسلمون فلم يكتفوا بالمشاركة النشيطة فى هذه الحملة المسعورة ضد الوفد ، واعلان أنهم رجال الملك فحسب ، وإنما طالبوا بوقف الدستور وحل الأحزاب وتقييد الصحافة باسم الاسلام ، وانتهى كل هذا الصراع بطرد حكومة الوفد فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وعودة وزارة محمد محمود .

● خروج طه حسين من الجامعة

لقد أخرج طه حسين من الجامعة عام ١٩٣٢ فى عهد وزارة صدقى ، ثم أعيد إليها عام ١٩٣٤ تحت ضغط جامعى وشعبى عارم ، ووقف الوفد الى جانب طه حسين فى محنته ، ومع أن طه حسين بدأ نشاطه السياسى فى العشرينيات فى ظلال حزب الأحرار الدستوريين ، حزب الفكر الليبرالى كما بدا له آنذاك ، فإن قضية العدوان على الجامعة بفصله ، والتجربة المريرة فى الصراع بين الوفد والملك فؤاد حول الدستور والحياة الديمقراطية قد اقنعت طه حسين فى نهاية الأمر بالتعاطف مع الوفد باعتباره حزب الجامعة الوطنية والدستور والديمقراطية ، ولم يتراجع عن هذا الموقف بعد ذلك أبدا .

وطه حسين لم يكن ليبراليا فقط كما قال د . فؤاد زكريا بحق ، وانما كان راديكاليا أيضا تؤرقه قضية الفقراء فى مصر وقضية تعليمهم ، ومن يراجع هذا الكتاب سيجد العديد من العبارات التى تؤكد هذا الموقف الثابت ، فهو يعلن فى الكتاب أنه من أشد الناس بغضا لنظام الطبقات فى مصر ، وهو يدعو الدولة أن تأخذ من القادرين أجر هذا التعليم وأن تحط ثقله عن العاجزين عن آدائه ، وهو يتساءل فى الكتاب ان كان الغنى يمنح الأثرياء حقوقا تحظر على غيرهم ، ويقول فى هذا السياق ان الغنى والفقر عرضان من أعراض الدنيا وأن الدفاع عن الوطن يشترك فيه الجميع وربما كان حظ الفقراء أعظم فى هذا الشرف ، وهو يقول فى كتابه محذرا « ان الخير كل الخير أن يفهم الأغنياء ودافعو الضرائب هذه الحقائق فى سهولة ويسر منذ الآن قبل أن يأتى يوم ثقيل بغيض تكرههم فيه الضرورة على فهمها اكراها ! » .

وهو يرفع صوته بأن الشعب المصرى هو صاحب الحق المطلق المقدس فى أن تشيع المساواة والعدل بين ابنائه جميعا .

هكذا تكلم طه حسين فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » وألح على

مسئولية الدولة فى تعليم الفقراء ، ومسئوليتها فى أن تأخذ من الأغنياء لتعليم الفقراء ، فالتعليم ليس ترفا والادعاء بأن التكلفة المالية للتعليم فوق طاقة الدولة أمر لا يقنع طه حسين لأن التعليم عنده لايقل أهمية عن الدفاع الوطنى ! .

## ● نبرة التحدى

ليست النبرة الأساسية فى هذا الكتاب اذن هى نبرة التفاؤل ، وانما هى نبرة التحدى والدعوة الى النضال من أجل تعليم هذا الشعب ، فقرائه قبل أغنيائه ، وهو أمر مفهوم فى جو المناخ السياسى العام بمصر الذى أملى فيه طه حسين كتابه هذا ، وفى ضوء انحيازاته الاجتماعية التى لم يتخل عنها ابدا .

تلك هى الملاحظة الأولى ، أما الملاحظة الثانية فهى أنه ربما كان من الأنسب أن يسمى طه حسين هذا الكتاب « مستقبل التعليم فى مصر » ، فالموضوع الأساسى فيه هو موضوع التعليم وليس موضوع الثقافة بالمعنى الذى نفهمه من تلك الكلمة اليوم ، وان صلب الكتاب يتعلق بالتعليم العام والعالى ، واذا استثنينا الصفحات الأولى التى تتحدث عن « العقل المصرى » وكيف انه لايختلف عن العقل الأوربى ، وبالطبع فاننى اتحفظ على هذا الحديث عن العقل المصرى ... هل هناك حقا عقل مصرى يختلف عن العقل السورى أو العراقى أو اللبنانى ؟ واذا أخذنا أقوال طه حسين على علاتها فسوف نجد أنه يتحدث عن عقل واحد لمنطقة المشرق العربى كما نعرفها اليوم ، يعنى الدول العربية المطلة على البحر الأبيض ويرى انها كلها قد تأثرت بطبيعة وضعها الجغرافى والتاريخى بالحضارة اليونانية والرومانية ربما قبل أن تتأثر أوربا ، هل يتحدث اذن طه حسين عن « عقل عربى » بهذا المعنى ؟ ربما ، كان من الصعب أن نتقبل اليوم مثل هذا الكلام حتى عن عقل عربى له خصائصه المتميزة ، اذ لو قبلنا هذا فماذا يمنع أن نتحدث عن عقل فارسى أو عقل تركى ... الخ ... وربما كان من الأسلم أن نتحدث عن ثقافة عربية أو ثقافة فارسية أو هندية ... وهذه الثقافات هى خلاصة ظروف تاريخية معينة وعصارة الاحتكاك بالثقافات الأخرى والتفاعل المتبادل بينها . ولو عاش طه حسين الى اليوم وزار طوكيو لما أحس بفارق اساسى بين العقل اليابانى والعقل الأمريكى فالاثنان ثمرة الأوضاع الرأسمالية المتقدمة فيهما ، بل ان مظاهر كثيرة للثقافة اليابانية التقليدية توشك على الاندثار بينما تزحف مظاهر الثقافة الأمريكية الى كل ركن من أركانها الايجابى منها والسلبى .

ويستشهد طه حسين ببول فاليرى عندما شخص العقل الأوربى فرده الى ثلاثة عناصر : حضارة اليونان ومافيها من أدب وفلسفة ، وحضارة الرومان ومافيها من سياسة وفقه ، والدين المسيحى ومافيه من دعوة الى الخير ، وحيث أن دول المشرق العربى قد تأثرت بحضارتى اليونان والرومان ، وحيث أن جوهر الاسلام والمسيحية واحد فان العقل المصرى ـ أو قل العقل العربى ـ لايتمايز

عن العقل الأوربى ، وانما هو عقل واحد تختلف عليه الظروف المتباينة ، فتؤثر فيه آثارا متباينة لكن جوهره واحد عند طه حسين .

ومن الواضح لى اننا عندما نتأمل هذا المنطق اليوم نجده منطقا متعسفا لاسباب كثيرة قد لايتسع المجال لشرحها هنا وربما أعود اليها فى مقال آخر ، وقد يكفى أن أقول اليوم اننى من اشد المتحفظين على مقولة « العقل العربى » أو العقل الفارسى ، أو العقل التركى ... الخ .

لكن السؤال الذى يهمنا هنا ونحن نعرض لكتابه هو : لماذا بدأ طه حسين كتابه بهذه المناقشة عن علاقة العقل المصرى بالعقل الأوربى فى كتاب موضوعه الأساسى هو التعليم ؟

إن طه حسين دعا الى العديد من الافكار فى التعليم تشابه ماكان مطبقا فى فرنسا حتى وصل الأمر الى دعوته لتدريس اليونانية واللاتينية فى الثانوية العامة ! ويبدو أنه قد أقنع نفسه بأن تماثل العقلين يدعم من حجته فى هذا الميدان ، ولو قال طه حسين ان نمو العلاقات الرأسمالية ( التى زحفت علينا من أوربا ) قد فرض علينا التشبه بما حدث فى أوربا من ديمقراطية سياسية ودستور وحياة مدنية وتعليم جماهيرى ... الخ فربما كان منطقه أقوى من ذلك .

ولقد كان طه حسين على حق عندما أبرز فى كتابه اهمية توحيد المراحل الأولى من التعليم ( التعليم الأولى والقسم الأول من الثانوى ) فى دعم الوحدة الوطنية للشعب ، ولاشك فى أن طه حسين كان يدرك مغزى ماقاله نابليون من أن وحدة الشعب الفرنسى تتدعم من خلال الجيش والمدرسة ... وفى عهد طه حسين كان هناك التعليم الأولى والثانوى الأزهرى الذى لاتشرف عليه الدولة ، وكان هناك التعليم الأجنبى بجناحيه الدينى والمدنى ولاتشرف عليه الدولة ، وكان هناك التعليم المدنى الرسمى ... وكل هذه الأنواع من التعليم المتباينة تباينا شديدا من شأنها أن تخلق انماطا من البشر يتفاوتون فى العقلية والقيم وشعور الانتماء والولاء للوطن ، ولهذا دعا الى أن تشرف الحكومة ممثلة فى وزارة المعارف على التعليم الأزهرى قبل العالى والى اخضاع التعليم الاجنبى لاشراف الدولة ، وتوحيد المناهج فى كل هذا خصوصا فيما يتعلق باللغة العربية والتاريخ القومى .

## ● الأزهر بيئة محافظة

وهو لايدعو بالطبع الى الغاء التعليم الدينى فى الأزهر وانما يريد ان يكون هناك مقدار من مناهج التعليم مشتركا بين جميع المصريين ومن الواجب أن يكون لوزارة المعارف كلمتها فى مناهجه وبرامجه .

أما مابعد هذه المرحلة للأزهر أن يذهب فيه مايشاء ... وطه حسين لايريد للأزهر أن يكون دولة داخل الدولة ، وسلطانا يطاول السلطان العام ، فالأزهر

بطبيعة تاريخه بيئة محافظة ـ كما يقول طه حسين ـ تمثل التفكير القديم ، فإذا تركنا صبيته للتعليم الأزهر الخالص عرضناهم أن يصاغوا صياغة قديمة تباعد بينهم وبين متطلبات الحياة الحديثة وجعلنا من العسير على الجيل الازهري الحاضر اساغة الوطنية والقومية بمعناها الحديث . ألا يقول الشيخ المراغى ان محور القومية هو القبلة المطهرة !

ومن مفارقات أوضاعنا الحاضرة فى التعليم بعد انقضاء خمسين عاما على صدور كتاب طه حسين أن بعض القضايا التى ألح على معالجتها فى كتابه تطرح علينا اليوم من جديد فيما يعرف باسم المدرسة التجريبية الرسمية للغات ، وأنا أشير الى مسألة تعليم اللغات الإجنبية فى المرحلة الابتدائية ومن يعلم اللغة الأجنبية فى مدارسنا : الأجانب أم المصريون ؟

إن د . طه حسين حاسم هنا ، فهو يعارض تعليم اللغة الاجنبية فى المرحلة الابتدائية ويقول ان هذا القسم من التعليم العام يجب أن يخلص للثقافة الوطنية اذا أردنا أن نخلص نفس الصبى لوطنه وأن تشتد الصلة بينه وبين هذا الوطن ، وهو ينادى بضرورة أن يتولى المصريون تعليم اللغة الأجنبية فى المرحلة الثانوية بعد أن يهيأوا لهذا العمل .

كما يثير طه حسين فى كتابه أوضاع المعلمين المالية ويتحدث عنها حديثا يذكرنا بأحوالهم اليوم وعن الحاجة الماسة الى رفع أجورهم اذا أردنا أن يؤدوا عملهم فى أمانة .

بقى أن اشير الى مقترحات طه حسين لاصلاح التعليم العالى وهى عديدة تبدأ من اصلاح احوال الثانوية العامة ورفع مستواها حتى تنتهى المقترحات الى ضم دار العلوم الى الجامعة وإعداد المعلمين عن طريق كليتى الآداب والعلوم مع انشاء معهد للتربية تابع للجامعة يلحق به خريجو هاتين الكليتين .

كما يناقش فى كتابه الحاجة الماسة الى تناول تعليم اللغة العربية بالاصلاح والتيسير حتى تكون الكتابة تصويرا دقيقا للنطق ، وضرورة تيسير دروس النحو والصرف والبلاغة والتركيز على دراسة الأدب ، ومع أن طه حسين قاوم فكرة استخدام الحروف اللاتينية فى الكتابة العربية فإنه يعترف أن اللغة فى حاجة الى اصلاح كبير ويرد على اعتراضات الأزهر الدينية فى هذا الشأن .

والحقيقة أن كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » هو ثمرة فكر رجل تأثر تأثرا شديدا بالتوجهات الديمقراطية للحياة البورجوازية فى أوربا عموما وفرنسا خصوصا ، وهو ثمرة فكر رجل يحب وطنه بعمق ويعتز باستقلاليته الاكاديمية أشد الاعتزاز ، رجل يعادى الفكر المحافظ القديم.مع ماله من خبرة طويلة مع الأزهر وفى ميدان التعليم لكنه ايضا مفكر ديمقراطى آمن برسالة تعليم الشعب بكل طبقاته ، واقتنع أن الحياة الدستورية دون تعليم هى نوع من الغفلة .

وهو أخيرا فكر رجل مناضل الى جانب الفقراء ، ومن هنا أشرقت فى هذا الكتاب راديكاليته وشجاعته التى لم يتخل عنها أبدا .



# أسطورة الغزو الثقافي !

بقلم : د. أحمد أبو زيد



فى مقال طريف تحت عنوان "الإمبريالية الثقافية" ظهر في عدد ١١ ديسمبر عام ١٩٨٧ بالملحق التعليمى لجريدة التايمز يشكو الكاتبان ( ريتشارد براون وكريستوفر دانييلز ) من أن مقرر التاريخ بالمدارس الثانوية ، وهو مقرر يفترض انه يتناول التاريخ ( البريطانى ) من مدخل متعدد الثقافات ـ يدرس الموضوع من زاوية ( انجليزية ) بحتة ، سواء من حيث التوجه العام او من حيث القيم . ويتساءل المؤلفان عن سبب ذلك الاتجاه الخاطىء ، وكيف يمكن معالجة الوضع بحيث يكون المدخل ( بريطانيا ) وليس ( انجليزيا ) ، وذلك على اعتبار ان الثقافة البريطانية تضم عددا من الثقافات الفرعية هى ثقافات انجلترا واسكتلندا وويلز وايرلنده ، اى ان الثقافة ( الانجليزية ) هى مجرد ثقافة فرعية واحدة ضمن ثقافات فرعية عديدة تؤلف فى مجموعها الثقافة ( البريطانية ) .

● وحين يصف الكاتبان المدخل ( الانجليزى ) لدراسة موضوع ( بريطانى ) بأنه نوع من الامبريالية الثقافية فإنهما يأخذان فى الاعتبار بغير شك الجهود التى تبذلها القوى الاستعمارية لإحكام قبضتها على الشعوب المستضعفة التى تخضعها لسيطرتها السياسية وذلك عن طريق فرض السيطرة الثقافية التى تؤدى فى آخر الأمر إلى تحطيم وهدم وإلغاء التراث الثقافى لتلك الشعوب الذى يتمثل فى التاريخ واللغة والعادات والتقاليد وأسلوب الحياة ، وأن تستبدل به تراث الدولة الاستعمارية ذاتها . وما يحدث فى مقرر التاريخ البريطانى لا يخرج فى مجمله عن أن يكون عملية امبريالية ثقافية بكل معانى الكلمة ، إذ تخضع فيها ثقافات ويلز واسكتلنده وايرلنده ، متمثلة فى تاريخها للسيطرة الثقافية الانجليزية . وساعد على ذلك نظام التعليم نفسه الذى يعمل على إدخال قيم ( غربية ) إلى تلك المجتمعات من خلال الكنيسة ( الانجليكانية ) واللغة ( الانجليزية ) التى تعتبر لغة دخيلة بالنسبة لأهالى ويلز واسكتلندا وايرلنده ، وكذلك عن طريق "إحلال" و "زرع" عناصر انجليزية محل الصفوة المثقفة المحلية . بل إن الجامعات ذاتها والمعاهد العليا تعمل على تخريج مدرسين يجهلون كل شىء عن التاريخ البريطانى بإزاء التاريخ الانجليزى أى أنهم ينزعون التاريخ من أبعاده القومية الحقيقية التى لا يمكن بدونها فهم كثير من أحداث التاريخ فهما صحيحا .

ولقد كان الظن أن مصطلح الامبريالية الثقافية أو عبارة الغزو الثقافى وما إليهما من الألفاظ والمصطلحات الجديدة نسبيا ترتبط بالأوضاع الثقافية فى مجتمعات العالم الثالث التى تخضع لموجات عاتية من التأثيرات الثقافية التى تفد إليها من الخارج وبخاصة من الغرب ، والتى تعمل على تغيير الهوية الثقافية لشعوب تلك المجتمعات ، ولكن الظاهر - كما يبدو ومن المقال الذى أشرنا إليه - أن الفكرة ذاتها تستخدم فى نطاق أوسع بكثير من نطاق تعرض الثقافات الوطنية فى المجتمعات المختلفة والنامية لتيارات واتجاهات ثقافية أجنبية أكثر تقدما وتعقدا من تلك الثقافات الوطنية ، وأنها أصبحت تستخدم حيثما كانت هناك شبهة خضوع إحدى الثقافات لتأثير ووطأة ثقافة أخرى غربية تتعمد تغيير معالمها أو القضاء على مقوماتها الأصلية أو إحلال ثقافة أخرى مكانها . بل إنها أصبحت تستخدم حتى فى الحالات التى تنتمى فيها كلتا الثقافتين المتصارعتين إلى مجتمع قومى واحد ، كما هو الحال فى نظرة ثقافات اسكتلنده وايرلنده وويلز إلى الثقافة الإنجليزية ، مع أن هذه الثقافات الأربع توجد فى وطن واحد هو بريطانيا وتؤلف كلها ثقافة قومية واحدة هى الثقافة البريطانية .

## ● إبراز الهوية الثقافية

وظهور هذه المفاهيم والتصورات واستخدامها على مثل هذا النطاق الواسع يرتبط إلى حد كبير بنمو الشعور الوطنى أو أحيانا ازدياد الشعور بالقوميات الجزئية داخل الوطن الواحد أو المجتمع القومى الكبير ، وما يترتب على نمو هذا الشعور بالوطنية من الرغبة فى إبراز الهوية الثقافية المتميزة والتمسك بها ومقاومة التأثيرات الواحدة التى تعتبر شكلا من

# أسطورة الغزو الثقافي !

أشكال ( الغزو ) الثقافي أو ( الامبريالية ) الثقافية ، ومحاولة التخلص بالتالي من ( التبعية ) الثقافية وتوفير أكبر قدر من ( الأمن ) الثقافي . وهذه كلها مصطلحات تستخدم بكثرة الآن في الكتابات التي تتعرض لدراسة ما كان يعرف حتى عهد قريب باسم ظاهرة الاحتكاك الثقافي ، بكل ما يحمله ذلك المصطلح من اتصال وتفاعل واستعارات وتأثيرات ثقافية . ولكن الإنصاف يقتضينا أن نعترف في الوقت ذاته بأن فكرة الغزو الثقافي بالمعنى المفهوم الآن ، كانت تبرز على استحياء في بعض الكتابات الأنثربولوجية منذ الثلاثينيات ، كما هو الحال مثلا في كتابة مونيكا هنتر عن "رد الفعل ضد الغزو" أو مقاومة الغزو ، وفيه تعرض بالدراسة والتحليل لظاهرة الغزو الثقافي الغربي كما يتمثل في ثقافة الرجل الأبيض في جنوب افريقيا ، وردود الفعل التي أحدثها ذلك الغزو في الثقافات الوطنية الأصلية ، وثمة ما يبرر في هذه حالة استخدام كلمة ( الغزو ) ومقاومة ك الغزو ، لأن الرجل الأبيض جاء بثقافته الغربية فاتحا وغازيا ومستعمرا ومستوطنا وعمل على إبادة قبائل وشعوب جنوب إفريقيا الأصليين وتدمير ثقافتهم وإزالتها تماما من الوجود . وكان من الطبيعي أن يواجه ذلك الغزو العسكري والسياسي والثقافي بكثير من المقاومة التي تمثلت ـ من الناحية الثقافية التي تهمنا هنا ـ في احياء التراث التقليدى القديم والتمسك به .

والاتصال بين الثقافات في العالم أمر واقع والتأثير بينها متبادل ولا يمكن الجدال فيه . وإذا كنا نقول دائما إن الثقافة لا توجد أبداً في فراغ وإنما هي ترتبط بكل النظم والأنساق السائدة في المجتمع فإنها في الوقت ذاته لا توجد أبداً بمعزل عن غيرها من الثقافات وإنما هي ـ بحكم وضع المجتمع الذي تنتمي اليه وعلاقاته بغيره من المجتمعات ـ تكون على اتصال دائم واحتكاك مستمر بثقافات تلك المجتمعات . وهذا يصدق حتى على المجتمعات البدائية التي كان الكثيرون يعتقدون أنها تعيش في عزلة ثقافية واجتماعية بعضها عن بعض إلى أن اثبتت الدراسات الميدانية التي أجريت بين عدد كبير من تلك القبائل عدم صحة هذا الاعتقاد . بل إن هذه الاتصالات والاحتكاكات الثقافية تعتبر من أهم العوامل التي تزيد من ثراء وغنى أي ثقافة محلية أو قومية وعنصرا هاما في تعميق تلك الثقافة وتوسع آفاقها إذا تمت هذه الاتصالات بطريقة طبيعية ولم يكن وراءها أهداف ( إمبريالية ) ترمي إلى تقويض أركانها والقضاء عليها تماما . فكأن التأثيرات والاتصالات الثقافية تضيف أبعادا جديدة وتفتح آفاقا واسعة ورحيبة قلما تتاح لأي ثقافة واحدة أن تحققها فيما لو أغلقت على نفسها وانعزلت عن الثقافات الأخرى ، وذلك على افتراض إمكان تحقيق مثل هذه العزلة وذلك الانغلاق ، وهو أمر غير ميسور في هذا العصر ، بل إنه لم يكن ميسورا في أي عصر من

العصور ولا في أي مجتمع من المجتمعات ، مع التفاوت بطبيعة الحال في مدى اتساع وشدة وكثافة هذه الاتصالات ، فليس ثمة شك في أن وسائل الإعلام وأساليب الاتصال الحديثة تجعل كثيرا من أبواب الثقافة في متناول الفرد العادي الآن ، بحيث يستطيع أن يتعرف جانبا كبيرا من الانجازات الفكرية والابداعات الأدبية والفنية والاتجاهات الأيديلولوجية في كل أنحاء العالم ، ويخضع لتأثيرها المباشر بسهولة عن طريق الإذاعتين المسموعة والمرئية وغيرهما من الوسائل ، وهو أمر لم يكن في الماضي غير البعيد حتى في المجتمعات التي كانت تعتبر متقدمة بمقاييس تلك العصور .

## مصر وثقافات العالم

ولقد مرت على مصر في عهودها القريبة فترات كان المجتمع المصري فيها على اتصال وثيق بكثير من ثقافات العالم وعلى معرفة ودراية بأبعاد هذه الثقافات وأفكارها وفلسفاتها وآدابها وفنونها وأيديولوجياتها . وكان المثقفون وطالبو الثقافة في مصر يشعرون أنهم جزء من تلك الحركات الفكرية والمدارس الأدبية والفنية العالمية . وقد شهدت مصر في ذلك الحين مجيء عشرات من كبار أدباء ومفكري وفناني العالم حيث كانوا يلقون المحاضرات أو يعقدون الندوات ويلتقون بمثقفي مصر ومفكريها . بل إن بعضهم جاء للتدريس في الجامعات المصرية في ذلك الحين ، وقت أن كان يتولى أمر تلك الجامعات أساتذة مفكرون ومبدعون ومثقفون يعرفون معنى الثقافة الراقية ـ وهي غير التخصص ـ ويدركون قدرها . كذلك شهدت مصر ـ وشاهدت ـ فرق المسرح والأوبرا العالمية وفرق الموسيقى السيمفونية الكبرى وعرفت قادة هذه الفرق العظام الذين سجلوا أسماءهم المشرقة في السجل الموسيقى العالمي . وقد شهدت مصر أيضا في ذلك الحين عددا من المجلات الثقافية والفكرية التي كانت تعكس على صفحاتها تلاطم الأفكار وصراعها ، وعرفت مصر بذلك المذاهب الفلسفية والنظريات العلمية الحديثة التي يشكل البعض فيها الآن . ثم شهد المجتمع المصري إلى جانب هذا كله حركة ترجمة قوية وواسعة ودقيقة وأمينة إلى اللغة العربية من مختلف اللغات ، وكان يقوم بها أساتذة مثقفون على درجة عالية من الكفاءة والأمانة والدراية باللغات التي يترجمون عنها . والمعرفة بفروع التخصص التي يترجمون فيها ، وإتقان اللغة العربية التي يترجمون إليها . وكان ذلك عصر ازدهار للوسط الثقافي والحياة الثقافية نتغنى الآن به ونأسف ونأسى لاندثاره رغم أنه لم يمض عليه سوى بضع سنين .

وكان ذلك قبل أن يظهر في أفقنا الثقافي ما نلمسه الآن من تخوف من العالم الخارجي ومن ثقافاته ، وقبل أن تطفو على السطح بعض الدعوات المريبة التي تدعو إلى الانطواء الثقافي على الذات ، بحجة أن التيارات والاتجاهات والمذاهب الثقافية والفكرية الأجنبية التي تفد على مصر تحمل في ثناياها بذور السيطرة الثقافية الأجنبية على ثقافتنا القومية ، وأنها نوع من الغزو الثقافي المستتر ومظهر من مظاهر الإمبريالية

# أسطورة الغزو الثقافي !

الثقافية التي قد تؤدى إلى ضياع معالم ومقومات الهوية الثقافية المصرية وتمحوها محوا .

والتخوف من ضياع أو فقدان الهوية الثقافية أمر مشروع بغير شك ، كما أن تمسك الثقافة القومية فى أى مجتمع من المجتمعات والدفاع عن ذاتيتها والمحافظة على عناصرها ومكوناتها الأصلية ، رغم اتصالها بغيرها من الثقافات والاستعارة من تلك الثقافات هى أيضا أمور طبيعية ومنطقية ومشروعة . فالهوية الثقافية جزء أساسى من الهوية القومية ، بل إنها تكاد تكون مرادفة لها .

ومن الإنصاف ان نعترف بانه من حق الثقافة القومية التقليدية بوجه عام ان تتمسك بمقوماتها وان تحافظ على خصائصها الذاتية إزاء الثقافات والمؤثرات الأجنبية . ومن الإنصاف ايضا ان نعترف بانه من حق الفكر الأصيل الذى يسود فى اى مجتمع من المجتمعات ان يدافع عن كيانه وعن وجوده وان يتصدى بالنقد والمعارضة والتفنيد للفكر الوافد الجديد وان يبرز ما قد يكون به من زيف . بل إنه من الطبيعى ان يقف اى نظام من نظم الحكم موقف الحذر والشك والريبة من الأفكار والأيديولوجيات التى تتعارض مع فلسفته السياسية الخاصة ، وان يعمل على فضح تلك الأفكار والايديولوجيات وكشف ما قد يكون بها من عيوب ونقائص او ما تحتوى عليه من ميول ودعوات ومبادىء ( هدامة ) من وجهة نظر ذلك النظام . وهذه مسألة تتفق فيها كل الدول وكل الحكم بغير استثناء ، وإن كانت تختلف فيما بينها فى أسلوب المعارضة وطريقة المقاومة والرفض ، والمدى الذى تذهب إليه فى التصدى لتلك الآراء والأفكار والاتجاهات .

وبالمثل فإن من الطبيعى أن يدافع رجال الدين عن أصول عقائدهم وأن يقفوا فى وجه الفكر المعادى أو المناوىء للدين وأن يعملوا على تبيين ما قد يكون بذلك الفكر من تناقض وتهافت ، وهذا يصدق على جميع الأديان فى كل زمان ومكان . ولقد تعرضت الماركسية مثلا ، ولا تزال تتعرض حتى الآن لكثير من الحملات الضارية العنيفة من رجال الدين فى الغرب . بل إن بعض النظريات العلمية الحديثة التى تكاد تكون أمرا مسلما به لاتزال تلقى كثيرا من المعارضة والهجوم من بعض رجال الدين المسيحى فى الغرب مثلا لأن هذه النظريات لا تتفق تماما مع ما جاء به من الكتب المقدسة . وخير مثال لذلك هو موقف بعض الجماعات المتدينة فى أمريكا الآن من نظرية التطور التى قال بها داروين فى القرن الماضى . ولقد بدأت منذ عام ١٩٢٥ حركة المعارضة المنظمة لتدريس تلك النظريات فى المدارس الأمريكية فى بعض الولايات والمطالبة بتدريس نظرية الخلق كما وردت فى الكتاب المقدس بدلا منها . ووصل الأمر إلى عرض الخلاف على القضاء أكثر من مرة كان آخرها عام ١٩٨٢ على ما أذكر .

## ● التمسك بالبقاء

فليس ثمة جدال إذن فى حق القديم

والأصيل فى أن يعارض الجديد الوافد وأن يقاومه كنوع من الدفاع على الذات والتمسك بالبقاء والمحافظة على كيانه ووجوده ومقوماته ومكوناته .

ولكن ليس ثمة جدال أيضا ـ فى الوقت نفسه ـ فى حق الفكر الجديد فى أن يجد الفرصة أمامه كاملة للتعبير عن نفسه والإفصاح عن وجهة نظره والإبانة عن موقفه من الأشياء دون أن تفرض القيود عليه قبل مناقشته ودراسته . وليس من الطبيعى أن المنطقى فى شىء أن تؤدى الرغبة فى المحافظة على الهوية الثقافية إلى الخوف والارتياع من كل فكر جديد وإلى مصادرة كل التيارات الثقافية الأجنبية والنظر إليها نظرة الشك والارتياب على زعم أنها تحمل الخطر بين طياتها وأنها تهدد هذه الهوية الثقافية القومية وتدفع إلى ظلمات التخبط والضياع . كذلك فإن من الخطأ أن يستبد الخوف والهلع بالبعض ، أو يملك التطرف والتعصب وضيق الأفق أمر البعض الآخر بحيث يتشككون ليس فقط فى جدوى التيارات الثقافية الغربية وإنما أيضا فى نوايا أصحابها ومقاصد الداعين إليها ، وبدلا من أن يناقشوا الآراء والأفكار التى تحملها هذه التيارات والاتجاهات الجديدة مناقشة موضوعية هادئة يثيرون الشكوك حول أنصارها ويتهمونهم ـ دون سند أو دليل ـ بالخروج على القيم والتقاليد . وهذه نقطة خلاف جوهرية بين ما يحدث فى مجتمعات العالم الثالث بوجه عام وبين ما يحدث فى المجتمعات الأكثر رقيا وتقدما فى الغرب ، وهى مجتمعات تحترم حرية الرأى وحق التعبير عن الفكر ولكنها تخضع هذه الآراء فى الوقت ذاته ـ وكدليل وعلامة على احترامها واحترام أصحابها ـ للفحص والمناقشة والتحليل والنقد ، دون أن يخطر على بال مصادرة الرأى المخالف أو المعارض أو السخرية منه ومن أنصاره أو الانتقاص من أقدارهم أو اتهامهم بالمروق والخروج على الدين والوطن والأخلاق والقيم كنوع من الضغط والإرهاب لخنق الفكر وقتله .

**والغريب فى الأمر هو أن العوائق التى توضع بقصد الحد من انتشار الفكر كثيرا ما تبوء بالفشل وتخفق فى تحقيق أهدافها وكثيرا ما تؤدى إلى عكس ذلك تماما . فالفكر المصادر يجد فى العادة طريقه الى الناس بشكل أو بآخر وكثيرا ما يصل إليهم فى صورة مشوهة أو منقوصة أو بها كثير من التحريف مما يزيد الأذى والضرر .**

## ● أخطار العزلة الثقافية

ولسنا نقصد من ذلك أن تترك أمور الثقافة بغير ضابط أو رقيب . إنما المقصود هو التنبيه إلى أن مصادرة الرأى والفكر ، ووضع العقبات أمام الأفكار الجديدة الرائدة والاتجاهات الثقافية والفكرية المستحدثة أو الوافدة دون مناقشتها واختبارها لن تؤدى فى آخر الأمر إلا إلى العزلة الثقافية والتخلف عن متابعة ومعرفة ما يحدث فى العالم من حركات فكرية ومذاهب ومدارس واتجاهات ثقافية جديدة ، وأن خير رقيب على الفكر هو مناقشته وإظهار ما قد يكون به من عيب أو نقص . فالفكر والثقافة بوجه عام يزدادان عمقا وثراء عن طريق الاحتكاك والاستعارة واتساع دائرة الاتصال بالأفكار والثقافات الأخرى

والحوار الهادىء الرصين معها مما يتيح الفرصة للاختيار والانتقاء . والأخطار التى يتوهمها أنصار الانزواء والعزلة الثقافية أخطار متوهمة إلى حد كبير وتكمن فى عقول أصحابها وحدهم أكثر مما تكمن فى الثقافة الأجنبية ذاتها .

صحيح أن بعض مظاهر الثقافة الأجنبية وبعض أشكال النتاج الثقافى الأجنبى - أو ما يعرف باسم السلع الثقافية وهو تعبير ممجوج إلى حد كبير - قد يتعارض مع نسق القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية المتوارثة والمتأصلة فى المجتمع ، وصحيح أيضا أن هناك الكثيرين فى المجتمع المصرى العربى بل والمجتمعات النامية بوجه عام على استعداد كامل يكاد يكون ميلا فطريا لتقبل كل ما يفد من الغرب من آراء وأفكار أو من قيم وأنماط للسلوك ، واعتناقها والدفاع عنها والاستماتة فى التمسك بها بغير تمحيص أو دراسة أو فهم . وقد يكون السبب فى ذلك هو الشعور الكامن بالتخلف العلم أمام الغرب والرغبة فى التشبه به إن لم يكن فى الإمكان اللحاق به فى المجال الثقافى . وربما كان هذا الشعور ناجما عن إدراك تفوق الغرب فى ميادين العلم والتكنولوجيا وفى الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاعتقاد بأن ذلك يستتبع بالضرورة التفوق أو التقدم والرقى الثقافى ويحتم بالتالى تقبل حصاد الفكر الغربى وثقافته بغير مناقشته مثلما تتقبل نتاج البحث العلمى والتقدم التكنولوجى بغير مناقشة أيضا . ويكمن الخطر هنا هو أن هذا النوع من المنطق والتفكير قد يؤدى إلى تعطيل الملكات الابداعية والقدرات الفكرية مما يترتب عليه الخضوع للفكر الغربى وللقيم الثقافية الغربية والعمل بالتالى على محاكاة الغرب ليس فقط فى إنجازاته العلمية ومدارسه وإتجاهاته ومذاهبه الفلسفية والايديولوجية بل وأيضا فى أنماط سلوكه وقيمه الاجتماعية والأخلاقية . فكأن جانبا كبيرا من خطورة الثقافة الأجنبية الوافدة يرجع إلى نظرتنا نحن إلى هذه الثقافة وأسلوب تعاملنا معها ، وبذلك نكون نحن المسئولين عن تلك التبعية الثقافية التى نقع فيها نتيجة لموقفنا من تلك الثقافات ونظرتنا إليها وانبهارنا بها . ولكن هذا لا يبرر مع ذلك الحجر على الفكر الأجنبى أو مصادرة الثقافة الوافدة لضمان تحقيق ( الأمن الثقافى ) . وهو مصطلح ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، لأنه يخفى وراءه رغبات أثيمة فى كتب الحريات الفكرية والقضاء عليها وخنق الفكر وتكبيل حق التعبير عن الرأى .

## ● مواجهة التأثيرات السلبية

فالتصدى بالبحث والمناقشة هو الأسلوب السليم لمواجهة التيارات الفكرية والاتجاهات الثقافية الأجنبية الوافدة والتى قد يخشى البعض من تأثير السلبية على القيم الثقافية والاجتماعية والدينية الأصيلة ولن يتيسر ذلك بالاعداد الطويل الذى يتطلب بطبيعة الحال تعرف هذه الاتجاهات حتى يمكن التصدى لها ، إلى جانب توفر حصيلة وفيرة ، من المعلومات والمعارف والوعى والارسال العقلانى

بأمور المجتمع والتاريخ والتراث والواقع الثقافى المصرى فى أبعاده وأصوله الثلاثة الرئيسية وهى الأبعاد الفرعونية والقبطية والاسلامية العربية مع الاستعداد الذهنى لتقبل الجديد وتطوير هذا الواقع الثقافى حتى يتمشى مع التقدم العام فى بقية أنحاء العالم وبما لايتعارض بشكل صارخ مع التراث الثقافى والدينى والأخلاقى الطويل والعميق بحيث يمكن استيعاب تلك العناصر الثقافية لتصبح جزءا عضويا من ثقافتنا القومية .

فكأن المبدأ إذن هو حرية الفكر وحرية التعبير عنه وحرية التبادل الثقافى وحرية مناقشة المظاهر والاتجاهات الثقافية المختلفة والمتلاطمة والمتصارعة وحرية الاختيار والانتقاء من بين هذه الاتجاهات والتيارات . بل إن الاختيار أو الانتقاء هو بغير شك أحد خصائص وأبعاد هذه الحرية الثقافية . والانسان الحر هو الذى يكون له بالضرورة حق الاختيار والانتقاء من بين مختلف البدائل والامكانات ويمارس ذلك الحق بالفعل . ومثل هذا الاختيار يخضع بالضرورة - أو على الأصح يتم فى ضوء معايير ومحكات معينة فى إطار سياسة ثقافية واضحة ومحددة وإن لم تكن متزمتة أو ضيقة الأفق أو يشرف على وضعها وتنفيذها ( رقباء ) موظفون ضاقت آفاقهم وعقولهم وصدورهم عن أى فكر أو نشاط ثقافى يخالف مانشأوا هم أنفسهم عليه كأفراد .

ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس ثمة مايبرر أبدا الاقتصار على الاتصال بثقافات الغرب أو الأخذ منها دون غيرها من الثقافات وإغفال بقية ثقافات العالم الكبرى التى يمكن أن تثرى واقعنا الثقافى وتفتح أمامنا مجالات من الفكر والابداع وأنماط الحياة لاتتوفر فى الثقافات الغربية التى طال اتصالنا بها والأخذ عنها والتأثر بها إلى درجة تدفع البعض عندنا إلى الظن بأننا وقعنا فريسة الامبريالية الثقافية الغربية . فهناك ثقافات الشرق الأقصى القديم والحديث ، كما أن هناك الثقافات الافريقية الكبرى الخصبة وثقافات أمريكا الجنوبية بكل آدابها وفنونها . وهى كلها ثقافات لاتكاد نعرف عنها سوى القليل جدا . ومن الغريب أن الحركة الثقافية المزدهرة التى عاشتها مصر فى أوائل هذا القرن كانت تعطى لثقافات الشرق قدرا لابأس به من العناية والاهتمام ولكن ذلك توقف الآن . وسوف يساعد إحياء وبعث هذا الاهتمام على إثراء ثقافتنا القومية ولكنه سوف يحتاج على الجانب الآخر إلى تغيير النظرة الى عملية التنشئة الاجتماعية وإعادة النظر فى اسلوب وفلسفة وسياسة التعليم فى مصر وكذلك تغيير نظرتنا الى العالم . وسوف يحتاج هذا كله فى آخر الامر إلى تضافر جهود وزارة التعليم ووزارة الثقافة والجامعات . وهى جهود مضنية ولكنها خليقة بان تبذل من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الخاصة بمصر والانسان المصرى مع إثرائها وتعميقها عن طريق تنويع مصادر وميادين الاحتكاك الثقافى بالخارج . وبهذا وحده يمكن لنا ان نهدم تلك الاسطورة التى يرددها الكثيرون الآن والتى يخشونها اشد خشية - كما هو الحال لكثير من الأساطير - وهى أسطورة الغزو الثقافى .

■ المرأة فى الإسلام ■

# منصور فهمى بين اتجاهين



بقلم : د. محمد رجب البيومى

كان الدكتور منصور فهمي ينشر مقالاته الأدبية فى الصحف والمجلات ، فتحدث أثرها القوى بما تتضمن من فكر نير ، وتعبير مشرق ، وخيال مُونق ، ولا أدرى لماذا لم يحرص على جمعها فى كتب متداولة ، كما فعل زملاؤه الكبار من أمثال طه حسين واحمد امين والمازنى والعقاد والبشرى ، حيث لم يترك غير مجموعة صغيرة ، أخذت عنوان (خطرات نفس) وقد أتيح لنا أن نسمع خطبته الرائعة بجمعية الشبان المسلمين ، وكلماته الرصينة بمجمع اللغة العربية ، لنتذوق اشهى مايقدمه المفكر الأديب من عطاء فياض ، كما أتيح لنا أن نسعد بمجالسته والاستمتاع بثمار خَواطره فى سويعات حافلة هى من أشهر الذكريات ، إنى لأتساءل دهشا عن سر هذا الاهمال المتعمد حين يترك هذا المفكر المبدع خَواطره تمضى فى طيات الصحف ، فلا يقرؤها التالون من أبناء العربية ، ولعل روح الفيلسوف قد طبعته بميسم الزهد الجانح عن المباهاة ، إذ انه رأى فى كل ماقدم من روائع ، مالا يراه الناس فحسبه قطرة فى محيط زاخر يمتد تياره من الأزل إلى الابد ، فى خضم الفكر الانسانى الرحيب ، ولو علم أن هذه القطرة الصافية قادرة على أن تبل الظما وتنقع الغليل ، ماتركنا اليوم نتلهف على مقالاته بالأهرام والسياسة والهلال والسفور ومجلة المجمع ومجلة الشبان ، كما نتلهف على حلم لذيذ طاف بالعين قليلا ونكص .

لقد طلبت مجلة الهلال ان اكتب عن الرجل الكبير فى اتجاهيه المختلفين شابا وكهلا ، ولابد لمن يلم بهذا المنحى أن يذكر طرفا من نشأته ، فيقرر انه نشأ طالبا بمدرسة المنصورة الابتدائية ، ثم انتقل الى القاهرة طالبا بأحدى المدارس الثانوية ، وانتقل الى مدرسة الحقوق حينا قصيرا ، حيث أعلنت الجامعة المصرية القديمة عن بعثة لدراسة الفلسفة بباريس ، فتقدم وامتحن وحاز السبق ، وسافر الى باريس ليقضى خمس سنوات عاملة غير لاهية ، يرجع بعدها وقد حمل رسالة الدكتوراه عن موضوع ( مركز المرأة فى الاسلام ) ليكون مدرسا لتاريخ المذاهب الفلسفية بالجامعة عدة أشهر فحسب ، ثم عصفت العاصفة ، فترك الجامعة مقهورا نادما حتى عاد اليها سنة ١٩٢٠ ، وذلك إجمال يتطلب بعض التفصيل .

● مركز المرأة فى الإسلام

إذا أردنا أن نتحدث اليوم عن مركز المرأة فى الإسلام ، فلدينا مئات المراجع الصحيحة عن المقررات الاسلامية كتبها الكبار من الفاقهين ، فأرسلت الضوء الكاشف ، وطوت ظلمات الإرجاف والادعاء ، وظهرت المرأة المسلمة فى اكمل ما يرجى لها من توفيق هانىء ، ولكن مانعرفه اليوم من مصادر البحث عن المرأة المسلمة لم يكن متيسرا حين نهض منصور فهمى بأداء مهمته العلمية ، إذ تكاثف الضباب القائم حول مكانة المرأة عقب ماكتبه المرحوم قاسم امين فى كتابيه الذائعين ( تحرير المرأة ) و ( المرأة الجديدة ) وأقول تكاثف الضباب ، لأن بعض من تصدوا إلى معارضته قاسم أمين ، لم يفهموا ماجاء به الاسلام على وجهه الصحيح ، فدافعوا عن قيود مرهقة لايعرفها الاسلام فى شىء ، وانتشر ما قال هؤلاء بين الشبيبة المتطلعة للمعرفة ، فأحدث بلبلة طاغية ، ولو أتيح للشبيبة أن تقرأ ماكتبه المعارضون الفاقهون من أمثال محمد فريد وجدى وطنطاوى جوهرى ومحمد لطفى جمعة ، لاتضح وجه الحق من أقرب طريق ، وقد عاش الناشىء الصغير منصور فهمى فى خضم هذه المعارك ، ولم يستطع أن يقرأ كتابى قاسم أمين قراءة صحيحة ، لأن خصومه قد شهروا به فألصقوا به مالم يقل ، كما لم يقع فى متناوله كتاب ممتاز مثل كتاب ( المرأة المسلمة ) الذى خطه الباحث الموضوعى الأشهر العلامة محمد فريد وجدى فأجاد وأصاب ، ثم هو بعد ذلك تتلمذ على يد أستاذ ناوىء الاسلام مناوءة شديدة ، لاندرى أكانت عن جهل بتعاليمه أو عن غرض مقصود فى التجنى الآثم ، هذا الأستاذ هو « ليفى بريل » فكتب تحت اشرافه رسالة علمية موضوعها « حالة المرأة فى التقاليد الاسلامية وتطوراتها » وقد طبعت باللغة الفرنسية ، وذاعت بباريس ، ثم انتقلت الى القاهرة بعد تعيين الدكتور منصور فهمى مدرسا بالجامعة وتناقلت الصحف ماتضمنت من أخطاء فاحشة ، فرجفت الراجفة ، وكان الطرد والإبعاد .

● أخطاء الرسالة

لم يشأ الدكتور منصور فهمى أن يترجم رسالته الى العربية ، كما لم يشأ أن يرد على مهاجميه فى الصحف اليومية ،

## منصور فهمي

فيعرف قراء اللغة العربية رأيه معزوا اليه بقلمه ، ولكن الذين نقلوا عن الرسالة خلاصتها الزائفة ، نقلوا أمرا منكرا ، وطعنا خطيرا ، سبق له الباحث الناشيء بتوجيه أستاذه المغرض ، فقد ترك الباحث نصوص القرآن وأحاديث الرسول ، وهما أعمدة الرأى فى تقرير مركز المرأة فى الاسلام الى الحديث الآثم الكاذب عن نبى الاسلام ، فهو لايخضع لقانون يلزم به الناس ، وينام ويؤدى الصلاة دون طهور ويستبيح من الشهوات مالا يقره لسواه » وكل ذلك افتيات صارخ ، ردده الآثمون فى أوربا ، دون أن يرجعوا إلى الحقيقة السافرة فى كتب المسلمين ، وثقافة منصور فهمى حينئذ لاتزيد فى مضمونها الاسلامى على ثقافة طالب يحمل الشهادة الثانوية فحسب ، وطبيعى أن مثله ممن لم يقرأ القرآن ، ولم يدرس تاريخ نبى الاسلام ، لا يستطيع أن يخلص من تأثير أساتذة كبار يحاطون بهالات التقديس ، ويظهرون الاخلاص العلمى للحقائق ، على حين يخفون المكيدة الآثمة لهذه الحقائق عدوانا وإثما ، فانساق الى أوهام باطلة ، سجلها فى رسالته ، وعاد إلى مصر فرحا بمرتبة الشرف التى نالها ، والباحث الناشيء لم يكن وصوليا فى انتهاز الفرصة حين أرضى حقود مشرفه ، ولكنه كان جاهلا بالحقائق الاسلامية ، وقد تلقاها مشوهة كاذبة عن قوم مغرضين فهو حين خط الرسالة لم يكن منافقا يظهر غير مايبطن ، ولكنه كان جاهلا لايعرف ابعاد مايكتب ، ونحن نقرر ذلك ، لنعرف أسباب توبته السريعة فيما بعد ، اذ اتضحت له الحقائق الخالصة دون زيف ، فاسرع اليها نادما مخلصا ، واسرع المخطىء الى تصحيح أخطائه محمدة مشكورة ، تدل على عظمة نفس ، وكم رأينا من المخطئين فى بحوثهم العلمية من يصرون على الخطأ تعاليا على الاعتراف به ، وهم من الحق بمكان بعيد .

### ● توبة وإنابة

طرد الدكتــور منصور فهمى من الجامعة ، ورأى نفسه فى الفضاء الفسيح دون أن ينتفع بجهوده ، وقد طلب منه أن يعلن خطأه ، فامتنع ، وهو فى اصراره المبدئى يعتقد أنه كتب ماكتب عن دراسة واعية ، ولكن مساجلات شفوية ، دارت بينه وبين كبار العلماء اقنعته أنه اعتمد على روايات كاذبة تذكر فى الحواشى خطأ ، كما ألم بأن مايقال فى كتب المناقب ، منه الصائب والمخطىء ، وأن الحديث النبوى له مصطلح دقيق يعرف به الصحيح من الموضوعات ! وقد فاقت كثرة الموضوعات ماروى من الصحيح ، وعلى الدارس ان يرجع الى الصحاح من الأسانيد وأن يقف على جهود العلماء فى ايضاح المرسل والمتواتر والمتصل والمنقطع والمرفوع من كلام رسول الله حتى يعلم مايستشهد ، وما مكانه من الصحة والخطأ ، هذه المناقشات رفعت عن عين الدكتور منصور فهمى ستارا كثيفا فأخذ يبحث عن الحقيقة ، وكأنه فى صحراء مبهمة لايجد الطريق ، ومازال يبحث ويجد ، ولم تُجْدِه القراءة وحدها بل كان الاتصال بأئمة الاسلام مصباحه الوضىء .

### ● اعتراف مخلص

وإذا كان منصور فهمى قد اختلط

بالشباب الناهض فى الجامعة وفى جمعية الشبان المسلمين فقد حرص على أن ينقذهم من الشك ، وأن يبين فى محاضراته العامة بأن العلم الناقص شر من الجهل ، لأن الجاهل مستريح لغفلته ، لا يطرأ على ذهنه من الشكوك ما يقض مضجعه ، أما ذو العلم الناقص ، فلا يتفطن إلى نقصه ، ويظن موهوما انه بلغ الكمال ، وإذ ذاك يخوض فى بحوث لايرتفع الى مستواها ، فيتخبط فى مغالطات تهوى به ، ويضرب المثل بنفسه فى جزأة ، فيذكر كيف كانت معلوماته عن الاسلام ضئيلة لاتشفى ، فورطته فى احكام ندّ بها عن الصواب ، وهذا الذى كرره للشباب فى مجالسه وندواته قد سجله فى الصحف صريحا واضحا دون جمجمة ، ولم يكن ممن ينكص عن الاعتراف بالخطأ ، وهو الفيلسوف البصير الذى يدرك حقائق العقل البشرى ويرصد تيار الفكر الانسانى ! كما يعلم أن الضعف فكريا وجسميا من خصائص الكائن الحى ، وليس بعيب أن تضعف ، ولكن العيب الا تبحث عن القوة التى تبدد الضعف ، لتعود الى السلامة والاطمئنان .

نشر الدكتور منصور فهمى فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨ من مجلة « حياتك » حديثا رائعا قال فيه قبل أن ينتقل الى رحمة الله بعام : « كانت رسالتى فى الدكتوراه عن المرأة فى الاسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر انى انحرفت قليلا ، حيث كانت معلوماتى عن الاسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عنادا ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء ، من ذوى الأفق الواسع ، والصدر الرحيب ، من أمثال الشيخ حسونه النووى والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ على سرور الزنكلونى ، وهؤلاء يمثلون رجل الدين الحقيقى ، فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت اتخلص من الزيغ لأعود الى حظيرة الدين » .

ثم يفصل الدكتور منصور فهمى الطريقة التى شرح الله بها صدره للحق ، فيقول فى موضع آخر ، نقلا عن مجلة « لواء الاسلام » عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ مانصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حسونه النووى ، حين زرته فى منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمهابته وتقواه ، وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت اليه ، قال لى : أأنت الذى يقال عنك انك ملحد ؟ ! فقلت : نعم يامولاى ، فربت على كتفى ، وقال لى : اقرأ القرآن ، واقرأ البخارى ، ان لم تكن قرأتهما ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت الا أفى بعهدى ، فعكفت على قراءة البخارى ، وعجبت لغفلتى الأولى ، اذ وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من الفلسفة ، فوجدت ماجاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الالهام الصادق يبدو فى كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » .

● أصداء متباينة

لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لايزالون يختلفون ، فإن اعتراف الدكتور منصور فهمى بأخطائه العلمية ، لم يصادف ارتياحا لدى فريقين متباينين ، فريق مستغرب يندد بالرجل ويقول انه

## منصور فهمي

ينزلف للعامة حرصا على منصب جامعى ، وفريق متشدد يقول انه يتوب ليجد التصفيق المتواصل ، وأذكر أن الدكتور زكى مبارك نشر بجريدة المساء حوارا باريسيا دار بين الأستاذ محمود عزمى وفريق من جلسائه رمى فيه منصور بالجبن لانه نكل عن آرائه السابقة ، فرد الدكتور زكى مبارك محتدا ، لو كان الدكتور منصور جبانا لأعلن اسلامه يوم كانت مصالحه تتوقف على كلمة واحدة يرضى بها رؤساء الجامعة المصرية ، ولكنه اليوم وقد اطمأن على مركزه ومستقبله لايحتاج الى مصانعة ما .

وماقاله زكى مبارك حق لاشبهة فيه ، لأن الندوات الاسلامية التى شهدت وقفات الدكتور منصور فهمى الاسلامية ، تنطق بحماسيته الشديدة ، وغيرته الاسلامية المخلصة . كانت جمعية الشبان المسلمين تحتفل سنويا بعيدى الهجرة النبوية والميلاد المحمدى ، وكان أعلام الخطابة الدينية من أمثال عبدالوهاب النجار وأحمد ابراهيم وعلى سرور الزنكلونى وعبدربه مفتاح ومحمود أبوالعيون ومحمد الههياوى وعبدالله عفيفى يتداولون على المنصة فيرسلون آياتهم الرائعة فى صدق خالب ، ولكن الجمهور كان ينتظر كلمة الدكتور منصور فهمى فى شوق ، لأنه ينفرد بطابع خاص فى الاتجاه التعليلى ، طابع يمزج الدين بالفلسفة بالتاريخ ، اذكر انه فى مناسبة من مناسبات الهجرة الشريفة ، عقد موازنة بين جمهورية افلاطون ، وتعاليم محمد ، فقال فيما قال : إن افلاطون قد دعا إلى عالم خيالى فى السماء لا حقيقة له ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد نقل السماء الى الأرض حين ارسل بمبادىء الطهارة الخلقية ، والمساواة البشرية ، والتراحم الانسانى فاستطاع ان يوجد امة حقيقة تنفذ أرقى المبادىء ، وتذعن لأسمى القوانين ، وتحقق قول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » وانتقل الى موازنات دقيقة حول ماجاء بجمهورية افلاطون ومانصت عليه من فوارق محتومة بين الطبقات ، وما نادى به القرآن من المساواة العادلة حين جعل الفضل فى التقوى وحدها ، وهى فى طوق كل انسان ، اذ لا فضل لعربى على اعجمى إلا بالتقوى ، ورعاية مقدسات الأخلاق ، وقد بهر السامعون بما ساقه الخطيب الفيلسوف لأنه كان لحنا جديدا متميز الايقاع !.



● يرد على نفسه

اخذت مقالات الدكتور منصور فهمى تتوالى بالمجلات العلمية وفيها خواطر كثيرة عن المرأة الشرقية ، والتبرج الغربى ، والاحتشام الخليق بكرامة الأنثى ، وفى عهده بكلية الآداب حين كان عميدا لها ، أصر على أن تخصص للفتيات اماكن خاصة بحيث لايزحمهن الطلاب ، ثم رأى ان يلخص آراءه الاصلاحية فى محاضرة عامة القاها تحت عنوان ( نساؤنا بين التقاليد والتجديد ) ونشرها بمجلة الرسالة فى العددين ( ٤٠٥ ) ، ( ٤٠٦ ) إبريل سنة ١٩٤١ ، قال فيها عن دعوة

قاسم أمين ، ان من حقه أن نذكر انه كان ينشد صورة للمرأة العاملة الجادة ، الشريفة الكريمة ، وليست صورة المستهترة العابثة فى مهازل العيش وترهات المجتمع ، وان الاختلاط الذى كان يدعو اليه بين المرأة والرجل إنما هو ذلك الاختلاط البرىء من مثيرات المفاسد ، وتدعو اليه مقتضيات الحياة النزيهة المثمرة ، وأن ماكان ينادى به قاسم من الحرية ، إنما هى الحرية التى تعين على الخير ، وليست تلك التى تدعو إلى الشر والإثم » .

ثم أسهب فى تصوير ماطرأ على المجتمع من إباحية يرفضها قاسم أمين ، فذكر أن الناس قد توسعوا اليوم فى تحريك الانفعالات التافهة والشهوات الوضيعة ، فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى أو الخمر ، فيتحول الى معارض للتزيين والأناقة ، وإلى مضمار للتلفظ بالاقوال الرخيصة وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة ، وإذا ذكرنا مجامع الشاى وحفلات الخمور ، فلنضف ، اليها ماهو أسوأ منها اثرا من منتديات الميسر والرقص وحمامات السباحة حيث النظرات المسمومة ، والأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ومايجره ذلك من هدم لسعادة الأسر .

ثم افاض فى معنى الحرية التى اسيء فهمها مستشهدا بمفاسد الرومان والفرنجة ، والاختلاط المنحرف ، محبذا تقاليد الاسلام فى العفة والطهارة ، والحرص على مجالس الصون والعفاف ، وقد استأنس بأقوال الأستاذ محمد فريد وجدى التى نشرها فى كتاب ( المرأة المسلمة ) ردا على ماذكره قاسم أمين من رقى المرأة الأوربية ، وتأييد منصور للتقاليد الاسلامية دمغ صريح لأخطاء الرسالة الفرنسية ، ونزوح من شاطىء إلى شاطىء فى صدق وبرهان .

● صوفية نبيلة

إن السنوات الأخيرة التى ادركت فيها جانبا شخصيا من حياة الفيلسوف الكبير دفعتنى الى الاعجاب به ، وتذكر مواقفه المؤمنة ، كنت أصلى المغرب منفردا بمسجد جمعية الشبان المسلمين ذات مساء ، فأحسست انسانا يصلى خلفى مؤتما بى ، فاطمأننت كثيرا لاصلى صلاة الامام ، وحين ختمت الصلاة ادهشنى أن يكون المأموم ، استاذنا الاكبر منصور فهمى ، فأبديت حيرتى الكبيرة ، ولحظ الرجل الكبير مشاعرى المتسائلة ، فربت على كتفى فى لطف ، وقال فى مودة : الشاب اولى بالإمامة من الشيخ ، لأن الشاب لم يسود من الصفحات ماسوده أبوه وجده ، فقلت : وأى شاب يبلغ مبلغ استاذ الجيل ! فابتسم ، وأخذنا نتحدث عن شئون دينية حتى قدمت العشاء ! فيالها من أمسية !

وفى كتاب ( خطرات نفس ) موضوع رائع تحت عنوان ( انت انت الله ) يصلح ان يكون نشيدا للمؤمن المنيب ، وقد كان السلف من آبائنا يقراون اوراد الشاذلى والبكرى والنابلسى كنمط من الأدب الصوفى الرفيع ، وفى رايى أن ورد ( انت انت الله ) يفوق ماكتبه هؤلاء ، فهل نجعله وردا للصباح أو المساء .

# جولــة المعـــارض

# إنهم يواجهون الحصار بطوفان من الإبداع!

## الفنانون من عالم الطفولة .. إلى عالم الحب

بقلم: عز الدين نجيب

هذه ذروة اشـــتعال الموسم التشكيلى بالمعارض والمتابع المســكين يركض لاهثا من افتتاح معــرض الى افتتاح معرض آخـر بين الزمالك والجــزيرة وكريم الدولة (اتلييـه القاهرة) دون هداة لالتقاط الانفاس، أما الجمهــور العادى، بل حتى المثقفين، فلا شأن لهم بكل هذا .. انه فقط شـــأن خاص بالفنانين وذويهم!

تنوعت المعارض خــلال الشهرين الماضــيين، بين معارض جماعيه وفردية، محليه ودولية، قام المركز القومى للفنون التشكيليـــة بتنظيم الجانب الاكبر منها

● افتتح فى يناير المعرض العام السنوى بقاعة النيل، وضــم ٦٠٠ عمل فنى لـ ٣٠٠ فنـــان على الاقل، وهو لا يختلف كثيــرا عن المعرض العام السابق من حيث المستوى وإن كان الفنانون قد حرصوا هـــذه المرة على تقديم أحدث انتاجهم وافضله كما شهد وجودا اكبر للفنانين الشباب لكن وجودهم العددى لا يوازيه وجــود مؤثر بالجدة والاصالة .. الا فيمـــا ندر!

وأقيم فى يناير أيضا ـ بمجمـــع




عالم من الخردة
للفنان السيد القماش ..

الفنون بالزمالك بقاعاته الثلاث معرض الفن الالمانى المعاصر من مقاطعة بافاريا ، وضم ٩٦ فنانا فى مجالات التشكيل المختلفة ، وشمل اتجاهات فنية على مساحة عريضة من التنوع والتباين ، بدءا من « مافوق الواقعية» حتى « التشكيل الآنى » ، فقد قام أحد الفنانين باستكمال لوحته بعجائن معينة امام الجمهور فى حفل الافتتاح . والمعرض فى مجمله تعبير صادق عن مسار ثقافى وحضارى لمجتمع أوربى رأسمالى فى أواخر القرن العشرين .

وشاهدنا بقاعة اخناتون (١) بالزمالك معرض النحت الانجليزى المعاصر فى الاربعين عاما الماضية ، بدءا من رائد المدرسة الحديثة هنرى مور ( الذى ولد ١٨٩٨ ) وانتهاء ب جافن اسكوبى ( الذى ولد ١٩٤٠ ) .. مرورا بميشيل ( ١٩١٢ )وشادويك ( ١٩١٤ ) وادامز ( ١٩١٧ ) وتورنيل (١٩٣٢ ) ودالوود ( ١٩٢٤ ) وكيارو ( ١٩٢٤ ) ... وهى المدرسة التى تعد الاضافة الابداعية لانجلترا فى مسيرة الفن المعاصر ، وقد تركت بصماتها على ابداع النحت العالمى ، والنحت المصرى ايضا منذ جمال السجينى حتى اليوم ، وتسعى هذه المدرسة باختلاف روافدها الى خلاصة ما يسمى ب « الشكل النقى » المستلهم من عناصر الطبيعة فى معظم الاحيان ، بعيدا عن محاكاتها او تمثيلها ، حتى تصل الى الاشكال المجردة تماما ، لكنها لا تتخلى عن احترام القيم الاساسية لطبيعة النحت ، وهى العلاقة الديناميكية بين الكتلة والفراغ والابعاد الثلاثة ، مع التركيز على عنصر الحركة الداخلية .

ومع افتتاح معرض الكتاب الدولى الـ ١٨ بمدينة نصر فى ٢٦ يناير ، نظم المركز القومى للفنون التشكيلية معرضا ذا مستوى جيد لحوالى ثلاثون فنانا مصريا من مختلف الاجيال والمدارس ، ليشارك فى هذه التظاهرة الثقافية الجماهيرية ، تلبية لمطلب ملح وسط الفنانين والمثقفين على السواء ، ينادى بانتقال الفن الى الجماهير فى مواقع تجمعاتها وليس العكس .. لكن المؤسف انه تحول الى معرض سرى .. لقد استغرق منى البحث عن مكانه قرابة ساعة ، ولم يستطع ان يرشدنى اليه حتى المشرفون علىمعرض الكتاب الا بعد أن هدنى التعب ، فقد اختير له مكان معزول تماما عن سرايات المعرض ( فوق مقر رئيس هيئة الكتاب شخصيا ) ، دون لافتة خاصة به ، أو إشارة مطبوعة او مذاعة الى وجوده فى الاذاعة الداخلية التى لا تتوقف طوال النهار عن الاعلان عن الانشطة المقامة يوميا .. حتى الرقص الشعبى .. وعندما نجحت فى الوصول الى بغيتى وجدت القاعة مظلمة ، وعلمت أن التيار الكهربائى مفصول عنها منذ انتهاء الافتتاح تخفيفا للاحمال حتى لا ينقطع النور عن مكتب رئيس الهيئة ! .. وساهم التلفزيون فى التعتيم على المعرض المنبوذ بتجاهل الاشارة

ذكريات الحارة المصرية
للفنان جورج البهجورى



# جولة المعارض

اليه من خلال البرنامج اليومى الذى خصص لتغطية نشاطات معرض الكتاب ، حتى ان فقرات هذا البرنامج كانت تسجل يوميا بداخله دون ذكر كلمة واحدة عنه ، فى الوقت الذى تبدو اطراف من بعض لوحاته فى خلفية ضيوف البرنامج .. ماذا يعني ذلك ؟ .. اهو جهل ؟ .. ام بصيرة عمياء امام الفن ؟ .. ام خطة للاجهاز على هذا العدو المحاصر؟

على كل : هنيئا للتليفزيون وهيئة الكتاب بانتصارهما على زنوج الحركة الثقافية .. أعلى الفنانين التشكيليين !!

... ونعود الى جولة المعارض .

حفلت قاعات العرض الرسمية والاهلية خلال الاسابيع الماضية بمجموعة من المعارض تتميز بالجدة وروح الشباب وإن تفاوتت الاعمار ، بدءا من الفنان المخضرم جورج البهجورى ، الذى حضر من باريس ـ حيث يقيم ـ ليقيم معرضه فى التصوير الزيتى بقاعة مشربية ، الى الفنان الشاب فتحى عفيفى ، الذى يعد هذا معرضه الثانى باتيليه القاهرة ، مرورا بالفنان الشاب السيد القماش ، وكان معرضه ، بقاعة العلاقات الثقافية للدبلوماسيين بالزمالك ، والفنان عبد المحسن الطوخى ، وكان معرضه باتيليه القاهرة ، وقد مضى على اخر معرض له خمسة عشر عاما ، ضاعت فى رحلة الوظيفة والضربة الاضطرارية .. واخيرا الفنان الشاب واعد الانتاج والطموح : رضا عبد السلام ، بقاعة اخناتون (٢) .

## البهجورى .. واسترداد الطفولة

أجاب معرض البهجورى على العديد من الاسئلة التى تدور فى اذهان من عرفوه منذ الستينيات ، كعاشق لحوارى مصر واطفالها ، ومحتضن لهموم ابنائها .. ماذا فعلت به سنون الغربة الطويلة فى صقيع أوربا ؟ .. اجابت اللوحات ـ كما اجابت لوحات معرضه السابق بنفس المكان منذ عامين ـ بان حنينه الى عالمه القديم لم يفتر ، وان انتماءه الى الوطن يزداد عمقا ، بل ان نفس شخوصه ـ وبخاصة الاطفال ـ يفرضون وجودهم على اللوحات ، بشيخوختهم المبكرة ، حتى ولو كانوا يلعبون بالمراجيح . وعيونهم القبطية الواسعة ، وسمرتهم المحروقة .

أما الجديد : فنجده فى كثافة طبقات التراث على ملابسه واشكاله ، حتى لتبدو اقرب الى الآثار المتآكلة ، ونجده ايضا فى غياب « الموضوع » عن اللوحات ، وتركيز الاهتمام على « الاشكال » ، سواء كانت بشرا او الوانا او مساحات مجردة ، والدخول بها فى حواريات غنائية ( وليست تراجيدية كما كان الحال فى الماضى ) ـ مع الفضاء الابيض الناصع الذى تسبح فيه بلا ارض محددة تقف عليها ... ونرى الجديد اخيرا فى ميل البهجورى الى التسطيح والتجريد ، بدلا من التجسيد والتحديد

لقد تراجعت ملامح الواقع المباشر ، واختفى الزمن ، واصبحنا نحلق فى عالم مطلق سرمدى باعث على التأمل والاكتشاف ، وان ظل مغلفا بمسحة من الحزن القديم ، الذى يرشح فى

نفوسنا حنينا الى الماضى ، وشوقا لاسترداد طفولتنا المستلبة .. حتى ولو كانت اليمة ..

وبالرغم من مظاهر التجديد التى بدت فى اعماله ، يظل البهجورى فنانا واقعيا ملتزما ، اذا قيس بطوفان الشطحات الغربية للفن الباريسى ، التى يعايشها منذ خمسة عشر عاما .

## القماش .. وعالم من الخردة

فى لوحات الرسم بالحبر الشينى للسيد القماش ، الذى يفضل استخدام هذه الخامة الفقيرة منذ اول معرض له ( ١٩٨٦ ) ، نرى محاولة اخرى لاسترداد طفولته ، وهى هنا تكريات غريبة لا يشاركه فيها فنان اخر : فهى ترتبط بمصنع والده للمفصلات والادوات الحديدية ، حيث شب وسط اكوام منها ومن مخلفاتها ، وتعامل معها كأنها لعب وعرائس حينا ، او وهى تتشكل فى كائنات مهولة مسيطرة وحشية حينا اخر .. من هنا فهى ذكرى كابوسية فى اغلب الاحيان .

وبعيدا عن « موضوع » اللوحات ، وعن « المثير البصرى » لرؤية الفنان ، فاننا امام رسام جياش الشعور ، يملك عالما تعبيريا ودراميا ورؤية تشكيلية متميزة ، تقوم على إعادة تشكيل النفايات الحديدية فى بناء معمارى يتخذ طابع الطوطم السحرى أو العالم السريالى ، ربما يذكرنا - مع الفارق الشكلى والموضوعى - بأعمال نحات الخردة صلاح عبد الكريم لكن بدلا مما نجده فى أعمال عبد الكريم من شحنة مغناطيسية تجتذب اليها الاف الصواميل والمسامير والتروس الحديدية الى الداخل ، لتتماسك فى كتلة ثابتة بلا فراغات او هواء ، تختزن بداخلها - بدلا من الهواء - عوامل التحفز للهجوم ، فاننا نجد فى اعمال « القماش » انفجارات داخل اكوام الحديد الخردة، تنطلق متناثرة الى اعلى ، وقد

الحرب .. للفنان رضا عبدالسلام..



انصهرت وتلوت وهى تعـــوى وتئن ، حتى تتجمع بعض أجزائها فى الفضاء مكونة كائنــــــات وحشية مشرئبة كالمرعب ، فى شكل حيوان أو ســمكة أو مخلوقات شريطية او قردة قبقــاب أسطورية !

والقماش .. وان كان اقــرب الى السرياليين والرومانسيين ، فان أعماله قابلة للتأويل الى معان رمزية تتصــل بالانسان والعصر ، وان كان يصــر على العزف على آلة واحدة هى سن الحبر الاسود ، مع استخدام لبعض درجات لونية باهتة فى الخلفيـــة ـ كصدى لالات بعيدة ـ ( ويمكن الاستغناء عنها دون ان تفقد اللوحة شيئــا فى الحقيقة ! ) فانه قادر على أن يستولى علينا بأنغامه الجياشة ، بما يوازى أوركسترا كاملا ، يتمثــل فى ثراء عناصره الخطية وتوالدها المطرد .

## فتحى عفيفى .. لوحات بالعامية المصرية

مثلما يفتقر أدبنا الى ادباء ينبعون من داخل الطبقات العاملة ليعبروا عنها من داخلها لا من خارجها ، يفتقــر

من وراء الجدران .. زيت على ورق .. للفنان فتحى عفيفى





من وحى جنوب سيناء . زيت على قماش للفنان عبدالمحسن الطوخى

فننا التشكيلى أيضا الى فنان مارس بيديه العمل اليدوى داخل المصنع ، ولا اعنى ان شرط الصدق هو الممارسة المباشرة فى الواقع فحسب ، بل اعنى ان معايشة العامل الحقيقى لواقعه واكتنازه لجوهر التجربة هى معبره الى الصدق ، فى الوقت الذى يكابد الفنان المثقف فى محاولة للنفاذ الى التجربة وامتلاك الصدق .

والفنان فتحى عفيفى ( ٣٨ سنة ) - المولود بحى طولون بالسيدة زينب - نموذج ساطع لعامل مصرى بمصنع الحديد والصلب بحلوان، ممتلىء بالموهبة والحساسية والقدرة على استيعاب الجديد ، ففى خلال عامين فقط - بين معرضه الاول والثانى - تجد قفزة جريئة فى أعماله ، وتفهما للغة الشكل وبلاغتها ، لكن بعفوية اصيلة تجعله ينتمى الى سلالة الرسامين الشعبيين على واجهات البيوت فى مناسبات الحج والزواج وغيرها ، وأن استطاع بعصاميته ودأبه فى الدراسة بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة ان يكتسب خبرات المدارس الحديثة فى الفن ويصوغ من خلالها عالمه الضمخ بعبق الحارة المصرية القديمة وحياة العمال والبسطاء من ابناء الشعب ، متخلصا من اغلب ما يقع فيه الهواة

عائمة من مزالق ومغريات ، على رأسها محاولة تسجيل مظاهر الواقع المباشرة والمبالغات الميلودرامية والرمزية الساذجة ، كما تعكس لوحاته درجة معقولة من الوعى الفكرى والاجتماعى .

هكذا يوقف بذكاء الاشكال الخاصة للحياة المتوارثة فى الحارة المصرية ، بيوتها ومقاهيها ونسيج علاقاتها الاجتماعية المتشابك ، ولهجتها العامية التى تشعر انه يصوغ بها زحام الجدران والبشر والنوافذ الخشبية المشغولة والشرفات ( الارابيسكية ) المتداعية والغسيل المتطاير فوق السطوح والمراجيح الطائرة والمقاهى المكتظة بأولاد البلد واحتفالات المهرجين والقرزان والابطال الشعبيين الذين يرفعون مقعدا غليظا بأسنانهم الى اعلى ... الخ . لكنه مع هذه القدرة على التقاط ما فوق السطح بلماحية المصور الباحث عن « علاقات الاشكال » بين فوضى الزحام ، بلغة تصويرية مفعمة بالحركة والحيوية ، فانه قادر كذلك على النفاذ الى ماوراء الظاهر ، بعين طفل تواق للاكتشاف .. ولا شك انه يحمل من الوعود اكثر مما اعطاه حتى الان .

## الطوخى .. والعودة الى الينابيع

عندما كان عبد المحسن الطوخى فى بداياته الفنية بعد تخرجه فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ١٩٦٦ قدم لنا أعمالا مليئة بالحس الفطرى النقى ، الحميم الصلة بعالم القرية المصرية ، ذلك انه ابن لهذه القرية متشبع بها حتى النخاع . لكنه عندما ابتلعته الوظيفة بالثقافة الجماهيرية حيث كرس لها وقته وطاقته ، ثم تقاذفته بعدها رياح الظروف الصعبة فى بحار الغربة سنوات طوال خارج الوطن فقد الطريق الى فنه الحقيقى ، لانه فقد الطريق الى نفسه ، والى ينابيعه الاولى .. قريته .

ويعود بعد غياب طويل ، فيجعل من عمله الوظيفى طريقا الى ينابيعه ، فيشرف على اعداد رحلات للفنانين التشكيليين الى مواقع عديدة تحتوى كنوز مصر الحضارية المطمورة فى عمق الصحراوات شرقا وغربا ، من سيناء الى الوادى الجديد بواحاته الخارجة والداخلة ، الى مطروح وسيوة ـ وامتلات اباره الناضبة بالمياه ، وبقدر ما اعطى لزملائه الفنانين فرصا ما كانوا ليحلموا بتحقيقها متفردين ، بقدر ما اخذ وارتوى وتشبع بفيض الروح المصرية فى هذه المناطق . وشيئا فشيئا أخذ يفرزها على مهل فى اعمال تنوعت بين النحت فى الخشب والرسم على القماش ، متراوحا بين التسجيل للطابع البيئى وبين استكشاف ملامح الشخصية المجردة لهذه البيئة وانسانها الاصيل .

ولعل منحوتاته الخشبية اقرب الى تنويعات وترية على الربابة ، تتنوع بين انكماش الانسان قرور بالوحدة ، وبين حمل الماء فى الجرار البيضاوية رمزا للحياة .. ويبدو الطابع الفرعونى غالبا على هذه المنحوتات الساكنة الرشيقة . اما فى اللوحات الزيتية فنجد مجال الرؤية اكثر رحابة والخطوط والالوان اكثر حيوية وحركة وان

افتقرت الى كثافة اللون والملمس • وهو سواء فى النحت أو التصوير زاهد فى التفاصيل ، نافد الصبر على صقل أعماله ، حتى تبدو ناقصة فى بعض الاحيان ، لكنها مغموسة فى الصدق والرهافة والاخلاص •

**لقد استعدنا فنانا واعدا بالاصالة ، فى زمن لا يعيد الا الغث ، ولا يعد بشىء جيد أو أصيل •• فمرحبا !**

## رضا عبد السلام ..
## وعالم الحرب

**بالرغم من أن الفنان المصور رضا عبد السلام (٤١ سنة) من أكثر الفنانين الشباب فى مصر اهتماما بالشكل والتجريب المستمر دون تقيد بقواعد مسبقة ، فانه من أكثرهم أيضا اهتماما بالموضوع فى لوحاته ، فهو يعايش نبض مجتمعه وعصره ، لا ينغمس فى قضاياه بل يحلق فوق العواصف ووسط الامطار كطائر رشيق سريع القفزات والانقضاض والطيران ، محتضنا قوس قزح •**

وفى معرضه الاخير بقاعة أخناتون (٢) يطلع علينا بموضوع رئيس هو الحرب ، وهو لا يقدم لنا فعل الحرب أو نتائجها الوخيمة من ضحايا ودمار، بل يقدم لنا ، حالة نفسية لجو الحرب• انك تشعر بالحصار والاحزان تلف المدينة وتلتف حولك ، يهاجمك اللون الاحمر صارخا وسط المساحات السوداء المتراكمة مثل كتل الليل فوق كل اللوحات ، تتداخل الاشكال والمساحات والالوان بشكل أقرب الى التجريد ، تحتاج دائما لوقفة لالتقاط الانفاس بين لوحة وأخرى بالرغم من تشابهها •• النور قليل وسط الظلمة المخيمة ، الاشخاص فى زحام ملحمى بين كر وفر ، تبدو كأشباح طائرة ، وبرغم كثرتها فهى ضئيلة وسط زلزال الاجرام والالوان •

ان السمة العامة للمعرض هى التعبيرية التجريدية ، لكن تعبيريته سجينة لاطار اللوحة الصغيرة المحدودة التى لم تخلق لها موهبة رضا ، بقدر ما خلقت للانطلاق على مسطحات هائلة الحجم بعيدا عن قاعات المعارض التقليدية ، كما أشار الفنان عصمت داوستاشى فى تقديمه للمعرض ، ولعل أثر معايشته فى العام الماضى للحياة فى سويسرا لعدة شهور ، حيث رسم هناك عددا من لوحات هذا المعرض ـ يبدو واضحا فى هذه التجربة ، وان كنت أرى أنها استمرار للفكر التشكيلى لديه فى المراحل السابقة ، حتى ما كان منها مرتبطا بالاحتفالات والموالد الشعبية •

وكما يسجن عالمه فى مساحات ضيقة ، كذلك يسجن أثمن ما وهب من قدرة •• وهى الرسم ، فيعمد الى طمس حدود الاشكال وملامحها ، مستجيبا لقوة عنيفة بداخله لا تخلو من الفوضى•

هذا التمرد الدائم للفنان على معطيات واقعه المنظومة والساكنة ، واستنفاره السريع لمنازلة كل جديد فى العالم التشكيلى بجديد مثله ، هى عوامل ايجابية تحتاجها الحياة الابداعية فى مصر ، التى تجمدت عند قاموس لغوى لكل فنان يخشى أن يتخطاه حتى لا يتوه أو تهتز صورته •

**لكن التجديد يجب أن يكون ولادة طبيعية للتفاعل بين خبرات الذات ورؤى الفكر ومكتسبات العصر وتراث الامة ، عبر مخيلة متفتحة للفنان •• وأخشى أن يكون الفنان رضا وكانه فى سباق مع نفسه ، مما لا يتيح الفرصة لعملية التفاعل كى تصل الى مداها وتفرز خلاصة الجديد والاصيل بداخله •**


رياح التغيير في تونس
الزيتونة
جامع وجامعة

تهب على تونس من جديد رياح التغيير .
وكانت إشارة البدء مجموعة القرارات التى اتخذتها القيادة الجديدة ، ومن ابرزها قرار إعادة الاعتبار لجامع الزيتونة ..
ويبدو أن هذه القرارات تعنى قراءة جديدة لمسار التجربة التونسية ، فعلى اثرها ، اخذت تبرز أفكار وتتوارى اخرى ، ويحتدم الحوار حول شروط النهضة ، ودور المؤسسات التقليدية فى عالم اليوم .
وهى ذات القضايا التى شغلت القادة والمفكرين العرب فى اكثر من قطر عربى ، منذ بداية التاريخ الحديث حتى اليوم ، ولاتكاد تخمد حتى تثور من جديد ..

صومعة وصحن الزيتونة ، واعادة الاعتبار



إن إعادة الاعتبار لجامع الزيتونة يقوم على إدراك عميق لدوره التاريخي . كجامع وجامعة . فمنذ القرن الثاني الميلادي وهو مركز إشعاع في المغرب العربي وافريقيا ، وأحد حصون الثقافة العربية الاسلامية ، ومع الأيام عاش الازدهار وعانى من التخلف والجمود ، ولكنه على الدوام يتجدد كأحد بؤر النهوض الوطني ، والنبع الفياض للوجدان الشعبي .

واستمرت طويلا الهيمنة الفكرية لجامعة الزيتونة على حياة البلاد ، يمتد تأثيرها وتصل فروعها الى أغلب المدن التونسية ، وحتى المدن الجزائرية مثل قسنطينه وعنابة ، وسرعان ماتقلص دورها خلال حكم الرئيس السابق بورقيبة ، واصبح مع مطلع السنة الدراسية الحالية لايتجاوز عدد طلابها مائة طالب في قسم واحد ..

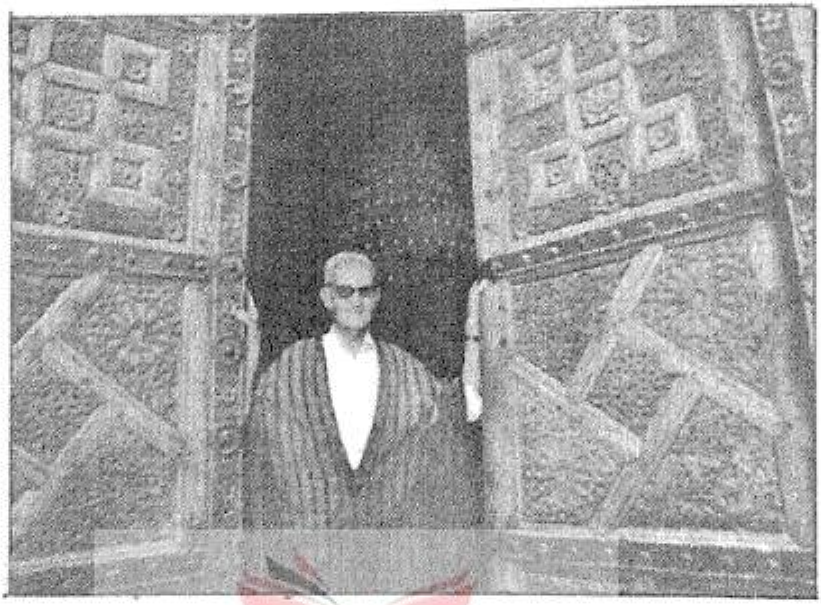
وها هي القيادة الجديدة تقرر زيادة كلياتها الى اربع ، كلية للشريعة الاسلامية وأخرى لأصول الدين ، وثالثة للآداب واللغة العربية ، ورابعة للحضارة والتاريخ الاسلامي .. ويعود جامع الزيتونة من جديد نبعا تاريخيا لايتوقف عن العطاء .

ولم يكن هذا القرار فقط الذي استقبل بالترحيب ، بل صاحبه اعادة النظر في كل الأوضاع التي لاتراعي الهوية والمقومات الأساسية الشعب التونسي ، وعادت تونس إلى المسار الطبيعي ، وبرزت من جديد ضرورة تغيير يوم الأجازة الأسبوعية من يوم الأحد إلى يوم الجمعة ، وضرورة أن تعود اللغة العربية لغة للادارة والاقتصاد والعلوم .

**ولعل التجربة التونسية الحديثة ، تفسر مغزى القرارات التي اتخذتها القيادة الجديدة ، والتي عاشت بين شقي الرحى ، الانطواء والعزلة من جانب ، واللهاث وراء النموذج الغربي من جانب آخر ، والوصول بعد التجارب الطويلة إلى المعادلة الصحيحة بين الحفاظ على الشخصية الوطنية والمقومات الاساسية للمجتمع العربي في تونس ، مع التفاعل الخلاق مع كل الثقافات والأفكار ، بشرط استيعابها في إطار الشخصية الوطنية ، مما ينعش الأمل في خلق أرضية صلبة للتنمية المستقلة .**

وإذا أردنا رصد التغيرات الثقافية التي تحدث في تونس ، والتعرف على مغزى الحوار الدائر بين مدارسها الفكرية نطل على التجربة التونسية من فوق صومعة جامع الزيتونة . الواقع وسط القصبة في الحي العتيق الذي مازال يحمل طابعه العربي ...

قام جامع الزيتونة مع كل من الأزهر الشريف والقرويين بدوره كأقدم جامعات العالم ، وفي أروقة تلك الجامعات انتعش الفكر ، وازدهرت اللغة العربية ، وحول اعمدته وفي باحاتها جلس كبار العلما محاضرين وشارحين على امتداد الزمان ..



دقة الحفر على الخشب في مدخل جامع الزيتونة .

وإذا قلبنا صفحات التاريخ ، نستلهم منه حكمة الزمن ، ونستخرج دروس الأيام ، وجدنا مكانة هذه المعاهد العلمية مسطورة ومسجلة .

فهل نتلمس البداية بعد فتح قرطاجنة على يد حسان بن النعمان ؟ .. أم نتوقف عند وراثة مدينة تونس لمدينة القيروان عندما انتقل دور جامع القيروان الذى بناه عقبة بن نافع الى جامع الزيتونة ؟ حينما اتخذ عبد المؤمن بن على مدينة تونس دارا للامارة ، ومن يومها ارتبطت حياة تونس الفكرية والروحية بحياة الزيتونة ، وأصبح تاريخ الجامع هو ذاته تاريخ تونس ، أقام الجامع حسان بن النعمان سنة ٧٩هـ ، ثم أتى عبيد الله بن الحبحاب فأتمه وجمله سنة ١١٤ هـ ، عندما كان واليا على مصر وأفريقيا والأندلس ، ويذكر البكرى فى كتابه المسالك والممالك الذى كتبه عام ٤٨٧ هـ .. « أن دور مدينة تونس أربع وعشرون ألف ذراع ، وفى سنة أربع عشر ومائة بنى عبيد الله بن الحبحاب المسجد الجامع ودار الصناعة ... » لاحظ اقتران المسجد بدار الصناعة .

ولنتوقف فى رصد التجربة التونسية ، عند بعض الأحداث الثقافية والسياسية التى تلقى الضوء على المؤشرات التى

صبت فى الحوار الدائر بين التعريب والتغريب .

## ● ذاكرة تونس

منذ القرن السادس الهجرى انتقل العلم والعلماء من القيروان الى تونس ، واصبح جامع الزيتونة محط رجال طلاب العلم ، ويمثل ذاكرة تونس . يسجل علماؤه أهم الأحداث والتطورات السياسية ، ويتابعون مايقع فى عالم الاسلام ، وانتقلت اليه المعرفة من المشرق من مصر والشام والعراق ، ومن المغرب ومن الأندلس ، وأخذ يصل الزيتونة ويعبرها اجتهادات علماء المشرق والمغرب معا .

ويسجل علماؤه هجرة جماعة من علماء الأندلس وأهل الصناعة والفن إليه ، هربا من العسف الأسبانى خلال بداية الانكسار العربى فى الأندلس ، وظهر القول المأثور .. « انه لولا جامع الزيتونة ، لبقيت تلك البلاد فى عذاب الجهالة مهين .. »

وقدم الجامع قائمة غنية للعلماء الذين يلقون دروسهم من الفجر حتى العشاء ، ويعتز ابناء الزيتونة بجامعتهم ، ويؤكدون أنها أصل المراكز العلمية كلها ، يقول محمد الحشائشى فى كتابه تاريخ جامع الزيتونة .. « من جامع الزيتونة انطلقت جيوش تونس تشارك فى فتح الأندلس ، وتأسس فى المغرب الأقصى جامع القرويين الذى احتذى جامع الزيتونة فى نشر مبادىء الاسلام ، واعلاء صرح العلم وحماية اللغة العربية ، ومن ربوع أفريقيا خرجت جحافل جوهر الصقلى ليؤسس مدينة القاهرة معقل جامع الأزهر الشريف ، الذى حمل بدوره رسالة جامع الزيتونة » .. فماذا فعلت به الأيام ؟!

## ● فرنسا والزيتونة

نصل إلى مرحلة الاضمحلال العربى ومرحلة المد الاستعمارى .. عانت تونس من الحماية الفرنسية مدة ٧٥ عاما ، قامت خلالها فرنسا بكل ماتقدر عليه الهيمنة على العقول والتغلغل فى الوجدان ، فالاستعمار الفرنسى لايكتفى بالأرض بل يستهدف الضمائر والأرواح ، كان هدف فرنسا المعلن ، فرنسة المجتمع العربى فى تونس ، وتحويله عن اللغة العربية ،

الخضر حسين ابن الزيتونة الذى اصبح شيخا للأزهر الشريف





خير الدين التونسي والاصلاح

واقامت نظاما تعليميا يقتلع الدارسين من جذورهم الثقافية . ولم تكن هذه مجرد اهداف بل سياسات تدعمها العقول والمدافع .

وكان من الطبيعي ان يتحول جامع الزيتونة الى معقل المقاومة ، ويكون الملاذ الاخير لعلوم الدين والمعقل الحصين للغة العربية .

وتتابعت فصول الصراع بين الادارة الفرنسية والزيتونة ، واقتحم الفرنسيون الحياة التونسية لكى ينصروا التيار الذى يجعل من الغرب نموذجه فى بناء المؤسسات وطريقة التفكير ، ضد التيار الذى يستهدف الحفاظ على الهوية والمقومات الفكرية والروحية .

وعندما بادر المستعمر بعد سبعة عشر عاما من الاحتلال الى تأليف لجنة من بعض العلماء لتطوير جامع الزيتونة ، كان من الطبيعى ان يقابل المشروع بالرفض ، وأخذت الادارة الفرنسية تحاول اختراق هذا الحصن ، فتارة تجعل جامع الزيتونة تابعا فى ادارته الى وزير المعارف الفرنسي ، وتارة يلحق بوزارة الداخلية الفرنسية ، وفى كل الأحوال كانت شئونه تعرض على الكاتب العام ووزارة الداخلية !

وخاضت الزيتونة اكبر معاركها ضد قانون التجنيس ، ونجحت فى ابطال مفعوله ، فكان على التونسي الذى يرغب فى التمتع بكافة حقوق المواطنة ان يحصل على الجنسية الفرنسية ، فأصدر شيوخ جامع الزيتونة فتوى شرعية باعتبار المتجنس مرتدا ، يحرّم دفنه في مقابر المسلمين ، مما قلص عدد طالبى الجنسية الفرنسية .

## ● النهضة أم الفرنسة

وضاع الطريق ، واضطربت التجربة التونسية ، أمام حيرة كبيرة يعيشها عدد من المثقفين تائها فى الأرض الحرام بين ماض موروث وعصرية كاسحة ، وكان الموروث يعنى عند البعض الجمود والخرافة والتخلف ، والعصرية عند البعض تعنى الفرنسة والتبعية للمستعمر الفرنسى .. وربط البلاد بعجلة التبعية ، وإزاحة النخبة المتخرجة فى الزيتونة من الطريق ، وفتح الطريق للثقافة الفرنسية ،

وخاصة بعد آن ضيق النظام الاستعمارى على الحرفيين ووصل بهم إلى حافة الافلاس أمام السلع المستوردة ، مع سياسة متكاملة للمسخ والتجهيل صاحبتها محاولات التبشير والتجنيس .

وكانت خطته ترك المؤسسات التقليدية منغلقة ، على أمل ان تفقد فاعليتها وتذبل وتموت مع الأيام ، وعرف طلاب تونس عن جغرافية وتاريخ ابطال فرنسا ، أكثر مما عرفوا عن جغرافية بلادهم وتاريخها وقادتها .

ولم يكن أمام الأهالى سوى التحصن بالعروبة والاسلام سلاحا للمقاومة .

ورغم هذه الظروف الصعبة ، فكثيرا ما عارض رجال الزيتونة نظام التدريس العتيق ، وطالبوا بادخال الاصلاحات عليه ، وتزعم هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية الشيخ الطاهر بن عاشور ، وسجلت « لجنة صوت الطلاب » التى كونها طلبة الزيتونة هذه المطالب ، والتى نادت بتعليم يجمع بين الطابع العربى الاسلامى وتدريس العلوم العصرية ، واعلن طلبة الزيتونة إضرابا عاما لتحقيق أهدافهم ، وبعد صدامات حادة تمكن الزيتونيون من تحقيق بعض مطالبهم .

ومع ذلك حسب على جامعة الزيتونة التخلف الذى يعيشه الشرق ، ولم يتساءل أحد إذا كان التجديد والاصلاح هما سنة الحياة ، فمن الذى يقوم بهما ، وكيف يمكن القيام بهما فى تحد يمس المرتكزات الاساسية للمجتمع ؟ .. وهل يقوم بهما الوطنيون أم المتفرنسون .. ؟ الذين كثيرا ما أظهروا الاستخفاف بمرتكزات المجتمع وأسسه

## ● الخضر حسين

ويمكن الرصد من صومعة جامع الزيتونة ، الالحاح على الاصلاح والتجديد ، السابق على الغزو الاستعمارى الفرنسى . وتكشف هذه الصفحات قدرة عالية على تشخيص الجمود والتخلف ، ورسم الطريق للخروج منهما ..

يستعرض بعض هذه المحاولات أحد أبناء الزيتونة ، والذى تولى مشيخة الجامع الأزهر عام ١٩٥٢ ، وهو الشيخ محمد الخضر حسين .. فيقول .. « أخذت تونس فى العهد العثمانى تخرج كبار الفقهاء ، وأصبحت فى غنى عن القضاة الذين يبعثون من الاستانة ، وكان الأمير يصطفى لمجلسه صفوة العلماء فأقام للعلم سوقا نافعة ، وكان نظام التعليم يؤدى الى منافسة أصحاب المذهب المالكى والحنفى ، ينتخب للتدريس بجامع الزيتونة خمسة عشر عالما من المالكية ومثلهم من الحنفية ، ولكل أن يقرىء الدرس فى أى فن أراد ، وأذا فقد أحد هؤلاء المدرسين انتخب نظار الجامع بدله أعلم أعلم الموجودين ، وكثيرا ما عقدوا مسابقة بين من يرغبون فى إحرازها .. »

عبد العزيز الثعالبى رائد الحـــركة الوطنيـــة .



صالح بن يوسف وهزيمة ـــار الزيتـــونة .



بورقيبة وانتصار الفرنسه



الحياة التقليدية والحديثة جنبا الى جنب



أما خير الدين التونسى فيقدم مشروعا متكاملا للنهضة .

● خير الدين التونسى
١٨٢٢ ـ ١٨٨٩

يقدم خير الدين نموذجا ساطعا للسعى الحثيث للاصلاح ، نابعا من إدراك عميق بأن المعرفة الانسانية بلا وطن ، فقد سعى ضمن نخبة داخل الفكر العربى ، فى القرن التاسع عشر ، استهدفت التجديد والاصلاح ، حتى يكون الشرقى قادرا على الاستجابة للتحدى الأوربى ، كما قدم أحد شروط النهضة والتى تقضى أن تكون ضمن حركة المجتمع ومن خلاله .

وتطهر مشروع خير الدين من التوجس السياسى والخوف من الاستيعاب الحضارى ، ويقوم مشروعه على الاقتباس من الغرب ومواجهته فى نفس الوقت ، ويقوم على أرضية الثقافة الوطنية ،

ولاتتحول من خلاله الشخصية الوطنية الى مسخ ، تقلد ولاتجدد ، تتبع ولاتبدع .

وقدم خير الدين مشروعه عندما كانت تونس ولاية مستقلة ترتبط بولاء اسمى بالخليفة العثمانى ، وفى ظل تجربة محمد على فى مصر ، وبعد قيامه بجولات فى البلاد الاسلامية والأوربية ، سجل ملاحظاته فى كتاب « اقوم المسالك فى أحوال الممالك » ، وكانت افكاره صيحة تنبيه للمسلمين على تاخرهم ، ورسم طريق لبناء مجتمع جديد متطور ، يقول فى مقدمة كتابه .. « إن المعرفة هى أساس التقدم ، وإن العلم والمعرفة لايمكن تحقيقهما إلا فى مجتمع تسوده الحرية والعدالة .. » ، ولايوجد ضمان لاستمرار حكم العدالة والحرية الا بقيام المؤسسات التمثيلية ، ... « ... حيث تقوم ببيان الأدلة الكافية لوجوب التنظيمات السياسية التى لو لم يمكن إلا تنفير الأجنبى والمتوظفين منها لكان كافيا على حسنها وايافتها بمصالح المملكة ، وكان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة ، الاتحاد فى ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة ، كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين أحوالهم على وجه يزرع حب الوطن فى صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم .. »

واهتم خير الدين باصلاح جامع الزيتونة ، فأصدر قانون اصلاح التعليم الزيتونى المكون من ٦٧ مادة ، واهدى الزيتونة مكتبة جُمعت من العديد من المساجد ، كما قدم مكتبته الخاصة البالغة ألفى مخطوط للزيتونة ، وطور المواد التى تدرس فيها ، وكان يكثر من التردد على الزيتونة ، وحضور حلقات الدرس والمشاركة فى المناقشات .

وتمكن خير الدين من وضع أفكاره موضع التنفيذ ، وقام بتأسيس مجلس تمثيلى كخطوة نحو قيام حكومة نيابية . بعد ان استخلص الدروس التى تفسر ما آل إليه العالم العربى وما أحرزه الغرب من تقدم ، وتضمنت مقدمة مشروع نهوض متكامل ، ويؤكد خلاله ان تحديث المجتمع وتجديده لايمكن ان يتعارضا مع الأصول الشرعية ، فالظروف تتغير وتتبدل وتأتينا بالجديد المفيد ، مايقتضى إضافات شرعية وفقهية ، ولابد من تعاون أهل السياسة ورجال الدين فى تقنينها ، فلا يمكن رفضها بحجة أنها «شروع جديد فليس كل جديد متعارضا مع الشريعة ، .... وثمة مصالح تمس الحاجة اليها ، بل تنزل منزلة الضرورة ، يحصل بها استقامة امورهم ، وانتظام شئونهم لايشهد لها من الشرع أصل خاص ، كما لايشهد بردها ، بل أصول الشريعة تقتضيها إجمالا وتلاحظها بعين الاعتبار . فالجرى على مقتضيات مصالح الأمة ، والعمل بها حتى تحسن احوالهم ، ويحرزوا قصب السبق فى مضمار التقدم ويذكر : لايمكن أن يكون متعارضا مع الشريعة ، كل مايحتاج إليه اتفاق النخبة

من حملة الشريعة ، ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الأمة ، متبصرين فى الأحوال الداخلية والخارجية ومناشىء الضرر والنفع ، يتعاون مجموع هؤلاء على نفع الأمة » ، ويعيد قصة سلمان الفارسى واقتراحه على النبى حفر خندق لمنع الأعداء من الوصول إلى قواته ، ويستشهد بما قاله الرسول .. « من قاتل فليقاتل كما يقاتل » ، ويطالب برفع الظلم عن البلاد الشرقية مؤكدا .. « ان الظلم مؤذن بخراب العمران كيفما كان .. » ويرى أنه لاتعارض بين الشريعة مايستنبطه العقل البشرى .. « وكانت القضية التى تشغل خير الدين والطهطاوى ، تدور حول : كيف يمكن للمسلمين أن يصبحوا جزءا من العالم الحديث دون أن يتخلوا عن تراثهم » ، كما ذكر البرت حورانى .

وقام بفتح المدرسة الحربية بباردو ، واصدر دستورا للبلاد ، ونقل لنا التاريخ رد فعل نابليون الثالث امبراطور فرنسا عندما قدم له نسخة من هذا الدستور وعلق قائلا .. « اذا تعود العرب على الحرية والعدالة ، فلن يكون بيننا وبينهم عدالة .. »

وقطعت فرنسا الطريق على هذه الحركة الاصلاحية عندما احتلت تونس ..

## ● بذور الانقسام

ونعود الى أسلوب مواجهة الزيتونة لتطوير الدراسة فى الجامعة ، فهم يدركون



الإمام محمد عبده وزيارة الى تونس .

أنه لايكفى الايمان والرغبة الصادقة فى الخلاص ، بل ينبغى تجديد الفكر العربى وتنقيته من العقائد الموغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة .

وعلى الجانب الآخر أمدت الزيتونة الحركة الوطنية بقياداتها ، وعلى راسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبى ومحيى الدين القليبى وفاضل بن عاشور ، وكانت الحركة الوطنية نتاج جهد وفكر انطلق من جامع الزيتونة .

ومع الأيام مالبثت الحركة الوطنية أن ضمت أصحاب التكوين الفرنسى مع أصحاب التكوين الزيتونى ، وانتهت المنافسة بسيطرة أولئك الذين يعتبرون التجربة الأوربية هى التى يجب اتباعها ، وتصاعدت المنافسة بين قيادات الزيتونة

والحزب الدستورى ، وكان الصدام الذى تم بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف ، له اثر كبير ، فقد كان بن يوسف حليف وممثل الوسط الزيتونى ، والذى رفض سياسة بورقيبة واعتبرها مناهضة للعروبة ، واصبحت تصفيته تصفية لهذا الاتجاه وفرض بورقيبة رؤيته وهو الذى يرى فى إصلاحات مصطفى كمال اتاتورك النموذج الأمثل .

وبدأت معالم البورقيبية فى الظهور :

● ألغى الأحباس ـ أى الأوقاف ـ على مرحلتين ، الأولى فى ٣١ مايو ١٩٥٦ ، والثانية فى ١٨ يوليو ١٩٥٧ ، وبالتالى صفى المورد الرئيسى للتعليم الزيتونى .

● تم توحيد القضاء والغاء المحاكم الشرعية ، واعتماد القانون الفرنسى الى جانب الأحكام الشرعية .

● حصر صلاحيات جامعة الزيتونة ، وتبعيتها لوزارة التعليم ، وانحسارها ، فانتقل تدريس الحقوق الى جامعة تونس ، وبعدها انفصلت الآداب واللغة العربية ، وانحصر دور جامعة الزيتونة فى تدريس أصول الدين ، كما سبق أن ذكرت .

● بطلان الطلاق إلا أمام القاضى ، ومنع تعدد الزوجات ، والسماح بزواج المسلمة من غير المسلم .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن بعض هذه الاجراءات كانت تستهدف الاصلاح ، الا ان رفضها جاء من انها تمت من خارج الوسط الزيتونى ، بل وفى صراع معه .

ولم يعد ماتشهده تونس منفصلا عن المعركة القائمة بين الفرنسة والتعريب ، ولم يعد مجرد اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية ، ومقاومة الجمود والخرافات والفهم الخاطىء للتراث ، وتصحيح وضع المرأة المزرى ، بل تم بهدف عزل رموز العروبة وتقديمهم كرموز للتخلف .

## ● الأصفار ..

وتتعدد وتتراوح التجربة التونسية ـ فى مرحلة الاستقلال ـ داخل ازدواجية الوافد والموروث ، وتختل معادلة النهضة ، مما انعكس على الفكرة العربية وموقف بورقيبة منها عندما صور الدول العربية باعتبارها « إضافة أصفار إلى أصفار » ! ، وعند المناقشات التى تمت فى المجلس التأسيسى لوضع الدستور التونسى ، أثيرت مناقشة ذات دلالة هامة ، دارت حول النص القائل « تونس دولة لغتها العربية » وعندما طالب بعض أعضاء المجلس بالنص على انتماء تونس إلى العرب ، تم رفض ذلك ! .

وظهرت البورقيبية كأنها جزء لايتجزأ من سياسة مناهضة العروبة .

وأخذ الموقف يتداعى وتظهر آثاره السياسية والاقتصادية .. فمثلا فى المحاولة الانقلابية التى وقعت عام ١٩٦٢ ، لوحظ أنها ضمت بين صفوفها متخرجى الزيتونة وأعضاء من الحزب الدستورى القديم وأنصار الفكرة العربية ..

وظهرت آثاره الاقتصادية فى ارتباط

تونس بعجلة الاقتصاد الغربى ، وعندما اقتصر النمو والتغيير على المناطق الساحلية ، وتجاهل مناطق الداخل ، مما وسع الفجوة بين الساحل والداخل ، وبين الاغنياء والفقراء ، واستمدت اللغة العربية هامشية بعيدة عن قطاعات النشاط الحية فى العلوم والاقتصاد .

● أحداث قفصة

وعندما تصور بورقيبة ان سياسته قد حققت الاستقرار والنجاح ، أخذت تظهر نتائج هذه السياسات ، وعانى المجتمع معاناة قاسية من آثار التغيير السريع ، وبما يحدثه من تفكك فى العلاقات ، وتفسخ فى القيم ، وساد شعور عميق من الاحباط والسخط إزاء التضحيات التى يطالب ببذلها فى أوضاع اقتصادية بالغة الصعوبة .

**وظهر انه لايمكن استمرار الحال ، الذى يكون فيه المواطن معلقا بين عالمين متباينين ، لايدرى الى ايهما ينتمى ، بعد أن تهاوت كل الأشكال القديمة ، ولم تعد القبيلة هى محور الحياة** ، ولم يملأ الفراغ لا مكتب الحزب ولامقر الشرطة ، وقضت هجرة الرجال الى المدن على الترابط الأسرى ، وعجزت المؤسسات الحديثة عن اشباع الاحتياجات الروحية والنفسية للمواطنين ، وخاصة الأجيال الشابة .

وغدت تونس بلدا مفتوحا ، أمام كل التيارات والاتجاهات التى وجدت فى الشباب من أنصاف المتعلمين وذوى الكفاءات المهنية المحدودة ، ممن لايعرفون من اللغات سوى العربية ، ويجدون مشقة كبيرة فى الالتحاق بعمل فى المدن التى أصبحت تزدحم بهم ، فكانت أحداث قفصة وثورة الخبز واخيرا المتفجرات التى فى المناطق السياحية ...

وكشفت القضية الأخيرة الكثير من الأبعاد ، فعندما عجزت جامعة الزيتونة حتى عن تقديم الأئمة المؤهلين لمساجد تونس ، **وظهر فراغ علمى وروحى ، وتمزق عقائدى ، وتطرف دينى ولادينى .. مما جعل المدن التونسية تستقبل افواجا ، من الطرق الصوفية** من الجنوب الافريقى ، ومن **الباكستان** ومن **إيران** ، مستغلين ذلك **الفراغ الكبير ...**

وجاءت القيادة الجديدة ، **لتطرح حلولا تجمع بين التمدن والتراث** ، وقطعت خطوات هامة فى هذا المسار ، على اعتبار ان الحكومة هى القادرة على خدمة الاثنين معا ، وانه قد حان الوقت لبدء سياسة المصالحة ، ومراعاة المركب الكيميائى للتقدم المستقل .

**واختارت القيادة الجديدة ، ربط التعليم الزيتونى بواقع المجتمع واحتياجاته فى المجالات المختلفة ، فالرؤية الشاملة وحدها هى القادرة على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية القائمة ...**

وهنا يمكن القضاء على التوتر الحضارى ، ويمكن السير فى طريق التنمية المستقلة فى إطار عربى .

قضايا حيوية

# أساليب الصراع الفكرى

بقلم: طارق البشرى



نحن مع خصومنا صرنا نرفع شعارات المفاوضة ، والتسويات السلمية ، وصرنا نتعامل أخذا وعطاء ، ولكننا مع أنفسنا أو مع حلفائنا صرنا نخرج لهم بالسلاح وبالكراع والبارود .

مشكلتنا اننا نضع الأمر في غير موضعه ، اى نخالف مابين الأسئلة والاجابات ، ومابين التحديات والاستجابات ، قائمة رصد المشكلات تكاد تكون سليمة وكاملة ، وقائمة رصد الحلول تكاد تكون كذلك ، ولكننا فى توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين ، يزيغ منا البصر وتهتز الأيدى ، فنصل بين كل مشكلة وبين عكس حلها .

وماجعلنى أفكر فى هذا الأمر لايتعلق بالسياسة بقدر مايتعلق بالفكر ، اى لايتعلق بالعمل السياسى بقدر مايتعلق بالفكر السياسى

وممارساته ، فقد بتنا نستخدم « وسائل التسوية الفكرية »، بين المتحاربين فكريا ، نستخدم أساليب التسوية مع الثقافة الغربية بعامة ، والفكر الاستعمارى بخاصة ، ونتعلم فى جامعاتهم ونتركهم يوجهون أفكارنا ونتتلمذ عليهم فى بحوثنا عن تاريخنا واقتصادنا وأحوالنا السياسية والاجتماعية والعمرانية معا ، ونحضر مؤتمراتهم ونشاركهم ونعاونهم فى بحوثهم عنا ، وبتنا نستخدم وسائل العنف الفكرى والمخاصمة والمجافاة بين المتحالفين فكريا أو المفروض أن يكونوا متحالفين فكريا ، بحسبانهم أبناء وطن واحد وعدوهم واحد ، وأهدافهم واحدة ، أو بالأقل متقاربة .

فى البداية يهمنى أن أشير إلى أننا عندما نتحدث عن الصراع الفكرى وأدواته وأساليبه ، يتعين علينا أن نشير إلى محتوى هذا الصراع أو المحتوى الذى يتضمنه كل من أطرافه التى تتمثل فى التيارات الفكرية المختلفة القائمة ، والدائرة الآن فى بلادنا ، ويتعين علينا أن نشير إلى الغاية التى ننشدها من إدارة هذا الصراع على وجه أو آخر من الوجوه .

وأول ما أود الإشارة إليه هو هذا الانفصام الحادث بين تيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد ، وهو انفصام حاد يصدع المجتمع ، ويفت من قواه ، وهو مسئول عن تلك الغربة المظلمة التى تغشى أهل كل فريق تجاه الآخر ، حتى أضحيا وكأن كلا منهما ينتمى لكوكب منفصل وليسا على أرض واحدة فى مجتمع واحد وشعب واحد .

ثمة فكر موروث عشناه وعشنا به قرونا مديدة ، وضم برحابته تاريخا عريضا طويلا ، بحضارته ونهضته وحيويته حينا ، وبانحداره وجموده حينا ، وبصراعاته السياسية والاجتماعية والفكرية وبنزعات الاستبداد والمحافظة ونزعات التمرد والثورة .



ثم حدث فى فترة ركود ووهن أن دهمنا الاستعمار الأوربى ، وانكسر المجتمع أمام غزوته السياسية العسكرية الثقافية الكاسحة ، وهنا ظهر مايمكن تسميته بالفكر الوافد ، انتشر بالمدارس الحديثة والبعثات ، ووسائل الاعلام واسعة الانتشار ، وانزرع فى البيئة المحلية بمدارسه المختلفة الرجعية ، والمحافظة والتقدمية .

## ● تعبيرات متباينة

المهم أن هذه الازدواجية التى آلت إليها أوضاعنا قد صارت بها الاتجاهات والتجمعات السياسية والفكرية تتشكل وفقا لعاملين لا لعامل واحد العامل الفكرى الاعتقادى الذى يميز بين ما يمكن تسميته بتيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد . والعامل السياسى الاجتماعى الذى يميز التغييرات السياسية والاجتماعية المتباينة داخل كل من هاتين الدائرتين الواسعتين . فنجد داخل كل من هاتين الدائرتين تعبيرات متباينة عن المواقف السياسية الاجتماعية المختلفة

وعلى ذلك فنحن لانجد تعبيرا سياسيا اجتماعيا واحدا يقدمه كل من التيارين الفكريين المذكورين ، انما نجد تعبيرات شتى ينفسح لها كل منها . كما اننا نلحظ أن الموقف الاجتماعى السياسى المعين لا يجد تعبيرا واحدا ، انما قد يجد تعبيرين فكريين عنه ، احدهما من دائرة الفكر الموروث والآخر من دائرة الفكر الوافد . ومن ثم فهناك صدع طولى يصدع الامة قسمين ويهن من قوتها . واذا اردنا ان نضرب امثلة من التاريخ على ذلك ، نجد مثلا ان الملك فؤاد كمؤسسة سياسية كانت تجد لنفسها تعبيرين سياسيين ، احدهما موروث يمثله اتجاه الشيخ الظواهرى فى مشيخة الازهر ، والآخر علمانى يمثله أمثال حزبى الاتحاد والشعب برئاسة حلمى عيسى واسماعيل صدقى على الترتيب . وكانت الحركة الوطنية يمثلها فى تعبيرها العلمانى حزب الوفد ويمثلها فى تعبيرها الاسلامى عناصر اسلامية ذات اهتمام سياسى وفكرى كالأستاذ محمد شاكر والشيخ يوسف الدجوى وغيرهما فى بداية العشرينيات ثم حركة الشيخ ماضى ابو العزايم فى اواسط العشرينيات ثم حركة الشبان المسلمين ، ثم استوت على سوقها بحركة الاخوان المسلمين التى بلورت هذا الاتجاه وحملته فيما بعد . وهكذا نجد لكل وضع سياسى اجتماعى تعبيرين احدهما يجرى من خلال الفكر الدينى الموروث والآخر يجرى من خلال اصول الفكر الوافد .

هذا اخطر ما يفلق هذه الامة الفلقتان اللتان نشاهدهما الآن ، كل تميل الى جانب قصى ، والانفلاق كما نرى يرد من الموقف من الشريعة الاسلامية ومدى ما يعترف لها به من الهيمنة على الشرعية العليا على المجتمع فى هذه الديار . نحن روم لمّ شمل هذه الامة وترميم ما انصدع من ابنيتها وهياكلها . ونحن لا نبتغى إيجاد صيغة للتعايش فقط بين جماعات هذه الامة ، ولكننا نطمع فى أكثر من ذلك ، وهو ان نقدم صيغة للتلاقى بينها . وموضوع الشريعة الاسلامية هو ميدان الالتقاء او الافتراق ، فعلينا ان نوليه أعظم الاهتمام ، بحسبانه الشاغل الكبير الذى يتصل بالجماعة السياسية فى بلادنا .

لقد جاهدنا عشرات السنين لنقيم الجماعة السياسية لدينا بصورتها الجامعة للمسلمين والمسيحيين ولكننا لم نتحلّ باليقظة وروح الجهاد نفسها ازاء النظرة العلمانية ، فقد تسبب عن شيوعها فتق آخر بين العلمانيين وبين اسلامية المسلمين او التيار الاسلامى بعامة وظل هذا الفتق يتسع بالتباعد الحثيث الذى تتابعت حلقاته بين الاتجاهين وها نحن نصيح بأهل الفريقين منبهين الى هذا الفتق ، والى وجوب ان يبذل اهل الفكر والسياسة – كل فى ميدانه – ما يستطيع من جهد لرأب هذا الصدع وإقامة جسور الالتقاء وكشف الصياغات الفكرية اللازمة له

نحن ندرك أن الطريق الى هذه الغاية وعر ويحتاج الى جهد الرجال الأكفاء

الاشداء ، ولكن لا مناص من سلوكه ، ولابد من الخطو فيه ان بقينا مصرين على الاستقلال والوحدة والنهوض . والأمر يحتاج الى نوع من الجراحات الفكرية ، اقرارا عاما ومتبادلا للأصل المرجعى العام للشريعة الاسلامية كنظام قانونى حاكم يهيمن على الشرعية فى المجتمع ، واقرارا عاما ومتبادلا أيضا لحركة التجديد فى الفقه الآخذ عن الشريعة ، بما يثبت اصولها ويدفع أحكامها فى مجال الاستجابة لتحديات العصر الذى نعيش فيه .. ويقيم منها بصفة خاصة درعا يحمى الجماعة السياسية وترابطها بين المواطنين كلهم . واقرارا عاما ومتبادلا بحقوق المواطنة التى يتمتع بها الجميع وان اختلفت اديانهم .

## ● تكوين التيار السياسي الحضارى

انه من الخطأ أو من عدم الدقة أن نتصور ان هذا الشاغل الذى يشغلنا يتعلق بما يسميه البعض "الجبهة السياسية" . إنه أهم من ذلك وأخطر ، لأنه يتعلق بتوثيق عرى التماسك فى بنيان الامة ، انه يتعلق برتق الفتوق فى قماش الامة لتقوى أشرعتها فى مواجهة الرياح اى انه يتعلق بتكوين التيار السياسى الحضارى الغالب فى امتنا وادراك أصول المسألة الوطنية . وتشييد جسور العمل الوطنى العام . وحتى موضوع الجبهات السياسية الذى تنشغل به السياسات العملية للأحزاب ، والذى يتصوره البعض معا يكفيه قدر مقدور من التوافق فى بعض المطالب السياسية والاقتصادية الراهنة او المستقبلة ، هذا الموضوع لا يكفى فى شأنه التقارب المؤقت فى بعض المواقف الجارية ، انما تلزمه بالضرورة درجة موفقة من التقبل الفكرى والعقيدى العام من كل من التيارات المعينة . وهذه الدرجة من التقبل تقتضى جهدا فكريا ينزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة الشاغلة للساحة الجماهيرية . وبغير هذا الجهد الفكرى فان كل ما يقال عن الجبهات فى اى من المجالات لن يعدو ان يكون الفاظا .. الفاظا .. الفاظا .



يبدو لى ان شيئا فى هذا الصدد لا يتحقق الا بالجدل وبالحوار بين التيارات الفكرية ذات الذيوع فى المجتمع . وهو حوار وجدل قد يسميه البعض "صراعا فكريا" بحسبان ان كل جدل صراع ، وقد لا نعترض على التسمية ان كانت متداولة ، انما الاعتراض كله الا يتحول الجدل الى "حرب فكرية" بين التيارات الوطنية ذات الذيوع فى المجتمع ، والشرط كله الا تعنى كلمة "الصراع" بالضرورة معنى التنافى والتغالب ولايضاح هذه النقطة يمكن ان نستعير من الفاظ السياسة لفظى "التسوية" و الحرب" ، لبيان الاسلوبين الغالبين فى عمليات الحوار والجدل الفكرى .

فالحوار الذى يتخذ اسلوب "التسوية الفكرية" غايته التوفيق بين وسيلتين تستهدفان غاية واحدة ، او بين مصلحتين يمكن الجمع بينهما واستبقاؤهما معا ،

او استبقاء الأكثر من كل منهما ، فهى مبادلة للرأى بغية الوصول الى تسوية واتفاق .

وهذا الهدف يقتضى استطلاعا دائما لوجهات النظر المتعارضة ، وان يعايش كل جانب تفصيل الهموم الفكرية للجانب الآخر وأن يتفهم شواغله ، ويحاول ان يدرك المنطق الداخلى للرأى المخالف ، ويحاول ان يتعرف على التوظيفات الفعلية لذلك الرأى فى ظروفه الواقعية الملموسة . وهو يقتضى من الأطراف المعنية محاولة جرد المحتويات التطبيقية لكل فكرة نظرية وبيان المفاد الواقعى لكل فكرة مجردة ، او تحليل كل فكرة الى عناصرها التطبيقية ، ثم مقارنة ما لدى الأطراف المتحاورة فى هذا الشأن .

وبهذا الاسلوب تظهر نواحى التطابق وجوانب التوافق ، كما تتبدى وجوه التنافى ومجالات التعارض ، وتستبين المساحة الوسطية التى يجيز كل من الأطراف المتحاورة لغيره ان يختلف معه بشأنها دون شطط . وكل ذلك يكشف عن القدرة الفكرية لكل طرف فى ان يستوعب عناصر من الطرف الآخر ويتخللها فى مواده ويجدلها فى نسيجه .

فى الفترة الزمنية التى تدور حول اواخر السبعينيات واوائل الثمانينيات ، كان الرجاء قويا ان يجرى الحوار على هذا المنوال . وكانت اوضاع البيئة الفكرية والثقافية والسياسية تساعد على انتعاش هذا الرجاء . ولكن حدث بعد ذلك فى الأعوام التالية ان تحول اسلوب الحوار بين الأطراف المعنية الى ما يمكن تسميته "الحرب الفكرية" .

نحن لا نتتبع احداث هذه الفترة ، ولكنها فيما نعلم جميعا ، هى فترة مدّ استعمارى كبير اتى زاحفا بعد انكسار ثورة ٢٣ يوليه ، وهى فترة « كامب ديفيد » فى السياسات المصرية والعربية . وهى من جانب آخر فترة تبلور المعارضة السياسية عن تيارات شعبية ، ومنها ظهور المعارضة السياسية الاسلامية فى العديد من التنظيمات والتوجهات الفكرية . وهى الفترة التى بدات التيارات المختلفة تتعرف على بعضها البعض لتحدد نواحى الاتفاق والتقارب ووجود الاختلاف والتباعد ، وهى الفترة التى بدات السلطات فيها تستشعر الخطورة من تقارب تيارات المعارضة السياسية على الصعيدين العربى والاسلامى العام والخطورة من جو التفاهم العام الذى بدا يتبلور ويسود فى مواجهة سياسات « كامب ديفيد » .

فى ظل هذه الأوضاع تفجرت الحرب العراقية الايرانية ، واستمرت وتطاول امدها الزمنى بدم يسيل على الجانبين ، تغوص فيه وتختفى محاولات التقارب والتلاقى بين جامعتى الاسلام والعروبة . وفى ظل هذه الأوضاع تعمقت الحرب الطائفية فى لبنان ليغشى غبارها المتناثر العيون

فلا يبين عدو من صديق . ثم في ظلها ايضا اصطنعت المعارك الفكرية والسياسية الداخلية ضد الشريعة الاسلامية ، واتخذ هذا الهجوم مجالا له في مسالة « الحدود الشرعية » و« حقوق المراة » ثم ارتقى بها الى قضيتي « الربا » و« حقوق غير المسلمين » . وحرب الخليج كانت تضرب فيما تضرب التقارب الاسلامي العربي ، وقضايا الحدود والمراة كانت تثار بطريقة تباعد بين التيارات الاسلامية والتيارات الوطنية الأخرى .

يمكن هنا ان نتذكر كلمة ماوتسي تونج زعيم الصين عن التناقضات الثانوية التي يساء التعامل معها فتصير تناقضات اساسية . وقد حدث ذلك فعلا في القضايا التي نشير اليها هنا . واذا حاولنا العودة الى رؤيتنا في ١٩٧٨ فهل يمكننا ان نسيغ ما نشعر به الآن ونراه طبيعيا وعاديا . هل يمكننا انْ نسيغ ان بات الفيصل بيننا هو الموقف من حرب الخليج وليس الموقف من « حروب السويس » . هل نسيغ ان قضية فرعية في قانون الاحوال الشخصية لا تمس من قريب وضع المراة تتقدم لتصير مجال الطعن في الشريعة الاسلامية وتحظى بكل ما حدث من ضجيج وحدة ؟ على انني لا اظن ان السبب يعود الى محض الخطا او سوء التعامل ، انما يعود فيما اتصور الى عزم مسبق للإيقاع بين التيارات الوطنية بعضها البعض .

بهذا صار الجدل يجري على اسلوب « الحرب الفكرية » ومن مظاهر ذلك ولوازمه غلق الحدود الفكرية بين الأطراف المتصارعة ، ومنع تسرب افكار كل طرف الى الطرف الآخر ، ويجري ذلك باتخاذ موقف المدافعة الفكرية والتقبض عن آراء الآخرين ورفض تمثلها واستيعابها . ان من عالج مهنة المحاماة يستطيع ان يدرك خصائص هذا الموقف الفكري حيث يكون الواجب ان ادفع رأي الغير لا ان اتمثله ، وحيث يتعين ان ابذل الجهد لتكوين « اجسام فكرية مضادة » للرأي الآخر .

وان من خصائص هذا الموقف الفكري المحارب ان يمتنع على كل طرف تمثل المنطق الذاتي للطرف الآخر وهمومه الفكرية والزاوية التي يرى منها الواقع ، كما يمتنع عليه محاولة تفهم السياق الداخلي لأفكار الطرف الآخر وآرائه .

## ● وجوه الخلاف

هنا ينصرف الجهد لا الى البحث عن مجالات الالتقاء او التقارب ، ولكن الى التفتيش عن وجوه الخلاف ، والتركيز على هذه الوجوه بحسباتها « الحدود الفاصلة » . وثمة حرص لا على الاعتراف بنواحي القوة لدى الطرف الآخر ، ولكن الحرص على التنقيب عن نقاط الضعف والعمل على توسيعها والنفاذ منها والتشنيع على الخصم بها . وثمة بحث عن امراض الطرف الآخر ، لا لمداواتها ولكن للطعن عليه بها ومحاولة اغتياله منها . وثمة حرص على تضخيم الذات وتضعيف ما يقوى الغير ، وبهذا ينشأ تلازم عكسي بين ما يفيد الطرفين ، وما

يضر بهما وضعفه قوة لي والعكس على وجه التلازم والحتم . وفى النهاية فى وجودى تصفية له وإبادة ولا مفر .

لذلك فإن الجدل هنا ينتقل من ساسة الأفكار الى حراس الحدود الفكرية ، وينشط رجال الامن الفكرى يجوبون خلال الديار مفتشين عن كل ما يتعاطف مع الطرف الآخر فيقصونه ، دعما وتأكيدا للمفاصلة الفكرية والقطيعة بين الأطراف المتصارعة . ويحذر أن يقوم بين اى فريق من يتعاون مع الفريق الاخر أو يكون له فيه رأى يخالف ما تفرضه الحرب من أحكام .

هذه المفاصلة تفرض على كل فريق أن يسحب « الجنسية الفكرية » عن المتعاونين مع الطرف الآخر ويخرجهم من حظيرته ويجرى ذلك بطريقة التأكيد على وجوه الخلاف وتضخيم وجوه الخلاف مع هؤلاء ومن هنا تسقط الحلقات الوسيطة . وتنمحى مجالات التداخل التى كان يمكن أن تقوم بدور فى التقريب بين الأطراف المعنية ، ومن ثم تزداد المجانبة والمجافاة ، يحرسها الشك وسوء التأويل . ومن ثم تتخذ التميزات الفكرية وضعا متنافيا لبعضها البعض على الجانبين .

أما ما لم ينمحى من الحلقات الوسيطة بين الأطراف المحاربة فتتغير وظيفته ، فلا تعود مجالا للتقارب والتفاهم وتبادل الرأى ولكن تتخذ منها الاطراف المتصارعة مجالا « للتجسس » الفكرى على الطرف الآخر ، كما تستعمل اراضى الدول المحايدة في الحروب . وتنشط مراصد استطلاع التوجهات الفكرية للأطراف المعنية ، يجرى هذا الاستطلاع لفهم التحصينات الفكرية للطرف الآخر ، وما يعده من اسلحة واستحكامات جديدة ، ويجرى اكتشاف كل ذلك ليضرب فى المهد قبل أن يشب وينمو ويتكامل ، او قبل أن يشيع بين الناس ، كما يجرى هذا الاستطلاع لاعداد الاسلحة الواقية والأمصال المضادة او لدراسة كيف يمكن افساد الافكار الجديدة المضادة أو خروجها عن مسارها .

لقد بلغ من حدة المعركة القائمة الآن ، ان خصوم الماركسية من العلمانيين المعادين للحركة الاسلامية صاروا لايمانعون من استخدام الفروض الماركسية النظرية وتطبيقاتها كسلاح ضد الفكرية الاسلامية وذلك من باب استخدام الضرر الأهون لدفع الضرر الاكبر ، ومن باب الاستعانة بقوة الضعيف لضرب القوى .

بل من حدة هذه المعركة ان صارت هي المعركة الحاكمة لغيرها ، ترهن لها كل الموارد وتحشد لها كل الطاقات . ومن هنا برزت قضية « مسكن المرأة » مثلا عن قضية شعب افغانستان وصار تصنيف القوى السياسية لا يجرى على اساس الموقف السياسى الاجتماعى من القضايا الوطنية الشعبية ذات الالحاح ، ولكنه يجرى على اساس الموقف الفكرى المجرد من قضية « الاسلام والعلمانية » .

ولعلنا فى العدد القادم ان شاء الله نستطيع أن نبين بعض اساليب الصراع الفكرى المستعملة الآن فى الجدل العربى .

قضايا حيوية

# من الذى يكتب التاريخ ؟

## ومن الذى يحمى وثائقنا التاريخية ؟

بقلم : د. جلال السيد

**كتابة التاريخ معركة وموقف اجتماعي وسلاح مؤثر ،تستخدمه القوى الاجتماعية والاحزاب والفئات السياسية في محاولة لتثبيت مواقعها والنيل من خصومها في ساحة الصراع السياسى ، فكثيرا ما تحتاج المواقف السياسية الى الخلفية التاريخية التى تدعمها وتساندها ، لانها ليست منفصلة او معلقة فى فراغ ، بل هى فى النهاية محصلة أحداث ومواقف اجتماعية وتاريخية ٠**

وقد أدرك المستعمرون ـ منذ الموجات الاولى للاستعمار ـ اهمية التاريخ وخطورته فى تكوين وعى الامم وأستلهامه لنهضتها، فكانت عمليات النهب والسرقة للآثار القديمة والمخطوطات والوثائق التاريخية ،والتى عانت منها المنطقة العربية منذ القرن السابع عشر على يد معظم الرحالة والمستشرقين ، والى جانب عمليات النهب ، بسحب المصادر ومواد الكتابة التاريخية من أصحابها ، كانت خطة المستعمرين لتزييف التاريخ ، وفى مصر عانينا من هؤلاء المؤرخين الذين داروا فى فلك الاستعمار ، والمؤرخين الذين استأجرهم الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرة محمد على ، متجاهلين دور الشعب المصرى فى صنع تاريخه ، وكما عجز الاستعمار عن أحكام سيطرته وتنفيذ مخططاته كاملة امام نضال الشعب المصرى ، فقد عجز عن السيطرة على الكتابة التاريخية ووجد فى كل فترة من فترات تاريخنا الحديث والمعاصر من تصدى لتزييف التاريخ ، ودافع عن الحقائق والتزم بالامانة التاريخية ، والى جانبهم وقف بعض المؤرخين الاجانب ٠

ومع تطور المجتمع وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تبرز ـ فى فترات ـ الدعوة لكتابة تاريخنا القومى ، واعادة كتابة التاريخ، أو النظرة الجديدة لتاريخنا ، والحفاظ على وثائقنا التاريخية ، يعزز هذه الدعوة ظهور وثائق جديدة أو مذكرات سياسية ، قد تجلى بعض ماكان غامضا، أو تؤرخ لفئات وقوى اجتماعية لم تكن مطروحة على بساط البحث التاريخى ٠

ومنذ اكثر من ربع قرن من الزمان، وفى بداية الستينيات ، طرحت فكرة اعادة كتابة التاريخ بين بعض اساتذة

التاريخ الحديث بجامعتى القاهرة وعين شمس وتلاميذهم من الباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية ، من خلال لقاءاتهم مع من كانوا على قيد الحياة من الذين ساهموا فى تنظيمات ثورة ١٩١٩ السرية ، ومنهم على سبيل المثال: حسنى الشنتناوى - عبد الفتاح عنايت - عبد العزيز على - الحاج احمد جاد الله ، ومن الذين شاركوا فى الحياة السياسية من اقطاب الاحزاب السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتبلور **الموقف فى مشروع أعده الدكتور محمد انيس والدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، ولكنه وئد اثر مقابلتهم لوزير الثقافة فى ذلك الوقت - الدكتور ثروت عكاشة ، والذى صدمهم بقوله : « ان تاريخ مصر الحديث يبدا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » .**

وعكف اساتذة التاريخ على ابحاثهم وحاولوا تنفيذ مشروعهم من خلال الرسائل العلمية التى كانوا يشرفون عليها ، وان ظلوا تواقين لتنفيذ المشروع ، حفاظا على الوثائق التاريخية ولجمع المذكرات السياسية المتناثرة .

وفى عام ١٩٦٢ وفد الى مصر طالب من جامعة هارفارد - جولد شميث - لدراسة الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وعرف بين أساتذة التاريخ الحديث أن هذا الطالب اطلع على مذكرات محمد فريد وأكثر من هذا انه قام بتصويرها ، فى الوقت الذى لم يطلع عليها احد من أساتذة التاريخ الحديث أو الدارسين ، وكتب الدكتور محمد أنيس مقالا بجريدة الاهرام - يونيو ١٩٦٣ - ناشد فيه وزير الثقافة، التدخل لحماية الوثائق التاريخية والمذكرات السياسية من التسرب الى خارج الوطن ، وذلك اعمالا للقانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ الخاص بانشاء دار الوثائق التاريخية القومية ، وتعطى - المادة السادسة من القانون - الحق للوزير فى حظر خروج الوثائق الهامة من البلاد أو التصرف فيها ، وقد استجاب وزير الثقافة - الدكتور عبد القادر حاتم - فى ذلك الوقت الى نداء الدكتور انيس وأصدر قرارا وزاريا رقم ٢٣٩ لعام ١٩٦٣ فى ٢٥ يونيو باعتبار أن المذكرات السياسية الآتية ذات قيم للتاريخ القومى وهى :

مذكرات سعد زغلول - محمد فريد - مكرم عبيد - عبد الرحمن فهمى - فخرى عبد النور - محمد على علوبه، ثم أضيف الى هذه المذكرات، مذكرات: محمد كامل سليم - اسماعيل صدقى - الدكتور محمد حسين هيكل .

وأودعت هذه المذكرات دار الوثائق، واستطاع الباحثون الاطلاع عليها لاول مرة .

وشكلت وزارة الثقافة لجنة خاصة بمشروع اعادة كتابة تاريخنا القومى ، الا انها بحكم تشكيلها كانت عاجزة عن الاستمرار، ويكفى أن نشير الى أن أحد أعضائها وهو المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى كان يصرح دائما بأنه ضد هذا المشروع .

**● نشاط ملحوظ وتغير مفاجىء**

وفى عام ١٩٦٦ أعيد المشروع من جديد ، وتحمس هذه المرة الدكتورثروت عكاشة وزير الثقافة فى ذلك الوقت ، وشكلت لجنة جديدة وبدأ المشروع يأخذ شكلا عمليا ، فقد أنشىء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر عام١٩٦٧ باشراف

الدكتور محمد أنيس ، تابعا للوزارة ، وضم مجموعة من الباحثين منهم من حصل على الماجستير والدكتوراة ، مستفيدين في رسائلهم بما لدى المركز من وثائق ، وشارك في المركز أساتذة ومدرسو التاريخ الحديث باشرافهم على مجموعات الابحاث ، وقد بدأ المركز عمله في حصر الوثائق وأماكن وجودها ، وفي الاجتماع الاسبوعي كان يقدم كل باحث ما أنجزه وما قابله من عقبات ، ثم بدأت الى جانب عملية حصر الوثائق ، عملية الاتصال بالشخصيات التي لعبت دورا في تاريخ مصر وتسجيل ما لديهم من معلومات ، وسجل المركز للاستاذ فؤاد سراج الدين عدة ساعات ، كما زار المركز في بداية نشاطه مجموعة من المؤرخين العرب والاجانب والتقوا بالباحثين وألقى الكثير منهم محاضرات عن تاريخ الشرق الاوسط وتاريخ مصر ، ومشكلة الوثائق المصرية المعاصرة . وكانت اصدارات المركز الاولى : كتاب تاريخ النظارات والوزارات للمرحوم فؤاد كرم ، وكتاب حادثة دنشواى للدكتور جمال الدين المسدى . واتفاقية رودس ١٩٤٩ للدكتور محمود متولى وفي حرب اكتوبر ١٩٧٣ ذهب الباحثون وأساتذة المركز الى السويس وسجلوا أحداث الحصار والمقاومة من الافراد العاديين والمسئولين والشخصيات التي لعبت دورا بارزا .

وقد انتقل المركز من مكانه بالجيزة الى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وبانتقاله أصبح جزءا من ادارات وأقسام الهيئة وبدأت أزمات المركز تتوالى وان كان قد أصدر أعمالا تاريخية هامة كانت معدة من سنوات مثل رسائل مصطفى كامل وأوراقه ومذكرات محمد فريد وغير ذلك مما صدر عن المركز ، كما صدرت عن المركز سلسلة « مصر النهضة » التي يشرف عليها الدكتور يونان لبيب رزق .

### ● أزمات وتدهور !

هذه مقدمة سريعة للوصول الى القضية الهامة التي أثارها الاستاذ محمد حجازى في مقاله : « من الذي يكتب التاريخ ؟ » والذي نشر في العدد الماضي من مجلة « الهلال » ، ونحن نتفق تماما مع ما جاء بالمقال ، ونرى أنه بتقديم الاسباب الموضوعية لاعتراضه على اشراف الدكتور عبد العظيم رمضان على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، فقد أثار في نفس الوقت قضية المركز وتبعيته لهيئة الكتاب وان لم يتعرض له الكاتب ، لكنه بما

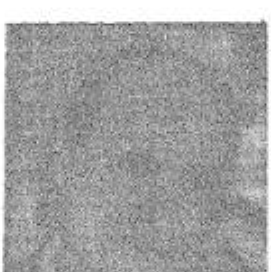
د . ثروت عكاشة



د . عبد القادر حاتم



د . عبد العظيم رمضان



جاء فى مقاله فتح بابا ظـل موصدا لسنوات طوال ، وحرك قضية يـدور الهمس حولها ، ونحن نطرحـها فى الضوء لمناقشتها ، وهى قضية مركـز التاريخ ، والتى تركها معظم المؤرخين وأساتذة التاريخ ، أو تناسـوها ، أو فضلوا الابتعاد عنها .

**فالمركز يعانى من ازمات وتدهور منذ حـوالى خمسـة عشر عـاما ، وتفـاقم الوضـع فى الشـهور الاخيرة ،** وما نشر فى الصحف والمجلات القومية والحزبية وما كتبه معظـم الباحثين بالمركز من مذكرات يؤكد ما نقوله .. وما نشره الدكتور عبد العظيم رمضان فى مجلة أكتوبر دليل آخر على وجـود الازمة ، وفى رأينا أن ما ينـاقش أو الذى حوله الصراع ليس جوهر أزمـة المركز ولكنها ازمات نتجت عن وضـع المركز وتبعيته لهيئة الكتاب ، وأصبحت هناك مشاكل ادارية ومالية معقـدة واختلط الامر بين الموظف والبـاحث بالمركز الامر الذى يعانى منه الباحثون الجادون، وقد بدأت أزمة مركز التاريخ **منذ أن أصبح ادارة من احدى ادارات هيئة الكتاب ، وفى غياب مشرف على المركز أو لجنة اشراف ، فالجمـيع موظفون تحكمهم لوائح هيئة الكتاب ،** حتى بلغ الامر أن تولى منصب مـدير مركز التاريخ كبار الموظفين بالهيئـة والذين لم يعرف عنهم أن لهـم عـلاقة بالتاريخ ، منهم من كان مسئولا عـن النشر بالهيئة ، وآخر فنان ومسئول عن الاعلانات بالهيئة ، وبالصدفة هما من متخرجى قسم الفلسفة !

وبالطبع نحن لا نلومهما ، ولا يقلل توصيفنا لوظائفهما من احترامنا لهما .

كما أن قرار رئيس مجـلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب بتشـكيل لجنة للاشراف على المركز برئاسـة الدكتور عبد العظيم رمضان من سلطاته، ويتضح هنا الخلل ، فعلى أى أسـاس يستطيع أى رئيس مجلس ادارة لهيئة الكتاب اختيار مشرف على مركز التاريخ وهل مركز التاريخ ينطبق عليه ما ينطبق على الادارات الاخرى كالمطابع والنشر والعلاقات العامة والتوزيع .. و ..

**لذلك لم تكن صدفة أن رفض أعضاء اللجنة الانضمام اليها أو الاسـتمرار فيها ، استمرارا لعزوف معظم أساتذة التاريخ الحديث عن المشـاركة فى المركز .**

## ● خطأ فى القرار

فمركز التاريخ يحتاج اليـوم الى دراسة شاملة لكافة أوضـاعه مـن خلال اجتماع موسع للمؤرخين والمفكرين وأساتذة التاريخ الحديث ، تطـرح فيه الآراء كى يصبح المركز مركزا علميـا حقيقيا ، على صلة دائمة بمراكـز الابحاث العلمية فى مصر وخارجهـا ، وعلى صلة دائمة بأقسـام التاريخ بالجامعات ، والجمعية التاريخية ،على أن تكون لجنة للاشراف على المركز من أساتذة التاريخ الحديث الذين عرفـوا بموضوعيتهم وبعدهم عن التحزب السياسى حتى لا يستثمر نشاط المركز لخـدمة غرض سياسى أو خدمة حـزب بعينه ، وعلى أن يكون للمركز استقلاليتـه ـ خارج هيئة الكتاب ـ مركز مستقل تابع لوزارة الثقافة ، ونذكر أنه فى عـام ١٩٦٣ عند تشكيل أول لجنـة لمشروع كتابة التاريخ ، طرحت قضية الاستقلال

هذه ، وصرح الدكتور حاتم ـ وزير الثقافة فى ذلك الوقت « بأن الوزارة ستشرف من الناحيتين المالية والادارية، أما الناحية العلمية فسيختص بها العلماء » .

وسيكون على رأس جدول أعمال لجنة الاشراف ـ اذا قدر لها أن تتشكل ـ التحقق من وجود الوثائق والتسجيلات الخاصة بالسياسيين القدامى ، والمسح الشامل الذى قام به الباحثون فى السويس وتسجيلاتهم لمقاومة الاهالى والجيش وذلك فى أعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ولتوضيح الخطأ فى القرار الذى صدر باشراف الدكتور عبد العظيم رمضان على مركز التاريخ ـ بصرف النظر عن استمراره أو استقالته ـ نشير الى موقف الدكتور رمضان من المركز منذ سنوات طوال ، كما سنشير الى مواقف أخرى لتكون أساسا فى اظهار الخطأ فى القرار وسبب الاعتراض عليه .

● **مذكرات سعد زغلول** : جاء فى مقدمة مذكرات سعد زغلول التى حققها الدكتور عبد العظيم رمضان صفحة ١٤ ما يلى : « على أنى اشترطت أن يكون تحقيقى لهذه المذكرات بعقد خاص مع الهيئة ، لتجنيب هذه المهمة الجادة ما قد أجد من متاعب ، كما اشترطت أن أختار بنفسى مجموعة من الباحثين الذين يتعاونون معى ، لتوفير الضمان لاستمرارها وقد استجاب الصديق المرحوم صلاح عبد الصبور لذلك ، كما استجاب الصديق لمعى المطيعى مدير عام المركز فى ذلك الحين . » .

أى أن الدكتور رمضان تجنب مركز التاريخ تماما وكان عقده مع هيئة الكتاب ، ولم يحدث هذا فى مذكرات محمد فريد أو رسائل مصطفى كامل أو مذكرات عبد الرحمن فهمى .

● **مذكرات مصطفى النحاس** : والتى أشار اليها الدكتور رمضان فى جريدة الوفد ـ ١٩ مايو ١٩٨٧ ـ تحت عنوان : قنبلة علمية وجاء فى المقال : « كانت مفاجأة كبيرة لى حين كنت أستاذا زائرا بجامعة اثن فى عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ عندما زارنى البروفسور فاتيكيوتيس .. ذات مساء ليفضى الى بخبر هام هو وجود بعض صفحات من مذكرات مصطفى النحاس بين يديه وأنه يقوم بفحصها بتكليف من احدى الجهات العلمية للتحقق من نسبتها اليه ، وكان مما قاله أن المذكرات معروضة للبيع مقابل عشرين الف جنيه استرلينى » .

ثم يصل فى مقاله الى أنه تأكد من فؤاد سراج الدين بأن بعض هذه المذكرات لديه ، وأعلن فى نهاية المقال: « وقد يسعد القارىء أن يعلم أنه تم الاتفاق بينى وبين فؤاد سراج الدين على تحقيق هذه المذكرات فى أقرب فرصة ونشرها تباعا فى جريدة الوفد ان شاء الله » .

وهنا نتساءل هل اختار الدكتور رمضان موقف المؤرخ المحافظ على الوثائق والمذكرات السياسية تدعيما لمركز التاريخ ، أم اختار موقفا حزبيا؟ ألم يحرك المؤرخ فى داخله السؤال البديهى ، كيف وصلت مذكرات النحاس الى لندن ، ألم يكن دوره العمل على حمايتها وهو يعرف القانون الذى يتيح لوزير الثقافة عدم خروجها من مصر وايداعها دار الوثائق ، وبذلك يكون دوره استمرارا لدور أساتذته العظام الذين قاموا بدورهم فى مثل هذا الموقف منذ ربع قرن !

ونحن هنا نناشد وزير الثقافة التدخل لحماية مذكرات الزعيم مصطفى

النحاس والعمل على ايداعها دار الوثائق لتكون تحت يد الباحثين ، وذلك باستخدام المادتين السادسة والسابعة من القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ ،والذى حصلت دار الوثائق على المذكرات السياسية بمقتضاهما عام ٦٢، فمذكرات النحاس ليست ملكا لفرد أو لاسرة أو لحزب وهى ليست قضية شخصية ، بل هى جزء من تاريخنا القومى ويجب ايداعها أو صورة منها فى دار الوثائق لتكون تحت يد الباحثين حتى لا تختفى صفحات كما حدث فى مذكرات سعد زغلول ثم يحققها بعد ذلك الدكتور رمضان وينشرها الوفد كما يريد .

● **اخفاء الحقائق** : فى كتابه « مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر » تحدث الدكتور رمضان عن الذين اخفوا بعض الحقائق ، وضرب مثلا بعدم اشارة عبد الخالق فريد ـ ابن الزعيم محمد فريد ـ الى ما سبق نشره من مذكرات والده فى مجلة « كل شىء والدنيا » ويقول الدكتور رمضان « ولكنه بسبب غير معروف أخفى هذه الحقيقة » . . .

وفى صفحة ٣٩ من الكتاب يقول الدكتور رمضان « على انه لم يكد يتسرب حصول بعض الهيئات العلمية الاجنبية على صورة من أوراق محمد فريد حتى اثار ذلك بعض أساتذة التاريخ بالجامعات الذين نادوا بضرورة استيلاء الدولة على الوثائق والمذكرات الخاصة بتاريخ مصر العاصر الموجودة فى حوزة ورثة من شاركوا فى صنع الاحداث بالاستناد الى القرار الجمهورى الذى صدر عام ١٩٥٤ بانشاء دار الوثائق »

وهنا نجد الدكتور رمضان « لسبب غير معروف أخفى الحقيقة » فاشار الى « بعض » الاساتذة ثم أكد صفة الجمع بقوله « الذين » وهو يعلم جيدا انه أستاذ واحد ، والذى قال عنه الدكتور رمضان ، فى صدر الطبعة الاولى من كتابه « تطور الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ » والذى صدر عام ١٩٦٨ : « طوال السنوات الست الطوال التى استغرقها اعداد هذه الرسالة لم يكن الدكتور محمد أنيس أستاذا ومعلما فحسب ، بل كان هاديا مرشدا ورفيقا كبيرا ، ولم يكن صاحب هذه الرسالة الدكتور محمد أنيس تلميذا فحسب ، بل كان متأثرا مؤتما .. بل كان مريدا » .

واذا كان من حق الدكتور رمضان حذف هذا الاهداء فى الطبعة الثانية من الكتاب فمن حقنا أن نشير الى ما حدث ونستنتج الدلالات ، خاصة انه فى الطبعة الثانية من كتاب « الصراع بين الوفد والعرش » كتب اهداء للاستاذ فؤاد سراج الدين ، ولم تكن الطبعة الاولى تحمل أى اهداء !!

**ولن نستطرد فى رصد مواقف الدكتور رمضان او فى مناقشة موقفه السياسى، بل سنقف عند موقفه المتناقض من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وموقفه المتناقض ايضا بالنسبة لحزب الوفد ، وذلك للتدليل على خطأ القرار الصادر باشرافه على مركز التاريخ ، حتى لا يكون المركز فى خدمة « الانشقاق الاخير » من حزب الوفد .**

**الموقف من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :** فى كتاب « الصراع الاجتماعى

والسياسى فى مصر ـ منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ » يقول الدكتور رمضان فى مقدمة الكتاب ـ صدر عام ١٩٧٥ ـ « وكانت الفترة من يوليو ٥٢ الى مارس ٥٤ ذروة الدراما الاجتماعية والسياسية ، حيث أخذ الصولجان السياسى الذى ظل فى يد الطبقة البرجوازية الكبيرة فى الفترة السابقة ينتقل الى يد ثوار يوليو ١٩٥٢ لينتقل بدوره بعد ذلك فى حركته المحتومة الى يد الطبقات الجماهيرية عبر التحولات الكبرى الديمقراطية والاشتراكية على مسيرة الثورة ، ولكن القارىء قد يلمس انني كنت موزعا بين التعاطف مع الثورة والتعاطف مع القوى الليبرالية التى لقيت مصرعها على يد الثورة .. على أن هذا التعاطف كان أشبه بوقفة تأبينية لمريض عزيز مات وكان من الأفضل أن يموت أما تعاطفى مع الثورة فهو يتمثل فى الموقف الفكرى العام للدراسة المؤيدة للثورة واستمرارها . وهذا التعاطف نابع من ايمان عميق بحركة التاريخ واتجاهها المحتوم الى الامام ، وللانصاف فانه نابع ايضا من اننى اكتب هذه الدراسة بعد نيف وعشرين عاما من الثورة ، أى بعد أن شاهدت التحولات الديموقراطية والاشتراكية العظيمة التى احدثتها فى تربة البلاد الاجتماعية والاقتصادية ، هذا الموقع التاريخى الذى اكتب منه قد أعطانى ميزة لم تتوافر للاسف الشديد للقوى التقدمية الليبرالية والاشتراكية التى التفت حول علم الليبرالية فى الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٤ وهى تظن أنها تقف ضد دكتاتورية عسكرية لا ثورة حقيقية، فى ذلك الحين كان موقع هذه القوى لا يتيح لها رؤية أو حتى التنبؤ بالتحولات السياسية والاجتماعية الثورية العظيمة التى تمت على يد عبد الناصر : كسر احتكار السلاح ـ تأميم قناة السويس ـ ثورة القومية العربية ـ تطوير الاصلاح الزراعى ـ قرارات يوليو ١٩٦١ الاشتراكية والقرارات المكملة لها .. الخ » .

والكتاب يقف مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ضد جميع الاحزاب بما فيها الوفد « لم يلبث مجلس قيادة الثورة أن تحدى النحاس فى شعبيته فى الوجه البحرى وفى بلدته سمنود بالذات » ويضيف: « كان الوفد يواجه أعظم تحد واجهه فى حياته ، قوى ثورية من نوع جديد ، قدمت للشعب انجازات لم يستطع أن يحققها فى تاريخه » .

فهل من المعقول بعد نشر مثل هذا الكلام ـ وهو قليل من كثير ـ يأتى الدكتور رمضان بعد ذلك ويهاجم ثورة يوليو فى كل انجاز من الانجازات التى عددها ، ويصل الموقف بالدكتور رمضان أن يقول عن الثورة التى تعاطف معها واشاد بما حققته ، أن يقول عنها : « ثورة يوليو التى ابتليت بها البلاد » ( ٢٩ يونيو ٨٦ مجلة أكتوبر ) .

لقد اخطأ الدكتور عبد العظيم رمضان ، صاحب « تطور الحركة الوطنية فى مصر » ـ ثلاثة كتب ـ بمواقفه السياسية والفكرية المختلفة والمتناقضة ، وخلط كثيرا بين التاريخ والسياسة والصحافة والمواقف الشخصية ، وغيب حسه بالتاريخ ، ونسى بعض كلماته والتى نذكره بسطر واحد منها : « المؤرخ موقف فكرى ومن هذا الموقف تكتسب كتابته التاريخية اهميتها او عدم اهميتها » .




# خيل الحكومة

قصة قصيرة

بقلم: يوسف القعيد

١٠٠

جاءوا وقت الضحى ، الضابط والعسكرى والخفيران ، كان اليوم هو الجمعة الموعود ، طلع اليوم من بطن كل الليل ، وشقشق من ندى الفجر ، ولم يصل غياره الذى يتسلم العمل منه ، صهين « دياب ابو حزين » ولف سيجارة من علبة الدخان المصرية ، زود زردة الشاى ، على نار الحطب الذى يجمعه من الغيطان التى حوله . ودفس زر بطاطه فى النار المصهرجة ، يسند به قلبه حتى ساعة الضحى .

لقم الشاى وقلبه بالسكر وصبه ، وبعد أول شفطة ، حبس وراءها بنفس من سيجارته اللف ، قامت « قوت القلوب » من نومها ، وشالت الزلعة لتملأها بالمياه من الترعة القريبة .

عمره مافكر فى حكاية اليوم الذى ولد فيه ، وماكان يعرف انه لابد وان يكون له يوم محدد بالعنيه ، من المفروض انه جاء فيه الي العالم .. الا عندما طلبوا منه ورقة ميلاده لكى يعمل فى هذه الشغلانة .

منذ شهر جاءته مراسيل الحكومة ، ظرف اصفر وورق ميرى وكتابة مطبوعة ، وكم واحد يلطع إمضاءه على الجواب من تحت ، اعطى الجواب لولد عايق ، صاحب عربية ملاكى يرمح بها ليلا ونهاراً وراء غوازى العب ، كلما مر عليه ، ترك وراءه غيمة من رائحة اللواندة التى يدهن بها جسمه وهدومه وعربيته .

قال له ، بعد ان القى نظرة سريعة على الورقة ، انه سيحال الى المعاش بعد شهر . حسبها دياب فى عقل باله : « شهر ؟! » فصل له الولد العايق الرايق الأمر : « ثلاثين يوم » بدا له الأمر بعيداً « حلنى » والولد الذى داس على بنزين السيارة مرة واحدة ، هون عليه الحكاية : « يامن يعيش » .

عفرت السيارة الهواء بالغبار الذى اندفع وراءها ، اكتشف أن اليد اليمنى فيها سيجارة مكنة غالية الثمن ، فلترها مذهب ، ويده الشمال فيها الظرف والجواب ، والولد جرى بالسيارة دون أن يقرب منه نار ولاعته ، ليشعل السيجارة التى عزم عليه بها حتى يعفرها ساعة المغارب الطرية ، لم يشعر برغبة فى التدخين ، فشبك السيجارة خلف اذنه اليمنى ، يحتفظ بها ، مع غيرها من السجائر التى يبرطله بها اصحاب السيارات كلما مروا من المزلقان .

طلع قطار نواحى مصر ، ونزل قطار آخر الى الاسكندرية ، وقوت القلوب هى التى تقفل المزلقان ، وتناغش السواقين والمشاة وترد على تحيات عطشجية القطارات ، اخبرها ، فنكشت الأرض بعصا صغيرة فى يدها .. « شهر وشهير ، والثانى قصير » .. لعبت فئران الغيطان التى تلف حوله ، داين داير فى عبه .

فى الصباح ، أخذ بعضه ولبس الجلابية الوحيدة المعلقة على الحبل ، وركب المداس اللميع ، وخطف رجله

# خيل الحكومة

الى المهندس الذى كان يزداد تخنا كلما راه ، «يرعى فى قته محلولة» .. كان المهندس مشغولا لشوشته ، ولم يسمع ماقاله دياب ، وعندما قدم له الجواب ، نظر فيه بسرعة : «دى سنة الحياة» .

بلع «دياب ابو حزين» ريقه بصعوبة :

- «ليه عشم برضك» ..

قبل ان يكمل الجملة ، قاطعه المهندس ..

- انت كبرت وخرفت ياراجل ، دى قوانين ولوايح ..

رفع المهندس ، الذى كان عرقه مرقه ، يده التى تبدو كالمطرحة .

- «حظك فى رجليك ، مش لاقيين حد يستلم منك المزلقان» .. زغردت الفرحة فى صدر دياب ..

- «ماحدش عايز محولجي ولا يشتغل مزلقان ، لا بالنقل من عمله ولا تعيين جديد» ..

اندفعت الكلمات فى بال دياب ، كان يريد ان يقول ، انه مستعد للاستمرار فى العمل حتى يلاقى وجه كريم ، وان جاء يومه قبل يوم قوت القلوب ، فهى تشغل المزلقان ، ولِيه مجدع ، بنت اصول ، لو كان ربنا اراد له الخلفه ، لشغل ابنه ، اب جزم ، فى المزلقان بدلا منه .

صوت المهندس اوقف الكلمات على طرف لسانه .

- «لازم حانلاقى لها حل» ..

ندر ساعتها ، ان لم يجدوا من يحل مكانه ان يسقى اولاد السبيل الشهد ، وان يوفى لسيدنا الحسين ندره .. خرج من مكتب المهندس ، على بابه ، نغزه قلبه فاحس بالوجع ، مد يده يسند قلبه ، بلع المه حتى لايعرف احد ان ريقه نشف وجسمه خدل ، والدموع المالحة شكشكت جفنيه ، وشعر ان الارض توشك ان تنخلع من مكانها .. قال لنفسه وهو يضرب كفا بكف .. هوه احنا كنا عصبنا ، ولزمته ايه المعاش بقى ؟

نظر دياب الى المزلقان ، والخص الذى بناه من حديد وخشب الفلنكات القديمة ، وفروع الاشجار ، رمى نظراته الى الترعة القريبة والجسر العالى ، وشواشى الشجر ، كانت الغيطان يغسلها ضوء الشمس الذهبى ، ضحك فى عبه وهل من المعقول ان يجدوا من يرضى بالضى ، والشمس والحر بالنهار ، والناموس وكلاب السكك طوال الليل ، يلضم الليل بالنهار مصلوبا على المزلقان وعيناه بزغلل فيهما الضى ، وودانه تنسد من صوت القطارات .. قال دياب للرياح والشمس وطيور السماء : " دا يبقى ولا جن مصور " .

منذ ان عمل هنا ، لم يجدوا من يبدل العمل معه ، وقال هو للمهندس " رقبتى يابيه " وضع المهندس يده على كتفه : «قدها وقدود ياراجل

يلشهم» : زن بعض عمال الدريسة فى أذنيه ، انه من المفروض ان يحصل على اجر إضافى ، فهو يعمل بدلا من ثلاثة رجال ، أما هو فعليه ان يراعى المزلقان ثمانى ساعات من اليوم والباقى يـاخذه راحـة ، طالب بحقه ، جاء ردهم جافاً .. العاملان سيشاركانه الرزق والعمل ، مناهدة سنـوات فى السكن ، وقسمة الاكراميات على ثلاثة رءوس ، وقد يقلعه أحدهم من جذوره ، ومن الخص ، الأحسن له ان يشيل الجمل بما حمل ، ثم أن سكناه فى الخص الذى بناه غير قانونية ، اسمها تعديات على أملاك الدولة ، وهم يغمضون عين الحكومة عنه ، مقابل ان يقفل بقه .

ملأ ازيار السبيل الثلاثة حتى عينها بالماء الصابح ، ورش الماء حولها ، وسقى الزرع الذى يضللها ، جال فى خاطره ان شربة المياه للعطشان ، تحسب بقيراط فى الجنة ، يوم خريفى لامع ومصقول ، مثل المرايا التى تغطى جدران المحلات فى البندر البعيد ، والتى يقف أمامها طويلا لكى يرى نفسه كلما ذهب الى البندر .

استعد لأن يقضى حاجته فى مكان قريب ، ثم يستنجى ويتوضا فى مياه الترعة ، حتى يصلى الجمعة جماعة فى الزاوية القريبة ، ويسلم المزلقان لقوت القلوب التى عادت تحمل المياه المعين التى تملأها كل صباح من بئر اردوازية ، وهى المياه التى يشربونها ويعملون منها الشاى .

وقت الضحى رآهم على مدد الشوف ، لمحت عيناه المتعبتان غيمة الغبرة التى كانت تتحرك ببطء فوق الجسر الذى يأتى من ناحية المركز .. اقترب الغبار ، واستطاع ان يرى طشاش نقطتين ووراءهما نقطة اخرى ، والكل يجرى باتجاهه ، وان كان الجرى بطيئا ، والمشى سكيتى ، لأن الصوت لم يكن يصله .

كان الضابط الذى فى المقدمة يـركب مهراً ، والعسكرى الذى خلفه يركب حصاناً كحيلاً ، يعرج بقدمه الخلفية اليمنى وثلاثة من الخفر يجـرون بيـن ارجـل الخيل ، ووراءهم صبى لم يجف لبن أمه من فوق شفتيـه ، متـعب من المشى ، مهر الضابط .. كان يصهل من العافية ، وحصان العسكرى يئن ويتوجع ، وكلما توقف الشاب الصغير طلب منه الخفراء ان يسرع .

وصلوا اليه أخيراً ، راى حوافر الخيل اولا ، عددها ثمانية حوافر ، وان كان احدها معطوبا يجره الحصان بصعوبة ولايلمس به الارض ، ثم اقدام الخفر التى بدون مداس ، والأصـابـع المفرطحة ، تبحث عن مكان يخلو من الحصى والزلط لكى تدوس فيه ، وبعدها بمسافة قدمين صغيرين فى حذاء قديم ، يبدو ان صاحبه اشتراه مستعملا ، كما يفعل دياب ابو حزين عندما يشترى بلغة من سوق الثلاث .

خيل تجرى ووراءها اقدام ، حكاية غريبة على الريق .. سأل نفسه ، ان كان قد راى غراب البين الأسـود فـوق كـوم السباخ ، او شاهد

# خيل الحكومة

الحداية تحوم فى سماء الله العالية تبحث عن رمه ميتة ، أو سمع أم قويق : قال فى عقل باله : «لو جارت عليه الايام يكونوا جايين له بالعنية »

توقف الضابط ، فوقف الجميع ، تصور دياب انهم ربما وقفوا من باب التاكد ان القطار لن يمر الان ، او انهم عطاشى يبحثون عن السبيل ، وسبيل عمى دياب معروف فى العب كله ، الضابط لم ينزل من فوق فرسه ، أشار الضابط للعسكرى والعسكرى نده على الخفير والخفير جاء نواحى دياب .

قبل أن يرفع دياب عينيه اليهم ، سأل نفسه : هل هى ساعة الاجابة التى تفتح فيها طاقة فى قلب السماء حتى يصل دعاءهم الى من رفع السماء بغير عمد ، أم هى ساعة النحس التى لايخلو منها يوم جمعة ؟

عندما اصبح الخفير امام دياب تماما ، قال له شيئا عن التسليم والتسلم ، واشار إلى الصبى الذى وصل متاخرا عنهم بدا ان دياب لم يفهم ، شوح الضابط بالسوط الذى فى يده .

– لم كراكيبك وورينا عرض كتافك .

غياره جاء اخيراً .. صبى حلم دياب طوال عمره ان يكون له ولد مثله ، عرض على الضابط ان يبقى معه ، يعلمه الشغل ويشربه الصنعة ، ورفض الضابط وصمت الصبى ، افهمه الخفير انه لابد من مشيه ، قبل ان ينصرف حضرة الضابط ، وانهم جاءوا لهذا السبب ، نزل قلبه فى قدميه ، وروحه سحبت منه .

« اصل يابيه » حاول دياب ان يتكلم ، والضابط منعه بإشارة من الكرباج الذى فى يده ، والغفير شده الى الوراء والحصان مازال يرفع قدمه المعطوبه « اصل يابيه » عف ذباب الضحى وحط على الصوت الواهن الخارج من فمه ، وكان صوت الضابط كالكرباج الذى فى يده : « ولا كلمة » قال الضابط للعسكرى والخفير : « هيه شغلانه ؟ ينهد الخص » نظر ناحية دياب ، وطق الشرار من عينيه « مالكشى بلد » ؟! وقف السؤال فى ركن من دماغ دياب قبل ان يجيب عليه ، والضابط اكمل سؤاله .

– « ترجع لها » لقد نسى ان له بلداً ، لم يذهب اليها منذ سنوات ، مقطوع من شجرة ، ولا عيل ولاتيل ، حتى يذهب به ليربه بلده ، وقوت القلوب لها اقارب من بعيد ، جاءهم العز فكفت خيرها بشرها ولم تعد تذهب اليهم .

رأى الخفر يتجهون الى الخص لهدمه ، فرفع يده ، اشار لهم بانه سيرحل ، « على الكراكيب – قال لقوت القلوب – وعليك الخلقات » هكذا قسم العمل بينهما بسهولة كما تعود ، وهو يجمع اشياءه سال احد الخفراء عن السبب فى



حضورهم قال له ان المهندس أبلغهم انه رجل معافر وعنِدى وراكب راسه ، وأنه جاءه لطف ولن يترك المكان الا بالقوة.

اصبحنا على الطريق ، على فين يا دياب ، نظر خلفه ، نظر امامه ، تلفت يمينه وشماله ، رفع راسه ليرى السماء التى تنزل على مدد الشوف نحو الأرض ، والله مانا عارف ياقوت ، اصطفت على جانبي الطريق جراحهما معاً .

كانت الطيور ترحل والسيارات تكر ، والقطارات ترج الدنيا ، وخيوط الضوء النهارى الهاربة ، تتحول الى سلاسل وقضبان من الحديد وخيمة الليل اصبحت قفصا من الأسلاك الشائكة ليس له باب ولا نافذة .

لم تسعفه عيناه بدمعة واحدة ..

كانت أيام التحاريق تملأ عينيه ..

قالت قوت القلوب : " آه "

اكمل دياب : " آمين " .

# أجمل القصص على صفحات قرابة قرن

بقلم : شوقي بدر يوسف

حينما كتب جرجي زيدان افتتاحية العدد الأول من مجلة الهلال في سبتمبر ١٨٩٢ لم يكن يدري ان هذه المجلة سوف يكتب لها هذا الانتشار الكبير . وهذه الاستمرارية الدءوبة قرابة قرن من الزمان . بل لم يكن يدري ان هذه المجلة الوليدة سوف يكون لها ابناء كثيرون وروافد عديدة تجمعهم دار كبيرة يقومون فيها على خدمة الادب والفن والعلم ويضطلعون بمسئولية الفكر والثقافة .

ولقد كان لاستمرارية صدور الهلال طوال هذه الفترة الطويلة بعد احتجاب كثير من الدوريات المماثلة كاللطائف والمقتطف ومجلتي والفجر والكاتب المصري والسفور والمعول وغيرها اسباب عدة هو حرص القائمين عليها على الجدية والجدة والاخذ بأسباب الاصالة والمعاصرة في كل ماتخرجه مطبعتها في شتى انواع الفنون والعلوم والآداب .

وقد اهتمت الهلال بفن القص ● اهتماما كبيرا ، يبدو ذلك من حرص منشئها على أن تضطلع بمسئولية الاشكال الحديثة من الأدب خاصة أنه كان من أبرز روائيي عصره . فضمن أولى افتتاحياته أن المجلة سوف تحرص على نشر الروايات فى باب ثابت خاصة الروايات التاريخية الادبية .

وقد احتلت «القصة القصيرة» فى اهتمامات مجلة «الهلال» مساحة متميزة فرضت نفسها على خريطة المجلة منذ منتصف العشرينيات ، بعد ان عاشت القصة مخاض ظهورها على يد المويلحى ومحمد عثمان جلال وجرجى زيدان وشوقى وحافظ وعائشة التيمورية وغيرهم الى أن بدأ ظهور اعمال المدرسة الحديثة على صفحات كثيرة من دوريات هذا العصر وعرف الأدب العربى القصة القصيرة المترجمة والمؤلفة وظهرت أسماء كثيرة فى هذا الادب مثل محمد ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين وعيسى وشحاته عبيد وابراهيم المصرى وحسن محمود ويحيى حقى وحسين فوزى وغيرهم . كما عرف الناس تشيكوف وجوجول وبلزاك وجى دى موباسان وسومرست موم ومارك توين وبول بورجيه وتورجنيف وغيرهم من كبار الكتاب العالميين . واحتلت القصة مكانتها بجانب ابواب المجلة المختلفة . كما ظهر تلخيص الروايات العالمية على صفحات الهلال مما جعل الادب الروائى العالمى ينتقل الى الساحة العربية مبسطا فى باب «كتاب الشهر» الذى كان أحد الابواب التى تجذب القراء . والذى أخذته كثير من الدوريات المعاصرة عن الهلال .

وكما كان للدكتور هيكل فضل الريادة فى فن الرواية كان له ايضا فضل الريادة فى نشر أولى قصصه فى مجلة الهلال وهى قصة «حكم الهوى» التى نشرت فى عدد فبراير ١٩٢٦ بل هى أول قصة بمعناها الفنى الحديث تنشر على صفحات الهلال . وقد اعقبها الدكتور هيكل بقصة «الشيخ حسن» فى أبريل ١٩٢٦ . كما كانت أولى قصص محمود تيمور التى نشرت فى الهلال هى قصة «صابحة» وكان ذلك فى عدد مارس ١٩٢٨ . كذلك كانت أولى قصص رائد الرومانسية محمود كامل المحامى التى ظهرت فى الهلال هى قصة «محياه» فى عدد ديسمبر ١٩٢٠ . كذلك نشر محمود طاهر لاشين أولى قصصه فى الهلال فى عدد يناير ١٩٢٢ وهى قصة «تحت عجلة الحياة» ونشر يوسف


د . يوسف ادريس


د . بنت الشاطىء


يوسف السباعى

السباعي أولى قصصه وهي قصة «أريد الحياة» في عدد مايو ١٩٤٨ ثم أعقبها في نفس العام بقصص «آه» في عدد أغسطس، و«السقامات» في عدد أكتوبر. كذلك نجد أن الهلال قد أفسح المجال لكثير من الكتاب الذين كانت القصة بالنسبة لهم هواية محببة بجانب هوايات التمثيل والسينما. فنجد أن زكي طليمات قد نشر إحدى قصصه في عدد سبتمبر ١٩٤٩ وهي قصة «البطل» ونشر سليمان نجيب قصة «زوجتي» في عدد سبتمبر/ أكتوبر ١٩٤٥ وفي نفس العدد نشرت العديد من القصص لبنت الشاطئ وعباس علام وغيرهم.

## ● احتفال بمبدعي القصة

وقد أفردت الهلال للقصة أعدادا خاصة مختلفة ومتباينة تراوحت أوقات صدورها مابين شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر من كل عام وهو وقت يوافق العطلة الصيفية لكثير من الطلبة الذين يمثلون الجانب الأكبر من قراء القصة.

كما احتفت المجلة كثيرا بمبدعي القصة بيوجرافيا وذاتيا وابداعا ومتابعة ولقاء. وقد حذا حذو الهلال كثير من الدوريات الثقافية في اهتمامها بالقصة القصيرة قضاياها وتطورها وابداعها. ومن الاعداد الممتازة التي افردتها المجلة لفن القصة القصيرة. عدد اغسطس ١٩٤٨ وقد كتب افتتاحية هذا العدد الكاتب الكبير عباس محمود العقاد وكانت بعنوان «قصة القصة» وقد لخص فيها العقاد القصة المصرية منذ اقدم العصور وحتى ظهور القصة الحديثة «لم يعرف التاريخ قصة اقدم من القصة المصرية، السبب ظاهر هو ان المجتمع المصري كان اقدم مجتمع عرفه التاريخ» «وكان للشرقيين السبق في ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة فظهرت القصة في الاسكندرية وسوريا قبل ان تظهر في آسيا الصغرى وسائر بلاد الاغريق» واستمع الناس في مصر وسوريا وفارس الى الرواية والمحدث قبل ان تقرأ القصة في أوربا ببضعة قرون. وكانت للقصة في نشأتها الأولى من أقدم العصور، كبرياؤها التي تلازم كل شباب. فكانت لاتتنزل الى الحكاية عن حادث غير حوادث العجائب والغرائب وقلما عنيت



نجيب محفوظ



توفيق الحكيم



محمود تيموز



بحديث فى الحب الا أن يكون حبا بين امير وأميرة أو بين شموس وأقمار .

وفى هذا العدد نشرت قصص «زهر المرقص» لمحمود تيمور ، قصة «القميص الاسود» للدكتور محمد عوض محمد ، «شهرزاد» للدكتورة سهير القلماوى ، «قلامة ظفر» لميخائيل نعيمة ، «على شط النيل» لبنت الشاطىء ، «صراع الروح والجسد» لعباس علام وقصة «آه» ليوسف السباعى ، «حياتنا لها بقية» لابراهيم الوردانى .

**كما نشر فى هذا العدد نتيجة مسابقة الاقصوصة التى كانت قد اقامتها مجلة الهلال تشجيعا للقاصين على اظهار مواهبهم الفنية . وكانت لجنة التحكيم مكونة من الأستاذ عباس العقاد والدكتور طه حسين والسيدة امينة السعيد والأستاذ محمود تيمور والسيدة بنت الشاطىء والدكتور أحمد زكى والأستاذ طاهر الطناحى . وقد فاز بالجائزة الأولى وقيمتها خمسون جنيها الاديب محمد عبدالحليم عبدالله الذى اصبح فيما بعد من اعلام القصة فى مصر عن قصته «ابن العمدة» وفاز بالجائزة الثانية الاديب سليم اللوزى الذى اصبح بعد ذلك رئيسا لتحرير مجلة الحوادث واحد اعلام الصحافة فى العالم العربى عن قصته «البطل» .**

من الاعداد الممتازة أيضا للقصة ذلك العدد الذى ظهر فى يوليو ١٩٤٩ والذى احتوى مقالة قيمة للاستاذ عباس محمود العقاد بعنوان «القصة والخرافة» وضّح العقاد الفرق اللغوى بين تسمية القصة فى اللغة العربية ومعناها المأخوذ من قص الاثر وبين معناها فى اللغات الاوربية والذى يطلق عليه «فكشن» وترجمتها العربية «الخرافة» كم احتوى هذا العدد على قصص عربية واخرى مترجمة ومقالات عن فن القصة . فقد كتب الدكتور امير بقطر مقالة بعنوان «هل قراءة القصة إضاعة للوقت ؟» يبين فيه اهمية فن القصة بين سائر الفنون والاداب . كما كتب طاهر الطناحى قصة القصة المصرية منذ الفراعنة الى العصر الحديث بعنوان «يحكي ان .. فى مصر» كما نشر الهلال استطلاعا بعنوان «حيث يرقد طبيب الرواية» عن بلدة شكسبير «ستراتفورد» . كما اقامت المجلة ندوة بعنوان «اثر السينما والاذاعة فى القصة» حضرها كل من الدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ

محمد عبدالحليم عبدالله



علي احمد باكثير



احسان عبدالقدوس



عباس محمود العقاد والأستاذ محمود تيمور والأستاذ توفيق الحكيم . تحدث فيها الحاضرون عن بعض قضايا القصة واتجاهاتها مثل «متى ولدت القصة العربية الحديثة ؟ » «اغراض القصة واتجاهاتها» «اثر السينما والاذاعة فى القصة «عناصر انتاج الادب الباقى» «لغة التأليف المسرحى» .

كما نشر فى هذا العدد قصص «اصغر الناب» لميخائيل نعيمة ، «الدير المهجور» للقصصى الفرنسى بول بورجيه ، « انقذنى كلب» للكاتب الامريكى الساخر مارك توين ، «عقد اللؤلؤ الوردى» وهى قصة هندية لم يذكر اسم مؤلفها ، «المطلقة» للدكتور احمد زكى كما نشرت فى هذا العدد آخر اعمال الشاعر على الجارم القصصية وهى قصة «الفارس الملثم» وكان قد كتبها خصيصا للهلال ولكن المنية وافته قبل نشرها «يوميات كيوبيد» للاستاذ حلمى مراد ، «سر الشاطئ» للاستاذة بنت الشاطئ ، «صائدة الرجال» للقصصى الفرنسى جولاج فيدال ، «حياتى من اجلك» للأستاذ يوسف السباعى . كما استحدث الهلال باب من روائع القصص على الستار الفضى ، ونشر فى هذا العدد قصة «قيصر وكليوباترا» لبرنارد شو مع بعض المشاهد السينمائية لهذه القصة الرائعة .

---

## ● ألوان القص القديم

---

عدد آخر من اعداد الهلال الممتازة عن فن القصة صدر فى اغسطس ١٩٥٠ .

وقد حوى هذا العدد بين دفتيه لونا جديدا من الوان القص هو القديم الذى يحكى امثلة البطولة والنبالة فى الاساطير وقصص التاريخ والحديث الذى يصور المجتمع بمحاسنه وعيوبه ويعنى بالتحليل النفسى وعناصر الحكى المختلفة . ففى هذا العدد مواقف مصورة من الف ليلة وليلة منقولة من الطبعة الالمانية لهذه القصص المتميزة . كما تضمن العدد مقالة للأستاذ عباس محمود العقاد عن قصة «الاخوة كرامازوف» للاديب الروسى ديستويفسكى . وتضمن ايضا قصة مصورة للأطفال هى القصة الخالدة «سندريلا» . كما تضمن العدد مقالة طريفة بعنوان «سماع القصة خير من قراءتها» تبين ان القصة الشعبية فى كل امة ظلت تروى وتتداولها المجالس قبل أن تكتب وتدون بأعوام وأجيال مثل «ميثولوجيا الاغريق ، وحكايات الف ليلة وليلة ، واحاجى لافونتين ، وكليلة ودمنة ، والجنيات فى قصص الاطفال فى أوربا» كما تضمن العدد ايضا قصص «السهم المسموم» لعلى الجارم ، و «حبل الفضة» للكاتبة السويدية «سلما لاجرنوف» ، «غالية» للدكتورة بنت الشاطئ ، «الشوق العائد» للأستاذ يوسف السباعى ، «صراع الحب» لديستويفسكى وهى تلخيص الأستاذ حلمى مراد «الاعمى» للروائى النمساوى «ستيفان زفايج» .

وفى سلسلة الاعداد المتميزة للقصة التى اصدرتها مجلة الهلال العدد الصادر فى ابريل ١٩٥١ بعنوان «قصص الربيع» وفى هذا العدد يطالعنا العقاد كعادته فى هذه الاعداد باحدى مقالاته الرائعة بعنوان «قصة الربيع» اوضح فيها قصة المفارقة الكبرى فى الطبيعة والوجود وكيف كان

الاقدمون يتعاملون مع الربيع من خلال النماء والحصاد والنبات والفيضان وكيف يستقبل المحدثون الربيع حين يطل عليهم من تقويم العام مزهرا متفتحا ملؤه التفاؤل والبشر . كذلك يعرض الدكتور أحمد موسى موضوع «لوحات لها قصص» مثل لوحة «اول قصة» للفنان الالمانى «فراوند ورفر» ولوحة «قصة شمشون» للفنان «سولومون» ولوحة «قصة القط والفأر» للفنان الفرنسى «أ . رينشي» ولوحة «قصة ميدوسا» للفنان «و . كوتارينسكي» . كذلك كتب فى هذا العدد الدكتور محمود احمد الحفنى قصة أحد الحان الموسيقار العبقرى «موتسارت» وهى افتتاحية اوبرا «دون جوان» بعنوان «فى ربيع العمر» وهى الافتتاحية التى كتبها موتسارت فى ثلاث ساعات فقط فى أحد ايام الربيع الساحرة .

وتمثيلية من فصل واحد « للأستاذ على احمد باكثير ، «يوم فى حياة امرأة» للاستاذ حلمى مراد ، «الزهرة الجامحة» للكاتب الامريكى «أ . ب جلبين» ، «على فراش الموت» للروائى الروسى «ايفان تورجنيف» .

● اغرب القصص

وفى نفس العام صدر فى اغسطس ١٩٥١ عدد خاص أخر عن القصة بعنوان «اعجب القصص» ويتميز هذا العدد انه يأخذ من القصص اغربها واعجبها . ويحتفى بالاساطير وقصص الخيال . ويبدأ العقاد مقالات هذا العدد الخاص بمقالة بعنوان «اعجب قصة فى رأيى» وهى تتحدث عن قصة القارة المفقودة اطلنتس التى غاصت فى حوت الماء . ويقول عنها العقاد «انها قصة احسبها عجيبة لانها تشبه الواقع وتشبه الخيال فى آن واحد» .

ومثل ماصدر فى اغسطس ١٩٥١ عدد من الهلال بعنوان «اعجب القصص» صدر فى اكتوبر ١٩٥٢ عدد آخر بعنوان «اغرب القصص» . ويشمل هذا العدد على اغرب القصص الواقعية والخيالية والتاريخية . وقد استهل العقاد هذا العدد بمقالة ضافية عن قصة غريبة استحضرها من تاريخ الشعب المصرى وهى تتحدث عن شجاعة عالم مصرى كبير اشتهر بالشجاعة النادرة فى زمن كان الجبن فيه سائدا . هذا العالم هو «الشيخ العدوى» الذى افتى بعزل الخديو توفيق . والذى وقف فى ساحة المحكمة وهو الشيخ الهرم الهزيل يتلقى اتهام قاضى محاكمته اسماعيل أيوب باشا بكل شجاعة وهو يقول له : « الم تجترىء على توقيع منشور تعلن فيه أن الخديو « توفيق » مستحق العزل ؟ وكأنما عاد الشيخ العدوى الى عنفوان شبابه حين سمع هذا السؤال . فيصيح باعلى صوته : « اسمع ياباشا .. بغير حاجة الى مراجعة المنشور لأرى هل وقعته ام لم اوقعه ، أعلنك الساعة انك اذا جئتنى بمنشور فى هذا المعنى وقعته الان بغير تردد »

ومن الاعداد المتميزة التى اصدرها الهلال لفن القصة القصيرة عدد اغسطس ١٩٥٤ ففى هذا العدد الذى صدر بعنوان «الحياة قصص» .

فى هذا العدد نشرت قصص .. «شهيد الشهيد» لميخائيل نعيمة ، «حليمة» لبنت الشاطىء ، « الشيخ حسن» للدكتور محمد حسين هيكل ، «الشيطان الاحمر» لوليم نويمان هيو ، «زوج وزوجة» للأستاذ احمد عبدالقادر المازنى ، «رجع الى قواعده»

لمحمود تيمور «الشيخ المنبوذ» لبرتراند رسل ، «الابكم البليغ» للكاتب الامريكى ستيفن كيلين» «مشروع صلح» للسيدة أمينة السعيد» «الذئبة» للسيدة وداد سكاكيني «العقد المزيف» للاديب الفرنسى جى دى موباسان ، «الشجرة القاتلة» للروائية الامريكية ميريام الين ديفورد ، «بيت الاحزان » للسيدة صوفى عبدالله ، «جريز لدا الصابرة» للكاتب الايطالى الكبير بترارك .

وفى سلسلة اعداد القصة التى تصدرها الهلال .. صدر عدد سبتمبر ١٩٥٥ بعنوان «بدائع القصص » تضمن مقالة للعقاد وقصصا لميخائيل نعيمة .

وفى سبتمبر ١٩٥٦ صدر عدد من الهلال بعنوان «أروع القصص» يحوى مقالة للعقاد عن «قصص القرآن دروس وعبر» يقول العقاد فى هذه المقالة : «واذا روجعت قصص القرآن الكريم مراجعة دقيقة تبين للناظر فى مضامينها ان عبرتها الأولى دروس ينتفع بها الهداة ودعاة الاصلاح اذ كان من فرائض الاسلام الاجتماعية ان ينتدب من الامة طائفة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ، «كما برزت من قصص الانبياء قصتان مسهبتان فى اجزاء الكتاب لانهما ترويان نبأ الرسالة بين أعرق امم الحضارة الانسانية . وهى امة وادى النهرين وامة وادى النيل . وكانت قصة ابراهيم وموسى عليهما السلام من أجل ذلك أوفى القصص بين جميع قصص الانبياء . وأن فى القرآن الكريم لقصصا شتى من غير قصص الدعوة او قصص الجهاد فى تبليغ الرسالة ولكنها تراد كذلك لعبرتها ولاتراد لاخبارها التاريخية ومنها قصة يوسف ويصح ان تحسب منها قصة اسماعيل عليهما السلام» .

وفى مايو ١٩٥٨ أصدر الهلال عددا خاصا جديدا من اعداد القصة بعنوان «الحياة قصص» احتوى على مجموعة من الاقاصيص لكبار الكتاب المصريين والعالميين . واحتوى العدد ايضا على آراء ثلاثة من كبار كتاب القصة هم الدكتور طه حسين والذى عبر عن رأيه بان للثورة أثرا فى تطوير القصة ، والأستاذ محمود تيمور الذى بين ان القصة العربية قد ادت رسالتها كاملة ، والأستاذ نجيب محفوظ الذى بين ان القصة تخدم القومية العربية . وقد وضح الدكتور طه حسين دور اللغة فى بلورة الاعمال القصصية وواجب الاديب وواجب الحكومة فى الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من عبث العابثين .

وفى اغسطس ١٩٦٠ أصدر الهلال عددا جديدا بعنوان «احسن القصص» حوى دراسة هامة عن القصة للأستاذ الطناحى بعنوان «القصة فى ادبنا القومى» تعرض فيها الكاتب لاقدم القصص الانسانية بدءا من قصة خلق آدم وعصيان ابليس مرورا بقصص الجماعات البدائية ثم العصور على وثيقة ادبية فى عهد الملك مينا هى دراما شعرية تؤكد ريادة الفراعنة لفن القص . ثم قصة الغريق التى تحطمت سفينته بالقرب من سيناء ثم قصة الفلاح الفصيح وساكن الحقل ثم قصص الدولة الحديثة «قصة الاخوين» و «يوسف وزليخا» والملاحم

الشعبية التى تشبه الالياذة عند اليونان والشاهناماه عند الفرس .. والملاحم القومية فى مصر «انشودة الاله الوزير» «انشودة الاله آمون» ثم قصص ديوان العرب واساطير الامم والذى اقبل عليها استماعا ورواية العرب فى شتى بقاع الدولة الاسلامية ثم حرفة القصاصين فى المقاهى المعروفين بالشعراء يقصون قصص عنترة وسيف بن ذى يزن والزير سالم وابى زيد الهلالى وغيرها من القصص الشعبية . ثم التطور الذى لحق بالقصة من خلال اسلوب المقامة ثم ظهور القصة الفنية الى أن تطورت الى الاشكال الحديثة للقص .

كما حوى هذا العدد وقائع ندوة الهلال بعنوان «فلنتحدث عن القصة» وقد اشترك فيها الأستاذ محمود تيمور ويحيى حقى وزكى طليمات .

وفى ديسمبر سنة ١٩٦١ اصدر الهلال عددا خاصا عن القصص بعنوان «المغامرات» غلبت عليه سمة قصص المغامرات والحكايات البوليسية ، وقد استهله الكاتب الكبير عباس العقاد بمقالة بعنوان «القصة بين شخص المؤلف وشخوص ابطاله «يقول العقاد» من مسائل النقد المتجددة مسألة العلاقة بين شخص المؤلف القصصى والشخوص التى يخلقها فى قصصه هل من شروط التأليف الحسن ان يودع المؤلف اولئك الشخوص أفكاره ويخلع عليها صورته ، ويمزج بها حوادث حياته ؟ وهل يعجبنا المؤلف لاننا نستشف اخباره وأراءه ومواقع هواه مما يقوله على السنة ابطاله وبطلاته . وما يمثله فى طبائعهم وعاداتهم وحوادث معيشتهم وعقائدهم التى يدينون بها او مقاصدهم التى يدعون اليها ؟ أوهو يعجبنا اذا كان على نقيض ذلك ينعزل عنها ويعطيها حقوقها من الاستقلال عن شخصه والانفراد بوجودها عن وجوده وبالعلاقات التى بينها وبين سائر الأبطال والبطلات عن علاقاته بمن حوله ؟

ولعل العدد الصادر فى مايو ١٩٧٢ من مجلة الهلال يعتبر من اهم الاعداد الخاصة التى اصدرها الهلال عن القصة وهو بعنوان «رواد القصة الاوائل» . وقد تعرض العدد للرواد الأوائل لفن القصة والرواية فى مصر والشرق . كما حوى على عدد من الدراسات الهامة فى مجال ريادة فن القصة والتى تعتبر مرجعا هاما للباحثين والمتخصصين .

وفى اغسطس ١٩٧٢ صدر عدد جديد من اعداد الهلال متضمنا جزءا عن اجمل قصص الحب .

ومن الاعداد الهامة ايضا التى اصدرها الهلال لادب القصة الاعداد التى صدرت فى اغسطس ١٩٦٩ ، اغسطس ١٩٧٠ ، مارس ١٩٧٧ وهى اعداد حوت كل مايتصل بالقصة تقريبا من قضايا ودراسات .

وفى عدد اغسطس ١٩٧٠ كتبت الدكتورة سهير القلماوى دراسة هامة عن مستقبل القصة القصيرة فى المرحلة المقبلة . تناولت فيها الكاتبة اثر وسائل الاعلام المرئية والمسموعة على الفن القصصى واثر الصحافة على هذا الفن شكلا ومضمونا .

وكانت الدراسات والمقالات التى حوتها الاعداد الثلاثة الخاصة الاخيرة من «الهلال» عن القصة القصيرة هى المحك الرئيسى والهام لتطور هذا الفن

نقديا ومتابعة وابداعا . فنجد عبدالرحمن ابو عوف يكتب عن «البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة» ويكتب محمد بركات «القصة القصيرة بين جيلين» ويكتب الدكتور على الراعي عن تاريخ القصة القصيرة من المقامة بعنوان «قصة حديثة» فى عمل قديم ويكتب كمال النجمي : الجاحظ يكتب قصة حديثة ويكتب كل من سليمان فياض وجمال الغيطانى عن «تجربتهم فى الابداع القصصى» ويكتب فؤاد دواره عن «ندوة فى موسكو عن القصة القصيرة» ويكتب الدكتور سيد حامد النساج عن «الرومانسية فى القصة المصرية القصيرة «ويكتب د . سيد نوفل عن الدكتور هيكل فى تاريخ القصة العربية ويكتب الدكتور احمد الشرباصى عن «القصة فى القران الكريم هل هى قصة خيالية ام قصة واقعية» ويكتب د . الطاهر مكى عن «الرواية الجديدة فى فرنسا» وتتوالى الدراسات والمتابعات والمقالات عن فن القصة لتحيل اعداد الهلال الخاصة بهذا الفن وكانها عيدا أو كرنفالا للقصة القصيرة .

كما يتضمن عدد مارس ١٩٧٧ قصة بقلم الناقد المرحوم انور المعداوى بعنوان «الشقاء المقدس» وهى تحكى قصة «مدام ريكامييه» التى كان جمالها وحيا لامير النثر الفرنسى «شاتوبريان» واميـر الشعراء «لامارتين» ، وسيد كتاب الذاتية «بنجامان كونستان" . كما وقف جمالها صامدا لم يخضع لنابليون وهو قاهر الامم . فلقيت وزوجها أعنت ألوان الاضطهاد والتشريد وعانت قصة وفاء لزوجها الذى كان يكبرها بخمسة وعشرين عاما فكان شقاؤها وجمالها وحيا لاعمال فنية وادبية كثيرة .

وفى عدد القصة الذى صدر فى مارس عام ١٩٧٧ نجد بجانب الاسماء التى تربعت على عرش القصة القصيرة فى مصر اسماء اخرى ظهرت ووضحت بصماتها على الساحة أمثال شمس الدين موسى واحمد الشيخ وزينب صادق ومحمد سالم وعبد الوهاب الاسوانى وعليه سيف النصر وفاروق منيب وابراهيم عبد المجيد وغيرهم .

وكما قال الاستاذ رجاء النقاش فى عدد اغسطس ١٩٧٠ «لقد انهالت على الهلال مايزيد على مائة قصة جميعها فى مستوى طيب ولكن الاختيار الصعب حال دون ظهور جميع هذه القصص فى اعداد الهلال القصصية» .

وفى وسط هذا الحشد الكبير للابداع القصصى ، ووسط حركة ادبية نشطة كان محورها عددا كبيرا من الدوريات الثقافية والادبية وعلى راسها "الهلال" قفز الى ساحة الادب فى مرحلة الستينيات ما قبلها وما بعدها سؤال ظل يتردد على الشفاه يتحدث عن ازمة المسرح وازمة الشعر وازمة الرواية وازمة النقد . وفى مجال القصة طرح (الهلال) السؤال على عدد من كبار كتاب القصة والنقاد "هل هناك ازمة فى القصة القصيرة ؟" . فقال توفيق الحكيم : « عندى ان الازمة الحقيقية ليست هى ازمة القصة ولكنها ازمة

الفنان الخالق ، وعلى الفنان ان يتجاوز مايعترضه من مضايقات عصره ليفرغ لأزمته » واجاب نجيب محفوظ عن هذا السؤال بقوله : ماذا يمكن ان يفهم من معنى كلمة ازمة القصة القصيرة ؟ هناك فى ظنى ثلاثة مستويات او احتمالات لهذا المعنى . الاول : ان تكون ازمة مباشرة تصيب القصة نفسها كان ينصرف عنها الكتاب او القراء الى اشكال تعبيرية اخرى . الثاني : ان تنشا ازمة فى التعبير لعدم وضوح الرؤية او لاعتبارات خاصة تتصل بالقصة . الثالث : ان تكون الازمة فيما يتعلق بالقصة وما يحيط بها من ظروف ، كان يكون هناك ازمة نشر او ازمة نقد او ازمة عدد .. الخ . "

واجاب احسان عبد القدوس بقوله : انا لا اوافق على ان هناك مايمكن ان يسمى بازمة القصة القصيرة .. ولكننا قبل هذا وحتى نصل معا الى الحقيقة يجب ان نسأل : ماذا نقصد بالأزمة ؟ هل هى ازمة كم تتصل بالنشر والتوزيع او ازمة كيف تتصل بالانتاج القصصى ؟ واعتقد ان الازمة الواقعية هى ازمة انتشار القصة القصيرة ومدى هذا الانتشار عند القارىء اذا قيس بمدى انتشار الرواية الطويلة . واجاب يوسف السباعى بقوله : ليس هناك مايسمى بازمة القصة القصيرة ولم يكن هناك ابدا ما يمكن ان يسمى بهذا الاسم ، والدليل الذى يعطينى كل يوم مؤشرا على ان عدد القصص القصيرة يتزايد باستمرار . ولكن قد تكون هناك ازمة فى نوعها . واجاب الدكتور يوسف ادريس على سؤال الهلال بقوله : انا لا اعتقد بوجود ازمة فى القصة القصيرة بشكل خاص . ولكننى اوافق على وجود ازمة فى التعبير بشكل عام .. اى ان هناك ازمة قائمة بين الادب كمعبر عن مجتمعه فى ظرفنا الراهن وبين قدرة هذا المجتمع على استيعاب هذا التعبير .

وقد اصدر "الهلال" اعدادا كثيرة بخلاف الاعداد الخاصة بالقصة فى شتى المجالات والقضايا الفكرية والادبية فى مناسبات عديدة ، كالعدد الذى صدر بمناسبة مرور ٧٥ عاما على انشاء الهلال .. العددين التذكاريين اللذين صدرا فى اكتوبر ١٩٧٥ ، واكتوبر ١٩٧٦ فى مناسبة نصر اكتوبر المجيد . كذلك اختص "الهلال" خمسة من كبار الادباء المعاصرين باعداد خاصة هم "طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم واحمد شوقى ونجيب محفوظ" وقد ابرزت هذه الاعداد الجوانب المضيئة فى حياة هؤلاء الاعلام من وجهة النظر النقدية والتنظيرية خاصة الجانب القصصى منها . ففى عدد طه حسين الذى صدر فى فبراير ١٩٦٦ كتب عبد الرحمن صدقى عن "عميد الادب ومعجزة الايام" وفى عدد العقاد الذى صدر فى ابريل ١٩٦٧ تكتب الدكتورة سهير القلماوى عن "سارة او عبقرية الشك" وفى عدد توفيق الحكيم الذى صدر فى فبراير ١٩٦٨ تكتب الدكتورة لطيفة الزيات عن "قصص الحكيم" . اما العدد الخاص الذى صدر فى فبراير ١٩٧٠ عن نجيب محفوظ . فقد كان عددا حافلا بفن القصة والرواية عند هذا العلم الكبير وقد شارك فيه عدد كبير من الدارسين والمتخصصين والنقاد تناولوا عالم نجيب محفوظ من كافة

جوانبه الشخصية والابداعية . كما نشر فى هذا العدد قصة جديدة لنجيب محفوظ تنشر لاول مرة وهى قصة "روح طبيب القلوب" .

## دور بارز للهلال

وهكذا كان لمجلة "الهلال" دور بارز هام فى اضاءة الطريق لفن القصة والرواية فى مصر والعالم العربى عن طريق هذه الاعداد الخاصة والتى اصبحت تمثل الان فى تاريخ الادب القصصى علامة هامة ومتميزة .

كما ان المتتبع لهذه الاعداد يجد ان تتابع الاجيال يظهر بوضوع على صفحات المجلة . وان فن القص منذ حداثة عهده فى مصر ظهر اول ما ظهر على صفحات الهلال . بل ان دار الهلال قد افردت سلسلة خاصة لفن القص هى "روايات الهلال"

وفى سلسلة "كتاب الهلال" اهتمت دار الهلال ايضا بفن القص حين اهتمت بسير العظماء وتراجمهم بجانب الاعمال الابداعية والدراسات التى تتناول الفن القصصى بالتحليل والمتابعة فظهرت طبعة جديدة لرواية "زينب" فى يناير ١٩٥٣ والبؤساء لفيكتور هوجو وزهرة العمر لتوفيق الحكيم ، غادة النيل لاميل لودفيج ، يوميات نائب فى الارياف لتوفيق الحيكم كما ظهرت مجلدات الف ليلة وليلة مزينة ومنقحة . كما ظهرت قصة الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم "القصر المسحور" . كما ظهرت ايضا روائع شكسبير ، ورواية اخر الطريق للسيدة امينة السعيد ، والاعمال الاولى لرواد القصة مثل حديث عيسى بن هشام للمويلحى وليالى سطيح لحافظ ابراهيم . كما ظهرت قصص احمد حسن الزيات صاحب الرسالة . واهتم "كتاب الهلال" بالدراسات الادبية فى مجال القصة والرواية فظهرت الرواية المصرية المعاصرة ليوسف الشارونى ، نماذج من الرواية العالمية" لمحمد الحديدى ، "القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا" ليوسف الشارونى ايضا ، الرؤية الابداعية فى ادب يوسف السباعى للدكتور عبد العزيز شرف ورجاء شعير ، "القصة القرانية ، لفتحى رضوان "واعلام الفن القصصى فى الغرب" لهنرى وانالى توماس واعمال اخرى ظهرت فى نطاق هذه السلسلة وخارج نطاقها .

وتتتابع اعداد "مجلة الهلال" متدفقة مليئة بالحيوية والنشاط ممتلئة بثمرة الفكر ونتاج العقول وروائع الابداع تسير بخطى ثابتة نحو المائة عام كانت فيه مجلة الشرق الاولى وكانت الفنون والعلوم والثقافة والاداب هى محور اهتمامها وصلب صفحاتها . وكان الشعر والمسرح والنقد والقصة والرواية هى الصفحات المضيئة والعلامة البارزة فى سطورها . وكان القص على وجه الخصوص باعداده المتميزة التى صدرت من "الهلال" هى الابتسامة الحلوة التى كان يحلو لمجلة الهلال العريقة ان تطلقها كل عام مرة او مرتين او اكثر .

# صباح الخير يا باريس

بقلم: محمود بقشيش

**ما أن وصلت إليها مساء الرابع من يناير الماضي حتى اكتشفت أن معارض هامة قد افلتت منى ، وأن معارض اخرى قادمة لن اتمكن من انتظارها ، ورغم ذلك فالمتاح كثير ومتنوع ومثير للتامل ، والتساؤل ، ومن بين هذا الكثير ما كان مفاجئا لى .**

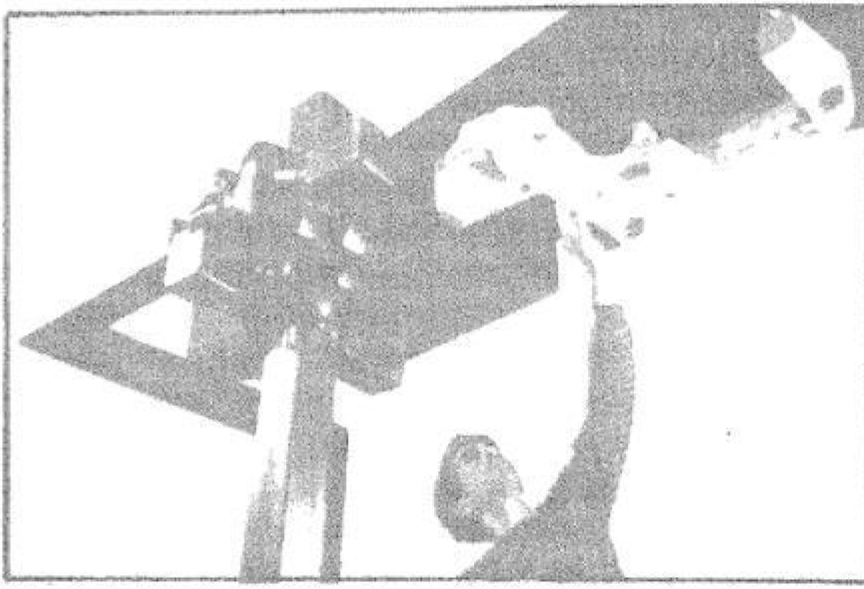
ومن تلك المفاجات افتتاح معهد العالم العربى ، وهو مبنى ضخم يشبه - على حد تعبير "كريستيان نقاع" مديرة المتحف - "سفينة من زجاج وفولاذ مرصوصة على امتداد نهر السين" . وقد صمم هذا المبنى المهندس "جان نوفيل" وشركاؤه . وتكلف بناؤه ٣٤١ مليون فرنك . اسهمت الدول العربية ( وعددها تسع عشرة دولة - حتى الآن - بـ ١٥٤ مليون فرنك ، فى حين اسهمت فرنسا بمبلغ ١٨٧ مليون فرنك ) . ويتكون المتحف من سبعة طوابق ، تضم مراحل مختلفة من التراث الاسلامى فى مجالى الفن والعلم التطبيقى ، واحتلت إنجازات المعاصرين من الفنانين العرب جناحا صغيرا ، ولم يضم هذا الجناح إلا الابداعات التى انجزت منذ خمسينيات هذا القرن . ولقد برّر الأستاذ "إبراهيم ابن الحسين العلوى "مسئول قسم الفن المعاصر" لهذا بتبرير آراه غير مقنع ، فقد قال : ( يقف وراء المجموعة التى تبدأ بإبداع الخمسينيات اعتبار تاريخى : كون هذه الفترة مرتبطة بتحقيق وعى أبان عن نفسه عبر ميادين الفكر ، ومجال الفن بخاصة ) .. أما الطابقان الارضيان فيضمان قاعات للمعارض المؤقتة . وقد ضم المتحف من أعمال الفنانين المصريين : ( عبد الهادى الجزار . حامد ندا . منير كنعان . أحمد نوار . عوض الشيمى . صبرى منصور . جورج البهجورى . آدم حنين ) . وطبع كتاب فاخر الطباعة عن مجموعة متحف المعهد من الفن

العربي المعاصر . ضم مجموعة هامة من الدراسات لـ : إبراهيم العلوى . عبد الكبير الخطيبى . ادونيس . بلند الحيدرى . طونى مرينى . عبد الوهاب المؤدب . محمد المطالسى . وتصب مجمل الدراسات فى هدف واحد ، هو الدفاع عن الحرف العربى ، واعتباره ملاذا للفنان العربى المعاصر ، وطريقا واحدا للفن لابديل له ! .. وعلى الرغم من اننى لست ضد "الحرف العربى" او استخلاص كل إمكاناته الجمالية التعبيرية فإننى لا ارحب بان يكون هذا هو الملاذ الوحيد للفنان العربى لمواجهة التنوع الخصيب وغير الخصيب فى الإبداع الغربى . ولقد لاحظت ـ وهنا يظهر وجه السياسة ـ اختفاء تاثير الموروث الفرعونى من الدراسات . .. فلم يذكر ـ باعتباره على الاقل ـ منبعا من المنابع التى تشكل قومية الملامح فى الفن ، ولم يفهم دور "مختار" ، وعد فنه دعائيا ، وربما اتيح لى ـ فيما بعد ـ مناقشة تلك المقالات تفصيلا .

اذكر اننى عندما شاهدت الصور الملونة لهذا المبنى اعجبت به .. لكن عندما احتوانى شعرت بشىء من القلق والانقباض ، فالاسقف الرمادية . واطئة للدرجة التى تكاد تلامس الرءوس او تهددها بالسحق ! .. ولاتكاد تخطو خطوة حتى تكتشف انك مراقب بدوائر تليفزيونية تتعقبك كظلك !

● فونتانا

على بعد بضع محطات قليلة تلتقى بمبنى آخر يشيع داخله وخارجه جو نفسى مناقض لجو المعهد العربى .. ذلك هو "مركز بومبيدو" امامه تقام ، وبصورة عفوية ، احتفالات مرتجلة فى كل مجالات الابداع التى تتسم بالطرافة والمرح ، وداخله تقام معارض لفنانين حققوا شهرة عالمية ـ او على الاقل ـ شهرة واسعة فى بلادهم ( على ان تكون بلادهم اوربية ! ) بالاضافة للمتحف الثابت لعرض إنجازات أبرز فنانى القرن العشرين . كان المركز يقدم وقتها معرضا شاملا للفنان "لوسيان فونتانا" ( ١٨٩٩ ـ ١٩٦٨ ) منذ اعماله النحتية "التشخيصية" الاولى حتى اعماله "التجريدية" الاخيرة ، وهو فنان تتسم اعماله بالتنوع الشديد ، والاحتفال بالخامات المختلفة والغريبة مثل : النيون والسيراميك والاسمنت والنحاس والفخار وتصلح كثير من اعماله فى مجال الاعلان . وقدم اعمالا ذكرتنى بتعبير الصديق الناقد "مختار العطار" ( التجريد العبثى ) ! .. فما اكثر المسطحات الملونة ، وما اكثر الشقوق والخروم العشوائية التى احدثها فى تلك اللوحات . وقد وجد "فونتانا" ـ بطبيعة الحال ـ من النقاد ما يبرر له مايراه . فمنهم من تحدث عن علاقة المساحة الهندسية الصفراء او الحمراء بالاختراق التلقائى المشحون بالعواطف الجياشة ، ومنهم من تحدث عن جراته فى اقتحام الاناقة "البرجوازية" ! .. وبالمناسبة فإن هذا



حجر من برونز ١,٩٠م × ٠,٥٠م

المعرض الذى احتل كبرى قاعات العرض بمركز "بومبيدو" سينتقل بعد ذلك إلى "امستردام" و "برشلونة" و"لندن" !

## ● فرويد

إن متابعاتى المباشرة ، وغير المباشرة ، لما يحدث فى الابداع الغربى يؤكد لى فى كل مرة أن "المستوى" وحده ليس كافيا للعبور إلى العالمية .. إذ لابد من وجود مؤسسات كبرى تساند الفنان ، ويتضح هذا مع فنان آخر يقام له معرض فى قاعة بالدور الأرضى بمركز "بومبيدو" .. هو المصور الانجليزى - الألمانى الأصل - ( لوسيان فرويد ) ، وقد فرّ مع أسرته اليهودية عام ١٩٣٣ من المانيا إلى انجلترا وهناك استقرت الأسرة . لقد اشترت له السفارة البريطانية صفحات فى الدوريات الفنية المختلفة لنشر اعماله بصورة بارزة ، ولقد عدّه احد محررى مجلة "تايم" واسمه "روبرت هيج" أعظم المصورين الواقعيين الأحياء !.. ولقد جرى نفس التعبير على اقلام كتّاب الدوريات الفرنسية !.. وهو - فى تقديرى - يتضاءل إذا وضعت ( بورتريهاته ) إلى جوار ( بورتريهات ) بيكار أو عزالدين حمودة أو صبرى راغب .. !

ضم المعرض مختارات له منذ عام ١٩٤٧ حتى الآن . وموضوعاته هى موضوعات الفن التقليدى : الوجه الانسانى . العارى . ولقد ظننت للوهلة الأولى أن الأعمال المعروضة من إنتاج فنانين لا فنان واحد . فاعماله الأولى

تختلف اختلافا واضحا فى أسلوب الأداء عن أعماله الأخرى . ففى الأولى حرص شديد على الرسم الخطى . وعلى التفاصيل الدقيقة لملامح الوجه وخاصة العين والشعر .. مع تحريف واضح ومقصود للنسب ، وتكثيف الشحنة التعبيرية فى العيون .. مع اتجاه الى الرمز إن وجوهه .. ومعظمها يمثل وجه زوجته الأولى .. تكشف عن وجه معبر ، وعينين وحشيتين .. غير أن ذلك التعبير اللاذع يراوغ بأناقة الخطوط ، وبرودة الألوان ، ونعومة مسطح اللون .. بحيث لاتفرق بيسر بين خامة الزيت والجواش والباستيل .. أما فى المرحلة الأخرى فقد انقلب على نفسه ، وسمح هذا الانقلاب بظهور الوحشية الكامنة تحت السطح الناعم ، فاحتلت اللمسة الحادة . القاطعة . المحملة بعجائن كثيفة من اللون .. البطولة . وتخلى عن الأناقة ، والتزم النسب الواقعية إلا ما جاء عفوا . وانقلب اللون البارد ساخنا ، واحتل الجسد العارى موقعا مرموقا فى إنتاجه ، غير أن هذا الجسد ـ البطل ـ صار مفضوحا . ممتهنا . صادما للمشاعر .

### عرض بانورامى

ما تكاد تخرج من قاعة العرض حتى يواجهك مباشرة عرض آخر يناقض سابقه من الألف إلى الياء . ففى الدور تحت الأرضى قاعة مفتوحة يطلقون عليها تعبيرا رمزيا هو : "ساحة المحاكمة !" تقام فيها العروض التجريبية التى تستهدف الابهار والدهشة . ما يشاهده المتلقى هو "فرجة" ـ على حد تعبير محرر النشرة الخاصة بهذا العرض ـ وهى فرجة تجمع "الشكل" و "الصوت المغنى" فى وحدة بصرية . شعرية . تجذبك إلى منطقة السحر ، والانفلات من أسر المعانى المحددة . وعلى الرغم من أن هذا العرض معد عن قصة للكاتب ( فيليب ك . ديك ) فإن ماتراه أبعد مايكون عن سرد قصة . ربما أوحى تتابع الصور بتوالد الأزمنة والحضارات وحلم الانسان فى أن يتسيد الكون . يجذبك عند الدخول الى القاعة ضوء شريطى ، تزداد حمرته وضوحا ، وهو يتجه الى بؤرة مسطح رخامى على شكل ثمانى مخطط . فإذا اتجهت الى البؤرة وجدت شكلا ثمانيا آخر .. مضيئا ، ومفرغا . وتتساءل عن معنى تلك القذيفة الضوئية التى أغرتك بالتوجه إلى البؤرة .. فتكتشف أن على رأس كل زاوية من زوايا الشكل الثمانى "مستطيل" فيدفعك الفضول الى الفرجة ، فيسحبك "المستطيل" إلى قاع قد يمتد لأكثر من متر تحت الأرض .. حيث تستقر به شاشة تليفزيونية تعرض عليك مايدور فى الشاشات التليفزيونية المثبتة فى حلق المسرح .. فتختار بين أن تذهب إلى هناك أو تكتفى بالعين المسحورة .. التى تذكّرك بطفولتك ، فإذا ذهبت إلى مجمع الشاشات وجدت الأحداث تحتل بعضها أحيانا ، أو تنتشر فيها جميعا بناء على نظام محكم فى الاخراج . فى رحاب هذه

"الفرجة" تنشط حواسك وذهنك، وتنسى كل الاحزان التى تركها لديك "لوسيان فرويد" والعبث الذى خلّفه "فونتانا" فى ذاكرتك !

● قاعات العرض الخاصة

إن قاعات العرض الخاصة تزدحم بها باريس - خاصة فى شارع "سان جيرمان" و "بونابرت" و "السين" - تسهم فى تكوين الذوق العام، بالاضافة إلى ما تتيحه لفنانيها من ذيوع متفاوت الدرجة . إن أصحابها

تمثال من البرونز للفنان ابيل اوجية



تجار لوحات يتعاملون مع الفن والفنانين باعتبارهم سلعاً تتفاوت ارتفاعا وانخفاضا . لهذا كان - لابد بالنسبة لما بينهم من منافسة - ان يتجهوا الى التخصص . فبعض هذه القاعات لايعرض إلا لفنانين ينتمون الى الأسلوب الواقعى، وبعضها لايسمح إلا بالتجريد المطلق . ومنها ما اقتصر على فترات زمنية محددة .. فهناك قاعة لاتعرض إلا نحت القرن العشرين ابتداء من أوائل القرن حتى خمسينياته، وأخرى لاتعرض إلا التصوير ابتداء من الأربعينيات حتى الستينيات فقط ! .. ولفت نظرى ان اكثر العارضين من الفنانين الأجانب ..

المقيمين بعض او كل الوقت فى "باريس" . ولقد أبدى احد سماسرة الفن دهشته عندما اخبرته باننى اقيم معرضا مع زميلين بالمركز الثقافى المصرى - المجهول رغم موقعه الهلم فى شارع "سان ميشيل" - وقال لى : كيف يمكن اختراق "باريس" من خلال مركز رسمى معزول ؟! قلت له : ليست المشكلة فى كون المركز رسميا ولكن المشكلة تكمن فيما ذكرت من عزلة .. ففى قلب شارع "سان جيرمان" يوجد مركز من انشط المراكز الثقافية هو المركز الثقافى لألمانيا الديمقراطية، فقد قدم فنانا المانيا بصورة لائقة" .. وإذا كان "الفن" فى مجتمع راسمالى سلعة فكذلك "النقد" .. فالاقلام تشترى، والصفحات فى المجلات الفنية تشترى، كل قلم له سعر، والمؤسسة التى تسعى لخلق "نجم" عليها أن تدفع الثمن المناسب !..

# صباح الخير يا باريس

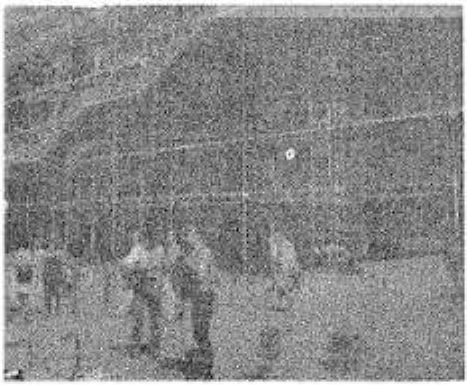
لكن لأن المركز الثقافى المصرى لايملك مالا أو علاقات مؤثرة فى المجتمع الباريسى فإن معارضه لاتلقى اهتماما إلا بالقدر الذى يبذله الفنانون أنفسهم !

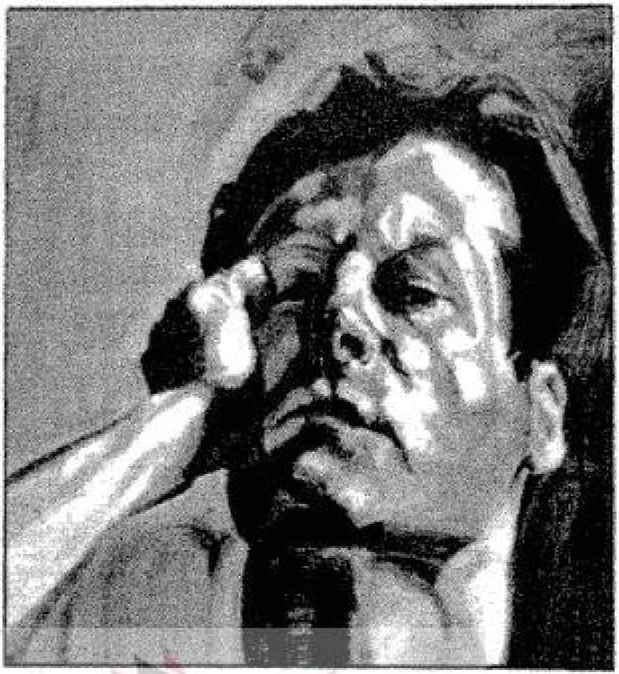
● أبيل أوجييه

نظمت قاعة "الان بلونديل" - المتخصصة فى عرض الأسلوب الواقعى - معرضا لأحد الفنانين المقيمين فى "باريس" هو "ابيل اوجييه" . والمعرض مقام من ١٥ ديسمبر حتى ١٣ فبراير ، وقد اقام هذا الفنان العديد من المعارض خارج فرنسا ، فى أمريكا اللاتينية واستراليا ونيوزيلند ، كما اقام معرضا بمركز بومبيدو ، ومعنى العرض فى هذا المركز انه حقق الاعتراف الرسمى والشعبى بموهبته . ومعرضه مثير للتامل والدهشة حقا . تطوف بالمعرض فلاتدرى اتبتسم فى مرارة ، أم تفزع مما تراه ، أم تنفر من وجهة نظره فى الانسان ، أم تعجب لبراعته فى التجسيد وإتقانه لفنه ! .. لقد انتابتنى تلك المشاعر وتداخلت اثناء مشاهدتى لمنحوتاته البرونزية ، والفخارية الصغيرة الحمراء تواجهك فى الواجهة الخارجية منحوتة تمثل إنسانا اقرب الى الدمية .. ممزقة الأوصال ، وموصولة بالجسد باسلاك . وتكتشف - بالداخل - انه كان يعد مثلقيه للتلاقى مع تنويعات مع إنسان العصر .

الممزق . المغترب . العاجز عن أى درجة من درجات التواصل مع الآخرين . ويبلغ من العجز درجة مخيفة . ولايجد لنفسه ملاذا سوى جلده هو . ويلح "اوجييه" على تلك العلاقة : الانسان الوحيد وجلده . ويقدمها فى تنويعات بلغ بعضها درجة تستفز النفور ، وتسقط التعاطف مع الفنان ، وتنبذ تلك النظرة التى تغرق تاريخ الانسان فى سواد كامل . و "اوجييه" -فى أحسن حالات موقفه من الانسان - يبدو ساخرا منه .. كما فى العمل المنشور ، الذى يمثل رجلا رياضيا . سليم الجسد . قوى البنية . مفتول العضلات . متخلف العقل . ويؤكد على ذلك بوضعه فى مفارقة كاشفة .. فذلك البطل الزائف - الانسان - يظهر متوتر العضلات استعدادا الوهم حمل ثقيل بينما هو فى الحقيقة .. مجرد عصا نحيلة عليها طائران

مركز بومبيدو أصبح إشعاعا ثقافيا





وجه الفنان
لوسيان فرويد
بـريشتـه



نحت .. للمثالة
البـرازيليـة
ايزابيل روشيرو

# صباح الخير يا باريس

صغيران ! إن رؤية الفنان العبثية مؤداه بأسلوب واقعي ، يوحي باعتماده على "موديل حقيقي"

● نبو بالدين

على النقيض من "ابيل اوجبيه" يطالعنا النحات الألماني "تيوبالدين" بالمركز الثقافي لألمانيا الديمقراطية بوجه آخر للانسان .. أو بمعنى أدق : الانسان في تجليات مختلفة ، منتصرا ، ومهزوما ، ومحتجا ، وصلبا ، وساخرا ، وشهيدا ، وداعيا للسلام ، الخ .. إن رحابة أو ضيق النظرة الى الانسان بين "تيوبالدين" و "اوجبيه" ترجع الى اختلاف الفلسفة النظرية والحياة العملية التي عاشاها . عاش "بالدين" حياة سياسية حافلة ، فقد شارك في مناهضة الفاشية ، وتعرض للسجن . واضطر الى الهجرة الى "براج" . وعمل محررا ورساما في مجلة هجائية .. كما شارك في العديد من المؤتمرات الدولية . وهو على مستوى الأسلوب الفني ينتمي الى التعبيرية الألمانية ذات المذاق اللاذع الحاد مستفيدا من إنجازات النحت المعاصر .. خاصة "هنري مور" .. ومن الطبيعة خصوصا من سيقان وغصون الأشجار ، في استرسالها وتشابكها المثير مع الفراغ ، وما توحي به أشكالها وملامسها بما يذكر بالجسد الانساني . ويظهر المزج بين الأشجار والانسان في مجموعة كبيرة من منحوتاته .. أعطاها أسماء مختلفة مثل : امراة ممددة ، وجذع احمر والمراة النائمة والطائر الخ . وهو لايصف جسدا بعينه مثل "اوجبيه" أو "فرويد" – أى تقديم عينة من الجنس البشرى – بل يمنحنا ما نتجاوز به "الجزء" إلى "الكل" ، فنحن مع تمثال "امراة ممددة" نواجه بكيان جبلي . متين . وخصيب بالاستدارات الحسية ( في موضع الصدر والبطن ) ويشبه الجسد في ارتفاعاته وانخفاضاته موجات من الكثبان الصحراوية . نحن إذن امام وجود حي ، كلى ملىء بالمخاض ، ويلجا احيانا الى بساطة الوصف دون أن يغفل الكشف عن شخصية النموذج .. كما في العديد من "البورتريهات" التى انجزها ، غير انه ينجذب .. خاصة في العشرين سنة الأخيرة الى التوغل في اكتشاف الامكانات التعبيرية للفراغ المرسوم . ومن ابرز النماذج على ذلك تمثال مكون من رقائق النحاس ، نفذ عام ١٩٧٦ ، فقد طوع الرقائق المسطحة لتوحي بالكتلة ، وقام الفراغ المقتحم برسم العين ، وإعطاء عمق فراغي ، وحافظ بهذه الطريقة على حيوية الاطار الراسم للحدود الخارجية وشاعريته . كما تعكس بعض الوجوه استفادته من النحت الافريقي كما في رأس خشبي ، ذى بناء تكعيبى اطلق عليه : ( رأس ومسمار ) انجزه عام ١٩٣٩ . وضم معرضه الشامل رسومه الخطية ولوحات جرافيك تحتل فيه المراة الوطن . الطبيعة .. البطولة .. وتشترك

في تجسيد تصوره عن الانسان ذى الثلاثة ابعاد .

## ● إيزابيل روشيرو

من الفنانين الأجانب اللامعين المثالة البرازيلية "إيزابيل روشيرو" ، وكانت تقيم معرضا بقاعة عرض تسمى ( الجاليرى ) . وهى شخصية متنوعة الابداع .. فقد ابدعت في مجال الديكور المسرحي والرسوم الصحفية وعملت استاذة في معهد الفنون الجميلة ، كما قامت بتدريس التمثيل الصامت في مدارس الفن الدرامي في "ساوبولو" ، وافتتحت هناك قاعة عرض خاص قبل أن تستقر في باريس منذ عام ١٩٨٢ . كما اشتركت في بينالي "ساوبولو" الأول والثاني بأشكال "ماتيكانية" ذات طابع سيريالي ، وقدمت في معرضها الأخير بباريس استمرارا لهذه التجربة الطريفة . وهي "ماتيكانات" حديدية ، مطعمة بالزجاج ، وخامات مختلفة . ويتسم اداؤها بالاناقة والاتقان ، وبالانقلابات ( السيريالية ) - فيما يخص الخامة بالذات - فاعارت طراوة القماش الى الحديد ، وانشات العلاقات التي تستهدف دهشة المشاهد وامتاعه

## ● أوراى

في الوقت الذي يبحث فيه الفنان العربي عن "روحانية" الحرف العربي فإن المثال ( أوراى ) - الذي يعرض بقاعة "بروميد" بشارع "السين" - يبحث في روحانية اخرى هي "روحانية" الهندسة الميكانيكية ! .. واشكاله لاتحاكي شيئا معلوما بل توحي به ، وهي توحي بروح جديدة تشدو بإنجازات الآلة ! .. وإذا كانت التراكيب الهندسية الموظفة لأغراض نفعية تفتننا رغم علائق الاستعمال والنفع المباشر فالأحرى أن نستمتع بتلك التراكيب بعد تخلصها من تلك العوائق . واشكال يستعين لها بخامات متنوعة ، ويميزها بالدقة والمهارة ،

ويثريها بكل القيم النحتية . يمكنك ايها المشاهد أن تتوقف عند اناقة الاشكال ودقة تنفيذها ، كما يمكنك أن تستخرج من انضباط اشكاله "وجها" من وجوه إنسان القرن العشرين .. وهو وجه يختلف اختلافا بينا عن وجه "اوجيبه" الأسود البائس . ووجه "تيويالدين" المناضل ، و "إيزابيل" ( الماتيكاني ) !.. غير أن "باريس" الرحبة تتسع لكل الرؤى والاساليب المتناقضة المحلي منها والأجنبي .

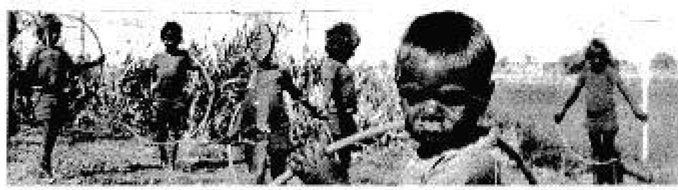
قبل أن اغادر "باريس" أردت أن القى الصباح على متحف "اورساى" الذى كان محطة للسكك الحديدية .. فقد ذكرني هذا الانقلاب - من المحطة الى المتحف - بانقلاب مضاد حدث في القاهرة عندما انقلب متحف الفن الحديث ودار الاوبرا الى موقفين للسيارات ! .. إن هذا المتحف يستحق حديثا تفصيليا ليس مجاله الآن .. غير أن الدرس الذى تقدمه لنا "باريس" هو حرصها على أن تكون مأوى للجمال والحرية والثقافة ، وهى لاتترك شاردة او واردة - كما يقال - دون أن تمنحها حقها من الاهتمام .

رسالة لندن

# موسم "استرالي" في بريطانيا

بقلم : محمود أحمد





أبناء المهاجرين

تعيش انجلترا ، منذ مطلع العام الحالي ، موسما استراليا ، شد الاهتمام ولفت الانتظار في كل مكان ، والموسم الذى بدأ مع بداية يناير الماضي ولايزال مستمرا ، يأتي بمناسبة احتفال استراليا بمرور مائتي عام على نشأتها ، ومن الواضح - من خلال كل مايعرض ويكتب ويقال في انجلترا - ان الاحتفالات مستمرة ، هناك في استراليا ، طوال العام الحالي .. وإن كان شهر يناير هو الذى خصص - رسميا - لتسجيل المناسبة .

# موسم "استرالى" فى بريطانيا

«الحالة الاسترالية» التى تعيشها انجلترا لاتقتصر على ناحية واحدة ، وإنما امتد الاهتمام بكل ما هو استرالى ليشمل كل النواحى الثقافية والاقتصادية والسياسية والرياضية وغيرها . وقد لعب التليفزيون البريطانى دورا هاما فى تشكيل هذه «الحالة الاسترالية» التى تعم انجلترا كلها ... فالبرامج المتنوعة والغنية ، عن كل نواحى الحياة فى استراليا ، مستمرة من الصباح وحتى آخر الليل ، وهى تشمل مقابلات وتحقيقات وزيارات وأغانى وحتى «تمثيليات» استرالية تطغى عليها اللكنة المحلية . وقد نجحت بعض هذه التمثيليات جماهيريا الى حد أن إحداها وهى مسلسل بعنوان «جيران» ـ استطاع ان ينافس اكثر المسلسلات الأمريكية شعبية مثل «دالاس» و«دانستى» وغيرهما !

وربما كانت محطة التليفزيون المستقل (أي . تي . فى ITV) هى الأوسع تغطية ، وبالتالى الأكثر مساهمة فى تكوين هذه «الحالة الاسترالية» التى تعيشها انجلترا . فقد أوفد التليفزيون المستقل فريقا كبيرا على رأسه «آن دياموند» نجمة برنامج «صباح الخير يابريطانيا» ، وبدأ يذيع منذ أول يناير سلسلة من البرامج المتنوعة والعميقة التى تغطى مختلف مجالات الحياة .. وعلى الهواء مباشرة من استراليا . وكانت هذه البرامج تقدم فى اطار برنامج «صباح الخير يابريطانيا» ولمدة ٣٠ دقيقة متصلة (كان المفروض ان تكون المدة ٣ساعات ، ولكن اضراب الفنيين فى التليفزيون المستقل فرض اختصارها الى نصف ساعة فقط !) .

وساعد على «انجذاب» الانجليز ، ان المشاهد التى كانت تتوالى من استراليا بغير انقطاع ، كانت مشاهد بهجة ـ فى معظمها ـ مليئة بالمرح وزاخرة بالالوان .. والشمس . فاستراليا تحتفل بعيدها فى «عز الصيف» ، الذى هو شهر يناير فى نصف الكرة الجنوبى ، وكم كان مسليا بالنسبة للانجليزى المتدثر بملابسه الثقيلة واللائذ بالمبانى المدفأة ، ان يتابع مناظر الانطلاق والمرح على الشواطىء وفى حمامات السباحة وملاعب «الكريكيت» والمطاعم المفتوحة فى الهواء الطلق والحافلة موائدها بالمرطبات والمثلجات والأطعمة البحرية والفواكه الطازجة !

وشملت «التغطية» جوانب بالغة الاثارة ، من بينها عرض دقيق وعميق لنواحى الحياة فى استراليا ، مدنها وصحاريها وغاباتها وسواحلها ، وهو ماحفل بالكثير من الغرائب .. خاصة مع ما هو معروف عن التنوع الهائل للطبيعة والحياة البرية فى استراليا . فأين .. فى غير استراليا ، يمكن أن يوجد الكنجارو ، أو الكوالا الشهير الذى يدلله الاستراليون ويحافظون عليه ويعالجونه فى المستشفيات الخاصة به ويجعلونه شعارا لبلدهم ، أو حتى الدنجو الشرس شبيه الذئب والذى يهاجم الانسان والحيوان ، وعرف الانجليز ـ من خلال مثل هذه التحقيقات ـ لماذا اقام الاستراليون سورا من الاسلاك طوله ٢٥٠٠ ميل ، فى إحدى المناطق ، لحماية السكان من هجمات



صورة من الحياة الفنية .. على لوحة فنية

بعض الحيوانات المتوحشة ، وأوكلوا صيانة هذا السور والعناية به الى موظفين اكفاء يتولى كل منهم هذه المهمة لمسافة محددة .

## ● الطائرة الصاروخية

وانتشر الاهتمام باستراليا واحتفالاتها ، وامتد الى الصحف والمجلات الى حد ان « الصنداى تايمز » خصصت أحد أعدادها الملونة ـ من اوله الى آخره ـ لهذه المناسبة . وسرعان ماتزلت شركات السياحة والطيران الى الميدان لعرض تخفيضات مغرية لمن يريد السفر ليشاهد كل هذا بنفسه ويشارك فيه بل ان « الحالة الاسترالية » كانت مناسبة لتجدد الحديث عن « الطائرة الصاروخية » التى تسعى بلدان عدة لانتاجها ـ وفى مقدمتها امريكا والاتحاد السوفييتى واليابان ـ وهى طائرة يعتقد أنها ستصبح حقيقة واقعة خلال عشر سنوات ، وتعتمد على الانطلاق صاروخيا على طريقة « مكوك الفضاء » الى خارج الغلاف الجوى ثم تهبط فى الموقع المحدد بسرعة ـ اعتمادا على حركة دوران الأرض ـ وبذلك يمكنها ان تقطع المسافة من انجلترا الى استراليا فى ساعة واحدة .. ويقول البعض بل فى ٤٥ دقيقة فقط !

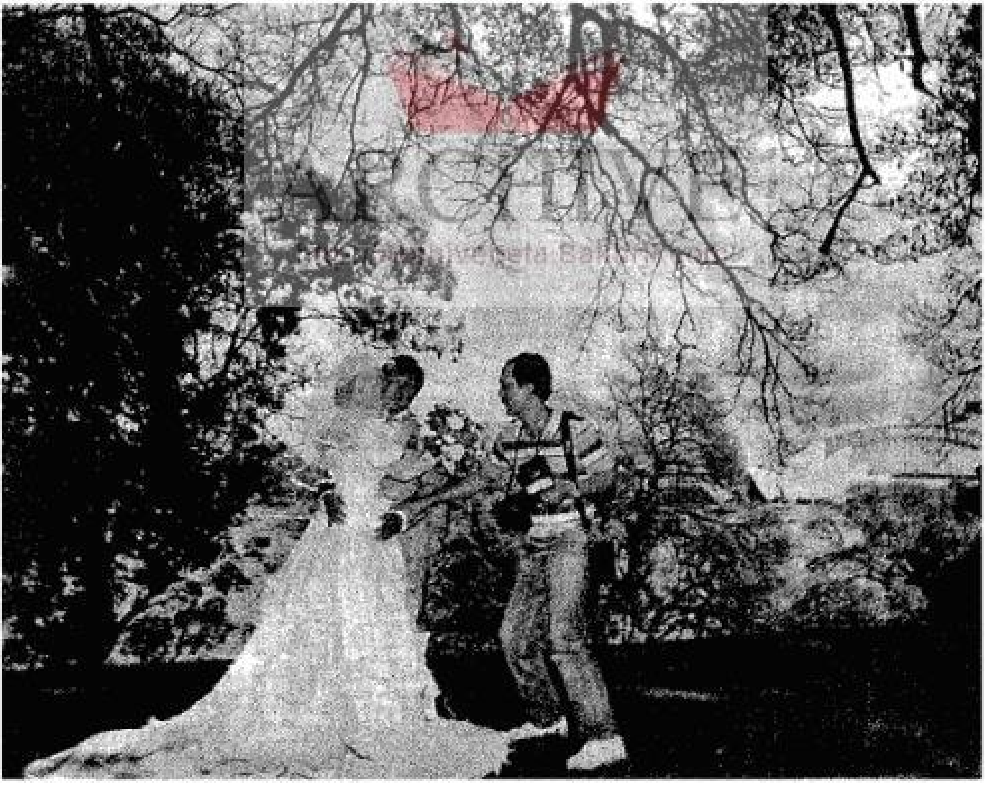
إلى هذا الحد تغلغلت « الحالة الاسترالية » .. بل واكثر .. فعلى الجانب

## موسم "استرالى" فى بريطانيا

السياسى ، كانت هناك مناقشات ومجادلات حول العديد من القضايا . لم يتناول ذلك السياسة الاسترالية وحكومتها ورئيس وزرائها « بوب هوك » ـ الذى يحب احتساء البيرة ولعب الكريكيت وحياة الثراء والبعد عن الرسميات ـ وانما تناولت امورا تعنى انجلترا والانجليز فى الدرجة الأولى . فقد اثارت « الحالة الاسترالية » أشجانا قديمة تمتد الى ايام العصر الامبراطورى ، عندما كانت استراليا ـ وغيرها ـ مستعمرات للتاج البريطانى .

واثيرت مناقشات حول « وضع » استراليا اليوم ، وموقعها من انجلترا ومن الكومنولث ، والاختلاف الكبير الذى أصبحت عليه اليوم والتحول الذى طرأ على شعبها (الذى يتحدث « الانجليزية » !) . وكتبت « الصنداى تايمز » تقول : « لقد أعطينا استراليا ثروتنا البشرية وأسلوب حياتنا ، ولكنها انزلقت بعيدا عنا منذ زمن طويل . واليوم ، فان هذا البلد غير العادى يشهد تحولات عميقة ستجعل منه الأكثر تعددية ـ سواء

المهاجرون الاسيويون .. يقيمون حياة جديدة فى استراليا



من ناحية الأجناس او الثقافات او غير ذلك ـ فى العالم كله » .

وارتبطت بذلك مناقشات حول معاملة « الأقليات » داخل استراليا ، ومجادلات حول حقيقة تكافؤ الفرص امام المهاجرين من مختلف الجنسيات . وقال احد المعلقين فى التليفزيون ان استراليا تطبق سياسة ، لا نقول انها « عنصرية » على نحو ماهو مطبق فى جنوب افريقيا .. ولكنها تنطوى على تمييز مؤكد بالنسبة لسلالات « الأبوريجين » أبناء البلاد الأصليين . وأكد أن هناك مجموعات من هؤلاء لاتزال تعيش فى حالة بائسة ، تذكّر بما لقيه آباؤهم من اعمال الابادة والقتل العمد والسجن على أيدى المستوطنين الأوائل (الانجليز) . وتساءل المعلق عما اذا كانت كل الاجناس من المهاجرين الجدد تلقى المعاملة نفسها ، وتتاح لها الفرص بالتساوى ، مشيرا الى ان السنوات الاخيرة ـ منذ بداية الثمانينيات على وجه الخصوص ـ تشهد اغلبية واضحة للآسيويين بين موجات المهاجرين الى استراليا . وقال انه مما ساعد على ذلك ان بلدانا عديدة فى جنوب شرقى آسيا ـ وهى الأقرب من غيرها الى استراليا ـ قد شهدت ظروفا غير عادية فى السنوات الماضية .. وضرب امثلة لذلك بكمبوتشيا ، وفيتنام ، وكوريا ، والفلبين .

على الصعيد الثقافى ، اهتم الانجليز كثيرا بالاتجاهات الفنية الجديدة فى استراليا ، وخاصة المعمار والتصوير ، مع ملاحظة ان التأثيرات « الأوربية » لاتزال قوية عموما . وكان من رأى بعض النقاد ان ذلك التأثر بالاتجاهات الفنية الأوربية لايمنع القول : ان الفنون ـ التى تجنح فى استراليا الى « الواقعية » اكثر من اى اتجاه فنى آخر ـ تميزها مسحة مختلفة ربما هى ناتجة عن « مجتمع المهاجرين » الذى يطبع كل نواحى الحياة بطابع خاص . وأشار اصحاب هذا الرأى إلى أن هذا الاختلاف قد يتعذر العثور عليه فى اسلوب التعبير ، ولكنه واضح بالتأكيد فى « الموضوعات » التى يعبر عنها الفنانون . ولفت البعض الآخر النظر الى التطور الكبير الذى يحمل طابعا محليا واضحا فى الفنون غير التشكيلية ، وتوقع احد النقاد السينمائيين طفرة كبيرة ، خلال السنوات القليلة القادمة ، فى الانتاج السينمائى والتليفزيونى الذى ربما تمكن من منافسة المنتجين الأقوياء .. بما فى ذلك الامريكيون انفسهم .

وأبدت الأوساط الثقافية فى لندن اهتماما خاصا بمجموعة من الصور قيل انها شكلت معرضا اقيم فى استراليا ، بمناسبة الاحتفالات ، وهى صور نادرة التقطت بآلات تصوير بدائية لمختلف نواحى الحياة فى استراليا منذ مطلع القرن العشرين . والمدهش ان هذه الصور قد سجلت برؤية واعية ، وبهدف الحفاظ على مشاهد معينة للمستقبل ، وفى وقت كان التقاط الصورة فيه يحتاج الى نحو عشر دقائق يجب ان يكون المنظر خلالها ساكنا تماما . وقد علق احد المتخصصين الانجليز فى التصوير الفوتوغرافى على هذه الصور قائلا ان المصورين الرواد الذين سجلوها ، لابد انهم كانوا يتحلون بحماس كبير يجعلهم يتنقلون فى انحاء القارة الاسترالية ، حاملين معداتهم « الثقيلة » ، وقاطعين

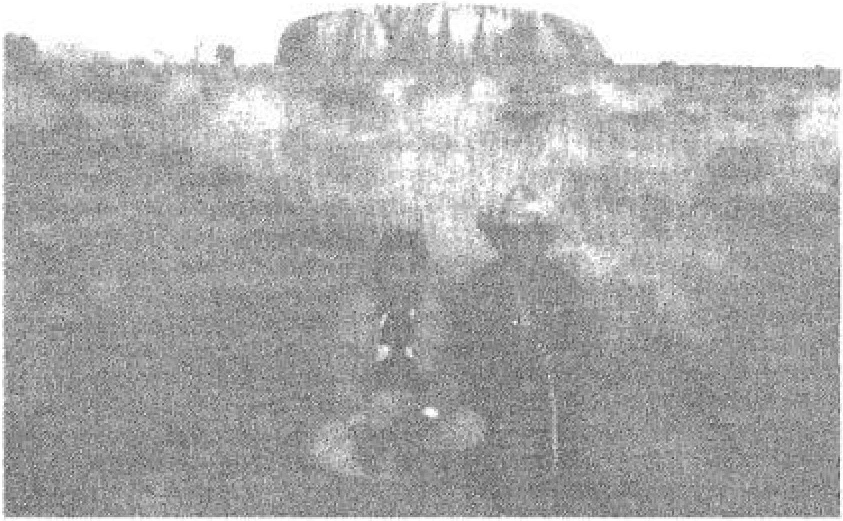
الغابات والصحارى بغير هدف سوى القيام بتلك المهمة الصعبة التى جاء نتاجها مذهلا بكل معنى الكلمة !

## ● ترويض الجمال

هل نشير اخيرا ، الى قصة ذلك الاسترالى الغريب الذى يروض الجمال ويدربها على السباق ؟ انه رجل يدعى « نويل فولرتون » يقترب من الستين ، ولكنه قوى الجسم موفور الصحة ، وهو يحترف مهنة لايقبل عليها كثيرون . فقد كانت الجمال وسيلة رئيسية للانتقال فى استراليا ، فى منتصف القرن الماضى ، ولكنها لم تعد كذلك منذ مجىء السيارة وغيرها من وسائل الانتقال ذات المحركات . ويقال انه قد تم اطلاق سراح ١٢ الف جمل فى الصحارى والغابات ، ظلت تعيش طليقة الى اليوم حيث يقدر عددها بنحو ١٦ الف جمل . اما صاحبنا « فولرتون » هذا ، فقد تعلم استئناس وترويض الجمال على يد رجل افغانى اسمه « صلاى ماهوميت » ـ أو ربما صلاح محمد ـ وقضى حتى الآن ٢٢ سنة فى هذا العمل حتى أصبح « خبيرا » . وهو يزعم ان اشخاصا فى المملكة العربية السعودية قد جاءوا به للاستعانة بخبرته فى تدريب جمال السباق ، وقال لمجلة الصنداى تايمز « أن الجمال جزء من ديانة هؤلاء الناس .. مع ذلك ، فهاهم يلجأون الىّ لاقول لهم كيف يعتنون بها » !!

بقى ان اذكر ان هذه « الحالة الاسترالية » ، ذكرتنى بحديث جرى مع القائم بأعمال استراليا فى القاهرة ـ قبل حوالى ١٥ سنة ـ وتناول « المهاجرين » المصريين . وكان مما قاله القائم بالاعمال أن المهاجر المصرى من افضل المهاجرين .. فهو دءوب ، وشاطر ، ونادر مايسبب مشاكل أو يتردد على مراكز الشرطة ، مع ذلك ، فهو « غير متردد » ، لأنه ما ان يصل ويستقر حتى يبدأ البحث عن « وظيفة » تدر عليه « مرتبا » وتوفر له دخلا ثابتا ، مهما كان قليلا فانه يفضله على أية مغامرة اخرى ، وفى هذه « الدردشة » قال القائم بالاعمال الاسترالى انه يتمنى ان يسمع أن مهاجرا مصريا قد أسس مزرعة ، أو بدأ مشروعا تجاريا ، لأنه لايذكر انه عرف حالة واحدة أقدم فيها مهاجر مصرى على بدء مشروع خاص . فهل يكون الأمر قد تغير منذ ذلك التاريخ ؟

بوب هوك .. رئيس وزراء استراليا الكبيرة . والكريكيت .. والمال ◄



ابناء المهاجرين .. وابناء الابوريجين .. أرض اجدادي .. ام أرض اولادي



ينتمى الكاتب فاروق منيب الى هذا الجيل الذى بدا عطاؤه الادبى عامة والقصصى خاصة فى عقد الخمسينيات حيث سادت الاتجاهات الجديدة فى الشعر والقصة والرواية والمسرحية وقد صبغت الواقعية معظم نتاجه القصصى المبكر الذى تأثر فى مضمونه بتجربته فى قريته ومواجهته لآلام الطبقات الكادحة فى المدينة .

# الجرح والوردة

## لحن الختام فى معزوفة فاروق منيب

بقلم : محمد ابراهيم أبو سنه

● صدر لفاروق منيب عدد من المجموعات القصصية والروايات والدراسات والمسرحية : من المجموعة القصصية « الديك الاحمر » عام ١٩٦٠ « وزائر الصباح » ١٩٦٤ و « احزان الربيع » ١٩٦٧ و « ادم الصغير » ١٩٧٣ و « عابرو سبيل » ١٩٧٥ كما صدرت له مسرحية « المطرود » عام ١٩٦٩ ورواية « ادم الكبير » عام ١٩٧٩ ثم تجىء المجموعة الاخيرة « الجرح والوردة » والتى صدرت بعد رحيله باربع سنوات تقريبا فقد رحل فى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣ بعد معاناة طويلة مع المرض الذى الجاه الى البقاء فى لندن أكثر من عشر سنوات للعلاج . وتجىء هذه المجموعة « الجرح والوردة » كلحن ختامى لمعزوفة حياته القصصية والواقعية على السواء تحتوى على خمس عشرة قصة تنهل من عالم مركب الابعاد تنوعت مصادر تجربته وصفت فيه ينابيع الرؤية الفنية حتى التحمت فى الفة حميمة مع أبسط الكائنات فى الحياة وتسامت الى افاق من النور والرحمة المطلقة .

### ● تجاوز التفاصيل

ان الالم الذى يمثل المحور الرئيسى لهذه المجموعة يفرض سيطرته على اللغة والصورة والرؤية الفنية ولكنه يواجه مقاومة باسلة من جانب الكاتب الانسان الذى اثر ان يجعل منه طريقا للاخاء البشرى ، يفصح الامل وهو يخرج متفتحا من صخرة الصمود والكبرياء من روح الكاتب فاروق منيب عن ايمان راسخ بالانسان ووعى عميق بالتآخى بين البشر على أساس من القيم الصادقة الراسخة التى تقوم عليها الحياة .



فاروق منيب

ان الجمل تميل الى القصر والتركيز والكثافة · لغة تتجاوز التفاصيل أو أو على الاقل لاتقف عندها الى مطلق من الشعور الحى يفضى الى مطلق من الفكر يقترب من مطلق آخر من الشعر · كل ذلك فى سياق من التلقائية والعفوية والاتقان الفنى فى نفس الوقت ·· واذا كانت اللغة تقاوم التوتر وهى تنزع الى خلق حالة من الصفاء لدى القارىء كمعادل للصفاء داخل الكاتب ، فان الصور هى الاخرى تهرب الى الطبيعة الحية المتجسدة فى الازهار والانهار والاشجار ولكن هذه الطبيعة تظل اطارا للتجربة الانسانية · ويظل الانسان وحده هدف المعاناة وان كان ضحية لها فى كثير من الاحيان ، تقترب بعض قصص هذه المجموعة من الاطار التسجيلى حيث تلح التجربة الذاتية على وجدان الكاتب وتدفعه الى البوح بأحزانه ·

ولكنه كفنان يحاول ان يشق دربا جديدا فى اتجاه الحب والوطن والخلاص الانسانى من الالم والقهر والذل والخوف · يتحقق التجاوز الحقيقى فى هذه القصص التى يلعب فيها الرمز دورا رئيسيا مفعما بالايحاءات والدلالات بل اننا نلمح هذا الرمز فى عنوان المجموعة نفسها « الجرح والوردة » مثيرا فى العقل والوجدان والشعور احساسا بالتناقض بين دلالتين تعبران عن تجربة الكاتب فى هذه المجموعة كلها فهو يغالب مرضا عضالا وأداة المقاومة الاساسية هى حبه الغامر للحياة · فالجرح اذن بكل ما يثيره من ألم وشفاء يواجه الوردة بكل ما فيها من جمال ونضرة · نلحظ الرمز فى قصته الاولى «النجم الصغير» وفى هذه القصة يتجه بطل القصة الى مناجاة ولده فى مزيج مدهش من البراءة واعمال الفكر فى ولع بالبراءة واعمال الفكر فى ولع بالبراءة والمقاومة · وهو يرسم ببراعة عالم الطفولة فى بواكيره وعالم الابوة على مشارف الشيخوخة فتغلبه فكرة «الامتداد الوجودى عبر الكائن القديم من صلبه » ولان البطل لا يملك الكنوز المادية فهو يركز على كنز آخر يدرك انه أهم من كل كنوز الدنيا انه كنز القيم الرفيعة التى تبنى الحياة فى قمة شموخها وكبريائها ··

ان فكرة الامتداد ليست مجرد خاطر نفسى يدفع به البطل عن نفسه غائلة الموت بل هى رسالة الانسان على الارض رسالة الابوة الى البنوة يقول البطل لولده : « هل احكى لك فصولا من قصة حياتى ؟ حاول أبوك ان يقلل دائما من كمية الكذب والنفاق فى نفسه وان يعيش شريفا · انى مهموم بك وببلدى وبالعالم كله · لم أتعود الكسل أو البلادة · لو حدثتك عن مثلى الاعلى لقلت لك ببساطة · أحب ان اكون « جدعا » كأولاد البلد الذين حاربوا الفرنسيين انهزم · أفشل · نعم اتخاذل لا : ولدى هل تعرف كم كان نهرو يحب ابنته انديرا ؟ صمدت انديرا وقاومت كل المغريات والاوضاع الفاسدة فى الهند ، الف لها ابوها كتابا يحوى تاريخ العالم كله وكان الفلاح الطيب العجوز عم شاذلى يعرف الساعة

بالفطرة . يوقظ حقيبته الذاهبة الى المدرسة كل صباح . حاسته السادسة لا تخطىء من المهم الان ان تكون يا ولدى مسئولا عن زوج الحمام الذى تربيه فوق النافذة وتهدهد خروفك تصغى وترى جيدا الانتقال من الشتاء الى الربيع لا تجعل احدا يسوقك مرغما امامه او يجرك مستسلما . انى لا أحب المواعظ الميتة »

## ● رحلة حياة

وهكذا تأتى فكرة الامتداد الوجودى مرتكزة على تأكيد معنى الرجولة فى الانسان . وفى قصة « النهر » نرى الكاتب فاروق منيب يكاد يحكى بتركيز شاعرى مكثف رحلة حياته من البراءة الى الكدر من الفرح الغامر بالصبا الى عتمة أواخر العمر . ان القصة قصيرة جدا وتبدو بعيدة عن المغزى فى مطالعها فالبطل يبدأ رحلة عادية فى اتجاه النهر . انه يصعد التل مفعما بالامل كما يقول :

« ترف أجنحة الحب فى قلبى . أصبحت أسبح على الارض مع التيار غمزت صنارتى فانساب السمك الفضى فى حجرى دون أن اسعى اليه . لم اكن اشعر بانى ارتفع وارتفع . التل لا يزال بعيدا ولكن عينى تشرخ قطائر النسمات والاشجار اليه وقلت ودرت حول نفسى من كل اتجاه مبهورا فرحا ومنتشيا بالنية الذى يحتوينى بين احضانه وفوق راسى كانت الحمامات والعصافير تظلل الطريق . تطفو ثم تعلو فى درجات متناسقة متناغمة خلال السماء القريبة . كنت خائفا ان يضيع منى شىء لم اره . أعود الى أيام الطفولة حيث كان التل يزهو بالخضرة اليانعة تكسو ارضه وسماءه الطبيعة الساحرة اشتاق أن يتواصل الود الخالص القديم الذى تربى بينى وبين التل على مر السنين.

ثم ينتقل فى رحلته الى احساس جديد : « اصابنى خدر لذيذ لم أجربه من قبل . صفقت وأنا ابتهل الى الله ان يديم نعمته على الانسان تماديت فى التلكؤ حتى اشرب الذرات الطائرة والمستكنة فى اعماق الوجود وفى لحظة واحدة أحببت العالم كله نسيت كل التعب والمعاناة . مشيت ومشيت سبحت وسبحت طرت وطرت ارتفعت وارتفعت سموت وسموت وعينى لا تزال على التل . اريد أن أعود الى طفولتى وصباى حدسى لا يخيب سوف أعود مفعما بالفرح كسرة الخبز فى يدى وجرعة الماء فى فمى » ثم لا يلبث البطل ان ينعطف فى رحلته من الفرح الى الكآبة من النشوة الى الاحباط » .

بدأ الطريق يتلوى . الارض خشنة بعض الشىء . قدماى تغرزان فى الرمال تخلفت الطيور وتركتنى وحدى حرارة الشمس تشتد اسرعت الخطى وقعدت قمت مندهشا شرخ قلبى احساس غريب ؟ ما الذى حدث ؟ هى تجربة رمزية بالغة الدلالة على خصوصية حياة الكاتب وعلى عمومية حياته فى نفس الوقت . ان العالم الذى يصوره فاروق منيب ملىء بالاغراء وحب الحياة ولكنه فى نفس الوقت حب مفعم بالكرامة والكبرياء والصمود . مزيج من الولع والمسئولية ان شرنقة الالم تظل جافة وقبيحة حتى تنفتح على الافاق البعيدة لانسانية واحدة تهفو الى العناق والحب والمودة وهذه الروح التى تسرى مشعة فى كل عناصر الكيان القصصى لفاروق منيب

وفى قصة « الجرح والوردة » يؤكد البطل أهمية المعرفة باعتبارها مصدرا للايمان يقول الكاتب فى هذه القصة :

« يا حبيبى المعرفة والعلم أساس كل شىء وارادة الله تسمو فوق كل ارادة · انى انبل ثم تكسونى النضارة من جديد لانى اعرف سر الحياة الدائم ثم يجيب الجرح بعد ان تسائله الوردة وما هو السر وما هو ذلك السر ارجوك ؟ « ان تظل شريفا واصيلا ما دمت حيا » ان الحياة ببعدها الفطرى لا تكتسب جمالها وشموخها الا من خلال الصمود والمقاومة والشرف من خلال الفهم والعلم والمعرفة من خلال الاحساس بالكبرياء والحرية كما ان شرنقة الالم تظل سجنا معتما صغيرا حتى تلمسه يد الحب بمعناه الانسانى الكبير · الحب يربط الاب بابنه والزوجة بزوجها والمواطن بالوطن والانسان بالانسانية والفنان بالفن · عناصر تجربة فاروق منيب تقوم فى أساسها على تجاوز فكرة اليأس وتحقيق شرف الحياة · وتجربة الكاتب تتسع لهذا المفهوم الانسانى فهو يبدأ بهذه العلاقة الازلية بين الاباء والابناء ثم يتجه الى رؤية العالم الفسيح من خلال نماذجه الحية الدالة على ثراء الوجود مثل بشير الامل الذى يشارك الكاتب داءه العضال ولكنه يفيض بالبشر والحيوية كرمز للامل · ويتجلى عشقه للبشر فى ادم العربى هذا النموذج الذى يعطيه الايمان قوة هائلة تفيض على الاخرين طمأنينة وتفاؤلا ويمتد الى فكرة الوطن لا باعتبارها فكرة رومانسية وان كان النيل يرمز لهذا البعد فى كثير من قصص المجموعة ولكن الوطن يعود الى التجسيد فى البشر والعلاقات الحميمة بين الاقارب وفى قصة « محب من مصر » التى تصور حنين البطل رسالة من ذويه يسود نص احدى الرسائل التى وصلته مفعمة بالتفاصيل التى قد تبدو تسجيلية وابعد ما تكون عن الفن الا اننا نلحظ على الفور هذا النبض القوى الذى يشيع الحرارة فى اعطافنا ونحن ندخل نسيج هذه العلاقة الفريدة بين الاخوة والاقارب واثر هذه العلاقات على وجدان القريب بل انه يرسم صورة بالغة التاثير على صورة العلاقات الاجتماعية والتحولات التى أصابت الحياة فى مصر كما نلحظ هذه المهارة التى تصنع مما هو عادى شيئا باهرا متجاوزا فريدا ·

ان مفردات الطبيعة تلعب دورا واضحا وموحيا فى نفس الوقت فى رسم المناخ النفسى والوجدانى الذى يدور فيه الحدث ولكن عشق المؤلف لهذه العناصر يجعل من الالحاح عليها فطرة فيه تؤكد لنا انه لا يسعى الى توظيفها بل يحتضنها ويباركها وهو يغمرها بفيض من صفائه وسعيه الى التواصل مع القيم الشريفة فى الحياة· ان هذه المجموعة « الجرح والوردة » لفاروق منيب هى رسالة حب أخيرة للحياة وللبشر وهى رسالة مليئة بالالم ولكنها تلوح بالامل فى عتمة اليأس ·

ان الكاتب يفجر الاف الشموس اللامعة على اطراف ليل يستبد به الجنون والقسوة · وكما لو كانت هذه القصص خليطا من الاعشاب يرفعها الموج الذى يوقن من اقتراب الشاطىء بينما يواجه محنة الغوص فى اعماق البحر · صرخة طائر جريح ولكنها صرخة من اجل التضامن الانسانى والاخاء والحرية · وفاروق منيب وهو يعبر فى هذه المجموعة عن اصالة موهبته يعود لتاكيد القيم الاصيلة التى تنهض عليها الحياة · كل حياة جديرة بان تعاش ·

قصة لم تنشر لأرنست هيمنجواي

# رحلة قطار

ترجمة : محمد جلال عباس



ارنست هيمنجواي

**قصة جديدة لم تنشر لارنست هيمنجواي عثرت عليها زوجته بعد انتحاره عام ١٩٦١ . وينتظر ظهورها لاول مرة مع المجموعة الكاملة للقصص القصيرة لهيمنجواي قريبا ..**

ايقظني ابي بلمسة من يده وهو واقف الى جوار فراشي في الظلام حينما احسست بلمسة يده استيقظت رأسي ، لكن بقية جسمي ظل نائما لفترة ، وانا اسمع صياحه :

- جيمي .. هل استيقظت ؟

- اجل يا ابي .

- اذن انهض وارتد ملابسك فورا .

وظل ابي واقفا وانا احاول التخلص من تثاقل جسمي ،

ضاع مني النوم وانا اتحرك بصعوبة من فراشي ،

- انها هناك فوق الكرسي .. البس الحذاء والجوارب اولا ..

وغادر الحجرة . كان البرد قارسا ، وتغيير الملابس امر صعب بالنسبة لي وخاصة لبس الجوارب والحذاء ، فكنت اشعر بانني لن ارتاح فيهما . وعاد ابي وجلس على طرف الفراش يرقبني وانا البس الجوارب والحذاء بصعوبة وقال :

- هل يؤلمك الحذاء ؟

- اجل ، ولكني سوف ادخل اصابعي فيه باية طريقة .

ثم قال لي واعدا :

- سنحصل لك على .. زوج جديد من الاحذية ، ولكن لا تعتبر هذا القول حقا لك اكتسبته ربما كان من قبيل المثال أو الحكمة

- اجل فهمت يا ابي .

- مثل قولك اثنان ضد



# رحلة قطار

واحد حكمه زنجية.كذلك شراء الحذاء الجديد ٠

ـ اذن انا افضل الحكمة الزنجية على وعدك بشراء حذاء ٠

رد ابي قائلا :

ـ ولكن الحكمة الزنجية غير صحيحة ولذلك فانت تفضلها ، وربما لانها طريفة فان اكثر الفكاهات طرافة هي ابعدها عن الحقيقة ٠

كان البرد قارسا ، ولكني اكملت ارتداء ملابسي ، وبينما انا البس باغتني ابي قائلا :

ـ هل تفضل حذاء بازرار ام حذاء برباط ؟

ـ لا فرق ٠

ـ على كل حال يمكنك ان تحصل على الاثنين فلابد ان يكون لدى كل شخص حذاء بازرار ٠

اكملت لبسي وقلت :

ـ انا الان جاهز يا ابي ٠

ـ وانا جاهز ايضا ، وكل الحقائب جاهزة كذلك ٠

وسالت :

ـ ولكن الى اين نحن ذاهبون ؟

ـ امامنا سفر طويل ، قل لي اين تريدان اذهب ؟

ـ الى كندا ٠

ـ سنذهب اليها كذلك ضمن ترحالنا ٠

واتجهنا نحو المطبخ بعد ان اغلقنا كل الابواب ، وكان المصباح مضاء وسط المائدة ، والحقيبة الكبيرة وبجوارها حقيبتان صغيرتان في وسط الحجرة ٠ ودعاني ابي للجلوس واحضر المقلاة من فوق الموقد وبها بيض ولحم ٠ اكلنا البيض باللحم ، وصببنا القهوة وشربناها بعد ان خلطناها باللبن الثقيل ، ثم قال ابي :

ـ لتاكل كل ما امكنك٠

ومد يده الى بالمقلاة وقال :

ـ لتاخذ هذه البيضة ايضا ٠

اكلتها ونظرت حولي في ارجاء المطبخ الصدأ يغطي احد جوانب الموقد، ومقلاة بيد خشبية محطمة كان ابي قد القاها بشدة على احد الخفافيش ، وتذكرت انني اخذت ذلك الخفاش بعد ان سقط على الارض وابقيته اياما في صندوق بغطاء من السلك اراقبه ، واتامل عينيه الصغيرتين ، ثم اطلقته بعد ايام على الشاطىء بعد الغروب فطار وارتفع فوق الشجر ثم عاد يطير منخفضا قرب سطح ماء البحيرة ٠

كان بالمطبخ مائدتان ، على كل منهما مفرش متسخ بالدهون والزيوت ناكل على واحدة منهما ونضع الاواني على الاخرى ٠ وجرادل منتثرة هنا وهناك كنا نحمل فيها الماء من البئر ، وخرق ومناشف معلقة بجوار حوض الغسيل وقرب الموقد والمقشة مسندة على ركن وصندوق خشب الوقود في ركن آخر ، وعلى جانب من الحائط بعض الاواني والمغارف معلقة ٠

نظرت حولي كي احفظ المكان في ذاكرتي ، لانني كنت احبه ، ولاحظني ابي فقال :

هل تظن انك ستتذكر المكان ؟

ـ اجل يا ابي ، سيبقى في ذاكرتي ٠

ـ وماذا ستتذكر عنه؟

ـ كل ما استمتعنا به هنا خلال الصيف ٠

ـ هل ستتذكر صندوق الخشب الثقيل وجرادل الماء التي كنت تحملها ٠

ـ لم يكن ذلك صعبا علي ٠

ـ وهل انت آسف على مغادرة المكان ؟

ـ اجل ، ولكن لن يكون اسفي شديدا ما دمنا سنذهب الى كندا ٠

ـ ربما لا نبقى هناك طويلا ٠

فسالته :

ـ الى اين نحن

ذاهبون ؟

- سوف ترى ٠

- على كل حال لا يهمني ذلك كثيرا ٠

رد على ابي وهو يشعل سيجارة :

- المهم أن تحافظ على هذا الشعور ٠

وقدم لي سيجارة فاعتذرت له بأنني لا ادخن فقال :

- هذا افضل ٠٠ ولنخرج الآن ، فتصعد انت الى السقف لتغطي فتحة المدخنة بجردل كي لا تدخل منها الخفافيش والفئران ، ولا يتسرب منها ماء المطر الى الداخل ٠

صعدت على السلم المسند على الحائط بينما ابي يغلق اقفال الباب ، ووصلت الى السطح المنحدر المغطى بالشمع ، وقاومت الانزلاق عليه حتى وصلت وغطيت المدخنة « بجردل » كبير قلبته فوقها ٠ ومن فوق هذا السطح المائل نظرت الى الجهة الاخرى في اتجاه الغابة ، وكان ضوء الصبح يتبلج تدريجيا فيكشف المعالم الواقعة خلف الغابة فيما وراء أسوار ذلك المنزل الذي قضينا فيه الصيف ، وسمعت ابي يقول :

- هل اعجبك الحال فوق السطح ياجيمي ؟

- انا نازل حالا يا ابي

- لا ٠٠ انتظر بل ساصعد اليك لالقي نظرة ٠

ووقف ابي معي في اعلى السطح يشاركني تأمل المناظر والمعالم المحيطة وقال :

- كم وددت أن ابقى هنا ٠

- اذن لماذا نذهب الآن ؟

- لا ادري يا ولدي ولكن لابد من أن نمضي ٠

ونزلنا نحن الاثنين وحملنا متاعنا واتجهنا نحو المرساة حيث القارب مربوط في الوتد الحديدي ، وغطاؤه مبلل ومقاعده مندأة برطوبة الندى ، وحمل ابي الامتعة الى داخل القارب وفككت القارب والقيت الحبل ودفعته في الماء وقفزت اليه ، بينما ابي يجذب شداد المحرك ليديره ، وبعد عدة شدات انتظم صوت المحرك وامسكت بالدفة ، وانطلق القارب يشق الماء مبتعدا عن الكوخ الى داخل البحيرة وقال ابي :

- سنسير في خط مستقيم ٠

فوجهت القارب وظهره المرسى ، ثم نظرت خلفي فاذا بالكوخ يبتعد عن نظري تدريجيا ، ومن خلفه اشجار الغابة والتلال تصغر حجما كلما ابتعدنا ، وبدا مجرى القارب خلفه ماء متماوج وسط سطح البحيرة الساكن ، واختفى حاجز الرمال تدريجيا تحت الماء العميق ، وبعد فترة نظرت خلفي مرة اخرى فاذا بالكوخ والغابة والتلال قد اختفت عن ناظري ، ونحن وسط البحيرة لا نرى سوى ثلاثة من الطيور المائية فوق حاجز وتل رملي على جانب البحيرة واختفى ما بقي من هذا الحاجز الرملي ولم نر امامنا وخلفنا ومن حولنا سوى المياه ٠

صوت قطار يأتي صداه من بعيد ، ثم يظهر في المنحنى الكبير من شط البحيرة الذي اخذ يتراءى امامنا عن بعيد ، صغيرا ، ومن ورائه دائرة من التلال نظرت نحوها ، ونفث القطار سحابة بيضاء من بخار صحبتها صفارة ، وبعد قليل نفث سحابة اخرى تبعتها صفارة ٠ وكان الصبح قد انبلج واشعة الشمس اخذت تغمر السماء وتلقي بضياء على الجانب الآخر من البحيرة ، فظهر القطار يسير في خطه الملتوي يدور حول سفوح التلال وظهرت غابات الصنوبر التي تحيط بالبحيرة ، ومن خلفها التلال ، ومجرى الماء الذي يتركه القارب خلفه ظاهر بخط من زبد وسط ماء البحيرة ، وفي جانب

# رحلة قطار

من الشاطىء المواجه بدت اشجار قتلتها النيران فاحالتها الى لون الرماد والفحم ، وبدا الشاطىء واضحا ونحن نقترب ، محلان للبقالة • وبعض الاكشاك ، واكوام من الزلط تحيط بنافورة يتدفق منها ماء ارتوازى يلمع فى اشعة الشمس واقتربنا من المرسى الذى تبقت به صفوف من القوارب الراسية • والقى ابى بالحبل الى المرساة فالتقطه منه فريد كونبرت الذى جر القارب نحو المرساة وخطونا الى خارج القارب وابى يقول :

– الى اللقاء يا فريد، نحن مغادران

فرد عليه فريد قائلا :

– ومتى ستعود ؟

– لا ادرى ، ولكن القارب يحتاج الى طلاء، فعليك ان تنفذ ذلك فى الربيع القادم •

ثم حيانى فريد قائلا:

– مع السلامة يا جيمى •

وصل القطار ،وتوقف فى المحطة المواجهة للمرساة ، نزل مفتش القطار والسائق ، وفراش القطار واتجهت انا وابى نحوه وصعدنا وحمل فراش القطار امتعتنا ، ووضعها على الرف ، ووقفا فى مؤخرة القطار وهو يغادر المحطة نلوح بالتحية لفريد وصاح ابى ثانية •

– الى اللقاء يا فريد

ومضى القطار فى اتجاهه ونحن واقفان ننظر الى خط القضبان يمضى الى الخلف ، والمحطة تبتعد والنافورة تختفى شيئا فشيئا • واخذ يبتعد عن شاطىء البحيرة وتظهر على جانبيه امتدادات الحشائش الرتيبة والغابات المتجمعة هنا وهناك ، ومستنقعات يمر بها على جانب او اخر ، وتلال من بعيد •• غابات وبحيرات وتلال كتلك التى كنا نقضى فيها الصيف ولكنها مختلفة تماما ، انها مثل تلك الغابات والتلال ومسطحات الماء ولكن لست فى داخلها فهى مختلفة تماما • وقال ابى :

– هل سنبقى هنا ؟ لو بقينا فسوف يخطئنا سياج دخان القاطرة •

– اعتقد انه من الافضل ان ندخل •

ودخلنا الى العربه وجلسنا فى مقعدينا ، وشعرت بالسعادة الغامرة حينما كنت انظر الى كل تلك الاراضى التى تغطيها الغابات والمهامه التى تقطعها الحشائش والبحيرات التى يمر بها والمجارى المائية التى يعبرها • واحيانا نرى منازل ريفية منتشرة هنا وهناك ، والهواء النقى يلفح وجهى من النافذة المجاورة التى اطل منها واستمتع بالمناظر فى ذلك الجو الصحو • وشعرت بالجوع •• وجاوزت الساعة الثامنة والنصف ونحن فى صمت ثم سأل ابى :

– كيف الحال الان ، وما هو شعورك ؟

– اشعر بالجوع يا ابى

فاخرج من جيبه قطعة من الشيكولاتة وتفاحة وقال :

– هيا بنا الى عربة الاكل •

وتبعته حتى وصلنا الى عربة الاكل وجلس ابى بجوار النافذة وجلست الى جواره ، ولم تكن العربة نظيفة ، المقاعد مغطاه بالتراب الاسود فهى قريبة من القاطرة ، وبادرنى ابى قائلا : –

– انظر الى المقاعد المقابلة لنا هناك •

اراد ان يلفت بذلك نظري الى اربعة رجال. كل اثنين منهما متجاوران يجلسان ملتصقان ،واذا بكل اثنين مربوطين في معصميهما باغلال ، يد احدهما اليسرى مغللة في اليد اليسرى للاخر. وبينما احدق في هؤلاء الرجال تنبه احدهما فقال .

– لماذا يخرجونا هكذا في وضح النهار؟ لماذا لم تاخذ قطار الليل فرد عليه اخر ..

– اتريد ان ننام وبايدينا هذين السجينين؟

– ولم لا ؟

– لا اعتقد اننا هكذا افضل في امان .

والتفت الينا الرجل الصغير الجسم الجالس الى جوار النافذة وغمز لنا بعينيه ولاحظنا ضمادة على جرح في راسه يحاول اخفاءها بقبعته ، اما الرجل المغلل فيه فكان ذا رقبة غليظة يلبس الزى الرسمي الازرق لرجال المباحث . ونظر السجين الصغير الجسم من خلف ضابط المباحث وقال لابي .

– الا اجد معك ما ادخنه ؟

فاذا بالرجل الغليظ الرقبة يلتفت الينا ، بينما ابي يخرج علبة التبغ من جيبه ويمدها له وهو يقول :

– هل متسمح له بالتدخين يا حضرة الضابط ؟

رد قائلا :

– لا مانع ساعطيها له .

واخذ علبة السجاير من ابي واعطاها للسجين في يده المغلولة فاخذ منها لفافة بيده الحرة وهو يقول للضابط .

– انك طيب معي للغاية .

واعاد الحارس علبة السجاير لابي ، ولما دعاه ابي لاخذ سيجارة قال الضابط .

– شكرا انا لا ادخن بل امضغ التبغ .

وساله ابي .

– هل انتم في رحلة طويله .

– اجل . حتى شيكاغو .

– نحن ايضا متجهون الى نفس المدينة .

فرد الرجل الصغير المغلل قائلا :

– انها مدينة جميله، لقد زرتها مرة .

فقال الحارس :

– قل انك كنت هناك.

وانتقلنا الى المقعد المقابل لهما مباشرة لتواصل الحديث ونظر السجين المغلل الى الارض خجلا ، ثم القى بسؤال .

– ما هي المشكلة .

فرد الضابط قائلا :

– هذان الرجلان مقبوض عليهما بتهمة القتل .

– من الذى قتل ؟

– رجلا ايطاليا

– ومن الذى قتله ؟

نظر الضابط الى السجين وقال :

– هل تهزل ؟

– لا ياسيدى الضابط انا اسال فقط من الذى قتل الايطالي ؟

تدخل السجين الاخر في الحديث وقال : –

– هو الذى قتل الايطالي ، صوب عليه سهما من قوسه .

صاح الضابط :

– اخرس انت لاتتدخل في الحديث

نظر السجين الصغير الى الضابط مستعطفا وهو يقول : –

– انا لم اقتل الايطالي ، انا لا اقتل ايطاليا ، وانا لا اعرف اى ايطالي .

فقال السجين الاخر :

– لتسجل عليه كل كلمة يقولها .. قال انه لم يقتل الايطالي .

فنظر السجين الصغير الى الضابط مرة اخرى وقال :

– من الذى قتل الايطالي يا حضرة الضابط .

– انت الذى قتلته .

– يا حضرة الضابط قلت انني لم اقتل ايطاليا ولا اريد ان

## رحلة قطار

اكرر ذلك .
وتحدث السجين الاخر قائلا :
ـ يجب أن تسجل كل كلمة يقولهما ، وانا اسالك ياحضرة الضابط لماذا قتلت الايطالي ؟
واتبعه السجين الصغير قائلا :
ـ عفوا . لقد ارتكبت خطأ يا حضرة الضابط، ارتكبت خطأ كبيرا حينما قتلت الايطالي وما كان عليه ان تقتل هذا الايطالي .
واكمل السجين الاخر الكلام .
ـ او قل ذلك الايطالي صاح الضابط غاضبا وقال :
ـ اخرسا انتما الاثنان ، لا تنطقان بكلمة بعد الان
ثم نظر الى قائلا :
ـ انهما معتوهان ، لا تعر لهما التفاتا . انهما خضيران كالبق .
فرد السجين الاخر موجها كلامه لابي .
ـ يجب ان تعلم ان الضابط منحدر من اسرة بريطانية عريقة واسال عنه السناتور حينما تصل الى هناك .

علق السجين الصغير قائلا :
ـ لا تصدق هذا الرجل فانه من جيل جورج واشنطن ولا يمكن ان يكذب ونظر الى السجين الاخر قائلا :
ـ ألا تتكلم ايها الصبي
صاح الحارس ثانية
ـ قلت لكما اسكتا ولا تتكلما ثانية .
فقال السجين الصغير
ـ لك حق يا حضرة الضابط ، فالتسكته لانه لا يصح ادخال الصبي في مثل هذا الحديث .
قال السجين الآخر :
ـ الم تكن صبيا في يوم من الايام ؟
فصاح الضابط مرة اخرى :
ـ قلت اسكتا والاقطعت لسانكما .
وعندئذ نظر ابي الي وربت على ظهري وقال
ـ من الافضل ان نعود الى مقاعدنا في العربة العادية .
ونظر الى الضابطين والسجينين وقال :
ـ اترككم وقت الغداء
وغادرنا عربة الاكل الى اماكننا الاصلية في القطار وسألني ابي :
بالله ماذا تستنتج مما رايت يا جيمي ؟
ـ لا ادرى يا ابي
ورد قائلا :
ـ ولا انا .
ووصل القطار الى محطة كانيلك ، وكان

وقت الغداء . نزلنا وجلسنا امام مائدة الطعام قبل أن يأتي الضابطان ومعهما السجينان ،تناولنا غداء شهيا من دجاج وفطائر، وشربت كوبا من اللبن واكلت فطيرة بالايس كريم .
كانت حجرة الطعام بالمحطة مزدحمة ونظرت من الباب حيث كان القطار واقفا امام رصيف المحطة ، ونظرت الى الضابطين والسجينين يأكلون ... السجينان يأكلان باليد اليسرى فاليمنى في حلقة الاغلاق،والضابطان يأكلان باليمنى لان اليسرى في حلقة الاغلال . واذا بالضابط الذي يحرس السجين الصغير يشد يده اليسرى ليحمل اللحم بالشوكة الى فمه فيشد معها اليمنى للسجين ، وهذا السجين الصغير يتثاقل بيده ليضايق الضابط ، بينما كان الضابط والسجين الاخر يأكلان في هدوء . ويتعاونان لتيسير الامور وتحدث السجين الصغير قائلا :
ـ لماذا لا تفك الاغلال اثناء الطعام ؟
لم يرد عليه الضابط ومد يده الى فنجان القهوة دون ان ينظر اليه ، ورفع يده

المغلولة الى يد السجين وضربه برسغه على وجهه قادمي شفتيه ، ونطق السجين بسباب مقذع بصوت منخفض ولكن الضابط سمعه فقال :
ـ من تقصد بهذا السباب ؟
ـ طبعا لا اقصدك انت ، لا يمكن ان اقصدك وفي يدى الاغلال .
فشده الضابط من رسغه المغلولة وحدق في وجهه وقال له بغضب :
ـ ماذا قلت ؟
ـ صدقني لم اقل شيئا .
فنظر الضابط في وجهه نظرة تهديد ومد يده الى فنجان القهوة ورفعه الى شفتيه فتحرك السجين الصغير حركة شدت الضابط فسقطت القهوه وسالت على المائدة وعلى ملابس الضابط ، رفع الضابط رسغه المغلول في يد السجين وضربه على وجهه ضربتين متتاليتين اسالت الدماء على شفتيه ، فأخذ السجين يمص الدماء بحنق وغيظ ، ولكن في هدوء شديد . وقال له الضابط .
ـ اظنك اخذت كفايتك ؟
ـ اجل يا حضرة الضابط .
ـ هل هدأت الان ؟
لم يرد عليه السجين، وبعد قليل اتجه الاربعة الى القطار ، واتجهنا بعدهم وجلسنا في مقاعدنا وتحرك القطار، فوقفت انظر من النافذة لاشاهد مدينة كاديلاك .
ثم جلست في مقعدى بعد ان خرج القطار من المدينة التي لم اشاهد منها الا بعض ابنية المصانع واكوام فضلات تلك المصانع على جانبي خط القطار . وسالني ابى .
ـ هل شاهدت ما حدث ؟
ـ اجل .
ـ ولكنك لم تر كل شيء ، هل رأيت كل ما فعله السجين الصغير ؟
ـ اعتقد انه اراد ان يضايق الضابط كي يفك الاغلال اثناء الطعام .
ـ الم تر شيئا آخر ؟
ـ رأيت الضابط يضربه ثلاث مرات على وجهه .
ـ في اى اتجاه كنت تنظر ؟
ـ الى وجه السجين لارى انفعالاته نتيجة لضرب الضابط له .
هز ابى رأسه وقال :
ـ حينما ضربه الضابط على وجهه اخذ السجين سكينا صلبا من فوق المائدة بيده الاخرى واخفاه في جيبه .
ـ لم الحظ ذلك يا ابى .
ـ يجب ان تعلم يا ولدى ان لكل شخص يدين ، ويجب ان تراقب كلتا اليدين اذا اردت ان ترى حقائق الاشياء
وسألت ابى :
ـ وماذا فعل الاخران
ـ لم اراقبهما .
اخذت اراقب المناظر وهي تمر امامي من النافذة ، وكان ابى يقرأ في كتاب وبعد فترة بادرني ابى بسؤال :
ـ الا تقرأ ابدا يا جيمي ؟
ـ اقرأ احيانا ،ولكن ليس كثيرا .
ـ وماذا تفعل الان ؟
ـ انظر ، وانتظر .
ـ هل تحب ان تذهب الى عربة الاكل .
ـ اجل . افضل وقال :
ـ هل ترى ان نخبر الضابط بما حدث يا جيمي ؟
فكرت قليلا قبل ان اجيب على سؤالي بالنفي فعلق ابى على الاجابة قائلا :
ـ انها مسألة اخلاقية ، مسألة تتعلق بالمبادىء .
فسألت ابى :
ـ وهل تريد انت ان تخبره ؟
فاجاب من فوره :

- لا ، لا ، ابدا . ان هناك مبدأ يقول ان كل متهم برىء حتى تثبت ادانته ، فربما لم يقتل الرجل ذلك الايطالي كما يقولون . وربما لا يفعل شيئا .

وقلت متسائلا :

- هل هما من مدمني المخدرات ؟

- لا اعرف ، وان الكثيرين يتعاطون المخدرات ، الا ان من يتعاطى الكوكايين او المورفين او الهيروين لا يتكلمون بهذه الطريقة التى كانا يتكلمان بها .

- لنذهب الى هناك يا ابى .

وقف ابى ليعيد الكتاب الى الحقيبة فوق الرف واخرج من جيبه شيئا اخر ليضعه فى الحقيبة ايضا ، واتجهنا الى عربة الاكل حيث رايت الضابطين جالسين وبجوار كل منهما سجينه . وجلسنا فى مقعد مقابل لهما . والسجين الصغير على رأسه القبعة التى تخفى الضمادة ، وشفتاه متورمتان ، وعيناه مفتوحتان يقظ تماما بينما كان الضابط بجواره يغالب النعاس يفتح عينيه احيانا ويغمضهما ويحاول ان يستند على جانب المقعد على يمينه فتشده الاغلال فيعتدل . وفجاه سمعنا السجين الصغير بجواره يقول :

- يا حضرة الضابط .. اريد ان اذهب الى دورة المياه .

فرد عليه الضابط باستهتار متجاهلا حاجته

- ليس الان .

واغلق عينيه ،فصاح السجين مرة أخرى :

- اسمع يا حضرة الضابط ، أريد الذهاب الى دورة المياه .

فكرر الضابط قوله :

- ليس الان .

فصاح السجين مرة ثالثة قائلا :

- الم تشعر بحاجتك الى الذهاب الى دورة المياه ؟ - لابد ان اذهب الان والا ...

رد الضابط وهو يقف متثاقلا :

- وهو كذلك .. هيا .

وسار فى الممر نحو نهاية العربة ، ونظر ابى الى فرأى تساؤلا فى عينى فقال :

- اذهب خلفهما اذا اردت لترى .

سرت خلفهما ، ووقفا امام باب دورة المياه يتحدثان وجلست انا فى مقعد قريب ، وسمعت السجين يقول :

- أريد أن ادخل وحدى .

- لا لن تدخل وحدك

- ارجوك دعنى ادخل وحدى .

- قلت لا .

- لماذا ؟ الا يمكنك ان تغلق الباب ؟

- لكني لن افك الاغلال ابدا .

- هيا فكها يا حضرة الضابط .

- دعنى انظر اولا .

ودخلا الى دورة المياه واغلق الباب خلفهما ، وسمعتهما يتحدثان ، ولكنى لم أميز ما كانا يقولان . وفجاه سمعت جسما يسقط بشده على الباب، ومحاولة لفتح الباب ، ثم سقطة على الارض ، ثم ضجة كبيرة ، ثم صمت قصير وضجة مرة اخرى ، وخبط على الجدران .

ونظرت نحو الباب فاذا بدماء تسيل من تحته تخرج الى الممر . فاسرعت الى ابى اخبره فقال :

- اجلس انت فى مكانك .

ووقف واتجه نحو الضابط الاخر وربت على كتفه فايقظه وقال له :

- زميلك صحب السجين الى دورة المياه

- هل انت متأكد ؟ ولكن ماذا في ذلك ؟

- ابتى جيمى راى دماء تحت باب دورة المياه .

قفز الضابط واقفا وشد السجين من معصمه ليقف وهو يقول :

- هيا ، تحرك والاضربتك على راسك وجررتك خلفى .

- ما هى المشكلة يا سيدى ؟

- هيا يا مجرم ؟

- لماذا هذه الاهانة يا حضرة الضابط ؟ ونحن فى سلام .

واخرج الضابط مسدسه وامسكه فى يده اليمنى وسار فى الممر ومن خلفه السجين يجره من معصمه بالاغلال ، وشاهده الركاب وتجمعوا امام باب دورة المياه . فصاح فيهم الضابط قائلا :

- ليبق كل فى مكانه .. وليبتعد الجميع عن الباب .

امسك ابى بيدى ونظر الضابط فراى الدماء السائلة من تحت الباب ونظر السجين الى الدماء وقال وهو يسقط على ركبتيه باكيا :

- لا .. لا .. لايمكن

ضربه الضابط على راسه بمقبض مسدسه فسقط السجين على الارض وفك الضابط الاغلال من يده وادار مقبض ايقاف القطار ، وبدا القطار يبطىء ، وسمع من الداخل صوتا يصيح .

- ابتعدوا عن الباب

وصاح الضابط فى الخارج يقول :

- افتح الباب ...

واقترب من الباب وقال :

- هل انت بخير ؟

لم يسمع ردا او اجابه فقال :

- ترى ماذا حدث

ونظر الى السجين الملقى على الارض وسط الدماء والمسدس فى يده وهو حائر ماذا يفعل .. واذا بمفتش القطار يقترب مسرعا ليستفسر عما حدث .

فقال الضابط :

- بالداخل شخص قاتل .

وقال فراش القطار :

رايته يقفز من النافذة فصاح الضابط بجنون :

- احرسوا هذا السجين .

وحاول فتح الباب ، ولكن الباب لم يفتح لان الضابط الاخر ملقى على الارض خلفه داخل دورة المياه . اما انا فقد نظرت من النافذة فلم ار سوى السور الموازى لخط السكة الحديدية ومن ورائه غابات ممتده ، ولم ار اى احد .

ولما فتح الباب كان الضابط الملقى على الارض مازال يتنفس وشباك الدورة مفتوح . واخرجوا الضابط المصاب ، واخذ الضابط الاخر السجين الى مقعده وربطه فى حقيبة ثقيلة وتركه ليشترك فى انقاذ زميله والبحث عن السجين الهارب . ولما توقف القطار تماما نزل الضابط ، ونزل معه الكثير من الركاب

وقال فراش القطار :

- رايته يتوغل فى الغابة وهو يحمل فى يده مسدس الضابط .

ولما سمع الركاب ذلك لم يقدم احد على المشاركة فى البحث عنه .

اما الضابط الجريح فقد حملوه ومددوه على احد المقاعد ، وتقدم ابى يغسل جراحه ويضمدها . يقطع القماش من قميصه ويستخدم بعض الورق فى تجفيف وتنظيف الدماء . كانت الصدمة فى راسه شديدة ، وكان فاقد الوعى ولكن ابى قال ان جراحه ليست خطيرة وسوف يفيق من الصدمة بعد قليل .

وصل القطار الى اول محطة ، وحملوا الضابط الجريح الى خارج القطار ، وانزل السجين تحت حراسة ، ووقف

## رحلة قطار

مصفر الوجه ينظر الى الارض والحزن باد على وجهه ، وهو مستسلم للحراس وينفذ كل ما يؤمر به وهو يبكي بشدة من الحزن •

وشعرت انا بالحزن العميق حينما عدنا الى عربة الاكل ، ورايت فراش القطار يحمل جردلا به ماء لينظف الدماء السائلة •• وجلست بجوار ابى ، وتوجه الفراش الى ابى يساله :

ـ كيف حال الضابط يا دكتور ؟

ـ انا لست طبيبا . ولكني اعتقد انه بخير وسوف ينجو •

فقال الفراش معلقا

ـ ضابطان كبيران مثل هذين لم يستطيعا ان يتغلبا على ذلك الانسان الضئيل الجسم •• كيف حدث هذا ؟

فساله والدى :

ـ هل رايت السجين يقفز من النافذة فعلا ؟

ـ أجل ، بالتاكيد ، ورايته وهو يجرى عبر الطريق الجانبى الى داخل الغابة •

ـ وهل تستطيع الاستدلال عليه ؟

ـ طبعا لا ، فانني لم اره من قرب •

وصمت قليلا ثم سال ابى :

ـ كيف باترى فعل هذا يا دكتور ؟

ـ لابد انه قفز فوق ظهر الضابط •

ـ لكن عجبا •• من اين اتى بالسكين التى طعنه بها •

رد ابى بعصبية شديدة :

ـ ومن ادرانى ؟

فقال الفراش :

ـ ذلك السجين المسكين الاخر لم يحاول ان يفعل اى شيء يا دكتور ؟

ـ ابدا •

ـ لابد ان الضابط قداعطى السجين كفايته من الضرب ، هل رايته؟

ـ نعم •

ـ مسكين ذلك السجين

وانصرف الفراش ينظف المكان ، وجلس ابى صامتا لم يقل شيئا لفترة ثم بادرني قائلا :

ـ جيمى •• ما رايك فيما حدث ؟

ـ لا ادرى •

ـ وكذلك انا لا ادرى •• ولكن هل انت ضائق لما حدث ؟

ـ اجل ضائق جدا يا ابى

ـ كذلك انا يا جيمى، ولكن هل اصابك خوف ؟

ـ اجل ، اصابني الخوف حينما رايت الدماء تسيل ، وقبلها حينما رايت الضابط يضرب السجين •

ـ لا أبدا •• ولكن صف لى الدماء التى رايتها يا جيمى ؟

ـ كانت ثقيلة وناعمة ولزجة •

فقال ابى معلقا على وصفى :

ـ اجل •• الدماء ثقيلة ، هى اثقل من الماء ، ولا يمكن للدماء ان تكون كالماء •• هذه يا ولدى حكمة،وهى اول حكمة يجب ان تعرفها حينما تبدأ حياتك العملية •

ـ اعتقد انها حكمة تتعلق برابطة الاسرة يا ابى •

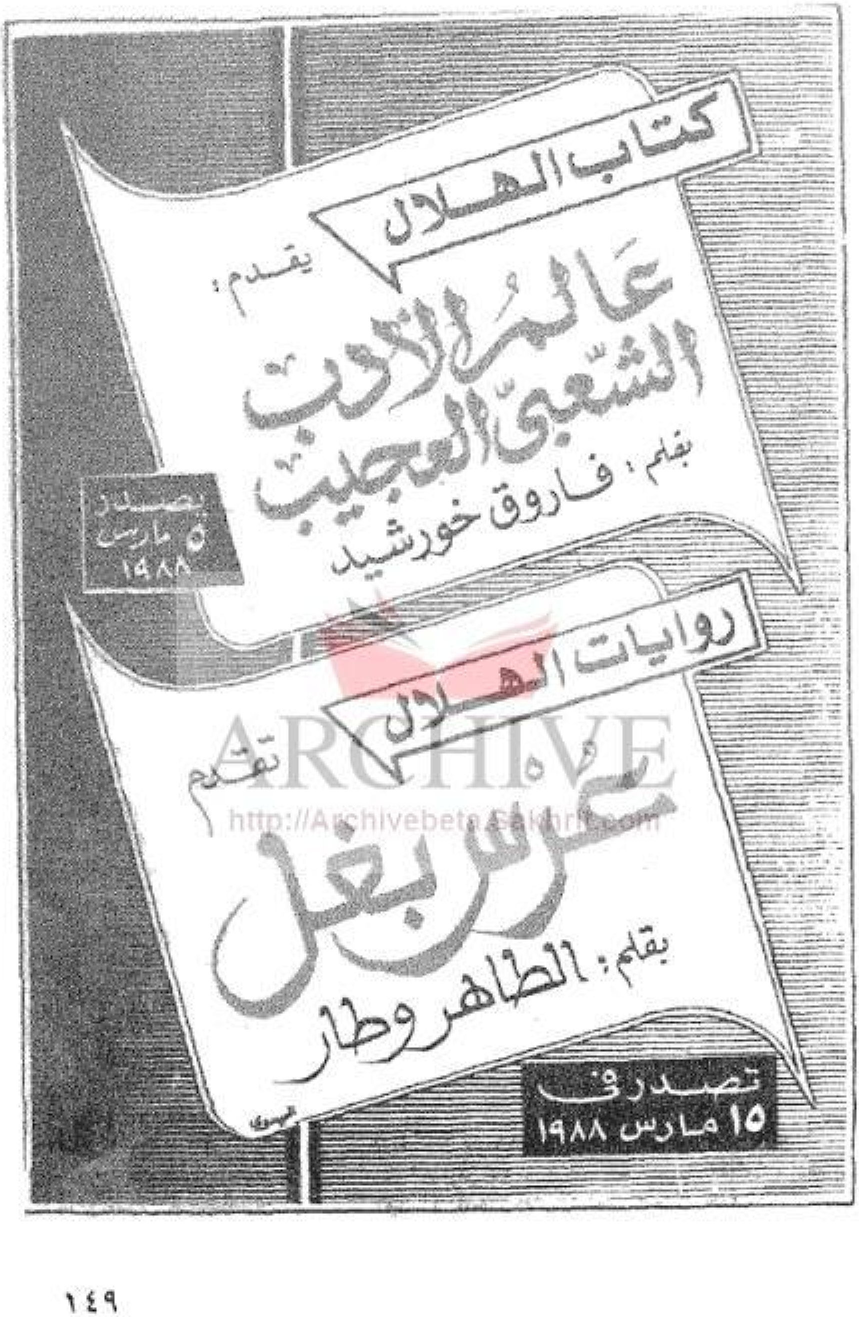
ـ لا يا ولدى ، بل تعنى معناها اللفظى تماما •• ربما تروعك الدماء ، وانى اتذكر اول مرة رايتها ••

ـ ومتى كان ذلك يا ابى ؟

ـ فى مرة احسست بحذائى مليئا بالدماء • كانت ساخنة وسميكة وثقيلة • كانت تماما مثل الماء الذى يدخل فى حذائك حينما تخوض فى مستنقعات صيد البط •• الا انها كانت ساخنة •• واثقل واكثف •

ـ ومتى كان ذلك ؟

ـ اه يا ولدى ، منذ زمن طويل جدا •


كتاب الهلال
يقدم :
عالم الأدب الشعبى العجيب
بقلم : فاروق خورشيد
يصدر
٥ مارس
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
عرس بغل
بقلم : الطاهر وطار
تصدر فى
١٥ مارس ١٩٨٨

شهريات

## رأى فى الثقافة

### رسالة مفتوحة الى دعــاة تشغيل اللجان

● لا اعرف كيف يسمح « مثقف » لنفسه أن يتجاهل وجود القــانون المدنى والقضاء العادى ( النابعين من الدستور ) الذى من المفروض ان نقف جميعا امامه سواسية ، يحكم بيننا ويعدل فينــا ، ويدعو ـ هــذا المثقف ـ الى تشكيل ، أى تعيين ، لجان خاصة لمنع اعمال فنية او ادبية خارج اطار هذا القانون ، وبسلطة توضع ـ طبعا ـ بين ايدى هذه اللجان ، والاغرب ان يأتى هذا من الليبراليين دعاة الحرية والديمقراطية والاقتصاد الحر والمجتمع الحر .

فها هو الدكتور عماد البريرى ـ وهذا مثال من عشرات الامثلة التى تتكرر هذه الايام ـ يكتب فى العشرين من يــناير الماضى ، وعلى صفحات جريدة « معارضة » مطالبا بلجنــــة أسماها « لجنة الاداب العــــامة والاخلاق » ، يريد لها أن تضع القواعد بحيث لا تخرج القصة او الفيلم او المسلسل او المسرحية عن اهداف ( هكذا دون الالف واللام ) اجتماعية تفيد الفرد والمجتمع ، والكلام كله ، طبعا ، ينصب على هدف نبيل لا خــلاف ظاهريا عليه ، ولا يمكن ان يعارضه احد .

نقول لا خلاف على الهدف اذا ما اريد الكلام عن الاخلاق العامة ، لكن ان تكون الوسيلة للوصول اليه هى تشــكيل لجان خاصة ، خــارج القضاء ، وهكذا بالامر الفوقى ، فهذا امر غريب ، ودون ان يحدد لنــا بالضبط ، من يقوم بتشكيل هذه اللجان ، والمفهوم من سياق الكلام ، ان يقوم بتشكيلها من اسماهم المهتمون بالاخلاق العــامة ، وليس ، حتى ، الفنانين الجادين ، ولا روابطهم او نقاباتهم .

والسؤال الان : من الذى يضمن لنــا الا تتحول هذه اللجــان عن اهدافها النبيلة المزعومة ؟ ولصب جام غضبها ، وتضع قواعدها ، ضــد حرية التعبير وضد حرية التفكير التى يكفلها لنا الدستور جميعا ، بل ، وهكذا قفزا فوق راس القوانين التى فيها ما يكفى لردع كل خارج عليه ،

وبالطرق الطبيعية التي تكفل للمتهم الدفاع عن نفسه ·

اننا نسأل : لماذا لا توفرون اقلامكم والمساحات المتاحة لكم لنقد هذه الاعمال الفنية غير الاخلاقية ، وتكشفونها أمام الجميع ، وتنفرون الناس منها بدلا من هذه المطالب الغريبة· ومن يضمن لنا ولكم الا تتحول هذه اللجان الى ما يشبه لجنة الكونجرس للنشاط غير الامريكى ، التى اشتهرت بلجنة ماكارثي ، وبدأت ولم تتوقف الا بعد معركة ضروس منذ عام ١٩٣٨ وحتى عام ١٩٦٨ في الولايات المتحدة · والتى اضحت الان سبة عظمى فى تاريخ البشرية ·

اننا نسأل فقط حتى اذا دعونا ، دعونا جميعا الى اعمال القانون لا الخروج عليه ، دعونا الى الارتفاع بمستوى الاعمال الفنية عن طريق التاكيد على حرية المبدع من جهة ، وحرية نقده من جهة ثانية ، ووضع الدستور قاسما مشتركا يحكم بيننا جميعا ·

**عبده جبير**

## معارض

### ❋ ملاحظات لابد منها حول معرض الكتاب العشرين

الان وبعد أن مضى الوقت على معرض الكتاب « العشرين » ، وبعد أن تناولته أجهزة الاعلام والصحف بالمتابعة والنقد والتحليل هل بقى لنا شيء نقوله ؟

أعتقد أنه لايزال هناك ما يستحق القول بالنسبة لعدد من النقاط :

● فمنذ البداية أعلن عن موعد الافتتاح يوم ٢٦ يناير وأرسلت الدعاوى على هذا الاساس ، وأظن أن أهم طرف من الواجب أن تهتم بهم ادارة المعرض هم الناشرون ، وهؤلاء هم الذين أضيروا خاصة الذين لم يحضروا فى اطار رسمى تابع لدولهم، هؤلاء لم يبلغوا بتغيير الموعد ، فكان ما كان من مأساة تكررت لهم عدة أعوام متتالية ، فتأخرت كتبهم ولم تصل لبعضهم الا فى اليومين الاخيرين وكان أن صدم الزوار بمنظر الاجنحة الفارغة من الناشرين !

● ثم تأتى بعد ذلك لمنظر تأذى كل من رآه داخل قاعات العرض وخارجها، هو منظر الذين استغلوا اجنحتهم فى عرض الاكسسوارات والزهور الصناعية ، والحقائب بل الشباشب والاحذية التى اكتظ بها جناح بالقرب من قاعة دار المعارف ·· احذية فى معرض الكتاب ·· هذا أمر لا يمكن قبوله ، لا من أجل كرامة هيئة الكتاب الجهة المنظمة للمعرض بل من أجل كرامة الثقافة والمثقفين المصريين الذين ارادت الهيئة أن يكون المعرض واجهتهم ·

● وبعد ذلك لابد أن نتوقف أمام اتساع دائرة البيع والشراء ، مقابل دائرة العرض والثقافة ، فالمفروض أن يظل معرض القاهرة فى الوسط ما بين الدائرتين لا أن يتحول الى سوق « تلات » لبيع الكهنة والروبابكيا ، وأن يجبر الناشرون على وضع كتبهم الجديدة فى صدر أجنحتهم وقد لوحظ أن بعض دور النشر انتهزت فرصة السوق فجعلته أوكازيون لبيع القديم و « العاطب » وغير

الرائج من الكتب « النشت » .. ثلاثون كتابا بخمسة جنيهات وشيل يا مشترى .. والغريب أن الهيئة هى التي قامت بهذا .. بل وجعلته مفخرة اعلامية لها .

● ثم نأتى الى الارقام والبيانات، من أين جاء للهيئة معرفة ما بلغته أرقام البيع وبلوغها ثلاثون مليون من الجنيهات كما أعلنت . قد تكون الهيئة قادرة على احصاء عدد الزوار بمعرفة عدد تذاكر الدعوات والتذاكر المباعة .. وهذا قد يكون أقرب الى الحقيقة وان لم يكن الحقيقة كاملة .. لكن أرقام قيمة ما باع به الناشرون أمر مستحيل معرفته ، لانه لا الناشرون يتقدمون بفواتير ، ولا يمكن أن يصرحوا بالواقع ، واغلب الناشرين يأتون للمعرض بفواتير غير مرقمة من تلك التى تباع فى أسواق العتبة !

● ان الوسيلة أو الوسائل التى لجأت اليها الهيئة فى جمع اراء الناس ، ثم فى تصنيفها ثم اعلانها وسائل بدائية تقف عند بداية القرن ، ويبدو انه لم يبلغ علمها بعد أن هناك شيئا اسمه الكومبيوتر على الرغم من انه بلغها جدا ما يوفره التليفزيون من اعلام واتصال بالناس .

● كذلك لا يجب أن يفوتنا ما حدث بالنسبة للمدعوين من الشعراء والكتاب ، فقد أعلنت الهيئة عندعوة ماركيز ودرويش وسميح القاسم وفدوى طوقان وغيرهم ، ثم كان تضارب الاراء حول موعد حضورهم، بعد أن تأكد عدم حضور ماركيز .

● ثم ما هى حكاية جناح القاسى على الرغم من انه ليس جناحا للنشر بل مجرد دعاية لرجل واحد .

● واخيرا فاننا نسوق ذلك لان أغلب من تناولوا المعرض بالكتابة كان التملق أحيانا ، والمسير مع الرائج أحيانا أخرى ، هو دافعهم ، ولا نرى دافعا لنا الا وجه مصر وكرامتها ووضعها الثقافى الكبير ووضعها الحضارى المتميز .. ولا نقول ذلك أيضا الا بقصد أن يأتى المعرض القادم أفضل حالا ، وأكثر تنظيما ، وأن يكون بالفعل عرسا ثقافيا .

## رسائل جامعية

### يحيى بن حمزة العلوى بلاغيا

● هذا هو عنوان رسالة الماجستير التى تقدم بها فى الشهر الماضى الباحث المغربى « عبد الجليل هنوش » الى كلية اداب القاهرة باشراف أ. د. عبد المنعم تليمة ، وناقشه أ.د. رجاء عبد المنعم جبر ، و أ. د. يوسف عبد القادر خليف .

وبعد أن عرض الطالب لبحثه ومنهجه مؤكدا على أن البحث البلاغى قد شكل قسما كبيرا فى مجال النقد الادبى عند العرب ، وقدم تصور يحيى بن حمزة العلوى اليمنى المتوفى عام ٧٤٩ هـ ، وأوضح المصادر التى اعتمد عليها العلوى من خلال كتابيه « الطراز » و « الايجاز » بدأت المناقشة بملاحظات الدكتور رجاء عبد المنعم الذى تساءل : كيف يمكن لباحث شاب أن يضيف الى البلاغة العربية ، وقد علمونا فى زمن مضى أن البلاغة العربية نضجت واحترقت ، وان الكلام فيها لم يعد الا للمعرض فقط ، ولكن الدراسات الحديثة جاءت ومعها مدارس تعنى بدراسة النص والبنية الكلامية ، والعودة الى الاسلوب للنظر فيه والسؤال السابق محل

نظر ، لا لشيء الا لان هناك من درس العلوي في أوائل السبعينيات ، بالاضافة الى أن العلوي نفسه لم يضف كثيرا الى البلاغة في مؤلفاته ، ولكنني للحق عندما قرأت الرسالة شدتني اليها ، وخرجت من البحث بأن هناك شيئا جديدا ، كما وجدت منهجا في عرض الركام والحشد الكبير للقضايا البلاغية التي نراها في كتاب الطراز بأجزائه الثلاثة التي تصل الى ٧٠٠ صفحة ، فقد عرضت هذه الموسوعة البلاغية من وجهة نظر جديدة والفضل للمنهج الذي قدمه الباحث ، خاصة في علم الاسلوب الذي حاول أن يطبقه بمهارة شديدة ، وقد استطاع أن يمزج بين الكتابين وكان أحدا لم يسبقه الى دراستهما من قبل ، وخرج علينا بسبيكة عظيمة ٠

كما أن منهج الرسالة يغري بمتابعة الموضوعات البلاغية ويجعلها تقرأ كأنما هي غضة ولم تكتب فيها الشروح والموضوعات التي تكرر بعضها بعضا ، وقد قام الباحث بنقل قضايا البلاغة المعروفة الى غير موضعها المألوف مثل مباحث المعاني بكل تفريعاتها تحت عنوان التركيب البلاغي للجملة ، وينقل الاستعارة من مكانها مع التشبيه ليجعلها شيئا آخر له معنى جديد ودلالة ٠

وهناك نقطة شكلية أخرى هي أن الباحث لم يقف طويلاً مع كتب العلوي الاخرى ٠

كما أخذ المناقش على الباحث أنه في الخطة العامة لم يقدم فصلا تركيبيا في اخر الكتاب يتضمن الدراسة والمعطيات التي قام بها ، أو تلك التي وصل اليها كالخاتمة ٠

والرسالة التي أمامنا طيبة لا شك في ذلك ، اشرف عليها قمتان في البحث البلاغي هما ٠ د عبد المنعم تليمة و ٠ د عبد الحكيم راضي ولا شك أن بصماتهما واضحة فيها ٠ وجل ملاحظاتي تنصب على :

ــ التعاطف الواضح مع العلوي وما عكسه هذا التعاطف على البحث مما أفقد الباحث أن يكون موضوعيا في بعض الاحيان ، ومظاهر هذا التعاطف الدفاع عن الكتاب وصاحبه وأهميتهما ودورهما في تاريخ البلاغة العربية ، وفي رأيي أن العلوي ليس من البلاغيين الذين نستطيع أن نضعهم مع كبار البلاغيين العرب الذين لهم دورهم في تاريخ البلاغة العربية من أمثال أعلام المدرسة الادبية البلاغية وأعلام المدرسة الفلسفية سواء منهم عبد القاهر أو السكاكي ٠

وفي رأيي أن العلوي بلاغي متوسط المستوى فلا يستحق هذا التعاطف معه، ولا هذا الدفاع عن كتابيه الايجاز والطراز ٠٠ وأعتقد أن كلا الكتابين كتابان مدرسيان تعليميان ولم يصلا الى مستوى كتب المدرسة الادبية البلاغية ، وليست هذه الحقيقة من عندي ولكن هو نفسه يصرح بها في مقدمة كتابه حين ذكر انه ربما وضع هذا الكتاب ليساعد تلاميذه على تفسير الزمخشري ٠

ومن المعروف أن منهج المدرسة التي يتبعها منهج تعليمي وهو يختلف عن مدرسة عبد القاهر وأمثاله التي لم يكن هدفها هو التعليم البلاغي ، كما أن مدرسة السكاكي قامت لتعليم البلاغة لغير العرب ٠ ومظاهر تعاطفك مثلا أنك عند تعليلك لعدم انتشار الكتاب بين البلاغيين قلت بأنه ظهر في منطقة بعيدة عن مركز الثقافة الاسلامية العربية وتصوري أنه تعليل

غير دقيق وغير معقول ، لانه لم تكن هناك حواجز تحول دون وصول الكتب الى ربوع الجزيرة العربية وخاصة منطقة الحج المقدسة ·

وقال د · يوسف خليف : ومن مظاهر تعاطفك انك اقتصرت فى مقارناتك وموازناتك على كتب المدرسة الفلسفية بصفة خاصة لتظهر صاحبك بأنه صاحب مذهب أدبى فى مواجهة هذه المدرسة ·

ثم انك تعمدت أن تغفل قضية : أين العلوى من عبد القادر الجرجانى عن عمد ؟!

ثم هناك ظاهرة لم تعجبنى فى بحثك هى الاحساس الواضح بالانا وتضخيم الذات الذى وصل بك الى درجة الغرور وأنت فى بداية الطريق

بالاضافة الى المبالغة الشديدة فى القضايا البسيطة حتى تحولت الرسالة كلها الى مشكلات ، أى عراك فى غير معترك وكأنك تحارب طواحين الهواء

ثم انك وأنت تطالب بتجديد البلاغة نسيت كتابا مثل « فن القول » لابن الخولى ولم تشر اليه فى مراجعك ، وهو كتاب هام ، بل يكاد يكون أول كتاب أرسى دعائم التجديد فى البلاغة الحديثة ·

وعلى أى حال فان الصورة التى قدمتها لبلاغة العلوى صورة طيبة ونحن نقدرها لك ·

وبعد المناقشة منحت اللجنة الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز ·

## مسرح

* حسن الجريتلى مخرج جديد

من يتابع الحركة المسرحية الجادة تلك التى تكاد تقف فى الظل ، تلك التى يقدم عليها فنانون جدد يعرفون الطريق الى الفن الحقيقى والصادق جيدا ، يدرك الى أى حد وصلت الحركة المسرحية المقامة على خشبات المسرح الكبير ، سواء تلك التى تتبع القطاع العام ، أو القطاع الخاص ، فالقطاع العام وصل به القائمون القيمون عليه الى درجة من العقم حينما أرادوا اغلاقه أمام أى محاولة للتجديد ،ولم يستقطبوا الا العناصر المتوسطة أو الاقل من المتوسطة فاماتوه بالسكتة القلبية · أما المسرح الخاص فالكلام، مجرد الكلام خسارة فيه ·

وتأتى هذه الفرقة المسرحية الجادة بقيادة المخرج الفنان المثقف والحساس حسن الجريتلى لتقدم عرضا من مسرحيتين هما « يموت المعلم » التى نقلتها وأعدتها عن مسرحية الالمانى بيتر هانكه الناقدة منحة البطراوى «الرييب يريد أن يكون وصيا» ، ولابد من الاشارة الى خفة الدم الشديدة التى نقلت بها المترجمة النص ·

أما العرض الثانى فهو نوبة صحيان لداريوفو وفرانكاراما وهو نص ايطالى شديد العذوبة والحساسية وعلى الرغم من أن العيب الاساسى فى هذا العرض هو لجوؤه الى نصين أجنبيين ، فان مستوى جدية المخرج والعاملين معه دفعته لبحث طويل عن مسرحيات جديدة جادة فلم يجد فكانت أمامه الساحة العالمية ليجد من بينها ·

وانه وان كان العرض قد لف ودار على المسارح فلم يجد من يحن عليه ؟ بالقطع خوفا من أن يظهر الخبيث من الطيب ، وحتى يركن العرض فى مسرح صغير ، ومع ذلك فقد امتلأت قاعة أعدها الفنيون العاملون فى العرض داخل احدى غرف مركز

شباب المنيل ، فكان الجمهور هو ذلك الجمهور الجاد الذى يركب المشقة ليذهب الى عرض جيد ولو فى مركز شباب .

على أى حال ان هذا العرض وهذا المجهود الفني الراقى ليستحق وقفات طوال ، وما نقدمه هنا مجرد تنويه ولكن لابد من ذكر المجهود الكبيرالذى أدته الممثلة الموهوبة عبلة كامل خاصة فى دورها المفرد فى نوبة صحيان فاظهرت امكانيات كبيرة وقدرة على التحكم فى الاداء وغنى وتنوع يثيران الاعجاب بالاضافة الى سلاسة اداء الممثل أحمد كمال الذى اشترك معها فى العرض الاول ، وهو نص صعب للغاية ومع ذلك كان يعطى كل لحظة ويتفوق على نفسه فى كل ليلة ، ولابد من التنويه ببساطة الديكور والملابس اللذين قام بهما عمرو المراكشى والان رايت والاضاءة الحساسة التى قام رمسيس مرزوق والموسيقى التى لا تظهر الا لتخدم النص التى قدمها جورج كازازيان والمجهود الانتاجى الواضح الذى قامت به أميرة غزال ، ومساعد المخرج استيفان منير .



احمد كمال وعبلة كامل فى مشهد مسرحى



شهريات

● ثلاثون فنانا مصريا يتضامنون مع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية .

● ثلاثون فنانا تشكيليا مصريا يقيمون فى الثالث عشر من مارس الحالى معرضا لاعمالهم التى تضم لوحات تصوير ورسوم مائية واعمال نحتية حديثة فى معرض خاص يقيمونه للتضامن مع اطفال الحجارة والانتفاضة الشعبية الفلسطينية العارمة فى الاراضى العربية المحتلة .

يقام المعرض الذى يستمر عشرة ايام فى قاعتين كاملتين من مبنى اتيليه القاهرة للكتاب والفنانين ويأتى تحت عنوان حقوق الانسان الفلسطينى ومع الانسانية وضد القهر الذى تمارسه السلطات الاسرائيلية والمستوطنون الصهاينة الذين تمادوا الى حد انهم وزعوا على اطفال فلسطين بسكوتا مسمما بقصد قتلهم ويقدمون فيه أعمالا ذات ملامح انسانا ضد كل قهر يمارس على الشعوب التى تطالب بحقوقها المشروعة وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى .

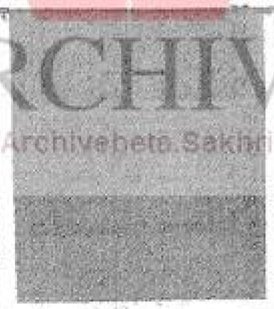
## مكتبة الهلال




الكتـاب : حديث الثلاثاء
تاليف : احمد عبد المعطى حجازى
الناشر : المكتبـة الاكاديمية بالقـاهرة ودارالمريخ بالسعودية
٢٠٠ ص - ٥ج ٠ م

كـان طه حسين قد اختار عنـوانا لكتابه حديث الاربعـاء الـذى ضم عـددا من المقالات بين دفتيه تيمنا بعنوان كتـاب لاستاذه الفرنسى سـانت بوف حـديث الاثنين ، وها هوالشاعر احمد عبدالمعطى حجازى يطلق على كتابه هــذا حديث الثلاثاء ، وهـو يضم مجـموعة مختارة من المقالات التي نشرها طوال عـدة سنوات فى جريدة الشرق الاوسط ، وجلهـا استعراض للتيارات الفلسـفية ، والفكرية ، والادبية التى جرت الثنـاء وجـود شـاعرنا فى عاصمة الثقافةباريس ، وانكان بعضها يتناول اعمـالا ادبية وفنية عربية ٠

هى اذن مجموعة من المقـالات المتفـرقة التى يدور كـل منهـا حول موضوع مستقل ، اهداها مؤلفها الى عميد الادب العربى ، وهى مزناحية اخرى تتميـز بأسلوب شـائق وروح متوثبـة لمناقشـة قضـايا الفن والادب بجدية فائقة ٠



الكتاب : ابو الاعلى المودودى والصحوة الاسلامية
تاليف : د٠ محمد عمارة
الناشر: دار الشروق
٢٥٦ ص ، ٥ ج م

يثير الدكتور محمـد عمارة فى دراسته هـذه عددا من الاسئلة الهامة التى تتعـلق بصلب القضايا الاساسيةالمثارة فى المجتمع الان :

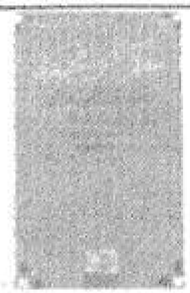
مجتمعاتنا المعاصرة ، وهـل ارتدت للكفـر والجاهلية بعد الاسلام ؟ وهـل تنفى الحـاكمية الالهية كون الامة مصدر السلطـات ٠ وهـل للوطنيـة والقوميـة والديمقراطية مكـان فى فكر الاسلام ، وهلعدالة الاسلام هى الاقتصـاد الحر مع بعض القيود ؟ وما هو موقف غيـر المسلمين فى المجتمـع الاسلامى ؟

كل هـذه الاسئلة يدرسها الدكتور عمارة من خـلال استعراضه لاراء ابو الاعـلى المودودى الـذى اثار ويثير فكرة الجدل بين الاسلاميين وبينهم وبين العلمانيين ، وقد وضع الكاتب امام عينيه هدفا اساسيا الا وهو جـلاء حقيقة هذا الفكر ، فى ضوء اصول الاسلام ، وخصـوصية المجتمـع الهندى موطن المودودى وساحة نشـاطه الذى افرزت هذه الاجتهادات

محـاولة ٠٠ يصفها الدكتور عمارة بانهـا

شهريات

انصاف من انصاره ومن خصومه على حد سواء، وقبل ذلك انصاف الاسلام والصحوة الاسلامية من الجاهلين ومن الاعداء .



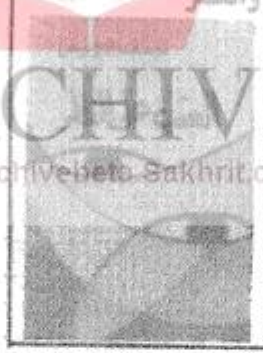
الكتاب : تولستوى والاسلام
تاليف : ليـــون تولستوى
الناشر : مصرية للنشر والتوزيع
٨٠ص ٢٠ ج م

يضم هذا الكتاب الوثيقة الرأى الذى كتبه الروائى والفيلسوف الروسى الكبير : ليون تولستوى عن الاسلام والرسول محمد ( صلعم ) الذى رأى فيه الدرجة العالية من الانصاف والعدل وحب الانسانية ودعا الى دراسة الاسلام وقراءة القرآن باعتباره نصا مقدسا جاء لخلاص البشرية من شرورها .

كما يضم رسالة الامام الشيخ محمد عبده التى كان قد ارسلها للروائى الروسى الكبير واصفا اياه بالروح العظيم ، والمفكر الانسانى الكبير، بالاضافة الى مختارات من النصوص الاسلامية التى اختارها تولستوى لقراءته ودعا الناس لقراءتها .

انه وثيقة نادرة وعمل شائق يأتى فى باكورة انتاج دار نشر جديدة شابة تستحق التشجيع على اهدافها الثقافية .

الكتاب : العتب على النظر
تاليف : يوســـف ادريس
الناشر : مركـــز الاهرام للترجمة والنشر



عود حميد للاديب العربى الكبير يوسف ادريس الى بيته الحقيقى : القصة القصيرة. فبعد طول انقطاع للكاتب عن الابداع الادبى. عاد يوسف ادريس الى فن القصة بمجموعته الاخيرة « العتب على النظر » التى تضم خمس قصص قصيرة هى : العتب على النظر ، « أمه » ، « الخروج » ، « المختان » و « الرجل والنحلة » ورواية قصيرة جدا تحمل عنوان « أبو الرجال » .

وقد اختار الكاتب لاقصوصة « العتب على النظر » شكلا ادبيا جديدا على النثر العربى سواء فى اللغة المصاغ بها بالاضافة الى اسلوب الكاتب الذى يتمتع بتلقائية وصدق كأنه الجدول المنساب بين حشائش كثيفة مثلما يقول فى احدى الفقرات .

وانضم حسن ابو على لينا .

وعلى اعلى مستوى قعدى تخبش .

وجاءنا الحل من حسن حل مالوش مثيل .

يا ابن الايه يا حسن . اما حتة حل .

ومهما كانت الكتابة عن يوسف ادريس ممتعة. ومهما كانت قراءة مقالاته مثيرة للعقل . فان الغوص فى عالمه الابداعى بعد مسرحيته « البهلوان » التى نشرها اخيرا يجعل المرء ينادى باعلى صوته : يوسف ادريس .. لا تترك بيتك الكبير .. القصة القصيرة

# إسماعيل صدقى

## بين القصر والشعب

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

**ينتمى إسماعيل صدقى إلى الجيل العملاق الذى ظهر فى مصر دفعة واحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولم يقتصر نشاط هذا الجيل وإبداعه على مجال واحد، بل لقد تنوعت المواهب فى كل ميدان سواء فى الناحية السياسية أو الثقافية أو الفنية أو القانونية أو الاقتصادية... إلى غير ذلك.**



وفى المجال السياسى يؤكد مؤرخنا الراحل محمد شفيق غربال أن من برزوا فى أعقاب ثورة ١٩١٩ من الكثرة بحيث إننا قد لا نجد لهم نظيرا فى أى بلد آخر. حقيقة لقد اختلفوا وتصارعوا أو ائتلفوا، ولكن معظمهم كانوا مخلصين فى الكفاح من أجل الاستقلال والتخلص من النفوذ الأجنبى. ومن هؤلاء اسماعيل صدقى الذى غمط حقه ولم تقيم أعماله فى إطارها الحقيقى، ومن ثم ما اشتهر به من حيث كونه «عدو الشعب»، وذلك لواقعيته ومقته للحزبية، وصراحته التى كثيرا ما كانت تصدم الرأى العام الذى تملقه الساسة العاملون على الساحة جريا وراء تصفيق الجماهير تمهيدا للوصول إلى الحكم. فقد وضع نصب عينيه تقوية السلطة المركزية والمواءمة بين المؤسسات الدستورية التى اقيمت فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وبين أوضاع البلاد التى لم يراعها دستور ١٩٢٣ الذى قال عنه عبدالعزيز فهمى إنه ثوب فضفاض. وأهم من هذا أن المستعمر البريطانى كان كثير التدخل فى شئون البلاد فى الوقت الذى كان فيه الملك فؤاد يود أن يملك وأن يحكم فى حين كان حزب الوفد يحرز الأغلبية البرلمانية فى كل انتخابات حرة. ولعل أهم الأدوار التى قام بها صدقى فى تاريخ مصر الحديث يتمثل فى رئاسته لمجلس الوزراء المصرى فيما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣٣ وهى أطول فترة أمضاها رئيس وزراء مصرى فى الحكم فى العهد الملكى. ولقد أطلق عليه خصومه لقب «عدو



اسماعيل صدقى

الشعب، الذى سبق أن أشرنا الى [illegible] به فترة طويلة. ولو أن المعجبين [illegible] خلعوا عليه لقب [illegible] الكفاءات، [illegible] تنوع مجالات خبراته وسلطاته فقد كان محيطا بالتيارات العالمية والمحلية [illegible] واقعيا متمرسا بشئون الادارة والاقتصاد والمال. ومن ثم كان وصف الدوائر البريطانية له على الوجه التالى: «لاشك فى ذكائه الوقاد وهو على كفاءة عظيمة وبخاصة فى النواحى الادارية بالاضافة الى دأبه وشجاعته وان يكن أميل الى التآمر وعدم توخى الصدق فيما يقول وذلك رغم التزامه بالوفاء بوعوده ...» وذهنه صاف ومتوقد بشكل يدعو الى الالتفات، وهو المصرى الوحيد الذى تمثل المحادثة معه شيئا شائقا، وأثناء توليه رئاسة مجلس الوزراء اثبت كفاءة لايضاهيه فيها أحد من الساسة المصريين (إذ كان يعمل أحيانا لمدة ١٨ ساعة يوميا).

ولد صدقى فى الاسكندرية فى أسرة ميسورة الحال وفدت الى المدينة من إحدى قرى محافظة الغربية وتولى بعض أفرادها وظائف حكومية هامة. فقد كان جده محمد سيد أحمد باشا رئيسا لديوان محمد سعيد باشا والى مصر، كما كان والده أحمد شكرى محافظا للقاهرة فوكيلا لوزارة الداخلية فمديرا لإدارة السودان. وكان أحمد شكرى اداريا نشطا وطموحا، وقد عاد من بعثته الى فرنسا شديد الحماسة للتحديث والانفتاح على الحضارة الغربية. أما والدة صدقى فكانت ناظرة لإحدى المدارس وفى طليعة المطالبات بتحرير المرأة. ولما كان اسماعيل أصغر أبنائها فقد كانت أميل الى استبقائه معها فى المنزل حيث كانت تتولى تثقيفه [illegible] أدى الى ولعه بالقراءة [illegible] الى الخيال وتأمله أوضاع مصر فى ظل الاحتلال مما أورثه ميلا أكثر الى الاقتصاد والشئون المالية والتاريخ. ولما كان أبوه معجبا بالثقافة الفرنسية فقد ألحقه بمدرسة الفرير حيث أتقن اللغة الفرنسية ولفتت كفاءته وذكاؤه انتباه نظار مدرسته مما أورثه ثقة بالنفس وشعورا بالتفوق. ثم التحق بالمدرسة الخديوية حيث تحسنت لغته العربية[1] وأبدى اتجاهات وطنية. وفى عام ١٨٩٤ حصل على ليسانس الحقوق وعين كاتبا بالنيابة ثم سكرتيرا اداريا لبلدية الاسكندرية ورئيسا لقسم القضايا بها. وفى عام ١٩٠٨ عين سكرتيرا عاما

لوزارة الداخلية . ثم مالبث أن أصبح وكيلا لهذه الوزارة . وفي عام ١٩١٤ عين وزيرا للزراعة ووضع مشروعا لانشاء الجمعيات التعاونية وانشا المجلس الفني الأعلى للزراعة . ثم عين وزيرا للأوقاف . وفي مايو ١٩١٥ أعفي من منصبه على أثر فضيحة أخلاقية أدت إلى انتحار إحدى الفتيات . وكان ذلك سببا في التردد في ضمه الى الوفد الذي تشكل بعد انتهاء الحرب للمطالبة بالاستقلال وإن يكن قد عين رئيسا للجنة اهتمت بدراسة أثر الحرب على الاقتصاد المصري . مما جعله يهتم بالجانب الاقتصادي من المسالة المصرية . ولما كانت هذه اللجنة قد حصلت على معلومات خاصة بالبناء الاقتصادي - الاجتماعي للمجتمع المصري وبحثت نواحي ضعفه وإمكانياته ووضعت تصورا اقتصاديا بناء فقد اتجه سعد زغلول الى ضمه الى الوفد برغم معارضة الكثيرين . ثم اشترك صدقي في النشاط الوطني ضد الانجليز مما أدى الى نفيه مع سعد زغلول وحمد الباسل ومحمد محمود الى مالطة في مارس ١٩١٩ . وبعد اطلاق سراح سعد ورفاقه رافق صدقي الوفد الى باريس لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح وتولى سكرتارية الوفد . ورغم القيود التي فرضها الانجليز على تحركات الوفد المصري فإن إتقان صدقي للغة الفرنسية وتعرفه على الأوساط الأوربية ومواهبه المتعددة جعلته يحرز بعض النجاح في خدمة القضية الوطنية . ولكنه سرعان ما تبين أن مطالب مصر لن تنجح في إطار دولي ومن ثم كان اتجاهه الى معارضة سعد الذي طرده من الوفد فعاد الى مصر وتبعه بعض أعضاء الوفد ليستانف نشاطه الوطني بالشكل الذي ارتاه : فهو - كما قال عن نفسه في مذكراته - لايميل الى تحكيم العواطف بل الى الواقع المفيد والى الوصول الى النتائج . خاصة وقد استاء من خداع رجال الحركة الوطنية لأنفسهم ومما اعتبره « بلاهة » لدى المصريين . وقد أدى نشاطه الوطني الى ابعاده عن العاصمة الى قريته الغريْب ولو أن ذلك لم يغير رأى الجماهير فيه مما أكد احتقاره « لجهلها وعاطفيتها » وجعله يمقت الاستبداد والحزبية وعبادة الفرد .

ولما كان المعتدلون أكثر استعدادا للتفاوض مع الانجليز حول التوصل الى معاهدة تنظم علاقات بريطانيا بمصر ، فقد تعاون صدقي معهم وانضم الى فريق عدلي يكن الذي ألف وزارته في مارس ١٩٢١ وشغل فيها صدقي منصب وزير المالية ، كما اشترك في وزارة عبدالخالق ثروت ( مارس - نوفمبر ١٩٢٢ ) وأصبح أقرب مستشاريه بحيث كان يوجه نشاط الوزارة ككل ولعب دورا هاما في إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي أعلن استقلال مصر مع تحفظات أربعة يجري التفاوض حولها بين مصر وبريطانيا في المستقبل ، ثم تالفت اللجنة التي وضعت دستور ١٩٢٣ الذي جرت الانتخابات على أساسه وأحرز فيها سعد زغلول وأنصاره أغلبية كبيرة - ومما يجدر ذكره أن صدقي لم يوفق في هذه الانتخابات . وبعد استقالة سعد



صدقي باشا عند عودته من جزيرة رودس حاملا التعديل الوزاري.

على اثر مقتل السردار فى أواخر عام ١٩٢٤ تقلد صدقى وزارة الداخلية فى وزارة أحمد زيور التى تألفت فى ديسمبر ١٩٢٤ وأعلنت أنها ستعمل على « انقاذ ما يمكن إنقاذه » فى مواجهة الانذار البريطانى الذى وجه الى سعد زغلول وأدى إلى استقالته .

وبادر صدقى الى حل مجلس النواب وإيقاف الدستور وحاول تنظيم الادارة وإعادة الثقة لدى الموظفين الذين تضرر بعضهم من محاباة سعد لانصاره ، ثم شن حملة ضدهم خلال الانتخابات التى أجريت وأعلنت الوزارة على اثرها أن الاحزاب غير الوفدية نالت الاغلبية على أن صدقى لم يبد استعدادا لجعل تسلط القصر أساسا للأوتقراطية الملكية فى الوقت الذى جزع فيه الملك فؤاد ـ الذى تلاعب بالحياة السياسية والدستورية ـ من ازدياد سلطة صدقى ولهذا قبلت استقالته دون تردد وإن يكن قد لعب دورا هاما فى علم ١٩٢٦ فى تشكيل الحكومة الائتلافية التى اشترك فيها الوفديون والأحرار الدستوريون والحزب الوطنى وكانت تستهدف تقليص سلطة القصر وإعادة الدستور .

وفيما بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٨ كان صدقى عضوا نشطا بمجلس النواب وتولى إدارة البنك الألمانى ـ ولما كان الملك لا يطمئن اليه ولا يثق فيه فإنه انكب على مجال الأعمال ووسع علاقاته بالمصالح الأجنبية : فرأس شركة الكهرباء المصرية وشركة سكر كوم امبو وشركات مختلفة اخرى . وفى علم ١٩٢٩ أصبح نائبا لرئيس اتحاد الصناعات . ولكنه ، من ناحية أخرى ، جعل من البرلمان منبرا لعرض آرائه الخاصة بالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى . فلفت النظر الى أهمية مشروع خزان جبل الأولياء فى جنوبى السودان والى ضرورة بناء محطة لتوليد الطاقة فى أسوان .

### ● كفاءة عالية

وفى يونية ١٩٣٠ تولى صدقى رئاسة الوزارة مع احتفاظه بوزارتى المالية

والداخلية . وخلال السنوات التى تولى فيها الحكم أبدى كفاءة عالية فى التصدى للمشكلات الادارية والسياسية الصعبة التى واجهته فى بداية حكمه شبه الدكتاتورى . وكان من رايه أن التغلب على تجاوزات الحركة الوطنية أمر لازم للتوصل الى الرخاء والتطور ، ومن ثم كان ازماعه إيقاف الوفد عند حدوده وأن يعهد بالادارة الى عناصر تتميز بالقدرة والكفاءة وأن يتوصل الى معاهدة مع الانجليز . ومن رأيه أن « فريق الأوتقراطية (٢) كان قد جرب عدة مرات فى الحكم فأبدى فيها عجزا واوشك أن يلحق كل مرة بالبلاد وسمعتها ضررا بليغا ـ ذلك انه لم يسلك فى الحكم السبيل المستقيم ، فقد شغل باستدامة أسباب النفوذ والسلطان لنفسه وبتوفير وجوه المنافع لأنصاره والثأر من خصومه عما يقتضيه الحكم من توفر على النظر فى حاجات البلاد وضروب الاصلاح ... ولاشك أن داء البلاد الوبيل كان فى ذلك الحين طغيان فئة اتخذت من الدعاية التى تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا سببا ممدودا للحكم والتحكم ، فإن هى أقصيت عن الحكم حاولت استثارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها ... فهى فى سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبيل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها وإصلاح شئونها » إلا أن خصومه ذهبوا الى أن الذى رشحه للوزارة هو نفوذ المصالح المالية فى مصر فى الوقت الذى ظهرت فيه بوادر الازمة الاقتصادية العالمية التى عرضت الأمن للخطر وهددت النظام . وعلى أى حال فقد اشترط صدقى لتأليف وزارته أن ينظم الحياة النيابية « تنظيما جديدا » يتفق ورأيه فى الدستور واستقرار الحكم ، فألف وزارته من أعضاء فى حزب الاتحاد ومن الحزب الجديد الذى ألفه ( حزب الشعب ) الذى قال بصدد تأليفه له أنه رغم عدم ميله للحزبية ونفوره من التقيد بالأحزاب فإنه رأى الأبد للوزارة من استنادها الى اغلبية برلمانية خاصة بعد اعتذار الاحرار الدستوريين عن الانضمام الى وزارته وائتلافهم مع الوفد .

ولما كان حزب الشعب وليد السلطة فقد نما نموا سريعا ـ وكان يضم عناصر تقليدية من الأعيان والموظفين السابقين والمهنيين وعددا غير ثابت من أفندية العاصمة والمراكز الحضرية بما فى ذلك المقاولين والتجار وموظفى المؤسسات التجارية . وأخذ زعماء الوفد بعد تأليف وزارة صدقى ينشطون فى عقد الاجتماعات التى هاجموا فيها الحكومة فلم تلبث أن نشبت مصادمات دموية بين الأهالى وبين الجيش والبوليس وبخاصة فى القاهرة والمنصورة والاسكندرية وبورسعيد . ولكن لما كانت وزارة صدقى تهدف الى توقيع معاهدة مع الانجليز فإنها بادرت بإجراء الانتخابات بحيث يستند صدقى الى برلمان يساعده على التوصل الى المعاهدة المرجوة . على انه كان يفكر فى مواجهة الأوضاع المحتدمة فى البلاد دون القيام بإجراء غير دستورى بل بأن يسلك طريق التعديل الذى رسمه دستور ١٩٢٣ . لهذا أصدر دستورا جديدا فى اكتوبر ١٩٣٠ بمرسوم ملكى ، وكان يختلف اختلافا جوهريا عن دستور ١٩٢٣ ، فقد منح الملك سلطات واسعة ومنح سلطات تشريعية للسلطة التنفيذية خلال العطلة البرلمانية وخوّل للملك إصدار قوانين مالية ونص على عدم صدور قانون

لا يوافق عليه الملك وجعل عدد الشيوخ المعينين ثلاثة اخماس المجموع الكلى بدلا من خمسى الاعضاء طبقا لدستور ١٩٢٣ وعدل قانون الانتخابات بحيث يعطى الاعضاء الذين يعينهم الملك آمالا واسعة فى الانتخابات .

واشترك الوفديون والأحرار الدستوريون فى مهاجمة دستور صدقى وإن يكونوا قد منعوا من عقد الاجتماعات مما ادى الى اشتداد الصدام بين الوزارة وخصومها . على أن صدقى لم يكترث بذلك ومضى ينفذ برنامجه فأعاد تنظيم الادارة واقر حكومة جمعت بين الفعالية والتمثيل النيابى . ثم كرس جهده لوضع سياسة تستند الى حماية الاقتصاد المحلى وتسعى الى تنشيط الاقتصاد وتنويعه وذلك لمواجهة كل من الأزمة الاقتصادية العالمية والفاشية . لهذا تجده يهتم بمحصول القطن وينظم سياسة التصدير ويسعى الى خفض تكاليف الحياة وضبط المالية العامة وإعادة تنظيمها وموازنة الميزانية ودعمها ومعالجة التضخم . ومن الاجراءات التى اتخذها تنظيمه للتعيينات والعلاوات والترقيات مما ادى الى سخط صغار الموظفين فى الوقت الذى حاول فيه القضاء على البطالة . كما تمت التعلية الثانية لخزان أسوان وبدىء العمل فى تنفيذ مشروع جبل الأولياء الذى كان الهدف منه زيادة كمية المياه التى تصل إلى مصر ، فى حين كان يستهدف من الاجراءات التى اتخذها بصدد صناعات الغزل والسكر السعى الى تنشيط الانتاج المحلى وحمايته باعتبار ذلك جزءا من الخطة الموضوعة لتنويع الانتاج وتنشيطه . كما انقذت القروض الحكومية اكثر من ثلاثين الف فدان من الضياع - إذ وفر بنك التسليف الذى جرى انشاؤه قروضا طويلة الأجل لصغار ومتوسطى ملاك الأراضى ، وفى الوقت نفسه جرت محاولات إيجاد محاصيل بديلة للقطن . وأدت كل هذه الاجراءات الى إنقاذ كل من صغار الملاك والصناعات فى الوقت الذى تم فيه التحكم فى التصدير والاستيراد ودعم بنك مصر .

## ● اطول فترة لوزارة

ورغم أن حكومة صدقى قد حكمت أطول فترة عرفتها الوزارات فى مصر فى العهد الملكى مستندة الى برلمان ظل قائما لأطول مدة فى فترة ما بين الحربين فإن نظام صدقى لم يضرب بجذوره بعمق فى ارض صلبة بحيث يتاح لتجربته أن تستمر فى المستقبل ، فالبرلمان الذى أوجده هزته الأزمة الاقتصادية العالمية ، ورغم مهارته فى الامساك بمقاليد الحكم خلال فترة عصيبة فان مشروعاته اصطدمت بالمفاهيم الشعبية ومزاج المصريين العاطفى المستند الى الفردية ، فهو لم يتصف بخصال الحكم النيابى التى كان يمكن أن تربط الناس به ، كما لم يؤت ( الكاريزما ) التى تمس عواطف الجماهير ، ونتيجة للاعباء الثقال التى ناء بها كاهله وحده فقد داهمته فى أواخر يناير ١٩٣٣ أزمة صحية أرغمته على التوجه الى أوربا مما افسح المجال للقصر لكى يصول ويجول فى ادارة البلاد ، وحين عاد الى مصر فى سبتمبر قدم استقالته على أمل أن يفرض شروطه ولكن قبلها الملك . وحينئذ سعى الى تسخير حزبه ( حزب الشعب ) فى الضغط على خلفه ( عبدالفتاح يحيى ) ، ولكن هاجمه القصر هجوما شديدا متعمدا الترويج لسلسلة من الفضائح الادارية والمالية مع لجوئه فى

نفس الوقت الى الضغط الادارى الذى ادى الى انفضاض اغلبية اعضاء حزب الشعب عن مؤسسه . وحين اجتمع البرلمان فى ديسمبر لم يكد عدد أنصار صدقى يصل الى ١٢ نائبا مما ادى الى استقالته من رئاسة الحزب وانضمامه الى المعارضة البرلمانية . وفى مايو ١٩٣٥ أعيد انتخابه رئيسا لحزب الشعب مما أهله للانضمام الى « الجبهة المتحدة » التى تشكلت فى أواخر ذلك العام وضمت كل الأحزاب والقوى السياسية ، وكان من نتيجتها اعادة دستور ١٩٢٣ واستئناف المفاوضات مع بريطانيا وفى الانتخابات التى اجريت فى مايو ١٩٣٦ حصل حزبه على عشرة مقاعد وانضم الى هيئة المفاوضة مع بريطانيا التى توصلت الى معاهدة ١٩٣٦ .

## ● صراحة فريدة

ثم تلاشى حزب الشعب فعاد صدقى الى استقلاليته واصبح ينشط فى الحياة السياسية المصرية وحيدا ـ وكلما حزب

صدقى باشا مع احد رجال البوليس الانجليزى . وخلفه نجله عزيز صدقى



امر أدلى بدلوه بصراحة فريدة ، فكانت له آراء حول وضع مصر فى الصراع العالمى الذى نشب فى عام ١٩٣٩ وفى المناقشات التى دارت خلال أزمة فبراير ١٩٤٢ . وحين جرت المحادثات الخاصة بإنشاء الجامعة العربية أبدى تشككه فى جدوى هذه المنظمة الاقليمية المقترحة وصرح بأن من الأفضل بالنسبة الى مصر أن تكون فى مؤخرة الدول المتقدمة بدلا من تزعمها لمجموعة من الدول العربية المتخلفة ناقصة الاستقلال . وحين تفاوض مع بريطانيا فى عام ١٩٤٦ ، وهو رئيس للوزارة للمرة الثانية لوح للانجليز بأنه على استعداد لمساعدتهم بصدد فلسطين التى كان يحبذ تقسيمها ما بين العرب واليهود ، فى مقابل أن تقدم بريطانيا لمصر تنازلات فيما يتعلق بالجلاء . وكان من رأيه ان عدم التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية كفيل بجعل فلسطين بؤرة لانتشار الشيوعية فى الوقت الذى أبدى فيه إعجابه بارتفاع مستوى حياة الجماعات اليهودية فى فلسطين وبتعليمها . وبالعلماء اليهود الذين كان يود الاستفادة منهم فى تعليم المصريين فى مختلف المجالات وهو مالا يمكن تحقيقه ـ فى رأيه ـ طالما بقيت المسألة الفلسطينية دون حل . ولكن توجهات صدقى بهذا الصدد لم تلق آذانا صاغية لأنه ـ فى رأى السفير البريطانى فى القاهرة ـ لم يكن يحس بالنبض العربى خاصة انه كان شديد الارتباط بالمصالح اليهودية فى مجال الأعمال .

وخلال وزارة صدقى الثانية كاد ينجح فى التوصل الى معاهدة مع بريطانيا حمل مشروعها ( اتفاق صدقى ـ بيفن ) اسمه . فقد تمشى فى اتجاه بريطانيا الخاص

بانشاء دفاع مشترك في الشرق الأوسط لمواجهة التغلغل الروسي وقام باعتقال عدد من الشيوعيين المصريين بعد أن واجه اضرابات تزعمتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وفي ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ جرى التوقيع فى لندن على مشروع المعاهدة بالأحرف الأولى وكان ينص على التزام الانجليز بالجلاء عن القاهرة والاسكندرية ودلتا النيل بحلول آخر مارس ١٩٤٧ وعن باقي مصر بحلول أول سبتمبر ١٩٤٩ . وفى مقابل ذلك وافق صدقى فى حالة العدوان على بلدان مجاورة لمصر على أن يدعو الانجليز الى العودة الى قاعدة قناة السويس وأن يتعاون معهم تعاونا كاملا وتتشاور الحكومتان - فى حالة تهديد أمن أى من البلدان المجاورة لمصر - للاتفاق حول الاجراءات التى قد تكون لازمة . ولكن لم تبرم المعاهدة بعد أن واجهت بنودها الخاصة بالدفاع المشترك معارضة شديدة فى مصر وكذلك الحال فيما يتعلق بالبروتوكول الخاص بالسودان الذى لم يقبله قطاع واسع من السودانيين الذين كانوا يطالبون بحق تقرير المصير بدلا من قيام القاهرة بالتفاوض بالنيابة عن السودان . وحين أعلن وزير الخارجية البريطانى فشل المفاوضات فى مجلس العموم عبّر عن أسفه لاضطرار الحكومة البريطانية للتعامل مع حكومة اقلية . واستقال صدقى الذى ظل حتى وفاته فى عام ١٩٥٠ يتابع أوضاع مصر عن كثب ويدلى بآرائه بصراحة حين يحزب الأمر : فكان ضد حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ دون استعداد ، كما حث المصريين قبيل وفاته على التمسك بالدستور .

وهكذا نكون قد عرضنا لشخصية ظلت الى عهد قريب مجالا للشك والتجريح فالحملات الضارية التي وجهت اليه خلال توليه رئاسة الوزراء مرتين كان لها أثرها فى الأحكام التى صدرت عنه من جانب الوفديين والأحرار الدستوريين والشيوعيين الذين ضيق عليهم توطئة لتنفيذ سياساته الخاصة بأسلوب تحقق الأماني الوطنية . ولما كان صدقى لا يؤمن بالحزبية فإنه كثيرا ما واجه الهجوم عليه وحيدا خاصة أنه كان شديد الاعتداد بنفسه مع نظرة علوية الى الآخرين واتجاهاتهم . واذا كان قد ارتبط بمصالح الرأسمالية المصرية الصاعدة ارتباطه بالرأسمالية الأجنبية التي كان لها ثقلها فى المجالين العالمى والمحلى فان ذلك فى طبيعة الاشياء خلال النصف الأول من القرن العشرين الذى كانت خلاله الحركات الشعبية غير منظمة وتواجه الضغط من كل صوب . فالرأسمالية المصرية الناشئة كانت وقتها تلعب دورا وطنيا فى مواجهة جمود كبار الملاك وأنانية الرأسمالية الأجنبية المتغلغلة فى الاقتصاد الوطنى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وهو بحكم وضعه الطبقى ونشأته كان لا يتوقع منه أن ينسلخ عن مصالحه وانتماءاته - ونحن لا نميل إلى تقويم الأشخاص وفق قوالب جامدة ، بل بحسب الطبيعة البشرية ، مع ميلنا الى التسامح وعدم تحميل الأشخاص مالا يطيقون .

---

(١) كانت المدارس الأجنبية فى ذلك الوقت لاتعير اى التفات للغة العربية .

(٢) اى حزب الوفد الذى كان من راى صدقى انه يسعى إلى فرض دكتاتورية الاغلبية .

# العالم في سطور

## موسكو

● توربينا .. أصغر شاعرة في العالم

نيكا توربينا هى أصغر شاعرة في العالم ..

تجيء أهمية هذا الحدث فى أن هذه الشاعرة الصغيرة التى تبلغ الثانية عشرة من العمر قد ترجمت قصائدها الى اكثر من اثنتى عشرة لغة ٠ وخاصة ان اشعارها ليست محاولات ابتدائية فى نظم الشعر ٠ بل انها قصائد منظومة جيدة تهتم فيها الشاعرة بقضايا العصر مثل علاقتها بالله والحرب والموت والمعاناة فى الحياة ٠

ويطلقون فى الاتحاد السوفييتى على نيكا « الفتاة المعجزة » فقد أجادت الكلام بلغتها الروسية وهى فى الشهر الحادى عشر ٠ كما تعلمت بعض الكلمات الانجليزية ٠ وفى سن الرابعة نظمت اولى قصائدها التى نشرت على التو فى صحيفة البرافدا ٠ ثم توالت اشعارها التى تلقفها القراء باعجاب بالغ ..وفيما بعد قدمها الشاعر المعروف ايفتشنكو فى أول ديوان لها ٠ ولم تجيء اهمية الشاعرة الصغيرة فى قدرتها الخارقة على النظم الجيد ٠ بل فى متابعتها للابداع الشعرى العالمى ٠



ورغم الشهرة التى حازتها نيكا فى العالم ٠ فانها تتصرف كطفلة عادية .. لم تبلغ بعد سن الانوثة ٠ وتردد قائلة : « انا طفلة عادية ٠ مثل الملايين من اقرانى ولا اعتقد اننى امتلك اية مواهب خاصة » ٠

أحدث اخبار الشاعرة الصغيرة هو الرحلة التى قامت بها الى الولايات المتحدة بدعوة من أحد الناشرين الامريكيين ٠ واتحاد المدارس فى نيويورك ٠ وهناك تعاقدت على طبع دواوينها التى ترجمت الى اللغة الانجليزية ٠ وفى احدى الجامعات القت بالقصيدة التالية :

العوينات تعانى والكلمات تتراكم فى داخلى
مثل حبات الكرز
فابتهل اليك يا ربى
ان تخفف من غلوائى
وان تجعل احلامى وردية
وان يكون نهارى قصيراً
وان تسود السكينة
كل البشر

نيكا توربينا



## باريس

**● مستودع الذكريات .. فى عالم موديانو**

لا شك أن باتريك موديانو - ٤٢ عاما هو أهم كتاب الرواية المعاصرة فى فرنسا . ليس فقط منذ أن نال جائزة جونكور عام ١٩٧٨ على روايته «شارع الحوانيت المعتمة» .. ولكن منذ أن نشر روايته الاولى وهو فى الثالثة والعشرين من العمر .

وتجىء أهمية روايات موديانو فى أن شخصياته غارقة فى ذكرياتها . تبحث دوما عن ماضيها الذى تنتمى اليه . ولا يهمها الخوض داخل غمار الحاضر الا بما يأتى به الماضى من ذكريات بعيدة يصعب الامساك بها فى أغلب الاحيان .

فى الشهر الماضى عاد موديانو مرة أخرى الى نفس العالم من خلال أحدث رواياته «مستودع الذكريات» . ويعنى الكاتب به طفلا صغيرا لم يتعد العاشرة يروى أحداث الرواية وهو يتذكر ذلك الزمن الذى كانت فيه أمه تتركه وحده كى تذهب الى المسرح لتؤدى أحدى النمر امام الجمهور . وقبل أن تذهب

باتريك موديانو



تعهد به وبأخيه الى ثلاث صديقات يسكن قريبا منها .

ويتحدث الراوية عن هؤلاء السيدات . فاحداهن - هيلين - كانت تعمل فى السيرك وقد تحولت الى الادمان عقب اصابتها فى سقطة قاتلة . اما - انى - فهى امرأة رقيقة لكنها بالغة العصبية بلا سبب وكأن اشباحا تطاردها . بل انها بالفعل مطاردة من الفظائع التى عاشتها فى سنوات الحرب العظمى .

ويتحدث الطفل أن منزل النسوة الثلاث كان يمتلىء - فى تلك الفترة - بالزوار الذين لا ينقطعون ابدا . وهم زوار كثيرون ، متضاربون فى أفكارهم وأهوائهم . وكان على الراوية باتوش ان يرقب ما يحدث أمامه وأن يحاول تكوين مجموعات من الاطفال من أجل اللعب فى أحد الشوارع الجانبية هروبا من هذا الجو المعبق بعالم الكبار .

تجىء أهمية رواية موديانو الجديدة من أن الكاتب يستجمع ذكريات الماضى كأنها حبات صغيرة من عقد انفرط وعليه أن يبذل اقصى جهد لجمع هذه الحبات لصناعة رواية جيدة تصبح شاهدة على الماضى اكثر من الحاضر والمستقبل .

## روما

**● الجنس .. فى البرلمان .. وعلى المسرح**

اثارت النائبة الايطالية الفاتنة شيشولينا الكثير من الجدل . منذ ان استطاعت الانضمام الى البرلمان الاوربى . فقد أصرت منذ الجلسة

الاولى أن تحضر عارية الصدر . وان ترتدي ملابس تكشف من مفاتنها اكثر مما تخفي وقد تصور البعض في بادىء الامر ان شيشولينا تحاول تحقيق شهرة خاصة بهذا السلوك . الا انها اكدت ، أن عليها ان تتصرف بهذه الحرية ، داخل وخارج البرلمان على السواء .

هذه الظاهرة استلفتت انظار مخرج مسرحي ايطالي يدعى ليفيو جالاسي فسعى للاستفادة منها قدر الامكان . وراح بسرعة يقوم بترجمة مسرحية ، النساء في البرلمان ، للكاتب اليوناني ارسطو فانيس وقام باخراجها للمسرح واستعان بمجموعة من النجوم المعروفين في المسرح الايطالي . وتعمد أن يلتزم بالنص تاريخيا الى حد كبير ولكن رغم ان الاحداث تدور في القرن الرابع قبل الميلاد . فان المتفرج أحس ان هناك تقاربا بين كل النساء اللاتي طالبن بدخول البرلمان من اجل سيادة السلام في عصر ارسطو فانيس وبين شيشولينا التي لم تعلن - حتى الان - عن برنامج سياسي او اقتصادي . بل اكتفت بالابتسام امام عدسات المصورين . واذا كانت نساء ارسطو فانيس قد نادين بالعبارة الشهيرة ، مارس الحب ولا تصنع الحرب ، . فان المخرج قد اكد ان النساء منذ الازل قد بحثن عن الحب والجنس وعدم ايقاع الرجال في لظى الحروب . وان شيشولينا ليست سوى احدى هؤلاء النساء . وان كانت اول من تجرأ وكشف عن مفاتنه ، اكثر من اللازم ، امام بقية الاعضاء الموقرين .

بالطبع ، تجيء اهمية هذا الحدث في ان الفنانين هم اول من يستفيد من ظواهر المجتمع وفضائحه لتقديمها بشكل راق امام الجمهور .. وبلغت عبقرية جالاسي في انه استعان بذلك باحد اهم النصوص في تاريخ المسرح قاطبة .

شيشولينا



## ● اميــــل زولا ..
## الانتقادات .. والفضائح

فى خريف عام ١٨٧٩ تجمع اكثر من مائتى شخص فى شوارع مدينة باريس يحملون لافتات كتب عليها « اقرأ .. نانا » ولم يقتصر اسم نانا - احدى اشهر روائع الكاتب الفرنسى الاشهر اميل زولا - على اللافتات فى الشوارع وحدها • ولكنه شاع فى جميع انحاء اوربا • حتى ان الملصقات الملونة التى تحمل إسم « نانا » انتقلت من باريس وقتئذ الى كافة المدن والعواصم الاوربية •

مثل هذه الضجة لم تكن تحيط نانا وحدها • ولكنها كانت تصاحب كل عمل جديد لاميل زولا .. ومنذ ذلك الحين وهذا الكاتب يثير شغف القارىء وشهيته • ليس فقط فيما يتعلق بادبه • بل بحياته الخاصة • والانتقادات التى وجهت اليه .. وحول هذا الموضوع اصدرت دار ماكمونالد بلندن كتابا جديدا للباحث الانجليزى الان شوم الذى اكد فى كتابه ان تلك الضجة لم تكن تنتظر حتى صدور رواية جديدة لاميل زولا ، بل انها كانت تبدأ قبل ان ينتهى المؤلف من كتابة روايته

وقد قوبل زولا فى حياته بالعديد من الانتقادات • لدرجة انه كان يوصف فى وقت من الاوقات انه اكبر شخصية هدامة فى المجتمع الفرنسى كله ، وطيلة فترة ظهور اعمال زولا لم يتوقف الجدل والنقد الحاد له •لدرجة



اميل زولا

ان رئيس الوزراء الفرنسى إنذاك قد وصف ثلاث روايات للكاتب بانها « اكثر الكتب لا اخلاقية على الاطلاق » •

وقد استعان شوم فى كتابه بالعديد من الرسائل المتبادلة بين زولا وشخصيات مختلفة لم يسبق نشر معظمها • كما تعرض للصراع الذى دار بين آميل زولا وبين الكنيسة الكاثوليكية الفاتيكان بسبب بعض كتاباته •

ولم يهتم الباحث بأعمال زولا .. قدر اهتمامه بالانتقادات المعاصرة التى لا تزال تقال للكاتب ، خاصة ان اسمه ظل فى طى النسيان بانجلترا لفترة طويلة •

دومنيك فرنانديز

# الأدب
# من الشذوذ .. إلى الإيدز

بقلم : محمود قاسم

دخل مرض فقدان المناعة الطبيعية المعروف باسم الايدز حياة الانسان بشكل مباشر واصبح شاغلا لبال الجميع حتى من لم يصب بهذا المرض الذى اصبح رعب العصر ..

ولاشك ان البعض استفاد من تهافت الناس على المعرفة به فصدرت حوله الكثير من الكتب والدراسات ، وراح البعض يؤكد انه توصل الى علاجه، بينما راح البعض الاخر يعطيه مدلولات ايديولوجية وراح الفنانون يعالجونه فى تيمات عديدة فى السينما والمسرح ، واستفاد احدهم من كونه ظاهرة فالف اول رواية اصيب بطلها بمرض الايدز ، والغريب انه عند نشر الرواية اعلنت الاوساط الصحفية ان مؤلفها دومنيك فرنانديز مصاب ايضا بمرض الايدز .

● دومنيك فرنانديز هو أحد الادباء الذين يثيرون لقارئهم الكثير من الغيظ الممزوج بالقرف ، فهو لا يخفى عن الناس أنه مصاب بالشذوذ ، بل أنه كرس قلمه للحديث عن الشواذ . سواء فى رواياته الثماني . ام فى دراساته أو حتى فى مقالاته . وقد بلغت به الوقاحة - حسبما تقول مجلة لونوفيل اوبسرفاتور فى ٥ نوفمبر ١٩٧٩ - انه



دومينيك فرنانديز

أحد ضيوف ثلاثة وافقوا على ظهور في برنامج تلفازي يحمل عنوان : « رجال متحابين » حول الشذوذ الجنسي · وتقول المجلة انه من بين خمسة ملايين شخص « شاذ » في فرنسا من الرجال والنساء .. قبل فرنانديز الدعوة للحديث في البرنامج وذلك من بين اثنى عشر شخصا تمت المفاوضات معهم طيلة اشهر ثلاثة قبل التصوير ، وقد اصر ثلاثة اشخاص من الضيوف الا تصور الكاميرا وجوههم · وتقول المجلة ان الكثير من الشواذ قد خافوا ان يكشفوا هويتهم · فالخوف يستبد بالشواذ من كشف هذه الحقيقة المخزية التي لا يعلنون عنها خشية من الاقارب والزملاء والجيران · لانهم يعلمون أن ما يفعلونه شيء يستوجب ذهابهم الى المثول امام القاضي أو التردد على العيادات النفسية · وأشارت المجلة ايضا ان الشواذ يتم وضعهم في معسكرات عمل في كل من ايران والصين حيث يتم اعدامهم كما أنهم يتعرضون للهجوم العنيف في كل من كوبا والارجنتين ·

وسط هذا العالم وقف فرنانديز بوقاحة يتحدث عن الشواذ · والغريب أنه فاز بعد ذلك بثلاث سنوات بجائزة جونكور الادبية عن روايته « بين يدي الملاك » التي تحدث فيها عن أشهر الفنانين العالميين شذوذا · وهو الشاعر والمخرج بييرباولو بازوليني ·

وفرنانديز ( ٥٩ عاما ) يعمل حاليا مدرسا للادب الايطالي بجامعة رين بفرنسا · كما يكتب النقد الادبي في مجلة الاكسبريس · حصل على جائزة ميدتشي عام ١٩٧٤ عن روايته الاولى « بروبينو · أو أسرار نابولي » وفيما بعد أصبح عضوا في أكاديمية ميدتشي احدى ابرز الاكاديميات الادبية التي ترعى الادب التجريبي · نشر مجموعة من الروايات أهمها : « وردة تيودور » ١٩٧٦ ، « النجمة الوردية » ١٩٧٨ ، « السيد جيوفاني » « ياسمينة في الاذن » ١٩٨١ « بين يدي الملاك » ١٩٨٢ · « بركان فوق المدينة » ١٩٨٤ ، « الحب » ١٩٨٥ · ثم « مجد المنبوذ » ١٩٨٧ · يتحدث عن بداياته قائلا : « قرأت كثيرا في طفولتي · كنت أحب روايات المغامرات التي كتبها الكسندر ديماس كما أحببت جوستاف ايمار الذي الهمني وأنا في الثانية عشرة رواية من خمسين صفحة · وفيما بعد كنت اقضي الليالي في القراءة .. واذكر انني قرأت « الحرب والسلام » لتولستوي في ثلاثة أيام · كنت أعبد دوستويفسكي واقتبس عالمه » ·

## ● الحرب .. تحطيم للاماني

يقول الكاتب في روايته « النجمة الوردية » : اننا لا نختار أبدا السماء

ولا الساعة التى تظهر لنا فيها نجمة الحظ وساعة الحظ عند دافيد بطلة روايته لم تظهر قط .. فالنجمة الورحية بعيدة المنال . وها هو دافيد قابع فى احدى عربات قطار مظلم مع مجموعة اخرى من اليهود فى طريقهم الى أحد معسكرات الاعتقال النازية ( عام ١٩٤٤ ) . ويعرف دافيد ان مصيبته بين أيدى النازيين ستكون مضاعفة . فهو يهودى أولا . وشاذ ثانيا . مما سيعقد من موقفه . وفى العربة يتذكر دافيد طفولته المبكرة وأمه التى تولت رعايته . والحرب التى جاءت لتحطيم أمانيه . فقد عمل مدرسا للأدب فى احدى الجامعات . كما ألف كتابا عن الشواذ فى القرن الماضى .. وارتاد عيادة الطبيب النفسى لوبين كى يعالجه من الآثار النفسية التى تراكمت بداخله لشذوذه ..

وفى رواية « السيد جيوفانى » ـ هناك أثرى ايطالى يعمل فى مكتبة الفاتيكان . ويدرس تاريخ الملك فردريك الثانى الذى أغتيل عام ١٧٦٨ فى فندق متواضع . ويتتبع الباحث حياة هذا الملك المعروف فى هذا الفندق باسم السيد جيوفانى . فيكتشف أن سبب قتله هو جريمة جنسية . وهناك تشابه واضح بين هذا الرجل وروكنتان بطل رواية « الغثيان » لسارتر . وفى رحلة عن بواعث الجريمة يكشف المؤلف ان هناك تشابها بين القاتل الذى تم العثور عليه واعدامه وبين الباحث الأثرى .. ويتساءل فرنانديز : هل الرجلان شخصية واحدة .. أم ان الباحث

أضفى على القتيل من صفاته الخاصة وذلك خوفا من توجيه اللوم اليه .

فى رواية « ياسمينة فى الاذن » يتحدث الكاتب حول رامون الذى يهرب من العاصمة الفرنسية راحلا الى شمال افريقيا . فيترك خلفه ست سنوات عاشها مع جوليان . ويكون هذا الرحيل بمثابة اختبار لقوة الاصرة بين رجلين أرتبطا بعلاقة غير سوية وها هما ينفصلان .. للمرة الاولى . انها نفس العلاقات التى يحاول فرنانديز التأكيد عليها وكأنه يكسبها شرعية .. فقد حاول أن يفعل ذلك بصورة اكثر وضوحا حين اختار حياة بازوليني ليدونها فى روايته « بين يدى الملاك » . ففى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٥ تم العثور على جثة المخرج والشاعر الايطالى فى احد الشوارع . وبعد يومين تم القبض على شاب صغير عرف فيما بعد انه رفيقه . ويحاول المؤلف ان يكشف ان بازولينى كان مناضلا . وعبقريا فهو الطفل النابغة الذى قرأ الكثير وهو المحارب الذى انضم الى رجال المقاومة الايطالية فى مواجهة القوات النازية . وقد دفع ثمن هذا النضال من دمه حين اصيب فى احدى الحملات التى قام بها رجال المقاومة . وبعد ان اعلن عن تحرير ايطاليا من الفاشية بدا بازولينى يدرس الادب الايطالى بعمق ويتجه الى السينما . وينشر اشعاره المجنزنة . فاصبح احدى علامات الثقافة الايطالية فى الخمسينيات والستينيات .

## ● عن الحب .. والصداقة بين رجلين

فى رواية « الحب » عاد فرنانديز مرة أخرى الى عصر نابليون . من خلال نفس الموضوع المحبب له .

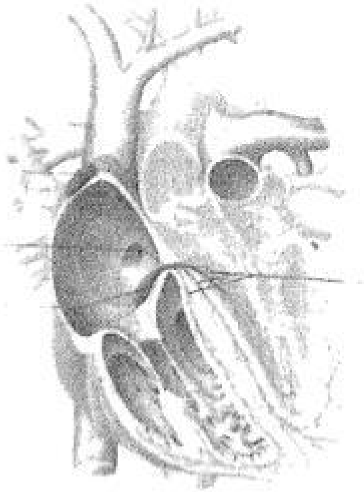
فهناك رجل المانى معـــروف بحبه لاشياء عديدة منها الارض • والفن • والنساء انه الفنان التشكيلى فردريش اوفربيك الذى اعتبر زعيم المدرسة الكاثوليكية الرومانسية فى المانيا •
وتبدأ احداث الرواية فى عام ١٨١٠ حيث يدرس فـــردريش مذهب لوثر الدينى • كان انذاك فى العشرين من العمر • ويتصرف كابن لاسرة المانية ثرية •• وعندما فكر فى الاقتران بامرأة أخرى فقد اختار اليزا التى لا تقل عنه ثراء • وفى رحلته الى مدينة فيينا من أجل استكمال دراسة الرسم ، يلتقى بفرانتز وفى أثنـــاء حفل لتبادل الدماء فى الشــــرايين • يتم التبــادل فيما بينهما ويصـــبحا صـــديقين متـــلازمين دائمـــا • • مما جعل فردريش يبتعد عن خطيبته اليزا • وقـــد عرضت هذه العـلاقة الفنان للكثير من الانتقادات والمهانة لكنه لم يفكر ابدا فى ان يفصم عراها بدات العلاقة بين الاثنين كصـداقة قوية واعجاب بما يربطهمـــا من حب للفن • ثم بدأ فردريش يعلن لصديقه انه يحبه بدلا من اليزا •• الا ان الصديق لم يشأ أن يصدق صديقه • لانه يعرف انه مصاب بمرض عضـــال سوف يعجل بنهايته •• وبالفعل فعندما يموت الصديق • يقرر فردريش العودة الى خطيبته اليزا من جديد •

● الايدز عودة للتراجيديا

عندما أعلن عن صدور رواية « مجد المنبوذ » فى العام الماضى •• أعلنت الصحافة ان فرنانديز مصاب بنفس المرض الذى أصيب به برنار موران بطل هذه الرواية • وهو مرض الايدز وتدور احداث هذه الرواية حول رجل يدون مذكراته الاخيرة وهو فى قمة اصابته بالمرض • قبل أن يموت •• « نحن لا نبحث عن المكسب المادى • بل نبحث عن الحقيقة المرعبـــة » • ويعترف برنار ان اصابته بالمرض قد كشفت له عن المعنى الحقيقى للحياة• فهل رجل معزول اجباريا •• ابتعد عنه الناس خوفـا من العدوى • وتركوه وحيدا يواجه مصيره • وينتظـــر لحظته الاخيـــرة • فلم يجد شــيئا أفضل من الانتظار وان يدون مشاعره ويتحدث عن ذكرياته • ويعتـــرف برنار ان الايدز قد اعاد التراجيديا الى الحياة مرة اخرى • ومن خلالها يمكن ان تحدث مئات النهايات الحزينة لقصص الحب • والمقصود بقصص الحب هنا تلك التى تربط بين رجلين مصابين بالشذوذ •

السؤال الان : هل نحن فى زمن ســدوم وعمورة •• فاصـــبح المرء يجـــاهر بما يلى به •• وجاء على البشرية زمن يعلن فيه عن وجود أدب للمصابين بالشذوذ وان هذا الادب جيدا ، وهام • ويســتحق الجوائز الادبية الكبـــرى •• ويقوم البعض بتنظير هذا الادب ويصبح له نقاده الهامين ويعلن فى احصاءات رسمية ان بلدا كفرنسا ــ بؤرة الثقافة الاوربية ــ تضم خمسة ملايين من هؤلاء الشواذ واذا كان هذا قد حدث بالفعل فى عام ١٩٨٢ بعد حصول الكاتب على جائزة جونكور • فان فرنانديز يعيش الان فى عزلة تقارب تلك التى عاشـــها بطل روايته الاخيرة •• لعله ينتظر نهايته ويعيش التراجيـــديا المزعـومة التى تحدث عنها •• فاصبح حالة تستوجب الدراسة ليس لتحليل هذا النوع من الادب وحده •• بل لتحليل حـــركة مجتمع باكمله ، وما وصلت اليه هذه المجتمعات من انهيار ••

# العالم غدا



## ● مجدى يعقوب فى القصر العينى

خلال زيارة خاطفة للقاهرة لم تتجاوز يومين ونصف اليوم ، وفى مستشفى القصر العينى الذى عرف د · مجدى يعقوب طبيبا للامتياز ، قبل ما يقرب من ثلاثين عاما ، أجرى الجراح المصرى النابغ ثمانى من الجراحات المعقدة لاصلاح العيوب الخلقية فى قلوب ثمانية أطفال مصريين ·

وقد أختيرت الحالات الثمانية من بين ٤٠ حالة كانت قد جهزت للجراح النابغ ، حتى يختار من بينها · وقد شارك مجدى يعقوب والفريق الطبى المرافق له ، فريق من الجراحين المصريين برئاسة د · حسين جعفر و د · محمد فتحى الاشقر ، وروعى أن تكون الجراحات النادرة والصعبة تدريبا لعدد من الاطباء الشبان على أخر المستحدثات العلمية ·

والمعروف أن الجراح المصرى النابغ مجدى يعقوب هو صاحب الرقم القياسى العالمى فى مجال جراحات القلب المفتوح ، والجراحات المبتدعة لزراعة القلوب ، كما انه يشرف على واحد من اوسع برامج دراسات القلب وواحد من اكبر مراكز جراحات القلب والرئتين فى العالم ·

## ● لعب ذكية للاطفال

نظم أخيرا معرض نورنبرج الدولى الشهير للعب الاطفال · وقد ضم المعرض ٢٥٠ الف من الالعاب المختلفة ، جاءت ١٥٪ منها فى بند الالعاب المبتكرة ··

وجاءت المعروضات المختلفة كايماءة الى التطور الذى يجرى على قدم وساق فى عالمنا ، ويعتمد على التقدم التقنى ·

وبين اكثر الاتجاهات شيوعا فى تطور لعب الاطفال احتواء اللعبة على آلة تسجيل صغيرة تمكنها من ان تتكلم مع الطفل وتداعبه ·· بل وتجرى حوارا معه ·

ويتوقع الخبراء الا ينقضى وقت طويل حتى تظهر لعبات تستجيب لافعال الطفل ، فتضحك حين يدغدغها وتزمجر حين يلقى بها على الارض · ويرون أن مثل هذه اللعبات التى تتمتع بالحيوية

يمكن أن تغنى الاطفال ، بل والكبار ، عن اقتناء الحيوانات الاليفة ٠

وبعد أن تنبه الباحثون الى أن ألعاب الكمبيوتر تدفع الطفل الى الانزواء ، وتساهم فى تكثيف شعوره بالوحدة ، يجرى حاليا تصميم لعبات كمبيوترية جديدة لا يمكن ممارستها الا جماعة ، بهدف تلبية حاجة الاطفال الى التواصل الاجتماعي ٠٠ واللعبات الجديدة تدور حول حاسب الكتروني مركزى ، يقوم بالدور الرئيسى فى اللعب وفى التواصل، ويجد الطفل الراغب في ممارسة اللعبة طريقه اليه عن طريق الهاتف ٠

هذا كما تلعب برامج الحاسبات الالكترونية دورا هاما ومتزايد فى مساعدة الطفل على ممارسة الموسيقى والنحت والرسم ، بمجرد التعامل مع لوحة مفاتيح الحاسب ! ٠ ونظرا لان مثل هذه الممارسة لا تتيح مجالا واسعا يستخدم فيه الانسان خياله وقدراته يرى الخبراء أن ميزتها الاساسية تكمن فى كونها تشجع الانسان مهما قلت قدراته الفنية على دخول عالم الفن ، كمرحلة أولى ، حتى يمكنه تحصيل القدرات اللازمة لممارسة الحس الفنى الذى يرغب ، مثل اجادة العزف على الآلة التى يحب ٠٠



## ● نوم وأحلام العافية

عقد أخيرا فى كوبنهاجن (الدانمارك) المؤتمر العالمي الخامس للمتخصصين فى دراسة النوم ٠ وقد أكدت الدراسات التى عرضت فى المؤتمر تزايد عدد من يتعاطون المنومات ، على الرغم من مفعولها الضار ، اذ بينت منحنيات نشاط أدمغة المتعاطين لهذه الادوية وجود خلل فى ايقاعات مراحل نومهم الطبيعى ، الامر الذى يؤدى الى افساد النوم بشكل يصعب علاجه ٠٠

وقد حظيت دراسة الاحلام باهتمام بالغ فى المؤتمر ٠

ورغم أن منحنيات نشاط الدماغ الكهربى بينت منذ سنوات بعيدة تسارع وتعمق نشاط الدماغ خلال فترات الاحلام ( حوالى ساعة كل ليلة ) ، ورغم أنه بات من المسلم به حاجة الانسان الفسيولوجية الى الحلم ، بعد أن ثبت أن ايقاف الحلم بصورة اختيارية ( ايقاظ النائم كلما بدأ يحلم ) يؤدى الى تزايد فترات الاحلام على مدى الليالى التالية ٠

رغم كل ذلك مازال العلماء يختلفون ويجاهدون فى سبيل معرفة الوظيفة الفعلية للاحلام فبعضهم يراها تثقيفا أوليا للمرء يسمح له بمواجهة المحيط الذى يعيش فيه عند اليقظة ، وبعضهم يرى أنها تساعد المرء على نسيان المعلومات الفائضة التى يتكدس بها الدماغ خلال النهار، والبعض يرى أنها تساعد الانسان على التكيف مع الضغوط التى تعترضه خلال النهار ، هذا بينما يذهب آخرون الى أنها تلعب دورا

# العالم.. غدا



أساسيا فى انضاج الدماغ وتنظيم الجهاز العصبى المركزى خلال مراحل الحياة الاولى فعلى سبيل المثال يظهر الاطفال الرضع أثناء نومهم علامات الخوف والدهشة والفرح والاشمئزاز.. وهى من الانفعالات الاساسية التى لا تظهر لدى الطفل فى يقظته الا بعد خمسة أو ستة أسابيع من الولادة، وكما لو كانت الاحلام تمرك فى الوليد وبصورة لا واعية التعبيرات المستقبلية.

ومن الطريف أن البعض يرون أن الحلم عبارة عن جرعة جنون مقننة، بمعنى اعادة تنظيم المخ بأساليب غير واقعية، لابد أن يتعرض لها المرء يوميا حتى يحافظ على صحته النفسية.. ومن أطرف ما كشفت الابحاث عنه أن تذكر الحلم يرتبط بالتربية والبيئة فمن يجرى الاهتمام بأحلامهم وتشجيعهم على الحلم منذ الطفولة يتذكرون أحلامهم اكثر من الاخرين بمرتين..

## ● الايدز فى لندن والكويت والقاهرة

يعقد بالقاهرة خلال الفترة من الثالث الى الخامس من هذا الشهر مؤتمر دولى لمرض الايدز ( نقص المناعة المكتسبة ) الذى يفسد جهاز اكساب الجسم مناعة طبيعية ضد مختلف الجراثيم، فيجعله نهبا لاهوائها. ويتناول مؤتمر القاهرة آثار المرض على النواحى الاقتصادية والاجتماعية، ودور الاعلام والازهر ( الوعى الصحى والدينى ) وغيرهما للوقاية من المرض.

ومن الجدير بالذكر أن مؤتمر القاهرة هو المؤتمر الدولى الثالث الذى يتدارس فيه العلماء هذا المرض الخطير، على مدى شهر ونصف الشهر. وقد عقد المؤتمر الاول فى أواخر يناير بمدينة لندن وجمع الى جوار المختصين من منظمة الصحة العالمية، والمنظمات الصحية الدولية، وزراء الصحة فى ١٤٨ دولة ( ضمنها ٢٠ دولة عربية )، وكانت المرة الاولى فى تاريخ البشرية التى يجتمع فيها هذا الحشد لتدارس تدابير مكافحة مرض من الامراض..

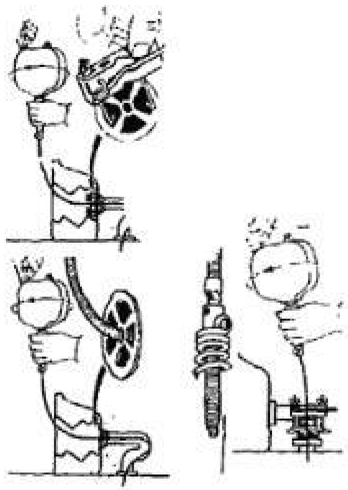
ووفق احصاءات منظمة الصحة العالمية توجد حاليا ١٥٠ الف اصابة بالمرض، فى مختلف انحاء العالم، ولا يوجد بلد من البلدان يخلو من بعض الحالات. والمتوقع أن يتضاعف عدد المصابين بهذا المرض الخطير خلال عام واحد..

ومما يضاعف خطورة المرض أن أيا من العقارات التى تستخدم فى مكافحته ( يتكلف المريض فى الولايات المتحدة بين ٥٠ و ١٥٠ الف دولار )

لا تشفى من المرض ويقتصر مفعـــولها على التخفيف من حالة المريض ٠ ومن هنا فان السبيل الاساسي لمكافحة الايدز يكمن في التوعية الوقائية ٠٠

ولما كان المرض ينتقـــــل عن طريق العلاقة الجنسية أو عن طريق الدم فان اهم طرق الوقاية هي الامتنـــــاع عن العلاقات الجنسية غير الشرعية ، وعدم مشاركة الاخرين فى استخدام المحاقن وشفرات الحلاقة وفرش الاسنان ، وكل ما يمكن أن يعلق به دم الآخرين مثـــل مثاقب الاذن وآلات الوشــــــم ٠٠

وجدير بالذكر أن العلم توصـل الى طرق ناجحة لضمان عدم انتقال المرض من خلال عمليات نقل الدم والعـــلاج بالابر ، وغير ذلك من الاجــــراءات العلاجية ، ويجب الالتزام بمثل هـــذه الطرق ٠٠



## الذكاء فى برشامة

★ نشرت مجلة علمية بريطانيـــــة نتائج بحث زعم من أجروه أن معـــدل ذكاء ٣٠ طفلا تناولوا الفيتامينات على مدى ثمانية أشهر فاق معدل ذكـــــاء الاطفال الذين لا يتناولون الفيتاميـنـات بتسع نقاط فى المتوسط ٠٠ وفى أعقاب نشر التقرير نفدت الفيتـامينات فى كثير من الصيدليات البريطانيـــــة ، وعقدت صفقات ضخمة مع الدول الاوربية والولايات المتحدة لمواجهة الطلب عــلى بلابيع الذكاء !

★ فى الصورة المرفقة آلة يدويـــة بسيطة يمكن استخدامها فى تســـليك الانابيب ، وخاصة عندما تكون العوائق نصف جامدة ٠٠ والآلة تتكون من سلك صلب طوله يزيد على المترين ، يـؤدى تدويره وتحريكه الى تسليك الانبـــوبة المسدودة خلال بضع ثوان ٠٠

★ تم توقيع اتفاقية للتعاون العلمى بين الاتحاد الســــوفيتى والولايات المتحدة الامريكية عـــلى مـدى خمس سنوات ٠ وبمقتضى الاتفاقية ســـيتم سنويا تبادل ٥٠ عالما للمشاركـــة فى الابحاث لمدة شهر ، كما سيعقد العديد من حلقات درس أولها فى مجـــالات التنبؤ بالزلازل وانتاج الامصـــــال وسلامة المفاعلات النووية ٠٠

★ نجحت اليابان فى تسيير قاطرات على وسائد مغناطيسية تبلغ سرعتـــها ٥٠٠ كيلو متر / الساعة وجدير بالذكر أن هذه القطارات لا تلوث الجـــو ولا يصدر عن حركتها صوت وستحل الكثير من مشاكل النقل سواء داخل المـــدن الكبيرة أو خارجها ذلك أن عرباتـــها الصغيرة الخفيفة تمكنها من صـــعود المرتفعات وبالتالى لن تكون فى حاجـة الى انفاق أو انشاءات ضخمة ٠

دراسة الهلال

# حاضر المجتمع العربي ومستقبله

بقلم: د. سيد عويس

**تتناول الدراسة موضوعا هاما يتعلق بالمجتمع العربى حاضره ومستقبله وعناصر بعثه وقوته التى تحقق له المستقبل المشرق وبخاصة فى ضوء الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المعاصرة .**

**ولا ادعى اننى سالم بكل عناصره ، وذلك لاننى شخص ذو خبرات محدودة لأن تخصصى محدود . ومن ثم فاننى ساتحدث فى ضوء خبراتى الثقافية الاجتماعية . وهذه الخبرات تتضمن بالضرورة بعض الملامح السياسية وبخاصة ما تعلق منها بـ "علم الاجتماع السياسى" .**

**وتعتمد الدراسة فى الأغلب الاعم على نتائج بعض البحوث الاجتماعية الثقافية والدراسات العلمية التى قمت باجرائها او اشرفت على القيام باجرائها .**

يعنى المفهوم عندى انه لفظ له دلالة او لفظ له معنى . والمفهوم قد يكون مجرد مفهوم عادى اى يشير الى معنى لشىء عادى او امر عادى ، فاذا ما ذكر هذا المفهوم انطبعت صورته الذهنية فى ذهن السامع نذكر هذه المفاهيم عادة فى احاديثنا اليومية فى المواقف العديدة التى نمر بها جميعا . مع ذلك فان الملاحظ ان الصور الذهنية لهذه المفاهيم قد تتباين عند السامعين فى ضوء خبرة كل سامع . مع ملاحظة أن هذه الخبرة قد تكون خبرة منتظمة ( اى

علمية ) . أو قد تكون خبرة غير منتظمة ( اى خبرة عادية لا تكون بالضرورة علميـة ) ، والامثلة على المفـاهيم العادية لا تخفى على القارىء ولكنى اذكر هنا مفهوما واحدا هو مفهوم الماء .

والملاحظ ان المفهوم العلمى هو لفظ له دلالة مادية محددة أو له معنى مادى محدد . اى انه اذا تحدد معنى هذا المفهوم بدقة حتى تصبح دلالته ملموسة واذا قبله المتخصصون أو اكثرهم ، لم تعد هناك مشكلة بين السامعين له أو الذاكرين له ، أى بين المتخاطبين . وكذلك بين من يكتبون المفهوم وبين من يقرءونه .

فمفهوم "الاكسجين" مثلا ( وليس مفهوم الماء ) معناه دقيق ودلالته ملموسة ، ويقبله المتخصصون فى كل انحاء الدنيا ، فى لندن وفى موسكو وفى نيويورك .. الخ ، على اختلاف ثقافات المجتمعات التى توجد فيها وتباين أساليب الحكم فيها . ولكن يجب ان يلاحظ القارىء انه اذا كان يحدث هذا فى محيط العلوم المادية ، فانه لا ينتظر أن يحدث ، أيضا ، فى سهولة ويسر ، فى محيط العلوم الانسانية على مستوى المجتمعات المختلفة أو حتى على مستوى المجتمع الواحد . وذلك لأن مفاهيم العلوم الانسانية مفاهيم ، فى الأغلب الاعم ، غامضة ، أى لها معانٍ عديدة . وهى أيضا فضفاضة ، أى لها صور متعددة . وقد تستخدم فى بعض الأحيان فى مواقف متناقضة .

واننى ارجع غموض مفاهيم العلوم الانسانية وتعدد صورها الى بعض العوامل ، اذكر منها ما يلى :

□ حداثة العلوم الانسانية نسبيا .

□ اختلاف الثقافات الاجتماعية ( والايديولوجيات أي القيم الثقافية العامة للمجتمع على وجه الخصوص ) باختلاف المجتمعات البشرية .

□ تباين معدل تقدم العلوم الانسانية فى المجتمعات البشرية .

□ تسرع المتخصصين فى العلوم الانسانية فى صياغة المفاهيم المتعلقة بميدان تخصصهم وتنافسهم غير الضرورى فى هذا المجال .

ومهما يكن من الامر فاننى اؤكد انه بارتقاء العلوم الانسانية وتقدمها ، وبالاحتكاك الثقافى ، وبسيادة روح الفريق بين المتخصصين فى العلوم الانسانية - ستتحدد مفاهيم العلوم الانسانية وتصبح معانيها اكثر دقة وربما بمرور الزمن ، تلقى قبولا عاما من المتخصصين وغيرهم ، ولعل ذلك ان يحدث اولا على مستوى المجتمع الواحد ، ثم ثانيا على مستوى المجتمعات الاخرى . (١)

## □ حـــول مفهـــــوم « المجتمع » أى مجتمع

الملاحظ ان مفهوم المجتمع اى مجتمع هو فى بساطة جماعة من الناس ( رجال ونساء واطفال ) يهدفون متعاونين احيانا او وهم فى صراع احيانا اخرى ، الى تحقيق مصالح جوهرية ( حفظ الحياة وحفظ النوع

مثلا ) . ويعيشون فى بيئة جغرافية واحدة بصفة شبه مستمرة فى ظل مناخ اجتماعى معين .

والملاحظ ايضا ان المجتمعات الانسانية مجتمعات شتى . وهى ايضا عديدة اعرف ذلك . كما ارجو ان يعرف كل قارىء ذلك ايضا . فهى مجتمعات صغيرة . وهى مجتمعات كبيرة . وهى مجتمعات بدائية . وهى مجتمعات قومية . وهى كذلك مجتمعات محلية .

ومن المجتمعات الانسانية مايعيش اعضاؤها فى تخلف . ومنها مايعيش اعضاؤها فى مستوى حضارى متقدم . ومن المجتمعات الانسانية نجد المجتمع الذى يواجه ظاهرة التغير الاجتماعى السريع وكان اعضاءه يعيشون فى ثورة اجتماعية عارمة . ومنها مايكون معدل سرعة التغير الاجتماعى فيه اقل من هذا المستوى .

وقوام المجتمع .. اى مجتمع .. هو الجماعات لا الافراد فالفرد العادى لايمكن ان يتصور انه يعيش فى فراغ . فهو يعيش فى جماعة او فى جماعات وهذه كلها تعيش فى المجتمع كل واحد فيها يبدأ ظهوره فى المجتمع ، اول مايبدأ ، فى اسرة عادية او فى اسرة بديلة ، اى فى جماعة وهذه الاسرة تعيش فى حى فى المدينة ، اى فى مجتمع محلى ، او تعيش فى ناحية من نواحى القرية . وهذا الحى او المجتمع المحلى ، يرتبط بغيره من الاحياء او المجتمعات المحلية فى المدينة . وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى . وما المدينة او القرية الا جماعات ، جماعات ذات مصالح متآلفة او ذات مصالح متنافرة ، او منظمات اجتماعية مثل المنظمات الدينية والتربوية والاقتصادية . وما المدينة او القرية الا جماعات قد تعيش فى طبقات ، او تحاول الآ تعيش فى طبقات . وما المدينة او القرية الا جماعات يظلل اعضاؤها مناخ ثقافى اجتماعى معين ، مناخ قوامه العقائد والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمثل العليا وما المجتمع الا مجموعة كل ذلك ، جماعات تعيش فى مجتمعات محلية حياة جماعية ، اى يعمل اعضاؤها فى جماعة . ويتعاونون ويتصارعون ، ويظللهم مناخ ثقافى اجتماعى معين .

## □ حول مفهوم « الشخصية القومية »

ان الدراسة الحالية تهتم اول ماتهتم بمفهوم « الشخصية القومية » ، وفى نتائج هذه الدراسة التى قمت باجرائها اتضح لى مايلى :

١ - ان مفهوم « القومية » لايمكن ان يعنى مفهوم « الشخصية القومية » ، وان مفهوم « الشخصية القومية » لايمكن ان يعنى مفهوم « الشخصية » .

٢ - ان مفهوم « الشخصية القومية » مفهوم مشكوك فيه من الناحية العلمية ولايتيسر اجراء بحوث علمية سليمة . وفى ضوء التجارب والخبرات المنتظمة

نلاحظ ان هذا المفهوم لاثمرة فيه فى الوقت الحاضر .

٣ ـ ان العديد من الكتاب يخلطون بين مفهوم « القومية » ومفهوم « الشخصية القومية » اى بين مفهوم « القومية العربية » ومفهوم « الشخصية العربية » مثلا . والملاحظة ان القومية العربية هى حركة حديثة بدات موضوعيا بثورة شبه الجزيرة العربية على الحكم العثمانى فى عام ١٩١٦ . وكان من نتائجها قيام « جامعة الدول العربية » فى ٢٢ من شهر مارس/ آذار عام ١٩٤٥ .

٤ ـ ان الداعين المخلصين الى « القومية العربية » فى ضوء الخبرات يرون انها مازالت مجرد حركة ، وانه على الرغم من ان مفهوم « القومية » مفهوم مستورد فانهم يتبنونه فى اخلاص جدير بالاعجاب . علما بان العنصرين اللذين تقوم عليهما « القومية العربية » العنصر الموضوعى والعنصر المعنوى او الشعورى لم يتوفرا حتى الان .

٥ ـ ويرى الكاتب انه فى ضوء النظرة الموضوعية ان ظروف المجتمعات العربية المعاصرة ومنها المجتمع المصرى المعاصر ، تفرض علينا ان يكون الهدف الاسمى الذى يجب ان نراه ولانرى غيره فى الوقت الحاضر هو التغيير الى الافضل ، ولا يتاتى ذلك الا بدراسة ماهو كائن لكى نغيره الى مايجب ان يكون او الى مايمكن ان يكون .

٦ ـ والدراسات عديدة وهى ليست سهلة ولكنها مهمة . ولايعنى اجراء هذه الدراسات ان يقف حائلا دون الاستمرار فى دعم القومية العربية ـ على اسس سليمة . فالحركة مستمرة ويجب ان تستمر . وتحقيق الدعوة الى القومية العربية ، فى ضوء الظروف العالمية ووجود عملاقين ( الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ) يمسكان بين اصابعهما ، دون مبالغة مصائر دول العالم ، مسالة مصير ومستقبل .

٧ ـ والدراسات المقترحة هى دراسة مجتمعات الدول العربية كل مجتمع عربى على حدة : المجتمع القديم ، والمجتمع المستحدث ، والمجتمع الذى لا هو بالقديم ولا هو بالمستحدث ، دراسة موضوعية .

« ولتكن هذه الدراسة دراسة اهم السمات الثقافية الموضوعية لكل مجتمع من هذه المجتمعات العربية » .

## □ حول مفهوم « الامة »

والملاحظ ان مفهوم « الامة » مفهوم انسانى ، اى انه مثل مفهوم « الديمقراطية » و« الحرية » و« الاشتراكية » و« القومية » و« الشخصية القومية » وغيرها ، كلها مفاهيم غامضة ولها صور متعددة ، وعندما اقول هذا المفهوم مفهوم غامض اعنى ان له معانى عديدة . فمفهوم « الامة » مثل مفهوم « القومية » مفهوم غامض اى له معان عديدة . فقد يكون مفهوم « الامة » ، لغة « جماعة من الناس تربطهم صفات وعادات

متجانسة » ، وقد يكون هذا المفهوم اصطلاحا ، « مجتمعا بشريا ذا نظم وتقاليد معينة تحقق وحدته ، وينتمي الى وطن واحد » ، والامة في الغالب امتداد للاسرة ومن اخص خصائصها ثقافة مشتركة تنمو على مر الزمن ، وتعيش على مر الزمن ، وتعيش باهداف واحدة ، وبفضلها يتحقق وجود الافراد وتقاربهم في تعاون وتراحم ، وقد تكون دلالة مفهوم « الامة » تعني « جماعة سياسية مستقلة ذات اقليم محدد ، يشترك اعضاؤها في الولاء لمؤسسة واحدة ، مما يؤدي الى احساسهم بالوحدة ، وبانهم يكونون مجتمعا » . ولا يلزم لقيام الامة ان تكون ذات اصل مشترك ، او لغة واحدة ، او دين او عنصر واحد ، وان كانت الامم تتكون عادة اعتمادا على التاريخ المشترك ووجود عناصر ثقافية اخرى متشابهة .

ولمفهوم « القومية » معان عديدة ايضا . فقد يعني هذا المفهوم مثلا « الانتماء الى امة معينة والتوحد معها » وينطوي مصطلح القومية طبقا لهذا المعنى ، في معظم الاحوال ، « على الاشتراك في ثقافة واحدة بما في ذلك اللغة المشتركة » وقد يعني مفهوم « القومية » مجرد « الانتماء الى جماعة تشترك في سمات ثقافية واحدة تنطوي في العادة على لغة مشتركة وتاريخ مشترك » وقد يكون لمفهوم « القومية » معنى اخر ، فقد يعني « صلة اجتماعية عاطفية تنشا من الاشتراك في الجنس واللغة والمنافع . فهي شعور مجموعة الافراد بانهم يؤلفون وحدة اجتماعية نتيجة لما يجمعهم من روابط عنصرية وثقافية ولغوية ومايشعرون به من رغبات صادقة في تحقيق اهدافهم الوطنية السياسية » ، وقد نجد من يرى ان القومية ، قد تمتد الى اكثر من وطن ، وتشمل اكثر من امة وتصبح ضربا من وحدة الفكر واللغة والاهداف ، كالقومية العربية التي تجمع بين تونس ولبنان مثلا على الرغم من اختلاف البلدين جغرافيا واقتصاديا ، بل تاريخيا الى حد ما . وما القومية العربية الا دعوة الى الترابط بين الشعوب العربية لمواجهة التحدي الاجنبي .

ولعل القارىء الكريم ان يتقبل حديثي عن دعوة « السيد جمال الدين الافغاني » ( ١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ) ( ١٨٣٩ - ١٨٩٧م ) الى « حكومة اسلامية واحدة تأتم بالاسلام وتعاليمه » وقد اكتفى عندما رأى ان ليس في الامكان خضوعها لامير واحد ، بالدعوة الى ان ترتبط اجزاؤها بروابط محكمة ، و « يكون لها مقصد واحد وتحكم الاقطار كلها بحكومات امامها القرآن ، وأساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولي الامور » . وذكر ضمن ماذكر انه لا يلتمس بقوله

هذا ان يكون مالك الامر فى الجميع شخصا واحدا ، لان هذا ربما يكون عسيرا . واكد على ان يكون سلطان الجميع القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الاخرين ما استطاع ، فان حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم .

والعبارة السابقة تذكر المتخصصين فى العلوم الاجتماعية بمفهوم « الجماعة المرجعية » الذى يؤكد هذا المعنى حيث اننا نجد على مستوى الاشخاص العاديين ان الحياة مع الناس تعنى اشياء كثيرة منها الشعور بالانتماء الاجتماعى الذى يتضمن مادة روحية اساسية يساعد هؤلاء الاشخاص على السير قدما مهما كانت مصاعب الطريق ومهما كانت العقبات ، واثقين من ان وراءهم آخرين يهتمون بامرهم ، ويسعدهم نجاحهم كما يسعدون هم بنجاحهم .. يفرحون بلقائهم كما يفرحون هم بلقائهم ايضا .

والدعوة الى الحكومة الاسلامية فى ضوء الظروف الراهنة ، اقصد الظروف السياسية العالمية ومايتعلق بها من حيث الحروب المحلية ( ومنها الحرب الدائرة بين العراق وايران مثلا ) وماحدث قبلها فى محيط الدول الاسلامية العربية منها وغير العربية تبدو فى رأيى المتواضع غير مواتية . وعندى ان سعد بن ابى وقاص ( ٥٩٥ ـ ٦٧٥ ) لم ينسه اعضاء المجتمع الايرانى ولا حكوماته المتعاقبة منذ ان دارت معركة القادسية ( ٦٣٥ ) حيث رفعت راية الاسلام كدين ولم تلق اللغة العربية قبولا عند هؤلاء الاعضاء .

## □ المواطن المصرى المعاصر

يلاحظ ان المواطن المصرى المعاصر ، كشخص ، هو نتاج ثقافات عديدة ، ويعيش حتى الوقت الراهن فى ظل مناخها الثقافى سواء اكانت ثقافة قديمة ( منها ايضا الثقافات الفارسية واليونانية والرومانية ) والثقافة المسيحية والثقافة العربية ( الدين الاسلامى واللغة العربية ) ، والثقافة المملوكية فضلا عن الثقافة التركية والثقافة الغربية وبخاصة الاوربية والامريكية .

ولايعنى مما سبق ان المجتمع المصرى جامد محافظ على القديم ، فهو كما يقول الاستاذ الدكتور سليمان حزين فى احدى محاضراته عن موضوع « خطط الاصلاح الاجتماعى والاوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى »

« .... واذا اتخذنا مصر على سبيل المثال فاننا نجد ان من الصعب ان نسلم بان المجتمع المصرى مجتمع جامد محافظ على القديم ، ونحن نعرف ان المصريين قد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها اكثر من مرة خلال تاريخهم . واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرة او مرتين ، وجمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم والوان ثقافتهم ، واتصلوا بالعالم

الخارجي واقتبسوا عن حضاراته في الشرق والغرب على السواء .. بل ان المصريين كانوا مجددين حتى فى الجانب المادى والعملي من حياتهم وحضارتهم . فالزارع المصرى فى الحقل جدد ادواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمن وجدد انواع محصولاته فاضاف اليها نباتات جديدة من وقت لاخر ، لاسيما بعد ادخال نظام الرى الدائم .. ، كما جدد انواع الحيوان المستانس واضاف اليها مالم يكن معروفا من قبل .

□ ضرورة إجراء بحوث واقعية

واننى ادعو الى اجراء بحوث ودراسات واقعية لمجتمعات الدول العربية للتعرف موضوعيا على السمات الثقافية لكل مجتمع . واننى اذ ادعو الى ذلك ارجو من القارىء الكريم ان ناخذ بعناصر المنهج الذى يتضمن مايلى :

١ - البعد التاريخي لثقافة المجتمع .

٢ - مدى استمرار هذه الثقافة واستقرارها .

٣ - مدى تعدد مصادر هذه الثقافة وتنوعها .

٤ - ظاهرة الازدواجية ( بالمعنى الذى يقول ليس كل ما يقال يمارس ) فى هذه الثقافة .

وارجو ان يكون واضحا ان هدف اهدافى فى الوصول الى المعرفة الموضوعية لهذه العناصر لكى نؤكد مايتماثل منها او يتشابه ، ولكى نواجه مايتباين منها او يختلف . اننى لا ارفع ابدا شعار .

« لا وحدة عربية بدون وحدة ثقافية »

ولكننى ادعو ملحا الى مواجهة الازدواجية الثقافية القائمة فى المجتمعات العربية . فى الوقت الحاضر وتوجيهها الى الهدف المرجو ، اقصد هدف « الوحدة العربية » والملاحظ ان وجود الازدواجية فى التراث الثقافى المصرى يرجع الى عوامل يمكن فى ضوء المنهج العلمى التعرف عليها . وقد ترجع هذه العوامل الى اثار التغير الثقافى الاجتماعي السريع الذى يواجهه مجتمعنا المصرى المعاصر وعدم مواجهة هذه الاثار مواجهة جذرية شاملة ، او قد يرجع ذلك الى عدم وضوح الرؤية فى بعض الامور مثل الاتفاق على سمات المواطن المصرى سواء كان صالحا او طالحا . واختلاف الراى على هذه السمات اختلافا جذريا فى بعض الاحيان . او قد ترجع هذه العوامل الى ان النظام التعليمى التربوى فى محيط اجهزة التنشئة الاجتماعية فى واد والايديولوجية ( اى القيم الثقافية العامة ) التى تهتدى او يجب ان تهتدى

بها هذه الاجهزة فى واد اخر . اننى لا انفيها ولكنى ارغب فى تاكيدها او تاكيد بعضها على هدى البحوث الثقافية الاجتماعية التى انادى مخلصا باجرائها حتى يعمل المسئولون فى ضوء ماتسفر عنه نتائج هذه البحوث من اجل التغيير الى الافضل .

ولعل القارىء قد لاحظ ان دعوتى الى اجراء بحوث ودراسات واقعية فى كل مجتمع عربى على حدة التى دعوت اليها فى هذه الدراسة ، ليست هى البحوث والدراسات المتعلقة بموضوع « استطلاع الرأى » . وذلك لان موضوع « الوحدة العربية » لايحتاج الى استطلاع « الرأى العام العربى » بل يحتاج الى « الاتجاه العام العربى »

والرأى هنا غير الاتجاه ( الاتجاه مفهوم نفسى اجتماعى ، وهو تكوين افتراضى ، او متغير وسيط تعبر عنه مجموعة من الاستجابات المتسقة فيما بينها ، سواء فى اتجاه القبول او فى اتجاه الرفض وذلك ازاء موضوع نفسى اجتماعى جدلى معين ، وعلى ذلك يظهر اثر هذا الاتجاه فى المواقف التى تتطلب من الفرد تحديد اختياراته الشخصية او الاجتماعية او الثقافية معبرا بذلك عن جماع خبرته الوجدانية والمعرفية والنزوعية ) .

ولنا فى دروس الماضى القريب عبرة عندما صاح « القوتلى » رئيس سوريا فى خطاب القاه من شرفة رئاسة الوزارة بالقاهرة قائلا ، انه يتمنى لرئيس جمهورية مصر ان يكون « صلاح الدين العصر » فى تحقيق الوحدة بين سوريا ومصر » كان ذلك فى عام ١٩٥٨ وقد اثبتت الايام ان ماقيل فى هذا الصدد كان ملقا زائفا بجانب حقائق التاريخ .

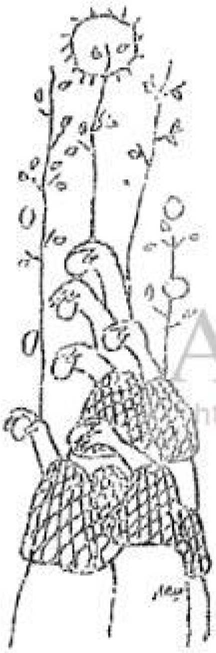
□ الدعوة إلى الوحدة العربية يجب أن تسير إلى مداها

ومهما يكن من الامر فاننى ارجو ان يتاكد القارىء الكريم ، على الرغم من العقبات والنكسات التى حدثت فى الماضى ، ان الدعوة الى « الوحدة العربية » يجب ان تسير الى مداها ، اى اننى لا ادعو ، ولايمكن ان ادعو ، لكى تحقق ان ننتظر نتائج البحوث والدراسات المقترحة . فالملاحظ انه اذا كانت القوميات الكبرى او الامبراطوريات قد قامت فى الماضى على يد حاكم قوى وجيش قوى وعقيدة راسخة فان الظروف فى الوقت الراهن غير الظروف وحقائق التاريخ شاهدة على ماقول .

واذا كنت قد ضربت المثل بالمجتمع المصرى ، واطنبت فى ذلك فليس كل ذلك دليلا على المغالاة فى الوطنية ، بل لاننى احاول قراءة بعض سطور الموسوعة الحية لهذا المجتمع العتيد مستخدما كل ما املك من قدرات لاتعرف على بعض سمات هذا المعمل الثقافى الاجتماعى منذ فترة لاتقل عن خمسين عاما .

# أنت.. و الهلال

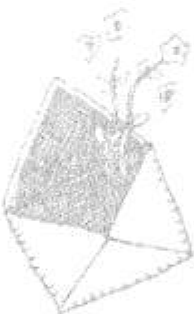
## ● ضيوف فلسطينية



مر بى طيفكم فى سماء البسالة
مر بى واللظى مزق القلب شطرين ..
شطرا اليكم .. وشطرا بعرض السماء
وكانت دموعى تحاور عينى ،
فأسند رأسى على الصمت ،
لتمسح جرح الأسى من جبين الطفولة ،
تجمع أحجار « غزة »
فيطلقها الطفل من فوهات العزيمة والانتفاضة ..
مر بى فى سماء التمزق يا أيها الشيخ ..
حين ولدت على عش قنبلة ،
وجعلت به موطنا لا مقام لغيرك فيه ،
وهانتذا تمزج الرمل والعشب ، والغصن
والدمع والحجر المتلظى ،
وتحضنها ثم تشعلها غضبا
ثم تقذفها جمرا فى صدور الغزاة
تباركها النسوة العائدات على وجههن عصارات ثار
ونزف .. وثوب تمرغ فى الحزن ،
يلفظن كل رجولاتنا المدعاة ،
مر بى طيفكم فى المساء / الشتاء
مر بى طيفكم فى الخيام / العراء
مر بى طيفكم فى العويل / البكاء ، مر بى فى الدماء .
وأنتم هنالك طير يشقشق
غصنا من التين يستر عرى الفضاء
فأسندت رأسى على الصمت
بالصمت أصرخ :
لا هدأت أعين الجبناء ! ..

محمد فؤاد محمد
مطاى ـ المنيا

## ● فراق ولقاء



ولى فلذ تناءت عن ديارى
وطارت حيث عقد قد اتاها

تمر بنا الشهور بلا لقـاء
وتومى ليس يخلو من رؤاها

وشهر بعد شهر اثر شهر
وقلبى ليس يغفل عن نداها

تبادلنى الرسائل كل حين
تزودنى بما خطت يداهـا

وتكتبلى كلاما مستفيضا
عسى أن اطمئن على هناها

ولكن كيف يغنينى خطاب
صموت عن خطاب من شفاها

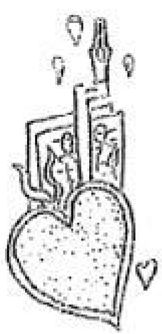
اتانى منذ أيــام بشير
يقول : أعدنفسك كى تراها

ركبت الى المطار جناح شوق
يرفرف بالحنين الى لقاها

محمد صلاح الدين هلال
ناظر ثانوى



## ● الشهيد ناجى العلى



واذكر نـاجى حين ألــح حنظلـه
أود لو أن القلب قد هب يسـاله

ايسحق نبت الزهر فى طين ارضنـا
وتمتد أيدى الغاشـــمين لتقتله

ويخنق نور البـــدر فى عليائـــه
وتخبط فى أعتى الظـــلام واثقله

ويقصف سن الريش .. يجف مداده
ويقتل ناجى .. هل تحـل المشكلة

فيرفض حنـــظلة الجـــواب ويختبى
ويصفق أبواب الســؤال ويقفـله

واسمع همس الشــــاردين وراءه
برغم طيوف الحـزن بالبعد مقبله

لو كنت استطيع الوصـــــول لأرضه
وددت رفيق الدرب بالقلب أحمله

عبد الرحمن عبد المحسن البطة
كلية الحقوق ـ المنصورة

● **تعليق**

ـ لماذا لم تجعل اللام في آخر كل كلمة من كل بيت مفتوحة كلها او مكسورة كلها او مضمومة كلها ؟!٠٠ ان « حنظلة » في آخر الشطر الاول من البيت الاول جعلتني اتصور انك ستفتح جميع اللامات في قافيتك ولكن كلمة « يساله » في البيت الاول مضمومة ، وكلمة « تقتله » مفتوحة اللام، وكلمة « أثقله » في البيت الاول مكسورة اللام ، وكلمة « المشكلة » في البيت الرابع مفتوحة اللام ٠٠ الخ ٠٠ فهل كنت تظن ان هذه الكلمات كلها في محل واحد من الاعراب ؟! ٠٠ ليس الامر كما تظن،ولا يجوز هذا «التنويع» النحوى ٠٠ ولا يصح أن تقول « علياته » في البيت الثالث لأنه مخالف لقواعد العروض ٠ أما البيت الرابع فانه مكسور ، ولماذا حذفت التاء من كلمة « استطيع » في الشطر الاول من البيت الاخير ؟! ٠٠ لعلك فعلت ذلك ليستقيم الوزن ، وقد استقام فعلا ولكن على وزن بحر « الكامل » ، بينما قصيدتك كلها من بحر « الطويل » ٠٠ فكيف يكون صدر البيت من«الكامل » وعجزه من « الطويل » ٠

● **القطة بوسى**

قد خبت ( بوسى ) ، وخاب ( بنوك )
فاستاسد ( الجرذان ) فى واديه
ما كنت٠٠قبل ٠٠ ضعيفة ، وحقيرة
ترضين بالاذلال ٠٠ اذ يأتيه
عودتنا ـ فيما مضى ـ ان ترفعى
سيف الفناء بابرع التكتيك
لم يبق ( صرصور ) يقول : انا هنا
او يبق ( فار ) ، او يدر بشكوك
وسعت دائرة الامان بحينا
فتوافد الجيران ، كى يطروك
واذا نزلت بهم رأيت وجوههم
بالبشر ناطقة ، وبالتبريك
ورأيتهم يتقدمون ٠٠ بمطعم
او مشرب ، ولضيفهم وصفوك
ماذا جرى ؟! هل كل ذلك يا ترى
قد كان وهما ٠٠مر٠٠ فى ماضيك؟!
او ان اهل الشر من حسادنا
لما رأوك عظيمة ٠٠ حسدوك ؟!



رمضان ابو غالية ـ وكيل قويسنا الثانوية للبنين

## ● شاعر اسلامي

● فقدت الامة الاسلامية شاعرا من شعرائها هو الاستاذ عباس الدين رحمه الله الذي كتب كثيرا من الدواوين الشعرية والبرامج الدينية الاذاعية .

ومن الدواوين الشعرية التي كتبها وصدرت : ـ الى الملأ الاعلى ـ نور الصباح ـ بين أمي والقرآن ـ وصية الى ولدي ـ معارج الارواح ما بين زمزم والصفا . وقدم قصيدة منذ أربعة عشر عاما هي عزاء يا بني عام ١٩٧٤ تحدث فيها الفقيد عن الموت كأنه ينعى نفسه . وفاضت روحه في منزله بمنيل الروضة في ١٧/١٢/١٩٨٧ وتوفي عن ٧٥ عاما .

رجب عبد الحكيم بيومي الخولي
كلية اللغة العربية ـ القاهرة

## ● حبنا



كنا نلعب او نركض أو نمرح ..
نقفز فوق اللامحسوس ..
كنا نحلم ملء العين ..
احلم الى الاوحد ..
والأقرب ..
لكنا .. والحلم برىء مثل الطفل ..
رأينا العصافير تسقط ! ..
بكينا معـا ..

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

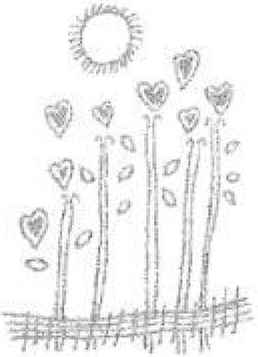


## ● وطني

● السلام عليكم وبعد ، ففي الحديث الشريف : «أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه» .

نتشرف بأن نكتب اليكم قصيدتنا الرائعة «وطني ..» .. نأمل التكرم بالنشر الجميل .. والاخراج الحسن .

وكم بطن قد انتفخت ..
فأين مدينتي انت ؟!
وكم بطن قد اشتركت
فكيف بها تجزأت ؟!



وابحث عنك بـــــا وطنى
تعبــده عين خــاطفتى

اذا ابتسمت .. ارى حــزنى
تهلل : تلك قاهـــــرتى

يصب النيـــل فى فرعين ..
تكــرت رسـوم خارطتى

يصب النيل فى الشــفتين ..
شـــفاهك رونا نبتى

عيـــون الحـــب نورتـــا
ظـــلام دروب ازمنتى

عيـــون الحـــب صورتا
عرفت ملامحى .. سمتى

الدكتور احمد عامر

● تعليق :

ـــ ها نحن هؤلاء قد نشرنا ما استطعنا نشره من قصيدتك التى تصفها بانها « رائعة » .. ونحن لا نناقشك فى روعتها ، ولم نتعمد الجـور فى حكمنا على شعرك ، ولن نكون ان شاء الله ممن يعذبهم الله يوم القيامة ، بل سيكون منهم كل من جهل قدر نفسه ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

بقى ان نبدى هذه الملاحظات :

١ ـ تقول : « وكم بطن قد انتفخت » .. « وكم بطن قد اشتركت » .. وهذا خطأ لغوى لان البطن مذكر ، فلزم ان تقول : انتفخ ، واشــترك ، وبالمناسبة فان « الكرش » مؤنث ! ..

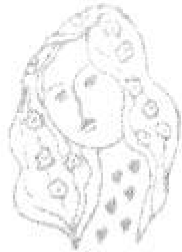
٢ ـ تقول : « اذا ابتسمت ارى حزنى » وتضع ضمة على الحــاء وهذا خطأ عروضى ، والصواب فتح الحاء وفتح الزاى ليستقيم الوزن على أصله العروضى الصحيح ..

٣ ـ تقول « شفاهك رونا نبتى » .. وشفاه جمع شفة ، فكيف يكون الفعل « رونا » مثنى ؟! .. كيف يجتمع الجمع والمثنى هنا ؟!

٤ ـ ومثل ذلك قولك : « عيون الحب نورتا .. وصورتا » ، فــاذا اردت العينين ـ اى المثنى ـ فلابد ان تجىء بالتثنية فى الفعل ، اما العيون ـ الجمع ـ فباى حق تجىء اليها بالتثنية فى الفعل ؟! .. الصحيح لغويا ان عيون الحب « نورت » .. وان العينين « نورتا » ..

٥ ـ لا نتحدث عن المعانى ولا عن غيرها ..

● وتبقين حواء



قالت على اى شيىء سوف تمدحنى
ولبس فى جمال كالـــذى تهـــوى
ارجوك دعنى ولا تبدأ مغــــازلتى
فما أنا مثل من ســـــميتها أروى
فـــلا تضع كلما فى غير موضـعه
فالشيىء حين يرى فى وضعه اقوى
اما ترى البدر يبدو فىالضحاشبحا
وفى الدجى نوره سيفا اذا اهــوى
فاعجبتنى بمـــا قالت فقــلت لهـــا
تبقين بالرغم ممــــــا قلته حـــوا
جهاد جميل محمد الجيوسى ـ عمـان

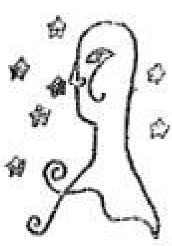
● الهجرة :

الهجـــرة رحلة هادينـــا
حمل الاسلام لنا دينـــا
فسلام الله على الهادى
والكون يردد آمينــــــا
رحل الصديق عن الدار
فى صحبة خير الابرار
صـــلوات الله تباركه
ملأ الدنيــــــا بالانوار
محمد عبد الفتاح اسماعيل
شارع الكريدلى بالجيزة



● الاخلاق

● تفضلتم بالرد على قصيدتين لى من قرابة الشهرين ، ولم يـــزد الرد على خمس كلمات هى : « قصائدكم ينقصها الوزن وصحة اللغة »·· فلم افهم المقصود ، فهل يجب على التوقف نهائيا عن الشعر ·· أرجو الثاء نظرة فاحصة على قصيدتى هذه ، وافادتى :



اذا الاخـــلاق جمعت فى رجل
هو فى الاعين النجم الشهب
تذوب الخصـــال فيه ســـمحة
وفى حضرته يخجـــل الادب
تهفو القـــلوب الى طلعتـــه
وجـــه باسم وعقــــــل أرب
وتتسامى الظلال فى ضـــوئه
وتحت اقدامه تركع الســـحب
سمير عبد الصبور

أنت.. و الهلال

● تعليق :

ـــ نشكرك على حسن الظن بنا ، وسعة صدركم فى تقبل ملاحظاتنا ، اما قولنا ان قصائدكم ينقصها الوزن ، فمعناه أنها لا تدخل فى نطاق بحر من بحور الشعر الستة عشر او مجزوءات هذه البحور او تفعيلاتها.. وأبياتك الاربعة هذه ـ مثلا ـ نثر بحت ، وان كانت مقسمة على هيئة مصراعين فى كل سطر .. ولكنى لا انصحك بالتوقف نهائيا عن محاولة نظم الشعر ، فلعلك بالمثابرة تستطيع أن تتعرف على الاوزان ، ونرحب برسائلك اللطيفة المهذبة ..

● ألا ... أنا

● كان النشر متاحا لى فى الكويت ، وأنا الآن فى بلدى مصرى وأراها مفتوحة للجميع ، للكتابة والنشر ، الا فردا واحدا هو أنا .. ليس الا .. فالجميع فى مصر يكتب وينشر ، والعرب ينشرون ويكتبون فى مصر ، والاجانب يكتبون وينشرون فى مصر ، ولا تقل كما يقول المغرضون اننى أتوهم أن الجميع يحاربنى ، فقد اكدت الايام صدق ذلك .. ولم تكن هذه القاطعة تعليمات عليا فاننى تقدمت للترشيح لانتخابات مجلس الشعب الاخيرة وخضتها حتى النهاية .. اذن لا تعليمات عليا .. فيكون التصور اذن انها من واقع المجال الادبى والصحفى .. ألست معى فى هذا التحليل؟! .. لقد أنهيت الجزء الثانى من روايتى « سبع الليالى » .. فهل أرسلها اليكم ؟! .. اذا وافقتم أرجو أن ترسلوا لى خطابا بهذا المعنى ، محددا فيه تاريخ النشر ، واذا لم توافقوا أرجو أن ترسلوا أيضا خطابا بما يفيد الاعتذار ..

ناجى عبد السلام السنباطى
محاسب قانونى ش.م : ٣٢٧٨
رئيس تحرير مجلة السرو

● تعليق :

ـــ لا تعليمات بشأنك عندنا ولا بشأن أى انسان ، وانت دخلت الانتخابات ولم تنجح فلم يضايقك عدم نجاحك ، فلماذا يضايقك دخولك عالم الصحافة او الادب وعدم نجاحك حتى الآن ؟! .. ان الامر لا يدعو الى اليأس فانت ما زلت شابا فى الاربعين كما تقول ، وقد يجىء اليك النجاح بعد سنوات ! .. اما روايتك .. فلماذا لا تطبعها فى نفس المطبعة التى تطبع

فيها مجلتك الخاصة ؟! ·· يؤسفنا أن نعتذر اليك فان لدينا رصيدا ضخما من الروايات التي تنتظر النشر ·· حاول أن تتصل بدار أخرى للنشر فان دور النشر في مصر والبلاد العربية كثيرة جدا ··

## ● مع أصدقائنا ●

● مختار يوسف عبد المعبود ـ كلية الآداب بقنا :

ـ قصتك « الملحقة » مجرد « ملاحظة » فالقصة فن آخر ·· وأنت تطلب منا « نقض » قصتك هذه اذا « لم تلقى » القبول ! ·· ولعلك تقصد أن تطلب منا « نقد » القصة لا نقضها ، أم أنت لا تعرف الفرق بين النقد والنقض؟!·· وهل تتلقى في كليتك محاضرات في « النقد » أم في « النقض » ؟! وقولك « لم تلقى » صوابه « لم تلق » ·· لان « لم » تجزم الفعل المضارع، أى تحذف الياء التي في آخره ! ·· حاول يا عزيزى أن تعرف هذه المسائل البسيطة التي نظن أن الكثيرين في « الاعدادى » يعرفونها ! ··

● عمرو محمد عبد الحميد ـ الاسماعيلية :

ـ قصتك التي عنوانها « من حكايا مدينة الخوف والانشاء » ·· هي مجرد خاطرة أو سانحة ·· وقولك « حكايا » خطأ ، لان جمع حكاية « حكايات » ·· أما « حكايا » فكلمة مغلوطة انتشرت في القصة الحديثة والشعر الحديث بسبب انتشار الجهل باللغة عند المتادبين الجدد ·

● أشرف دسوقي علي ـ الاسكندرية :

ـ قصيدة «بيجماليون» سائغة ، وأوزانها طيبة ، وان كانت فيها كلمات غير صحيحة كقولك : « كنتي » أى « كنت » ·· وقولك : « قتلتي» ·· أى « قتلت » ·· فهذه الياء في آخر الكلمة ليست لازمة عند التأنيث ·

● عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :

ـ شعركم متفاوت ، فأحيانا يكون طيبا ، وأحيانا يكون معقدا ويحتاج الى اعادة نظر ·· حاول صقل ما تنظمه والتأني فيه ، فهذا خير من كثرة النظم ··

● محمد أمين عيسوى ـ الاسماعيلية :

ـ نشكر لكم جهدكم في جمع الطرائف من الكتب والمجلات ،وسننشر منها ما نراه غير معروف للقراء ، اذ أن ما أرسلتموه ليس جديدا ولا بعيدا عن متناول القارىء العادى ··

● عبدالله سعيد بن سلمان ـ المكلا ـ جمهورية اليمن الديمقراطية :

ـ نشكركم على رسائلكم ، ونعتذر اليكم من عدم نشر مقالتكم عن مرض الايدز ، لأنها مجرد تجميع معلومات لم تعد مجهولة لقراء الصحف··

● السادة الفضلاء : رفعت محمد بروبى ·· خميس محمد حبية ·· جمال عطا أحمد ·· هشام محمد عبد الوهاب ·· حمدى ربيع ·· ايمان ابراهيم عبد المعطى ·· نشكركم حسن ظنكم ونرجو لكم حظا حسنا فيما ترجونه من مستقبل في الشعر ، ونعتذر اليكم ! ··

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

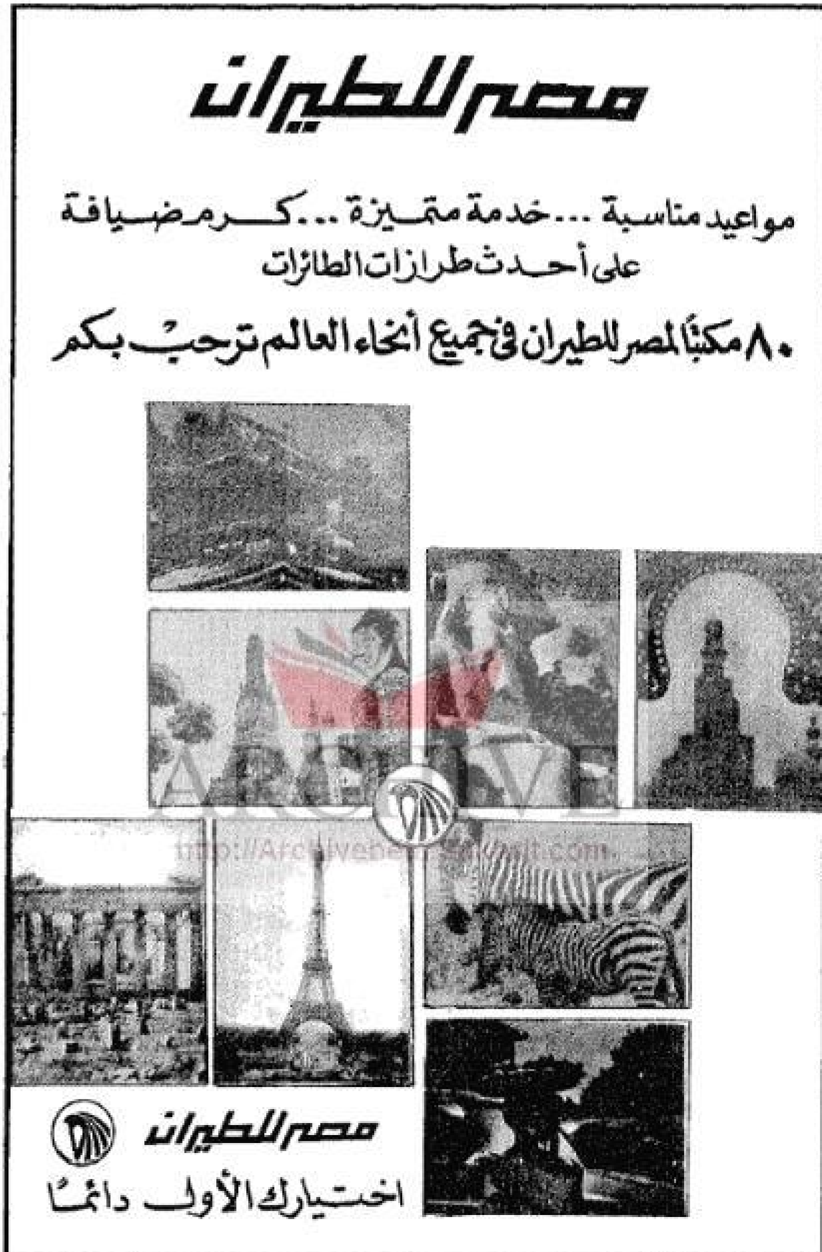
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤



أسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


مصر للطيران
مواعيد مناسبة ... خدمة متميزة ... كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات
٨٠ مكتباً لمصر للطيران فى جميع أنحاء العالم ترحب بكم
مصر للطيران
اختيارك الأول دائماً

# بنك الإسكندرية التجاري والبحري

# ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة

مراسلين في جميع أنحاء العالم

ACMB

شهادات الإدخار **الثلاثية**

شهادات الإدخار **الخمسية**

ذات الدخل الربع سنوى

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- حسابات توفير وودائع بالعملات المصرية والأجنبية.
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار.
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان.
- شهادات إدخار بفائدة مجزية.

★ ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك وفروعه

الإسكندرية : المركز الرئيسى : ٨٥ طريق الحرية ت : ٤٩٢١٥٥٦ / ٤٩٢٩٢٠٣ / ٤٩٢١٢٣٧ تلكس : ٥٤٥٥٣١ - العنوان البرقى : كومارت - ص.ب ٢٣٧٦

فروع جديدة :

القاهرة : ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة البرجوني ت ٧٧١٢٤٤ / ٧٦٧٢٣٣

الإسكندرية : ٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب ت ٨١٠٩٩٣ / ٨٠٢٩٦٤


الهلال
مصر تبحث عن صديق
هذا النهر المتدفق من السير الذاتية لماذا؟



# من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن التركى تصور الامير جم المعروف باسم جم سلطان وهو فى سنه الواحدة والعشرين . وهى لوحة تحمل توقيع الفنان بهزار لكنها ليست من رسوماته . ويقال إن الذى قام برسمها احد تلاميذ فنان آخر يدعى بلليني .

اللوحة من الورق المقوى ومحفوظة فى متحف فرير بواشنطن . وتصور السلطان فى حالة رسم ..


# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢ م . اول ابريل سنة ١٩٨٨ - ١٤ شعبان سنة ١٤٠٨ هـ




في هذا العدد

تصميم الغلاف :
الفنان محمد ابو طالب

● فكر وثقافة ●

● قضايا حيوية ●



● ندوة الهلال الشعرية ●



● دراسة الهلال ●





● قصة ●



● الأبواب الثابتة ●

## عزيزى القارىء

# مصر تبحث عن الطريق

تطالع ـ عزيزى القارىء ـ فى هذا العدد من « الهلال » مقالات متنوعة ، تستحق كلها أن ننوه بها ونذكرها ، ونحمد الجهد الذى بذله فيها كاتبوها الكرام ، ولكنا نخص بالذكر هنا ثلاث مقالات عن ثلاث شخصيات مختلفة المنازع والأفكار والعقائد الدينية والاتجاهات السياسية والقومية ..

ذلك ان هذه الشخصيات التى ظهرت جميعها فى مصر ، كان لها اثر متميز فى جيلها وفى الأجيال التى اعقبته .

واولها الدكتور عبد الرازق السنهورى فقيه القانون الأشهر ، وفقيده الذى عادت ذكراه حية الى الأذهان لمناسبة مانشر اخيرا من مذكراته او ذكرياته او آرائه وخواطره وخلجاته وقراءاته ..

والشخصية الثانية هنرى كورييل ، اليهودى المصرى الجنسية الذى لعب فى الأربعينيات دورا بارزا فى تاليف تنظيمات ماركسية سرية فى مصر بعد ان عصفت السلطة فى اوائل العشرينيات ـ بعد ثورة ١٩١٩ مباشرة ـ باول تنظيم ماركسى علنى قام فى مصر . وقد ترك هنرى كورييل وراءه ذكرياته ومذكرات ذات دلالة واضحة .

والشخصية الثالثة : الدكتور ثروت عكاشة ، من الضباط الأحرار الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو مع جمال عبد الناصر وتولى الوزارة فى عهده .. وقد نشر اخيرا مذكرات ضخمة تتعلق بالسياسة والثقافة وتؤرخ للثلاثين عاما الماضية من وجوه كثيرة ..

ولاشك ان الاساتذة الافاضل الذين كتبوا لنا عن هذه الشخصيات والمذكرات قد نجحوا فى تقديم تحليل وتصوير واضحين للموضوع الذى اضطلعت به اقلامهم البليغة ..

ولكن ثمة هذا السؤال :

ـ لماذا هذا الفيض او الفيضان من المذكرات فى السنوات الاخيرة ؟!

لقد تكاثرت المذكرات والذكريات حتى خيل الى القارىء ان جميع حملة الاقلام المحترفين والهواة قد كتبوا مذكراتهم ..

مئات ممن شغلوا مناصب سياسية او غير سياسية ، كبيرة او صغيرة ، وممن لم يشغلوا مناصب ولااقتربوا من دست السلطة .. غمسوا اقلامهم فى

المداد وكتبوا مذكراتهم فى الصحف المصرية وصحف البلاد العربية ، ثم حولوا هذا الذى كتبوه الى كتب ضخمة كثيرة لايحصيها الا الله تتحدث عن الماضى والحاضر وتذكر لمحات من سيرتهم الذاتية .

وهذه الكتب على كثرتها الكاثرة وجدت دائما من يدفع فيها الثمن المرتفع لكي يقراها . حتى ان الرئيس السابق السادات كتب سيرته وطرحها فى الأسواق ..

فما الذى يجمع بين كاتبى المذكرات الكثيرين ، وقارئيها الاكثرين ؟! ..
ان هناك ـ دون ريب ـ شيئا هاما يجمع بينهم ، لولاه لما كتب اولئك ، ولا قرأ هؤلاء ! ..

إن الضالة المنشودة التى يبحثون عنها جميعا هى الطريق الى المستقبل .. طريق مصر وطريق الامة العربية ومايشتبك بهما من طرقات الاصدقاء والأعداء ..

فى منتصف الاربعينيات ـ عقب الحرب العالمية الثانية ـ كانت مصر تبحث عن الطريق بعد ان تمخضت الحرب عن انهيار النظام الاستعمارى القديم ، وقيام النظام الاستعمارى الجديد ، وظهور مجموعة الدول الاشتراكية ..

وفى هذا المناخ اخذت مجموعات من الشباب والشابات تبحث عن طريق مصر هنا وهناك .. وفى غمرة هذا البحث ادلى هنرى كورييل بدلوه ، وشارك بدأب شديد فى تنظيم جانب من الحركة الماركسية فى مصر ، بحثا عن طريق جديد .

ولكن هنرى كورييل والجماعات الماركسية تخلفت وسارع الى اقتحام الطريق تنظيم الضباط الأحرار السرى ، وبدأت مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تسلك طريق الانتصارات والاخفاقات ، والايجابيات والسلبيات .. وفى هذا الطريق سار ثروت عكاشة ، وعن هذا الطريق كتب مذكراته .

وكان السنهورى احد باشوات ما قبل الضباط الاحرار وثورتهم ، ولكنه عاونهم بعلمه القانونى فى بداية الأمر ، ثم افترقت به عنهم السبل ، وعاش بقية حياته يبحث عن طريق ..

هكذا اذن .. ليس هذا الفيض المنهمر من مذكرات اليمين واليسار والوسط وكل الاتجاهات ، مجرد قصص من الماضى القريب ، ولكن هذا الفيض المنهمر اشبه بماء نهر جديد يبحث عن مجرى .. عن طريق يسلكه من منبعه الى مصبه ! ..

ولقد شارك الكتاب والقراء فى البحث عن هذا الطريق ، ومعنى ذلك ان الملايين شاركوا ـ ومازالوا يشاركون ـ فى البحث عن الطريق ! ..

وسيبقى البحث جاريا ـ كما يقال ـ ولن تغلق ملفاته ، مادامت الطريق المرجوة لمصر فى حاجة الى تحديد ملامحها ، وبيان هويتها ، وتجديد عزيمتها ، ومعرفة اتجاهها ! ..

# عبد الرزاق السنهوري

# شيخ القانونيين العرب

بقلم : د. أحمد كمال ابو المجد

ليس فى العالم العربى على امتداده واختلاف منابعه الثقافية مشتغل بالقانون .. ممارسة أو تعليما أو تنفيذا .. الا وهو يدين بفضل كبير لعملاق القانون الفذ عبد الرزاق احمد السنهورى .. وكما تتردد على ألسنة طلاب القانون والمشتغلين به فى فرنسا اسماء بلانيول ، وريبير ، ودوجى ، وجينى ، وجارسون ، وجرانمولان .. وكما يذكر المشتغلون بالقانون فى الولايات المتحدة الأمريكية اسماء روسكو باوند ، واوليفر وندل هولمز .. فإن رجال القانون العرب يتوجون اسانيد بحوثهم الفقهية وأحكامهم القضائية بالاشارة الى عبارة وردت هنا أو هناك فى كتابات العلامة السنهورى .. فيكون فيها القول الفصل ، والرأى المعتمد الذى يتلقاه الخصوم جميعا بالقبول .

وإلى عهد قريب كانت المعرفة بالسنهورى تعتمد على ثلاثة مصادر رئيسية .. أولها .. جهوده وأبحاثه التى أثمرت ثمرتها الكبرى فى صورة "مدونات" أو مجموعات القانون المدنى فى العديد من الدول العربية وعلى رأسها مصر التى






انجبته ، والعراق التى اسهم الاسهام الاكبر فى وضع قانونها المدنى مقتربا به خطوة جديدة نحو الشريعة الاسلامية .

والمصدر الثاني : كتاباته الفقهية التى تفرد بها .. والتى تشبه البحر المحيط فى اتساعها وعمقها واحاطتها .. والتى تتميز مع ذلك بوضوح مابعده وضوح ، وجزالة فى اللفظ والتعبير توشك ان تكون معها مزيجا من الادب والقانون .. ويستطيع ان ينهل منها ـ بغير عناء ـ المبتدون وخاصة المتخصصين على السواء .. وعلى راس هذه المصادر « الوسيط » فى شرح القانون المدنى المصــرى الذى أخرجه ـ رحمه الله ـ فى عشرة أجزاء مطولة .. عامرة بالمراجع العربية والأجنبية والآلاف من أحكام القضاء فى مصــر وفرنسا وبلجيكا وغيرها .. والى جانب الوسيط قدم العلامة السنهورى للعالمين العربى والاسلامى رائعته الثانية : مصادر الحق فى الفقه الإسلامى .. وهو زاد رفيع المستوى ، دقيق المنهج ، لايقدر على مثله الا من كان راسخ القدم فى فهم مقاصد الشرائع والمصالح التى تدور احكامها حول رعايتها .. كما أنه يرسى منهجا علميا رصينافى تناول قضايا الاصلاح التشريعى وبعث النظام القانونى الأصيل للأمة ، وهو النظام المستمد من تاريخها والمتمثل فى حضارتها .

أما المصدر الثالث : فهو روايات الجيل الذى عاصر السنهورى وعمل معه أو تتلمذ عليه .. فهؤلاء يعرفون الكثير عن الرجل وخلقه ، وانقطاعه المطلق للبحث والتحقيق ، وجلده على مشقة ذلك كله ، كما يعرفون فضله فى علاقاته بالناس ، وترفعه على

الصغائر .. ويعرفون ـ بعد ذلك ـ أطرافاً عديدة من مواقفه الوطنية والسياسية ..

## ● مذكرات متفرقة

ومنذ شهور قليلة أضيف الى هذه المصادر الثلاثة مصدر جديد هو مجموعة من « أوراقه الشخصية » التى كتبها ـ رحمه الله ـ بخط يده وقامت باعدادها للنشر ابنته الوحيدة الدكتورة نادية السنهورى ، والدكتور توفيق الشاوى الاستاذ السابق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وأحد تلاميذه والمعجبين بعلمه الواسع ، والحريصين على ابراز توجهاته نحو تطبيق الشريعة الاسلامية واجتهاداته فى ميدان نظام الحكم كما بدت من رسالته التى كتبها عام ١٩٢٨ .. باللغة الفرنسية فى موضوع « الخلافة » .

والأوراق الشخصية التى نشرت هى مجموعة مذكرات متفرقة .. قد كتبها السنهورى ـ رحمه الله ـ لتكون نوعا من « مناجاة النفس » أو « اليوميات » الخاصة .. ولم يفكر أبدا فى نشرها .. آية ذلك أنها كثيرا ماتكون تعبيرا عن فكرة غامضة أو خاطرة تسجل عاطفة خاصة تجاه موقف عابر أو حدث عام أو خاص دون أن تبسط القول بالرأى الواضح المفصل .. كما أن السنهورى ـ رحمه الله ـ لم يعن قط بتحقيق الكثير مما اشار اليه ، من أقوال الآخرين .. بل ومن الأحاديث النبوية والأحكام الشرعية .. على غير عادته المستقرة فى كل كتاباته التى نشرها على الناس لهذا فإن وضع تلك الأوراق الشخصية فى اطارها الصحيح يبدو أمرا ضروريا حتى لايتعلق أحد بعبارة وردت فى سياق معين فيحولها الى « رأى للسنهورى » أو موقف محدد له من احدى القضايا .. كذلك لايخفى أن تلك الأوراق الشخصية قد كتبت على امتداد سنوات طوال .. فقد كتب المذكرة الأولى يوم ١٤ أغسطس ١٩١٦ .. قبل سفره الى فرنسا .. ولم يكن عمره يجاوز الثانية والعشرين عاما . وكتب المذكرة الاخيرة يوم ١١ اغسطس ١٩٦٩ ، أى أن بينهما أكثر من نصف قرن من الزمان المحمل بالتجارب والخبرات والنضج العقلى والعاطفى ، وانما تظهر القيمة الحقيقية لهذه المذكرات ـ فيما نرى ـ فى كشفها عن جوانب متعددة من شخصية السنهورى وشواغله الذاتية ، واستجاباته الذهنية والعاطفية .. وعن القضايا التى احتلت اهتمامه وهو يتدرج نموا ونضجا من مرحلة طلب العلم والرحلة المبكرة الى فرنسا .. الى ان تولى القضاء والوزارة والتدريس ومارس السياسة وخاض العديد من التجارب والمواقف الوطنية .

وليس من اهداف هذه السطور أن تقدم السنهورى الفقيه القانونى لقراء العربية .. وان كان الجيل الجديد من ناشئينا ، وخصوصا اولئك الذين يشتغلون بالقانون يحتاجون الى تمثل « القمة » الرفيعة التى تجلت فى السنهورى ، عالما محققا أمينا ، وباحثا مدققا لا يكل من طول المعاناة فى البحث .. وفقيها موصول العقل والقلب بثقافة أمته وحضارتها وشريعتها .. لم يصرفه عن ذلك ماحصله من علم بحضارة الآخرين ومن نشأة فى ظلال قيم تلك الحضارة ومعاييرها . إنما الهدف من هذه السطور امران .

الاول : الوقوف على بعض المعالم « غير المذكورة » في شخصية العلامة السنهوري .. كما كشفت عنها « اوراقه الشخصية » التي نشرت اخيرا ..

الثاني : الوقوف عند بعض خصائص منهجه البحثي والفقهي في القانون الوضعي والشريعة الاسلامية على السواء ، كما وصفه هو في بعض تلك « المذكرات » .

ونختار هنا من جوانب شخصية السنهوري جوانب ثلاثة كشفت عنها اوراقه الشخصية .

اولها : موقفه الاجتماعي ، وعنايته الخاصة بحقوق العمال والفلاحين فهو يعبر في بعض كتاباته الشخصية المبكرة عن تعاطفه القوى مع الفقراء والمحرومين ، ثم يصل من ذلك الى التفكير في انشاء حزب للعمال والفلاحين .. فيكتب ـ وهو بعد في فرنسا يطلب العلم ـ في ٨ سبتمبر ١٩٢٣ انه « اذا استقرت الحياة البرلمانية في مصر توجد حاجة لانشاء حزب للفلاحين والعمال يكون غرضه اشراك الفلاحين بقدر مايمكن في حكم انفسهم بعد نشر التعليم فيهم واصلاح حالتهم المادية من جميع الوجوه ، ويأخذ هذا الحزب من مبادىء الاشتراكية الجزء العملي منها غير المتطرف » . ويعود السنهوري مرة اخرى يوم ٩ اكتوبر ١٩٢٣ فيتحدث عن هذا الحزب فيقول : حزب الفلاحين والعمال حزب يستمد مبادءه من تجارب الامم الغربية ومن التعاليم الفقهية الصحيحة التي أتى بها الاسلام والمسيحية ، وهو الحزب الذي ارى مصر في حاجة اليه بعد ان تظفر بنصيبها من الاستقلال التام وبعد ان تستقر الحياة البرلمانية فيها ، واهم اغراض هذا الحزب على ما أرى .

١ ـ تعليم الفلاحين والعمال ( تعليما اجباريا مجانيا )

٢ ـ تأليف النقابات الزراعية ونقابات العمال

٣ ـ تحسين الحالة الصحية في مساكن الفلاحين والعمال .

٤ ـ اشتراك الفلاحين والعمال اشتراكا فعليا ـ بعد ان يتم تعليمهم ـ في ادارة حكومتهم وفي ادارة الحياة الاقتصادية للبلاد على مبادىء بعيدة عن التطرف الاشتراكي .

٥ ـ مقاومة الاستعمار الاوربي السياسي والاقتصادي في جميع الدول الشرقية والتفاهم في ذلك مع عمال وفلاحي الامم الغربية ومطالبتهم بالقيام بعمل جدي في سبيل تحقيق هذا المبدأ المشترك بين الجميع . وينتبه السنهوري رحمة الله عليه الى مخاطر تسلل الوصوليين والدخلاء الى مثل هذا الحزب . فيقول « ويجب العمل على ابعاد الوصوليين عن هذه الحركة وجعلها حركة صادقة مخلصة للعمال والفلاحين .. ويختم كلامه بقوله « واقصد بالفلاحين هنا غير كبار المزارعين ، وهم عمال الزراعة وصغار الملاك من المزارعين » .

ومن المؤكد ان السنهوري قد تأثر في كتاباته هذه بالجو السياسي والاجتماعي الذي احاط به في فرنسا حيث كتبت هذه المذكرات التي تتحدث عن الاشتراكية وعن حزب العمال والفلاحين .. ومع ذلك فقد بدا في بعضها حرصه

على التوفيق بينها وبين اصول الحضارة العربية الاسلامية ، فهو يكتب من لاهاى فى ١٥ اغسطس ١٩٢٤ قائلا «لا ارى ان الروح الاشتراكية تتناقض مع الروح الشرقية ( الاسلامية ) ففى مصر مثلا يمكن القيام بالاصلاحات الداخلية اللازمة لتقوية الامة على اسس اسلامية تؤدى الى توزيع الثروة توزيعا اقرب الى العدل من التوزيع الحالى » على ان رؤية السنهورى للمشكلة الاجتماعية قد تطورت فيما يبدو من مجرد دعوة إلى انشاء حزب للعمال والفلاحين إلى توجه لتصنيع البلاد، حتى يرتفع مستوى معيشة الجميع .. فنراه يكتب من دمشق فى ١٣ يناير ١٩٤٤ اى بعد عشرين عاما من تفكيره فى انشاء حزب للعمال والفلاحين قائلا : والمسألة الاجتماعية فى مصر ليست فى الاخذ من الاغنياء لاعطاء الفقراء اكثر مما هى فى رفع مستوى المعيشة للجميع فان متوسط ايراد الفرد فى مصر منحط الى درجة لاتكاد تصدق ، فاذا وزعت الثروة الحاضرة على جميع المصريين بالسواء بقى متوسط الايراد منحطا كما هو ، لذلك فان علاج المسألة الاجتماعية فى مصر هو فى نشر الصناعة فيها والاخذ بيدها باكبر جهد مستطاع . ثم يلخص الامر كله بقوله « ومحاربة الفقر لاتكون الا برفع مستوى المعيشة ، ورفع مستوى المعيشة لا يكون الا بايجاد الصناعات الكبرى » على ان هذا التوجه الجديد لا يطفىء احساسه بفقر الفقراء والحاجة الى منح الناس جميعا فرصة متكافئة فى الحياة .. فهو يكتب فى ١٢ يناير ١٩٤٤ « ان الاسلام يرشد البشر حتى يتبينوا ان اعطاء الفقير ليس احسانا عليه تمليه الرحمة بل هو حق له يفرضه القانون" ثم يعود فى ١١ اغسطس ١٩٥٧ وهو يستقبل عامه الثالث والستين فيكتب : لابذلن الجهد فى خدمة بلدى مسترشدا بمبادىء ثلاثة :

المبدأ الاول يتصل بالحياة الاجتماعية وهو تكافؤ الفرص بين الناس من يوم ان يولدوا الى ان يتم اعدادهم لمعترك الحياة وتظل فكرة انشاء حزب للعمال والفلاحين قائمة وحية فى ذهنه فيقول : ولعل هذه المبادىء .. ترسم الخطوط الرئيسية لبرنامج داخلى لحزب اشتراكى ديمقراطى للعمال والفلاحين فى مصر . اسأل الله الكريم وانا فى مستهل هذا العام الجديد من حياتى - ان يجعل من حظى المساهمة فى انشاء هذا الحزب »

## ● ثانيا : اهتمامه باللغة العربية وقرضه للشعر :

تجاوزت عناية السنهورى رحمه الله باللغة العربية حدود الاهتمام الطبيعى الذى يوليه رجل القانون عادة للغة وصحة استخدامها .. فبالاضافة الى ماتميزت به تآليف العلامة السنهورى وكتاباته الفقهية من جزالة فى اللفظ ودقة فى التعبير ووضوح فى العرض .. فقد كانت له - كما تظهر من اوراقه الشخصية اهتمامات واسعة باللغة العربية بلغت حد التفكير فى تطوير طريقة كتابتها .. وقد انتبه - رحمه الله - الى تأثر اللغة بالميادين الجديدة التى تعبر عنها ، فى وقت مبكر جدا حيث كتب من لاهاى فى

اول سبتمبر ١٩٢٤ ملاحظا انه فى مطلع هذا القرن دخل فى اللغة العربية اسلوب اللغة العملية فى العلوم الاجتماعية المختلفة .. وانه يحسن أن يتقصى باحث هذه الاساليب المختلفة ويتتبع طريقة اصولها فى اللغة العربية ومايجب ان يصنع لترقيتها مع عدم الخروج عن روح اللغة العربية .

كذلك ينتبه السنهورى الى دور النهضة اللغوية فى تحقيق الوحدة العربية والاسلامية ولذلك يدعو فى ٥ سبتمبر ١٩٢٤ الى مؤتمر للغة العربية ينعقد فى القاهرة .. يصدر القرارات اللازمة لتحقيق هذه النهضة من بينها ـ فى رأيه ـ تأليف مجمع لغوى لوضع الالفاظ التى تنقص اللغة العربية فى العلوم المختلفة وتأليف مجمع ادبى لتشجيع الاداب العربية وتجديدها بحيث تتفق مع روح العصر الحاضر ويشير ـ بصفة خاصة ـ الى ان من المؤلفات التى تنقص اللغة العربية مؤلف فى الاستعمار من الوجهة التاريخية ووجهة نظر القانون الدولى .. ويكتب السنهورى من دمشق فى ١٦ مارس ١٩٤٤ محللا ترتيب الحروف الهجائية فى اللغة العربية ، ومقترحا وضع قواعد جديدة لتشكيل الحروف يكون من شأنها الاقلال منه بقدر الامكان . كما يكتب من دمشق كذلك فى ١٩ مارس ١٩٤٤ عن « الحروف القمرية والحروف الشمسية » ، كما يكتب عن مهمة المجامع اللغوية وقضية المصطلحات العلمية ، وفى تطوير اللغة قائلا فى جسارة وثقة ان « اللغة ليست كائنا حيا فحسب ، بل هى مجموعة من الكائنات الحية وهى الالفاظ ، ولما كان الحى يولد ويموت فان هذه السنة تجرى على الالفاظ فى اللغة ، فمنها مايموت اذا بطل استعماله ، ومنها مايولد اذا استحدثه اهل هذه اللغة ، فموت اللفظ وميلاده امران موكولان الى الاجيال المتعاقبة ممثلين فى كتابهم وادبائهم وعلمائهم .. ويصاحب هذا الاهتمام المقترن بالموقف النقدى حتى يكتب فى ١٧ ابريل ١٩٥٣ ان اللغة العربية لغة الكتابة فيها بعيدة عن لغة الكلام ، ولغة الحاضر قريبة من لغة الماضى ، وهذا انما يدل على قليل من التطور .. ويدلل على ذلك بقوله : أليست الشقة مابين اللغة العربية الفصحى فى عهدنا الحاضر ولغة العباسيين اقرب من الشقة مابين لغة العباسيين ولغة الجاهلية أليس هذا دليلا على ان اللغة العربية تطورت مابين عهد الجاهلية والعصر العباسى اكثر مما تطورت مابين العصر العباسى وعصرنا الحاضر ؟؟

واغرب من كل ماتقدم وابعده عن ظن كثير من العارفين بالعلامة السنهورى انه ـ رحمه الله ـ كان كثير الاستشهاد بالشعر ، وكان ينشىء منه ابياتا قليلة يحملها كثيرا من افكاره وبعضا من عواطفه واوراقه الشخصية عامرة بهذا الاستشهاد وذلك الانشاء .. ففى سنة ١٩١٦ ، وهو لا يزال بعد طالب فى كلية الحقوق ، يكتب فى اول ذكرياته ثلاثة ابيات يحملها همومه وهموم امته وهموم الحركة الوطنية فى مصر والعالمين العربى والاسلامى فيقول :

أأرضى ان انام على فراشى
وقومى المسلمين على القتاد
واهنأ فى النعيم برغد عيش
وقومى شتتوا فى كل واد

فلا نعمت نفوس فى صفاء

اذا نسيت نفوسا فى الصفاء

ولا يفلح علم القانون ، بانضباطه ومنطقه المحكم وقوالبه الصارمة فى ان يطفىء جذوة المشاعر الحية في نفس السنهوري الشاب فاذا به في ١٦ اكتوبر ١٩١٨ يعبر عن عشق عذرى يتأجج فى النفس الشابة الطاهرة فيقول من ابيات له :

واذكره فى خلوتى ومدامعى

تسيل وانفاسى جوى تصعد

اكاد اذا ماجئته ان ابثه

حديثى لولا اننى اتجلد

ومابى منه غير حب مطهر

عن الرجس والادناس والله يشهد

ويواتيه هاتف الشعر فى غير امور العشق والغزل ، فتقرأ له فى ٢٢ يونيو ١٩٣١ يصف مجلس النواب فى اعقاب الانتخابات التى اجراها اسماعيل باشا صدقى قائلا :

نواب هذا الشعب صفوا جندهم

وتحصنوا بسيوفه وحرابه

ما بالهم متوجسين كأنهم

لايدخلون البيت من ابوابه

وتحصنوا بالجند حتى يأمنوا

من كيد شعب امعنوا فى حربه

والشعب ينكرهم فهل من منصف

يأتى ليحمى الشعب من نوابه

ويتابعه هذا الهاتف الشعرى حتى وهو يدرس القانون ويتعرف على كنوز الشريعة فيكتب من بغداد فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٢ مناجيا ابا حنيفة ، مادحا تجدد الفروع فى فقهه مع بقاء الاصول الثابتة فى منهجه فيقول :

ابا حنيفه هذا فقهكم بقيت

منه الاصول وقامت افرع جدد

ماذا على الدوحة الشماء ان ذهبت

منها الفروع وظل الجذع والوتد

وتستولى على شعره ـ فى كهولته وشيخوخته ـ نزعة تأمل فلسفى فنراه يكتب ـ فى القاهرة ـ فى ٧ اكتوبر ١٩٥٧ أبياتا عن القمر الصناعى يقول فيها :

اطلقوه كوكبا نحو الفضاء

فانظروا فى الجو هل راح وجاء

اترى جبار هذى الارض قد

صعر الخد لجبار السماء

ايهـا الانسـان لاتزه فمـا

انت فى الاصل سوى طين وماء

وتتسلل الى شعره سحابات هم دفين ، وعلامات ضيق لعلها صاحبت بداية اعتلال صحته ، فيكتب فى ٢٣ اكتوبر ٥٧ .

متى ينفد الصبر الطويل وتنقضى

ليال توالت كلها ظلمات

تعاليت هذا النور يعقب ظلمة

ويعقب مـوت المستكـن حياة

ولعل اخر ما انشأه من الشعر ، بيتان رددهما ، وهو يبدأ الحادية والسبعين من عمره :

**وصلت الى السبعين ثم تركتها**

**وهاانذا امشى لمرحلة اخرى**

**ومازلت اخطو خطوة بعد خطوة**

**وئيدا الى ان اخطو الخطوة الكبرى**

ترى هل كان تلامذه السنهورى وقراء فقهه الواسع يعرفون عنه هذه الشاعرية الخفية التى جادت بها قريحته الفذة والتى كشفت عنها اوراقه الشخصية التى احتفظ بها لنفسه طول حياته

### ثالثا : نظرته الى الفقه الاسلامى ، وخدمته للشريعة

كان السنهورى ـ رحمه الله ـ جادا فيما يقول ويكتب ، وكان محققا فى كل ما يبحث صبورا على مشاق البحث العلمى وما يقتضيه من غوص فى المصادر الاصيلة ، واستقصاء لتلك المصادر ، وحيازته لأدوات التفقه فى الشرائع المختلفة ، وهكذا كان اقترابه من الفقه الاسلامى منذ نشأته الاولى ، اقتراب الباحث عن الحقيقة المدقق فى مهمتها ، والامين ـ بعد ذلك فى عرضها .. ولم يكن اقترابه منها اقتراب المتعجل فى الاخذ او المتسرع فى العطاء او المؤثر للجهاد الاسهل على الجهاد العلمى الأفضل . وتكشف أوراقه الشخصية فى مرحلة شبابه وطلبه للعلم عن اهتمامه بقضية اساسية هى قضية « التوفيق » بين العقل والنقل .. وهو توفيق لم يجد فيه صعوبة ولا عسرا ، فقد اعتقد ـ منذ نشأته ـ ان للعقل مدخلا الى التشريع الاسلامى ، وان الشرع والعقل لا يتناقضان .

يكتب ـ رحمه الله ـ فى ١١ مارس ١٩٢٢ وهو لايزال طالبا فى ليون بفرنسا « ان النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يأت باحكام تتناقض مع العقل فى زمنه او توقع امكان تناقضها فى المستقبل بل انه نظر الى امكان تطور العقل فأوجد فى الاحكام التى أتى بها مرونة وجعلها صالحة لكل زمان تطبق فيه .. وبعد . فهل العقل البشرى استقر على حالة واحدة ؟

ثم يعود ـ فيكتب فى ٢ سبتمبر ١٩٢٤ ، داعيا الذين يجتهدون فى استنباط احكام الشريعة الاسلامية إلى ان يظلوا منتبهين إلى نسبية الاجتهاد ، وإلى ان الأحكام

التى يستنبطونها تظل - بدورها - قابلة للتطور .. فيقول : مهما كانت الحاجة الشديدة إلى النهوض بالشريعة الاسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر الحاضر فلا يغيب عمن يريد القيام باصلاح من هذا القبيل أن يترك للشريعة مرونتها ويكتفى باستنباط أحكام منها تتفق مع العصر الذى هو فيه دون أن يرتكب فيقول لصلاح هذه الأحكام المستنبطة صلاحية مطلقة ، فقد يجيء عصر آخر تتغير فيه المدنية والآراء السائدة فى الوقت الحاضر ، وقد يكون بعض الآراء فى فقه الشريعة لايصلح فى الوقت الذى نحن فيه ويجب تعديله فى نظر البعض ، ثم يأتى عصر آخر يكون فيه نفس الرأى صالحا »

ومن المؤكد أن فكرة « إحياء الفقه الاسلامى » كانت واحدة من الأفكار الأساسية التى ربط بها السنهورى حياته[1] وقد تجلت فى ميادين عديدة أولها حرصه على وصل « التقنيات العربية الحديثة » بالفقه الاسلامى ، وحرصه على تصحيح منهج « الاحياء » ذاته ثم حرصه على إنشاء المعاهد والمؤسسات التى تقوم على ذلك الاحياء .. كما تجلت - فى النهاية - فيما نذر له نفسه عن الكتابة الجادة فى أدق أمور الفقه الاسلامى .

ولعل مادفعه على بعث هذا الموقف الايجابى من قضية احياء الفقه الاسلامى مالاحظه مبكرا حيث كتب من باريس فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ قائلا : إن المسلمين استطاعوا ان يبنوا مدنية زاهرة مع محافظتهم على عقائد الاسلام اما المسيحيون فلم يستطيعوا ان يتمدنوا إلا عندما تركوا الدين المسيحى بالفعل ..

أما عن منهج احياء الفقه الاسلامى ، فقد حدده - بدوره فى مرحلة مبكرة من حياته العلمية ، حيث كتب - من باريس كذلك - فى ٢٤ فبراير ١٩٢٤ قائلا إن الاساس الذى يبنى على إحياء الشريعة الاسلامية يجب ان يكون كما يأتى :

١ - تمييز الاعتقاد الدينى المحض عن الشريعة باعتبارها قانونا لتنظيم علاقات البشر بعضها بالبعض ( الفقه أو علم الفروع ) .

٢ - فى نظام الفقه يؤخذ الجزء الخاص بالقانون ، ويستخرج منه القواعد العامة للشريعة الاسلامية ، وهى قواعد تصلح لعموميتها أن تطبق فى كل زمان ومكان ، وتعتبر هذه القواعد أصولا للشريعة الاسلامية .

٣ - هذه الأصول لاتتغير باعتبارها أصولا ، ولكن تطبيقاتها تختلف ( أولا ) باختلاف الدين ( ثانيا ) باختلاف الامم ثم يضيف .

« وأزيد هنا أنه فى احياء الشريعة الاسلامية لاينبغى الاقتصار على كونها شريعة صالحة لتطبيقها على المسلمين فى العصر الحاضر بل على غير المسلمين ايضا وليس معنى هذا إرغام غير المسلمين على اتباع قواعد لاتعتبرها معتقداتهم وأديانهم المختلفة التى يجب احترامها احتراما تاما ، وإن معناه أن تكون حركة إحياء الشريعة الاسلامية مبنية على اساس لايتناقض مع هذه المعتقدات ..

والواقع أن السنهورى ـ رحمه الله ـ كان متنبها منذ بداية تفكيره فى قضية إحياء الفقه وتجديد نهضة العالم الاسلامى إلى أن هذه الدعوة لايمكن ـ أبدا ـ أن تكون دعوة مفرقة بين المسلمين والمسيحيين فهو يكتب من ليون فى ١٨ اكتوبر ١٩٢٢ قائلا : « وأرى أن المدنية الاسلامية هى ميراث حلال للمسلمين والمسيحيين واليهود المقيمين فى الشرق فتاريخ الجميع مشترك والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية » .

على أن تناول السنهورى لقضية العلاقة بين الحضارة الاسلامية والحضارات الاخرى ظل محكوما ـ طوال الوقت ـ بمنهج العلم وموضوعيته لابملاءمات السياسة وتكونها .. فنجده يقول فى مقدمة كتابه الجليل عن مصادر الحق فى الفقه الاسلامى ، فى الدروس التى القاها عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ على طلبة قسم الدراسات القانونية بمعهد الدراسات العربية « أن همه فى البحث لن يكون إخفاء مابين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصنعة والاسلوب والتصوير بل على النقيض من ذلك سنعنى بابراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقريب مابين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على اسس موهومة أو خاطئه ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها .. وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقومات طابعه ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين ، فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى »

وهكذا التزم العلامة منهج الامانة والموضوعية وهو يمارس رسالته الجليلة فى احياء الفقه الاسلامى ... وليت منهجه هذا يكون أسوة حسنة لجيل معاصر من الشباب والـــــاء تؤرقه الرغبة فى إحياء الفقه الاسلامى ، ولكن كثيرين منهم يفتقدون المنهج العلمى الصحيح فى ممارسة هذه التبعة الكبيرة ، او تضيق صدورهم عن تحمل مشقات البحث الدءوب وتبعات الجهاد الافضل فى ميدان لايصلح له ولايغنى فيه الجهاد الاسهل .



**وبعد .. هذه إطلالات سريعة على حياة غنية بالعطاء متعددة الظلال والألوان .. عرف منها رجال القانون جانبا وغابت عنهم جوانب .. فاردنا بهذه الكلمات السريعة أن نعلن عن بعض تلك الجوانب فى شخصية عالم عاش متبتلا لعلمه منقطعا لرسالته ، عازفا عن كل صور الاعلان عن المهام الجليلة التى حملها بحقها وادى امانتها كاحسن مايكون الأداء .**

(١) كتب ـ رحمه الله ـ فى الاسكندرية فى ١٢ اغسطس ١٩٥١ يقول «وقد إزددت يقينا وانا اليوم استقبل السابعة والخمسين فى عمرى بان مشروع الفقه الاسلامى ومايتبغى لهذا الفقه المجيد من دراسة علمية فى ضوء القانون المقارن قد انغرس فى نفسى ، واصبح جزءا فى حياتى يكبر معها ولكنه لايشيب ولايهرم .

# قــراءة مصريــة فى :

# "أوراق هنرى كورييل"

بقلم : طارق البشـرى

**ظهر فى يناير كتاب بعنوان « أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية » تضمن سيرة ذاتية أعدها كورييل فى ١٩٧٧ وقدم فيها ذكرياته عن الحركة الشيوعية حتى سنة ١٩٤٨ ، وذلك بوصفه مؤسسا لواحد من أهم التنظيمات الشيوعية فى مصر . وتضمن الكتاب بعض تقارير كان كورييل كتبها ، ورسائل كان ارسلها فى الخمسينيات من الخارج الى بعض اخوانه فى مصر . وقدم لهذه الأوراق الاستاذ الدكتور رؤوف عباس رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة . وهى مقدمة طويلة وهامة تضمنت دراسة للأوراق المنشورة واستخلاصا للدلالات التاريخية منها .**

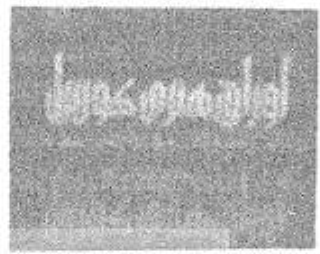
● وأهم مايلفت النظر هو دور اليهود الأجانب فى تأسيس الحركة الشيوعية فى مصر ، ومغزى نشاطهم طوال الأربعينيات ، وهو موضوع تناوله عدد من الكتاب فى السنوات الأخيرة . وكنت أنا قد واجهت هذا الموضوع عند إعدادي للفصل الخاص بالحركة الشيوعية فى كتاب لى نشر سنة ١٩٨١ بعنوان « المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية » . فتكشف لى دور اليهود الأجانب فى هذا الأمر ، وذلك من مطالعة مراجع الحركة الشيوعية التى أعدها شيوعيون ، واستندت فيما كتبت على تلك المراجع وعلى ما اثبته على السنة من شاركوا فى الحركة الشيوعية فى ذلك الوقت ، وذلك حتى لاتلتبس مصداقية الأحداث المروية ، ثم عرضت نقدا لأساليب تلك المراجع فى تجميع المادة والتطبيق عليها ، واعدت بناء الوقائع وفقا للسياق الذى بدا لى أكثر معقولية وواقعية .

وكانت النتائج العامة التى أسفر عنها البحث هى :

أولا : إن دور اليهود فى الحركة الشيوعية لم يقتصر على الأربعينيات ولا على مصر . فقد عرفهم الحزب الشيوعى الذى تأسس فى العشرينيات ، سواء مؤسسين "كروزنتال " أو مندوبين للدولة



هنري كورييل



الشيوعية ( الكومنترن ) مثل « فيجدور » كما عرفتهم الحلقات الماركسية القليلة التى ظهرت فى الثلاثينيات . وكذلك عرفتهم الأحزاب الشيوعية التى ظهرت منذ العشرينيات فى بلاد المشرق العربى بصفة خاصة ، إذ كان السكرتير العام للحزب الشيوعى اللبنانى هو "كالوب تبير" اليهودى الروسى الأصل ، وتزعم الحزب الفلسطيني ، يهودى يدعى "ابو زيام" وكذلك فى العراق .

ولا نجد تلك الظاهرة بهذا الوضوح فى الاحزاب الشيوعية فى المغرب العربى ، ولذا كان يجب تفسير ذلك بأن قوة الحزب الشيوعى الفرنسي مكنت من ان تصير أحزاب المغرب العربى شبه فروع للحزب الفرنسى ، فلم يظهر دور هام لليهود فيها ، فإن سوريا ولبنان كانا تحت السيطرة الفرنسية فى الوقت ذاته ولا يبقى الا سبب خاص يجذب اليهود للعمل السياسى فى احزاب المشرق العربى . كما أن موفدى الدولية الشيوعية وكبار المسئولين فيها عن الشرق الأوسط كانوا غالبا من اليهود . وقد أثبت بعض قدامى الشيوعيين المصريين ان هؤلاء المسئولين كانوا ينفذون اغراضا صهيونية .

ثانيا : بدا لى أن هذا الوجود اليهودى الأجنبى فى الحركة الشيوعية المصرية ، لم يكن بعيدا عن التحرك الصهيونى فى منطقة المشرق العربى المتاخمة لفلسطين ، وبخاصة فى الاربعينيات ، وهو التحرك الذى اسفر عن انشاء دولة اسرائيل فى ١٩٤٨ كما أن هذا الوجود كان يوجه نشاط الحركة الشيوعية فى مصر وجهة المجابهة ضد تيار الحركة السياسية الاسلامية وضد تيار الحركة السياسية القومية المتشددة وذلك بوصف أن هذين التيارين تياران نازيان أو فاشيان مما يعتبران اكثر خطرا على البلاد حتى من الحكومات المصرية الموالية للاحتلال البريطانى .

ثالثا : ان هذا التوجه اليهودى الأجنبى للحركة الشيوعية كانت له مناسبة اخرى من منتصف الثلاثينيات ، وهى الغاء الامتيازات الاجنبية واستعادة مصر سيادتها الكاملة على التشريع والقضاء . وهذا الامر جعل الأجانب المقيمين فى مصر يتوجسون خيفة من ضياع امتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، ويحذرون من الأنشطة السياسية المصرية التى من شأنها التأثير على القرارات السياسية للدولة مما يمس مراكز هؤلاء الأجانب . وبدأوا يسعون لأن يكون لهم دور ما فى الحركة السياسية المصرية ويشجعون عددا من أفراس الرهان منها

الحركة الشيوعية ، وحسبهم منها أن تكون ركيزة لمقاومة التيارين الاسلامى والقومى وهما تياران شعبيان ، وأن تكون بوتقة لتذويب الشعور المصرى بالتميز والاختلاف عن الأجنبى .

رابعا : بدا لى ان جزءا من الصراع السياسى داخل الحركة الشيوعية ، كان مصدره سعى الأجانب اليهود لاستبقاء هيمنتهم عليها ، وسعى بعض الشباب الوطنى لتوجيه الحركة وجهة بعيدة عن نفوذ الأجانب بها .

ومن جهة اخرى فقد اغرانى النظر فى تلك الوقائع بالتنقيب عن اساليب العمل السياسى والتنظيمى التى موزست وكيف امكن لقلة اجنبية يهودية فى ظروف صعبة للغاية ان تسيطر هكذا على حركة تضم مصريين على ارض مصر وتستبقى نفوذها حتى بعد تهجيرها من مصر . وهى قلة ليس لها نفوذ فى الحكم يمكنها من استخدام ادوات الحكومات فى السيطرة اننا هنا أمام تجربة يمكن أن نستخلص منها دروسا كثيرة فى فن السياسة .

وفى ١٩٨٤ صدر كتاب « مستقبل النظام الحزبى فى مصر » للأستاذ محمد سيد أحمد ، وجاء به ، « لابد أن تستوقفنا حقيقة أن ابرز الذين أعادوا تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية كانوا من اليهود بالذات ، ولا أشك فى إخلاص هؤلاء اليهود ، وكان العديد منهم أصدقاء شخصيين لى ، ولكنى اقول أن ثمة سؤالا لابد أن يطرح حول الدافع الى تحركهم فى ذلك الوقت تحديدا ، وتصعب نسبة هذا التحرك الى الصدفة فقط ، فهل كان الدافع هو انشاء حركة مستقلة للطبقة العاملة المصرية كما كانوا يدعون ، وهم بعيدون كل البعد عن بيئتها ؟ أم كان الدافع الدفين غير المعلن ، ربما حتى لأنفسهم ، هو اطلاق حركة لدى الرأى العام المصرى والمثقفين الوطنيين والشباب المتحمس ، كفيلة بحمايتهم كجالية فى وجه توجه العديد من هؤلاء الى النازية . والسؤال ذو أهمية ، ذلك أن هؤلاء اليهود كانوا لابد من أن يطبعوا التنظيمات الشيوعية وقت تأسيسهم لها بطابع خاص » ، ثم أشار الى حادثة أكدت لديه حرص العناصر اليهودية فى الاحتفاظ بمواقع القيادة وفرض الوصاية ، وأن هذا العنصر عاق الحركة الشيوعية وصار عنصرا مدمرا مع تأسيس دولة اسرائيل .

وفى ١٩٨٥ نشر سعد زهران كتابه « فى أصول السياسة المصرية » ، ذكر به « أن بريطانيا بعد ١٩٣٦ كانت شجعت أشكالا من النشاط الجماهيرى المعادى للفاشية بين الجاليات الأجنبية ، ونهض بهذه المهمة مجموعة من الأجانب والمتمصرين غالبيتهم من اليهود الماركسيين الذين اجتمع لديهم حافز الخوف من هتلر مع القدرة على استخدام الماركسية » . كما ذكر أن الحركة الشيوعية نشأت مقسمة متنافسة تنظيماتها ومتنابذة دون سبب واضح ، وأن غالبية القيادات والكوادر المسئولة كانت من الأجانب واليهود خاصة حتى رحل عدد كبير منهم فى سنة ١٩٤٨ وان بعضا ممن ترك مصر ظل يمارس نفوذا قويا على بعض القيادات المصرية . وذكر أن العناصر المصرية لم تكن فى مستوى فكرى يؤهلها من مساجلة القادة المحترفين من اليهود الأجانب « المدربين

على استخدام النظرية وتطويع نصوصها لخدمة توجهاتهم ويتوفرون على امكانيات هائلة ، ولو يترددون في استخدام الضغوط المادية والاغراءات الحياتية » ... » وفي أواخر ١٩٤٧ بعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والتأييد الفوري الذي حظى به القرار من جانب تلك القيادات الأجنبية التي يغلب عليها العنصر اليهودي ، بل وحماستها بالتمهيد للقرار ، والاندفاع في تزيين فكرة اقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين ، والاستعداد للاحتفال بمولد تلك الدولة ، كل ذلك عمق الهوة التي تفصل القيادات الاجنبية عن قواعدها المصرية » ، وذكر ان الحركة الصهيونية العالمية وفقا لتقاليد اللعب على اكثر من حصان والظهور اكثر من وجه ، وكانت تقف بقدم في المعسكر الامبريالي العالمي ، وبقدم اخرى في معسكر اليسار العالمي الاوربي ، ثم يشير في موضع آخر من الكتاب الى النفوذ القوى الذي تتمتع به اليهودية العالمية في اوساط اليسار الأوربي الاشتراكي والشيوعي على سواء ، وفي الاممتين الثانية والثالثة معا ، وان السوفييت كانوا يرون صالحا لهم طويل الأمد في اقامة دولة اسرائيل عسى ان تخلصهم من هذه الاقلية المكلفة التي تبلغ خمسة ملايين يهودي روسي .

وعندما يقال اليهود الأجانب في الحركة الشيوعية في مصر ، يقفز اسم كورييل كرمز وعلم وكأكبر شخصية في هذا المجال ، لذلك كان من الطبيعي ان يحتفل المهتمون بقراءة مانشر من « أوراق هنري كورييل » والسؤال هو ماذا نرى في هذه الأوراق مما يمس موضوعنا هذا ، الوجود اليهودي في الحركة الشيوعية في مصر ، ودوافعه وآثاره ، ومن هو كورييل كوعاء نفساني بشري للدور الذي قام به .

وأول مايراه القارىء في مذكراته اعتذار كورييل عما عسى ان يوجد من نقص لأن هذا هو كتابه الأول يكتبه وهو في الثالثة والستين ، وهو لايجد اصعب على نفسه من الافصاح عما يريد « لأن الأوضاع المركبة قد يساء فهمها حين يشرحها عجوز مقتلع من جذوره » .

١ ـ وهنري كورييل حسب ما كتب عن نفسه من اسرة يهودية نزعت الى مصر من اسبانيا حوالي ١٨٥٠ ، ولد بقصر بالزمالك سنة ١٩١٤ من اب صاحب بنك وام يهودية ولدت في استانبول وعمدت نصرانية ، وعمدت اولادها سرا ، وانتحلت الأسرة الجنسية الايطالية مدعية نسبها الى مدينة ليفورن التي كان احترق ارشيف المواليد والوفيات بها ، وسبب انتحال الأسرة للجنسية الايطالية ان تتمتع في مصر بالامتيازات الأجنبية ، فهي اسرة حديثة عهد بمصر اقتلعت من اسبانيا واختارت عيش الاجانب في مصر التي نزحت اليها قبل مولد هنري بستين سنة ، واصطنعت نسبا للايطالية تعيش به في مصر ، وكانت عادة الأسرة ان ترسل شبابها الى فرنسا يتعلمون هناك .

ولما أجل سفر هنري الى فرنسا في ١٩٣٠ بسبب الأزمة الاقتصادية ارتاع وقال في مذكراته « كان من الصعب على يهودي ايطالي تخرج في مدرسة فرنسية ان يجد نقطة ارتباط حقيقية في بلد مسلم ، كانت فرنسا هي الوطن الوحيد الذي شعرت بالارتباط به ، بعد أن فقدت ايماني مبكرا » . ولما قامت الحرب تطوع في الجيش الفرنسي سنة ١٩٤٠ ولكن لم ينفذ هذا التطوع ، وفي موضع آخر يقول انه فقد ايمانه في سن مبكر ، فقد كان

حسب قوله يهوديا فى مدرسة كلها مسيحيون فى بلد جلّه مسلمون ، فأدرك من هذا « نسبية العقائد » .

ونحن نلمح فى هذا التكوين انسانا مقتلع الجذور ، ذا تكوين وجدانى وتربوى خاص جدا ، لذلك يمكن أن نفهم جيدا قوله : « ان العديد من الغرائز ينقصه » . ويتساءل عما اذا كان يحتاج الى القول بأنه لم يشعر بنفور فى مواجهة عملاء المخابرات الانجليزية ، وان كان حسب الأمر بأنه لايستطيع اقامة علاقات بالتقدميين المصريين وهو متورط مع الانجليز ، فاموره تتشكل وفقا لحساباته دون دخل لأى عواطف ، أو « غرائز » مثل هذا التكوين الوجدانى يتلاءم بشدة مع انشطة الاستخبارات .

٢ ـ ننظر الى وجهة نظره فى الظرف السياسى الذى رآه فى مصر فى النصف الأخير من الثلاثينيات ، وهى ذاتها الرؤية التى حركت شباب الاجانب المتمصرين للعمل السياسى فى ذلك الوقت ، وكورييل واحد منهم ، يقول ان السياسة الانجليزية حتى ١٩٣٥ كانت تستند الى حماية مصالح الاقليات الاجنبية ، فلما بدأت تواجه الخطر الايطالى والالمانى فى سنة ١٩٣٥ اجرت تغييرا هو « التخلى الكامل أو شبه الكامل عن هذه الاقليات الأجنبية » ومحاولة التوصل الى تسوية مع الوفد ، وهذا مكن الوفد من أن يفرض على الأجانب اشراك مصريين معهم فى مشروعاتهم .

ومن ناحية اخرى صارت الحركة الوطنية فى مصر فى ذروة الاضطراب حسبما يذكر كورييل لأن هناك عناصر « ستتحالف معظمها مع النازيين والفاشيين » .

ثم يتعرض للأجانب فيقول ان اليونانيين فى مصر كانوا يناضلون داخل جالياتهم ، وهناك فرنسيون وانجليز كانوا يعملون فى احزاب بلادهم ، ولكن هناك الآخرين وهم اساسا يهود من جنسيات مختلفة « لم يتأثروا كثيرا بالمشكلات الوطنية الداخلية [ و ] كانوا بالطبع ينفرون من الفاشية التى فتنت الكثير من الوطنيين المصريين » .. ومثل هذه التغيرات كان يشار بها فى الأدب الماركسى وقتها لمصر الفتاة والاخوان المسلمين . ثم يقول كانت الشيوعية هى الجانب الوحيد الذى يعترف بهم اليهود كمصريين .

وكورييل لايرى غرابة فى وجود هؤلاء فى السياسة المصرية ، ولايرى غرابة فى دوافعهم ، بل يجد الغرابة فى العقد التى كانت لدى بعض الشيوعيين من وجود هذا القسم اليهودى من الأجانب فى العمل السياسى المصرى أما ان يقوم هؤلاء بوضعهم الاجنبى المتميز وبدوافع تبدأ بكونهم جاليات اجنبية ، على رأس تنظيمات سياسية مصرية تقاوم حركات شعبية اسلامية وعربية مصرية باسم انها حركات فاشية فهذا ليس غريبا لدى كورييل ، ونحن نلحظ هنا ان الأسباب التى ساقها كورييل واقعية وأن نظرته تنسجم مع وضعه هو وزملائه بوصفهم اناس مقتلعى الجذور ، ولكن الغريب ان يوجد من بيننا نحن من ينظر الى الأمور بنظرة هؤلاء .

ويتفق مع وجهة كورييل نوع نشاطه

السياسي في تلك الفترة وقد أورد ملاحظة على نوع نشاطه كانت تفوت على كثير من المهتمين بهذا الأمر ، انه يقول ان كانت المهمة الرئيسية للشيوعيين الأجانب والمصريين هي « الدعاية لأفكارهم ومضاعفة عدد الأشخاص الذين يعتنقون الشيوعية كمذهب مجرد لاتزال تطبيقاته العملية مبهمة على اقل تقدير » . فكان النشاط يتعلق اذاً بدعوة مذهبية اكثر مما يقوم كبرنامج سياسي ، يتعلق بترويج ايديولوجي في الأساس ، واولوية هذا الأمر هنا تتفق مع الوجهة الاجنبية اليهودية من السعي لتكوين منطقة ايديولوجية في السياسة المصرية وبين الشباب ، منطقة تصلح مكانا وموئلا للوجود الاجنبي في السياسات المصرية ، كما نلحظ الوجهة الاجنبية ايضا في ترتيب الاولويات بالنسبة للسياسة الدولية ، اذ تعلقت اهتمامات رئيسية ، ضد العدوان الايطالي على الحبشة ، ضد عدوان اليابان على الصين ، ضد فرانكو في اسبانيا ، ان الاولوية هنا رسمت على اساس العداء للفاشية ، ولدول المحور بخاصة وليس العداء للاستعمار بعامة ، كما رسمت في اطار منظور اوروبي وليس من منظور شرقي .

٢ ـ اننا في قراءتنا لهذه الأوراق نجد ان كوريل يرد قيام الحركة الشيوعية في مصر الى عوامل خارجية في الأساس ، وليس الى العوامل الداخلية والتفاعلات الاجتماعية التي يعتبرها المنهج الماركسي اساس ميلاد الظواهر وتغيرها ، يقول كوريل ان تحقق ميلاد الحركة الشيوعية في مصر جاء في ظروف هي : العدوان النازي على الاتحاد السوفييتي في يونيه سنة ١٩٤١ ، وجاءت في ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وانتصار الروس على الالمان في ستالينجراد في فبراير ١٩٤٣ ، فهي ثلاثة اسباب منها سبب مصري داخلي واحد ، هنا تحكمت النظرة الاجنبية في ادراك صاحب المذكرات لعوامل الظهور .

ومن أهم مايشير اليه كوريل في نشاطه السياسي خلال الحرب انشاء مكتبة الميدان التي كانت توزع الكتب الماركسية تسهم بها في نشر هذا الفكر ، ويقول انها قامت بدور كبير كحلقة اتصال ، لأن مصر كان بها نحو مليون من جنود الحلفاء بسبب الحرب . وكانت المكتبة تتلقى كتبا بكل لغاتهم وهم فرنسيون وانجليز واستراليون ونيوزيلنديون وسنغاليون ويونانيون وبولنديون ويوغسلافيون وفلسطينيون ويهود ، وذلك خلاف الكتب الالمانية والايطالية التي كانت توزع في وحدات اليهود داخل معسكرات الاعتقال ، ويمكن للقارىء ان يعجب بالنسبة لامكان القيام بهذا النشاط بين الجنود في غفلة عن اجهزة الاستخبارات البريطانية ، التي يعترف كوريل في مجال آخر بان كان لها اهتمام بالنشاط المعادي للفاشية الذي يقوم به اليهود والماركسيين في النوادي الثقافية كالنادي الديمقراطي .

وهذا التوجه الاجنبي يشير اليه كوريل في وضوح بالنسبة لمجموعات من زملائه كان هدفهم تكوين مجموعات من الشيوعيين الاحسن اعدادا من الآخرين وتتويج هذه المجموعة باعتراف من الدولية الشيوعية ، وهو في مناسبة اخرى عن حديثه عن الوحدة التي جرت في ١٩٤٧ بين الحركة المصرية للتحرر الوطني ومنظمة اسكرا يقول « من الآن فصاعدا

# "أوراق هنري كورييل"

اصبحت جميع القوميات ممثلة بدرجة كافية ، ولا يدرى القارىء هل كورييل يتكلم هنا عن جماعة دولية ام عن حزب مصرى المفروض ان يضع برنامجا لتغيير الاوضاع المصرية وان يسعى للوصول الى حكمها لتطبيق برنامجه او تحقيق مايراه من اهداف عامة كبرى ، وهل يمكن ان تقوم حركة سياسية تقود مصريين ويمكن ان تصل للحكم وتكون ممثلة لجميع القوميات بدرجة كافية ... اليس هذا تحقيق امثل لمشروع كرومر الذى اعده ودعا اليه فى اوائل القرن لتحكم مصر مجالس تمثل الأجانب بحسب ان مصر فى رايه جماعة دولية ... اننا نثير هذه الأسئلة حتى يمكن لمن يهمه الامر ان يفرغ قليلا لبحث ( مفهوم الجماعة السياسية بمصر فى نظر كورييل ) .

٤ ـ وأثناء الحرب كان لكورييل وتنظيماته السياسية نشاطها مع من يسميهم « يهود فلسطين » وهى عبارة لاتلتبس لدى القارىء المصرى والعربى فهى لا تعنى لديه غير الصهاينة فيما يبدو والفرقة التى كونوها ايام الحرب لتعمل مع الحلفاء ، وهو العمل الذى اكسب الصهاينة خبرة وتدريبا استخدموه بعد الحرب فى طرد الفلسطينيين العرب وقتلهم وتذبيحهم حتى نشأت دولة اسرائيل ، كما استغلت فى قتال الجيوش العربية ومنها الجيش المصرى فى ١٩٤٨ .

يذكر كورييل ان المجلة المعادية للفاشية التى اصدرتها « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » كانت موجهة الى معسكرات الاعتقال باللغة الالمانية وقام بتوزيعها ايضا الجنود اليهود والفلسطينيون ويبدو ان مثل هذه الانشطة وغيرها هى مما جعل الحزب الشيوعى الفرنسى يتهم كورييل بالعمل مع المخابرات البريطانية حسبى ذكر كورييل فى هذه المذكرات .

## ● مظاهرات ضد السامية

ويشير كورييل ايضا إلى أن « الاتحاد الديمقراطى » الذى انشأه الماركسيون كان يعقد اجتماعاته الأولى فى مركز محفل ماسونى ايطالى ، فالماسونيون أعداء منطقيون للفاشية التى تضطهدهم وقد أصبح بعضهم مناضلين شيوعيين .

بهذه الرؤية ومن هذا الموقف ينظر كورييل إلى المظاهرات الشعبية الكثيفة التى جرت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ بمناسبة ذكرى وعد بلفور وتضامنا مع شعب فلسطين فى جهاده ضد الصهيونية يقول كورييل فى وصف ذلك اليوم : « حاول الأخوان المسلمون بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية اثارة المظاهرات المعادية للسامية وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية فى حماية البوليس ، ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى استعدت لهذا اليوم وكشفت هذه المناورة » ..

ويذكر فى تقرير آخر كتبه فى ١٩٥٥ عن حرب فلسطين : « أعلنت الاحكام العرفية فى البلاد فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وبدأت الحرب الظالمة ضد دولة اسرائيل » ويصف هذه الحرب بأنها : « الحرب الاجرامية » وانها حرب امبريالية ظالمة .

٥ ـ بقيت بعض نقاط سريعة ، فهو يعتبر أن اعتقاله أثناء الحرب كان أول غوص له فى واقع السياسة المصرية ، فقد عرف فى تلك الفترة إلى أى مدى يكره

المصريون الانجليز ، وهكذا فإن أبجدية السياسة المصرية فى ذلك الوقت عرفها كوربيل وهو فى الثامنة والعشرين من عمره ، وعلق على هذا بقوله : « ان كان هدفهم هو النضال ضد المحور واذا كانت انجلترا تقاتل ضد المحور وينبغى مساعدتها ، فان ذلك سيؤدى الى حرمانهم من اهتمام الرأى العام المصرى ، لذلك وجد الطريق الأمثل هو اتخاذ موقف ثابت ضد الامبريالية ونشر الشعور بالحب نحو الاتحاد السوفييتى » اننا عندما نقرأ نص حديثه ( ص ١٠٧ ) هنا نجد أنفسنا ازاء عقل حاسب مجرد ليس فيه عاطفة انتماء مرئى أو عاطفة كراهية ثابتة إلا ضد المحور ، أما العداء للامبريالية فهو خطة ووسيلة ، وحب الاتحاد السوفييتى هو أيضا خطة ووسيلة واطلاق اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى هو ادخال فى هذه الحسابات لولا ان المصريين أضفوا عليها من صواب موقفهم .

وهو يصوم مع صائمى رمضان فى المعتقل لأن حديث الشبعان لايحرك وجدان الجائعين ، ويفكر تحت ضغط الهجوم الألمانى على مصر ان يتمصر بأن يعتنق الاسلام ثم يعدل اعتزازا بنفسه ، ثم هو يختار لحركته الشيوعية اسما بعيدا عن هذا اللفظ لأسباب منها أن الدعاية تصور الشيوعية مرادفا لأكثر المبادىء شذوذا ، ويعتبر من اسموا تنظيمهم صراحة باسم الحزب الشيوعى المصرى يرتكبون غلطة سياسية عميقة وهى خداع الجماهير فمنطقه أن من يخفى هويته لايخدع الجماهير ومن يجهر بها يخدع الجماهير ، وعلى كل حال يعد كوربيل من أكبر من ارسى تقاليد التقية فى العمل السياسى فى مصر ، وهو اخفاء الهوية

ويذكر انه هو من اقترح فصل السودانيين عن التنظيم المصرى ليقيموا تنظيمهم الخاص وذلك بغير رضاء من السودانيين .

إن كان كوربيل رجل عمل وتنظيم ، ومثل هؤلاء يغلب عليهم العمل الصامت أو حتى الكلام الصامت ، أى الحديث الذى يهدف الى احداث آثار عملية محددة فى كل ظرف محدد ، وما جعل فى حديثه بعض الايضاح لنا انه طال به الأمد بعيدا عن مصر والمصريين فصار حديثه كأنه موجه فى الأساس لقارىء غير مصرى بمراعاة المواصفات الخاصة للتكوين الفكرى للرأى العام المصرى .

وعلى كل حال فان اوراق كوربيل تنضاف الى مراجع الحركة الشيوعية فى مصر من حيث بيان دور الأجانب واليهود بها فى زمن نشاتها ونموها خلال الاربعينيات ، وعسى أن يكون فيها ما يؤكد النتائج البحثية التى أوردتها فى بداية هذا الحديث وما يؤكد شهادات الاستاذين الكبيرين محمد سيد أحمد وسعد زهران وفقا لما اثبتاه بحكم تجربتهما الطويلة الصادقة وان الدراسة التى قدم بها الأستاذ الدكتور رؤوف عباس كتاب « أوراق هنرى كوربيل » تتميز بدقة الاستخلاص والموضوعية المفرطة وعمق التناول وبها يضيف الى المكتبة التاريخية المصرية عملا جادا رصينا كعادته فيما قدم من قبل .

كل ما اريد أن انهى به حديثى اننا قد نختلف ونتصارع حول قضايا كثيرة ولكن ينبغى أن ندرك دائما أن للفكر والممارسة السياسية فى اطار الجماعة حدودا كحدود الوطن الجغرافية لايجوز تجاوزها ولا انتهاكها ، ومع الاحترام الصارم للاطار العام للجماعة الوطنية ومكوناتها الأصلية فلنختلف ولا تثريب .

# مذكرات ثروت عكاشة

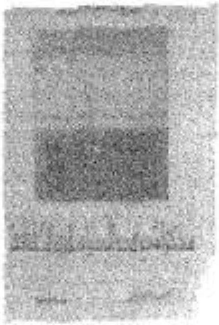
عرض وتعليق:
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى


عبدالناصر


عبدالحكيم عامر

كثرت المذكرات التى خطها شهود ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وغيرهم وسجل فيها كل منهم خواطره عن الاحداث وتقييمه للاشخاص ، بل لقد اقحم كثير ممن جروا وراء الكسب والشهرة انفسهم على التاريخ ووضعوا انفسهم فى مركز الدائرة بالنسبة الى ما كتبوا ، مما ادى الى استشراء البلبلة المرتبطة باختلاط الحابل بالنابل ، خاصة ان وثائق هذه الفترة قد لا ترى النور قبل مضى وقت قد يطول وقد يقصر ، وقد لا يظهر بعضها الى الابد وذلك نتيجة لكون بعض الانفعالات لا تتم بالوسائل التقليدية ، بل بأدوات الاتصال الحديثة التى قد لا تترك اثرا يستفيد منه المؤرخ ، كما ان ثمة اسبابا قد تحمل المسئول على التخلص من بعض القرائن الحساسة ، ومن ذلك ما تاكد من ان انطونى ايدن قد تخلص من الاوراق المتصلة بالمؤامرة الثلاثية ضد مصر التى نسجت خيوطها فى عام ١٩٥٦ بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل . وعلى اى حال فإن التاريخ قابل باستمرار لاعادة التشكل نتيجة لما يصدر تباعا من معلومات وخواطر وبخاصة حين تخف - او تزول - الحساسيات المرتبطة بالاحداث بعد مضى فترة ما عليها .

● والمذكرات التى نعرض لها ذات اهمية خاصة لقرب كاتبها من مسرح بعض الاحداث التى شهدتها مصر منذ أواخر الاربعينيات وحتى عام ١٩٧٢ ، بالاضافة الى كونه مؤلفا ومترجما وباحثا وذواقة للادب والفن ، ورغم تحريه الصدق والموضوعية وعدم تعمده التجريح او الامعان فى الثناء فإننى لا أتفق معه فيما



# فى السياسة والثقافة

ذهب اليه من ان التاريخ لا يمكن ان يكتب بموضوعية حقة الا بعد انقضاء فترة مناسبة على الاحداث بحيث تتضح الصورة - ومن ثم فإنه يرى ان كتابة التاريخ من واقع مذكرات كتاب معاصريه تتضمن نوعا من الانحياز او العجلة او السير فى ركاب السلطة القائمة ، وبالتالى فإنه يجزم بان التاريخ الحق لا يكتب الا باقلام مؤرخين غير معاصرين للاحداث حتى لا يكون ثمة ادنى شك فى نزاهتهم وبعدهم عن الاغراض والمصالح المادية .

وإذا صح هذا القول فإن كثيرا من التواريخ التى سجلها معاصرون للاحداث - ومنهم الجبرتى ، على سبيل المثال - لا يجوز اعتبارها تاريخا ، وهذا من قبيل الشطط ، اذا ان اهمية تاريخ الجبرتى تكمن فى ان كاتبه كان معاصرا لاواخر العهد المملوكى ، العثمانى وللحملة الفرنسية واوائل عصر محمد على ، والموضوعية التاريخية ، اخر الامر ، مسألة نسبية ، وهى شديدة الارتباط بنزاهة الكاتب وتحريه الدقة فيما يكتب ، مع وضعنا فى عين الاعتبار انه لا توجد

د . ثروت عكاشة





حقيقة مطلقة وان الباب مفتوح دائما أمام الاجتهاد ، والمادة التاريخية التى يسجلها معاصرون للاحداث وغيرهم من لم يعاصروها يكمل بعضها بعضا .

● اعتماد على الذاكرة

وامعانا من الدكتور ثروت عكاشة فى

## مذكرات ثروت عكاشة

تحرى الموضوعية فإنه يؤكد انه لم يكتب مذكراته ليؤرخ لثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ بل انه لم يسجل الا ما شارك فيه من أحداث او جرى تحت سمعه وبصره ، حقيقة انه اعتمد على ذاكرته فى كثير من المواضع ولكن يبدو انه قد استعان بما احتفظ به من اوراق رسمية وغير رسمية ، وبالامكان القول بأن مذكراته تنم عن حاسة ادبية وميول فنية من شأنها ان تشوق القارىء ولو انها قد جنحت به احيانا الى الاستطراد خاصة وقد كثر اقتباسه لفقرات مما كتبه بعض الكتاب المعروفين وهذا - فى رأيى - لا يزيد عن كونه نوعا من استعراض العضلات والتفاخر .

ولكى نقيّم ماورد فى هذه المذكرات لابد لنا من إلمامة عن حياة كاتبها . وقبل ان اخوض فى ذلك فاننى انبه الى اننى لن اتناول سوى الجانب السياسى تاركا تقديم الجانب الثقافى لمن هم اقدر منى على ذلك خاصة اذا ما كانوا ممن اسهموا فى انجازات وزارة الثقافة فى الوقت الذى تولى فيه مسئوليتها ، وقد قرن المؤلف الاحداث السياسية التى عرض لها بسيرته الذاتية ومنها نتبين انه انخرط فى سلك الخدمة العسكرية منذ عام ١٩٣٩ عقب تخرجه فى الكلية الحربية . وفى عام ١٩٤٥ التحق بكلية اركان الحرب ثم بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الذى حصل منه فى عام ١٩٥١ على دبلوم الترجمة والصحافة المعادل لدرجة الماجستير وفى كلية اركان الحرب توثقت علاقته بجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وتعرف على زكريا محيى الدين وصلاح سالم ، وزاد توثق هذه العلاقة بين المؤلف وهؤلاء الضباط وغيرهم خلال اشتراكهم فى حرب فلسطين فى عامى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، خاصة ان هذه الحرب قد اقنعتهم بضرورة حدوث تغيير شامل ، وقد كان موقع ثروت عكاشة فى هذه الحرب باعتباره ضابطا للمخابرات الحربية فى القطاع الجنوبى من الجبهة مما جعله على ادراك لاوضاع الجيش المصرى والجيوش العربية الاخرى ولتطورات القتال واوضاع المشرق العربى وللاسباب التى أفضت الى هزيمة العرب فى هذه الحرب .

### إشادة بعبد الناصر

وكانت كل هذه العوامل من وراء تشكيل تنظيم الضباط الاحرار الذى يؤكد المؤلف ان جمال عبدالناصر هو مؤسسه وبالتالى فلا صحة لما رواه بعض اعضاء هذا التنظيم - الذى يقطع المؤلف بانه تشكل فى عام ١٩٤٩ بأن اعضاءه لم يتجاوزوا التسعين . وبهذا الصدد يشيد المؤلف بصفات عبدالناصر ويبدى تقديرا شديدا له : "فما شهدنا عليه الا نزاهة مسرفة فيما يفعل .. وتضحية من اجل الغير وانسانية فياضة وحرصا على اغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت ام معنوية وبذلا لجهده وماله ووقته فى سبيل قضية مصر ... فضلا عن حنكته السياسية ودرايته العسكرية وتجرده المثالى" ، ومنذ عام ١٩٤٩ بدأت منشورات الضباط الاحرار تصدر تباعا متضمنة هجوما عنيفا على الاستعمار البريطانى وعلى عناصر الفساد فى كل من القوات المسلحة والقصر الملكى والحكومة ، وكانت هذه المنشورات



ثروت عكاشة فى صحبة عبدالناصر

**ثروت عكاشة فى صحبة عبدالناصر**



تحض على التمرد والثورة والعصيان بين ضباط الجيش وتكشف الظلم والفساد للشعب . وباعتبار المؤلف احد الضباط الاحرار نجده يشيد بالنضج السياسى الذى بلغوه وينفى عنهم ما اتهمهم به البعض من سرقة افكار المثقفين واقتصار دورهم على تنفيذها ، ذاهبا الى ان الثقافة ليست وقفا على خريجى الكليات المدنية او الكتاب . واطلاق مثل هذا الحكم على عواهنه يتضمن نوعا من الانحياز الفئوى . حقيقة ان قلة من الضباط الاحرار كانوا على مستوى رفيع من الثقافة ، الا ان هذا قد لا يصدق على الجميع ، اذ الثقافة لا تشق طريقها الا لدى من كان لديه استعداد لتقبلها ايًا كانت انتماءاته ، بشرط ان تكون لديه الرغبة فى الاطلاع المستمر والموهبة اللازمة لانتقاء القراءات وتمثلها وعلى اى حال فإن الدكتور عكاشة يبدى فى كثير من المواضع نفوره من الحكم العسكرى الممتد باعتباره ليس النظام الامثل للحكم . ورغم تقديره الشخصى لجمال عبدالناصر فإنه لم يرحب بانفراده بالسلطة بعد عام ١٩٥٦ ، فى الوقت الذى يشيد فيه بمحمد نجيب وباخلاقياته الرفيعة وثقافته الواسعة ويبدى فيه تفضيله للديمقراطية وحرية الرأى .

وما ان استقر الضباط الاحرار فى الحكم حتى عرض على ثروت عكاشة ان يمثل القيادة فى سلاح الفرسان الذى

انتهى اليه . وبعد اعتذاره عن قبول هذا العرض وكلت إليه رئاسة تحرير مجلة «التحرير» الناطقة بلسان العهد الجديد ، ولكنه مالبث أن استقال من رئاسة التحرير بعد اختلاف مع وزير الارشاد صلاح سالم روافق على العرض الخاص بتعيينه ملحقا عسكريا فى الخارج ، وقد علم فيما بعد ان الغرض الحقيقى من اسناد هذا المنصب اليه هو ابعاده عن سلاح الفرسان وعن البلاد خاصة انه كانت له منزلة خاصة فى قلوب ضباط هذا السلاح وبالتالى خشيت القيادة انه قد يستعين بهذا السلاح فى جولة من الجولات ، وهكذا خرج من مصر فى عام ١٩٥٣ بحيث لم يقض فيها بعد قيام الثورة سوى عام واحد وبالتالى فانه حرص على الا تتعرض مذكراته لاحداث السنوات الخمس التى قضاها فى الخارج وان لا يعنى هذا قلة اهتمامه باوضاع الوطن ومراقبته لتطورات الثورة . وفى رأيه ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم تتجاوز شهر يونية ١٩٥٦ حين جرى الاستفتاء على الدستور الجديد وتولى عبدالناصر رئاسة الجمهورية وبدأ "عهد مركزية السلطة" الذى يرده إلى عبدالناصر مبنى ومعنى ايجابا وسلبا ويحمله مسئولية ما حدث من اخطاء ولو انه يعود فيبرر بعض هذه الاخطاء بان الظروف الدولية التى احاطت بعبد الناصر قد اضطرته الى الانفراد بالسلطة ، هذا برغم انه فى الوقت الذى كان يحتفظ لنفسه فيه ما يراه خاصا بشئون الدولة العليا كان يستشير خاصة الموثوق بهم من اصفيائه وفى هذا المجال يندد المؤلف بكثير ممن احاطوا بعبدالناصر ويشير الى تآمرهم وايهامهم له بوجود مؤامرات ضده والى نفاقهم واساءتهم للكثيرين الذين تعرضت حريتهم للعدوان ، كما يندد بالحراسات وبسلوك اجهزة الامن ومراكز القوى الذين اقتسموا السلطة مع عبدالناصر وشكلوا اقطاعيات خاصة اهمها ارهاب الناس واستغلال النفوذ ويخلص المؤلف من كل هذا الى ضرورة منح الحرية للمواطنين مؤكدا ايمانه باللبرالية والحكم الديمقراطى ، وفى كل ذلك ورغم تحميله لبعض الانتهازيين مسئولية الانحراف بالثورة فانه لايعفى عبدالناصر من قسط من المسئولية عن كثير مما حدث ويشير الى ما كان من مواجهته للرئيس بالاعتراض على بعض القرارات التى لم يوافق هو ( عكاشة ) عليها .

ومهما كان الأمر فقد عمل المؤلف بعد خروجه من مصر ملحقا عسكريا فى سويسرا ثم فى باريس ومدريد ، وكانت مهمته فى العاصمة الفرنسية تنحصر فى تزويد القوات المسلحة المصرية بحاجاتها من الأسلحة والمعدات وإعداد التقارير عما يستجد فى فنون الحرب والقتال ومتابعة النشاط الاسرائيلى هناك ورعاية حركات التحرر فى الشمال الافريقى ، ولما كان عبد الناصر يساند هذه الحركات التحررية ويدعم الثورة الجزائرية فقد استثار قطاعات واسعة من الرأى العام الفرنسى ومن المسئولين الفرنسيين ومن ثم تسليح فرنسا لإسرائيل ومناوأتها للعهد الجديد فى مصر بعد أن فشلت فى كسب وده فى مقابل توقفه عن دعم الثورة

الجزائرية وعن التنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في الشمال الافريقي . وحين ازداد تأزم العلاقات المصرية - الفرنسية فى أعقاب تأميم قناة السويس انهمك ثروت عكاشة فى رصد تحركات القوات المسلحة الفرنسية ومناطق احتشادها وحقيقة أهدافها ، هذا بالاضافة الى تتبع النشاط الاسرائيلى فى فرنسا . وقبل ساعات من بدء العدوان الثلاثى على مصر أمكنه أن ينقل الى عبدالناصر خطة هذا العدوان التى استقاها من صديق فرنسى ، وبالتالى فإنه ينفى (جـ ١ ، ص ٢١٥ - ١٦) ما ذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس» من أن عبدالناصر قد فوجىء بتواطؤ فرنسا وبريطانيا مع اسرائيل ، ولكننا مع هذا لا نجاريه فيما ذهب إليه على اعتبار أن صانع القرار فى زحمة الأحداث قد لا يعير التفاتا الى خبر ما يكون موقفه منه ما بين مصدق ومكذب ، ثم ما الذى كان بإمكان عبدالناصر أن يفعله فى الساعات القليلة السابقة على الهجوم على مصر والتاريخ يفيدنا بأن معلومات من هذا النوع وصلت الى ستالين تحذره من الغزو النازى المرتقب للاتحاد السوفيتى ولكنه لم يصدقها ارتكانا منه على ميثاق عدم الاعتداء الموقع بين المانيا والاتحاد السوفيتى فى أغسطس ١٩٣٩ . وشبيه بذلك عدم تصديق هتلر للمعلومات التى وصلته عن الخطة الامريكية - البريطانية الخاصة بالنزول على سواحل فرنسا الغربية اعتقادا منه بأنها معلومات تمويهية دستها أجهزة المخابرات الغربية .

● **العودة إلى أوربا من جديد !**

وعلى أى حال ففى أعقاب العدوان الثلاثى ساءت علاقات مصر بالغرب وقطعت صلاتها الدبلوماسية ببريطانيا وفرنسا وبالتالى عادعكاشة الى مصر حيث عرض عليه منصب مستشار برئاسة الجمهورية ولكنه اعتذر عن عدم قبوله بعد أن نبهه صديق إلى احتمال تعرضه لتآمر مراكز القوى ودسهم ، وحينئذ عرض عليه عبدالناصر وظيفة سفير فى روما فقبلها وباشر عمله فى العاصمة الايطالية فى اكتوبر ١٩٥٧ ، وكانت اوربا الغربية حينئذ لا تزال تبدى العداء لمصر فى الوقت الذى انقطعت فيه علاقات القاهرة بكل من بريطانيا وفرنسا ، وكانت التوجيهات التى زوده عبدالناصر بها تنحصر فى أمرين : (١) إخراج إيطاليا من المعسكر المعادى لمصر واجتذابها التعاون معها (٢) اتخاذ إيطاليا نقطة مراقبة خارجية للشئون الفرنسية وتزويد عبدالناصر باستمرار بكل ما يدور بفرنسا مما له علاقة بمصر ولا سيما ما يؤثر منه على قضية الجزائر وما يتصل بإسرائيل ، وقد استطاع المؤلف أن يزيل كثيرا من الشكوك المتراكمة حول سياسة مصر مما ادى ، بالاضافة الى مساع اخرى ، إلى العودة إلى تطبيع علاقات مصر بدول أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وبريطانيا .

**وفى عام ١٩٥٨ عين المؤلف وزيرا للثقافة للمرة الأولى ، واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ ثم لم يلبث أن عاد إليه مرة أخرى فى عام ١٩٦٦ ليشغله اربع سنوات أخرى . وكان خلال شغله لهذا المنصب يختلف إلى باريس مرتين كل عام على الأقل بوصفه عضوا بالمجلس التنفيذى لليونسكو فيما بين عامى ١٩٦٢ و١٩٧٠ ، وقد**

## مذكرات ثروت عكاشة

اعتاد عبدالناصر خلال هذه الفترة ان يعهد إليه خلال إقامته فى باريس بمهام فرعية ، ورغم عدم تعرضنا لهذه الفترة التى استفاضت المذكرات فى الاشارة الى اوجه النشاط التى شهدتها وزارة الثقافة خلال تولى ثروت عكاشة لمسئوليتها مفضلا ان يتولى تقديمها احد من شاركوا فى هذه النشاطات او كانوا على علاقة بالمؤلف خلال اضطلاعه بهذه المسئولية فلن تمر مرور الكرام على ما اشار اليه من عقبات اعترضت طريقه اثارها بعض من دفعهم بالنفاق كما اثارها قطاع من الصحافة لم يشا هو ان يتملقه واجهزة الأمن التى اعترضت على بعض المسرحيات بدعوى انها تشكل خطرا على الأمن العام .

وخلال اضطلاع ثروت عكاشة بمسئولية وزارة الثقافة للمرة الثانية كان بصفته عضوا بمجلس الوزراء - على صلة بتطور الأحداث التى افضت الى ازمة ١٩٦٧ ثم حرب الأيام الستة ، وفى الجزء الثانى من المذكرات يشير الى الأخطاء التى افضت الى الهزيمة وعلى راسها عدم توقع صانعى القرار لنشوب الحرب . كما يشير الى ان عبدالحكيم عامر كان قد استغل ثقة عبدالناصر فى تحويل الجيش الى إقطاعية له واسرف فى ترضية الضباط الذين شكل بعضهم قوة ضغط لا يستهان بها بحيث فقد عبدالناصر صلته بالقوات المسلحة التى سيطر عليها شمس بدران الذى فهم خطأ ان الاتحاد السوفييتى سيتدخل ، إذا اقتضى الامر ، الى جانب مصر ، مما جعل القيادتين السياسية والعسكرية تتماديان فى تصعيد الأحداث دون ان تقدرا الخطر المحيط بمصر وبالعالم العربى ، وبعد الهزيمة اثر عبدالحكيم عامر الانتحار وهو ما يؤكده المؤلف على ضوء صلاته الوثيقة بكل من عبدالناصر وعامر .

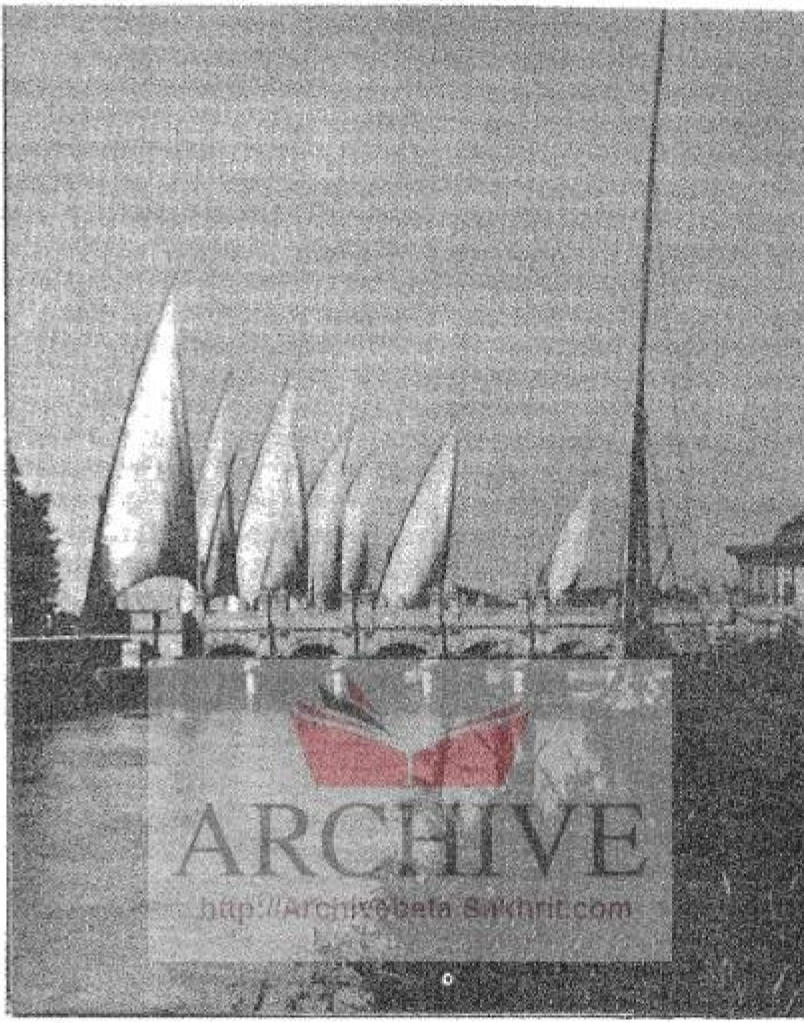
وما ان تخلص عبدالناصر من عامر وبدران وعادت إليه الثقة بالنفس بعد ان اعترضت الجماهير على انسحابه من المسرح وحملته على العدول عن قرار التنحى حتى سعى الى اعادة تنظيم القوات المسلحة وتدريبها وتزويدها بالأسلحة تمهيدا لتوجيه الضربة الثارية الى إسرائيل قبل نهاية عام ١٩٧١ ، وحينئذ تبينت له اخطاء تعلق النظام بشخص واحد ومن ثم تفضيله نظاما «يجعل كل انسان من الكبير الى الصغير يخشى المحاسبة» ، وإبداؤه تفضيله لقيام نوع من المعارضة وتبرمه بالاتحاد الاشتراكى الذى كان هو الآخر قد تحول الى اقطاعية يتحكم فيها بعض مسئوليه سعيا منهم الى جعله اداة للمشاركة فى الحكم والضغط على عبدالناصر .

وفى الصفحات التى خصصها المؤلف للرئيس السادات وعهده نجد المؤلف ، برغم الأدب الجم الذى نستشفه فى ثنايا عرضه للتطورات التى شهدها عهد عبدالناصر وللشخصيات

التى احتك بها حتى ولو لم يوافق على سلوكها واعمالها ، لا يبدى اى احترام لعهد الرئيس الجديد او لشخصه . وقد لا يخلو تقويمه بهذا الصدد من تاثر بعض العوامل الشخصية : فقد اعترض هو فى عام ١٩٥٨ ، حين كان وزيرا للثقافة ، على رغبة السادات فى الاستيلاء على قطعت ارض فى هضبة الأهرام لكى يبنى عليها استراحة رغم مخالفة ذلك للقانون ، كما اعترض بعد تولى السادات الحكم على مساسه بمتحف محمد محمود خليل وزوجته ، يضاف الى ذلك ان السادات استغنى عن خدمات المؤلف مما اثر فى تقويمه لشخصه وعهده ، وبهذا نجده يؤكد ما تواتر عن تخلف الرئيس الجديد عن الاشتراك فى احداث ليلة الثورة رغم معرفته بتاريخ التنفيذ والدور المسند اليه ، كما يشير الى ان نشاط السادات السياسى منذ عام ١٩٤٠ لا يعدو كونه «مغامرات سياسية» مفندا بذلك ما اورده السادات بهذا الصدد فى كتابه «البحث عن الذات» ، ويصف الدكتور ثروت عكاشة السادات بعد توليه الحكم بأنه كان يظهر غير ما يبطن ويبقى على الأساليب البوليسية برغم ادعائه الديمقراطية فيدفع احداث ١٤ مايو ١٩٧١ التى اطلق عليها اسم «ثورة التصحيح» بانها كانت بداية الثورة المضادة : فالسلطة وقد تغلبت على منافسيها فى معركة الصراع على السلطة اقدمت على استبعاد «الانداد» الذين شاركوا فى ثورة ٢٣ يولية بطريقة تسىء اليهم ، ويجزم المؤلف بان السادات كان من وراء الحملة التى استهدفت تشويه عبدالناصر بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ومن ثم استمالته لبعض الضباط الأحرار الى كتابة مقالات وجهت النقد الى افتقاد الديمقراطية فى العهد السابق ، وقد رفض المؤلف ان يستدرج للمشاركة فى هذه الحملة ، وبقى وفيا لصديقه عبدالناصر مع اعتراضه على اسلوب حكمه وبعض قراراته .


ثروت عكاشة .. ومحمد نجيب

وأعود الى بدء فاوكد ، وبرغم عدم تفضيل المؤلف لأن يكتب التاريخ من عاصروا الأحداث ، ان مذكراته ذات أهمية بالنسبة الى من سيتصدون لكتابة تاريخ ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وتاريخ عبدالناصر والسادات ، فهى تشكل اضافة بالنسبة الى ما سبقها من مذكرات وذكريات .





# النيل وأزمة المياه فى مصر
## مياه النيل بين زمن الوفرة وعصر الندرة

بقلم : د. رشدى سعيد

●● تمر مصـر اليوم بمرحلة جديدة فى تاريخها مع النيل ، لم تألفها أبدا ، فقد كانت مصـر ، وحتى منتصف القرن بلدا تحتكر مياه النيل دون شريك .. كما كانت أرضها متجددة بما يحمله لها الفيضان كل عام من طمى .

كان النيل يفيض فيغطى أرض مصـر بتربة جديدة ، وكان الماء وفيرا لزراعة محصول واحد له نكهة مميزة وطعم خاص ، وعندما كان النيل ينحسر .. فإنه يغسل الأرض مما علق بها من أملاح .. كان نظام النيل نموذجيا يحمل الرخاء لعدد قليل من السكان ويضمن لشعب مصـر الحياة حتى فى أسوأ الأزمات وفى ظل أسوأ الحكومات .

لكن وقد تغير الآن مع ازدياد أعداد السكان ، ومع حياة الاستهلاك التى يعيشونها .. تلك التى ترتب عليها تغير نظام النيل الى الرى الدائم ، ومع بخل الطبيعة نفسها بسنوات من الجفاف النسبى ، ماهو المطلوب للخروج من المازق ؟

وكيف يمكننا أن نتفادى المشكلة فى المستقبل ●●



يعتبر نهر النيل المصدر الرئيسى للمياه بمصـر ، نهرا فريدا بين انهار العالم جميعا إذ يكاد يكون الوحيد منها الذى يشق طريقه لمسافة تزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر من العطبرة وحتى البحر المتوسط وسط صحراء قاحلة دون أن يصب فيه رافد واحد - ولولا ظروف جيولوجية فريدة لتوزعت مياه هذا النهر وماتحمله من رواسب فى سهل داخلى دون أن تصل إلى البحر أو تشق أرض مصـر .

ويحمل نهر النيل كمية صغيرة من المياه بالنسبة الى مساحة حوضه الهائلة التى تبلغ حوالى ٣٠ مليون كيلومتر .. أى عشر مساحة القارة الافريقية ، فعلى الرغم من هذه المساحة الهائلة .. فإن مايحمله من مياه لايكاد يوازى كمية المياه التى يحملها نهر صغير مثل الراين الذى تبلغ مساحة حوضه ٢٠٪ من مساحة حوض نهر النيل .. ومتوسط تصريف نهر النيل عند أسوان هو ٨٤ بليون متر مكعب سنويا .. وهو متوسط مايصل إلى هذه المدينة فى فترة الخمسين سنة الأولى من هذا القرن - وتأتى اكثر من أربعة أخماس هذه المياه من الهضبة الاثيوبية التى تصلها مياه موسمية جارفة خلال أشهر الصيف .. ويأتى الباقى من الهضبة

الاستوائية عن طريق النيل الأبيض ، ومعظم مياه هذه الهضبة تذهب هباء بين أحراش منطقة السد وادغال بحر الغزال ومستنقعات أدنى السوباط .

وتتأرجح كمية المياه التى تصل الى مصـر بين العام والآخر ، فقد بلغت أقصى ماوصلت إليه منذ بدء قياس تصريف النهر بطريقة منظمة ١٢٧ بليون متر مكعب فى عام ١٨٧٩ .. كما بلغت أدناها حتى وصلت الى ٤٢ بليون متر مكعب فى عام ١٩١٣ ويحدث هذا التأرجح الكبير فى الوقت الذى بدأت تتثبت فيه احتياجات مصـر المائية الأمر الذى دفع الى التفكير فى ضبط مياه النيل وتخـزين فـائض السنوات التـاليـة لاستخدامه فى السنوات الواطئة .

● من الزمن القديم

وقد ظلت عملية تنظيم مياه النيل الشغل الشاغل لحكومات مصـر منـذ قديم الزمان ، ويكاد لايخلو تاريخ حاكم كبير فى مصـر دون أن يرتبط اسمه بمشروع ضخم لضبط مياه النيل منذ الملك مينا وحتى جمال عبدالناصر .

وقد مرت السياسة المائية لمصـر خلال القـرنين التـاسـع عشـر والعشـرين بمرحلتين .

المرحلة الأولى : هى التى تركزت فيها جهود مصـر خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين على إقامة حدود من السدود والقناطر على طول النهر .. وكانت تهدف فى أول الأمر الى حجز جزء من مياه الفيضان لاستخدامه فى نفس السنة عندما يهبط النيل ، وكان هذا التخزين السنوى منظما للمياه على طول السنة ، وأن كان بطبيعة الحال غير مهيأ لمجابهة الفيضانات العالية أو الواطئة .. وكان خزان اسوان هو اشهر هذه الخزانات وأكثرها كفاءة .. بنى عام ١٩٠٢ وتمت تعليته مرتين آخراهما فى عام ١٩٣٣ .. كان يسمح لمياه الفيضان بالمرور فى فتحاته فى الشهور الأولى من الفيضان .. ثم يتم حجز المياه فى آخر الفيضان .. وقد صمم الخزان لحجز مايزيد على ٥ بلايين متر مكعب كانت تعاد إلى النيل لاستخدامها فى الزراعة خلال موسم المياه الواطئة .. وبذلك ينتظم دخول الماء الى أرض مصـر على طول السنة مما كان يسمح بزراعة محصولين أو ثلاثة فى معظم اراضى مصـر ـ وكانت مصـر تفقد الى البحر كل عام عن طريق السماح لأول مياه الفيضان بالمرور من فتحات الخزان حوالى ٣٠ بليون متر مكعب .

وتركزت مشروعات الرى فى مصـر فى هذه الفترة على بناء سلسلة من السدود والخزانات على طول النيل لزيادة حصة مصـر من المياه التى تصلها ، ولذلك فقد تركزت جهود مصـر خلال هذه الفترة على تأمين منابع النيل .. فقامت فى القرن التاسع عشر بحملات عسكرية وضعت الجزء الأكبر من نهر النيل تحت نفوذها المباشر ولما احتلت بريطانيا مصـر فى عام ١٨٨٢ انتزعت من مصـر السلطة على أقاليم أعالى النيل وأصبح وادى النيل كله تحت هيمنة بريطانيا .

وطوال هذه الفترة كان ينظر إلى النيل على انه وحدة واحدة يقع تحت سلطة واحدة ، ومن هنا فقد بدت السياسة المائية لمصـر تلك المبنية على انشاء

السدود والخزانات خارج أراضيها سياسة مقبولة .. ومما ساعد على قبول هذه السياسة أن بلاد النهر كلها .. فيما عدا مصـر لم تعرف الزراعة النهرية .. ولذا فقد بدا النهر كله هو نهر مصـر وأن كل مياهه هى لخدمة زراعاتها ، وكان النهر يلعب دورا ثانويا فى حياة هذه الأقطار فقد كانت وحتى انشاء مشروع الجزيرة بالسودان فى العشرينيات من هذا القرن .. تعتمد على الأمطار فى زراعتها .

وبهذه الخلفية لم يكن صعبا على السودان أن تعترف بحقوق مصـر التاريخية فى ماء النيل ، ففى عام ١٩٢٩ تم تبادل خطابات بين مصـر والسودان اعترفت فيها السودان بحق مصـر التاريخى فى كميات المياه التى تكفى زراعتها والتى قدرت فى ذلك التاريخ بثمانية واربعين بليون متر مكعب .. كما اعترفت مصـر بحق السودان فى أربعة بلايين متر مكعب كانت جملة المطلوب لمشروع الجزيرة وتوسعاته .

وفى عام ١٩٤٩ تم بناء خزان أوين على مخرج بحيرة فكتوريا بأوغنده .. وهو أحد مشاريع الرى المدرجة بالخطط المصـرية فى ذلك الوقت .. وفيه تم الاتفاق بين مصـر واوغنده على أن تدفع مصـر تكاليف بناء الخزان تعويضا عن الأراضى التى غرقت من جراء بناء الخزان على أن تتحكم مصـر فى كمية المياه الخارجة من البحيرة - ويعتبر بروتوكول بناء الخزان اعترافا من اوغنده بحقوق مصـر فى مياه النيل ، ولم تعترض حكومة اوغندا على هذا البـروتوكـول بعد استقلالها .

وليس بين مصـر وأى من دول النهر الأخرى اتفاقيات مكتوبة أو غير مكتوبة تنظم توزيع مياه النيل .

● مرحلة بناء السد

وكانت المرحلة الثانية : عندما جاءت ثورة ١٩٥٢ واستقلت بلاد افريقيا وأصبح واضحا أنه لاتوجد سلطة واحدة تسيطر على النهر ودوله المختلفة.تطورت سياسة مصـر المائية وتم التركيز على بناء السدود بداخل حدودها ومن هنا كان قرار مصـر ببناء سد أسوان العالى الذى أتاح لمصـر والسودان كمية أكبر من المياه .. وقد كان بناء السد إثر تحرك دبلوماسى بارع وناجح مع السودان أكبر شريك فى استخدام مياه النيل - وقد أتاح السد لكل من مصـر والسودان الحصول على كميات أكبر من المياه .. فحصلت مصـر على ٥٥٫٥ بليون مترمكعب بدلا من ٤٨ والسودان ١٨٫٥ بليون متر مكعب بدلا من ٤ وبذلك أضيفت الى موارد البلدين ماكان يروح هباء بالبحر الأبيض المتوسط .

وبالاضافة الى ذلك فقد أصبح لمصـر القدرة على تنظيم دخول المياه اليها بالقدر الذى تتطلبه احتياجاتها وفى الوقت الذى تراه دون أن تتأثر بتقلبات فيضان العام الواحد .. فقد أصبح التخزين فى السد العالى قرنيا يأخذ فى اعتباره الفيضانات المتعاقبة .. فينظم حياتها ويحميها من غوائل الفيضانات العالية ومن آثار الفيضانات الواطئة .

وقد أتاحت سلسلة الفيضانات العالية فى سبعينيات هذا القرن ملء خزان ناصر وراء السد الى مايقرب من أعلى منسوب صمم الخزان عليه حتى اننا فى عام ١٩٧٩ كنا نخشى لو أن الفيضان استمر

عاليا فوق معدله من أن ترتفع مياه الخزان فوق المنسوب الذى صمم عليه فتنساب المياه الى أرض مصـر وتغرقها ـ وهو ما ادى الى إنشاء مفيض توشكا بصحراء النوبة وهو عبارة عن قناة تم حفرها لكى يفيض منها مازاد عن منسوب ١٨٠ مترا فى خزان ناصر وراء السد الى منخفضات الصحراء الغربية .

على أن فيضانات ثمانينيات هذا القرن لم تكن مرتفعة .. بل جاءت على العكس من ذلك بكميات كانت فى معظمها اقل من متوسط الفيضانات .. بل وقد جاء الكثير منها باقل مما تحتاجه مصـر فعلا من مياه .. وقد ادى ذلك الى أن تسحب مصـر من مخزون السبعينيات ماتحتاجه من مياه فانخفض منسوب الخزان من ١٨٠ مترا إلى ١٥٠ مترا وهو منسوب منخفض يقارب أوطى منسوب يمكن سحب اى كمية من المياه عنده وهو ١٤٧ مترا ، وهكذا أصبح مخزون الماء الحى بالخزان فى عام ١٩٨٨ ما يقارب ١٢ بليون متر مكعب ، ومعنى هذا ان مصر لن تستطيع ان تتحمل عاما آخر من الفيضانات الواطئة دون أن تتأثر مساحة الأراضى التى تزرعها أو كمية الكهرباء التى تنتجها من تربينات السد العالى والتى حسبما يتساقط عليها الماء من ارتفاع يفوق الحد الأدنى للتخزين .

● ندرة الماء العذب

وسواء كانت الأزمة المائية التى تمر بها البلاد اليوم أزمة طارئة تنتهى مع ما اصطلح بتسميته بدورة السنين العجاف والتى تتلوها سنون سمان أو أنها ستظل معنا فإنها ينبغى أن تبين لنا أن الماء العذب أصبح اليوم نادرا ، ذلك أنه بفرض أن السنوات القادمة ستحمل فيضانات عالية فان ذلك لن يحل المشكلة الانية التى نعيشها اليوم أما مشكلات الغد الطويلة الأجل فانها لن تحل الا بترشيد استخدام الماء المتاح لمصر لكى يجابه توسعات استخدامها فى مستقبل الأيام .

ولنبدأ القول بأن كمية المياه المتاحة لمصر محدودة وسيكون من العسير تصور زيادتها على مدى السنوات العديدة القادمة ، فدول النهر الأخرى لها مطالب فى مياه النهر المحدودة ، لكى تجابه خططها القومية للتوسع الزراعى واستغلال الطاقة ، واذا كانت معظم هذه البلاد واقعة اليوم فى أزمات متلاحقة ، وغير قادرة على تنفيذ خططها ، فانها لفاعلة ذلك فى مستقبل الأيام ، أو لهى واقفة بالمرصاد لأى توسع فى استخدام الماء من أية دولة من دول حوض النيل .

وكل تفكير فى زيادة ما قد يصل الى مصر من ماء يتركز فى مشروعات تعالج الماء المهدر من هضبة البحيرات الاستوائية والذى يتفرق أكثر من نصفه فى منبطحات السد ببحر الجبل أو من بحر الغزال أو من نهر السوباط التى تتفرق مياهها فى ادغال ومستنقعات كبرى ، وهناك مشروعات عديدة لانشاء قنوات تحويل لمفاداة هذا الاهدار ، الا ان تنفيذ هذه المشروعات لن يحتاج فقط الى ابهظ التكاليف ، بل والى مفاوضات دبلوماسية واتفاقيات مع دول النهر العديدة والتى يتميز الكثير منها بعدم استقرار حكوماته ، ولعله من المفيد أن نذكر فى هذا الصدد مصاعب انشاء الطور الأول من قناة جونجلى التى تم الاتفاق على تنفيذها مع

حكومة السودان بعد مفاوضات طويلة ، ويهدف انشاء هذه القناة الى توصيل جزء من مياه البحيرات الاستوائية الى النيل الأبيض دون ان يمر باقليم السد ـ وعلى بساطة كمية المياه التى ستنالها مصر من هذه العملية الجبارة (بليون متر مكعب واحد اى أقل من ٢٪ من جملة احتياجات مصر) فان الاتفاقية التى أبرمت مع حكومة الخرطوم قد نقضت من ثوار جنوب السودان الذين رأوا أنها ستعرقل مسيرة ابقارهم التى كانت تعبر منطقة القناة للرعى فى مناطق السد عندما تهبط المياه فيها ـ هذا بالاضافة الى ان القناة لم تكن ذات فائدة لجنوب السودان ـ وقد توقف العمل بالقناة فعلا .

## مصر ودول النهر

ولسنا هنا بصدد تعديد خطط دول النهر فى التوسع الزراعى حول حوض النيل فلكل دولة خططها المعلنة ولكنى اكتفى بالقول بان السودان قد أعلن عن نيته لاستصلاح أكثر من ٥ ملايين فدان على جوانب النهر قبل حلول القرن القادم ـ ويحتاج مثل هذا التوسع الى اكثر من ١٥ مليون متر مكعب من الماء وهى كمية من الماء يصعب تصور تدبيرها حتى ولو تمت كل مشروعات استغلال مياه النيل ، وان الانسان ليعجب مما يمكن ان يصل اليه الحال لو ان السودان قد نجح ، ولو جزئيا ، فى تنفيذ خطته هذه .

ونفس الشىء يمكن ترديده عن اثيوبيا التى احاق بها الجفاف فأجبرها على التحول الى الزراعة النهرية والالتفات الى مجارى انهارها .

وانى لفى خشية من أن تكون علاقات مصر مع دول النهر فى بداية أزمة إن لم نتداركها لشكلت فى مستقبل الايام مشكلة عويصة ، فتنظيم أمور علاقاتنا بما يتيح تقنين حقوق مصر التاريخية فى مياه النيل هو أمر ملح ـ على أن نجاحنا فيه سيكون عن طريق البحث العلمى المنظم لحوض النهر ودراسة مناخه باستخدام مراكب الفضاء للأرصاد وتنظيم الدراسات لرصد المياه ، وكذلك ، وهو الأهم ، بإعادة وزن مصر السياسى والذى كان فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من الثقل بحيث استطاعت الدبلوماسية المصرية ان تقنع غالبية دول افريقيا بقطع علاقاتها مع اسرائيل .

ومن جهة أخرى فان متطلبات مصر من المياه ستزيد ، ذلك لأن عمليات التوسع الزراعى والتصنيع ستستمر وستتطلب طلبات متزايدة على الماء ـ واذا ما تحققت خطط مصر فان احتياجاتنا المائية ستصل الى حوالى ٨٠ بليون متر مكعب فى أواخر هذا القرن ، هذا فى الوقت الذى لن تزيد فيه مواردنا المائية عما هى عليه الآن للاسباب التى بينتها ، ومن هنا كانت مقولتى التى كررتها منذ السبعينيات بان الماء سيكون واحدا من العوامل المفيدة لانطلاق عمليات التنمية فى مصر .

لقد مضى وقت الوفرة ودخلنا الان عصر الندرة والذى سيكون معنا لأجيال طويلة .

## حملة تثقيفية

إن حل هذا الاشكال العويص سيكون بترشيد استخدام الماء المتاح لمصر ، ولكن هذا الترشيد لن يتم قبل القيام بحملة تثقيفية مركزة وواسعة لتبين أبعاد هذه المشكلة أمام الناس بل وأمام القيادة

السياسية ذاتها اذ يبدو من مسلك هؤلاء القادة وتصريحاتهم عدم ادراكهم لابعاد هذه المشكلة وما يمكن أن تحمله من آلام وضيق عيش ، وليس أدل على ما أقول من أن رئيسا سابقا لمصر اراد أن يوصل النيل الى اسرائيل وأن أعضاء بارزين في البرلمان تقدموا باقتراحات لتوصيل ماء النيل الى السعودية ، كما أن تعليقات المسئولين على أزمة مياه النيل الحالية توحى بأن كل شيء يسير على ما يرام ، وان الزراعة والكهرباء لم تتأثرا ، وأن الأزمة الحالية هي أزمة طارئة ترتبت عليها أقل الأضرار ان كانت هناك ثمة أضرار ، وأن معظم الكلام عن ندرة الماء ان هو الا من قبيل البلبلة .

والحقيقة هي اننا جميعا عشنا في ظل وفرة الماءالذى اصبح بالنسبة لنا شيئا مسلما به . كما أصبحت وفرته جزءا من تراثنا، بحيث يصبح قبول فكرة الندرة امرا يحتاج الى تثقيف وبرنامج ضخم للتوعية ، وإننى لاضع هذا الأمر في مقدمة البرامج اللازمة لمجابهة عصر ندرة الماء الذى ستدخله مصر في مستقبل الايام ان لم تكن قد دخلته فعلا - فبدون وعي لأبعاد هذه المشكلة فلن تكون هناك حلول قابلة للتنفيذ .

وتأتي بعد ذلك قضية ترشيد استخدام الماء في الزراعة وتحسين طرق تسوية الأرض حتى يأتي غمر الأرض مفيدا وعلى قدر ما تحتاجه وإعادة دراسة مقننات المياه لمختلف المحاصيل وادخال طرق التنقيط واستخدامها بكفاءة هذا بالاضافة الى ضرورة اعادة النظر في التركيب المحصولى للأرض الزراعية ، واختيار المحاصيل المهجنة التى تحتاج الى مياه أقل لنضجها ، فليس من المعقول ان تتوسع مصر في زراعة الأرز وقصب السكر ، وهي من المحاصيل التى تحتاج الى مقننات عالية جدا من المياه - كما يجب تنظيم عملية استصلاح الاراضى الصحراوية وتمنع تماما المضاربة عليها وتنظيم زماماتها في مجمعات تعاونية تضبط صرف الماء وتوزيعه .

ويجيء بعد ذلك دور توفير الماء الذى يضيع هباء خلال عمليات نقله إما بالتسرب أو بالبخر ، وذلك اما بتبطين الترع والمساقى أو حتى بالاستعاضة عنها بخطوط من الاتابيب - وليس الانفاق في هذا الاتجاه عبثا ، فان مصر تفقد عن طريق نقل الماء حوالى ١٠ بلايين متر مكعب في السنة .

وليس من المعقول أو المقبول أن تلقى مصر سنويا الى البحر ما يزيد على ٤ بلايين مكعب في السنة نتيجة اطلاق الماء اللازم لتشغيل محطات الكهرباء خلال السدة الشتوية - فهذا الماء يهدر كله ويطلق الى البحر لعدم حاجة الزراعة اليه خلال فصل الشتاء - وهذه الكمية يمكن بطبيعة الحال تخزينها في محابس النيل الدنيا .

وبالاضافة الى هذا البرنامج الذى يهدف الى توفير وترشيد استخدام المياه فانه يمكن زيادة الماء المتاح للاستخدام بزيادة الاستفادة من حوض المياه الجوفية ومياه الصرف .

ولو أن كلا البرنامجين قد نفذا فاننا سنغطى بالكاد احتياجاتنا المائية في مستقبل الأيام .

# أقوال معاصرة



اندريه جروميكو

● « منطقة الشرق الاوسط بمثابة برميل بارود على وشك الانفجار بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية »

اندريه جروميكو
رئيس الاتحاد السوفييتى

● « اليوم افضل من الامس ، والغد سيكون افضل من الاثنين ، اننى فى جميع الاحوال من عشاق الحاضر »

«البرتو مورافيا»
الاديب الايطالى



ياسر عرفات

● « شولتز جاء بحبة اسبرين لعلاج سرطان الشرق الاوسط »

ياسر عرفات

● « الاسرائيليون سيتهمون « شولتز » بالخيانة ، والعرب سيستبعدونه بوصفه محامى اسرائيل ! »

هنرى كيسنجر

● قوة دولار المخدرات تشترى البلاد ، تغير جغرافية العالم السياسية »

جون كيرى
عضو مجلس الشيوخ الامريكى



هنرى كيسنجر

● « يمكنكم ان تثقوا بى »

كيرت فالدهيم
رئيس جمهورية النمسا

● « الانسان فخ منصوب لاخيه الانسان »

دافيد ماميت
المخرج وكاتب السيناريو الامريكى

# القفز على

# الأشواك

## بين العام والخاص

ومازلت اتكلم فى الاقتصاد .

فالعام والخاص المقصودان بهذا العنوان هما القطاع العام والقطاع الخاص . وأنا اطمع فى سعة صدر الاقتصاديين . فمثل هذه الموضوعات ليست من اختصاصهم وحدهم ، بل الثابت من خبراتهم - وخبراتنا معهم - طوال الثلاثين سنة الماضية أن الخبير الاقتصادى رجل لاشأن له بالسياسة الاقتصادية . انه يمكن أن يكون مؤمنا بالاقتصاد الحر ويعمل فى تخطيط اقتصادى اشتراكى ، ويمكن أن يكون اشتراكيا ويعمل فى اطار سياسة انفتاحية . فالسياسة الاقتصادية تعنى رجل الشاعر كما تعنى عالم الاقتصاد ، بل إن الاقتصادى العالم أو الخبير انما يعنى بالسياسة الاقتصادية باعتباره واحدا من هذه الكتلة الكبيرة التى نسميها « رجل الشارع » ، لا باعتباره اقتصاديا بالتخصص أو بالمهنة .

● ولكن رجل الشارع لايمكنه أن يهتم اهتماما جادا ومفيدا بالسياسة الاقتصادية اذا كان جاهلا كل الجهل بـ « علم » الاقتصاد كما أن عالم الاقتصاد لايمكن أن يهتم اهتماما حقيقيا وملتزما بالسياسة الاقتصادية اذا لم ينشغل انشغالا جادا بهموم رجل الشارع . ولأن المشكلة الاقتصادية هى مشكلتنا الوطنية الكبرى فى هذه السنوات ، ولسنوات كثيرة مقبلة ، فقد كان على « بعض الناس » أن يتقدموا ليشدوا عالم الاقتصاد الى الشارع ، ويدفعوا رجل الشارع الى صالون الاقتصادى .



عباس العقاد

مهمة ضرورية ، ولكنها غير مشكورة . فمن ينتدب لها معرض للاتهام بالحذلقة من جانب ، وبالتطفل من الجانب الآخر . ولذلك فانا أحاول جهدى أن اقوم بهذه المهمة بأسلوب القفز على الأشواك .

وأول حجة احتج بها عليكم هى انكم تخصوننى وحدى بهذا الظلم البين ، وتستنكرون منى ما لاتستنكرونه من غيرى . ولست أعنى كتاب الصحف الذين لابد لهم من الخوض فى الاقتصاد والسياسة كالفن والأدب ، فأنا لم أزل اكتب فى الصحف منذ اكثر من ربع قرن وانتم لاتصنفوننى إلا ناقدا أو مترجما أو كاتب قصة – وآه من هذه التخصصات انما عنيت رجالا تعرفونهم ، رجالا ذوى أسنان ومناصب ، عنَّ لهم وهم فى ذروة مجدهم أن يحصلوا على دكتوراه فى الاقتصاد أو السياسة ، أو التاريخ ، أو الأدب ، فكان لهم ما ارادوا . فهل ألام لأنى أسأت الظن بهذه الدكتوراهات ؟ وما ادراكم انى قرأت فى الاقتصاد مثل ماقرأ هؤلاء أو اكثر منه أو اقل ؟ ولماذا لا أكون عصاميا فى الاقتصاد كما كان العقاد عصاميا فى الأدب ؟

● وعلى ذكر العقاد

شهدت مرة جلسة فى المجمع اللغوى ( وكنت محررا فيه ) وقد دارت مناقشة حول مصطلح فى الكيمياء بين الدكتور أحمد زكى والأستاذ العقاد رحمهما الله . وإذا بالعقاد ينتفض ويزعق إحدى زعقاته العنترية قائلا : « انا أعرف فى الكيمياء اكثر مما يعرف اى أستاذ كيمياء فى مصر » وكان طبيعيا جدا أن يخشع الدكتور أحمد زكى ويعتذر .

وانا لا اقيس قامتى بقامة العقاد ، فهذا زمن وذاك زمن ( الستم تسمونهم جيل العمالقة ؟ ) ولذلك لا ازجركم كما زجر العقاد صاحبه ، ولكننى اقاوم طغيانكم التكنوقراطى الذى جعلتموه فى خدمة الاستبداد السياسى وتحكمتم جميعا فى رقاب الناس فهم لايملكون ان يلتفتوا يمنة أو يسرة ، او ينظروا الى خلف او إلى قدام وإنما هم فى سجلاتكم أعداد ، وإن كانوا فى حساباتكم أصفارا ثم ها انتم اولاء تنكرون عليهم سلبيتهم التى صنعتموها بايديكم . وانا أحاول بجهدى الضعيف ان اصل حبال الثقة ، ثم الود ، بينكم وبينهم ، فما يغضبكم من هذا ؟

وبعد ياسادتى فانا لم انزل بارضكم غازيا ، بل سائحا ملما ، وزائرا خفيفا ، وانكم لتعلمون ان السائح ربما رأى ما لايراه المقيم ، فكل شىء جديد عليه ، ولذلك فهو يسأل عن اصله وفصله ، ولا يأخذه أبدا قضية مسلمة ، وكل حسن جديد بالاستحسان ، وكل قبيح مستحق للادانة . كل مالا يتفق مع العقل مرفوض وإن اصبح عند اهل البلد عادة ، وإذا

اخطا السائح أو ضل فمن السهل رده الى الصواب ، لانه يعلم ان اهل مكة ادرى بشعابها .

ولكن السائح القادم اليكم من بلاد اللغة والأدب يلاحظ ان لديكم ميلا ثابتا لاخضاع الحالات الخاصة لقوانين عامة ، ترون هذا مبدأ من مبادىء العلم لايصح الجدال فيه ، وصاحب اللغة والأدب يتعامل مع القوانين العامة بحذر شديد ، لانه يبحث عن خصوصية الكلمة ، وخصوصية العمل الأدبي ، يبحث عما تتميز به الكلمة عن كل مرادف او ترجمة ، وما يتميز به العمل الأدبي المفرد عن الجنس الأدبي . وربما رأى الكلمة الواحدة تلبس الف زي ، والعمل الأدبي الواحد يبدو لمطالعه في الف لون . لذلك يدهش حين يراكم تتحدثون عن قانون العرض والطلب كما لو كان قانونا ابديا ، وعن الفصل بين الملكية والادارة كما لو كان اكتشافا علميا ، وعن العلاقة بين الائتمان والعمالة والنمو والتضخم كما تتكلمون عن معادلات رياضية . فصاحب اللغة والأدب ـ وله علاقة بالتاريخ ، ونسب مع العلوم الاجتماعية ، وعلمكم لا يخرج عن كونه واحدا منها ـ يقف موقف الشك من هذا المفهوم الجبري للقانون في كل ما يتعلق بالانسان . فالقانون في العلوم الاجتماعية قريب المعنى من القانون بمعناه الخاص اى القانون في التشريع . ولولا أن القانون التشريعي مرتكز على السلطة ومتضمن لمعنى الالزام لكان نموذجا صالحا لنوع « القوانين » التي نبحث عنها في العلوم الانسانية بوجه عام ، من حيث إنها قوانين متغيرة وخاضعة ـ الى حد كبير ـ لارادة الانسان .

ولا اشك ان بين الاقتصاديين افرادا غير قليلين يحبون السياحة في الأدب والعلوم الانسانية ، فهم لهذا لاينظرون الى الظواهر الاقتصادية تلك النظرة الجامدة ، ولكنني اتكلم عن الكثرة الغالبة .

ومعظم ما كتب عن القطاع العام والقطاع الخاص يعبر عن نظرة جامدة ، سواء اكانت هذه النظرة ليبرالية أم ماركسية . فانا لم أقدم هذه المقدمة الطويلة لأسباب شخصية محضة ، لكن لكي اقول ان جميع القضايا التي تتعلق بالقطاع العام والقطاع الخاص ـ ضرورة كل منهما ودوره وشكله وأدائه وعلاقته بالآخر ـ يجب الا تبحث في ضوء مسلمات ايديولوجية معينة ، ننظر اليها كما لو كانت قوانين ثابتة . وليس هذا إهدارا لقيمة الايديولوجية ولكنه رد لها الى طبيعتها . فالايديولوجية أيا كان نوعها لاتنشأ في فراغ ، بل في ظروف تاريخية معينة ، ولذلك نرى الايديولوجيات تجدد نفسها باستمرار ، فلا ماركسية اليوم هي ماركسية الأمس ولا ليبرالية اليوم هي ليبرالية الأمس . وليس معنى هذا أيضا أن الايديولوجية إذ تجدد نفسها تفقد صلتها بالأصل . ولكن معناه أن الذهن الخلاق يتحرك دائما بين النظرية والواقع ، يشكل النظرية أو يعدلها في

ضوء الواقع ليكون أقدر على تغيير هذا الواقع .

ولا أدعي ـ أنا الزائر فى دنيا الاقتصاد ـ أن عندى النظرية . كل ما عندى ملاحظات ومقارنات مبنية على مراجعة للتاريخ ، واهتمام بسلوك الأفراد والجماعات ، وتصور لما يمكن أن يقوم به العلم لتصحيح الحياة .

● قصة القطاع العام عندنا

القطاع العام عندنا لم يبدأ مع الثورة ، ولكنه نما نموا مفاجئا بتأميم المؤسسات الأجنبية أولا ، وفى مقدمتها البنوك ، ثم بتأميم كثير من المصالح الاقتصادية الوطنية ، وكان بعضها صغيرا بحيث لا يلتفت اليه : مصنع صغير للسجائر ، معمل ثلج ، الخ .

وقد يدهش أبناء هذا الجيل حين أقول لهم إننا عرفنا فى أواخر عهد فاروق « حزبا اشتراكيا » ـ لا أدرى هل أخذ الصفة الرسمية أولا ـ ولم يكن ثمة ما يمنعه من ذلك ، فقد كان زعيمه زهير صبرى يصف نفسه بأنه اشتراكى ملكى ، وكان هذا الزعيم محاميا رقيق الحال كما يبدو من مظهره ـ كنا نراه يركب الترام مثلنا ، ولم يكن منظره بحيث يخطئه أحد : بشعره الأشيب المهوش ، ووجهه الأبيض المشرب بحمرة ، ذى الملامح التركية ، المهم أن هذا الاشتراكى الملكى كان يقول إن الاشتراكية متحققة فى مصر فعلا ، لأن الدولة تملك وحدها مؤسسات مهمة ، تديرها لمصلحة الشعب ، وعلى رأسها السكك الحديدية ، والتليفونات ، وشركات الكهرباء ( التى آلت ملكيتها الى الدولة بعد انتهاء عقود الشركات الأجنبية ) كما أنها مساهمة فى بنك مصر بنشاطه الاقتصادى والصناعى الواسع .

كان فى مصر إذن قبل الثورة ـ قطاع عام لايستهان به . ولكن النمو الاقتصادى كان ضعيفا ، وأدرك قادة الثورة أن معدلات النمو المتدنية لاتتناسب مع الزيادة المستمرة فى عدد السكان ( وقد أكدت الثلاثون سنة التالية أسوأ توقعاتهم ) ولا مع الضيق المحترم فى مساحة الأرض الزراعية . وكان الحل البديهى هو التوسع فى الصناعة . وكان « تحويل رءوس الأموال من الزراعة الى الصناعة » بين الحجج التى سيقت لتأييد قوانين الاصلاح الزراعى ، كما كان بنك مصر وشركاته نموذجا يمكن احتذاؤه . .هكذا أنشىء مصنع الحديد والصلب فى حلوان بمساهمة كثيفة من المواطنين .

**ويجب ألا ننسى أن « الثورة » كانت فى جانب من جوانبها على الأقل ـ استمرارا « للمد الوطنى الذى بدأ عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة والذى أخذ هذه المرة طابعا اجتماعيا ظهر فى النزعات الاشتراكية المختلفة ( من اشتراكية زهير صبرى الملكية الى المنظمات الشيوعية السرية ) كما بلغت ذروتها السياسية فى إعلان مصطفى النحاس رئيس الحكومة الوفدية الأخيرة إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ( ١٩٥١ ) واتخذت طابعا نضاليا مسلحا فى المعركة البطولية غير المتكافئة بين قوة بوليس مدينة الاسماعيلية وقوات الاحتلال ، وما تلا ذلك من اشتداد المقاومة المسلحة فى منطقة القنال .**

فى تلك الأيام كانت فكرتا الاستقلال الاقتصادى والاكتفاء الذاتى لاتعنيان ما نعنيه اليوم بـ « التنمية الذاتية " و « الاعتماد على النفس » لقد كانتا فكرتين

# الخبز على الأشواك

نبتنا وترعرعنا في جو الاستعداد للحرب ثم في ظروف الحرب نفسها أي أنهما كانتا تعنيان ان يكون البلد قادرا على إنتاج كل ما يحتاج اليه في ظروف السلم وظروف الحرب جميعا ( من هنا شعار « من الابره إلى الصاروخ » ) وتجسد هذا المثل الأعلى في مصنع الحديد والصلب ، « قلعة الصناعة الوطنية » و« قاعدة الصناعة الثقيلة » . ومع أن المساهمة في راس ماله كانت اجبارية على جميع موظفي الدولة ، فقد قبلوها عن طيب خاطر .

لم يفكر أحد في أن الطلب على الحديد والصلب في أسواق العالم غدا أقل من الانتاج ، وأن كثيرا من المصانع في شفيلد ويلز تتعرض للافلاس ، لأن الطائرات إذا كانت تبنى من الالومنيوم ، فإن الدبابات والمدافع ومعظم الآلات مازالت تصنع من الفولاذ . لم يفكر أحد في العائد الاقتصادى لهذه الصناعة في مصر . وأذكر أنه في تلك الأثناء ( سنة ١٩٥٦ على وجه التحديد ) ـ وكان التقارب بين مصر ودول الكتلة الشرقية في بداياته جاء إلى مصر وفد اقتصادى سوفييتى عالي المستوى وكان أهم ما نصح به الاتجاه الى الصناعات الصغيرة ذات العمالة الكثيفة والعائد السريع ، الى ان يشتد عود الاقتصاد المصرى ويصبح قادرا على تمويلات مشروعات ضخمة من طراز مجمع الحديد والصلب وكلنا يعلم أن الاتحاد السوفييتى ـ مع ذلك ـ احترم رغبة مصر ، وأن مجمع الحديد والصلب انشيء بآلاته وبمعونة خبرائه .

لاينبغى لنا الآن أن ندين تلك الأفكار إدانة مطلقة نحن ورثة الماضى بكل مافيه . وقد كانت وراء تلك الافكار دوافع شريفة على كل حال ، إنما الذى يجب أن ندينه هو تحكم « القرار السياسى » فى القرار الاقتصادى على طول الخط ، وحتى هنا يجب أن نتحفظ ، فقد يثبت المستقبل أن انشاء صناعة ثقيلة في مصر ، فى ذلك الوقت بالذات ، كان ضرورة وطنية ، وسنظل دائما نخضع للاعتبارات السياسية وزنها الكبير فى القرارات الاقتصادية . أليس على رأس هذه الاعتبارات السياسية تحقيق درجة ما من العدالة الاجتماعية ؟ هل يمكن أن نلغى دور السلطة السياسية فى تحديد أسعار بعض السلع الانسانية مثلا ؟

● أهل الثقة وأهل الخبرة

إنما كانت آفة « القرار السياسى » فى السياسة نفسها . كان تقديم "أهل الثقة" على "أهل الخبرة" فى المناصب القيادية فى القطاع العام ـ كما فى الدولة ـ هو السبب الأساسى لفساد الادارة فى كليهما . ومسألة أهل الثقة . ما كانت لتنشأ فى مناخ ديمقراطى . معنى ذلك أن الديمقراطية السياسية ، التى يجب أن نعض عليها بالنواجذ ، هى الحل الصحيح لمشكلات القطاع العام ، أو العلاج لآفاته . والحلول الديمقراطية لايمكن أن تتم بسرعة ( وطالما عابها أعداؤها بذلك ! ) ولكنها تتم بالمجادلة وتكرار المحاولة . ولهذا فقلما تتورط فى أخطاء كبيرة أو صعبة الاصلاح .

لا أظننا نسرف فى التفاؤل إذا توقعنا أن يشتد عود القطاع العام

وتزيد أرباحه ولو أن زيادة الارباح - التي تعود على الشعب كله - ليست كل ما يؤديه القطاع العام للمجتمع . فهو مع الديمقراطية السياسية والرقابة اليقظة على المال العام اداة فعالة لتحقيق العدالة الاجتماعية بتوفير المطالب الأساسية للجماهير باسعارمناسبة للدخول . ولكن المشكلة الأساسية للقطاع العام اليوم هي انه لم يعد قادرا - نتيجة لتاريخه المتعثر السابق ولفترة الانفتاح الاستهلاكي السابقة - على توفير مطالب السوق الداخلية المتزايدة وتوفير قدر زائد من الانتاج للتصدير حتى يعتدل الميزان التجارى لهذا لم يكن بد من دعوة القطاع الخاص الى المشاركة في الخطة الخمسية الثانية بنسبة تصل الى حوالى ٤٠٪ ( او ١٨ مليارا من الجنيهات ) . والمشكلة التي يجب ان تكون لها الصدارة اليوم هي العلاقة بين هذا الاستثمار الخاص المطلوب وبين التخطيط الحكومي بمختلف جهاته .

دعنا من التعقيدات الروتينية والفساد الادارى . فهذه مشكلات يمكن حسمها ويجب حسمها ولن تعيش طويلا ما دامت الديمقراطية السياسية - بما تتضمنه من حرية النشر وحق المساءلة - ماضية في طريقها . ولننظر الى المشكلة الأساسية التي تحتاج حقا الى « تنظير » اقتصادى جديد .

فالقطاع الخاص يريد حرية الحركة التي تسمح له بمتابعة مطالب السوق وتحقيق اكبر قدر من الربح . ومن ثم فهو يتوجس من « التخطيط » ولا يريد ان تحدد له الجهات الحكومية مجالات عمله . ومن ناحية اخرى يبدو ان الدولة مازالت تتمسك بالتخطيط الشامل . ومعنى ذلك ان القطاع الخاص مطالب بالمشاركة ولكن بشروط الحكومة .

إن مثل هذه التناقضات تحل دائما ، في مناخ الديمقراطية السياسية ، بالحلول الوسطى . ولكن الحل الوسط ، ليكون حلا حقيقيا ، يجب الا ينطوى على مجرد "تنازل" من كلا الفريقين ، فاذا لم يتفهم كلا الطرفين موقف الطرف الآخر ، ولم يكن مستعداً لقبوله ولو جزئيا ، فإن اللقاء بينهما يصبح خداعاً متبادلاً ، اى نية متبادلة على تحقيق كسب شخصى عن طريق الاضرار بالطرف الآخر . والنتيجة - غالبا - الفشل للطرفين .

وموقف القطاع الخاص - وهو بالتحديد موقف الاقتصاد الحر - يقوم على ان السوق - اى مجموع الروابط المتشابكة بين منتج / بائع ومشتر/ مستهلك - لها قوانينها الطبيعية التي تحكم تصرفات كل المشتركين فيها . وموقف انصار التخطيط هو ان السوق ليست الحكم الوحيد في الانتاج والتوزيع ، بل إن لكل مجتمع اهدافا واعية يسعى لتحقيقها في عمليات الانتاج والبيع والشراء .

على المستوى العملي يمكننا ان ننتظر تفهما وتفاهما فتعاونا . وعلى المستوى النظرى يمكننا ان ننتظر نمطاً معدلاً من الاشتراكية ، او نمطاً معدلاً من الراسمالية .

ولكننا لا يمكننا ان نبني حياتنا على نظم الآخرين وفكر الآخرين أما "بيع القطاع العام" فعجب من العجب !

# سوانح

# الغناء والبكاء فوق كنوز توت عنخ آمون

بقلم : كمال النجمى

لاجديد تحت الشمس !

اهتزت اقلام الصحفيين والادباء والشعراء غضبا على اللورد الانجليزى كارنارفون فى الأسابيع القلائل الماضية، كما اهتزت غضبا عليه منذ ستة وستين عاما !.

فى الشهر الماضى - فقط - ثبت ان اللورد كارنارفون احتفظ لنفسه - على سبيل التذكار - بنصيب من الآثار التى اكتشفها سنة ١٩٢٢ فى مقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك فى الأقصر..



● وكان اللورد عقب اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون مباشرة، يقسم بأغلظ الأيمان انه لم يأخذ منها شيئا لا على سبيل السرقة ولا على سبيل التذكار، وأنه تركها كما وجدها صديقه الأثرى هوارد كارتر الذى ظل يبحث عنها شهورا طوالا حتى عثر بها مصادفة بعد أن كاد ييأس ويهيل التراب على جميع حفرياته فى وادى الملوك ! ..

كان اللورد كارنارفون هو ممول مشروع البحث عن الآثار فى الأقصر سنة ١٩٢٢، وكان كارتر يشرف على البحث، والعمال المصريون تحت إمرته هم الذين ينقبون ويبحثون فعلا .. وأحد هؤلاء العمال الأذكياء ارشد كارتر الى السلالم المفضية الى المثوى الابدى لتوت عنخ آمون الذى جلس على عرش الكنانة قبل ثلاثة وثلاثين قرنا من الزمان، ومات دون سن العشرين !.

جاء اكتشاف كنوز توت عنخ آمون فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٢ عقب انبعاث الروح الوطنية فى المصريين خلال ثورة ١٩١٩، فكان أشبه بثورة جديدة عززت ثقتهم بحقهم فى الاستقلال التام، الذى طلبوه فى الثورة بالموت الزؤام، ولكن بريطانيا



توت عنخ امون .. سرقوه فى اتحازن



هيوارد كارتر .. قبل ان يصل الى الحجرة الرئيسية

توت عنخ امون .. سرقوه فى اتحازن هيوارد كارتر .. قبل ان يصل الى الحجرة الرئيسية



لم تسمح لهم فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ إلا بالاستقلال « الذاتى » .. ذلك الاستقلال السيىء السمعة الذى لم تتخلص منه مصر الا سنة ١٩٥٦ .

ارتاب المصريون فى كارنارفون وكارتر ، وسرت فيهم الشائعات بأن اللورد وصديقه قد سرقا آثار فقيد مصر الذى رحل فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ..

ونفى كارنارفون وكارتر تلك الشائعات جملة وتفصيلا ، ولكن التهمة ظلت تطاردهما ، ونظم فى ذلك الشعراء ، ونثر الناثرون ، وتغنى المغنون ، وقال أمير الشعراء أحمد شوقى :

أَمَنْ سرَقَ الخليفةَ وهو حَيٌّ
يَعِفُّ عن الملوكِ موسدينا

أراد أن يقول : لقد سرق الانجليز السلطان أو الملك أو الخليفة العثمانى بعد انتصارهم على الاتراك فى الحرب العالمية الأولى ، ونقلوه على ظهر إحدى بوارجهم الى « مكان أمين » لايبرحه .. فكيف يتعفف هؤلاء اللصوص المحترفون الذين سرقوا السلطان او الملك التركى وهو حى يرزق ، عن سرقة كنوز ملك مصرى رحل عن دار الفناء سنة ١٣٢٣ قبل الميلاد ؟! ..

لقد صدق شوقى .. فها هو ذا اللورد كارنارفون الذى مات منذ خمسة وستين عاما ، يفتضح على مرأى ومسمع من العالم كله ، ويضبط متلبسا بالسرقة ، وحفيده اللورد كارنارفون السابع شاهد على ذلك ، فضلا عن خادمه الأمين العجوز روبرت تايلور ، وهو غير الممثل الأمريكى المشهور الراحل الذى كان يحمل نفس الاسم ..

ومن أسف ان قصة توت عنخ آمون عادت الى الحياة مرة أخرى ولكنها لم تحرك ساكنا فى أحد منا ، وكانت فى سنة ١٩٢٢ عند اعلانها اول مرة كأنها النفخ فى الصور يبعث الموتى من أجداثهم ، وكانت مثارا للغناء والبكاء فوق كنوز اسلافنا الفراعين ! ..

لقد اقتحم توت عنخ آمون فى ذلك الحين شعر الشعراء ، وغناء المغنين ، فامتدحه الشعراء بقصائد عصماء كأنهم يتصورون أنه سيجزل لهم العطاء كعادة الملوك قديما مع الشعراء ، ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يسمع شيئا من قصائدهم ، ولو سمعه لعجز عن فهمه ، فهو ملك هيروغليفى اللغة ، والشعر الذى قيل فيه عربى مبين ! ..

نظم امير الشعراء شوقى فى المناسبة التاريخية قصيدته المشهورة .

قفى يا اخت يوشع خبرينا

احاديث القرون الغابرينا

ثم نظم قصيدته الاخرى الرائعة التى أشاد فيها بتوت عنخ آمون وحضارة عصره وامجاد دولته :

دَرَجَتْ على الكنز القرونْ

وَأَتَتْ على الدَّنِّ السنونْ



ولكن شوقى ختم قصيدته هذه بقوله :

إن الــزمــان واهلــه

فَرَغا من الفـرد اللعينْ

أراد شوقى ان يندد بحكم الطاغية الفرد الملك فؤاد فى ذلك الحين ، فتمسح بالملك الفرد الفرعونى ورمى بهذا البيت كالقنبلة وكأنه يرميه على توت عنخ آمون لا على الملك الفرد القابع فى « عابدين » ! ..

واكثر الشعراء من القول ، فخلطوا الجيد بالردىء ، ومن حسن الحظ ان شعراء ايامنا الحاضرة لم يقولوا شيئا ، فإنه لاجيد لديهم يقولونه ، ولو قالوا لاغرقونا فى بحر من رديئهم الذى لايملكون غيره وهم فيه معذورون ! ..

اما مؤلفو الأغانى فى العشرينيات فإنهم داروا على المطربين والمطربات بأزجال عن الملك الفرعونى الشاب الذى بهرت كنوزه الدنيا ، وقتلت بعوضته اللورد كارنارفون ، وطاردت لعنته الفرعونية جميع من نبشوا مثواه ! ..

ولما ذهب أحد مؤلفى الأغانى الى منيرة المهدية سلطانة الطرب ، نظر بإعجاب فى عينيها العسليتين اللتين تشبهان عينى الأسد أو عينى الأسدة ـ زوجة الأسد ـ ثم قال لها منوها ببضاعته :

ـ جئت اليك ياست الكل بكلمات طقطوقة لم يسبق لها مثيل !..

قالت منيرة بدلال وصبر نافد :

ـ أية طقطوقة هذه ؟!

ـ طقطوقة جدنا الكبير ! ..

ـ ومن يكون جدنا الكبير هذا ؟!

ـ توت عنخ آمون .. ياست ! ..

لم تمض أيام حتى كانت منيرة المهدية قد سجلت على اسطوانات شركة بيضافون هذه الطقطوقة وقد امتلأ فيها صوتها حماسة ، وفرقعت بحتها الشهيرة كالقنبلة فى عدة مواضع من اللحن :

مايجبش زيى إن لف الكونْ
واحنا ابونا توت عنخ آمون
اسال من التاريخ .. ينبيك
عن مجدنا .. وبعدين اماشيك
انت تورّى الناس حتاويك
واحنا ابونا توت عنخ آمون

تخاطب منيرة فى هذا الغناء الانجليز الذين يفخرون علينا بمجدهم ، ونحن سابقون بمجدنا العالم كله ، كما تخاطب منيرة بغنائها ابناء مصر الذين خرجوا من ثورة ١٩١٩ بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، لا أكثر ، فلما كشف الانجليز كنوز الملك المصرى هب المصريون فى كبريائهم الوطنية يقولون للانجليز : هذا تاريخنا المجيد ، فاخجلوا منه واخرجوا من بلادنا ! ..

وفى سنة ١٩٢٣ حين غنت منيرة هذه الطقطوقة كانت « مسالمة الانجليز » هى سياسة جميع الأحزاب فى انتظار فراغ « لجنة الاشقياء » من تفصيل مواد الدستور ، والى هذه السياسة السلمية تشير منيرة فى قولها :

وغُمْر قلبى إن كان يرتاح
إلا ان عادت لنا الأفراح
واعمل « سياسة السِّلْم » سلاح
واحنا ابونا توت عنخ آمون

ولم تغن أم كلثوم شيئا عن توت عنخ آمون ، فقد كانت أيامئذ ناشئة تتلمس

طريق بدايتها الفنية فى القاهرة ، قانعة بالغناء فى « كشك » بحديقة الازبكية لاتصحبها فى غنائها آلة موسيقية ، ولاتظهر لمستمعيها فى ملابس النساء ، وانما ترتدى جبة غليظة وتضع على راسها عقالا بدويا مضلعا يدهش الناظرين ..

أما محمد عبد الوهاب فكان حينذاك يغنى طقطوقته المشهورة ؛ « فيك عشرة كوتشينة فى البلكونة » .. أو يقلد أغانى سلامة حجازى وسيد درويش الذى مات فى نفس السنة التى ذاعت خلالها أغانى توت عنخ آمون ! ..

ولم يتصد لمنافسة منيرة المهدية الا زميلتها المطربة نعيمة المصرية التى كانت تطبع اسطواناتها فى شركة « بوليفون » المنافسة لشركة بيضافون ! ..

ذهبت نعيمة الى بوليفون وقالت لصاحبها :

ـ اسمع ياخواجة .. أنا أريد تسجيل طقطوقة وطنية عن توت عنخ آمون ، حتى لاتكون منيرة المهدية أعرف منى بالأصول عند أهل النظر ! ..

« نقل لنا هذه العبارة احد المخضرمين من « الآلاتية » فضمنتها مقالة لى منذ عشرين عاما ، وها أنذا أعود فأضعها فى مكانها هنا ، ولم اكن أظن أن كلام نعيمة المصرية مما يحتاج المرء الى تكرار ترديده من حين الى حين » ! ..

لكن نعيمة لم تفهم ـ فيما يبدو ـ أن الغناء الوطنى يختلف كثيرا عن غناء « الخلاعة والدلاعة » فقد غنت طقطوقة راقصة اهتزت على نغماتها وإيقاعاتها فتيات مقاهى الازبكية وعماد الدين وروض الفرج ، وكانت تقول :

قم هات لى بدلة لازم تكونْ
لونها بديع توت عنخ آمون
الله عليها .. مالهاش مثيل
قم اشتريها واعمل جميل
اضحك واهزّ وابدى الدلال
والبس واخطر زى الغزال

تنافست أغنية نعيمة وأغنية منيرة ، ففازت أغنية منيرة فى السباق ، وامتدحها سعد زغلول باشا زعيم الشعب ، ولكن هواة الايقاع الراقص لم يخفوا تفضيلهم لأغنية نعيمة مع احترامهم التام لرأى زعيم الأمة الجليل ! ..

ثم توالت الاغانى ، ودخلت الميدان علية فوزى وفاطمة قدرى وبديعة مصابنى ، ورقصت ملاهى القاهرة والاسكندرية على ايقاعات توت عنخ آمون ! ..

ومن مآثر توت عنخ آمون على الفن المصرى أنه نبه الفنانات والفنانين ـ بعد ثلاثة آلاف وثلثمائة عام من وفاته ـ الى ان الجمال هو الرشاقة وليس اكتناز الشحم واللحم ..

وقد كان المغنون والمغنيات فى العشرينيات يهتفون بأبيات الشعر التى تتغزل

فى القدود الرشيقة ولكنهم ـ وبخاصة الفنانات ـ لايؤمنون الا بحجم الفيل ..
كانت المغنية تترنم بالغزل فى غصون البان التى تميل مع النسيم ، بينما تقف المغنية أمام جمهورها كشجرة جميز عتيقة ! ..
ذلك لأن الأعيان من الباشوات والبكوات والعمد وكبار تجار القطن كانوا يهيمون غراما بالنساء السمينات وكأنما كان شوقى يلم بهذا المعنى حين قال فى مسرحية على بك الكبير على لسان أحد شخوصها :

إن سراة الناس فى
مصر يحبون السِّمَنْ
وهذه الكومةُ فيها
سِمَنٌ لكنْ حَسَنْ

وقال فى هذه المسرحية أيضا يخاطب إحدى الحسان السمينات :

وانتِ ياضخمةُ يابدينةْ
يامحملا يخطر بالمدينةْ
قومى إلىَّ أقْبِلى للزينه
رُزِقْتِ عُقْدَةً بلا قرينه

يصف شوقى فى هذه الأبيات ذوق الأعيان والكبراء فى عهد على بك الكبير والمماليك العثمانية ، ذلك الذوق الذى لم يبرح راسخا فى أعيان مصر حتى أوائل القرن العشرين ..

وقد فعلت الصور التى نشرت لتوت عنخ أمون ونساء عصره ، والعصور الفرعونية الأخرى ، فعل السحر فى نفوس المصريين والمصريات ، ويمكن ان يقال إن المصريين والمصريات الذين شاهدوا النزلاء والنزيلات الأجانب فى مصر فلم يأبهوا لرشاقتهم ولا فكروا فى الأخذ بأسبابها ، طلع عليهم توت عنخ أمون من وراء التاريخ ، فكأنه أصدر اليهم ـ رجالا ونساء ـ أمرا ملكيا بأن يتخففوا من أكوام اللحم والشحم ! ..
وغنى عن البيان أن الذين كانوا يتمتعون بأكوام اللحم والشحم فى تلك الأيام لم يكونوا من فلاحى مصر ولا عمالها ، وإنما كانوا من جمهور السيدتين منيرة المهدية ونعيمة المصرية ! ..
على أننا نذكر لهؤلاء الأسلاف الأقربين من أبناء مصر فى العشرينيات أنهم قد تأثروا بتاريخ بلادهم وعرفوا له قدره ..
أما نحن ـ الآن ـ فقد أصبح تاريخنا لايؤثر فينا ! ..
ولن تتحرك شعرة فى رءوسنا ولا فى أيدينا أو أرجلنا غضبا على كارنارفون وقومه الكرام ولو نقلوا الى بلادهم الأهرام وأبا الهول ، فضلا عن كنوز توت عنخ أمون ! ..

# سراسية

صلاح جاهين

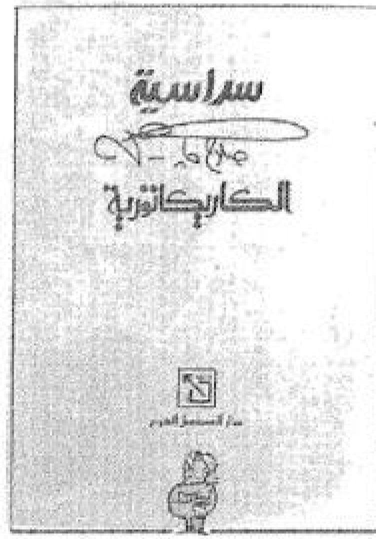
# الكاريكاتورية

كان صلاح جاهين بحق شاهدا على عصره .. ترك لنا تراثا عظيما من الكاريكاتير والكلمة والنغم ، وكثيرا ما اضحكنا من اعماق قلوبنا ، وكثيرا ما ادمع عيوننا فى تعبيره الصادق عن مشاعر بنى وطنه، ويفتح قلبه بما ضاقت به صدور الناس ويحوله الى اشكال فنية ثرية .

ويقدم بهاء جاهين مئات الرسوم الكاريكاتورية فى كتاب اصدرته دار المستقبل العربى ، ترصد من خلال رسومه الحركة الاجتماعية فى الفترة مابين ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٥ ، عندما تراها جنبا الى جنب والتى كنا نطالعها يوميا فى جريدة الاهرام ، ترى الى أى حد كانت رسومه تدعوة الى غد افضل ، ودوره البارز فى مقاومة كل صور التخلف فى حياتنا ، وترى مئات الرسوم التى اضحكت القارىء وابكته فى آن واحد ، ولماذا اصبح رائدا لايعوض فى مدرسة الكاريكاتير العربى .



ــ انت فكرك ايه .. شوية دروس خصوصية وابقى زيك !







ـ وقد عثر الاثريون فى منطقة الهرم عل شريط تسجيل أن المصريين هم الذين دهنوا الهوا دوكو .




ـ انا دكتور واقول لك ان الانسان لو استمر يضحك بدون توقف يموت بعد عشر دقائق عل الاكثر !



ـ هع ·· بعد ماكان صامت صمت القبور ·· دلوقت قلعته بالسكينة وبرضه بيرن !



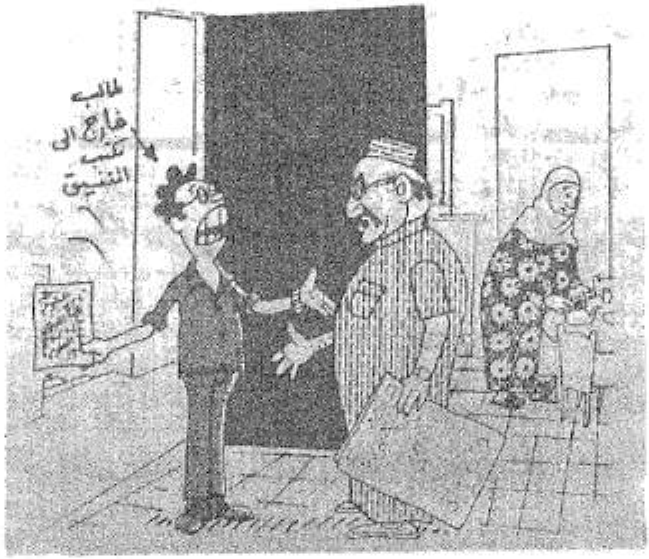



- تصور رحت اعمل اعلان فى التليفزيون مارضيوش!






- الشهر رمضان جه يا ام سمير .. التليفزيون بيذيع حاجات حلوة !




ـ يابني بلاش تهور ·· مصر مش عايزة خريجين علوم دلوقت ! ـ لكن يابابا « كندا » عايزة !



ـ بدل تكسير التليفون ·· افسخ خطوبتك اللي في مصر الجديدة واخطب واحدة ساكنة قريب !




ـ يا عم كفاية علينا بقى الاقزام !

## القضية القومية فى الاتحاد السوفييتى:

# هل أصابت لعنة ستالين خلفاءه ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

**من قديم كان يقال عندنا فى مصر ان هناك لعنة للفراعنة تصيب من يعبثون بقبورهم ، ويحاولون الاستيلاء على كنوزهم المدفونة معهم وبالرغم من الاقاصيص التى رويت عن بعض من عبثوا بهذه القبور ، وما اصابهم فى اشخاصهم او ذويهم من تلك اللعنة فان التنقيب عن اثار هؤلاء الفراعنة لم ينقطع ، وان كان حسن النية ـ متمثلا فى عرض هذه الاثار على العالم ـ عن طريق الهيئات العامة التى تقوم بالتنقيب ، قد حل محل الاغراض الشخصية فى الاستيلاء على الكنوز ، وعسى ان تكون اللعنة قد كفت من ان تصيب المنقبين الحاليين .**



ويبدو ان الاتحاد السوفييتى يعانى حاليا مما يمكن وصفه بانه « لعنة ستالين » ، باعتباره « الفرعون » الذى قام بالدور الاكبر فى بناء تلك الدولة الكبرى !! وبالرغم من ان ستالين لم تكن لديه كنوز يسعى المنقبون للاستيلاء عليها ، فان له تاريخا طويلا عريضا لم ينقطع التنقيب فيه حتى الان ، بل هو يتجدد باستمرار . أول ما بدأ التنقيب كان فى عهد خروشوف ، بعد سنوات قلائل من موت ستالين عام ١٩٥٣ . ففى عام ١٩٥٦ عقد المؤتمر العشرون للحزب البلشفى ، وفيه دعا السكرتير العام للحزب ، نيكيتا خروشوف ، الذى اختير لهذا المنصب خلفا لستالين ، الى نبذ سياسة « تقديس الفرد » التى كانت متبعة فى عهد سلفه الراحل ، ويعنى بذلك تقديس ستالين ذاته ، وقرأ على المؤتمر تقريرا سريا ، عرفه العالم بعد ذلك

على نطاق واسع ، عن « جرائم ستالين » ، واستبداده وطغيانه ، وعصفه بالشرعية الاشتراكية ، وقتله وتنكيله بكثير من رفاقه من اعضاء الحزب وقادته ، وقادة الجيش ، مما عرض الدفاع عن الوطن السوفييتى ـ حسب زعم خروشوف ـ للخطر ، خلال الحرب العالمية الثانية ، التى كان انتصار الاتحاد السوفييتى فيها ، مع حلفائه الغربيين ، هو مفخرة ستالين الكبرى . وبعد المؤتمر العشرين بسنوات قليلة ، فى المؤتمر الثانى والعشرين عام ١٩٦١ ، أقدم خروشوف على خطوة أكبر فى تحقير ستالين ، حيث دعا الى اخراج جثته من ضريح لينين ، وأمر باحراقها ودفنها تحت سور الكرملين أسوة « بصغار » الزعماء السوفييت ، وأمر بازالة تماثيله من الشوارع ، وتغيير الاسم التاريخى لمدينة « ستالينجراد »، رمز الصمود السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، واحدى معالم التحول فى مصير تلك الحرب لصالح الحلفاء بمن فيهم السوفييت ، واطلاق اسم « فولجوجراد » عليها ! وكانت « لعنة ستالين » التى اصابت خروشوف ، انه بعد ثلاث سنوات ، من فعلته تلك ، أجتمعت اللجنة المركزية للحزب البلشفى ، وقررت اقصاء خروشوف منموقعه القيادى ومن جميع مناصبه، واختيار بريجنيف بدلا منه ، وبعد ذلك بسنوات قليلة مات خروشوف فى الظل ، مجردا من كل ابهة «الزعماء» احياء أو أمواتا .

ويبدو حاليا ، أن لعنة ستالين ، تصيب الاتحاد السوفييتى فى مجموعه على نطاق أوسع بكثير مما أصاب خروشوف ، فقد شهدت الشهور الاخيرة ما يمكن وصفه بالالتهابات « القومية » الحادة ، فى « الجسد » السوفييتى العظيم المترامى الاطراف !

فمن مظاهرات للتتر فى موسكو ، تطالب بعودتهم الى القرم التى سبق اجلاؤهم عنها فى أيام الحرب العالمية الثانية ، الى اضطرابات فى كازاخستان بسبب اقصاء « دين محمد كوناييف » من منصبه كسكرتير عام للحزب هناك ، واستبدال رجل روسى به ، الى مظاهرات فى دويلاتالبلطيق لاتفيا ولتوارنيا واستونيا ، تطالب بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتى ، واخيرا مظاهرات صاخبة فى ايرفان عاصمة جمهورية أرمينيا السوفييتية ، تطالب بعد حوالى سبعين عاما على قيام الاتحاد السوفييتى على صورته الحالية ، باعادة ضم اقليم « ناجورنو ـ كاراباخ » ، الذى يتبع حاليا جمهورية أذربيجان السوفييتية ، الى أرمينيا ، لان أغلبية سكانه من الارمن، الذين تظاهروا بدورهم فى « ستيبا ناكرت » عاصمة الاقليم ، ووقعت احتكاكات عنيفة بينهم وبين « مواطنيهم » من الاذربيجان ، واضطرت السلطة السوفييتية الىقمع المظاهرات بالقوة ، واعترفت بوقوع عدة عشرات من القتلى والجرحى وان كانت الدعاية الغربية تقدرهم بالمئات أو حتى بالالوف ! وتبع ذلك أن امتدت المظاهرات الى موسكو ذاتها ، حيث تجمهر أكثر من ثلاثمائة الف ارمنى احتجاجا على ما أصاب زملاءهم فى أيريفان وستيبا ناكرت !

وبغض النظر عما يقال عن الشعور الدائم لدى الارمن بالمحنة القومية من أول ما يرددونه دائما عن مذابحهم القديمة فى تركيا ، فما الذى يجعلهم يثورون الان مطالبين بذلك الاقليم المتنازع عليه مع أذربيجان ؟ وقيم ضم هذا الاقليم الى تلك الجمهورية أصلا ، وما علاقة كل ذلك بما نتوهمه منلعنة لستالين ؟!

للاجابة على تلك الاسئلة ، ينبغى البدء بذكر علاقة ستالين الشخصية ، بالمسألة القومية فى الاتحاد السوفييتى ، فقد كان ستالين هو أول وزير للشئون القومية ، فى الحكومة السوفييتية التى شكلت برئاسة لينين بعد الثورة البلشفية مباشرة ، وسبب اختياره لهذا المنصب ، أنه كان يعتبر خبير المسألة الوطنية أو القومية فى الدولة متعددة القوميات التى ورثها البلاشفة عن الامبراطورية الروسية ، وحينما ألف كتابه الشهير عن « المسألة الوطنية » امتدح لينين هذا الكتاب ، وقال فى رسالة لأحد أصدقائه أن حربيا العيا من جورجيا قد وضع كتابا مهما جدا فى المسألة الوطنية ، ولاتزال « النظرية » التى بسطها ستالين فى هذا الكتاب عن خصائص « الامة » هى عمدة الفكر الماركسى فى هذه القضية ، حيث حدد شروطا أربعة لقيام الامة هى : أن تكون بين أفرادها رابطة التكلم بلغة واحدة ، والاقامة على أرض واحدة متصلة ، ولها اقتصاد مترابط فيما بينها ، ويجمع بين مواطنيها تاريخ وتراث مشترك .

ولكن اعجاب لينين بأفكار ستالين فى المسألة الوطنية ، لم يمنع دون وقوع صدام كبير بين الرجلين حول هذه المسألة بالذات فى أواخر أيام لينين ، وشاء القدر أيضا أن يكون موضوع هذا الصدام متعلقا بجمهورية جورجيا التى ينتسب اليها ستالين ، وأن يمتد الصدام الى مجموع العلاقة بين الرجلين على المستويين الحزبى والشخصى معا !

## ● التمرد فى جورجيا

خلال عام ١٩٢٢ ، كانت السياسة الاقتصادية التى نفذها لنين بعدمرحلة حروب التدخل من جانب الدول الرأسمالية ضد الدولة السوفييتية الوليدة ، وتعرف باسم « السياسة الاقتصادية الجديدة » ، مطبقة على نطاق واسع فى ذلك الحين ، بهدف تنمية التجارة وانعاش الاقتصاد السوفييتى المنهك ، ولو بالعودة الى بعض الاساليب الرأسمالية ، الامر الذى أدى الى نشوء طبقة جديدة من الرأسماليين والتجار عرفت باسم رجال السياسة الاقتصادية الجديدة ، ويشار اليهم اختصارا « بالنيب من » Nepmen وطبقا لذات نظرية ستالين ، عن علاقة الامة بالسوق القومية ، فقد أدت زيادة نفوذ هذه الطبقة فى جمهورية جورجيا الى مطالبتهم بعدة مطالب اقتصادية ـ قومية ، حيث رفضوا الانضمام الى الاتحاد القوقازى من ناحية ، ومن ناحية أخرى طالبوا بحريتهم فى اصدار عملة جورجية ، واستخدام اللغة الجورجية فى تذاكر السكك الحديدية التى كانت تمر ببلادهم ! وبالسماح لهم بفتح فروع للبنوك الاجنبية فى جورجيا . وبلغ من ارتفاع المد « القومى الرأسمالى » على هذا النحو ، أن وافق قادة الحزب الشيوعى فى جورجيا على هذه المطالب ، التى كان تطبيقها يعنى انسلاخ جورجيا عمليا من الحظيرة الاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفييتى والتحاقها بالنظام الرأسمالى الغربى .

ولاعادة الامور الى نصابها فى جورجيا أرسل اليها ستالين ، الذى كان يشغل فى ذلك الحين منصب

السكرتير العام للحزب البلشفي بسبب مرض لنين واحـــدا من كبار القادة الحزبيين من ابناء جورجيا ذاتها ، وهو المعروف باسم « اورجنكدزه » ، الــذى لم يتردد فى قمع ذلك التمرد القومى فى موطن رأسه ، بما فى ذلك استخدام العنف البدنى ضد الرفاق الشيوعيين فى جورجيا الذين انساقوا فى هـــذا التيار ، واسرع تروتسكى المنافس الاول لســتالين على زعامة الحزب البلشفى بعد لنين المريض ، الى ابلاغ زوجة لنين المعـــروفة باسم كروبسكايا ، بهــذا الذى حدث فى جورجيا ، وطالبها بابلاغ لنين بتلك التطورات الخطيرة ٠

وبادرت كروبســـكايا بالاتصـــال بستالين لابلاغه باستياء لنين ممـــا حدث ، وطلبه ايفاد « ديزرزنسكى » وزير الداخلية السوفييتية الىجورجيا للتحقيق فى الوقـــائع المنسوبة الى اورجنكدزه ٠٠ ورد ســـتالين على كروبسكايا بغلظة وقال لها ما معناه انها لم يكن يحق لها أو لتروتسكى ازعاج لنين بمثل هذه الامور ، التى يستطيع هو والقـــيادة السوفييت التصرف فيها ، دون حاجة الى تدخل أمثالها ٠

واسرعت كروبســـكايا الى لنين

ويبـــدو أن تلك الواقعة هى نموذج مألوف للصراعات التى كثيرا ما تقوم ما بيـــن زوجـــة الزعيم الاول أو أرملته ، وخليفة هـــذا الزعيم ٠٠ اسرعتكروبسكايا تشكو غلظةستالين معها الى لنين ، فارسل لنين رســالة غاضبة الى ستالين ، قال له فيها ان مسلكه مع زوجته يهدد العلاقة بينهما تهديدا خطيرا ، حيث انه يعتبر اهانة زوجته اهانة شخصية له٠٠وفىالوقت ذاته أرسل لنين خطابه المشهور الى المؤتمر الثالث عشر للحـزب البلشفى يطالبه فيه باختيار سكرتير عام اخر للحزب ، ويكون أكثـر أدبا ، وأقل وقاحة فى معاملة الرفاق من الرفيق ستالين ، الذى جمع فى يده سلطات كبيرة يسىء استخدامها ، ذلك الخطاب الذى نشره خروشوف تعزيزا لحملته على ستالين بعد وفاته ٠

والذى حدث أن المؤتمر الثالث عشر للحزب ضرب عرض الحـــائط بوصية لنين فى اقصـــاء ستالين عن مركـــز السكرتير العام للحزب ! كل ما فعله المؤتمر احتراما للرجـــل الكبيــــر المحتضر ، أن أخذ تعهدا من الرفيق ستالين بأن يكون أكثر أدبا وتواضعا مع الرفاق فى المستقبل ، الامر الذى يدل على أن ستالين كان هو الزعيم الفعلى للحزب البلشفى منـــذ لحظة تاسيسه ، الزعيم التنظيمى الـــذى يملك مقاليد الامور فى يديه ٠ فقـــد كان لنين فى واقع الامر فيلسوفا نظريا يقيم فى الخارج قبل الثورة ، يرسل بالكتب والمقـــالات لكى يتداولهـــا ستالين ورفاقه فى الداخل ، ويتحركوا طبقا لهـــا ، اما ستالين فكـــان يتولى عملية بناء الحزب داخليا عن طريق الترابط الشخصى مع أفراده ، من أيا كان يقود عصابات منهم لمهـــاجمة العـــربات التى تحمـــل الذهب الى القيـــاصرة من أرجاء الامبراطورية الروسية المترامية الاطراف ، ويستولى على هذا الذهب لينفق على نشـــاط الحزب ، بما فى ذلك شراء الاسلحة ، تمهيدا للاستيلاء على السلطة ، الذى تحقق للحزب البلشفى فى أكتوبر عام ١٩١٧ ، حقا لقد عاد لنين ورفاقه فى المنفى الى روسيا قبل ذلك بشهور ، وتولى رئاسة الدولة السوفييتية بعد الثورة ، ولكنه لم يكن من القـــوة بالقدر الذى يتيح له ــ حينما أراد ــ اقتلاع ستالين ، الذى اثبت أنه البانى الحقيقى للحـــزب البلشفى وللدولة

# هل أصابت لعنة ستالين خلفاءه؟

السوفييتية على حد سواء !

وربما يكون الانتصار الوحيد الذى تمكن لنين من تحقيقه ضد ستالين ، حينما دخل معه فى هذا الصراع ، انتصارا شكليا بحتا ، حيث أنه رفض مشروع الاتحاد الذى كان ستالين قد تقدم به للمؤتمر ، بتسمية الدولة السوفييتية باسم « جمهوريةروسيا الفيدراليةالاشتراكية السوفييتية » ، واستبدل به لنين اسم « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » ، الامر الذى يعنى من الناحية الظاهرية المساواة بينمختلف الجمهوريات القومية المنضمة الى الاتحاد ، بينما تسمية ستالين كانت تعكس الواقع الحقيقى لهذا الاتحاد ، ليس من حيث أن « روسيا » هى الجمهورية الكبرى فحسب ، بل أيضا، هى صاحبة اللغة التى يتكلم بها الاتحاد فى مجموعه .

بل ان لنين أيضا لم يفلح فيما طالب به ، حينما وصله تقرير « دزيرزنسكى » عما فعله أورجنكدزه فى جورجيا ، فقد وصف لنين أورجنكدزه بأنه من الذين اكتسبوا الطابع الروسى أو « تروسوا » من أبناء القوميات الاخرى ، فاصبح « ألعن » من الروس أنفسهم فى معاملة أبناء القوميات الصغرى ! وطالب بأن يعاقب بشدة حتى يصبح عبرة لغيره من قادة الحزب ، ولكن أورجنكدزه لم يصبهشىء ، وظلمحتفظا بمكانته فى اللجنة المركزية فى الحزب، وباحترامه الكامل ، حتى مات عام ١٩٣٧ فى ظروف غامضة ، قيل فيما بعد ان ستالين ، قد دفعه للانتحار ، لاسباب بعيدة الصلة عن قضية جورجيا التى أغضبت لنين عليه وعلى ستالين كليهما !

## ● اللعنة الحالية

ومما يذكر أن الاضطرابات قد تجددت فى جورجيا بعد ذلك على صعيد مختلف تماما ، وذلك بعد الحملات المتكررة على ذكرى ستالين ، فبالرغم من كل شىء ، كانت المشاعر القومية فى جورجيا تلتهب ازاء الاهانات التى توجه الى ذكرى ابن جورجيا العظيم ، بانى الدولة السوفييتية··جوزيف فيساريا لوفيتش ووجاشفيلى ·· ستالين !

ولقد اذكر فى هذا الصدد تجربة شخصية لى مع بعض الرفاق السوفييت الذين التقيت بهم فى زيارتى للاتحاد السوفييتى فى السبعينيات ، فقد عبر لى بعض الاصدقاء من أوزبكستان الجمهورية الاسلامية الكبرى هناك عن تقديرهم الكبير لستالين باعتباره الرجل الذى أرسى بالفعل قواعد المساواة بين أبناء القوميات المختلفة، ورفع عنهم نير الغطرسة الروسية وعلى العكس منذلك تماما ، فقد كنت مسافرا على احدى الطائرات بين بعض الجمهوريات السوفييتية ، وكنت أتحدث مع مرافقى المترى بالانجليزية وجرى بيننا ذكر خروشوف ، فما أن سمعت احدى السيدات المسافراتمعنا على الطائرة اسمه ، حتى انتفضت واقفة ، وراحت تسب ذلك «الخنزير» الذى أساء الى سمعة الاتحاد السوفييتى ! حسب ما ترجم لى ذلك المرافق !

فاذا عدنا الى حكاية أذربيجان وأرمينيا··نحاول الرد على السؤال الذى سبق : لماذا ضمت هذه المقاطعة التى تسكنها أغلبية أرمينية الى اذربيجان ؟

ربما يكون لهذا التصرف ، الذى تم على عهد ستالين عام ١٩٢٣ سببان :

الاول : هو زيادة حجم جمهورية اذربيجان السوفييتية ، حتى تستحق ان تصبح جمهورية ذات استقلال ذاتى باضافة هذا الاقليم الارمنى اليها ، حتى يكف اهلها عن التطلع الى الارتباط ببقية اذربيجان التى تقع داخل الحدود الايرانية ، ومن وقائع زيارتى ايضا للاتحاد السوفييتى ، لم يتردد بعض ابناء اذربيجان عن التصريح لى بتطلعهم الى الوحدة مع اخوتهم من مسلمى الشيعة فى اذربيجان الايرانية !

والسبب الثانى : وربما يكون الاهم ، قد يكون سببا استراتيجيا ، وهو ان الاقليم المتنازع عليه « ناجورنو ـ كاراباخ » قد يكون هو الطريق الاقصر أمام القوات السوفييتية الرئيسية للوصول الى الحدود الايرانية ، وفى حالة اضطرار الجيوش السوفييتية الى ذلك ـ كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية ، وحتى نهايتها ، فان السوفييت قد يفضلون أن تكون جيوشهم الزاحفة على شمال ايران ، وبالتحديد على اذربيجان الايرانية ، متخذة مظهر الذى يزحف من اذربيجان الى اذربيجان ! وليس من أرمينيا الى اذربيجان ، لاسباب معنوية تتعلق بالشعوب التى تسكن هذه المنطقة ، ذات التاريخ المتداخل المعقد ، المشحون بالتوتر العاطفى !

ولكن لماذا يعود الارمن الان للثورة مطالبين باعادة هذا الاقليم اليهم ؟ ولماذا يشترك حتى الشيوعيون منهم فى تلك المظاهرات ، ويصل بهم الامر الى حد تمزيق بطاقات عضوية الحزب الشيوعى والقائها على الارض تعبيرا عن الغضب ؟

كل ذلك أيضا له اكثر من تفسير :

أولا : مرحلة العلنية والديمقراطية التى أعلنها جورباتشوف تفتح الشهية للتعبير عن مختلف الاراء والنزعات المكبوتة بما فى ذلك المشاعر القومية .

ثانيا : اعلان الاتحاد السوفييتى عن قرب انسحابه من افغانستان ، ربما يكون علامة على أن السوفييت لم يعودوا يقوون على قمع التطلعات القومية حتى فى دولة صغيرة على حدودهم مثل افغانستان ، فلماذا لا يتطلع الارمن الى مثل ما يتطلع اليه الافغان ، ولو أنهم فى حدود الاتحاد السوفييتى بالفعل ؟

ثالثا : وهو الاهم ، والاكثر اتصالا بستالين ونظريته عن القومية : ربما يكون لسياسة جورباتشوف الاقتصادية .. وسماحه بوجوه كثيرة من النشاط للقطاع الخاص على نحو يعيد للاذهان ، ويشبه السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لنين واشير اليها فى أول المقال ، دخل فى هذا التحرك ، فالذين يتطلعون من الارمن الى ممارسة النشاط الاقتصادى ، وهم شعب تجارى بطبيعته ، كما هو معروف لدينا عن ابنائهم هنا مصر ، اقول ان هؤلاء ربما يتطلعون الى ان يكون كل « السوق الوطنى للارمن » فى حوزتهم وفى اطار جمهوريتهم قبل أن يشرعوا فى هذا النشاط ، لهذا فهم وراء المطالبة باعادة هذا الاقليم الارمنى الى جمهورية ارمينيا وانتزاعه من اذربيجان !

وعلى كل فلا يزال الاتحاد السوفييتى ، بالرغم من كونه احدى القوتين العظميين فى العالم ، تجربة تاريخية جديدة ، ليس بالنسبة لشعوبه وحدها ، بل بالنسبة للعالم كله .

# الدّارونيّة في ميزان الإسلام

بقلم: د. محمد عمارة

لا اعتقد ان امة من الأمم او حضارة من الحضارات ، قد وقفت وتقف من « النشوء والتطور والارتقاء » موقف الرفض والعداء والإنكار ... تستوى فى ذلك ـ كما احسب ـ كل الأمم الانسانية ، وكل الحضارات ...

ذلك ان الحواس الانسانية ، وكذلك العقول ـ وهى مشترك إنسانى عام ـ تدرك بالبداهة آثار قوانين وظواهر وأعمال النشوء والارتقاء والتطور فى كل مايحيط بالانسان .. بل وفى ذات الانسان ، وفى فكره ايضا .. ففى النبات ، نشوء وتطور وارتقاء .. وكذلك فى الحيوان .. وفى الجماد .. وفى الأفكار ... تلك حقائق بديهية ، اقام الله عليها قصة الخلق الأول .. والمستمر .. وكذلك الاعادة والبعث والاحياء .. واتخذ منها دليلا دعا ادوات الادراك الانسانى ـ الحسية والفكرية ـ من السمع والبصر والفؤاد ـ إلى إدراكها وإدراك ما تعنيه .. وفاضت بالحديث عنها آيات القرآن الكريم .. فقصة الانسان مع الوجود والتحول .. قد حكمها قانون النشوء والارتقاء والتطور والتحول ..

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾[1] .

﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم


كارل ماركس


هيجل


تشارلز داروين

لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾(٢) .

﴿ الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾(٣) .

﴿ أيحسب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾(٤) .

﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾(٥) .

ومثل الانسان فى هذا النشوء والارتقاء والتطور والتحول ، الجماد .. والنبات ..

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾(٦) .

وذات القانون ، يحكم الاعادة والبعث والاحياء ..

﴿ وإذ قال ابراهيم : رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ قال: اولم تؤمن ؟! قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم ان الله عزيز حكيم ﴾(٧) .

وفى تراثنا القديم ، نقرأ عن تجارب الأسلاف ، منذ ما قبل الاسلام ، فى تخيرهم الأرحام لنطفهم ، تحسينا للنسل وارتقاء به وتطويرا له .. وكذلك كانوا يصنعون فى الحيوان والنبات ، انتخابا فى اللقاح والتلقيح ، وتطعيما وتهجينا ...

ومع أسلافنا وأمتنا وحضارتنا ، اتفقت وتتفق ـ كما أشرنا ـ كل الأمم والحضارات فى الايمان بحقائق وقوانين النشوء والتطور والارتقاء .. فالجميع ،

إزاء المبدأ والقانون، يجتمعون على هذا «المشترك الانسانى العام» ..

● دارون والنشوء والارتقاء

لكن للحضارة الغربية فى مذهب التطور والنشوء والارتقاء مضامين وأبعادا هى من صميم «الخصوصية الحضارية»، التى تميزها عن حضارتنا العربية الاسلامية، فتنفرد بها عن هذا «المشترك الانسانى العام» ..... وعلى سبيل المثال :

● فمن النظريات التى لعبت دورا محوريا فى طبع فكرية الحضارة الغربية الحديثة بطابعها، وأثرت ابلغ التأثير فى مختلف ميادين هذا الفكر، حتى غدت بمثابة المنطلق والفلسفة لكثير غيرها من النظريات الأساسية التى مثلت قسمات الفكر الغربى الحديث ... تلك التى صاغها تشارلز داروين Darwin [ ١٨٠٩ - ١٨٨٢م ] للتطور والنشوء والارتقاء فى كتابه الشهير [ أصل الأنواع ] ... وفى هذه «الداروينية» - سواء عند مُنْشِئها، أو عند تلاميذه، بتياراتهم المختلفة - لم تقف الحضارة الغربية، فى هذه القضية، عند «المشترك الانسانى العام» .. وإنما ابتدعت جديدا، هو الذى نراه «خصوصية حضارية غربية»، لايجب قبوله قبول «المشترك الانسانى العام» .. وذلك من مثل :

١ - القول بوحدة أصل الأنواع الحية .. بدءا بالخلية الواحدة التى تخلقت ذاتيا، ومرورا بالحيوانات الفقرية، حتى القردة، التى هى أصل الانسان ! ..

فهذه «الاضافة الغربية»، ذات النزعة المادية الالحادية - لزعمها التخلق الذاتى للحيوان ذى الخلية المفردة .. والمفتقرة الى «الصدق العلمى»، لاختراعها قانونا عاما بناء على استقراء ناقص - كما اثبت ذلك علماء أوربيون وغربيون ايضا - ... هذه الاضافة الغربية قد أتى على بلادنا حين من الدهر ابتلعتها حياتنا الثقافية والفكرية والتعليمية مع ما هو - فى التطور - «مشترك إنسانى عام» .. وهذا لون من الوان الغزو الفكرى، الذى لايميز بين «الخصوصيات الحضارية» وبين «المشترك الانسانى العام» .

٢ - وقالت الداروينية، ايضا، بتاسيس التطور والارتقاء على «التناقض المطلق» .. وزعمت أن قانون الحياة والاحياء هو صراع الأضداد على البقاء، وان البقاء فى هذا الصراع، ومن ثم الارتقاء، هو للاقوى، لأن هذا الاقوى هو الأصلح ! .. فكان ان اعطت هذه «الفكرة - الداروينية» للحضارة الغربية فى عصر الكشوف الجغرافية والمد الاستعمارى التبرير والمشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم والحضارات التى ابتليت باستعماره من قهر ونهب وإبادة ومسخ ونسخ وتشويه ! ..

فإذا استرق الغرب الشعوب الملونة استرقاقا جماعيا ، فاقام رخاءه المادى على جماجمهم ، وسير سفن سعادته فى بحار عرقهم ودمائهم .. فذلك مشروع ، لانه هو الاقوى ، فهو الاصلح للبقاء ، وفقا لهذا القانون « العلمى » الذى زعمته الداروينية ! ..

وكذلك الحال اذا هو اباد الهنود الحمر ، ونسخ حضارتهم .. واذا هو اقتلع شعوبا من اوطانها واستعمرها استعماره الاستيطانى ، كما هو الحال فى فلسطين وجنوب افريقيا وكما حاول فى الجزائر ..

وكذلك الحال اذا هو صنع ذات الشىء مع الابنية الفكرية والثقافية والحضارية لهذه الشعوب التى غلبها على امرها واقتحم عليها اوطانها بقوته .. فالقوة هى الصلاح ، والقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء ! ..

لقد منحت هذه النظرية المشروعية « الأخلاقية » لـ « قانون الغابة » ، فاقترف الرجل الأبيض ما اقترف واجترحت يداه ما اجترحت ، وهو مرتاح الضمير ، راحة أصحاب الرسالات ! ..

## ● الداروينية وحض على الفناء

وانطلاقا من هذه الفلسفة الداروينية ـ التى لبست ثوب « العلم الطبيعى » زورا وبهتانا ـ لم يشعر كثيرون من مفكرى الغرب بالخجل من مشاريع الغزو والدمار ، ومن جرائم المرتزقة والافاقين والمغامرين فى المستعمرات .. فـ « ماكس نوردو » [ ١٨٤٩ ـ ١٩٢٣م ] يتحدث عن المشروع الفرنسى لاقتلاع شعب الشمال الافريقى العربى المسلم لحساب الاستعمار الاستيطانى الغربى ، فيقول : « إن شمال إفريقيا سيكون مهجرا ومستوطنا للشعوب الأوربية ... وأما سكانه الأصليون فسيدفعون نحو الجنوب ، الى الصحراء الكبرى ، إلى ان يفنوا هناك ؟! »

وجابرييل هانوتو G · Hanotau [ ١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م ] ـ السياسى والمفكر الفرنسى ـ يقول عن « رسالة » الرجل الأبيض الفرنسى فى الجزائر « إن شعبا جمهورى المبادىء .. قد تقلد زمام إدارة شعب آخر . منتشر فى الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة . يتبع تقاليد وعادات غير التى نعنو لها ونحترمها ، هو الشعب الاسلامى السامى الأصل ، الذى يحمل اليه الشعب الآرى المسيحى الجمهورى الآن : ملح وروح المدنية ؟! .. »

أما « سايسيمون (ى) » ، فيقول سنة ١٨٣٠م ، عن هذه المهمة الغربية ، مهمة غزو الجزائر : « هذه المملكة الجزائرية التى ستصبح بلدا جديدا يتدفق اليه الفائض من السكان ومن نشاط ابناء فرنسا ؟! .. »

وكما بررت لهم الداروينية إفناء الانسان الأقوى للأضعف .. بررت لهم ذلك أيضا فى « صراع » الحضارات .. فكتبوا عن العربية ، لغة الجزائر القومية ، فى سنة ١٨٤٨م : « إن الجزائر لن تصبح فرنسية الا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها . والعمل الجبار الذى يجب علينا انجازه هو السعى وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالى الى ان تقوم مقام العربية ، وهذا هو السبيل لاستمالتهم الينا ، وتمثيلهم بنا ، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين ؟! .. »

وكتبوا عن الاسلام ، فكرية - ايديولوجية - الشعب الجزائرى ، بلسان الكاردينال « لافيجرى » : « إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر وأن عهد الصليب قد بدأ ، وإنه سيستمر الى الأبد .. وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الانجيل ؟! .. »[8] .

لقد صدرت هذه الاقوال - وأمثالها كثيرة - من هؤلاء المفكرين الغربيين - وأمثالهم كثيرون - دون أن يشعروا بالخجل ، لانهم كانوا ينطلقون من فلسفة تقول لهم : إن تنازع البقاء ، وإفناء القوى للضعيف هو القانون العلمى الواجب النفاذ ! ..

ومع ذلك ، يدعونا أسرى الغزو الفكرى ، من المتغربين ، الى ابتلاع هذا « الطعم » ، زاعمين إنه « علم » و « مشترك إنسانى عام » ؟! ... غير مدركين انه جزء من « الخصوصية الحضارية الغربية » المعبرة عن نزعة الاستعلاء والعدوان عند الرجل الابيض الغربى تجاه الشعوب الملونة وتجاه الحضارات التى ابتليت بالاستعمار الغربى الحديث ! ..

★ ★ ★

● وفى مجال « فلسفة التاريخ » و « التطور الحضارى » اجتهدت « الهيجلية » ان تنهض بذات الدور .. فابداع الفيلسوف الألمانى هيجل Hegel [ ١٧٧٠ - ١٨٢١م ] فى فلسفة التاريخ قد طبع الفكر الغربى بطابعه الى حد كبير .. فسادت نظريته فى انبثاق الفكر ، كبناء فوقى ، من الواقع ، كبناء تحتى .. فالصور والأخيلة إنما هى بنت عصرها ، فاذا دعا التطور هذا العصر الى ان يخلى مكانه لعصر جديد ، فلا بد ان تخلى هذه الصور والأخيلة والأفكار مكانها لأخرى منبثقة من العصر الجديد ..

ولا أحد ينكر ما فى هذه النظرية من عناصر صدق نلمسها عندما ننظر فى تطور المجتمعات والأفكار والحضارات .. فحتى توالى وتغاير الشرائع السماوية ، وفكرة النسخ ، نسخ اللاحق للسابق فى هذه الشرائع ، شاهد على ما فى الهيجلية من صدق وواقعية ..

لكن الامر الذى جعل من الهيجلية فى تفسير التاريخ « خصوصية حضارية غربية » تجاوزت وغايرت ما هو « مشترك إنسانى عام » ، فى هذا الميدان .. هو الغلو والمبالغة فى التغير وتأثيراته ومجالاته .. فهى قد جعلت « التغيير » بمثابة « المطلق » ، ولم تعط الانتباه الكافى لعناصر « الثبات » ، التى تظل قائمة فاعلة ، رغم تغير الواقع المادى ، والتى تحفظ على المسيرة الحضارية ، رغم التطور ، وحدتها وخصوصيتها ، كما تحفظ « البصمة » على الانسان تفرده وتميزه ، رغم مايتغير فيه عبر مسيرته من الولادة الى الممات ..

فباستثناء « بقايا انقاض » من الابنية الفكرية السابقة ، لن يبقى التطور - كما

زعمت الهيجلية ـ من انعكاسات الواقع الغابر شيئًا ...

وكما حدث بالنسبة لفلسفة الداروينية ، فلقد وُظِّفت الهيجلية فى خدمة الاعصار الاستعمارى والغزو الحضارى والاقتلاع الثقافى والمسخ والنسخ والتشويه الفكرى الذى مارسته الحضارة الغربية الغازية ضد حضارات البلاد التى نكبت بهذا الاستعمار ...

**فالذين احتلوا ارضنا وهيمنوا على مقدراتنا قد صاغوا واقعنا صياغة جديدة ، وازالوا منه البنى والمؤسسات القديمة . ان فى الانتاج الفكرى او ميادين الحرف والصناعات .. لقد غيروا الواقع ، وجعلوه « متغربا » .. وها هى الفلسفة الهيجلية فى تفسير التاريخ ، تاتى لتقول : إن الطبيعى والقانونى والعلمى ان تخلى الرؤى والاخيلة والأفكار الموروثة مكانها ، بعد ان غير واقعها ، لأخرى مناسبة لهذا الواقع الجديد .. وبما انه ـ الواقع الجديد ـ « متغرب » ، فلابد وان تكون الفكرية السائدة هى فكرية « التغريب » ! ..**

وهذه الفلسفة الهيجلية هى التى وقفت ولا تزال خلف ما قرأناه وما زلنا نقرؤه لأسرى الغزو الفكرى من المتغربين الداعين الى أن نأخذ الغرب ككل : التصنيع والقيم .. العلوم الطبيعية والمُثُل .. التقدم العلمى والفلسفة والأخلاق ... لأن هذا الاطلاق الذى رجحت به الهيجلية كفة « المتغيرات » على حساب « الثوابت » قد قاد الى محاولاتهم نفى كل ثوابتنا ، واقتلاع هويتنا وخصوصيتنا الحضارية من الجذور ..

ونحن نعتقد ان ملابسات غربية خاصة هى التى افرزت هذه الخصوصية الغربية فى فلسفة التاريخ .. فلا احد ينكر وجود التناقض والمتناقضات .. ولا دور صراع الاضداد فى التطور والنشوء والارتقاء .. والله سبحانه وتعالى يشير الى هذه الحقيقة وهذا القانون فى القرآن الكريم عندما يقول : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[٩] .. وعندما يقول : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لايحب كل خوّان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ﴾[١٠] ... لا أحد ينكر هذا القانون الفعال .. قانون « التناقض » و« الصراع » ..

**لكن الحضارة الغربية التى جمدت كنيستها عندما هيمنت على الدولة كل المتغيرات الدنيوية ، من الواقع المادى الى الفكر والعلم ، ففرضت « الثبات » على ما هو متطور ومتغير بحكم سنن الله فى الكون .. هذه الحضارة الغربية التى غالت كنيستها عندما حكمت ، فى « الثبات » على حساب « التغير » ، جاءت نهضتها ، وكرد فعل معاكس ، لتغالى فى « التغير » على حساب « الثبات » .. فكان افتقادها وافتقارها الى « الوسطية » التى هى ابرز خواصنا الحضارية ـ السبب فى مجىء فلسفة التاريخ الهيجلية على هذا النحو الذى جعلها ويجعلها « خصوصية حضارية**

غربية » ، وليست من « المشترك الانسانى العام » ..

★ ★ ★

● والأمر الذى صنعه داروين فى « العلوم الطبيعية » ـ الأحياء ـ .. والذى صنعه هيجل فى التاريخ والفكر .. صنعه كارل ماركس G · Marx [ ۱۸۱۷ ـ ۱۸۸۳م ] فى علم الاجتماع .. فالتناقض عنده مطلق .. وصراع الأضداد مطلق .. ولابد للصراع من أن يفضى إلى أن ينفى قطبُ القطب النقيض .. بهذا فسر ماركس تطور المجتمع من المشاعية البدائية .. إلى العبودية .. الى الاقطاعية .. الى الرأسمالية .. إلى الشيوعية .. وبالتناقض المطلق ، والصراع الطبقى الذى لابد وأن « تنفى » فيه ويه « البروليتاريا » « البرجوازية » ، رسم ماركس خارطة الحياة الاجتماعية ، زاعما أنه يقدم « نظرية علمية » ، هى مما يدخل فى « المشترك الانسانى العام » دخول حقائق العلوم الطبيعية وقوانينها فى هذا الاطار ..

والحق ، أن هذا الجانب من جوانب الماركسية ، لايعدو أن يكون « علما » اجتماعيا ، ارتبط بخصوصيات الحضارة الغربية ، التى جمدت كنيستها المتغيرات ، وألفت ـ أو خيل اليها ـ التناقضات .. فجاءها رد الفعل المعاكس ممسكا ، فقط بالطرف المقابل والمناقض .

إن التناقضات الاجتماعية حقيقة واقعة لامراء فيها ، وانقسام المجتمعات الى طبقات هى الأخرى من حقائق الواقع الملموس .. والصراع بين الاضداد ، وبين الطبقات ذات المصالح المتناقضة مما لاينكره العقل السليم .. لكن مانتكر عمومه فى هذه القضية ، هو القول بضرورة « نفى » طرف للطرف الآخر فى الصراع .. فالمطلوب ليس النفى للقطب الآخر ، واقتلاعه من الحياة والواقع وانما المطلوب هو استخدام الصراع سبيلا لبلوغ نقطة « التوازن » التى تنتفى فيها المظالم الصارخة والجور الواضح .. فعند نقطة « التوازن » هذه تلتحم عرى طبقات الأمة ، أو تتعايش وفقا لمعايير العدل الممكنة التطبيق، الأمر الذى يتيح لقوى الأمة وطبقاتها أن تسهم جميعا فى حمل أعباء التقدم العام .. وليس ضروريا ، بل ولا هو بالنافع ، البلوغ بالصراع نقطة « نفى » أحد أقطاب الصراع القطب الآخر نفيا كاملا ومطلقا ..

فهذه « الفكرة الماركسية » ـ والتى عجزت المجتمعات الماركسية عن تطبيقها بعد مرور مايقرب من ثلاث ارباع القرن على سيادة الماركسية ـ حتى لقد خلقوا بديلا ـ هو الحزب والدولة والشرائح الحاكمة ـ حل محل القطب الذى ظنوا أنهم نفوه ! ـ هذه « الفكرة الماركسية » ، مثلها كمثل الداروينية والهيجلية ، هى من « خصوصيات الحضارة الغربية » ، وليست ـ فى قضية التطور والتغير

والنشوء والارتقاء ـ مما هو « مشترك إنسانى عام » .

إن تزكيتنا لـ « خصوصياتنا الحضارية » لاتعنى انتقاصنا او ازدرائنا بـ « خصوصيات الحضارات الأخرى » .. فقد تكون تلك الخصوصيات طبيعية وملائمة ومفيدة هناك .. والقضية الجوهرية هى : الملاءمة وعدم الملاءمة .. وليست ، بأى حال من الأحوال ، تعصبا أعمى للذات ، وهجاء جاهليا للآخرين ! .. كما أنها ليست حرصا على التميز لذات الحرص عليه ، وانما هى تمسك بالسنن الطبيعية التى ميزت بين الحضارات فيما هو خاص بكل منها ، كما جمعت بينها فيما هو مشترك إنسانى عام .. كما هو الحال فى تميز الانسان الفرد عن غيره من بنى جنسه مع اشتراكه فى الانسانية مع كل بنى الانسان .

الهـــوامـش :

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٦ .
(٢) غافر : ٦٧ .
(٣) السجدة : ٧ ـ ٩ .
(٤) القيامة : ٣٦ ـ ٤٠ .
(٥) الروم : ٥٤ .
(٦) الحج : ٥ .
(٧) البقرة : ٢٦٠ .
(٨) د . محمد عمارة [ العرب والتحدى ] ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ طبعة الكويت سنة ١٩٨٠م . و [ الأمة العربية وقضية الوحدة ] ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٨١م .
(٩) البقرة : ٢٥١ .
(١٠) الحج : ٣٨ ـ ٤٠ .



## من حكم العرب

- اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه ·
- أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم ·
- لا تجب من يسألك ولا تسأل من لا يجيبك ·
- الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ·
- أربعة تتم بأربعة : العلم بالنهى والدين بالتقى والعمل بالنية والشرف بالحرية ·
- من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشـــعر المحسن أحد الوجهين ·
- لئن تحسن وتكفر خير من أن تسىء وتشكر ·
- الشكر معرفة العجز عن الشكر ·
- اذا قصرت يداك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر ·
- الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافاة اليد ·

# إعصار في الفكر العربي الحديث

بقلم: د. سعيد إسماعيل علي

هذه ( لقطة ) من حوار طويل نراه في الجزء الثاني من رائعة نجيب محفوظ ( بين القصرين ) يصور مقدار ما تركته نظرية التطور من آثار في فكر مثقفينا في مطلع القرن العشرين ،وما أدت اليه هذه الآثار من فزع كبير لدى قطاعات عريضة من المجتمع ، لعل أبرز دواعيه ، هو ما تصوره البعض من ان هذه النظرية تؤدى الى الشك في معتقدات دينية اساسية خاصة بخلق الانسان .

ولم يمض هذا التأثر بتلك النظرية بسلام ، لا من ناحية الاباء والامهات والمحافظين على وجه العموم ، وانما من ناحية ( الاطمئنان النفسى ) لشباب المتعلمين انفسهم ، فهذه التساؤلات التى عبر عنها الاب (السيد احمد عبد الجواد ) قد عرضت كذلك على ذهن ابنه ( كمال ) مرات ومرات ، كان من جرائها لا يكاد يرى للنوم سبيلا الى عينيه ، لم يكن دون أبيه انزعاجا ، ولم يغمض له جفن ليلتها حتى الصباح ،وتقلب في الفراش متسائلا عن آدم والخالق والقرآن وقال لنفسه مرة وعشرا : القرآن اما أن يكون حقا كله أو لا يكون قرآنا ، انك تحمل على لانك لم تحز بعذابي ، لو لم أكن قد اعتدت العذاب وألفته لادركني الموت تلك الليلة ، .

ولم تكن الكتابة في مثل هذه القضية عملية سهلة ، وانما سبقها كذلك صراع داخلى عنيف ، لقد تردد طويلا قبل ان يرسلها الى المجلة ولكنه كان كأنما يود أن ينعى الى الناس عقيدته . لقد ثبتت عقيدته طوال العامين الماضيين امام عواصف الشك التى ارسلها المعرى والخيام ، حتى هوت عليها قبضة العلم الحديدية فكانت القاضية . على انني لست كافرا ، مازلت أؤمن بالله ..

– ماذا تقول هذه النظرية ؟ لقد لفت نظرى عبارات غريبة تقول ان الانسان سلالة حيوانية ، او شىء من هذا القبيل ، احق هذا ؟

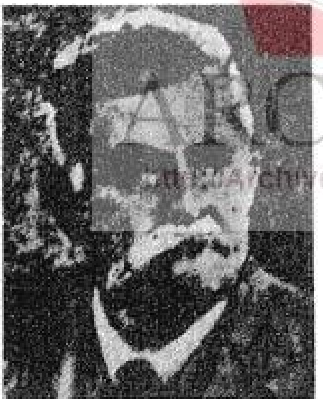
★ هذا ما تقرره هذه النظرية

– وآدم ابو البشر الذى خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه ، ماذا تقول عنه هذه النظرية العلمية ؟

★ داروين صاحب هذه النظرية لم يتكلم عن «سيدنا» ادم

– لقد كفر داروين ووقع فى حبائل الشيطان . اذا كان اصل الانسان قردا او اى حيوان اخر ، فلم يكن ادم ابا للبشر . هذا هو الكفر بعينه ، هذا هو الاجتراء الوقح على مقام الله وجلاله ! انى اعرف اقباطا ويهودا فى الصاغة وكلهم يؤمنون بادم . كل الأديان تؤمن بادم ، فمن اى ملة داروين هذا ؟ انه كافر وكلامه كفر ونقل كلامه استهتار . خبرنى اهو من اساتذتك بالمدرسة ؟

★ داروين عالم إنجليزى مات منذ زمن بعيد .



شبلى شميل

سلامة موسى



وأمام لوعة الام فيما تصورته من تردى ابنها فى هوة هـذا المفكر ( المنحرف ) « فقد وعدها فى سره بأن يكرس حياته لنشر نور الله « اليس هو نور الحقيقة ؟ ، بلى ، وسيكون فى تحرره من الدين اقرب الى الله مما كان فى ايمانه به ، فما الدين الحقيقى الا العلم ، هو مفتاح أسرار الكون وجلاله ، ولو بعث الانبياء اليوم ما اختاروا سوى العلم رسالة لهم ، هكذا يستيقظ من حلم الاساطير ليواجه الحقيقة المجردة ، مخلفا وراءه تلك الليلة العاصفة – التى صارع فيها الجهل حتى صرعه – حدا فاصلا بين ماض خرافى وغد نورانى ، بتلك تتفتح له السبل المؤدية الى الله «سبل العلم والخير والجمال ، وبذلك يودع الماضى بأحلامه الخادعة وآماله الكاذبة وآلامه البالغة » .

ولاشك ان مثل هذا العذاب النفسى

# إعصار في الفكر العربي الحديث

والاجتماعي الذي عانت منه قطاعات عريضة من شباب المثقفين في مجتمعاتنا ، فانما كان ذلك لانهم كانوا مشدودين الى العقيدة الدينية الالهية لكن كانت هناك قطاعات اخرى لم تذق طعم هذا الصراع الفكري ، ذلك لانهم تخلوا عن الفكرة الدينية كلية واختاروا مافهموه عن العلم حتى ولو تعارض ـ كما كانوا يظنون ـ مع العقائد الدينية الاساسية السائدة سواء في الاسلام او المسيحية .

ولعل ابرز الامثلة لمثل هذا الفريق المفكر الشهير ( شبلي شميل ) .. والى حد كبير ( سلامة موسى ) .

ففي سنة ١٨٧١ ، كان شبلي يدرس الطب في المدرسة الكلية السورية ، حيث سمع عن قيام رجل يدعي ان اصل الانسان من القرد ، فلم يتحر حقيقة هذا القول ، ولم يكن في تعليم المدرسة ما يحمله على التبصر فيه ، يقول شبلي : « وغاية ما اذكر انى لم اسمع به حتى اظهرت اشمئزازي منه ومن قائله الذي اعتبرته حينئذ مدعيا ما خالف الا ليعرف » ص ٢٦ من مقدمة الطبعة الثانية لكتابه ( فلسفة النشوء والارتقاء ، طبعة المقتطف بالقاهرة ١٩١٠ ) . ولا عجب ، فان الكيفية التي ذكر له فيها والتي يذكره بها دائما خصومه من إن القرد اصل الانسان لا يمكن ان تحدث في سامعها لاول مرة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة ، الا نفورا ولو ان في نوع الانسان من هو « احط من القرد بكثير » . وهو سلاح يفتريه خصوم هذا المذهب لتحقيره ، والا فمذهب داروين لا يقول أن القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس ، بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة ـ وفقا لهذا المذهب ـ من إصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة ، وبمجرد قواها ، وقد تغيرت تبعا لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الان بالانتخاب الطبيعي .

ثم مرت الشهور ولا يذكر شبلي انه عرف من هذا المذهب شيئا جديدا حتى نسيه . ومن الغريب انه بعد ذلك بزمان عند نيله الشهادة كان موضوع خطابه الدرس النهائي « اختلاف



احمد امين



جان جاك روسو

الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » . وقد جاء فيه مما يتفق مع هذا المذهب وهو لا يقصد فكان كالذى يقول النثر وهو لا يدرى .

ولكن الذى لم يكن يقصده فى ذلك الحين لم يلبث أن صار موقف افكاره وموضوع حديثه وغرضه فى كل كتاباته بعد مبارحته المدرسة ورحلته الى اوربا واطلاعه على هذا المذهب فى مؤلفات إصحابه ، ويبدو ان تربية شبلى الاولية واطلاعاته السابقة ، كانت تربة مناسبة هيأت للبذور الجديدة ان تجد بيئة خصبة للنمو والترعرع .

وكان من الطبيعى أن يعمم شبلى نتائج نظرية التطور على الظواهر الاخرى حتى ولو كانت من الظواهر النفسية والاجتماعية ، ولذا نجده يعتبر علم النفس فرعا من علم الفسيولوجيا « فيجب النظر فى العقل كالنظر فى وظائف الاعضاء انه عمل مادى ، فكل ما يتطرق الى المادة من نواميس النشوء والتحول ، ويؤثر فيها يؤثر فى العقل نفسه الذى هو ليس الا فعلا من افعال الدماغ » ص ٢٧ ، ومن هنا فقد رأى انه اذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعى والوراثة شأن عظيم فى تكييف الاعضاء الحية واثر لا يمحى الا فى الاجيال المتباعدة اذا تغيرت الاحوال ، فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر فى الاخلاق اثر فى العقول أيضا لا يزول الا بمثل تلك الصعوبة حتى لقد يزول من الابناء اثر ما فى الاباء من الاجداد ثم يعود ويظهر فى الاحفاد لرسوخ ذلك فى الطبائع وشدة تكيفها به .

## مادية الكون

واذا كان شبلى قد كتب ما يغاير مجرى الافكار غالبا او جدد الانتقاد احيانا ، فليس لانه كان يطمع بأن يرد الناس اليه فى هذا الزمن القصير وهو لا يجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل لانه قصد مباغتة الافكار للفتها الى غير مألوفها ، وان كان لا يجهل ان القاء الحجر فى المستنقعات الراقدة لا يقلق الضفادع المطمئنة الا ريثما ينقضى حذرها فتعود الى نقيقها ، الا انه لا يجهل فعل الخمير المخمر ، فان اقل ما يعلق بالعقول حينئذ من اثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالبا بسرعة الاختمار نفسه خصوصا اذا صادف استعدادا فى النفوس كامنا فيها ، فيكون مثل هذا التنبيه له بمثابة الشرارة فى اثارة كامن القوى المجتمعة .

ولما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة للقول بمادية الكون لم يكن تقريره من السهل لدى اصحاب المبدأ الحيوى لصعوبة تأييد التولد الذاتى بالوسائل التى أتيحت فيما بعد، وقد استمسك خصوم المذهب ومنكروه بهذا ، وبلغ التحمس فى المناظرة بين الفريقين حد حدته بين سنة ١٨٥٩ وهى السنة التى نشر فيها داروين كتابه فى اصل الانواع وسنة ١٨٩٠ وهى السنة التى بدأت جلبتهم فيها تخف . وكان جل اعتراضهم ان التولد الذاتى لم يثبت علميا ، لكن شميل يسخر من هذا فيعلق : « كان هذا الاعتراض لايجوز عليهم كما يجوز على سواهم ، فان كان اصحاب النشوء لم يروا حيا نبت من غير حى ، فهل رأى أصحاب الخلق انسانا خلق من غير انسان فكلاهما فى جواز الاعتراض العلمى سواء » ص ١٨ .

وقد علا هتاف اصحاب المبدأ الحيوى لما قام باستور واكتشف سر الاختمار واثبت علميا انه ناشىء عن جراثيم اى أحياء دنيا لا ترى الا بالمناظير المعظمة . على ان لياذ اصحاب المبدأ الحيوى بجراثيم

بستور لم يقدم شيئا جديدا لاثبات مبدئهم ولم حض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسالة إذ اثبت أن الاحياء الدنيا أجسام تامة التكوين مختلطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى فى سلم الاحياء وان حل مسالة التولد الذاتى يجب ان يبحث عنه فيما هو ادنى منها مما قد تعجز عنه المناظير إلتى كانت قائمة ٠

## المقتطف والمصاعب

وأول من ذكر مذهب بستور فى الجراثيم باللغة العربية ( المقتطف ) اقدم مجلة عربية علمية وذلك سنة ١٨٧٩ ، ولكنه ذكره فى عرض الكلام على تأييد مذهب الحيويين ونقض مذهب الماديين اتفاقا مع الاراء الغالبة فى ذلك الحين ، كما انه اول من نقل الى هذه اللغة ايضا كلاما لبعضهم فى مذهب دارون فى التشوء ولكن لنقضه على اسلوب يوافق اصحاب مذهب الخلق ، ومع ذلك لم يسلم من الانتقاد

والحق يقال إن الموسط الذى كان المقتطف مقيما فيه كان يجعل مركزه محفوفا بالمصاعب ، على انه فى المسائل العلمية الهامة لم يسلك مسلك التشيع الاعمى ولم يوصد فى وجه الباحثين حتى اشدهم مباينة لارائه باب الانتقاد ونشر الاراء الجديدة بحرية تامة فكان له بذلك فضل فى اعداد الافكار فى العالم العربى لقبول زرع العلم وما كان اشتداده احيانا فى مقاومة اراء خصومه الا فضلا له ايضا جعل هذا الاعداد اتم بحمل العقول على التوسع فى الروية للانتقال بها من الرضوخ المغلق الى التفكير والبحث قبل التسليم

وقد قرر شبلى إن يخوض غمار البحث القائم غير حافل بالمصاعب التى ستعترضه فى هذا السبيل وان ينخعه بتلك الصراحة الجازرة « التى لم يكن قد الفها الجمهور بيننا منكبا على خطة الذين يرون ان الحكمة انما هى فى المصاداة لعلى ازحزح الافكار عن مألوفها لعلمى ان تحريك الافكار لايكون غالبا الا بمثل هذه المصادرة العنيفة لما يحدث ذلك فيها من الرجة القاسرة لتسهيل انتقال الانسان فى العمران من حال الى حال ، وما حاله التى هو فيها عنوان السعادة وما كانت فى الماضى مما يؤسف عليه » ص ٢٤ ٠

فبادر شلبى المقتطف بكلام وجيز انتقد عليه انحيازه الى مبدأ الحيويين واعتباره مذهب بستور خصوصا مؤيدا لهم نافيا للقول بالتولد الذاتى وهو لا يؤيد قولا ولا ينفى آخر فيما يذهب مفكرنا ٠ وكأنه جهل مركزه او تجاهله فختم كلامه بتوجيه الخطاب الى منشئه قائلا « ومثلكم لا يسامح على ذلك وانتم بجانب كعبة العلم » وقد رد عليه المقتطف بمقال عنوانه « الحياة حيرة العلماء » وختمه بقوله « لو قعدت كعبة العلم التى نحن بجانبها مقعدنا لما استصوبت الا ايتناء وفى سنة ١٨٨٤ نشر شبلى الطبعة الاولى من كتابه تحت عنوان : ( شرح بخنر على مذهب دارون ) ٠ وقد احدث نشره يومئذ لغطا عظيما مع انه لم يطبع منه الا خمسمائة نسخة ولم تنفد الا بعد خمس عشرة سنة ، لغطا كان قليله من الخاصة المعدودة ، فقاموا ينقدونه كله او بعضه كل على قدر علمه او حسب هواه ، وكثير من العامة الذين اكثروا من الجلبة عن سماع لا عن مطالعة لانهم سمعوا ان فيه مساسا بأعز شيء لديهم هم عليه حريصون ٠ يقول شبلى :

« على ان هذه الرجة التى حصلت

هى المقصودة منى فى ذلك الحين لايقاظ الافكار من نومها العميق والحركة مهما كانت خير من السكون ، ومن منا نحن الشرقيين اليوم اولى بهزة تصل فينا الى اعماقنا وقد تقادم علينا السبات حتى بتنا فى رتبة فى صف الاحياء لا هى بالميتة فتدفن جثة هامدة ولا هى بالحية فتبعث بشرا سويا » ص .. - .

## سلامه موسى والتطور

اما سلامة موسى فقد دخل مضمار ( التطور ) فى وقت لاحق وان لم يكن متأخرا ، وهو يروى فى الكتاب الذى رسم فيه معالم نشأته وتكوينه بعنوان ( تربية سلامة موسى ) انه لما ترك مصر الى فرنسا سنة ١٩٠٧ ، كان «التطور» من مركباته الذهنية البارزة ، بل المركب الاول حتى انه حين هبط باريس، جمع طائفة من الكتب التى تعالج هذا الموضوع ، ولكنه لم يستطع فهمها وقتئذ لانه اساء الاختيار فلم يقتن الكتب الابتدائية او بالاحرى لم يجدها، فلما قصد الى لندن وجد العشرات من هذه الكتب الابتدائية ، وكانت جمعية ( العقليين ) تنشرها وتبيعها بأثمان التراب ، بسعر ٢٥ مليما لكل كتاب ، فاكب عليها فى دراسة مثابرة ، مع استخراج الخلاصات وكتابة التعليقات، وبطبيعة الحال ، قرأ كتاب ( اصل الانواع ) لداروين الذى اكد انه لا يحتوى على ما يشق على الفهم ، وان كان يحتاج الى كثير من التأمل والتفكير بطبيعة الحال .

وليس من شك أن حب سلامة موسى لداروين الذى كثيرا ما كان يؤكد عليه ويصرح به ، وتحيزه لنظرية التطور ، قد تركا اثرهما فى اسلوبه الكتابى ، فقد قيل ان الاسلوب يدل على الجانب الاخلاقى للمؤلف بل يكشف عنه ، أى يدل على الاتجاه التفكيرى وايثار بعض القيم على بعض . وسلامة موسى يؤثر اسلوب داروين : اسلوب المنطق الصارم ، والحذر ، والاعتدال . على أى اسلوب اخر يوصف بانه ادبى وكثيرا ما وصفه الكتاب فى مصر بانه ليس ( اديبا ) لانهم لا يجدون عنده تلك الزخارف والتزاويق المألوفة عند غيره من الكتاب .

ويقارن سلامة بين الاسلوب الادبى كما يجده لدى اوسكار وايلد وجون روسكين وكارلايل ، والاسلوب العلمى كما وجده عند داروين ، فيؤكد انحيازه الى الثانى ، وان نبه الى ان هذا لا يعنى عدم تأثره واعجابه بالاسلوب الاول ، لكنه تأثير واعجاب يستمر لحظات ثم يذهب ادراج الرياح .. انه لا يترك ما يسميه « بالمركبات الذهنية» تلك التى تحفر بعمق فى مجرى التفكير، وحين يقرأ لمثل هؤلاء الادباء « اشعر انهم يخطبون او يصرخون او يتقمصون، فاجد اللذة العابرة فى اسلوبهم ولكنى احس انهم ليسوا مفكرين اساسيين ، والمفكر الاساسى عندى هو داروين الذى يتحدث فى اعتدال وحذر واسلوبه هو الاسلوب الرصين » ص ١٩٨ .

ولم يقف اثر نظر التطور على سلامة موسى عند حد الاسلوب ، وانما تعداه الى المضمون وخاصة من ناحية الدين . وهو يختلف عن شبلى شميل من حيث الاعتدال الى حد ما وحدة الطريقة التى يسوق بها فكرته هنا، وعندما نقول ( الاعتدال ) فانما نقصد ( الشكل ) الذى يعبر به عن ارائه وافكاره بهذا الخصوص قياسا الى شبلى شميل ، والا فاننا لا ننسى تهجمه وجراته على كثير من الافكار التى مست معتقدات اساسية فى مجتمعاتنا العربية « انكر وانا دون العشرين ، احسست ان نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وانها قد حملتنى واجبا روحيا ، وقد نما هذا الواجب

فى نفسى الى واجبات » .

وينظر سلامة موسى الى جميع الكتب المقدسة على انها سواء ، لكنه يضيف اليها عشرات من المؤلفات الاخرى فى الفلسفة والادب ، ولذلك يقول ان بعض ديانته يرجع ايضا الى ( جمهورية افلاطون ) والى ( الانسان والسبرمان ) لبرنارنشو ، والى مؤلفات جان جاك روسو وتولستوى ودستويفسكى ، والى اخناتون « فقد زودونى هؤلاء جميعا بهورمونات دينية » ، وهو بهذا يقدم مفهوما للدين يختلف تماما مع ما هو مقرر فى الاديان السماوية .. إنه هنا اطار فكرى تراكمى مكتسب من جملة من افكار وآراء ومعتقدات شتى ، يتم عن اختيار ، وينمو بمرور الزمن « ما أحب ان اوضحه هو ان الدين عندى كان تربية بطيئة لم اصل بعد الى نهايتها ، ولكنى فى سبيلها ، والدين كالفلسفة او الادب نأخذ منها بمقدار ما ورثنا من كفايات وامتزنا به من اوساط تعلم وتربى وتوجه » ص ٢٥٦ .

وعندما بلغ سلامة موسى سن الستين عام ١٩٤٧ ، كتب متمنيا أن يعيش عشر سنوات تالية لان هناك برامج وامان ثقافية يتمنى تحقيقها ونجد من هذه البرامج والامانى انه لن يكف عن تاليف كتب مقلقة مثل ( نظرية التطور ) او ( حرية الفكر ) « خمائر صغيرة ابعثها فى انحاء الوادى وغيره ، الى الاقطار العربية ، كى ازعزع التقاليد السوداء واحرق العفن الذى تركته على العقول المطموسة » ومن مسرات حياة سلامة « ان اجد ان مؤلفاتى تسرى فى الجسم الاجتماعى على مهل وفى غير عنف ، فيأخذ التطور مكان الجمود ، والنزعة الارتقائية مكان الرجعية الجامدة » . ص ٢٩١ .

## ● غلو علمى مكروه

وهكذا كان من المستحيل ان تنحبس الافكار العلمية الجديدة فى نطاق موضوعاتها فى الاحياء كما يدرسها علماء البيولوجيا ، وانما امتدت الى شئون الاجتماع والدين والاقتصاد ، فصادمت ثوابت الكيان الحضارى العام مما ادى الى اخفاق ثورتها الفكرية . لقد مرت هذه الثورة الفكرية فى حياة الفكر العربى – فيما لاحظ محمد جابر الانصارى بحق ، ومضة خاطفة ما لبثت ان خبت بالسرعة ذاتها ، دون ان تمر – شأن النهضات الفكرية – بأدوار نضج واستقرار واستمرار ، ويبدا لاحمد امين – كأحد شهود تلك الثورة – ان نموها وتطورها لم يخضعا لسنة النشوء والارتقاء بل لسنة التدهور والانحطاط اما السبب فى نظره ، فمرده الى عامل ( الرأى العام ) الذى كان قويا مسلحا فتغلب وانتقم واصبحت له السلطة التامة .

لكن هذا الذى سماه احمد امين فشلا وانهزاما لم يكن كذلك ، وعصرنا الحاضر شاهد على ذلك ، وانما هو افساح الطريق لاتجاه رأى ان فى مثل هذه الافكار التى سقنا امثلة لها من فكر شميل وسلامة موسى وكذلك فى الاتجاه المضاد لها والمنكر تماما لمقولاتها ، رأى فى كل منهما غلوا علميا مكروها ، ويعبر توفيق الحكيم عن هذا الموقف ( التوفيقى ) فى « تحت شمس الفكر » فيقول : « إنى كلما تأملت شخصية ( محمد ) صلى الله عليه وسلم – مجردة ، ذوت ايمانى بأن الخصومة بين العلم والدين ليس لها فى الحقيقة وجود ، وإن الدين الحق لا يعارض العلم الحق ، بل ان الدين والعلم شيء واحد » .

قضايا حيوية

## من هنا نبدأ...

# الاستفادة من عقل الأمة

بقلم : محمد فتحى

**مؤسساتنا العلمية جزء لا يتجزأ من المجتمع .. تقبع معه فى خندق واحد ، تحكمها سلبياته ، ويؤثر فيها مناخه العام ، لكنها مطالبة ( رغم كل ما تعانيه من امراض ومايعترضها من عقبات ) برصد المخارج الممكنة من كل مازق يواجه المجتمع ، فى اى من المجالات . والأهم انه على كيفية آدائها يتوقف مدى تطور المجتمع ، وما يمكن ان يتحقق خلال هذا التطور من احلام او كوابيس ..**

**ولما كانت مسئولية مثل هذه المؤسسات تنعقد فى ظروف العصر الطافرة ( من طفرة ) يحق لاى مهتم ان يتساءل كيف يمكن ان تقوم بوظيفتها رغم ما تعانيه من مشاكل ؟ وماهى المنطلقات الأساسية التى تمكنها من الاطلاع بالدور المنوط بها ؟**

عشرون عاما فقط انطوت من عمر الإنسان العربى ، منذ شهد مواجهة مروعة مع نفسه ومع العلم عام ١٩٦٧ . لكن يا لها من تغيرات تدير الرأس حلت به ، وبامكانات العلم الحديث فى نفس الوقت . ولا سبيل إلى الحديث عن مؤسساتنا العلمية وأدائها دون إلمامة بكل ذلك . لذا استأذن

القارىء فى بضع لمسات سريعة تخص إمكانات العلم الجديدة والتغيرات العالمية والعربية ..

يمكن ان نلمس ما اصاب الإمكانات العلمية من تغيرات إذا عرفنا ان خمس دقائق من التصوير الفضائى اليوم تتيح من المعلومات ما تستغرق الطائرات فى جمعه عامين كاملين ، وما لا يتيسر للبعثات المساحية إلا فيما يقرب من ثمانين عاما .. والمعلومات الفضائية ليست ضربا من الترف او الخيال ، فهى تخص مجالات هامة تمس مختلف جوانب حياة الانسان ، من طقس إلى تربة إلى ثروة طبيعية .. إلخ . والمهم هنا أن الفقراء والمتخلفين اكثر من غيرهم إفتقارا - وحاجة فى نفس الوقت - إلى مثل هذه المعلومات ، والحصول عليها بالطرق التقليدية إجراء بطىء وباهظ التكاليف ، تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر وضعف البنى الاساسية ونقص الكوادر الفنية ، ناهيك عن طبيعة الصور الفضائية المفصلة ، الخالية من عيوب « الفسيفساء » ، وعن ان تكاليف الحصول على المعلومات من مثل هذه الصور الفضائية صارت اهون بما لا يقاس مقارنة بالطرق الأخرى .

غير ان وجها آخر لإمكانات العلم الهائلة يكشف عنه قول قديم ثاقب للامام الشافعى رضى الله عنه : « مثل الذى يطلب العلم جزافا كمثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها ، ولعل فيها افعى تلدغه وهو لا يدرى » .

والترجمة العصرية لهذا القول امر يمكن إستشفافه مما يشهده عالمنا من طفرة فى استخدام الحاسبات الالكترونية فى كافة مجالات الحياة ، وإن كان من الصحيح ان هذه الأجهزة صارت تحت قدرات الانسان بملايين المرات فإن بامكانها ان تكون ايضا وبالا ما بعده وبال إذ انها قادرة على مضاعفة الاخطاء ( التى يجرى إدخالها إليها ) بما يقدر بملايين المرات فى الثانية الواحدة !!

ويمكن ان نذهب بهذا الوجه الى مداه إذا تصورنا مريضا ، لم تشخص اوجاعه بصورة صحيحة ، يدخل صيدلية تحوى احدث ما توصل اليه العلم من دواء ويمضى فى تناول عجائب الادوية الشافية « كلشنكان » ، فيكون تفاقم الحالة او الموت لاقدر الله نصيبه ، بدلا من الشفاء ..

## • البحث العلمى يدخل آفاقا جديدة

ولا باس من ان ندلف بعد ذلك إلى لمسة أخرى حول طبائع البحث العلمى ذاته .. فحتى وقت قريب كان فى عداد العاملين بالشركات الصناعية الكبرى كثير من المتخصصين فى البحث العلمى والتجديد .. لكنه وسط المباراة الشرسة التى اخذت بلباب السوق العالمية صار تحسين وتجديد السلع على نحو مستمر هو العامل الحاسم فى القدرة على الوجود والربح ..

ولهذا تزايدت ظاهرة ولادة مؤسسات جديدة اكثر إمكانية والماما وقدرة على النهوض بدور إدارات البحث العلمى ،

وتخصصت في تطوير ما يطلب منها في اى مجال من المجالات ، وهي تؤدى عملا متكاملا حتى تقدم المنتج جاهزا ، وتجند فرقا متكاملة ، مجهزة بأحدث اساليب التفكير الابداعي وحثه ، وتعمل الواحدة منها ٨٠ ساعة اسبوعيا في حل المشاكل المعنية ..

وظهور مثل هذه المؤسسات يضفي على حركة البحث العلمى دينامية هائلة ، الأمر الذى دفع عددا من المؤسسات الضخمة الى التعامل معها ، متخطية إدارات البحث الموجودة فيها ( ابل ما كنتوش مثلا ، بصدد بعض اجزاء الكمبيوتر ) ..

وهناك ملمح آخر يمكن إدراكه من البحوث الجارية حول نوع جديد من الطاقة سيكون بمثابة النهاية لكل أزمة في هذا الصدد هو طاقة الاندماج النووى وما يعنينا في هذا الصدد أن الدول المتقدمة شرقا وغربا تعمل معا متكاتفة في حل المشاكل التي تعترض توليد مثل هذه الطاقة ، وذلك لعجز اى من هذه البلدان منفردة عن تحمل الأعباء المالية والفنية الهائلة ، اللازمة لتحقيق هذا الحلم .. وهكذا نجد الاتحاد السوفييتى الى جانب اليابان والولايات المتحدة ودول من أوربا الغربية والشرقية يعملون يدا في يد .. ولعل هذه اللمسة تكون قد نقلتنا بالفعل الى مايخص التغيرات العالمية والعربية ..

لقد ساهم مجمل واقع البحث العلمي في تزايد ثقل التكنوقراط واحتلالهم اهمية متزايدة ، حتى في اكثر المجتمعات احتفاء بالأولويات الاجتماعية والايديولوجية ( لناخذ مايحدث في الصين والاتحاد السوفييتى كمثل ) كما اصبحت المباراة في التوصل إلى التكنولوجيات الحديثة تجرى بكل الوسائل ( صار التجسس التكنولوجي من موضوعات الغلاف الرائجة في صحافة العصر ) .

وفي عالم مثل هذا لن يكون هناك وجود لمجموعة بشرية لاتدرك ما يدور حولها سواء من حيث إمكانات العلم ، أو من حيث ظروف استخدام هذه الإمكانات .

ويمكن إدراك أبعاد الموقف فيما يخص العرب من التطرق إلى قول رئيس الجمعية البريطانية لتقدم العلوم ( في اخر اجتماع حضره ، عام ١٩٨٧ ) الذى ينتقد فيه بمرارة العلماء والسياسيين البريطانيين لما آل اليه مآل العلوم هناك ، وايضا من لومه لهيئات التدريس على دورها في تأخير عجلة التقدم ، واهابته بالحكومة البريطانية ان ترفع من شان البحث العلمى بتسهيل التربية العلمية في المدارس والجامعات ، ومد يد العون المادى والمعنوى الى هيئات الابحاث والدراسات في البلاد ، لوقف تسرب علمائها إلى الخارج طمعا في ظروف عمل افضل ودخل اكبر ..

وإذا كانت هذه حالة « بريطانيا العظمى » فلا مجال لتفصيل القول فيما يخص العالم العربى ، الذى تحول على مدى عشرين عاما من امة ماردة بالامكانية والحماس ، إلى امة هائلة الموارد ، ممعنة في هدرها ، رغم كونها مهددة بالفناء ( ؟! ) من كل جانب ..

● مدرسة قومية في البحث

ومجمل الأوضاع العلمية والعالمية

والعربية تبين مدى حاجة الأمة العربية إلى أن يكون عقلها ( مؤسسات البحث العلمى ) فى أقصى حالات الاستعداد ، وإلى أن يعمل هذا العقل فى إتاحة أفضل نتاج لما يتوفر لديها من إمكانات ، حتى تخرج من مازقها ، ناهيك عن تحقيق احلامها ..

ولا اعتقد اننا فى حاجة بعد ما تقدم الى تبرير التزامنا منطلقا قوميا فى الحديث ، وإن كان ولابد من إضافة هنا فهى اننا نعيش فى عالم أعجز الكيانات الصغيرة عن العيش ، مما حدا ببلدان فى حجم بريطانيا وفرنسا والمانيا ان تسعى الى اشكال من التكامل وإزالة الحدود ، رغم عدم امتلاكها معشار ما تملكه الأمة العربية من مقومات التكامل ، أو بلوغ حاجتها المصيرية إلى هذا التكامل معشار احتياج الأمة العربية له ..

والتطورات العربية الأخيرة تشير إلى ادراك متزايد لهذه القضية لكنه لايمكن ترك مسالة اعتمادنا المنطلق القومى فى حديثنا دون إيضاح أن الأمر لايقتصر على ظروف العصر ، ذلك أن الاستعانة بالخبرة الأجنبية فى هذا الصدد محدود القيمة ، فاللهاث فى إثر المجتمعات الغربية ، الذى كان هدفا مسلما به فى فترات سابقة ، أمر ظهر فى جلاء ، أنه ليس طريقنا . هذا كما بات من المسلم به أن التكنولوجيا حقيقة اجتماعية واقتصادية وليست حقيقة علمية مجردة .. وكل ذلك يفرض علينا تجاوز استيعاب وسائل العصر بل وحتى توظيفها المبدع ، إلى ابداع ما يخصنا من حلول ووسائل ، وحتى نوضح ذلك لناخذ بعض الأمثلة ..

ومن المسلم به فى الأدبيات العلمية الغربية أن الوضع البيئى ( ارتفاع درجة الحرارة والجفاف ) يضفى على عملية النهوض الصناعى والتكنولوجى ، فى بلدان الجنوب ، أعباء إضافية لا تستوجبها هذه العملية فى بلدان الشمال . ويمكن أن تنعكس هذه الاحتياجات فى مؤشر نهائى ، هو حاجة الجنوبيين الى قدر اكبر من الطاقة .. وهذه المسلمة( ! ) تنطوى على مفارقات تعرى الإمكانية والعجز فى نفس الوقت .. ذلك أن ارتفاع درجة الحرارة هو فى حد ذاته طاقة وهنا تكمن الامكانية ، لكن عجزنا فى الجنوب ، عن استغلال هذه الإمكانية ، هو الذى يكرس ما تروج له الأدبيات الغربية .

وجوهر المفارقة يكمن فى أننا ننتظر كعهدنا دائما فى موضوع استغلال الطاقة الشمسية أن ياتينا الحل من الشمال ( الذى يفتقر الى الشمس وبالتالى لا يشكل الأمر أولوية عنده ) ولهذا تبقى إنجازاتنا فى هذا المجال محكومة بالجهود التى يبذلها الشمال ، للاستفادة من الطاقة الشمسية خارج حدود الغلاف الجوى أى فى الفضاء القريب من الأرض ، فى الاقمار الصناعية وسفن الفضاء ..

وإذا أخذنا دخول عصر الكمبيوتر لوجدنا مثالا فاضحا آخر فجوهر التعامل مع الكمبيوتر هو استرجاع المعلومات ( المخزنة المعالجة ) منه

ولايخفى على أحد ان سهولة مثل هذا الاسترجاع وشيوعه يرتبط بتعريب الكمبيوتر ، لكن مفهوم التعريب انحصر حتى وقت قريب فى استخدام لوحة مفاتيح بشكل الحرف العربى ذلك بينما تختلف اللغة العربية عن اللغات الأساسية للكمبيوتر اشتقاقا ( اى صرفا) ونحوا وتشكيلا ، الامر الذى يجعل التعامل الكمبيوترى باشكال حروفها أمرا محدود القيمة إلى أقصى حد ، قياسا على الممكن من التعامل باللغة العربية ( وليس حروفها فقط ) ..

لقد ظللنا نطمع فى هذا الصدد ان تصلنا المعارف الكمبيوترية الخاصة باللغة العربية من أمريكا واليابان وبريطانيا .. وكان اللغة العربية يمكن ان تكون بنحوها وصرفها واشكال كتابتها فى متناول أبناء هذه البلدان ، اكثر مما هى فى متناول ابناء الحجاز ونجد والقاهرة وعمان ..

ولا اعتقد انى فى حاجة للاستطراد فى سرد أمثلة فاضحة اخرى لبيان المهام النوعية المختلفة المطروحة على مدرستنا القومية الخاصة فى البحث العلمى ، او للتاكيد على ضرورة هذه المدرسة .. واستاذن القارىء عند هذا الحد فى النكوص بالحديث من المستوى القومى الى المستوى القطرى .. ذلك أن مصر هى البلد المؤهل ، بامكانيات الحاضر وليس بالانجازات التاريخية وحدها ، لأن يلعب دورا قياديا فى هذا المجال . واعتقد ان الأمة العربية باوضاعها الراهنة ليست فى حاجة إلى دور مصر فى مجال اكثر مما هى فى حاجة اليه فى دنيا البحث العلمى ..

## ● معوقات تعترض الطريق

إن الأمانة تدعونا قبل الحديث عن عقل قومى للأمة ( مدرسة قومية للبحث ) الى مناقشة الظروف الراهنة لمؤسسات البحث العلمى فى مصر .. وكل المؤشرات تبين انها :

- تعانى ، رغم النقص الكبير فى الكوادر ، من الترهل المعوق لانه حجم غير موظف يختلف عن الحجم الوظيفى ، الذى يجعل من الكبر بل والعملقة ظاهرة صحية ..
- تعانى من تخلف الاطارات الادارية التى تكبل المجتمع باسره ـ وتستنفد ٨٠ ٪ من الوقت والجهد تاركة البقية القليلة الباقية للعمل .
- تعانى من خلط قاتل بين مهمة المبدع ومهمة المايسترو ان جازت استعارة هذا المصطلح الموسيقى فى مجال البحث العلمى ..
- تعانى من بقايا القيم والأخلاقيات القبلية والاقطاعية والحرفية ، وبرغم اهتمام افرادها بعمليات متلاحمة على نحو خارق ، يحتفظون فيما بينهم بمسافات تقدر بالاف الاميال ، كل فى واديه يعتبر عمله مملكته وملكيته ، وليس هناك خط منهجى حاكم إلا خط « الأنا » الذى يتغير مع تغير الأفراد ..

ذلك بالاضافة الى ان مؤسسات البحث العلمى فى مصر لا تسلم من السمات السلبية للحركة العلمية فى دول « العالم الثالث » عامة مثل :

- السرعة التى ينتقل بها الباحث من

القرية ، إلى المدينة الكبيرة ، إلى الاقامة الطويلة فى المدن الاجنبية بما ينطوى عليه ذلك من مغامرات وجدانية وثقافية واجتماعية ، تنقل صاحبها فى الغالب الى صفوف الصفوة التى تعجز عن الاندماج فى مجتمعاتها الأصلية ، دع عنك مجتمعاتها القروية ..

- التبعية لأنظمة البحث فى البلدان المتقدمة لأسباب مختلفة ، منها عملية تكوين الكوادر العلمية وميزانيات المؤسسات ومصادرها ... الأمر الذى يؤدى إلى الاخلال بالأولويات البحثية التى يحتاجها المجتمع .

- الظروف الصعبة والميزانيات الضئيلة لهذه المؤسسات ، ناهيك عن عدم تمتع العمل فيها بمكانة اجتماعية بارزة الأمر الذى يؤدى إلى تدنى منفعته الاجتماعية

- التعليم الذى لا يشكل إعدادا مناسبا لمهنة الباحث العلمى ، وتباعد الارتباط بين التخصص الذى يهم المرء والتخصص الذى يجد نفسه ملتزما بتاديته ، بالاضافة إلى مفارقة شغل من تخصصوا فى فروع علمية لعشرات السنين للمناصب الادارية ، التى لا يكون الباحث مؤهلا لها اكثر من غيره ..

وقبل ذلك كله وبعده غياب الراى العام العلمى الذى يصنع مناخا مواتيا يحسم ديمقراطيا المشاكل التى تواجه مثل هذه المؤسسات ..

### ● كيفية استفادة الأمة من عقلها

وذلك كله يساهم بلا جدال فى حالة الغياب التى نراها لدور البحث العلمى عن الشارع المصرى والعربى عامة ، رغم الحاجة الشديدة اليه ، ورغم وجود مؤسسات عديدة تحمل لافتاته .

ولعله من الضرورى الإشارة إلى ان الأمر يحتاج إلى إرادة فاعلة ، قادرة على رسم استراتيجية واضحة ، ترتبط باحتياجات المجتمع ، يقوم فيها هيكل إدارى قادر بتنفيذ خطة سليمة ناجزة ، مع توفير الموارد اللازمة وتهيئة المناخ المناسب ، مع التاكيد على ضرورة ان يجرى ذلك كله وفق تصور قومى الأبعاد وفى إطار دينامى يستوعب المتغيرات دون فقدان للاتجاه ..

ومن فضل القول بالتالى التاكيد على ان القضية لا تخص العلميين وحدهم فالمسالة تشغل مساحة هائلة تمتد بين احلام الأمة فى مستقبلها ، وبين المناخ العام ، ومرورا بنظام التعليم المبنى على التلقين والترديد و ...

وأخيرا فإن قضية من هذا النوع لايمكن حسمها فى مقال أو سلسلة من المقالات ، لهذا تكون هذه الكلمات قد حققت هدفها إن افلحت فى جذب الانتباه إلى اهمية المشكلة وإلى ضرورة وضعها على راس اولوياتنا ، والتفكير فى الميكانيزمات المؤهلة للبت فيها . ولولا بعض من الحرج لقلنا مؤتمرا عاما يناقش كيفية قيام البحث العلمى بالدور المنوط به ، أو كيفية استفادة الأمة من عقلها ..

قضايا حيوية

# توثيق التاريخ ودراسته بين الجامعة ومراكز البحث

بقلم : د . عاصم الدسوقي

تكاد تقتصر رسالة الجامعة في مصر فيما يتعلق بهذا الموضوع على تدريس وقائع التاريخ ببعض التحليل من خلال القاء الدروس الاسبوعية على الطلاب ولمدة اربع سنوات يمنح بعدها الطالب شهادة تفيد تخرجه في قسم التاريخ ، وبعض موضوعات التاريخ التي يدرسها الطالب في المرحلة الجامعية تكون تفصيلا لما سبق ان تعرف عليه بشكل مختصر او اجمالي في المرحلة السابقة على الجامعة وربما كان اسلوب تدريس التاريخ في مرحلة ماقبل الجامعة، من حيث الايجاز او التعميم او حشد التفاصيل مع غياب التحليل واختفاء وجهة النظر العقلية مسئول الى حد كبير عن نفور تلاميذ المدرسة من مادة التاريخ ، الامر الذي يجعلهم يتجنبون الالتحاق بقسم التاريخ بالجامعة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ولعل التحاق هذه النوعية من الطلاب بقسم التاريخ ، والقصور الملحوظ فى أسلوب تدريس التاريخ بالجامعة ، يفسر ضعف المتخرج فى قسم التاريخ وعدم شعوره بالفخر من دراسته ، بل ان بعضهم يخجل من هذا النوع من الدراسة ويقدم نفسه لمن لا يعرفه بأنه من دارسى العلوم السياسية • وهذه الصورة لا تنفى بطبيعة الحال وجود صفوة قليلة من خريجى هذا القسم التحقوا به عن اقتناع ورغبة فى التعرف علىتاريخ المجتمع البشرى •

وموضوع تطوير تدريس التاريخ بالجامعة والمدرسة هو جزء من تطوير التعليم فى مصر بشكل عام والذى شكلت وتشكل له اللجان تلو اللجان ، وفى كل مرة تسفر الامور عن تعديل بعض النصوص والاحكام هنا وهناك • وهى نصوص واحكام تتعلق اكثر بأوضاع هيئة التدريس ومراحلالدراسة من حيث الزيادة أو النقصان ومن حيث الدمج أو التشعيب دون الاقتراب من مضمون المقررات الدراسية والارتقاء بأدوات نقل المعرفة ، والتى من شأنها أن تجعل من التاريخ – وهو موضوعنا – علم فهم الماضى ورسم المستقبل بكل ما تعنيه كلمة علم من شروط • وأمام اتساع آفاق المعرفة وتقدم تقنيات الوصول اليها ، لم يعد التعليم الجامعى بمصر بحاجة الى تطوير ، وانما بحاجة الى تغيير أساسى وجذرى يتم بعيدا عن العناصر البيروقراطية التى احترفت صياغة المصالح المتشابكة فى مفردات قانونية • وهذه نقطة أخرى بعيدة عن موضوع هذا المقال •

## ● الطريق الموصل للدراسة

على ان فهم التاريخ الفهم العلمى الضرورى لا يأتى من خلال المحاضرات الجامعية ، ذلك ان هذه المحاضرات تكون خلاصة للبحث الدقيق فى جزئيات موضوع التاريخ المختلفة • وهذا يعنى ان البحث فى تلك الجزئيات هو الطريق الموصل لدراسة التاريخ • وتتكفل الجامعة فى مرحلة الدراسات العليا بجزء من هذا الجانب من خلال اعداد رسائل الماجستير والدكتوراة• غير أن البحث فى هذه المرحلة يتم بشكل غير مخطط سلفا حيث تترك للباحث (الطالب) حرية اختيار موضوع بحثه ( رسالته ) ونادرا مايفرض عليه البحث فىموضوع معين الا اذا كان حائرا فى الاختيار • ومع اعترافنا بوجود بعض الاستثناءات نتيجة للفروق الفردية بين استاذ واخر، فان الصورة العامة تشير الى عجز الجامعات فى مرحلة الدراسات العليا عن الوفاء بمتطلبات البحث المخطط الشامل فى كافة جزئيات موضوع التاريخ •

وعلى هذا قامت مراكز البحوث جنبا الى جنب مع الجامعات لاستكمال رسالة البحث ، حيث تضم باحثين يتفرغون للبحث فى القضايا والاشكالات والجزئيات دون ان تشغلهم المحاضرات للطلاب أو تصرفهم بعض الممارسات البيروقراطية • وهذه المراكز تتبع

الجامعة فى بعض الدول أو تتبع احدى وزارات الدولة القريبة من مجالات عمل المركز ، وقد تأخذ اسم « اكاديمية » ، وقد تكون هذه المراكز هيئات مستقلة تمولها بعض قطاعات النشاط الخاص كما هو الحال فى دول أخرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية . والذى تتاح له فرصة زيارة بعض مراكز البحوث هذه ، والتعرف على سير العمل بها سوف يدرك معنى البحث المخطط ، والبحث الجماعى ، والندوة المتخصصة، والحلقة الدراسية ، والمؤتمر العام ، واهمية المكتبة وتوثيق المعلومات ، واكثر من هذا سوف يلمس نوعية الباحثين الذين يعيشون فى ظل هذا المناخ العلمى .

أما فى مصر فلدينا اكثر من مركز يختص بدراسة التاريخ والبحث فيه . فهناك المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى يعنى فى احد برامجه « ببحوث التاريخ الاجتماعى المصرى » ، وهو برنامج طموح يستهدف دراسة التاريخ الاجتماعى لمصر عبر العصور من منظور علم اجتماع التاريخ . ويضم هيئة من الباحثين المتخصصين المرتبطين به والمتفرغين للعمل . وقد يستعين البرنامج ببعض العناصر الخارجية من بينها أساتذة الجامعة اذا ما تطلب الامر ذلك فى احدى جزئيات البحث أو فى أحدى مراحله .

وهناك مركز بحوث ودراسات الشرق الاوسط التابع لجامعة عين شمس ، ومجال اهتماماته يتجاوز مصر وان كان لا يسقطها كلية من حساباته . غير ان تبعيته للجامعة مباشرة تقلل من فاعليته البحثية ، اذ يتولى أساتذة الجامعة مسئولية العمل فيه جنبا الى جانب محاضراتهم وواجباتهم الوظيفية بالجامعة .

## مشكلات تعوق البحث

وثالث هذه المراكز مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الذى يتبع الهيئة العامة للكتاب . وهذا المركز يختلف عن المركزين السابقين من حيث انه يختص بتاريخ مصر المعاصرة ، وان دائرة عمله لا تقتصر على اجراء البحوث بل تتسع لتشمل توثيق المعلومات والوقائع ، بل ان عملية التوثيق تاتى قبل اجراء البحوث ، ومن هنا فان تحديد اسم المركز « بمركز وثائق وتاريخ » لم يكن عفوا وانما كان التزاما بقاعدة رئيسية فى منهج البحث فى التاريخ استقرت منذ زمن تقول « انه لا تاريخ بدون وثائق » .

ولقد مضى على انشاء هذا المركز حتى الان اكثر من عشرين عاما ( تأسس فى ١٩٦٧ ) كانت كافية لان تصنع منه مركز بحث علمى فى تاريخ مصر المعاصرة . ولكن هذا لم يحدث للاسف الشديد لاسباب مختلفة يمكن حصرها فيما يلى :

ــ ان المركز أصبح ادارة من ادارات الهيئة العامة للكتاب يخضع شأن الادارات الحكومية للوائح ومراسيم لا تتفق مع طبيعة عمله ، ويتولى ادارته من يرقى لوظيفة مدير عام بالهيئة بصرف النظر عن التخصص والاستعداد والكفاءة .

ــ الخلط بين دور مدير عام المركز ودور الاشراف العلمى واعتقاد المدير العام ان الباحثين الذين يحمل بعضهم درجات علمية من ماجستير ودكتوراه ما هم الا موظفون تحت رئاسته ، وانه بصفته الاعلى فى الدرجة المالية يصبح

الاعلى فى العلم والمعرفة ايضا ، وهذه محنة البيروقراطية ..

– ان هذا الخلط والتداخل بدأ عندما أخذت الادارة البيروقراطية تتطلع من أواسط ١٩٧٥ نحو سحب البساط من تحت أقدام الاشراف العلمي تدريجيا وذلك بتجاوزها الخيط الرفيع الذى يفصل بينها وبين الاشراف العلمي لكى تنفرد فى النهاية بكل الامور . وكان لهذا آثاره السلبية على الجانبين :فمن ناحية الباحثين تيقظت فيهم روح الموظف المرءوس الذى يسعى لارضاء رئاسته ومنافقتها تحقيقا للمآرب الشخصية . واما من ناحية المشرفين المنتدبين من الجامعة ، فقد استنكر بعضهم الاستمرار فى العمل فى ظل ادارة بيروقراطية وغير متخصصة فانسحبوا ، وبقى من عاش على أمل الاصلاح أو من كان يرى فى المركز مجالا للظهور والشهرة .

– ان المركز احدى وحدات الهيئة العامة للكتاب وهى هيئة مركزية بطبيعة تعدد مجالاتها ، بل ان الوحدات التى تضمها هذه الهيئة وتناقض طبيعة العمل فيما بينها يؤدى فى النهاية الى عدم فاعلية حقيقية ، اذ تضم الهيئة مراكز علمية متخصصة ، ودار الوثائق، ودار الكتب ، والمجلات الادبية ، والثقافية ، فضلا عن قطاع النشر . ومن عيوب هذا التجميع صعوبة ايجاد الشخص الواحد الذى يستوعب كل المجالات ، والذى حدث عمليا وواقعيا ان كل من تولى رئاسة هذه الهيئة طبعها بطابعه التخصصي واهتماماته الشخصية مهملا النواحي الاخرى .

– ان المركز وان قدم بعض الاصدارات المهمة وخاصة بعض مذكرات السياسيين المصريين ، وبصرف النظر عن النقد الذى قد يوجه لاسلوب نشر بعضها ، فان هذا العمل على اهميته وضرورته صرف المركز عن جانب أكثر اهمية ، الا وهو توثيق تاريخ مصر المعاصرة كما يشترط اسمه ، اذ اكتفت ادارته بالعمل فى مذكرات السياسيين المصريين التى تم ايداعها بدار الوثائق القومية ، دون أن توسع دائرة التوثيق لتشمل تجميع المادة التاريخية من محفوظات الوزارات المختلفة ، ودار القضاء العالي ، ومضابط البرلمان ، والصحف والمجلات، وترتيبها موضوعيا لتكون فى متناول الباحثين فى مرحلة لاحقة عند اعداد البحوث المتخصصة ، وغير ذلك من مهام كانت قد بدأت مع انشاء المركز ثم توقفت فى أواسط عام ١٩٧٥ .

● احتضار

والخلاصة ان المركز يحتضر وليس فى هذا اية مبالغة . ويكفى القول أن تناقضاته الداخلية والتى ظلت مكتومة انفجرت اخيرا بعد ان تراكمت نتيجة لتصادم القرارات وتناقضها وانسداد القنوات الموصلة بين المستويات الوظيفية المختلفة بالهيئة ، الامر الذى دفع الاطراف المعنية الى طرق أبواب صحافة الرأى لاسماع صوتهم للرأى العام .

لقد اصبح تنظيم المركز أمرا ملحا حفاظا عليه من عبث العابثين وهذه مسئولية كل المشتغلين بالتاريخ وتاريخ مصر المعاصرة بشكل خاص · اذ ليس من المعقول انه بعد أكثر من عشرين عاما على انشائه لا يخضع العمل فيه لقواعد تنظم العلاقات وتحدد الاسلوب بعيدا عن المهاترات الشخصية والحساسات الوظيفية ·· قواعد تضع في الاعتبار أن المركز يضم حملة درجات علمية في التخصص مؤهلين لقيادة العمل دون اشراف سلطوي من الخارج ودون قهر بيروقراطي من الداخل · وليس خافيا ان محاولات تطوير المركز اصطدمت بصخرة البيروقراطية في مستوياتها المختلفة، ويعرف الباحثون انمشروعات للتطوير قدمت في أعوام ١٩٧٩ ، و ١٩٨٠ ، و ١٩٨٤ كان من شأنها جعل المركز مركزا بحثيا تباهي به المراكز الاخرى ولكن دون جدوى ·

وفي هذا الخصوص اقترح ان يقتصر العمل بالمركز في مستوياته المختلفةعلي الباحثين المتخرجين من اقسام التاريخ والوثائق والمكتبات والصحافة واللغات، وأن يوزع العمل فيه بين وحدتين رئيستين هما : وحدة التوثيق ، ووحدة البحوث والندوات ، ويرأس كل وحدة مقرر متخصص من هيئة الباحثين بالمركز وأن تشكل هيئة ادارة Board تضم مشرفا علميا على المركز من المتخصصين في تاريخ مصر المعاصرة يعين أو ينتدب كمرحلةانتقالية، ومقرري الوحدتين ، وعضوا من الهيئة العامة للكتاب بحكم وظيفته ، وعضوا من الخارج – في حالة تعيين المشرف – بحكم كفاءته العلمية في دائرة عمل المركز ، وأمين للمركز للامور الادارية وليس مديرا عاما منعا للحساسات والصراعات مع الاشراف العلمي ·

وتشجيعا لباحثي المركز على المضي في طريق البحث وعدم تركه للجامعة بمجرد الحصول على الماجستير والدكتوراه يكون من المفيد النظر في وضع كادر خاص بهم داخل الهيئة يتوازى مع كادر الجامعة ، فمثلا يعين حملة الدرجة الجامعية الاولى في درجة باحث ( معيد ) ، ويعين حملة الماجستير في درجة باحث ثان ( مدرس مساعد )، ويعين حملة الدكتوراه في درجة باحث أول ( مدرس ) · ويحق لهم التقدم بانتاجهم العلمي ليحصلوا على القاب أستاذ مساعد وأستاذ بعد مضي مدد بينية معينة يتفق عليها ·

ويعد استكمال المركز لطاقمه من الباحثين يتعين النظر في تشعيب وحدة البحوث الى أكثر من شعبة مثل :شعبة التاريخ الاجتماعي ، وشعبة التاريخ السياسي والدبلوماسي ، وشعبة التاريخ العسكري ، وشعبة التاريخ الفكري والثقافي ، وشعبة التاريخ المستقبلي·· وهكذا ·

**انني أعتقد أن تنظيم المركز بما يؤدي الى استقراره وفاعليته امر قابلللتطبيق خاصة انه غير مرهق للميزانيات شريطة أن تصدق النوايا وتتوارى الانانية الذاتية قليلا ·**

في العدد القادم

الجزء الثاني من (( الصراع الفكري )) للكاتب الكبير طارق البشري

# فى ذمّ النساء!

بقلم: صافى ناز كاظم

● طبعة قديمة في مكتبتي لديوان الحماسة وهو: ما اختاره ابو تمام حبيب بن أوس الطائي من اشعار العرب. الطبعة لصاحب المكتبة الازهرية «محمد سعيد الرافعي»، اصدرها سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٣م وتمتاز على حد تعبيره، «بتراجم الشعراء وذكر سبب الشعر مع زيادة تهذيب وتنقيح.. مختصر من شرح العلامة التبريزي وغيره». وهذه الطبعة من جزاين، الجزء الاول ٤٦٦ صفحة ويشمل: باب الحماسة، وباب المراثي. والجزء الثاني ٤٢٤ صفحة ويشمل: باب الادب، وباب النسيب، وباب الهجاء، وباب الاضياف والمديح، وباب السير والنعاس، وباب الملح، ثم اخيرا باب صغير اسمه: باب مذمة النساء!



ويقول الناشر صاحب المكتبة الازهرية، وهو نفسه الشارح والمعلق: «... ما روى من شعر العرب كثير لا يحاط به وان قصر عليه العمر، فكانت للحاجة ماسة الى مجموع يقوم منها مقام الخلاصة، ولم نجد من ذلك احسن ولا اوفى من كتاب الحماسة الذى اختاره ملك الكلام (ابو تمام) فقد كان للرجل من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره، وقيل انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقطوعات هذا عدا ما اطلع عليه فى خزانة كتب أبى الوفاء العظيمة التى جمع منها هذا الكتاب. وعدنا أنه (ابو تمام) شاعر بصير بمحاسن الكلام وعيون النظام، خبير بالنقد ومطلع بهذا الفن ولهذا عد جميع الادباء كتاب الحماسة المذكور أفضل كتاب مجموع من شعر العرب. وقد هبت بنا الرغبة من اجل ذلك فى نشره وتوفير الوقت على الفضلاء ... فضبطنا المتن وعلقنا عليه شرحا يحل كل ما فيه، ويظهر من خافيه مع الايجاز ... وتراجم الشعراء ...»

## طرافة وغزل :

والذى يبهرنى فى هذه الطبعـــة التى تبلغ من العمر ٧٥ عاما وتزيد على ٨٠٠ صفحه انها تكاد تخلو من الاخطاء المطبعية ، مع انها كلها تقريبا نصوص من الشـــعر المضبوط بالتشكيل . والذى جرب اخــراج الكتب المضبوطة بالتشكيل هذه الايام ونحن فى عصر الجمع التصـويرى المتقدم ، يدرك العناء الرهيب الــذى يصيب المراجع لتصحيح الاخطــاء ، حتى ان الناشر الحديث ، يكاد يفضل أن يلغى الضبط بالتشكيل حتى لا يفتح على نفسه بابا من طوفان الاخطاء .

فى كل ابواب الديوان التســعة توقفت عند باب « مذمة النســاء » . وهو باب غير طويل وغير عــريض فى الشعر العربى وفى الديوان ـ ١١ صفحة فقط ـ لكنه موجــود ، ولولا طرافته وما يثيره من ضحك لــكانت صورة فى التنفير من المرأة قســوة ليس بعدها قسوة . والحمــد لله أن « باب النسيب » ـ وهو باب الغــزل وعشق المرأة ـ يبلغ ١١٢ صفحة أى اضعاف اضعافه . ورغم كونى من النساء فانى لم اشــعر بالاهانة من باب ذم النساء ، فلا شك ان النظرة الموضوعية تجعلنا معشر النســاء نرى من بين صفوفنا من تفهم عناء هذا الاعــرابى الذى كان قد تزوج من أمرأة فــلم توافقه ، فقيل له أن هنــــاك حمى بدمشق سريعة فى موت النســاء فحملها الى دمشق وانشــــد هذين البيتين : ( الحماســة ج ٢ ـ ٤١٣ )

دمشق خذيهـا واعلمى أن ليلة
تمر بعودى نعشها ليلة القـــدر
اكلت دما ان لم ارعك بضـــرة
بعيدة تهو القرط طيبــة النشــر

اما لك عمر ؟ انما انت حيـــة

وقال اخر فى امرأة فارقها :

اذا هى لم تقتل تعش اخر الدهر!
سقى الله دارا ، فرق الدهر بيننا
وبينك فيها ، وابلا سائل القطر
ولا ذكر الـــرحمن يوما وليلة
ملكناك فيها لم تكن ليلة البدر !

وقال ثالث فى أمرأة طلقها :

رحلت انيســة بالطـــلاق
وعتقت من رق الــــوثاق
بــانت فــلم يــألم لهـا
قلبى ولــم تبـــك المــآقى
ودواء مالا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
لو لم ارح بفراقهــــا لارحت نفسى بالإباق !

وقال قائل :

تمت عبيدة الا من محاســنها
والملح منها مكان الشمس والقمر
قل للذى عابها من عائب حنــق
اقصر فراس الذى قد عبت للحجر!

وقال غيره :

الام على بغضى لما بين حيـــة
وضبع وتمســاح تغشاك من بحر
تحاكى نعيبا زال فى قبح وجهها
وصلحتها لما بدت سطوة الدهــر
هى الضربان فى المفاصل خاليا
وشعبة برسام ضممت الى النحر
اذا سفرت كانت لعينك ســخنة
وان برقعت فالفقر فى غاية الفقر
وان حدثت كانت جميع مصائب
موفرة تاتى بقاصــمة الظهــر
حديث كقلع الضرس او نتف شارب
وغنج كحطم الانف عيل به صبرى
وتفتر عن قلح ، عدمت حديثها
وعن جبلى طى وعن هرمى مصر!

والملاحظ أن كل الذين قالوا شعرا فى باب « مذمة النساء » أغفلوا ذكر

ندوة

# الهلال الشعرية

# موسم الشعر في موسم الربيع

شهر نيسان « أبريل » هو الشهر الربيعي الفواح الذى اثار من قديم الزمان قرائح شعراء العربية ، كما حرك الاشجار ، وأطاب الاثمار ، وفتح الأزهار ، ونشر روائح الروضة المعطار ..

وقبل خمسين عاما اقيم فى القاهرة موسم للشعر اشترك فيه عدد كبير من شعراء مصر فى تلك الايام أمثال : أحمد محرم وأحمد الزين وأحمد الكاشف ، وفتحت الصحف صدرها لنشر قصائدهم والتنويه بها ونقدها ..

ولو اطردت أسباب التقدم والتطور فى بلادنا ـ وبخاصة فى المجال الأدبى ـ منذ ذلك الحين إلى الآن لاستمرت إقامة « موسم الشعر » عاما بعد عام ، ولكن هذا التقليد الأدبى العظيم لم يستمر ، وانتكس الشعر ذاته واختلط فيه الحابل بالنابل ..

وقد فكرنا فى « الهلال » أن نقيم كل عام موسما للشعر ، ولكن موسمنا سيقتصر ـ مؤقتا ـ على نشر مجموعة من القصائد فى أغراض متنوعة ، وبأساليب شعرية متعددة ، ومذاهب فنية مختلفة ، واتجاهات فكرية لاقيد عليها ، ومدارس تتعاقب كما تتعاقب الأجيال ..

أما فى المستقبل فنأمل أن نقيم كل عام فى شهر نيسان « أبريل » ـ رمز الربيع ـ احتفالا لموسم الشعر ندعو اليه شعراء مصر والبلاد العربية ..

وإلى ان نتمكن من تنفيذ هذا المطلب العزيز علينا وعلى الشعراء والادباء والقراء ، أن نكتفى باقامة « موسم الشعر » مصغرا على صفحاتنا ، محتويا هذه القصائد لهؤلاء الشعراء المجيدين ، والشاعرات البارعات من مصر والبلاد العربية ، من أعمار مختلفة ولكنهم من عصر واحد ..

ولعل « موسم الشعر » الذى نقيمه على صفحاتنا ، يكون تحية عاطرة الى نيسان « ابريل » رمز موسم الربيع ! .. وهدية إليك ـ عزيزى القارىء ـ نرجو أن تشملها بالقبول ! ..

# الحصار

شعر : محيي الدين عطيه

لئن تكاثرت على حدودنا
كتائب التتار
أو استباحت النسور كرمنا
فى وَضحة النهار
لئن تشققت خدود أرضنا
وعضّها البوار
أو استحالت العيون مالحاً
وماتت الأشجار
لئن أتى الوباء زاحفاً
يهدد الكبار والصغار
وينزع الحياة من صدورنا
ويحرق الديار
لكان أمرنا كمن مضى من الأمم
وبعدها أسدل الستار

★ ★ ★

لكننا نعيش عصرنا
ونملك القرار
وفى قلوبنا هداية
تحدد المسار
وفى أكفنا إرادة
يقودها الخيار

فكيف نعشق الحروب بيننا
ونعشق الدمار
وكيف يستبيح حمقنا
محارم الجوار
وننشر الخراب حولنا
كأنه سوار
شبابنا الذى نسوقه
لحتفه بلا حوار
ونفطنا الذى نضخه
لنشعل الشرار
ويأسنا الذى يدور بيننا
بكاذب الشعار

★ ★ ★

تُرى فكيف نخرج المصير
من مخالب المدار
وكيف نرفع الأذان صادحاً
من شرفة المنار
فلم يعد لنا سواه
على جزيرة تفور حولها البحار
وكيف كيف نكسر الحصار

# حوار!

شعر: فتحي سعيد

●

وقالت لىَ الكأس
نداماك .. خُرْس
وخمرك رجس
ولذة خَلْس ..
ربيع هو الهمس
خريف هو البؤس
شتاء هو القدس
وصيف هو المسجد المستباح !
وماقد أبيح وما قد يباح
ولك الفصول طيور تهاجر ..
عند انعتاق الصباح
غداة الغدو وحين الرواح
إلى غير وكر ..
بغير جناح !.

★★★

وقالت لىَ : الفأس
صقيع هى الشمس ..
لقد ذبت أمس ..
ولا ثمَّ غرس
ويوم نعيم ..
وأيام بؤس . !
ومأتم عرس ..
وها أنت قد أوغلت ..
فى ورقات الخريف

وأسقطت فيها ضلوع النصيف
وخضبت كفك من شفرات السيوف
وهمس الحفيف
وفوق ثيابك عطر شفيف
من الداليات ذوات الأثر
ذوات القوام العليل النحيف
ومن ثمرات الندى والمطر
قصيدة شعر ..
ونصف رغيف !
فهلا مللت طواف الدروب
وشق الجيوب
على خائنات عيون القلوب ؟!
ومازلت فيها تذوب !
أذوب ؟!
وهل يملك الغيث ..
وهو جنين الغمام
سوى أن يذوب ؟
وهل تملك الورق ..
من ساجعات الحمام؟
إذا ما دعاها نداء الهديل
سوى أن تقول . ؟
وتهدل حتى تذوب ؟
أذوب .. ؟!
ورغم الذى والتى ..
لا أتوب !



# غيوم .. مطاردة

شعر : جيلى عبد الرحمن

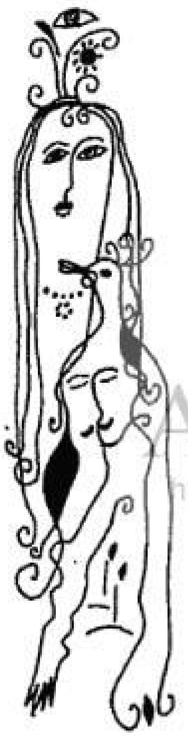
عريانة على يدى
ريانة الجسد
فى رحلة الأبد

★ ★ ★

وسألت عنك غبار ظِلّى فى المياه
تلجلج الأصـداء فيه
حولى نوارس .. نقرت فى البحر .. ألحان القياثر
فوقى سحاب .. كالقرى .. لا أرتجيه
تعدو فيافى الأمس .. كالمنفى
وتبرق كالخناجر
ياعتمة الماضى الكريه
شابت نواصينا ...
ننادى عبر مئذنة ، وتيه
كانت سماء ترسم الأشباح
فى صمت البيوت الواطئات
ونحلة .. تستمطر الغيم المهاجر
وشهقت قحطا .. فى شرايين الرمال
وقد ترنحت الدياجر
ما أبعد الصحراء .. عن بحر .. تتوّج بالشموس
كما القياصر !
ها قد فقدتك : أين شعرك قد سكنت بحرشه العارى
ولما تسكبيه
حتى نشبت على خلاياى .. التموج ، والأظافر
وغرقت فى الحرمات .. أصعقها .. كمجذوب .. سفيه
الحزن دنّسنا ..
فهات النار تعزفنا
وننتهك المنائر



ياعذبة .. كالماء
عظمى الملح
ذوبى .. فى تجاعيدى
وتيهـى !
انى كرهت سلاسل الموتى ..
وافنية المقابر
وخلعت نعلى .. فى السجود
نفثت أبخرة الضرائح
وصمة الزمن النزيه !
★ ★ ★
او تشرقين من النوافذ ..
تخطرين كمثل طائر
ينشقُّ عنك المقصف المنهوك ..
ضاق براقصيه
وتبللين جفاف صحرائى.. بأنفاس الضفائر
★ ★ ★
وأدور بالساق المهيضة .. دورتين
وتصم أذنىَّ الطبول ..
ورعشة الضوء اللجين
وتطل قريتنا .. رؤى غيم
تقِفُ على دجاهُ .. ذرى العمائر !
أختى الحبيبة .. مارأت بحرا تبتل شاطئاه
وقد تهلَّل فى بنيه
روح خواء .. أوصدت كل النوافذ
مـثـل عـاقـر
وأعود للنكدِ
متهاوى العمدِ
والترب ملء غدى



# ذوبان السر

شعر: ماجده بركه



تترقرق العبرات فى المآقى
ككرات السحر البللوريه
فترق المدن
وتسيل شعاعاً قزحيا
وتذوب الشمس الهمجية
قطرات تسّاقط فى القلب
دفئاً وسـلامـا
دفئاً وسـلامـا
وبريقاً علويا ..

★ ★ ★

الفرح سـلام
والحزن سـلام
والحب سـلام
انا طفل نام
انا طفل اغفى
ثم أفاق
انا طفل جوّاب الآفاق

انا صوفى مشتاق
شرب العشق فقام بداخله
عناق
انا همس الرحمه
وحفيف العون
انا سر الترياق
انا نغم منساق
يتبع ريحاً مشبعة برحيق الفل
ينطقنى ترتيل باق
ينبسه ضمير الكون
انا عمق اللون
النغم بجرس الضحكات
انا سر أضمر فى الاعماق
وتخفّى فى سحر اللفتات
انا كَلِمٌ قدسى فى اللوح المكنون
لـكـنـى ..
لا تستفدنى الكلمات ..

# التراث

شعر: سليم الرافعى

حجر لم يمت وإن صار رمسا
وتراب يزيد بالموت حسا
تشرق الشمس منه لم ندر يوما
اننا من سواه نلمحُ شمسا
نحن بالرمز منه نقرا كونا
ليس يطوى وعالما ليس ينسى
إنه الأب كيف ينسى أباه
ذلك الطفل كيف يصبح نفسا ؟
ننتمى نحتمى ، نلوذ بوادٍ
وارف الذكريات ينبضُ انسا
قلبه قلبنا .. وننقل منه
قدما فى خطى الحياة وراسا
كبر العالم القديم زماناً
ومكانا وماج دُنيا وعُرْسا
دمنا فى العروق نهر قديم
صرخ النهر اوْ جرى النهْرُ همْسا
عاصفات الاهرام منه وطوراً
يتغنى فى الروح دينا وقدسا
صفحات التراث آيات وَحْى
وسجون التراث أرفقُ لمسا
قفص الببغاء يُضحى ويمسى
مستطاب الغناء رجعا وجرسا
نتجنى على الزمان كأنّا
لانُطيقُ الزمان إن دار خلسا
من هم الأولون لولا رجال
زلزلوا الماضى المقدس أسا

وثبوا في الظلام بين قطيع
لايَرى في الوجود إلّا الأخسا
حيوانات عادة .. وبقايا
أمة الدود تحسب الدود جنسا

● ● ●

أصحيح أن الخلود عتيق
في غبار الاطلال كالخمر يحسى ؟
كذب الشاربون .. ماالمجد الا
جذوة في الضلوع أذكى وأقسى
ماهشيم التراث الا وقود
أشعلوه يضيء وسوموه فأسا
أحيت الأمة الولود تراثاً
حين ثارت تُعيدُ للغد أمسا
ثار خوفو وخفرع واستطالت
قِمَمُ المبدعين جذرا وغرسا
فوق مستنقع الضفادع تجرى
موجة الفكر بالروائع طِرسا
أنما الملهمون كرمةُ عقل
ايقظت همة أشدُ وبأسا
أنكروا عصرهم تقاليد صُمّاً
والشعوب النيام عميا وخرسا
وتحدى المحيط ركب ( كولومب )
وراى العالم الجديدُ فارسي
تصغر الارض والبحار ويبدو
ذلك الموج في الأعاصير كاسا
ناقة في الفضاء طارت وسرب
من ظباء الحديد يَهتك حبسا
يانسور الفولاذ ! والنجم وكر
ريغ من خفقة الجناحَينْ مَسّا
صيدكم في السماء .. فالأرض ضاقت
بالتُراث الهزيل جوعا وبؤسا

# أترى هل نسيتني ياحبيبي ؟

شعر : خليل فواز

هدا الليل .. وانتشت احلامي
وتمنيت أن تكوني أمامي !
ياربيع الحياة .. يازمن الحب
ومعنى الابداع والالهام
في حنايا الضلوع قد نضج الحب
كنضج الجنين في الأرحام
انت ظِلِّي ومسكني وبلادي
وملاذي وملجئي واعتصامي !
انت سرُّ البكاء في الليل لمّا
تشتكي الأمسيات للآلام !
لست أنساك لحظة في قيامي
ورُقادي وصحوتي ومنامي !
تشتهي وجهك الحبيب عيوني
كاشتهاء الضياء بعد الظلام !
أين إشراقة الصباح على وجهك
تُغري الفؤاد بالأحلام ؟!
واللقاء المنشود والعالم الرحب
يغني بمعزفي أنغامي ؟!
وسلام القلوب قبل السلام
وكلام العيون قبل الكلام ؟!
والحديث اللذيذ في هدأة الليل
ونار الشتاء تُذْكي غرامي ؟!
والعناق الحنون والتنفّس العذب
كهمس الزهور للانسام ؟!
اترى .. هل نسيتني ياحبيبي
أم ضِرام الهوى لديك ضرامي ؟!

★ ★ ★

# الجراح المتفائلة

شعر : فولاذ عبدالله الأنور





لم أندب الأيام منذ مرّ ركبها
وخلّف الفؤاد فى شواطىء الملل
لم أندب الربيع منذ فر شاردا
مبعثر الأعطار فى عواصف الجبل
فدربى القديم - حين أقفرت أشجاره ،
.. الخضراء تحت وطأة الخريف لم يزل .
يستقبل الحمائم البيضاء فى انتظاره
لعودة الربيع فى مواكب الأمل .

★ ★ ★ ★

ومرت الأيام فى قوافل الزمن .
ولم يعد سواى دون رحلة العطاء

وعمرى المنسىُّ فى شواطىء المحن
يعاتب الأيام بابتسامة الرجاء
وقلبى المشدود نحو آخر القطار حين فاتنى ومرَّ فى الخلاء
ينوح فى انتفاضة العصفور حين يفقد الطريق فى معابر الفضاء
يدق فى تشنج الأجراس حين يفقد الرهبان فى مجاهل العراء
فتبعث الرياح بانتفاضة الصدى
وليس ثَمَّ غائب يردد النداء .

★ ★ ★ ★

ومرت الأيام خلف دفة القدر
وعمرى المنسى فى شواطىء الجراح .
كومضة القنديل عند مدخل الممر
وليس فيه عابر يمر أو رياح .
لكنى لويت عن شواطئى خطاى واستدرت فى تفاؤل الجراح .
ببسمة الضرير للشروق حين يسمع .. انسلالة الضياء فى الصباح
ببسمة السجين للحقول حين يلمح الأطفال فى ملاعب الصباح
وقلت للرياح : فلتبعثرى الندا
فعمرى الجريح صار ثابت الجناح .

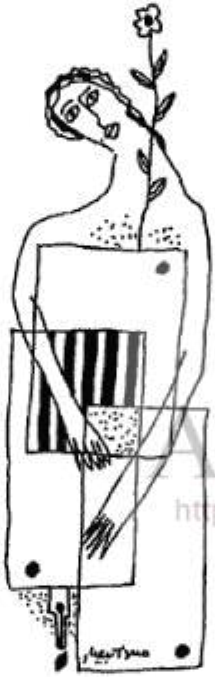
★ ★ ★



سيلحق الأعوام . لن تحد عدوه ،
قوافل الأيام فى سباقه الكبير .
سيخرق الفضاء . لن تصد سهمه ،
بوابة الرياح عن حديقة المصير .
لأننى أزحت عن جبينى المشدود للسماء كل غائم مطير .
لأننى بصمتى العميق أستشف كيف ترجع الطيور للغدير .
فموعد اللقاء فى الصباح فوق ربوة هناك فى حديقة المصير .
تستقبل الطيور من مجاهل المدى
وترسل الأنغام عبر رحلة الأثير .

# الشعر والجوع

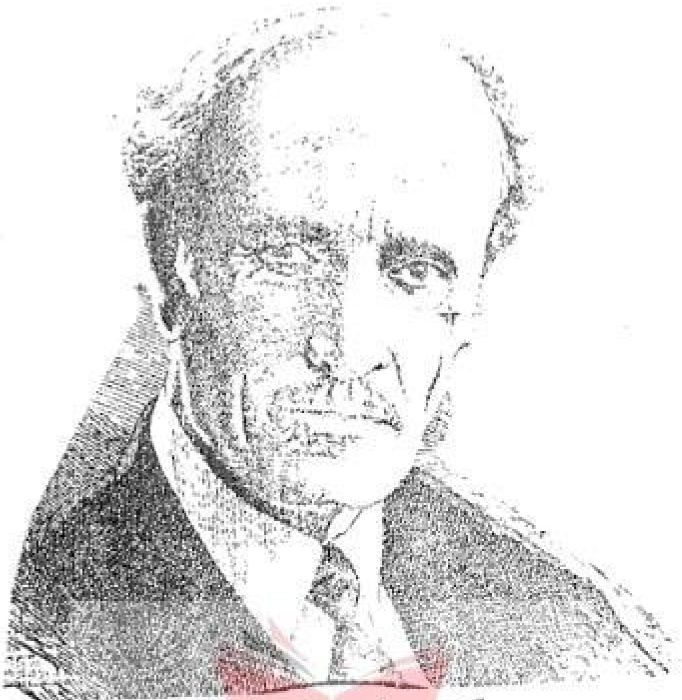
شعر : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز



لست بالمجرم الأوحد المتجنى على حرمة الشعر ياسيدى
لست بالمجرم الأوحد
إنه موسم الجوع ياسيدى .. وأنا الطفل ..
هل تقطعون ـ إذا عضنى الجوع ..
واشتقت ما عندكم من طعام ـ يدى ؟؟
أول الشهر ياسيدى
أول الشهر تصدر كل المجلات ..
نقفز بين الفهارس ..
نلهث بين الفهارس ..
بين الفهارس تولد أشعارنا .. أو تموت !!
إذ تموت !
نتعزى بأيامنا الآتيات
نقبع خلف انحياز المجلات ..
« كل المجلات منحازة للكبار »
هكذا .. ثم نمضى
تمر الثلاثون يوما
وفى أول الشهر تصدر كل المجلات ..
نقفز بين الفهارس ..
نلهث بين الفهارس ..
هذى قصائدنا ... ... ...
يصرخ الفرح المتجمد ياسيدى
نتقاطر صوب المقاهى التى طمر الليل والعنكبوت
« لن تموت قصائدنا .. لن تموت »
نتواصى بقول الحقيقة :
« كل المجلات منحازة للصغار »
هكذا !!
يتباهى أحباؤنا أن وضعنا ..
على أول الدرب كعب القدم !!

[illegible] الطفل ياسيدى
هل رأيت الى الطفل يفرحه أن يدك ..
بطائره الورقى الهرم ؟؟!!
يمرق الشهر ياسيدى
أول الشهر تصدر كل المجلات
نقفز
نلهث
لاشيىء
نأوى الى جدر الحزن .. والأمنيات
إن يكن مر شهر
ففى العام كم أشهرٍ باقيات
يمرق الشهر
يتبعه الشهر .. والشهر .. والشهر
لاشيىء
فى مرة ..
قلت أطرق بابين .. فانفتحا .. .. ليت ما انفتحا !!!!!
« ليس بالطفل ياسيدى من يجيد التجارة »
قيل ياقارىء النص ..
فى ليلة .. .. .. دعوتان ؟؟؟!!!
واصطفتنى الأبابيل ياسيدى للحجارة
هل أنا الأوحد المتجنى على حرمة الشعر ياسيدى ؟
هل أنادى عليهم بأسمائهم ؟؟
أم عرفتهم أول الشهر فى فهرس ..
مشرقى .. سنحى .. صقيل ؟؟
لست ياسيدى أنشد القصر ..
لا أنشد المستحيل
أنشد الظل ..
هل يكثر الظل فى زمن الجوع ..
والعرى ..
والعطش العبقرى النبيل ؟؟





# ميخائيل نعيمة



## معالم من حياته وصور من نقده

بقلم : أحمد حسين الطماوي

**غال الردى فى اواخر فبراير من عام ١٩٨٨ سيرة ادبية اطبقت شهرتها عالم العرب عن تسعة وتسعين عاما قضت معظمها فى ساحات الفكر تشعر وتنثر، وتفلسف القضايا ، وتبحث عن المعرفة التى تقودها الى الحقيقة ، تلكم هى سيرة المفكر العربى ميخائيل نعيمة .**

ومهما اختلفنا حول نعيمة ، فهو واحـد من ذلك الجيل الذي راد النهضة ، وأحدث اليقظة ، وقاد الى الجديد ، وافسحت له المكتبة العربية مكانا كبيـرا لما كتبه وما كتب حوله · فقـد كانت خواطره دارة ، وفنونه كثيرة ، فهو شـاعر وقاص ، ومسرحي ، وناقـد متلهم ، وكـاتب مقـال متبصر ، ومتفلسف في الحياة والنفس الانسانية ·· وقد اهدى الينا آثاره تلك بالعربية والانجليزية والروسية ، وهي كتابات تشهد له بالامتياز ، وتحفظ له المنزلة السامية ·

ويعد ديوانه « همس الجفون » من الدواوين الجديدة ·· الجديدة في مسيرة الشعر العربي الحديث ، فقد وقع فيه قريبا من نفسه لانه نقـل لنا وجدانه ، ودل على قلبه بقلبه ، فهو ابداع ، واتسـاع في الصور ، وامتداد في الرؤية ، يحملها الينـا ذهن جواب وثاب ، وعين ذكيـة لاقطة ·

اما مسرحيتاه « الآباء والبنون » و « أيوب » فهما من المسرحيات التي عني فيهـا بالجوانب الاجتماعية ، والاتجـاهات الانسانية العـامة . ووصف في الاولى تعصب الشرقيين ونزاعهم حول التقليد والتجديد وما ورثوه من عادات وتقـاليد ، فهي تعكس صـورا للثقافات الشرقية ، ومراحل من الحضارة الاجتماعيه ·

والكاتب النعيمي من أوائل الـذين كتبوا القصة القصـيرة بمفهومهـا الدقيق في مجموعاته « كان ياما كان » و « أكابر » و « أبو بطة » ، كما أن نعيمة من مبدعي الرواية وله نتـاج ليس بالقليـل نذكر منه « مرداد » بالانجليزية والعربية و « لقـاء » و « مذكرات الارقش » و « اليـوم الاخير » وهي روايات يتبـاين فيهـا الفن الروائي ، ويستخدم في بعضهـا الرمز والاسطورة · وتعكس اتجاهاته النفسية والذهنية فيبدو في كثير من مواقفها متفلسفا متصوفا معتقدا في التناسخ ووحدة الوجود ·

ويعتبر كتابه عن « جبران خليـل جبران » من كتب التراجم الفريدة في المكتبة العربيـة ، فهو فن روائي ، وسيرة أدبية ، وقد ثار حوله جـدل واسع ، وحوار طويل لانه افرط في الفن والخيال ، ولم يلتزم بالحقائق والواقعات التزاما علميا دقيقا علـى طول المدى ·

اما كتـابه « سبعون » ( ثلاثة أجزاء ) فيعد من كتب السيرة الذاتية الجيدة ، فقد نقل لنا فيه مشاهداته في مساحة شاسعة من المـكان تشـمل فلسطين ولبنان وروسيا وامريكـا وغرب أوربا ، كمـا تناول مسـافة زمانيةتتباينفيها الاحداث ، وتتصارع فيها الاجيـال ، وهو أهم وثيقـة نستقي منها معالم حياته ، ومواكب فكره ، ونستدل منهـا على أزيائه النفسية وتوجهات ذهنه ·

وفي كل هذه الكتابات يسخر نعيمة من السفاسف ، ويضجر بالترهات ، ويقبر المعايير العقيمة ، ويصبو الى الفن الاصيل ، والخيال الجميـل ، ويرتاد المجهول البعيد المسـحيق ، ويدق على النفوس المغلقة بالخواطـر الجديدة ، والمعارفالرشيدة ، ويحاول حمايتها من مزالق التقليد والتقاليد ، بل يفكها بالنادرة الساخرة ·

## ● ابرز اعضاء الرابطة القلمية

ولد ميخائيل يوسف ميخائيل نعيمة عام ١٨٨٩ في شهر اكتوبر على وجه التقريب كما يحدثنا في المرحلة الاولى من كتابه « سبعون » ، عام ١٨٨٩ هو عام الخبرات الثقافية في عالم

# ميخائيل نعيمة

العرب فقد ولد فيه العقاد العظيم ، وطه حسين ، وايليا ابو ماضي .. وغيرهم ، تلقى نعيمة تعليمه الابتدائي ثم دخل المدرسة الروسية في بسكنتا مسقط رأسه فاظهر فيها تفوقا كوفيء عليه بمنحة دراسية في دار المعلمين الروسية بالناصرة ، ثم رحل عام ١٩٠٦ الى روسيا ليدرس في السمنار في بولتافا وهناك قرأ اعمالا لمشاهير الروس منهم بوشكين وجوركي وتولستوى ودستوفسكى واخذ ينظم الشعر بالروسية ونال شهادة السمنار عام ١٩١١ . وعاد الى لبنان ليسافر مع اخيه في نفس العام الى « والاوالا » في امريكا ، واخذ في تعلم الانجليزية التي مكنته من دخول جامعة واشنطن ، وراح يعالج الكتابة بنشر حسنات تجود بها قريحته في مجلة « الفنون » لصاحبها نسيب عريضه ، وفي عام ١٩١٦ نال شهادتي الحقوق والاداب ، واتجه للعمل في القنصلية الروسية والاسطول التجاري الروسي ، وعندما دخلت امريكا الحرب الى جانب الحلفاء عام ١٩١٧ كان نعيمه بين جنودها الذاهبين الى فرنسا . وفي فرنسا اخذ يتعلم الفرنسية وسافر الى جامعة « رين » الفرنسية حيث درس التاريخ والاداب والفنون والقانون الدستوري . وفي عام ١٩١٩ عاد الى امريكا ليعمل في محل تجاري الى جانب نشر اثاره، وكان نعيمه من ابرز اعضاء الرابطة القلمية التي انشئت عام ١٩٢٠ حيث كان مستشارها وواضع دستورها . وبعد موت جبران عاد الى لبنان عام ١٩٣٢ ليواصل رسالته الثقافيةووضع عدة كتب نشر بعضها في مصر مثل « الغربال » الذي أعيد طبعه و « زاد المعاد » و « البيادر » و « صوت العالم » و « كرم على درب » . وعلى اثر زيارته للاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٦ بدعوة منجامعة الكتاب الروس نشر كتابه « أبعد من موسكو ومن واشنطون » . وتلاحقت أعماله الاخرى ، وتتابعت الكتابات عنه حتى رحل عن دنيانا .

ولقد شغل عدد كبير من الكتاب في عالم العرب وخارج بنتاج نعيمة ، فكتب عنه المستشرق الروسى كراتشوفسكى ، والمستشرق الالمانى كابمفاير في كتابه « قادة الادب العربي المعاصر » وعده منهم ، وترجم روفائيل نخله نماذج من شعره ، وتوالت الكتابات عنه . فدبج العقاد مقالين عن كتابيه « مرداد » و « كرم على درب » . وهناك كتب باكملها عن نعيمه وضعها أمثال : نديم نعيمة ( بالانجليزية ) وثريا ملحس ، و د. شفيع السيد ، و د. شفيق شيا ، وطنى زكا وغيرهم .

## صور من النقد

اذا كان كتابه « سبعون » مصدرا أساسيا من مصادر دراسة حياته حيث استجلى متهاغوامض ، واستجهر فيها دقائق ، فان كتابيه « الغربال » و « الغربال الجديد » هما اهم كتبه النقدية حيث اشتملا على معظم ارائه ونظراته في النقد والفن والجمال .

كان نعيمة يعد الناقد قوة فكرية ، وطاقة ادبية ، لا يقل في نظره عن المبدعين المغنين ، ويقول : « هو مبدع عندما يرفع النقاب في الاثر ينقده عن جوهر لم يهتد اليه احد حتى صاحب الاثر نفسه » وفي موضع اخر من غرباله يقول : « ان من لاينظم

القصيدة قد يقرأ فيها أكثر معـــــا أودعها ناظمها » . ويمضي نعيمة في تأكيد دور الناقد وأهميته فيرى أنه « اذا استحسن أمرا لا يستحسنه لانه حسن في ذاته بل لانه ينطبـــق على آرائه في الحسن » .

وهذا يعني أن الناقد له رؤى ولديه فكر ، ووجهات نظـــر في الحيـــاة حصلها بعد تمعن ومتابعة ومراجعة لا تلبث أن تفيض على القرطاس في شكل صور نقدية مبتـــدعة ، والامر نفسه يفعله الاديب عندما يقدم لنا صــورا شــــعرية أو قصصية أو مسرحية . أى أن الناقد لا ينطلق من العمل الفني ويحدث الناس عنه فقط ، ويظهر لهم محاسنه أو مساوئه . وانما ينطلق من ذاته المستوعبة لصــــور الحياة ، ومراتب النفوس ، ليرى مقدار صدق المبـــدع في تصويرها . فالنقد صور للأدب والنفس والحياة ، كمـــا أن الفن الابداعي صـــور للمجتمعـــات وادابهـــا ومعايشتها للحيـــاة . وهـــذه الصور أو الفكر قد تتطابق أو تتلاقى عنـــد الطرفين وهنا يكون الاستحسان المعلل .. وعندما تتنافر أو تتـــدابر تفترق التصــورات ويحدث الاســــتهجان المبرر . ويكون لكل من المبتكر والمنتقد وجهات مستقلة في النظر الى الامور. قال نعيمة في الناقد ما وضعناه بين أقواس ولا يفوتنا انه الاديب الفنان المبدع في الشعر والقصة والمسرحية والخاطرة التي تأتي في شكل موضوع أو شذرات ، اذ لا يعييه الاختـــــراع والانشاء . ويضيف الى ما قاله أن النقاد هم الذين جلوا شكسبير عندما قرأوه وانتقدوه ، وانهم أنقذوا مواهب أدبية سخر منها الناس باعادة قراءتها وكشفهم لقيمها الادبية والانسانية ، فارجعوا اليها الناس بعد مقاطعـــة وادبار ، وكان يرى أن الروح الكبيرة التي تلاحق روحـــا كبيرا في شتى مجالاتها لهي روح كبيرة مثله . ولم يفته أن يقول أن الكتاب درجات وكذلك النقاد .

وميخائيل نعيمة لا يعرف للنقـــد نظرية شاملة تحيط به ، أو مذهبـــا صارما يحدده ويحكم مساره ، فقال في غرباله « ان لكل ناقد غرباله .. لكل موازينه ومقاييسه » . والمحك في النقد عنده هو قوة الناقد نفسه ، واخلاص نيته في عمله ، وتنبه فكره ، وقدرته على صياغة ما يقول في بيان ناصع حتى يصل الى لب القارىء . و « قوة التمييز الفطرية » عنده هي التي تبتدع القواعـد والمقـــاييس . ويلفظ الرأى القائل بأن هناك قواعد للنقد ، لانه لو كانت هناك قواعـــد ثابتة لطبقناها دون حاجة الى نقاد ونقد . وعلى هذا فالنقد عند نعيمة غنائي تأثري يعـــول فيه على الذات ويستند في أحكـــامه الى الذوق .. والحقيقة أن هذا التيار في النقـــد الذوقي محل أخذ ورد ، وبالرغم من الاعتراضات الكثيرة عليه التي أهمها أن المـــذوق تتشعب والاذواق تختلف باختلاف الافراد فان النقد لابد أن يبدأ على الاقل من الفطرة على أن تسنده الخبرة . أى لابد من تدريب الـذوق وصقله بالمعـارف والثقافات المقروءة والناتجة عن التأمل في الحياة . ومع أن نعيمه يردد مقولة فلســـفية قديمة قوامها « أن الانسان مقياس لكل شيء فان الناقد يحقق ابداعه في حـــدود تمثله للحيـــاة وجوهرها ، ومعرفته بالنفس الانسانية وطبيعتها ، وقـــد يســـتطيع بلوغ ذلك بنفاذ النظـرة وقوة التأمل والتخيل وتجاوز الاهواء والنزوات » .

وقد حـــاول نعيمه أن يوجد عدة

# ميخائيل نعيمة

مقاييس يقيس بها الادب الصالح ويميزه عن الردىء ، فاهتدى الى أن الادب تكون قيمته بمقدار ما يسد من بعض حاجاتنا الروحية او كلها ويكون « أتمه اجلاه بيانا واغناه حقيقة واطلاه رونقا ، وأشجاه وقعا » اى لابد أن تتوفر فيه الفصاحة ونور الحقيقة والجمال والموسيقى . وربما تكون هذه المعانى هى التى اطلق عليها فى موضع اخر « نسمة الحياة » فى العمل الادبى . ورأى نعيمه أن هذه المقاييس متوفرة فى ادبنا العربى القديم وبخاصة عند ابى العلاء ، ويقرر أننا فى حاجة الى من يحسن استعمال هذه المقاييس . ولعل نعيمه يجد بهذه المقاييس من التقلب فى الاحكام النقدية المستندة الى الذوق الخالص البكر ، ويحاول ايجاد معايير عامة للادب نحكم لها او عليها من خلالها .

وفى غرباله نعيمه نجد فصولا نقدية تناولت عددا من كتابنا وشعرائنا المعاصرين من امثال شوقى ونسيب عريضه ورشيد سليم الخورى والريحانى وجبران ومى زيادة وخليل مطران والعقاد والياس ابو شبكه وعمر فاخورى وايليا ابو ماضى ومحمود تيمور وغيرهم .. وغيرهم . وعند تناوله لشوقى خسرت درته « أنادى الرسم لو ملك الجوابا » . عندما وضعها فى غرباله ، فقد أظهر فيها التكلف والحشو والانتقال الفجائى من معنى الى معنى ومن موضوع الى موضوع اى رماها بالتفكك فضلا عما فيها من تناقضات . وانه من الطبيعى أن يحترم نعيمة قصيدة شوقية لان كلا منهما يمثل تيارا فى الشعر . فنعيمة يرى أن الشعر هو لغة النفس وترجمانها وتعبير عن العواطف والافكار ولا يتاتى هذا الا اذا أحس الشاعر بعاطفته ترتعش أمام مشهد أو موقف فيصوغ تعبيرا موسيقيا موزونا يحنق على ما انطوت عليه نفسه فى تسلسل شعورى ، وهو ما لم يجده فى معارض شوقى التى يكثر فيها الرثاء والهجاء والمديح . الا أن الحكم على شوقى أو غيره من خلال قصيدة لا يجدى فى النقد .

وموقفه من خليل مطران يختلف بعض الشىء عن نظرته الى شوقى وشعره لان مطران - فى بداية نشأته خرج عن المألوف من الاساليب ، وقصيده متماسك ، وموضوعاته جديدة ، ولكنه لم يطرق هذا الطريق الى منتهاه ، فعاد الى نهج المقلدين ، وأبدى نعيمة أسفه على ضياع قريحة الخليل الفياضة وديباجته المشرقة والمامه بأسرار اللغة فى تهنئة أو رثاء أو تمجيد لجمعية تشريعية أو غرفة تجارية ، وكان فى رأى نعيمه أن يترفع مطران عن هذه الاغراض ولذلك اطلق عليه « فاتح عهد التجديد وخاتم عهد التقليد او عهد الكلاسيكية الكاذبة »

ولما كان نعيمه مع التجديد والثائرين على الجمود فقد التقت أفكاره مع العقاد فراح يكيل له المديح ، ويلهج بالثناء على مواقفه من الادب والشعر والنقد » وبالرغم من تشابه الافكار ، وتقارب الاتجاهات ووحدة الهدف بينهما فان أحدهما لم يتاثر بالاخر بشهادة بعض النقاد .

كان نعيمه فى شبابه يشن غارات النقد على الادباء فيوضح حينا ويجرح حينا اخر ، ولكن فيما بعد كانت انتقاداته عبارة عن توجيه

وارشاد وملاحظات من غير تأنيب أو تأنيب ، لقد شفت عبارته ، وشعت نورا هاديا وحسبنا أن نقرأ ما انتقد فيه مجموعتي « أبو الشواريب والبارونة أم أحمد » لمحمود تيمور حيث قال بعد المديح له : « ان بعض قصصك يشكو طول النفس في السرد » أو قوله لتوفيق صايغ بعد الثناء عليه : « انت يا أخي شاعر وفنان حتى وان أتعبني السير في وهادك ونجادك » .

اقول أين هذه الكلمات الخفيفة من عباراته الساخنة ، وألفاظه القارصة في مطلع حياته ، وانى أرد هذا الى شفافية روحه ، وفهمه الواسع للحياة التي تستوعب كل المخلوقات النافع منها والضار ، واحاطته بطبيعة الانسان الذي يخطيء ويصيب ، ومعاناته من النقاد الذين أوسعوه نقدا وذما ، وتقليله من أهمية النقد كما يؤخذ من محاضرة ألقاها بعنوان « الاديب والناقد » في مؤتمر الادباء العرب بدمشق عام ١٩٥٦ .

ومهما يكن من أمر فان نعيمة ظل ما يقرب من سبعين عاما يجاهد من أجل أدب صحيح وفكر سليم ، فغنى في مروج الادب ، وصابح الجمال ، وداس في أشواك النقد .

ميخائيل نعيمة .. أجيال الابناء .. والاحفاد



# ميخائيل نعيمة

## الهلال وميخائيل نعيمة

فجعت مجلة الهلال في واحد من أكبر كتابها الذين ظلوا - على مدى اربعين عاما - يوافونها بالمقال والقصة القصيرة والحوار الهادف • ذلك هو ميخائيل نعيمة ( ١٨٨٩ - ١٩٨٨ ) •

اخذ فكر ميخائيل نعيمة مكانه على صفحات الهلال منذ وقت مبكر • ففي عدد ابريل من سنة ١٩١٨ نشرت له قصيدته الشهيرة « اخي » نقلا عن مجلة « الفنون » التي كان يصدرها نسيب عريضة في امريكا • وتوالت بعد ذلك اعماله الادبية والاجتماعية • وفي ٢٨/٦/١٩٢٢ ارسل « اميل زيدان » صاحب الهلال - في ذلك الوقت - خطابا لنعيمة في امريكا يتضمن رغبته في افتتاح السنة ٣١ للهلال باستفتاء مفكرنا حول نهضة الشرق وموقفه بازاء مدنية الغرب ، فاجابه نعيمة على ذلك ، وفي عام ١٩٤٢ كتب نعيمة مقالا اخر عن الغرب والشرق اطلق عليه « مدنية العقل ومدنية الخيال » ، وفي عام ١٩٤٧ دبج مقالا تحت عنوان « حكاية الشرق والغرب » استكمالا للموضوع ، وهي تعطي فكرة واضحة عن الشرق والغرب من خلال فكر نعيمة ، ولا يؤمن نعيمة بان الشرق شرق والغرب غرب وانما يرى انهما في تلاقح دائم على مدى التاريخ البشري يهجع الواحد فياتيه الاخر بلقاح لا يلبث معه ان يفيق من هجعته •

ومن القصص الاجتماعي والرمزي الذي نشره في الهلال : « ستوت » و « هدية » و « البتكاروليا » و « صبي من الشرق » و « عدو النساء » والاخيرة تتضمن تحليلا رائعا لعاطفة الابوة الكامنة في النفوس حتى عند غير المتزوجين او الذين حرموا نعمة البنات والبنين • وقصة « ويذوب الجليد » التي يقول فيها ان « الذين دفنت قلوبهم بالمحبة والجود والصدق والرضى والعدل دفنت اعوامهم بالسلام والبحبوحة والطمانينة » وقصة « قلامة ظفر » ويصور فيها ان العالم كله لا يساوي قلامة ظفر •

ومن الحوار المسرحي ما جاء في الهلال تحت عنوان « ستستريحون يوم استريح » والموضوع عبارة عن حوار بين والد ووالدة وابن وابنة حول الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية ·

ولنعيمة مقالات كثيرة منها : « روسيا التى عرفتها » ويتحدث فيها عن روسيا القيصرية فترة اقامته بها فى بلتافا عندما كان يتلقى تعليمه فى السمنار فى الفترة ( ١٩٠٦ ـ ١٩١١ ) ومن مقالاته الاخرى « سحر الطفولة » وقد شارك بها فى عدد خاص عن الطفولة وراى فيها ان الطفولة باب الى الغبطة التى كلها معرفة ومقدرة وانطلاق · ومن يتصفح الهلال يجد مجموعات من مقالات نعيمة الاخرى مثل « حدثني جبران » و « لماذا تسير بارجل السلاحف » و « عالم جن جنونه » ··· الى اخره ·

وكانت مجلة الهلال تتابع اخباره وتستحثه على الكتابة ، فعندما اشيع عنه انه اعتزل الناس في الشخروب ارسلت الهلال اليه تسأله « لماذا اعتزلت الناس » فاجابها بمقال جاء بنفس العنوان نفى فيه العزلة ·

ولما اصدر كتابه « سبعون » ( المرحلة الثانية ) نشرت الهلال فصلا منه تحت عنوان « هذه هى الحرب » تحدث فيه عن الحرب العالمية الاولى التى جند فيها من قبل امريكا · وتواصل الهلال اذاعة الفكر النعيمى بين الناس ، حتى قبل ان يصدر فى سفر مستقل ، فعندما كان يتاهب لاصدار كتابه « هوامش » نشرت الهلال منه فصلين · وقد اخذت معظم هذه الكتابات طريقها الى كتب نعيمة التى صدرت فيما بعد مثل « المراحل » و « همس الجفون » و « هوامش » وغيرها ·



ولم تقتصر دار الهلال على نشر مقالات نعيمة وقصصه وانما قامت باعادة طبع كتابه « جبران خليل جبران » فى شهر ديسمبر ١٩٥٨ فى سلسلة كتاب الهلال · وقد احدث هذا الكتاب ضجة كبيرة عند نشره لان نعيمة مزج فيه الفن الروائي بالحقائق والواقعات·· ولعل الحوار الذى أجرته معه الهلال عام ١٩٦٧ هو آخر عهده بمجلة الهلال ·

ومجلة الهلال اذ تذكر للراحل الكبير مقامه العظيم ودوره الخطير في نهضة الاداب العربية والاجتماعية ، تتقدم الى العالم العربى وشعب لبنان بصفة خاصة ، بالعزاء الخالص · وتهيب باللبنانيين ان يتمثلوا مبادىء الفقيد وفكره الروحانى ، ونداءات المحبة والوئام التى ظل طيلة عمره ينادى بها ويحدث الناس عنها ، ويتركوا البغض ، وينبذوا الحرب الدائرة التى لا يرى منها غير الخراب ، ولا يسمع فيها الا صرخات الموت ·

# الفن ضد القهر

## انتفاضة الحجارة تفجر انتفاضة تشكيلية

بقلم: عز الدين نجيب

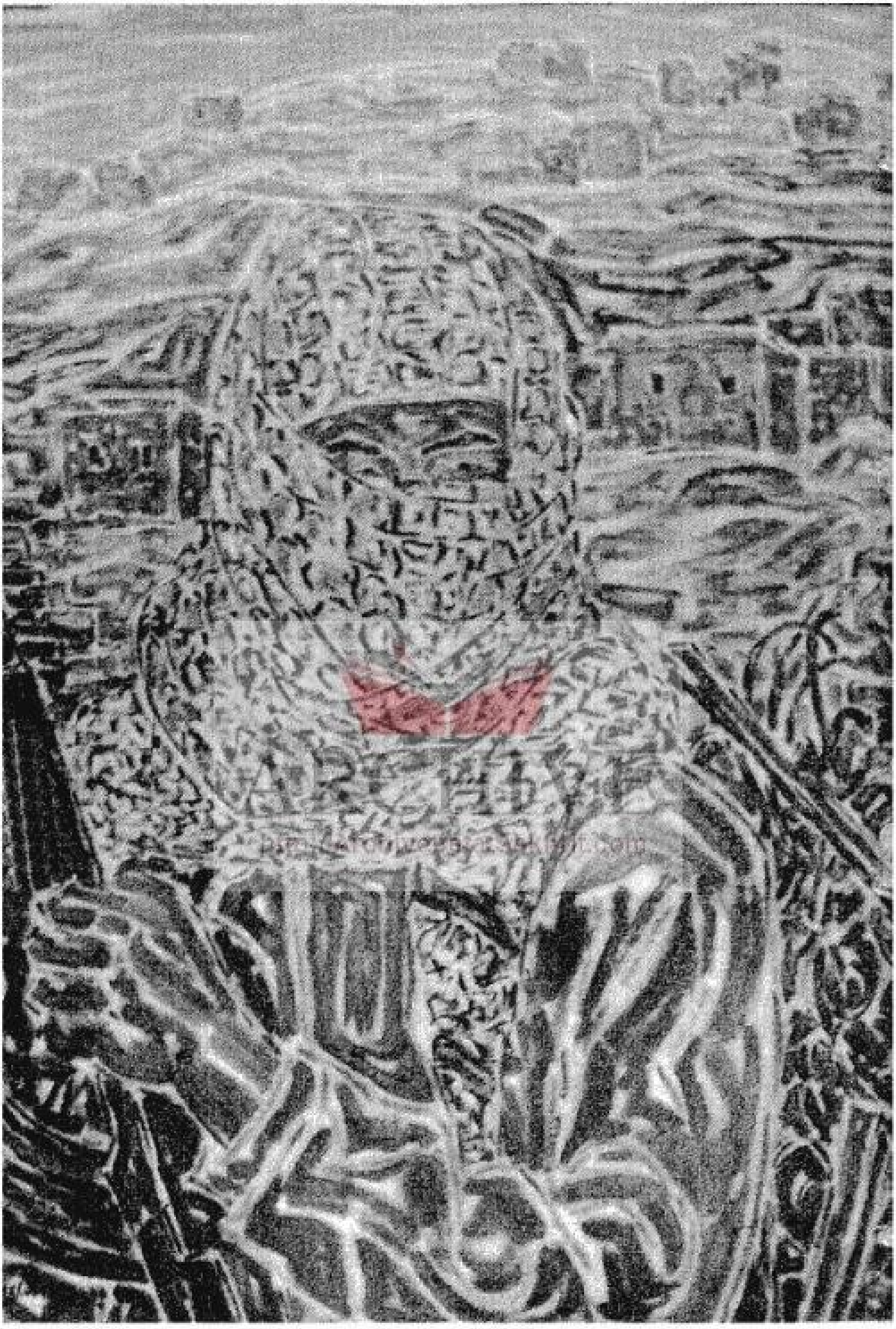
اذا كانت قيمة الاحداث القومية تقاس بحميتها الوطنية وتعبيرها عن الوجدان الجمعي، وبمردودها الجماهيري العريض فان معرض « الفن ضد القهر » الذي اقيم لمناصرة القضية الفلسطينية باتيليه القاهرة في ١٣ مارس الماضي، يعد حدثا ثقافيا قوميا بالغ الاهمية والدلالة.

فلاول مرة في مصر – منذ الستينيات على الاقل – يتنادى اكثر من ستين فنانا، دون توجيه أو تنظيم أو مساعدة من آية جهة، لاقامة معرض بأعمالهم الفنية، للوقوف بجانب الانتفاضة الباسلة، التي دخلت التاريخ باسم انتفاضة الحجارة، بعد أن دخلت شهرها الرابع، مندفعة مثل كرة من النار من أعلى الجبل، محرقة كل سنين القهر، دون أن تتمكن آية قوة من ايقافها، أو آية مناورة على احتوائها. وقد بلغ من حماس الفنانين للمشاركة، أنهم كانوا يتنافسون على التمثيل بالاعمال الفنية واهداء دخلها لضحايا الانتفاضة، مما دفع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الى تخصيص عموده الصحفي يوم افتتاح المعرض لهذه المظاهرة الفنية.

ولاول مرة يحظى افتتاح معرض تشكيلي في مصر بزحام هائل من المشاهدين من كافة المستويات الاجتماعية والثقافية، ويستمر حضورهم في الليلة الاولى قرابة أربع ساعات، على عكس مانشكو منه دائما من خلو قاعات المعارض من المشاهدين مما يجعلنا نعتبر هذا الافتتاح يوما تاريخيا في الحركة الفنية.

وهكذا كان للانتفاضة الشعبية البطلة للفلسطينيين تحت الاحتلال فعل السحر في مناخ عربي راكد وحركة ثقافية مهزومة من داخلها، علتها طبقات الصدأ، وغلبت على كثير من مبدعيها مشكلات الصنعة او الرغبة في اتخاذ اقصر السبل للوصول السريع.

فدائي – للفنانة انجي الافلاطون – زيت على قماش ٧٠ × ١٠٠ سم



# الفن ضد القهر

ولان الاعداد لهذا المعرض استغرق اقل من شهر واحد ، فان عدد الاعمال الفنية التى انتجت من وحى الانتفاضة لا يتعدى خمسة عشر فنانا ، مما دفع الفنانين الحريصين على الاشتراك الى احضار اعمال قديمة يعود بعضها الى عام ١٩٦٧ ، ولعلها تمثل « انتفاضة » الشعب المصرى فى ذلك الحين رفضا للهزيمة .

## ● لماذا .. الفن ضد القهر ؟

لكن ماهو المغزى وراء اختيار عنوان « الفن ضد القهر » للمعرض ؟

تقول كلمة المقدمة لكتالوج المعرض ، التى اعتبرت بمثابة بيان للفنانين : « ان عالما بلا فن هو عالم مقهور !.. فالفن فى حقيقته البسيطة حرية ، لانه عتق للخيال السجين لدى الفنان والمجتمع ، من ربقة الهموم وضغوط الواقع ، ولانه موقف يشد ازر الانسان فى مواجهة القهر ، ولانه امتلاك لارادة خلق عالم جميل يتجاوز الحصار بالحلم .. »

وبعد اشارة الى صنوف القهر التى عانت منها الشعوب العربية على مدى الاربعين عاما الماضية « من الخبز حتى الحرية » تقول الكلمة :

« فماذا كانت النتيجة ؟.. كانت انسانا عربيا متكيفا مع القهر ، حتى بات يستنشقه مع الهواء ويخرجه بشكل طبيعى مع الزفرات ، وكانت مزيدا من تقلص المساحة التى يحيا فوقها ، حتى اصبحت شبرا فى شبر ، يعصمه وحده من الطوفان .. طوفان القهر المادى والسياسى والمعنوى »

المعرض الذى يقوم على فهم سياسى واسع لمعنى القهر ، ويمثل استجابة عفوية حارة من الفنانين المصريين لحدث الانتفاضة ورمزها النبيل .

وفى عبارة موجزة ، تختصر كلمة المقدمة موقف « انتفاضة الفنانين » بانها : « ضد القهر بكل اشكاله ، هنا او هناك ، امس او اليوم او غدا ، بدءا من اغلال القلب حتى اغلال الوطن » .

## ● الفنانون المشاركون

وقد اشترك فى المعرض ٣٢ رساما ومصورا هم بالترتيب الابجدى : انجى افلاطون . ايهاب شاكر . ايفلين عشم الله . احمد فؤاد سليم . احمد نوار . السيد القماش . ثروت البحر . جاذبية سرى . حلمى التونى . راتب صديق . رباب نمر . رضا عبد السلام . زكريا الزينى . زهران سلامة . سامح المرغنى . سامى على حسن . سيد هويدى . صفية حلمى حسين . صبرى حجازى . طه حسين . عباس شهدى . عدلى رزق الله . عصمت داوستاشى . على دسوقى . عز الدين نجيب . على نبيل وهبة « اضافة الى اشتراكه بعمل نحتى » . فاطمة عرارجى . محمود سالم . محمد سليمة . محمد شاكر . محمد عبلة . محمد على . محمد قايد . محمود بقشيش . مصطفى عبد المعطى . مصطفى الرزاز . مرفت السويفى نعيمة الشيشينى . هدى خالد . يسرى حسن .

ومن النحاتين اشترك ١٢ فنانا هم : جمال عبد الناصر . شريف عبد البديع . صالح رضا . صلاح عبد الكريم . صبرى ناشد . عبد الهادى الوشاحى . طارق الكومى . محمد جلال . محمد عثمان . محمد العلاوى . محمود شكرى . محمد مندور .

كما اشترك ستة من كبار الحفارين « فن الجرافيك » هم : سعيد حداية . فاروق شحاتة . مريم عبد العليم . مجدى قناوى . مدحت نصر . محمد منصور « والطريف انهم جميعا من فنانى الاسكندرية ، باستثناء الاخير ! »

اما الاعمال التى انتجت من وحى الانتفاضة فهى للفنانين :

انجى افلاطون . ثروت البحر . حلمى التونى . زهران سلامة . سامى على حسن . سيد هويدى . صالح رضا . صفية حلمى حسين . عصمت داوستاشى . على دسوقى . عز الدين نجيب . محمد جلال . محمد منصور . يسرى حسن .
وهى تتميز جميعا بالتعبير الرمزى عن الحدث باللغة الفنية المعتادة والمتميزة لكل فنان ، دون وقوع فى الخطابية .

● فلوحة انجى المرسومة بالحبر الاسود تصور جموعا من المقاتلين الفلسطينيين بالحجارة وكأنها مظاهرة صاخبة . « هذا فضلا عن لوحة أخرى للفنانة بالالوان الزيتية رسمت منذ سنوات قليلة وتصور فدائيا فلسطينيا ملثما مشهرا سلاحه ، على خلفية من الوان أرجوانية » .

● أما عصمت داوستاشى فيقدم لوحتين بالوان الجواش لقبة الصخرة فوق كتابات عربية تؤكد انتماء القدس الى فلسطين « اضافة الى تمثال خشبى قديم نسبيا ، عبارة عن بندقيتين حقيقيتين مكسورتين ومحاصرتين فى دائرة كالطوق ، وهو من أعماله الرمزية البليغة » .

● ويقدم زهران سلامة لوحة عن قبة الصخرة ايضا ، وامامها مجموعة من الفلسطينيين يرتقون سلما عريضا فى مشهد سيمترى مهيب وقد تدثروا بعباءات بيضاء ترفرف فى الهواء فكأنهم شهداء .

● أما يسرى حسن فيقدم رسمين بالحبر الاسود ، احدهما وجه فدائى يعكس الارادة والتصميم ، والثانى يمثل قبضة بشرية تخرج من باطن الارض تشق الظلام مثل شجرة تصر على الحياة .

● ويقدم ثروت البحر عملا تصويريا رمزيا لنافذة زجاجية محطمة بحجر أو قبضة غير مرئية ، مع غبشة انسيال مياه فوقها ، بما يعطى انطباعا شعريا متفجرا بالدراما .

● ويقدم حلمى التونى لوحتين زيتيتين لفتاتين فلسطينيتين بزيهما القومى المزركش ، وتحمل احداهما حبات البرتقال فى حالة تحفز فتبدو وكأنها تلقى بها وان كانت اقرب الى جنى البرتقال ، بينما تمتد يدها الاخرى لتقطف نجمة فى السماء .. انها تعبير شعرى جميل عن صناع الحياة والامل فى مقابل صناع القهر والدمار .

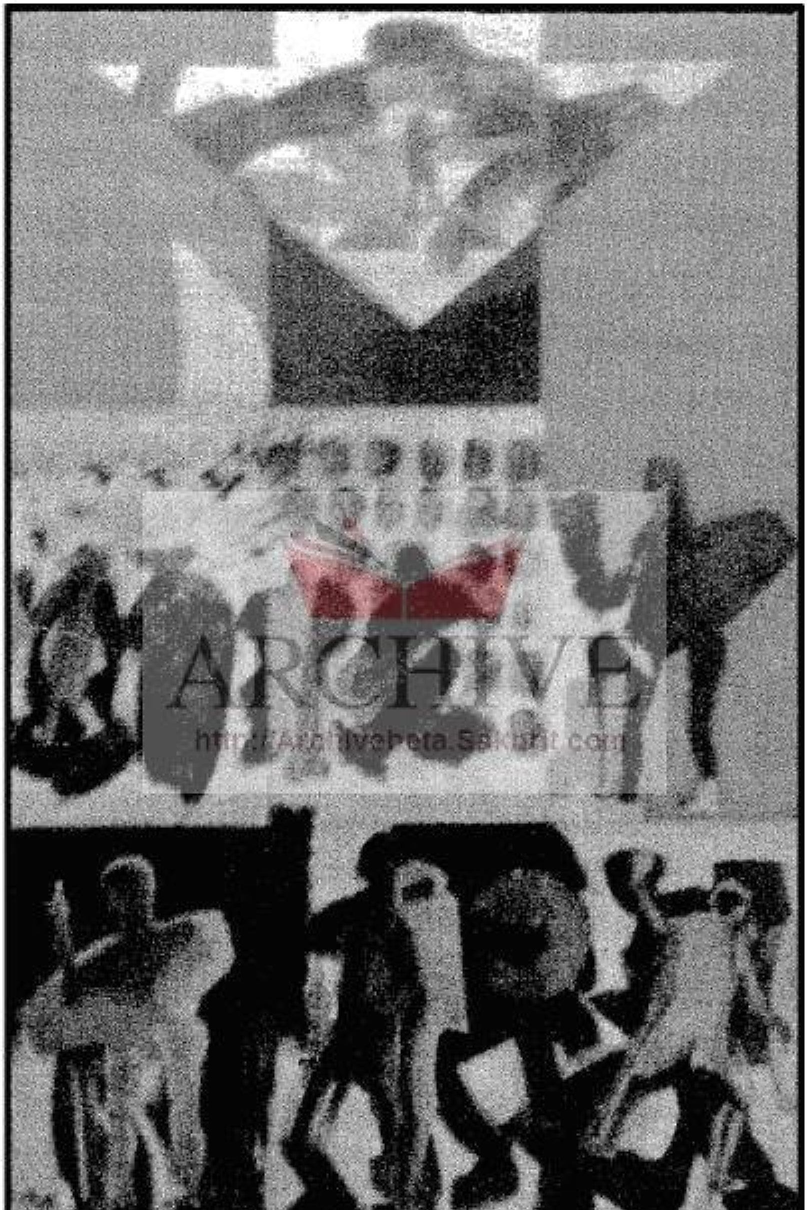
● ويقدم على دسوقى لوحة من الباتيك بالاسلوب الذى تميز به ، وفتياته الشعبيات ومعهن حمامات مسالمة . وتتسم الوانها بالقوة مما يعطى حركة بصرية ، وتعكس الدائرة الحمراء فى الخلفية شعورا بالغضب .

● والفنانة صفية حلمى حسين قدمت عملين بالوان الزيت الجاف على الورق . ومع اقتصارها على اللونين البنى والاسود، فانهما يعكسان توترا دراميا عاليا ، وكأن عناصرها قد قدت من صخور مقاتلة .

● ولعل الفنان صالح رضا كان أكثر الفنانين جرأة ومبادرة بتمثاله النحاسى الجديد المتفجر كشجرة محاربة او أياد وقبضات مرفوعة ، ومع ذلك انتم

# الفن ضد القهر

المظاهرة - للفنان رضا عبدالسلام -
اكريليك على كرتون ١٣٠ × ١٩٠ سم



فتيات البرتقال ـ للفنان حلمي التوني ـ
زيت على قماش ٧٠ × ١٠٠ سم



# الفن ضد القهر

بالتوازن والحوار الديناميكيين بين الفراغات الداخلية والخطوط الخارجية المتقلصة .
وغنى عن الاشارة مدى الجهد والنفقات التى بذلها الفنان لانجاز تمثاله النحاسى فى أيام معدودة ليلحق بافتتاح المعرض ، مهديا ثمنه اذا بيع لابطال الانتفاضة .

● وكما تعودنا من الفنان المصور سامى على حسن ، جاءت لوحته الثلاثية الصغيرة تعبيرا جياشا بالحيوية فى جو يقترب من الحلم الكابوسى ، وهناك فتاة وسط خضم الالوان كشجرة نحيلة وخلفها حمامة هائلة بداخلها درجات سلم أو ما يشبه ذلك .

## ● انتفاضة شبابية

وقد كسبت الحركة الفنية من خلال هذا المعرض مجموعة من الفنانين الشباب تعبر اعمالهم عن موقف ملتزم بقضايا الانسان ، وأغلبهم يسعلون معيدين بكلية الفنون الجميلة بالمنيا . منهم محمد منصور ومحمد جلال شحاتة ، وكانا قد انتهيا قبل افتتاح المعرض بيوم واحد من معرضهما المشترك مع زميل ثالث هو محمد عرابى .

● قدم الفنان محمد جلال ــ وهو نحات مجتهد يمتلك الجرأة الكافية للتطلع الى الاعمال المسرحية ، قدم تمثالا كبيرا لامرأة تحاول الوثوب أو الطيران ، وهى ذات نبض تعبيرى صادق عن معنى التحرر .

● وقدم زميله الحفار محمد منصور لوحتين باللون الاسود ، عن العدوان الغاشم فى شكل ثور هائج تخترقه الحراب مرة ، ومرة اخرى نراه مقلوبا ، وقد برزت فى اللوحتين حمامتان فى الجزء العلوى كمعادل لهذا العدوان المحكوم عليه بالهزيمة . وأسلوبه وان اتسم بالواقعية فانه يرتفع الى التعبيرية الرمزية او السريالية .

● وهناك نحات شاب اخر يمتلك جسارة عالية لارتياد اسلوب جديد وخامات غريبة متميزة ، هو شريف عبد البديع . فقد صنع فى أيام قليلة تمثالا من الاسلاك والشباك الحديدية التى توحى بالحصار . وهذا التمثال الفريد فى المعرض كله على شكل انسان يشب عن الارض متحفزا للوثوب متدفقا بصدره محطما قيوده . والجدير بالذكر ان هذا الفنان الشاب هو نجل النحات الكبير عبد البديع عبد الحى الذى تميز بقوة منحوتاته فى الصخر .

● واخر هذه المجموعة من الفنانين الشباب هو سيد هويدى . وهو صحفى نشط وطاقة لا تهدأ فى صحافة الرأى الاخر ، لكنه هنا يتغلب لاول مرة على تردده فى تقديم عمله الفنى للناس ، فكانت لقطته الوحيدة التى قدمها الى المعرض ايذانا بمولد فنان يملك حساسية تعبيرية لفتت اليه الانظار ، لكنها تستلزم رعاية وتفرغا .

## ● أعمال التصوير والحفر

تمثل اللوحات المعروضة مساحة عريضة متنوعة داخل الحركة الفنية من اجيال واتجاهات مختلفة .

● هناك الفنان راتب صديق ، الذى عرفته الحياة الفنية . منذ معارض جماعة الفن الحرية فى الاربعينيات ، وتميزت لغته بكل خصائصه الفنية والتعبيرية التى تعودناه منه ، اداه اقرب الى الكلاسيكية، مع روح ملحمية جياشة . فهى تمتلىء

بالحركة العنيفة .. والوضوع هو ام شهيدة تحتضن ابنها ، وزاوية النظر للمرآة تعد نموذجية لاضفاء الحس المأساوى ، ويلعب الضوء دورا اساسيا مع اللون والحركة فى ابراز هذا الحس .

● وفى نفس الاتجاه « مع الفارق التكنيكى والرؤية الجمالية » نجد لوحة الفنان عباس شهدى التى تمثل ايضا اما تدافع عن اطفالها .

● وهناك أعمال تعبيرية كثيرة تنتمى الى التعبيرية الرمزية ، بعضها يعود كما اشرنا من قبل الى ١٩٦٧ « منهم مصطفى عبد المعطى وطه حسين وجاذبية سرى » وهى أعمال تجسد ضياع الانسان المصرى فى تلك الفترة وتطلعه اليائس بين السماء والارض « كما نرى فى لوحة عبد المعطى » كما تجسد مع هذا الضياع فى الفضاء تشبثه بطاقة من الامل ، فى شكل قرص مضىء بجوار طفلة مقتلعة من الارض كجذع شجرة « كما نرى فى لوحة جاذبية » ، ونجد فى لوحة طه حسين انبثاق فروع شائكة كالحراب من ذراعيه ورأسه .

● وفى هذا الاطار التعبيرى الرمزى ينضوى كوكبة من الفنانين الجادين مثل : نبيل وهبة ، زكريا الزينى ، ايفلين عشم الله ، عدلى رزق الله ، محمد شاكر ، سعيد حداية ، رباب نمر ، محمد عبلة ، سامح البرغنى ، كريمة ياسين . وغيرهم كثيرون .

● وفى اطار اخر يجمع بين التشخيص والتجريد ، نجد رهطا من المصورين والرسامين والحفارين مثل أحمد نوار « بحماماته السجينة فى مكعبات الاسلاك » وأحمد سليم « باشلائه الممزقة وسط مكعبات كالتوابيت » ، وفاروق شحاته بمتتالياته القائمة على وحدة الربع المكررة ومحمود بقشيش بحوائطه المتصدعة ذات النوافذ المقوسة الاعين ، وايهاب شاكر بكتلته الفنية المعبرة من غطرسة العدو وشراسة العدوان . ورضا عبد السلام بمسطحاته الهندسية المتداخلة مع الاشباح



الانتفاضة - تحت بوليستر - للفنان طارق الكومى - عرض ١٧٠ سم

البشرية بحس مفعم بالتراجيدية ، وفاطمة عرارجى برسمها البسيط المجسم ككائنات صخرية متصارعة . ومدحت نصر بمثاليته الشعبية لزحام البشر فى شكل اقرب الى التجريد ، ومريم عبد العليم بامتزاج شكل عباد الشمس مع الوجه البشرى فى علاقة درامية .

● وهناك فنانون اخرون اقرب الى التجريد المطلق دون ادخال اى عناصر تشخيصية معتمدين فى شحنتهم الدرامية المتفجرة على قوة الالوان واندفاعها او على ملامس السطح . من هؤلاء الفنانتان نعيمة الشيشينى وهدى خالد ، والفنانان السكندريان مجدى قناوى ومحمد سالم.

الشهداء ـ للفنان علي نبيل وهبة ـ زيت على قماش ١٥٠ × ١٥٠ سم



الاقتلاع الطائل ـ للفنانة
جاذبية سرى ٧٠ × ١٠٠

● اعمال النحت

اما النحاتون ، فهم على قلتهم فى المعرض يلفتون الانتبـــاه بقوة تعبيرهم الرمزى عن الحدث ، وقد تحدثنا من قبل



# الفن ضد القهر

من تمثال الفنان صالح رضا . أما الفنان صلاح عبد الكريم فيعرض تمثاله « المسيح يصلب من جديد » ، وهو كما نعلم شكل من حديد الخردة الذى ضاعف الحس التراجيدى فيه .

● كما يقدم الفنان الوشاحى تمثاله الشهير « القفزة » وهو كتلة نحاسية هائلة تشب متحفزة كوحش أسطورى بلا ملامح .

● ويقدم الفنان محمود شكرى قطعته النحاسية اللافتة للنظر عن الفارس ذى الدرع ، فى تلخيص قوى وبساطة مشحونة بالتعبير ، مما يذكرنا بأعمال النحات آدم حنين القديمة قبل سفره الى الخارج .

● ويقدم المثال محمد عثمان تمثالا يعبر عن شهيد محمول على أعناق المناضلين . وهو قطعة مشحونة بالحركة مزدحمة بالتفاصيل .

● ويقدم المثال محمد العلاوى قطعة من النحت الجيد لرجل يحتمى بدرع هائل . وهى تستمد بلاغتها من بساطتها حتى التجريد .

● ويقدم الخزاف محمد منصور حمامة جريحة فى كبرياء وشموخ . وتبدو الشروخ والكسور المتعرجة بها كاصابة من العدوان .

● أما مفاجأة هذا المعرض فهو النحات الشاب طارق الكومى ، الذى يقدم تمثالا ألقيا لامرأة أبنوسية بالحجم الطبيعى تقريبا ، تندفع سابحة فى الفضاء ، بانسيابية تذكرنا بالمصور الفرنسى الرومانتيكى موديليانى .




ملصق المعرض - تصميم الفنان حلمى التونى

وبعد ..

فهذا « المعرض - القاهرة » هو أبلغ دليل على بقاء النبض الوطنى الجياش ، فى صميم الفنان المصرى ، الذى يخبو ظاهريا تحت وطأة الظروف لكنه ما أن يدعو الداعى الوطنى يكون فى مقدمة الصفوف . وقد انعكس ذلك على ترحيب الجمهور المصرى به واقباله عليه .

وهو أبلغ دليل أيضا على أن الحداثة الاسلوبية لا تتعارض مع الارتباط بالموضوع والمضمون النضالى فى الفن ، وعلى أن الفن الحقيقى هو فى النهاية موقف انسانى ، وبغيره لا يصبح الفن أكثر من قطعة للزينة المؤقتة .

## ليال مسرحية في بغداد:

# مساحة للتجريب ... مساحات للجمود والتقليد ..

بقلم: فاروق عبد القادر

**بغداد تحارب وتقيم مهرجانات حافلة للآداب والفنون. تلك حقيقة وضاءة قل فيها ما شئت بالأمس كان الشعر واهله، واليوم المسرح واهله، وغدا التليفزيون، وبعد غد ... الخ في كل من هذه المهرجانات تفتح مدينة الرشيد ذراعيها وابواب فنادقها وقاعاتها ومسارحها للقادمين من مغرب العالم العربي ومشرقه وخليجه، يلتقون فيتحدثون ويسمعون، يعرضون ويتفرجون، يتحاورون ويتجادلون، مساهمين ـ بأضعف الايمان ـ في تعزيز صمود العراق، اياما قد تطول أو تقصر، ثم يخلون اماكنهم لوافدين جدد.**

عشرة ايام انقضت منذ عرضت مسرحية الافتتاح "الشاهد والقضية" (لعادل كاظم ومحسن عزاوى) حتى مسرحية الختام "رسالة الطير" (اعداد واخراج قاسم محمد)، تتابعت أثناءها العروض حتى جاوزت الاربعين. واستحالة ان تراها جميعا، فعليك أن تختار، وفي هذا الاختيار ـ الذي يقارب الرجم بالغيب ـ لابد أن تفوتك أعمال هامة، ولابد، كذلك، ان تلقى ما لا تحب. شاركت الدول العربية ـ عدا سوريا وليبيا بطبيعة الحال السياسي، والجزائر التي اعتذرت عن تقديم اى عروض، لكننا لقينا فنانها المسرحي الكبير مصطفى كاتب بين المشاركين ـ وقدمت عروض تتفاوت مستوياتها تفاوتا بعيدا، من

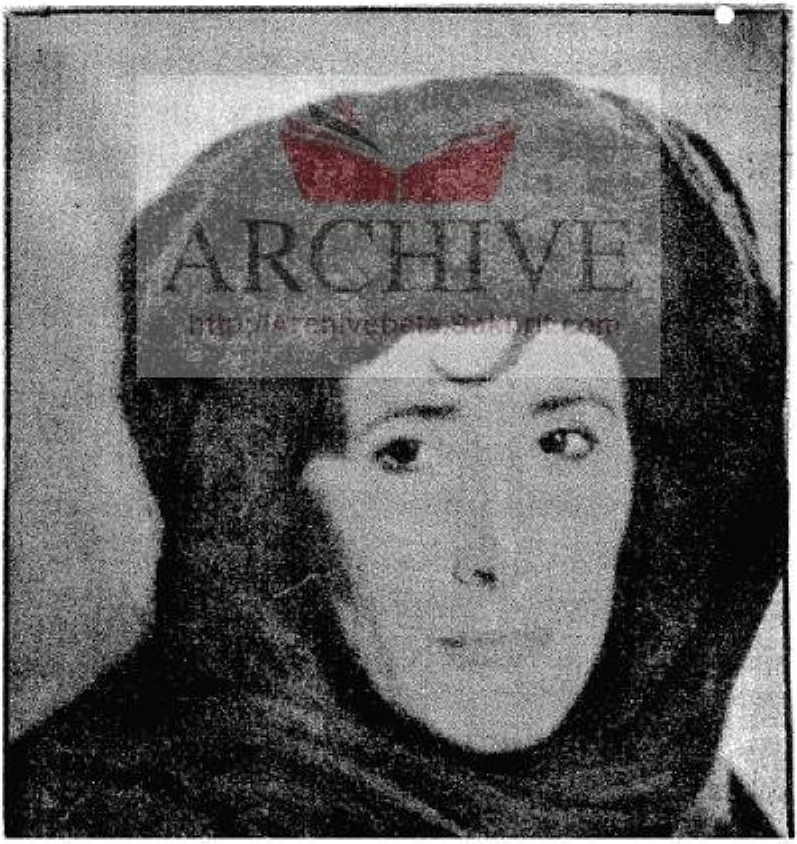
# ليال مسرحية في بغداد :

عروض لا تكاد تصلح لطلاب الثانوى ، الى اعمال جيدة محكمة ، وتجارب جديدة رائعة .

شاهدت ما شاهدت ، وفاتني ما فاتني ، ولست اجد جدوى فى أن أعرض كل ما شاهدت ، لكنني اقف عند ما أراه أهم الظواهر فى هذا الملتقى المسرحى الحافل بعروضه وندواته المناقشة لتلك العروض على السواء :

والصورة التى كادت أن تتكامل عندى هى لحاضر المسرح العراقى : ثمة جيل الرواد ، لا يقدمون أعمالا جديدة ، لكنهم يشاركون بالحضور والرأى والمناقشة ـ كان بيننا دائما الاستاذان ابراهيم جلال ويوسف العانى ، ثم جيل الوسط من المسرحيين "المعتمدين" ، قدموا أبرز أعمال المهرجان (مسرحيتى الافتتاح

بورتريه لبطلة مسرحية «حكايات بلا حدود»



والختام ، الى جانب اعمال أخرى من تأليف محيي الدين زنكنة وجليل القيسي وفلاح شاكر وسواهم ، ومن اخراج سامي عبدالحميد وعزيز خيون وهاني هاني وسواهم ايضا) . وأخيرا جيل الشباب الذين يجربون ويبدعون في طموح وفتوة ، وتمثل لما فات ، ورغبة في التجاوز ولا احسبني مبالغا لو قلت إن لحظات المتعة الخالصة انما تمثلت في عروض شابة ثلاثة : "ترنيمة الكرسي الهزاز" (من تأليف فاروق محمد واخراج د . عوني كرومي) ، و"فرجة مسرحية" (من تأليف كريم جمعة واخراج د . فاضل خليل) ثم "الحلم الضوئي" (من اعداد واخراج د . صلاح القصب ود . شفيق مهدي) . والعملان الأخيران يؤديهما طلبة قسم المسرح بكلية الفنون الجميلة ، مع اساتذتهم الذين سبقت اسماؤهم .

● جهد متميز

تقوم "الترنيمة" على نص بسيط




مشهد من مسرحية " ترنيمة الكرسي الهزاز"

بالعامية العراقية ، تؤديه ممثلتان فقط (انعام البطاط واقبال نعيم) والبطل فيه هو الزمن ، يمضي بخطوه غير المحسوس على هاتين المرأتين اللتين تعيشان واقعا قاسيا ومحبطا ، ومن ثم تلوذان بالوهم ، وتنسج كل لنفسها عشا في قلب الأخرى : المغنية القديمة تتقبل وهم أن صوتها لايزال قويا وقادرا ، وأن جمهورها لايزال موجودا ، وإن انحصر في امرأة واحدة . انها تتقبل هذا الوهم وتقدم ما يقابله : مشاركة المرأة الأخرى الحفاوة بابن ليس ابنها ، ومشاركتها خيبة حبها القديم ، الذي لم تبق منه غير أوراق ذابلة ، تتناثر حولنا في النهاية ، وتشتعل في بعضها النار .

ولانه أمن زائف ، قائم على انتاج الوهم واستهلاكه ، فهو معرض للاهتزاز في انبثاقات مفاجئة ، تسقط فيها كل من المرأتين جدبها وعقم حياتها على الأخرى ، فتروح تنشب فيها الأظافر وتعريها دون رحمة ، هي تعرية للذات من خلال الآخر ، تتوازى فيها المشاعر حينا ، وتتقاطع وتشتبك حينا ، لكنها تتصاعد حتى تبلغ ذروة من التفجر المحموم ، ولأن كلا من المرأتين لم يبق لها من العالم سوى الأخرى ، فسيؤوب الأمر في النهاية للهدوء ، لكنه هدوء السطح الساكن الذي يخفي تحته بواعث التفجر من جديد !

وجاء اخراج العمل ينبيء عن جهد متميز ، أول مايلفت النظر فيه استغلال المكان ، والعلاقات الحميمة التي يقيمها المخرج بالبيت البغدادي القديم والجميل الذي يقدم فيه العمل ، بسردابه وقاعاته وابوابه وشرفاته ، والرحلة الصغيرة التي نقطعها داخله توجز العمل في مشهدين ، كأنهما عنوانان يلخصان الدراما كلها . وثمة تلخيص آخر في استخدام الأدوات المسرحية يوحي ببعد طقسي أو شعبي ، يتمثل في اطلاق البخور وذر العطر واضاءة الشموع وحرق الأوراق وتساقطها أمام المتفرجين وبين أقدامهم ، وتمزيقها كأنه تمزيق آخر ستر الوهم ، لتبدو الحقيقة في عريها الكامل .

ومضى أداء الممثلتين في سلاسة وتناغم ، من الهدوء الذي يخفي تحت سطحه الساكن عوامل التفجر ، الى التصاعد التدريجي الذي يبلغ في بعض لحظاته ذرى تقف على مشارف الجنون حين يكتمل التعري ، يتدفق الأداء حتى انه لينسينا ما يجب أن نتذكره : ذلك الخيط الميلودرامي الذي يبرق ويختفي ، وفي عذوبة الصوت والغناء ننسى أن صاحبته لم تعد مغنية بعد ، وأن تلك الحقيقة بالذات هي بداية تصاعد الأزمة نحو ذروتها .

لقد خلب هذا العمل الرقيق الجميل لب مشاهديه ، وبينهم مسرحيون راسخون ، ونقاد لا يعجبهم العجب !

– ولم يكن عليك سوى أن تصعد بضع درجات من قاعة لأخرى في مبنى كلية الفنون الجميلة ، لتنتقل من "الفرجة المسرحية" الى "الحلم الضوئي" : أول ما يلفت النظر في هذه الفرجة هو المعمار المغاير للتجربة ، فلا برواز ولا كواليس ولا ستائر ، بل ساحة دائرية صغيرة ، يحيطها المتفرجون جلوسا على مقاعد خشنة ، أو وقوفا للمتأخرين منهم ، حلقة كأنها حلقة السيرك ، تتفجر داخلها الحياة



المخرج قاسم محمد

ويتدفق ، وسط الحلقة وفوقها علقت المرايا ، تنعكس عليها الأضواء فتكتسب لغة خاصة ، والفرجة لعبة ، ومسرح داخل المسرح ، فجماعة الممثلين .. المهرجين هؤلاء قرروا لن يلعبوا مع الزمن ، فسرقوا ثلاثة أيام من حكم تيمور لنك وأعطوها لبطلهم جحا كي يعيد صياغة التاريخ كما يهوى . وتتتابع المشاهد ، والممثلون يلعبون ، يخرج الواحد منهم من شخصيته ليدخل في الأخرى ، يخلع - أمامنا ، فلا ستار ولا كواليس - ملابس وصوت وأداء الشخصية القديمة ويضع ثياب وصوت وأداء الجديدة ، والتمثيل كله يكتسب طابع المبالغة المعهودة في الكاريكاتير ، في ايقاع سريع لاهث متلاحق ، لقطات الكثر منها مشاهد ، لا تتوقف لحظة واحدة ، ولا تعكس حدثا قد حدث وانتهى ، لكنها لعبة مستمرة ، ذات نهاية مفتوحة ، فالحياة متدفقة لا تقف عند حد .

غياب الديكور أطلق الخيال ، والحركة الدائرية - لا الأفقية كما على خشبة المسرح التقليدية - جعلتنا نرى الممثل في أبعاده الثلاثة ، ونسقط عليه - من عندنا - صورة مهرج السيرك أو لاعب «الكوميديا ديللارتي» ، خاصة والبطل الرئيسي - جحا - له في وجداننا الشعبي صورة حي مزيج من الدهاء والحمق ، العقل والجنون ، الشجاعة والجبن ، وهو هنا يكتسب دلالة معاصرة جوهرها محاولة تحقيق العدل .

أهم جوانب تلك "الفرجة" اذن انها تأخذ المتفرج داخلها ، وتجعله يلاحق الايقاع السريع المتدفق للفعل المسرحي الذي يتخلق أمامه ، ثم تأتي النهاية المفتوحة ، اللا نهاية ، تمنع استدارة التجربة وتحول دون اكتمالها ، وتوحي بأن كل هذا هش وقابل للتحطيم ، ومفتوح البداية من جديد !

## ● سيادة الممثل

- المخرجات القليلة التي تصعدها نحو القاعة التي يحدث فيها "الحلم الضوئي" انما تمضي بك - حرفيا - نحو الإيغال في التجريب والحداثة : في "الفرجة المسرحية" أدى غياب الديكور والأدوات لسيادة الممثل ، بحيث يشغل المساحة المحورية في الفراغ ، هنا سيكون الممثل كذلك ، ولكن بعد أن يتخلى عن أداة من أهم أدواته : اللغة المنطوقة . جملة وحيدة لا تكتمل أبدا في هذا العرض "أكون أو لا أكون" ، والسيادة للغة الجسد . الجسد يعبر وحده وفي جماعة ، يعبر بالحركة والايماءة والاشارة والاستلقاء والانبطاح ، والرقص والركض والظهور والاختفاء . وهو في علاقات خاصة بأدوات ذات طبيعة

خلصة أيضا : جهاز التليفون مقطوع السلك ، والآلة الموسيقية بلا أوتار ، والحقائب مرمية ومهملة ومحمولة ومكومة ، تتفتح احداها فيتكشف حلم داخل الحلم ، فهي ملأى بأشرطة سينمائية كثيرة ملتفة ، وفي العمل يشيع الانتظار ، ثمة محطات وناس ينتظرون ، وفي الخلفية مشاهد على شريط تتوهج بالضوء ، تجسد المحظور والمكبوت وغير المنطوق ، وثمة لحكام علم - كأنه قيد صارم - يحيط الحركة رغم ما يبدو على ظاهرها في تلقائية وعشوائية ، مما يوحي بأن التعبير التلقائي قد تم تقييده في النهاية ، ورسمه في خطوط للحركة ، كوريوجرافي ، كما في الباليه أو الرقص الحديث .

قلت إن تلك الدرجات القليلة تعني مزيدا من الايغال في الحداثة : هنا اختفى المؤلف تماما ، غابت الكلمة فلم يعد لها مكان ، حلت محلها وسائط تعبيرية صادرة عن الجسد الانساني ، بإمكاناته المتنوعة ، وتشكيلاته التي لا حصر لها ، في عرض يستخدم مفردات من تجارب جروتوفسكي والمسرح الحي ومسرح الواقعة والخبز والدمية .. الى آخر التنويعات التي يقدمها المسرح الحديث تحت العنوان العريض "مسرحة المسرح" ، أو التعبير بالأدوات المسرحية الأصولية قبل سيادة النص الادبي وبلاغة الكلمات .

● هذه التجارب الثلاثة تشير الى أمل من الآمال في مسرح المستقبل : بعيدا عن الاحتراف ، بجهد الشباب وحماسهم من ناحية ، وتمثيل أساتذتهم لتيارات المسرح الحديث في العالم ، وعملهم على تطويعها والافادة منها ، من الناحية الأخرى .

## ● إبداع الجيل الأوسط

● على نحو آخر ، يمكننا أن نعتبر عرضي الافتتاح والختام نموذجين دالين على ابداع الجيل الأوسط من المسرحيين "المعتمدين" نستطيع أن نضيف اليهما مسرحيات "العودة" من تأليف يوسف الصايغ وإخراج قاسم محمد ، و"ألف رحلة ورحلة" من تأليف فلاح شاكر وإخراج عزيز خيون ، و"حكاية صديقين" من تأليف محيي الدين زنكنه وإخراج سامي عبدالحميد ، و"ليلة من ألف ليلة" (من تأليف فلاح شاكر وإخراج سامي عبدالحميد كذلك) ، فلنلق نظرة عجلى على هاتين المسرحيتين :

- مسرحية "الشاهد والقضية" عمل قديم لعادل كاظم ، كتبه ونشره بعنوان "الموت والقضية" قبل عشرين عاما ، وهو لم يكد يضيف اليه شيئا سوى أنه أبدل بشخصية جيفارا أو الثوري شخصية المقاتل ، وأبدل بكتاب الثورة خارطة الوطن ، وأبقى على طابعها الرمزي والتجريدي المتعثر : درويشان مشغولان بالشطرنج والدخان والبحث عن النقاء ، وشهريار فزاعة تحملها شهر زاد ، يختلط وجهه بوجوه أخرى ، والحوار يدور حول "القضية" ، والدرويشان لا يعنيهما شيء من هذا العالم ، بل مهمومان بالبحث عن "النقاء والصفاء" ، ولا شيء يحدث سوى أن مجيفارا - المقاتل، يجيء ، ثم يخرج لمطاردة الذئاب ، ويعود جريحا ، ثم يلقى

مصرعه . بعد أن أوضح لشهر زاد ـ ولنا ـ حقيقة "القضية" ، وندم الدرويشان فقاما بفقء عيونهما .

عمل تجاوزته أحداث ما بعد ٦٧ . في ٦٨/٦٩ كان معقولا ان يقدم مثل هذا العمل ، حين اختلطت الأمور وتشابكت الخطى ، أما اليوم ، وفي العراق المقاتل منذ سنوات ، فقد بدا العمل متحذلقا ، يترثر حول أشياء تم حسمها ووجب تجاوزها ، ورغم اجتهاد مخرج العمل ـ محسن العزاوي ـ في استغلال كافة امكانات خشبة المسرح الوطني وهي امكانات هائلة ومتطورة ـ واضافاته التي تمثلت في رقصات تعبيرية ، وأغاني فردية وجماعية ، الا ان العمل كله بدا متخلفا ومرتبكا وغامضا .

**ـ وقاسم محمد فنان مسرحي تميزت اعماله .. التي بدا تقديمها من أوائل السبعينيات ـ بسمات خاصة : إنه لا** يضيق بأوصاف مثل "المسرح التعليمي" أو "مسرح التحريض والمباشرة" ، ولا يضيق بالبطولة الجماعية في العمل الذي يقدمه ، وهو يرجع دائما للتراث العربي ـ المكتوب أو المروي ـ يتخذ منه مادة يشكلها ويقيم عليها عمله المسرحي : مؤلفا ومخرجا وممثلا أحيانا ، وهو يعوّل ـ أخيرا ـ على التدريبات المتتالية ، ويعدها ـ هي ، لا العرض الأخير القابل للتعديل ـ جوهر الفعل المسرحي .

و"رسالة الطير" لا تخرج عن هذا السياق العام ، وهو يثبت انه استقى مادتها عن رسائل لابن سينا والغزالي : ونحن ـ في البداية ـ نرى الطيور في صراعها الذي لا يبدأ حول الأعشاش والاناث ، صراع تكون الغلبة فيه للأقوى ، لا للأحق ولا للأحب ، ثم يحط في ارضهم طائر غريب ، ومن حوله اتباعه ، ويطلب منهم أن ينصاعوا لارادته "استسلموا لمشيئتي . تسلموا .." ، وحين يرفضون يأمر بوضعهم في الشراك التي تعني عجزهم عن الطيران والتحليق ، ثم يأتيهم الهدهد ، ليقودهم في رحلة الى المدينة الموعودة عبرالجبال ، وفي رحلتهم الشاقة تلك يقول لهم الهدهد محرضا المتقاعسين منهم "تجرعوا المصاعب لتعيشوا .. لا تتخذوا وكرا لتأمنوا اليه فمصيدة الطيور أوكارها .." وهم يلقون العاصفة والمطر والبرق والرعد والدوامات والضباب ، يسقط منهم من يعجز عن الاستمرار يسقط الطائر الجميل ملتفا في ستارة عليها كتابة بخط عربي وأسلوب تشكيلي : "اجترؤا على غدكم .. اغنى الخلق من اجترأ على غده" ويبلغون المدينة أخيرا حيث يأتيهم صوت الملك : ابحثوا عن ملككم في دياركم .. ابحثوا عن عونكم فيكم ، عودوا الى دياركم ، وهناك عودوا الى انفسكم تجدون ملككم وقوتكم وعونكم وخلاصكم الحقيقي .." ، وقد لا يدهشنا ـ بعد ـ ان تكتشف الطيور أنها لم تطر الا في ربوعها ، وأنهم لم يخرجوا منها .. لكن الرحلة كانت ضرورية من أجل استعادة الذاكرة والحواس من أجل ان تصل للادراك : تشخيص الاداء وتعيين الدواء . وتلك هي "رسالة الطير" لنا .

وقد استطاع قاسم محمد أن يقدم عرضا باهرا : استخدم العصي في التعبير عن الصراع ، والشباك في التعبير عن الحصار والعجز عن التحليق ، واستخدم الستائر والأضواء والأوراق والالوان ليقدم صورا تشكيلية للعاصفة والمطر والضباب ، والوصول للمدينة المأمولة ،

وكانت كثير من هذه الصور ذات جمال أخاذ : لكن مشكلة العرض هي في النص الرمزي والتجريدي الذي يقوم عليه . بعبارة أخرى : لقد تميز قاسم دائما بعروض كان مضمونها أبسط وأوضح ، وابهارها التشكيلي اقل واهدأ ، وكانت - أعني تلك العروض - هي ما جعلت له مكانه المتميز في المسرح العراقي .. والعربي .. الحديث . في هذه الرسالة تراجع ، قليلا ، الوجه القديم ، ليأخذ مكانه وجه مسرحي .. حرفي مولع بالابهار .

وكانت "رسالة الطير" آخر الرسائل التي حملنا من بغداد !

* * *

● وتمثل أحد وجوه المهرجان في اللقاءات التي كانت تتم في قاعات المسارح وأبهاء الفنادق بين المسرحيين العرب ، لكن ثمة وجها آخر للقاء تمثل في اختيار المسرحيين نصوص أعمالهم لكتاب عرب آخرين : قدم الكويتيون عرضا محكما ومتألقا وباذخا لنص الكاتب المصري محفوظ عبدالرحمن "احذروا" (من اخراج فؤاد الشطي) ، وقدمت اليمن الشمالية عرضا لمسرحية الكاتب المصري الدكتور عبدالغفار مكاوي "الحمار والمرأة" (من اخراج صفوت الغشم) ، وقدمت البحرين نص المسرحي العراقي قاسم محمد "بغداد الأزل" بعنوان "السوق" (من اخراج خليفة العريض) ، وقدمت فرقة عراقية مسرحية الكاتب المغربي عبدالكريم برشيد "الناس والحجارة" (من اخراج هاني هاني) ، وقدمت فرقة أخرى "الليلة نلعب" عن نص الكاتب السوري وليد اخلاصي (من اخراج حيدر منعثر) ..

**والتقى الشامي والمغربي حقا في عرض "حكايات بلا حدود" ، الذي أعده من اهم عروض هذا المهرجان :**

**- عن نصوص مقالات صحفية منشورة للشاعر والمسرحي السوري محمد الماغوط (صاحب "العصفور الاحدب" و"المهرج" و"الفرح ليس مهنتي" وشريك دريد لحام في "كاسك ياوطني" و"الحدود" ..)** اختار المخرج المغربي عبدالواحد عوزري خمسة عشر نصا ، أعدها للمسرح في مشاهد منفصلة ، وجعل بينها رابطا يتمثل في هذا المواطن العربي - فلان بن فلان - الذي ينهي كل مشهد ، وقد دفعه اليأس لان يخلع قطعة من ثيابه ، وتطوف هذه المشاهد بوجوه متعددة ومتناثرة لوجودنا العربي الممزق والمتخلف والمقهور ، وواقعنا المؤدي لليأس أو الانفجار . ان كانت تروقك سخرية الماغوط القاسية التي تنشب الاظافر في الذات العربية وتخمشها دون رحمة ، لكنها - من الناحية الأخرى - تنفس عن جمهورها وتمتص سخطه على ما يحدث - أقول : ان كانت تعجبك " كلبية " الماغوط هذه ، فانك واجد منها الكثير ، لكنها لا تروق البعض ، وأنا منهم : أرى فيها عبثية صارخة ، لا تدعو لشيء أو تبشر بشيء ، أو تحفز لفعل ، هي طاقات تنفيس وكفى ، "فشة خلق" كما يقول أهل الشام !

لكن المخرج وممثليه ـ وهو واحد منهم ـ استطاعوا أن يقدموا عرضا حارا وممتعا ، تألق بلحظات نادرة فى أداء ممثليه الكبيرين مصطفى سلامات وثريا جبران ، ولن ينسى مشاهدو العرض اداءهما . خاصة تفجر ثريا فى مونولوجها الأخير . ولعل كثيرين منهم كذلك سيظلون يذكرون بعض كلمات الدعاء الذى يتوجه به الممثلون الى الله "امنحنا عقل انيشتين لنستوعب به ما يجرى على الساحة العربية وامنحنا غباء الأوزة لنصدق ما نرى .." !

ـ وماذا تتوقع أن ترى من لبنان ؟ وأى لبنان هو الذى يقدم لنا الكوميديا البوليسية "مين بدو يقتل مين" ؟ مسرحية متقنة الصنع ، تقوم على رغبة عدد من الرجال فى الخلاص من نسائهم ، فيتفقون على أن يقتل كل منهم امرأة الاخر ، وهكذا تنفتح كل أبواب كوميديا المفارقات والمفاجآت والمصادفات والمقالب والاختفاء والظهور والتنكر والتخفى ، ويمضى كل هذا فى احكام وسرعة على ديكور واحد مقسم ببراعة الى مشاهد متعددة ينتقل الحدث من واحدها للآخر بالاضاءة والاظلام : مكان فى حديقة البلدية ، ومقهى ، وحجرة نوم ، وصالون ، وباضافة قطع صغيرة من الأدوات تتحول لأماكن اخرى ، ويتدفق الحدث والحركة ، وتنطلق الضحكات !

أى لبنان يقدم هذه الكوميديا البوليسية محكمة الصنع ؟ يقول الفنان العراقى الكبير يوسف العانى معقبا على هذه المسرحية : "سكت مسرح المحبة .. مسرح محمد شامل ونزار ميقاتى ومنير ابودبس واندريه جدعون وميشيل نبعة وفيليب عقيقى وانطوان ملتقى وجلال خورى ونضال الاشقر . وروجيه عساف . وريمون جبارة .. وزياد رحبانى وكثيرون وكثيرات .. فماذا ننتظر ـ اذن ـ أن يأتينا من لبنان ؟ .." ، وقال مخرج المسرحية جوزيف بونصار يصف مسرحيته بأنها "استراحة المحارب" ، فالكل يقتل الكل فى لبنان !

وبقيت المفارقة : ان اكثر العروض التى قدمت قدرة على اثارة الضحك جاء من لبنان .. لا من سواه ! .

## ● عرض هزيل !

● وشاركت مصر بعرضين داخل المهرجان ، وثالث ـ ينتمى لفرقة خاصة .. خارجه . ولست أود أن أعرض ـ هنا والان ـ لأى من الأعمال الثلاثة . اكتفى بملاحظات قليلة حول الوجود المصرى فى هذا المهرجان ، ومواقف المشاركين فيه :

● لقيت كل العروض جماهيرية كثيفة . فى مدينة بغداد ـ بالوجود المصرى الظاهر والمؤثر فيها ـ اقبلت الجماهير مندفعة نحو النجوم (التليفزيونية) القادمة من القاهرة ، اضافة للرصيد المصرى الخالص من ناحية ، والذكرى الباقية للافتة "المسرح القومى" من الناحية الأخرى . وبدليل الانفصال بين هذا الاقبال والعروض ذاتها هو تدافع الجمهور خارج المسرح بعد الفصل الأول من عرض "ابن البلد" . ولسنا بحاجة لتاكيد أن "الاقبال الجماهيرى" على عمل ـ فى هذا السياق ـ لا يعنى بالضرورة جدارة العمل بهذا اقبال ، والدليل ـ مرة أخرى ـ هو ما لقيه ذات العمل فى الندوة النقدية المخصصة لمناقشته ، والتى جمعت

صفوة من المشتغلين بالمسرح ونقده فى العراق والعالم العربى ، ولم يجد المدافعون عنه ما يدفعون به سوى هذا الاقبال الجماهيرى ذاته !

ـ الظاهرة المثيرة للعجب حقا هى الربط الذى ساد عند أصحاب هذا العمل (ابن البلد) ومن أحاطهم من المسئولين عن الثقافة الرسمية ، وأبواقهم (عن حمق أو هوى) بين ضرورة الدفاع عن هذا العمل الردىء والانتماء لمصر !

هى معادلة بادية الشذوذ : أن يطلب من المصرى ـ بوصفه كذلك ـ أن يدافع عن انتهازية الفكر وركاكته ، ورداءة الفن وميوعته ، وتشنج الأداء ونمطيته ـ دع الآن التبذل فى السلوك ، فتلك مسألة أخـرى ! ـ والا فـهـو يتخلى عن "مصريته" ، ويتطوع غلمان من هنا وهناك بمحاضرته عن معنى الوطنية والانتماء ، فأى ابتزاز وأى ابتذال !

ـ ان العرض المصرى الثانى (القضية ٨٨ ، الذى سبق عرضه بعنوان "اليهودى التائه") هو ما انقذ شيئا من ماء وجه المسرح المصرى ، كان له من شرف قضيته ، ونبل مقصده .. بصرف النظر عن التنفيـذ المتـواضـع والتجسيد المتواضع كذلك ـ ما أبقى على قيمته ، اضافة لرصيد مدينة بورسعيد (بورسعيد ٥٦ ، لابورسعيد المدينة الحرة) والفرقة الاقليمية الشابة والمتواضعة . والتقط البعض المفارقة : أن تأتى فرقة اقليمية محدودة بمسرحية عن فلسطين ، وتأتى فرقة "المسرح القومى" بهذا العرض الهجين المختلط الصاخب !

• • •

هل تؤدى الصورة العامة للمهرجان الى ملاحظات يمكن تعميمها ؟

لم يتبلور لدى شىء ـ لكن ثمة هامسا هو أن المسرحيين "الرسميين" أو "المعتمدين" فى العالم العربى .. أعنى تلك الدول التى للمسرح فيها وجود وبعض تاريخ : مصر والعراق وتونس والمغرب .. لم يقدموا جديدا أو هاما ، أو طامحا للتجاوز ، قدموا بضاعتهم ، والتى عرفوا بها وجمدوا عندها ، وساد عروضهم لون من التعثر بين التخفى والمكاشفة ، ولون من الاهتمام بالشكل ، والتكتيك المبهر ، على حساب وضوح رسالة العمل وقدرته على النفاذ والتأثير :

بالمقابل : تبدو أفضل ما قدم المهرجان تلك العروض الشبابية ، التجـريبية ، الطموح ، فهى تثبت أن "مسرحا فقيرا" لا يتوفر على امكانات تكنيكية معقدة أو باهرة ، يمكن أن يكون "مسرحا ثريا" بامكانات الانسانية التى لا نهاية لتنوعها ،

# لغويات

● كلمة « ملفوت » التي يتبادلها بعض الناس في شتائمهم ، اصلها العربي « علفوت » بضم العين ..

● قولهم : « هلضم .. يهلضم » .. اصله العربي : « هذرم .. يهذرم » ..

● أما قولهم : « اخص » .. فهو من قول العرب : « اخسا » .

● وتصف العامة الرجل القوي الغيور بانه « حمش » بكسر الحاء ، وهي كلمة عربية ولكن بفتح الحاء ..

● من اشنع الاغلاط عنوان خبر نشرته صحيفة يومية كبرى .. هكذا : « نجاح اول جراحة في مصر لفصل توام ملتصقين » .. فالغلط هنا مزدوج ، لان لفظ « توام » مفرد وليس مثنى ، فاذا اردت المثنى قلت : « توامان»وقد جاء لفظ توام » فيعنوانهذا الخبر مفردا، وجاءت صفته بصيغة « المثنى » مع ان الصفة تتبع الموصوف كما يعرف تلاميذ المرحلة الابتدائية ، والصواب في هذا العنوان ان يكتب هكذا : « نجاح اول جراحة لفصل توامين ملتصقين » .. والمدهش ان الجريدة الكبرى لم تعتذر حتى الان من هذا الخطا المزرى الذى لو وقع في ايام داود بك بركات او انطون الجميل باشا لترتب عليهمعاقبة كاتبه ومراجعه ومصححه ! ..

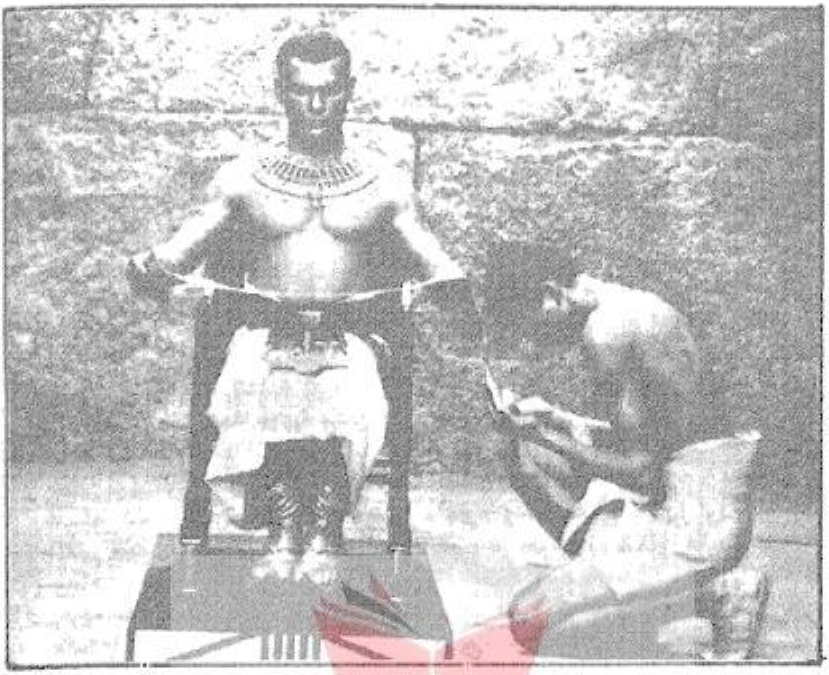
● في العشرينات غنت ام كلثوم قصيدة من شعر علي الجارم مطلعها :

مالي فتنت بلحظك الفتاك
وسلوت كل مليحة الاك

وفي آخرها :

لك من جمالك او دلالك نشوة
بهر الجمال بفعلها عطفاك

وقد نطقت ام كلثوم « عطفاك » بفتح العين ، والصواب كسرها، لان المقصود جانبا المراة الحسناء ـ وهما عطفاها ـ تحت ذراعيها وحولهما .. اما فتح العين فيجعل هذه الكلمة مصدرا للفعل « عطف ـ يعطف » في صيغة المثنى ، وليس ذلك هو المقصود ، ولا معنى له هنا .. والمسئول عن هذا الخطا هو المرحوم الدكتور صبري النجريدي طبيب الاسنان والملحن الهاوي الموهوب الذى لحن هذه القصيدة ، ولقن ام كلثوم اللحن والكلام ! ..



# إطلالة يتيمة على مصر القديمة

بقلم : مصطفى درويش

أول ما يفجؤنا فى مهرجان الافلام التسجيلية والقصيرة الاخير ( الاسماعيلية من ١٢ الى ١٥ مارس ) ، إنه يجىء بعد انقطاع بينه وبين آخر مهرجان لهذا النوع من الافلام دام ثمانية اعوام .

وثانى المفاجآت اكتشاف أن عدد ما انتجته السينما المصرية من هذه الافلام يقلّ بكثير عن عدد الافلام الروائية الطويلة المنتجة فى نفس الفترة الزمنية ، وذلك على عكس المتبع عالميا ، وهو أن يكون للسينما التسجيلية والتجريبية القصيرة نصيب الاسد من الافلام .

اما ثالثها واهمها ، فهو ذلك الكتاب الذى طبعه اصدقاء « شادى

عبدالسلام » ، وجرى توزيعه مع شريط فيديو لوثيقته السينمائية الاولى « شكاوى الفلاح الفصيح » ( ١٩٧٠ ) ، على نفر من النقاد والمثقفين المولعين بما أبدعه المخرج الراحل حتى يقرأوا ويروا .. وحتى يطبع ما قد يكتبوه عن فلاح « شادي » في مؤلف يُنشر على الناس مع ايام المهرجان .

وبعد قراءة ذلك الكتاب الذى هو عبارة عن دراسة تنطوى على السيناريو الاصلى « للفلاح الفصيح » بالانجليزية وترجمته الى العربية ثم النص الفيلمى لشكاوى الفلاح الفصيح .

● عطر مصر

وبعد مشاهدة الفيلم مسجلا على شريط فيديو ، وجدتني اشارك الناقد الانجليزى « جون راسل تايلور » الراى فيما ذهب اليه منذ ثمانية عشر عاما .

فهو عندما شاهد رائعة « شادى » ليلة حساب السنين » التى كُتب لها ان تشتهر تحت اسم « المومياء » ، لم يتمالك نفسه ، فاض حماسه لها .

ولم يفته ، وهو يتغنى باوجه الجمال فيها ، ان يتوقف متاملا عند فيلم قصير مرفق بها لا يمتد عرضه سوى عشرين دقيقة ، ليقول عنه فى كلمات ان الفلاح الفصيح حكاية قصيرة ماخوذة مباشرة من بردية مصرية قديمة ، استعملها « عبدالسلام » فى واقع الامر بوصفها المقوّم الاساسى الاول لنص سيناريو التصوير النهائي ».

إنه واحد من تلك الافلام التى تسمو لقطاتها على وجه تصبح مع كل واحدة منها آية من آيات الجمال .

ومع ذلك ، فهو ، ويا للعجب ، فيلم لا يتمرغ فى محاسنه البصرية

بل بالعكس يتقدم إلى امام شيئا فشيئا ، طوال مدة قصّ حكايته التى تدور حول فلاح سرق ، ومطلبه الوحيد ان يتحقق له العدل ، وهو قصّ رُوعى فيه ان يكون مغلفا بغموض يتناسب مع ذكريات الماضى البعيد

● اشعة فى الغمام

وهكذا نجد انفسنا ، وكاننا فى واقع الحال نطلّ من نافذة فجاة فُتحت على زمن اختفى ، وكما فتحت فجاة أُغلقت ، وعند هذه النافذة المطلة على ازمنة الفراعين التى لم يبق من امجادها سوى بعض آثار ابتذلتها حوادث الدهر .. عندها اقف قليلا .

مقولة ان « الفلاح الفصيح » نافذة على هذه الازمنة المدهشة التى ابتلعتها القرون والدهور ، هذه المقولة ، اذا ما جنحنا الى تصنيفه ، لابد وان تؤدى بنا الى إدخاله فى عداد الافلام التاريخية

وهو بهذه المثابة ، يعتبر اول فيلم تاريخى عربى يعرض لحضارة قدماء المصريين .

ولعله - والى هذه الساعة - الاول والاخير .

● خيالات مولع

ورغم هذه النتيجة ، الا وهى ان « الفلاح الفصيح » ذو مضمون تاريخي ، فينبغي الا يغيب عن البال انه لا يعدو ان يكون رؤية ذاتية لمبدعه .

وان التقدير له ، المصحوب

بالاعجاب به ، إنما يعتمد أساسا على ما تتصف به هذه الرؤية من عمق وبساطة ، وليس على الصورة التى حاول بها مبدعه تجسيد التاريخ .

فهذه الصورة لايضيرها الا تكون صادقة كل الصدق ، او الا تكون مطابقة للواقع التاريخى كل المطابقة .

فما يعني المتلقى ويهمه ، هو تلك الصورة التى رسمها « شادى » فى نفيسته الشيقة للعدل عند المصريين القدامى ، وقيمة مطالبة الفلاح به .

وفي الحق ، فقيمة الفيلم الكبيرة إنما مردها الى حظ « شادى » من الوعى بالتاريخ المصرى القديم ، فضلا عن الفهم والادراك له ، وحصيلته الكبيرة من كل ذلك ، وهى حصيلة انفرد بها دون صانعى الاطياف جميعا ، وذلك بحكم انه وقف حياته او اكثرها على تعمق هذا التاريخ المذهل اشد التعمق ، مرتفعا بتفانيه هذا الى شيء يوشك أن يكون نسكا وعبادة .

وعلى كل ، فلولا هذه الحصيلة لما استطاع أن يتوصل الى البردية التى اتخذها عمادا لنفيسته .

وليس من شك أن جمعه بين السينما والتاريخ انطلاقا من هذه البردية ، ونجاحه فى المزاوجة بين الاثنين ، يعد عملا رائدا .

فأحد من قبل لم يتح لبردية فرصة ان تعبر عن ذاتها سينمائيا .

والاكيد أن الفلاح الفصيح بوصفه فيلما روائيا اتخذ من احدى البرديات لسانا له يعتبر ابداعا غير مسبوق ولعله - والى يومنا هذا - الاول والاخير .

## ● الظلمات والنور

ومهما يكن من شيء ، فاختيار بردية شكاوى الفلاح من بين مئات البرديات ، ينتهي بالمرء الى نتيجة قد لاتقبل الشك ، الا وهى عبقرية « شادى » فى الاختيار .

فمن مفارقات السينما انها لابد وان تبدأ بالكلمات كما قال بحق المخرج الالمانى « فيم فندرز » صاحب « باريس .. تكساس » .

فهى التى تقرر مصير الصور ، هل ينتهى بها الامر الى ميلاد ام الى اجهاض .

وهى التى تمرر الفيلم من خلال بواباتها ، فاذا بالصور تتحرر من الظلمات .. تخرج الى النور .

ولقد صادف « شادى » التوفيق كل التوفيق عندما اهتدى الى بردية الشكاوى ، فتخفف من عذابات البحث عن الكلمات .

فها هى مكتوبة على البردية منذ فجر الضمير ، تنتظر فارسها ، تبتغيه باعثا لها فى اطياف تسعى .

وهاهى الاقدار ترتب لها ان تلتقى بفارس الاحلام .. شادى عبدالسلام .

والاكيد .. الاكيد ان هذا التلاقى



صلاح مرعي .. صمم الديكور

متميز وفريد . ولعله ـ وحتى كتابة هذه السطور ـ الاول والاخير .

● رغوة بوصفوة

وهنا ، قد يكون من المناسب ان اعود الى كلمة « نافذة » لاقول باختصار ان النافذة التى فتحها لنا صاحب « الفلاح الفصيح » كيما نطل منها ، وللحظات ، على الحضارة المصرية القديمة ، هذه النافذة ـ واحسرتاه . لم يكتب لفتحها التكرار .

فاحد بعد فلاح « شادى » لم تتوافر له سبل النجاح فى تهيئة متعة اطلالة اخرى على سحر حضارتنا التى استحالت مع مرور الزمن الى اساطير .

وهذا لمما يرفع من شان الفلاح الفصيح ، ويملأ النفوس اعجابا به ، وتقديرا لصاحبه .

والآن ، وقد فتح لنا المهرجان وكتاب اصدقاء شادى باب تاريخنا القديم على مصراعيه ، فلنعد آلاف الاعوام الى الوراء ! اذا كان فى الزمان من وراء ، ومن امام ، فلنعد ونردد مع الفلاح شكواه او بمعنى اصح امره الى الحاكم بان يقيم العدل

من اجل الاله الذى اصبح عدله قانونا للعدل

فالخلود بالعدل
يهبط مع صاحبه الى القبر
حينما يلف فى كفنه ويوضع فى التراب
فلا يمحى اسمه من الارض
بل يذكر لانه اقام العدل
ذلك هو شرع الاله .

## قصة قصيرة

# بعيداً جداً .. قريب جداً !

بقلم : فوزيه مهران

تتحرك قطع الشطرنج كراقصات الباليه .. الصمت لعزفها الداخلى .. اتبع ايقاعها بشوق وقلق .. تتقدم وتتباعد فوق تتقابل وتفترق .. مربعات مقدرة .. تتصاعد وتلتحم .. تركن الى الفرار او تكمن للمناورة ..

يشتد وجيب قلبى .. شىء كالخدر اللذيذ يتثال الى جسدى .. تحلق افكارى مرغمة . تطير مساحات شاسعة .. تجوب افاق الذكريات والرؤى .. ثم لا تلبث ان تهبط فوق الرقعة الساحرة .. ازداد اقترابا منها ..

اهة مديدة .. او همسة واهنة ـ شهقة .. نقلة .. ثغرة ـ يحتل الطرفان خانة حيوية من قلب الميدان .. حركة تمشيط للموقع والذاكرة ..

ارفع رأسى من حين لاخر من الكتاب ـ كانها مصادفة ( احاول لاخفى قلقى ومشاعرى) فرصة لاتاملهما معا ..

أعاود لاستغرق فى الكتاب ( لم اكن ادرى ما السطور ولا الكلمات .. لكن يستبد بى الحنين . وحواسى معهما ) اللعبة لا تستهوينى فى حد ذاتها .. ولا نتيجة السبق ما ابغى وارتقب ( ربما اود شيئا عسيرا حقا .. لصورة انطبعت فى وجدانى اريد بعثها من جديد لامر فى نفسى ـ اريدهما ليفوزا معا ) .

الوقع رتيب .. التقدم محفوف بالخطر .. يحافظ كل الا يضعف جناح الملك .

تنشط الحركة فجاة .. يصعب التنفس .. تتسع دائرة المعركة .. اكاد لاسمع صهيل الخيول .. صليل السيوف . غمام الغبار وضجيج المفارقة (ولكن هل تتسع الرقعة للثلاثة ؟ )

ـ اعز من لى فى الحياة .

قالها ( وجهه الاسر على الوسادة محاطا بالضمادات .. يرنو . الينا بنظرة نافذة )

ـ جئتم معا .. انتم الثلاثة ..

اعز من لى على الارض .

حاول صديقه المرح : مازلت تفضل علينا الطائرة .

تلفت حوله باسى .. ( كان من الواضح انه يتساءل ولماذا اناهنا ..

وكان هـولا ما ترى .. جرحى واطباء .. دماء وعيون ذاهلة .. مشهدا سيظل محفـــورا فى الذاكرة )

تقل بصــره بينى وبين الصبى .. همس وفى صوته يشيع الرضا:

ـ نحن ندافــع عن ارضنا ..

النصر ثمنه غال .

( غال جدا الانتصار .. كلفنى صـوت احب انسان لدى )

صاح الفتى : النصر لى هـذه المرة اغلبك

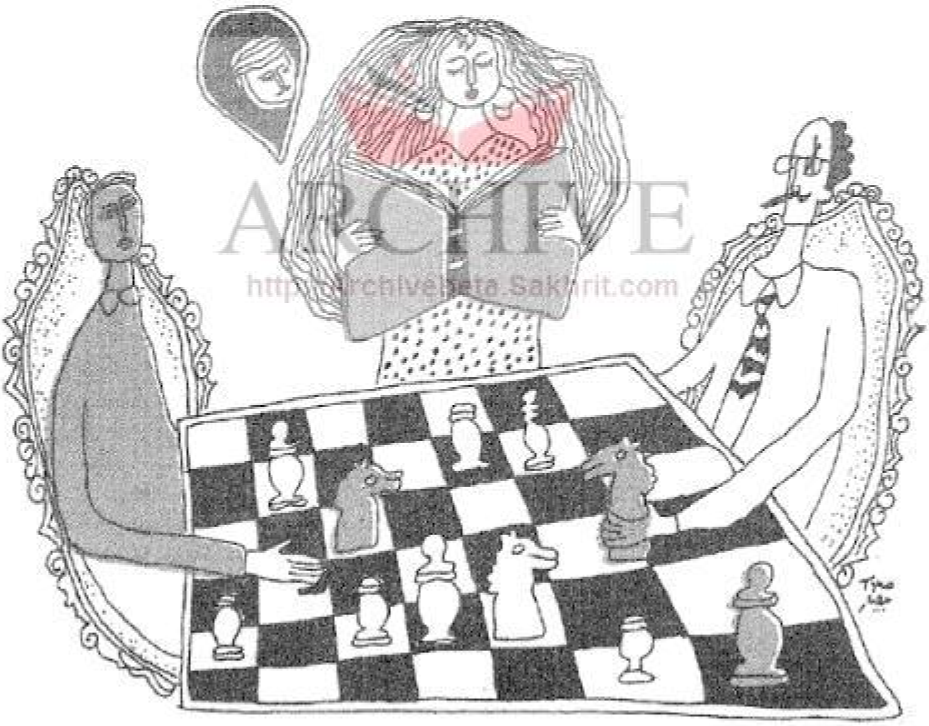
وقع الكتـاب من يدى .. لم انحن لاخـذه .. ارفع راسى متطلعـة .. ( هما كل ما تبقى لى .. ابنه وصديقه .. وذكرى حبنا المشــترك .. هل تتسع الرقعة لثلاثة ؟ )

هـذه اللعبة بالذات احبها ـ دون ان اجرؤ على ممارســـتها والاستغراق فيها كمـا يفعلان ..

احبها الجلسة المريحة المؤرقة .. يبعث حبـا على متنهـا .. يركض فوق ظهور خيولهـا .. اراه قائما بيننا .

ـ النصر يســتغرق تفكير الفتى .. منافسه يستطيع وهو يركـز فى عين المربع الاسـود .. ان يرقب ما افكر فيه .. ويتبع معى مسلســـل الذكـريات ولحظـات عشناها معا ـ

ومـع ذلك لا يريد ان



يمنح الفتى نصرا سريعا او هينا . ( يريد ليمتحن قلبه يشحذ قدرته .. يثير تحديه وصلابته ) خمدت لدى لذة المتابعة .. عدت الى الرؤى البهيجة الماضية .

فى البداية لم اتصور نفسى يوما زوجة لطيار قال : قيادة الطائرات تفوق متع الدنيا كلها .

- ماذا لو لم تعد ..

- لا استطيع ان اعدك بشىء .

- بدونك كيف احتمل

( تمنيت فيما بعد لو لم اقل هذا .. كنت اتجمد من الرعب عندما اتصور ان تهوى به الطائرة ) تنهد مستسلما : الموت حق .

فوق السحاب او فى بطن الحوت

ولكن اطمئنى .. عقدت ميثاقا مع الطائرة

- اخاف الطيران .

- لكل منا ما يخافه ويخشاه

هناك من يرتعد عند الماء .. يخشى ركوب البحر او العربات .. سكنى الادوار العالية .. وانا اضيق بالسير البطىء .. اختنق وسط الزحام ..

« اتمنى الموت محلقا» ( جاءت ميتة كما

## بعيد جدا.. قريب جدا!

تمنى دائما .. نفذ المهمة .. وانقذ الطائرة )

- وفى بوعده أن تعود الى الارض سالمة وترفقينا نقضى يوما او بعض يوم بيتنا .. وليردد : انتم الثلاثة معا .. احب الناس الى .

ابدى الفتى حركة صاخبة ..

- انا اطور فى اسلوب اللعب .

- هل انت على مستوى المحاولة .

- لابد من اختراع شىء لاغلبك به

- متفقين فى الراى اذن .

( كان زوجى يحاورنى بنفس الطريقة ..اسلوب متشابه فى التفكير) قلت له يوما : الطائرة تقف بيننا .

- كلانا يهتم بها .. الاهتمام المشترك يجعلنا نفكر بطريقة واحدة .

- قدرى أن اظل - احلق فى الفضاء هكذا وانتظر

- عليك ان تتحلى بروح الجلدية ..

وستظل روحى محلقة بيتكم .

جلسا فترة صامتين . جذب زجاج النافذة .. اوسع ما تكون .. تدفقت الى الغرفة نسمات رطبة منعشة .. يداعبه : الهواء النقى يعين على التفكير اين الجراة اذن .. اين قوتك .

( اذكر مبارياتهما معا .. عسيرة وممتعة ندان فى كل شىء .. الاسلوب والاداء والعمل صداقة منذ الصغر .. دروب القرية وقاعات الدرس ومربعات اللعب)

- حتى فى الطلعة الاخيرة له وعد صديقه العودة ليكمل الدور معه - قلت له مرة - تكاد تنسانى اثناء اللعب .. يختفى وجودى ربما .

- لا انسى الفوز من اجلك دائما .

وفى مرة استغرق الدور الليل باكمله .. تساوت الكفتان .. تراصت القوات متقابلة .. كل فى موقعه .. بسط يده قائلا لناخذ قسطا من الراحة ..

- وليبق الوضع على ما هو عليه - ثم ان الموقف فى حد ذاته يعد انتصارا لنا -

( فى تلك الليلة قال بصوت دافىء يقطر براءة :

- ارى انه بات ينشد الانتصار من اجلك ايضا )

- كان الواجب يقضى على بعدم الرد .. والتزام الصمت - وها هو يدرب فتاه الان .. يحفزه على التقدم وعنف المقاومة

( وفاء لذكرى صديقه .. ووعده الصامت له بأن يرعى اسرته .. من اجلى انا ايضا ربما ).

كان يقول دائما : الطيارون سلالة خاصة الالتحام بالمهمة والطائرة والتدريب المشترك يجمع بينهم .. اقوى من صلة الدم .

نفهم بعض جيدا .. وندرك طاقة كل منا على الجهد والعمل .

روح الجندية توحد بيننا « لو اننا فى اقصى الارض .. تفرق بيننا القارات والمحيطات لقمنا بأداء الواجب - ودون اتفاق مسبق -

قال عنه توأمه ( وقال لى عشنا معا لحظات تساوى عمرا باكمله )

مات شيء داخلى .. فى هوة الاحزان لم الحظ تغيبه .. تنبهت مع قلق الصبى .. تساؤله هل يتركنا هو الاخر .. هل نفقده .

فى مناسبات خاصة يجىء .. كان لم يغب عن سمائنا مطلقا .. يكمل حديثا كنا بدأناه .. يسال عما يحيط بنا .. نظل نسترجع مواقف وكلمات واحلام كانت تمر بنا ..

( يجىء كومضة الدفء .. واشعة الحنان .. يعاوده القلق ثم لا يلبث ان يختفى )

فى المرة الاخيرة قاس طول الفتى فوق صدره .. قال :

- اصبحت رجلا .. اعتن بوالدتك .

ثم قبله وانصرف .

مكث طويلا هذه المرة .. ويلاعب الفتى

- ربما يتذكر اسلوب الاب .. ويدير حوارا معه .. ويعود ليرعى اسرته .

نظر الى فى ثبات وثقة نفس اسلوب ابيه فى اللعب

صباح الصغير :لذلك لابد أن انتصر

- فكر قبل ان تحرك شيئا من موضعه

هتف ولدى بحماس - نقلة واحدة وسوف اغلبك .

قال يحذره - النصر قريب جدا وبعيد جدا

استوقفتنى العبارة

( تصف حالى وما انا فيه .. وتلك ايضا كانت حكمته .. الاساس الذى يبنى عليه حركته فى دورة الزمان والرح )

قالها وتطلع الى ..

له عيون ترقب ما افكر فيه .. تملكتنى رجفة مزلزلة ..

فى لحظة واحدة عرفنا ما الذى يجب علينا ان نفعله .. كالافق العريض يملا سماء حياتنا .. يغيب فى بحار الشوق اليه .. وتضج حكمته ..

- يبقى الوضع على ما هو عليه -

عاودنى نفس الاحساس

اشعر به قريبا جدا .. وبعيدا جدا .

ش
شهريات

# رأى فى الثقافة

## نظرية قطع الغيار

● كثيرة هي « الالاعيب » التى يلجأ اليها البعض من اجل اهالة التراب على الحقيقة ، هذه الحقيقة التى ان بانت وظهرت ، بان وظهر حجمهم الحقيقى ومكانهم الضئيل ، نجد هذا فى كل مجال بين ابناء المهنة الواحدة ، اذا ما وضعت الامور فى ايدى صغارهم ، صغار النفوس لا الاعمار ، صغار القلب والعقل ، الذين هم بحكم بخل الطبيعة اكثر من الهم على القلب ·

حكايات يشيب لهولها الولدان يحكيها لك اساتذة الجامعة ، ولكن المؤسف ان تجد هذا بين الادباء والمثقفين ، حتى ولو كانوا من درجات دنيا من الموهبة والقدرة ·

فالموهبة كالقدر لاراد لها ، والمستوى امر ان بذل فيه الموهوب – المتوسط كل جهد فانه لا محالة واقف عند درجة من الدرجات الدنيا ، وهذا امر يجب ان يستسلم له « المديوكر » كقدر لاراد له ، وان يزينه بالجهد والتفانى واعلاء القيم وعلى راسها قيمة العدل ونظافة الضمير ·

نقول ذلك بمناسبة تفشى « نظرية قطع الغيار » بشكل وبائى فى الوسط الثقافى ، وهى نظرية مبتكرة يحق لاصحابها تسجيلها فى الشهر العقارى لانها ، تقريبا اختراع جديد لم يجر تعميمه من قبل بهذا القدر من الاتساع وان وجدت بعض مظاهره فى بعض الاحايين من الزمن الماضى ·

تتلخص النظرية فى ان يقوم البعض بالترويج لبعض الاسماء الهامشية بشكل محموم ومستمر ، يدفعون بهم الى صدارة الاعلام والاعلان ، يقدمونهم لكل منبر ولكل الساحات ، والقصد واضح كالشمس : ان يهيلوا التراب على المواهب الحقيقية التى بدات تظهر وتحتل مكانتها على الساحة ، والسبب واضح كالشمس :! فهم يخشون المواهب الحقيقية ويخافون من قاماتهم وعمق رؤاهم ومستواهم ، فلماذا لا يستبدلون قطع الغيار بهم

لكن ، لا يعرف هؤلاء ان المبدع الحقيقى مهما طال به الامد لابد ان ياخذ مكانه ، ان لم يكن اليوم فغدا ، وان لم يكن غدا فبعد الغد ، والمبدع الحقيقى على اية حال لايهتم بالمظاهر الزائفة ، والاوضاع غير الطبيعية ،

كما لا يهتم بالزمن وكل همه ان يحقق ذاته ، وان يكون على اتصال حقيقى بجوهر الامور والاشياء ، وان يمارس فنه ليرتوى من ماء الحياة ٠

لقد روج البعض لفلان فى الخمسينيات وجعلوا منه نجما سدت الضوضاء التى احدثوها باسمه السماء ، وكانت الدعوة نبيلة وارهابية وباسم انه يكتب عن العمال والفلاحين ، وهم منه براء ،وروجوا فى الستينيات لعلان بدعوى انه عاد الى الفلكلور واستلهم منه فى الوقت الذى كانت مواهب الدرجة الاولى تطعن فى ظهورها ، ويروجون اليوم لبعض الصغار بحجج واهية اخرى لكن هذا الترويج الزائف تفضحه الايام عندما تمر ، والتاريخ عندما يقول كلمته ، اسماء كانت لها «الشنة والرنة » ، لانها دفعت دفعا الى الواجهة ٠٠ اين هى الان ؟ فى مزبلة التاريخ ؟

وصباح الخير ايتها النظرية الجديدة ٠ نظرية قطع الخيار ٠

● عبده جبير

## إشارات ثقافية

### مجلة اتحاد كتاب الامارات

● يقوم اتحاد كتاب الامارات بنشاط ملحوظ ، لم يكتف أو يتوقف عند حدود الندوات الجادة التى يعقدها كل شهر عدة مرات ، بل هاهو يصدر مطبوعة انيقة ٠٠ مجلة شئون ادبية الفصلية التى صدر عددها الثانى اخيرا فى ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير وفى طباعة فاخرة ، ومواد ثرية شملت ستة ابحاث مطولة وخمس مقالات واثنتين وعشرين قصيدة ، وعشر قصص مؤلفة ومترجمة وملفا كاملا عن وولى سوينكا الفائز بجائزة نوبل العام قبل الماضى ، بالاضافة الى استعراض النشاط الثقافى الذى يقوم به الاتحاد والنشاطات والاصدارات الثقافية فى اغلب البلدان العربية ٠

ولم يكتف اتحاد كتاب الامارات وهو الذى لا يزيد عدد اعضائه على ٢٠٠ عضو بهذه الدورية الثمينة بل انه بدا فى نشر عدة كتب وصلنا منها كتاب قصائد من الامارات الذى ضم ثلاث مجموعات من الشعر العمودى وشعر التفعيلة والشعر الحر ، لكل الاعمار والاتجاهات ، فهنيئا لاتحاد كتاب الامارات ، ونقول لاتحاد كتاب مصر «غير ولا تحسد » ٠

### مصر : ندوات فى كل مكان

● هذه السلسلة المتوالية من الندوات المختلفة المشارب التى جرت على ارض مصر فى الشهور والايام الاخيرة ظاهرة تدعو للالتفات ، ودليل على ان المثقفين المصريين بداوا فى الخروج من القمقم ، ليشاركوا فى مجريات الامور العامة ، مشاركة فعالة وسط جماهير المهتمين ،بالمناقشة وعرض الراى والدفاع عنه ٠

ندوات متميزة اقامتها جامعة القاهرة ( كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ) ومركز دراسات الوحدة العربية ، وبعض اقسام الجامعة الامريكية التى تمور بعناصر وطنية فعالة ، داخل حزب التجمع ، وفى اتليية القاهرة ، وندوة ثرية جرت عن تاريخ مصر بين المنهج العلمى والصراع الحزبى التى اقامها المعهد الهولندى ، للاثار المصرية والبحوث

العربية بالتعاون مع قسم التاريخ بجامعة القاهرة وقسم الدراسات العربية بجامعة امستردام والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وقد صدرت البحوث فى كتاب انيق نرجو ان تتمكن الجهات الاخرى من اصدار امثاله حتى تعم الفائدة خارج قاعات المؤتمرات .

## مسرح

### « الدكتور زعتر » و .. « مدرسة العساكر »

● فى وقت واحد تعرض بالقاهرة مسرحيتان تناقشان نظام الحكم فى العالم الثالث وتعصفان معا بكل رؤية ثورية تحلم لصالح ومستقبل بلادها ، لان مآل هذه الرؤى هو مستنقع الحكم الفردى والديكتاتورية ( !! ) وهما ايضا يدينان الحكم العسكرى او المطلق الذى يتخفى وراء نظرية براقة ، ظاهرها الرحمة وباطنها فيه العذاب .

المسرحية الاولى هى « مدرسة العساكر » المأخوذه عن نص على سالم « بكالوريوس فى حكم الشعوب» ومن اخراج ناصر عبد المنعم،وعرضت على مسرح السامر من انتاج الثقافة الجماهيرية ، والثانية هى «الدكتور زعتر » التى كتبها يسرى الجندى واخرجها السيد راضى وعرضت على مسرح الحكيم من انتاج المسرح الكوميدى .

وقضية الحكم من اهم القضايا التى شغلت كتاب المسرح المصرى وقد تجدها بين ثنايا افكار عادية منذ ازدهار الستينيات وحتى الان : وموضوعات اجتماعية ، ولكنها غالبا تتخفى وراء التاريخ او الفانتازيا او التراث ، وقد تجد ان معظم الكتاب الذين تناولوا هذه القضية يضعون فترة حكم عبد الناصر نصب اعينهم وهم يكتبون ، فتجدهم يلفون ويدورون حولها ـ بوعى أو بدون ـ من أجل ممارسة لعبة تمزيق الثياب ، ومعاقبة الذات ، والبكاء على الحلم المجهض الذى عاشوه وخاض معظمهم فى لجته فى يونيو ١٩٦٧ .

فى هاتين المسرحيتين يعالج المؤلفان هذه القضية بأسلوب واحد هو الكوميديا الخيالية ..

فى الاولى يحكم المدينة الخيالية طالب فى الصف الاول الثانوى العسكرى ، بعد نجاحه فى القيام بانقلاب عسكرى مع زملائه الطلبة ، ولان السلطة مفسدة ، فانه يبقى هو وحده المنزه عن الغرض ، الخيالى الحالم بيوتوبيا لا يستطيع تحقيقها ، وهو حين يلتحق بالاكاديمية التى سيتخرج فيها حاكما معترفا به دوليا (!!) يكتشف حجم المؤامرات التى تدبر من اجل السيطرة على مدينته المتخلفة ومن يدور فى فلكها ، فيحذر فى النهاية من ان الديمقراطية لا تصنعها المعاهد او حسن النوايا ، ولكن تصنعها الشعوب ، وذلك بان تصر عليها وتموت من اجلها ، وهى مقولات جميلة وعظيمة غاصت بها المسرحية ضمن خطب وآراء تترى من كل جانب وفى كل لحظة .

وفى الثانية دكتور فى الاقتصاد يؤمن بنظرية الاقتصاد الحر ولكنه حين ينغمس فى الواقع يرتد على عقبيه فيطلق افكاره ويحرر نظرياته من اجل الحياة فى ( خرابة الحرية ) هكذا سماها ـ فيرتدى مع اتباعه ملابس من الخيش ! ولا يأكلون اللحم!

ولا يستحمون ! ولا يتعاملون بالمال ، في تناقض صارخ مع ما كان يؤمن به وحين تريد مدينة خيالية ـ كذا ـ هي ( هالى بالى ) أن تستعين باستاذ الاقتصاد ومجموعته ليطبق نظرية ( خرابة الحرية ) من اجل انقاذ ( هالى بالى ) من الفساد ، وحين يبدا الحكم يتحول اتباعه بواسطة رجال السلطة حوله الى فاسدين ، فيجد الدكتور زعتر نفسه وحيدا ، فيتحول الى طاغية يصدر احكاما مضحكة ونجده ـ هو بنفسهمعيطانته ـ يحذرنا فجاة من الانسياق وراء داء (الزعترة) مثلما حذرنا د • يوسف ادريس من المخططين ، او من التقولب داخل نظرية خاصة ، وان نتنبه من محاولات اى حاكم ديكتاتور يفرض علينا نظرية ••• الخ •

وفي هذا السياق كانت تدور معظم المسرحيات التي تعاملت مع قضية الحكم والديمقراطية ، حول قيمة الحاكم الفرد النزيه ، والحاشية الساقطة الشريرة المنجرفة وراء نذوات السلطة ، وقد يبدو في العرض الاول تخصيص بادانة الانظمة العسكرية عن العرض الثاني الذى يبحث في نظريات الحكم المختلفة ولكنهما يتفقان في الاطاحة باناشيد الاحلام الثورية والحذر من الوقوع او الانجراف الى تغيير مجهول المصير ، وذلك تحت دعاو موضوعية مفادها خبرة وتجربة الشعوب التي ستقع في المحظور القدرى الذى لا فكاك منه وهو : براثن العسكريين التي تستلب بالتالي ارادتهم ، اذ ليس في الامكان أبدع مما كان •

وقد لا يعني المؤلفان هذا الاجحاف، وقد تكون افكارهما المعروفة عنهما اعمق واشمل واعم،ولكن مسرحيتيهما هاتين لاتشيان باكثر من هذا •

وجاء الانتاج فقيرا بالنسبة للمسرحية الاولى اذا قورن بانتاج المسرحية الثانية باهظ التكاليف ، مما اثر بلا شك على كل ما يتصل بالعملية الابداعية ذاتها وعلى خروج العرض للنور •

كان اخراج ناصر عبد المنعم للعرض الاول بسيطا للغاية ، وتحددت مفرداته الاخراجية داخل هذه الرؤية فلم يعتمد على حيل او ابهار او حركة معقدة ، ففي نص كهذا تصبح الكلمة هي الاقوى ، ولكن هذا كان فاضحا في مجمله لرؤية النص التي انساقت وراء الفكرة البراقة والخيال الجامح ،اكثر من مناقشتها للجوانب الموضوعية التي يفرزها اى واقع متخلف ، ومما جرد المخرج من اهم قدراته التكنيكية ، ولكن هكذا هي رؤيته التي اختارها بمحض ارادته ، وقد خانه التوفيق في الاستعانة بمصمم مناظر وملابس مبتكر وخلاق فاضفى ذلك على العرض احساسا بعدم الاكتمال ، ناهيك عن الامكانيات الضعيفة في الموسيقى والمؤثراتوالممثلين الذين سعىمعظمهم للكلفة ومحاولات الاضحاك المفتعلة •

اما عرض « دكتور زعتر » فقد حشد له مخرجه العديد من النجوم وملا العرض بوصلات من الغناء والرقص الشرقي والاستعراضات والافيهات والديكورات الباهرة ، وبكل مشهيات المسرح التجارى الذى يتفنن في الاساليب التي تداعب غرائز الجمهور ، وهو اتجاه ينمو في اطراد ويوشك ان ياتي على البقية الباقية من العروض القليلة الجادة التي يتبناها احيانا مسرح الدولة ، وقد اتى ذلك على كل افكار المؤلف فلم يستطع احد تبين ماذا يريد ان يقول بالتحديد ، وهي نتيجة متوقعة وخير دهان على صدق المقولة التي تقول ان المخرج المسرحي الخلاق هو الذى

يقف وراء النص المسرحي لكي يبرزه لا يبرز هو من خلاله او يركب فوقه !

وقد تجد اقبالا جماهيريا على هذه النوعية من العروض ، ولكن عليك ان تعرف من هو هذا الجمهور الذى يرتاد هذه المسارح التى تنافس العروض التجارية حتى في اسعار تذاكرها ، والمؤلف نفسه يطرح تساؤلا فى نشرة عرض المسرحية يقول « اذا كانت هناك متغيرات لا مفر من مواجهتها ، الا يفرض هذا على المسرحيين ان يعيدوا النظر فى ادواتهم وفى علاقاتهم بالجمهور العريض لصالح هذه المواجهة » وحين تخرج من عرض به هذا التسطيح المخل والنكات اللفظية والجنسية وبه هذه المبتذلات والادران ، فلابد انك سترفض اعادة النظر تحت ضوء كل هذا ، بل قد تندم على حسن النوايا الذى دفعك لاضاعة كل هذا الوقت ·

محمد الشربينى

## كتاب جديد

● نقد

### قراءة تحليلية فى «هماميل» مصطفى نصر

حركة نشطة تدب بقوة وحيوية فى ارجاء العمل منذ بدايته وحتى نهايته · وكما ان للحركة فى علم الهندسة قوانين ولعلاقتها بالزمن قوانين اخرى ، فان للحركة فى فن الادب الروائى ولعلاقتها بالزمن قوانينها هى الاخرى · غير ان القوانين العلمية ثابتة لا تتغير ، اما قوانين العمل الفنى فهى نابعة من العمل نفسه وهى من صنع الكاتب الفنان وحده لا يشاركه فيه مخلوق آخر ·

ولمصطفى نصر بصمة خاصة تميز جميع اعماله التى قراتها كاملة حتى من قبل طباعتها ، واولى علامات تلك البصمة هي جوهر العمل ودلالته وايماءاته وكل ما يحمل من معنى لا يعبر عنه الا الحدث وحده · الحمل كله على كتفى الحدث · الكاتب لا يتدخل · قليلا ما يروى ، نادرا ما يدع لنا فرصة للتامل · حتى ما بين السطور لا يشف عنه سوى الحدث · احيانا ارى فى هذا التكنيك ميزة فنية واحيانا ارفضها وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ولكنه قانون الرواية عند الكاتب وهو الشىء الذى لا ينبغى ان نتجاوز حدوده اذا شئنا التعرض للعمل · علامة اخرى من علامات قانون مصطفى نصر الروائى الذى وضع بصمته ، هى الافراط فى العلاقات الجنسية المشروعة احيانا وغير المشروعة فى معظم الاحيان · لكننا نجد مصطفى نصر يغير قانونه فى رواية الهماميل فيما يتعلق بهذه الظاهرة التي تسود رواياته السابقة : الصعود فوق جدار أملس ، الجهيني، جبل ناعسة ، اذ نجده يلتزم الحذر هذه المرة فلا يستخدم الجنس بلا داع، وكانما أراد مصطفى نصر ونجح فى أن يريد التخلص من قانون سيىء السمعة ارتبط به فى زمن سابق · علامة ثالثة نلحظها فى اعمال مصطفى نصر هى الولع الشديد بالاحياء الشعبية ·· وحياة الطبقات الكادحة، وحشد العمل بالكثير من اسماء يمكن الاستغناء عن بعضها على اقل تقدير · معلم اخر من معالم الرواية عند مصطفى نصر نلمسه فى الواقعية الشديدة الالتصاق بالارض والافراد والحدث بعيدا عن النظرة الكونية الشاملة التى تصل بين الحياة والموت وبين الدنيا والاخرة وبين الخالق والمخلوق وبين الطبيعة وما وراء

الطبيعة بوجه عام • واخيرا فان الشكل العام الذى يميل اليه فى بنيان الرواية هو اللجوء الى تقسيم العمل الى فصول تحمل عناوين باسماء ابطال الحدث مثلما فعل نجيب محفوظ فى ميرامار اولا ثم تلاها باعمال اخرى عديدة متشابهة •• تلك هى المواد الاساسية المكونة للقانون الروائى العام لمصطفى نصر ، كما اراها بعين مبدع تاملية لابعين ناقد ودون الارتباط برؤية اخرى قد تكون صوابا وقد لا تكون •

فاذا نظرنا الى الهماميل مسترشدين بقانونها الخاص كما هو المفروض ان تكون النظرة فاننا نواجه صراعا وحشيا بين الماضى البعيد متمثلا فى عصر السلطان حسين والماضى القريب متمثلا فى عصر بدايات الثورة والذى يمكن بالتجاوز ان نعتبره حاضرا •

ويتمثل هذا الصراع فى الصدام بين صالح بتاريخه وتاريخ ابيه المشرف من جهة وبين ابى الوفا بتاريخه وتاريخ ابيه واخيه غير المشرف من جهة اخرى ، فلكل حاضر جذوره الماضية ، فاذا كان صالح يمثل عنصر الخير بفرعه ( صالح ) ، وجذره ( مجاهد خادم مصر ) فان ابا الوفا يمثل عنصر الشر بفرعه ( ابو الوفا ) وجذريه ( ابو زيد خادم الانجليز ، وحسنين خادم الاقطاع ) اقطاب الحاضر : هم صالح وابو الوفا وصفية وامينة ويسرى وملك واقطاب الماضى هم مجاهد وعلى منصور وسنية شكرى وابو زيد وحسنين والباشا وعزيزة وحمدى شعراوى واحمد طايل واحمد صابر ، اى ان نسبة الماضى الى الحاضر ممثلة فى عدد الشخصيات هى ٢ : ١ ، وهذا لا يعيب العمل فى شىء مادام الماضى ذا صلة عضوية وثيقة بالحاضر وهذا ما نجح فيه الكاتب مستخدما تكنيك التارجح بين الزمنين ، ولقد كنت اتوقع بمنطق قانون الكاتب نفسه أن تكون بطولة الماضى مركزة على مجاهد باعتباره الجذر أو الاصل الذى نشا منه صالح ( الممثل للحاضر ) مادام تاريخهما المشترك يمثل الشرف والوطنية ، والانتماء الى القيم النبيلة • لكنى فوجئت بحمدى شعراوى ينتزع البطولة من مجاهد لحيز كبير من العمل ثم فوجئت مرة اخرى بانحراف هذا الشعراوى عن خط التاريخ المشرف الذى يمثل اسرة صالح وذلك بسقوطه فى بالوعة الخيانة • ورغم براعة مصطفى نصر فى تصوير الحالة الشعورية لمعاناة حمدى شعراوى قبل سقوطه فانه قد خالف ـ من وجهة نظرى ـ قانونه الروائى مرتين : الاولى عند انتزاعه البطولة ممن يستحقها واعطائها لمن لا يستحقها ، والثانية عند سقوط البطل الذى اختاره ، ولعله خشى ان يلصق تلك النهاية بمجاهد الذى تقتضى طبيعة الخطة الروائية ان يبقى وطنيا شريفا حتى نهاية العمل ، لكن هذا التبرير لا ينفى مخالفته لمنطق قانونه •

واذا عدنا الى التقسيم الشكلى للرواية الى فصول تحمل عناوين باسماء ابطالها الذين يروون الحدث من وجهة نظرهم سواء اكان الحدث متعلقا بهم او بغيرهم ، فاننا نجد محتويات بعض الفصول مروية بضمير الغائب احيانا دون ارتباط من جانب الراوى الذى عنون المؤلف الفصل باسمه واحيانا بضمير المتكلم والذى هو المؤلف نفسه اذ ان تفاصيل بعض هذه المحتويات لا علاقة

لها بالراوى الحقيقى وقد لا يعرف عنها شيئا بحكم طبيعة الاحداث . مثال ذلك ص ٥٤ الفصل بعنوان ابو زيد حسنين ، بينما الحدث على لسان ابى الوفا ( لان ابا زيد قد مات منذ زمن بعيد ) ويستمر الحدث حتى ص ٥٥ لتنتقل الى حيث « تنام ملك بجواره كملاك » مكتوبة على لسان المؤلف حتى نهاية الفصل . اذ لو كان الراوى هو ابو الوفا لقال من البداية « تنام ملك بجوارى كملاك » كما قال فى بداية الفصل « ابو زيد حسنين اخى » مثال اخر ، الاصل المعنون بسنية شكرى .. يبدأ بضمير الغائب ص ٥٩ عن حوار بين صالح وامه وينتهى ص ٦٦ عن حوار بينه وبين امينة ثم يتبعه بتدخل صريح ص ٦٢ موقع بكلمة « المؤلف » بعد سرد بعض الاحداث السياسية .

ان اهتمامى بشكل الرواية عند مصطفى نصر يفوق اهتمامى بمضمونها لاننى اكاد اتفق معه تماما فى صلب المضمون ، فواقعنا يؤكد منذ زمن بعيد ضراوة ووحشية الهجوم الذى يتعرض له كل اصحاب المبادىء والقيم، فلم يدهشنى ان يتنحى العمال بفصل صفية من جريدتها وصالح من شركته وبقائهما معا فى الفيلا فى انتظار المجهول ، كما اننى لست الوم الكاتب على ان يصل بالقطب الموجب للصراع الى هذه النهاية المأساوية كما يحلو للبعض ان يفعل كان يقول انها نهاية استسلامية متخاذلة ، لاننى اكرر ان هذا امر واقع وان كنا نسعى ولابد ان نسعى الى تغييره فى اعمالنا الادبية وبصفة خاصة نحن كتاب السبعينيات الذين عاصروا الملك والثورة والتاميم والوحدة والانفصال وحرب اليمن وعدوان ٥٦ ، ونكسة يونيو نصر اكتوبر وفضائح الانفتاح وكامب دافيد .. واحتلال لبنان وضرب المفاعل الذرى العراقى ومذابح صابرا وشاتيلا ، وهروب المليونيرات باموال مصر الى الخارج وحرب الخليج وحرب الحجارة وتخاذل العرب .

وفى عودة اخيرة الى الشكل الروائى عند مصطفى نصر اقول انه قد خالف قانونه اكثر من مرة ولكنه لا يحق لى ان انكر عليه هذه المخالفة فقانون الفن متجدد ومتطور وخلاق ومن حق الفنان ان يتمرد على فنه بخلق فن جديد يتفوق فيه على نفسه فالفن الحقيقى لا يعرف السكون . وهماميل مصطفى نصر رواية فنية تتميز بسرعة الحركة وتدفقها وتزاحمها فى بعض الاحيان ، وسيولتها فى احيان اخرى ولكنها فى النهاية رواية يلعب فيها الحدث دور البطولة المطلقة .

سعيد سالم

## مكتبة الهلال



الكتاب : الاقباط والقومية العربية
تاليف : ابو سيف يوسف
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية .
٢٣٦ص ،٥ دولارات او مايعادلها .

يقوم ابو سيف يوسف هنا بمحاولة غير مسبوقة من زاوية ان التاريخ الاجتماعى لقضية تكوين مصر العربية لم يكتب بعد بالشكل المرضى ، وهى محاولة لان الكاتب نفسه يقرر بانها مهمة تخرج عن نطاق اى جهد فردى خاصة ان القرون الخمسة الاولى للهجرة كانت محل اجتزاء او انتقاء ، او ضحية نظرات ومناهج مثالية فى فهم التاريخ لا يدخل فى حسبانها أن عملية تكوين مصر العربية هى عملية موضوعية ، وهى بالتالى مستقلةعن ارادة الافرادكما انلها جدليتها الخاصة ، بالاضافة الى ان اهمال الاسس الموضوعية لتكوين مصر العربية انما يؤدى عمليا الى اسقاط الركائز الرئيسية والتاريخية التى قامت عليها وتولدت فى اطارها صيرورة التكامل بين اهل مصر ، مسلميهم واقباطهم .

وتبين الدراسة فى جزء هام منا ارتباط القبط بالنسق الثقافى العام لمجتمعهم الاكبر ، وذلك على الرغم من حدوث متغيرات تمثلت فى التراجع العام للحضارة العربية الاسلامية ، وقيام حكم سلالات اجنبية غير عربية ، فيقدر الكاتب انه وان حاقت بالقبط شدائد فى بعض العهود الا ان هذا لم يؤد تهميشهم او عزلهم ، بالاضافة الى انالكنيسة المصرية قاومت منذ القرن الثانى عشر كل المحاولات الاجنبية لتحويل ولاءات القبط والمؤسسة الدينية ككنائس عربية او دولا اجنبية .



الكتاب :كتاب حرف ال (( ح ))
تاليف : بدر الديب
الناشر : دارالمستقبل العربى
٩٦ ص ، ٣ ج م .

هذه النصوص التى تقف فى مفترق الطرق بين القصة والقصيدة ، والانطباع والدرس ، والتى يفضل المؤلف وصفها بانها حرف « ليس بكتاب او موضوع او قصةاو شعر او حدث» هذه النصوص كتبت عام ٤٨ عندما كان بدر الديب فى الثانية والعشرين من عمره ، شابا مصريا عربيا افريقيا تحيطه فواجع حضارة القرن دون ان تكون له حماية الا من انسانيته المجردة ، اراد هذا الشاب ـ بكل بدنه وبكل ما فيه من حياة مختزنة فى لحظة وجوده الفردى ان يخرج من هذا الخضم المتساقط بشىء ممسوك .

هى اذن تجاربمختلفة يسعى كاتبها للوصل الى اسلوب لا ينتمى الى القوالب السائدة فى وقته ، وكانه يمسك بالوجود الحى ، فيه عودة الى اللحظات السحرية الغامضة لبداية الخلق على انها نقطة البداية للمعرفة والتعبير .

نصوص جميلة تاخذ بشغاف القلب ، وتستحق التناول بشكل اكثر استفاضة من قبل النقاد



**الكتاب : ثرثرة على مائدة الجن**
**تاليف : فتحي سعيد**
**الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب**
**١١٦ ص ، ١٠٠ قرش**

منذ فترة ودارسو الشعر الحديث ونقاده يقولون بازمة تتخبط فيها القصيدة الغنائية الحديثة ، ومن ناحية التنظير يؤكدون ان خروج القصيدة العربية من هذه الازمة يمر عبر عدة طرق ، يشيرون في الغالب الى ما يقولون انه اهمها وهو طريق القصيدة الدرامية ذات الابعاد المتعددة والاصوات المختلفة ، التي تقوم على طريق الدراما بمعناها الحركي المعارض للثبات والاستاتيكية ، وعلى هذا الطريق غير هذه القصيدة الطويلة الواحدة ، التي يؤكد الشاعر انها حلقة اولى من ثلاثية دراميـة طويلة نحن ننتظر جزءيها التاليين حتى تكتمل المحاولة وتتضح ابعادها .

وفي هذه القصيدة الجديدة تتضح معالم الشاعر فتحي سعيد وميزاته التي ينفرد بها كصوت ناضج من اصوات الشعر العربي الحديث .



**الكتاب : توفيق الحكيم**
**تاليف : نبيل فرج**
**الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب**
**٩٦ ص ، ٢٥ ق . م**

يضم هذا الكتاب الصغير مجموعة مقالات كتبها المؤلف اثناء حياة الحكيم ونشرها متفرقة في عدة منابر ، وقد احسن بجمعها لانها تبين القسمات الاساسية ، او المحطات الرئيسية التي اثار الحكيم بها عدة قضايا ان يكن في مجال ما اسماه باللغة الوسطى ، أو الثالثة او نظرية التعادلية ، او دور المسرح في المجتمع ، وهو على اي حال تناول اعمال الحكيم وما اثاره في حياتنا الثقافية بكثير من الموضوعية وعدم التحيز ، لذلك فانه يعد واحدا من الكتب القليلة التي كتبت عن الحكيم واتجهت الى منحى عاقل غير مبالغ في اي من الاتجاهين المضاد او المتحيز للحكيم

ويضم الكتاب ايضا مقالا مجهولا كتبه توفيق الحكيم ونشره منذ اكثر من نصف قرن ، ولكنه لم يضمه الى اي من مؤلفاته ، ربما لدعوته الجريئة المطالبة بتجديد اللغة العربية بشكل جذري ، وربما لانه عاد فراجع عما جاء بهـا من اراء .. لذلك فقد قدم نبيل فرج بنشر هذه المقالة خدمة كبيرة لقراء الحكيم .

في الذكرى المئوية لميلاد طه حسين

# ورقة منسوبة إلى طه حسين

بقلم: د. محمد حسن الزيات

**يحرص الاستاذ الدكتور محمد حسن الزيات كاتب (( ما بعد الايام )) على البحث المستمر في اوراق الدكتور طه حسين عميد الادب العربي ، والتي تركها بعد وفاته وهذه واحدة من اوراق العميد بعنوان (( انا )) ، يشير الى انها كتبت بخط غير معروف ، وعباراتها طويلة ، والفاظها حوشية .. نقدمها لقارىء (( الهلال )) في ذكرى ميلاد طه حسين المئوية .**



● انا ...

ان كان حقا ان بعض الناس يعرفون انفسهم معرفة تتيح لهم ان يتحدثوا فيسرفوا او يوجزوا في الحديث عن انفسهم تلك التي يعرفونها او يزعمون انهم يعرفونها ، فانني لا يضيرني ان اعترف بانني لست اعرف نفسي ..

ولكني أعرف في نفسي الى ذلك خلالا قد يعرفها بعض الناس وقد ينكرونها ، اعرف فيها انها نفس مؤمنة لا يزلها عن ايمانها ان تكون على راى والناس جميعا على راى ، لان ايمانها ايمان القلب والعقل جميعا .

وأعرف فيها التصميم حين تريد ، لا ينحرف بها عن الغاية التى تريدها ان تتكاءدها عقبة من العقاب لانها لا تريد حين تريد الا مؤمنة ايمان القلب والعقل والضمير ...

واعرف فيها الصبر على باساء الحياة ونعمائها جميعا ،

فما تعرف الياس حين يدلهم الخطب ولا البطر حين تنبسط ظلال النعمة ، لان بؤس الحياة ونعماءها اعراض تزول على هذا الايمان ، وهذا التصميم ، وهذا الصبر ، مضيت فى الحياة منذ كنت ، فما انكرت مرة عاقبة من عواقب

امر مضيت فيه .. واغلب الظن اننى سأمضى على ذلك ما بقى من حياتى ، حتى يتحقق لى او يتحقق للذين يشهدون عاقبة امرنا كله بعد ان نصير ذكرى فى ضمائر الاجيال المستقبلة ، أن الايمان ، والتصميم ، والصبر ، هى الحياة ، الحياة التى تحقق معنى وجود الانسان الحى الممتد بآثاره فى الانسانية الباقية . . .

طه حسين

بين أوراق المرحوم العميد الدكتور طه حسين ورقة محررة بخط غير معروف لى ، عنوانها كلمة ( أنا ) والتوقيع عليها هو ( طه حسين ) ورغم هذا التوقيع فاننى لا أعتقد انها من املاء العميد الفقيد ، فان عباراتها طويلة بالغة الطول ، بطيئة ثقيلة الحركة ، فيها من الالفاظ لفظ مثل ( تتكاءدها ) ولم يكن العميد ليستعمل مثل هذا اللفظ الوحشى الغريب ، وأخيرا فان كاتب هذه الورقة ( كما يتبين من صورتها التى تنشر الى جانب هذه الكلمات ) كان مترددا يثبت من العبارات ما يعدل عنه فيمحوه ليثبت سواه ، وقد كان طه حسين يملى فيطيل لا يتردد فى املائه الصفحات الطوال .

هذه الورقة اذن ليست من آثار طه حسين ، ولست أدرى ـ على التحقيق ـ من هو كاتبها ، ولا لماذا كتبها ولماذا أعطاها للاستاذ العميد ، الذى حفظها بين أوراقه ولا لماذا حفظها العميد ، ولكن الورقة تتحدث عن صفات ثلاث لطه حسين وهى حقيقة من أبرز صفاته ، لذلك فاننى أفترض أن هذه الورقة محاولة للاجابة على سؤال لعل بعض الكتاب أو بعض الصحفيين قد طرحه على طه حسين ، يسأل عن أهم ما يرى لنفسه من صفات وأن طه حسين قد اكتفى بأن ذكر الصفات الثلاث ( وهى الايمان والتصميم والصبر ) فحاول كاتب الورقة أن يقرر ذلك على لسان طه حسين وفى صيغة المتكلم ، ولكن طه حسين ـ الذى لم يوقع أبدا غير ما كان يمليه بنفسه ـ أهمل الورقة فيما يظهر فلم تستعمل .

الايمان والتصميم والصبر هى الصفات التى تقول الورقة ـ على لسان طه حسين ـ أنها أبرز صفاته ، وهى كذلك .

لقد كان الايمان أبرز هذه الصفات ، وبغير هذه الصفة ما كان من الممكن أن يشق طريقه فى الحياة صعودا الى أعلى القمم وثباتا عليها ، الايمان بالله عز وجل ايمانا عميقا صادقا ، يستلهمه الرحمة والعون ، ويثق بأنه هو الرحيم المعين ، يستلهمه الرشاد ويستهديه الطريق المستقيم ، الايمان بالوطن ، مصر



د . طه حسين

وبالعالم الاسلامي ، واثقا انهما جديران بأن يضيفا من جديد الى ما قدما في الماضي لحضارة الانسان ، الايمان بشعبه في مصر وبشعوب العرب ، بالصفوة والعامة في هذه الشعوب ، الايمان بأن شعب مصر وشعوب العرب ستنتزع حقوقها من يد الظالمين لها من خارج بلادها ومن داخلها . وبأن الصفوة قادرة على أن تحتل من جديد مكانها بين مفكري العالم وطلاب الاصلاح والتقدم فيه ، في جيلنا الحاضر وأجيالنا القادمة ، وأخيرا الايمان بالنفس ، ايمانا هو ايمان الشاعر القديم :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ثم التصميم ، الذي حصل بفضله من العلم ما حصله ، وأن ينجز من العمل ما انجزه ، في الصحافة وفي الجامعة وفي الوزارة وفي المجمع ، والذي تحدى به الفقر والجهل وما امتحنه الله به من المعوقات ، نهزمها جميعا ، التصميم الذي واصل به طه حسين السير والسرى من قريته الصغيرة في صعيد مصر الى أعلى منابر العلم وأوسع ساحات العمل فيعيش حياته طالبا للعلم جادا للعمل فاذا حل الاجل بقي ذكره يتردد في اقطار العالم المتباعدة ، تترجم فيها مؤلفاته وتستلهم سيرته وينتفع الناس فيها بما ألقته حياته عليهم من دروس .

وأخيرا تجيء الصفة الثالثة وهي الصبر ، وأي الناس صبر صبر طه حسين ، لقد صبر على فقد البصر ، وصبر على خرافات الريف ، وصبر على جهل بعض المعلمين وصلفهم ، وصبر على الصديق يتخلى عن صداقته ، وعلى الزميل يتنكر لواجبات زمالة ، وصبر على التلميذ العاق لعلمه ، وصبر على من أستهدفوا أن يصيبوه في نفسه وفي عرضه بما يكره ، صبر على من لم يكونوا يعملون ، وكان يؤذي نفوسهم أن يكون هو من العالين العاملين .

الايمان والتصميم والصبر ، تلك صفات ثلاث سجلها للاستاذ العميد من سجلها في هذه الورقة التي رأيت نشرها على الناس ، والورقة - فيما اقطع به - ليست من املاء طه حسين، ولكن الصفات هي صفاته ، اهتدى بنورها في حياته وود قطعا لو اهتدى بها من بعده طلابه وطلاب طلابه ، في مدارس العلم ومعاهده ، والملايين من مواطنيه في جيله وفي الاجيال التي تخلفه ، في كل ميادين الحياة ، في مصر - وطنه الذي امتلأ قلبه بحبه - وفي ارجاء عالمه العربي الذي آمن اعمق ايمان بضرورة تكامله وتسانده وتضامنه ، والذي آمن بأنه سيصل حتما الى أهدافه وسيحقق بالتأكيد كل آماله ان هو آمن ، وصمم ، وصبر .

ميشيل بيتور

# هل انتهى عصر... الرواية الجديدة؟

بقلم : محمود قاسم

**تنبع اهمية المدارس التجريبية التى ظهرت فى القرن العشرين ، ليس فقط فى الشكل الجديد الذى حاولت من خلاله تحطيم (( التابو )) المرتبط بالمألوف فى كافة مجالات الفنون والحياة بل فى ان ظهور هذه المدارس قد ارتبط بعمليات تنظير مستمرة لكافة الاشكال الجديدة. من الراوية والتكعيبية والسريالية وغيرها فى الفن التشكيلى الى العبث فى المسرح والرواية الجديدة والموجة الجديدة فى السينما ثم المدرسة السريالية فى الشعر ..**

وفى الرواية الجديدة ، بصفة خاصة حاول تلاميذها تنظير أدبهم وتقديم ابحاث بالغة الاهمية حول الاشكال والصياغات التى قاموا باختيارها لادبهم .. وراح العديد منهم يكتب فى نظريات الشكل الجديد وتحطيم قواعد الدراما الارسطية .. وقد عرفنا فى عالمنا العربى كتب النقد والابحاث المتعلقة بالرواية الجديدة قبل أن نقرأ رواية واحدة لكل من كلود سيمون والان روب جرييه وميشيل بيتور وروبيربنجيه ومرجريت دوراس وآخرين .. فكان كتاب « نحو رواية جديدة » لجرييه أسبق الترجمات القليلة للروايات التى تنتمى الى هذا الادب ..

ولعلنا لا ننسى أن الرواية الجديدة اصبحت « تقليعة ادبية » تحت تأثير القراءة عنها . فرأينا العديد من الكتاب العرب — وخاصة فى مصر — ينهجون نفس خط الرواية الجديدة من واقع قراءاتهم لمقالات وكتب التنظير .. ولكن هؤلاء الكتاب صدموا فى هذه التجربة حين تمت ترجمة روايات لمرجريت دوراس مثل « موديرانتو كانتبيل » — و « وجين » لا لان روب جرييه — فى العراق — و « الريح » لكلود سيمون — روايات الهلال — وغيرها من الروايات التى لا تتجاوز عدد الاصابع .

وبينما نحن نبحث عن هوية الاشياء من شكلها الخارجى . كان اصحاب



ناتالي ساروت

هذه المدرسة يسعون قدر الامكان لتعميق وتأصيل نظرياتهم .. فراحوا ينشئون جوائز ادبية لا تمنح الا لهذا النوع فقط من الرواية .. وتعاونوا مع اكاديمية ميدتشى لمنح جائزة سنوية لها نفس الاهمية التى تكتسبها جوائز أخرى مثل جونكور وفيمينا . وراحوا ايضا يوسعون دائرة قراء هذا الاتجاه بكسب جمهور جديد . فاتجه بعضهم الى كتابة السيناريو السينمائى .. وما لبث لهذا البعض أنه اتجه الى الاخراج وكانت كل تجاربهم السينمائية محصورة فى حدود الرواية الجديدة .. فأصبحت المدرسة ظاهرة سينمائية انتقلت من فرنسا الى دول اخرى قريبة مثلما حدث فى المجر والمانيا واسبانيا وايطاليا .. ومن ابرز من عمل فى هذا المجال : الان روب جرييه ومرجريت دوراس التى اخرجت للمسرح والسينما على السواء نصوصا تنتمى جميعها الى « الرواية الجديدة » .



ميشيل بوتور

ورغم ان كتاب هذه الرواية اوفياء لمدرستهم . يدافعون عنها ويقومون بالتنظير لشكلها ومضمونها . فانه لا يمكن القول ان كل ما يكتبونه من الرواية الجديدة . خاصة فى اعمالهم الاخيرة . فقد أدهشت مرجريت دوراس قراءها منذ ثلاثة اعوام عندما قدمت روايتها «العاشق» مؤكدة انها يمكن أن تكتب الرواية التقليدية بحنكة أشد مما يفعل كاتب « البست سللرز » فى الولايات المتحدة فحققت أعلى المبيعات طوال عام كامل بعد أن فازت بجائزة جونكور . أما روب جرييه فقد اكد انه لا يقل « شطارة » عن زميلته مع روايته

ميشيل بيتور

« جن » التى تصور حكاية رجل يبحث عن فتاة يحبها ويتصور أنها أرسلت فى أعقابه بعض الجواسيس لمتابعة سلوكه .

أما ميشيل بيتور ، الذى ألقى بعض المحاضرات عن الرواية الجديدة فى القاهرة فى شهر فبراير الماضى ، فهو لم يقدم ابداعا روائيا جديدا منذ فترة طويلة . وكان اخر ما نشر فى عام ١٩٨٣ هو الجزء الخامس من كتابه « المهرس » وبمناسبة صدور هذا الكتاب أدلى بحديث لمجلة نوفيل أوبسرفاتور — ١١ مارس ٨٣ — قال فيه : « أمل دائما أن يقرأنى الناس بمشاعر بسيطة كالمراهقين عندما يكتشفون الامور الجسام . وان يفهمونى افضل مما أفهم نفسى »

وليس هذا التعليق هو محاولة من الكاتب بالاتجاه نحو التقليد والتبسيط .. ولكنه احساس بأن الرواية الجديدة لم تكسب الجمهور المراد له . نتيجة لصعوبة فهمها .. خاصة ان اعمال بيتور هى أبسط من تلك التى كتبها زملاؤه فى نفس المدرسة وخاصة كلود سيمون وناتالى ساروت .

ورغم ذلك فان بيتور هو أحد الذين قاموا بتنظير هذا النوع من الادب فى مؤلفات عديدة وفى انصاف الكاتب نشر الباحث جرمان بريه فى كتابه « الادب الفرنسى » انه روائى . وباحث . وناقد ومنظر .. وقد ساعده على ذلك تعمقه بشكل مكثف فى أغوار اللغة الفرنسية . فراح يكتشف مداخلها ومعانيها المتعددة .. وراح يستفيد منها فى ابداعه .. وساعده على ذلك دراسته المبكرة فى مدارس الجيزويت ثم فى السوربون . ورغم ان بيتور درس الفلسفة وحصل على دراسات عليا فى علوم الرياضة . فان رحلته الى المانيا ومانشستر وسالونيك كانت لتعليم اللغة الفرنسية واكتشاف معان جديدة لها ..

ولم تكن روايات بيتور الاولى تنتمى بشكل عام الى الرواية الجديدة . مثل روايته « ممر ميلانو » عام ١٩٥٤ . و « استخدام الزمن » التى حصلت على جائزة فينون عام ١٩٥٦ . كما حازت روايته « التحول » على جائزة رينودو عام ١٩٥٧ . وفى عام ١٩٦١ حصل على الجائزة الكبرى للنقد الادبى عن الجزء الاول من كتابه « الفهرس » . وبمتابعة حياة وعطاء بيتور نجد ان اغلب كتبه تنتمى الى الدراسات النقدية منها الى الابداع الادبى بخلاف الكثير من ادباء هذه المدرسة . كما نوع المجالات التى كتب منها مثل كتابه « رسومات » حول الفن التشكيلى . وكتاب اخر حول الصوتيات .

وقد اتفق ظهور الاشكال التجريبية فى مختلف الفنون والادب مع طبيعة بيتور كانسان .. فهو منذ طفولته يميل الى التحرر من القيود الاجتماعية التى حوله . وكان مثلا يرفض الذهاب الى الامتحان لانه قيد عليه . لذا وجد أن الرواية هى الحل الشخصى لتمرده الدائم . ولكن الحل بدا له ، منذ محاولاته الاولى ، مرتبطا بمشاكل البناء فآمن انه من السهل استعمال بناءات قوية بشكل كاف شبيهة ببناءات هندسية او موسيقية ، وبتحريك بعض العناصر بالنسبة الى البعض الاخر بطريقة نظامية ، يمكن ادخال الطاقات الشعرية فى العمل الفنى .

ويقـــول بيير دى بوديفـــار فى موسوعة أنباء فرنسا أن بيتور مثل بدايته قد انطلق للبحث عن « شاعرية الرواية » بكل ما فى ذلك من معنى . فاستند الى معلمه جويس الذى كان له تأثير فعال عليه اكثر ممـا كان على ناتالى ساروت . فجويس هـو الذى علمه فن تنسيق رواية حـول بناء كثير الصلابة ، قادرة على ادارة الاشخاص وتنظيم الوقت الـــذى يتحركون فيه ، وقادرة أيضـا على تحريك جميع مصادر الذكاء فى سبيل تقليد مفاعيل الصدفة » .

وقد اتضح هذا التأثير فى رواية بيتور الاولى « ممر ميـلانو » حيث سعى لتقليد « عوليس » جويس .. حيث تدوراحداث الروايات فىساعات قليلة من نفس اليوم . وفى مـكان ضيق . ورواية بيتور عبـارة عن سبعة فصول يتحدث فى كل منها عما يدور فى احـد طوابـق عمارة يسكنها اقوام مختلفو المشـارب والطباع . ويدور كل فصل فى ساعة من النهار .. ومجمل ساعات الرواية السبع عبارة عن اسقاط لما يدور فى العمـارة من أعلى الى اسفل .

وفى روايته « استخدام الوقت » تغيرت الامور . فأصبح الحيز الـذى يتحرك فيه الاشخاص زمنيا من خلال شاب ينتقل فى المدينـة بين بعض الشقق التى يسكنها . وتنقسـم الرواية الى خمسة اقسام تتـلاءم مع مختلف فترات الاقامة . ولـكنها لا تتتابع بنظام زمنى . فالقسم الاول كتب فى شهر مايو ويروى حـوادث شهر اكتوبر . اما القسـم الثـانى فيقوم فيه الراوية بالحديث عن شهر يونيه . ويهتم الكاتب بتغيير اتجـاه حركة الزمن اكثر من مرة وكأن الزمن هو المنظم لشكل الكتاب .

أما روايته « التبديل » فهى محبوسة ايضا فى اطار منظور الكاتب للزمن والمكان معا . فالاحداث تـدور فى قطار يقطع المسافة بين باريس وروما كل ساعة تطابق منظرا طبيعيـــا مختلفا مع وضعيات جديدة فى عربة القطار حيث تصعد الاحداث وتهبـط مع مجرى الزمن .. وقد اتضـح شغف الكاتب بالعلاقة بين المكـان والزمان ــ وهى العلاقة التى ارقت كلا من بروست وفوكنر جـويس ــ فى بقية اعمال الكاتب . ففى روايتـه « درجات » يختار بيتور مدرسـة ثانوية كاطار يتوصل الى ان يطابق مفهومه لحيز المكان والزمن معـا . وكل ساعة من اسـتخدام الوقت مخصصـة لمادة دراسـية ومشـتركة فى نفس الفصل الدراسـى . حيث يمتزج الحاضر بالماضى لدى التلاميذ مما يشكل تداخلا معقـدا فى لعب العلاقات المعقدة بين الحاضر الماثل امام أعيننا . والماضى الذى انعدم . ولكنه لا يزال مجسدا فى الذاكرة .

ويؤمن الباحث الفرنسى بيير دى بوديفار أن « بيتور » بـين جميع محترفى الرواية الجديدة هو الاكثر غنى فى هذه الايام ، وهذا لا يعنى انه الاكثر اكتمالا . فهو صاحب نسـق انشائى خاص ، وثقافة واسـعة ، ومطمح قليل الشمول ، وقد سـعى فى كتاباته الى محاولة استعادة جوهر الحياة والموت الغامض فى اوعيتـه الزجاجيـة ، واذا كان عنـده من الشجاعة ما يجعله يرضى بحـدوده ، فان مؤلف « عبقرية المكان » يسـتطيع ان يصبح الروائى الكبير الذى راه فيه سارتر من قبل » .

# العالم في سطور

## وارسو

● عمر الشريف
العرب خذلوني

رغم أن عمر الشريف قد قام بدور قصير فى فيلم « الممسوسون » للمخرج البولندى اندريه فايدا · فان الصحافة العالمية قد خصصت العديد من الصفحات للحديث عن هذا الدور الصغير الكبير·· الذى اثبت فيه عمر الشريف أنه ممثل من الطراز الاول ·· وذلك عكس ما قال بعض المخرجين أنه محدود الموهبة ··



« الممسوسون » هى احدى اشهر روايات دوستوفيسكى · وتدور أحداثها فى عام ١٨٧٠ من خلال مجموعة من الشباب المعدمين الذين يعودون الى روسيا بعد اقامة طويلة فى سويسرا ، ويحلمون بتحطيم أشكال عديدة من المجتمع التقليدى وقد كان لهذه الرواية سحر خاص لدى الكتاب والمخرجين · فقام البير كامى بصياغتها للمسرح · ويقـول عنها أندريه فايدا انه حلم باخراجها عندما قرأها لاول مرة منذ خمسة واربعين عاماً ·

والجـدير بالذكر أن حسام الدين مصطفى قد أخرج هذه الرواية عام ١٩٧٧ تحت عنوان « الشياطين » ·

يقول عمر الشريف ان فايدا أراد أن يغوص داخل النص الادبى · فكان يحضر مجموعة من النسخ ليوزعها على العاملين بالفيلم ليطالعوها · لانها افضل بكثير من السيناريو المكتوب للفيلم ·

من المعروف أن معهد العالم العربى بباريس قد قام بتكريم عمر الشريف فى الشهر الماضى وعرض له مجموعة من افلامه العربية والاجنبية · وقد أجرت معه مجلة « اليوم السابع » حديثا اكد فيه انه لم يذهب قط الى اسرائيل · رغم الضائقات المالية التى كان يمر بها ابان الضغوط التى دفعته للتمثيل فى فيلم «اشانتى»· وهاجم عمر الشريف المنتجين العرب الذين استعانوا بأنتونى كوين للعمل فى فيلمى « الرسالة » و « عمر المختار » دون أن يفكروا قط فى التعاون معه رغم كل ما كان يتعرض لـه من أزمات مادية · وضغوط صهيونية ·

## ولنجتـــــــــــــون

● أدب المنمنمات الصغيرة



كاترين مانسفيلد

تحتفل نيوز لندا هذه الايام بالذكرى المئوية لميلاد كاترين مانسفيلد أبرز كاتبات القصة القصيرة فى القرن العشرين على الاطلاق . وبهذه المناسبة صدرت مجموعة من الدراسات حول حياة الكاتبة وأدبها فى كل من ايطاليا وفرنسا ونيوزلندا .

وكاترين التى ولدت فى مدينة ولنجتون فى الرابع عشر من اكتوبر عام ١٨٨٨ . لم تعش طويلا رغم عطائها المميز . فقد ماتت باحدى مصحات الصدر الفرنسية وهى لم تتعد الخامسة والثلاثين . سكبت تجربتها الاليمة مع مرض السل فى العديد من رواياتها وقصصها القصيرة مثل كتابها «بنسيون المانى» . وهو عبارة عن مصحة تضم نماذج بشرية مختلفة أصابها المرض وهو قريب من قرية المانية معزولة عن العالم . وقد حبس كل من نزلائه نفسه فى «معزل» نفسى خاص به لا يتصل بالاخرين الا فى أضيق الحدود . وقد ابتكرت الكاتبة فى هذه الرواية شكلا جديدا لم يلبث أن أصبح موضة لكتاب اخرين من أبرزهم جون شتاينبك . ويتمثل هذا الشكل فى أن القارىء يمكنه قراءة الرواية على أنها مجموعة قصص قصيرة منفصلة تضمها فقط وحدة المكان .. أو وحدة الشخوص .

وكاترين مانسفيلد ـ كما قال احد النقاد ـ هى من الادباء الذين يهتمون بالدقائق الصغيرة فى حياة أبطالهم . مثل المراة التى تعكف طيلة وقتها على رتق بزة زوجها قبل ان يذهبا معا الى احدى السهرات العائلية . وقد سجلت مثل هذه الدقائق فى اعمالها القليلةالتى نشرت ابان حياتها ومنها «انا لا اتكلم الفرنسية» . و «بنات الكولونيل السابق» و «حديقة الحفل» ..

الجدير بالذكر أن الكثير من أدباء عصرها قد تاثروا جدا بأدبها وحاولوا السير على هواها . ومن أبرزهم : د . هـ . لورانس . وفرجينيا وولف ..

## باريس

### سافو : من الرولد .. الى ام كلثوم

سافو سى احدث مطربة عربية تغنى فوق خشبة مسرح الاوليمبيا بباريس . نفس المسرح الذى غنت فيه مطربة الشرق أم كلثوم منذ عشرين عاما .

وبهذه المناسبة أجرت مجلة لونوفيل أوبسرفاتور حوارا طويلا مع المطربة العربية قالت فيه : «ولدت فى المغرب . وهناك سمعت الموسيقى

المصرية . وهى التى تسيطر على الثقافة الاسلامية .. سمعت فيروز . وفريد الاطرش . وبالطبع أم كلثوم . وهى كبيرة مطربات العالم العربى ، وتقول سافو أن أم كلثوم كانت ظاهرة فنية عربية لم تحدث من قبل وانها قد حاولت السباحة فى صوتها بكل ما تمتلك من مقدرة ..

وتقول سافو أن الغناء العربى يحتاج دائما الى صوت واضح . ولذا فانها تركت موسيقى الجاز والروك وراحت تحفظ مجموعة معينة من الاغنيات العربية وتشدو بها .. وقد دفعها الى ذلك عندما سمعت أحد المطربين العرب المهاجرين الى امريكا اللاتينية يقوم بشدو اغنية « موعود » لعبد الحليم حافظ فى احدى الحفلات ففكرت انها يمكن ان تفعل ذلك فراحت تحفظ اغنيات أم كلثوم خاصة : « الاطلال » وسافرت الى بلدان عديدة تغنى بالعربية تارة والفرنسية تارة .. فغنت على مسارح الولايات المتحدة واليابان وشمال افريقيا وبعض دول اسكندنافيا . كما قامت بجولة فى بعض البلاد العربية .

وتتحدث سافو عن اسلوب عملها قائلة : « احفظ الاغنية بعد سماعها عشرات المرات سواء فى منزلى او سيارتى . ورغم صعوبة الحفظ . فان الموسيقى العربية سهلة وحساسة لذا فالاحساس بها قريب دائما » .

ترى سافو ان المشكلة التى تقابلها لدى الجمهور العربى . انه يقارن بين



سافو

ادائها واداء الفنانين العظماء التى تغنى لهم ومن الصعب عليه أن يقتنع بها .. لان هناك « بحة » غير عربية بادية فى صوتها نتيجة لاقامتها الطويلة خارج المغرب .

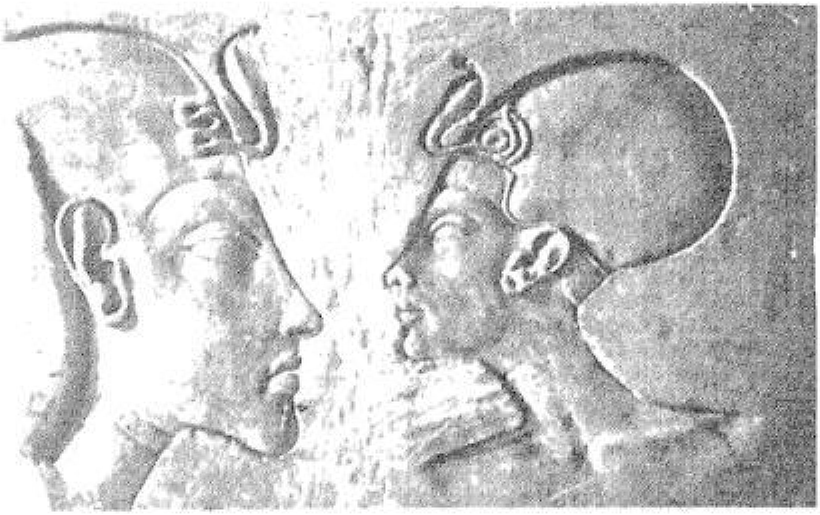
## شتوتجارت

### اوبرا اخناتون .. الفرعون الملون

لعلها المرة الاولى التى تعرض فيها اوبرا لتاريخ احد الفراعين كما هو مكتوب على ما تبقى من آثار مصر القديمة . وليس كما فى التخيلات والانفعالات التى تكتفى برغوة هذا التاريخ المجيد .

فموضوع هذه الاوبرا الاولى من نوعها ، انما يدور حول اخناتون ، هذا الفرعون الذى اراد ان يتحول بالمصريين من عبدة أوثان الى موحدين باله مجرد « آتون » فاذا بثورته هذه لا تمكث على الارض سوى سبعة عشر عاما بدءا من ١٣٧٥ الى ١٣٥٨ قبل الميلاد .

واذا بنهاية حزينة لها ، ولكل ما اتت به من جديد سواء فى السياسة أو الدين أو اللغة او الفن .



واذا بقوى الردة تعود أقوى ، موغلة فى التمسك بالقديم ، مسرفة فى مقت الجديد ، حتى وصل الامر بكهنة امون الى خلع لقب « مجرم اخيتاتون » على « اخناتون » ٠

ومن عجب ان الموسيقار الامريكى الموهوب « فيليب جلاس » قد اتم ابداعه لهذه الاوبرا فى يولية لعام ١٩٨٣ ٠

وان أول عرض عالمى لها كان فى الرابع والعشرين من مارس لعام ١٩٨٤ بمدينة شتوتجارت بالمانيا الاتحادية ، أى فى نفس الوقت الذى كان شادى عبد السلام يصارع الموت وقوى الظلام ابتغاء الخروج باطياف مشروع فيلمه « اخناتون » الى النور ٠

و « باخناتون » الموسيقار « جلاس » تكتمل ثلاثيته «اينشتاين على الشاطىء» و « ساتيا جراها » عن غاندى ٠

فرجل الدين « اخناتون » ورجل السياسة « غاندى » ورجل العلم « اينشتاين » ، كل واحد منهم فى راى « جلاس » قد ادخل على أفكار واحداث زمنية تغييرات ثورية ، وذلك بفضل رؤية تتفجر حيوية واندفاعا نحو المزيد من الفهم والعلم ٠

وأول فصول الاوبرا الثلاثة ، يبدا بموت امنحوتب الثالث ( روح آمون )

وفيه يقدم « جلاس » احدى الصور الرئيسية المتكررة فى الاوبرا ٠٠ الطقس الجنائزى المصرى ٠

ومن خلال وجودها المتكرر ، تصبح الجنازة هى الصورة التى بفضلها تتوحد الاوبرا ٠٠ الصورة التى تذكرنا بان الموت هو القاسم المشترك بيننا ، وان الافكار وحدها هى الانجازات التى لها صفة الدوام ٠

وينتهى الفصل باخناتون الذى توج فرعونا ، وهو يراقب جنازة والده تعبر الى ارض الموتى ٠

وهكذا ينتهى عصر « آمون » ويبدأ زمن « اخناتون » ( روح اتون ) ٠

ويصف الفصل الثانى كيف قاد فرعون الثورة ضد كهنة آمون ٠٠ كيف تخلص من تعدد الزوجات والمحظيات مكتفيا بشريكة حياته الساحرة الجمال « نفرتيتى » ٠٠ كيف انشأ « اخيتاتون » مدينة افق اتون تمجيدا لالهه الجديد ٠

أما الفصل الثالث والخاتمة الملحقة به فيعرضان لسقوط « اخناتون » وعودة العهد القديم ٠٠

يحتل اسم نيكارجوا الآن مكانا بارزا وثابتا في كل وسائل الاعلام العالمية ، في شتى الوانها ، صحافة وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية ، ويعود ذلك إلى انها تمثل إحدى المناطق المتفجرة في المنظور العالمي . وهي تواجه في صدق وعزم عدوان الولايات المتحدة على سيادتها ، رغم ان تعدادها دون المليونين من السكان . والنظام الذى يقود حركة التحرر هناك يصف نفسه بانه « ساندينيستا » نسبة إلى الجنرال قيصر اوجستو ساندينو ، الأب الروحى للحركة التى وضعت حدا لطاغية من اعتى الطغاة الذين عرفهم هذا الركن من العالم . اعنى نيكارجوا من أمريكا الوسطى .

# ساندينو أو المسيح مصلوبًا !

بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

● وقيصر ساندينو مجهول لنا تماما رغم أنه بما أنجز وحقق وأثار يستحق أن نعرفه كرمز لأولئك الذين ناضلوا من أجل أوطانهم لتحريرها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، والحركة الحالية التى ترتبط باسمه وتسير على هدى مبادئه ، تدرك واعية وحدة النضال ضد الاستعمار العالمى ومن هذا المنطلق تعير اهتماما ملحوظا لحركة التحرير الفلسطينية بوصفها حركة تجاهد من أجل استقلال وطنها وحريته .

مع القائد الأسطورة فى آخر لحظات حياته ، ومنها إلى البداية .

مساء ٢١ فبراير ١٩٣٤ .

الجو فى مناجوا عاصمة نيكارجوا حار وخانق ، ومشبع برطوبة تجعل الاحساس بهما قويا ، والذباب يلاحق الناس حتى ليلا فى إلحاح مزعج ، ويلذع أجسامهم فى قسوة ورياح خفيفة حارة تلفح الوجوه بشدة ، ومثلها معهود فى العاصمة ومألوف للسكان .

والطريق مظلم ، يلفه صمت ثقيل وفجأة تبرز سيارة تتجه فى بطء نحو معسكر « مارتى » تحمل جماعة عائدين من رياسة الجمهورية بعد ان تناولوا طعام الغداء مع رئيس الجمهورية خوان بوتيستا سكاسا .

وصاح ضابط :

ـ قف .. قف !

وأشهر عدد من الجنود أسلحتهم وتهيأوا لاطلاق الرصاص .



صورة لساندينو التقطت عام ١٩٢٩

وهبط من السيارة الجنرال قيصر ساندينو ووراءه نائباه الجنرال إستارادا والجنرال اومانثور .

وأمر الضابط أن يهبط ايضا الوزير سوفينياس سالفتيرا وجريجوريو ساندينو والدقيصر .

وسيق الجنرالات الثلاثة إلى أرض مهجورة تقع في ضواحي المدينة ، وعلى ضوء مصابيح السيارة نفذ الضابط أوامر رئيسه الجنرال اناستاسيو سوموثاغرسية : أطلق النار على قيصر ساندينو ونائبيه ، نيران مدفعه أولا ، ورصاص مسدسه فيما بعد .

وسقط الثلاثة جثثا في حفرة .

كانت الليلة حارة وخانقة ورطبة كما هي العادة في ليالي فبراير في مناجوا العاصمة .

ولكن أحدا لم ير شيئا ! .

أما الأب جريجوريو ساندينو فقد كان في سجن المعسكر ، وسمع طلقات الرصاص ، وقال للوزير سلفا تييرا : إنهم يقتلونه ، ومن يقتل مخلصا يمت مصلوبا !

في اليوم التالي سقطت وحدات من الحرس الوطني فجاءة على معسكرات التعاونيات الزراعية في محافظة نهر كوكو ، وذبحوا اكثر من ثلاث مئة فلاح !

## ● عميل وفي !

كان الجنرال اناستاسيو سوموثا

# ساندينو أو المسيح مصلوبًا !

قائدا للحرس الوطني ، وصهرا لرئيس الجمهورية ، وكان قد امضى في فيلادلفيا من الولايات المتحدة سبع سنوات يدرس التجارة والآلة الكاتبة ، وتعلم كيف يتحدث الانجليزية في لهجة سائقي سيارات الأجرة هناك ، وهو مستوى كان مسليا للسفير الأمريكي في مانجوا ، وكان يدعى مستر حنا ، ورأت زوجة السفير ، ولم تكن بالغة الشيخوخة كزوجها ، في هذا الأمريكي الجنوبي الأسمر ، شابا وقويا ، تسلية دافئة من نوع آخر ، تعوضها عن برودة زوجها وعجزه ، وهكذا ربح سوموثا السفير وزوجه معا ، واصبح دائم التردد على السفارة ، وحين جلا مشاة البحرية عن نيكاراجوا خلال الحرب الدستورية عام ١٩٣٢ عينه قائدا على معسكر سان ماركوس ، وهي مسقط رأسه ، ولكن قوى الشعب كله ، بما فيهم المحافظون رفضته ، غير أن ذلك لم يغير من الواقع شيئا ، وسوف يكون التعيين الخطوة الأولى في طريقه نحو رئاسة الجمهورية .

إن اسمى ساندينو وسوموثا يحددان الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري لنيكاراجوا في القرن العشرين .

فأولهما يمثل مصالح وطنه وشعبه في التحرر والاشتراكية ، وثانيهما كان عميلا وفيا لمصالح الولايات المتحدة مهما تبلغ ضراوتها .

في ٢١ فبراير قررت الولايات المتحدة وسوموثا أن ساندينو يجب أن يموت ، وفي ليلة هذا اليوم دون تأخير ، وزاد سوموثا : وسوف نقتل معه كل العصابة التي تسير وراءه .

كلا الرجلين ساندينو وسوموثا كان ينتمي الى الماسونية ، ولهذا السبب وحده لم يحضر سوموثا اغتيال خصمه كما هي عادة الطغاة في امريكا اللاتينية ، وعهد بالمهمة إلى من يثق فيه من ضباطه .

وكلاهما من المركز نفسه ، غير أن ساندينو امضى حياة صعبة وقاسية وثائرة ، على حين سلك سوموثا طريق الخيانة والانتهازية ، وتسليم وطنه لأعدائه .

## ● حياة القسوة والمرارة !

منذ اللحظة الأولى ، وحتى قبل أن يجيء إلى الدنيا ، اتسمت حياة ساندينو بالقسوة والمرارة ، فقد كانت أمه فلاحة ، تعمل في مزرعة جريجوريو ساندينو ، وحملت منه سفاحا ، وعادى وشائع في أمريكا اللاتينية أن يستبيح الغزاة البيض الأوربيون الهنديات ، وكلهن فقيرات ، دون أن يروا ذلك شيئا معيبا ، ودون أن يعترفوا بثمرات هذه العلاقة ، إلا فيما ندر .

ومن المؤكد أن جريجوريو قبل أن يعترف بأبوته ، ولكنه نفى الأم وابنها بعيدا عن مزرعته ، وكان على الصبى ولما يزل غضا طريا أن يربح لقمة العيش بنفسه من غرس البن وحصاده .

وطبقا للنظام الاقطاعي الذى كان سائدا في أمريكا الوسطى وبعض دول أمريكا اللاتينية الأخرى ، إلى مطلع هذا

القرن ، وحتى يومنا فى بعض مناطقها ، كان الفلاحون يستطيعون أن يحصلوا على جانب من أجورهم مقدما من أصحاب الأراضى خصما من عملهم فى المستقبل فإذا عجزوا عن تسديدها أودعوا فى السجون . ولم يقم جريجوريو باى استثناء لأم ابنه عندما عجزت عن دفع ما اقترضته مالا او عملا ، وابلغ عنها الشرطة ، فاعتقلتها ووضعتها فى السجن وصحبت ابنها معها الى زنزانتها . وفى السجن شهد الصبى اقسى المناظر هولا فى حياته : رأى أمه تحمل سفاحا للمرة الثانية ، وفى هذه المرة غصبا من جندى ، ثم تعرضت لاجهاض بدائى ، ولم يكن الابن قد أكمل عامه التاسع عندما رآها غارقة فى الدم لاتجد من يعنى بها ، وهى ذكرى ظلت تجلد مشاعره طوال حياته ، ولم تستطع الأحداث ولا الزمن أن يمحوها من ذاكرته أبدا .

ثم التقطه ابوه .

ويتنازل منه ، ويتنكرا عليه ، قبله فى العزبة ، بشرط لاتسامح فيه : أن يعمل من طلوع الشمس إلى غروبها ، وأن يبيت مع بقية العمال الأجراء ، ويسمح له أن يتناول طعامه فى مطبخ القصر مما يزيد على الحاجة ، وأن يرتدى بقايا ملابس أخيه سقراط ، وماكره هذا منها ، وهو أخ سوف يلتحق فيما بعد بصفوف حركة أخيه الثائرة .

وفى صمت ومنطويا على نفسه ، ضاعف الفتى من جهده وأخذ يعمل اكثر من الآخرين ، وربح شيئا من ثقة والده ، فأذن له بأن يدرس التجارة وبدأ يحلم بأن يترك البلدة ، وأن يستقل عن هذه الوصاية الأبوية وأراد ان يكون محاسبا ، ليربح قليلا من المال ، يعينه على رؤية العالم ، وعندما أكمل عشرين عاما ترك الضيعة ، وعمل مساعد ميكانيكى فى شركة عقارية .

ولم يجد فى الشركة مستقبله فعاد إلى قريته من جديد ، وأحب ابنة خالته ، وبدأ يتابع دراساته التجارية ثانية ، ويعيش حياة شاحبة يحاول معها أن يحقق أفضل مايستطيع . والمعلومات عنه فى هذه الفترة من حياته قليلة للغاية ، وأهمها وثيقة نادرة تصور عالمه فى تلك الأيام ، وتلقى شيئا من الضوء على طموحاته وأحلامه ، وكان يبلغ من العمر خمسة وعشرين وهى رسالة كتبها إلى حبيبته ، وجاءت مليئة بالأخطاء الاملائية والنحوية والصرفية :

"آنسة مارية" :

ساندينو لن ينساك أبدا ، لأنك لابد تعرفين فيما أعتقد أننى سأرحل الى المكان الذى أنا فيه الآن ، ورغبة منى فى الا أضيع وقتا ياحبيبتى اهتممت برسالتك كثيرا ، حتى أنى كنت مستعدا لأن أصل اليك وأتحدث معك شخصيا وأن أشرح لك سبب سفرى لكى تسامحينى ، وتعطينى الحق ، ولكننى أشعر اليوم بأننى مختلف وطبقا لما قاله فرناندوا فإنك لم تستطيعى فهم الرسالة ، واذا حاولت فسيكون ذلك افضل لأن قلبى سوف يطمئن قليلا" ...

وفيما بعد قص لها المعاناة التى تحملها لكى يستطيع أن يراها : « ... وأخيرا اقتربت من سور بيتك ، وقفزت من فوق الأسلاك ولم أفكر الا فى اللحظة التى سوف أعوض فيها كل تضحياتى ولمحت بيتك مظلما ، واقتربت مسرعا وطرقت الباب خفيفا ، ثم أشد وشعرت بالحزن ولم أكن سعيدا واعتبرت نفسى تعيسا ، وشعرت بغصة فى حلقى عندما فكرت أنهم

# ساندينو أو المسيح مصلوبًا !

اغلقوا الأبواب حيث سيدة قلبى .. تقبلى إخلاص قلبى .

"ق . ا . س ."

وفى عام ١٩٢٠ ، ولأسباب نجهلها ، وربما تتصل بالشرف أو العمل قتل ساندينو شخصا فى الميدان العام إلى جوار الكنيسة ، ولم يكن أمامه إلا أن يهرب فلجأ إلى هندوراس وبعد أيام قليلة عمل حارسا فى مخزن تملكه شركة امريكية احتكارية ويبدو أنه لم يكن ضائقا بهذا العمل فهو يكتب لوالده :

« هذا المكان جميل فى مناظره والناس يربحون كثيرا ، ولكن ما لا تذهب به الحسرات سوف تذهب به الدموع . اسمعنى : الحياة فى هذه الأمكنة بوهيمية تماما ، وجوها بؤرة حقيقية للأمراض والعدوى ، ولهذا فإن الكثيرين لايدخرون شيئا بسبب الأمراض العديدة والدائمة ، أو لأنهم لايعرفون كيف يسيطرون على شهواتهم الجامحة ، وقد استطعت فى الشهور الأخيرة أن أوفر بعض المال لسد بعض متطلباتى وطموحى فى أن أذهب إلى بلاد أخرى أكثر تحضرا ، إذا لم يستطع المرء فيها أن يوفر بعض المال فعلى الأقل يمكنه رؤية حضارة أسطع نورا ، وأوضح أفقا وأشد اتساعا ، وفيها يمكن أن أحقق شيئا .

التحية إلى أخوتى وزوجة أبى وتقبل منى سلاما حارا ، من الذى لايتعب ولكنه يعيش تعيسا »

أوجوستو

● اتجاه للعمل النقابى

لم يكن ساندينو وهو فى الخامسة والعشرين من عمره يخطط لأية غاية سياسية ولم تكن خططه فى الحياة تتجاوز طموحات برجوازى صغير ، ويبدو ذلك واضحا من رسالة بعث بها الى حبيبته فهو يحن اليها ولكنه لا يستطيع العودة ولايشى بأنه راغب فيها :

« أمضيت عاما بعيدا عنك ياحياتى ولكن هذا العام من البعد القاسى ، ولا عشرون عاما أزيد منه ، لاتكفى لكى يبهت الحب الثابت فى أعماقى والذى أكنه لك ، وكان العام كله وخز ضمير بالنسبة لى ، وجاء حافلا بمغامرات لاتحصى ، ولا تستطيعين انت ، ولا الذى لم يغامر يوما أن يفهم قسوة المغامرة . لاتأخذى الجانب السيىء من كلمة مغامرة ، وهو مايستطيع أن يكونه أى رجل تضطره الظروف »

غير أن هذه الرسالة تعكس شيئا آخر ، فقد تحسن خطه وقلت أخطاؤه اللغوية ولكنه لايزال ، ظاهرا على الأقل ، يواصل طريقته فى عدم الاهتمام بشئون وطنه .

ربما انتبه قليلا إلى السياسة وهو يعمل فى جنى الموز فى جواتيمالا فى ظروف بالغة السوء بالنسبة له ، ولآلاف العمال

ومع ذلك فكل ماكان يفتش عنه حين وصل المكسيك عام١٩٢٣ أن يحسن مستوى معيشته وأن يعرف بلادا أخرى « أكثر تحضرا » .

وبعد ذلك بعامين وهو على أبواب الثلاثين من عمره ، بدأ يهتم بكل مايجرى فى أمريكا اللاتينية ، وخلال عمله رئيسا لقسم بيع البنزين فى شركة بترول مد جسور الصداقة إلى بعض النقابيين الفوضويين ، فأخذوا يدفعونه إلى قراءة

الصحف والكتب ، ولكنه تأثر على نحو اكبر وأعمق بالثورة المكسيكية ، وهى أول ثورة ذات طابع اجتماعى واقتصادى فى أمريكا اللاتينية وسبقت الثورة الشيوعية بسبع سنوات ، فقد تفجرت عام ١٩١٠ ، وقامت على كاهل الفلاحين ولصالحهم ، واخذت طابعا زراعيا وريفيا ، ومناهضا للاستعمار والاستغلال بكل أشكالهما .

**ومنذ هذه اللحظة وحتى اغتياله سوف يكون ساندينو قائدا مناهضا للامبريالية ، ومدافعا صلبا عن الطبقات المطحونة في المجتمع ، ولم تعد الولايات المتحدة بالنسبة له البلد الأكثر تحضرا وإنما المستغل الدائم لشعوب امريكا اللاتينية ، والناهب السارق لخيرها وثرواتها وسواعد ابنائها .**

فى عام ١٩١٢ هبط مشاة البحرية الأمريكية نيكارجوا ليدعموا النظام الرجعى القائم فيها ، وظلوا هناك حتى عام ١٩٢٥ ، ولكنهم ما إن انسحبوا حتى ثار الليبراليون ضد النظام الرجعي المحافظ ، فعاد جنود الولايات المتحدة على عجل ليكونوا فى حراسته ، واحتلوا المدن الكبرى والهامة من جديد عام ١٩٢٦ ، حيث رءوس الأموال الأمريكية الضخمة ، واعتبروا هذه الأمكنة مناطق محايدة ، لاتخضع لأى من الفريقين .

## ● مناهضة الغزاة

وفى هذه اللحظة قرر ساندينو أن يعود إلى وطنه ، وأن يحمل السلاح ضد الغزاة ، وأكد عزمه وأثار مشاعره ماسمعه من إهانات حيث يقيم ، قال له زميل مكسيكى يعمل معه :

ـ ماذا تستطيع أن تصنع إذا عدت ، إن سكان نيكارجوا ليسوا إلا مجموعة من الخونة باعت وطنها !

وفى ١ يونية ١٩٢٦ عاد إلى وطنه بالقليل الذى ادخره واتجه الى قريته راسا ، واصبح واقعا شيئا مختلفا تماما عن الفتى الحالم الذى فارقها قبل ذلك بأعوام طويلة ، فلم يعد يحلم بأن يكون موظفا تجاريا كفئا وفعالا ، أو أن يدخر شيئا من المال ليتزوج ، وإنما يريد فقط أن يكون جيشا يطرد به الأمريكيين الغزاة .

بالمال القليل الذى عاد به من المكسيك اشترى بعض السلاح من مهربيه فى هندوراس ، وشكل جماعة من تسعة وعشرين رجلا قرروا أن يموتوا دفاعا عن نيكارجوا . وقرر بدءا أن يقاتل إلى جانب الليبراليين ولكن رئيسهم الجنرال مونكادا رفض أن يمده بالسلاح ، أو اية وسيلة دعم أخرى ، وحينئذ قرر أن يرحل إلى « بورتو كابيثاس » ليتحدث إلى خوان خوسيه سكاسا زعيم الحكومة الليبرالية وكان يواجه المحافظين ومن أجل هؤلاء هبط مشاة البحرية نيكارجوا لعزل سكاسا ودعم خصومه المحافظين .

كان أول مافعله جنود البحرية حين اقتحموا مدينة « بورتو كابيثاس » أن جردوا سكاسا ورجاله من سلاحهم ، وأخرجوهم من المدينة وألقوا بسلاحهم المصادر فى البحر وانتهز ساندينو الفرصة ، وبمساعدة جنوده الفلاحين القليلين ، وبمعاونة بعض « المومسات » استطاع أن يسترد خمسين مسدسا ، واعتبر هذا سلاحا كافيا ، وسمى جنده : « جيش الدفاع عن سيادة نيكارجوا الوطنية »

وقرر أن يبدأ الكفاح .

# ساندينو أو المسيح مصلوبا !

وفى ٢٦ يونية ١٩٢٧ هاجم مدينة أوكوتال فى محافظة شقوبية الجديدة وكانت فى حوزة مشاة البحرية الأمريكية ، واستمرت المعركة من الفجر حتى الأصيل وعرف العالم بأسره أن حرب التحرير بدأت فعلا فى نيكارجوا .

وفى أول يوليه أصدر ساندينو بيانه الأول :

**إن الرجل المؤمن بوطنه ، ولايطلب غير أشبار يدفن فيها ، يستحق أن يسمع وأن يوثق فيه .**

« أنا مواطن من نيكارجوا ، وأشعر بالزهو لأنى كذلك وفى عروقى يتدفق دم هندى أمريكى أكثر من أى شىء آخر ، ومنه ورثت سر أن أكون وطنيا مخلصا ووفيا ، وارتباطى بوطنى يعطينى الحق فى أن أسهم فى قضايا نيكارجوا ، وقضايا أمريكا الوسطى ، وكل القارة التى تتحدث لغتنا دون أن أعطى أية أهمية للمتشائمين والجبناء والذين أعطونى الفرصة لألقبهم بشىء من صفاتهم وأدعوهم خصيانا وهو الاسم المناسب لهم » .

« أنا عامل من المدينة أو حرفى كما يقال فى هذا البلد ، ومثلى الأعلى يتحرك فى أفق واسع لأصبح دوليا ، وبصفتى حرا أطالب بالعدالة ولو كان الوصول إلى هذه الحالة من الكمال يتطلب أن أريق دمى ودماء الآخرين . أنا من الغوغاء كما تقول الأقلية الحاكمة المسيطرة ، أو أوز المستنقع كما ندعوهم ، وليس ذلك مهما ، فأعظم شرف لى أن أحس بنبض قلوب المضطهدين والمستغلين وهم روح جنسنا وعصبه ، ولقد تعرضنا للاستغلال بلا هوادة وعشنا تحت رحمة القتلة المستأجرين الذين يرتكبون جرائم الخيانة العظمى ، هؤلاء المحافظون الذين جرحوا قلب الوطن ، ويلاحقوننا بعنف ، كما لو لم نكن أبناء الوطن نفسه » .

جاء البيان قويا شديدا عفويا ، ولكنه سليم من الأخطاء وكل كلمة فيه مطرقة تقرع رأس الولايات المتحدة والقلة المحافظة .

**كانت حركة ساندينو وطنية ترفع راية تحرير نيكارجوا وكل من أمريكا اللاتينية من هيمنة إمبريالية الولايات المتحدة وذات مضمون اجتماعى واضح يهدف إلى تحرير بؤساء العمال والفلاحين وفقراء الهنود من الامتهان الذى يتعرضون له كل يوم فى إنسانيتهم وشرفهم وعرقهم وأعراضهم ولكنه لم يشأ أبدا أن يحول هذه الأغراض السامية إلى مجرد أحقاد صغيرة غايتها الانتقام الشخصى .**

قبل أيام من أول هجوم أكمل ساندينو الثامنة والثلاثين من عمره فقرر أن يتزوج ، واختار فتاة مناضلة فى التاسعة عشرة من عمرها تعمل موظفة فى مكتب تلغراف القرية ، وتلتقى أفكارها مع أفكاره وفى بيتهم أقام مع أركان حربه أياما ، وبزواجه نسى تلك الأيام الحزينة التى أمضاها طفلا وصبيا وشابا وحب مارية ، وأحلامه فى الثراء ، وآماله فى بيت برجوازى صغير وبعد يومين من زواجه بها فارقها ، والتحق بالجبل وبقيت بعيدة عنه خمسة أعوام كاملة ، ثم استطاعت أخيرا أن تدخل الجبل وأن تلحق به .

فى مكان لايمكن الوصول إليه من قمة جبل اقام ساندينو قيادته العامة ومعسكر جيشه ، ومساكن الجنود والضباط ومخازن الطعام والسلاح ، واسطبلات الخيل والبغال ، وحظائر البقر والغنم وورش السلاح ومحلات الخياطة وصنع الأحذية ولم تكن قمة هذا الجبل تظهر فى أى مصور جغرافى ، وظل مشاة البحرية الأمريكية على امتداد زمن طويل يتصورونه مكانا اسطوريا اخترعه الفلاحون الهنود .

## ● حرب رائدة

بدأ ساندينو يدرب جنوده على استخدام السلاح وفنون حرب العصابات ، وكيف يتراسلون بإشارات الدخان والمرايا والصفير وتقليد أصوات الطيور . وكانت حرب العصابات هذه رائدة فى اسلوبها الذى استخدمته ، وسارت على منوالها كل حروب العصابات التى جاءت بعدها ، ودرسها الفيتناميون الشماليون جيدا ، وأفادوا منها كثيرا بعد أن طوروها تبعا لمستحدثات السلاح .

كانت حروب ساندينو تعتمد على الهجوم المفاجىء والانسحاب السريع ، وإطلاق الرصاص من فوق رءوس الأشجار وعدم الاستجابة أبدا لقتال دائم وممتد وان يحملوا القتلى معهم دائما ، وانتظار ان يعبر الجيش المعادى نهرا ثم الانقضاض عليه واصطياده . وخلال هجومهم على مشاة البحرية كان هؤلاء يتوقعون أن يمتد القتال ويستمر إطلاق النار ، فإذا برجال ساندينو ينسحبون ويبتعدون وقد دوخت هذه الطريقة الجيش الأمريكى حتى أن الولايات المتحدة صحافة وجيشا وإعلاما أطلقت على نيكارجوا أيام ساندينو اسم : « البلد اللعين » !

وخلال سنوات ست ، أو أزيد قليلا ، اصبح ذلك الرجل المتواضع الذى درس التجارة وعمل ميكانيكيا وبائعا ، وأمضى أعواما يحلم بشىء من المال ليستطيع الزواج ، قائدا للرجال الأحرار ومنحته الجماهير رتبة جنرال ينادونه بها فى وطنه ، وفى كل أمريكا اللاتينية وقرر أن يواصل نضاله حتى يغادر نيكارجُوا المستعمر الأمريكى وظل يردد دائما : « الزهور لاتصنع الثورة انما يصنعها الرصاص » ! وكان اخلاقيا وملتزما ولم يسمح أبدا ان يسيىء معاملة النساء ، ويقبل فى غير اقتناع أن يسكر رجاله من حين لآخر .

منذ البدء قال ساندينو أنه سوف يجرد جيشه من السلاح مع آخر جندى من مشاة البحرية يغادر أرض الوطن ، ووفى بعهده ففى أول يناير ١٩٣٣ غادر الجنود الأمريكيون أرض نيكارجوا مكرهين بقوة السلاح ، وانتهى الصراع على السلطة بين المحافظين والأحرار ، وانتصر سكاسا فى الانتخابات الحرة التى جرت فى ٦ نوفمبر بإشراف الولايات المتحدة ، وقبل الانتخابات بيوم واحد قامت وزارة الخارجية الأمريكية بتوقيع اتفاق بين الحزبين يقضى بانشاء الحرس الوطنى وعيَّن الجنرال انستاثيو سوموثا قائدا له .

## ● خيانة وخبث

وفى ٢ فبراير ١٩٣٣ وصل الجنرال ساندينو إلى العاصمة مناجوا فى طائرة ليوقع معاهدة السلام ، وصفقت له الجماهير طويلا ، وبعد ذلك بعشرين يوما جُرِّد ، جيش المدافعين عن سيادة

# ساندينو أو المسيح مصلوبا !

نيكارجوا الوطنية ، من سلاحه وظل ساندينو . وكان شريفا ومستقيما وصريحا وعاجزا عن الخيانة ، ان الحرب ضد الولايات الامريكية قد انتهت ، ونسي وهو يوقع المعاهدة في براءة انه كان يوقع معها حكما باعدامه .

ذلك أن العقول الخبيثة في وزارة الخارجية الأمريكية وجدت لمشكلة نيكارجوا ، وغيرها في الحقيقة ، حلاً افضل بنفقات أرخص ، وحتى دون تكاليف ، أن تسيطر عليها بواسطة عميل ، وكان العميل هو الجنرال سوموثا ، فولته قيادة الحرس الوطني ، وبه تولى حراسة المصالح الامريكية .

ورحل ساندينو إلى مدينة ويويلي على ضفاف نهر كوكو ليقيم فيها ، متعبا نعم ، ولكنه سعيد وواثق في مستقبل وطنه ، ويحلم بإنشاء مزيد من التعاونيات الزراعية بين الفلاحين ، تنتج أكثر ، وتوزع بالعدل بين الفلاحين ، وسعيد بأن زوجته حامل ، سوف تهبه ولدا ينشأ في وطن حر ، ولكن القدر نفسه كان يلعب معه لعبة سيئة ، فقد ماتت الزوجة وهي تلد ، وخلفت له طفلة امتدت بها الحياة .

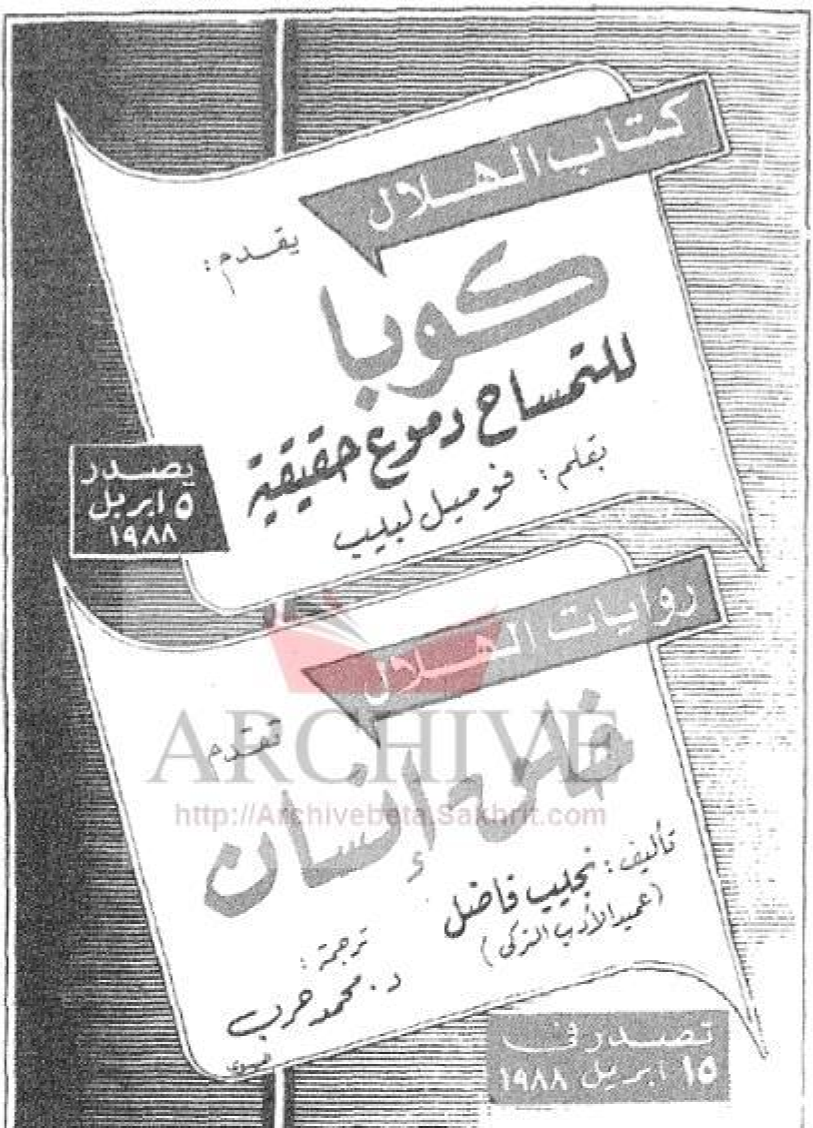
بدأت فرق الحرس الوطني تهاجم الفلاحين الساندينيين وتغتالهم ، وأثمرت السياسة الأمريكية بأسرع مما كان متوقعا لها ، وعاد ساندينو الى العاصمة ، وناقش رئيس الجمهورية سكاسا في المشكلات التي يلاقيها الفلاحون مع الحرس الوطني ، ولم يصل إلى حل معه ، فأعلن في ١٧ فبراير أن إنشاء الحرس الوطني وتكوينه عمل غير دستوري .

وبعد ذلك بيوم اجتمع للمرة الثانية في قصر الرياسة مع رئيس الجمهورية والجنرال سوموثا ، وابتسم له هذا وهو يرحب به ، وشد على يديه في حرارة ، فقد كان يعرف أنه خلال أيام ، وربما خلال ساعات ، سوف يموت ، هكذا قررت الولايات المتحدة ، وكان عليه نفسه أن يضطلع بالتنفيذ .

عندما طوقت قوات الحرس الوطني الجنرال ساندينو بعد أن تناول غداءه مع رئيس الجمهورية والجنرال سوموثا في ٢١ فبراير واعتقلته ، تطلع حوله فلم يجد أحدا من رجاله أو ممن يعرف ، فقد أعدت الولايات المتحدة كل شيء بإحكام ، وراوده الأمل في أن يراجع الجنود انفسهم إذا ما ذهبوا به إلى السجن ، ولكنهم حملوه إلى معسكر قريب حيث أطلقوا عليه الرصاص .

ظل اسم ساندينو ممنوعا ذكره في نيكارجوا أو تسمية أحد به ، إلى أن اغتال شاب وطني الجنرال سوموثا نفسه بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية رميا بالرصاص في عام ١٩٥٦ ، وفيما بعد استطاعت القوات الساندينية التي تكونت خفية في الجبال أن تهزم ابنه الطاغية الذي ورث الحكم بعد أبيه .

وفي هذه المرة استفادت من كل المحن السابقة ، ولم يعد سهلا على الولايات المتحدة أن تلتهمها بالسلاح ، أو الغدر ، أو العملاء ، واختارت الحركة أن تحمل اسم "ساندينيستا" نسبة إلى الجنرال قيصر أوجستو ساندينو ، الزعيم الأول لحركة تحرير أمريكا اللاتينية في القرن العشرين !


كتاب الهلال
يقدم :
كوبا
للتمساح دموع حقيقية
بقلم : فوميل لبيب
يصدر ٥ ابريل ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
تأليف : نجيب فاضل
(عميد الأدب التركي)
ترجمة : د. محمد حرب
تصدر في ١٥ ابريل ١٩٨٨

# العالم.. غدا

## حجارة المستقبل العربى

بينما تتواصل فصول انتفاضة الحجارة فى الاراضى العربية المحتلة شهدت القاهرة مؤتمرين عربيين هامين ، أولهما حول « تطوير القوى البشرية العربية فى مواجهة تحديات العصر » والثانى حول « الحاسبات الصغيرة حاضرا ومستقبلا فى الوطن العربى » .

ولعل اهم ما ميز المؤتمرين السابقين اعتمادهما كليا على المختصين والمهنيين العرب ، بمبادرة مؤسسة الخبراء العرب فى الهندسة والادارة ، التى تبنت الدعوة لعقدهما .. وهنا الرابطة بظاهرة انتفاضة الحجارة .. ظاهرة تحرك القواعد التحتية ومبادرتها بعيدا عن التصور القاصر الذى يلقى على كاهل السلطة مسئولية كل تحرك ، دون وعى بالعلاقة الجدلية بين أنشطة القواعد وانشطة المؤسسات العليا ، وتصور امكانية تحقيق انجاز ما دون مبادرات ومشاركات تحقيقه .

وترجع أهمية المؤتمرين كما جاء بكلمة الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى مصر بالمؤتمر الاول ، ترجع الى ضرورة « تحويل الكم العربى الى كيف عربى » والى ضرورة تحويل « الطاقات الفردية الى جهد جماعى منظم ومتناسل .. » .

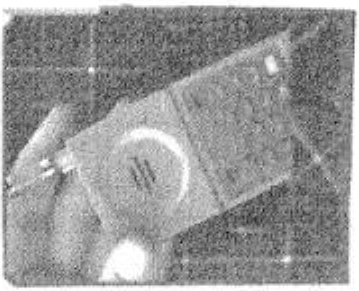
وان كان المؤتمر الاول قد شغل على حد تعبير الدكتور نبيل شعث ـ رئيس المؤسسة الداعية للمؤتمرين ـ بأثر التطور التكنولوجى والادارى على وطبيعة مشاكل القوى البشرية وعلى اسلوبنا فى التفكير للمستقبل والتخطيط له ، فان المؤتمر الثانى شغل بالتطور الهائل الذى طرأ على دنيا الحاسبات الصغيرة فجعلها على رأس قائمة ادوات التفكير والعمل ، وبكيفية توظيف هذه الادوات وهذا التقدم فى خدمة المستقبل العربى .

وقد تطرق المؤتمران الى تدارس قضايا حيوية هامة مثل تخطى الفجوة التكنولوجية والاقتصادية والمسيرة الخاصة للتنمية العربية ، وملامح المستقبل فى ظل زيادة عدد العرب ونقص مواردهم ، وجهود تعريب الكمبيوتر ، والحاسبات والتنمية ، وجهود الابحاث والتطوير فيما يخص الحاسبات ، وكيفية حمايتها .

ولا شك أن تحول المؤتمرين الى تجمعين عربيين سنويين ـ كما قرر المؤتمرون ـ سوف يساعد على تنسيق وتعميق جهود المختصين العرب ، وتعزيز التفاهم بينهم ، لتحقيق أقصى استفادة من امكانيات الامة ، وحتى تصبح جهودهم بحق لبنات فى صرح المستقبل العربى .

## التليفون مترجما فوريا

فى مؤتمر صحفى عقده ناطق باسم هيئة الاتصالات البريطانية صرح بأن



فاتورة التليفون سوف تعتمد أساسا على سرعة المتحدث فى الكلام فتزداد قيمتها كلما زادت سرعة المتحدث ، كما انها لن تتاثر بفترات الصمت التى تتخلل حديث من يتكلم ببطء . هذا كما أن قيمة الفاتورة لن تتاثر بطول المسافة بين المتحدثين ( الحديث مع الجار مثل الحديث مع من يقطن القمر ! ) ولا بالمدة الاسمية للمكالمة .. وقد طرأ هذا الوضع بعد تحول التليفونات الى العمل بلغة الكمبيوتر الخاصة ( لغة الارقام وهى لغة لا تحوى أبجديتها الا حرفين ١ ، ٥ أى الواحد والصفر ) من أسلوب تحويل ذبذبات الصوت ـ التى يتكون منها الكلام عبر غشاء فى سماعة المتحدث ـ الى موجات كهربية متكافئة تسافر عبر الاسلاك لتحرك غشاء موجود فى المستقبل على الطرف ، يحول الاشارات الكهربية من جديد الى صوت وكلام ..

والاعتماد على النظام الرقمى فى شبكة التليفونات سيفتح الباب أمام خدمات جديدة مثل التليفون التليفزيونى الذى يرى فيه كل من المتحدثين زميله على شاشة « التليفون » وبالتالى يستطيع ان يريه ما يريد من اشياء عبر نفس الشاشة ، ومثل الاجهزة الذكية التى تبين لك رقم من يطلبك قبل ان ترفع السماعة ، وقد تستدعى لك كل المسائل المعلقة بينك وبينه على شاشة مجاورة ان اردت .. لكن لعل اهم هذه الخدمات هى تليفون الجيب الذى يحمله المرء فى جيبه ويستطيع بواسطته أن يتصل باى فرد أينما كان ، فى أى من قارات عالمنا ، والتليفون الذى يقوم بالترجمة الفورية من لغة الى اخرى ، خلال الحادثة ، الامر الذى يمكن رجلا يابانيا مثلا من سماع نسخة كمبيوترية من حديث رجل لا يعرف من لغته حرفا واحدا ، ويدير الحوار معه فى التو واللحظة ..

## ● الطاقة الشمسية فى مصر

تقوم الهيئة العامة للتصنيع حاليا بالتنسيق بين الشركات المنتجة للسخانات الشمسية وبين شركات القطاعين العام والخاص ، بهدف زيادة الاعتماد على هذه السخانات فى العمليات الصناعية .

وقد وضع برنامج يستمر ثلاث سنوات للتوسع فى استخدام الطاقة الشمسية فى العمليات التى تتناسب مع امكانياتها مثل عمليات التسخين ، وبالذات فى محافظات الصعيد والمحافظات الصحراوية ، حيث تتوافر الطاقة الشمسية فى اكثف حالاتها ..

وسوف تراعى امكانية تحويل العمليات الصناعية المعنية الى الطاقة الكهربائية فور حدوث أى نقص فى الطاقة المولدة بالسخانات الشمسية ، نتيجة للتغيرات الجوية ، وحتى لا تتاثر الخطط الانتاجية لمن يستخدمون هذه الطاقة ..

هذا وقد تقرر الموافقة فورا على أى طلبات جديدة لانشاء مشروعات انتاج السخانات الشمسية بهدف تغطية احتياجات العمليات الصناعية والاسكان

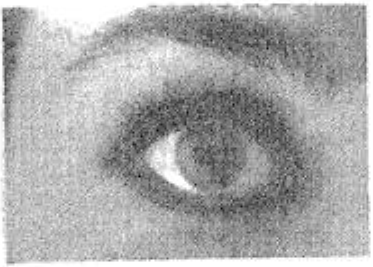
## العالم غدا

.. وفى اطار العمل على ترشيد استهلاك الكهرباء تقرر عدم الموافقة على اقامة أية مشروعات جديدة لانتاج الاجهزة الكهربية التى يوجد بديل لها لا يستخدم الكهرباء ..

### تشخيص الامراض من حدقة العين

عرفت عن قدماء المصريين قدرتهم على تشخيص الامراض من خلال امعان النظر فى عينى المريض .. وقد ظلت الغرابة تحيط هذه الظاهرة حتى كشفت الدراسات العلمية عن كنهها ..

فبعد أن اقتصر الاهتمام بلون العينين طويلا على المنجمين ، الذين ربطوا بين اللون وبين الكوكب الذى رأى الانسان نور الدنيا فى برجه ( الازرق بالقمر ، والاسود بعطارد ، والعسلى بالمشترى ، والاخضر بالمريخ) بينت البحوث العلمية اخيرا أن قزحية العين تتكون من خمس طبقات خلوية ، يحدد سمكها لون أعين (تكون العين زرقاء عندما ترق الطبقات) هذا وقد كشفت الدراسات أن سمك الطبقات الخلوية فى العين لا يجىء خبط عشواء ذلك أن خلاياها هى التى تلتقط الضوء . ومن هنا تناسب لون العين مع شدة الضوء فى موطن صاحبها .. فمعظم أهل الشمال شقر وزرق العيون، فى حين أن معظم أهل الجنوب سمر ولهم عيون عسلية .. ذلك أن العيون الزرقاء تلتقط قدرا أكبر من الضوء قياسا بالعيون السوداء . ولهذا يصاب الشقر بتهيج فى الجهاز العصبى عند انتقالهم الى الجنوب كما ينتاب السمر الخمول عند انتقالهم الى الشمال ..



ولان قزحية العين هى وسيلة ايصال النبضات الضوئية الى مختلف انحاء الدماغ ، وبالتالى جميع أجزاء الجسم ، فانه يوجد لكل عضو من الاعضاء مجموعة محددة من الخلايا تمثلها على قزحية العين .. وتنعكس التبدلات التى تطرأ على الاعضاء الداخلية فوق صفحة القرنية عن طريق الدماغ ، وذلك كتغير فى لون الخلايا المعنية ، يعتمد على مدى تقدم المرض ..

### رائحة اناث الفراش

يتمتع ذكور الفراش بقدرة فائقة على تمييز روائح تفرزها اناثهم بكميات متناهية فى الصغر ، ومن على مسافات بعيدة جدا .. الامر الذى دفع الباحثين الى التفكير فى استخدام هذه القدرة المدهشة فى عدد من التطبيقات العملية.

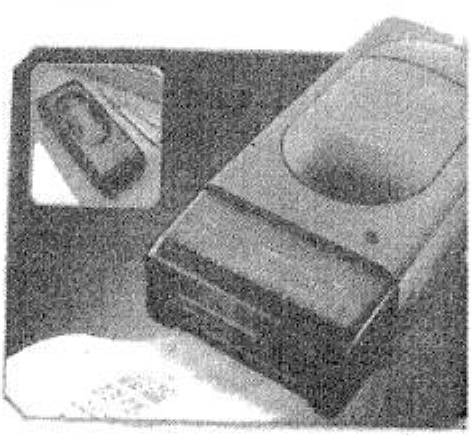
ولعل أطرف ما توصلوا اليه هو استخدام الفراش في اختبار احكام خطوط أنابيب النفط والغاز . ويجرى ذلك بتمرير المادة الجذابة التي تفرزها اناث فراشات دودة القز مثلا ( وتكاليف انتاجها ليست كبيرة ) داخل الانبوب ثم مسح الخط كله باستخدام طائرة خفيفة ( أو سيارة ان كان ذلك ممكنا ) تحمل ذكور الفراش في كيس شبكي شفاف ، وباستمرار ملاحظة سلوك الذكور يمكن الكشف على مدى احكام الخط كله اذ انهم يقومون بحركات دورانية مميزة عند شم رائحة المادة الجذابة وهي تتسرب من وصلة أو نقطة غير محكمة .

## آلة استنساخ للجيب

ظهرت في الاسواق آلة لاستنساخ خفيفة الوزن صغيرة الحجم ( ٧ × ٢ × ٢ بوصة ) يمكن حملها في الجيب .

والالة الجديدة لا تحتاج الى عمليات تنظيف خاصة وليست في حاجة الى فترة تسخين قبل العمل ، وتلتقط نسخها ببساطة شديدة ، وذلك بتقريب طرفها المصور من السطح المراد تصويره ثم امرار هذا الطرف عبره .. وتقوم الالة نفسها باضاءة النص والتقاطه وتثبيته على نوع من الورق الحساس للحرارة .

ويبلغ طول لفة شريط ورق التصوير ٣٥ قدما ، ويكفي شحن بطارية الكادميوم / نيكل (التي تعمل بها الآلة) لمدة ٢٠ دقيقة ، لاستنساخ معلومات بطول لفة الشريط ، ومثبت بالالة قاطع يسهل من قطع الصور المستنسخة .



## الوخز بالابر .. والايدز

★ في اطار حمى الخوف من مرض نقص المناعة المكتسبة « الايدز » انتشرت في الاسواق – بعد الحقن الذي يستخدم لمرة واحدة – كثير من ادوات الاستخدام الشخصي غير المعمرة ( مثل التليفون الذي يستخدم مرة أو بضع مرات فقط ) . لخر هذه المستحدثات قواعد تواليت يجرى تغيير كسوتها أوتوماتيكيا بعد كل استعمال .. ليت المؤسسات السياحية في مصر تستخدم مثل هذه القواعد كاجراء وقائي ..

★ تأسست في بكين رابطة عالمية لجمعيات الوخز بالابر التي ضمت ٥٥ جمعية (منها ٥ جمعيات دولية) وتدارس المؤتمر الاكاديمي الذي صاحب ذلك بحوثا لعلاج الامراض العصبية والنفسية وأمراض القلب والتنفس والجهاز الهضمي والسمنة وسقوط الشعر ، بل ومرض نقص المناعة المكتسبة ( الايدز ) . الجدير بالتنويه أن نصف الابحاث تقريبا ( ٩٣ بحثا ) كان لعلماء غير صينيين .

دراسة الهلال

# أحدث علوم القرن العشرين

## السيبرنطيقا ومحاولة السيطرة على القوة الخرافية للآلة!

بقلم: د. صلاح خليل

**على الرغم من مرور اكثر من ربع قرن على ظهور « السيبرنطيقا » على يد العالم الامريكى الراحل « نوربرت فينير » ( ١٨٩٤ - ١٩٦٤ ) فان محاولة الاجابة على السؤال : ماهي السيبرنطيقا ؟ .. لايعتبر امرا هينا - رغم اهميته - وترجع صعوبة ذلك الى عدة اسباب :**



اولا : لايوجد للسيبرنطيقا بناء هيكلي اساسى كأى علم من العلوم المعروفة - بل تحتوى على عدة اتجاهات علمية تتداخل فيما بينها - مثل علوم تصميم وبناء الاجهزة الحاسبة - ووسائل الاتصال والاعلام ، إلى جانب علوم الاحياء ( البيولوجى ) والطب والتعليم والعلوم الاقتصادية وعلوم التحكم والادارة فى مختلف الميادين سواء فى الاقتصاد او الصناعة او حتى الحرب وربما كان ذلك الشمول - هو احدى مميزات السيبرنطيقا - الا انه بلاشك احد الصعوبات الكامنة فى دراستها كعلم .

ثانيا : مازالت هناك خلافات بين علماء « السيبرنطيقا » انفسهم حول ماهية السيبرنطيقا ومايندرج تحتها وما لايندرج .

على اننا سوف نحاول من خلال هذه السطور - البعد ما امكن عن اية مناقشات فلسفية عن كنه السيبرنطيقا - وماهيتها - وسوف نركز محاولة التعرف عليها - كاحدى الاتجاهات العلمية الحديثة السائدة .

يقول فينير - مؤسس ذلك العلم - ان « السيبرنطيقا » هى ذلك العلم الذى يبحث فى عمليات التحكم والسيطرة والادارة

والاتصالات فى كل من الالات والكائنات الحية على حد سواء . ولقد اشتقت كلمة « سيبرنطيقا » من الاغريقية حيث تعنى ( رجل الدفة ) وهى تعطى دلالة التحكم او السيطرة على السفينة ، ويوحى ذلك بالمدلول الاساسى للسيبرنطيقا كعلم يعنى بدراسة عمليات التحكم او السيطرة او الادارة فى المنظومات ذات الطبيعة المختلفة سواء كانت منظومات تقنية او اقتصادية او بيولوجية ، او اهم من ذلك المنظومات التى تجمع بين الآلة والانسان .

● ظهور السيبرنطيقا كعلم

من المعروف انه توجد ثلاثة شروط اساسية لابد من توافرها لظهور اى علم من العلوم .

ـ الشرط الاول : هو وجود مادة او مجال بحث لهذا العلم .

ـ الشرط الثانى : هو وجود ضرورة للقيام بالبحث فى هذا المجال .

ـ الشرط الثالث : توافر الوسائل العلمية وقدرة العلم فى هذه المرحلة على مجابهة المشاكل التى قد تبرز اثناء القيام بالبحث فى هذا العلم ووضع اسسه .

فبالنسبة للسيبرنطيقا فمادة بحثها متوافرة ـ حيث تبحث فى عمليات التحكم داخل الكائنات الحية او فى المجتمعات الانسانية والآليات ـ والاولى والثانية قد توافرت منذ الازل اما العنصر الثالث ـ فقد ظهر بعد قيام الثورة الصناعية حيث اصبحت الآلة احدى مقومات الحضارة الانسانية .

اما بالنسبة للشرط الثانى ـ وهو ضرورة القيام بالبحث فى هذا المجال ـ فما من شك ان الانسانية تتجه دائما نحو اكتشاف تلك القوانين التى تحكم الظواهر المحيطة بها ففى المعرفة دائما فائدة للبشرية ، هذا من ناحية ، اما من ناحية اخرى فقد ظهرت ضرورة ملحة ـ فى ذلك الوقت بالذات ـ فى الاربعينيات من القرن



● تتجه الانسانية الى اكتشاف ظواهر الكون



الحالى للبحث عن قوانين عامة للتحكم ولنتناول ذلك ببعض من التفصيل :

إن الانسان ـ ككائن اجتماعى ـ يتطور بسرعة ويغير تلقائيا من الظروف المحيطة به ، ويقوم كل جيل بتقديم كل مايمكنه لإستمرار البشرية ، وقد كانت الصعوبات التى تقابل الانسان منحصرة فى معالجة المتناقضات الناشئة من الفجوة بين إمكانياته الفسيولوجية والعصبية من جهة والظروف المحيطة به والتى يوجدها التطور الصناعى والتقنى من جهة أخرى ولاشك أن ارسطو كان مصيبا فى قوله بان « التكنيك » قد ظهر لملء ثغرات الطبيعة حيث كان هو الوسيلة ـ دائما ـ لمعالجة المتناقضات بين الانسان والوسط المحيط به .

وقد كان اول ماقابل الانسان اثناء تطور وسائل الانتاج ـ هو ضرورة ملء الثغرات الناتجة من ضعف قوة عضلاته بمقارنتها بقوى الطبيعة الهائلة ، ولقد كانت مشكلة الطاقة ـ ومازالت ـ المشكلة الاساسية والتى يترتب على حلها التقدم الهائل فى قوى الانتاج ، ولقد استطاع الانسان من خلال ثورته الصناعية الأولى التغلب على التناقض بينه وبين قوى الطبيعة حيث أصبحت له عضلات من حديد تتمثل فى تلك الآلات الضخمة التى تعمل بلا كلل ولا ملل ـ فى حفر القنوات وبناء السدود وهدم الجبال الى آخر هذه الميادين التى جعلت من حياتنا اليومية الحاضرة ـ نعيما إذا قيست بحياة هارون الرشيد مثلا ـ فى سالف العصر والأوان .

إلا أن هذا التقدم التقنى ـ سرعان ما أوجد تناقضات جديدة تتحدى الانسان مرة تلو الأخرى .

ففى نفس الوقت الذى تم للانسانية فيه اكتشاف الطاقة النووية الهائلة ظهرت فى الأفق مشكلة اكثر تعقيدا ـ ألا وهى مشكلة التحكم فى هذه الطاقة .

ومن ناحية اخرى فقد ظهرت تحديات جديدة ـ خصوصا ـ للجهاز العصبى للانسان وامكانيات مخه الفسيولوجية .

**لقد ظل الانسان راضيا عن تكوين جهازه العصبى الى ان اصبحت امكانيات هذا الجهاز عاملا يحد من التطور . الذى يمكن ان تقدمه التقنية ذاتها وحان الوقت لملء الثغرات بين امكانيات الجهاز العصبى للانسان من جهة والتقدم ( التقنى ) من جهة اخرى .**

ويمكن بسهولة توضيح العبارات السابقة من تتبع ما حدث للدكتور « فينير » فى ابحاثه فى اوائل الاربعينيات من هذا القرن ـ ففى هذا الوقت تم اختراع الرادار ـ ووصلت تقنية صناعة محركات الطائرات الى مرحلة اصبحت فيها سرعات الطائرات ـ كبيرة نسبيا ـ بالنسبة الى سرعة القذيفة المضادة لها ، وبذلك اصبح من الضرورة بمكان ـ البحث فى تصميم آلات حاسبة خاصة ـ لادارة المدافع المضادة للطائرات بالسرعة الكافية التى تسمح لها باصابة الطائرة حيث اصبحت الطرق التقليدية ( القديمة ) لتوجيه المدفع إلى الهدف غير ذات قيمة ، لسرعة اكتشاف الهدف بالرادار من جهة ـ وسرعة الهدف نفسه من جهة أخرى ـ وبذلك ظهرت مشكلة جديدة تماما من نوعها ـ الا وهى مشكلة التوفيق بين امكانيات كل من جندى المدفعية من جهة والمدفع من جهة

اخرى - وكذلك الطيار وطائرته من جهة ثالثة - واصبح من الاهمية بمكان دراسة الجهاز العصبى البشرى حتى يمكن تصميم آليات مناسبة - سواء للمدفع واجهزته او للطائرة واجهزتها - وذلك للحصول على افضل أداء للمنظومة المكونة من المدفع وجندى المدفعية معا - او للطائرة والطيار معا وبذلك ظهرت مشكلة البحث عن نموذج رياضى مناسب لوصف المنظومة المكونة من الانسان/ الآلة والذى يمكن بواسطته تحليل هذه المنظومة ودراستها بهدف الحصول على افضل أداء لها ولقد كانت هذه البداية - لعلم السيبرنطيقا - الذى بدأه الدكتور « فينير » حيث كان يعمل فى تطوير الآلات الحاسبة الخاصة بأجهزة ادارة نيران المدفعية المضادة للطائرات فى اوائل الاربعينيات من هذا القرن فى الولايات المتحدة الامريكية .

وعند الحديث عن الثغرة الموجودة بين امكانيات الجهاز العصبى للانسان والامكانيات التقنية فالمقصود هو الفرق بين تلك السرعات الفائقة التى يمكن ان تصل اليها الأجهزة الالكترونية فى الحساب - اذا ماقورنت بامكانيات العقل البشرى فى نفس الاتجاه - كذلك كمية المعلومات التى يمكن على أساسها للمخ البشرى اتخاذ قرار معين - اذا قيس بكمية المعلومات التى يمكن للاجهزة الالكترونية معالجتها واتخاذ القرار المناسب بناء على هذه المعلومات ، والمثال على هذا - هو عملية توجيه الصواريخ النووية - والسرعة العالية المطلوبة لمعالجة المعلومات لتوجيهها - مما يجعل دخول العامل البشرى فى مثل هذه المنظومات - امرا غير مرغوب فيه - من ناحية سرعة الاداء كذلك تظهر مشكلة مماثلة فى شبكات الصواريخ المضادة للصواريخ - عندما يكون الزمن اللازم لمعالجة كمية كبيرة من المعلومات لايتعدى ثوان معدودة مما يجعل وجود العامل البشرى فى مثل هذه المنظومة - معوقا تماما لأدائها - وذلك نظرا لعدم التوصل الى التوفيق الكافى بين امكانيات الانسان والمعدة فى هذا المجال ومثال ثالث لتوضيح هذه النقطة ايضا - هو عملية منظومات الدفاع الجوى عن اى بلد - حيث ادت سرعات الرادار العالية فى الاكتشاف - وسرعات الطائرات التى تفوق سرعة الصوت الى استحالة وضع عامل بشرى فى مثل هذه المنظومة والا أدى ذلك الى كارثة تودى بالدولة التى تتعرض للهجوم .

على انه من الضرورة هنا ابراز انه لايمكن فى كل الاحوال الاستغناء عن العامل البشرى فى المنظومات عالية الاوتوماتيكية - وترك القرار تحت رحمة الأجهزة الالكترونية السريعة الأداء - المنعدمة الادراك - خصوصا اذا كان الامر يتعلق بمصير العالم واستخدام الاسلحة النووية الفتاكة - حيث يمكن ان يؤدى اى خطأ الى عملية دمار شامل كان من الممكن تفاديه - لو ان عنصرا بشريا تدخل فى الوقت المناسب - ولعل وجود الخط الساخن بين واشنطن وموسكو هو اكبر دليل على ذلك .

مما تقدم - يتضح أن الشرط الثانى لظهور « السيبرنطيقا » كعلم هو وجود ضرورة للقيام بالبحث فى هذا المجال - كان متوافرا تماما - وساعد على ذلك ايضا ظروف الحرب العالمية الثانية وما أملته من

ضرورات جديدة فى عالم ( التقنية ) فى الحروب .

أما الشرط الثالث لظهور « السيبرنطيقا » وهو توافر الوسائل العلمية وقدرة العلم فى هذه المرحلة على مواجهة المشاكل التى تبرز اثناء القيام بالبحث فى هذا العلم وتأسيسه - فلاشك ان الانجازات العلمية حتى هذا الوقت - كانت كافية لظهور هذا العلم - إلا انها لم تكن على قدر الاكتمال - حتى يصل ذلك العلم الى قمته كما يبدو من الناحية النظرية - والدليل على ذلك - اننا الآن فى منتصف الثمانينيات ومازالت هناك لدى العلماء « احلام سيبرنطيقية » اى افكار لم تتحقق بعد ، إلا أن التقدم الشديد الذى شهدته الالكترونيات فى الثلاثين عاما الاخيرة قد ساعدت كثيرا - على تطور « السيبرنطيقا » .

● « السيبرنطيقا » وارتباطها بالعلوم الاخرى

مما تقدم - نجد أنه لحل مشكلة الوصف الرياضى للمنظومة المكونة من الفرد / الآلة تطلب ذلك الاتجاه الى محاولة دراسة المنظومات المختلفة - سواء كانت حية او آلية - من وجهة نظر موحدة وباستخدام مصطلحات موحدة وقد كان ذلك باعثا للبروفيسور « فينير » الى التفكير فى وحدة قوانين التحكم سواء كانت فى الآليات أو الكائنات الحية ، ولقد اظهرت البحوث وجود تشابه فعلا - بين عمليات التحكم - فى المنظومات ذات الطبيعة المختلفة مما اكد صحة تصور الدكتور « فينير » عن وجود عوامل مشتركة تجمع بين منظومات التحكم مهما كان نوعها ومثال ذلك مبدأ الفعل المنعكس فى الجهاز العصبى للانسان الذى كان معروفا منذ اوائل القرن الحالى إلا أن احدا لم يفكر فى مدى تطابق هذا المبدأ مع بداية التغذية المرتدة ( Feed Back ) الذى تعمل به كثير من المنظومات الآلية الأوتوماتيكية على أن تقدم العلم وتراكم الحقائق الشاهدة على التماثل الوظيفى والتكوينى لمنظومات التحكم ذات الطبيعة المختلفة أدى الى استعداد المناخ العلمى لتقبل السيبرنطيقا كعلم عام للتحكم ، ولقد ادى ذلك الى ظهور عدة اتجاهات علمية جديدة مثل علم ( Bionics ) والذى تفرع من السيبرنطيقا - هادفا الى تكرار وتقليد التكوينات البيولوجية فى التطبيقات التقنية .

كذلك ظهرت الحاجة الشديدة الى دراسة قوانين التحكم والادارة فى مجالات عديدة على رأسها المجالات الصناعية وكذلك التعليمية .

ففى المجالات الصناعية - كان التحكم الآلى - يتطور بسرعة مذهلة - متأثرا بتقدم المجالات التقنية - خصوصا تقنية الآلات الحاسبة - ومؤثرا فيها ايضا - وظهرت الى الوجود خطوط الأوتوماتيكية المزودة ببرامج للتحكم - بل ظهرت ايضا المصانع الشاملة الأوتوماتيكية مما أدى الى الاستغناء عن معظم الأيدى العاملة فيها .

كذلك ادت ضرورة التحكم المركزى او التحكم من اماكن بعيدة سواء كان بسبب ارتفاع درجات الحرارة فى هذه الاماكن او وجود مستويات عالية من الاشعاع .. الخ

ـ الى ظهور ما يسمى بعلم التحكم من بعد Telecontrol .

أما فى المجالات التعليمية والثقافية ـ فلقد ظهرت إلى الوجود أفكار استخدام الحاسب الالكترونى فى العملية التعليمية ـ سواء ليحل محل المدرس فى إلقاء المحاضرات أو فى تقييم الطالب وتوجيهه أولا بأول نحو مايلزم من دراسة وتدريب ـ كذلك فلقد ساعد على ازدياد الحاجة إلى علوم « السيبرنطيقا » ظاهرة الزيادة الشديدة فى تدفق المعلومات والتى تعتبر بحق ـ إحدى علامات العصر الحالى ـ حيث يتم يوميا فى العالم كله اصدار عدد ضخم من الكتب والنشرات والمراجع فى شتى نواحى النشاط الانسانى مما يجعل عملية حصر هذه المراجع وتبويبها وفهرستها بالطرق التقليدية امرا غير ممكن مما ساعد على ظهور نظريات الاعلام ـ إحدى المكونات الاساسية للسيبرنطيقا ـ اذن ـ فلقد اصبح البحث العلمى نفسه فى حاجة الى علم لتوجيهه وادارته فى العصر الحديث ـ وذلك للتأكد ، على الاقل ـ من جدوى البحث فى هذا الموضوع او ذاك ـ وهل سبق بحثه أو لا وكيف ؟ الى اخر هذه الموضوعات التى تخص البحث العلمى ، ويكفى للدلالة على اهمية هذا الموضوع أن نعلم ان تكاليف البحث العلمى قد تضاعفت خلال نصف قرن حوالى ٤٠٠ مرة .

وتتداخل السيبرنطيقا ايضا فى علوم الادارة والاقتصاد ، اما دورها فى العلوم العسكرية فمن الاولى ان يحظى بمقالة خاصة ـ نظرا للدور الخطير الذى تلعبه السيبرنطيقا فى المجال العسكرى ويكفى للدلالة على ذلك أن السيبرنطيقا ظهرت نتيجة للبحث فى احدى المجالات العسكرية . كذلك لايمكن انكار دور السيبرنطيقا فى ظهور علم الهندسة الطبية ( Biomedical Engineering ) والذى يعتبر ابنا شرعيا « للسيبرنطيقا » والذى تنتظر منه الانسانية الكثير .

**إذن ـ فالسيبرنطيقا ـ هى اعلى واشمل مراتب الاوتوماتيكية وهى ذلك العلم الذى يبحث فى التكوين الوظيفى والتنظيمى لمنظومات التحكم ذات الطبيعة المختلفة وعلى اى مستوى من التعقيد وتتناول السيبرنطيقا هذه المنظومات بالتحليل والتركيب والتحويل الى الاوتوماتيكية وذلك بهدف الحصول على الاداء الامثل لها ـ** ولاشك ان العلوم المستخدمة فى هذه الاتجاهات ـ تعتبر علوما سيبرنطيقية ـ طالما تستخدم فى دراسة عمليات التحكم ـ فالالات الحاسبة الالكترونية ـ تعتبر قاعدة تقنية للسيبرنطيقا طالما تستخدم فى عمليات التحكم او تدخل كعنصر فى منظومة ، وكما قدمنا ـ فان تشعب السيبرنطيقا يأتى من دراستها لعمليات التحكم بصرف النظر عن الطبيعة المادية لهذه العملية ـ سواء كانت آلية أو بيولوجية او اقتصادية وغيرها من المجالات المختلفة للنشاط الانسانى لذلك فليس من المستغرب أن نجد فى مؤتمرات السيبرنطيقا ـ علماء من مختلف التخصصات علماء اجتماع وعلم نفس وطب وهندسة وتعليم وربما كان هذا الشمول ـ هو خاصية السيبرنطيقا ـ حيث تقدم الدليل على تكامل العلوم بل وعلى تكامل العالم من حولنا ، وليس غريبا ان يطلق العلماء على السيبرنطيقا انها ذلك العلم الذى يقوم فيه علماء البيولوجى بتعليم المهندسين كيفية تصميم آلاتهم ـ

بينما يقوم فيها المهندسون بتعليم هؤلاء كيف تؤدى الوظائف الحيوية فى الكائنات الحية .

إن السيبرنطيقا - ببساطة تتيح للعلماء المتخصصين فى مجالات مختلفة كعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والتشريح ووظائف الاعضاء والمهندسين والعسكريين ، تتيح لهؤلاء جميعا امكانية المناقشة بمصطلحات موحدة ومفاهيم موحدة وبالتالى يمكن الاستفادة من منجزات مجال معين فى مجال آخر - ونقل افكار علماء الهندسة مثلا إلى علماء الاقتصاد والاجتماع بصورة افضل وبالتالى بفائدة اكبر ومثال ذلك ان فهم المهندس الذى يقوم بتصميم الآلات الحاسبة للعمليات التى تجرى فى مخ الانسان ربما تتيح له امكانية تطوير هذه الآلات بينما دراسة الطبيب لبعض الآلات الهندسية التى يقوم عملها على اساس مبدأ التغذية المرتدة ، قد تتيح له القدرة على تفهم العمليات المعقدة التى تجرى فى جسم الانسان .

كذلك فان تحويل العمليات الاقتصادية - الى نماذج رياضية - على اسس السيبرنطيقا قد تتيح للاقتصادى القدرة على التنبؤ بما قد يحدث او دراسة تأثير عوامل معينة على رواج سلعة معينة او التخطيط للخروج من أزمة اقتصادية متوقعة ... وهكذا .

ان دراسة السيبرنطيقا تسمح لنا آخر الامر - بالسيطرة على البيئة المادية التى نعيش فيها - بصورها المختلفة - وتتيح لنا الكشف عن العمليات التى تعوق تقدم المجتمع - بل وتقدم الحل السليم - للوصول الى ذلك التماسك والترابط فى المنظومات المختلفة للمجتمع - وكيفية تحقيق الاداء المتناغم بين هذه المنظومات - بهدف التوصل الى احسن اداء للمنظومة العليا - وهى المجتمع - وذلك يكون نتيجة للارتباطات السليمة بين المنظومات الجزئية القاعدية لهذا المجتمع .

● مخاوف من السيبرنطيقا

هناك نفر قليل من العلماء لهم القدرة على الرؤية المستقبلية للاشياء وتتجاوز رؤيتهم هذه ، مجال تخصصاتهم الدقيقة الى محيط أوسع وأشمل وهم قادرون على التنبؤ احيانا - باشياء قد لايفهمها معاصروهم وتحقق هذه الرؤى والتنبؤات عادة بعد ما يوارى التراب - اجسادهم ويتحولون الى ذكرى ، ويبدو أن « فينير - ابو السيبرنطيقا » من هؤلاء القلة من العلماء فلنتأمل معا ماكتبه هذا العالم الجليل عام ١٩٤٧ فى مقدمته لكتابه الاول عن ذلك العلم الوليد آنذاك - السيبرنطيقا - يقول « فينير »

إن هذا التقدم الجديد ( يقصد فى علوم السيبرنطيقا ) قد فك اسار احتمالات كبيرة للخير والشر ، حيث يجعل السيادة الخرافية للآلة مشكلة مباشرة الى اقصى درجة وخالية من اى مجاز ، اذ يضع هذا التقدم تحت تصرف الجنس البشرى فريقا جديدا شديد الفعالية من العبيد الآليين ليقوم بالعمل بدلا منه ومثل هذا العمل الآلى له معظم الخواص الاقتصادية لتشغيل العبيد مع الفارق انه لاينطوى على الوجه اللا أخلاقى للقسوة البشرية ،

ومع ذلك فان أى عمل يقبل ظروف التنافس مع تشغيل العبيد هو اساسا ـ تشغيل للعبيد وحجر الزاوية هنا هو كلمة « منافسة » ، فهل فى صالح البشرية ان تمحو الآلة عن عاتق البشرية الاعمال الكريهة ... ؟ قد يكون الامر كذلك ، وقد لايكون إنى لست أدرى ... لقد كانت حصيلة الثورة الصناعية الاولى هى هبوط قيمة الذراع البشرى أمام منافسة الآلة وبالمثل فان الثورة الصناعية الثانية ـ وهى السيبرنطيقا ـ لامفر أن تهبط بقيمة المخ البشرى على الاقل فى ابسط قراراته واكثرها روتينية ولكن .. لو اعتبرنا ان الثورة الصناعية الثانية قد حققت فاننا نجد ان الانسان المتوسط الحال ذا المكاسب الضعيفة لن يتوافر لديه للبيع ما يمكن ان يساوى مايدفعه أى مشتر من النقود ، والحل هو بالطبع ان نقيم مجتمعنا بحيث لايقوم على قاعدة البيع والشراء ، بل على قيم بشرية اخرى .... ويختم « فينير » كلامه قائلا : إن من يأملون أن الخير الذى يقدمه هذا المجال من البحث نحو فهم افضل للانسان والمجتمع قد يسبق ويفوق الاسهام العرضى الذى يقدمه فى سبيل تركيز القوة ( وهى تتركز دائما بحكم ذات ظروف وجودها فى ايدى اشد الناس استهتارا ) .

انى اكتب هذا الكلام عام ١٩٤٧ وانى مضطر الى القول بان ذلك الامل واه جدا « انتهى كلام فينير » .

واذا تأملنا ما كتبه هذا الرجل منذ اكثر من ربع قرن من الزمان ، لوجدنا أن مخاوفه وشكوكه قد تحققت فقد ساهمت علوم السيبرنطيقا فى التقدم التقنى الباهر الذى طوعته الدول الغنية فى اتجاه القوة وصناعة السلاح ، واصبحت هذه الدول تهدد بالسلاح تارة وتبيعه بافدح الاثمان تارة أخرى لمن يعانون من الجوع والتخلف لقد زادت الفجوة بين مالكى التقنية والدول المتخلفة ، ولم تتغير القيم البشرية كما كان يأمل « فينير » بل اصبحت الدول الغنية اكثر شراهة للمال وزاد استعبادها للدول المتخلفة تبيعها تقنية الدمار ، وتقبض الثمن ازدهارا ورفاهية بلغت حد التخمة ولعل النتائج السلبية التى توصل اليها مؤتمر « فيينا » ـ الخاص ببحث وسائل نقل العلم والتقنية من اجل التنمية والذى عقد عام ١٩٧٩ لاكبر دليل على رفض الدول الغنية مساعدة الدول النامية وقد عقدت عدة محاورات بين الدول الغنية والنامية ، ولكنها على حد قول بعضهم كانت كالحوار بين الصم فالدول الغنية تابى تقديم يد العون وترفض تغيير القيم الانسانية للمجتمع ، ومن ناحية اخرى فلقد كان لانتشار السيبرنطيقا فى المجالات الانتاجية فى المجتمع الصناعى ، اكبر الاثر فى الاستغناء عن كثير من الايدى العاملة ـ بل وتعدى ذلك الى الاستغناء عن بعض الوظائف الراقية كالمهندسين والمحاسبين وغيرهم مما ادى الى انتشار البطالة فى الدول الغنية بالقدر الذى لم يعرف له مثيل من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ، فان علوم السيبرنطيقا ، وعلى راسها الحواسب الالكترونية ـ مازالت فى مرحلة تطور سريع ـ اذ دخلت الحواسب الالكترونية جيلها الخامس ، حيث يؤمل فى اجهزة الكترونية قادرة على تقليد العقل الانسانى فى تفكيره .

ترى الى اين يسير البشر ... الأسياد منهم والعبيد ... ؟

# انت .. و الهلال

## • الى اطفال الضفة

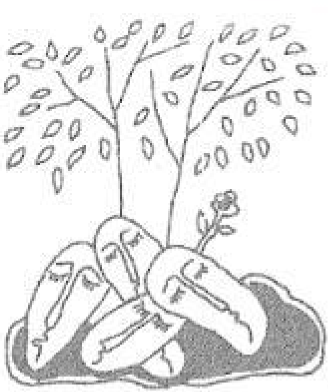


على خرمة رضعت من دماء ابي
الذت فى الجمـاجم عصفورة :
و ... طنى ... و ... طنى
طـارت الاقبية
تنادى النبيون : هيـ .. يا
فغرت جميع الحوائط
وابتسم الجـــرح ..
كانت « خناس » على الجسر
زغرودة ... والحجارة انشودة
والملائك ترقص اطرافها
فى مقـدمة العرس :
لبيك ... لبيك ... لبيك ... يا
وطنى ..

احمد محمد ابراهيم
ايتوب

## • الوطن المحتل

ما بين قتيل وجريح
الفيتك يا وطنى المحتـــل
ورأيتك فى الحرف المعتق
ورأيتك فى السيف المسلول
رأيتك تبزغ وسط الطل
تهم وتنهض مثل جبل
ما بين قتيل وجريح
الفيتك يا وطنى المحتل
ورأيتك حين يموت الطفل
اذا ما دوت طلقة نار
ورأيتك فى انهار الدم
تسح على غصن الزيتون
فتلتحم الاوراق خياما ضد البرد
وتلتحم الازهار ازار



حمدى عابدين

● ولد ميخائيل نعيمة على الارجح بمدينة بسكنتا بجبل لبنان سنة ١٨٨٩ وانتقل الى مدينة الناصرة بفلسطين لكي يكمل تعليمه حيث التحق بمدرسة المعلمين الروسية وبعد أربع سنوات اختارته ادارة المدرسة ليسافر على نفقتها الى روسيا القيصرية فسافر الى « بلوتافا » حيث درس فى كليتها خمس سنوات ثم درس فى امريكا سنة ١٩١١ ونزل فى ولاية بوسطن حيث يقيم أخواه ، وبدأ ينشر مقالاته في مجلة « الفنون » مقالات نقدية وقصصا ثم راسله صاحب المجلة الشاعر نسيب عريضة وسافر الى نيويورك وتعرف على الادباء العرب الذين يعيشون فى أمريكا وبخاصة اللبنانيون وتكونت الرابطة القلمية وكانت تضم ١٥٠ شاعرا · وانخرط فى الجيش الامريكى خلال الحرب العالمية الاولى وذهب الى ساحة الحرب فى فرنسا وانتهز فرصة وجوده فى أوروبا وحضر عددا من المحاضرات في فرنسا وبلجيكا ثم ترك الجيش سنة ١٩١٩ وعاد الى نيويورك واقام فيها ثلاثة عشر عاما اسهم خلالها بنشاط أدبى كبير ، وكان يعمل فى متجر بمرتب متواضع وكتب قصيدة « أخى » الشهيرة وهو جالس فى المتجر وفي تلك الوقت كان جبران خليل جبران قد توفى وغادر ميخائيل نعيمة أمريكا وعاد الى بلدته بسكنتا في لبنان يحمل مخطوطات مؤلفاته التى بلغت الخمسين مؤلفا · نذكر منها على سبيل المثال ديوانه الشعرى « همس الجفون » ثم قصصه وخواطره فى كتابه « كان ما كان » وكتابه النقدى الهام الغربال سنة ١٩٢٠ وكتب مقدمته العقاد وطبع أكثر من عشرين طبعة ، وترجمت كتب ميخائيل نعيمة الى أكثر من عشرين لغة ·

ويقول الدكتور محمد مندور فى المنهج النقدى فى كتاب الغربال لميخائيل نعيمة هو المنهج الذاتى التأثرى فهو يقول « ان لكل ناقد غرباله لكل موازينه ومقاييسه وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا فى السماء ولا فى الارض ولا قوة تدعمها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه وقوة الناقد هى ما يبطن به والمقاييس الادبية التى يرتضيها ميخائيل نعيمة :

١ ــ حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية من رجاء ويأس وفوز وفشل وايمان ·

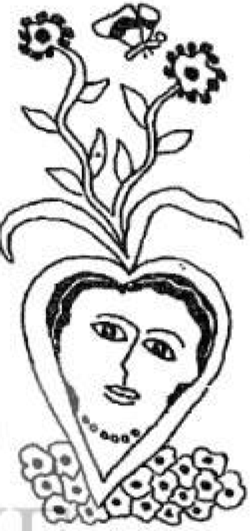
٢ ــ حاجتنا الى نور نهتدى به فى الحياة وليس من نور نهتدى به غير نور الحقيقة ، حقيقة ما فى نفسنا ·

٣ ــ حاجتنا الى الجميل في كل شيء ففى الروح عطش لا ينطفىء الى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال ·

٤ ــ حاجتنا الى الموسيقى ففى الروح ميل عجيب الى الاصوات · والالحان لا ندرك كنهه ·

واطلع ميخائيل نعيمة على الادب الروسى والانجليزى والالمانى والفرنسى والامريكى · وتوفى ميخائيل نعيمة عن عمر يناهز ٩٩ عاما وينتمى الى جيل الرواد فى الادب العربى مثل احمد شوقى وجبران وايليا أبى ماضى والياس فرحات وطه حسين والعقاد ·

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية ــ القاهرة



● عيد الام

اماه عيـــدك سيد الأعيـــاد
ضافى الجـــلالة مشرق الاسعاد
قد جاء يرفل فى مطـــارف حسنه
ومكـــللا بالزهـــر والاوراد
فزهـــا بمقـــدمه الربيع ، وغردت
اطيـــاره فرحـــا على الاعواد
يمضى الربيع ، وروض عيدك مزهر
نضر الشـــباب على مـــدى الآباد
يا خيـــر من ضم الحنـــان فؤاده
وشـــمت مآثرها على التعـــداد
كم من يد بيضـــاء انكـــرها وفى
نفسى لهـــا قدســـية ، وفؤادى
افـــديك من ام وقفت لحبهـــا
ـ طول الحياة ـ مشـــاعرى ووددادى
مصـــر بعيدك كـــل عام تحتفى
وتذيع عنـــك روائع الامجـــاد
وتصـــوغ اصدق حبهـــا لك مدحة
تشـــدو بطيب صـــنائع وايادى

محمد امين الجندى
كوم حمـادة

● مجرد اجراءات

● تلك الوريقات الصفراء الميتـة التى سقطت بالامس أصـــابتنى بالاكتئاب المقيقى ·· لزمت حجرتى ··

لم يكن ثمة داع للخروج فى مثل هذا الوقت من النهار ··

يلوح من بعيد الافق الملبد الصدور ·· زفرات من نصب ولهـــاث من تمزق ·· الوريقات القليلة المتناثرة على افرع الشجرة العتيقة تتهيأ هى الاخرى للسقوط ·

ازداد كآبة وتشبثا بسريرى ··

فسدت عرضاته بعد أن نخرها البق اللعين ··

التصقت واحدة بقفاى وراحت تمص البقية الباقية من دمى ··

قال الطبيب دون أن يلمس أدواته : فقر دم ·· يبدو انك تمارس الـ···
كثيرا ··
كان منتفخ الوجه أبيض كالجير الحى ·· تساءلت : وما علاقة فقر الدم بذلك ؟؟ ويبدو أن صوتى كان واهنا لدرجة انه لم يعلق البتة ·
ذو الوجه المنتفخ والرأس الكبير المنسق بطريقة بشعة خط على ورقة نتيجة قديمة : ··· حـديد ··
أرشدنى بعنجهية الى صيدلية بعينها ونادى : غيره ··
هبطت يدى على قفاى بطريقة لا ارادية وضغطت بشدة أصـابعى ··
قالت أمى بحزن صادق :
ـ تزداد نحولا كل يوم ·· ماذا حدث لك ؟؟ أمى أكثر نحولا من هـرة البيت العجوز ·· زارنى جدى الشيخ فى احدى ليلات الصيف الفائت كابى الوجه ، شارد النظرات ، ورغم أننى لم أره حيا الا أننى عرفته ·· قلت ببراءة شديدة لا تتناسب مطلقا مع عمرى :
ـ هل عدت يا جدى ؟؟
ضربنى بقسوة على صدرى ، وقال :
ـ تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا ابدا ·
كانت الارض تفح سعارها النارى من تحتى ·· تلفت فى داخلى فلم أجد غير عظام نخرة ·· زعقت :
ـ يا جدى الشيخ هل من علامة ؟؟
قذفنى بهراوة ثقيلة كانت فى يده وتلاشى مخلفا وراءه صورته المثبتة على الجدار المقابل لذاكرتى بتحد صارخ ··
أبى قال متهكما : هل تغطيت جيدا قبل النوم ؟؟ فلم أرد ·
أمس الاول هاجم الذباب الازرق الكبير أوزة مسالمة كانت تحمل على ظهرها أولادها وأولاد جارة عزيزة غائبة وهى فى سبيلهـا الى الترعة القريبة ·· أنزلوها عنوة وسط خرابة تسكنها فصيلة مشابهة وأشبعوها ركلا وصفعا ·· راوغت الاوزة البيضاء حتى تمكنت من الخروج بسلام ·· وعندما وصلت الى الترعة اكتشفت أن الماء قد غيض وأن الاولاد ليسوا على ظهرها ··
وقفت تنوح على الحافة المشققة مهددة ذباب الارض قاطبة ··
عادها الذباب الازرق الكبير وعلى ظهره أجولة الارز والحنطة والسمن وأقماع السكر والنشادر ·· خمش ظهرها بحنو بالغ وأبلغها مبتسما أن الاولاد فى الحفظ والصون ثمة اجراءات ذبابية وبعدها تصير الامـور كالحليب الجاف ·· أما أولاد الجارة الـ ··· فهم طاعون مؤذ يجب اجتثاثه ··
ورغم أن الاوزة البيضاء أدارت رأسها الصغير للجهة الاخرى راسمة الغضب ·· فان أذنها اليمنى كانت معهم تماما ··
انبعثت من بين أصابعى رائحة الدم الكريه ··
كانت الاوراق الذابلة تتساقط الواحـدة تلو الاخـرى أمـام عينى الزجـاجيتين ··
تحسست بلسعة على قفاى تلتها لسعات أشد ··
ابتلعت حبة ( فاليوم ) واستلقيت على سريرى المخرب مرددا :

## أنت .. و الهلال

ـ انها مجرد اجراءات ..

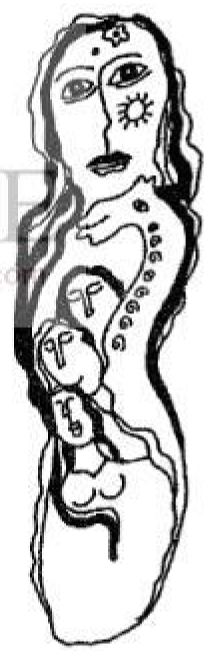
ترنمت ببعض أبيات من الشعر اقتطعتها من قلبى فى ليلة من ليالى الخريف الموحشة ومازلت أزاول المثابرة ..

**فوزى صالح**

### لماذا ؟

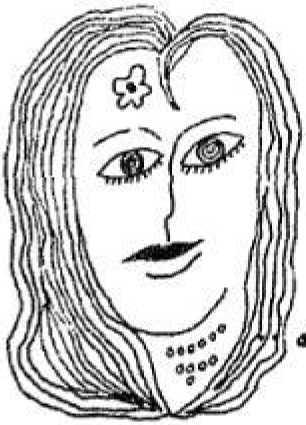


**لماذا يضل الجواد الطريق ؟!**
**لان الطريق اليك**
**قصير طويل**
**لماذا تئن عذارى المدينة ؟!**
**( لأن الجراح ... )**
**شموس على وجنتيه**
**لأن الحقيقة ماتت**
**وصار الخلاص محالا**
**لماذا المدى طيف حزن وقفر ؟!**
**لأن الأمان ...**
**يخاصم فيك خفافه**
**لماذا يموت الصباح ؟!**
**( لأن الرياح ... )**
**عجوز عقيم**
**تثور بكل البحار وتضرب !**
**وتخرق قلب السفينة**
**وتحرق كل المدينة**
**( لأن الرياح ... )**
**تصير رماحا**
**تحاصرنى**
**وترشق فى وجهى المستباح**
**وتفجئنى**
**بالسنين العجاف**
**انا لا اخاف**
**فعندى خزائن كل المؤن ......!**
**عذاب وصمت**
**جراح وسجن**
**دخان وخوف وملح ..**



**محمود احمد المصلى**
**المنصورة**

## متى ألقاك ؟



أفتش عن ملامحك التى غابت
اراها فوق هذا الافق
اذا وليت وجهى اينما شئت
استوى وجه الحبيب يفيض نورا
يخصب الايام .. صوحها لهيب الشوق
وان قابلت من اهوى ..
بكيت غياب من اهوى !!
تغير وجه من اهوى .
افتش عن ملامحك الجميلة يا حبيب القلب غابت عنه
افتش عن ملامحك الرحيمة يا حبيب العمر تاهت منه
متى القاك فى عينيك ؟؟
متى القاك فى شفتيك ؟؟
متى القاك فى وجهك ؟؟
متى القــاك ؟؟
ابحث عنك ..
ابحث عنك ..
ابحث عنك ..

احمـد عامر
شبين القناطر



## كلمات أدبية

● مع الحكمــاء :
سأل رجل أحد الحكماء : كم عمرك ؟ قال الحكيم : صحتى جيـدة والحمد لله . سأل الرجل : كم وقرضمن المال ؟ قال الحكيم : ليسـت على ديون والحمد لله . سأل الرجل : كـم عدو لك ؟ قال الحكيـم : قلبى نظيف ولسانى عفيف والحمد لله .

● من التـــراث :
من كتاب الاغانى للاصفهانى : جىء بعبد الله بن مسلم الى هـارون الرشيد وكان قد خرج على طاعته ولمـا مثل بين يديه قال : يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه غـدا أذل منى بين يديك الان وبالذى هو أقدر على عقابك منك على ألا عفوت عنه فعفى عنه الرشيد وأمنه على نفسه لما ذكر مقدرة الله عليه اذا أراد عقابه .

● فضـيلة الصمت :
قال الامام الشافعى : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر . وفى الصمت قال لقمان الحكيم : اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك .

● يوميـــات كاتب :
كتب الاديب ابراهيم عبد القادر المـازنى فى احدى يومياته : أنا زوج الحياة الذى لا يستريح من تكاليفها فعندما أصحو من النوم اكتب وأنا

# أنت.. و الهلال

اتناول طعام الافطار وأفكر فيما اكتب فالتهم لقمة وأحفظ سطرا وأنام فأحلم انى اهتديت الى موضوع فافتح عينى فاذا بى قد نسيته ٠

● **كلمـــات جـديدة :**

اقترح المجمع اللغوى اطلاق كلمة الخاطفة بدلا من الة التصوير وكلمة المثوى بدلا من البنسيون وأبو المثوى بدلا من صاحب البنسيون وكلمة عبور بدلا من ترانزيت وكلمة تامين بدلا من البوليصة وكلمة رقائق الخشب بدلا من ابلكاش كما اقترح المجمع اطلاق اسم الخبائز بدلا من البسكويت فاذا كان البسكويت مملحا سمى خبائز مملحة واذا كان بالسكر سمى خبائز محلاة ٠

**محمد أمين عيسوى**
**هيئة قناة السويس بالاسماعيلية**

● عندى سؤال



واسأل نفسى
لماذا احبك ٠٠ رغم اعترافى
بان هوانا ـ محال ـ محال
رغم اعترافى بانك وهم
وانك صبح سريع الزوال
رغم اعترافى بانك طيف
وانك فى العشق بعض الخيال
واسأل نفسى : لماذا أحب
اذا كنت شيئا بعيد المنال
لماذا احبك فى كل حال
لماذا احبك
انهار شوق ٠٠ وواحات عشق
نمت فى عروقى واضحت تلال
لماذا أحبك قلبا وعقلا
واسأل نفسى كثيرا كثيرا ٠٠ وحين اجبت
وجدت الاجابة نفس السؤال

**عبد العزيز جويدة**
**الجيزة**



● الرقابة والفيلم الجيد

● أصبحت الرقابة المصرية الان تقف حـائلا بين المشاهد المصرى والفيلم السينمائى الجيد ٠٠ وعلى حد قول الاستاذة نعيمة حمدى أن الرقابة

تمنع الافلام المخلة أو بعض المشاهد الخارجة حفاظا على عاداتنا وتقاليدنا ولا تمنع الافلام ذات الطابع السياسى أو التى تنقد المجتمع المصرى الان ·

لكن اذا شاهدنا فيلم « البرىء » لعاطف الطيب نجد ان الفيلم حذف منه الكثير وتغيرت النهاية ، وفيلم اخر تأخر كثيرا حتى عرض وهو فيلم « العصابة » ولم يعرض الا اسبوعا واحدا لانه ضد معاهدة كامب ديفيد ومن المعروف أن الفيلم عرض المذابح التى ارتكبتها اسرائيل ·

ولم تكتف الرقابة بالافلام العربية بل عبثت بالافلام الامريكية الواقعية الجادة مثل فيلم « بلاتون » أو « القوة المدمرة » هذا الفيلم عن الحرب الفيتنامية ، ويبين وحشية امريكا فى هذا الغزو ·

هذا الفيلم قد اشترك فى الحرب ولذا فان الفيلم من الافلام الجادة جدا ويصور واقع الحرب دون اضافة أو تشويه ، وقد شوهته الرقابة بالحذف وغيرت معناه ·

ولابد أن تعلم الرقابة أن طريقتها فى تشويه الافلام سوف تفقدها الريادة وسوف تفقدها كل ما تملك ، ولابد أن هذا جيد ·

حازم صلاح عمر

● مع اصدقائنا

● سمير أبو النصر حافظ ـ الاسماعيلية :

ـ نحن ننشر من الشعر ما يصلح للنشر وهو قليل مع الاسف ، وليس من خطتنا عدم نشر الشعر كما تظن ، وتجد فى هذا العدد ثمانى قصائد مرة واحدة ·

● كريمة احمد عبد المجيد ـ اسيوط :

ـ لم نفهم مقصودك من قصيدتك التى عنوانها « لست شاعرا » ·· هل تريدين الا يهتم الشاعر بقضايا وطنه ، ويقتصر على « التغريد » فقط مثل طيور البساتين والحقول ؟!

● عمرو محمد عبد الحميد ـ « مصر العربية » :

ـ أنت لا تكتب من عنوانك الا كلمتين هما : « مصر العربية » ولكن هذا عنوان كل المصريين لا عنوانك وحدك ·· فحاول أن تفرق بين الخاص والعام فى تفكيرك ·· أما اقصوصتك التى اعتذرنا اليك من عدم نشرها فلا توجب كل هذا الحنق الذى ابديته فى رسالتك الينا ، وأنت تقول انها ستنشر قريبا فى واحدة من أرقى المجلات الادبية ، فنهنئك مقدما ونسألك : لماذا تزعل اذن ؟ وأنت تتوهم أن محرر هذا الباب لا يعرف أن القصة الحديثة ليست حكاية ولكنها ـ على حد قولك ـ « استخدام شديد الخصوصية للالفاظ يرقى بالكتابة الادبية الى درجة الرسم والموسيقى » ·· ولا نملك الا أن نشد على يدك ونقول لك : هنيئا لك هذا الرسم وهذه الموسيقى ، وما أبعدك عن الانصاف يا بنى وأنت تتحدث عن بديع الزمان الهمذانى ، وما اقل معرفتك بقراءات محرر هذا الباب واهتماماته !·

ونشكر اصدقاءنا الاساتذة : رفعت عبد الوهاب المرصفى ·· عاصم فريد البرقوقى ·· عبد الرحيم الماسخ ·· رفعت محمد بروبى ·· رضا ابراهيم عبد المعطى ·· ايمان ابراهيم عبد المعطى ·· ابراهيم أحمد عبده ·

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .


دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

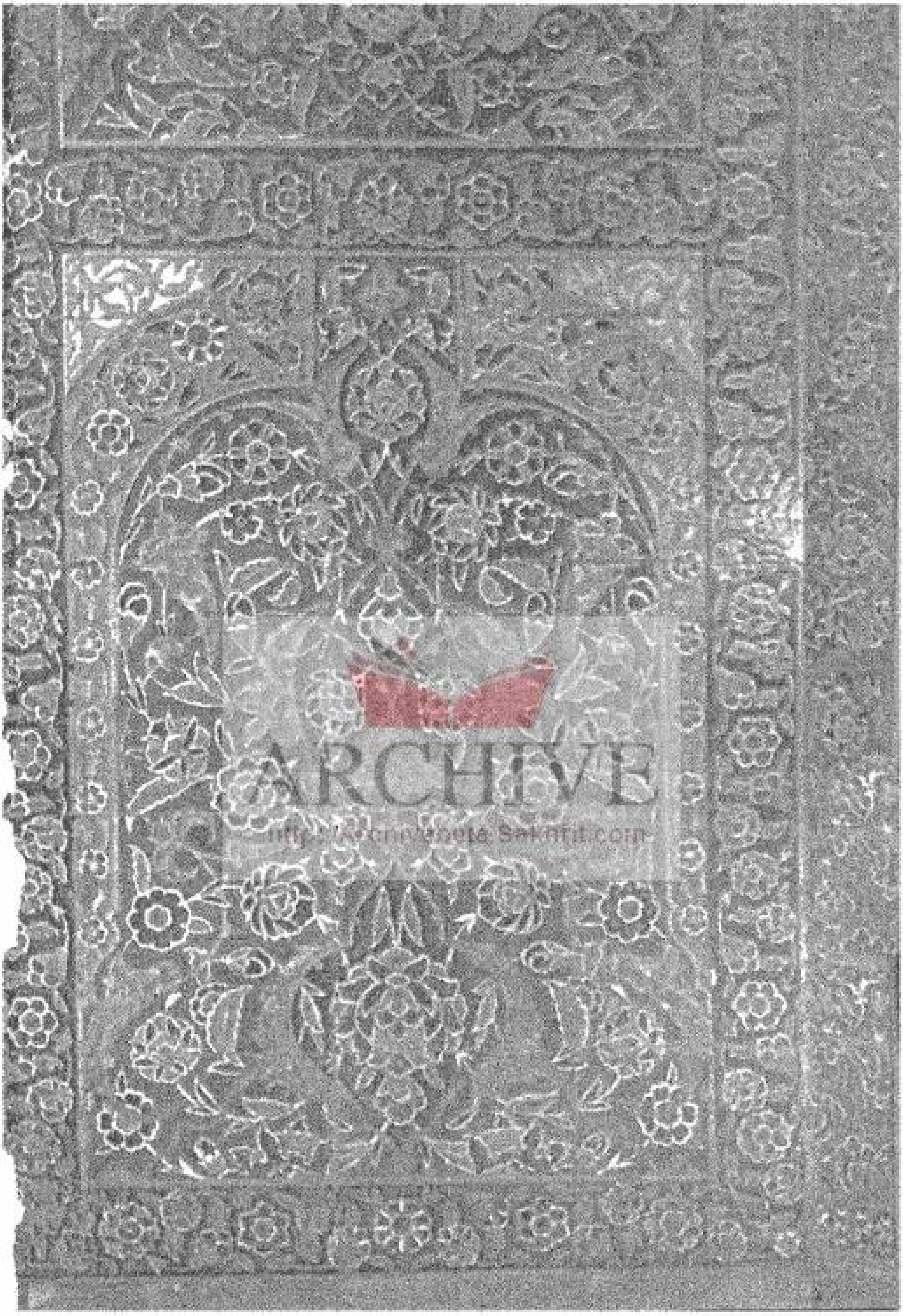
وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيوني زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤


أسعار البيع للعدد العادى فئة [illegible] قرشا

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |



الهلال
مايو ١٩٨٨ ، الثمن ٦٠ قرشا
رمضان أيام زمان
النجمة المصرية في الفن والتاريخ
دور المراكز الثقافية في مصر
فانوس القدس الشريف



# الهلال

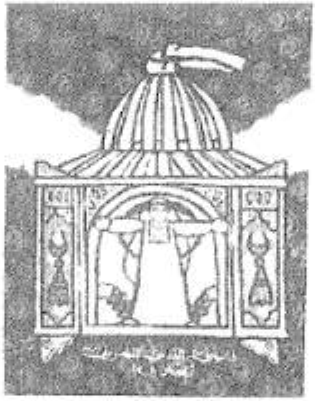
السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م . اول مايو سنة ١٩٨٨ ـ ١٥ رمضان سنة ١٤٠٨ هـ



## من روائع الفن الإسلامي

قطعة فنية من ضريح شهزاده محمد بمسجد السلطان سليم باستانبول استخدمت فيها البلاطات ذات الطلاء المتعدد الألوان ، وتتفوق هذه البلاطات كثيراً على بلاطات بورسة ، من حيث دقة الصنع وروعة اللون وثراء التصميم .



● تصميم الغلاف
الفنان : حلمى التونى

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

## قضايا حيوية :



## دراسة الهلال



## قصة وشعر





## الأبواب الثابتة

# عزيزى القارىء

## رمضان موسم ثقافى

شهر رمضان موسم دينى اصيل منذ نزل فيه القرآن الكريم على النبى الأمين قبل ألف واربعمائة عام ..

وهذا الموسم الدينى - فى جانب كبير منه - موسم ثقافى أيضا .. فالدين علم وثقافة ، والعارفون بالدين اسمهم « علماء » .. وقد كانوا خلال اربعة عشر قرنا هم غالبية مثقفى الأمة وقادة الرأى فى شئون الدنيا والدين .

والقرآن الذى نزل فى شهر رمضان هو كتاب العربية الأعظم ، عاشت به اللغة العربية التى هى اساس استمرار وجود الأمة العربية .. ولولا الأمة العربية ما انتشر الاسلام فى العالم خلال القرن الأول الهجرى ، ولولاها ما بقى بعد ذلك إلى القرن الخامس عشر وما سوف يتلوه من التاريخ الهجرى المديد ..

والعرب هم الذين جمعوا القرآن فى ستة مصاحف متطابقة الرسم فى عهد عثمان بن عفان ، وفرقوها فى المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق فانبعثت منذ ذلك الحين اكبر حركة فكرية وعلمية وثقافية فى التاريخ دارت حول كتاب سماوى ..

وكانت المصاحف الستة غير منقوطة ، وغير مشكولة ، فاختلفت فى نطقها الالسنة ، حتى وضع ابو الأسود الدؤلى فى العصر الأموى علامات التنقيط ، ولكنها لم تكن كافية لضبط القراءة ، فوضع الخليل بن احمد فى العصر العباسى علامات الشكل وغيرها .. وتبلورت سبع او عشر قراءات ، او اربع عشرة قراءة ، تتفق فى كل شىء إلا فى قليل من النقط وعلامات التشكيل وحركات الامالة وتصريف الافعال ، وعدد الآيات والكلمات ..

فقراءة حفص تقرأ : « الرياح بشرا ... » بالباء .. ورواية ورش تقرأ : « نشرا .. » بالنون .. وفى سورة « الحديد » يقرأ حفص : « فإن الله هو الغنى الحميد » .. ويقرأ ورش : « فإن الله الغنى الحميد » بحذف « هو » .. وفى سورة « الشمس » يقرأ حفص : « ولايخاف .. » بالواو .. ويقرأ ورش : « فلا يخاف .. » بالفاء ..

ويختلف عدد آيات القرآن بين حفص وورش بسبب تقسيم الآية الواحدة إلى آيتين .

او إدماج الآيتين فى آية واحدة .. وليس حفص وورش إلا قارئين اثنين من قراء كثيرين وعلماء قراءات لا حصر لهم ..

وقد اجمع المسلمون منذ كتابة مصاحف عثمان على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، ولم يأخذوا بما قاله الصحابى الكبير عبدالله بن مسعود من أنها مائة واثنتا عشرة فقط ، وأن سورتى « قل أعوذ برب الناس » و « قل أعوذ برب الفلق » ليستا من القرآن وإنما هما من أدعية النبى للحسن والحسين .. وكان المصحف الذى كتبه ابن مسعود لايتضمن هاتين السورتين اللتين تضمنتهما مصاحف عثمان بن عفان التى أقرها الصحابة من مؤيدى عثمان ومعارضيه جميعا ..

هكذا كان القرآن محور الفكر والثقافة والبحث عن الحقيقة والحوار بين المسلمين ، من الأندلس إلى الهند ، ومن حدود الروم إلى عدن وبحر الهند ، فضلا عن العمل الجبار فى التفسير والفقه وسائر علوم ذلك الكتاب العظيم الذى نزله به الوحى فى شهر رمضان الكريم ..

وما أحوجنا الآن إلى هذه السعة فى التحرك حول القرآن بعد أن تكاثرت حوله أوهام المتطرفين ، وتخرصات القشوريين الذين تخلفوا عن العصر وتحصنوا فى مارستان أقاموه بأيديهم وسجنوا عقولهم وراء جدرانه الصماء ! ..

على أنه بالرغم من التيارات الهوجاء التى استقطبت بعض العناصر متشدقة بالدعاوى الدينية القائمة على الأوهام ، لم يتوقف شهر رمضان الكريم عن العطاء بسخاء فى أيامنا هذه كموسم حافل للثقافة العربية الإسلامية المبرأة من الشوائب والشعوذات ..

إن شهر رمضان الزاهر يبسط رداءه الثقافى على مجالات واسعة فى الصحف والإذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما والندوات والسهرات ... وقد يختلط فى هذه السلحات غث الفكر بسمينه ، وصحيح القول بباطله ، ولكن الحصيلة تجىء فى النهاية محققة للفائدة المرجوة ..

وقد انقلب هذا الشهر الكريم عند بعض الناس طعاما كثيرا للبطون ولكنه بقى فى جملته طعاما وفيرا للعقول والأرواح ، وانتصرت فيه أفكار العقلاء المخلصين على شطحات الجهلاء والمتشنجين ..

وفى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر نزل القرآن ، وهى ليلة الدعاء المستجاب .. فاللهم - يا أكرم الأكرمين - تقبل دعاءنا هذا إن وافق صعوده إلى سمائك انبلاج هذه الليلة المباركة : « اللهم انقذ الاسلام من أعدائه الصهيونيين وأعدائه الاستعماريين ، ومن بعض أبنائه الأغرار الذين جهلوا حقيقته فتحولت أعمالهم التى يظنونها جهادا ، إلى معاول تحاول هدمه وتضع نفسها بلا وعى فى خدمة الاستعمار والصهيونية » ! ..

« اللهم اجعل عمل أولئك الأعداء الألداء ، وهؤلاء الأبناء غير الأسوياء ، حصيدا تذروه الريح الهوجاء » ! ..

اللهم آمين ! ..

رمضان زمان

# رمضان في مصر المملوكية

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

لم تكن الدولة المملوكية فى عهديها بالسوء الذى يحاول بعض المؤرخين تصويرها به ، حين لا يرون فيها غير فوضى الحكم وظلم السلاطين ، وإنما كانت لها أمجاد حقيقية في مجالات عديدة ، حربية ومدنية وثقافية ، وحققت إنجازات حضارية راقية ، فى مجال المعمار والخدمات الاجتماعية .

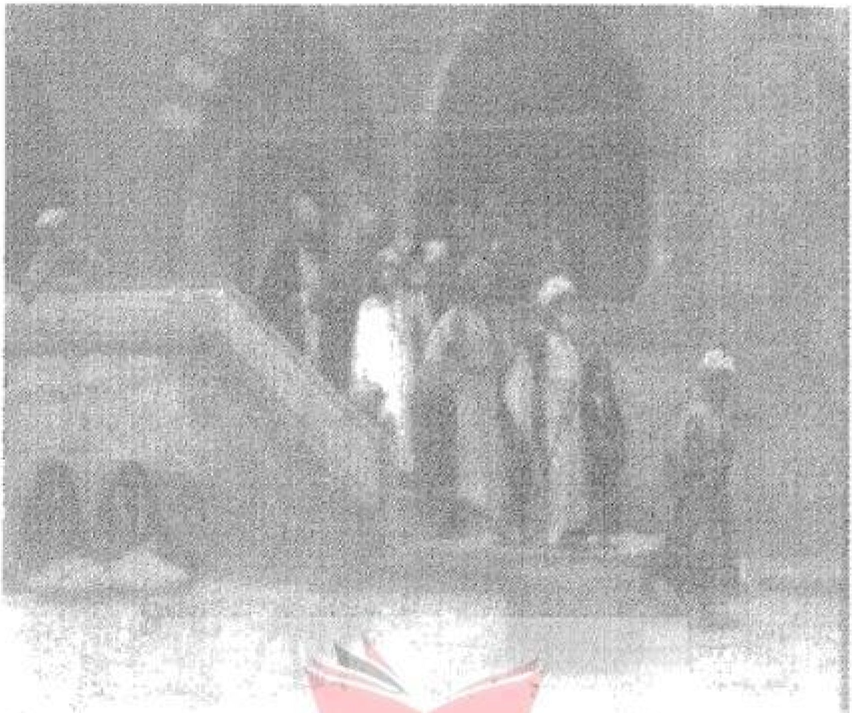
فقد نجح المماليك فى صد تيار المغول الذين قوّضوا بغداد ، وعرضوا الحضارة الاسلامية كلها للضياع ، ووفقوا توفيقا عظيما فى مكافحة الصليبيين ، وطردوا البقية الباقية منهم نهائيا من السواحل الاسلامية .



وأضفى السلاطين على انفسهم صفة شرعية حين حاولوا إحياء الخلافة واتوا بالخلفاء العباسيين ليقيموا فى القاهرة ، وهى منزلة لم يصب إليها غيرهم من الحكام المسلمين فى ذلك الزمان ، وكل ذلك خلق للقاهرة صورة فى اذهان الناس اتت على صور ما سبقها من عواصم ، مما يتجلى فى القسم المصرى من كتاب الف ليلة وليلة .

وكما حمت مصر بسيوفها بلاد الاسلام من خطر المغول ، كذلك حمت باقلامها ، وإيوائها ، تراث الاسلام الذى اوشك الخطر ان ياتى عليه ، فقد فتحت بعد كارثة بغداد ابوابها لكل النازحين اليها من العلماء والادباء الفارين من وجه الخطر المغولى من العراق وما وراءه ، ووفد عليها الاندلسيون الذين سقطت اوطانهم فى يد النصارى الاسبان ، او الذين خافوا السقوط ، كما وفد قبل هؤلاء علماء صقلية وادباؤها بعد أن احتلها النورمان .

كل هؤلاء الوافدين وجدوا الأمن ، وجرت عليهم الأرزاق من الدولة ، فعكفوا على جمع مواد الثقافة الاسلامية مع علماء مصر ، فى موسوعات ضخمة ، لا تزال المورد العذب لكل الناهلين من التراث ، والراغبين فى الارتواء من ينابيعه ،



جماعات المسلمين الذين تكتظ بهم المساجد فى رمضان يغادرون المسجد بعد صلاة الجماعة



وتتجلى آثاره واضحة فى لسان العرب لابن منظور ، ونهاية الأرب للنويرى ، وصبح الاعشى للقلقشندى ، ومسالك الابصار فى ممالك الامصار لابن فضل الله العمرى ، وموسوعات أخرى كثيرة .

وازدهرت الصناعات المختلفة ، من صناعة النسيج والقماش والملابس ، والأثاث والجلود والحلى ، والمعادن والزجاج الملون والاسلحة والسفن ، واصبح لكل فئة من الصناع نقابة خاصة بهم ، تنظر فى شئونهم ، فيما يقع بينهم ، أو يتصل بعلاقتهم بالدولة ، أو فيما بينهم وبين الشعب .

ولم تكن التجارة بأقل ازدهارا ، إذ كانت مصر تمسك بالشطر الأكبر من أزمة التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وتحصل من مكوسها على دخل ضخم ، وتجلى هذا الثراء واضحا فى بناء القصور الباذخة ، والتفنن فى ألوان المتع والبهجة .

ومع الثراء والامن عادت الأعياد الكثيرة التى كانت مصر تعرفها فى العصر الفاطمى ، وزادت عليها الاحتفال بعيد محمل الحج .

ومع أن المدونات قلما تعنى بالحياة الاجتماعية عند عامة الناس ، وإنما تعرض لها عجل ، فى سطور قليلة ،

وإشارات موجزة ومتناثرة ، ولم يكن الرحالة الأجانب قد بدأوا يتدفقون عليها بعد ، وحتى الرحالة العرب ، وجلهم من المغاربة ، كانوا قلة ، ولهذا كان التاريخ للحياة الاجتماعية صعبا الى حد كبير ، ولو انه ممكن على اية حال .

● الاحتفال بشهر الصوم

كان احتفاء المصريين برمضان يبدأ شعبيا وحكوميا في اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، ففي المساء من هذا اليوم يترقب الناس الهلال ، فيعتلون مع غروب الشمس اسطح المساجد والمآذن والبيوت العالية ، في احتفال رسمي يضم كبار العلماء ورجال الدين والصوفية والدولة ، الى جانب ما تقوم به جماعات متفرقة في مختلف انحاء المدينة وفي القرى ، فإذا رآه اثنان اخبرا القاضي ، وشهدا على ذلك عنده ، واعلن بدء الصيام .

وقد ترك لنا الرحالة المغربي ابن بطوطة ، وزار مصر علم ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٥ م ، وصفا دقيقا للاحتفال برؤية هلال رمضان ، في مدينة الابيار قرب المحلة الكبرى ، يمكن ان نعتبره صورة مصغرة لما كان يجرى في المدن الكبرى ، يقول :

«ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي ، وهو كريم الشمائل كبير القدر ، حضرت عنده مرة يوم الرُّكبة ، وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان ، وعادتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي ، ويقف على الباب نقيب المتعممين ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة ، فإذا أتى احد الفقهاء او الوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلا : بسم الله سيدنا فلان الدين ، فيسمع القاضي ومن معه ، فيقومون له ، ويجلسه النقيب في موضع يليق به ، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب مرة من معه أجمعين ، وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان ، وينتهون الى موضع مرتفع خارج المدينة ، وهو مرتقب الهلال عندهم ، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش ، فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ، ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب ، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد اهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون ، وهكذا فعلهم في كل سنة .

وما إن تتقرر بداية الشهر حتى تنشط المدينة ليلا ، فتشعل الشموع والفوانيس في الشوارع والأسواق والطرقات وبايدي الناس ، وتنتعش الحياة في سوق الشماعين انتعاشا كبيرا ، فتظل حوانيته مفتوحة حتى منتصف الليل ، ولا تنقطع فيه الحركة ابدا ، بين راغبين في الشراء ، او للنزهة ، او لأشياء أخرى .

وهذه السوق قديمة بدأت في عصر الدولة الفاطمية ، وفيها تباع الشموع بانواعها المختلفة ، موكبية وطوافات

وفوانيس . وكانت الواحدة من الشموع الموكبية يصل وزنها الى عشرة ارطال . والضخمة منها قد يبلغ وزنها ما يزيد على قنطار . وكانت تؤجر لتستخدم فى صلاة التراويح ، فى موكب يقول المقريزى عنه : « يعجز البليغ عن حكاية وصفه » . وفيه يتجمع الموكب حول إحدى الشموع الضخمة التى يجرها الاولاد على عجلات . وقد امسك كل واحد منهم بفانوسه ، وهم يرددون الأغنيات الدينية . ويطوفون دروب المدينة وازقتها من بعد المغرب حتى صلاة العشاء والتراويح .

ولكن الحياة فى سوق الشماعين لم تكن دينية خالصة . وإنما لها جانبها الدنيوى ، وحتى السيىء منها فيذكر المقريزى نفسه ان حوانيت هذه السوق « كانت تظل مفتوحة طوال الليل وكان يجلس به بالليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين ، لهن سيما يعرفن بها ، وزى يتميزن به ، وهو لبس الملاءات والطرح ، وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم ، وفيهن من تحمل الحديد معهم » .

وكان تعليق الفوانيس على البيوت وفى الشوارع والأمكنة العامة دليلا على جواز الاكل والشرب مادامت معلقة موقودة . وتظل المطاعم مفتوحة حتى السحور ، تستقبل زبائنها ، وكان عددها كبيرا يبلغ الآلاف ، ذلك ان عامة المصريين فيما يبدو كانوا يتناولون طعامهم خارج منازلهم . على حين يفترش باعة الطعام المطهى بكافة انواعه الأرض ، فى الأسواق ، والطرقات ، وبجوار المساجد ، وامامهم ، طبليات ، تحتها مواقد ، ليبقى الطعام ساخنا ، وهم يبيعونه للمارة والراغبين .

وكانت حوانيت ، الشرائحيين ، تقوم الى جانب المطاعم ، وهى التى يرسل إليها الأغنياء والمقتدرون ما يريدون طهيه من لحوم وخضراوات ، فيقوم الشرائحى بطهيها بعد خلطها بالتوابل والبهارات ، ويردها الى اهلها فى منازلهم مع صبيانه ، فى قدور مغطاة ، لحفظها من الغبار وعيون الناس ، لقاء اجر معين يأخذه من زبائنه .

---

● استعدادات لشهر الصوم

---

وفى رمضان تنشط الحياة فى سوق الحلاويين ، حيث تباع الحلوى المصنوعة من السكر فى اشكال على هيئة قطط او سباع او غيرها من الحيوانات والطيور ، وعرفت باسم « العلاقات » ، لانها كانت تعلق بخيوط على ابواب الحوانيت ، وكانت حركة السوق تبلغ اوجها فى مواسم اول رجب ونصف شعبان وعيد الفطر ، وكان الاستعداد له يبدأ منذ النصف الثانى من شهر رمضان ، ويشترى الناس هذه التماثيل السكرية لأطفالهم ، ويتهادونها ايضا .

ومن المعتاد ان يقوم التجار بتنظيف الشارع امام محالهم وأن يرشوها بالماء اذا كان الجو صيفا ، ويؤدوا صلاة المغرب والعشاء فرادى او جماعات امام حوانيتهم ، على حين تمتلىء المساجد بالمصلين ، يغشاها الناس مع صلاة العشاء ، ويبقون فيها ردحا من

الزمان بعد صلاة العشاء والتراويح ، لقراءة القرآن ، أو ترديد الأذكار ، أو الاستماع إلى الدرس الديني .

فإذا جاء وقت السحور بدأ المسحراتي بطبلته يطوف الحي الخاص به ، وحوله بعض الصبية ، ينادي أصحاب البيوت أن يستيقظوا : « يانايم وحد الدايم .. » ، وفي صبيحة يوم العيد تدفع له كل أسرة ما في وسعها ، نقدا أو عينا ، أو تجمع بينهما .

وفي الاسبوع الأخير من الشهر الكريم يبدأ « التوحيش » مع الليلة التي لن تتكرر ، وفيها يتلو الامام بعد صلاة العشاء والتراويح دعاء مطولا منغما يعدد فيه ما كان لرمضان من الخير ، وما سوف يفتقد الناس بذهابه من البركات ، ويكرر الحاضرون هذا الدعاء وراءه ، ويقبل الصبيان على حضور صلاة العشاء في هذا الاسبوع بخاصة ، ليرددوا منغمين ، وبصوت مرتفع ، دعاء الامام .

وعلى حين تتخذ منه طائفة مناسبة للتباهي والتكاثر في الأكل والشراب والإكرام وتلوين موائد الطعام ، فهناك آخرون يريدونه شهر القرآن والاذكار ، يتلونه بأنفسهم عبادة ، أو يأتون بمن يقرؤه في البيت تجويدا ، ويتباهى حفظة القرآن في هذا الشهر بما أعادوه من قراءة القرآن مرات ومرات . وفي المساء ، بعد العشاء يتبادل الناس الهدايا والزيارات .

كان من أشهر ألوان الحلوى التي تقدم في رمضام « الزلابية » ، وشاعت بين كل الطبقات عليا ودنيا ، مع اختلاف في مكوناتها ، وقد بلغت حدا من الشيوع جعل ابن الأخوة في كتابه « معالم القربة في أدب الحسبة » يفرد لها فصلا خاصا : « الحسبة على قلائين الزلابية » ، وكانوا في بعض البيئات يطلقون عليها اسم « لقمة القاضي » ، وفي بعضها الآخر « عيمة القاضي » ، إلى جانب القطايف . وكان أكل اللحم مقصورا على السحور . وفي صبيحة يوم عيد الفطر يتناول الناس التمر مطبوخا ، بعد أن تضاف اليه التوابل والبهارات ، الى جانب ألوان أخرى تصنع من اللبن والسكر والدقيق . ويتبادلون أطباق الكعك هدايا ، وكان يتم إعدادها خلال الأيام الأخيرة من رمضان .

وكان بعضهم ، كما هو الحال الآن ، يفضل أن يشتريه ، جاهزا ، لأن ابن الحاج في كتابه « المدخل إلى الشرع الشريف » ، عاب على معاصريه أنهم يشترون الكعك الذي يصنعه اليهود بمناسبة عيد الفطر . كما كان من الشائع في العاصمة ، وبعض المدن الساحلية أن تتناول الغالبية في يوم العيد السمك المملح المشقوق ، وكان هذا قليلا في الصعيد .

وقبيل العيد ، في يوم الوقفة ، يتزاحم الناس على « المزين » لقص شعورهم أو تهذيب لحاهم وشواربهم ، وكان هؤلاء المزينون يؤدون عملهم في محلات خاصة بهم ، للطبقة المتوسطة ،

ويذهبون الى الطبقة العليا فى بيوتها ، الى جانب اولئك الذين يطوفون الشوارع والطرقات وقد ثبتوا المرايا فى صدورهم . وهم لعامة الناس من الحرفية والفقراء .

وفى ليلة العيد تزدحم الحمامات بالزبائن ، وفيها المزينون ايضا ، ذلك

أن البيوت كانت تفتقر إلى الحمامات الخاصة ، ويقصدها المصريون من جميع الفئات ، وكانت هناك حمامات خاصة بالرجال ، وأخرى خاصة بالنساء ، وثالثة تكون للنساء صباحا ، وفى المساء للرجال .

ويشغل رب الأسرة فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان بكسوة ابنائه جميعا بملابس جديدة ، حتى لو كانوا فى غير حاجة اليها ، لأنها من مكملات ادخال البهجة على الابناء ، مما يدفع النشاط عند باعة الأقمشة والخياطين ، وفى صبيحة يوم العيد يرتدى كل فرد خير ما عنده ، ويخرج الناس إلى الصلاة فى ابهى زينة لهم . ثم يخرجون لزيارة القبور صباحا ، وهناك يجتمع الرجال والنساء ، ويختلط الغناء من البعض بقراءة القرآن من البعض الآخر . وحديث الوعاظ بحكايات القصاص .

ومن الناس من يتجه الى النيل ، فى امكنة كثيرة من شواطئه ، مثل الأزبكية ، وكان النيل قديما يمر بها ، وبولاق وجزيرة الروضة ، ويستأجرون القوارب والسفن الشراعية للتنزه بها ، ومعهم المغنون والمغنيات ، وكان لبعضهم شهرة غامرة ، مثل ، عبدالعزيز الحفنى اعجوبة زمانه فى الغناء ، و « خوبى » اعجوبة أيامها فى الضرب على العود ، ومحمد بن على الدهان ، وكان يتقن الغناء على العود .

وفى كل حى يتجمع عدد من نسوته وبناته فى ابهى زينتهن ، ويركبن عربة تجرها الدواب ، يخترقن بها شوارع المدينة ، وهن يغنين وينقرن على الدفوف ، وفى الميادين يتجمع المشعوذون والمضحكون والمهرجون ، وأصحاب خيال الظل يعرضون ألعابهم ، ويمتعون الناس بحركاتهم .

وفى اليوم التالى تهدأ الحركة شيئا ، فلا تبقى إلا مع الاطفال ، ثم تتلاشى بعد أيام ثلاثة ، يعود الناس بعدها الى حياتهم العادية ، يستيقظون مع الصباح الباكر ، ويعملون ماوسعتهم الحيلة وانفسح لهم باب الرزق ، فى انتظار مناسبة اخرى يستروحون فيها من شقاء الحياة ، وعناء العمل ، وتوالى الأيام فى رتابة .

وبداهة كان ماذكرنا يجرى فى أيام الرخاء وليست بالقليلة ، ومع المجاعات والجفاف والأوبئة ، وكثيرا ما كانت تزور مصر ، يبهت كل شىء ، وتتجلى آثارها واضحة على وجوه الناس وافعالهم ، وفيما يلبسون ويأكلون ، وينعكس هذا بدوره على الأسواق والحركة التجارية ، حتى أن سوق الشماعين لم يبق منها فى القرن التاسع الهجرى غير خمسة حوانيت بعد أن كانت عامرة بالمئات .

إن من لا يملك قوت يومه لا وقت لديه للعيد !

# شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

بقلم : محمد سيد كيلاني

جاء فى صحيفة الفلاح ( ٢ - ٦ - ١٨٨٦ ) « فى عصارى يوم الاربعاء اجتمع خلق كثير فى جهات المحافظة واخذ بعض ارباب الحرف يفدون اليها طائفة بعد اخرى وامامها الموسيقات الوطنية تصدح بانغامها المطربة . فلما اكتمل الجمع توجهوا بنظام واحتفال عظيمين تحتاطهم فوارس البوليس ومشاتهم ويتخللهم بعض العساكر ويصحبهم الآلاى المخصص لاحتفال الرؤية مارين بشارع محمدعلي فالحلمية فسوق السروجية فالغورية حتى وصلوا ميدان المحكمة الشرعية لانتظار اثبات رؤية الهلال . وكان حاضرا حضرة شيخ الاسلام وقاضى افندى وكثير من مستخدمي المحكمة . فتقدم الى حضرة شيخ الاسلام تسعة اشخاص لتادية الشهادة امامه فردهم ولم يقبل الا بشهادة اثنين، احدهما المبقاتي بالجامع الحسيني والثاني احد كتبة المحكمة . فقال الاول انه رآه بعد الغروب والآخر راه من شباك المحكمة . عند ذلك حكم حضرة الشيخ المومأ اليه بإثبات شهر رمضان المبارك ، وارسل الخبر الى المعية السنية ومنها الى القلعة فاطلقت المدافع ايذانا بذلك وصليت التراويح

قراءة القرآن من احب مايقوم به المسلم طوال شهر الصوم الكريم



وازدانت المساجد بالمصابيح وتكللت المآذن بالانوار ، وضجت الاهالي بالسرور ، وهرع كبار مأموري الحكومة والذوات والاعيان الى سراي عابدين العامرة لتأدية رسوم التهنئة لجناب ولي النعم » .

وكانت تجرى مثل هذه الاحتفالات في جميع مدن القطر .وكان الناس يستعدون لاستقبال الشهر المبارك بشراء السكر والياميش والقلل القناوى والاباريق . ويتفق الاغنياء مع بعض مشاهير القراء لاحياء ليالي رمضان في السهرات التي يقيمونها في منازلهم وكان الناس يؤمونها لسماع آي الذكر الحكيم

وكانت روائح رمضان تتجلى في حي الازهر . كان الناس في هذا الحي يناموون حتى آذان الظهر . ففي تلك اللحظة ينهضون للصلاة ، ثم ينصرف كل الى عمله فيفتح التجار حوانيتهم ويبدأ أصحاب القهاوى تنظيف أدواتهم وأماكن الجلوس ويرتبون المناضد والمقاعد ، ويعدون التنباك والمعسل والفحم ويغسلون الشيش والاراجيل . وتبدأ المطاعم في اعداد الاطعمة ، وكان المار في تلك الجهات يشاهد حركة دائبة هنا وهناك . القلل والاباريق مملوءة ومغطاة . واكواب البلح المنقوع مع الزبيب والتين أو قمر الدين . وقبيل المغرب تشغل المقاعد بالناس وتهدأ الحركة وتخلو الشوارع من المارة . فاذا آذن للمغرب انطلق الصائمون يلتهمون من الطعام ما شاءوا . ثم يتجهون الى القهاوى لشرب الشاى والتدخين . اما الاغنياء فكانوا يجلسون في المناظر في دعة وسكون متكئين على الارائك وأمام كل منهم شيشة تنعقد منها سحب الدخان ممزوجة بالعنبر فيتألف من ذلك جو سحرى جميل .

ثم يترك الناس القهاوى والمنازل ويذهبون الى المساجد لصلاة العشاء والتراويح . وكان بعض الاخيار يحملون الصواني وعليها كمية من الاطعمة ويذهبون الى اقرب مسجد ويدعون الفقراء لمشاركتهم في الطعام . كانت النفوس خيرة حيث لا حقد ولا ضغينة . وظلت الحال كذلك الى اوائل الخمسينيات من هذا القرن .

## ● الازهر وليلة القدر

وكان الجامع الازهر يظل مفتوحا ليل نهار طوال هذا الشهر المبارك . قال أبو بكر العياشي الرحالة الجزائري الذي جاء الى القاهرة سنة ١٠٣٧ هـ « وبتنا تلك الليلة بالجامع الازهر لانها ليلة سبع وعشرين من رمضان ، وفي الحقيقة كل الليالي بذلك المسجد كلية القدر ، لانه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم اناء الليل وأطراف النهار ، لا تنقطع منه العبادة ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، فهو عديم النظير في مساجد الدنيا بأجمعها » .

« ... فلما كان في يوم تسعة وعشرين من شهر رمضان ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقاني بعد صلاة الصبح . وعادتهم في الختم أن يحضر في ذلك اليوم أنجب تلامذة المدرس وكبراء اخوانه . فاذا فرغ المدرس قرأ القارىء آيات من القرآن مطربة ، ومنهم من يقرأها بالقراءات السبعة . وبعد قراءته ينشد منشد بصوت رخيم قصيدة من انشاء بعض التلاميذ فيها مدح النبي صلى الله عليه وسلم والترضى عن مؤلف الكتاب المقروء والدعاء للشيخ الذي يدرسه ، ثم يقوم آخر ويثني على الله ورسوله بثناء بليغ ، ثم على آل الرسول وأصحابه وتابعيهم باحسان ثم يترضى عن المشايخ ارباب المراتب . كل ذلك بنثر بديع ولفظ فصيح . ثم يقرأ الفاتحة ويهدى

ذوابها الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم والى من ذكر بعده ، ويبالغ فى الثناء عليهم الى ان يصل الى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين بابلغ دعاء ، ثم يختم · وبعد هذا يقوم اهل المجلس كلهم ويصافحون الشيخ ويدعون له ، ويدعو لهم · ويحضر الختم جمع عظيم من النـــاس واهل الفضــــل والمجاذيب » ·

***

وفى شهر رمضـــان يقبل المصريــون على أكل الكنافة والقطائف · وقد ذكر بعض المؤرخين ان معاوية بن ابى سفيان شكا من شدة الجوع فى شهر رمضان ، فوصف له طبيبه الكنافة ليتسحر بهـــا فهى وحدها التى تدفع عنه شر الجـوع وتجعله يحتمل الصـيام ، ولكن ذكــر الكنافة لم يجر على السنة الشــعراء او الكتاب لا فى العصر الاموى ولا فى فى العصر العباسى ولا يعرف اصل هذه الكلمة على التحقيق · وفى عصر المماليك رأينا بعض الشعراء يتفننون بذكرها · مثال ذلك قول أحدهم :

**اليك اشـــتياقى يا كنافة زائـد**
**فمالى غنى عنـــك كلا ولا صبر**
**فمازلـــت اكلى كل يـوم وليـلة**
**ولا زال منهلا بجرعاتك القطــر**

فهذا تقديس للكنافة ليس بعده تقديس، ونوع من العبـــادة لهذا الصنف من الطعام · فالشاعر يعبر عن شوقه وحبه للكنــافة ويذكر أنه لا يطيق فراقهـــا ولا يستطيع عنها صبرا فهى قبلته التى يتوجه اليها فى الغـــدو والاصال ، لا يصرفه عنها طعام آخر ولا يلهيه عنهـا شىء مهما جل وعظم ·

ومن الشعراء من وازن بينها وبـين القطائف وفضل الكنافة عليها · ومنهم من أظهر الكنافة بمظهر الســاخر من القطائف المحتقر لها · مثال ذلك قـول أحدهم :

**غـدت الكنـــافة بالقطائف تسخر**
**وتقــول انى بالفضـيلة اجــدر**
**طويت محاســنها لنشــر محاسنى**
**كم بين مطـــوى وآخـر ينشــر**
**لحــلاوتى تبـدو وتـلك خفيـــة**
**وكـذا الحلاوة فى البوادى اشهر**

فى هذه الابيات ترى الكنافة تزهــو بنفسها وتشمخ بانفها وتتيه كبرا ودلالا، وتسخر من القطائف سخرية مرة وتقول انها احـــق بالفضيلة من القطائف لان محاسنها ظاهرة وواضـــحة للعيان فى حين أن محاسن القطـــائف مخفية فى داخلها وحلاوتها محشوة فى جوفها ، والكنـــافة متبرجة سافرة تلفت نظــر الناس الى جمالها وبهائها فيقبلون عليها فهى ناجحة فى كسب الزبائن بما تثيره فيهم من الشهوة لقد عرفت القطائف منذ العصر العباسى وجاء ذكرها فى شعر ابن الرومى وكشاجم والطغرائى وغيرهم · أما الكنافة فلم يرد لهـــا ذكر الا فى العصرين الايوبى والمملوكى، وقد لاحظت أن الشــعراء المصريين كانوا أول من لهـــج بذكر الكنافة فى أشعارهم وأول من تغنى بها · قال ابو الحسين الجزار :

**سقى الله اكناف الكنافة بالقطـر**
**وجــاد عليها سـكر دائـم الـدر**
**وتبـا لاوقـــات المخـــلل انهـا**
**تمر بلا نفــع وتحسب من عمـرى**

فالشاعر ساخط وناقم على أوقـــات الفقر التى لا يأكل فيها سوى المخلل ، وهو يدعو للكنافة بدوام السقيا بالماء المذاب فيه السكر ·

وهذا شاعر يتألم ويشكو لانه لم يذق

الكنافة ولم ترها عينه الا عند البائع في الدكان . قال :

ما رأت عيني الكنافة الا
عند بياعها على الدكان

فما أتعس هذا الشاعر المسكين ، وما أحوجه الى العطف والرثاء :

أما القطائف فكان لها عشاقها . ومن الشعراء من شبهها بحقاق العاج ومنهم من شبهها بوصائف قامت بجنب وصائف . ومنهم من شبهها وقد رصت في الاطباق بالمصلين الذين يسجدون وراء الامام . فالشاعر الذي يقول :

لله در قطائف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت في صحنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

فقد خلبه منظر القطائف وشكلها الذي يشبه شكل العاج . أما الحشو فلا سبيل الى معرفته الا بعد أن يقضمها .

والشاعر الذي يقول :

وقطائف محشوة بلطائف
طافت بها اكرم بها من طائف
شبهتها لنضدت على اطباقها
بوصائف قامت بجنب وصائف

لم ينظر الى شكل القطائف ولا الى لونها . ولا الى ما حشيت به ، وانما نظر الى الطريقة التي وضعت بها في الطبق فذكر أن النظام كان تاما ودقيقا ومعبرا عن حسن الذوق . والوصائف جمع وصيفة وهي المرأة التي تقف الى جانب الملكات .

***

وفي سنة ١٩٠٠ م أراد الخديو عباس حلمي أن يستمع الى درس في التفسير خلال شهر رمضان . فاختاروا له الشيخ أحمد الرفاعي . قال أحمد شفيق باشا في مذكراته « ... وفي ذات يوم تحدث - يعني الشيخ الرفاعي - عن « ارم ذات العماد » فهالنا ماأورده عنها من الروايات الغريبة لا سيما القول بانها مدينة شيدت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة وانها معلقة بين الارض والسماء . ثم توسع في ذلك وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك ، فكنا والخديو نتم شفاهنا حتى يغلبنا الضحك الرنان » .

« ولما انتهى الدرس وأفطرنا اجتمعنا مع الخديو وتحادثنا فيما سمعناه من الشيخ فأبدى سموه دهشته وانكاره لطريقته وتقرر ان يرسل لشيخ الازهر باستبداله فانتدب مكانه الشيخ الشربيني » .

***

وفي الخمسينيات من هذا القرن بدأت الصحف المصرية تنشر بانتظام أحاديث عن الصيام ، بعضها يخصص صفحة وبعضها يخصص صفحتين ، الا أن هذه الاحاديث تتناول في كثير منها أمورا تافهة مثل « أدب قضاء الحاجة » ويذكر الكاتب هذه الاداب ، ومنها ان يقدم الانسان قدمه اليسرى عند الدخول الى المرحاض ويقول « باسم الله ، اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث » وهذا كلام لا ينبغي أن يسأل عنه رجل رشيد .

ومنذ أواخر الخمسينيات بدأت مصر ترسل مشاهير القراء الى مختلف البلاد الاسلامية وبعض البلاد الاخرى التي يكثر فيها المسلمون .

وقبل رمضان بعدة أشهر تستعد الاذاعتان المسموعة والمرئية ببرنامج حافل من التمثيليات والاحاديث والابتهالات الدينية ، ولكن الملاحظ أن التفاهة والمداجة قد غلبت على هذه البرامج ، لانها صارت منذ زمن بعيد حكرا على أشخاص معينين ألفسوا فأصبحوا يكررون أنفسهم . فالاستماع الى مثل هذه البرامج مضيعة للوقت ، نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير .

# النجمة المصرية في الفن والتاريخ

بقلم : د. نعمات أحمد فؤاد

**مفاهيم كثيرة خاطئة في تراثنا .. من هذا الكثير (نجمة داود) .. ووجود اليهود زمانيا بدأ في أيام الهكسوس في الأسرة السادسة عشرة الفرعونية ... ومنذ ظهورهم كانت مصر بالنسبة اليهم ، بلدا مبهرا يعشون الى ضوئه .. و« فرويد » نفسه الذى يعدونه من أكبر علمائهم يقول في كتابه عن موسى (إن عقدة اليهود سبق مصر في الحضارة) .**



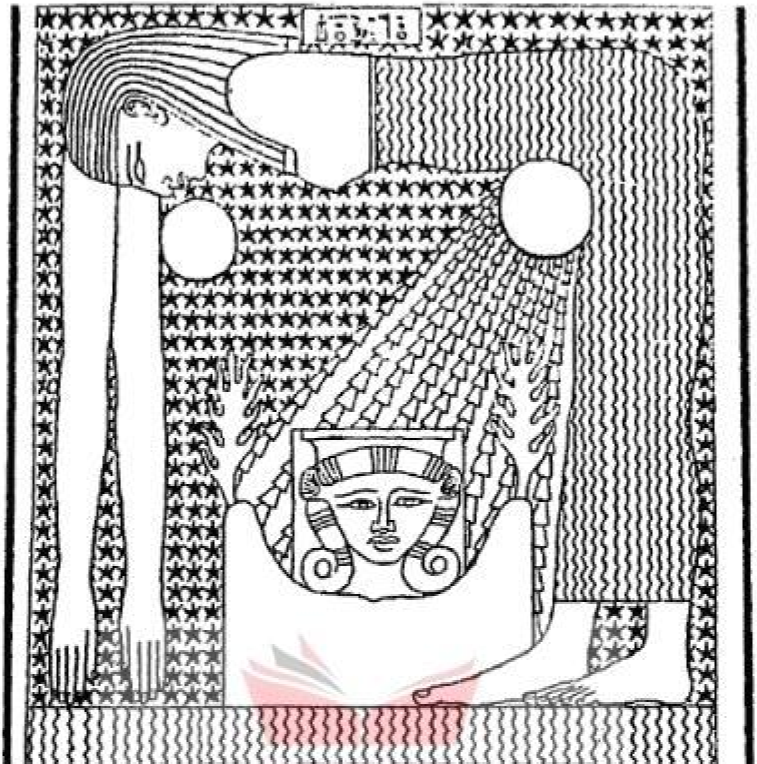
يوسف يقول لاخوته (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو) وموسى تربى فى قصرنا ، وتعلم السحر فى مدينتنا « أهناسيا » ببنى سويف - ١٠٠ك يوسف ١٢ - كما تعلم فيها من قبل « يوسف » تأويل الأحلام .

يقول جارستانج Garstang فى حديثه عن الهكسوس (١٧٥٠ ق . م الف وسبعمائة وخمسين قبل الميلاد) (ان العبريين الذين يسمون انفسهم بأبناء إسرائيل لم يكن لهم رأى وأثر بين القبائل التى فى طريق مصر ، ولم يذكر لهم اسم فى أثر من الآثار التاريخية قبل سنة ١٢٢٠ (الف ومائتين وعشرين قبل الميلاد) .

وجاء فى الجزء الثانى من قاموس الكتاب المقدس :

قامت فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ عدة ثقافات متنوعة من عام ٥٠٠٠ ق . م تقريبا الى زمن قيام الاسرة الأولى او حوالى سنة ٣٢٠٠ ق . م (ثلاثة الاف ومائتين) .

ويقول د . هول D · R Hall إن اليهودية استعارت من مصر كثيرا من



كانت المولود من باطن الأرض تسقط أشعتها على حتحور فى الأفق



الشعائر والمعبودات (ولا ريب فى أن نفوذ مصر على اسرائيل كان كبيرا وقت طرد الهكسوس) .

والوثائق العلمية فى هذا الباب كثيرة يفرد لها الحديث .

أقول لا وجه للمقارنة الحضارية التاريخية بين مصر واسرائيل .

اسرائيل الى الآن دولة عمرها اربعون عاما ولكن مصر أمة قبل التاريخ بآلاف السنين .

واليهود فى كتبهم ومنها (الفكـر اليهودى) الذى ألفه د . هرش حاخام انجلترا يقول (إن تاريخ اليهود أربعة آلاف سنة ـ ولم يقل أمة اليهود ـ) على أن هذا التاريخ الرقمى ضعف الحقيقة بما عرف عنهم من وضع وتحريف وتزيد واسقاط وانتحال ، فى عملية لوى مسار الوقائع لصالحهم .

وكتاب (تراث إسرائيل) الذى أخرجته اكسفورد فى سلسلة التراث ومنها تراث مصر وتراث الاسلام) يجمعون على أن مفخرتهم الكبرى « التوراة » وهذه التوراة يصفونها ، هم أنفسهم بأنها « صرح أدبى بحت .. وضع خطين تحت كلمة (بحت)

# النجمة المصرية في الفن والتاريخ

بينما تراث مصر منذ أقدم عصورها عمارة ونحت ونقش وأدب وموسيقى وهندسة وطب وكيمياء يشهد بهذا آثارها الماثلة للعيان .

وبعض هذا معبد « مندرة » وبه مسارات النجوم ، ومدارات الافلاك بل قبل هذا بكثير هرم « ونيس » الذى يشيع نطقه « اوناس » نجد سقف حجرة الدفن كله مزخرفا بالنجوم رمزا الى السماء تظلّه وانه يعيش فى عالم النجوم .

ويقول كتاب (مصر) تأليف اتيين دريوتون وجاك فاندييه (ان ملوك الأسرة الخامسة كانوا يعتبرون انفسهم تابعين مباشرة للاله رع اى ان دياناتهم شمسية .

واقول قبل الأسرة الخامسة ، سقف هرم الملك « زوسر » بسقارة من الأسرة الثالثة ، مزين بالنجوم الخماسية .

وسقف مقبرة الملك « سنفرو » من الأسرة الرابعة مزين بالنجوم السداسية . والنجمة السداسية نقلها اليهود فيما نقلوا عن مصر وفى كتاب (اخلاق وعادات المصريين القدماء) تأليف صمويل بيرش ، النجمة السداسية .

فى المتحف المصرى الدور الأول تمثال الالهة « نوت » مغطى بالنجوم وهى فى مصر القديمة كما يقول كتاب (آلهة المصريين) تأليف E · A · Wallisbudge ابنة شو وتفنيت وزوجة (سب) إله الأرض وأم اوزوريس وايزيس وست ونفتيس وهى تجسيد للجنات والسماء والمدارات التى تطلع منها الشمس وتتنقل فى رحلتها من الشرق الى الغرب) جـ ٢ ص ١٥٥ .

والنجوم موضوع دراسة فى كتاب (المصريين القدماء) ص ٣٧٢ وفى كتاب تاريخ الزخرفة تاليف توفيق جاد رواسيلى حبيب .

كما وردت النجمة (الثمانية) فى قلادة الاميرة « خنوميت » فى كتاب (الحياة اليومية فى مصر القديمة) تأليف Barbara Mertz

Red Land Black Land , Daily Life in ancient Egypt ·





هذه النجمة الثمانية اصطفاها الفن الاسلامى المصرى وأشاعها فى زخارفه ومنها الطبق النجمى المشهور .

وقد جمعت — P . Fortova Samalova فى كتابها الزخرفة المصرية نماذج من النجوم الخماسية والسداسية من معبد دير المدينة بطيبة من الاسرة ١٩ والأسرة العشرين (النجمة المسدسة المؤنثة) شكل ١٣ . ومن معبد ببان الملوك سيتى الأول الاسرة ١٩ شكل ١٤ .

ومن وادى الملكات الاسرة ١٨ تيتى شكل ١٢٦ .

● النجمة اخذت عن مصر

وهكذا يتضح ان اليهود أو نجمة داود مأخوذة عن مصر التى نقل عنها فى مواضع كثيرة سفر الأمثال كما نقلت عنها مزامير داود مما فصله برستد فى كتابه فجر الضمير بل ان هيكل سليمان يحاكى المعبد المصرى حرفيا كما يقول الاستاذ محمد شفيق غربال فى كتابه (تكوين مصر) فشكل المعبد ذاته بأبهائه ومدخله والعمودان البارزان القائمان كالمسلتين امام المدخل وكذلك الأسدان القائمان على عرش سليمان .. كل ذلك يحمل الطابع المصرى .

بقيت كلمة عن الديانة المصرية ورمزها بالشمس والنجوم .

يقول برستيد (من الواضح ان ما كان يقدسه الملك هو القوة التى بمقتضاها تجعل الشمس نفسها محسوسة فى الأرض) .

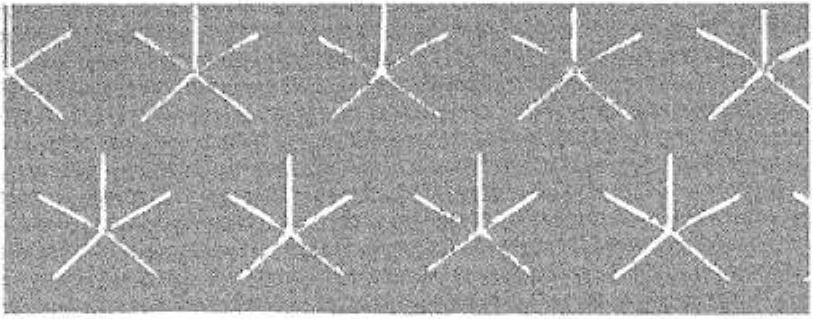
ويقول ادولف ارمان فى كتابه (ديانة مصر القديمة) هناك كلمات يقصد بها التعبير بشكل مجرد عن حقيقة ان النجم نفسه ليس محل العبادة بل الذات الالهية التى تتجلى فيه .

إن الفن المصرى بلغ ذروة لايشائيها احد من واقع المجلدات التى الفها الغرباء ، قبلنا ، مثل G . Maspero فى كتابه :

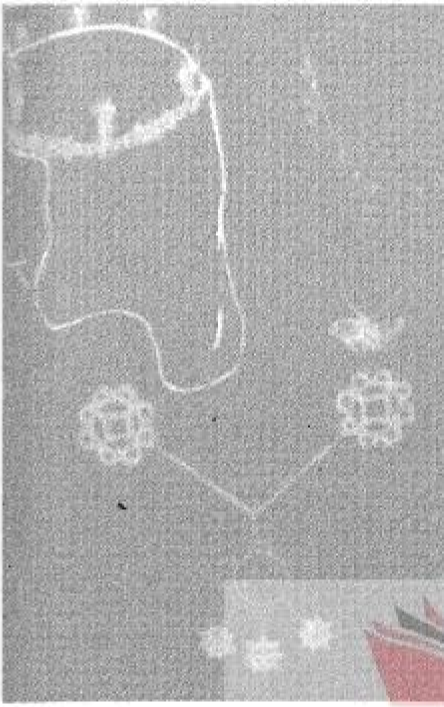
(Essais sur L´art E´gyptien) وهو مطبوع سنة ١٩١٢ وارمان فى كتابه Life in ancient Egypt والن جاردنر فى كتابه (مصر الفراعنة) و capart فى كتابه :

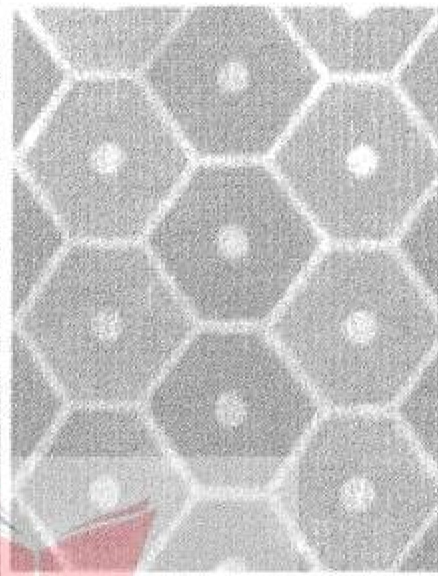
.. Lectures on Egyptian art

وقد زودت المقال بصور هى خير شاهد .



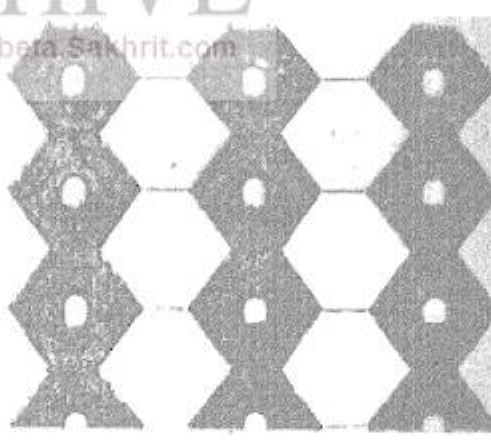
# النجمة المصرية في الفن والتاريخ





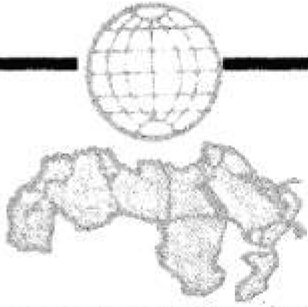
جوهرة الأميرة خنوميت





كلما درسنا الفن المصرى مرة ومرات ، لفنا الذهول ... كلما اوغلنا فيه قالت اثاره ، اكثر ... وأعطتنا احساسا اكبر بالاتقان ... وهنا استشهد كابارت بهتفة nestor L 'Hote احد رفقاء شامبليون حين صاح (عن الفن المصرى نحن نعرف فقط ، القشور) .

فما بال الذين لايدرسون وبالتالى لايعرفون ثم يتحدثون عن نجمة (داود) وعندهم المنبع دفاقا ، سباقا بفتح السين وتشديد الباء ـ رائدا ؟



# أقوال معاصرة



حسنى مبارك

● « انا لا استطيع ان اضع رقبتى فى يد الاجنبى » ..

الرئيس حسنى مبارك

● « دعوا الشعوب تقرر مصيرها ، واعطوا الفلسطينيين دولـة » ..

القس جيسى جاكسون

● « هذا هو فشلنا العاشر وسنبدأ من جديد ! » .

خليل الوزير

« ابو جهاد »

● « عايدة فى الاقصر تعتبر كارثة فنية »

هيو كلفنج
ناقد الجرديان



ابو جهاد

● «الشىء الوحيد المقبول فى مبادرة الولايات المتحـدة هو توقيع شولتز » ..

اسحاق شامير
رئيس وزراء اسرائيل

● « الجيش والحكومة تعلما العيش معـا » ..

اكينو
رئيسة جمهورية الفلبين

● « العمـال الفلسطينيون فى قبرص بسطاء وشرفـاء ومتفانون فى عملهم » ..

جورج فاسيليو
رئيس جمهورية قبرص

● « الدفاع عن الثقافة لا يكون بالرفض ، ولكن بتحريك كل عوامل الابداع فيها ، والا انتصر الافيون » ..

دكتور شاكر مصطفى



اسحاق شامير

● « فى وسع الشمس أن تشرق من حجر » ..

الشاعر محمود درويش

● « السياسة مهنة ، وليست صراع افكار » ..

فرانسوا ميتران
رئيس جمهورية فرنسا

# غرائب الإسرائيليات فى التراث العربى

بقلم : د . محمد رجب البيومى

امتلأت كتب التفسير بقصص روى عن أهل الكتاب ، وأكثره مما لا أصل له ، بل أكثره مما يستحيل حدوثه ، ومع ذلك تداول تكراره لدى المفسرين شارحا بعد شارح ، ومن أعجب الأشياء أن من تداولوا هذا القصص قد نصوا فى مقدمات شروحهم على بطلان هذا القصص ، وأوسعوه تجريحا وذما ، ثم تناسوا ما قالوا ، فعمدوا الى ذكره مسهبين ، ولا ننكر انهم فى بعض الأحيان يعقبون عليه بما يفيد بطلانه ، وفى بعض آخر ينقلون الاسرائيليات دون تعقيب ، وكان الأصوب الألزم أن نترك هذه الأساطير الموهومة ، ولعل اللاحق قد عز عليه أن يتورط السابق فى سرد هذه المزاعم حتى ملأت فراغا شاسعا من تفسيره ، فرأى أن يجاريه ، ومن الانصاف لمفسرى هذا العهد أن نقول إنهم هجروا هذه الاسرائيليات وتناولوها بالتجريح ، بل أصبحت الاشارة اليها مدعاة تبرم مفرط ، وقد كتبت مؤلفات خاصة فى ذم الدخيل من هذه الأساطير ، وأبرز من افردها بمؤلف نفيس هو الدكتور البحاثة محمد حسين الذهبى اذ خصها بكتابه البارع ( الاسرائيليات فى التفسير والحديث ) وهذا فوق ما كتبه متفرقا فى كتابه الكبير ( التفسير والمفسرون ) .

وقد بحث العلامة ابن خلدون في مقدمته الأسباب الداعية الى الإسهاب في الاسرائيليات لدى المؤلفين بعامة لأن البلاء لم يقتصر على كتب التفسير ، ولكنه انتقل الى الحديث والتاريخ ـ بإضافة مذهلة ، وهو في كتب التفسير أشد خطرا ، لأن قارىء التفسير من العامة يظن أن ما سجله امام كبير كالطبرى صحيح لازيف فيه ، أضف الى ذلك ما بالغ فيه الوعاظ من ترداد هذه الأساطير في مجالس الوعظ والقصص ، إذ انسوا من العامة ولوعا بهذا الضرب من الكلام ، حيث يطير الخيال بسامعه الى أجواز عالية تستهويه وتشوقه ، وكل ذلك مما ساعد على انتشار الاسرائيليات .

يقول ابن خلدون[١] ( وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا ، الا أن كتبهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في اسباب المكونات ، وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير ، الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية ، مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، فامتلأت التفاسير بالمنقولات عنهم ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ) فاذا قرأت الجزء الأول من كتاب الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ورجعت الى ما كتبه في تفسيره عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم وموسى وسليمان وداود وعيسى وسائر من تعرض لهم من المرسلين والأنبياء فانك تجد الأقوال متشابهة ! والذين يدافعون عن مسلك الطبرى في التاريخ يقولون إنه يذكر الاسناد ليبرأ من العهدة ، وعلى القارىء أن يأخذ من الأخبار ما يشاء ، ويترك ما يشاء ! لأن المؤرخ حين يذكر الروايات المتضاربة في حادث واحد ، لا يصدقها جميعها ، لأن بعضها يكذب بعضا ، وعلى الدارس من بعده أن يقوم بالترجيح والتوهين ، ولئن جاز هذا السرد المتناقض في مجال التاريخ فما أظن مجال التفسير في مقامه الجليل مما يتسع لحشد الغرائب والمتناقضات ، والحق ان الامام الطبرى قد حذر من الاسرائيليات في مواضع كثيرة من كتابه ، وقد روى منها أشياء ونقدها بما يبين فسادها الناطق ، ولكنه مع ذلك تسامح في إسرائيليات مماثلة يظهر عوارها جليا دون خفاء ، فيذكرها دون أن يعلق عليها بالتفنيد ، ونضرب المثل بما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل في سورة هود عن نوح عليه السلام : « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » حيث ذكر أن أصحاب عيسى ابن مريم[٢] سألوه عن سفينة نوح ، فضرب الكثيب بعصاه فقام من التراب شخص هو ابن نوح فسأله عيسى أن

يحدث أصحابه عن السفينة فقال كان طولها ألف ذراع ومائة وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، طبقة للدواب ، وطبقة للانس ، وطبقة للطير ، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه أوحى الله الى نوح أن اضرب بعيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة يأكلان الفيران ، وتمضى القصة طويلة الى مداها البعيد ، الغريب أن الطبرى لم يذكر هذه القصة فيما كتبه فى تاريخه عن نوح عليه السلام ، فهل يضيق بها كتاب التاريخ ، ويتسع لها مجال التفسير ؟

أما ابن كثير فقد نبه فى تفسيره الى منكرات الاسرائيليات وغرائبها ، وأحسن حين ذكر بعض هذه الغرائب ، وأتبعها بالنفى الحاسم فى وضوح وجدل ، ولكثرة ما كتب الرجل عن التحذير من الاسرائيليات كنا نظن ان تفسيره سيسلم من بعض غرائبها، ولكنه لم يلتزم الحذر حين ذكر بعض الأراجيف دون أن يعقب عليها بالبطلان ، وتمثل لذلك بما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل فى سورة طه « قال ألقها ياموسى ، فألقاها فاذا هى حية تسعى » حيث نقل عن وهب بن منبه(٢) قوله : فألقاها على وجه الأرض فاذا ثعبان نظر اليه الناظرون ، يدب يلتمس كأنه يبتغى شيئا يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخلقة من الابل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه تتقدان نارا ، وشعره مثل النيازك ، وفمه كالقليب الواسع فيه أنياب وأضراس لها حريف ، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب ، فذهب حتى أمعن ، ورأى أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فاستحيا ، ونودى أن ارجع حيث كنت ، فرجع وهو شديد الخوف ، فقال خذها بيمينك ، وعلى موسى حينئذ مدرعة صوف ، فلف طرفها على يده ، فقال له ملك من الملائكة ياموسى مم تحاذر ... الى اخر القصة .

## ● ليسوا سواء

وحين نطالع كتب التفسير نجد أنها فى مجال الاسرائيليات ، ليست على حد سواء ، فالتفسير المعاصر يشدد النكير على الاسرائيليات ، ويكر عليها بالتفنيد ، ويشير الى دواعى ترددها ، ولكن الكتب المعاصرة لا تقف وحدها فى الميدان ، فكتب التراث فى التفسير مصادر معتمدة ، وبالنظر المتكرر فى مضمونها الفسيح نجد ان فيها المعتدل والمشتط ، وفق المنحى الخاص بصاحب التفسير .

فالثعلبى والخازن من رجال الوعظ الدينى الذين شغلوا بتفسير القرآن ، وقد دفعهما اشتغالهما بالوعظ للعامة الى تتبع المشوقات من أخبار الأقدمين ، وترددها فى مجالس الارشاد ، وقد اشتغل الثعلبى بقصص الأنبياء وأفرد لها مؤلفا خاصا

شاع بين العامة سماه (عرائس المجالس) وقد حشاه بما لا يعقل ! وطبيعى أن يكون تفسيره لقصص الأنبياء فى القرآن سائرا فى هذا الاتجاه .

والمجال يضيق عن الاستشهاد الكثير من نقول الثعلبى ، ونكتفى بالاشارة الى ماذكره بصدد تفسير قول الله تعالى فى سورة يوسف « قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »[4] حيث ذكر الثعلبى أن اخوة يوسف قد اصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم وأوثقوه بالحبال وقالوا لأبيهم هذا هو الذئب الذى فجعنا بأخينا ، وهذا دمه عليه ، فقال لهم يعقوب أطلقوه ، فاندفع الذئب الى يعقوب فقال له : أيها الذئب لم فجعتنى فى ولدى وأورثتنى حزنا طويلا فأنطقه الله وقال : والذى اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ، وما مزقت جلده ، وانما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحى مصر فى طلب أخ لى فقدته ، ولا أدرى أحى هو أم ميت ، فاصطادنى أبناؤك ، ولحوم الأنبياء محرمة علينا ، فقال يعقوب لبنيه لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم ، هذا ذئب بهيمة ، خرج يتبع زمام أخيه ، وأنتم ضيعتم أخاكم ، "بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" .

أما الخازن فواعظ آخر حاكى الثعلبى وجاراه ، وأكثر النقول من الاسرائيليات اكثارا طغى على المواد الكثيرة فى تفسيره ، وفيها الجيد الدقيق فى مضمار اللغة والفقه ، ولكن الصيغة الأسطورية ضاعت من مكانتها اذ غرقت فى محيطها ، فعزف الكثيرون عن مطالعته ، ونكتفى بالتمثيل بما ذكره عن أيوب عليه السلام فى تفسير سورة (ص) اذ ذكر عن ثرائه الكبير قبل المحنة ما يدل على أنه ملك الأرض من خوارزم الى الشام مع ما تضم من ابل وبقر وغنم وعبيد وغلمان ، ثم حسده إبليس فقال لربه يارب نظرت الى عبدك أيوب فوجدته شاكرا نعمتك ، ولو ابتليته بالمرض والفقر لخرج عن طاعتك ، فقال الله لابليس : سلطتك عليه وعلى ماله ، ففعل به ابليس ما شاء وجمع عفاريت الجن والانس ومردة الشياطين ليدحروا أيوب ! والقصة طويلة تدل على أن المفسر يجمع كل ما يسمع دون أدنى نظر[5] .

## مؤرخان مفسران

فاذا تركنا الثعلبى والخازن الواعظين الى مفسرين جليلين هما الطبرى وابن كثير ، فاننا نجد كليهما قد ألف فى التاريخ كتابا ضخما ، وقد بدأه بقصص الخليقة منذ البدء ثم بتسجيل قصص الأنبياء ، ولكنهما لم يكادا يفرقان بين ما قد يتسامح فيه فى كتب التاريخ ، وما يجب التدقيق كل التدقيق فى نقله الى كتب التفسير ، وماقاله ابن خلدون سديد صحيح ، وقد عرفه المفسرون من قبله ومن بعده ولكنهم لم يدققوا فى تسطير ما رده من الاسرائيليات ، حشدا لمختلف الأقاويل .

وللجاحظ حملات صائبة متفرقة فى موسوعة الحيوان على من يروون الأساطير

في كتب التفسير ومجالس الوعظ ، وقد ذكر أنهم يستهوون القارىء والسامع بما يأتون من المحالات ، لأن حديث الأسطورة كلما كان أغرب كان أعجب وتلاه ابن قتيبة فردد ما قال الجاحظ حيث ذكر في كتاب (تأويل مختلف الحديث) عن القصاص "وهم يميلون وجه العوام اليهم ، ويشيدون ما عندهم بالمناكير ، والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العامة القعود عند القاص ، ما كان حديثه عجيبا خارجا عن المعقول ، أو كان رقيقا يحزن القلب ، فاذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك وزعفران ، وعجيزتها ميل في ميل ، ويبوىء الله وليه قصرا من لؤلؤة بيضاء ، فيها سبعون ألف مقصورة ، في كل مقصورة سبعون الف قبة ولايزال هكذا في السبعين ألفا لا يتحول عنها[٦]"

● آراء ونصوص

ومع ما روى في الصحاح من مثل ما نقله البخاري في كتاب الشهادات قال : عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : "يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، يقرءونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم" .

أقول مع هذا الرأي الصريح في البخاري فاننا نجد العلماء يختلفون في المروي عن أهل الكتاب ، فيذهب فريق الى المنع البات لأدلة يرتضيها ، ويميل فريق الى الجواز لأدلة تعن له ، ويتوسط فريق ثالث بين الرأيين ، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في مقدمة (أصول التفسير)[٧] ما فيه تفصيل للحكم حين قال :

"ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فانها على ثلاثة أقسام ، أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فهذا صحيح ، والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، والثالث ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم" .

وتعقيبا على النص نذكر أننا لسنا في حاجة الى ذكر ما هو مسكوت عنه في كتب التفسير بالذات ، لأن هذا المسكوت قد دفع الى سرد طويل لاغناء فيه ، واذا كان بعض المفسرين قد تورطوا في ذكر ما يتضح كذبه بديهة لمخالفته للعقل ، فهم يجدون المندوحة في سرد المسكوت عنه ، وأكثره مما لا يفيد ، وفي الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ما يغني عن شطط يستنكر ، لأن قارىء هذا الشطط في كتب التفسير قد لايجد لديه من الفطنة ما يدفعه الى تكذيب ما لم تصح روايته ، بل قد يظنه

حقا واقعا يستند الى كتاب الله ، ويرويه الأئمة الأثبات . وذلك ما يحذره الناهون عن تسجيل هذه الأراجيف .

## • في تفسير الألوسي

للألوسي قدم راسخة في التفسير ، ولم يكتب شرحه الرائع الا بعد دراسة حاشدة لشروح سابقيه حيث استطاع أن يجمع خلاصة وافية لأكثر ما سبقه من الشروح المتداولة مع وضوح العبارة ، وسلامة المنحى ، وقد وقف من القصص الاسرائيلي وقفات ناقدة إذ نقل كثيرا مما قيل في هذا المجال ليعقب عليه بالتفنيد والتزييف ، اذ كانت له بصيرته النافذة ، ويقظته الشديدة ، وكان المظنون به مع هذه اليقظة ذات التنبيه المتكرر المتلاحق ان يتجافى عن هذا الضرب من الأساطير ، بعد أن حذر من تداوله واستشهد في تفسير سورة (ص) بقول الشاعر :

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة
اذا أثر الأخبار جلاس قصاص

ولكنه شذ عن قاعدته حينا ، كأن لهذه الأساطير مغناطيس يجذب المتشدد والمتساهل معا ، فنجده عند تفسير قوله تعالى « واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد ، الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون »

أقول ، نجده عند تفسير هذه الآية الكريمة ينكر ما حيك حولها من الأراجيف ، ولكنه يقول ولعل ذلك من قبيل الرموز والإشارات ويفسر الملكين بالعقل النظري والعقل العملي الى اخر مالا فائدة في تسطيره ، وكذلك فعل عند ايات مماثلة تتبعها الدكتور الذهبي رحمه الله في كتاب (الاسرائيليات في التفسير) وقد كان الألوسي بمنجاة لو لزم خطه القويم .

إن للقصص جانبيته لدى المستمع الساذج ، ولكن له خطره الماحق حين يلصق الصاقا بكتاب لا يأتيه الباطل من طريق ، والمفسرون من أجل العلماء ، وعليهم أن يحفظوا النص القرآني من كل منتحل دخيل .

---

الهوامش

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٩١ ببعض التصرف
(٢) تفسير الطبري جـ ١٢ ص ٢٢
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٤٥
(٤) تفسير الثعلبي جـ ١ ص ٢١٥
(٥) تفسير الخازن جـ ٦ ص ٤٨ وما بعدها .
(٦) تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٥٧
(٧) اصول التفسير لابن تيمية ص ٢٨

# العقلانية الإسلامية

بقلم: د. محمد عمارة

**لان الاسلام دين الفطرة، فلقد قضت أصول شريعته بامتناع ان يكلف الله الانسان مالا يطيق «لايكلف الله نفسا الا وسعها» (١) .. وتاسيسا على هذه القاعدة قضى الاسلام بان العقل هو مناط التكليف .. فلا تكليف ولا حساب على غير العاقل فى نظر الاسلام ..**

**ولان الرسالة والشريعة عامة لجمهور الخلق، اقتضت حكمة الخالق، كى يرفع الحرج عن عباده، ان يهب كل مكلف من «العقل» الحد الذى ييسر له النهوض بضرورات التكليف .. فالناس يتفاوتون فى درجات العقل، دون ان يفتقر صحيح مكلف الى الحد الادنى الذى يتيح له التمييز والوفاء بضرورات التكليف.**



تلك خصيصة انسانية عامة يستوى فيها البشر من كل القوميات والمعتقدات والحضارات .. ومع ذلك، فان مذاهب الحضارات فى الموقف من «العقل»، ومقامه، وسلطانه، هى من الخصوصيات التى تتمايز فيها وبها بعض الحضارات .. وحضارتنا العربية الاسلامية متميزة فى عقلانيتها عن الحضارة الغربية تميزا لا سبيل الى انكاره او التشكيك فيه ..

ففى الحضارة الغربية، منذ تبلور فلسفتها فى الحقبة اليونانية وحتى نهضتها الحديثة تميز ويتميز موقفها من هذه القضية «بالثنائية» التى ميزت مواقف هذه الحضارة من كثير من القضايا والمشكلات.

ففلسفتها وعلومها لم تعرف غير العقل وبراهينه سبيلا ودليلا تركن اليه وتستخلص به القوانين والمقولات .. فالفلسفة – فى المصطلح اليونانى – هى «تفسير المعرفة عقليا .. هى الوقوف على حقائق الاشياء كلها بالبراهين العقلية» وحدها .. اى ان

(١) البقرة : ٢٨٦ .

« العقل » هنا يتفرد وينفرد ، لايزامله « نقل » ولا « وحى » ولا «مأثورات» .

ولقد كان طبيعيا ان يكون هذا هو الحال والموقف فى الحقبة اليونانية .. فالقوم قد ابدعوا مذاهبهم الفلسفية فى مجتمع وثنى لا يعرف « النقل » الدينى ، ولا « الوحى » الالهى ، ولا « المأثورات » الشرعية .. فكان الاعتماد على « العقل » وبراهينه هو سند المتفلسف الوحيد ..

فلما جاءت حقبة النهضة الاوربية الحديثة ، والتى كانت احياء لتراثهم اليونانى فى الاسس والمنطلقات ، وجد رواد هذه النهضة وفلاسفتها ان اللاهوت الكنسى المسيحى انما يمثل « نقلا » لا اثر فيه للعقل ولا اعتماد على براهينه . فكان ان استمرت هذه « الثنائية الانشطارية » ، كخصيصة غربية فى هذا الميدان : « لاهوت وايمان » لا ينطلق من «العقل» ولا يتأسس على براهينه .. « وفلسفة وعلوم » لا تعرف غير « العقل » سبيلا للبرهنة والاستدلال .. « فالعقل » و « النقل » مثلا خطان متوازيان ، لا يلتقيان .. لقد ظلت الفلسفة هى « تفسير المعرفة عقليا . والوقوف على حقائق الاشياء كلها بالبراهين العقلية » وحدهما .. كما ظل الايمان والتدين غريبا عن طريق العقل وبراهينه .. وعلى حد تعبير القديس انسلم ( ١٠٣٣ ـ ١١٠٩م ) ـ وهو يعلم المتدين طريق تحصيل الايمان الدينى ـ « يجب ان تعتقد اولا بما يعرض على قلبك ، بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت ، فليس الايمان فى حاجة الى نظر عقل .. » (٢) !..

على هذا النحو كان موقف الحضارة الغربية من هذه القضية .. قضية « العقل » و « النقل » وعلاقة « الفلسفة » بـ « الدين » .. فعامة المتدينين سبيلهم الى « الايمان » النقل والوجدان وحدهما .. وصفوة العلماء والفلاسفة سبيلهم الى العلم والفلسفة العقل الخالص والخالى من النقل والوجدان .

## ● تميز الحضارة العربية

والامر الذى يشهد على ان هذا الموقف من علاقة «العقل» بـ « النقل» ـ كما اشرنا ـ هو « خصيصة غربية » « من خصائص الحضارة الغربية .. هو تميز حضارتنا العربية الاسلامية عنه وفيه .. فالعلاقة العضوية والمزاملة والاخاء ما بين « العقل » و « النقل » .. « الحكمة » و « الشريعة » هى من خصائص حضارتنا العربية الاسلامية ، كادت ان تجمع عليها ـ بدرجات متفاوتة ـ التيارات الفكرية الاساسية فى تراثنا الفكرى والحضارى ..

● ففلسفة امتنا ـ وهى « علم التوحيد ـ علم الكلام » ـ التى ابدعها وبلورها التيار العقلانى ـ وفرسانه « المعتزلة ـ اهل العدل والتوحيد » هذه الفلسفة العقلانية قد انطلقت من القرآن وتأسست على « النقل » ، حتى لقد سميت بـ « علم اصول الدين » !.

وكما سبق واشرنا ، فلقد لفتت هذه الخصوصية انظار المستشرقين ، فنبهوا ـ فى استغراب على نجاح

---

(٢) الامام محمد عبده ( الاعمال الكاملة ) جـ ٣ ص ٢٦٢ . دراسة وتحقيق : د . محمد عماره . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

التيار العقلاني الاسلامي في تأسيس « فلسفة منطقية .. تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية » (٣) .

وبعض الناس ـ من الذين لايدركون غير ما هو على نمط الثنائية الانشطارية الغربية ـ يحسبون هذه الخصيصة العربية الاسلامية تلفيقا لا عقلانيا .. على حين نراها نحن ـ كما رآها اسلافنا ـ بديهية فكرية تقتضيها الفطرة السليمة التي تفقه حقائق خصوصيات الاسلام ..

فاذا كانت الالوهية هي جوهر الايمان الديني ، فان سبيل الانسان الى ادراك الالوهية هو « العقل » ، وليس النصوص ولا المأثورات .. لان التسليم بصدق النصوص المقدسة ـ « النقل ـ الكتاب ـ السنة » ـ مترتب على التسليم بصدق الرسول الذي جاء بها .. والتسليم بصدق الرسول مترتب على التسليم بوجود الاله الذي ارسل هذا الرسول ، واوحى اليه بهذا « النقل ـ الكتاب » .. فلابد من الايمان اولا بوجود الاله ، المرسل والموحي ، والمؤيد للرسول بالمعجزة ، ـ « النقل ـ الكتاب » ـ وسبيل ذلك هو « العقل » .. فهو طريق الايمان ، وسبيل الانسان الى تحصيل جوهر الدين ! ..

واذا كانت أمتنا قد عبرت عن هذه « البديهة ـ الفلسفية ! » في حكمتها الشعبية التي تقول : « ربنا ، عرفوه بالعقل » ؟! .. فان فلاسفة الاسلام ، من علماء الكلام والتوحيد ، قد افاضوا في شرحها والحديث عنها ..

وقاضي القضاة عبد الجبار بن احمد ( ٤١٥ هـ ١٠٢٤ م ـ الذي يبلغ في العقلانية الاسلامية مبلغ ارسطو ( ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م ) في العقلانية اليونانية ! ـ يعرض لهذه القضية ، عندما يتحدث عن الادلة التي يتخذها الانسان سبلا لتحصيل المعرفة وحقائقها وعلومها ، فيضع « العقل » **في مقدمة هذه الادلة ـ والعقل هنا ليس وحده ، كما هو الحال في العقلانية اليونانية ـ الغربية .. وانما معه « الكتاب » و « السنة » و« الاجماع » .. فالمؤاخاة والتزامل والعلاقة قائمة ومتحققة ، هنا ، بين « العقل » و « النقل » كسبيلين للبرهنة والاستدلال .. يقول القاضي** عبد الجبار : « ان الادلة ، اولها : دلالة العقل ، لان به يميز بين الحسن والقبيح ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع .. »

ثم يناقش القاضي عبد الجبار هؤلاء الذين قد يتعجبون من هذا الترتيب للادلة ، فينبه على ان تقديم « العقل » على « الكتاب » ليس تقديم « تشريف » ، وانما هو تقديم « ترتيب » فالخارج من منزله يسعى الى «المسجد» ، لابد وان يصل « المسجد » عبر « الطريق » ، فالمرور « بالطريق » ، قبل « المسجد » ، لا يعني تفضيل الاول وتشريفه على الثاني ، وانما هو الترتيب المنطقي للامور ! .. يناقش القاضي عبد الجبار هذه القضية .. فيقول ، مستطردا : « وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم ، فيظن ان الادلة هي : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، فقط . أو يظن ان العقل اذا كان يدل على

(٣) جيوم ( الفلسفة وعلم الكلام ص ٣٧٩ . ترجمة : جرجيس فتح الله منشور بكتاب ( تراث الاسلام ) ـ تحت اشراف ارنولد ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

امور فهو مؤخـــر . وليس كذلك . لان الله تعالى لم يخاطب الا اهـــل العقل ، ولان به يعرف ان الـــكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع ، فهو اصل فى هذا الباب . كنا نقول : ان الكتاب هو الاصل ، من حيث ان فيه التنبيه على ما فى العقول ، كما ان فيه الادلة على الاحكام . وبالعقـل يميز بين احكام الافعال وبين احكام الفاعلين ، ولولاه لما عرفنا من يؤاخذ بما يتركه او بما ياتيه ، ومن يحمـد ومن يذم ، ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له . ومتى عرفنا ، بالعقل ، الها منفردا بالالهية ، وعرفناه حكيما، نعلم فى كتـــابه انه دلالة ، ومتى عرفناه مرسلا للرسول ، ومميزا له ، بالاعلام المعجزة ، من الكاذبين ، علمنا ان قول الرسول حجة . واذا قال ، صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمـع امتى على خطـــا .. وعليـــكم بالجماعة »(٤) .. علمنا ان الاجماع حجة .. (٥)

فالعقلانية هنا عقلانية اسلاميـــة ، تتميز بها حضارتنا العربية الاسلامية عن الحضارة الغربية ، لان مصدرها ومنطلقها وسبيلها برهان العقـــل وحده ، وانما معه فى ذلك « النقل .. والوحى .. والمأثور » .. فالتميـز قائم فى المكونات والمنطلقات ، كما هو قائم فى الثمرات ! ..

● شريعة عقلية

واذا كانت « الشريعة » فى لاهوت الحضارة الغربية « نقلية .. سمعية .. وجدانية » ، لا اثر فيها لبراهين العقل .. فان حضارتنا قد عـرفت فى شريعتها : « العقلى » و« السمعى » .. وحددت عقلانيتها ان العقل هـو السبيل الى معرفة الاصول الشرعيـة .. وبعبارة الماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨م ) « فان السبب المؤدى الى معرفة الاصول الشرعية والعمـل بها شيئان : احدهما : علم الحس ، وهو العقل ، لان حجج العقل اصـل لمعرفة الاصول ، اذ ليس تعـــرف الاصول الا بحجج العقول .. وثانيهما معرفة لسان العرب ـ وهو معتبر فى حجج السمع خاصة .. » (٦) .

بل لقد وجدنا فى تراثنا العقـلانى من تحدثوا عن « شريعة عقلية » ، يدركها ذوو العقول ، دون حاجـة الى « السمعيات » ، ثم تاتى السمعيات لتؤكد ما ادركته منها العقول ، ولتحدد الاحكام التى لا تستقل العقول بادراكها ـ وكذلك مقاديرها واوقاتها ـ ومثلها فى ذلك « الغيبيـــــــات » التى يستاثر باخبارها الوحى والنقل والمأثورات .. ووجدنا الاتفاق على ان الالهيات ، فى شريعتنا وحضارتنا ، هى من « فن المعقـــولات » (٧)

واذا كانت الحضارة الغربية قـد استبعدت « الروح الايمانيـــة » من نطاق العلوم الطبيعية والتجريبية ، استبعادها « للعقلانية » من نطـــاق اللاهوت والايمان .. فان العقلانيـــة

---

(٤) فى الترمزى والدارمى ومسندالامام احمد : « ان الله لا يجمع امتى على ضلالة » . وفى البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة : « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » .

(٥) (فضـــل الاعتزال وطبقات المعتزلة ) ص ١٢٧ . تحقيق : فـؤاد سيد . طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م .

(٦) ( ادب القاضى ) حـ ١ ص ٢٧٤، ٢٧٥ . طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م .

(٧) التهانوى ( كشاف اصطلاحات الفنون ) جـ ١ ص ٤٦ ـ ٦٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

الاسلامية فى حضارتنا قد سلكت الطريق « المتميز » ـ على صعوبته ـ فجمعت بينهما .. وشاعت الكتابات المعبرة عن هذه الخصوصية فى تراثنا الفكرى .. من مثل تلك التى تمثلها عبارة الجاحظ ( ١٦٣ ـ ٢٥٥هـ ٧٨٠ ـ ٨٦٩ م ) التى يقول فيها عن علاقة الفلسفة الدينية ـ علم التوحيد ـ الكلام ـ بالعلوم الطبيعية ـ والقوى الذاتية المودعة فى المادة ـ القوانين ـ الطبائع ـ ... « وليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا من الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتى يكون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة . والعالم عندنا هو الذى يجمعهما ، والمصيب هو الذى يجمع تحقيق التوحيد وأعطاء الطبائع حقها من الاعمال . ومن زعم أن التوحيد لا يصلح الا بابطال حقائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد ، وكذلك اذا زعم أن الطبائع لا تصلح اذا قرنها بالتوحيد، ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام فى الطبائع . وانما معه ييأس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقوق الطبائع ، لان فى رفع اعمالها رفع أعيانها ، واذا كانت الاعيان هى الدالة على الله ، فرفعت الدليل ، فقد ابطلت المدلول عليه !.. ولعمرى ان فى الجمع بينهما لبعض الشدة .. وانا اعوذ بالله تعالى أن اكون كلما غمز قناتى باب من الكلام صعب المدخل ، نقضت ركنا من أركان مقالتى ، ومن كان كذلك لم ينتفع به ! .. » (٨)

فعلى حين كانت « الطبائع » ، واكتشاف « القوى الطبيعية » فى المادة ، سبيل الحضارة الغربية وعقلانيتها الى الالحاد وانكار ابداع الله ، بل ووجوده .. كان ذلك ، فى حضارتنا ، الدليل على وجود الله .. لان رفع .. اى الغاء ـ اعمالها ، هو رفع ـ والغاء ـ لاعيانها .. وهذه الاعيان هى الدالة ـ كمصنوعات ـ على وجود الصانع القادر ، سبحانه وتعالى !..

ولذلك ، جاءت كلمات ابو الوليد ابن رشد ( ٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م ) فى هذا المقام جامعة ومعبرة ، عندما قال : « انا ، معشر المسلمين ، نعلم ، على القطع ، انه لا يؤدى النظر البرهانى الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له .. اعنى ان الحكمة هى صاحبة الشريعة ، والاخت الرضيعة (٩) ..» !

***

واذا كانت هذه هى حقيقة تميز حضارتنا العربية الاسلامية ، فى عقلانيتها ، عن نظيرتها فى الحضارة الغربية ، وأدلة انفراد حضارتنا « بخصوصيتها الحضارية » فى العقلانية ، رغم « المشترك الانسانى» فى اعتماد العقل أداة للنظر والبحث والاستدلال .. فان هذه الحقيقة ، الشاهدة على هذه الخصوصية ، لابد وان تؤكد لنا « اصالة » مذهبنا فى العقل والعقلانية، وان تنفى ذلك الزعم الاستشراقى القائل ان عقلانيتنا

---

(٨) ( كتاب الحيوان ) جـ ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٩) ( فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ) ص ٣١ ، ٣٢ ، ٦٧ . تحقيق : د محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .



محمد عبده



جمال الدين الافغانى

الاسلامية لا تعدو ان تكون اثـرا من اثار عقلانية اليونان !! .. فاذا كان هذا هو مبلغ الاختلاف بينهما ، فكيف يكونان نمطا واحدا ومذهبا فردا ؟!..

وغير هذا الاستدلال المنطقى على اصالة وتميز عقلانيتنا الاسلامية .. فان هناك أدلة اخرى تشهد لهـذا الذى نقول ..

● فالقرآن الكريم - معجـزة الاسلام العظمى - رغم انه هـو « النقل » - الا انه قد جاء « معجزة عقلية » ، جسدت الوحدة الجدليـة بين « العقل » و « النقل » فى الاساس الجامع الذى ولدت من بين دفتيـه حضارتنا .. فالعقل فيه هو منـاط التكليف .. وهو الحكم الحاكم فى رد المتشابه من اياته الى المحكمات ، بتأويل الراسخين فى العلم ..

واذا كان « العقل » فى المصطلح العربى ليس عضوا من اعضاء الجسم الانسانى ، وانما هو فعل التعقل .. و « جوهر مجرد عن المادة فى ذاتـه مقارن لها فى فعله .. يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف .. يـدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسـات بالمشاهدة (١٠) ».. فان مـادة هذا المصطلح ، التى تتحـدث عن عملية « التعقل » قد وردت فى القرآن الكريم فى مائتين وسبع وستـين موضعا .. تسعة وأربعون منهـا بلفظ المادة « عقل » .. وتسعة عشر بلفظ « الحكمة » .. وستة عشـر بلفظ « اللب » - اى الجوهر - فالعقل هو لب الانسان وجوهره المميز له عن غيره من المخلوقات - .. وموضعان بلفظ « النهى » .. واربعة مواضـع بلفظ « التدبر » .. وسبعة مواضـع بلفظ « الاعتبار » .. وعشـرون موضعا بلفظ « الفقه » .. وثمانيـة عشر موضـعا بلفظ « التفـكر » .. ومائة واثنان وثلاثون موضعا بلفـظ « القلب » الذى به يفقهون ويعقلون ويتدبرون ! ..

● وكذلك صنعت السـنة النبوية الشريفة ، عندما زخرت أحاديثهـا بذكر العقل والحكمة والتفكر والتـدبر .. وكل المصطلحات التى جاءت فى القرآن دالة على عملية التعقل والتدبر والتفـكير .. فمن قـول النبى ، صلى الله عليه وسلم .. « .. العقل

(١٠) ( التعريفات ) للشـريف الجرجانى . طبعة القاهرة سـنة ١٩٣٨ م . - مادة « عقل » .

تصل بيني » .. الى قوله : « الكلمة الحكمة ضـالة المؤمن »(١١) .. و « نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة » (١٢) .. الى قوله : «عليكم بالقرآن ، فانه فهم العقل ، ونور الحكمة ، وينابيع العلم ، واحدث الكتب بالرحمن عهدا .. »(١٣) .

● ولذلك ، فانطلاقا من القرآن والسنة .. واستجابة لضرورة تاريخية وواقعية وحضارية ، تمثلت في الحاجة الى استخدام البرهان العقلى فى عرض حجج الاسلام والدفاع عنه تجاه المؤسسات اللاهوتية المسيحية واليهودية ومذاهب الغنوص (١٤) والمجوس ، التى كانت تستخدم المنطق الارسطى فى الدفاع عن مذاهبها ، التى تركها الاسلام قائمة وترك اصحابها بمنجاة من الاكراه الدينى ، وفق القاعدة الاسلامية الحاكمة ( لا اكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى ) (١٥) .. استجابة لهذه الضرورة التاريخية ، انطلق المتكلمون المسلمون من القرآن والسنة فأبدعوا العقلانية الاسلامية التى استوت مذهبا مكتملا على يد مدرسة « اهل العدل والتوحيد» منذ النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ، وقبل ترجمة الفلسفة اليونانية ، التى لم يعرفها العرب قبل الفيلسوف الكندى ( ٢٦٠ هـ ٨٧٣ م ) وعصر الخليفة المأمون ( ١٧٠ ـ ٢١٨هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م ) ..

لقد بدأت هذه العقلانية الاسلامية المتميزة فى التبلور ، انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، منذ اواخر عصر الصحابة واوائل عهد التابعين .. ونحن نقرأ فى كتب السنة، كيف ذهب بعض التابعين الى الصحابى عبد الله بن عمر بن الخطاب ،يسألونه عن مذهب فريق من اهل النظر ، لا يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، وانما هم يبحثون عن غامضه ، يستخرجون خفيه .. فقالوا له : « يا ابا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ـ ( اى فى البصرة ) ـ ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم .. » (١٦) اى يتتبعون العلم ويطلبونه ، فيأتون بالغامض ويستخرجون الخفى الغريب» من قعر النصوص وما وراء ظواهر الآيات .. فلا يقفون عند حدود « القراء » وانما يذهبون مذاهب « الحكماء » ! ..

---

(١١) رواه الترمذى وابن ماجة
(١٢) رواه الدارمى . (١٣) رواه الدارمى
(١٤) الغنوصية ـ نسبة الى « غنوصيص » ـ : اى « المعرفة » . وهى نزعة فلسفية ودينية » ازدهرت فى المناخ الحضارى الهلينى ، وفكرتها المحورية قائمة على ان « المعرفة » هى طريق الخلاص ، وليس الايمان الدينى سواء أكانت النصوص او العقل اوهما معا سبيل هذا الايمان .. واذا جاز للغنوصية ان تكون سبيل الخلاص للقلة التى تسلك طريق التجربة الروحية الذاتية سبيلا للخلاص بالمعرفة ـ كالصوفية مثلا ـ فان اعتمادها كطريق لخلاص الجمهور ـ الذى هو هدف الشريعة ـ يؤدى الى فساد عقائدهم ، دون تقديم البديل الذى يحسنونه ويقدرون عليه .
(١٥) البقرة : ٢٥٦ .
(١٦) رواه مسلم وابو داود والترمذى .

ولم يكن هذا النظر الفلسفي الاسلامي، المنطلق من « النقل القرآني» بمقاييس الاسلام ، بدعا ولا شاذا .. فرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي علمنا ضرورة غوص الراسخين في العلم على المعاني الكامنة خلف ظواهر آيات القرآن ، وذلك بـ « تثوير » القراءة للقرآن ، أي الغوص وراء معانيه ! .. فقال ، عليه الصلاة والسلام : « من أراد العلم فليثور القرآن » وقال : « أثيروا القرآن فان فيه خير الاولين والاخرين» ! .. والثورة والتثوير - قرآنيا وعربيا تعنى قلب الظاهر وتجاوزه الى العمق .. فبقرة بني اسرائيل كانت ( لا ذلول تثير الارض ) (١٧) .. أي لا تحرثها ..والحرث هو الانقلاب في الارض ، لتجاوز الظواهر الى الاعماق ! ..

هكذا ، انطلقت حضارتنا من منابعها الفكرية والاصلية ، ومن واقع الضرورات التي جابهت الاسلام بعد فتح البلاد ذات المواريث الحضارية العقلانية ، فأبدعت عقلانيتها الاسلامية المتميزة ، « كخصوصية حضارية » رغم ما يمثله « العقل » كأداة نظر ، من « مشترك انساني عام » ..

واذا كان شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ابو العلاء المعري ( ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ ٩٧٣ - ١٠٥٧ م ) قد قال :

الناس صنفان ، ذو عقل بلا دين
وآخر دين لا عقل له !

فان « الناس » هنا ، الذين يصنعون هذا التقسيم ، وهذه الثنائية، هم « العوام » ، وأكثرهم - بمعايير النظر - لا يعقلون ! .

أما اهل الفكر والنظر ، في حضارتنا ، فلقد بدعوا عقلانيتنا الاسلامية ، التي جمعت بين الحكمة والشريعة ، بين العقل والدين ..وفيها تفلسف الدين وتدينت الفلسفة ! .. فقول المعري هو نقد للانحراف عن هذا النهج ، وليس لطبيعة الامر في حضارتنا ، كما يحسب الذين لا يعقلون ! .

ويشهد على ذلك ، أن أصحاب المذاهب النصوصية ، الذين اتخذوا موقف العداء من العقل وأدواته في تراثنا - والامام احمد بن حنبل ( ١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م ) في مقدمتهم - سرعان ما تبنى خلفاؤهم في ذات المذهب قدرا من العقلانية طويت به صفحة المنهج النصوصي الى حد كبير .. فبعد الامام احمد ، الذي وقف عند النصوص وحدها ، ورفض التأويل والقياس في اغلب والاحيان .. جاء شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م هـ ) الذي عقد المصالحة ما بين « العقل » و « النقل » ، وحكم بضرورة الموافاة والاتفاق ما بين « صريح المعقول وصحيح المنقول » .. فكان ذلك شاهدا في تراثنا ، لم تكن الا نتوءا عارضا افرزته خصوصيات آنية من الظروف والملابسات .. وكذلك صنعت حركة الاحياء والتجديد التي بدأت بجمال الدين الافغاني ( ١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م ) والامام محمد عبده( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥) عندما طوت صفحة « الجمود النصوص » التي سادت في حقبة المماليك والعثمانيين .

---

(١٧) البقرة : ٧١ .

# عالمية الدعوة الإسلامية

## تدخل مرحلة جديدة

بقلم : أنور الجندى

**تدخل الدعوة الاسلامية فى نهاية العقد الاول من القرن الخامس عشر مرحلة جديدة قوامها تصحيح المسيرة وتحريرها من العقبات والمعوقات والاشواك التى تعترض طريقها سواء من ناحية الجمود الذى أصابها فى المرحلة السابقة او من جراء محاولات التشويه والتزييف التى قامت بها قوى الاستشراق والتبشير على مدى أكثر من قرن من الزمان فى سبيل خدمة النفوذ الاجنبى وتثبت قبضته وإحكامها فى احتواء عالم الاسلام عن طريق إخضاعه واحتوائه فى دائرة الفكر البشرى والعالمى والأممى وعدم تمكينه من تحقيق انطلاقته الحقيقية السمحاء وقد تزايدت هذه المحاولة فى خلال المرحلة الجديدة التى وصفت بالصحوة الاسلامية .**

وتجرى حركة تصحيح مسيرة الدعوة الاسلامية فى عدة قنوات متصلة متكاملة .

القناة الأولى : تصحيح مفهوم الاسلام بوصفه منهجا جامعا يضم العقيدة والنظام ويقدم منظومة كاملة لمختلف جوانب الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

والقناة الثانية : تصحيح مفهوم الاسلام بوصفه دينا عالميا خاتما ، جاء ختاما للرسالات السماوية والبشرية كافة

منذ ظهوره بالنبوة الخاتمة لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه (القرآن) .

القناة الثالثة : تصحيح اسلام المسلمين الجدد الداخلين فيه فى عالم الغرب وحمايتهم من خطر الاحتواء حول مذاهب باطنية او فلسفية صوفية او غيرها مما لايتحقق معه ابلاغهم رسالة التوحيد الخالص .

القناة الرابعة : تصحيح مفهوم علاقة الاسلام بالاديان المنزلة من حيث انها جميعها جاءت تدعو الى عبادة الله تبارك وتعالى والايمان به واخراج الناس من دائرة الوثنية والشرك والتعدد ، وقد ظلت هذه الاديان مرتبطة ببيئاتها وأممها ، حتى اذا بلغت البشرية رشدها جاء الاسلام مصدقا لما بين يديه للناس كافة والى ان تقوم الساعة وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وقد قامت الحضارة الاسلامية من عصارة تراث رسالات السماء كلها التى انصهرت فى بوتقة شاركت فيها جميع العناصر داعية الى اصلاح النفس البشرية واهدائها الى الخير والرحمة والعدل والاخاء البشرى .

ولاريب أن هذا المفهوم يكشف فساد دعاوى البهائية والقاديانية ومقولة مدعى النبوة فقد قدم الاسلام كل الدلائل والاسانيد الدامغة التى تؤكد (عموم الرسالة وختم النبوة) حيث لم يستطع اى متنبىء خلال أربعة عشر قرنا ان يقيم هذه الدعوى المدعاة .

ولقد كان تركيز اليقظة الاسلامية واضحا على شجب هذا التيار القائم على التأويل الباطنى للقرآن لتسريب مفاهيم الفرق الضالة فى محاولة للاحتيال على بعض النصوص لخداع الطلائع التى لم يتيسر لها الالمام بأصول الاسلام ، وكذلك شجب مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ ومذهب النرفانا والروحية الحديثة ، والحذر مما أوردته كتابات بعض دعاة الباطنية والقرامطة وما تضمنته رسائل اخوان الصفا وما اورده ابن المقفع فى مقدمة كتاب كليلة ودمنة وكذلك افكار مايتعلق بنظرية الفيض والعقول العشرة والتجسيد وذلك ليظل مفهوم الاسلام الجامع قائما ويظل مفهوم الغيب والنبوة والبعث والجزاء الاخرى أساسا لفهم الاسلام .

## ● الإسلام وحل مشاكل العصر

ولاريب أن ماتوصل اليه علماء غربيون منصفون من قدرة الاسلام على العطاء وحل مشاكل العصر بعد ان تعقدت امور الايديولوجيات وتطلعت النفوس المحبة للخير الى الاسلام كمنقذ ، كل هذا يجب أن يكون موضع تقدير ، ففى كتاب عنوانه (من بين لآخر) اعتناق الاسلام فى الغرب (صدر بالفرنسية ليزبات روش) يقول : مابرح الاسلام يلاقى صدى طيبا فى نفوس الغربيين فيدخلون فيه عن طواعية بعد ما افلست كل النظريات فى اسعادهم ولم تعد أديانهم قادرة على اطفاء ظمئهم الروحى) .

ويقول ايفادى فترای القرآن هو آخر وحي ومحمد هو خاتم الرسل والقيمة المتجمعة للاسلام تجعل الفرد مرتبطا بمجموعة عالمية . والاسلام يجبر على الاعتراف بكل الملل وبكل الرسل السابقين .

إن العقل الاوربى لايرفض الاسلام اذا عرف حقيقته اذا اتيحت له فرصة

## عالمية الدعوة الاسلامية

النظر دون ان تكرهه قوى اخرى على التعصب لفكره القديم .

ويقول دكتور عبدالكريم دانتون : بهرتنى المودة فى العالم الاسلامى ، كانوا يقدمون العون دون مقابل ، رائدهم القناعة ورضاء النفس . بينما كنت انفر من نمط الحضارة الغربية لما فيها من مادية الجفاف الروحانى والفراغ العقلى .

وجدت فى الاسلام رسالة واقعية تعترف بغرائز الانسان ولكنها تسمو بها فهو الدين الأكثر ارتباطا بالواقع وأعمق تاثيرا فى نفوس الناس . وجدت فى الاسلام ما كنت ابحث عنه وأى مشكلة يواجهها الانسان تجد حلها فى القرآن الكريم والعالم الغربى يدرك اليوم ان الاسلام هو الذى يحل جميع مشاكل البشر » .

هذا الذى يقوله بعض المثقفين الغربيين الذين عرفوا طريق الاسلام وتلك ظاهرة شديدة الاهمية فان الذين يدخلون الاسلام من الغرب اليوم ليسوا من عامة الناس ولكن من خاصتهم فهم على حظ كبير من الثقافة ومنهم مفكرون وعلماء وفلاسفة .

ومن هنا فإن هناك ضرورة ملحة للمحافظة على المسلمين الجدد وحمايتهم من خطر الاذابة فى المحيط الغربى أو ان تتلقفهم قوى تدعى الاسلام لتبعدهم عن مفهوم الاسلام الجامع الصحيح .

إن فهم حقيقة الاسلام وجوهره هو الركيزة الحقيقية لهذه المرحلة الجديدة من عالمية الاسلام التى يتسع نطاقها فى قارات اوربا وأمريكا واستراليا لقد جاء الاسلام ليصحح كثيرا من أخطاء الفكر البشرى الوثنى والمادى ، وأهمها الصلة المباشرة . بين الله تبارك وتعالى وبين الانسان بدون وسيط والارتفاع على التجسيد والتجسيم ورفض الفلسفات التى نشأت فى ظلها فكرة التعدد كما كشف الاسلام فساد المواريث القديمة للباطنية والمجوسية وعبادة الفرعون والقيصر وجدد تراث النبوة وكشف زيف تراث طفولة البشرية . كذلك فقد رفض الاسلام نزعة الياس والتشاؤم وقد اعلن مسئولية كل انسان عن عمله وابرز عطاء الاسلام فى هذا العصر سكينة النفس وطمانينة القلب والتخلص من ازمات الفكر التى تؤدى بصاحبها الى القنوط وهى التى يحلها الايمان بالله تبارك وتعالى خالقا ورازقا (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد تبين أن أعظم ماجذبهم الى الاسلام هو روح العدل والمساواة التى يدعو اليها القرآن الكريم والنظافة التى يتحدث عنها الرسول : « الطهارة نظافة اليد والقلب واللسان » ولقد اذهلهم تواضع النبى محمد صلى الله عليه وسلم وكرم خلقه وسماحته مع أعدائه ورحمته وتطلعه الى أن يخلف هؤلاء المتعنتين من يؤمن بالله .

هذه المعانى هى التى هزت نفس الغربى هزا شديدا لأنه لايجدها فى واقع الحياة المُعاصرة ، صورة من عالم مضىء يستعلى على الاحقاد والخصومات والمادة ويتطلع الى أنوار السماء .

ومن اجل هذا يتوقع المراقبون للصحوة الاسلامية انطلاقا واسعا حتى

تتحقق عالمية الاسلام بعد ان نقل المجتمع الاسلامي الى داخل عشرات من دول الغرب وبقي ظاهرة طبيعية متجددة .

## ● روح الإيمان

ولقد كشف علماء الغرب وقادته عن نواقص الحضارة الغربية المعاصرة واضطرابها وخروجها عن الجادة ، ومايصيبها اليوم من عطب من حيث عجز منهجها السياسي والاقتصادي والاجتماعي عن اعطاء الانسان اشواقه ومطامحه الروحية مما يدعوه الى التطلع الى الاسلام كمنقذ للحضارة والمجتمعات ، ويأتي هذا في الوقت الذي يتنامى فيه تعداد المسلمين متجاوزين الألف مليون ، وحيث تقام مجتمعاته الآن في قلب الغرب وتتفجر قضايا شرح الاسلام للغرب وتجاوز الصورة القديمة التي حملها الغرب للاسلام قرونا طويلة ، وحماية هذه المجموعات الجديدة من فقدان مقوم وجودهم الحقيقي ولعله من الخير ان توضع هذه الحقائق الثلاث بين ايدي الدارسين لهذه القضية :

أولا : جدد الاسلام تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية وقدم للانسان في كل عصر وبيئة : روح الايمان بالله تبارك وتعالى والثقة بقدرته والتحرر من اليأس والتشاؤم ومن التبعية للموروثات وقيام الصلة المتحررة من كل وسيط بين الله تبارك وتعالى والانسان وهدم عبودية الفرد للفرد أو عبودية الفرد للوثنية في صورها الحديثة ، وبذلك استطاع ان يقدم نفسه للبشرية في هذا العصر على انه قادر على حل كل مشكلاتها ومعضلاتها .

ثانيا : كشفت الابحاث العلمية واللاهوتية عددا من الحقائق التي اكدت الأصول الثوابت التي قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا في شأن خلق الكون والانسان والاعجاز الطبي مما اكد صدق النص القرآني وسلامته على مدى العصور وقدرته على مظاهرة ما كشفت عنه الحفريات في شأن تاريخ الامم والحضارات مما يعطي القرآن الكريم اليوم المكانة الأولى في اعتماده كمصدر لحركة الجنس البشري .

ثالثا : قدرة الاسلام على استيعاب القضايا العالمية التي احدثت ازمات كبرى من جراء الفصل بين القيم كقضية الدين والعلم والانتماء الديني والقومي والدنيا والآخرة والالتقاء بين العقل والوجدان ، والتلاقي بين العصور والاجيال والمرأة والرجل والاباء والابناء على اساس مفهوم التكامل الذي رسمه الاسلام وقاعدة الثوابت والمتغيرات وبذلك اعطى المسلم القدرة على الاستجابة لمتغيرات العصور مع الاحتفاظ بالقيم الثوابت الاصيلة .

روى الامام احمد في مسنده عن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولايترك الله بيت مدر ولاوبر إلا ادخله هذا الدين . يعز عزيزا ويذل ذليلا . عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر اما الذين يعزهم الله فيجعلهم من اهلها . واما الذين يذلهم الله فيدينون لها »

حديث شريف

## مسلمو الأندلس ومحاكم التفتيش

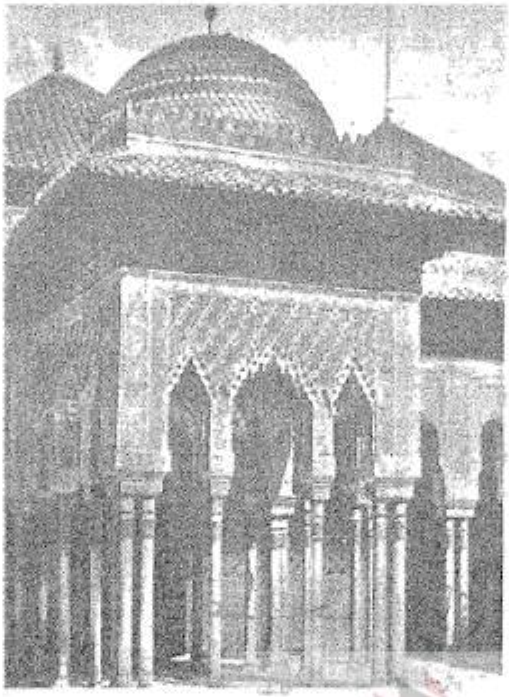
# من أنساب ابن حزم إلى أخلاط الغجر

بقلم: عبدالرحمن شاكر

للاندلس ذكرى عزيزة غالية في قلوب العرب والمسلمين ، ولمأساة سقوطها جرح في نفوسهم يظل ينزف حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وكل مايستجد من معلومات عن الاندلس يستهوى نفوسهم . وقد نشر الدكتور عبداللطيف عبدالحليم ، اخيرا كتابا عنوانه « فصول من الاندلس ـ في الأدب والنقد والتاريخ » ، هذه الفصول كتبها أسبان معاصرون ، معظمهم من احفاد الاندلسيين ، وجلهم مستشرقون ، ورغم تنوع هذه الفصول ، كما يدل عنوان الكتاب ، فإن سياقا واحدا ، يكاد ينتظمه ، حتى لكان صورة تاريخية بعينها ترتسم من خلال هذا الاختيار من جانب المترجم ، ويصح عليها قول القائل :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلا على اللبيب اختياره !

فالفصل الأول من الكتاب ، هو مقالة بقلم المستشرق الأسباني « فرناندو دي لاجرانا » ، يبحث فيه خبرا عن « عبدالرحمن الثاني » امير قرطبة ( الأرجح انه من نعرفه باسم عبدالرحمن الناصر ) ، مؤداه انه بلغ من كرمه ورقة شمائلة ان اعفى احد اتباعه من الفضيحة أمام اقرانه حينما رآه يختلس كيس ذهب في غفلة منه ! وكيف تواتر هذا الخبر في اكثر من كتاب ، وروى عن اكثر من شخصية ، مرة يرويه عربي عن معاوية بن أبي سفيان ، واخرى فارسي عن كسرى ، ومؤداه الكلمة التي ذهبت مثلا ، حينما قال الأمير معلقا على ما اخذ منه : "لقد اخذه من لايرده ورآه من لايفضحه » ! .



اما الفصل الثاني ، فهو ترجمة لمحاضرة ألقيت في قرطبة بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لابن حزم يوم ١٥ مايو ١٩٦٣ ، بعنوان « ابن حزم عالم الانساب » ، القاها المستشرق « خاثينتو بوسك فيلا » ، بدأ بداية غريبة جدا ، حيث يقول :

« قال البعض إن الوسيلة الوحيدة لفهم الإسلام أن تجعل من نفسك مسلما (!) ، وإنما قوام المعرفة في عقولنا يتحقق عن طريق الاعتقاد ، والعلم عن التامل ، والفضيلة عن العقيدة وماهو دنيوى بما هو ديني ، وباختصار ، هى سلسلة من التحولات هذه تصل بالرجل المسلم إلى وحدة تامة ، وبمنهجه الديني هذا ، وبشكول حياته ، وبعقائده السياسية بلغ إى تطور حضارى يكتشف ٤٠٠ مليون من الرجال » .

وبالطبع لم يذهب المستشرق إلى هذا المد ولكنه يقول : « مؤرخ الإسلام ينبغى أن يهتم بمفهوم التاريخ نفسه ، وبمغزاه وبالحركة الاسلامية ـ قبل كل شيء ـ وبالرجل المسلم باعتباره عنصرا متوحدا أو غير متوحد في النسق الاجتماعي والثقافي للشعوب ، وينبغي أن يدرسه في كل ابعاده الانسانية ، وفي أصوله وتطوراته وفي كل ظواهره » ! !

« هكذا يقدر تاريخ الاسلام ، والرجل المسلم بكونه عاملا اجتماعيا فى هذا التاريخ ، ففى فترات قليلة ، وصور انسانية يسيرة فى اسبانيا الاسلامية تقدم امكانات كثيرة وحوافز لدراسة قرطبة فى عصر الخلافة ، وابن حزم وعصره » .

ثم ينتقل ليورد رأيا لمستشرق آخر فى ابن حزم ، يقول :

« السيد ميجيل آسين ، فى عمله العظيم عن ابن حزم القرطبى ، وفى بعض دراسات اخرى عن ابن حزم ، نعته بانه العبقرى القرطبي المؤرخ ، الشاعر ، الأديب ، الفقيه ، عالم الكلام ، المفسر ، الأخلاقي ، المنطقي ، الكاتب السياسى ، النفسانى ، الجدلى ، الميتافيزيقي ، اللغوى ، المؤلف فى فلسفة القانون ، حصيلة غريبة من كل هذه النعوت ، التى تشكل هذه الصورة الانسانية والعلمية ، التى تحدد أعظم المظاهر الشريفة والوجوه المركبةالتى

من خلالها يستطاع التوصل إلى مخالطة الرجل ، ومعرفته التى لاتوجد بالتحديد فى عمله باعتباره عالم أنساب » .

ويتحدث المحاضر بعد ذلك عن ثلاثة أعمال لابن حزم فى علم الأنساب ، هى كتب « الفصل » ، « ونقط العروس » ، و« جمهرة أنساب العرب » ويقول : « أخباره على هذا النمط ، تجمع أنسابه من خير الكتب المشرقية ببيانها الكامل ، مستوعبة البطون والقبائل العربية ، المنتقلة إلى شبه الجزيرة الأسبانية . وقد خول لها ابن حزم مكانا معلوما فى كتابه ، فى ملحق عن أنساب البربر ، وفى اقليم محدد لهذه القبائل فى أسبانيا الاسلامية مثل أنساب قبيلة « بنى قسى » المولدين بالثغر الأعلى » .

وفى موضع آخر يقول : « توجد بعض اشارات تحملنا على الظن بأن ابن حزم قد وقع على أخبار فى الأنساب بنفسه ، وباتصاله المباشر بالعائلات القرطبية أولا ، هكذا عندما يتحدث عن « بنى عبادة » ، قوم « كانوا يقيمون فى المدينة ، « معنا بباب العطارين فى قرطبة » .

★★★

ونودع هذين الفصلين الشريفين فى أول الكتاب ، أحدهما عن سماحة الخليفة الأندلسى ، والثانى عن كتابة العبقرى ابن حزم عن أنساب قومه فى الأندلس ، لنمر مرور الكرام بفصل ثالث عن التنجيم فى أسبانيا الاسلامية ، واختلاط علم الفلك ، بخرافات التنجيم ، لنعبر إلى الوجه الآخر لصورة المسلمين فى أسبانيا أو بالتحديد بقاياهم ، بعد سقوط دولتهم ، وطرد الكثير منهم من هناك ... حيث يطالعنا فصلان ، أو مقالتان ، الأولى منهما بعنوان « الموريسكيون ومحاكم التفتيش بالأندلس - اقليم قونقة » ، بقلم المستشرق « مرثيوس غرسيه أرنيال » ، وهى الفصل الرابع من الكتاب ، والثانية ، أو الفصل الخامس من الكتاب بعنوان « أصل موريسكى محتمل للفنقيين » . بقلم « إلينا بيثى مارنينت » .

### ● محاكم التفتيش

تواجهنا فى هذين الفصلين لفظتان ، أحدهما كلمة « الموريسكيون » ويعنى بهما العرب ومن سواهم من المسلمين الذين وفدوا معهم إلى الاندلس فى شمال افريقيا ، واللفظة الثانية ، كلمة « المدجنون » واعتقد أن المقصود بها من تم توطينهم من هؤلاء المسلمين فى أماكن معينة ، وإدماجهم فى المجتمع المسيحى ، فيقول مرثيوس غرثيه أرنيال :

« فى كل أنحاء قشتالة ، خلال بدايات القرون الوسطى ، كانت جماعة المدجنين قليلة العدد ، وذات طابع مدنى على وجه العموم ، تذوب فى الجماعات المسيحية ، مما يجعل جماعة المدجنين تختلف عن جماعات أخرى منهم ، وبصفة خاصة أولئك الذين يعزون إلى مملكة أراجون » .

« ومع ذلك فإن الجماعة الاسلامية في إقليم قونقة لابد أن تكون كثيرة العدد في حقب سابقة على استرداد المدينة ( حسب ماذكره مؤرخو الاقليم ) . كما هو متوقع من إقليم واقع على الحدود » .

ويقول : « في سنة ١٥٠٢ صدر مرسوم باعتناق المدجنين في مملكة قشتالة الديانة المسيحية ، وطبق مرسوم التنصر في السنة نفسها ، لا الوضع ، ولا العدد التافه لجماعة قونقة يبدو متغيرا ، ولا يضطرب إلى حد بعيد بسبب هذا المرسوم ، مع الاستثناء الذي يفرضه تدخل عنصر جديد : محاكم التفتيش ، ومنذ لحظة التنصر بات الموريسكيون تحت المراقبة ، وتحت القضاء الديني ، فإذا كانوا قبل ذلك ، بوصفهم مسلمين - رسميا - براء من الحكم عليهم بسبب جرائم دينية ، إلا في ظروف استثنائية كانوا يعملون بالتبشير ، فانهم من لحظة التنصر هذه سيكونون على الدوام هدفا لظنون الارتداد والزندقة » .

« ومنذ السنوات الأولى من القرن اشتكى الموريسكيون من المطاردات التفتيشية ، ومن تعنت العقوبات المالية ، ومن المصادرة الدائمة للثروات ، هكذا كان الحال ، مما جعل من المحتم صدور مراسيم متعددة من العفو ، لكي يتوازن الوضع للمتنصرين الجدد » .

ويشير الكاتب إلى صدور مرسوم بطرد الموريسكيين من غرناطة بحيث تشتتوا في أرجاء الأندلس ، ووصل بعضهم إلى اقليم قونقة موضع هذا البحث ، حيث يقول : « تراوح عدد الموريسكيين في نواحي قونقة في بداية ١٥٧٠ إلى خمسة آلاف » . وينقل عن سجلات المؤرخين الأسبان :

« اغلب الموريسكيين يعملون حفارين ، وحصادين ، وبستانيين ، وسعاة على الاقدام ، وبغالين ، وحدادين ، ويعملون في حرف أخرى ، وقد أشرفوا على قبول أي طعام مهما كان رديئا ، ينفقون الزهيد ، ويكفي انهم لايشربون النبيذ ، شيء يتميزون به علينا » .

ثم يورد كاتب البحث إحدى وثائق محاكم التفتيش ، وهي وثيقة « يوسف الفاشي - فقيه مسلم من قريته مولينا سنة ١٤٩٥ » ، ونص الاتهام فيها يبدأ كالتالي :

« يوسف الفاشي فقيه مسلم من قرية مولينا اقنع بطريقة شيطانية في محاولة إغراء بعض النصارى أن يعودوا إلى دين المسلمين ، وسنة محمد ، قائلا : إن دين محمد هو الدين الحق الذي ينقذ الانسان ... إلى أن يقول ... » ويدلي المتهم بحجته مدافعا عن نفسه بانه لم يصنع شيئا من هذا ، بل انه يجيب على الاهانات التي يقذفون بها محمدا ودينه ، وعلى الكلمات التي يلقون بها إليه من نافذة المسجد وهو يخطب ، فيجب إذن أن يستتاب ، ويعاقب بالنفي » .

وعن وثائق محاكم التفتيش يقول الكاتب :

« محفوظ في وثائق اسقفية قونقة ذكرى دعوى عن بيت مال محكمة

التفتيش ، ودوق مدينة سالم حول بعض الموريسكيين المتهمين في محلة

أركوس ، بين سنوات ١٥٧٥ ، ١٥٨٣ ، وهم ١٦ متهما بينهم ست نسوة تذكر اسماؤهم ، كلهم أدينوا بمصادرة اموالهم ، وثلاثة حكم عليهم بالإعدام ، والباقون قبلوا المصالحة » ، ويقول : « إن الأماكن التي يعزى اليها أكبر عدد من المتهمين فقد ساعدت على رسم خريطة ـ بصفة عامة ـ للاسلام المتخفي في الاقليم » ، ويقول في موضع آخر : « في ذرعنا أن نستنتج ملاحظة أولى ـ وسوف نتأكد بمحتوى القضايا ـ هي أن درجة قوة الاسلام قد بلغت حدا كبيرا في تلك المناطق التي تزداد فيها كثافة السكان الموريسكيين وتجانسهم » ؛ ويقول ايضا : « وكما نرى فيما بعد فإن ابنية الحياة الدينية كان يحافظ عليها في اعماق أماكن الاسلام المتخفي ، حيث كانت تلعب النساء دورا بارزا بوصفهن راعيات للتقاليد والعادات والشعائر الدينية ، وناقلات لبعض التعاليم ، شيء يتواتر بكثرة عبر مطالعة القضايا ، أن يكون المتهم قد تعلم العبادات الاسلامية من احدى نساء الأسرة » ، وإن لم تكن كل النسوة كذلك ، ففي موضع آخر يقول « في سوكويا موسى ، شهدت امرأة ضد زوجها قائلة : « إنه يعلمها العربية في المساء ، وهي تقول له انها لاتريد أن تفهم ولا أن تتعلم العربية » ! .

ويورد المستشرق وثيقة أخرى من محاكم التفتيش ، الاتهام فيها موجه الى « سياستيان الوقشي ، من اهل أوربا عند نهر المنصورة في مملكة غرناطة ، يعيش الآن في قرية سوكويا موسى ، ومقيد في أسقفية اقليش سنة ١٥٤٧ » ، ويبدأ الاتهام هكذا : « أولا المذكور اعلاه كما يبين من أصله من سلالة وذرية المسلمين ، وبسبب حبه لشريعة محمد ... قام مع بعض المسلمين بتمرد في مملكة غرناطة » ، ثم يورد دفاع المتهم ، الذي تخاذل « قال واعترف بانه كان مسيحيا حتى ثورة مملكة غرناطة ونهر المنصورة ، ... اما من حيث كونه قائدا لأناس قدموا من هذا المكان ... فإن الناس قد عينوه واختاروه قائدا ... قائلين له انه رجل شريف بسيط ... وكان في هذه الثورة رجل لم يذكر اسمه قد قال له : « انه لايجوز ان يكون رجل في محله لايعرف قراءة العربية ولا كتابتها ، وقد بدا الرجل هذا يعلم صاحبنا قراءة العربية وكتابتها ... وان هذا الشخص نفسه قد علمه الوضوء والصلاة ، قائلا له ان هذا طيب لكي يصعد المسلمون إلى السماء ، وهكذا توضا ، فغسل يديه ووجهه ، وذراعيه ، ورجليه ، واستنجى من أمام ومن خلف ، وغسل اماكن أخرى من جسده ، ثم وضع قميصا نظيفا ، وذهب مع مسلمين آخرين الى كنيسة بورشينا للصلاة ... وصرح بأن مسلمي البربر الذين قدموا الى هذه الثورة علموه صيام رمضان وهو شهر قمري كامل » ...

أما المبحث الثانى الذى كتبته « إلينا بيني مارتنيت » بعنوان « أصل محتمل للقونقيين » فتقول فيه « إن القنقيين ... ليسوا حسب مانرى ، سوى سلالات الموريسكيين الرحل اثر اجيال متعددة ، والذين ظلوا فى أسبانيا والفوا الحياة البدوية ، هربا من مرسوم الطرد سنة ١٦١٠ » ، وواضح أن هذا الوصف ينطبق على من يعرفون الآن عندنا باسم « الغجر » ! وتجرى الكاتبة بحثا لغويا حول أصل كلمة « قنقى » ، والمعنى التحقيرى الذى تدل عليه ، « باعتباره ـ اى القنقى ـ مجرما يهاجم الملكية الخاصة ، ويقوم بأعماله فى عصابات صغيرة حسب ماتحدده دائرة معارف لاروس » ، وتتساءل عما إذا كان أصل هذه الكلمة عربيا من « القين » الذى قد تعنى العبد ، أو الحداد ، او المغنى ، وقد تدل أيضا على المخنث ! ، حتى إذا وصل الموريسكيون الى القرن السابع عشر تنقل الكاتبة عن الأب « ب . اشار قردونة » ، قوله عنهم : « كانوا أصحاب مساخر وخدع ، ولعب ورق ، وقبل كل شىء هم أصدقاء جدا ، ( لهم أيضا أبواق وصاجات وطبول للرقص ، والمرح ، والغناء ، وترانيم الصباح ، والمرور بالبساتين والعيون ، وكل مايجلب المتعة الحيوانية التى يذهب اليها فى جلبة وزعيق مشوش أولئك الفتية القرويون » وواضح أن هذه كلها من صفات وأعمال الغجر .

هذا ما انتهت اليه السلالات التى كان ابن حزم يجمع أنسابها ايام كانت لهم الأندلس ؟ وتختم الكاتبة بحثها بقولها « حين نقرر أن كلمة قنقى من الممكن أن تكون من أصل عربى فإن هذا لايستلزم ضرورة أن كل القنقيين كانوا موريسكيين ، ولا أن كل الموريسكيين كانوا قنقيين ، ولكنه مما لايقبل الريب أن كثيرا منهم تحت قسر الظروف الخاصة بنفيهم قد بحثوا من خلال هذا العمل عن وسيلة للحياة لكى يتفادوا الاضطهادات التى تضغط عليهم ... هم أمشاج من أجناس متباينة وبصفة خاصة أهل غرناطة ( عرب ، شوام ، بربر ، عناصر بلدية ، يهود قدماء ، مع وشل متباين من دم أسود ) ومن أناس متخلفين جدا مثل الفرس والهنود والأتراك ) هذه العناصر غير المتجانسة كان عليها أن تبحث بكل الوسائل عن الحياة دون أن يلحظهم أحد ، ممارسين مهنة تكفل لهم الحياة حرة بلا قيود » .

وفى أواخر الكتاب يورد مترجمه بحثا عن المسرح الفلسطينى ، كتبه « بدرو مارتنيث مونتابث » يبدى فيه تعاطفا مع القضية الفلسطينية بقوله : « ان انشاء دولة اسرائيل الشاذ والجائر جورا مطلقا فى الأراضى الفلسطينية فتح حقبة مختلفة اختلافا جذريا ، واستلزم نقطة انطلاق جديدة لهذه الجماعة القومية العربية ، والذى يظهر متمكنا بوضوح فى الحقل السياسى » ... ويؤرخ للمسرح الفلسطينى بأن نشأته قد ارتبطت بنشأة المقاومة .

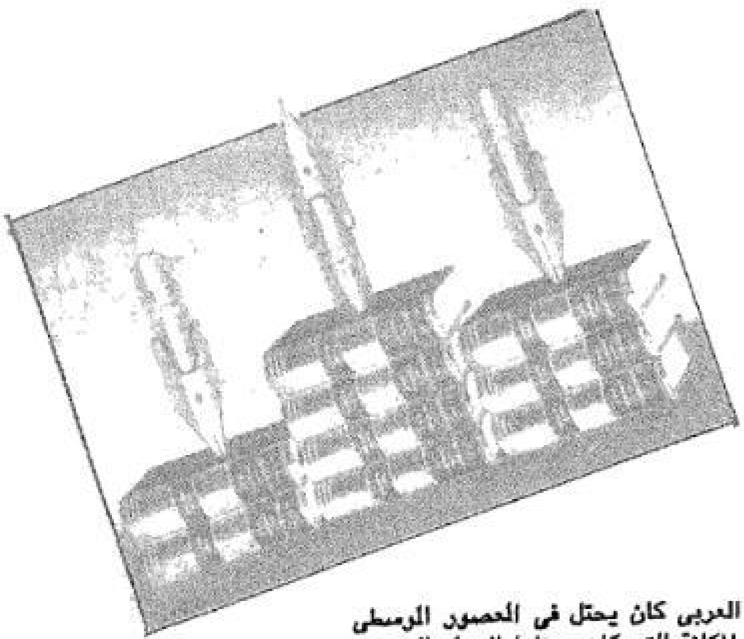
وحق للفلسطينيين أن يقاوموا بكل سبيل ، قبل أن يحيق بهم وببلادهم مصير الأندلس وأهله ! .

# موقفنا من التراث

بقلم : د. أحمد أبو زيد

الاستاذ جورج سارتون واحد من ابرز المتخصصين فى تاريخ العلم · وقد حمله اهتمامه بفرع تخصصه الى زيارة الشرق الاوسط وشمال افريقيا حيث أمضى عامين ( ١٩٣١ ــ ١٩٣٢ ) لدراسة اللغة العربية والاسلام ومعرفة تاريخ العلوم عند العرب ، وترك وراءه عددا كبيرا من المؤلفات والمقالات والبحوث التى تشهد بمكانته وعمق معرفته واتساع افقه · وربما كان من أشهر هذه الكتب كتابه الضخم الفذ « المدخل الى تاريخ العلم » وكذلك كتابه ·· « تاريخ العلم » وقد نقل المجلد الاول فقط من هذا الكتاب الاخير الى اللغة العربية وظهر فى ثلاثة اجزاء ، كما نقل الى العربية ايضا كتابه القصير « العلم القديم والمدنية الحديثة » وقام بهذه الترجمة فى اسلوب رشيق رصين الدكتور عبد الحميد صبره حين كان استاذا لفلسفة العلوم والمنطق بجامعة الاسكندرية ، وقبل أن ينتقل الى جامعة هارفارد حيث يشغل الان كرسى تاريخ العلوم عند العرب ، وقد حصل سارتون اثناء حياته على عدد من الدرجات العلمية وعلى عضوية كل الهيئات والجمعيات المشتغلة بتاريخ العلم ، كما كان وراء ظهور اثنتين من اشهر الدوريات فى تاريخ العلوم وهما مجلة « ايزيس » ومجلة « اوزيريس » وذلك فضلا عن قيامه بتدريس تاريخ العلم فى عدد من اشهر واكبر جامعات العالم ·

ولذا فحين يبدى جورج سارتون من واقع علمه وخبرته رأيا فى التراث العلمى عند العرب ، فان ذلك الرأى يجب أن يلقى منا كل ما يستحقه من اعتبار واحترام ، وأن نعطيه جانبا كبيرا من اهتمامنا لفهم الاسباب التى دفعته الى اصدار هذا الرأى أو الحكم ، خاصة وأن كثيرا ما كان يعلن صراحة فضل العرب ليس فقط فى نقل العلم القديم والمحافظة عليه بل وايضا فى الاضافة اليه · وقد قال فى كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » ان العلم



العربى كان يحتل فى العصور الوسطى المكانة التى كان يحتلها العلم اليونانى فى العصر القديم ٠

وقد كان سارتون ( ١٨٨٤ ـ ١٩٥٦ ) يعتبر العرب عباقرة الشرق فى العصور الوسطى ، وأن الكتابات والمؤلفات الاصلية العميقة التى تركوها وراءهم هى من أهم المآثر التى يمكن لاى شعب أن يقدمها للانسانية ، وانهم افلحوا عن طريق هذه الاعمال ان يفرضوا فكرهم ولغتهم على كل الحياة الثقافية فى العالم خلال فترة طويلة من الزمن ، بحيث كان يتحتم على كل من يريد الالمام بثقافة عصره أن يتعلم اللغة العربية ويطالع آثار العرب ٠ فلقد كانت تلك الاعمال تمثل سجلا وافيا وحافلا للفكر الانسانى ، ولذا فان من الصعب ـ حسب ما يقول ـ أن نتصور ماذا يمكن أن يكون عليه الحال لو لم يكن العرب حملوا رسالة العلم والثقافة وعملوا على تطويرها وحفظها للاجيال التالية ٠

وكلام الاستاذ سارتون خليق بأن يجعلنا نتساءل عن العوامل التى كانت للعرب والمسلمين فى تلك الفترات السابقة من تاريخهم كى ينتجوا ويبتكروا ويبدعوا كل تلك الاعمال التى سيطرت على الحياة الثقافية والفكرية والعلمية فى العصور الوسطى ، وأن نبحث فى ماهية هذه الاعمال ، وأن نتعرف المواقف العقلية التى كانوا يلتزمون بها وانماط التفكير التى سادت بينهم والتى كانوا يتبعونها ، وأن نحاول دراسة منهجهم فى الفكر والحياة والابداع الثقافى والعلمى

وأساليب البحث التى كانوا يطبقونها فى بحوثهم وكتاباتهم ٠ فهذا ـ فى رأيى ـ هو الجانب الاكثر اهمية الذى يجب أن نشغل به أنفسنا حين ننظر فى تلك الاعمال التراثية الشامخة التى تركها لنا العرب والمسلمون فى عهودهم الفكرية الزاهرة ٠ اذ مهما اختلفت الاراء فى الوقت الحالى حول أهمية

# موقفنا من التراث

التراث بالنسبة لحياتنا الثقافية المعاصرة أو حول الدور الذى يمكن أن يؤديه ذلك التراث فى حركة الفكر الان ، وجدوى الاشتغال بذلك التراث فى حركة الفكر الان ، وجدوى الاشتغال بذلك التراث أو الانشغال به ، والفائدة التى يمكن أن تعود علينا من الجهود الطويلة المضنية التى يتطلبها تنقيح التراث وتحقيقه ونشره ودراسته ، فالشىء الذى لا يمكن لهذه الاراء أن تختلف فيه هو أهمية البحث عن أساليب التفكير التى أنتجت ذلك التراث ، والمناهج والمواقف العقلية التى تكمن وراءه والتى يعتبر التراث تعبيرا عنها ونتاجا لها .

***

ولقد شغلت مشكلة التراث وأهميته وجدواه بالنسبة لحياتنا الثقافية المعاصرة كثيرا من المثقفين والمفكرين من مصر والعالم العربى منذ بعض الوقت ، وانقسم المفكرون ازاءها وتفاوتت وجهات نظرهم كما تعددت أسماؤهم ربما بسبب الظروف الثقافية المضطربة التى تسود المنطقة الان نتيجة للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة ، وما أدى اليه هذا الاضطراب من تمزق نفسى وعقلى رهيب بين الرغبة فى المحافظة على الهوية الثقافية الاصيلة والدفاع عن مقومات هذه الهوية ضد ما يسميه البعض بالغزو الثقافى أو الامبريالية الثقافية أو الاستعمار الثقافى الوافد من الخارج من ناحية ، وبين الرغبة المشروعة والحاجة الملحة لمتابعة التطورات الثقافية والتيارات الفكرية والاتجاهات الادبية والفنية التى يزخر بها العالم فى الخارج ، وما يرتبط بهذه الرغبة من الانطلاق والتحرر من كل روابط و (قيود) الماضى بما فى ذلك قيود التراث القديم الذى يمثل عبئا ثقيلا يعوق حركة الانطلاق .

وهذا الاختلاف فى الرأى هو بغير شك عنصر من عناصر القضية الشائكة التى ظلت تثور على سطح حياتنا الثقافية والاجتماعية منذ أواخر القرن الماضى وتتخذ فى ذلك أشكالا عديدة وأعنى بها قضية الاصالة والمعاصرة بكل جوانبها وتفرعاتها . وهى على أية حال قضية عامة تشترك فيها ليس فقط كل المحيطات الدينية والاسلامية ، وانما تعانى منها أيضا كل مجتمعات العالم الثالث أو المجتمعات النامية التقليدية التى تخضع منذ بعض الوقت لعمليات التغير الاجتماعى والثقافى نتيجة لاتصالها بالحضارات والمجتمعات الغربية وتأثرها بالنظم والقيم وأنماط وأساليب التفكير السائدة فى تلك المجتمعات ، والرغبة المصاحبة لذلك ــ عند البعض على الاقل ــ للتخلص من هذه التأثيرات أو على الاقل تخفيف حدتها وعمقها والعودة الى النظام القديم والحياة التقليدية .

وتتخذ حركة التشكيك فى قيمة التراث وأهميته وجدواه مظاهر عديدة . وقد شارك فى الهجوم على ذلك التراث العربى الاسلامى عدد من المستشرقين والكتاب الغربيين ممن اتصلوا بالفكر الاسلامى عن قرب . وكان معظم هجومهم يعتمد على التهوين من القدر الذى أسهم به ( العرب ) فى ذلك التراث . فمعظم الذين أبدعوا وانتجوا ذلك التراث الضخم ليسوا من العرب وانما هم مفكرون وأدباء وعلماء ينتمون فى الاصل الى سلالات وأعراق غير عربية وان

كانوا قد دخلوا فى الامبراطورية العربية الاســلامية أيام امتدادها • بل ان الكثيرين من هؤلاء المفكرين والفلاسفة والعلماء ينتمون الى غير دين الاسلام •• وعلى ذلك فان ما يسمى بالتراث العربى الاسلامى هو – فى نظر هؤلاء الكتاب والمستشرقين – نتاج يونانى أو فارسى ، أو هندى أو اسبانى ، أو يهودى أو نصرانى وهكذا •

وقد ذهب الكثيرون من المتشككين فى أهمية التراث وجدواه الى رفض ذلك التراث باعتباره حصيلة ونتاجا لاوضاع اجتماعية وثقافية وسياسية معينة ارتبطت أصلا بفترة تاريخية محددة،ولذا فهو لا يلائم العصر الذى نعيش فيه • بل انه على العكس من ذلك تماما يشكل عبئا ثقيلا يعرقل حركة الفكر ويحد من انطلاقه كما قلنا منذ قليل ، ويفرض على الانسان المعاصر قيودا شديدة تمنعه من أن يعيش عصره •• فالقضايا التى شغلت بال المفكرين العرب والمسلمين فى الماضى والتى تنعكس فى الاعمال التراثية • التى تركوها وراءهم تختلف اختلافا جذريا عن قضايا العصر الحديث ، ولذا فليس ثمة ما يدعو الى الاهتمام بها لانها لن تساعد على فهم الحاضر أو حل مشكلاته • وعلى ذلك فان الجهود التى تبذل من أجل احياء ذلك التراث ونشره والتعريف به هى جهود غير مجدية وضائعة ولا طائل تحتها ، فالتراث جسم غريب ودخيل على الثقافة المعاصرة ، ولذا فقد يكون من الخير ومن الاجدى أن يظل الاهتمام به مقصورا على تلك الدائرة الضيقة من المتخصصين الذين يشتغلون به لاسباب اكاديمية صرفة لا تكاد تتصل بواقع الحياة • وشأن الاشتغال بذلك التراث على هذا الاساس هو شأنه الاشتغال باللغات القديمة الميتة التى لا تهم سوى المشتغلين بها ولا تكاد تجد صدى لها بين عامة المثقفين لابتعادها عن واقع الحياة والمجتمع •

## احياء تراث العرب

وليس من شك فى انه من التعسف أن نذهب الى ان كل ما تركه العرب والمسلمون فى العصور الوسطى التى يشير اليها سارتون والتى يقصدها معظم الكتاب حين يتكلمون عن التراث العربى الاسلامى يستحق أن يلقى نفس الدرجة من العناية والاهتمام والجهد من أجل احيائه ونشره وتقديمه لعامة القراء والمثقفين • انما لابد من أن تخضع هذه العملية لشىء من الاختيار الواعى والانتقاد الدقيق لمعرفة أى الاعمال تستأهل النشر والتعريف بها على أوسع نطاق ممكن بحيث تدخل فى تكويننا الثقافى العام وتصبح جزءا عضويا فى ثقافتنا المعاصرة ، وأيها يترك أمره للمتخصصين دون سواهم ، لانه لم تعد له سوى قيمة تاريخية وأكاديمية فحسب• فمعظم المؤلفات العلمية التى تركها العلماء المسلمون فقدت قيمتها وأهميتها وأثرها فى الحياة العلمية والعملية بعد كل ما أحرزه العلم من تقدم فى مختلف الفروع خلال القرون القليلة الماضية ، وبوجه خاص منذ بداية هذا القرن ، وبعد ان ظهرت حقائق وتفسيرات ونظريات علمية جديدة غيرت من مفهوم العلم عما كان عليه من قبل • ولكن هذا لا يصدق بحذافيره على الدراسات الانسانية التى اسهم فيها المفكرون العرب والمسلمون بنصيب وافر ، ويستوى فى ذلك كتاباتهم فى الفلسفة أو التاريخ أو الادب أو

# موقفنا من التراث

الادب أو التصوف او الاحكام وما اليها، فهذه لم تفقد قيمتها بحكم الموضوعات ذاتها التى تعالجها ، وهى موضوعات متصلة اتصالا شديدا بجوهر الحياة الانسانية وماهية الانسان ذاته ، ولذا فانها لا تزال تعتبر حتى الان جزءا أساسيا من تراث الانسانية ككل .

كذلك فان من التعسف بل ومن الخطأ أن ننظر الى التراث وأن نتعلق به على أنه الامل الوحيد الذى يمكن أن نجد فيه حلولا لمشكلات الحياة الراهنة او أن نتخذ منه ملجأ نفزع اليه هربا من المدنية الغربية المادية الحديثة بكل ما تحمله من شرور وآثام ومتاعب ، او هربا من الواقع العربى الاسلامى المؤلم بكل ما يحيط به من تخلف ومهانة ، فنعيش بمخيلتنا فى تلك العصور الماضية الزاهرة ، حين كانت الحضارة العربية الاسلامية فى أوج ازدهارها وتدق ابواب أوربا ذاتها . فمشكلات اليوم لن تجد لها حلولا فى تراث الامس الا فى أضيق الحدود وفى الاساسيات فقط ، وبخاصة فيما يتعلق منها بالعقائد . وعجلة التاريخ لا يمكن أن تعود الى الوراء

وهذا لا يعنى أبدا .. الدعوة الى انكار الامس او التنكر له ، كما انه لا يعنى الدعوة الى قصر الاهتمام بالتراث على المتخصصين دون سواهم فالثقافة وحدة كلية متصلة ومتماسكة ومستمرة ولكن اذا كان من الصعب — بل ومن السخف — محاولة نقل الحاضر الى الماضى بحيث نعيش حاضرنا ومستقبلنا بعقلية الماضى ، فليس ثمة ما يمنع من تطويع الماضى ذاته ليكون فى خدمة الحاضر ، وهذا يقتضى تذليل التراث — او بعضه — وتقريبه الى الاذهان واعادة النظر فيه فى ضوء مقتضيات العصر ومنجزاته حتى يتلاءم من الاوضاع الحضارية السائدة ويصبح جزءا من الثقافة العامة التى تسود المجتمع المصرى — والمجتمع العربى الاسلامى بعامة — بقدر الامكان .

فالمهم اذن هو أن نعيد النظرة الى التراث أو أن ننظر اليه على الاصح نظرة جديدة تهتم بمراجعة أساليب دراسته واحيائه وتذليله للافادة منه . فسواء أردنا أم لم نرد فان هذا التراث العربى الاسلامى — أو جانب منه على الاقل — يؤثر بشكل أو بآخر فى قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا بل وفى طريقة تفكيرنا ونظرتنا الى الحياة . ( وهذا يصدق ولو بقدر على التراث الفرعونى والقبطى ). وهذه أمور يصعب الجدل فيه ، ولكن فيها ما يكفى لتبرير الاهتمام بهذا التراث على الاقل لكى نتعرف المبادىء والاسس والمناهج التى كانت تحكم الفكر العربى الاسلامى الذى أنتج ذلك التراث ، ومدى تأثر هذه الاسس والمبادىء والمناهج بالتغيرات التى طرأت على المجتمع العربى الاسلامى فى مختلف عصوره . فقد يمكن الاستفادة من هذه التجارب فى تعرف معالم الطريق الذى تسلكه ثقافتنا فى المستقبل .

فليس المهم اذن فى دراسة التراث هو معرفة المضمون أو المحتوى بقدر ما هو معرفة الموقف العقلى أو المنهج الفكرى الذى أنتج هذه الاعمال ، وان كان هذا لا يعنى اغفال ذلك المضمون أو المحتوى أو التهوين من شأنه أو الاستهانة به . ولكن العلم ليس مجرد

تجميع للمعلومات والحقائق والوقـــائع والظواهر والاحداث وتصنيفها ووصفها .. وانما العلم هو قبل كل شيء موقف عقلي من الحياة ككل ، وأسلوب لرؤيـة الاشياء وفهمها وتفسيرها . ومعـالجته التراث من هذه الزاوية تعطى له معـنى أبعد وأعمـق من الاكتفاء بقـراءته والاحاطة بكل تلك المعلومات الجـزئية التى تمتلىء بها الكتابات القديمة فالذى يبقى من كل هذه الكتابات والاعمـــال التراثية الهائلة ـ حتى بعـد أن تـزول الاهمية العلمية لتلك المعلومات أو يظهر خطؤها ـ هو المنهج والمبادىء العقـلية وقوانين الفكر التى كانت تحكم تفـكير أصحاب هذه الاعمال ، والاســاليب والطرائق التى كانوا يتبعونها فى جميع معلوماتهم وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها وعرضها . وهذا ـ كما سبق أن ذكرت ـ هو فى رأيى اقوى مبرر لكل تلك الجهود التى تبذل الان ، والتى يجب أن تبـذل دائما لاحياء التراث والمحافظة عليه .

***

كل هذا يستدعى عدم قصر الاهتمام بالتراث عـــلى المتخصصين فيه دون سواهم مادام ذلك التراث يؤثر بشـكل صريح أو مستتر فى حياتنا الثقـافية بل وفى حياتنا العامة الى حد كبير . واذا كان يحلو للبعض أن ينادى باغفال التراث العربى الاسلامى تماما على رغم ان الاشتغال به وباحيائه يعوق مسيرة الثقافةفى مصر واللحاق بركبالحضارة المعاصرة التى هى فى جوهرها حضارة غربية فان الغرب نفسه لم يغفل تراثه اليونـــانى واللاتينى العتيق العـريق ، وانما هو يعطيه دائمـا ما يســتحقه من عنـاية واهتمـام ويحـاول تقريبـه وتذليله وتقديمهالى عامة الناس بمختلف طبقاتهم واذواقهم ومستوياتهم العلمية والثقافية بـل ويحاول تطويعه أيضـا بما يتلاءم مع متطلبات الحياة الحديثة . والامر لا يتوقف عندهم عند حد ترجمة ذلك التراث القديم الى اللغات الحيـة كلها وظهور ترجمات وشروح عـديدة لكل عمل من تلك الاعمال التراثيةالقديمة أو حتى اخضاع هذه الاعمال للدراسـة والتحليل والتفســير لالقاء مزيد مـن الاضواء عليها . وانما يصل الامـر فى الغرب الى اعادة صياغةذلك التراث فى أسلوب عصره أو بشــكل موجـز ومبسط لتعريف الشبان بل وحتىالاطفال به ، أى أنهم يتخذون منه وسيلة للتنشئة الثقافية منذ الصغر ، مع اعداد الاطفال منذ الصغر وتهيئتهم لقراءة هذا التراث فى صورته الكاملة حين تتقدم بهم السن أو تنضــــج مداركهم أو ترتفــع مستوياتهم الثقافية بالقدر الكافى الذى يؤهلهم لقـــــراءته وفهمـه واستيعابه فكان الغرب لم يتشكل قط ـ مثلمـــا نفعل نحن أو يفعل البعض منا عــلى الاصح ـ فى قيمة تراثه وأهميتـه أو يدعو الى اهماله بحجة أنه ظهــر فى عصر غير العصر . كما أنه لا يوجد فى الغرب ـ من الناحية الاخرى ـ مـن يدعو الى التمسك بذلك التراثوالرجوع اليه هروبا من الحياة المادية الحديثة . أى أن التراث الثقافى القــديم فى الحضارة الغربية لا يؤلف مشـــكلة عويصة تنقسم حولها الآراء وتستنزف قوى المثقفين كما هو الحال عندنا منذ اواخر القرن الماضى وحتى الان . وانما ينظر الغرب الى تراثه على أنه جـزء من ثقافته الكلية الشاملة التى تضرب بجذورها الى الماضى البعيـد ، وبذلك لا يعتبر الاستغال بالتراث هناك دليلا على التخلف ، بل قد يكون العكس هو الصحيح ، لان الناس هناك ينظ ون الى تراثهم فى اعزاز واكبـار يكادان

# موقفنا من التراث

يقتربان الى درجة التقديس ، دون أن يجدوا أى تعارض بين ما وصلوا اليه من تقدم علمى وتكنولوجى وبين ما يحويه ذلك التراث من أساطير وخرافات ونظرات وآراء يرفضها العقل الاوربى الحديث ، بل ان التراث اليوناني واللاتيني كان دائما مصدرا لقيام نظريات جديدة فى الادب والفن والفكر بل والعلم أيضا • ولم يترفع العلماء في الغرب عن دراسة الاساطير اليونانية مثلا فى ضوء نظرياتهم العلمية ،وبذلك خضعت الاساطير مثلا لتفسيرات مدرسة التحليل النفسى وللتأويلات الانثربولوجية ، ولعل أوضح مثال لذلك هو نظرية فرويد عن عقدة أوديب التى استمدها من دراسته لاسطورة أوديبوس المشهورة واعادة تفسيرها • ومثل هذه الجهود تحقق الاتصال والاستمرار بين القديم والحديث فى الغرب وهو ما نفتقر اليه فى حياتنا الثقافية • وذلك فضلا عن الاعمال الادبية من مسرحيات وروايات وغيرها التى تستلهم الاساطير اليونانية القديمة وتعيد صياغتها وتقديمها فى أعمال ابداعية جديدة تكشف عن عمق الفكرة التى تهدف اليها تلك الاساطير وعما تحتويه من جوانب انسانية عامة وشاملة •

وهذه كلها أمور لا نكاد نجد لها مثيلا فى حياتنا الثقافية المعاصرة وان كانت هناك استثناءات هامة بغير شك • ويقع معظم اللوم عن هذا التقصير على المشتغلين بالتراث أنفسهم • فقد قصرت معظم جهودهم على تنقيح التراث وتحقيقه ونشره كما هو أو مع بعض التعليقات التى لا تتعدى فى كثير من الاحيان شرح بعض الالفاظ الغامضة •

وصحيح أن هناك بعض الجهود لتبسيط الاعمال التراثية أو عرضها فى ثوب جديد مقبول من الرجل العادى ، ولكن هذه جهود قليلة ، ومتفرقة وتنقصها فى الاغلب الخبرة ولكنها مع ذلك صادفت كثيرا من النجاح كما أنها تعتبر بغير شك خطوة أولى وأساسية لتقريب التراث من عامة الاذهان ، وبالتالى ربط الناس به بحيث يصبح فى آخر الامر جزءا عضويا من الحياة الفكرية فى المجتمع وبحيث يمكن استلهامه فى عمليات الابداع الفكرى والادبى والفنى •

ولن يتسنى لنا ذلك الا عن طريق اعادة قراءة التراث من زاوية جديدة تنطلق من واقع حياتنا الراهنة مع محاولة جادة للكشف عن المبادىء العقلية التى صدرت عنها هذه الاعمال التراثية الخالدة فهذه هى العناصر الاكثر رسوخا واستمرارا والتى تعطى تلك الاعمال معناها وقيمتها بالنسبة لنا ، والتى يمكن الاستعانة بها فى اعادة تشكيل حياتنا الثقافية على أسس منهجية سليمة مستمدة من الماضى الثقافى والفكرى والعلمى الاصيل ، ولكنها تأخذ فى الاعتبار فى الوقت ذاته احتياجات الحاضر ومتطلبات المستقبل فى اطار المحافظة على الهوية الثقافية الخاصة بنا • وبذلك يتحقق ذلك المبدأ الاساسى من مبادىء تلك الهوية الثقافية وأعنى به مبدأ الاستمرار الثقافى عبر العصور ، رغم كل ما قد يطرأ من تغيرات وتطورات على العناصر المكونة لثقافتنا المصرية بأبعادها المختلفة •

# كان ياما كان

# ادّعاء أمير تركي عاش في مصر

# حدث أصبح ملكاً على فلسطين عام ١٩٤٨

بقلم : د. محمد حرب

**هذا ادعاء للامير محمود شوكت، وهو ادعاء مسجل بصوته على شريط موجود في المكتبة الخاصة لكاتب تركي كان صاحب ورئيس تحرير مجلة السبيل الاستانبولية وهو قدير مصر او غلو وقد اورد هذا الادعاء مع ذكر مسالة التسجيل هذه في كتابه « مساة آل عثمان » الذى صدرت طبعته الاولى في استانبول عام ١٩٧٩. في صفحة ٣٠٠ الى ٣١٨ .**

**ولان التاريخ جزء من ضمير الامة ونشره واجب في كل اشكاله ، لذلك نرى لو استطاع الأحياء الذين عايشوا الامير ، وعايشوا تفاصيل ادعائه من قريب او من بعيد ان يدلوا بدلوهم في هذه القضية .**

● محمود شوكت ( ١٩٠٢ ـ ١٩٧٣ ) هو حفيد السلطان عبد العزيز . تخرج ضابطا بحريا ثم عمل ياورا لاخر سلاطين آل عثمان السلطان محمد وحيد الدين .

اصدر اتاتورك ـ عقب الغائه الخلافة والسلطنة رسميا ـ القانون رقم ٤٣١ الخاص بطرد كل افراد الاسرة المالكة العثمانية ، الى خارج البلاد . وبمقتضى هذا القانون تم طرد

# كدت أصبح ملكا على فلسطين عام ١٩٤٨

الامير محمـــود شوكت ، فذهب الى مصر وحيدا · واستقبلته هنـــاك فى مصر عمته ، وعاملته معـــاملة الام لابنها ، ولم تكن ذات ولد ، وان كانت ذات ثروة وجاه · ولما ماتت ورثتـــه مالها ·

ولم تكن الاسرة العلوية المالكة فى مصر ـ لأسباب تاريخية ـ على وفاق مع آل عثمان · فلما استقر الاميـــر المطرود فى القاهرة ، كون صلاتقوية مع مشايخ الازهـــر وعلمـــاء مصر والسياسيين ورجال الجيش ورجـــال السلك الدبلوماسى الاجنبى فيهـــا ·· وكانت للاميـــر صلة خاصة وقوية بعزيز باشا المصرى · كما وجد الامير نفسه محـــاطا بمضايقات رجال القلم السياسى المصرى وبحساباتهم لحركاته وسكناته ·

وانتهز الملك فؤاد فرصة وفاة عمـــة الامير محمود شوكت وانتقال أموالها الى الامير ، ليأمر بمصادرة هـــذه الثروة · وظل الامير يطالب بحقـــه دون جدوى حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو فاصدر الرئيس جمال عبـــد الناصر أمرا برد الثروة الى الامير كمـــا أصدر أوامره الى المســـئولين فى الحكومة المصرية وقتها بالعمل عـــلى رد ميـــراث ضـــخم من الاراضى فى اليونان ـ آلت الى الاميـــر ـ وقال عبد الناصر أنه اذا لم تحقق الحكومة اليونانية هـــذا المطلب ، فان على حـــكومة مصر ، مصـــادرة ثروات اليونانيين بالاسكندرية ·

ولولا صدور قوانين التأميم فى مصر لكان لثروة الامير محمود شوكت شأن آخر ·

كان الحلفاء قد احتلوا القدس فى فى ١٩١٧/١٢/٩ واكملوا احتـــلالهم البريطانى لفلسطين فى سبتمبر ١٩١٨ ·· واعلنوا ـ فيمـــا بعـــد ـ أنهم سينسحبون فى عام ١٩٤٨ ·

ورغب البريطـــانيون فى تـــكوين حكومة فيدرالية تحـــل محل سلطة الانتداب ، عقب خروج البريطانيين من فلسطين ثلثاها من العرب والثلث من اليهود ·

قام وايزمان بارسال ممثل له الى مصر هو الكولونيل اليهودى البريطانى شيفرى وأرســـل معـــه اخـــوين لكى يختاروا رئيسا لدولة فلســـطين الجديدة بشكلها البريطانى المقتـــرح الذى يرغبه البريطانيون ، ويكون هذا الرئيس من أفراد الاسرة المـــالكة فى مصر تجنبا لوجود فلسطينى عربى على رأس الدولة الجديدة ·

وقال الكولونيل شيفرى ان اليهود يرحبون بالحكومة الفلسطينية المقترحة حسب البرنامج البريطانى · وأن شكل الدولة الجديدة لا يهم اليهود فى شىء ، من ناحية أن يكون ملكيا أو جمهوريا أو خلاف ذلك ، المهم الا يكون شخص الرئيس عربيا ·

عرض الوفد اليهودى بالقاهرة فكرة رياسة فلسطين ما بعد الانتـــداب

البريطاني على الامير عباس حليم ، فرفض ، ذلك لان الحكومة المصرية ، لم تكن ترى انه من المناسب تولى احد افراد الاسرة الحاكمة فى مصر ، عرش فلسطين .

قابل الكولونيل شيفرى فى القاهرة الامير محمود شوكت . وحاول اقناعه بقبول عرش فلسطين . فاشترط الامير موافقة الفلسطينيين وموافقة سلطات الاحتلال البريطاني فى مصر — التى كان الامير مقيما فيها .

وافقت السلطات العسكريةالبريطانية فى مصر وعلى راسها الجنرال ويلسون ، القائد العام للجيوش البريطانية فى الشرق الادنى ، على ذلك . وقام عزيز باشا المصرى باقناع الزعماء الفلسطينيين فى القاهرة بالشروع فى اجتماع عقده لهم لهذا الامر فى « فيلته » فى عين شمس بالقاهرة . وقال عزيز باشا المصرى انه يرى مصلحة فلسطين فى تنفيذ هذا المشروع ، وانه من شانه — فى حالة تنفيذه — ابعاد مشاكل ستحدث مستقبلا . وطلب هؤلاء الزعماء من عزيز باشا أن يمهلهم حتى يعرضوا المسالة على الحاج امين الحسيني بوصفه رئيساللجنة العربية الفلسطينية العليا .

وكان وايزمان — اثناء ذلك — يتابع تطورات الموقف ، وانتقل الى القاهرة خصيصا لمتابعة تطورات الرد العربى .. وقد كان ينتظره بقلق .

لكن اعضاء اللجنة العربية الفلسطينية العليا لم تتوصل الى اتفاق ، فقد كانوا بين معارض وبين مؤيد . ولما طال انتظار الامير محمود شوكت ، ارسل مندوبا عنه الى الحاج امين الحسيني وكان فى لبنان ، والتقى به مندوب الامير . وقال الحاج امين للمندوب انه يتفق مع راى عزيز باشا وان دولة فلسطينية برياسة الامير محمود شوكت معناها تجنيب الفلسطينيين لبلاء يمكن أن يعم البلاد .. وكتب الحاج امين خطابا الى الامير يتضمن هذا الكلام . لكن الخطاب لم يكن كافيا لكى يتخذ الامير قراره ، فلم يكن خطاب رئيس اللجنة الفلسطينية العليا متضمنا قرار اغلبية اللجنة على هذا الراى .

ونتيجة لاقتراب موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين مع عدم وصول رد يفيد باتفاقالفلسطينيين على راى مشروع عرش فلسطين والحكومة الفيدرالية ، سكت الامير محمود شوكت ، وغادر وايزمان القاهرة مع الكولونيل شيفرى لاعداد شيء ما عند الانسحاب البريطاني .

عرض البريطانيون بعد ذلك على الامير اقتراحا اخر بأن يعلن نفسه ملكا على فلسطين ويعلن قيام حكومة الثلثين والثلث فى وجود القوات البريطانية وقبل انسحابها . فرفض الامير .

وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ م انسحب البريطانيون من القدس وفى ١٥ مايو دخلت الجيوش العربية فلسطين ثم حدث ما حدث من ماساة ونكبة وكارثة .

# حافظ اسماعيل يتذكر

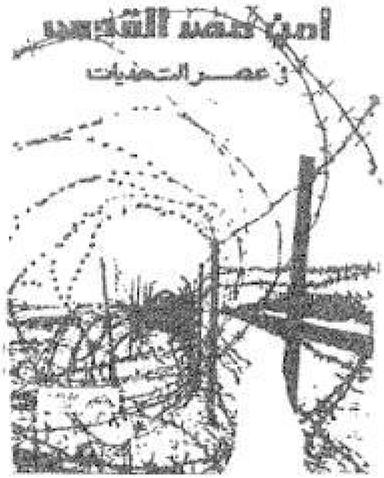
بقلم : د. السيد أمين شلبى

ربما لم يتح لشخصية مصرية معاصرة - مثلما اتيح للسيد حافظ اسماعيل - ان تشغل من المناصب العسكرية والدبلوماسية والتنفيذية ، وان تتحمل مسئوليات وتقوم بادوار وتشهد وتشارك فى احداث كبرى لم تكن فحسب نقط تحول فى سياسات مصر القومية ومنطقتها ، بل ايضا فى علاقات وصراعات القوى الكبرى فى العالم .

لذلك لم يكن غريبا ان يترقب الناس على مختلف اتجاهاتهم واهتماماتهم شهادته وروايته لتفاصيل ماعاصره وشارك فيه من احداث ، وقد ضاعف من هذا الترقب ماعرف عن حافظ اسماعيل من التزام وجدية صارمة واحساس طاغ بالمسئولية ، وترفع عن الصغائر واهتمام بالجوهر ، وادراك للقوى الرئيسية الموجهة للاحداث ، وفكر استراتيجى ونظرة شاملة .

من اجل هذا كانت الحفاوة التى استقبلت بها شهادته والتى وضعها فى اطارها الصحيح وجعل عنوانها « امن مصر القومى فى عصر التحديات » . ولم يكن اختيار هذا العنوان اعتباطا ، فقد كان امن مصر القومى هو العنصر الذى انتظم رؤيته للاحداث واستجابته لها .

وعندما نستعرض تاريخ حافظ اسماعيل والادوار الرئيسية التى قام بها وشكلت بالتالى مضمون شهادته ، ستجد انها تنقسم الى ثلاث مراحل : المرحلة العسكرية التى امتدت عبر ربع قرن منذ تخرجه فى المدرسة الحربية عام ١٩٣٧ حتى انتقاله الى وزارة الخارجية والعمل الدبلوماسى فى سبتمبر ١٩٦٠ . ومع تميز الأدوار والمسئوليات التى تولاها فى هذه المرحلة ، فإن اكثر ما يرتبط باسمه فيها هو مشاركته فيما عرف « بكسر احتكار السلاح » واتمام صفقة الاسلحة






محمد حافظ اسماعيل



جمال عبدالناصر

السوفييتية عام ١٩٥٥ . والمرحلة الثانية هى المرحلة الدبلوماسية التى بدأت بتوليه وكالة وزارة الخارجية فى سبتمبر عام ١٩٦٠ ، ثم عددا من المناصب الدبلوماسية الكبرى فى الخارج سفيرا فى لندن ، وروما ، وباريس ، أما المرحلة الثالثة فهى تلك التى تولى فيها منصب مستشار الرئيس للأمن القومى منذ عام ١٩٧١ ، حتى فبراير عام ١٩٧٤ ، وهى الفترة التى شهد فيها وشارك فى الاعداد الداخلى والدولى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة القلقة فى العلاقات المصرية السوفييتية وانهاء مهمة الخبراء السوفييت ، والاتصالات المبكرة بادارة نيكسون وكيسنجر لاستكشاف امكانيات السلام ثم حرب اكتوبر بتفاعلاتها وتطوراتها .

وقد تداخل مع هذه المراحل الرئيسية فترات انتقالية مثل توليه منصب مدير المخابرات العامة فى الشهور الاخيرة لحياة عبد الناصر ، ثم منصب وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء والدولة للشئون الخارجية ، ومنصب سفير مصر ، لدى الكرملين » .

● كسر احتكار السلاح

يروى لنا حافظ اسماعيل هذا الحدث ، مقوماته ودوافعه ، فى سياقه المحلى ، والاقليمى والدولى . فقد اعطت عددا من التطورات لمهمة اعادة بناء الجيش الوطنى اسبقية متقدمة كان من هذه التطورات اتجاه بريطانيا الى اقامة حلف بغداد ، غير ان التطور الحاسم كان فى الغارة الاسرائيلية على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والتى رأها النظام الجديد فى مصر ، فضلا عما تمثله من تحد احراجا له امام قواته المسلحة ، لما كشف عنه من ضعف فى مستويات التسلح ، وفى بحث مصر عن مصدر للسلاح ، بعد استكشاف ذلك لدى الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا ، وعجزها عن الاستجابة ، « فرض على عبد الناصر ان يتخذ القرارات البعيدة المدى للتصدى لتحديات المستقبل ، وكان المصدر الوحيد للسلاح الذى لم يستطع امكانياته .. هو الاتحاد السوفييتى » . ص٤٤

ويربط حافظ اسماعيل صفقة الاسلحة

## حافظ اسماعيل يتذكر

السوفييتية بالتطور الذى لحق بالسياسة السوفييتية وخاصة منذ استقرار قيادة خروشوف عام ١٩٥٣ وتزايد ثقة الاتحاد السوفييتى بنفسه عقب تفجيره القنبلة الهيدروجينية ، الامر الذى شجع على سياسة خارجية ديناميكية ، كما شجعت المواقف الوطنية لنظام الحكم الجديد فى مصر وخاصة فى رفض الاحلاف القيادة السوفييتية على دعم وتشجيع هذه النظم الوطنية واعتبارها رصيدا فى مقاومة سياسة الغرب فى احتواء الاتحاد السوفييتى ، واقامة احلاف معادية على حدوده الجنوبية .

على انه مما يلفت النظر ان الكاتب وهو يرصد هذا التطور الذى كان الاساس الذى تقدمت عليه العلاقات المصرية السوفييتية ، يرى فيه بذور ماسينشأ من خلاف فى المستقبل ، ويرد ذلك الى اختلاف مكانة ومن ثم اهتمامات ومصالح كل من الاتحاد السوفييتى ومصر . فالأولى قوة عالمية ترى المشاكل من منظار عالمى ، اما مصر **فهى قوة اقليمية ترى الاحداث والتطورات من منظارها الوطنى المباشر ، ومثل هذا الاختلاف .. "يخلق التناقض بين القوتين فى مرحلة متقدمة من علاقاتهما حول اولويات القضايا وتوقيت واسلوب تناولها" ص٤٩** . وفى مجرى هذه العلاقة كانت مصر تعمل على تجاوز هذه الطبيعة وخاصة فى مجال الحصول على الدعم السوفييتى العسكرى بحيث تجعله يرقى الى الدعم الامريكى والغربى لاسرائيل ، واصبح هذا ـ عبر عقدين ـ المعيار الذى تقيس به مصر التأييد السوفييتى لها . وينبه حافظ اسماعيل فى هذا السياق الى حقيقة هامة غابت عن الكثيرين خلال عملية المقارنة بين العلاقة المصرية السوفييتية ، والعلاقة الامريكية الاسرائيلية ، وتبدو هذه الحقيقة « فى غياب الاساس الايديولوجى للعلاقات المصرية السوفييتية وهو ما كان عاملا حيويا » ص٤٩ الامر الذى وضع حدودا على مايمكن ان تذهب اليه العلاقات المصرية السوفييتية .

على ان حافظ اسماعيل مع دوره فى انجاز صفقة الاسلحة السوفييتية عام ١٩٥٥ ، ومع التحولات التى احدثتها والصدى الذى تركته لدى الولايات المتحدة والغرب ، فانه يقيمها بميزان عسكرى موضوعى ودقيق ، فعنده ان الدراسة الموضوعية للصفقة « لاتنبىء أن السوفييت قد عملوا على تجاوز هدف تعزيز النظام المصرى وتمكينه من البقاء خارج الاحلاف وتحقيق التوازن مع اسرائيل ، فلم تكن الاسلحة التى تعاقدت عليها مصر ـ باستثناء القاذفات الخفيفة ـ تمنحها التفوق الذى يمكنها من تهديد امن اسرائيل بصورة خطيرة » ص٤٩

### ● فى عالم الدبلوماسية

يصور حافظ اسماعيل انتهاء مرحلته العسكرية وانتقاله الى العمل الدبلوماسى بهذه العبارة « فى منتصف سبتمبر ١٩٦٠ ، ودعت المشير عامر ورفاقه بمكتبه وخلعت ردائى العسكرى بعد ربع قرن متوجها الى وزارة الخارجية كى ابدأ عهدا جديدا .. ومضت سنوات قبل ان يتأكد لى ان الدبلوماسية لم تكن فى حاجة لى ..

بقدر ماكانت المؤسسة العسكرية فى غنى عنى » ص ٦٦ ـ ٦٧ . وتفتح هذه العبارة الغامضة المصاغة بشكل متعمد ودقيق ، تفتح المجال للتساؤل عن الظروف التى احاطت بترك هذا الرجل ـ العسكرى المبنى والجوهر ـ لمجاله العسكرى ، وهى الظروف التى نعتقد انها تتصل ـ بمعنى ما ـ وعلى مستوى نوعيات القادة وتكاملهم المهنى والشخصى ـ بمقدمات حرب ١٩٦٧ وما انتهت اليه . ولم يشأ حافظ اسماعيل ـ وفقا لمنهج التزم به فى كل روايته للاحداث والشخصيات التى عاصرها ـ ان يتعرض لهذه الظروف ، ولكن معانى عبارته توحى بان ثمة قوى وشخصيات فى المؤسسة العسكرية لم تكن ترتاح لاستمراره فيها وعملت على ابعاده عنها ، فنمط الشخصيات كان مختلفا .

على اية حال فعلينا ان نتحفظ كثيرا تجاه ماسجلة عن تجربته فى الدبلوماسية من انها « لم تكن فى حاجة اليه » ففى تقييمه للفترة التى قضاها فى وزارة الخارجية فى القاهرة من سبتمبر ١٩٦٠ حتى يونيو ١٩٦٤ شارك ضمن ثالوث فوزى ، وذو الفقار ، وحافظ « فى ادارة حركة الجهاز اليومية ومنظما لها فى اطار المبادىء والخطط التى يرسيها عبد الناصر » فانه يفاخر ـ عن حق ـ بأن عمله التنظيمى فى وزارة الخارجية قد اصبح على مدى خمسة عشر عاما مرجعا لوزارة الخارجية « ولم اكن فى تقديرى قد ارسيت نظم جهاز وطنى فحسب .. بل كنت قد ارسيت دعامة ثانية من دعامات تطوير القرارات الاستراتيجية وتحقيق الامن القومى وذلك على غرار ماكنت حققته لبناء قيادة القوات المسلحة فى اواخر الخمسينيات » ص ٨٥ بالاضافة الى هذا فانه مما يفاخر به حافظ اسماعيل عن ادائه فى هذه الفترة هو « ما امكن خلقه تدريجيا من « مدرسة فكرية » واحدة يدين لها الجميع

وقد توافقت فترة ادارة حافظ اسماعيل لجهاز وزارة الخارجية من القاهرة وتوجيهه لبعثاتها الخارجية مع تصاعد وعمق ارتباطات مصر الخارجية سواء عربيا او افريقيا او فى محاور عدم الانحياز وتجمع سحب الصدام مع الغرب والولايات المتحدة الامريكية ، فكيف كان يرى من موقعه هذا المدى الذى بلغته ارتباطات مصر الخارجية ؟ . هنا يجمع حافظ اسماعيل بين رؤيته الشخصية وحكمه الموضوعى وبين ولائه للخط السياسى ولرؤية القيادة السياسية التى كان يعمل تحت قيادتها ويؤمن بها «.. كان الشعور الذى غمرنى دائما هو ان تطلعاتنا تتجاوز بكثير مواردنا ، واننا نقبل تحديات تفوق بكثير قدراتنا على التصدى ... واذا كان من المنطقى فى مثل هذه الظروف ان تكون لنا اولوياتنا ، فان عبد الناصر كان يعتبر المعركة كلا لايتجزأ وان النجاح فى ميدان يمكن ان يسهم فى النجاح فى غيره .. » ص٨٨ وينسحب هذا التناول على تقييمه لارتباط اخر كان له اثار بعيدة المدى وهو التدخل فى اليمن" .. فى تقديرى ان القرار السياسى بالتدخل العسكرى قد اتخذ بعد عام بالضبط من « كارثة » الانفصال السورى .. كرد فعل طبيعى له ، ومن اجل استرداد هيبة مصر وزعامتها ، الا اننا لا نستطيع ان نتجاهل تقدير عبد الناصر ايضا للاعتبارات الجيوبولوتيكية اتصالا بانتشار النفوذ المصرى ..

والوجود العسكرى فى جنوب الجزيرة العربية ..» على انه من ناحية اخرى « لم يكن من الطبيعى او المنطقى ان تتجاهل اسرائيل الموقف الجديد عندما اصبح ٥٠ ـ ٧٠ الف مقاتل ينتشرون على بعد ٢٢٥٠ كيلو مترا من قاعدتهم فى مصر .. مما اخل بالتوازن الاستراتيجى لقواتنا واثر سلبا على قدراتنا القتالية وانهك بصورة جوهرية مواردها الاقتصادية » ص٩٧ .

أما عن ادواره فى السفارات الكبرى التى تولاها فى لندن ، وروما وباريس ( مرتين ) وموسكو ، وفى اوقات حاسمة .

ففى روما ـ التى جاءته انباء حرب يونيو ١٩٦٧ وهو فى الادرياتيك فى طريقه اليها ـ بدت اوربا الغربية وسط كل الاختلاط الذى اثاره الانتصار الاسرائيلى ـ "فى صورة مختلفة تماما عما كنا نظنه . فلم تكن ذلك الحائط الاصم .. بل كانت مجتمعا مفتوحا يمكن ان تدير معه حوارا موضوعيا ، بحيث نتوقع التحول فى مواقف الرأى العام ليكون موضوعيا فى احكامه وغير متحيز فى اتجاهاته . الا ان ذلك كان يتطلب فكرا مستنيرا وصبرا ومثابرة .. وانفتاحا على القوى صانعة السياسة" . ص ١٢٩ وفى باريس ، التى انتقل اليها بعد عام فى روما ، امتدت تجربته الى عشرين شهرا .. "شهد فيها فرنسا تخوض معركة الاستقلال الوطنى خلال عهدى ديجول وبومبيدو .. وتخسرها » ص١٣٥ . اما مهمته كسفير فى موسكو فى ربيع عام ١٩٧٤ فهى مايمكن ان نسميها « المهمة المُحبَطة » ، فقد اقترب منها وقبلها وهو مازال يعتبر ـ كما اسرَّ لمعاونيه فى السفارة المصرية فى موسكو عند وصوله اليها فى يوليو ١٩٧٤ ـ ان « علاقات مصر مع الاتحاد السوفييتى علاقات استراتيجية » . غير انه سرعان ماتبين له بعد عام ونصف من قبوله لهذه المهمة ان قاعدة العمل بين مصر والاتحاد السوفييتى غير متوفرة ، وأن مجالاتنا لتنسيق المواقف غير مجدية . فمصر اصبحت تعتبر الاتحاد السوفييتى .. قوة معادية .. وكان ذلك يرجع فى المقام الاول الى عدم ثقة السادات شخصيا فى نوايا السوفييت ( ص ٤٢٢ )

● مستشارا للامن القومى

فى يوليو عام ١٩٧١ عرض الرئيس السادات على حافظ اسماعيل ان يعمل معه فى رئاسة الجمهورية مستشارا « لشئون الامن القومى » ولم يجر نقاش حول مفهوم الرئيس لهذا المنصب ، اما مفهوم حافظ اسماعيل له فكان انه يقع « ضمن نظام متكامل يخضع لاشراف رئيس الجمهورية مباشرة فمع كونه المسئول عن اتخاذ القرارات المصيرية المتصلة بقضايا الحرب والسلام ، فقد كان وجود نظام مستقر الى جانبه هو الضمان الامثل « لحماية » الرئيس خلال فترة اتخاذه للقرار » ، وان ذلك يتحقق من خلال : « ١ ـ بحث وطرح افضل « الخيارات » لمواجهة موقف ما يمكن للرئيس عندئذ ان يتبنى احدها . ٢ ـ ثم بترجمة القرار الى خطة عمل محكمة .. ومتابعة تنفيذها » ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

على ان هذا التصور لمهمة مستشار الامن القومى « سرعان ماتراجع بحيث

اصبحت مقصورة على تنظيم تدفق المعلومات الى رئيس الجمهورية وتنفيذ قراراته فى مجال العلاقات الخارجية وبصفة خاصة : ١ ـ القيام بمهمة المبعوث الخاص لرئيس الجمهورية الى رءوساء الدول الاجنبية وذلك باستثناء الدول العربية التى جرى التنسيق معها عبر قنوات اخرى . ٢ ـ القيام بالمفاوضات مع الولايات المتحدة خلال عام ١٩٧٣ والمباحثات المكملة لها مع الاتحاد السوفييتى اعدادا لحرب اكتوبر .. واثناء الحرب » . ص١٨٤ .

واتصالا بهذا الفارق بين ماتصوره حافظ اسماعيل عن نظام مجلس الامن القومى ودوره فى مساعدة الرئيس على اتخاذ القرارات المصيرية وبين ماجرى فى الواقع ، ويسجل حافظ اسماعيل ملاحظة تحدد اسلوب السادات فى الحكم .. « وبالرغم من ثقل التبعات التى تفرضها رئاسة الدولة فى ظروف كالتى سادت خلال عامى ٧٢ ، ١٩٧٣ ، فقد اختار السادات ان يكون وحده « السلطة السياسية » العليا فى البلاد ، ومن ثم المسئول عن القرارات الجوهرية فى مسائل السياسة العليا والاستراتيجية العسكرية .

ولم يكن ذلك يعنى انه لايستمع الى المشورة .. او انه لايسعى اليها ، فلقد وجد فى مجلس الامن القومى وفى مجلس الوزراء الاطار الذى يناقش فيه بعض قراراته قبل اتخاذها ، الا ان ايا من المجلسين لم يكن معنيا بالتصويت لاقرار سياسة مستقبلة . فقد ظل السادات فى النهاية « صاحب القرار » سلما او حربا » .. ص١٨٢ ـ ١٨٤ .

ولعل قرار السادات انهاء مهمة الخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ بالغ الدلالة على هذا الاسلوب ، وايضا على رد فعل مستشاره للامن القومى تجاه هذا القرار واسلوب اتخاذه ففى ٥ يوليو تحدث السادات الى مستشاره « عن اتجاهه ـ حتى نهاية اكتوبر ـ لمطالبة السوفييت بالقوة الجوية المطلوبة ، فاذا لم يستجيبوا فسوف يطلب منهم سحب المستشارين والخبراء العسكريين وانهاء التسهيلات فى الموانىء والمطارات المصرية » . اما رد فعل المستشار فقد اعرب « عن تقديره لخطورة مثل هذا الاجراء الذى يخل بالتوازن فى المنطقة طالما استمر الاحتلال الاسرائيلى مدعما بالقوة الامريكية على اراض عربية » ص٢١٦ غير انه فى ٨ يوليو استدعى السادات السفير السوفييتى فى حضور حافظ اسماعيل وابلغه « شكر الاتحاد السوفييتى على المساعدة التى قدمها العسكريون السوفييت وانه يريد انهاء خدماتهم اعتبارا من ١٧ يوليو ١٩٧٢ » . ص ٢١٧ . ويتضح من رواية هذا الحدث انه كان مفاجأة للمسئولين الذين استدعاهم السادات لابلاغهم به وان اغلبيتهم لم تكن ترى غير الاعتبارات السلبية المترتبة على هذا القرار ، وقد حرص المستشار ان يستطلع رأى الدكتور محمود فوزى الذى كان تقييمه « ان الرئيس يمر بأزمة وان علينا مساندته وان لا نزيد متاعبه ، مع استعدادنا لكى نقول له بود وبوضوح مانريد ... » ، ص٢١٨ ، ويبدو ان هذا مافعله المستشار « .. ففى اجتماعى بالرئيس بعد ايام وجدت من واجبى التحدث فى الامر الذى شغلنى طيلة الايام الاخيرة . ورجوت الرئيس الا

يستاء من مواقف ربما بدت له سلبية .. مؤكدا له الا احد منا - نحن معاونيه - يبغى المزيد من السلطات اذ ان لدينا منها ما يفيض عن حاجتنا . وقلت ان مناقشة القرارات الكبرى - قبل اتخاذها - انما يسمح للمسئولين من معاونى الرئيس بالتعرف عليها وتقييم ردود فعلها فى مختلف المجالات . وعندما يتخذ الرئيس قراره ، فلن يجد المعاونون انفسهم يناقشون دوافعه ونتائجه .. ولكن وسائل تنفيذ وتنسيق الاعتبارات فى خدمة تحقيق اهدافه » ويواصل المستشار « ولم يناقشنى الرئيس فيما قلت . لقد استمع بصبر ولم يكن يعتبر نفسه مطالبا بتفسير . لقد كان يمارس سلطاته » ص ٢١٨ .

ويتجسد مثل هذا الموقف من جديد عند تطور المعارك خلال حرب اكتوبر ، وتعرض مدينتى السويس والاسماعيلية والجيشين الثاني والثالث للحصار .. ويقبل السادات بشكل مفاجىء وقف اطلاق النار فى فجر ٢١ اكتوبر غير مقترن بانسحاب اسرائيلي .. غير ان اسرائيل لم تكن لتحفل بتنفيذ قرار يحرمها من استغلال موقف لمصلحتها .. وفى مساء ٢٢ اكتوبر كانت الاسماعيلية والسويس فى متناول يدها .. الا ان صمود المدينتين كان بارقة الامل التى اضاءت الظلمات التى كانت تتراكم من حولنا وكانت هزيمة المدرعات الاسرائيلية داخل مدينة السويس عملا له مغزاه العميق .. إن القوات الاسرائيلية رغم تفوقها الساحق برا وجوا كانت قد بلغت حدود طاقتها وقوة تحملها فى مواجهة الانسان الاعزل الا من ايمانه .. ولم تعد قادرة على مواصلة ضغطها مما يمكن ان يتحطم معه ماتبقى من صلابتها .. كما كانت القيادة الاسرائيلية قد تجاوزت حدود الامن فى شرق القناة . فلم يكن لها امام الجيشين الثانى والثالث من القوات مايمكنها من تثبيتها .. لو انهما قررا تنشيط عملياتهما الدفاعية الايجابية .. **مثل هذا الموقف كان من الضرورى ان يمثل « المفجر » لطاقة مصرية جديدة .. ولا امل متجدد .. في تحقيق الاستقرار واستعادة المبادرة »** ص ٣٦٠ . ويتأمل المستشار فى موقف الرئيس واختياره فى هذه اللحظات الحاسمة .. « ولكن الرئيس كان وحيدا . وكان هو الذى اختار ان يواجه الموقف وحده .. لقد اتخذ من قبل قرارات مصيرية متعددة .. وربما لم يجد ضرورة الان ، وحدة الازمة تتصاعد ، ان يدعو رفاقه ومعاونيه .. واختار ان يجتاز الأزمة .. ولقد اراد ان يكون صاحب النصر .. عندما ننتصر وهو الآن يرفض الا ان يكون المسئول عن تحول المعركة .. بينما كنت اظن ان هذه الساعات الحرجة التى نمر بها .. هى بالضبط الظروف التى من اجلها بنى تنظيم « الامن القومى » لكى يدعى لتحمل مسئولياته ويعاون على اتخاذ القرارات المصيرية .. ولكن طالما قرر الرئيس ان يتحمل النتائج .. فلم تعد هناك حدود لما يمكن ان يذهب اليه من اجل ان يحقق نصرا او يمنع هزيمة » .. ص . ٣٦٠ - ٣٦١ .

من اهم المهام التى تبلورت اليها مهمة مستشار الامن القومى هى قيامه بالاتصالات الدولية وخاصة فى الفترة التى سبقت ومهدت لحرب اكتوبر ولعل من اهم هذه الاتصالات التى اجراها تلك

التى كانت مع الاتحاد السوفييتى وقياداته سواء فى القاهرة أو موسكو ودارت أساسا حول هدف استقرار العلاقات المصرية السوفييتية وتقليم الشوائب التى كانت تحيط بها كما كان فى مركز هذه الاتصالات ضمان استمرار وتقديم مستويات التسليح السوفييتى وعلى الجانب الآخر كان من الاتصالات الدولية المهمة التى تولاها تلك التى دارت مع ادارة نيكسون ومستشاره للأمن القومى هنرى كيسنجر .. ويلاحظ أن هذه الاتصالات كانت بمبادرة أمريكية وجاءت مباشرة بعد أسبوعين تقريبا من قرار سحب الخبراء السوفييت من مصر .. وهو التطور الذى كان كيسنجر يطالب به ويعمل له منذ عام ١٩٧٠ وانتظارا له ، ابقى مشكلة الشرق الأوسط فى مرتبة ثانوية فى اهتمامات البيت الأبيض وجعلها من الاهتمامات الروتينية لوزارة الخارجية الأمريكية . غير أنه من الواضح أن تحقق هدف « طرد » السوفييت من مصر قد فتح امكانيات لعلاقات وأوضاع جديدة فى المنطقة فى نظر الادارة الأمريكية .. وقد تمت الاتصالات المصرية الأمريكية على جولتين ، جرت الأولى فى واشنطن فى فبراير ١٩٧٢ حيث تمت مع الرئيس الامريكى ووزير خارجيته وليام روجرز وأساسا مع كيسنجر وجرت الثانية فى باريس فى مايو ١٩٧٣ واقتصرت من الجانب الامريكى على الدكتور كيسنجر .. غير أن الجولة الحاسمة وخاصة فيما يتعلق بالتقدير المصرى لامكانيات تسوية سلمية كانت تلك التى جرت مع كيسنجر وعلى مدى ثلاث جلسات ممتدة حتى ظهر يوم ٢٦ فبراير ١٩٧٣ .. وفى تقريره للرئيس السادات عن هذه المحادثات يصور حافظ اسماعيل نقطة الذروة فى تقييم السادات لنتائج هذه الاتصالات وتأثيرها على قرار التوجه الى الحرب .. عندما بلغت قول كيسنجر « ان قدرتنا على الاقناع .. بل وحتى رغبتنا فى أن تدعو بقوة لهذا الحل ، تتوقف على قدر مانستطيع أن نشير اليه من تغييرات ملموسة فى المواقف العربية أو المصرية .. هذا هو المفتاح » .. ويسجل حافظ اسماعيل رد فعل هذه العبارة على السادات فيقول : « رأيت الرئيس يرفع رأسه وينزلق فى مقعده ويعتدل فى جلساته ، وكأن الرسالة التى كان ينتظرها قد بلغته » .. اننا مدعوون لمزيد من التنازلات عن المواقف التى بلغناها » .. ويستخلص حافظ اسماعيل .. « ولم ادرك اننى ربما كنت اشهد حينئذ لحظة قرر الرئيس انه لم يعد هناك مفر من خوض الحرب .. فلقد بلغنا نهاية الشوط فى عملنا السياسى » ( ٢٦٥ ) وتلى هذا مباشرة وفى ٥ أبريل اجتماع مجلس الوزراء الجديد الذى شكله السادات برئاسته فى واحد من أخطر اجتماعاته حيث اقر بالاجماع - مع تحفظات محدودة - حتمية الدخول فى معركة عسكرية ص . ٢٦٧ .

تبقى ملاحظة أخيرة تتعلق بلغة هذه المذكرات ، فنحن فى الواقع أمام لغة بالغة الدقة والاحكام . حيث كل لفظه وكل عبارة على قدر المعنى المقصود الامر الذى كشف المضمون وكشف إحساس القارىء به . وفى رأينا أن هذا ليس اختيارا لغويا ولكنه يعكس منطقا ،عقليا يتميز بالدقة والتركيز والاحتفال بالمضمون .

## أضـواء عـلى كتـاب

# فنون الترك وعمائرهم

بقلم : د. صبرى منصور

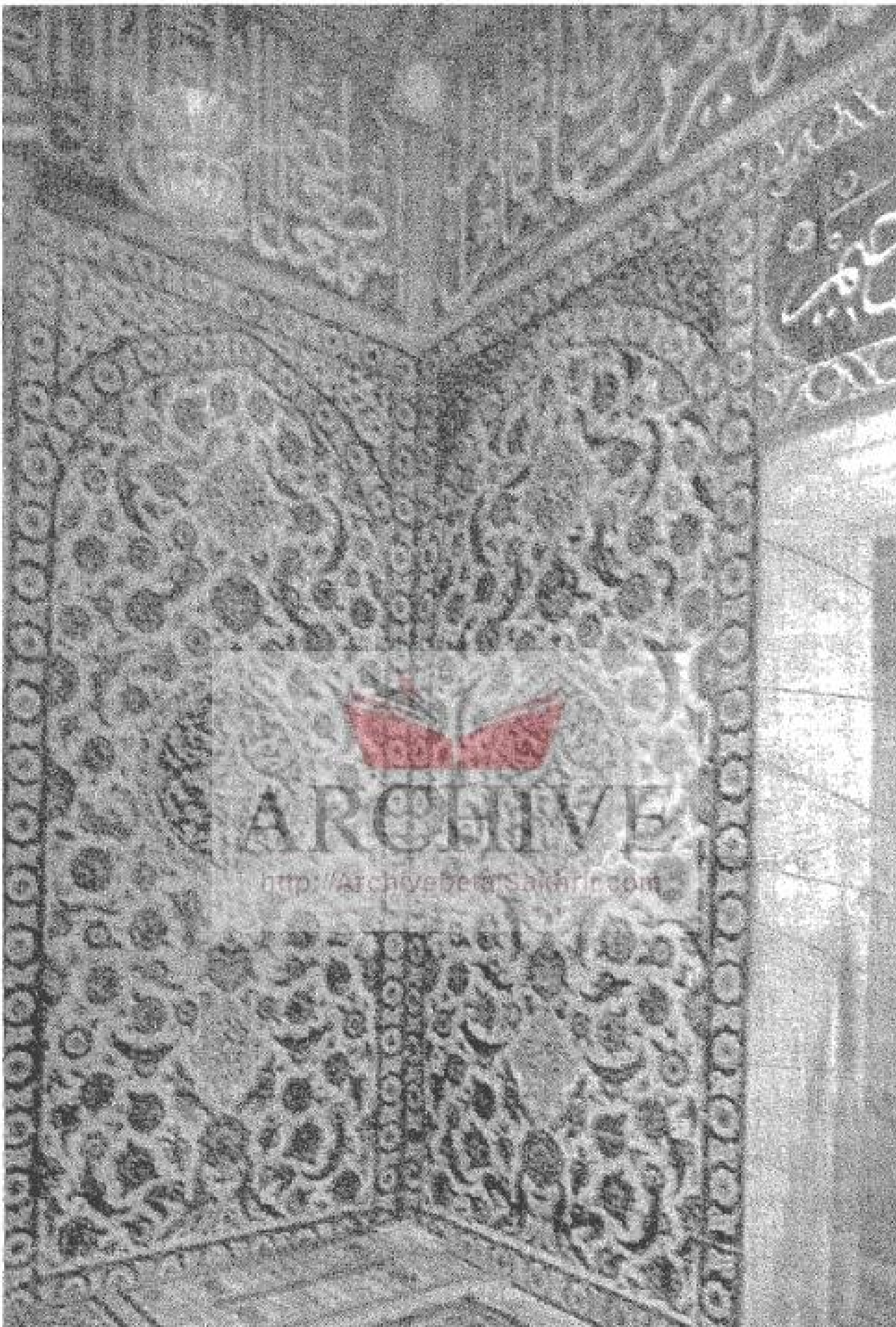
**اثناء انعقاد المؤتمر الإسلامى السابع لوزراء خارجية الدول الاسلامية باستانبول عام ١٩٧٦ نبتت فكرة إقامة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، وتنحصر مهمته فى إجراء البحوث والدراسات الأصيلة فى مجالات التاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، والعمل على توطيد الصداقة والاخوة بين الشعوب الاسلامية من خلال التعريف بجوانب حضارتها المختلفة . وكان من أوائل مشروعات المركز فى هذا الصدد ترجمة هذا الكتاب ـ الذى كان قد سبق نشره عام ١٩٧١ ـ ملبياً حاجة القارىء العربى الماسة الى التعرف على الفنون التركية المختلفة .**



● ومؤلف الكتاب "أوقطاى أصلان آبا" المولود عام ١٩١٤ هو مؤرخ شهير للفنون التركية ، وقد صدرت له العديد من الكتب والدراسات بمختلف اللغات فى هذا المجال . وعمل أستاذاً لتاريخ الفن التركى فى جامعة استانبول . وقام بترجمة الكتاب عن اللغة الانجليزية الاستاذ أحمد عيسى المولود بمصر عام ١٩١٥ ، وهو دارس للآثار الاسلامية وله مقالات وبحوث عديدة عن فنونها ولقد اعتمد المؤلف فى تقسيمه للكتاب إلى فصول على التتابع الزمنى لـلأسر الحاكمة ، وليس وفقاً للاقاليم الجغرافية ، لأن الغارات المستمرة ، والحـركات السكانية الضخمة فى العصور الوسطى تجعل التقسيم الجغرافى مستحيلاً . ويبدأ التقسيم منذ عام ٩٩٨ حين حكم "القرة خانيون" ، وينتهى بعام ١٩٢٤ عندما كان يحكم السلطان العثمانى "عبدالمجيد الثانى" وهى الفترة التى سبقت النظام الجمهورى مباشرة .

واشتمل الكتاب على ثلاثين فصلاً ، وبالاضافة إلى قائمة المراجع ضم ايضاً

جامع السليمية ١٥٧٤ بأدرنه وتزينه حشوات خزفية بالدنخل ◄



اضواء على كتاب

# فنون الترك وعمائرهم

جداول زمنية للأسرات التركية الحاكمة ، ومعجما للاصطلاحات الفنية ، وخرائط توضيحية لبعض مراكز استيطان الشعوب الاسلامية والتركية فى آسيا وتركيا والامبراطورية العثمانية . واحتوى الكتاب كذلك على اثنتين وثلاثين صورة ملونة ومائتين وخمسين صورة بالأبيض والأسود ، وذلك فى طبعة فاخرة تولى الاتفاق عليها المصرف العربى التركى باستانبول .

ومن المهم الاشارة الى ماأكده المؤلف فى مقدمة الكتاب من أن الفن الاسلامى قد ظهر وتطور تحت تأثير من الحضارات المحلية القديمة ، ومن بينها تأثير الثقافة الهللينستية المتأخرة ، والمسيحية فى سوريا ، والفنون الساسانية فى العراق وإيران ، وقد تشكلت الاسس التى تطور عليها الفن الاسلامى بانضمام العناصر العربية والفارسية والتركية إلى هذه الحضارات القديمة . وفى الوقت الذى يفرد المؤلف أهمية خاصة للفن التركى فى إطار الفن الاسلامى ـ فلقد أصبح الاتراك العنصر الحاكم فى العالم الاسلامى اعتباراً من القرن التاسع الميلادى ولمدة قربت من ألف عام باستثناء فترات قليلة ـ إلا أنه لا ينفى خضوع الفن التركى لتأثير العديد من الفنون الموجودة فى بلاد مختلفة .

## ● فن ماقبل عصر الاناضول :

مهد المؤلف فى الفصل الأول بعرض لفنون الاتراك فيما قبل الاسلام ، أو كما يسميه ماقبل العصر الاناضولى ، واوضح أن الوطن الأصلى للترك قبل أن يبدأوا هجراتهم انحصر فى منطقة تقع بين جبال أورال وسهول شمال شرق بحر الخزر ، وأول الفروع التركية التى لعبت دوراً بارزاً فى التاريخ كانت قبائل "الهون" وكان ذلك فى الألف الأولى قبل الميلاد . وفى منتصف القرن الأول الميلادى انقسمت امبراطورية الهون إلى قسمين ، الأول منهما هو الذى ظهر فى أوربا فى القرن الرابع الميلادى واجتاح معظم أوربا وأوغل فيها حتى بلغ القنال الانجليزى ، أما القسم الثانى فقد هاجر إلى "خراسان" حيث أسس دولة عظيمة حوالى منتصف القرن الخامس .

وأول من استخدم لنفسه كلمة "ترك" بصفة رسمية هم قبائل "الكوك" الذين استقروا فوق هضبة "اتوكن" فى منتصف القرن السادس . وقد أتيح لهؤلاء ان يؤسسوا امبراطورية عظيمة امتدت من منشوريا حتى البحر الأسود ، وسموا أنفسهم "بالترك" أو "التروك" أو "الكوكتورك" ، وبعد دخولهم الاسلام أطلقوا على انفسهم اسم "التركمان" .

ولقد انحصرت مظاهر الفنون فى تلك الفترة فى بقايا معابد اقيمت فى الكهوف ، وزينت بالصور والتماثيل ، وحملت تأثيرات فنية صينية . وتطور الفن ايام الأتراك "الأويغوريين" ـ وهم من سلالة قبائل الهون الآسيوية استوطنوا منطقة شرق التركستان ـ وتشبه فنون المعمار عندهم فنون البوذيين كما أنها تجمع بعضاً من بلاد فارس والهند ـ كما لعب "الكوكتورك" دوراً بالغ الأهمية ساهم فى مولد فن الصورة الشخصية ، فقد حفظ الأتراك القدامى فى ذاكرة التاريخ

سجلات لأبطالهم ، نقشوا فيها أسماءهم وأعمارهم على شواهد من الحجر . ومنذ القرنين الثامن والتاسع وما تلاهما وفن الصورة الشخصية والرسوم الدقيقة في تطور حتى القرن الثالث عشر ، حين وجد هذا التراث الرائع لفنانى الترك طريقه الى الغرب وإلى العالم الاسلامى عن طريق المغول ومن خلال امبراطوريتهم التى اسسوها .

● **الترك والإسلام :**

ظهر الأتراك لأول مرة فى العالم الإسلامى حين انخرط عدد قليل منهم من بلاد طشقند وبلاد ما وراء النهر فى قوات الحرس والسكرتارية الخاصة بدولة الخلافة العباسية ، فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وتضاعفت اعدادهم فى القرن التاسع . وحين حلت خلافة المعتصم كان الحرس الإمبراطورى كله من الاتراك ، ومنذ ذلك الحين خصص لهذا الحرس مقر دائم فى مدينة سامراء التى أنشأها المعتصم على ضفاف الدجلة شمالى بغداد عام ٨٣٨ ، حيث بدأت بذور الفن التركى فى الظهور .

وكان قيام دولتين تركيتين للطولونيين والإخشيديين فى مصر - فى منتصف القرن التاسع وحتى نهايات القرن العاشر - فرصة لوضع لبنة فى تطوير الفن الاسلامى بشكل عام .

ويتحرك الأتراك طواعية الى الإسلام ، وتواكب ذلك حركة فنية أصيلة وعظيمة بين مجموعة دول تركية إسلامية فى وسط آسيا ، وكانت دولة "القرة خانيين" هى أولى تلك الدول ، وفيها تم وضع اساس متين لفن تركى إسلامى .

ومن الفصل الثانى وحتى الفصل الخامس يتناول المؤلف فن "القرة خانيين" - وهو لقب ملكي - وفن "الغزنويين" - نسبة إلى عاصمتهم "غزنة" - وبدايات الفن التركى فى الهند - ثم فن السلاجقة العظام - فى خراسان - حيث عرض الملامح التى ميزت العمارة فى كل منها وكذلك المساجد والمقابر والخانات والقصور .

وفى الفصل السادس تعرض المؤلف لعمارة الزنكيين فى سوريا والعراق ، والتى تبدأ مرحلتها بعد استيلاء نور الدين زنكى على دمشق عام ١١٥٤ ، وكان ذا ميول فنية قادته إلى السعي نحو تطوير اسلوب فن العمارة والتجديد فيه معتمدا على الأصول السلجوقية فى مدن حلب ودمشق . وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبى الذى عاش فى بلاط نور الدين ، والذى أسس له دولة فى سوريا تابعت تطوير هذا الفن . وكان من طموحات نور الدين زنكى الاستيلاء على بيت المقدس من الصليبيين ، ولهذا أمر بإعداد منبر خشبى رائع الصنعة لكى يضعه فى المسجد الأقصى ، لكن الأجل لم يمهله طويلاً ليحقق رغبته ، فكان ذلك من نصيب صلاح الدين حيث أقام المنبر فيما بعد فى موضعه المقرر له .

● **الفن التركى فى مصر :**

وفى الفصلين السابع والثامن يتناول المؤلف أهم ملامح الفن الطولونى ، والفن التركى المملوكى فى مصر . وكان أحمد ابن طولون - مؤسس أول دويلة تركية فى مصر - رجلاً على جانب من الثقافة العالية - وقد بدأ عهداً جديداً وزاهراً بمصر ، فلم يمض غير قليل حتى استعادت البلاد رخاءها ، وشيد له مدينة جديدة قرب الفسطاط أسماها القطائع ،

وبنى لنفسه قصراً فاخراً وداراً للامارة ومسجداً ، وبنى كذلك مستشفى وقناطر لنقل الماء لاتزال قائمة حتى اليوم .. ولا يزال جامع ابن طولون ـ الذى استغرق بناؤه ثلاث سنوات ( ٨٧٦ ـ ٨٧٩ ) بضخامة حجمه وارستقراطية عمارته وبساطة تخطيطه رمزاً لمرحلة عظيمة استمرت ٣٧ عاماً . كما حدثت قفزة طيبة فى مجال صناعة الخزف بمراكز الخزف فى البهنسة والأشمونين بالصعيد ، وفقا لنماذج استحضرت من بغداد وسامراء للخزف ذى البريق المعدنى المتعدد الألوان .

وحين وضع صلاح الدين الأيوبى عام ١١٧١ نهاية للخلافة الفاطمية وأسس الأسرة الحاكمة الأيوبية ، كانت له ولأخيه الملك العادل العديد من الابتكارات فى مجال العمارة العسكرية نتيجة لخبرتهما فى أعمال الحروب ، ويرجع إليهما الفضل فى كثير مما أنشىء بالقاهرة ولاسيما قلعتها وأسوارها ، لكن الشىء الأجدر بالملاحظة هو أن الأيوبيين أدخلوا إلى مصر الأساليب الزنكية فى عمارة المدارس ، كمدرسة الشافعية والكاملية عام ١٢٢٥ ، ومدرسة الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٢ .

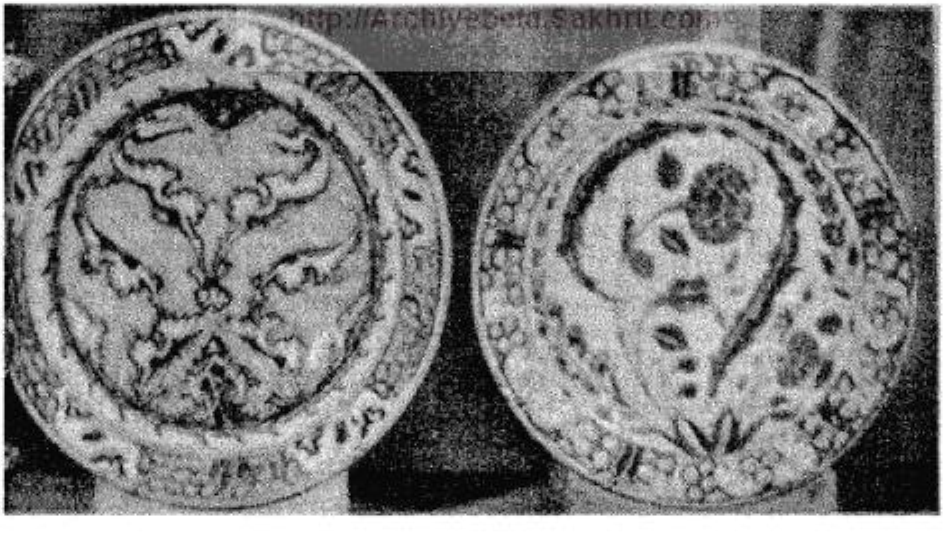
ومن أشهر الأعمال المعمارية فى تلك الفترة مسجد الظاهر بيبرس عام ١٢٦٩ ، ومارستان السلطان قلاوون عام ١٢٨٥ ويضم مقبرة ومستشفى ومدرسة ، وكذلك مسجد ومدرسة السلطان حسن ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢ والذى يعد أضخم آثارالمماليك الأتراك .

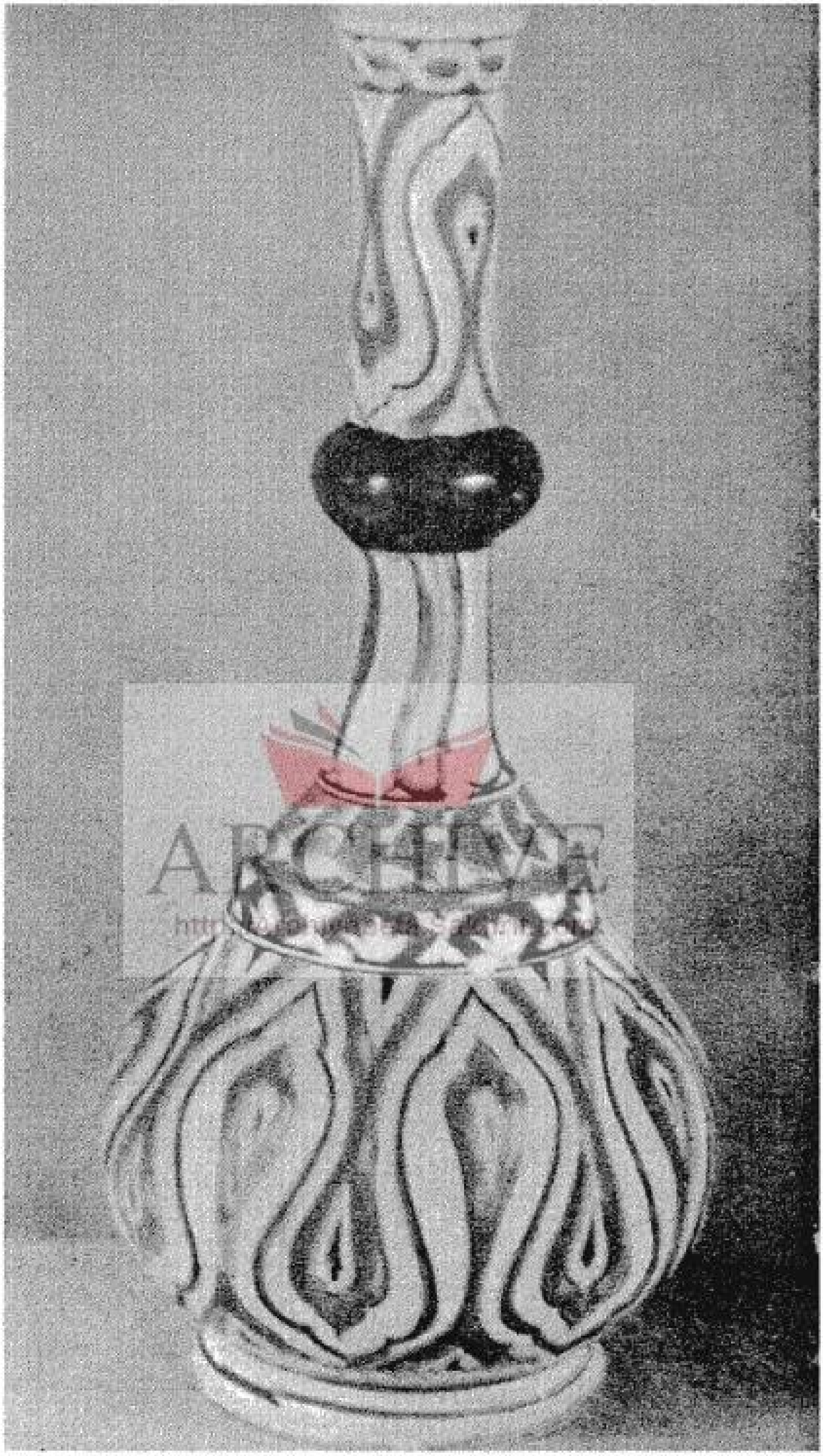
● **الفن التركى فى بلاد الأناضول :**

وفى الفصل التاسع ينتقل المؤلف

أطباق من الزليج مكون من الأزرق الكوبلتى والأخضر البهارى محفوظة بمتحف فكتوريا







قنينة من إزنيق محفوظة بمتحف فكتوريا

ضوء على كتاب

# فنون الترك وعمائرهم

لعرض الفن التركى فى الاناضول . عندما بدأت القبائل التركية دخول بلاد الاناضول مع بداية القرن الحادى عشر وما تلاه ، وذلك بعد هزيمة الامبراطور البيزنطى « رومانوس ديوجنيس » أمام قوات السلطان « الب ارسلان العظيم » ولاتزال مدن وقرى الأناضول حتى اليوم تحمل اسماء أربعة وعشرين من أسماء القبائل التى نزحت الى تلك البلاد من مناطق التركستان . وعلى ذلك يمكن القول بأن فنون بلاد الأناضول ذات عمق تاريخى قوى ، وان جذور فنونها تستمد عناصرها من أصول تمتد خارج البلاد ، وتصلها بالقرة خانيين والغزنويين والسلاجقة العظام . وكانت الأناضول وقت توافد الأتراك عليها بلادا محكومة بدولة ذات حضارة رفيعة . على أنه يمكن القول بأن المرحلة السلجوقية الأولى ببلاد الأناضول - وحتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى - لم تظهر فيها نشاطات فنية تستحق الذكر بسبب ماساد تلك الحقبة من قلق وكفاح من أجل الاستقرار فى الوطن الجديد . الا أن العمارة السلجوقية ابتداء من القرن الثالث عشر وماتلاه أخذت فى التطور والانتشار ببلاد الاناضول ، ويعد مسجد علاء الدين فى قونية نموذجا يحتذى على مر الزمن واكثر أجزاء المسجد أهمية - من وجهتى النظر المعمارية والزخرفية - هو داخله المغطى بالقباب . ويشير المؤلف إلى جوامع السلاجقة ومساجدهم موضحا أن كلمة مسجد فى اللغة التركية تستخدم للدلالة على مساجد الاحياء الصغيرة وهى لا تضم منبرا حيث لا تستخدم فى صلوات الجمع والاعياد . ولايزال هناك فى قونية حوالى عشرة مساجد من نوع هذه المساجد السلجوقية والمصنوعة من الخشب ، وبعضها له قبة واحدة ، والعديد منها له سقف مسطح .

ويمتد الفصل التاسع ليغطى جوانب العمارة التركية فى الاناضول ، والتى تتمثل فى المدارس والعمائر الجنائزية والخانات والقصور والاستراحات .

ويغطى الفصل العاشر من الكتاب عمارة القرن الرابع عشر ، حين دهمت الجيوش المغولية بلاد الاناضول ، وقضت على دولة السلاجقة تماما عام ١٣٠٨ فى تلك الأثناء أخذت القبائل التركية الساكنة على حدود الأناضول تعلن استقلالها الواحدة بعد الأخرى ، حتى بلغت عشرين امارة تركمانية ، كان من بينها العثمانيون ، واعتبرت كل واحدة منها نفسها وريثة لدولة السلاجقة . وكان لكل من هذه الامارات انجازاتها المعمارية ، استعرض المؤلف اهم آثارها التى تحمل معظمها آثار التقاليد الفنية السلجوقية وقليلا من التجديد والتطوير فى الاساليب الفنية . على أن العثمانيين الذين ظهروا كإمارة من تلك الامارات العديدة سرعان ما تعاظم أمرهم ، وتسيدوا الآخرين ، وفتحوا الطريق لظهور فن معمارى تركى عثمانى على مستوى عالمى .

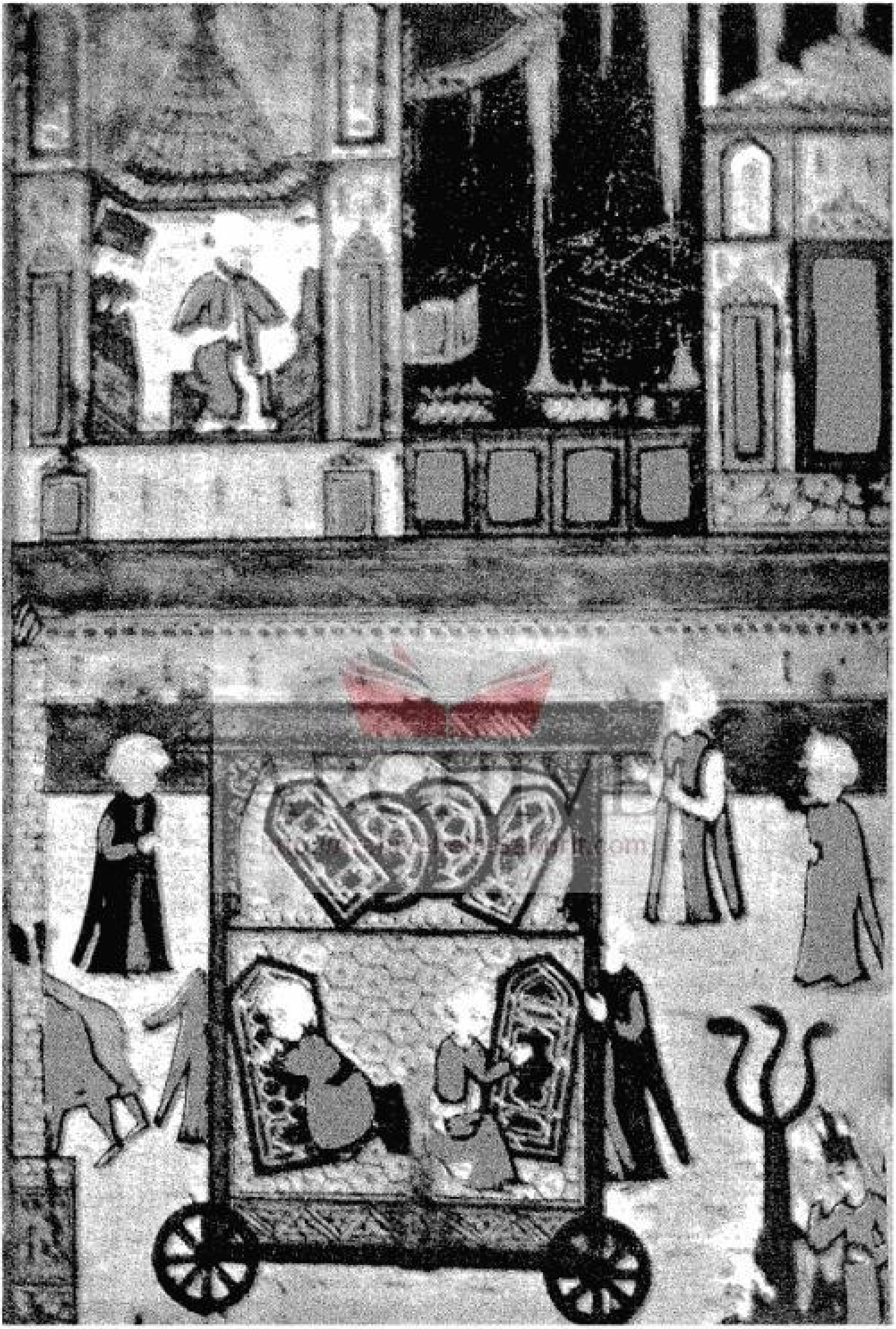
## ● العصر العثمانى :

أولى المؤلف أهمية قصوى للفن التركى العثمانى ، فخصص له عشرين فصلا استغرقت ثلثى الكتاب والعثمانيون قد هاجروا كغيرهم - مثل السلاجقة - من -




صحيفة أولى مذهبة من القرآن الكريم ، بخط احمد قره حصاري ، بمتحف طوب قابي

بلاد التركمان في وسط آسيا الى بلاد إيران ثم منها الى بلاد الاناضول وكان على رأسهم حينذاك « سليمان شاه » وخلفه ولده « أرطغرل بك » الذى أنجب « عثمان بك » وحين ولى بعد أبيه أعطى اسمه للدولة العثمانية التى أسسها عام ١٢٩٩ . ولقد استطاع العثمانيون مع نهاية القرن الرابع عشر تأسيس امبراطورية امتدت فيما بين الفرات والدانوب . وفى عام ١٤٥٣ استولى محمد الفاتح على استانبول بعد سبعة أيام من حصارها ، ووضع بذلك نهاية الامبراطورية البيزنطية ، ثم حارب السلطان سليم الأول ( ١٥١٢ ـ ١٥٢٠ ) حاكم إيران الشاه اسماعيل الصفوى ـ ذا الأصل التركى ايضا ـ ووحد جميع بلاد الاناضول الشرقية . وبعدها قضى على دولة المماليك في مصر ، وضم الى سلطانه سوريا . وفلسطين والجزيرة العربية ، واتخذ لنفسه لقب « خليفة » . أما اكثر عصور الامبراطورية العثمانية بريقا فهو عصر السلطان سليمان القانونى ، الذى



▶ نافخو الزجاج فى لوحة احتفالات الختان بمتحف طوب قابى باستانبول

أطلق عليه الأوربيون لقب المعظم أو المفخم ، والذى كون امبراطورية يمكن أن أن تقارن بالامبراطورية الرومانية ، فقد اشتملت هذه الامبراطورية على كل بلاد البلقان والمجر ، وجنوب روسيا وجزءا من بولندا ، الى جانب مصر والسودان والحبشة وشمال افريقيا ، وأضيفت بعد ذلك قبرص وبغداد ، ثم كريت عام ١٦٤٥ . ولقد امتد حكم العثمانيين ودولتهم نحو ٦٢٠ عاما منذ ظهورها الى أن صفيت بعد الحرب العالمية الأولى . وفى عام ١٩٢٣ قامت الجمهورية التركية ببلاد الاناضول ، أى حيث قامت من قبل دولة السلاجقة .

ولقد أفرد المؤلف فصلا كاملا عن منشآت عصر محمد الفاتح الذى شهدت أعوام حكمه الثلاثين حركة تعمير واسعة ، شملت استانبول وكثيرا من بلدان الامبراطورية ، وقد بلغ حجم المنشآت ٣٠٠ مسجد منها ٨٥ من ذوى القباب ، و ٥٧ مدرسة و ٥٩ حماما ، والكثير من القلاع والحصون والجسور والاسوار . وظهرت فى عهده ملامح أسلوب معمارى جديد . كان من أهمها اقامة نصف القبة ، وقد ظهر ذلك على أوسع نطاق فى مسجد الفاتح المشيد فى استانبول . ففى هذا المسجد قبة مركزية كبيرة يبلغ قطرها ٢٦ مترا ، وتمتد ناحية القبلة بنصف قبة من حجم السابقة ، ويوجد على جانبى القبة الرئيسية ونصف القبة ثلاث قباب صغيرة فى كل جانب . وهذا المسجد هو محور الارتكاز لمجمع الفاتح المزدحم بمئات القباب التى تغطى ١٦ مدرسة كانت بمثابة الجامعة لذلك العهد ، ومطعما ومستشفى وخانا وحمامات وعددا من الاضرحة . وبهذا مهد محمد الفاتح الطريق لقيام المساجد ذات القباب الضخمة فى استانبول بصفة عامة . فعلى امتداد ٩٠٠ سنة وابتداء من تاريخ العمارة البيزنطية والى لحظة احلال قبة جديدة لكنيسة أياصوفيا – بعد سقوط قبتها الأصلية فى زلزال عام ٥٦٢ ، من المعروف أنه لم يتيسر لاية كنيسة أن تظفر بقبة يمكن أن يتجاوز قطرها عشرة أمتار ، ويتضح من ذلك مقدرة العثمانيين ، وسعيهم نحو خلق مساحات رحيبة وضخمة وغير مجزأة ، إلى جانب سلامة الأسس التى اعتمدت عليها تصوراتهم وحساباتهم ، ولقد بلغ حجم القبة فيما بعد ٢٤ مترا فى مسجد السلطان سليم عام ١٥٢٢ مما يعد نجاحا رائعا من وجهة النظر التكنولوجية .

● المهندس العبقرى سنان :

حين اعتلى السلطان سليمان القانونى عرش تركيا كانت كل الظروف مهيأة لتطوير معمارى كبير مثلها مثل سائر مظاهر الحياة الاخرى . وكان من حسن طالع السلطان أن تصادف أثناء حكمه ظهور مهندس معمارى فذ اسمه سنان ، الذى ولد عام ١٤٨٩ ، وأتاحت له حياته العسكرية الأولى التى ساهم فيها فى حملات سليم الأول على بلاد فارس والشام والعراق ومصر . وكذلك زيارته للبلقان والمجر وجنوب النمسا ، التعرف على الطرز المعمارية المختلفة ، فكان يمزج بين الافكار المختلفة التى يلتقطها من هنا وهناك ، وبين التقاليد المعمارية التركية

وكان سنان أستاذا كبيرا فى فن بناء القباب ، ومقتدرا فى تصميم القباب المركزية التى كانت المثل الأعلى عند معمارى عصر النهضة الإيطالية .

وتظهر عبقرية سنان من خلال ثلاثة آثار عظيمة ، هى مسجد شهزادة ومسجد السليمانية باستانبول والسليمية بأدرنة . ولقد بدأ العمل بمسجد شهزادة عام ١٥٤٤ واستغرق أربع سنوات ، ويبلغ ارتفاع قمة القبة الرئيسية عن أرض المسجد ٣٧ مترا ، ويبلغ قطر القبة ١٩ مترا ، وحولها أربعة أنصاف قباب ، ثم قبة صغيرة فى كل ركن من أركان حرم المسجد . ويمثل هذا الجامع بداية حقيقية للعمارة التى جاءت بعد سنان باعتباره أضخم وأرحب المجمعات المعمارية التى ابتكرها .

أما مسجد سليمان العظيم ومجمعه فقد استمر بناؤه سبع سنوات انتهت عام ١٥٥٧ ، واجتهد سنان فى الوصول الى أنجح النسب فى المسجد الجديد ، من خلال دراسة متأنية ودقيقة لكنيسة أياصوفيا . واشتمل مجمع سليمان القانونى على أول وأكبر جامعة منذ زمن محمد الفاتح ، كما اشتمل على ١٨ مبنى الى جانب الأضرحة ، ويصل قطر القبة الرئيسية الى ٢٦٫٥ متر ، وارتفاعها ٥٣ مترا وهى من أكثر قباب استانبول ارتفاعا بعد أياصوفيا .

وبعد تجارب عديدة فى منشآت صغيرة نسبيا ، أبدع المهندس سنان وهو فى الثمانين من عمره مسجد السليمية فى أدرنة ، واشتمل هذا المسجد ـ الذى يعد رائعته المعمارية ـ كل الابتكارات والتجديدات التى استحدثها سنان بالاضافة الى مستحدثات العمارة التركية عامة . واستغرق البناء خمس سنوات من ١٥٦٩ إلى ١٥٧٤ بأمر من السلطان سليم الثانى ، ويظهر هذا الأثر البديع متجليا من بعيد بقبته الكبيرة ذات القطر البالغ ٣١٫٥ متر ـ أى اكبر من قطر قبة أياصوفيا ـ وبمآذنه الأربع الرشيقة التى تدور حول قاعدة قبته المثمنة . وتتوافق ضخامة القبة مع المساحة الكبيرة فى الداخل ، حتى أنه يمكن القول بأنها قمة التطور فى بناء القباب فى العالم بأسره .

## ● الاتجاه نحو أوربا :

ويستكمل المؤلف استعراض مظاهر العمارة التركية العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، التى لم تعكس أية ملامح جديدة . الى أن بدأت تظهر بوادر تحرك تدريجى نحو أوربا عامة وفرنسا خاصة ، بعد أن وقف الجيش العثمانى على أبواب فيينا عام ١٦٨٣ ودخلت بلاد المجر دائرة الامبراطورية العثمانية عام ١٦٨٩ . ولقد استتبع ذلك التحول دخول تأثيرات فنية باروكية وروكوكية من فرنسا ، وتحولت كل الأنظار صوب أوربا ، فأخذ أسلوب العمائر الضخمة فى الانحسار ، مفسحا الطريق لتجميل استانبول وزركشة أجزاء عديدة منها بالفيللات والاستراحات والأسبلة المطبوعة بطابع الأساليب الأوربية . وفى هذا المناخ انشىء مسجد « نور عثمانية » خلال سبع سنوات حيث انتهى بناؤه عام

١٧٥٥ . وهو أول مسجد ضخم يقوم مستعرضا بوضوح كل الأساليب والتأثيرات الفنية الجديدة ، والاستجابة الكاملة للأساليب المستحدثة في مجالي الزخرفة والتخطيط المعماري .

وفي عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩ أقيم مسجد النصر ، نصرتية جامع ، الذي عكس الاسلوب الامبراطوري . وهو أسلوب بسط سيادته على أوربا بعد أن كانت السيادة للأسلوب الباروكي . وفي عهد السلطان عبدالعزيز ٦٧ - ١٨٧٦ كانت تسود البلاد الأوربية موجة أسلوب فني آخر انتقائي أو خليط ، وخلاصته مزيج منتخب من عدة أساليب معمارية جمعت من الهندي حتى القوطي . ومن أعجب أمثلة هذا الأسلوب الخليط والمفرط في الزخرفة المسجد الحميدي ، الذي أسسه السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٨٨٦ .

ويختتم المؤلف دراسته عن الطرز المعمارية التركية بظهور الخرسانة المسلحة ، التي كانت سببا في تخلي المعماريين نهائيا عن أساليب البناء التقليدية ، واتجاههم نحو الاساليب المعمارية الحديثة .

## ● أنواع أخرى من العمارة

ويتناول المؤلف في خمسة فصول من كتابه نماذج من أشهر النماذج المعمارية الأخرى ، كالأضرحة والقصور والاستراحات ، والحمامات ، والتحصينات وقلاع الأناضول ، وكذلك الأسبلة التي بنيت معظمها في واجهات المساجد والمدارس مع بداية عصر السلاجقة ، واستمر هذا التقليد فيما تلاهم من عصور ، وبلغت أعظم مراحل تطورها وبهائها في القرن السابع عشر .

ثم يخصص المؤلف الفصل الثاني والعشرين لفنون النقش والحفر والنحت ، وفيه يتتبع الأشكال والزخارف الهندسية الناجمة عن تقاطع الأشكال المثمنة أو المسدسة التي عرفها "القرة خانيون" و "الغزنويون" والسلاجقة العظام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، والتي ظلت سائدة عند سلاجقة الأناضول والعثمانيين حتى بداية القرن السادس عشر . ثم يشير الى أن عنصر الكتابة والخط قد استغل استغلالاً كبيراً في الزخرفة المعمارية ، وكان أكثر الخطوط سيادة في العمارة التركية هو خط النسخ . كما كان هناك نمط آخر من الزخارف المعمارية السلجوقية ، وهو فن النقوش الآدمية ، أو نقوش الكائنات الحية ، حيث كان يحكي صور الحياة اليومية ، والعادات الجارية عند سلاجقة الأتراك في ذلك الحين .

وفي الفصل الثالث والعشرين يعرض المؤلف لفن الخزف التركي الذي يضرب بعيداً في الماضي منذ أيام "القرة خانيين" ، فقد استعملت البلاطات المربعة ذات البريق في تغشية أرضيات المعابد ، ثم بدأ الاستخدام المنظم والتطور المستمر للزخرفة بالخزف في المنشآت المعمارية التي أقامها السلاجقة العظام بإيران ، التي لم يبق منها شيء يذكر بعد الدمار الذي ألحقه الغزو المغولي للبلاد .

وعلى امتداد القرن الثالث عشر حدث أعظم تطور وأبرعه في صناعة الخزف ، وأضحت واحدة من أبدع فنون الترك ببلاد الأناضول ، وتعكس الأعمال الخزفية لتلك

الفترة ثراء فى مجال التصميم ، ونضجا واضحا فى مستوى الصنعة . وقد يجىء هذا الخزف التركى قبل الخزف الفارسى فى المرتبة . وكان التقاء فن الفسيفساء الخزفية السلجوقية مع أساليب صناعة الطلاء المتعدد الألوان ، هو الاساس الذى استند إليه فن صناعة البلاطات الخزفية عند العثمانيين .

بعد ذلك ينتقل المؤلف الى استعراض نماذج التحف المعدنية ، مثل المباخر والدوارق ، والأباريق والشمعدانات ، والمرايا ، وما اتسمت به من قدرة عالية فى الحفر على المعادن . ولا ينسى المؤلف تناول الزجاج كصناعة لقيت فى العصر العثمانى اهتماماً ملحوظاً وانتاجاً وفيراً ، وتركزت مراكز صناعته فى إستانبول ، وشملت أنواع الشمعدانات ، وزهريات تنسيق الزهور ، وقنينات حفظ ماء الورد ، والاقداح والأباريق والدوارق من البللور ، وحتى مصابيح السفن وقطع الزجاج الملون المستخدمة فى عمل نوافذ البيوت .

ويفرد المؤلف فصلين كاملين لتناول فن الأبسطة السلجوقية والعثمانية والمنسوجات ، حيث تعد صناعة الابسطة من الفنون التى قدم الأتراك من خلالها الكثير الى الحضارة العالمية ، فضلا عن أنها من أكثر ميادين الفن غنى بالابتكارات التركية الأصيلة .

وعن فن التصوير والمنمنمات خصص المؤلف فصلاً أوضح فيه تطور ذلك الفن فى تركيا منذ القرن الثامن الميلادى ، ومروراً بعصر السلاجقة العظام ، وقد سارت الأساليب الواقعية والطبيعية ، حين كانت تحكى مشاهد الحياة اليومية ، ومناظر الحرب والقتال . وتواصل هذه الأساليب حركة تطورها على يد المماليك الأتراك فى مصر ابتداء من القرن الرابع عشر . ومع أن المعلومات ليست كاملة عن فن التصوير بالأناضول بعد سقوط دولة السلاجقة ، إلا أنه يمكن القول بأن أعمال فنانى ذلك العصر هى مرحلة تحضيرية للأسلوب الكلاسيكى فى فن المنمنمات العثمانية .

وخلال سنوات حكم الفاتح خطى فن التصوير خطوات متقدمة لاسيما فى مجال الصور الشخصية ، بعد أن وفد فنانون إيطاليون إلى استانبول بدعوة من السلطان للعمل من أجله ، وكان من أشهر هؤلاء فنان البندقية "جنتيلى بلليني" وقد مهد الازدهار العظيم الذى حدث فى السنوات الأولى لحكم سليمان القانونى الطريق أمام أضخم مرحلة من مراحل فن المنمنمات العثمانية . فشهدت انتاج أعمال عظيمة كان فى طليعتها "سليمان نامه" وهى أشعار تركية على نسق كلاسيكى قديم لايستخدم إلاّ فى الملاحم ، وتحتوى على ٢٤ منمنمه منفذة بإتقان بالغ . واشتمل التصوير العثمانى ـ بالاضافة الى الصور الشخصية والمناظر المتعلقة بالأحداث التاريخية وحياة البلاط ـ على أعمال قيمة ذات أصالة ، تمثلت فى مناظر الحرب وحصار المدن والقلاع . ورغم أن تكوين هذه اللوحات ـ ولا سيما فيما يتعلق بالمناظر الخلوية وخلفيات اللوحات ـ ظل وثيق الصلة بالتقاليد التى نبتت جذورها فى إيران ، إلا ان التعامل معها هنا تم بأسلوب كله واقعية . تلك الواقعية التى

يرى المؤلف أنها قد جعلت الابتكار والتطوير أمراً غير واضح ، وأدت الى عدم خلق أسلوب محدد للمنمنمات العثمانية .

وفي الفصل التاسع والعشرين يعرض المؤلف الفن الخط . فقد أضحى الخط العربي عنصراً كثير العطاء في كل فروع الفن التركي ، بل انه اضفى كثيراً من الحيوية على ما اقيم من منشآت معمارية . وحظى خط النسخ على يد "ياقوت الأماسي" - الخطاط التركي الذى عمل كاتبا لدى المستعصم آخر خلفاء العباسيين ( ٤٢ - ١٢٥٨ ) - بالروح التى جعلت منه نمطاً كلاسيكيا وحدث نفس الشيء لخط الثلث الذى ظل يكتب بطريقته دون تغيير يذكر لمئات السنين . وهو الذى ارسى القواعد المتينة لفن الخط عند الأتراك ، بترسيخه لكل الأصول المميزة لستة من أنماط الخط العربي المختلفة ، وهى التى عرفت فيما بعد باسم "الاقلام الستة" ، وأشار المؤلف الى بعض الخطاطين المبدعين ، مثل الشيخ حمدالله الذى وضع قواعد للأنماط الستة على أسس محددة، وقواعد تتصل بنسب جسم الانسان وتشريحه . وأيضا الخطاط "احمد القرة حصارى" الذى طور خط الجلى ، والخطاط "حافظ عثمان" الذى بسط خط النسخ وأحسن تنسيقه كى يكسبه وضوحاً أكثر فى القراءة ، وأدخل نوعاً من الحرية لم يكن معروفا من قبل بخروجه على الحليات القديمة الكلاسيكية . ويصل المؤلف الى خط الديوانى ، وهو نمط تركى خالص ، استخدمه العثمانيون فقط فى كتابة الأوامر السلطانية والفرمانات ، فكانت تكتب بصورة مزدحمة منعاً لأية محاولة للتغيير أو التبديل فى النص .

وينهى المؤلف كتابه المرجعى الضخم بعرض لأعمال فنية متنوعة ، مثل الطغراء أو توقيع السلطان ، الذى كان يعهد به لواحد من أبرع الفنانين وأمهرهم . واكتسبت هذه التوقيعات بمرور الزمن تنوعاً كثيراً ، وثراء كبيراً فى الشكل والتكوين .

كذلك أشار المؤلف إلى فن التذهيب ، الذى تكشف معظم تصميماته عن تناسق وانسجام فى الألوان ، ووقار فى التصميمات . وأيضا فن التجليد ، الذى وصل أوج رقيه أثناء القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فحظى الغلاف باطناً وظاهراً بزخرفة رائعة . وكذلك يشير المؤلف الى فن صناعة الأسلحة والخوذ والزمزميات والمرايا ، التى حفلت جميعها بتصميمات زخرفية من العناصر النباتية وأشكال الزهور .

وهناك أيضا صناعات أخرى اشتملت على التحف المصنوعة من العاج والصدف والحفر على الخشب الذى تطور كثيراً أيام العثمانيين ، وزاد من قيمته تطعيمه بالعاج والمحار والأصداف .

ولا ينسى المؤلف فى ختام تناوله العريض للفن تضمين الرسم الزخرفى ، ويقصد به فن الطلاء الزخرفى ، فقد اكتسب هو الآخر مكانة طيبة كأحد أساليب تزيين السطوح الداخلية الى جانب البلاطات الخزفية . وكان الصناع يستخدمون الملاط بألوان مختلفة على الخشب لتغطية بواطن الأسقف والقباب ، وقد استخدم على نطاق واسع أيام العثمانيين .

# القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

## حالة تكنولوجية

**لاخير فينا ، ولاقيمة لما نكتب ، إن بقينا نمضغ الكلمات وتركنا « الواقع » يستشرى من حولنا حتى يخرق العيون ويصم الآذان ويدمي القلوب .**

**إن تجاهلنا مايجرى ، او اكتفينا باللغة المهذبة ، او الاشارة البعيدة ، او التعميم المبهم ، فسيبقى ما نقوله او نكتبه كلاما في كلام ، وبين الكلام والفعل - في البلاد العربية بالذات - هوة سحيقة .**

**تكلم كيفما شئت ، اكتب في أى موضوع اردت ، فلن يغضب منك او عليك أحد ، ستظل آمنا في سربك ، معافى بدنك ، مباركا في مالك ، رافلا في بحبوحة السعادة بين أهلك وعيالك - بشرط ان تلتزم الابهام ، وتتجنب التحديد ، وتجعل لكلامك بابين : بابا للدخول ، وبابا للخروج .**

أتعرف - صديقي القارىء - أصل كلمة النفاق ؟

أصلها المادي - « النافقاء » ، والنافقاء جحر اليربوع ، يجعل له بابين ، فاذا جاءه الخوف من باب هرب من الباب الآخر .

واذا تكلمت او كتبت فهيأت كلامك او كتابتك بحيث يمكنك أن تقول اذا سوئلت او عوتبت او حوسبت : ما أردت هذا ، وما أردت ذاك ، فأنت على شعبة من شعب النفاق .

تقول : وما شأن الفن ؟

وأقول لك : ليس من شأن الفن ان يعمى الحقيقة ، أو يقودك إليها ثم يهرب من تبعتها . الفن الصحيح يقرب اليك الحقيقة حتى يجعلك تأنس اليها ولو كنت معرضا عنها ، ويجبرك على التسليم بها ولو كنت من أعدائها ، ولابد ان ادخل

معك - يوما ما - فى رحاب هذا الفن ، ولكن دعنا اولا نبرىء ذمتنا من كلمة حق في واقعة تصرخ أمامنا بأعلى صوت .

## ● إعـــــلان

أمامى الآن إعلان نشر فى صحيفة أخبار اليوم (١٩٨٨/٢/٥م) - استأذن الهلال فى اعادة نشره بدون أجر . واطمع الا تسىء الظن بى ياهلال وان تجعل حسابى وحساب أصحابه على الله إن كنت اتفقت معهم على مال اقتنصه او مصلحة أقضيها خلسة منك ، كما أنى أحسن الظن بك حين أراك لاتجرى وراء المعلنين ، فانما عهدتك تجرى وراء قضية وطنية لتبعثها من جحيم النسيان ، او تنبش عن فكرة مدفونة لتعيدها جديدة فى الأذهان . وهذه قضية وطنية منسية ، لاتعنى أصحاب الاعلان وحدهم بل تعنى الملايين والملايين .

وإليك نص الاعلان :

نداء عاجل

توجهه رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى

السيد الدكتور / رئيس مجلس الوزراء

السيد الدكتور / وزير الزراعة وأمين عام الحزب الوطنى

وجهت الشركات الاستثمارية العاملة فى صناعة الطوب الطفلى نداء فى أهرام الخميس ١٩٨٧/١/١٩م احتوى من البيانات غير الصحيحة ما تغطى به خسائرها الضخمة فى هذا المجال . وقد أصدرت وزارة الزراعة القرار رقم ١٣٧٠ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١ يفرض على مصانع الطوب الطفلى التقليدية ان تدار آليا خلال ستة اشهر ، رغم انه بفضل خبرة علمائنا وذكاء الفلاح المصرى وباستغلال الطفلة الصحراوية قد حققت نجاحا منقطع النظير وانهى الى الأبد تجريف الأرض الزراعية .

وسيتم بموجب هذا القرار استيراد خطوط انتاج اجنبية يتكلف الخط الواحد منها مايزيد على مليون دولار وذلك لغياب النموذج المصرى المثالى الذى يجتزأ به والمنتج محليا . وبذلك سيكلف اقتصاد مصر ما يزيد على الف وخمسمائة مليون دولار فضلا عن مد طلبات هذه الخطوط من الطاقة الكهربائية الكبيرة وما يلحقه من الأضرار بحوالى ثلاثة ملايين من العاملين فى هذه الصناعة وما سينتج عنه من رفع أسعار الطوب المنتج بما يرهق المستهلك ويعوق حركة البناء والتشييد . وقد ثبت حتى الآن فشل الخطوط الآلية المستوردة من الخارج وكانت نتائجها مخيبة للآمال ومعظمها تتكبد خسائر مالية فادحة .

وإننا ونحن مواطنون مصريون شرفاء يهمنا قبل كل شىء المحافظة على الرقعة الزراعية فى وطننا الغالى نناشدكم ان تتدخلوا لانقاذ صناعة وطنية عريقة وحماية العاملين فيها . واذا اردتم التأكد من حقيقة حجم الخسائر المترتبة على التصنيع الآلى للطوب فانكم تستطيعون الرجوع الى الرقابة الادارية ونيابة الأموال العامة والمدعى العام الاشتراكى والبنوك الممولة للخطوط المستوردة . فهناك من البيانات المذهلة عن حجم الأموال المجرفة ما يدفع الدولة الى التدخل السريع لمنع استمرار هذا النزيف المالى والخراب الجرفى .

رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى بجمهورية مصر العربية

معلـوم ان الصحف لاتحقق فى

المعلومات التى تحتوى عليها الاعلانات ولكن المعلومات التى احتوى عليها هذا الاعلان خطيرة الى الحد الذى كان يدعو أى صحيفة من صحفنا اليومية او الاسبوعية الكبرى ـ وهى لاتبخل علينا بالأنباء المفصلة عن مشكلات الاندية الرياضية مثلا ـ الى تجنيد عدد من كتابها ومحرريها ، والاستعانة بالخبراء ايضا ، لاعطاء صورة محايدة عن الموضوع . فنحن هنا امام فئة لها مصالح ، يمكن ان تكون ـ من الناحية النظرية ـ متفقة مع مصلحة المجتمع فى جملته او غير متفقة ، ولو اننا يجب ان نفترض الاتفاق أولا اذا كنا نعنى ما نقوله عن الاستثمار والمباداة الفردية .

اما نحن ـ يا هلال ـ فليس فى وسعنا ان نتجاهل القضية ، ونحن الذين كنا نتحدث منذ وقت غير بعيد عما سميناه الاستعمار التكنولوجى . ومع اننا استشهدنا على صحة التسمية والوصف بتقرير لاحدى لجان الامم المتحدة ، فقد رأنا بعض الناس جامدين ومتغلقين ، وظنوا أننا نعادى المخترعات الحديثة وشهد الله أننا أعداء الداء لكل اختراع حديث نشتريه بالدين لنستخدمه فى تأكيد التخلف !

● التكنولوجيا والتنمية

فالتكنولوجيا الحديثة لاتصنع غنى من فقر ، ولا علما من جهل ، ولا قوة من ضعف ، إنها لاتعطيك شيئا غير موجود عندك ، ولكنها تضاعف ماعندك : فان وجدت غنى ضاعفته وان وجدت علما ضاعفته ، وان وجدت فقرا ضاعفته وان وجدت جهلا ضاعفته . ولنضرب مثلا يلمسه الجميع .

كثير من الآباء والأمهات اليوم يتمنون لو ان التليفزيون لم يدخل بيوتهم قط ـ ومع ذلك فإنهم سينتهزون اول فرصة ليقتنوا فيديو أيضا ! ولكن لا محل للعجب . فقد دخل التليفزيون حياتنا بعد ان تنازلنا عن ارادتنا ، فزاد ارادتنا ضعفا ، وبعد ان بدا التعليم مسيرة التدهور فزاده تدهورا ، وبعد ان سخر الادب والفن لخدمة الدعاية ، فزادهما انحطاطا ، وأصبح الفن الصحيح والعلم الصحيح جزرا منعزلة لاتحب التكنولوجيا ولاتحبها التكنولوجيا .

يـأبى العقل السليم ان يصبح التليفزيون جهازا شعبيا ـ والفيديو على اثره ـ فى بلد معظم سكانه اميون ، ومعظم متعلميه اشباه اميين ، فليس فى وسع اى باحث جاد فى حالة التعليم عندنا ان يتجاهل التاثير المدمر لهذين الجهازين ، على الرغم من البرامج التعليمية التى يبثها التليفزيون لينفى عن نفسه هذه التهمة ، واكثر تلك البرامج سخيف منفر ، لا ينشط عقل الطالب المشاهد ، بل يكتفى بتلقينه ما فى الكتاب المقرر ، كما يلقن الميت الشهادتين .

على ان اكثر الوقت الذى يقضيه الصبى او الفتاة امام التليفزيون ضائع فى مشاهدة المسلسلات القصصية والمباريات الرياضية . واكثر المسلسلات شديد التفاهة ، وحتى الجيد منها لا يربى الـذوق حقا ، لأن خـاصيـة جهـاز التليفزيون ـ كما يقول ماكلوهن ـ انه يجذب المشاهد اليه حتى كأنه يتحاور مع ابطاله او كأن ابطاله يخرجون من الشاشة ليحاوروه (عبرت الرسوم الكاريكاتورية عن هذا المعنى أوضح تعبير) والتذوق الفنى

يتطلب درجة من التباعد . اما مشاهدة المباريات الرياضية فانها تبطل كل ماقيل او يقال عن قيمة الرياضة فى تربية الاجسام او الاخلاق او العقول . لأن المشاهد ـ ولاسيما اذا كان طرى العود ـ لايقوى عضلاته بمشاهدة هذه المباريات ، ولايتعلم منها الا عبادة الشهرة ، واحتقار العلم الذى لايعود على صاحبه مدى السنين بمثل مايكسبه الفائز الثانى او الثالث فى مباراة واحدة عادية .

فماذا افدنا من هذا الجهاز السحرى ؟ اليست وظيفة التليفزيون الحقيقية والاساسية عندنا هى مساعدة المصرى العادى على التخلص من وقت فراغه الطويل العريض . لقد ورد التليفزيون على ثقافة ضعيفة فزادها ضعفا ، والذى نود ان نقوله هنا هو ان ما يصدق على التليفزيون ـ وهو اصلا جهاز ترفيه ـ يصدق ايضا على كل تكنولوجيا متقدمة فى أجهزة الانتاج ، كما بين اعلان منتجى الطوب فى إيجاز بليغ .

ان الربط المباشر او الآلى بين التكنولوجيا المتقدمة والتنمية خداع لايراد منه الا ان تبقى الدول المتخلفة ـ والتى يضحكون عليها بتسميتها نامية ـ تابعة دائما ومدينة دائما . فالتنمية لها طريقان : إما أن تبدأ بأفضل ماعندك فتستثمره وتستخدم التكنولوجيا فى تطويره ، ولا بأس إن استعرتها من غيرك ، وهذه هى التنمية الحقيقية : وإما أن تبدأ بأفضل ما عند غيرك ، فتقتل ماعندك ، وتظل عالة على غيرك ، ومن ثم عبدا لهذا الغير .

إنها عبودية لم تعرف البشرية نظيرا لها من قبل . فهى عبودية شعوب كاملة ، وهى عبودية تتحكم فى الجسم والعقل وتشل الارادة ، وهى عبودية يدخل فيها العبد طائعا مختارا ، راضيا مبهورا ، مبتسما فى بلاهة ، مستسلما فى سعادة ، وكأنه مخدر أو منوم .

هذا هو الاستعمار التكنولوجى .

● دور الحكومة

ولنعد الى الاعلان القضية .

إن هذه الحالة التكنولوجية تذكرنا بحالة سابقة معروفة للجميع .

فكل من اكل خبزا فى هذا البلد يعرف انه اذا اراد ان يستمتع بمذاق الرغيف البلدى الجيد فعليه أن يبحث عن فرن يدوى وخباز نظيف من المدرسة القديمة . فالرغيف الذى نحصل عليه من المخابز الآلية قلما يخلو من العيوب ، وقد نرمى ربعه او ثلثه لأنه غير صالح للأكل . هذا الفاقد الذى يخسره الشارى ويضيع فيه جزء من اموال الدعم لايوجد ابدا فى الرغيف اليدوى . والشعب المصرى شعب من آكلى الخبز ، وهو لايتذوق الرغيف الآلى ولكنه يأكله مضطرا لأنه المتوافر غالبا . فهل كان من الضرورى ان يحرم من هذه اللذة البسيطة ؟ ربما كان انشاء عدد من المخابز الآلية ، فى أول الأمر ، ضرورية لتوفير العدد الهائل من الأرغفة التى يستهلكها المصريون كل يوم وكثير من هذه المخابز يتبع القطاع العام . ولا شك ان انشاءها واستمرارها منعا وقوع ازمة خطيرة فى رغيف الخبز . ولكن وجودها ـ اذا نظرنا اليه هذه النظرة ـ يمكن اعتباره اجراء غير عادى ، ريثما تنشط المخابز اليدوية وتزيد طاقتها الانتاجية . غير ان الذى حدث هو ان معظم المخابز الأهلية تحولت ايضا الى مخابز آلية او نصف آلية .

لقد تم هذا التحول بطريقة لم يكد يشعر بها احد ، تم بفعل مجموعة من العوامل الاقتصادية لم نحاول التحكم

فيها . لا بالوعى الشعبى ولا بالترشيد الحكومى . تم فى وقت لم نكن نشعر فيه بأزمة بطالة ، بفضل التزام الحكومة بمجانية التعليم وتعيين الخريجين من ناحية (وهو تعليم كان ، ولايزال ، غير مسيّس لخدمة الاقتصاد) وبفضل تزايد الطلب على العمالة المصرية فى الدول العربية المجاورة ، من ناحية اخرى . ولكننا يجب الا ننسى دور "المستورد" وهو الرابح الاول فى هذا التحول . لقد انتهز الفرصة ، وتصرف بوعى (لم يكن محتاجا الى ذكـاء) . وتلاقت بعض الخيوط .. فقد كان مستورد المخابز الآلية ، فى ذلك الزمان ، قريبا جدا من الحكم ...

فى ظروف كظروفنا الآن لا يمكننا ان نتصرف بدون وعى ، ولايمكننا أيضا أن نتيح الفرصة لمستورد يثرى ثراء فاحشا ، وفى مثل لمح البصر ، على حساب ملايين الكادحين . قد نكون عاجزين ، فى الوقت الحاضر ، عن احداث خفض كبير فيما نستورده من السلع الغذائية ، ولكننا قادرون بكل تأكيد ، على احداث خفض كبير جدا فيما نستورده من الآلات واذا اردنا « التصنيع » حقا - ولابد منه لأن التنمية الزراعية محدودة ، اما التنمية الصناعية فهى بغير حدود - فيجب ان يكون القسم الاكبر من ادوات الانتاج التى نستخدمها من صنعنا نحن . ولا بأس ان كانت - فى اول الأمر - غير انيقة المظهر ، او حتى اقـل كفاءة من نظائرهـا المستوردة ، فستكون - على الاقل - ارخص سعرا ، واقل تكلفة . يجب الا تتكرر مأساة اغلاق مصنع - رمسيس ، بينما استمر مصنع النصر للسيارات فى سياسته الخرقاء المعتمدة على التجميع .

التكنولوجيا المتقدمة يمكن ان تقتل الاقتصاد القومى بدلا من أن تنمية . ونقل التكنولوجيا - وهى عبارة تقال - لايعنى استيراد الأجهزة بل اكتساب التعلم والخبرة . والأول سهل جدا ، بل ان الدول الصناعية الكبرى مستعدة دائما لأن تضمننا لدى الشركات المنتجة حتى تمدنا بكل ما نحتاج اليه وما لانحتاج اليه - كل ماتحتاج هى الى تسويقه - من آلات ومعدات . اما الثانى فعسير اشد العسر ، فـالشركـات المنتجة تحتفظ بـأسرار الصناعة لانها قوام حياتها ، ونحن من جانبنا اكسل من ان نتعلم . وما دمنا نجد من يبيعنا بالدين فلماذا نتعب انفسنا بالعمل ؟

ولاننسى اننا دولة تسمى نفسها اشتراكية مع ان القسم الأكبر من معاملاتنا التجارية هى مع بلدان راسمالية . والراسماليون لايربتون على اكتاف الصغار ، الذين يريدون ان يستقلـوا بحيـاتـهم واعمـالـهـم . الراسماليون لايقبلون من الصغار الا ان يكونوا تابعين لهم . والصغير الذى يريد ان يكبر فى كنف الراسمالى لابد ان يكون ذكيا جادا وماكرا جدا ودءوبا جدا ، حتى ينجح ولو فى ان يكون تابعا كبيرا فى موكبه الأكبر ...

يتحسر المرء لأن « رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى » لم تجد من وسيلة لابلاغ صوتها الى أسماع المسئولين وغير المسئولين سوى اعلان مدفوع الاجر .

ترى ما هى تلك القوى العاتية التى تحاول تحطيم الصناعة الوطنية فى مصر ؟

بقلم : جميل عطيه إبراهيم

رسالة جنيف

# تعبيرات جائرة في أدبيات الأمم المتحدة

## سرقة عقول أم نقل عكسي للتكنولوجيا ؟

**التفت المجتمع الدولي منذ سنة ١٩٦٧ الى قضية هجرة العقول من الدول النامية الى البلدان المتقدمة واعرب عن قلقه البالغ من خلال المحافل الدولية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤتمر التجارة والتنمية - الاونكتاد - وصدرت قرارات عديدة بهذا الخصوص كما عقدت اربعة اجتماعات لخبراء حكوميين فى جنيف لدراسة هذه القضية كان اخرها فى شهر مارس من هذا العام .**

**وفى هذه الرسالة من جنيف نتناول تطور المفاهيم فى النظر الى هذه القضية من خلال وثائق الامم المتحدة .**

● شاعت فى ادبيات المحافل الدولية فى السنوات الاخيرة تعبيرات رقيقة لطيفة مثل بلدان العالم النامى وذلك فى مقابل التعبير الصريح البلدان المتخلفة كما اصبح يقال بلدان العالم الرابع ويقصد بهذا التعبير اشد البلدان فقرا وتخلفا حيث يقضى الناس من الجوع والعطش ، ومن هذه التعبيرات المخادعة ايضا القول بالنقل العكسى للتكنولوجيا ، والمقصود به انه اذا كان العالم المتخلف يستورد التقنيات الحديثة من الدول المتقدمة فانه يصدر اليها ايضا خيرة العقول والايدى الماهرة

به ، وكأنه بهذا التعبير اللطيف قد تحولت القضية الى مشكلة استيراد وتصدير بين عالمين على قدر من المساواة .

وفى واقع الامر فان هذا التعبير : النقل العكسى للتكنولوجيا وبالانجليزية

هو تعبير مخادع تماما وقد روجت له الدوائر الغربية على وجه الخصوص حتى نجحت فى فرضه على المحافل الدولية فى معركة غير متكافئة بينها وبين الدول النامية

واذا تأملنا حجم المشكلة فى مردودها الاقتصادى الخطير فان التعبير الذى يتعين استخدامه فى هذا الصدد هو سرقة العقول واذا اردنا التخفيف قلنا استنزاف الادمغة او

وفى واقع الامر لم تكن الفروق بين هذه التعبيرات خافية على مندوبى حكومات العالم المتخلف فى الامم المتحدة وبقية المحافل الدولية مثل مؤتمر التنمية والتجارة ــ الاونكتاد ــ او منظمة العمل الدولية او البرنامج الانمائى للبيئة ، ولكن كما قلنا المعركة غير متكافئة والعين بصيرة واليد قصيرة كما يقال .

ومن هذا المنطلق انتقد مندوب مجموعة الدول الاشتراكية فى الاجتماع الثانى للخبراء الحكوميين المعنى بهذه القضية والذى عقد فى جنيف فى الفترة من ٢٧ اغسطس ــ ٥ سبتمبر ١٩٨٤ المحاولات الجارية لنشر تعاريف غامضة لنسبها فى وثائق المحافل الدولية مثل عبارة التبادل الدولى للمهارات بدلا من القول : استنزاف الادمغة او تخفيف المصطلح الى حد القول بالنقل العكسى للتكنولوجيا او تدفق الموارد البشرية واعرب مندوب المجموعة الاشتراكية عن انزعاج وفد بلاده من استخدام لفظ تبادل مهارات لانه من الصعب تسمية تدفق يجرى بلا حدود تبادلا ، كما ان هذا التدفق يجرى بلا تعويض او مقابل . وطالب بان يدفع اولئك ــ بلدان اليات السوق الحر ــ الذين يستفيدون من نزوح الادمغة ثمن ذلك وطالب بتقدير هذا الثمن على اساس ارباح الطرف القائم بالاستغلال والربح الاضافى الذى يحصل عليه والعائدات المرتفعة المستمدة من نزوح الادمغة .

وهذا الكلام قد قيل فى الاجتماع المشار اليه وسجل فى الوثائق وكما قلنا فهذه الامور ليست خافية عن اعين الخبراء فى بلدان العالم المتخلف ولكن القضية قضية مراكز قوى ، فمعظم الدول الغربية التى تعتبر المستقبل الرئيسى للعقول المهاجرة من البلدان النامية تقاطع اجتماعات هذه اللجنة التى طالبت الجمعية العامة للامم المتحدة بتشكيلها فى اطار الاونكتاد واذا حضرت الاجتماعات اعلنت انها تحضر بصفتها متفرجة .

### ● ١٠٠ مليار دولار قيمة العقول المهاجرة :

تقدر تقارير الامم المتحدة راس المال البشرى المحول من البلدان النامية الى الدول الغربية المتقدمة بما يزيد على ٤٠ مليارا من الدولارات فى الفترة من ١٩٦١ ــ ١٩٧٢ فاذا مدت هذه الفترة الى الثمانينيات واجراء التعديلات اللازمة فى الاسعار فان هذا الرقم قد يتجاوز ١٠٠ مليار دولار

وذلك فى الوقت الذى بلغت فيه القيمة المفترية للاستثمارات الاجنبية فى البلدان النامية فى اوائل الثمانينيات ١٨٠ مليار دولار فقط ·

ويوضح تقرير نشرته الشئون الخارجية فى مجلس النواب فى الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال ان تكاليف التعليم التى ادخرتها الولايات المتحدة الامريكية نتيجة هجرة القوة العاملة الماهرة اليها فى الفترة بين عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٢ تعادل ٨ر١ مليار دولار ·

وقد وصف التقرير التدفق بانه تصدير لم يدفع تعويض عنه وهبة لا ارادية من موارد ثمينة من لدن بلدان اخرى ·

**هذا ما يوضحه التقرير الامريكي وهو ليس فى حاجة الى تعليق ·**

## ● تقييم العقول المهاجرة اقتصاديا :

يقول تقرير لمؤتمر التجارة والتنمية « المهارات هى تجسيد رأسمال والمعروفة بواسطة الاستثمار فى الموارد البشرية » كما يقال « الهجرة الدولية للعقول يمكن اعتبارها نوعا اخر من نقل التكنولوجيا ورأس مال » ·

وينطوى هذا المفهوم على انه يتم الاستثمار فى الاشخاص بمختلف الطرق ( التعليم وتوفير الرعاية الطبية والتدريب ) وعليه يمكن القول ان خروج المهارات خسارة مؤقتة او دائمة لبلد الاصل وكسبا للبلد الذى تتم الهجرة اليه ·

ومع التسليم بهذه الحقيقة فان البيانات والمنهجيات اللازمة لتقدير القيمة الرأسمالية لتدفقات الموارد البشرية لا تزال فى المرحلة الاوليه من التطوير ·

ويقول تقرير ان هناك اسلوبين اساسيين استخدما على نطاق واسع فى الكتابات المتعلقة بتقييم المهارات وامكانات الانتاج لدى الاشخاص تقنيا من الناحية الاقتصادية :

اولهما : اسلوب التكلفة التاريخية، حيث يتم تقدير قيمة هذا النوع من الاصول من حيث تكلفة التعليم والتدريب وغيرهما من الخدمات التى حصل عليها الشخص الذى يهاجر ·

ثانيهما : اسلوب القيمة الحالية المنتظرة ويتم فيه التقدير على اساس القيمة الحالية للناتج الحدى للمهاجر على مدى ما تبقى من حياته المتوقعة فى المستقبل فى بلد المهجر ·

غير أن الوضع العالمى الحقيقى فى ظل التكتلات الحالية للمجموعات الاقتصادية بعيد تماما عن هذا الوضع المثالى الخيالى · وسوف تنتج ارقام متباينة لمحاولة تقييم رأس المال البشرى المجسد فى مهارة المهاجرين تبعا للطرق المستخدمة فى التقييم ·

ولهذا ثمة اسلوب اخر يستخدم فى تقدير القيمة النقدية المسندة للمهاجرين ذوى المهارات وهو ما يشار اليه بتقلب تكلفة الاستبدال اى ان ينظر الى كل فرد مهاجر من حيث استبدله بشخص اخر انهى للتو قدرا موازيا من التعليم او التدريب فى البلد المستقبل ·

ومن شأن اسناد كهذا ان يعكس بقدر من الدقة ، خسارة الموارد البشرية فى حالة البلد المهاجر منه ، والوفر الحاصل فى نفقات التعليم فى حالة البلد المهاجر اليه ·

وقد قدرت شعبة الشئون الخارجية فى دائرة البحوث التابعة للكونجرس الامريكى وفقا لهذا المفهوم التكلفة الدنيا للتعليم فى بلد الهجرة النامى بمبلغ ٢٠ الف دولار امريكى ، فاذا اخذ بعين الاعتبار ما تقوله التقارير عن هجرة ٤٣٩٠ عالما ومهندسا وطبيبا من البلدان الى الولايات

المتحدة الامريكية خلال سنة ١٩٦٦ ، فان قيمة رأس المال المتمثل فى هؤلاء المهاجرين تقدر بحوالى ٨٨ مليون دولار · ويرتفع الرقم سنة ١٩٧٢ الى حوالى ٥٦٥ مليار دولار ·

● آثار هجرة العمالة الماهرة :

يوضح تقرير للامم المتحدة الاثار الضارة عن هجرة العقول من الدول النامية الى بلدان العالم المتقدم ، ويبرز حقيقة هامة وهى ان العمل فى الخارج لا يؤدى الى رفع الكفاءة المهنية واكتساب المهارات الجديدة التى يمكن ان تستخدم فى بلد المنشأ لدى عودة المهاجرين الى الوطن ، فغالبا ما يترك العائدون تخصصاتهم ويتحولون الى صغار رجال الاعمال بعد عودتهم وقد صرح ٧٦٪ من العمال الفلبيين العائدين بانهم يفضلون العمل فى مشاريع خاصة بهم فى الفلبين بعد عودتهم الى البحث عن وظيفة تستغل المهارات التى استخدموها فى الخارج ·

واذا كانت الهجرة الدولية بصفة عامة تسفر عن تحويل مبالغ ضخمة الى بلدان المنشأ فانه يبدو أن هجرة العمالة الماهرة لا تشكل مصدرا رئيسيا للعملات الاجنبية اذ وجد ان التحويلات تكون عادة منخفضة على مستوى المهارات العالية ولا توجد اية ادلة تشير الى اهمية التحويلات التى ترسلها مجموعات المهنيين من الشمال الى الجنوب ·

· وبالاضافة الى ذلك توجد ادلة تشير الى ان المهاجرين ذوى المهارات العالية يخرجون رأس المال من بلدان المنشأ التى ينتمون اليها ، ويفيد التقرير ان هذا الوضع ينطبق على المهاجرين من منطقة الكاريبى والمنطقة العربية ، ولا سيما مصر ، مما يشكل خسارة مزدوجة للموارد التقنية والاقتصادية ·

وهكذا تسقط اخر ورقة فى موضوع هجرة العقول والعمالة الماهرة من بلدان العالم النامى ـ المتخلف ـ الى البلدان المتقدمة ·

هذا وعلى الرغم من الجهود التى تبذلها لجنة الخبراء الحكوميين فى اطار مؤتمر التنمية والتجارة الاونكتاد فى نشر البيانات والدراسات حول هذا الموضوع الخطير ، فانه من الملاحظ ان البلدان المتقدمة لا تتعاون مع اللجنة وتصادف اللجنة صعوبات بالغة فى اداء عملها ، على الرغم من تغيير المصطلح المستخدم والادعاء ان الموضوع هو نقل عكسى للتكنولوجيا بدلا من القول انها سرقة اثمة ·

● مقترحات على المستوى الدولى :

وتدور مناقشات فى المحافل الدولية بشأن السياسات العامة على الصعيد الدولى المتعدد الاطراف حول ثلاثة مقترحات لرجال دولة قياديين من العالم الثالث للتخفيف من الاثار الضارة الناجمة عن هجرة العقول ·

● صندوق دولى للتدريب المهنى

تقدم بهذا الاقتراح الرئيس حسنى مبارك فى الدورة ٦٩ لمؤتمر العمل الدولى فى جنيف عام ١٩٨٣ ، والصندوق المقترح يمكن البلدان التى تعانى من تدفق اليد العاملة منها من تنفيذ برامج لتدريب عناصر بديلة

من اجل سد الفجوة بها والتى تخلفها الهجرة .

**● مرفق تعويضى لليد العاملة :**

تقدم بهذا الاقتراح الامير حسن بن طلال ولى عهد الاردن فى مؤتمر العمل الدولى عام ١٩٧٧ وهو يقضى بانشاء مرفق تعويضى دولى لليد العاملة على غرار الصندوق الائتمانى للمرافق التعويضية فى صندوق النقد الدولى ويستمد موارده بصفة أساسية من البلدان المستوردة للايدى العاملة ثم توجه الموارد المتجمعة الى البلدان النامية المصدرة للايدى العاملة بمقادير تتناسب مع التكاليف المقدر ان تتحملها هذه البلدان ازاء فقدانها الايدى العاملة .

**● الصندوق الدولى لموارد القوى العاملة**

تقدم بهذا الاقتراح رئيس وزراء جاميكا عام ١٩٨٤ ويهدف الاقتراح الى انشاء صندوق دولى لموارد القوى العاملة بغية تمويل حشد القوى العاملة الماهرة على اساس متوسط الاجل ويمول الصندوق من خلال ضرائب تفرض على الشركات المتعددة الجنسية العاملة فى البلدان النامية .

ومن الملاحظ ان هذه المقترحات تحظى بتأييد من الدول النامية ولكن كما بينا فان المفاوضات المتعددة الاطراف تسير فى اتجاه واحد حيث تقاطع مجموعة الدول الغربية اللجان

وقد استطاعت اللجان التى تناقش هذه القضية من تطوير عدة اقتراحات اخرى جديرة بالمناقشة ، منها على سبيل المثال فرض ضرائب على المهاجرين الافراد فى الدول المتقدمة وتحول حصيلتها الى بلد المنشأ ، كما يوجد اقتراح اخر يطلق عليه ترتيبات تقاسم العائد كبديل لفرض ضرائب على المهاجرين ووفقا لاحد انواع الترتيبات المقترحة لتقاسم العائد يجرى تقسيم الضرائب على الدخل التى يدفعها المهاجرون المهرة فى بلدان الهجرة بين ذلك البلد والبلد الاصلى الذى نزح منه المهاجر .

غير ان هذه المقترحات وغيرها كثير لا تزال حبرا على ورق ، ولكن يبدو ان البلدان النامية لن تستسلم للهزيمة بسهولة ، وقد سبرت طرق التفاوض المتعدد الاطراف من خلال خبرتها فى الامم المتحدة لاكثر من ربع قرن ، وكما يقولون فالمعركة مستمرة . والغرض وضع ملامح مقيدة بالنقد لما يسمى بسرقة العقول او النقل العكسى للتكنولوجيا .

---

● تعتمد هذه الرسالة على الوثائق التالية بصفة اساسية وايضا الى حد اقتباس فقرات باكملها لزم التنويه .

مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الاونكتاد

- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/4 سبتمبر ١٩٨٣
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/9 سبتمبر ١٩٨٤
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/14 سبتمبر ١٩٨٥
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/16 يوليو ١٩٨٧
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/L.7 مارس ١٩٨٨

قضايا حيوية

# استيعاب التكنولوجيا المنقولة أولوية غائبة في مصر والعالم العربي

بقلم: د. عصام الدين جلال



عندما نستورد آلة أو كومبيوتر أو طائرة لا يعني هذا أن التكنولوجيات المعقدة الداخلة فيها قد انتقلت الى الدولة المستوردة ، بل ان مصانع تجميع التليفزيونات والسيارات من اجزاء مستوردة يمكن ان تستمر لسنين دون ان تحقق انتقالا حقيقيا لاستيعاب هذه التكنولوجيات حتى وان تم تصنيع اجزاء غير دقيقة مثل جسم السيارة او التليفزيون محليا حسب تصميمات المورد .. فكل هذه نسميها تكنولوجيا زائرة تبقى الخبرة والقدرة في يد المورد ويستمر اعتماد وتبعية المستورد واستنزاف موارده الى أبد الآبدين . وبعض الدول النامية تبقى في وضع التبعية هذا لضعف مواردها او لافتقارها الى الموارد البشرية المؤهلة من فنيين وعلماء وباحثين . . . .

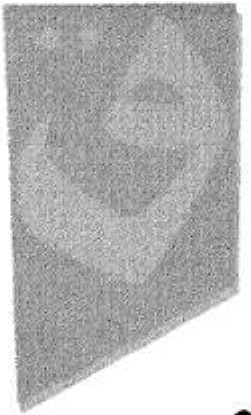
والعالم العربي وعلى رأسه مصر في وضع غريب وفريد في هذا المجال لأنه في وضع متدهور من حيث درجة استيعابه للتكنولوجيا المنقولة رغم أنه أكبر مستورديها ومستهلكيها بين الدول النامية ، ورغم أنه من أغنى هذه الدول في الموارد البشرية المؤهلة لاستيعاب التكنولوجيا حتى أن بعض دول مثل مصر تعتبر أن أنجح صادراتها هي العقول البشرية والأيدى العاملة الماهرة التى تبنى القدرات والابعاد التكنولوجية في العالم أجمع ٠

**فقد استوردت الدول العربيةمنتجات تكنولوجية بمبالغ طائلة وصلت الى ١٠٠ بليون دولار سنة ١٩٨٢ اضافة الى خدمات تكنولوجية وهندسية بمبلغ ٨ر١٠ بليون دولار وفي نفس العام أصبح العالم العربي الشريك الاهم للدول الصناعية بين كافة الدول النامية حيث استوعبت السوق العربية ٤٤٪ من الصادرات التكنولوجية للدول النامية الصادرة من المانيا الغربية و٢٦٪ من اليابان و٢٣٪ من فرنسا و ٣٢٪ من بريطانيا و ٥٢٪ من ايطاليا و١٩٪ من الولايات المتحدة ومع ذلك استمر العالم العربي كمجرد مستقبل للتكنولوجيا الزائرة ودون أن تنتقل اليه القدرات والخبرات وازدادت تبعيته رغم النمو الكبير في القدرات البشرية والذى سيصل العالم العربي الى تحقيق معدل لخريجي الجامعة يصل الى مليون خريج في سنة ٢٠٠٠**

ولعل ظاهرة الاعتماد على انشاء المشاريع عن طريق التعاقد مع المورد الاجنبي تسليم المفتاح والتى انتشرت في انحاء العالم العربي دليل على الاهدار للموارد القومية والاصرار على استنزاف الثروات مع استمرارية العجز والاعتماد على الغير والتبعية٠ وقد تأتى عن هذه السياسة أن بعض التكنولوجيات في مجال استخراج وتصنيع البترول قد تم التعاقد لاستيرادها اكثر من مائة مرة وتكررت عشرات المرات في نفس البلد الواحد رغم ما في كل مرة من تكلفة عالية واستنزاف دام للموارد ورغم أن المثل العربي نفسه يقول ان التكرار يعلم حتى « الحمار » ولكن الدول العربية تثبت انه لا مجال لتعليم من يصر على عدم التعليم ٠

ولما كان كثير من الدول العربية غير البترولية تتراوح نسبة السكان ذوى الدخل الاقل من مستوى الكفاف بين ٢٥٪ الى ٤٠٪ والانفجار السكاني يصل الى اضافة ٣٪ سنويا لعدد السكان فان القيمة المضافة من تشغيل وسائل الانتاج هي طاقة النجاح الوحيدة المتاحة لحاضرها ومستقبلها ، واذا كانت التكنولوجيا الحديثة يمكن أن تسهم بحوالى ٩٠٪ من القيمة المضافة فان الدول التى تستمر على قبول التبعية والاعتماد على الغير لا تفقد فقط ما يزيد على ٥٠٪ من القيمة المضافة المحتملة بل تؤكد ابدية هذا الاهدار والعجز على اجيالها القادمة ٠

**ومع ازدياد التطور التكنولوجي السريع وازدياد اتساع الفجوة بين المتقدمين والمتاخرين سياتي الوقت قريبا حين يصبح التخلف ليس مجرد بلاء مرحلي ، بل سيصبح لازمة اجتماعية وسياسية تعلق في رقاب المتخاذلين واللاهين على مدى المستقبل البعيد ٠**



# قضايا حيوية

## أساليب الصراع الفكرى (٢)

بقلم : طارق البشرى



تكلمنا فى عدد سابق عن الاوضاع العامة للجدل الدائر فى الساحة الفكرية وحاولنا ان نشير الى اسلوبين للجدل اولهما التسوية الفكرية ، والثانى الحرب الفكرية وبينا الاوضاع السياسية التى رجحت الاسلوب الحربى الان ونتكلم الان عن ادوات هذا الاسلوب .

قد لايتسع المجال للتفصيل الكثير فى بيان ادوات الصراع التى تفرضها الخصومة الفكرية على المتحاورين ، ولكنها على العموم تستخدم كل ما يعطى الانطباع بالقوة فى الجانب المؤيد وبالضعف فى الجانب المخاصم وكل مايجمع النفس ويشتت الخصم .. ولذلك فتقرير الواقع قد لا يكون نزولا على الوجود الموضوعى له ، ولكنه يصير ايجادا لمعدوم ، وانكار الواقع لايرد فقط بسبب عدم حدوثه ولكنه يرد بقصد اعدامه . ونحن هنا نتحدث

ونتعارك في مجال . افكار . والافكار كيانات معنوية غير ملموسة بالحس المباشر . ولذلك فان انكار الواقع او ايجاد المعدوم امور ليست شاذة ولا نادرة . انما هي تجرى بالتاويل والتشكيل واعادة البناء الفكري للاحداث والاوضاع .

فمن يريد ان يؤكد على مصرية مصر وينفي عروبتها واسلاميتها . ما عليه الا ان يجمع وقائع التاريخ التي حدثت في مصر ويلم كل ماقيل عن مصر ويقيم منه بناء منفصلا عن غيره من الاحداث المحيطة ومع قليل من البتر والاضافة وكثير من التاويل تبدو الصورة مقبولة . والتاويل يرد بالطريقة الاتية . اذا كانت العاصمة مصر والدولة ممتدة خارج حدودها المعروفة اليوم . سمى هذا الامتداد . . فتوحات مصرية . واذا كانت العاصمة خارج مصر لدولة تشمل مصر سميت مصر محتلة او مغزوة . ثم لا نلقى بالا للفيصل الاساسي في الموضوع وهو كيف كان المصريون ينظرون الى انفسهم في تلك الفترات وهل كانوا يعتبرون انفسهم منتمين لجماعة سياسية خارجة عنهم ام انهم منضمون في جامعة اوسع يرضونها .. وهكذا .

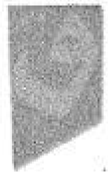
على اى حال فان مطالعة جوانب الحوار الذى دار خلال السنوات الاخيرة يمكن من استخلاص عدد من الوسائل والاساليب التى جرى بها القتال الفكرى . ويمكن ان نقدم في ذلك عددا من الامثلة .

اولا : فمن الاساليب المتبعة تحويل الفكرة المجردة الى فكرة مشخصة اى ربط الفكرة المجردة بمؤسسة معينة او بفرد معين او بحادث تاريخي او سياسي معين . ثم تضرب الفكرة في مقاتل ما شخصت به . هنا لايقوم حوار او جدال من حيث هو اخذ ورد ولكن يقوم نوع من القولبة للفكرة في كائن ملموس . كما لو انها مارد يزج في قمقم وينهال الضارب على القمقم بكل ما يملك ان يوجهه اليه من مطاعن ومايمكن ان يكشف عنه فيه من عثرات وسلبيات وفشل .



ان الفكرة المشخصة دائما ايسر في الطعن عليها . وانت لا تصنع هنا اكثر من ان تقربها بمؤسسة ماطبقتها او اخذت بها . او شخص دعا اليها في ظروف ما . يقوم الربط بطريق التكرار الذى لا يمل حتى يقوم الترادف النفسى بين الفكرة ومشخصها . وحتى تبدو كما لو ان ثمة صلة غير منفكة بينهما . وما ان يحدث هذا الترابط حتى يكون تم لك نجاح اكبر ضد هذه الفكرة . نجاح في مجالات ثلاث : ١ ـ تكون حملتها ( وهى فكرة مجردة ) كل اوزار مؤسسة معينة او كل نواقص فرد معين واسقطت عليها من هذه المثالب ماغساه لايمت بصلة الى الفكرة ذاتها .

٢ ـ تكون بالقليل قد جردتها من مثاليتها . وافسدت عليها قوة جذبها المثالية .



٣ ـ تكون بالاقل قد نسبتها الى ظرف تاريخى زمانى او مكانى او نسبتها الى وضع حادث قد لا يتكرر ، اى تكون قد افسدت على الفكرة قدرتها على توليد النموذج القابل للتكرار .

وهذا يعفيك عن مناقشة الفكرة والعرض لمحاذير ذلك ان كان ثمة محاذير يريد المخاصم ان يتفاداها . ويكثر ذلك فى مناقشة الافكار ذات الصلة بالدين ، لما فى هذا الامر من محاذير لاتخفى . ثم ان قولبة الفكرة فى كائن شخص يتيح لك ان تتعامل معها عن بعد ، اى ان تعزلها عن مجالات التاثير عليك وانت تتعامل معها ، ويضمن لك الا يتسرب اليك من موادها وعناصرها شىء مما يمكن ان يتسرب اليك اذا تناولتها اخذا وعطاء ، اى انها طريقة تعصمك من اشعاعات الفكرة التى تحاربها .

## ● فكرة الجامعة الإسلامية

ويكثر استخدام هذا الاسلوب فى قضايا السياسة والفكر السياسى ، عندما تتميع الفروق بين الفكرة السياسية وبين المؤسسة السياسية ، نظاما كانت او زعيما ، او عندما تجسد فى تجربة تاريخية لنشاذ ملموس . واحيانا نضبط الكاتب وهو يفعل هذه الفعلة بطريقة المخالسة فيتكلم مثلا عن الشريعة الاسلامية ثم ينتقل فى الجملة الثانية لقوانين جعفر نميرى فى السودان ، ثم ينصرف بجهده كله للحديث عن « نميرى » وسنوات حكمه الاخيرة .

وعلينا ايا كانت مشاربنا الفكرية ان تحذر هذا الاسلوب وان نتنبه الى عمله فنيا كيف نستخدمه وكيف يستخدمه الغير معنا . وذلك اذا كنا نريد ان نقيم « تسويات » فكرية وليس حربا فكرية ، اقول ان هذا الاسلوب يستخدم ضد فكرة الجامعة الاسلامية بتشخيصها فى « الدولة العثمانية » واستخدم ضد الشريعة الاسلامية بتشخيصها فى « تجربة نميرى » واستخدم ضد العروبة بتشخيصها فى جمال عبد الناصر ، واستخدم ضد الاشتراكية بتشخيصها فى التجربة « السوفييتية » .

ومن اخطر صور التشخيص بطبيعة الحال واكثرها ذيوعا واشدها فتكا ، استخدام الفنون والاداب فى طعن الافكار وشدة الفتك ترد هنا لان التشخيص لا يجرى بين فكرة ومؤسسة ورجل حى موجود . ولكنها ترد بين فكرة ورجل مصنوع مختلق ، يسويه المؤلف حسبما ترضى نفسه ويهوى ، اى حسب مجموعة القناعات والقيم والاصول التى تحكم نظرته ، بمنهج تفكيره وسلوكه ، ولعلنا نذكر

ماذا صنعت السينما والمسرح في الثلاثينيات والاربعينيات . ماذا صنعت لتسوية صورة ابن البلد وصورة الشيخ المعمم الازهرى . وعليه صورة الافندى المطربش الذى تربى فى المدارس الحديثة . الاول عادة فظ وشهوانى ومتمرد . والثانى عادة فاهم ودود تكتمل فيه حميد السجايا .

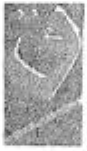
وفى هذا المجال يرد الجهد الاعلامى باعتباره من اسلحة الدمار الشامل بما يقيمه من روابط لتشخيص عايرى محاربته من الافكار

ثانيا : ومن تلك الاساليب المتبعة ايضا ، تحريف الفكرة ، اى تعديل الراى الذى ينقده وهو ينقده ، فلا يؤخذ القول كما هو انما يجرى تعديل هيئته وصورته او انه يزحزح عن موضعه فيقرب او يجنب ليصير فى مرامى القذائف الفكرية للناقد ، وليكون فى نقطة التصويب التى تقدر عليها اسلحة الناقد من الموقف الذى يتخذه .

وللإنصاف فإن الناقد يصنع هذه الزحزحة أحيانا بحسن نية . ان تفكيره يقوم على تصنيفات وضوابط تحددها قناعاته وقيمه واصوله الفكرية ، وان قناعاته تكون له مع الوقت خريطة فكرية وتكون له منظورا للاشياء من وجهة معينة ، وانت عندما تعرض فكرتك عليه ولا تتقيد بتصنيفه وخرائطه ومنظوره ، فهو بطريقة تلقائية ، يحرك فكرتك ويعدل من هيئتها حتى يشعر هو انها مستقرة لديه على وضع محدد ، يفعل ذلك فى نظر نفسه لكى « يفهم » ، ولكنه عندما يصنع ذلك تكون فكرتك قد تغيرت على يديه فلا تصبح هى نفسها التى قدمتها انت . وهنا يسهل عليه اعمال ادواته الفكرية والمنهجية فيه ، ويستعدى له من اسلحته ما اعد سلفا لمثلها ، اى يقدم ادواته واسلحته النمطية بمعنى ان يجنح لتنميط افكارك حتى تصلح لها انماط ردوده سابقة التجهيز .

هناك ادوات كثيرة تستخدم فى اعمال هذا الاسلوب . بعضها فج وبعضها مستو ومن الفج نزع القول من سياقه ووضعه فى سياق آخر ، وكذلك استخدام التفسير والتأويل فى تكوين المعانى ، واستحداث ظلال لها ، وايحاءات لم تكن تحملها اصلا ، ومن الفج ايضا تسليط الضوء على بعض أجزاء الفكرة دون غيرها ، فتبدو فى صورة اخرى ، فاذا كانت فكرتك ان تضيف عنصرا الى عناصر ، عولجت اضافتك على انك لا تضيف وانما تستبدل المضاف بالمضاف اليه ولا تجمعه عليه فاضافتك لعنصر مبتكر تصور لدى ناقدك انك تنكر العناصر الاخرى المعترف بها ، ومن ذلك انك مركز على عنصر معين بحسابه الاهم فى ظرف معين ، فيحور كلامك بحسبانك العناصر الاخرى جملة .

وهذه الطريقة فعالة جدا فى اقرار المفاضلة بين المتحاورين لان الامر يصير إما كذا وإما كذا ، إنه يصير ابدالا وإخلالا وانكارا من كل لما لدى الطرف الاخر ، او هكذا يصور ، وهكذا تضيع امكانية التجميع وتتشتت الفكرة ويتوزع دمها بين المحاربين .



د ٩

هذه الادوات معروفة وليس من دارس الا ويصادفها فى حوار حدث او معركة فكرية اثيرت ، وليس من باحث الا وقد عانى منها ولو مرة ، وقد لا تحتاج فيها لامثلة . على ان ثمة نقطة اخرى تبدو لى ذات خفاء نسبى ، وهى ترد استطرادا من المعنى السائد وارجو ان استطيع تجليتها فى هذه العُجالة ، وهى ان اى تعبير عن فكرة نبديها ، انما يحمل طابع المجادلة ، وانه اخذ وعطاء ، بين كاتب وقارىء ، اى كاتب عندما يعبر عن فكرته انما يتصورها خطابا موجها لقارىء ما ، اى لقارىء له مواصفات خاصة يراها فيه الكاتب او يفترضها فيه ، وهو يخاطبه بهذه المواصفات التى يخالها ، وان الخطاب والتعبير عن الفكرة انما يتأثر ويتلون بهذا الذى ظنه الكاتب فى قارئه ، ويبدو ذلك من اسلوب طرح الموضوعات وصياغة الافكار ، والكاتب بهذا يوجز فيما يظنه موضع اتفاق بينه وبين قارئه ويسهب فيما يظنه موضع خلاف ، وان مساحات التركيز على عناصر الفكرة لا يرد فقط من التقدير الموضوعى ولكنه يتأثر عادة بعلاقات الجدل التى تقوم بين الكاتب وقارئه من حيث اوزان النسبية للمسلمات المجحودات بينهما .

ولذلك فان نقل الفكرة ولو بتمام لفظها ونصها من مجال حوارى جدلى الى مجال اخر تختلف فيه الاوزان النسبية للمسلمات المنكورات ، هذا النقل يمكن ان يفضى الى سوء الفهم بهذه الفكرة فى المجال الجديد ، ويمكن ان يخل بتوجيهاتها وبالوظائف الرئيسية التى قصدت منها وهذه مسألة دقيقة تحتاج الى تدبر وفطنة وورع فى الفهم والتفهم ، واكاد اجزم انه مامنا الا وواقع فى الخطأ احيانا بسبب هذا الامر .

وعلى اية حال فاننا بهذا الاسلوب لانقيم علاقة حوار لان كلامنا انما يصارع غير الرأى المعروض ويكون الحوار فعلا حوار طرشان ، ضجيج ، ولاطحن ، وهو ضجيج يشيع مع الوقت المزيد من السأم والكراهية المتبادلين والتفتيش عن اساليب اخرى للصراع غير صراع الكلمات والافكار .

ثالثا : ومن هذه الاساليب ، التشتيت واهم صوره الفكرية ، تشتيت الواقع بمعنى تشتيت فكرتنا ورؤيتنا للواقع ، وكذلك تشتيت الافكار والمفاهيم اى ايقاع التضارب بين اجزاء الفكرة .

اما عن تشتيت الواقع او رؤيتنا للواقع ، فهناك مثلا الجماعة الاسلامية شعوب تنتشر فى بقعة عريضة من الارض من مئات السنين تدين بدين واحد ، وايا كانت الفترات التى تحقق لها فيها التماسك السياسى الكامل فى دولة واحدة ، فان عقيدة هذه الشعوب تتضمن نزوعا وتشوقا الى التوحيد والتماسك والشعور بالانتماء العام لجماعة واحدة هذه رؤية .

ولتشتيت هذه الرؤية يمكن اثارة العوامل المميزة داخل هذه الجماعة لتفرق

بعضها عن بعض ، فتظهر مجموعة قوية من الكتابات والافكار عن الوحدات اللغوية والعرقية وغيرها . ثم يرد عنصر تشتيت اخر بالحديث عن « تعدد الاسلام » فيقال اسلام مصرى واسلام افريقى واسلام اندونيسى ، واسلام الحضر واسلام الصحراء ، واسلام الريف واسلام المدينة ، والاسلام الشعبى والاسلام الرسمى ، ثم بعد ذلك اسلام المذاهب المختلفة ، السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة والصوفية .. الخ ويجرى كل ذلك بابراز الجزىء والمتغير ركبت العام والدائم من الاصول . وباسم الخصائص المميزة توضع الحواجز الفاصلة .

## ● عوامل تخصيص

ثم ترد المرحلة الثانية من تشتيت الواقع ، اذ يتناول كل قسم انفرد وتعمل فيه ادوات التشتيت فالعرب يقسمون الى مسلمين ومسيحيين وبدو وحضر ، وهكذا توضع عوامل التجمع فى وضع يجعلها عوامل تشتيت وتفتيت بين بعضها البعض ، وتتحول الخصائص العامة المجمعة الى عوامل تخصيص وتجزىء ، بالتبادل والتفاعل ، ثم ترد المراحل التالية بما لايكاد ينتهى .

وهذا الاسلوب يستخدمه كثير من التيارات الفكرية ضد الاخرين . فهناك من يقول بتعدد الاسلام ، وهناك من يقول بتعدد الماركسيات ، وهناك من يقول بالشعوب الناطقة بالعربية اى تعدد العروبيات .

اما تشتيت الفكرة ، فيكون باثارة التناقض بين جزئياتها والتركيز على ذلك بما يفقد الثقة فى هذه الفكرة ويحولها من حالة الصلابة والتماسك الى حالة من لطف الكثافة اشبه بالضباب ، كما يحولها من اليقين الى حالة من اللاادرية . ثمة منهج يشيع بين المثقفين ، مفاده ان كل ظاهرة تحمل نقيضها ، والحى يخرج من الميت والليل يسلخ منه النهار ، وبضدها تتميز الاشياء ، هذا المنهج الذى يساعدنا فى فهم الظواهر ، يتحول فى الحرب الفكرية الى تمويه الظواهر وافساد خصائصها وسماتها الاساسية ، فعندما نتكلم عن الموروث والوافد لان ثمة مشكلة بينهما ، تواجه ممن ينكر المشكل اصلا قائلا ان فى الموروث وافدا وفى الوافد موروثا ، وعندما يتحدث عن الاصول والفروع فى اية مسألة ، تواجه بان فى الاصول فروعا وفى الفروع اصولا ، فكل اصل لغيره وفرع من غيره ، وهذا بالطبع مفيد ان قصد منه ان تصير معارفنا ادق ، ولكنه يستخدم فى الحرب الفكرية لا لتدق المعرفة ولكن لتتضارب الخصائص ويعظم التمويه ، ويبذل الجهد لتضخيم العنصر المضمر وتلطيف العنصر الظاهر حتى يتداخلا فى اللاادرية بديعة ( البديع بلوغ الغاية فى الامر خيرا كانت او شرا ) .

هناك مايمكن ان نسميه كيمياء التفتت وهى هذه العناصر الفكرية التى توضع فى لحظات خاصة على الاجسام الصلبة فتفسد قوامها وتشيع التضارب بين اجزائها وتفكك أشلاءها ، فبين المسلمين مثلا يمكن باختيار العنصر المناسب

والظرف المناسب اشاعة الفرقة بينهم ، فى لحظة معينة من التماسك الاسلامى الدولى يمكن ان يثور موضوع « حكم سب الصحابة » وينفخ فيها النافخون حتى يحمر الجمر بين السنة والشيعة ، وبين الفئات الوطنية التى كانت تقف خلف كامب ديفيد ، يثور موضوع حقوق المرأة فى عقد المرأة العالمى مع مشكلة مسكن الزوجية وتوثيق العقد تحمى الوطيس ومع الحرارة يذوب اللحام وهكذا .

ولكن كيمياء التفتت هذه تحتاج لمعامل للتحليل وتركيب المواد وتجربتها ، فتحتاج لفهم جيد لخصائص الاجسام الصلبة وقوى التماسك ، وتحتاج لفحص دقيق لخصائص المواد المحللة وتحتاج لبعض حقول التجارب ، وكل ذلك توفره مراكز البحوث الاجنبية التى تقوم بالداخل او الخارج والتى يساهم فيها علماؤنا بذكائهم وخبراتهم .

على اية حال ، فان هذه العناصر المصطنعة التى تشتت الوقائع وتشتت الافكار ، قد تظن انها تفعل ذلك على سبيل التأقيت ، بموجب انها عناصر مصطنعة ولدت خداعا مالبث ان ننتبه له فنعيد الامور الى صوابها . هذا ظن طيب يعكس ما فى الواقع من تفاؤل . ونحن نتمنى دوام الحال على هذا المنوال .

ولكن للاسف ليس هذا الاحتمال المتفائل هو الاحتمال الوحيد ، لان الحاصل انه ما ينتج التشتت والتجزؤ ولو بفعل عنصر مصطنع . ولو بفعل الخداع والغش فان اجزاء هذا الواقع المشتت مالبث ان تتكون لكل منها ذاتيته المستقلة المنفصلة عن غيره من الاجزاء ، ومع هذه الذاتية يحل التدابر محل التقابل وتنمو نوازع النفوز على حساب نوازع الوحدة ، ان اكتشاف الخطأ بعد تمامه يعنى القدرة على تداركه لان الواقع الجديد الذى ترتب على هذا الخطأ انما نشأ ومعه اجهزة المناعة التى يحتمى بها ويدافع عن وجوده . شاهدنا ذلك فى تجزؤ الدول والجماعات السياسية والتنظيمات الشعبية ، ما ان تحدث التجزئة حتى ينشأ كيان تنظيمي جديد يحمى الواقع المجزأ ويدافع عنه ، وهذه الذاتية التنظيمية تنعكس ذاتية فكرية تؤكد ذاتها وتتأثر بانفصالها الحاصل . والمميز التنظيمى لايكون انعكاسا للمميز الفكرى فقط ، بل انه يؤكد التميز الفكرى وقد ينشئه انشاء .

وهنا نتذكر حكمة مالك بن نبى رحمه الله ، ان « خلق وحدات كفاح جزئية » او تشتيت التجمع الكفاحى العام وايجاد جزئية بديلة عنه ، فان ذلك يفقد المعارك قداستها فى نظر الناس ، لان الوحدة الكفاحية العامة هى ما يقوم بها الشعور بقداسة الحركة الكفاحية فان تمزقت اشلاؤه سقطت القداسة عنها جميعا ، وحل محلها انحطاط فكرى وسياسى .

# لغويات

● تقول العامة فى وصف الرجل المتكبر انه « جعيص » •• وهى كلمة محرفة عن كلمة « جعيس » الفصيحة ••

● يكتب بعض الادباء : « باقة من الورد » ويكتب بعضهم الآخر : « طاقة من الورد » •• والباقة حزمة البقول ، والطاقة حزمة الازهار أو الريحان ، فهى الاصح ، ولكن كلمة « الطاقة » تستعمل الان فى معان أخرى حديثة فلا بأس من تخصيص « الباقة » بالورد والزهر ••

● يقول لاعبو كرة القدم : « فلان دالج الكرة » أى حركها ، وأصل « دالج » فى اللغة العربية « دعلج » ••

● كلمة « دغرى » التى تقال للرجل ذى الخلق المستقيم وتنطق دالها بالضم، اصلها « دغرى » بفتح الدال ••

● عندما ينزل المطر وتبتل الارض يقول الناس : « صارت الارض زحليقة » وفي اللغة الفصيحة : « زحلوقة » بضم الزاى ••

● عندما كان عسل القصب شديد الوفرة فى صعيد مصر قبل أربعين عاما كان يطلق عليه لفظ « قنديد » بكسر القاف،و « القنديد » كلمة فصيحة ، معناها عسل القصب » •• ويبدو ان المتنبى كان متأثرا بوفرة انتاج العسل فى مصر قبل الف سنة عندما قال : « ان المنية عند الذل قنديد » •• أى أن الموت يحلو كالعسل فى سبيل درء الذل ••

● يستعملون كلمة « طشاش » فى صفة الشىء القليل ، فيقولون « الطشاش ولا العمى » اى القليل من البصر أفضل من العمى . وكلمة « طشاش » هذه عربية فصيحة وتنطلق كما ينطقها العامه •

● كثر استخدام كلمة « عتريس » فى أفلام السينما والتليفزيون ، اسما لبعض شخصيات هذه الافلام ، وينطقونها بفتح العين ، وهى كلمة عربية تنطق بكسر العين ••

● يقول العامة : « فلان فحت الارض » فيقول لهم المتأدبون : هذا خطأ . والصواب : « حفر الارض » •• ولكن العامة لم يبعدوا عن الصواب كثيرا ، لان « فحت » بالتاء محرفة عن « فحث » بالثاء ، فيكون الفرق بين الخطأ والصواب نقطة واحدة ، فالتاء نقطتان والثاء ثلاث ••

# بين عينيك اعترافات

شعر : سليم الرافعي - لبنان

يابيانِى عُدْ الى الظل ونَمْ
ياحنينى .. كيف أحكيك بفَمْ ؟
ياشكوكَ الورْدِ فِى أشواكه
شفةٌ لا وَعْدَ .. والأخرى نَعَمْ
مزَّقتنِى كلماتٌ لم تُقلْ
عَبِثتْ بِى ربةٌ لا تُتَّهمْ
فِى لغات الصمت .. مَنْ يحذِقُها ؟
شَعْرها يُفصِحُ والهُدْبُ نَغَمْ
لم تقلْ شيئاً ولم تكذبْ سوى
كهرباء الوعْدِ سالتْ من قَسَمْ
أين أشباحٌ كبارٌ خَطَرتْ
من رواسى هيكلٍ أوْ مِن هَرَمْ ؟
وبناءٌ مرمرىٌ ما هوى
حَجَرٌ منه ولا اهتزتْ قِمَمْ
حَمَلتْهُ ذكرياتُ حوكمتْ
أومأ الظالم فيها .. وابتسمْ
حاكماً كنْ أيها القدُّ ولا
تلتفتْ الا بفُتْحٍ للحكَمْ
نُظمَ الورْدُ لِخدَّيك فهلْ
بُرْعُما نهْديك من عاجٍ نَظَمْ ؟



حرُك الغابة مِنْ اعماقِها
بين عينيك افتراسٌ لم ينَمْ
مِنْ سِباعٍ نحنُ مِنْ اجنحةٍ
مِنْ ينابيعَ على لحمٍ ودَمْ
وحَّدتنا قُبلةٌ وحشيَّةٌ
جَسَدانا جَوْهرٌ فيها انبْهَمْ
عالم الأجزاءِ فى الحب انطوى
وَجَبَلناهُ على الماءِ فتَمْ
ياشظايا الوَرْد فى ملحمةٍ
عطَّر النارَ شذاها فى حُمَمْ
قبلتانا عُنْصرانا .. ما ارتوى
أحَدٌ دونَ شِفاهٍ أوْ نَهَمْ ..

# يا سيّاف!

## قراءة في أدب الخوف والخائفين

بقلم : فريده مرعي

«صرخت: لا من شدة الألم لكن
صدى صوتي خائف من الموت
فارتد لي : نعم»

ليس المقصود بالخوف هو ذلك الخوف العام الذى يصيب البشرية جمعاء كالخوف من الحروب والامراض والاوبئة وكوارث الطبيعة • فهو خوف يشحذ الهمم ويدفع الى الخلق والابتكار• وليس المقصود ايضا ذلك الخوف الخاص الذى يصيب فردا دون فرد كالخوف من الاماكن المرتفعة والغرف المغلقة أو الاماكن المظلمة وهو خوف استطاع الطب النفسى عن طريق التحليل النفسى والعودة الى أحداث الطفولة والعقاقير أن يتحكم فيه ويسيطر عليه • ولكن المقصود هو ذلك الخوف الذى يصيب شعوبا بعينها ـ نتيجة لتراكم سنين طويلة من القهر والقمع ـ فيفقدها توازنها ويشوه شخصيتها ويشل ارادتها ويجعلها عاجزة عن أخذ أى قرار • وبذلك يكون الخوف مثل المطرقة التى تهوى على أوتار القلب فتنزعزعه • مثل مارد قاهر كاسح قادر على أن يحيل الانسان الى ركام فيتحول فى لحظة الى شىء هلامى بلا ملامح ولا هوية أو مضمون ويصبح الخوف كالاخطبوط الذى ينسج حول الانسان خيوط المذلة والاستكانة •

وقد تميزت شعوب العالم الثالث بهذا النوع من الخوف فهى شعوب قد فقدت احساسها بالامان والطمانينة والثقة فى عدالة الحكام • هى شعوب تعلم فى قرارة نفسها وبتجربتها الخاصة أن الشجاعة لا تفيد وان الخوف منجى وأن ايثار السلامة فى قول نعم ولان معظم

شعوب العالم الثالث تعاني من قهــر السلطة وبطش الحكام واختفاء المواطنين والمقابر الجماعية والتعذيب في السجون، حيث يعلم المواطن أن القانون حبر على ورق والدستور في أجازة والعـــدالة رفاهية لا يقدر عليهــا الا الموسرون ، ووسائل الاعلام قد تحولت الى وســائل الاذعان ( على حد تعبير الشاعر أحمد مطر ) ، فان المواطن قد انتابته حــالة من الهلع الدائم وأصبح الخوف جـزءا من حياته اليومية ومن تركيبتــــــه الشخصية .

وقد قدم الادباء والفنانون في أدبنا العربي المعاصر العديد من النماذج التي يسيطر عليها الخوف ويتحكم في سلوكها فردا كانت أو جماعة . فالشاعـــــر العراقي أحمد مطر يتحدث في ديوانــه « لافتات » عن مناخ البطش الذي يعيش فيه المواطن العربي ومن ثم حالة الخوف التي تكتسح الانسان فتزلزل كيانه الى الحد ان تخاف نفسه من نفســه . ففي قصــيدته « دوائـر الخـوف » يقـول في زمن الاحرار .

اصابعي تخاف من أظافري
دفاتري تخاف من أشعاري
ومقلتي تخاف من ابصاري

وفي مقطع آخر من نفس القصــيدة يقول : أهرب من خوفي على خوفي الى خوفي .

اركض والموت على خفي
يد الردى على يدي
يد الردى قبالتي
يد الردى خلفي
تحولت خريطة الارض الى سيف
ملطخ بالدم والخوف

وهو في ديوانه ينصح ويحذر ولا تدع نفسك تدرى بنواياك الدفينة وعلى نفسك من نفسك حاذر » .

أما الكاتب السوري سعد الله ونوس فقد طرح في مسرحيته « الفيل يا ملك الزمان » قضية الخوف عند الرعيـة . فحين يترك الملك مطلق الحرية لفيله أن يجوب في انحاء المدينة دون ضابط أو رابط تتحول الحياة الى جحيم ولا يعد هناك أمان على رزق أو حياة فالاطفال يداسون في الطرقات والبيوت تهـــدم وأرزاق الناس تضيع والزرع يخرب . يتقدم زكريا باقتراح الى سكان المدينة. أن يذهبوا لمقابلة الملك وأن يشرحوا لــه ما يحل بهم ويرجونه أن يرد أذى فيله عنهم . ولكن السكان أو الرعية يتملكها الخوف ويقول أحدهم : ومن نحن حتى نتحدث مع الملوك ؟ . يحاول زكريا أن يشرح لهم أن الحياة أصبحت لا تحتمل ولا تطاق « ما الذي يمكن أن يخيفنــا أكثر من هذا البلاء المقيم ؟ . التهديد كالسيف فوق رءوسنا والضحايا تتزايد من يوم الى آخر » . ويحاول استنفارهم فيقول « من يريد أن يكون ابنه الضحية الآتية ، يلمه من الطريق بلا هيئة؟ ... وأرزاقكم ليستوى عندكم خرابها ؟ » .

وأخيرا يوافق السكان على مقـابلة الملك والشكوى اليه من الفيل على اعتبار ان الشكوى اذا لم تنفع فانها لن تضر. ولكنهم من اللحظة التي يصلون فيــها الى أبواب القصر يبدأون في فقـــدان توازنهم فأحدهم ترتخي ركبتــاه والثاني قلبه يدق والثالث رأسه يدور . وعبثـا تذهب تشجيعات زكريا بأن يضــبطوا أعصابهم وأن من حق الرعية أن تقـابل

# ياسياف!

ملكها ادراج الرياح · ويبدأ السكان فى تخويف انفسهم فيرون فى وجوه الحراس القاسية معانى كثيرة فيعلق أحدهم : الحراس قساة، ينتظرون اشارة وتسقط أعناق ، ويعلق آخر : القتل عندهم أهون من التثاؤب · وتظل حالة الخوف يرتفع معدلها حتى اللحظة التى يواجهون فيها الملك نفسه ، فاذا بالملامح تتجمد ويتحول الخوف صامتا باردا ، الجميع خافضو الرءوس ، زكريا فى طليعتهم ·· يجرون خطوات ثقيلة ، ينحنون الى أقصى حدود الانحناء ، ثم لا يجرؤون على النهوض بعدئذ ويسأل الملك : ماذا تريد الرعية من ملكها ؟ وتكون الاجابة « صمت ثقيل · لا اختلاجة ولا حركة مجموعة من الاجساد المقوسة اليابسة » ·

ويسأل الملك مرة أخرى : هم جئتم تشكون ؟ · ويتجرأ زكريا قليلا ويبدأ فى الشكوى بصوت راجف : الفيل يا ملك الزمان ·· ، ويتبعه صوت راعش من المجموعة يحاول اكمال جملة زكريا قتــ ·· « ثم يختنق الصوت ، ويتلفت صاحبه حوله بذعر » · وهكذا تموت الشكوى فى مهدها ، وعبثا يحاول زكريا دفعهم للخروج عن صمتهم ولكنه حين يكتشف انه ينفخ فى قربه مقطوعه يتفرس فيهم باحتقار ويأس ولا يجد مناصا من اكمال مهزلة الذل وبدلا من أن يقدم شكوى من الفيل الذى يخرب ديارهم يقدم مطلبا بتزويج الفيل « كى تخف وحدته ، وينجب لنا عشرات الافيال ، مئات الافيال ، الاف الافيال· كى تمتلىء المدينة بالفيلة » ·

أما الروائى صنع الله ابراهيم فى روايته اللجنة ، فقد عبر عن الخوف الذى يجعل الشخصية تقول ما لم تكن تنوى قوله وتتصرف بطريقة تدهش صاحبها نفسه · فالبطل حين قتل أحد أعضاء اللجنة ( القتل فى حد ذاته كان قمة الخوف ) وذهب لمقابلة اللجنة والدفاع عن نفسه كان يعلم مقدما رأى اللجنة فيه وانه ما من سبيل لاثناء اللجنة عن عزمها تجاهه فاعد دفاعه على صورة اتهام موجه الى اللجنة واختار له كلمات قوية « فما دامت النتيجة محتومة ، فلا بأس من الاحتفاظ بكرامتى ومواجهة المحتوم فى اباء وشمم » · ولكنه لم يكد يواجه اللجنة ويستمع الى كلمات رئيسها « حتى تبخرت صلابتى ، وخرج صوتى مهتزا ضعيفا ، وأنا الذى خططت له أن يدوى القاعة ثابتا ، شامخا ، اتهاميا ، وهكذا وعلى غير ما توقع « صوتى مهتزا بكلمات غير التى كانت قد أعددتها » ·

نفس نموذج الشخصية التى تفكر بطريقة ولكنها ساعة الجد تتصرف بطريقة مخالفة قدمها الروائى ابراهيم أصلان فى روايته « مالك الحزين » · فيوسف النجار الكاتب رغم انه ينزل الى الشوارع ويجلس على المقاهى ولديه الفرصة للاحتكاك بالآخرين ورؤية الاشياء فى وجهها الحقيقى فانه حين يكتب لا يكتب عن جوهر الاشياء ولكنه يميعها ويكتب عن مظهرها الخارجى · ورغم انه لا يتحدث عن الخوف ولكنه يتحاشى الكتابة بطريقة تعرضه للمساءلة

أز للخطر وهو حين يكتب عن المظاهرات لا يكتب عن سبب المظاهرات ولكنه يكتب عن الذين يتفرجون على المظاهرات وعن طلاء اللافتات الذى ما زال طريا ، ورغم غضب يوسف النجار من نفسه لسلوكه هذا المسلك الى حد انه لعن نفسه الا أن الخوف الخفى الذى يعشش داخله أفقده القدرة تماما على المواجهة .

***

أما الكاتب الساخر جمال عبدالمقصود فقد قدم فى مسرحيته « الرجل الذى أكل وزة » نموذجا للخوف الذى حرم الناس من قول أبسط الاشياء . فكل شيء مدان وكل كلمة لابد وأن يكون لها معنى غير ما يعنيه صاحبها ، وكل تصرف يأخذ أبعادا تمس أمن الدولة حتى الحلم . وفى وسط هذا القهر والارهاب تصبح جملة مثل « الدنيا حر » تجعل صاحبها « يصيف فى أبو زعبل » لانه يتكلم فى السياسة وسكة السياسة دى « بحرها واسع وغويط مالوش قرار ، وياما ضيعت ناس وياما قفلت بيوت » .

وحين يعترض محمد : أنا جبت سيرة السياسة خالص .. ده أنا بأقول الدنيا حر . يجيبه زميله العاقل خميس : ما هى بتبتدى كدة يا محمد .. دلوقت مش عاجبك الجو كمان شوية ما تعجبكش حاجة تانية والشيطان يغويك . يا محمد اكبت النزعات دى يا ابنى عشان مستقبلك .

ويتدخل زميلهم الثالث على فى الحوار محاولا اقناع محمد : انت شايف الناس فى الشارع أهم حد بينطق ؟ . يبقى الراجل يفصل منك اتنين وشنبه قد مساحة العربية وماشى كاشش زى الفرخة البايضة . بقى الطريقة دى يا ابنى . ويضيف خميس : التواضع حلو برضه يا محمد ، ايه لزمة الفلسفة؟ الراديو قال الجو معتدل يبقى خلاص متنيل معتدل ، ده كلام رسمى يا ابنى، ليه تدخل نفسك بقى فى اشكالات وتشحطط أهلك وراك ؟

واذا كانت هذه النماذج وغيرها كثير التى قدمها ادبنا العربى المعاصر للتعبير عن الشخصية الخائفة التى هى افراز مجتمع مقهور فالواقع ان الخوف غير مرتبط بزمننا الحاضر . ولابد أن ادبنا العربى القديم يحتوى ايضا على العديد من نماذج الخوف المرتبط بقهر السلطة .

ويكفى أن أحد أهم الشخصيات فى تراثنا العربى القديم كان شخصية السياف . فلا يكاد يخلو أى عمل ادبى من هذه الشخصية . ولم يكن هناك فى أى قضية حاكم ومحكوم الا وكان السياف ثالثهم يحسم الموقف دائما لصالح الحاكم ضد المحكوم . وشخصية السياف رغم أنها شخصية ربما لا تنطق بأى كلمة ولكنها كانت رمز القمع واداة الارهاب . وكان يكفى أن ينادى السلطان : يا سياف .. حتى ترتعد فرائص الناس ويحلم المواطنون أن هناك رءوسنا قد أينعت وحان قطافها دون أن تتاح لها الفرصة للدفاع عن نفسها .

ولعل أحد اهم اسباب الخوف فى تاريخنا البعيد والقريب هو سيف البطش المسلط دائما ابدا على رءوس العبد او بمعنى ادق هو قصر المسافة او انعدامها بين عنق المواطن وسيف السلطان .

قصة قصيرة

# أرملة مونتيل

تأليف: جبرييل جارثيا ماركيز

ترجمة: محمود على مراد

چنيف

حين وافت المنية « دون خوزيه مونتييل » احس الجميع - الا امراته - بان القادمين قد اقتصت لهم منه · على ان من الناس من لم يصدق انه مات بالفعل الا بعد ساعات من سماع الخبر · ولم يبارح الشك نفوس الكثيرين حتى بعد ان رأوا جثته فى غرفة الموت محشورة وسط المخدات والملاءات الكتان داخل نعش اصفر وقد تحدبت هيئته كالشمامة · لقد حلقت ذقنه بعناية والبسوه بدلة بيضاء وحذاء لامعا · وكان حسن البزة وجيها بدرجة تجعله لا يبدو اقل حياة مما كان فى اى وقت مضى · كان نفس « دون شيبى مونتييل » الذى كان الناس يرونه ايام الاحد وهو يستمع فى الكنيسة الى قداس الساعة الثامنة مع فارق واحد هو انه لا يمسك الان فى يده سوطا بل صليبا · وكان لابد من دق المسامير فى غطاء النعش ومن وضع النعش فى مقبرة الاسرة الفاخرة ومن سد المقبرة عليه لكى يقتنع كل من فى المدينة بان مونتييل لم يكن يتظاهر بالموت ·

وكانت عجيبة العجائب عند الجميع - باستثناء زوجته - بعد الدفن هى أن خوزيه مونتييل مات ميتة طبيعية · ورغم ان الكل كانوا يتوقعون ان يلقى هذا الرجل حتفه صريعا برصاصات من كمين منصوب تستقر فى ظهره، فان أرملته لم يكن يخالجها شك فى انه حين تجيء ساعته سيقضى نحبه من كبر السن على فراشه بعد ان يعترف للقسيس ودون ان يعانى من سكرات الموت كانما

هو قديس عصرى . وقد صدقت نبوءتها الا فيما يتعلق ببعض التفاصيل فمات خوزيه مونتييل وهو راقد على همكه(★)، يوم اربعاء ، في الثانية من بعد الظهـــر لانه استسلم للغضب وكان الطبيب قد حذره منه . وكانت زوجته تتوقـــع ايضا ان تحضر المدينة عن بكرة ابيها لتشييع جنازته والا يســـع البيت جميع ما ســوف يرسله الناس من زهور والذى حدث ان المشيعين لم يتجاوزوا اعضـاء حزبه واعضاء كنيسته وان الزهور الوحيـدة التى وصلت الى بيتـه كانت تلك التى ارسلها المجلس البلدى . كـذلك ارسل ابنه من مقر عمله القنصلى في المانيـا ، وارسلت ابنتـــاه من بــاريس ، برقيتين من ثلاث صفحات كان من الواضح انهما حرراهما وهم وقوف بالحبر الذى يستخدمه الناس فى مكتب البريد وانهم مزقـــوا اكثر من نمــوذج من النماذج التى تستخدم فى كتابة البرقيات قبـل ان يجدوا كلاما يملاون به برقية نفقة ارسالها ٢٠ دولارا . ولم يعـد اى منهم بالعـودة وفي هذه الليلة عرفت ارملة مونتييل لاول مـــرة ، فى سن الثانية والستين طعم الغيظ وهى تنتحب على المخدة التى توسدها الرجل الذى اسعدها ، وقالت : لنفسهـــا : « ساحبس نفسى مـدى العمـــر .. لا اريد ان اعرف شيئا عن هــذا العالم » . وقد صدقت هذه المراة الهشــة ، التى مزقتها الخرافات ،

★ « الهمك » ( بفتح الميم ) هو قماشــــة ، معبكة مربوطــــة بين قائمين تســـتخدم فى امريكا اللاتينيــــة وفى بعض البلاد الحــــارة كفراش للنوم .



والتى زوجوها فى سن العشرين ، بناء على ارادة ابيها ، من الخطيب الوحيد الذى سمح لها برؤيته على مسافة تقل عن عشرة امتار ، لم تكن فى وقت ما على صلة مباشرة بأرض الواقع . وبعد ثلاثة ايام من اليوم الذى حملوا فيه جثة زوجها من البيت ، ادركت ، من خلال دموعها ، ان عليها ان تتكيف مع حياتها الجديدة ، ولكنها لم تتمكن من التعرف على وجهة تتخذها فى هذه الحياة . كان عليها ان تبدأ الطريق من اوله

لقد حمل خوزيه مونتييل معه الى القبر ، فى جملة ما حمله معه من الاسرار ، سر الارقام التى تفتح بها خزانته الخصوصية . وقد تكفل العمدة بحل هذه المشكلة فكلف من نقل الخزانة الى الحوش واسندها الى الحائط ثم امر اثنين من رجال الشرطة باطلاق النار بالبندقية على القفل . وظلت الارملة طيلة صباح كامل تستمع من غرفة نومها الى صوت الطلقات المكتومة المتلاحقة التى كان العمدة يصيح بامر اطلاقها . وراحت تخاطب نفسها : « هذا هو الشىء الذى كان ينقصنا .. خمس سنوات وانا ادعو الله ان يكف اطلاق الرصاص وها انا الان مضطرة الى شكرهم على اطلاق الرصاص فى بيتى » . وقد اجتهدت هذا اليوم ان تركز افكارها ونادت زوجها الميت ولكن اين المجيب ؟ واخذتها سنة من النوم وفى نفس اللحظة اهتز بناء البيت بانفجار هائل فقد قرروا تفجير الخزانة بالديناميت .

وتنهدت ارملة مونتييل ان شهر اكتوبر لا يريد ان ينتهى بامطاره ومستنقعاته . كان يغمرها شعور بالضياع وبانها كالقارب التائه فى خضم اعمال مونتييل وتجارته الخرافية التى لا تخضع لنظام . وقد تولى السنيور « كارميخائيل » تابع الاسرة القديم النشط مهام ادارة اموال التركة . وحين لم يعد هناك فى نهاية الامر مهرب من التسليم بالامر الواقع وبحقيقة ان زوجها ليس من اهل الدنيا ، خرجت ارملة مونتييل من غرفة النوم لتهتم بالبيت فنزعت من الغرف كل زينة وغطت قطع الاثاث باغطية الحداد ووضعت شريطا اسود على صور زوجها المعلقة على الجدران . وبعد شهرين من حبسة البيت تعودت على قرض اظافرها . وذات يوم انتبهت — وقد احمرت عيناها وانتفختا من فرط البكاء — الى ان دخل « كارميخائيل » البيت ومظلته مفتوحة ، فقالت له :

— اقفل هذه المظلة يا سنيور كارميخائيل . لم يبق بعد كل البلاوى التى نكبنا بها الا ان تدخل البيت بمظلة مفتوحة .

ووضع كارميخائيل المظلة فى الركن . كان زنجيا عجوزا لامع البشرة يرتدى بدلة بيضاء وحذاء فتح فيه بالموسى الحافات لتخفيف ضغط « الكاللو » على اصابع قدميه ، وقال :

— فقط حتى تجف .

وللمرة الاولى منذ وفاة زوجها فتحت الارملة نافذتها ثم تمتمت وهى تقرض اظافرها :

— كل هذه المصائب ثم هذا الشتاء ! لايبدو ان المطر سيكف عن الهطول ابدا .

وقال التابع :

— لن يكف اليوم ولا غدا ، فقد منعنى « الكاللو » من النوم

الليلة الماضية .

كانت ارملة مونتييل تثق في تنبؤات كارميخائيل عن حالة الجو التي يستند فيها الى حالة « كاللو » اصابع قدميه . وتاملت الميدان الصغير الذي خلا من المارة والبيوت التي خيم عليها الصمت والتي لم تفتح ابوابها ليشاهد اصحابها جنازة خوزيه مونتييل ، ثم احست باليأس لحالة اظافرها ولاراضيها المترامية وللمشاكل التي لا تنتهي التي ورثتها عن زوجها والتي لن تنجح ابدا في فهم كنهها .

وقالت ، وقد اخذتها العبرة .

ـ هذا العالم سيء الصنع .

وبدا للذين زاروها هذه الايام انها فقدت عقلها . ولكنها لم تكن قط اكثر قدرة على التمييز منها والآن لقد كانت منذ ما قبل فترة الاغتيالات السياسية تقضي صباحة ايام اكتوبر الكئيبة امام نافذة غرفتها وهي تتحسر على مصير من ماتوا وتقول لنفسها ان الله ان لم يسترح يوم الاحد لاتسع وقته لاتمام صنع العالم(★) وكانت تقول :

ـ كان الواجب ان يستغل هذا اليوم في استكمال صنع مخلوقاته لكي لا يترك وراءه كل هذه الاشياء ناقصة الصنع .. كانت امامه الابدية كلها بعد ذلك ليستريح .

افكار سوداء لم يكن لها سبب في ذلك الوقت اما الآن ، بعد وفاة زوجها ، فقد اصبح لها سبب محسوس .

وهكذا ، بينما كان اليأس والقنوط قد بلغا بارملة مونتييل كل مبلغ كان كارميخائيل يعمل ما في وسعه لانقاذ السفينة من الغرق . ولم تكن الامور تسير سيرا حسنا فقد اخذ تجار المدينة يلتقمون لانفسهم بعد موت خوزيه مونتييل الذي كان يحتكر التجارة المحلية بالارهاب وتحت التهديد والبن ، الذي لم يعد الزبائن يجيئون لشرائه اصبح يفسد في الخزانات المكدسة في الحوش ، كما كانت الحموضة تفسد العسل في القرب المصنوعة من الجلد . اما الجبن فقد تفشى فيه الدود في الدواليب المظلمة المقامة بالمخزن . وكان خوزيه مونتييل في مقبرته التي تزينها المصابيح الكهربائية وتماثيل الملائكة المصنوعة من مادة تقلد المرمر ، يدفع ثمن ست سنوات من الاغتيالات والاعتداءات . لم يحدث في تاريخ البلد ابدا ان اغتنى احد بالسرعة التي اغتنى بها هذا الرجل . وحين وصل الى المدينة اول عمدة لها في عهد الدكتاتورية كان خوزيه مونتييل من مناصري جميع الانظمة الحاكمة الحذرين ، وكان قد قضى نصف عمره وهو جالس في سرواله على باب مضرب الارز الذي يملكه . وقد عرف بين الناس في وقت من الاوقات بانه محظوظ ومتدين . لقد نذر ذات مرة بصوت عال ان يهدي الى الكنيسة تمثالا للقديس خوزيه بالحجم الطبيعي لو كسب في اليانصيب . وبعدها باسبوعين حالفه الحظ فكسب الرقم الرابع ووفى بنذره . والمرة الاولى التي رآه الناس فيها ينتعل حذاء كانت حين وصل العمدة الجديد وهو رجل الشول فظ الطبع كان في الماضي شاويشا في الشرطة

---

★ في الكتاب المقدس ان الله تعالى خلق العالم في ستة ايام ثم استراح في اليوم السابع .

وكان يحمل تعليمات صريحة بتصفية المعارضة • وبدأ خوزيه مونتييل علاقته بالعمدة الجديد بالتجسس لحسابه وكان هذا التاجر الصغير الذى لم يكن فى طبعه – طبع الرجل البدين الهادىء – مايثير اى قلق عند الناس يقسم خصومه السياسيين الى فئتين : الفقراء والاغنياء • والفقراء الذين كان يبلغ عنهم كانت الشرطة تغتالهم بالرصاص فى الميدان العمومى • اما الاغنياء فكانت تعطيهم مهلة قدرها ٢٤ ساعة ليغادروا البلدة • وعندما كان الامر يقتضى الاعداد للمذبحة كان خوزيه مونتييل يقفل مكتبه الخانق على نفسه اياما كاملة مع عمدة البلدة بينما كانت زوجته تترحم على القتلى وحين كان العمدة يغادر المكتب كانت تعترض طريق زوجها وتقول له :

– هذا الرجل مجرم• استخدم نفوذك لدى الحكومة لنقل هذا الحيوان المتوحش الذى لن يترك فى البلدة انسانا على قيد الحياة

وكان خوزيه – المثقل بالاعباء فى تلك الايام – يزيح زوجته من امامه دون أن ينظر اليها ويقول : « لا تكونى خوافة » • والواقع ان تجارته لم تكن قتل الفقراء بل طرد الاغنياء وبعد ان كان الرصاص يطلق على ابواب هؤلاء باوامر من عمدة المدينة ويحدث فيها ثقوبا كثيرة وبعد ان كان العمدة يحدد لهم مهلة لمغادرة المدينة ، كان خوزيه مونتييل يشترى اراضيهم ومواشيهم بالثمن الذى يحدده هو •

وكانت زوجته تنصحه وتقول :

– لا تكن ابله • ستنفق مالك كله لمساعدتهم لكى لا يموتوا من الجوع فى مكان اخر ولن يعترف لك منهم احد بالجميل •

وكان خوزيه مونتييل الذى كان وقته لا يتسع حتى للابتسام ، ينحيها من طريقه ويقول لها :

– اذهبى الى مطبخك ولا تضايقنى •

وبهذه السرعة صفيت المعارضة فى اقل من سنة واصبح خوزيه مونتييل اغنى واقوى رجل فى البلدة ومكنه ذلك من ارسال ابنتيه الى باريس والحصول لابنه على منصب قنصلى فى المانيا • واصبح همه الوحيد هو توطيد مركزه وسلطاته ولكنه لم يستمتع بثروته المغتصبة أكثر من ست سنوات •

وبعد مرور سنة على وفاته لم تعد امراته تسمع طقطقة السلالم الا تحت اقدام شخص يحمل اليها خبرا سيئا• والشخص الذى كان يأتى كان يصل دائما ساعة الغروب ليخبرها ان اللصوص قد اغاروا على املاكها مرة اخرى او – كما حدث بالامس – انهم سرقوا ٥٠ عجلا وكانت ارملة مونتييل تجلس دون حراك فى كرسيها الهزاز وتقرض اظافرها ، وكان الغيظ غذاءها الوحيد • وكانت تكلم نفسها وتقول :

– قلت لك يا خوزيه مونتييل هذه بلدة مشئومة ، وحين مت لم تبرد جثتك فى قبره واذا بهم يولونك ظهورهم •

لم يعد يزور هذه الارملة احد • والانسان الوحيد الذى كانت تقع عليه عينها فى هذه الشهور التى لا تنتهى والتى لم ينقطع فيها سقوط المطر كان كارميخائيل الناظر الذى لم يدخل البيت ابدا ومظلته مقفلة • الاحوال لم تتحسن • وقد كتب كارميخائيل عدة خطابات لابن خوزيه

مونتييل مبرزا له فائدة الحضور للجلوس امام محل ابيه ، بل انه سمح لنفسه بالاشارة الى بعض الاعتبارات الشخصية الخاصة بصحة الارملة ، ولكن الردود التى كان يتلقاها كانت دائما ردودا لا يخرج المرء منها بشىء • واخيرا رد ابن خوزيه مونتييل بخطاب قال فيه بصراحة انه لا يجرؤ على العودة خشية ان يطلق عليه بعضهم النار • لذلك صعد كارميخائيل الى غرفة الارملة واضطر الى مصارحتها بأن ثروتها ضاعت وتجارة زوجها بارت وانها تجلس على خراب • وكان ردها :

– احسن ! لقد شبعت من حديث الجبن والذباب • خذ ان اردت ما تحتاج اليه ودعنى اموت فى سلام •

ومنذ تلك اللحظة اصبح اتصال الارملة الوحيد بالعالم يتمثل فى الخطابات التى كانت تكتبها الى ابنتيها فى اخر كل شهر • كانت تقول لهما : « هذه بلدة ملعونة • ابقيا حيث انتما ولا تفكرا فى العودة ولا تشغلا نفسيكما بخصوصى • يكفى لسعادتى ان تكونا فى خيرحال » • وكانت بنتاها تكتبان لهابدورهما وكانت خطاباتهما دائما تنضح بالمرح وكان من الجلى انها كانت تكتب فى اماكن معتدلة الحرارة حسنة الاضاءة وان البنتين كانتا تريان انعكاس صورتهما على عدة مرايا حين كانتا تستغرقان فى التفكير • ولم تبد الفتاتان بدورهما اى رغبة فى العودة • كانتا تقولان : « نحن هنا فى بلد متمدن اما هناك فالوسط ليس مناسبا لنا • من المستحيل ان نعيش فى بلد متوحش يقتل الناس فيه لاسباب سياسية » وكانت ارملة مونتييل حين تقرأ هذه الخطابات تشعر بتحسن وتؤمن برأسها على كل جملة فيها •

ولقد حدثتها ابنتاها فى احدى المناسبات عن محال الجزارة فى باريس فقالتا « انهم فى هذه المدينة يذبحون الخنازير ويعلقونها على باب الجزارة ويزينونها بقرون وعقود من الزهور » ووردت فى اسفل الخطاب عبارة بخط يختلف عن خط ابنتيها تقول : « اتدرين اين يضعون اكبر واجمل زهرة من زهور القرنفل؟ فى مؤخرة الخنزير » • وحين قرأت ارملة مونتييل هذه الجملة ابتسمت •• للمرة الاولى منذ سنتين • وصعدت الى مخدعها دون ان تطفىء انوار البيت • وقبل ان ترقد ادارت المروحة الكهربائية ناحية الجدار ثم اخرجت من درج المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير مقصا وقطعة من المشمع الطبى اللاصق وكذلك مسبحتها وضمدت ظفر ابهام يدها اليمنى الذى تهرأ من كثرة العضعضة • ثم اخذت تسبح ولكنها ما لبثت ان حولت المسبحة الى يدها اليسرى لان المشمع الذى ضمدت به اصبع يدها اليمنى كان يجعلها لا تحس بعد الحبات • وتناهى الى سمعها لفترة قصف الرعد من بعيد ثم راحت فى النوم وانحنى راسها على صدرها ، وتدحرجت اليد التى تمسك بالمسبحة الى جانبها • ورات الام الكبيرة عند ذاك فى الحوش بلوطة حمام بيضاء ومشط فى حجرها وهى تقتل القمل بظفرى ابهاميها • وسالتها :

– متى يحين اجلى واموت ؟

ورفعت الام الكبيرة راسها واجابت :

– حين يبدا الالم يسرى فى ذراعك •

## كاتب الأعمال الهادفة

# محمد فريد أبو حديد

## فى ذكراه الحادية والعشرين

بقلم : د. أحمد فريد أبو حديد

● ● توجت جائزة الأدب التقديرية عام ١٩٦٤ أديبنا الذى أوقف حياته الأدبية على دراسة التاريخ وبخاصة تاريخ مصر .

توجت هذه الجائزة جهوده الفنية التى استمرت قرابة الاربعين عاما ، فقد بدأها عام ١٩٢٤ عندما ظهرت أولى رواياته «ابنة المملوك» ثم توالت بعد ذلك أعماله الأدبية مثل «أبريت ميسون الغجرية» و «مقتل سيدنا عثمان» و«خسرو وشيرين» فى أوائل الثلاثينيات . ثم اتجه الى الترجمة فانتهى من ترجمة كتاب «فتح العرب لمصر» للكاتب المؤرخ البريطانى بتلر علم ١٩٣٥ الذى يعد مرجعا تاريخيا وإسلاميا هاما ويقع فى حوالى ستمائة صفحة واستنفد من وقته ثلاثة أعوام . وكان هذا الجهد فى الترجمة قد فتق فى وجدانه أصالة الشعب المصرى فصارت أعماله الأدبية بين ذلك تعبيرا وتجسيدا لكفاح هذا الشعب . فكانت له مسيرة السيد عمر مكرم» عام ١٩٣٧ وهى دعوة جهيرة إلى الحياة الديمقراطية من خلال تصوير كفاح الشعب المصرى ضد الاستعمار الفرنسى بعد أن تمكن من البلاد اثر معارك طاحنة حدثت سنة ١٨٠٠ م .

قال أديبنا ـ رحمة الله عليه ـ «لقد مرت بالبلاد سنوات مظلمة غشيتها سحابة من الطغيان والظلم فكنت أجد تسلية وعزاء بأن أرى مامضى من جهاد الشعب لازاحة تلك السحابة الداكنة ، وكنت أنصرف إلى التاريخ أطالع فيه أسود صحائفة لأطلع منها على روح الشعب المصرى النبيل وهو يناضل ويجاهد : فكنت أجد من ذكرى ذلك النضال مشجعا ومناصرا . وكنت استبشر بما أعقبه من النصر القديم فأطمئن الى أن جهاد مصر الحديث سيسفر كذلك عن إنتصار وفوز . وقد كان سميرى فى تلك المطالعات رجلا من رجالات مصر العظماء وزعمائها النبلاء ،

● ● هاهى الذكرى الحادية والعشرين تمر هذا الشهر على وفاة أديبنا العربى الكبير محمد فريد أبو حديد الذى توجت جهوده العلمية والابداعية رائدا كبيرا من رواد بناء المؤسسات العلمية والتربوية ليس فى مصر فقط ، بل وفى البلدان العربية الأخرى ، كما رسخته أعماله القصصية رائدا من رواد القصة الرومانسية الأوائل . وحفلت حياته بالجهود العديدة التى تنوعت بين المسرح والأعمال الاذاعية وكتب الأطفال . وشكلت أعماله التى يدرسها ملايين التلاميذ فى مدارس مصر وعدد كبير من البلدان العربية وجدان عدة أجيال متتالية . بهذه المناسبة يقدم الهلال هذه المقالة التى كتبها ابنه ، مستعرضا فيها دقائق حياته ومجهوداته ● ●

وهو «السيد عمر مكرم» (مقدمة طبعة ١٩٥١ فى كتاب الهلال ص ١١)

غير أنه لم يفت أديبنا أن يأخذ على السيد عمر مكرم تردده فى اللحظة الحاسمة بانكماشه عن أن يخطو الخطوة التى كان ينبغى له أن يخطوها فكانت غلطته الكبرى أنه اختار «محمد على» التركى إذ حسب أنه هو الذى يحقق للأمة أمنها وحريتها . ولم يلبث السيد عمر إلا قليلا حتى بدأت الحقيقة تظهر له بعد أن أفلتت الفرصة من بين يديه فإن «محمد على» تنكر له وللشعب بعد قليل (ص ٩ من كتاب أمتنا العربية لأديبنا الراحل) .


محمد فريد أبو حديد فى شبابه

● مصرى النشأة

ولقد كان من أسباب اهتمامات هذا الأديب بأصالة الشعب المصرى نشأته المصرية الصميمة ـ فقد ولد لأبوين مصريين أبا عن جد عام ١٨٩٢ م بحى عابدين بالقاهرة عندما كان والده يعمل موظفا بالدائرة السنية إبان عهد الخديو إسماعيل باشا ، الذى أثقل كاهل الخزانة المصرية بالديون ، فانتهى الأمر بحل الدائرة السنية وإعطاء موظفيها مكافآتهم ومن هؤلاء والد أديبنا الذى أكسبه العمل فى هذه الدائرة خبرات واسعة فى الزراعة

# محمد فريد أبوحديد

حتى حذقها ، فإشترى مع أخيه أرضا قاما باستصلاحها فى البحيرة .

لقد بدأت حياة محمد فريد أبوحديد فى أجواء الريف المصرى بين مدينتى دمنهور والدلنجات إلى أن نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧ ، ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية بإسكندرية ، ثم بمدرسة المعلمين العليا التى تخرج فيها عام ١٩١٤ بالقسم الأدبى .

وكانت مدرسة المعلمين العليا فى ذلك العهد مرموقة عالية الصيت ؛ فكان مجرد الانتماء اليها تزكية تفتح لصاحبها باب العمل حتى لو لم يستكمل دراسته بها . وبدأ حياته العملية بعد التخرج بتجربة غير ناجحة إذ اتجه للعمل الحر فى مدرسة كونها أحد الأتراك واستعان بمجموعة من المدرسين المصريين شارطا عليهم تسديد جميع تكاليف المدرسة على أن تدفع له نظير الادارة مبلغا ثم يقتسمون فيما بينهم مايتبقى من الدخل ، فكانت صفقة خاسرة ، إذ كان حصاد عامهم ٣٦ جنيها لكل منهم أى بواقع ثلاثة جنيهات فى الشهر ، وكان من بين أعضاء هذه المدرسة الشاعر احمد رامى ، والأستاذ محمود حمزة ، والأستاذ ابراهيم نظيم ، والمستشار محمود فهمى ، والاستاذ محمد صفوت والاستاذ محمد صالح العفيفى . وأكثرهم أصبح من رجالات وزارة المعارف فيما بعد .

● مدرسة الحزب الوطنى

وفى عام ١٩١٥ اشترك محمد فريد مع الاستاذ / أحمد زكى (الدكتور احمد زكى بك فيما بعد) فى التدريس بمدرسة الحزب الوطنى المسماة «المدرسة الاعدادية التى كونها الحزب احتجاجا على سياسة الحكومة فى التعليم وتعسفها مع الطلاب . وكان مقرها بحى الظاهر بالقاهرة ، وفيها قفز مرتب أديبنا إلى ١٨ جنيها (ذهبا) شهريا بعد أن كان ٣ جنيهات . فمكث مدرسا بها حتى عام ١٩١٨ ، وفى تلك الأثناء توفى والده بدمنهور متأثرا بالتهاب رئوى نتيجة لمجهوده فى الزراعة وعدم تقدم العلاج فى ذلك الوقت . وكان حادثا مفجعا شديد الوطأة على محمد فريد وظل أثره قائما فى حياته كلها كلما تذكره او سئل حديثه نشج صوته واغرورقت عيناه فقد كان معجبا بكفاحه متأثرا بشخصيته إلى أبعد حد . كما أن والدته وإن كانت أمية لاتقرا ولاتكتب إلا أنها كانت على جانب كبير من الثقافة المكتسبة بالذكاء والفطرة المستعدة والقدر الموروث ؛ فقد أمضت حقبة غير قصيرة فى رحاب العلم بمنزل الشيخ الجليل الفاضل / سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت ، فقد كان زوج والدتها وكان يحبوها برعايته وعطفه كلما أتت لزيارته مع أولادها ، كما كان يخص محمد فريد بالكثير من فيوضه الروحانية والعلمية والانسانية ؛ وكانت الوالدة تحفظ من القرآن الكريم والأحاديث والأمثال ماصقل شخصيتها فكانت كلما وقف ابنها موقفا بين مصلحته وواجبه اختارت له مايعلى مروءته ويرفع إنسانيته . وأطال الله فى عمرها فتوفيت فى التسعين من العمر - وكان لوفاتها ، فى نفس أديبنا ، أثر لايقل عن أثر وفاة والده .

ولعل قلة من الناس من يعرف أن أديبنا الجليل حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ منتسبا أثناء عمله الوظيفي حبا في اكتساب ملكة التعبير القانوني للدفاع عن القضايا الوطنية ضد الاستعمار البغيض .

يقول الدكتور أحمد زكي بك ـ رحمة الله عليه : ـ

«كنت أعمل مع محمد فريد بالمدرسة الإعدادية وكان بطبيعته ثائرا يحب الحرية لبلده وبني أمته وحدث ذات مرة أن ثار الطلاب بالمدرسة وهتفوا بسقوط الإستعمار ، وكالعادة وقتئذ اقتحم الجنود البريطانيون المدرسة وهددوا الطلبة بالسجن فانبرى لهم محمد فريد وخاطبهم بالانجليزية التي كان يتقنها بطلاقة وأغلظ لهم القول حتى أن أحدهم أمسك ببندقيته المزودة بسونكي كبير ووجهه إلى صدر محمد فريد الذي ثار أكثر أكثر وهنا وجدت نفسي مضطرا لتمثيل دور ناظر المدرسة وكان لي شارب كبير وجسم ضخم أتاح لي القيام بهذا الدور فنهرت محمد فريد وأمرته بالانصراف على الفور إلى الداخل ، وحلت بينه وبين هذا الجندي الذي ماكان ليتورع عن قتله لو استمر في كيل الاتهامات للاستعمار ولجنوده .

ويمضي كفاح أديبنا الوطني خلال ثورة مصر عام ١٩١٩ وينضم إلى المقاومة الوطنية مع زميل طفولته «يوسف الجندي» الذي أعلن استقلال بلدته «زفتى» وأعلنها جمهورية مستقلة إلى أن طاردته قوى الاستعمار البريطاني فلاذ بمنزل صديقه «محمد فريد» الذي كان أهلا لحمايته ومناصرته فكانت تخرج من بيته المنشورات السرية الخطيرة التي تفيض حماسا وتقذف بالحمم على هؤلاء الدخلاء المستعمرين وانصارهم من دعاة الهزيمة إلى أن انتهت ثورة الشعب العظيم في عام ١٩٢٢ بتصريح فبراير الشهير ، وهو وان لم يكن استقلالا تاما إلا أنه كان خطوة إليه . وحسب الحق أن ينال من القوة الغاشمة هذا المنال .

وفي مجال الكفاح الوطني العربي نجد لأديبنا قصة «الوعاء المرمري» التي فازت بجائزة الدولة ، وهي الرواية التي استمد موضوعها من كفاح سيف بن ذي يزن البطل اليمني الذي اغتصب ملكه فاستعاده بمساندة الفرس ، ورواية «الملك الضليل» ، و«المهلهل سيد ربيعة» . كما يصور أديبنا أيضا صورة شائقة لأبي الفوارس «عنترة بن شداد» ذلك العبد الذي أجبر والده من سادة القوم على الاعتراف به إبنا يحمل اسمه نظير بطولته في القتال وانتصاراته التي أذهلت التاريخ .

ومن الجدير بالذكر أن تلك القصة ظلت تدرس بالمدارس المصرية وبعض الدول العربية زهاء ربع قرن ومازالت تدرس بالمدارس المصرية حتى الآن لبلاغة أسلوبها وجمال صياغتها .



● رسالة التعليم

وإذا استعرضنا حياة أديبنا الوظيفية نجد أن معظمها كان في مجال التعليم وقد كلف عام ١٩٤٢ بالمساهمة في إنشاء جامعة فاروق (الأسكندرية) حيث قام بما كلف به خير قيام ، ثم انتدب إلى دار الكتب وظل بها حتى عام ١٩٤٥ ، ثم عميدا لمعهد التربية العالي للمعلمين حيث تخرج في عهده كثير من رجالات مصر الأوفياء في جميع المجالات العلمية التربوية فقد كانت رسالة المعهد تهدف

## محمد فريد أبو حديد

إلى تدريس فنون التربية والتعليم لخريجى مختلف الكليات العلمية والنظرية الراغبين في مهنة التدريس . وظل عميدا لهذا المعهد الذى كان مقره بالمنيرة بجوار كلية التجارة لجامعة عين شمس بشارع القصر العينى حتى عام ١٩٤٧ حيث نقل إلى الديوان العام لوزارة المعارف مديرا عاما للتعليم الثانوى حيث أنعم عليه برتبة البكوية تقديرا لجهوده فى التعليم وفنونه فى الأدب الرفيع .

ولم تكن أيامه كلها صعودا فى المناصب وترقيات فى الوظائف ؛ فقد كانت البلاد مازالت ترزح تحت وطأة الحكم الملكى الحزبى . ففى عام ١٩٥٠ نقل من الديوان العام لوزارة المعارف وقد أضنى نفسه فى إصلاح الكثير من أوجه التعليم بالمرحلة الثانوية فكان اليوم الدراسى يبدأ فى الثامنة صباحا وينتهى فى حوالى الساعة الرابعة مساء تتخلله استراحتان ثانيتهما تشتمل على وجبة غذاء كاملة فاخرة تعقبها حصتان أخريان ؛ فكان هذا اليوم الدراسى الطويل خير مؤثر فى الطالب ليشعره بالانتماء إلى المدرسة ولزملائه ومدرسيه ، ولم يكن ذلك البرنامج اليومى الحافل بالمدارس الثانوية مجرد أوامر يصدرها المدير العام للتعليم الثانوى للمدارس فحسب ، بل كان نتيجة لجهود مضنية وتدبير ميزانية كبيرة لإعداد الفصول والمدرسين والكتب والبرامج الدراسية والبدنية والادوات المدرسية والتغذية والطاقة والعمال وغيرها وجميع هذه العناصر كانت مسئولية هذا المدير العام .

سألته مرة وكنت وقتها تلميذا بمدرسة القبة الثانوية : ـ ماسبب هذا اليوم الدراسى الطويل يا أبى ؟ فأجابنى : ـ أتريد أن يكون التعليم «سلق بيض» ؟! ومازلت اذكر للآن كلمات أساتذتى ترن فى أذنى فى مختلف المواد وكأننى أسمعها اليوم وكأنها محفورة فى صخر لاتمحوها السنون بعد ذلك الجهد المضنى فى التعليم الثانوى نقل محمد فريد أبو حديد إلى ماكان يسمى «بالجامعة الشعبية» . ومنذ اللحظة الأولى لعمله بهذه الجهة وهو يشعر بأنها ليست الجهة التى تناسب شخصيته ورسالته . فهذه المسماة بالجامعة كانت تضم بين جنباتها من الجنسين من فاتهم قطار التعليم فى الصغر فأتوا اليها كمحاولة مستهترة للمعرفة التى فقدوها بروح هازلة تنافى طبيعة اديبنا الجادة : فطلب نقله من هذه البؤرة الكريهة إلى نفسه فلم يجب ، بل ووجدوا فى ذلك مأربهم للنيل منه لخلفية حزبية سابقة معه ؛ فعزت عليه نفسه متأثرا بين واجبه الموكول إليه وظيفيا والتعارض الذى يحكم طبيعته الجادة ؛ فأرق الليل مهموما وعاش النهار مقهورا على مكتبه الحكومى أياما مرت عليه وكأنها دهور فلم يحتمل جسده وحسه المرهف هذه الأمور فمرض بعد شهر واحد من توليه لهذا المنصب وكان مرضه جديدا على الطب فى ذلك الوقت اذا كان يسمى التهاب متعدد بالاعصاب (Polyneuritis) كما كان الدواء جديدا مرتفع الثمن وأراد الله أن يشفى هذا البطل الإصيل بعد ان تمكن منه المرض

عاما كاملا كان يقوم على علاجه بمنزله الدكتور سيد عفت «رحمه الله» والدكتور محمد جعفر زميل طفولته وغيرهما وعند تمام شفائه فى عام ١٩٥١ نقل الى إدارة مكافحة الأمية مديرا عاما لها حيث بقى به حتى منتصف عام ١٩٥٢ حيث ... ثورة يوليو المجيدة فتلقفها بالترحاب والتهليل والتكبير وانتعشت نفسه وأشرقت مشاعره فوضع كل إمكاناته الأدبية والاجتماعية تحت تصرفها ولنصرتها وصار أحد دعاتها وجنديا فى الصفوف الأولى بها منددا بالعهد البائد البغيض بأحزابه الكريهة . ونادى بالانطلاق البناء فى جميع المجالات بما يواكب جدية هذا التغيير السياسى فى حكم البلاد . وتلقفته الثورة أيضا ابنا مخلصا لها من ابناء هذا الشعب العريق فعينته وكيلا مساعدا لوزارة المعارف ورئيسا للجنة التطهير بها ثم مستشارا فنيا لها حيث واصل كفاحه من أجل اصلاح التعليم والنهوض به قدر طاقته .

ثم رأت الوزارة عام ١٩٥٣ مد خدمته عامين آخرين . وفى عام ١٩٥٥ طلبته الحكومة الملكية فى ليبيا لإنشاء جامعة بنغازى بها حيث بقى هناك حتى عام ١٩٥٨

اهم مؤلفاته

ولم تشغله وظائفه الحكومية عن هوايته الأدبية فكانت له فى الفترة من عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٢ القصص التالية :

١ ـ سيرة السيد عمر مكرم
٢ ـ الملك الضليل
٣ ـ المهلهل "سيد ربيعه"
٤ ـ زنوبيا
٥ ـ أبو الفوارس عنترة بن شداد
٦ ـ مع الزمان ( وهى مجموعة قصص قصيرة تاريخية )
٧ ـ الام جحا وهى جزءان ـ
ا ـ جحا فى ماهوش
ب ـ جحا فى جانبولاد . وفى هذا الجزء صور حكم الأحزاب وتصرفاتها ضد خصومها من الأحزاب الأخرى بطريقة ساخرة واقعية . واذكر اننى عندما الف هذا الكتاب "جحا فى جانبولاد" سألته بعد أن قرأت الكتاب : ـ أين تقع جانبولاد هذه ياأبى ؟ فقال لى : "إسأل بتوع الجغرافيا " . قالها بجدية ولم اتبين انها "مصر" إلا بعد حين ، فقد كان يسخر من بعض الأوضاع الحاكمة فى ذلك الوقت .
٨ ـ فن التعليم ـ مترجم عن جلبرت هايت الأمريكى عام ١٩٤٨
٩ ـ عبدالشيطان ( ١٩٤٥ )
١٠ ـ "ازهار الشوك" وفيها بعض ملامح من حياته الشخصية ومعاناته .
١١ ـ الوعاء المرمرى عام ١٩٥٢ حيث نال عنها جائزة الدولة وجاء بتقرير لجنة الآداب لجوائز الدولة عام ١٩٥٢ الآتى : ـ "ومع أنه أجاد كثيرا فى مؤلفاته السابقة ـ فإنه بلا شك قد سما بكتابه الجديد الى الذروة . وأبدى فيه براعة فى التصوير وجمالا فى التعبير مما يحقق لهذه القصة مكانا ملحوظا بين القصص المصرى الحديث" . وغير هذه القصص ماهو مؤلف ومترجم . ورغم ذلك فقد كان عندما يسأل عن أعز كتبه إلى نفسه يقول : إنها ثلاثة فى مرتبة واحدة : ـ ١ ـ زنوبيا وهى تصوير لعصر يمثل حضارة عربية قديمة وفلسفتها أن العرب منذ القدم قوة فعالة فى محيطهم ، وأهم شخصياتها فى

نظره "زنوبيا" التى تمثل المرأة الذكية المتحررة "ولونجيه" الفيلسوف و "أذينة" المحارب .

٢ - أنا الشعب ( ١٩٥٤ )

٣ - جحا فى جانبولاد ( ١٩٤٣ )

ومما يسترعى النظر أنه لم يعد من بينها ( الوعاء المرمرى ) الكتاب الذى نال به جائزة الدولة ( هذه الجائزة خلاف جائزة الدولة التقديرية التى نالها عام ١٩٦٤ ) . وهذا بالطبع له دلالته ، فإن مقاييسه لاتخضع للجزاء أو المال وإنما لأسباب حرة غير هذه الاعتبارات .

وإذا كانت رواية "الوعاء المرمرى" ( من أعمال أديبنا فى عام ١٩٥٢ ) تجسد كفاحا تاريخيا لأحد أبناء الأمة العربية ، فإن قصة "ابنة المملوك" التى ألفها عام ١٩٣٦ وتقع فى قرابة الأربعمائة صفحة تجسيد أيضا لكفاح المصريين تاريخيا حيث فصلت فيه الكثير من الأحداث التى صاحبت ذلك العصر المملوكى . كذلك من قصصه التاريخية "صلاح الدين الأيوبى" ووصف معاركه وجهود الشعب المصرى لنصرته .

وكان أديبنا يقرأ فى الانجليزية التى يحسنها وفى الفرنسية التى نال قسطا منها فى المدرسة وأخذ دروسا منها على أستاذه مسيو بيزياه ، ثم اجادها عند التحاقه بالحقوق حتى ليسهل عليه قراءة اى كتاب منها دون تعثر أو استقصاء ، كما تعلق أيضا بدراسة اللغة الايطالية وجدد صلته بها فى ليبيا أثناء وجوده بها مستشارا فنيا لوزارة المعارف وعمل على تأسيس أول جامعة وطنية لهذا البلد العربى .

ويقول - رحمه الله - إن فلول الاستعمار الايطالى كانت عقبة كئودا أمامه لمنع إنشاء هذه الجامعة ، فتعرض خلال تلك الفترة لكثير من المشاحنات والعراقيل التى كانت تفتعل لمنع إقامة هذا الصرح العلمى الأول فى هذه البلاد ، وبطبيعته الصلبة وإرادته القوية ولباقته فى تفادى الصدام المحتم فى مثل تلك الأمور أمكنه - وبعون من الله ثم بعون من أبناء ليبيا المخلصين وتقديم العون المادى والمعنوى - تحقيق هذا الأمل المشرق لمستقبل مضىء لهذا الشعب الشقيق .

وأثناء وجوده فى ليبيا رزقت أنا بأول مولود لى وكانت بنتا ، فأرسل لى خطابا مطولا غاية فى الرقة والأدب الرفيع تشع منه فرحته لكونه أصبح "جدا" لأول مرة ويختمه بالدعوات لنا بالتوفيق والسعادة ، فلم تكن مشاغله الكثيرة تثنيه أبدا عن واجباته نحو أسرته وبره بهم .

### وللأطفال أيضا :

وللأطفال أيضا فى أدب محمد فريد ابو حديد نصيب كبير ، فسلسلة كتب أولادنا التى تقوم دار المعارف بنشرها تضم القصص التالية :

١ - عمرون شاة عام ١٩٤٧

٢ - كريم الدين البغدادى عام ١٩٤٧

٣ ـ آلة الزمان ١٩٤٨
٤ ـ نبوءة المنجم عام ١٩٤٩

وجميعها قصص تدعو للمعرفة وتوسع مدارك الحدث وتزرع فى نفسه الكثير من القيم الانسانية وروح البحث العلمى والتوثب للمعرفة ، فهو كاتب هادف بطبيعته فالقصة عنده تنفيس عن أزمة أو تصوير لمشكلة أو دعوة إلى شىء . القصة عنده وراءها فكرة وأمامها غاية ولها مغزى قد يستغلق حينا ولكن ما يلبث الواقع أن يفسرها بأحداثه . فعندما طغت الملكية فى مصر وأعوانها من استعمار وإقطاع واستشرى الفساد كتب ( جحا فى جانبولاد ) و ( جحا فى ماهوش ) عامى ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ .

كما أن الروح الشاملة للأديان جميعها يتخيلها أديبنا فى كتابه الام جحا بقوله "فقد خرجت من كل ما رايته وانا فوق الشجرة على حقيقة واحدة ، وهى أن الانسان جدير بالرثاء وليس فى ذنوب الناس مايستحق العقاب ، لقد بدا لى وأنا فوق الشجرة أن الله خالق هذه الأكوان العظيمة لن يضيق بالعفو ولن يكبر على رحمته ذنب "ص ٥٠ غير أن كتابه "عبدالشيطان" ( ١٩٤٥ ) يحذر من الانسياق فى أعمال الشر التى يأمر بها الشيطان العباد الضعفاء ، فيستهل كتابه هذا بقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الزخرف "٢٦" "ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرق فبئس القرين" . صدق الله العظيم .

هذه القصة وإن كانت من القصص القصيرة إلا انها تصور بإحكام كيفية تسلل الشر فى نفس الأنسان الضعيف الذى تبهره الحياة المادية وتجذبه اليها ببريقها والوانها الزائفة ، حتى إذا تمكن منها أصبح فريسة للشر نفسه وأحد ضحاياه والعياذ بالله .

وكما كانت قصصه ذات هدف فقد كانت له ابتكارات أيضا فى عالم اللغة العربية فعكف إبان وجوده فى المجمع اللغوى على إنجاز بحوث تقوم على تأصيل الكلمات العامية فى لغتنا ومعرفة أصلها فى اللغة الفصحى ، فجمع الكثير منها فى مجلد متوسط الحجم ولم يمهله القدر إلى أن يكمله ، فانتقل الى رحمة مولاه فى ١٨/مايو/١٩٦٧ ، تاركا تراثا أدبيا هادفا له وزنه وأصالته ، كما ترك اثرا جميلا فى كل من الجهات التالية :ـ ١ ـ المجمع اللغوى المصرى حيث كان عضوا عاملا فيه
٢ ـ رابطة التربية الحديثة
٣ ـ الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية
٤ ـ جمعية المعلمين التى رأسها فترة طويلة
٥ ـ مؤسسة التأهيل المهنى ( وكان من أوائل المفكرين فى هذا المجال بتجربة قام بها بالاشتراك مع أهالى بلدة "المنايل" لاقامة مشروع للسجاد اليدوى عام ١٩٤٣
٦ ـ جمعية رعاية الأحداث .

# الجنادرية
## أو عقدة البحث عن تراث شعبي

بقلم: كمال النجمي

**نصف المدعوين إلى المهرجان السنوي للتراث والثقافة الذي اقيم في الشهر الماضي بمخيم « الجنادرية » على بعد خمسين كيلو مترا شرقي مدينة الرياض - عاصمة السعودية - كانوا يحضرون هذا المهرجان لأول مرة .. ونصفهم الآخر كانوا يحضرونه للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ، وسوف يحضرونه في المرات القادمة وإن كانوا لا يشاركون فيه بأي جهد ، لأن جهدهم كله خارج المهرجان ..**

اقيم المهرجان للمرة الأولى سنة ١٩٨٥ في ابهة وحفاوة بضيوفه من الادباء والشعراء والصحفيين واساتذة الجامعات القادمين من جميع انحاء الوطن العربي ، ومن أوربا وامريكا أيضا .. ثم تواضعت أبهة المهرجان وتضاءلت مظاهره الاحتفالية ، وأوشكت فائدته الحقيقية أن تقتصر على ما يتيحه من تلاقي بعض ادباء العالم العربي ومفكريه ، وتعرفهم بعضهم إلى بعض ، وتبادلهم الآراء والأخبار والأسمار والأشعار ..

وغالبية الذين حضروا المهرجان الرابع في الشهر الماضي لم يتكلموا في ندواته ، وبعضهم انقطع بعد يوم أو يومين عن حضور هذه الندوات لأنها تعقد على بقعة قاحلة من الصحراء - هي المسماة بالجنادرية - تبعد عن الفندق الذي انزلوا به خمسين كيلو مترا .. ولم يكن أولئك المفكرون والأدباء والشعراء الذين جاوز كثير منهم سن السبعين بقادرين على قطع مائة كيلو متر ذهابا وإيابا كل يوم ، مرة أو مرتين ، على ضآلة ما يسمعونه أو يرونه في الندوات هناك ! ..

إن المدعوين الى مهرجان « الجنادرية » كانوا فئتين ، تتألف إحداهما من اربعة أو خمسة فقط من

الملحنين والعازفين ومؤلفي الأغاني والاذاعيين السابقين .. وهؤلاء انزلهم الداعون افخم فنادق العاصمة السعودية ، ولم يرهم أحد منذ نزولهم من الطائرة قادمين من مصر ، إلا يوم سباق الابل الذى حضره الملك والأمراء ومستشار النمسا ـ وكان ضيفا على الدولة السعودية ـ ثم اختفى الملحنون ومؤلفو الأغاني مرة اخرى ولم يختلطوا قط بالادباء والشعراء الذين انزلوا فندقا آخر وتسلموا دفاتر « كوبنات » لوجبات الطعام الثلاث ، وحدد لهم أصحاب الدعوة أوقات الندوات في صحراء الجنادرية ، ومواعيد اللقاءات الرسمية الصامتة ببعض الأمراء والكبراء .. وقد خلت هذه اللقاءات كلها من الكلام ، الا لقاء واحدا ألقى فيه شاعر من اليمن الشمالي قصيدة مديح .. وكنا نسمع في بعض اللقاءات كلمات مجاملة من الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة السابق . وكان الدكتور يوسف إدريس يسرع الى الصدارة في كل لقاء وكأنه يقول : ها أنذا ... لاينافسه في ذلك أحيانا إلا الأستاذ عبدالله الشيتي الكاتب الفلسطيني الكويتي الساخر ! ..

ولكن ماهي « الجنادرية » التي صارت رمزا للتراث في السعودية ، وأصبح مهرجانها السنوي ملتقى كتابات عن التراث لاينضب لها معين ، وصارت ندواتها محشر الشعراء والأدباء والمدرسين من كل البلاد العربية والأجنبية ؟ ! ..

قيل لنا : الجنادرية قرية قديمة من القرى النجدية صمدت للتغيرات



لقطة لإحدى ندوات الجنادرية

الهائلة التي عصفت بقرى نجد وخيامه ومراعيه ، ولم تؤثر فيها غابات الأسمنت المسلح وطرق الأسفلت التي تتلوى في كل مكان كالثعابين السوداء ..

وفي آخر لقاء قبل عودتنا إلى الوطن قال لنا الشيخ عبدالعزيز التويجري وهو من أبرز رجال المهرجان :

ـ سنحاول في الأعوام القادمة نقل الندوات من الجنادرية إلى الرياض أو إلى مكان قريب منها ، أما مسابقة الجمال أو الابل ، وعروض العادات القديمة فتقام في الجنادرية كالعادة ..

ولكن ذلك لن يحل المشكلة ، لأن الجنادرية التي ترمز إلى التراث الشعبي ليست إلا قطعة من الصحراء اليباب بنيت حولها بعض الحيطان .. وما أكثر قطع الصحراء التي يمكن بناء حيطان حولها وتحويلها إلى مزارات تراثية او سياحية أو دعائية ..

إن مشكلة التراث الشعبي في السعودية الآن تشبه مشكلته في امريكا

ففي السعودية أكل الأسمنت المسلح والأسفلت الثقيل كل أثر للقرى والمضارب وبيوت الخيش والجريد التي عاش فيها الأعراب والبدو أحقابا بعد أحقاب ! .. وذلك ما حدث أيضا في أمريكا ، إذ أكلت المدن الأمريكية في تقدمها العاصف الكاسح كل أثر لقرى الهنود الحمر .. والفرق بين الحالين هو أن الهنود الحمر ذبحهم الأمريكيون وأبادوهم .. أما البدو والأعراب في نجد والحجاز وملحقاتهما فقد نقلهم الحكم السعودي من شظف العيش في الصحراء القاحلة الى ترف المدن الخرسانية ، فلا ترى على مد البصر في تلك الصحراء الآن قبيلة بدوية تنتجع الكلأ ، أو تبحث عن الماء ، أو تحلب الشياه والنياق والمعيز كما كانت تفعل قبل عهد النفط ..

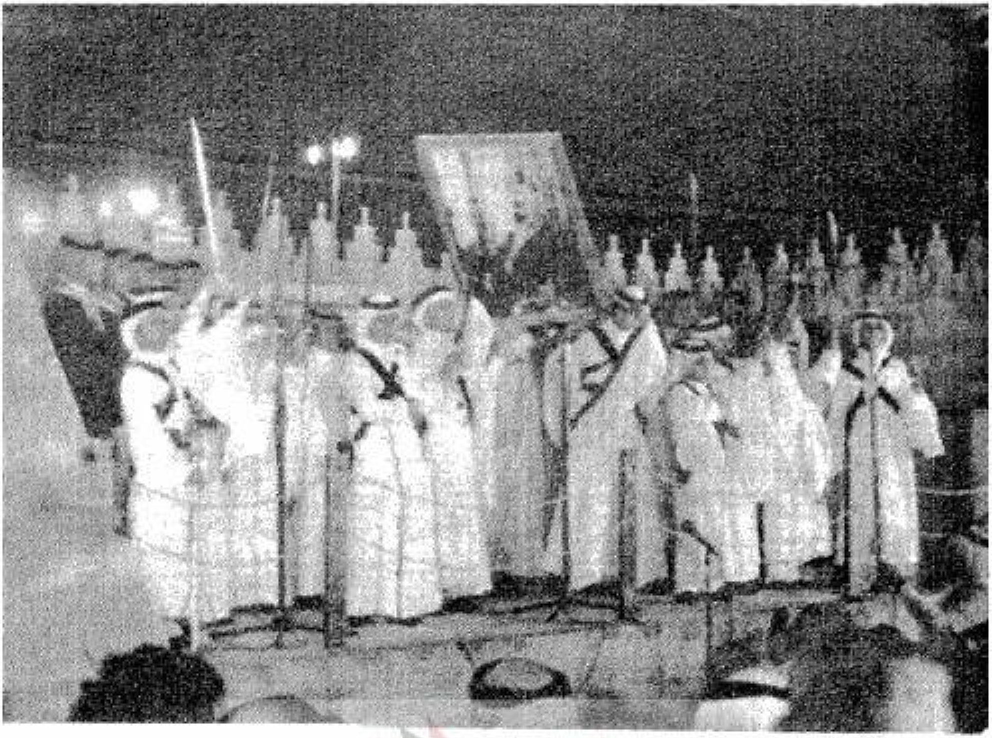
إن ماء الخليج العربي ـ وهو ملح أجاج ـ يأتيهم الآن في عماراتهم وداراتهم وبيوتهم الحديثة المكيفة ، بعد أن تتولى إعذابه أو تحليته آلات جبارة استوردتها الحكومة السعودية من أمريكا ، فلا يشك من يرى الخضرة في شوارع الرياض ، أن هذه المدينة قائمة على نهر يجرى وإن لم يكن فيها من الماء الجارى إلا بضع آبار عتيقة ! :

والدولة السعودية التي اجتمع المال في خزائنها أكثر مما اجتمع في خزائن الأمويين والعباسيين في سالف الزمان ، لم تستول على النصيب الأكبر من هذا المال ، بل أكلت منه بالمعروف ـ إن صح التعبير ـ وأنفقت الجزء الأكبر منه في المشروعات الهائلة التي أحالت الصحارى المترامية الأطراف الى مدن حديثة جدا ، بالغة السعة وأن كان عدد سكانها قليلا ، تربط بينها شبكة طرق جبارة لامثيل لها إلا في الولايات المتحدة الامريكية .

ينبغي أن نقول إن في السعودية حكومة قديرة دقيقة التنظيم واسعة النفوذ والخبرة .. أفرادها أقوى من كل حزب حاكم ، تقدمي أو غير تقدمي في اى بلد عربي .. وهي تشبه في سعيها إلى الاصلاح حكومة محمد علي باشا في مصر قبل مائة وخمسين عاما ، مع فرق الزمن والامكانات ، وتشبه ايضا حكومة الخديو اسماعيل في محاولتها جعل البلاد السعودية قطعة من أوربا أو قطعة من أمريكا ، ولكن بدون الاستدانة ، فالسعودية دائنة لا مدينة ..

وهذه الحكومة تبذل هذه المحاولات في بلاد واسعة متباعدة مناطق العمران ، يتشكل فيها الآن شعب واحد يتميز بسماته الخاصة شيئا فشيئا بعد ان كان إلى وقت قريب جدا مجرد قبائل وعشائر ، وكان بيع الرقيق في أسواقه مباحا بصفة رسمية حتى ثلاثين عاما خلت ..

وفي مثل هذه الظروف يكون البحث عن تراث شعبي مشترك عملا شاقا ، ولكن يمكن فهمه في سياق النشاط العام للدولة التي تحاول أن تلحق بركب العصر في جميع مظاهره ، ولولا ذلك ما انشات في الرياض احدث واضخم جامعة في العالم ..



أطفال المهرجان يتوهون بذكرى الملك عبد العزيز

سرية . ديكور لرقصة شعبية



## الجنادرية :

إن الانسان الجديد في السعودية خارج لتوه من التنظيم القبلي والعشائري وافكار القرون الوسطى أو القرون الأولى إلى افكار العقد الأخير من القرن العشرين .. إنه يتجول بسيارته الفخمة الضخمة في شوارع عاصمته « الرياض » فلا يجد إلا عمائر حديثة فاخرة لايزيد عمر أكثرها على عشر سنوات ..

ليس هناك حي قديم من عهد الفاطميين ولا عهد الأيوبيين ولا عهد المماليك ولا حتى عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ، إلا بعض أطام وأكواخ قليلة ضئيلة من اللبن ، اقل شانا من بيوت القرى المصرية في القرن الماضي ..

والآثار القليلة الباقية حتى الآن في بعض المدن الحجازية هي من مخلفات العثمانيين .. اما الآثار الضئيلة على السواحل الخليجية فهي من آثار البريطانيين والاستعماريين الآخرين ..

إن الصحراء لا تحتفظ على صفحتها باثر من الآثار ، لهذا نشأت عند السعوديين الجدد عقدة « التراث الشعبي » كما نشأت من قبل عند الأمريكيين ، فكثرت في السنوات الأخيرة الاحتفالات السعودية التراثية التي لا يجد أصحابها تراثا شعبيا حقيقيا يحتفلون به ، فيتكلفون أن يجمعوا كل قطعة ولو في حجم الكف من هنا وهناك ليقولوا لأنفسهم . هذا تراثنا الشعبي ! ..

والتراث الشعبي الذي يقصدونه يختلف بطبيعة الحال عن التراث الأدبي والعلمي العربي الذي كانت نجد والحجاز وارض الجزيرة العربية مهدا له ، فهذا التراث العظيم هو تراث كل ناطق بالضاد بين المحيط والخليج ، وهو اعظم شانا من كل مهرجان ..

واخلد ما بقي هو القرآن الكريم ، ولا يعد بطبيعة الحال نوعا من « التراث » عند السعوديين ولاعند غيرهم من العرب والمسلمين ، لانه كتاب السماء ، لم يصنعه النشاط الانساني ، بل نزل به الوحي .. والسعوديون حريصون على إبعاد الدين عن كل ما يمسه من قريب أو بعيد ، ومجتمعهم في هذا الشأن أشد حفاظا حتى من مجتمع الخوميني الذي يزعم انه المجتمع الاسلامي الأمثل ! ..

مرة اخيرة .. ما هي الجنادرية ؟ !

إن كانت رمزا للموروث الشعبي ، فليس هناك قرية قائمة تسمى الجنادرية فتكون رمزا لشيء اسمه الموروث الشعبي ..

والموروث الشعبي الذي رأيناه هناك من أعمال يدوية ورقصات واحتفالات لايزيد في جملته وتفصيله على احتفال تقوم به مدرسة أعدادية أو ثانوية في مصر .. لا اقصد الفخر ، معاذ الله ، ولكنى أقرر الواقع الذي لايعيبه أنه متواضع ساذج .

وإن كانت الجنادرية رمزا للتراث الأدبي والثقافي والعلمي والتاريخي للجزيرة العربية وكل بلد عربي ، فما الذي يجعلها رمزا لكل أولئك وهي لا تضم أثرا واحدا يؤهلها لذلك ، وانما هي – كما تقدم – مجرد قطعة خاوية من صحراء نجد يوجد مثلها ملايين القطع

الصحراوية الخاوية هناك ؟! ..

لقد جابهت هذه الحقيقة أصحابنا الذين وضعوا « نداء الجنادرية » أو توصياتها فى ختام الاحتفالات والندوات التى امتدت عشرة أيام ، فاضطروا إلى قول كلام عام عن المأثورات الشعبية والتراث فى الوطن العربى ..

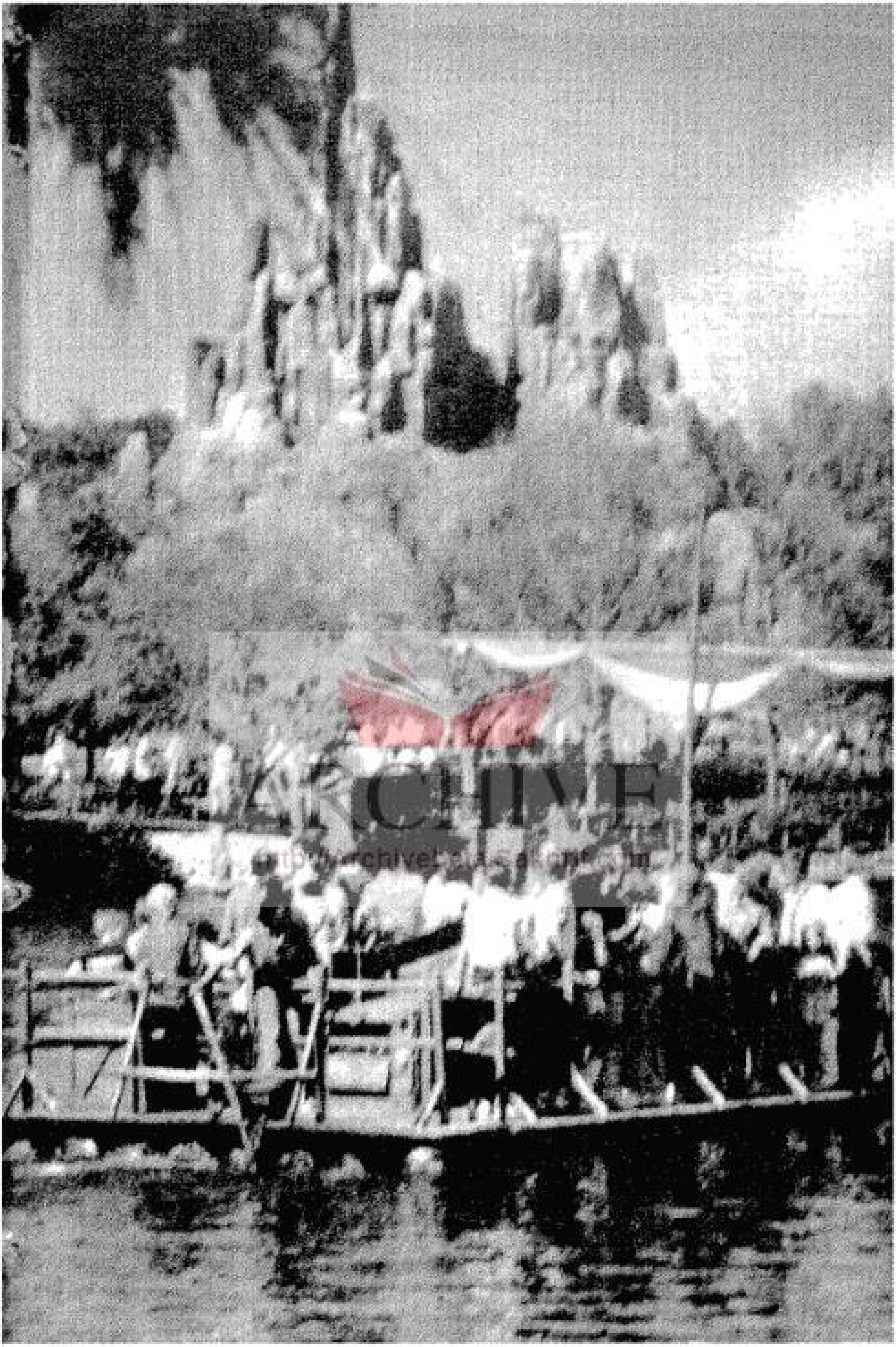
على أن الجنادرية فى كل الأحوال ، تدخل تحت ما جاء فى الأثر النبوى : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » ..

فالقوم فى السعودية دفعتهم نياتهم الحسنة إلى هذا العمل ابتغاء التنوية بالوشائج الممتدة بين الماضى والحاضر ، أو بين ما يسمونه الأصالة والمعاصرة ، فلهم لقاء هذا العمل عند الله أجر العاملين المجتهدين أخطأوا أو أصابوا ..

والذين شاهدوا حياة البلاد السعودية كما تبدو فى الرياض والمدن الكبرى : مكة والمدينة وجدة ، لايسعهم أن ينكروا أن فكرة « الجنادرية » تدل على فطنة المؤسسة السعودية الحاكمة التى مازالت فى أوج مرحلتها التاريخية ، وقد أتيح لها أن تثبت بالأدلة الواقعية أنها من أكثر حكومات العالم كله نجاحا فى تحقيق هدفها وتعزيز مكانها ..

إن المؤسسة السعودية الحاكمة ، سلطة مدنية حديثة التنظيم ، قوية اليد ، ذات شعارات دينية وتطبيقات محددة لهذه الشعارات ، عندهم إذاعة وتليفزيون ولكن بلا مذيعات .. لاسينما ولا مسرح ولا ملهى ، ولكن عندهم ملايين من أجهزة الفيديو وأفلامها .. لا مدارس ولا معاهد للفن ولكن عندهم مدارس للبنات تدور حولها شائعات تقول إن الشيخ ابن باز كبير علماء الدين يريد إغلاقها ولكن الشيخ ابن باز ينشر فى الصحف تصريحا بأنها مدارس تفيد المسلمين وإن كان له بعض التحفظات ... لا تماثيل فى الشوارع ولا صور فى أى مكان إلا الصور السريالية والتكعيبية التى بارت فى أوربا وراجت فى السعودية لأنها لا تصور الوجوه البشرية ، ومع ذلك فعلى قارعة الطريق بين جدة ومكة إعلانات عن مسابقة للأغنية .. لقد فرضت الأغنية والموسيقى نفسها هناك وسكت المعارضون .. طائراتهم عملاقة ، والمضيفات مصريات ، والطيارون من جميع الجنسيات بما فيها الجنسية السعودية .. فنادقهم حديثة ولكنها شبه فارغة ليس بسبب الكساد الحالى الذى يجثم شبحه على كل شىء هناك ، ولكن لأنه لا سياحة إلا ما كان على سبيل الضيافة أو المجاملة .. عندهم صواريخ جبارة ولكن مازال السياف الرسمى بملابسه السابقة المزركشة يقف وراء الملك فى احتفالات الجنادرية التى ظلت أكثر من عشرة أيام مكانا لمهرجانات وندوات التراث ، دون أن ترتسم فى أذهان من حضروا تلك الاحتفالات فكرة واضحة عن معنى ذلك التراث الذى رفعوا فوقه لافتة « الجنادرية » ..

على أن « الجنادرية » ، فى سياق هذه الصورة التى رسمناها فى عجالة لحركة المجتمع السعودى كله ، يمكن فهمها ، ويمكن أن تنال ما تستحقه من تقدير ..



# والت ديزني
## تعارف لم يكتمل
بقلم : مصطفى الحسيني



# والت ديزني

**اثناء اقامة غير قصيرة بالولايات المتحدة الامريكية دعاني اصدقاء لي لزيارتهم حيث يقيمون في مدينة اسمها اورلاندو بولاية فلوريدا فلبيت الدعوة ، ورغم حرارة استقبال الاصدقاء الذين استضافوني وكرموني ، فاجاني ان اكتشف في نفسي شعورا هو مزيج من الحيرة والارتباك يوشيه خيط من الكابة ضاعف منه خشيتي ان يلحظه كرام اصدقائي ، وان يرجعوه الى تقصير قد يتوهمونه في ضيافتهم .. فقررت — كتعريب نفسي — ان اقاوم خيط الاكتئاب بما يستند اليه من حيرة وارتباك بان افتش داخل نفسي عن بواعثه ومصادره واسبابه ولعل ذلك يصرفني ايضا عن الشعور ذاته ، فلا اجرح اصدقائي ولا احرج نفسي ..**

والحقيقة ان هذا التفتيش لم يستغرق مني كثير جهد ، فلم ألبث أن تبينت ان مزيج هذا الشعور ظاهرة امريكية سبق أن لاحظتها فاستظرفتها ، لكنها هذه المرة استعصت على الاستظراف ، ففي المرات السابقة كنت الاحظ الظاهرة دون أن أكون في ضيافة أحد . أما هذه المرة فان ما تختزنه الظاهرة من ملل وما توعز به من سأم ، سوف ينعكس على أصدقاء يغمرني كرم ضيافتهم فاحترت وارتبكت وتسلل الى نفسي شيء من كآبة .

الظاهرة التي أتحدث عنها هي تشابه المدن الامريكية الصغيرة بالذات . تشابها يلغي الاحساس بأنك سافرت وارتحلت وانتقلت من مكان الى مكان ، انه تشابه ينفي متعة السفر التي هي الجدة بما تحمله من فضول وما تعد به من استكشاف . التشابه في البيوت : نمط معماري واحد متكرر ، الشوارع هي الشوارع لا معالم مميزة الا اذا اعتبرنا دكاكين دجاج كنتاكي وأشباهها من المعالم هي ومحطات وقود السيارات .

وكنت قد توصلت فيما بيني وبين نفسي الى تفسير لهذا التشابه ، فهذه بلاد شاسعة لم يكتشفها الرجل الابيض الذي سكنها وعمرها في مابعد الا منذ حوالي ٥٠٠ سنة ولم تصبح دولة الا منذ ما يزيد قليلا عن مئتي سنة ، وكان عدد سكانها — باتساعها الشاسع — عندئذ حوالي سبعة ملايين ، وفي خلال قرنين من الزمان أصبحت موطنا لحوالي ٢٥٠ مليونا من الناس ، فكان لابد لعمرانها أن يتحقق بسرعة وعلى عجل حتى تستطيع ايواء هؤلاء الوافدين اليها ، ولما كانت بلادا قام نظامها منذ البداية على الحرية الاقتصادية والفرصة ، فقد تولت مهمة العمران شركات بناء ضخمة ، بدلا من أفراد ، أو جماعات متجانسة منهم ، يبنون بيوتهم تبعا لتراث توارثوه أو استجابة لخيال كانوا يختزنونه فاطلقوه ، أو « على مزاجهم » انما نابت عنهم في ذلك — دون استنابة منهم — تلك الشركات التي كانت — وبحكم تدفق الهجرة الى تلك القارة البكر — تغتنم فرصة تقتضي بناء أكثر مايمكن وأكبر مايمكن وبأسرع ما يمكن ، فاختارت الاسلوب الذي يفي بهذه المقتضيات ، وضعت رسوما نمطية

لمدن أو لاحياء بأكملهـــا ، وشرعت تؤدى المهمة ، وتكررها •

ولاول وهلة وجدت اورلاندو على هـــذا النسق ، لكأنى ماطرت مئات الاميـال ولا ذهبت الى مدينة جديدة • احسست كأنما ذهبت الى آرلنجتون التى سكنتها حينا من الوقت فى ضواحي واشنطن ، أو غيرها من الضواحي الشبيهة حول العاصمة ، او على أفضل الاحوال ، وحتى أبرر بعد المسافة والسفر ، ذهبت الى « أوشن سيتى » التى لولا البحر المحيط الذى ان ادرت ظهرك ! لوجدت فى اقل من الثانية الى آرلنجتون فيتحول سفرك ٤ ساعات بالسيارة الى عبث ومشقة معا ( لكن من ذا يدير ظهره للبحر على اية حال ؟! ) •

كان مصدر حيرتى وارتبـاكى اذن اننى ادركت اننى سـأكابد مللا وسـأما حيث لا يجوز فى حق اصدقاء كرام ، فدخل خيط الكآبة •

ولا أعرف اذا كان الاصـــدقاء الذين استضافونى ـ وهم مثـل عرب تعتيهم الضيافة بواجباتها وحقوقها ـ قد لحظـوا ما انتابنى أو لم يلحظوه • لكنهم فى اليوم التالى اقترحوا على أن أذهب لزيارة « عالم والت ديزنى » الذى به تشتهر اورلاندو • وان آزور بالذات جزءا منه اسمه « ايكوت سنتر » وفهمت أن كلمة ايكوت اختصار لعبارة هى « النمط التجريبى لمجتمع الغد »

وتطوعت من المضيفين صـــديقة وزميلة مهنة باصطحابى الى هناك • وكانت هذه ، هى المرة الاولى التى أتعرف فيها على « عالم والت ديزنى » واعترف انه تعـــارف لم يكتمـــل ، وقد ندمت على ذلك ، ومازلت أصبو الى استكمال هذه المعرفة •

***

المهم • ذهبنا •
كانت مدينة اخـــرى خارج المدينة ، تضاهيها حجما ، قد تقل أو تزيد ، لاأعرف غير انهـــا على خـــلاف أورلاندو ، المدينة النمطية الهادئة الى حد تخلها غير مأهـولة ( اغلبيـــة سـكانها من المتقـــاعدين او من نسميهم ارباب المعاشات ) ، كانت المدينة الاخرى تموج بالناس ، لكنهم ـ وبالطبع جميعا زوار ،فهذه مدينة للتسلية لاللسكن والعيش •وكان أول من استقبلنا او تلقفنا مكتب العلاقات العامة ، الذى أعطى لـكل منا نشرة تصف « العالم » وما يحفل به • وتلخص النشرة هذا العالم : « فى ديزنى لاند ( بلاد ديزنى ) ، أسـعد مكان فى العالم ، بوسعك أن تواجه حيوانات ضارية ومتوحشين من بلدانهم الاصـــلية كثيرا ما يظهرون عداءهم لنزولك خصـوصية عالم الغابة الذى يعيشون فيه •• ومن مواقع فى « بلاد المغامرة » تسـتطيع فعلا أن تطلق النار على متمرد » ••

أما وصف محتويات العالم ، فيوزعه الى أقسام ثلاثة : عالم والت ديزنى الذى يحفل بشخصياته الشهيرة : ميكى ماوس ودونالد دك وبطانتهما ، وحديقة الامم التى تقـول نشرة العلاقات العامة انها تعرض لك حياة أمم العالم يؤديها أبنـاء هـــذه الامم ، و « ايكوت سنتر » أو « النمط التجريبى لعالم الغد » ، وعليك أن تشترى تذكرة لدخول كل من هذه الاقسام •

واعترف اننى لم أدخل الا الى قسم واحد منها هو « حـــديقة الامم » فقد روعتنى الطوابير المديدة أمام شـبابيك التـذاكر لدخول القســـمين الاخرين ، بينما كانت حديقة الامم تعانى من قلة اقبال الزائرين نسبيا بالطبع ( ما عدا طـــوابير الحجز للعشاء فى المطاعم « القومية » العـــديدة التى تحفل بها ) • وربما لعل شـعورى بالسأم لعله أيضا فى هذا الاختيار ، فانا لم إقرأ فى حياتى قصـــة من قصص والت ديزنى ، لا فى الطفولة ولا بعدها ، وعندما كانت رسومه المتحركة تعرض فى السينما كنت اشـــاهدها بذهن منصرف ( لا أدرى لماذا ؟ ) ، لذلـك لم تكن زيارة عـالم

# والت ديزني

« والت ديزني » اختيـــاري . أما ابكوت سنتر ، فاقر ان رؤية مستقبل يديره الكمبيوتر ويتحرك فيه الروبوت ، وتتبك فيه الازرار ، وتلتمع فيه بقع الضوء لتملمك أو تتبك لا يجديني ولا يتفق مع تصويري لمتعة الحياة .

ولكني لا أعرف لماذا عندئذ تخل عني فضولي .

وقد ندمت .

ومازلت أعد النفس أو أمنيها بزيارة أخرى لاورلاندو اعوض فيها ما فات .

تجولنـــا في « حديقة الامم » وزرنا الاجنحة كلها . ولعـــل اذكر ان من بين مالفت نظري فيها جميعا ، هو أنها تقـدم للزائر نوعا من المعـــرفة بهذه الامم يكاد

انشئت مدينة ديزني للاطفال .. الذين يجذبون الكبار



يتساوى مع عدم المعرفة فهي تقدمها للزائر باعتباره سائحا سطحيا عابرا الى بلدان تلك الامم : مطعم يقدم ماكولاتها الوطنية في الكثير منها ، ومعرض لحرفها التقليدية ، وصورا جدارية ضخمة لبعض معالمها الطبيعية . ولا معلومات ولا شيء ، ولا حتى الاوليات .

غير أن من بين مالاحظته ولا يخلو من طرافة ، انه بينما يتجول السائر في الممرات الخضراء البالغة التشذيب بين أجنحة الامم ، تطالعه بين آن واخر لافتة بارزة تقول « بقعة للتصوير » . وقد حيرتني اللافتة في البداية الى أن فهمت أن المقصود منها ارشاد من يرغبون في التقاط صور تذكارية لزيارتهم الى أن هذه البقعة موقع مناسب لهذه الصور !

وبقدر ما استظرفت اللافتة بقدر ماشغلت تفكيري : هؤلاء الذين وضعوها ، هل يعتقدون ان الشخص العادى لايستطيع اختيار مكان مناسب ليلتقط ما يريد من صور ؟ ألا يعتقدون ان أذواق الناس واختياراتهم تختلف وتتباين وتتفاوت ؟ وذكرتني اللافتة بمشهد عابر كنت اصادفه اثناء حياتي اليومية في امريكا : تشترى شيئا عاديا . فرشاة اسنان مثلا ، فتجد على غلافها ارشادات مفصلة حول كيفية استعمالها،وكأن الذى اشتراها سيستعملها للمرة الاولى في حياته ، وهذا في مجتمع يستخدم فيه الناس هذه الادوات منذ نعومة أظفارهم ولكن اللافت للنظر ان تجد الامريكي العادى يقرأ هذه التعليمات بدقة واهتمام !

وقادتني هذه الملاحظة العابرة الى تتبعها ( ولا تستغربوا نوع اهتماماتي ! ) فلاحظت ان المجتمع الامريكي حافل بالارشادات والتعليمات ، حتى لا يستطيع الغريب عنه ان يتجنب انطباعا بان هذا المجتمع ، أو من يقودونه ، من صانعي فرشاة الاسنان الى الحكام ، يعاملون الفرد فيه على انه قاصر ، ينقصه الادراك والرشاد .

وبقى الانطباع يلح على ، الى أن ذكرته في سياق حديث مع عالم اجتماع أمريكي ربطتني به صداقة ، وذكرت له « بقعة التصوير » في « عالم والت ديزني » . ماذا به يخيب أملي في أهمية ملاحظتي . فيقول لي أن ملاحظتي وانطباعي المترتب عليها صحيحان ، فهذه هي قاعدة التربية الامريكية ، وهذا هو سر « السلام الاجتماعي » في هذا المجتمع . هناك دائما شخص لا تعرفه ولكنه يعرف اكثر منك . يقول لك ماذا تفعل وكيف تتصرف . وان « عالم والت ديزني » عالمه الحقيقي ، أي قصصه ومسلسلاته الضاحكة ، وكتبه والعابه ، هي خلاصة مبلورة لهذا الاسلوب في التربية .

وأهداني هذا الكتاب : « كيف تقرأ دونالد دك ؟

وللكتاب قصة .

صدر هذا الكتاب بالاسبانية ، أصلا في شيلي عام ١٩٧١ ، أثناء حكم الرئيس سلفادور الليندى ، وعندما اغتيل واطيح بحكمه في ١٩٧٣ ، أحرقت نسخ الكتاب ، مع كتب أخرى كثيرة ، وبالكاد نجا مؤلفاه من الاغتيال .

اما منذ ذلك الحين صدرت منه ١١ طبعة بالاسبانية في امريكا اللاتينية ، ثم ترجم الى الايطالية والفرنسية والسويسرية والالمانية والدنمركية والهولندية واليونانية والفنلندية واليابانية ، والانجليزية .

وكان الدافع الى اصداره هو الدفاع عن عقل شيلي ، فقد لاحظت حكومة الليندى انها عندما أممت مصالح الشركات الامريكية في بلادها ، ردت عليها الولايات المتحدة بفرض حصار اقتصادى يحظر تصدير المنتجات الامريكية اليها ، باستثناء نوعين من المنتجات : الاسلحة ( ! ) حتى تهيىء الجيش للقيام بانقلاب وهو ماتحقق في خريف ١٩٧٣ ، والمواد الاعلامية لان المهم هو « غزو العقول » كما قال الديكتاتور

## والت ديزني

جينو شيه نفسه بعد ان استولى على السلطة في خضم حمامات الدم .

وعندما وصلت حكومة الليندي الى السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية كانت تعرف أن ما هو متاح لثقافة الطفل في البلاد هو المجلات والمسلسلات الامريكية وفي مقدمتها منتجات « والت ديزني » التي تصور امريكا والامريكي كانهم كائنات بريئة لا تريد للبشر الا الخير ، بينما كانت تجربة شيلي تقول عكس هذا .

وعندما أصدرت دار نشر جديدة أقامتها الحكومة مجلة جديدة للاطفال اسمها « كابروتشيكو » أي « الطفل الصغير » ، خصصت كبرى صحف شيلي الى ميركيوري مقالها الافتتاحي لهاجمة المجلة ووصفتها بأنها « مؤامرة للسيطرة على التعليم والاعلام » و « لغسل مخ الصغار » و « لتسميم عقول الصغار » و « حقنها بالبضائع الايديولوجية المهربة عبر الحدود » . بينما يملك الصحيفة الكبرى ذاتها أوجسطين ادوارد نائب رئيس شركة البيبسي كولا !

وكان مؤلفا هذا الكتاب من بين المشرفين على مجلة الاطفال الوليدة .

أما المؤلفان ، فأولهما أريل دورفمان . من أبناء شيلي ، وكان أستاذا للاداب الامريكية ، الاسبانية بجامعة تشيلي ، وثانيهما بلجيكي الاصل كان يعيش في البلاد منذ عام ١٩٦٢ ويعمل استاذا للاعلام في الجامعة ذاتها .

ويقول المؤلفان في مقدمة الكتاب ان غرضهما ان يعيدا الى والت ديزني بطته ( أي دونالد دك ) خالية من الريش ومشوية وسوف ترى في العدد المقبل من «الهلال» كيف فعلا ذلك ؟

---

### لحظات مع « الحب »

- العلم أبو الحب ولكن الحكمة هي عين الحب . ( هير )
- مهما تكلم الرجل فلا يقدر على شرح الحب ولكن تتفوه المرأة بلفظة فتذيب من الحب ما لا يسعه قلب الرجل . ( هولز )
- الحب شغل من لا شغل له لكنه كسل المشتغل . ( ليتون )
- طريق الحسد في الحياة اليف الحب في الممات . ( باكون )
- لا توجد امرأة يدوم حبها أكثر من ساعة . ( ماري كورلي )
- ان الحب البشري هو التعزية التي لا تفشل في فعلها أبدا . ( بيكنسفيلد )
- ان المحب ينسى نفسه في خدمة المحبوب . ( غردون )
- الحب . يا له من مجلد في كلمة واوقيانوس في دمعة وسماء سابعة في نظرة وعاصفة في زفرة والف عام في لحظة . ( مارتن توبر )

# اليهود في هوليود

# سياسة الخطوة... خطوة

بقلم: مصطفى درويش

ظننا إلى عهد قريب اننا على علم بالدور الذى لعبته الصهيونية ابتغاء السيطرة على السينما ، وبالذات عاصمتها هوليوود ، بل وإننا نعرف عن هذا الدور الكثير .
وما دار فى خلدنا اننا ، فى حقيقة الأمر ، لم تكن نعرف عن هذا الدور وابعاده الا القليل ، بل قل اقل القليل ولعل لذلك سببا .

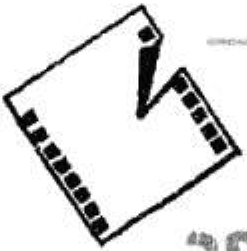


● فلأمر ما ظل هذا الدور محوطا بالكتمان ، لا يكاد احد من كتاب ونقاد الغرب يجتهد فى اظهار ماخفى منه وما غمض ، او يحفل باستكشاف ما لا يهتدى اليه من جوانبه الا بعد تفكير عسير وعناء شديد .

● الصهيونية اسرار

وعلى كل ، فالآن والآن فقط ، بدأ نفر من الباحثين يدرس دور اليهود فى السينما ، ولا اقول دور الصهاينة ، ذلك أن النفوس فى الغرب لم تهيأ بعد للاقتراب من كلمة "صهيونية" ، ولو من بعيد .

فهى لاتزال من المحظورات ، لم يكتب لها ان تظفر الا بما ندر من ادوات البحث والاستقصاء والتعمق .



# اليهود في هوليود

وقد تكون الباحثة الامريكية "باتريشيا ارينز" بمؤلفها الموسوعي "اليهودي في السينما الامريكية" رائدة في هذا المجال المحفوف بالمخاطر .
ومن هنا استكتاب القائمين على تحرير مجلة "سينما أكسيون" الفرنسية لها ، وهم في سبيل الإعداد لملف خاص يعرض لموضوع واحد "السينما واليهودية" على امتداد العالم بدءا من هوليوود ، مرورا بنيويورك ثم أوروبا فمصر واسرائيل ، وانتهاء باليابان .

ولو اطلعنا على الملف ، ومجمل مايتطوى عليه من مقالات تبلغ الثلاثة والثلاثين عدداً ، لتبين لنا ان ما كتبته "ارينز" ينفرد بأنه جديد ومفيد ، لأنه يكشف الجانب الآخر من مصنع الاحلام في هوليوود ، ذلك الجانب الغائص في ليل من الأسرار مخيف .

فالمعلومات التي ضمنتها مقالها "١٩٤٧ ـ ١٩٦٧ الموشن بكتشر بروجكت في هوليوود" ، كلها مستمدة من أرشيفات لم يسبق نشرها لاحدى تلك الهيئات المنتشرة في ربوع الولايات المتحدة بحجة مقاومة التشهير باليهود ، والتي يقف وراءها مساندا كل من "اتحاد بناي بريث" واللجنة الامريكية اليهودية .

● رقابة اهلية

وبادىء ذي بدء ماهي هيئة "الموشن بكتشر برجكت" هذه التي يدور المقال حولها وجودا وعدما ، وماهي المهام المنوطة بها والتي أنشئت من أجلها ؟
هي عبارة عن لجنة دائمة بدأت نشاطها قريبا من نهاية الاربعينيات ( ١٩٤٧ ) ، تفرغ لادارتها والاشراف على توجيهها بما يحقق اغراضها يهودي اسمه "جون ستون" ، سبق له ان عمل مدرسا ثم منتجا .

ومن بين مهامها المعلنة إحكام الرقابة على مضمون الافلام التي تجنح الى المساس سواء من قريب أو من بعيد بأحد من طائفة اليهود ، وذلك حتى في المرحلة السابقة على الانتاج ، اي وهي على الورق مجرد مشروعات ، لم تر النور .
ومن اعضائها تقول صاحبة المقال انهم كانوا منذ البداية متنبهين لاهمية السينما ، يرون فيها اداة تعليمية قوية ، قادرة على التأثير في الجماهير ، وتوجيه الراي العام .

واية ذلك ماجاء على لسان احد مؤسسي تلك اللجنة في حديث له عن "الطريق المفروش بالنجوم" ( ماكاري ١٩٤٤ ) ـ وهو فيلم داعية للكاثوليكية وفضائلها ، ومتوج بجائزة الاوسكار .
فقد قال عن الفيلم انه "افاد



.. الطريق مفروش بالنجوم .. الكاثوليكية الصهيونية



الكاثوليكية باكثر من حملة دفاعية بحتة تستمر عاما كاملا".

وعقب تشكيلها ، مضت اللجنة فى طريقها من أجل تحقيق ثلاثة اهداف .

اولها : تعديل انماط الشخصيات السلبية ، لاسيما ماكان منها متصلا بالانماط اليهودية التقليدية المضحكة ، فضلا عن الشخصيات الفاسدة والاجرامية .

ثانيها : استبعاد كل ماقد يشجع على معاداة السامية ، وبالذات فى كل ما يعرض لحياة السيد المسيح .

وثالثها : تشجيع المعالجة الايجابية لصورة اليهودى ، ولكل ما يتصل بها من موضوعات .

## ● القياس الفاسد

وفى رأى صاحبة المقال أن تاريخ نشاط تلك اللجنة ، وما تحقق بفضله من تجميل لصورة اليهودى فى نظر المجتمع الامريكى ، انما ينهض دليلا على نجاحها فيما سعت اليه ، وبالتالى فان الوسائل التى اتبعتها فى ممارسة هذا النشاط

# اليهود في هوليود

الناجح ، إنما تصلح مثلا يحتذى لكل اقلية تريد صلاح امورها .

والغريب في هذه النصيحة أن صاحبتها لم تضع في الاعتبار ، وهي تلقى بها جزافا ، أن جميع شركات الانتاج السينمائي الكبرى في هوليوود ، فيما عدا فوكس للقرن العشرين ، كانت محكومة وقتذاك برؤساء مجالس إدارات ، كلهم من اليهود ، فضلا عن أن الاقلية اليهودية تعتبر أقوى وأغنى اقلية في العالم ، وفوق كل هذا فهي الحليف الرئيسي لأقوى واغنى اقلية في الولايات المتحدة ، تلك الاقلية البيضاء التي تنحدر من أصول انجلوسكسونية ، تعتنق مذهب البروتستانتية ، ويراس ابناؤها الدولة منذ إعلان الاستقلال وحتى يومنا هذا ، وذلك باستثناء كيندي الكاثوليكي الذي انتهت ولايته فجأة بكارثة الاغتيال .

## ● الصبر والصمت

**ومهما يكن من شيء ، فقد بدأت اللجنة مسيرتها التي كانت تستهدف بها احكام الرقابة على السينما والسيطرة على مصائرها لصالح الأقلية اليهودية .. بدأتها بسياسة الخطوة .. خطوة باللجوء بداءة إلى اسلوب الاقناع .**

**فها هو ذا "جون ستون" يلتقى برؤساء الاستديوهات . يحاول دون جدوى ان يوضح لهم مالديه من ماخذ على رسم الشخصيات الرئيسية اليهودية في المسلسل الاذاعي "آل جولد برج" الذى اتجهت النية الى التحول به الى فيلم .**

فإذا ماقوبل "آل جولد برج" مقابلة سيئة من النقاد ، ومقابلة أسوأ من الجمهور ، سارعت شركة بارامونت صاحبة الفيلم الى تغيير اسمه الى ""مولى" بأمل استرجاع الجمهور بفضل الاخفاء تماما للاسم القديم وما شابهه من اسماء قد تكشف الانتماءات الدينية الحقيقية للشخصيات .

وطبعا ، تعلمت هوليوود الدرس من هذا الفشل ، فكان ان امتنعت عن اعادة الاحياء للقوالب اليهودية السابقة على نشوب الحرب العالمية الثانية .

ولم تلبث ان ثارت المشكلة غير مرة فيما يتصل باظهار الشخصيات الثانوية في هذه القوالب .

الا انها سرعان ما حسمت لصالح اليهود ، بفضل يقظة اعضاء اللجنة ، وممانعتهم لأية انتكاسة من هذا النوع اشد ممانعة .

## ● وداعا للحرية

بعد ذلك خطت اللجنة خطوة اخرى

اكثر جسارة .. شنّت حملة ضد اظهار اية شخصية يهودية مشوّهة الروح ، بلا قيم او اخلاق ، حتى ولو كان ظهورها فى افلام مأخوذة عن روايات معاصرة ناجحة مثل "استطيع ان احصل عليها لك بسعر الجملة" لجيروم ودمان او عن اعمال ادبية شهيرة مثل "ايفانهو" للسير والتر سكوت .

وعن نجاح "جون ستون" فى التخفيف من حدة رسم صاحب القصة الاولى لشخصية الترزى اليهودى الطموح الذى لا يتورع عن شىء فى سبيل الوصول ، عن نجاحه هذا كتب اثر مشاهدته الفيلم المستوحى من تلك القصة قائلاً "الفيلم باجماع الاعضاء الذين شاهدوه خلو من اى مظهر من المظاهر المتنازع عليها فى القصة ، والتى كانت مثار قلق بعض الجماعات داخل الطائفة اليهودية .

فهو باستثناء الاسم واوساط صناعة الملابس ، مُنبتُ الصلة بالكتاب .

والشخصيات التى يمكن التعرف عليها بوصفها شخصيات يهودية ، بما فى ذلك الشخصية الرئيسية "سام كوبر" انما تشعّ حرارة وصفوا .

واغرب من هذا كله التعديلات التى ادخلت على "ايفانهو" بفضل نصائح اللجنة .

## ● إرادة التخريب

من المعروف ان "والتر سكوت" قد رسم شخصيتى "ريبيكا" وابـاهـا "اسحاق" على وجه يتسم بالتعاطف الشديد .

ولكن ان يكون "اسحاق" مرابيا فى منتصف القرن العشرين ، فهذا امر كان لابد ان يتسبب فى مشاكل لمنتج الفيلم "دور شارى" .

وللحظات جنح به التفكير الى تغيير نهاية القصة ، تلك النهاية التى لم يكن يحبها الاديب الانجليزى "زاكيراى" ، وبسببهـا اتهم "سكـوت" بمعـاداة السامية .

وان يكون تغييره لها بحيث ينتهى الفيلم بزواج "ايفانهو" من "ريبيكا" .

غير انه سرعان ماعاد اليه الرشد ، تخوّفا من ايذاء شعور المتفرجين الذين قراوا واستمتعوا بالقصة ، ويعلمـون نهايتها غير المحرفة علم اليقين .

ومع ذلك فالمتفرج على الفيلم فى صورته النهائية التى خرج بها الى الناس ، هذا المتفرج اذا ما ذهب به الظن الى ان "اسحاق" هو الذى انقذ انجلترا ، وليس ريتشارد قلب الأسد ، فله العذر كل العذر !!

## ● الخطوة الأخيرة

والى العام العاشـر من حياتهـا ( ١٩٥٧ ) ، اقتصر تدخل اللجنة على التقدم بالاقتراحات والمشاهدة .

أما التصور العام للافلام ، فلم يكن لها عليه اى نفوذ .

ومع ذلك فلم تنقض سوى ايام على

عرض فيلم "كنت شيوعيا فى خدمة مكتب المباحث الاتحادية" لشركة اخوان وارنر ، وعلى ردود الفعل الغاضبة التى اثارها فى بعض الاوساط ، اليهودية حتى بدأت الخطوة الثالثة .

فاذا بوارنر والاستديوهات الاخرى تستطلع راى اللجنة فى مشروعات الافلام ، مستجدية موافقتها .

ومجمل تقارير "جون ستون" نصف الشهرية المكتوبة عقب هذا التحول الخطير ، انما تلقى الضوء على التغييرات التى نجح فى احداثها لصالح اللجنة .

فمثلا جاء فيها عن فيلم "العرايا والموتى " ( راؤول والسن ١٩٥٨ ) "ثمة بعض تعديلات هامة يتعين ادخالها ، واستبعاد الكثير من التعبيرات التى تحمل الازدراء لليهود .

ومع ذلك ، فمن الامور التى لها مغزى شخصية اليهودى . فهو الوحيد الذى ظل محتفظا بمثل اعلى ، ولم تمزّقه تجربة الحرب التى مرّ بها" .

وجاء عن فيلم "بن هور" ( ويليم ويلر

- بول نيومان .. نجم «الخروج» .. الاعظم ..



١٩٥٩ ) "جميع ملاحظاتي ، وكما اوضحت في تقرير سابق كانت محل اعتبار تتبقى العشرون صفحة الاخيرة ، وهي وفق آخر الاخبار ، جار مراجعتها" .

## العهد الجديد

وعلى حدّ تعبير صاحبة المقال ، كان للافلام المستوحاة من التوراة ، وبخاصة العهد الجديد ، كان لها من المشاكل الشائكة ادقها واكثرها اثارة للمشاعر .

فعلى مرّ العصور ، كانت تعتبر مسرحيات الصلب كارثة بالنسبة لليهود ، يرون فيها الشرّ كل الشرّ .

ولم يتغير الموقف ازاء الصلب السينمائي فهو بدوره يعرضهم لنفس المشاكل ، بما يثيره في "نفوس الدهماء من عداء لليهود عن جرائم ارتكبها الاجداد في سالف الزمان" .

ومن هنا معاداة الاتحادات اليهودية لافلام مثل "تعصب" ( جريفيث ١٩١٨ ) و "ملك الملوك" (دى ميل ١٩٢٧ ) و "المسيح نجم اعظم" (جوويسون ١٩٧٢ ) وبداهة ، لم يقف "جون ستون" وصحبه اعضاء اللجنة في مواجهة خطر الصلب بما يثيره من ذكريات كلها اشجان ، لم يقفوا مكتوفي الايدي .

## التحريف العظيم

تحركوا سريعا . حذفوا كلمات الصلب ومذبحة الاطفال من سيناريو "سالومى" ( ويليم ديتريل ١٩٥٣ ) حرفوا التاريخ في الفيلم بجعل "هيرود" و "هيروديات" برابرة اغرابا ، ليس لهم صلة دم ببني اسرائيل الذين هم منهم براء .. ألصقوا تهمة خيانة المسيح بشخص آخر غير المسيح اسمه "كاييف" .. حقروا من شأن مصر الفراعين شعبا وجيشا في الوصايا العشر ( دى ميل ١٩٥٦ ) .

ولم يكتفوا بكل ذلك ، بل عملوا على تحقيق الهدف الثالث والاخير من اهداف لجنتهم ، الا وهو تنظيف صورة اليهودي على الشاشة البيضاء .

وكان لهم كل ما ارادوا .

فها هو ذا اليهودي مجملاً محتلاً الشاشات وهاهوذا في « اتفاقية الجنتلمان » مضطهدا معذبا وفي " مذكرات آن فرانك " معتقلا في الطريق الى الموت الجماعي بالغاز ، وفي " الخروج " مناضلا ثائرا سائرا الى ارض الميعاد وهكذا ... وهكذا .

وقبل أن يجيء الموت " جون ستون " بقليل ( ١٩٦١ ) كتب عن " الخروج " ١٩٦٠ الفلم الذى اخرجه " اوتو برمنجر " ومثله " بول نيومان " كتب عنه كشيدا " الخروج قد اشهد العالم على بسالة اليهود في نضالهم من اجل الحرية .. وهذا هو المهم " .

وفي العام التالي لاختفائه ، وتحت رئاسة الن ريفيكين ( ١٩٦٢ ) غير اسم اللجنة بحيث اصبح " اللجنة الاستشارية اليهودية " .

فاذا مامرت الأعوام ، وجرى الاعلان عن حل اللجنة ( ١٩٦٧ ) افصح رئيسها " ريفيكين " عن سبب ذلك قائلا " المهمة تمت " ! !

# شهريات

## رأى فى الثقافة

### هذا الاعتداء الآثم على المسرح

● لا احد يستطيع المكابرة فى ان ما حدث فى قرية « كودية الاسـلام » التابعة لمركز ديروط بمحافظة اسيوط من اعتداء آثم على عرض مسرحي نبيل الهدف قام بالجهود الذاتية من ابناء المكان الذين لم ينتظروا الفندية القاهرة لياتوا لهم بعروضهم المسرحية السخيفة التى تقدم الناس،وبالخصوص الفلاحين فى صورة كاريكاتورية بلهاء ، نقول لا احد يستطيع ان يكابر فى ان هـذا الاعتداء عمل جاهل مدان قام به عدد من المرضى الذين يعملون على نفس الخط الذى يراد لمجتمعنا ان يظل قابعا فيه ، خط الجهل والجهالة الذى يتركنا نتمرغ فى الظلام والتخلف ، حتى يتقدم الجميع ما عدا مصر المستهدفة من الاستعمار كما هى مستهدفة من قوى الظلام ٠

والمضحك المبكي فى الامر ، وما يدفعنا للدعوى الى ان نتكاتف جميعا خاصة المثقفين والفنانين والكتاب من أجل الوقوف فى وجهه بكل قوة ، ان العرض لم يكن احد تلك العروض التى تمتد بجذورها الى ملاهي شـارع الهرم القديم ، ولا كان القصد منه دغدغة الغرائز او مخاطبة ما فى النفس من مبـاذل ، وانما كان عرضا هدفه النبيل يحمل دعـوة من أجل ان يعود الفلاح للتمسك بارضه ، بعد فترة الانفتاح « السعيد » الذى دفعه للهجرة والتخـلى عن الارض جريا وراء المكسب السريع ، والتخلى عـن قـيم العمـل الجـاد المنتج ، الى اساليب النهب والسمسرة مما اصاب الشخصية المصرية بكثير من العطب ، عرض يدعو الى ان يعود الفلاح الى ارضه بـدلا مـن التعـلق باوهام الثورة الزائفة ، ويبسط المخاطر التى ترتبت على ذلك يهـاجم من قبل هؤلاء الصبية الجهلاء المرضى لابد ان يكون موضع اتفاق بيننا جميعاعلى ادانته ، بل والتصدى له بكل ما تملك من قوة ، بـل يدفعنا جميعا نحن العاملين فى حقل الثقافة الى ان نحمل عتادنا الثقافى ونتجه به الى الارياف ، لان الامر وان بدت خطورته قائمة واكيدة على قوى الظلام التى تخـاف العـلم والفـن والثقافة يؤكد لنا مرة اخرى ٠ انه هو الحل للعودة بالامور الى توازنها الصحيح

وبسط دعوة التنوير على ضفاف النيل كما كانت .. ولنكف ونتوقف عن التكدس فى القاهرة التى لم تعد تحتمل لا وجودنا ولا نشاطاتنا بعد ان اصبحت الحياة فيها مستحيلة ·

ان هذا العمل الاجرامى لابد ان تكون له نتائج محسوسة على الجانب الاخر ، جانب المتنورين ، هو أن نتحرك فى هذا الاتجاه · أن نسعى الى الريف وان نغمره بالاعمال الفنية فهذا هو الرد الوحيد ·

وعاشت فرقة ساحل سليم المسرحية ، وها هو التاريخ يكتب عملها بأحرف من نور ·

عبده جبير

## مسرح

### ● مسرح ٨٨ : الشبان قادمون

طوال الاشهر الماضية برزت عروض متميزة لمجموعة من المخرجين الذين يقدمون انفسهم فى فهم واستيعاب لدورهم ومقدرة تنبىء بمستقبل كبير ·

ففى المسرح الحديث يقدم هشام جمعة عرض ( برلمان الستات ) اعداد مجدى كامل عن نص اريستوفان ، وفى نفس المسرح يقدم على خليفه (الخطاب) المسرحية التى كتبها ميشائيل رومان عام ١٩٦٧ ، وفى مسرح الطليعة يقدم حسن الجريتلى مسرحيتين من تاليف هارولد بنتر هما ( الخادم الاخرس ) و ( العشيق ) ·

وقد نجد تفاوتا بين المخرجين الثلاثة فى امتلاك الادوات وفى امانة توصيل كلمة المؤلف وفى القدرة على التحكم والسيطرة على الممثلين ، ولكنهم جميعا يملكون مواهب كبيرة ومقدرة على التجسيد البسيط المعبر وقراءة ما يخفيه المؤلف بين سطوره والحس الفنى العالى ، وهى اشياء صارت للاسف الشديد نادرة حتى عند المخضرمين من المخرجين ·

فى ( برلمان الستات ) يناقش العرض مشكلة الديمقراطية من خلال موقف كوميدى يتفجر بعد رفض نساء اثينا حكم الرجال ، فيقررن التحايل من اجل الاستيلاء على الحكم ، فيذهبن متنكرات وينجحن فى ذلك ، ومن الجو الساخر الذى ينشا من هذه المفارقة بعد ان تبدلت الاوضاع يتحايل الرجال مرة اخرى من اجل الاستيلاء على الحكم ووسط هذا تبرز مشكلة الاطفال الذين يواجهون الجميع فى النهاية فى مطالبة بالمشاركة والحرية على قدم المساواة ، وقد نجح اعداد مجدى كامل فى صياغة النص وتركيزه على قضايا كلية تجعله قريبا من قضايانا المعاصرة ، ونجح هشام جمعة فى تجسيد هذا الجو الساخر فى حركة معبرة وفى تحكم وانضباط أداء الممثلين ، وان جانبه التوفيق فى المشاهد الاخيرة التى كانت تسمح له باطلاق خياله اكثر وخاصة فى المشاهد الاستعراضية التى جاءت فقيرة التعبير ، ولجح الممثلون الجدد فى اثبات وجودهم وهم يحملون عبء تقديم عمل جميل وحدهم : مها عطية ، ميرفت مراد ، سميحة عبد الهادى ، لاشينه لاشين ، امل الصيفى ، محمد

الدسوقي ، علاء مرسى ، ابراهيم الابيض ، سليمان عيد ، على ابو علقه ، سيد جبر ، محمود البنا ، حسن السيد•

اما عرض ( الخطاب ) فهو نص فكرى تغلب على سكونه مخرجه على خليفة بمقدره كبيرة ، فاحال العالم الكابوس الذى حاصر بطله ( هو ) الذى يعانى القهر على كافة المستويات ، الى عالم حى وزاخر بالانفعالات المتضاربة والحركة المتلاحقة ، والبطل ( هو ) يؤمن بمشروعية الاحلام ولا نهائية الامال كحق انسانى مطلق ، ولكنه عاجز دائما عن الخروج من حالة الامانى ، ويوازى على خليفة افكار المؤلف بتجسيد حركى مبتكر وغير عادى يعطى العمل روحا جديدة بعد فهم واستيعاب لكل دقائق النص ومعه مهندس ديكور صمم الديكور ببساطة موحية وهو محمد الصعيدى ، وينجح سيد خاطر فى تحمل العبء الاكبر من هذه الشخصية المركبة المتناقضة ويجسدها ببراعة ومعه سميحة عبد الهادى وعلى ابو علقه وطارق لطفى الذين يثبتون فعلا لا قولا صدق مواهبهم •

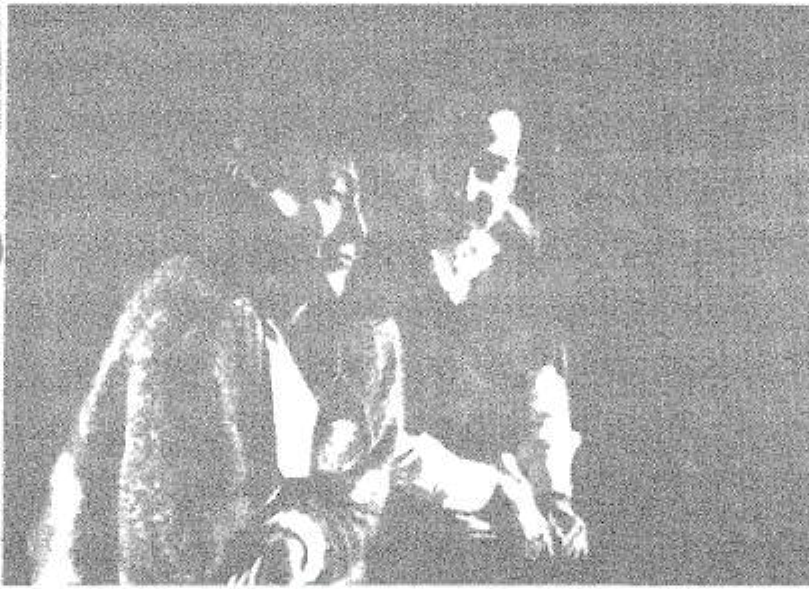
اما عرضى ( الخادم الاخرس ) و (العشيق) فتبرز فيهما مقدرة مخرجهما حسن الجريتلى التى تتاكد عرضا وراء عرض ، وبعد ان قدم منذ فترة قصيرة عرضيه ( نوبة صحيان ) لداريوفو وفرانكا راما و ( يموت المعلم ) لبيتر هاندكه ، نلاحظ اهتمامهغير المالوف بما يمكن ان نسميه باللقطة المسرحية ، فهو يكثف رؤية العمل الدرامى من خلال مشاهد متتابعة هى اقرب للوحات الفنية ، حيث علاقاتالشخصيات ببعضها مرسومة بعناية وحركتها محسوبة والاضاءة المستخدمة تضفى نوعا اخر من الجو النفسى المستبطن من داخل النصوص ، وهو يميل دائما للاناقة الشكلية التى تاتى احيانا على حساب المضمون الفكرى •

ونحن هنا لا نطالب بسيادة نمط معين على خشبات مسارحنا من العروض المختلفة او نتبنى قوالب ثابتة ، ولكن لا يمكن ان نتحدث فى مجتمع نام كمجتمعنا عن ترف فكرى او فنى ، او نشجع عروضا مسرحية من اجل العروض فى عرض ( الخادم الاخرس ) يتحدث بينتر عن علاقة بين شخصين يتلقيان اوامر بقتل احد ضحاياهما من منظمة غامضة ، وهما فى انتظار الضحية الجديدة ، ويبنى المؤلف عالمه من خلال هذين الشخصين المتناقضين فى السلوك والعادات وطريقة التفكير ، ويوضح مدى علاقتهما بالعالم الخارجى ؛ وفى النهاية يقضى احدهما على الاخر بعد ان جاءته رسالة امرة بان يقتل زميله ، وهما قد قلنا من قبل انهما معا مكلفان بمهمة قتل ثالث •

وبين قاهر ومقهور تدور اللعبة ولكنها تظل ابدا فى يد ذلك القاهر الغامض الذى يمسك بكل الخيوط فى يده •

والعرض الثانى ( العشيق ) عن زوجين يقومان بلعبة الخداع ، فيتقمص كل منهما قناع العشيق ، ويحمل كل منهما نقيض ما يؤمن به ، ليكتشفا وتكتشف معهما حقيقة اللعبة الانسانية التى يعيشها الجميع •

والعرضان يحملان اهم سمات عالم بينتر من الغموض ، واستخدامات اللغة التى تثير اكثر من معنى وتضفى بالصورة والرمز بدلا من تسلسل الاحداث ، وهو يخلق عادة صراعه من



- نهى العمروسى واحمد كمال كمال فى « العشيق »

الشك الذى يلف حياة شخصياته لكى يزيد من حقيقة الموقف الذى يواجهنا ويواجههم ، ومع اهتمام المخرج بالتفصيلات الصغيرة ، وامكانياته الكبيرة على التشكيل الجمالى واستخراج افضل ما لدى ممثليه ، فان كل ذلك يتوارى مع زيف عالم بينتر المقدم بعد أن تغيرت الاسماء وتحولت الى بيئة محلية مما يفقدها الخصوصية التى تكسب أعمال بينتر تفردها ورؤيتها للعالم ، وقد احدث هذا انفصالا تاما بين المتلقى والعرض ، وقد يكون الغرض من ذلك هو تقريب بينتر من المشاهد المصرى ولكن العكس هو الذى حدث ، ولا يمكن وسط هذا بالطبع ان نتحدث عن مزايا الاخراج او براعة ممثليه احمد كمال وعمرو عبد الجليل ونهى العمروسى والتى تسمى نفسها ( الورشة ) بعد والمجموعة التى تقف وراء هذه العروض الانفصال الذى يحدث من جراء التقريب الذى تعمده المخرج فابتعد عن المتفرج ٠

ويصبح من الخطأ القول ان هذه العروض لا تعنى فى المقام الاول بالجمهور العادى وانما تقدم للصفوة ، لانه فى تصورنا وسط هذا التردى المسرحى الذى نعيشه يصبح كل ذلك عبثا لا طائل من ورائه ٠

والخلاصة ان الشبان الثلاثة هشام جمعة وعلى خليفة وحسن الجريتلى مواهب اخراجية لا شك فيها ، ينتظر المسرح المصرى منها الكثير ٠

● محمد الشربينى

## رسائل جامعية

### مصر والنوبة فى العصر المملوكي

● نوقشت اخيرا فى كلية اداب سوهاج رسالة الدكتوراة المقدمة من الطالب عبد الرازق عبد المجيد سليم عن موضوع « العلاقات بين مصر والنوبة فى العصر المملوكي » باشراف الاستاذ الدكتور محمود الحويرى ، وقد ناقش الطالب الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، والاستاذ الدكتور محمد محمود ادريس •

وبعد العرض بدأ الدكتور سعيد عاشور المناقشة قائلا : « اننى عندما قرأت هذه الرسالة كلمة كلمة وجدت الطالب قد تخطى حاجز المسلمات ولم يقتصر على ما جاء بهغيره من المؤرخين، عربا كانوا او اجانب ، وانما استطاع ان يلقى اضواء جديدة على مشاكل عملية كتابة التاريخ والمنهج الذى تتبعه ، وهذا ما جعلنى اقدر بحثه وجهده •

اما عن الملاحظات السلبية التى ابداها الدكتور عاشور فقد بداها بملاحظة أن الطالب لـكى يتطرف الى شعاب جديدة ساقه هذا الى شيء عن الاستطراد « وهذا الاستطراد » مرض خطير تعانى منه الكتابة التاريخية ، حيث شاع على ايدى كثيرين ممن يكتبون فى التاريخ عندما يتناولون نقطة فرعية ويتوسعون فيها على حساب الموضوع الاصلى •

الملاحظة الثانية للدكتور عاشور ابداها عن مشكلة راي ان الباحث وقع فيها الا وهي انه قد حمل التاريخ اكثر مما يحتمل فموضوع رسالته هو النوبة ، لكنه استعمل الكلمة باعتبارها السودان ، فى الوقت الذى اشار عليه بانه اذا كان صحيحا القول بان كل نوبى هو سودانى ، الا انه ليس صحيحا ان كل سودانى هو نوبى ، لان كثيرا من السودانيين من اصول مختلفة ، وقد قاد هذا التصور المبنى على العاطفة الى ان يرى المناقش شيئا من التعصب لدى الباحث تجاه النوبة فى الوقت الذى يجب على الباحث المؤرخ ان يتخلص من هذا المرض ، هذا امر مرفوض باعتبار ان المؤرخ ينبغى ان ان يكون قاضيا عادلا منصفا لا ينسب الى شيء ما ليس فيه •

وهذا هو ما دفع الباحث لان يخرج عن اطار النوبة وتاريخها الى اطار اخر ، فى الوقت الذى نجد فيه تاريخ النوبة تاريخا خصبا وحيا ، الامر الذى كان على الباحث أن يلتزم به مادام قد حدده فى عنوان الرسالة ، واعتقد أن ما قاده الى ذلك هو خلطه بين النوبة والسودان •

ملاحظة اخرى شكلية هى الافراط الشديد فى الحواشى والهوامش التى خصصت لاشياء معروفة ومطروقة ، فلا ينبغى على الباحث ان يشرح كل صغيرة وكبيرة لان هذا لا يزيد من قدر العالم وانما يزيد من قدره ان يكتفى بما يستحق الشرح ، فليست العبرة بالكم وانما العبرة بالكيف •

ملاحظة اخرى ابداها الدكتور عاشور تنبنى على الملاحظة السابقة هى ان الباحث قد اتهم المماليك انهم وعقب قيام دولتهم مباشرة لم يهتموا بالنوبة ، متناسيا ان معركة المماليك فى ذلك الوقت كانت تنصب على ترسيخ دولتهم وتامين حدودها،

في ظل اعداء لهم في الداخـــل والخارج ٠

وفي نفس الوقت يتهم البـاحث صلاح الدين الايوبي بانه لم يول اى اهتمام للنوبة في نفس الظروف ، وعلى نفس المستوى ، بل انه اتهم صلاح الدين بانه كان فقط يعمل على امتداد امبراطوريته ٠ وقال المناقش : انا غير راض عن صياغة هذا ٠ وهـذه اراء فيها مبالغة ٠

وعن مراجع الباحث أبدى المناقش ملاحظة بانه أعتمد على مراجع عامة مثل كتاب « حضارة الاسلام » في الوقت الذى هو مرجع عام لم يكن من الضرورى اثباته كمصدر ، بل يمكن اثباته في النهاية كمرجع عام ٠

وبالنسبة للملاحق اكد المناقش انه يرى عدم ضرورتها لان الملاحق اذا لم تكن وثائق توصل اليها الباحث بنفسه ، وينشرها للمـرة الاولى فلا لزوم لها ، فالباحث اقتطع من مراجع وكتب اخرى منشورة ومتوافرة بين يدى القارىء ليثبتها في نهاية الرسالة كوثائق ٠ وهو امر لا طائل منه ٠

وقد اكد المناقش الثانى الدكتور محمد ادريس على الهدف النبيل الذى سعى اليه الباحث من دراسـتيه ، الماجستير والدكتوراه ، حيث يشكل موضوع مصر والنوبة قضية حيوية لانصهارهما معا مكونين مصر الحديثة ٠

اما الملاحظة الشكلية الاولى فقد انصبت على مسالة اثبات التـاريخ الذى أعتمد عليه الباحث ، فالدراسة تتناول حقبة من التاريخ الاسلامى ، لذلك كان على الباحث ان يعتمد في البداية التاريخ الهجرى ، ويقرنه بالتاريخ الميلادى ولكنه فعل عكس ذلك اذا اثبت التاريخ الميلادى وترك التاريخ الهجرى ٠

وبالنسبة للتعريف الجغـرافي قال المنـاقش : انني أرى ان يكون التعريف الجغرافي للمنطقة في الفصل التمهيدى وليس في صلب الرسـالة كما فعل الباحث ٠

وبالنسبة للفصل الرابع الـذى خصصه للنشاط الاقتصادى فـان المناقش راى ضرورة تغيير عنوانه الى النشاط التجارى ، لان النشـاط الاقتصادى يشمل أشياء كثيـرة غير التجارة التى اقتصر عليهـا الفصل ٠

كما ابدى المناقش اعتراضه على التفاصيل الكثيـرة التى وردت في المقدمة وفي الهوامش وكان من الممكن الاستغناء عنها لانها لا تضيف جديدا، واتهم الطالب بالمغالطة اذ قال عن بعض مصادره انها خطية في الـوقت الذى هى كتب منشورة ومتـوافرة كما ابدى ملاحظة عن وفاة ناصر خسرو الذى ذكر الباحث انه تـوفي عام ٢٠٧ هجرية في الوقت الذى هـو قد توفي عام ٤٨١ هـ ٠

أبدى المناقش ملاحظة اساسية حول أن الطالب أورد كلمة « ويبدو » في معرض عرضـه لرايه في اكثر مـن مـائة موضع في الرسالة دون تاكيد ، الامر الذى يدفع القارىء للشك في هـذا الرأى ، وطالبه بان يحسم القضـية كما يقتضى السياق ٠

وفي النهاية فقد اثنى الدكتـور ادريس على منهج الطالب وتميـز اشراف استاذه ومنح الطالب بعـد المداولة درجة الدكتـوراة بمرتبـة الشرف الاولى ٠

## مؤتمرات

● مؤتمر المعماريين المصريين

اقيم في الشهر الماضي بمبنى جامعة الدول العربية المؤتمر الرابع للمعماريين المصريين ، واستمر لمدة ثلاثة ايام .. وكان الموضوع الرئيسي الذى قدمت حوله الابحاث .. والحلول والتوصيات هو « دور المخططين المعماريين فى تنمية الصحراء » وهو موضوع لا يهم فقط المعمارى المصرى .. بل يهم كل مخطط ومعمارى فى الدول العربية .. وقد حضر المؤتمر كثير من الاخوة العرب المهتمين بهذا الموضوع .

اقيم المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك .. وقد القى كلمة الافتتاح نيابة عن الرئيس وزير التعمير حسب الله الكفراوى .. الذى قال ان تنمية الصحراء هى القضية الاولى التى تشغل بالنا جميعا نحو الاخذ بيد الوطن والمواطن الى افاق أرحب نحو مستقبل اكثر ازدهارا واشراقا ، وحين نتحدث فى اواخر الثمانينيات عن دور المعماريين فى انشطة التنمية الشاملة فانه لا خلاف على اهمية الدور الذى قام به او يمكن ان يقوم به المعمارى فى تنمية المجتمعات وارتقائها . ان المعمار والتعمير وجهان لمفهوم شامل يعني : المسئولية او المشاركة فى تشكيل بيئة الانسان ومحيطه العمرانى الممتد من ماواه الى عمله ومن مكان الدرس والعلاج الى مواضع العبادة والتعبد ، ومن ساحة المنزل الى معابر الحركة ، ومن الحديقة الى ساحات التريض والترويح، ومسئولية تشكيل بيئة الانسان تعنى وتستلزم الوعى بالمجتمع وملامحه وامكاناته ، باحتياجاته وتطلعاته ، بثقافته وأبعاده التاريخية والحضارية.

ان اعادة تشكيل بيئة الانسان يمكن صياغتها باعتبارها التحدى الاساسى الذى يواجه المعمار والتعمير بالتركيز على بعدين اساسيين .

البعد الاول : المشاركة وهو الامر الذى يعنى بالتعمير فى مجال العمارة فالمعمارى شريك للجماعة فى بحثها عن التعمير الامثل .

والبعد الثانى : فى عملية صياغة مسئولية المعمارى والوعى بخصوصية المجتمع ، واحتياجه الى التعمير عند تاكيد وتعميق مفهوم الخصوصية . والعمارة والتعمير هما مراة صادقة للثقافة المحلية . بابعادها المادية والروحية . ولا شك اننا جميعا لسنا فى حاجة لنؤكد حجم المشكلة السكانية واثرها الضاغط على برامج التنمية ، ولئن كانت اهداف استراتيجية للحد من تصاعد التكدس على مساحة الحيز المعمور الحالى ، فان الانطلاق خارج هذا الحيز الى باقى مساحات مصر غير الماهولة هو الطريق الوحيد لذلك شريطة الاعتماد على مقومات اقتصادية اساسية توفر فرص العمل لتستوعب الزيادة السكانية سواء القائمة او المنتظرة .

فليس من المعقول أن يظل سكان مصر الذين يتزايدون باكثر من مليون نسمة كل تسعة اشهر أن يعيشوا على نفس الارض التى عاش عليها اجدادنا عبر القرون وحولنا صحراء مترامية الاطراف ..

فلا بديل امامنا الا بتعمير الصحراء بكونها أرض المستقبل .. انها معركة مصير ولابد من الاعداد لها والاستمرار فيها بنهج علمى يغطى كافة جوانب الحياة اجتماعيا واقتصاديا وفنيا .

ولقد خطت الدولة خطوات فسيحة في سبيل تطويع الصحراء تعميرا واستزراعا وتصنيعا مستفيدة بكل الامكانات الطبيعية المتاحة في شتى اقاليم مصر .

وقد قدم البحث الرئيسى فى المؤتمر ويقع فى حوالى ثلثمائة صفحة طبع ووزع على اعضاء المؤتمر من كلية الهندسة جامعة الازهر باشراف الاستاذ الدكتور عبد الحليم الرمالى . عن « تشكيل الكيانات العمرانية فى الصحراء فى اطار التنمية والتخطيط القومى الشامل » .

وتقول مقدمة هذا البحث عن النمو السكانى فى مصر « تواجه جمهورية مصر العربية مشاكل عديدة تتمثل فى الانفجار السكانى والهجرة المستمرة من الريف الى الحضر بمعدلات تفوق معدل التنمية الاقتصادية ، هذا النمو السريع فى تزايد السكان الذى لا يتناسب مع الاحتياجات البشرية والانشطة الانسانية علاوة على عدم استغلال الثروات الطبيعية الامثل ، مما سبب تاثيرا سيئا فى جميع مجالات الحياة ونقصا فى الغذاء والاحتياجات المعيشية الاخرى .

ان السبيل الامثل الوحيد لتحديد هذه المشاكل هو الاخذ باسلوب التخطيط بوجه عام اذ انه الاسلوب العلمى للوصول الى الحلول السليمة ، والسبيل الى رفاهية الفرد والمجتمع على اساس التخطيط الشامل بابعاده ( القومى .. والاقليمى - والمحلى ) .

يعد معدل النمو السكانى فى مصر من اعلى المعدلات فى العالم وقد اخذ هذا المعدل فى التزايد ابتداء من عام ١٩٢٧ ليبلغ حوالى ٢٫٥٤٪ سنويا عام ١٩٦٦ .

ولكن هذا المعدل عاد مرة اخرى الى الانخفاض فى تعداد عام ١٩٧٦ ليبلغ حوالى ٢٫٣١٪ سنويا ان هذا المعدل لا يزال مرتفعا اذا ما قورن بالمعدل العالمى للزيادة السكانية والذى يبلغ حوالى ١٫٨٪ سنويا .

وقد حفل المؤتمر بالعديد من الابحاث التى تستحق من المهتمين بالعمارة والتعمير اخذها بعين الاعتبار ، لذلك نرى ضرورة ان تنشر فى كتاب يكون بين الناس حتى يمتد الاثر خارج قاعة المؤتمر وتعم الفائدة .

● نجوى صالح

## مكتبة الهلال




الكتاب : سيد قطب الخطاب والايديولوجيا
تأليف : د. محمد حافظ دياب
الناشر : دار الثقافة الجديدة القاهرة ، ٣٦٦ ص ، ٤٥٠ ق م

أحسن الدكتور محمد حافظ دياب اذ جعل مدخله لهذه الدراسة التى تأتى فى اطار بحثه الاوسع عن التحليل السوسيولوجي للخطاب الاسلامى أن اختار الخطاب القطبى نموذجا لأنه من جهة يشكل النموذج المتكامل لأحد

التيارات الفكرية الرئيسية في مجتمعنا ، ومن جهة اخرى لان كثيرين ممن تناولوا هذا الخطاب تناولوه بخفة اضاعت الحقيقة مع الريح ٠

وانه اذ احسن اختيار النموذج فانه احسن ايضا اختيار مداخله ، وحدد مصطلح الخطاب وماعناه به منذ البداية نظرا لشيوعه دون تحديد المعنى في كثير من الدراسات الحديثة ، وفي مجالات شتى ٠

يقول : ربما كان مصطلح الخطاب الذى تبناه ( ملتقى ابن رشيق ) بالجزائر في مايو ١٩٨٠ ، وشاع مؤخرا في الادبيات العربية افضل من « الحديث » او « القول » واشمل من « المقال » وايسر من « الاقاويل » المستخدمة عند قدامى الفلاسفة العرب ٠

والمصطلح تاريخيا مقولة من مقولات علم المنطق ، تعني التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة ، بعدها ، اجيز اطلاقه على العمل البحثي بدءا من القرن السابع عشر ٠

ويعرف بانه كل نطق او كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم او الكاتب ، وتفترض فيه التاثير على السامع او القارىء ، مع الاخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها ٠

وللخطاب القطبي على اية حال وكما يقول المؤلف اشكالية تنامت واتجهت نحو هدف محدد هو « تحطيم مملكة البشر لاقامة مملكة الله في الارض » من هنا تداخلت السياسة مع الدين ، وتناقد الفكر مع الحركة ، واندمج النظر بالممارسة ، حيث لم يتوقف الخطاب عند حدود الكلام بل ذهب الى حد الممارسة العملية والتجسيد التطبيقي ٠ وهو ما يعني القول بان سيد قطب قد تعامل مع خطابه بلسان الداعية ، وعقل السياسي ، وفكر الايديولوجي ٠



الكتاب : ورقة البهاء
شعر : محمد بنيس
الناشر : طوبقال ـ المغرب ٨٨ ص
٢٠ د٠م

هذه هي المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر المغربي العربي المعروف محمد بنيس ، ياتي حاملا قوة الخبرة التي اكتسبها عبر مجموعاته « ما قبل الكلام » ، « شيء عن الاضطهاد والفرح » و « وجه متوهج عبر امتداد الزمن » و « في اتجاه صوتك العمودى » ثم « مواسم الشرق » ٠ لتتوج هذه المجموعة مسيرته الشعرية بعطاء جديد نابه ، يتدرج في اطار المحاولة الجادة التي يقوم بها شعراء الجيل القائم المجدين للخروج من ازمة القصيدة الغنائية ، وتعبيد طرق جديدة في اتجاه القصيدة الدرامية ، ان صح التعبير ، تلك التي ينفتح الافق امامها بلا حدود ٠

وهذا التيار الشعرى الجديد وان كان يستلهم التراث العربي في اهم قسماته المميزة ان يكن تراث الصوفية او التراث الشعبي او ديوان العرب الشعرى في مجمله ، الا ان هذا الاستلهام ياتي كحاجة اساسية من القصيدة نفسها ، كما من روح الشاعر الاصيل ، وليس مجرد الاستعانة بالمقولات او القول ، او التضمين الذى قتل

استعمالا، لكنه اندماج في المكان والزمان ثم خروج الى الزمن الجديد الذى يتجاوز الزمن القائم الى زمن الحلم الارحب •

يقول الشاعر :

وأنا الذى سافرت في ليل القصيدة ـ وابتهاج المحو ـ أدعو الخطوط لجد هاوية ـ لها الهذيان ـ والهذيان ـ فليس لغير هذا اليتم تنشا ـ في المسافات الخبيئة ـ حيث البلاد ـ تجاويت في فاس ـ حيث دم الذين اتوا ـ تدثر بالنخيلات البعيدة ـ والاناشيد الوضيئة •

انه نفس شعرى جديد ليحتل مساحة المغامرة وافق الانطلاق والانعتاق من القوالب الجامدة فمرحبا به •




الكتاب : من قتل موليرو ؟
رواية : ماريو فارجاس ايوسا
ترجمة وتقديم حامد أبو احمد
الناشر : هيئة الكتاب ـ ٢٢٤ ص ـ ٤٠٠ قرش •

هذه هى أول رواية تترجم الى العربية للروائى ماريو فارجاس ايوسا : أحد كتاب أمريكا اللاتينية النابهين ، واحد كتاب الجيل التالي مباشرة لجيل جابرييل جارثيا ماركيز ، وقد صدرت هذه الرواية عام ١٩٨٦ ومنذ صدورها تطبع كل شهر تقريبا مرة جديدة ، بل نقلت الي اكثر من عشرين لغة عالمية •

والموضوع الرئيسى الذى يمثل العمود الفقرى في اى عمل من أعمال ايوسا هو الفرد بصفته ضحية لمجتمع متعفن، وتتفرع من هذا الموضوع موضوعات اخرى كثيرة فرعية تكشف عن الازمة العميقة التى يعيشها مجتمع يحمل كل أمراض العالم الثالث •

وهذا الفرد يمكن ان يكون بريئا او مخدوعا على نحو ما ، مما يؤدى الى فساده وسقوطه ، أو موته فى أغلب الاحيان •

يقول ايوسا تأكيدا لجديته الفائقة في تناول الامور التى تنهش كبد مجتمعه : « من الضرورى ان نذكر مجتمعاتنا بما ينتظرها ، وننبهها الى ان الادب مثل النار ، وان الادب يعنى عدم الرضا بالاوضاع القائمة ،ويعنى التمرد ، وان اصل وجود الكاتب هو الاحتجاج ، والتعارض والنقد ،وعلينا ان نشرح لهم انه ليس هناك حلول وسط : فاما ان يلغى المجتمع للابد تلك القدرة الانسانية المتمثلة في الابداع الفنى ، ويقضى بذلك على المحرض الاجتماعى الذى هو الكاتب ، واما أن يقبل الادب ويحتضنه ، وفي هذه الحالة لن يكون لديه من وسيلة الا قبول هذا الوابل المنهمر من الانتقادات والسخريات ، والهجاء ، الذى يتحول من العرض الى الجوهر ، ومن الفانى الى الخالد، ومن السطحى الى قاعدة الهرم الاجتماعى » •

وتنعكس هذه الرؤية الابداعية في هذه الرواية بقوة وصلابة ، مما يجعلها عملا ادبيا جادا ومتميزا ، يضم الى الاعمال الجادة ، التى نقلت الى العربية من ادب امريكا اللاتينية فى السنوات الاخيرة •

# صور من النشاط الثقافى الفرنسى فى مصر



الخيط رفيع بين الثقافة والدعاية ، وهو فى دقته يشبه الخيط الذى فرق بين بكاء الحمامة وغنائها عند ابى العلاء حكيم المعرة والمتابع للانشطة الثقافية الاجنبية فى مصر، يلاحظ أنها لا تجنح الى الخلط بين الثقافة والدعاية الا نادرا .

وحول اوجه هذه الانشطة ، ومراميها ومقاصدها ، حول حسناتها وأنوارها ، هفواتها وظلالها ، تفتح « الهلال » الملف لا للكشف عن أمر مستور ، بل للاخبار عن أمر مكشوف ..



ولنبدأ بالانشطة الثقافية الفرنسية ..

تنهض هذه الانشطة على مركزين .

أولهما المركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة ، وله فرعان احدهما فى مصر الجديدة ، والاخر فى الاسكندرية .. وثانيهما مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية ..

ولو ألقينا نظرة طائرة على برامج المركز الاول بفرعيه لوجدناها حافلة بالاحداث الغنية فى جميع المجالات .

فالاديب « ميشيل بوتور » أحد رواد الرواية الجديدة أتى الى المركز ( فبراير ١٩٨٨ ) مدعوا ليقول بضع كلمات فى متاهات رموز وألغاز ما يحكيه فيما يكتب .

وليستصحب مع الفنان التشكيلي « هنري ماكيروني » مائة شخص ممن اخذوا بسحر اسمه في رحلة غداء الى أهرامات الجيزة ، حتى يروا معا على الطبيعة « نزهة تحت اقدام الاهرام » مؤلفه الاخير بالاشتراك مع هذا الفنان .

وايف مونتان يطير الى أرض مصر مباشرة من اسرائيل المولع بها ولعا شديدا ليحضر بنفسه في المركز العرض الاول لفيلمه «جان دي فلوريت» لصاحبه « كلود بري » الذي ذاع صيته بفضل « العجوز والطفل » ( ١٩٦٧ ) ، وهو فيلم يعرض لعذابات طفل فرنسي يهودي أيام سقوط فرنسا تحت اقدام جحافل المانيا الهتلرية . كل ذلك وسط ضجة اعلامية تقول فيما تقول ان عرض « جان دي فلوريت » في أرض النيل سابق على اي عرض له في سائر انحاء العالم ، بما في ذلك فرنسا .

ومما يلفت النظر في انشطة المركز اهتمامه الفائق بالفنون التشكيلية .

فما اكثر معارض الرسامين والمصورين التي تقام في قاعة بين الحين والحين .

● لمسة جمال

وهو في هذا الخصوص لا يفرق بين الفنانين سواء اكانوا فرنسيين أم مصريين .

فعلى سبيل المثال ، كان من بين المعارض التي اقيمت فيه خلال شهر يناير الماضي ، معرض لاعمال فنان « السيراميك » « محمد الشرقاوي » ، واخر لبعض الرسوم المائية للفنانة الفرنسية « دومينيك جوتيرز » ، وثالث لابداعات أعضاء الجمعية المصرية للتصوير بمناسبة عيدها التاسع والثلاثين .

وهذا الاهتمام له انعكاساته ، حتى على برنامج المركز المطبوع والذي ينطوي على بيان لجميع انشطته خلال شهرين ، فهو أكثر اناقة من برامج المراكز الاخرى . وأية ذلك انفراده بغلاف ملون يزينه رسم لاحد كبار الفنانين التشكيليين .

وغني عن البيان ان السينما لها دور كبير في نشاط المركز .

فيكاد لا يمر يوم دون ان يعرض فيلم .

ومما ساعد على ذلك وجود آلات عرض من مقاس ١٦ و ٣٥ ميللي ، وهو امر ليس له مثيل في المراكز الاخرى .

فضلا عن وجود اجهزة فيديو ، بفضلها تعرض على الشاشة الصغيرة افلام مخرجين فرنسيين من مختلف الاجيال كرينيه كلير ، جان رينوار ، ماكس اوفيلس ، جان جاك انو وغيرهم كثير .

● عصر البطولة

وفي تفسير هذا الاحتفاء بالسينما تقول ما خلاصته أن الفرنسيين يرون انهم أول من اخترع السينما بفضل الاخوة « لوميير » ، وأول من ابتكر الفيلم الروائي بفضل المخرجة « اليس جي » .

وأول من ابدع افلام الخيال العلمي بفضل « ميلييس » وأول من اضحك الناس على امتداد العالم بفضل «ماكس ليندر » وبعض هذا صحيح .

ومن هنا تركيز المركز على تاريخ السينما ، لا سيما في البدايات .

وفي الحق ، فقد كان لعرض افلام الرواد الاوائل من امثال « لوميير » و « ميلييس » و « ليندر » فضل كبير .

فلقد كشف لنا ان السينما على تعاقب مراحل حياتها ( ٩٣ عاما ) انما تدين لهؤلاء الرواد الكثير .

فلولا « لوميير » ما كانت روائع « فلاهرتي » التسجيلية ، ولولا «ميلييس» ما كانت « اوديسة الفضاء ٢٠٠١ » ،

ولولا « ليندر » ما كان شارلى شابلن

● الشمس المشرقة

ومن علامات الوعى والتحضر فى سياسة المركز السينمائية أن عروضه لا تتحجر عند الافلام الفرنسية ؛ مكتفية بها دون غيرها من الروائع العالمية .

فما أكثر الافلام المصرية التى عرضها وما أكثر الافلام الاجنبية غير الفرنسية التى كان من حظ المترددين على المركز مشاهدتها متكلمة بلغتها الاصلية حقا ثمة انحياز فى الاختيار لمن كان من هذه الافلام سويسريا او بلجيكيا أو كنديا أو افريقيا وناطقا باللغة الفرنسية .

ومع ذلك ، فهنا يتعين الاشادة باسابيع ومهرجانات السينما اليابانية داخل قاعات العروض بالمركز ، ولا سيما ذلك العرض القريب المذهل لعشرة افلام ( مارس ) من بينها رائعة ميزوجوشى الخالدة « حكايات القمر الغامض بعد المطر » والذى بدا فى مركز المنيرة برائعة « اوزو » « نهاية الخريف » وفى مركز « مصر الجديدة » برائعة « كيرو ساوا » . « بين السماء وجهنم » .

● وصف مصر

فاذا ما تركنا المركز الثقافى وانشطته جانبا ، وانتقلنا الى مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية ، لوجدنا انفسنا أمام ظاهرة لها من العمر عشرون عاما الا قليلا .

فهذا المركز لم يخرج الى حيز الوجود الا فى عام ١٩٧٠ ، وذلك تنفيذا لبروتوكول ملحق بالاتفاق الثقافى الفرنسى المصرى الموقع فى ١٩ من مارس لعام ١٩٦٨ .

ومن بين موضوعات البحث التى ما انفك المركز يسلط الاضواء عليها حتى يومنا هذا .. معرفة مصر والعالم العربى ، القاهرة المعاصرة :



المدينية ، المعمار والاسكان ، وادى النيل ، الجماعات الاجتماعية المهنية والثقافية فى مصر المعاصرة ، سوق المطبوعات فى مصر والمشرق ·

وكل ذلك انما يذكرنا بمحاولات وصف مصر ابان الحملة الفرنسية منذ مائة وتسعين عاما ·

واخر الانشطة التى سلطت عليها الاضواء ، تلك الندوة التي اقامها المركز بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة حيث استمرت أربعة أيام ·

ولقد كان مدارها التغييرات السياسية الحديثة فى الوطن العربى · فخلالها طرح لفيف من الساسة والباحثين العرب والفرنسيين على مائدة البحث قضايا سياسية هامة عديدة ، كما اثر ظهور شركات توظيف الاموال على الخريطة السياسية والاقتصادية فى الوطن العربى ·

ومن أوجه النشاط الاخرى ، مطبوعات دورية دأب المركز على نشرها ، لعل أهمها « المجلة : مصر ، قانون ، اقتصاد ، مجتمع » و « ملفات » و « استعراض الصحافة المصرية » ·

وأولاها قد بدأ نشرها خلال عام ١٩٧٣ ، أما الثانية والثالثة فجار نشرهما بانتظام منذ عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨٢ على التوالى ·

وعلى نحو ما تعتبر « المجلة » اهم الدوريات الثلاثة · فالدراسات التى ينطوى عليها كل عدد منها ، انما تتناول موضوعا واحدا ، لا تخرج عنه الا لماما ·

وختاما ، فلعله من النافع ان نقف وقفة قصيرة عند عدد واحد من هذه الدوريات الثلاثة ، وليكن العدد الاخير نظرة خاطفة على العدد رقم ٢١ من « المجلة » يبين منها ان الابحاث التى ينطوى عليها ، انما تركز على وسائل الاعلام القديمة والحديثة فى مصر ·

وان هذه الابحاث ، وهى فى مجملها احد عشر بحثا ، لم تترك صغيرة ولا كبيرة فى السينما والاذاعة والتليفزيون والفيديو الا عرضت لها بشكل أو بآخر ·

## دى جول وجمال

واذا ما القينا نفس النظرة على الملف رقم ٤ ( ١٩٨٦ ) فسنجد انه ظفر من ادوات البحث والاستقصاء والتعمق بمثل ما ظفر به العدد الاخير من «المجلة»فهو يحدثنا عن الايديولوجية من خلال الحكايات المصورة ، وعن كيفية تناول هذه الحكايات للابطال السياسيين فى كل من فرنسا ومصر ·

وهؤلاء الابطال عند مبدعى الملف « فدوى مالتى دوجلاس » و « آلن دوجلاس » ، هما شارل دى جول وجمال عبد الناصر ·

ومن الغريب ان الملف مهدى « الى « ذكرى شادى عبد السلام الصديق ، الملهم الكبير وساحر الصورة » ·

اما دورية « استعراض الصحافة المصرية » فى عددها السابع والعشرين فالنظرة السريعة لها ، انما تؤكد عمق اختيار المشرفين عليها لما ينشر فى صحافتنا وشموله ، فهى مثلا تبدأ بغلاف مجلة « الهلال » ( يوليه ١٩٨٧ ) المكتوب عليه «الارهاب ·· الى أين ؟!»

ولا تكتفى بذلك ، بل تنشر جميع مقالات العدد التى تناولت موضوع الارهاب ، بما فيها الافتتاحية ·

**وبعد ، فلعلي لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان كل هذه المطبوعات ، من شانها افادة القارىء الفرنسى كثيرا اما القارىء بلغة الآباء، فاغلب الظن ان حظه من هذه الافادة اقل من القليل ·**

# العالم في سطور

## باريس

### ● فور .. رجل لكل العصور

لم يمكن القدر المفكر السياسي والاديب ادجار فور من تنفيذ خطته في الاحتفال الضخم الذي تقيمه فرنسا بمناسبة مرور مائتي عام على الثورة الفرنسية .. فقد رحل فور وهو في قمة استعداده للاحتفالات ..

ادجار ظاهرة إنسانية بالغة الاهمية ، فقد عمل بالسياسة وتولى أعلى مناصبها العديد من المرات . وتولى مناصب وزارية اخرى بعد ان رأس الوزارة ثلاث مرات . كتب الرواية البوليسية وقدم نظريات عديدة لايديولوجيات سياسية ولانظمة تعليمية عديدة من أهم كتبه .. « الثعبان والسلحفاة » ، « رؤية الحاضر » « التربية الوطنية والمشاركة فى فلسفة الاصلاح » ، « ما اعتقد » ، « من أجل عقد اجتماعي جديد » ..

كان ادجار فور يؤمن ان العالم يعيش الآن عصر ازدهار الاشتراكية . لذا سافر الى بلاد عديدة من اجل الاطلاع على التجارب الاشتراكية فى الصين وشيلى ابان حكم سلفادور الليندى . ومصر فى عصر عبد الناصر .. حيث اقام شهرا فى عام ١٩٦٥ زار خلاله العديد من مؤسسات الدولة .. ومع هذا فقد تم طرده من الحزب الاشتراكى الفرنسى فى عام ١٩٦٦ .



ادجار فور

وقد تخصص فور ، الواسع الثقافة ، فى دراسة بعض اللغات الشرقية .. بالاضافة الى عمله فى مجال القانون .. مما ساعده ان يتولى العديد من المناصب الاستشارية للعديد من منظمات الامم المتحدة . كما عمل فى المحكمة الاستشارية بنورمبرج التى ادانت أعوان الزعيم النازى ادولف هتلر ..

الجدير بالذكر ان جامعة الزقازيق قد دعت فور فى عام ١٩٨٣ لزيارة مصر وقامت بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية لمواقفه من العالم الثالث ومن أهمها مطالبة الدول الكبرى بالتنازل عن قروضها من أجل اصلاح اقتصاد العالم ..

## جنيف

### ● جارودى : المآذن .. هى أصابع الله

الليلة المضادة ... هى وصيتى .. هكذا اعلن المفكر رجاء جارودى فى

جنيف .. الليلة المضادة هو عنوان احدث كتبه . وهو ديوان شعر يضم العديد من القصائد التى ابدعها جارودى .. الذى اعلن ان هذا الكتاب يحمل وصيته .. إذ يعتبره آخر كتاب يمكنه ان ينشره فى حياته ـ ٧٤ عاما ـ

وبمناسبة صدور هذا الكتاب نشرت مجلة « الأسبوع » السويسرية مقالا عن جارودى قالت فيه ان الكاتب قد شهد عدة مراحل متباينة فى حياته ، شأنه شأن العديد من المفكرين المعاصرين . فقد شارك فى شبابه المبكر حركة الشباب البروتستانتى فى مارسيليا . ثم درس الفلسفة . وانضم الى الحزب الشيوعى الفرنسى . وأخذ يناضل من أجله سبعة وعشرين عاما عمل خلالها مراسلا لصحيفة « ليمانتيه » فى موسكو ومديرا لمركز الدراسات والابحاث الماركسى وفى سنوات الستينيات هاجم بيكاسو لموقفه من الاشتراكية .

وقد وقف جارودى من ثورة الشباب عام ١٩٦٨ موقفا مشرفا واعتبرها انفجارا للحرية . خاصة انه هاجم الاتحاد السوفييتى حين تدخل فى تشيكوسلوفاكيا . وبدات كتبه تجد رواجا لدى الشباب مثل كتابه عن « تحول الاشتراكية الكبير » الذى صدر عام ١٩٦٩ .

وقد تحول جارودى الى الدين بكتابه « مصير الانسان » الذى درس فيه الثقافات الدينية المختلفة . ويرى ان الايمان بالنسبة للانسان مسئولية عليه ان يحملها بأمانة . وآمن أن الدين ليس افيون الشعوب . بل هو حالة من الحرية الاجتماعية .



روجيه جارودى

ويقول جارودى فى ديوانه الأخير ان المآذن والقباب هي اصابع الله . وانها تصعد نحو السماء لشعور الانسان انه فى حاجة الى علوها ..

● آرابال .. الفنان ليس محرضا ..

فرناندو آرابال .. لعله الاسم الوحيد الذى يحمل على عاتقه ـ حتى الآن ـ احياء مسرح العبث الذى أصابته الشيخوخة باجتياز عمداته سن الثمانين : صموئيل بيكيت ويوجين اونسكو ..

هذا الشهر يعرض لارابال أحدث مسرحياته المسماة .. "اجتياز الامبراطورية" .. التى قام الكاتب نفسه باخراجها للمسرح . وهى تجربة ليست بالجديدة على الكاتب حيث سبق له ان أخرج أربعين مسرحية من مسرحياته التى يزيد عددها على الخمسين كما قام باخراج عشرة افلام سينمائية قام بكتابتها جميعا .

يقول آرابال ان البعض يتصور ان



فرناندو اربال

اعماله ـ خاصة المسرحية ـ بعيدة عن الواقع . لكن المتأمل المتعمق لهذه النصوص يكتشف أنها تغوص بملء اذرعتها داخل الواقع .. ولكن جذورها تتغلغل داخل كابوس ليلي ثقيل .. خاصة اننا نعيش في عصر نتنبأ فيه ان المستقبل سيأتي معه بالانفجار الكوني قبل انفجار مشاعر الحب .

ويؤمن آرابال ان للمسرح دورا اجتماعيا وذلك منذ نشأته في اليونان القديمة لذا يجب ان يفتح المسرح ابوابه لكل طوائف الشعب . وان يجد الجماهيرية التي يستحقها وفي مجلة الاكسبريس الفرنسية حكى آرابال عن تجربته الحياتية قائلا ان ما نقابله في واقعنا اليومي أكثر غرابة مما نصوره كثيرا على خشبة المسرح : حدث في اسبانيا ان دعاني الملك الى مدريد . ولانني لم اكن امتلك رابطة عنق فقد وضعت فوطة بيضاء استعرتها من الفندق على رقبتي .. وقد اضحك هذا الملك كثيرا وقال لي : « هذه فوطة حمام ! فلا تعتذر لأنه لايوجد هناك شيء عادي في الحياة : وواجب الفنان ان ينقل رسالته الى الناس فهي اكثر جدوى »

ويقول آرابال عن نفسه كفنان : « لست محرضا أبدا لمشاعر الناس .. بل لافكارهم » .

## موسكو



كلود سيمون

### ● دعوة إلى موسكو

.. الدعوة ..

هو عنوان الكتاب الذي نشره الروائي الفرنسي كلود سيمون حول تجربة سفره الى الاتحاد السوفييتي في العام الماضي .. استثمر سيمون الدعوة التي وجهها الروائي ايتماتوف وراح يكتب عن

المجتمع السوفييتى .. وليس عن السياسة السوفييتية كتاب صغير الحجم لايزيد عدد صفحاته على التسعين .. يقول سيمون انه راح يبحث عن تولستوى والفلاح الروسى الأصيل ..

يقول سيمون انه قد استفاد من الفترة التي أعقبت فوزه بجائزة نوبل عام ١٩٨٦ وذلك فى تأمل العديد من الاشياء التى حوله . وعندما سافر إلى موسكو زادت عملية التأمل اكثر خاصة ان الاتحاد السوفييتى يشهد فى السنوات الاخيرة عملية تغيير واضحة .

احتار النقاد فى التغلغل الى هوية كتاب « الدعوة » فقد اعتبره البعض رواية .. بينما اعتبره البعض الآخر نصا ادبيا .. فقد اتبع فيه الكاتب نفس أسلوبه الغريب الذى يستخدمه عادة فى رواياته من اشهرها « الريح .. وطريق الفلاندر » حيث تكون الجملة طويلة لاتفصلها فواصل . « يالها من حصيلة طيبة ان عددا من ممثلى عالم الفن يلحقون بهم باكثر قدر ممكن .. وان العالم الجديد يكشف نفسه من خلالها » .

## ● كافكا .. وعقدة اليهود

لم يحظ أحد من الادباء بتقدير من الصحافة الادبية قدر ما حظى به الكاتبان مارسيل بروست وفرانتز كافكا . فبين الحين والآخر تصدر المكتبات كتبا جديدة عن أى منهما أو تقوم باعادة طبع أعمالهما .. وفى الفترة الأخيرة اثير الحديث عن بروست بمناسبة تأويل كتاباته الى الملكية العامة بمناسبة مرور خمسين عاما على الانتهاء من نشر آخر رواياته ..




فرانتز كافكا

اما كافكا فقد أثير حوله النقاش من خلال مجموعة من الكتب حول علاقته العاطفية . ثم كتاب آخر يحمل عنوان « فرانتز كافكا » .. من تأليف الباحث الالمانى ارنست باول الذى يقيم حاليا فى الولايات المتحدة . وهو روائى وناقد يهودى يهتم بتاريخ حياة مشاهير اليهود . حيث يعكف حاليا على تقديم سيرة حياة الصهيونى تيودور هرتزل ..

والجدير بالذكر ان الباحثين الذين يمجدون كلا من كافكا وبروست ينظرون اليهم « على انهما يهوديان فى المقام الأول .. فيرى باول ان مايثيره فى كافكا انه يهودى من براع وضع بصماته على القرن العشرين من خلال رواياته القليلة .. وقد راح الكاتب يتابع نشأة الكاتب فى تشيكوسلوفاكيا وعلاقته باسرته واصدقائه من خلال اقوال الشهود عنه .

كما استعان باول بالعديد من الوثائق التى دونها كافكا ابان حياته وكان يستعد لحرقها مع مسودات رواياته التى تم العثور عليها عقب وفاته .. ويقال ان سبب هذا هو احساس الكاتب بيهوديته ..

واذا كانت هناك امرأة واحدة فى حياة بروست وهى ممرضته سلسته التى أرخت لحياته بعد وفاته . فان ميلينا يسنسكا هى الحب الوحيد فى حياة كافكا صاحب « القضية » و« القصر » و« امريكا » التى لم يتمكن من تكملتها .

## العالم في سطور

### ● مورافيا .. الوجه الآخر .. للزيارة

الرحلة التى قامت بها الكاتبة الايطالية كارمن ليرا مع زوجها البرتو مورافيا الى القاهرة فى يناير الماضى ، تركت أثرا كبيرا عند الكاتبة فنشرت مقالا طويلا عن رحلتها فى مجلة « بانوراما » الايطالية تحت عنوان « حب ضائع فوق النيل » .. بدت فيها بالغة الدهشة من هذا العالم الشرقى الساحر الذى جاءت اليه لأول مرة .. فتقول انها لم تكن تعرف شيئا بالمرة عن مصر قبل ان توجه اليها الدعوة .. وعندما جاءت الى القاهرة شغفت بهذا العالم الساحر المتمثل فى زرقة النيل التى هى أقرب الى زرقة البحر . وتدفق الناس وشموخ الاهرام .

وتشير كارمن إلى ان الرحلة التى قامت بها كانت بالغة الخصوصية وانها لذلك كانت تؤثر الوحدة على الارتباط بمجموعات سياحية جاءت من المانيا واليابان واسبانيا واشارت إلى ان هذه المجموعات المتدفقة كانت هى الشىء الوحيد الذى يُنغِّص عليها رحلتها .

وتحدثت كارمن عن العرب الذين يملأون ردهات الفنادق وقالت ان أهم ماكانوا يفعلونه هو احتساء اكبر قدر من الخمور مثلما يفعلون فى رحلاتهم السياحية الى اوروبا .

ولم تهتم كارمن بمراقبة التماثيل الأثرية او الاعمدة الخرسانية قدر



مورافيا وزوجته

اهتمامها بمراقبة حركة البشر فى كل الاماكن التى توجهت اليها فى القاهرة والاقصر وأسوان . لذا خصصت كارمن جزءا طويلا من حديثها عن « السوق » هكذا كتبتها بالايطالية ـ وهو مكان يعج بانماط متعددة من البشر يمكن فيه سماع العديد من اللغات واللهجات ويزدحم فيه الاجناس المتباينة من البشر ..

وتقول كارمن ان ابرز مالاحظته فى رحلتها هو اعتزاز الانسان المصرى بهويته فيردد دوما « انا مصرى » كما اشارت الى ان الرحلة تركت اثرا فيها لدرجة انها شعرت فى ليلتها الاخيرة بالفندق بانها فى متاهة اشبه بممرات الفندق الضخم لأنها ستغادر هذا المكان الدافىء وقالت كارمن بالحرف الواحد فى نهاية مقالها : « وفوق الطائرة التى تقلنى الى باريس تساءلت عن اهمية اللحظات التى نعيشها . ولم اصدق نفسى . فانا هكذا افضل وليتنى لا اعود الى بيتى » .

ابرز ماجاء فى مقال كارمن انها لم تذكر زوجها البرتو مورافيا بحرف واحد .. حتى اسمه ولم تذكر شيئا قط عن اللقاءات الأدبية والصحفية التى عجت بها صحافتنا عن هذه الزيارة فى الشهر قبل الماضى .

# انتونى بيرجيس : المسلمون قادمون !

بقلم : محمود قاسم

**انتونى بيرجيس هو أحد الكتاب الذين يثيرون القلاقل فيما يصدر عنهم دوما من تصريحات . او ماينشر لهم من مؤلفات فى الرواية والدراسات النقدية .**

**وتجىء اهمية بيرجيس فى انه كاتب موهوب واسع التجربة . متعدد الثقافات . يتقن العديد من اللغات . واحتك بصفة مباشرة بحضارات متباينة فى الشرق والغرب .**

**وهو كاتب غزير الانتاج . حققت مؤلفاته نجاحات سواء عند نشرها . او عند تحويل بعضها الى افلام سينمائية .**



كما تبرز أهميته أيضا فى مواقفه المتناقضة من الاديان السماوية فاذا كان البعض قد وصفه بأنه « كاثوليكى مرتد » .. وانه لم يتحول الى مذهب اللأادرية الانسانية الذى يدعيه معظم المفكرين الناطقين بالانجليزية . فإن الناقد بيير جونزى يرى أن مرجع هذه المواقف هو نشأة الكاتب الكاثوليكية الصارمة فى مانشستر التى صورت له « الله قوة غير منظورة محبة للانتقام » ..

ورغم هذا التحليل المنشور فى مقدمة كتاب « المسلمون قادمون » فان بيرجيس قد قام بتأليف كتاب عن ميلاد ونشأة ورسالة « يسوع الناصرة » ، مالبث أن تحول عام ١٩٧٧ الى مسلسل تلفازى ضخم حشدت له شركات الانتاج الاوربية

ميزانية ضخمة واخرجه زيفيريللي . وانتقل بالتالي الى دور السينما وقد حاول بيرجيس في هذه الرواية أن يؤكد انه قارىء متعمق لتاريخ المسيحية ونصوصها القديمة والحديثة . ثم طلع على العالم عام ١٩٨١ بروايته الضخمة « قوى الظلام » التي أرخ فيها للقرن العشرين من خلال أحد البابوات وفي عام ١٩٨٦ اكد أنه اذا كان سبحانه وتعالى مملكته التي يؤيده فيها المؤمنون . فإن هناك مملكة للكفرة - في رواية تحمل نفس العنوان - يتمتع فيها الكافرون بالابدية مثلما يتمتع المؤمنون في مملكة الله .

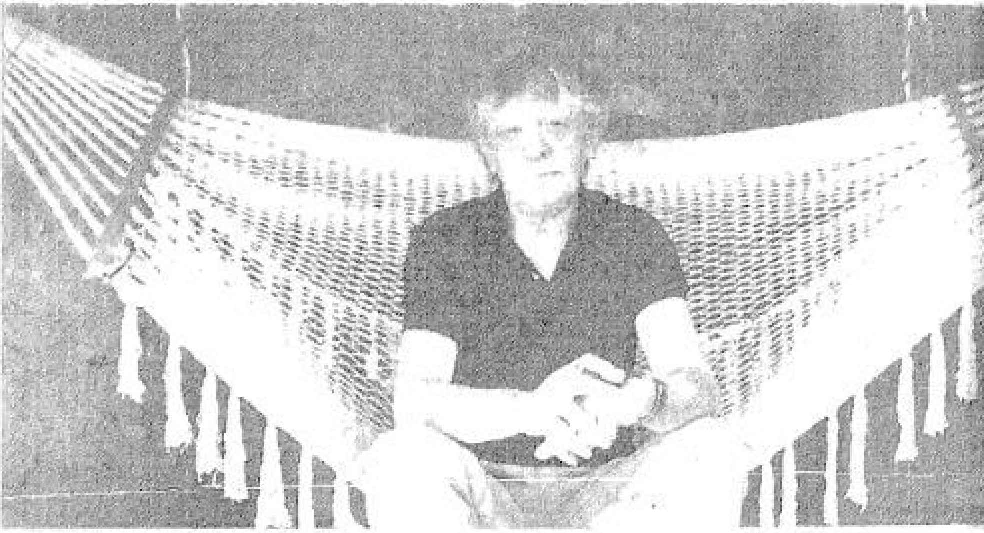
ورغم ان مقدمة رواية « المسلمون قادمون » تشير إلى أن انتوني بيرجيس يخصص كتابه كله للهجوم على العرب والتحذير منهم .. فإن الكاتب في حديثه للصحفية سلوى نعيمي في مجلة « كل العرب » منذ عدة اشهر يقول : ماكان يمكن لي إذن أن ابقى في ماليزيا بعد رحيل الانجليز دون ان اعتنق الاسلام . بعدها مرضت . وقال الاطباء انه لم يبق لي الا عام واحد أبقى فيه حيا . عندها فقط قررت الرحيل وعدت الى انجلترا ناسيا تماما تلك الرغبة في أن اصير مسلما ولكنني حتى الان أجد الاسلام دينا قريبا من القلب ...

● مستقبل الإنسان

نسوق هذا الكلام بمناسبة نشر الترجمة الكاملة لاحدى روايات بيرجيس الى اللغة العربية .. العنوان الاصلي للرواية هو ١٩٨٥ .. نشرها الكاتب منذ عشر سنوات كمحاولة لتخيل صورة مستقبل قريب من خلال واقع يعيشه . وقد تعمد بيرجيس ان يضع مقدمة طويلة لروايته يهاجم فيها جورج اورويل بالعديد من التفنيدات حول رواية « ١٩٨٤ » ليس امامنا هنا مجال لعرضها . الا انه من المهم أن نشير إلى أن هذا النوع من الروايات يطلق عليه اسم « أدب الخيال السياسي » حيث يتخيل شكل الحياة السياسية في المستقبل وعلاقته بالمجتمع والتطور التقني والصناعي . وهو أدب ظهر مع بداية القرن العشرين منبثقا من نوع أدب الخيال العلمي .. ومن ابرز ادبائه : ايفان كريمنوف وزمياتين في الاتحاد السوفييتي . وجورج اورويل وانتوني بيرجيس .

وقد اختار الناشر العربي لهذه الرواية عنوانا مثيرا هو « المسلمون قادمون » مما يجعل المرء يشعر أن الناشر والمترجمين قد قاموا بعملية أسلمة للرواية مثلما حدث من أحدى الشخصيات الهامشية في ١٩٨٥ وهي « محمد صالح بن عبدالله » الذي كان اسمه من قبل جوزيف برجز . « وقد تمت عملية الأسلمة في سلاسة نسبية » ..

قام الناشر بنفس دور محمد صالح في لندن في أحداث الرواية . وجاءت مقدمة الكتاب ساخنة تثير شهية المتابعة والقراءة .. مثلما حدث ايضا في كلمة الغلاف الأخير . وقبل ان نتعرض لهذه النقطة الحساسة فمن الواضح أن المترجمين المتحمسين لهذا الموضوع ليست لديهما أية معرفة عن هذا النوع من الادب . وايضا عن انتوني بيرجيس . فقد



انتوني بيرجيس

وقفا ـ عند الحديث عن بيليوجرافيته ـ عند روايته المنشورة عام ١٩٦٢ واطلقا عليها ـ صفحة ٨ ـ اسم « الانسان الآلى » .. ثم اطلقا اسما آخر هو « البرتقالة الآلية » ـ صفحة ٢٧ ـ رغم ان الترجمة الدقيقة لعنوان هذه الرواية مُحلاأنشحفن = فشقّل هو « رقاص بندول الساعة » وقد اتضح هذا من العبارات المبتسرة التى أوردها المترجمان عن الرواية .. ويهمنا ان نقول ان هذه الرواية تدور حول شكل العنف والجنس فى المستقبل . من خلال عصابة اليكس ، الشاب الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ومارس كافة ألوان العنف والسادية والقتل . فزج به فى السجن . ثم تم اختياره من اجل عملية غسيل مخ تحول على اثرها الى انسان وديع مسالم . مما أثار الرأى العام الذى طالب باعادة اليكس الى طبيعته الشريرة .

وقبل ان نتناول رواية « ١٩٨٥ » نود أن نشير ايضا إلى ان أحدا لم يترجم اسم فيلم « مترو بوليس » لفريتز لانج أبدا الى « العاصمة » مثلما فعل المترجمان . كما لا أعرف من أين أصدرا حكما « بأنه لايمكننا اعتباره ـ بيرجيس ـ أديبا عالميا بمعنى الكلمة » ولانعرف ما المقصود بالضبط عند المترجمين . ويكفى ان نقول انه بالنسبة للتحصيل الثقافى ـ ناهيك عن الموهبة ـ فبيرجيس هو أحد الذين هضموا ثقافات العالم المعاصر وقد ترجمت كتبه الى لغات عديدة . وهاهي اللغة العربية تكتشفه أخيرا . ليس من خلال أحسن رواياته « رقاص بندول الساعة » ـ ستنشر فى روايات الهلال خلال أشهر ـ ولكن من رواية اخرى صبغها عنوانها العربى بصبغة خاصة من أجل ضمان التوزيع التجارى .

● ليسوا وحدهم قادمين !

من المهم أن نشير أن بيرجيس يتخيل

المستقبل ممزوجا بالعنف من خلال بطل واحد ـ حتى وإن تحرك فى اطار مجموعة صغيرة ـ تتطاوع به أحداث جسام يشهدها المجتمع . واذا كان البعض ضحية لهذا الرجل . فهو نفسه ضحية لظروف عديدة متكاتفة . فاليكس الذى يخرج فى الليل مع اثنين من رفاقه من اجل ممارسة القتل والاغتصاب والعنف فى البيوت الآمنة هو شخص مريض نفسيا يرتاد عيادات الاطباء . وفى السجن لايلبث ان يتحول الى بندول ساعة يتحرك بناء على رغبة العالم الذى يقوم باجراء تجاربه عليه .

اما بيف فى رواية « ١٩٨٥ » فهو مدرس سابق ، يبحث عن فرصة للعمل ماتت زوجته فى المستشفى بعد أن احترقت ابان اضراب عمال الاطفاء فى المدينة . فلم تجد من ينقذها . وهى تردد لزوجها قبل موتها ان « لاتدعهم يفلتون من العقاب » وهى تقصد رجال الأطفاء . فيمزق بيف بطاقته النقابية .. ويقرر الخروج على السلوك النقابى . فينضم الى المتمردين الذين يحتشدون داخل مبنى الجامعة . وكأنهم روبن هود . خارجين على القانون .. ويتم القبض على بيف . ويحاكم بتهمة الخروج على قوانين النقابة . ويتم ادخاله عزبة كروفورد وهى عبارة عن مركز اعادة تأهيل . وفى هذا المركز تتم محاولة لغسل مخ أقرب الى تلك التى حدثت لاليكس .. لكن بلا جدوى ..

ولا يؤمن بيرجيس ـ فى رؤيته ـ ان المسلمين وحدهم هم القادمون من أجل السيطرة على لندن عام ١٩٨٥ . حين ضعفت كل السلطات السياسية الحاكمة . بل هو يرى ان النقابات الحاكمة قادمة ايضا . وان الايرلنديين قادمون كذلك . وان عصر سيادة العرب على لندن دينيا واقتصاديا قادم ايضا بعد أن حقق العرب كل هذا الثراء من بترولهم . وأن عصر الإضراب الشامل قادم أيضا حاملا بين كوامنه كافة اشكال العنف والتنازل . فليس العرب ـ وحدهم ـ هم شر البلية فى رواية بيرجيس . بل الانجليز ايضا الذين اختاروا النقابات كحاكم ديكتاتور يحدد مصائر البشر ..

ولأن هذا النوع من الروايات يحتاج من الكاتب الى بعض الوصف التفصيلى المقرون بالتقريرية . فأن بيرجيس يفعل ذلك فى اضيق الحدود من خلالماينطقه البعض حول ايدلوجيتهم : « لو كانت الدولة فى يد العمال لحسم لصالحهم الصراع الطويل من أجل العدل . بعد أن آلت اليهم وسائل اقامة العدل . لكن كل يوم يشهد دلائل على استمرار هذا الصراع الى الابد . ان التعارض بين صاحب العمل والعامل لهو عقيدة أساسية فى نظامنا . والدولة تصبح شيئا فشيئا هى صاحب العمل . إذن وبحسبة بسيطة ، يكون ماهو نظرى فى صالح العامل هو فى الحقيقة ضده . اكرر ان هذه الازدواجية أساسية . أساسية لان وجود قوة محركة أمر أساسى لاستمرار تقدم العمال الى الافضل . ولايمكن ان توجد قوة محركة الا من خلال الصراع . ص ١٣٩ .

● المسلمون فى لندن .. ١٩٨٥

تنبع أهمية الرواية فى أن الشخصية

الرئيسية فيها ـ بيف ـ تتسم بالتمرد . فهو الوحيد من بين عديدين دخلوا عزبة كروفورد الذى لم ينجح غسل مخه من التمرد » أصبح هو المريض الوحيد فى الوحدة العلاجية الصغيرة بالمركز ، بل لقد أصبح تقريبا النزيل الوحيد بالمركز كله ... فقد انتهت دورته ، وعاد الذين تم اصلاحهم الى العالم ، عالم استئناف العمل والاستهلاك والولاء للنقابة » ..

واذا كان اليكس قد امتثل فى النهاية لعملية غسيل المخ التى اجريت له . مؤكدا النهاية التشاؤمية لشخصه . فان بيف يضطر الى تسليم ابنته القاصر سنا ـ ١٣ عاما ـ الى أحد امراء العرب بدافع الزواج . وفى النهاية يختار الانتحار كأقصر طريق للهروب من هذا التناقض الذى يملأ لندن ، المصنوع من العرب والنقابات وملك لاحول له ولاقوة . والاضرابات العمالية التى تسيطر على المدينة : « كشف صدره العارى حتى من اللحم للسياج المكهرب وألامه القطيعة ، متسائلا لبرهة : لماذا يضطر المرء للانسحاب من نقابة الاحياء حتى ينضم الى اضراب الموتى وأحس بقلبه يقفز من صدره ويمضى مترنحا فيما تذروه الرياح » .

اذا آمنا بصدق حدس وخيال بيرجيس فى ان الاسلام قادم الى لندن علم ١٩٨٥ من خلال بترول العرب ـ يبلغ عدد المسلمين فى لندن عام ١٩٨٨ قرابة مليونى شخص ـ فان السؤال المطروح هو مـاهى السمـات التى يتسـم بهـا المسلمون .. ؟ بادىء ذى بدء فليس لمسلمى خيال بيرجيس نفس المسالب التى نراها فى الشخصيات النقابية الحاكمة . ولكن لهؤلاء المسلمين ـ فى نظر الكاتب ـ اخطاءهم التى تدفع العمال بالاضراب فهم يأتون بالقيود : « بريطانيا حرة . ان بريطانيا اسلامية ؟ » وعلى لسان أشخاص يرون أن الاسلام يمكن أن يصبح جنسا انسانيا « تستطيع ان تقول انني اسلامى الجنسية . فالاسلام هو وطنى . تماما كما أن تاكلاند هى وطنك ص » ١٨٢ . ويسعى المسلمون ـ من خلال اموالهم ـ ان يصبغوا لندن ارض الاسلام بدينهم . ويؤكد الكاتب ان العرب ليسوا قادمين وحدهم . بل ومعهم الاسلام حيث يجلبون معهم مسلمين من مختلف الجنسيات : باكستان . الصين . بل ومن انجلترا نفسها .

ويتعرض المسلمون للاضرابات فى لندن ١٩٨٥ . من خلال ماتنظمه النقابات وهم لايلجأون الى العنف الا فى النذر اليسير . ويصورهم الكاتب على انهم قوم كرم « يبدو أن السخاء الاسلامى علمه الكثير » ص ١٩٦ . ولكنه فى مكان اخر يردد : « انها اموال الهمج الشرقيين . اموال النفط القذر » ويروى بيرجيس على لسان لورانس ـ إحدى شخصيات الرواية ـ ان « الاسلام يحوى كل شىء وهو مع هذا دين بسيط وقاطع ولامع كالسيف . لم أحلم ابدا بثورة اسلامية فى بريطانيا . وانما بتحول بطىء . ويدعمه تسلل اسلامى يتمثل فى الثروة الاسلامية والتأثير الاخلاقى » ص ٢٠٦ .

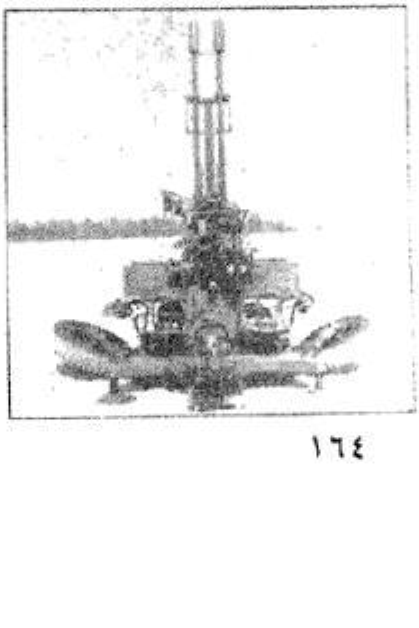
ويردد الملك فى خطابه الى الامة ان هؤلاء العرب « رجال مهذبون فى الحقيقة . وسوف يدعوننا نسيِّر الامور بطريقتنا الخاصة » .

العالم غدا

## العرب وانتاج السلاح

تفيد التقارير أن صناعة السلاح المصرية تنمو بوتائر مرتفعة ، حتى أن مصر قفزت الى المرتبة السابعة فى سوق السلاح الدولية (بعد اسرائيل مباشرة)٠

وترجع بدايات صناعة السلاح المصرية الى الخمسينيات المبكرة عندما كانت مصر تنتج عددا من الاسلحة الخفيفة اعتمادا على براءات انتاج شرقية وغربية ٠ وقد شهدت الصناعات الحربية



فى مصر طفرة مع ظهور الهيئة العربية للتصنيع فى منتصف السبعينيات ، لتعمل جنبا الى جنب مع الهيئة القومية للانتاج الحربى ، وليرتفع عدد العاملين فى هذا المجال الى ما يقرب من مائة الف مصرى ٠ والمتوقع أن تحقق هذه الصناعات قفزة جديدة فى اطار الظروف التى طرأت على العلاقات العربية أخيرا ، التى ستزيل المعوقات التى كانت تعترض سبيل التعاون العربى فى هذا المجال ٠

والمعروف أن ترسانة الاسلحة التى تنتجها مصر قد تعززت خلال السنوات الاخيرة بانتاج أسلحة متقدمة مثل طائرة « الالفاجيت » وطائرة « جازيل » الفرنسية وطائرة « توكانو » ، بالاضافة الى صواريخ « سوينج فاير » المضادة للدبابات وعين الصقر المضادة للطائرات ٠٠ هذا كما حصلت مصر أخيرا على حق انتاج الدبابة الامريكية « ام ــ ١ »٠

ووراء الوثبة المصرية فى صناعة السلاح اقدام الاجهزة المسؤولة على التعاون مع الشركات العالمية ، وفق مختلف السياسات الانتاجية ، من التجميع وحتى التصنيع الكامل مرورا بنسب متفاوتة فى المساهمات المحلية ٠٠

والمعروف أن منطقة الشرق الاوسط هى أكبر مناطق العالم من حيث تصاعد وتائر التسلح ، وأن فيها ست دول بين أكثر عشر دول استيرادا للسلاح ٠

هذا ويتم معظم الانتاج الحربى المصرى لصالح القوات المسلحة المصرية، وتمثل البلدان العربية والافريقية السوق الرئيسية للسلاح المصرى ، والعراق هو أكبر المتعاملين مع مصر فى مجال شراء السلاح ٠٠٠

## ● تجارة التجميل والاجنة البشرية

ازدادت أخيرا وقائع كشف مافيا منظمة للتجارة فى الاجنة البشرية حتى ان الكاتب الفرنسى جاك دولاى أصدر كتابا خطيرا حول هذا الموضوع ضمن المطبوعات دار سويسرية للنشر بعد احجام الناشرين الفرنسيين تحسبا لردود فعل هذه المافيا .

ورغم ما فى الكتاب من أمثلة كثيرة من بريطانيا وفرنسا وفنلندا واليابان و ... الا أن ما تطوع أحد الأطباء بوسطن بذكره للسلطات المختصة يفضح الخطوط العامة لهذه التجارة .. « يدفع الطلب الكبير على الاجنة فى الولايات المتحدة عدد من المستشفيات والاطباء الى الضغط على الحوامل ماديا ومعنويا لقبول الاجهاض ، مستغلين فى ذلك ما يعانينه من أوضاع مادية ونفسية . وتلعب الممرضات والقابلات دورا كبيرا فى تنفيذ المراحل الاولى من العملية .. وان كان هناك بعض الحالات التى يتم فيها بيع الاطفال دون علم الامهات ( المجهضات فى الاسابيع الاخيرة ) الى الاسر الراغبة فى التبنى ، فان الكم الاعظم من الاجنة الصغيرة يباع لمصانع مستحضرات التجميل التى تستخلص من انسجتهم المواد البيولوجية المنشطة لعلاج « تجاعيد » الحسناوات ..

ولعل أغرب ما كشف عنه الكتاب وجود « موردين معتمدين » لدى مصانع التجميل من « الاطباء » الذين تخصصوا فى الاجهاض وبيع الاجنة، ذلك بالاضافة الى امتداد العبث الى الاطفال فى شهورهم الاولى . وأشار الكتاب الى



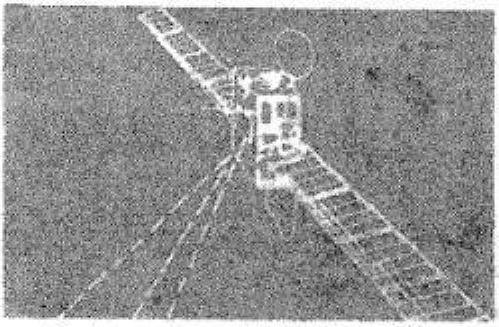
تجارب أجريت فى هلسنكى وكيفلاند انتزع فيها جلد الاطفال وأجريت عليهم حيث درست ردود فعلهم العضوية والانعكاسية والى تجارب كان الاطفال فيها موضوعا للاسلحة البيولوجية والكيميائية ..

وقد أحدث الكتاب ضجة هائلة فى الاوساط الدينية والعلمية فى مختلف بلدان أوروبا الغربية ..

## ● حلم الرئيس الامريكى لا يتحقق

بعد خمس سنوات من مبادرة الرئيس ريجان الدفاعية التى شاع الحديث عنها تحت اسم « حرب الكواكب » وبعد انفاق ١٢ مليار دولار وصلت وزارة الدفاع الامريكية الى امتناعات تخلت معها عن فكرة انشاء درع فضائى لحماية كل أراضى الولايات المتحدة الامريكية ، مكتفية ببرنامج محدود يستهدف تغطية

## العالم غدا



المنشات العسكرية وحدها ، ينتظر البدء فى نشره مع عام ١٩٩٦ وبتكلفة تصل الى ١٥٠ مليار دولار ( ضعف تقديرات عام ١٩٨٧ ) ..

وقد نقلت « واشنطن بوست » عن مسئولين فى وزارة الدفاع الامريكية ( البنتاجون ) أن هذا الخفض ناجم عن اجماع ، داخل الحكومة الامريكية ، على استحالة تحقيق حلم الرئيس الامريكى المعروف أن الرئيس ريجان كان يسعى ، من خلال التكاليف الباهظة التى ستنفق على مستحدثات التسلح الفضائية فى اطار « حرب الكواكب » الى استنزاف موارد الاتحاد السوفييتى فى جولة جديدة من سباق التسلح ، وأن الروس كانوا يسعون بكل السبل الى تجنب مثل هذه الجولة لما يمكن أن يكون لها من آثار مدمرة على اقتصادهم .

وقد جاءت الخطوة الامريكية الاخيرة وسط اعترافات الرئيس الامريكى بصعوبة المشكلات القائمة فى المحادثات التى تجرى بين واشنطن وموسكو توطئة للقمة القادمة بين البلدين ..

### ● الذهب فى أثر قدماء المصريين

بدأت عمليات الانتاج التجارى لمناجم الذهب السودانية فى جبيت بعد سنتين من الانتاج الفعلى على نطاق تجريبى محدود . والمتوقع أن يبدأ العمل بمعالجة ٨٠ الف طن من الخامات لانتاج ما يتجاوز ٦٠٠٠ أوقية سنويا . مما يحقق دخلا يناهز ١٥ مليون دولار .. لكن المنتظر أن يتضاعف الانتاج خلال السنتين المقبلتين ، مما يؤدى الى تشجيع شركاء دوليين جدد على التعاون مع السلطات السودانية لاستكشاف مناطق جديدة . اذ يعتقد السودانيون أن جبيت ليست سوى الجزء الطافى من جبل مغمور هائل ، يتمثل فى الاحزمة الجيولوجية المختلفة ، الغنية بكثير من رواسب المعادن ( الفضة والنحاس والزنك والقصدير .. ) ناهيك عن الذهب ..

وتفتح تكنولوجيا الاستشعار عن بعد افاقا جديدة أمام السودان وذلك لترامى أراضيه ( ٢ر٥ مليون كيلو متر مربع ) وصعوبة الوصول الى معظم مناطقه بسبب الافتقار الشديد الى طرق المواصلات البرية والجوية الامر الذى جعل الدراسات تتركز فى الشمال الحضرى للبلاد والمناطق المحيطة به .

وان كانت شركة «جرينتش ريسورتز» البريطانية قد اختارت منطقة جبيت، بناء على عمليات استكشافية استعانت فيها بصور الاقمار الصناعية ودراسات البعثات الجيولوجية الميدانية ، الا انها اقتفت فى النهاية أثر قدماء المصريين.. فمن المعروف أن استغلال حزام جبيت

انتاج الذهب قد بدأ فى عهد تحتمس الثالث ، ومازالت توجد بالمنطقة بقايا قرية فرعـــونية مندثرة ، تنتشر بها الحجارة التى كانت تستخدم فى طحن الخامات وفصل الذهب ..

هذا وقد حفز النجاح شركة « جرينش ريسورسز » ( القـــائمة على مشروع جبيت ) الى التوسع شمالا نحـو مصر فاتفقت مع الحكومة المصرية على امتياز للتنقيب عن الذهب فى منطقة ٥٠٠٠ ك٠م مربع ، فى اطار شركة تملك الحـــكومة المصرية ٥٢ ٪ من رأس مالها .. وتقوم الشركة البريطـــانية حـــاليا بالحفر التجريبى فى مناطق أبو مروة وحمـــامة والسد ..

## ● مكافحة الجراد بالاستشعار من بعد

بعد غياب امتد لعشرات السنين عادت أسراب الجراد تتكاثر بسرعة رهيبة ، مهـــددة الاخضر واليابس فى انحـــاء القارة الافريقية ، اخذه طريقها الى آسيا وأوربا مما دفع منظمة الاغذية والزراعة التابعـة للامم المتحـــدة الى اصــــدار تحـذيرات متكررة والى تكثيف اعمال المراقبة ..

وقد ساهم فى تنامى هجمات أسراب الجراد ، بكثافة غير معهـــودة ، أن سقوط الامطار الغزيرةاخيرا قد ساهممع ارتفاع درجة الحرارة فى تهيئة الظروف لتوالد الجراد على نحو سريع، بعد بيات « شتوى » طويل خلال سنوات الجفـاف السابقة ، بالذات مع انشـغال السلطات الافريقية فى النزاعاتالداخلية الطاحنة، وحظر عدد من المبيدات الفعالة ، لما ينتج عنها من مشاكل بيئية ..

والمعروف ان الجـــراد يتسبب فى أضرار جسيمة للمزروعات ، حيث تأكل الجرادة الواحدة يوميا ما يساوى وزنها ( ٢ ـ ٣ جرامات ) مما يعنى أن سربـا صغيرا من الجراد ( قوامه الف مليون جرادة ) يستهلك قرابة ٢٠٠٠ طـن من النبات فى اليوم الواحد ، بينما يتراوح متوسط عمر الجرادة ٧ ـ ٨ أسـابيع ، وتناهز الخسائر التى يوقعها غزو سرب واحد من الجراد للاراضى الزراعيـة مئات الملايين من الدولارات . وتفـرض فداحة الخسائر على هذا النحو اتخاذ الاجـــراءات الوقائية التى تحمى مـن استفحال ضرر الجراد بصورة مستمرة.

وتتـلخص الاجـــراءات الوقائية فى متـــابعة أعمـال الحصر والمراقبـة والاستكشاف فى المناطق المعرضة بهدف التعرف على مواقـع أسراب الجــراد والقضاء عليها بمجرد ظهورها ، قبـل حدوث حالة الوبـــاء . ولهذا الغرض تجرى منظمة الاغذية والزراعة مسـحا دقيقا لمناطق تكاثر الجراد وتراقب نموه، كما تنسق بين الاجراءات المقاومةالنظرية والاقليمية وتقوم بجمع المعلومات عـن أوضاع وتحركات الجراد بهدف التنبـؤ بمساحات المكافحة وتنظيم عمليـــات الطوارىء . وقد سـاعدت أســاليب الاستشعار من بعد على تحقيق نتـائج مشجعة بماتوفره من دقة وسرعة لا يمكن أن تتأتى بدونها مع تحرك الجـراد فى الصحراء الشاسعة .

واعتمادا على موضوعية البلاغات الدولية شهد جنوب مصر مواجهة شرسة مع أسراب الجراد ، وشكلت لجنـة مـع الجانب السودانى لتنسيق متابعة حقول البيض ومقاومة أسراب الجراد الناتجة عنها والنازحة من مناطق أخرى ..

# العالم غدا

## ● الرياضة وحرب المنشطات



تشهد دنيا الرياضة حربا شعواء بين السلطات الرياضية الدولية ممثلة فى أجهزة الطب الرياضى والمختبرات التى تصنع المنشطات. وكلما حققت مختبرات اللجنة الطبية الاولمبية تقدما فى أساليب اكتشاف المنشطات فاجأتها شركات الادوية ، عن قصد أو عن غير قصد ، بمواد جديدة يمكن لها زيادة وتأثر الاداء الجسدى ، عن طريق ما تدعيه من تنشيط الدورة الدموية وتحسين توازن الافرازات الهرمونية مستغلة اغراءات النجاح والحصول على متعة كاملة فى الحياة .

وبعد أن كانت سياسة مكافحة العقارات المنشطة تدور حول معاقبة الرياضى اعتمدت اللجنة الاولمبية الدولية، خلال اجتماعها الاخير فى كالجارى ، مجموعة من الاجراءات الجديدة بينها ما يطول المروجين لتعاطى المنشطات غير الطبيعية ..

ويثير قلق اللجنة الطبية الاولمبية حاليا مادة « الاريتروبواتين » التى تزيد من القدرات البدنية عبر زيادة كمية الاكسجين فى الدم ، والتى تعد لعلاج مرضى الكلى ، ويستحيل اكتشاف اى اثر لها فى الجسم بعد يومين من تعاطيها . وتعد هذه المادة حاليا للتسويق العام مما سيجعلها فى متناول الجميع ، بما فى ذلك الرياضيون . وقد شرعت اللجنة الطبية فى اجراء الاختبارات على المادة لمعرفة تأثيراتها قبل اتخاذ قرار بصدد السماح بها أو منعها ..

وحرب المنشطات مستمرة أيضا على صعيد اللاعب فقد أوقفت اللجنة الاولمبية أول من ثبتت عليه تهمة تعاطى المنشطات خلال دورة كالجارى ١٨ شهرا ، كما خسر شوماخر حارس مرمى المانيا الغربية الشهير موقعه المتميز فى كرة القدم الالمانية بعد أن فضح ، فى كتاب أصدره أخيرا، شيوع استخدام المنشطات بين اللاعبين الالمان ..

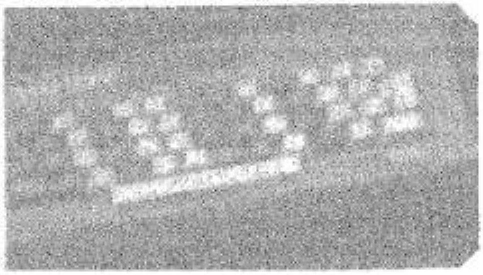
### ● أنيس عبر شريط الفيديو

● طرحت احدى الشركات الامريكية سلسلة من شرائط الفيديو يمكن أن يستعين بها الانسان لمواجهة ظروف عزلته وغربته · والاشرطة عبارة عن كلاب وقطط وأطفال واصدقاء فيديو ، وتتضمن بعض الالعاب المسلية التى يمكن أن يؤديها الانسان مع أنيسه الفيديوى الاليف ··

### الكهرباء من الصخور

● اعتمدت الحكومة البريطانية ٨١٥ مليون جنيه استرلينى للانفاق على أبحاث الحصول على الكهرباء من حرارة صخور باطن الارض الساخنة ، خلال الاعوام الثلاثة القادمة · وقد أظهرت الدراسات الاولية أنه يمكن الحصول بهذه الطريقة على كل ماتحتاجه انجلترا وويلز ، وفق معدلات الاستهلاك الحالية، من الطاقة الكهربائية ··

● كحل لمشكلة نقص المياه العذبة فى ولاية كاليفورنيا اقترح أحد الخبراء احضار جبل جليدى من القارة القطبية ، بدلا من اقامة محطة لتحلية مياه المحيط فى مدينة كامب بندلتون ·· الفكرة ليست جديدة وان كان الجديد الذى يقترحه الخبير مجموعة من الاجراءات التى تخفض من تكاليف تنفيذها كثيرا·



### الطابعة الكمبيوترية

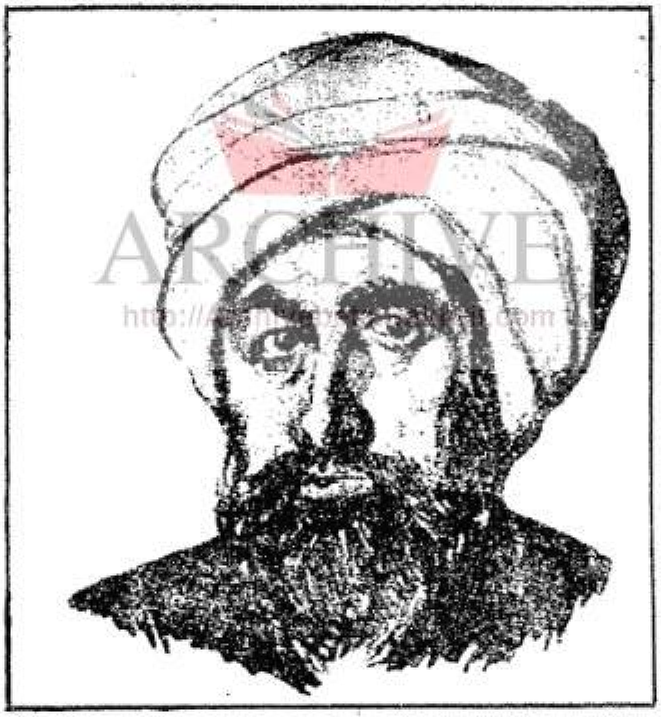
● مع الاهمية المتزايدة لاجادة استخدام الالة الكاتبة ولوحة مفاتيح أجهزة الكمبيوتر انتشر استخدام لعبة « الطابعة الكمبيوترية » التى تعلم الاطفال نفس البرامج المعتمدة للتدريب فى هذا المجال على وجه التقريب · اللعبة خفيفة الوزن وتعمل بالبطارية وتقف أوتوماتيكيا اذا مر عليها عشر دقائق دون استخدام ، وتبين للطفل سرعته فى التعامل معها على شاشة صغيرة ··

● انتشر فى بريطانيا استخدام « البصمة الوراثية » التى ولفها أليك جيفريس عام ١٩٨٤ ، وتشمل الى جوار بصمة البنان نقطة دم وجذر شعرة ونطفة منى ·· وقد امتدح القضائيون هذا المستحدث التقنى ، الذى سيفيد كثيرا فى الكشف عن الجريمة ، وفى مجالات كثيرة اخرى مثل ادعاءات صلة القرابة ·

في الذكرى الثمانين بعد السبعمائة
لميلاد "رائد الفكر الإسلامي"
في القرن السابع الهجري

# جلال الدين الرومي

٦٠٤ - ٦٧٢هـ • ١٢٠٧ - ١٢٧٣م



بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

---

**جلال الدين شخصية نادرة في الفكر الاسلامي ورائد كبير من رواد الفكر الصوفي ، وعقلية واسعة الافق وقف حيالها المفكرون والكتاب في خشوع واجلال موطنه بلخ احدى عواصم الثقافة الاسلامية ففيها ولد ، وفيها نشأ ، وكانت بلخ تلقب بام البلاد ، وهي احدى مدن افغانستان ، ومنها اعلام مشهورة ، مثل : ابراهيم بن ادهم شيخ الصوفية (( ١٦٢ هـ )) وشقيق البلخي (( ٢٥١ هـ )) وابن سينا (( ـ ٤٢٩ هـ )) ، وسواهم.**

وهو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي ـ نسبة الى بلخ موطنه ـ القونوي ـ نسبة الى قونية التي هاجر اليها واقام فيها ـ الرومي ـ نسبة الى بلاد الروم التي منها بلدة قونية ـ وينتهي نسبه من جهة الاب الى أبي بكر الصديق .. ويطلق عليه المولوي نسبة للطريقة المولوية التي عرف بها ونسبت اليه ، وهي نسبة الى مولى ، وكان جلال الدين يلقبه اتباعه بمولانا .

وكان والده محمد يلقب ببهاء الدين ، وهو من العلماء الاعلام في بلخ ، وفيها ولد عام ٥٤٥ هـ ، وتوفى بقونية عام ٦٢٨ هـ ، عن ثلاث وثمانين سنة هجرية ، وهو فقيه ، صوفي ، واعظ .. له كتاب « المعارف » في المواعظ بالفارسية ، وقد طبع عام ١٣٣٣ هـ في ثلاثة أجزاء ، وبقى الجزء الرابع مخطوطا لم يطبع بعد ، وهو الاستاذ الاول لابنه جلال الدين الذي تأثر به وبمنهجه وفكره ومعارفه تأثرا بالغا ، وافاد من كتابه المعارف كثيرا .

---

وقد ولد جلال الدين في السادس من ربيع الاول عام ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) .. ونشأ نشأة صالحة ، حفظ القرآن، وتلقى علوم الدين والعربية والتوحيد عن والده ، وبدت عليه مخايل الذكاء، وسلامة الفطرة ، وقوة الاستعداد ، واكتمال الطبع ، حتى لقد تنبأ له فريد الدين العطار ( ـ ٦١٧ هـ ) بالامامة والنبوغ العلمي ، وجلس في مجالس التدريس والفتيا والوعظ ، واخذ عنه كثير من الدارسين .

وفي هذه الفترة بدأ المغول في غزو العالم الاسلامي وبخاصة الدولة الخوارزمية التي كانت تجاورهم وأشهر عواصم هذه الدولة في افغانستان ، فاضطربت أحوال بلخ ، وصحب الغزو المغولي القتل والتدمير وتحطيم مراكز الحضارة والعلوم ،

فكان لابد لوالد جلال الدين من الهجرة بأسرته الى حيث الامان والاطمئنان . فخرج من بلخ عام ٦١٧ هـ ، حتى استقر به المقام أخيرا فى قونية من أعمال بلاد الروم فى آسيا الصغرى ، ومعه أبناؤه ، ومن بينهم هذا الفتى البالغ من العمر نحو الاربعة عشر عاما ، وهو جلال الدين .

عاش والد جلال الدين فى قونية يخطب ويعظ ويلقى الدروس على الطلاب فى الفقه وشتى علوم الدين ، وذلك طيلة عشر سنوات ، حتى توفاه الله الى رحمته عام ٦٢٨ هـ .

ونهج جلال الدين نهج والده فكانت له حلقة علمية فى قونية ومجالس علم وافتاء وفقه وتفسير .. ولم يلبث أن تعرف عام ٦٤٢ هـ ( ١٢٤٤ م ) بمدينة قونية بصوفى موهوب هو شمس الدين التبريزى ، الذى حول حياته وفكره تحويلا كبيرا ، واتجه به نحو التصوف اتجاها شديدا ، ولم يلبث شمس الدين أن رحل فجأة من قونية ، وأقام فى دمشق وحزن جلال الدين لفراق أستاذه ومرشده الروحى ، فبعث ابنه بهاء الدين الملقب « بسلطان ولد » الى التبريزى ، ومعه هدايا نفيسة ، وخطاب من والده يلح فيه عليه بالعودة الى قونية ، فعاد شمس الدين التبريزى اليها ، وفرح جلال الدين بهذه العودة ، وأقام التبريزى فيها فترة ، ثم لم يلبث أن غادرها مرة أخرى الى الشام ، فحزن جلال الدين لذلك حزنا شديدا ، وخرج بنفسه الى الشام ، يبحث عن أستاذه فى كل مكان ، ثم عاد الى قونية يخفى حنين وهو حزين مهموم ، يؤثر العزلة ، وينأى عن الناس .

تأثر جلال الدين فى هذه الفترة بالامام الغزالى وبكتابه « احياء علوم الدين » تأثرا كبيرا ، وصار الغزالى مثله الاعلى من بعده « شمس الدين » .

وهكذا حدث هذا التحول الكبير فى حياة جلال الدين : من تدريس العلوم الى العكوف على مجالس التصوف ، ومن المنهج العقلى الى منهج الصوفية وأصحاب المواجيد ، كما حدث للامام الغزالى نفسه من قبل ..

عاصر جلال الدين كثيرين من أعلام الفكر الاسلامى ، ومن بينهم :

ـ فريد الدين العطار الشاعر الفارسى المشهور (الذى توفى عام ٦١٧هـ) والسعدى الشيرازى ( ٦٠٦ ـ ٦٨٩ هـ ) صاحب كلستان ، وحافظ الشيرازى ، ومحيى الدين بن عربى ( ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ ) الشيخ الاكبر ، وأبو الحسن الشاذلى ( ٥٩٣ ـ ٦٥٦ هـ ) ، وابن عطاء الله السكندرى ( ٦٥٨ ـ ٧٠٩ هـ ) ، وشهاب الدين السهروردى ( ٦٣٢هـ ) ، وأبو العباس المرسى ( ٦١٦ ـ ٦٨٦ هـ ) ، والسيد أحمد البدوى ( ٥٩٦ ـ ٦٧٨ هـ ) ، وابن الفارض ( ٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ ) ، وشرف الدين البوصيرى ( ٦٠٨ ـ ٦٩٥ هـ ) ، ونصر الدين الطوسى ، وبرهان الدين الترمذى ، وصدر الدين القونوى .

وكان له ابنان هما : بهاء الدين وعلاء الدين .

واشتغل جلال الدين بالتاليف ، وله من المصنفات :

١ ـ المجالس السبعة ، ألفه بالفارسية ، وهو مواعظ وخطب ، كتبها أثناء اشتغاله بالتدريس ، قبل

تعرفه بشمس الدين التبريزي وقد طبع هذا الكتاب عن نسخة خطية بمكتبة محفوظ اغا بتركيا.

٢ ـ ديوان شمس تبريز . الفه جلال الدين وسماه باسم أستاذه الروحي ، وهو غزليات صوفية تبلغ ٣٥٠٠ بيت من الشعر .

٣ ـ رباعيات جلال الدين ، وتنحو نحو توضيح الحقائق الروحية فى قالب حكايات وقصص .

٤ ـ كتاب سماه باسم «فيه ما فيه»، وهو يشتمل على مواعظ وقصص وأمثال ، بأسلوب سهل تفهمه جماهير الناس ، ويقول فيه بعض الشعراء :

كتاب « فيه ما فيه »
لطيف فى معانيه
فمن يعمل بما فيه
تشهد الغيب فى فيه
كتاب فيه آيات
على الحق دلالات

وهو مطبوع بالفارسية عن نسخة مكتوبة عام ٧٥١ هـ بخط احد احفاده.

٥ ـ المثنوى وهو شعر فارسى من المزدوج أى ان كل شطرين لهما قافية مشتركة . وهو ستة مجلدات ، تحتوى على خمسة وعشرين الف بيت من الشعر . وذكر مؤلف كتاب « تذكرة الشعراء » ان عدد أبيات المثنوى يصل الى ثمانية وأربعين الف بيت من الشعر، واشعار المثنوى فى ترجمة نيكلسون تبلغ ٢٥٦٣٢ بيتا من الشعر ..

وهناك مجلد سابع ينسب الى جلال الدين ، وان كان على الحقيقة ليس له.

وقد الف جلال الدين كتابه المثنوى بناء على اقتراح من تلميذه حسام الدين جلبى بأن يؤلف جلال الدين كتابا يجمع بين آرائه فى الاخلاق والأدب وآرائه فى التصوف على نهج كتاب « حديقة الحقيقة » لسنائى الشاعر الصوفى المدفون فى « غزنة » بافغانستان والمتوفى عام ٥٢٥ هـ ، أو كتاب « منطق الطير » للعطار الشاعر الفارسى المشهور ( ـ ٦١٧ هـ ) .

بدأ جلال الدين فى تأليف المثنوى عام ٦٥٧ هـ / ١٢٧٦ هـ وانتهى منه بعد نحو خمس سنوات .. ويقول فى مقدمة الكتاب .

« هذا كتاب المثنوى ، وهو أصل أصول الدين فى كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الاكبر ، وشرع الله الازهر ، وبرهان الله الأظهر .. ثم يقول : اجتهدت فى تطويل المنظوم المثنوى، المشتمل على الغرائب والنوادر وغرر المقالات ، وطريقة الزهاد ، وحديقة العباد ، قصيرة المبانى ، كثيرة المعانى ، لاستدعاء سيدى وسندى ابى الفضائل ، حسام الحق والدين ، حسن بن محمد الخ .

وقد نال الكتاب شهرة وذيوعا كبيرين ، حتى الف بهاء الدين (ابن جلال الدين) كتابا سماه «المثنوى» ايضا .

وشرح الكتاب كثير من العلماء ، منهم :

الخوارزمى ( ـ ٨٤٠ هـ ) ، وسمى شرحه : كنوز الحقائق ، ورموز الدقائق » .

ـ شمعى ( ـ ١٠٠٠ هـ ) ، شرحه باللغة التركية .

ـ علاء الدين ( ـ ٨٧٥ هـ ) ، شرحه بالفارسية .

ـ محمد نحيفى ( ـ ١١٥١ هـ ) . شرحه بالتركية .

ـ عابدين باشا ـ شرحه بالتركية.

ـ بحر العلوم ـ شرحه بالفارسية.
ـ محمد تقي جعفري ـ شرحه بالفارسية .

ـ جلال الدين همائي ، شرحه بالعربية بعنوان « تفسير مثنوى » .
ـ يوسف المولوى ـ شرحه بالعربية بعنوان « المنهج القوى » فى ستة أجزاء .

ـ الانقروى ( نسبة الى انقرة ) المتوفى عام ١٠٤٢ هـ ، شرحه بالتركية.
ـ محمد الهندى شرح بالاوردية .

ـ د. كفافى شرحه بالعربية ، وظهر منه ثلاثة أجزاء ، ثم توفى الى رحمة الله .

ـ الجواهرى نظمه بالعربية شعرا فى ستة مجلدات .

ـ عبد الوهاب عزام له « مختارات المثنوى » بالعربية .
وترجم المثنوى الى العديد من اللغات العالمية لفيف من المستشرقين، منهم :

ـ روزون الالماني ترجم الجزء الاول من المثنوى الى الالمانية .

ـ جيمس ردهاوس ، ترجم الجزء الاول من المثنوى الى الانجليزية .

ـ نيكلسون ، ترجمه الى الانجليزية فى جزأين .
ـ هو يتفليد ، ترجم ٣٥٠٠ بيت من المثنوى الى الانجليزية .

ـ أرثر جوى أربرى،ترجم مختارات من المثنوى الى الانجليزية .
وظهر العديد من المؤلفات عن جلال الدين ، ومن بينها كتاب لابى الحسن الندوى : بعنوان « مولانا جلال الدين الرومي » ، كما كتب عنه فروزا نفر بالفارسية كتابا أيضا ، وللباحثة الفرنسية المسلمة « ايفادى فيترى » كتاب عنه بالفرنسية .

واخيرا توفى الشيخ الكبير فى الخامس من جمادى الاخرة عام ٦٧٢ هـ ، ودفن فى قونية ، فى مشهد كبير .

وكما كان جلال الدين متأثرا ، بالغزالى ، فان الشاعر محمد اقبال تأثر بجلال الدين تأثرا شديدا ، ودواوينه بالفارسية والاوردية فيها فكر جلال الدين ، ومعراج اقبال بالفارسية يمثل روح جلال الدين فى حث المسلمين على النهوض وفى ايقاظهم من سباتهم العميق ، وفى الدعوة الى الصفاء الروحى والنهضة الاسلامية .

## ● الشريعة .. المعيار

واذا كان جلال الدين فى القسم الاول من حياته وقبل اتصاله بشمس الدين التبريزى عالما متبحرا فى علوم الدين والكلام وفى الفقه ( على مذهب الامام ابى حنيفة ) خاصة ، فانه بعد لقائه بالتبريزى يهاجم الفلسفة التى تعتمد على العقل المحض هجوما عنيفا ، وصار يحتاط فى الاخذ بأقوال الفلاسفة ، ويجعل الشريعة هى المعيار لذلك ، ويلجأ الى العقل والاستدلال لمعرفة الله ورسالاته ومعجزات رسله ، للعمل بالشريعة ، واخذ يؤكد على تحرير عقل الانسان من قيد الذهب والفضة كما يقول ، وعلى وحدة الوجود ، ويشرح الكثير من المرامى الصوفية ، مثل قضية الروح والجسد ، والمريد ، والمقام ، والحال وسوى ذلك .. فتصوفه مزيج من الفلسفة

والحكمة العملية ، لانه حكيم اخلاقى، وشاعر صوفى ، يميـــل الى الحب والوجه ·

● رسالة دكتوراه

واخيرا ظهر عن جلال الدين كتـاب قيم ، هو فى الاصل رسالة دكتوراه ، قدمها الى جامعة الازهر باحث افغانى، هو « عناية الله ابلاغ الافغـانى » ، صدر عن الدار المصرية اللبنانية ، فى نحو ٤٢٠ صفحة ، بعنوان « جـلال الدين الرومى البلخى بين الصوفيـة وعلماء الكلام » بتقـديم ا·د· يحيى الخشاب ، ويقع البحث فى سـبعة ابواب ، بعد التصدير والمقدمات :

- فالباب الاول : عن مدينة بلخ فى القرنين الخامس والسادس ·

- والباب الثانى : عن التصـوف الاسلامى الى عهد جلال الدين ·

- والباب الثالث : عن المؤثرات فى حياة البلخى ·

- والباب الرابع : عن مؤلفـات جلال الدين

- والباب الخامس : عن التصـوف عند جلال الدين ·

- والباب السادس : عن آرائـه الصوفية ·

- والباب السابع : عن جلال الدين وعلم الكلام ·

وهذه الدراسة القيمة تسـتحق الاهتمام والعناية حقا ، ويقول الباحث فى تقديمه للبحث : « فى هذه الرسالة محاولة لتوضيح بعض آرائه التصوفية والكلامية · ويقول فى الخاتمة ، عن جلال الدين :

« قل نظيره فى تعمقـه فى الادب الصوفى والتعريف بالتصوف ، وقـل نظيره فى القرون الاخيرة يقدم لنـا المعرفة فى صورة متكاملة » ·

« عالج القضايا العقيدية بالبيان المانع ، يحدث نحس أن المعنـويات اكثر لذة من غيرها ·· عالج الانسان ومشكلته بحيث مزج الروح والحيـاة والنفس الانسانية ليصل منها الى عمق التأمل ، حول الانسان نفسه ·· ذهب من ميادين التصوف الى ساحات الفن والادب ، وجعل من الادب مفـاهيم للفن ، ومن الفن تيقظا ووعيا لدارس التصـوف والادب ، لندرك بذلك ان الانسان نفسه هو فوق كل تقدير حينما يعتبر موضوعا للاخلاق العلمية ·· ثم يقول :

جاء جلال الدين بعد الصراع بين المدرسة والخلوة ، بين الفكر والزهد، بين المقال والحال ، توجـه الى اداء رسالته ·· التى فرضها عليه عقـله الفلسفى وفكره الصوفى وجـذبه السلوكى ، وفرضتها عليـه تاثراته البيئية ، وانطباعاته الخاصة ، وصلة اسرته بالعلم والزهـد والتقوى ، ونشاته فى العبادة ونموه فيها ··· ثم يقول :

« اراد الوصول الى الحقيقـة · الحقيقة التى يعترف بها ، والحقيقـة التى تأخذه الى الصدق واليقين ·

ويحق فالكتاب جامع لكل ما تفرق فى المصادر عن جـلال الدين الرومى وتصوفه ، وهو المصـدر الاول الذى اخذنا منه هذا المقال ··

ولقد كد الباحث وجد ، واضناه الكد والجهد حتى خرج بهذا البحث القيم الاصيل ·

ونحن اذ نعتز بما قدمه هـذا الافغانى الدؤوب عن جـلال الدين وحياته وآرائه ، نتمنى أن يفيد منـه جمهرة المثقفين والدارسين ·

شعـــــر
زينب محمود أحمد

# صَديق



## ( ١ ) المخاض

وجئت كالشروقِ فوق صفحة الحقولْ
بلوْن خطوةٍ أليفةٍ لساقيةْ
بطعم دهشةَ السؤال فى قصيدةٍ مواتيةْ
فأنت روح ذلك المكانْ ...
ولحنِ أغنياتنا بموسم الحصادْ
وأنت فرحةٌ هنا
وبهجة هناك ...
ماجاءها المخاضُ بعدْ
وأنت لحظةٌ وشيكةُ الحدوثْ ...
ومستحيلةُ الحدوثْ ! !

## ( ٢ ) صديقى القديم

صديقى القديمُ كان دائماً حزينْ ... ! !
فظلهُ على الجدار مرهقٌ
يفنِّدُ التجهم البطىء
يمدُّ فى الفضاء قشعريرة الفناء
وصوتُهُ مسافةٌ ....
تدفىء التأوه الحبيس فى العيونْ .
وتحرقُ الصفصافة التى بأول الطريقْ
صديقى القديمُ كان دائماً حزينْ ... ! !
ومنذ موتِهِ ...

# القديم



أعيشُ بعض حزنِهِ
تقلصتْ أضالعِى
وتهتُ فى مغارةِ السكونْ
كتبتُ فوق قبرِهِ
رسالةً
قصيرةً - قصيد ....
وحين عدتُ .....
لم أجد رسالتى ،
ولم أجد جواب ! !

## ( ٣ ) الجلوس فوق حافة الضياء

واستديرُ كى أرى - قبالتى - أواخر النهارْ
تزيد من صبابتى
فأعشق الجلوس ...
فوق حافة الضياء ....
واستثيرُ غضبة الرياحِ ....
كى تطارد المساء
وعندما يطل وجهك الجميل ...
فوق صفحة القمرُ
يراقص الغصونْ
ويوقظ الضفادع التى على جوانب التُرعْ
فيسقط الخريفُ من أيامنا
ويُولد النشيد ! !

قصة قصيرة

# الصحوة

بقلم
أنغام كجه چى
باريس

لو عرفت فى ذلك اليوم ، قبل اثنتى عشرة سنة من هذا اليوم ، باننى سانتهى نزيلة للعنبر رقم ستة فى مستشفى سانت - ان للامراض العقلية ، لما جئت الى هذه المدينة ، ولاخترت عوضا عنها الرحيل الى نواكشوط .. او مونتفيديو ، او هونولولو وها انا ، فى الساعات القليلة التى يغادرنى مفعول الحقن المهدئة ، وفى لحظات الوعى الصافى ، استذكر طفولتى واحن اليها رغم انها كانت عادية وليس فيها ما يذكر ، واسترجع وجوه ابى وامى واخواتى السبع ، ووجه معلمتى صابرة ، ووجه ماجد ، حبى الاول الذى ما كان له ان يتصور ذات يوم انه قد احب مجنونة .

فى تلك السنوات الجميلة لم اكن مجنونة بعد . بل اننى من شدة اتزانى رضخت لنصيحة العائلة ، وقطعت صلتى بماجد ، وبدات منذ تلك اللحظة مسيرة حياتى الخارجة على قانون الطبيعة ، والمعاكسة لدوران الساعات .

وكان ماجد اعقل منى ، فقد سارع الى الزواج من ابنة خالته ، وفى غضون خمس سنوات كانت قد انجبت له اربعة صبيان .

انا لم انجب . وفى لحظات الوعى الصافى يستبد بى حزن ذو اشواك تنشب فى الحلق .. والتخيل احيانا طفلا يتشبث بى ، ويستطيع - مهما كان صغيرا - ان ينقذنى من صحبة مجنونات سانت - ان

وفى تلك اللحظات شديدة الوطاة ، اتحسس صدرى الناشف .. وتتملكنى جزعة العانوسة .. فاسارع الى حسبان

ما تبقى لى من سنوات الامل ، فاجد سن اليأس تقف لى بالمرصاد ... غير بعيدة .

كان أبى يقول : سناء ليست مثل بقية البنات . أنا لا اخاف عليها حتى لو ارسلتها الى أخر الدينا لقد ربيتها مثل رجل .

كان ابا لسبع بنات ، وكان يدفع مرارة ذلك بالتصريح دائما بأن كل واحدة من بناته السبع تساوى لديه عشرة رجال .

انا بالذات ، كنت الاكثر رجولة بين شقيقاتى . لم تضم خزانة ثيابى غير السراويل ، وكانت امى تدعى انها بذلك تحمينى من الام الروماتيزم .

لم اكن دميمة ، لكنى اعتدت العبوس حتى صار طبعا لى ... طبع غريب على لجج العواطف التى كانت تتلاطم فى قلبى المراهق . وكان مظهرى ذاك لا يستهوى ابناء الجيران ، فلم اسمع منهم يوما كلمة غزل ، ولم يطاردنى رجل فى شارع ، ولم تحسدنى صديقة من صديقات المدرسة .

انا ايضا لم اكن احسدهن . والمرة الوحيدة التى اجتاحتنى فيها خيول الغيرة كانت عندما اختار معلم النشاط الفنى زميلتى خولة لتقوم بدور جان دارك ، فى المسرحية التى اعتدنا أن نختتم بها العام الدراسى .

لم تكن خولة جميلة لكنها كانت انثى اكثر من اللازم . ولما قصوا شعرها لكى تشبه جان دارك ، بدت مثل عصفور مبلول نتفوا له ريشه ، فلم أعد أغير !

لم اكن احب التمثيل لكنى كنت اجد فى نفسى شيئا من جان دارك . كان شعرى قصيرا دائما ، وكانت لى ثوراتى الصغيرة وتضحياتى غير المشروطة ونيرانى التى تحرقنى من الداخل .



خولة ، واعطاني دور الام ، فانسحبت من المسرحية كلها وبكيت الليل بطوله ·

حين سافرت بحجة الدراسة ، كان أول ما فعلته ان اطلت شعري · شعرت بان ذلك يمكن ان يكون رمزا لمرحلة جديدة من العمر ·لذلك لم تفهم ممرضات هذا المستشفى سبب الهياج الشديد الذي استبد بي وهم يقطعون ضفائري دون رحمة ·

كانت نوبة من تلك النوبات التي لا احبها — وتريحني — قد فاجأتني خلال الليل ، ويبدو انني في غيبوبتي قد شددت شعري بقسوة ولا وعي، وهكذا احسست عندما افقت بالم شديد في جلدة الراس ، وكانت بقايا من شعري لاتزال تحت اظافري ·

جاء الطبيب في الصباح التالي وقال للممرضات ان يقصوا شعري·· صرخت وبكيت وقاومتهن مثل ثور اسباني ، لكنهن توصلن في النهاية الى اعادتي الى مظهري الصبياني الذي اكرهه ·

ها انذا من جديد ابنا من ابناء أبي، ذلك الرجل الحزين الذي لم تلد له زوجته غير البنات ·

لم تكن تلك النوبات التي اكرهها وتريحني تصيبني في النهار · انا خلال النهار امرأة وادعة مثل قطة بيتية ، المشي في حديقة المستشفى ، الاعب الحمامات الاملة، اجمع الازهار لعنبر الطعام ، استحم طويلا في مغطس الماء البارد ، واقرا ما يهمله زوار المستشفى من مجلات وجرائد ·

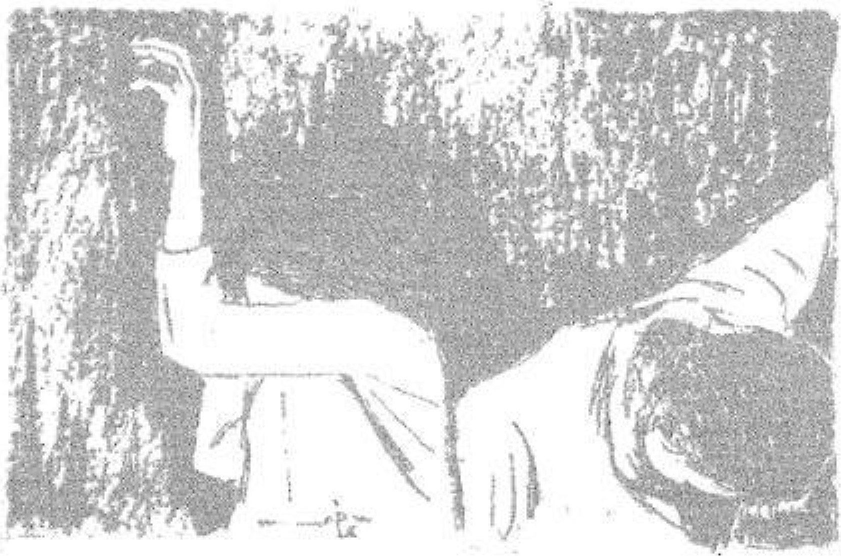
لكن الليل شيء اخر· وانا اخافه · ففيه تتحول المرأة الوادعة التي هي انا الى مجنونة تستحق العزل في الحجرات المفردة ، مع ربط الذراعين الى السرير ·

الليل ليل النوبات · وانا أخافه · وفي تلك الصباحات الممضة كنت افتح حقيبتين ثقيلتين من اثر الحقن المهدئة ، فتواجهني زرقة السقف اولا ، ثم بياض الباب المقفل ·· وحالما استرجع احساسي ينهشني الم الجروح والخدوش في الوجه والصدر والكتفين

من يفعل بي كل هذا؟ هل تقدر انسانة مغلوبة على امرها ، ان تلحق بنفسها كل ذلك الاذى؟ ولماذا يداهمني الجنون ويحبسني مع نساء سالفات — آن ويحرمني من ضفائري ومكتبتي واسطواناتي ومن كتابة الرسائل الى شقيقاتي ، لان كل الورق الموجود هنا يحمل ختم المستشفى، ·· مستشفى الجنون ؟

لماذا المجنونة بنصف دوام؟ وهل لابد للمجانين من نهارات من الصحوة الممضة ، يستيقظون فيها على علتهم فيزداد العذاب ، ويتمنون لو فقدوا الوعي الى غير ما رجعة ؟

لقد كانت نهاد ابنة جارنا الحاج مصطفى مجنونة· هل كان اسمها



نهاد ام نوال ؟ لكنها لم تكن مثلى ، ولم يسمع احد صراخها ليلا . تكتفى بالجلوس فى حوش الدار بلا كلام ، محلولة الشعر ، مرسلة اليدين ، وابتسامة بلهاء على وجهها . وقد اخذتها امها الى الاولياء الصالحين اولا ، ثم الى المشعوذين ، واخيرا وصفت لها عرافة عجوز شربة من نباتات جافة ، ونصحت امها بتزويجها .

وعقلت نهاد . هل كان اسمها نهاد ؟ عقلت بمجرد ان زوجوها ، وشاهدتها بنفس صبيحة عرسها الى ابن عمها ، وهى تشطف حوش الدار ، وترفض امام الطشت وتغسل ثياب زوجها بهمة وكانها انسانة اخرى وفى المساء نحرت امها الذبائح واطعمت كل جياع الحى .

حتى الجنون فى بلادنا اهون علاجا . فماذا اصنع بجنونى فى هذه المدينة الغريبة ، ومن ياخذ بيدى من وراء اسوار سانت — آن الى مراقد الاولياء الصالحين ؟

انا مجنونة حالة . اهرب من ساعات صحوتى المضة الى احلام لا اكون فيها مربوطة اليدين . فاتحسس جسدى ، وابحث بخيالى عن حاجة فيها شئ لله ، تدور حولى بمبخرتها ، وعن ام بعيدة تسمع نصيحة طبية بتزويجى .

والنذر فى احلام النهارات البيضاء ، ان انحر سبع ذبائح ، وان اطعم كل جائع ، وان اغسل ثياب ذلك الذى سيفك عقدتى سبع مرات كل يوم . ولكن يا الهى ، استرحمك بحرقة امراة مجنونة الا تسزرع فى رحمى سوى البنين .

# امكانات تربوية فى الاسلام

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

**ليس من المتصور بطبيعة الحال لمقال ، القدرة على « احصاء » ، فضلاً عن التحليل والشرح ، الامكانات التربوية للعقيدة الاسلامية، فهى فى كليتها وعمومها « الصيغة الالهية » لتربية الانسان ، ومن هنا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ، ومن ثم فما يلى من صفحات انما هو « كوب » من « محيط » كبير ، ظل الانسان ينهل منه منذ ١٤٠٨ اعوام وسيظل الى يوم البعث .**

فاذا كانت التربية كما هو معروف مفهوما أوسع وأشمل من ( التعليم ) مما يجعلها تشمل جميع افراد الناس متعلمين او اميين كانت هناك ضرورة لان تنبنى على اليسر والبساطة ليسهل التغيير المطلوب ، والسهولة واليسر هنا ليسا قرينى السذاجة والبدائية وانما هما قرينا الطريق الاقرب الى عقل الانسان وقلبه وقرينا الفاعلية الاكثر فى تغيير ما هو عليه من اتجاهات وقيم .

ويكاد يكون هناك اجماع على ان الاسلام هو اكثر من غيره ميلا الى اليسر والبساطة (١) والادلة القرآنية كثيرة يمكن أن نذكر منها :

– « لايكلف الله نفسا الا وسعها » (٢) .

– « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٣) .

– « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (٤) .

– « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » (٥) .

اما احاديث الرسول ، فهى ايضا كثيرة ومتعددة منها (٦) .

– فعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .

– وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « هلك

المتنطعون ، قالها ثلاثا .

– وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « انك لتصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : اذا فعلت ذلك هجمت له العين ونفهت له النفس ، لاصام من صام الابد .. » الحديث » .

وقد اعترف بعض المستشرقين بذلك فهذا هو «توماس ارنولد » يكتب قائلا: « اذا نظرنا الى التسامح الذى امتد .. الى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر حكم الاسلام ، ظهر ان الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق » (٧) ويستشهد بقول ( مليمان ) بان رجال الكنيسة كانوا « يتنازعون فيما بينهم على اشد مسائل الدين ابهاما واكثرها غموضا فيما يتعلق بما وراء الطبيعة فى العقيدة الدينية »، ثم يستطرد ايضا: فكم من اناس لابد ان يكون هذا الجدل المستمر قد زعزع اسس عقيدتهم او كم كان يكون غريبا لو ان هؤلاء الالوف من الناس لم يلتمسوا وهم فى ضجرهم وحيرتهم ملجأ من هذه المجالات التى لا تنتهى عند حد ولا تعرف الدين والتسامح فى تلك الحقيقة البسيطة الواضحة ، حقيقة الوحدانية مهما طولبوا بالاعتراف ببعثة محمد ونبوته » وغير هؤلاء ذهب آخرون الى نفس الفكرة (٨) .

## ● العالمية

فصحيح أن التربية عملية مشروطة بشروط الزمان والمكان لكن لا يقل عن ذلك صحة ان الانسان بحاجة ايضا أن تكون التربية وسيلة للتفاهم العالمى، ولعل من اقرب الطرق الى ذلك ، ان تكون هناك بعض القواعد والمبادىء العامة التى تجمع كل الناس فى اطار واحد ، أو بمعنى اصح توجد قاعدة مشتركة، والاسلام توافرت فيه صفة العالمية ، بأجلى ما يمكن ان تتضح (٩) ، واية ذلك اننا اذا تدبرنا بعض العبارات التى اوردها الله سبحانه وتعالى على ألسنة الانبياء والمرسلين . فسوف نجد اجماعا بينهم على ذلك :

– فهذا نوح عليه السلام يخاطب أمته قائلا : « وأمرت أن تكون من المسلمين » (١٠) .

– أما ابراهيم عليه السلام فيقول: يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (١١).

– وموسى يقول ايضا : « يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (١٢) .

– أما المسيح عيسى بن مريم فقد قال حواريوه : « نحن انصار الله امنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (١٣) .

ومع ان الاسلام هو دين الانبياء جميعا ، فقد تعارف الناس على ان كلمة الاسلام يقصد بها اليوم الدين الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا كان الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام يرسلون الى قومهم خاصة ، فان محمدا قد ارسل الى الناس كافة « قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (١٤) .

وقد حققت شعائر الاسلام المختلفة معنى الوحدة بين المسلمين ، ونرى ذلك واضحا فى جميع العبادات وخاصة الصلاة والصوم والحج اذ يلتقى جميع المسلمين دون تفرقة على اساس جنسى او طبقى او مالى او غير ذلك .

وهذا يعنى ان عالمية الاسلام قد تحققت بنظرة الى الناس تقوم على التسوية بين الناس جميعا لانه ينادى بوحدة الحياة الانسانية : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله

كان عليكم رقيبا » (١٥) وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يناجي ربه فى اخر الليل : « اللهم انى اشهد انك انت الله لا اله الا انت وان العباد كلهم اخوة » (١٦) .

وهكذا نجد ان العلم اذا كان قد انتهى الى المساواة بين الناس ، وشجب ما قال به علماء الغرب محاولين تبرير التفرقة العنصرية وتتبع هذه المحاولات فهدم الاسس التى حاول ان يتخذها ليقيم بها اركان التفرقة ، ان هذه المرحلة الطويلة من المعاناة العلمية ، تلتقى مع ما جاء به الاسلام وحيا من عند الله وعاش به المسلمون منذ المجتمع الاول اخاء لا يعترف بالتفرقة :

« هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين، والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » (١٧) .

● **الحضارية**

ويؤكد ابن خلدون ان الحضارة انما هى غاية العمران وانها هى « التفنن فى الترف واستجادة احواله والكلف بالصنائع التى تؤنق من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ او الملابس او المبانى او الفرش أو الانية ولسائر المنزل وللتأنق فى كل واحد من هذه صنائع كثيرة لايحتاج اليها عند البداوة»(١٨)

فاذا كانت الصنائع انما ترسخ فى الامصار برسوخ الحضارة وطول المدة ، فالصنائع لابد لها من علم .

وهذا يعنى ان العقيدة التى تحمل وتشجع وتبذر بذور التحضر ، تكون تربة احسن فى غرس التربية والتعليم، والاسلام يمتاز بين الديانات الاخرى بانه دين حضارة بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة ، وانه انشا لونا من الحضارة عرف باسمه وهو « الحضارة الاسلامية » على حين ان غيره من الديانات السماوية لم يبلغ هذه الدرجة ولا هذا المستوى من الاثر الانسانى والتاريخى (٢٩) .

فاليهودية مثلا لم تنشىء حضارة يهودية بالمفهوم الحديث لكلمة الحضارة ، وكذلك المسيحية لم تنشأ عنها او تصاحبها حضارة مسيحية ذات طابع مميز او موحد وكذلك الاديان غير السماوية وعقائدها ذات الانتشار الكبير ، لم تقم لاى منها حضارة خاصة مميزة وان كان بعضها قد علق بحضارات اقدم منه او معاصرة له .ومن ذلك الكونفوشيوسية التى اتصلت بالحضارة الصينية ، والبوذية التى اتصلت بالحضارة الهندية ، ثم رحلت عنها الى داخل آسيا الوسطى واطراف الصين او الى جزيرة سرنديب ( سيلان ) ، او جنوب شرق آسيا حيث الحضارة هندية صينية ، بل كذلك عقائد الهند ذاتها ، وهى التى اتصلت بالوان من حضارة الهند على اساس اقليمى ، ولكن واحدة منها لم تنشىء لونا شاملا من الحضارة المتكاملة ، الا على نطاق محلى محدود لم يستطع أن يعم الهند كلها فى يوم من الايام ، بل كذلك ايضا عقائد افريقيا الفطرية فى مناطقها الحارة والاستوائية حيث لا يمكن ان توصف الحضارة التى صاحبت بعضها بأنها حضارة مشتقة من العقيدة او الديانة او حتى مصطبغة بالطابع الدينى الى الحد الذى ينسبها الى تلك العقيدة ، وان كان تداخل الاساطير والخرافات قد اوجد نوعا من الرباط المشترك بين ديانات افريقية الوسطى وبين ما يتصل بها من نظم اجتماعية افريقية .

والتربية تعنى بالدرجـــة الاولى بتغيير السلوك ، لانه لا فائـــدة من التغيير لو اقتصر على مجرد الحصول على معارف ومعلومات جـــيدة ، صحيح ان تغيير الســلوك لا يتم بصورة سليمة الا اذا سبقته القاعدة المعرفية ، لكن من الصحيح ايضـــا ان هذه القاعدة ليست الا وســـيلة لغاية واداة لتحقيق هدف الممارســة الفعلية لقيمة ما أو لاتجاه ما ٠

**والامر الذى لا شبهة فيه ان الاسلام بظهوره ، كان قوة تأثير ضخمة تمكنت بالفعل من احداث تغييرات تربوية فى** سلوك الانسان الذى اعتنق هـــذه **الديانة ، فمبادىء المساواة والعـدالة والاخاء والحرية التى جعلها اجـزاء متممة للايمان قد فعلت فعلهــا فى اصلاح الاخلاق والســمو الروحى** للجماعة ، وكذلك فعلت عقيدة الايمان بالله وحده لا شريك له ، له الملك وله السلطان ، بيده النفع والضر والمنع والعطاء ، تتساوى الناس فى ملكوته وفى العبودية له ، فســما بالروح البشرية وحررها الى الخير العام ، وقصد وجه الله الخير الذى بيده كل شىء ، وجعل مناط الاعمال ، النيـة التى يعلمها ويحيط بها علام الغيوب فهيأ بهذه العقيدة السبيل الى الاخلاق الفاضلة (٢٠) :

ـ فالذى يدين بها لا يكـذب ، لان الكذب لا يخفى على الله ولا ينفـــع صاحبه فصار الصدق من دعـــامات الاخلاق فى الدعوة المحمدية ، وصار الرياء والنفاق يبعد عن الله ولا يكسب الاعمال الا بوارا ، واستحال بذلك على المسلم المؤمن أن يكون كاذبا مرائيـا ٠

ـ والمؤمن شجاع الرأى والقلب ، لا يهاب الموت ، لان الامر الذى يملكـه هو الله وحده وبذلك ترتفع نفسه الى العزة والاباء والاستشهاد فى الحق، وترفض الظلم والتحقير ان وقع عليه أو على اخوانه من عبيد الله ٠

ـ والمؤمن بهذه العقيدة لا يـكون جبانا مستسلما، بل يحيا مناضلا يدفع شرور الحياة عن نفسه وعن النـاس بحياته ٠

ـ المؤمن يعتقد ان الله هـو الذى يعطى ويمنع ويرزق من يشاء بغيـر حساب ، فلا يبخل بما فى يده ، بل يبذل ارضاء لهذا الرازق وطلبا لبره وكرمه ويعيش سخيا كريما سمحا مع اخوانه من عباد الله ٠

ـ كذلك لا يكون المؤمن انانيا ، فان عقيدته تمنعه من ان يختص نفســه بالمتاع ، وهو يعلم ان فى ذلك حرمانا لعباد الله من المشاركة فى فضل الله،

فهو انسان يكمل انسانيته بالشعـور بجانبه يعيش بنفسه واهله وجيرونه وامته والناس اجمعين ٠

ـ وهو حسن المعاملة والعشرة ، وفى ودود ، لان كل ذلك من متممات ايمانه ومستلزمات خضوعه للـذات العلية التى رفعته واســتخلفته فى الارض ٠

## ● ودين ودعوة

واهمية ذلك انه فى ذلك يتفق اتفاقا تاما مع الفلسفة التى تقوم عليها التربية، وذلك أننا فى التربية لا نقف عند حد ان نعلم ، بل وان نسلك ، وانما لابد ان ننقل هذا الذى عرفناه وهذا الذى سلكناه الى الاخرين ممن يعرفون ، وممن لا يسلكون وفقا لهـذا المسلك الجديد المرغوب ، وهذا وذاك يحقق للعلم انتشارا كبيرا ٠

وان يكون الاسلام دين ( دعـــوة ) فمعنى ذلك انه دين تبشيرى له رسالة يجب على المسلم أن يبلغهـــا ، وان

يبشر بها بين غير المسلمين ، وهو من هذه الناحية يختلف عن ديانة كاليهودية لم يعن اصحابها بنشرها بين الناس ، وان كانوا هم قد انتشروا فى الارض محتفظين بعقيدتهم لانفسهم – وقد يكون من المفيد فى هذه المناسبة ان نذكر أن العصر .

الذى أرسل فيه محمد عليه الصلاة والسلام ليكون بشيرا ونذيرا بين الناس كان أنسب العصور ليأتى فيه خاتم النبيين كما بينا بالرسالة الانسانية الكاملة ، بل كان انسب العصور ليتم فيه على الناس نعمة الدين فى شموله العالمى . ذلك ان فكرة العالمية التى بيناها والتى لم تكن موجودة فى عهد انبياء بنى اسرائيل ، كانت صورتها الاولى قد اكتملت قبيل ظهور الاسلام عندما اتصلت حضارات الشرق الاوسط بحضارات الهند والصين ، وكانت حالة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التى فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا . وكان هذا من اهم الظروف التى مهدت لرسالة الاسلام العالمية من ان تنتشر على نطاق لم يتحقق لرسالة غيرها من حيث اتساع الرقعة الجغرافية فى العالم القديم (٢١) .

ومن الخير لنا ان نذكر ايضا ان فكرة « الدعوة » فى الاسلام وقد واتتها ظروف « الانتشار » فى النطاق العالمى ، قد مكنت للاسلام ذاته من ان ينتشر طابعه الحضارى كعقيدة وكنمط للحياة الاجتماعية فى نظمها المادية والبشرية ، ومن هنا اصبح الدين مقوما اساسيا من مقومات الطابع المشترك فى الحضارة الاسلامية ، وبالاضافة الى ذلك فان الاسلام فى رحابته الحضارية استطاع أن يمتص الوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها مختلف بيئاتها وان يسبغ عليها طابعه الاسلامى الشامل والمميز .

## ● تهيئة الغرض :

وقد وضع الاسلام هذه الطريقة لارساء المجتمع على اسس اجتماعية واقتصادية قوية وذلك بان يمكن كل ذى موهبة من الانتفاع بموهبته على قدر طاقته ، فلقد قرر فقهاء الاسلام أن كل ما يقوم عليه العمران من هندسة وطب وزراعة وصناعة وتجارة وجهاد لرفع شان كلمة الحق واجب على الامة مجتمعة عامة وواجب على وجه الخصوص على من كان قادرا بالفعل على واحد من هذه الامور فالواجب هنا ذو شعبتين : وجوب على الكافة ووجوب على الخاصة كالشأن فيما يسمى فى الفقه بالواجب الكفائى .

أما الوجوب على الكافة ، فلانه يجب على الامة ممثلة فى ولى امرها ان تعمل على اظهار ذوى الكفايات وذوى المذاهب ، ووضع كل كفاية فى مرتبتها مما يتفق مع طاقتها ، وذلك بالكشف عنهم ، وتوسيد كل امر لمن هو له اهل ، وتهيئة الفرصة لان يعمل كل ذى موهبة بعد كشفها وتعرفها .

ولقد قرر بعض فقهاء المسلمين ان السبيل لتعرف الطاقات المختلفة وتهيئة الفرص لكل ذى طاقة هى ان يكون التعليم ثلاث مراحل :

**المرحلة الاولى** : ان يعلم كل ناشئة الامة ، ومن قطع المرحلة بنبوغ ، فانه ينتقل الى المرحلة الثانية ، ومن وقف عندها ولم تسعفه مواهبه بالانتقال الى الثانية ، فانه يقف عند امر يحتاج الى العمران ، لان الامة تحتاج الى عاملين بايديهم فى الارض وفى المتاجر وفى الصناعات وغير ذلك من الاعمال

المرحلة الثانية : وهى : تكون لنبغاء المرحلة الاولى ، وفيها يعلمون ما يتفق مع مواهبهم وسنهم ومن قطع منهم هذه المرحلة بنبوغ انتقل الى الثالثة : ومن وقف عند الثانية ، وقف عند فرض كفائى يحتاج اليه العمـــران والامة تحتاج الى عمال فنيين ، والى مســـاعدى مهندسين والى كـــتابيين وحسابيين وغيرهم ٠

المرحلة الثـــالثة : هى مرحـــلة التخصص والتفنن فى العلوم والتعمق فى الدراسات (٢٢) وتلك المرحلة هى فى ذاتهـــا درجات ، ولكـــن يرقى المتخصص بتسهيل اسباب الصعود فى هذه الدرجات وانها لتعلو حتى تصل الى درجة المخترعين الذين يبنون صرح الحضارات والعلوم وان هؤلاء يكونون التقدم العلمى ، ولا عبرة بكثرة مساحة القمـــة ، وانما العبرة بعـــلوها والحضارات مدينة لهذا العدد القليل من الذين وصـــلوا لاعلى القمـــة ، فالكهرباء والبخار وتذليل الفضـــاء والطيران فوق الســـحاب واستخدام الموجات فى توصيل الاصوات وارتباط العالم ذلك الارتباط الوثيق ، كل هذا من عمل اولئك الذين اتخذوا مجالسهم فى تلك القمم العـــالية ٠

ان هذه الخصائص والسمات انما هى أسماء « فئات » ، بمعنى أن كلا منها يتفرع الى عديد من المبادىء والمقومات مما يحتاج الى عدة وقفات تحليلا وشرحا ومن هنا كان اقتصارنا على هذه الامثلة بيانا للصفة البنائية التربوية فى الاسلام مما ساعد معتنقيه على أن يشيدوا حضارة عريقة غزت مختلف مجالات العلوم ومختلف جوانب الحياة ٠

---

الهوامش :

(١) محمد رشاد سالم : المدخل الى الثقافة الاسلامية ، دار القلم ، الكويت ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٣ ٠ (٢) البقرة ـ ٢٨٦ ٠ (٣) البقرة ـ ١٨٥ ٠ (٤) النساء ـ ٢٨ ٠ (٥) المائدة ـ ٦ ٠ (٦) المدخل الى الثقافة الاسلامية ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ٠ (٧) الدعوة الى الاسلام ، ص ٨٨ ٠ (٨) المرجع السابق ، ص ٨٩ ٠ (٩) المدخل الى الثقافة الاسلامية ، ص ٢١٢ ٠ (١٠) يونس ـ ٧٢ ٠ (١١) البقرة ١٣٢ (١٢) يونس ـ ٨٤ ٠ (١٣) ال عمران ٥٢ ٠ (١٤) الاعراف ـ ١٥٨ ٠ (١٥) النساء ـ ١ ٠ (١٦) رواه احمد ٠ (١٧) الانفال ـ ٦٢ ـ ٦٣ (١٨) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٧٢ ٠

(١٩) سليمان حزين : مقومات الحضارة الاسلامية ، فى ( التوجيه الاجتماعى فى الاسلام ) مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ط ١ ، ص ١٧ ٠

(٢٠) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة ، دار الشروق ، بيروت ١٩٦٩ ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

(١) سليمان حزين ، ص ٢١ ٠

(٢٢) بين هذه المراحل الشاطبى فى كتـــابه الموافقـــات عند الكـــلام عـــلى الفروض الكفائية ، فى ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١٢٤ ٠



كتاب الهلال
يقدم:
أمريكا
الحلم والواقع
بقلم: د. علي شلش
يصدر
٥ مايو
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
شارع الحوانيت المعتمة
(الرواية الحائزة على جائزة جونكور)
تأليف
باتريك موديانو
ترجمة
محمد عبد المنعم جلال
تصدر في
١٥ مايو ١٩٨٨

# أنت.. و الهلال

## • لغة الكاتب

● يؤسفني جدا ان اقرأ تعليقكم حول الورقة المرفقة مع القصة التى أرسلتها اليكم فلم اتوقع ابدا انها « ستكون لها » النصيب الاكبر من التعليق الجارح دون القصة التى كنت اتمنى أن يكون تعليقكم منصبا حولها . وان كانت كلمة « نقد » كما ذكرت اننى كتبتها « نقض » فاوكد لك ان هذا حدث سهوا نتيجة للكتابة السريعة ـ كما نفعل دائما فى الخطاب .. اما من جهة « لم تلق » والتى ذكرت اننى لم احذف « الياء » فهذا يحدث لكثير منا سواء كان سهوا أو جهلا بالنحو ولا سيما عندما نكتب فى عجالة ، ويكفى أن اقول ان هناك « كتب » ومجلات « بتقع » فى مثل هذا ولم يكن هناك « داعى » لهذا التوبيخ ، وكنت اتمنى لو كان تعليقكم اقل حدة ومنصبا حول ما بعثت به اليكم طالبا الافادة . وعموما « انشاء الله » بعد الانتهاء من دراستى بقسم اللغة الانجليزية سادرس النحو والصرف دراسة واعية .

مختار يوسف عبد المعبود ـ قنا

## • تعليق

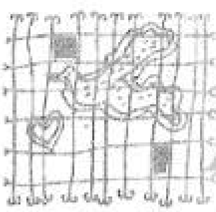
ـ اقصوصتك التى تحدثنا عنها فى العدد الاسبق لم تكن الا محاولة بسيطة لم نشأ ان نمسها بشيء ، اما لغتك العربية فهى كما بدا من خطابك السابق ومن خطابك هذا لا تزيد على لغة تلميذ فى بداية الاعدادى او نهاية الابتدائى مع انك فى كلية الآداب .. وقد وضعنا لك اغلاطك بين اقواس ، ومنها قولك : « ان هناك كتب » وصوابها « كتبا » .. وقولك « بتقع » تريد ان تقول : « تقع »فان حرف الباء لا يسبق الفعل المضارع الا فى اللهجة العامية .. وقولك : « لم يكن هناك داعى » والصواب«داع» وكتابتك : « انشاء الله» خطأ املائى يدل على عدم معرفتك بمعنى الكلام ، والصواب : « ان شاء الله » .. واعجب شيء هو قولك انك ستدرس النحو والصرف بعد انتهاء دراستك فى قسم اللغة الانجليزية ، وانت لو درست النحو والصرف فى المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية لكانت دراستك هذه تكفيك .. والامر لله من قبل ومن بعد فى الجيل الجديد المستعجم من ابناء اللغة العربية ، وبخاصة اولئك الذين يقتحمون ميادين الادب بلا عدة من معرفة شيء من هذه اللغة المسكينة .

## أنت والهلال

### سر الحياة

● أشكر لسيادتكم تفضلكم بنشر كلماتي المتواضعة عن الشهيد ناجى العلى وقد اسعدنى ما وجهتموه الينا من نقد صادق لا أشك فى انه يهدف الى صالحى وتوجيهى ، وفى اعتقادى ان الناقد الصادق خير من المجامل ·· ورغم كتابتى للشعر منذ اكثر من عشر سنوات الا اننى أعتبر نفسى هاويا له ، ولا تغضبنى كلمة النقد مهما كانت قاسية ·· والحق اننى لا أدرس ولم أدرس العروض ولا اعرف كل اسماء بحور الشعور وان كنت قد حاولت من خلال كتب الأدب والعروض المقررة على طلبة الثانوية الازهرية وللاسف لم افهم شيئا واعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الاذن وقراءاتى لمختلف « أنواع » الشعر قديمه وحديثه وها نحن نحاول ·

ويسرنى أن أرسل هذه المرة كلمات قصيرة الاولى بعنوان « سر الحياة » والاخرى عمودية بعنوان : « من أحب ؟ » أما الاخيرة فهى بعنوان « الهروب الى الوهم » وبانتظار رأى سيادتكم فيها كما عودتمونا دائما ودمتم لنا أساتذة وناصحين ·



تأخذني الدهشة ·· التساءل
كيف لعصفور أن يصدح خلف القضبان ؟!
كيف لسجون ان يضحك رغم السجان ؟!
فيجيب الطفل بداخل صدرى ·· يصفعنى
هل يسأل روح عن تغريد بلابله ؟!
او يسأل قلب عن ترتيم او خفقان

● عبد الرحمن عبد المحسن البطة
كلية الحقوق ـ المنصورة

### تعليق

ـ نشكر لك ادبك وحسن ظنك ، وقد اكتفينا بنشر مقطوعتك التى عنوانها : سر الحياة » ·· ونصارحك ان قصيدتيك الاخريين اللتين تشير اليهما لا تخلوان من اغلاط عروضية ، ومع ذلك فلا ننصح لك بالاكباب على كتب العروض لان جميع الشعراء المطبوعين يتعلمون الاوزان من انطباعها في قرائحهم من قراءة الشعر الجيد ، ثم تأتى دراسة العروض بعد ذلك ان شاءوا ·· وقد نظم محمود سامى البارودى باعث النهضة الشعرية قبل ان يدرس العروض ، وكان ذلك من اسباب نبوغه لانه استقى الاوزان من ينبوعها الاصيل وهو الشعر العربى ، وكان من حسن طالع الشعر العربى أن البارودى قرأ شعر الفحول القدماء ونظم على طريقتهم قبل ان يدرس العروض ودون ان يتأثر بالشعر الركيك فى عصره ··

• ستار الحب



من قلب القلب
من قاع البحر
فى قلب تتوحد منه
لوحات الحب ·· الصدق ·· العدل
ابحث عنك ·· وأمضى
اتنسم رائحة الوجد
وحين تغيب منارات العدل
ابحث عنك ·· تحت ستار الحب
وتحت شعار العدل
أقول ···
للحب الأوحد حق
وللقلب النابض الوان التيه

● السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

• فى المديح النبوى

● هذا هو خطابى ومعه قصيدتى ، وأملى عظيم فى أن تحظى بشرف النشر والتعليق عليها على صفحات باب « أنت والهلال » ، ومما يزيدنى أملا فى ذلك أنها عن رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ·
فترفق بى سيدى الكريم · واجبنى من خلالها ـ أين أنا من الشعر والشعراء ؟

يا خاتم الرسل الكرام ترحبا
أنت البشير والنذير المقتدى
قد خصك المولى بخير خصوصة
فكنت للورى الهداية والهدى
وقدت للاسلام خير معارك
فكنت قائدها ونعم المقتدى
يتدارسون اليوم ما لقنته
سلما ·· وحربا خضتها ضد العدا
ان القرون بيننا تتتابع
ورسالة الاسلام تشرق فى المدى
والله لا اله الا هو
انت الشفيع لمن صلاك واشهدا

● رفعت عبد الوهاب المرصفى
شبرا ـ القاهرة

● تعليق

– اجتزأنا من قصيدتك بستة أبيات فقط لانها تدل على سائر أبيات القصيدة التى ذيلتموها بهامش تقول فيه : « القصيدة من بحر الكامل التام ، صحيح العروض والضرب » ولا شك أنكم أردتموها من بحر الكامل ، ولكن لم يسلم لك ولم يستقم فى الوزن الا أربعة أبيات فقط فى القصيدة كلها .. واذا نظرنا فى أبياتك المنشورة هنا وجدنا الشطر الثانى من البيت الاول مكسورا ، وكذلك الشطر الثانى من البيت الثانى ، أما البيت الثالث فمكسور الشطرين معا ، والبيت الرابع صحيح الوزن ، والخامس شطره الاول مكسور أما السادس فمكسور كله ولا نتحدث هنا عن المعنى ولا عن اللغة الصحيحة أو غير الصحيحة ، ونقصر حديثنا عن مجرد الأوزان .. ولكن كثرة الخلل فى الوزن لا تستدعى اليأس من استقامته بالمرانة الطويلة ، والنظر الدائم الصحيح فى الشعر العربى ، ونرى أنك ان شاء الله تستطيع تجاوز المرحلة الحاضرة الى ما بعدها ، وفقك الله ..

● مرثية

لم يبق فى وهج المدينة مجلس للعاشقين
هم يعشقون الصمت فى زمن التصايح والمجون
هم يؤثرون الموت فى زمن التجارة بالفنون
فاملأ سماء العشق فنا وارتقب
فجميع عشاق المدينة قادمون
لم يبقهم من بعدك الموت احتفاء بل جفاء
هم يعشقون الصمت مثلك والسكون
فاهنأ بخلدك فى محاريب الفضيلة
والطهارة واسترح
فجميع عشاق المدينة قادمون



محمد ابراهيم المجريسى

● الشعر بعد الاربعين

● لقد كتبت الشعر على غير موعد ، كتبته بعد العقد الرابع ، فلا أعرف هل يصلح للنشر أو لا يصلح ، واليكم بعض قصائدى لعل بعضها يجد طريقا الى النور ، وخصوصا انى أعتبر « مجلة الهلال »

الغراء نافذة ضوء لى ولامثالى ، واخيرا اشكركم على مساعدة وتوجيه المبتدئين ·

تســـفى الخطــوب قديمهــا وحـــديثها
وتســاقطت كالعــارض المتنــزل
اخـــذت تلملم حشـــدها واثينها
صـــفا كليــل مظلــم لا ينجـــلى
وتطــاولت فى كل صــقع خطوهــا
تهـــوى بمعـــولها فاهـــوى مــن عــل
فى هـــوة فى التيـــه ليس بمنته
أبدا دراكا كالعليل « المبتــلى »
ضـــاقت به الدنيا وجف حنانهــا
ونيوبهـــا اكلت لحـــاء المفصــل

موسى عنتر المرسى
بلقاس ـ دقهلية

● تعليق

ـ نهنئك على ما فتح الله به عليـك من قـول الشعر بعد سـن الاربعين كانك فى ذلك النابغة الذبيانى فى الزمان القديم ، وشعرك طيب صحيح الوزن واللغة ، ولكن قولك « المبتلى » لا يصح هنا لان العليل هو « المبتلى » بفتح اللام وليس « المبتلى » بكسـرها كما فى البيت ، ولعلك كسـرت اللام لضرورة القافية او الـــروى ، وهذا لا يجوز لان للضرورة احكاما ··

● ابن جلول سمير ـ تلمسان ـ جمهورية الجزائر :
نشـــكرك على حسن ظنك ، وامـــا الاشـــتراك فى المجلة فيمـــكن أن تخاطب بشانه قسم الاشتراكات راسا لانه ليس من اختصاص التحرير ·

● مع الاصدقاء ●

● محمد امين الشــيخ ـ قوص :
ـ نرحب برسائلك وبما يصلح لنا من اشعارك ، ونعـــتذر اليه لضيق المقام ، واوزان شعرك صحيحة ولكن معانيه عادية ··
● خميس محمد حبيبة ـ ادكو ـ بحيرة :
ـ انت يا عزيزى من الشعراء الشبان القلائل الذين يتقبلون النقد والتوجيه فنشكرك لهذا ، ونتمنى لك حظا حسنا ، ونرحب برسائلك دائما ·
● السادة : اشرف يوسف عمر الأزهرى ·· عيد على حميدة ·· جمال عطا احمد ·· حسن على محمد جابر ·· محمد ابراهيم الفرحاتى ·· رءوف عبد الله رزق ·· نرجو لكم التوفيق ، ونرجو الاهتمام بالاوزان لان الشعر العربى اساسه الوزن وبدونه يكون نثرا ··
● د · احمد عامر « مصر العربية » :
ـ نرجو أن تتفضل بكتابة عنوانك الخاص على رسائلك لان « مصر العربية » هى عنـــوان كل المصريين ولا يصـــح أن تخص نفسك بهـــا دون مواطنيك ، أما قصائدك التى تصفها بانها « رائعة » فنحن ننشر منهـــا ما نستطيع نظرا لضيق المقام كما ترى ··

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص . ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

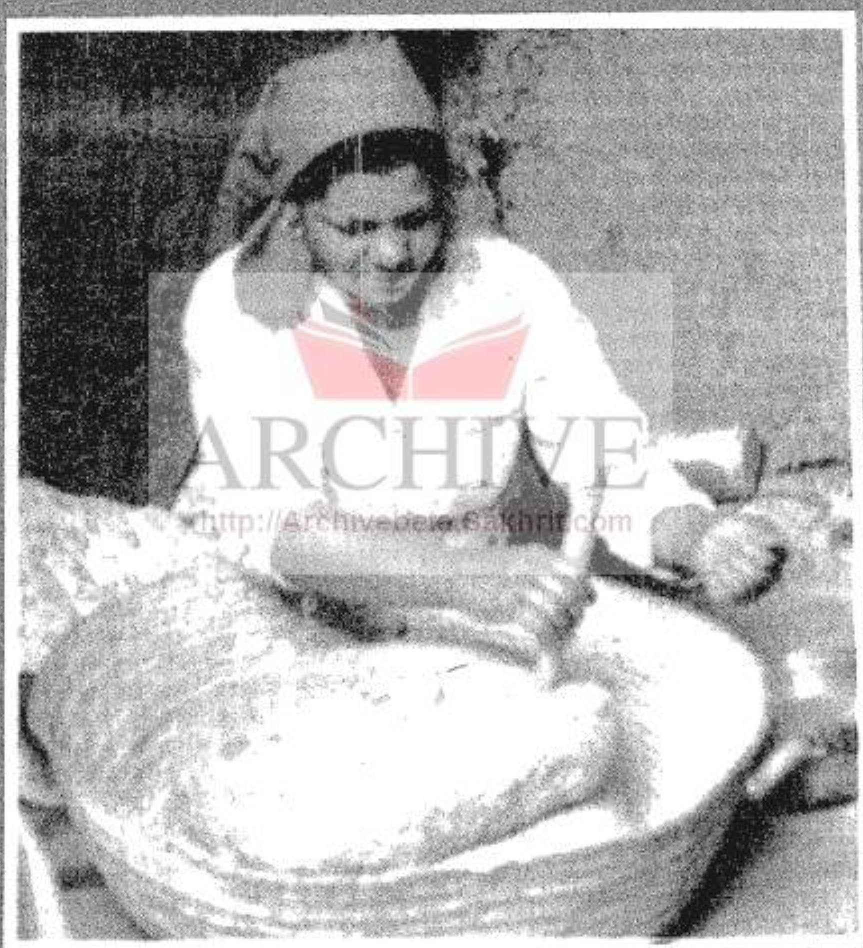


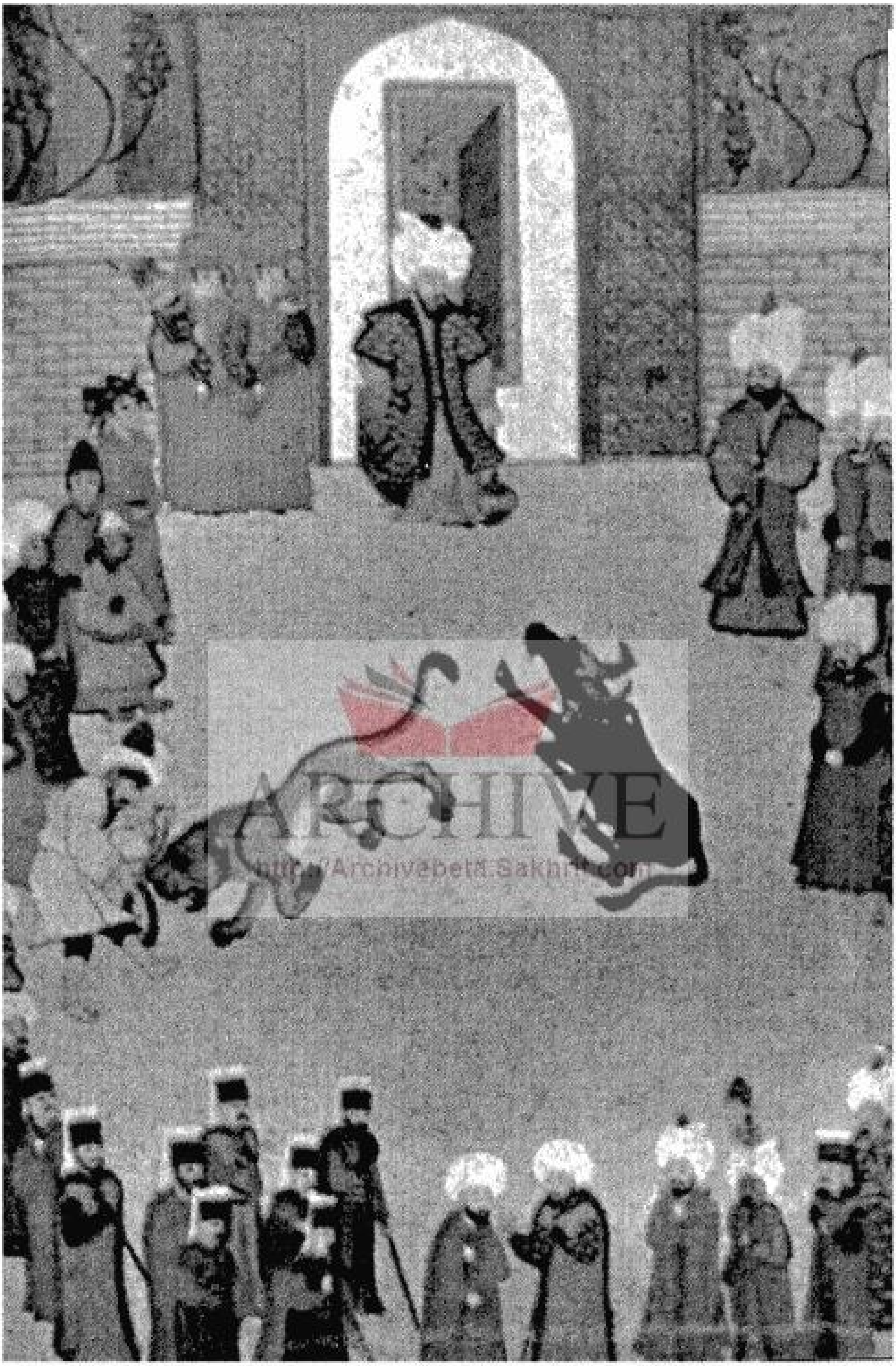
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |

...يه ١٩٨٨ • الثمن ٩٠ قرشا

البيريسترويكا ولقاء ريجان وجورباتشوف

الفن والجمال عند ابن حزم





# من روائع الفن الإسلامي

لوحة من فن المنمنمات التركى تصور معركة بين أسد أهداه سلطان تونس للسلطان العثمانى ابى زيد الثانى الذى حضر المعركة وبين ثور تغلب على الأسد فصرعه السلطان العثمانى لتوه .. وتكشف اللوحة عن شغف الفنان التركى بالألوان الفضفاضة مثل الأحمر بدرجاته والأصفر والذهبى .


الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م اول يونيه سنة ١٩٨٨ ـ ١٦ شوال سنة ١٤٠٨هـ



تصميم الغلاف
الفنان : حلمى التونى

في هذا العدد

## فكر وثقافة

## ● من ذخائر الكتب العربية ●



## ● رسائل صحفية ●



## ● شعر وقصة ●



## ● دراسة الهلال ●





## ● الأبواب الثابتة ●

# عزيزي القارئ

قديما تحدث ابو الطيب المتنبى عن قصائده العظيمة ، وخاطب نفسه والناس والنقاد قائلا :

أنام ملء جفونى عن شواردها ..

ويسهر الخلق جراها ويختصم

فالمتنبى يبدع قصائده ثم ينام ملء جفنيه غير مبال بما يدور حولها من جدال واختلاف بين الناس الذين يسهرون الليالى فى جدالهم واختلافهم حولها ، مدحا أو قدحا ، على حسب قرائحهم وميولهم وأفهامهم .

هذه القاعدة وضعها ابوالطيب المتنبى للنقد الادبى قبل الف سنة ، فهو يرى ان يبدع الشاعر شعره ، ثم يتركه للقراء والرواة ، ولايبالى مواقفهم المختلفة .. بل يمضى فى سبيله غير مهتم الا بالابداع ، تاركا الامر بعد ذلك لمن يتلقون هذا الابداع ويقفون منه مواقفهم بالتأييد او بالتفنيد .

وهذه القاعدة النقدية كانت صالحة فى عصر ابى الطيب ، وربما لم تكن صالحة الا بالنسبة لأبى الطيب وحده ، لأن الشعر ليس ضوءا معلقا فى الفضاء يراه الناس ويعجبون بلألائه من بعيد ، وإنما هو نشاط انساني اجتماعي وعمل فكرى يدخل فى نسيج علاقات الانتاج فى المجتمع كله ، وينبغى أن يكون له عائد من ثروة هذا المجتمع ، مادام صاحب هذا العمل يسهم فى تكوين هذه الثروة وزيادتها على حسب طاقته وظروفه ..

وأزمة الأديب المصرى والعربى المبدع الآن تتعلق بهذه القاعدة التى لايمكن ان يتجاهلها أو ينكرها الا من يتجاهل الواقع وينكره .. فالشاعر والكاتب وكل من يحمل قلما وينتج فكرا فى بلادنا ، يعانى الآن من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى طردته الى هامش ضيق من المجتمع لايكاد يستطيع ان يلتقط فيه انفاسه ! وهو لايستطيع حيال هذا الوضع أن يلوذ بالتعالى والتجرد المطلق كالمتنبى فيقول : « انام ملء جفونى عن شواردها » لان الاديب انما يقدح موهبته وذهنه ، ويبرى قلمه واصابعه فى سبيل ان يصل ابداعه الى الناس ، ليكون لابداعه ثمرة يقطفها هؤلاء الناس ، وثمرة يعود بها الاديب على نفسه ، وعلى عياله ايضا !

هذا هو الواقع ببساطة ..

فماذا نرى على ساحة الواقع الأدبي الآن ؟!

نرى حصارا حول الابداع الحقيقي . فبعد أن اجتذبت المجلات النفطية الضخمة المزدانة بالألوان والمثقلة بالورق المصقول . الكوشيه . اقلاما من كل الاتجاهات . أغلقت هذه المجلات أبوابها لأن عوائد النفط لم تعد قادرة على تمويلها .. وعادت الاقلام المهاجرة الى المجلات المصرية . ولكن هذه المجلات لاتتسع لكل الاقلام ولاتدفع - ولنكن صرحاء - عشر معشار ماكانت تدفعه المجلات النفطية للأدباء من أموال النفط !

ولا حل لهذه المشكلة الآن . ولا احد يعرف لها حلا في المستقبل القريب .. وبسببها اشتد الصراع في . الداخل . بين المبدعين وبين المسيطرين على أجهزة النشر الحكومية وغير الحكومية وعلى الأجهزة الثقافية والاعلامية التي يديرها موظفون مربوطون على درجات الكادر الوظيفي .. ويتولون بحكم هذا الربط شئون الأدب والأدباء والنقد والنقاد . ويراسون اللجان . ويوجهون دولة الأدب من قاعدتها الى قمتها .

وكان من الطبيعي والحال كذلك أن تنقطع العلاقة بين الجيل الجديد في الأدب وبين الجيل القديم . فإن الجيلين معا يقعان تحت وطاة الأزمة . ولايستطيع الجيل الأكبر أن يمد يده إلى الجيل الأصغر كما كان يحدث أيام الرعيل الماضي الذي كان على رأسه العقاد والمازني ومصطفى صادق الرافعي وزكي مبارك وطه حسين وأحمد لطفي السيد وأحمد أمين وغيرهم ممن لم يكونوا أدباء موظفين . ولا مبدعين على درجات الكادر الحكومي ! ..

والمشكلة ليست هينة . لأنها داخلة في قوام المشكلة العامة للمجتمع الآن . إذ تشابكت خيوط الأزمات من جميع الأنواع . ولم يعد ممكنا في الواقع حل مشكلة الإبداع الأدبي والنقد الأدبي بمعزل عن الحل الشامل لمشكلة الناس والعمل والانتاج ..

على أن ذلك لايصح أن يقعدنا عن العمل على انقاذ مايمكن انقاذه . وفك الاشتباك بين مشكلة الابداع الأدبي والنقد وبين المشكلات الأخرى . بقدر المستطاع . وفي الحدود الواقعية المتاحة .. فليس حتما أن يتخلف الإبداع ويتدهور النقد . وتنفصم العرى بين الجيل القديم والجيل الجديد . وليس بالقانون المقدس أن يتصدر الموظفون والأكاديميون غير المبدعين مجالات الإبداع والنقد .. فلم يعد ممكنا على أية حال أن يكتب الكاتب . أو ينظم الشاعر . ثم ينام ملء جفونه عما كتب أو عما نظم كما كان يفعل المتنبي قبل ألف سنة . ولابد للمبدع الكاتب أو الشاعر أو الناقد من أن تحفى قدماه سعيا بين مكاتب البيروقراطيين الذين لم يكن المتنبي يعرف عنهم شيئا .. ولو عرف . لما استطاع أن ينام ملء جفنيه ! .

# موقف ابن حزم
# من الفن والجمال !

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

أعترف بدءا انني عرفته عرضا على أرض وطنه ، فى اسبانيا نفسها ..

ذات يوم من خريف عام ١٩٥٧ أخذت طريقى الى مدرسة الدراسات العربية فى مدريد ، فى شارع جانبى يتفرع من شارع سان برناردو فى الحى العتيق من المدينة ، حيث كانت الجامعة قديما ، وتشغل الطابق الثالث من بيت ينتمى الى اول هذا القرن على التاكيد .

البناء متسع ، قديم ومتواضع ، يعبق جلالا ووقارا ، وترك فى أركانه أصداء التاريخ ، وتشغل الكتب الى جانب المكان المخصص لها ، جوانب عديدة فيه ، ويتردد عليه المتخصصون فى الدراسات العربية من الاسبان ، يعملون فيه لوطنهم اولا ، ولأنفسهم ثانيا ، وكلهم يعملون فى الجامعة او فى مؤسسات ثقافية أخرى ، ويتقاضون مقابل هذا العمل مكافآت متواضعة ، ومع ذلك لايتخلفون عن مواعيدهم ، فهم يردونها من السادسة مساء حتى التاسعة ، يقابلون الطلاب بموعد مسبق ، ويتبادلون الراى ، ويبحثون فى تاريخ وطنهم ايام ان كان عربيا مسلما

كنت على موعد مع " إميليو غرسية غومث " أستاذ اللغة العربية فى كلية الآداب فى الجامعة المركزية ، ورئيس قسم اللغة العربية فيها ، ومدير مدرسة الدراسات العربية ، ورئيس تحرير مجلة الأندلس الشهيرة ، قبل ذلك كله المستشرق المتمكن من التراث الأندلسى ، والأديب الاسبانى صاحب الأسلوب الفخيم ، يذكر قراءه بأمجاد الاسبانية قديما فى البلاغة والبيان .

وفى الساعة المحددة دخلت مكتبه ..



الحجرة نظيفة للغاية ، ولكنها بسيطة متواضعة ، لاترف ولا فخفخة ، لا سجاد ولا كراس مبطنة ، وانما مكتب متواضع يجلس إليه ، ودواليب حوله مليئة بالكتب ، وكرسيان عاديان أمامه يجلس عليهما زواره ، وفى يده قلم رصاص يكتب به ، وأوراق أمامه يسجل فيها ، ومصادر يستشيرها .

وتأملته كلاً فى لحظة ، وقارنت بين ماسمعت عنه وماتراه عيناى واقعا فوجدته نحيفا قصيرا واثقا من نفسه ، تركت القراءة فى عينيه أثرها واضحا ، وإن ظل بريقهما متوهجا .. يشعان ذكاء وعمقا ، هادىء الحديث ، خفيض الصوت ، وقدرته على التحدث بالعربية ضعيفة ، فهو ينطق الكلمات مفردة ، ويعسر عليه أن ينطق جملة كاملة دفعة واحدة ، وهو القادر على فهم أعقد النصوص ، وترجمة أدق الأفكار ، وإيجاد المعادل الاسبانى لاصعب صور العربية .

ولم تكن اسبانيتى بشىء بعد .

ومع ذلك تفاهمنا ومضى يختبرنى فيما أعرف من مصادر الأدب العربى ، ووجدتنى أنا الحاصل على الليسانس الممتازة بمرتبة الشرف ، وظللت أعد نفسى عاما لهذه البعثة ، فى منتهى الجهل ، وأن ما يسألنى عنه أعرفه للمرة الأولى .

ومن بين ما سألنى عنه : هل قرأت كتاب طوق الحمامة لابن حزم ؟

وكان ردى بالنفى ..

ولم يدهش ولم ينفعل ، فقد كان على التأكيد واعيا بمنهجنا فى الدرس ، اذ أمضى فى بدء حياته عامين فى القاهرة ، ومع ذلك كان شديد الرضا ، لأنه يراهم أفضل الطلاب العرب الذين درسوا عليه ، تمكنا من موادهم وجدية فى التحصيل ، واستقامة فى العمل ، واتفقنا على قائمة المصادر الأندلسية التى سوف أدرسها ، ثم أعود لألقاه بعد عام .

## ● مع ابن حزم

لم أكن سمعت قبل ذلك بهذا المفكر

# موقف ابن حزم

## من الفن والجمال !

الأندلسى العظيم الا فى مناسبة بعيدة ، جاء ذكره عرضا ، وأنا صبي بعد ، فقد كان الحوار يدور حوله ، لأنه ألف كتابا فى الحب والمحبين ، نشره مستشرق روسى فى ليدن عام ١٩١٤ ، ثم أعادت نشره مكتبة فى دمشق عام ١٩٣٠ .. واذا بالفقهاء فى مصر والشام يثورون ، ويعلنون أن الكتاب مدسوس على ابن حزم ، ومثله لايمكن أن يكتب عن الحب مثل هذا الكلام .

**وها انذا اجد نفسى أمام ابن حزم وجها لوجه ، أدرسه واعجب بشخصه ، ويفتنني فكره ، فقد كان ثائرا متمردا فى شبيبته الأدبية ، وفى شخصيته العلمية ، وحتى آخر رمق من حياته ، مع تفاوت قليل فى الظلال ، يوائم كل فترة من حياته ، وقليلون سبقوه فى افكاره ، واقل منهم أولئك الذين ساروا من بعده على طريقه .**

لقد حاول معظم الدارسين على أيامه ، وبعدها ، أن يرسل به الى زوايا النسيان ، لأنه هاجم الجميع ، وبعنف كالعادة ، المسلمين والمسيحيين واليهود ، واستطاع هؤلاء أن يردوا له الصاع صاعين حين مضى الى رحاب الله ، وبدأ عصر الترجمة فى الأندلس المسيحى ، فلم تعرفه أوربا فى تلك الفترة ، ولم يصبح فى مستوى علماء دونه قامة ، فخفت اسمه ، وتلاشت سيرته ، وظل مابقى من مؤلفاته فى مخطوطات نادرة تحت الارض ، لايعرفها إلا عدد قليل للغاية ، وظل كذلك إلى أن عرف العالم العربى المطبعة ، وافلتت الدراسات الأندلسية من قبضة التعصب فى اسبانيا ، واستردت القاهرة قيادتها الثقافية للعالم العربى ، فأخذ يعود الى سيرته الأولى أيام أن كان حيا ، وبدأت تتقاسمه ألقاب جليلة وكريمة ، أحسن شاعر ، وأحسن فيلسوف ، وأحسن متكلم ، يهابه الفقهاء ، ويجله رجال الأدب ، ويثق فيه علماء البلاغة ، ويحترمه المفكرون .

**كان أحد أعظم عمالقة الفكر الانسانى على امتداد تاريخه الطويل !**

### ● عقلى المنهج

كان ابن حزم فقيها مجادلا ، ولكنه يتقيد فى حواره بمقاييس عقلية لايخرج عنها ، ولايدع خصمه فى الحوار والمناظرة يفلت منها ، ويرى أن ثمة بدهيات تعلمها كل نفس سليمة من غير تعلم ، وتؤمن بها من غير تلقين ، حتى الطفل يدركها ويستنكر من يقول بغيرها ، ويذكر أمثلة لهذه البدهيات ، كالعلم بأن الجزء اقل من الكل ، وأن الضدين لايجتمعان ، والجسم الواحد لايكون فى مكانين ، وجسمان لايشغلان حيزا واحدا ، وأن الخطأ فى البديهيات يجيء من فساد الفكر وضلالة فى ربط سلسلة المقدمات بما يتصل بها من البدهيات ، **وينشا ذلك الضلال عن آفة من الهوى أو تحكم الشهوة ، أو التعصب لفكرة معينة ، فيكون من ذلك آفة تعترى الفكر فتضله وتوقعه فى الخطا .**

وقد ينشأ الخطأ من ذات العقل لآفة اعترته ، أو لضعف طبعي فيه ، لايستطيع معه أن يرد الأمور الى أصولها ، أو جمود عند فكرة معينة ، وعلى طالب الحقيقة أن يختبر قواه ، فلا يخوض فيما لايستطيعه وكل ميسر لما خلق له .

وكان يستخدم المنهج العقلى فى بحوثه الدينية التى لايعتمد فيها على نص من القرآن أو السنة ، وفى مناقشة غير المسلمين والفلاسفة والدراسات المتصلة بالأخلاق وأحوال النفوس ، والفرق الاسلامية المختلفة التى تعتمد على العقل فى جدلها كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم .

ويضيف الى المنهج العقلى فى الدراسات الخلقية تجاربه الخاصة المبنية على الاستقراء ، ويتجلى ذلك واضحا فى كتابيه : « طوق الحمامة » والأخلاق والسير فى مداواة النفوس .

## منهجه فى الدين والحياة

كان ابن حزم يعتمد على العقل فى اثبات التوحيد وصدق النبوة ووجه الاعجاز فى القرآن ، ويمنع التقليد فى دين الله تعالى ، ويقول : لايحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وكل أحد له من الاجتهاد حسب طاقته » فمن سأل عن دينه فليسأل عن أعلم أهل موضعه بالدين ، فإذا أفتاه قال له : هكذا قال الله عز وجل ؟ فإذا قال له : نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبدا ..

وإن قال له : هذا رأيى ، أو هذا قياس ، أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحبا أو تابعا أو فقيها قديما أو حديثا ، أو سكت أو انتهره أو قال : لا أدرى ، فلا يحل له أن يأخذ بقوله ، ولكنه يسأل غيره ، ومن أدعى وجوب تقليد العامى للمفتى فقد أدعى الباطل ، وقال قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ، وما كان هكذا فهو باطل ، لأنه قول بلا دليل .

ويقرر صراحة أن التقليد حرام ، ولايحل لأحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان ، ولايجوز تقليد أحد ، لامن الصحابة ولا من غيرهم ، لامن الأحياء ولا من الأموات إلا اذا كان مدعوما بالكتاب والسنة أو الاجماع القائم على نص منهما ، أو الدليل المشتق من هذه الأمور الثلاثة .

ولا رأى فى الدين ، فليس لأحد أن يجتهد برأيه ، ويدعى أن ذلك حكم الله تعالى ، وليس لأحد أن يتحدث عن الله غير رسول من عند الله ، ومن قال برأيه فهو كاذب مفتر على الله ، والحرام بين والحلال بين ، وما ليس منهما فهو مباح .

وهو يدعو الى مسالمة الناس ، والائتناس بهم ، وعدم معارضتهم فيما لايضر فى الدين أو الدنيا : « إياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك فيما لايضرك فى دنياك أو أخراك وإن قل ، فإنك لاتستفيد بذلك الا الأذى والمنافرة والعداوة ، وربما أدى ذلك الى الضرر العظيم دون منفعة أصلاً .

## عاشق الجمال

هذا الفقيه العظيم المجتهد الذى نافح عن الاسلام أمام كل أعادئه ، وأقام مذهبا اتسم بالتشدد والعقلانية معا ، وكان مسلما تقيا عفا ، أحب الجمال وفتن به ، فى شتى صوره ، امرأة ، أو شعرا ، أو

# موقف ابن حزم
## من الفن والجمال!

موسيقا او طبيعة وتناول صراحة الجمال الانسانى ووضح معالمه، وفرق بين جوانبه.، فحدد ماتعنيه الحلاوة والقوام، والروعة، والحسن والملاحة، وكان جمال المرأة أول مافتنه فى خطى شبابه الأولى، وأثمرت هذه العاطفة كتابه الرائع «طوق الحمامة فى الألفة والالاف»[1] وهو دراسة عن الحب والمحبين، لاتقف عند حد التنظير، انما يقدم شواهد لما يقول من مغامراته العاطفية، ومن حياة رفاقه وصحبه وشيوخه، ويذكر الأسماء والتواريخ والأمكنة، ولم يصف أديب روعة اللقاء بين عاشقين.. كما وصفها ابن حزم عن خبرة يقول:

«ولقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها، فما للدنو من السلطان، ولا للمال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن بعد الخوف، ولا التروح على المال، من الموقع فى النفس، ما للوصل لاسيما بعد طول الامتناع، وحلول الهجر، حين يتأجج عليه الجوى، ويتوقد لهيب الشوق، وتتضرم نار الرجاء.

وما أصناف النبات بعد غب القطر، ولا اشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات فى الزمان السجسج، ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار، ولا تألق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه، وحمدت غرائزه، وتقابلت فى الحسن أوصافه، وانه لمعجز ألسنة البلغاء، ومقصر فيه بيان الفصحاء، وعنده تطيش الألباب، وتعزب الأفهام[2].

«ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب لمحبوبه، ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء، وانبساط مدبرى الدول، فما رأيت أشد تبجحا ولا أعظم سرورا بما هو فيه، من محب ايقن ان قلب محبوبه عنده، ووثق بميله اليه، وصحة مودته له.

وحضرت مقام المعتذرين بين أيدى السلاطين، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب غضبان، قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء.. ولقد امتحنت الأمرين، وكنت فى الحالة الأولى أشد من الحديد وانفذ من السيف لا أجيب الى الدنية ولا أساعد على الخضوع.. وفى الثانية أذل من الرداء والين من القطن أبادر الى اقصى غايات التذلل لو نفع، وأغتنم فرصة الخضوع لونجع، وأتحلل بلسانى، وأغوص على دقائق المعانى ببيانى، وأفنن القول فنونا، وأتصدى لكل مايوجب الترضى[3].

### ● عاشق الموسيقا

واذا كان أبسط تعريف للجمال أنه مايجذب ويطرب، ويبعث فينا اللذة والاعجاب، ويمتع السمع او البصر، أو كليهما.. فإن ابن حزم لم يقف عند الجمال مجسما فى المرأة، وانما احتفى

بالموسيقى ، ووصف لنا حفلا فى بيتهم ، وعزفت فيه فتاة جميلة كان يحبها على العود ، وأنها كانت تحسن العود احسانا جيدا ، واخذته وسوته بخفر وخجل لا عهد لى بمثله ، ثم اندفعت تغنى بأبيات العباس ابن الأحنف .. انى طربت الى شمس اذا غربت .. فلعمرى لكأن المضراب إنما يقع على قلبى ، وما نسيت ذلك اليوم ، ولا انساه الى يوم مفارقتى الدنيا .

فابن حزم كما ترى لم يكن يبيح الموسيقى فحسب ، وإنما كان يطرب لها ويعزفها الفنانون والفنانات فى بيتهم ، وكانت من المباهج الشائعة فى الأندلس ، ولاتقتصر على المحترفين ، وإنما يعتبرها القوم لونا من الثقافة الرفيعة يتدرب عليها الفتيان والفتيات ، كما يتدرب الاولون على ركوب الخيل ويزهون به ، ويتباهى البنات بالتجمل والاناقة ولبس الفاتن من الثياب .

وفيما بعد .. وهو فى قمة نضجه العلمى ، بدأ يقنن المذهب الظاهرى ، فألف كتابه « المحلى » ضمنه كل فقهه ، وتعرض فيه للغناء والمزامير والعيدان والمعازف والطنابير ، وذكر ان بيعها حلال ، ومن كسر شيئا ضمنه ، وكذلك بيع المغنيات اذا كن من الاماء ، ويذكر انه ليس وحده فى هذا الرأى ، وإنما يلتقى معه الامام ابوحنيفة فى هذا الاتجاه ، ويرى أن الذين حرموا بيعها لان استخدامها حرام ، احتجوا بآثار لاتصح ، او يصح بعضها ولا حجة لهم فيها ، فما اوردوه من أحاديث نبوية تحرم الغناء والموسيقى ضعيفة ، ويؤكد عدم صحته مما يجعلها غير صالحة للاستشهاد أو بناء حكم شرعى عليها ، يقول بعد ان اورد حجج القائلين بالتحريم .. لا حجة لهم فى ذلك كله .

ويستشهد الذين يحرمون الغناء بالآية القرآنية : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » ويفسرون اللهو بأنه الغناء ، ولكن ابن حزم ـ ومعه الحق فى هذا ـ يرى أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث ، وهو اكبر عدو للرسول ، وكان يدعو القرشين ليقص عليهم قصصا يصرفهم عن الرسول والقرآن ، فهى خاصة بقصصه ، ولاصلة لها بالغناء ، وقد رفض الرسول أن يقبل من النضر الفدية بعد أسره فى موقعة بدر ، وأمر به فقتل ، فلاحجة فى الآية للقائلين بالتحريم .

## ● وكان شاعرا

ومن يهز الجمال مشاعره لايقنع بالمتعة ، وانما يعبر عنها بلون من فن القول ، يصبح بدوره جمالا يلذ سماعه ، وكان ابن حزم ناثراوشاعرا على السواء ، وقال الشعر فى سن فتية ، نفس المرحلة التى تفتحت فيها عيناه على جمال المرأة ، وخفق قلبه بحبها ، وكان شعره كثيرا ، وجمعه احد تلاميذه غير أن ديوانه هذا لم يصلنا ، ومع ذلك فإن جانبا لابأس به تضمنه كتاب « طوق الحمامة » وجله غزل يصدر عن عاطفة رقيقة متدفقة ويعكس صورة عالم دخلى متوهج وشفاف ، رغم أن الناسخ فى النسخة الوحيدة التى وصلتنا تصرف على هواه ، فحذف اكثر اشعارها وأبقى العيون منها تحسينا لها ، واظهارا لمحاسنها ، وتصغيرا لحجمها ، وتسهيلا لوجدان الدحانى القريباً من لفظها .

## ● عندما يتخلف شعب

فى لحظات نادرة من التاريخ ، يقدل

## من الفـــن والجمــــال !

كوارث انسانية ، او لحظات تخلف مدمرة ، او خلط فى القيم ، او ازمات لا يعرفون لها ، فيمسكون بارقى ما عندهم ويحملونه عبء تخلفهم تلتقى بمن يرى ان حب الجمال فى أى مظاهره ضار ، لانه يثمل حواسنا ، وعلينا أن نستخدم كل قوانا لتحرير النفس البشرية مما يثيره فيها من اضطراب او هيام او استغراق ، وفى لحظات أخرى وللبواعث نفسها نجد من يرتضى الفن والجمال فى نطاق قيود يحددها ، بأن يكون عونا على غاية تربوية او ان اللذة التى يحدثها تقود الى الحق والخير ، وأن تكون ممارسته نافعة .

وهى آراء يأتى عليها ويسقطها من الذى يحدد النافع ولمن ؟ وما الحق والخير ، ومن الذى يحدد الجمال الذى يربى والجمال الذى يفسد ؟

ان الجمال مستقل عن العلم والأخلاق والمنفعة ، وهذا المبدأ ليس حادثا فى حياتنا فمنذ أكثر من ألف عام قال القاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى مباعدا بين الدين والشعر والشعر جمال وفن ، بألا يحكم على أحدهما بالآخر يقول :

فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين .. ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر .

ولايرد على الجمال وصف مبتذل او بارد أو ساقط أو قبيح ، لأن مجرد وصف الشىء بهذه الصفات يخرج به عن حد الجمال ، وقد تجد فيه لمسة جميلة تستوقف نظرنا ، ولكن هذا الجانب يضيع فى زحام القبح ، لأن الجميل حقا لا تستطيع أن تعدد مزاياه لأنها متصلة ، وتمثل كلا منسجما ، تجرى الحياة فى كل خفضة وليس فى هذا الجزء أو ذاك فحسب .

إن الجمال ، خالصا دون قيد أو شرط ، شىء صوفى علوى ، يجهل طبيعة عالمنا البشرى المسكين ، والاصفياء وحدهم هم الذين يستشعرونه ، ويسعدون ويغرقون فيه وينعمون ولم تفقد الكلمة المأثورة وهجها أبدا ..

ان الله جميل يحب الجمال ..

الجمال مرئيا أو مسموعا او مقروءا ،

---

(١) قمت بتحقيق هذا الكتاب ، وصدرت طبعته الرابعة عن دار المعارف سنة ١٩٨٥ .

(٢) طوق الحمامة ، ص ٩٠ .

(٣) الطوق ص ١٠١ .

# أقوال معاصرة

● « حكومة بريتوريا تسخر من العالم وتتحداه لانها تعلم انه فى الوقت المناسب سوف يستخدم ريجان وتاتشر وكول حق الفيتو لحمايتها من عواقب اعمالها » .

**ديزموند توتو**
كبير اساقفة جنوب افريقيا



ديزموند توتو

● « الادارة الامريكية الحالية هي اكثر الادارات التى تعاملنا معا ودا »

**اسحاق شامير**
رئيس وزراء اسرائيل

● « الارهابى .. هل هو الولد الذى يقاوم الدبابة بحجر ام هى الدولة التى تقتال الولد بدبابة »

**الشاعر محمود درويش**



محمود درويش

● « المستقبل سيكون ملك الاذكياء »
**« تيريل بل »**
وزير التعليم الامريكى السابق



● « المرأة قاض ناجح اذا ما احبت المهنة وعشقت روح العدل »

**آمنة تويج**
اول قاضية تونسية

● « ان يصوت المرء لليسار اخطر من ان يتعاطى الكوكايين »

**فرانسواز ساجان**
الاديبة الفرنسية



د. كمال ابو المجد

● « جهل الدعاة الى الاسلام .. بالاسلام جناية »

**الدكتور كمال ابو المجد**



بقلم: د. محمد عمارة

# مكانة الحرية.. ومكانة الإنسان

لقد خلق الله الإنسان - مطلق الإنسان - من ذكر وانثى .. يستوى فى ذلك ابناء هذا « النوع » بإطلاق .. كذلك اقتضت الحكمة الإلهية اختلاف ابناء هذا النوع الإنسانى فى الألسنة والالوان .. لا ليتنافروا ، بل ليتعارفوا .. وليكون هذا التنوع سببا لولاءات قومية وحضارية واعتقادية متعددة تشعل وتزكى روح الابداع لتزيد مصادر الثراء والغنى فى عالم الإنسان ..

والذين ينظرون إلى مذاهب الامم ذات الحضارات العريقة ، وإلى مواريث هذه الأمم كثيرا مايتساءلون : هل تتفق الحضارات جميعا على مذهب واحد فى الحرية الإنسانية ؟ .. ام ان هذه المعضلة هى مما تتمايز فيها مذاهب الحضارات "!" .

وفى اعتقادى أن نظرة الاسلام ، دينا وحضارة الى حرية الإنسان الاجتماعية - اى حرية الإنسان فى المجتمع الذى يعيش فيه - هى نظرة متميزة .. ذات خصوصية تميزها .. واذا لم يرجع تميزها هذا وتنبع خصوصيتها تلك من اختلاف الاسلام عن الديانات السماوية الاخرى لوحدة المصدر الالهى لهذه الديانات جميعا فإن مرجع هذا التميز ومصدر هذه الخصوصية هو التمايز الحضارى الذى طبعت سماته وطوعت قسماته بعضا من تصورات وفلسفات تلك الديانات .. ومن ثم فان المقارنة ، او المفاضلة لن تكون فى حقيقتها ، بين الديانات ، اذا نحن عدنا بها الى صورتها الجوهرية والنقية فى مصدرها الالهى الواحد ، وانما بين ما آلت اليه بعض من تصوراتها التى طوعت لخصوصيات حضارات معينة تنشرت بين أبنائها تلك الديانات ..

وانطلاقا من هذه الحقيقة فإننا نستطيع ان نقول : ان التصور الإسلامى - الذى لم يُغَبَّش بالفكر الوافد على الشرق الإسلامى - سواء اكانت وفادته قبل ظهور الإسلام او بعده - إن هذا التصور انما يمثل بناء متكاملا ، من الممكن ان نلقى عليه الضوء اذا نحن فصلنا الحديث عن ابرز لبناته وسماته وقسماته .. من مثل :

أ - مكانة الحرية الإنسانية فى فلسفة الإسلام ..

ب - وعلاقة ذلك بنظرة الإسلام المتميزة لمكانة الإنسان فى الكون ..

جـ - والتميز - تبعا لذلك الذى حدده الإسلام لمكانة الإنسان فى المجتمع .. فبإلقاء بعض الاضواء على هذه السمات الرئيسية التى تكون معالم بناء فلسفة الإسلام فى الحرية الإنسانية نأمل أن تتحـدد وتستبين حقـائق هـذا الموضوع .

## ● الإسلام والحرية

فى نظرة الإسلام الى مقومات الحياة الإنسانية - ضـرورياتهـا وحاجيـاتها وتحسينـاتهـا - نلمـح التمييـز بين « الثوابت » و« المتغيرات » .. وفى مقدمة « الثوابت » التى جعل الإسلام الحفاظ عليها فريضة شرعية واجبة « الحفاظ على الحياة » .. اذ بدون الحفاظ على « النفس - الحياة » يصبح الحديث عن الاجتماع الانسانى والدين والتدين لغوا ليس له « مـوضـوع » يتيـح له التحقيق فى الوجود ..

والحفاظ على « الحياة » فى المنظور الإسلامى ليس مجرد حفاظ على « حق » من « حقوق » الانسان .. وانما هو إقامة لواجب شرعى ، وامتثال « لفريضة الهية » وتحقيق لواحدة من اهم « الضرورات الانسانية » .. لقد تجاوز الاسلام بـ « الحفاظ على الحياة » مستوى « الحق » الانسانى .. لانها لو كانت - الحياة - مجرد « حق » لكان لصاحبه ان يتنازل عنه بالانتحار ، دون ان يلحقه اثم او تثريب .. لكنها وقد رآها الاسلام فريضة واجبة لايجوز حتى لصاحبها ، ان يفرط فيها .. فهو يأثم اذا قنط من رحمة الله فانتحر .. ويأثم اذا هو فرط فى توفير مقوماتها - غذاء وكساء وامنا ، حتى لو اضطر فى سبيل ذلك الى القتل والقتال .. لأنه إذا طلب مقومات حياته ، حتى بالقتال ضد

# مكانة الحرية.. ومكانة الإنسان

الظلمة والمعتدين والمحتكرين فهو فائز باحدى الحسنيين .. إن انتصر كان مأجورا بصيانته وادائه ، واجبا شرعيا هو الحفاظ على حياته .. وإن قتل فى سبيل ذلك فهو شهيد !..

تلك هى فلسفة الاسلام ازاء « الحياة » .. والتى جعلت « القصاص » حفاظا عليها هو عين « الحياة » [ ولكم في القصاص حياة يا اولى الألباب لعلكم تتقون ][1] .. والتى شبهت قتل النفس الواحدة بقتل الجميع [ .. من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ..][2]

★ ★ ★

وإذا كان هذا هو مكان « الحفاظ على الحياة » فى فلسفة الإسلام .. فان « الحفاظ على الحرية الإنسانية » هو لها قرين .. لأن « الحرية » بنظر الإسلام ، هى القرين المساوى « للحياة » .. فرآها — هى الاخرى فريضة الهية واجبة .. ورأى فى الحفاظ عليها وعلى مقوماتها حفاظا على ضرورة انسانية ، وليس على مجرد « حق » إنسانى يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه ..

وإذا كانت « الحرية » هى نقيض « العبودية » وإذا كان « التحرير » هو نقيض الاسترقاق ، فلقد نبه علماء الاسلام على ان العلة والحكمة فى جعل الشريعة الاسلامية « تحرير الرقبة » — اى عتق الرقيق — كفارة عن « القتل الخطأ » هو ما فى الرق والعبودية من معنى « الموت » وما في « العتق والحرية » من معنى الحياة .. فمن اخرج من الحياة نفسا انسانية بقتلها خطأ فعليه — كفارة عن ذلك — ان يدخل فى الحياة نفسا انسانية اخرى بتحريرها من موت الاسترقاق ! .. وبعبارة الامام النسفى — ابو البركات عبد الله بن احمد [ ٧١٠ هـ — ١٣١٠ م ] : « .. فانه — [ اى القاتل ] لما اخرج نفسا من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قِبَل ، أن الرقيق ملحق بالاموات ، اذ الرق اثر من اثار الكفر والكفر موت حكما .. [ أو مَنْ من كان ميتا فأحييناه ..][3] ..»[4]

بل لقد ذهب الإسلام على هذا الدرب الى الحد الذى اعتبر فيه أن حرية الإنسان الاجتماعية فى :

أ — الاهتمام بشئون مجتمعة والإسهام فى صلاحها وأصلاحها .. متمثلا فى النهوض بفريضة : « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »..

ب — وتنظيم علاقته بالاشياء ، ماهو حلال منها وماهو حرام ..

جـ — وتحرير ذاته وطاقاته وملكاته من القيود والاغلال ..

اعتبر الإسلام حرية الإنسان الاجتماعية هذه ، وفى هذه الميادين

الاجتماعية » الواجب » الذى تمثل وتجسد فيه جماع رسالة خاتم الرسل والانبياء محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .. فتحدث القرآن الكريم عن هذه القيم باعتبارها جماع الرسالة الالهية التى اوحى بها الله ، سبحانه وتعالى ، الى محمد .. وقالت آيته الكريمة : [ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم ..](*)

فحرية الإنسان الاجتماعية .. التى هى فريضة إلهية وضرورة شرعية .. وعلى النحو الذى يتيح لهذا الانسان ان يسهم فى سياسة مجتمعه وتنمية عمران بيئته ، واقامة سائر « الفرائض الاجتماعية » كالعدل .. والشورى .. والعلم .. وكرامة الانسان وتكريمه .. الخ .. الخ .. - هذه الحرية تجاوز الاسلام بها نطاق « الحق » الى مستوى « الفريضة » .. وكذلك خرج بها من إطار « فرض العين » الفردى - الى إطار « فرض الكفاية » الاجتماعى - والذى هو اهم وآكد من فروض العين لان تخلف فرض العين إنما يقع إثمة على الفرد ، اما الاثم فى تخلف الفروض الاجتماعية فانه واقع على الأمة جمعاء !

تلك هى مكانة حرية الانسان الاجتماعية فى فلسفة الاسلام

● مكان الإنسان فى الكون

ولقد عرف الفكر الانسانى وتطبيقاته مذاهب عدة تميزت فى موقفها من مكانة الإنسان فى هذا الكون ومركزه فى هذا الوجود ..

اذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان - مطلق نوع الانسان - من اب واحد وام واحدة .. الامر الذى يعنى وحدة النوع الانسانى فى خصائص الانسانية ومقوماتها رغم تمايز الحضارات وتعدد الالوان والاجناس .. فان فلسفات الحضارات المختلفة تتمايز فى تحديد مركز هذا الانسان فى الكون ، ودرجته فى سلم الوجود ..

فمن الحضارات من ترى فلسفتها أن رقى الانسان انما يتحقق بالقدر الذى يحقق فيه هذا الإنسان « فناءه فى ذات الله » ولذلك نراها تضع تعذيب الجسد وتحقير المادة وادارة الظهر للدنيا كمراتب للتقدم الإنسانى ولارتقاء النفس على الطريق « الفناء فى الله »

ومن الحضارات - كالحضارة الغربية مثلا - من تنزع بطابعها المادى الى مايشبه « تأليه الإنسان » فهى تجعله محور الكون ، وسيد الوجود حتى لقد ابتدعت مقولة تجسد الله فى الإنسان تلك التى « عبثت » بها توحيد المسيحية الأولى - فانزلت الاله الى الارض ، عندما زعمت اتحاده بالإنسان وحلوله فيه .فانسنت الاله عندما الهت الانسان ! واستوت فى ذلك كهانتها عندما اعطت العصمة للبابا الذى حكم بالحق الالهى .. و« علمانيتها » التى اطلقت حرية الإنسان فى التشريع من إطار الدين .. و« غنوصيتها » التى جعلت « الحرية » للانسان و« الجبر » لله !

ومن الحضارات - كحضارتنا العربية الاسلامية - من تنزع - بالوسطية - الى

# مكانة الحرية.. ومكانة الإنسان

نظرة لمكانة الانسان فى الكون هى وسط بين الدعوة الى تلاشيه واحتقاره وفنائه فى ذات المعبود ، وبين تأليهه وتحويله الى مركز للكون وسيد للوجود ، يبلغ به الغرور حدا كاد فيه ان يكون المعبود ؟! فالايمان فيها يعنى انتماء الانسان للكون ، من خلال اسلام الوجه لسيد هذا الكون ، سبحانه وتعالى .. واسلام هذا الانسان المؤمن وجهه لله لايعنى الاستسلام والفناء وانما يعنى ـ بسبب من انه خليفة عن الله فى عمارة الكون وسياسة الدولة وتنظيم المجتمع والنهوض بمهام الوكالة وامانة الخلافة ـ يعنى اسلام الوجه لله : الطاعة فى المغيبات والسمعيات التى لايستقل العقل بادراكها مع الابداع الحر فيما هو معقول ومقدور لهذا الإنسان فى اطار المقاصد والحدود التى رسمتها شريعة الله ، سيد الكون ومبدع الوجود وراعى الكائنات ..

فهى مرتبة وسط تلك التى حددتها حضارتنا العربية الإسلامية لمكان الإنسان ومكانته ودرجته فى سلم الوجود .. فهو ليس الحقير الذى يتحقق وجوده بالفناء فى ذات المعبود .. كما انه ليس سيد الوجود .. وانما هو سيد فى هذا الوجود ، ينهض بامانة الخلافة عن سيد الوجود !

هكذا .. اتفقت الانسانية فى « وحدة النوع الانسانى » .. ثم تمايزت حضاراتها فى فلسفة النظر الى مكانة « النوع الانسانى » فى هذا الوجود .

واذا كانت تلك هى مكانة الانسان فى الكون ـ بنظر الإسلام وحضارته العربية .. واذا كان هذا هو مقام الحرية فى الفكر الإسلامى .. فلابد ان يكون للإسلام مذهب محدد ومتميز فى نطاق هذه الحرية التى يمارسها هذا « الانسان » الخليفة فى المجتمع الذى ينهض فيه بمهام الخلافة عن الله ..



الهوامش :

(١) البقرة : ١٧٩
(٢) المائدة : ٣٢
(٣) الانعام : ١٢٢
(٤) [ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ] تفسير النسفى ـ جـ١ ص ١٨٩ . طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ [ تفسيره لآية سورة النساء ـ ٩٢ ـ ( ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ] ..
(٥) الاعراف : ١٥٧ .

# اليهود في الحركة الشيوعية المصرية والصراع العربي الإسرائيلي

بقلم : محمد سيد أحمد

أذكر حوارا ساخنا كان نجمه هليل شوارتز ، مؤسس منظمة « اسكرا » التي كانت ، مع « الحركة المصرية للتحرر الوطني » ( ح . م ) التي أسسها هنري كورييل ، من أبرز مكونات الحركة الشيوعية المصرية عند اعادة تأسيسها في بداية الأربعينيات بعد ان صفى سعد باشا زغلول الحزب الشيوعي المصري الأول عام ١٩٢٤ . جرى هذا الحوار في مصيف بالاسكندرية في صيف عام ١٩٤٦ ، اعتقد في نفس الفترة التي شن فيها اسماعيل باشا صدقي ، رئيس الوزراء انذاك ، حملته المشهورة ضد الشيوعيين ، وفي هذا الحوار وبخ شوارتز طالبا جامعيا لأنه استباح لنفسه ان يطرح السؤال : « الم يحن الوقت بعد لتركيز جهدنا على تجنيد العمال ؟ » ..



خرج شوارتز بنظرية اسهب في شرحها واشتهرت فيما بعد « بنظرية المراحل » . مفادها ان الحركة الشيوعية يتعين ان تندو خلال مراحل فان هناك في البداية مرحلة اولى يجرى فيها استيراد وزرع النظرية الماركسية في المجتمع المصري واكثر الفئات اهلية للنهوض بهذه المهمة هم - على حد قول شوارتز - المثقفون الملمين بثقافة اجنبية لانهم اقدر على استيعاب ادبيات الماركسية . بالختصار اناس مثل شوارتز نفسه نشأوا في مصر ولكنهم تلقوا تعليمهم في مدارس اجنبية ، ولكن يعني ذلك عمليا المدارس الفرنسية - الليسيه او الجيزويت - بوصفها الاكثر انتشارا وقتذاك ..

ثم تأتي مرحلة ثانية هي مرحلة تولى هؤلاء المتمصرين المؤهلين اكثر من غيرهم لفهم الماركسية وتلقينها للمصريين على ان يكون هؤلاء المصريون قادرين على الاستيعاب معنى ذلك ان يكونوا من فئة

المثقفين ، اى من طلاب وخريجى الجامعات ، و « الانتليجنتزيا » بوجه عام ..

ثم تأتى المرحلة الثالثة وهى المرحلة التى يجرى فيها المثقفون الماركسيون المصريون تجنيد العمال .. وهى مرحلة لم تكن ظروفها فى نظر شوارتز قد توافرت بعد فى صيف عام ١٩٤٦ .

ويتعين بادىء ذى بدء ان اقرر ان هذا التصور لنمو الحركة الشيوعية المصرية خلال مراحل المتمصرين ذوى الثقافة الاجنبية ، ثم مرحلة المثقفين المصريين ، ثم مرحلة العمال لم يكن تصور كوربيل الذى بلوره فى خط عرف فيما بعد « بخط القوات الوطنية الديمقراطية » . وهو خط يقوم على بناء تنظيم فئوى تنتظم فيه القوات الوطنية والديمقراطية المختلفة ، العمال والمثقفون والطلبة الخ .. جنبا الى جنب ، وليس فى تلاحق زمنى .. ومع ذلك رايت ان استهل تعليقى على مقالى الاستاذ طارق البشرى بالعددين الاخيرين « للهلال » بتصور شوارتز هذا لانى اتصوره بالغ الدلالة فى مناقشة امرين :

امر اساسى يتعلق بقضية اليهود فى الحركة الشيوعية المصرية بمناسبة ما اورده الاستاذ طارق البشرى بمقاله بعدد ابريل من « الهلال » عن دراسة الدكتور رءوف عباس حول « اوراق هنرى كوربيل » التى نشرها اخيرا ..

والامر الآخر الذى يتعين ان يسبقه لانه يتعلق بمنهج العلاج .. وهو خاص باسلوب من اساليب ممارسة الصراع الفكرى غير ذلك الذى اورده طارق البشرى فى مقاله بعدد مايو من « الهلال » . والخاص بتحويل الفكرة المجردة الى فكرة مشخصة على نحو ييسر الطعن فى الفكرة الاولى . مثلا على حد قوله . الطعن فى فكرة « الجامعة الاسلامية » بتشخيصها فى الدولة العثمانية . او فى فكرة « الشريعة الاسلامية » بتشخيصها فى تجربة النميرى . الخ الخ . والاسلوب الذى اعنيه انا هو تذويب فكرة مجردة فى فكرة مجردة اوسع نطاقا . بامل ان يكون هذا التذويب اداة تمرير الفكرة الاولى فى ظروف غير مواتية لها ..

والقضية التى اطرحها تحديدا هى الى اى حد كان الانتماء الى « الهوية الشيوعية » لدى القادة اليهود الذين اعادوا تاسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات تذويبا « لهويتهم اليهودية » وذلك لحماية هذه الاخيرة فى ظروف معاكسة ، هى ظروف تقدم قوات النازى تحت قيادة روميل فى صحراء مصر الغربية ، وتهديد هذه القوات بغزو وادى النيل وتعريض اليهود فى مصر لعمليات الاضطهاد كتلك التى تعرضوا لها فى اوربا ..

لا اقصد بذلك ان هؤلاء اليهود كانوا واعين كل الوعى بان انتماءهم الى الهوية الشيوعية كان لمجرد حماية هويتهم اليهودية ، اى فقط للاحتماء بايديولوجية اممية تناهض بحكم طبيعتها التمييز العنصرى وبالتالى العداء للسامية ..

غير انه يتعين فى هذا الصدد الاشارة الى قول كوربيل فى « اوراقه » حول هويته اليهودية وكيف قادته الى اعتناق الشيوعية يقول : « كيف يتسنى لليهودى فى نهاية الثلاثينيات ان يصبح حرا دستوريا او حتى وفديا ؟ بالاختصار لم يكن امام هؤلاء من سبيل غير الشيوعية . لذا سلكه عدد كبير منهم مدفوعين فى ذلك بعدة عوامل : تاثرهم بالحركة الشيوعية الدولية اكثر من العناصر المصرية ، نفورهم من الخيار الفاشى ، بعدهم عن الحياة السياسية

المصرية ، واخيرا عدم انحيازهم الى تيار سياسى اخر ..» (ص . ٨٨) .

## ● غياب البعد الشيوعى

وقد تناولت هذه القضية تحديدا فى كتابى مستقبل النظام الحزبى فى مصر ، الذى اشار اليه طارق البشرى ولفت النظر (ص . ١١٢ - ١١٤) الى ان تصفية سعد زغلول للحزب الشيوعى عام ١٩٢٤ قد افضى الى غياب البعد الشيوعى او «الأممى» - فى الحياة السياسية المصرية . وكان من آثار ذلك وقت ان ابرم الوفد مع بريطانيا معاهدة سنة ١٩٣٦ ان رفضها اقصى اليمين الذى اخذ يتطلع الى الامبريالية الالمانية الصاعدة وايضا قطاعات هامة من الحركة الوطنية المصرية - بل ورواد اوائل للحركة القومية مثل عزيز المصرى - التى رأت فى ابرام الوفد لها تهادنا من جانبه مع الاستعمار ، وتخليا منه عن موقعه على رأس الحركة الوطنية . ونظرا لعدم وجود قوة فى المجتمع قادرة على تقييم رد الفعل الى يمينه هو مناصرة المانيا ضد بريطانيا ، باعتبار ان المانيا هى عدوة عدوى ، وهى بالتالى صديقتى ولم يتبين احد الخلل فى هذا المنطق . ذلك انه كان لابد من نظرة اممية لادراك ان عدو العدو قد يكون عدوا الدُ وان النازية الالمانية كانت ابشع اشكال الامبريالية على الاطلاق ..

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ووصلت قوات روميل الى مشارف الاسكندرية وقامت تظاهرة لتهتف ، الى الامام يا روميل ، ، كان لابد ان ينزعج الاستعمار البريطانى ، وايضا الجاليات الأجنبية فى مصر ، وخاصة الجالية اليهودية . فكانت هذه الجالية اكثر ادراكا من غيرها لمخاطر احتلال المانيا النازية لمصر ، ذلك ان القضية كانت تمس هويتها كجالية يهودية قبل ان تمس هوية مصر ككل .

ولذلك كان للالتباس الذى احاط بتاسيس الحركة الشيوعية المصرية فى بداية الاربعينيات وهل اسست لحماية الهوية اليهودية لمؤسسيها دون ما نظر لعدى وعيهم بهذا الهدف الدفين او من منطلق الإيمان بضرورة ان توجد فى مصر حركة تمثل الطبقة العاملة وتنتسب الى الهوية الشيوعية بصرف النظر عن هوية مؤسسيها .. كان لهذا الالتباس اثره البعيد المدى على مسار الحركة فيما بعد ..

فاذا ما اخذنا بالافتراض الاول ، وانطلقنا من ان الحركة الشيوعية قد اسست لحماية الهوية اليهودية لمؤسسيها ، فان هذه القضية لم تكن تنطوى بالضرورة على ضرر

اسماعيل صدقى



هنرى كورييل



جمال عبدالناصر



لقضية التقدم ما دامت قضية حماية اليهود من الاضطهاد النازى لم تكن قضية تتعارض مع قضية تحرر الشعب المصرى اجتماعيا ووطنيا وقوميا ..

غير ان القضية اضحت مطروحة بالحاح عندما اصبحت حماية الهوية اليهودية قضية ارتبطت بانشاء دولة اسرائيل . واصبح انشاء هذه الدولة فى تعارض واضح مع تحرر الشعب المصرى قوميا ووطنيا واجتماعيا ..

ولم يكن صدفة الانفجار الذى اصاب « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( حدتو ) علم ١٩٤٨ . وهى المنظمة التى اختير هنرى كورييل امينا عاما لها وضمت منظمتي « اسكرا » و « ح . م » .. بل ووقوع هذا الانفجار الذى شتت تنظيم « حدتو » الى عدد لا حصر له من الجماعات والتكتلات المتصارعة فى نفس عام تاسيس دولة اسرائيل .

فلقد طرحت الاعتقالات التى شملت الصهاينة والشيوعيين على حد سواء .. عقب نشوب حرب فلسطين الاولى عام ١٩٤٨ ، الاشكالية الحقيقية غير المعلنة للحركة الشيوعية على نحو اصبح من المتعذر اغفالها ذلك ان وقوع التباس حول هوية الشيوعيين اليهود . وهل جرى اعتقالهم بوصفهم شيوعيين او بوصفهم صهاينة ، لم يكن بالضرورة امرا اعتبروه ماسا بكرامتهم السياسية ، بصرف النظر عما كان للينين منذ بداية القرن ، وكذلك « للكومنترن » من تصريحات وقرارات عديدة ادانت الصهيونية كعقيدة .

* مفارقة الصهيونية

وحسبي للتدليل على ما اسوقه ان اذكر ان شوارتز كان قد اسس قبل وحدة « استرا » و « ح . م » عام ١٩٤٧ ، جمعية علنية نواتها العناصر اليهودية العديدة بمنظمته قيل ان عددهم بلغ حوالى للثمانمائة اسماها « الرابطة اليهودية المعادية للصهيونية » . غير ان كورييل اصر على حل هذه الرابطة بمجرد اتمام الوحدة عام ١٩٤٧ - اى قبل تاسيس اسرائيل باقل من عام - بدعوى انها تنم عن موقف انعزالى من جماهير الجالية اليهودية فى مصر ؟

غير انه اذا صح ان نسبة صفة الصهيونية الى الشيوعيين لم تكن بالضرورة وصمة فى نظر الشيوعيين اليهود فانها لاشك كانت تعتبر هكذا فى نظر المثقفين المصريين الذين تولى هؤلاء اليهود تجنيدهم للحركة الشيوعية . وكان هذا فى نظرى السبب الجوهرى وراء تمزق « حدتو » خلال ازمة عارمة عام ١٩٤٨ ، بغض النظر عن الاسباب التى ذكرت وقتذاك لهذه الازمة ، وارجاعها الى ماخذ على « خط القوات الوطنية الديمقراطية » التى نادى بها كورييل .

ولم يكن صدفة فى اعقاب هذه الازمة ان برز اتجاه فى الحركة الشيوعية المصرية طالب بابعاد اليهود من قيادة الحركة تماما ، بل وطالب فى بعض الاحيان بعدم تجنيدهم اصلا .. ولم يتحقق لهذا الاتجاه انتصار حاسم الا بتحقيق وحدة ابرز المنظمات الشيوعية بعد وقوع هذه الازمة بعشر سنوات تقريبا فى ٨ يناير ١٩٥٨ ، وقد تم فى هذا التاريخ بالفعل ابعاد جميع العناصر من اصل يهودى من اللجنة المركزية ، ايا كانت مراكزها السابقة ، او مؤهلاتها ، او خبرتها ، وهو القرار الذى شكا منه كورييل ومجموعته من اليهود المصريين السابقين المقيمين معه فى الخارج فى خطابهم - المنشور نصه فى دراسة الدكتور رءوف عباس ( ص . ٢١٦ -

٢١٩ ) الى المكتب السياسى للحزب المؤرخ ١٢ يناير ١٩٥٨ .

وان كان لهذه الحقائق دلالة ، فانها تكشف في رايى عن امور لم يسلط عليها الضوء بشكل كاف حتى الآن ، من اهمها ان ازمة « حدتو » عام ١٩٤٨ قد فسخت اتفاقا غير معلن ارادت القيادات اليهودية فرضه على الكوادر من المثقفين المصريين الذين تم تجنيدهم خلال مرحلة ازدهار الحركة الوطنية في عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ، عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .. وهو عرض ضمنى يمكن تلخيصه فى الآتى :

« سوف نمتنع نحن عن ان نكون صهاينة ، ونطالبكم فى المقابل الا تكونوا قوميين عرب معادين لاسرائيل ، ولنلتقى على ارضية الهوية المصرية » ! .

عرض فى الواقع لم يختلف فى جوهره كثيرا عما قبله انور السادات بعد ذلك بثلاثين عاما بتوقيعه اتفاقات كامب ديفيد ... فلقد قبل التضحية بموقف مصر القومى من منطلق الالتزام بالهوية المصرية فقط ، مقابل اتفاق سلام غير متكافىء مع اسرائيل مضمونه الحقيقى افساح المجال امام اسرائيل كى تحقق اهدافها الصهيونية التوسعية ولكن بغير طرق العدوان السافر .

## ● حجج وذرائع !

غير ان هذا العرض من قبل القادة الشيوعيين اليهود للكوادر من المثقفين الشيوعيين المصرين لم يكن ممكنا قبوله ، ذلك انه كان مرفوضا حتى من وجهة نظر الوطنية المصرية . وبدت الحجج التى اطلقتها القيادات اليهودية ، كالقول مثلا بان المقصود بحرب فلسطين عام ١٩٤٨ هو صرف الانظار عن الحركة الوطنية المصرية ، او ان شن مصر الحرب كان تلبية لمخططات الأمبريالية البريطانية بدليل ان الجيش المصرى قد عبر قناة السويس التى كانت ترابط فيها قوات الاحتلال دون اعتراض منها ، او ان دولة اسرائيل سوف تشكل واحة للديمقراطية فى منطقة عربية مازالت ترزح تحت نير الاقطاع ، وهى حجج كانت تردد فعلا فى ادبيات الحركة الشيوعية العالمية وقتذاك .. بدت هذه الحجج غير مستساغة على الإطلاق فى نظر عناصر وطنية صميمة تضرب بجذورها فى المجتمع المصرى .. وهكذا تعارضت رؤية ومصالح المتمصرين اليهود الذين اعادوا تاسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات مع رؤية ومصالح المثقفين المصريين الذين جندوهم .. بل بلغ التعارض حدا لا يحتمل التوفيق .. وكان انفجار « حدتو » .

بل ازعم ما هو ابعد مدى من ذلك . اذ اصبح للمثقفين المصريين الذين تشكل لهم مركز فى الحركة الشيوعية المصرية بفضل مناهضتهم لمؤسسيها اليهود ، ولطبع هؤلاء الحركة بطابع اشتبهوا فى انه لخدمة هويتهم اليهودية قبل اى شىء آخر .. اصبح لهؤلاء المثقفين المصريين رد فعل انطوى بدوره على نوع من التمادى فى الاتجاه العكسى ، خاصة فى جو سياسى كان من شانه تشجيع هذا الاندفاع فى الاتجاه العكسى عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو وانتهاج عبد الناصر خطا اخذ طابعه القومى يتكشف بالتدريج .

ومن المؤكد ان الضباط الاحرار قد انطلقوا بحركتهم من مواقع ايديولوجية

وسياسية بعيدة كل البعد عن موقع الشيوعيين المصريين كان الشيوعيون يدينون بالولاء للماركسية اللينينية بينما التزم عبد الناصر ورفاقه بمنهج التجربة والخطا . ولكن كان هناك بين الفريقين ايضا اوجه تماثل جديرة بلفت النظر .. فلقد انتمى الضباط الاحرار ، وايضا المثقفون المصريون الذين جندهم الى الحركة الشيوعية مؤسسوها اليهود ، الى نفس الطبقة الاجتماعية ، واعني بذلك نفس الشرائح من البرجوازية الصغيرة كما ان الفريقين انطلقا من مواقع وطنية لينتهيا الى مواقع اشتراكية وربما اختلف مفهوم الوطنية ، ومفهوم الاشتراكية ، وسبل الانتقال من الأولى الى الثانية ، عند كل منهما ، ومن المؤكد ان عنصرا هاما للتمايز بينهما كان شك عبد الناصر العنيد فى ان ولاء الشيوعيين لموسكو كان لابد ان يجب وطنيتهم وعقيدتهم القومية ، خاصة فى ظروف كان يرجح فيها « اهل الثقة »

على « اهل الخبرة » وفى المقابل ، فان المناخ الدولى للحركة الشيوعية فى الخمسينيات لم يكن هو الآخر مهيأ لإزالة عوامل الاحتكاك والاصطدام فقد كان ومازال للتشدد الستالينى الكلمة العليا فى الممارسات الشيوعية .. وكان ابداء مرونة فى القضايا التنظيمية فوق حد معين يعتبر خروجا على التنظيم اللينينى .. والواقع ان الصاق صفة الانحراف بالاجتهادات التى من شانها تشجيع المرونة فى التنظيم كان السبب المعلن الذى ترتب عليه تفجر ازمة « حدتو » عام ١٩٥٨ . فلقد اتهم خط

كوريل « للقوات الوطنية الديمقراطية » بانه يقوم على تنظيم فئوى فيه تخل عن مبدأ ان التنظيم الشيوعى انما يمثل طبقة محددة هى الطبقة العاملة ..

وفى نفس العام ـ عام ١٩٥٨ ـ الذى تقرر فيه ، مع اكبر عملية توحيد للمنظمات فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، ابعاد « الرفاق من اصل يهودى » من مراكز إصدار القرار بالحزب ، طالبت قيادة الثورة الحزب بأن يحل نفسه وان ينضم اعضاؤه الى الاتحاد القومى .. ورفض الحزب ، واعقب ذلك اعتقالات عام ١٩٥٩ بما شهدته من انتهاكات صارخة وتعذيب ... وربما كان الاتهام فى هذه المرة ان الشيوعيين المصريين انما يدينون بالولاء للاحزاب الشيوعية العربية ، وبالذات السورى والعراقى منها ، باعتبار ان هذه الاحزاب هى مهندسة مشروع وحدة قومية يناهض مشروع عبد الناصر فى هذا الصدد ويستند الى ثورة تموز فى العراق ...

غير ان الشيوعيين المصريين افرج عنهم على وجه العجلة قبل انتهاء المدد التى حكم عليهم بها قبيل زيارة خرشوف لمصر لافتتاح السد العالى فى ابريل ١٩٦٤ .. كانت الصراعات المحتدمة حول كيفية بناء الوحدة القومية وتحت قيادة من ، قد هدأت بعد انفصال سوريا عن مصر وسقوط نظام عبد الكريم قاسم فى العراق . ثم اخذ يتبلور بالتدريج تمايز خروشوف عن الخط الستالينى بعد ان ادان اوجها عديدة من هذا الخط فى المؤتمر العشرين .. ومن اوجه هذا التمايز طرح المنظرون السوفييت وقتذاك ..

اى فى بداية الستينيات ما عرف بالطريق غير الرأسمالى الى الاشتراكية ، وقد قصد به ان التحول الى الاشتراكية وارد حدوثه فى البلدان الوطنية الحديثة الاستقلال - اذا ما توافرت شروط معينة - تحت قيادة « ثوريين وطنيين » ليسوا بالضرورة على الاقل فى بداية المطاف ماركسيين لينينيين .. وكان عبد الناصر ، خاصة فى اعقاب تاميمات ١٩٦١ الكبرى ، من ابرز المرشحين لهذا الوصف ..

معنى ذلك ان عبد الناصر اصبح كفيلا بأن يخطو خطوات على طريق الاشتراكية حتى بمفهوم القيادة السوفييتية لها .. معنى ذلك بالتالى ان الشيوعيين المصريين اصبح عليهم تيسير تحول عبد الناصر من ثورى وطنى الى ثورى اشتراكى ، لا إعاقة هذا التحول ..

وفى هذه الظروف تحديدا تخلى عبد الناصر فجاة عن اصراره على عدم الافراج عن الشيوعيين بتاتا ، حتى الذين قضوا مدة عقوبتهم بالكامل ، وافرج عنهم جميعا ، قبل ان تطأ قدم خروشوف ارض مصر بساعات ، وذلك دون ان يشترط عليهم حل تنظيماتهم .. وبعد اشهر ، اقدم الشيوعيون بانفسهم على حل تنظيماتهم والانضمام كافراد الى الاتحاد الاشتراكى والى تنظيم عبد الناصر « الطليعى » السرى . وتجدر الاشارة فى هذه الصدد الى ان التنظيم « الطليعى » قد قبل انضمام الوجوه المثقفة البارزة فى الحركة الشيوعية وكاد يهمل بالكامل التحاق العمال ..

وهكذا زالت كل اوجه التمايز بين الاتجاه الوطنى القومى الذى قاده عبد الناصر وفريق المثقفين الشيوعيين الذين نحوا اليهود وحلوا محلهم فى قيادة الحركة الشيوعية المصرية ...

معنى ذلك ان تاريخ الحركة الشيوعية ، على الاقل بعد ان اعيد تاسيسها على يد عبد الناصر اغلبها يهود فى بداية الاربعينيات قد شكلت رافدا للصراع العربى الاسرائيلى اكثر من كونها قد شكلت رافدا للحركة الشيوعية العالمية .. فاذا ما اخذنا بنظرية المراحل لهليل شوارتز ، فبامكاننا ان نقول انه كانت هناك بالفعل مرحلة اولى كان للعناصر اليهودية فيها الكلمة العليا ... وكان لابد ان تحول هويتهم اليهودية دون ان يناصبوا الدولة العبرية العداء على نحو ينسجم مع عداء القوى الوطنية والقومية العربية لها .. وكان لابد بالتالى ان يفضى هذا الوضع الى محاولة عزلهم من مراكز التوجيه والقيادة فى الحركة الشيوعية . غير ان مناهضتهم لاسباب تتعلق بالمواجهة مع اسرائيل .. قد افسح المجال لاندفاع هذه الحركة نحو مواقع قومية تلبى هوية المثقفين المصريين من غير اصول بروليتارية الذين كان عليهم ان يشكلوا عصب المرحلة الثانية فى تصور شوارتز .. ومع استيعاب الحركة الشيوعية المصرية داخل اطار الصراع العربى الاسرائيلى على هذا النحو ، لم تتحقق ابدا مرحلة شوارتز الثالثة .. مرحلة ان يكون للطبقة العاملة الكلمة الحسم فى حزبها الشيوعى ..

وربما كان ذلك عنصرا جوهريا فى الأزمة التى مازالت تلاحق اليسار المصرى حتى اليوم ..

## القفز على الأشواك

بقلم : د . شكري محمد عياد

# في عالم تولستوي

**يونيه . يوليه . اكتوبر ..**
**مواسم للصحافة المصرية يذكر فيها الرئيسان الراحلان جمال عبد الناصر وانور السادات في عشرات المقالات ، والعجيب في امر هذه المواسم ان نشاطها يزيد ولا ينقص من عام الى عام مع ان النغمة لاتتغير .**



كان اول من اطلق هذه النفحة كاتبنا الكبير المرحوم توفيق الحكيم ، ومنذ « عودة الوعى » لم نعد نسمع إلا تنويعات على لجنة الاساس ، وقد يتساءل المرء : هل حقا « عاد الوعى » خلال بضع عشرة سنة مرت على ظهور هذا الكتاب ؟ فبعد ان رحل الرئيس انور السادات عن دنيانا ، اخذ بعض الكتاب يذكرون عهده كما لو كان فترة اخرى ، من غياب الوعى ، وغياب الوعى اعتذار متهافت عن المصائب التى تعاقبت علينا بينما كنا نحلم بمستقبل رائع من العزة الوطنية والرخاء الاجتماعى ـ اعتذار اشد تهافتا من قول الفتاة التى فقدت بكارتها لسبب من الاسباب ان ذئبا دس لها المخدر فى الشاى . وحتى اولئك الذين يتحدثون عن ذينك العهدين كما لو كانا كلاهما امجادا ، او يعتدلون فيرون هذا او ذاك ، مزيجا من الامجاد والفترات ينسبون كل شيء من نجاح او اخفاق الى الزعيمين الراحلين ، وكأن شعب مصر قطيع من الاغنام يساق مرة الى المرعى ومرة الى المذبح .

سئمت هذه القراءات فعدت اقرأ ملحمة تولستوى « الحرب والسلام » فصلا من هنا وفصلا من هناك بلا نظام لم اكن



ليو تولستوى

اقرؤها بالمعنى المفهوم وانما كنت احتمى بها . فعهدى بهذه الرواية قديم يرجع الى نيف واربعين عاما ، كانت الحرب العالمية الثانية تشارف نهايتها - فهل كان لذلك بعض الاثر فى توقيت قراءتى لهذه الرواية ؟ على كل حال كانت ظروف الحرب توفر وقتا طيبا للقراءة ، ولاسيما اذا كان المسكن قريبا من العمل ، وكانت « الحرب والسلام » تحتاج الى قدر من العكوف ، استعرت مجلداتها الثلاثة فى طبعة « كلاسيكيات اكسفورد » من دار الكتب المصرية وعشت فيها شهرا كاملا اصبحت صديقا لاندريه وبيير وعاملت نيكولاس بالاستخفاف الذى يستحقه ، فقد كان فتى تافها طيبا ، ملكيا متحمسا ولكن بدون عظمة كاذبة وادهشنى خلال ذلك ان « الحرب والسلام » كانت تتضمن بين جنباتها الهائلة بحثا حقيقيا فى الحرب والسلام ، فقد ادخل فيها تولستوى عددا من الخرائط للمواقع الحربية ، وفصولا كاملة فى فلسفة التاريخ وقد كانت هذه الفصول موضع دهشة وانكار او شبه اعتذار لدى النقاد الغربيين الذين لم يبخلوا على ملحمة تولستوى العظيمة بأسمى عبارات الاطراء ولكن هذه الفصول عاشت معى ، تغالب النسيان طوال هذه السنين ، كمقوم أساسى من مقومات الرواية واراني الان اعزو - ببساطة تامة - انكار المنكرين لها الى نقص فى فهمهم لتولستوى . فتولستوى حكيم شرقى لم يفهمه الغرب كما ينبغى وهل ادل على عدم الفهم من قول ناقد - نسيت اسمه الان - ان تولستوى كانت تعوزه روح الدعابة ؟

ولابد ان هذا الناقد كان مصابا بشىء يشبه عمى الالوان حتى لا يدرك ان اوصاف تولستوى الدقيقة مفعمة بروح الدعابة ، وان له فى هذه الاوصاف اشياء تماثل ماسماه البلاغيون العرب « التشبيهات العقم » ، لانها لايمكن ان تكرر او تستوحى اذكر احد هذه الاوصاف وقد علق بذهنى من القراءة الاولى ، ثم بقى محفورا فى ذاكرتى محتلا مكانا لايشاركه فيه غيره ، من وقتها الى اليوم ، كان تولستوى يصف قائد فرقة موسيقية وهو يحرك ذراعيه تلك الحركات التى يحار معظم الناس - وانا واحد منهم - فى كيف يفهم العازفون معناها . فيقول تولستوى :كان قائد الفرقة يرفع ذراعه اليمنى ببطء شديد ، وكأنه يمسك بين السبابة والابهام

المفكر كفلي

# الأشواك

شيئا ثمينا جدا ، وفجأة يسقطه بقوة على الارض !

عدت الى عالم تولستوى ، اغسل نفسى عقلا وقلبا وروحا فى ذلك الخضم ، وهكذا لبثت اياما قبل ان اعود اليك ـ اخى القارىء ـ ببعض اشراقاته .

عكف تولستوى على كتابه « الحرب والسلام » خمسة اعوام متصلة من ١٨٦٤ الى ١٨٦٩ وهو فى قمة نضجه ( ولد سنة ١٨٢٨ ) وخضعت الرواية خلال هذه المدة لكثير من التعديل والتبديل ( يقال ـ معلومة على الهامش ـ ان زوجته الشابة الأديبة المخلصة بيضتها سبع مرات ) فهل كان يعز عليه ان يحذف الفصول التى ضمنها اياها فى فلسفة التاريخ ، او يفردها بكتيب خاص ، لو انه رآها مقحمة على الرواية كما ظن نقاده ؟

كانت شخصية نابليون بونابرت ـ ذلك الضابط الكورسيكى الذى هدم عروشا واقام عروشا واعاد تخطيط خريطة اوربا ـ تشعل خيال الملايين من الشباب ، ومنهم الشباب المثاليون الطامحون فى روسيا نفسها وهى التى ضاع جيشه وكسر حظه فى سهوبها الشاسعة يستوى فى ذلك ابناء الطبقة المتوسطة الفقيرة مثل راسكولنيكوف بطل « الجريمة والعقاب » والامراء الذين ينتمون الى اعرق الاسر الارستقراطية مثل اندريه احد ابطال « الحرب والسلام » .

فانظر كيف رسم تولستوى لقاء اندريه ونابليون :

كان اندريه يرقد اسيرا جريحا مشرفا على الهلاك بعد ان ابلى بلاء حسنا فى موقعة اوسترلتز ومر نابليون على صهوة جواده يتفقد اولئك الجرحى ، ولاسيما ان بعضهم كانوا من كبار الضباط فعرف اندريه الذى سبق ان امر بحمله من ساحة المعركة .

**« قال : وانت ايها الشاب ؟ كيف حالك ؟**

**« ومع ان الامير اندريه كان قد استطاع ـ قبل خمس دقائق ـ ان يقول بضع كلمات للجنود الذين نقلوه ، فقد صمت حين ثبتت عيناه على نابليون .. فى تلك اللحظة بدا له كل مايشغل ذهن نابليون تافها شديد التفاهة وبدا له بطله هو نفسه حقيرا بغروره السخيف وفرحته بالنصر ، حين قارنه بتلك السماء العالية العادلة الرحيمة التى رآها وفهمها [ وهو طريح فى ساحة المعركة ] فلم يستطع ان يجيبه .**

**« بدا كل شىء عقيما وهينا فى مجرى الافكار الجليلة التى اثارها فى نفسه النزف والالم واقتراب الموت فلما نظر فى عينى نابليون فكر فى تفاهة العظمة وهوان الحياة التى لم يستطع**

**فهمها احد ، وهوان الموت ـ اكثر من الحياة ـ الذى لم يقدر حى ان يفهم معناه او يشرحه »**

هكذا يبدو كل ماعلى الارض ـ نابليون واحقر جندى من جنوده ، وحتى الحياة والموت سواء فى الضآلة والتفاهة حين تسبح الروح ولو لحظة فى اعماق الكون وهذه هى الرؤية التى رآها اندريه عاشق المجد والعبقرية حين احس دنو الموت . واذا كانت هذه الرؤية قد تجلت له فى وهلة خاطفة دون ان يمتد به العمر ليحولها الى سلوك عملى ، فقد تجلت هى نفسها لبيير ، عاشق الحقيقة شيئا فشيئا وهو يخوض تجارب اليأس المستهتر والحب المخدوع والاسر المهين ، واخيرا حلم الاستشهاد فداء للانسانية ! بيير الذى تلقفته الماسونية وهو حائر بائر فى يده كل شىء من شباب ومال وجاه وذكاء ، ولكنه فقد ثقته فى كل شىء ونفض يده من كل مسعى هو ايضا عاش فى وهم كبير حين اطلق احد « الاخوان » الماسون على آية فى الكتاب المقدس تنبأت كما يزعم اصحاب الجفر بظهور نابليون بونابرت ، وتنبأت ايضا بانه يظهر من يقتله ! يجهد بيير نفسه ليحسب حروف اسمه ، يزيد فيها وينقص ، حتى ينتهى الى انه هو المخلص الموعود وبينما هو فى هذه الاحلام الصبيانية يقع فى الاسر . وتتفتح بصيرته على الحكمة الحقيقية حكمة القلب ، فى كلام الفلاح البسيط كاراتايف ويحيق بنابليون ماهو افظع من القتل : مرارة الهزيمة ثم السقوط ثم الموت البطىء فى منفاه ، بينما يستأنف بيير حياته العادية لم يتغير شىء فى عالمه ، انما هو الذى تغير . لم يعد لاهيا بما يدور فى نفسه عما يدور من حوله ، لم يعد يتعلق بوهم امتلاك الحقيقة وفرضها على الاخرين ، فالحقيقة اسمى واجل من ان يحيط بها عقل بشر ، وكل انسان له طريقه الخاص نحو الحقيقة ، كان يحزنه انه مهما اجهد نفسه لاقناع الاخرين برأيه ، ولاح له انهم اقتنعوا به فعلا، تبين له بعد قليل ان كل واحد منهم يفهمه فهما مختلفا فالان ثبت له ان احدا لايمكنه ان يقنع اخر برأى ما ، وربما لان « الاقناع » هو ايضا ضرب من العنف عقل يستعلى على عقل ، والقوة التى رآها تولستوى قادرة على ان تقرب بين البشر هى قوة الحب

ولكن ماذا يصنع الانسان امام قوى الشر ـ اعنى الانسان الفرد الذى يشعر ـ فى اموره الخاصة ـ انه يستخدم ارادته الحرة للقيام بعمل ما او الامتناع عن عمل اخر ؟ ماذا يصنع حين يواجه بخيارات لاتخدمه وحده ؟ ماذا يصنع حين تغطى هذه الخيارات على الخيار الوحيد الذى يبدو اقرب الى الطبيعة والعقل خيار الحب ؟

، حين اشرفت سنة ١٨١١ على نهايتها بدأ تكثيف للأسلحة والقوات فى اوربا الغربية وفى سنة ١٨١٢ تحركت هذه القوات ـ ملايين الرجال اذا ادخلنا فى الحساب اولئك الذين كانوا يقومون بنقل الجيش واطعامه ـ من الغرب الى الشرق نحو الحدود الروسية ، بينما كانت القوات الروسية تحرك نحو هذه الحدود منذ ١٨١١ وفى الثانى عشر من يونية ١٨١٢ اخترقت قوات اوربا الغربية الحدود الروسية . وبدأت الحرب اى ان ثمة حادثة وقعت ، حادثة تتعارض مع العقل الانسانى والطبيعة الانسانية اقترف ملايين البشر فى حق

# القفز على الأشواك



توفيق الحكيم

بعضم البعض جرائم لاتحصى جرائم غش وخيانة وتزوير وتزييف نقود وسرقة واحراق وقتل ، لم يسجل مثلها في سجلات محاكم العالم طوال قرون كثيرة . ولكن الذين اقترفوها لم ينظروا اليها في ذلك الوقت على انها جرائم » .

وهنا يقوم السؤال : من المسئول عن هذا الشر ؟

يعدد تولستوى « الاسباب » التى يبرزها المؤرخون لنشوب هذه الحرب : أطماع نابليون ، صمود الكسندر ، مؤامرات الانجليز ، اخطاء الدبلوماسية ، الخ ... وبهذا المنطق يمكن أن يقال مثلا : إن نابليون لو كان قد كتب الى الكسندر « اخى المحترم انني اوافق على رد الدوقية الى دوق الدنبرج » او لم يغضب حين طلب منه الكسندر سحب جيوشه الى ما وراء الفستولا ، لما وقعت الحرب ، ولم تكن الحرب لتقع ايضا لولا الدسائس البريطانية ولولا دوق الدنبرج ، ولو لم يشعر الكسندر انه اهين ، ولو لم توجد فى روسيا حكومة اوتوقراطية ولو لم تقم فى فرنسا ثورة ولو لم تعقب الثورة دكتاتورية وامبراطورية . كل هذا صحيح ، ولكننا لا نستطيع ان نجمع هذه الاسباب كلها ـ والف سبب اخر معها ـ فى فعل انسانى واحد صدر عن ملك او امبراطور . فلو لم يأمر نابليون جنوده بالتقدم وراء الفستولا لما كانت الحرب ، ولكنها لم تكن لتقع ايضا لو ان عريفا فى جيشه رفض ان يستمر فى الخدمة ، ولو حذا حذوه ثان وثالث والف عريف اخر ، فكل هذه الاسباب متساوية فى التأثير ، والقرار الذى يتخذه الحاكم او القائد يبدو لنا فى الظاهر انه القرار الحاسم ، وبناء على النتيجة نصف القائد او الحاكم بانه عبقرى وملهم ، او بانه مغامر وقصير النظر او ربما فسرنا النجاح او الفشل بالمصادفة البحتة .

ولكن تولستوى يرفض المصادفة كما يرفض العبقرية (أو ضدها ) فى تفسير احداث التاريخ . فللتاريخ منطق وان كنا عاجزين عن الاحاطة به ـ مثل الحقيقة التى بحث عنها بيير وقد يبدو لنا ان فلسفة تولستوى التاريخية قدرية محضة او صوفية خالصة لولا انه لايدعنا نتوهم لحظة واحدة ان الارادة البشرية غائبة عن اى حدث ـ عام او خاص ـ من احداث روايته . ولكن الارادة البشرية يمكن ان تنحرف عن سلامة الفطرة فتقود الى



نابليون بونابرت

التهلكة ويمكن ان تكون بطبيعتها قريبة من سلامة الفطرة فيتحقق لها نوع من التناغم مع الاحداث الخارجية ، حتى لو جرت هذه الاحداث لغير صالحها ، ومن الناس من ترين على نفوسهم غشاوات من الشكوك والشهوات فيكون عليهم ان يحترقوا فى اتون الالم لتبرز فطرتهم النقية ، كما وقع لبيير .

ولم يقع تولستوى فى سذاجة التوهم بان فساد الفطرة مقصور على طبقة دون طبقة ، او ان التجارب السابقة تشكل قيدا على تطور الفرد الروحى ، فاذا كانت الحكمة الفطرية قد تمثلت عنده فى شخصية الفلاح الاسير كاراتايف ، فقد تمثل الخبث وسوء الطوية فى فلاحى قرية بوجتشاووفو ، واذا كان القواد المحيطون بالكسندر وفرانسيس ( امبراطور النمسا ) نماذج للادعاء او القسوة او الملق فقد كان كوتوزوف ـ القائد الشيخ الذى اطلقت يده فى قيادة المعركة بعد هزيمة او سترلتز المدوية ـ مثلا رائعا لصفاء الذهن وبعد النظر النابعين من ادراك صادق لمقتضيات الواقع . ولم تكن نشأة بيير الارستقراطية حائلا دون اندماجه فى الناس البسطاء .

فلم تكن ديمقرطية تولستوى « ديمقراطية شعبية » كما تسمى اليوم ولم تكن حتى ديمقراطية سياسية ، ولكنها كانت ديمقراطية نابعة من داخل الانسان ولهذا بشرت بالمساواة الكاملة كما بشرت بها الاديان السماوية من قبل : المساواة فى القيمة والمساواة فى المسئولية ـ وربما حسبه البعض ـ لهذا السبب ـ مثاليا حالما ، ولكننا ندرك الآن ، اكثر من اى وقت مضى ان مستقبل البشرية رهن بهذه « الديمقراطية الداخلية » .

ولعل الفرض الذى فرضه تولستوى ان يمتنع عريف ثم الف عريف فى جيش نابليون عن الذهاب الى الحرب ، كان يبدو خياليا الى وقت قريب ولكننا نعلم أن قسوة الحب الفيتنامية ولا انسانيتها قد دفعت اعدادا متزايدة من الجنود الامريكيين الى الامتناع عن الذهاب الى ميدان القتال ، هل كان هذا الفعل منهم خيانة أم بطولة ؟ لقد كان على كل حال قرارا « فرديا » بالغ الصعوبة الى اى حد اثر هذا القرار فى نهاية الحرب ؟ هذه قضية اخرى من القضايا التى يقف التاريخ امامها عاجزا .

**وبقدر ما نشعر ـ نحن فى مصر ـ بالخطر المضاعف النابع من الداخل والقادم من الخارج ، لايمكننا أن نتجاهل مسئوليتنا ـ مسئولية كل فرد منا ـ عما كان أو يكون وأحسن من التفكير فى سيئات الماضى أو حسناته ، ان نفكر كيف وصلنا إلى ما نحن فيه وان نتحسس ضمائرنا عساها تخبرنا عما يجب أن نفعل .**

# الاستشراق واستعلاء الغرب

بقلم : د. أحمد أبو زيد

حين زار الروائى الفرنسى الشهير جوستاف فلوبير مصر عام ١٨٥٠ التقى براقصة شهيرة تدعى كوجول هانم . وسجل انطباعاته عن التقائه بها فى عدد من الرسائل التى كان يرسلها إلى أصدقائه فى فرنسا وكذلك فى بعض أعماله الأدبية الأخرى وبخاصة فى روايته ( سالامبو ) .

وفى كل هذه الأعمال ظهرت . كوجول هانم الراقصة على أنها خير مثال للمرأة الشرقية ، سواء من ناحية التكوين الجسمى أو السلوك المتحرر أو الوضع الذى تحتله المرأة فى المجتمع الشرقى أو نظرة الرجل إلى المرأة فى ذلك الحين . وقد يكون فيما ذكره فلوبير حول هذا الموضوع شىء من الإجحاف بالمرأة الشرقية ومكانتها فى المجتمع المصرى الإسلامى . ولكن فلوبير كان أديبا روائيا ولم يكن عالما من علماء الاجتماع ولذا فإن الصورة التى قدمها فى رسائله وفى روايته لم تكن دراسة علمية دقيقة وإنما كانت عملا أدبيا يعبر فيه صاحبه الأديب الروائى الفنان عن نظرته الخاصة وعن انطباعاته الشخصية وعن تصوراته وتخيلاته بل وأوهامه عن المرأة فى الشرق .

● وقد يكون لفلوبير وغيره من الأدباء والمبدعين عذر فيما قد يذهبون إليه من تصورات وتخيلات تختلف عن واقع الأوضاع والعلاقات العامة والاجتماعية التى تسود فى المجتمعات والثقافات الأخرى غير المجتمع الذى ينتمون هم إليه ، فالابداع الادبى أو الفنى هو مزيج من الواقع والخيال وليس وصفا علميا دقيقا يلتزم بالحياد والموضوعية فى تسجيل الحقيقة الواقعية وتحليلها وعرضها فى دقة وأمانة . ولكن كثيرا مما كتبه العلماء والباحثون الغربيون الذين نطلق عليهم اسم ( المستشرقين ) لاتكاد ترتفع فى نظرتها الى الشرق عن نظرة فلوبير . وجانب كبير من تلك الكتابات أو ( الدراسات ) التى تركها لنا هؤلاء المستشرقون - وبوجه خاص الأعمال التى تتناول اوضاع المجتمع الشرقى ونظمه والعلاقات بين الناس والقيم التى تحكم سلوكهم وتصرفاتهم - فيها

جوستاف فلوبير



كثير من التجنى وتبتعد عن الحيدة والموضوعية وتمتلىء بصور وتفسيرات وتاويلات غير صحيحة أو خاطئة وتعكس فى عمومها تصورات هؤلاء ( الباحثين ) وتخيلاتهم وأوهامهم عن الشرق اكثر مما تسجل واقع ذلك الشرق وحقيقته . وبعض هذه الكتابات الاستشراقية تصور الشرقيين عموما - بما فى ذلك العرب والمصريين - على انهم اقوام متبلدون وليست لهم القدرة على العمل ، أو حتى الرغبة فى ادائه ، وانهم عاجزون عن الاخذ بزمام المبادرة والمبادأة فى اى شىء وتنقصهم القدرة على التفكير المستقل وعن التعبير الصريح المستقيم المباشر عما يدور فى اذهانهم ، بل انهم لايكادون يدركون مصالحهم الحقيقية واين تقع هذه المصالح وكيف يحصلون عليها أو يحققونها ، بل إن الغربيين هم الذين يفكرون ( لهم ) وبالنيابة عنهم وهم الذين يعرفون اين تكون تلك المصالح وكيف يحققونها لهم بطريقة افضل وادق واكثر فاعلية ، وفى هذا مبرر كاف لإخضاع هذه المجتمعات الشرقية واستعمارها من اجل صالح تلك الشعوب

● مستشرقون شرفاء

وقد يكون من التعسف ان نتهم كل المستشرقين بالتحامل على الشرق وحضاراته وشعوبه او ان ندخل كل الأعمال الاستشراقية فى فئة واحدة . فبعض هذه الأعمال والكتابات - وبخاصة تلك التى تتناول التراث

القديم من فلسفة وتصوف وأدب وعلوم - بحوث أكاديمية دقيقة وعلى جانب كبير جدا من الموضوعية ، بل إنها هى التى وضعت الأسس المنهجية السليمة لدراسة هذه الشعوب وانجازاتها بوجه عام ، واسهامات الحضارة العربية الاسلامية بوجه خاص بما فى ذلك الحضارة المصرية ذاتها . وهذا امر طبيعى نظرا لاختلاف وتباين وتعدد الاهتمامات بالشرق والمجتمعات والحضارة الشرقية فى القرن التاسع عشر على الخصوص .. وكما يقول فيكتور هيجو فى ذلك فإن الولع بالدراسات الهلينية الذى بلغ بالناس جد الهوس فى عصر لويس الرابع عشر انتقل فى القرن التاسع عشر الى الدراسات الشرقية ، بحيث اصابت حمى هذه الدراسات الكثيرين من الكتاب والعلماء والادباء والفنانين . ونحن نعرف أن هيجو نفسه ترك مجموعة من القصائد الرائعة بعنوان ( الشرقيات ) كان قد استوحاها من أحداث الصراع اليونانى التركى الدامية ومن جمال وروعة الطبيعة فى الشرق الأدنى والشرق الاوسط .. كذلك ترك الكثيرون غيره من الكتاب والشعراء والفنانين أعمالا خالدة عن السياحة ، وربما كان كتاب شاعر ألمانيا العظيم جوته ( الديوان الشرقى للمؤلف الغربى ) الذى نقله الى العربية منذ سنوات الدكتور عبدالرحمن بدوى من أشهر هذه الأعمال . ولكن قائمة هؤلاء الكتاب المولعين بالشرق من أدباء وشعراء وفنانين قائمة طويلة وتضم أسماء لاحقة وخالدة من أمثال لامارتين وجيرار دى نرفال وجوتيه الى جانب جوستاف فلوبير من فرنسا ، ودزرائيلى من انجلترا ، كما تشتمل على عدد من الرحالة المشهورين من أمثال داوتى وببيرلوتى ، فضلا عن عدد من كبار الروائيين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل البريطانى فورستر الذى سجل جانبا من أحداث حياته ومشاهداته وتجربته الخاصة فى الهند فى روايته الشهيرة التى تحولت الى فيلم سينمائى ( ممر الى الهند ) كما ترك جزءا من تجربته فى مصر ايام الحرب العالمية الاولى فى كتابه الطريف الذى لايعرفه الكثيرون عن

مدينة الاسكندرية وكذلك فى رسائله التى نشرت منذ اربعة اعوام . وبعض هؤلاء الكتاب كانوا يجمعون بين اكثر من اهتمام بالشرق . فادوارد ويليام لين العالم الرحالة الفنان يترك كتابا ممتازا عن أخلاق المصريين المحدثين وعوائدهم ، وقد نقله منذ سنوات طويلة الى العربية المرحوم الاستاذ عدلى طاهر نور فى ترجمة دقيقة ومشرقة . كذلك ترك العالم المكتشف الرحالة ريتشارد بيرتون ترجمة طيبة بالانجليزية لكتاب الف ليلة وليلة وهكذا . وهذا كله يكشف لنا عن مدى اختلاف وتباين اهتمامات هؤلاء الكتاب وتعدد هذه الاهتمامات وتنوعها ، وإن كانت كلها تصب فى آخر الامر فى عالم الشرق الذى كان يبدو لهم غريبا وغامضا والذى كان يجذبهم اليه بهذا الغموض الساحر الغريب .

وبالمثل فإن قائمة أسماء المستشرقين العلماء الاكاديميين طويلة جدا وتتناول كثيرا من أبواب المعرفة وتكشف لنا أعمالهم عن مدى الجهد والاخلاص والموضوعية التي تميز مواقفهم ونظرتهم الى الشرق وانجازاته العلمية والثقافية كما تبين هذه الأعمال مدى صدقهم في محاولة الوصول الى فهم صحيح وموضوعي لتلك الانجازات . وقد يكفي أن نحيل القارىء هنا الى كتاب ( تراث الاسلام ) سواء في طبعته القديمة أو في الطبعة الجديدة أو على الأصح الاصدار الجديد تماما فكلا الكتابين يضم قائمة من اسماء المستشرقين الذين توفروا على كتابة الفصول المختلفة . ولكن قائمة المستشرقين الاكاديميين أطول من هذا بكثير جدا .

ومع ذلك فإن كل أعمال وكتابات المستشرقين والمهتمين بالشرق على اختلاف طبقاتهم وتخصصاتهم وميولهم وأهوائهم إنما تصدر عن موقف معين ووجهة نظر محددة وثابتة يشتركون فيها جميعا ، الا وهي شعورهم القوي بالتعارض الشديد بين الشرق والغرب . ولقد عبر عن ذلك التعارض بطريقة واضحة وقاطعة الشاعر البريطاني رويارد كبلنج الذي تغنى ربما أكثر من غيره في قصائد بمفاخر الاستعمار البريطاني وأمجاد الجنود البريطانيين الهند وبورما .

● دراسة الشرق

فليس الاستشراق إذن هو مجرد دراسة العلماء الغربيين للحضارات الشرقية ، وإنجازاتها في مختلف مجالات العلم والمعرفة ، أو حتى دراسة المجتمعات والثقافات والشعوب الشرقية القائمة الآن بالفعل . إنما الاستشراق هو قبل كل شيء أسلوب غربي لفهم الشرق ، أو هو موقف عقلي محدد من الشرق ونظرة ثابتة وراسخة تقوم على إدراك ذلك التعارض بين الشرق والغرب الذي تعبر عنه بدقة وصراحة عبارة كبلنج الشهيرة . ويكشف هذا الموقف الغربي من الشرق عن نفسه بدرجات متفاوتة في أعمال المستشرقين ، فهي كلها تقوم على اعتقاد الغربيين بالاختلاف والتمايز ، حتى التباين بين الشرق والغرب في النظرة الى الحياة والكون وفي أسلوب معالجة الأمور وفي القيم التي تحكم السلوك وفي التكوين العقلي وفي الموقف من المستقبل . وقد أدى ذلك الى احساس الغرب بالاستعلاء الى الحد الذي رأى فيه امكان جعل الشرق موضوعا لدراسته مثلما أخضعه لحكمه وسيطرته .

والأمر هنا يشبه الى حد كبير الوضع بالنسبة لعلم آخر حديث نسبيا وهو الأنثروبولوجيا ( علم الانسان ) في بداية ظهوره في القرن التاسع عشر . فقد كان علماء الأنثروبولوجيا في ذلك الحين يشعرون كما يبدو من كتاباتهم باستعلاء ازاء الشعوب والجماعات والقبائل التي تعيش في المستعمرات الافريقية والتي كانت تؤلف موضوع دراساتهم ، وقد أطلقوا على تلك الشعوب في ذلك الحين اسم الشعوب البدائية ، ولا تزال هذه التسمية مستخدمة حتى الآن رغم الاعتراف بخطئها وما تحمله من أبعاد لم يعد العلماء أنفسهم يؤمنون بها . ومثلما ظهرت فكرة المجتمع ( البدائي ) في أنثروبولوجيا القرن التاسع عشر ظهرت

فكرة المجتمع ( الشرقى ) كمفهوم لا يرتبط فقط بتلك المنطقة من الأرض التى تعرف باسم الشرق وانما يرتبط فى المحل الأول بتصورات معينة عن أسلوب خاص للحياة والتفكير لا يمكن فهمه الا عن طريق مقابلته ومقارنته بأسلوب الحياة والتفكير الغربى . وكان من الطبيعى أن يعكف الغرب متمثلا فى المستشرقين - بالمعنى الواسع للكلمة - على دراسة هذا الشرق فى ضوء الأوضاع والمفاهيم والافكار والقيم الغربية وأن يتخذ منها مقياسا ومعيارا يحكم به على انجازات واسهامات الشعوب والحضارات الشرقية التى يدرسها هؤلاء المستشرقون ، تماما كما حدث فى الانثروبولوجيا فى ذلك الحين .

وعبارة كبلنج الشهيرة تعبير صادق كما ذكرنا عن الفلسفة التى كانت تسود فى القرن التاسع عشر كله ، والتى كانت تقوم على تصنيف البشر والحضارات والمجتمعات وكل الكائنات تبعا لتصور عقلى عن مراحل التطور التى مر بها العالم . وكان هذا يضع الانسان الغربى والحضارة الغربية فى أعلى درجات السلم المتطور ثم تعيش بقية البشر والحضارات الاخرى الى الانسان الغربى وحضارته تبعا لدرجة الشبه . وليست نظرية التطور التى وضعها داروين الا نتاجا فى آخر الامر لهذه الفلسفة الصادرة من الشعور بالاستعلاء .. استعلاء البشر على بقية الكائنات ، واستعلاء الانسان الغربى على بقية البشر ، واستعلاء الحضارة الغربية على كل الحضارات الأخرى . فهذه الفلسفة اذن هى نقطة الانطلاق فى قيام الاستشراق الذى هو فى جوهره موقف عقلى يقوم على الشعور بالتسامى والاستعلاء من الرجل الأبيض إزاء شعوب الشرق وحضاراته وإنجازاته . ومما له مغزى فى هذا الصدد مايذكره ادوارد سعيد فى كتابه القيم عن الاستشراق من انه أثناء الحكم البريطانى الاستعمارى للهند كان رجال الادارة من البريطانيين الذين يعملون هناك يتقاعدون فى سن مبكرة نسبيا وهم فى أتم صحتهم وعافيتهم حتى لا تتاح للهنود الوطنيين الفرصة لرؤية الجنس الأرقى فى حالة الشيخوخة والضعف والعجز والمرض فتهتز صورة الرجل الأوربى فى أعينهم ويفقد بالتالى تميزه عليهم . وقد تبدو هذه المسألة بعيدة لأول وهلة عن حركة الاستشراق والمستشرقين . ولكن المبدأ واحد ، وهو مبدأ سيادة واستعلاء الغرب على الشرق .

وعلى الرغم من شيوع كلمة الاستشراق وكثرة ما كتب عن المستشرقين فلا يزال من الصعب وضع تعريف دقيق ومحكم للاستشراق والمعرفة الاستشراقية . ويرجع ذلك الى حد كبير الى تباين الاهتمامات وتعددها كما سبق ان ذكرنا ، فهى كتابات تتراوح ما بين الدراسات العلمية الاكاديمية الموضوعية الى الأعمال الخيالية أو التى تعتمد على الانطباعات الشخصية التى كثيرا ما تكون خاطئة . وحتى لو استبعدنا كتب الرحالة والفنانين والروائيين ومن اليهم وقصرنا الأمر على الأعمال العلمية الاكاديمية الرصينة وحدها فسوف نجد أن مجال الاستشراق لايزال واسعا فضفاضا ومتعدد الجوانب . ولقد كان اغلب

المستشرقين - بهذا المعنى الضيق والدقيق للكلمة - يهتمون أساسا باللغات والآداب الشرقية وبالتراث الشرقى . ثم امتد هذا الاهتمام الى كل مجالات الحياة والفكر وقدموا فى ذلك خدمات جليلة بغير شك ليس فقط فى مجال البحث والتنقيب والنشر والدراسة والتحليل ولكن ايضا ، وربما كان هذا هو الأم فى وضع الأسس المنهجية لدراسة كل ذلك الكم الهائل من الأعمال التراثية فى مختلف فروع المعرفة فالعلم منهج قبل أى شىء .

وسواء أكانت الدوافع وراء ذلك الاهتمام بالشرق دوافع علمية بحتة أو دوافع سياسية واقتصادية فإن حركة الاستشراق على العموم ارتبطت ارتباطا قويا وبخاصة فى القرن التاسع عشر بالغزو الاستعمارى والرغبة فى أخضاع الشرق لنفوذ الغرب . ودزرائيلى نفسه يقول فى إحدى رواياته ان الشرق ( مهنة ) لأنه كان يفتح أمام الشبان البريطانيين مجالات واسعة للعمل هناك . والواقع أن الشرق كان لفترات طويلة جدا ترجع الى الحروب الصليبية على اقل تقدير وحتى الآن موضوعا للتساؤل والبحث والدراسة ومحاولة فهمه والاقتراب منه وإن كانت بعض هذه المحاولات تعانى من النقص والعجز والوهم والاختلاق والزيف . وقد كانت أعمال المستشرقين فى كثير من الاحيان تمهد الطريق لبسط نفوذ الحكم الاستعمارى على الشرق وتقديم المعلومات الدقيقة التى تساعد على توطيد الحكم تماما كما كان الحال بالنسبة لبعض علماء الانثروبولوجيا وبعض الدراسات الانثربولوجية المبكرة التى كانت تساعد على فهم الشعوب ( البدائية ) توطئة لارساء قواعد الاستعمار . وعدد كبير من المستشرقين ارتبطوا صراحة بأجهزة المخابرات فى بلادهم وكانوا أدوات وعملاء لها ، بل إن بعض مشاهير المستشرقين تولوا مناصب ادارية فى الدول الشرقية ايام خضوعها للاستعمار أو النفوذ الغربى . وثمة أسماء كثيرة معروفة للقارىء المصرى فى هذا المجال مثل لورانس وفيلبى : ولكن هناك اسماء أخرى قد تكون اقل شهرة ارتبط أصحابها ارتباطا وثيقا بوزارة المستعمرات البريطانية مثلا او أجهزة المخابرات فيها . ومن اشهر الأمثلة على ذلك العالم البريطانى فى ادوارد هنرى بالمر الذى لعب دورا مهما فى تهدئة مشاعر القبائل فى سينا أيام الثورة العرابية ولقى مصرعه أثناء ذلك . ومنهم المستشرق البريطانى هو جارت الذى تولى رئاسة ( المكتب العربى ) فى القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى والذى قام بدور كبير فى الاتصال بالقبائل فى شبه الجزيرة العربية قبل ذلك . كذلك انخرط عدد كبير من كبار المستشرقين فى سلك الجاسوسية أثناء الحرب العالمية الثانية وأصبحوا عملاء للمخابرات البريطانية فى البلاد العربية . وما يصدق على بريطانيا والمستشرقين البريطانيين يصدق على كثيرين غيرهم

## ● أهداف استعمارية ! ●

وكل هذا معناه أن حركة الاستشراق لم تكن بريئة تماما من الأهداف السياسية الاستعمارية ، وأن الكثيرين من المستشرقين كانوا يسخرون جهودهم بشكل أو بآخر لخدمة المصالح الاستعمارية ، وأنهم أساءوا بذلك استغلال علاقاتهم الوطيدة بالشعوب

والجماعات التى يدرسونها ، ولكن من الانصاف فى الوقت ذاته أن نعترف بأن ما نعتبره نحن جاسوسية لأنه فى غير صالحنا قد تراه شعوب أخرى عملاً من أعمال الوطنية لأنه يخدم مصالحها وأهدافها وأن المستشرقين الذين وضعوا عملهم وكفاءاتهم فى خدمة أجهزة المخابرات في بلادهم كانوا يعتقدون أنهم يقومون بعمل وطنى شريف . وأيا ما يكون اعتقادهم فى ذلك فإن هذا لايعفيهم أبدا من تهمة الخروج على معايير الاخلاقيات العلمية وأنهم تنكروا لمبادىء البحث العلمى وأهدافه مما يلقى ظلالا سوداء كثيفة على الاستشراق ككل رغم كل ما قدمه من إنجازات علمية لايمكن التشكيك فى اهميتها .. والامر كله يكشف فى النهاية بوضوح عن ذلك المبدأ الذى يحكم حركة الاستشراق كلها وهو مبدأ التباين والاختلاف الذى يصل الى حد المواجهة بين الغرب المتسلط والشرق الذى اتخذ الغرب منه موضوعا للدراسة والبحث ، وهذا هو الذى يجعل الكثيرين ينظرون الى الاستشراق على أنه علم استعمارى أو نوع من ( المعرفة الاستعمارية ) .

وليست المشكلة فى اعتناق المستشرقين ـ أو بعضهم ـ لمثل هذه المواقف او التعبير عنها فى كتاباتهم . ولكن المشكلة الحقيقية هى فى قبول بعض الشرقيين ـ بما فى ذلك بعض العلماء العرب والمصريين ـ لتلك الاراء والافكار بغير مناقشة بل واعتناقهم لتلك المواقف والتحمس لها والدفاع عنها فى قوة وحرارة على الرغم من انهم لا يكادون يرون فى واقع الحياة العربية والاسلامية مايعززها . ولاتلبث هذه الافكار أن تترسب وترسخ فى عقولهم ووجدانهم بحيث ينظرون الى مجتمعهم وثقافتهم وحياتهم وتراثهم من خلال افكار هؤلاء المستشرقين ثم يرون فى آخر الامر ليس على ماهم عليه فى الحقيقة والواقع وإنما على ما اراد لهم المستشرقون ان يتصوروه . وهذه ناحية خطيرة قلما ننتبه اليها فى الدراسات التى نتناول فيها مسائل تتعلق بحياتنا أو ثقافتنا أو تراثنا ، والتى نعتمد فيها رغم ذلك على كتابات المستشرقين فى تلك الموضوعات بدلا من أن نقوم نحن انفسنا بها من منطلق مصرى عربى اسلامى وننظر اليها بعيون مصرية ونحللها من موقف مصرى وفى ضوء القيم المصرية الأصيلة القديمة العريقة التى تمتد جذورها الى الثقافات المصرية القديمة والقبطية والاسلامية ، ولا يكاد يسلم من هذه التبعية الفكرية الا القلائل ، ففى هذه التبعية الفكرية تكمن الخطورة الحقيقية للاستشراق ولقراءة المستشرقين لتراثنا وقيمنا وتأويلهم لذلك التراث وتلك القيم من زاوية خاصة تخدم بغير شك أهدافا تتلاءم مع مصالح الثقافات التى ينتمون اليها أو على الأقل تعبر عن المبادىء التى تقوم عليها تلك الثقافات .

ولقد افلحت حركة الاستشراق ـ بالمعنى الواسع للكلمة ـ والذى يضم أعمال العلماء وكتابات الرحالة والمبشرين والروائيين والادباء ورجال الادارة من الغربيين أيام الاستعمار فى غرس الشعور بالدونية فى نفوس الكثيرين بحيث انهم لم يعودوا يكتفون باتباع المناهج التى

وضعها المستشرقون للدراسة والبحث ، وإنما أصبحوا أسرى لأفكارهم ونظرياتهم وتقييمهم للأمور ، بل ان المسألة أصبحت تتعدى ذلك الى واقع الحياة اليومية ذاتها . ومن الخطأ أن نقنع بتوجيه اللوم والنقد الى المستشرقين الذين خرجوا على مبادىء الحياة الاكاديمية وجعلوا أنفسهم وجهودهم وعلمهم أداة فى خدمة الاستعمار وأجهزة المخابرات فى بلادهم . وقد يكون من الخير بدلا من هذا كله أن نتساءل عن الاسباب التى جعلت هؤلاء المستشرقين يصلون الى هذه الدرجة من العلم التى أمكن لهم معها أن يفرضوا علينا أفكارهم وآراءهم ووجهات نظرهم . فقد يكون فى الاجابة على هذا التساؤل مايدفعنا الى دراسة أوضاعنا وثقافتنا وتراثنا بفكر جديد مفتوح وبعقلية مستقلة ومتحررة من قيود الفكر الغربى وأغلاله .

ولسنا ننكر الجهود التى يقوم بها كثير من العلماء المصريين والعرب والمسلمين فى دراسة مقومات المجتمع القومى والعمل على العودة الى التراث الاصيل والى الجذور القديمة المتمثلة فى الآداب والفلسفات وأصول الحكمة والقيم والتقليد وهى دراسات ، تختلف بغير شك عن تلك التى يقوم بها المستشرقون من حيث إنها دراسات ، تتم ( من الداخل ) .. وذلك على أساس أن علماءنا هم جزء من تلك الثقافة التى يدرسونها وأن مقومات هذه الثقافة تدخل فى تكوينهم العقلى والوجدانى ، وهم بذلك يمتلكون ( الحس ) بهذه الثقافات والحضارات والتراث القديم ، وهو حس يساعد بغير شك على الوصول الى فهم اعمق وأدق وأكثر صدقا مما يستطيعه الباحث الغريب وقد أخذ بعض علمائنا يزاحمون بذلك المستشرقين فى دراساتهم وبحوثهم ويقفون منهم موقف التحدى القائم على الفهم الصحيح وهذا التحدى يفرض على تلك القلة من العلماء الذين افلحوا فى التخلص من التبعية العلمية والفكرية للاستشراق والمستشرقين أن يعملوا على تطوير بحوثهم ودراساتهم وأن يوجهوها الى مسارات جديدة بحيث تحقق أهدافا جديدة لم يكن المستشرقون يهتمون بها . فلقد كان الاستشراق يهتم مثلا بإبراز الخصوصيات ، الضيقة التى تميز الفكر الشرقى ـ سواء اكان ذلك هو الفكر المصرى أو العربى أو الاسلامى أو الهندى أو غير ذلك ـ ويدرسها من زاوية الفكر الغربى لتوكيد تلك الهوة الواسعة السحيقة التى تجعل الشرق شرقا والغرب غربا وأن لا سبيل الى التقائهما فى هذه الحدود ، وأن الفكر الشرقى رغم كل مايمكن أن يقال فيه هو فى آخر الامر أقل تطورا ونضجا وأكثر تخلفا من الفكر الغربى ، وأنه فكر محلى يعجز عن أن يخاطب الانسانية ككل . وهذه قضية ينبغى على علمائنا ومفكرينا وكتابنا التصدى لها بحيث يعملون على الكشف عن الاسس العامة للفكر الانسانى كما تتمثل فى حضارتنا ، وأن هذه الحضارة تخاطب الانسانية ككل ، وإن كانت فى خطابها تنطلق من موقف يختلف بالضرورة عن موقف الحضارة الغربية وانه إذا كانت الحضارة المصرية بكل إبعادها قد اعطت للعالم من قبل فإنها قادرة على أن تعطى فى المستقبل وطيلة الوقت عطاء كثيرا وعميقا يعبر عن روح مصر وتاريخها الطويل .

# بريسترويكا
## بين لونين من المعارضة

بقلم: عبد الرحمن شاكر



## إلى أي حد يصبح الشيوعيون ديمقراطيين ؟

**من المقرر ان يلتقي كل من ريجان وجورباتشوف في موسكو في ٢٩ مايو من هذا العام ، فهل ينجح هذا اللقاء ويدرك القطبان الكبيران انهما يقودان سفينة واحدة ؟! هذا على الاقل مايسعى اليه جورباتشوف بتاليف كتابه الذي نعرضه هنا .**
**الى اى حد يصبح الشيوعيون ديمقراطيين ؟!**




بيرستوريكا .. كتاب للمستقبل

اذا كان الزعيم السوفييتى جورباتشوف ، يقرر فى كتابه الشهير « بيريسترويكا » ، أو اعادة البناء ، انه « ليست فى بلادنا - أى الاتحاد السوفييتى - معارضة رسمية ، مما يضاعف من المسئولية الملقاة على الحزب الشيوعى السوفييتى بوصفه حزبا حاكما » .. فان الاسابيع الاخيرة قد شهدت تصاعد لونين من المعارضة لهذا الحزب ، أو للسياسة التى يتبعها سكرتيره العام جورباتشوف

أول لون من هذه المعارضة ، هو ما اعترف به الزعيم السوفييتى ذاته ، وهو معارضة « المحافظين » داخل الحزب الشيوعى السوفييتى للسياسة الاصلاحية ، التى يتبعها ويدعو اليها جورباتشوف ، ويقال أن زعيم هذه المعارضة هو « ليجاتشيف » ، الرجل الثانى فى المكتب السياسى للحزب البلشفى ، والمسئول عن المسائل النظرية فى الحزب ، ويقال انه كان وراء بعض المقالات التى نشرت فى جريدة الحزب تدعو الى اظهار مزيد من الاحترام للتاريخ السوفييتى ، والكف عن مهاجمة مرحلة حكم ستالين .. حتى لا تستغل هذه الحملات فى الدعاية الضارة للاتحاد السوفييتى ، وقيل أيضا ان جورباتشوف قد اقصى ليجاتشيف عن موقعه واستبدل به شخصية أخرى أكثر ولاء لسياسة جورباتشوف الاصلاحية التى تتناقض تماما مع سياسة ستالين ، وتحاول أن تكمل ما بداه خروشوف من تغيير فى تلك السياسة .

أما اللون الثانى من المعارضة ، فهو اللون المتطرف فى اتجاه سياسة جورباتشوف الاصلاحية ، والذى يريد حمل هذه السياسة الى مشارف الليبرالية على الطريقة الغربية ، وقد رددت الانباء اخيرا خبرا عن عدد من الشباب قرابة المائة ، اجتمعوا فى احدى الشقق بموسكو ، وقرروا انشاء حزب معارض للحزب البلشفى ، تحت اسم « الاتحاد الديمقراطى » ، يدعو الى السماح بتعدد الاحزاب على الطريقة الغربية ، واطلاق حرية اصدار الصحف ، ويحرر هؤلاء بالفعل نشرة خاصة يطلقون عليها اسم (جلاسنوست) .. وهى ذات الشعار الذى اطلقه جورباتشوف ، ويعنى به العلنية ، وحرية النقد والتعبير ، وأصبحت هذه اللفظة ، هى وقرينتها (بيريسترويكا) ، التى تعنى اعادة البناء ، على سياسة جورباتشوف الجديدة ، التى يعتبرها هو فى كتابه المذكور ، بمثابة ثورة جديدة ، تكمل ما بدأته ثورة اكتوبر .

أما هذه الجماعة الجديدة المعارضة .. التى تسمت باسم الاتحاد الديمقراطى ، فيقال ان عددا من افرادها قد القى القبض عليهم فى محاولة لمصادرة حركتهم ، ولكن لم

# بيريسترويكا

## بين لونين من المعارضة

يلحق بهم نكال شديد كالذى كان يمكن أن يحدث لهم فى السابق . ويقال ان من بينهم بعض المنشقين . وربما يكونون من اليهود الداعين لاطلاق حرية الهجرة من الاتحاد السوفييتى لابناء عقيدتهم . وحرية نشر الدعاية الصهيونية بينهم ! على أن جورباتشوف فى وصفه لسياسته الجديدة . التى تقوم على توطيد الديمقراطية فى الاتحاد السوفييتى . لم يصل فى ديمقراطيته بعد الى اقرار حرية قيام احزاب اخرى خلاف الحزب البلشفى . او الدعوة الى نظام اقتصادى اخر خلاف النظام الاشتراكى . وانما يدعو الى المناقشة الحرة . والسماح بالنقد على جميع المستويات . والمرونة الاقتصادية بما فى ذلك السماح ببعض وجوه النشاط الاقتصادى للقطاع الخاص . مع الاحتفاظ بالسلطة فى « ايديها » . اى ايدى الحزب الشيوعى الذى يشغل هو موقع سكرتيره العام . وكذلك بالصناعات الرئيسية . ويعتبر ان الاحتفاظ بهذين العنصرين . السلطة والصناعات الكبرى . هما ضمانة أن لا تتحول البيريسترويكا . أو اعادة البناء . الى هدم لاسس النظام الاشتراكى . كما يتهمها معارضو تلك السياسة من المحافظين !

● **السفينة الواحدة :**

لقد الف جورباتشوف كتابه هذا . وسمح لبعض الناشرين الامريكيين بطباعته بالانجليزية ليكون بمثابة رسالة الى العالم كله . وكتب فى عنوانه « التفكير الجديد لبلادنا والعالم اجمع » . والعالم الذى يقصده هو عالم الغرب . والولايات المتحدة الامريكية على وجه التحديد باعتبارها القوة العظمى الاخرى فى هذا العالم بازاء الاتحاد السوفييتى . والتفكير الذى يريد ان ينقله الى « الاخرين » هو ان الاتحاد السوفييتى . والحزب البلشفى الذى يحكم بقيادة جورباتشوف .. يعتبران ان انقاذ البشرية من خطر الحرب النووية بين المعسكرين . هى المهمة التى تفوق كل ما عداها . وأن الغرب والشرق معا . والمعسكرين الاشتراكى والرأسمالى جميعا . هما شركاء قارب واحد . لو غرق هذا القارب فسوف يغرق بالجميع . فالحرب النووية . خلافا لكل الحروب السابقة . لن يكون فيها غالب ولا مغلوب . بل الحضارة الانسانية كلها سوف تذهب . يريد جورباتشوف ان يقول للغرب بصريح العبارة انه لا يهمه أن يسود مذهبه العالم . بقدر ما يهمه انقاذ هذا العالم من خطر الدمار . وانه قد آن للبشرية كلها أن تعى هذه الحقيقة . وتعى ايضا ان الخلافات المذهبية تأتى فى الرتبة الثانية من الاهمية . وأن نشوء النظم الاجتماعية المختلفة . كان وليد الظروف الخاصة بكل بلد . او مجموعة من البلدان تشكل احد المعسكرين القائمين . وأن على الجميع ان يعترفوا بحق كل بلد فى اختيار نظامه السياسى والاقتصادى طبقا لظروفه . ولا يحاول فرض نظامه الخاص . وأن الاتحاد السوفييتى من جانبه يعترف بالانجازات الضخمة للنظام الرأسمالى فى الولايات المتحدة مثلا . واسهام هذا البلد فى الحضارة العالمية . ولا يطلب لبلاده الا اعترافا

مماثلا ، بحيث يكف الساسة الامريكيون عن وصفها بأنها « امبراطورية للشر » ، وأن الطريق الذى اختارته رغم جميع المآخذ عليه ، وهنا يقول جورباتشوف « ان السوفييت قد نقدوا أنفسهم بأكثر مما فعلت أية قوة أخرى معادية او مخالفة لهم — يقول ان هـذا الطريق — رغم جميع عيوبه التى يحـاولون حاليا التخلص منها — كان وسيلتهم — بما فى ذلك المرحلة الستالينية — الى التقدم الاقتصادى والصناعى والعلمى ، حتى وصلوا الى مصاف احدى القوتين العظميين فى العالم ·

ومادامت المهمـــة الرئيسـية فى بيريسترويكا جورباتشوف ، هى انقاذ البشرية من خطر الحرب النووية ، فلم تعد « الطبقة » التى يتوجه اليهـــا بندائه السياسى هى الطبقة العاملة ، أو البروليتاريا العالمية ، على غـرار ما فعل كـارل ماركس فى البيـــان الشيوعى الذى أنهاه بعبارة « ياعمال العالم اتحدوا » ، وانما يتوجه بخطابه الى طبقة أخرى عالمية ، هى طبقـــة « الانتلجنسيا » ، أو المثقفين والعلماء فى مختلف المجتمعات ، ويرى أن عليهم قيادة فكر العالم وسياسته للنجاة من الخطر النووى ، وأشاد ببعض الجهود السياسية التى بدرت بالفعل من أفراد من هذه الطبقة من مختلف البلدان ، بمن فيهم الاطباء الامريكان والسوفييت الذين كانت لهم مبادرات محفوظة فى هذا الميدان ، ويرى أن مسئولية هذه الطبقة تجاوز الخلافات المذهبية ، وما تنطوى عليه من احتمالات الصـدام والصراع ، وبالتالى خطـــر الدمار الشامل ، الى التعاون الدولى الوثيق فى مواجهة المشاكل الحادة التى تواجه الحياة الانسـانية فى مجموعهـــا ، كالامراض المستعصية ، وتلوث البيئة ونقص الموارد الاقتصادية ، والفقـــر المدقع الــذى تتعرض له المجتمعـات المتخلفـــة اقتصـــاديا · ولا ينسى جورباتشوف فى كتابه ان يذكر الغرب والولايات المتحدة الامريكية بالذات ، بأن العالم يشهد تحولا تاريخيا ليس فى صـــالح القــوتين العظميين ولا المعسكرين التابعين لهما ، فيقول عن الشرق الاقصى انه « من المرجح أن ينتقل مركز السياسة العالمية الى هذه المنطقة فى القرن القادم » ، وواضح انه يشير بذلك الى القــوة الاقتصــادية المتعاظمة لليابان ، التى تسير حثيثا فى اتجاه أن تصبح هى القوة الاولى فى هذا المضمار ، « وتوابعها » من « العمالقة الصـــغار » مثل كوريا وتايوان ، واحتمال غير بعيد ان تجد صيغة للتعاون بينها وبين الصين ، فى سياستها الانفتاحية الجـديدة ، تساعد على تركيز القوة الاقتصـادية والتكنولوجية فى هـــذه المنطقة من العالم ، الشرق الاقصى ، فى الوقت الذى يستنزف فيه الاتحــــاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، مواردهما الاقتصادية فى سباق التسلح المحموم ، الذى لا ينتج غيـــر احتمـــــال الدمار الشامل ، ويغير هذا الاحتمال فهو خسارة محققة ، لدافع الضرائب الامريكى ، والمستفيد الوحيد منه هم مجموعة محدودة من الاحتـــكاريين تجار السـلاح وأتباعهم من العسكريين

## ● الهرب من الزيلة :

ولا يخفى جورباتشوف أن الاتحاد السوفييتى له مصلحة أولى حاسمة فى وقف سباق التسلح ، الذى يمثل عبئا باهظا على موارده الاقتصادية ، ويصرح فى أكثر من موضع بأن الغرب والساسة الامريكيين بالذات ، كـانوا يتعمدون توريط الاتحـــاد السوفييتى اكثر فأكثر فى نفقات الاسلحة المتطورة لكى يزداد تخلفا عنهم فى المضـــمار

# بيريسترويكا

## بين لونين من المعارضة

الاقتصادى ، ويتمنون أن يصل الى حد الانهيار ، وانهم بدأوا يرجئون عن القاء الاتحاد السوفييتي فى مزبلة للتاريخ !

ذلك أن الغرب قد نجح فى تحقيق الثورة التكنولوجية ، على نحو لم يصل اليه الاتحاد السوفييتى الذى انطلق فى نموه الاقتصادى من مواقع أكثر تخلفا عن الدول الصناعية فى الغرب بكثير ، والقت عليه الحروب المتلاحقة اعباء كبيرة حالت دون أن يحقق تقدما يذكر فى غير الصناعات العسكرية لاغراض الدفاع ، بينما لا يزال أمامه الكثير فى ميدان الصناعات المدنية ، وقد حاول الاستفادة من التكنولوجيا المتطورة فى الغرب ، ولكن جورباتشوف يصرح فى كتابه بأن الغرب كان ضنينا عليه بهذه المعرفة ، وأن على السوفييت أن يكتشفوا طريقهم بأنفسهم ، لانجاز الثورة التكنولوجية فى بلادهم وتحقيق النهوض الاقتصادى على أساسها .

وهذا يقود الاتحاد السوفييتى الى ضرورة تعديل الكثير من أوضاعه ، بما فى ذلك ادخال علاقات السوق الى حياته الاقتصادية ، ولا يتردد جورباتشوف فى الاعتراف بالعيوب الكثيرة التى تفاقمت فى الاوضاع الاقتصادية فى بلاده وخاصة فى ظل الاستبداد ، وسياسة القمع والاوامر السلطوية ، وقد وصل فى نقد تلك الاوضاع الى التسليم بالكثير مما كان يردده خصوم الاشتراكية ، على الصورة التى طبقت بها فى الاتحاد السوفييتى وغيره من دول العالم ، من سيادة روح التظاهر والتواكل ، والتكالب على المصالح الشخصية تحت ستار من الجعجعة بالشعارات الطنانة ، واهدار المال العام حتى ليبدو وكأنه لا صاحب له ! والتسوية بين الذين يعملون والذين لا يعملون ، فضلا عن تفشى عوامل الفساد والرشوة التى هى ظواهر مصاحبة لتسلط البيروقراطية وامساكها بدفة الامور فى كل شيء . الامر الذى يقتضى الخلاص منه فى نظرية جورباتشوف عن اعادة البناء اعمال الديموقراطية على أوسع نطاق من اجل كشف العيوب ، والمناقشة الحرة للوصول الى القرار السليم ، وفى هذا الصدد يقترح أن تسترد السوفيتات مكانتها بعد أن صارت فى مجالس شكلية تتولى لجان الحزب اتخاذ القرارات نيابة عنها ، كما تتخذها أيضا نيابة عن الادارات الاقتصادية فى المؤسسات الانتاجية ، وبالنسبة لهذه الاخيرة يطالب جورباتشوف بأن تطبق فيها سياسة التسيير الذاتى ، وأن يكون لجموع القوى العاملة داخلها الحق فى اتخاذ القرارات بشكل ديموقراطى بما فى ذلك اختيار الادارة ، لان هذه المؤسسات بدورها سوف تصبح مسئولة عن نتائج أعمالها سواء كانت ربحا أو خسارة ، فلن يقبل منها أحد بعد الان أن تنتج سلعا لا يريدها أحد لكى توضع فى المخازن ، ولن تتحمل الدولة السوفييتية بعد الان مسئولية الفاشلين فى انتاجهم ، ولا تعويضهم عن خسائرهم ، بل عليهم أن يعملوا ويحصلوا على ثمرة عملهم ، وفى مرحلة مقبلة سوف لا تتردد الدولة فى اذكاء روح المنافسة ما بين المؤسسات

الاقتصادية المختلفة من خلال طلبات الادارة الحكومية ، توصلا الى ارفع مستوى من الاداء الاقتصادى والكفاءة الانتاجية .

### فلسفة جديدة :

ولا ينسى جورباتشوف فى شرحه لابعاد فلسفته الجديدة فى اعادة البناء أن يشير الى بعض القضايا الاجتماعية ، التى كانت تؤخذ باعتبارها قضايا مسلمة ، مثل المساواة بين الرجل والمرأة فى كل شىء ، حقا لقد اثبتت المرأة السوفييتية انها قادرة على القيام بكافة الأعباء العملية التى يقوم بها الرجال ، بما فى ذلك الاعمال البدنية الشاقة ولكن الظروف التاريخية للاتحاد السوفييتى ، وخاصة الحرب العالمية الثانية قد وضعت الاتحاد السوفييتى ونساءه فى تجربة دقيقة ، حيث مات كثير من الرجال فى الجبهة واعتادت السلطات أن تكلل الى النساء القيام باعمال المفقودين من الرجال ، وكان لذلك اثره على وضع المرأة باعتبارها ربة بيت مسئولة عن رعاية أولادها ، مما انعكس على تربية النشء بصورة سلبية ، وأدى الى نوع من تفكك الاسرة ، وتفشى الادمان على السكر والمخدرات بين الشباب ، مما يستوجب اعفاء المرأة من كثير من أعباء العمل لكى تسترد الاسرة السوفييتية تماسكها .

ويمكن أن يدخل فى مضمار القضايا الاجتماعية والانسانية ، ما أشار اليه جورباتشوف من تعقد المسألة القومية فى بلاده التى تتشكل من قوميات متعددة وقد ادت الثورة البلشفية الى اعطاء القوميات حقوقا متساوية ، وعملت على احياء التراث الثقافى لها ، ولكن ذلك كما يقرر جورباتشوف قد فتح الباب لاشكال مستحدثة من التطرف القومى ( انظر الهلال عدد ابريل الفائت ) ، بما فى ذلك التساؤل عن مدى استعمال اللغة القومية فى المعاملات ، ويضطر جورباتشوف الى أن يضرب المثل بالولايات المتحدة الامريكية ، وكيف أن شعبها يتكون من ابناء جنسيات مختلفة ، ومع ذلك فهم يقبلون جميعا أن يتكلموا بالانجليزية لغة « الاقلية الكبرى » هناك ، ولكن جورباتشوف ينس أن الذين نزحوا الى الولايات المتحدة قد اختاروا هذا الرحيل والمشاركة فى بناء هذا المجتمع المشترك المتعدد الاصول القومية .

أما الاتحاد السوفييتى فكان امبراطورية يحكمها الروس ، وأبناء القوميات الاخرى هناك لم يكن لهم يد فى اختيار هذا الوضع الذى فرض عليهم ، ولكنهم يجدون انفسهم مضطرين الى استعمال اللغة الروسية باعتبارها لغة الاتحاد ، وبعضهم يفكر فى الانفصال كما حدث فى دويلات البلطيق التى « استردها » الاتحاد السوفييتى بعد الحرب العالمية الثانية ، غير أن سريان مثل هذا التفكير ، وان كان الدستور السوفييتى يقره نظريا ، فان المصالح الاستراتيجية والاقتصادية ، ليس للاتحاد السوفييتى وحده بل للمعسكر الاشتراكى بأسره تجعل « حق الانفصال » هذا حديث خرافة ، وغير بعيد أن تجد السلطات السوفييتية نفسها مجبرة بين الحين والاخر على استعمال أدوات القمع فى فرض وحدة البلدان السوفييتية والاشتراكية حتى ولو كان جورباتشوف فى نظريته عن اعادة البناء يتمنى أن تستقر هذه الوحدة من خلال الاقتناع الانسانى والممارسة الديموقراطية ، فى حدود الالتزام « بالوطن الاشتراكى » والايمان به ، وهذا اقصى ما تعد به حتى الان « البيريسترويكا » !

# قضايا حيوية

# حول الحروب والأسويات الفكرية

بقلم: د. محمود عبد الفضيل



حسنا فعل الأستاذ طارق البشرى عندما طرح علينا ملاحظاته الثاقبة حول « أساليب الصراع الفكرى » فى تلك اللحظة الحرجة من تاريخ تطور مجتمعنا ( راجع : مجلة الهلال ، عددى مارس ومايو ١٩٨٨ ) ، فقد رصد بحق عددا من الظواهر السلبية التى تحيط بجو الصراع الفكرى والسياسى الدائر فى بلادنا ، لتحرفه عن مساراته الأساسية وتفتت من جهد وطاقة الجماعات السياسية المتصارعة وتغرقه فى دوامات لا تقود بالضرورة الى نهضة أو تقدم

وإذا كنا نتفق مع الكاتب على أن قائمة رصد المشكلات التى يواجهها المجتمع المصرى فى اللحظة الراهنة هى قائمة تكاد تكون سليمة ومتفق عليها من جانب القوى المختلفة المتصارعة ، فإننا نختلف معه حول أن تكون قائمة رصد الحلول هى الأخرى سليمة وموضوع اتفاق عام .. وإن المشكلة انما تكمن فى مجرد توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين . فكل من يعايش عملية الصراع الفكرى والسياسى التى تدور رحاها هذه الأيام .. يعلم أن هناك خلافا حادا ومشتعلا حول تشخيص قائمة الحلول المقترحة للمشاكل القائمة . ولذا فإن أبعاد الأزمة الراهنة ..

تتجاوز بكثير مجرد توصيل الخيوط بين بنود القائمتين ، إذ أن جزءا هاما من عملية الصراع الفكرى والسياسى تتمحور تحديدا حول الاختلاف فى مناهج الحل لمشكلات المجتمع المصرى .

وهذا يزيد من خطورة الأمر ويزيد من حجم الصعوبات والتحديات التى تواجه أساليب إدارة الصراع الفكرى فى مجتمعنا .. بما تحمله من مخاطر تبديد طاقاته فى حروب فكرية ضروس لا تفضى سوى إلى مزيد من التطرف والخندقة الفكرية ، وتغليب التناقضات الثانوية على التناقضات الأساسية . ولذا نجد الكاتب يؤكد على أن جهود « التسوية الفكرية » المطلوبة تقتضى « جهدا فكريا ينزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة الشاغلة للساحة الجماهيرية » . ولكننا يجب أن نحذر منذ البداية بأن عملية « نزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة » ليست عملية جراحية بسيطة بل معقدة ، لأن « خواص التنافى » ليست مشتقة من ساحة الفكر .. بل هى موجودة ، وبشكل أساسى ، فى الواقع المعاش وتفرزها تناقضاته وطبيعة تطوراته .

القضية المطروحة إذن هامة وخطيرة ، ويجب أن تأخذ حقها من المناقشة والتأمل فى ظل حالة التناحر الفكرى والشرذمة السياسية التى يعيشها مجتمعنا .. فى لحظة تتعاظم فيها التحديات وتتدنى فيها مستويات الاستجابة لتلك التحديات .. وتدلهم فيها عناصر الأزمة .

وإذا كنا بصدد الحديث عن التسويات الفكرية وفتح الحدود الفكرية بين التيارات الفكرية والسياسية المتصارعة على الساحة المصرية ، دعونا نتساءل من ذا الذى يبادر باغلاق الحدود الفكرية واغلاق باب الاجتهاد والحوار؟ فى تقديرى ـ ولعلى لا أكون مغاليا فى ذلك ـ أنهم ممثلو تيار « الاسلام السياسى » ومن يشايعه . فلقد شهدنا خلال السنوات الأخيرة تراجعا واضحا فى روح التسامح الفكرى والمذهبى من جانب ممثلى هذا التيار ، فعلى سبيل المثال ، نجد أن أحد أبرز ممثلى حركة الاخوان المسلمين فى ثوبها الجديد ، الأستاذ « مصطفى مشهور » يجيب على تساؤل البعض :

هل يقصد الاخوان بدخول مجلس الشعب مجرد المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية والعمل على اكتساب أكبر عدد من الأصوات للموافقة على التطبيق ؟

نجده يجيب على هذا التساؤل الهام بقوله :

« لا فشريعة الله لايجوز ، بل لا يحل لنا أن نعرضها ليؤخذ عليها رأى البشر أيا كانوا بالموافقة ، أو عدم الموافقة ، إن

شريعة الله نزلت لتطبق وليلتزم بها المسلمون طاعة وعبادة الله ، ومن يرفضها ويعتقد أنها لا تصلح يعتبر مرتدا إن كان مسلما ويستتاب ، وإن لم يتب يقام عليه حد الردة » ( راجع : جريدة الشعب ، العدد ٢٨٢ الصادر بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٧٨ ) . وتلك لهجة تغلق الحدود الفكرية بين التيارات المختلفة خصوصا إذا ما قورنت بكتابات إسلامية أصولية تتسم بروح الاجتهاد والحوار والانفتاح مثل كتابات الامام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار ، باعتبارها مجلة تهتم بشئون المجتمع والعمران .. حيث كان الاهتمام ينصب على أساسيات الأمور وليس سفاسف الأمور وصغائرها . ولعل المتصفح لها اليوم يعجب لتقدمها في طرح قضايا عصرية محلية وعالمية وكونية برؤية رحبة تتضاءل بجوارها ما تحويه العديد من الدوريات والاصدارات الاسلامية الجديدة فى مصر اليوم .

وفى الوقت الذى يفتتن فيه بعض عناصر وفصائل التيار الاسلامى بقوتهم فيغلقون الحدود الفكرية ويلوحون بتطبيق « حد الردة » على كل من يخالفهم فى الرأى والاجتهاد ، نجد أن المفكرين الاسلاميين الذين يدعون للحوار والأخذ بأسلوب « التسويات الفكرية » هم أصحاب الصوت الأكثر خفوتا فى الشارع الاسلامى . ومن هذا الاتجاه نجد مفكرا إسلاميا بارزا مثل الدكتور أحمد كمال أبو المجد يؤكد على « أن إقامة أحكام الاسلام فى عصرنا تحتاج الى اجتهاد عقلي كبير ، وللعقل سبيل إلى ذلك لا يسع عاقلا إنكاره ، فالنصوص ـ قرآنا وسنة ـ محددة متناهية ، والحوادث متجددة غير متناهية .. وحركة الزمن سنة من سنن الله ، وحركة التشريع علاقات تلك الحركة أمر من امر الله » (راجع : « د . كمال أبو المجد ، حوار لا مواجهة ، كتاب العربى ، إبريل ١٩٨٥ ، ص ٤١ ) .

إننا لا نريد أن نستخلص من ذلك أن التيار الاسلامى هو التيار الوحيد الذى يمارس عملية غلق « الحدود الفكرية » .. فهناك ممارسات فى هذا الاتجاه من جانب القوى الأخرى ، ولكن عندما يستخدم الدين من جانب إحدى القوى السياسية كـأداة لتكفير الخصـوم السيـاسيين ومصادرة الحوار باسم عدم « الشرعية الدينية » تكون المسألة اكثر خطورة ، ومستقبل « التسويات الفكرية » المطلوبة اكثر إظلاما .

● أزمة المجتمع المدنى



ليس هناك من شك فى ان المجتمع المصرى عموما والمجتمع المدنى بصفة خاصة يمر بأزمة حادة ، هى أزمة « وجدانية » بالدرجة الأولى . ولقد تحدث البعض عن « صحوة المجتمع المدنى » خلال السنوات الأخيرة كظاهرة صحية . ولكن فاتهم ان تلك « الصحوة » هى صحوة مأزومة تحوى فى طياتها روح الفرقة والتشقق ... ويضيـع فـى خضم الصـراعـات والمقارعات الخط الرئيسى للنهوض والتقدم ، الذى يجمع شتات الأمة ويضم قواها الاجتماعية والسياسية

الحية . فمازلنا حتى اليوم ـ وبعد مرور أكثر من عشرين عاما ـ نلعق جراح هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وتستخدم واقعة تلك « الهزيمة » كأداة لمصادرة المستقبل بجريرة الماضي ، ولاسيما من جانب القوى « الليبرالية الجديدة » ، وعلى رأسها حزب الوفد الجديد ، تلك القوى التي تسعى للثأر من ثورة ٢٣ يوليو في الجبهة الاجتماعية والاقتصادية تحت ستار كثيف من الدخان يتعلق بمثالبها في الجبهة السياسية والديمقراطية .

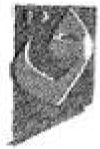
ولذا فإننا لا نغالي ، كثيرا إذا قلنا أن السنوات الأخيرة قد شهدت نوعا من إندلاع الحرب الأهلية الفكرية في مصر ، حيث ازدادت عمليات الخندقة الفكرية والانغلاق المذهبي .. وتآكلت « المساحات الوسطية » التي كانت تسمح بالتأليف بين القلوب والأفكار والعمل السياسي الفاعل . فلم يعد يهتم كل فريق « متصارع » بمعايشة وفهم المنطق الداخلي للرأي المخالف ... بل جرت العادة الذميمة على تشويه منطلقات الرأي الآخر ومناقشتها بأسلوب « كاريكاتيري » مبتسر .

وليس هناك من شك أن قوى خارجية ( إقليمية وعالمية ) تلعب دورا هاما ونشطا في تأجيج نيران الصراعات الجانبية ... وسكب الزيت على نيران الصراعات القائمة في المجتمع المصري إذ إن العديد من مؤسسات « المجتمع المدني » القائم لم تنج من شبهة الاختراق خلال السنوات الأخيرة ، وهذا يؤثر بدوره على أسلوب إدارة الصراع الفكري في مجتمعنا ... ويعطي دورا أكبر لما أسماه طارق البشري « رجال الأمن الفكري » الذين « يجوبون خلال الديار مفتشين عن كل ما يتعاطف مع الطرف الآخر فيقصونه ، دعما وتأكيدا للمفاصلة الفكرية والقطيعة بين الأطراف المتصارعة » . وهؤلاء هم في واقع الأمر ليسوا رجال « أمن » .. بل رجال « تخريب » و « تأليب » ... يدفعون البلاد نحو « فتنة كبرى » .. لايعرف منتهاها .

ولقد تزايدت عمليات بناء التحصينات والسدود من جانب كل فريق حول موقعه الفكري ، وإحاطته المعتقدات الفكرية والسياسية بجو من الأسطورية والمثيولوجيا يضفي عليها « قداسة مصطنعة » .. يؤثر بلا شك على نمط الجدل الفكري والسياسي ، ويقود فقط إلى نوع من « المراوغة الفكرية » .. وتلك ظاهرة لها جذور محددة في حياتنا وتراثنا الفكري .. حيث هناك نزعة ( فض التأليف الجدلي بين الأشياء والأفكار .. ووأد روح الشك المنهجي في مجال البرهنة على المقولات والأفكار .

ولعل طارق البشري قد وضع أصبعه على آفة هامة من آفات الصراع الفكري في بلادنا ألا وهي إدارة الصراع الفكري بين الأطراف المختلفة على مستوى العموميات والمقولات المجردة ، دون محاولة الاقتراب من الظروف الواقعية الملموسة لتطبيق تلك الأفكار . فقلما يحفل أي من الأطراف المتصارعة « بجرد المحتويات التطبيقية لكل فكرة نظرية وبيان المفاد الواقعي لكل فكرة مجردة » ، أو رد كل فكرة إلى عناصرها التطبيقية .

إذ إن استمرار الصراع عند مستوى العموميات والمقولات المجردة ، بغض النظر عن المحتوى التطبيقي لتلك



المقولات ، يؤدى إلى مزيد من الاظلام والضباب الفكرى ، ويساعد على خلق نوع من « اليقين الزائف » لدى أنصار هذا التيار الفكرى أو ذاك .... الأمر الذى يتعثر معه فتح الحدود الفكرية بين التيارات المختلفة المتصارعة . ولعلنا لانغالى كثيرا إذا قلنا أن المنطقة العربية كلها قد دفعت ثمنا باهظا لادارة الصراع الفكرى بين التيارات المختلفة على مستوى « الشعارات » دون السعى لتفصيل كيف يمكن تشغيل وتطبيق تلك الشعارات فى الواقع فعندما يتم الوصول الى السلطة ، ويواجه أصحاب هذا التيار أو ذاك تضاريس الواقع وجها لوجه .... تضطرب الافكار والشعارات وتترنح ... بل تتهاوى ، ليحل محلها أسلوب « التجربة والخطأ » بما يجره على الشعوب من ويلات وكوارث ونكبات .

ولعل المثلب الثانى المشتق من أسلوب إدارة الصراعات الفكرية حول قضايا مصيرية على مستوى « الشعارات العمومية » هو الارتكان للكسل الفكرى وضعف روح الاجتهاد والتجديد والابتكار ، فعندما ترفع بعض القوى السياسية شعار « الاسلام هو الحل » أو « القطاع الخاص هو الحل » أو « الاشتراكية هى الحل » ، يظل المحتوى البرنامجى لتلك الشعارات غامضا ومطاطا .... و فى غياب الاجتهاد والتجديد الفكرى يتم الاكتفاء على تجارب وتراث « السلف الصالح » ، أو النهل من « تجارب الغير » .

إن هذا النهج السلفى فى إعطاء مضمون للشعارات المرفوعة من جانب القوى السياسية ، هو نهج عام يكاد يطغى على الخطاب السياسى لكافة القوى السياسية فى اللحظة الراهنة .

فالذين يرفعون شعار « الدولة الاسلامية » لا تصدر عنهم اجتهادات واضحة بخصوص واقع ومشاكل المسلمين اليوم ، بل يبحثون فى خزانة الفقه القديم لكى يردوا على التحديات التى يفرزها الواقع المعاصر . والذين يرفعون الشعارات الليبرالية اليوم لا يجدون خير برهان أو دليل على صحتها وجدواها سوى الحديث عن أمجاد ثورة ١٩١٩ وكرامات مصطفى النحاس والسلبيات الديمقراطية لتجربة ثورة يوليو .. دون التصدى لمشاكل تشغيل « النموذج الليبرالى » فى ظل تضاريس الواقع الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى فى الثمانينيات . فعلى سبيل المثال ، كيف يتم التعامل « الليبرالى » مع مشاكل القطاع العام ، وكيف يتحدد دور القوات المسلحة فى إطار نظام حكم « ليبرالى » . وماذا أعدت الدولة « الليبرالية » لحل مشاكل الحياة للطبقات الفقيرة ومحدودة الدخل ؟ "

كذلك نجد أنصار الفكر الناصرى يعيشون ، فى معظم الأحوال ، على اجترار منجزات الفترة الناصرية ، دون بذل الجهد اللازم لما يمكن أن يقدمه الفكر الناصرى اليوم بعد أن تدفقت مياه كثيرة فى النهر وبالمثل نجد لدى

انصار الفكر الاشتراكي ارتكانا مبالغا فيه الى حصيلة التجارب السابقة لبناء الاشتراكية فى بلدان أخرى وفي ظروف تاريخية مغايرة ، دون محاولة استخلاص الدروس المستفادة من مشاكل وعثرات بناء الاشتراكية في مصر وغيرها في البلدان .. كذلك نلمس نوعا من الاستخفاف بالتحديات التي يواجهها الفكر الاشتراكي في مجتمع تشوهت فيه قيم ومبادىء الاشتراكية بفعل الدعايات المختلفة ، من جانب وبفعل الظروف الموضوعية التي افرزتها الحقبة النفطية وما صاحبها من هجرة وبترو - دولارات ، من ناحية اخرى . فلم يعد هذا الفكر فكرا خالصا نقيا كما كان الحال فى العشرينيات والاربعينيات ... بل غدا فكرا معاشا مجربا ، بما له وما عليه من تبعات .

ولهذا فإن ازمة الصراع الفكرى الدائر الآن على جبهة الثقافة والسياسة والاقتصاد في مجتمعنا تعود الى انه حوار لايحتكم الى « الواقع المعاش »

.. بل إلى « النصوص » . وهذا يقود الى منزلق هام للفكر السياسي والاجتماعي فى بلادنا ، يتمثل فى ربط الأفكار والمقولات بظرف تاريخي زماني او مكاني قد لا يتكرر . وهكذا يدخل الصراع الفكرى والصراع السياسى عموما فى مأزق يصعب الخروج منه ، لان الحوار السياسى يصبح اشبه « بحوار الطرشان » . ومادام الاحتكام هو إلى النصوص وليس الى الواقع ، فسرعان ما تزداد الفرقة الفكرية والتشرذم السياسى ، حيث يتم الخلط بين الأصول والفروع والأساسى والثانوى والعاجل والمؤجل .

ولعل الانقسامات الداخلية الحادة التى تعيشها التيارات الاسلامية والناصرية واليسارية هى خير دليل على حالة التشرذم الفكرى هذه ، إذ تعكس « الذاتية الفكرية » لكل فريق أو فصيل نفسها فى شكل تمايزات تنظيمية وسياسية . وهى « ذاتية » وليدة العزلة وضعف الممارسة الاجتماعية .. فعندما يختل « الميزان السياسي » يختل « الميزان الفكرى » .. وليس العكس كما يعتقد البعض . إذ إن « الميزان الفكرى » ليس ميزانا معلقا فى الهواء .. بل لابد له من أن يلامس تضاريس الواقع ، وإلا أصبح دليلا ونبراسا لحلقة صوفية .. وليس دليل عمل ونهضة لحركة سياسية فاعلة .

وإذا كان هناك حراس « للحدود الفكرية » .. فهناك أيضا أصحاب « للدكاكين الفكرية » ، المولعون بلعبة التمايز والذاتية الفكرية والشرذمة السياسية ، ويدفعون الصراعات الى المسارات الجانبية بعيدا عن الطريق العمومى للنهضة .. حتى ينتهى الأمر بافلاس لكافة الدكاكين ( المشهرة وغير المشهرة ) ... وإفلاس الحياة السياسية والديمقراطية .

● « الكتلة التاريخية »
ومشروع النهضة الوطنية

ينعى طارق البشرى فى دراسته حالة التشتت والتجزؤ التى تعيشها البلاد فى تلك الفترة الحرجة من تاريخها ... وخطورة خلق وحدات كفاح جزئية تؤدى إلى تشتيت التجمع الكفاحى العام . ولكنه

يعود ليؤكد فى الجزء الأول من الدراسة : « أنه من الخطأ أو من عدم الدقة أن نتصور أن هذا الشاغل الذى يشغلنا يتعلق بما يسميه البعض « الجبهة السياسية » .. إنه أهم من ذلك وأخطر ، لأن يتعلق بتوثيق عرى التماسك فى بنيان الأمة ، إنه يتعلق برتق الفتوق فى قماش الأمة لتقوى أشرعتها فى مواجهة الرياح .. إنه يتعلق بتكوين التيار السياسى الحضارى الغالب فى أمتنا » .

ولعل الكاتب هنا يتحفظ على صيغة « الجبهة » باعتبارها تركيبة كيميائية ، بين عناصر شتى ، لا ترقى لمستوى التحديات التى يمكن أن تتعامل معها الحركة الواحدة الجامعة ، مثلما كان الحال مع الوفد فى لحظة هامة من تاريخ الكفاح والجهاد الوطنى . ولكن الدعوة الى الحركة الواحدة الجامعة فى المجتمع المصرى اليوم تحمل فى طياتها العديد من المحاذير ، لعل اهمها طمس التمايزات الفكرية والسياسية للقوى المختلفة لحساب ما يسمى « بالتيار الغالب » . ومن ناحية أخرى ، فنحن نعتقد أن المجتمع المصرى قد قطع شوطا طويلا فى مجال التمايز الطبقى والاجتماعى والأيديولوجى منذ العشرينيات ، لدرجة يصعب معها الحديث عن تلك الحركة الواحدة الجامعة .. دون أن ينطوى ذلك على درجة ما من درجات القسر والقهر .. وفرض سيطرة وهيمنة إحدى القوى ـ التى تدعى لنفسها الغلبة ـ على بقية التيارات الفاعلة فى المجتمع .

ولكن قضية بناء الجبهة بين القوى السياسية المختلفة الساعية للنهضة والتقدم ليست بالأمر اليسير ، فرغم التمايزات الفكرية واختلاف مناهج الحل .. يمكن البحث دوما عن مساحة للاتفاق حول رؤية استراتيجية محددة لمهام التحرر والبناء المنوطة بمرحلة معينة ، بحيث تتوحد القوى ـ رغم تمايزاتها ـ حول برنامج عام لا تشوبه شبهة التحالف التكتيكى المؤقت الذى تحكم اعتبارات آنية .. إذ انه رغم اختلاف المنطلقات العقائدية والرؤى السياسية هناك قضايا ملحة على جدول أعمال المستقبل مثل : التنمية المستقلة ، حل مشكلة الديون الخارجية ، تحقيق العدل الاجتماعى ، التصدى للمخططات الصهيونية .

إن القضية المطروحة اليوم وبالحاح على جبهة الفكر والسياسة الوطنية هى تجميع تلك القوى التى يمكن أن تشكل نقطة التقاء بين برامج قوى عديدة . تلك « الكتلة التاريخية » من القوى الوطنية والديمقراطية التى تقف على أرض التراث وتتعامل معه بالفة وحب ... وتنهل منه بلا حدود ـ ولكن دون أن تحبس نفسها فى قوالب « فكر الاسلام السياسى » وحده ، متجاوزة بذلك الصراع بين « الموروث والوافد » . فى إطار ثقافة وطنية خلاقة متطورة .. تتفاعل مع معطيات وحركة الواقع المعاصر .. بلا جمود وبلا تغريب .

قضايا حيوية

# الحضارة الجديدة

## حضارة التنوع والتميز

بقلم: حافظ أحمد أمين

**عندما تكون احدى قدمينا فى الماضى والاخرى فى المستقبل ، وتكون الفجوة بين القدمين شديدة العمق والاتساع ، نشعر فى اعماقنا بالخوف والاضطراب ، ويكثر عدد المسكين بالماضى والمتعصبين لتقاليد الاجداد خشية عدم القدرة على اتمام الوثبة .. لهذا فان الكتابات التى تضىء لنا هذه الفجوة ، كتابات ذات نفع كبير ، والفنون التى تمدنا بالقوة والشجاعة لنجاح الوثبة ، فنون تستحق الاحترام والتقدير .**



فى هذا العصر ذى التغيرات العنيفة والسريعة ، علينا أن نتعلم معنى « التخطيط المرن » ، وكيفية حل المعادلات متعددة المجاهيل ، ذلك اذا اردنا ان نجمع بين النظرة العلمية للامور ، والمرونة اللازمة لمواجهة التغير المستمر .

كذلك علينا ، فى عصرنا هذا ، ان نتعايش مع الامور غير المؤكدة ، وان نصادق التوقعات غير المنظورة ، حتى لا نهلع أو نجزع من المفاجآت .

ولعل من أهم مظاهر الحكمة فى أيامنا هذه ، أن ندرك أيضا أن نمط الحياة الذى يؤدى الى نجاح هذا الشخص أو ذاك ، ليس بالضرورة هو النمط الذى يؤدى الى نجاحنا وتفوقنا -

ان ادراك مدى الاختلاف بين الناس فى الحضارة الجديدة ، ومصادفة التوقعات غير المؤكدة ، وتعلم التخطيط المرن ، أمور تحتاج الى جهد شاق ، وذكاء شديد ، ومرونة فائقة ، ولكنها تستحق كل ما يبذل لها من جهود ، فهى التى تملأ الحياة ببهجة التنوع ، وحلاوة التميز ، وهى التى تسعد الانسان الشجاع المبدع ، الذى يتطلع الى الحركة والتغير ، ويكره الركود والجمود والتقليد .

عندما نقول اننا نعيش فى عصر الانتقالات العنيفة ، فنحن لا نعنى تلك الانتقالات التى عرفها الانسان طوال تاريخه : كالانتقال من حالات الانتعاش الى حالات الانكماش ، أو من عهود الانغلاق الى عهود الانطلاق ، أو من الكبت والكساد الى التحرر والرواج .. الخ .. فكل العصور بهذا المعنى عصور انتقال ، والطبيعة لم تتوقف طوال التاريخ عن مفاجأة الانسان بالقحط والجفاف ، أو بالسيول والفيضانات ، أو بالزلازل والبراكين .

مفاجآت دائمة ، يرجع الانسان — بعد زوالها — الى حالته الاولى .

فخلال الحضارات الزراعية ، التى دامت آلاف السنين ، ورغم ما واجه الانسان فيها من متغيرات عنيفة ، فقد ظل معظم الناس يعيشون حياة شديدة التماثل : يستيقظ الانسان كل صباح مع شروق الشمس ، ويظل يكدح مع دوابه حتى غروبها ، يعيش وسط أسرة كبيرة ، تضم الاجداد والاحفاد والاعمام والاخوال ، ويحدد هويته — منذ ولادته حتى وفاته — دينه وقريته وأسرته .. وهكذا .

شكل من الحياة لم يتغير لمدة آلاف السنين ، فرضته الاغلبية من الفلاحين على غيرهم من الاقليات : تجارا .. وصناعا — وموظفين .

وخلال الحضارة الصناعية ، التى دامت فى الغرب نحو ثلاثة قرون والتى امتلأت كذلك بالمتغيرات العنيفة، ظل الناس يعيشون أيضا حياة متماثلة : ساعات العمل تحددها ورديات المصانع ، يمكث الانسان طول عمره يؤدى عملية ميكانيكية واحدة أمام الآلة ، يعيش فى أسرة صغيرة ، تضم اثنين أو ثلاثة أبناء مع الوالدين ، أما الاعمام والاخوال والاصهار ، فمن الصعب التعرف عليهم واذا بلغ الابن أو الابنة حوالى سن السادسة عشرة ، ترك المنزل — وربما المدينة — بحثا عن عمل . وتتحدد هوية الفرد فى هذه الحضارة بشهادته الدراسية ومهنته وحزبه .. وهكذا .

شكل من الحياة ، ظلت الاغلبية من العاملين فى الصناعة تفرضه على غيرهم من الاقليات : فلاحين وتجارا وموظفين .

طوال تاريخ الانسان ظلت الاغلبية تفرض نظمها وعقائدها وعاداتها على الاقليات ، الى أن جاء الوقت الذى لم تعد هناك اغلبية .

تناقص عدد الفلاحين نتيجة لميكنة الزراعة وانتقالهم للعمل فى المصانع ، ثم تناقص عدد عمال الصناعة نتيجة لاستخدام الاجهزة الالكترونية بها . وبانتهاء غلبة مهنة الصناعة ، كما انتهت غلبة مهنة الزراعة ، انتهت لاول مرة فى التاريخ — غلبة نظم وعقائد وتقاليد معينة ، تفرض نفسها على الجميع .

لاول مرة تعيش الجماعات ، من مختلف المهن والقيم والعادات ، جنبا

الى جنب • كل جماعة تعيش كاقلية ، ولكنها اقلية محترمة مكرمة ، لسبب بسيط ، هو انه ليس بجانبها اغلبية •

نعم ! في الحضارة الجديدة ، حضارة التنوع والتميز ، لم يعد هناك شيء يفرض على الانسان هويته ، كل فرد أصبح يصنع كفاءته ومهارته ، ويحدد نوع عمله وأوقاته ، ويرسم خططه واهدافه ، ويقرر شكل أسرته وعلاقاته بأقاربه ، ويغير حياته كلما تغيرت البيئة والظروف ، وهو أمر قد لا يطيقه الانسان الذي تعود على ان يقوده غيره ، وتسيره الاصنام من داخل رأسه •• ولكنه بالنسبةللانسان المبدع ، المتطلع الىالحرية ، أمر شديد الروعة والجمال •

لم يقتصر الانقلاب الذي فعلته الاجهزة الالكترونية الحديثة على انقاص عدد المشتغلين في الصناعة وبالتالي على تعدد المهن وتنوعها ، وانما ساهم هذا الانقلاب ايضا في تقديم المنتجات المتنوعة والخدمات المتباينة ، بدلا من المنتجات المتماثلة والخدمات النمطية •

المنتجات الصناعية والمساكن والمأكولات اصبحت كثيرة الاشكال والالوان • وبرامج الاعلام ومناهج التعليم لم تعد ذات شكل نمطي واحد ، أو ساعات محددة • أجهزة التليفون لم تعد كلها سوداء ، وأحواض الحمامات لم تعد كلها بيضاء •• ومشاهدة فيلم سينمائي لم تعد تبدأ دائما من السادسة أو التاسعة مساء • وربة البيت لم تعد تخصص يوماممعينا للغسيل •• وهكذا •

ساعات العمل لم تعد ثابتة جامدة ، والتخطيط لم يعد نجاحه معتمدا على صرامته • الانسان لم يعد في عمله ترسا يحركه النظام كما يشاء ، أو رقما يفعل به رئيسه ما يريد •

كل شيء في حضارة التنوع والتميز أصبح يتسم بالمرونة والسماحة والبعد عن التعصب •

وقد فرض هذا التزايد في التنوع والاختلاف ، اهتماما متزايدا في جمع المعلومات : عن رغبات الناس وتطلعاتهم ، وعن مهاراتهموامكانياتهم، وعن افكارهم وتصرفاتهم • ومن هنا يحلو للبعض أن يطلق على الحضارة الجديدة اسم « حضارة المعلومات » ، ليس لغلبة الذين يعملون في مهنةجمع المعلومات وتصنيفها وحفظها واسترجاعها والاستفادة منها ، ولكن لاهمية هذه المعلومات في تحديد أنواع الانتاج والخدمات ، وفي توظيف الاموال والكفاءات ، وفي حفظ الامن وقياس االرأي العام • الخ •

نعم ! حضارة جميلة رائعة ••• ولكن •••

هل سيكون من السهل على الناس، التنازل عن مهارات اكتسبوها خلال سنوات طويلة من حياتهم ، واحراز مهارات جديدة ؟

هل سيسهل عليهم التخلص من تعصبات نشأوا عليها ، وعادات توارثوها عن أجدادهم ؟

هل من السهل أن يفكر الانسان بنفسه ، ويتخذ القرارات المناسبة لظروفه ؟

ان الانتقال الى الحضارة الجديدة يحتاج الى تدريبات شاقة عنيفة ، حتى يخرج الانسان من حالة التخلف ، تلك الحالة التي نتجت عن طول غلبة الحياة الزراعية ، وغلبة عقائدها وتقاليدها ، ثم غلبة الحضارة الصناعية ، وغلبة نظمها وقيمها •

نعم ! سيحتاج الى جهود جبارة ، لكي يتحرر من الاصنام التي تشكلت داخل رأسه ، عن طريق ميراث طويل، اعتاد الاحداد تقديسه •

قضايا حيوية

# مخاطر الحرب الذرية

بقلم : د. عصام الدين جلال

**غيرت الاسلحة الذرية ابعاد الحروب تغييرا جذريا فهي اولا تمثل تركيزا للقوة التدميرية في سلاح واحد او عمل عدواني واحد ، او لحظة زمنية واحدة تفوق الخيال .**

فالقنابل الذرية التى القيت على هيروشيما ونجازاكى سنة ١٩٤٥ مثلت كل منها قوة انفجارية تعادل ٢٢ الف طن ديناميت،وهى تمثل الزاما صغيرة بالنسبة للاجيال الحالية من القنابل الذرية ومع ذلك تسببنا فى القتل الحالى لـ ٢٠٠,٠٠٠ ضحية والقتل المؤجل لـ ٢٠٠,٠٠٠ ضحية اخرى والتشويه لـ ٢٠٠,٠٠٠ اخرين ويبلغ عدد القنابل او الرءوس الذرية كما تسمى حاليا اكثر من ٥٠٠٠٠ رأس وقنبلة بعضها له طاقة تدميرية من العديد من ملايين الاطنان من الديناميت ويقدر ان القوة الانفجارية لكل هذه الاسلحة الذرية يصل الى ١٥ الف مليون طن ديناميت اي كل انسان ( بما فيهم الاطفال ) مخصص له ما يعادل اكثر من ٣ اطنان من الديناميت لضمان استئصاله وبيئته ومستقبله والاجيال التالية له .

والاسلحة الذرية لا تحقق هذه الدمار المخيف بقوتها الانفجارية الضخمة ولكنها ايضا تحدث كرة هائلة من اللهب تحرق كل ما تلمسه ثم هي تصدر دائرة اوسع من الاشعاعات التى لا تسبب فقط الموت البشع ولكنها تسبب التشوهات والاثار الكامنة التى يتأتى عنها مستقبل مظلم من الامراض الخطيرة كالسرطان وتشوه الاجنة فى الاجيال القادمة ومن ثم تمتد آثارها جغرافيا وزمنيا ابعد من اى تصور سابق لابشع الاسلحة ..

ويمكن لقنبلة واحدة متوسطة قوتها ( مليون طن ديناميت ) ان تدمر كل شيء في دائرة مساحتها ٥٤ ميلا مربعا وتحفر حفرة مساحتها ٢٠ فدانا وعمقها ١٠٠ متر وتقذف في الفضاء ، بـ ٥٠٠٠٠ر٥٠ طن من التربة ومحتوياتها و كل هذا يحدث من الانفجار الذى لا يستهلك الا ٥٠٪ من طاقتها في شكل انفجار اما كرة النار والتى تستهلك ٣٥٪ من طاقة هذه القنبلة فيمكنها ان تشعل بلهيبها كل ما يغطى مساحة ١٣٠ ميلا مربعا وبالطبع تنتشر هذه الحرائق وتتسع فيما بعد حسب الاحوال الجوية والبيئة .

اما الاشعاعات الذرية المدمرة فلا تمثل اكثر من ١٠٪ من طاقة الانفجار بعضه في شكل موجة حالية من الاشعاع المركز وبعضها في شكل رزاز متساقط على مدى زمن ومساحات جغرافية لا يمكن حسابها ويستمر عملها التدميرى على مدى الاجيال وقد يتخطى البحار والجبال . وقد ادى انفجار تجريبى في جزائر بيكينى لقنبلة قوتها ١٥ مليون طن الى التغطية المباشرة الكافية لتدمير الحياة على مساحة ٨٠٠٠ ميل مربع اى ما يعادل مساحة سويسرا ولا تزال الجزيرة بعد ربع قرن غير قابلة للسكنى .

ومن الواضح ان قنبلة من هذا النوع يمكن ان تدمر في الحال ملايين الافراد اذا اسقطت على حورية كبيرة او تجمع سكانى كثيف .

اما الاخطار المتمدة من انتشار للحرائق والخراب ونسف وسائل المواصلات ومصادر الغذاء والماء واختفاء اجهزة الامن والخدمة الطبية والمساكن وانحلال المجتمع والمدنية فلا يحيط به الا خيال القصص العلمية .

ولكن الدمار الذى يمكن ان يصاحب حربا ذرية لا تعرف حدودا جغرافية او زمنية فيمكن للرزاز ، التراب المندفع الى الفضاء أن يحجب الشمس لشهور او اكثر وتنخفض درجة الحرارة فيما يسمى بالشتاء الذرى بما يقضى على النبات والحيوان والانسان ، اضافة الى ما يتساقط عليهم من اشعاعات مدمرة ومميتة ، ولاشك أن مثل هذه الحرب الذرية الشاملة ستقضى على الحضارة الانسانية بكل اشكالها المعروفة ، وتعود بمن بقى من الانسان الى ما قبل عصر انسان الكهوف ، فاذا ادخلنا في الاعتبار ان كل هذا التدمير تحت سيطرة بضعة افراد يبين التاريخ الحديث انهم ليسوا مدعاة للاحترام او الثقة من قيادات الدول الكبرى فلاشك ان عزمنا على استئصال شأفة هذا السلاح كلية

والآن وقد وصل هذا السلاح الى حكومات فاشية عنصرية مختلة القيم الانسانية والخلقية والحضارية مثل النظام العنصرى في جنوب افريقيا والنظام الصهيونى في اسرائيل بمساعدة وتواطؤ حلفاء مجرمين ، فلا يمكن ان يسكت ضمير العالم المتحضر على بقاء هذا السلاح الفتاك في ايدى قتلة الاطفال والنساء وجزارى السكان العزل في جنوب افريقيا او اسرائيل . ولا يمكن لاى عربى او افريقى ان يقبل استمرار هذا التهديد من اعداء هذا تاريخهم وتلك ممارساتهم الوحشية تتكرر كل يوم امام انظار العالم .

# الدكتور محمد حسين هيكل

## من رواية "زينب"...
## إلى مذكرات فى السياسة المصرية

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

ربما لم أتأثر بكاتب مصرى مثل تأثرى بعلمين بارزين من اعلام حياتنا الفكرية هما الدكتور محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم. فلدى التحاقى بالجامعة طالعت كتاب هيكل «حياة محمد» الذى هزنى هزا ومضى بى فى طريق الشك الديكارتى نتيجة لطريقته فى العرض التى لم تتمسك بالروايات الموروثة بل عمدت إلى التحليل والاحتكام الى العقل. وكان ذلك بداية اعجابى به وسعيى الى الاطلاع على كتبه الأخرى: الصديق ابو بكر ـ الفاروق عمر ـ شخصيات مصرية وغربية جان جاك روسو ـ ومذكراته فى السياسة المصرية ... الى غير ذلك. فقد كان اديبا كبيرا الى جانب كونه مؤرخا ومن دلائل ذلك انه الف قصة «زينـــب» التى سجلت بداية القصة العربية الحديثة. فقد تفتح ذهنه فى بداية تكوينه الفكرى نتيجة لميله الشديد لدراسة الأدب العربى قديمه وحديثه بقدر مايسمح له ادراكه، وحين اتصل بأحمد لطفى السيد فى اوائل القرن العشرين عدل عن الاكتفاء بقراءة الأدب العربى الى قراءة كتب انجليزية فى الموضوعات التى كان يحدثه فيها. هذا بالاضافة الى انه ـ وهو قطب من اقطاب حزب الأمة ـ قد نحا به نفس منحاه السياسى الذى لم يكن يعتمد تملق الجماهير واللعب على عواطفها.



د . محمد حسين هيكل

ومما اثر في الدكتور هيكل وتفكيره السياسي انه انحدر من أسرة تنتمي الى أعيان ريف الدلتا مما مكنه من الانخراط في دائرة النخبة الاجتماعية التي تصدرت الحياة العامة واهتم المستنيرون من رجالها بتعليم أبنائهم تعليما عصريا في الداخل والخارج . وخلال دراسته الثانوية تأثر بمنهج الشيخ محمد عبده الداعي الى فتح باب الاجتهاد والتوفيق بين العلم والدين والاحتكام الى العقل واطراح المعتقدات البالية التي حملها مسئولية تأخر المسلمين . ولما كان محمد عبده يهدف إلى الضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية فقد هادن الاحتلال البريطاني وركز على التعليم والاصلاح الداخلي باعتبارهما الأداة المثلى لتحقيق الاستقلال ـ وفي عام ١٩٠٥ هاجم في جريدة « المنار » الاجراءات العنيفة التي اتبعها محمد علي في سبيل توطيد حكمه مما اثار الرهبة والخوف في قلوب المصريين وجعلهم اميل الى الاستكانة .

ورغم مالقيته دعوة محمد عبده من مقاومة وبخاصة من جانب الخديو عباس الثاني فقد ازداد اعجاب هيكل به مما جعله يقرأ كتابه « الاسلام والنصرانية » وكتاب استاذه الافغاني في « الرد على الدهريين » ، كما قرأ المقالات التي كتبها محمد عبده في « العروة الوثقى » وتأثر هيكل بحادثتي طابة ودنشواي . فقد نشب نزاع بين بريطانيا والدولة العثمانية في عام ١٩٠٦ حول موقع طابة : هل هو تابع لمصر أم للدولة العثمانية ، ولدهشته وجد ان مصطفى كامل يدافع عن تبعية هذا الموقع للدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية على مصر مما جعله لاينخرط في سلك المعجبين به برغم انجذاب زملائه في المدرسة الثانوية اليه مما ادى الى تفضيله للعزلة ـ ويعترف هو في مذكراته بانه في اكثر اطوار حياته وقف في غير الجانب الذي كان عليه الجمهور . اما حادثة دنشواي الذي ظهر فيها الاحتلال البريطاني في صورته الحقيقية فقد هزت أعماق هيكل كما هزت أعماق سائر المصريين الذين أدركوا حقيقة بشاعة الاحتلال الأجنبي .

● إعجاب بقاسم أمين

ورحب هيكل بصدور كتابه « تحرير

المرأة » الذى الفه قاسم امين وطالب فيه بتعليم المرأة ورفع الحجاب عنها مما أثار عليه الهيئات الدينية واحدث اضطرابا فى دوائر المثقفين . وقد اقتنع هيكل الشاب بان قاسم امين على حق وعجب لموقف الذين هاجموه وبدأ يشعر بان متابعة الجماهير هى الطريق السهل وان أدت اغلب الأحيان الى الخطأ ، وازدادت عزلته عن زملائه فى الدراسة كما ازداد ايثاره للصمت بحيث لايعارضهم ولايجاريهم او يتابع زعماءهم . وبعد ان اتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الحقوق . وحين وجد ان كثيرا من زملائه يتشيعون لمصطفى كامل وحزبه الوطنى لم يشأ أن يجاريهم قبل أن يتبين الحقيقة من أمره ، فعكف على مطالعة جريدتى « المؤيد » و« اللواء » لعلهما تعيناته على تحديد موقفه ، وفى النهاية قرر اخذ جانب احمد لطفى السيد وحزب الأمة الذى اشترك فى تأسيسه خاصة ان هيكل كان يمت اليه بصلة القرابة. وقد عبر لطفى السيد عن اتجاهات مثقفى حزب الأمة فى « الجريدة » التى ناصرت تحرير المرأة ورفع الحجاب عنها ودعت الى حق الحكم المحلى للمديريات والمدن وعن حق التعليم للجميع وحذرت من الاعتماد على الحكومة التى صدرت وظائفها وفقا لما نادي به الكتاب الأوروبيون الذين يتمسكون بالحريات جميعا . وقد كتب هيكل فى الجريدة لدى صدورها فى عام ١٩٠٧ ونفى عنها مما لأنها للانجليز وذهب الى انها كانت تطالب بالدستور .

د . محمد حسين هيكل (على اليسار) مع أعضاء المؤتمر البرلمانى مارس ١٩٤٧





د . هيكل فى اجتماع لحزب الاحرار عام ١٩٤٨

وفى عام ١٩٠٩ توجه الى باريس للحصول على درجة الدكتوراه وهناك لمس حرية العقيدة والرأى وأحس بان التعصب ذميم وان اول واجب على الانسان هو ان يديم البحث عن الحقيقة . وقد اجتذبته دراساته وحياته الجديدة مما جعله لايكتب كثيرا فى « الجريدة » وبالتالى اقتصرت كتابته اليها على بعض ملاحظات مما كان يراه فى « مدينة النور » وفى عام ١٩١٢ حصل على درجة الدكتوراه برسالة عن « دين مصر العام » وهو الموضوع الذى جعله يقرأ كل ما كتب عن مصر الحديثة منذ عهد محمد على سواء باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية . وقد تلقن اثناء دراسته مناهج البحث العلمى الحديثة فسعى الى تقصى الحقيقة ما استطاع . وكان لكل ذلك اثر كبير فى اتجاه تفكيره فى سياسة مصر . وحين عاد الى مصر اشتغل بالمحاماة وكان يكتب « للجريدة » التى عطلها كتابها وحزب الامة فى عام ١٩١٥ بعد نشوب الحرب العالمية الاولى . ثم اتفق هيكل مع بعض اصدقائه على اصدار جريدة « السفور » الأدبية والاجتماعية التى لم يكن لها دخل بالسياسة وقد كتب فيها كثيرا كما كتب فى « المقتطف » منذ أول عام ١٩١٧ وشرع فى تأليف كتابه عن جان جاك روسو : حياته وكتبه . وفى اعقاب ثورة ١٩١٩

# الدكتور محمد حسين هيكل

انضم الى الحزب الديمقراطى الذى قامت مبادئه على الحرية والحق والعدل ومبدأ تقرير مصير الأمم واستقلال مصر . وكان بعض اعضاء هذا الحزب قد تأثروا بالمبادىء الاشتراكية خاصة وان افكار الدولية الثانية لم تكن تختلف كثيرا عن افكار الليبرالية . ولكن هيكل رأى ان قضية الاشتراكية لن تطرح قبل سنوات طويلة واعلن صراحة معارضته لتأسيس الحزب الاشتراكى فى الوقت الذى ندد فيه بالشيوعية التى ظل يمقتها حتى آخر حياته .

وبعد اصطدام سعد زغلول بعدلى يكن ابدى هيكل ميله الى عدلى وانضم الى حزب الاحرار الدستوريين وظل مخلصا له الى ان جرى حله فى اعقاب ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ . وبعد انشاء جريدة « السياسة » لتكون الناطقة باسم حزب الاحرار الدستوريين تم اختياره رئيسا لتحريرها . ورغم ان « السياسة » انتحت فى البداية منحى الاعتدال فقد اتجهت بعد ذلك الى رد التهم التى اتهمها بها الوفديون ودعت الى الوحدة الوطنية وضم الصفوف ولو انها قاومت طغيان الفرد الذى تجسد لدى الأحرار الدستورين فى الزعيم سعد زغلول الذى هاجمته « السياسة » تجاوزات الوزارة التى الفها فى عام ١٩٢٤ واتبعت سياسة حزبية صارخة واضطهدت خصومها . وكان هيكل يرى ان النضال الحزبى فى مصر منذ بدأ الخلاف بين سعد وعدلى لم يكن يقوم على المبادىء بل على فهم خاطىء لمعنى الحكم ـ فمن يتولى الحكم يعمد الى محاباة أنصاره ومحاربة معارضيه . اما هو فانه يؤكد فى مذكراته انه لم ينصر رأيا على رأى ولا فريقا على فريق .

● مقاومة وزارة صدقى !

وكما تصدى هيكل لما اعتبره استبدادا من جانب سعد زغلول فقد اشترك مع الوفديين وغيرهم فى مقاومة وزارة اسماعيل صدقى التى تولت الحكم فى أوائل الثلاثينيات ونكلت بخصومها بعد تعديلها لدستور ١٩٢٣ . واسهم فى تاليف كتاب « السياسة المصرية والانقلاب الدستورى » خاصة انه كان يرى ان صدقى رجل يؤمن بالحكم وبانه الوسيلة الوحيدة لتحقيق مايرجو الانسان تحقيقه من خير بلاده . ونفس هذا الموقف تكرر بالنسبة الى نزعات الملك فاروق الاستبدادية التى ندد بها هيكل فى الجزء الثالث من المذكرات والتى بذل جهودا لمقاومتها اثبتها فى هذا الجزء فقد نزع فاروق بعد الحرب العالمية الثانية الى الاستبداد خاصة ان حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ على حد قوله لهيكل ـ قد علمته « درسا لن ينساه » ولقد زين له المحيطون به سلوك هذا الاتجاه حين قالوا له ان اجداده هم الذين انشأوا مصر الحديثة من العدم وانه « وارث هذا التراث المجيد وصاحب الرسالة ببعث الشرق كله واتمام المعجزة التى حاولها جده محمد على ثم حالت الاقدار دونها » ثم ادى به هذا الاعتقاد وتملق المتملقين الى الاستهتار والاندفاع مع اهوائه وعدم الاكتراث برجال

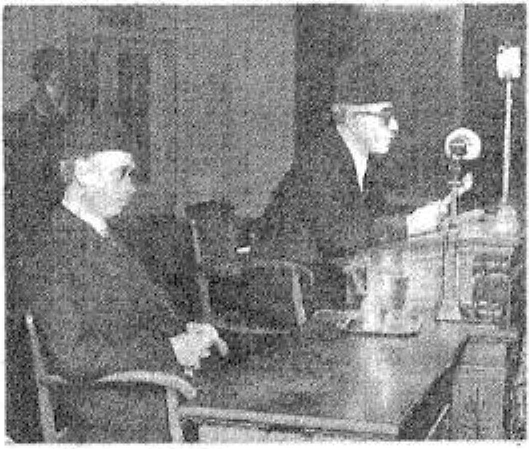
دولته . ومن ثم دعوته لزعماء الدول العربية الى انشاص دون علم الوزارة القائمة واصداره الاوامر بادخال الجيش الى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ دون مشاورة الوزارة او البرلمان .

وقد ارتبط مقت هيكل للاستبداد بالمبادىء التى امن بها منذ شبابه المبكر : فهو ابرالى امن بالحرية والدستور وبان الحكم وسيلة لاغاية وان باستطاعة المعارضة توجيه شئون الحكم بالقدر الذى تستطيعه الحكومة القائمة وان الوصول للحكم ان لم يكن اساسه الكرامة الذاتية التامة يعهد اليه بتبعاته فخير منه البقاء فى المعارضة . وفى مذكراته نجده يؤكد انها لاتعدو ان تكون تصويرا للحوادث كما وقعت ولاتجاهات الرأى المختلفة . ورغم ان بعض الاشخاص الذين تناولهم كانوا على قيد الحياة لدى نشر الجزأين الاول والثانى من المذكرات فانه يجزم بانه لم يحابهم الا ان يكون قد اغفل بعض الحوادث التى رأى من واجبه إغفالها . كما يقر بأن مذكراته لم تتناول الا ماشهده او شارك فيه من جوانب السياسة المصرية وانه لذلك اغفل الناحية الاقتصادية لأنه لم يكن له فيها حظ يذكر .

وهو يبين انه لم يقصد الى التأريخ لمصر فى الفترة التى كتب عنها (١٩١٢ ـ ١٩٥٢) وشارك فى معظمها فى صنع السياسة المصرية ومعالجة قضاياها . وقد بدأ كتابتها فى عام ١٩٤٨ وفرغ منها فى عام ١٩٥٠ . وكان هدفه من كتابتها ان تكون مرجعا لمن يريد ان يؤرخ لتاريخ مصر خلال هذه الفترة . وهو يجزم بأن احدا لن يستطيع ان يؤرخ لعصر عاش فيه بحكم ان المعاصر قد لايقف على كل الأسرار وانه لايدون الا مايعرف . ويذكر عن نفسه انه اكتفى بتصوير الحوادث كادق ما يستطيع مشيرا الى ان مما ساعده على ذلك انه بدأ يكتب مذكراته بعد انقضاء سنوات طويلة على وقوع الحوادث التى دونها . وقد استملى الجزء الاول من هذه المذكرات من الذاكرة الا قليلا رجع فيه الى الصحف لمزيد من الدقة فى التأريخ للأحداث وينفى ان الذاكرة قد خانته مؤيدا رأيه هذا بانه تناول فى هذا الجزء ما كان يكتب عنه طيلة خمسة عشر عاما حين كان رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » وبأن « الذين يزاولون الكتابة يعلمون ان التحرير المتصل فى موضوع بذاته ينقش فى اذهاننا ما نكتبه فلاننساه ابدا » وهو ينفى ان يكون قد دافع عن السياسة التى ناصرها فى مختلف اطوار حياته .

ولقد ظل هيكل رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » الى ان عطلها الاحرار الدستوريون فى عام ١٩٣٧ وحينئذ ترك ميدان الصحافة الى ميدان التأليف . ولما كانت اتجاهاته الفكرية ومبادئه تقيم حاجزا بينه وبين الجماهير فإنه لم يوفق احيانا فى الانتخابات النيابية ، ومن ثم فقد مارس نشاطه السياسى من خلال توليه مناصب وزارية أو من خلال ترؤسه لمجلس الشيوخ ولحزب الاحرار الدستوريين . وظل طيلة حياته السياسية ملتزما بالمبادىء الديمقراطية وبالمصلحة الوطنية بحيث نلمس فى مذكراته سموا فوق الاعتبارات الحزبية وتمسكا بقواعد الاخلاق السياسية مع نزاهة واضحة

# الدكتور محمد حسين هيكل



د . هيكل (وزير المعارف) مع احمد لطفى السيد فى جامعة فؤاد عام ١٩٥٠



د . هيكل يخطب فى عيد الجهاد عام ١٩٤٦



تطالعنا بين وقت وآخر فى الاجزاء الثلاثة من مذكراته أما انتماؤه الحزبى فلم يكن له الا اثر جانبى فى مذكراته وفى سلوكه العام خاصة انه خلال رئاسته لمجلس الشيوخ كان يؤمن بان هذا المجلس ملك للأمة كلها .

ويختلف الجزآن الأول والثانى من المذكرات عن الجزء الثالث الذى توفى هو قبل ان يستكمله . فقد سار الجزآن الأول والثانى وفقا للترتيب الزمنى للأحداث فى حين انه سعى إلى ان يتناول فى الجزء الثالث موضوعات بعينها دون التزام بالترتيب الزمنى . وقد خطط للكتابة فى الموضوعات التالية : قضية فلسطين ـ النزاع المصرى الانجليزى ـ السودان ـ قيام الجامعة العربية ـ تطور الحياة السياسية ـ الازمات البرلمانية الكبرى والحياة الحزبية . ولكنه لم يكتب فى الجزء الثالث سوى الفصول الخاصة بفلسطين والنزاع المصرى الانجليزى فى مجلس الأمن وازمة مجلس الشيوخ فى يونيه ١٩٥٠ وما اطلق عليه اسم الوثائق السياسية المزورة . وقد قام على اعداد هذا الجزء للنشر ابنه احمد محمد حسين هيكل المحامى . وظل هذا الجزء محجوبا عن الانظار فترة طويلة قبل ان يتم نشره فى عام ١٩٧٧ .

# الرحا

## بين العصر والإنسان

/تحقيق وعدسة: وداد حامد



سيدة من واحة باريس تقوم بالطحن على الرحا (١٩٨٦)

**هل دارت رحا الأيام على الرحا ؟ ..**
**.. لقد تراجعت الرحا عن وظيفتها كأداة منزلية ، ونتيجة للإحلال الآلي الذى فرضته طبيعة العصر .**
**وبالرغم من ذلك ، فإن بصماتها مازالت باقية ومتداولة كعنصر فى الموروث الشعبى .**

الرحا ، أو الرحاية هى واحدة من أقدم الأدوات المنزلية فى البيت المصرى قبل دخول "وابور الطحين" الذى يعمل بالسولار أو الكيروسين .

وهى تكاد تنقرض الآن مع تغير نمط الحياة حتى فى الريف .

وهذه الأداة التى ظلت فى البيت المصرى آلاف السنين ، كان لابد أن تترك بصماتها فى الموروث الشعبى ، فى أغانى العمل ، وفى الأمثال الشعبية ، وفى بعض الممارسات الخاصة .

ركبونى الرحا وجالو [1] شديدة
ياكلم بالهنا والليالى ، السعيدة
طحين الرحا ع البنات جاسى [2]
وأنا عجوزة من عجاب ناسى
طحنت الرحاية مالقيت لى حيل
ليه العجوزة اللى ما تنام الليل [3]

★ ★ ★

يا رحاية جبلى
سلم اللى جابك لى
يا رحاية تقيلة
وإطحنى لى الفطيرة
يا رحاية جبلية
سلم اللى جابك ليه [4]

وتلك الأبيات السابقة من نصوص أغانى العمل التى ترددها السيدات أثناء طحنهن على الرحا .

المجموعة الأولى من الأبيات تعبر فيها مؤديتها عن مدى الصعوبة والمشقة التى تعانيها من تقوم بإدارة الرحا . إنها تئن وتشكو ، خاصة وقد أصبحت عجوزا ضعيفة تحتاج الى الراحة .

أما المجموعة الثانية ففيها مناجاة للرحا . حيث تخاطب السيدة رحايتها الثقيلة المنحوتة من الصخور الجبلية لتطحن لها الدقيق الذى ستصنع منه الفطير . ثم تدعو لمن جلبها لها بالسلامة .

ويرتبط هذا النوع من أغانى العمل بالطحن على الرحا ، حيث تقوم السيدات بترديدها تسرية عن أنفسهن من ناحية ، ومن ناحية أخرى للحد من الرتابة الناشئة عن قعقعة الرحا ودورانها بصورة مستمرة لفترات طويلة .

ومن هنا فإننا نجد أن إيقاع هذه الأغنيات يتميز بالبطء بحيث يناسب الحركة البطيئة لدوران الرحا .

وقد كان الطحن على الرحا شائعا فى معظم قرى مصر فيما مضى ، حتى أن الرحا كانت تعتبر من المنقولات الأساسية فى كل بيت ، وحين لم تكن توجد عند أسرة ما فقد كانت هذه الأسرة تقوم باستعارتها للطحن عليها . وتدريجيا حلت محل الرحا ماكينات الطحن التى تعمل بالسولار والكيروسين ، ثم الماكينات

الكهربائية[٥] ثم أصبح سكان الريف ـ بعد ذلك ـ يعتمدون على الدقيق الجاهز المعبأ . ولهذا فقد أصبح استخدام الرحا نادرا الآن إلا عند بعض الجماعات من قبائل البدو الرحل حيث يعيش الأهالى خارج مناطق الاقامة الدائمة فى المدن والقرى .

ويطلق على الرحا فى بعض المناطق اسم « الرحاية » كما يطلق عليها فى اماكن أخرى « الطاحونة » وقد جاء فى لسان العرب[٦] أن معنى كلمة الرحا هو « الحجر العظيم » وجمعها "أرح" و"أرحاء" و"رحى" و"أرحية" .

وجاء أيضا أن الرحا هى التى يطحن فيها . ورحوت بالرحا : طحنت بها ، أما من يصنعها فيسمى « المُرَحِّى » .

ويروى أن "جبرائيل" حين أراد أن يعلم "آدم" كيف يصنع دقيقا ـ قطع من الجبل حجرين فطحن بهما القمح . فكانت بداية استخدام الرحا .

وتتكون الرحا من قرصين مستديرين متساويين من الحجر يوضع فوق أحدهما الآخر . القرص السفلى الذى يلامس الأرض ثابت ـ وهو مصمت تماما ومثبت به رأسيا عند منتصفه عامود من الخشب أو الحديد . أما القرص العلوى ، ففى أحد جوانبه عصا خشبية مثبتة به رأسيا ، وهى بمثابة "يد" يدار منها . كما أن هناك فتحة مستديرة فى وسط هذا القرص العلوى يقطعها عند قطرها مستطيل من الخشب به ثقب يمر من خلاله ـ العامود المثبت فى منتصف القرص السفلى ـ فيكون بمثابة محور لارتكاز الرحا .

ومن هنا فقد قال الاقدمون فى الأمثال ( الرحا ما تدور إلا على قلب حديد )[٧] أى لابد لدوران الرحا من محور صلب ، وقلب الرحا الذى يدور عليه القرص العلوى يكون من الحديد غالبا . ويضرب هذا المثل عندما تحتاج الأمور فى تدبيرها الى شخص قوى .

وبجانب استخدام الرحا فى طحن الحبوب كالقمح والشعير والذرة لتحويلها الى دقيق ، فهى تستخدم أيضا لجرش أو "دش" بعض الانواع ، الأخرى من الحبوب ، كالفول والقمح ، اى تكسيرها وتحويلها الى قطع صغيرة لتصنع منها بعض أنواع المأكولات الشعبية الشائعة فى الريف المصرى مثل الفريك والدشيشة ـ والبغلية ـ والبصارة .)

● من أعمال السيدات

والطحن على الرحا من الأعمال التى تختص بها السيدات عادة . فتجلس السيدة امامها ممسكة بمقبضها الخشبى بإحدى يديها ـ تحركه فى شكل دائرى ـ فيدور معه القرص العلوى ، بينما تضع الحبوب المراد طحنها فى الفتحة الوسطى المستديرة باليد الأخرى ، فتنسحق الحبوب بين القرصين نتيجة للدوران والاحتكاك والضغط .

ونذكر بهذه المناسبة ـ أحد الأمثال الشعبية ـ التى تستعير تلك الحركة الدوارة للرحا وما يمكن أن تحدثه من احتكاكات نتيجة لهذا الدوران . فيقول المثل ( الحجر الداير لابد من لَطُّه ) ويضرب هذا المثل للتعبير عمّا يمكن أن

يتعرض له الشخص النشط ذو الحيوية من لطمات نتيجة لفاعليته ونشاطه .

ويقال أيضا في هذا المجال ( لقد وقع فلان بين شقي الرحا ) وهذا يعني انه وقع في مأزق أو موقف حرج من الصعب التخلص منه .

أما عندما يتحدث احد من الناس في موضوع يدور حول فكرة واحدة ، يظل يكررها لفترة طويلة يقولون انه ( نازل دش ) .

★ ★ ★

وليست هناك مقاسات ثابتة ومحددة للرحا ، وإنما يتراوح طول قطر دائرتها بين ٢٠سم ، ٥٠سم . وهو أقصى مدى يمكن أن تصل اليه يد المرأة التي تقوم بالطحن ، إذا امتدت امامها . أما سمك كل من قرصيها فيتراوح بين ٧سم ، ١٠سم .

وعندما يبدأ الطحن توضع الرحا على قطعة مفرورة . من القماش أو الحصير ،

الرحا تتحول الى لعب اطفال من الفخار



بدوية من منطقة الساحل العربي اثناء الطحن على الرحا ( ١٩٨٢ )



أو توضع على احد الأجولة ليسقط عليها الدقيق أو الدشيش الناتج عن عملية الطحن . وقد توضع الرحا داخل إناء من الخوص « قفة » وفى بعض مناطق الصعيد والنوبة ، كانت هناك بعض الأنواع . يقام لها حافة من الطين "طوف" حتى يتكون حولها ما يشبه الاناء الثابت ـ فيقوم بنفس الوظيفة .

وتصنع الرحا من نوع من الاحجار يعرف "بحجر الدستور" يتم استخراجه من بعض المناطق الجبلية مثل منطقة جبل «العيسوية" الذى يقع بالقرب من مدينة أخميم فى محافظة سوهاج . ومنطقة جبل المعصرة بالقرب من حلوان بالقاهرة .. ويتميز هذا النوع من الصخور بالصلابة كما يتميز بالخشونة(٨) .

ومن الجدير بالملاحظة انه فى حالة فقدان الرحا لخشونتها نتيجة لكثرة الاستخدام المنزلى ـ يعاد تخشينها ـ أو كما يقول أهل الصنعة ( نقشها ) وذلك بطرقها بأداة حديدية تسمى ( منقاش ) فتؤدى وظيفتها بصورة أفضل . ولذلك فمن المتبع عادة أن تبدأ النساء "بدش" بعض الحبوب لاستخدامها كعلف للماشية خوفا من اختلاط الدقيق بذرات الصخور الناتجة عن النقاشة ، إلا فى بعض حالات الضرورة ، لذلك يقول المثل الشعبى : ( المحتاج يقلب على النقاشة )

أما عن طريقة تقطيع الرحا من الصخور فتتم بأن يختار العمال بقعة مرتفعة فى الجبل ، يزحون عنها الرمل ويحفرون حفرة دائرية الى عمق كبير ـ اكبر من سمك الرحا التى يريدون الحصول عليها ثم يدخلون عددا من زوايا الحديد بين كتلة الصخر وقطعة الرحا ، ويقومون بالضرب عليها إلى أن تنزع وتنفصل عن كتلة الصخور ـ ثم يعيدون تدويرها وتسويتها بعد ذلك"(٩)

وقديما كانت لبدو سيناء تجارة فى حجر الرحا . حيث كانت توجد هناك ايضا بعض الصخور الأخرى التى تصلح لصنعها . وكانوا يتجرون بها فى مصر والشام (١٠) وكذلك الحال فى بعض الواحات وخاصة الواحات البحرية .

★ ★ ★

إذا تركنا جانبا النواحى الوصفية والوظيفية للرحا وحاولنا الانتقال الى جانب آخر من جوانب الثقافة الشعبية التى فيها الرحا عنصرا من العناصر ذات الدلالة الرمزية ، فإننا نذكر على سبيل المثال واحدا من الممارسات الاحتفالية ، وهو حفل الختان الجماعى الذى يقام لختان الأولاد فى منطقة سيناء .

ونستعين بالوصف الذى ورد فى احد الكتب والذى يقول فيه مؤلفه :

« فى الضحى يركب الصبيان المراد ختانهم ( وتتراوح أعمارهم حسب العادات السائدة فى تلك المنطقة بين ٨ سنوات و١٢ سنة ) الابل ويطوفون حول الخيام والنساء وراءهم يزغردن لهم ويتغنين ثم يدخل الصبيان الى خيمة الطهور ويأتى

الشلبية ( الحلاقون ) المنوط بهم الختان ويبدأون فى الختان وقت الظهر ، وإذ ذاك يقف الرجال أمام باب الخيمة والنساء وراءهم وكل امرأة يختن ولدها تجعل ظهرها لحجر الرحا والسيف فى يدها تضرب بقفاه الخيمة دفعا للعين الشريرة . وعندما يقطع الشلبى غلفة ولدها يناديها

الولد قائلا : ( لعينك يا أماه إرمى بحجر الرحا عنك ولك ناقتى ) فتزغرد له . ثم يلتفت الى عمه ويقول ( لعينك ياعماه ) فإذا كان لعمه بنت تناسبه علم أن الولد يخطب ابنته ، فيجيبه ( مرحبا بك بفلانة جاءتك عطاء ) وإن لم تكن له بنت قال ( مرحبا بك لك الناقة الفلانية أو لك رأس ماعز أو ضأن هدية أو نقوطا )

والدلالة والمعنى اللذان يحملهما هذا الطقس واضحة وصريحة - فها هو الصبى - وقد أجريت له عملية الختان - وانتهت فترة طفولته - واعتماده على أمه . لقد بدأ الآن فى الدخول الى طور الرجولة والاعتماد على الذات ، ومن ثم فأول ما يفكر فيه - قبل أن يتقدم لخطبة ابنة عمه - هو أن يرد ما قدمته له أمه طوال فترة طفولته وصباه . لقد أصبح من واجبه الآن أن يقدم لها كل أسباب الراحة بدلا من العناء والعمل الشاق الذى يمثله الطحن على الرحا .

## هوامش

١ - قالوا ٢ - قاسى

٣ - الأدب الشعبي ، أحمد رشدي صالح ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ص ٣٠٣

٤ - هذا النص جزء من اغنية عمل تؤدى اثناء الطحن على الرحا فى منطقة بدو الدهوس - الواحات الداخلة - الوادى الجديد . المؤدية : عزيزة محمد . الجامع وداد حامد ١٩٨٦

٥ - هناك بعض انواع "الطواحين" ، وخاصة فى المناطق المنخفضة مثل الفيوم ، تدار بقوة اندفاع الماء

٦ - لسان العرب - دار المعارف - حـ ٣ ص ١٤ - ١٦

٧ - الأمثال العامية ، محمود تيمور باشا ، ط ٣ ، ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٨ - هذه المعلومات ادلى بها د . رشدى سعيد : استشارى جيولوجى مقيم بالولايات المتحدة . أستاذ الجيولوجيا بالجامعات المصرية سابقا . ومن أهم مؤلفاته "جيولو جيا مصر" و"جيولوجيا نهر النيل" باللغة الانجليزية .

٩ - وصف مصر ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، تاليف جومار ، ترجمة أيمن فؤاد ، مكتبة الخانجي بمصر ص ٢٧٤ .

١٠ - سيناء أرض القمر رفعت الجوهرى - الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢١٥

# الكاتب
# الذى أضاعه المجدّدون والمتطرفون

بقلم : كمال النجمى

مرت فى شهر مايو الماضى الذكرى الحادية والخمسون لرحيل الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي ... لم ينوه احد بهذه الذكرى ، ولم يتذكر احد اسم الرافعي ..

عاش الرافعي فى الدنيا سبعة وخمسين عاما .. عاصر الشيخ محمد عبده ولطفى السيد والعقاد وطه حسين وشبلى شميل ويعقوب صروف وسلامة موسى ومحب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم واحمد تيمور باشا ومحمد فريد وجدى وطنطاوى جوهرى ورشيد رضا والمازنى وزكى مبارك والآنسة مى .. وبقية ذلك الرعيل العظيم من مفكرى مصر وادبائها وحكمائها ، على اختلافهم مشرقا ومغربا ..





مصطفى صادق الرافعى

دخل الرافعى عالم الأدب والفكر فى أواخر القرن التاسع عشر، وقد نضج أيامئذ عصر الانقلاب الصناعى، واتسع المد الاستعمارى إلى آخر مداه فى بلاد العرب والمسلمين وسائر الشرقيين ..

ورحل الرافعى عن الدنيا سنة ١٩٣٧ والحرب العالمية الثانية على الابواب، وتطورات مابعد الحرب منظورة فى الأفق البعيد ..

عاش الرافعى عصرا كانت فيه أوربا تحتل البلاد العربية والإسلامية كلها من المغرب الى مصر إلى العراق إلى ماليزيا وأندونيسيا ..

وكانت الحكومات الأوربية الديمقراطية فى بلادها تدير شئون مستعمراتها العربية والإسلامية التى لاتغيب عنها الشمس، بروح صليبية تحمل ثارات القرون الوسطى ! ..

أول شيء فعله الفرنسيون، دعاة الحرية والاخاء والمساواة، عندما احتلوا الجزائر سنة ١٨٣٠، تحويل المسجد الكبير فى عاصمتها إلى كتدرائية كاثوليكية تستمد البركات من بابا روما - عدو ثورة الحرية والإخاء والمساواة - وكأنهم جيش لويس التاسع حين استولى على دمياط سنة ١٢٤٩.

والفرق بين الحالتين أن لويس التاسع الذى وَقَذَتْهُ العبادة والدروشة الكاثوليكية، كان يحتاج إلى كنيسة يصلى فيها .. أما دعاة الحرية والإخاء والمساواة فلم يكن لهم شأن بالصلاة، وإنما أرادوا الرمز إلى روح التعصب الدينى للاقطاع الأوربى، وهم البورجوازيون المتحررون المعادون للإقطاع ! ..

ولما تمكن دعاة الحرية والإخاء والمساواة من المغرب العربى، قرروا نقله من الإسلام إلى الكاثوليكية، وأصدروا إعلان «الظهير البربرى» ليفتحوا الأبواب لهذا المشروع التاريخى الذى صفق له رجال الأكليروس فى باريس ..

ولبث دعاة الحرية طوال احتلالهم للجزائر يعتبرونها - رسميا - أرضا فرنسية مثل باريس وليون ومرسيليا، وعلى غرارهم نسج موسولينى فأعلن قبيل الحرب العالمية الثانية أن ليبيا ارض إيطالية خالصة، وأن طرابلس الغرب مثل روما، وبنى غازى مثل نابولى .. وأحفاد عقبة بن نافع خدم أرقاء لأحفاء يوليوس قيصر ..

واقتطع الاستعمار البريطانى فلسطين وقدمها شريحة من اللحم الطرى للوحش الصهيونى ! ..

ولانستطرد وراء ماحدث فى مصر وسوريا ولبنان والعراق والخليج العربى واليمن وزيلع وهرر ومصوع وطوكر ! ..

● ثورية الكاتب ورجعيته

● وطوال حياة الرافعى كانت مصر تخوض نضالا عنيفا فى ميادين السياسة، وفى المواجهة المسلحة

للاستعمار البريطانى ، فضلا عن حركات التبشير الدينى الأجنبية - أوربية وأمريكية - التى امتدت من مصر إلى السودان إلى البلاد العربية الأخرى ، والبلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية ..

فى هذا المناخ السياسى والفكرى والنفسى عاش الرافعى حياته القصيرة فرأى أن «حَمِيَّةَ الإسلام» .. سلاح فعال فى مقارعة الاستعمار الأوربى الذى يغتصب الأرض العربية والإسلامية ويلغى وجود الإنسان العربى والإنسان المسلم ..

فكان وقوف الرافعى تحت الراية الإسلامية فى تلك الجائحة الصليبية الأوربيةُ الجديدة ، موقفا سياسيا وفكريا ثوريا أصيلا فى زمن المد الاستعمارى المصمم على ابتلاع ديار العرب والمسلمين وإخراجهم منها أحياء أو أمواتا ! .. ولقد شرع يخرجهم منها فعلا - بقوة السلاح - بعد صدور وعد بلفور الانجليزى المشهور الذى أعطى فلسطين العربية لليهود ..

في ذلك العصر كانت ثورية الكاتب المصرى أو رجعيته ، يحددها موقفه من الاستعمار والصهيونية . ولم يكن الاتجاه الاجتماعى جوهريا فى هذا الموقف . ففى تلك الظروف جمعت ساحة النضال كل القوى المناهضة للاستعمار على تباين أوضاعها الطبقية وتقاطع اتجاهاتها الفكرية .

وقد جرت العادة على اعتبار ثورة ١٩١٩ مثالا كلاسيكيا نموذجيا فى هذا المضمار ، فقد خاضها وتولى قيادتها الباشوات والأثرياء ومثقفو الطبقة المتوسطة الكبيرة والصغيرة ووجهاء الافندية والتجار وملاك الأراضى والعقارات كبارا وصغارا .. إلى جانب الفلاحين والعمال ..

ولم يكن لهؤلاء اهتمام اجتماعى شعبى واضح المعالم ، بل كان همهم الذى يتلاقون جميعا عنده هو مناضلة الاستعمار البريطانى ..

وفى تلك الفترة كان الفكر الدينى - ومنه بعض فكر الرافعى - يرفض بكل إباء مهادنة الاستعمار الذى يزعم أنه يحمل إلى المسلمين رسالة التمدين ، وإلى العرب بشرى الوحدة والاستقلال ..

ولم يكن أصحاب هذا الفكر الدينى متعصبين ، بل كانوا طلاب حرية لبلادهم ، وقد رفعت حروب التحرير العربية شعارات دينية ضد الاستعماريين الفرنسيين والإيطاليين فى الشمال الإفريقى .. ففى العشرينيات وحتى بداية الثلاثينيات رفع عمر المختار فى حربه الباسلة شعار الدين ولم يكن ليجد سلاحا أمضى منه فى مجاهدة الاستعمار الإيطالى الاستيطانى الوحشى ..



عباس العقاد



لطفي السيد

وفي الخمسينيات لم يبال المسلمون الجزائريون أن ترميهم البورجوازية الباريسية بالتعصب ، ولهذا نجح النضال الجزائري في سحق الجيش الفرنسي والمستوطنين الفرنسيين .. وسقطت جميع لافتات التمدين التي رفعها الاستعمار الفرنسي فوق مستوطناته المقامة على التراب الجزائري ! ..

إن عمر المختار والذين معه .. وعبدالكريم الخطابي .. ويوسف العظمة .. والمهدي أو المتمهدي السوداني .. والحاج أمين الحسيني .. وسعد زغلول وغيرهم من رموز الكفاح الوطني في عصر الرافعي ، قد حملوا جميعا ـ بلا فخر ـ وسام «التعصب» الذي أنعم به عليهم المستعمرون والصهيونيون ..

وكان الرافعي ـ على دين هؤلاء المجاهدين الكرام ـ يرى أن الإسلام هو دفاع عن روح الأمة التي يحاول المستعمرون والصهيونيون إزهاقها .. وقد أدى الرافعي واجبه في الدفاع عن روح الأمة ، وأبلى في موقعه أحسن البلاء ..

## ● تصنيف خاطىء

● .. ثم اقتضى الانقلاب الفكري في الخمسينيات والستينيات ، أن ينهمك بعض النقاد الجدد في تصنيف المفكرين والأدباء المصريين الذي عرفتهم ساحة الأدب والفكر من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وكان هذا التصنيف أشبه بتصنيفات «جدانوف» الشهيرة في عصر ستالين ، فكان من نصيب الرافعي في هذا التصنيف التعسفي تهمة «الرجعية» .. فقد جعلوه ضدا لطه حسين وعباس العقاد ، وكانا ـ في رأي أصحاب التصنيف ـ يمثلان التقدم الفكري في عصرهما ، فكان

لزاما أن يكون الرافعى ممثلا للجمود والسلفية ..

إلا أن الأيام أثبتت أن هذا التقسيم الميكانيكى للمفكرين والأدباء والشعراء كان جائرا وغير صحيح .. وقد انتقد بعض أصحاب هذا التقسيم أنفسهم فيما بعد ، إذ عرفوا أن الحياة أكثر سعة وعمقا وتنوعا من النظريات ، وأنه لايجوز منح صكوك التقدمية والرجعية ، وتوزيع قراريط الجنة ، بتلك الطريقة المجحفة العجيبة ! ..

لقد كان الرافعى فى الحقيقة يمثل التقدم والتحرر فى عصره من جهتين لايبحث المنصف عن جهة ثالثة لهما فى تلك الأيام ، هاتان هما : موقفه ضد الإستعمار والصهيونية .. وموقفه ضد الظلم الاجتماعى ..

وكان الرافعى فى موقفيه هذين أكثر وضوحا وثباتا من معاصريه الذين اشتجرت بينهم وبينه معارك شديدة فى الأدب والدين والسياسة ..

فأما موقفه من الاستعمار والصهيونية ، فكان أكثر دقة من موقف طه حسين والعقاد ولطفى السيد وأحمد أمين والآخرين .. لأن طه حسين فى سعيه الدائب إلى التعبير عن الاعتراف بالجميل لفرنسا ، لم يحرك قلمه ضدها على كثرة جرائمها فى حق عرب الشمال الإفريقى ، إخواننا فى العروبة والإسلام ..

وأما العقاد ، فإنه لم يكن قد تنبه إلى خطر الصهيونية عندما كان الرافعى يقف على ثغرة من ثغور العروبة والإسلام فى مواجهة الخطر الصهيونى الذى كشر عن أنيابه ، ومد مخالبه ، وتأهب للوثوب ! ..

وفى الموقف الاجتماعى كان العقاد وطه حسين على مبعدة من هموم الشعب المصرى ، ولم يشرعا فى التنبه إلى تلك الهموم إلا عقب الحرب العالمية الثانية ، ويمكن أن يقال إن أحدهما ـ العقاد ـ لم يولها إلا القليل من العناية ، فى حين كان الرافعى يحمل هذه الهموم الثقال ، ويندد بالمظالم الاجتماعية والشرور الطبقية فى عصره تنديدا عنيفا ، وأعلن فى مقالاته أنه يرفض ماتضطرب فيه الأمة من «اجتماع فاسد» .. على حد تعبيره .. والاجتماع الفاسد هو «المجتمع الفاسد» كما نسميه الآن .. وكان مجتمع الرافعى فاسدا فى رأيه لأنه جمع بين فئات تستظل بدين واحد ، فى وطن واحد ، وتفرقها المفاسد الطبقية ، وشرور الإقطاع ورأس المال الأجنبى والمحلى ..

● فى غمار الشعب

● كان الرافعى موظفا صغيرا ـ كاتبا بمحكمة طنطا الأهلية ـ ولكنه لهج

بموقف اجتماعى أكثر تقدما واستنارة من المواقف الاجتماعية لكثير من كبار أدباء عصره الذين تسنموا المناصب العالية ، وتلقبوا بالالقاب الرفيعة ، وارتفعوا ماديا وأدبيا فى ذلك المجتمع ، أو ذلك «الاجتماع» الفاسد .. وحسبنا أن نتذكر أن طه حسين صار وزيرا وتلقب بالباشوية ، وأن العقاد صار عضوا بمجلس الشيوخ ، ممثلا لأحزاب الأقلية ..

عاش الرافعى فى غمار الشعب ، صاحب موقف سياسى واجتماعى يعد متقدما جدا إذا قيس إلى معنى التقدم فى الاجتماع والسياسة خلال عصره .. وكان الرافعى يقول : **«السلطة درجة فوق الغنى ، ومن نال هذه استشرف لتلك .. فإذا جمعهما كان منهما الخلق الظالم .. إن أحدهم إذا حكم وتسلط لم تكن ضربته الأولى إلا فى المبدأ الاجتماعى للأمة ، أو فى الأصل الأدبى للإنسانية»** ..

وسأل الرافعى نفسه فى بعض كتاباته :

- ماذا تصنع لو صرت مصلحا «رسميا» لهذه الأمة ؟! ..

وأجاب :

- «أعمد إلى الاغنياء فأردهم إلى الانسانية ، ثم أصلح ما أخل به الفقر من صفات الإنسانية فى الفقراء ، فيستوى هؤلاء وهؤلاء ، ويتقاربون على أصل فى الدم إن لم يلده آباؤهم ولده القانون ! .. إن سقوط أمتنا لم يأت إلا من تعادى الصفات الإنسانية فى افرادها ، فهم أعداء فى وطنهم وإن كان اسمهم أهل وطن واحد» ..

هذه الآراء كان يكتبها الرافعى فى عصر انغمس فيه الأدباء المصريون والعرب فى الأحلام الرومانسية والكتابات المجردة من المضمون الاجتماعى المستنير ، أو فى الكتابات الاجتماعية المضطربة القائمة على أفكار سان سيمون والفابيين والفرق الاجتماعية الطوبائية الأخرى ، وحتى الافكار التى كان ينشرها سلامة موسى أحيانا ويسميها «ماركسية» لم تكن إلا خبط عشواء ..

وعاش الرافعى فى عصر الامتيازات الأجنبية .. وفى هذا يقول : «الأجانب يعاملوننا كأننا ثياب معلقة ليس فيها لابسوها .. كيف يتصعلك المصرى للأجنبى لو أن فى المصرى حقيقة القوة النفسية ؟! ..» .

ويسخر من المحاكم المختلطة رمز الامتيازات الأجنبية فيقول : «لو أن برغوثا قفز من صعلوك أجنبى فوقع فى ثوب صعلوك وطنى ، فتقاتل البرغوثان ، فقبض عليهما ، لما رضى البرغوث الأجنبى أن يحاكم إلا فى المحاكم المختلطة» ! .. هكذا كان الرافعى يسخر من سوء الحال ، وقد كان - رحمه الله - من أعاظم الساخرين فى الأدب العربى كله ..

ويتهكم الرافعى بمعاهدة سنة ١٩٣٦ التى فرضتها بريطانيا على

مصر : «.. فى السياسة الاستعمارية مواقف دمية كالنساء الدميات فإذا عرضوا واحدة منها على من يريدون أن يزوجوه فأباها وفتح لها عينيه، أعفوه منها وقالوا له : سنأتيك بالجميلة ! .. ثم يذهبون بالدمية إلى معهد التجميل اللغوى فيصقلونها، ويصبغونها، ويضعون لها أحمر السياسة وأبيضها ثم يعرضونها جديدة على صاحبهم ذاك ! .. ولهم عقول عجيبة فى اختراع الألفاظ - فى المعاهدات - حتى لتكون شدة الوضوح فى عبارة هى بعينها الطريقة لإخفاء الغموض فى عبارة أخرى ..» .

● الدين والحب

● وكان الدين يرتبط عند الرافعى بصلاح أمور الناس وسعادتهم فى الدنيا، فإذا لمس انحرافا من دعاة الدين أو رجاله الذين يضعون على رءوسهم عمائم الورع والتقوى، ويرفلون فى الجبة والقفطان والكشمير .. عنف فى الكتابة عن هذا الانحراف، فيقول عن هؤلاء الرافلين فى ملابسهم الدينية : «لأمر ما جعل هؤلاء القوم لأنفسهم زيا خاصا يتميزون به بين الناس، كأنما الدين عندهم باب من التحرف والتصرف، بعض آلته فى ثيابه .. فهؤلاء يسكنون فى أزيائهم هذه وكأنها دواوينهم لا ثيابهم" ! أى أن ثيابهم الدينية هذه تشبه أن تكون الدواوين الرسمية التى فيها وظائفهم وأعمالهم ..

لقد اشترك الشيوخ فى ثورة ١٩١٩ فكانوا من الطلائع، وكانوا قادة فى المظاهرات، وهم الذين اخترعوا تلك الهتافات البليغة التى لم يعرفها الشعب المصرى قط فى مظاهراته، مثل : «الاستقلال التام أو الموت الزؤام» !.. ولكن فريقا من الشيوخ استمرأ الخصب فى الوظائف والمغانم بعد الثورة. فلاحقهم الرافعى بالنقد الشديد وهو الذى كان معدودا فى الشيوخ وإن لم يدخل الأزهر فى حياته إلا مصليا أو زائراً للشيخ محمد عبده .

وكان الرافعى عدو التنطع فى الدين وإن كان صوته الدينى من أعلى الأصوات، وحسبه صوتا عاليا فى الدين، كتاباه : «تحت راية القرآن» و «إعجاز القرآن».. وبعض مقالاته فى «وحى القلم» ..

وفى تحرره من التزيد والغلو كان الرافعى مضرب المثل حتى عند «المجددين» الذين كان من شارات التجديد عندهم الزراية بأصحاب التزيد والغلو، والحفاوة بمن يتبعون طريقة الحياة الأوروبية - وبخاصة الانجليزية - فى كل شىء .. من شرب

شاى الساعة الخامسة عصرا مع الكعك .. الى تثبيت القبعة على الرأس بدلا من الطربوش !

**فالرافعى هو الأديب الأوحد فى عصره الذى وضع كتبا فى الحب والجمال ، ليس لها مثيل فى الأدب العربى كله .. ولو كان كتاباه « السحـاب الأحمـر » و « أوراق الـورد » من تأليف كـاتب غير مغضوب عليه من النقاد المجددين ، لصاحوا طربا وإعجابا وقالوا : هذا هو الأدب الجديد ، وهذا هو الأديب المجدد .**

والرافعى المتدين هو صاحب اشهر قصة حب بين قصص الحب الكثيرة التى احاطت باسم الآنسة مى فى العشرينيات .. وامتاز على منافسيه فى حبها بتسجيله هذا الحب فى كتاباته ، اما هم فقد أجمعوا عن نشر كلمة واحدة عن حبهم حفاظا على مظاهرهم الاجتماعية ..

والرافعى هو الكاتب الفرد الذى كان يكتب فى الدين وفى الحب فى وقت معا .. وقد افتتن قراء مجلة « الرسالة » فى الثلاثينيات افتتانا شديدا بهذا اللون من الكتابة الذى لم تعرف العربية له نظيرا ، من عهد عبدالحميد الكاتب وابن المقفع .. الى عهد مجلة الرسالة .. ثم الى عهدنا هذا الميمون ..

وهو الذى كتب عن الجميلات العاريات المصطافات على شاطىء الاسكندرية فى الثلاثينيات ، وكان احيانا يجلس على الشاطىء فى الليل ويقول : « .. القمر فى ليالى الصيف زاه رفاف من الحسن ، كأنه اغتسل وخرج من البحر ، ويُلقى من سحره على النجوم فتظهر حوله كأنها أحلام معلقة فى السماء » !

أما النساء على رمال الشاطىء فيشبهن حواء قبل اختراع الثياب : « إن الغريق على الشاطىء هو الذى يغرق فى الرمال التى يجلسن فوقها » .

وقد جرب الرافعى كل أنواع الحب حتى حب الراقصات ، ولم يكن يحب من النساء الا الجانب الذى يشعل فيه نشوته الروحية وكان عاشقا ينير العشق مابين يديه « فكأنه هو وحبيبته تحت اعين الناس ، ماتطمع الا أن تراه ، ومايطمع الا أن يراها ، ولا شىء غير ذلك » .

وكان لايكتب رسالة الى من يحب حتى يستأذن فى ذلك زوجته « حتى لايعتدى على شىء من حقها » !

وكان فى الحب معلقا بأوهام الذكاء التى تلمس الحقائق بقوة خالقة تزيد فيها » .

**كان الرافعى المتدين المخلص فى تدينه ، فنانا من قمة رأسه حتى أخمصيه ، ولم يكن بين تدينه وفنه تناقض ، وأتاح له عصره الذى كان**

في مجمله عصر نهضة وتسامح ، أن يكون فنانا عظيما في الأدب ، ومدافعا قويا في الدين » ..

وكان يهاجم أعداء الشعر العربي الذين يزعمون جمود الأوزان والقوافي وقصورها عن الأداء ، ثم يعلن بلا مواربة أن البحور والقوافي قد تعوق الشاعر العربي ، فيصبح له عندئذ الا يأخذ بها ، وأن يكتب معانيه الشعرية نثرا » أو كما يصنعون الآن بالتفعلية » وكان يحبذ « صياغة بعض الشعر على أصول التفكير في الانجليزية أو الفرنسية أو غيرهما من لغات الأمم ، فيخرج الشعر عربيا ، وأسلوبه في تأدية المعنى اجنبي » وقد بلغ رأيه هذا من التحرر مالم تبلغه آراء أصحاب « مدرسة الديوان » المشهورة ، وآراء النقاد المجددين الذين جاءوا بعقبها حتى أيامنا هذه .. ومن حسن حظ الرافعي أنه لم يعش في أيامنا السعيدة الراهنة ، أيام المتطرفين الدينيين أصحاب الخناجر والهراوات والجنازير .. وإلا لأغرقوه في لجة من التهم ، وأسقطوا عنه كل حسنات التدين والدفاع عن الدين تحت راية القرآن ، جزاء وفاقا ، وعقابا رادعا له عن الكتابة في الحب والجمال والرقص والغناء والتجديد السياسي والاجتماعي والأدبي والفني !

ان المتطرفين والأغرار المتمسحين بالدين يحاولون الآن أن يطمسوا بأكفهم الجانب الفني والأدبي والاجتماعي والسياسي المتحرر من الرافعي ، والاكتفاء بمايرونه من جانبه الديني ويتصورون أنهم يجدون فيه سندا فكريا لهم .. ولعلهم ينكرون انه كان يخشى المسرح والسينما والسيرك ومقاهي الأوربيين ، ويؤلف اغنيات باللهجة العامية ، وينظم الأناشيد الوطنية غير الدينية ، ويتفق مع ملحنيها على طريقة تلحينها مع انه كان أصم لايسمع !

ويرحم الله الرافعي !.. لقد حاول خصومه من معاصريه أن يصوروه للناس مجرد داعية الى القديم !.. ويحاول الآن ، أصدقاؤه ، من المتطرفين وقصار النظر نفس محاولة خصومه فيصورونه كواحد من السلفيين الجامدين المعادين للتقدم .

ويوشك الرافعي أن يضيع بين خصومه القدماء وأصدقائه الجدد !.. وقد آن لنا أن نعرف هذا الكاتب الفنان العظيم على حقيقته التي حجبها أعداؤه وأصدقاؤه بلا اختلاف بينهم على شيء ، وإن كانوا مختلفين على جميع الأشياء !

# الحب في آخر لحظة

شعر: نبيل خالد



ياسيدى
اذهب بعيدا حيثما تريد
قد مزقت اوراقنا
من زمن بعيد
وصار قلبى
لايريد حبك البليد
فقدت لهفتى
نسيته ولا رجوع للقديم
حتى رسائلى اليك
لااريدها
كتبتها وكنت ساذجة
والآن قد صحوت من سذاجتى
علمتنى الكثير والكثير
نزعت نابك الذى غرسته
اطفأت فى قلبى الحريق
وصرت دمعة لفظتها
ودست فوقها
تركتها لأكمل المسير
ولم يعد كلامك الجميل فى مسامعى
هل تحتفظ
فريسة بمخلب
فى لحمها وتدعى بأنه جميل
واليوم جئتنى تبثنى غرامك الجديد
تقول لى .

لتغفرى خطيئتى
يازهرة من ياسمين
لتقبلى عذرى
ونبدأ المسير
ياسيدى لاتعتذر
قتلتنى !..
واليوم جئت كالجريح
لاتقترب
ودع يدى
النار ترعى فى أناملى
وأحترق
لاتقترب
الحب يجرى فى دمى وينتشر
لاتقترب ... لاتقترب

من أوراق الدكتور طه حسين

# تيسير النحو العربي واصلاح الكتابة العربية

بقلم : د. محمد حسن الزيات

**بين أوراق المرحوم العميد الدكتور طه حسين صورة خطاب غير مؤرخ وجهه الى وزير التربية والتعليم او وزير المعارف العمومية فى ذلك الوقت عن تيسير النحو العربى واصلاح الكتابة العربية يقول فيه ( ان لهاتين المسالتين المشكلتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف او بيان ) وقد كان هذان الموضوعان يشغلان بال طه حسين واهل جيله ، واتجه بعضهم مثل المرحوم عبد العزيز باشا فهمي ـ الى التفكير فى استعمال الحروف اللاتينية فانكر طه حسين ذلك عليه وخاصمه فيه اشد الانكار واعنف الخصام على ان هاتين المسالتين المشكلتين لاتزالان اليوم بغير حل ، ولاتزالان تشغلان بال الكافة من خاصة وعامة فى مصر وفى كل البلاد العربية فلعل نشر هذا الخطاب اليوم ان يساهم فى الوصول الى حل لهاتين المسالتين المشكلتين يقول طه حسين فى خطابه . ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة به .**

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

تفضلت فتحدثت الىّ فى مسالتين لهما فى حياتنا الفعلية أبعد الاثر وابلغه إحداهما : تتصل بتيسير النحو العربى وجعله ملائما لطبيعة العصر الذى نعيش فيه موافقا لمزاج العقل الحديث ، والاخرى تتصل باصلاح الكتابة العربية بحيث تعصم القارئين من الخطأ وتمكنهم من ان يقرأوا الكلام كما اراد صاحبه ان يكتبه وكما يحب صاحبه ان يقراه الناس . وما اشك فى ان لهاتين المسالتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف



طه حسين

او بيان وحسبي ان اقول ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة بحل هاتين المسألتين المشكلتين وانا لنغالط انفسنا اشد المغالطة ونخادعها اشنع الخداع حين نظن اننا نعلم تلاميذنا وطلابنا اللغة العربية ونفقههم فيها ونبصرهم بها ونمكنهم من ان يعبروا بها تعبيرا صحيحا بما يريدون او يفهموها فهما صحيحا اذا قراوها في الكتب والصحف او سمعوها من الخطباء والمحاضرين على نحو ما يعبر الناس بلغاتهم وعلى نحو مايفهم الناس لغاتهم .

فنحن في حقيقة الامر لانكاد نبلغ من هذا شيئا وقد اثبتت التجارب التي لاتقبل شكا ولا تتعرض لريب ان شبابنا بعيدون كل البعد عن ان يعرفوا لغتهم معرفة متوسطة فضلا عن ان يحسنوها ويتصرفوا فيها تصرف المالك لها العالم بها المتقن لدقائقها واسرارها وشبابنا مع ذلك ينفقون في درس اللغة العربية وينفق معهم اساتذتهم وقتا طويلا ويحتملون في ذلك ويحتمل معهم اساتذتهم جهدا ثقيلا فهم يدرسونها اربعة اعوام في التعليم الابتدائي وخمسة اعوام في التعليم الثانوي ، ثم يصلون إلى الجامعة او المدارس العالية وهم عاجزون أشد العجز من ان يصوروا اراءهم وخواطرهم تصويرا صحيحا بالكتابة او الخطابة او الحديث فضلا عن ان يصوروا هذه الآراء والخواطر في الشعر الرائع او النثر الفني الجميل . وقد اعترفت وزارة المعارف نفسها بهذه الحقيقة بعد ان اقنعتها التجربة بها ودلتها الحوادث عليها فساقت الى الذين يعنون بتعليم اللغة العربية حديثا تسألهم فيه عن اسباب هذا العجز الظاهر وعن الوسائل التي يمكن ان تتخذ لاتقائه وتبرئة الشباب وقد تلقيت سؤال الوزارة هذا منذ اشهر فيمن تلقاه وقد رد عليه كثير من الناس في احاديث خاصة وجهوها إلى الوزارة وفي مقالات وفصول نشرتها الصحف والمجلات ولكني اثرت الصمت واخترت ان اقرا سؤال الوزارة ثم لااجيب عليه لاني كنت مستيئسا من فائدة هذه الاجابة واثقا بانها لن تغني شيئا مستيقنا انها ستصل الى الوزارة فيما يصل اليها من الاجابات فتقرا اولا تقرا ثم تحفظ بعد ذلك في مكان امين او تسلم الى الاهمال الذي ينتهي بها الى الضياع .

## تيسير النحو العربي
## وإصلاح الكتابة العربية

وكنت محققا فى نفسى ان الوزارة لن تأخذ من الوسائل التى يمكن ان اقترحها عليها بشيء لأن الاخذ بهذه الوسائل كلها او بعضها يحتاج إلى جراة قد لاتقدم عليها البيئات الرسمية إلا بعد تردد طويل ولعل هذا التردد ان ينتهى بها إلى الاحجام والصبر على المكروه .

وكذلك رسمت لنفسى منذ عهد غير قصير خطة الاعراض عن السعي عند الوزارة فى بعض وجوه الاصلاح التى تحتاج الى الحزم والعزم والى الجراءة والاقدام وإلى مواجهة بعض المصاعب التى تنشأ عن المحافظة والغلو فيها . واثرت ان اترك امور هذا الاصلاح تجرى مع طبيعة التطور وتفرض نفسها على الاجيال شيئا فشيئا وماكنت لاخرج عن هذه الخطة التى اخذت نفسى بها منذ حين لولا انى وجدت من حديث معاليكم ومن رغبتكم الملحة فى اصلاح امر اللغة العربية ما رد بعض الامل وشجعنى على ان اعود إلى التفكير فى اشياء قد تركت التفكير فيها منذ زمن بعيد . وانى لسعيد كل السعادة مغتبط اشد الاغتباط حين الاحظ ان الآراء التى سمعتها من معاليكم فى اصلاح النحو والكتابة مطابقة كل المطابقة لما كنت اطمع فيه واطمح اليه منذ اعوام طويلة فليكن اقبال معاليكم على هذا الاصلاح فالا حسنا ومقدمة سعيدة لخطوات موفقة ان شاء الله .

— ٢ —

ولقد لاحظت منذ اعوام فى تقرير رفعته الى احد وزراء المعارف السابقين ان النحو الذى نعلمه لتلاميذنا وطلابنا فى القرن الرابع عشر للهجرة هو بعينه النحو الذى كان يعلم فى البصرة والكوفة وغيرهما من مراكز الثقافة الاسلامية فى القرن الثانى والثالث للهجرة اى اننا نعلم النحو فى هذه الايام على الطريقة التى كان يعلم عليها منذ اكثر من الف سنة .. ولاحظت ان العلوم كلها قد تطورت وتغيرت اصولها وقواعدها ومناهج تعليمها والبحث عنها إلا علوم اللغة العربية فإنها ظلت كما هى لم تتطور ولم تتغير إلا ان يكون ذلك من طريق الاختصار الذى لايذلل صعبا ولعله يصعب السهل ويدفع الواضح إلى الغموض وليست العلوم وحدها هى التى تطورت او بعبارة اصح لم تتطور العلوم إلا لان العقل نفسه قد تطور وتغير فانتج علما مخالفا لما كان نتيجة من قبل وعجز عن إساغة العلم القديم الذى كان يسيغه العقل القديم .. وما من شك فى اننا لانستطيع التفكير فى ان نعلم الطبيعة والطب على نحو ما كان يعلمهما الرازى وابن سينا او ارسطاطاليس وجالينوس ولكننا نطمئن الى تعليم النحو والصرف بنفس الطريقة التى كان يعلمهما بها الكسائى وسيبويه .

ومصدر هذا التناقص الغريب خطأ فى التقدير تورط الناس فيه منذ زمن بعيد ثم استقر فى نفوسهم وامتزج بعقائدهم واصبح تحويلهم عنه شيئا عسيرا ، فهم قد ظنوا ان النحو هو اللغة وان تغيير قواعده واصوله تغيير للغة وافساد لها ومن حيث ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة فينبغى ان ترتفع عن التغيير والتبديل وان يتقى التصرف

فيها على اى وجه من الوجوه يعرضها للتغير أو التطور واغرب من هذا ان اللغة قد تغيرت وتطورت غير مرة فى تاريخها الطويل دون ان يمس ذلك لغة القرآن والحديث او يؤثر فيها تاثيرا قليلا وكثيرا ولكن الناس لم يفطنوا لهذا اولم يحفلوا به وظلوا يؤمنون بان النحو هو اللغة وبان تغيير قواعده واصوله شر عظيم . ومع ذلك فليس النحو إلا قواعد يقصد بها إلى ضبط استعمال اللغة على اقرب وجه وايسره وقد ابتكر النحو ابتكارا فى اول الحضارة الاسلامية واستحدثت قواعده بعد ان لم تكن واختلفت فى تصويرها وضبطها وعرضها اراء الائمة و العلماء فلم ينشأ عن هذا الاختلاف افساد اللغة ولم تتعرض من اجله لخطر جليل او ضئيل واى خطر تتعرض له اللغة حين يختلف الكوفيون والبصريون مثلا فى ان المبتدأ مرفوع بالابتداء او مرفوع بالخبر . وفى ان الأسماء الستة ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجر بالياء او ترفع بضمة قبل الواو وتنصب بفتحة قبل الألف وتجر بكسرة قبل الياء او تعرب بالحركة والحرف جميعا او تعرب بحركة مقدرة على هذا الحرف سيظل المبتدأ مرفوعا مهما يكن رافعه وستظل الأسماء الستة معربة على هذا النحو المعروف مهما تكن علامة اعرابها وعلى هذا النحو كل اختلاف العلماء التى تشبه هذين المثالين لم تغير اللغة ولم تعرضها لسوء . فلو اننا احدثنا مذهبا جديدا فى ضبط قواعد النحو فقلنا ان المبتدأ مرفوع وسكتنا عن رافعه مثلا لما كان لهذا المذهب الجديد اثر فى اللغة من حيث هى لان المبتدأ سيظل مرفوعا كما كان فتستقيم اللغة كما استقامت دائما

ولكن هذا المذهب الجديد قد يريح التلميذ والطالب من عناء لاحاجة اليه ولا فائدة فيه هو عناء البحث عن هذا العامل المعنوى الذى كان يرفع المبتدأ عند البصريين وهو الابتداء او عناء الفهم لهذا العبث الطريف الذى كان يجعل المبتدأ رافعا للخبر والخبر رافعا للمبتدأ عند الكوفيين .

وما أشد حاجة التلميذ والطالب فى هذا العصر الذى كثر العلم فيه وتعقدت ألوان المعرفة الى ان نريحه من العناء الذى لايغنى ونقدم إليه من العلم مايستطيع ان يسيغه ونحن ان لم نفعل ذلك بغضنا إليه العلم تبغيضا وصرفناه عنه صرفا واظن اننا قد نجحنا الى الآن فى تبغيض اللغة العربية وعلومها الى التلاميذ والطلاب وما ارى ان الفتى المصرى يبغض من العلوم التى يحصلها فى المدرسة شيئا كما يبغض النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع ذلك لان هذه العلوم لاتتصل بنفسه ولاتتحدث الى عقله ولاتلائم طبعه ومزاجه وانما هى ألغاز لاتفهم او سخف لايستطيع ان ينظر اليها نظرة الجد .

وكيف نريد التلميذ على ان يفهم اننا اذا قلنا محمدٌ أقبل فلابد من ان نقدر فاعلا مستترا للفعل ومن ان يكون هذا الفاعل المستتر ضميرا يرجع على محمد . وكيف نريد الطالب على ان يفهم ان هذا الضمير المستتر قد يستتر جوازا مرة ويستتر وجوبا مرة اخرى وهو فى كل حال مبنى ومحله دائما محل الرفع كل هذا كلام لايسيغه العقل الحديث ولا سيما فى طور الطفولة والشباب فاذا فرضناه على الصبى او الفتى فإنما نفرضه على الذاكرة ونكلف التلميذ ان يحفظ مالايفهم وان

بعيده فى الامتحان كما تعيد الببغاء ماتحفظ من الصيغ والالفاظ وهذه الامثلة التى ذكرت اهون ما يلقى التلميذ حين يأخذ فى درس النحو ولا اريد ان اعرض للحركات التى تقدر ويمنع من ظهورها التعذر او يمنع من ظهورها الثقل او تمنع من ظهورها كسرة المناسبة ولا اريد ان اعرض للاشتغال ولا اريد ان اعرض للحروف التى تنوب عن الحركات ولا الحركات التى ينوب بعضها عن بعض كالفتحة التى تنوب عن الكسرة والكسرة التى تنوب عن الفتحة ولا اريد ان اعرض لنظرية العامل التى تكلف التلميذ والطالب عناء ثقيلا دون ان يفهمها او يسيغها وما اكثر ما يسأل التلميذ نفسه عن هذه الادوات التى تنصب الاسم وترفع الخبر كيف تعمل النصب والرفع مع انها فى حقيقة الأمر لاتعمل شيئا ، فلو ارحنا الطالب من هذا كله ويسرنا له امور النحو تيسيرا وحببنا اليه دروس اللغة العربية واتحنا له فهمها وذوقها والانتفاع بها فى الكلام والفهم نعرض اللغة لخطر قليل أو كثير ، كلا انما نحط عن التلميذ عبئا ثقيلا ليس هو فى حاجة الى احتماله وانا واثق كل الثقة بأن اراحة التلميذ من هذا العناء الثقيل السخيف ستغير نظرته الى دروس اللغة العربية واقباله عليها وستظهر نتيجة ذلك فى أسرع الوقت واقصره فيفهم

— ٣ —

اما اصلاح الكتابة فليست الحاجة اليه اقل من الحاجة إلى اصلاح النحو ولعلها ان تكون اشد منها واكثر شيوعا فليس كل الناس مضطرا إلى ان يتعلم النحو ولكن كل الناس مضطر إلى ان يقرأ ويكتب وهو فى حاجة إلى ان يعصم من الخطأ إذا قرأ وكتب وقد صور حاجة الناس إلى هذا الاصلاح تصويرا صادقا كل الصدق فى حديثكم الذى اذعتموه منذ حين واكبر الظن ان مصدر

الشر فى هذه المسألة هو بعينه مصدر الشر فى المسألة السابقة فقد استقر فى نفوس الناس ان الكتابة كما هى مقدسة لا ينبغى ان تمس ولا ان ينالها التغيير كما ان النحو مقدس لاينبغى ان يمس ولا ان يناله التغيير وقد نسى الناس ان الكتابة غيرت وتطورت ونالها العلماء بالاصلاح فلم يصب اللغة من ذلك شر ولم يلم بها مكروه وقد ارادت الظروف ان تكون الكتابة العربية كغيرها من الكتابات السامية ناقصة نقصا شنيعا يصور نصفها ويهمل نصفها الآخر تصور حروفها الجامدة وتهمل حروفها اللينة ونشأ عن هذا ان اصبحت الكتابة لاتكاد تغنى وهى على كل حال شديدة العسر ولايحسن قراءتها الا الذين يفهمون قبل ان يقرأوا وقد يمكن ان يقبل هذا حين تكون الكتابة مقصورة على طبقة ضيقة من الناس تحتكرها وتنفرد بها كما كان الكهان يحتكرون العلم و يستأثرون به فى بعض العصور فاما اذا فرض الدستور ان يقرأ الناس جميعا وان يكتبوا فاما اذا الغت الديمقراطية هذا النوع من الاحتكار فلاينبغى ان تطالب عامة الناس بأن يفهموا قبل ان يقرأوا وبان يكون لهم ذكاء العلماء والمتفوقين

وانما ينبغي ان نجعل القراءة اداة تمكنهم من الفهم لاغاية يمكنهم الفهم منها وليس الى ذلك من سبيل الا أن تكون الكتابة كاملة كالنطق فتصور فيها الحروف الجامدة والحروف اللينة كما ان النطق كامل يصور فيه هذان النوعان من الحروف . فنحن اذا نطقنا بلفظ كتب لاننطق بالكاف والتاء والباء وحدها وانما ننطق معها بهذه الفتحات الثلاث التى هى النصف اللين لهذه الكلمة فما بالنا نصورها فى النطق فى الكتابة . وكيف السبيل للقارىء الساذج اذا راى هذه الاحرف الثلاثة الجامدة ان ينطقها على الصورة التى ارادها لها الكاتب إلا إذا فهم قبل ان يقرأ وكيف يتاح ذلك لغير العلماء والاذكياء من الناس . وإذا كان الائمة من علماء المسلمين قد تحلوا لخطر هذه المسألة بالقياس الى القرآن الكريم نفسه فحاولوا تصور هذه الحروف اللينة فى المصحف الشريف بالنقط مرة وبالشكل المعروف مرة أخرى فما الذى يمنعنا نحن من ان نمضى فى هذه الطريق التى مهدها لنا المتقدمون افلا يسعنا ان نصنع ماصنع ائمة القرن الاول والثانى وكيف ينكر علينا مالم ينكر عليهم وكيف نلام على مالم يلاموا عليه وايهما خير ان نسلك هذه الطريق التى سلكوها فنتم مابدأوا ونحقق ما ارادوا ام ان نبقى حيث نحن فنحول بين اللغة العربية وبين الحياة والخصب والنماء لو نضطر الى ان نصطنع الكتابة اللاتينية كما اصطنعها الترك أما انا فما اشك فى ان الاقدام على هذا الاصلاح فرض لاسبيل إلى اهماله إلا إذا ابحنا لانفسنا إهمال اللغة نفسها وتركها عرضة لتقلب الظروف ولكن تحقيق هذا الاصلاح ليس من الاشياء اليسيرة فهو قد يحتاج إلى جماعة من الفنيين الذين يتقنون العلم بانواع الكتابة والخط ويحسنون التصرف فيها ليدرسوا هذه المسألة درسا عميقا ثم يعرضوا مايتاح لهم من الحلول العملية التى تجمع بين الدقة واليسر والبساطة . وربما كانت المسابقة العامة من الوسائل المنتجة فى هذا الامر بعد ان يستقر راى العلماء ويتم اتفاقهم على ضرورة الاخذ بهذا الاصلاح .

وخلاصة القول انى اقترح اولا ان تؤلف لجنة صغيرة تكلف تبسيط النحو ورفع ماتنتهى إليه من هذا التبسيط إلى معاليكم لتروا رايكم ولتعرضوه ان شئتم على هيئة اوسع واشد تنوعا من هذه اللجنة وثانيا ان تستشيروا فى مسالة اصلاح الكتابة طبقات مختلفة من المشتغلين باللغة العربية وعلومها فيستشار الأزهر وتستشار دار العلوم وتستشار الجامعة ويستشار المجمع اللغوى . فإذا اتفقت هذه الهيئات كلها على الأصل الاساس وهو من تصوير الحروف اللينة او الحركات على انها جزء من الكلمات ضرورة لابد منها وخير لا شر فيه عرض موضوع هذا الاصلاح لمسابقة عامة لافى مصر وحدها ولا فى الشرق العربى وحده بل فى الشرق والغرب جميعا .

وانا أرجو ان تتفضلوا فتقبلوا مع اجمل الشكر واحسن التقدير اخلص التحية واعظم الاجلال .

# هذا الزمان

شعر : أحمد عبد الحفيظ سلام



أنتِ التى اغْريْتنِى بالسفرْ — وقلت لى هيًا الى جَنَّتِكْ
دنياك صارت مرتعا للبشرْ — وانت انت العمر فى وحدتك
اطلق جناحا قد طواه القدرْ — لكنـه يحنو الى غنـوتك

★ ★ ★

فقلتُ : يانفس دعينى فقد — عرفت من نجمى مدى قِسْمتى
طوّفت فى دنياى حينا فما — رأيت ظلّى يقتفى خطوتى
وعدت يانفس وقد هالنى — مايطمس الاحلام فى رحلتى

★ ★ ★

رأيت قوما فى صراع على — فتات زاد قسمة الجائعينْ
داسوا على المحروم لما هوى — فى ساحة فرسانها يلهثونْ
واستنجد المجروح والكل فى — مخالب الدنيا فهل يسمعونْ ؟

★ ★ ★

وقلت يانفس سؤالى بدا — فجًا فهل القى لديك الجوابْ ؟
لو اننى فى منتهى حفرة — أبكي وقد ينهال فوق التراب !
فهل اتى من هَزّنى من يدى — وصَدَّ عنى ما أرى من عذاب ؟

★ ★ ★

لو اننى فى عُقر داري وقد — اصبح ملء الكون من دائيه !



والناس فى يُسْرٍ بما نالهم  من إنعم الخيرات والعافية
هل زارنى منهم صديق وهل  داوى جراحاتى وأوجاعيه ؟

★ ★ ★

لو اننى امضى الى غاية  والجوع فى جَنْبَيّ مثل اللهيبْ
وقد بدا جسمى هزيلا كما  يبدو نداء القبر منى قريب
فهل ارى من بات فى نعمة  يقذف لى مما يفيض النصيب ؟

★ ★ ★

لو كنت ابدو بينهم عاريا  اضرب فوق الارض فى خِرقتى
وقد بدت ساقاى مرعوشة  والبرد يقصفنى بلا رحمة
هل راعهم عُرْيِى وجادوا بما  يستر عن انظارهم عورتى

★ ★ ★

هذا زحام ضاع فى بحره  فرد فهل من حيلة للنجاه ؟
يقاوم الحرمان حتى هوى  فى صرخة اليأس وخارت قواه
هذا زحام كله جائرٌ  حتى ولم يرحم شقيق اخاه

★ ★ ★

# اللغة التركية في مصر

بقلم : د. محمد حرب

**ليس هذا المقال ، اكاديميا فى تاريخ اللغة التركية فى مصر ولكنه محاولة لعقدصلة فى موضوع طريف وهو اهتمام مصر باللغة التركية فى عهد المماليك ، يعقبه مقال عن اللغة العربية فى الدولة العثمانية .**

كان صلاح الدين الايوبى كرديا ، لكنه لم يكن يعرف التعصب لكرديته ولا للغة الكردية ومع اكثار الايوبيين للمماليك من الترك ، فتحت الابواب الى انتشار اللغة التركية فى الجيش الايوبى ، وفى قصور الايوبيين "حتى اطلق المؤرخون على دولته اسم الدولة التركية" وربما يرجع سبب من اسباب هذه التسمية الى أن الحضارة السلجوقية ـ وهى حضارة تركية ـ قد دخلت مصر معهم ـ اى مع الايوبيين ـ ابتداء من العقيدة المذهبية الى الفنون الجميلة الى الخط ، الى التنظيمات الادارية والنظم العسكرية ، اى الى كل فروع الحضارة

لم يقتصر اهتمام مصر باللغة التركية على عهد الدولة الايوبية فقط فقد وجدت هذه اللغة ساحة انتشار واسعة ونشاطا ادبيا عالى النفوذ فى العهد المملوكى بشطريه : المملوكى التركى ( ٢٢٥٠ ـ ٢٣٨٢ ) والمملوكى الشركسى ( ٦٣٨٢ ـ ٢٥١٧ ) وهى فترة تاريخية هامة حوت بين جنباتها « الحروب الصليبية » واخذت هذه الدولة المملوكيه ـ وهى تركية بشطريها كما اسلفنا ـ صفة قوة من اعظم القوى السياسية والعسكرية فى العالم ونقلت مركز الثقل فى عالم العصور الوسطى، الى مصر"وصارت مصر بهم وبقواتهم القوية وبجيوشهم المنظمة ، قوة عظمى تدافع عن الاسلام وعن العالم الاسلامى امام الغرب المتمثل فى الجيوش الصليبية .. كما كانت مصر ، بهم وبقواتهم وبجيوشهم، القوة العظمى التى اوقفت التقدم المغولى المذهل .

ولم يكن احد من سلاطين المماليك وامرائهم ـ على الاغلب ـ يعرف اللغة العربية . مثال ذلك ان السلطان قلاوون كان يعرف اللغة العربية معرفة باهتة ، ويؤيدنا فى ذلك مؤرخنا المقريزى . كما نجد ان السلطان برقوق اول سلاطين الدولة المملوكية الشركسية ، يطالب عند وصوله حلب عالما تركيا يوجد فى معيته ليقرأ له الكتب التركية .

وهذا ، ان دل على عدم معرفة الامراء والسلاطين المماليك باللغة العربية ، الا انه يدل من ناحية اخرى على معرفة هؤلاء باللغة التركية ومثال ذلك ان السلطان قايتباى كان ينظم اشعاره بالتركية فى لهجتها

القبجاقية . وكان محمد بن قايتباى كذلك ينظم أشعاره باللغة التركية . ولا ننسى هنا اديب اللغة التركية السلطان قانصوه الغورى . والجانب الثقافى للغورى هام ، فقد كانت له ثقافته الدينية الواسعة ، كما كان له اهتمامه الواضح فى التاريخ بالادب وله كتاب فى التفسير بعنوان كوكب الدرى فى اجويه الغورى وله منظومتان ورسالة منظومة بعنوان قصائد الربانية والموشحات السلطانية الغورية . وفى مناقب ابراهيم كلشنى ، ان الغورى كان يجيد ثلاث لغات . وقصائده التركية بعضها مخطوط فى طوب قابو وملت فى استانبول وبعضها ظهرت عنه دراسات حديثة ولاستاذى الجليل الدكتور شهاب الدين تكين ضاغ عليه رحمة الله مقالات عن ادب الغورى المكتوب باللغة التركية .

## ● لغة هامة فى مصر

لكن مصر اهتمت باللغة التركية منذ القرن الثالث عشر الميلادى تعليما وتدريسا ، وظهرت فيها الكتب لهذا الغرض التعليمى وكتاب بلغة المشتاق فى لغة الترك والقبجاق شاهد على اهتمام مصر باللغة التركية ونشرها . وهذا الكتاب عبارة عن قاموس عربى تركى . ويرجح ان كاتبه ، هو جمال الدين ابو محمد عبد الله التركى ، كتبه فى تاريخ ترجيحى ايضا هو « قبل عام ١٤٢١ » . وكان كاتب هذا الكتاب يهدف الى تصنيف قاموس للغة التركية وان كان يتحدث فى مقدمته عن كتابه بانه « ترجمان اللغة التركية » الا ان الكتاب اشتهر باسم كتاب بلغة المشتاق فى لغة الترك والقبجاق . ولهذا الكتاب مخطوطة نادرة فى المكتبة الوطنية فى باريس ويحتوى على واحد وسبعين ورقة .

قسم المؤلف كتابه هذا الى قسمين : اسماء وافعال . قامت اكاديمية العلوم فى وارسو ( عاصمة بولندا ) بنشر هذا الكتاب على مرتين : الجزء الثانى الخاص بالافعال عام ١٩٥٤ ، والجزء الاول والخاص بالاسماء عام ١٩٥٨ .

**ينبغى هنا الاشارة الى ان اللغة التركية كانت هامة فى مصر فى عهد المماليك وكتبت بها كتب كثيرة قدمت لامراء المماليك وسلاطينهم ، لكن انتشار اللغة التركية فى ذلك الوقت فى النظم الحضارية والتنظيمات العسكرية الاسلامية ، كان يمتد من** خوارزم الى اذربيجان ومن الاناضول الى سوريا ومصر . الا ان مركزها كان مصر . اقصد مركز الاهتمام الاول باللغة التركية ، حيث القوة الاولى فى المنطقة وواحدة من القوى العظمى فى العالم ان لم تكن هى القوة العظمى الاولى .

اما فى القرن الرابع عشر فقد بنى الامير صغور غتمش مدرسته فى القاهرة ، فاستقدم بعد بنائها ، بعض علماء تركستان وغيرها من المناطق التركية ، لتعليم اللغة التركية - بجانب العلوم العربية والاسلامية واللغة العربية - مثل الشيخ محمود بن قوطلو شاه المتوفى عام ٧٧٥ .

ومن المؤلفات التركية فى مصر فى القرن الرابع عشر ايضا ، ما كتبه الشيخ صدر الدين عام ١٣٩٩ وهو كتاب على المذهب الحنفى ، والشيخ محمود بن عبد الله الكلستانى السرايى المتوفى عام ٦٣٩٩ قد صنف عدة كتب فى مختلف ساحات المعرفة المعروفة وقتها فى ثلاث لغات منها التركية . وهذا الشيخ هو العالم الذى استقدمه اليه السلطان برقوق عندما كان هذا

فى حلب لقراءة الكتب التركية على السلطان . ومن العلماء فى هذا المضمار أيضا الشيخ ابراهيم شيخ السرايى والشيخ احمد بن ابى يزيد

والكتب التركية التى كتبت فى مصر معروف بعضها لدينا ، لكن بعضها الاخر مازال غير معروف ، حتى ان حاجى خليفة لم يوردها فى كشف الظنون . ولكن ، مع عمليات فهرسة مكتبات استانبول والبحث فيها ، بدات مخطوطات قيمة تظهر فى هذا الميدان .

اما اذا استطردنا فى ذكر بعض اسماء وعناوين الكتب اللغوية القيمة التى صنفت فى مصر فى العهد المملوكى ، نذكر كتابا باللغة التركية فى الفقه الحنفى والمعاملات مسجلا تحت رقم ١٠٤٦ فى مكتبة فيض الله افندى باستانبول . ويحدثنا حاجى خليفة عن كتاب منظوم لزين الدين ابن عبد الرحمن العينى ( متوفى على ٧٩٣هـ ) باسم الدرة المضيئة فى اللغة التركية . كما اننا على علم بمؤلفات ابن حيان الغرناطى العالم اللغوى العربى المشهور فى عصره . ولد هذا العالم فى غرناطة لكنه نشأ وتعلم ومات فى مصر . له مؤلفات فى اللغات ومنها اللغة التركية وقد كتب ابو حيان هذا فى مصر عدة كتب فى اللغة التركية منها : كتاب زهر الملك فى نحو الترك ــ وكتاب الافعال فى لسان الترك ، وكتاب القوانين الداخلية لضبط اللغة التركية ، وكتاب الادراك للسان الاتراك . وهذا الكتاب الاخير هام مكتوب باللغة التركية فى لهجتها القبجاقية . وهو قسمان معجم وكتاب نحو . كتبه المؤلف فى القاهرة عام ١٣١٢ وهو من اقدم كتب الصرف والنحو التركى ويلاحظ انه لم يكتبه فى قسمه المعجم حسب الترتيب الابجدى . وهذا القسم المعجمى جدير بالاهتمام . وللكتاب مخطوطتان واحدة فى استانبول وتقع فى ١٣٢ صفحة ، ناسخها مجهول اما تاريخ نسخها فمعلوم وهو عام ١٣٣٥ وهذه المخطوطة برقم ٢٨٩٣ فى مكتبة ولى الدين افندى ( قسم من مكتبة الدولة فى بايزيد باستانبول ) والثانية فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٨٥٦ مخطوط عربى استنسخها احمد الشافعى عام ١٤٠٢ فى اللاذقية فى سوريا وهى فى ١٩٦ صفحة ، وقام مصطفى السلانيكى عام ١٨٩٢ م بنشرها معتمدا على نسخة ولى الدين افندى وهى تفتقر الى العملية فى نشرها ، لكن الاستاذ احمد جعفر نشر هذا الكتاب عام ١٩٣٦م معتمدا على نسخة جامعة استانبول مع ترجمة تركية للكتاب .

وهناك كتاب مصنف فى القاهرة فى القرن الخامس عشر بعنوان القوانين الكلية لضبط اللغة التركية وهو مجهول المؤلف ــ حتى الان ــ كتبه مصنفه بهدف تعليم اللغة التركية ، ومنه نسخة مخطوطة فى مكتبة الشهيد على باشا فى المكتبة السليمانية فى استانبول برقم ٢٦٥٩ وتقع هذه المخطوطة فى ١٦٩ صفحة ولا يوجد منها الا القسم الخاص بالنحو . واوسع الكتابة مساحة ملحوظة للافعال فى اللغة التركية وقد حقق هذا الكتاب رفعت الكليسلى ونشره فى استانبول عام ١٩٢٨ م وكتب الاستاذ محمد فؤاد كوبريلى مقدمة

له . وقام المستشرق المجرى س . تيهلة دى عام ١٩٣٧م بكتابة دراسة باللغة الالمانية عن هذا الكتاب .

وهناك ايضا مخطوطات فى هذا المجال مثل كتاب ديوان اللغة وكتاب العمدة القوية فى اللغة التركية ، وهو كتاب باللغة التركية ،، مفقود - حتى الان - الفه محمد بن عبد المولى البعلى ( ١٢٦٤ - ١٣٠٢ ) وهناك ايضا كتاب مجموع ترجمان تركى وعربى وفارسى ومغولى . وهذا مكتوب ايضا باللغة التركية القبجاقية وهو من كتب النحو والمعاجم . كتبه - او استنسخه - خليل القونوى بن محمد بن يوسف فى ٢٧ شعبان ٧٤٣ ( - ٢٥ يناير ١٣٤٣ ) ونشره المستشرق مارتين هو تسما فى ليدن بهولندا عام ١٨٩٤ وكتبت عنه دراسة فى مجلة الاسلام - بالالمانية - عام ١٩٦٨ ، باربارا فيلمنج . ونسخة هذا الكتاب المخطوطة تقع فى ٧٦ ورقة ونسخته الوحيدة المعروفة - حتى الان - موجودة فى مكتبة اكاديمية ليدن والكتاب على قسمين الاول الكلمات الخاصة باللغتين التركية والعربية ، والقسم الثانى خاص بالكلمات المغولية والفارسية وفى الكتاب ما يقرب من ١٣٦٠ كلمة تركية قبجاقية وما يقرب من سبعين كلمة تركية تركمانية . ونشر هذا الكتاب مع دراسة مستفيضة عنه عام ١٩٧٠م فى الما اتا عاصمة قبازاقستان السوفيتية .

ومن المؤلفات التى كتبت فى مصر باللغة التركية فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ترجمة كتاب ارشاد الملوك والسلاطين ، كتب للامير كبير الظاهر الحمودى السيفى باجمان نائب السلطنة بالاسكندرية . مؤلفه غير معروف ومترجمة مجهول . لكن ناسخه معروف وهو الفقيه بركه القبجاقى . والكتاب موجود فى مكتبة ايا صوفيا بالسليمانية تحت رقم ١٠١٦ وزاد المستنسخ فى نهايته منظومة تركية .

ظهر فى مصر ايضا الشاعر التركى سيف سرايى وهو شاعر عاش فى مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى . وصف فؤاد كوبريلى اسلوبه فقال : ( لا يمكن ان نجد نموذجا فى النثر الادبى التركى باللهجة القبجاقية فى القرن الرابع عشر اسمى وافضل من سيف سرايى) وهذا الشاعر ترجم كلستان سعدى من اللغة الفارسية الى اللغة التركية وقدم هذه الترجمة الراقية الاسلوب الى الامير بتجاس حاجب الحجاب .

ويدخل فى هذا الموضوع ، موضوع اللغة التركية فى مصر ، اوراد الطريقة البكتاشية وكتيباتها ، وهى اوراد وكتيبات باللغة التركية .

ويجب التنبيه هنا الى ان اهتمام مصر المملوكية او فلنقل الاهتمام المملوكى فى مصر باللغة التركية ، لم يمنع المماليك من تشجيع الكتابة بالعربية وترقية الدراسات الاسلامية والعلوم العربية ، حتى انهم جمعوا ضريبة لهذا الغرض .

ولكن بانتهاء الدولة المملوكية مصر المملوكية او لنقل الاهتمام ودخول العثمانيين القاهرة ، انتهت دولة اللغة التركية فى مصر وفقدت هذه اللغة اهميتها التى كانت لها فى عهد المماليك ، بمعنى مات الاهتمام بحركة التاليف باللغة التركية فى مصر بموت الغورى ، فلم تظهر فى مصر فى العهد العثمانى كله مصنفات فى علوم اللغة التركية ترقى الى مستوى بعض ما كان لدى المماليك كما وكيفا .

قصة قصيرة

# الجوهرة الثمينة

بقلم: نجيبة العسال

فى هدوء وبطء .. احس كانى انزع قدمى عن الارض بخطوات لا هى ثقيلة ثابتة ، ولا هى تنافس الطير فى بداية استعداده للطيران .. لانافرة ساخطة ولاثائرة متحفزة .. خطوات لا طعم لها ولامعنى لكنى خطوتها . سرعان ما كنت احط على مقعد مكتبى فى حجرتى الخاصة بعد ان اوصد الباب خلفى اشعر تماما بانى غير مترابط وليس فى ذهنى خيط واحد ادور حوله انها خيوط كثيرة تلتف حولى .. تخرج من اعماقى وتدور سريعة حينا ممعنة فى البطء احيانا .. تتداخل بعضها داخل بعض . انها حبى الذى كان ينعش قلبى وروحى انها الضحكة الرنانة والمرح الصاخب الذى كان يدغدغ حواسى ويطربنى وينقلنى الى عالم البهجة والحيوية الدافقة . وخيوط اخرى تتكون منها ابسطة مفروشة متسعة ناعمة طرية تمتد امامى بعرض الكون هادئة رطبة مبطنة بالحنان الطبع تفوح انفاسه بالطيبة الذكية .. لكنها تلتف حولى اشعر بها وكانها تكاد تخنق روحى وتهبط بها الى الاعماق السحيقة .

انتفض واقفا وكانى اخرج بنفسى الى الحياة بعد ان عشت تارة بين السحاب وتارة بين الضباب .. نقلتنى السحاب الى قصة حبى الصاخبة التى فقدتها وجاء بى الضباب الى حياتى الراهنة بحنانها الطيب وطاعتها الليلة . وهكذا اعيش بين الماضى والحاضر .. طالما قضيت ساعات وساعات يتداخل الماضى والحاضر لا اعرف ما هو الصواب والخطا واين الجوهرة الثمينة التى كان ابى يدعو الى فى صلواته دائما ان يرزقنى الله بها .

طالما قال ابى لى فى حياته ..

– ادعو الله ياولدى ان ينعم عليك بالهدية الفريدة . الجوهرة الثمينة ادعوه تعالى ان يمنحك اكبر هدية يمنحها الله للرجل وهى الزوجة الصالحة التى تشاركه الحياة بحلوها ومرها .. الزوجة التى تحافظ على ماله وتهيىء له الراحة والسعادة .. ثم تنجب له الذرية الصالحة ..

انجبت لى سلام من الذرية ولدا وبنتا وهما للان يبدوان ذرية سليمة ولكن صالحة كما هو بالمعنى المعروف وخاصة على الامد الطويل فهذا لم يتاكد



بعد ولا يدريه أحد اما هى سناء نفسها فهى ربة بيت من ناحية الكفاءة الكاملة لربة البيت تعتبر ممتازة اما بالنسبة لى واعود للماضى .. اعود الى « ليلى » : الفتاة الحلوة المرحة الصاخبة . التى تملأ كل ما حولها حيوية ومرحا . ان الساعات كانت تمر بى وانا معها وكانها دقائق احس بها تنقلنى من الواقع المحسوس الى بحر من الخيال .. دامت خطبتى لها ثلاثة شهور كاملة .. قالت امى يوما ـ ياولدى .. لا احس بالاممان لاتمام زواجك من ليلى . و .. وقعت كلمات امى يومها على وقع الصاعقة ولكنها كانت صاعقة اشعر بحاستى السادسة انها ستقع يوما لا محالة .. لماذا لا ادرى . وكابرت امى لاقول .

ـ لقد اخترت ليلى يا امى وانا مؤمن تماما بانها أصلح زوجة لى .

نظرت امى طويلا فى عينى وهى تقول :

ـ لن اقول لك كلمة واحدة اكثر من هذه الكلمات ، اجلس مع نفسك وانظر فى اعماقك جيدا واسالها .. هل ستكون ليلى زوجة صالحة لك او هى حقا الجوهرة الثمينة التى كان والدك يدعو الله فى صلواته ان يرزقك بها .

وكابرت اكثر لاقول .

ـ وهل تم الزواج والعشرة لنتاكد من ان دعاء ابى قد تحقق ام لا ؟

لم تفه امى بجملة واحدة فقط أعطتنى ظهرها وخرجت الى حجرتها .. يومها تزاحمت الاصوات داخل صدرى حتى خلتها ازيزا لسرب كامل من الجراد والنحل .

مر عام كامل على فسخ خطبتى ليلى . وبعدها .. كانت امى اسعد انسانة بعد موافقتى على اختيارها لسناء عروسا لى ..

بعد الزواج بشهور عديدة قالت امى فى سعادة بالغة .. بعد ان علمت ان سناء ستصير اما بعد شهور .

ـ حمدا لله ، الواضح ان دعاء والدك قد استجاب ، فسناء جوهرة ثمينة فعلا سيدة بيت ممتازة هادئة رزينة عاقلة اهلا لتظل الزوجة الصالحة والام الرؤوم العاقلة . الف رحمة على والدك .

يومها لم افه بكلمة واحدة .. فماذا اقول لامى ؟ وما حاجتى انا الى العقل والرزانة بقدر حاجتى الى الهزة التى تطرب نفسى داخل اعماقى انتى مرح احب

## الجوهرة الثمينة

المرح واتوق احيانا الى من يهزني في صخب .. اه لقد اضعت ليلى واضعت معها احساس بحيوية الحياة .. كان عيب ليلى الوحيد انها تأتي احيانا من الافعال ما ينقلنا الى عالم البهجة السريع وهذا في نظر البعض تهور وجنون . واثرت الهروب .. ولكن اشعر الان ان تهورها وجنونها كان بهجة الحياة وعنفوانها ونبضها الحي الاخاذ الذي يهب النشوة والمتعة مع الايام والسنين بدات قدماى تعرفان الطريق الى حجرة مكتبي بخطوات لا هي ثقيلة ثابتة ولا تنافس الطير في بداية استعداده للتحليق .. خطوات لا طعم لها ولا معنى لكنها تمضي بين الماضي والحاضر .. لاعيش بين السحاب والضباب والهدوء الذي يهبط بروحي الى الاعماق السحيقة ..

حزين انا لا استطيع ان اقول هذا . سعيد انا .. لا ، لا اجرؤ أن اقول هذا ولكنني اعيش .. اعمل واكل واخرج واعود الى بيتي وهكذا تمر بي الايام .. ، هناك كثيرون يعيشون الحياة مثلي .. بعضهم يطوي ضلوعه على عتابه للحياة .. وبعضهم يحلو له ان يقص على زملائه ما يغيظه من الحياة وكان لنا زميل . مختلف تماما عمن يعاتب الحياة ومن يعيش في غيظ وكمد منها ..زميل يبدو سعيدا مرحا يكاد يطير بايامه سعادة وحبا ويبدو احيانا حزينا مهدما من يراه يخيل اليه انه يحمل على اكتافه كل هموم الحياة وتناثرت الاقوال حوله عندما يبدو سعيدا يقول قائل ..

– لابد انه حقق امالها فاسعدته ..

ويقول اخر ..

– انها تملك قدرة فذة على اسعاده والتحليق به في عالم البهجة . فقد قال لي هذا كثيرا . وخاصة عندما يلبي مطالبها السريعة الى سهرة صاخبة او رحلة مع الاصحاب انها زوجة مملوءة بالحياة والصخب .. وهو يحبها حبا ما بعده حب وكأنها حبيبة وليست زوجة ..

وعندما يبدوا مهموما حزينا كانوا يقولون ..

– مسكين هذا الزوج الحزين ان زوجته لا ترحمه لابد انه ايملك ما يستطيع تلبية مطالبها به ..

وبدات يده تعرف الاستدانة من الزملاء ولكننا جميعا كنا لانستطيع عدم الاستجابة لطالبة المتوالية حتى اصبح مدينا لنا جميعا، ولكن احساسنا بسعادته الغامرة بعد الاستدانة كان يشفع له عندنا ويوما مرض الزميل المتارجح بين السعادة والقنوط وحمل الهموم يوما والطير مرحا يوما اخر .. واتفقنا ان نذهب لزيارته في منزله بعد ان عرفنا انه يمر بازمة صحية .. قاسية نوعا .. وذهبنا اليه زملاء مكتبه والمقربون اليه .. ومعنا .. ظرف يضم مبلغا حاولنا ان يكون كافيا لهذه الازمة القاسية واستقبلتنا بجانب فراشه زوجته الحبيبة التي تدور به في عالم البهجة المرحة احيانا وتلقي به في اتون الهموم . احيانا اخرى ..و .. بعدها لم تعرف قدمى الخطو الى حجرة مكتبي لتتركني بين السحاب والضباب فلم تكن زوجة الزميل الحائر الا .. ليلى خطيبتي السابقة ..

# لغويات

● يقول المغنون فى اغانيهم : « زازا العصفور » .. فيقول اللغويون الصحيح أن يقال : « زقزق .. » اى شدا وغنى .. واللغويون على صواب ، ولكن عامة المغنين ايضا صائبون ، لان « زازا .. » معناها : مشى سريعا رافعا رأسه وذيله ومحركا اعطافه ، وهذه هى حال العصفور عندما يشدو متنقلا من غصن إلى غصن ..

● تداولت الصحف اخيرا كلمة « جنزير » وجمعها « جنازير » بعد ان هاجم بعض الطلبة المتطرفين حفلا موسيقيا فى كليتهم بالعصى والجنازير ، وكلمة « جنزير » تحريف « زنجير » وهو الصدأ ذو اللون الأخضر فى النحاس وهذه الكلمة فارسية استعملت فى معنى السلسلة وهى الحبل ذو الحلقات من الحديد ..

● العامة تصف الرجل الماهر بانه « حِدِقْ » بكسر الحاء .. وتصف عمله بانه « حداقة » واللفظتان محرفتان قليلا عن « حذق » بفتح الحاء وكسر الذال .. و« حذاقة » بوضع نقطة فوق الدال العامية لتصبح ذالا فصيحة !..

● بعض المتأدبين فى هذه الأيام يخلطون بين "الشُراك" بكسر الشين وتشديدها وبين « الشَرك » بفتح الشين وتشديدها وفتح الراء .. فيقولون مثلا : « وقع الصيد فى الشراك » وصوابه « فى الشرك » .. لان « الشراك » هى خيوط النعل فى القدم اما « الشرك » وجمعها « اشراك » فهى حبائل الصيد .. «

● البرنامج التليفزيونى يشرح كيفية تحضير بعض الفطائر فتخاطب المذيعة السيدات اللاتى يشاهدنها ويسمعنها قائلة : والخطاب للمفرد المؤنث ـ « اضربى البيض بالسمن بالسكر بالدقيق .. تحصلى على كذا او كذا من الفطائر والحلوى » .. وكلام المذيعة فصيح لان ضرب الشىء بالشىء ، يعنى خلطه بقوة حتى يصير شيئا واحدا ..

● اصل كلمة « النفط » هو الفعل « نفط .. ينفط .. نفطا » .. يقال نفط الرجل اى كاد ان يحترق غضبا .. ونفطت العنز : رمت من فيها رغوة ذات نفاخات !

# محنة النقد الأدبى في مصر!

بقلم: عـاطف مصطفى

**يمر النقد الأدبى الآن بأزمة حقيقية ، ابتداء من اختفاء الناقد الحقيقى الذى يقود هذه الأجيال الجديدة من الأدباء للتعرف على إنتاجهم ، ووصولا الى ان نقادنا قد تأثروا بالغرب ، وتوقفوا عند بعض النظريات النقدية التى انضووا تحت لوائها !**

**وربما تكون الأشكال الأدبية فى ظل ثورة الاتصالات السمعية والبصرية ، قد اختلفت عما كان يحدث فى الماضى ، حيث يمكن لملايين المتلقين عن طريق الراديو والتليفزيون ، أن يتابعوا العمل الأدبى ، وذلك يضع الناقد امام مسئوليات جديدة وبالغة الخطورة ، وهنا يجىء دور كبار أدبائنا ومبدعينا فى غزو هذه الوسائل الجديدة ، بدلا من تركها لأنصاف الموهوبين والمبدعين .**

ونحن نعانى من مشكلة حادة ، لابد من التوقف عندها ، وهى مشكلة الانفصام بين المراكز النقدية من ناحية ، ومراكز التـوجيه الاعـلامى والتوصيل الصحفى ، خاصة فيما يتصل بممارسات النقد التطبيقى المتابع للحركة الابداعية ، فمكان هذا النقد التطبيقى ليس الجامعة وليس الكتاب . وانما هو الصحف ووسائل الاعلام ، بشرط الا تخضع لمتغيرات السياسة والاكتفاء من الديمقراطية بالكلمة وحدها ..

إن نقادنا كلما توجهنا اليهم بالسؤال عن الأسباب الحقيقية وراء هذه الأزمة ؛ يلقون باللوم على وسائل الاعلام .

لكن هناك اتهاما يوجه الى بعض النقاد ، وهو عدم التزامهم بالمنهج النقدى ، فيما يتناولونه بالنقد ، فنقدهم إما مدح مفرط ، وإما هجوم حاد ، بعيدا عن



د . لويس عوض



د . شكرى عياد



د . عبدالعزيز حمودة



د . صلاح فضل



د . سمير سرحان

# لماذا نظل سائرين فى فلك النقد العالمى؟!

الموضوعية التى تحددها مناهج النقد سواء فى الغرب أو فى الشرق .

والقضية تتشعب وهى على بساط البحث ، ويتوه الجيل الجديد من الأدباء والشعراء ، فلا يعرفون الطريق الصحيحة ، لأننا نبحث : أيهما يقوم بدوره كاملا ، الناقد الدارس الذى يؤدى عمله من أجل ازدهار حياتنا الثقافية ، أم ذلك الناقد الذى يعيش محصورا داخل أسوار الجامعات ، يرسخ ما يسمى بالنقد الأكاديمى .

إن مصر ومعها العالم العربى تبحث عن ذاتها ، ولا يمكنها ان تبحث عن ذاتها بعيدا عن تاريخها ، ولا يمكن أن يجد النقد العربى الحديث خطته ومنهجه بعيدا عن التراث النقدى العربى .

يجيب على بعض تساؤلاتنا هذه ، ما أثير فى ندوة بعنوان «حالة النقد الآن» اقامتها الهيئة العامة للكتاب اخيرا ، شارك فيها د . لويس عوض ، د . شكرى عياد ، د . عبدالعزيز حموده ، د . صلاح فضل وأدارها د . سمير سرحان .

تعرضت الندوة لجذور المشكلة تاريخيا ، ولم تتعرض للحديث عن أديب هام مثل

عباس العقاد ، فضلا عن طول الكلمات التى حالت دون توجيه أسئلة من الجمهور الكبير الذى أتى الى الندوة ، على امل ان يجد اجابة شافية لكل ما يدور الآن على الساحة النقدية فى مصر .

كان أول المتحدثين د . سمير سرحان والذى استغرقت كلمته حوالى نصف ساعة ، وربما لأنه أراد أن يستعرض حالة النقد فى العالم الغربى وقد أشار الى ان ما يراه البعض أزمة نقد ، قد يراه آخرون تحررا من القوالب والمقاييس الجديدة فى عالم لم تعد تحدده حدود !

أما بالنسبة للنقاد الممارسين ، الذين لا تهمهم فى كثير أو قليل دروب ومسالك النظرية النقدية من بنيوية الى اسلوبية وغير ذلك من التيارات المعاصرة ، فإن اكثرهم يتناولون الابداع الأدبى من وجهة النظر للحظة التاريخية التى يعبر عنها هذا الابداع ، ومن منظور اجتماعى ، اى انهم يرفضون منهج الفن للفن ، ويعتنقون منهج الفن للمجتمع .

وقد تعرض د . سمير سرحان الى المدارس النقدية فى الغرب والتى تطورت قائلا بأنه ليس سرا بأن الكثيرين من الشعراء والروائيين والنقاد الممارسين ، يشعرون أن جزءا كبيرا من الحركة النقدية فى الغرب محصور داخل اسوار الجامعات .

واصحاب النقد الحديث يقولون ان القصيدة عمل ابداعى يتميز بتعدد مستويات الفن وتعدد الدلالات ، ولا يمكن حصره فى معنى او مدلول واحد ، لكنهم لم يكونوا يؤمنون فى نفس الوقت مثلما يؤمن اصحاب نظرية البنيوية بان تحليل النصوص يستلزم تفكيكها ثم اعادة بنائها ، كما لم يؤمنوا بان القارىء شريك فى تاليف النص .

والنظريات النقدية الحديثة فى الغرب د جعلت من النقد الأدبى مؤسسة قائمة بذاتها وخاصة فى الجامعات ، وكانت فى أحيان كثيرة من العوامل المساعدة على تكوين الذوق الأدبى لدى قطاع عريض من الطلاب الذين يدرسون النصوص كجزء من مناهجهم الدراسية ، الا أنها حققت حالة من الانفصام الشديد بين الأدب والشارع الثقافى العام ، بحيث لا يمكن للمتلقى العادى الموجه اليه هذا الهدف أساسا ان يحتفظ بهذه النظريات الموغلة فى التخصص ، وأصبحت المؤسسة النقدية محصورة فى أغلب الاحوال داخل اسوار الجامعات والمحافل الأدبية المتخصصة .

وهذا التوغل فى النظرية المتخصصة وتطبيقاتها أبعد المؤسسة النقدية اكثر واكثر عن الخبرة الانسانية التى يقدمها العمل الأدبى ، وعلاقتها بقضية مكونات الثقافة فى عصرنا .

ومثلما أشار د . سمير سرحان الى دور النقاد الغربيين فى مجال النقد ألمح د . لويس عوض الى بدايات النقد الأدبى فى مصر والتى جاءت فى بداية العشرينيات بعودة طه حسين من باريس ، وتلك الضجة التى استهدفها فى الحياة الفكرية فى مصر فى كتابيه الشعر الجاهلى وحديث الأربعاء .

ولويس عوض يؤكد أيضًا انه بدأ يقرأ وهو طالب فى الجامعة كتاب تاريخ الأدب الانجليزى لبوليتان بمجلداته الخمسة و كان ذلك فى عام ١٩٣٣ واحس بأن بوليتان له تاثيره الهام فى تكوين مدرسة

العلاقة بين النقد والأدب من جهة والحياة والمجتمع والبيئة من جهة أخرى .

وأثر ذلك في تفكيره كناقد

وكانت هذه المرحلة من أصعب مراحل النقد في مصر ذلك أن د . محمد عوض محمد أقدم على ترجمة كتاب لأصول النقد الأدبي ، كما كان الأستاذ أحمد الشايب يقوم بتدريس مدارس النقد في كلية الآداب .

ولكن د . لويس عوض يقول بأن طريقة أحمد الشايب في تدريسه لمدارس النقد ربما كانت بدائية في تلك الأيام ، وكنا نعجب له عندما يكتب مثلا عناصر الأدب «الخيال» ويكتب بجوارها immaginn-tion ، وأنا أقول بأن هذه المرحلة كانت مرحلة بحث لأن طه حسين استطاع أن يوجه مدرسة بكاملها من أصحاب الثقافة التقليدية ، الى البحث عن نماذج فكرية لنظرية نقد غير ما ألفوه في كتب ابن سلام والآمدي وعبدالقاهر الجرجاني ، خاصة وأن هؤلاء عنوا أكثر ما عنوا بعلم البلاغة ومن هنا بدأ في مصر اهتمام بشيء غير علم البلاغة ، وتبلور هذا الاتجاه في كتاب د . محمد مندور الذي نال به درجة الدكتوراه وهو بعنوان « النقد المنهجي عند العرب » وحاول د . مندور أن يؤصل في النقد العربي ويقترب من النقد كما يفهمه الأوربيون .

ويجيء دور د . لويس عوض في أنه حاول الاقتداء بعدد من النقاد الأوروبيين الذين كانوا يربطون الأدب بالمجتمع وبالحياة بصفة عامة .. وعلى حد تعبير د . لويس «وقد كان هذا فرعا من فروع التفكير الماركسي في ذلك الأوان ! .

يقول د . لويس عوض : ان هناك من المثقفين من أمثالي انجذبوا بشدة الى العلاقة بين الأدب والمجتمع وفي ذلك الوقت لم تكن كلمة الالتزام قد ظهرت بعد ، لأن هذه الكلمة كانت من ابتكار الوجوديين ، وكان الماركسيون يتحدثون عن دور الأدب في تغيير الحياة ، وبنوا نظرية النقد عندهم على تصور للأديب على أنه عنصر مؤثر ، وفي أواخر الأربعينيات عاد د . محمد القصاص من فرنسا وأكمل شيئا هاما ، وهو إدخال الفكر الوجودي الى

المبدعون يستمعون الى اتهامات النقاد



نظرية النقد الحاضر ، ولأول مرة بدأ الناس يتكلمون عن الالتزام ولكن لم يكن التزاما بمعنى شخصى ، لأن الالتزام الوجودى قائم على حرية الاختيار ، وليس قائما على الجبر التاريخى .

والمنهج الذى اتبعته انا أقرب الى فكرة الجبر التاريخى .. أن هناك علاقة حتمية بين الأدب والحياة ، بصرف النظر عن دور الادب فى تغيير الحياة ، وفى الواقع فإن كتابات الدكتور القصاص فى ذلك الوقت ، كانت فترة حقيقية لأصول النقد الأدبى عندنا ، لانه بإدخاله الفكر الوجودى فى مصر ، ومع الفكر الوجودى نظرية الالتزام ، جعلت عددا كبيرا من المثقفين المصريين يؤمنون بأن الأدب أداة داعية إلى تسيير الحياة .

وفى بداية ثورة ١٩٥٢ كانت هناك ثلاث مدارس نقدية .

- مدرسة مندور فى الشكل .
- مدرس القصاص فى نظرية الالتزام .
- ومدرسة المنهج التاريخى .

وكلها سارت جنبا الى جنب ، وكان هناك مدرسة رابعة وهى قريبة من نظرية الفن للفن وكان زعيم هذه المدرسة د . رشاد رشدى .

● ردة نقدية !

ويستعرض د . لويس عوض هذه الفترة ، مبينا سلبياتها ، وخاصة بعد نكسة ١٩٦٧ ، وما ترتب عليها من هجرة الأقلام للكتابة فى صحف البلاد البترولية قائلا وثار الدكتور مندور على الاتجاه الجديد الذى دعا اليه د . رشاد رشدى ، وطلب ان انضم الى جمعية للنقاد ، فاعتذرت له قائلا ان من الممكن تصور أدباء منشئين مبدعين ، ينتظمون فى مدرسة واحدة ، أما اجتماع النقاد فى مدرسة واحدة ، فهو أشبه شىء بالاعتصام ، فهى مسئولية خطيرة جدا .. فلو تجمع النقاد فى صعيد واحد ، أو المؤمنون منهم بفكرة معينة ، فمن الممكن أن يحطموا أى اديب يتصدون له ، ولا اعتقد أن هذا اتجاه سهل ولا اعتقد أن د . رشاد رشدى مضى فى جمعيته ، ولا مندور أيضا انشأ جمعيته .

كانت هناك أشياء تستغرقنى كالابداع ، وكانت هناك فترة استطيع أن أقول انها لا تزال تلازمنى الى الآن ، وربما كان أحسن توصيف لها أنها خطوات انتقال .. أن مصر تبحث عن نفسها منذ سنة ١٩٥٢ .

**وفى اعتقادى ان اختفاء هذه المدارس النقدية ، ليس الا تعبيرا عن شىء آخر موجود فى المجتمع ، لاننا لا نستطيع ان ننتمى الى مدرسة بعينها ، واضحة المعالم ، إلا اذا كان يشوقنا إيمان بشىء عظيم !**

ونحن الآن فى هذه المرحلة ، مرحلة الانتقال التى لم تترك مجالا لشىء يزدهر فيها إلا الأكاديمى ، وقد أحسن أساتذة الجامعات فى السنوات العشر الماضية الأخيرة فى اهتمامهم بالمدرسة البنيوية ، ولا اقول من حيث انها مدرسة سليمة فى النقد الأدبى ، أو فى علم الجمال ، ولكن من حيث أنها غذاء للمثقفين ..

وهذه المدرسة بتبنيها بعض أساتذة الجامعة تعد شرف مصر الفكرى ... ربما كانت هذه عبارة كبيرة ـ ومازال الكلام على لسان د . لويس عوض الذى أرخ خلال الندوة للنقد الأدبى فى مصر ـ ولكن نحن ننسى أن مصر قد مرت عليها فترات بعد عام ١٩٦٧ ، لم يكن فيها أية محاولة

لبناء ثقافى جاد ، وكانت كل المجالات الجادة تأتينا من الكويت أو العراق ، ومن البلاد البترولية التى لا يفهم أهلها شيئا كثيرا فى الأدب ولا فى الثقافة ، ولكن عندهم من المال ما يجعلهم يرعون المدارس الفكرية والثقافية والعلمية ، فأجزلوا العطاء لعدد كبير من المثقفين ـ وكان لهذا نتيجة إيجابية فى العالم العربى ، وكان فيه لمصر شيء من الإذلال .

فمصر الكبرى بين شقيقاتها ، بدات تنكمش ، وبدأ يخيل للناس أننا أصبنا بنكسة فكرية ـ كما اصبنا بنكسة عسكرية ، ومن هنا احتفيت جدا بظهور مجلة « فصول » ، لأنها أثبتت امام البلاد العربية أن فى مصر أساتذة أجلاء يهتمون بالثقافة ، ورغم اننى لا اوافق على ما ذهبوا اليه فى تقديس البنيوية ، والى تحويلها الى ميتافيزيقا وهذا ما أعيبه عليهم ، ولكنهم أثبتوا فى نهاية الأمر أن فى مصر علما متأنيا جادا ، وانها مجلة مصرية تستطيع أن تقف على قدم المساواة مع اى نقد أخر فى اى بلد عربى أخر .

● انفصام بين النقد والأدب

اما د . شكرى عياد فقد اشار الى أن الكلام على النقد عندنا اصبح كأنه امتداد للكلام عن النقد الأدبى الغربى ، فيما عدا جهد الدكتور محمد مندور فى كتابه النقد المنهجى عند العرب .

فنحن لا نكاد نحس بأن لنقدنا وجودا متصلا بتاريخنا الأدبى او الثقافى فضلا عن تاريخنا النقدى .

**والدكتور طه حسين سلط مقاييس النقد الأدبى التاريخى ـ منهج تين على سبيل التحديد ـ سلطة على ابداعنا الشعرى فى فترتين مهمتين ..**

● مجموعة من الشعراء العذريين فى كتابه حديث الأربعاء .

● ثم تطرق بعد ذلك الى الشعر المعاصر عن حافظ وشوقى على سبيل المثال .

وفى الجزء الثالث من حديث الأربعاء كانت عيناه على الأدب الغربى وأتذكر انه من بين مقالاته فى حافظ وشوقى ، قدم بودلير وترجم له قصيدة ، وكأنما يقول للشعراء العرب ، اليكم هذا الشعر وينبغى ان يكون الشعر هكذا ... وتلك هى الأزمة الثانية .

● مصر تبحث عن ذاتها

وقد احسن د . لويس عوض عرضه حينما قال ان مصر تبحث عن ذاتها ومصر معها كل العالم العربى ، وبين قوسين عندما اختفت المجلات الثقافية والأدبية فى مصر ، وعندما ضعف تأثيرها ، كانت مجلة الآداب أولا تظهر فى لبنان ، ثم كانت عالم الفكر بالرغم من أنها فصلية تظهر فى الكويت ، وكان الأدباء المصريون ممثلين فى هذه المجلات خير تمثيل ، وكانت المسألة ان مراكز النشر توزعت فى أنحاء العالم العربى ، وهذا كسب عظيم ، بشرط أن تتواصل فيما بعد !

**إن مصر ومعها العالم العربى تبحث عن ذاتها .. ولا يمكنها أن تبحث عن ذاتها بعيدا عن تاريخها ، ولا يمكن أن يجد النقد العربى الحديث خطته ومنهجه بعيدا عن التراث النقدى العربى ، ومنه التراث البلاغى ايضا ، بشرط أن يفهم هذا فهما جيدا ، وفهما معاصرا . واذا تطلبنا مثل هذا الفهم الآن ، فنحن لا نقتنع بتطبيق نظريات غربية على أدبنا الابداعى القديم كما طبقت نظرية تين ، ولا نقتنع بالكلام او باستعارة التقسيمات الى نقد منهجى أو**

لغوى ، وآخر انطباعى وربما نقد فلسفى ، لكى نتلمس هذا فى تراثنا النقدى .

إن تراثنا كله فى حاجه الى إعادة نظر ، وإلا فسيظل أشبه بشبح يهددنا ، لابد أن يواجه هذا الشبح ، وأن يعرف بوضوح ما تحته وما وراءه ، وهذا يقتضى ما نسميه المنظور التاريخى ، أى أن نقف فى عصرنا وننظر الى ماضينا ، وبطبيعة الحال ونحن واثقون فى عصرنا لا يمكننا أن ننسى أن السمة الأولى لهذا العصر ، هى أنه يمخض الثقافات القومية المختلفة ، ويحاول أن يستخرج جدتها مجتمعة ، لكن هل معنى هذا ان نقتصر على ملاحقة الفكر الغربى أو الشرقى فى اصطلاح اليوم ، ونظل دائما فى الذيل ، وسيبقى محكوما علينا أن نبقى فى الذيل ، أو نصنع على الأقل ما يصنعه المستشرقون أو المستعربون ، وهو أن ننبش فى تراثنا وأن ندرسه بعقلية متفتحة .

● دور الأكاديميين

وفى عرضه لمشكلة النقد عندنا أكد د . عبدالعزيز حموده أن الأكاديميين كان لهم الفضل الأكبر فى قيادة المؤسسة النقدية فى مصر حتى الآن أيضا وأتفق مع د . لويس عوض فى مقولته التى اعتقد أنه بالغ فيها ، وهى أن اساتذة الجامعة فى مرحلة من المراحل بعد ١٩٦٧ ـ فعلا ـ أنقذوا شرف مصر الفكرى ، حينما تصدت مجموعة متناسقة ومتسقة من أساتذة الجامعات المصرية ، وتكاتفوا على اصدار مجلة «فصول» التى كانت بصيص الأمل الوحيد ، لفترة طويلة ـ ومازالت حتى الآن ـ على الأقل فى الدراسات النقدية فى مصر .

ولكن مع هذا ، واعود الى نقطة الانطلاق مرة اخرى ، فانا اعتقد ان مجلة فصول والقائمين عليها ، تمثل أزمة المؤسسة النقدية فى علاقتها بالمؤسسة الأكاديمية ، والتى يجب علينا ان نواجهها ، فإذا كان جيل من الأساتذة يمثلون فى الواقع ما يسمى بالجيل الثالث ، استطاعوا النجاة بانفسهم ، وإنقاذ سمعة المؤسسة الأكاديمية ، فإننى اشك اننا نستطيع لفترة طويلة أن نستمر فى ذلك ، فالمؤسسة الأكاديمية حقيقة تمر بازمة ، لأن الجيل التالى مباشرة ، يواجه أزمة بحث عالمى من ناحية ، وازمة نشر من ناحية اخرى ، وربما كانت ازمة النشر هذه ، هى التى دعت اساتذة الجامعة الى حد كبير الى الخروج الى الشارع المصرى والعربى عبر مجلة فصول إننى اتفق مع د . شكرى عياد على اننا حتى الآن نواجه الأزمة الحقيقية لم نتحول من مرحلة النقل والترجمة الى مرحلة الأصالة والاضافة الحقيقية ، وتتضح نوادر هذه الأزمة فى الأستاذ الأكاديمى ، الذى يفترض انه يقود الحركة النقدية الآن .. تتضح هذه الأزمة مادمنا ننقل عن الغرب ... يتضح ان العلاقة وطيدة بين النظريات الحديثة ، أو الجديدة فى النقد ، ابتداء من البنيوية وانتهاء بالتشكيكية .

● قطيعة معرفية ! ..

واستهل د . صلاح فضل كلمته بالاختلاف مع كل المتحدثين قائلا : مهما كان السياق فإننى أختلف معكم ، لأن ما يمر به النقد العربى فى مرحلته الراهنة ، ليس تطورا طبيعيا ولا نتيجة منطقية للمراحل السابقة عليه ، بل إنه قد أخذ

يمارس القطيعة المعرفية الثانية ، بعد تلك القطيعة التي شق بها طه حسين الصمت ، وخرج بها وباللغة العربية من العصر الوسيط الى العصر الحديث .

والنقد الحديث في العقدين الأخيرين ، يمارس هذه القطيعة مع تاريخه القديم على المستوى العالمي ، وبما اننا لسنا قرية معزولة ، ولسنا قرودا منسوخين ، ولا يمكن أن نعتبر أنفسنا غير خاضعين لقوانين العلم والحياة في الشعوب الانسانية باكملها ، فان ما يحدث لنا لابد بالضرورة وأن يستجيب ، سواء أردنا أو كرهنا لما يحدث في العالم .

هذه هي الفكرة الأولى ، لكن الذى ترتب عليها أخطر منه ، ولأنه من نتائج هذا التطور المفاجيء ، مهما كان المنظور الأيديولوجى للناقد فقد أصبح من واجبه أن يمتلك جهازا معرفيا معقدا وكاملا ، لا يستطيع أن يمارس النقد بدونه .

ومن الظواهر التي ينبغي أن ننتبه اليها تلك الصيغ الأدبية من شعر وقص ومسرح التى تغزونا عبر وسائل الاتصال ، وتكتسب لأول مرة في التاريخ ملايين المتلقين عن طريق الراديو والتليفزيون ، وكل هذا يضع الناقد أمام مسئوليات جديدة وبالغة الخطورة إذ ينبغى أن يقوم بواجبه فى تأسيس جماليات وأصول هذه الفنون الجديدة ، وقياس مدى تأثيرها وتخليصها من وصاية الاعلام الجاهل حتى تكتسب حريتها المبدعة ، وهذه مسئولية يشارك النقاد فيها الأدباء المبدعون ، إذ أننى اتصور أن كبار ادبائنا ومبدعينا ، عليهم أن يغزوا هذه الوسائل الجديدة ، عليهم أن يكتبوا حيث يشاهدهم الملايين ، لا أن يتركوا الراديو والتليفزيون لانصاف الموهوبين وصغار الكتاب والذين يمشون بحقائبهم يتسكعون بين مكاتب الموظفين ليبيعوا لهم قطعة أو قطعتين ، بينما هذه الأشكال هى التى تستأثر الآن ، وتستقطب اهتمام الملايين .

ويتحدث د . صلاح فضل عن الدور الذى ينبغى ان يؤديه الناقد فيقول :

لم يحدث فى تاريخ الشعر والفن العربى قبل هذه الحقبة ، أن وصلت أشكال الفنون الى مثل هذا العدد الضخم ، حتى أصبحنا والفن هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس ، كما كان العقل عند ديكارت ومن ثم فينبغى لمبدعينا ولنقادنا أن يتسموا بالشجاعة فى اقتحام هذا الميدان تأليفا ونقدا وتقييما نظريا ، والا نظل نلوك بعض البيانات والمعلومات عن الأجناس والفنون الأدبية التى انحلت وذابت وتسربت .

**لم تعد القصيدة هى النص النحوى وحسب ، ولكن القصيدة الآن مجموعة من تلاقيات الضوء والظل والنغم ، واللحظة الدرامية فى تمثيلية تليفزيونية ، وإذا لم نرتق بمستوى هذا الانتاج ، وإذا لم نبحث عن صيغ للارتفاع به ، والتخلى عن تبعيتنا الشديدة المهنية فيه فسوف نظل فى موقف شديد الانحطاط .**

**انا ادعو هذه الدعوة لأننى أجدها بالغة الاهمية ، ولا تجد من النقاد ولا من الحديث عن النقد الاهتمام الكافى حتى الآن .**

**إننا نهدف الى ان يرتفع مستوى النقد فى بلادنا ، ولكن ذلك يحتاج فى الأصل الى نهضة أدبية ، وهنا يؤدى الناقد دوره المنشود وهنا يحقق الأديب المصرى دوره الريادى الذى ننشده جميعــــــا .**

شهريات

## رأى فى الثقافة

### ● نبرة الماضى

لا نقصد بنبرة الماضى هنا تلك التى نجدها بين ثنايا دعوة السلفيين ودعاواهم ، بقدر ما نقصد تسلل هذه النبرة الى « خطاب » دعاة التقدم فى مجالات الثقافة خاصة اولئك الذين يتوقفون بلكاعة احيانا امام بدايات النهضة المصرية الحديثة ، ويعتبرون انجازاتها الطريق والدليل الى المستقبل ، أواولئك الذين يتوقفون عند محطة الستينيات ، يبكون على الاطلال الدارسة ، باعتبارها ايضا الدليل الوحيد الى المستقبل •

لا احد ينكر الانجازات التى تحققت فى الفترتين ، ولكن النظرة الى الماضى ، اذا لم يصحبها وعى نقدى يكشف الجوهر من القشور ، ويعى الدرس الذى جعل فترة التكاسة ثقافية كبرى مثلا تلحق فترة الستينيات باجراءات بسيطة لم يبذل فيها جهدا كبيرا ، اذا لم نتسلح بهذه النظرة النقدية ، فاننا نستسلم تماما لغيبيات الخطاب الثقافى الذى لن يساعد كثيرا على استشراف المستقبل ، ان لم نقل انه قد يجرنا الى الخلف ، الى الماضى الذى نبكى على أطلاله •

والغريب المدهش ، انك تجد نبرة الماضى هذه قد تسللت بعفوية احيانا وبقصد احيانا الى مجمل الخطاب الثقافى فى مصر ، حتى وكانها دعوة الى الاستسلام والهزيمة ، او عجز عن النظر الى الجديد الكامن ، الذى قد يكون جنينا لم تتبلور ملامحه بعد ، لكنه بالتاكيد يحمل فى طياته خبرة الهزائم المتتالية ، لذا فانه يحتاج اكثر ما يحتاج الى تغذيته بالخطاب الثقافى الذى يستشرف المستقبل ، ويرى الحاضر والماضى بعين النقد الفاحصة ، التى تبين الملامح والقسمات ، وتستخرج الجوهر من التراب المتراكم على وجهه ، فهذا على اية حال افضل من ان نظل قابعين نتعبد فى محراب الزمن القديم •

عبده جبير

## ارشادات ثقافية

### ● ندوات رمضان

● لا شك أن نشاطا ملحوظا هذا العام أقامته وزارة الثقافة طوال شهر رمضان ، تنوع وشمل كل الفنون ، وان كان الجديد فيه هو انتظامه فى برنامج محدد ، فيما أسمته الوزارة أمسـاكية رمضان ، كما تمثلت ابرز ملامحه فى هذا العدد الكبير الذى أقيم من ندوات وأمسيات كان للشعر فيها النصيب الاكبر ، وان لم يتجاهل فنون القول الاخرى .

لكن من تابع هذه الامسيات تتوارد الخواطر فى رأسه عن ساحة الشعر ، وضرورة أن يقوم النقـاد بدورهم فى اعادة النظر فى خريطة الشعر المصرى الحديث ، حيث يظل البعض يتعـامل مع الاصوات الشـعرية الجديدة ، الواعدة والراسخة ، بخفة تحتاج الى من ينفض عنها التراب ، ليبرز جيدها ، ويضعه فى المكان اللائق به .

لقد أثبت عدد من الشـعراء الجدد جديتهم وأصالتهم ، ونضج أشعارهم ، كما ثبت أن هناك محاولات مستميتةمن البعض « للخبطة » الساحة فى وجوههم حتى لا تتبلور الاصوات الحقيقية منهم مرة بحجة الغموض ، ومرة بحجـة الخـروج على المألوف ، الذى هو فى حـالتنا ليس فقط الشعر العمـودى التقليدى الذى لا يزال يجد فى التخلف السائد فى المجتمع مناخا للوجـود ، على الرغم من الملل الذى يسربه الى النفوس ، بل هو أيضا الشعر الحديث فى بعض رموزه المتعبة التى كفت عن العطاء .

ان كاتب هذه السطور وقد تابع عن كثب هـذه الندوات ، كما تابـع ما يجرى على ساحة الشعر فى مصر الان ، ليجد قصورا شديدا من النقاد تجاه قضية تقييم هذه الاشعار ، ودفع الاصوات المجـددة منها الى مكانتها اللائقه بها ‥ ومن الضرورى انتباهذلك حتى لا تمر الايام وقد ماتت الحقيقة بين ظهرانينا .

على أى حـال لقد جـاءت هذه الامسيات ، ربما لاول مرة ،لتعكس بدرجة عالية من الصدق واقع ساحة الشعر فى مصر ، سواء أكان شـعرا باللغة الفصحى أم العامية ، وسواء أكان عموديا أم شعر التفعلية ، ولعل من قاموا بتنظيم هـذه الامسيات قد استفادوا من الاخطاء التى حدثت فى أمسيات الشعر أثناء معرض القاهرة الدولى الماضى للكتاب .

### ● المراكز المتخصصة

بعد أن انشأت وزارة الثقافة خلال مدة وجيزة قصر ثقافة الغورى للتراث يجرى الان العمل لانشاء ثلاثة مراكز متخصصـة أخرى ، أحدها خـاص بالدراما ، والثانى خاص بالسينما ، والثالث خاص بالموسيقى .

ومنذ بروز فكرة المراكز المتخصصة قال البعض ان وزير الثقـافة فاروق حسنى بدأ يعمل على هدم فكرة قصور وبيوت الثقافة الجماهيرية التى عملت فى الاساس من أجل أن تكون مراكـز ثقافية شـاملة لخدمة الاحياء والمدن والقرى التى تقع فيها ‥ بحيث تكون الملجأ لمن يريد من ابناء هذه الاحياء أو المدن أو القرى أن يقرأ أو يرى مسرحا أو سـينما أو يسـتمع الى موسـيقى أو يرى الفنون بمختلف

أنواعها ، بل أن يشارك أبناء هذه الاحياء في هذه البيوت والقصور بأعمالهم وتنمية مواهبهم وملكاتهم ·

لقد ظل هذا الاتهام قائما حتى نفى وزير الثقافة أن تكون فكرة انشاء المراكز الثقافية المتخصصة من أجل تحوير أو القضاء على الدور القديم الجديد ، أو لنقل الدور المشهور لهذه القصور والبيوت ، وانما هو يرى ان هذه القصور والبيوت في غيبوبة وسبب غيبوبتها عدم وجود الكادر الانساني الواعي والفاهم والدارس ·· فهو يرى أن الامكانيات المادية الموجودة كافية لاقامة نشاط حي ، ولكن المشكلة نكرر ، هي مشكلة القيادة أو الكادر الثقافي ·· لذا لجأ الى انشاء هذه المراكز الثقافية من اجل تخريج هذه الكوادر المطلوبة ·

ونحن من ناحيتنا نرجو أن يكون الهدف الاساسي من انشاء هذه المراكز هو هذا الهدف المعلن : نكرر ، تخريج كوادر متخصصة وفاهمة وواعية لتقود العمل في المراكز الاخرى كما نرجو الا يكون دفع كل طاقة وزارة الثقافة في هذه المراكز على حساب المراكز الاخرى ، الامر الذي سيؤدي الى اهمال الاطراف وجفافها ، ويحول هذه المراكز الى فروع مركزية من وزارة الثقافة فاذا كان هذا هو الهدف فان احدا من المهتمين بمجريات الامور الثقافية في مصر لن يستطيع معارضتها ، بل أن الجميع سيقفون خلفها بكل قوة ·

## الثقافة الجديدة

### عدد خاص عن القصة

في البداية لا يملك المرء الا ان رحب بهذا الجهد الكبير الذي بذله القائمون على أمر هذا العدد من مجلة الثقافة الجديدة التي تصدرها الثقافة الجماهيرية،هذا الجهد الكبير المخطط لتمثيل اغلب التيارات البارزة في القصة المصرية بنصوص جيدة في الغالب · بعضها يصل الى مستوى الاعمال العظيمة ، بالاضافة الى عدد لا بأس به من الدراسات النقدية الجادة التي تؤكد أن هناك من النقاد من من لا يزال لديه شيء يقوله ، وأن ضمائر النقاد بينها الحي والقادر على أن يكون عادلا ومنصفا ·

وقبل أن نبدي هنا بعض الملاحظات السريعة عن هذا العدد نجد من واجبنا الدعوة للاهتمام به من قبل الدارسين والنقاد لتقييمه بما يستحق حتى لا يمر كحدث عابر ·

اما ملاحظاتنا فهدفها واضح أن تستكمل الصورة وأن تأتي الاعداد القادمة خالية من العيوب بقدر الامكان حتى تستكمل الفائدة ·

أولى هذه الملاحظات تنصب على تواريخ اصدار اعداد المجلة · فحتى الان لم تثبت عند تاريخ بعينه ، هل هي مجلة شهرية أم فصلية أم سنوية ، لا أحد يعرف ، ما هو مكتوب في الترويسة شيء ، وواقع الامر شيء آخر ، ونحن لا نحمل الثقافة الجماهيرية ، الجهة التي تصدرها ، ولا القائمين عليها ، ما يفوق الطاقة ، فاذا كانت الامكانيات لاتسمح بالصدور شهريا أو فصليا ، فلتكن سنوية ، فقط ما نطلبه هو تثبيت موعد الصدور حسب الامكانيات ، وهذه ليست في الحقيقة ملاحظة شكلية ، بقدر ما هي ملاحظة تنصب على مصداقية المجلة واعتبارها مصدرا للبحث ، فماذا سيفعل الباحث اذا أراد اعتمادها كمرجع في بحثه ، هل يثبتها كمجلة فصلية أم سنوية ·

الملاحظة الثانية تنصب على هذه الاخطاء المطبعية الرهيبة التى حالت دوننا ودون قراءة بعض النصوص والمقالات ، الى حد أن فكر بعض المنشور لهم فى العدد أن يطلبوا رسميا ايقاف توزيع العدد .. وهذه أيضا ليست ملاحظة شكلية ، لان نصا مطبوعا بشكل ردىء يسىء الى صاحبه كما يسىء الى جهة النشر ، فضلا عن انه يصبح فعلا عبثيا .. واظن ان هذه من البديهيات التى لا تحتاج الى كثير من الجدل .

الملاحظه الثالثه قد تكون معيارية ، فلا نجد من العدل أن توضع نصوص عظيمه لكتاب من الدرجة الاولى فى نفس المستوى مع كتاب مبتدئين ، بعضهم لا تزال علامات الطريق الحمراء والخضراء أمامه ، وكان العدل يقضى بان يفرد ملف خاص لهؤلاء المبتدئين على أن يتم التعريف بهم وبمحاولاتهم ، وبأعمارهم ، حتى لا نجد أنفسنا امام طابور اشبه بطوابير الجمعيات التعاونيه .

لكن هذه الملاحظات على خطورتها لا تقلل من قيمه هذا العدد كعدد وثائقى ، وجهد كبير يستحق الاشادة به .

## ذكرى

### عباس العقاد ومائة عام على ميلاده

فى الثالث والعشرين من يونيو الحالى تمر على ميلاد العقاد تسعة وتسعون عاما بالتمام والكمال ، وهى فرصة سانحة للتنبيه الى ان العام القادم سيكون العام المائة لميلاد كاتبنا العظيم ، يجب أن نستعد لها جميعا ، لا بمجرد الاحتفالات والمهرجانات ، بل بما هو اهم وابقى ، ان تعقد ندوات جادة يتم الاعداد لها منذ الان ، لدراسة آثاره الفكرية والادبية المتقدمة ، دراسة جادة وعصرية ، تبين الملامح والقسمات ، وتستمد منها القيم الباقية ، والآثار الخالدة ، حتى لا نظل غافلين عما بين ايدينا من كنوز وثروات ، فانتاج العقاد هو باى مقياس ثروة لا تقدر بثمن ، ثروة عقل جبار وفكر اصيل ، هذا علاوة على سلوكه كمفكر حر ابى ، لم يخضع لسلطان المال او الجاه او السلطة ، اعلى من قيم الفكر ومن مكانة الكاتب ، لم يتملق ولم يخضع ، وعاش كما يعيش الرهبان الذين زهدوا فى الزائل العابر ، وكما يجب أن يعيش الكاتب الذى يحترم قلمه وفكره كما يحترم قراءه .



عباس العقاد

انها فرصة سانحة للتنبه الى حالة تقييم شاملة ليس فقط الى ما قدمه العقاد وما يبقى منه للمستقبل ، بل ايضا الى ماذا قدمنا نحن له ، وفاء لهذه القيم النبيلة ، فرصة لان يجمع

ما خلفه من وثائق ومخطوطات ويعرض على الناس عبر كل الاجهزة الاعلامية والثقافية المتاحة ، حتى يتأكد شبابنا ان كاتبا من هذا النوع قد عاش هنا على هذه الارض ، التي تنبت كل يوم وتلد ولا تكف عن العطاء فرصة لاعادة القراءة وتجديد الفكر واستعادة قيم اصيلة رسخها هذا القلم النبيل الذي قد تختلف معه لكنك لابد وان تجله وتعلي من قدره .. كما انها فرصة لتبث ضمائر البعض من الذين استرخصوا القلم والفكر وجعلوه بضاعة رخيصة متوافرة في كل الاسواق .

## مكتبة الهلال




الكتاب : قراءات في موسوعة المجتمع المصري
تأليف : د. سيد عويس
الناشر : روزاليوسف
٢٧٠ ص / ٤٠٠ ق م

بدأ به المجد الذي عرفناه عنه في مؤلفاته السابقة يعود الدكتور سيد عويس في هذا المؤلف الجديد الى قرائه بدراسة مستفيضة وشائقة لما أسماه بموسوعة المجتمع المصري الذي يراه خبرة ثقافية واجتماعية حية، او معمل ثقافي قد تراكمت فيه على مر الازمنة والحقب حصيلة جهد بشري متنوعة وعلى درجة كبيرة من الغنى والفرادة .

يقول الكاتب ان « الدراسة الحالية تتضمن بعض الموضوعات التي واجهتها في الماضي ولا ازال اواجهها حتى الان . وانني اذ اعرض موضوعات الدراسات الراهنة ، انشد الاستئناس برأي القارىء لانني في مسيس الحاجة الى هذا الرأي » .

هو اذن يطلب من القارىء ان يكون مشاركا في التفكير والتدبير . فاعلا في الموضوع الذي استخدم لجمع حقائقه ادوات عدة منها الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة الحرة والمقابلة المقننة وصحيفة الاستبيان وتحليل المضمون ، كما انه جمع هذه الحقائق من مجالات جغرافية عديدة كالحارة والقرية والمقاهي والكازينوهات والجمعيات الاستهلاكية والمزادات العلنية والقرافة والاضرحة والموالد والمساجد والكنائس والمدارس والجامعات وحلقات الذكر . ودواوين الحكومة والمستشفيات وعيادات الاطباء والمحاكم والشهر العقاري والسجون والاقسام .. الى اخر هذه الاماكن التي تعد بمثابة المجال الذي يمارس فيه الناس

نشاطهم وحياتهم اليومية العادية .
انه كتاب جدير بالقراءة يعيد للمرء وعيه بنفسه ويجدد قدرته على النظر الى ما حوله .




الكتاب : الغائب
دراسة في مقامة للحريري
المؤلف : عبدالفتاح كيليطو
الناشر : توبيقال المغرب
٩٦ ص / ٢٦ د.م

هذه دراسة متميزة حقا في مجالها ، لأنها وان استندت الى وجهة نظر الكاتب ، الا انها جاءت في صلبها بحثا معمليا دقيقا عن جوانب القوة والضعف ، الجمال والقبح ، الزيادة والنقص والانضباط ، بطريقة جديدة قديمة . هي طريقة متابعة النص بالشرح . اذ يثبت المتن في الاعلى ليدرسه في « الشرح » من كل جوانبه .

وهو في دراسته لمقامة الحريري الخامسة المسماة بالكوفية ، له هدف واضح هو ابراز جانب من الخلفية التي تدعمها وهي خلفية ، كما يرى ، يستحيل تاريخها ، مثلما يستحيل تاريخ الخيال والحلم . لقد حاول الكاتب بجهد مشكور تحليل مجموعة من النصوص تنتمي الى عدة انواع ( الخطاب البلاغي ، الشعر ، الخرافة ، المثل ) فجاء جهده منصبا في بوتقة الجهد الجديد الذي يبذله الدارسون المجدون الان بعيدا عن الكلام النظري الذي قد يكون مفيدا الا انه يظل ناقصا بلا تطبيقه .



الكتاب : حوار لا مواجهة
المؤلف : د . احمد كمال ابو المجد
الناشر : دار الشروق ـ القاهرة
٣٠٢ ص / ٧ ج م

هذه طبعة ثانية مزيدة من هذا الكتاب الذي يمكن ان يكون واحدا من اهم الكتب التي صدرت في السنوات القليلة الماضية ، تلك التي تنطلق من الاسئلة الجوهرية التي تعيشها امتنا العربية الاسلامية لتجيب عليها اجابة عقلانية مستنيرة .

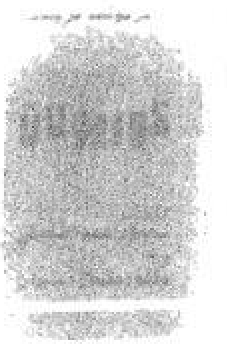
ومنذ البداية يحدد الكاتب بوضوح فكر ودقة عبارة سؤاله الاساسي الذي يضعه

في صيغة ذات شقين :
اى عصر هذا الذى نعيشه ؟

وما مكان امتنا العربية والاسلامية على خريطة الحاضر والمستقبل ؟

ويقرر ان العصر الذى نعيشه هو عصر مدهش بكل المقاييس كما يقرر ايضا ان امتنا امة من المندهشين الذين يقفون امام ما يجرى فى هذا العصر بماضيهم لا بما يعتمد فى مكنون حاضرهم ودون ان يتطلعوا الى مستقبلهم · لذا فانه يرى ان اهم القضايا التى يجب ان تشغل بالنا هى قضية التوجه الى المستقبل ، واستشراف صورته والاعداد لملاقاته ، ذلك اننا نحن العرب المسلمين امة طال انكفاؤها على الماضى ، والانشغال بقضاياه ، حتى تولد من ذلك ما يوشك ان يكون عجزا عن التوجه الى المستقبل والنظر فى احواله ·· وقد يكون بعض عذرنا فى ذلك اننا نخوض معركة لتحقيق الذات والمحافظة على الهوية ، وان هذه المرحلة بطبيعتها مرحلة بحث عن الاحوال ومعرفة بالجذور ، وهى امور مستقرة فى ارض الماضى ، وجديرة بان تشد الباحثين عنها الى صفحاته ·

ولكن طبيعة التحدى الذى يواجهه العرب والمسلمون وهم بعد فى تخلفهم وتمزقهم وضعفهم واعتمادهم على الاخرين لا تحتمل استمرار هذا الانكفاء ، واستمرار هذه الخصومة الغريبة مع الحركة ومع المستقبل · ان هذا التوجه الى المستقبل لابد ان يحمل معه بالضرورة استكمال حيازة الجيل لادوات الحركة نحو ذلك المستقبل ، واستكمال الاحاطة بعلوم وفنون عديدة لا يمكن بغيرها ان تبدأ رحلة الاقلاع نحو الغد ·



الكتاب : كوريولان – مسرحية : برتولت بريشت
ترجمة وتقديم : محمود احمد النحلي
١٦٦ ص / ٣٠٠ ق.م

برتولت بريشت ، مشهور عندنا باسم برتولد بريخت ، وهو المؤلف والمخرج المسرحى الالمانى الشهير المناهض للنازية ، وصاحب الاعمال المسرحية المعروفة على نطاق عالمى ··

ومنذ توفى بريشت ، او بريخت سنة ١٩٥٦ مثلت مسرحياته فى انحاء العالم بلغات كثيرة ، وصدرت

طبداتها ايضا ، وكان من نصيب اللغة العربية بعض هذه المسرحيات .

وتعتبر مسرحية « كوريولان » من أهم واجمل أعماله .. وهذه اول مرة تترجم فيها هذه المسرحية من الالمانية الى العربية مباشرة بدون وسيط كاللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية التى تعود المثقف العربى ان يقرأ بهما الاعمال المترجمة اليها من اللغات الاجنبية الاقل انتشارا فى بلادنا كاللغتين الروسية والالمانية ..

وقد ترجم الاستاذ محمود النخيلى هذه المسرحية ترجمة دقيقة عن اللغة الالمانية وقدم لها تقديما مسهبا شائقا قارن فيه بين ثلاثة أعمال ادبية كبيرة تتعلق ببطل هذه المسرحية « كوريولانوس» وهو القائد الرومانى الذى عاش قبل الميلاد بخمسمائة سنة تقريبا ، وترجم له الكاتب الروائى المؤرخ بلوتارك، او بلوتارخ فى كتابه المشهور « التراجم » .. ثم جاء شكسبير فكتب مسرحية « كوريولانوس» فى اوائل القرن السابع عشر بعد ان قرأ كتاب بلوتارخ مترجما الى الانجليزية .

وتتناول رواية بلوتارخ حياة هذا القائد الرومانى وحياة شعب روما فى ايامه والصراع حول الحرب والسلام والامراء والدهماء ومشكلة الغلال وندرة القمح ، وكل ما يتعلق بين البطل التاريخى والجماهير فى مرحلة حافلة بالاضطراب والتناقض ..

تناول شكسبير هذه الوقائع التاريخية من خلال بطولة الفرد وعظمته وقوته الخاصة، ولم يتنبه بطبيعة الحال الى دور الشعب لان فلسفة التاريخ فى عصر شكسبير لم تكن تعرف الا الافراد الابطال ..

اما بريشت فان مسرحيته دارت حول الشعب الذى يصنع التاريخ ، بالرغم من عدم انكاره دور الفرد الذى يتحدد على ضوء متطلبات عصره وحركة شعبه .. ويقول محمود النخيلى : « حمل نص شكسبير وجهة النظر المثالية للتاريخ التى كانت سائدة فى عصره، وحمل نص بريشت النظرة المادية الجدلية للتاريخ » ..

وعلى هذا الاساس اختلف البناء الفكرى والمسرحى لفصول مسرحية بريشت عن ذلك البناء فى مسرحية شكسبير .

والذين قرأوا او شاهدوا مسرحية شكسبير سيجدون متعة اخرى حين يقرأون ترجمة محمود النخيلى لمسرحية بريشت ، من ناحية النظرة التاريخية والفكرية والجمالية وان كان بريشت ! يقصد بمسرحيته ان يلغى مسرحية شكسبير ذات القيمة الكلاسيكية العظيمة ..

# أوسكار مع الامبراطور الأخير وضد صرخة الحرية

بقلم: مصطفى درويش

والعجيب العجيب ان أحدا لم يتساءل لماذا لم يجر ترشيح «صرخة الحرية» - وهو الآخر فيلم تاريخي يعرض لسيرة المناضل الافريقي «بيكو» - الا لثلاث جوائز ثانوية ليست كبيرة الاهمية، ومع ذلك لم يكتب له ان يفوز باى منها.

ولنترك «الإمبراطور الأخير» الذى ابتذلته حوادث الدهر، فانتهت به جنائنيا فى المدينة المحرمة ببكين حيث بدأ حياته العامة امبراطورا، وهو فى الثانية والنصف من سنيه، فلنتركه الى حين.

● الأمريكي القبيح

ولنبدأ بالفيلم الذى اخرجه الانجليزى «اليكس كوكس» عن الامريكى «ووكر» الذى استولى على نيكاراجوا بفئة قليلة من المحاربين.

من المعروف تاريخيا ان هذا المغامر قد عاش ومات فى العصر الذهبى للاستعمار.

والفيلم الذى يعرض لمغامراته وطموحاته قد انتج بالتعاون مع الساندينستا حكام نيكاراجوا الممتحنين بتدخل ادارة الرئيس الامريكى «ريجان» فى شئونهم امتحانا اليما.

ولا غرابة فى هذا التعاون «فووكر» قد غزا نيكاراجوا (١٨٥٥) حتى بلغ منها ما اراد، فاصبح رئيسا لجمهوريتها ولم يكتف بذلك بل فرض عليها نظام العبيد. وظل ينشر الفساد والاستبداد فى ربوع امريكا الوسطى حتى جاءه الموت ساحقا ماحقا برصاصات انطلقت الى صدره من فوهات بنادق ثلة من جنود هندوراس (١٨٦٠) وله من العمر ٣٦ عاما.

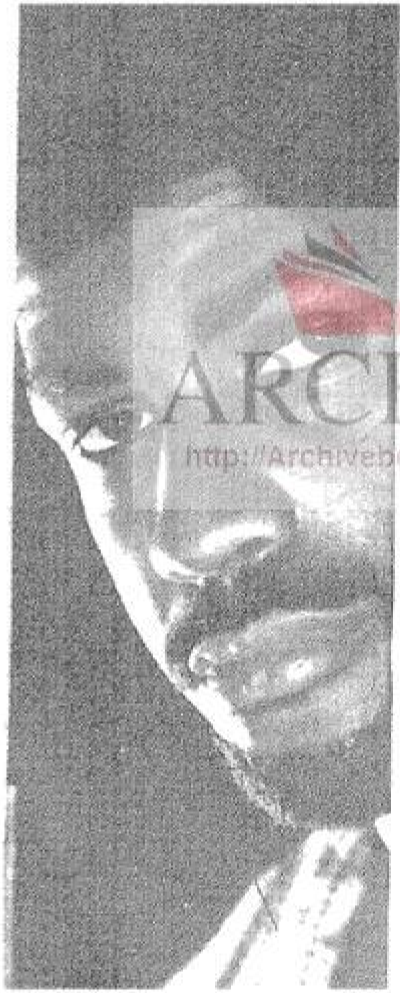
والشىء المحقق ان صاحب هذه السيرة غير العطرة التى ملأت الشريط الضيق الفاصل بين الامريكتين هولا كان فى نظر معاصريه فى الولايات المتحدة رجلا من رجال الاقدار على حين انه كان فى امريكا اللاتينية ولايزال معتبرا رمزا للشيطان.

● الماضي والحاضر

ومن هنا سعى صاحب الفيلم الى

تساءل الكثير عن الإمبراطور الأخير من هو ، ولماذا توج الفيلم الذى يدور حول مأساته بتسع جوائز أوسكار ، وهو رقم لم يفز به أى فيلم منذ « قصة الحى الغربى » ( ١٩٦١ ) .

والعجيب أن أحدا لم يتساءل لماذا لم يرشح لأية جائزة من هذه الجوائز المشتهاة فيلم تاريخى آخر يدور حول سيرة « ويليم ووكر » ( ١٨٢٤ - ١٨٦٠ ) ذلك المغامر الامريكى الذى استولى على نيكاراجوا بنفر من الأشرار لايزيد عددهم على الخمسين إلا قليلا .






الامريكى القبيح .. القصة الحقيقية

ببكو المناضل الافريقى الجميل

بتصوير الجانب القبيح من حياة هذا المغامر على وجه يتيح للمشاهد ، مع شيء من التفكير اليسير ، ان يعقد مقارنة بين ماحدث فى نيكاراجوا بعد منتصف القرن الماضى بقليل ، وبين مايحدث فيها الآن ونحن على عتبات القرن الواحد والعشرين .

وهو فى سعيه هذا ، قد لجأ الى اسلوب اوبرالى فيه من البرختية والملهاة الشيء الكثير .

وآية ذلك مزاوجته الطريفة بين ازمنة « ووكر » وازمنتنا .

فها هى زجاجات الكوكاكولا تملأ الشاشة رغم ان اختراعها وقت أحداث الفيلم كان لايزال فى علم الغيب

وها هى مجلات امريكا الشمالية الباحثة عن الاثارة تحمل على اغلفتها صورة « ووكر » وفتوحاته مما يذكرنا « باوليفر نورث » بطل فضيحة « ايران ـ كونترا » ، وطريقة معالجة الصحافة الامريكية لها .

وها هى طائرة عمودية تهبط فجأة على

ووكر الامريكى القبيح



ارض المعارك ليندفع منها جنود البحرية الامريكية شاهرين السلاح .

وعلى كل ، فليس يعنينا الآن ما اتيح لفيلم « ووكر » من الفوز جماهيريا ـ وهو فوز عظيم ـ بقدر ما يعنينا ان نلاحظ ان الجهود التى بذلها مخرجه لكشف تدخل كل رجال الرئيس الامريكى فى شئون بلد صغير كنيكاراجوا ، ورد ذلك الى اصوله التاريخية ، هذه الجهود التى جعلته وحيد نوعه بين ركام الافلام ، قد انتهت بالمتحمسين له الى الاخفاق حتى فى ترشيحه الى اية جائزة من جوائز اوسكار .

● ابيض واسود

فاذا ما انتقلنا الى « صرخة الحرية » فسنجد انفسنا امام واحد من اكثر افلام العام الماضى نبلا ، وذلك لأنه من تلك الاعمال السينمائية النادرة التى تعرضت بجراة وصدق لأهوال التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا .

ولاعجب فى هذا ، فصاحبه « ريتشارد اتينبره » سبق له ان اخرج « غاندى » وهو فيلم عرض فى مشاهده الاولى لهذا التمييز المقيت .

وقصة فيلمه الجديد كما « غاندى » ما هى الا ترجمة حقيقية عاشها بطلا « صرخة الحرية » « ستيف بيكو » و « رونالد وودز »

وأحداث الفيلم تبدأ بـ « بيكو » مناضلا اسود فى ريعان الشباب ، استقر فى ضميره أن الشر كل الشر ، والنكر كل النكر ، هو فى اذلال البيض للسود .

وانه لابد من تغيير الامور فى جنوب افريقيا بحيث تقام الصلات بين الناس ، مهما تختلف الوانهم على نظام من العدل والمساواة .

وتنشأ بينه وبين « وودز » محرر جريدة « ديلى ديسباتش » ـ وهو من البيض ذو نزعات انسانية ـ صداقة قوية ، بفضلها يزداد وعى « وودز » بخطر العنصرية ووحشيتها ، فيصمم على مقاومتها ، ما وسعته المقاومة ، ولا يدخر فى سبيل ذلك جهدا .

ومع تفاقم الاحداث ، يمر امام اعيننا شريط دام من الفواجع

فها نحن نرى هجمة الشرطة على مدينة الصفيح السوداء « كروس رودز » خارج مدينة « كيب تاون » ، ونرى تحديد اقامة « بيكو » وكيف جعلت من منزله مكانا اقرب الى السجن منه الى اى شىء آخر .

ثم نراه ، حين يلقى القبض عليه ، ويرمى به وراء القضبان ، حتى نفاجأ به فاقد الحياة على ايدى شرطة لا ترحم .

● مذبحة الابرياء

وما ان يختفى « بيكو » بالقتل ، حتى يبدأ النصف الثانى من « صرخة الحرية » حيث تمكر سلطة القهر بصديقه الابيض « وودز » مكرا شديدا يكاد يخلو من قطرة انسانية .

ولا اريد ان الخص مافى هذا النصف وهو تصوير هروبه متخفيا فى ثياب قسيس ومعه مخطوط كتابه عن « بيكو » يحكى فيه ما رأى ، ويكشف فيه عن كل ماجرى .

ولا ان الخص محنة زوجته « وندى »

وهى تحاول الفرار باطفالها من الجحيم ، حتى يكتب لها النجاة .

ولا ان الخص محنة مشاهد مذبحة الاطفال السود فى « سوويتو » ( ١٩٧٦ ) او محاكمة « بيكو » حيث استطاع بصدق لهجته من جهة ، وبراعته الفنية من جهة اخرى ان يفضح النظام العنصرى فى جنوب افريقيا وجرائمه ، تلك المشاهد التى قطع بها مخرج الفيلم سياق السرد لرحلة هروب « وودز » الى الحرية .

واشنطن » الذى كان مرشحا لها عن ادائه لدور « بيكو » بجدارة ، وحصل عليها « شين كونرى » المشهور « بجيمس بوند » عن تقمصه لشخصية شرطى فى خدمة الشعب ضد الفساد فى آخر افلام هوليوود عن المجرم « آل كابونى » الاظهار

وأوسكار احسن اغنية لم تفز بها انشودة « بيكو » بكلماتها التى تدفع الى الصمود والنضال ، وفازت بها اغنية عاطفية تافهة من فيلم لا غناء فيه « الرقص القذر »

● أسباب العقاب

وانما اكتفى بتلخيص النظرية التى يعتمد عليها الفيلم بتصفيه

فهو يريد ان يقول ان الصلة القائمة بين حياة البيض والسود قوامها الاستعلاء والاستكبار .

البيض يعسفون ويخسفون ، والسود يذوقون الوان الذل والهوان .

فاذا ما حاولوا الخروج من ذلك الى شىء من العزة والكرامة ، ردهم البيض الى حياتهم البغيضة اعنف الرد .

وان يقول ايضا انه على البيض اذا ماوعوا ابعاد هذه الحياة المسرفة فى الاذلال ان يقاوموا .

**ومن هنا عقاب الفيلم بحجب جميع جوائز أوسكار عنه .**

فمثلا اوسكار احسن ممثل ثانوى لم يحصل عليها الممثل الملون « دينزن

● الفيلم الوليمة

والآن ، عود الى « الامبراطور الاخير » ، ذلك الفيلم الذى فاز بجميع الجوائز ذات الرنين .

صاحبه هو « برناردو برتولوتشى » المخرج الايطالى الذى سبق له ان ابدع « قبل الثورة » و « المتلائم » و « التانجو الاخير فى باريس » و « القرن العشرين » ، وهى أربع روائع لها فى تاريخ السينما اثر غير قليل .

واغلب الظن انه اكثر المخرجين الثلاثة موهبة . ( يلاحظ ان احدا منهم لايحمل الجنسية الامريكية )

وحتى عام ١٩٧٨ كان عضوا فى الحزب الشيوعى الايطالى وتركه له لعله يعود الى خلاف جوهرى حول مفهوم المتعة فى الفن واشياء اخرى ..

وهو فى فيلمه الاخير يحكى بطريقته

ماساة الإمبراطور « بويى » الذى اختارته الإمبراطورة « تزوهو » خلفا لها ( ١٩٠٨ ) وهو لايزال فى المهد صبيا .

● عبث الاقدار

واحداث الفيلم تبدأ به مسجونا ( ١٩٥٠ ـ ١٩٥٩ ) بعد ان سلمه الروس الى الصينيين اثر سقوط حكم الكومنتانج وارتفاع رايات الشيوعية فى الصين عالية وكانت التهمة الموجهة إليه هى التعاون مع اليابانيين ابان حقبة احتلالهم للصين .
وبلا هوادة سعى سجّانوه الى اعادة تعليمه او غسل مخه كما يقال فى لغة المحللين النفسيين .

واثناء محاولاتهم هذه ، ومن خلال بناء سينمائى . يقوم على لقطات تعود بنا الى الماضى ، يتوقف الفيلم عند لحظات من حياة الإمبراطور السجين :
الاعمار الثلاثة الاولى ( اثنان ونصف ، عشرة ، خمسة عشر عاما ) من حياته كامبراطور طفل ومراهق

منفاه اثناء عقد العشرينيات ، محاولاته مع المحتلين اليابانيين اعادة بناء امبراطورية فى منشوريا مسقط رأسه ثم الفشل النهائى .
وفى الحق ، فهذا الفشل قدر مكتوب عليه منذ البداية .

فهو يتوج امبراطورا وله من العمر ثلاثون شهرا وهو ـ بعد ثلاثة اعوام من اعتلاء العرش ـ لا يملك من امر الصين شيئا لان ثورة قامت واعلنتها جمهورية .
وهو رهين المدينة المحرمة لايتركها الا طريدا فى بداية العشرينيات بعد تجريده نهائيا من اللقب الامبراطورى .
هو باختصار سجين طوال الفيلم .
دائما امامه سد لا يستطيع ان يتجاوزه وسد التاريخ المنيع .

وحيثما يستأنف السير فى اى طريق ، فانه لاينتهى منه الى غاية .

● الحنين لم يعد كما كان

ولايزال كذلك حتى يجد فى سجنه الاخير عالما جديدا غريبا يستطيع ان يعيش فيه متلائما مع نفسه ومع الناس .
اخيرا تنفتح امامه الابواب ، فيعمل جنائينيا فى حدائق المدينة المحرمة حيث كان امبراطورا مقدسا واخيرا يحيا ليموت راضيا مرضيا
بعد هذا كله ، فالامبراطور الاخير فيه من الخصب والشاعرية والجمال ما لابد وان يترك فى السينما آثارا بعيدة عميقة ، ليس الى محوها من سبيل .

ومع ذلك فسدنة العدالة فى هوليوود لم يتوجوه امبراطورا على جميع الاقلام الا لانه زاخر بالحنين الى الصين القديمة ..

صين الارض الطيبة ( وهو فيلم حاز على جوائز اوسكار كثيرة خلال منتصف عقد الثلاثينيات )
ومن هنا خروجه من حلبة الصراع على جوائز الأوسكار الكبرى ، فائزا لا شريك له .

# جولـة المعـارض

## فى متحف تيتو لدول عدم الانحياز
## هل رأيت شعباً يحتضن نخلة ؟!

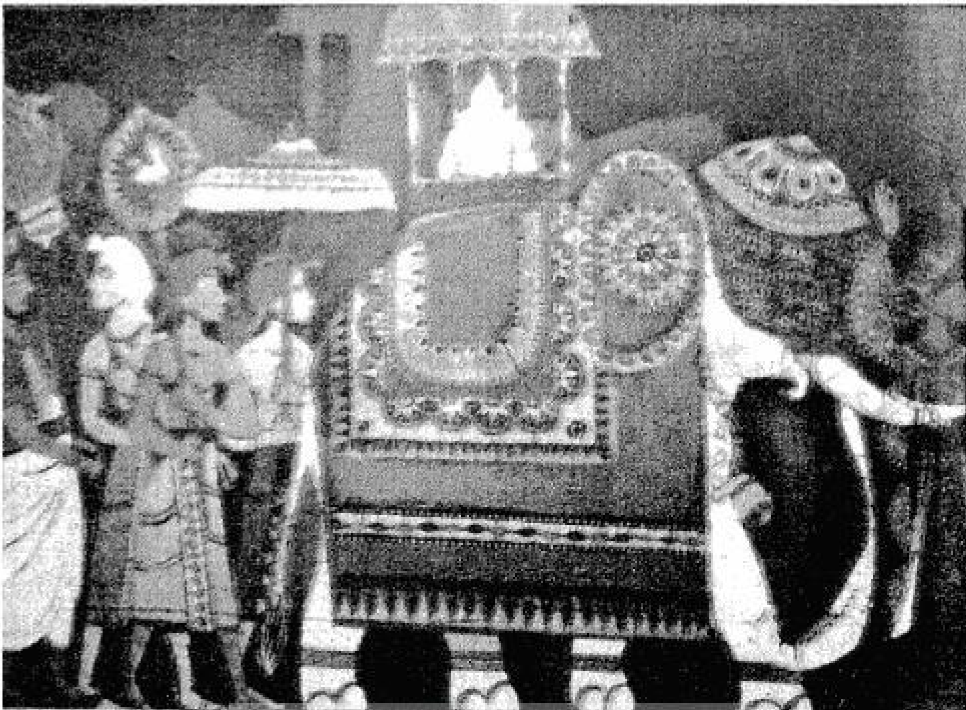
بقلم : عز الدين نجيب

قال لى الدكتور زكى نجيب محمود يوما ـ «إن الفن الذى يخلو من المحلية العميقة يكون قد أخرج نفسه من دنيا الفن ، لأن الفن فردى متفرد فى المقام الأول ، وهو ياتى انعكاسا للفنان الواحد الفرد الذى انتجه ، ثم ـ بعد ذلك ـ انعكاسا لانتماء ذلك الفنان لقومه وامته . لكن سحر الانتاج الفنى والأدبى معا ، برغم فرديته وتفرده وخصوصيته البالغة اقصى الحدود ، فهو انسانى عام ، بحيث يتلقاه اى فرد فى اى بلد وفى اى عصر ، فيرى حقيقة الانسان ، حتى ولو كان انسانا من شعب آخر مختلف الطباع والمشارب »

أدركت صدق هذا الرأى بقوة ، وانا اتجول بمعرض مجموعة دول عدم الانحياز والدول النامية ، الذى اقيم بقاعة النيل بالقاهرة طوال الشهر الماضى ، وهو من مقتنيات متحف « جوزيب بروز تيتو » بيوغوسلافيا ، جاء الى مصر ضمن جولة فى عدد من دول عدم الانحياز ، وكانت القاهرة هى محطته الاولى ، تقديرا لدورها التاريخى فى ارساء تلك الحركة .

● الفن : انتماء انسانى له فرديته وتفرده

● نموذج من فنون الشرق الاقصى





# جولة المعارض

اهمية هذا المعرض فى احتوائه على اعمال لثلاثين دولة من الدول النامية (وهى ما اتفق على تسميتها بدول العالم الثالث) ، تلك التى سقطت سهوا من قواميس الفن التى تتعامل معها ، ومن خطط الاجهزة الثقافية الحكومية عندنا ، حين تستضيف معارض اجنبية لتظهر لنا مستوى التقدم الابداعى فى العالم .

من هذه الدول : الهند واندونيسيا وباكستان وماليزيا وبنجلاديش والعراق والجزائر ومالى والسنغال والكونغو وغينيا وكوبا ونيكاراجوا وبوليفيا والمكسيك وفنزويلا والارجنتين ... الخ ، مع دولة وحيدة من اوربا الشرقية هى يوغوسلافيا .

والاكثر اهمية هو المستوى المتقدم جدا لعديد من فنون هذه الدول ، بما يضعها ندا قويا للفنون الاوربية التى ظلت حتى اليوم مقياسا وحيدا لمستوى الفن فى العالم ، وبما يكشف مدى اصالتها وتفردها النابعين من المحلية الشديدة لتراث وثقافات هذه الشعوب العريقة .

لكن قبل ان نبدأ جولتنا داخل المعرض ، دعونا نتعرف على المتحف الذى يملك هذه الأعمال ـ متحف تيتو ـ وكيف نشأ والهدف من انشائه .

## ● قصة متحف تيتو

فى عام ١٩٨٣ انعقد بمدينة نيودلهى بالهند الاجتماع السابع لرؤساء دول عدم الانحياز ، وكان على رأس قائمة جدول اعمال ذلك الاجتماع دعوة تلك الدول لتساعد وتساهم فى انشاء متحف يعد بمثابة جامعة ثقافية لدول الحركة والدول النامية ، للمساهمة فى تقدمها وتطورها فى ذلك المجال . واقترح ان يكون مكان المتحف هو مدينة تيتوجراد بيوغوسلافيا ، وان يتخذ اسم الزعيم الراحل تيتو تكريما له كرائد لحركة عدم الانحياز .

وتلاحقت بعد ذلك اجتماعات وزراء ثقافة هذه الدول فى مدن : بيونج يانج ، لواندا ، هافانا ، اعوام ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ لوضع الفكرة موضع التنفيذ .

كان المبنى المركزى للمتحف عبارة عن قصر قديم بمدينة تيتو جراد ، وقد اتخذ مقرا لعرض الاعمال التشكيلية التى بلغت ٣٠٠ قطعة لاكثر من ٥٠ دولة ، أهداها اصحابها الى المتحف ، وشيدت حول هذا القصر خمسة ابنية حديثة تحيطها حديقة جميلة ، وخصصت تلك الابنية للانشطة الثقافية الأخرى فى الفنون والآداب والندوات والمؤتمرات ومراسم للفنانين التشكيليين من مختلف الدول . وقد استضافت تلك المراسم فنانين من الهند وانبرص وبنجلاديش وسيريلانكا وكوبا والفلبين واندونيسيا والسنغال والمكسيك ، حيث تبادلوا الخبرات الفنية ، وتكلموا بلغة مشتركة هى لغة الفن ، تلك التى تعد الالوان كلماتها ، والتفاهم الانسانى مضمونها ... وترك لكل دولة القيام بتنسيق جناحها فى مجالات للفن التشكيلى المختلفة بالطريقة التى تراها ، مما أعطى تنوعا فى الأسلوب اضفى على المتحف رونقا وجمالا . وهناك معروضات

تراثية لبعض الدول يزيد عمرها على ثلاثين قرنا ، تمثل الطابع الأصيل لحضارات شعوبها ، جنبا الى جنب الأعمال المعاصرة .

وفى مجال النشاط الثقافى العام اقام المتحف ـ بالتعاون مع الهند ـ أسبوعا ثقافيا هنديا ، اشتمل على معرض تشكيلى وعروض رقص وموسيقى وأفلام فيديو وبرامج اذاعية . وقد حفز نجاح هذا الاسبوع هيئة تنظيم المتحف الى تكرار هذا الحدث الثقافى سنويا بالنسبة لدول عدم الانحياز والدول النامية الأخرى .

« القباب » .. للفنان العراقى على الجابر

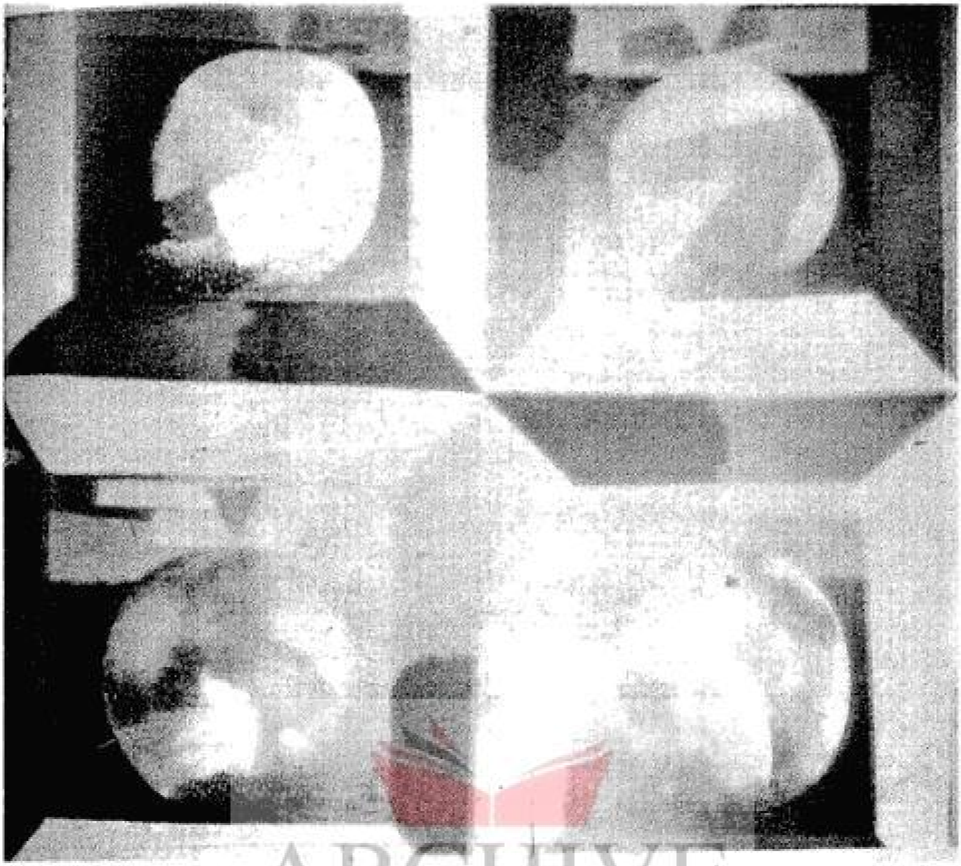


كما نظم المتحف ـ بالتعاون مع اليونسكو ـ ندوة عن « الفن والتقدم » ، عقدت بين ٢١ ، ٢٥ اكتوبر ١٩٨٥ ، تناولت دراسة العديد من القضايا الفنية والثقافية المتعلقة بفنون دول عدم الانحياز والدول النامية ، والعقبات التى تعترض تطورها .

كل هذا ومصر « نائمة فى العسل » غائبة عن المشاركة او حتى العلم بهذا الحدث الكبير ، اللهم الا مشاركة فردية للفنان حسين الجبالى ، الذى مثل فى المتحف بإحدى لوحاته الجرافيكية ، وقد اتخذتها هيئة تنظيم هذا المعرض ملصقا اعلانيا له .

## ● شوائب فى تنظيم المعرض :

ويذكر للفنان مصطفى عبد المعطى فضل استضافته لهذا المعرض بمصر ، كمسئول عن المركز القومى للفنون التشكيلية ، ودعوة بعض الفنانين المصريين المشاركة فيه الى جانب اخوانهم ضيوف العالم الثالث ، واهداء اعمالهم ليقتنيها المتحف عند عودة الاعمال الى يوغوسلافيا ، ليخصص لها جناح به ، تقديرا لمصر كرائدة بين رواد حركة عدم الانحياز ، وقد سارع الفنانون المصريون بتلبية الدعوة ، ويبلغ عددهم قرابة الاربعين ، لكن ما شاب هذه المبادرة هو تجاهل الفنان مصطفى عبد المعطى دعوة عدد من رموز الحركة الفنية الذين ترتبط اعمالهم بالفن الملتزم ، اذكر منهم على سبيل المثال فقط الفنانات أنجى افلاطون وتحية حليم وجاذبية سرى ، كما شاب هذه المظاهرة المصرية فى المعرض



شغف الفنان المعاصر بالتناقض والتوافق بين الالوان



# جولة المعارض

غلبة الاتجاهات الأوروبية ، لنفس الاسماء المدعوة الى كل مناسبة دولية ، الأمر الذى اظهر الجناح المصرى - اكثر من اى وقت مضى - بلا هوية محلية ، على عكس الأعمال المعروضة لضيوف هذا المعرض من الدول النامية .

شعرت بالارتباك وانا اتجول بالمعرض واقرا اسماء الفنانين تحت اعمالهم



# جولة المعارض

المعروضة ، فلسبب لا افهمه (ولم يعلنه منظمو المعرض) بعثرت اعمال كل دولة ـ بل كل فنان ـ بين أجنحة المعرض المتعددة ، فكنت تجد اعمالا لفنان من بوليفيا بجانب فنان من الجزائر او الهند ، دون وحدة تجمع اعمال كل دولة وكل فنان ، حتى ان أعمال الفنان الواحد كانت مبعثرة فى ثلاثة أجنحة متباعدة يصعب الربط بينها من الجولة الاولى . ولعل المنظمين للمعرض أخذوا بنظرية تناغم الاعمال من حيث الأسلوب الفنى والألوان ، دون اعتبار لجنسيات اصحابها ، حتى يعطوا للمعرض ككل وحدة جمالية . وربما كان المقصود هو اذابة الفوارق الجغرافية والعرقية بين تلك الدول ، فتصبح كأسرة واحدة ، لكننى اعتقد ان الصواب قد جانبهم فى كلا الفرضين . وهذا يعود بنا الى كلمات الدكتور زكى نجيب محمود حول اهمية التميز والتفرد المحلى لكل فنان وكل امة كى تظهر خصائصها ومذاقها ، ومن ثم يمكن الوصول من خلال ذلك الى الجوهر الانسانى العام .

**● عوالم خاصة وأصيلة :**

**نخطىء اذا حاولنا تصنيف الأعمال المعروضة داخل اتجاهات ومدارس فنية على النمط الأوروبى ، بالرغم من توافر الملامح الأسلوبية فى كثير من المعروضات ، وهى تغرى بمثل هذا التصنيف ، بين واقعية وتعبيرية وسريالية وتاثيرية وتجريدية ... الخ ..**

ونخطىء فى هذا التصنيف ايضا بالرغم من وقوع كثير من الفنانين العارضين فى اسر تلك المدارس ، شأنهم فى ذلك شأن الفنانين المصريين ، بل شأن رجال السياسة والاقتصاد والثقافة فى العالم الثالث ، الذين يستوعبون فى عباءة المدارس الغربية .

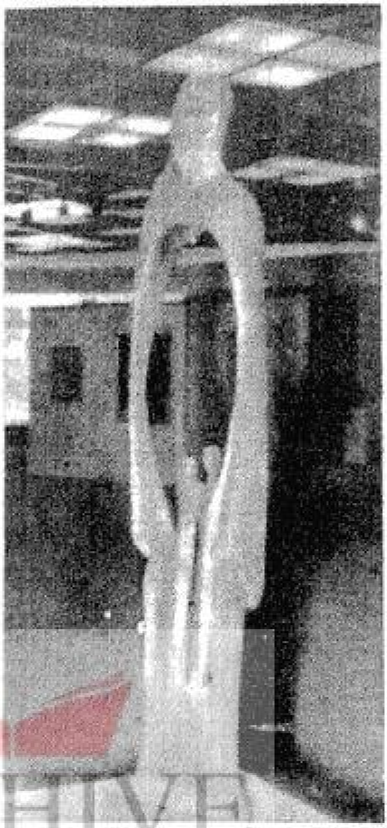
لكن النظرة الثاقبة لمنجزات عدد غير قليل من فنانى دول العالم الثالث فى هذا المعرض ، تقودنا الى ادراك انهم استطاعوا التعامل مع تلك الاساليب الغربية باعتبارها اسسا جمالية (استطيقية) مثل السلم الموسيقى او التفعيلة فى الشعر ، اما ما يقام فوق هذه الأسس فهو شديد الالتصاق بخصوصية الثقافات والهويات التى يتميز بها كل بلد وكل فنان .

ويعطينا الفنان اليوغوسلافى « جوزكيوها » نموذجا راقيا لهذا المعنى ، وهو بالمناسبة وبنفس اعماله المعروضة ـ كان نجم بينالى الاسكندرية الاخير ، وقد فاز عنها بالجائزة الاولى فى التصوير ... فلوحاته الزرقاء تنويعات موسيقية منسوجة من لحن شعبى ، معبأ بجو اسطورى ، يتمثل فى الايدى والاقدام الخارجة من هياكل سوداء ضخمة ، ترفق من جهامتها وحدات زخرفية بيضاء من « الدنتللا » التقليدية فى الفلكلور

الأسيوى ليس فقط طراز ملابس فتياتها والوانهن الدافئة ، بل هى تلك المسحة الغنائية برشاقة فى جو من خفر العذارى مطرز باوراق الشجر ، فكأنك تسمع دندنات موسيقية للربيع الذى يفجر بدفئه المفاجىء انوثة البنات ... وقل بعد ذلك ماتشاء عن تشابه اسلوبه مع جوجان او الحوشيين والتعبيريين .

## ● من امريكا اللاتينيـة - إلـى افـريقيـــا :

ولا نستطيع ان نحصى كل الأعمال الجميلة المتألقة فى هذا المعرض الفريد ولاأسماء الفنانين الصعبة من امريكا اللاتينية بوجه خاص ، الذين نفاجأ باعمالهم لأول مرة فى مصر ، مفعمة بالدماء الساخنة والتعبير الحوشى (الضارى) ... حسبى ان اشير الى نماذج سريعة لفنانى بوليفيا الذين تتراوح اعمالهم بين تجسيد الرعب والغضب ـ كما فى لوحات « روبرتو فاركارسيل » تحت عنوان « احتجاج » ، وبين التعبير عن الملصقة كما فى لوحة الفنان « جويدو شاير بالديراما » ، وبين السخرية اللاذعة للبرجوازية ، كما فى لوحات « نورمابلتران » ... وقس على ذلك فى الأعمال الافريقية ، اذ توحى لك بعالم الطقوس والسحر ، سواء ما كان منها تراثيا مجهول الصاحب يعود الى الماضى السحيق ، فى شكل اقنعة او طواطم ، او ما كان منها معاصرا ... وخذ هذا التمثال الخشبى الاسود للفنان « فيتريتو مادونجا » من تانزانيا بعنوان « الاتحاد قوة » ... وسوف تجد فيه شعبا باسره



نحت خشبى .. للفنان المصرى صبرى ناشد

أليوغوسلافى ... وقل بعد هذا ماتشاء من اوصاف لمدرسة هذاالفنان - سريالية ام رمزية ام تجريدية ! .

قس على ذلك لوحة الفنان « كوامرول حسن » من بنجلاديش بعنوان « ثلاث نساء » .. ان مامنحها مذاقها الشرقى




عشق الفنان العربى الفن وصنع لعالمه نموذجا فنيا مميزا.

## جولة المعارض

يحتضن جذع نخلة شاهقة كأنما يصعد فوقها . وفى نهايتها وجه كبير كأنه وجه افريقيا ... هل رأيت فى عمرك مثل ذلك ؟! لكنها روح افريقيا ! .

إنها نبوءة الفنان الأسود بصعود أمة سوداء نحو النور .. وإنه لمعرض يفتح امامنا نافذة عريضة للنور الباهر .

# فتح ملفات المراكز الثقافية فى مصر

# معهد جوته

# بين الأمس والغد المغرد

**ذاقت الثقـــافة الالمانية الامرين من حصار وعزلة داما طويلا .**

**واغلب الظن أن هذه المعاناة انما ترجع الى امرين أولهما هيمنة الثقافه المنحدرة مـن أصول انجلوسكسونية بفضل الامبراطورية البريطانية التى ما ان اخذت شمســها فى الغروب ، حتى حلت محلها الولايات المتحدة ـ وشعبهـا هى الأخرى متكلم باللغـــة الانجليزية ـ فاذا بها تغــزو العالم كله ببضائعهــمـــا واختراعاتها ودولاراتها بحيث بات النمط الامريكى النمط الاحب والأكثر انتشـــارا ، حتى ان المانيا لا تخـــلو من آثار أغنية روك ورول أوفيلم او تقليعة من بلاد العام السام ، وليس ادل على هــــذه الهيمنة ، وما تبعها من حصار للثقافات الاخرى بما فيهـا الثقافة الالمانية ، مكانة كل من شيكسبير وجوتة خارج بلديهما ..**

ففى الوقت الذى كـــان فيه الاول ملء الاسماع والابصار بمسرحياته ، حتى انه يمكن الجنوح الى القول بانه لا يوجد مثقف فى العالم الا وذاق بعضـــا من فن شيكســـبير أو حتى سمع بقصة حب روميو لجولييت أو غيرة عطيل على ديدمونة أو حيرة امير الدنمرك بين ان يكون أو لا يكون .

فى هذا الوقت كان قد ألقى بين « جوته » بكل ثقافته الموسوعية التى استطاع بها أن يقهر الدهـــر ويكفل لنفسه الخلود وبين الناس أستار ، بحيث كاد ان يكون مجهولا خارج حدود أوروبا والولايات المتحـدة ، لا يعرف من أمر فنه الا نزرا يسيرا .

فما اقل أولئك الذين عانوا صراع « فاوست » مع « مفيستوفيليس » ،

وما اقل الذين قاسوا « الام فيرتر » .

ولعل هذا أحد الاسباب التي حدت بالقائمين على شئون نشر الثقافة الالمانية على امتداد العالم الفسيح الى تسمية المعاهد الثقافية المنوط بها تحقيق هذا الهدف باسم اعظم ادباء المانيا ، واكثر شعرائها موهبة .

## العاصفة المميتة

اما الامر الثاني فهو استيلاء هتلر وعصابته على مقاليد الحكم واخضاعه المانيا لارهاب نازية دموية زجت بشعبها في اتون حرب عالمية ، وانتهت به مدحورا ، محتلة ارضه ، مقسما ترابها الى المانيا شرقية واخرى غربية

وليس من شك أن للنازية والهزيمة والاحتلال والتقسيم ، كل ذلك قد اثر في الثقافة الالمانية تأثيرا عميقا .

ومن اخطر هذه الآثار انقطاع الصلة بين تلك الثقافة وبين العالم ، والانحراف بها عن طريق الحياة المتصلة التي تسلكها الثقافات الحية

وعلى كل حال ، فمن اجل الخروج من هذا المأزق ، سعت معاهد «جوته» التي اخذت في الانتشار ابتداء من عقد الخمسينيات الى وصل ما انقطع ، وذلك بالخروج بالثقافة الالمانية من عزلتها التي تسببت في خسارة لها وللعالم لا سبيل الى تعويضها حتى يومنا هذا .

وعن رسالة معاهد « جوته » هذه قال الدكتور « كلاوس شولتز » مدير معهد القاهرة في كلمة القاها بمناسبة اليوبيل الفضي (١٩٨٣) . قال ما حاصله ان المعهد قد عدل منذ مدة طويلة عن موقفه ، « فطرح السياسة الثقافية القديمة جانبا . تلك التي كان يطلق عليها بحق سياسة استعمارية اذ كانت تركز على المبدأ القائل باننا نحن الالمان او اية أمة غربية اخرى ــ لدينا مفهوم ثقافي يعلو غيره . وعلينا ان ننشره بين الشعوب الاقل مستوى او نفرضه عليها عند الضرورة » .

وهذا المعهد سيجرى الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على انشائه تحت اسم « معهد جوته لرعاية اللغة الالمانية بالخارج وتوطيد أواصر التقارب الثقافي الدولي » ، وذلك لان افتتاحه قد تم تنفيذا لاتفاقية ثقافية عقدت بين مصر والمانيا الاتحادية تحت شعار «اللغات نافذة تطل منها الشعوب على العالم » وكان ذلك ابان عام تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر

وعلى كل ، فانطلاقا من هذا الشعار ، اعطى معهد « جوته » سواء في القاهرة أو فرعه بالاسكندرية ، الاولوية في نشاطه لنشر اللغة الالمانية وارساء دعائمها في ربوع مصر ، شأنه في ذلك شأن جميع المراكز الثقافية الاجنبية الاخرى ، عدا المركز الثقافي الامريكي الذي هو في غنى عن هذا الجانب من النشاط الثقافي لوجود الجامعة الامريكية وافلام هوليوود واشياء اخرى .

وتلعب الموسيقى الكلاسيكية فى نشاط معهد « جوته » الثقافى دورا كبيرا .

ولا غرابة فى هذا ، فلا توجد ثقافة فى العالم بلغت فى اجادة هذا النوع من فن الموسيقى ، ما بلغته الثقافة الالمانية .

وكان عام ١٩٨٥ فرصة كبرى للتأكيد هذا الامتياز ففيه جرت الاحتفالات بمرور ثلاثمائة عام على ميلاد كل من « جوهان سيبستيان باخ » و « جورج فردريك هاندل » ، ومرور اربعمائة عام على ميلاد « هينريك شوتز » .

ومن هنا تكريم المعهد لذكرى هؤلاء الثلاثة العظام بعزف بعض اعمالهم التى كان تقديمها بمثابة وليمة سخية فيها غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس .

ولو القينا نظرة سريعة على اوجه نشاط المعهد الاخرى ، لوجدنا ان ثمة اهتماما شديدا بالفنون التشكيلية .

فما اكثر معارض الرسامين والمصورين التى اقيمت فى القاعة المخصصة لذلك ببدروم مبنى المعهد المطل على شارع البستان .

والمعهد كما المركز الفرنسى لا يفرق فى هذا الخصوص بين الفنانين سواء أكانوا المانا ام مصريين .

فعلى سبيل المثال كانت ثمة معارض لاعمال فنانين المان — كما معرض « كريستيان شاد » فى الحفر على المعادن والنحت على الخشب .

ومعرض التصوير الفوتوغرافى « مصر — انطباعات وآراء » للفنان فولفجانج كلاوس الذى يقيم بالقاهرة منذ عام ١٩٨٣ .

وثمة معارض لفنانين مصريين فتحت لهم ابواب المعهد على مصاريعها دون ما نظر لاختلاف مشاربهم واعمارهم .

معهد جوته

وآية ذلك المعرض الذى اقيم بمعهد القاهرة للفنانات « تحية حليم » ، « جاذبية سرى » ، « انجى افلاطون » و « زينب عبد الحميد » .

● حواء .. اولا

والمعرض الذى اقيم بمعهد الاسكندرية منذ اسابيع للفنان عز الدين نجيب .

والظاهر من متابعة نشاطات المعهد الاخرى ، ان ثقافة المرأة وابداعاتها تلقى من المشرفين عليه قدرا كبيرا من الاهتمام .

فبعد الابداع التشكيلى عند بعض الفنانات المصريات ، وبعد عروض لسينما المرأة المخرجة فى المانيا ، اقام المعهد ندوة حول تحقيق الذات فى ادب المرأة المصرية والالمانية ، عرضت ضمن ما عرضت لبعض اعمال اديبات مصريات من مختلف المدارس والاتجاهات .

وقد دارت مناقشات حول هذا الموضوع استمرت ثلاث ليال اثيرت خلالها تساؤلات حول ابداع المرأة وهل يختلف عن الابداع عند الرجل ، وحول ادب المرأة الالمانية المعاصرة .

وبفضل هذه المناقشات التى انتقلت فقرات منها الى صفحات الجرائد والمجلات ، بدا واضحا انعزال الكاتبة المصرية عن تيار الادب النسائى العالمى الذى اصبح له منزلة كبيرة .

ومن الاوجه الفريدة فى نشاط المعهد عرض بعض المسرحيات الالمانية بلغة مؤلفيها كما هو الحال بالنسبة للفرنسيين عندما يعرضون على خشبة المركز الفرنسى مسرحية لاحد من ابنائهم ، وانما عرضها مترجمة الى العربية .

ومن ابرز هذه المسرحيات « يموت المعلم » و « الربيب يريد ان يكون وصيا » لبيتر هاندكة احد ابرز المسرحيين المعاصرين المتكلمين باللغة الالمانية .

● ولادة جديدة

ومن اوجه التفرد الاخرى وجود نادى سينما بالمعهد يشرف عليه ناقد مصرى « فوزى سليمان » .

وشأن جميع نوادى السينما فى مصر ، يعانى هذا النادى من ضيق افق رقابة متخلفة لا تستطيع أن تعيش روح العصر .

فمثلا حاول المشرفون عليه ان يقيموا عرضا لجميع افلام « راينر فاسبندر » الذى مات وهو فى ريعان الشباب ، ومع ذلك ترك اثارا سينمائية بعيدة الانتشار فى المانيا ، ثم تجاوزتها الى غرب اوروبا فالولايات المتحدة حيث تلقوها لقاء عظيما .

ولكن هذه المحاولة ، وغيرها بالنسبة لمخرجين اخر ، قد باءت جميعها بالفشل ، وذلك لامعان

الرقابة فى التصدى للافلام ومنعهـــا بغير حساب .

ومهما يكن من شىء ، فقد ســاهم نادى المعهد فى التعريف بالســينما الالمانية فى عقد العشــــــرينيات ، وبالذات ما كان منها من ابداع رواد المدرسة التعبيرية .

وكذلك ساهم فى تسليط الاضــواء على السينما الالمانية اللاحقة لبيــان «اوبرهاوزن» ( ١٩٦٢ ) ، ذلك البيان الذى اعلن اصحابه ، وجميعا كانوا وقت تحريره سينمائيين شـــــبان يفيضون حماسا لسينما جديدة متحررة من اثقال القديم ، اعلنوا فى ثقة ان « السينما القديمة قد مـاتت ، ونحن نؤمن بسينما جديدة » .

● الفيلم الوليمة

ولعلى لست بعيـــدا عن الصواب اذا ما قلت ان اهم فيلم عرضه نادى السينما بل قل المعهد ، كان لواحـــد من اصحاب هذا البيان الذى له من العمر الان خمسة وعشرون عاما او يزيد .

ذلك الفيلم هو « الوطن » لصاحبه المخرج « ادجار ريتز » .

واول مشاهده يبدأ ببطله الحـداد « بول سايمون » عائدا من الاســـر ( ١٩١٩ ) الى قريتــه « شاباخ » من أعمال الراين .

وآخر مشاهده ــ ينتهى ــ بعد ملحمة محورها الصـــــراع بين الحـالمين والواقعيين ــ من سكان هــذه القرية الصغيرة ، ينتهى بمن تبقى من ابطاله فى المانيا الان ( ١٩٨٢ ) ، المانيـــا معجزة الرخاء والنجاح .

والوطن يحكى قصصا متشـــابكة لثلاث عائلات المانية ، ويجرى عرضه على امتداد خمس عشرة ســـاعة ، واربعين دقيقة وخمس عشرة ثانية .

ومن هنا عرضه فى المعهد مجـزءا على امتداد اربعة ايام .

وفى الحق فالوطن الذى يعتبـــر اطول فيلم فى تاريخ السينما ، انمـــا يعرض لقصة المانيا من خلال السـرد لتاريخ عائلات ثلاث عادية فى قـرية المانية منسية .

ومما يجعله متميزا عن جميـــــع افلام السينما الالمانية الجـــديدة ان صاحبه لا يعانى من عقـــدة الذنب ، لا يحتاج الى الشعور بوجود عقــدة الذنب هذه من احداث مر بها وطنـــه قبل جيلين او اكثر .

فاخيرا ، هاهو ذا مخرج استطاع ان يبين فى فيلمه ، وبطريق القطع ان الماضى القريب شىء يمكن لصانعى الفيلم الالـــانى فى الثمانينيات ان يعرضوا له بدون ان يكونوا محملين باوزار ذنوب الهتلرية مع اليهـــود وغيرهم من البشر .

واكبر الظن ان للوطن ــ وهـــو من اجمل واصدق الافــلام على مر الايام ــ قد اخذ يترك بتحرره هذا من عقدة الذنب اثارا بعيده فى السينما الالمانية ومن ثم فى الثقافة الالمانيــة، اثارا ليس الى محوها من سبيل .

# والت ديزني
# تعارف على الورق

بقلم : مصطفى الحسيني

**يتوعد اريبل دورفمان وارماند ماتلارت مؤلفا كتاب « كيف تقرا دونالد دك » ، يتوعدان والت ديزني او بالاحرى مؤسسته ، فقد مات الرجل في عام ١٩٧٦ ، بان يعيدا اليه بطته ـ التي هي دونالد نفسه ـ منزوعة الريش ومشوية .**

**انما قبل ان نرى كيف فعلا ذلك ، نتحفظ فنقول ان مايعرضه هذا المقال ليس هو كل ما اتاه الرجلان تحقيقا لوعيدهما ، فهو اكثر من ان يحتويه مقال ونواصل التحفظ فنقول ان ما يحتويه هذا المقال هو منطوق تنفيذ الوعيد ذاته دون حيثياته .**

ومع هذين التحفظين ، نقر بانهما يعبران عن نقص كبير، العذر منه هو مقام المقال والذى يعوض هذا العذر أن ندعو المهتمين منا بشئون ثقافة الطفل والمهتمين منا بهموم حماية عقل الناشئة ووجدانها ، الذى هو عقل المستقبل ووجدانه الى أن يقوم بعضهم بتحقيق هذا الكتاب ، والافضل أن تتحقق دراسة مشابهة له او موازية عما قدمته مؤسسة ديزنى للناشئة العرب سواء عن طريق السينما ، او عن طريق القصص والمجلات .

ونبادر فنقول أن الدعوة الى دراسة مشابهة او موازية لا يجوز الاحتجاج عليها بشبهة المحاكاة والتقليد . اذ الحقيقة انها لن تقل اصالة عن الكتاب الذى يتعرض له هذا المقال ويعرضه وتفسير ذلك أن المؤلفين اعتمدا في ما كتبا على ما قدمته مؤسسة « ديزنى » للناشئة فى شيلى ، محتسبين انه يتطابق مع ما تقدمه المؤسسة لناشئة اميركا اللاتينية . ولان مؤسسة « ديزنى » تعمل على اساس خطط مدروسة فى التسويق ، فان لديها فيما تقدمه لمنطقة من العالم ، بضاعة متميزة ، هى فى حسبانها تلائمه او تلائم ما تتوخاه المؤسسة في تلك المنطقة




من أغراض . فما تقدمه فى بلاد «ازتك لاند» ، غير ما تقدمه فى بلاد «انكا بلينكا» ، غير ما تقدمه الى بلاد «انستدى ستان» . حسب الاسماء التى يستخدمها ديزنى لمناطق العالم الثالث أو بعضها ، وقد لا يكون عن غنى عن القول ان «ازتك لاند» هى بلادحضارة الازتك ، ومركزها المكسيك ، وان «انكا بلينكا» هى معظم أميركا الجنوبية . وان «انستدى ستان» قد تضم بلدان العالم الثالث جميعا ،والتى توصف بعدم الاستقرار .

ونعود الى عملية نزع ريش البطة ونحاول انتتشمم رائحتهاوهى تشوى .

- ١ -

اول ما يلاحظه المؤلفان على عالم «والت ديزنى» الحافل بالشخوص هو غياب الوالدين فى هذا الحشد ، فهذا العالم لا يعرف الاب ولا الام ،وبالتالى لا يعرف لا الابوة ولا الامومة ، انهعالم من العمات والخالات والاعمام والاخوال وبناتهم وأبنائهم . «سكروج ماك دك» هو عم «دونالد دك» أو خاله «الجدة دك» هى عمة دونالد أو خالته ، لكنها ليست زوجة «سكروج» . أماءدونالد» فهو العم أو الخال لكل من «هيوى» و«ديوى» و«ليوى» ، و «جلاد ستون جاندر» ابن عم أو خال بقرابة بعيدة الصلة . وله بدوره ابن أخ أو ابنأخت اسمه «شامروك» له هو الاخر ابنتا عمومة أو خؤولة ، تلى هؤلاء مجموعة من الاقارب البعيدين : شامروك دك ازا دك ، العم الاكبر ، للجدة دك ،أما أبعد الاقارب فهو «دون دى باتو»الذى كانت له صلة بأسطول «الارمادا» «الاسبانى» ، وله أيضا أبناء عمومة وخؤولة : «جس جوز» عامل زراعى قديم الفائدة و «موبى دك» البحار . وللعائلة أيضا فرع شرقى يضم «شيخا» و «مازوما دك» أغنى أغنياء جنوب «اندكستان» . ولا تفوتك التسمية الاسيوية فى هذه التسمية الاخيرة .

وفى هذه العائلة أو هذه القبيلة يلاحظ المؤلفان غلبة الذكور عدديا ،أما الاناث فهن عوانس باستثناء واحدة هى «الجدة دك» التى ترملت دون أن يموت زوجها ، الذى يظهر فى قصص والت ديزنى مرة واحدة تحت عنوان «التاريخ يعيد نفسه» .

وفى قصص والت ديزنى نجد أولئك الاناث العوانس غير معرضات للتأثر بالرجال او غير مهيات له . أما علاقة

# والت ديزني

الرجال بهم فتميزها العنة ، فالرجال يركبون الصعاب حتى يأتوا بالهدايا تقربا للاناث ، انما فى علاقة أبيية الافلاطونية ، أما الاناث فيلتزمن حيال الذكور بسلوك قد تلخصه المجلة التى يستخدمها أهل الشام « شم ولا تذق » أى الاكتفاء من الطعام برائحته .

وفى هذا العالم أيضا نجد الكبار لا يشيخون ، وبالتالى لا يموتون ونجد الصغار لا يكبرون .

عالم لا ميلاد فيه ولا موت .

**فى هذا العالم يعيش « انسان » محروم من التاريخ الشخصى فلا هو ولد ولا هو يموت ، ولا هو ينمو بين الميلاد والموت .**

وفى هذا العالم أيضا ، لا حب ولا ولاء . فان كان طبيعيا أن يحب الاب ولده والابن أباه ، وأن يتبادلا الرعاية والولاء ( بحكم الطبيعة ) ، فليست بالضرورة العلاقة بين العم والخال والصغير المنتسب اليه . ومن هنا فانه فى هذا العالم ، كما يعكسه انتاج « ديزنى » تغيب السلطة الابوية لتحل محلها سلطة تعسفية ، هى سلطة القوى على الضعيف .

مثال لهذا علاقة « سكروج ماك دك » بمن هم فى ولايته أو تحت سلطانه من أبناء الاخ أو الاخت . مثلا : يرسلهم فى مهمة يجوبون فيها صحراء «جوبى» ، وتستغرقهم المهمة أشهرا ستة ،يعودون بعدها منهكين ، وبدلا من الشكر يتلقون التوبيخ لان المهمة استغرقت وقتا أكثر مما تستحق فى تقديره ، ولا يدع لهم فسحة للراحة ، انما يرسلهم على الفور فى مهمة أخرى للبحث عن عملة أثرية زنتها أطنان عدة ، وعندما يعودون بها يتبين له أنها مزورة لان العملة الاصلية فى حوزة غيره وعليه أن يشتريها ان أراد . ويفرح الصغار ظنا منهم أنهم سيرتاحون ، لكنه يبلغهم أن عليهم أن يعيدوا العملة المزيفة الى حيث كانت وأن يردوا اليه الملاليم التى دفعها أجرا لهم ، لانه لم يستفد شيئا من كدهم ، وبدلا من أن يعترضوا ، يلوم « دونالد دك » نفسه على لسانه الطويل ، لانه هو الذى تحدث عن الراحة .

**كما نرى ، خط التقسيم بين القوى والضعيف ثابتا ، لا هو يتحرك ، ولا من يقفون على جانبيه يتبادلون المواقع أو يحاولون .**

والخط الفاصل بين القوة والضعف يتكون من عوامل ثابتة لا ينال منها الزمن ، الاقوياء هم الاكبر سنا ، أو الاكثر ثراء ، أو الابرع جمالا ، ذلك كله أو بعضه .

أما من دون ذلك فهم المستضعفون ويعتبرون وضعهم جزءا من الطبيعة ، لان الزمن عند والت ديزنى معدوم ، الا اذا كان زمانا جزئيا حسابيا لا الزمن كقوة فعل فى الكائنات .

عالم يقوم على غياب البيولوجيا . لا ميلاد . لا نمو . لا موت . لا صعود . لا هبوط . عالم من السكون ينتحل حركة دائبة وكاذبة .

— ٢ —

ثانى ما يلاحظه المؤلفان أن عالم « والت ديزنى » مكتظ بالحيوانات . فاشخاص قبيلة « دك » ينتحلون شكل الحيوانات ، وان كان تدبيرهم واطماعهم أكثر « رقيا » وأشد « حنكة » فى الوقت ذاته من تدبير الحيوانات أو أطماعها ان كان لها شىء من هذا أو ذاك .

ويقول المؤلفان ان استخدام الحيوانات فى قصص الاطفال كوسيلة للتربية ، ليس فى حد ذاته شرا او خيرا . انما المهم هو : ماذا تفعل الحيوانات بعقل الطفل ووجدانه .

والطفل ـ المستهلك لمنتجات « ديزنى » سرعان ما يألف شخصيات الحيوانات فى هذا الانتاج ، ثم سرعان ما يتآخى معها ، سرعان ما يتقمصها على نحو ما .

فى الوقت نفسه فانه فى منتجات ديزنى نجد الاشخاص الاخرين ، الذين هم خارج قبيلة بط ومن فى حماها ـ مثل ميكى ماوس ـ يقدمون فى صورة البشر،وان كانوا بشرا بدائيين متخلفين، تتفوق عليهم القبيلة وحماها بالذكاء والمعرفة والجسارة والمغامرة .. وبياض البشرة .

انما اين يلتقى الطفل بهؤلاء البشر فى منتجات « ديزنى » يلقاهم فى الريف ، فهم ابناؤه .

انما لنترك هؤلاء الابناء مؤقتا حتى نعود اليهم .

الريف عند ديزنى ليس اكثر من مهرب من حياة المدينة ، التى يصورها ديزنى قاسية فظة . لكن شخوصه لا يستطيعون فعليا ان يهجروا المدينة، اذ لا يقدرون على هجر الحضارة الصناعية التى لا غنى عنها حتى ولو كان الثمن هو الفظاظة .

لذلك وجد الريف مكانا للنزهة والترويح والتجدد وقضاء العطلات .

ولما كان عالم « والت ديزنى » كونيا، فان الريف كمسرح للمغامرات شخوصه يمتد الى اركان الارض كافة .

وهناك نرى كيف تتعامل قبيلة ديزنى مع سكان الريف . واشخاص القبيلة او ابطالها مغامرون فرهون .

اما سكان الريف فهم :

● بدائيون، وهم فصيلتان:البرابرة ( مثلا : شخصية « ستون ايج » اى « العصر الحجرى » الذى تسكن « فصيلته » افريقيا واطراف البرازيل واكوادور والولايات المتحدة . اما « الفصيلة » الاخرى فاكثر تطورا لكنهم يتدهورون ، وفى طريقهم الى الانقراض ، وعادة يكونون ابناء حضارة غابرة لها آثارها القديمة واطعمتها المحلية .

● « الفصيلة » الاولى ، لا تعيش فى تجمعات. تسكن اكواخا متفرقة على افضل الاحوال ، بينما الثانية تعيش فى حواضر خربة ، مكتظة بالعناصر الفولكلورية .

وتتواصى شخصيات ديزنى بحمل اكبر قدر من الاقلام عندما تزور هؤلاء.

● ينتمى سكان هذا الريف الى العناصر العرقية كلها : سود وصفر وتحاسيون وسمر . عدا البيض .

وتتواصى الشخصيات بالاهتمام بحمل اقلام ملونة .

● وسكان الريف هؤلاء عمالقة خشنون ، مادة خام من العضلات . ( ويجب ايضا الاهتمام بتزويد آلات التصوير بالعدسات المقربة وذات الزاوية المنفرجة حتى تقدر على استيعاب صورهم .

● اما ازياؤهم فجلود الحيوانات والاسد بالذات .

● العادات الجنسية . كلهم ذكور. ولا يقول لنا « والت ديزنى » كيف يتكاثرون .

● وهم مثل الاطفال : وديعون خليو البال سذج . يثقون فى الاخرين. سعداء ، من السهل ارضاؤهم وخداعهم.

● وتتواصى قبيلة ديزنى بأن تحمل الى هناك بعض السلع التافهة التى يستطيعون مبادلتها باكداس من

## والت ديزني

المجوهرات المحلية .

● والناس هناك لديهم شهية مفتوحة للتلقي . يقبلون اى منحة،حتى لو كانت كنوزهم التى أخذت منهم ما دامت تقدم اليهم فى صورة هبة .

● وهم كرماء ، مستعدون لاعطاء كل شيء . لذلك فهم منبع لا ينضب لثروات لا يستطيعون استخدامها .

● وهم مرحون ، يرفهون عن أنفسهم بالغناء والرقص ، وأحيانا بالثورات . ويستخدمون اى اداة ميكانيكية يحملها اليهم أهل « دكبرج » اى « بلاد دك » كلعبة ، سواء كانت هذه الاداة جهاز تليفون أو ساعة أو مدفع .

● ومع ذلك فهم يتحدثون لغة « دكبرج » بطلاقة .

● أما حياتهم الاقتصادية فتقوم على الاعاشة . الرعى والقنص . وقطف الثمار التى لا يتعبون فى زراعتها فهى تنبت من تلقاء نفسها . وأحيانا يصنعون أشياء ليبيعوها للسائحين .

● أما النظام السياسى فى هذا الريف ، فهو يقوم على المساواة التامة وانعدام النظم لدى « فصيلة» البرابرة . أما لدى « فصيلة » أبناء الحضارات الغابرة ، فلديهم ملوك يتمتعون بسلطان مطلق ، انما يطاردهم الخوف من الاطاحة بهم .

● والدين لا وجود له فى هذا المجتمع السعيد ، فهو يعيش فى فردوس مفقود .

● وأخيرا ، ليست لديهم عادات جنائزية لانهم لا يموتون .

— ٢ —

أين يجد أبطال « والت ديزنى » هؤلاء الناس ؟

فى الريف ؟!
اى الريف ؟
سوف نرى فى ما يلى من القصص .

### القصة الاولى

يقع « دونالد دك » و « موبى دك » أسيرين بأيدى الاريديين، سكان أريديا، اى بلاد الجفاف .

يفكر « دونالد » فى حيلة للخروج من الامر . فيبدأ فى اطلاق فقاعات ملونة من الصابون من اداة معه .

ويبتهج اهل أريديا ، فهم لم يروا مثل هذا من قبل .

ويقول لهم شيخ قبيلة أريديا « على ابن غوبى » أن أبناء شعبى كالاطفال . لا يستطيعون أن يتخيلوا كيف حدث ذلك .

ويقول له « موبى » : انه سر ينتقل من جيل الى جيل . وسأكشفه لك اذا منحتنا حريتنا .

ويجيب الشيخ على ، الحرية ..؟ انها ليست كل ما سأعطيكم اذا كشفتم السر . لدينا جواهر . لكن لا قيمة لها عندنا . انها لا تضحكنا مثلما تضحكنا الفقاعات السحرية .

ويعطيه موبى الاداة السحرية وزجاجة مليئة بسائل الصابون ، ويقول له : ما عليك الا أن تضع قليلا من السائل فى هذه الاداة ، وكلما احتجت سأمدك بالمزيد .

### القصة الثانية

« دونالد دك » فى حوار مع طبيب ساحر فى افريقيا .

دونالد : هل عندكم تليفونات ؟

الطبيب الساحر : من الاشكال والالوان كلها . لكن المشكلة أن واحدا منها فقط له أسلاك . انه خط ساخن الى بنك الاقراض الدولى .

### القصة الثالثة

رجل الثلج ، جو ، يعيش فى كوخ

قذر فى قطاع الهملايا من جبال مندكوش ، بين اناس ذوى سحنة صفراء . لكن لديه تاج جنكيزخان المرصع بالجواهر ، والذى سرقه من « سكروج ماك دك » الذى حصل عليه بفضل عمليات سرية قام بها عملاؤه .
ويقبل رجل الثلج ، جو استبدال ساعة ثمنها دولار واحد بالتاج ليستخدمها كلعبة بينما التاج لا يفيده فى شىء

● القصة الرابعة

تعرضت أعمال « سكروج ماك دك » فى كونغوليا لكساد شديد بسبب استبداد ملك تلك البلاد .
فقد أمر الملك رعاياه بألا يشتروا هدايا فى عيد الميلاد ( من بضاعة سكروج ) وأن يعطوه النقود التى كانوا سيشترون بها الهدايا، لانه يريد السفر الى الخارج ليستمتع بالاطعمة التى يشتهيها . فهو فى بلده لا يجد مايأكله الا رءوس السمك ( لا تقول القصة اين تذهب اجسام السمك ) .
يوفد سكروج ، دونالد دك لمعالجة المشكلة فيستعين هذا بساحر يجعل منه ملكا على البلاد .
ويكون أول أوامره للمواطنين أن يشتروا هدايا عيد الميلاد لعائلاتهم والا يعطوا الملك مليما واحدا .
وما ان تباع بضاعة « سكروج الراكدة ، حتى يعيد دونالد العرش الى الملك الاصلى ، ويلقى فى الرعاياخطابا يقول فيه أن الحكم الان فى أيد أمينة ويلقى الملك خطابا يعد فيه أبناء بلده بأن يحسن فيهم الحكم .
وهذا يسعد الجميع : سكروج ودونالد والملك وشعب كونغوليا .
هؤلاء هم سكان « ريف والت ديزنى » ؟
فى قصة الاريديين ( العرب ) نجد الحضارة والعلم شيئا غير قابل للفهم . ولابد أن يتحكم فيها وفيه الاجانب . ونجد الشعب وملكه سعداء انما بلهاء ، يقسمون ثروات بلادهم للاجانب راضين لكى يضحكوا .
وفى قصة « دونالد » و « الطبيب الساحر » هؤلاء الافريقيين لا يعنهم شىء فى « ثورة الاتصالات » الا أن يتصلوا بالبنك الدولى ليقترضوا منه .
أما فى قصة تاج جنكيزخان ، فرجل الثلج ، جو ، يبيع تاريخه ( تاج الملك ) مقابل لعبة يتلهى بها فالساعة عنده ليست حتى مقياسا ضابطا للزمن ، كما ان هذه اللعبة هى منتهى علاقته بالصناعة والتكنولوجيا والعصر .
وفى قصة « كونغوليا » يتعلم الملك ان عليه كى يحافظ على عرشه أن يتحالف مع الاجانب ويضع نفسه واقتصاد بلده فى خدمتهم .

البراءة الشائعة عن والت ديزنى ، الان ليست بريئة . وهذا « الوجه المشوه للحضارة الاميركية » لا شىء منه يشع سوى الطمع والازدراء .
انما المهم ، أن هذه « المنتجات المتفرقة » نجدها تتشكل فى بناء متكامل . من الطفل الذى لم تات به صلة حب ورحمة بين ام واب ، الى تقمصه لحيوان ماكر وخبيث وطماع ، الى استغلاله الشره لعالم من البدائيين النبلاء استغلالا مفعما بالاحتقار .
من هذا كله نجد نظرة متكاملة الى العالم .
وهى نظرة فظة .
والاخطر من فظاظتها ، انها ، عندما تشارك فى تكوين ( او تخريب ) عقول ناشئة عالمنا ووجداناهم . فانها تشبعهم باحتقار انفسهم ، دون ان يدروا او يدرى منا احد .

رسالة أمريكية

بقلم : د. مصطفى كامل السيد

# ندوة حول مصر في العاصمة الأمريكية

**مركز الدراسات العربية بجامعة جورج تاون بالعاصمة الامريكية واشنطن وهو مركز فريد بين المراكز الاكاديمية التى تتخصص فى دراسات احوال المنطقة العربية . ويتضح هذا الطابع الفريد للمركز من مجرد اسمه ، ومن نوعية القائمين على ادارته .. ومن جهات تمويله .. وبطبيعة الحال ينعكس كل ذلك على مايقوم به من انشطة .**

الوصف المركز بانه يختص بالدراسات العربية يعنى ان دراسة اسرائيل لا تدخل ضمن دوائر اهتماماته ، على عكس الحال فى المراكز المشابهة بالجامعات الامريكية الاخرى ، والتى تسمى فى الغالب بمراكز دراسات الشرق الاوسط والتى يؤدى ادخال الدراسات الاسرائيلية بها الى وجود الاساتذة اليهود او الاسرائيليين ، والى اشتمال برامجها الدراسية على مقررات فى اللغة العبرية ، بل وان يكون القائمون على دراسة اوضاع البلاد العربية هم من اليهود الامريكيين او الاسرائيليين او غيرهم من اليهود . ومن ناحية اخرى ، فان القائمين على ادارة هذا المعهد او المشتغلين بالتدريس به هم اما من ذوى المواقف المنصفة تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ، او من العرب ، ويدير المركز فى الوقت الحاضر كل من الاستاذ مايكل هدسون صاحب عدد من الدراسات المتميزة عن الوطن العربى ، والتى افاد منها كل من طلبة واساتذة الدراسات العربية فى الوطن العربى ذاته ، والاستاذ ابراهيم عويس،وهو اقتصادى مصرى شغل فى وقت من الاوقات وظيفة الوكيل الاول لوزارة الاقتصاد فى مصر . ويذكر كاتب هذه السطور كيف امتلك الحزن نفس مايكل هدسون

عندما رأى العلم الاسرائيلى يرفرف فى سماء القاهرة فى واجهة سفارتها ، وذلك عندما كان يرافق هـذا الاستاذ الامريكى فى زيارة له الى جامعـة القاهرة ، وفضلا عن ذلك ، فهناك عدد من الاساتذة العرب الذين يقـومون بالتدريس فى هذا المركز ومنهم هشام شرابى وحنا بطاطو وابراهيم ابراهيم وتساهم عدة حكومات عربية خصوصا من بين حكومات الخليج فى تمـويل انشطة هذا المركز ، والذى تشـتد حاجته للعون لان الجامعـة التى يتبعها ، وهى جامعة جـورج تاون جامعة خاصة تعتمد بصفة اساسـية على الموارد المالية التى تسـتطيع ادارتها تعبئتها ، كما هو الحـال فى العديد من الجامعات الامريكية ، وعلى عكس بعض جامعات الولايات ، التى يمكن ان تتلقى قدرا هاما من مساعدة حكومات الولايات التى توجد بها .

وقد دأب المركز منذ اكثر من ثلاثة عشر عاما على تنظيم مؤتمر سـنوى للدراسات العربية يخصص موضوعه كل سنة لاحدى البلدان العربية أو لاحدى الظواهر الماسة فى الوطن العربى . وقد نمت شهرة هذا المؤتمر على مدى الاعوام لاسباب عديدة ، منهـا ان الجامعة التى يتبعها هذا المركز توجد فى العاصمة الامريكية ذاتها ، وعلى مقربة من اجهزة صـنع القرار الرئيسية فى الولايات المتحدة ، ومن كل السفارات الاجنبية المعتمـدة فى واشنطن ، ومن المنظمات الدولية التى توجد مقارها فى العاصمة الامريكية وخصوصا كل من صندوق النقـد الدولى والبنك الدولى للانشـاء والتعمير . ويتابع كل هؤلاء ما يجرى فى هذا المؤتمر . وبالاضافة الى ذلك فان جامعة جورج تاون ذاتها تضـم عددا من الاسـاتذة الامريكيين القريبين من دوائر صـنع القرار فى الولايات المتحـدة ، بل والذين تولى بعضهم منـاصب بارزة فى ادارات امريكية متعاقبة ، ومن بين هـؤلاء مثلا السيدة جين كير كباتريك التى كانت مندوب الولايات المتحدة الدائم فى الامم المتحدة فى ظل ادارة الرئيس ريجان ، والتى رشحتها بعض التقارير الصحفية لان تكون احـد نجوم سباق الرئاسة الامريكية فى مناسبات قادمة . كما ذاعت شهرة هـذا المؤتمر بسبب نوعية المشاركين فيه ، والذين يشملون فى العادة نخبـة المتخصصين فى الدراسات العربية فى الجامعـات الامريكية والعربية ، فضلا عن خبراء الحكومة الامريكية ودبلوماسـييها السابقين المهتمين بأحـوال الوطن العربى .

## مصر فى سنة ١٩٨٨

وقد اكتسب مؤتمر هذا العام اهمية خاصة بسبب موضوعه ونوعيـة المشاركين فيه ، وكذلك الاهتمـام الواسع به فى الاوساط الجامعيـة الامريكيـة والاوربية . اذ كان موضوعه هو مصر فى عـام ١٩٨٨ ، قرارات حرجة . ويكشـف هذا المؤتمر عن ذلك الاحساس الخاص بما يمكن ان يجرى فى مصر هذا العـام . فيبدو ان الحكومة المصرية مواجهـة بعدد من القرارات الحرجة فى عدد من المجالات الخارجية والداخليـة على السواء . وترجع الطبيعة الحرجـة لهذه القرارات المحتـملة الى دقة الموقف الاقتصادى والسـياسى فى البلاد . فمن الناحية الاقتصـادية يتعين على الحكومة المصـرية ان

تتفاوض خلال الاسابيع القليلة القادمة حول اعادة جدولة قدر هام من ديونها الخارجية يصل الى حوالى سبعة بلايين دولارات تحين اجال سدادها فى منتصف هذا العام · وتشترط اغلب الدول الدائنة لمصر ان تقوم الحكومة المصرية بتنفيذ برنامج اقتصادى يوافق عليه صندوق النقد الدولى ، وتطلق على هذا البرنامج وصف الاصلاح الاقتصادى · ويتضمن هذا البرنامج كما هو معروف عددا من الاجراءات بالنسبة لادارة القطاع العام وعجز الميزانية وسعر العملة المصرية ومعدلات الفائدة على المدخرات واسعار عدد من السلع الاساسية والخدمات · ويؤدى تنفيذ هذا البرنامج الى زيادة اعباء المعيشة التى يئن تحت ثقلها معظم المصريين فى الوقت الحاضر قبل ان تنتهى الحكومة المصرية من التنفيذ الكامل لهذا البرنامج،ويشعر القائمون على ادارة صندوق النقد ومن خلفهم الحكومات الدائنة لمصر ان معدل تنفيذ هذا البرنامج والذى تقبله الحكومة المصرية من حيث المبدا ، بطىء للغاية ومتردد · كما ترجع الطبيعة الحرجة للقرارات التى يحتمل ان تواجهها الحكومة المصرية هذا العام الى النقص الحادث فى معدل مياه النيل وخصوصا فى فترة الصيف مع ضآلة المنتظر من مياه الفيضان بسبب انباء متواترة عن انخفاض معدل هبوط الامطار على هضبة الحبشة هذا العام استمرار لمعدلها المنخفض طوال السنوات القليلة الماضية ، بما يترتب على ذلك من نقص كبير فى كميات المياه المتاحة للزراعة ولتوليد الكهرباء ومن ناحية ثالثة ترجع دقة موقف الحكومة المصرية الى نمو التأييد لاحزاب وقوى المعارضة وخصوصا التيار الاسلامى فى صفوف المتعلمين فى مصر ، فى النقابات المهنية ، وبين طلاب واساتذة الجامعات ، فضلا المكاسب الهامة التى حققها هذا التيار فى الانتخابات النيابية التى جرت فى ربيع العام الماضى ·

## سؤال مهم

كيف تستجيب الحكومة المصرية لهذه المواقف الدقيقة على الصعيدين الخارجي والداخلى ؟ هذا هو السؤال الذى حاول المشتركون فى هذا المؤتمر تقديم اجتهاداتهم بالنسبة له على مدى اليومين اللذين استغرقهما المؤتمر فى ١٤ و ١٥ ابريل الماضيين · وقد اشتملت دائرة من حاولوا الاجابة على هذا السؤال عددا من اساتذة الجامعات الامريكية المشهورين بدراساتهم رفيعة المستوى لمصر ومن بينهم كل من جون داتربرى مؤلف عديد من الكتب عن الاقتصاد السياسى لمصر اثناء فترتى الرئيسيين عبد الناصر والسادات ، ومن الجوانب السياسية لادارة مياه نهر النيل ، وريمون هينبوش مؤلف دراسة قيمة عن مصر فى عهد السادات وروبرت بيانكى المهتم بجماعات المصالح فى بلاد الشرق الاوسط · واشترك معهم عدد من خيرة الاساتذة المصريين الذين يقومون بالتدريس فى الجامعات الامريكية ومنهم الاستاذ هشارل عيسوى صاحب الكتابات المرموقة

عن التاريخ الاقتصادى للشرق الاوسط والاستاذة عفاف لطفى السيد ذات الكتابات البارزة عن الحقبة الليبرالية فى مصر وعن التطور السياسى لها • وكان من بين من قدموا ابحاثا الى هذا المؤتمر كذلك عدد من الاساتذة الامريكيين الذين اتيح لهم التدريس بالجامعة الامريكية بالقاهرة ومن الاساتذة المصريين فى كل من جامعات مصر والولايات المتحدة الامريكية • على ان مقدمى الابحاث للمؤتمر لم يقتصروا على هؤلاء الاكاديميين • فقد ضموا ايضا مسئولين مصريين يحتلون مواقع عالية فى الحكومة المصرية او فى الهيئات الدولية ، وكذلك مسئولين امريكيين حاليين او سابقين ومن بين الفريق الاول كل من الدكتور اسامة الباز مستشار الرئيس ومدير مكتبه للشئون السياسية والسيد فؤاد سلطان وزير السياحة والدكتور سعيد النجار الذى شغل مناصب دولية متعددة فى منظمة مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية وفى كل من صندوق النقد والبنك الدولى ، بالاضافة الى الدكتور اشرف غربال سفير مصر السابق فى الولايات المتحدة ، ومن بين اعضاء الفريق الاخر السيد هيرمان ايليتس سفير الولايات المتحدة الاسبق فى القاهرة ومايكل ستيرنر الذى تولى مناصب دبلوماسية عديدة فى مصر وفى البلاد العربية الاخرى ، واخيرا ، فقد كان من حسن حظ المشتركين فى هذا المؤتمر ان استمعوا الى حديث المخرج المصرى يوسف شاهين ، وقد استمع الى كل هؤلاء حشد كبير كان يتجاوز الثلاثمائة فى اغلب الجلسات جاء من جامعات امريكية عديدة ، بل ومن بعض الجامعات الاوربية خصوصا من فرنسا وايطاليا ومن ادارات مختلفة للحكومة الامريكية ، ومن المنظمات المالية الدولية الموجودة فى واشنطن ومن الشركات الدولية العاملة فى الشرق الاوسط ، وكذلك من بين السفارات المعتمدة لدى الحكومة الامريكية وخصوصا السفارات العربية •

## نقاط الائتلاف والاختلاف

وقد دارت جلسات المؤتمر العشر فى جو ودى للغاية يسود فى العادة مثل هذه اللقاءات فى الجامعات الغربية • وتنوعت الموضوعات التى جرى بحثها فى هذه الجلسات العشر ، من جوانب اقتصادية تشمل تطور الاقتصاد المصرى ومشاكل تشجيع الملكية الخاصة ، وجوانب اجتماعية وثقافية مثل حركات السكان والعمالة،وقضايا سياسية مثل تيارات الاحتجاج الدينى والسياسى ، وافاق التطور الديمقراطى وادوار القوى السياسية المختلفة بما فيها مؤسسة الرئاسة وجماعات المصالح ورجال القضاء ، وعلاقات مصر الخارجية ، وما تثيره من قضايا سواء فى المحيط الاقليمى مع الدول العربية واسرائيل ، او المحيط الدولى وخصوصا تجاه الولايات المتحدة الامريكية • ولا يتسع المجال هنا لعرض خلاصة ما جرى فى كل هذه الجلسات • ولكن ربما يكون من المفيد تناول نقاط الاتفاق والخلاف بين المشتركين • فقد كانت السمة البارزة فى هذا المؤتمر انه الى جانب وجود بعض نقاط الاتفاق العام بين المشتركين فيه ، الا انه كانت هناك نقاط خلاف عديدة ، ولم ينقسم المؤتمر بالنسبة لهذه النقاط بين مصريين وامريكيين ، وانما كان الجديد حقا ان ابحاث المشاركين المصريين عبرت عن رؤى متباينة

بالنسبة للعديد من القضايا . ومع أن المشتركين الامريكيين لم يعبروا كذلك عن وجهة نظر واحدة الا ان ذلك امر مألوف في كل المجتمعات الليبرالية .

فمن بين نقاط الاتفاق العامة في المؤتمر قناعة كل المشتركين بدقة الاختيارات المطروحة امام الحكومة المصرية في الوقت الحاضر .

وترجع دقة بعض هذه الاختيارات الى تصاعد عبء مديونية مصر الدولية ، والتي قدرها السيد ديلوين ردى رئيس مؤسسة ابحاث شركة هيتاشي اليابانية ، ومدير مجموعة استثمارات خاصة بالشرق الاوسط بحوالي اربعين بليون دولار تغطي كلا من الديون المدنية والعسكرية . كذلك اوضح الاقتصاديون الذين اشتركوا في هذا المؤتمر انهم لا يختلفون فيما بينهم على تشخيص ابعاد المشكلة الاقتصادية في مصر . وانما يختلفون في مسلك الحل ، لان طريق حل هذه المشكلة هو اختيار سياسي بالاساس . ومن ثم فان عبء السعي الى حل مشاكل مصر الاقتصادية هو امر يرجع في الاساس الى صانعي السياسة العامة في مصر في كافة المجالات الداخلية والخارجية ، ويقتصر دور الاقتصاديين على توضيح النتائج المترتبة على اي خيار سياسي ينتهي اليه هؤلاء المسئولون . واتفق المشتركون كذلك على انه في مقدور الحكومة المصرية ان تضع برنامجا للانقاذ الاقتصادي وان تشرف على تنفيذه بكفاءة . فلا ينقص مصر الخبرة أو القدرة على مواجهة التحديات واخيرا اتفق المشتركون عموما على ان اهمية مصر الاستراتيجية سوف تحول دون ان تتركها الدول الغربية في مقدمتها الولايات المتحدة تواجه عبء مشاكلها الاقتصادية وحدها . فكل هذه الدول حريصة على الاستقرار السياسي في مصر . ومن ثم فقد لا تواجه الحكومة المصرية حائط المديونية منفردة . سوف يكون هناك من يلحقها قبل بلوغها هذه النقطة ومع ذلك فليس من المعروف مدى ثقل الثمن الذي قد تدفعه مصر لقاء هذه « المساعدة » .

ولكن الى جانب ذلك كانت هناك نقاط اختلاف عديدة بين المصريين انفسهم من ناحية ، وبين الامريكيين انفسهم من ناحية اخرى ، وبين وجهات نظر مشتركة قسمت الامريكيين والمصريين على حد السواء في حالات قليلة .

ظهرت الرؤى المختلفة بين المصريين في قضايا ادارة القطاع العام وتقييم دور حركات الاحتجاج الديني والسياسي . وفي الحديث عن حريات التعبير في مصر . وظهرت الخلافات بين المصريين والامريكيين في الحديث عن شروط المعونة الامريكية لمصر . كما ظهرت كذلك في تقييم كيفية ادارة العلاقات المصرية الامريكية .

فقد عبر المصريون عن وجهات نظر متباينة بالنسبة لادارة القطاع

العام . فدعا الدكتور سعيد النجار الى قصر القطاع العام على الحد الادنى من الانشطة التى قد تتميز بوجود احتكار طبيعى او اقتصادى مثل خدمات السكك الحديدية ومرافق المياه والكهرباء ، او فى بعض الصناعات الحربية او ذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للاقتصاد والتى لا ترتفع فيها معدلات الربح . ومع أن السيد فؤاد سلطان وزير السياحة ذكر انه يعبر عن وجهة نظره الشخصية الا انه مال الى تشجيع دخول رأس المال الخاص الى تلك الانشطة التى تكاد تقتصر على القطاع العام فى الوقت الحاضر بهدف الاستفادة القصوى من كل المتاح من موارد استثمار وطنية ، دون الجنوح الى تصفية القطاع العام . أما الدكتورة هبة حندوسة فقد ذكرت جوانب النجاح فى تجربة القطاع العام الصناعى فى مصر . وشددت على وجود قيود عديدة تحول دون ادارته على اساس يتميز بالترشيد وبينت قلة عدد الشركات الخاسرة داخل هذا القطاع .

وظهرت رؤى مختلفة بين المشتركين المصريين كذلك عند الحديث عن حركات الاحتجاج الدينى . فبينما مال المصريون المقيمون فى الولايات المتحدة الى التاكيد على خطورة هذه الحركات سواء بالنسبة للحريات العامة للمواطنين او الاستقرار السياسى ، اكد كاتب هذه السطور على ارتباط السياسة بالدين فى مصر منذ نشاة الدولة فيها حيث كان الدين اساسا لشرعية الحكم وعنصرا هاما فى الثقافة السياسية للمواطنين ، كما اوضح ارتباط نمو التيار الاسلامى فى مصر المعاصرة باخفاق التيارات المسماة بالعلمانية ، وبين وجود تمايزات عديدة داخل ما يسمى بالاسلام السياسى فى مصر ، بين فريق غالب يحاول الاصلاح السياسى من خلال المؤسسات القائمة ولا يكفر المجتمع او الحكام ، وفرق صغيرة تكفر المجتمع او الحكام وقد تجنح الى استخدام القوة المسلحة . وخلص الى ان التيار الاسلامى سيظل فاعلا نشطا فى السياسة المصرية ، ولكن حجم هذا التيار واسلوب مشاركته سوف يتوقفان كثيرا على التطور الديمقراطى للبلاد وعلى توفير ظروف حياة كريمة لاغلبية المواطنين وخصوصا ابناء الطبقة المتوسطة المتعلمين واخيرا فقد انقسم المصريون ايضا من حيث جدوى الحديث عن مشاكل حرية التعبير فى البلاد فى هذا المؤتمر الذى ينعقد فى العاصمة الامريكية . ولكن حديث المخرج يوسف شاهين كان مؤثرا وهو يستعرض كفاح الفنانين المصريين حتى يؤخذ رأيهم فى صياغة القانون الذى ينظم احوال نقاباتهم ، وكيف انه على الرغم من عدم وجود خصومة بينهم وبين الرئيس او نظام الحكم الا ان المسئولين عن سلطة التشريع يأبون عليهم ان يكون لهم هذا الحق الاساسى .

أما فيما يتعلق بنقاط الخلاف بين المصريين والامريكيين فقد دار أهمها حول شروط المعونة الامريكية لمصر . لقد قدمت الدكتورة هبة حندوسة عرضا وافيا ومفتقرا حول هذا الموضوع ، اكدت فيه على تبادلية المنافع الاقتصادية والسياسية فى علاقة المعونة ، وأن الولايات المتحدة قد استفادت من مصر سياسيا واقتصاديا قبل تقديم المعونة واثناءها ولكنها بينت كذلك اثر المعونة فى

عرقلة تنمية القطاعات السلعية في الاقتصاد المصري .

فان تركيز برامج المعونة على تنمية قطاعات الخدمات وخصوصا مرافق النقل والمواصلات والطاقة والمجاري ... الخ ، واشتراطها ان تقدم اغلب اموال المعونة لمشروعات تقوم الحكومة المصرية بتنفيذها دفع الحكومة المصرية الى الاخذ بنمط من الاستثمار يعطي الاولوية بالفعل الى تنمية قطاعات الخدمات ، وقلل من توافر الاستثمارات لتنمية القطاعات السلعية من زراعة او صناعة . وفضلا على ان ذلك تدخل في صميم سيادة مصر على اقتصادها ، الا انه ادى كذلك الى قصور نمو القطاعات السلعية عن اشباع الحاجات المتولدة داخل الاقتصاد المصري مما يعتبر سببا اساسيا لارتفاع الميل الى الاستيراد والى تفاقم ازمة السيولة خصوصا عندما نضبت موارد تمويل الواردات من تحويلات المصريين العاملين في الخارج ومن عوائد النفط . ولم يملك المشاركون الامريكيون من رد على هذه الانتقادات الا بالتأكيد على اهمية قطاعات الخدمات في الاقتصاد المصري .

كما ظهرت الخلافات بين المشتركين الامريكيين في توصيفهم لطريقة ادارة العلاقات المصرية الامريكية . وكان ابرز من عبروا من ذلك السيد هرمان ايليتس السفير الامريكي الاسبق في القاهرة والمعروف بصراحته المطلقة .فقد ذكر ان التعامل مع الحكومة الامريكية يعتبر مشكلة بالنسبة لمصر كما هو مشكلة بالنسبة لدول اخرى كثيرة . وترجع هذه المشكلة الى تعدد الاجهزة المؤثرة على السياسة الخارجية الامريكية . فضلا من البيت الابيض ووزارة الخارجية ، هناك كذلك اعضاء الكونجرس بمجلسيه والذين ارتفعت مشاركتهم في الرقابة على السياسة الخارجية الامريكية في العقد الاخير. ويتعين على المسئولين المصريين في القاهرة وواشنطن الاستماع اليهم والاهتمام بآرائهم رغم كثرتهم . وقد اوضح من ناحية اخرى ضرورة التزام كل من الحكومتين الامريكية والمصرية بالواقعية فيما يتعلق بما يمكن ان تنتظره كل منهما من الاخرى. ينبغي ان تدرك الادارة الامريكية عمق علاقات التضامن بين الشعب المصري والشعوب العربية الاخرى ، وان تعاطف الشعب المصري مع مطالب الشعب الفلسطيني هو امر دائم ، وان المعاهدة المصرية الاسرائيلية لن تقلل منه ولن تضع حدا له ، كما ينبغي على الحكومة الامريكية كذلك ان تقدر حرص مصر على ان يكون لها دور بارز في اطار حركة عدم الانحياز . واضاف انه من ناحية اخرى يجب على الحكومة المصرية ان تقدر عمق الالتزام الامريكي تجاه اسرائيل .

وبعد ، فتلك مجرد لمحات مما جرى في ذلك المؤتمر الهام ، والذي تعلم كاتب هذه السطور شخصيا من المشاركة فيه . ويسعد لمجلة الهلال ان تعلم قراءها ببعض جوانب مادار فيه .

# الصيف

## وأثره على أجهزة الجسم

بقلم: د. محمد توفيق خليفة

**فى فصل الصيف تكثر بعض الامراض . وتتاثر بعض اجهزة الجسم . . ويعانى الكثير مما اكثر مما لها وخصوصا عندما ترتفع درجة الحرارة اكثر مما تعود الانسان**

وتكثر بعض الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى فى الصيف واهمها النزلات المعوية فى الكبار والصغار ومرض الحمى المعوية (التيفود والبارا تيفود) والالتهاب الكبدى الوبائى وتنتشر هذه الامراض لان ارتفاع الحرارة يناسب نمو وتكاثر الميكروبات بسرعة خصوصا اذا كان تناولها خارج المنزل ولا يراعى الشروط الصحية فى محال المكسرات والمشروبات العامة وكذلك خلال الجو الحار تقل افرازات الجهاز الهضمى وتتخمر الأغذية بسرعة .

ويكثر الجميع من تناول المثلجات والمياه الغازية والعصائر لتلطيف حرارة الجسم والمحافظة على كمية الماء والاملاح لقيام اجهزة الجسم بعملها وفى بعض الحالات يكون هذا خطرا على الصحة لانها قد تسبب التهابات بالجهاز الهضمى نتيجة حدوث تقلصات فى الاوعية الدموية مما يقلل مقاومتها للميكروبات .

– ويجب الاكثار من تناول الخضر والفواكه الطازجة لاحتوائها على السكريات والاملاح المعدنية والفيتامينات والسوائل والاقلال من تناول المواد الدهنية والنشوية .

ومن المعلومات الطبية الهامة أن شرب السوائل الساخنة فى الجو الحار يساعد الجسم على تحمل الحرارة اكثر من تناول المثلجات والسوائل الباردة .

**اما تأثير الحرارة على جسم الانسان والعوامل التى تتحكم فى حرارة الجسم فيتلخص فى الآتى :**

– طعام الانسان هو المسئول عن توليد الطاقة الحرارية اللازمة للجسم

– الجو الخارجى المحيط بالجسم ونسبة الرطوبة بالجو تتناسب طرديا مع الاحساس بالحرارة .

– يتخلص الجسم من الحرارة الزائدة به بالجلوس فى الاماكن الظليلة أو فى حجرة بها مروحة أو جهاز تكييف كذلك بخر العرق من الجسم . . وينصح فى الصيف تجنب الاطعمة الدهنية وخصوصا فى صورة منتجات

# الصيف

البان مثلجة وخصوصا لدى البدناء

ـ يزداد تقلص العضلات فى فصل الصيف وخصوصا بين العمال فى ايام الحر الشديد وفى هذه الحالات تزاد نسبة ملح الطعام قليلا لتعويض ما يفقده الجسم من سوائل واملاح

ـ تكثر حالات ضربة الشمس خصوصا فى جنوب مصر نتيجة ارتفاع الحرارة والرطوبة مع المجهود الزائد لذلك يجب ان يكون المجهود متوازنا مع طاقة الجسم ٠

ـ اما كبار السن المصابون بتصلب الشرايين فيحدث بطء للدورة الدموية كما انه يؤدى الى حدوث جلطات لذلك يجب ان تراعى السن وتخفيض المجهود العضلى فى الايام شديدة الحرارة ٠

## ● جلدك والصيف

ـ تكثر الاصابة بالامراض الجلدية فى الصيف لعدة أسباب هى :

ـ زيادة افراز العرق وتأثير اشعة الشمس وزيادة نسبة الرطوبة وكثرة التجمعات فى المصايف والمعسكرات مما يزيد من انتشار العدوى ٠

ـ اما اكثر الامراض الجلدية انتشارا فى الصيف هى :

ـ التينيا الجلدية بانواعها وحرق الشمس ، والارتكاريا ، وحمو النيل ، والدمامل الصيفية ٠

## ● أثر الصيف على مرضى الكلى

تكثر حصوات الكلى فى الصيف نتيجة تراكم الاملاح فى البول بسبب العرق وقلة شرب السوائل والاسراف فى تناول بعض الماكولات الغنية باملاح الاكسالات مثل الفراولة والمشمش والمانجو والشمام ٠

والوقاية بالاكثار من تناول السوائل خصوصا قبل النوم وعند القيام من النوم ينصح بشرب كوبين من الماء لغسل الاملاح المتراكمة اثناء النوم ٠

وكذلك تكثر الالتهابات الصديدية بالمجارى البولية لذلك يجب عمل التحاليل والمزارع اللازمة ٠

## ● الصيف ومرض الروماتزم

مرضى الروماتزم والتهاب المفاصل يتأثرون بالتقلبات الجوية وثبت ان ارتفاع نسبة الرطوبة فى الايام الحارة تؤثر عليهم وكذلك كثرة العرق مع التعرض للمراوح والنوم فى الخلاء او امام شبابيك مفتوحة تماما او النوم على الارض وكذلك عدم الحركة مع الافراط فى المياه الغازية والعصائر المثلجة ، بسببان السمنة وكذلك تحدث نكسة لمرضى الروماتويد خصوصا فى شهر اغسطس بسبب زيادة الرطوبة وينصح لمرضى الروماتيزم بعدم دفن السيقان فى الرمل لانه خطر على القلب والدورة الدموية ٠

ويطول النهار فى الصيف وبالتالى تكثر كمية الطعام وتزداد الحرارة فيزداد العطش ويكثر تناول العصائر والمياه الغازية علما بأن الزجاجة تحتوى على حوالى ٣٠ جرام سكر بالاضافة الى فاكهة الصيف وما تحتويه من سكريات والايس كريم وهو سكر ودهون ، لذلك تكثر نسبة الغيبوبة السكرية خلال الصيف بين مرضى السكر ، بالاضافة الى حدوث التهابات جلدية ودمامل ٠

وتتلخص أهم النصائح لمرضى السكر فى الصيف فى اطفاء العطش

بالماء فقط والمحافظة على نظافة الجلد وعدم المشى حافيا ·

● الصيف ومرض القلب

يجب على مريض القلب ان ينام جيدا فى الصيف ولكن بدون التعرض لتيارات هوائية ويجب أن يشرب المريض الماء مادام يشعر بالعطش ويجب الاقلال من استعمال كمية الادوية المدرة للبول تحت اشراف طبيبه المعالج ·

وفى حالات معينة مثل ارتفاع ضغط الدم نمنع ونقلل من الملح فى طعام المريض ولكن مع وجود العرق يشكو من الهزال والضعف العام وتقلصات عضلات الساقين لذلك يمكن التساهل نسبيا فى كمية ملح الطعام ·

اما مريض القلب فلا ينصح له باخذ حمام او المسباحة الا والمعدة خالية اى بعد ثلاث ساعات على الاقل من تناول الطعام واذا كان مصابا بضيق الشرايين او ارتفاع ضغط الدم فلا يسمح بالدش البارد اطلاقا ويفضل فى جميع حالات مرضى القلب استخدام الماء الفاتر فى الاستحمام ·

● صدرك والصيف

يتأثر مرضى حساسية الصدر بالصيف نتيجة وجود الاتربة والغبار وخصوصا فى الاحياء الشعبية وزيادة رطوبة الجو وارتفاع درجة الحرارة لذلك يجب البعد عن المسببات ولاداعى للنزول للمسباحة وعدم الاجهاد والسهر ويجب الامتناع عن التدخين ·

● كيف تحافظ على صحتك

اولا : بالمنزل :

١ ـ تجنب الرطوبة بعدم التعرض لتيارات الهواء وعدم الجلوس امام المروحة مباشرة ·

٢ ـ لا تندفع لشرب المياه المثلجة بعد مشوار أو مجهود كبير ·

٣ ـ يجب على من يعملون فى جو حار مثل ربة المنزل او العمال عدم الخروج الى جو بارد مباشرة ويجب غسل الوجه واليدين بالماء البارد عدة مرات ·

ثانيا : نظام الطعام

١ ـ تناول الوجبات الخفيفة وتجنب الدهنيات والاكثار من شرب السوائل ·

٢ ـ الامتناع عن تناول الاطعمة المكشوفة او استعمال ادوات الاخرين ·

٣ ـ الاهتمام بقواعد النظافة والصحة العامة

ثالثا : فى الخروج وعلى البلاج وحمامات المسباحة ·

١ ـ جفف جسمك بعد الخروج من البحر وحمام المسباحة مباشرة وعدم استعمال فوط ومايوهات الغير ·

٢ ـ عدم استعمال مستحضرات التجميل والروائح لتجنب الحساسية والالتهابات ·

٣ ـ يجب عدم فتح العينين اثناء السباحة لتجنب تهيج العينين ·

٤ ـ عند الاضطرار لاستعمال دورات المياه العامة يجب تغطية المقعد بورق تواليت قبل الجلوس عليه او استعماله ·

٥ ـ عدم استعمال الباروكه لان ذلك يؤدى الى سقوط الشعر

٦ ـ عدم لبس شباشب أو جوارب الغير ·

٧ ـ الاقلال من التدخين وتجنب الاماكن المزدحمة المغلقة ·

# العالم في سطور

## نيويورك

● مذكرات السيد مونرو

رغم ان الكاتب الامريكي ارثر ميلر قد حقق شهرة كبيرة ككاتب مسرحي وروائي وسيناريست للعديد

ارثر ميلر والسيدة مونرو



من الافلام . فان الكثيرين يعتبرون « السيد مونرو » .. ليس فقط لانه ارتبط بالزواج خمسة اعوام من الممثلة الامريكية مارلين مونرو .. ولكن لانه عقب انفصاله عن الحسناء الشقراء وانتحارها لم يقدم عملا مميزا الا في اطار مسرحيته « بعد السقوط » التي استلهمها من حياة زوجته السابقة .. ثم في كتابه الاخير الذي يحمل عنوان « على مر الزمن » .. وهو عبارة عن سيرة ذاتية للكاتب حكى فيها عن علاقته بمسرحياته .. وخصص جزءا كبيرا عن السنوات الخمس التي عاشها الى جوار مارلين مونرو ..

في مشاجرة زيجية . قال ميللر يوما لزوجته « عندما تموتين لن يبقى منك سوى مجموعة صور تعبر عن الاثارة الجنسية » . وردت مارلين يومها ان كلماته لن تكون بنفس البلاغة التي تعبر بها هذه الصور التي لا تعجبه ..

ولم تكن مارلين تعرف ان ميللر سيموت ادبيا بعدها عقب انفصالها عنه ووفاتها منتحرة في عام ١٩٦٢ . وقد اختار الكاتب ان يتناول مسيرة حياته في كتاب ضخم تكلم فيه عن علاقته بالاشخاص والاماكن ، الاشخاص اغلبهم من الفنانين والادباء مثل لورانس اوليفيه وايليا كازان وشتاينبك .. والاماكن مثل بولندا التي ولد فيها عام ١٩١٥ وحي مانهاتن بنيويورك وبرودواي التي عرضت عليها مسرحياته العديدة مثل : « ابنائي جميعا » و « وفاة بائع متجول » و « مشهد من الجسر » ثم اماكن

اخرى قام بزيارتها منها بسكين ونيوبلهى وشيلى .

وقد اعترف ميللر فى سيرته الذاتية انه احد الاشخاص المصابين بالنرجسية . يحب الحديث عن نفسه لذا فان الكاتب اختار شكلا تقليديا لسيرته الذاتية فقسم فصول كتابه تبعا للسنوات التى عاشها . واعتبر ان الخمسينيات هى احلى سنوات الخصوبة .. وتحمل اجمل الذكريات .. وتقول مجلة لوبوان الفرنسية فى تعليقها على هذا الكتاب انه اشبه بالعبارة التى قالها يوما للممثل كلارك جيبل اثناء تمثيله لفيلم .. « غير المتكيفين مع المجتمع » : دعنا نتكلم عن غياب المعنى لحيواتنا وربما عن الطريقة التى وصلنا بها الى حيث نحن » ..

## الرباط

● الثورة الثقافية فى المغرب

ماركو واخوته ..

هو عنوان المقال الطويل الذى نشرته مجلة « اسبرسو » الايطالية اخيرا حول الادب فى المغرب العربى وعنوان المقال — كما هو ظاهر — عبارة عن تحريف لغوى لاشهر افلام المخرج الراحل فيسكونتى المعنون « روكو واخوته » .. وماركو — وهى كلمة ايطالية تعنى المغرب — فى هذا المقال هو الكاتب المغربى المعروف الطاهر بن جلون .. اما اخوته فهم مجموعة الادباء المغاربة الذين يكتبون باللغة العربية او الفرنسية والذين القت عليهم الاضواء فى الفترة الاخيرة عقب فوز ابن جلون بجائزة جونكور فى شهر نوفمبر الماضى



محمد شكرى وجان جينيه

يقول كاتب المقال ماريو فورتوناتو ان « بن جلون » هو المعروف وحده بين المغاربة . لكن الادب والثقافة المغربية مليئتان بالحيوية فى السنوات الاخيرة . وتشهد حدثا ثوريا هاما .. وقد ذهب ماريو بنفسه الى مراكش والتقى بادبائها وفلاسفتها للتعرف على اوجه الحياة الفكرية المعاصرة هناك . فكان اول من التقاه الفيلسوف عبد الخالق سرحان — ٣٧ عاما — المدرس بجامعة القنيطرة . وهو مؤلف لروايتين منشورتين فى فرنسا احداهما تحمل عنوان « اطفال الازقة » ..

اما الكاتب الثانى الذى التقاه فهو عبد الكبير خطيبى وهو كاتب مقال وشاعر .. وذكر ان مكانته فى الادب المغربى اقرب الى مكانة رولان بارت فى فرنسا . وهو من المهتمين ببلورة مشاعر الحب والانسانية فى اعمالهم .

وقد راح الكاتب للاقات العديد من الفنانين فى مجالات عديدة مؤكدا ان الثورة الثقافية فى المغرب لا تحدث فى مجال دون اخر .. فالفنان التشكيلى فريد بلقاهيا له نفس مكانة

الفنان السريالي بول كلي • وهو يمثل تيارا متجددا يضم كلا من الشاعر محمود مليحي ومحمد قاسيمي

وقد اشار ماريو ان اكثر الفنانين والمفكرين العرب في المغرب لهم اكثر من نشاط • مثل محمد زفزاف وخير الدين ومحمد برادة •• حيث يكتبون في مجالات متعددة •• اما في مجال السينما فان للمخرج احمد سنوسي نفس مكانة وودي الن في السينما الامريكية • ومن الملاحظ ان الكاتب يستخدم مثل هذه التشبيهات للتقريب بين هذه الاسماء الجديدة عليه وبين أسماء معروفة في الثقافة العالمية •

وقد خصص الكاتب مساحة واسعة الحديث عن الروائي محمد شكري الذي يعيش في مدينة طنجة • وقد تأثر شكري بحياته العائلية فكتب رواياته على شرف ابيه الذي قتل ابنه •• « ضد ابي • وضد كل الاباء الذين على شاكلته • سطرت روايتي الخبز الحافي » • وابرز ماريو ايضا تأثير الصداقات العديدة التي ارتبط بها محمد شكري على حياته وشكل ادبه • مثل صداقته للكاتب الفرنسي المعروف جان جينيه والاديب الفرنسي بول بولز •

## امبراطوريات سينمائية في السينما الصينية

اذا كانت جوائز الاوسكار الاخيرة قد منحت فيلم « الامبراطور الاخير لبرتولوتشي تسع جوائز • فانها تجاهلت تماما – ومن جديد – فيلم « امبراطورية الشمس » لستيفن سبيلبرج • وهو فيلم ينافس – على مستوى الايرادات – امبراطورية برتولوتشي •• كما ان احداثه تدور ايضا في الصين ••

وحول هذا الفيلم وبمناسبة عرضه الاوربي الاول خصصت مجلة لونوفيل اوبسرفاتور ثماني صفحات عبارة عن حديثين مع كل من ستيفن سبيلبرج ومؤلف الرواية : ج•ج بالارد •• وتجيء أهمية هذا البحث مع بالارد انه الاول من نوعه في الصحافة فلم يكن سوى شخص مجهول قبل ان ينشر روايته في عام ١٩٨٥ • فبمجرد نشر « امبراطورية الشمس » حتى قفزت الى قمة المبيعات •

وبالارد كاتب انجليزي مولود في مدينة شنغهاي عام ١٩٣٠ ، وقد عاش سنوات طفولته اثناء الحرب العالمية الثانية في معسكر ياباني • وحول هذه التجربة استمد احداث روايته • وعقب سنوات الحرب درس الطب • واهتم كثيرا بتأليف روايات تنتمي الى نوع الخيال العلمي • ومن بين كتبه •• « العميل السري المجهول » •• وقد اختار ان يكتب اسمه بالاحرف الاولى مثل بعض الكتاب المشاهير • واسمه كاملا هو : جيمس جراهام بالارد •




امبراطورية الشمس

تنبأنا فى رواياتنا بالعنف الذى يسود هذه الايام »

من المعروف ان احداث رواية « امبراطورية الشمس » تدور فى الصين من خلال صبى يعيش تجربة احتلال اليابان لجزء من ارض الصين فيتعلم الخوف . والجوع والعنف والموت . فيتم حبسه فى احد المعسكرات العسكرية « انه يعيش تجربة البكارة ولكن العالم حوله فقد بكارته » .

وقد ظهر بالارد فى بعض اللقطات الخلفية من الفيلم المأخوذ عن روايته ويقول ان هذا قد حدث بالصدفة لانه كان يسكن قريبا من مكان التصوير ، وعن تجربته يتحدث قائلا : « عندما وصلت الى انجلترا فى عام ١٩٤٦ ، قادما من شنغهاى كنت اعرف اننى لن اعود اليها ابدا واننى يجب ان ارتب حياتى هنا ، وكانت مصادفة ان اكتب فى الخيال العلمى . لم تكن الرواية الطبيعية بالنوع المطلوب فى انجلترا اثناء الخمسينيات ، وعلمتنى رواية الخيال العلمى كيف اقدم خيالى من أجل تصوير المناظر . وقد جاء على وقت احسست فيه ان كل شىء قريب منى هو سريالى السمات . ومع ذلك فقد ساعدتنى رواياتى ان اعبر عن الواقع بشكل مختلف مثلما حدث فى رواية « لندن غارقة » او « صدمة » . لقد كانت سنوات الخمسينيات اقل عنفا . ومع ذلك فقد

## باريس

● لعنة الاباء .. والجوائز

الرواية الجديدة التى اصدرها الروائى الفرنسى يان كيفيليك ـ ٣٨ عاما ـ تحت عنوان « امرأة فى الافق » اثارت بعض التساؤلات حول الكاتب نفسه .. فهى الرواية الاولى التى ينشرها الكاتب عقب فوزه بجائزة جونكور فى عام ١٩٨٥ عن روايته « اعراس بربرية » .

كيفيليك هو بلاشك ظاهرة ادبية جديدة فى فرنسا .. فعندما كتب مقالات سياسية ومتابعات ادبية فى مجلة لونوفيل أوبسرفاتور قبل أن يان لن تكون له ابدا اهمية ادبية الروائى هنرى كيفيليك . واستمر يان يعمل فى الصحافة الى ان طلع على القراء بروايته الاولى « السحر الاسود » عام ١٩٨٣ فاستقبلها النقاد بحفاوة شديدة . لكن روايته الثانية التى نالت جائزة جونكور اكدت ان يان قد تفوق على ابيه .. بل على العديد من ابناء جيله مثل ميشيل براندو الذى قيل انه احد الموهوبين فى

الادب المعاصر ..

اما روايته الجديدة « امرأة فى الافق » ، ففيها يحاول الكاتب ان يخرج من اطار بنوته لاديب اخر فيكون ظلا لاسمه وشهرته .. والخروج ايضــا من ظل الجــائزة التى نالها والتى يحاول الاخرون حبسه بداخلها .

والرواية الجديدة تدور على لسان عجوز روسية تدعى زينات قصتها مع الهجرة والحنين والعائلة . انها جدة لاسرة كبيرة .. اصابتها لعنة الموت فتوالت الحوادث المؤسـفة تصطاد افرادها الواحد تلو الاخر . ومع هذا فلم تكف النساء عن التوالد .. ولم تتوقف عجلة الحياة .

والرواية ـ حسب طبيعة احداثها ـ مليئة بالكوارث والاحداث المحزنة كما تتخللها مشاهد الحب الرقيق ورغم صغر حجمها النسبى . فانهـا مشحونة بعشرات الشخصيات التى تروح وتجىء مثلما هى الحيــــاة وكأنها اشباح خارجة من قبر مظـلم فى احد الافلام الصامتة .. ثم مـا تلبث ان تعود اليه مرة اخرى ..

يان كيفيلك



## رومــــا

● فان جوخ ..
واللوحات المسحورة

فان جوخ سوبرستار :
هذا هو العنوان الدائم الذى التصق فى الاشهر الاخيرة بالفنان الهولندى المعروف فان جوخ .. وذلك بمناسبة حالة السعار البالغة المحمومة التى اصابت هواة مشترى اللوحات من اجل المزايدة على شراء لوحاته ..

حدثت هذه الحالة للوحات فــان جوخ اكثر من غيره من الفنـــانين المعاصرين والقدامى .. وقد بدأت هذه الحالة منذ عام ونيف عندما بيعت لوحة من لوحاته باكثر من ٣٦ مليون دولار .. ومنذ ذلك الحين لم تهـدأ حالة السعار لدرجة ان لوحة اخرى قد بيعت اخيرا باكثر من خمســين مليون دولار ..

فان جوخ الذى قيل عنه انه مجنون .. خاصة حين قطع اذنه من اجـل امرأة يحبها . والتحر فيمـا بعـد مصابا بالكآبة .. يبدو انه نال هـذا



فان جوخ .. صورة ذاتية

المجنون عبر تاثير اثيرى يشع من الوانه الى عقول المشترين فيرفعون اسعارهم من اجل اقتناء هذه اللوحات ..

وفى روما اقيم معرض آخر ضم لوحات اقل شهرة للفنان منها لوحة « عامل النسيج » و « آكلى البطاطس » و « حقل زهور الخشخاش » التي رسمها عام ١٨٩٠ . وقد زار هذا المعرض فى اسبوعه الاول اكثر من ٧٥ الف زائر . لم يجيئوا من روما وحدها . بل من جميع انحاء اوروبا مثلما يحدث لمباريات الكرة الدولية . وقد كشفت الصورة التى نشرتها مجلة اسبرسو الايطالية فى ٢٦ فبراير الماضى عن مدى الازدحام الذى شهده هذا الحدث الثقافى الهام ..

## هافانا

● الرجل الذى صنع جزيرة نموذجية

تحتفل كوبا هذا العام بمناسبة مرور ثلاثين عاما على احتلاء فيدل كاسترو الحكم وبهذه المناسبة صدر كتابان عن كاسترو . الاول للباحث النفسى بيتر بورن تحت عنوان : مسيرة حياة فيدل كاسترو » . وتجيء اهمية الكتاب فى ان مؤلفه عمل مستشارا للرئيس الامريكى السابق جيمى كارتر .. اما الكتاب الثانى كاسترو . ثلاثين عاما من السلطة المطلقة » فهو من تاليف الصحفى تاد تسولك الذى سبق له ان كتب العديد من الكتب حول امريكا اللاتينية وقد اهتم الكاتبان بالحديث عن كيفية استيلاء كاسترو على السلطة . حين استطاع التغلب على اربعين الف جندى تابعين للدكتاتور باتستا بواسطة حفنة من الجنود . واستطاع كاسترو ان يقيم اول حكومة شيوعية لا تبتعد عن الولايات المتحدة سوى بضع مئات من الكيلو مترات .

وفى تعليق للكاتب البيروفى ماريو فارجاس يوسا حول الكتابين يقول : « عندما التقيت به اول مرة فى عام ١٩٦٦ . كنا نشكل مجموعة صغيرة من الكتاب . وتم اقتيادنا الى منزل صغير وجاءنا فيدل للمقابلة . وظل يتحدث طيلة اثنتى عشرة ساعة بدون توقف . وشرح لى احسن طريقة لتدبير المكان واخبرنا انه قد ابعد الشواذ عن العمل بالحقول . وان لديه نظرية فى انظمة الحكم العالمية » .

وفى الكتاب الذى اعده د . بورن تحدث عن الملابسات التى جمعت والدى كاسترو من اجل الزواج . كما تحدث ايضا عن العديد من القرارات السياسية التى اصدرها فى حياته . ويقول الكاتب ان كاسترو قد نجح ان يصنع من الجزيرة نموذجا لمجموعة دول العالم الثالث . وقد نجح كاسترو فى ان يلهم عقلية الاغلبية من ابناء شعبه . واهتم فى المقام الاول بالتعليم والصحة وتحديد الروح القومية .



برنار هنری ليفي



# ثورة الحجارة

## فى عيون الفلسفة الجديدة

بقلم : محمود قاسم

فى السنوات الاخيرة ظهرت مدارس ادبية وفلسفية اغلب ابنائها من اليهود ومن ابرز هذه المدارس مايسمى «بالفلسفة الجديدة التى ظهرت فى فرنسا بصفة خاصة مع منتصف السبعينيات واصحاب هذه المدرسة مصابون بحالات فصام فكرية واضحة تمليها عليهم ظروف عديدة .. فبحكم يهودية بعضهم . وكونهم من الشتات نجدهم يدافعون عن اسرائيل ويرونها الحلم الطوباوى الذى ينشده كل يهودى فى القرن العشرين .. وهم يدافعون عن الدول العبرية اينما ذهبوا ويعتبرون انفسهم لسان حالها فى العالم يتكلمون باسمها ويحاولون تحسين صورتها .. مهما ارتكبت من ارهاب وعدوان .

اما الوجه الثانى من الفصام فيتمثل فى ان هؤلاء الفلاسفة بحكم وضعهم الاجتماعى والفكرى فى الغرب يؤمنون بالدفاع عن حقوق الانسان اينما كان .. ومهما كانت هويته

ومع انفجار ثورة الحجارة فى الارض المحتلة بدت حالة الانفصام عند هؤلاء المفكرين دعاة التحرر فى اشد حالاتها فمنذ ديسمبر الماضى ووسائل الاعلام تبث يوميا الكثير من التفاصيل عن اطفال عزل ونساء ضعيفات وشيوخ يقفون صامدين امام عسكر الجيش الاسرائيلى الذى لايتورع عن مواجهة الحجارة برصاصات قاتلة فمات من الفلسطينيين العشرات على ايدى جنود الجيش الاسرائيلى وتحت سمع العالم وبصره .

بدت حالة الفصام هنا من ان هؤلاء المفكرين قد صدموا فيما بينهم فى ثورة الحجارة والتى لم تكن متوقعة فى هذا الوقت بالذات ثم جاءت الصدمة اكثر فى اساليب القمع الوحشية التى تمارس ضد الشعب الفلسطينى . ولم تكن وسائل القمع حالات طارئة . ولكنها تتكرر يوميا بأساليب اكثر بشاعة .. وبدا امام هؤلاء المؤمنين بالدفاع عن حقوق الانسان .. ان الانسان الفلسطينى هو احوج البشر الى الوقوف بجانبه والدفاع عنه .

وانكشف فجأة الوجه الحقيقى لاسرائيل امام ابنائها والمدافعين عنها ، واصبحت امام العالم هى ذلك الجندى الجامد القلب الذى يحمل بيمينه مدفعا سريع الطلقات يصوبه تجاه الصبية والشباب ، وبيسراه يحمل هراوة غليظة ينهال بها وبكل عنف فوق رءوس الاطفال والنساء المطالبين بحقهم الآدمى .. والباحثين عن حق تقرير المصير .

## ● المفكرون صامتون

وقد الجمت ثورة الحجارة هؤلاء المفكرين دعاة التنوير والحرية .. وكان على الكثيرين منهم ان ينتظر بعض الوقت كى يعيد حساباته قبل ان يعلن موقفه مما يجرى فى الاراضى العربية المحتلة وقد طال الانتظار دون ان يعلن اى من الفنانين والادباء اليهود ـ دعاة التنوير والمدافعين عن حقوق الانسان ـ موقفهم وعندما اعلن الكاتب الامريكى ايلى فيسل ـ فاز بجائزة السلام فى عام ١٩٨٦ ـ رأيه جاء مخيبا للآمال .. واهتزت صورة اعمدة الفكر الحديث ـ وهو فكر شكلى ـ امام الجماهير الى ان طلع احدهم بعد ثلاثة اشهر من بدء الانتفاضة وكسر حاجز الصمت وقال كلاما كثيرا اذهل الاسرائيليين انفسهم .

هذا الكاتب يدعى برنار هنرى ليفى . وهو احد اعمدة مدرسة الفلسفة الجديدة .. ولعله انشط ابناء هذه المدرسة على الاطلاق .. فقد قام بالتنظير لهذه الفلسفة فى كتب عديدة وسعى لتطبيقها والدفاع عنها بشتى الوسائل وقد ارتبط ليفى فى اذهان الفكر الغربى بانه حامى حماه والمدافع عنه ضد خطر الشيوعية . والمتنبىء لمستقبله والممثل له ، ليس فقط فى عالم التنظير السياسى والفلسفى . بل لقد خاض مجالات الابداع فكتب الرواية .

وراح يناصر حركات التحرر الوطنى فى العالم فسافر الى افغانستان وكمبوديا وامريكا اللاتينية من اجل الدفاع عن افكار الفلسفة الجديدة ضد انصار الشيوعية .

ويصرف النظر عن صحة او اخطاء افكار ليفى فلاشك انه الشجاع الوحيد ضمن دعاة التحرر والدفاع عن حقوق الانسان الذى قال كلاما هاما يجب الوقوف عنده .. بينما ترى زملاءه الاخرين يلتزمون الصمت مثلما فعل اندريه جلوكسمان وماريك هالته . والذين اشتركوا فى العديد من التظاهرات للتنديد بالارهاب .. فاذا بهما حين يكتشفان قوى القمع الاسرائيلية فى مواجهة العرب يلتزمان الصمت .

## ● المطلق .. حبر الفلاسفة

وبرنار هنرى ليفى يهودى من اصل عربى .. ولد فى اسرة ثرية فى ٥ نوفمبر عام ١٩٤٨ بقرية بنى صاف القريبة من وهران بالجزائر ويقول ليفى انه اكتشف وهو فى العاشرة من عمره انه من اسرة يهودية . وقد عرضه هذا الامر للمضايقات فقد كان زملاؤه فى المدرسة يعاملونه كقاتل للسيد المسيح وربما من هذه المواقف استمد ليفى موقفه المضاد للدين المسيحى بصفة خاصة .

ومنذ سنواته المبكرة وليفى يحلم ان يكون نجما فى المجال الذى يختاره وان يتحدث الناس عنه وهو يقدم لهم الافكار الجريئة والجديدة . وفى النصف الثانى من السبعينيات وجد ان مدرسة الفلسفة الجديدة هى الانسب مع ما يعتمل فيه من افكار فاعلن الانضمام اليها واسس جريدة يومية لم تصدر سوى ستة اعداد . وقد اعجب ليفى بكتابات الاديب الروسى المنشق سيرجى سولجنتسين واستمد من افكاره ضد الشمولية السوفييتية كتابه الاول « البربرية ذات الوجه الآدمى » المنشور عام ١٩٧٧ والذى حقق نجاحا كبيرا لدرجة ان مجلة نيوزويك قد نشرت صورة ليفى على احد اغلفتها وهى سابقة ندرت فى حدوثها بالنسبة للكتاب الذين لايكتبون مباشرة بالانجليزية .

وعندما نشر ليفى كتابه الثانى « وصية الله » استطاع ان يؤكد انه المدافع الحقيقى عن ايدولوجية الغرب . واطلقت عليه تسمية « نبى الفلسفة الجديدة »

وفى كتابه « وصية الله » يرى ليفى ان الشمولية مرتبطة بنظرية نيتشه التى اعلن فيها عن موت المطلق .. وقد اصبح المطلق بمثابة جثة هامدة فى جسد القرن العشرين : « لم نحاول ان نكون احرارا الا منذ ان اصبحنا اقل ايمانا وهو اكتشاف توصل اليه فيدور دوستوفيسكى فى رواياته . فلو لم يكن الله موجودا فان كل شىء مباح . بدءا من الجريمة حتى الخطيئة . وفى هذا الكتاب حاولت ان احدد نقاط لمقاومة ظاهرة الشمولية . من خلال انتقادها وطرح اسئلة عن كيفية مواجهة اخطارها »

ويرى ليفى ان النازية لم تحارب اليهودية وحدها ، بل حاربت المسيحية ايضا فقد سعى النازيون الى انشاء كنيسة الرايخ ، وقد كره النازيون المطلق بصفة خاصة . ويؤمن ليفى ان هتلر قد قتل المطلق مثلما فعل الشمولييون . وفى الاتحاد السوفييتى يوجد الان المتحف الوحيد للالحاد حيث تعرض فيه مسيرة

الاشتراكية على ضحاياها من اليهود والمسيحيين .

ويقول ليفى ايضا فى نفس الكتاب ان الماركسية هى اول فلسفة تطبيقية فى تاريخ الغرب . بعد ان اقنعت اتباعها ان المطلق قد انتهى . وان الانسان لم يخلق مصادفة وان غالبية البشر متفقة على سلوك الخير .

ومن اوجه التصادم عند ليفى انه بدوره يؤمن ان المطلق غير موجود ويرى ان القرن الثامن عشر وقد شهد حدثا هاما حين ولدت حقوق الانسان مكتوبة . ويروح ليفى الى ماهو ابعد من ذلك . فهناك اله عبرى . والهة غير عبرانيين .. « العهد الجديد هو ضرورة للهروب الى الامام وهو ضرورة للمغامرة الفكرية »

● الفلسفة حالة انفصامية

وفى كتابه « الايديولوجية الفرنسية » ١٩٨١ تحدث عن المذاهب الفاشية التى عرفت فى فرنسا مثل النازية والستالينية ورأى ان النازية لم تولد فى برلين وحدها . وان الستالينية لم تنشأ فى موسكو فقط ، بل ان فرنسا شهدت بؤرات لهذين المذهبين . واكد ان اليسار الفرنسى هو الذى ادخل هذه المذاهب الى البلاد لذا راح يهاجم الرئيس فرانسوا ميتران حين تم انتخابه اول مرة والف عنه كتابا يحمل عنوان « مسألة مبدأ » راح يؤذعه بالعديد من أسباب الهجوم وفجأة وبدون تمهيد تراجع عن كل مواقفه ضد ميتران واعلن تاييده له .. لمجرد ان ميتران قد عين جاك لانج وزيرا للثقافة .

وفى احاديث الكاتب الصحفية يكشف عن عدم انتمائه الى وطن بعينه ويردد .. « أسكن فى فرنسا وانتمى الى العديد من الرجال والنساء والشباب الذين يعيشون فى نيويورك ولندن وميلانو وباريس . اذا كانت فرنسا مجموعة من الاراضى والاطيان فلست سوى ابنها وانا مرتبط بها من خلال اللغة والثقافة والفرنسة . مثل علاقتى بالاغنيات والكتب والاوراق التى اعرفها واحبها وارتبط بها وجودى . ولايمكن المرء ان يكون فرنسيا دون ان تجرى وراءه جثث بشعة واشباح ماساوية »

الجدير بالذكر ان ليفى نال جائزة ميدتشى الادبية - التى تمنح للرواية التجريبية - عام ١٩٨٤ عن روايته الاولى « الشيطان فى الراس » وتدور حول رجل يهودى عاش فى فرنسا بين عامى ١٩٤٢ و١٩٨٢ وكان شاهدا على مادار فى العالم ابان هذه السنوات

● قنبلة الضفة موقوتة

هذه هى بعض النقاط العامة حول مايسمى بالفلسفة الجديدة . وابناء هذه المدرسة - كما اشرنا - يصوروا انفسهم دعاة الحق والخير والحرية اينما كانت الارض التى يناضلون فوقها وكثيرا ماعبروا فى وسائل الاعلام المختلفة عن ارائهم فى قضايا العالم المعاصرة التى لاتنتهى وخاصة مايتعلق منها بالسياسة وحقوق الانسان .

وفيما يخص القضية الفلسطينية ثم ثورة الحجارة اخيرا ، فان لبرنار هنرى ليفى العديد من الافكار الجريئة التى يجب الوقوف عندها وهى افكار اكثر وضوحا مما يدلى به زملاؤه من الفلاسفة الجدد فرغم انه يعلن عن عدائه لمنظمة التحرير الفلسطينية التى قامت بالعديد من العمليات الارهابية ـ حسب رايه ـ فإنه فى الحديث الطويل الذى اجرته معه مجلة « لوى » عام ١٩٧٩ يرى ان التاريخ « علمنا التاريخ انه اذا كان لليهود الحق فى العودة الى فلسطين فان للفلسطينيين ايضا نفس الحق فى العودة » واشار ان المشكلة التى تواجه اسرائيل هى ان البعض يريد القاءها فى البحر .. واكد انه اذا كانت هناك دراما فلسطينية فهناك ايضا تراجيديا اسرائيلية .

وفى الحديث الذى ترجمته مجلة « حدث الخميس » تحت عنوان على اسرائيل ان تحرر الارض المحتلة .. اعلن ليفى ان الصحافة الفرنسية ارادت ان ترغم المثقفين الفرنسيين ـ وخاصة اليهود ـ على ادانة اسرائيل فيما يخص احداث ثورة الحجارة وهى تشير اليهم باصابع الاتهام .. « وعندما نسمع عن مقتل شخصيات فلسطينية جديدة فلاشك ان الامور تتغير وتتخيل دولة الامل وجنودها اللاهثين واحاول ان اتحقق فى المعانى التى تكمن وراء هذه الاحداث . فهناك ناس يعرضون صدورهم للخطر . لقد رفضت دائما فكرة ان هناك موتى طيبين وموتى اشرار ولاشك اننى تأثرت ـ كيهودى ـ من مقتل يهود . ولكن ، وبحكم ايمانى بحقوق الانسان ، استطيع ان اؤيد قتل اكثر من ثمانين فلسطينيا فى مواجهات الاراضى المحتلة .

ويرى الكاتب انه اختار الحديث لصحيفة اسرائيلية من اجل المواجهة المباشرة مع القادة الاسرائيليين « قيل لنا ان مصير اسرائيل يتمثل ـ حتى الان ـ فى الاراضى المحتلة لانها مناطق حماية . واننا فى حاجة الى الامن . اليوم ، الامر يختلف فلقد اكتشفنا ان وجود هذه المناطق يشكل تهديدا ، واذا كان هناك خطر اليوم ، فهذا الخطر اسمه الضفة الغربية وغزة ، وعلينا الخروج من هذا الكمين باى ثمن ، وعلينا الا نقول مثل الياهو لوبيتش ـ عقب يونية ١٩٦٧ ـ ان حرروا الاراضى المحتلة . بل حرروا اسرائيل من الاراضى المحتلة .

واكد ليفى ان على اسرائيل اعادة الاراضى المحتلة الى اصحابها « يجب ان نخرج من الضفة الغربية على وجه السرعة . ودون قيد او شرط . واكد ان التاريخ عرف العديد من المشكلات السياسية التى لم تجد لها حلا . ومشكلة فلسطين الان هى احدى هذه المشاكل وقال ان زعماء اسرائيل يمسكون بايديهم اسلحة غير آدمية . وقد نسوا شيئا هاما خسرته اسرائيل بثورة الحجارة . وهو الحرب الاعلامية المعروفة بقوتها وشدتها عن الحروب التقليدية فقد اغلق زعماء اسرائيل عيونهم واذانهم ولم يعودوا يسمعون سوى طلقات الرصاص ووقع الهروات فوق رءوس الفلسطينيين بينما العالم يسمع الصراخات ويرى الدماء تنسال .. وهكذا تغيرت ملامح الحلم الاسرائيلى فى وجوه ابنائه .. وايضا فى عيون الاخرين .

# العالم غدا

## زراعة القمح فى سيناء

خلال الاحتفال بموسم الحصاد فى منطقة الخطارة ( محافظة الشرقية ) صرح د · يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الاراضى بأن الكمية المستوردة من القمح بقيت كما هى عليه منذ عام ١٩٨١ ، رغم زيادة السكان ٥ر٦ مليون نسمة · كما صرح بأنه سيتم تعميم زراعة الاراضى الصحراوية بالقمح من العام القادم ، بعد نجاح تجربة زراعة القمح فى الف فدان بالخطارة ، وانتهاء التجارب العلمية لاستنباط انواع جديدة من القمح ، المناسبة للزراعة فى مثل هذه الاراضى ( جيزة ــ ٥٥ ) · وكشف عن الانتهاء من اعداد خطة قومية ، لتحقيق الاكتفاء الذاتى من القمح ، خلال خمس سنوات ، وذلك بزراعة الساحل الشمالى وسيناء بالنوع الجديد ··

هذا وقد توصل فريق علمى من كلية الزراعة بجامعة اسيوط الى خطط ارواء تمكن زراعة القمح فى الاراضى الصحراوية ، حتى اذا لم تتيسر المياه الا لرية واحدة ، بعد ٢٠ يوما من الزراعة ، وذلك لاهمية الرى عند تكوين الجذور والتفريع والتزهير ، ولان حرمان النبات من المياه فى هذه الاطوار الحرجة يقلل من عدد السنابل فى وحدة المساحة ، وعدد الحبوب فى السنبلة الواحدة ، ولان حرمان القمح من الرى فى طور ما قبل النضج لم يكن له تاثير على المحصول كما اثبتت التجارب ··

ومن المفارقات التى اثبتتها التجارب زيادة المحتوى الغذائى للحبوب فى ظل نقص المياه مع بعض الانواع الجديدة

## حضارة الهامبورجر

بينما تشهد المطاعم الامريكية للاغذية السريعة انتشارا هائلا ، حتى فى الاتحاد السوفييتى وبولندا وغيرهما من البلدان الاشتراكية ، بينما تقدر هذه المطاعم حجم السوق التى ينتظرها فى هذه البلدان بعشرات ومئات الملايين من الدولارات ·· بينما تشهد مطاعم ماكدونالد ووميى هذا الانتشار المنقطع النظير تدور حرب شعواء ضدها فى المانيا الغربية ، للاضرار الصحية والاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن نمط التغذية الذى تشيعه واعتمادا على الادبيات والدراسات التى تصدر فى الولايات المتحدة الامريكية ذاتها ··

فقد نشرت مجلة «سانيس دايجست» الامريكية ، فى هذا الصدد ، ان قطعة الهامبورجر الواحدة تحوى ٦٠جم من الدهون ، يضاف اليها ١٠ جسم من الزيت موجودة فى البطاطس المقلية ، ١٠ جم فى مزيج الشيكولاته والكريمة ( ما بعد الهامبورجر ) ·· الامر الذى يرفع نسبة الدهون فى الجسم بصورة لا تتناسب مع المتطلبات

الصحية ، بالذات ومعظم هذه الدهون دهون حيوانية ( بقر وخنازير ) ، على عكس ما تشيع دعايات هذه المطاعم، مما يؤثر على الاوعية الدموية ، حتى لدى الاطفال فى الثانية أو الثالثة من اعمارهم .

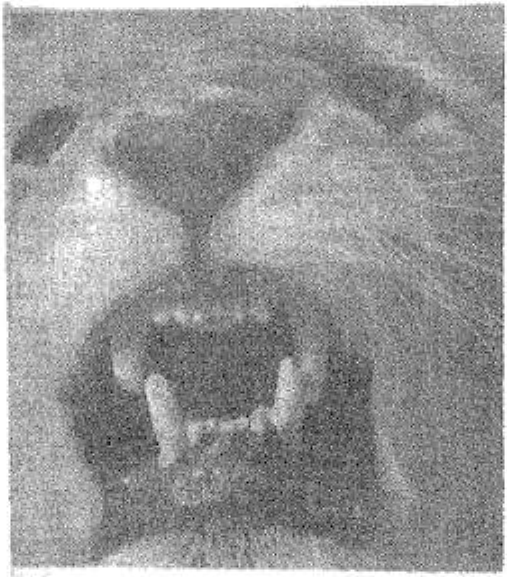
وقد اثبتت الدراسات الامريكية انه مع اكتساب عادات التغذية السيئة منذ الطفولة تترسب الدهون على جدران الاوعية الدموية وتشيع ضيقها .. مما يؤدى الى وفاة الاحداث والشباب ما بين السابعة والرابعة والعشرين ..

ولا يقتصر التأثير السيىء للدهون والاحماض والاملاح على الاوعيــة الدموية وضغط الدم وعمل القلب بل يمتد الى امراض الجهــاز الهضمى وبعض انواع السرطان ويتجــاوز النواحى الطبية اذ ان شيوع التخلى عن الوجبات الاساسيــة يعــرض المجتمع لاخطار جمة ، فالتجــه عن الابتعاد عن المنزل واهتزاز الترابــط العائلى ، بانعكاساته على احـــوال الاطفال وصحتهم .. وذلك فضلا عن الخسائر المالية التى تتسرب خارج المانيا ويمكن اخذ فكرة عن ذلك اذا عرفنا ان تعاملات ماكدونالدز مــع المانيا تبلغ سنويا ٦٠٠ ــ ٧٠٠ مليون دولار ( يصل مجمل تعاملاته ١٥ مليار دولار ) .

---

## ● الانسان والنمر ●

باتت الارض تضيق بناسها فمــا بالك بالنمور ، بالذات والنمر الواحد يحتاج ( قياسا على حجمه ونشاطه ) الى مساحة حيوية تبلغ ٥٥ كم مربــع



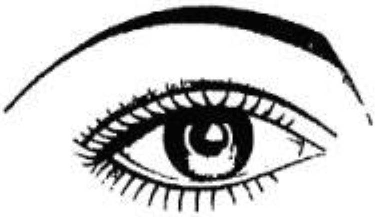
من الغابات ( ! ) ويستهلك حــوالى ٢ اطنان من اللحوم سنويا ..

المهم انه منذ عام ١٩٦٩ دخل النمر منطقة الخطر ، واصدر الاتحاد العالمى للمحميات الطبيعية صرخات الاستغاثة .. وكان بين من استجابوا لها انديرا غاندى ، التى اعتمدت خطة للحفاظ عليه ( عملية النمر ) سواء بمنــع صيده او برعايته فى المنازل الطبيعية وحدائق الحيوان .

ومنذ بدء تنفيذ الخطة عام ١٩٧٢ اخذ عدد النمور ( ٢٦٨ نمــرا فى ٩ محميات ) الهندية فى التزايد ، فوصل عام ١٩٨٢ الى ٧٥٧ نمرا ، وصــار يقدر اليوم بالالاف .

ومع ذلك ازداد اوار الصراع بين النمر والانسان . وبرغم ان النمــر لا يأكل لحم البشر ، دون ان يعتــدى الانسان عليه ، فان الحالة العصبية التى تعيشها الامهات مع الجـــوع والخوف على صغارها ، باتت تدفعها

# العالم غدا



اكثر فاكثر الى الانقضاض على من يقترب من عرينها ، عن قصد او عن غير قصد ، حتى رصدت حالات افترست فيها نمرات بعينها اكثر من ٥٠ شخصا فى عام واحد ··

والطريف ان الحكومة الهندية تعوض اهالى من يروح ضحية لنمرة بخمسة الاف روبيه ، بينما تبلغ قيمة جلد النمرة عند اصطيادها عشرة اضعاف هذا المبلغ الامر الذى مازال يغرى على المغامرة ··

المهم ان خطة انقاذ النمور من الانقراض ادت الى ازدياد عدد ضحايا النمور من البشر ·· والمتوقع ان تستمر حالة الصدام ، مع تزايد عدد السكان ، وزحف الحضر على الغابات وبالتالى ضمور مواطن عيش النمور · الامر الذى سيحول النمور رغم كل الجهود الى حيوان متحفى يعيش اساسا فى حدائق الحيوان والمحميات ··

---

## ● تختار لون عينيها ●

بدأت العدسات اللاصقة التى ارتبطت مع المرأة بالاعتبارات الجمالية اكثر مما ارتبطت بتصحيح النظر ·· بدأت طورا جديدا من سيرتها التزيينية ودخلت ترسانة الماكياج ·· ذلك ان تكنولوجيا انتاج العدسات اللاصقة المرنة حققت حلما طالما راود « مفكرى » الموضة وخطوط الازياء (!) وهو ان يتماشى لون العينين مع ما قد ترغب المرأة فى ارتدائه من ثياب ··

وقد اتاحت هذه التكنولوجيا اخيرا عدسات بمقدورها تغيير لون العينين حسب الطلب وحسب الظروف الامر الذى لن يجعل العيون العسلية والسوداء ، حكرا للجنوبيين ولا العيون الزرقاء والخضراء قصرا على الشماليين ، بل ويفتح الباب امام الوان مبتدعة وجديدة وجريئة كان ترغب واحدة فى عيون حمراء واخرى فى عيون بنفسجية ·· فضلا عن ان يصبح اللون الواحد للعينين فى فترتى المساء والسهرة ، ناهيك عن الصباح والظهيرة ، يصبح دقة قديمة ·· « اى والله ومن يعيش يرى »

ومن فضل القول ان العدسات الجديدة ستركز على راغبات الماكياج اكثر من المريضات ، مما يؤهلها لان تدر ذهبا على مخترعها وجدير بالذكر ان من يروجون لهذا الاختراع يؤكدون على ان لون العينين معها يبدو طبيعيا للغاية ، على خلاف اى محاولات سابقة ، وانه لن يكون بمقدور من لا يعرفون صاحبة الشأن ان يكتشفوا كنه عينيها ··

## التقشف يقتل اطفال العالم

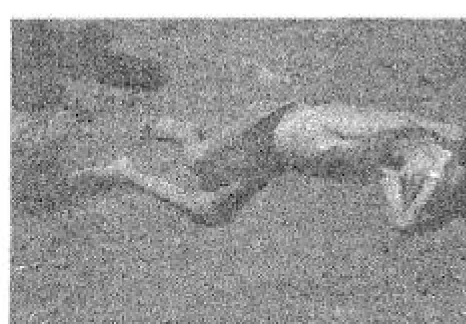
ذكر تقرير صدر اخيرا عن منظمة الـ « يونسيف » ان ١٤ مليون طفل يلقون حتفهم سنويا رغم ان اسباب وفاتهم يمكن التغلب عليها • فخمسة ملايين منهم مثلا يموتون بأمراض الاسهال •• ويمكن فهم ابعاد الموقف اذا عرفنا أن نسبة الوفيات بين كل الف من المواليد الجدد لا تتجاوز ٨ اطفال فى السويد ، ١١ طفلا فى فرنسا ، بينما ترتفع فى مالى الى ٢٠٢ طفل •

وقبل ٥ سنوات كانت الامكانيات لا تفى الا بتطعيم ١٠٪ فقط من اطفال العالم الثالث ضد الامراض الستة القاتله • وقد ارتفعت هذه النسبة ٥٠٪ ، ويتوقع توفير الامكانيات اللازمة لتطعيم الجميع عام ١٩٩٠ • وجدير بالذكر ان تطعيم كل اطفال الدول النامية لا يتكلف اكثر من ٥٠٠ مليون دولار لا تتجاوز ثمن عشر مقاتلات من طراز ٢٨،

وبين الاسباب التى تؤدى الى وفاة الاطفال انعدام النظافة • والفطام قبل الاوان ، وفقر التغذية ، وكلها عوامل تجعل اجسامهم نهبا لاى عدوى ميكروبية أو فيروسية ••

وجدير بالذكر ان المجاعة الحالية التى تواجهها البلدان النامية كانت وراء النسبة المرتفعة من وفيات الاطفال ذلك ان تبنى هذه الدول اجراءات تقشفية يؤثر اول ما يؤثر على الاطفال ، اذ يلحق الضرر بأنشطة رعايتهم صحيا واجتماعيا وتعليميا فيجرى اغلاق ( لا انشاء ) المدارس والمستوصفات و ••

هذا وقد قررت دراسة الـ «يونسيف» أن تدهورا لا يمكن قياسه ولا يمكن التنبؤ بعواقبه قد اصاب حياة الشباب فى ثلاثين بلدا ناميا ••



## شرطى من ورق

الشرطى الواقف فى هذه الصورة ليس من لحم ودم بل من ورق وان كان بحجم الجندى الطبيعى ••

الطريف ان الصورة استخدمت فى تجربة علمية تمت بمدينة تاريني الدانماركية واثبتت ان مجانين السرعة غالبا ما يخففون من سرعتهم بمجرد رؤية صورة الشرطى •

لهذا تقرر ، مع النجاح الكبير للتجربة ، استخدام مثل هذه الصورة، على نطاق واسع لردع مجانين السرعة ، وجدير بالذكر ان الصور لن تكون بديلا عن رجال الشرطة وانما عامل اضافى يحزز قوتهم ••

## العالم غدا

● عاصفة على آسيا الوسطى ●

ارال مهدد ، هذا البحر الواقع بين جمهوريتى كازكستان واوزبكستان قد يختفى نهائيا من على خريطة العالم تاركا وراءه صحراء بلا نقطة ماء .. لماذا ؟

لانه فقد ستين فى المائة من مياهه خلال ثلاثين عاما .

هبط مستواه اربعين قدما منذ تحويل مجرى نهرى اموداريا وسيرداريا فى آسيا الوسطى الى الجنوب وذلك لزراعة مساحات شاسعة من اوزبكستان نباتات متعطشة للمياه كالقطن .

وفى بعض الاماكن انحسرت مياه البحر المهدد بالزوال حوالى اثنان وستون ميلا .

فاذا بموانى ومصبات ومصانع اسماك كانت مطلة على البحر تتحول الى اطلال .

واذا برياح عاتية تهب على ما تركه البحر المنحسر من املاح فتحملها سحبا ترابية مشبعة موادا كاوية تهلك كل ما تقع عليه من زرع وضرع .

واذا ببلاد نائية تركب الافيال كما الهند وباكستان مهددة هى الاخرى بان تتحول جناتها الى ارض خراب

وفى مواجهة هذه الكارثة الكبرى فكروا فى اعادة الحياة الى البحر المتحضر ، بتحويل بعض انهار سيبيريا بحيث تصب فيه بدلا من المحيط المتجمد الشمالى .

ولكن البعض يعترض على هذا التحويل مخافة ان ينتهى الامر بالكرة الارضية الى الدخول فى عصر جليدى جديد .

وردا على هذا الاعتراض يقول الاستاذ السوفييتى « اركن يوسيبوف » ان مشروع تحويل نهرى « اوب » و « ارتيش » لن يأخذ من مياههما الجارية الا حوالى ستة الى سبعة فى المائة .

وهذا القدر الضئيل لن يكون لتحويله تاثير ذو بال على عوامل الطبيعة .

ولا يزال الجدل حول ما ينتظر اسيا الوسطى من احوال مستمرا

● الكومبيوتر .. ينافس السكرتيرات ●

حول هذا الموضوع نشرت جريدة نيويورك تايمز تقريرا اشارت فيه ان مهنة السكرتارية سوف تشهد انكماشا واضحا فى السنوات القادمة . ليس بسبب اعتكاف السكرتيرات عن العمل ولكن لان الكومبيوتر سوف يلعب دورا هاما فى عالم ادارة الغد .. وبكفاءة اكثر فى تخزين المعلومات والقيام بمهام وظيفة السكرتيرة .. خيرا من النساء انفسهن .

وتقول فاى وتشن من معهد التحليل الاقتصادى بجامعة نيويورك ان موظفى



المكاتب كانوا يشكلون ١٨٪ من قوة العمل الامريكية عام ١٩٨٠ · لكن النسبة تتقلص وطبقا لمكتب احصائيات العمل فان عدد وظائف السكرتيرات وكتبة الاختزال والطباعين قد زادت بين عامى ١٩٨٢ و١٩٨٧ ·· وهى نسبة دون معدل الاستخدام المدنى الكلى ·

وترجع هذه التغييرات فى دور السكرتارية الى اوائل الثمانينيات حيث جاءت طريقة معالجة الكلمات اولا ثم الكومبيوتر الشخصى الى خفض اعمال مثل طباعة الرسائل وتصوير المذكرات ·

وشجع الكومبيوتر كذلك مديرى الشركات للقيام باعمال كانت تقوم بها السكرتيرات · فعلى سبيل المثال يستعمل عدد كبير من المديرين الكومبيوتر لكتابة او عمل مسودة لمذكرة او تقرير بدلا من املائها على السكرتيرة ثم يعطون قرص المعلومات الى السكرتيرة لوضع التقرير فى شكله النهائى ·

ومن احدث تقنيات المكاتب نظام الهاتف المزود بكومبيوتر الذى اخذ يقوم بعمل تلقى المكالمات الهاتفية والرد عليها وهو عمل كانت تقوم به السكرتيرات وترتفع نسبة مبيعات هذا النظام ٥٠٪

★ فى ظل الاوضاع المتناقضة التى تحيط بانتشار مرض نقص المناعة المكتسبة ( آلايدز ) والتى تتراوح بين عدم وجود علاج وبين افلاس المؤسسات المتخصصة فى رعاية مرضاه ووسط أوضاع الصراع فى عالمنا المتوتر بدات تدخل بين المتحاربين اتهامات خطرة بوجود ارهابيين ( فدائيين ) يعملون على نقل العدوى الى الجماعات المعادية بل ووجود شبكات تستخدم مثل هؤلاء « الفدائيين » ·

★ ستحصل مصر على عدد من المحطات السوفيتية المتطورة ، العاملة باشعة الليزر ، لرصد الاقمار الصناعية ، لتعمل فى اطار شبكة رصد الاقمار الصناعية التابعة لمعهد الارصاد الفلكية فى حلوان · ويجرى التدريب حاليا على ادارة مثل هذه المحطات ·

★ اعلنت وكالة الفضاء الامريكية اخيرا عن برنامج جديد لاستكشاف المجموعة الشمسية حيث سيتم اطلاق محطة فضائية جديدة ( جاليليو ) عام ١٩٨٩ لاجراء بحوث علمية حول عدد من الكواكب قبل وصولها الى المشترى اكبر واغرب كواكب المجموعة الشمسية فى ديسمبر ١٩٩٥ ·

من الجدير بالذكر ان المحطة ستعتمد على جاذبية الكواكب التى ستدرسها فى الطريق لتقليل ما تستهلكه من طاقة ·

★ فى العاصمة الصينية تسلم الدكتور سعد حسن استاذ الكيمياء التحليلية بكلية العلوم جامعة عين شمس جائزة احسن عالم كيمياء فى العالم الثالث ( عشرة الاف دولار) لعام ١٩٦٨ · وكان العالم المصرى قد حصل على الجائزة التى تتنافس عليها ٥٠٠ من علماء الكيمياء بالعالم الثالث ·

من ذخائر الكتب العربية

# التعريف بابن خلدون ورحلته.. شرقاً وغرباً

## أهم سيرة ذاتية في التراث العربي

بقلم: مصطفى نبيل



●● لا يتناول هذا المقال ، آراء وأفكار العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ، الذى قدم لأول مرة علماً جديداً أطلق عليه فيما بعد « علم الاجتماع » ، وإنما يتناول سيرته الذاتية التي سجلها فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً » .. عندما استعرض تجربته التى عاشها ، وملامح عصره خلال القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) .

وكما كان رائداً وبارعاً كمؤرخ وكاتب فى علم الاجتماع ، كان رائداً فى فن السيرة الذاتية ، رغم أن كتاب « التعريف » أقل شهرة من « المقدمة » .

وتكاد تكون سيرته الذاتية أهم سيرة فى التراث العربى لندرة ذلك الفن الأدبى الذى عرفه الغربيون فيما بعد ، وأصبح تراثا فكرياً أخصب آدابهم بآثار أدبية أمدت الدراسات الاجتماعية والتاريخية بمادة لاتنضب .

ولعل أبرز من قدم سيرته الذاتية بعد ابن خلدون هو الأمير أسامة ابن المنقذ فى كتابه « الاعتبار » وكتاب « الاحاطة » الذى كتبه لسان الدين الخطيب الذى كان صديقاً ومعاصراً لابن خلدون ، وسيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة الشيرازى ، وتوزعت شذرات من هذا الفن فى بطون الكتب العربية ، والتى أخذت شكل التراجم مع اهتمام بالانساب ، كما جاءت فى كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموى ..

وتميزت قصة حياة ابن خلدون بالصدق والصراحة حتى نجده يتناول بعض الأمور التى يحرص الناس عادة على اخفائها ، مثل ما دار فى لقائه بالغازى تيمور لنك ، وهنا نراه يقترب من فن الاعترافات الذى يغلب فيه الحرص على تقديم العبرة أكثر من الدفاع عن الذات ، وتقتصر سيرته فى أغلب صفحاتها على الحوادث العامة غير الشخصية ، ولاتقدم الكثير عن حياته اليومية أو الخاصة ، كتبها من يدعو الى اعمال العقل واستخدام المنطق ، والبحث عن أسباب الوقائع والأحداث كما عنى بالأخبار والمراسلات بينه وبين الامراء والعلماء ، ووصف بدقة أحوال بعض المجتمعات ، مثل تصويره الدقيق لحالة الفساد التى كانت تسوء شئون التقاضى ، عندما عمل قاضيا فى القاهرة ، ويسجل طريقة تبادل الهدايا بين الملوك والامراء ، ونجده لايكاد يتعرض لمشاعره وحالته العاطفية ، ولايتناول تلك التفاصيل العادية التى تتألف منها حياته ، وحياة كل فرد مهما كان شأنه ، ولم تتحكم عواطفه فيما خطت يده ، ونجده يتناول مثلا تلك الفاجعة المتعلقة بهلاك زوجته وأولاده فى ثغر

الاسكندرية ، فيغلب عنده الموضوعى الذاتى ..

## حياة صاخبة

ويقدم لنا في سيرته حياة حافلة بالحركة ، صاخبة ، مضطربة ، فياضة بالأحداث والمغامرات ، والتقلبات السياسية . يبحث ابن خلدون دائما عن الآفاق الجديدة والتجربة العميقة ، يتنقل بين ربوع المغرب والمشرق وبلاد الأندلس .

يعيش طفلا مرفها ، وصبياً طموحاً موهوباً ، وشاباً عنيداً وعالماً كبيراً ، وصعلوكا ووزيراً ، وقاضياً وسجينا .

يذكر فى التعريف : « أما نشأتى ، فإنى ولدت فى تونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة » أى ٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م ، وهو سليل أسرة عربية عريقة ، هاجرت الى الأندلس ، وكان احد اجداده كريب بن خلدون من زعماء ثورات اشبيلية ، ولقى مصرعه فى تلك الثورة وعندها انتقلت الأسرة الى المغرب ، واحتلت مناصب هامة ، ولم يخل تاريخها من ثوار ومغامرين وعلماء ، تضم عائلته دائما رجال دولة بارزين ، وعلماء وشعراء موهوبين ، فالجد الثانى لابن خلدون ترأس الوزارة فى تونس ، ومات مقتولاً فى إحدى الثورات ، وتولى جده الوزارة أيضا .. وأما والده فقد آثر حياة العلماء ، يدفع أولاده الى التردد على مجالس العلماء .. « تعلمت صناعة العربية على والدى » وكان على ولده عبدالرحمن أن يحفظ القرآن الكريم ، ولم يبلغ الحلم . وأبدى شغفاً بالمعرفة فى وقت مبكر . ومازال المسجد الذى تعلم وحفظ فيه القرآن معروفا فى تونس باسم مسجد القبة ..

وعندما بلغ عبد الرحمن الثامنة عشرة من عمره عصفت به الأحداث مع هجوم الطاعون سنة ٧٤٩ هـ ، وانهار كل شىء مات أبوه وماتت أمه ، ومات أغلب من يتلقى عليهم العلم من شيوخه ، وهاجر من تبقى منهم الى المغرب الأقصى هرباً من براثن المرض فعجز عن متابعة دراسته وتغير مجرى حياته .. يذكر : « لم أزل منذ نشأت ، وناهزت ، مكبا على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل ، متنقلا بين دروس العلم والكتابة الى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب بالأعيان والصدور ، وجميع المشيخة ، وهلك والداى .. »

ولا يتحرج فى سيرته الذاتية أبداً من التمرد ولاسن البحث الدائب عن الآفاق الجديدة ..

## عصر ابن خلدون

وقبل المضى معه فى وقائع حياته ، نتوقف عند ملامح عصره ، تعرض العالم الاسلامى فى القرن الرابع عشر الى نكسة فى تاريخ العرب السياسى ، وعاش بين المطرقة والسندان ، يواجه الزحف الصليبى على جناحه الغربى فى الأندلس والشام ، وزحف التتار على جناحه

الشرقى ، وكان بالنسبة لابن خلدون عصر قلق وتحدٍ .

ولكنه تجاوز محنة عصره ، وأبدع أهم ماكتب معالجاً مسألة العمران والنهضة .

اما ثقافة هذا العصر ، فيلاحظ أنها لم تكن مقصورة على ثقافة النقل .. بل تتخطاها الى اعمال العقل ، وترتبط بتطور العلوم ، وبالبناء السياسى والاجتماعى ، فازدهرت خلالها العلوم الطبيعية وخاصة الطب والرياضة والفلك ، ويعيش العالم الاسلامى وحدة ثقافية وفكرية ، ويذكر لنا كتاب التعريف أن ابن خلدون درس مؤلفات ابن سينا وفخر الدين الرازى ، ونصير الدين الطوسى ، والفيلسوف العربى ابن رشد ، ومن أهم أساتذته ابو عبدالله محمد بن ابراهيم الآبلى ، الذى حاز : « المعرفة الشاملة ، والعلوم العقلية والنقلية » والتى تشمل المنطق والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والموسيقى » ، وعندما يذكر الكتب التى اطلع عليها يفرد جانبا هاماً لكتاب الأغانى « جمع فيه أخبار العرب واشعارهم وانسابهم ، وايامهم ، ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد - ويضيف ابن خلدون - ولعمرى انه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الأحوال .. ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلم وهو الغاية التى يسمو اليها كل اديب »

لذلك لم يكن غريبا أن يتميز أسلوب ابن خلدون بالدقة والتحديد ، والسهولة ، والوضوح ، فأعاد للأسلوب العربى رونقه ، ويذكر فى كتابه التعريف : « كان أكثر الرسائل يصور بالكلام المرسل .. وانفردت باسلوب كان مستغرباً عندهم بين اهل الصنعة »

## ● موقع شباب ابن خلدون

ويبقى المسرح الذى شاهد رحلة حياته الشاقة ..

قامت فى المغرب على أنقاض دولة الموحدين ، ثلاث دول ، توزعت بين التل والسهل ، والصحراء ، وأطلق ابن خلدون على التل « موطن البقر » ، والسهل ، « موطن الشاة » ، والصحراء « موطن الجمل » .

أفريقيا ، تونس اليوم أول قطر انتزع من دولة الموحدين ، قامت به الدولة الحفصية والتى كانت تمتد بين مدينة تونس وخليج قابس شرقا ، والمسيلة غرباً ، وتضم مدناً تاريخية مثل القيروان ، والمهدية ، وقسنطينة ، وبجاية .

وفى المغرب الأوسط .. قامت دولة أخرى هى امارة تلمسان التى استطاع بنو عبدالواد اقامتها على يد يغمراس بن زيان ، والتى يقع أغلبها فى جزائر اليوم .

وفى فاس المغرب الاقصى قامت دولة المرينيين والتى تبدأ من وجدة ووداى ملويه حتى المحيط الأطلنطى غرباً ، ومن شاطىء البحر الأبيض شمالاً حتى بلاد السوس جنوباً .

وكانت دولة بنى مرين هى أقوى الدول ، فاستطاع السلطان ابن الحسن أن يزحف شرقاً ويستولى سنة ٧٣٣ هـ على تلمسان وسائر المغرب الأوسط الذى كان بأيدى عبدالواد ، ثم استولى سنة ٧٤٨ هـ على افريقيا ( تونس ) وانتزعها من يد بنى حفص ، واسترد من جديد ملك بنى

حفص واستوزر أبا محمد بن بارفراكين والذى فى عهده تولى ابن خلدون اول عمل وهو « كتابه العلامة » والذى يوضح لنا فى التعريف بقوله « وضع الحمد لله ، والشكر لله بالقلم الغليظ ، بين البسملة ومابعدها من مخاطبة أو مرسوم » .

وهكذا كانت دول المغرب العربى ، امارات متنازعة ، وحكاما ضعفاء ، ونظاما قبليا حاكما ، تقع بينها الحروب ، ولاتستقر دولها طويلا ، ولايتجاوز بقاء امرائها بضع سنين أو بضعة شهور .

وكان على ابن خلدون ان يشق طريقه فى ظل هذه الظروف ، وان يحاول استعادة مركزه داخل تلك التقلبات والمنازعات والأزمات السياسية .

بيلور افكاره ومشاهداته فيما يسمى فن الحكم وعلم السياسة .

بدأ حياته السياسية بعد تعيينه فى « قلم الكتاب » استجابة لالحاح أخيه الأكبر ، ثم أصبح كبير الامناء بالديوان فى تونس ، وتزوج خلال هذه الفترة من ابنة قائد جيش الحفصيين محمد بن الحكم .

ورحل الى فاس هربا من الاضطرابات التى شهدتها أفريقيا ، والتحق فى بلاط السلطان ابوعنان .. يذكر : « على كره منى ، ان كنت لم أعهد مثله لسلفى ، وعكفت على النظر والقراءة ، ولقاء المشيخة من اهل المغرب والأندلس » .. وسرعان ماتولى الحجابة ، أى الأمانة العامة بلغةهذه الأيام ، وأخذ يشارك فى مجالس السلطان ويساهم فيما يدور فيها من مناظرات علمية .

## ● طغيان الشباب

ما الذى يرويه ابن خلدون خلال فتوته وشبابه ؟..

لا يمكن أن نغوص معه فى بحر المنازعات المحلية بكل تفاصيلها ، ونكتفى بالتوقف عند ابرز أحداث تلك الفترة ، والتى ساهمت فى تكوينه كمفكر فذ .

ساهمت بوضوح فترة عمله مع الأمراء والسلاطين فى التعرف على اقوى رجالات عصره المشتغلين بالحكم والسياسة ، فهو يحضر مجالس الحكام والعلماء ، ويشارك فى الأحداث بما يملكه ن ملاحظة ثاقبة وعقل نافذ ، وساعده ذلك على أن يمزج العلم بالواقع ، والأفكار بالوقائع ، وأن

وجذبته واستغرقته الدسائس السياسية ومؤامرات القصور وأخذ يترك أميرا للالتحاق بآخر أكثر قوة ، لعله عن طريقه يحصل على امكانيات اكبر وأوسع وأن يبلغ آفاقاً أرحب ، فنراه يترك عاهل تونس ويلتحق بسلطان فاس ، وينتهى به الأمر الى السجن الذى يمضى فيه واحدا وعشرين شهراً ، ولايفرج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبوعنان ، ويبدأ بعدها دوره البارز كرجل دولة ، يتولى أعلى المناصب فى الدولة المارينية ، ويعيش فى ظل نفوذ صديقه عمر بن عبدالله ، ويتولى وظيفة كاتب السر والانشاء ، ويتولى « خطة

المظالم » أى القضاء الذى يصفه بقوله : « هى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصفة القضاء، وتحتاج الى علو يد، وعظيم رهبة، تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى »

وخلال كل هذه التقلبات لايكف عن الدرس والقراءة، فكان يستغل كل الفرص المتاحة للاطلاع على خزائن الكتب الخاصة فى فاس وتلمسان وتونس وبجايه وغرناطة ..

ولكنه يحكى فى كتابه، عن طغيان الشباب وطموحه، يقول : « كنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه »

● حرية الفكر

ونتعرف فى سيرته الذاتية على واقعه زلزلة كيانه ترتبط بحرية المفكر وأزمة المثقف فى عصر ابن خلدون وهى الفجيعة المأساوية التى حلت بصديقه لسان الدين الخطيب، ولاشك أن مأساة صديقه تركت أكبر الأثر على حياته كمفكر يعمل بالسياسة .

ارتبط الصديقان بعلاقات عميقة، واهتمامات مشتركة رغم فارق السن بينهما . فعبدالرحمن فى شرخ الشباب ولسان الدين فى طور الكهولة، يتجاوز فارق العمر بينهما العشرين عاماً .

دفع لسان الدين الخطيب حياته ثمنا للمنازعات السياسية وهو المفكر والشاعر والفيلسوف والكاتب والمؤرخ .. وقدمت مأساته أمثولة للمفكرين والكتاب، وكان مأساة ابن الخطيب دعوة لهم جميعاً للانسحاب من الحياة العامة، والاحتماء بالأبراج العاجية، وتجنب التصدى للقضايا الحقيقية والاكتفاء بتناول المسائل الهامشية .

التقى ابن خلدون وابن الخطيب لأول مرة فى فاس، وكان هذا اللقاء حدثا هاماً فى حياة كل منهما، وقتها كان ابن خلدون من كبار رجال الدولة فى فاس، وكان ابن الخطيب لاجئا اليها من غرناطة بعد أحد الانقلابات السياسية .

ومنذ هذا اللقاء الأول، وهما يتبادلان المواقع ويحتمى كل منهما بالآخر ..

**كان لسان الدين الخطيب يتفوق على ابن خلدون فى أسلوبه البيانى، ويتفوق عليه ابن خلدون فى سرده وحسه التاريخى . وسجل كل منهما سيرته الذاتية فى كتابيهما « الاحاطة » و « التعريف » ويحرص كل منهما على تسجيل تجربته للأجيال المتعاقبة فى ذلك العصر المضطرب .**

● وترجم كل منهما حياة صاحبه

يذكر ابن خلدون فى ترجمته عن ابن الخطيب .. « بلغ فى الشعر والترسل حيث لايجارى فيهما، وملأ الدولة بمدائحه انتشرت فى الآفاق قدماه » .. ويسلم بأنه لايقدر على مساجلة .. « ابن الخطيب فى الترسل اذ لم يكن شأوه يلحق فى ذلك » وهو عنده .. « امام النثر والنظم فى الملة الاسلامية غير مدافع » ..

ويشيد ابن الخطيب بدوره بصفات ابن خلدون ومواهبه ومقدرته العلمية والبيانية، يقول : « جم الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، عالى الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقنن الرآسة، خاطب للحظ، متقدم فى عدة فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور »

وتمضى الأيام وتزداد العلاقات بينها توثقا ، ويعود ابن الخطيب ظافراً الى غرناطة ويتبادلان الرسائل ، وفجأة يتعرض ابن خلدون فى المغرب لمحنة تشبه ماتعرض له ابن الخطيب من قبل ، ويفقد حظوته ونفوذه فى بلاط فاس ، فيشد رحاله الى الاندلس فى رمضان سنة ٧٦٤ هـ ، ويستقبله ابن الخطيب فى غرناطة .. ويحكى ابن خلدون قائلاً : « خرج الوزير لسان الدين الخطيب الى مكان نزلى ، ثم نظمنى فى علية أهل مجلسه ، واختصنى بالنجو فى خلوته ، والموكبة فى ركوبه ، والمواكلة والمطاية والفكاهة فى خلوات أنسه » ..

ومن ناحية أخرى بالغ سلطان غرناطة فى اكرامه ، وبعثه سفيراً الى ملك قشتالة بطره ( بدرو ) سنة ٧٦٥ هـ ـ ١٣٦٤ م ، وأدى مهمته بنجاح ، ولما عاد بالغ السلطان فى اكرامه فاستقدم أسرته من قسنطينه ، وعاش فترة نادرة مع أسرته .. ولكنه لم يلبث أن شعر بانقباض السلطان عنه ، واتهم ابن الخطيب فى ذلك التحول ، خشية منه على مكانته ونفوذه ، يذكر ابن خلدون : « ثم لم يلبث الأعداء وأهل السعايات أن خيلوا الوزير ابن الخطيب من ملابستى للسلطان ، واشتماله علىَّ ، وحركوا له جواد الغيرة فتنكر ، وشممت منه رائحة الانقباض ... ولم يبق محل لاطالة الاقامة ولامناص من الرحيل » .

ويدور الزمن دورته من جديد ، ويعود ابن خلدون لسابق قوته ونفوذه فى بلاد السلطان ابى عبدالله صاحب بجايه ، ويتآكل نفوذ لسان الدين الخطيب ، وتحرق كتبه فى ساحة غرناطة ، ويتهم بالزندقة ، فيلجأ الى فاس بعد أن يبعث رسالة شديدة اللهجة الى السلطان ، يدين فيها اعماله السياسية ، ويعكف فى فاس على البحث والتأليف ، وعندما يتوفى السلطان ويحل محله سلطان جديد يقبض على ابن الخطيب ، بتحريض من السلطان الجديد فى غرناطة ويدان فى محكمة خاصة بتهمة الزندقة !

ويروى ابن خلدون أن ابن الخطيب كتب اليه من محبسه « مستصرخاً ومتوسلاً » ، ويعمل على مساعدته فى محنته والوقوف الى جانبه ويخاطب فى شأنه اصدقاءه من أهل الدولة ونزمار بن عريف وابن ماسى ، ويبذل كل جهده لانقاذ صاحبه ولكن لم تنجح سعايته ، فسرعان ما يوفد السلطان ابن الاحمر الى فاس وزيره لسرعة التخلص من لسان الدين الخطيب .

ويدخل على ابن الخطيب فى سجنه ليلاً سليمان بن داود .. « ومعه بعض الأوغاد من حاشيته ومعهم بعض الخدم الذين جاءوا مع سفراء السلطان ويقتلونه خنقا فى محبسه ، ويدفن فى مقبرة باب المحرق فى أحد ابواب فاس » ، ولايكتفون بذلك .. بل يعودون فيخرجون جثته ويشعلون حولها النار ، ويحترق شعر رأس المفكر الكبير وتسود بشرته ، ويعاد الى حفرته قبل أن تأتى عليها النار .. وتنتهى

محنته ويدفع حياته ثمنا لحريته وتظل محنة المفكر مع المجتمع قائمة .

وهكذا لقى صديق ابن خلدون حتفه ، عام ٧٧٦ هـ ويعلق ابن خلدون على هذه المأساة بقوله : « هو الهالك لهذا العهد ، وشهيداً بسعاية أعدائه .. عجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته ! وعظم النكير منها عليه . وعلى قومه وأهل دولته » ..

ونتلمس فى سيرة ابن خلدون الذاتية . مدى تاثير مأساة صديقه . فيما اتخذه بعدها من قرارات والتى كان ابرزها . انقطاعه للعلم وابتعاده عن الحياة السياسية .

ويمكن إجمال هذه المرحلة من حياته على النحو التالى ..

قضى ابن خلدون فى المغرب الاقصى ثمانى سنين . قضى منها فى سجن فاس نحو علمين ، ونحو ستة اعوام الى جانب ثلاثة أمراء ووزيرين .

ابو سالم بفاس وقد تولى فى عهده كتابة السر والانشاء والمراسيم . ثم عمل مع عمر بن عبدالله بفاس فى ذات الوظائف السابقة .

حمل ابن خلدون خلال عمله العام ، قلق المفكر . ورفضه للكثير من الأعمال السائدة ، وقد أخذ يردد فى سيرته الذاتية كثيرا رغبته فى التفرغ لكتبه وأوراقه ويعرض العديد من محاولاته فى هذا المجال ، يقول : « نزعت عن غواية الرتب . وطال على اغفال العلم ، فاعرضت عن الخوض فى أحوال الملوك . وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس » .

فكان يرى فى المعارف شرطا هاما لانجاز الأعمال الاجتماعية والسياسية فى خدمة المجتمع ، ويرى فى العلم وسيلة ضرورية للتنظيم الذى يسبغ على السياسة خبرته ومعرفته . وفى ظنى أن اعدام لسان الدين الخطب كان نقطة تحول أساسية فى حياته ، فبدأ يكثر الحديث عن زهده فى الوظيفة « متفادياً عن تجشم أهوالها » وزادت حاجته للانسحاب من ميدان السياسة ، والبعد عن دسائس رجال البلاط والتى وقع ضحيتها مراراً ، مما كان يستنزف قواه .

## ● مكيافيللى وابن خلدون ●

ويعتبر الكثيرون أن ثمة تشابها بين ابن خلدون ومكيافيللى ..

رغم أن ابن خلدون قد ظهر قبل مكيافيللى باكثر من قرن من الزمان .. إلا أن كل منهما اتقن اللعبة السياسية المعقدة ، ولم توصل هذه اللعبة أيا منهما الى مقصده ، ويقدم ابن خلدون نفسه فى « التعريف » كمتكبر معتد بنفسه يريد أن يفهم الناس عنه ، أن ناجعة ما لم تزلزل فؤاده .

ويصل التشابه الى التطابق أحيانا ، ففى المرحلة الأولى من حياتهما ينغمس كلاهما فى العمل فى بلاط القصور ، ويعمل كل منهما مبعوثا دبلوماسيا يوفد اميره فى سفارات الى الخارج وكلاهما قضى النصف الثانى من حياته منكبا على الدراسة والبحث ، وكلاهما مر بتجارب تخلع القلب ، فعاصر ابن خلدون مأساة الوزير لسان الدين الخطيب الذى اتهم بالهرطقة نتيجة صراعاته السياسية ، ولقى مصرعه وأحرق جثمانه ، وعاش

ميكافيللى مأساة المصلح الدينى سافونا رولا الذى أعدم حرقاً فى فلورنسا بالتهمة ذاتها .

وكلاهما ترك وراءه عملاً فكريا هاما ،

## الانقطاع للعلم

هاهو ابن خلدون يصمم على العزلة والبحث ..

وينجح فى المرة الأولى فى الاعتزال فى رباط أبى مدين ، ويذكر .. « أقمت فى تلك الليلة فى الاعتقال فى تلمسان ، ثم أطلقنى من الغد ونزمار بن عريف ، فعمدت الى رباط الشيخ الولى أبى مدين ، ونزلت بجواره مؤثرا التخلى والانقطاع للعلم لو تركت له » .

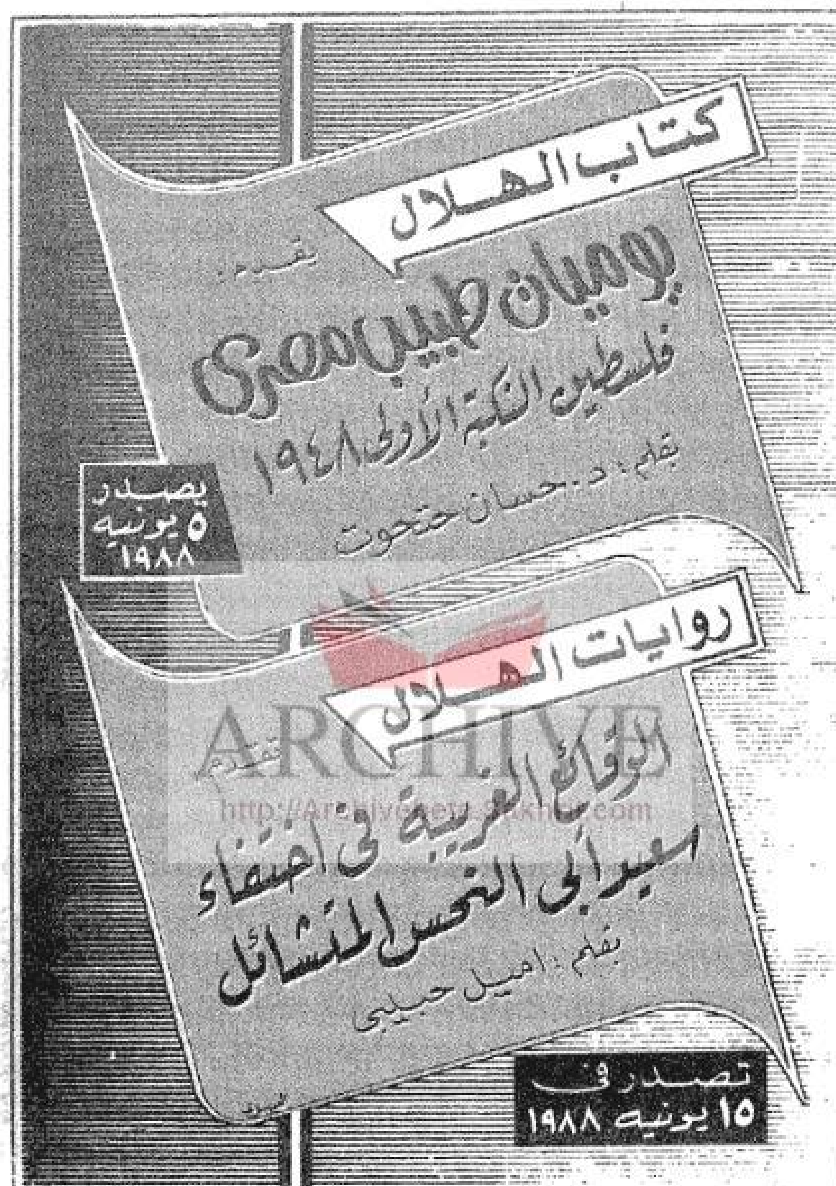
ومرة أخرى يخرجه الصراع القائم من عزلته .. « فاستدعانى السلطان من خلوتى ، بعد أن أخذت فى تدريس العلم ، واعتزمت على الانقطاع ، فآنسنى ، وقربنى ، ودعانى .. فلم يسعنى الا اجابته » ثم أصبح موضع ريبة من أمرائها جميعاً ، فترك أسرته بفاس وغادر المغرب الى تلمسان وعكف فى قلعة ابن سلامة فى وهران بالجزائر .. للقراءة والتأليف ، ونجح أخيراً فى تحقيق عزلته ، وانتزاع نفسه من الدوامة التى كانت تشده .

ويذكر ابن خلدون : « وأنزلونى بأهلى فى قلعة ابن سلامة .. فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها ، وشرعت فى التأليف ..» وكان وقتها فى نحو الخامسة والأربعين من عمره ، ونعم بالهدوء والاستقرار ، وكتب كتابه العبر ، الذى قدم له ببحث عام فى العمران البشرى الذى اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » والتى استغرق فى كتابتها بدون مصادر خمسة شهور ، مما جعله يغادر صومعته الى تونس ، يذكر : « رجعت الى تونس ، وأويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته ، وبحثت عن الأهل والولد وجمعت شملهم فى مرعى تلك النعمة .. وألقيت عصا التسيار »

واذا كان ابن خلدون قد تخلى عن العمل مع الأمراء والسلاطين ، فلم يتخل الامراء والسلاطين عنه ، واذا كان قد قضى ثمانى سنوات متفرغاً للقراءة والكتابة ، منها أربع سنوات فى قلعة ابن سلامه ، وأربع سنوات أخرى فى تونس ، فحان له الرحيل فلم تعد ذرائعه كافية للاستمرار ، وها هو السلطان يعد أن صحب ابن خلدون فى احدى حملاته الحربية الى الجنوب يلح عليه لمصاحبته فى حملة أخرى الى الزاب ..

ويتوسل للسلطان أن يخلى سبيله لقضاء فريضة الحج ، « فأذن لى وخرجت الى المرسى ، والناس يتساطون على أثرى من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم ..»

**وتبدأ مرحلة جديدة هامة فى حياة ابن خلدون ، عندما يقصد الى القاهرة مركز الفكر فى المشرق والمغرب ، ويقيم فيها اربعة وعشرين عاماً .. وينسج حياة اخرى ، نصحبه خلالها فى العدد القادم ..!!**


كتاب الهلال
تقدم
يوميات طبيب مصرى
فى فلسطين النكبة الأولى ١٩٤٨
بقلم: د. حسان حتحوت
يصدر ٥ يونيه ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
الوقائع الغريبة فى اختفاء
سعيد أبى النحس المتشائل
بقلم: اميل حبيبى
تصدر فى ١٥ يونيه ١٩٨٨

دراسة الهلال

## بعد الأقمار الصناعية

# أفول عصر المواجهات الغائبة

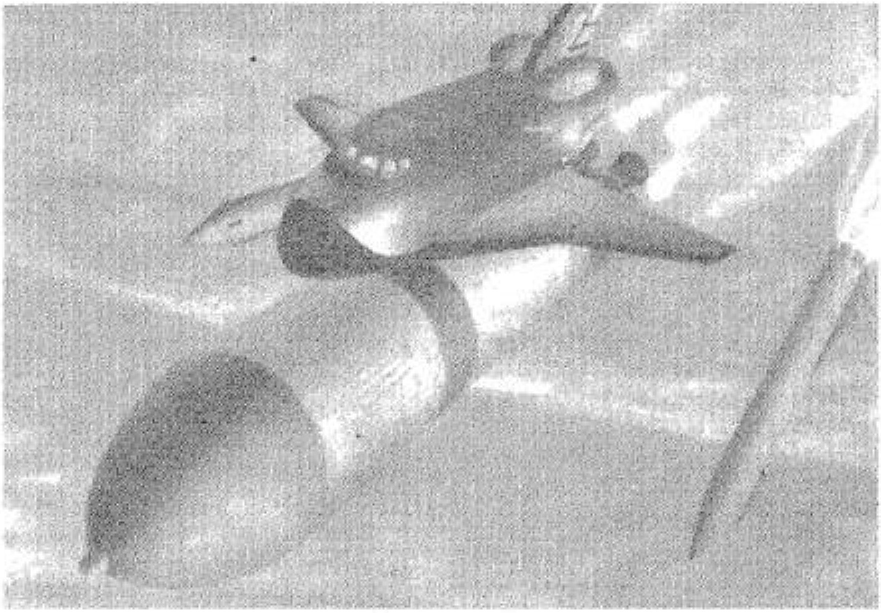
بقلم : محمد فتحى

**بات بامكان قاطنى بعض المدن العربية « فى المغرب مثلا » اليوم ان يتلقوا ، مباشرة فى بيوتهم ، الارسال التليفزيونى لعدد من المحطات الاوربية القريبة .. وهذه ليست سوى بشائر تحول تتسارع وتيرته ، سيجعل حلم جهاز التلفاز الذى يعمل كالمذياع ، من حيث القدرة على التجوال بين ارسال محطات العالم المختلفة .يجعل هذا الحلم حقيقة ، عبر البث المباشر من الاقمار الصناعية .**

**وان كان ذلك يحمل ، بلا جدال ، خيرا كثيرا فى طياته لاثراء ثقافة العرب القومية فانه يحمل بلا جدال ايضا ، مخاطر جمة .. ولعل اكثر مايثير الأسى مع هذا التطور ان يترك المواطن العربى لمواجهة مثل هذا الاخطبوط النافع / الضار ، أعزل حتى من اعلام وثقافة تصلبان عودة فى مواجهة الاعصار .**

كان الاتصال دوما واحدا من اكثر ادوات التفاعل الحضارى فعالية وقد قفزت فعالية الاتصال قفزة هائلة مع ظهور التلفاز، لكنه صاحبت انتشاره ازمة متعددة الجوانب . فالارسال التليفزيونى، يحتاج الى محطة تقوية بعد عشرات الكيلو مترات ، والى محطة لاعادة الارسال بعد مرات محدودة من التقوية . وقد فرض ذلك اقامة شبكات ارضية هائلة وباهظة التكاليف تنتظم مئات هذه المحطات ، فى محاولة لتوصيل الارسال الى ادانى والقاصى ولكن برغم الجهود الهائلة تظل مناطق مختلفة ، ولاعتبارات اقتصادية وفنية متعددة ، محرومة من مثل هذا الارسال .

وقد ظل تلفاز الاقمار الصناعية



حلما يداعب مخيلة الانسان منذ عام ١٩٤٥ . حين تنبأ كاتب الخيال العلمى الشهير آرثر كلارك بأن يكون فى مقدرة قمر صناعى يطلق الى ارتفاع ٣٥٩٠٠ كم ، حتى يتزامن دورانه مع دوران الارض حول محورها ( مرة كل ٢٤ ساعة ، فيبقى معلقا فوق نقطة ثابتة منها ، أن يكون بمقدوره بث الارسال التليفزيونى الى مساحة شاسعة من كوكبنا .

## ● بدون حارس بوابة

وبالفعل ظهر مع اطلاق الاقمار الصناعية امكانية جديدة لتحسين فاعلية وجودة الاتصالات وظهر أن بمقدور القمر على المدار المذكور ارسال اشارة يمكن أن تتلقاها فورا ( لانها تتحرك بسرعة الضوء كالموجات اللاسلكية ) أية نقطة على امتداد ثلث مساحة الكرة الارضية ( ! ) ومن هنا يمكن للاشارة أن تصل أية نقطة على كوكبنا ، باستخدام ثلاثة اقمار صناعية ، موزعة حول محيطها على نفس المدار ..

وقد ثبت مع الزمن ان تكاليف استخدام الاقمار الصناعية ، على هذا النحو ، تقل عن تكاليف استخدام وسائل الاتصال التقليدية . كلما تعدت المسافة التى نود أن يتم الاتصال عبرها ٢٠٠ كم ..

وتجربة استخدام الاقمار الصناعية ليست غريبة على المشاهد العربى ، بالذات من خلال نقل المباريات الرياضية المختلفة .. والذى يحدث فى مثل هذه الحالات أن تقوم المحطة الارضية ، التى يجرى الحدث بجوارها ، بنقل وقائعه الى القمر الصناعى المعنى الذى يعيد بث ما استقبله الى محطة استقبال أرضية ، فى بقعة بعيدة من بقاع الارض ، فتتولى بدورها نقل هذه الوقائع الى محطة التلفاز المحلية لتبثها الى الجمهور ..

لكن الجديد فى الامر هذه الايام

هى ظهور اجيال جديدة قوية من الاقمار الصناعية يمكنها بث ارسالها ، عبر هوائيات متطورة ، مباشـــرة الى الجمهور ، بعيدا عن حـراس البوابة الذين يتمثلون فى محطات التلفـــاز المحلية ، الذين كان بمقدورهـــم ، ان ارادوا ، التحكم فيما يتلقونه قبـــل اذاعته .. وهكذا لن يمر وقت طويل حتى يكون ارسال مختـــلف البلدان والحضارات فى متنـــاول المواطن العربى ، مثله مثل مواطنى البـلدان الاخرى ، مباشرة ..

ولا اعتقد ان مطلعا على تـــاريخ البشرية وتاريخ العرب يمـــكن ان يرفض ظاهرة التفاعل الحضـــارى والحوار بين الحضـــارات ـ وحتى مجرد النهل من حضارات الاخرين ـ او ان يجهل ضرورتها فى تجديد دماء الثقافة العربية . لكن للامر مع تلفـــان الاقمار الصناعية وجوها اخـــرى ، تسلبه وجه التفاعل البرىء والبسيط السابق ، للاسف الشديد .

ولان مصطلحات من قبيل «التبعيـة الثقافية» ، والغزو والامن الثقافيين ، صارت من المصطلحات سيئة السمعة ، فى مجتمعنا العربى ، استأذن القارىء فى الابتعاد مؤقتا عن العرب ..

فى صيف ١٩٨٢ اجتمـــــع فى مكسيكوسيتى ما يـزيد على ٨٠٠ من قادة الثقافة فى ١٣٠ دولة ، خـــلال مؤتمر منظمة التربية والعلوم والثقافة ، التابعة للامم المتحدة ( اليونسـكو ) وكان الاجتماع مكرسا للسياســـات الثقافية .. وكانت الرتابة تصـــيب الحضور بالملل كما هى العادة فى مثل هذه المؤتمرات ، لولا ان وقف جـــاك لانج وزير ثقافة فرنسا واغتال حالة الموات ، حين مضى يهاجم غاضـــبا الامبريالية الثقافية لدولة لم يحددها بالاسم ، وان كل من بالقاعة مقصده بوضوح .. ادرك لانج : « ان غالبية برامجنا التليفزيونية تتكون من نتاج نمطى مكرر ، يقضى على ثقافاتنـــا الوطنية ، وينشر اسلوبا محـــددا للحياة .. ان الامبريالية الالتهـــة والثقافية لا تسعى الى السيطرة على الارض لان الاجدى ان تسـيطر على الوعى وعلى التفكير ، فتسيطر على الحياة ..

ولا باس من ان نتـرك الوزير لانج مباشرة ، لاننا ما اختـرناه الا لنجنب مواطن الشبهات ، ناهيـك عن الدلالة البليغة للموقف ، ففرنسا دولة لهـــا نفوذ ثقافى واسع يمتد من افريقيا الى كندا .

المهـــم ان المجتمعين فى مؤتمـــر اليونسكو عرفوا انئذ الثقافة بانهـــا مجموع السمات التى يتميز بهامجتمع من المجتمعات ، روحيا وماديا وفكريا وعاطفيا ، الامر الذى يجعلها تتجاوز الفنون والاداب ، الى اساليب الحياة والحقوق الاساسية للانسان ، وطبيعة القيم والتقاليد والمعتقـــدات .. ومن تعريف الثقافة هذا ، بات الحـــديث يجرى بالضرورة عن « الهـــوية » او « الشخصية » الثقافية لهذا المجتمـــع او ذاك .

وقد تبنت الامم المتحـــدة ( عام ١٩٨٦ ) مفاهيم مؤتمر الســـياسات الثقافية ، وقررت ان تكون السنوات ١٩٨٨ ـ ١٩٩٧ عقدا للنهوض الثقافى فى عالمنا ، يراعى فيه البعد الثقـــافى للتنمية ، كما يجرى تاكيد «الشخصية» الثقافية لمختلف المجتمعات .. الخ .

وعلى هذا النحو فليس حـــديث الهوية والشخصية الثقافية مجـــرد حديث عربى او اقليمى ، وانما هـــو

وجهة عالمية . ولا يمكن أن يكون الامر مع هذه الوجهة غلوا من الاشتراكي جاك لانج ، أو تعصبا مقيتا من البلدان المتخلفة في الامم المتحدة لحضارتها وهواياتها ، ذلك أن الشكوى تتعدى هذه البلدان ، الى ثقافات اسكتلندا وايرلندا وويلز التي تنظر الى الثقافة الانجليزية بصفتها امبريالية ، بل والى تجمعات الارمن وسكان البلطيق ، ، على الجانب الاخر من الدنيا ، رغم سنوات طويلة من التربية والتوجيه الاممين ، على التعاون ونبذ كل النعرات الذاتية ، .

ان النظرة المتفتحة للحديث عن التفاعل الثقافي ، مع ذلك كله ،لايمكن ان تستقيم الا اذا سلمنا بأن هناك من جانب ، هيمنة يمكن حتى أن تحس بوطأتها ثقافة بحجم الثقافة الفرنسية، وبأن هناك من الجانب الاخر احتياجا يقينا الى الثقافات القومية .

وحتى نتبين الابعاد الحقيقية للصورة في ديناميتها لا بأس من اخذ الانتاج التليفزيوني الامريكي كمثال.. لقد كانت الولايات المتحدة تنتج ، وقت حديث جاك لانج ( عام ١٩٨٢ ) ١٢٠ الف ساعة ارسال تليفزيوني ، وكان ذلك نتاج سوق اعلامية امريكية يبلغ حجمها ٢,٤ مليار دولار . والولايات المتحدة تواصل تنمية هذه السوق بهدف الوصول بحجمها الى ١٠,٢٠٣ مليارات دولار ( حوالي خمسة اضعاف ) عام ١٩٩٠ .

واذا خلصنا الى الحديث عما يخصنا من هذه الظاهرة فاقل ما يمكن ان يقال في هذا النتاج ، انه يعد لاشباع « رغبات » المشاهد الامريكي، الاوربي . ولا يتفق شكلا وموضوعا مع « احتياجات » مجتمعنا . هذا كما يفرض المنطق التجاري الذي يجري وفقه هذا النتاج ( في افضل الاحوال) ان يختار المنتجون مضامينهم ساعين وراء جذب اكبر عدد من « الزبائن » ومن هنا الوجهة « الترفيهية » السائدة فيه . وليت انماط الترفيه السائدة هناك تتفق حتى مع انماط احتياجاتنا ، ذلك انها تشيع رياحا استهلاكية قاتلة ، وتجر وراءها قيما غريبة ، اذ ان الامر لا يقف عند اي « بارفان » تستخدمه المرأة ، بل يتعداه الى القيمة التي يجري الترويج لها من وراء استخدام « البارفان » ..

هذا كما ان التركيز الانتاجي المتزايد يمكن التكتلات الاعلامية – مع الاستنتاج الوفير – من بيع « سلعها » باسعار اقل بدرجة مذهلة ، مقارنة بتحمل اعباء الانتاج المحلي، ومحصلة ذلك استيراد معظم الدول العربية ما يزيد على ٥٠٪ من برامجها التليفزيونية من الخارج ( تصل النسبة في بعض البلدان الى ٨٠٪ ) وليت الامر يتوقف عند هذه النسبة ، اذ ان النسج على منوال هذا الوافد الغربي ، انتاجا وتذوقا ، هو الاساس في النسبة الباقية ..

واعتقد انه لاخلاف على ان منظومة القيم التي تحكم هذا النتاج تختلف تماما عن منظومة القيم العربية في ديناميتها ، وحتى اذا اختلفنا حول مدى فائدة ( او خطورة تعريض جمهورنا لها فلابد وان نتفق على ان يكون الجمهور مسلحا بالقيم التي تعكس وجوده ومصالحه ، وتساعده على الابحار وسط اعاصير النتاج الوافد ..

ان التفاعل والحوار يتطلبان ان يكون للمرء هويته المتماسكة ابتداء . وهذه نقطة يصعب الاختلاف حولها ، والا كنا نغامر بالقاء انسان شل جهازه المناعي وسط محيط من الجراثيم النافعة والضارة ، فلا يلبث ان يقضي عليه – او على اهم مايصلب عوده – اوهن الضار من هذه الجراثيم ، مهما

كان كارثة وفائدة النافع منها …

وان هناك فارقا بين حرية الفكر وحرية المرور دون قيود ، وبين حرية البعض فى املاء ثقافاتهم على الاخرين ومن هنا ضرورة تجاوز الدوران حول النفس استطلاعا للظاهرة ، الى مناقشة تأثيراتها ..

ولاجدال فى ان بعض البرامج الاوربية ستكون فى حد ذاتها نوعا من انواع التنويع بعيدا عن فضلة خير الانتاج الامريكى ( ربما الاقل جودة)، الشائع فى تليفزيوناتنا • ولاجدال فى ان قطاعا من البث المباشر سيكون من الاعمال المتميزة مما سيشكل نافذة حضارية ترقى بمستوى المتلقى ..

لكن العبرة ليست فى التنويع او البرامج المميزة ، كما انها ليست فى كون « البرامج الفضائية » الصالية تستهدف المشاهد الاوربى بالدرجة الاولى ، او انها تذاع باللغات الاوربية ، او فى كونها برامج مبهرة تركز على ما هو رائج من الدراما والمنوعات والمنقل الحى •• وليست فى ان الذين سيشاهدونها من الصفوة ، سواء بسبب ارتفاع تكلفة الهوائيات او بسبب اللغات التى تجرى بها ..

ولا يمكن ان تكون العبرة ايضا فى ان الاختراق قائم على قدم وساق، من خلال الاذاعات الموجهة واجهزة الفيديو • فالتلفاز ( حتى العربى منه) بطبيعة ارساله الجذابة يلعب دورا فى تحديد جمهور الاذاعة وحصرة فى مستويات معينة ، هذا كما ان تكلفة الفيديو تجعل جمهوره لا يقارن بجمهور التلفاز ، ناهيك عن ان الاختراق لا يبرر اسقاط مواجهته ومواجهة التمادى فيه ..

ولا مجال هنا للتهوين من تأثير التلفاز كما هى الحال فى المجتمعات الاكثر نضجا حيث المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية الاخرى راسخة القدم ذلك ان تأثير التلفاز فى مجتمعنا لا يجىء من قوته النسبية تجاه هذه المؤسسات فحسب ، بل ايضا من الظل الذى يفرضه عليها،وما يمارسه من « روشة » لجمهورها ..

ان البث المباشر بتقنياته وقيمه سيؤثر تأثيرا هائلا على جمهورنا ويمكن ان يعطينا مؤشرنا واضحا هنا حالة من اعجب الحالات ، التى تلتفت عنها قصدا ، هى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى ، حيث تعرض الافلام دون ترجمة ، وتلقى اقبالا هائلا بتذاكر مضاعفة الثمن ، من جمهور لا يدرك ، بالضرورة ، سوى القشور مما يدور امامه ..

ولا يمكن ان تكون العبرة بكل ماسبق لان الاخطر على الاطلاق، اذا ماتوافرت الامكانية التقنيةان يقفز الى الساحة بين يوم وليلة مالا يستهدف « سواد عيون » المتفرج الاوربى او الفن الراقى ، ومالا يتحدث بالضرورة بغير العربية ، وما لا يعتمد فى تمويله على مجرد الاعلانات التجارية ، ..

ولا احد منا يستطيع ان يجزم بشىء فى هذا الصدد ، لكن لا يمكن ترك امر مصيرى على هذا النحو رهن الارادة الكاملة لغيرنا ..

ولا يمكن الارتكان الى ان الخطر المصيرى الذى سيتعرض له التلفاز العربى سيستنفر كل طاقاته ، فالمنافسة ستجىء بالقطع فى صالح المشاهد ، ولا يمكن ان تكون مواجهة ناجحة تلك التى تترك فيها المواطن العربى اعزل ، لكاننا نلقيه وسط البحر ليتعلم من خلال التجربة كيفية مغالبة الاعاصير ..

ان الامر يحتاج الى نظرة تتجاوز ما هو تحت موطىء القدم ، وتتحلى بالعمق الاستراتيجى بعيداً عن الصدق والمواجهات الجزئية الفاشلة بالضرورة فأية نظرة وأية مواجهة تستقيم وواقع الحال يا ترى ؟

لعل احدى النعم التى تنطوى عليها النقمة القادمة تكمن فى افلاس سياسة الحظر والمنع والرقابة والوصاية .. تلك السياسة الخائبة التى نالت من وعى المواطن العربى ، وربما اكثر مما حمته ..

وقد يرى البعض الحل فى سياسة اعلامية وثقافية جديدة، تطور برامجنا وتجعلها اكثر تشويقا وجاذبية وحركة وتنوعا .. تراعى الترويح عن الشعب المكدود ، والتخفيف من وطأة حياته اليومية ، بالترفيه المتفتح الراقى ..

ولابد ان يرى البعض ضرورة فى ان تعكس هذه السياسة كل الاراء والاذواق ، وان تتيح فرصة الحوار بين كافة الاتجاهات . وان يكون السلاح الذى يحارب به التلفاز معركته هو محليته وشعبيته ، مما لا يمكن لمحطات وافدة أن تنافسه فيه ..

لكن كل ما سبق ، وان كان بين العناصر الصحيحة للمواجهة ، لا يمكن ان يفلح ، كما تعلمنا تجاربنا وتجارب الاخرين ، دون أن تتم المواجهة من خلال عقل ووجدان المواطن المتلقى الشريك - وليس المتفرج - ومن هنا تصبح النقطة المحورية هى احترام عقل هذا المواطن والعمل على تربية عوده القومى والنقدى وعدم الاكتفاء بروشتة - من روشة - وشغله بما هو مبتذل ومقيت ورخيص .. ومن هنا ضرورة التوجه الى عقل الجمهورية لا فى اطار شاشة التلفاز وحده وانما فى مناهج التعليم وسبل التربية و ( كل مناحى الحياة ) ولن يتأتى ذلك الا بتشجيع الابداع وتحرير المبدعين من القيود التى لا مبرر لها والا بالتصاق التلفاز بهموم الناس ليعبر عن احتياجاتهم ومشاكلهم وآمالهم ، والا بتحوله الى وسيلة للتواصل لا للقطيعة بينهم ..

وبدلا من الهروب من او الى : ماضينا او واقعنا او عالمنا ، لابد من الوعى بهما جميعا كرتكزات للمواجهة الناجحة ، بتربية الناس على الحق فى اعمال العقل والحق فى الابداع ، فقد كرم الله الانسان ونفخ فيه من روحه ليكون خليفته فى الدنيا وميزه بعقل اعلى من شأنه ، حتى جعل التفكير ، وبحق ، فريضة دينية .

وبدون مواجهة من هذا النوع ستحيط علامة أستفهام كبيرة لا بوجود التليفزيون العربى فحسب وانما بمصير الانسان العربى ووعيه ..

تبقى نقطة لا يمكن تجاوزها فى هذا الصدد ذلك ان مصر ليست هى المؤهلة فقط لان تقود استراتيجية مواجهة من هذا النوع ، بل انه يستحيل بدونها حسم جهد فى هذا الاتجاه فالى جوار كونها تشكل ربع الحقل الاتصالى العربى ( سوف ترتفع هذه النسبة الى ما يقارب النصف خلال عشر سنوات ) فهى مالكة لعظم الامكانات القادرة على انجاز هذه المهمة .

ولا يمكن ان نترك هذه النقطة دون التاكيد على ان المشروع الجماعى العربى صار مطلبا ملحا ، فى عامل اعجز الكيانات الصغيرة عن العيش مما حدا ببلدان فى حجم بريطانيا وفرنسا (وغيرهما) السعى الى اشكال من التكامل بالرغم من عدم امتلاكها معشار ما تملكه الامة العربية من مقومات التكامل ، بل والوحدة الثقافية .. ناهيك عن المخاطر المصيرية التى نتعرض لها ..

# أنت و الهلال

## ● السرقات الشعريه ●

● انتشرت فى الفترة الاخيرة ظاهرة للسرقات الادبية وقد حظى شعرى المتواضع ، بقدر كبير من هذه السرقات وكان اخرها ما نشر فى « أنت والهلال » فى عدد أبريل الماضى ، تحت عنوان « لماذا » وكان السارق هذه المرة هو محمود أحمد المصلى ، فقد أخذ قصيدتى ( أسئلة لا تبحث عن اجابة ) وأجرى عليها بعض التعديلات ونشرها باسمه ، والحقيقة أن هذه القصيدة قد نشرت فى مجلة « الثقافة » عام ١٩٧٨ ثم نشرتها مجلة« مرآة الامة » الكويتية فى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ ٠٠ثم نشرت فى ملحق « ثقافة وفكر » لجريدة « الاتحاد » بأبى ظبى فى ٨٧/٣/١٩ ، وقصيدتى هذه منشورة أيضا فى ديوانى « عد لنا يا زمان القمر » الصادر عام ١٩٨٣ وضمن قصائد ديوانى « الطريق السهل مقابل » الصادر من الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٥ بعنوان« حصاد الشهر »٠

انا أعلم أن شاعرا فى بداية الطريق قد تعجبه صورة شعرية فيضمنها قصيدة له أو قد تعجبه فكرة قصيدة فيحاكيها أما أن تعجبه القصيدة كلها فيسرقها فهذا هو السائد هـــــذه الايام ٠٠ الاغرب من ذلك أن السارق قد تعجبه هذه اللعبة فيستمر فيها الى الابد كما فعــــل طالب من « دار العلوم » حيث أخذ قصيدتين من قصائدى ومجمــوعة قصائد لشعراء آخرين وأصدر ديوانا أسماه « ويبقى الامل » وبعد أن فضحنا أمره ضاع أمل السارق فى أن يصــــبح شاعرا ولم يبق الا الشعر !! ٠٠ الغريب أن طالب دار العلوم أخذ قصيدتى لـــماذا أنت يا سمراء تحتكرين احساسى ؟ ٠٠ وغيرها الى : لماذا أنت يا بيضاء تحتكرين احساسى ٠٠ ؟ لأنه من دمياط ، ودمياط هى بلد البيضاوات ٠

هكذا هداه تفكيره الساذج !! هذا الشاب اسمه خالد غازى !! حتى لا يفعلها مرة أخرى مع « مجلة الهلال » !!

عزت الطيرى

نجع حمادى ـ مدرسة الزراعة

● شكرا جزيلا لسيادتكم اذ تفضلتم علينا بنشر قصيدتي في عدد ابريل .. كما نشكر لكم جهودكم الجليلة التي تشع ضياءا أو عبيرا من خلال الصرح ـ الهلال ـ كما نشكر كل القائمين عليها .. وهاكم يا سيدي مقطوعة ( ومضه ! )وأخرى بعنوان ( وقالوا ! ) وثالثة ( قتلوني بالمجان ! ) ، راجيا من سيادتكم نقدها ونشرها ـ ان كانت تستحق النشر ـ حتى نسير على الطريق الصحيح ..



يا من تمشي مختالا
مزهو الريش !
من يوقف نزف الجرح
من يسرق مفتاح الصبح
من يقدر أن يمنحني حق العيش ..

محمود أحمد المصلي
فريين ـ دقهلية

● تعليق :

ـ اكتفينا بنشر مقطوعتك « ومضة » واحتفظنا بالمقطوعات الاخرى ، ونرجو ان تعترف بانك قد استوليت على قصيدة للشاعر عزت الطيرى اذا كنت قد استوليت عليها فعلا كما يقول هو في رسالته التي تقرؤها هنا .. فاذا كنت بريئا فنرجو أن تثبت براءتك ، لانسرقة الشعر والاعمال الادبية اسوأ من السطو على البيوت ، او خطفحقائب السيدات والانسات في الشوارع !

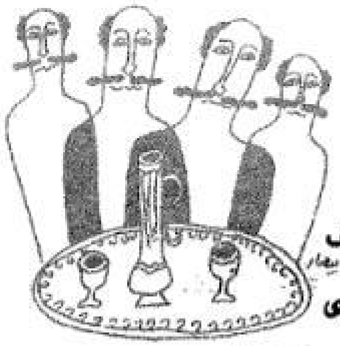


● فصل من الفصول ●

● يشرفنى أن أرسل قصيدة ( أحزان فصل من الفصولالاربعة ) عن أحوال العرب أتمنى أن أكون قد وفقت وتلقى القبول .

كان حزينا ..
لكن الحزن الآتي لا نعرف من أى طريق سيجيء
كان اليمـــا ..
لكن الالم الآتي مجهول وخطير
ـ فصل جاء ، جديد
والسادة ما زالوا في حانات الرقص سكارى
مــــا زلنا
نبحث عن عنوان يؤوينا ..
عن شيخ ياخذنا للحلم الضائع
ويعلمنا كلمات تخرجنا من بطن الحوت
تنقذنا من انياب مفترسة

# أنت .. و الهلال



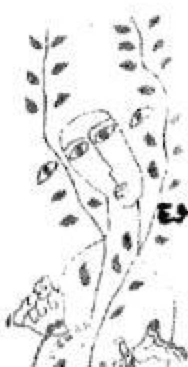
ويعلمنا ان نخطو ، بالقدم اليمنى
ان نخرج يوسف من ظلمات الجب
ليفسر احلاما تزعجنا
نقصده صديقا
كى يعطينا حمل بعير
ان الجدب سرى فى القلب فاوشك ان يتوقف
– فصل جاء ، جديد
والسادة ما زالوا فى حانات الرقص سكارى
ما زلنا نبحث عن

**نبيل خالد**
**المنصورة**

● تعليق :

– وانت ايضا يا عزيزى ، يتهمك عزت الطيرى بالسرقة الشعرية كما ترى فى رسالته المنشورة هنا ، فماذا تقول ؟! .. نرجو أن تكون تفصيلاتك هذه التى ننشرها لك فى هذه الصفحة بريئة من كل تهمة !..

● المقطع الحزين ●

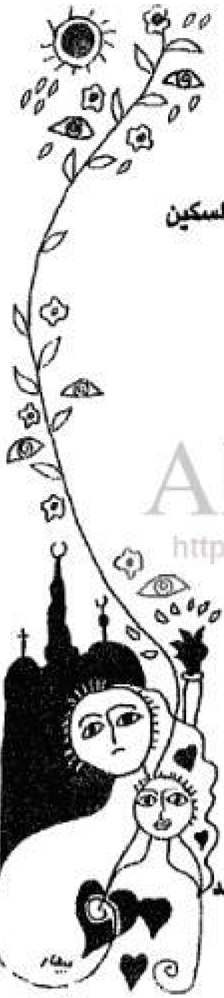


صرت وحدى عالقا بين الدروب الموحشة
« فى ارتعاش الشجر الواقف حزنا
واصفرار الورق الضائع فى الريح سنينا »
أستعير الوجه والقلب واشلاء الاريج
صرت وحدى والعصافير التى عادت اخيرا بارتعاشات الثلوج
يشرئب اللحن منا بالاسى والوشوشة
سيدى ..
دع شرفتى ينسل منها نفسى .. ما أصعبه
دع فراشاتك تنساب معى
قلبى نافورة حزن وعطور طيبة
ها هى السحب التى حملتها بعض غنائى عاد منها قطرتان
قطرة .. قد غيرت لون المكان
قطرة .. لا ازل اتبعها بين عروقى المتعبه

« ايه يا هذى الغيوم الممطرة
علمينا ـ مرة ـ كيف نتم الدائرة »

اسماعيل محمد محمود السبع
الاسكندرية

## ● أيمن .. طفل الحجارة ●



اخواني .. من يعرف أيمن ؟
أيمن طفل والعمر أقل .. يا سادة
من .. سبع سنين
مرسوم .. داخل عينيه
ارض .. فلسطين
مئذنة الاقصى تسكنه .. والقدس
وصلاح الدين
يجمع أحجاراً يغسلها بدموع القهر فتشتد .. وتصير احد من السكين
ايمن يلتقط حجارا ..
ويظل .. يبادل طلقات الاعداء عليه
تتوالى كالبرق الخاطف وتدوى كالرعد القاصف
يجرون اليه ولا يجرى
ايمن .. واقف !..
مرتجفا ؟! .. لا .. بل مبتسما للجرح النازف
تعلو الاصوات تحذره
ايمن ستموت ـ ايمن ستموت ! ..
يضحك ويقول : انا عارف !
ايمن اخذوه الى السجن
كى يجروا معه التحقيق
ضربوه .. سحلوه
طعنوه فى الجرح النازف
والجرح .. عميق
سالوه من قد حرضه
لمعت عيناه كنهر بريق
حرضنى احمد
من احمد ؟! ..
فاجاب : اخى
بعثوا عشرات كى تبحث عن هذا الثورى .. الاكبر .. احمد
ضباط تحمل اسلحة .. عربات .. ومئات العسكر ..
البيت محاصر : يا احمد فلتستسلم ..
البيت محاصر .. فلتخرج ..

احمد يخرج ..
كالشمس كوجه .. نبى
فى يد يحمل احجارا ..
والاخرى علم فلسطين
احمد طفل ..
والعمر اقل .. يا سادة ..
من خمس .. سنين ..

عبد العزيز جويدة
الجيزة ـ شارع الفرما

## ● مشروع قومى حضارى ●

● لمناسبة مرور نصف قرن على صدور كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين تناول هلال فبراير الماضى قضايا الكتاب التى ما زالت مطروحة على الساحة .. وصحيح ان الدكتور طه أصدر كتابه فى لحظة تفاؤل تاريخى حسبما ذهب الدكتور فؤاد زكريا فى مقاله ، ولكن فى لحظات اليأس التاريخى ايضا خرج فينا من يرسم الطريق ، فصدر كتاب « نهضة مصر » للدكتور انور عبد الملك سنة ١٩٦٩ بعد هزيمة يونيو الفاضحة بعامين فقط .. ولم يكن الاستاذ احمد بهاء الدين بعيدا بعد تلك الهزيمة ، فأعاد طبع كتابه « اسرائيليات » واضاف اليه ما بعد العدوان داعيا فيه الى اقامة الدولة العصرية والاخذ بالعلم والتكنولوجيا ، وتطوير العلاقات الانسانية والاجتماعية داخل المجتمع المصرى والعربى على أسس عصرية متخلصة من روح العشائرية والقبلية والتمسك بالاسلوب العلمى منهجا وتفكيرا ، وكانت كتابات الدكتور زكريا ابراهيم فى الصحافة المصرية والعربية فى لحظة اليأس التاريخى بعد حرب ١٩٦٧ نقدا ذاتيا وموضوعيا للانسان المصرى والعربى فى قضاياه اليومية من أساليب التفكير الى حرية المرأة مرورا بطرق التربية والتعليم ، وفى نفس الوقت ، وفى لحظة اليأس التاريخى أصدر الدكتور لويس عوض كتابه « تاريخ الفكر المصرى ١٩٦٩ تقصيا لاسباب الهزيمة من خلال استعراض تاريخى للحركة القومية والوطنية ، ومركزا على مشروعى البناء « الحضارى فى عصرى محمد على وحفيده اسماعيل . ثم يصدر كتابه ، اقنعة الناصرية

السبعة « بعد وفاة عبد الناصر نقدا وتقييما للمشروع القومي الحضاري في اطار التجربة الناصرية ·

واذا كنا نحتفل بمرور خمسين عاما على صدور كتاب مستقبل الثقافة في مصر بما طرحه من قضايا ومناقشات ، فانه يبقى ومعه كل التراث الثقافي والفكرى الذى خلفه الرواد من دعوات اصلاحية وثورية أسير عقول المثقفين وكتبهم ومراجعهم ودراستهم التاريخية وأبحاثهم الجامعية ما لم يترجم هذا التراث الى مشروع قومى حضارى معاصر يأخــذ فى الحسبان اللحظات التاريخية الخطرة التى تعيشها مصر ، والظــروف الدولية المحيطة بمصر كمجتمع مفتوح يعيش فى مفترق قارات الدنيا ·

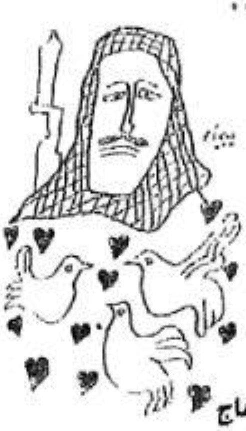
ان الخروج من المأزق والازمة التاريخية التى يعيشها المجتمـــع المصرى يجب أن نمهد له بأن نتجاوز مرحلة الازمة المفتعلة بين الحـداثة والمعاصرة ، أو بين التراث والفكر الحديث ·· ينبغى ان نعيش عصرنا فى اطار المشروع الحضارى دون أن نخلع جذورنا من تربتنا الوطنيـة والقومية ·

وكم أود أن تكون مناسبة الحديث عن مستقبل الثقافة فى ذكـرى صدوره ، دعوة الى الجميع لتبنى طرح المشروع القومى الحضــــارى لمصر المعاصرة ·

عمرو عبد المنعم حمودة

* الى قائد ثورة الحجارة *

تقـــدم
صعودا الى حجر البقا
وابتهالا بنافذة الصمت ·· وهى تنسق رجع الصدى ··
وانسلاخا اذا فر منها المدى ··
للسماء سكون الخيام اذا الارض دارت
وللارض ظل الغمام اذا الشمس ثارت
وللريح طى المدى ، للعصافير همس النجيمات ··
للظلمة الذكريات !!
تلذ بالبدايات واستجمع القطر ، صرخة الصبر ··
تهدى الحمام الى أبحر النور اين استطارت
تقدم ·· فطبع القلوب : تحقق ثم تصفق ثم تحلق ··
وانشر جناحيك مبتئرا فى الحجارة ··
ملتمسا لنداك صدى !! ··



عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

## أنت .. و الهلال

### ● سخرية الادباء ●

● الادباء الساخرون لهم تقاليع طريفة يخالدون بها قراءهم . وهذه بعض الاهداءات كتبها ادباء ساخرون فى الصفحات الاولى من كتبهم :

اهدى « جيروم » الكاتب الانجليزى الساخر كتابه « افكار فارغة فى ساعات فراغ للناس الفارغين » الى التى اهملها فلا تهملنى واسيء اليها فلا تنتقم منى ، الى من لا تبحث عن اخطائى ولا تبذر نقودى ولا تصدعنى بالحديث عن نفسها اقدم هذا الكتاب بكل احترام واعتراف بالجميل .

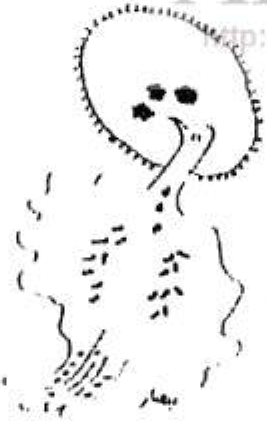
واهدى الكاتب « ودهورس » اولى رواياته الى : زوجتى العزيزة التى لولاها لتم الكتاب فى ربع المدة التى قضيتها فى اتمامه ».

كما ان الكتاب المصريين لا يقلون فى خفة الدم عن الكتاب الاوربيين فقد اهدى المازنى كتابه « حصاد الهشيم » الى القارىء قائلا: « فى هذا الكتاب اكثر من اربعين مقالا وانت تشتريه بعشرة قروش اى كل اربع منها بقرش » .

وقدم « توفيق الحكيم » كتابه اهل الفن الى : « الاسطى حميدة الاسكندرانية اول من علمنى معنى الفن » .

سمير ابو الحمد حافظ
الاسماعيلية

### ● لحظة تحول ●



حمامة . . . .
تعانق الرياح
وتنسج الهديل واحة
تحط فوق ارضها نسائم الصباح
فتستريح من عنا السفر
حمامة . . . .
وايكها المدى .. امها السماء .. صديقها القمر
حمامة . . . .
تقتات بالرحيل . او بلسمة السحر
فكيف تستحيل الدنا
ويصبح الهديل صرخة
والى سوف تستريح الصباح من عنا السفر

اذا الحمام مات قهرا او انتحر

كريمة أحمد عبد المجيد
أسيوط

● مع الاصدقاء ●

● محمد سليم محمد على حسين القشاط ـ شبين القناطر :

ـ لماذا انت منفعل فى رسالتك الينا بدون أن يكون هناك سبب للانفعال ؟! ·· أما قصيدتك فلنا ملاحظات على ما فيها من زحاف وتكلف فى بعض التراكيب ، ولا يتسع المجال هنا مع الاسف للكلام فى هذا ·· نرجو أن تكون قصائدك القادمة اقل طولا ··

● محمد ابراهيم الفرحاتى ـ كلية الهندسة بالمنصورة :

ـ قصيدتكم عن أطفال الحجارة ينقصها الوزن · ونشكركم كثيرا على تحيتكم للهلال ·· ونرجو أن تتمكنوا من التغلب على عقبةالاوزان بالصبر والتمرين والشاعرية ·

● محمد العائش القوتى ـ تونس :

ـ نشكركم على اهتمامكم بالعيد المئوى للهلال ·· أما اشارتك الى رأى المؤرخ الفرنسى شارل أندريه جوليان من ان الشيخ محمد عبده استنبط مذهبه الاصلاح فى تونس خلال اقامته بها عام ١٨٨٥ فليس هذا رأيا صحيحا ، فقد كانت آراء الاصلاح معروفة فى مصر حتى قبل اقامة جمال الدين الافغانى بها ، وكان لهذه الآراء دور فى الثورة العرابية التى انتهت سنة ١٨٨٢ وكان الشيخ محمد عبده من دعاتها ونفى بسببها ·· أما اشارتك الى الشيخ محمد بيرم التونسى الذى كان يصدر جريدة الاعلام فى الاسكندرية منذ بضعة وثمانين عاما ، فتجد توكيدا لها فى كتاب تاريخ اداب اللغة العربية لجرجى زيدان فقد ذكر الشيخ بيرم ومؤلفاته فى الجزء الرابع ص ٢٦٢ ·

● عبد الله السمطى ـ القاهرة :

ـ نشكركم على حسن ظنكم وننتظر رسائلكم القادمة ·

● جمال عطا ـ اسيوط :

ـ نرجو أن يتيح لك الصبر وطول المرانة اقامة الاوزان ·· ولا تنس اللغة وأن الشعر شعور واحساس عميق ·

● ايمان ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج بكوليس :

ـ نعتذر اليك فقد كنا نظن أنك ما زلت طالبة ، ولكنك تقولين انك تخرجت فى الحقوق فنهنئك ·· أما شعرك فما زالت الاوزان تنقصه مع الاسف ·

● نشكر ونحيى أصدقاءنا الكثيرين الذين لم نتمكن من الرد عليهم فى هذا العدد ، وبخاصة السادة : عبد العال عبد الصمد الشال ·· عاصم فريد البرقوقى ·· رفعت محمد بروبى ·· اشرف أبو اليزيد مرسى ··

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا



| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |

يوليو ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا

# الهلال والموسيقى

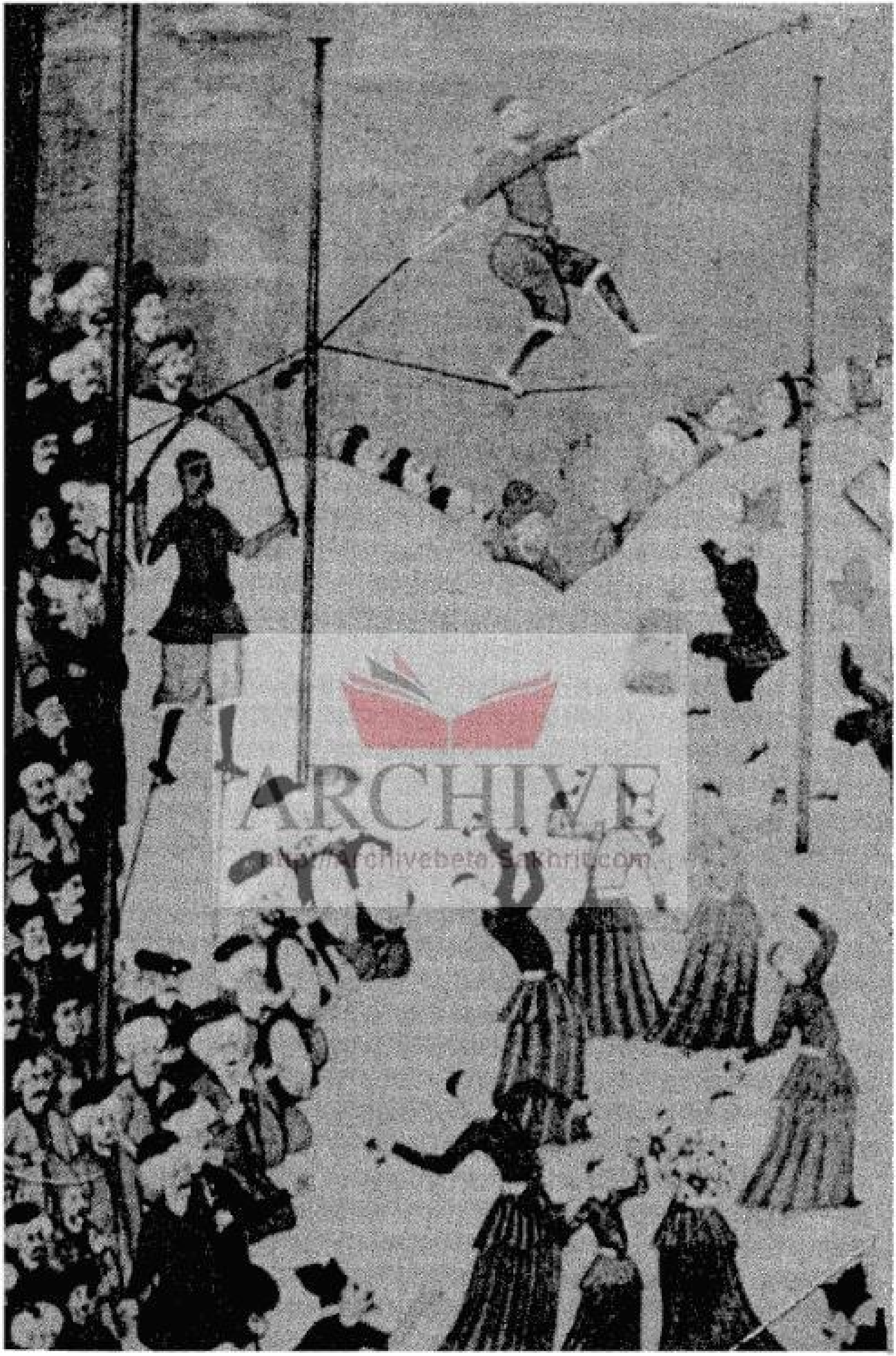
جزء خاص






## ■ عبد الوهاب.. صانع الأغنية الحديثة

## ■ الإمام محمد عبده وحركة التجديد الإسلامى



# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

# من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن التركي القديم تحمل عنوان « المهرجون » تصور سيركا مقاما في الهواء الطلق . يضم ايضا مجموعة من الراقصين .. وتكشف اللوحة عن مدى الشفافية التي يتسم بها الفنان ومدى شغفه بالالوان الفضفاضة والمبهجة .. والاهتمام بعنصري الرصد والحركة .

مجلة شهرية ثقافية تصدر من دار الهلال أسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م . اول يوليه سنة ١٩٨٨ - ١٧ ذو القعدة سنة ١٤٠٨ هـ

في هذا العدد




الغلاف الأول : تصميم الفنان
محمد أبو طالب

الغلاف الأخير : لوحة من أعمال
الفنان فؤاد كامل

## ● فكر وثقافة ●



## ● قضايا حيوية ●

## ● جزء خاص .. الغناء والموسيقى ●



## ● قصة وشعر ●



## ● دراسة الهلال ●





## ● الأبواب الثابتة ●

عزيزى القارىء

# المصطبة القومية للثقافة !

المجلس القومى للثقافة فرع هزيل من « المجالس القومية المتخصصة » الكثيرة العدد ، القليلة الجدوى ، التى يرأسها الدكتور عبدالقادر حاتم منذ بضعة عشر عاما ، لم يتزحزح يوما واحدا عن كرسى الرئاسة فيها ، كما لم يتزحزح أعضاء هذه المجالس عن أماكنهم فوق المصطبة الرسمية التى حشد فوقها الدكتور حاتم إلى جانب المتخصصين الحقيقيين ، كثيرا من أصدقائه الذين ليس لهم تخصص حقيقى ولاخصوصية إلا فى صداقته والالتفاف حوله فى جميع الأحوال ..

ولئن كان لبعض تلك المجالس المتخصصة نشاط نظرى أو فكرى شفوى أو مسجل أو مخطوط فى تقاريرها وأضابيرها ، فإن المجلس الوحيد الذى يفتقر إلى أدنى نشاط نظرى أو عملى أو شفوى حقيقى ، هو مايسمى بالمجلس القومى للثقافة ..

لقد ضم هذا المجلس بعض فضلاء المثقفين ولكنهم ضاعوا فى خضم عواجيز فرح الثقافة القومية الواغلين فيها ، والمتربحين من ورائها ، والمحسوبين عليها .. ممن لاشغل لهم إلا الوثوب على هذه الفرصة أو تلك هنا أو هناك ، رافعين قميص عثمان الثقافة المصرية المفترى عليها ، والمغلوبة على أمرها ! ..

وماظنك ياعزيزى القارىء الكريم بمجلس رسمى يدَّعى التخصص القومى للثقافة ثم يجهل أو يتجاهل المجلات الثقافية المصرية الكبرى ذات التاريخ المجيد ، وينكرها أو يتنكر لها ، وينساها أو يتناساها ، ويتغابى فى النظر إليها كأنه غبى يدعى الحصافة والذكاء ؟! ..

إن المجلس القومى الثقافى « المتخصص » يجهل المعلومات العامة البسيطة عن الصحافة الثقافية المصرية ، فهو يجهل ـ مثلا ـ أن أعرق مجلة ثقافية فى الوطن العربى كله تصدر فى مصر منذ بضعة وتسعين عاما بلا انقطاع ، كانت خلالها ومازالت سجل الأدب العربى والثقافة المصرية .. وعلى صفحاتها تعاقبت أجيال متتابعة من عمالقة

الأدباء المصريين والعرب منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا فى أواخر القرن العشرين ! .. ولايوجد أديب ولامفكر مصرى أو عربى ظهر خلال هذا القرن الذى عاشته مجلة « الهلال » حتى الآن لم يكتب على صفحاتها ، حتى غدت بجدارة أولى المجلات الثقافية القومية العالية المستوى ، واستطاعت وحدها ـ دون جميع المجلات الشهرية والأسبوعية ـ أن تعيش مائة عام تقريبا ، وتسجل تطور الثقافة المصرية والعربية من جيل جرجى زيدان ولطفى السيد ، إلى جيل طه حسين والعقاد ، إلى الجيل الحاضر .. وقدمت خلال هذه الحقبة المديدة للقارىء العربى ألوان الابداع الفكرى العربى والعالمى ، وكانت دائما سفيرا ثقافيا لمصر فى كل مكان ..

إن الهلال بتاريخها هذا الحافل المجيد الذى مازالت تحمل تبعاته وتنهض بأعبائه ، لجديرة بالاعزاز والاجلال من كل غيور على الثقافة المصرية ، وإنها لترضى منه بكلمة تشجيع أو اعتراف أو دعوة إلى دعمها وإزالة العقبات من طريقها لتصبح أقدر على المضى فى رسالتها التى واصلتها عشرات السنين .

ولكن هذا المعنى البديهى لم يخطر على بال المجلس القومى للثقافة ، بل غاب عن باله تماما وجود مجلة ثقافية فى مصر تصدر منذ سنة ١٨٩٢ حتى اليوم بلا انقطاع .. وهذه المدة المديدة خليقة فى حد ذاتها بلفت انتباه كل من له عينان ينظر بهما ، وكل من لم يُصِبْ أذنيه الصمم .. ولكن مجلة الهلال التى ينطبق عليها قول أبى الطيب المتنبى :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صممُ

.. مجلة الهلال وهذا شأنها ، غابت عن أصابهم العمى والصمم فى ذلك المجلس الثقافى المزعوم ، فرفعوا عقائرهم يطلبون إصدار مجلة ثقافية قومية ! ..

إن دعوتهم هذه لاغبار عليها ، لو لم تتضمن بصراحة إنكار وجود مجلة ثقافية مصرية ، إلى جانبها مجلات ! .. ولو لم تتستر تلك الدعوة على ماوراءها من أغراض شخصية محضة ، تطفح بالانتهازية والوصولية والرغبة فى الانتفاع الذاتى ! ..

إن صدور مجلات جديدة للثقافة فى مصر ، يمكن أن يكون برهان يقظة ، لو كان وراءه سبب موضوعى لامجرد تعلات شخصية ينفخ أصحابها فى مشروعات وهمية ، ويتاجرون بكلمات جوفاء ! ..

وعندما يتحدث الجالسون الكرام على مصطبة المجلس القومى للثقافة عن مجلات ثقافية جديدة متجاهلين المجلات الثقافية الموجودة من مائة عام ، غامزين إياها ، كاشدين لها ، حاقدين عليها ، فهذا تهريج وتفكير شخصى مريض ، وعماية مطبقة ، وجهل عميق بالواقع الثقافى المصرى والعربى وحاجاته الحقيقية ! ..

وما أتعس ثقافتنا بمجلسها القومى الأعلى المتخصص فى الجلوس على مصطبة الثقافية ، دون أن يصنع شيئا إلا مايصنعه عجائز الرجال والنساء فى الريف من الثرثرة ليلا على المصاطب حتى يغلبهم التثاؤب ويدب إلى أجفانهم النوم الثقيل ! ..

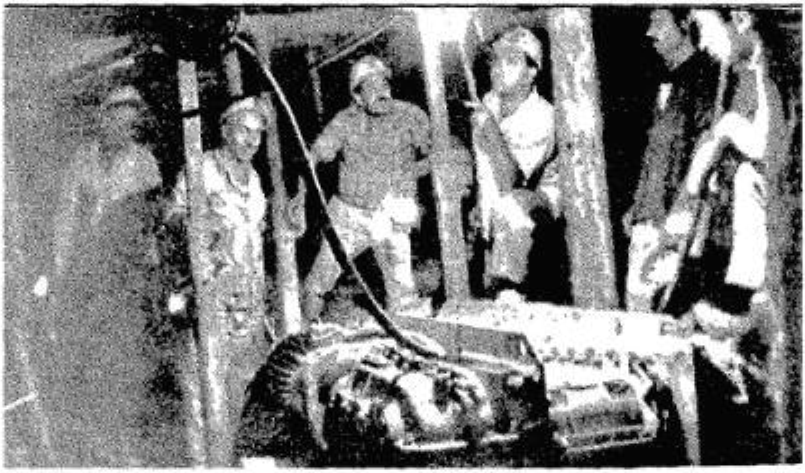
من أوراق رئيس مؤسسة التعدين السابق

# قصة اكتشاف خام الفوسفات بهضبة أبوطرطور بالصحراء الغربية

بقلم : د. رشدى سعيد

**كتبت المقال التالى عام ١٩٧٠ كمقدمة لكتيب أصدرته مؤسسة التعدين المصرية عن فوسفات أبو طرطور وفيه تسجيل لقصة هذا الكشف التعدينى الكبير الذى يقع فى قلب الصحراء الغربية المصرية فى الهضبة المقفرة فيما بين الواحتين الخارجة والداخلة . وقد يكون لإعادة طبع هذا المقال ونشره فائدة ، ففيه نفحة من تلك الروح التى أثارتها فى جيلى تجربة التنمية الوطنية المستقلة التى مرت بها مصر فى أواخر الخمسينيات والستينيات .**

وتعتبر هذه التجربة فريدة بكافة المقاييس فقد جندت مصر فيها كفاءاتها وأموالها لتنمية مواردها على كافة الجبهات وتوزيع نتائج هذه التنمية فى إطار من العدل الاجتماعى المقبول . ولم تهدف عمليات التنمية هذه إلى التصدير أو إلى ادخال مصر فى فلك النظام المالى العالمى بل كان هدفها اشباع حاجات المستهلكين والاستغناء عن الاستيراد كلما كان ذلك ممكنا ـ وقد استطاعت مصر خلال معظم الفترة أن تلهم شبابها وشيوخها وأن تثير حماسهم لدرجة قد يصعب على الكثيرين أن يتخيلوها اليوم ـ وقد تمت عمليات التنمية هذه دون اللجوء إلى قروض واسعة كما هدفت فيما هدفت إليه إلى تشغيل أكبر عدد من الأيدى العاملة فقد كان القطاع العام ولا يزال أكبر موظف فى مصر . وفى هذه الفترة كان



الابطال الذين غزوا أعماق الارض من اجل المعادن

هناك اهتمام كبير بالبحث العلمى وبمؤسسات الدولة الصناعية التى كان يقع عليها عبء انشاء الصناعة والقيام بدراسة جدواها وتحديد مواصفاتها والاشراف عليها فلم يكن فى ذلك الوقت مكان للمكاتب الاستشارية الخاصة ولا لممثلى الشركات المتعددة الجنسية .

ولما كان احتياطى خام فوسفات "ابو طرطور" كبيرا فقد بنيت خطة استغلاله على تصدير فائض كبير منه وهو الأمر الذى حدا بنا إلى دراسة عملية تسويقه قبل الإقدام على تنميته ، ولما كان الاستخدام الأساسى للخام هو فى صناعة الأسمدة فقد قمنا بمسح توسعات هذه الصناعة فى العالم الصناعى فوجدنا أن لدول أوربا الغربية معينا لا ينضب من هذا الخام فى شمال أفريقيا والمغرب بالذات حيث تداخلت الاحتكارات العالمية مع المصالح المحلية فى تشغيل رواسب هذه المنطقة الغنية بالخام . أما الولايات المتحدة وكندا فلهما مناجمهما المحلية الكبيرة ولم يعد أمام مصر من سوق يمكن أن تستوعب انتاجها غير كتلة الدول الشرقية والصين فقد كانت لها خطط لتوسيع مصانع أسمدتها تفوق ما كان لديها من احتياطى للخام ومن هنا كان اهتمام هذه الدول بالمساهمة فى تمويل مشروع "أبو طرطور" وبذا التقت مصلحتانا .

وفى منتصف السبعينيات تغيرت سياسة التنمية المصرية وتوجهاتها وتغيرت معها أشياء كثيرة وكان أبو طرطور أحد ضحايا هذا التغير . فبعد أن نقل الاشراف من هذا الكشف إلى هيئة أخرى بغير رصيد فى أعمال التعدين ، أصبح المشروع ملعبا حرا للمقاولين ومكاتب الاستشارات التى كسبت من ورائه مكاسب كبيرة فارتفعت فى أرضه العمارات العالية قبل أن تخرج منه حبة واحدة من الخام وكتبت عنه عشرات من دراسات الجدوى بواسطة مختلف المكاتب الاستشارية واستجلبت له شركات أجنبية لإعادة دراسته وتقييمه وارسلت تحت أسمه الوفود الى مختلف أرجاء الأرض لاستجداء تمويله وجاءت إليه وفود من صناديق الانماء العربية وهيئات المعونة الأجنبية والبنوك الدولية . ولما كانت فكرة التنمية الوطنية المستقلة قد سقطت

وامكانية الاستعانة أو حتى التجارة مع كتلة الدولة الشرقية غير واردة فَقَدَ فقدَ المشروع المقترح أهم اركانه فتعثر بناؤه ومازال متوقفا بعد عشرين سنة من وضع خطة استغلاله .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن كتلة الدول الشرقية قد تعاقدت مع بلاد المغرب لاستيراد ما تحتاجه من خام الفوسفات لمجابهة متطلبات توسعات مصانعها .

وخطة استغلال الراسب ، الموصوفة في المقال التالي ، هي بنت زمانها ، فقد وضعت في عام ١٩٦٩ لتناسب احوال مصر والعالم في ذلك الوقت وهي في أغلب الظن غير ذات جدوى ولا تتناسب وأحوال مصر اليوم فقد ارتفعت اسعار العدد والفائدة على القروض . واختلفت طرق التمويل المتاحة كما أصبح الإقراض صعبا بالنسبة للدول المقترضة كما تدنت أسعار الخام واقفلت في وجه مصر السوق التي كان من الممكن أن تحتاج إلى هذا الانتاج الكبير . ولكن يبقى أن الخام المكتشف ثروة كبيرة في يد مصر يمكن الاستفادة منها بخطط أخرى تتناسب وعالم اليوم فقد يكون من المفيد دراسة تصنيع الخام في مكانه أو تحت الأرض دون اللجوء إلى حفر الانفاق المكلفة إلى غير ذلك من الطرق .

وأريد من القارىء أن يلاحظ ضآلة أرقام الاستثمار التي كنا نطمع أن ننشىء بها مشروعنا الجبار في عام ١٩٦٩ وهي ارقام واقعية قدرت بالمقارنة إلى ارقام استثمار مشروع مماثل هو مشروع تنمية منجم حديد الواحات البحرية والذي بدىء العمل فيه في عام ١٩٦٤ وربط بالقاهرة بخط للسكة الحديد وخط للكهرباء وهو المشروع الذي يعتبر بحق فخرا لمصر وللجيل الذي أنتمي إليه . كنا في وقت لم تفسده مكاتب السماسرة وعالم لم يعرف العمولات أو يقبل عمليـات "تسليم المفتاح" فقد كان بمصر في ذلك الوقت مؤسسات على درجة كبيرة من الكفاءة وأجهزة قادرة على القيـام بمختلف الأعمال . لم تكن في حاجة إلى أن نستورد اجنبيا ليبني لنا مبانينا أو ليدرس مشاريعنا أو ليصنع لنا خططنا .

## نـص المقال ( ★ )

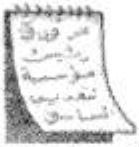
### فوسفات "أبو طرطور" أحد الكشوف الكبرى لمؤسسة التعدين

عندما توليت شئون مؤسسة التعدين عام ١٩٦٨ قمت برحلة أزور فيها مناطق مناجم الفوسفات في مصر ، وبدأت رحلتي في شهر يولية من ذلك العام مبتدئا بمنطقة البحر الأحمر ، ثم عبرت الصحراء لأزور مناجم فوسفات وادي النيل حول السباعية بالقرب من إسنا . وعندما رجعت من رحلتي كان انطباعي الذي كنت قد كونته من معرفتي بجيولوجية هذه المناطق عن قلة احتياطياتها من خام الفوسفات القابل للاستخراج الاقتصادي في إطار ظروف العالم الجديد قد استقر تماما في الذهن . ففي منطقة البحر الأحمر بالذات كانت هناك مناجم قديمة بدىء في استغلالها منذ عشرينيات هذا القرن عن طريق التشغيل اليدوي في ظروف اجتماعية كانت تسمح باستغلال العمال

المهين[1] ، وفى اطار اقتصاديات عالم لم يكن يتطور سواء فى تكنولوجية الاستخراج أو فى توسعاته الاقتصادية إلا فى حدود معدلات بسيطة ، مما كان يسمح لمثل هذه المناجم بالقدرة على التوائم مع متطلبات ذلك العصر . وعندما جاء عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية بتوسعاته الاقتصادية المذهلة وتقدمه التكنولوجى المهيب وثورته للاجتماعية التى حصل فيها العمال على حقوقهم المشروعة ، انحدرت مناجم الفوسفات التى ظلت تمثل جزءا غير قليل من الإنتاج العالمي حتى عام ١٩٤٠ إلى مكانة ثانوية لأنها لم تستطع التوائم مع ظروف هذا العالم الجديد السريع التطور وعندما زرت هذه المناجم فى عام ١٩٦٨ لم اجد فقط انها لم تتطور مع هذا العالم الجديد بل إنها كانت متخلفة حتى بمقاييس عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية ، كما كانت الروح المعنوية للعاملين قد بلغت أسفل الدرك بعد أن منيت شركاتهم بالخسائر عاما وراء الآخر .

وعندما عدت إلى القاهرة بدأت مباشرة فى دراسة مشروعات تطوير منطقة البحر الأحمر ووادى النيل فاذا بى أجد بالإضافة إلى مشروع الحمراوين الذى كان قد بدىء فيه فعلا[2] ، مشروعين مدرجين فى الخطة لإنتاج ٨٠٠,٠٠٠ طن فوسفات مركز من منطقة القصير وواحد لانتاج ٦٠٠,٠٠٠ طن مركز من منطقة سفاجا ، وكان كلا المشروعين قد أوكلا للجانب البولندى نتيجة لاتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى بين البلدين التى كانت قد أبرمت فى عام ١٩٦٤ ، هذا بالاضافة إلى مشروع لتطوير مناجم القصير وزيادة كفاءتها ، وكان واضحا لى أن هذه المشاريع الثلاثة لا تستند إلى أساس ، ذلك لأنى أعرف على وجه اليقين أن منطقة البحر الأحمر لا تملك من الاحتياطيات ما يتيح لها إدراج مثل هذه المشروعات كما أعرف أن مناجم البحر الأحمر قد نضبت تماما بحيث إنه من باب إضاعة الوقت التفكير فى تطويرها . وزادت دهشتى عندما علمت أن وزارة التربية والتعليم تقوم ببناء مدرسة إعدادية فى الحماضات بجوار منجم من المؤكد انه على وشك الإغلاق .

وعندما رجعت إلى خرائط المنطقة التى كانت المساحة الجيولوجية قد قامت بها فى محاولة لإنقاذ هذه المشروعات التى كان لابد من إثبات احتياطات لا تقل بحال عن ١٠٠ مليون طن قبل البدء فيها ، فانى لم اجد بها إلا ثلاث مناطق مأمولة وصغيرة لا يزيد سمك طبقات الفوسفات فيها على المتر الواحد ، إلا أنى لم أستطع أن أحدد قيمة الاحتياطى بها لأن آبارا لم تكن قد دقت بها لتحديد مساحتها ومعرفة تغيراتها ، فاتصلت بالجانب البولندى وعقدت معه عدة اجتماعات للبدء فى وضع برامج مخططة لمعرفة المتاح من احتياطيات الخام بالمنطقة حتى يمكن تحديد الأهداف لهذه المشروعات ، وقررت إرسال بعثة للحفر الآلى فى منطقة أبو شجيلة بالقصير وغيرها من مناطق القصير لإثبات احتياطياتها ـ وزرت البعثة وتابعت أعمالها وبين الفينة والأخرى كنت أغير البرنامج لكى ندق بعض الآبار فى أماكن أخرى غير المناطق المؤمولة حتى نقرر مرة واحدة الإمكانيات الكاملة للمنطقة بكاملها ـ وعندما انتهى برنامج الحفر الذى بلغ حوالى ٥٠٠٠ متر لم نستطع أن نثبت احتياطيا لخام الفوسفات فى منطقة



القصير بما يزيد بأى حال على ١٢ مليون طن كان أغلبها يقع فى مناطق مغمورة بالماء وفى طبقات رفيعة السمك ومفتتة فى كتل مفصولة بكثير من الفوالق .

وفى نفس الوقت كان مشروع الصمراوين الذى بدىء فى تنفيذه تنقصه الاحتياطيات ولم تكن الطبقات التى بدىء فى استغلالها بأحسن حال من "أبو شجيلة" من حيث السمك أو الامتداد ، كما كانت دراستى عن منطقة السباعية بوادى النيل وخاصة فى منطقتها الشرقية التى حفظت لكى تكون الاحتياطى اللازم لتطوير شركة النصر للفوسفات وقد أثبتت لى أن الاحتياطى القابل للاستخراج كان قليلا كما كانت الطبقات قليلة السمك ونوع الخام مما ينذر بصعوبة تركيزه .

وفى ضوء هذه الدراسات عدت إلى مجلس إدارة المؤسسة وأعدنا تخطيط أهداف المشروعات إلى أرقام أكثر واقعية وأكثر ارتباطا بواقع الحال ، إلا أنى كنت خلال كل ذلك ضيق الصدر أمام هذه المشروعات الصغيرة التى وإن ملأت فراغا وأصلحت حالا مال تمام الميل إلا أنها لم تكن تعبر عما يجيش فى صدرى من آمال لنقل صناعة التعدين من أصغر صناعات مصر وأكثرها تخلفا إلى ما ينبغى أن تحتله من مكانة .

وفى لحظة من اللحظات التى ازداد فيها ضيقى بهذه التواجدات المبعثرة والرفيعة السمك التى لا تصلح للانتاج الكبير ، قابلنى الدكتور بهى عيسوى وذكرنى بملاحظته أثناء عمله الحقلى عام ١٩٥٩ عن وجود طبقات سميكة من خام الفوسفات بالمنطقة بين الواحتين الداخلة والخارجة ، وبما سجله الأستاذ موريس هرمينا فى بحثه المنشور عام ١٩٦٧ عن هذا الوجود لقطاع المغربى ـ اللفية فى هضبة "أبو طرطور"

وعدت إلى البحث ، وأخذت أتخيل حجم الطبقات وقدر الخام .

وعندما جاءت أخبار البعثة التى أوفدتها فى الصحراء فى أوائل عام ١٩٦٩ بتأكيد السمك الكبير لقطاع المغربى ـ اللفية فى هضبة أبو طرطور تأكد لى أننا بصدد اكتشاف كبير فقررت أن أدرج فى الحال عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ بعثة للحفر الآلى لدراسة مدى امتداد الخام تحت الهضبة ورأيت أنه بالرغم من البعد الكبير لهذا الخام إلا أن ذلك يمكن تعويضه لو أننا استطعنا أن ننتج إنتاجا كبيرا . وكنت فى ذلك الحين أجتمع بمجلس الإدارة بانتظام لكى أدعو بإصرار إلى ضرورة تطوير العمل عن طريق الميكنة والدخول فى عصر الإنتاج الكلى الكبير حتى يمكن رفع إنتاجية العامل وإلى نبذ فكرة الإنتاج الصغير حتى يمكن نقل القطاع إلى مستوى العصر .

كان خام فوسفات أبو طرطور مستويا وطبقاته سميكة ودرجتها عالية النسبة فى خامس أكسيد الفوسفور واحتياطيه يبدو كبيرا ، والهضبة غير مكسورة بأية فوالق ذات تأثير معوق مما يجعله راسبا مثاليا للاستخراج الكمى الكبير مما كان يعطى الفرصة لحل كل مشكلات المشروعات الصغيرة التى أخذت أتعثر فيها خلال معالجتها .

كبير ودون الحاجة إلى عمليات معقدة فى التركيز .

وعندما اجتمعت مع السيد وزير الصناعة فى ذلك الوقت كان كعادته لماحا فقد رأى ما يمكن أن يضيفه تنمية هذا الراسب ، ولكنه رأى أيضا أن مبلغ الاستثمار المطلوب كان كبيرا فدفعه جانبا وأبلغنى انه لا ينتظر أن تأتى الخطة الخمسية الثالثة بكل هذه المبالغ التى طلبتها مختلف فروع الصناعة ، وإن كان من الواضح أنه كان مقدرا لمبلغ النفع الكبير فيه ، فطلبت منه أن يسمح لنا بأن نستمر فى أعمالنا لتقييم الخام وأبلغته املى الكبير انه عندما تتم أبحاثنا سنرى أن الكثير من دول العالم ستأتى لتساهم معنا فى تنمية هذا الحقل .

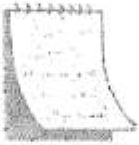
وفى أعقاب هذه المقابلة كان الوفد البولندى للجنة التعدين المشتركة قد حضر إلى مصر للتشاور فى الأعمال موضع العقود بين الجانبين وبعد أن تم استعراض مختلف الأعمال المشتركة التى كان الكثير منها يسير فى تعثر نتيجة أن معظمها ـ كما بينت ـ مبنى على احتياطيات مرغمة وأعمال صغيرة ومبعثرة شرحت للوفد أبعاد كشفنا الجديد فى أبى طرطور وطلبت من الوفد أن يزور المنطقة . وقد قبل أعضاء الوفد ذلك وسافروا فى طائرة خاصة استؤجرت لهم وعادوا بانطباع طيب إلا أنهم كرروا ما قاله لى السيد وزير الصناعة من أن الاستثمار المطلوب كبير جدا لن تتحمله دولة فى حجم بولندا إلا انهم ألمحوا بأنهم سيفكرون فى عرض الأمر على بعض الدول الاشتراكية التى ترغب فى استيراد الفوسفات للمشاركة فى تنمية هذا الحقل .



عزيز صدقى

وجلست على مكتبى أتخيل مبلغ الاستثمار المطلوب ومصاريف تشغيل استغلال هذا الخام وحجم الإنتاج الحدى وما يمكن أن تجنيه البلاد لو أنها بدأت فيه ، فقمت بدراسة مبدئية لمشروع استغلال هذا الخام تبين لى فيها أن حجم الاستثمار لم يقل بحال عن ٩٠ مليون جنيه وأن إنتاجا قدره بين ٦ و ٧ ملايين طن سنويا سيعطى المشروع ربحية والتعدين دفعة كبيرة .

وفى أثناء ذلك طلب السيد وزير الصناعة ( هو الدكتور عزيز صدقى رائد التنمية الوطنية المستقلة ) من مختلف المؤسسات الصناعية أن تقدم اقتراحاتها بشأن الخطة الخمسية الثالثة فقررت أن أقترح إدراج مشروع تنمية فوسفات "أبو طرطور" فأعدت صياغة أفكارى الأولية وتقدمت بالمشروع وكان مما شجعنى على ذلك أن نتائج حفر بترين داخل الهضبة أثبتت امتداد طبقات الفوسفات فى مساحة كبيرة كما أن نتائج التحاليل الكيماوية بدأت تأتى مبشرة بنوع جيد من الخام العالى الدرجة والقابل للمعالجة دون فاقد



وفى ديسمبر ١٩٧٠ طلب الملحق التجارى السوفييتى أن يزور هضبة "ابو طرطور" ومعه كبير الخبراء السوفييت بالهيئة فاصطحبتهما إلى الحقل حيث تدارسنا الوضع على الطبيعة ثم عاد الملحق ومر على بعد أسبوعين لكى يبلغنى أن الاتحاد السوفييتى سينظر فى إمكان تمويل هذا المشروع .

وفى مارس ١٩٧١ شرفنى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية ( هو الدكتور عزيز صدقى ) باختيارى عضوا فى الوفد المرافق لسيادته عند إمضائه لاتفاقية التعاون الفنى والاقتصادى بين مصر والاتحاد السوفييتى . وقد تم إدراج تنمية حقل فوسفات أبى طرطور ضمن هذه الاتفاقية .

وإذا كنت قد سجلت قصة اكتشاف حقل فوسفات أبى طرطور فان الدور العظيم الذى قام به الدكتور عزيز صدقى للمشاركة فى أعمال تمويل المشروع لهو امر أريد أن اسجله هنا بغاية الفخار ، فبدون استجابته وإيمانه بهذا الكشف فان الأمر ما كان ليزيد عن كونه سجلا من سجلات الكشوف التى ما كانت لترى النور . كما أن قصة العمل المشرف الذى قام به زملائى وأبنائى فى الحقل ذاته وقدر الجهد والتفانى اللذين أبدوهما فى عملهم فى ظروف تعتبر من أصعب الظروف المعيشية على قدر ما رأيت خلال حياتى الطويلة من العمل بالصحراء لهى قصة تستحق أن تسجل فان هضبة أبى طرطور هضبة وعرة المطلع وعورة شديدة والوصول إليها من أصعب الأمور سيرا على القدم فضلا عن تسيير حملة ميكانيكية بها كما أن سطحها مغطى بتراب رفيع أحمر اللون . سرعان ما يثور غبارا عالقا يكسو الأجسام والأكل والخيام بلونه القانى فى أول زوبعة أو مسيرة عليها كما أنها هضبة مكشوفة فى مهب الرياح قاسية الجو قارسة البرودة فى الشتاء شديدة الحرارة فى الصيف .

**ماذا يعنى اكتشاف "أبو طرطور" :**

تحتل صناعة التعدين فى عام ١٩٧٠ مركزا ثانويا فى الاقتصاد القومى للبلاد إذ لا يزيد قيمة إنتاجها خلال هذا للعلم على ٦ر٠٪ من جملة الإنتاج الصناعى . وهذه النسبة تشمل الجملة الكلية لكافة الإنتاج التعدينى وأعمال التحجير شاملة قيمة ناتج مؤسسة التعدين وجميع الأنشطة التعدينية المشغلة بمؤسسات الصناعة الأخرى أو أعمال التحجير المشغلة بالقطاع الخاص والمقدرة فى إجمالها بحوالى ٩ ملايين جنيه ، ولم تزد كمية الخامات والأحجار والأملاح المستخرجة من جميع أرجاء الجمهورية على ٦ ملايين من الأطنان نصفها من الرمال والزلط . ونود أن ننوه أن هذا الإنتاج سواء من حيث الكمية أو القيمة قد ظل ثابتا تقريبا خلال السنوات العشر السابقة لعام ١٩٧٠ فى نفس الوقت الذى تضاعف فيه الإنتاج الصناعى مما أدى إلى اتخاذ التعدين مركزا أكثر ثانوية فى الاقتصاد القومى عاما بعد آخر .

وعندما تتم تنمية حقل فوسفات "أبو طرطور" ، فانه سيعطى بلادنا إنتاجا تعدينيا يفوق كل ما تنتجه أرض مصر

اليوم من خامات معدنية أو أحجار أو أملاح مجتمعة ، وسيفوق فى قيمته ثمن كل ما تستخرجه مصر اليوم بأربع مرات على الأقل . وهذه الحقيقة وحدها تثبت حجم العمل الذى تقوم به الهيئة ومقدار ما اكتنفه فى تقدم التعدين ودفعه لكى يأخذ مكانه الذى يستحقه فى الاقتصاد القومى للبلاد .

وإذا أريد بعد كل ذلك تقييم هذا الكشف العظيم فانه يمكن حسابه على أساس القيمة الفعلية للخام قبل استخراجه للمعالجة على أساس ٣ جنيهات للطن الواحد أى ما يوازى ١٨٠٠ مليون جنيه لعله واحد من أكبر احتياطيات الثروة التى وجدتها مصر حتى الآن . وهذا الكشف لا يعتبر فقط من أكبر اكتشافات التعدين فى مصر بل يعتبر أيضا من أكبر كشوف التعدين فى العالم إذ أن الاحتياطى المثبت لا يقل بأى حال عن ٥٪ من جملة الاحتياطى المثبت لهذا الخام فى العالم .

ماهو مشروع فوسفات "ابو طرطور" :

يهدف مشروع تنمية فوسفات أبى طرطور إلى إنتاج ٧ ملايين طن فوسفات مركز ( ٣٢ ـ ٣٣٪ خامس أكسيد الفوسفور ) يقدر الحصول عليها من ١٠ ملايين طن تستخرج من فوهة المنجم . وتبعا للأنماط التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية مؤخرا فان مثل هذا الهدف لا يمكن البدء فيه قبل إثبات احتياطات تكفى الاستخراج لخمسين عاما مضافا إليها نسبة ٢٠٪ ستبقى فى المناجم دون إزالة كحوائط أو غير ذلك وعلى هذا فقد وضعت المساحة الجيولوجية خطتها لإثبات احتياطيات تبلغ كميتها ٦٠٠ مليون طن من هذا الخام . كما أن درجة إثبات الاحتياطيات المطلوبة يسير تبعا لأنماط المساحة الجيولوجية المصرية التى تتبعها بحيث يكون ١٠٪ من هذا الاحتياطى بدرجة تأكيد **A** ، ٣٠٪ بدرجة تأكيد **B** ، ٦٠٪ بدرجة تأكيد **C** ( راجع دليل المساحة الجيولوجية ١٩٧١ ) .

وتحتوى الصفحات التالية على ملخص للخطة التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية للقيام بهذا العمل وما تم منها حتى الآن . ومن المقرر أن تنتهى جميع أعمال إثبات احتياطات الخام فى آخر عام ١٩٧٢ .

وإثبات الاحتياطات فى هضبة "أبو طرطور" يحتاج إلى برامج للحفر الآلى لتقدير مدى امتداد الخام تحت الهضبة وتقدر أطوال الحفر بحوالى ٣٢,٠٠٠ متر على كل المساحة المشغلة وكذلك إلى برامج لحفر الأنفاق والترنشات التى تقدر بحوالى ٣٠٠ متر وكذلك إلى الدراسة الكيميائية والمعدنية والطبيعية وإجراء التجارب التكنولوجية على العينة الممثلة للراسب لإعداد الخرائط الكاملة لتخطيط دقيق لفتح المناجم واستغلالها على مدى خمسين عاما لإمكان الاستخراج المنتظم على طول مدة الاستغلال وحتى يمكن إعداد المنشآت الصناعية الموائمة لمواصفات هذا الخام وأنواع هذه الخرائط والبيانات معدة تفصيلا فى دليل أعمال المساحة الجيولوجية المصرية وهى لا تقل عن ٢٠٠ خريطة من أنواع ومقاييس مختلفة . وتقدر ساعات العمل المطلوبة لتنفيذ هذا البرنامج بأكثر من مليون ساعة عمل لحوالى ٢٠٠ فرد ابتداء من مدير المشروع والجيولوجيين والمهندسين

والحفارين والميكانيكيين والسائقين والعمال ومن ورائهم الإداريون والماليون وصناع الحملة الميكانيكية الهائلة التى ستخدم هذا المشروع ، كما تقدر تكاليف تنفيذ هذه الابحاث بحوالى مليونى جنيه .

ونظرا لوعورة الصعود إلى هضبة "أبو طرطور" ولأن الجزء الاكبر من القطاع المنتظر حفره يتكون من حجر جيرى شديد المسامية مما يستدعى استخدام كميات كبيرة من المياه فى عمليات الحفر الآلى التى يتم نقلها بصعوبة كبيرة فقد قامت الهيئة أخيرا بتطوير أجهزة الحفر الآلى بحيث تعمل باستخدام الهواء المضغوط مما سيوفر أكبر التوفير فى نقل المياه إلى أعلى الهضبة .

ويبلغ جملة الاستثمار المقدر لإتمام المشروع حوالى مائة مليون جنيه منها سبعون مليون جنيه فى صورة استثمارات تكميلية لا تمس التعدين فى ذاته بمعنى أن معظم الاستثمار سيذهب فى عمليات تعميرية ستنقل البلاد إلى مصاف الدول المتقدمة .

أما مصاريف التشغيل السنوية فحسبت على أساس زيادة إنتاجية العامل لحوالى عشرة أضعاف إنتاجيته الحالية التى لا تزيد فى جملتها على مائة طن فى العام الواحد وهذه النسبة الجديدة ملزالت بالرغم من ذلك تعادل نصف إنتاجية العامل الأوروبى وعلى أساس الاستخدام الأفضل للوقود والكهرباء والمياه والمفرقعات ومستلزمات التدعيم ومختلف المواد الأخرى تبعا للأنماط التى وضعتها المساحة الجيولوجية المصرية أخيرا .

ولعل من المفيد أن أبين فى نهاية هذه المقدمة أن مشروعات التعدين هى مشروعات طويلة المدى لا يقل الوقت الذى ينقضى بين البدء فى كشوفها حتى استغلالها الكامل عن عقد من الزمان فى أحسن الأحوال . وهذا من الأمور التى ينبغى أن تكون راسخة فى ذهن العاملين بهذا القطاع لأنها تحتاج إلى نوع من القيادة ذات الخيال وعدم الأثرة ، فأغلب الظن أن الكثيرين منا لن يحصدوا ما نزرعه الآن ولكنا نتركه للأبناء .



الهوامش

★ نص التقديم الذى كتبته للكتاب الذى سقط من قوائم مطبوعات المؤسسة بعد أن تركت عملى بها فى عام ١٩٧٧ .

(١) كان عمال مناجم الفوسفات حتى ثورة ١٩٥٢ يأتون فى ترحيلات دون عائلاتهم عن طريق المقاولين من الصعيد بأجر يومى يتراوح بين ٣ ، ٥ قروش ولم تكن لهم أى ضمانات اجتماعية من قبل الشركة كما كانت ظروف عملهم تحت الارض وبداخل الانفاق على غاية القسوة وعندما تنحدر صحتهم بعد أعوام الشباب كان يعاد تصديرهم إلى الريف .

( ٢ ) تقع منطقة الحمراوية على ساحل البحر الاحمر شمال القصير بها احتياطى صغير من خام الفوسفات كان المأمول تنميته لإحلال المناجم القديمة بالقصير .

# أقوال معاصرة


حسنى مبارك

● « لن يصادر كتاب أو صحيفة فى عهدى »
الرئيس حسنى مبارك

● « لم أتوقع أن أجد نفسى هنا »
الرئيس الامريكى
ريجان فى موسكو

● « السعادة غير موجودة ، الرغبة فى تحقيقها هى الشىء الوحيد الموجود »
المخرجة الالمانية
مارجريت فون تروتا


جورج شولتز

● « التعايش مع الوضع القائم فى الضفة الغربية اسوأ الاختيارات » .
جورج شولتز
وزير خارجية الولايات المتحدة

● من الغباء عدم الاعتراف بأن الولايات المتحدة هى قائدة العالم » .
فيليبي جونزالس
رئيس وزراء أسبانيا الاشتراكى


هانز ديتريش جينشر

● حتى محترفو كراهية الروس لا يمكنهم الا ان يعترفوا أن الامور تتطور الى احسن » .
جورجى ارباتوف
السياسى السوفييتى

● التقارب بين القوتين الاعظم فى صالح أوروبا»
هانز ديتريش جنشر
وزير خارجية المانيا الاتحادية

● التاتشرية تصب .. هى حرية لأصحاب الاعمال وانتقاص من حرية الفنانين »
دافيد هوكنى
المثال الانجليزى

الفقز تعلى

# الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# عن الحب

**لنتحدث هذه المرة عن الحب !**

**الحب بمعناه الشائع . الحب الذي يكون بين الرجل والمرأة .**

**فالصوفية يتحدثون عن الحب الالهى . والسياسيون يتحدثون عن الحب الذى هو ضد الحقد . وقد طلع علينا بعض الكتاب السياسيين ـ في وقت من الأوقات ـ ببدعة ماعرفنا لها مثيلا في شرق ولاغرب ، في شمال ولاجنوب ، في ماض ولاحاضر . فكانوا يذيلون مقالاتهم السياسية بفقرة غزل . وكان بعض القراء يعزون هذه الفقرة الوردية إلى خرف الشيخوخة ، ولكن القراء الأكثر حصافة كانوا يعزونها إلى توجيه سياسى . وبما ان كل شىء من أجل المعركة فلماذا لايكون الحب أيضا ... ؟ وما اظرفها معركة حين يكون الحب احد طرفيها والحقد هو الطرف الآخر !**

أليس من الطبيعي ان يصبح الحب حاقدا حتى يستطيع أن يقاتل الحقد ؟ وهكذا تعلمنا وقتها أن « الحب » يمكن أن يكشر عن أنيابه ، وأن يزج بالناس فى المعتقلات ، وأن يتوعد بالويل والثبور وعظائم الامور . وقال لنا الخبراء ببواطن النفوس إن بين الحب والكره علاقة « حميمة » وإن الامثال الشعبية ـ كعادتها لم تخطىء حين قالت إنه « ما محبة إلا بعد عداوة » ، ولا حين قالت إن « القط يحب خنّاقه » ولا إن الانسان العاقل يجب عليه أن يقبل اليد التى لايقدر أن يعضها .

وإذن فليس هناك مايدعو الى الانزعاج اذا تنمر الحب ، وتطامن الحقد مراعاة للظروف ، مادامت اللعبة مفهومة ، وتبادل الأدوار في الحب والكره يجرى بانسجام وتناغم بين الطرفين الحبيبين العدوين . ولكن المصائب كلها يمكن أن تقع إذا اختل التوازن ، ورفض الطرف المظلوم أن يتلقى صولة الحبيب الظالم بالخضوع والشكر ، كما قال جميل بثينة :

**خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما**
**قتيلا بكى من حب قاتله مثلى ؟**

وهنا يمكن أن يكفهر الجو فجأة ، ويحدث القتل الفعلى كما هو معروف .

والكلام طبعا عن الحب بين الرجل والمرأة ! إلا أن الناس الذين خلطوا الحب بالسياسة أوقعونا في هذا اللبس غير المقصود . وكنا نسمع قديما أن السياسة مبنية على المصالح . وأن الحب مبنى على ... على ماذا ؟ لا أحد يدرى ، فروعة الحب انه مجهول الأسباب ، أو هكذا كان إلى وقت غير بعيد ، ثم كانت نتيجة خلط الأوراق بين الحب والسياسة أن أصبحت السياسة معرضا مفزعا لكل درجات الانحراف الساديّ ـ المازوكيّ ، وأصبح الحب ـ أو ما كان يعرف قديما باسم الحب ـ مبنيا على المصالح .

وقد وضع افلاطون على لسان سقراط في « المأدبة » وصفا طريفا للحب ، على طريقة اليونان القدماء في تشخيص المعانى : أن الحب روح صعلوك متشرد . يسير حافيا ، وينام على الأرض أو في مداخل البيوت ، ولكنه شجاع وشهم وواسع الحيلة ، وقد كان من حسن حظه أو سوئه أنه ولد مع الجمال في يوم واحد ، فهو موكل بالجمال يتبعه ويخدمه ، ويحاول كلما استطاع أن يستولى عليه ويتملكه . وما احرى هذا الوصف أن ينطبق على الحب في أيامنا ، الا ان الحب لم يعد ذلك الماكر الظريف بل أصبح خشنا جافيا معتديا ، فقد راح يبحث عن أخيه الجمال فلا يجده في أى مكان ، فاذا صعد الى مبنى التليفزيون رأى « دُمى » تبتسم بلا روح ، واذا هبط الى فناء الجامعة رأى خياما سوداً تمشى على قدمين ، واذا ذهب الى احد الشواطىء لم تقع عيناه الا على ثدى مهدلة ، وكروش مدلاة ، فينكفىء حزينا يغمغم بقول العقاد رحمه الله :

**دعتك العرائس في بحرها**
**ففيم الوقوف على الساحل ؟**
**إلى الماء ! لا بل الى السابحين**
**(م) لا بل إلى الغرق العاجل**
**فليس على البحر الا غريقٌ**
**وإن لم يكن فيه بالنازل**
**سواحره احتشدت كلها**
**علينا فيا ويح للغافل !**

ويا طالما عاث الصبى مرحا على هذه الشواطىء نفسها في الزمن الغابر ، فخدع الغافلين امثالنا ولا حظَّ لنا من كل ذلك الجمال المحتشد الا النظر . ولكن أين تنظر ؟ هنا او هنا او هنا ؟ ويلعب « الحب » لعبته فاذا الشاب منا لا يفتن بجميلة بعينها بل يسحر بالجمال كله ، وانى لأعلم ان الكثيرين منا ربما ذهبوا بعد ذلك الى دور الريبة ( وكان البغاء العلنى قائما ) ففر هلعا من مناظر الساقطات .

فلا تلوموا ذلك الروح الماكر الظريف اذا انقلب شيطانا مريدا . لاتلوموه اذا شمر عن ساعديه وحشد البنين والبنات في مراقص « الديسكو » ولاتلوموه اذا شمر عن ساعديه مرة اخرى وبعث عصبة من الشبـاب المتحمسين بـالعصى و« الجنازير » ليهدموا « الديسكو » على من فيه فأخطئوه ودخلوا مسرحا . لاتلوموا « الحب » اذا اقترف كل الشناعات في الخفاء ، مادامت أبواب العمل المشروع

## القبض على
# الأشواك

قد سدت في وجهه . حتى حرم الحب الهادىء - البيت - لم يعد له مكان فيه !

ومعلوم أن الحب طائر نزق ، يسأم التكرار وتقتله العادة ، وتستهويه المغامرة . ويلذ له ان ينصب حبائله للغافلين لهذا لايطمع احد الزوجين أن تدوم لهما نشوة الحب اكثر من بضعة اشهر واحيانا بضعة اسابيع او ايام . الا ان للحب الزوجي أعوانا يخلفونه إذا غاب ، ويلتفون حوله ويسعون بين يديه اذا نزل : اعوانا نسميهم العشرة ، والوفاء ، والمودة ، والحنان . ولاسيما اذا اثمر الحب صغارا يؤرخ الزوجان حبهما باعمارهم . ويحلمان بالمستقبل في عيونهم ولكن هؤلاء الأعوان لا يألفون سوى البيت المستقر . وليس لهم حكم على سيدهم ، فهو يغيب اذا شاء ويحضر انى شاء . أما على الزوجين الحبيبين فحكمهم نافذ وكلمتهم قانون : فهم لايقبلون من أحد الزوجين ان يختفي شهورا بمحض ارادته ، تلك عندهم كبيرة الكبائر ، فما بالك اذا كان الاختفاء لسبب تافه ، كأن يشتري ثلاجة او فيديو او يضع جهاز تكييف في غرفة النوم ؟ فالحب وأعوانه معه لايكرهون شيئا كما يكرهون هذه الأشياء . وقد علمت أن الحب صعلوك ليس له هو شخصيا بيت ينام فيه . وهو يعرف بالطبع ان هذه حالة لا يمكن ان يصبر عليها أحد من البشر ، لأنه روح هائمة ، وهم أجساد لابد ان تشغل حيزا من المكان ، ولذلك يبارك البيت الصغير الذي يسكن فيه الزوجان الحبيبان . وهو بطبيعته يكره المادة ، ولكنه يعلم ان البشر مخلوقون من طين ، فهو يغمض عينيه خجلا كلما غلبتهما جبلّة الطين حتى يفيقا ، وعندئذ يتنهد ويضع على جبين كل منهما قبلة ، فقد تخففا من ثقل الجسد ، وعاد الى روحيهما الصفاء ولكنه اذا رأى الطين يبسط سلطانه على الروح ويسخرها لخدمته : مرة ملابس غالية يستر بها قبحه ، ومرة اصباغ ودهانات يغير بها شخصيته ، ومرة أجهزة تقيه الحر والبرد والرطوبة كي لا يتلف ، ومرة اجهزة اخرى تخدر الروح لتظل مطيعة لأوامره - فهنا ينفض الحب ذراعيه وربما رحل الى الأبد . وماله يبقى في بيت لاتنتهي له مطالب ، ولاتهدأ له ضجة ، ولا يعرف الواحد ممن فيه غير شهوة نفسه ، ولا يشعر بوجود الآخرين الا حيث يحتاج اليهم لقضاء بعض مآربه ؟ وماله يبقى في بيت لم يعد يرى فيه أبا يضع ابنه في حجره ويقص عليه حكاية ، ولا أخا يجلس مع أخيه ويعلمه لعبة ، ولابنتا تغني لعروستها ، ولازوجة تحادث زوجها في غير هموم البيت ؟ وهم على ذلك قد ملئوا جوانب المنزل بأشياء ، لا لزوم لها ! كراسي لايجلس عليها احد ، ودواليب مملوءة بأوان وملابس والحقة لم تعد تستعمل ، فاذا بحث الواحد منهم عن شيء يطلبه في هذا الركام لم يجده . والأدهى تلك « التحف » التي حصلوا عليها لا ادري من اين ، وزينوا بها الأركان والجدران مع ان منظرها يؤذي العين ويملأ النفس كآبة ، لاسيما والغبار يعلوها ويلتصق بها حتى يصبح جزءا منها . فماذا يصنع الحب في منزل كهذا وهو يكاد يعثر في كل خطوة ، مع انه يسير على قدم كما هو معلوم ؟يذهب الحب ويذهب بعده اعوانه . وتسكن الشياطين بدلا منهم ،

وهذه لامانع عندها من ان تسرب بين قطع الاثاث ، وتلبد فى الدواليب وتعشش تحت الكتب وتتكيف بحسب الموضع حتى تقيم بين المخدة وبياضتها ، فلا ينجو من وسوستها أحد فى يقظته أو نومه . وهكذا تلوث المرأة شرف زوجها فى غيابه وتستقبله مع عشيقها بالساطور إذا رجع . وتقتل البنت أخاها الذى حسب نفسه رجل البيت وراح يرصد تحركاتها ويفسد عليها تدابيرها .

## ● الحب شوق النفس

الحب لايعيش ابدا بين اناس فقدوا احترامهم لأنفسهم فالحب ليس شهوة من شهوات الجسد التى يشارك فيها الانسان الحيوان مثل شهوة الطعام والشراب . والدليل على ذلك ان شهوة الجنس اذا تملكت الانسان لم تنته باشباع حاجة معلومة فى وقت معلوم ، ولكنها تطغى وتتسلط ولاتبغى الا اذلال روحه ، شأن السلطان المستبد اذا انتزع الحكم من ولى الأمر الشرعى . الحب لايرضى شهوة الجسد الا ليطامن من كبريائه هو ، وليذكر نفسه بأن خالقه اودعه فى سلالة من طين . الحب شوق النفس الى مايعوزها . ولأن النفس نزاعة دائما الى الافضل فهى تطلب الجمال فيما تحب . ومن شأن من يطلب الجمال والكمال الا يقف عند حد . فليس من شىء يراه المرء جميلا الا وفوقه ماهو أجمل منه ، فاذا حصل على الأول وأصبح جزءا منه سمت به همة نفسه الى الثانى . ومن ثم كان الحب فضيلة والجمال باعثا على الفضيلة .

وربما كان الحب فى أرقى صوره حبا للخير ، بل حبا لله ، وهنا يوشك الحب أن يتجرد من بشريته ويصبح حبا روحيا خالصا . ولكن الانسان الذى خلق من طين ثم من ماء مهين وجعل له السمع والبصر والفؤاد ليحس ويشعر ويعقل ، ليس من شأنه أن يصل الى هذه المرتبة العالية دفعة واحدة . واذا كان الله جلت قدرته قد شاء أن يكون شعورنا بجمال المرأة هو أول نبضة فى حركة نفوسنا نحو الجمال ـ لحكمة بقاء النوع واستمرار خلافة الله فى الأرض ـ فليس فى مقدور أحد ان يدعى انه يحب الله وقلبه لم يخفق بحب المرأة . إن العيون التى لاترى جمال المرأة لاترى جمال الكون ولاتشعر بعظمة خالقه . وكان العرب الذين اكرمهم الله بأن خاطب الانسانية بلغتهم وحملهم قبل غيرهم رسالة الى الناس كافة ـ كان العرب هم أساتذة العالم أيضا فى حب المرأة على اختلاف ضروبه واشكاله . والذين لم يروا فى غزل الشعراء العرب بالمرأة سوى جانبه الحسى قد تعمدوا ألا يروا غيره ، انتقاصا من العرب وحضارتهم ـ ثم نبينهم بعد ذلك . أو هم إن احسنا الظن من مرضى النفوس الذين تؤرقهم خيالات الجنس بالليل وينكرونها بالنهار . إن غزل الشعراء العرب بالمرأة ـ وقد آن الأوان لينصفه الدارسون ـ يمزج الاعجاب بمفاتن الجسد ـ وهذه تتغير معاييرها من عصر الى عصر ـ بأشواق النفس التى اختص بها الانسان دون غيره من الكائنات ، ولازمت البشرية فى كل عصر وقبيل . والعرب راوا فى جمال المرأة كل جميل فى بيئتهم الطبيعية : عيون البقر ورشاقة الغزال وبهاء الشمس والقمر . وكان هؤلاء الاعراب الجفاة ـ كما يصفونهم ـ أعظم احتراما للمرأة من اليونان والرومان .

ثم ان الحب مادام نابعا من شوق النفس الى الجمال والكمال فلا يمكن ان ينبض الا فى نفس حرة ، ولايمكن أن يفرض بقانون او توجيه . حتى ولاحب الوطن ( رغم قول المغنّى ـ حتى ولا حب الله !

# الشيخ محمد عبده
# فى حركة التجديد الإسلامى

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

كان محمد عبده ذا أثر بالغ في تطور الفكرين السياسي والديني في مصر في أعقاب الاحتلال البريطاني فقد شهد ظلم إسماعيل وعاصر الثورة العرابية التي أيدها بكل قوة واهتز لفشلها خاصة وانه تلقى بعض العقوبات التي طبقت على اقطابها . ولقد عرف أسرار هذه الثورة وعانى من ضعف النفوس آلاما اجترها وهضمها اثناء منفاه في الشام ومقامه في باريس حيث كان يصدر جريدة «العروة الوثقى» بالاشتراك مع أستاذه جمال الدين الافغاني . وحين عاد إلى مصر بنى خطته على أساس الضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية التي تسببت في الديون ومهدت للاحتلال الأجنبي وأوقعت بالمصريين صنوفا من الظلم لا حصر لها . ولهذا فإنه ركز على الإصلاح الداخلي لأنه اقتنع بأن النهضة السياسية إذا لم تقترن بنضج اجتماعي وعلمي وثقافي لم تكن حرية بأن تؤتي مايرجى لها من ثمرات . ولهذا هادن هو وتلامذته الاحتلال واعتمد على مساندة اللورد كرومر في كل مااستهدفه من مشروعات إصلاح الأزهر والقضاء الشرعي وأكد النواحي العملية في الفكر والسياسة مما جعله زعيما للاتجاه الليبرالي الإسلامي الذى مالبث أن أصبح الإطار الفكري لتلاميذه الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث والمعاصر . ولو انهم اتهموا بالدفاع عن الاحتلال ، كما واجهوا الهجوم من جانب ذوى الفكر التقليدي بعد أن دعوا إلى تنقية الدين من الشوائب وفتح باب الاجتهاد .

وإذا كان جمال الدين الافغانى قد لعب دور سقراط بالنسبة إلى حركة التجديد الإسلامى فى مصر ، فقد لعب تلميذه محمد عبده دور افلاطون : ولقد أوضح آراء أستاذه ونظمها وطورها . وكان من رأيه ضرورة إثارة روح المسلمين وتوجيههم صوب أخوة إسلامية مشتركة مع الاحساس بكونهم مسلمين . فأحوالهم الاجتماعية والاخلاقية والثقافية يرثى لها ونواحى ضعفهم كثيرة بحكم أنهم كانوا يرزحون تحت عادات كثيرة ترتبط بالفساد والانحلال ولاتمت بصلة إلى الدين الإسلامى بمقدار ما كانت نتيجة لجهلهم بالإسلام الصحيح وفشلهم فى ممارسة مايعرفون . وعلاج كل ذلك لديه كامن فى الرجوع إلى الاسلام الصحيح .

ولكن ما هو الإسلام الصحيح الذى يجب أن يتمسك به المسلمون ؟ لقد حدد الاجابة على الوجه التالي : «ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وضبطه ... وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث فى أسرار الكون داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل »

● فهم صحيح للإسلام

وكان يرى أن الأمل الوحيد فى إحياء المسلمين يكمن فى العودة إلى أسس دينهم ووجوب اثارة يقظة ذهنية جديدة عن



الشيخ محمد عبده في بيروت عام ١٨٨٣ م

طريق التعليم والأخذ بالدراسات العلمية الحديثة بحيث يمكن للأمم الإسلامية أن تنافس الأمم الغربية ـ إذ انه كان يعتقد انه لايوجد شيء فى روح الحضارة الحديثة يناقض الإسلام الصحيح إذا ما أمكن فهمه فهما سليما والتعبير عنه تعبيرا سليما . فهو دين توحيد لا شرك فيه ، تنزيه لاتجسيم فيه ، وهو يعتمد على العقل ويستنهضه لادراك أن العالم له صانع واحد عالم قادر . والعقل لازم للدين لأنه المرشد إليه ، فى حين أن الدين لازم للعقل لأنه يكمله ويقومه . والإسلام الصحيح يفسح صدره للعلم ويدعو إليه ، لأن العلم يكشف أسرار الكون بحيث تتسنى معرفة الله وإجلاله ، وهو فى

# الشيخ محمد عبده

تفسيره حاول التوفيق بين الإسلام ونظرية المدنية الحديثة واتبع طرقا من التأويل للتوفيق بين الدين ونظريات العلم .

وكان محمد عبده يرى أن إصلاح المسلمين عن طريق دينهم أسهل واجدى من إصلاحهم عن طريق الاحتكام إلى العقل والأخذ بأساليب المدنية الأوربية . كما أنه دعا إلى الاحتكام الى العقل وفتح باب الاجتهاد بحيث تتسنى مواجهة المتغيرات الحديثة وبذلك تتخلص الشعوب الإسلامية من تخلفها وتستعيد مجدها الغابر . فمن رأيه أن سبب تدهور المسلمين ناتج عن الربط بين الدين والسياسة وبين الفلسفة والفقه وعن الموقف المحافظ الذى كان يقفه «العلماء» المتزمتون من هذين التحديين . ولهذا ذهب إلى أن أوضاع المسلمين لن تتغير إلا بتطوير العلم بالشكل الذى يتمشى مع الإسلام عن طريق السياسة . وكان شديد الإعجاب بمنجزات أوربا فى العصور الحديثة وبجدية مجتمعنا وإن كان يلمس صعوبة نقل قوانينها ونظمها . بحكم أن القوانين التى نبتت فى أرض مخالفة لاتنسجم وأوضاع البلدان التى تستوردها . بل قد تمعن عملية النقل فى تعقيد الأمور حين يتعذر فهمهما . وبالتالى لن تكون مرعاة للاحترام . فالأخذ بالنظم الغربية لديه لايكفى وحده لحفز الاصلاح الذى لن يتم إلا بالرجوع إلى مجموعة صغيرة من المبادىء التى يقبلها العقل . ولما كان يرى أن القانون الإسلامى هو التطبيق العملى للمبادىء على ظروف العالم المتغيرة فقد اتجه إلى إعادة تفسيره بالصورة التى تسمح باقتباس الجوانب الصالحة من الأخلاق الأوربية . وحين سعى إلى المصالحة بين العلم والدين . وحين أقر ضرورة إعادة النظر فى القانون الإسلامى بحيث يتمشى مع متطلبات العصر مهد الأذهان دون أن يدرى لظهور أفكار خاصة بكل من الدين والدولة تختلف عن أفكار الماضى .

## ● خطأ فى فهم أفكاره ●

على أن محمد عبده لم يوفق فى إخفاء الصبغة الإسلامية على التقليد الليبرالى القائل بوجوب الفصل بين الدين والدولة . كما لم يوفق فى التغلب على الاتجاهات العلمانية لدى أنصار العلم الحديث . ولقد عمل على التغلب على الشكوك التى أحاطت بكل من العلم والحضارة الغربية ، كما عمل على إضعاف الحلف القائم بين رجال الدين وبين السلطات التقليدية . ورفض الأساس التاريخى للأجماع الإسلامى وذهب إلى أن إجماع العقل وحده هو الصحيح والمعقول . وبالاضافة إلى هذا فقد ذهب إلى أن نظام الخلافة لا يدخل فى نطاق العقيدة الإسلامية وهو الرأى الذى اتيح لتلميذه على عبد الرازق أن يطوره ويحدث به ضجة خلال العشرينيات من القرن العشرين . وعلى أى حال فقد وفق محمد عبده فى فصل الجانب السياسى عن الجانب الدينى ، فأصبح كل منهما مستقلا عن الآخر ولو أن انفصالهما لم يكن كاملا .

ومن الطبيعي أن يخطيء معاصرو محمد عبده في فهم افكاره . فقد رفض المحافظون دعوته من اساسها ، على حين فضل تلامذته السير على نهج الأفغاني الذي كرس دعوته للنشاط السياسي وبخاصة ضد الاستعمار الغربي ، ولو أن نشاطه ادى إلى ظهور مايعرف بالسلفية التي قيض لتلميذه رشيد رضا ـ الذي كتب سيرته ـ أن يكون أهم دعاتها .. ولقد اتهم محمد عبده بأنه «لا أدرى» وأنه «معتزلي» و «ماتوريدى» كما اتهمته بعض الدراسات الغربية الحديثة بالالحاد ، وذلك كله رغم صعوبة ربطه باتجاه معين . حقيقة أن أحكام ابن تيمية كانت مصدرا لالهامه في الوقت الذي شغل فيه وظيفة الافتاء إلا انه لم يقبل تزمته ، وإن يكن الدكتور عثمان أمين ينفى تأثره بابن تيمية ومدرسته «المحافظة» التي ناصبت الفلسفة العداء ، وحين مزج محمد عبده بين عدة عناصر ليقيم نظاما عقائديا كان مبدؤه في الاختيار عمليا قبل أى شيء آخر . فالعمل لديه هو أعلى مراتب الكمال ، والمفاهيم الدينية من الواجب الأخذ بها لحث الناس على العمل والتمسك بالفضيلة ، ومن ثم فإنه كان يرى أن المفاهيم الوحيدة ذات القيمة هي التي تؤثر في حياة الناس العملية وتساعد على إطلاق الطاقات لتحسين الذات . وفي رأيه أن الفكر الإسلامي قد أخطأ حين انفصل عن الحياة وتأثر بالفلسفة الاغريقية مما شغله بمشكلات لم يكن لها أثر في الحياة . وربما كان محمد عبده متعدد الجوانب ، ولكنه كان تجريبيا قبل أى شيء آخر . وليس ثمة شك في أن المنهج الذي اتبعه كان أكثر ملاءمة للفكر العصري لأنه دخل في الاطار التاريخي وبالتالي أصبح ذا معنى . ومع ذلك فقد يكون من الخطأ افتراض أن تحليله تاريخي بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى وذلك لأن تاريخ علم التوحيد ليس علم التوحيد ذاته ، بل هو قصة انحراف الفقه الإسلامي عن أهدافه الحقيقية .

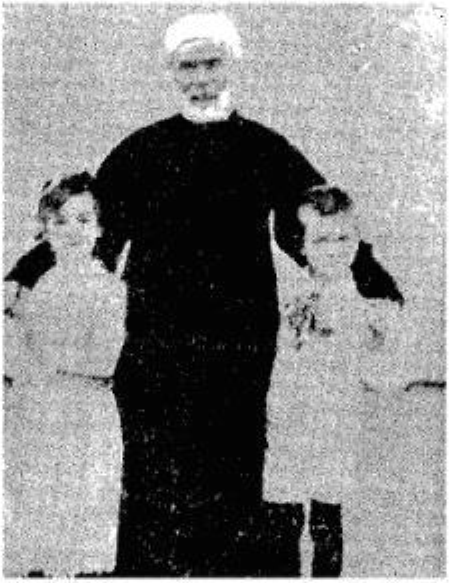
ولنا بعد كل هذا أن نتساءل : كيف اتيح لهذا الشيخ ، برغم اتجاهه السلفي أن يأخذ بمنهج من أحدث مناهج التحليل العصرية ؟ والاجابة على هذا التساؤل أنه كان ملما بعض الشيء بالفكر التاريخي الأوربي ونظريات التطور التاريخي ، وبخاصة نظريات علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الانجليز : سبنسر وفريزر ووسترمارك ، كما اطلع على مؤلفات رينان وتين وجيبون وجوستاف لبون وماكس نورداو . كما اعتمد في معظم مادة مقدمة كتابه «رسالة التوحيد» على مقدمة ابن خلدون التي قام بعض الوقت بتدريسها ، وكان يتفق مع ابن خلدون في اعتبار الدين أمرا لاغنى عنه في تحقيق السعادة الفردية والاجتماعية ومع الغزالي في اعتباره مسألة تتعلق بالقلب ولو أنه تجاوزهما في الدعوة إلى كبح جماح العاطفة الدينية بالاحتكام إلى العقل ، خاصة وقد تبين من تاريخ المتصوفة مضار هذه العاطفة .

وأغلب الظن أن تأثر محمد عبده بابن خلدون راجع إلى اشتراكهما في مواجهة صعوبة التوفيق بين المتناقضات الكامنة في التاريخ والفكر الإسلاميين وإلى اهتمامهما بإيضاح أسباب تخلف المسلمين . ولاتتمثل عصرية محمد عبده في تقبله للإطار التايخي كما لاتدخل في نطاق المحتوى الإسلامي نظرا لقبولها

المنهاج العربي في التحليل بل تتمثل في الفكرة السائدة لدى كثير من المسلمين عن التاريخ الذي يمثل لديهم الحق والصدق من الزاوية الدينية . ولهذا تكمل عصريته في رفضه للتاريخ ولأوضاع المسلمين في زمانه . ومن دلائل شدة ثقته في فعالية العقل انه اعتنق مبادىء حركة الاستنارة الأوربية في القرن الثامن عشر ، ومن تم ايمانه بالتعليم الذى مهد له الطريق بتمرده على تعاليم العصور الوسطى المدرسية وأخذه بالعلمية في الطبيعة والمجتمع وتاكيده لحرية الإنسان في الاختيار وللطبيعة الاجتماعية ـ النفعية للأخلاق ولتحكيم العقل في جميع مجالات الحياة

ولقد أدى تأكيد محمد عبده للنواحي العملية إلى تحويل ليبراليته الإسلامية بالتدريج ـ على أيدي تلامذته إلى ليبرالية إنسانية . فعلى حين أنه كان يرى أن الدين هو أساس الرابطة الاجتماعية مال تلامذته إلى إحلال الدافع الوطني محل الدافع الديني دون أن يمسوا أسس الإسلام ولهذا كانوا أكثر فعالية من كل من العلمانيين الصرف والمتدينين المحافظين ، وبذلك شكلوا مجموعة تقف في منتصف الطريق بين طرفين متناقضين هما التقليديون المحافظون والعلمانيون الصرف . مع ميلهم بمرور الزمن إلى الفئة الثانية التي قيض لها أن تتصدر الحياة العامة في مصر في أعقاب الحرب العالمية الأولى حين بدا عجز المحافظين الجامدين عن فهم العالم الحديث او السيطرة عليه مما حدد اختفاءهم عن المسرح على العكس من رافعي لواء الأفكار الحديثة التي لم يكن من السهل مقاومتها فقدر لها ان تزعزع أسس المجتمع التقليدي وتحاول إعادة تشكيله فلم يعد في وسع الإطار الإسلامي التقليدي الذي شكل أسس النظام الثقافي فترة طويلة أن يجتذب قطاعات واسعة من المثقفين بعد أن حولته عصور الركود السابقة إلى طقوس جامدة مشدودة إلى الماضي وعاجزة عن التكيف ، خاصة وأن الإسلام باعتباره نظاما عقائديا ، قد اضطر إلى الوقوف موقف الدفاع إزاء الحملات المتلاحقة التي شنها عليه الغرب . وكانت نتيجة كل ذلك ظهور فراغ في المجتمع العربي بوجه عام والمصري بوجه خاص وهو الفراغ الذي تصدت الوطنية والقومية لسده لدى المثقفين الذين اعتبروهما مجموعة من القيم الثقافية التي تحول إليها كثير من العواطف الجياشة التي ارتبطت في الماضي بالدين ومن ثم توجيههم لها لكي تكسب ولاء الجماهير .

ولهذا كان الافغاني قد ارتبط بحركة الجامعة الإسلامية فقد ارتبط محمد عبده بالمرحلتين اللاحقتين وهما مرحلتا البعث السياسي للإسلام وإصلاح النظرية القانونية والفلسفية في الإسلام . وكانت اراء شبيهة بتلك التي بلورها محمد عبده قد بدت في الأفق خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر حين بدت نفس الاتجاهات الاصلاحية لدى بعض المفكرين في اكثر البلدان العربية تقدما .



الشيخ محمد عبده فى تونس ١٩٠٣ م



الشيخ مع طفلى أستاذه المويلحى

وقد يكون من دواعى تبسيط الأمور أن نعزو هذه الأفكار إلى تأثير كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، بل إنه يمكن القول بأن أفكار هذين الرائدين لم تكن لتلقى النجاح الذى لقيته لولا وجود نفس التيار الذى عبرا عنه وإن تكن قد لقيت قدرا غير قليل من المعارضة التى استغلتها بعض الفئات ذات المصالح السياسية الضيقة فى تأليب الجماهير على دعوتهما خاصة وأن محمد عبده اصطدم بالخديو عباس الثانى الذى كان له انصار فى دوائر الأزهرية وتصدى له محمد عبده حين تفتحت شهيته لأراضى الأوقاف، ومن ثم استناد محمد عبده إلى اللورد كرومر للضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية ومحاولة كرومر الاستناد إلى تلامذة محمد عبده الذين أطلق عليهم اسم «العقلاء» وهم الذين أسسوا حزب الأمة وآمنوا بالمبادىء والنظريات الأوربية اللبرالية ومن ثم إيمانهم بالتأنى والحيطة والعمل للوطن بمداراة الاحتلال مادام أنه لم يكن من الممكن زحزحته بالقوة. وكان أحمد لطفى السيد رئيس تحرير «الجريدة» هو أبرز تلامذة محمد عبده هؤلاء وطفق يقدم لقرائه الأفكار الغربية ويتصدى للأستبداد وانعكاساته المباشرة فى الاخلاق والفكر وينادى بالدستور والحريات والحكم النيابى والاحتكام الى العقل ولشدة تأثيره فى التقدميين من أبناء الجيل الجديد اطلق عليه لقب «أستاذ الجيل».

ومن ناحية أخرى فإن تلميذا آخر لمحمد عبده هو رشيد رضا قد فسر آراء أستاذه تفسيرا سلفيا. فحين تكلم محمد





الشيخ محمد عبده مع عدد من العلماء وقائد انجليـــــزى وسلاتين باشا عام ١٩٠٥ م

عبده عن السلف الصالح كان يقصد بوجه عام مؤسس التقاليد للفكر الإسلامى من الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الغزالى ، على حين أن رشيد رضا كان أكثر جمودا من أستاذه ، ففسر السنية فى اتجاه الحنبلية الصارمة واستمد الكثير من تعاليمه من ابن تيمية وتأثر بالغزالى وحاول أن يحدد مجال العقل الذى أطلق محمد عبده سراحه وذلك بزيادة المصادر الملزمة إلى حد كبير لتشمل عددا من الأحاديث إلى جانب القرآن وبإعادة مبدأ الاجماع الذى ارتبط بفتـرة الخلفاء الراشدين .

وهكذا كان «الأستاذ الإمام» الشيخ محمد عبده يمثل مدرسة متعددة الجوانب طور تلامذته بعض مبادئها حسب تصورهم الخاص ولعبوا دورهم فى إثارة النهضة الفكرية والدينية التى شهدتها مصر بوجه خاص فى القرن العشرين .

# رأى الامام محمد عبده فى الفن





اذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر ، وضبطه فى دواوينه ، والمبالغة فى تحريره . خصوصا شعر الجاهلية ، وما عنى الاوائل ، رحمهم الله ، بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل . فان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى . أن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الاشخاص فى الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات فى

المواقع المتنوعة ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والاحوال البشرية ، يصورون الانسان أو الحيوان فى حال الفرح والرضا ، والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعانى المدرجة فى هذه الالفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض ، ولكنك تنظر فى رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهرا ، يصورونه مثلا فى حالة الجزع والفزع ، والخوف والخشية ، والجزع والفزع مختلفان فى المعنى ، ولم أجمعهما ههنا طمعا فى جمع عينين فى سطر واحد بل لانهما مختلفان حقيقة ، ولكنك ربما تعنى ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ، ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ؟ وما الهيأة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك ؟ أما اذا نظرت الى الرسم ، وهو ذلك الشعر الساكت ، فانك تجد الحقيقة بارزة لك ، تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك - اذا نزعت نفسك الى تحقيق الاستعارة المصرحة فى قولك : رأيت أسدا : تريد رجلا شجاعا ، فانظر الى صورة أبى الهول بجانب الهرم الكبير تجد الاسد رجلا أو الرجل أسدا ، فحفظ هذه الاثار حفظ للعلم فى الحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها .

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام ، وهى ما حكم هذه الصور فى الشريعة الاسلامية ، اذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجسمانية ، هل هذا حرام ؟ أو جائز ؟ أو مكروه ؟ أو مندوب ؟ أو واجب ؟ فاقول لك : ان الراسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الاذهان ، فاما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، واما أن ترفع سؤالا الى المفتى وهو يجيبك مشافهة ، فاذا أوردت عليه حديث : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » ، أو ما فى معناه مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى انه سيقول لك ان الحديث جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين : الاول : اللهو والثانى : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والاول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الاسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به ، فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة ، كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات ، وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف ، وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء ، مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع ، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكر ، واما اذا أردت أن ترتكب بعض السيئات فى محل فيه صور طمعا فى أن الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الاقل لا يدخل محلا فيه صور ، كما ورد ، فاياك أن

تظن ان ذلك ينجيك من احصاء ما تفعل ، فان الله رقيب عليك وناظر اليك حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لان فيه صورا !! ولا يمكنك ان تجيب المفتى بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة ، فانى أظن انه يقول لك ان لسانك ايضا مظنة الكذب ، فهل يجب ربطه مع انه يجوز أن يصدق كما يجوز ان يكذب ؟!

وبالجملة ، انه يغلب على ظنى أن الشريعة الاسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق انه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ولا من وجهة العمل . على ان المسلمين لا يتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها ، والا فما بالهم لا يتساءلون عن زيارة قبور الاولياء ، أو ما سماهم بعضهم بالاولياء ، وهم ممن لا تعرف لهم سيرة ، ولم يطلع لهم احد على سريرة ، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة ، وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع ، وهم يخشونها كخشية الله أو اشد ، ويطلبون منها ما يخشون أن لا يجيبهم الله فيه ، ويظنون أنها أسرع الى اجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى ، لا شك أنه لا يمكنهم الجمع بين هذه العقائد وعقيدة التوحيد ، ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية .

لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا أن نحافظ عليه لوجدته كثيرا لا يحصى عده ، ولم نحفظ منه شيئا ، فلنتركه كما تركه من كان قبلنا ، ولكن ما نقول فى الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغى أن نحفظها ؟ أو أضعناها كما لا ينبغى أن نضيعها؟ ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه ، فاذا أردت ان تبحث عن كتاب نادر أو مؤلف فاخر أو مصنف جليل أو أثر مفيد فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد ذلك فيها . أما بلادنا فقلما تجد فيها الا ما ترك الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية ، وقد نجد بعض النسخة من الكتاب فى دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الاخر فى دار الكتب بمدينة « كمبردج » من البلاد الانجليزية . ولو أردت أن أسرد لك ما حفظوا وضيعنا من دفاتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدة فى يد اوروبى فى فرنسا او غيرها من بلاد أوربا !!

نحن لا نعنى بحفظ شىء نستبقى نفعه لمن يأتى بعدنا ، ولو خطر ببال أحد منا أن يترك لمن بعده شيئا جاء ذلك الذى بعده أشد الناس كفرا بتلك النعمة ، وأخذ فى اضاعة ما عنى السابق بحفظه له ، فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا ، وانما الذى يتوارث هو ملكات الضغائن والاحقاد تنتقل من الاباء الى الاولاد حتى تفسد العباد ، وتخرب البلاد ، ويلتقى بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد .

# العلنية والتاريخ وحقوق الإنسان..
## الشق الثانى لثورة جورباتشوف

بقلم: عبد الرحمن شاكر

**مفاجآت السياسة الجديدة التى يتبعها ميخائيل جورباتشوف ، السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى ، وآخرها ـ حتى كتابة هذه السطور ـ كان ما أعلنته جريدة «ازفستيا» ، الناطقة بلسان الحكومة السوفييتية ،من الغاء امتحانات مادة التاريخ للطلاب الصغار ، من سن ست سنوات الى ست عشرة لان مايدرسه الطلاب فى هذه المرحلة ، كان مجرد مجموعة من « الاكاذيب » ـ على حد تعبير الجريدة ، يجرى تناقلها من جيل الى جيل !**



وبالطبع ، يندر أن يحدث فى بلد اخر شىء كهذا ، وأقصى ما يحدث عادة هو تغيير برنامج التاريخ فى صمت ، بالحذف أو الاضافة أو التعديل ، أما ادانة المادة برمتها على هذا النحو فهو يكاد يكون ادانة للتاريخ ! وتغيير النظرة اليه من جذورها ، ومن الطبيعى أن تكون هناك اعادة لكتابة منهج التاريخ للطلاب فى سن التلقى ٠ وقد سبق لخروشوف أن أدان كتاب تاريخ الحزب البلشفى الذى تمت صياغته فى عهد ستالين ، على أساس أنه قد ركز على تمجيد ستالين واخفاء أخطائه ، وأمر باعادة كتابة تاريخ الحزب البلشفى من جديد ، ولا أدرى ما اذا كان بريجنيف ـ بعد اطاحته بخروشوف فى عام ١٩٦٤ ، قد أصدر طبعة ثالثة من كتاب تاريخ الحزب البلشفى ، يبين فيها ما اعتبره أخطاء لخروشوف استحق من أجلها عزله ! على أن ما حدث أخيرا فى عهد جورباتشوف ، يتجاوز تاريخ الحزب البلشفى ، الى التاريخ العام للبلاد بأسرها !



جورباتشوف

ومن المعروف أن « الجلاسنوست » أو العلنية ، وعدم اخفاء الحقائق ، هى الشق الثانى من ثورة جورباتشوف ، المعروفة باسم « بيريسترويكا » أو اعادة البناء ( أنظر عدد يونيو الفائت من الهلال ) ، والعلنية هذه تشمل أمورا معاصرة ، من ذلك مثلا كارثة تشيرنوبيل النووية منذ أعوام قليلة ، فقد حاولت السلطات السوفييتية ، جريا على عادتها ــ التقليل من حجم الخسائر ، وبالتالى التهوين من حجم الكارثة ، وكان ذلك موضع استياء جورباتشوف ، الحديث العهد بالسلطة فى ذلك الحين ، وقد استند الى تلك الواقعة فى اعلان سياسته الجديدة باسم « جلاسنوست » ، وعدم اخفاء الحقائق ، أو تدليسها وتزويقها ، حتى يضمن مشاركة الشعب فى محاولة تدارك الاخطاء ، وخاصة الفئات المثقفة منه ، القادرة على التفكير والتعبير ، كما دعا فى بداية ممارسة السلطة الى تشجيع ممارسة النقد العلنى على جميع المستويات السياسية والحزبية والحكومية ، واعتبر أن الاشتراكية لا يدعمها اخفاء الحقائق وانكار العيوب والاخطاء ، بل اعتبر أن تدعيم الاشتراكية رهن بتدعيم الديمقراطية وربطها بها ، ولا ديمقراطية بلا حرية فى النقد أو علنية فى الحديث عن الحقائق .

**ان كثيرا من وجوه النقد كان يهمس بها المواطنون سرا ، خوفا من « الحكام » من القادة الحزبيين والبيروقراطيين ، اصحاب المصلحة فى اخفاء الحقائق ، حرصا على مكاسبهم المغتصبة احيانا عن غير وجه حق ، وربما بالفساد والرشوة ايضا !**

وهؤلاء هم الخصوم الفعليون لجورباتشوف من داخل حزبه ذاته ، ومصدر المقاومة لسياسته ، حتى لقد قيل انهم نجحوا فى اسقاط ثمانية من انصاره البارزين وحرمانهم من حضور مؤتمر الحزب الاخير ، ولم يسمحوا الا لاربعة منهم فقط بحضور هذا المؤتمر ، وهذا فى حد ذاته ، دال على مدى الصراع الذى يدور داخل المجتمع السوفييتى فى الوقت الحاضر ، مما يجعل بعض الدوائر تشفق على جورباتشوف ذاته والسياسة الجديدة ، أو « الثورة » التى يريد احداثها داخل هذا المجتمع الضخم الكبير ، من مغبة هذا الصراع واتساع نطاقه ، واستغلاله أيضا !

## ● الماضى والحاضر

على أن كثيرا من صراعات الحاضر ، كثيرا ما تتلبس بالماضى ، ويصبح الحكم على بعض وقائع التاريخ ليس مقصودا لذاته ، وانما

خدمة لموقف سياسى معاصر ! ولقد كان ستالين وتاريخه هو محور الخلاف حول تقويم التاريخ من عهد خروشوف الى الآن ، حيث أن أحدا لم يجرؤ أو يفكر فى توجيه النقد الى مرحلة لينين ، مؤسس الدولة السوفييتية ، قبل أن يتولى ستالين الحكم ، بل كل من ينتقد مرحلة ستالين ، يقول أنه يريد العودة الى اللينينية ، وجوهرها الصحيح ، بمن فيهم جورباتشوف فى كتابه « بيريسترويكا » ، وهو فى هذا الكتاب يكثر من الاستشهاد بكتابات لينين ، ويرد أصول سياسته الجديدة فى الاقتصاد السوفييتى ، بما فى ذلك السماح ببعض وجوه النشاط الاقتصادى فى القطاع الخاص » . الى فترة السياسة الاقتصادية الجديدة ، التى اتبعها لينين ، بعد انتهاء الحرب الاهلية وحروب التدخل ، وما صحبها من مشاعية الحرب . والواقع أن تلك السياسة التى اقتضت تشجيع التجارة من ناحية ، والسماح للمزارعين ببيع منتجاتهم فى السوق بدلا من تسليمها للدولة بالسعر الذى تحدده من ناحية أخرى ، كانت نوعا من الاقتصاد المختلط ، بما فى ذلك المشاريع التى تدخل الدولة فيها شريكا للقطاع الخاص ، وهو ما أطلق عليه لينين اسم « رأسمالية الدولة » ، واعتبرها خطوة نحو الاشتراكية ، وليست ردة فيها كما كان يرجف خصومه ومنتقدوه من أصحاب التفكير الحرفى المتسم بالجمود ، وتغيير تلك السياسة كما كان هو أهم ما أحدثه ستالين بعد موت لينين ، وذلك بفرضه سياسة المزارع الجماعية على الفلاحين ، الذين قاوموا تلك السياسة وقاموا أحيانا بحرق محاصيلهم وقتل ماشيتهم كنوع من العصيان المدنى ، وضربت السلطة السوفييتية على أيدى هؤلاء المتمردين بشدة ، وقد انتقلت أصداء المعركة الى داخل الحزب البلشفى الحاكم ذاته ، حيث تزعم «بوخارين» الدفاع عن صغار الملاك من الفلاحين ومنهم الاغنياء المعروفون باسم « الكولاك » ، ووصل الصراع بينه وبين ستالين الى حد أن ألقى ستالين القبض عليه وأمر بمحاكمته ونفذ فيه حكم الاعدام ! هو وكثير ممن أيدوه من أعضاء الحزب وقادته .

**وقد جرى أخيرا — فى عهد جورباتشوف رد اعتبار بوخارين — وقد غالى بعض المعلقين المعاصرين فى هذا الشأن ، والارجح انهم من اليهود ، وقالوا انه لو أعيد كتابة التاريخ السوفييتى لسميت المرحلة الماضية منه بأنها مرحلة بوخارين وليست مرحلة ستالين ! ذلك لان بوخارين كان يهوديا مثلهم !**

على أن ستالين — لو كان له عذر فيما فعل — فهو أنه كان على وشك الدخول فى صدام واسع النطاق مع ألمانيا النازية بوصول هتلر الى الحكم ، وكان يريد بانشاء المزارع الجماعية ضمان توفير الغذاء للعمال الصناعيين فى الصناعات العسكرية أساسا . وقد وقع هذا الصدام بالفعل ، وانتصر الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية ، وخرج منها بزعامة ستالين وهو احدى القوتين العظميين ، بل معسكرا دوليا كبيرا يضم دولا أخرى خلاف الاتحاد السوفييتى ، ولم يذهب جورباتشوف رغم نقده مرحلة ستالين الى حد انكار الانجازات الكبرى لتلك المرحلة ، وسوف يبقى طويلا الجدل حول الحكم التاريخى على مرحلة

ستالين ، سواء فى الاتحاد السوفييتى أو خارجه ، ولكن من الواضح أن الادانة المعاصرة لمرحلة فرض نظام المزارع الجماعية أيام ستالين ، والاشادة بالفترة التى سبقتها ، فترة « السياسة الاقتصادية الجديدة » التى اتبعها لينين ، انما المقصود منها العودة الى سياسة مماثلة ، وهو ما يعتقد جورباتشوف أنه ضرورى لاعادة بناء الاقتصاد السوفييتى ، الذى تخلف طويلا ، وخاصة بسبب ما ألقى عليه من أعباء ضخمة فى صناعة السلاح المتطور .

## ● حقوق الانسان

ومن أجل أن يتخلص جورباتشوف من تلك الاعباء ، لجأ الى طلب التفاهم مع الامريكان منافسيه الرئيسيين فى هذا المضمار ، على انهاء سباق التسلح ، وخاصة فى العصر النووى ، الذى لن يؤدى فيه سباق التسلح اذا ما استمر ، الى انتصار أحد الطرفين ، بل تدمير الحياة الانسانية كلها . وفى هذا السياق ، كانت مؤتمرات القمة المتكررة بين الرئيس الامريكى ريجان ، وآخر اجتماع لهما كان فى موسكو فى أواخر مايو المنصرم وأوائل يونيو .

وكعادة الامريكان ، كما طلب منهم السوفييت التفاهم حول العلاقات بين الدولتين العظميين ، أثار الجانب الامريكى ما اصطلح على تسميته باسم مسألة حقوق الانسان ! وهى لا تعنى من وجهة نظر هذا الجانب الا حق اليهود فى الهجرة من الاتحاد السوفييتى ، وحق نشر الدعاية الصهيونية بينهم ! وفى سبيل هذا الغرض ، التقى ريجان فى موسكو ببعض المنشقين اليهود واستمع اليهم ، وقدم قائمة لجورباتشوف تضم مطالب بعض اليهود بالهجرة للحاق بذويهم .. الخ ، وموضع اعتراض السوفييت الرئيسى أن اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتى لا يذهب كلهم ولا معظمهم الى اسرائيل ، بل الى الولايات المتحدة الامريكية ، وغيرها من الدول الغربية ، وكثير منهم يشغلون مواقع حساسة فى الاتحاد السوفييتى ولهم اطلاع على كثير من أسراره العلمية والاقتصادية والعسكرية ! ويقول السوفييت فى احتجاجهم على الامريكان أن حقوق الانسان ليست مقصورة على حق هذا الفرد أو ذاك فى الهجرة والتنقل من بلد الى آخر ، ولكن أيضا فى حقه فى الحياة الكريمة ، وقد قدموا بدورهم الى الامريكان بعض « قوائم » عن حالات من ضربهم الفقر بجرانه فى المجتمع الامريكى ذاته ! فضلا عن حقوق الانسان المهدرة فى الشعوب التى تعانى من القهر والتفرقة العنصرية من جانب حلفاء أمريكا ، مثل السود فى جنوب افريقيا ، ومثل الشعب الفلسطينى ، الذى يطالب الامريكان باطلاق الهجرة اليهودية الى أرضه المغتصبة ، لمزيد من التنكيل به واغتصاب حقوقه الوطنية المشروعة !

وعلى سبيل الترضية للامريكان ، للوصول الى تفاهم معهم حول نزع السلاح النووى أو تخفيضه على الاقل ، كرم السوفييت « أرمان هامر » الملياردير اليهودى الامريكى من أصل روسى ، الذى كان معروفا بأنه صديق لينين مؤسس الدولة السوفييتية ، وأهدوه نماذج مختارة من متعلقات صديقه الكبير الراحل !

على أنه - اذا كانت اعادة كتابة التواريخ من جديد ، أو على نحو صحيح مما يخدم الاغراض السياسية المعاصرة ، فقد احتفل الاتحاد السوفييتى منذ أيام بمرور الف عام على دخول المسيحية فى روسيا ، وقد

شارك الانبا شنودة بطريرك الاقباط فى مصر ، وعدد من ممثلى كنائس العالم فى هذا الاحتفال الكبير ، الذى يعتبر مجرد اقامته ، دليلا على اعتراف الاتحاد السوفييتي بحرية « الضمير » أو حرية المعتقد الدينى .

واذا كان السوفييت الآن بصدد وضع منهج جديد للتاريخ لتدريسه فى المدارس بدلا من « الاكاذيب » التى تتناقلها الاجيال ، فهلا أقدم المؤرخون السوفييت على اعادة كتابة التاريخ الروسى فى الفترة السابقة مباشرة على المرحلة التى احتفلوا بها أخيرا وهى دخول المسيحية روسيا ؟

ان وقائع التاريخ تقول ، ان بعض الامراء قد اعتنقوا المسيحية فى مقاطعة كييف ، عاصمة أوكرانيا حاليا ، وأن هذه المقاطعة كانت جزءا من « امبراطورية » يهودية اسمها « خزريا » ، كانت عاصمتها فى مدينة « اتل » عند مصب نهر اتل ـ المسمى حاليا بالفولجا ـ فى بحر قزوين ، الذى كان يعرف ، ولا يزال الفرس يعرفونه حتى الآن باسم بحر الخزر . وأن هذه الدولة اليهودية انما قامت ـ قبل دخول المسيحية الى روسيا ـ بعدة قرون . وكان حكامها المعروفون باسم « الخاقانات » وثنيين .. حتى قرر واحد منهم ، بعد الحروب المتوالية بين تلك الدولة ، والدولتين الاموية والعباسية فى العالم العربى ، اعتناق اليهودية ، كان أول من اعتنقها من حكام تلك الدولة هو الخاقان بولان ، ثم جاء من بعده الخاقان « عبديه » ، الذى اتخذ هذا الاسم « العبرانى » ، وقضى بأن لا يتولى ملك الخزر الا من يعتنق الديانة اليهودية ، فاعتنقها معظم رجال البلاط فى عهده ، وتبعه معظم أبناء شعب الخزر ، حتى اعتنق الامراء الروس فى كييف المسيحية ، وتغلبوا بالتحالف مع بيزنطة على دولة الخزر ، وأطلقوا على البلاد اسم روسيا ، وجعلوا المسيحية ديانتها السائدة .

وفى عصور متأخرة حاول بعض القياصرة الروس فرض « الترويس » على رعاياهم من الاجناس الاخرى ، بمن فيهم المسلمون التتر ، واليهود الخزر ، وأن اضطهاد اليهود فى عهد هؤلاء القياصرة ، انما كان جزءا من سياسة الترويس ، وهو أصل الحركة الصهيونية ، التى تحاول انكار هذا التاريخ ، واستبداله بواحدة من الاكاذيب الكبرى به ، بادعاء أن يهود العالم هم سلالة شعب اسرائيل الذى تشتت فى أرجاء الارض ! بينما الحقيقة التاريخية هى أن معظم يهود العالم هم من شعب الخزر الذى اعتنق اليهودية فى زمن متأخر جدا عن انتهاء اسرائيل التوراتية ، بمن فيهم الجالية اليهودية الكبرى فى العالم ، وهى الجالية الامريكية ، الراعية الكبرى حاليا للصهيونية المعاصرة ودولتها المغتصبة لارض فلسطين .

بقى أن نقول أن جورباتشوف ذاته يقول عن نفسه انه جاء من جنوب روسيا ، حيث كان يعيش الخزر ، وربما يكون سليل أسرة خزرية فرض عليها الترويس واعتناق المسيحية فى عصر نقولا الاول ومن تلاه .

**اذا كان جورباتشوف لا تعجبه « الاكاذيب » التى تدرس باسم مادة التاريخ للتلاميذ الصغار ، فلماذا لا يأمر باعادة كتابة التاريخ ، بدءا من تاريخ قومه الاقربين ؟!**

# لقاء خاص بالغناء والموسيقى

■ تعودنا ـ عزيزى القارىء ـ أن نلتقى من حين الى حين فى جزء خاص من «الهلال» للفن التشكيلى أو الشعر أو القصة أو السينما أو المسرح .. ولم يسبق لنا ان التقينا فى جزء خاص بالغناء والموسيقى . ولعل هذه اول مرة تفرد مجلة مصرية أو عربية من مجلات الأدب والفكر جزءا خاصا بالموسيقى والغناء .. ومن حسن حظ «الهلال» ان يكون هو صاحب المبادرة فى هذا المضمار ..

الغناء هو الفن الثانى عند الانسان العربى بعد الشعر أو مع الشعر ، لأن الغناء بضروبه وأوزانه وإيقاعاته كان دائما الصديق الملازم للشعر .. وقد اكتمل بالغناء معنى الكلمة القديمة التى تقول : «الشعر ديوان العرب» .. ولامناص لاكتمال هذا المعنى من ضم الغناء الى الشعر فى هذا الديوان العربى القومى العريق الذى كان ومازال سجل وجدان الانسان العربى وطربه وشوقه ورقته وحماسته ! ..

وفى الغناء العربى مقام يسمى «راحة الارواح» .. وهو باسمه هذا يصف الغناء بابلغ وصف ، فالغناء راحة الارواح حقا ، بل ان الغناء هو الفارق بين الروح الحى والجماد الميت ! .

وفى الغناء العربى ايضا مقام يسمى «الصَّبا» ـ بتشديد الصاد وفتحها ـ والصبا هى الرياح الطيبة العليلة التى تغنى بها شعراء العرب قديما فقال أحدهم :

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

وقد استعار المغنون العرب اسم الصبا لهذا المقام كأنهم أحسوا من هبوب انغامه الشجية على أسماعهم واكبادهم ، ما يحسونه من هبوب ريح الصبا بعطر الأحباب ! ..

وفى الربيع الماضى التقينا فى «الهلال» بجزء خاص عن الشعر ، وها نحن أولاء نلتقى فى هذا الصيف بهذا الجزء عن الغناء والموسيقى ، وقد اخترنا لك هذه البحوث والكلمات ذات المستوى الرفيع ، وندعوك يا عزيزى القارىء الى سماع هذه الكلمات ـ كلها أو بعضها ـ بحسب ذوقك واختيارك ، وكأننا ندعوك إلى حفل حافل يضج بالموسيقى والغناء ونرجو أن تتقبل الدعوة .. ■

# حول الموسيقى

# أفكار وأحاسيس

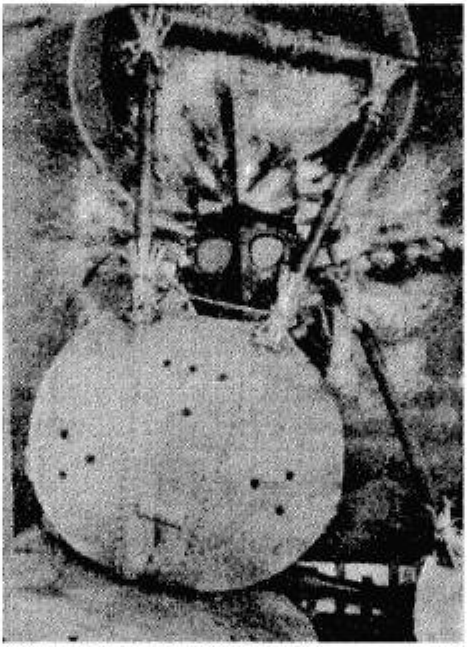
بقلم : د. محمد عبد الهادي أبو ريده

**الموسيقى ظاهرة عامة فى حياة الانسان ، وهى قد نشأت على نحو تلقائى بمقتضى فطرة الانسان فى التعبير عما فى نفسه بالصوت . وهذا ليس مقصورا على الانسان ، بل إن كل حيوان مصوّت ، كما يرى الفارابى فى «كتاب الموسيقى الكبير» ، له فى كل حال من أحواله أنغام يعبر بها عن نفسه ، وما يلم بها من لذة أو ألم أو خوف أو طرب أو رحمة أو غضب ... وهذا شىء غير مجرد الكلمات التى يستعملها الانسان أو الأصوات التى تخرج من الحيوان للتعبير عن أمر من الأمور يريد أن يعلم غيره بها .**

ونحن نصرف النظر عن الأصوات التى تصدر عن الأشياء الطبيعية مثل خرير الماء وصوت أمواج البحر الهادئة وحفيف الأشجار وجلجلة الرعد بما فيها من روعة أصوات الطبيعة وجلالها .

وربما كان النغم على أبسط صوره من الأمور الملازمة للانسان ، ويرى البعض أنه «ليس من أحد ، كائنا من كان ، إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه» ، وهذا كثيرا ما يحدث عند أهل الصناعات ليتغلبوا به على الملل والفتور فى نشاطهم ، ولذلك يترنمون بالألحان فتستريح اليها أنفسهم .

لكن النغم ، كما نعرفه فى صناعة الغناء ، شىء آخر ظهر مع تطور الحضارة وتفتح المواهب الغنائية الكامنة فى النفوس وصار فنا وعلما كبيرا .



٣ آلة الطنبور

وإذا كانت الألحان والأنغام ، سواء صدرت من صوت انسان أو عزفها بآلة ، شيئا يعيشه الانسان الا انه يصعب تحديد طبيعة موسيقاه أو تعريف الموسيقى نفسها .

وقد نجد من يعرف صناعة الموسيقى من الغربيين بأنها «صناعة تأليف الأصوات الانسانية أو أصوات الآلات بقصد اظهار الجمال في الأداء أو التعبير عن الانفعالات» . ويعرفها الفارابي بأنها «الصناعة التي تشتمل على الألحان وما بها تلتئم وما بها تصير أكمل وأجود» .

لكن مثل هذه التعريفات وصفي موضوعي ، أما عند من يلحن أو يعزف أو يغني أو يستمع ويتقبل ، فكل ذلك تجربة ذاتية . وهنا نجد عبارات تشير الى أحاسيس أخرى وفيها اشادة بصناعة الألحان وتأثيرها المتنوع في الانسان . ولنقرأ ما يقوله الإبشيهي في «المستطرف» في صناعة الأصوات ، هي :

"مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، وسلاة الكئيب ، وانس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس" .

ويحكي الإبشيهي من قول الفلاسفة : «ان النغم فضل من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه ، فاستخرجته الطبيعة بالألحان ، على الترجيع لا على التقطيع ، فما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح» .

وهذا الكلام ليس عجيبا ، لأن الأحوال النفسية التي تصدر عنها الأنغام ويتقبلها السامع شيء تعيشه النفس ، وفي كثير من الأحيان لا يمكن التعبير عنه تعبيرا كافيا ، لا بالأنغام ولا بالكلام العادي ولا حتى بالشعر الذي ربما كان قد اقترن بالموسيقى

من أول الأمر ، لكن فى الألحان والأنغام سلوى وعزاء وتهدئة للنفس وشفاء ، عند الملحن والمتقبل على حد سواء .

## ● صلة وثيقة

والأحاسيس العظيمة لا يمكن التعبير عنها ، وقد صدق الشاعر الايطالى بيتراركا Petrarca (ت ١٣٧٤ م) فى قوله على سبيل الرمز فى هذا الصدد : "ان النار التى يمكنها ان تقول الى أى حد تتأجج هى نار صغيرة" ، يقصد أن كل ما نستطيع التعبير عنه فهو شىء صغير . لكن الصلة بين اللغة العادية خصوصا الشعر ، وبين موسيقى الآلات صلة وثيقة على أساس المجانسة فى التأليف والوزن والايقاع .

واذا اجتمع المعنى الشعرى الحسن وجودة الصناعة الموسيقية فى لحن تام الايقاع من صوت جميل . وكذلك اذا كان المغنى حسن الوجه ، تضافرت عند ذلك عناصر الجمال ، وكملت المتعة الجمالية . ولم يقتصر ادراك ذلك على أصحاب صناعة الموسيقى ، بل هو أيضا عند أهل الروح الرفيعة من علماء الدين .

ثم إن الأمر هنا لا يقف عند المتعة الجمالية ، بل هو يتعداها الى أمور انسانية أخرى . ومنذ قديم لوحظ تأثير الألحان والأنغام فى تخفيف آلام المرض ، بل فى الشفاء أيضا بفضل التأثير فى مزاج النفس وامتداد التأثير الى مزاج البدن .

والذين تكلموا فى الأنغام والألحان عرفوا ما كان يقوله الأطباء من أن «الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق ، فيصفو له الدم ، وتنمو له النفس ، ويرتاح له القلب ، وتهتز له الجوارح ، وتخف له الحركات ، ولذلك كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب» .

ومن الأصوات الجميلة العادية مايجب الانسان أن يطول سماعه له فى الحديث العادى . وقد فهم بعض المفسرين من قوله تعالى : «يزيد فى الخلق ما يشاء» أن ذلك هو الصوت الحسن ، لكن الحق أن الصوت الحسن ، وان كان موهبة طبيعية جميلة ، الا أن هناك مواهب أخرى كثيرة يزيد الله فيها ما يشاء .

## ● ميتافيزيقا الألحان والأنغام

وقد كان جمال الألحان والأنغام وأخذها بمجامع القلوب موضع حيرة نشأت عنها تصورات للموسيقى وما يمكن أن نسميه ميتافيزيقا الألحان والأنغام .

وأول ذلك هو التسمية نفسها ، فلفظ «موسيقى» يرجع الى لفظ يونانى mousiké: وهو بدوره يرجع الى لفظ «موزا» mousa اليونانى ، وهو اسم كان يطلق على إحدى بنات الآله زيوس التسع التى كان اليونان يتصورون انها توحى الفنون الجميلة كالشعر والموسيقى وفنون العلم والمعرفة . وكان لفظ «موسيقى» يطلق على فنون عدة ، لكنه صار يطلق على صناعة الأنغام والألحان وحدها .

وكان من الفلاسفة القدماء والى العصور الحديثة من يزعم ان للأفلاك موسيقاها ، وأنه على مثالها ظهرت الموسيقى على يد البشر ، بل إن أحد فلاسفة اليونان زعم انه سمع موسيقى تلك الأفلاك .

وآخرون ذهبوا الى أن موسيقى أهل الأرض ظل ومحاكاة لموسيقى فى عالم أعلى تصوروه ... ونحو ذلك من آراء .

هذا ، وقد جاءت موسيقى بعض الأمم نتيجة لنظرة كل منها للأشياء ، وتمثلت فى عدد الأوتار : عند الهند وتر واحد ، فعندهم أن النفس واحدة ، أما عند بعض أهل ايران فهناك وتران ، على أساس تصورهم الاثنينية فى كل شيء . وعند الروم ثلاثة أوتار .....

والإنسان قد يعجب لمثل هذه التصورات ، كأن النفس البشرية بما يختلج فيها من أحاسيس وانفعالات لا تكفى لتفسير صدور أنغام تصوغها النفس بوسائل النطق أو تصنع لاخراجها أنواع الآلات التى تحاكيها .

والحق أن النفس الانسانية بعيدة الغور ، وأعمق من كل ما يتصوره الكثيرون . واذا كان بعض الفلاسفة مثل هيردر Herder (ت ١٧٧٤ م) قد ذهبوا الى أن فى النفس بطبيعتها أنغاما ومنها تتشكل أنواع من الانغام تصدر عن النفس ، فان احد فلاسفة الاسلام وهو ابو سليمان السجستانى ، فى القرن الرابع الهجرى ، ذهب الى مثل ذلك وان النفس فيها الأنغام والألحان ، وهى تتجلى وتتفتح بفضل الصناعة والتدريب .

ومن المعلوم أن الأنغام والايقاعات ، كما يرى الكندى أول فلاسفة الاسلام الذى ألف فى الموسيقى ، لا تحصى ولا يمكن الإحاطة بها ، ومن هنا تتسنى امكانيات للتعبير الموسيقى أو الغنائى لا حدود لها ، اذا لم تتقيد النفس بمعايير معينة فى عصر معين فتأخذ صورة ثابتة تحول دون الاستمرار فى الإبداع .

وعلى كل حال فان الموسيقار الموهوب والمغنى المبدع يبلغ فى اتقان صنعته حدا كبيرا حتى يوصف ابراهيم الموصلى ذلك المغنى المشهور بأنه «بستان فيه جميع الأزهار والرياحين» وقد قيل أيضا فى ابن محرز المغنى الكبير للدلالة على مقدرته على تنويع ابداعاته بما يرضى كل انسان : «كأنه خُلق من قلب كل انسان» .

ويقول الكندى فى هذا المعنى «إن الموسيقارى الباهر الفيلسوف هو الذى يعرف ما يشاكل كل من يلتمس إطرابه من صنوف الإيقاع والنغم والشعر ، مثل حاجة الطبيب الفيلسوف الى أن يعرف أحوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته» .



وإذا كان لا حدود لإمكانيات تركيب الإيقاعات والأنغام فهل النفس التى تتقبلها تقف عند ما قد تدفعها إليه الأنغام والألحان أو تحدثه فيها من سرور وطرب أو حماس وغضب او حزن او هدوء أو جود وكرم ... أم ان للنفس انواعا من الأشواق والتطلعات الرفيعة ؟

الحق ان القلوب كما وصفها الامام الغزالى «خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها ، كما طويت النار فى الحديد والحجر ...» وسماع الألحان والأنغام هو الوسيلة الى استثارة خفايا القلوب ، وهى تخرج من كل قلب ما كمن فيه .

## ● تأثير الموسيقى

للموسيقى تأثير فى جميع أنواع الحيوان ، ولعل لها تأثيرها فى النبات ايضا ، ونحن حتى الآن لم ندرس النبات دراسة كافية . والمهم أن الفلاسفة كما يقول الكندى صنعوا من الآلات ما يناسب اجناس الحيوان فتأتى منقادة للصوت وتطرب له . ولكل جنس من الحيوان آلة سمعية تحركه عند سمع الأصوات الموسيقية ، حتى لقد يخرج التمساح ويطفو ويقترب من السفن وكذلك عتاق الخيل . والطواويس اذا سمعت موسيقى الأوتار نشرت اذنابها وجلت نفسها . وقد لوحظ أن النحل اطرب انواع الحيوان .

اما الذى تخلب الألحان والأنغام لبه فهو الانسان ، وذلك يرجع الى انه ارقى تكوينا واوسع خيالا ، وروحه اكثر استجابة واوسع فهما . ولا ننسى أن الأنغام والألحان تصدر عن نفس كأنها لغة تخاطب بها نفسا أخرى . والمتخصصون فى تأليف الألحان والأنغام يقولون ان التجربة الموسيقية تشترك فيها العاطفة والفكر . والحق انه لا يمكن أن تنفعل النفس بالألحان والأنغام الا اذا مرت بالفكر على نحو حدسى مباشر لا يفطن اليه الانسان ، وبعد ذلك يأتى الانفعال او الانبعاث للعمل ، وهذا يجعل عالم الألحان والأنغام عالما إنسانيا متكاملا .

ونحن قد نلاحظ فى انفسنا ان الأنغام والألحان الجميلة المتناسبة ، من غير لغة تصحبها ، قد تحرك نفوسنا ، كأنها توقظنا من غفلة ، وعند ذلك يبدأ التأثر والانفعال من غير ان يكون هناك موضوع معين ، لكن يحدث على كل حال نوع من الشوق والحنين ، وهذا ربما يكون حنينا لشىء مضى او كان أملا ولم يتحقق ، ثم توارى هو ونكراه فى اعماق الوعى .

غير انه توجد هنا آراء فلسفية ودينية : فيتحدث بعض الفلاسفة عن «العالم الشريف» الروحانى الذى تنتمى اليه النفس ، فتتذكره اذا سمعت الألحان والأنغام .
والإمام الغزالى يفسر هذا الشوق الذى لا يعرف الانسان الى اى شىء هو ، فيرى

أن هناك مناسبة بين نفس الانسان وبين العالم الأعلى الذي يتحدث عنه الدين وما فيه من أنواع السعادة ، لكن الانسان فى غمرة اشتغاله بالدنيا ينساه فتحركه الأنغام الجميلة من غير أن يستطيع التعبير .

أما أهل الوجد من الصوفية فان كل ما يسمعونه من ألحان او أنغام ومن اغانى الحب أو الشوق يحرك قلوبهم الى الله تعالى ، ولهم فى ذلك أقوال رائعة وأشعار بديعة اشتملت عليها مصنفاتهم .

وأحسن من ذلك تفسيرا واوقع فى النفس قبولا ما يؤخذ من آيات القرآن وما جاء فيه من أن الله تعالى خاطب الأرواح فى الأزل وأشهدها على انفسها بربوبيته لمَّا خاطبها بقوله :

«الست بربكم ؟» فقالوا : «بلي شهدنا»

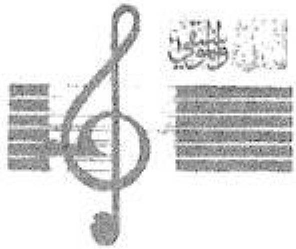
ومن هنا فان الأرواح اذا سمعت ما يذكرها بذلك الميثاق الاول فانها تتحرك بالشوق اليه . وقد ردد شعراء الصوفية هذا المعنى واهابوا بالانسان أن يزكى نفسه ويطهر قلبه حتى يسمع ذلك الخطاب الالهي ويستجيب له .

ومن الشعر الرائع فى هذا المعنى ، الأبيات الأولى التى افتتح بها جلال الدين الرومى (ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م) ديوانه «المثنوى» وهى ابيات أعجب بها الأوربيون وترجموها شعرا الى لغاتهم . وفيها يجعل الرومى من الناى وشوقه الى أرض الغاب التى نزع منها ، رمزا للشوق الأصيل فى نفس الانسان الى العالم الشريف الذى كان فيه . وها هى ذى الترجمة ، كما أخذتها من كتاب الأستاذ الكبير الدكتور عمر فروخ «التصوف فى الاسلام» :

اسمع الناى ما يقصُّ ويحكى ... هو يشكو من الفراق ويبكى
قال : إنى قُطعت من قصباء ... فبكى الناس كلهم من غنائى
هات صدراً مُقطعاً بالفراق ... لأبث الآلام من أشواقى
كل من غاب عن ذويه وكيدا ... رام عود الزمان حتى يعودا
انا فى كل مجمع وفق أهله ... فى عسير الزمان او فى سهله
كلهم ظن انه لى حبيبُ ... وهو عن سر خاطرى محجوبُ
ان سرى ياصاحِ لحنى يُذيعه ... غير ان الآذان لا تستطيعه
صوت نايى نار وما هو ريح ... كل خالٍ من ناره فهو ريح
هى نار الغرام فى الناى تُلفى ... وهى غليُ الغرام فى الخمر عُنفاً
ان ذا الناى إن تمادى انينهُ ... كان خِدنا لمن جفاه خدينهُ

## ● التعبير الموسيقى

يحسب بعض الناس أن دور الموسيقى فى الحياة مقصور على أنها تعبر عن انفعالات النفس البشرية . نعم ، للانفعالات مكان كبير فى ذلك ، وفى بعض العصور



التى تطغى فيها العواطف على العقل والحكمة تتغلب التعبيرات العاطفية عن أمور الحب والتذلل والشكوى من الهجر والغدر . وقد تنحدر الموسيقى الغنائية الى التفاهات فى الأغانى التى تتجاوز اللهو الطبيعى المقبول الى العبث الذى لا يصلح لتربية أى امة وليس فيه معان تسمو بالعاطفة الانسانية .

أما فى عصور الحضارة القوية الجادة فان الموسيقى ، وكذلك الشعر ، يصبحان لغة بالألحان وبالكلام تصف أمورا كثيرة ، فالالحان قد تعبر عن ظاهرات الطبيعة فى روعتها الديناميكية ثم فى هدوئها الجميل أو تصف الطبيعة فى الريف الجميل الوديع وقد يتكلم الملحن العميق الروح بلسان الطبيعة نفسها : السماء فى روعتها ، وهى تمجد الخالق وتشهد له بالعظمة والجلال . أو يعبر عن قضايا كبرى فى حياة الانسان أو عن البطل وروح البطولة . أو يترجم الى لغة الألحان قصيدة فى المعانى الانسانية . ويكون لهذا كله تأثيره فى تربية الانسان .

## ● اللذة الروحية

لا شك ان من الألحان والأنغام ما يختلس من الانسان عقله ، ويكون مصدر لذة روحانية حقيقية . ففى القطعة الموسيقية أو الأغنية الكبيرة لحن أو نغمة تكون بمثابة الروح أو ذروة الحسن فى الصوت والأداء . والانسان لا يمل سماعها مهما تكررت ، وهذه اللذة هى نظير المتعة البصرية الجمالية التى يدل عليها قولهم :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا .

وقد عبر أصحاب صناعة الألحان والأنغام عن هذه المعانى ورأوا فى الموسيقى عنصر السمو بالروح . وأن سماعها يدل على الروحانية . وهم يؤكدون أن كل اللذات البدنية فيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح . الا لذة السماع للألحان والأنغام ، فهى بعيدة عن ذلك . وهى تدعو إلى مكارم الأخلاق وتبعث على الشجاعة والاقدام .

وللإمام الغزالى عبارات فى انفعال الانسان أمام الجمال بوجه عام ، فيقول : "من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج" . ومن لم يتأثر بسماع الأنغام والألحان الجميلة فهو مائل فى طبيعته عن الاعتدال ، وبعيد عن الروحانية ، واذا كانت الألحان تؤثر فى أنواع الحيوان فان الانسان أولى بأن يتأثر بها وان يستفيد منها رقة فى الطبع وفى أحوال القلب .

## ● الموسيقى والأخلاق

منذ العصور القديمة ، فى الحضارة الانسانية ، فطن الساسة والحكماء الى دور

الموسيقى فى التربية . فقد اهتم كونفوشيوس ( ت حوالى ٥٥١ ق . م ) بأن يجعل الموسيقى جزءاً من تكوين "الانسان الرفيع" وأن يستفيد منها فى تكوين مجتمع منظم سعيد ، وعنده أن الموسيقى مرآة تتجلى فيها شخصية الانسان من شتى جوانبها ، والانسان الذى يتذوق الالحان هو المؤهل للاضطلاع بمهام الحكم وتدبير الأمور .

ثم جاء افلاطون ( ت ٣٤٧ ق . م ) فاهتم بالموسيقى ، وجعل منها ، الى جانب الرياضة البدنية ، عنصراً أساسياً فى تربية الشباب ، لكن مع تجنب التعقيد والالحان العاطفية المائعة . وعنى حكماء اليونان بوجه عام بالموسيقى وجعلوا منها عنصراً فى الحياة الطيبة فى حدود الاعتدال والفضيلة .

ولم يزل الاعتراف بالدور الأخلاقى للموسيقى موجوداً عند فلاسفة الغرب ، مع الاهتمام بالبساطة والبعد عما يثير تخيلات غير أخلاقية ( ديكارت ، وليبنتز ) . ورغماً عما فى الموسيقى من بهجة وسرور فانها يجب أن تفرض على الانسان واجبات السمو الخلقى والروحى . واذا كانت الموسيقى تحرر الانسان واحاسيسه من بعض شوائب الحياة وقيودها ، الا أنها توجب على الانسان أن يدرك واجباته وأن يحتمل مسئولياته بقرارات يتخذها عن حرية واختيار .

## ● الموسيقى عند أهل الأديان

كان للموسيقى شأن كبير فى المسيحية ، خصوصاً مع استعمالها عنصراً مساعداً للكلام ، وكل ما أوصى به علماء العقائد هو توخى البساطة والبعد عن الالحان التى تثير الشهوات . وعند بعضهم أن الموسيقى تمثل شيئاً علوياً ، ومنهم من أرادها عنصراً مساعداً على التقوى والأخلاق الرفيعة .

## ● الموسيقى فى الاسلام

كان عند العرب فى جاهليتهم غناء وقيان ، فلما جاء الاسلام وجههم الى حياة الروحانية والجهاد ، لكن الغناء كان فى مدن الحجاز .

ولما استقرت الدولة وعرف المسلمون حضارات الأمم اهتموا بالتراث الموسيقى ودرسوه ، وسرعان ما شرعوا يؤلفون فى الغناء والموسيقى ، الى أن ظهر الكندى أول فلاسفة الاسلام ( ت حوالى ٢٥٢هـ/ ٨٦٦ م ) فدرس الموسيقى وألف فيها كثيراً

من الكتب ، وتابعه فى ذلك فلاسفة الاسلام ، وكلهم كانوا على فضل ودين .

ولا يتسع المقام للكلام فى الموسيقى عند المسلمين وعن ابداعاتهم واستحداثهم الحانا وأنغاما لم يعرفها أحد قبلهم . ونكتفى بالاشارة الى أن الكندى اهتم بتأثيرالموسيقى فى الانسان من ناحية تأثيرها فى الصحة ، الى حد القول بأنها تؤثر فى الطعام "بالتلطيف والتنظيف" ، بعد فعل المعدة فيه ، لكن يظهر انه أدرك العلاقة بين الألحان والأنغام وبين مراكز الادراك فى الدماغ ( الخ ) وما قد يصيبها .

وقد حكى جمال الدين القفطى فى كتابه "أخبار الحكماء" ما يدل على أن الكندى كان يعالج بعض ما يصيب الانسان ، مستعملاً الألحان ، فيقول :

"ومن عجيب ما يحكى عن يعقوب بن اسحق الكندى هذا ، انه كان فى جواره رجل من كبار التجار .. وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه وضبط دخله وخرجه" لكن ذلك التاجر كان كثير الإزراء على الكندى والطعن عليه . فأصيب ابنه بالسكتة فجأة ، فأذهله الحزب ولجأ الى كبار الأطباء فى بغداد ، فلم يستطيعوا عمل اى شيء ، فقيل له : أنت فى جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة .. فاضطر الرجل الى الذهاب للكندى فأجابه وذهب الى منزله ، فبعد أن فحص الولد أمر بأن يحضر اليه بعض تلاميذه ممن يحسن ضرب العود ويعرف انواع الطرائق المحزنة والمفرحة والمقوية للنفوس ، وأمرهم بأن يضربوا عند رأسه على طريقة بينها لهم ، فلم يزالوا يضربون على تلك الطريقة ، والكندى أخذ بنبض الغلام ، فلاحظ أن نفسه يمتد ونبضه يقوى ويرجع الى نفسه شيئاً فشيئاً الى أن تحرك وجلس وتكلم والعازفون يضربون على تلك الطريقة دون توقف . فقال الكندى لوالد الغلام : سل إبنك عما تريد فاكتبه . فتكلم الغلام . وكتب الرجل ما أراد ، ثم توقف العازفون عن الضرب على تلك الطريقة ، فعاد الصبى الى ما كان عليه من السكات ، فأخذ الرجل يرجو الفيلسوف ان يأمر تلاميذه بمعاودة العزف ، فقال له : "هيهات ، إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته .. ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر الى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته ، اذ قد استوفى العطية والقسم الذى قسمه الله له"

ومن الواضح أن الغلام كان قد أصابه شيء فى منطقة الكلام من الدماغ ، ولم يكن التلف قد بلغ حده ، فأمكن تنبيه مركز الكلام بواسطة الأنغام بمقدار ما كان قد بقى من سلامة تلك النقطة المحددة .

## ● الانغام والالحان فى الاسلام

**فى الاسلام :**

**أولاً ـ الأذان** ، ما فيه من حسن الأداء وجمال الصوت ، ومراعاة أصول معينة فى هذا الأمر العظيم .

ولأداء الأذان طرق متنوعة ، بحسب البلاد ، ونظراً لحسن الأداء وجمال الصوت فانه يؤثر حتى فى غير المسلمين تأثيراً كبيراً ، ومنهم فى بعض مدن الاسلام من كان يصيبه القلق الى أن يأتى الاذان فتهدأ نفسه وينام ، حتى كان يطلب من المؤذن أن يزيد فى حسن الأداء . والطريقة التى يتم بها الأذان استلفتت المهتمين بالنغم من الغربيين فصنفوها بتسمية : "المؤذن" .

**ثانياً ـ تجويد القرآن** : بحسب هذا الفن العظيم ، وما فيه من تأثير كبير من ناحية تفهيم المعانى والتأثير من طريق كمال الأداء وما فيه من تعبير بالصوت عن شتى المعانى والأحوال وإذا كان تجويد القرآن فناً عظيماً أبدعه المسلمون ، فإنه فيما أعتقد "الهام" من الله تعالى لتبليغ معانى القرآن الى العقول واقرارها فى القلوب .

أما كل ماهو معروف اليوم من أنواع الغناء والألحان فله جانبان :

الأول ـ الناحية الجمالية الخاصة فى الصوت واللحن ، وهى أمر يؤثر فى النفس تأثيراً طبيعياً ، لا مفر منه ، والمهم هو أن يكون كل ذلك فى حدود الغايات الرفيعة للألحان والأنغام وتهذيبها للنفس وتأثيرها فى ترقية الأحاسيس .

ويعجبنى ما قاله إخوان الصفا فى رسائلهم من أن صناعة الموسيقى قد استخرجها الحكماء ثم تعلمها منهم الناس واستعملوها بحسب أغارضهم . وأهل الأديان اتخذوا منها وسائل "لرقة القلوب ولخضوع النفوس والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه ..

ومن أراد الدراسة التحليلية للمشكلة من النواحى الانسانية والدينية فليرجع مثلاً الى ما كتبه العلماء بهذه الأمور كالامام الغزالى فى كتابه "كتاب السماع" فى المجلد الثانى من "الاحياء" .

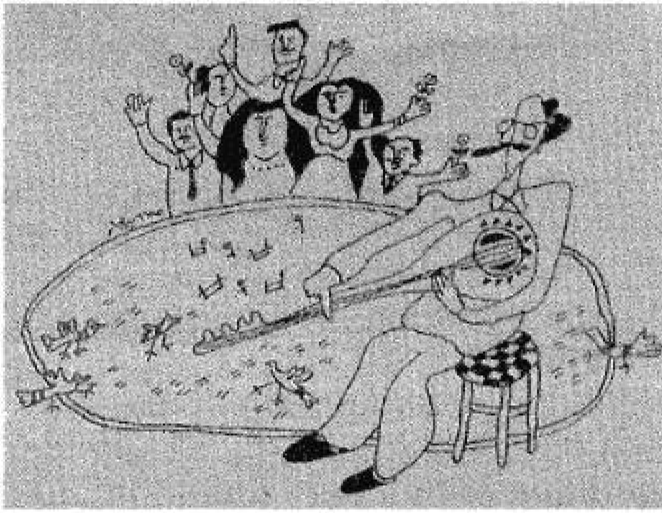
واحب ان اقول للقارىء : اننا قد سمعنا ما لا يحصى من أنواع الألحان والأغانى عند مختلف الأمم وفى شتى أمور الحياة . ولابد أن أؤكد القول بان التربية الجيدة للانسان المسلم كفيلة عند سماع الألحان والأنغام والأغانى بتصفية ما فيها واستخراج ما يسمو بالفكر والشعور من طريق جمال الصوت واللحن الذى جعله الله ، كما جعل كل ما خلق ، وسيلة لإصلاح أمور الانسان مع حسن الاستعمال والقصد الى الخير .

# الموسيقى

شعر: عباس محمود العقاد

**لعل قصيدة « الموسيقى » التي نظمها الأديب الكبير عباس محمود العقاد قبل ستين عاما هي القصيدة الوحيدة في الشعر العربي التي تحمل هذا العنوان ولاتتحدث عن شيء الا عن الموسيقى .. وهي قصيدة طويلة اخترنا لك منها هذه الأبيات .**

معلمة الانسان ما ليس يعلم
وقائلة ما لا يبوح به الفم
وكامنة بين النفوس بداهة
وما علمت في مهدها ما التكلم
ومخرجة الأوهام من ظلماتها
على انها من سطوة النور تحجم
ومسمعة الانسان اشجان نفسه
فيطربه ترجيعها وهي تؤلم
املهمة الانسان ما لا يزيده
فصيح ولا يزري بمعناه ابكم
اليك تناهى كل علم ومنطق
فسيان منطيق لديك واعجم
حديثك من كل اللغات منظم
ومعناك في كل النفوس مقسم
فالوحش فيه والأناسي عولة
وللنار والاعصار فيه تهزم
جوار كان الطرد منه محرك
وخفق كان النجم منه مهوَّم



وهمس كهمس الجن فى خلواتها
له رعدة فى الجلد ينكرها الدم
ولا مهجة الا لصوتك مسرب
اليها وسلطان عليها مُحكم
تشوقك اسراب النفوس كأنما
على كل احسن مارد لك يخدم
تهزين أعطاف البخيل فيكرم
ويصغى اليك المشمخر فيرحم
ويفتحك الشيخ الجليل ووقاره
وقارا فتراه بالصبا وهو قيم
ويسعد منك الوالهون ببسلم
الا رب جرح لا يداويه بلسم
فياربة الالحان لو تسمعينني
أمنك السجايا الغُرُّ ام هن منهم ؟؟
ويا ربة الالحان : هذى قلوبنا
فانت بها منا ابر واعلم
افيضى على قلبى السكينة واسكبى
عليه رضى ، انى على العيش انقم
هل العيش الا نغمة قد تعارضت
مذاهبها فهو الشتيت المنظم
كذلك موسيقى الحياة وانها
لصوت على اسماعنا متقدم

# محمد عبدالوهاب صانع الغناء المصري الحديث

بقلم: كمال النجمي



في عصر يوسف المنيلاوي وعبدالحي حلمي وسيد الصفتي وسلامة حجازي بدأ المطرب محمد عبدالوهاب خطواته الأولى في عالم الغناء، وهو يومئذ في أواخر العقد الأول من عمره المديد..

كان صغير السن عندما بدأ يغني في «تياترو» فوزي الجزايرلي سنة ١٩٠٩ وبعدها بسنة أو سنتين، ثم انتقل إلى «تياترو» عبدالرحمن رشدي قبيل الحرب العالمية الأولى، ولما رآه أمير الشعراء أحمد شوقي واقفا بقوامه الصغير النحيل يغني بين الفصول، أشفق عليه، وطلب إلى «حكمدار» القاهرة الانجليزي حينذاك أن يمنعه من العمل بصناعة الغناء إلا بعد أن تكبر سنه ويشتد عوده، فمنعه الحكمدار..



عبدالوهاب

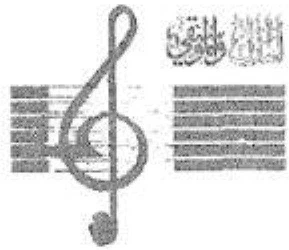
كان ذلك في سنة ١٩١٢ وشوقي يومئذ رجل الخديو عباس حلمي حاكم مصر لايرد له طلب ، فلما نفى الانجليز شوقي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وعزلهم للخديو ، عاد عبدالوهاب يغني ، وقد نضج صوته قليلا ، وتجاوز العقد الأول من عمره ببضع سنوات ، ولكنه لم يكن في تلك الأيام إلا مجرد مطرب ناشيء بين عمالقة الطرب المشاهير الذين صار على رأسهم - بعد رحيل المنيلاوي وعبدالحي حلمي وطبقتهما - مطرب المسرح الاشهر الشيخ سلامة حجازي ، ومطرب الأدوار البارع صالح عبدالحي ومطرب الأفراح والليالي الملاح عبداللطيف البنا ، فضلا عن المطربات المشهورات وفي مقدمتهن سلطانة الطرب منيرة المهدية ..

وفي سنة ١٩١٧ توفي الشيخ سلامة حجازي ، فالتفتت الأوساط الفنية إلى المطرب الشاب الصغير محمد عبدالوهاب ، واتاحت له ان يسجل اغنية « ويلاه ماحيلتي » على اسطوانة ، وكانت هذه الاغنية مما سجله الشيخ سلامة من قبل ، ومازالت اسطوانة عبدالوهاب التي مضى عليها أكثر من سبعين عاما تحمل صوته الغض النحيل الذي لم يكن قد نضج بعد في تلك السن الباكرة ، وهو دون العشرين ..

وبعد الحرب العالمية الأولى بسنتين أو ثلاث كان عبدالوهاب قد نضج صوتا وفنا ولم يعد يبهره الشيخ سلامة حجازي بصوته الحاد المرتعش وألحانه التقليدية الرتيبة ، وأخذ يقتفي آثار الملحن الجديد الشيخ سيد درويش ، وانقلب عبدالوهاب من يمين فن الغناء إلى يساره . ومن مطرب قديم الأسلوب على غرار سلامة حجازي إلى مطرب مجدد على مذهب سيد درويش .

كان سيد درويش هو نقطة انطلاق عبدالوهاب في تحديد الغناء المصري - ثم الغناء العربي كله - فكثر اتهام النقاد له بانتهاب ألحان سيد درويش وانتحالها ، والحقيقة أن اكثر ما اتهموه بانتهابه وانتحاله لم يكن إلا محاولات للتقليد الذي لم يكن منه بد في نشاته ..

وقد ابتعد عبدالوهاب بعد ذلك عن طريق سيد درويش واختلف عنه ، لأن عبدالوهاب كان ذا موهبة عظيمة في تذوق الألحان واستيلادها واختراع جديدها ، وتجديد قديمها ، ومزجها أو تفريقها على فروع ذات أصول معروفة أو مجهولة ، واكتملت له في التلحين . كما اكتملت له في الصوت اسباب التفوق على معاصريه فاطفأهم جميعا ، وتفرد وحده بالسيطرة على الاسماع سيطرة لم يظفر بمثلها مطرب منذ عهد عبده الحمولي ..



# محمد عبد الوهاب
## صانع الغناء المصرى الحديث

وبين بروز عبدالوهاب فى أوائل العشرينيات ، وبلوغه أوج الشهرة والنجاح فى مطلع الثلاثينيات ، كانت حنجرته تتألف من أجمل وأكمل وأرقى الأوتار الغنائية المعروفة فى أصوات الرجال .

كان صوتا جديدا تماما فى ذلك الزمان كأنه شعاع انبعث من نجم بعيد مجهول ..

● نبرات من ذهب خالص

وكان صوتا صادحا ـ على حسب مصطلحات مجمع اللغة العربية ـ أو صوتا من قسم « التينور » بحسب مصطلحات الغناء الأوروبى . ولكن جماله واكتماله لم يكونا فى كثرة طبقاته فقط . بل كانا ـ قبل ذلك ـ فى نفاسة نبراته . فكأنها نبرات من الذهب الخالص ، أو قطع الألماس النادرة ..

كان عبدالوهاب كروانا حقيقيا لامثيل له عندما غنى « كلنا نحب القمر » و « اللى انكتب ع الجبين » و « كل اللى حب اتنصف » و « حسدونى وباين ف عينهم » و « لما انت ناوى تغيب على طول » و « خايف أقول اللى ف قلبى » و « اللى راح راح ياقلبى » و « ياجارة الوادى » و « فى الليل لما خلى » .. وبقية تلك الروائع الكثيرة فى العشرينيات وأول الثلاثينيات ..

ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب كان متفوقا بصوته وألحانه وكلام أغانيه على أم كلثوم منذ ظهورهما معا فى العشرينيات إلى بداية الثلاثينيات لأن صوته فى تلك الفترة كان قد نضج واتخذ سمته فى الأداء والتلحين . وكان مؤلفو أغانيه الكثيرون أبرع من المؤلف الأوحد لأم كلثوم وهو أحمد رامى . حتى إن مطالع أغانى عبدالوهاب وبعض كلماتها كانت تجرى فى تلك الأيام على ألسنة الناس مجرى الأمثال .. وكانت ألحانه أيضا أكثر جدة وطلاوة من الألحان التى تغنيها أم كلثوم . ولم يكن صوتها قد نضج بعد ، وإنما أخذ صوتها فى النضج منذ أواخر العشرينيات واكتمل الطور الأول من نضجه فى بداية الثلاثينيات ، أى فى الوقت الذى أخذ فيه صوت عبدالوهاب ينحدر ويغلظ ويفقد الكثير من خصائصه . فكان هذا الوقت ذاته هو بداية انفراد أم كلثوم بساحة الغناء ، صوتا أوحد لامنافس له من مطرب أو مطربة ، حتى فارقت هذه الدنيا .. وكان عبدالوهاب ـ بسماحة نفس الفنان ـ أول من اعترف بذلك ، وانقلب من منافس لها لايكاد يعترف بها إلى معجب بها ، عاشق لغنائها ..

إن قصة مرض عبدالوهاب بالجيوب الأنفية سنة ١٩٣٢ قصة معروفة فى تاريخه ، وقد كان لهذا المرض ـ مع أسباب فسيولوجية أخرى ـ أثر حاسم فى هذا الصوت العظيم ، فقد أصابه بتغيرات وتحولات سريعة منذ سنة ١٩٣٢ ، حتى أن حرف الميم كان يختلط أحيانا بحرف النون فى نطق عبدالوهاب لبعض كلمات أغانيه ، وصار صوته بطيء الذبذبات فاكتسى

غلاظة فوجىء بها المستمعون ، لأن انتقاله من الرقة والنعومة وسرعة الذبذبات جاء على غير انتظار .. ومنذ ذلك الحين صارت المشكلات الصحية هى الشغل الشاغل لعبدالوهاب ، فالتزم نظاما صحيا بالغ الدقة جعله يبدو حتى يومنا هذا فى ريعان شبابه ، متعه الله بالصحة والعافية ، ومد فى بقائه ، وأمتع به ..

● صوت جميل مؤثر

انتهت المرحلة الأولى لصوته الذهبى ، وفى أواخر سنة ١٩٣٢ سجل أغانى فيلمه الأول « الوردة البيضاء » بصوته الجديد الذى بدت فيه تلك التغيرات التى لاتخطئها الأذن ، فقد انطفأت جذوة طبقاته العالية ، واكتست نبراته خشونة طفيفة تمتزج برخامة تنم عن معدنه النفيس ، ولاتحجب حلاوته القديمة حجبا تاما ..

ثم جاء فيلم « دموع الحب » سنة ١٩٣٥ وفيه أوشك صوت عبدالوهاب القديم أن يختفى تماما ، ولكنه ظل صوتا جميلا مؤثرا فى السمع والوجدان .. ثم جاء فيلمه « يحيا الحب » فكان خاتمة المرحلة الثانية لصوت عبدالوهاب .. اختفى الصوت الذهبى بجميع ملامحه تقريبا واستقر فى مكانه الجديد من طبقة « الباص » التى يسميها المجمع اللغوى « طبقة الجهير الثانى » ..

لقد سجلت أفلام عبدالوهاب السينمائية مراحل صوته عاما بعد عام ، وسجلت صراعه مع « الجيوب الأنفية » منذ سنة ١٩٣٢ .. ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب لم يتغلب على هذه الجيوب المؤذية إلا سنة ١٩٣٧ حين سجل أغانى فيلمه « يوم سعيد » فبدا وقد تخلص من تلك الجيوب ، ولكن آثارها فى صوته بقيت إلى الأبد ، وصارت هذه الآثار مبعث تطورات سريعة متلاحقة فى صوته إلى آخر أفلامه « لست ملاكا » واستمرت كذلك بعد أن توقف عبدالوهاب عن الظهور فى أفلام السينما .. وقد انصرف عبدالوهاب عن الغناء منذ ثمانية وعشرين عاما تقريبا ، إلا ماسجله من « دندنة » على العود يتذكر بها محبوه الكثيرون ماقدمه لفن الغناء المصرى والعربى من أياد بيضاء ..

نعم طرأت على صوت عبدالوهاب تغيرات سريعة متلاحقة ، حولته من حال إلى حال ، ولكنه لبث برغم مافقده أكثر أصوات المطربين تأثيرا فى الأسماع ، لأنه كان فى بدايته عظيم الثراء ، فاستطاع أن يتحمل ماوقع عليه من خسائر ، ويحتفظ ببقية صالحة أبقته على رأس المطربين طوال عصره ..

ومما يذكر لعبدالوهاب بأجزل الثناء أنه لم ييأس ولم يضطرب عندما ألمت بصوته بوادر التغير ، فمنذ سنة ١٩٣٢ بدأ يطور غناءه والموسيقى المصاحبة له ، تطويرا سريعا مؤثرا فى الجماهير ، وأخضع طريقة تلحينه لامكانات صوته التى أخذت تتغير وتتناقص ، ووظف نبراته توظيفا جديدا بالغ الذكاء والمرونة .. ونجحت طريقته الجديدة هذه نجاحا عظيما ، حتى ليقال إن عبدالوهاب إنما جمع ثروته « الذهبية » من ألحانه وأفلامه التى صنعها بعد اختفاء صوته الذهبى القديم ! ..

● ثروة لحنية

إن اختفاء صوته الذهبى الأول ، كان

# محمد عبد الوهاب
## صانع الغناء المصري الحديث

من بعض وجوهه نعمة وبركة على فن الغناء ، لأنه كان الحافز له على البحث عن أساليب جديدة في الغناء ، وقد وجدها وأضافها إلى المكتبة الغنائية ، ومنها اقتبس الملحنون الجدد وتعلموا ، ولعل عبدالوهاب لو احتفظ بصوته الأول لما وجد حاجة إلى أساليب جديدة تتجدد بلا انقطاع من عام إلى عام ، بل من أغنية إلى أغنية ، ولو حدث ذلك لخسر فن الغناء المصرى ثروة لحنية طائلة ، ولكان ذلك سببا لتخلف هذا الفن ، ولما استطاعت أم كلثوم نفسها أن تطور غناءها .

لقد اهتدى عبدالوهاب في هذه المرحلة من تطوره الصوتي إلى توظيف الموسيقى إلى جانب الصوت في غنائه ، ليجمع أثر الصوت مع أثر العزف المتطور بالآلات الموسيقية ، ونجح في هذا السبيل حتى صارت أغانيه معرضا لألوان من الموسيقى البحتة لم يعرفها المستمع المصرى من قبل ، وفرضت هذه الطريقة نفسها على جميع المغنين والملحنين ، وكان عبدالوهاب هو الرائد فيها ، وعلى دربه سار الآخرون واقتبسوا منه وتتلمذوا عليه ..

وتحولت الأغنية على يد عبدالوهاب إلى مستودع للتعبير بالجمل اللحنية المتنوعة ، واللازمات الموسيقية المبتكرة ، وأعطاه هذا الحقل محصولا ضخما من المقدمات الموسيقية واللازمات التي تقوم عند المستمع العربي في الوقت الحاضر مقام الموسيقى البحتة عند المستمع الأوربي ..

والموسيقى البحتة الناضجة المستقلة عن الغناء هي مطلب الموسيقى العربية للمستقبل .. وقد نتعجب لأن كل الدلائل تدل الآن على أن هذه الموسيقى المنشودة سوف تنبثق من الأغنية الفردية ذات المقدمات الموسيقية واللازمات .. ولكن لاعجب - عند التدقيق - لأن الموسيقى الأوربية إنما بدأت في الواقع من مثل هذه النقطة ، على اختلاف مابين موسيقانا وموسيقاهم ..

ومعنى هذا أن الأغنية الفردية لاتعوق انبعاث الموسيقى البحتة عندنا ، فها هي ذى بعض الأشكال الأولية للموسيقى العربية البحتة تنبعث من قلب الأغنية الفردية انبعاثا عفويا لا افتعال فيه .. والفضل الأول في ذلك يعود إلى عبدالوهاب ..

وقد كتب عبدالوهاب مقطوعات موسيقية ميلودية للتخت الحديث المدعم بآلات أوركسترالية ، وهذه المقطوعات تشبه أن تكون محاولة جديدة لاستخدام المقامات العربية استخداما لم يخطر على بال مؤلفى السماعيات والبشارف القديمة ، وفيها حاول عبدالوهاب التعبير عن شيء ، أو وصف شيء ، على غرار ماهو معروف في الموسيقى الأوربية التي أتيح له أن يسمعها منذ نشأته الفنية ويتأثر بها ..

وإذا كانت قطع الموسيقى الوهابية لاتحكمها الصيغ والقوالب التي تحكم

السماعيات والبشارف واللونجات ، فإنها ـ كذلك ـ لاتحكمها الصيغ والقوالب الأوربية .. ويمكن أن يقال إن عبدالوهاب حين تحرر من قوالب الموسيقى العربية التقليدية ، لم يشأ له ذوقه أن يتقيد بقوالب الموسيقى الأوربية فجاءت موسيقاه مفتوحة الصيغة ـ إن صح التعبير ـ أو متحررة من القالب .. فليس فى الموسيقى ولا فى أى فن قاعدة قالبية يتحتم أن يلتزم بها الفنان أو يتوخاها ، والقاعدة الذهبية الوحيدة ـ كما يقول برناردشو ـ هى عدم التمسك بأية قاعدة ذهبية ! ..

على أن هذا فى الحقيقة هو مذهب جميع مؤلفى القطع الموسيقية العربية ، لأنهم ينسجون على غير مثال سابق ، ولم يجدوا حتى الآن الحلقة المفقودة بين علوم الموسيقى الأوربية وعلوم الموسيقى العربية ..

● رائد الغناء والموسيقى

وعبدالوهاب ـ على كونه رائد الغناء والموسيقى ـ يعرف تماما حدود دوره التاريخى فى الموسيقى العربية ، ويرى أن الجيل القادم هو الذى سيبلغ الهدف .. فلو استطاع هذا الجيل أن يحل مشكلات الموسيقى العربية المتعلقة باختصار عدد المقامات وتثبيتها وعمل « الميتودات » للآلات الموسيقية ، وتطبيق مايصلح تطبيقه من قواعد الهارمونى والكونتربوينت الأوربية أو ابتكار قواعد أخرى للموسيقى العربية فى هذا المجال ، وتحديد علاقة الآلات الموسيقية العربية بالتوزيع الأوركسترالى الخ ... لو استطاع الجيل القادم من الموسيقيين حل هذه المشكلات لأمكن عندئذ أن تتطور الموسيقى من مقدمات الأغانى ولوازمها إلى الصيغ السيمفونية .. بطريقة عربية ! .. ولأصبح لنا فوق ذلك مسرح غنائى حقيقى لايكون ذيلا للمسرح الغنائى الأوربى ! ..

المهم ألا يكون معنى تطوير الموسيقى العربية هو الاستغناء عنها وإيداعها المتاحف ، ثم التطفل على مائدة الموسيقى الأوربية ..

إن الصهيونيين فى فلسطين يلفقون لأنفسهم موسيقى يسمونها « الموسيقى اليهودية » زاعمين أنها من تراثهم ، بينما يحاول بعضنا إلغاء موسيقانا العربية وغنائنا العربى ! ..

وقد اتجه محمد عبدالوهاب وجيله فى هذا المجال اتجاها صحيحا منذ البداية وحتى الآن ، وأنجز عبدالوهاب وجيله ماكان عليهم أن ينجزوه ، فلهم أجزل الشكر والعرفان من شعبهم العربى فى كل مكان ..

وبعد ..

فإن عبدالوهاب الذى كان صوتا مسيطرا على الأسماع فى جميع مراحله الفنية ، كان أيضا رائد الموسيقى العربية ، ولكن الطريق إلى تطوير هذه الموسيقى طريق وعر طويل ، لأنه طريق التطور المستقل لاطريق التقليد القرودى الأعمى والتطفل على مائدة الموسيقى الأوربية ..

**ولقد انغمس عبدالوهاب فى الموسيقى الأوربية مرة بعد مرة ، ولكنه خرج فى كل مرة عربى الوجه واليد واللسان ، عربى الصوت واللحن والوجدان ! ..**

الإبداع الموسيقي والهوية الثقافية

# الإبداع الموسيقي والهوية الثقافية

## تنمية الذوق الفني ... جزء من السياسة الثقافية

بقلم: د. أحمد أبو زيد

حين كنا أطفالا وتلاميذ صغارا فى أولى مراحل التعليم العام ، كان يوجد فى كل مدرسة ( ابتدائية حجرة للموسيقى تضم عددا من آلات العزف ويتصدرها بيانو ضخم . وكان يشرف على الحجرة ومحتوياتها مدرس متخصص يقوم بتدريس (مادة) الموسيقى والأناشيد لتلاميذ المدرسة ، فقد كانت المناهج الدراسية حينذاك تقضى بأن يتلقى التلاميذ فى تلك السن المبكرة دروسا أسبوعية فى الموسيقى يستمعون أثناءها الى العزف على الآلات الموسيقية ويلقون الاناشيد والأغانى الوطنية والاجتماعية الجميلة الهادئة البعيدة عن الصراخ والحماس الزائف المتشنج ؟ كما كانت تتاح لهم الفرصة للالتحاق بالجمعية الموسيقية بالمدرسة فيعرفون شيئا عن مبادىء علم الموسيقى والسلم الموسيقى كما يتلقون قدرا من التدريب على آلات العزف يسمح لهم بالمشاركة بعد ذلك فى احياء حفل نهاية العام الدراسى . وكان ذلك يعتبر جزءا من العملية التعليمية أو على الأصح العملية التربوية التى كانت تضطلع بها المدارس فى مصر فى ذلك الحين ، والتى كانت تهدف الى الكشف عن الملكات والقدرات وتنميتها . فلم تكن رسالة المدرسة حينذاك مقصورة على حشو أدمغة التلاميذ الصغار ببعض قشور المعلومات كما هو الوضع الآن بعد ان تغيرت الحال بمصر وضاع الطريق فيما يبدو من رجال التربية والتعليم ، وأصبح هم الوزارة وهم المدارس والمدرسين هو تقديم تلك القشور من المعرفة ونسيان كل شىء تقريبا عن تنمية المواهب والقدرات .

ولست أهدف من هذا الى المقارنة بين فلسفة التعليم أو أسلوبه فى الماضى القريب وفى الحاضر القائم الآن . فهذا حديث مؤلم وطويل ويصعب الاحاطة به هنا . وإنما الذى أهدف اليه هو أن أبين أن تربية الذوق الفنى بشكل عام والتذوق الموسيقى بوجه خاص كانت تحظى باهتمام المدارس والمشرفين على التعليم وكانت تبدأ فى المدارس منذ سنى الطفولة المبكرة . فقد كان التعليم الرسمى يعتبر جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية التى تحرص على تكوين الشخصية المتكاملة ، وتعمل على صقل وتهذيب وتنمية الامكانات والمهارات العقلية والوجدانية والجسمية على السواء ، ولذا كان الاهتمام بالانشطة الفنية المختلفة يشغل قدرا لا بأس به من النشاط المدرسى اليومى وهو ما تفتقر إليه مدارسنا الآن الا فيما ندر . بل إن كثيرا من مظاهر الحياة اليومية العادية كانت تسهم بشكل فعال وبطريقة تلقائية بحتة وغير مقصودة فى تربية الذوق الموسيقى ، فقد كانت الموسيقى بألوانها واشكالها المختلفة تؤلف عنصرا أساسيا فى كثير من أنواع النشاط الاجتماعى ويتراوح ذلك ما بين الموسيقى الخالصة الى الاناشيد الى الموسيقى المصاحبة للغناء إلى الترانيم والتواشيح الدينية الى الموسيقى المصاحبة لبعض الفرق الصوفية وحلقات الذكر ، إلى فرق الموسيقى النحاسية ( الأهلية ) التى كانت تقوم باستعراضاتها الرائعة فى شوارع المدن الكبرى ويلازمها الأطفال والشباب فى مسيرتها الى فرق الموسيقى النحاسية ( الرسمية ) الخاصة بالجيش والشرطة ( او البوليس كما كانت تدعى حينذاك ) والتى كانت


فاجنر


موزار

تعزف موسيقاها العسكرية فى الميادين فى المناسبات الرسمية وغير ذلك من اشكال الأداء الموسيقى المتنوع الرائع . وهذه كلها أمور تفتقر اليها الحياة فى مصر الآن وكادت تختفى من حياتنا تماما .

وتعتبر التربية الفنية وتنمية القدرة على التذوق الفنى وبخاصة تذوق الموسيقى جزءا هاما من السياسات الثقافية فى كثير من دول العالم وبخاصة الدول الأكثر تقدما ولقد كانت الفنون ـ ولا تزال ـ تحظى هناك بدرجة عالية جدا من الفهم والتقدير والاحترام . والذين يتابعون نشاط اليونسكو فى مجال السياسة الثقافية فى العالم يعرفون بغير شك النشرات والمطبوعات الكثيرة التى تنشرها حول وضع الفنون وبخاصة الموسيقى فى دول العالم . ويكفى أن أشير هنا الى الكتيب القصير الهام الذى أصدرته هذه المنظمة عام ١٩٧٠ عن السياسة الثقافية فى الاتحاد السوفييتى ضمن سلسلة منشوراتها عن « السياسة الثقافية » ، ففيه نجد عرضا دقيقا ومفصلا لجهود الاتحاد السوفييتى فى نشر الثقافة




الموسيقية ونوع الاهتمام الذى تبذله الدولة فى مجال مناهج ومقررات دروس الفنون فى كل مراحل التعليم ابتداء من رياض الأطفال حيث تدرس الفنون المختلفة مع التركيز بوجه خاص على الموسيقى والرقص الايقاعى والغناء . الى جانب الاهتمام بزيارة المتاحف واستوديوهات السينما والاذاعة والتليفزيون ومعارض الصور إلى تشجيع اقامة الجمعيات الموسيقية والفنية للأطفال الهواة والموهوبين . كما انشأت الدولة ضمن أكاديمية العلوم التربوية معهدا خاصا للتربية الفنية يضع ضمن أهدافه دراسة طرق ومناهج تعليم الأطفال التذوق الفنى والتقييم الجمالى يقوم باجراء البحوث الاجتماعية عن مستوى التربية الفنية فى مدارس الأطفال وأساليب رفع ذلك المستوى . وهذه السياسة التى تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع منذ الطفولة المبكرة اعدادا فنيا وموسيقيا هى التى جعلت الاتحاد السوفييتى يصل الى تلك المكانة العالية المرموقة فى الابداع الفنى والابداع الموسيقى بالذات . بحيث أصبح مركزا من أهم مراكز الموسيقى العالمية الراقية . ومما له دلالة فى هذا الصدد أن محطات الإذاعة المختلفة فى الاتحاد السوفييتى تذيع حوالى ٦٨ ساعة من الموسيقى بأنواعها المختلفة كل اربع وعشرين ساعة . مما يكشف عن مدى الاهتمام بهذا اللون الرفيع من الفنون ومكانة الموسيقى فى حياة الناس هناك

## • تذوق الموسيقى

وليس الاتحاد السوفييتى هو المثال الوحيد لذلك الاهتمام بالفنون والموسيقى واعتبارها عنصرا اساسيا فى نسق التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافى ، إذ قد يمكن الاستشهاد فى هذا الصدد بالوضع فى عدد كبير جدا من الدول وبخاصة فى الغرب ، وهى أمثلة تبين أن هذه الدول المتقدمة الراقية لا تعتبر الموسيقى نوعا من الترف و نشاطا ترفيهيا ثانويا وانما هى على العكس من ذلك تماما جزء من العملية التربوية الاساسية بشقيها الرسمى (التعليم ) وغير الرسمى ( التنشئة فى البيت بوجه خاص ) من اجل تكوين أجيال جديدة ومتتالية تكون على درجة عالية من الثقافة الرقيقة المتكاملة وللارتفاع فى الوقت ذاته بالمستوى الثقافى للمجتمع ككل . فالاهتمام بصقل وتهذيب ذوق الفرد وتنمية القدرة على التذوق الفنى بوجه عام وتذوق الموسيقى بوجه خاص منذ تلك السن الصغيرة المبكرة هو الذى يهيىء الفرد لأن يميز فيما بعد بين الموسيقى الرفيعة الراقية او الموسيقى العظيمة ـ كما تسمى فى الخارج أحيانا ـ وبين مجموعات الأصوات الموسيقية المتنافرة التى تكشف عن السطحية والضحولة . أى أن هذه التربية منذ الصغر تحمل بين ثناياها مبادىء الحكم على الابداع او الانتاج الفنى أيا كان شكله وتقديره وتقييمه فى ضوء التجربة التى حصل عليها الفرد

خلال سنوات طويلة من التدريب على التذوق والفهم . وهذه القدرة على التقدير والحكم كفيلة فى ذاتها بوضع حد لانتشار الموسيقى الهابطة والانتاج الفنى الفج أو على الاقل مواجهة مثل هذا الانتاج بابداعات فنية على مستوى راق يجمع بين الجلال والجمال ويحافظ على القيم الفنية والجمالية الراقية .

فالاهتمام بالموسيقى والفنون عموما كجزء من العملية التعليمية والتنشئة الثقافية بل واعتبارها جزءا من السياسة الثقافية للدولة ليس الغرض منه هو الكشف عن القدرات والمهارات والمواهب وتشجيع أصحابها من اجل خلق فئة من الفنانين المبدعين فى مختلف الفنون فحسب ، وانما الهدف من ذلك الاهتمام هو فى المحل الأول تربية الذوق الفنى والارتفاع بمستوى الإنسان العادى الى مرتبة عالية من الوعى بالجمال وتذوقه والبحث عنه باعتبار ذلك أحد المقاييس الاساسية التى تؤخذ فى الاعتبار فى الحكم على مدى تقدم المجتمعات والشعوب من ناحية ، وعنصرا أساسيا فى الوقت ذاته فى تكوين الشخصية المتكاملة للفرد .

فالموسيقى إذن ـ وكذلك بقية الفنون العليا ليست نشاطا ترفيهيا بقدر ماهى جزء من خبز الحياة اليومية ، على الأقل عند الشعوب الراقية التى تعطى الموسيقى والفنون قدرا كبيرا من عنايتها واهتمامها وتخضعها للدراسة والتحليل وإن كان هذا لا ينفى فى الوقت ذاته الجانب الترفيهى للموسيقى أو يقلل من اهميته وقيمته . فالترفيه الذى يتخذ شكل المتعة الفنية هو أحد الوظائف الهامة الاساسية للفن وإن لم يكن هو الوظيفة الوحيدة أو حتى الوظيفة الأكثر اهمية فى نظر بعض الناس ، انما الموسيقى ـ وشأنها فى ذلك شأن غيرها من الفنون الرقيقة ـ شكل من أشكال التعبير الذى يحمل رسالة معينة يراد توصيلها ، أو أنها هى الرسالة ذاتها ، وذلك لو أننا قبلنا التعبير البسيط العميق الذى قاله منذ سنين طويلة عالم الاجتماع الكندى الشهير مارشال ماكلوان من أن الرسائل هى الوسائل فالموسيقى وسيلة ورسالة معا ، أو أنها تعبير بالاصوات والانغام عن رسالة تحمل فى ثناياها كثيرا من عناصر الفكر والاحساس والعاطفة مع تفاوت بين هذه العناصر من فنان موسيقى مبدع لآخر ، بل ومن مقطوعة موسيقية لأخرى ، كما أنها تختلف على هذا الاساس فى مخاطبة العقل أو الوجدان أو حتى الاحساس والغريزة بما فى ذلك استثارة الغرائز الجنسية أحيانا عن طريق التطريب السطحى الفج الذى يعكس ثقافة مؤلفيها وثقافة المستمعين اليها على السواء . والموسيقى الراقية الرفيعة تعبر عن المشاعر والافكار بل وعن الفلسفات الانسانية الراقية كما تتركز فى وجدانات وأذهان الفنانين الموسيقيين العظام ، ومن هنا كانت الموسيقى الرفيعة ـ التى تسمى احيانا الموسيقى العظيمة ـ تعتبر لغة انسانية عامة لانها تعلو على قيود الذات والزمان والمكان وتلخص التجربة الانسانية كلها . فالموسيقى الألمانى العظيم ريتشارد فاجنر ـ على سبيل المثال ـ حاول أن يعبر فى بعض اعماله العظيمة وبالذات فى مسرحيته الشهيرة ( ترليستان وايزولده ) ان يحقق فلسفة

شوبنهاور عن الارادة وبخاصة فكرته عن الارادة العمياء . وشوبنهاور نفسه يقول عن بعض أعمال الموسيقى الألماني بيتهوفن « إن كل المشاعر والوجدانات الانسانية تتكلم فيها ، من الفرح والحزن والحب والبغض والخوف والأمل .. بكل درجاتها ومظاهرها التى لايمكن احصاؤها » . كما أنه هو الذى يقول أيضا أن « الطريقة التى تمس بها الموسيقى قلوبنا ترجع الى أنها تعكس كل نبضة من نبضات وجودنا وكياننا نفسه » ..

وهذا هو إذن سر الموسيقى الراقية الرفيعة العميقة الخالدة والتساؤل الذى يثور الآن فى الذهن والذى لن يجد له جوابا هو : إلى أى حد يصدق كلام شوبنهاور على موسيقانا المصرية ؟ وهل من سبيل الى الارتقاء بموسيقانا المصرية الى هذه المستويات الرفيعة العالية أو الى مستويات تقْرب منها بعض القرب ؟

ولقد كانت الموسيقى تؤلف دائما جزءا أساسيا وهاما فى الحياه اليومية لدى كل الشعوب كما أن دورها كان دائما أكبر بكثير مما قد يبدو لأول وهلة ، ابتداء من قرع الطبول عند القبائل البدائية الى الموسيقى المصاحبة للتراتيل والطقوس والشعائر الدينية بمختلف أشكالها وعند مختلف الشعوب وفى مختلف الثقافات وباختلاف درجات التقدم الحضارى الى الموسيقى العسكرية التى كانت حتى عند الجماعات القبلية البدائية تصاحب الحروب والاغارات وتثير روح القتال بين الجماعات المتصارعة الى الموسيقى المصاحبة لكل أشكال الاحتفالات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية والقومية الى الموسيقى الخالصة أو الموسيقى غير الوظيفية التى تراد لذاتها دون أن يكون لها هدف نفعى ملموس . وهذا الصدق على المجتمع المصرى خلال كل تاريخه . وهناك من العلماء من يذهبون الى القول بأن المصريين القدماء كانوا أول من استطاع الجمع بين أصوات عدد من آلات العزف الموسيقى ومزجها معا فى تناغم واتساق وانسجام متكامل وأن ذلك كان البداية الحقيقية لتكوين الاوركسترا ، وأن الاغريق لم يستطيعوا تطوير الموسيقى بنفس السرعة التى تحققت فى مصر القديمة وذلك رغم كل ما أحرزوه من تقدم فى مجالات الفكر والفلسفة والأدب والمسرح . وربما كان ذلك راجعا الى اهتمامهم فى المحل الأول بأشكال الابداع الأدبى وبالشعر بوجه خاص عنهم بالانشغال بالموسيقى ، وأن الاستماع الى الشعر كان أولى فى نظرهم وأهم من الاستماع الى الموسيقى ، وإن كان ذلك لايعنى أنهم أهملوا الموسيقى تماما كما هو واضح من أساطيرهم ومن ربات الفنون عندهم .

كذلك شغلت الموسيقى دائما جانبا هاما من الفكر الانسانى فى كل العصور وفى كل الثقافات والحضارات وبينما نجد عند بعض قبائل الفلبين مثلا بعض العبارات المأثورة التى تقول « إننى أعزف على آلة الكوبنج لأن هناك من يسمع عزفى ولذا فلابد لى من أن أجيد العزف » وهو

قول قد يبدو بسيطا ولكنه فى بساطته وسذاجته يعبر تعبيرا صادقا عن قيمة الموسيقى من حيث هى ابداع فردى ينبغى العمل على تنميته وتهذيبه والاعتزاز به كما أنه نوع من السلوك الاجتماعى ووسيلة للتواصل ونقل المشاعر والوجدانات ، وتجربة الحياة الى الآخرين ممن يسمعون تلك الموسيقى ، نجد بعض القبائل الافريقية تنظر بعين الاجلال والرهبة الى بعض الالات الموسيقية وتقيم حولها كثيرا من القصص والاساطير ذات الدلالة الاجتماعية ، ويصدق هذا بوجه خاص على الطبول التى تحظى بمكانة شعائرية معينة تكاد تقترب من حد القداسة . ففى شرق افريقيا مثلا يصل الأمر بتقديس الطبول - أو أنواع معينة بالذات منها - الى حد أن المجرم الهارب من العدالة يستطيع أن يجد الأمن إذا تمكن من الالتجاء الى القاعات التى تحفظ فيها تلك الطبول باعتبار أن تلك القاعات أماكن مقدسة يحرم الصراع فيها وأن من يلجأ اليها فهو آمن على نفسه . والأمر لايقتصر على أية حالة على الشعوب والقبائل البدائية ، فقد كانت الموسيقى مركز اهتمام كثير من الفلاسفة والمفكرين الذين اهتموا بالبحث فى طبيعة الموسيقى ابتداء من أفلاطون منذ عصر الفلسفة الاغريقية حتى بنديتوكردوتشه وكونجوود بل وحتى كارل بوبر فى النصف الثانى من هذا القرن كما يبدو من تاريخ حياته . وكثير من الفلاسفة والمفكرين درسوا الموسيقى ومارسوها ، بل إن أحد كبار المصلحين الدينيين فى الغرب وهو مارتين لوثر الذى كان فى الوقت نفسه موسيقيا بارعا يعطى اهمية بالغة للتربية الموسيقية ويرى أن الموسيقى ( العظيمة ) تطرد الشيطان وتجلب السعادة والحبور لقلوب البشر ، وقد وصل به الأمر فى ذلك إلى أنه كان يضع الموسيقى فى المرتبة التالية مباشرة للاهوت الذى كان يحتل عنده بطبيعة الحال مكان الأولوية المطلقة فى ترتيب العلوم والمعارف .

وإذا كانت الموسيقى تؤلف دائما جزءا من التراث الانسانى فانها كانت تؤلف دائما ايضا عنصرا هاما من عناصر الحضارة المصرية والحياة المصرية القديمة على السواء . ولذا فان اى حديث عن الثقافة الموسيقية والتربية الموسيقية والاهتمام بالموسيقى فى مصر يجب ان يأخذ فى الاعتبار ذلك الاهتمام الطويل بهذا الجانب من جوانب الابداع الفنى المصرى . فالتراث المصرى فى الموسيقى تراث غزير وخليق بالاعتزاز والاهتمام به ليس فقط من حيث هو جزء من التاريخ الثقافى المصرى بل وايضا من جانب هو تعبير صادق عن الروح المصرية بل وسجل واف ودقيق تستطيع ان تقرأ فيه تاريخ الحضارة المصرية والمجتمع المصرى فى تقلباته وما تعرض له من عوامل التقدم والتدهور ومراحل هذا التقدم او ذلك التدهور والانحطاط . وعلى الرغم من كل مايقال عن ان الموسيقى لغة انسانية عامة - وهو قول صحيح بغير شك ويصدق بوجه ادق على التأليفات الموسيقية العظيمة - فان لكل ثقافة موسيقاها الخاصة المميزة التى تعبر عن روحها وقيمها وشخصيتها ، شأنها فى ذلك شأن بقية الفنون ، كما أن الأوضاع والتقاليد والتاريخ تتدخل فى تكوين الذوق

العام السائد فى المجتمع . فلكل شعب خصوصيته الفنية والموسيقية المتميزة . ومن هنا كنا نجد ان المقطوعة الموسيقية التى يطرب لها شعب من الشعوب قد يرفضها شعب آخر ولايكاد يستسيغها . فالموسيقى الشرقية والموسيقى العربية بوجه عام فنون غير مقبولة فى الأغلب عند الشعوب الغربية كما ان الغناء العربى يبدو للأذن الغربية على انه نوع من العويل الرتيب البطىء الممل الذى يبعث الضجر فى النفس . والموسيقى الافريقية التقليدية ـ اى موسيقى القبائل الاصلية. تبدو فى الأغلب على انها نوع من قرع الطبول الذى يخلو من المعنى والتوافق والتناغم . وهذا يصدق بالمثل على الموسيقى الغربية الحديثة التى تبدو فى نظر كثير من غير الغربيين نوعا من الضجيج والصخب الذى يصم الآذان ويخلو من الفن الرفيع . وانها تحتاج الى وقت طويل حتى تتعود الاذن على سماعها . اى ان المسألة هنا مسألة تعود وليست مسألة تذوق .

بل ان الموسيقى التى يتقبلها جيل معين بالذات فى مجتمع معين قد تثير الملل والسأم فى نفوس افراد جيل آخر بحيث يكادون يرفضونها ويتنكرون لها تماما . ولقد كانت الأجيال الشابة تتنكر حتى عهد قريب الموسيقى العربية القديمة وتسخر من طريقة الغناء القديم البطىء القائم على التكرار وان كان هذا الموقف قد بدأ يتغير فى السنوات الاخيرة تغيرا ملموسا بعد ازدياد الاهتمام بتقديم هذا النوع من الموسيقى كجزء من سياسة احياء التراث الثقافى العربى المصرى . وقد أفلحت المثابرة والاصرار والاستمرار فى تقديم هذا اللون من التراث الفنى فى جذب اعداد متزايدة من الشباب ، ونجحت الموسيقى العربية الأصيلة او التقليدية ـ فى فرض نفسها من جديد بحيث تحتل الآن مساحة عريضة من النشاط الفنى الموسيقى ومن الاهتمام العام . فالذوق يمكن تربيته وتدريبه وترويضه وتوجيهه عن طريق التكرار والمثابرة التى تحمل ثناياها التوعية والتبصير والتنوير . وهذا مبدأ هام وخليق بأن يؤخذ فى الاعتبار فى اية محاولة لنشر الثقافية الموسيقية وتنشئة اجيال تتذوق الموسيقى العربية والمصرية بل والانواع الراقية من الموسيقى العالمية الرفيعة التى لاتزال حتى الآن بعيدة الى حد كبير عن الكثيرين فى مصر حتى من بين الفئات المتعلمة تعليما عاليا ـ ولا اقول الفئات المثقفة ثقافة حقيقية .

● التراث مصدر للالهام

انما الى جانب ذلك يمكن ان يكون هذا التراث الموسيقى العربى المصرى مصدرا خصبا للالهام فى ابداع موسيقى مصرية معاصرة تستمد عناصرها من ذلك التراث الضخم بعد تطويره وتحديثه بناء على دراسات علمية متعمقة تقوم على فحص الكتابات والمصادر الموسيقية العربية القديمة وتنقيحها ونشرها وتذليلها وكذلك تسجيل التراث الموسيقى التقليدى المسموع واخضاعه للمدرسة العلمية الدقيقة ونشره على اوسع نطاق ممكن مع الاهتمام بتطوير الآلة الموسيقية العربية

التقليدية واعادة الاستعانة بالآلات التى اغفل استخدامها فى السنوات الاخيرة او التى كادت تختفى لكى يحل محلها آلات العزف الموسيقى الغربية .. وتطوير استخدام هذه الآلات العربية التقليدية بحيث تستجيب لمتطلبات العصر مع الاحتفاظ فى الوقت ذاته وبقدر الامكان باشكالها الاصلية وبطابع اصواتها الاصيلة .

والامر هنا اشبه شيء بدراسة التراث الادبى والفكرى والعلمى العربى الاسلامى لمعرفة المبادىء المنهجية التى يقوم عليها ذلك التراث للاسترشاد بها فى تحديد ملامح الفكر العربى والهوية الثقافية . وهذا وضع يختلف تماما عن حركات (التجديد) التى تهدف الى تقليد ومحاكاة موسيقى الغرب سواء فى الالحان او الآلات الموسيقية او حتى انتشار الغناء باللغات الاجنبية وذلك على حساب الموسيقى والغناء المصرى والعربى الاصيل . وصحيح كما يقول كارل بوبر ان (الموضات) مسالة لايمكن تجنبها او تحاشيها تماما فى الفنون او غيرها من شئون الثقافة والحياة ، ولكن من الواضح - كما يرى بوبر ايضا - ان الفنانين المبدعين العظام الذين يتمتعون بأصالة حقيقية فى ابداعهم ولكن من الواضح - كما يرى بوبر ايضا - ان الفنانين المبدعين العظام الذين يتمتعون بأصالة حقيقية فى ابداعهم لم يكونوا يهتمون قط باتباع اى (موضة) من الموضات بل ولم يكونوا يأبهون بابتداع موضات جديدة تلتصق باسمائهم او تنسب اليهم . ففى الموسيقى الغربية الراقية مثلا التى تعرف باسم الموسيقى الكلاسيكية لاتجد موسيقيين من امثال باخ او موتسارت او شوبيرت ، ومن اليهم من عظام الموسيقيين قد اخترعوا موضات او حتى (اساليب) موسيقية جديدة تماما تعتبر بدعة فى التراث الموسيقى التقليدى وان الذين قلدوا ذلك كانوا فى العادة من الموسيقيين الاقل شأنا واصالة من هؤلاء العظام الافذاذ ويبدو أن ذلك يصدق على كل (الموضات) فى كل المجالات . وعلى ذلك فان تقليد موسيقى الغرب الحديثة تحت اسم التجديد هو مسخ للتراث الموسيقى المصرى وللروح المصرية فى الموسيقى والفن كما انه دليل على العجز والقصور والافلاس فى القدرة على الخلق والابداع الاصيل . وليس معنى ذلك أن نمنع الفنان أو الموسيقى من ان يقدم شيئا جديدا خاصا به وانما معناه ان مجرد التقليد القائم على عدم الفهم وعدم الدراسة والذى ينبعث من الرغبة فى مسايرة التيارات الجديدة التى تظهر فى مجتمعات ونطاقات لها تاريخها وتقاليدها وظروفها وتصوراتها الخاصة بها والتى تختلف كل الاختلاف - عن الظروف والتقاليد والتاريخ الخاص بالمجتمع المصرى والثقافة المصرى والروح المصرية هو اتجاه خاطىء ينبغى تقويمه .

وان الطريق الوحيد لهذا التقويم هو الاهتمام باحياء وبعث ودراسة التراث الموسيقى ، والفنى المصرى ، والعربى ، والعمل على تطوير ذلك التراث حسب اصول علمية دقيقة تأخذ فى الاعتبار روح العصر ومتطلباته مع الدراسة الواعية فى الوقت ذاته لموسيقى الشعوب الأخرى والأخذ منها بما لايتعارض مع التقاليد الفنية المصرية والعربية وبما يساعد على الاحتفاظ طيلة الوقت بالذاتية الفنية والثقافية الخاصة بمصر .

# سيد درويش



## مغنى الشعب

● سيد درويش هو رائد الغناء المصرى الحديث بعد الرعيل الاول الذى بدأ نهضة الغناء المصرى فى القرن التاسع عشر ، امثال الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب وعبده الحامولى ومحمد عثمان ·

● ولد سيد درويش فى ١٧ مارس سنة ١٨٩٢ فى منزل والده « درويش البحر » بشارع سوق كوم الدكة فى حى كوم الدكة بالاسكندرية ·

● والدة سيد درويش اسمها « ملوك » ، واخواته هن : فريدة وستوتة وزينب ولم يكن له اشقاء ·

● التحق سيد درويش فى الخامسة من عمره بكتاب الشيخ حسن حلاوة ، وتوفى والده وهو فى السابعة من عمره فترك سيد الكتاب ، ثم الحقته والدته بمدرسة « شمس المدارس » فى حى راس التين ·

● فى سنة ١٩٠٥ التحق سيد درويش بالمعهد الدينى فى الاسكندرية وكان مقره فى مسجد أبى العباس المرسى ، وارتدى ملابس الشيوخ ، وبدأ يحفظ القرآن الكريم ويجوده ·

● اجتذبته الموالد وحفلات الذكر والافراح ، فتفرغ لها وهجر المعهد ففصل منه وهو فى السنة الثانية الدراسية ، فالتحق بفرقة صغيرة للغناء ، ثم بمقهى صغير ، وانتقل الى غناء القطع الرخيصة الشائعة ، وعرف منذ ذلك الحين طريق الخمر والمخدرات ·

● كسدت سوق الغناء فى المقاهى فاشتغل « فاعلا » فى بناء وطلاء المنازل والعمارات ، ولكنه لم يستمر والتحق بفرقة أمين عطا الله وأخيه سليم عطا الله ثم رحل مع الفرقة الى فلسطين ولبنان وسوريا سنة ١٩٠٩ فى رحلة

فنية ، وفشلت الرحلة ، وعاد منها يشق النفس ، مفلسا ، جائعا .

● انتقل الى القاهرة وعمل فيفرقة القرداحي ، ثم انشأ مع صديقهاسكندر فرح فرقة صغيرة ، ثم ما لبث انأنشأ لنفسه فرقة خاصة سافر بها الىالشام « فلسطين وسوريا ولبنان » .. ولم يلاق هناك النجاح المنشود .

● عاد الى الاسكندرية وانهمك في حياة المقاهي والملاهي الليلية وساءت حاله ، وصار يغني في الحانات بأجر زهيد .

● انتزعه زوجشقيقته فريدةواسمه « المعلم رفاعي » واقنعه بترك الغناء ، وأسند اليه وظيفة كاتب في محل الاثاث الذي يملكه المعلم رفاعي .

● رحل الى الشام مرة أخرى ثم عاد الى الاسكندرية فقضى بها سنوات الحرب العالمية الاولى ، وسافر الى القاهرة سنة ١٩١٧ ليقيم بها الى نهاية حياته سنة ١٩٢٣ ، وهذه السنوات الست هي الفترة التي صنع فيها سيد درويش مجده الفني كله ..

● لحنسيد درويش عشرةموشحات وعشرة أدوار واكثر من خمسين طقطوقة ، ودلت الحانه كلها على درايته العظيمة بالمقامات الغنائية وحسن تصرفه فيها ، مع التجديد ، والتوفيق بين معاني كلمات الاغاني والحانها ، بحيث يعبر اللحن عن المعنى ..

● اشتغل في التلحين للمسرح الغنائي ، فانتج الحانا لم يسبقه اليها أحد ، ولحن لفرقة الريحاني والكسار ومنيرة المهدية وجورج أبيض وأولاد عكاشة ، فضلا عن فرقته الخاصة ، وتبلغ الحانه مائتي لحن موزعة على عشرين مسرحية .

● عاش سيد درويش مسرفا على نفسه في الطعام والشراب والكيوف والعلاقات النسائية، وكان قوي البدن، ولكن قوته هذه لم تصمد لحياته العاصفة ففاجاه الموت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ودخل بعد موته دائرة النسيان ، حتى كتب عنه الاستاذعباس العقاد مقالا قال فيه : « اذا قلت سيد درويش فقد قلت امام الملحنين ونابغة الموسيقى المفرد في هذا الزمان..ولكن الامة عجزت عنقضاء حقه فمات وهي لا تعلم انها أصيبت من فقده بمصيبة قومية ، ولم تبال حكومتها أن تشترك في تشييع جنازته! .. وأنت لا تعرف انك في أمة أحرار حقا ، كارهين للاستبداد حقا ، الا اذا رأيت بينهم لعظماء المطربين شانا لا يقل عن شأن أندادهم ذوي المواهب والاقدار .. » .

● عاد سيد درويش الى أسماع الجمهور بعد افتتاح اذاعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ثم أصبح ملء الاسماع والابصار بعد تأليف التليفزيون لفرقة الغنائية لاحياء التراث الشعبي خلال الستينيات .

● في عام ١٩٥٨ أصدرت وزارة المواصلات طابع بريد يحمل صورة سيد درويش ، واقيمت له لوحةتذكارية في ردهة دار الاوبرا القديمة التي احترقت سنة ١٩٧٠ .. وصنعت بلدية الاسكندرية له تمثالين واطلقت اسمه على الشارع الذي ولد به وهو شارع سوق كوم الدكة .. وأطلقت بلدية القاهرة اسمه على شارع جلال فصار شارع سيد درويش متصلا بشارع زكريا احمد وقريبا من شارع نجيب الريحاني .

# الموسيقى وأزمة المرض النفسى

بقلم: د. يحيى الرخاوى

اقر واعترف ان علاقتي بالموسيقي لاتسمح لي بالافتاء في هذا المجال ، فرغم انها ـ الموسيقى ـ دائمة الحضور في خلفية يقظتى ، فإننى لست من اهلها . بمعنى اننى لم ابذل فيها من الجهد ما هو واجب تجاهها ، ولم أمنحها من الوقت ماهو خليق بها ، وحين اشاهد ابنتى وهى تجلس مقبلة مختارة إلى البيان (البيانو) فى استغراق مجتهد لم اشهده منها تجاه دراستها الطبية ابدا ، او ارى ابنى وهو ينقر ابواب عوده ولمّا تفتح له بعد . احسدهما حسدا غير قليل ، واتذكر امنية داروين انه إذا عاد إلى طفولته ليرسم حياته من جديد فإنه سوف يهتم منذ صغره بالعناية بهذا الجانب الذى اكتشف حرمانه منه فى كبره بعد فوات الاوان . واقول لنفسي : وانا كذلك .

وكان خليقا بي والامر هكذا ان اعتذر عن كتابة هذا المقال . لكن ثقة رئيس التحرير وتكليفه لى بكتابته جعلانى اقدم على المحاولة من باب آخر . فانا امثل بذلك الاغلبية التي حرمت تذوق الموسيقى كما ينبغي لما ينبغى . ثم إن اختصاصي فيما هو طب نفسى قد اتاح لى عديدا من الملاحظات التى يمكن ان تفيد ، واخيرا فإن علاقتي بنظم الشعر ونقده قد تسمح لى بان اقول ما يفيد فى هذا الصدد .

محاذير :

ثم اجدنى انبه من البداية لعدة محاذير :

١ ـ ذلك أن من الخطورة بمكان تسطيح مسألة الموسيقى وعلاقتها بالنفس بعرض تلك المعلومات المحدودة والمسطحة عن فوائد الموسيقى فى علاج بعض الامراض ، مثل إزالة القلق ، وخفض ضغط الدم ، وتخفيف آلام القرحة ، والترويح عن المكتئب ، إذ حتى لو صحت مثل هذه الدراسات فهى ، من بعد بذاته ، تشويه لدور الموسيقى واختزال لماهيتها ،

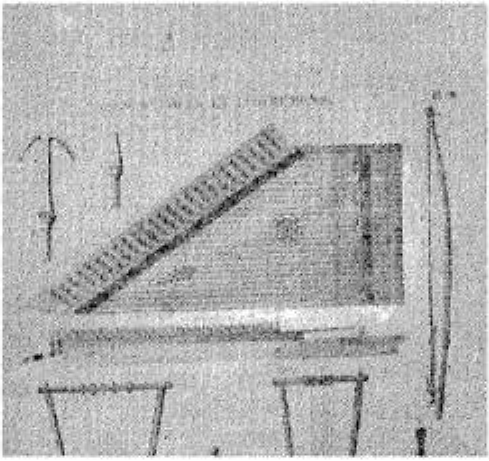
ورغم ان الناس عامة يرحبون بهذا الذى ينشر بين الحين والحين عن علاج الأمراض بالموسيقى فإننى أخشى أن تكون دلالته هى أن الموسيقى فى سبيلها الى أن تصبح سلعة تسكينية ، أو مهدئا للأعصاب كما يحب الناس أن ينعتوا مثل ذلك ، وبالتالى تدخل فى سوق الشطارة العلاجية والنفع اللاهث . وهذا خطأ وتشويه .

٢ ـ كذلك فإن استعمال تعبير تهذيب النفس الوارد فى العنوان المقترح ينبغى أن يشير إلى جانب واحد من جوانب «فعـل» المـوسيقى ، فليست وظيفـة الموسيقى مقصورة على تخليص النفس من شوائبها (تهذيب) أو حذف ما فيها من إضافات مقحمة ، وإنما يمتـد فعل الموسيقى إلى : كشف اغوار النفس ، وتفجير طاقاتها ، وإعادة تنظيمها على سلم تصعيد لايتوقف حتى يتكامل الإنسان مع المطلق الذى ليس له آخر ، والذى لم يكن له أول ـ الحق تعالى !!

٣ ـ ثم انبه أخيرا إلى ضرورة تذكر أن التعامل مع الموسيقى بلغة غير لغتها هو أمر اضطرارى ، إذ هو تجاوز محفوف بالمخاطر ، حيث أتصور أن الموسيقى أخطر وأرحب من أن يحيط بها رمز لفظى يسمى الكتابة ، وهو ما أقع فيه الآن مضطرا بداهة ، فالموسيقى تعاش بما هى ، ولا توصف بغيرها ، ولكن ما باليد حيلة فى هذا المقام .

● **تأصيل :**

إن علاقة الموسيقى بالنفس ، لابد أن نرجع بها إلى علاقة الموسيقى بالحياة ذاتها ، فالنفس ليست كيانا مجردا بعيدا عن ماهو جسم وما هو بيولوجى ، ولكنها



الواجهة المتقدمة للكيان البشرى الذى هو ملخص لتاريخ حيوى رائع ، وفى نفس الوقت هو ممثل لكون أصغر ممتد ، ومن هذا المنطلق فإن الحياة بما هى حياة ليست إلا ترادفا دقيقا للهارمونى الكونى الأصغر (الإنسان) فى حركيته الممتدة ، والمتضفرة الى الهارمونى الكونى الأكبر (الحق تعالى) ، وعبر هذه الرحلة الرائعة تخرج الانغام لتعبر عن بعض مآزق ومفارج الجدل التنسيقى المتصارع ، وبالفاظ أخرى فالموسيقى هى الحياة ، والنشاز هو بدوره عكس الحياة ، وأعنى بالنشاز تلك التأثيرات المنشقة ، والهابطة على الوعى والوجود كالنيازك الساقطة ، وكثير ماهى .

● مسيرة الحياة والايقاع الحيوى وهنا أحب أن أشير إلى أصل من أصول فكرى عن النفس والحياة ، وهو رؤيتى لمسيرة النمو (تطور النوع ونمو الفرد على حد سواء) من منظور مايسمى بالايقاع

الملف الموسيقي

## الموسيقى وأزمة المرض النفسي

الحيوى Biorhythm فهو ظاهرة بيولوجية راسخة لاتقتصر على وصف نبضات القلب فحسب ، وإنما هي أساسية في كل تفاعل حيوى تقريبا من أول التفاعل الكيميائي المحدود حتى الدورة الليلنهارية Circadian ، وكذلك تبادل دورات النوم والاحلام ، ولا احب ان اقصر اصل الموسيقى على هذا الايقاع الحيوى لانه ـ في ظاهره ـ معاد ورتيب ، لكنني فقط انبه الى طبيعة تشكيل الزمن المواكبة ، بل ربما السباقة لطبيعة تشكيل التركيب الحيوى ذاته .

فاخلص من هذا وذاك ـ مرة اخرى ـ الى أن الموسيقى هي الحياة بكل اوجه ايجابياتها الخلاقة ، بما في ذلك تكامل النفس البشرية .

● المأزق ، وخبرة شخصية

فإذا كان الأمر كذلك ، أن الموسيقى هي الأصل ، وهي الحياة ، فلماذا توارى دور الموسيقى (الحقيقية) في خلفية وجودنا المعاصر ، وخاصة في وطننا هذا في وقتنا هذا ؟

أحسب أن الاجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في أمرين :

أولا : طغيان الجانب اللفظي على التواصل البشري الكلي الرحب .

ثانيا : الاغتراب الطاغي المؤدى الى الابتعاد عن الأصل الكوني : في صورة أديان ونظم تشوهت عن أصلها حتى اصبحت حاجزا بين الانسان وأصله (علما بانها في الأصل جاءت معبرا من الإنسان إلى أصله) .

وقد ظهرت الموسيقى بشكلها الأحدث لتعيد التوازن ، فترجح لغة موازية للغة الالفاظ ، وفي نفس الوقت تخترق حواجز الاغتراب التي فرضتها معاجم الالفاظ في تعريفات محددة .

وقد وجدت نفسي أتوقف للمرة « الكذا» بعد الألف «الكذا» أمام معنى التنزيل الكريم «الذين يؤمنون بالغيب» فوجدتني افتح باب أن الغيب هو ـ أساسا وأصلا ـ ماليس كذلك» ، فهو كل بديع مبتكر ، وهو كل مستقبل واعد ، وهو كل تأليف مخترق للظاهر حتى وجدتني فجأة اكتشف أن الموسيقى ـ بما هي ـ إنما تقع فيما ليس كذلك (ماليس لفظا ظاهرا متفقا على معناه) إذ هي لغة أخرى ، تكشف مساحة أخرى ، لتصنع وجودا أرقى .

ولعل في هذا التفسير ما يشرح ما حدث لي وأنا احضر الحفل الذى عشته أخيرا مع أوركسترا القاهرة السيمفوني ، لأحاول أن أتلقى بعض نبض صديق لم ييأس من تحريكي اليها (الموسيقى) .

ذلك أن الصديق طارق على حسن لايريد أن يصدق انه لا علاقة لي بالموسيقى الكلاسيكية خاصة وهو يكاد يصر على انني لم ألعب في مفاتيحي بالقدر الكافي وانني متى ما عثرت عليها ـ مفاتيحي ـ فستتفتح لي آفاق بلا حدود (وكأني قادر على آفاق جديدة غير ما يلاحقني من كل داخل خارج !!!) ومن هذا المنطلق دعتني زوجته الرقيقة لحضور سيمفونيتا للوتريات على الحان مصرية وتنويعات على الانغام الشعبية المصرية

من تأليف د . طارق زوجها ، فحضرت تلميذا خائبا مطيعا وكان فى نفس الحفل (الجمعة ١٣ مايو ١٩٨٨) كونشرتو رقم ٣ (٣٧) لبيتهوفن ، ثم افتتاحية ليونورا رقم ٣ لبيتهوفن ايضا وبعد أن عشت الحفل من أوله الى آخره تلميذا مجتهدا محاولا للمرة الكذا بلا فائدة ظاهرة وجدتنى وأنا أصفق لعازف البيانو وهو فى حالة من الوجد الصوفى المتألق ، وجدتنى استمع لآية تتردد فى وعيى بلا مناسبة ظاهرة تقول : «يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره» ولم اتعجب كثيرا لاقتحام هذه الآية لوعيى فى هذا الوقت هكذا ، فهذه عادتى مع آيات القرآن الكريم ، تأتينى كما أذهب إليها فى حوار غير مرتب مسبقا ، فجعلت اتأمل معنى تذكرى لها الآن ، هنا ، فوجدتنى خلال هذا التذكر المتجدد ارفض بكل عنف تلك الوصاية الجديدة على النفس البشرية بالالفاظ والنصوص الجامدة والثابتة ، ثم وجدتنى اخترق جمود الأوصياء الجدد لأمتد الى آفاق تتصاعد فى نوره الموقد من شجرة مباركة لاشرقية ولا غربية (موسيقى جديدة !!!) فحمدت الله ، واستغفرت الهم ، وقلت : فهذه الموسيقى هى من نور الله ولو كره الكافرون .

ثم عدت اتبين تلك العلاقة التى شغلتنى طويلا بين الايمان الحقيقى والتناسق العميق ، والابداع والصحة النفسية فى أرقى مراتبها ، فقلت : متأكدا : هذا هو هذا هو .

## ● موسيقى الطبيعة وهدير الصمت

وإذا كنا نتحدث عن اثر الموسيقى على النفس ، فلا ينبغى ان نقصر حديثنا على تلك الموسيقى المسموعة بآذاننا فحسب كما لاينبغى أن نتصور ـ كما المحت سابقا ـ أن المسألة هى دغدغة الحواس وتفريغ المكنون لخفض التوتر ، بل إن الموسيقى باعتبارها لغة من اقوى واخطر لغات الغيب (ما ليس كذلك) ، هى حركة ولافية وثابة . وهى اقتحام منظم لطبقات النفس ، وهى تحريك مبدع ، وهى اكتشاف مبهر ، وهى كل مافوق ذلك مما لا استطيع ان اذكره من موقعى الخائب هذا .

ذلك اننى من خلال علاقتى بالشعر وبالطبيعة (بعد الاعتراف بخيبة تلمذتى للموسيقى المبدعة بواسطة البشر الأرقى والأحدق) ، ادركت ان ما ينبغى علينا هو ان نطلق الموسيقى الحرة من داخلنا ، وان الموسيقى المصنوعة ربما توظف اسلسا لذلك ، فرحت مباشرة احرر داخلى بمحاولة تخطى أسوار وحواجز اغترابنا المترتب على إغارة العالم الملفظن ، والمناهج الرقمية على اكبر مساحة من وعينا ، وكذلك نتيجة لاغارة الأصوات النشاز المقتحمة ، فنحن نعيش فى عالم حرمنا فيه من حسن الانصات للصمت ، الصمت المطلق الذى يفجر موسيقى الداخل ، كما حرمنا من معايشة الصمت الحى الذى تتخلله همسات الطبيعة العارية إلا من حديث الفطرة وهديرها المتناسق ونظرا لعجزى عن معايشة الموسيقى الصعبة المنسوجة بمهارة أهلها بما تستحق ـ كما ذكرت ـ أقول إننى حاولت أن أعوض ذلك بمحاولة حسن الانصات الى موسيقى

الصمت وهدير الطبيعة . ثم رحت أحاورها بما أملك من وسائل متواضعة ما أمكن ذلك فذات مرة رحت أحاور موجة حانية فى بحر هائج بما يشبه الموسيقى .

## الموسيقى وأزمة المرض النفسي

تغمرني ، تذوب قطرتي ببحرهـا ، اغوص في مدارها ، تدفعني أتوه في رحاب صدها فتنحني فأنحني لها ، تلطمني ، فالثم الرذاذ والزبد ، وتقلت السيقان من جوف الرحم ، تردني فاختبيء ، متى تراني امي الحنون ؟ اطل من تحت العباءة تبتسم .

ومرة أخرى تصورت موت نبض الصمت حين زحف هجير اليأس فكدت ارى الحريق يلتهم موسيقى الطبيعة : حيث قلت :

تقول همسة التخلق الوليد قبلما تكونت : تقول للنواة لانجاة ، لا عود للتضفر النغم ، يغوص نبض الورد في مزاج صرخة التخثر / العدم .

● الموسيقى والشعر والصحة النفسية :

فاذا تكلمنا عن الموسيقى والصحة النفسية .. فنحن نتكلم عن اعادة تركيب بنية الذات ( الذوات متضفرة ) من خلال حركة واعية تقوم بتشكيل الزمان والمكان في توليف جديد .. والشعر من هذا المنطلق هو خير مايمثل الموسيقى بالمعنى الارحب .. وبالرغم من أنه يستعمل الكلمات .. فإنه يستعملها كابجدية خاصة لتشكيل صورة موسيقية بالمعنى الاشمل ، ونحن نؤكد انه لايوجد شعر بلا موسيقى ، والقصيدة الحديثة لا تكون قصيدة الا بموسيقاها حتى لو لم تتبع ايا من الأوزان المعروفة .

وحين نواجه ازمة المرض النفسي ، فنحن انما نواجه لحنا ناقصا .. أو تنويعات خائبة على لحن باهت سابق ، تنويعات عجزت عن أن تلتحم بالقديم ـ بعد ان اهدرته ـ كما عجزت عن أن تتخلق من جديد بعد ان توقفت فكان المرض ، وتوظيف الشعر ، الموسيقى في اعادة تنظيم الذات ، هو نوع من احياء الهارموني بمساعدة ملحن قادر على احترام المحاولة (المعالج) رغم الفشل المبدئي . وحين نشاهد معالجا يقود مجموعة علاجية فيما يسمى العلاج النفسي الجمعي فأننا نراه يقود هذا الأوركسترا الذي لا يصدر لحنا متسقا ، اذ كل ما يصدر عن افراده ليس سوى ضبط اوتار متلاحق لآلات انقطعت اوتارها . حين نشاهد مثل هذا المعالج وقد احال هذا النشاز المتفرق الى لحن الحياة (الصحة النفسية) تعزفه المجموعة في اقتدار صعب ، نعلم أننا لسنا الا امام مايسترو يقوم بمهمة شديدة الصعوبة وهو يؤلف لحنا جديدا من نشاز ملح . وبألفاظ أخرى : فالمرض النفسي يجهز الآلات لكنه يعلن النشاز ، والعلاج النفسي الحقيقي يؤلف اللحن من هذه الاصوات والحياة المغتربة تختزن الالات وتكتفي صفارة احادية الرنين .

والشعر (والعلاج بالشعر) ـ بالمعنى الأعمق لما هو موسيقى ـ هو هذا النشاط

المعيد تخليق الانغام والقادر على تشكيل الزمان والمكان معا فى هارمونية جديدة . والصحة النفسية فى ارقى صورها الابداعية هى شعر بكل معنى الكلمة من حيث انها هارمونية متخلقة ، ولحن متصاعد ابدا .

فنحن اذ نستعمل ما يسمى العلاج بالشعر او بالموسيقى انما نستلهم التنسيق المبدع ، ونوازى بين تخليق الصور والانغام فى الشعر ، وبين تخليق الحياة والبنية الجديدة فى العلاج النفسى .

● خلاصة :

ونستطيع ان نخلص مما تقدم الى بعض المؤشرات الدالة تقول :

١ ـ ان الموسيقى لاتقوم بتهذيب النفس فحسب ، بل انها تقوم بأحياء وتحريك وتخليق النفس ابدا .

٢ ـ ان الحياة فى صورتها البيولوجية المتخلقة ، المتصاعدة هى لحن الخالق الذى لايكف عن العزف ، والتناسق المتجدد ، وأى حبس لهذا اللحن فى أى صورة مجمدة (حتى لو سميت دينا) هو تشويه للفطرة وبالتالى هو كفر خفى أو صريح .

٣ ـ ان الموسيقى ليست دغدغة للحواس ولا تسكينا للقلق ، ولا هى تفريغ للتوتر او تمهيد للاندفاعة ، وانما هى تشكيل للزمان / المكان فى وحدة الكيان البشرى بحيث تترجم فى ظاهر السلوك الى لغة خاصة ورحبة ، ليست لفظية تسمى الموسيقى .

٤ ـ ان موسيقى الطبيعة وموسيقى الصمت وموسيقى الحلم وموسيقى الخلق هى من أروع وأهم اشكال ماهو موسيقى ، وعلى ذلك فإن حوار الانسان مع كل هذه الاشكال الموسيقية هو من أهم مقومات الصحة النفسية .

٥ ـ ان الشعر ـ رغم لغته اللفظية ظاهرا ـ ليس سوى نوع من انواع الموسيقى فى اعقد تشكيلاتها التصويرية اللغوية البديعة ، والعلاج بالشعر ليس ملء فراغ بنغم رتيب ، وانما هو تحريك بنية لتناسق جديد .

٦ ـ إنّ المرض النفسي يحيي قدرة الآلات البشرية المهملة بالاغتراب على اصدار اصوات جديدة ، لكنه لحن ناقص مجهض ، وبالتالى فهو ليس موسيقى اصلا لافتقاده الهارمونى والتواصل التكاملى .

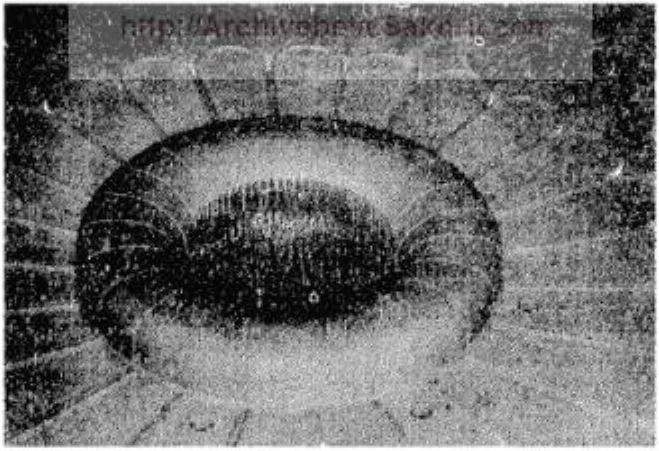
٧ ـ ان العلاج النفسى ـ فى أرقى صوره ـ (مع الاستعانة بالكيمياء والفيزياء بتوقيت ماهر وجرعة منضبطة) هو القدرة على تحويل النغم النشاز الى لحن راق ، ولكن لا ينبغى ابدا ان يكون العلاج النفسى هو القدرة على تحطيم ماتبقى من اوتار حتى لا تصدر نغما اصلا : نشازا او غير ذلك .

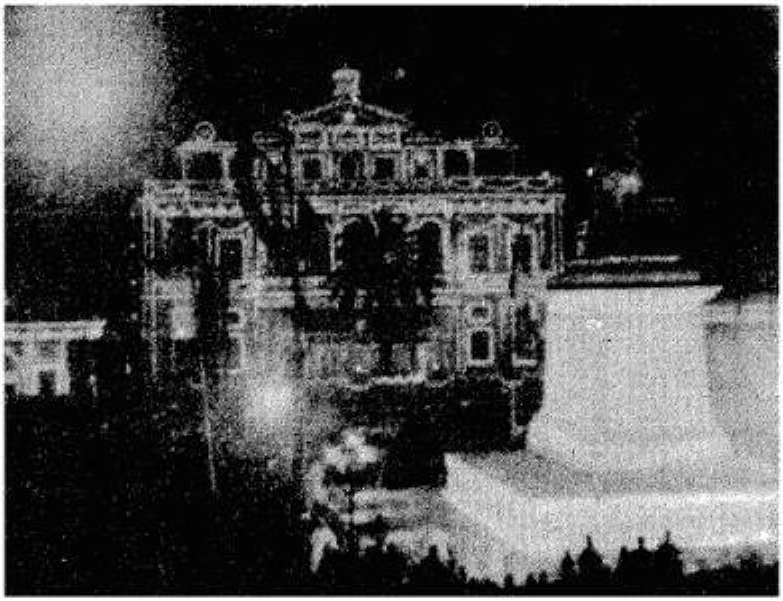
٨ ـ ان الاستفادة من هذا المفهوم الأوسع لما هو موسيقى ينبغى ان يوضع فى الاعتبار منذ الصغر كنوع من الوقاية ، وفرصة لاطلاق قدرات النفس وعدم الاكتفاء بهذا التعليم الرمزى اللفظى الكمى المغترب . وكذلك ينبغى ان يكون هاديا لنا نرفض به اى سجن لحركتنا الداخلية والخارجية فى طريقنا الصعب الى نور وجهه .

# الأوبرا المصرية
# تولد من جديد

بقلم المايسترو: يوسف السيسى

تم افتتاح دار الاوبرا المصرية منذ مايزيد عن ١٢٠ عاما ، بمناسبة افتتاح قناة السويس . وكانت اول دار اوبرا فى الشرق سبقتبها مصر دولا كثيرةفى الشرق وفى الغرب ، وارتبطت بالاشعاع والنمـــو الفنى فى مصر ، ثم شاءت لها يد الاهمال ان تحترق عام ١٩٧١ وهاهى الاوبرا المصرية تولد من جديد ، وتحيى آمالا فنية واسعة لكى تبقى مشعلا للفن يعيد للوجـــدان العربى اعتباره واعتزازه بارتباطه بفنون العالم .





الاوبرا القديمة .. ليل خارجي

ارتبطت اوبرا القاهرة بافتتاح قناة السويس وبالرفاهية الثقافية التى أضافها الخديوى اسماعيل الى مصر وكان قد كلف المؤلف الموسيقى العالمى (فردى) بكتابة أوبرا عايدة لافتتاح هذه الدار وأصبحت هذه الاوبرا تتغنى باسم مصر ( والمجد لمصر ) فى كل موقع وعلى مدى ١٢٠ عاما وحققت لمصر خلالها دعاية لا تستطيع أية قوة دبلوماسية أن تحققها ، وعاشت دار أوبرا القاهرة تستضيف فرق الاوبرا وأشهر الفنانين فى مجالات الغناء والعزف والقيادة حتى تمكنت من تكوين فرقة الكورال المصرية عام ١٩٥٤ ومن ضم أوركسترا القاهرة السيمفونى عام ١٩٥٩ ومن تكوين أول فرقة أوبرا مصرية عام ١٩٦٧ ، كما شهدت فى السنوات العشر الاخيرة من عمر دار الاوبرا المصرية اشتراك بعض فنانى الاوبرا المصريين مع فرق الاوبرا العالمية الزائرة ، هذا الى جانب اشتراك فرقة الباليه المصرية وفرقة كورال الاوبرا وأوركسترا القاهرة السيمفونى فى عروض الفرق الفنية الزائرة ، أى أن أعظم فرق الاوبرا العالمية لم تكن تستحضر معها الى مصر سوى بضعة مغنيين منفردين من ذوى الاسماء الشهيرة فى العالم .

أما بقية مكونات العروض الاوبرالية فقد كانت تنتمى الى قطاع الموسيقى والاوبرا الذى كانت دار الاوبرا المصرية بيتا لها .

## الاحتراق

الا أن ذلك لم يقف عقبة فى وجه المخلصين الذين استمروا فى العمل

مرتبطين بالقيم والمبادىء النادرة التي تربوا عليها في دار اوبرا القاهرة النادرة وواصلوا العمل فنانين واداريين في سباحة ضد التيار : وهو التيار الذي شهد الهبوط في الذوق العام وفنون الموسيقى والغناء التي ارتبطت بالملاهي الليلية والمواخير والكاسيت الهابط الذي يجامل مشاعر البدائيين من البشر والتي ترفه عن عقولهم وقيمهم المرتبطة بالفراغ والضياع ·

واستمر قطاع الموسيقى والاوبرا يعرض فنون الاوبرا والموسيقى بشكل مكثف بواقع برنامج اسبوعي جديد دون توقف رغم انعدام الامكانيات الخاصة بقيم المجتمع والتقدير الادبي الكافي والاعتمادات المالية حتى جاء الى مصر سفير ياباني فنان كان أول ما فعله قبل أن يقدم أوراق اعتماده هو حضور حفل لاوركسترا القاهرة السيمفوني بقيادة يوسف السيسي وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين العمل الجاد ونقلت اليه الرغبة في حصول أجهزة قطاع الموسيقى والاوبرا على بيت جديد بدلا من الدار التي احترقت عام ١٩٧١ ·

## ● قصة الاوبرا الجديدة

كان ذلك في صيف عام ١٩٨٢ واختمرت الفكرة في عقل الياباني « ناكاى » الذي دعا حكومته الى تقديم منحة لا ترد في صورة دار للاوبرا بدلا من المبنى الذي احترق ليكون تمجيدا لبلاده اليابان في مجال المعونات والمنح التي تقدمها اليابان للعالم الخارجي · وفي مارس ١٩٨٣ تسلم الرئيس حسني مبارك هدية اليابان الى مصر أثناء زيارة له لليابان وكانت دار الاوبرا والتي حملت اسم المركز التعليمي الثقافي · وقد جاءت هذه التسمية ( المركز الثقافي التعليمي ) لتتمشى مع رغبة اليابان وارتباطها بالمعونات الخارجية والتي لا توجه الى اغراض ترفيهية بل يجب أن ترتبط بالتعليم والثقافة ، والى جانب ذلك فان تسمية أوبرا لا ترتبط لليابان بنفس المعنى الذي تعرف به في العالم الغربي ، لذلك التزمت مصر بهذا المسمى حتى تتسلم المبنى وارتضت اليابان المسمى المصري ( أوبرا ) والذي لا نستطيع أن ننفصل

د. ماجدة صالح .. امام الاوبرا الجديدة





د . حاتم يضع حجر الاساس لدار الأوبرا الجديدة

● واحترق مبنى الاوبرا القديم .. واحترق معه تاريخ فني عتيد ..





عنه لانه يرتبط بهذه الحضارة العالمية العريقة التى أصبحت مصر جزءا منها منذ بناء دار أوبرا القاهرة الاولى كما أن « المركز الثقافى التعليمى » عندما يبدأ فى ممارسة نشاطه ابتداء من أكتوبر القادم باذن الله فانه سيضم أيضا مراكز تدريبية فى مجالات الغناء والعزف والباليه .

## ● امكانات حديثة

والمبنى الجديد يضم قاعة كبرى تصلح لعروض الاوبرا بما فى ذلك من حفرة للاوركسترا ، ويمكن اغلاق الحفرة عندما تستخدم خشبة المسرح فى عروض موسيقية بحتة كعروض الاوركسترا السيمفونى أو العازفين المنفردين الافذاذ من مصر والعالم .

تضم هذه القاعة ١٠٠٠ مقعد وامكانيات للتسجيل الصوتى والمرئى ومقصورة لكبار الزوار كما تضم خشبة المسرح امكانيات هائلة تضعها فى مصاف المسارح الاولى فى العالم وتسمح بضم كل الامكانيات الالكترونية الحديثة التى تستخدم فى أعظم عروض الاوبرا والدراما بأكبر وسائل الابهار والحركة المسرحية التى عرفها العالم حتى الان ، كما يضم المبنى قاعة أخرى للحفلات الموسيقية ذات مقاعد غير ثابتة وهى تخصص للعروض الموسيقية الاقل عددا سواء فى جانب الفنانين أو جمهور المستمعين فهى تتسع لـ ٥٠٠ مقعد ويمكن تحويلها لقاعة للمؤتمرات الموسيقية أو الفنية الرفيعة ، كما يضم المبنى مسرحا مفتوحا فى الهواء الطلق للعروض الصيفية ويتسع لـ ٥٠٠ مشاهد أيضا والمبنى يضم ما يميز دور الاوبرا عن المسارح العادية فهو أساسا صالة لتدريبات الاوركسترا بحجم خشبة المسرح وأخرى لتدريب الكورال وقاعتين لتدريب الباليه وعدد من الغرف الصغيرة لتدريبات الفنيين المنفردين وذلك حتى يصبح المبنى بوتقة لتدريبات الفنانين كل فى موقعه قبل أن يتجمعوا على خشبة المسرح وفقا لبرامج التدريبات الجماعية أو العروض الفنية ، يضم المبنى أيضا متحفا للفنون الموسيقية المتوقع أن يضم آلات وأزياء ومدونات موسيقية ذات قيمة متحفية ، كما يضم المبنى أيضا معرضا للفن التشكيلى جرت العادة أن يكون مرتبطا بفنون الاوبرا والموسيقى أى يضم لوحات وتماثيل للالات الموسيقية وأشهر الفنانين فرادى أو جماعات فى مشاهد الاوبرا العالمية والباليه الكلاسيكى . وتضم الدار أيضا استراحات للفنانين والموظفين والجمهور تشتمل على مطابخ للوجبات والمشروبات الخفيفة . أما عن الادارة فان هيكلا اداريا يتم الاعداد له بشكل يتمشى مع الاصول المتبعة فى دور الاوبرا المماثلة فى العالم ، والمنتظر أن تتم من خلال مجلس ادارة يضم كافة المتخصصين فى فنون الموسيقى والاوبرا والمهتمين بها والمسئولين عن العلاقات الخارجية والاعتمادات المالية والدعاية والتسويق .. الخ .

## ● مولد أوبرا

تقرر لافتتاح المبنى ١٠ أكتوبر القادم وتشكلت لجنة برئاسة السيد / وزير الثقافة لتحديد برامج الافتتاح .. والمتوقع أن تضم الحفلات الاولى

مهرجانا خارج المبنى يضم الزهور والاستعراضات المائية على صفحات النيل والموسيقات العسكرية ، وفى داخل المبنى يشتمل على كلمات لرئيس الدولة وكبار الشخصيات واستعراض لفنون مصر فى مجالات الموسيقى والاوبرا بشكل متنوع ومتميز بالاضافة الى فقرة من اليابان التى منحتنا هذا المبنى الهائل والتى تطلب الاشتراك فى الاحتفال بتشغيل هذه الدار . وتتضمن عروض الافتتاح « الكابوكى » وهو رقص شعبى يابانى شديد التميز لدرجة أن اليابانيين يقلسونه ولا يسمحون بخروجه من اليابان كفرقة للرقص الشعبى الا أن افتتاح هذا المبنى جعلهم يهدوننا أجمل ما فى بلادهم من فنون .

وفى ٢٥ اكتوبر تحضر الى مصر واحدة من أعظم فرق الباليه فى العالم وهى فرقة المهرجان البريطانية، وقد حققت مصر فوزا هائلا من خلال أوركسترا القاهرة السيمفونى الذى تفوق فى أدائه ليجعل المتخصصين الانجليز ينحنون أمام قدراته ويوافقون على أن يصاحب عروض هذا الباليه أو تكرر نفس الوضع مع باليه أوبرا باريس وهى الفرقة التى يعتبرونها فى فرنسا الاولى فى العالم . وقد رجعوا أيضا بأن يعزف معهم أوركسترا القاهرة السيمفونى المصرى وهو بذلك يعود من خلال قطاع الموسيقى والاوبرا الى دوره السابق الذى كان يفوق فيه مع فرق الاوبرا والباليه العالمية التى شهدها المثقفون طوال هذا القرن فى أوبرا القاهرة قبل أن ترحل .

والمتوقع الان هو أن يشارك كورال الاوبرا أيضا الذى لازال يعمل فى انتظار المبنى الجديد وينضم اليه فرقة باليه القاهرة التى تتبع الان أكاديمية الفنون بوزارة الثقافة . وكل هذه الفرق تجعل الاداء بالنسبة لاعظم فرق الاوبرا فى العالم شيئا بسيطا للغاية لاننا لا نحتاج لاكثر من ٥ أو ٦ من فنانى الاوبرا العالميين نستكملهم من مصر ونشرك معهم المئات من المنشدين فى الكورس والراقصين والعازفين . هذا الى جانب فرق مصر فى مجالات الاوبرا والرقص والعزف السيمفونى ومجموعات موسيقى الحجرة والعازفين المنفردين من مصر والعالم .

**ان كل ذلك سيؤدى الى احتكاك هائل لاعظم الفنانين العالميين الوافدين ، وسيؤدى المبنى بامكانياته فى التدريب الى خلق أجيال جديدة من فنانى الاوبرا والمنشدين فى الكورال والعازفين بالاوركسترا والراقصين لانهم سيجدون القيم وامكانيات التدريب وصومعته فى هذا المبنى الذى أراد اليابان تسميته المركز الثقافى التعليمى والذى نحتاج نحن أيضا الى الابقاء على هذه التسمية الى جانب المسمى الذى يربطنا بتاريخ فن الاوبرا فى العالم والذى ارتبطت به مصر منذ مائة وعشرين عاما .**

مع دعواتى لدار الاوبرا الجديدة بالادارة الجديرة والقيم النادرة لتصحيح السلوك المصرى والارتقاء بالتقاليد الى مستوى دور الاوبرا العالمية التى تشع حضارة كانت مصر سباقة اليه .

# الابداع الموسيقى ومشاكله فى مصر

بقلم : سليمان جميل

يستجيب الانسان للموسيقى بفطرته ، والسبب الاساسى هو ان الجهاز العصبى للانسان يعمل وفق نظام ذبذبى محكم يشيع فى كل خلايا الجسم وينعكس فى شكل الايقاع المنتظم لنبضات المخ ونبضات القلب. ومن الطاقة الذبذبية المنتظمة فى الجهاز العصبى للانسان تتكون تشكيلات صوتية ذات كميات ترددات ذبذبية منتظمة متناسقة فى تسلسلها هى التى نقول عنها « الحان وايقاعات » . تتكون فى خيال الانسان الذى ينتج جهازه العصبى هذه التشكيلات الصوتية الاولية وهذا الانسان هو الذى نصفه بأنه « ملحن » لديه موهبة موسيقية فطرية . وهذه الموهبة هى التى دفعت الانسان منذ فجر نشاطه فى الارض الى تجربة صياغة الالحان والايقاعات فى اشكال صوتية نسميها تصورات موسيقية او قوالب موسيقية . ولقد تنوعت هذه القوالب الموسيقية عبر الزمن ، وابسطها هو قالب « الاغنية » واكثرها تركيبا هو قالب « الاوبرا » و « السيمفونية » و « الكونشرتو » وغيرها من قوالب الابداع الموسيقى التى تشبه «بناء عمارة من طبقات الاصوات » وهذه العمارة الموسيقية هى التى تطورت ونضجت فى البلاد الاوربية المختلفة ولا سيما « ايطاليا وفرنسا والمانيا واسبانيا » خلال الاربعة قرون الاخيرة .

ـ معنى ذلك أن لكل مرحلة من مراحل الانجاز الحضارى للجماعات البشرية الصغيرة ثم الشعوب ابداعات موسيقية فى أشكال معينة ذات مستويات تتفاوت بين البساطة والتركيب تتميز بها المراحل الحضارية المختلفة على مدى تاريخ النشاط الانسانى فى الارض · المهم أن التصورات الموسيقية لمختلف الشعوب تجسدت فى حناجر بشرية تؤديها ، وهذا ما نسميه «الغناء» وكذلك تجسدت فى الات موسيقية تصاحب المغنى أو تعزف مستقلة عنه وفى هذه الحالة نسمى ما تعزفه الالات الموسيقية فقط « مقطوعة موسيقية » وبذلك تنقسم الموسيقى الى نوعين **أولا** : موسيقى غنائية يؤديها المغنون بمصاحبة الالات أو بدون هذه المصاحبة ثانيا : موسيقى الالات الخالية من الغناء البشرى وهى التى نسمعها الموسيقى الخالصة أو الموسيقى البحتة أو الموسيقى الاوركسترالية ـ ومن الشائع خطأ تسمية هذه الموسيقى بالموسيقى الصامتة تمييزا لها عن « الموسيقى الغنائية البشرية » ·

## ● الاوبرا والسيمفونية

ـ وهكذا فان أبسط اشكال الموسيقى بنوعيها هى « الاغنية والمقطوعة الموسيقية القصيرة » واكثرها تركيبا هى « الاوبرا والسيمفونية » أما الاوبرا فهى تتكون من ثلاثة عناصر هى :

**أولا** : نص شعرى درامى

**ثانيا** : غناء كامل لهذا النص الشعرى ·

ثالثا : عرض مسرحى ، والنص الشعرى الدرامى يتكون من عدد من الفصول يأخذ شكل الحوار بين اثنين من أبطال الغناء أو بين المغنى ومجموع المغنين الذين نسميهم « كورال » كما يشتمل النص الشعرى أيضا على أغنيات فردية يغنيها المغنى أو المغنية وكذلك يشتمل على فقرات تؤديها مجموعات « الكورال » فقط · وتحتوى « الاوبرا » عادة على افتتاحية تعزفها آلات الاوركسترا ثم يواصل الاوركسترا مصاحبة النص الشعرى الغنائى بالكامل وبحيث يكون للاوركسترا دور فى الحوار الدرامى الغنائى وتجسيد الجو النفسى للمواقف والاحداث · وهكذا يبدو قالب فن الاوبرا من أهم القوالب الفنية لاحتوائه على كافة عناصر التعبير الموسيقى « الغناء البشرى والالات الموسيقية بالاضافة الى الشعر وعناصر العرض المسرحى » ·

ـ أما السيمفونية فهى تتكون من عدد من الفصول تسمى « حركات » وهى ذات بناء موسيقى درامى يعتمد على استخدام عناصر التناقض فى طبيعة التأثير النفسى للسلالم الموسيقية التى تتكون منها الالحان وتركيبات

قارعة الدف .. نموذج شعبى مشهور



الانغام ، وكذلك يعتمد على التباين فى استخدام الوان الصوت المختلفة باختلاف نوعية الالات الموسيقية التى يتكون منها الاوركسترا الكبير والذى نسميه أوركسترا سيمفونى نسبة الى تخصصه فى عزف انواع الموسيقى السيمفونية · وقد تضاف اصوات الغناء البشرى فى بعض اجزاء السيمفونية مثل السيمفونية التاسعة للموسيقار الالمانى بيتهوفن ، ولكن الاصل هو أن السيمفونية تاليف تعزفه الات الاوركسترا فقط ·

## ● اللحن والوزع الموسيقى

– وعندما يكون الابداع الموسيقى مجرد لحن بسيط أو عدد من الالحان البسيطة المتكررة فى شكل « الاغنية » فاننا يمكن ان نصف الفنان صاحب هذا الابداع بانه « ملحن اغانى » وقد يضيف ملحن الاغانى الى الحان الاغنية تركيبات انغام تضاف الى انغام اللحن الاساسى للاغنية ، وهذه التركيبات تتكون من طبقات انغام مختلفة تعزف فى وقت واحد مع انغام اللحن الاساسى للاغنية او بعض انغام هذا اللحن فتزيده كثافة نغمية وعمقا فى التاثير وتسمى هذه التركيبات النغمية المضافة « تالفات هارمونية » وهى تسمى « هارمونية » لانها منسجمة مع النغمات الاصلية للحن الاساسى لنص كلمات الاغنيــة · وكذلك قد يضيف ملحن الاغنية الحانا الى لحن الاغنية الاساسى وبهذه الاضافة يتكون تركيبة من عدد من الالحان بما فيها اللحن الاساسى للاغنية لانه الاصــل – وتسمى هذه التركيبة اللحنية «بوليفونية» وهى كلمة تتكون من مقطعين « بولى » ومعناها « متعدد » و « فونية » ومعناها « صوت » أى متعددة الاصوات · وعملية اضافة التركيبات « الهارمونية والبوليفونية » الى اللحن الاساسى للاغنية تتطلب من « ملحن الاغانى » أن يدرس علوم الصياغة الهارمونية والبوليفونية وهى من اساسيات علوم التاليف الموسيقى التى تطورت فى أوربا مع تطور اشكال التاليف الموسيقى المعمارية المركبة كما سبق أن وضحنا · ثم بعد أن يقوم « ملحن الاغانى » بوضع الحان اغنيته فى هذه الصياغة المركبة والتى تسمى « النسيج النغمى المركب لموسيقى الاغنية » فان عليه بعد ذلك أن يوزع تركيبات الانغام المختلفة التى يحتويها النسيج الموسيقى للاغنية على الات الاوركسترا المختلفة لتعزف كل هذه التركيبات النغمية المصاحبة للحن الاساسى لنص كلمات الاغنية فى وقت واحد ، وهذه العملية هى ما نسميها « التوزيع الاوركسترالى » · وهكذا تمر عملية الابداع الموسيقى فى مرحلتها المعاصرة المتقدمة بمراحل ثلاثة هى أولا : ابداع التكوين اللحنى المفرد الاساسى والملائم لكلمات نص الاغنية · ثانيا : اضافة الصياغة الهارمونية أو البوليفونية أو كليهما الى اللحن الاساسى للاغنية . ثالثا : توزيع هذه التركيبات النغمية المضافة فى مختلف الطبقات الصوتية على الات الاوركسترا المختلفة هى الاخرى فى طبقات الصوت وايضا فى لون الصوت ، ولذلك تسمى عملية التوزيع الاوركسترالى ايضا بعملية « التلوين الاوركسترالى » حيث أن لكل الة موسيقية « نوع صوت » أى « لون صوت » ونحن نستعير هذا

التعبير من ألوان الرسم المختلفة فى التأثير النفسى ، وحتى يتم لنا بتدريب الاذن على التمييز بين أنواع صوت من آلات الاوركسترا المختلفة فيزداد تذوقنا للنسيج الموسيقى الذى تعزفه هذه الالات سواء فى شكل الاغنية أو المقطوعة الموسيقية القصيرة أو الاشكال الموسيقية ذات التركيب المعمارى الكبير كالسيمفونية والاوبرا الكنشرتو الخ ٠

## ● الابداع المزدوج

وفى مصر يوجد كثير من « ملحنى الاغانى » الموهوبين الذين يبدعون ألحان أغانيهم بالفطرة الموسيقية السليمة ويلجأون لموسيقيين آخرين دارسين وأساليب الصياغة الموسيقية الهارمونية والبوليفونية والتوزيع الاوركسترالى ليضيفوا هذه الصياغات الفنية للتكوين اللحنى المنفرد الاساسى للاغنية ٠ وفى هذه الحالة فان موسيقى الاغنية تكون قد أصبحت تضم عمليتين ابداعيتين الاولى : هى ابداع اللحن للتكوين اللحنى المفرد لكلمات الاغنية والثانية : هى التركيبات النغمية المضافة والتى يبدعها من تعودنا على أن نسميه فى مصر « الموزع الموسيقى » والصحيح هو أن نسميه «مبدع الاعداد الموسيقى» لانه يقوم بعملية اعداد الصياغة الهارمونية والبوليفونية أو ايهما لالحان الاغنية الاساسية ثم يقوم بعملية تالية لهذه العملية وهى توزيع النسيج النغمى للصياغة الهارمونية والبوليفونية مع اللحن الاساسى للاغنية على الالات المختلفة للاوركسترا ٠

وكثيرا ما تحدث خلافات فى تقدير مدى أهمية الدور الفنى الابداعى الذى يقوم به « مبدع الاعداد الموسيقى لالحان الاغنية» فهو نفسه يرى أن دوره الفنى أهم من دور اللحن مبدع اللحن الاساسى لكلمات الاغنية وسبب هذا التقدير فى حقيقة الامر يرجع الى أن « مبدع الاعداد الموسيقى » قد أفنى سنوات طويلة من عمره فى دراسة علوم صياغة الانغام والالحان فى تركيباتها المختلفة ، ودراسة الالات الموسيقية من مساحات أصواتها ، وألوان أصواتها ، وطرق الاداء عليها وأجمل مناطقها الصوتية ، ومناطقها الصوتية غير المستحب استخدامها ـ ولكن تبقى حقيقة أخرى هامة وهى أن « ملحن الاغنية » الذى يبدع اللحن بفطرته الموسيقية وعادة بدون عناء يذكر حيث يظل يردد اللحن الذى جادت به فطرته الموسيقية بحنجرته أو بعزفه على آلة العود حتى يتثبت اللحن فى ذاكرته السمعية ثم ينقله الى العازفين على الات الاوركسترا بنفس الطريقة ٠ هذا اللحن رغم أنه يبدع بفطرته الموسيقية دون دراسة موسيقية تذكر يظل ابداعه الابداع الاساسى الذى ينطلق منه ابداع معد الصياغة الموسيقية التركيبية وتوزيعها على الات الاوركسترا ـ وقد يكون اللحن الاساسى الفطرى ذا تأثير عظيم لدى المستمعين ثم اذا أضيفت اليه صياغات المعد الموسيقى والموزع فان هذا التأثير التعبيرى للحن الاساسى يفسد ٠ واذا حدث ذلك فان الحقيقة التى تصبح واضحة بطريقة عملية هى أن « ملحن الاغنية » نقول عنه أنه موهوب بينما « المعد الموسيقى والموزع » نقول عنه أنه متعلم موسيقى وليس موهوبا موسيقيا ٠ ذلك لان عملية الصياغة الموسيقية التركيبية لا تصبح ذات قيمة فنية تعبيرية الا اذا نبعت أيضا من فنان موهوب موسيقيا ٠ وقد يتم التوافق فى الموهبة الموسيقية بين

« ملحن الاغنية » و « معد صياغتها الموسيقية التركيبية » وفي هذه الحالة تكون عملية «الابداع الموسيقي المزدوج» ناضجة. ولكن قليلا مايحدث ذلك في انتاج الاغنية المصرية . وتظل الظاهرة الموسيقية العامة والسائدة هى أن معظم ملحنى الاغانى الموهوبين فعلا لم يدرسوا علوم الصياغة الموسيقية التركيبية والتلوين الاوركسترالى . ولكن الخطأ الجسيم هو أن ننادى بابعاد هؤلاء الملحنين الموهوبين عن مجال ابداع الالحان بل على النقابات الفنية واقسام الدراسة الحرة فى المعاهد الموسيقية أن تعنى بتثقيف هؤلاء الملحنين الموهوبين وفى نفس الوقت وبالدرجة الاولى من الاهمية فانه من الواجب اعطاء الفرصة كاملة للحنى الاغانى الذين يجمعون بين الموهبة الموسيقية ودراسة الصياغات الموسيقية والاوركسترالية لتقديم اعمالهم فى أجهزة الاعلام والثقافة بانتظام وتكثيف مستمر .

## ● تذوق الموسيقى السيمفونية

واذا كان هذا هو الحال بالنسبة للابداع الموسيقى فى شكل الاغنية والتى تعتبر هى الغذاء الموسيقى اليومى للشعوب . فان المؤلفين الموسيقيين المصريين الذين درسوا علوم التاليف الموسيقى فى شكل دراسات خاصة جادة أو فى شكل دراسات اكاديمية فى معاهد موسيقية فى مصر والخارج . تتبلور مشاكلهم فى انهم يبدعون الموسيقى فى اشكال موسيقية تطورت فى أوربا كما قلنا خلال القرون الاربعة الاخيرة ، مثل الاوبرا والسيمفونية والكونشرتو الخ ، ولم يتعود المستمع المصرى العادى الاستماع الى هذه الاشكال الموسيقية أو لم يستمع اليها أصلا وهذا هو الواقع الصحيح بالنسبة للجماهير العامة . وكما أن هذه الاشكال الموسيقية المركبة تحتاج من المؤلف الذى يبدعها تحصيل دراسات علمية متنوعة ولمدى سنوات طويلة من عمره ، فانها أيضا تحتاج من المستمع أن يحصل على معلومات تاريخية وادبية وموسيقية اولية ليستطيع تذوقها . وهكذا فاول مشكلة تواجه المؤلف الموسيقى المصرى الذى يؤلف سيمفونية مثلا هى الجمهور المصرى والعربى العام الذى تبدو هذه السيمفونية غريبة على اذنه تماما . ومع ذلك فانه يوجد جمهور مصرى ولو أنه قليل الا انه يتذوق الموسيقى السيمفونية عن دراية جمالية وثقافة خاصة بأدب الموسيقى الاوربية الكلاسيكية . وهذا الجمهور المصرى يمكن أن يشجع المؤلف السيمفونى المصرى ويساعده اذا صفق له فيعرف المؤلف أن عمله السيمفونى ناجح لانه اثر فى الجمهور وانتزع منه التصفيق وقد يحدث العكس فاذا لم يصفق الجمهور لعمل المؤلف المصرى فان هذا المؤلف يعرف ما ينقص مؤلفاته فى عناصر التعبير فى ضوء الموقف السلبى للجمهور من هذه المؤلفات . ومن هذا نتبين اهمية تقديم المؤلفات الموسيقية السيمفونية للمؤلفين المصريين بانتظام للجماهير حتى تنضج التجربة الموسيقية الابداعية كهؤلاء المؤلفين والتى لا يمكن أن تنضج الا بارتباطها بالجماهير .



# أوربا عصر النهضة ترقص على أنغام عربية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

**« تغنم روح الانسان عدة منافع من الغناء .. منها السكينة التى تهبط عليها فى ساعة الهموم والآلام »**
**الحسين بن زيلة المتوفى ١٠٤٨ هـ فى كتابه « الكافى فى الموسيقا »**

**يقال إن الرصانة ليست الا نقصا فى المزاج غالبا ! واذا اتخذنا من الشعر الاندلسى ، وهو فن ، وثيقة على حياة أهله ، وجدنا الجانب الأكبر وقفا على وصف مغامراتهم العاطفية ، البهجة ، صحبة كاس لاتفرغ ، وموسيقا لاتتوقف ، ورقص يأخذ بالعقول ويسحر الألباب ، وكلها شواهد كافية على ارتشافهم الحياة حتى آخر قطرة !**

ولم يكن المسلمون حين هبطوا اسبانيا فاتحين فى مطلع القرن الثامن الميلادى يحملون معهم غير موسيقا بدائية ، وغناء لمّا يتطور ، وهما متلازمان ، فلم تكن الموسيقا ، وحتى قرون بعد ، قد استقلت بنفسها أداء وتعبيرا ، وكلمة مغنٍ تعنى موسيقيا أيضا ، والعكس صحيح ، وأحيانا كانت تعرف الموسيقا بأنها الطرب ، ويدعى الموسيقى مطربا .

وهذه الموسيقا العربية كانت بدائية ، وليدة الحداء ، وغناء الركبان ، وآهات المكروبين ومن يعانون ، ويستخدمها العرافون والسحرة ، وفى ممارسة طقوس الحج الجاهلية حين يهلل الحجاج أو يلبون أو يرتلون .. ولكن ذلك كان قليلا ومحدودا ، لأن العربى البدوى لم يكن يعنى بغير « الحب والخمر والميسر والصيد .. ولذات الفناء والمخاطرة والتعبير الموجز الملمح البليغ عن اللباقة والحكمة ، ويستجيد هذه الأمور ولايرى بعدها غير القبر» .

وكانت النساء تشارك فى هذه الموسيقا البدائية فى الأفراح العائلية أو القبلية ، فى السلم والحرب ، وهى أشياء استمرت حتى عصر النبوة ، فقد تضمن الاحتفال بتزويج النبى من خديجة فرحا فيه غناء ورقص وموسيقا ، وحين سار المكيون الى معركة بدر عام ٦٢٤ م .. أخذوا معهم « جميع آلات اللهو ، والقيان يعزفون على الآلات ، ويغنين على كل ماء حيث يعرسون» .

وعندما سمع المكيون باقتراب الرسول أشاروا على رئيسهم بالانسحاب بدل المخاطرة فأجاب : « والله لانرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمور ، وتعزف علينا القيان» .

وكانت هند بنت عتبة ، وزوج أبى سفيان زعيم القرشيين ، على رأس النسوة اللائى صحبن الجيش

القرشي في معركة أحد ، ينشدن الأغاني الحماسية ، ويرثين قتلى بدر ، ويضربن الدفوف ، وعندما حمي وطيس المعركة كن لازلن يغنين ويعزفن .

وكانت المراكز الأسبق تحضرا في أطراف الجزيرة الشمالية والشرقية تعرف الوانا اكثر تقدما من الموسيقا ، بتأثيرات فارسية أو بيزنطية ، فكان في بلاط الغساسنة على أيام جبلة بن الأيهم ، فيما يحكي حسان بن ثابت الصحابي شاعر الرسول ، عشر قيان : « خمس روميات يغنين بالرومية ، وخمسا يغنين غناء اهل الحيرة » وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .

وكان بين هؤلاء المغنيات الأحرار الهاويات ، والقيان المحترفات ، وهؤلاء كن في منزل أي عربي ذي قيمة اجتماعية ، في مكة ، ويثرب ، والحيرة ، وفارس من أصول عربية أو فارسية أو اغريقية ، يغنين بلغتهن أحيانا ، وقصائد عربية أحيانا أخرى ، ومن المحتمل ان التلحين كان أجنبيا .

غير أن من الحق ايضا ان نقرر أن « هذه الموسيقا الجاهلية لم تكن أكثر من ترنم ساذج ينوعه المغنى أو المغنية أو يجمله ، تبعا لذوقه وانفعاله ، او مايريده من تأثير .. ويطوله في مقطع او كلمة او شطر بيت ، بصورة تجعل غناء المقطوعة ذات البيتين او الثلاثة يمكن أن يستغرق ساعات .. وميزة المغنى في جمال صوته وخفته وذبذبته ، والشعور الذي يجعل الصوت مستمرا او متموّجا » .

وكل مغن يغني في نغمة واحدة أو مقام ، إذ لم يعرفوا تأليف اللحون المتفرقة ، أي الهرمونى .. كما نعرفها نحن .. والنوع الوحيد من التأليف المعروف عندهم هو الأنغام التي تبعثها الات القرع المختلفة من الطبل والدف والقضيب .. وتشكيل اللحن بالزخارف من التموجات والدورات التي سموها الزوائد .

ولكن العرب وهم يجتاحون العالم المتحضر على أيامهم لم يقفوا من الحضارات التي وقعوا عليها موقفا عاديا ، وانما كانوا طلاب علم نهمين ، فتمثلوا كل شيء جميل فيها ، وطوعوه لحياتهم ، وبدأت الموسيقا العربية الأولى تتلقى إضافات جديدة وعميقة ، وفارسية وبيزنطية .. حتى بلغت أوجها رقيا على يد اسحاق الموصلي ، في عصر هارون الرشيد .

## الموسيقا العربية في أرض أوروبية

لم يحمل العرب معهم حين هبطوا اسبانيا فاتحين للمرة الأولى في مطلع القرن الثامن الميلادي موسيقا متقدمة ، ولم يجدوا أيضا عند الاسبان شيئا يمكن أن يضيفوه الى ماعندهم ، فقد كانت الموسيقا الكنسية برتابتها وجمودها هي السائدة ، وتمثلت مباهج الطبقة العليا في الصيد ومشاهد السيرك ، وفقد المسرح أهميته ، وانفض عنه الناس ، ومع ذلك لايمكن القول عن عامة الناس أنهم كانوا صامتين ، يكتفون بسماع موسيقى القداس ، اذ من الطبيعي أن يعيش المرء حياته الخاصة ، ورغم غيبة الوثائق والنصوص استطعنا أن نعرف شيئا مما كان يجرى في المجال الشعبي ، ذلك أن المجامع الكنسية المختلفة التي كانت تعقد في تلك الايام ، أخذت تشدد على منع الغناء والرقص الذي يقوم به العامة داخل الكنائس ، وذهبت كل جهود الكنيسة عبثا في أن تحل الموسيقا الكنسية محل الموسيقا الشعبية .

كانت هناك موسيقا شعبية اسبانية لانعرف طابعها ولا خصائصها وموسيقا عربية وافدة ليست بأرقى من تلك ، ولكن المناخ كانت مواتيا للرقي والتقدم ، فقد اشتهرت قادس في جنوب غربي اسبانيا ، وهي مدينة أسسها الفينيقيون قديما ، بأنها قدمت للعالم القديم ، أجمل الراقصات والمغنيات ، وأصبحت لهن شهرة عالمية ، وفتن بهن المثقفون والأغنياء والقادة في روما ، وانعكس الاعجاب بهن في قصائد الشعراء ونثر الكتاب .

ولما كان الاندلس يعيش ثقافيا فى مراحل تكوينه الأولى على ما يبدعه المشرق ، ويحتذى اثره ، ويطلب ملحا كل جديد فيه ، فقد أصغى واعيا الى تطور الحضارة العربية فى العصر العباسى فى مجالاتها المختلفة ، وعرف أن الموسيقا ذهبت بالنصيب الأوفى من ذلك التقدم ، فازدحم بلاط الخلافة بالموسيقيين المحترفين ، ولقوا معاملة حسنة لم يسمع بمثلها من قبل ، وسعد هذا العصر بموسيقا عبقرى هو إسحاق الموصلى ، فجدد فى الالحان ، واشاع الموسيقا ، واشرف على تدريب المغنيات ، وكان الخليل بن احمد الفراهيدى مبتدع علم العروض عالما فى الموسيقا ، وأبدع فيها نظريا كتابين هما : كتاب النغم وكتاب الايقاع .. ولكن أيا منهما لم يصلنا .

فى البدء كان الأندلسيون يستقدمون الموسيقيين والمغنيات من المشرق ، أو يرسلون بهم ليتدربوا هناك ، ولكنهم مالبثوا أن بدأوا يستقدمون كبار الأساتذة ، فى مجالات الثقافة المختلفة ، لكى يعلموا أبناءهم فى الأندلس نفسه .

## ● زرياب يحدث ثورة !

وفيما يتصل بالموسيقا واتتهم الفرصة مع على بن نافع الملقب بزرياب ، وكان موسيقيا عبقريا فذا ، ومن انبه تلاميذ اسحاق الموصلى ، وحدث بينه وبين أستاذه خلاف لايعنينا أمره هنا ، فارق زرياب بغداد على اثره واتجه غربا ، وفى القيروان خاطب الحكم الاول أمير الأندلس يعرض فنه فرحب به .. وعندما بلغ الجزيرة الخضراء ، أول حدود الاندلس علم بوفاة الحكم فأوشك أن يعود من حيث أتى ، ولكن الأمير الجديد ، عبد الرحمن الثانى ، اكد الدعوة ، ولقى زرياب حفاوة بالغة عند وصوله قرطبة ، فقد استقبله الأمير بظاهر المدينة ، وأنزله قصرا فاخرا ، وأجرى عليه راتبا كبيرا .

وكان وصول زرياب خطا فاصلا بين عصرين من الموسيقا .. لقد جاء الأندلس بأحدث ماوصل إليه فن التلحين فى المشرق ، وابتدع هو نفسه وترا خامسا اضافه الى أوتار العود الأربعة ، واتخذ المضراب من قوادم النسر ، معتاضا به عن مرهف الخشب ، وهى فكرة بارعة موفقة ، فهى تجمع الى لطف حفتها على الأصابع طول سلامة الوتر ، وعلى كثرة ملازمته إياه ، والضرب عليه ، واخذ فى انشاء المعاهد الموسيقية على امتداد الأندلس ، فى مدنه الكبرى : قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، وسرقسطة ، ومالقة وغيرها .. وكان الطلاب يدخلون هذه المعاهد بامتحان خاص ، لدينا تفصيلات لاباس بها عن طريقته .



## ● مناهج التدريس

ولكن الابتداع الأهم ، والجوهرى ، والذى جعل زرياب أستاذا عظيما ، ماهرا ومثقفا ، منهجه الممتاز فى تعليم الغناء ، فقد كان الأساتذة الفنانون قبله يعلمون تلاميذهم عن طريق التقليد ، يغنى الأستاذ ويحاول التلميذ أن يقلده ، وبقوة التكرار فحسب يحقق الطلاب النتائج التى يبتغونها .. أما زرياب فقسم العمل الى ثلاث مراحل : الأولى تعليم الايقاع .. فيبدأ بالنشيد بأى نقر كان .. والثانية تعليم الايقاع فى بساطته دون أن يضيف اليه أى طبقة ... والثالثة أن يختم بالمحركات والأهزاج» .. ومعها تعود أن يضفى على الغناء تعبيرا وحركة ولطفا ، وبها تتضح مهارة الفنان .

موسيقيان اندلسيان من القرن الثالث عشر الميلادى ، والصورة كذلك . اندلسى مسلم وآخر مسيحى



واستطاع زرياب بهذا المنهج ، وبفرقة تتكون من أجمل الثمانين صوتا ، بين مجموعة كانت تبلغ عشرة الاف فيما يقال ، ان يبلغ شهرة شعبية واسعة ، وارسل إلى زوايا النسيان كل من سبقوه ، واخمل كل اولئك الذين كانوا على ايامه .

ووضع نظاما لارتداء الأزياء المختلفة ، وأوقاتا محددة لتغييرها ، ولكل فصل زيه المناسب فيرتدى الناس الملابس البيضاء الخفيفة صيفا ، والأزياء الحريرية غير المبطنة ، والسترات ذات الالوان الزاهية في الربيع ، ويلبسون في الخريف والشتاء الفراء والمعاطف ذات الحشو ، والبطائن الكثيفة ، وينتقلون فيها تدريجيا حسب شدة البرد ، من الاخف الى الاقوى .

وكان الناس يلتمسون آراءه ويطبقونها نصا وروحا ، وما من تأثير لاناقة الحضارة العباسية ورقيها يمكن أن يكون أشد نفاذا ، وأبعد عمقا ، عما كان عليه في قرطبة ، ونزولا على رأى زرياب الذى لايناقش ، ويقبل على علاته ، غيّر أهل البلاط وسكان المدينة أزياءهم ، وأثاث بيوتهم ، وأساليب طبخهم ، وظل اسم زرياب المغني يتردد بعد ذلك لقرون عديدة ، كلما ظهر في صالونات شبه الجزيرة زى جديد او مبتكر .

## ● شيوع الموسيقا

أصبحت الموسيقا وماتتطلبه من غناء ورقص في القرن الرابع الهجرى ، اى العاشر الميلادى ، فى الأندلس .. كما فى بقية العالم الاسلامى .. اكثر الملاهى قيمة .. ولم تكن هناك سهرة ولا احتفال ولامهرجان لايفسح للموسيقا المقام الأول فيه ، وترك لنا المؤرخون اوصافا دقيقة الى حد ما لبعض الحفلات الليلية التى تقام فى بيوت الخاصة ، ونفهم منها ان المدعوين لايكادون ينتهون من طعامهم وشرابهم حتى تبدأ المشاهد الغنائية الراقصة ، تقدمها فرقة موسيقية تتكون من الجنسين .. وربما اكثر هذه الشواهد إثارة وتفصيلا مارواه لنا مؤرخ مصرى هو احمد بن محمد اليمنى ، رواية عن اديب اقام بمدينة مالقة الاندلسية عام ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م .. وهى شهادة لمايقع عليها أحد من الباحثين قبلا ، وجديرة بأن تروى كاملة يقول :

« حكي بعض الادباء قال : كنت بمدينة مالقة من بلاد الاندلس سنة ست واربعمائة ، فاعتللت بها مديدة انقطعت فيها عن التصرف ولزمت المنزل .. وكان يمرضنى حينئذ رفيقان كانا معى ، ويرفقان بى .

« وكنت اذا جن الليل اشتد سهرى .. وخفقت حولى أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية ، واختلطت الأصوات بالغناء .. وكان ذلك شديدا علىّ وزائدا فى قلقى وتألمى وكانت نفسى تعاف تلك الضروب طبعا ، وتكره تلك الاصوات الجميلة جبلة ، وأود ان أجد مسكنا لا أسمع فيه شيئا من ذلك ، ويتعذر علىّ وجوده لغلبة ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم .

« وانى لساهر ليلة بعد إغفائى فى أول ليلتى ، وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة ، وهدات تلك الضروب المضطربة ، واذا ضرب خفى معتدل حسن لا أسمع غيره .. فكأن نفسى أنست به ، وسكنت اليه .. ولم تنفر منه نفارها من غيره .. ولم اسمع معه صوتا ، وجعل الضرب يرتفع شيئا فشيئا ، ونفسى تتبعه ، وسمعى يصغي اليه ، الى ان بلغ فى الارتفاع الى ما لاغاية وراءه .. فارتحت له ، ونسيت الالم .. وتداخلني سرور وطرب خيل إلى معه أن أرض المنزل ارتفعت بى ، وأن حيطانه تمور حولى ، وأنا فى كل ذلك لا أسمع صوتا ، فقلت فى نفسى .. أما هذا الضرب فلا زيادة عليه ، فليت شعرى كيف صوت الضارب ، وأين يقع من ضربه .

وبم البت أن اندفعت جارية تغنى فى هذا الشعر بصوت أندى من النّواد غب القطار ، وأحلى من البارد العذب على كبد الهائم الصب ، فلم أملك نفسى أن قمت ، ورفيقاى نائمان ففتحت الباب ، وتبعت الصوت ، وكان قريبا منى ، فأشرفت من وسط منزلى على دار فسيحة ، وفى وسط الدار بستان كبير ، وفى وسط البستان يثرب ، نحوا من عشرين رجلا قد اصطفوا ، وبين أيديهم شراب وفاكهة وجوار قيام بعيدان وطنابير وآلات لهو ومزامير لايحركنها ، والجارية جالسة ناحية وعودها فى حجرها ، وكل يرمقها ببصره ، ويوعيها سمعه ، وهى تغنى وتضرب ، وأنا قائم بحيث أراهم ولايرونى .. وكلما غنت بيتا حفظته .. الى أن غنت عدة أبيات وقطعت .. فعدت الى موضعى ويشهد الله كأنما انشطت من عقال ، وكأن لم يكن بى ألم .. »

ولم تكن الموسيقا وقفا على المحترفين وحدهم .. ، يحيونها بأجر ، ويقدمونها لمن يطلب .. ويتكسبون بها فى القصور والبيوت والأسواق والميادين ، وإنما كانت تكون جانبا أساسيا من تكوين الشخصية المتحضرة للفتيان والفتيات على السواء .. ويحكى لنا ابن حزم ، وابن حزم دائما ! فى كتابه طوق الحمامة أن ضنى العامرية كريمة المظفر عبدالملك صاحب الأندلس القوى .. وحاكمها الأوحد ، طلبت منه أن ينظم لها أبياتا من الشعر تصنع لها لحنا ، فاستجاب لما طلبت .. ويثنى ابن حزم على موسيقاها فيقول : ولها فيها صنعة فى طريقة النشيد والبسيط رائقة جدا »

وكانت تربية الفتيات بخاصة تتضمن تعليمهن الموسيقا وتدريبهن عمليا على العزف بالعود والرباب والأدوات الموسيقية الأخرى ، وعلى ألوان من الرقص الفنى العالى .. وهو تقليد وأصل سيره ، ولما يتوقف ونجد أثره واضحا فى الفتيات الاسبانيات حتى يومنا هذا .

وكانت مشاهد الرقص متنوعة ، وقدم لنا ابن خلدون صورة لاحدى اللوحات الراقصة ، تظهر فيها الفتيات فى شكل غلمان ويعلقن الكرج فى ملابسهن ، ويمتطين صهوات أفراس خفيفة من الخشب يمثلن دور الفرسان .. يهاجمن مسرعات ، ويقاتلن منسحبات .. ثم يعدن الى المعركة من جديد .. وكان لباسهن .. فى ضوء أوصاف الشعراء فى شكل عباءة يمكن أن تنفتح من أعلى الى أسفل ، لكى يسمح للراقصة أن تتعرى فجاءة الا مما هو ضرورى .. وتصبح مثل « زهرة توشك أن تتفتح » .

وقد يكون مفيدا أن نشير هنا الى أن راسمى هذه اللوحات ومنفذيها كانوا مصريين ، اذ كان التبادل الفنى بين مصر والغرب الاسلامى قويا ومتواصلا .. وظلت مصر دائما فيما يرون أرض السحر والعجائب والذكاء .. وكان هؤلاء الفنانون المصريون موضع الاعجاب والتقدير فى اشبيلية وقرطبة والمرية وغيرها .



● شعر جديد لموسيقا جديدة

مع الزمن قويت الصلة بين الاندلس ومصر فيما يتصل بالفنون رقصا وموسيقا وغناء وتمثيلا .. أو كما كان يطلق عليهم القدامى « الخياليون والمشعوذون » ولم يعد للمدينة أو بغداد تأثيرهما القديم .. ومحى زرياب من الذاكرة موسيقيا ، ونقلت مصر الى الاندلس فن « خيال الظل » وبدأت الموسيقا الأندلسية تسلك طريقا جديدا ، ذاتيا وأصيلا ، وأفسحت مجالا واسعا للالهام الشعبى .. وعندما التقط الفنانون الترانيم ، والأغانى الشعبية الأندلسية ، وليدة الواقع الاجتماعى ، كان على الشعراء أن يستجيبوا بدورهم لهذا التطور ، فولدت الموشحة ، بعد وصول زرياب ، وشيوع الموسيقا ، والحاجة الى أشعار جديدة توائم الألحان المتجددة ، وقد عجزت القصيدة العربية التقليدية فى شكلها الثابت عن أن تستجيب لمتطلبات أنغامها المتحررة .

واذا كانت الموشحة التزمت العربية الفصيحة لترضى أذواق الطبقة العليا المثقفة ، وإن سهلت ألفاظها وعذبت ورقت ، فإن المبدعين بالكلمة لم ينسوا أيضا حاجة « الناس اللى تحت » فألفوا لهم موشحات فى عامية أهل الأندلس ، دخلت التاريخ تحت اسم الزجل .. وخلدها وخلد بها زجال عظيم هو

ابن قزمان ، ودفع بالشكل وموسيقاه فيما وراء حدود الأندلس على ماسيانى ، فى الشمال عند النصارى ، وفى الجنوب عند المغاربة ، ولايزال هذا اللون من الغناء والموسيقا سائدا ومزدهرا فى المغرب العربى كله .. ويحمل اسم : الغناء الأندلسى أو كلام غرناطة .

## ● ردود فعل

ظلت الموسيقى مع رفيقيها الغناء والرقص مطلوبة ومرغوبة ، تبحث عنها الجماهير التى هدتها الحروب ، وأرهقتها الضرائب التى تتطلبها آلة الحرب ، وفى المشرق والمغرب على السواء ، فهى تبحث عن المرح والبهجة تذيب فيهما هموما لاقدرة لها على دفعها ، وكلما اقبل الناس عليها ارتفع أجر الفنان ، ونفقت سوقه ، وعظمت مكانته ، واشتد الطلب عليه ، فحسدته طوائف كثيرة ترى نفسها الأحق والأجدر بهذا التكريم .. وعلى رأسهم الفقهاء .. ويعبر عبد الملك بن حبيب كبير فقهاء الاندلس فى عصر عبد الرحمن الثانى عن هذا الاتجاه خير تعبير ، فقد نفس على زرياب أن يعيش فى بحبوحة من العيش ، فى ابيات شائعة :

الف من الحمر واقلل بها
لعالم اربى على بغيته
زرياب قد اعطيها جملة
وحرفتى اشرف من حرفته

ومن جانب آخر ، حين راى الكسالى والقانطون والجهلة تردى العالم الاسلامى ، وتراجعه أمام اعدائه ، شرقا وغربا ، القوا بالتبعة على الموسيقا ، وحملوها وزر كل النكبات السياسية والحربية ، وجعلوا الهزيمة عقاب الاقبال عليها ، بدل ان يبحثوا عن الاسباب الموضوعية .. ومع التشاؤم من الغد ، والعجز عن تدبير الحل ، والبحث عن تبرير لما وقع .. ارتد المتزمتون الى الهمسات التى تسيها الناس فى لحظات المجد والانتصارات ، ورفعوا راية « الموسيقا رجس من عمل الشيطان » وغذى الفساد السياسى والادارى الذى كانت تتخبط فيه الدولة هذا الاتجاه عندهم .. وافسح له فى اذهان العامة مكانا ، باكثر مما غذته النصوص الدينية الصحيحة ، او الاقتناع المطمئن بها .

كان الناس ضائقين بالدولة ، عاجزين عن تغيير الواقع ، يرون المظالم ولايملكون لها دفعا .. ويلمسون الفساد ولايستطيعون له اجتثاثا ، فما عليهم اذن .. ان هرولوا وراء مخبول ، وماذا يخسرون اذا استجابوا لمشعوذ .. وهكذا راجت فى فترة التخلف والفساد ، افكار تحرم الفن ، وتجرم الحياة .

## ● الموسيقا الاندلسية وتاثيرها فى اسبانيا

حين يسمع المرء الموسيقا الاسبانية الاصيلة ، وغناء الاندلسيين اليوم فى جنوب اسبانيا ، ويعرف باسم الفلامنكو ، FLAMENCO فانه يشعر فى الحال بأن هناك علاقة وثيقة جدا بينه وبين الموسيقا والغناء العربيين ، ويرد على خاطره فى الحال فكرة تاثير الموسيقا العربية فى الموسيقا الاسبانية هذه ، وأن هذه العلاقة من بقايا هذا التاثير .

ومن الثابت تاريخيا أن الجانب الاسلامى فى الأندلس ، وهو الأقوى والأكثر تقدما ، كان مهوى أفئدة الطبقة العليا فى الجانب المسيحى ، يهبطون اليه طلبا للعلاج .. أو لشراء الملابس الفاخرة .. ويجلبون

منه الفنانين لحفلاتهم .. ولعب التهادى بالقيان بين ملوك الجانبين دورا بالغ الاهمية الى جانب قنوات أخرى أسهمت فى نقل الحضارة الاسلامية إلى بلاط الملوك المسيحيين فى الشمال .

وقد شكا مجمع القساوسة الذى انعقد فى بلد الوليد عام ١٣٢٢ م من أن المسيحيين يدخلون المسلمين واليهود فى الكنائس ، وهم يغنون ويعزفون على الآلات الموسيقية ، وفى بلاط شانجه الرابع ملك قشتالة كان عدد الموسيقيين عام ١٢٩٣ الذين يتقاضون مرتبا من القصر سبعة وعشرين : ثلاثة عشر مسلما .. منهم امرأتان ، ويهودى ، واثنى عشر مسيحيا .. وفى القرن الخامس عشر وجد فى تقارير بلدية ترويل بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٤٤٣ طلب من الأعضاء بدفع عشر قطع نقدية لمن يسمى محمد شاشو من أهل الفونت ، لأنه قام بالعزف على آلة الموسيقية فى الاحتفالات الماضية .

## ● .... وتأثيرها فى أوربا !

وقد أثرت الموسيقا الأندلسية بدورها على امتداد القرون الثالث والرابع والخامس عشر فى الموسيقا الأوربية ، مباشرة أو عن طريق الموسيقا الاسبانية ، وبواسطة التجار والرحلات والحج المسيحى الى شنت ياقب ، وقبل ذلك كله عن طريق الأسيرات ، وهن عادة من بنات الطبقة الراقية .. وكانت موقعة بربشتر ، وحدثت عام ١٠٦٤ مثلا حيا لهذا التأثير الايجابى .

ففى أغسطس من ذلك العام قامت القوات المسيحية الأوربية ، بدعم من البابا بمحاصرة المدينة ، وهى فى الشمال الشرقى من الاندلس لمدة أربعين يوما ، استسلمت المدينة بعدها ، وغنم المنتصرون كل شىء فيها ، البيوت والقصور والنساء ، ووقع هؤلاء فى أسر الحياة العربية فاحتذوها ، فارتدوا الملابس العربية ، وسحرتهم الموسيقا الاندلسية ، وحين قفل ملك الروم ( النورمان ) عائدا الى بلده ، تخير من بنات المسلمين الجوارى الأبكار ، والثيبات ذوات الجمال ، وحملهن معه ، ليهديهن الى من فوقه .

ويقدم لنا ابن حيان مؤرخ الأندلس الكبير صورة لواقع احدى الأسيرات الثقافى ، وكلهن فى مستواها يقول : ان والد احداهن وسط تاجرا يهوديا ان يأتى المدينة .. وهى فى يد الأعداء وأن يتجسس خبر ابنته وأن يفتديها بكل مايريدون من مال ..

جاء اليهودى الى بربشتر ، وعرف أنها نصيب قوس ( كونت ) فذهب اليه ، ووجده يسكن بيت ذلك الثرى العربى ، لم يغير منه شيئا ، وعلى رأسه وصائف قائمات يسارعن الى خدمته ، فرحب باليهودى ، وسأله عن قصده ، فعرفه اليهودى بغايته ، وانه يدفع له مايريد فداء احدى الفتيات القائمات على رأسه ، فرفض رفضا قاطعا ، ولو دفع له فيها خير مافى الدنيا .

ثم نادى فتاة أخرى قائمة على رأسه ، وكانت تأسره بثقافتها ، والموسيقية من بينها بخاصة ، وطلب اليها أن تغنى فأخذت العود ، وقعدت تسويه واندفعت تغنى بشعر مافهمته أنا فضلا عن العلج ، ولكن الموسيقا أطربته أيما طرب .. فحث شربه ، واستزادها اعجابا ، ولما يئست منه ، تركته ومضيت لحالى ..

وقبل هذا كانت هناك بعثات عديدة تأتى الى قرطبة للدراسة ، ومن بين من يدرسون الموسيقا على التأكيد ، وبلغ عددهم عام ٢١٢ هـ ـ ٨٢٨ م سبع مائة طالب وطالبة من مختلف مقاطعات اسبانيا والمانيا وفرنسا .. جاءت بهم شهرة زرياب فيما يبدو .. فقد وصلوا بعد سبعة أعوام من مجيئه الى قرطبة .. والتحقوا بالمعاهد التى انشاها يدرسون أصول الموسيقا ويتدربون على العزف بمختلف الآلات ، وعلى فنون الشعر والرقص والغناء .

وكان الشعراء الجوالون ، أو المداحون كما ندعوهم فى الصعيد ، أو القوالون كما يطلق فى المغرب الكبير ، يذهبون ويجيئون ، ويزرعون الأندلس ، وشمال اسبانيا وجنوب فرنسا ، يتغنون بالقصائد الغرامية أو الملاحم الأسطورية ولايعترفون بالحدود السياسية أو الدينية أو اللغوية .. ويمثل الأولون

ابن قزمان .. ووصلنا ديوان ازجاله كاملا ، ويحتل اليوم مكانة ممتازة بين من يدرسون الموسيقا والرومانيات والمستشرقين .

## ● بعثة انجليزية فى قرطبة

وتذكر الباحثة الالمانية سيجريد هونكه فى كتابها « شمس الله تشرق على الغرب » أن جورج الثانى ملك الانجليز ارسل ابنة أخيه الأميرة دوبانت على رأس من بعثة من بنات الأشراف يرافقهن رئيس موظفى القصر الملكى ، ويحمل كتابا من الملك الى الخليفة هشام الثالث ( ١٠٢٧ ـ ١٠٣١ ) وهو آخر خلفاء بنى أمية يلتمس منه أن تكون مع زميلاتها موضع عناية الخليفة وحماية حاشيته ، وحدب اللائى سوف يتوفرن على تعليمهن ، وحملت الأميرة معها هدية الى الخليفة ، تتكون من شمعدانين من الذهب الخالص ، طول الواحد ثلاث اذرع مع أوان ذهبية أخرى ، عددها اثنتان وعشرون قطعة ، مرصعة بأبدع النقوش .

وقد وافق الخليفة هشام الثالث على قبول البعثة ، وأمر بعد استشارة من يعنيهم الأمر أن ينفق عليها من بيت مال المسلمين ، ورد على الهدية بأخرى من الطنافس الأندلسية .

مع القرن الحادى عشر بدات جماعات التروبادور تظهر فى جنوب فرنسا .. ثم فى المانيا ، وبعدها جماعات المينيسجر ، تتغنى باشعار جديدة ، جاءت فى شكل الموشحات الأندلسية ، وعلى الحان هى صدى مادرسه مبعوثوهم من موسيقا فى المعاهد الأندلسية ، أو سمعوه من الفنانين الأندلسيين ، محترفين وهواة ، وكان محتوى هذه الأغانى هو نفس محتوى الموشحات من غزل عف أحيانا ، وغير محتشم أحيانا أخرى ، ولكنه يوقر المرأة فى كل الحالات ، ويذوب أمامها خضوعا وامتثالا ، ويتغنى بجمال الطبيعة ، ويعبر قبل كل شىء عن هموم المرء انسانا ، له طموحاته وأشواقه واحباطاته ايضا .

## ● دراسة التأثير العربى

اتفق مؤرخو الموسيقا على أن الموسيقا الأوربية الحديثة لاتدين بشىء للموسيقا الاغريقية ، فثمة فجوة واسعة تفصل بين المرحلتين ، وبخاصة أن الالحان الاغريقية لم تدون ، وأتى الزمن تماما على صدى انغامها ، ثم اختلفوا بعد ذلك ..

رأى فريق منهم أن الموسيقا الحديثة وليدة التأثير السلتى ، والسلت قوم ينتمون الى العنصر الهندى الآرى ، ويعودون إلى عصر ماقبل التاريخ ، تجمعوا أولا فى أوربا الوسطى ، ثم زحفوا على بلاد الغال ( فرنسا ) واسبانيا وانجلترا .. ثم ذابوا فيما بعد فى الرومان ، وهى نظرية لم تجد من الادلة مايدعمها علميا .

والقى آخرون بفرض غير علمى ، وهو أن الموسيقا الأوربية الحديثة تفجرت عفويا على غير مثال سابق .

ولكن المستشرق الاسبانى العظيم خوليان ريبيرا عكف خلال اثنى عشر عاما ، من ١٩١٢ الى ١٩٢٤ على دراسة الموسيقا الأوربية الوسيطة ، كنسية وشعبية ، والموسيقا الأوربية الحديثة ، والشائعة على أيامه فى المقاطعات الأسبانية ، وعند عدد كبير من بقية الشعوب الأوربية ، فى دقة فنية متناهية ، درس الايقاع والتناسق والتعبير ، وانتهى بعد أن استعرض جوانب القضية ، ولاحقها فرضا بعد فرض وتمعن موادها وثيقة بعد وثيقة ، الى حل أسرار هذا اللغز ، وكان غامضا على جمهرة الباحثين ، وبعيدا

**عن تناولهم ، وأكد فى بحثة على اهمية الاستمرار التاريخى فى هذا الجانب الثقافى ، وانتهى الى ان الموسيقا الأوربية الحديثة ليست الا تطورا وصدى للموسيقا الأندلسية .**

فقد كان العرب ، فيمايرى .. فى الموسيقا .. كما فى بقية العلوم والفنون الأخرى والفلسفة ، وبخاصة الأندلسيون منهم ، ورثوا الثقافة الكلاسية ونقلوها الى أوربا ، ودورة الحياة لاتتوقف ، فقد ورثت بيزنطة وفارس حضارة اليونان .. والتقط الاسلام حضارة الاثنين ومزج بينهما وبين حضارة ثالثة قادمة من أقصى المشرق ، وهى الحضارة الهندية ، وكلها انتقلت الى اسبانيا الاسلامية ، فأثرت واغتنت بعناصر أخرى أخصبتها فى الأرض الجديدة ، وقدمتها الى أوربا .

**ذلك ان الموسيقا الأندلسية ليست مجرد صدى للموسيقا العربية المشرقية ، وان حافظت على خصائصها الجوهرية ، فقد أضفى عليها الأندلسيون طابعا شعبيا ، ونقلوها من الغناء الفردى الى الغناء الجماعى ، وابتدعوا أوزان الموشحات ، والأزجال لقوائم صدى الألحان الجديدة وتتفق مع ايقاعها** .. وتسرب هذا الطابع الأندلسى عن طريق التعليم أو التقليد الى اسبانيا المسيحية ، الملوك والشعوب على السواء ، فى حفلات القصور ، ومهرجانات الميادين ، فى سمر الطبقة العليا وفى تجمعات العامة ، وحتى فى الحفلات الدينية كان يستخدمون فنانين مسلمين ، وبدأ الشعراء المسيحيون يكتبون قصائدهم فى شكل موشحة لتغنى أو ان شئت لتوائم الايقاع الموسيقى العربى ، وأصبح شكل الموشحة او الزجل شعبيا وشائعا فى كل الأندلس بجانبيه الاسلامى والمسيحى ، وظل كذلك حتى منتصف القرن السابع عشر ، أى بعد قرن ونصف من سقوط دولة الاسلام فى الأندلس .

**وقد استخدم الأوربيون آلات الموسيقا العربية فى النفخ أو النقر .. واخذوها باسمائها العربية ، وألحانها المتصلة بها** ، فقد استخدموا : العود ، والرباب ، والقيثارة ، والناى ، والنفير ، والبوق ، والدف وغيرها[1] .

وقد عرفت أوربا لأول مرة فى القرن الثالث عشر مذهبا جديدا فى الموسيقا اسمه « فن الميزان » وضعه المؤلفون الأوربيون عنه فى ذلك القرن ، تشبه فى معالجتها لأنواع الانغام ماكتبه العرب ، والاغانى الشعبية من الموسيقا الغربية التى ألفت وفقا لفن الميزان مثل « الروندو » Rondo وبلادس Baladas لها صور ثابتة ، وتركيبها الفنى هو بعينه تركيب الأغانى الأندلسية التى كانت سائدة فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، وشاعت فى فرنسا ، ونجدها فى انجلترا أيضا فى الأناشيد الدينية القديمة التى تمجد العذراء ، وبمناسبة أعياد الميلاد ، وذهبت هذه فى تقليد الموشحة أبعد من غيرها ، فاذا كانت الخرجة فى الموشحة العربية تجىء فى اللغة الرومانثية ، أو فى عامية أهل الأندلس ، فكذلك القصيدة الانجليزية تجىء فيها الأغصان باللغة الانجليزية الشعبية على حين يجىء القفل أو البيت الرابع ان شئت ، فى اللغة اللاتينية .

● ● ● ●

فى البدء واجهت نظرية ريبيرا رفضا شديدا ، مصدره عنصرية تتعالى على كل ماهو عربى ، أو تعصبا دينيا يرفض كل ماهو اسلامى ، أو تعاليا قوميا يدير ظهره لكل تأثير اجنبى ، أو جهلا باللغة الاسبانية وفيها كتب البحث بدءا ، ولكن ما ان أخذ البحث طريقه الى اللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية والايطالية مترجما ، حتى تلاشت الصعوبات وتآلف التقنيون الموسيقيون مع النظرية الجديدة ، وأصبحت مقبولة عند قطاع عريض من المؤرخين والدارسين .

**بقى ان أشير الى ان البحث لما يترجم الى العربية حتى الآن ، رغم كثرة أقسام اللغة الاسبانية فى جامعات القاهرة ، وعين شمس ، والاسكندرية والأزهر .**

**حاجة تكسف !!**

---

**1- Laud, rabel, gait, du Izaina , a na fil alboue, adufe**

قضايا حيوية

# حول أساليب الصراع الفكرى
## ... التاريخ والواقع
## ... المطلقات والنسبيات

بقلم : مصطفى الحسينى

**عندما كتب طارق البشرى عن « اساليب الصراع الفكرى » « الهلال ـ مارس ومايو ١٩٨٨ » فتح بابا كان يجب ان يفتح ، والخير فوق هذا الخير ان الذى فتح هذا الباب مفكر له وزن طارق البشرى واقتداره واحترامه ، مازالت الجسور بين فكره وبين مايخالفه من فكر ممدودة ، ومازالت « المناطق الوسطية » ـ كماأحب ان يسميها ـ قائمة ولعلها فسيحة بين جهده فى المدرسة الفكرية التى ينطلق منها وبين غيرها من مدارس الفكر .**

وربما لهذه الاسباب لن يتطرق هذا المقال الى مواضع الخلاف مع ما طرحه فى المقال ، مثل قوله أن « قائمة رصد المشكلات تكاد تكون سليمة وكاملة ، وقائمة رصد الحلول تكاد تكون كذلك ، وأن المشكلة هى « فى توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين » . ففى الحديث عن « أساليب الصراع الفكرى » هذا الخلاف مؤجل ، لان المهم هو الاتفاق على هذه الاساليب حتى لا يتحول النقاش الى سجال ، ويتحول الصراع الى حرب . ولعل الدارسين والاتجاهات والقوى الفكرية اذا اتفقت على الاساليب ، أن تباشر اعمالها أولا للاتفاق على تحديد القائمتين على الترتيب وعلى تنظيم الاولويات فيهما، قبل أن تنتقل الى وسط الخيوط بين القائمتين وصلا سليما .

وربما لهذه الاسباب أيضا لايتطرق هذا المقال من بعض الذى ورد فى مقالة طارق البشرى يحمل شبهة

المصادرة على الصراع الفكرى ، مثل قوله ان « الطريق الى هذه النهاية ( « لم شمل هذه الامة وترميم ما انصدع من ابنيتها وهياكلها » ) يحتاج الى « نوع من المصراحات الفكرية ، اقرارا عاما ومتبادلا للاصل المرجعى العام للشريعة الاسلامية كنظام قانونى حاكم يهيمن على الشرعية فى المجتمع واقرارا عاما ومتبادلا أيضا لحركة التجديد فى الفقه الآخذ عن الشريعة ، بما يثبت أصولها ويدفع أحكامها فى مجال الاستجابة لتحديات العصر الذى نعيش فيه ، ويقيم منها بصفة خاصة درعا يحمى الجماعة السياسية وترابطها بين المواطنين كلهم ، واقرارا عاما ومتبادلا بحقوق المواطنة التى يتمتع بها الجميع وان اختلفت اديانهم » .

لا يتطرق هذا المقال الى مقولة كهذه لان كاتب هذه السطور يتفق معها بكليتها ، وان كان يرى فى ادراجها ضمن سياق الحديث عن أساليب الصراع الفكرى مصادرة على صراع فكرى يفرضه الواقع حولها . فلعلنا متفقون على أن بعض أطراف هذا الصراع الفكرى الذى تنشده قد لا يتفقون عليها كنقطة ابتداء . وان هذا يؤدى الى ضرورة أن تكون هى ذاتها من بين موضوعات هذا الصراع الفكرى .

وربما للاسباب ذاتها ثالثا ، لا يتوقف هذا المجال عند ادراج مقالة طارق البشرى قول القائلين بأن فى الموروث وافدا وفى الوافد موروثا ، وسيلة فى الحرب الفكرية هدفها « تمويه الظواهر وافساد خصائصها وسماتها الاساسية » لا يتوقف المقال عند تعامل طارق البشرى مع هذه المقولة على هذا النحو ، الا ليقول أن المقولة صحيحة ، وأنها قد تستخدم ذلك الاستخدام الخبيث ، لكن التأكيد عليها لا يفقد ضرورته وفائدته حتى لا يحرم الموروث والوافد من تبادل الافادة والاستفادة .

**ثم ان هذا المقال ، سيقبل التشخيص والتقسيم الذى اعتمده طارق البشرى عندما تحدث عن « الانفصام الحادث بين تيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد » ، وسينطلق منه فى محاولة لتوسيع مجال هذا الحوار المفيد .**

— أ —

لعل ثمة خاصية مشتركة بين غالبية دعاة الموروث ودعاة الوافد . هى أن كل منهما يخرج ما يدعو اليه من اطار التاريخ وسياقه .

فالغالب أن دعاة الموروث يقيمون الحجة والشرعية فيما يدعون اليه على حد وقوعه فى الماضى . ويفوتهم أن الماضى يستمد قيمته من أنه تاريخ أى من كونه حصيلة التفاعل بين فكرة أو قيمة أو مثال أو هذه جميعا وبين تكوين واقعى معين كان هو النسيج الحى لذلك الماضى . نسيج حى يشمل فيما يشمل ناسا فى مكان وزمان ، ينقسمون على أسس من الثروة كما على أسس من السلطة ، كما على أسس من المعرفة ، بينهم ما يجمعهم وبينهم ما يزرع فى صفوفهم التمايز . ناس متصلون بغيرهم من الناس قد يخالفونهم فى العقائد ويمايزونهم فى المعارف ، يؤثرون فيهم وبهم يتأثرون، لان العقول لا توصد ، ولان ضرورات الحياة تملى الاستفادة والاستعارة وربما التقليد . وان المعيار فى قيمة ما حدث فى الماضى يقاس بمقياسين متكاملين : مدى اتساقه مع المثل التى رفع دعاواها من مارسوه ( العقيدة ) ومدى صلاحه للاتباع مع ما يستجد فى حياة الناس وما يتغير .

لكن تجريد الماضى من تاريخيتـه يحوله كما هو الى عقيـدة أو يلحقـه بأصول العقيدة ، ويخرجه بالتـالى من آفاق التقييم والمراجعة والنقاش ، يضعه خارج الحجة لانه يصبح هـو الحجة ·

كما أن غالبية دعاة الوافد ، حولوا بدورهم خبرة الاخرين الى عقيدة ، وتجاهلوا أيضا تاريخية هذه الخبرة، باعتبارها تجربة ناس آخرين يميزهم ويوحدهم ويقسمهم ما يميز النـاس ويوحدهم ويقسمهم فى المكان والزمان، وتجاهلوا فوق هـذا أن خبرة هـؤلاء الاخرين انطلقت من منظومة مثـل ( عقيدة ) تتمايز عن منظومة المثـل ( العقيدة ) التى ميـزت تجربتنـا التاريخية · وبدلا من أن يروا فى التجربة التاريخية للاخرين موضوعا للدرس من منظور تجربتنا التاريخية اعتمدوها مثالا واجب الاتباع ·

ومن حصيلة هذه الخاصية المشتركة بين غالبية دعـاة الموروث وغالبيـة دعاة الوافد : أن اعتنقت غالبية دعاة الموروث الماضى بالعقيدة وبغض النظر عن تاريخيتـه ، أو فى الحقيقة عن طريق اسقاط تاريخيته ، وان اعتنقت غالبية دعاة الموروث تجربة الاخرين اعتناقا عقيديا ، وأيضـا عن طريق اسقاط تاريخيتها ، وبالاضافة الى ذلك عن طريق اسقاط غربتها أو خارجيتها القيمية ·

ومن انعكاسات هذه الحصيلة أو هاتين الحصيلتين أن أقـام دعاة الموروث من حول دعواهم سياجا قوامه الايمان والكفر ومقياسه الحـلال والحرام ، وأن أقام دعاة الوافد من حول دعواهم سياجا آخـر قوامه الاستنارة والكلامية ، ومقيـاسه العصرية والسلفية ·

فأوقع كل منهما نفسه وأوقع الآخر تحت الحصار ·

ـ ٢ ـ

لان الغالبية من كـل من دعـاة الموروث ودعاة الوافد يقيمون دعواهم خارج التاريخ ، فان كـلا الفريقين يسوق حججه خارج الواقع ، تيارات من دعاة الموروث تقيم حجتها على أساس من الاسناد ، ويرون حجيته فى الثقة فى أمانة المسند اليهم وتقواهم وعلمهم ، وبغض النظر عن أن هـذه الثقة هى مسألة تقدير وتقبل الخلاف أحيانا على الاقل ، فان قصـارى حجية الاسناد مع التسليم بالثقة فى المسند اليهم هى التسليم بأن الواقعة ، التى يتناولها قد حدثت أو أن المقولة وردت ، أما سلامتها فى زمانها ومكانها وظروفها فالحدان اللذان يقررانها هى اتفاقها مع مثل العقيدة من ناحيـة وصلاحها لـذلك المكان والزمان من ناحية أخرى لانه « جل من لا يخطىء » ·· أما قابليتها للانطبـاق فى مكان مختلف وزمان مختلف ، فالحـدان اللذان يقررانها هما الحدان ذاتهما، مع احتساب تفاوت الزمان وتمـايز المكان ، وتيارات من دعاة الوافد تقيم حجتها على أساس أنه طالما أن محتوى دعواهم قـد صلح فى مكان آخـر وأصلحه ( وزمان آخر أحيانا ) فانها تصلح لكل زمان ولكل مكان ، مع أن قصارى هذه الحجية أنه ما يحتجون عليه قد صلح فى ذلك المكان وفى ذلك الزمان وأصلحهوبالاضافة الى هذا أنه صلح وأصلح ( ان كان قد فعل ) مع ناس تنتظم وجدانهم منظومة مغايرة من القيم والمثل ·

واذا دار الجدل خارج الواقع ، فان

الامل فى التفهم أو التفاهم ، وقدر من اللقاء ، ناهيك عن الاتفاق ، هو بعيد ... بعيد ، ان لم يكن سرابا ، لان الواقع هو الذي يقول لتلك التيارات من دعاة الموروث اننا تعيش فى زمان آخر ، فى عصر اخر ، وهو الذى يقول لتلك التيارات من دعاة الوافد أن لنا مثلا مغايرة ، وأن لنا تجربة تاريخية مغايرة ، جديرة بان تحمل الينا تمايزا من الدروس والطرق والاساليب والاهداف .

ولا يقوم أمل فى اللقاء الا اذا أدرك دعاة الموروث مسالة العصر بكل ما تحفل به من مكونات ، والا اذا أدرك دعاة الوافد مسالة تمايز المثل والتراث .

— ٣ —

من بين ما يغيب عن لغة دعاة العقائد جميعا — سواء كانت العقائد ديانات أو نتاجا من فكر البشر — أن العقائد مطلقات بينما الحياة نسيج من النسبيات ، وأن العقائد مثل ، بينما حياة الناس فى أفضل ممارساتها سعى الى بلوغ هذه المثل ، وأن المثل بحكم كونها كذلك ليست هى قانون الحياة لانها لو أصبحت كذلك ، أى لو تطابقت الحياة مع المثل بلغت المثل ذاتها غاية وجودها أى نهايته ، وبدأ نزوع الانسان الى مثل أخرى . وأن أعلى المثل — الاديان — بحكم انها تحمل اقتناعا بأبديتها غير قابلة للبلوغ بالتمام والكمال . وبالتالى فان مقياس وفاء المؤمن لعقيدته الدينية أن يسعى الى بلوغ ما يستطيع بلوغه منها صادق النية قوى العزم ، وأن حسابه يكون على هذا السعى وصدق النية فيه وقوة العزم عليه ، وليس على ما يبلغه أو يقصر عن بلوغه منها .

لكن أصحاب العقائد منا ، أو أغلبهم ، يرون المطلق ولا يرون النسبى ، يرون المنتهى ولا يرون السعى اليه ، ولذلك تسرع ألسنتهم وسباباتهم الى الاتهام والحكم فيه .

وهو ما يوصد أبواب الحوار بل ونوافذه .

ويؤدى الوقوف عند المطلقات ودون النسبيات الى توحيد بين المثل — العقائد بين وسائل بلوغها ، فالكل « مقدس » أو « منصوص عليه » .. بينما الوسائل مسائل أى يحق فيها ومن حولها الخلاف ، ويجوز فيها الاجتهاد بل يجب . ولا يسوغ فى الحكم للوسائل أو عليها الا كفاءاتها على الاقتراب من تحقيق المثال ولأى مسافة ممكنة ، والا اتساقها مع القيم الاساسية الاصولية التى يدعو اليها المثال ، أو ألا تخدشه .

لكن « تقديس » الوسائل الملحقة بالعقائد يقود الى جدل من نوع اللجاجة فى ما هو غير ذى موضوع ، ويقيم جدران التصامم مكان أبواب التفاهم .

وأظننا رأينا هذا ونراه عند تيارات من دعاة الموروث ونراه عند تيارات من دعاة الوافد ، يحضر الى الذهن منهم الماركسيون ، رغم هزات وقعت وزلزلت كثيرا من النظرية أو العقيدة ، أو لولا هزات من هذا القبيل .

ان هذا الا اجتهاد يرمى الى رد بعض الحواجز فى طريق الحوار المنشود والمفقود ، ربما أخطأ وربما أصاب ، فغنى عن القول أنه معروض للفحص والتمحيص .

**ولا يتجاهل هذا الاجتهاد ان لبعض الحواجز أصول أخرى غير هذه الاصول ، منها جهد أصحاب المصلحة فى الداخل والخارج فى ألا يتحقق هذا الحوار ، ومنها احتمالات الاختراق التى ربما وقعت هنا وهناك ، هنا أو هناك .**

قضايا حيوية

# الصراع الفكري نظرة إسلامية

بقلم : د. محمد سليم العوا

**في عددي مارس ومايو الماضيين من « الهلال » نشر الاستاذ طارق البشري دراسة موجزة عن الصراع الفكري واساليبه .. وخصص البحث لدراسة هذا الصراع وتلك الأساليب في تمثلهما بين التيارات الفكرية السائدة او القائمة « الآن » في بلادنا ..**

**والموضوع - بغير شك - جدير بعناية الممثلين لتلك التيارات الفكرية جميعا ، وجدير - قبل ذلك - بعناية الذين يستشعرون المسئولية العامة عن المساهمة في الحركة الفكرية المصرية بقصد الاسهام في تطوير الحركة السياسية الرامية الى تخليص الواقع المصري - بل والعربي الاسلامي - الراهن من « مأزق » يجمع المخلصون على استحكامه ، وخطورة النتائج المترتبة عليه ، سواء في المدى القصير وفي المدى البعيد .**

ولكل « مراقب » أو « مشارك » أن يصف المأزق كما يراه ، وأن يتمثل الحل كما يمليه عليه انتماؤه أو تجربته أو حتى هواه .. ويكون الوصف أو « التشخيص » .. والتمثل أو « العلاج » مقبولين ، وقابلين للنقاش مادا ما ينبعان من البحث عن المصلحة المصرية - والعربية والاسلامية - العامة ، ويتجهان الى تحقيقها .. ويكون الجدال أو الصراع الفكري حول هذه « التشخيصات » وما يتصل

بها من « وصفات عـــلاج » جدالا أو صراعا بناء ، ومرغوبا فيـــه ، لانه يقود ـ فى النهاية ـ الى تقدمنا ولو خطوات معدودة نحو واقع أفضل أو خلاص ـ مهما كان مكلفا ـ من مأزق حياتنا الفكرية الراهن ·

والصدع الرئيسى فى حياتنا الفكرية ـ كما يقدمه المفكر طارق البشرى ـ يأتى من المواقف المتبـاينة للتيارات الفكرية الســائدة حول الشريعــة الاسلامية ، ومدى ما يعترف لها به من هيمنة على الشرعية العليـا فى المجتمع ·· « وموضــوع الشريعـة الاسلامية هو ميـدان الالتقــاء أو الافتراق ·· فينبغى علينا أن نوليـه أعظم عناية باعتباره الشاغل العظيم الذى يتصل بالجماعة السياسية فى بلادنا » ·

فما الذى تمثله هذه الشريعة ؟·· وما الـــذى يقصده الداعـون الى سيادتها حين يطالبون بأن تكون لها الهيمنة على الشرعية العليــا فى المجتمع ؟ ولماذا يختلف الناس حولها حتى تغدو « موضعا للافتراق » ؟

● منهاج حياة

ان الشريعة الاسلامية ـ بغيـــر دخول فى تفاصيل أصولية أو فقهيـة أو لغوية ـ منهاج حياة ·· يقدم على نسق عقيدى ، ونظام قانونى ، وفلسفة حضارية ·

فأما النسق العقيـــدى فعمـــاده توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة :

● « أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » ( المؤمنون : ٣٢ ) ·

● « وأنا ربـــكم فاعبـــدون » ( الانبياء : ٩٢ ) ·

● « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط » ( آل عمران : ١٨ ) ·

والانبيـــاء رســل من البشر ، اصطفاهم ربهم لتجديد البلاغ وتأكيد البيان لهذه الحقيقة الازلية :

● « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » ( الحج : ٧٥ ) ·

● « وما أرسلنا من قبـــلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » ( الانبياء : ٢٥ ) ·

● « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وما وصـينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » ( الشورى : ١٣ ) ·

وأما النظـــام القانونى فأساسه تحقيق المصالح البشرية فى مختلف مجالات الحياة ، ولانها ـ بطبيعتها ـ متغيرة تغيرات لا يمكن حصرها أو تنبؤ الناس بما يستجد من أحوالها ، فقـــد جاءت الاحـــكام التشريعية التفصيلية ( أى التى تتضمن حكما محددا ) محدودة العدد ، مقتصرة على تنظيم العلاقات التى لا تتغيـــر مواقع الاطراف فيهـــا ·· كالزواج والطلاق وعدد قليل جدا من صـــور العدوان على الانفس والاموال وما شابهها ·· ثم تركت الامور الاخرى كلها للاجتهاد البشرى فى اطــــار قواعد الشريعة العامة التى تقوم على « تحقيق المصالح ومنع المفاسد » ·· أو على تحقيق المصالح فحسب لان « منع المفاسد » يدخـــل فى تحقيق المصالح ، اذ هو صورة من صوره ·

وأما الفلسفة الحضارية فتقوم على وجوب تعمير الكون الذى خلقه الله لاستمتاع الانسان به ، مع مراقبــة

الحلال والحرام المتمثلين فى القيم الاصلاحية الآمرة بالمعروف والخير والناهية عن المنكر والفساد والشر، المذكرة بيوم يرجع الخلق فيه الى الله ليجدوا ثمرة ما صنعوا فى هذه الحياة ·

● « هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها » ( هود : ٦١ ) ·

● « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » ( البقرة : ٢٩ ) ·

● « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » ( الجاثية : ١٣ ) ·

● « ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ، ام نجعل المتقين كالفجار » ( ص : ٢٨ ) ·

● « افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » ( المؤمنون : ١١٥ — ١١٦ )

● « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ( البقرة : ٢٨١ ) ·

● « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا » ( الكهف : ٤٩ ) ·

## ● الدعوة لسيادة الشريعة

والذين يدعون الى سيادة الشريعة فى المجتمع المصرى — بل فى المجتمعات العربية والاسلامية كافة — أى الذين يريدون أن تكون لها الهيمنة على الشرعية العليا فى المجتمع يفهمون الشريعة فى عمومها وشمولها على النحو الذى « رمزت » اليه رمزا فيما اسلفت ·

وهم يقيمون دعوتهم على اعتبارات متعددة : فهم يرون — اولا — ان الايمان بالنسق العقيدى الاسلامى يقتضى الايمان بالنظام القانونى ويقتضى تشكيل السلوك الاجتماعى على فوق قواعده أو ما تؤدى اليه هذه القواعد من أحكام يجتهد الناس — العلماء — فى صياغتها و «اكتشافها» فيتفقون ويختلفون لكنهم لا يتنازعون فى وجوب النزول على حكم الشرع ابتداء وانتهاء

وهم يرون — ثانيا — أن الايمان بالنسق العقيدى الاسلامى يقتضى أن نقيم بناء وجودنا الحضارى على أساس نظرة الاسلام الى العناصر الثلاثة الفاعلة أو المتفاعلة فى هذا البناء : الانسان ، ونشاطه الابداعى ، والكون الذى يتعامل معه ويتحرك فى حدوده ·· وهى النظرة التى سميناها « فلسفة حضارية » للشريعة الاسلامية ·

وهم يرون — ثالثا — أن من حق الكثرة الغالبة فى أى مجتمع كان — على طول الدنيا وعرضها — أن تعيش حياتها ، وتمارس نشاطها ، وتصنع مصيرها ، وتنشىء أجيالها وفق القيم التى تؤمن بها والعقائد التى تعتقدها ، حقا كانت هذه القيم ام باطلا ، وسماوية كانت تلك العقائد ام ارضية ·· ومع ذلك فان الامة المصرية منذ حيل بينها وبين « الديمقراطية » وعاشت تحت ظل التسلط الثورى ، فالنظام الشمولى ، فديمقراطية « الانياب » و « الجرعات » ·· حرمت فى خلال هذه المراحل كلها — أن تعيش كما تعيش أمم الارض جميعا فى ظل النظام الذى تختاره الكثرة الغالبة من ابنائها وتؤمن به وتدين

له ·· وليس هناك اهدار لتلك « الديمقراطية » أعظم من استخدامها وسيلة لحرمان الكثرة من حقها فى الاختيار · فان تبدى اختيارها فهى محرومة من التمتع بممارسة حياتها على وفقه ·· وما يجرى على مصر فى ذلك أو يصدق عليها يجرى ويصدق على جمهرة الديار التى تسمى بالوطن العربى وبالعالم الاسلامى ·

وهم يرون ـ رابعا ـ أن شركاء الوطن من غير المسلمين ، وعلى الاخص أقباط مصر ، ينتمون الى الاسلام من حيث هو وعاء الحضارة ودعوة التميز بين أمم الارض وشعوبها بقدر ما ينتمى اليه المسلمون أنفسهم من هذا المنظور ذاته ·· أما الاسلام من حيث هو نظام قانونى فان حقوق شركاء الوطن فيه من غير المسلمين لا يحفظها نص قانونى تعدله الجماعة كيف شاءت ومتى أرادت ، ولكن يحفظها نصوص دينية تكفل لهم كل ما تكفله الدولة للمسلمين الذين يعيشون فى ظلها اللهم الا ما كان متصلا بالدين نفسه من مناصب واختصاصات ووظائف فبديهى أنه ليس انسانيا ولا معقولا أن يكلف غير المؤمنين بدين ما بممارسة مناصب هذا الدين واختصاصاته ووظائفه ··

وهذه النصوص التى تكفل لغير المسلمين حقوقهم فى الوطن المشترك تستعصى على التبديل والتغيير وفق الاهواء أو الاراء ، بل ان الحاكم الذى يخرج على حدودها يعد مخالفا للشريعة نفسها بما يوجب مساءلته التى قد تبلغ به الى عزله باعتبار مخالفة الشريعة فسوقا مسقطا لحقه فى الطاعة · وليس ذلك غريبا فى دين يتضمن كتابه أنه « لا اكراه فى الدين » ، الامر الذى يجعل طبيعيا أن تعد أحكامه صالحة لاستيعاب مخالفة المخالفين فى الدين ضمن اطاره الحضارى والتشريعى ، والا قضى على نفسه بالعزلة الدائمة ، أو الحرب الدائبة ·· وكلاهما لا يقيم حياة ولا يبنى حضارة ·

وهم يرون ـ خامسا ـ أنه بقدر ضرورة الالتزام بثوابت الاحكام التشريعية ـ وهى قليلة بصورة مثيرة للتأمل ـ ينبغى الاجتهاد فى متغيراتها ·· ولا يكفى لهذا الاجتهاد أن ننظر فى أقوال الفقهاء السابقين وننقل بعض اجتهاداتهم ، وانما يجب علينا أن يكون فى كل عصر مجتهدوه الذين يقدمون لاهل عصرهم ، فى ظل ظروفه وفى حدود أعرافه وتطوراته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أحكام الشريعة النابعة من قواعدها الثابتة ، أو المتفقة معها ، أو الموافقة لها ، أو غير المخالفة لشىء من أحكامها ، بحسب مقتضى الحال ونوع الحكم الذى نحن بصدده ، والواقعة التى يجتهد لمعرفة حكمها من كان مؤهلا لذلك ·

وفى الوقت الذى لا نتعبد فيه بنصوص الفقهاء السابقين ولا نجمد عليها ، فان السخرية بها والهزء بأصحابها والاختيار سيىء النية لامثلة مما سطرته أقلام بعض طلاب الفقه فى عصور الانحطاط العلمى والتأخر الفكرى ثم حمل الفقه الاسلامى كله عليها والتشنيع عليه بها ·· كل ذلك سلوك معيب ، ومنهج مرذول يصدق فيه ما وصفه طارق

البشرى بانه « بحث عن امراض الطرف الاخر لا لعلاجها ولكن للطعن عليه بها ومحاولة اغتياله منها » .

ولقائل أن يقول الان : ان تكن تلك هى الشريعة ، وذاك معنى هيمنتها على الشرعية العليا فى المجتمع ، فلم يختلف الناس حولها .. وكيف تكون هى موضع الافتراق أو موضع الاتفاق ؟

ان طارق البشرى يرجع ذلك الى شيوع النظرة العلمانية فـ « لقد جاهدنا عشرات السنين لتقيم الجماعة السياسية لدينا بصورتها الجامعة للمسلمين والمسيحيين ولكننا لم نتحل باليقظة وروح الجهاد نفسها ازاء النظرة العلمانية ، فقد تسبب عن شيوعها فتق آخر بين العلمانيين وبين اسلامية المسلمين أو التيار الاسلامى بعامة » .

وموقف العلمانيين من « الاسلامية » موقف معلن وبين ، وليست خطورته متمثلة فى رفض الاسلام من حيث هو دين ونظام شامل على النحو الذى يفهمه عليه ويدعو اليه دعاة « الاسلامية » فحسب ، وانما يزيد من هذه الخطورة ان هناك تعتيما كاملا تقريبا على الدعوة الاسلامية بالمفهوم العقيدى ـ الحضارى ـ القانونى المتكامل الشامل ، فهى لا تجد لها منبرا تتقدم منه الى الناس فى طمانينة ودوام يكفلان لها أن تبلغ الى الناس ما ينبغى تبليغه اليهم على نحو من الوضوح والبيان يناسب الافهام كلها والثقافات كلها والاعمار القابلة لان تعى وتفهم كلها .

هذا فى الوقت الذى لا تحصى فيه منابر الفكر العلمانى وصحفه ومراكز التوجيه المفتوحة له .. مع ضرورة حسبان الفارق بين أثر دعوة الى التزام دقيق منضبط فى كل ناحية من نواحى الحياة ؛ ودعوة الى تحرر من كل قيد سوى قيد العقل الذاتى أو الفردى ( ! ) .

ولذلك لا يؤدى شيوع النظرة العلمانية الا الى مزيد من أمراض الصراع الفكرى ومثالب وسائله .. فالقوى الوطنية تمزقها الخلافات اللانهائية ، والافكار يمزقها البحث عن نقائصها ونقائضها ، والتاريخ تلوثه خطايا من عاشوه أو شاركوا فى صنعه فتنسب اليهم أو حسب عليهم .. وهكذا تفقد الامة فى النهاية نفسها ، وتقع فريسة سائغة لعدوها الذى أعدت نفسها له وهيأت جسدها لانيابه السامة القاطعة !

ولكن القاء التبعة كلها على « النظرة العلمانية » لا يصف الواقع كله ، ولا يشخص الداء بجميع أعراضه ومظاهره .

فالنظرة الاسلامية ، أو بتعبير طارق البشرى : « الفكر الموروث » لا يؤدى كل الواجب عليه ، ولا يحسن فى أحيان كثيرة اختيار مواقفه ولا تحديد مواقعه .

فالبيان الذى يجب أن يصل الى عقل الامة ، ويطرق سمعها ، ويخايل فى كل مكان بصرها ليس موجودا بالقدر الكافى ولا بالنوع المؤثر .. فالوعظ وحده لا يجدى ، والعيش فى ظلال الماضى ـ جميلا كان أم اليما ـ اهدار للطاقة وتبديد للقوة والانتقاد المستمر للآخرين تأسيسا على أن كل مخالفة مهما صغرت فى الرأى

أو فى الاسلوب هى انعكاس لتاثيرات الصهيونية والاستعمار والصليبية الحاقدة ، ينفر ولا يقرب ٠

والاصرار فى مجالات القول كلها ومجالات العمل كلها على ارتداء زى واحد لا يتغير ، وترديد مقولات بعينها لا تتبدل ، لا يقنع الذين لم يقتنعوا ولا يعلم الذين يريدون أن يتعلموا ٠

وغض البصر عن أخطاء المنتمين أو المدعين انتماء الى الاسلام والكف عن التنبيه اليها والتبرؤ منها يحمل الدعاة الى « الاسلامية » الراشدة أوزار هؤلاء وخطايا أعمالهم ، ويشجعهم فى الوقت نفسه على الاستمرار فيها والاستهانة بها ٠٠ ولذلك ذم شيخ الاسلام ابن تيمية من « يتعصبون لمن دخل فى حزبهم بالحق أو بالباطل ، ويتعصبون على من لم يدخل فى حزبهم بالحق أو بالباطل »٠

والغفلة عن التغير المستمر فى التركيب السياسى والاقتصادى للمجتمع تؤدى الى غفلة أكبر وأخطر فى مجال الدعوة الواجبة ، وفى مجال التعاون المثمر أو العمل الهادىء مع الجماعات الاخرى والاتجاهات المتعددة : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ٠٠

فليس المرض الفكرى المزمن فى الصراع الفكرى وأساليبه وحدها ، وانما هو فى الجماعات المتصارعة والتيارات التى تدير هذا الصراع ٠٠ من داخلها وبين جنباتها ٠

واذا كنت قد حاولت لمس بعض مظاهر التقصير التى يقع فيها دعاة « الاسلامية » فلأنهم ـ عندى ـ أولى الناس بالا يقعوا فيها وأحق الناس بأن ينتبهوا اليها ٠٠ وليس ذلك تعصبا لفكرة أو تحيزا لجماعة ٠٠ وانما ذلك لان الاسلام هو الرداء الذى يجمع هذه الامة كلها ٠٠ وهو الدثار الذى تتخذه لخطوب الايام ، ولاختلاف الليل والنهار ، ولتغيرات الدهر الذى يداول الله أيامه بين الناس ٠

فاذا كان حملة هذا الرداء لا يقدمونه الى أصحاب الحق فيه ، أو يبخلون به على من يجب أن يشتمل به ، أو لا يعرفون قيمته وسعته ورحابته وجودة مادته حتى انهم يظنونه ثوبا مخصوصا يمزقه أن يحاول الدخول فيه شخصان وهو مخيط بواحد دون الاخر ٠٠ اذا كان الامر على أى نحو من هذه الانحاء فيجب على هؤلاء الدعاة أن يعيدوا النظر فى علمهم بما يحملون من هدى، وبما أورثوا من كتاب حتى يعرفوا موقعهم منه :

● « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » ( فاطر ــ ٣٢ ) ٠

واحسب ان الفريقين فى بلادنا ــ مصر بوجه خاص ، والوطن العربى والاسلامى بوجه عام ــ اذا انعموا النظر فى حقيقة ما يدعو كل منهم اليه ، وفى مدى ما يمثل لهذه الامة من « الم » أو من « أمل » ، وفى الذى يعنيه لها : وجودا ومكانة وحضارة ، أن يكون الغد غده هو لا غد الطرف الاخر ٠٠ أحسب ان هما فعلا ذلك أن كثيرا من أمراض الذات قد تشفى ، وان بعض أساليب الصراع الفكرى قد تختلف ، وان مشروع « تشييد جسور العمل الوطنى العام » التى يسعى كثيرون الى تشييدها قد يمكن اقامتها او وضع أساسها ٠٠ وأننا بذلك نبدأ الطريق الى الخروج من « مأزقنا » ٠

# قمة موسكو بين العملاقين ونزع السلاح

بقلم: د. عصام الدين جلال

**لايكف الراى العام العالمى عن تاكيد اهتمامه بنزع السلاح وتامين مستقبل الانسانية ضد الدمار الذرى والكيمائى والبيولوجى الى جانب آلات الحرب المتعددة المتطورة فى الجو والبحر والارض ..**

**ورغم ان معاهدة ازالة الاسلحة الذرية متوسطة المدى من اوروبا لاتغطى الا ٣ فى المائة من جملة اسلحة الدمار الذرية التى تملكها الدول العظمى فان الترحيب باعتمادها عم العالم كله . لان هذه الاسلحة بالذات تؤدى الى زعزعة التوازن والاستقرار فى معادلة التهديد بالدمار الشامل المتبادلة .**



ويرجع ذلك الى طبيعة التقدم التكنولوجى التى ازالت الفروق بين اسلحة الدفاع والهجوم الذرى والاسلحة الاستراتيجية والتكتيكية كذلك . فمثلا صاروخ س ٢٠ الروسى والذى جاء بديلا عن س ٤ ــ ٥ اشد قوة انفجارية وتدميرية ولكن الصاروخ الجديد س ٢٠ متعدد الرءوس واكثر دقة وقابل للحركة ، ومن ثم جعل كل قيادة وعاصمة أوروبية تحس بأنها معرضة للازالة عند بداية اى حرب ومن ثم فى حين كانت النظرة الى صواريخ س ٤ ــ ٥ انها اسلحة ردع اصبحت النظرة الى س ٢٠ انه صاروخ هجوم .

وكذلك صاروخ برشنج الامريكى والذى يمكن باطلاقه من المانيا الغربية ان يدمر مراكز القيادة السوفيتية فى ٣ او ٤ دقائق ومن ثم كان لا يمكن للاتحاد السوفييتى اعتباره سلاحا تكتيكيا حسب العرف العسكرى المتفق عليه بل هو سلاح استراتيجى هجومى وصالح للاستخدام لضربة مفاجئة ومباغتة .

ومن ثم فكل من الطرفين كان لهما مصلحة فى ازالة عوامل عدم



لقاء القمة الاخير .. بين جورباتشسوف وريجان

الاستقرار هذه خاصة وان كلا منهما لازال يحتفظ بـ ٩٧٪ من قدرته التدميرية الساحقة وهي كفيلة بتدمير العالم ـ العدو منها والصديق ـ عدة مرات ·

اما الصواريخ السابحة المطلقة من الارض لمسافات طويلة فهى ايضا اسلحة عدم استقرار لانه بالاضافة الى دقتها وقدرتها على التدمير الشامل فهي سهلة الاخفاء والتضليل ورخيصة الثمن نسبيا مما يتيح انتاج اعداد كبيرة منها لا يمكن للخصم حصرها

## ● رقابة صارمة

وفي العصر الذرى لا يمكن قبول سلاح تدميرى لا يمكن مراقبته وحصره بل ان كل خصم له مصلحة في توفير المعلومات الدقيقة والرقابة للطرف الاخر حتى لا يثير مخاوفه وشكه مما يدفعه لهجوم مفاجيء ·

وفي الدورة الاستثنائية للجمعية العامة المخصصة لنزع السلاح والتى عقدت اخيرا في نيويورك تصر الدول التى ليس لديها اسلحة ذرية بوجوب تخفيض الترسانة الذرية على الاقل بواقع ٥٠٪ لان ١٠٪ اكثر من كافية لضمان القدرة لكل طرف على تدمير الطرف الاخر وحلفائه وجيرانه · كما تصر الدول المحايدة على اثارة مشاكل الحروب المائة والخمسين التى اجتاحت العالم الثالث في العصر الذرى واصابته بالخسائر والدمار ، الضحايا بما يفوق ما سببته الحرب العالمية الثانية وتأثير الدول الازمات المستعصية التى تتحمل الدول الكبرى مسئوليات مباشرة عن تأسيسها مثل احتلال فلسطين واستعباد جنوب افريقيا

والمسئولية السافرة للولايات المتحدة والدول الغربية وكذلك الحروب الاهلية المدمرة فى امريكا الوسطى ونيكاراجو والحرب فى افغانستان التى استجاب الاتحاد السوفييتى اخيرا لمطالبة دول عدم الانحياز بانسحاب جيوشه منها ·

وفى الحقيقة لا ينتظر ان يتحسن موقف امن الدول الصغرى من جراء قمة موسكو والتفاهم السوفييتى الامريكى ولا من جراء قرارات الدورة الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة والتى تؤكد ان الدول الكبرى لن توليها عناية اكثر من الدورات السابقة ومن ثم ستبقى قرارات سياسية غير قابلة للتنفيذ ·

أن تخفيض الاسلحة الذرية على اهميته القصوى لا يكفى لتوفير الامن للدول الصغرى فى العالم الثالث والتفاهم او الخلاف بين العمالقة ليس فيه اى ضمان لذلك

لان اساس امن هذه الدول لاوجود له · وهذا الاساس هو نظام امن عالمى يرتكز الى احترام للقانون الدولى ولمبادىء العدالة والمساواة فى ميثاق الامم المتحدة ، وقد وضع حد الاحتكار الدول العظمى لحرية التصرف بما يخالف هذه الاسس الاخرى على احتكار وشلل مجلس الامن والامم المتحدة والمنظمات الاقليمية مثل منظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية ·

وأسس النظام الامنى العالمى لابد وأن تعطى القدرة للامم المتحدة لمنع اى من الدول العظمى من فرض حلول غير عادلة وفردية فى اى نزاع اقليمى ، وفكرة المؤتمر الدولى للمشكلة الفلسطينية هى تطبيق لهذا المبدأ ومحاولة لوضع حد للدور المخرب الذى قامت به الولايات المتحدة بمساندة اسرائيل فى عدوانها وهمجيتها ·

وأساس اخر من اسس النظام الامنى العالمى هو منع تدخل الدول الكبرى لشل محاولات الخصوم فى نزاع اقليمى للتوصل لحل عادل لمشاكلهم كما تحاول دول امريكا الوسطى ايجاد حل لو منع تدخل الدول الكبرى من عرقلته ·

واساس اخر هو وقف التدخل المباشر وغير المباشر لاشعال الخلافات والحروب كما حدث فى افغانستان وما حدث فى حرب الخليج وما حدث فى حروب فلسطين وما يحدث فى جنوب افريقيا واسيا ·

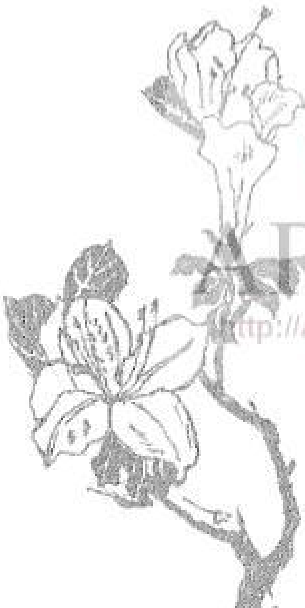
ايضا تدعيم دور الامم المتحدة وميثاقها واحترام قراراتها واتجاهات الرأى العام العالمى فبدون نظام وقانون وادارة دولية ستبقى الدول الصغرى وامنها نهبا للضياع الذرية ، وستشتعل الخلافات بينها ومنها الخلافات العنصرية والفئوية وتستنزف موارد الجياع والفقراء فى شراء كميات هائلة من الاسلحة لا تحقق للدول الصغرى امنا ولا استقرارا ولا تنمية ·

فهل يمكن ان نفاجأ بالمستحيل وهوان هذه الاجتماعات العليا ستضع يوما ما حدا لقانون الغاب فى العلاقات الدولية وتنتقل بالحضارة الانسانية خطوة بحيث تسود بين علاقات الدول الاصول الحضارية وهى القانون والعدالة واحترام القيم الانسانية ·

# حوار الوردتين

شعر: محمد محمد السنباطي

ماذا تقول الوردتان ؟
( احداهما آدميّة )
ينساب مابينهما نهر من الحنان
والشاعريـة ..
تأرجح الجمال فوق كفتيهما
ويعدها رنا اليهما
وقال : أنتما ـ بلا مبالغة ـ
سعادتى الخفية
لكل منكما لغة
وابجدية
حروفها عطر ، تبسم ، تلعثم حيناً
وضحكة اذا استحمت بالدموع أو بحبات الندى
تلفت الحنان فى العيون ، وارتدى
درب قميصه العشبىَّ والمخملا
والوردتان : يصعد العبير
يهبط العبير .. من .. إلى ...
من منهما التى تعرفت على الربيع أولا ؟!



في الذكرى السابعة لوفاة الروائي

يحيى الطاهر عبد الله

# الجنس والثأر في قصة الدف والصندوق

بقلم: د. ناجي نجيب

**بعد رحيله عن عالمنا ، ترك فقيد الأدب والنقد الدكتور ناجي نجيب هذا المقال ، بعد أن ظل يكتب إلى آخر أيام حياته . ويدور مقاله حول يحيى الطاهر عبد الله ، الذي رحل عن عالمنا في شهر يونيو سنة ١٩٨١ .**

**لقد رحلا في سن الأربعينيات ، وقبل مرحلة العطاء الكبير . وتركا ـ كل في مجاله ـ عطاء مهماً ومتميزا ، الأول مات في الغربة والثاني رحل بعد حادث في طريق الواحات .. وراحل يكتب عن راحل .**

"الكون عاكف عن الكلام ـ منذ أمس ـ والأشياء أيضا تحدثت مع مريم على هواها وقد عادت من النهر ، انفجر ثديان كانا مخبوءين طوال أربعة عشر عاما هي عمر مريم اليوم .

تركت مريم الجرة تطفو فجرفها سطح الماء المتحرك ، لمت ذيل ثوبها ـ كي لا يبتل ـ وأنامته بين فخذيها وضغطت عليه ، خاضت في الماء بتعثر حتى لحقت بالجرة وأمالت عنقها ، جرى الماء في العنق الى الجوف وهو يقول : بك .. بك ..."

في "الدف والصندوق" يمزج يحيى


يحيى الطاهر عبد الله


د . ناجي نجيب

الطاهر بين تفتح الجنس والثأر ، بين مريم وصالح . فلحظة الثأر تحين فى اليوم الذى تصبح فيه مريم أنثى .

منذ أن ولدت لم تعرف مريم غير أخيها صالح وأمها نفيسة . قُتل "الأمين الطواب" والدها وهى نطفة فى رحم الغيب أردته رصاصة خاطئة ، فهجرت الأم قرية "الكرنك القديم" . طلقت العمران ، وبنت بيتا منعزلا فى "حوض الخمسين" ، فى الأرض الواسعة التى خلفها زوجها القتيل ، ومنذ مقتل زوجها لم تغادر الدار .

قُتل الأمين الطواب ، ولكنه لم يخلد الى الأموات ، مازال هو السيد الذى يحرك كل شىء طالما لم يُقتل قاتله ، مازالت حياة الآخرين رَهْناً بالأب الغائب . توقف الزمن عند اللحظة التى سقط فيها . فأى قوة تلك التى تُوقف الزمن عند هذه اللحظة إلا أن يكون قتل الأب هو اعتداء على حرمة الحرمات ، على الأب الإله ، وعلى الأم ، أم هى شهوة الانتقام !

عادت مريم من النهر بصدر مبتل ، وقد استيقظ فى أعماقها الجنس .. وحين تبصر الأم هذا الصدر المبتل ، تعى وتفهم ، ولكن لسانها ينعقد . تعجز عن الحديث ، فتصنع بهذه الغفلة ذلك الحاجز الذى يعوق التواصل بينهما . تدرك الأم فى مرآة ابنتها أنها تتحول سريعا الى امرأة عجوز ، ولكنها مازالت تدير دفة الأمور . وفى نفس اليوم تصيح فى ابنها بصوت مخنوق حاد : "الليلة .. الليلة .. يموت شبيب الليلة .. لتعرف روح أبوك ياصالح الراحة وتذوق نوم الميتين .. الأمين أبوك .."

فليست شهوة الانتقام هى التى تحرك الأم فحسب ، وإنما هو شىء بعيد الأغوار يتخطى عالم المحسوسات ( ويبرز هذا البعد بوضوح فى قصة "المهر" التى يتابع فيها يحيى الطاهر وقائع "الدف والصندوق" ، ففى أُذُن صالح الكامن فى الظلام تحت شجر النخيل ، انتظاراً لمرور

# الجنس والثأر

## في قصة الدف والصندوق

شبيب ، تتردد كلمات أمه "قاتل ابوك عدوك ليوم الدين" ، "اقتل شبيب .. قتل اباك .. نام مع امك ثم تزوج غيرها" والعبارة الأخيرة بمعنى ان قتل الأب هو اعتداء على حرمة الأم ، وليس بمعناها اللفظى . ثم إن صالح في هذا المجتمع القديم ليس ابن ابيه . وإنما ابن تفيدة فحسب طالما لم يأخذ بالثأر . ولكن في الأمر ظلما وخداعا عظيمين . فالقاتل مجهول . شبيب لم يقتل الأمين . وإنما قتل الأمين خطأ ، لأنه كان يركب حمار شبيب الأبيض . وبهذا يحدث صالح نفسه

"كان الظلام . وكان شبيب صديقا لأبى .. وكان ابى يركب حمار شبيب الأبيض . والرصاصة المجهولة كان مقصود بها شبيب .. حين سقط الحمار الأبيض سقط ابى . والثأر هو راس شبيب ارميه في حجر أمى ."

هو في دخيلته رافض لهذا الجور ، "غائب ومجبر على الحضور" . ضحية لميراث أصم ثقيل : لذلك "القديم الغابر المتقيح المكوم على الصدر .. هكذا لتجرى الكلمات بطرقات الكرنك القديم .. مجنونة تلطم الحوائط .. تهز جدران العالم الأربعة .. تدك جدران الحجرة التى تحوطهم"

ولكن لماذا الليلة دون غيرها من الليالى ؟

● أحداث الماضى

في هذه الليلة تستيقظ أحداث الماضى ، وتجتمع شخوص هذه الدراما القديمة : الام والابن والابنة وسعيد ابن الخالة ، والأب المقتول ممددا بين شجيرات العدس الصفراء في حوض الخمسين . تجمع الحاضرين وشائج ظاهرة وأخرى خفية ، شعورية ولا شعورية .

يقبل سعيد على الدار ، ومعه السلاح ، الذى على صالح أن يقتل به قاتل ابيه . وحين يبصر مريم ، يدرك أنها قد أصبحت عروسا . فيتراءى له حلم الزفاف بها ، أما مريم فيفزعها حضور سعيد هذه الليلة ، ينفرها وجوده ، وتحدث نفسها فتقول "يقصدون العبيط يصبح سيدى وله الكلمة .. هو الراجل !"

مريم جزء من الصفقة التى تعدها تفيدة . فقد ارتكب سعيد الصعاب وأحضر السلاح ، وستزفه تفيدة ابنتها ، على الرغم من أنه ابله وقبيح ، كما يبدو لها حين يبتسم .

ومن البين ـ وهذا هو محور القصة ـ أن هناك روابط شبقية عميقة تربط مريم بشقيقها صالح . ففى غياب الأب ، وفى تلك العزلة التى نشأت فيها ، كان صالح موضوعا للإثارة الجنسية ، كان من ضرورات نموها النفسى والجنسى (وانجذاب الجنس الى المحارم هو عنصر قصصى دال في قصص يحيى الطاهر عبد الله . والانجذاب الى

المحارم أشد فى الدوائر الاجتماعية المغلقة عنه فى الدوائر الأخرى ، وإن غلفه الصمت ، وإن انتفى من الوعى تحت نواهى التحريم الصارمة ) .

يتشكل نسيج القصة الداخلية من خلال تتابع من الإيماءات والصور الحسية والأخيلة التى تجسم هذا التعلق الشبقى الانفعالى بين مريم وصالح ، وأخيرا يرتفع النقاب عن هذه الرابطة الخفية فى الحلم الذى تنتهى به القصة والذى تبلغ به ذروتها . أما وقائع هذه الليلة فهى الإطار الخارجى الذى يغلف هذا الصراع الخفى .

من "فسحة" جانبية تتابع مريم ما يدور فى "الغرفة البحرية" بين أمها وبين صالح وسعيد ، وعلى الرغم من أن الحجرة مغلقة ، فهى حاضرة بينهم ، وتعرف ما يدور . الأم تطالب براس شبيب ، وصالح مطرق صامت ، تعصف به شتى المشاعر المتضاربة ، ومريم فى حلم من أحلام اليقظة بصحبة صالح فى مغارة أو مكان ، ضيق ومعتم ، وسعيد خلفهما : "كان سعيد يطاردهما وهى خائفة .. كانت ملابسها قد تمزقت"

وبمقدار ما تلح تفيدة وتطغى بالكلمات والصمت والنحيب ، يحس صالح بضغط ذلك الشيء الغليظ القديم ، وتحتدم نفسه بالخنق والكراهية ، وتتجسم فى وجدان مريم الاشباح والمخاوف ، وتطفو تلك الرابطة العميقة التى تربطها بصالح على السطح ، فأمها ستفرق بينها وبينه . إنها تريد الانطلاق ولكنها لا تستطيع ، وتحاول التسرية عن نفسها بالدموع ، ولكن البكاء يمتنع عليها ، وتحس بالاختناق فى هذا الجو الفاسد :

"امسكت بالثوب شقته الى نصفين وانفجر شيان (أربعة عشر عاما .. يمامتان فزعتان تأهبتا للانطلاق ، لكنهما محشوتان من الداخل برمل وحصى ساخن" .

وفى "الغرفة البحرية" تترنح وتسقط فى شبه غيبوبة وهى تهذى باسم صالح ، فأمها تسوق صالح الى الموت ، وأخيرا يغلبها النوم والحلم .

فى الحلم ترتفع المحاظير ، ولكنها ترتفع بقدر فحسب . يظل الرقيب الداخلى فعالا ، وإن تعطلت فى هذا المجال المقاييس والمفاهيم المألوفة . فالحلم يلمح ولا يصرح ، ويعبر بالصور والألوان والأشكال الغريبة ، وعلى غرابة الصور نتبين من السياق تلك الأحاسيس والقوى التى تتجاذب مريم : الشعور بالمطاردة والدنس والألم ، ثم التطهر والانفراج أو الراحة . والذى يولد فى وجدانها تلك الأحاسيس المزدوجة هو صحو الجنس وما يرتبط به من شعور بالذنب .

وفى هذا العالم السحرى أو فوق الحسى تتكشف تلك الرابطة الشبقية أو الجنسية التى تربط مريم بشقيقها ، إنها تنتمى اليه وهو ينتمى إليها . فعالم الحلم لا يخضع لأحكام عالم الأحياء الواقعى ، ولا خطر فيه من تحقق هذه الرابطة ( بمعنى أن تحقيق هذه الرابطة غير قائم ) . الحلم بهذا يخفف من عبء الواقع ويؤدى وظيفة تعويضية .

بعد التطهر فى النهر يلم بها "شعور جديد وحار .. وراحة مخبوءة" . ويقودها الآن صالح خلال عالم الأسرار السفلى : يمسكها بذراعيه ، وينزلقان خلال هوة عميقة مظلمة غائرة الجوف . وينزاح عنها الخوف وتضحك فى صفاء . "قالت له

# الجنس والثأر
## في قصة الدف والصندوق

وهى تضحك .. إنها كانت خائفة لأنها لم تكن تعرف أنه هو" . فمن هو ، هذه هى وسيلة الحلم فى التصريح أو الافصاح .

لقد حاولنا فى السابق أن نوضح بنية هذا الحلم ، ولكن أى تفسير لا يرتفع الى لغة هذا الحلم الفريد الذى تنتهى به هذه القصة الفريدة .

"وكانت مريم غير قادرة على الصراخ أو حتى على الحركة ونوم ثقيل قادم لا تريد أن تسلم نفسها له .

اعطته يدها .. تأرجح كثمرة صلبة .. سمعت صوت دف وندب معولة وصوت قهقهر يتكسر .. جرت على الأرض النامية .. الحصى لامع وخشن ويؤلم قدميها . هى خائفة من ذلك الذى يتبعها فى فضاء شديد الزرقة .. طائر محموم مقطوع الرأس ريشه شديد البياض يصبغه الدم .. استقام النهر لعينيها .. وانكسر بصرها أمام سطحه المتوهج الاحمرار .. طفت صابونة على السطح .. تولاها فرح أطفال .. وقذف النهر فوق سطحه بألياف النخيل وبعلق كثير أحاط بها وغطى فخذيها العاريتين .. كانت عارية .. السواد زال من ثدييها عندما غطتها رغوة الصابون .. البقع السوداء كانت ثابتة بين فخذيها وتحت ابطها .. الألياف خشنة والدم حار وتدفقه لا يجعلها تشعر بأدنى ألم .. شعور جديد وحار .. وراحة مخبوءة .. عاد الوهج الأحمر يضىء من جديد .. برهان مفاجىء عكسه سطح الماء وتراجعت له جفونها .. أطبقت على نظرها المنكسر .. امسكها من الخلف .. بكلتا ذراعيه القويتين .. لامس صدره ظهرها .. كان يغطيه الشوك .. وهى معه ـ كانا يتدحرجان .. كانت الهوة عميقة ومعتمة وغائرة الجوف .. كان الافق بسمائه الزرقاء وقمره البارد ونجومه اللامعة منطبقا على أحراش الأرض ورملها الحار .. لم تعد خائفة . حيث هما يتدحرجان .. ظلت تضحك فى جلجلة وجهه الآن .. إنها تعرفه .. قالت له وهى تضحك .. إنها كانت خائفة .. لأنها لم تكن تعرف انه هو" .

يعنون يحيى الطاهر عبد الله قصته : "الدف والصندوق" ، و"الدف" هو دف الزفاف ، و"الصندوق" هو الصندوق الخشبى التقليدى التى توضع فيه ملابس العروس . ومن البين أن مفهوم "العرس" فى إطار المجتمع أو التكوين الاجتماعى الذى تصفه القصة متعدد المستويات : فصحو الجنس هو عرس الحياة ، والثار هو عرس الميت المقتول ، ومن ثم كان الترابط بين تفتح الجنس والثار . على أن "مهر" عرس المقتول فادح ومرير ، والذى يدفع هذا "المهر" هو الابن صالح ، وأيضا مريم التى حرمت الأب ، ومن هذه المستويات المتداخلة تشكلت تلك الرابطة الدفينة التى تربط الأخت والأخ .

ومن البين أن يحيى الطاهر عبد الله كان يزمع نسج رواية فى فصول أو وحدات حول قصة "الدف والصندوق" . ولكنه لم يكتب منها غير فصلين ، وهما "المهر" و"الجثة" .



قصة مترجمة

تأليف: ماريو بنيديتى (الاوروجواى)
ترجمة: طلعت شاهين



كانا قبيح الوجه ، قبحا غير عادى ، هى كانت لها وجنة عميقة ، كاثر لعملية جراحية ، عندما كانت فى الثامنة من عمرها ، اما العلامة البائسة بالقرب من فمى فقد جاءت على اثر حريق وحشى ، حدث فى بداية مراهقتى .

ولا يمكن القول ان لنا عيونا رقيقة من تلك للعسالة الانوثية التى نزعت عنا كل جمال، لا، هذا لا يمكن تعليله كذلك فعيونها تماما كعيونى مليئة بالاحاسيس الرقيقة وربما كانت فقط تعكس القليل من سوء حظنا ، وربما كان هذا السبب الذى وحدنا ، وربما كلمة « وحدنا » ليست الكلمة المناسبة ، انا اشير الى الكراهية التى يشعر بها كلانا تجاه قبح وجهه .

لقد تعارفنا على مدخل السينما ، كنا نقف فى طابور لمشاهدة فيلم ، هناك فحص كل منا الاخر ، دون احساس بالحب ولكن بتضامن مظلم،هناك بدأ احساس كل منا بعزلة الاخر ، من النظرة الاولى ، فى الطابور كان الجميع يكونون ازواجا ازواجا، وكانوا يشكلون تناغما بشكل لافت للنظر ،

# ليلة القبح

ازواج، عرسان ،عشاق، كل منهم يحتضن الاخر او يمسك بيديه ، كل شاب الى جانبه امراة ، فقط هي وانا كانت ايدينا طليقة متشنجة .

تأمل كل منا بشاعة الاخر ، بعجرفة وفضول جريت بعيني على وجنتها العميقة الخشنة ، مما جعلني اشعر بخدي المكرمش ، هي لم تخجل، اعجبتني جراتها ، كانت ترمقني بنظرة متفحصة، كانت تتفحص وجنتي الملساء الخالية من الشعر ، تلك العلامة التي بقيت من الحريق القديم .

اخيرا دخلنا ،جلسنا في مكانين مختلفين ، لكنهما على مسافة قريبة ، هي لم تكن تستطيع ان تراني ،اما انا ، فقد كنت في الظل، وكان يمكنني ان اميز عنقها بشعره الاشقر ، اذنها الرقيقة ، الحسنة التكوين ، لقد كانت الاذن الموجودة في الجانب الطبيعي .

طوال ساعة واربعين دقيقة ، كنا معجبين بجمال البطل ، وبسحنة الجنس الرقيقة ، على الاقل كان باستطاعتي ان اعجب بالجمال ، اما الكراهية فقد كنت احتفظ بها لوجهي ، واحيانا من اجل الله ، وايضا كنت اكره الوجوه القبيحة ، ربما كان علي ان اشعر بالشفقة ، تجاه الوجوه القبيحة الاخرى ، لكنني لا استطيع ذلك ، في الحقيقة كانوا كالمراة بالنسبة لي ، احيانا كنت افكر ، اي شيء كان يمكن ان يحدث لو ان اسطورة نرجس كانت لوجه قبيح او على الاقل كانت له وجنة عميقة،او اخرى احرقها الحامض ، او انه كان بنصف انف او اصيب بكسر في جبهته .

انتظرتها عند الخروج ، سرت الى جانبها عدة خطوات ، وبعد ذلك حدثتها ، عندئذ توقفت ونظرت الي، شعرت بانها مترددة ، دعوتها لنتحدث في مقهى او محل حلوى فوافقت على الفور .

محل الحلوى كان غاصا بالزبائن ، لكن لحظة دخولنا خلت مائدة ، وعندما مررنا بين الزبائن ، كنا نشعر خلفنا بالاشارات والاحساس بالمفاجاة ، لقد كانت دائما قرون استشعاري مستعدة لالتقاط هذا الفضول ، انه الاحساس السادي للذين لهم وجوه طبيعية ومتناسقة ، لكن هذه المرة لم اكن في حاجة الى هذا الاحساس ،فقد استطاعت اذني ان تلتقط الهمهمات ، القحقحة ، والبحات المصطنعة ، وجه مرعب وحيد يثير الفضول،لكن وجهين قبيحين يشكلان فضولا اكبر ، شيء متكامل ، شيء يجب ان يشاهد مع الاخرين ، الى جانبرجل او امراة، هذه الاشياء تستحق ان نشارك فيها الاخرين .

جلسنا ، طلبنا كاسين من الجيلاتي ، وهي كان لديها الشجاعة ( وهذا اعجبني ايضا ) فاخرجت من حقيبتها مراة صغيرة ومشطت شعرها ، شعرها الجميل سالتها :

– فيم تفكرين ؟

وضعت المراة في الحقيبة وابتسمت ،البئر العميق في وجنتها تغير وضعه .

قالت :

– مكان مشترك ، اي مكان .

تحدثنا طويلا ، بعد ساعة ونصف طلبنا قهوة لاستمرار جلستنا الطويلة ، فجاة شعرت اننا كنا نتحدث بصراحة

مؤلمة تهدد الجدية ، وتتحول الى ما يشبه النفاق ، فقررت أن اتجه الى الهدف مباشرة

– انت تشعرين بالعزلة في هذا العالم، اليس كذلك ؟

قالت وهى لا تزال تنظر الى :

– نعم ٠

– بالطبع انت معجبه بذوى الوجوه الجميلة والطبيعية ، وتتمنين أن يكون لك وجه طبيعى كوجه تلك الفتاة التى على يمينك ، رغم انك ذكية ، وهى لو حكمنا بالنظرة الاولى تبدو ظاهرة الغباء ٠

– نعم ٠

ولأول مرة لم استطع ان أؤكد نظرتى ٠

– انا ايضا اتمنى هذا ، لكن هناك احتمال واحد ، اتعرفين ذلك ؟ وهو ان نصل الى شىء معا ٠

– ما هو هذا الشىء؟

– مثل ان نحب بعضنا البعض ، او نصل الى نوع من التفاهم ، سمه ما شئت لكن هناك احتمال واحد فقط ٠

قطبت جبينها ، لم تكن ترغب فى استيعاب الفكرة ، فكرة الامل فى اى شىء ٠

– عدينى الا تأخذى المسألة على سبيل الهزل ؟

– اعدك ٠

– الاحتمال الوحيد هو ان ندخل الليل ، الليل الكامل ، بكامل ظلمته ، هل تفهمين ما اعنى ؟

– لا ٠

– يجب ان تفهمينى ، الظلام الكامل حيث لا تستطيعين ان ترينى، ولا اراك ٠ لك جسد جميل ، هل تعرفين هذا؟

ابتسمت، فتغير وضع العمق فى وجنتها واصابه الاحمرار القرمزى ٠

انا اعيش فى شقة صغيرة ، بالقرب من هنا ٠

رفعت رأسها متسائلة ونظرت الى ، فى محاولة للتعرف على ، محاولة يائسة ، للوصول الى تشخيصى ٠

– هيا بنا ٠

لم اطفىء النور فقط ، بل احكمت الستائر المزدوجة على النوافذ ، كانت تتنفس الى جوارى ، لم يكن تنفسها مجهدا ، لم ترغب فى ان اساعدها على نزع ملابسها ٠

انا لم اكن ارى شيئا ، لكنى استطعت ان اشعر انهما كانت ساكنة تماما بلا ادنى حركة ، كانت تنتظر ، مددت ذراعى بحرص شديد ، الى ان التقيت بصدرها ، بمسة يدى نقلت اليها شعورا بالانتعاش ، والجرأة ، وعبر يدى شاهدت اجزاء جسدها ، ويداها ايضا شاهدتا جسدى ٠

فى هذه اللحظة كان على ان ابدا وانتزعها من هذه الاكذوبة التى صنعتها بنفسى ، او حاولت ان اصنعها ، مر كل شىء كالبرق ، لم تكن كذلك ، لم نكن كذلك ٠

كان على ان استخدم كل ما لدى من شجاعة، وفعلت ذلك ، زحفت يدى ببطء ، باتجاه وجهها ، التقت بالجزء الغائر المرعب ، وبدات عملية مداعبة بطيئة ، فى الحقيقة مرت اصابعى عدة مرات على دموعها ( كانت من البداية مرتعشة ثم بعد ذلك تقدمت بشجاعة )٠

وفى اللحظة التى لم اكن انتظرها ، وصلت يدها الى وجهى ،ومرت واعادت تمريرها على الجزء المحترق من وجنتى ، ذلك الجزء الاملس الخالى من الشعر ، علامة الاحتراق التى فى وجهى

فظللنا نبكى حتى الفجر ، كتعساء ، كسعداء ، بعد ذلك وقفت انا ونزعت الستائر المزدوجة من النوافذ ٠

# اللغة العربية في الدولة العثمانية

بقلم: د. محمد حرب

**اذا كان عثمان مؤسس الدولة العثمانية قد تولى عام ١٢٨١ وحكم ٣٧ سنة واحاط نفسه بعلماء ومشايخ قبيلته الذين كانوا يعنون بحفظ القرآن الكريم ، وتحفيظه ، ومن هنا نعلم متى بدأ العثمانيون الاهتمام باللغة العربية .**

ومع تولي أورخان بن عثمان، خرج التعليم من المسجد اذ فتح العثمانيون في السنة الثالثة من حكم أورخان يعني في عام ١٣٢٧ م مدينة ازميد وفتحوا فيها أول مدرسة في تاريخ الدولة العثمانية ( ولم تكن قد أصبحت دولة بعد لانها لم تكن وقتها اكثر من امارة ) وهذه المدرسة هي « مدرسة ازميد » . وكان أول مدرس بها هو داود القيصري . وكانت الكتب المقررة فيها – وبالتالي في المدارس العثمانية المتعاقبة – في مادة التفسير : كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ويعرف اختصارا باسم تفسير الكشاف ومؤلفه هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمار الزمخشري العالم المعروف في نحو اللغة العربية والتفسير والحديث والفقه . وكتاب انوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف باسم تفسير القاضي البيضاوي ومؤلفه ناصر الدين سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي . وفي مادة الحديث النبوي : الكتب الستة الصحاح وهي الجامع الصحيح للبخاري ثم الجامع الصحيح لمسلم والجامع الصحيح للترمذي وسنن ابن ماجه وسنن أبي داود والسنن الكبير للنسئي ، ومصابيح السنة لحسين بن مسعود القراء البغوي .

في مادة الفقه كانت المدارس العثمانية تدرس كتاب الهداية لشيخ الاسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغناني ، وكتاب الوقاية لبرهان الشريعة ، والعناية في شرح الوقاية لعلاء الدين علي بن عمر الاسود ، ومختصر القدوري لاحمد بن محمد

القدورى البغدادى وكتاب الفرائض لسراج الدين محمد السجاوند ويعرف الكتاب باسم فرائض السراجية · وفى أصول الفقه كانت الكتب المقررة هى التلويح للتفتازانى ومنار الانوار للنسفى والمغنى لجلال الدين عمر ، ومختصر ابن حاجب · وفى العقائد كتاب القاضى الايجى وكتاب النسفى والطحاوى · وفى علم الكلام تجريد الكلام للطوسى وطوالع الانوار للبيضاوى والمواقف للايجى · وفى علم البلاغة كتاب مفتاح العلوم للسكاكى وتلخيص المفتاح فى المعانى والبيان للقزوينى ، وفى المنطق كتاب الايساغوجى والشمسية والغزة فى المنطق للشريف نور الدين محمد ابن السيد الشريف الجرجانى ، وكتاب مطالع الانوار للقاضى سراج الدين الارموى ، وفى الفلك كتاب الملخص لمحمود بن محمد الجغميتى ·

***

أما فى اللغة العربية ـ كمادة مستقلة ـ فكانت على قسمين : الصرف ويدرس فيه كتاب أساس التصريف لشمس الدين الفنارى والشافية لابن حاجب والعزى للشيخ عز الدين أبو الفضائل الزنجانى وكتاب المقصود وينسب الى أبى حنيفة النعمان ، وكتاب مرح الارواح لاحمد بن على بن مسعود · أما فى النحو : فقد كانت الكتب المقررة هى : ألفية ابن مالك والعوامل للشيخ عبد القادر الجرجانى والكافية فى النحو لابن حاجب وشذور الذهب لابن هشام وقطر الندى لابن هشام ، ومغنى اللبيب · وكتاب الاعراب عن عقائد الاعراب ، والمصباح للماتريزى·

وفى وثيقة عثمانية مؤرخة عام ١٥٦٥ ( ٩٧٢ هـ ) برقم ٢٨٠٢ ـ فى أرشيف طوبقابو فى استانبول قائمة بالكتب الموزعة على المدرسين فى المدارس العثمانية وبيانها كالتالى : فى التفسير : انكشاف ـ قطب الدين ـ سعد الدين ـ القاضى البيضاوى ـ القرطبى ـ الكاشانى ـ الاصفهانى ـ وفى الفقه واللغة : الهداية ـ النهاية ـ غاية البيان ـ قاضى خان ـ البزدوى ـ النووى ( شرح مسلم ) ·

## ● مكانة مرموقة

وفى مجال الثقافة الاسلامية المكتوبة باللغة العربية ، تحتل الاسماء العثمانية مكانة كبيرة والنطاق هنا لا يمكن أن يتسع لذلك لابد من مثال أو اثنين ممن عمت شهرته الافاق من العثمانيين ذاكرا فى البداية صاحب كشف الظنون ، كاتب جلبى ، الذى غلب عليه لقبه حاجى خليفة ، وهو كتاب ببليوجرافى هام له مكانته فى الدراسات العربية الاسلامية ، واجتمع فيه من أسماء الكتب ١٤٥٠٠ كتاب ومن المؤلفين ٩٥٠٠ مؤلف وتناول فيه نحوا من ٣٠٠ فن أو علم · حوى كشف الظنون عيون المصادر فى الفكر الاسلامى مما صنفه أصحابه باللغة العربية وبغيرها من لغات المسلمين مثل الفارسية والتركية وهذه ميزة انفرد بها ·· كما ذكر الدكتور عمر الداقوقى فى كتابه القيم مصادر التراث العربى · ولكاتب جلبى ( أو حاجى خليفة ) موسوعته الكبيرة فى ميدانها وهو كتاب سلم الوصول الى طبقات الفحول ·

من هذه الاسماء أيضا طاشكوبرى زاده واسمه عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى صاحب كتاب الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية وهو كتاب شائع فى العالم العربى صدرت منه طبعات مختلفة تناول فيه مؤلفه أكثر من خمسمائة عالم وشيخ من الذين عاشوا فى

الدولة العثمانية منذ عثمان الى سليمان القانونى وهو العهد الذى عاش فيه طاشكوبرى زاده ·

والشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ترجم من لغته العربية الى اللغة التركية فى عهد مؤلفه التركى · طبع الكتاب باللغة العربية عدة طبعات ، وأصدر معهد الشرقيات بجامعة استانبول طبعة محققة للشقائق النعمانية عام ١٩٨٥ ، وهذا يعد حدثا هاما فى تاريخ الثقافة العربية ·

الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، هذا الذى نتحدث عنه ، من تحقيق الدكتور صبحى فرات · يلفت المحقق فى مقدمته ، أنظارنا الى الاتى : « ان القسم الاكبر من تلك الشخصيات التى احتواها هذا الكتاب ، كان قد خلف مؤلفات كثيرة فى مجال العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والادب ·· وهذا ما يظهر لنا قوة نمو وتطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية من القرن السابع الى القرن العاشر الهجرى ، أى من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن السادس عشر الميلادى ··· » ·

أحب أن أضيف الى قول الدكتور أحمد صبحى فرات ، محقق الشقائق النعمانية « ان تطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية امتد بعد ذلك الى نهاية القرن العشرين الميلادى » ·

ان اخر ما يحضرنى فى هذا الموضوع هو كتاب من تأليف المعلم جودت ، وهو تربوى وكاتب تركى ( ١٨٨٣ ـ ١٩٣٥ ) جمع بين الثقافة الاسلامية وثقافة الغرب · أصدر قبل وفاته بعامين وفى استانبول كتابا قيما باللغة العربية بعنوان ذيل على ابن بطوطة تحدث فيه عن الاخيه الفتيان التركية فى الاناضول الذين تحدث عنهم ابن بطوطة · وقدم لنا المعلم جودت فى كتابه هذا دراسة من اعمق الدراسات فى موضوع تشكيلات الفتوة فى الاسلام ·

واذا عدنا مرة أخرى الى العهود العثمانية الاولى نذكر من عصر السلطان سليم الاول فاتح الشام ومصر ، ابن كمال باشا وهو شمس الدين أحمد بن سليمان · عن ابن كمال باشا قال باحث عربى هو الدكتور ناصر سعد الرشيد مدير مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة الملك عبد العزيز ، فى دراسة له عن جهود ابن كمال فى الدراسات اللغوية العربية بعنوان رسائل ابن كمال اللغوية ( الجزء الاول ـ الرياض ١٩٨٠ م ) ما يلى : « اشتهر ابن كمال باشا بكثرة تاليفه ورسائله وهو بهذا يشبه السيوطى وابن الجوزى وابن حزم وابن تيمية وغيرهم ، ممن اشتهر فى تاريخ الاسلام بكثرة التاليف · وعلى هذا فليس من اليسير احصاء جميع تاليفه أما حين نأتى الى ذكر رسائله فنكتفى بأن نقول بأن له رسائل كثيرة · ومن خبر فهارس المخطوطات ، عرف كثرة ما ألفه ابن كمال باشا من رسائل فى فنون مختلفة » وقال اللكنوى بأن لابن كمال باشا « رسائل كثيرة فى فنون عديدة لعلها تزيد على ثلاثمائة ، غير تصانيف له فى لغات اسلامية أخرى كالفارسية والتركية » ·

***

وقبل عهد سليم الاول · كان جده

محمد الفاتح وعهده زاخر بالتأليف العربية ، ونجد فى عهد الفاتح ان للعربية الحظ الاوفر فى التصنيف · وأساتذة الفاتح الذين اضطلعوا بمهمة تعليمه وتثقيفه لهم باعهم فى هذا الامر : الشيخ الكورانى وتفسيره ، والشيخ خسرو ورسائله الفقهية وكتابه مرآة الاصول ·

وبعد عهد سليم الاول مباشرة ، عهد ابنه القانونى سليمان ، يظهر شيخ الاسلام أبو السعود افندى صاحب التفسير المشهور ( ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ) ·

هذا غير ما ظهر فى اللغة العربية من دراسات وتآليف كتبها عثمانيون فى العلوم والجغرافيا والطب والتاريخ وعلم الكلام ، مما لا يسعه المقام فى مقالة ·

وهناك علامة بارزة على الاهتمام السامى باللغة العربية فى الدولة العثمانية ، وهى أن كل أمير وسلطان وخليفة عثمانى ، كان يجيد اللغة العربية ، تعلم ودرس بها ، واتخذها وسيلة لتعلم الدراسات الاسلامية المنصوص عليها فى نظام تربية الامراء فى القصر العثمانى ·

وأحب هنا أن أنقل لقارىء الهلال وقراء العربية عموما عبارة كتبها مؤرخ التربية التركى المشهور عثمان أركين فى كتابه تاريخ التربية التركية ( فى خمسة أجزاء ، استانبول ١٩٣٩ - ١٩٤٣ م ) هى :

« اتخذ السلاجقة الاتراك فى دولتهم السلجوقية ، اللغة الفارسية لغة رسمية لهم وهم اتراك · والعثمانيون - مع استخدامهم للغتهم التركية فى الاعمال الحكومية - الا أنهم لم يدرسوا هذه اللغة للشعب فى أى مؤسسة من المؤسسات · فاللغة السائدة والمسيطرة فى المدارس والجامعات عند العثمانيين كانت اللغة العربية · ولم تتنح اللغة العربية عن المكانة الاولى فى المؤسسات التعليمية العثمانية الا مع الغاء النظام التربوى العثمانى عندما صدر قانون عام ١٩٢٣ م » ·

يعدد عثمان اركين اسماء المدارس فى عهد « اتخاذ التعليم العثمانى اللغة العربية أساسا لغويا » فيذكر مدرسة اعداد الامراء ، ومدرسة اندرون ( وهى مدرسة فى القصر السلطانى لاعداد موظفين من الدرجة الاولى العالية لاستخدامهم فى القصر والجيش والحكومة ) والمدارس العسكرية ومدارس الموسيقى العسكرية ومدارس الفنون العسكرية·

ونجد فى دور الارشيف فى تركيا الان الوقفيات العديدة مكتوبة باللغة العربية والامثلة اكثر من أن تحصى ، أشير فقط لمثال أو اثنين : وقفية السلطان مراد الثانى لانشاء دار الحديث فى ادرنة ( انظر أرشيف طوب قابو وثيقة رقم ٧٠٨١ ) ووقفية الشيخ المولى فنارى الخاصة بمدرسته فى القدس ( ارشيف رياسة الوزراء فى استانبول - قسم الوقفيات رقم ٦/١٦٢ ) ·

وحتى فى آخر ست سنوات من عمر الدولة العثمانية ، واقصد بها فترة حكم حزب الاتحاد والترقى - وهو حزب ثار أساسا على وجود الدولة العثمانية ونجح بالفعل فى تقويضها - أقول انه حتى فى هذه الفترة القصيرة جدا من التاريخ والتى نادى بعض قادة الاتحاد والترقى فيها بالتتريك · لم تستطع هذه السياسة أن تمس سلطة اللغة العربية فى معاهد التعليم بانواعها ولم يتوقف التعليم بالعربية فيها ولم ينقص احترام العثمانيين للغة العربية ·

فتح ملف المراكز الثقافية

# المعهد الثقافى الايطالى

## وعشق اللغة !

**قبل اسابيع عرض نادى سينما القاهرة نسخة مدبلجة من فيلم « حالة حصار » من اخراج كوستا جافراس وقد تم هذا العرض فى ظروف غير عادية .. فرغم ان الفيلم فرنسي الجنسية فانه جاء الى مصر عن طريق المركز الثقافى الايطالى الذى لم يعد يهمه كثيرا ان تتم عروض افلامه خارج جدران قاعته .. وتحايل المسئولون فى نادى السينما بالقاهرة لعرض هذا الفيلم بشكل غير طبيعى ..**

**وعند عرضه . ومع وجود ترجمة فورية بالغة الرداءة لاحداث الفيلم كان السؤال المطروح هو لماذا تمت دبلجة الفيلم الفرنسى باللغة الايطالية .. ؟ ..**

الاجابة على هذا السؤال هى المدخل الاساسى لقراءة الثقافة الايطالية خارج حدود ابط .. فالايطاليون قوم بالغو التعـ ب للغتهم . يدبلجون كل الافلام مهما كانت نوعيتها الى لغتهم سواء المعروضة فى ايطاليا أم التى توزعها مؤسساتهم الثقافية للعرض فى المراكز الثقافية .

وتجىء ملامح هذا التعصب الشديد فى أن الايطالى يحب لغته ويريد أن يتكلم بها ولا يطيق أن يسمع اية لغات اخرى ، وهكذا جاءت افلام عديدة مدبلجة الى لغتهم ذات الرنين الموسيقى .

وليس خفيا أن اللغة الايطالية هى احدى اللغات العالمية السهلة النطق والحديث والتعليم . كما أنها لغة موسيقية جذابة لمن يسمعها او يتكلمها تكثر بها الحروف المتحركة خاصة فى

نهايات مقاطعها . ولهذا فهي اللغة الموسيقية الاولى في اللغات المنبثقة عن اللاتينية .. ان لم يكن بين اللغات جميعا ولعله السبب في مولد الاوبرا على أرض ايطاليا ، وبالتحديد في مدينتهم الجميلة فلورنسا .

● ثقافة لغة الاسباجتي

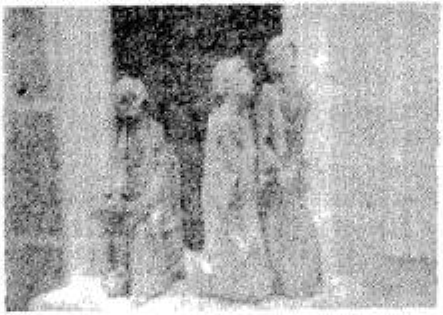
انطلاقا من هذا فان المتتبع للانشطة الثقافية الايطالية في مصر لابد وان يلاحظ ان كثافة هذه الانشطة تترتب حسب علاقتها باللغة الايطالية .. فنظرا الى ان السينما هي أكثر الفنون ارتباطا باللغة ، فان السينما تجيء دائما في المقدمة قياسا الى الفنون الاخرى ثم تجيء الفنون الاخرى وهي على التوالي الموسيقى ثم الفن التشكيلي .. وهذه الفنون الثلاثة تكاد تطغى على سائر النشاطات الثقافية الاخرى .. ليس فقط في المركز الثقافي الايطالي في الزمالك فحسب بل في مركز مشابه له بالاسكندرية .. وكذلك في معهد دانتي الليجيري للهندسة والفنون وتعليم اللغات بشارع الجلاء ..



لويجي براندللو



صوفيا لورين



احد المقتنيات الفنية لفنان مصري

وجميع الافلام المعروضة فى المركز الثقافى الايطالى ناطقة باللغة الايطالية ·· ونقصد « ناطقة » هنا هو انه ليس ثمة ترجمة قط لاى من الافلام الى اية لغة أخرى مهما كانت الظروف ومهما كانت جنسية الفيلم · وذلك خلافا لما يحدث فى جميع المراكز الثقافية الاخرى عدا المركز الامريكى · فبينما تقوم هذه المراكز بترجمة افلامها الى اللغتين الانجليزية أو العربية فان هذا أمر لا يحدث اطلاقا فى المركز الايطالى ·

وللتركيز على اهمية هذه النقطة ، فلابد أن نشير الى أن السينما الايطالية بشكل عام تعتمد على الحوار المكثف مما يصعب على المرء أن يتابعها لو لم يكن يعرف اللغة الناطقة بها · مثلما نرى فى افلام بازولينى وفيللينى وفيسكونتى وزيفيريللى واخرين ··

وقد يكون الامر مقنعا — الى حد ما — بالنسبة للافلام الايطالية الصنع اى تلك القادمة مباشرة من استوديوهات مدينة السينما بروما ، بما فى ذلك الافلام الاسباجتى ( المقلدة لافلام الغرب الامريكية ) بكافة أنواعها ومستوياتها · لكن ذلك يبدو غريبا بالنسبة للافلام غير الايطالية المتكلمة أصلا بلغات أخرى مثلما حدث فى حالة حصاره لكوستا جافراس ·· حيث يمكنك أن ترى العناوين مكتوبة بالفرنسية · لكن عليك أن تستمع الى ممثل اخر يتكلم نيابة عن ايف مونتان باللغة الايطالية ·· وترى ان حركة الشفاه لا تنطبق مع مخارج الالفاظ والحروف ·· وهذا أمر دائم الحدوث · ومن أبرز أمثلته عندما عرض فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث » من اخراج الامريكى ستيفن سبيلبرج · والغريب انه عرض فى اطار برامج الاطفال ·· والفيلم كما هو معروف من نوع الخيال العلمى الذى يعتمد على الابهار وكان على المتفرجين — سواء كانوا صغارا أم كبارا — أن يستمعوا الى ريتشارد دريفوس وزملائه وهم يتكلمون اللغة الايطالية بأصوات الاخرين ·

والبرامج الشهرية فى المركز الايطالى مزحومة بافلام كثيرة من كافة المستويات والنوعيات ·· فشهريا يعرض قرابة عشرة افلام قد تزيد فى مواسم المهرجانات السينمائية خاصة ديسمبر ويناير ·· وعادة ما يتم عرض فيلمين فى يوم واحد · يبدأ الاول فى الخامسة والنصف عصرا · ويبدأ الثانى فى الثامنة مساء ·· وفى الشهور الاخيرة مثلا عرضت بانوراما لافلام فردريكو فيللينى تضمنت اكثر من عشرة أفلام منها « اللقاء » و « ساتيريكون » و « الحياة اللذيذة » و « كازانوفا » و « انى اتذكر » و « جوليتا والاشباح » وقد استمر عرض بعض هذه الافلام لعدة أسابيع ضمن برامج المركز الشهرية ·

اما ابرز الافلام التى اعيد عرضها فهو « صحراء التتار » المأخوذ عن رواية لدينو بوتزاتى حول علاقة الانسان بالانتظار ·· وهو فيلم ممتاز ولا يمكن متابعة احداثه فيما لو لم تفهم اللغة الناطق بها ·· فالضابط الذى يرحل شابا الى احدى القلاع البعيدة التى تنتظر وصول العدو بين لحظة وأخرى يكتشف أنه أضاع حياته فى الانتظار ·· وان العمر كله ليس الا لحظات انتظار متراكبة متشابكة ·

والى جوار هذه النوعية من الافلام لا تخلو العروض من افلام اخرى اقل اهميـــة ، ويدعى المركز انهـا تتم خصيصا للاطفال • مثل أفلام يقوم ببطولتها الممثل الكوميدى الشـهير توتو • وافـــلام أخرى من تمثيـــل بد سبنسر وترنس هيل • وبعــض افلام الكاوبوى الاسباجتى •

## الموسيقى .. مجهود مشترك

تجيء الموسيقى فى المقام الثـانى من حيث الاهتمام بها كنشاط ثقافى فى المركز الثقافى الايطالى • حتى وأن تم ذلك بالتعاون مع ســفارات أخرى .. ومنذ عدة اشهر وبالتعاون مع أكاديمية الفنون بالقاهرة تمت اقامة حفل غناء على نغمات موسيقى كل من بونشونى ودورانتيه وموتســـارت ، وبيزيه ، وفيردى ، وشتراوس • وقد غنى الفريق المصرى مجمـــوعة من المقاطع الاوبرالية بمصاحبة عـازفة البيانو الايطالية بياتا سفاترزيه ..

ومن أبرز أوجـــه التعـــاون مع السفارات الاخرى ذلك الحفل الراقص الهندى الذى تم فى شهر مارس الماضى بالتعاون مع جمعية الصداقة الهندية ـ المصرية قام بالعزف فيه والرقص طلبة مدرسة الرقص الهنـدى تحت ادارة الفنان شيترافينو جوبال وتلك الامسية للعزف على البيانو التى اقامتهـــا السفارة اليابانية بالتعاون مع براعم موسيقية من مدرسة البيـــانو تحت قيادة الفنان اليابانى مانامى كاكينوكى كما تمت دعـــوة فرقة شـــاريفارى الايطالية لعزف مجموعة من المقطوعات الموسيقية واداء رقصات تنتمى الى العصور الوسطى وعصر النهضة فى ايطاليا .. وبدا عرضا مهيبـا من خلال هذا الحشد الهائل من الفنانين الذين قاموا بالعـــزف والرقص .. وايضا من خلال الجمهور الذى ازدحم فى القـاعة •

والجدير بالذكر هنا ان الحفلات الموسيقية يقبل عليها الجمهور اقبالا شديدا ومع ذلك فهو جمهور لا يتغير هو نفس الجمهور الميال الى ســماع الموسيقى الكلاسيكية •

## فنون .. فى المقام الثالث

تجيء فنون التصـوير فى انشطة المركز الثقافى الايطـــالى بالقاهرة والاسكندرية فى المقـــام الثـــالث ومعارض هذه الفنون اقل من مثيلاتها فى المركز الثقـافى الفرنسى ـ ومعهد جوته كيفا وكما وعلى كل ففى شهر مارس الماضى تم افتتـــاح معرض الفنان المصرى سعيد عبد الحليم الذى يرسم لوحاته على الشاشة الحريرية وقبل ذلك تم افتتاح معرض « ونحن نســـتطلع روما » وهو عبـارة عن مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى التقطها المصور « أمير على » اثناء رحلاته الى مدينة روما • كما عرض أيضا فى نفس الاطار مجموعة من اللوحـــات التشـكيلية المصرية لمجموعة من الفنانين الشبان المصريين الذين ينتمون الى مدرسة الاهرام •

هذه هى وجوه الانشطة الثقـافية الايطالية الثلاث الرئيسية فى مصر • أما بقية الانشـــطة فهى شبه غيـر موجودة تماما .. كالمسرح والترجمة فيكاد الا يكون لها وجود فلم يحدث ان قام المركز الثقافى الايطالى بعرض وتمثيـل مسرحية ايطالية باللغـــة العربيـــة مثلمـا يحدث فى المراكــز الثقافية الاخرى • والمسرحيات التى تعرض فى اطار محدود ليست سوى تسجيلات لبعض المسرحيات الايطالية فوق أشرطة فيديو مثلما حـــدث مع مسرحيات ادواردو دى فيلبو .. وهذه العروض تتم فى نطاق ضيق •

ش
شهريات

## رأى فى الثقافة

### النشاط الثقافى فى الجامعات المصرية

● ما يجرى من نشاط ثقافى داخل أروقة الجامعات المصرية يحتاج الى مناقشة جادة ·· لأنه خلال هذه الانشطة يمكن تنمية مواهب الكثير من شبابنا الذين لم تسعفهم الظروف المعقدة فى الالتحاق بمعاهد الدرس التى يرغبون فيها ·

وقد كانت الانشطة الثقافية فى الجامعات « المختبر » الاول لعدد كبير من الفنانين البارزين ، خاصة فى ظروف الجامعات المصرية ، ومشكلة المجموع الذى يتحكم فى مصير الدارسين ونوعية الكليات التى يتوجهون اليها مجبرين ، فقد يضطر ممثل موهوب الى دخول كلية الزراعة كما حدث لعادل امام ومحمود عبد العزيز وصلاح السعدنى وغيرهم ، ودون نشاط تمثيلى فى كلياتهم كنا قد فقدناهم كممثلين موهوبين ·

والمطلوب الآن أن تعود الأسر الثقافية الى العمل والنشاط الثقافى ·· وتفتح أبواب الجامعة للفرق الفنية المختلفة لكى تكتسب الخبرة والاحتكاك ،، ومطلوب ان تقيم نشاطها الفنى فى كل المجالات ·

تذكر اننا طالبنا هنا ــ وقبل ان يقوم عادل امام برحلته الى أسيوط ــ طالبنا المثقفين والفنانين بالتوجه للارياف ، وهجر التكدس الثقافى فى القاهرة ، وهانحن نطالبهم هنا أن يذهبوا للجامعة ، أن يتفاعلوا معها ، أن يلتقطوا المواهب من أروقتها ، فهنا أرض خصبة للنماء والعطاء ·

ان هذه « الحركة الثقافية العملية » هى الحل الوحيد لملء فراغ الشباب والوقوف بهم فى وجه دعاة الظلام القابعين فى أروقة الجامعات المصرية ، يعششون وينتشرون كالسرطان ·

انه الخلاص لشبابنا الذين يتعرضون لالتهام وحش الظلام البغيض·

عبده جبير

# ندوات

● حوار حول ورقة الثقافة

● دعت اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الافرو أسيوية التي يرأسها أحمد حمروش الى حوار ( ظن البعض في البداية أنه سيكون حوارا مفتوحا ) بين وزير الثقافة فاروق حسني وحشد كبير من المثقفين المصريين من أغلب الاتجاهات الثقافية السائدة في مصر ، وان كان العنصر « التقدمي » قد غلب على الحاضرين ، فافتقدنا بذلك العنصر المقابل الذي كان من المفروض وجوده ، لا عملا بالديمقراطية فقط ، بل وعملا على معرفة رأيه ، وتوجهاته وموقفه الحقيقي مما يجري في المجال الثقافي .

المهم أن الحوار — السيمنار — قد أقيم في القاعة الكبرى لمبنى جامعة الدول العربية يوم الخميس الموافق ٦/٩ الماضي وكانت مناسبة أن عرض وزير الثقافة للخطوط العريضة لسياسته الثقافية التي صاغها في ورقته المتداولة ، والتي أكد على أنها مجرد مشروع ثقافي هو في مرحلة عرضه على أصحاب الامر الذين هم المثقفون ، والمتعاطون للثقافة ، ثم عرج الوزير على أهم ملامح هذا المشروع مؤكدا على أنه يمكن بتضافر الجهود المشتركة عمل الكثير دون انتظار لامكانيات هي غير متاحة ، أي أنه يمكن اقامة نشاط ثقافي حي وفعال بأقل القليل من التكلفة لو أحسن استغلال الطاقات البشرية ثم بين ضرورة النظر بعين الاعتبار الى أن الحياة الثقافية لا يصنعها المثقفون وحدهم ، فالثقافة هي التي ينتجها المثقفون ، أما الحياة الثقافية فهي مجمل النشاط الذي تتفاعل كل الاطراف في المجتمع للقيام به . وبذلك فان وزارة الثقافة أو الدولة عليها أن تتعامل مع كل هذه العناصر ، وعلى رأسها عنصرا الجمهور والقيادة الثقافية ، وهو يرى أن الجمهور المصري في شوق الى نشاط ثقافي فعال وأن الثقافة موجودة في « زوايا » المثقفين وليس هناك مشكلة سوى في هذه القيادة الثقافية ، أي في الكادر القادر على التعامل مع معطيات الواقع الثقافي الراهن بكل

فاروق حسني



علي الراعي



يوسف إدريس



تعقيداته ، وهـذا هو ما حدا به الى التفكيـــر فى انشاء مراكز ثقـــافية متخصصة تكون بمثـــابة « ورش » لتدريب الكوادر التى يمكن الاستفادة بهم فى المواقع المختلفة ، وقال انه متحمس للثقافة « الفقيرة » أى غير المكلفـــة ، والتى نتوجه بهـــا الى الناس العاديين لا الى المثقفين ، وهذا لن يتأتى الا بالعـــودة الى الواقع ، والى تراث هذا الشعب وتنقيته مما علق به ، وتقديمه فى صور جديدة مبدعة .. وبهذه الطريقة يمكن تفجير قوى الابداع فى المجتمع .

ثم اشار ، ضمن ما اشار ، الى مسألة تقديم رموز ثقـــافية قومية جديدة ، فليس من المعقول أن يظـــل المجتمـــع المصرى يعيش على رموز قديمة مستهلكة ، فى الوقت الـــذى تتوالد فيه هذه الرموز دون انقطـــاع فقط هى تحتاج الى من يمد لها يد الساعدة .

وكان المتحدث الاول هو الدكتـــور على الراعى الـــذى وان ابدى بعض الملاحظـات السريعة حول الخطـــوط العريضة للمشروع فانه ركز حديثه للجزء الخاص بالمسرح ، وقـــد ابدى اعجابه بما تضمنه هذا الجزء ، واكد على فكرة مسرح الشـــارع الفقير ، وضرورة العمل على احياء المســرح التجريبى ، وأشار الى ضرورة تطوير الفكرة الموجودة فى الورقة الخـاصة بالسيرك الى السيرك المسرح ، وأشار الى ضرورة توسيع رقعـــة المسرح ، وأن تقـــدم فرق مسرحية « سريعـة الحركة » قابلة للترحال فى البلدان المختلفة ، بالاضافة الى ما أشار اليه فى تصوره الشامل عن وضع الثقافة المصرية الذى قال انها تعـــانى من سيطرة الطبقة الطفيلية .

كمـا اكد الدكتــــور الراعى على ضرورة التوافق الحى بين المســـرح الحى والدراما التليفـزيونية ، ممـا يتطلب ضرورة التعاون بين جهـــاز التليفزيون ووزارة الثقافة .

وكان المتحدث الثـــانى هو السيد ياسين الذى وضـــح انه قرأ الورقة بعناية شديدة وكون حولهـــا رأيا واضحا وكان أهم ما قاله هو ملاحظته الاســـاسية عن أن الورقة ــ الوثيقة تتحدث عن الحياة الثقافية وكأنها فى الستينيات ، وكأن من صاغهـــا لم ير التغيرات الاجتماعية والاقتصـادية التى ادت الى تغيرات أســـاسية فى « القيم » وأضاف السيد ياسين أن الورقة تتحدث بلهجة قد تؤدى الى الاعتقاد بأن من حق الدولة (وحدها)



احمد حمروش



لطفى الخولى

تخطيط الثقافة فى مجتمع متعددالقوى السياسية ، ومتعدد الاحزاب وتساءل السيد ياسين عدة أسئلة أساسية ( قاتلة ) لم تكن كما يبدو قد وضعت فى الاعتبار حين صياغة الورقة ، فتساءل : هل تستطيع السياسة الثقافية أن تتدخل فى البنية الاساسية للمجتمع ، وكيف يمكن أن يحدث التكامل بين وزارة الثقافة والوزارات والهيئات الاخرى • ورأى ضرورة تغيير المناخ الثقافى السائد ، وهذا يقتضى فى البداية تحليل المناخ الثقافى السائد ، وهذا على ما يبدو هو ما افتقدته الورقة •

وأشار السيد ياسين الى المد الرجعى ، والى أن مصر تشهد صراعا ثقافيا حادا ، كما تشهد صراعا حول هويتها •

أما المتحدث الثالث فكان لطفى الخولى الذى لم يزد فى كلامه عما جاء فى مقاله المنشور قبل الندوة بعدة أيام والذى أكد فيه ضرورة أن يتم نشر الثقافة للتصدى للمد الرجعى والجماعات المتطرفة • مؤكدا على ضرورة أن تكون للمثقفين سلطتهم المؤثرة وهو ما يفتقدونه ، بحيث أصبحوا عنصرا هامشيا فى المجتمع •

ثم جاء يوسف ادريس كالعاصفة ، ومنذ أول جملة ، قال ان هذا الذى تفعلونه ، هذا الاجتماع ، وهذا الحوار عبث فى عبث ، وقال ان هذا الرأى قد يبدو به شطط لكنه يفضل هذا ، وقال ان أى شىء نفعله يقوم التليفزيون المصرى بتدميره ، ولذلك فهو يرى أن مثل هذه المناقشات لن تجدى مادام ما يفعله المثقفون يهدمه التليفزيون ، لذلك يرى ضرورة أن تخصص احدى قنوات التليفزيون للنشاط الثقافى الرفيع •

## مسرح

### الاحتفالات وغياب المسرح

● فى وقت واحد يشغل مسرح الطليعة قاعاته باحتفالين بذكرى راحلين راحلين هما نعمان عاشور وفؤاد حداد ، يقدم الاول تحت اسم « الناس اللى دوغرى » من اعداد ناصر عبد المنعم واخراج عصام السيد ، وهو استخلاص لافكار المؤلف من بين ثنايا أعماله ، فى محاولة لتقديم الوجه الفعال • المفتقد لدور المسرح الاجتماعى الذى كان المؤلف أحد أعمدته الاساسية ، ويقدم الثانى تحت اسم « كروان الفن » من اعداد ابراهيم عبد الفتاح واخراج ماهر سليم وهو تجميع لبعض أشعار الفقيد تظهر وعيه الاجتماعى الكبير ونضج أفكاره وحسه المرهف بالانسان المصرى البسيط •

وقد يلاحظ البعض غلبة هذه الاحتفالات برواندنا على خشبات مسارحنا فى السنوات الاخيرة ، وقد أثار العرضان المشار اليهما فيما سبق قضيتين على جانب كبير من الاهمية، الأولى عن انحسار دور المسرح الاجتماعى الذى كان رائده الراحل نعمان عاشور ، والثانية تتعلق بشكل الاحتفالات برواد المسرح والمبدعين

وقد يلاحظ المتتبع للحركة المسرحية منذ بداية السبعينيات غياب هذه النوعية التى تناقش قضايا اجتماعية أو تعتمد فى بنائها على معالجة بعض الافكار من خلال قالب اجتماعى ، ويحيل بعض نقاد ومبدعى المسرح هذا الانحسار لعدة أسباب ، أهمها : دخول ما يسمى بفن التكنودراما حياة الناس واستحواذه عليهم بواسطة التليفزيون أو الافلام السينمائية المتلفزة ، وخاصة

ان هذا الفن قد أخذ من المسرح عالمه الاجتماعي وقدمه الى الناس من خلال وسائل تكنولوجية مبهرة ، تستخدم الالوان والاضاءة والازياء والحيل المبهرة ... الخ هذه الوسائل التى تتقدم يوما وراء يوم ، ناهيك عن المشكلات الاخرى المتعددة التى تقلص دور المسرح فى حياة الناس والتى جعلته يدور فى ترد سحيق .

والمنطق الذى يسوقه أصحاب هذا الرأى قد يكون صحيحا الى حد ما ، وخاصة حين يعقدون مقارنة بين فن يصل الى الناس فى عقر دارهم ، وفن يتحمل الناس الكثير من أجل مشاهدته ، وكذلك حين يميلون الى الانتصار الساحق والفوز النهائى لفن التكنودراما على خصمه الضعيف، لعدم استطاعة المسرح الوقوف فى مواجهة هذا الفن المسيطر والمتسلط والجارف ، ولذلك فان أصحاب هذا الرأى يطلبون تسليم معالجات المسرح الاجتماعية والبحث عن أشكال ووسائل تعبير أخرى من أجل الوصول الى الناس أو من أجل وصول الناس الى المسرح ، لانه لا يعقل – فى نظرهم – أن يترك مشاهد ما تبثه الوسائل المرئية المرسلة فى أشكال براقة ومثيرة وساحرة من أجل الذهاب الى عرض يشاهد فيه نفس المعالجات الاجتماعية بهذه الوسائل البدائية التى لا تدانى بشكل تقنيتها التكنيكي ما وصلت اليه الوسائل المرئية . ولهذا فنحن نرى أن البحث جار منذ بداية السبعينيات عن أشكال جديدة وأساليب مختلفة يمكن أن تجذب اليها المتفرج المنجذب الى الاجمل والاشد بريقا ، وأن المحاولات مازالت قائمة ومازال المتفرج منصرفا عن كل ذلك !

لقد نسى أصحاب هذا الرأى حقيقة هامة تتعلق بفن المسرح ، وهى أن المتفرج يشارك فى التجربة المسرحية الحية بوجوده ، وأن هذه المشاركة كفيلة بأن تجذبه من كل ما يشغله ، ولكن كيف تتم المشاركة التى هى جوهر فن المسرح ذاته ؟ والاجابة على هذا السؤال يمكن أن تنسق الرأى السابق نسقا ، لانه كلما ابتعد المسرح عن قضايا الناس الحقيقية ، وكلما أوغل فى الطقوس التراثية وكلما تلفع بالتاريخ وغاب عن الواقع، فان حاله سيكون تماما مثل حال مسرحنا .

ان الاكرم فى الاحتفال بذكرى واحد من مبدعى مسرحنا المصرى هى فى تقديم أحد أعماله للجمهور ، ولكنها للعجالة والاستسهال والخفة ، لقد صار كل ذلك هو الاسلوب المتبع فى مسار معظم انتاجنا المسرحى اهدار الطاقات المتعمد وتضييع الوقت فيما لا طائل من ورائه

● محمود الشربينى

## إشارات ثقافية

آفاق عربية – عودة مجيدة

● المطبوعة العلمية العربية الوحيدة فى الوطن العربى التى يصدرها المفكر العربى المعروف « هانى الهندى » عن مؤسسة الابحاث العربية تعانى ويلات الصدور ، وها هى بعد انقطاع دام ثمانية أشهر كاملة تعود مرة أخرى

والغريب أن مثل هذه المجلة فى البلدان المتقدمة ( !! ) تعد حصانا رابحا على كل المستويات ، مستوى المجتمع .. فهل لازلنا مجتمعا متخلفا الى هذا الحد الذى يجعل صدور مثل هذه المطبوعة الراقية المستوى تعانى الصدور وويلاته .. مجرد سؤال ؟ .

# مكتبة الهلال




**الكتاب : الثقافة العربية فى المهجر**
**تاليف : مجموعة من المؤلفين**
**الناشر : دار بوبقال للنشر ١٧٦ ص ، ٤٢ درهما**

يضم هذا الكتاب مجموعة الاوراق والمداخلات التى تمت فى الملتقى الاول للمفكرين والكتاب العرب فى المهجر ( باريس / ديسمبر ١٩٨٦ ) الذى نظمته بعثة جامعة الدول العربية فى العاصمة الفرنسية ، وقد ضم الملتقى عددا كبيرا من المثقفين المغتربين على راسهم محمد أركون ، والطاهر بن جلون ، وغسان سلامة ، وهشام شراب ، وحليم بركات ، وعبد الوهاب المؤدب ومحمد براده وأدونيس وغيرهم ٠

وقد اقيم اللقاء من أجل التأمل فى معرفة الذات والاخر ، وفى مسالة العلاقة بينهما ، ولئن كانت معرفة الذات تقتضى نوعا من الانفصال فان معرفة الاخر تقتضى على العكس نوعا من الاتصال ٠




**الكتاب : يهودى فى القاهرة**
**تاليف : شحاته هارون**
**الناشر : دار الثقافة الجديدة ١٢٠ ص ، ١٥٠ ق م**

على الرغم من أن هذا الكتاب يضم مجموعة من الاوراق التى سجلها صاحبها فى مناسبات عديدة يعود احداها الى ( ١٩٦٧ ) الا ان مؤلفه تعمد أن يجمع بين دفتيه كل ما يسجل له مواقفه الواضحة من الاحداث السياسية الكبرى حالة تلامسها مع اليهود المصريين وحالة تلامسها مع القضية الفلسطينية وتلك الشرارة التى تلتهب من هذه الملامسة

وشحاته هارون الذى لا يمكن انكار مواقفه الوطنية التى يصوغها هنا بوضوح شديد ، وبناء على مواقفه المبدئية ، ويفاجئنا فى الطريق بصياغة رصينة لها جمالها الخاص ، يستعرض مواقفه وحياته من خلال هذه الحوارات والاوراق التى كتبها فى فترات مختلفة ، لكنه يخدعنا لاننا حينما انجذبنا لعنوان الكتاب يهودى فى القاهرة ، كنا نظن انه سيحكى لنا حكاية اليهودى فى العاصمة المصرية ، بل وظننا انه سيسرد تاريخ اليهود فى مصر ، فاذا به يفاجئنا بشىء اخر سجل جمع بين دفتيه هذه الوثائق الهامة من الناحية السياسية لموقفه المتميز كيهودى

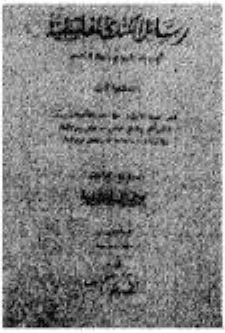
مصرى يسارى ناضل من اجل العدل الاجتماعي ومن اجل الدولة الفلسطينية المستقلة .




الكتاب : مذكرات جندى مصرى فى جبهة قناة السويس
تاليف : احمد حجى
الناشر : دار الفكر
١٤٠ ص ، ٣ ج م

وكأنه يتنبأ باستشهاده يكتب احمد حجى الطبيب المجند فى دفتر خصصه لكتابة يومياته او مذكراته : منذ أن وصلت الى جبهة القتال فى الخط الامامى ، تلح على ذاكرتى أن أسجل ما يحدث وما يجرى فى مواجهتنا للعدو الصهيونى ، واقول حقيقة بأن الذى اكتبه ومايجرى به قلمى ليس الا النزر اليسير .. واذا لم توافنى منيتى او يدركنى الموت فسوف اقص على شعبنا مأساة مقاومته للعدو ، وبطولات جنوده وبسالتهم .. اما اذا كانت نهايتي ستكون على ارض القناة .. فسأموت مستريحا لان افكارى وجدت طريقها ولم تعجز عن الحركة .. وبذلك تكون هذه المذكرات هى حديث الرصاص الذى يجب أن تتكلم به قضية شعبنا .

انه طبيب شاب مجند ضمن الاف المجندين المصريين .. يدرك ضرورة تسجيل ما يجرى اثناء حرب الاستنزاف ، ويكتب كلامه السابق فى ابريل ١٩٦٩ حيث بدأ تسجيل يومياته لما يتم من ترافق وقتال وصل بالبعض الى ان يصف معارك الاستنزاف بأنها حرب كاملة مع اسرائيل انها وثيقة هامة وصادقة من وثائق الصراع العربي الاسرائيلي ، بل يمكن القول انها واحدة من الوثائق النادرة .




الكتاب : رسائل الكندى الفلسفية
تحقيق : محمد عبد الهادى ابو ريده
الناشر : دار الفكر العربى
١٧٢ ص ، ٣ ج م

ستجد بين دفتى هذا الكتاب اهم واكبر مصنفات الكندى الفلسفية ورسائله ذات الصلة .

يضم كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفة الاولى .

رسالة فى حدود الاشياء ورسومها .. رسالة فى الفاعل الحق الاول التام والفاعل الناقص الذى هو بالمجاز ورسالة ايضاح تناهى جرم العالم ورسالة فيما لا يمكن أن يكون نهاية له .. وما الذى يقال لا نهاية له ورسالة فى وحدانية الله وتناهى جرم العالم .

وكل هذه الرسائل مرتبطة في الموضوع ، وبعضها يتناول فكرة أساسية في تفلسف الكندي شرحها المؤلف بوضوح واتقان .. واستفاضة .




**الكتاب: الحان وظلال ـ ديوان شعر**
**تاليف : احمد عبد الحفيظ سلام**
**الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٠ ص / ٢٢٥ قرشا**

فى اكثر من خمسين قصيدة ومقطوعة شعرية يعبر الشاعر احمد عبد الحفيظ سلام عن رؤيته الشعرية للحياة والمجتمع والكون ، والتاريخ ، فى لغة شعرية صافية جمع فيها بين الجزالة القديمة والعذوبة الحديثة ، وبرهن على انه واحد من الشعراء المصريين القلائل الذين مازالت اصواتهم تبعث النشوة فى قراء الشعر العربى الان ، بالرغم من انصراف غالبية القراء عن الشعر ، لان الشعر العمودى الذى ينظمه الشعراء الموجودون حاليا ، ينحدر الى الغثاثة والتفاهة والركاكة الا ما ينظمه عدد قليل جدا من الشعراء العموديين .. اما الشعر التفعيلى فانه غرق فى التعقيد والغموض وابتعد عن تقاليد الشعر العربى ، واقتحم ساحة هذا الشعر التفعيلى عدد كبير ممن لا يعرفون شيئا عن أوزان الشعر، بل ولا يعرفون شيئا عن اللغة العربية ذاتها ، مع انها المادة الاساسية التى ينسجون منها كلماتهم ! .

وقد نجا الشاعر احمد عبد الحفيظ سلام من غثاثة وتفاهة الشعراء العموديين الموجودين الان ، وارتفع شعره العمودى الى مستوى طيب جمع بين اصالة العموديين المجددين وحداثة المجددين الرومانسيين والواقعيين الجدد .

وله محاولات ايضا فى الشعر التفعيلى ، ولكنها فى الحقيقة مجرد تقطيع للاوزان ، وليس الشعر التفعيلى الحقيقى مجرد اوزان مقطعة الى تفعيلات ، وانما هو منهج قائم بذاته فى تناول الشعر شكلا ومضمونا .

ان الشاعر احمد عبد الحفيظ سلام ينظم الشعر وينشره منذ اربعين عاما تقريبا وقد نشرت له مجلة الهلال عددا من القصائد الجيدة خلال السنوات العشر الماضية ويضم ديوانه الجديد مجموعة منتقاة من قصائده ، ويبدو انه لم يكن مستطاعا نشر مجموعة اشعاره كلها كما ينشرون الان ما يسمونه « الاعمال الكاملة» لهذا الشاعر او ذاك .. ولا نظن ان احمد عبد الحفيظ سلام اقل فى شىء من اصحاب الاعمال الكاملة .

# فؤاد كامل والرومانسية الجديدة

بقلم : محمود بقشيش

**على وحدى ان انطلق فى الظلام ، اتضرع الى « الاشكال » التى تستيقظ على وحدة نفسية . كونيه .. جديدة لاتحدها مقاييس العقل واطواق المنطق . تزاوج الطاقة والحركة باختلاجات المادة الصماء .. التى تتخلص من الملاحظة الوصفية والمعرفة البصرية .**

عندما اكون فى رحاب معرض مصرى كبير مثل « المعرض العام » تومض فى الذهن ـ احيانا ـ خواطر، يتداخل فيها الاعجاب والحسرة فى نسيج معقد . فأما الاعجاب فلأن ما أراه يمثل درجة ما من انتصار جهود جماعات الحقبة الرابعة من الفنانين .. وبالذات : جماعة « الفن والحرية » ، ودعوتها الحارة الى الاتصال بانجازات الحضارة الاوربية . أما الحسرة فمصدرها أن المتحقق من انجازات الاحياء من الفنانين يخلو من فضائل البدايات الثورية : حرارة البوح والتحدى والاصرار على التغيير . ارتبطت الجماعة بالمدرسة الفرنسية فكرا وفلسفة وفنا ولغه ، وارتبطت بالسيريالية فى صحوتها الاحتجاجية الاولى قبل أن تسكن المتاحف . كانت الجماعة تضم فنانين . هم فى نفس الوقت شعراء مفكرون ، نقاد مترجمون . كانت كتاباتهم تدعو الى ( الخيال الطليق ) .. والى أن ( نكون أنفسنا ) .. أى أن نقاوم الاقنعة المستعارة ، وفى نفس الوقت أن نقيم جسور التواصل مع ذوات الآخرين التى تشاركنا فى الوطن وفى تعاسة اللاعدل واللا مساواة .. واللا أخاء !

.. أن نقاوم العقل والمنطق من أجل المناطق المسحورة فى الاعماق .. يقول « رمسيس يونان » ( أحد رموز الجماعة ) : ( ان العلم الحديث ليقامر بالعقل سعيا فى التوصل الى ما لا يمكن أن يتصوره عقل ، وان الفلسفة الحديثة لتقامر بالمنطق شوقا للكشف عما لا يمكن أن يبلغه منطق ، وأن الفن الحديث ليقامر بالصور والرموز والاسماء أملا فى التعبير عما لا يمكن أن تهتدى اليه لغة من





فلنقاوم العقل والمنطق من اجل المناطق المسحورة فى الاعماق

اللغات ·· وهذا التحليق وهذا الغوص وهذا الانطلاق : هذه الحرية التى ربما لم تكن الا وهما من الاوهام ·· هى كل ما يستطيع أن يفخر به الانسان )

●●

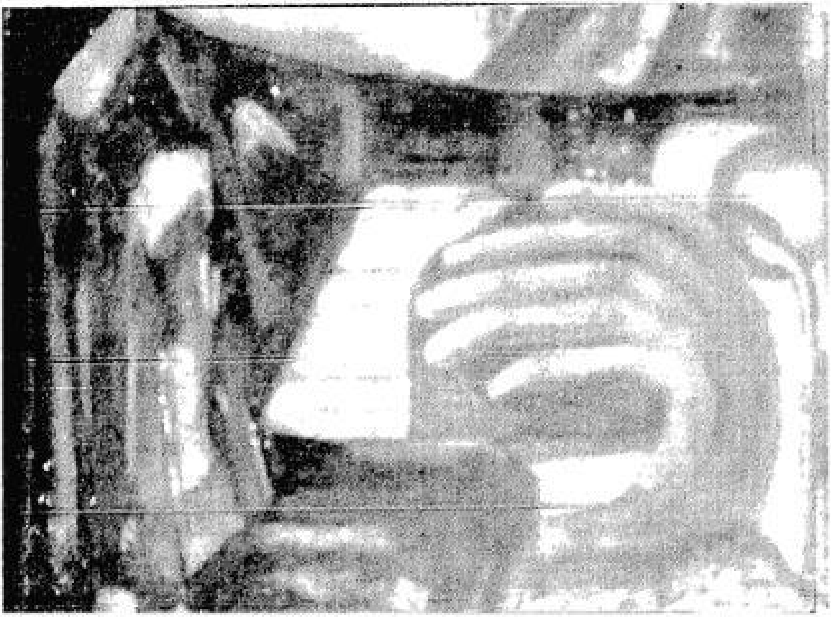
قلت للفنـــان « فؤاد كامل » ذات مرة : الا يعد الاسلوب الفنى لجماعة « الفن والحرية » نقلا او على الاقل ابتعارة من أفكار الاخريين ·· وأن مبدأ النقل أو الاستعارة يتنافى مع مبدأ أن « تكون نفسك » حيث المفروض أن لا تشـــوبك شائبة من رغـــاب

# فـؤاد كامـل
## والرومـانسـية الجـديـدة

الاخــرين ٠٠ ؟! ٠
قال أرى العكس ٠٠ فكل الاتجاهات الفنية التي وصلتنا تلونت بعواطفنا الشرقية الفياضة ٠ الخطوط المستقيمة تقوست ٠ الحواف القاطعة لانت ٠٠ البرودة صارت دفئا رومانسيا ٠
اتسمت لوحات « فؤاد كامل » - بل قل لوحات الجماعة - بدرجات متفاوتة من حدة التعبير ٠٠ وصلت ذراها في لوحات « كامل التلمساني » الصادمة بلمساتها الشرسة ٠٠ المتخففة بأى مشابهة مع ظـاهر الاشياء المرئية ونسبها الواقعية ٠٠ في حين اتسمت انفعالية « فؤاد كامل » بشيء من الاناقة والرقة ٠٠ غير أن ذلك الاسلوب - كما نعلم - يتضمن درجة من درجات المشابهة مع الواقع المرئى - وبمعنى اخر - درجة من درجـات الالتزام بالوصف ومتابعة الواقع ٠٠ أو بمعنى أدق : التبعية للواقع ، ومن ثم لابد من التنازل عن قدر من الخيال وقدر من الحرية وقدر من الجنون الذى دعوا اليه في بيان معرضهم الاول في فبراير ١٩٤٠ ٠٠ في حين كانت تجريدية

**بطاقة تعريف :**

- ولد في ٢٨ ابريل عام ١٩١٩ في مدينة « بني سويف » .
- اشترك في تأسيس جماعة الفنانين الشرقيين الجدد عام ١٩٣٧ ، وكـانت تدعو تلك الجماعة الى استلهام التراث القومي والتمسك به ٠
- اشترك في تأسيس جماعة « الفن والحرية » عام ١٩٣٩ ، وكانت تدعو الى فتح قنوات الاتصال مع انجازات الفن الاوربي المعاصر ٠
- حصل على دبلومى المدرسة العليا للفنون الجميلة ، و « المعهد العـالي للتربية الفنية » بالقاهرة ٠
- اشتغل مدرسا للتربية الفنية في عـدة مدارس بوزارة التربية والتعليم ٠٠ قبل أن يتفرغ كلية للفن ٠
- سافر الى الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٦٩ بدعوة من متحف « بندى » ليحاضر عن الفنون المصرية ٠٠ كما سافر الى عدد من الدول الاوربية ٠
- أسهم في تحرير واصدار مجلة « التطور » عام ١٩٤٠ ، والمجلة الجديدة عام ١٩٤٢
- اشترك في معرض السيريالية الدولى بباريس عام ١٩٤٧ ٠
- نال الجائزة الاولى في بينالى الاسكندرية عام ١٩٦٨ ٠
- توفي في القاهرة عام ١٩٧٣ ٠



اتسمت لوحات الفنان بدرجات متفاوتة من حدة التعبير

« كاندنسكي » قد تألقت في « باريس » و « برلين » .. ثم الولايات المتحدة ، ونادى بالانصراف نهائيا عن وصف الواقع المرئي أو التعبير عنه .. ووجد « فؤاد كامل » ضالته في رحلته الى الولايات المتحدة عندما التقى بتجربة الفنان الامريكى . ذائع الصيت ( جاكسون بولوك ) وجد في اسلوبه الطريق الى الحرية المأمولة ، فقد تخلص من كل مشابهه مع الواقع كما تخلص من الرسم وما يفرضه من وصف أو تحديد .. فاللوحة عنده — وكذلك صارت عند فؤاد » — حالة شعورية . حرة . تخلص من الفرشاة حتى لا تقيده — وكذلك فعل أراد أن يكون روحا هائمة فوق سطح اللوحة .. يأتى بعلب الالوان (اللاكيه) لسيولتها . يدلقها فوق سطح اللوحة . يصطاد من عفوية التداخل — الذى يسهم فيه بقدر — اشكالا يتوقف عند اكتمالها في مخيلته .

قال « فؤاد كامل » في مقدمة كتالوج أحد معارضه بالجامعة الامريكية : ( أنا ابن الصدفة التى يتحكم فيها العمى المطلق . الامتثال لالتماع ( البرق — القلب ) أستكشف به طريقا يسوقنى الى هتك ذلك القناع العريض الذى يستر عريى الداخلى ، ويحجب تناقضى الخارجى . انى لا أعلم أبدا ما انتهى اليه بدقة . اذ لا اخضع لخطة أرسمها مقدما ، ولا أشكل مادتى وفق مشروع سابق ) .. غير أن تجريدية « فؤاد كامل » لم تنبذ معطيات الواقع بصورة كلية .. فظهرت فى لوحاته ايحاءات طبيعية كالسحب والبحار ، سحب وبحار خامضة ..





احدى لوحات عديدة للفنان
محفوظة فى متحف الفن الحديث

فؤاد كامل
والرومانسية الجديدة

لا تنتمى الى وطن نعرفه .. فوطنها الوحيد هو مخيلة الفنان .. العاصفة دائمة التوتر والحركه . قد تسيطر على الفنان حالة من الحزن او الفرح تبقى لفترة . لا تلبث أن تتجسد رموزا ملونة ، تارة بالازرق والاسود وتارة مدوية باللون الاحمر .. يتصادم مع الدرجات الداكنة الخضراء . ان الفنان فى تقلباته الملونة يقدم لنا ما يشبه الاعترافات .. يعبر عنها بكلمات قال فيها :

اننى اثناء تدبير شئون فنى اعمل كما افكر . وأفكر كما أعمل . اى بجميع جوارحى بذهنى وعقلى وعواطفى



القلة والمدلاة .. رسمها فؤاد كامل عام ١٩٥٦

ومزاجي بل وبأحشائي · لا أفصل بين الفعل والفكر ، كما لا أفصل بين ذاتي ذاتي والكــون ، فالأثر الفنى الذى يمتص جميـــع أشعاعات النـــفس وبصمات الكون هو السطح الصخرى الاخير الذى تطفو فوقه طفوح التصدع والشد والضغط والانكماش والترسب )

وقال عنه د · غالي شكرى : لقد ترك الصنعة والحرفة على الشــاطيء القديم ، وأصبح عرافا يرى الصدفة هى اليقين الوحيد والبقعة هى مرادفها اليتيم · ولكن نبوءات « فؤاد كامل » لا ترسم المســتقبل وانما تظل ابدا تبحث عنه ·

رسالة طشقند
بقلم: مصطفى درويش

# حكاية سمرقند .. ومهرجان طشقند

**سمرقند التي اصبحت بفضل فتوحات الغازى « تيمورلنك » عاصمة لامبراطورية تمتد من موسكو الى حائط الصين العظيم.**

**سمرقند التي ابتغى لها ذلك الغازى الأعرج أن تتسع بها الآفاق حتى تصبح عاصمة العالم القديم.**

**سمرقند هذه قد تحولت الى مدينة صغيرة أسطورة ذكرها على كل لسان، ومع ذلك فهى بعيدة، صعبة المنال.**

● فلقد كانت، وحتى عهد قريب، لاتزار من احد خارج الاتحاد السوفييتى الا نادرا.

وليس هذا بغريب .. فالصحراء واعلى جبال فى العالم تحيط بها، تحاصرها من كل جانب ..

● **الطريق الذهبى**

وقبل اختراع القطار، كانت وسيلة الانتقال الوحيدة اليها هى الجمال.

وعلى امتداد قرون كانت طرق التجارة القديمة من سيبريا الى الهند، من الصين الى مصر تتجمع وتتلاقى فى سمرقند، الأغريق، الفرس، الترك، المغول، والعرب .. كل هؤلاء شدوا اليها الرحال.

الاسكندر الأكبر سمع باخبارها، جنكيزخان حولها الى خرائب، تيمور الأعرج أعاد بناءها جعل منها درة يحلم بالتلاقى بها الرجال.

ولد « تيمور » فى كاشن « المدينة الخضراء التى تقع فى مكان ليس ببعيد من سمرقند.

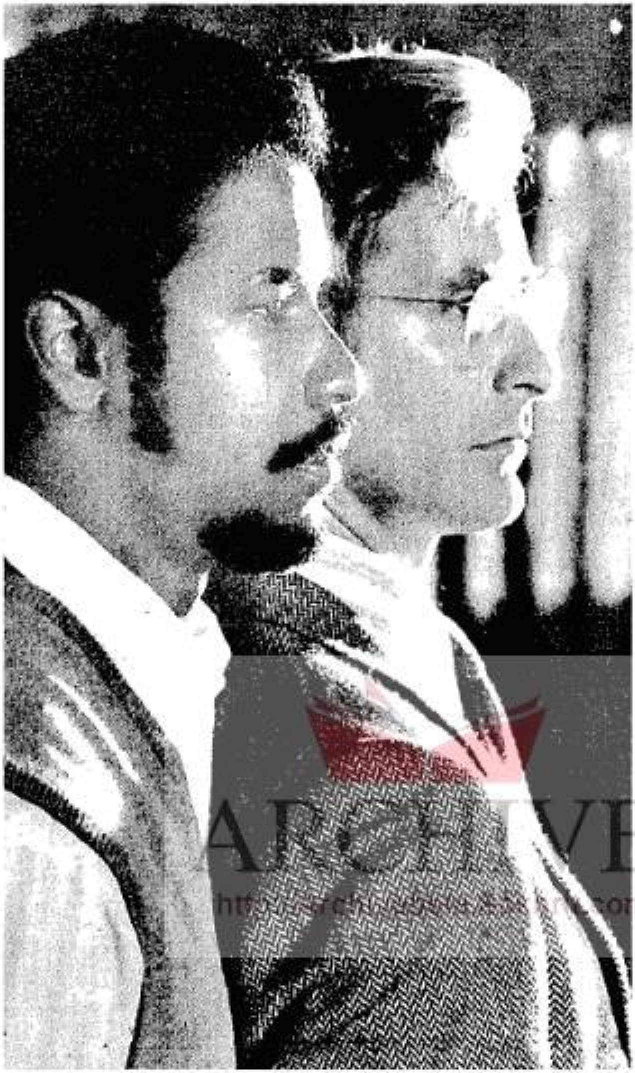
لم يكن له من العمر سوى واحد وعشرين عاما عندما بدأ مسيرة غزو العالم.

وبوصفه سيد آسيا بلامنازع، احتاج الى مدينة ذات جلال تعكس جبروته كحاكم.

وهكذا .. وبعد كل انتصار فى فارس والهند .. كان يجمع ابرع الفنانين وامهر الحرفيين، يستصحبهم معه فى رحلة العودة لتشييد مدينته الجديدة.

● **جنة عدن**

وللحق. فان ما قاموا ببنائه لم يكن



الابيض والاسود فى
« صرخة الحرية »

لاهو بالفارسى ولا هو بالهندى ، بل ولا حتى مستوحى من سمرقند القديمة .

وانما هو شيء آخر مبتكر ، فقد اقاموا صرح مدينة بتصوّر تتارى جديد مذهل .

لم تكن ثمة مواد بناء فى سمرقند .. واذا بهؤلاء الحرفيين الاسرى يصنعون من تراب الصحراوات المحيطة مخلوطا بالقش وروث الجمال ، والطين ، المجلوب من نهر « زيرافشان » يصنعون من كل ذلك قوالب طوب ، ابدعوا بفضلها قبابا ضخمة ومآذن من طين غطوها من أعلى الى اسفل بقطع صغيرة من البلاط ذى

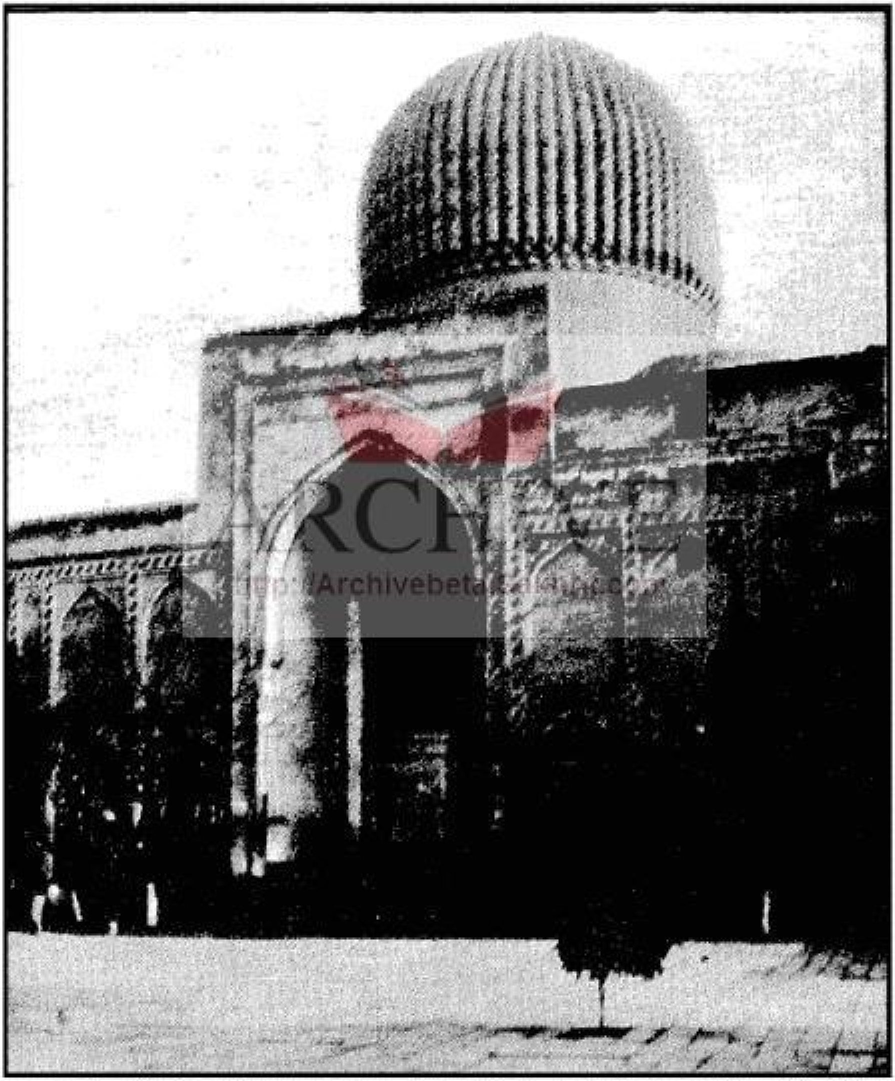
اللون الأزرق المتعدد الظلال ، ذلك اللون الذى كان يؤثره تيمورلنك على اى لون آخر .

وبالنظر الى انها شيّدت من تراب الصحراء وباستعجال شديد ـ تيمور لنك كان دائما فى عجلة من اموره ـ فان جزءا كبيرا من المدينة الزرقاء قد عاد به الريح الى الصحراء .

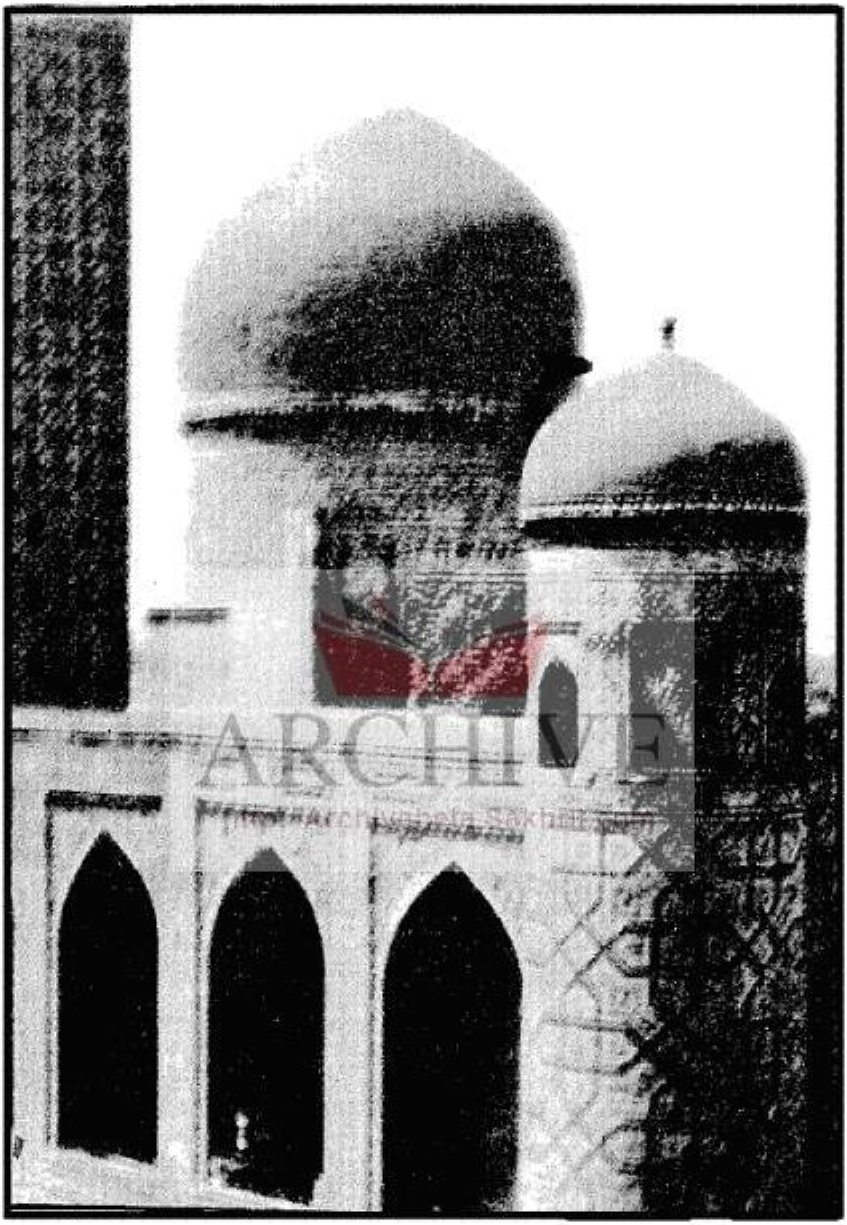
ومع ذلك ، فما بقى منها كان كافيا لابهار العقول والقلوب على مر الزمان .

« فمارلو » و « ميلتون » كتبا عنها ، وكذلك « روديارد كبلنج » فى وقتنا هذا .

القبة المشهورة لمسجد جورامير بنيت في القرن ١٥ الميلادي



مبنى الجامع وقبته يشتهر بانه يمكن للمرء مشاهدته بنفس المنظور من جميع الاركان



مع ان احدا منهم لم تتح له فرصة رؤياها .

● قصة المدينتين

وما أن جاء القرن الثامن عشر حتى صارت « بخاره » و « سمرقند » مدينتين محرمتين على الجميع فيما عدا المسلمين .

فاذا ما حاول احد من الكفار الذهاب الى هناك ، فمصيره كان الهلاك فى الطريق ، او فقدان الراس بمجرد الوصول .

وطبعا كانت الدولتان العظميان فى القرن التاسع عشر « روسيا القيصرية » و « بريطانيا العظمى » متربصتين للمدينتين المحرمتين .

ارسلتا مبعوثيها لهما فى مهام سرية ابتغاء الحصول على مزايا من امرائهما ، ولكن دون جدوى .

بل وكثيرا مالقى عملاء الدولتين العظميين مصرعهم فور اكتشاف امرهم ، وذلك لان حكام اسيا الوسطى كانوا مصممين على عدم السماح للكفار بتدنيس الاماكن المقدسة .

وتدور الدائرات ، واذا بروسيا القيصرية تبدأ فى عام ١٨٦١ الاستيلاء على أسيا الوسطى .

● رحلة العذاب

وحتى تحت الحكم الروسى ، ظلت الرحلة الى سمرقند شاقة ، يلقى فيها المسافر ألوانا من العناء .

وعلى كل .. فاذا كانت ايام السفر المتخفى وعلى ظهر البعير قد ذهبت ، فان ايام القطارات والبيروقراطية قد بدات مع الحكم الروسى .

وهاهو دليل السفر « بايديكير » يحذر الاجانب فى نسخة قديمة منه بانه « غير مصرح لهم بزيارة هذه المنطقة الا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الحكومة الروسية ، وانه لزام على المسافر ان يرسل طلبه قبل بدء الرحلة بستة شهور على الاقل »

ويالها من رحلة !!

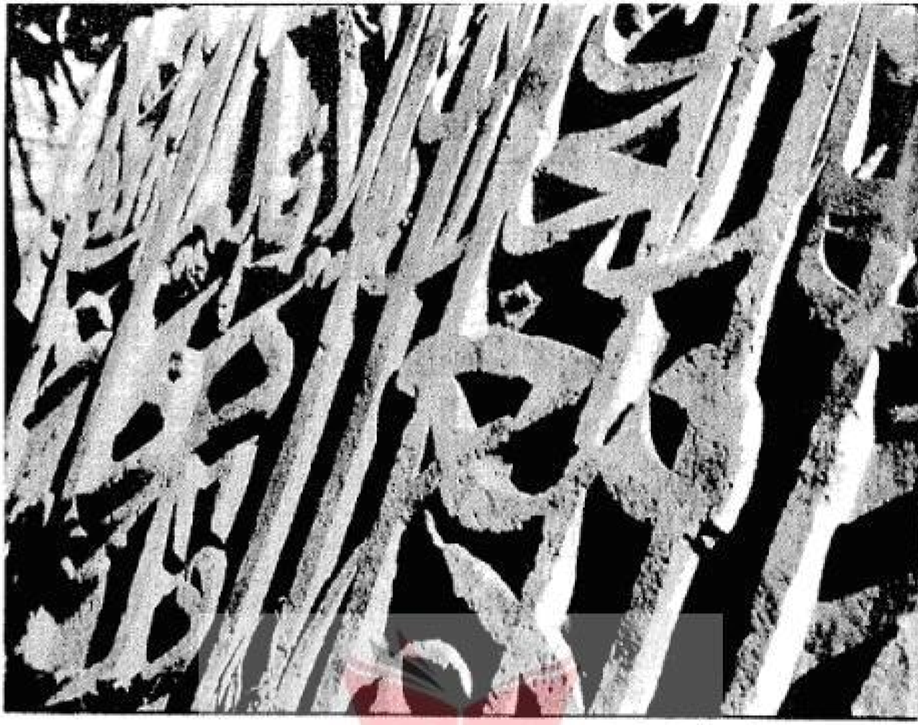
بالقطار من موسكو الى اوديسا فى جنوب روسيا ، ومنها بعبّارة بخارية تجتاز البحر الاسود ، فالى حصان وعربة تشق الطرق فى جبال القوقاز الوعرة ، ثم رحلة بعبّارة اخرى فى بحر قزوين ، وبعد ذلك قافلة جمال تسير الهوينى عبر صحراء « كاراكوم » حتى سمرقند .

وهذه الرحلة تتم الآن بالطائرة تحلق فوق نهر الفولجا الجبار يتلوى كأفعى من افاعى ماقبل التاريخ ، وفوق الغابات والبحار والصحراوات التى عبرها فى يوم من الأيام الاسكندر وقطعان المغول ، وجنكيزخان .. ومن بعدهم تيمورلنك .. ولا تستغرق سوى ثلاث ساعات وخمسين دقيقة من عمر الزمن .

● اطلال وبكاء

وحتى تستطيع ان ترى سمرقند القديمة باثارها التى ترجع الى عهد تيمورلنك ، فعليك ان تترك شارع لينين الواسع ، وتسير فى تيه من الحوارى الضيّقة الملتوية المشبعة بالغبار والتى تنتهى بك الى ماقاوم الزمن وبقى من المدينة الزرقاء .

وفى هذا الجزء الصغير المتبقى لابد ان تزور ميدان ريجستان ( الرمل ) بمدارسه الثلاث ، ذلك الميدان الذى



سجلت التواريخ على المساجد بأحجار المرمر



وصفه لورد بلفور صاحب الوعد المشئوم بانه انبل ميدان فى العالم .

وستصدم لانك ستراه فى حالة يرثى لها من إهمال افقده الكثير من السحر الذى جعله فى نظر صاحب الوعد اكثر الميادين نبلا .

ولابد كذلك ان تزور خرائب المسجد العظيم « بيبى خانوم » وهو المسجد الوحيد فى العالم المزين بثمانى مآذن .

ولقد ابتذلت حوادث الدهـر هذا المسجد الذى مازال بعظمة خرائبه يطل على سمرقند شامخا ساخرا .

مع ان كل ماتبقى منه قد تقلص الى قوس واحد ضخم وقاعدتى مأذنتين مرصعتين بقطع صغيرة من البلاط الأبيض والأزرق .. فضلا عن قبة هائلة بنفسجية اللون اخترقتها قذيفة انطلقت من فوهة مدفع روسى قيصرى اثناء معركة سمرقند ( ١٨٦٨ ) فتركت فيه اثرا عبارة عن فتحة جرى اخفاؤها ببعض عمليات الترميم .

وفى سالف الزمان اعتبروا هذه الأطلال الباقية من المسجد العظيم ، اعتبروها اجمل خرائب فى العالم .

ولكن الاهمال وادعاء اعادة البناء لهذه الخرائب ، قد يعملان على التحوّك بها شيئًا فشيئًا من اجمل الى اقبح خرائب .

ورحلة البر بالحافلة من سمرقند الى طشقند حيث مهرجان السينما تستهلك من الوقت اربع ساعات او يزيد .

وليس من شك ان السفر جوًا فيما بين هاتين المدينتين افضل بكثير من السفر برا حتى لو طال انتظار التصريح ستة شهور كما كان الحال ايام القياصرة الاوغاد .

● العربية .. أين ؟

ومن هنا ننتقل الى مهرجان طشقند

« نجلاء » نجمة طشقند الاعقام



عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفييتية .

هذا مهرجان سينمائي دولي له من العمر عشرون عاما ، تنعقد ايامه بالتناوب مع مهرجان موسكو كل عامين ، وهي لاتزيد على سبعة ايام .. شعاره « السلام والمحبة بين الشعوب والحرية » مكتوب بخمس لغات من بينها الفرنسية التي لايتكلم بها اى فيلم في المهرجان ، وليس من بينها العربية التي تتكلم بها اربعة افلام روائية طويلة مثلت الوطن العربى فى المهرجان من الجزائر وتونس ومصر والعراق .

كذلك جرى اهمال شأن لغتنا الجميلة فى الترجمة الفورية للزوار فى قاعة العروض الكبرى .

ولعل هذا الاهمال الغريب للغة كانت تكتب بحروفها لغة البلد المضيف « اوزبكستان » فى سالف الاوان ، لعله احد الاسباب التى حدت برئيس لجنة

المسجد العظيم قبل الترميم



تحكيم المهرجان المخرج الشيلى « ميجويل ليتين » الى ان يبدأ كلمته المعدّة لاعلان الجوائز بتحية الحاضرين بكلمتى « السلام عليكم » قالهما بالعربية !!

● حكمتك يارب

ومن غرائب المهرجان الاخرى أن يكون من بين عروضه فيلم « نهاية العالم .. الآن » للمخرج الأمريكى « فرنسيس فورد كوبولا » وهو فيلم له من العمر عشرة اعوام .. هل هذا يعقل ؟

وأن يكون « صرخة الحرية » لصاحبه المخرج الانجليزى « ريتشارد اتينبره » من بين افلام العروض الرسمية ، وذلك رغم انه ليس من انتاج اى من القارات الثلاث « امريكا اللاتينية ، افريقيا ، اسيا » التى تقتصر تلك العروض على افلامها وحدها دون غيرها .

وعندى انه لاتفسير لهذه الظاهرة الشاذة سوى انه فيلم متعدد الجنسيات ، ومن ثم يمكن ان ينسب الى اية قارة من القارات !!

فضلا عن انه واحد من تلك الافلام النادرة التى تناهض نظام التمييز العنصرى البغيض فى جنوب القارة السوداء .

● المستقبل .. لمن ؟

ومن هذا التنافر انتقل الى ماعرض فى المهرجان من افلام روائية طويلة انتجتها دول القارات الثلاث .

هذه الافلام سواء ماكان قد دخل منها فى العروض الرسمية او الاعلامية ، لم تزد على ستة وعشرين فيلما ، كان حظ امريكا اللاتينية منها سبعة افلام من بينها الفيلم الكوبى « الحياة فى خطر » الحاصل على جائزة العمل الأول لمخرج ، وكان حظ افريقيا اربعة افلام من بينها « احلام هند وكاميليا » الذى حصلت نجمته « نجلاء فتحى » على جائزة احسن ممثلة .

اما أسيا فقد كان لها نصيب الاسد وهو الباقى من الافلام ، بحيث كادت جميع دول هذه القارة الشاسعة ان تكون ممثلة بواحد او اكثر من اعمالها السينمائية ، وذلك فيما عدا باكستان ودول الخليج باستثناء العراق .

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا قلت إن مركز السينما العالمية ينتقل بخطى سريعة الى شرقى أسيا وجنوبها الشرقى وبالذات اليابان والصين والهند .

والحق يقال انه لو اجرينا مقارنة بين افلامنا العربية فى المهرجان والافلام الصينية والهندية لاصابنا فزع عظيم وهم مقيم .

فافلامنا كانت تعانى من ضحالة مهينة وهزال مشين .. اما افلامهم فكانت تشع حيوية وابتكارا .. فلقطة واحدة من فيلم « بعيدا عن الحرب » للمخرجة الصينية « هويى » تفضل افلامنا العربية الأربعة مجتمعة .

وفكرة واحدة من افكار فيلم « الرحيل الابدى » للمخرج الهندى « جوتام جوهش » تجب جميع افكار افلامنا من المحيط الى الخليج .

ومن حسنات طشقند ومهرجانها انه

فهو فيلم مؤلف ما فى ذلك شك لانه فضلا عن قيام صاحبه بكتابة السيناريو والاخراج .. فقد نهض بالتصوير ووضع الموسيقى .

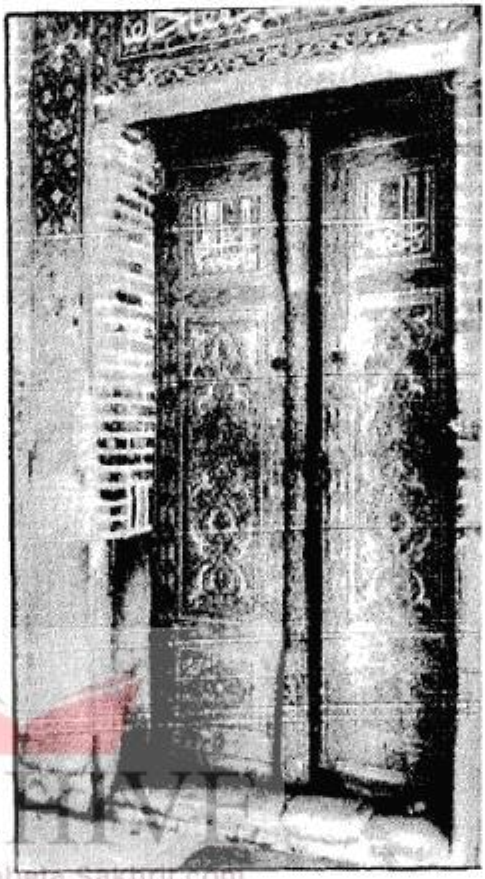
## ● انتصار الظلام

وهو فيلم جرىء فى موضوعه ، يعرض صاحبه فيه لمأساة المرأة فى الديانة البراهمية اذا جاء الموت زوجها وهى على قيد الحياة .

فتقاليد هذه الديانة قبل ان يحرمها الحاكم الانجليزى فى النصف الاول من القرن الماضى ، كانت توجب على الزوجة ان تودع الحياة هى الاخرى ، وترافق زوجها المتوفى الى العالم الآخر .

ويبدو ان المتشددين فى الدين يعملون جاهدين الآن على الارتداد بالمجتمع الهندى الى هذه التقاليد البربرية .
والفيلم ينقد هذه الردة نقدا مرا بأسلوب سينمائى خالص خال من التعقيد .

ولعله من الخير ان يعرض عندنا هنا فى مصر .. ومن يدرى لعله يفيد ، لأننا فى الوطن العربى لم نر من الأفلام الجادة التى تتناول المشاكل التى تواجه الانسان المعاصر وبالتحديد انسان عالمنا الثالث حيث يرفع البعض منا لواء العودة الى وراء ، لم نر منها الا القليل .



باب من الخشب فى سمرقند يرجع الى القرن ١٥ الميلادى ويلاحظ تعدد الأشكال الفنية على سطحه

ساعة اعلان النتائج ، اذا بهذا الفيلم الهندى هو المتوج بجائزة المهرجان الكبرى التى استحقها عن جدارة .

من ذخائر الكتب العربية

# التعريف بابن خلدون ورحلته.. شرقاً وغرباً

# حياة ابن خلدون في مصر

بقلم : مصطفى نبيل

**يلاحظ من يقرأ السيرة الذاتية للمفكر الكبير عبد الرحمن ابن خلدون ، أن حياته تنقسم إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى قبل وصوله إلى مصر ، والمرحلة الثانية بعد وصوله إليها ..**

**يروى في المرحلة الأولى ، أصله ونسبه وأساتذته ، والكتب التي قرأها ، والوظائف التي شغلها ، واعتزاله وتأليفه سفره العظيم كتاب « العبر » ، وهو ما استعرضناه في العدد السابق ..**

**ويصل للمرحلة الثانية عندما يروى قصة رحيله إلى مصر عام ٧٨٤ هـ ـ ١٣٨٢ م ، التي قضى فيها ما تبقى من حياته ، وخاض فيها تجاربه الجديدة ، فأضاف ونقح كتابه « العبر » ، وخط كتاب « التعريف » في ضيعته بالفيوم ..**

غادر ابن خلدون المغرب وتوجه إلى مصر ، هربا من السياسة ، ومن أجل التفرغ للعلم والدراسة ، ولكنه بعد وصوله إلى القاهرة انغمس لا في السياسة وحدها ، بل في المناورات والمنازعات بين الأمراء والسلاطين ..

ولم يستطع ابن خلدون طوال حياته ، الإفلات من تأثير قوتين متضادتين ، ولعه بالدرس والعلم من



جانب ، وحبه للمنصب والجاه من جانب آخر ، بدأ حياته دارسا ثم انتقل إلى العمل والسياسة ، ووصل إلى اعلى المناصب ، ولم يستطع التخلى عن العلم ، فكان يعمل فى تدبير الملك صباحا ويلقى محاضراته عندما يأتى المساء ، ولا نجده يذكر فى سيرته الذاتية انهماكه فى شئون الحكم إلا ويعقبها بذكر حنينه إلى الاعتزال وطلب العلم ، حتى انه كرر ذلك سبع مرات وهو يروى سيرته الذاتية .. !

ربما كان ذلك بسبب شغفه الشديد بمعرفة تفاصيل اللعبة السياسية ، التى لايعرفها الا من كان فى قلبها ، وجاء تنوع تجاربه من خلال عمله السياسى وطبيعة حياته الصاخبة ، والتى استخرج من رحيقها سفره القيم .. وربما انتقل اليه الحنين للعلم والسياسة ، من عائلته التى كانت تتقلب حسب قوله .. « بين رئاسة سلطانية ورئاسة علمية » ..

ولكن المؤكد أن تجاربه السياسية التى عاشها ، هى التى أمدته بتلك الواقعية التى اتسمت بها مؤلفاته ، وأنها السر وراء وصوله إلى تلك المعادلة الصحيحة بين الوقائع والأفكار ، بين الواقعية والمثالية ، بين الواقع والخيال ، فكتب أهم ما جاء فى التراث العربى ، وجعلته تجربته العملية يرى الواقع وينفذ منه إلى حركة المجتمع وتاريخ المجتمعات البشرية ، فجاء هذا الفكر الخلاق الذى قدمه .

وكتب تلك العبارة النافذة .. « إن المنطق القديم لايطابق الحياة الواقعية ، وأن الواجب يقضى على من يريد فهم الحياة الحقيقية أن ينظر إليها حسب منطقها .. » ، وكان يخط بهذا القول منهجا جديدا ، لايكاد يعرف فى العصور الوسطى ، وانقضت قرون حتى يسود فى العصر الحديث ، وهذا ماجعل مؤرخا مثل ارنولد توينبى

يقول : « إن ابن خلدون آخر نجوم المؤرخين ، فقد صاغ فلسفة للتاريخ ، هى بلاريب أعظم عمل من نوعه ابتكره اى عقل فى اى عصر .. » ..

ومازال الفرق بين النظرية والتطبيق أحد أسباب عجز الكثير من المفكرين ، الذين يهملون الواقع ويحلقون فى نظريات مجردة ، ويتضح ذلك أكثر مايكون فى الحياة اليومية ، فإذا طلب صديق او قريب نصيحة أحد المفكرين ، تأتى هذه النصيحة عملية مكتسبة من خبرة الحياة ، أما مايعلنه ذات المفكر فوق المنابر العامة فيقتصر غالبا على الأفكار التى لاصلة لها بواقع الحياة ، ولكن مفكرنا قدم فكرا عمليا يقترن بموقف نقدى ، يفحص الاخبار فى معزل عن الافكار ، حتى وجد من يقيم أفكاره بأنها « منحرفة عن شرعة الأخلاق » ، وجعل سيريان Syrien يبدى دهشته بقوله : « إن سيرته الذاتية تمتلىء بالمتناقضات التى تعود إلى العبقرية المزدوجة ، فمؤلف تلك الأسفار العظيمة ، لايزال لغزا ، بسبب الفارق بين عقائده وسلوكه ، والتباين بين نظرته للمصلحة العامة وانانيته الظاهرة ، والتناقض بين عدم تحيزه فى البحث والعلم وتفضيل نفسه على الآخرين ، مما جعل تقييم سيرته الذاتية مهمة صعبة !

فهل هذه الصعوبة هى التى جعلت اغلب الابحاث حول أعمال ابن خلدون تتناول مقدمته وكتابه « العبر » ، وتتجنب كتاب « التعريف » الذى يروى فيه سيرته الذاتية .. ؟

● أبعد من الخيال ..

ولنصحبه وهو يروى رحلته الغنية بالتجارب إلى مصر ، ونتامل وقائعها ، وآثرها فى كتابات عصره ، لعلنا نحل اللغز الذى ظهر لسيريان عن قراءته سيرة ابن خلدون الذاتية ..

جذبت القاهرة ابن خلدون ، لأنها عاصمة الفكر والثقافة ، وأجمل عواصم الشرق عمارة ، وهى مقر الخلافة الاسلامية ، وموطن الأزهر الشريف ، وعاصمة اكثر الدول الاسلامية ازدهارا ، واشهرها تجارة وصناعة ، وقلعة الجهاد التى رد جيشها عن أرض العرب والاسلام ، الصليبين والتتار ..

وكان الإطار السياسى فى مصر مشحونا بالعوامل التى لم تعرض له من قبل فى المغرب ، فلا تحكمها قبائل متنازعة كما عاش خلال تجربته الأولى ..

ولندع ابن خلدون يصف لنا القاهرة ، يقول : « رأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر ( النمل ) من البشر ، وايوان الاسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والدواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه ، قد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم

النهل والعلل سيحه ، ويجبى إليهم الثمرات والخيرات ثجه ..

ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم ، ومازلنا نتحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه في العمران ، واتساع الأحوال .

ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا ، حاجبهم وتاجرهم ، بالحديث .. سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب ، أبا عبد الله المقرى ، كيف هذه القاهرة ؟

قال : « من لم يرها لم يعرف عز الإسلام .. » ، وسألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية قال : « كأنما انطلق أهله من الحساب » ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب .

وسأل الفقيه الكاتب أبو القاسم البرعي فقال : « إن الذى يتخيله الانسان فإنما يراه دون الصورة التى تخيلها ، لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة ، فإنها أوسع من كل ما يتخيل فيها .. » .

هكذا كانت صورة القاهرة قبل أن يصلها ، وعندما وصلها كان فى الثانية والخمسين من عمره ، وسبقه اليها سفره العظيم « العبر » ، وذاع صيته ، واحتفت به القاهرة واندمج سريعا في نسيج حياتها ، وأصهر بعد المأساة التى وقعت لأسرته من إحدى عائلاتها ، وأقام بها أربعا وعشرين عاما وحتى آخر أيام حياته ، وسكن على النيل ، وكتب سيرته الذاتية فى ضيعته بالفيوم المهداة إليه من السلطان برقوق .. ويصف لنا استقبال القاهرة له بقوله : « ولما دخلتها أقمت أياما ، وانثال علىّ طلبة العلم بها ، يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ، ولم يوسعونى عذرا ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر » ..

ويسجل معاصروه من علماء القاهرة انطباعهم عنه :

● ويذكر تقى الدين المقريزى .. « قدم فى شهر رمضان سنة ٨٧٤ هـ ، شيخنا أبوزيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب ، وتصدى للاشتغال بالجامع الأزهر ، فاقبل الناس عليه واعجبوا به » ..

● يقول لنا ابن حجر العسقلاني .. « كان لسنا فصيحا ، حسن الترسل وسط النظم ، مع معرفة تامة بما يتحدث فيه » ..

● ويذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى .. « واستوطن القاهرة ، وتصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة ، وإشتغل وأفاد » ..

● العالم والسلطان !

كان ابن خلدون يجيد التعامل مع الحكام ، ويعرف كيف يؤثر عليهم عند لقائهم ، فهو حسن الصورة ، بارع الحديث ، يملك لباقة ومعرفة واسعة ، يحسن عرض معارفه ومواهبه ، وكانت شخصيته الجسورة تجذب إليه السلاطين والأمراء ، وسبق له ونجح مع العديد منهم ، عندما التقى ببدرو ملك قشتالة ، وعندما التقى بالسلطان برقوق ، وعندما التقى بتيمور لنك فى مرحلة لاحقة ..

فماذا كان بين العالم ابن خلدون والسلطان برقوق .. ؟

إنه يعرف كل التفاصيل عن طبيعة الحكم الذى يتعامل معه، سلبياته وإيجابياته، يتوق الحاكم ليسمع منه مصائر الدول ومصارعها، اسباب قوة الحاكم، وضعفه، ولايخرج ماقاله للسلطان عن حكم المماليك عن ما سطره فى كتابه «التعريف».. يقول: اهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون بإنشاء المدارس لتدريس العلم، والخوانق لإقامة رسوم الفقراء فى التخلق باداب الصوفية السنية، وفى مطارحة الأفكار ونوافل الصلوات، اخذوا ذلك عمن قبلهم من الدول الخلافية (الخلافة). فيختطون مبانيها، ويقفون الأراضى المغلة للانفاق منها على طلبة العلم، ومتدربى الفقراء، وإن استفضل الريع شيئا عن ذلك، جعلوه فى اعقابهم خوفا على الذرية الضعاف من العيلة (الفقر). واقتدى بسنتهم فى ذلك من تحت ايديهم من اهالى الرياسة والثروة، فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة، وأصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء والصوفية، وكان ذاك من محاسن هذه الدولة التركية، وآثارها الجميلة الخالدة»..

وكان لديه الكثير ليقوله للسلطان، فقد وصل إلى القاهرة بعد أن تولى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بحوالى عشرة ايام، والذى وصل إلى اريكة الحكم بعد صراع مرير، وعبر موجة من المؤامرات وعمليات القتل والخنق والسجن والإبعاد، وخاض طريقا طويلا، بدا كاحد المماليك فى القاعدة حتى وصل إلى القمة، وكان آخر ما وصل إليه اتابكا للعسكر (قائدا) ومديرا للسلطنة..

«ثم كان الاتصال بالسلطان، فابر اللقاء، وانس الغربة، ووفر الجراية من صدقاته شانه مع أهل العلم..».

هذا ما ذكره ابن خلدون عن لقائه بالسلطان برقوق، ومنه نتبين أن اول لقاء، نتج عنه علاقة حميمة دامت حتى آخر ايام السلطان، بعد أن ترك انطباعا لدى السلطان بعقليته الفريدة، ومعارفه الواسعة وفهمه لشئون الدولة، وسانده بعدها السلطان فى كل اعماله، واصبح له حاميا ونصيرا..

حتى أن السلطان كتب رسالة إلى سلطان المغرب، يطلب فيها السماح لأسرة ابن خلدون بالقدوم إلى القاهرة، سجل نصها ابن خلدون، وجاء فيها.. «لقد آثر ابن خلدون الإقامة عندنا بالديار المصرية، لا رغبة عن بلاده، بل تحببا الينا وتقربا إلى خواطرنا بالجواهر النفيسة من ذاته الحسنة، وصفاته الجميلة»..

ومنذ هذا اللقاء ، وابن خلدون يشارك فى حياة مصر السياسية ..

## العالم الفقيه ..

أشبع ابن خلدون حبه للمعرفة بالتردد على مخازن الكتب العديدة فى القاهرة ، والتفاف عدد من التلاميذ حوله ، ولقاء العلماء وإلقاء المحاضرات فى مدارسها . فعلاوة على إلقاء الدروس فى الأزهر الشريف ، عين أستاذا فى المدرسة القمحية بالفسطاط ، ويذكر درسه الأول الذى كان فى موضوع بالغ الدلالة وهو « دور العلماء فى الدولة » . ويقول فى ختام المحاضره .. « شيعتنى العيون بالتجلة والوقار ، وتناجت النفوس بالأهلية للمناصب (!) » ، وقيل « محاضراته إليها المنتهى » . ثم انتقل للتدريس بعدها فى المدرسة الظاهرية فى بين القصرين بحى الجمالية ، وعقب عودته من الحج عين شيخا للحديث فى مدرسة صرغتمش ، وترك كوكبة من التلاميذ على رأسهم تقى الدين المقريزى ، الذى تمثل فيه وفاء التلميذ لأستاذه ، فكان يلقبه شيخنا ، العالم العلامة ، شيخ الفقهاء ، وصل إلى مرتبة .. لم يعمل مثلها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هى زبدة المعارف والعلوم ، وبهجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث ، والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبىء عن أصل كل موجود ، بلفظ أبهى من الدرر النظيم ، وألطف من الماء مر به النسيم »

ومن جانب آخر احنق عليه المدرسة المحافظة ، وأثارت دروسه وأفكاره الجدل ، واتهمته هذه المدرسة بكل نقيصة !

## قاضى القضاة

فإذا كان ابن خلدون أشبع حبه للعلم والدرس ، فحان ظهور ولعه بالمناصب والجاه ، وها هو يتولى منصب قاضى قضاة المالكية ، ولم يمض على وجوده فى القاهرة سوى عامين ، وهو منصب له أهمية بالغة ، وهو واحد من أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ، وإذا كان منصب القاضى فى عصر فصل السلطات لاصلة له بالسياسة ، فإنه فى عصر ابن خلدون أحد المناصب السياسية الهامة ، فالقضاه يفتون فى القضايا الهامة ، ويستشيرهم السلطان فى أمور الحكم ، ويتمتع القاضى بنفوذ كبير ، لايقل عن الأمراء المتنازعين فى ظل الوضع القبلى فى المغرب .

ويمكن تلمس مظاهر الجاه للقاضى فى تفاصيل صغيرة سجلها المؤرخون ، مثل عدم جواز سير القاضى على أقدامه ، وكانت بغلة من نوع خاص هى مطية القاضى ، رمادية اللون ، غالية الثمن ، يوازى ثمنها أفضل الجياد ، ولا يسمح لغير القاضى بركوب ذات اللون ، وتمنح للقاضى من السلطان عند تعيينه .

لذلك فالصراع الذى يدور حول منصب القاضى هو أشد الصراعات

السياسية ضراوة ، وتحفل سيرة ابن خلدون الذاتية بالصراعات التى دارت ، حتى أن مؤرخنا تقلد هذا المنصب وعزل منه ست مرات ، وتوفى بعد ولايته السادسة بأيام قليلة .

ويحكى لنا تعيينه فى منصب القاضى بقوله : « وبينما أنا فى ذلك ( يقصد التدريس فى المدرسة القمحية ) ، إذ سخط السلطان ( على ) قاضى المالكية فى دولته لبعض النزعات فعزله ... اختصنى السلطان بهذه الولاية تأهيلا لمكانى وتنويها بذكرى ، وشافهته بالتفادى من ذلك ، فأبى إلا إمضاءه ، وخلع على بإيوانه ، وبعث من كبار الخاصة من أقعدنى بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية .. »

ويروى ابن حجر العسقلانى فى كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر » قصة توليه القضاء بقوله : « لما دخل الديار المصرية ، تلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتودد له والتردد إليه ، فلما ولى المنصب تنكر لهم ، وفتك فى كثير من أعيان الموقعين والشهود » فقد ... « لازم أبطنغا الجوبانى ( أحد أمراء المماليك ) ، فاعتنى به ، إلى أن قرره الملك الظاهر برقوق فى قضاء المالكية ، فباشره مباشرة صعبة ، وقلب للناس ظهر المجن ، وصار يغرر بالصفع ويسميه « الزج » ، فإذا غضب على إنسان قال « زجوه » فيصفع حتى تحمر رقبته » إلى أن يقول : « لم يغير زيه المغربى ولم يلبس زى قضاة هذه البلاد ، وكان يحب المخالفة فى كل شيء »

أما أبو المحاسن ابن تغرى بردى فله رأى آخر .. ابن خلدون عمل على تحقيق العدل ، وواجه الكبير قبل الصغير .... « باشره بحرمة وافرة ، وعظمة زائدة ، وحمدت سيرته ، ورفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان ... وكان صارما للغاية ، وقد أنكر تدخل الشخصيات الهامة ، ورفض الرشوة ، فشهروا به عند السلطان فعزله .. »

وسجل لنا ابن خلدون تجربته فى القضاء بقوله : « قمت بما دفع السلطان إلى من ذلك المقام المحمود ، ووفيت جهدى بما أمننى عليه من أحكام الله ، لا تأخذنى فى الحق لومة ، ولا يزعنى عنه جاه ولا سطوة ، مسويا فى ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا إلى التثبت فى سماع البيانات والنظر فى عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ، فقد كان البر فيهم مختلطا بالفاجر ، والطيب ملتبسا بالخبيث ، والحكام ممسكون عن انتقادهم ، متجاوزون عما يظهرون عليه من هناتهم ، لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة ، فإن غالبهم مختلطون بالأمراء ، معلمون للقرآن ، وأئمة فى الصلوات ، يلبسون عليهم بالعدالة ، فيظنون بهم الخير ، ويقسمون لهم الحظ من الجاه فى

تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم ، فاعضل داؤهم ، وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ، ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب ، ومؤلم النكال ..... وكان منهم كتاب لدواوين القضاة والتوقيع فى مجالسهم ، وقد دربوا على إملاء الدعاوى ، وتسجيل ( الأحكام ) ، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود ، باحكام كتابتها ، وتوثيق شروطها ، فصار لهم الفضل بذلك على أهل طبقتهم ، وتمويه على القضاة بجاههم ، يذرعون به مما يتوقعونه من عتبهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم ، وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود المحكمة ، فيوجد السبيل إلى حلها بوجه فقهى او كتابى ، ويبادر إلى ذلك متى دعا اليه داعى جاه او منحة ، وخصوصا فى الأوقاف التى جاوزت حدود النهاية فى هذا المصر بكثرة عوالمه ، فاصبحت خافية الشهرة ، ومجهولة الأعيان ، عرضة للبطلان ، باختلاف المذاهب المنسوبة للحكام بالبلد ، فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا ، شارطوه وأجابوه ، مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دون سد الحظر والمنع حماية عند التلاعب ، وفشا فى ذلك الضرر فى الأوقاف ، وطرق الغرر فى العقود والأملاك .. فعاملت الله فى حسم ذلك بما أسفهم واحقدهم ... وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل ، ورددتهم على أعقابهم .. فأرغمهم ذلك منى ، وملأهم حقدا وحسدا على ... ولم يكن ذلك شان من رافقتهم من القضاة ، فنكروه علىّ ، وعدونى إلى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم إذا تعذرت ، فابيت فى ذلك كله إلا إعطاء العهدة حقها ، والوفاء لها ومن قلدنيها ، فاصبح الجميع على البا .. وفى النكير على امه .. وانطلقت الالسنة ، وارتفع الصخب ... فكثر الشغب على من كل جانب ، واظلم الجو بينى وبين اهل الدولة ، ... واعتزمت الخروج من المنصب ، فلم يوافقنى عليه النصيح ممن استشرته ، خشية من نكير السلطان وسخطه » .

ولعلى اطلت فى الاستشهاد بما جاء على لسان ابن خلدون ، ولكن الم تلحظ عزيزى القارىء أن تلك الأساليب التى سجل بعضها مفكرنا تتوالى على مر العصور .

## محنة !

عندما ينشب صراع فى قمة السلطة ، فما الذى على العالم والمفكر أن يفعله ، ومع من يقف فى الصراع ؟ مع الحق أم مع المنتصر ؟ كانت هذه هى المحنة التى واجهت ابن خلدون خلال حياته فى القاهرة .

وقع ذلك عندما نجحت إحدى المؤامرات ضد السلطان ، وأمكن خلع السلطان برقوق من منصبه ، وقاد هذه المؤامرة يلبغا الناصرى فى ٥ جمادى الثانى عام ٧٩١هـ - ١٣٨٩م ، وطلب السلطان برقوق من الناصرى الأمان وسلمه شعائر السلطة ، ونفى الى قلعة فى دمشق .

ولم يكن ذلك سوى أحد فصول الصراع على السلطة بين أمراء المماليك ، وسرعان ما فر السلطان برقوق في جنح الظلام من القلعة ، وتجمع حوله الانصار ، وتوجه إلى القاهرة لاسترداد عرشه ، وقامت

الاستعدادات لمواجهته ، وعزم الاتابكي منطاش على الخروج لمقاتلته ، وجمع منطاش مجلسا يضم الخليفة والقضاة الأربعة وعددا من العلماء بينهم ابن خلدون ، وطلب اليهم إصدار فتوى بشرعية مقاتلة برقوق وقواته ، ورغم أن ابن خلدون تربطه صلات حميمة بالسلطان برقوق ، فإنه وقع الفتوى ، فإذا كان يؤمن بمثالية الاهداف فهو يؤمن أيضا بواقعية الوسائل ، ويرى امامه شمس الدين محمد الركراكي يرفض توقيع الفتوى فيودع في سجن القلعة ، وربما تذكر ما وقع لصديقه لسان الدين الخطيب الذى اعدم وشوهت جثته ثمنا لموقفه المعارض ..

وتدور الدوائر وينتصر جيش السلطان برقوق ويهزم جيش منطاش ، ويعود برقوق إلى أريكة السلطنة ، ويعين الركراكي قاضيا لقضاة المالكية ويعزل ابن خلدون من الخانقاة البيبرسية .

ويذكر ابن خلدون هذه الواقعة في سيرته الذاتية ، ولكنه يؤكد أن خصومه كانوا وراء عزله من منصبه .... يقول « أغذ الظاهر برقوق السير إلى مصر ، وتلقاه الناس فرحين مسرورين بعوده وجبره ... ، وعادت الدولة إلى ما كانت عليه ، وولى سودون على نيابته ، وكان ناظرا للخانقاه التى كنت فيها ، وكان ينقم علىّ أحوالا من معاصاته فيما يريد من الأحكام في القضاء أزمان كنت عليه ... وكان الظاهر ينقم علينا معشر الفقهاء فتاوى استدعاها منا منطاش ، واكرهنا على كتابتها فكتبناها ، وورينا فيها بما قدرنا عليه ، ولم يقبل السلطان ذلك ، وعقب عليه وخصوصا على ، فصادف سودون منه إجابة في إخراج الخانقاه عنى ، فولى فيها غيرى وعزلني عنها ..!! ، وكتبت إلى الجوبانى بأبيات أعتذر عن ذلك يطالعه بها فتغافل عنها ، وأعرض عنى مدة ، ثم عاد ( السلطان ) إلى ما أعرف من رضاه واحسانه »

وهو هنا يروى تفاصيل القصة بوضوح ، أى يدافع عن واقعيته فى التعامل مع الأحداث السياسية التى اعترضته ، ولا يرى فيما قام به ما هو مشين ، ولا يوائي فيما فعل ولا يعتذر عنه ، بل ويقول بصراحة ... « إن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق .. » !

وفى لقائه بتيمورلنك نجد صورا أوضح لهذا السلوك ، عندما قام بدور المفاوض بين تيمورلنك وأهالى الشام ، وهو ما نتناوله فى العدد القادم .

# لغويات

● يقال : « هذا أمر لا يليق بك » .. اى لا يصلح لك ، او لا يجمل بك ان تفعله .. واللياقة اصلها لصوق الشىء وامساكه ، فقولهم : لا يليق بك .. معناه : لا يمسك ولا يلصق ولا يعلق بك .. ومنه قول المتنبى :

وما لاقنى بلد بعدكم ..
ولا اعتضت من رب نعماى رب

ومعنى قوله « ما لاقنى » : ما امسكني ولا التصق بى .. فهو غير لائق بى ..

● الصلاة تجىء بمعنى الدعاء .. وجرت العادة بقصر هذا الدعاء على الانبياء .. والرافضة الاثنا عشرية وغيرهم من الباطنية يسرفون فى الصلاة على ائمتهم حتى لكانهم فوق الانبياء ، كما يبالغ بعض الشعراء فى مدح الامراء بالصلاة عليهم ، كقول المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وانى لاتبع تذكاره
صلاة الاله وسقى السحب

وقول ابن الرقاع :

صلى الاله على امرىء ودعته
واتم نعمته عليه وزادها

● « التاليس » عند العامة ، يقصد به السخرية والعبث والتفكه .. وتاليس فلان على فلان معناه سخريته منه .. وكلمة التاليس اصلها « التقليس » بمعنى اللهو والتهريج فى الافراح والحفلات .. والقائمون بالتقليس يسمون « المقلسين » ..

● العامة يصفون الشخص المتعطل او المتشرد فى الطرقات بانه « صايع » .. والصائع كلمة عربية .. وصاع القوم : تعاركوا وحمل بعضهم على بعض .. وصاعت النحل : تفرقت فى الهواء وتباعدت هنا وهناك .. ومن ذلك قول امير الشعراء شوقى ..

واقبلت الوفود عليه تترى
كسرب النحل فى الثمرات صاعا

● تقول العامة : فلان « حدف » فلانا بطوبة او بحجر .. و « حذف » بالذال المعجمة اى التى فوقها نقطة ، تعنى - فيما تعنى - الرمى بالحجر او العصا او باى شىء .. فالتعبير العامي صحيح ، لا ينقصه الا نقطة الذال ! ..

● بعض الممثلين يتندرون فى مسرحياتهم على « الصلع » .. وكانت العرب تمدح الرجل بالصلع ، فيقول الشاعر : « وكل كريم لا اباله اصلع » .. وقال صاحب الجمهرة : « الصلع من سمات الشرف والسؤدد » ..



# المازني يتبرّأ من شعره

بقلم : د. محمد رجب البيومي

نعرف ان كثيرا من الناس يدعون انهم شعراء ويرون فيما ينظمونه من الكلام المتفق مع الوزن العروضي نمطا رائعا من الشعر يرتفعون به امام انفسهم وحدها • فاذا سمعوا ناقدا مهذبا يبدى رأيه الصادق فيما يقولون ضاقوا به ورموه بالهوى المغرض ، نعرف هؤلاء المدعين ، ولكننا لا نعرف غير الشاعر الكبير ابراهيم عبد القادر المازني شاعرا جياش العاطفة ، صادق الوجدان ، جيد التصور والتصوير ، بارع الصياغة ثم هو مع ذلك كله ينكر ان يكون شاعرا له مقامه الاصيل ، والمازني ــ بعد ــ ناقد ادبي كبير يعرف معادن القول ومنازع الارتفاع ، ومواضع الانحدار في البلاغة الشعرية ، وله في النقد الادبي فصول رائعة كانت احدى اللبنات القوية التي علا بها الصرح النقدي المعاصر ، افيجوز لمثله ان ينسف غيره محللا روائعه ، ومفسرا ميوله واتجاهاته في صدق صائب ؟ ثم يجور على نفسه هذا الجور ! وهل يجوز لنا معشر القراء ان نقرأ شعره الاصيل فنشيح عنه لانه تبرأ منه •

لقد كان موقف المازني من نفسه غريبا في بابه ، وموضع تساؤل نحاول ان نجيب عنه ، وفي اصدقائه من تبرع بالاجابة وليس اقرب اليه من زميله في النضال الادبي ، وصاحبه في احرج عواصف النضال الاستاذ عباس محمود العقاد ، حين قال بصدد

هذا الاتجاه في حفلة استقبال المازني بمجمع اللغة العربية ــ ببعض التصرف » لم أر احدا يجور على المازني كما يجور المازني على فضله وقدره ، وقد طاب له منذ سنوات ان يثابر على الاستخفاف بعمله والاستخفاف بجدواه فانكر على نفسه الشاعرية ، وانكر



حافظ ابراهيم　　عبد الرحمن شكرى　　عباس العقاد

غناء ما يكتب وينظم • وقد غالطته احيانا فقلت له ان هذه البدعة منه ضرب من المكر الحسن ، الذى لا يستغرب ، كأنه اراد ان ينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه ، وان يجحد حقه ليثبته له الناس •

والارجح انى غالطته حين استفززته بمثل هذه التهمة البريئة ، وان حقيقة الامر فى هذه الخصلة ان المازنى يستخف بعمله ، ويغبن عمله احيانا ، لانه يستصغر حياة الانسان فى جانب اماد الخلود ومصاير الاقدار ولانه ينظر الى اعلى ، ولا ينظر الى اسفل فيقيس ما عمل بما اراد ان يعمل ، فاذا هو دون ما اراد ، وان كان فوق ما اراده عاملون اخرون » •

فالعقاد يعترف انه يغالط المازنى حين يستفزه بأنه يتبرأ من شعره ، وينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه فهو اذن صاحب حيلة ماكرة فى هذا الاتجاه ، اما العلة الصحيحة لدى العقاد فهى انه يقيس ما قال بما كان يجب ان يقول فيرى نفسه مقصرا ، وفى كلام المازنى ما ينبىء عن ذلك ولكن الادباء جميعا ـ الا من عصمه الغرور ـ يقيسون ما قالوه بجانب ما يتمنون ان يقولوه فيجدون الفرق بعيدا ، لان الامال واسعة والجهود محدودة مهما بلغصبلغها من الاتساع، فلماذا لم يتبرأوا مما يقولون كما تبرأ المازنى من شعره فى اصرار •

لقد وجد كلام العقاد صداه القوى فى نفس الشاعر المبدع الاستاذ محمود عماد رحمه الله ، فكتب تعقيبا شعريا لديوان المازنى الذى قام على مراجعته وضبطه وتفسيره بعد وفاة الشاعر بتكليف من المجلس الاعلى للفنون والاداب ، قال فيه :

نظم الشاعر هذا الشـ
ـعر يوما وارتضاه
ويوم اخـر انكر
ه ثم نفـــــاه :
قال ان الشـعر فن
ما له عندى اداه
والذى سطرت منه
دون ما القى وعاه
واوى لا ينظم الشـ
ـعر الى يوم الوفاه
قلت ما انصف ابر
اهيم فيما قد اتاه

## المازني يتبرأ من شعره



أين من بالنظم يوما
اند تقضى مبتغاه
ان للنفس كلاما
لا تؤديه الشفاه
خير شعر الشاعر السلس
القوافي ما عصاه

فعماد يوافق العقاد فى رأيه أن المازنى يرى ان ما سطر دون ما وعى! وهذا حق ، ولكنه ليس العلة المانعة ، ولكنها ظروف تتابعت ، وازمات تلاحقت ، فتركت سحبها الغائمة فى نفس صافية شفافة ، فكدرت نظرتها ، وعكست اتجاهها ، اذ رأت السلامة فى البعد ، والراحة فى السكوت .

### ● أوليات المازنى

اتجه المازنى فى مطلع حياته الى الشعر ينظمه ويكتب عنه ، وكان مع رفيقيه شكرى والعقاد ينتحون وجهة جديدة تعطى مفهوما طريفا للشعر غير متداول بين الجمهرة العامة . فالشعر كما يقول المازنى : يحلق بالمرء فوق الحياة ، ويرغمه أن يحس ما يرى وان يرى ما يحس ، ويجعل القبح جمالا ، ويزيد الجمال نضرة وجلالا ، ويفجر فى النفس ينابيع الالم ، والامل والفزع والسرور . ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة فى عروق الحياة فلا جرم كان الشاعر أحسن الناس واعمقهم حكمة ،واجمعهم لخلال الخير ، وخصال الفضل ، هذا هو الشعر كما عناه المازنى ، أما الشاعر فهو من يقول عنه ايضا .

يرى من ستور الغيب حتى كأنما
يطالع فى سفر جليل المراقم
له خاطر يقظان ليس بشائم
يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
ولحظ كأن البرق ريش سهامة
يضىء حواشى كل أغبر قاتم
وروح كأن البرق ريش سهامة
بها قطرة ، من زاخر متلاطم
كأن رياضافى مثانى حروفه
أرجن بأنفاس الثغور البواسم
وما الشعر الا صرخة طال حبسها
يرن صداها فى القلوب الكواتم
يرقرق أنداء العزاء على الاسى
ويضرم طورا خامدات العزائم

هذا هو الشعر وهذا هو الشاعر فى رأى المازنى ، وقد هيأ نفسه ان يكون منذ تخرج فى مدرسة المعلمين العليا هذا الشاعر المرموق ، واخذ ينقد مالا يراه متفقا مع مذهبه من أقوال الكبار من معاصريه ، جريئا غير هياب ، وكانت الوظيفة الحكومية حينئذ أثمن شىء يحرص عليه ذوو الدرجات الرسمية من خريجى المدارس العليا ، ولكن المازنى رأى ان حملة على الشاعر الكبير حافظ ابراهيم غيرت عليه نفوس رؤسائه فى وزارة المعارف ، فكانت تضحيته الاولى من اجل حريته الشعرية أن يستقيل من التدريس بمدارس الوزارة ؟ وان يلاقى مصاعب العيش فى التدريس الحر بالمدارس الاهلية التى لم تكن ذات اجر دائم أو مكافىء ، ولكن صاحب الرسالة الادبية شاء ان يكون حرا فى رأيه غير عابىء بغضب احد، وهى حرية ارهقت نفسه ، والقات

معاشه ، وكان هذا اول بلاء واجهه حين اعتنق مذهبه الشعرى الجديد !

اما البلاء الثانى فمعاداة الصديق الاثير ذى الميل المتفق .. والرأى المتشابه ، لقد كان المازنى يتصور أن خصومه سيكونون من مخالفى اتجاهه الشعرى ، وهو حينئذ لا يعبأ بهم ، اذ ان لكل وجهة هو موليها ، ولكن صديقه واستاذه وزميله فى آن واحد الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى قد قرأ شعر المازنى فوجد فى الجزء الاول من ديوانه قصائد مترجمة عن الانجليزية لم تنسب الى قائلها ، مع انه نبه المازنى اليها، واشار عليه الا يضمها الى ديوانه حين يهم بطبعه ، فكتب نقدا صريحا لصديقه ، نشره فى مقال ثم كرره فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ، والمازنى لا يعبأ بنقود خصم مذهبه التجديدى من شعراء البعث ومن يؤيد منحاهم الشعرى ، ولكن النقد حين يوجه من شاعر يؤمن به ، ويكتب المقالات النقدية فى تقدير ادبه ، فهو حينئذ لافتة خطر ذات ضوء باهر تنذر بالسقوط ! وليس المازنى رغم هدوئه الظاهرى بالذى يسكت عن الاذى مصيبا كان او مخطئا ، ولكنه انسان يفرح ويألم ويغضب ويعتب ويمدح ويهجو ، وقد رأى ان يرد على نقدات شكرى فقال فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه من كلام متصل .

« اما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الاول من ديواننا ، فقصيدة « فتى فى سياق الموت ، وهى ثمانية ابيات ولقد راجعنا قصيدة الشاعر ( هود ) فوجدنا فى قصيدتنا ابياتا ليست له ، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين ونبرأ الى الله من تعمد اخذها والاغارة عليها ، وقصيدة ( قبر الشعر ) وهى خمسة ابيات فكلها الى حظ أختها ، ولقد راجعنا الجزء الاول قصيدة لنميط عنه الاذى، وراجعنا دواوين الشعراء التى عندنا فلم نعثر على شىء من اجله اتهامنا بالسرقة الا ابيات فى ( رثية حسناء ) وهى « لشلى » والجزء الاخير من قصيدة ( أمانى وذكر ) وهو (لبيرتر ) واول هذا الجزء « ياليت حبى وردة » ولو أن ما اخذ علينا وما نبهنا القراء اليه من تلقاء انفسنا حذف ، لما انقص ذلك من قيمة شعرنا فان فى ديواننا الاول نحو الف بيت ، وليس ما اخذ علينا خيرها ولئن كان هذا دليلا على شىء فهو دليل « على سعة الاطلاع وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا اخواننا جميعا » .

هذا اعتراف صريح اضطر اليه المازنى ، دون ان يشفع له قوله « ولئن كان هذا دليلا على شىء فهو دليل على سرعة النسيان وسعة الاطلاع ، لان التعلة بالنسيان تكون فى تشابه معنى ، وتماثل فكرة ، أما ان تكون فى قصيدة مكتملة فالتبرير بالنسيان لا يكفى .

## ● خصومة اليمة

لقد يقوم الانسان على حرب لا مفر منها ، وهو فى اعماقه يلعن ظروفها واسبابها ، وهذا الشعور وحده يجعله كالنادم فى كل اصابة يوقعها بغريمه ، وهكذا اضطر المازنى الى ان يشن الحرب النقدية على شكرى ، وهى حرب شاقة عسيرة ،لان شكرى زميل الاتجاه الفكرى ، ورفيق المذهب الشعرى ، واذا كان الهجوم على شوقى وحافظ له اسبابه الداعية من اختلاف وجهة النظر بين شعراء البعث وشعراء الديوان ، فكل مايوجهه المازنى الى شكرى هدم لما اشتركا معا فى بنائه ! ان الرجل يسير على الشوك فى هجومه على صاحبه ، ولن يستطيع السكوت ازاء رميه بالسرقة ، لاسيما ان شكرى كرر الصيال فى مجلة



# المازني يتبرأ من شعره

المقتطف مرة ثانية ، وهبت مقالات الشامتين تشنع بالمازني ، وكان عجيبا ان يصدر كتاب الديوان ، وبه مقال للمازني عن شكري تحت عنوان ( صنم الالاعيب ) وموضع العجب أن الهجوم على شكري تحطيم لكل ما تقدم به المازني والعقاد معا من اراء جديدة في الحقل الشعري ، والمهمة كما قلت عسيرة ، ولكن الغضب مؤرث الافتيات ، ومن هذا الافتيات الظالم قول المازني ان شكري قد تكلف لجهله مالا يحسن اذ اراد ان يكون شاعرا وكاتبا من الطراز الاول ، وظن ان الاجتهاد يغني عن الاستعداد فلا هو بلغ الى درجة مما طمع فيه ولا هو قنع بميسور العين ، ولا تقول ان شكري مجنون ، ولكننا نقول انه متجه الى هذا الجنون وان فكرته مالئة لجوحياته ، والخوف منه منغص عليه كل لذاته .

وهكذا دار هجوم المازني في اكثره حول شكري لا حول شعره ، واذا كنا نعرف عن شكري شدة الانفعال وضيق الصدر فقد تاثر بهجوم المازني تاثرا ادى الى الاعتزال الادبي حقبة طويلة، فقضى اكثر من سبعة عشر عاما في اوج مقدرته الذهنية ، وقسوته العاطفية لا يكتب ولا ينظم ، وهو معروف بشدة مراقبته لنفسه ، وتحليله لشاعره ، وقد افصح عن هذه المشاعر في قصيدة رائعة عدها الاستاذ العقاد من اقوى ما قيل في الشعر العربي بعامة ، اذ انحى شكري على نفسه باللائمة كما انحى على صديقه ، واعترف بنوازعه الشخصية التي لم يستطع أن يسلم منها حين كرر الهجوم على صاحبه ، ولم يرحم زلته الادبية حين اخذ كلام سواه ، وجمال شكري الرائع في صدقه الخالص من كل شائبة ، لان هذا الصدق الرقيق أتاح له أن يصور النفس الانسانية في شتى اتجاهاتها تصويرا بارع الريشة محكم الاداء ، كما يرسم الضعف الانساني لدى البشر عامة حين تتحكم العاطفة السريعة في موازين العقل فيشتعل الضرام اتيا على اعواد ناضرة تحمل جمال الزهر ، وعبير الروض . يقول الاستاذ عبد الرحمن شكري منصفا :

حنوت على الود الذي كان بيننا
وان صد عنه ما جنينا على الود
ولا اكذبن الناس قلبي كقلبه
له اثة ميل عن النصف والقصد
كلانا جنى شرا فعاد اخاؤنا
محالا حكى ذكرى الشباب على بعد
ايلتئم الصخران في اليم بعد ما
تردد موج اليم بالصدع والهد
وكنا على ما كان من قرب الفس
كذهرين في وادي الغضارة والورد
هو البغض مثل الحب لحظ فمنطق
فنار لها بين الاضالع كالوقد
فياليت اني قد غفرت جفاءه
ونبوته حتى يصد عن الصد

والحق أن المازني منذ اعتزل شكري مجال الادب ، كرر اعتذاره في مقالات شتى ، واكد اعترافه بسبق شكري ، بفضله في توجيهه الادبي وقال فيما قال عنه : ومن طول ما عرفته ، وفرط ما ملات نفسي به صرت على البعد والقطيعة استطيع ان استوحيه ، فكاننا ما تباعدنا

ولا تجافينا ، ولقد تنمرت له وغدرت به ، ولكني والله ما كرهته ولاانطويت له في احلك ساعات النقمة الا على الود والاكبار .

وقد كان في مثل هذا التودد ما يجر الى الصفاء بعد الجفاء ولكن شكرى استبعد ان يلتئم الصخران في البحر بعد أن يصدعهما الموج بضرباته المتتالية فيحدث الانشقاق ، وهكذا نظر المازنى في أمره مع صديقه فعرف ان الشعر كان سبب القطيعة ، فكان عاملا اخر من عوامل هجره ، واتجاهه الى فن سواه

## ● أعباء الحياة

يحتاج الشعر الرائع في نظمه الى تؤدة واستقرار ، فاذا كانت الانفعالات النفسية ، والخواطر الوجدانية مما يتدفق في نفس الشاعر، فان صياغة هذه الخواطر الرائعة لدى شاعر كبير كالمازنى يحتفل بالبيان الرصين ، والفصاحة السلسة الشفافة ، تتطلب هدوءا واتئادا ، وقد كان المازنى قبل ان تزحمه أعباء الاسرة الكبيرة يملك هذا الهدوء ، فنظم ديوانين كبيرين نسبيا ، ولكنه مع زحمة الحياة ، وضرورة الكسب اخذ يرهق نفسه بالكتابة في الصحف ليعيش ، فهو يكثر من المقالات والقصص في الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ، ولا يكاد مع هذا الجهد الجاهد الىهذا يبلغ كثيرا مما يريد،يقول الدكتور احمد أمين في معرض رثاء المازنى « لقد ظل يحمل مشعله ، ويؤدى رسالته زهاء أربعين عاما ، يغذى الفكر العربى ويرهف شعوره ، وهو في ذلك لا يمل ، ولا تكاد تفتح عينيك كل يوم من غير ان ترى مقالا لا ينشره او كتابا ، ولذلك كان دائما مضطرا يكتب ليعيش وتعيش اسرته ، يعانى المرض والالم ويحس الحاجة القصوى الى الراحة ، وأنى له هذا ، والعيشة لا ترحم ، والحكومة لا ترحم، والاغنياء لا يرحمون ، تتدفق الاموال على الراقصة الخليعة ، والمغنى المهرج ، ويعيش الاديب عيشة سوداء كحبر قلمه ، ومن مجرى ضيق كشق قلمه»: ومن كان في هذه الدوامة الهائلة فله العذر أن ينفض يده من التصيد.

على ان المازنى كتب عدة مرات عن مهزلة الخلود الادبى وكيف اعتقدها في بدء حياته الفكرية وسعى اليها جاهدا ، ثم مضت الايام وخلود الذكر وهم يتراءى دون ان يكون حقيقة واقعة ، لان ذاكرة التاريخ تطمس اكبر الجهود ، ومن تسمع بذكره وترداد اثاره لا يجاوز معشار من يغمرهم النسيان ، بل ان المأساة كل المأساة ان تسمح ذاكرة الزمن احيانا بذكر الخامل على حين تسحب ذيل العفاء على النابه المطبوع من اساطين البيان فالخلود اسطورة – في رأى المازنى – حاكها الادباء لانفسهم ، وكثر تردادها حتى كأنها حقيقة : اما المازنى فقد عرف في السر الخالص ، وتحدث عن نفسه حين قال يرثى ذاته .

أراد خلود الذكر في الارض ضلة
فاورده النسيان شر الموارد
فلا تندبوه انه ليس بالاسى
حقيقا ولا اهل الهموم العوائد
وخلوه للديدان تأكل لحمه
وذاك لعمرى خطب كل البوائد

هذه بعض العوامل التى دفعت المازنى الى ان ينكر شاعريته معلنا ذلك لقرائه : ولكن السؤال الذى يجب ان نسأل المازنى عنه هو : أصحيح انه يعتقد في أطوائه انه غير شاعر ؟ وهل يجوز له ان يصدر حكما تلسوم الحيثيات القاطعة على نفيه القاطع ؟ وديوانه الرائع دليل هذه الحيثيات !!

# العالم في سطور

## نيويورك

● ستنج .. المطرب الذى يكره جيمس بوند

فى عالم الغناء الغربى ، لكل موسم مطربه الذى يلمع فيه بسرعة .. ثم يخبو ويختفى أيضا بنفس السرعة التى ظهر بها .

ومطرب هذا الموسم هو ستنج الذى أصدر البومه الثالث هذا الشهر تحت عنوان « لا شيء اشبه بالشمس » وقد لا يكون ستنج هو وحده اللامع هذا العام .. ولكنه أحد الأذكياء الذين يفهمون لغة الشهرة التى تلحق بمطرب لا يلبث أن يذوب فى الظل كما يأتى غيره مكانه .. ولذا فقد حصر نشاطه خلال الاعوام الماضية فى السينما فعمل فى أفلام مميزة لم يغن فى أحدها أغنية واحدة . بل نوع ادواره وكأنه ليس ذلك المطرب المجنون الذى يملأ قاعات الغناء بالضجيج والحركة وأيضا العنف على طريقة الفرنسى جونى هاليداى .. حيث عرض أخيرا أحدث أفلام ستنج فى اطار مهرجان كان تحت عنوان « يوم الاثنين العاصف » ..

لاتنبع أهمية ستنج فى أدائه الجيد المتميز ولا فى شعبيته الساحقة التى يحققها مع كل البوم فنى جديد .. ولا مع ارتباطه كعازف ومطرب للعديد من الفرق المشهورة مثل الخنافس ورولنج ستون .. بل تتركز أهميته فى الحصيلة الثقافية التى استطاع الحصول عليها . ففى سن الثامنة عشرة درس الأدب



ستنج

الانجليزى فى جامعة واروبك . ولم يصب بالهوس تجاه مطربى الفرق الغنائية قدر جنونه واعجابه بأدب د . هـ . لورانس ، وجيمس جويس .

عمل ستنج فى العديد من المهن البسيطة قبل ان يتجه الى العزف والغناء وهو فى الخامسة والعشرين من العمر . سجل ألبومه الأول عام ١٩٧٨ ، وعقب اصداره ألبومه الثانى عام ١٩٨٠ رحل فى جولة غنائية فى الشرق الأوسط وبعض دول آسيا ثم مالبثت السينما أن اختطفته ومنحته مليونى دولار عن كل فيلم من افلامه الخمسة . وقد رفض أن يؤدى شخصية جيمس بوند قائلا : احب ان اكون موتسارت ، أو بولجاكوف .

## باريس

● حركات إنسانية سامية

في مقال جذاب نشرته مجلة «يوليس ٢٠٠٠» تحت عنوان «الخالدة» حول الرقص الإيقاعي كشفت المجلة – ان حركة الجسم الانسانى تكون في اسمى معانيها عندما تكون في حالة رقص وقد وقع هذا بتسمية الراقصات والراقصين بالخالدين .

وتقول المجلة برغم ان التاريخ قد عرف ملايين الراقصين والراقصات الا ان القليلين هم الذين أجادوا أحداث الحركة بشكل اعجازى مثل الفنانة الايطالية ماريا تاليونى ، وكارلوتا جريزى .. والبريطانية ايـزادورا دنكان .

وترى المجلة ان الرقص الفردى الذى كانت ترقصه هؤلاء الفنانات قد رفع من هذا الفن الى معانى اكثر سموا بعيداً عن الحس الجسدى مثلما فعلت الراقصة آنابا فلوفا في

درس في الرقص لوحة ديجا ١٨٦٢



باليه «البجع الميت» وقد دفعت هؤلاء الراقصات الدول الى انشاء معاهد لتدريس هذا الفن وأصبح في كل مكان بالعالم المتحضر معاهد متخصصة وخاصة معاهد الباليه .

وتقول المجلة أن هذا الفن قد أدهش العديد من الفنانين التشكيليين الذين خصصوا ريشتهم لتصوير حركة الجسم البشرى بأسلوب سام راق ومن ابرز هؤلاء الفنانين تولوز لوتريك وديجا صاحب اللوحات العديدة مثل «درس في الرقص» .

وتؤكد المجلة على ماتقول بأن الجسم الانسانى عندما تدب فيه الشيخوخة . فإنه لا يتحمل الحركات الايقاعية ولذا فإن أعمار الفنانين قصيرة .. وعلى عجلة الحياة ان تدور دائما ..

## برودواى

● الكوميديا الموسيقية في المقدمة

«خط الكورس» .

هو عنوان المسرحية الاستعراضية التى اثبتت ان الكوميديا الموسيقية لا تزال في القمة .. وانها لم تنته كما يدعى البعض بل إن احد النقاد قد ذكر أن هذه المسرحية الموسيقية قد كتب انها اكثر العروض جاذبية التى عرضت فرق مسارح برودواى ..

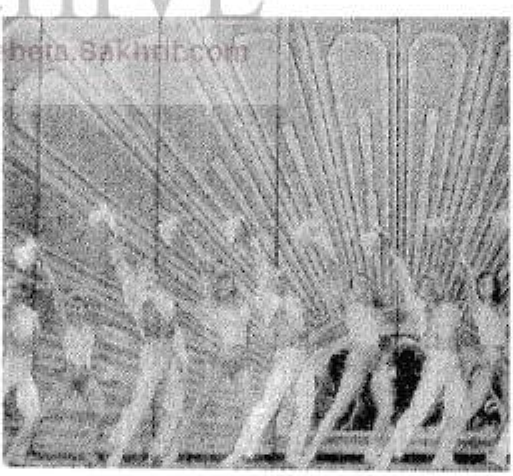
في الشهور الأخيرة طافت الفرقة المسرحية التى تمثل هذه المسرحية ببعض الدول فحققت نفس النجاح الذى تحققه طوال ثلاثة عشر عاما في نيويورك . ومن هذه الدول : كندا ، فرنسا ، استراليا ، اليابان ، الأرجنتين ، نيوزلندا .. الـخ .

بدأ عرض المسرحية لأول مرة في مسرح صغير – ابريل ١٩٧٥ – لا يسع اكثر من ٣٠٠

مقعد ضمن مسابقة مسرحية تسمى مهرجان شكسبير .. وفازت المسرحية بالجائزة الأولى فى هذه المسابقة .. ثم فازت بجائزة بوليتزر المخصصة لمثل هذه العروض كما فازت بجائزة النقاد . وصاحب كل هذه الجوائز اتساع فى دوائر المشاهدين والمسارح التى تعرضها . فحققت ايرادات وصلت الى ١٨ مليون دولار على مسارح برودواى . اما العروض التى تمت خارج الولايات المتحدة فقد حققت ٣١ مليون دولار . هذا بالاضافة الى تحويلها عام ١٩٨٦ الى فيلم سينمائى ضخم اخرجه ريتشارد اتينبره - مخرج فيلم غاندى - وقام ببطولته مايكل دوجلاس - الفائز بأوسكار احسن ممثل عام ١٩٨٨ - وقد تنازعت على انتاج هذا الفيلم ثلاث شركات سينمائية ضخمة - فرصد له ٢٥ مليون دولار - لكن الفيلم لم يحقق نفس النجاح وبينما اختفى الفيلم فاذا بالمسرحية تنتقل من مسرح لآخر ومن مدينة لمدينة .

وتجىء أهمية حدوتة هذه الكوميديا الموسيقية انها تضم فى احداثها حكايات عديدة لغجر ، وزنوج ، وثوار ، ويهود ، وبنات ليل .. وقد تغير طاقم العاملين بها اكثر من مرة منذ عرضها اول مرة حتى الآن .. حيث انها تستدعى وجود راقصين مهرة من الشباب يرقصون طيلة العرض .

خط التويس



## بكين

### ● الموسيقى ... لغة البشر الأولى

تستعد فرقة الاوبرا الرسمية فى الصين هذه الايام للاشتراك للمرة الثالثة بعرض اوبرالى فى مهرجان الربيع المقرر اقامته بباريس فى شهر سبتمبر القادم . كانت المرة الاولى التى اشتركت فيها الصين فى هذا المهرجان هو عام ١٩٨١ . اما فى المرة الثانية فقد لفتت الفرقة الانظار بعرض اوبرا «الاحلام الثلاثة» المستمدة من التراث الشعبى الصينى ..

وتروى هذه الاوبرا حكاية عازف ناى يقص على مجموعة من الحاضرين مرثاة اسرة صينية تكافح من اجل تامين غد أفضل لأعضائها . أما المجموعة التى تستمع هذه المرثاة منهم من الموسيقيين الذين يشتركون بدورهم فى الغناء فى خلفية الأحداث .

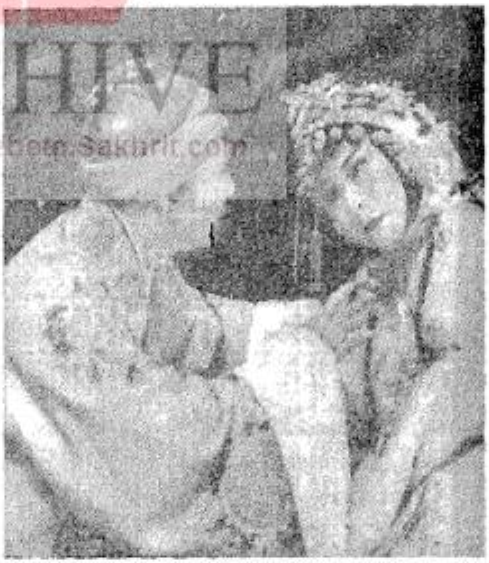
كتبت احداث الأوبرا كاتبة تسمى السيدة لو . وقد سمعت حكايتها - وهى صغيرة - على لسان ابيها الذى كان يرويها لجيرانه ،

ويدفعهم للغناء مثلما يفعل الراوى فى القص المكتوب «كنت أرى النساء يعزفن الايقاع فوق المائدة بأصابعهن الطويلة لم اكن افهم كلماتهن ، ولا العبارات المكتوبة . ولكننى كنت احس بشىء مهيب يخرج من أعماقهن ، شىء كأنه الشعر . وكأنه قادم من السماء » .

وتقول الكاتبة ان نجاح هذه الأوبرا فى فرنسا يعود الى ان الموسيقيين الصينيين قد استخدموا التونات الأربعة المعروفة فى الموسيقى . وخاصة ان المطرب الصينى قد تدرب على الغناء بهذه التونات فأصبح كأنه مجموعة الات موسيقية . او اوركسترا متكامل ينوع فى نغماته حسبما يشاء .. وحسبما تستدعى الضرورة .

من المعروف ان مهرجان الخريف مخصص لعروض الأوبرات القادمة من العالم . ومهما اختلفت اللغات الشادية ، فإن هذا المهرجان يؤكد أن الموسيقى هى اللغة الأولى التى يفهمها البشر مهما تعددت السنتهم .

الاحلام الثلاثة .. اوبرا من الصين



● الفينيقيون سبقوا
لفنون العشرين

أحدث المعرض الذى يقام فى فينسيا هذه الأيام ضجة كبيرة بين الفنانين ونقاد الفن التشكيلى ، ليس لأن المعرض استغرق اعداده قرابة ربع قرن . بل لأن الجميع اكتشف ان فنون القرن العشرين لم تكن ابدا طليعية مثلما يتصور البعض وانها ليست سوى محاكاة للفنون القديمة خاصة الفن الفينيقى .

فمنذ اكثر من ربع قرن داب الباحث الاثرى ساباتينو موسكاتى فى البحث عن مجموعة من الاثار الفنية التى تركها الفينيقيون فى قبرص وأسبانيا وسردينيا وصقلية ولبنان .. مؤمنا بما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية فهى أول من ابدعت الحروف الهجائية قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا . واستطاع موسكاتى أن يجمع مجموعة من التحف الأثرية النادرة التى ابدعها الفنان الفينيقى ترجع الى قرون مختلفة من هذه الحضارة . واثناء بحثه كان لا يكف عن التعمق فى معرفة التاريخ والحضارة الفينيقية . وتابع رحلات الفينيقيين فى حوض البحر المتوسط . فوجد انهم تركوا آثارهم فى جميع دول منطقة الحوض ..

ويعود زمن المقتنيات التى عرضت فى مقر جراسى بفينسيا بين القرنين الخامس عشر والسادس قبل الميلاد . وقد تميزت هذه التحف عن تحف أخرى تعود الى الحضارة اليونانية والرومانية بأن الفنان الفينيقى قد حطم المقاييس المألوفة المعروفة بنظرية الالتزام بالابعاد الثلاثة ـ الطول ـ العرض ـ العمق ـ التى التزم بها الفنان الفرعونى واليونانى والرومانى ..

وقد تم العثور على مجموعة من التماثيل يكاد يخيل لمن يراها انه امام مجموعة فنية

للفنان المعاصر جاكومتى ـ انظر الصورة ـ وذلك من حيث تفريغ الجسم البشرى من محتواه . واطالته بشكل يلفت النظر . واذا كانت تماثيل جاكومتى مصابة بانحناء دائم ، فإن التماثيل الفينيقية ممشوقة القوام بشكل ملحوظ . وقد اكتست ملامح هذه التماثيل بحزن ياد تكشف عن العلاقة الوجدانية التى تربط بين الفنان وابداعه ..



## روما

### شرعية .. اللوحات المزيفة

نشرت مجلة "بانوراما" الايطالية مقالا طريفا يحمل عنوان "لماذا اللوحات المزيفة" اشارت فيه إلى أن تزييف اللوحات الفنية المشهورة أصبح عملا مشروعا فى السنوات الأخيرة طالما أن الفنان الذى يقوم بهذه العملية يشير صراحة الى أن أعماله مزيفة .. وذلك بمناسبة أول معرض من نوعه فى العالم بمدينة روما اشترك فيه ٣٠٠ فنان بلوحاتهم المزيفة .

ابرز ماجاء على لسان الفنانين المزيفين انهم يسعون لاقامة نقابة تطالب بحقوقهم الفنية والادبية فهم فى المقام الأول فنانون جيدون . ولن يحقق أحد منهم قط شهرة اى من الفنانين الذين يتم تزوير بعض لوحاتهم .

ويقول البعض الآخر من الفنانين المزيفين انهم نساخون للوحات المشهورة وليسوا مزيفين بالمرة طالما أنهم يكشفون عن هوية اعمالهم . ومثلما ارتفعت ارقام مبيعات اللوحات الاصلية . فقد ارتفعت ايضا ارقام مبيعات ـ وايضا أسعار ـ اللوحات المنسوخة .

وقد كشف هذا المعرض عن هوية اللوحات التى يمكن استنساخها . فأكثر الفنون الحديثة لاتلقى اعتبارا لدى المستنسخين . فهم يهتمون باستنساخ اللوحات غير المشهورة لفنانين كبار مثل شاجال ، وموديليانى ، ودى كريكو ، وفان جوخ وجوجان .. ولا يسعون قط الى اللوحات الضخمة المعروفة مثل اعمال دافنشى ، وسيزان ، ورينوار وآخرين ..

كما اكشف هذا المعرض ايضا أن استنساخ اللوحات الفنية يتطلب دقة شديدة ليس فى التنفيذ . بل فى إختيار اللوحة . والألوان . والقماش . ثم اختيار الوقت المناسب لعرضها مثل اقامة معرض لفنان مشهور أو مزاد لاحدى اللوحات ..

ويرى فانى ديلفرانكو أشهر مستنسخى اللوحات أن المستقبل لزملائه فى عصر أصبحت الدقة تنقص الفنانين المشاهير .

## برلين

### الموسيقى ليست تسلية

حول الموسيقى فى المانيا خصصت مجلة « اللقاء » عددا خاصا جاء فيه ان ابرز ما نلاحظه فى الموسيقى الالمانية انها عبرت طوال العصور الماضية عن روح الامة · وعن ضميرها ولقد كان رجال الموسيقى الالمان يجمعون بين الفلسفة والفكر والابداع · وقل ما نجد منهم احدا عمد الى التاليف بدافع اللهو والتسلية · وكانت الموسيقى الالمانية فى القرون الوسطى واقعة تحت تاثير الشعراء المغنيين الرحالة الفرنسيين الذين كانوا يعرضون فنهم فى القصور ، بينما ساد فى الاديار انذاك ترتيل مقتبس من التراث البيزنطى ·

وقد استمر عهد موسيقى الرومانتيكية الى عتبة القرن العشرين · وانتهى باعمال فنانين كبيرين فى مجال الاوبرا هما ريتشارد فاجنر ، وشتراوس · ومع بداية القرن العشرين صارت برلين مركزا للابتكار والتجديد وارتبطت الموسيقى بالسياسة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ·

اما موسيقى التسلية التى عرفت فى المانيا بشكل مكثف بعد الحرب فقد جاءت من الولايات المتحدة الامريكية وهى موسيقى الجاز والروك · وقد أصبحت هذه الموسيقى عنصرا ثابتا فى عروض المانيا الثقافية · وقد اثرت هذه الموسيقى فى المانيا وغيرت من نمط النشاط الموسيقى تغيرا كاملا وعبرت عن مشاعر الشباب وتمرده خاصة فيما يتعلق بثورة الشباب عام ١٩٦٨ ·

وفى الفترة الاخيرة لعبت الشرائط والاسطوانات دورا فى ادخال كافة انواع الموسيقى الكلاسيكية والحديثة الى البيوتات الالمانية ·

## موسكو

### ● موسيقى البيروسترويكا

شن يورى كوريف رئيس تحرير مجلة الموسيقى السوفييتية هجوما عنيفا عن أحوال الموسيقى فى الاتحاد السوفييتى فى الفترة الاخيرة ·· أو ما أسماه بتخوم البيروسترويكا ·

ويرى أن من اسهل الامور « أن نعزى كل التقصيرات الى الاتجاهات السلبية العامة التى ظهرت فى الماضى القريب ، وبخاصة قيادة الفن البيروقراطية ولكن الاصح هو أن توجد اللاحظات الانتقادية لانفسنا ·· لان ذلك كله يتوقف علينا · وعلينا وحدنا · وأعنى هنا ان نقبل أو لانقبل فى منظمتنا عشرات جدد من الملحنين والاختصاصيين بعلم الموسيقى · حتى ولو كانوا « من حملة الشهادات » ، ولكنهم فى نفس الوقت غير موهوبين وأعمالهم غير ناضجة ·

ويرى كوريف ان التغلب على المصاعب التى واجهت الموسيقى السوفييتية فى الفترة الاخيرة يتم من خلال السبل الابداعية · واعادة البناء فى اتحاد الملحنين السوفييت واقامة الصلات والتفاهم بين الموسيقيين واقامة الاحترام المتبادل ·

# سر الصوت القادم من الأعماق

بقلم : محمود قاسم

**للارض جاذبيتها وللبحر خريره**

**ولخرير البحر تاثير خاص على كل من اعتاد سماعه . فهو يسرى فى الاذان . كما يسرى فى الوجدان . يذوب مع الدماء . ويتحول الى جزيئات منها . فيصعب التخلص من سيطرته . انه يصاحب الانسان اينما ذهب . يشده اليه مهما ابتعد ...**

**وخرير البحر هو بطل ملايين الحكايات . ذلك الصوت الدافىء الذى يمكن للمرء ان يسمعه بوضوح قبيل الغروب . بعد ان تهدأ الامواج ، وتندفع الواحدة وراء الاخرى ناحية الشاطىء فتتكسر على حافات الرمال كى تعاود الرحيل مرة اخرى .. لكن لا مفر .. فلابد لمن عشق البحر أن يعود اليه . ولابد من ادمان سماع الخرير ..**



وهذه العلاقة الغريبة الابعاد بين الانسان والبحر ، والتى بدأت منذ أن عرف الانسان المياه الجارية وسجلها الفنان فى أعماله خاصة الاديب ظلت لغزا سرمديا لا يمكن لانسان أن يحل معادلته الصعبة لكن عليه أن يمثل لبنودها فعشق البحر كعشق المرأة · لكل منهما متعته وعذاباته ·

واذن الانسان اشبه بالمحارة الضخمة فعندما تسمعها ـ اينما كانت ـ فانك لابد سامع خرير المياه بداخلها · كأن البحر أسلمها كل أسراره ·

وقد قدم الانسان العديد من صور ولائه للبحر · فقذف اليه بالقرابين وأحبه فى ثورته وهدوئه · وتاق الى الحل المجهول من الغازه · ورغم التطور التقنى الهائل الذى وصل اليه الانسان ، فانه لم يتمكن حتى الان من فك لغز ذرة رمال واحدة من

ألغاز البحر اللانهائية · من سطحه وأعمـاقه وقد تباينت علاقة الكاتب المبدع بالبحر ، فقد وقف البعض يرقب الأفق · ويتطلع الى قرص الشـمس الساخن الذى يطفىء لهيبه يوميا فى مياه باردة لا نهاية لها · ويأمل دوما أن يغوص فى المجهول دون أن يجرؤ على لمس أطراف المياه · فهذا النوع من الكتاب لم يسع أن يبللقدميه مثلما يفعل قرص الشمس · بل وقف يراقب ما يدور على الشـاطىء · واختـار أن يطبق المثل القائل : « امش سنة ، ولا تخطى قنا » وقد بدأ هذا الفنـان معجبا بما يدور على الشاطىء · ولان الســاحل واسع فخرير المياه ينخر بشدة فى مسامعه · من هؤلاء الادباء



وصالح مرسى ، وديتو بوتزاتى ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويركيو مشيما وآخرون .

• علاقة باللغة الوضوح

ففى اقصوصة « السيد كاف » لدينو بوتزاتى تبدو علاقة الانسان بخرير البحر باللغة الوضوح . فالصبى الصغير الذى أبعده أبوه عن البحر خوفا من المخلوق البحرى «كاف» كان يسمع خرير المياه وهو يعيش فى المدن الداخلية اكثر . ووجد نفسه مرارا يركب القطار عن غير ارادته . كى يقف فوق صخرة عالية يرقب كاف . ويستمع الى الخرير .

اما كينو فى رواية « اللؤلؤة » لجون شتاينبك فقد عثر داخل صدفة مشبعة بالمياه على لؤلؤة ضخمة شكلت بالنسبة له الحلم الطوبوى الذى عليه تحقيقه .. ولكن متاعب اللؤلؤة تزيد عن مزاياها ، فيقرر أن يلقيها مرة اخرى من حيث جاء بها .

ورغم أن روبنسون كروزو قد ركب البحر فى رواية دانييل ديفو ، فانه اختار أن يبقى ثلاثين عاما فوق الجزيرة المطلة على البحر ، لا يخرج كثيرا عن حدود رمالها الصفراء .. واثر البقاء داخل هذه الجزيرة يصنع عالمه الخاص الذى لم يشاركه فيه أحد طوال سنوات . حتى جاء أكلو لحوم البشر الذين يسكنون جزيرة قريبة بفتى أنقذه من أيديهم وأسماه جمعة . ثم جاءت سفينة لنقل روبنسون الى بلاده ومن هؤلاء أيضا الانجليزى ويليام جولدنج الذى صنع جزيرة خيالية عاشت عليها مجموعة من الاطفال حولوا هذه الجنة الى يوتوبيا مضادة فاقاموا الديكتاتورية وقتل بعضهم البعض مثلما يصنع الكبار حتى جاءتهم النجدة فى « آلهة الذباب » .

وبطل رواية « للزمن بقية » لمحمد عبد الحليم عبد الله يحلم دوما أن يهجر المدينة عبر سفينة تجتاز به المياه الى حلم طوبوى لا يلبث ان ينهدم عندما يكتشف أمره ..

• صوت جنية البحر

الفرع الثانى الذى ارتبط بأدب البحر ، هو ان البحر ظل بالنسبة لمجموعات كبيرة من البشر التى تعيش على شاطئه بمثابة مصدر رزق أساسى . فيركبونه كى يأتوا منه بالخيرات . سواء كانت سمكا أو مخلوقات بحرية . ومن أشهر هذه النماذج التى تحدثت عن هذا النوع من العلاقة ارنست همنجواى ، وصالح مرسى ، وحنا مينا .

ففى رواية « العجوز والبحر » لهيمنجواى يرحل رجل مسن الى رحلة صيد . وبعد أن أصابه الفشل نيفا وثمانين مرة فى شق عباب البحر واخراج بعض من أسماكه . ويصف الكاتب هنا ـ مثل أغلب الكتاب الذين كتبوا فى هذا المجال ـ حياة الصيادين بدقة شديدة كأنه واحد منهم وخاصة ما يتعلق بحرفتهم وعلاقتهم الازلية بالمياه . فالعجوز استطاع أن يقيم علاقة وجدانية مع سمكة القاروص الضخمة التى أمكن أن يعلقها فى صنارته بعد ثلاثة أيام من الصراع المتبادل بين الطرفين . امتلأت بالمعاناة والاجهاد والحب . وقد جاءت أهمية هذه الرواية فى المعنى العظيم الذى تضمنته فبعد أن انتصر على قاروصته العنيدة . يفاجىء الصياد ان سمك القرش يهاجم سمكته وينال منها .. ويعود الرجل الى الشاطىء يجر هيكلا لسمكة ضخمة مثيرا سؤالا هاما : هل انتصر العجوز فى رحلة الصيد .. أم عاد مهزوما ؟ .

وفى رواية « صوت جنية البحر » ترجمت الى اللغة العربية تحت عنوان « الحب الاول » ـ للكاتب اليابانى يوكيو ميشيما تقع الاحداث فى احدى قرى الصيد اليابانية حيث الجو مفعم بملوحة البحر وبرائحة حبال السفن ، وبدخان النيران • وفى موسم صيد سمك « الحبار » يتعرف الصبى شنجى على الصبية هاتسو التى يرسلها أهلها الى الجزيرة لتتعلم كيفية الغوص والبحث عن اللؤلؤ •• كما ذهب الصيادون أيضا للبحث عن أسماك الحلزون الباهظ الثمن •

وقد عبر حنا مينا عن هذا العالم من خلال علاقة صياد بعالمه الضيق وهو يهرب من العدالة فى روايتيه « الياطر » والشراع والعاصفة » كما عبر عنها الكاتب الجزائرى « الطاهر وطار » فى روايته « الحوات والقصر » رغم انها شكلت العديد من الرموز الاجتماعية والسياسية •

## ● الرجل والحوت

اما النوع الثالث من هذا الادب • فهو مكتوب بأقلام ادباء ركبوا البحر بأنفسهم وعملوا فى مهن البحر سنوات عديدة • فاستطاعوا حل العديد من الغاز البحار وعشقوا المياه •• والطيور البيضاء السابحة فوق الاسطح من أجل التقاط أسماك عابرة •• وقد خصص هؤلاء كتاباتهم عن هذه التجارب الفريدة • وأشهر هذه الامثلة فى الادب العالمى : جوزيف كونراد ، وهرمان ملفيل •

وحياة جوزيف كونراد • على سبيل المثال ـ تنقسم الى قسمين : الجزء الاول يمتد من عام ١٨٧٥ الى عام ١٨٩٤ ويسمى بسنوات الابحار ، اما الجزء الثانى فقد امتد من ١٨٩٥ وحتى وفاته ١٩٢٤ • وتسمى بسنوات الارض حيث توقف عن الابحار • لكنه لم يقطع علاقته بالبحر قط • ففى الرحلة الاولى ركب كونراد كل بحار العالم فوق عشرات السفن وامتهن العديد من مهن البحر • وفى هذه السنوات لم يكتب كونراد كلمة واحدة • الا انه فى أعوامه الارضية راح يحن الى البحر بشكل جنونى ولانه لا يمكن أن يركبه من جديد فقد راح يجتر ذكرياته عنه • ويبدع قصصا تدور على متنه • مثل قصة البحار « لورد جيم » الذى لاقى فشلا دائما فى مهنته •• ورضى يوما ان يقود سفينة عليها عشرات الحجاج ، لكنها غرقت وماتت ركابها • فاصابت الربان حالة من الندم الشديد •• وهناك روايات اخرى حول البحر منها « حد الجزر » و « نوسترومو » و « قلب الظلمات » •

أما الكاتب الثانى الذى ركب البحر لسنوات فهو الامريكى هرمان ملفيل ، انه نسخة مشابهة من كونراد • وقد عاش قبله تجربة العمل فوق البحر لسنوات طويلة • وحول حياته فوق المتن كتب روايته « بيللى بد » عن بحار شاب يتعرض لقسوى قهر من قبطانه • ثم هناك روايته المشهورة « موبى ديك » •• وهو اسم حوت ابيض ضخم هتك ساق بحار ذات رحلة فاقسم أن يبحث عنه ويقتله •• ويكرس البحار اعوام سنوات طويلة من حياته للبحث عن حوته ويتعلم مراسيم عتيدة لهذا اللقاء المهيب والذى يدفع حياته ثمنا لهذا التحدى •

## ● خفايا •• الفك المفترس

اما النوع الرابع من الكتاب فلم يختاروا فقط ركوب البحر أو التطلع اليه من الشاطىء والتمتع بما يدور فوق سطحه الهادىء غالبا ، الشاعرى دوما • الثائر فى بعض الاحيان • بل ان هؤلاء الادباء اختاروا الغوص

في مياه المحيطات الى أغوار سحيقة حيث الغموض والاثارة في أماكن لم يطأها البشر من قبل . يبحثون عن التواصل مع هذا الكون المجهول . ويخرجون من احشاء المياه دررا فنية وكنوزا أدبية . وهذا النوع هو أصعب ما يكون بالنسبة للكاتب . لان كتابا عديدين لا يميلون الى خوض التجربة ، خاصة الغوص في الاعماق . ومن الواقع المدروس فان جول فيرن لم يغص داخل الاعماق لكن ما حدث في رواية « ٢٠ ألف فرسخ تحت الماء » كان نتيجة لقراءات متعددة حول البحر واسراره . لان فيرن كان دائم الاستعانة بثقافاته المستمدة من قراءاته . ومن المعروف أنه لم يركب البحر سوى مرة أخرى .. ولذا فقد امتلأت رواياته بالكثير من الاخطاء العلمية مثل تصوير الاخطبوط على أنه حيوان بحري شرير يهاجم السفن والبشر وهو أمر غير واقعي .

وفي رواية « صوت جنية البحر » ليشيا غاص شنجي داخل الاعماق يبحث عن الاسماك والاصداف .. وفي هذه الرواية بدا الكاتب عاشقا لاغوار المحيط من خلال قراءاته ومشاهداته لافلام حول الاعماق دون أن يغوص بنفسه داخل المياه .

الكاتب الذي غاص فعلا في البحر هو بيتر بنشلي صاحب روايات عديدة تدور أغلبها في الاعماق . واذا كان بنشلي قد اهتم في روايته « فكاك » المعروفة باسم « الفك المفترس » بتصوير سمكة قرش ضخمة غير موجودة في الواقع يمكنها أن تلتهم البشر وتفسد على المصطافين متعتهم . فصاغ حكاية مثيرة حققت أضخم المبيعات كرواية وفيلم سينمائي



جوزيف كونراد

فانه في بقية رواياته : « أعماق » ، « جزيرة » ، « حسناء جزيرة كورتيز » أخذ يصف مخلوقات البحر المتعددة بدقة شديدة لا يمكن لمرء أن يفعله دون أن يكون قد غاص فعلا بكل جسده ووجدانه داخل الاغوار السحيقة . وقد وصل شغف الكاتب في هذه الروايات بوصف الاعماق أن هذا الاعجاب قد جاء على حساب الحكاية الدرامية التي يهتم بها في العادة الكتاب الامريكيين المعاصرين أو ما يمكن تسميته بادب البست سيللرز . والمفروض في رواياتهم أن تكون بالغة الاثارة . وجاء عنصر التشويق عند الكاتب في وصفه التفصيلي للاعماق وما تتضمن من غموض ومجاهل في حاجة الى شرح وتفسير .

بقي أن نشير الى أن علاقة الاديب بالبحر كانت في غالبيتها علاقة تخص الرجل وحده . وابتعدت المرأة في اكثر ابداعها عن تصوير حبها للبحر .. حتى هؤلاء النساء اللاتي ركبن البحر بحكم الانتقال مثلما فعلت كاترين مانسفيلد وماري شيللي وجورج اليوت واخريات .



# ازدحام

شعر : محيي الدين عطيه



مَنْ لـى بشـهيقٍ وَرْدىٍّ يُنجيني من لَفْحِ النارْ
من يسقى نبتا فى صدرى مخنوقاً خَلْفَ الأسوارْ
مـن يمنحنى لحظـة صمتٍ أستجمعُ فيها الأفكـارْ
أتـأمَّـل فيهـا خفق الـريـ ح وأسمع عـزف الأمطـارْ
واحـدِّث فيها قـرص الشمـ س المبحر خلف الأشجـارْ
من ينقـذنى من قطعان الـ بشر الزاحف كالإعصار
ويـذكرنـى دومـا أنـى لست كراسٍ فى الإبقارْ
مـن يُنعش ذاكـرتـى حتـى لا أنسى لَوْنَ النُّوارْ
أوتنسينـى الضجـة همسـا للمستغفـر بالأسحـارْ
أو تـرنيمـة طفـلٍ يشـدو شدو ملائكةٍ أطهارْ
من يسـرقنى من طُـرقـاتى من يقذفنى فى الأنهارْ
مـن يـغسلنـى كُـلَّ مسـاءٍ حتـى أولد كُلَّ نهـارْ

# العالم غدا

● عندما انقلب المناخ الجوى .. فى مصر

**هل اصبحت مصر ضحية للمتغيرات المناخية ؟**

هذا هو عنوان المقال الذى نشرته مجلة « العلم والحياة » الفرنسية فى عدد شهر مايو الماضى ، قالت فيه ان بحيرة ناصر الواقعة خلف السد العالى قد خزنت بداخلها ١١٠م٣ من المياه فى عام ١٩٧١ . اما هذا العام فان هذه البحيرة لا تختزن اكثر من ست مليارات متر مكعب من المياه، مما يشكل خطرا شديدا على الطاقة والحياة فى البلاد .

وكما تقول دراسة مرفوخ ماكدونالد عضو البنك الدولى لدراسة المشكلة، انه منذ عام ١٩١٢ وحتى ١٩٦٠ فان النيل الازرق كان يأتى باربعة وخمسين مليار متر مكعب عبر فرع الخرطوم بالسودان . بينما يجلب النيل الابيض ٢٦ مليار م٣ . وفى عام ١٩٨٦ انخفض منسوب العطاء الذى اتى من رافدى النيل ، مما شكل تهديدا حقيقيا للبلاد . حيث انخفضت قدرة توربينات السد العالى بنسبة ٤٠٪ بعد ان كانت تنتج ١٠٠٠ ج و/س . لكن هذه النسبة انخفضت شهرا وراء شهر . وينتظر الجميع حلول شهر يوليو الحالى كى يغمر المطر مسطحى رافدى النهر من اجل ان تقوم مصر بتوفير نصف طاقتها . اما النصف الثانى فعليها تدبيره بأساليب اخرى

ويقول المقال ان جزءا من المخزون المخصص للمشروعات الجديدة فى استصلاح الاراضى ( ٥٠ مليار م٣ ) قد يقل هذا العام ، وذلك بناء على برنامج الانماء التابع للامم المتحدة .

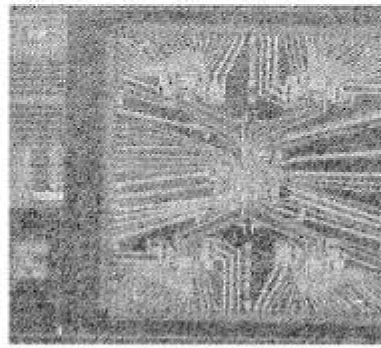
فلا الخبراء الدوليون ولا الخبراء المصريون يمكنهم ان يفعلوا شيئا هذا العام ، وقد اثر هذا على المناخ الجوى فى مصر . فقد ارتفعت درجات الحرارة بشكل لم يسبق له مثيل . حيث بدأت الرياح فى الهبوب من الجنوب الساخن عكس ما كان يحدث فى السنوات السابقة . ويفسر هذا سبب التغيرات الجوية التى شهدتها البلاد اخيرا .

وترى المجلة ان على مصر ان تستعين بالطاقة النووية من اجل توفير احتياجاتها المفقودة من الكهرباء اما مشكلة الرى فيمكن ايضا من خلال الطاقة النووية الاستعانة بمياه البحر لعمل التوازنات المطلوبة .

هذه الارض الجافة كانت مغمورة بالماء



● شرائح الكترونية ذاتية الاختبار



صارت شريحة السليكون الصغيرة التى تحوى على وارات او دوائر الكترونية متكاملة فى ملليمترات قليلة ، من الاجزاء التى يشيع استخدامها فى تطبيقات لا حصر لها من الحاسبات الالكترونية ، وحتى الاجهزة المنزلية والصناعية التى تحتاج الى التحكم الالكترونى فى اداء وظائفها ..

والشرائح الالكترونية تنتج بكميات ضخمة للاستخدامات الواسعة النطاق وبكميات محدودة للاستخدامات المتخصصة والتجريبية . ومع تعقيد دوائر هذه الشرائح وزيادة تمنمتها اصبح من الحتم اللجوء للحاسبات المتقدمة لانتاج قطاع كبير منها .

وحتى وقت قريب كانت هناك الى جوار مشاكل التصميم والتصنيع مشكلة اخرى تواجه انتاج الشرائح ، والشرائح التى تنتج بكميات محدودة على وجه الخصوص ، وهى التأكد من تأديتها وظيفتها على النحو الذى صممت عليه ، اذ كانت تكاليف هذه المراجعة التى تحتاج الى اجهزة خاصة وخبراء من ذوى المهارات العالية ، باهظة قياسا على تكلفتها المتواضعة ..

لكن بعد التوسع باستخدام الحاسبات الالكترونية فى انتاجها امكن التوصل الى شرائح تقوم باختبار ادائها كلما طلب منها ذلك .
ويمكن ايضاح اهمية مثل هذا الانجاز اذا عرفنا ان غسالة تستخدم شريحة من هذا النوع ستقول لقتنيها بمجرد لمسة منه ما اذا كانت تعانى عيبا من العيوب ، لانها قادرة على مراجعة ادائها بنفسها ، خلال اجزاء من الثانية ..

● شطرنج عبر الاقمار الصناعية

من مدينة كان الفرنسية لعب جارى كاسباروف بطل العالم فى الشطرنج مباراة غير عادية مع عشرة لاعبين موزعين على رقعة الكرة الارضية ، فى نفس الوقت . وقد قام بالتحكيم فى المباراة طاقم حكام فرنسى ، وتكفلت شبكة من اجهزة الكمبيوتر والاقمار الصناعية بايصال نقلات اللاعبين بصورة فورية ..

قد تطور الموقف على الرقعات العشر لصالح كاسباروف ، الذى لعب بالابيض ، منذ بداية المباراة ، وفى غمرة انشغال البطل ، تمكن البريطانى امز من تحقيق تفوق استراتيجى ، مكنه من الفوز على بطل العالم فى نهاية المطاف . هذا كما تمكن ميخائيل اوليبين بطل الاتحاد السوفييتى بين الشباب من

# العالم غدا

المتعادل مع كاسباروف ، الذى انهى الادوار الثمانية الاخرى لصالحه ، وهكذا جاءت نتيجة مباراة الواحد ضد عشرة لصالح الواحد بثمان نقط ونصف النقطة مقابل نقطة ونصف

## ● اهرام صناعية



توجد لدى الجمهور الامريكى عقدتان : عقدة الافتقار الى تراث وعقدة الانفاق بهوس على المراهنات والتراويح ، وقد دفع ذلك الملياردير الامريكى جيمس اوتان الى بناء نموذج للاهرامات المصرية ( بنسبة ٧ : ٩ ) فى وود وورث على مبعده ٣٠ كم من شيكاغو ، وسعيا الى اجتذاب السائحين الذين يدفع الواحد منهم ستة دولارات رسما للزيارة ، الذين يقدر عددهم بالفى زائر فى اليوم .. امعانا فى زيادة الاقبال بطن الملياردير الاهرامات بمياه الذهب ..

من الجدير بالذكر ان الملياردير قرر الاقامة داخل اهراماته المذهبة التى تدر له ذهبا ..




الدكتور الوزير مصطفى كمال طلبه هو مدير برنامج البيئة التنفيذى للامم المتحدة ، والدكتور محمد

عبد الفتاح القصاص كان رئيسا حتى وقت قريب للاتحاد الدولى لحماية البيئة والموارد ، والدكتور الوزير عاطف عبيد هو رئيس مجلس وزراء البيئة الافارقة ، و ..

هذا كما ان مصر كانت من الدول السباقة فى اصدار تشريعات حماية البيئة ( منذ عام ١٩٤٩ ) ، وبها لجنة عليا لحماية الهواء من التلوث منذ عام ١٩٦٩ ، و ..

ولو سمع غريب ذلك لما تصور المستوى الذى وصل اليه تلوث البيئة فى مصر ، حيث لا ينطبق المثل الشعبى « باب النجار مخلع » على شيء مثلما ينطبق علينا فى هذا المجال .

فاذا نظرنا للعاصمة القاهرة لوجدنا نسبة تلوث الهواء - ناهيك عن الضوضاء - اضعاف المستوى العالمى . ذلك ان اكثر من ٥٠ ٪ من سيارات القاهرة تلفظ من الملوثات ما يتجاوز اكثر من ضعف النسب العالمية المسموح بها ( دراسة لكلية الهندسة جامعة القاهرة ) . بينما تنصب مذابح متوالية للاشجار والمساحات الخضراء و ....

واذا ابتعدنا من العاصمة لهالتنا كمية السموم التى تترسب فى التربة الزراعية وتنتقل مع الغذاء لتضر بصحة الانسان ، نتيجة للرصاص الناتج عن عوادم البنزين ، والكادميوم الناتج عن عوادم الديزل ، وحتى ندرك حجم الخطر المحدق باراضينا الزراعية يكفى معرفة ان المساحة الملوثة حول طريق مصر - اسكندرية الزراعى وحده تبلغ ستة الاف فدان ( دراسة لكلية الزراعة جامعة القاهرة ) .

واذا ابتعدنا اكثر لهالتنا ظواهر مثل تجريف التربة وتبوير الاراضى واغرب ما فى الامر هو غياب الدوافع التقليدية الاساسية لتلوث البيئة .. فحجم الصناعة المصرية متواضع بكل المقاييس ، كما أن الزراعة المصرية من الزراعات الساذجة بكل المقاييس هذا كما ان الوباء السياراتى الانتقالى الذى يشكل العامل الاول فى تلوث البيئة لدينا ليس له اية فعالية اقتصادية منظورة ..

## ● ٩٠٠ مليون أمى

هل يمكن للقارىء ان يتصور أن عالمنا الذى يدق ابواب المجرات الاخرى ويتحسس متلمسه كواكب المجموعة الشمسية عن قرب وعن بعد .. هل يمكن أن يتصور القارىء وجود حوالى ٩٠٠ مليون امى ( احصاءات الامم المتحدة ) وان نسبة هؤلاء الاميين ليست فى تقلص ، بل على العكس فى تزايد مستمر (!) .

والاسباب التى تساق لهذا التزايد فى الامية الابجدية ( وحدها ) هى ضعف استيعاب المدارس للاطفال الصغار ، وتسرب اعداد كبيرة ممن يلتحقون بها ، وارتداد كثير من الكبار على اعقابهم ، قبل ان يكتمل ويتأكد محو اميتهم ، ..

ورغم انه يمكن الاستمرار فى تعداد مثل هذه الاسباب الوصفية الى مالانهاية فان المرجع الكامن وراءها جميعا يتمثل فى التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى يدفع الى حرمان الصغير من التعليم نظرا للحاجة الى قوة عمله كمصدر للدخل ، وضعف امكانيات اولياء الامور ( من الاباء الى أجهزة الدولة ) فى رصد مايحتاجه تعليمهم .. وعلى كثرة برامج ومحاولات محو الامية فقد اثبتت

# العالم غدا

التجار ، فشل كل محاولة لا ترتبط بالعمل على تجاوز حالة التخلف ..

لكن الشيء الاخطر هو ان ارتفاع نسبة الامية في مجتمع من المجتمعات يعد من اسباب استمرار وتعميق تخلفه ، وهكذا يجد المجتمع المتخلف نفسه رهينة في يد حلقة ، التخلف - الامية ، الجهنمية .. ومن هنا ضرورة اعتبار الامية - على المستوى الاستراتيجي مشكلة سياسية من الدرجة الاولى واهمية ربط برامجها بالاوضاع الاجتماعية التي يعيش الاميون في ظلها ، وربط الحروف والكلمات ( الابجدية ) بمشاكلهم واحتياجاتهم ..

الطريف ان عددا من البلدان التي تشيع فيها الامية مثل مصر ( يوجد نص في دستور ١٩٢٣ حول الامية ) تتمتع بنسبة عالية ممن اتموا تعليمهم العالي وفوق العالي ، وهذا مظهر من مظاهر الانفصام التي تصاحب التخلف ..

## ● ملابس ذكية

ابتكر العلماء نوعا جديدا من الاقمشة التي تستخدم في حياكة انواع جديدة من الملابس الذكية التي تعمل على تدفئة مرتديها في الصقيع كما تلطف من حرارة اجسادهم في القيظ .. ذلك ان القماش الجديد الذي يدخل في تركيبه حبيبات البلاستيك وبعض المواد الكيميائية يمتص الحرارة ويحفظها في داخله



عندما يكون الطقس حارا ليعود فيفرزها مجددا في الطقس البارد .

وعلاوة على استخدام الثياب الجديدة من قبل اصحاب المهن الخاصة الذين يتعرضون لدرجات حرارة متفاوتة يرى مكتشفو القماش الجديد انه سيكون مفيدا في المستقبل حتى بالنسبة للناس العاديين ، وبالذات لمن ينتقلون خلال عملهم بين مناخات متباينة وان اهمية القماش الجديد لا تقتصر على الراحة التي يوفرها لمرتديه ، اذ ان فائدته الصحية لا تبارى .

## ● العصر وبصر الطفل

باتت الحياة العصرية تفرض اعباء متزايدة على بصر الانسان منذ نعومة اظفاره فالبرامج المدرسية تحاصر عيون الطفل من جانب بجهود

لم يتعودها اجدادنا ، والتلفـــاز وعائلته ( الفيديو والاتـــارى ٠٠ ) يكملان الحصار بما لم يحلم به هؤلاء الاجداد ٠٠

ولهذا ينصح الاطباء اولياء الامور بعمل كشف نظر للطفل قبل السادسة اذ يمكن عند هذه السن الحـــرجة تدارك بعض العيـــوب الخطيرة فى الابصار باجراءات بسيطة للغاية يمكن ان تؤدى الى عواقب وخيمة ان تركت دون علاج ٠٠ ومن هذه الحـــالات على سبيل المثال حالات الحول وضعف البصر فى عين واحدة ،، التى يكتفى المخ معهما بالصورة الواضحة التى تنقلها العين السليمة ، ويتجـــاهل ، الصورة غير الواضحة مما يزيد من ضعف العين المصابة حتى تفقـــد وظيفتها تماما ، ذلك بينما يـــؤدى اجراء بسيط مثل تغطية العين السليمة الى اجبار العين الضعيفة او الحولاء على العمل مما يجعلها تستعيد القدرة على العمل رويدا ٠٠ وجدير بالذكر ان تدارك مثل هذه العيوب قبـــل السادسة يمكن ان يعيد العين الى قوة ابصار ٦/٦ ٠

## ● وفاق تنجيمى

بعد ما ذكره رونالد ريجـان الذى ترأس موظـــفى البيت الابيض حتى واقعة ايران جيت ـ حول ولع أســرة الرئيس ريجان بالتنجيم تبين ان ريجان اعترف فى مذكراته الخاصة بحرصه على قراءة باب « الحظ » الذى تعده اشهر عرافات هوليـــود ( كارول رايتر ) يوميا . وانه استشـــارها



رونالدريجان

شخصيا قبل تسلمه العمل فى البيت الابيض حين اختير رئيسا لامريـــكا فى المرة الاولى ، وانه اختار موعـــد بدء احتفال تنصيبه حاكما لكاليفورنيا عام ١٩٦٧ فى تمام الساعة ١٢ر٢٠ وفقا لنصيحة المنجمين ٠٠

لكن مارلين فيتزووتر المتحدث باسم البيت الابيض اكد بعـــد ا... وكالة يونايتدبرس أن الرئيس ريجان لايلجأ الى استشارة المنجمين فى القـرارات الكبيرة ٠٠

الطريف ان مشاهدى التلفـــاز السوفييتى فوجئوا قبل اسابيع ، فى برنامج تليفزيونى مميز يذاع يـــوم الجمعة عشية اجازة نهاية الاسبوع ( السبت والاحد ) بعرض لرجـــل سوفييتى يستطيع التاثير على عـدد من الناس يوجد كل منـهم بعيـــدا عن الاخر بالاف الكيلومترات ٠٠ ولما سئل الرجل عن امكان ارسال اشــــاراته الى النجوم البعيدة عن مجموعتنـــا الشمسية اقر بامكانية ذلك وان كانت الرسالة ستتاخر فى الطريق حتى انها قد لا تصل مقصدها خلال عمـــره ٠ لكن الرجل اكد فى المقابل انه يستطيع شفاء مئات المرضى الذين قد تستغرق الوسائل التقليدية سنين طـــويلة فى علاجهم خلال ساعات محدودة ٠ وحتى لا يبدو الامر وفاقا تنجيميا صـــرحت رئيسة جورباتشوف للصحفيين خلال القمة الاخيرة بانها لا تؤمن بالتنجيم

قصة قصيرة

# الشرطي

بقلم : محمد الكاشف

الكل واقف .
شبان وبنات ..
افندية وعساكر .
ناس من كل لون .
الجميع صاروا عيونا تبحلق صوب شباك الحجز .
لا يكاد احد ينظر في اتجاه الاخر .
الرجل القاعد خلف الحاجز الزجاجي يؤدي المهمة ببطء وتثاقل .
تتحفز العيون بالغضب امام اى قادم جديد يحاول تخطي الدور .

– القطار رايح فين ؟
– هيطلع الساعة كم ؟
– طيب .. ممكن تحجزى لى معاك .. ده انت باين عليك ست طيبة .

اعتذرت السيدة للشاب الذى كان متعجلا ازدادت العيون بحلقة ترقب ما يجرى خارج صف السيدات . ازداد الزحام ممن يحاولون الوصول للشباك من خارج الصف .
علت الاصوات .
نشب شجار .
جاء رجل نحيف .. اصفر الوجه . لم يعلم احد كيف انشقت الارض عنه فجأة . حاول فض الشجار لكن احدا لم يمتثل له .
فجأة صرخ الرجل :

– كفاية بقى والا ماخدكم تحرى .

بهت الواقفون للحظة بداوا يعودون للوقوف بانتظام . لكن الاخرين القادمين من خارج الصف عادوا يضغطون ازدادت « الزيطة » حدث نوع من الهرج .
لكن الرجل قال باستكانة بدت شيئا يدعو للدهشة :

– حرام عليكم .. كلكم هتسافروا .. وانا بقى لى ايام على ده الحال ماشفتش اولادي

جاء رجل اخر يرتدي بدلة قديمة كالحة اللون .. تبادلا التحية فهم الواقفون انه زميل له جاء لمساندته .
قال الرجل النحيل الاصفر الوجه :

– يا اولاد الـ .. لو ما سكتوش هاخدكم كلكم واحطكم في السجن :

تعجب الناس لما في لهجته من وعيد .. قال احدهم :

– ده باين عليه مباحث

تجرأ اخر وسأل :

– يعني انت تبقى مين ؟

قال – وقد بدأ صبره ينفذ

– يعني كل واحد هيسالني .. مش هنخلص .

كل واحد يخليه في حاله .
سكت الذين تشاجروا عاد النظام من جديد الى الصف .
صارت العيون تبحلق



من جديد ناحية شباك الحجز كل واحد يحلم بمقعد فى القطار القائم الان ·

اخيرا صرخ الموظف:
مفيش اماكن · اللى عايز ينتظر القطار اللى بعده ·

تفرق الناس · نسوا امر الرجل النحيل الاصفر الوجه ·

لكنه جلس وحيدا فى احد اركان المحطة · ظل يفكر ، كل حاجة ماشية غلط ·· مين يصدق ان كل الناس هتسافر ·· وانا هنا بقى لى شهر من غير ما اشوف اولادى » ·

يمتلىء المكان بعشرات ·· ومئات ياتون فى كل لحظة ·

اللهفة والقلق والترقب فى العيون · يختلط كل شىء بكل شىء ظل على مقعده متهالك البدن يرقب ما حوله يلعن فى سره تلك المهنة التى تجعله يصب غضبه على الاخرين ويسمع منهم مالا يحب احيانا ·

ثلاثون عاما امضاها كشرطى سرى مهمته ان يمنع الاخرين من خرق النظام ·

يرى الجميع يسافرون الى زوجاتهم واولادهم ·· و·· و·· هو وحده البعيد اياما وليالى متوالية ·

جاء من الصعيد حين كان شابا يافعا يبحث عن الرزق · اشتغل باحد المطاعم واشتغل حمالا بالمحطة · ثم جاءت الوظيفة الميرى مضمونة الرزق ·

لكن الراتب قليل · بالكاد تزوج مما يوفره·

تركها هناك · تعود ان يسافر اليها بين حين وآخر · فى زمن سبق فكر ان تاتى معه الى المدينة ليقيما معا مثل كل الناس ·· لكن ·· لا ظروف عمله الذى يجعله يتغرب كثيرا ولا ما فى جيبه من مال سمح له بذلك ·· يتمنى لو يستريح · الان كثر الاولاد صارت الفكرة حلما مستحيلا ·

كان كل شىء حوله يتغير فى المحطة الكبيرة ·

ناس من كل لون · يلتقون ·

الاشواق فى العيون تلهب بداخله احساسا غامرا بالحنين ·

تمنى فى اعماقه لو انه كان مثلهم ·· لا يشتم احدا ولا يشخط ولا يهدد ·

سنوات طويلة يؤدى هذا العمل ·

بداخله جبال من الملل ·

وحزن لا ينتهى ·

# استراتيجية الاستفادة بالمعلومات بدلا من فوضى الكمبيوتر

بقلم: محمد فتحى

**لم يعد يمر يوم الا ونسمع خبرا جديدا عن تغلغل تقنيه المعلومات او الكمبيوتر فى هذه او تلك من مؤسساتنا .. وكان بالامكان ان يكون ذلك مدعاة لسعادة حقيقية ، لولا ان جهودنا فى هذا المجال لم تفلت من دائرة الهدر ، التى تلف مجمل انشطتنا .**

**ولم يكن الامر يستحق ازعاج القارىء لولا مساس الموضوع بمجال حيوى ، قلب صورة عالمنا راسا على عقب ، ودخل بالبشرية عصرا جديدا ، هو عصر مابعد الصناعة . وليت تأثير التخلف عنه يقف عند حرمان المتخلف من ثمار اضافية،ذلك انه يهز كيان ما اصطلح على تسميته بالبلدان النامية ، ويفقدها عددا من من المزايا النسبية التى كانت تتمتع بها ، ليردى بأحوالها الى هوة جديدة بلا قرار .**

ان جوهر تقنية المعلومات هو جمع وتحليل وتصنيف وتخزين ومعالجة واسترجاع المعلومات ، واشاعة استخدامها ، على اكثر الانحاء فعالية ، وعلى أوسع نطاق ، وبطريقة تختصر المدة الزمنية بين لحظتى الجمع والاستخدام .

وقد غزت تقنية المعلومات مختلف الانشطة والقطاعات فى البلدان المتقدمة ، على نحو لم تعرفه الحضارة البشرية مع أى من التقنيات السابقة .

وأدى هذا الغزو الى انقلاب هائل فى مختلف مناحى الحياة ، ذلك أن تقنية المعلومات أدت الى تعديل الهياكل التنظيمية فى المؤسسات ، وغيرت من نمط مركزية السلطة ، كما غيرت مصادر بيانات الادارة وأساليب المتابعة والرقابة ، ناهيك عن أساليب

وتقنيات الاعمال وادارتها . وحث ذلك باطراد الطلب على القوى العاملة التى تستوعب تكنولوجيا المعلومات ، وزاد من معدلات الابتكار ، ومن أساليب الاداء كما غير من هياكل الاجور ، ونظم الحوافز والمكافآت ، وأدى فى نهاية المطاف الى اعادة توزيع الادوار فى الحياة الاجتماعية وبدل مجالات التوظيف ، وزاد الطلب على التدريب لمواجهة التغيرات فى ظروف العمل . وكان من نتيجة ذلك كله زيادة الكفاءة التخطيطية والتنفيذية ، وزيادة معدلات الانتاج ، ورفع مستوى الخدمات ، الامر الذى ينعكس فى النهاية زيادة فى الناتج القومى .

**● مجتمع المعلومات**

ويمكن أن نرى مثالا لهذه التغيرات فى واحد من المجتمعات الاكثر استفادة من تقنية المعلومات فقد خلصت الدراسات الى أن ربع القيمة المضافة فى الاقتصاد الامريكى عام ١٩٦٧ جاءت من قطاع المعلومات الاساسى ( المنشآت التى توفر معدات المعلومات وخدماتها فى السوق ) بينما جاء الخمس من قطاع المعلومات الثانوى ( كل خدمات المعلومات أيا كان مكان استخدامها ) . أى أن اجمالى أنشطة المعلومات شكل حوالى نصف اجمالى الناتج القومى ، كما كانت حصة العاملين فى قطاع المعلومات من اجمالى القوى العاملة خلال نفس العام ٤٦٪ ، وحصلوا على نسبة ٥٣٪ من الدخل الاجمالى للعمالة .

وفى عام ١٩٧٩ وصلت نسبة العاملين فى هذا المجال ٥٢٪ ، وحدثت بالطبع تغيرات تتناسب مع الزيادة فى عدد وقدرات العاملين ، فى كافة المؤشرات ذات العلاقة بالمعلومات . والامر لم يقف عند هذا الحد بالطبع، وليته يقتصر على مجرد الاطراد الطبيعى ، ذلك أن مجمل المؤشرات الراهنة تنبىء بطفرة جديدة هائلة وشيكة ، مع ما يسمى بالجيل الخامس من الحاسبات الالكترونية .. وحتى يكون تقويم موقف مجتمعنا من تقنية المعلومات تقويما محددا لا بأس من تصور عام لهذه التقنية .

**● مفهوم تقنية المعلومات**

يدخل تحت ما اصطلح على تسميته بتقنية المعلومات أول ما يدخل أجهزة الكمبيوتر والوحدات المساعدة لها ، وهى ما تعرف بالعتاد Hard ware وذلك بالاضافة الى البرامج Soft ware التى تتيح عمل أجهزة الكمبيوتر فى هذا المجال أو ذاك لحل هذه المشكلة أو تلك ، ومنها ما يتصل بالمتطلبات العملية applications لجمهور المستفيدين ، مثل فاتورة الكهرباء أو المراجعة الاملائية النحوية لنص من النصوص .

والمادة الخام التى يجرى تشغيلها فى هذه البرامج ، عبر أجهزة الكمبيوتر هى المعلومات ، التى تنساب عبر وسائل الاتصال المختلفة . ولم يقتصر الامر فى هذه الوسائل على توظيف الاتصالات السلكية واللاسلكية ( الاقدم عمرا من الكمبيوتر ) ، على نطاق متزايد الاتساع ، للربط بين مداخل ومخارج وحدات وشبكات الكمبيوتر ، كما أقيمت شبكات Datu Commnications اتصال متخصصة فى نقل البيانات،بل وسرعان ما بدأ تنفيذ شبكات تصلح للاتصال ونقل البيانات فى آن واحد ، تعتمد على لغة الكمبيوتر الرقمية ، التى تحول كل شىء الى رموز الواحد والصفر ، بدلا من طريقة التماثل الطبيعى المستخدمة فى الاتصالات العادية .

ولعله من فضل القول الاشارة الى أن البرامج ، وبالذات ما يختص منها بالتطبيقات ،هى العنصر المحورى الذى يرتبط بالخدمات التنموية مباشرة ٠

**طفرة جديدة**

ولا بأس بعد هذه العجالة من العودة الى سياق حديثنا ٠

وان كان الجيل الجديد (الخامس) من الحاسبات الالكترونية سيقفز بامكانيات المعتاد إلى حدود لا نهائية من حيث سرعة العمليات أو من حيث الطاقة التخزينية فان الاهم اطلاقا ، مع هذا الجيل هو التوسع فى البرامج التي تعتمد على الحدس والحلول التقريبية وتفتح المجال امام تعامل الكمبيوتر مع الانسانيات ٠ ذلك بالاضافة الى اقتراب لغة التعامل مع الكمبيوتر من اللغات الطبيعية البسيطة التي يفهمها الانسان العادى ، عوضا عن اللغات الخاصة والخوارزمات ( أساليب الحل الواضحة الدقيقة ) ، بحيث يصبح بامكان أى شخص ، فضلا عن الخبراء ، استخدام الكمبيوتر ٠

وان كان فى مجمل تطور تقنية المعلومات ومنها الطفرة المتوقعة ما يهدد العالم النامى بمزيد من التبعية التقنية ، ومن تأصيل الخلل فى التوازن بينه وبين العالم المتقدم ، وفقدان المزايا النسبية التى كانت بلدانه تتمتع بها ، والمتمثلة فى ثرواتها الطبيعية وانخفاض تكلفة الايدى العاملة ، فان فى تطور التقنية ما يلائم قدرات العالم النامى ٠

واذا نحينا جانبا التناقص المطرد فى أثمان الحاسبات بقدراتها المختلفة ، وعلى نحو درامى ( ٣٠٪ سنويا ) ، الذى يمكن ادراك معناه اذا عرفنا أنه لو حدث مع السيارة الكاديلاك مثلا لما زاد سعرها فى السوق اليوم عن خمسة قروش ( ١ ) اذا نحينا ذلك جانبا ، رغم أهميته ( مع قصور الموارد المالية ) لوقفنا مباشرة امامالعنصر المحورى الاهم من تقنية المعلومات واستخدامها فى الحياة وهو البرامج التطبيقية التى تتزايد قيمتها النسبية فى اطار هذه التقنية يوما بعد يوم ، ولا تحتاج الى رءوس أموال ضخمة ، حتى اشتهرت على أنها صناعة الصبية المفلسين الذين يتحولون الى مليونيرات خلال أيام معدودة ، ذلك أنها تعتمد فى الاساس على الجهود الفكرية التطبيقية ٠

واذا وضعنا فى الاعتبار اتجاهات تطور تقنية المعلومات ( اقترابها من الانسانيات ) ومدى انتشارها لاتضح لنا مدى أهمية استخدام اللغة العربية ، عوضا عن اللغات الاجنبية فى هذا المجال ٠ وسوف نفرد لموضوع اللغة العربية والكمبيوتر دراسة خاصة لكنه يلزم التنويه هنا بأن اللغة ترتبط بتقنية المعلومات على نحو عضوى لا مثيل له مع تقنية أخرى ، ذلك فضلا عن ارتباطها الوظيفى بمشاكل التعليم والتدريب التى سنتطرق الى أهميتها حالا ٠

ونكرر هنا مجددا أن مربط الفرس بصدد استخدام اللغة العربية فى تقنية المعلومات هو نتاج الفكر وليس

التوظيفات المالية ، ذلك اذا استطعنا أن تلتفت عن الصورة المزرية التي نبدو عليها حين نقف طامعين في أن تصلنا المعارف الكمبيوترية الخاصة باللغة العربية من اليابان وأمريكا وبريطانيا ، وكأن اللغة العربية يمكن أن تكون بنحوها وصرفها ودلالاتها وأشكال كتابتها .. في متناول أبناء هذه البلدان أكثر مما هي في متناول أبناء الحجاز ونجد وعمان والقاهرة .

## ● نقص الامكانات المادية وهدرها

ولا بأس قبل الاستطراد في الحديث من ابعاد شبهة التبسيط أو الطرح الساذج للمسألة ، ذلك أن ما نسعى الى تأكيده مجددا هو وجود مساحة واسعة يمكن بقليل من الديناميكية وتشغيل المخ ( وليس مجرد تفتيح العين لأكل .. ) ، ان تتحرك ( بل تصول وتجول ) فيها طاقات بشرية يقتلها التعطل اليوم بصورة مزرية ، لننجز الكثير بعيدا عن تعليق كل شيء بصورة مرضية على نقص الموارد المادية .

بالقطع المسألة ليست سهلة اذ أن ارتباطاتها تضرب بعيدا .. الى كيفية تكوين القوى البشرية في المجتمع ، ولا يلائمها بالمرة التعليم بأسلوب الحفظ والتذكر وزيادة كم المعلومات ، ذلك أن جوهر التطبيقات الكمبيوترية الناجعة هو القدرة على التحليل والاستنتاج والتركيب ووضع الحلول الدقيقة العامة .

ويتضح من ذلك ، بالمناسبة ، أن الحماس لشراء الاجهزة للمدارس والجامعات ، على أهميته ، ليس بيت القصيد ، لكننا في التركيز عليه نمارس هوايتنا الاثيرة المريضة في وضع عقدة الامكانات المالية في طريق تقدمنا ، رغم أن المحصلة النهائية دون انجاز المهمة الاساسية ( تعليم الفهم والابتكار ) لن يكون الا هدر الامكانات المادية .. وبين المصادر الاخرى لهدر الامكانات مع تقنية المعلومات عدم الاهتمام بالبنى الاساسية التي تتيح أفضل استخدام للاجهزة الغالية ، ونخص بالذكر عملية محورية لابد وأن تصاحب الاستفادة من تقنية المعلومات ، وهي تدريب واعادة تدريب المتخصصين في مجالاتها .. فبدون أن يتم ذلك بالاعداد اللازمة وفي تزامن مع الحاجة ،وبدون أن يعود المتدرب ليعمل في مجاله وليس في مجال اخر بعيد عما تدرب عليه ، وبدون خلق أجواء التعاون المهني والعمل الجماعي التي تساعد على اشاعة الخبرات .. بدون ذلك كله لا يمكن أن يكون التدريب وتكون الممارسة من بعده الا حلقات في سلسلة للهدر ..

نعم المسألة ليست سهلة وتمس فلسفتنا في التعليم والتدريب وعلاقات العمل و .. لكن ذلك كله لا يخص ضعف الامكانات المادية قدر ما يخص وعينا بالمأزق الذي نواجهه ، وقدرتنا على المناورة بالجهد البشري المعطل بدلا من الوقوف كالبلهاء الذين لا يدركون ما يدور حولهم ، ولا يعرفون كيف يستخدمون طاقاتهم .

## ● التصنيع وانظمة العمارك المستوردة

وتأخيرنا للعتاد على سلم اولويات الاستفادة من تقنية المعلومات ، على هذا النحو ، لا يعني عدم أهميته . ذلك ان انتشار الجهود الابتكارية مستحيل دون أن يكون بامكان قطاع عريض من المجتمع اقتناء وسائل تقنية المعلومات ( الميكروكمبيوتر وبرامجه ) والتعامل المستمر مع تقنية المعلومات ، ومن هنا ضرورة توفير

مستلزمات هذه التقنية بأيسر الاسعار وتكييفها للاستخدامات المحلية ·

لكن حاجتنا فى هذا الصدد لا تتعدى ابتداء صنع حاسب صغير يتناسب ثمنه مع امكانات جمهورنا ( أرخص من التلفاز ) · وانتاج مثل هذا الحاسب ليس مشكلة من وجهة النظر الفنية ، على دولة لها تجربة مع انتاج أجهزة التلفاز مثلا ·· لكن ما يحيط بالامور الفنية من ظروف عجيبة هو ما يشكل عقبات كاداء فى هذا الطريق ·· ذلك أن الشركات العالمية الساعية الى الاحتكار تتعمد المبالغة فى رفع أسعار الاجزاء التى تعرف أننا غير قادرين على صناعتها ، بينما تبالغ فى خفض أسعار الاجزاء التى تعرف أننا قادرين على انتاجها بحيث تصبح عملية انتاجها خسارة محققة ( بالمعايير التجارية قصيرة النظر ) مقارنة بشرائها من الشركات المحتكرة·

وعلى الجانب الآخر تقف قوانين الجمارك المحلية ( المستوردة فى واقع الامر) لصناعتنا بالمرصاد· فالاعفاءات الجمركية التى تسرى على أجهزة الكمبيوتر التى تستورد كاملة تزول عند استيراد أجزاء الكمبيوتر متفرقة، وهكذا تحمل الاجزاء التى يمكن أن تستخدم فى التصنيع المحلى بجمارك تقارب ٢٥٪ من ثمنها، الا أن اثبت المستورد أن هذه الاجزاء ستدخل فى صنع الكمبيوتر··

وطالما وصل الامر الى خطوة من هذا النوع صار بامكان كل من لن يستخدموا هذه الاجزاء فى صناعة الكمبيوتر الحصول على هذه الاعفاءات ، وربما قبل أو حتى دون صناع الكمبيوتر ( لانهم سيكونون قطاعا عاما )

وبين الذكاء الاحتكارى والذكاء الطفيلى الانتهازى البيروقراطى يضيع الصالح العام فيما يخص انتاج حاسب صغير رخيص رغم ان انتاجه مهمة يسيرة وحيوية فى نفس الوقت ·

## ● استراتيجيتنا أو استراتيجيات الاخرين ··

ولعله بالامكان بعد ما سبق أن نفهم فهما صحيحا معنى اخر تقرير صدر ( عام ١٩٨٨ ) عن الجهاز المركزى للتنظيم والادارة حول تقويم اداء مراكز المعلومات ، التى تم انشاؤها حسب القرار الجمهورى الصادر فى هذا الشأن ( عام ١٩٨١ ) ، وعددها ٦٨ مركزا فى مختلف القطاعات ، وما ذكره التقرير من أنها تعانى نقصا فى التمويل وندرة فى العتاد اللازم لتشغيلها ، فضلا عن عدم اقتناع بعض القيادات باهميتها ·

ان بيت القصيد فى الاستفادة من تقنية المعلومات ليس مجرد اقتناع القيادة السياسية بتقنية المعلومات كمورد قوة ، وأداة للسيطرة على تنمية القطاعات الاقتصادية ، وبضرورة التصدى لما يعترضها من تحديات ·· ذلك أنه من الضرورى وجود وعى عام بأهمية تقنية المعلومات وحاجتنا لها ، ووجود الهيكل التنظيمى المسئول عن وضع الاستراتيجيات ومتابعة تنفيذ خطط التطوير والاستخدام ، مع وجود استراتيجية واضحة للتطبيقات التى تخدم المجتمع ، الواجب أن تحظى بأولويات التنفيذ والتطوير ·· وذلك كله بالاضافة الى ما أشرنا له من سياسات التعريب والتعليم والتدريب والتصنيع المناسبة ، التى تسترشد بمصالحنا القومية وتستفيد من قدراتنا المعطلة ·

لاننا بدون ذلك سنجد أنفسنا مع الاسلوب العشوائى ( وعلى طريقة الباب المفتوح أمام اهل الخير ) سنجد انفسنا ندور فى اطار استراتيجيات الآخرين ، فنعلم وندرب الناس ليتسرب نوابغ المتعلمين والمتدربين الى العمل فى اطار مشروعات الآخرين ، وتنضخم الثقل النوعى لعنصر الامكانات المادية فنجد المعونات التى تركز على ما يحتاجه من يقدمها لا على ما نحتاجه بالفعل ، ونعتمد على الخبرات الاجنبية فنقع بين سندان عدم استيعابها لظروفنا الخاصة ، ومطرقة المآرب الخاصة التى قد تحركها · وتعمل دون ضوابط فى تامين المعلومات فنتعرض لاستنزاف معلومات حيوية ، وربما حتى دون أن ندرى ·

وحتى لو افترضنا جدلا أن بامكاننا الافلات عشوائيا من استراتيجيات الآخرين لقادتنا الجهود العفوية المبعثرة ، والخلط بين احتياجات المستويات الادارية المختلفة من المعلومات، واستخدام التقنيات باسلوب غير اقتصادى يجعل العائد غير متناسب بالمرة مع الانفاق ·· لقادنا ذلك كله وغيره كثير الى التشكك فى جدوى تقنية المعلومات بالنسبة لمجتمعنا ، حتى ان كانت اثبتت فعاليتها فى المجتمعات المتقدمة · ولاهتزت الثقة بوجه عام فى مثل هذه التقنيات · وسيعزز ذلك بالتاكيد شيوع التطبيقات المنقولة التى لا تشكل احتياجا حقيقيا لنا، وان كان لها قيمتها فى مجتمعاتها الاصلية، كما سيعززه التكاليف الباهظة لتقادم العتاد ، واحتياجات الصيانة المتزايدة و ·· ، دون فعالية حقيقية·

● **الفعالية هى معيار التقدم**

وهكذا فبدون الجهد المدروس المعتمد على تصور استراتيجى يمكن أن يتحول الاهتمام بتقنية المعلومات الى عامل سلبى فى تطورنا ، ذلك أن القضية ليست الانشغال بالمعلومات بل الافادة منها ·

**لقد جاء يوم كان عدد الحاسبات الالكترونية المستخدمة فى مجتمع من المجتمعات هو معيار التقدم · ثم اتى وقت لم يعد بالامكان فيه الخلط بين وجود الاجهزة وفعاليتها بحيث لم يعد عدد الاجهزة ، أو حتى عدد ساعات تشغيلها ، هو المعيار المناسب لتقدير الجدوى، وصار انتشار الاستفادة من التطبيقات على هذه الاجهزة هو المعيار ·**

أن الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية هى مربط الفرس فى السعى الى امتلاك تقنية المعلومات والا لتحولت الى أداة يخفى بها المرء عوراته ليبدو على اكمل درجات الوجاهة والعصرية ·· والا لتحولت الانشاءات والتوسعات والندوات والدورات أهدافا بدلا من كونها وسائل · ذلك ناهيك عن استخدام ، ذلك كله فى دعم الجهاز البيروقراطى ذاته بدلا من المساعدة على مقاومة مثالبه ·

**ومن هنا نعود فنركز على اهمية وجود رأى عام واع بالقضية ، ذلك انه لا يكفى أن يكون هناك احتياج حقيقى اذ لابد من الاحساس بهذا الاحتياج ، ولابد من وعى حصول موضوعه ينقذنا من مشجب الامكانيات المادية الذى نعلق عليه تكاسلنا وارتباكنا ·· فالوعى ، وليس دعاية واعلانات « المجتمعات الكومبيوترية » هو ما يصنع سلسلة من المبادرة والانتشار والاستمرار والفعالية ·· ومن هنا تستأذن « الهلال » القراء فى مواصلة الموضوع عبر دراسات قادمة·**

# أنت.. و الهلال

● كتبت الدكتورة الفضلى نعمات أحمد فؤاد مقالة فى هلال مايو ١٩٨٨ جعلت عنوانها : « النجمة المصرية فى الفن والتاريخ » ولا يتعلق هذا التعليق بمضمون المقالة وانما بكلمة « النجمة » التى تصدرت العنوان ، ذلك أن كلمة « النجمة » بالتأنيث وبمعنى الكوكب لم ترد فى اللغة وانما وردت بمعان اخر ليست هى التى تقصد اليها الدكتورة ، وعلى هذا فقولنا « نجمة » بمعنى الكوكب السماوى خطأ لغوى شائع والصواب « نجم » .. أقول هذا لانه يغلب على ظنى أن الدكتورة متخصصة فى اللغة العربية والادب العربى والله الموفق .

أحمد قاسم أحمد
قنا

● تعليق :

ـ النجمة فى اللغة العربية هى النجم ولكنها أخص منه ، اى انها اكثر تفردا وتحددا ، وهناك النجمتان المزدوجتان اللتان تدوران حول مركز ثقلهما المشترك .. والنجمة نوع من النبات وهناك استعمالات كثيرة للنجمة ، فلا نظن أن الدكتورة نعمات فؤاد أخطأت فى استعمالها ..

واصحاب اللغة يتركون حكم ظاهر اللفظ ويحملونه على معناه ، كقولهم : ثلاثة انفس ، وكان يجب ان يقولوا : ثلاث انفس ، لان النفس مؤنثة ، ولكن قولهم ثلاثة انفس ليس خطأ لانهم حملوه على معنى الشخص او الانسان كقول الشاعر :

ما عندنا الا ثلاثة انفس ... مثل النجوم تلالأت فى الحندس

واعجب من هذا قول الشاعر :

يا ايها الراكب المزجى مطيته ... سائل بنى اسد : ما هذه الصوت ؟

اى ما هذه الضوضاء والضجة ، فجعل الصوت مؤنثا لهذا المعنى ..

وقال تعالى : « فأحيينا به بلدة ميتا » .. ولم يقل « ميتة » لانه حمله على المكان وهو مذكر .. واللغة العربية تؤنث بعض الالفاظ المذكرة فيسمون زوجة الاسد : « اسدة » .. ويؤنثون الرجل المذكر ، اعنى كلمة « الرجل » فتتحول الى « رجلة » .. كالمرء والمرأة .. فلا تضيق علينا وعليه لغتنا ايها الاستاذ الكريم الفضال ـ اعزك الله ـ فان لغتنا واسعة سمحة ...!

## ● قراءة فى كتاب النيل



قريبا سينبت برق ويشـــتعل الرمل
وردا والنهار عطـــر
وعما قريب سندخل فى موسم القلب
نكتب حبا •• وشعر
ويرسمنا النيل ريح صبا••كى يصورنا
الموج للشط طيـــر
قريبا سنخلع عنا رداء الهـزيمة ••
تلبس ايـــام بدر
ايا نيل فافتح كتابك •• حتى تشوف
العيون عرائس نصر

عبد الله السمطى
آداب عين شمس

## ● اطياف دمى



دمى حرفى ••
تذوب الارض فى كفيه ظلا يحتـــوى
ضعفى
وراء الظل يبنى صرحه الاول
شفيفا يعكس الانوار قدامى
على هام الرؤى تغزل ••
لتخفى رعشة الخوف !

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج •



## ● رسالة من هونج كونج

● انه لمن دواعى فخرى وشرفى ان اكاتبكم مهنئا اياكم ما احرزتموه فى دنيا الصحافة والنشر والمطبوعات • ارجو لكم كل توفيق •

مرسل لكم طيه عدد من قصائدى الشعرية • ورجائى الحار ان تولونى شرف نكـــر اسمى وذلك بنشر مـا اسعفتنى به قريحتى من نفحـــات اليراع • وبهذه المناسبة اود ان اعرض عليكم الاقتراح التالى :

هو ان تنشر ست من هذه القصائد فى « اخر ساعة » و « المصـــور » و « الكواكب » بحيث تظهر قصيدتان فى عددين لاحقين من « اخر ساعة » وقصيدتان فى عـــددين لاحقين من « المصور » وقصيدتان فى عددين من « الكواكب » بحيث يتم نشر هـــذه القصائد فى اسبوعين • واعتقد ان

نشر قصيدة « كليوباترا القرن العشرين » في مجلة « الكواكب » سيكون مناسبا لان هذه المجلة الغراء تعتني بأخبار الفن ، وحيث ان القصيدة قد قيلت في فنانة فبديهي أن لا يكون هناك غير تناسب ومنطق . الا انني أود لو انكم تتكرمون بارسال نسخ عن الاعداد التي تنشرون فيها هذه القصائد .

وقبل الختام أود أن أعرف ما كنتم توافقون باسداء خدمة جليلة لي : وهي أن تتولوا مشكورين نشر ديواني .

الرجاء الرد على رسالتي هذه في أقرب فرصة ممكنة مع جزيل الشكر ووافر الامتنان . وختاما تفضلوا بقبول فائق الاحترام مقرونا بتمنياتي لكم بكل ازدهار .

ممتاز فتحي ممتاز
هونج كونج

● تعليق :

ـ يسرنا ان تكتبوا الينا من مهجركم في الطرف الشرقي الاقصى من قارة اسيا ، وأن تبقى صلتكم قوية بالشعر العربي في تلك البيئة غير العربية ، ولكننا مع الاسف لا نملك الوسيلة لتحقيق رغبتكم في نشر قصائدكم الست في المجلات التي تفضلتم بذكر أسمائها ، وبعضها من غير صحف دار الهلال .. ونرجو أن تستمروا في الكتابة الينا .

● عين لا ترى

● أود من سيادتكم في خطابي هذا بعد التحية والشكر والثناء على الذين يخرجون لنا هذه المجلة الثقافية أن تفيدوني بالنقص في هذه الابيات وأريد منكم أن تخبروني هل لي في كتابة الشعر أم لا واليكم هذه الابيات بعنوان « عين لا ترى » .

١ ـ يا قرة عين لم ترى الاحشاء ... مالك حائرة بين قلبك واحساسك
٢ ـ مالك لا تنظرى نظرة الى ... لتنقذيني من عالم مملوءا بالشقاء
٣ ـ طال عمرى ولازلت صامتا ... ارجوك انقذيني من دوامتى الظلماء
٤ ـ ارجوك دعيني أروى ظمئى ... بماء الحب والقلب خير ارتواء

هشام محمد عبد الوهاب

● تعليق :

ـ نشكرك يا بني على حسن ظنك .. أما أبياتك التسعة فاكتفينا منها بأربعة تدل على سائرها ، ونصارحك بان أبياتك كلها خالية من الوزن ،

فهى فى الحقيقة نثر وان كانت مقسمة الى مصراعين ، واخطاؤه فى النحو واللغة كثيرة كقوله « مالك لاتنتظرى » والصواب « تنتظرين » ·· وقوله « من عالم مملوءا » ·· والصواب « مملوء » بالكسر ·· مع ذلك لا نقول له : دعك من الشعر ، فلعلك لو ثابرت بلغت فيما ترجو ان شاء الله ·

● واحــد ●

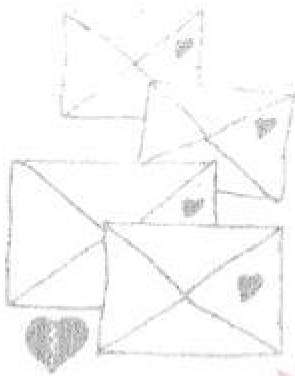


عشرة اعوام ابصرته
فى جلبـاب واحد
ما غيـره
مثلى ما غيـرته
ولـذا صاحبته
واعطيتـه
مفتاح الحجرة والعشره
ذات مساء حالك
كان قبالتنا فوق المقعـد
فهدا فى موقـد
كنت ذهبت اليه فى صحبة اخر
فلمحت خلال وميض مر
ولاول مره
يلبس جلبـابا فاخر
مرات قال : ابدله
لكنـه
كان يغيـر مقعده
بعد ذهاب واياب
وتلعثم كعبـه
ذكـرته
فابتسم الاخر
واستودعنا ·· مزلاج الباب

سيد احمد عثمان

● الحب فى آخر لحظة

يا سيدى
اذهب بعيدا حيثما تريد
قد مزقت اوراقنا من زمن بعيد ·
وصار قلبى لا يريد حبك البليد
فقدت لهفتى نسيته ولا رجـــوع
للقديم ·
حتى رسائلى اليك لا اريدها
كتبتها وكنت ساذجه



والان قد صحوت من سذاجتى
علمتنى الكثير والكثير
نزعت نابك الذى غرسته
اطلقات فى قلبى الحريق
وصرت دمعة لقلتها ونسمت فوقها
تركتها لاكمل المسير
ولم يعد كلامك الجميل فى مسامعى
لا تقترب لا تقترب

عقيد : نبيل خالد
المنصورة ـ قصر الثقافة ـ
نادى الادب

## عودة الامل

ايها العرب ** لقــد لاح الامل
فانبذوا عهد التراخى والكســل
وانبــذوا عهــد تقاعسنا به
واختلفنا ثم اعيانا الجــــدل
ايها العـــرب انهضوا من غفلة
ان امرا فى « فلسطين » جلل
ثورة الاحرار فيهـــا اججت
من لها بالعون حتى تكتمــل ؟
يا شهيد الحق لم تمض سـدى
فكفاح الشعب باق لم يزل
قد درات الظلم حتى ينجلى
دون ان يضنيك ياس او كــلل
هكذا الاحجار ابدت ضـــجة
فاعــادت لفلســطين الامل
سطرت امجـــاد شعب باسل
كم من الارزاء لاقى واحتمــل

عبده محمد سلطان
صقيل ـ اوسيم ـ جيزة



● طيف



طيف .. لا أعرف لونا له
ينهض مني الآن .
يصرخ ....!
يعطيك امانا كي تدخل
يفتح في صدري كل الابواب
طيف ...
بين الفرح .. وبين الغم
أرق نومي
يعصر في قلبي الحب
أيقظ حلمي
لكنه دوما
تصمت في استرخاء

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية



● محمد علي الخوربي ـ صنعاء ـ نشكركم على كلماتكم الطيبة .. اما نماذج شعركم التي كتبتموها الينا فجيدة ، وأما قصيدتكم « الخضاب » فانكم فصلتم بين عجز كل بيت وصدره وكلاهما من وزن واحد ، ولا ندرى الحكمة في ذلك .. ان قصيدتكم من مجزوء الكامل الذي فيه يعتنق الشطران ولم يسبق لنا أن رأينا هذا المجزوء في الشكل الذي صنعتموه ، ولم نستسغه في الحقيقة فاعذرنا ونرجو ارسال ما شئتم غيرها .

● السيد محمد علي عصر ـ الواسطي :

ـ قصيدتكم « مصريتي » قرأنا بعضها بصعوبة ، وبعضها الاخر لم نستطع قراءته لعدم ظهور الحروف ، ويبدو من الابيات التي قرأناها انها جيدة وان كانت طويلة ، أما قصيدتكم الحلمنتيشية التي أولها « فلس على فلس ومثلي يفلس » فهي ظريفة ولكنا لا ننشر الشعر الحلمنتيشي الا في بحث او نحو ذلك ، وهذا اللون من الشعر مكانه المجلات الفكاهية البحتة .

● عبد المحسن البطة .. محمود محمد الغزالي .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. سامي محمد .. ايمن فاروق فؤاد .. اشرف محمد ابو العز .. خميس محمد جبية .. نحيي جهدكم الذي بذلتموه في قصائدكم ، ونتمنى لكل منكم حظا حسنا في مستقبل ايامه مع الشعر .

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

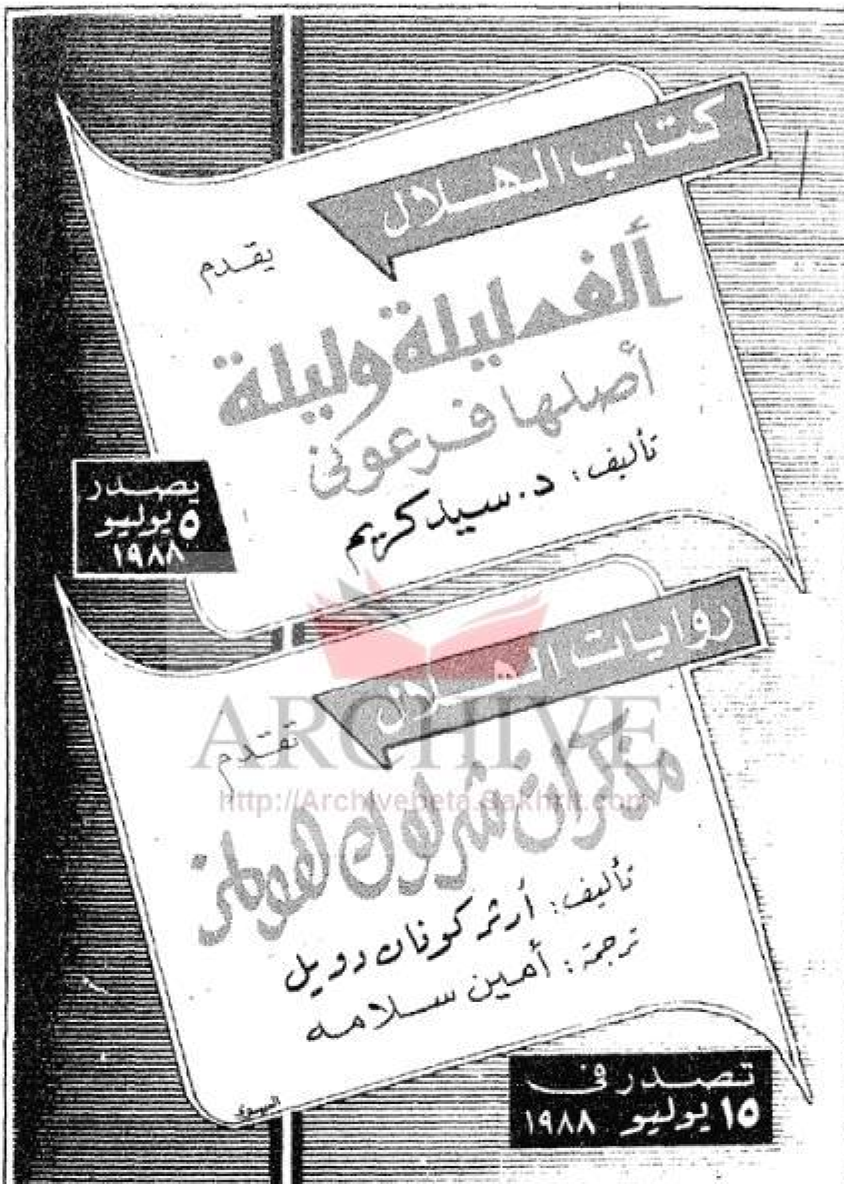
رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

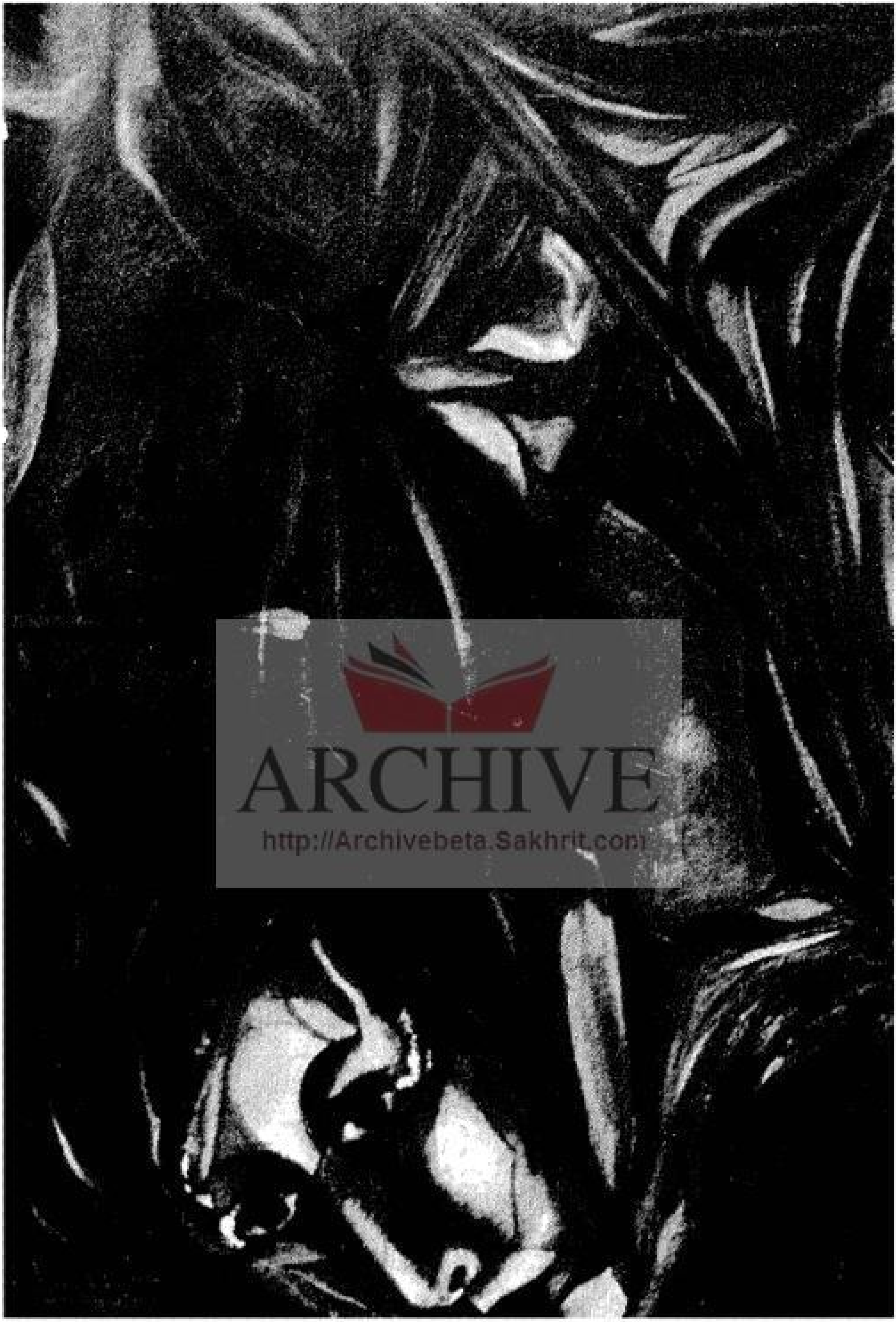
وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

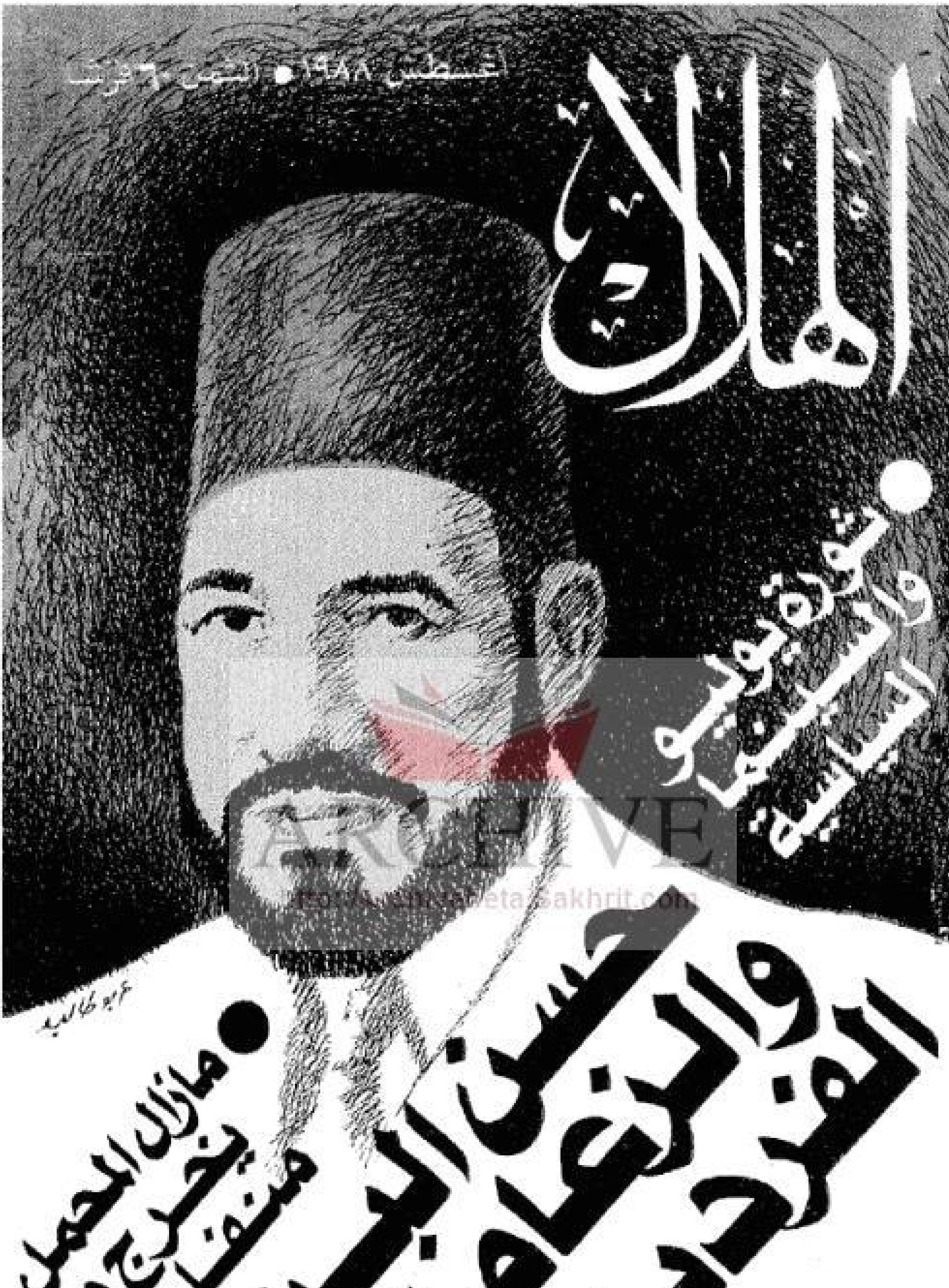


أسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

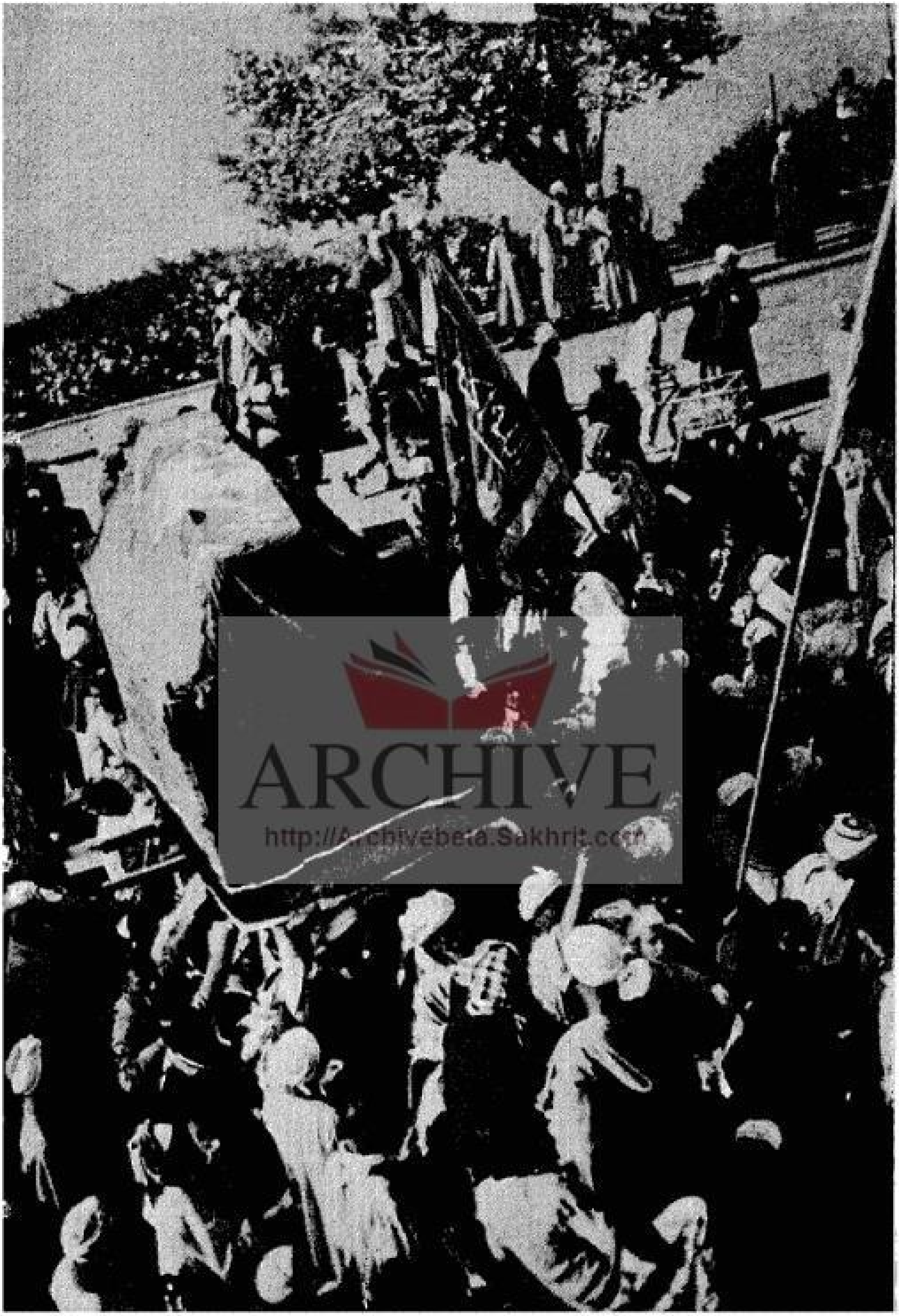
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


كتاب الهلال
يقدم
ألف ليلة وليلة
أصلها فرعوني
تأليف: د. سيد كريم
يصدر
٥ يوليو
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
مذكرات شرلوك هولمز
تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: أمين سلامة
تصدر في
١٥ يوليو ١٩٨٨





الهلال
أغسطس ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا
• ثورة يوليو والتعددية السياسية
حسن البنا والزعامة الفردية
• مازال الحمل يخرج من منفلوط



# من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن التركى تصور السلطان العثمانى أحمد الثالث الذى حكم فى الفترة بين ( ١٧٢١ ، ١٧٢٣ ) . وهو يحضر حفلا راقصا يؤدى فيه بعض الرجال دور الراقصات بينما هناك رجال آخرون يرتدون ملابس المهرجين .

وقد اهتم الرسام باختيار ألوان متعددة تعبر عن البهجة التى تتناسب مع هذه الأجواء المسلية .


# الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية ... تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م أول أغسطس ١٩٨٨ ١٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ



الغــلاف الأول بــريشــة
الفنان : محمد أبوطالب

الغلاف الأخير من احتفالات
منفلوط بالمحمل أنظر ص ٦٦

في هذا العدد

## فكر وثقافة



## قضايا حيوية

● من ذخائر الكتب العربية ●



● فن تشكيلى ●



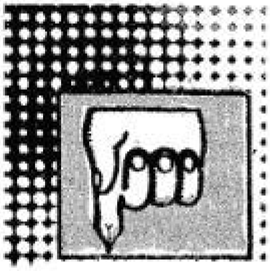
● شعر وقصة ●



● قراءة الهلال ●



● الابواب الثابتة ●



## عزيزى القارئ

# شكرى عياد
## وعبقرية القفز على الأشواك

الدكتور شكرى محمد عياد مشغول منذ شهرين بالكتابة فى «الهلال» عن «مسالة الحب» .. وربما استمر يكتب عن «مسالة الحب» شهورا حتى يظنه بعض القراء قيسا جديدا يبحث عن ليلى من بنات العقد الأخير من القرن العشرين !



وقد لبث الدكتور شكرى عياد قبل ذلك بضعة عشر شهرا مشغولا بالكتابة عن «مسالة الاقتصاد» حتى ظنه بعض القراء خبيرا اقتصاديا وتساءلوا بدهشة واعجاب : كيف اجتمعت لهذا الرجل براعة الخبرة الاقتصادية ، وبراعة الكتابة عنها ؟! .. فالعهد بخبراء الاقتصاد أنهم لايحسنون الكتابة .. فضلا عن أن يتفوقوا فيها ، فضلا عن ان يجعلوا من الكتابة فى الاقتصاد فنا فى البلاغة العربية الحديثة ..

ولكن الذين يعرفون شكرى عياد حق المعرفة ، يطالعون مايكتب فى الحب ، ومايكتب فى الاقتصاد ، ومايكتب فى الادب ، وماينظم من الشعر ، فلايجدون فى ذلك كله عجبا لأنهم يعرفون هذا الكاتب العظيم ، ويرون من حقيقته ومخبره ، أكثر مما يرى الناس من عيانه ومظهره ..

يشتغل شكرى عياد بالتدريس والتاليف والنظم والنثر والكتابة فى الصحف منذ خمسة واربعين عاما على الأقل ، وقد نشا وتعلم فى عصر رواد النهضة الفكرية والأدبية ، واجتمع له مالم يجتمع الا لقلة فى

عصره من العلم بالأدب واللغة ، ومن الابداع فى النقد والمقالة والشعر والقصة ، ومن الاطلاع الشامل الدقيق على الثقافة العالمية بلغاتها ، مع النظر الواسع المتقدم الذكى ، والذوق الرفيع المصقول فى الوان الفن والأدب والفكر ..

ويبلغ شكرى عياد فى فن الكتابة بالتحديد ـ وهو ما يلمسه قراء الهلال فى مقالاته كل شهر ـ افقا عزيز المنال فى بلاغة التعبير العربى الحديث ، لايبالغ من يقول إنه من اعلى الأفاق فى تاريخ الأدب العربى كله ، من عهد ابن المقفع ثم الجاحظ ، إلى عهدنا ..

وهو يوظف هذه البلاغة الجديدة فى الدفاع عن الأهداف والمضامين الجديدة لحياة أمتنا المصرية والعربية فى الحاضر والمستقبل ، ولم تكن مقالاته عن الاقتصاد المصرى والعربى الا توظيفا لهذه البلاغة فى معالجة هموم الأمة ومشكلاتها وأحلامها والامها .. وكذلك كانت كتاباته عن الحب فى هذين الشهرين ، وكتاباته المتنوعة الغزيرة التى بداها فى «الهلال» قبل خمس سنوات وواصلها بلا انقطاع تحت عنوان : « القفز على الأشواك » ..

إن هذا العنوان الذى اختاره لكتاباته فى «الهلال» يكاد يمثل موقفه فى حياته المديدة الحافلة مع الأدب والفكر وعلاقتهما بالحياة والناس والمجتمع والكون ..

فإن شكرى عياد لم يمش قط الا على الأشواك ، ولم يجن من الكتابة والثقافة الا اشواكا ، مع أننا لانغالى اذا قلنا انه يمثل الآن قيمة كبيرة نادرة لايقدرها معاصروها حق قدرها ، بل ولاجزءا من قدرها ..

ولكن هذا الرجل الذى يعيش بإبائه وشممه ، يتعالى بتواضعه فوق كل ماتنحنى له جباه بعض الناس ، لأنه يعلم أن النابغين يعملون فى صمت ، بينما تضج الطبول والبوقات فى الاسواق والطرقات .

وتحية للرجل الذى يجلس على قمة من قمم العلم والثقافة والابداع ، يرمى بنظرته الدنيا على رحبها فيرى فى المقدمة الاراذل والعوام والدجالين ، وكل مسيلمة كذاب يهذى بنبوءات جهالته !

تحية لشكرى عياد وهو يقفز على الأشواك ليبلغ هدفه ، وإن كان دونه شوك القتاد !

بقلم: د. شكري محمد عياد

# الحب قديماً وحديثاً

**قال لى صاحبى : لست مسرورا لأنك بدأت تكتب عن الحب مالك ياصديقى وما للحب؟ كتبت عن الاقتصاد فسكتنا ، وقلنا عسى أن يكون جهلك حافزا للعلماء كى يكتبوا ، وتجرأت فكتبت عن الديمقراطية والاشتراكية فقلنا كلام لايضر ، وهو على كل حال دليل على أن أحدا فى بلادنا لايمنع من الكتابة فى أى موضوع يشاء وتجرأت أكثر فكتبت مرة أو مرتين عن تطبيق الشريعة ولكن المسألة مرت بسلام . أما الحب فمالك وماله وأنت شيخ فان ، ولو كنت تحسن الكتابة عن الحب لبان ذلك فى قصصك ، ولرأيت واحدة فيها على الأقل تخطر على شاشة السينما أو التليفزيون . فأن تكتب مقالات عن الحب معناه أنك بدأت تفلس من كتابة المقالة ، كما أفلست من كتابة القصة وأحسن لك أن تبحث عن شغل آخر ، أو تشترى جهاز تليفزيون بالريموت كنترول لتنتقل بين المحطات وأنت ممدد على سريرك ، إلى أن يتوقف التليفزيون عن تغيير المحطات فتعلم أنك وصلت الى آخر الخط ●**

كنت أتوقع مثل هذا الهجوم فقلت لصاحبى : لا تعجل على فالمسألة كلها أننى صعب على أن أجلس الجلسة التى أشرت اليها أو أرقد الرقدة التى أشرت اليها قبل أن أقول لاولادى وأحفادى كلمتين تحيكان فى صدرى ،

وإذا كان فى الأجل بقية قلتهما . قال وعن الحب ؟ قلت : وعن الحب .

فقد قرأت الكثير مما كتبه الفلاسفة والاجتماعيون وعلماء الجنس وعلماء النفس عن الحب ، فإذا خلاصته أربع كلمات قالهن شوقى : "الحياة الحب والحب الحياة" وما دمنا جميعا نشعر بأن حياتنا مهددة فالحب مهدد . ومن الجائز جدا أن يكون التهديد الواقع للحياة ناتجا عن التهديد الذى وقع للحب . وما دام الموضوع الأبدى الذى يكتب فيه جميع الكتاب هو التهديد الواقع للحياة فلا غرابة إذا انبرى واحد منهم للكتابة عن الحب المهدد . وإذا كان هذا الكاتب إنسانا انقطعت آماله من الحب فهذا أفضل ، لأن مثله يمكنه أن يكتب عن الحب كتابة موضوعية بعيدة عن الاثارة .

وهناك مزية اخرى للكاتب كبير السن حين يتعرض لموضوع مثل الحب . فهو أقدر من غيره على المقارنة ، لأنه يستطيع أن يصنف حالاته حسب الاجيال ، وبذلك يقدم ملاحظات ذات معنى . ولايخفى على من له أدنى نظر فى علم الاجتماع أن "المقارنة" هى العماد الأول للمنهج . وإذا كان علماء الاجتماع يجرون ملاحظاتهم دائما فى صورة جداول احصائية ، فنحن لاندعى اننا نقوم ببحث اجتماعى ، ولكننا نتحدث فى هموم الناس ، ونشير الى الدلالات الممكنة لحالات خاصة ، وكغيرنا ممن يستعملون الأشكال الأدبية نأبى أن نجرد الحالة الخاصة من خصوصيتها ، لأن ثمة حقيقة مستقرة فى أذهاننا وهى أن الظواهر الانسانية تتشابه ولا تتماثل ، ولذلك فتحت كل مجموعة من الحالات يشملها إحصاء هناك دائما اختلافات لايخلو بعضها من أهمية . وهكذا يبدو لنا ان الملاحظة المباشرة المجردة من أى تصنيف أو إحصاء تظل لها قيمتها ، حتى مع وجود الدراسات الاحصائية ( ومبلغ علمنا أننا لا نملك حتى الآن دراسة اجتماعية إحصائية للحب والزواج فى المجتمع المصرى ) .

### الحب .. وتحرير المرأة

والحب فى مجتمعنا صغير السن ، حديث الميلاد . دعك من كلمات الشعر والاغانى ، فهذه الفاظ تعلمنا من "التراث" أن الشعر والغناء لايصلحان بدونها ، واكثرها - إذا تأملتها - غزل بالجوارى والغلمان تلقيناه من العهد التركى . وليس هذا هو الحب الذى يصنع الحياة . الحب الذى يصنع الحياة هو ذلك الذى ينتج صبيانا وبنات ، هذا بديهى ، وهو موجود فى القصص الشعبى ، ولكنه حبٌ ولَّده الحرمان وزخرفة الخيال ، فهو حب ينتمى إلى عالم "الحواديت" ولا يعبر عن وجود الانسان إلا كمشروع بعيد عن التحقيق . الحب ، بمعناه الذى نعرفه اليوم ، هو أحد اختراعات الطبقة المتوسطة . وقد بدأت الطبقة المتوسطة تتصدر المجتمع المصرى فى أواخر القرن الماضى ومن ثم يمكننا أن نؤرخ ظهور الحب بتحرير المرأة ، وكتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" لم يخترع الحب ولكنه عبر عن صورة جديدة للمجتمع سعت هذه الطبقة الى تحقيقها ، صورة تضمنت - بالضرورة - العلاقات بين الجنسين كأساس للمجتمع المنشود ، وكانت هذه العلاقات مبنية على "الحب" ولو أن قاسم أمين يترفق فى استعمال هذه الكلمة ،

ويقرنها دائما بكلمات مثل "الألفة" "والمودة" الخ ..

وعندما كنا نحن أطفالا ، أى فى الفترة بين الحربين العالميتين ، كانت أفكار قاسم أمين قد وجدت كثيرا من الانصار ، ولكنها لم تضرب بجذورها فى أعماق المجتمع المصرى . ولم يكن ذلك مستغربا ، لأن الطبقة المتوسطة كانت أشبه بقشرة على سطح ذلك المجتمع ، ولو أنها استمرت فى النمو ، متلقية بعض المدد من الطبقات الأخرى من طبقة كبار الملاك التى تحول بعض افرادها الى التجارة والصناعة ، ومن الطبقات الشعبية التى استطاعت عن طريق التعليم أن تدفع بعض افـرادهـا درجـات فى السلم الاجتماعى عن طريق شغل مناصب مهمة فى الدولة . تعلمت الفتاة المصرية ودخلت الجامعة ، ولكنها "لم تجلس مع الفتى على مقعد واحد ، حقيقة ومجازا ، إذ كان التقييد فى ذلك العهد ، والى وقت غير بعيد" أن تترك الصفوف الثلاثة الأولى للطالبات ، وكانت بعض الكليات ـ أذكر منها الهندسة والزراعة ـ مقصورة على الشبان دون الفتيات . وكان اكثرنا قد نشئوا على فكرة أن الأولاد لا يليق بهم أن يلعبوا مع البنات ، كما أن البنات لايليق بهن أن يلعبن مع الأولاد ، فتكونت فى نفوسنا نحو الجنس الآخر عاطفة مركبة من الرغبة والنفور والاستعلاء والخوف . وكانت قلة من الأثرياء فقط هم الذين ارتبطوا بزميلات لهم بعلاقة حب ، انتهت غالبا بزواج ناجح ، أما الكثرة فقد تخبطوا بين رومنسية بلهاء تقنع بالنظرة وتتلعثم فى تحية الصباح ، وبين عادات ذميمة يمارسونها فى السر بوحشية ملؤها الاشمئزاز . واكثرنا تزوج أداء لواجب اجتماعى ، والتماسا لحياة أكثر هدوءا أو استقرارا متبعا طريقة الاختيار العائلية التى لاتختلف عن الطريقة التى تزوج بها آباؤنا ، إلا فى أن زوجة المستقبل لم تكن مجهولة لدينا كل الجهل ، ثم حاولنا بعد ذلك أن نبنى الألفة والمودة من خلال العشرة الطيبة .

فقد كان "الحب" هو المثل الأعلى عند ذلك الجيل : يبدأ بالاعجاب والاعزاز ، ويتدرج الى التقارب والتفاهم ، وينتهى بالزمالة والمشاركة فى مسيرة الحياة ، فمن أعوزه من ذلك شىء اصطنعه اصطناعا . وكما كان منّا من يصطنع شيئا من الحب ليكمل به الزواج ، فقد كان منّا مَنْ يصطنع الحب خارج الزواج ، إما لأنه متزوج فعلا ـ وإما لأنه بحكم تربيته ـ لايعتقد أن الحب هو المقدمة الطبيعية للزواج .

ويمكن أن يقوم باحث اجتماعى اليوم باظهار المواقف المختلفة من الحب والزواج قبل اربعين سنة أو خمسين عن طريق "تحليل المضمون" لعدد من الافلام والروايـات الشعبية ، ولكننا نستطيع أن نكون صورة إجمالية عن هذه المواقف من خلال العناوين : دموع الحب ، يحيا الحب ، شهداء الغرام ، صانع الحب ، بائع الحب ، الخ ، ومع أن العنوان غالبـا ما يتجنب التصـريح

بالفكرة ، حتى يظل مرتبطا بالعمل ، وحافزا الى رؤيته أو قراءته فأنت لا تعدم بعض العناوين التي تلخص المضمون تلخيصا وافيا ، كأنها الأمثال السائرة ، قارن العناوين السابقة ببعض العناوين المعاصرة : الحب في الزنزانة ، والحب في غرفة الانعاش ، كان وهما ( أي الحب ) ـ هذا ما بقي في ذاكرة متفرج رديء ، ولاشك أن هناك عناوين كثيرة اخرى يمكن الاستشهاد بها في هذا المقام ، ولكن هذه الأمثلة على قلتها كافية للتنبيه على ما أصاب مفهوم الحب ومكانته من تغير في هذا الزمان .

● فلننظر إلى هذه الصورة الاخرى

والشيوخ متهمون دائما بانهم يحنون الى الماضي ، لأنه يمثل لهم عهد الشباب وكل ما يرتبط بالشباب من فتن وأهواء . ولكننا كما رأيت لم نحاول أن نرسم صورة زاهية للحب في أيامنا ، فقد كان جيلنا يتعلم الحب على كبر ، لم ينشأ في بيئة تعترف بالحب ، أو تجعل له مكانا في حياتها ، حتى العطف على الابناء والبنات لم يكن فيه كثير من معنى الحب ، وحتى البر بالآباء والأمهات لم يكن فيه كثير من معنى الحب ، كان الواجب هو الذي يحكم العلاقات العائلية ، وكان من علامات الشخصية السوية أن تتحكم في مشاعر الحب الطبيعية حتى لاتظهر في سلوكها . وتحضرني في هذا السياق نادرة طريفة رواها لي صديق من جيلي عن أحد لداته ، وقد احتال حتى أبلغ أباه انه يحب فتاة معينة ، ويريد أن يتزوجها . فقال الأب مستنكرا : يحب ؟

ما معنى أن يحب ؟ معقول أن يكره الانسان شخصا ما ، ولكن لماذا يحب ؟ فالكره كان عاطفة معترفا بها ، مثل الخوف والحسد وكل العواطف السلبية ، وكنا نستقبل الحياة بآمال عريضة ، ونريد أن نبنيها من جديد ، ونعرف بفطرتنا أن الحياة لاتبنى إلا بالحب ، ونقرأ ذلك في الكتب أيضا ولكن بيئتنا تنكره أو على الاقل تتعامى عنه . وهكذا كان الحب في زماننا كالنبات الغريب يعيش في بيوت زجاجية من الاحلام اللطيفة ، فإذا خرج الى جو الواقع ذبل وانكمش . ومع ذلك فقد كنا نرعاه ونحرص عليه لاننا كنا نؤمن به ، وحتى عندما نصنعه كنا لا نلبث أن نصدق ما صنعناه ونؤمن به !

الحياة الحب والحب الحياة . كانت الحياة تريد أن تنهض وكان الحب يريد أن ينهض ، كنا نتمثل مستقبلا لمصر ، بريئا من آفات الفقر والجهل والمرض ، مستقبلا يتمتع فيه الانسان بحريته ، ويمارس الفرد حقه في طلب السعادة لنفسه واسرته ، ولكننا لم نكن نعرف كيف نصل الى هذا المستقبل ، وكان الكثيرون منا يقنعون بتحقيق السعادة في محيطهم الضيق . تحضرني في هذه المناسبة صورة بيت في مدينة صغيرة من مدن الصعيد ، بيت ترفرف عليه السعادة والحب ، فيه كل أسباب الرفاهية التي تتصور في ذلك العهد ، ولكن أبوابه ونوافذه مغلقة دون شقاء الناس في الخارج . هذا النموذج الذي رسمه يحيى حقي بحساسية فائقة في "خليها على الله" يمثل ما كان يستطيع أن يحققه طبيب أو مهندس يعيش في أعماق الريف ، من السعادة الفردية . كانت

# الأشواك

الحياة تهم بالنهوض فلا تسير الا خطوات ثم يقعد بها الضعف المزمن . وكان الحب الذى لم تشتد قوادمه يهم بالطيران فلا يكاد يرتفع قليلا حتى ينحط ويبقى جاثما فى مكانه . ويبقى النهوض والتحليق حلما فى خيال الحياة وخيال الحب .

ها أنت ذا ترانى لا أبالغ فى وصف أيامنا الماضية . لقد كان الحب فرخا ضعيفا يتألم بضعفه كطير عجوز ، ولكنه كان يأمل ان يشتد عوده وتقوى قوادمه . فما باله قد كاد يفتك به المرض حتى ادخلوه غرفة الانعاش ؟

أظن السبب فيما جرى له أننا لم نعد نؤمن به ، ولم يعد يؤمن بنفسه . بعبارة أبسط : لم نعد ننظر الى الحب على انه حقيقة من حقائق الحياة ، ولا أقول : على انه الحقيقة الكبرى فى الحياة . أصبح الحب وهما ، بجانب الثلاجة والبوتاجاز ، ثم التليفزيون والفيديو . كان نموذج الطبيب أو المهندس الذى يجعل من بيته جنة صناعية وسط جحيم من البؤس نموذجا غير عادى ، والآن أصبح هو القاعدة .

الأولاد والبنات ، الذين أصبحوا شبابا اليوم ، نشئوا فى بيوت أكثر تسامحا من البيوت التى نشأنا فيها ، ونشئوا فى جو الأسرة الصغيرة المترابطة ( وفى أيامنا كانت الأسرة أكثر عددا ، وكنا نجد انفسنا كالتائهين فيها ، فقلما نعرف معنى العلاقات الانسانية إلا بين رفاقنا خارج المنزل ) وشب الأولاد والبنات معا ، تعارفوا فى مقاعد الدرس ، ثم فى أماكن العمل ، وأصبح فى مقدور كل منهم أن يختار شريك حياته وهو على بصيرة من أمره .

كان المظنون إذن أن ينمو الحب بين الفتى والفتاة فى جو صحى برىء من الآفات والعلل ، وأن يكتمل نموه فى زواج متكافىء يزيد الحياة إشراقا وبهجة . ولكن الملاحظة العادية تكذب هذا ، الظن فالحب يثقل من أول أمره بمطالب الحياة . الخطيبان يبحثان عن شقة . الخاطب يدبر المهر الذى يفوق قدراته ، والفتاة وأسرتها يكملان الجهاز بشق الانفس ، حفلة الزفاف يجب أن تقام فى فندق ، أو على الاقل فى نادٍ . ولايخرج الحب من هذه المعامع كلها إلا وقد شوهت الكدمات والجروح وجهه الجميل . ويبقى مستوى التحقيق دائما دون مستوى الطموح . ويذهب العروسان الى شقتهما الجديدة وهما يتحدثان عن شىء ناقص هنا أو هناك .

ويستمر الجرى واللهاث . ويصل الأطفال . وتتعقد الأمور . ويمشى الزوج كالدائخ ، وتتكلم الزوجة كالتائهة ، ويبكى الصبى . وتصرخ البنت . وتصبح الحياة جحيما . ولا يسأل أحد عن سر هذه المأساة ، أو يسأل ويحار فى معرفة السبب . أو يسأل ويعرف السبب ، ولكنه يعرف فى الوقت نفسه أنه عاجز كل العجز عن إزالته .

فالسر كامن فى نمط الحياة . ذلك أنه

إذا كان الحب ينشىء الحياة ، فالحياة بدورها تنشىء الحب ، ويمكن أن تقتله ايضا . لقد كان نمط الحياة فى أيامنا مزيجا من القيم المادية والمعنوية . كان التعاطف ، والتعاون على تدبير حاجات المنزل ، والصبر على شظف العيش أحيانا .. سمات للبيت السعيد ، تسبق اقتناء الراديو أو الثلاجة ، الآن أصبح "البيت السعيد" بفضل الاعلانات التجارية ، لايعنى إلا الراديو والثلاجة و ... و ... . لم يعد الزوجان الشابان يشعران بالأنس إذا تنزّها معا فى حديقة عامة ، أو زارا متحفا من متاحفنا المهجورة ، لم تعد الأسرة تشعر بالسعادة فى خروج الأطفال مع أبويهم الى أطراف المدينة ، بعيدا عن زحامها الخانق . وإلا فلمن جعلت هذه المطاعم الكثيرة ، الغالية ، التى لم يعد يخلو منها شارع صغير ؟ والطريف أنها تسمى نفسها مطاعم سياحية ، ولكنك إذا جلست فيها لم تجد سائحا واحدا . كلهم مصريون عاديون ، يتمتعون بلذة الصرف ، وشعور كل منهم بأنه ليس اقل من جاره .

سألت زوجا شابا : لماذا لاتخصص يوما فى الأسبوع تقضيه مع زوجتك ؟ فأجابنى ، وكأنها مسألة بديهية : كم يكلفنى الغداء فى مطعم ؟

**هكذا سدوا على أنفسهم أبواب الرحمة . ولكنهم معذورون . فقد تبخرت القيم المعنوية من الحياة ، ولم تبق إلا القيم المادية الصلدة . هذه هى المدنية المنحطة التى راحت تنتشر فى عصرنا كالنار فى الهشيم ، ولا تقل لى : إن الحدائق العامة لاتزال مليئة بالكبار والاطفال وإن المطاعم السياحية لاتستوعب إلا نسبة ضئيلة من سكان المدينة ، وأن الاوتوبيسات لا تزال مزدحمة بالناس البسطاء الذين لايملكون سيارات .**

فالحقيقة أن هؤلاء جميعا ليسوا بسطاء ، وليسوا سعداء بل أن أحدهم لايفكر فيمن حوله . لايفكر كيف يمكنهم ، معنا ، أن يجعلوا الحياة أسهل ، أو أسعد لهم جميعا . إنه يضغط على أسنانه ، مفكرا فى طريقة يمكنه بها أن يمتلك سيارة مثل جاره ، ويدخل ابنه مدرسة خاصة مثل جاره ، ويجلس الى مائدة فى المطعم ، أو النادى ، ملاصقة لمائدة زميله ، وعندئذ يمكنه أن ينظر إليه متشفيا ، وسعيدا .

أصبر على قليلا ، لا تشح بوجهك عنى ، ولاتقل إنى تحولت الى واعظ .

فليس فى الدنيا إنسان واحد يؤمن فى قرارة نفسه بأن الحصول على شقة أو امتلاك سيارة ، أو تجديد أثاث البيت ، شىء يستحق عقوق الأبوين ، أو قطيعة الأهل ، أو تلويث السمعة .

حتى فرويد ـ وهو عندك فيلسوف مادى ـ يقول إن الحياة لاتخلو من نوع من الكبت . فأنت إذا أطلقت العنان لغرائزك الدنيا ، لم يكن لك بد من كبت غرائزك العليا . وإذا أشبعت رغبتك فى التملك والسيطرة حرمت نفسك من لذة الانصاف ، ونعمة المودة .

ولكن العادة تشيع فى زمن ما ، ومجتمع ما ، حتى تصور لك الحق باطلا والباطل حقا ، والجرىء الجرىء من القى عن عنقه طوق العبادة .

الحب فى زنزانة . بل الحب فى غرفة الانعاش . بل الحب يحتضر . فأنقذوه ! غيروا الحياة !

# صندوق النقد الدولى

## ومجاجة الشيخ عبد الشكور

### بقلم: د. جلال أمين

**الدكتور عبدالشكور شعلان المسئول عن الشرق الأوسط فى صندوق النقد الدولى ، والذى يزور مصر كثيرا على رأس بعثة مهمتها التفاوض حول السياسة الاقتصادية فى مصر ، رجل فاضل وودود ، يحب مصر ، كأى مصرى ، ويحمل نفس الصفات المصرية المحببة الشهيرة ، من حب النكتة الى طيبة القلب .. الخ ، ليس للدكتور عبد الشكور إذن من ذنب إلا انه يعمل فى مؤسسة دولية اخذت على عاتقها خاصة منذ اوائل السبعينيات ، مهمة التعجيل بفتح اقتصاديات العالم الثالث على العالم الصناعى المتقدم ، ومن ثم اشتهرت بوصفة معينة ، او مجموعة من التوصيات تحاول فرضها على اية دولة من دول العالم الثالث ولا تتغير كثيرا من دولة لاخرى ، فالذى يطلبه صندوق النقد من المكسيك هو الذى يطلبه من مصر ، او من الهند او تركيا .. الخ ، وذلك على أساس ان هذه الوصفة او التوصيات هى التى تتفق مع المبادىء الأساسية لعلم الاقتصاد ، ومن ثم فهى الكفيلة بانتشال هذه الدول من عثرتها . والصندوق ينتهز دائما فرصة وقوع الدولة فى ازمة ليضغط عليها من اجل تطبيق وصفته ، إذ يجعل مساعدته مشروطة بتطبيق الدولة لهذه الوصفة .**

وفى ١٩٨٦ ، كما نعلم جميعا ، وقع الاقتصاد المصرى فى ورطة شديدة سببها الأساسى الانخفاض الشديد فى سعر البترول ، فضلا عن حلول بعض أقساط الديون التى كان على مصر الوفاء بها فى تلك السنة ، ومن ثم حانت فرصة ذهبية لصندوق النقد الدولى لممارسة ضغوطه على مصر ، التى أصبحت فى حاجة ماسة اليه للتوصل الى موافقة الدائنين على تأجيل بعض ديونهم على مصر ، أو ما يسمى " بإعادة جدولة الديون " ووقعت المسئولية الأساسية فى ممارسة هذه الضغوط على الدكتور عبد الشكور شعلان .

#### تغير الموضات الفكرية

وأصارح القارىء من البداية بأننى لم أصدق فى أى وقت من الأوقات أن وصفة صندوق النقد الدولى هى التى تتفق مع

شيء أسمه " المبادى الأساسية لعلم الاقتصاد " ولا أصدق القول بأن هناك مبادىء كهذه تجعل من الضرورى للدولة المتخلفة ، كما هو ضرورى للدولة المتقدمة ، فتح اقتصادها على مصراعيه للاندماج فى الاقتصاد العالمى . فتفرض عليها تحرير الواردات وفتح الباب دون قيود أمام الاستثمارات الاجنبية وتحرير سعر الصرف وقبض يد الدولة عن التدخل فى نظام الأسعار .. الخ . بعبارة أخرى ، ليس هناك "مبادىء أساسية فى علم الاقتصاد " تفرض على مصر فى الربع الأخير من القرن العشرين ، أن تفعل مثل ما كانت تفعله بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والدليل على ذلك أن الدول التى نعتبرها متقدمة اليوم لم تطبق نفس الوصفة طوال تاريخها ، فقد انفتحت احيانا وانغلقت أحيانا حسب الظروف . بل انها حتى فى يومنا هذا ، فى نفس الوقت الذى تنصحنا فيه بالانفتاح التام ( باعتباره تطبيقا لمبادىء أساسية فى علم الاقتصاد ) تفرض هى نفسها القيود المختلفة على تجارتها الخارجية وحركات رءوس الأموال ليس فقط فى مواجهة دول متقدمة مثلها بل وفى مواجهة دول اقل منها تقدما بكثير يؤكد هذا ايضا أن رجال الاقتصاد قد غيروا موقفهم إزاء ما يعتبر افضل السياسات الاقتصادية الواجبة الاتباع أكثر من مرة خلال القرنين الماضيين ، مع تغير الظروف . ففى ١٧٥٠ م كانت الفلسفة السائدة هى الانغلاق ( تذكر مذهب التجاريين ) وفى ١٨٠٠م أصبحت هى الانفتاح ، وفى خلال أزمة الثلاثينيات من القرن الحالى أصبح الانغلاق هو الموضة السائدة من جديد ، بل إنه حتى خلال الخمسينيات والستينيات كان اقتصاديو التنمية فى الغرب ومؤسسات التنمية الدولية شديدى التعاطف مع بعض تجارب "الانغلاق" وسياسة الاحلال محل الواردات ومع اتساع دور الدولة فى الاقتصاد ومع سياسة التخطيط المركزى ، ثم عادت الموضة منذ السبعينيات الى الانفتاح .

وليس من الصعب تفسير هذا التقلب فى الفكر الاقتصادى السائد فقد ساير الفكر الاقتصادى تغيرات الاقتصاد الدولى ، ولكن هذا ليس موضوعنا ، والذى يهمنى الآن هو فقط أن أبين أن الزعم بأن هناك مبادىء علمية اقتصادية خالدة صالحة لكل زمان ومكان ، تبرر الانفتاح ، هو زعم باطل من اساسه . ولا يصلح هنا التعلل بأن الاتحاد السوفييتى فى عهد جورباتشوف ، والصين بعد ماوتسى تونج أصبحا يرفعان ايضا شعارات قريبة من شعارات الانفتاح ، فالسؤال هو ليس فقط ماذا تفعل ولكن أيضا متى تفعله ؟ . ولو كان الاتحاد السوفييتى قد "انفتح" على الاقتصاد الرأسمالى قبل أربعين أو خمسين عاما فماذا كان يصبح حاله الآن ؟ وإذا كانت الصين لم تغلق أبوابها بعد ١٩٤٩ لمدة ثلاثين عاما ، فماذا كان يصبح حالها الآن ؟

● الاقتصاديون وأطباء الأسنان :

الذى يغيظ من الاقتصاديين هو أنهم لايريدون الاعتراف بذلك ، فهم مغرمون دائما بأن يقدموا بضائعهم كما لو كانت حقائق علمية خالدة ، بدلا من الاعتراف

## صندوق النقد الدولي

بأنها مجرد توصيات عملية تصلح لظرف معين وفي بلد معين وبدرجة معينة فقط. وقد كان الاقتصادى الشهير كينز من أكثر الاقتصاديين إدراكا لهذا النقص الذى يعيب زملاءه الاقتصاديين، وقد عبر مرة عن معنى قريب من ذلك عندما قال إنه كان يتمنى لو كان الاقتصاديون من التواضع بحيث نظروا الى أنفسهم لا كنظراء لعلماء الكيمياء أو الطبيعة بل كنظراء لأطباء الأسنان مثلا والراجح ان كينز كان يعنى بذلك أن طبيب الأسنان وإن كان يستند فى عمله الى بعض المبادىء العلمية، فإنه يتعامل فى الأساس مع حالات متباينة يتطلب كل منها علاجا خاصا، وأن كارثة لابد أن تحدث لوكان «طقم الأسنان» الذى يوصى به الطبيب فى حالة زيد هو نفسه الذى يوصى به لعمرو!

وقد أدى هذا الخطأ الذى وقع فيه الاقتصاديون: وهو محاولة تصوير النسبى والمؤقت والخاص بأنه مطلق وخالد وعام، الى وقوعهم فى كثير من الاحيان فى نوع من "الشعوذة" أساء أكبر إساءة الى سمعة علم الاقتصاد. فمن أجل أن يثبتوا أن وصفاتهم أو نصائحهم تصلح لجميع البلاد وفى كل الأزمنة، وهو مالا يمكن إثباته لأنه ليس صحيحا، أخذوا يقرءون التاريخ على مزاجهم. ويختارون من الحقائق والوثائق ما يناسب نظرياتهم ويتناسون غيرها. فكل نجاح اقتصادى لابد أن يكون سببه الانفتاح، وكل فشل اقتصادى لابد أن يكون سببه الانغلاق، وإذا كان الأداء الاقتصادى لدولة أفضل من أداء غيرها، فالسبب هو أن الأولى كا[illegible] نفتحة أكثر من غيرها، مع أنه قد يكون هناك ألف سبب غير الانفتاح والانغلاق يمكن أن يفسر به اختلاف الأداء، إن أشهر الاقتصاديين الأمريكيين اليوم (ميلتون فريد مان) الذى نصبه أنصار الاقتصاد الحر زعيما وعاملوا كتبه معاملة الانجيل، لايتورع مثلا عن أن يرد كل متاعب بريطانيا الاقتصادية منذ الحرب العالمية الثانية الى " اشتراكيتها " ويقارن سوء الأداء الاقتصادى البريطانى بالأداء الطيب للاقتصاد الألمانى والياباني منذ ١٩٤٥ وللتدليل على مساوىء " الاشتراكية " ومزايا " الرأسمالية " مع أن هناك عشرات الأسباب التى يمكن أن تكون مسئولة عن الفوارق بين أداء هذا وأداء ذاك غير الرأسمالية والاشتراكية. مثل هذا الكلام وهذه المقارنات لو تأملها عالم طبيعة او كيمياء بإمعان وأخضعه لنفس المعايير التى يطبقها فى علمه للتحقق من صحة بعض النتائج او خطئها لاستغرب أشد الاستغراب من تخلف " علم " الاقتصاد الى هذه الدرجة.

### ... العرب يتناقشون

لكل هذا كانت تساورنى دائما شكوك قوية حول مدى استحقاق " الاقتصاد " أن يسمى " علما " وكنت دائما أعتبره بعيدا كل البعد عما يسمى " بالعلوم المنضبطة " كالطبيعة والكيمياء التى يحاول الاقتصاديون دائما تقليدها والتشبه بها. إلا أن هذه الشكوك تضاعفت عندما حضرت منذ شهور قليلة ندوة نظمها صندوق النقد الدولى وصندوق النقد العربى فى أبى ظبى، لبحث الأوضاع الاقتصادية المتردية فى البلاد العربية وطريقة الخروج منها. كان ممثلو صندوق

النقد الدولى ومنهم بالطبع الدكتور عبد الشكور شعلان ، يدافعون أساسا عما يمكن تسميته اختصارا " بالانفتاح " أو مجموعة من الأجراءات التى تشمل أساسا تخفيض أسعار العملات الوطنية . وتحرير الأسعار الداخلية بحيث تتحدد طبقا لظروف العرض والطلب ، وعلى الأخص الأسعار الزراعية وأسعار الطاقة وتشجيع الاستثمار الاجنبى والغاء التدخل الحكومى فى الاسعار والتوظيف والتقييد الادارى للاستيراد والغاء الاعانات بصفة عامة ، وتضييق نطاق القطاع العام وتحويل مشروعاته ، أو بعضها على الأقل ، الى القطاع الخاص، الى آخر ما يقترن فى أذهاننا فى مصر بلفظ " الانفتاح " .

ولكن والحق يقال ، كان هناك عدد لا بأس به من الاقتصاديين العرب ممن عرف عنهم أنهم ليسوا من أنصار سياسة صندوق النقد الدولى ، ومن ثم فقد كان من المحتم أن يحتدم النقاش ويشتد ولا بأس فى ذلك بالطبع ، ولكن الذى لابد أن يسترعى نظر أى شخص قادم من كوكب آخر او درس علما آخر غير الاقتصاد ، من العلوم المنضبطة حقيقة ، أن الاقتصاديين لايزالون يتناقشون حول أمور كان لابد أن تكون قد حسمت منذ زمن طويل ، لو كنا بصدد علم حقيقى ، وأن الاختلاف بين الاقتصاديين لايزال يدور على أبسط الأمور التى لايمكن الاتفاق على شىء ذى بال إذا لم نتفق عليها . فهل يجوز مثلا ان يختلف اقتصاديان مع المع الاقتصاديين السودانيين وقد كانا من بين الحاضرين فى الندوة ، حول ما إذا كان تخفيض سعر الصرف فى السودان قد انتج نتائج سيئة أم طيبة فبينما ذهب أحدهما الى أن هذا التخفيض كان وبالا على الاقتصاد السودانى ، ذهب الآخر الى أن مشكلة السودان تكمن فى ان سعر الصرف لم يخفض بالدرجة اللازمة ! وعندما ناقشنا مشاكل الاقتصاد الأردنى ذهب أحد الاقتصاديين الاردنيين البارزين الى أن سياسة التصحيح فى الأردن قد نجحت نجاحا كبيرا ، فرد عليه اقتصادى لبنانى بارز أيضا قائلا إن الاردن لم تطبق ، فى الواقع اية سياسة تصحيحية ! نحن إذن لا نستطيع الاتفاق ليس فقط على تقييم نتائج ما نفعله بل ولا حتى على تحديد الشىء الذى فعلناه !

وقد احتدم النقاش على وجه الخصوص حول سياسة سعر الصرف ، فلم نستطع أن نتفق على ما إذا كان الطلب على الواردات فى البلاد العربية أو فى أى بلد معين منها ، مرنا ام غير مرن ، وعما إذا كان الطلب على الصادرات مرنا أم غير مرن ،كما أختلفنا حول ما إذا كان يكفى للحكم على فعالية تخفيض سعر الصرف بحث المرونات وحدها أم أن هناك عوامل أخرى يجب أخذها فى الحسبان ، واختلفنا عما اذا كان تخفيض سعر الصرف يضر بالفقراء ، كما زعمت أنا ، أم ينفعهم ، كما زعم اقتصادى كويتى .

أضف الى ذلك أن البعض ذهب فى البداية الى أن تطبيق توصيات صندوق النقد الدولى كفيل بتحقيق التصحيح المطلوب لمسار الاقتصاديات العربية ثم قيل بعد ذلك إنها لاتكفى ، مالم تقترن بسياسات أخرى فى مجالات أخرى : إذ ما فائدة تخفيض سعر الصرف مثلا فى ظل اتباع سياسة تضخمية .. الخ .

وفى مناقشاتنا لتجارب دول معينة ، لم

# صندوق النقد الدولي

نستطع أن نتفق على ما إذا كان تطبيق توصيات الصندوق ناجحا وذا فعالية أو لم يكن ففيما يتعلق بالمغرب لم نستطع أن نجزم بشيء وفيما يتعلق بتركيا قال البعض أن حسن أدائها الاقتصادى فى السنوات الأخيرة كان بسبب تطبيق توصيات الصندوق ، وقال آخرون : بل بسبب نشوب الحرب العراقية الايرانية . بل إننا لم نستطع أن نتفق حتى على ما إذا كانت دولة المغرب قد طبقت بالفعل هذه التوصيات أو لم تطبقها أصلا !

## محاولة للانقاذ

كان من الطبيعي إذن ، فى ظل الاختلاف الشديد أن يحاول بعض المشتركين فى الندوة أن يقدم لنا بعض المعايير ، التى يمكن عن طريقها الوصول الى الحكم بفعالية أو عدم فعالية سياسة معينة فتطوع أحد كبار الاقتصاديين بصندوق النقد الدولى ، جزاه الله خيرا ، بتقديم أربع طرق قد تمكننا من الوصول الى هذا الحكم :

الأولى : هى ما يمكن تسميتها بالطريقة التاريخية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق سياسة ما ، وبين الحالة قبل تطبيقها ، فإذا كان الاداء الاقتصادى أفضل بعد تطبيقها حكمنا بفعالية هذه السياسة .

والثانية : هى ما يمكن تسميتها بالطريقة الغائية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق السياسة المراد الحكم عليها ، وما كان ينبغى أو يرجى تحقيقه .

والثالثة : هى الطريقة التصورية ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق السياسة المراد الحكم عليها ، وما كان سيحدث لولاها .

والرابعة : هى طريقة البدائل ، وهى أن نقارن بين ماحدث بعد تطبيق سياسة معينة وبين ما كان سيحدث لو اتبعت سياسة أخرى .

## الاقتصاديون وأولياء الله الصالحون

ورغم ترحيبى وسرورى بهذا التحديد المنطقى لمختلف طرق التعامل مع المشكلة التى نحن بصددها ، فقد قلت لنفسى أننا نحن الاقتصاديين علينا أن نعترف قبل كل شيء بأنه لو حدث وسمع عالم طبيعة أو كيمياء بأن الاقتصاديين مازالوا يحاولون أن يكتشفوا ما إذا كان تخفيض سعر الصرف سيزيد الصادرات أم لا ، وأنهم مازالوا يحاولون تحديد أفضل الطرق للاجابة على هذا السؤال لأصابته دهشة عظيمة ، إذ أن وضعنا فى هذا الصدد يشبه وضع عالم الطبيعة لو كان لايزال لايعرف على وجه اليقين ما إذا كانت زيادة درجة الحرارة تحول الماء الى بخار أم إلى ثلج ، ولايزال يبحث عن المنهج الذى يتبعه للوصول الى إجابة على هذا السؤال . وفضلا عن ذلك فإننا لو تأملنا هذه الطرق الأربع لوجدنا أن طريقتين منها لايمكن قبولهما على الاطلاق ، مع انهما الطريقتان الأكثر شيوعا بين الاقتصاديين ، وهما اللتان لايزال يطبقهما الاقتصاديون عندما يحكمون بنجاح وصفة الصندوق فى بلد كتركيا مثلا ، وهما الطريقتان اللتان

اسميتهما التاريخية والغائية . اقول انهما طريقتان لايمكن قبولهما لأنهما أبعد ما تكونان عن المنهج العلمي ، كما أرجو أن يتضح من التشبيه الآتى . لنفرض اننا بصدد أمراة عاقر ( وهى هنا تمثل الدولة العربية الراغبة فى تصحيح مسارها الاقتصادى ) وأرادت أن تحل مشكلتها وتحقق رغبتها فى أن يكون لها أولاد فذهبت الى ولى من أولياء الله الصالحين ( وهو هنا يمثل صندوق النقد الدولى ) فنصحها بأن تأتى بدجاجة سوداء وتذبحها . ولنفرض أنها بعد أن فعلت ذلك رزقت فعلا بولد ! طبقا للطريقة التاريخية تعتبر الوصفة ناجحة تماما ، إذن فلنقارن بين حالها قبل ذبح الدجاجة ، بدون أولاد ، وحالها بعد الذبح وعندها ولد . وطبقا للطريقة الغائية تعتبر الوصفة ناجحة أيضا وبنسبة ١٠٠٪ ، إذ أن أهدافها قد تحققت بنسبة ١٠٠٪ بعد ذبح الدجاجة .

قال أحد الاقتصاديين الحاضرين بحق :

إنه لامفر من اتباع الطريقتين الأخريين . وهما المقارنة بما كان سيحدث لولا تطبيق الوصفة ، أو بما كان سيحدث لو طبق بديل آخر ، كما لو كانت المرأة قد ذهبت الى ولى آخر من أولياء الله الصالحين . هاتان بالطبع هما الطريقتان اللتان يطبقهما باستمرار عالم الطبيعة أو الكيمياء . ولكن بعض المشتركين فى الندوة اشاروا بحق أيضا إلى أن تطبيق هاتين الطريقتين فيما نحن بصددة يكاد يكون مستحيلا : إذ من يستطيع ان يقول ما كانت ستصبح عليه حال فرنسا لو كان نابليون قد انتصر فى واترلو ؟

وهذا هو الذى دفع اقتصاديا آخر من الحاضرين فى الندوة الى ما يشبه القول بأنه ليس أمامنا إلا أن نتوكل على الله ونتصرف على النحو الذى يدفعنا اليه شعورنا وإحساسنا دون أن تكون على يقين بنتيجة ما نفعل . ولكن هذا هو بالضبط ما نفعله باستمرار نحن الاقتصاديين ، فنحن نتصرف باستمرار لا على أساس من العلم . بل على أساس من الايديولوجية ، التى تحددها فى النهاية بعض المصالح الذاتية .

وليس فى هذا التصرف على أساس أيديولوجى شيء مستهجن فى حد ذاته ، بالنظر الى طبيعة المشكلة الاقتصادية ذاتها ، اللهم إلا أنه يسمح لبعض الاقوياء أن يفرضوا مصالحهم الخاصة على الباقين . فإذا عدنا الى مثل الدجاجة المذبوحة نجد أن الذى له مصلحة اكيدة فى استمرار إيمان المرأة العاقر بفعالية ذبح الدجاجة السوداء هو فى الأساس الشيخ الصالح ، فهو يرفض رفضا باتا أن يرد الولادة الى ظروف خارجية لاعلاقة لها بذبح الدجاجة ، أو الى محض الصدفة ، كما يستهجن بشدة أن تستمع المرأة الى اية وصفة أخرى .

**تماما كما يصر صندوق النقد الدولى على تفسير نجاح دولة كتركيا بتطبيق توصيات الصندوق دون اى دليل اكيد على ذلك . وصندوق النقد له مصلحة اكيدة بالطبع فى أن تصدق دول العالم الثالث ، ذلك وقد قلت ذلك بالفعل فى تعليق لى قرب نهاية الندوة ، فهمس فى أذنى اقتصادى سودانى قائلا : ليس الشيخ الصالح وحده هو المستفيد ، بل هناك أيضا بائع الدجاجة الذى يعمل فى تفاهم تام مع الشيخ !**

# كلمة التاريخ
# عرفت مصر حياة الدين والتقنين

## والمعنى منذ فجر الزمان قبل نزول الأديان

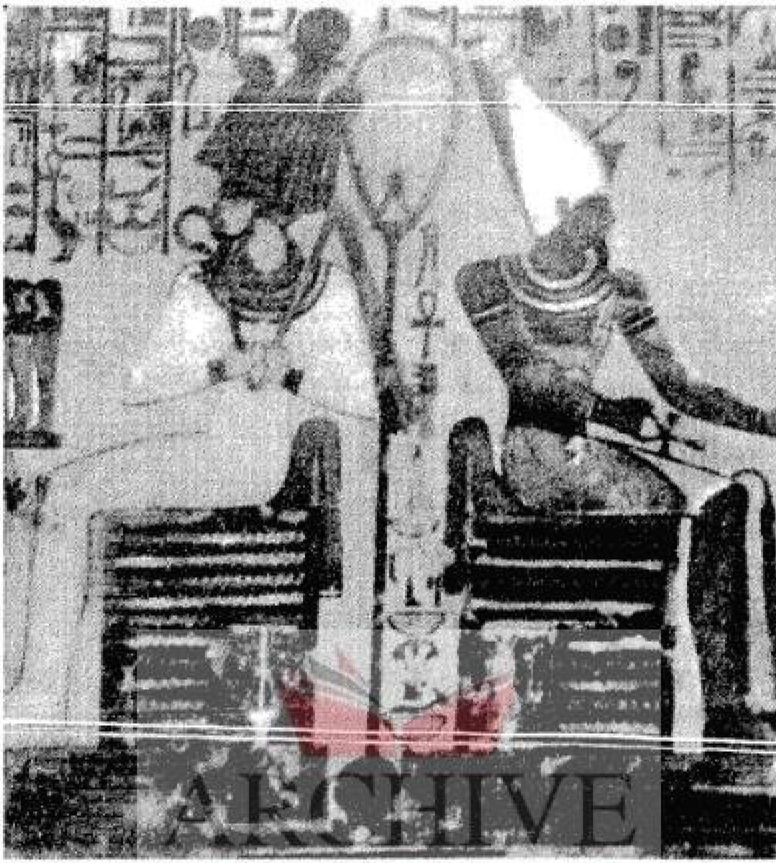
بقلم: د. نعمات أحمد فؤاد

كلمة ارجو ان يصغي إليها التليفزيون الذى اهدر قيمنا باشاعة افكار مدمرة من خلال مسلسل همه وهدفه التجارة لا الحضارة ..

وقد تناولت هذا الصحف والمجلات المصرية لهذا اركز على خط آخر ، غائب على أهميته وخطورته . المعنى السائد بين الشعوب ان ارتباط الانسان بالدين يبدأ بنزول الأديان السماوية والواقع ان حاجة الانسان الشديدة الى رب يحميه بدأت بعد وجوده بأزمان مختلفة قبل الأديان وقد تقلب الانسان بين الخوف والرجاء واختلفت محاولاته باختلاف البيئات .. وقد اراد الله بمصر رشدا فاعانتها بيئتها الزراعية على الايمان بما وفرته من الرخاء المادى الذى اعطى فسحة من الوقت للتامل . وبما عرفت مصر بحكم حياة الزرع والزراع من سببية . وبالتامل والسببية وصلت الى المنعم الأكبر خطوة خطوة .

اليهودية بدأت فى الدولة الحديثة الفرعونية اى فى الألف الثانى قبل الميلاد .. والمسيحية لم تكتمل الفى سنة خاصة إذا أخذت مصرية بموقعة الشهداء سنة ٢٨٢ م بداية للتاريخ المسيحى .

والاسلام ظهر فى الربع الأخير من القرن السادس الميلادى اما حياة الدين بمصر فقد بدأت قبل «مينا» .. قبل الاسرات أى منذ الوف السنين .. وفى هذا





اوزيريس اوزيرا حمل اول رسالة للتوحيد عرفتها البشرية

البحث تسير مع التاريخ خطوة خطوة وإن آثرت فى الاستهلال ان اقف عند ملكنا رمسيس تكفيرا عن مسلسل آثم مرفوض . ففى معركة «قادش» التى خاضها الملك رمسيس دفاعا عن مصر . دعا ربه فى المعركة

إنى أدعوك
وأنا وسط أعداء لاأعرفهم
فأجدك أعز لى من مليون راجل ( أى المشاة ) .
ومئات الألوف من المركبات .
ومائة الف رجل من الاخوة والبنين
إن جهد الجمهرة من الناس عدم .
إنه أعز منهم

## كلمة التاريخ

إنه مستمع لى
ويجيبنى إذا دعوته
إنى أسمعه .
إلى الأمام إلى الامام .
فإنى معك ويدى معك .
وانا أقرب إليك من مائة الف من الرجال .
أنا سيد النصر الذى يحب القوة .
وفي القران الكريم : ( وما النصر إلا من عند الله ) .
( يد الله فوق ايديهم )
( وإذا سألك عبادى عنى فاني قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ) .
روح اسلامية قبل الاسلام ..

أبدأ من جديد ... قبل رمسيس تصورت مصر الاله فى روعة فائقة : تصورت مصر الاله قبل ميلاد المسيح بأربعة عشر قرنا ( منقطع القرين فى صفاته ) . ففى عهد ( امنحتب ) الثالث ترك لنا رجلان من رجال العمارة في أنشودة سجلها على لوحة توجد الآن فى المتحف البريطانى نقبس منها هذه السطور :

إنك صانع مصور لنفسك بنفسك .
مصور دون أن تصور .
منقطع القرين فى صفاته .
مرشد الملايين إلى السبل .

لقد نفذت مصر إلى معانى الحق والخير والعدل فى فجر الزمان قبل أن تأتى الأديان واطلقت عليها كلمة ( معات ) . و (معات) أقدم اسم معنوى ذى معان متعددة فى تاريخ بنى الانسان .

إن بلوغ هذه المعاني واستشعار القداسة هو الشعور بالقانون الرابط للأشياء ، والرابض وراء الأشياء ..

قالت مصر بالبعث وعودة الروح والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار وفى متون الأهرام هذه الشفاعة التى يقولها المصرى عند الحساب .

انا لم أرتكب مايغضب الأله .
انا لم ألوث ماء النيل .
انا لم اتسبب فى حرمان إنسان من حق له .
انا لم انقص المقياس .
انا لم أطفف فى الميزان .
انا لم أختطف اللبن من فم الرضيع .

أنا لم اطرد الماشية من مراعيها .
أنا لم أصد الماء فى موسم جريانه .
أنا لم أطفىء شعلة فى وقت الحاجة اليها .
لم أعترض على ارادة الله .

ويرسل اخناتون سبحاته وتترسل ابتهالاته نفاذا الى نور النور :

( أنت الذى تنفخ فى الفرخ وهو مضغة فى بيضته فتهبه الحياة . انت الذى تتم خلقته فينقر البيضة وهو في باطنها .. فإذا خرج عنها جعل يصيح بقوة تامة وهو يجرى على قدميه ساعة يخرج . أنت خلقت الارض خلقتها وحدك لاشريك لك وعلى ماأردت .. الأرض بما فيها من بشر ونعام وسائمة وكل مادب فوق ظهرها على قدميه وطار فى جوها بجناحين ، وجميع الاقطار من الشام وكورش وربوع مصر .. سبحانك . أحللت كل إنسان فى موضعه وقضيت له حاجته .. كفلت له رزقه وجعلت لكل اجل كتابا وقد اختلفت السنتهم كما اختلفت صورهم والوانهم لأنك سبحانك جعلتهم أمامختلفة ) .

وكما كان اخناتون يترنم بعالم الطبيعة والحياة الانسانية ، كان عيسى يستقى دروسه من سوسن الحقل وطيور الهواء وسحب السماء والناس حوله . ودليل هذا قصص المسيحية ( الابن المبذر ) و ( الطيب السامرى ) أو ( المرأة التى اضاعت قطعة من نقودها ) .

## ● استشعار القداسة

إن الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها ( وثنية ) ويحكم عليها بعد خمود فورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجود الله من وراء المعبود المحسوس .

إن وعيها بالمقدس واستشعارها القداسة هو الشعور بالغائب الموجود .. هو الاحساس بمعنى الوجود .

ومما يحسب لمصر أن شوقها الى الحقيقة لم تدفع اليه حاجة ملحة ، والحاجة أم الاختراع كما يقولون ولكن مصر استشرفت الى الكمال والى معرفة الله من خلال اخناتون الملك السيد الذى لم تكن عنده مشكلة .. ومع هذا الغى الملك الإمبراطور القابه الملكية كلها حين شعر بضآلة الإنسان مهما بلغ ، إلى جانب الله المتفرد بالعظمة والجلال وسمى اخناتون نفسه :

( العائش على الصدق ) .

وهنا وصل ، بعد التجريد ، الى التجرد .

وعن اخناتون أخذت مزامير داود كما يقول جيمس هنرى برستد فى كتابه ( فجر الضمير ) حيث حدد : المزمور ١٠٤ ـ ٢٠ و٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، والمزمور ٥٤١ .

هذا كله قبل ظهور موسى .

لقد عرفت مصر الدين بطريقتها هى ... برؤيتها القلبية . مرة أخرى ابدأ من جديد :

مصر القديمة .

كانت مصر القديمة تقول ( اطع الاله الذى فى قلبك ) .

اذن الاله الحقيقى ليس آمون أو رع .. إن هى إلا اسماء ترمز إلى الاله الحقيقى .

إن الايمان هو الرحمة كما يقول ابن الفارض .

وحيثما وجدت الرحمة فوراءها إيمان .

ومصر القديمة قالت فى ماثوراتها :

( كن مرضعا للمريض وأبا لليتيم ) .

مهما قالت مدارس التمريض الحديثة وفى الغرب ، فإنها لم تصل الى افق الأمومة فى المريض .. مهما بلغ من العلم والتدريب والاتقان ... تظل الامومة بعد هذا : حبا خالصا وعطاء خالصا سكب روح فى روح .

يقول الحكيم المصرى « امينوبى » .

( إن فضيلة من يؤثر الحق لاحب عند الله من الثور الذى يقدمه المذنب قربانا ) ووراء مصر سفر الإمثال ( ٢١ - ٣ ) يقول ( فعل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة )

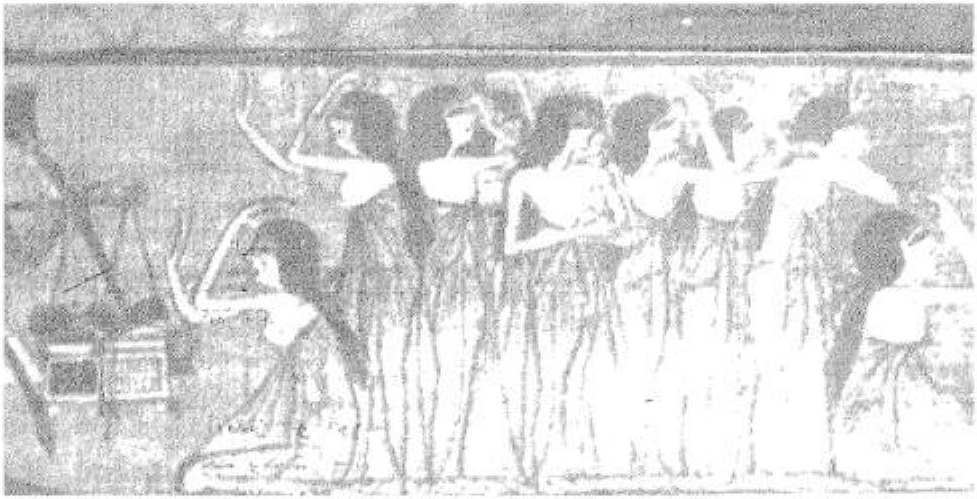
لقد فاقت خلقيات مصر ، الوصايا العشر ومتى ؟ قبل أن تكتب الوصايا العشر بالف سنة بل إن مصر بخلقياتها ومجتمعها سبقت العبريين بثلاثة الاف سنة وكان ادبها ركيزة للتوراة .

يقول فرويد وهو من اكبر علماء اليهود ( إن عقدة اليهود سبق مصر فى الحضارة ) .

وكما اعتمدت اليهودية على مصر فى ( العهد القديم ) اعتمدت المسيحية على مصر فى العهد الجديد . فالتثليث والاعتراف بالخطيئة والحلم بالمخلص . قالت بهذا مصر بعد عصر الأهرام يقول المستشرق الفرنسى اميلينو ( ان روح الله القدوس فى دستور الايمان المسيحى انما يقوم مقام « الالهة الأم » فى عالم اللاهوت المصرى ) .

وعرفت مصر التبتل بل اقدم ماعرف عن الزهد والورع الشخصى فى معناه الروحى العميق .

ويقول اميلينو ( إنه على الرغم من أن الشعب المصرى تعددت فيه الآلهة ظاهريا فإن الكهنة والحكماء من بينه كانوا يعلمون علم اليقين ان الله واحد ) .



واقول ليس الكهنة وحدهم بل افراد عاديون ايضا من سواد الشعب . يؤيد هذا قصة مرقص مع الاسكافى بالاسكندرية وسواء اصحت هذه القصة أم لم تصح فإن دلالتها باقية

● مصر وإيمانها العميق

إن الانسان المصرى اول زارع فى التاريخ كما ثبت بالكشف فى الحقبة الأخيرة ولذا يحب الايناس بطبعه والمصريون بعد الأديان السماوية نجد فى كل قرية ومدينة ولياً ، او صالحاً تتبرك به مع ايمان مصر العميق بالله الواحد . احب المصرى كل شىء كلون من الائتناس . يضفى عليه الايناس .. البشر .. الصمود .. الدعة . ان طرحها الحضارى فى حد ذاته دين.

دين كل عكوف على عمل عظيم .

حتى التماثيل التى يعرضون بها كانت فى مفهومهم مساعدة للانسان على التركيز .. كما كانت دليلا للروح عند عودتها الى صاحبها .

أن الصلاة فى الاسلام تصح فى اى مكان ولكن المسجد يجمع شتات النفس عند الصلاة كما لايستطيع مكان مفتوح خارجه .

لايمكن ان يتفق بلوغ هذا المستوى الفائق فى الهندسة والكيمياء . والطب والزراعة والصناعة والعلم والفن والأدب .. لايمكن ان تتفق هذه الحضارة بمعطياتها وانجازاتها مع عبادة حيوان يذبحونه او تمثال يسوونه بأيديهم .

يقول ، فرانسوا دوماس ، فى الفصل الثالث من كتابه ( ألهة مصر ) .
( من المؤكد ان هذه الالهة كانت تغرس دعائم قوية لنزعة حب الوطن المحلية ) .

اى ان الأمر ، لون من الشخصية أو الذاتية كعلم كل محافظة الى جانب علم مصر .

ويقول فرانسوا دوماس : ( هذا على التحقيق هو المنهج الذى يمكن أن نطبقه اليوم لمعرفة الدين المسيحى فى فرنسا . ان علم اللاهوت يجب ان يدرس فى ذاته وخارجا عن العبادات الخاصة ومهما تكن خصائص سانت ـ جن Saint-Gens أو سانت ـ آن دوراى Sainte-Anne-D'Auray ومقارس لورد Lourdes او لاسلت La Salette فانها لاتمس فى شىء صفات الله ( عز وجل ) أو حتى علم اللاهوت الخاص بالعذراء ) .

لقد أله المصرى : الزهرة والشمس والنيل والتاليه هنا معناه رؤية وجه من وجوه القداسة فى احساس بالكون كله .. بوحدة الوجود . لقد ابدعوا الحضارة ولكنهم وقفوا حيارى امام ظاهرتين : الحياة والموت . فقدسوا الروح حتى ولو حلت فى حيوان .

لقد رسموا البقرة ، شجرة والشجرة لها ثدى ، والانسان يرضع من الشجرة ولم يكن هذا عبثا من الفنان المصرى بل فلسفة كبيرة ، انه يرمز الى وحدة الكون فى غلاف من الرحمة التى وسعت كل شىء .. فالشجرة رمز عالم النبات ، والبقرة رمز عالم الحيوان بل رمز العطاء عند قدماء المصريين منذ ارضعت ( هاتور ) حورس من لبنها .

انها رهافة وجدان مصر التى فطنت من الاف السنين الى مايسميه الانجليز اليوم وحدة المعرفة . كانت مصر تملك الرؤية .. حتى الثعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجذرى فتشكيل الجسم فى لفات مستديرة رهيبة ، ونمو الرقبة والرأس وارتفاعهما .. هذه الهيئة كالجذع والساق .. ولأمر ما سمت اللغة العربية انثى الثعبان ( حية ) من حروف الحياة .

وشاع رسم الثعبان وتشكيله فى الحلى خاصة الخواتم والأساور .. ان مصر عندها ادراك رهيف بتيار الحياة السارى من النجوم الى اعماق الأرض من كائنات الخير الى كائنات الشر عندها شعور بسيال الحياة الجارى . لقد نجحت مصر فى الكشف عن مكنون الحيوان كمجلى من مجالى القدسية فى

هذا الوجود . الحيوان هو الحياة . والله يسمي الدار الآخرة ( الحيوان ) .

ولكن الذين لم يروا في ديانة مصر الا الوثنية انما نظروا اليها في عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح الخابى لاترى فيه الا ( صماد فانوس ) .

ان الحضارة المصرية التى يقال إنها وثنية ، كانت تبشر بالمسيحية والاسلام لان مستشف دقائقها فى الفن والتفكير يدرك وحدة الخلق في الحياة . والاحساس الشامل بالكون وهذا اساس الاسلام الذى لايكف عن الدعوة الى التامل والتفكير .

وجاك مارتان يقول في كتابه عن الفلسفة المدرسية :

« الفن المصرى نبوءة بالمسيحية » .

ومصر حين اعتنقت المسيحية ثم الاسلام كانت تصدر عن هذه الطبيعة لاسيما وان المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير .

لم يكن ايمانها إيمان التبعية والضعف بل ايمان الشخصية وقوتها ، فمن قوة الشخصية الا تخاف الجديد لان ما عندها كبير راسخ .. ومن السماحة وقابلية التطور ومرونة الادراك . ان تدرس الراى الآخر و تنفذ اليه فاذا اقتنعت به ، تقبلته دون جمود . واذا تقبلته نمت به وطورته واعطته وهو مافعلته مصر .

وبهذا استمر دورها على المسرح فلم تسقط الأضواء من على قسماتها ابدا .. فقد خرج من هذا التراب اشخاص حققوا معنى الدين في المرحلتين المسيحية والاسلامية ..

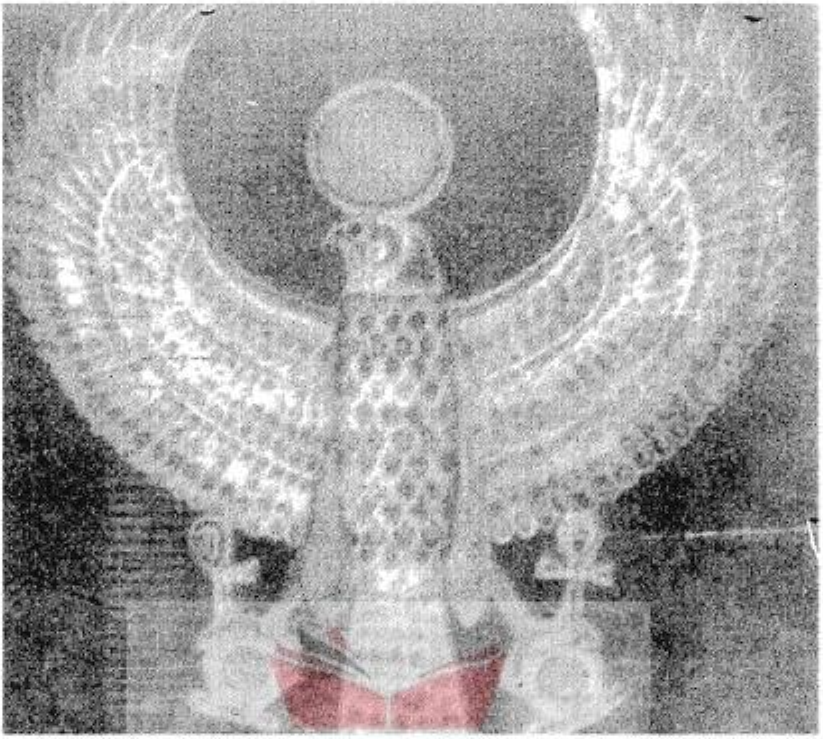


ولولا ان مصر فى قلبها نزوع الى السمو من قديم ، لما تقبلت المسيحية والاسلام بمثل ماتقبلتهما .
إن الحضارة المصرية هى القاعدة الكبيرة للديانات السماوية بشوقها الى المطلق ونزوعها الى التجريد وولوعها بالقيم فى الفكر والروح
إيمان مصر ليس الشكل ولكنه الاتحاد بالكون ايمانها استماع الى المعزوفة الكبرى للخالق الأكبر والأقدر والأعظم .
وينفتح القلب ويشرب النغم .
وتتوهج الروح اذ تلمسها الشرارة المقدسة . ويبصر الانسان بعد أن رأى .
واذ وصلت مصر واتصلت عرفت الخلوة سبيلا الى التأمل والتفكير .. فابتدعت الرهبانية فى المسيحية ووضعت اسس التصوف فى الاسلام .

## لقاءات مصر مع الاسلام



ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ « سيت » هيئة خنزير وفقا عين « حورس » فحرمت الديانة المصرية أكل لحم الخنزير .
وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .
والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب « الحضارة الطبية فى مصر القديمة » ( امر ليس بالغريب خاصة انه نابع عقائديا ) كما يقول هذا الكتاب ان : ( النظافة كانت عندهم عقيدة قبل ان تكون سبيلا للصحة القومية )
اكرمت مصر الاسرة واوصى بها الاسلام خيرا حتى ابى عليها التفكك ولو اشركت . الاية ( وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) . ١٥ ك لقمان ٣١ .
أكرمت مصر الأم ورفعها الاسلام الى ذرى عالية .
كرمت مصر الزوجة وجعلها الاسلام سكنا آمنا .
وماثورات مصر فى هذا كله موضوع كبير .



حورس اله .. التوحيد



اقول الوثني يقف عند الرمز ، وكبير القلب والعقل يتجاوز الرمز الى المرموز كما يقول شوقي :

ذهبوا في الهوى مذاهب شتى ... جمعتها الحقيقة الزهراء
فإذا لقبوا قويا ، الها ... فله بالقوى إليك انتهاء
واذا آثروا جميلا بتنزيـ ... ـه فان الجمال منك حباء
واذا انشاوا التماثيل غرا ... فاليك الرموز والايماء
إن يكن غير ماأتوه فخار ... فانا منك يافخار ، براء

كلمة اخيرة ارجو ان يصغى اليها الذين يعالجون دراما التاريخ المصرى هذه الكلمة قالها عبد القادر حمزة صاحب كتاب ( على هامش التاريخ المصرى القديم ) [ لن تتم على احدكم نعمة الايمان بمصر حتى يحيط بتاريخها علما ]

ولكن مَنْ يعرف تاريخها أو حقها ؟!

# الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

بقلم : د. ميلاد حنا

سوف تشاهد الشوارع ضيقة ومرصوفة بالبلاط من كتل البازلت ومضاءة بالغاز مثلما كان الحال فى حوارى القاهرة قبل الحرب العالمية الثانية ، وبيت العمدة جميل ومتسع ولكن ليس مزودا بمواسير التدفئة المركزية كما هو الحال الآن لأن مصدر التدفئة المتاح هو الفرن وقد تم توصيله بشبكة من المواسير الفخار تحت الأرضية الخشبية ، وكذلك نماذج السراير وغرف الاستقبال من الاثاث الحقيقى الذى جمع منذ أكثر من مائة سنة وليس من الأثاث الخشبى البسيط غير المدهون وه المودرن » والذى اشتهرت به السويد وصدرته الى كل بلدان العالم أخيرا .

وقامت ادارة الجزيرة بتوفير مبالغ لشراء ونقل مزارع قديمة بما تحتويه من وسائل بدائية لحرث الأرض وجمع المحاصيل كما كانت مستخدمة قديما ، وكان كل ذلك موزعا باتقان بين مساكن وحوانيت عدد من الحرف تمثل ماتحتاجه القرية من نجار وحداد وصباغ وبعض الحوانيت لبيع السلع قديمة النمط والوسائل .

وكان طابور الزائرين طويلا وبالذات من الشباب والأطفال لدخول وزيارة الحانوت والبيت القديم لصانع « القنينات » الزجاجية الملونة وقد وقف بملابسه الزرقاء امام الفرن القديم ينفخ الماسورة ويلويها فى رشاقة حتى يشكل القطعة المنصهرة من الرمال البيضاء من الفرن ، لتصبح قنينة او تمثالا ملونا ، يدفع فيه الزائر عشرات امثال ما يدفعه فى تحفة من الكريستال البلورى والذى يصنع فى قوالب ميكانيكية ويباع فى ارقى المحلات ، لأن الأولى صناعة يدوية وتحفة غير نمطية ومن متحف جزيرة اسكانسن .

وكان مصدر إعجابى والذى تجسم فى حديثى هو ما لمسته من ان بلدية

منذ اكثر من عشر سنوات .. كنت في زيارة شبه رسمية الى السويد كرئيس لجمعية الصداقة المصرية السويدية وبدعوة من الجمعية المقابلة في استكهولم .

وفي اجتماع ودي تبادلنا الكلمات فوجدتها فرصة جيدة لان ابدي اعجابي بما قامت به مدينة استكهولم عندما قررت ان تخصص احدى جزرها واسمها « سكانسن » لكي تكون متحفا مفتوحا وحيا على كامل سطح الجزيرة يصور نمط الحياة في السويد في القرن التاسع عشر . وخصصوا لذلك ميزانية ضخمة وكونوا لجانا فنية ظلت تجاه الاشياء [illegible] مابقي من مبان خشبية قابلة للنقل .. وتصلح لأن [illegible] ويتنسق بتجاور بعضها البعض حتى تتصور بالنقل وانت تجوبها وكأنك قد انتقلت الى قرن مضى وتعيش في احدى القرى السويدية .

استكهولم قد رغبت فى ان تنقل رسالة هامة الى الأطفال والشباب والذين ينبهرون بالمنجزات التكنولوجية الحالية ودرجة التحضر والرقى ومستوى المعيشة المرتفع ، دون ان يفكروا فى النضال والمعاناة التى عاشها الجدود فى البرد والثلج والصقيع حتى تصل إليهم هذه الحضارة بهذه الصورة .

## ● مصر متحف العالم

وعندما قام الرئيس السويدى ـ للجمعية المقابلة أى الصداقة السويدية المصرية ـ رغب فى ان يرد التحية بابلغ منها ـ فقد كان خبيرا فى الآثار المصرية فقال ما معناه :

إذا كنت تمتدح بلدية استكهولم وما قامت به من إبراز تراث القرن التاسع عشر لكى يتعلم منه شبابنا وأولادنا ، فإننى أشعر بالعجز والقصور عندما نقارن مصر بالسويد ، فبلادنا لايبدأ تاريخها المعروف والمسجل الا منذ نحو الف عام عندما غزا بلادنا الفايكنج ليأخذوامنها ومن روسيا الفراء وبعض العبيد لتباع فى أسواق الشرق الأوسط وروما وبيزنطة .

أما مصر ـ وقد تجولت فيها كثيرا ـ فهى بحق متحف العالم لأنها تكون سلسلة من الرقائق الحضارية فوق بعضها البعض . لقد زرت الأقصر بما تحتويه من روائع معمارية تعبيرا عن عصر الفراعنة ، كما زرت جزيرة فيلة ومعبد أدفو تعبيرا عن العصور الحديثة لحقبة الفراعنة والعصر البطلمى كبداية للحقبة المسماة اليونانية الرومانية ، ثم زرت الكنيسة المعلقة وكنيسة ابو سرجة بمصر القديمة والأديرة فى الصحراء وأعرف فضل مصر على المسيحية واخيرا هناك مصر الاسلامية بكل ماتحمل من تراث حى تعيشونه

# الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

اليوم ... اننى اتمنى ان تتحول « القاهرة القديمة » الى متحف حى كبير مثل اسكانسن فى استكهولم وستجدون الافا وملايين الزائرين والذين سوف يستمتعون برقائق من الحضارات فوق بعضها البعض ونتيجة هذا اللقاء ، حفرت هذه العبارات فى وجدانى واختزنتها فى قلبى سنوات طوال كنت خلالها لا أمل من ان أردد أن مصر رقائق من الحضارات Layers of Civilisation وظللت انقب فى كتب التاريخ حتى اتعرف على هذه الرقائق المتتالية وكيف أثرت فى تركيب الشخصية المصرية .

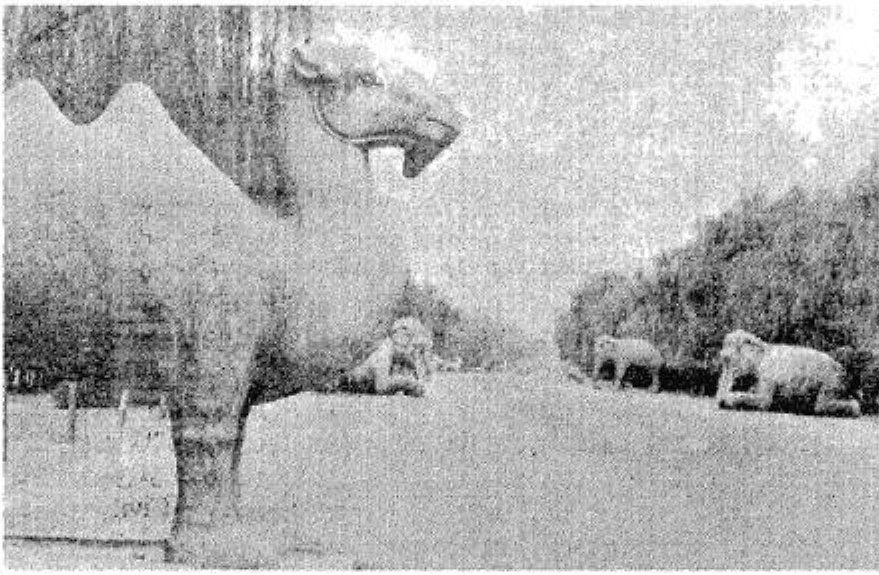
هذه واحدة أو واقعة ، اما الواقعة الثانية فكانت فى الصين

وفى عام ١٩٨٥ ـ وعندما كنت رئيسا للجنة الاسكان بمجلس الشعب ـ دعيت فى زيارة رسمية لكل من اليابان والصين وكان هدفى الرئيسى غير المعلن أن اتعرف عن قرب على الشخصيتين الصينية واليابانية واللتين تبدوان لنا كاللغز فشخصيتا الأوروبى والأمريكى معلومتان لدينا لأنهما تنتميان بشكل أو بآخر لذات حضارات حوض البحر المتوسط والتى نفهم مفاتيحها ولذلك عندما نتكلم بالاشارة ولغة العيون يصل المعنى او جزء كبير منه على أى حال

عندما ذهبت الى اليابان انبهرت بحضارتها وادركت ان لها سرا لم تدرك مكمنه بعد لأن الشخصية اليابانية تناقض الشخصيتين الأوروبية والأمريكية وربما تحمل لهما بعض العداء ولكنها بالصبر والاصرار والتقشف شقت الطريق الصعب اصبحت القوة الاقتصادية الثانية فى العالم ، واعتقد شخصيا ان الديانتين « البوذية » و« الشنتو » قد ساهمتا ضمن عوامل اخرى فى تكوين الشخصية اليابانية المنضبطة والملتزمة والصبورة والتى تعمل فى صمت والتى نلمس نتائجها فى الانجازات التكنولوجية والاقتصادية الباهرة .

وعبرت الحدود إلى الصين فإذا بها عالم آخر جديد وادركت لأول وهلة أنها مثل مصرنا تتميز شخصيتها القومية بكل من عقدة الكبرياء Superiority Complex نظرا للتراث الحضارى السحيق وما قدمته الصين للعالم من معرفة وأثره المنتشر فى كل بلدان شرق آسيا ولكنها متأثرة كذلك بعقدة النقص مثلنا Inferiority Complex لأن مستوى الحياة فيها الآن هزيل ولاينكرون انهم جزء من العالم الثالث .

دعونى هناك لزيارة مقابر عائلة او اسرة مينج Ming Dynasty (١٤٠٩ ـ ١٦٤٤م) والتى كانت تحكم الصين من القرن الخامس عشر الميلادى وهذه المنطقة تبعد نحو خمسين كيلومترا فى اتجاه الشمال الغربى من العاصمة بيكين ويسمونها « مقبرة الـ ١٢ امبراطورا » ، فإذا بى اجد أوجه شبه كثيرة بينها وبين



الطريق الى مجموعة مقابر اسرة مينج ، على غرار طريق الكباش بمصر



مجموعة مقابر وادى الملوك ، بالبر الغربى امام الاقصر فمجموعة المقابر الصينية منحوتة داخل جبل واخذ نحتها فى مجمله نحو ٢٠٠ عام وقد وضعت التوابيت الحجرية داخل الغرف الجنائزية وبطريقة تقارب ما يوجد لدينا من عهد الفراعنة ، كان الأمر اللافت لنظرى هو ان فى الطريق الى المقابر تم انشاء طريق يشابه كثيرا طريق الكباش فى الأقصر والذى يربط بين الاقصر ومعبد الكرنك على البر الشرقى فيما عدا انهم قد أنشأوا تماثيل لبعض الحيوانات المشهورة لديهم مثل الجمل والفيل والزرافة وغيرها .

● امتزاج الحضارات

ولذلك فإننى لم أستطع ان أمنع خيالى منذ رحلة العودة من زيارة هذه المقابر والى الآن ـ من ان اربط بينها وبين تاريخنا ، وكثيرا ما كنت أجرى حوارات مع مستر تشنج المستشار الثقافى بالسفارة فى القاهرة حول حتمية وجود علاقة ما بين حضارة مصر وحضارة الصين ، وفى تقديرى أو تخمينى فإن عائلة او اسرة مينج لابد ان تكون قد سمعت عن مقابر قدماء المصريين وطريق الكباش ... وهذا ـ على اى حال ـ مجال اكاديمي جيد لم يطرق كثيرا بعد ، لا من علماء الصين ولا من علماء مصر لاكتشاف روابط قديمة بين الصين ومصر .

ولذلك كان محور حديثى فى حفلات العشاء الشهيرة لولائم الضيافة الصينية من عشرات الأطباق الصغيرة التى تقدم على مراحل عبر ساعات ، كان يدور حول

# الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

العلاقة الحضارية بين مصر والصين وكيف ان كلا منهما من الحضارات العميقة في التاريخ وتسبق ظهور المسيحية بمئات وربما آلاف السنين وان كان هناك إتفاق عام على ان حضارة مصر أسبق وأكثر عمقا وأثرا وآثارا ... !!

ومن هنا فقد رغبت فى ان ابرز ان الشخصية المصرية تختلف عن الشخصية الصينية من مطلق ان حضارة الصين قد امتدت آلاف السنين ولكنها احتفظت بنفس الدين وبذات اللغة فتعاليم كنفوشيوس وبوذا ظلت سائدة حتى الآن رغم التغيرات الجزئية التى تمت بها ، ولكن خط مسارها وممارساتها وعباداتها وعقيدتها ومعابدها واحدة ومستمرة حتى الآن .

وكذلك احتفظت الصين بذات اللغة المبنية على فكرة أو مبدأ الأشكال Characters لمدة تزيد على ستة آلاف سنة الآن فهى ليست بالحروف الابجدية كما نعرفها فى العبرية او اللغات اللاتينية ويحتوى قاموس اللغة على نحو ٤٠ الف شكل وكل منها عبارة عن كلمة ومن بين تلك هناك نحو من خمسة الى ثمانية آلاف شكل هى الشائعة والمستخدمة حاليا وقد تطورت اللغة لتسهيل كتابتها وطباعتها ولتتسع لادخال كلمات وأشكال جديدة تناسب تطور الزمن والانجازات التكنولوجية التى تتطور كل يوم ولكنها ظلت فى جوهرها لغة واحدة ممتدة هذه الآلاف من السنين .

بينما نحن المصريين قد غيرنا اللغة والدين ثلاث مرات أساسية عبر التاريخ فقديما ، كانت عقيدتنا هى معتقدات قدماء المصريين وآلهتهم المتعددة والمتطورة مع الزمن بما فيها ثالوث طيبة ، اوزوريس وايزيس وحورس وكانت لغتنا هى اللغة الهيروغليفية المبنية على أساس الأشكال مثل اللغة الصينية ثم تطورت لتكون ابجدية ، ولكن مع دخول الإسكندر الأكبر مصر عام ٣٢٣ ق . م . تأثر المصريون باللغة اليونانية الجديدة فأخذوا منها حروفها الأبجدية المعروفة وأضافوا اليها سبعة حروف ابجدية اخرى أخذوها من اللغة المصرية القديمة بعد تطويرها ثم كتبوا بها لغتهم المنطوقة فصارت لغة جديدة هى اللغة القبطية .

وقد تصادف بعد ذلك بقرون قليلة جدا ان ظهرت المسيحية ودخلت مصر فآمن بها شعبها تدريجيا وعلى مراحل ، ورغم حملات اضطهاد شديدة تحول الشعب المصرى فى حدود القرن الثانى الميلادى للايمان بالمسيحية وتكلم اللغة القبطية فى وقت معاصر فجاءت رقيقة جديدة من الحضارة فوق المرحلة الرومانية - اليونانية وملازمة ومتداخلة معها ، وقد ساهم اقباط مصر فى تشكيل وصياغة الايمان المسيحى وأرسوا قواعده واصوله من خلال مجامع مسكونية معروفة كما ادخلوا الى العالم نظام الرهبنة .

وفى القرن السابع الميلادى دخل العرب مصر فى ظروف فريدة غير متكررة حيث كان اقباط مصر المسيحيون يناضلون من أجل الاحتفاظ بعقيدتهم الأرثوذكسية فى تفاصيلها الدقيقة ضد الحكام والغزاة المسيحيين فى بيزنطة ولذا كان لأقباط مصر وقت دخول العرب ـ قيادتان للرئاسة الدينية أولاها من قبل الملك وتسمى « البطريرك الملكانى » والأخرى بطريرك قبطى مصرى شعبى يناضل مع جماهيره المتمسكة بالعقيدة المسيحية المغايرة فى تفاصيلها عن عقيدة الامبراطور البيزنطى والمسيحى ايضا .

وهكذا اعطى عمرو بن العاص ـ الفاتح العربى ـ الأمان لأهل مصر فدعا البطريرك بنيامين والذى كان هاربا فى الاديرة والفيافى لمدة ١٣ عاما وأمنه على نفسه وكنائسه وأديرته فرحب الاقباط بالفتح الاسلامى ، ومن هنا جاء الفتح بالرضا وليس غزوا بحد السيف مما أوجد علاقة خاصة جدا بين المسلمين الفاتحين واهل البلد الأصليين من الاقباط المصريين المسيحيين وهذا هو أحد اسباب استمرار المسيحية فى مصر حتى الآن وعبر ١٤ قرنا من الزمان واستمرت المسيحية جنبا الى جنب مع الاسلام منذ القرن السابع وظلت الديانتان متعايشتين عدة قرون وكذلك اللغتان القبطية والعربية ظلتا مستخدمتين معا فى مصر لنحو خمسة قرون ، ولم يتحول الاسلام الى اغلبية ولم تسد اللغة العربية وحدها الا فى نحو القرن الثانى عشر ولم يكن ذلك ممكنا ان يحدث الا فى مصر دون دماء او خلافات او عصيان ... فى الوقت الذى كانت البلاد الاسلامية الأخرى غارقة فى النزاعات المذهبية والطائفية .

## ● إسلام موحد

وبدخول مصر العصر الاسلامى تكونت الرقيقة الرابعة والعليا من الرقائق الحضارية وهى تتميز بإسلام موحد له نكهة مصرية خاصة فتجده من الناحية الرسمية والمظهرية إسلاما سنيا ومن ناحية الممارسات مع الحسن والحسين وأضرحة اهل البيت بل لعله متأثر ببعض الممارسات القبطية والفرعونية القديمة وبالذات فى الأمور التى تتعلق بالموت والشعائر الجنائزية والاحتفال بالاربعين وزيارات المقابر وما الى ذلك .

وإذا كانت هناك رقائق أربع من الناحية التاريخية وقد اثرت فى تواليها على الشخصية المصرية ، فمن المؤكد أن شخصية مصر والمصريين قد تأثروا فوق ذلك وقبله بالانتماءات التى تمليها ظروف موقعها الجغرافى المتميز .

١ ـ قلب البلاد العربية كلها هو مصر ، ولا دور لمصر فى العالم دون العرب وإلا أصبحنا دولة من الدرجة الثالثة أو الرابعة وكأحد بلدان أمريكا اللاتينية ، كما أنه قد تأكد للعرب الآن انهم متفرقون مكسورون وبفاعلية محدودة بدون مصر ولا أمل من ان اذكر التشبيه الهندسى من ان مصر هى العامود الرئيسى الذى يحمل قماش الخيمة العربية ولذا فان قماش الخيمة يسقط على الأرض حتى وان كان من حرير ومطعم بخيوط من ذهب اصفر أو أسود كما ان عامود الخيمة يصبح مجرد قطعة من الخشب لاقيمة لها بدون الخيمة وسيتعرض وحده للرياح والأنواء فى

صحراء السياسات الدولية فيسقط مالم يتوفر له غطاء وحبال الخيمة .

٢ ـ ولمصر انتماء جغرافي آخر وهو انتماؤها الى حوض البحر الابيض المتوسط وقد تدعم هذا الانتماء الجغرافى حضاريا من خلال الحقبة الرومانية ـ اليونانية التى اعقبت الفترة الفرعونية ولذا فهناك مفكرون كثيرون ويعتزون بهذا الانتماء من امثال طه حسين وأحمد لطفى السيد ورفاعة الطهطاوى والخديو اسماعيل وغيرهم ولكن الخطأ يكمن فى ان يوضع هذا الانتماء البحر أوسطى كبديل للانتماء العربى واننى لأرى ان الانتماء الأوسطى لايأتى فقط فى مرتبة تالية للانتماء العربى ولكننى اراه مكملا له .

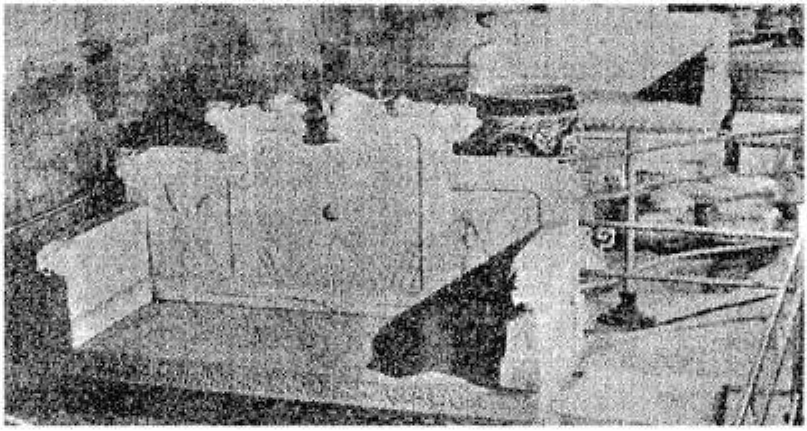
٣ ـ واخيرا وليس آخرا يأتى العامود السابع وهو انتماء مصر الأفريقى والذى اراه ليس فقط انتماء جغرافيا ولكننى اراه سبيل المستقبل لحل مشاكل مصر الاقتصادية والتى ستتفاقم نتيجة زيادة السكان ، لأن السوق العربية للعمالة المصرية فى سبيلها الى النقصان والى تذبذبات فى ضوء تغيير اسعار النفط ولكن السوق الافريقية قادرة ولسنوات واحقاب قادمة على استيعاب العمالة المصرية ليس فقط بالنسبة للعمال اليدويين فى مجالى التشييد والبناء او غيرهما ولكن بالنسبة لكل المهن من طب وهندسة وإدارة ومحاسبة وزراعة وبيطرة وغيرها .

### ● المصرى حامل الحضارات

إن مارغبت ان أوضحه للقارىء هو ان المصرى ليس شخصية مسطحة ولكنه حامل لحضارات وانتماءات متعددة تبدأ بالرقائق التاريخية من الفرعونية ، ثم الرومانية ثم القبطية ثم الاسلامية وهذه فى مجموعها تكون النسيج النفسى للمصرى ، فضلا عن انتماءات اصيلة فرضتها ظروف موقع مصر الجغرافى من الانتماء الى الأمة العربية ثم مجموعة حوض البحر المتوسط واخيرا الانتماء الى افريقيا .

على ان هذه الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ليست متساوية فى الطول او القطر اى ليست كأسنان المشط ، ولاتتمتع عند كل منا بذات القدر ، فبعض الفئات فى مصر وبالذات اهل الصعيد والأقباط يعتزون بالانتماء الفرعونى ويضعونه فى الصدارة ، وكثير من المتدينين المصريين لايجدون مصر الا اسلامية اولا واخيرا ، والعديد من المثقفين وبالذات ممن اختلطوا او تعلموا فى مدارس اجنبية ينمون مصر الى البحر المتوسط ويدللون على ان الاسكندرية قريبة الشبه من بيريه واثينا ونابلى .

اما اهالى مديرية اسوان وبلاد النوبة فان ارتباطاتهم مع السودان تدفعهم الى تغذية انتماء مصر الى افريقيا ، ومن هنا جاء تباين الوان البشرة من البياض الناصع الى اللون الخمرى الى السمرة الداكنة ولكننا نعرف التفرقة العنصرية ولانحبها وفى هذا الأمر لا اود ان ابرز انتماء على آخر أو افضل ـ على سبيل المثال ـ انتمائى العربى على انتمائى القبطى ، لأننى ارى ان السياسى الذكى



وضعوا اريكة رخامية فى المقبرة مثلما فعل القدماء المصريون

هو الذى يستطيع ان يستثمر هذه الباقة الفريدة من الانتماءات وفقا لمقتضيات الحال والمتغيرات التى تحدث فى عالم سريع التغير، بذات القدرة التى يستخرجها مايسترو الموسيقى من جملة الات العزف لكى يخرج سيمفونية تطرب لها كل الآذان. ولكى ادلل على وجهة نظرى اذكر كيف ان قرار جامعة الدول العربية بطرد مصر من الجامعة عام ١٩٧٩ ـ عقب توقيعها معاهدة كامب دافيد ـ لم يؤد لا الى سقوط النظام ولا لعزل مصر وان كان قد ادى الى اغتيال السادات، ذلك ان مصر ـ حكومة وشعبا ـ وبسرعة قد وطدت علاقاتها مع كل من دول البحر المتوسط وأفريقيا ودول المجموعة الاسلامية وأمكنها ان تقتحم أولا المؤتمر الاسلامى فى يناير ١٩٨٧ وسيكون ذلك ولا شك توطئة لعودتها الرسمية. الى الجامعة العربية.

ومن المفارقات انه فى الوقت الذى حرمت فيه مصر رسميا من عضوية الجامعة العربية، كان عدد العاملين المصريين فى كافة الدول العربية مقدرا بالملايين تعبيرا عن انتماء وعلاقة اصيلة يصعب قطعها بقرار سياسى.

على أن الهدف من كل هذه الدراسة التاريخية للشخصية المصرية هو اكتشاف النواحى التى تدعم الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط.

خلاصة القول هى ان مصر قد احتضنت الاديان السماوية الثلاثة، ففى المرحلة الفرعونية دخل ثم خرج اليهود وتعلم موسى بكل حكمة المصريين، وتأثرت اليهودية بمعتقدات المصريين القدماء وكذلك المسيحية فقد احتضنتها مصر وساهمت من خلال اثناسيوس الرسولى وغيره فى صياغة قانون الإيمان، وكذلك ساهمت مصر والأزهر فى صياغة الفقة والشريعة الاسلاميين.

ولذلك فإن شعب مصر هو شعب متدين ولكنه غير متعصب فالتعصب هو تعبير عن أحادية الانتماء اما هذه الباقة الجميلة من الحضارات والانتماءات والتى تكون وجدان المصرى، لابد أن توفر له سبل الانفتاح والتفاهم بالحوار والتعقل دون التعصب.

بقلم :
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى



# حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين

لاتظهر الشخصيات البارزة فى فراغ ، بل هى فى الواقع نتاج عصرها : تمتص مؤثراته وتتجاوب معها سلبا وإيجابا ، وتنجح او تفشل بحسب الظروف المحيطة وبحسب تعبيرها عن متطلبات العصر . وحسن البنا ابن عصره ، فقد تجاوب مع اشفاق مسلمى مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية على دينهم وتراثهم واستقلالهم فى مواجهة زحف المؤثرات الغربية التى اخذت تدق الأسافين فى البناء الفكرى والاقتصادى والاجتماعى فى مصر وتوجه الهجوم الى الاسلام والمسلمين وبالاضافة الى ذلك فقد تحمس كثير من المصريين ، وبخاصة من أصاب منهم تعليما غربيا ، وأعجبوا بالحضارة الغربية اعجابا مبعثه أن الغرب حقق نظاما ناجحا يقوم على الدستور ويحدد سلطة الحاكم ويقيم العدالة ويقر حرية كل من الفرد والمجموع . كما عزيت حيوية أوربا الى نظامها التعليمى وتنظيمها الاجتماعى ودعمها لروح البحث الحر وما اسهمت به المنظمات والجمعيات الخاصة فى تقدم أوربا اقتصاديا وانسانيا .

ولقد أذنت حركة الاقتباس عن الغرب بزعزعة القالب التقليدى للمجتمع المصرى واستيراد مجموعة من النظم والقوانين والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة على الكتل الجماهيرية ولا تتمشى مع حاجات ومشاعر وآمال المواطنين . ومما ساعد على ظهور الأزمة المترتبة على المؤثرات الغربية أن أوربا فى ثقتها غير المحدودة بنفسها وما ترتب على ذلك من نزعات عدوانية واستحواذية كانت تبدو وكأنها تضع العالم بأسره فى قبضتها فى الوقت الذى اشتدت فيه الحملات على الدين الاسلامى . وكانت مشكلة الحضارة الغربية وما صاحبها من غزو واستعلاء من أعقد المشكلات التى واجهها المفكرون : فمنهم من اتجهوا الى طرح التقاليد القائمة على زعم أنها مصدر النكوص والجمود والضعف وأبدوا حماسة للاقتباس عن الغرب ونشر علومه ونظم حكمه وأساليبه التعليمية وبثها فى الشعب حتى يستيقظ ويتحرر من السيطرة الغربية . ومنهم من رفضوا الغرب وأبوا مسالمته ودافعوا عن تراثهم باعتباره منبع المقومات الأصيلة . ومنهم من حاولوا التوفيق بين التراث العربى ـ الاسلامى وبين منجزات الغرب .

## مقاومة الاضمحلال

وقد أدى كل ذلك إلى ظهور حركات التجديد الإسلامى فى مصر وسائر الأقطار الإسلامية وهى الحركات التى اتخذت إما شكل إحياء سلفى كما هو الحال بالنسبة الى "الوهابية" والسنوسية والمهدية أو شكل تجديد عصرى . ذلك أن المجتمع العربى ـ الاسلامى كانت تتهدده من الخارج قوى نشطة فى الوقت الذى كان يتهدده من الداخل نوع من الاضمحلال والغيبوية ونقص فى الحيوية والتماسك ، وهكذا نجد جمال الدين الافغانى يبذل ما فى وسعه لمقاومة هذا الاضمحلال الداخلى حتى ولو سار على خطى ثورية ، فى حين تصدى "المهدى" فى السودان لمظالم "التركية الأولى" وكانت الحركة السنوسية فى طرابلس





محمد عبده



جمال الدين الافغانى



محمود فهمى النقراشى

## حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين

وبرقة تمثل فى بعض نواحيها احتجاجا ثوريا على عجز الاتراك وفسادهم واستغلالهم . وقد رفضت هذه الحركات السلفية في مجملها الغرب فى الوقت الذى جرت فيه محاولات للتوفيق بين الميراث الحضارى الاسلامى وبين الحضارة الغربية المتفوقة وانبهر فيه الكثيرون بالحضارة الغربية . ومما ساعد على انتشار المؤثرات الغربية فى مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية ضعف سيطرة الدين واهتزاز مكانة رجال الدين ووقوفهم موقفا سلبيا من المشكلات التى واجهت منطقة تتعرض لتحديات العلم التطبيقى الغربى وازدياد اهمية الفكر المستند الى العقل والطبيعة . ورغم اضمحلال الاسس القديمة التى قام عليها المجتمع المصرى فانه كان لايزال يستند الى هيكل من الولاءات والمسئوليات التى ربطت مختلف الجماعات والطبقات الاجتماعية بعضها ببعض ، ولو أن القالب القديم قد اهتز من اساسه فى الوقت الذى تم فيه استيراد مجموعة من النظم والمقاييس الغربية التى ظلت لفترة طويلة غريبة على الكتل الجماهيرية ولا تتمشى مع حاجيات ومشاعر وآمال السكان المسلمين . والنتائج الاقتصادية المترتبة على المؤثرات الغربية معروفة بما فيه الكفاية : الانفجار السكانى الذى لم تصحبه زيادة فى المؤن الغذائية واتساع الهوة بين الفقراء والاغنياء وخلق أطماع وشهوات جديدة تفوق ظهور وسائل الوفاء بها

### ● تحدى المشاعر

وقد أدى عدم التوازن المترتب على تحلل النظام الاقتصادى التقليدى الى تغييرات هامة اخرى ربما أهمها إضعاف الروابط الاجتماعية القديمة والأساليب والولاءات التقليدية . كما أن ازدياد حجم التصنيع وانتشار الهجرة الى المدن قد أثرا فى عملية الاقتباس من الغرب بحيث كادت تكتسح البنيان الثقافى الفوقى وتدمر الاسس التقليدية التى قام عليها المجتمع المصرى ـ وكل ذلك أدى الى اضمحلال النظام الثقافى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القديمة وبالتالى فقد واجه المجتمع المصرى نوعا من عدم الاتزان أدى الى حدوث ازمة حضارية لم تحسم حتى الآن . وفى اعقاب الحرب العالمية الأولى قامت فى مصر حكومات ليبرالية يوجهها العلمانيون المتأثرون بالحضارة الغربية مما كان يعنى الانهيار النهائى لمجتمع العصور الوسطى ، وزوال التأكيد على المميزات الدينية التى كانت شديدة الأهمية حتى ذلك الوقت ، وتراجعت الشريعة الاسلامية التى حلت محلها دساتير ونظم برلمانية وقوانين غربية ، فى حين ألغت الحركة الكمالية فى تركيا الخلافة وفصلت الاسلام عن الدولة ، وهو ما هلل له الليبراليون . وفى عام ١٩٢٥ والعالم العربى ـ الاسلامى مشغول بنتائج الغاء الخلافة العثمانية نشر على عبدالرازق ـ القاضى الشرعى المصرى الذى كان قد أصاب

بعض الثقافة الغربية - كتاب عن "الاسلام واصول الحكم" الذى صدم عواطف الناس بجراة وعنف . وتحدى مشاعرهم وشكك - أحيانا بسخرية - فيما تطمئن اليه نفوسهم وربط التقليديون . وفى طليعتهم الأزهريون . بين كتاب على عبدالرازق وبين المؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع وحينئذ اصطدمت المؤثرات الحديثة . التى كانت ثورية فى طابعها . بالارتباط العزيزى بالتقاليد الدينية . ومن ثم الهجوم العنيف عليه وعلى طه حسين الذى اتبع المنهج الديكارتى فى تناول قصص القران فى كتابه "الشعر الجاهلى" وفى نفس الوقت الذى تعرض فيه الاسلام للهجوم من جانب المبشرين والاستعماريين .

## حسن البنا والاخوان المسلمون

وجاء رد الفعل ... فى اواخر العشرينيات من القرن العشرين على شكل جمعيات دينية كانت تنشط فى أوساط الطبقة الوسطى فى المدن وتزداد اهميتها بمرور الايام . وسرعان ما تحولت هذه الجمعيات الى مراكز يتعايش فيها الدين والوطنية ، فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه جمعيات اخرى ذات طابع دينى وسياسى اهمها جماعة "مصر الفتاة" وجمعية الاخوان المسلمين التى تاسست فى عام ١٩٢٧ على يد حسن البنا . وقد تصدت جمعية الاخوان المسلمين للدفاع عن الاسلام والحضارة الاسلامية ونددت بالسياسة التى كانت تتبعها الدول العظمى فى البلدان الاسلامية . كما تصدت لآثار الاقتباس المتسرع من الغرب على العادات الشرقية ولكن لم يتم سخطها تبرء مثلما كانت تثيرها الاحكام التى اطلقها المستشرقون على الاسلام وتصريحات المبشرين وفى نفس الوقت اصابت الحركة الفاشية نجاحا فى ايطاليا بعد ان استولى موسوليني واتباعه على الحكم وندووا بالديمقراطية والنظم البرلمانية الغربية وركزوا على مزايا الدكتاتورية التى اعجب بها الكثيرون فى مصر والشرق وتوقعوا تحقيق كثير من الانجازات تحت قيادة الزعيم الاوحد والحزب الواحد وكان لذلك اثره على تنظيم جماعتى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة الناشئتين .

وقد بدأ حسن البنا نشاطه فى الاسماعيلية التى كانت تقطنها جاليات أوربية متنوعة تحيا حياتها الخاصة المخالفة للانماط الاسلامية وسرعان ما اجتذب الى صفه جموع ابسط طبقات الشعب والحرفيين الوطنيين والطلاب والبورجوازية الوطنية الصغيرة تم اغراه النجاح الذى اصابه بنقل قاعدة نشاطه الى القاهرة التى اسس فيها شعبا للجماعة واتخذ منها المركز الرئيسى لدعايته ومنها كان ينتقل للقيام بجولات دعائية فى الارياف والمدن المجاورة . ومما جذب الكثيرين الى دعوته انه كان يبشر بمنطلق جديد يستلهم التفسير الاصولى للاسلام ويرفض المؤثرات الغربية جملة وتفصيلا . فقد سعى الى بناء المجتمع على شكل جامعة اسلامية عصرية تلعب دورها فى تحقيق سلام العالم وبناء الحضارة الانسانية على اساس جديد يقوم على التاكيد على المبادىء العالمية للاسلام الداعية الى الاخاء والقيم الروحية . وهكذا قدم البنا جماعته باعتبارهم بديلا لحكم الساسة

العلمانيين وبالتالى للنمط الاوربى المستورد فيما يتعلق بالحكومة والمجتمع . وقد ساعدت نشاطاته ومقوماته الشخصية وايمانه بمبادئه ، الى جانب اوضاع مصر العامة ، على سرعة انتشار دعوته التى مست وترا حساسا لدى قسط كبير من الكتل الجماهيرية التى قل ايمانها بالزعامات التقليدية المتصارعة . فقد كان متواضعا حاد الذكاء قوى الذاكرة شديد الفصاحة وخطيبا مفوها يهز مشاعر سامعيه ببلاغته واستشهاده بالآيات القرانية والاحاديث النبوية . مما ادى الى سيطرته على جماعته سيطرة مطلقة بالصورة التى غطت على الزعامات الاخرى المحتملة . خاصة انه كان من انصار الزعامة الفردية . وقد التقت جماعته منذ نشأتها مع الانظمة الفاشية فى اقامة تشكيلات شبه عسكرية ( الجوالة ) ودعوتها لتوحيد القوى والغاء الاحزاب السياسية ومركزية السلطة الفردية وربطها كل ذلك بنوع تفسيرها لنظام الحكم فى الاسلام . ولهذا كانت طاعة الاخوان المسلمين تشبه غيرها من الحركات السياسية التى شهدتها الساحة المصرية فى اعقاب الحرب العاليمة الاولى من حيث قصور التنظيم وارتباطه على الأغلب بشخص واحد يحتكر الزعامة والتوجيه : وبالتالى فقد تجمدت زعامة الاخوان المسلمين التى اخذت بمبدأ الزعيم والتابع المستند الى القيادة والطاعة .

ولما كانت حركة الاخوان المسلمين بالضرورة تشكل رد فعل عنيف ضد الفشل الايديولوجى الذى منى به قادة المثقفين أيا كانت اتجاهاتهم وضد الفشل السياسى والاجتماعى للنظام الليبرالى فى مصر فقد قامت باعتبارها حركة سياسية ـ دينية استلهمت التفسير الأصولى الاسلامى بصدد المسائل الاجتماعية والسياسية وبالتالى فانها لم تأخذ بالاساليب الحديثة للتنظيم السياسى وان تكن قد قدمت نفسها باعتبارها بديلا لحكم الساسة العلمانيين وبالتالى للنمط الأوربى المستورد دون أن تقدم حلا للمشكلات الايديولوجية والاجتماعية التى كانت تواجه المجتمع المصرى . ومن العوامل التى ادت الى نجاح الحركة بمرور الزمن جمود علماء الأزهر وتوقف نشاطهم عند حدود معينة من التفسيرات والشروح وبعدهم عن اهتمامات الجماهير الحقيقية وعدم التفات الاحزاب الى المشكلات الاجتماعية فى الوقت الذى كانت فيه الجماهير شديدة الاهتمام بضرورة الاصلاح الاجتماعى . ويضاف الى هذا ما كان فى أعقاب الحرب العالمية الثانية من ظهور مجموعة من "اثرياء الحرب" الذين لم يلتزموا بالاخلاق التقليدية مما أدى الى ظهور ألوان من الرذائل والآفات الاخلاقية وأفسح المجال للدعوة الدينية فى الوقت الذى أخذت فيه الجماهير تبحث عن قيادات تعبر عن مطالبها فكان من السهل عليها أن تقع تحت تاثير حسن البنا الذى كان محور مناقشاته يدور حول فساد الحياة السياسية وضرورة العودة الى الاسلام طلبا للاصلاح ، وكان البنا لا يعترف بالقومية التى رأى أنها جاءت من الغرب ، ولهذا اكد على ضرورة قيام الجامعة الاسلامية

والخلافة ذاهبا الى أن دولة ومجتمعا يقومان على القرآن والسنة يستطيعان أن يضعا حدا لكل أمراض المجتمع فى الوقت الذى لم تكن لديه هو واتباعه فيه اية فكرة واضحة عن المشكلات المعقدة التى تواجه مجتمعا حديثا وبالتالى كانوا على استعداد لاعتبار كل من يعترض على برنامجهم عدوا للاسلام .

## الاخوان وقضية فلسطين

وبمرور الزمن ولدت الدعاية النشطة للاسلام لدى ابسط طبقات الشعب والطلاب وبعض قطاعات البورجوازية المصرية فى المدن الكبرى تيارا قويا معاديا للاجانب . وفيما بين عامى ١٩٤٥ و١٩٤٨ ظلت دعوة الاخوان المسلمين التى صيغت فى جمل بليغة وبسيطة تنمو وتفسر وتنتشر فى كتيبات صغيرة توزع بالمجان او تباع بأثمان زهيدة وفى صحيفة يومية هى "الاخوان المسلمون" ومجلة شهرية هى "الشهاب" ومن العوامل التى استغلها الاخوان خلال هذه الفترة احتدام القضية الفلسطينية التى واجهت اطماع الصهيونية العالمية دون أن تستطيع الحكومات العربية والاسلامية أن تصيب نجاحا ولو قليلا فى سبيل انقاذ فلسطين من الاخطار المحدقة بها باستثناء الادلاء بالخطب الملتهبة وتهديد المتآمرين على فلسطين بالويل والثبور وعظائم الأمور . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاخوان المسلمين الذين تطوع بعضهم للدفاع عن فلسطين بقوة السلاح ـ بل ان "المرشد العام" ، وهو اللقب الذى خُلع على حسن البنا ، قام بجولات فى فلسطين امكنه خلالها ان يفتتح عددا من الشعب فى الوقت الذى قام فيه الاخوان المسلمون بجمع التبرعات وتكديس السلاح لخدمة القضية الفلسطينية . وهذا الدعم النشط لتلك القضية بالاضافة الى الظروف الموضوعية الاخرى التى سبقت الاشارة اليها هو ماجلب لحركة الاخوان عددا كبيرا من الاتباع الذين يقال انهم وصلوا الى ما يزيد على المليون فى اعقاب الحرب العالمية الثانية لدرجة انهم كادوا يسيطرون على الساحة الجامعية والحركة الطلابية والشبابية ويتصدرون الحياة الدينية والسياسية .

وقد حاولت الاحزاب المصرية دون جدوى أن تشد أزرها باجتذاب الاخوان المسلمين الى صفها ـ اذ استخدمها حسن البنا اكثر مما استخدمته وأفاد بمهارة من حزازاتها ومنافساتها فى الوقت الذى استطاع فيه أن يهب جماعته تنظيما قويا . فسرعان ما انتشرت فوق شتى ربوع مصر الشعائر الدينية والتدريب العسكرى فى الوقت الذى كانت فيه الجماعة على قمة الحركة الوطنية والمعادية للأجانب التى ادت حرب فلسطين (١٩٤٨ - ٤٩) الى تأجيجها . وخلال الهجوم على الصهيونية كان المساس بالحضارة والاساليب الغربية وتدميرها هو الهدف ، وبالتالى كثرت الهجمات على البارات والسينما وبعض المؤسسات التى يمتلكها اليهود والأجانب فى الوقت الذى جرى فيه الاعتداء على بعض الشخصيات العامة التى تصدت لنشاطات الاخوان الذين كان لهم جهاز سرى يشرف على

# حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين

الاغتيالات وإلقاء القنابل ويكدس الاسلحة في القاهرة وغيرها من المناطق المصرية . وفي ٨ ديسمبر ١٩٤٨ اصدر رئيس الوزارة المصرية محمود فهمي النقراشي قرار حل الجماعة ليدفع حياته ثمنا لذلك بعد ايام . وبعد ذلك اغتيل البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩ . وتعرض الاخوان لمطاردة البوليس والاعتقال وان لم يؤد ذلك الى زوال الخطر الذي شكلوه على نظام مصر السياسي

ولم يود مقتل البنا الى توقف نشاط جماعة الاخوان بل ساعد على توسيع دعاياتها سرا في الوقت الذي انتهت فيه حرب فلسطين الى كارثة ، فوزعت في شوارع القاهرة ومساجدها منشورات هاجمت الحكومة والسراي ، ولم تعد الحكومة تستطيع حفظ النظام الا بصعوبة بالغة في حين اكتشفت مخازن للاسلحة والذخيرة واحبطت مؤامرات كانت تعد ضد سلامة النظام القائم . الا ان غياب قائد الحركة استتبع زعزعة مكانتها خاصة وقد دبت الخلافات في صفوفها مما مهد لتوجيه الضربة القاضية اليها على يد نظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مما ادى الى اختفائها عن الساحة السياسية المصرية فترة طويلة ولو ان الاتجاه الذي مثلته لايزال قائما وفعالا ليس فقط في مصر بل في غيرها من الاقطار العربية والاسلامية . فلايزال المسلمون يشعرون بالاشفاق على مصير دينهم في مواجهة التحديات التي تواجهه ، كما ان الاقطار الاسلامية لم تصب نجاحا كبيرا في حل المشكلات التي تعترضها في الوقت الذي لايزال فيه المسلمون يقارنون اوضاعهم الراهنة بفترة تفوقهم السابقة على مسرح الحضارة العالمية ويسعون جاهدين الى احياء امجادهم في مواجهة قوى متفوقة من الشرق والغرب لاتزال تحكم الملايين من المسلمين الذين ـ منذ بدء حركة الاستعمار العالمي ـ وجدوا انفسهم يخضعون لقوى غير اسلامية وتطبق عليهم قوانين وانماط لا تتمشى مع المفاهيم الاسلامية .

وهكذا نجد أن حسن البنا ليس سوى احد اعلام حركة الهجوم الاسلامي المضاد في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي طالما احاطت بالعالم الاسلامي بحيث يمكن إضافة اسمه الى سجل الزعماء المسلمين الذين سعوا الى حل مشاكل المسلمين سواء عن طريق الاحياء السلفي او التجديد العصري يستوى في ذلك محمد بن عبدالوهاب والسنوسي الكبير ومحمد احمد المهدي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وتلامذته ـ الى غير ذلك من الدعاة الذين سعوا الى احياء السنة والقضاء على البدعة بهدف حماية المجتمع الاسلامي والقضاء على ما اعتبروه من المفاسد فالاصلاح لدى المجددين في الاسلام هو التنقيب عن الجوهر القديم ونفض ما تراكم عليه عبر عصور الجهل من بدع ، ومقاومة ما اعتبروه خطرا على الاسلام من المؤثرات الخارجية وبخاصة اذا ما جاءت من "دار الحرب" التي طالما اعتبرت عدوّة لدار الاسلام والمسلمين الذين لا يزالون يحلمون بانتشار الاسلام على وجه الارض قاطبة

# أقـوال معـاصرة



فريديرك مايور



سميح القاسم



محمود درويش

- « المثقف يحمي السلطة من النفاق »

الدكتور فريديكو مايو

مدير منظمة اليونيسكو

- « حينما يصبح المسرح بوقا يهجره الناس »

المخرج التونسي «المنصف سويسي»

- « سأكف عن الكتابة اطلاقا وطلاقا بالثلاث لو فقدت الايمان بعلو يد القلم على يد السوط »

سميح القاسم

الشاعر الفلسطيني

- « ستحتضر الاشتراكية ما لم تصلح النظام السياسي »

جورباتشوف

أمين عام الحزب الشيوعي السوفييتي

- « اسرائيل تعيش كملك لا ينام خوفا من ضيـــاع عرشه »

دافيد جروسمان

الكاتب الاسرائيلي

- « لا شيء كان يمكن ان ينافس ما حدث بمؤتمـــر الحزب حتى ولا قصة بوليسية او مباراة كرة قدم حامية »

نينا برجينسكايا

مواطنة سوفييتية

- « انتهى القرن الامريكي ، واكبر تطور حدث أخيرا هو ظهور اليابان قوة عظمى رئيسية »

كلايف بريستوفيتز

نائب مساعد وزير الخارجية الامريكية سابقا

- « المثقف العربي حائر ، لقد وجد ذاته ، ولم يجــد بعد أداته »

الشاعر محمود درويش

# المذاهب الشاذة والتغريب

بقلم : د . محمد عمارة

**فى تراثنا القديم ، كانت « الغنوصية ـ الهلينية » ـ وهى مزيج من الأفلاطونية المحدثة ، ومذاهب الفرس القدماء وإسرائيليات العبرانيين ـ كانت هذه « الغنوصية » هى « التغريب القديم » الذى استهدف مسخ الهويّة الفكرية للشرق القديم ..**

**ورغم تصدى المعتزلة ، والتيار العقلانى الإسلامى لفكرية « الغنوص » هذه ، فإن تأثيراتها قد عرفت طريقها إلى العديد من المذاهب الشاذة والأفكار المغالية ، التى مثلت فى تراثنا آثار « الغزو الفكرى ـ الهلينى ـ الغنوصى » ، وبصمات النجاح الذى حققه ذلك الغزو فى صراعه مع نقاء الفكرية الإسلامية العقلانية وخصوصيتنا الحضارية العربية الإسلامية .. وعلى سبيل المثال :**



● **فالإسماعيلية** : بفروعها ، وفرقها ـ قد مثلت نموذجا لهذا الغزو الفكرى الغنوصى فى تراث الإسلام .. فإذا كانت صورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى القرآن الكريم ، وفى السنة الفعلية التى جسدت حياته بين الناس ، هى صورة « البشر ـ الذى يوحى اليه »... وهى الصورة التى ألح القرآن على تأكيدها ليزيل بها تراث الغنوصية والباطنية فى الخوارق المادية التى لازمت ذات الرسل فى هذا الفكر غير العقلانى .. فقال القرآن فى مواجهة هذا الفكر ، تنفيذا له « ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا .. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »[1]؟!

وهذه الصورة القرآنية لحقيقة الرسول ، هى التى نراها فى سلوك النبى ، وفى أحاديثه التى أفاضت فى تبيان وتفصيل

هذا المعنى القرآنى ، من مثل قوله لمن ارتعد فى حضرته .. « هوِّن عليك ، فلست بملك ولا جبار ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد[2] !

وإذا كانت صورة « الامام » فى الاسلام هى صورة « الخليفة » ، الذى تختاره الأمة بواسطة أهل الاختيار ـ بالشورى ، وتبايعه على أن ينفذ الشريعة ، تحت سمعها وبصرها ورقابتها وحسابها .. فهو نائب عنها ، وهى مصدر سلطاته .. ولها عليه حق العزل إن هو عجز أو انحرف عن حدود ونطاق التفويض ..

إذا كانت هذه هى صورة النبى والامام فى فكر الاسلام ، فلقد قدم الغنوص ، من خلال فكر الاسماعيلية وبعض فرق الامامية ، للنبى وللأئمة صورة باطنية مليئة بالأسرار ومحملة بالخوارق ، ومثقلة بالخرافات التى تباعد بينها وبين عقلانية الاسلام .. فعندهم أن الأئمة ، ومعهم النبى ، قد وجدوا قبل خلق الدنيا ، وقبل خلق آدم .. وأن حقيقتهم النورانية قد انطبعت فى عرش الرحمن من يومئذ .. وأن الله قد طلب من الملائكة السجود لجواهرهم عندما وضعت فى ظهر آدم ، فلهم ـ لا لآدم ـ كان طلب السجود ! .. « فحين خلق الله آدم وضع فى ظهره محمدا وعليا ، وفاطمة ، وابنيهما الحسن والحسين ، على صورة جواهر منيرة ارسلت نورها فى جميع أنحاء العالمين العلوى والسفلى . ولهذه الجواهر الموضوعة فى جسم آدم كان السجود الذى أمر الله الملائكة به ، فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر ، وحينئذ أمر الله آدم أن يرتفع ببصره الى ذروة العرش ، فرأى آدم كيف انطبعت صورة انوار أشباح محمد وآل البيت فى العرش ، كما ينطبع وجه الانسان فى المرآة الصافية ! ..[3] »

تلك هى صورة الغنوص الباطنى ، اللاعقلانية ، انتشرت فى كثير من مذاهب الامامية ، وبخاصة الاسماعيلية منهم ، ولازالت تحتل لها ركنا فى هذه المذاهب حتى يومنا هذا .. حتى ليقول ابرز قادتهم المعاصرين فى هذه القضية مانصه : « إن ثبوت الولاية والحاكمية للامام لاتعنى تجرده عن منزلته التى هى له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام . فأن للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ـ [ ؟ ! ] ـ وإن من ضرورات مذهبنا ان لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ـ [ ؟ ! ] ـ وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم والأئمة كانوا قبل هذا العالم انوارا ، فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالايعلمه إلا الله[4] .. » !

وفى « الغنوص ـ الاسماعيلى » تأكيد لهذا الوجود المحمدى السباق على الخلق ، من خلال مقولتهم التى تزعم أن الحقيقة المحمدية هى التى تجلت فى صور الانبياء والرسل المختلفة .. فليست هناك تعددية فى الرسل ، وإنما التعددية فقط « فى المظهر الخارجى ، أما فى الحقيقة ، فإنه رسول واحد ، بعث إلى العالمين فى أزمنة مختلفة وفى مظاهر جسمانية متباينة .. » ! .. وهذه المقولة ـ كما يقول جولد تسيهر GOLDZIHER,Y [ ١٨٥٠ ـ ١٩٢١ م ] : ترجع فى أصلها الى الغنوصية المسيحية اى إلى الفكرة التى عبرت عنها المواعظ

المنسوبة الى القديس كليمانس ، فقالت ـ [الموعظة رقم ١٨ ـ فقرة ١٣ ] ـ : « ليس ثمة غير نبي صادق واحد ، هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس ، يمر خلال عصور العالم من البدء بأسماء وصور متغيرة .. »[٥] !

وانطلاقا من هذا « الغنوص ـ الاسماعيلى » كان نفى « البابية » و « البهائية » عقيدة ختام النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، عندما زعموا استمرارية تجلى الحقيقة النبوية ، فى صورة « الباب » ، ثم « البهاء » .. فقال « الباب » عن نفسه : « كنت فى يوم نوح نوحا . وفى يوم إبراهيم إبراهيم . وفى يوم موسى موسى .. وفى يوم عيسى عيسى . وفى يوم محمد محمدا وفى يوم على عليا . ولأكونن فى يوم من يظهره الله من يظهره الله . وفى يوم من يظهره من بعد فى يظهره الله من بعد .... إلى أخر الذى لا أخر له مثل أول الذى لا أول له . كنت فى كل ظهور حجة الله على العالمين .. »[٦] !

فهذا « الغنوص ـ الباطنى ـ اللاعقلانى » مازال قائما ـ معبرا عن الغزو الفكرى الهلينى ـ حتى يومنا هذا بدأ من مصدره : « نظرية الصدور فى الافلاطونية المحدثة » وحتى أحدث طبعات « التجليات » البابية والبهائية ؟ ! .

● صراع فكرى شديد

ولذلك ، فلم يكن غريبا أن تكون رحى الصراع الفكرى الأكبر فى علم الكلام الاسلامى ـ فلسفة الأمة ـ قائمة ومنصبة بين فرسان العقلانية الاسلامية ، المعتزلة ، وبين الامامية ، بفرقها وفروعها ، فى مبحث الامامة على وجه الخصوص .. وأن يكون تركيز المعتزلة ضد الفرق الغنوصية الفارسية ، وثمراتها من متصوفة الباطنية ، دعاة « وحدة الوجود » كالحلاج [ ٣٠٩هـ ٩٢٢م ] وأضرابه .. كما لم يكن غريبا أن يستعين المسلمون بالعقلانية اليونانية ، فى صورتها الأرسطية ، لمجابهة الغنوص ذى الجذر اليونانى ! ..

● السهروردى : ويأتى السهروردى المتصوف شهاب الدين [ ٥٤٩ ـ٥٨٧هـ ١١٥٤ ـ ١١٩١م ] ليعلن فى صراحة ، وشجاعة عن مصادر هذا الغنوص الاسماعيلى ، الذى كان مذهبه فى التصوف تجسيدا له .. فأصحابه وسلفه « هم حكماء وانبياء الفرس واليونان ، يتجاور فى سلسلتهم : زرادشت وأفلاطون .. وأفلاطون هو الاستمرار لزرادشت .. والحلاج مسلوك فى هذه السلسلة » التى يأتى السهروردى حلقة من حلقاتها .. وعنده أن « نبى إيران زرادشت هو القائم على هذا التداخل الدينى بين اليونان وإيران .. » .. أما الكتاب المقدس لهذا « الدين ـ الغنوصى » فهو مزيج من « محاورات أفلاطون » و « الكتب المستورة » و « الوحى الكلدانى » ! ..

لقد أعلن السهروردى عن مصادر هذا الغنوص .. وأكد بموقفه وإبداعه الغنوصى الحقيقة التى تلح على إبرازها ، وهى أن ترجمة الفلسفة العقلانية الأرسطية كانت مددا من السلاح الذى استخدمه المسلمون فى محاربة هذا الغنوص الباطنى .. « ففكرة النور ، التى أوحت بها الى السهروردى النبوة الايرانية

القديمة » كانت الرد الصوفى الذى واجه به الفلسفة العقلانية .. قدمها ـ فكرة النور ومذهبه ـ » فى مقابل الطبيعيات السماوية عند أرسطو . معبرا عن نفسه بلغة :علم الملائكة فى إيران القديمة ! » .. كما يقول المستشرق الحجة فى فكر السهروردى هنرى كوربان« Henry Gorbin »[٧]

ولذلك . فلم يكن غريبا ان يخوض السهروردى معركة ضد العقلانية اليونانية . التى استعان بها الاسلام فى محاربة هذا الغنوص .. فنرى من بين كتبه كتابا مثل

( كشف القبائح اليونانية ورشف النصائح الايمانية ) وكتابه الذى يؤول فيه القرآن كى يشهد« للذوق ـ الباطنى ـ الصوفى ـ الغنوص » ضد « البرهان العقلى » . وهو الكتاب الذى أسماه . [ ادلة العيان على البرهان فى الرد على الفلاسفة بالقرآن ](٨)

وبسبب من مكان الديانات والمذاهب الفارسية فى هذا الخليط الهلينى ، الذى تجسد فى هذه الغنوصية . فلقد ذهبت الحركات الفكرية التى تبنت هذا الوافد المناهض لخصوصية الاسلام وحضارته ، ذهبت لتعلى من مقام الفرس ، ولتضع لهم مكانا متميزا وممتازا فى « الاسلام الغنوصى » الذى تصورته وبشرت به .. فلم تقف عند الغلو الذى احاطت به آل البيت ، بسبب زواج الامام الحسين بن على بن ابى طالب ، رضى الله عنهما من « الشهبانو » ابنة يزدجرد [ ٦٣٢ ـ ٦٥١ م ] ملك الفرس المهزوم .. وإنما صنعوا بغنوصهم الباطنى لسلمان الفارسى [ ٣٦ هـ ـ ٦٥٦ م ] رضى الله عنه ، مقاما لم يقل به أحد من الذين استخدموا العقل أو التزموا النقل فى فهم الاسلام » [٩] ..

فسلمان « عند الاسماعيلية هو الذى حمل القرآن كله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ـ وإن جبريل لم يكن الا الاسم الذى أطلق على سلمان بوصفه حامل هذه الرسالة الالهية ( ... ) والاحاديث التى يستعينون بها فى هذا موضوعة ـ كما يقول ماسينيون ـ . . وهم ينطلقون فى مقولتهم هذه من الاسرار الغنوصية الباطنية التى جعلها الغنوصيون تحرف ( السين ) ! ..

وإذا كان جبريل هو « روح التنزيل » ، فإن سلمان ، عندهم ، هو « روح التأويل » . « التى تفتح لنا معنى الكتاب » وروح التأويل ـ سلمان ـ عندهم أعلى من روح التنزيل ـ جبريل . لأنها « روح الأمر » الواردة فى القرآن . وهى نوع من الفيض الالهى الذى يحقق تدريجيا مقاصد الله الخفية وسلمان احد وسائلها .. وهو عندهم « السبب » المراد فى الآية القرآنية [ من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ] .. وهكذا ـ كما يقول ماسينيون « اتخذ سلمان فى الغنوص الشيعى صورته المثالية فهو الحلقة المفقودة الضرورية بين محمد وعلى .. »[١٠] .

● والفاطمية الإسماعيلية : سارت على هذا الدرب ، وكانت فرقة من تيار الغنوص الذى تبنى هذه « الصورة الهلينية » للاسلام . « فكانت الآراء الغنوصية مادة خصبة انتفع بها الفاطميون فى دعوتهم ...[١١]

● ـ وإخوان الصفا · كانوا هم أيضا فصيلا صنع من هذا « التلفيق » الغنوصى تصوره للإسلام .. فلقد نقلوا الافلاطونية المحدثة الى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ، واخترعوا الاحاديث النبوية « التى صور النبى فيها بصورة ترجمان للأفكار الافلاطونية المحدثة والغنوصية » .. كما يقول جولد تسيهر[١٢] ..

● والقرامطة : كانوا فصيلا من فصائل هذا الموكب الغنوصى الاسماعيلى .. فلقد تبنوا الصورة الامامية للخلافة والامامة .. وقالوا بما قالت به الغنوصية من « نسبية الأديان »[١٣] !

● ومتصوفة « وحدة الوجود » : بدءا من الحلاج الذى رفض عقلانية المعتـزلة ، ووسـائلهم فى الاستدلال والحجاج ، ووقف عند القياس اليونانى .. وقـال بوحـدة الوجـود .. وبالعرفان الغنوصى سبيلا للاتحاد بالله والفناء »[١٤] .. وكذلك الحال عند محيى الدين ابن عربى ٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ ١١٦٥ ـ ١٢٤٠ م ] المهندس الاكبر لنظرية وحدة الوجود الغنوصية[١٥] .. إلى كل الفرق الغنوصية التى تبنت مذهب الغنوص فى نظرية « الانسان الكامل »[١٦] ..

على هذا النحو ، وإلى هذا الحد ـ الذى ضربنا له الأمثلة ـ بلغ « الغزو الفكرى » الذى قذف به الغرب اليونانى الشرق الاسلامى .. وهو الغزو الذى بدأ ـ كما أشرنا من قبل ـ منذ انتصار الاسكندر المقدونى على الدولة الفارسية ، وتكوين امبراطوريته الشرقية ، تلك الامبراطورية التى سادت فيها الفكرية الهلينية ، كما تمثلت فى مدرسة الاسكندرية ، منذ القرن الثالث الميلادى ، والتى لفقت ما بين . إسرائيليات الديانة الشعبية الاسرائيلية .. وديانة الفرس ومذاهبها .. والافلاطونية المحدثة ... وتجسدت فى « الغنوص ـ الباطنى » ، الذى يعتمد « العرفان ـ والذوق » سبيلا للمعرفة ، بدلا من العقل والنقل ..

وبعد أن خاضت هذه الغنوصية معركتها ضد المسيحية الأولى ، ونجحت فى « تغبيش » نقاء عقيدة التوحيد فيها .. حاولت ذلك مع الاسلام ... فكان أن تصدى التيار العقلانى الاسلامى لمذاهبها ومقـولاتها ونظـريـاتهـا بعلم الكـلام الاسلامى .. فلما أعـرضت المذاهب الغنـوصية عن الاحتكـام للعقـلانيـة الاسلامية المتميزة بسبب من هيمنة الوافد اليونانى ـ الافلاطونية المحدثة ـ على فكريتها ، وبسبب من علو مقام الفكر اليونانى فى هذا المناخ الهلينى ، اتجه المدافعون عن الاسلام الى ترجمـة الفلسفة العقلية اليونانية ، ليردوا بها على هذه النزعة الغنوصية اليونانية .. فكان الاهتمام الاكبر بعقلانية ارسطو سبيلا لمواجهة الخطر الاكبر فى هذا الغزو الفكرى ، ولم يكن تبنيا لمبدأ الذات العقلانى المتناقض مع خصوصيتنا العقلانية التى آخت ما بين العقل والنقل فى فلسفتنا الاسلامية ـ علم الكلام ـ ويشهد على ذلك ، أيضا اتجاه حركة الترجمة الاسلامية ، بعد ذلك لترجمة أفلاطون ( ٤٢٧ ـ ٣٤٧ق م ) لما لتدينه ـ المكتسب من الشرق ـ من أثر فى « تدين العقلانية الأرسطية » بالتوفيق بينهما ، على النحو الذى حاوله فلاسفة الاسلام ،

كى لا تفضى العقلانية الارسطية الخالصة الى الاخلال بالتوازن لحساب النزعة المادية والالحاد !

تلك هى « الشهادة » الاولى على « المعنى والسبب » اللذين لاجلهما ترجم المسلمون فلسفة اليونان ..

---

الهوامـــش :

( ١ ) الاسراء : ٨٩ ـ ٩٣ .
( ٢ ) فى سنن أبى داود وابن ماجة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعلنى عبدا كريما ، ولم يجعلنى جبارا عنيدا » .
( ٣ ) جولد تسيهر ( العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث ) بحث منشور فى كتاب [ التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ] ص ٢٢٦ ، ترجمة عبدالرحمن بدوى . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م .
( ٤ ) اية الله الخمينى [ الحكومة الاسلامية ] ص ٥٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
( ٥ ) جولد تسيهر ـ المرجع السابق . ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
( ٦ ) المرجع السابق . ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .
( ٧ ) انظر هنرى كوربان ( السهروردى المقتول مؤسس المذهب الاشراقى ) ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٣٢ ، بحث منشور فى كتاب ( شخصيات قلقة فى الاسلام ) للدكتور عبدالرحمن بدوى .
( ٨ ) جولد تسيهر ( موقف أهل السنة القدماء بازاء علوم الأوائل ) ص ١٢٩ ، ١٣٠ بحث منشور فى كتاب ( التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ) .
( ٩ ) الحج : ١٥ .
( ١٠ ) ماسينيون ( سلمان الفارسى والبواكير الروحية للاسلام فى إيران ) ص ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ . بحث منشور بكتاب الدكتور عبدالرحمن بدوى ( شخصيات قلقة فى الاسلام ) ـ مرجع سابق .
( ١١ ) كارل هينرش ( تراث ... فى الشرق و... ) ص ١٠ ـ مرجع سابق .
( ١٢ ) جولد تسيهر ( ... الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث ) ص ٢١٩
( ١٣ ) هنرى كوربان ( السهروردى المقتول مؤسس المذهب الاشراقى ) ص ١٢١ .
( ١٤ ) ماسينيون ( المنحنى الشخصى لحياة الحلاج ) ص ٠٦٧ بحث منشور بكتاب الدكتور عبدالرحمن بدوى ( شخصيات قلقة ) .
( ١٥ ) نيكلسون ( التصوف ) ص ٢٢٨ . بحث منشور بكتاب ( تراث الاسلام ) ـ مرجع سابق .
( ١٦ ) كارل هينرش ( تراث الاوائل فى الشرق والغرب ) ص ١٣ بحث منشور بكتاب ( التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ) .



# الرهان التاريخي لجورباتشوف

## هل تضاعف الحركة المكتسبة من طاقات العمل؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

**ربما كان اهم من نتائج المؤتمر الطارىء الأخير للحزب البلشفى ( الكونفرس ) عرض أعمال هذا المؤتمر فى التليفزيون السوفييتى ، بكل مادار فيه من مناقشات ومجادلات ، وصلت إلى حد الهجوم على رئيس الدولة العجوز ، اندريه جروميكو ، دلالة على صدق توجه الدولة والحزب بقيادة جورباتشوف إلى ، الجلاسنوست اى العلانية وحرية النقد والتعبير باعتبارها ضرورة للبيريسترويكا ، اى إعادة البناء التى يدعو إليها جورباتشوف ، على اساس الربط مابين الديمقراطية والاشتراكية برباط وثيق .**

وربما كان اهم ماشغل جورباتشوف فى إعادة تنظيم الدولة وخاصة العلاقة مابين الحزب البلشفى والسوفييتات ، هو زيادة الإنتاج ، وخاصة فى الناحية الزراعية ، حيث لايزال العمال يشكون من نقص انتاج اللحم والمعروض منه فى المجمعات الاستهلاكية ، وتشكو الدولة بدورها من استمرار اضطرارها إلى دعم اسعار اللحم والقمح ايضا ، وفى هذا الصدد توجه المؤتمر إلى التوصية بالتوسع فى تأجير الارض للمزارعين ، عسى أن يساعد ارتباط الفلاح بالارض



اندريه جروميكو



لينين



ستالين

على هذه الصورة المباشرة أو شبه المباشرة ، على زيادة الأنتاج الزراعى ، فضلا عن جوانب الأنتاج الأخرى التى تتطلع سياسة « البيريسترويكا » إلى إعادة البناء فيها ، وهى تلك التى تتعلق بتحقيق الثورة التكنولوجية فى الصناعة ، التى أوشك التطور فيها أن يكون مقصورا على الجوانب العسكرية دون الجوانب المدنية التى تلبى حاجات الجماهير المتزايدة بالقياس إلى ماتحقق فى دول الغرب الصناعية الكبرى .

## ● الحزب والدولة

ولقد شغلت العلاقة مابين الحزب الشيوعى الحاكم ، والدولة السوفييتية جانبا رئيسيا من أعمال المؤتمر ، وقد اتهم جورباتشوف ، فى كتابه عن « البيريسترويكا » الحزب الذى يتزعمه هو من موقع السكرتير العام ، بأنه تقريبا قد اغتصب لأجهزته سلطة السوفييتات ، أو المجالس الشعبية المنتخبة وتمثل هيكل البناء السياسى للدولة التى تحمل اسم هذه المجالس ، فاسمها الرسمى هو « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » ويشار إليها اختصارا باسم « الاتحاد السوفييتى » ويطلق على مواطنيها عامة اسم « السوفييت » !

ولقد نشأت العلاقة التاريخية مابين الحزب البلشفى ، والسوفييتات إبّان الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا عام ١٩١٧ ، تلك الثورة التى قادها الحزب الشيوعى الروسى ( البلشفى ) بزعامة لينين ، وكان شعار الثورة آنذاك فى مواجهة الحكومة المؤقتة التى قامت برئاسة كيرنسكى بعد سقوط القيصرية هو « كل السلطة للسوفييتات » أى لمجالس العمال والجنود . ولكى تكون كل السلطة للسوفييتات ، أرسل لينين بعد نجاح الثورة قواته لتفض اجتماع الجمعية التأسيسية التى انتخبت فى عهد الحكومة المؤقتة ، بعد انعقادها بساعتين لا أكثر ، وبالرغم من أن « المنشفيك » أى الجناح الآخر من الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى المناوىء لجناح لينين ( البلشفيك ) ، كانت لهم الأغلبية فى السوفييتات ، فإن

# الرهان التاريخي لجورباتشوف

انشقاق الحزب الاشتراكى الثورى عنهم ، وانحيازه إلى جانب البلاشفة ، وقد كفل لهم الأغلبية فى السوفييتات ، لكى يحكموا البلاد عن طريقها .

كان من الممكن للسوفييتات ، أن تظل إطارا لنوع جديد من الديمقراطية لو بقى مسموحا بتعدد الأحزاب ، لكى تتصارع للفوز بمقاعدها ، ولكن لينين اصر على حل جميع الأحزاب السياسية ماعدا حزبه هو ، أى الحزب البلشفى ، بما فى ذلك حل الحزب الاشتراكى الثورى الذى تحالف معه فى الثورة كما تقدم !

فالحزب الشيوعى فى نظر لينين هو طليعة البروليتاريا ، أى الطبقة العاملة وتمارس البروليتاريا ديكتاتوريتها من خلاله لتصفية جهاز الدولة القديم وبناء المجتمع الاشتراكى .

وإزاء هذا الوضع المتسلط للحزب البلشفى الحاكم ذوت سلطة السوفييتات وأصبحت مجرد « بصمجية » تضع توقيعها على القرارات التى يتخذها الحزب ! ولم يكن مسموحا للتقدم إلى الانتخابات فيها إلا لقائمة الحزب البلشفى ، والمستقلين ، حيث لاتوجد أحزاب أخرى ، وأحيانا كانت تقوم جبهة من المستقلين ومرشحى الحزب ، إمعانا فى إظهار أن هؤلاء المستقلين يرضى الحزب عن وجودهم إلى جانب ممثليه فى السوفييتات !

فهل ستؤدى سياسة « الجلاسنوست » التى دعا إليها جورباتشوف ، إلى زيادة حصة المستقلين من عضوية السوفييتات ؟ علما بأن أعضاء الحزب البلشفى لايزيدون على ٧ ٪ من مجموع المواطنين السوفييت ؟ إن السماح بتشكيل أحزاب سياسية أخرى لم يصبح حقيقة بعد فى الاتحاد السوفييتى ، ولكن بعض الجماعات السياسة قد شرعت تتشكل بالفعل ، منها جماعة « الاتحاد الديمقراطى » التى تطالب باطلاق حرية الأحزاب على الطريقة الغربية ، فهل ستجرؤ تلك الجماعة وامثالها على التقدم بمرشحين للانتخابات السوفييتية القادمة ؟ فضلا عن الجماعات التى تتشكل حول أهداف قومية ، مثل دعاة الاستقلال فى استونيا ، بمن فيهم أعضاء الحزب الشيوعى هناك ! ودعاة فصل ناجورنو - كاراباخ عن أذربيجان وضمها إلى أرمينيا لأن غالبية أهلها من الأرمن ! فضلا عن المنشقين من الصهاينة ، الذين يريدون اباحة الهجرة لكل اليهود ، وحرية نشر الدعاية الصهيونية بينهم ؟!

ذلك جانب من التحدى الذى يواجهه جورباتشوف ، والحزب الذى يقوده ولكن الجانب الأكبر من التحدى هو النقد الذى توجهه الجماهير الى الحزب البلشفى وأعضائه ، أنهم هم عماد « الطبقة الجديدة » فى الاتحاد السوفييتى ، والدول الاشتراكية عامة ، وأنهم بفضل احتكارهم للسلطة ، يحتكرون المغانم الاقتصادية الكبرى والامتيازات الخاصة ، وإذا كان ذلك الحديث كان يدور همسا فى الماضى ، فبفضل سياسة الجلاسنوست أصبح يقال علنا ويكتب فى الصحف ،

التى أختصها بعض المتكلمين فى المؤتمر الأخير للحزب بسبابها بأقذع الألفاظ ! ولكن تيار الحرية المكتسبة لن يمكن وقفه ، فهل تصل الأمور فى انتخابات قادمة للسوفييتات ، إلى حد تكوين أغلبية من غير أعضاء الحزب !! لقد وصل جورباتشوف فى إصراره على إعادة بناء الدولة من الناحية السياسية ، ورد السلطة للسوفييتات بشكل حقيقى إلى حد استصدار توصية من المؤتمر بأن يكون للدولة نظام حقيقى ، فيكون لرئيس السوفييت الأعلى مسئولية كبرى فى إدارة الأجهزة التنفيذية للدولة ، ويرشح السكرتير العام للحزب البلشفى لهذا المنصب كما يرشح سكرتير الحزب المحلى لرئاسة السوفييت المحلى فى كل من الجمهوريات السوفييتية ، وحينما سئل جورباتشوف عن مصير سكرتير الحزب ، إذا ماتقدم للانتخابات ولم يفز ، أجاب بأن على الحزب فى هذه الحالة أن يتخذ إجراءاته ! وهى إجابة يفهم منها أن على الحزب فى هذه الحالة أن يقصى سكرتيره عن موقفه ، باعتباره عاجزا عن اكتساب ثقة الجماهير ، التى ينبغى أن تعود السلطة إليها من خلال السوفييتات المنتخبة ، بحيث تصبح هذه السوفييتات هى الوصية على الحزب ، وليس العكس !

● المردود الاقتصادى

وبالطبع لم يكن الحزب البلشفى ليوضع فى هذه التجربة القاسية على يد زعيمه الثائر جورباتشوف ، لو أنه كان ناجحا فى تنفيذ معظم برنامجه ، والواقع أن جورباتشوف يدين معظم الفترة التى استأثر فيها هذا الحزب بالحكم منذ قيام الثورة ، فهو يدين فترة عبادة الفرد ـ أى حكم ستالين ـ التى دامت تسعة وعشرين عاما ! يضاف إليها فترة « الركود » وهى فترة حكم بريجنيف التى دامت ثمانية عشر عاما ، بمجموع يبلغ سبعة وأربعين عاما ، أى أكثر من ثلثى عمر الدولة السوفييتية ذاتها الذى لم يزد على واحد وسبعين عاما !

ولعل ، أشد جوانب إدانة جورباتشوف لسياسة الحزب الذى




خروتشوف


بريجنيف

# الرهان التاريخي لجورباتشوف

. يتزعمه ، حاليا ، هو استنكاره للأحلام الاقتصادية الوردية ، التى كانت تنوى صياغتها قيادة الحزب لتخدع بها الجماهير وترتاح هى إلى ماتحت أيديها من مغانم ، مثل ادعاء خروشوف أن الاقتصاد السوفييتي سوف يسبق الاقتصاد الأمريكى من حيث الانتاج الكلى فى الثمانينيات ! وحلم دخول عصر « الشيوعية » بمعنى تحقيق المساواة تقريبا بين جميع الدخول على أساس من الوفرة الكاملة فى المنتجات إلى حد تقديم السلع الاساسية ، بما فيها القمح مجانا ، وغير ذلك مما يعتبره جورباتشوف ضربا من الهلوسة ، وهو يعترف صراحة بأن بلاده قد تخلفت اقتصاديا بشكل واضح عن الغرب ، الذى

ماوتسى تونج



استطاع الاستفادة من منجزات الثورة التكنولوجية على نحو لم يبلغه السوفييت بعد ، وزرايته بنزعة التسوية فى الدخول التى أوشكت أن تكون تسوية بين من يعمل ومن لايعمل ، من ينتج ومن يتكل على سواه فى عملية الانتاج !

لقد أحل جورباتشوف هدف إعادة البناء ، أو البيريسترويكا وخاصة من الناحية الاقتصادية «محل هدف الوصول العاجل إلى المجتمع الشيوعى ، وذلك فى البرنامج الأخير ، الذى أقر فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى ، حتى ليكاد يصبح أولى بهذا الحزب أن يسمى فى عهد زعيمه الجديد باسم « الحزب البيريسترويكى » ، اى الحزب الذى يهدف إلى إعادة البناء الاقتصادى للبلاد بأية وسيلة حتى لا يكون مصير المجتمع الاشتراكى الأول فى العالم هو مزبلة التاريخ !

ومن أجل إعادة البناء الاقتصادى فى تلك الدولة الكبرى سعى جورباتشوف إلى المصالحة التاريخية مع المعسكر المعادى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ، على أساس أن سباق التسلح لايعنى إلا إهدار الطاقات الانتاجية الكبرى لدى الدولتين وحلفائهما ، واستعمال الناتج لايعنى إلا إفناء الجنس البشرى والحضارة الانسانية ! وأن العقل يوجب وقف هذا السباق الجنونى وتوجيه الطاقات المهدرة فيه إلى خير من ذلك ، إلى علاج المشاكل المتفاقمة على الصعيد الانسانى ، مثل نقص الموارد وتلوث البيئة وانتشار الأمراض وما إلى ذلك .

ومن أجل إعادة البناء الاقتصادى

ايضا دعا جورباتشوف الى العودة الى مايشبه السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لينين بعد انتهاء حرب التدخل ضد الثورة السوفييتية الوليدة . وهى السياسة التى كانت تهدف الى انعاش الاقتصاد السوفييتى الممزق بالسماح بصور مختلفة من النشاط الاقتصادى الخاص وخاصة فى مجالى الزراعة والتجارة. تلك السياسة التى انهاها ستالين بعد موت لينين ، بالتطبيق القسرى لسياسة المزارع الجماعية والتى كان جورباتشوف يقر بانها كانت ضرورة للاسراع فى التنميتين الصناعية والعسكرية بوجه خاص لمواجهة احتمالات الحرب المقبلة . وقد نشبت بالفعل فى عام ١٩٤١ من جانب المانيا النازية .. الا ان هذا التطبيق القسرى قد أوقع مظالم كثيرة بالفلاحين . وأدى إلى علل لم تشف منها الزراعة السوفييتية حتى الآن .

ربما لم يلجأ جورباتشوف من أجل اعادة البناء الاقتصادى الى ماذهب اليه دينج سياو بنج مثلا فى الصين . فى ان الاقتصاد هناك يحتاج الى جرعات غير ضارة من الرأسمالية ، ولايزال السماح بنشاط اقتصادى خاص مقصورا على الافراد ، أو التعاونيات . ولكن من يدرى ماذا سوف يحتاجه اعادة بناء الاقتصاد السوفييتى ، بما فى ذلك التعاون مع مستثمرين اجانب يملكون المال والتكنولوجيا على غرار ماتفعل الصين ؟ إن جورباتشوف يبنى رهانه الكبير فى اعادة البناء على ربط . الديمقراطية بالاشتراكية .. وعلى ان المواطنين الاحرار فى التعبير عن ذواتهم ، وفى اختيار من يحكمونهم ، اقدر على العطاء والابداع فى مختلف ميادين الانتاج والتنمية . من اولئك الذين كانوا خاضعين لادوات القمع من جانب السلطة المركزة فى اجهزة الحزب البلشفى

ولكن تلك الأجهزة ذاتها هى التى كانت تتولى عملية التخطيط المركزى ، وتتولى مسئولية انجاز الخطط الانتاجية وتطويرها ، وهى التى أعطت الاتحاد السوفييتى ماتحقق من بنائه الصناعى الضخم حتى الآن قبل ضرب تواصل تلك الاجهزة الحزبية القيام بمسئولياتها الانتاجية بذات القدر من الكفاءة أو اكثر وهى توشك ان تحرم من امتيازاتها السلطوية وقد تحرم من كثير من امتيازاتها الاقتصادية والاجتماعية التى جعلتها شبه طبقة مميزة ؟ وهل يثبت انسان المجتمع الاشتراكى الاول . انه اقدر على العطاء فى جو الحرية . منه فى جو القمع والارهاب ؟ أم أن الحرية لديه سوف تعنى اغراقا فى الثرثرة والمنازعات وخاصة حول الاعراق القومية بحيث يفقد نظامه الاشتراكى ديناميكيته الانتاجية التى الفها . ويلجأ الى مثل اساليب المجتمعات التى تعنى الحرية عندها حرية تكوين رءوس الاموال الضخمة واستغلال الانسان لاخية الانسان . حتى ولو كان يقابل ذلك حرية التعطل عند آخرين ، والتسلح على اعانات البطالة . إن لم نقل حرية الموت جوعا وقد كان ذلك واردا ، ومن أجل أن ينتهى كانت مذاهب الاشتراكية وكان الاشتراكيون !!

ذلك هو جوهر الرهان الكبير .

# الرمز.. أداة المسلمين السوفييت في التعبير

## ماذا تعني رواية إيتماتوف؟

بقلم: د. محمد حرب

● قد لا يتفق معي الكثير من المهتمين «بآداب الشعوب الاسلامية داخل الاتحاد السوفييتي» والكثير من نقاد الادب والادباء خاصة اذ تعلق موضوع هذا المقال بكاتب عالمي كبير هو الروائي جنكيز ايتماتوف الحائز على جائزة لينين، والذي يكن له الكثير من الكتاب في مصر اعمق آيات الاحترام والود ويميلون اليه ولكن للكاتب ان يكتب وللناقد ان ينقد وللمفسر ان يفسر، فمهما دعى الكاتب وقال عن عمله فانه لايملك من امر نفسه شيئا لحظات ابداعه وعندما تنتهي هذه اللحظات لنا أن نحاسبه بمقاييسنا ونطبق عليه افكارنا ونحاول ونحاول وليس للكاتب وقتها الا ان يسمع ويعي.

والواقع انه لم يكن يدور بخلدي عندما قرأت رواية جميلة لجنكيز ايتماتوف منذ سنوات عديدة انني ساجد لها تفسيرا تاريخيا، ذلك لانني قرأتها مع نقدها وتفسيراتها من وجهات متعددة باستثناء النظرة التاريخية للرواية بمعنى ارتباط الرمز فيها باحداث تاريخ قيرغيزيا وبتطور العلاقات الروسية القيرغيزية وهذا ما حدث بعد قراءة وبعد اطلاع ودراسة لتاريخ الادب القيرغيزي وتاريخ قيرغيزيا.

ولابد من القول هنا أن الادب القيرغيزي أدب شعب صديق للعرب، شعب من شعوب منطقة بلاد التركستان كان مستقلا ذات يوم، وهو الان جمهورية باسم قيرغيزستان داخل نطاق الاتحاد السوفييتي. وانجب هذا الادب روائع، وبرزت في سمائه نجوم ساطعة مثل طوق طوقول (١٨٦٤ - ١٩٣٩) الذي يعتبر رائد الادب القيرغيزي الحديث. وهو

صاحب المكلمة التى شاعت فأصبحت مثلا ( للكلمة الصادقة رنين الذهب) وانجب ادب قيرغيزيا ، الروائى الشهير قاسم على باى عليتوف وهو مؤلف رواية هجر ، التى يصف فيها ما آل اليه مصير بلاده بعد ثورة القيرغيز على روسيا عام ١٩١٦ • وانجب هذا الادب الشاعر الروائى ناصر الدين باى تميروف مؤلف رواية السهم الاخير عام ١٩٥٥ م والتى صور فيها الحياة فى مشاتى القيرغيز وما صاحب قيام الكولخوزات من ثـــورة الفلاحين القيرغيزيين ابان تطبيق مبادىء ثورة اكتـوبر •

لكن لاجـــدال فى أن أبرز أدباء قيرغيزيا واكثرهم ذيوعا وانتشارا فى العالم أجمع هو : جنكيز أيتماتوف الذى ولد عام ١٩٢٨ ومازال يكتب • وهو روائى وان اشترك مرة واحـدة فى تأليف مسرحية مع كاتب اخر • وابرز رواياته التى ترجمت الى لغات عالميـــة مختلفة هى رواية جميلة ، موضوع مقالتنا هذه ، ثم رواياته : بعد الاسطورة ـ أيها الجواد كـول صارى •• وداعا ـ معلمى الاول ـ وغيرها ، واخيرا صدرت له روايته : « يمتد اليوم ليصبح قرنا » •

والشهد هنا ان الترجمة العربيـــة لرواية جميلة التى تمت فى موســكو فى غاية الرداءة والركاكة وكان من الممكن أن تؤدى تأثيرا أجمل لو اعاد صياغتها اديب عربى حتى ترقى الى بعض مستوى تأليفها • واقول هنـا أيضا ان الترجمة التركية لهذه الرواية قام بها اتراك ادباء ونشرت فى تركيا عدة ترجمات لها فاضحت صـــورة جميلة ، جميلة واكثر تبيانا لما هى عليه فى الترجمة العربية •

ولابد هنا أيضا من اشارة سريعة موجزة الى خصــائص أدب جنكيز ايتماتوف فنقول أنه يعبر بشـــاعرية وانفعال عن وطنه قيرغيزيا وعن بواديه الواسعة وجباله الشـــماء • ومن خصائص أدب جنكيز ايتماتوف روعـة التعبير وبساطته عن حياة القـــرية ومعيشة الفلاحين فى بلاده وعن حياة الرعى التى مازال بعض شعبه يحياها كما يتميز جنكيز ايتماتوف باستلهامه القصص الشعبى والاساطير والملاحم القيرغيزية فى رواياته • ويشكل الحب والحرب عنصرين بارزين فى أدبه •

## ● جميلة جنكيز ايتماتوف

ولقد حازت رواية جميلة شـــهرة عالمية واسعة خاصة بعد أن ترجمت الى مختلف اللغات العالمية الواسعة الانتشار والى اللغات المحـــدودة الانتشار أيضا • ونالت أعظم جوائز الادب فى الاتحاد السوفييتى •

الشاعر الفرنسى المعروف أراجون اعتبر رواية جميلة ( أعظم قصـــة حب ظهرت فى الاداب العالميـــة )• والناقد السوفييتى توركوف بالغ فى مغازلته لجميلة •• وكثرت الكتـــابات حول جميلة • كل صاحب وجهة يريد تفسيرها حسب وجهته • رآها بعضهم ( رمزا للقوى الروحية التى اكتشفها ابطالها فى انفسهم •• ) و ( هؤلاء الابطال فى رواية جميلة أبطال استعبدتهم تقاليد الماضى وعاداته خاصـــة تلك التقاليد المتعلقة بالمرأة ووضعها تلك التقاليد التى تقول بأن سعادة المرأة فى الانجاب ) و ( ان رواية جميلة تعبر عن طموح المرأة حتى لا تكون حياتها عادية لا مكان فيها لطموحات ومشاعر عالية ) •

## بين الرمز والتاريخ

لكن الرؤية التاريخية أو فالتفسير التاريخي لرواية جميلة تقول ان هذه الرواية رمز يقصد تاريخ شعب قيرغيزيا وتطوراته وواقعه ثم يربط الروائي جنكيز بين هذا الرمز التاريخ ليصل الى استشراف آفاق المستقبل فى قيرغيزيا · لان جميلة بطلة الرواية (= وتمثل او ترمز للشعب القيرغيزى) فتاة جميلة قوية تنبض بالحياة وبالشباب والحيوية والأصالة · وكانت ترعى الخيول فى جانب من جوانب قريتها · وذات يوم ظهر شاب قوى من قرية كبيرة مجاورة لقرية جميلة، يرعى الخيول ويفخر بقوته · ويبدو أن جميلة لم تعجب به وكان اسمه صديق ( ويرمز الى روسيا فى الواقع التاريخى ) · ولما وجد صديق ان اعجابه بمفاتن جميلة وامكاناتها الجسدية وحيويتها لم يؤثر فيها من قريب ومن بعيد قام بخطفها ليتزوجها ( ويرمز الروائى هنا الى الاحتلال الروسى لقيرغيزيا بالقوة الجبرية المسلحة عام ١٨٧٦ ) · ومن ثم أودعها بيت أسرته بقريته تلك القرية الاكبر المجاورة لقرية جميلة · وكان بيت أسرة صديق كبيرا يضم افرادا مختلفين مثل اخيه الصغير وزوجات اخوته ( وهذا البيت يمثل الاتحاد السوفييتى ) وكانت أم صديق تهيمن على البيت الكبير ، تارة بالقوة والشدة وتارة برفق يشوبه السيطرة واظهارها · ( ترمز أمصديق وحماة جميلة هنا الى سلطة الحزب الشيوعى المركزى ) ·

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وجند صديق وذهب الى الجبهة · وفى هذه الاثناء كانت الام تطلب فى حزم من كل افراد الاسرة الكبيرة ـ بما فيهم جميلة قيرغيزيا ـ الطاعة العمياء لها والانقياد دون مناقشة · وكانت الام ( = الحزب ) تتمنى من جميلة ( قيرغيزيا ) زوجة ابنها المخطوفة قهرا ، الاخلاص لصديق ( = الاتحاد السوفييتى ) ·

لكن جميلة لم تكن تعرف احناء الرأس ، خاصة امام الكبار ، لا فى البيت الكبير ولا فى القرية فكانت دائما متمردة ( ولعل المؤلف يرمز بهذا الى انتفاضات الشعب القيرغيزى المتكررة ضد السلطة السوفييتية ) وكانت جميلة تحب ، مع ذلك الزجر وهذه الاهانات نتيجة تمردها على البيت الكبير تحب أن تغنى وتشتاق دائما الى الغناء ( بمعنى توق قيرغيزيا جميلة الى الحرية ) ·

وكان عمل جميلة فى بيت أهل زوجها شاقا ، فكان يوكل اليها من الامور الشاقة فوق طاقة تحملها مما جعلها دائما فى مشقة · وعرفت جميلة مدى اهتمام زوجها بها من خلال رسائله التى كان يرسلها من الجبهة الى امه دائما فكان لا يذكر جميلة فى الخطابات الا فى جملة مقتضبة فى نهاية كل رسائله · ( ولعل هذا مما يبرز لنا مجالات أهمية جميلة قيرغيزيا لدولة الاتحاد ) ·

وعندما صدر قرار السلطة السوفييتية فى البلاد بقيام زوجات الجنود بالمساعدة فى أعمال تموين الجيش قال رئيس عمال القرية أن على جميلة نقل القمح ويساعدها فى هذا الاخ الاصغر لصديق ورجل اخر يدعى دانيار ( وسيرمز فى الرواية

الى الحـــرية التي ينشــــدها القيرغيزيون ) وبالتالى حصلت على عربة ذات حصانين .

## ● دانيار الحب والحرية

كان دانيار جنديا جريحا وفلاحا ، كان يقطن قديما ( وهو الحرية ) فى نفس المنطقة ، لكنــه هاجر منهــا وذهب الى القوقازيين القـــاريه من ناحية أمه ، ثم عاد الى القرية كبيرا وكـــان به عرج ، لكنه كـــان قويا ، دقيقا فى العمل ، طيبا ، ينظر أمامه الى جهة ما بنظرة كلها ألم وافتقاد ( رمز النظر الى التاريخ القيرغيزى القـريب والتطـــلع الى الامـــل فى المستقبل ) . كان فى صوت دانيار قوة . وكان بتعبير الرواية نفسهـــا يغنى أغنيـــات شوق الى الوطن . ( وفى هذا رمز لحب شعب قيرغيزيا للحرية ) .

ومن خـلال العمل المشترك والالام المشتركة ، أحبت جميلة دانيار وأحبها وتشابكت أيديهما تشابك حب نسيجى قوى ، فتحداهما أهل القرية ( رمـز الشعوب الروسية المختلفة ) فزادهما التحدى حبا .

كانت جميلة تطلب من حبيبهـــا دانيـــار أن يغنى فكان يغنى ويتغنى بوطن هو أرض أبـــائه وأجـــداده ويقول : « أنت أرض أبائي وأجدادى .. أنت مهدى » . وفى لحظة حب قالت له جميلة : « أين كنت اذن من قبل يا دانيار » .

وعلى حين فجـــاة ، وصلت من الجبهة رسالة من صديق الى زوجته جميلة ، يخبرها بأنه قادم ، أمسكت جميلة بالرسالة ونظرت الى دانيـــار فوجدته فى ضيق شديد . قالت له : « وهل من الممكن أن أفضله عليك ؟! كلا .. أبدا .. انه لم يحبنى قط .. فمنذ زمن بعيد ! وأنا أحبك أنت . وحين كنت لا أعرفك كنت أحبك .. وكنت أنتظرك ، وها قد جئت كما لو كنت تعلم اننى أنتظرك » .

تلتقى جميلة ( قيرغيزيا ) بدانيار ( الحرية ) ويهربان معا دون نظـــر الى الوراء . وأراد أهل القرية اللحاق بهما لقتلهما . ولم يتمكنوا .

ثم يأتى عقب هـــذا ، صديق زوج جميلة ، من الجبهة .. علم بالامر ، فقال ساخطا : « لقد ذهبت جميلة ، فهذا طريقها » .

## ● وهذا طريق جميلة

رغم التفسيرات العديدة ، لهـذه الرواية العالمية ذات القيمة الادبيــة والفكرية العـــالية ، فانى أرى أن جنكيز أيتماتوف يعبر فيها — لا عن حب بين رجل وامرأة كمـــا تصور أراجون ولا عن شجب عادات قديمــة وطموح الى مستقبل فيـــه عادات جديدة تختلف عما كان فى التراث كما تصور قوركوف ، وانمـــا أراد جنكيز أيتماتوف — فى هذا التفسير التـــاريخى لرواية جميـــلة ، على اختصاره — أن يعبر — شعر بذلك أم لم يشعر — عن مأساة شعبه القيرغيزى بدءا بالاحتلال الروسى القيصـــرى لقيرغيـــزيا عام ١٨٧٦ الى مجىء السلطة الثورية التى كونت الاتحـاد بعد ذلك ، ثم قيام الشعب القيرغيزى بانتفاضاته وثوراته العديدة — وقد سجلها فى أدبه — وفشل هذا الشعب فى تلك ، لكنه أخذ يتوق الى الحرية ويتوق الى الامل فى الحـــرية التى أحبها وانتظرها وانه فى النهاية لابد ان تتجه قيرغيزيا الى أفاق رحيبـــة من الحرية « فهذا هو طريقها » كما قال صديق فى رواية جميلة .

# لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا؟

بقلم: حافظ أحمد أمين

**عندما بدأ ميخائيل جورباتشوف دعوته لإعادة البناء ، أو ( البيريسترويكا) اهتم الجميع بها اهتماما غير عادى ، وتساءل الناس لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا؟ ولماذا تظهر مثل هذه الدعوة فى روسيا؟ وما الذى حتم ظهورها فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن العشرين ؟**

أما الاجابة على السؤال الاول ، فالواضح أن السر وراء الاهتمام الشديد للعالم كله بالبريسترويكا ، ليس بسبب جدة ما فيها من قيم وأفكار ، فكل ما جاءت به البريسترويكا من دعوات ومبادىء ، كثيراً ما فكر فيه ودعا اليه ونبه الى خطورته مفكرون وفلاسفة كبار ، فى الشرق والغرب ، وانما خطورة البريسترويكا تتجلى فى أمرين :

الامر الاول : ان كل ما فيها من افكار ومبادىء ، وضعه جورباتشوف فى نسيج واحد متكامل ومتماسك ، وان كل دعوة دعا اليها مرتبطة ومتداخلة ومعتمدة على الدعوات الاخرى فيها ·

الامر الثانى : ان جورباتشوف ليس فقط مفكرا أو فيلسوفا ، وانما هو قبل هذا سياسى كبير ، فى دولة كبيرة ، يعرف جيدا كيف يضع أفكاره موضع التنفيذ ، فيؤثر بذلك على العالم كله تأثيرا جبارا ·

يقول جورباتشوف فى كتابه ( البيريسترويكا ) ان الفلاسفة ورجال الدين قد تناولوا — عبر التاريخ — أفكارا مماثلة فى القيم الانسانية الخالدة ، ولكن العالم — وهو يقترب

والتفكير الجديد لبلادنا والعالم أجمع




من نهاية القرن العشرين ، ولاول مرة في التاريخ - يحتاج الى هذه القيم ، لانقاذ البشرية من الكارثة .

« ان اعادة البناء ضرورة لعالم يفيض بالاسلحة النووية ، ويعاني من مشاكل اقتصادية وبيئية خطيرة لعالم يرهقه الفقر والتخلف والمرض لعالم يواجه حاجة ملحة الى ضمان بقائه » . ويقول :

« ان الاهتمام الاول للمثقف الحقيقي ، يجب أن يكون بمستقبل البشرية ، والسياسي الذى لا يضع كل همه لانقاذ البشرية من الفناء سياسي غير جدير بالاحترام » .

لم يكن ميخائيل جورباتشوف أول من دعا الى انقاذ البشرية مما يهددها من أخطار ، فقد سبقه في ذلك كثير من المفكرين والسياسيين ، ولكن الانتشار السريع لهذه الدعوة ، في العالم كله ، أدى الى تزايد الاصرار والتماسك في المؤسسات المعادية ، المؤسسات التى تعمل بعقلية ( أن الهدف الاول والاخير هو الربح السريع مهما كان مصدره ) وعلى رأسها المؤسسات التى تستفيد من صناعة الاسلحة والاتجار فيها ، ومن انتشار الفتن والحروب في كل مكان .

من هنا كان لابد من ظهور سياسي كبير ، ينبه الى أن الصراع بين الايديولوجيتين : الرأسمالية والاشتراكية ليس الا صراعا تافها بجانب الصراع الجديد ، الذى هو اشد خطورة واكثر اهمية ، الا وهو الصراع بين من يعمل على انقاذ البشرية من الهلاك المحقق ، ومن لا ينظر الا الى مصلحته الوقتية الغبية من هنا جاءت اهمية البيريسترويكا

ولعل هذا يفسر أيضا حتمية ظهور البيريسترويكا في هذه السنوات الاخيرة ، هذه السنوات التى سيتحدد فيها مصير العالم كله ، لفترات طويلة قادمة .

## لا مكان للتخلف الآن

يفخر الغرب بأن نظامه الرأسمالي يوفر لمواطنيه أشكالا من الحريات في مختلف المجالات ، ويفخر الاتحاد السوفييتي بأن نظامه الاشتراكي يوفر لمواطنيه قدرا عاليا من العدالة الاجتماعية .

لكن شيئا خطيرا بدأ يحدث في العقود الاخيرة ، شيئا جعل من كل من ( الرأسمالية ) و ( الاشتراكية ) نظامين ثانويين بالنسبة لنظام جديد ، تفرضه التكنولوجيا الحديثة على العالم أجمع .

# لماذا كل هذا الاهتمام بالبيريسترويكا ؟

مع التقدم الهائل فى التكنولوجيا ـ وخاصة فى الغرب ، وبعد الحرب العالمية الثانية ـ حدثت ثلاثة أمور فى غاية الخطورة :

**الامر الاول :**

أن عدد العاملين فى الصناعة بدأ فى التناقص السريع ، وبانتقال الكثير من عمال المصانع الى مهن أخرى ، كالمعلومات والاعلام والتجارة والسياحة والفنون .. الخ ، فقد النظام الصناعى غلبته على النظم الاخرى ، وفقدت قيم المجتمع الصناعى وتقاليده أهميتها وسيطرتها على بقية القيم والتقاليد ، فكان الانتقال الاخير من ( مجتمع الصناعة ) الى ( مجتمع ما بعد الصناعة ) اخطر كثيرا مما حدث للعالم عندما انتقل من ( مجتمع الزراعة ) الى ( مجتمع الصناعة ) .

**الامر الثانى :**

أن العالم بدأ يتقارب ، وبدأ الناس فى كافة البلاد يشعرون بأن الكرة الارضية مصيرها واحد ، فالمشاكل أصبحت مشاكل الجميع ( الخطر النووى ـ التلوث ـ تناقص الموارد ـ الانفجار السكانى ـ تدهور البيئة .. الخ ) ، والامال أصبحت آمال الجميع ( السلام ـ التنمية الشاملة ـ العدالة الاجتماعية ـ حرية المشاركة .. الخ . ) فلابد من التعاون المخلص المجاد بين كافة البلاد .

**الامر الثالث :**

أن لا مكان بعد الان للتخلف ، فالعالم ـ فى ظل التكنولوجيا الحديثة ـ لن يتحمل التعصب والارهاب ، كما لن يتحمل الركود والجمود ، فلابد للانسان فى هذا العصر أن يكتسب المهارات الحديثة فى الاعمال والتسامح اللازم للتعاون مع الاخرين ، والمرونة الكافية لمواجهة التغيرات السريعة والعنيفة ، والقدرة العقلية لحل المشكلات المعقدة .

ولان الولايات المتحدة الامريكية هى رائدة العالم كله فى التقدم التكنولوجى الاخير ، فقد ظهر فيها العديد من المفكرين الذين يشرحون شكل الحضارة الجديدة ، ويدعون الى مبادئها ( مثل دانييل بل ، والفين توفلر ، وجون ناسبيت وغيرهم ) كما ظهر فيها العديد من المؤسسات التى تعمل بنظم الحضارة الجديدة ، والتى تخلق التقاليد والقيم الحديثة .

ومع ظهور هذه المؤسسات الجديدة ظهر الصراع بينها وبين المؤسسات التى مازالت تعيش بقيم الحضارة الصناعية ، وتعمل بنظمها ، وهو صراع يشتد تدريجيا بمرور الايام .

أما فى الاتحاد السوفييتى ، حيث التغيرات تحتاج دائما الى ثورة ، فقد ظهرت البيريسترويكا على شكل انتقال عنيف من الحضارة الصناعية الى الحضارة الجديدة .

اذا كان بطرس الاكبر ( ١٦٧٢ ـ ١٧٢٥ ) هو أول من نجح فى نقل روسيا من المجتمع الزراعى الى المجتمع الصناعى ، فان ميخائيل الاكبر ( أو ميخائيل جورباتشوف ) يعمل الان

على نقلها الى مجتمع ما بعد الصناعة نعم ، ادخل بطرس الاكبر النظم الصناعية فى الجيش والبحرية ، ووضع النظم الهرمية فى الادارة الحكومية ، وانشأ طبقة جديدة عليا من كبار الموظفين وضباط الجيش ، وشجع الصناعة ونهض بالتجارة ، واسس المستشفيات وفتح المدارس الحديثة ، ووحد العملة ، وحرر النساء ، والغى بطريركية موسكو ووضع الاديرة وممتلكاتها تحت اشراف الحكومة .

صحيح أن ثورة بطرس الاكبر لم تكن الثورة الصناعية الوحيدة فى روسيا ، فقد تلتها ثورات صناعية اخرى ، لعل اخرها كانت ثورة لينين عام ١٩١٧ ، ولكن هذا هو شأن كل الثورات التى تنقل المجتمعات من شكل حضارى الى شكل اخر شديد الاختلاف او كما يقول جورباتشوف فى كتابه ( البيريسترويكا ) : « ان الثورة البرجوازية التى قامت فى فرنسا عام ١٧٨٩ تلتها ثلاث ثورات اخرى متماثلة الاهداف ( ١٨٣٠ ـ ١٨٤٨ ـ ١٨٧١ ) ، كذلك قامت ثورتان برجوازيتان ذات اهداف واحدة فى المانيا ، الاولى عام ١٨٤٨ والثانية عام ١٩١٨ ) .

كذلك يمكننا أن نقول « ان الثورة الصناعية التى قام بها جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢ ،ليست الا استكمالا لثورات صناعية اخرى بدأها محمد على الكبير .

كذلك يمكننا ان نقول ان الثورة بعد الصناعة التى يقوم بها حاليا جورباتشوف ، لم تكن المحاولة الاولى فى الاتحاد السوفيتى ، فقد حاول خروتشوف القيام بثورة مماثلة عام ١٩٥٦ ، ولكنه كان اضعف ، أو كان اعداؤه اقوى ، من أن تستمر .

جاء ميخائيل جورباتشوف لينقل الاتحاد السوفييتى الى حضارة ما بعد الصناعة ، فهو يعمل على ان تصل بلاده الى المستوى العالمى فى المجالات الجوهرية للعلم والتكنولوجيا « كانت بلادنا تلحق بسرعة ببلدان العالم المتقدمة ، ولكنا لاحظنا اخيرا اتساع الفجوة ، فى كفاءة الانتاج وجودته ، وفى التطور العلمى والتكنولوجى ، فكان لابد من وقفة حاسمة لعلاج هذه القضية » .

وهو يعمل على ان تنتقل الادارة فى بلاده من البيروقراطية والمركزية الى اشكال جديدة تعتمد على الابداع والمشاركة : « فى السنوات الاخيرة لاحظنا سريان الفساد فى الاخلاق العامة وضعف التعاون بين المواطنين، وانتشار السلبية واللامبالاة .. والانفصال بين القول والعمل ، واستبعاد التفكير الخلاق وتشجيع النمو والمتنوع ، فكان لابد من ثورة حاسمة للتغيير » .

وهو يعمل على ان تتحول مظاهر النمطية والتماثل فى بلاده ، الى التنوع والاختلاف ، ومن السياسة التى يحكمها الغموض والمناورات ، الى سياسة يحكمها الوضوح واحترام الغير ، ومن الشمولية والنظم الصارمة الى تشجيع التعدد فى النظم والعقائد ومختلف مظاهر الحياة .

باختصار شديد : « البيريسترويكا ليست الا ثورة الاتحاد السوفييتى للدخول فى الحضارة العالمية الجديدة

## فى احتفال شعبى دينى ..

# مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

تحقيق: وداد حامد

**تقليد شعبى تتبعه مدينة منفلوط ، هو الاحتفال بالمحمل فى موسم الحج ، نظرا لموقعها فى منتصف المسافة بين القاهرة والصعيد .**

**وترجع تلك العادة الاحتفالية القديمة ، عندما كان المحمل الرسمى الذى اعتاد ملوك مصر وحكامها أن يرسلوه سنويا إلى مكة المكرمة ، مع قوافل الحجاج ، ويمر ركبه بهذه المدينة ، ويبقى بها لعدة أيام قبل أن يواصل سيره فى طريقه للأراضى الحجازية عن طريق ميناء عيذاب أو القصير ومنها يعبر البحر الأحمر إلى جدة .**



فى صباح اليوم الأول من أيام عيد الفطر ، يقام فى مدينة منفلوط احد مراكز محافظة أسيوط ، احتفال بالمحمل يشارك فيه أهل المدينة ورجال الدين والطرق الصوفية والهيئات الرسمية ، كما يشارك فيه سكان المناطق المجاورة .

ورغم أن ظاهرة الاحتفال بالمحمل وإرسال الكسوة الشريفة من مصر إلى الكعبة قد توقفت تماما بشكليها الرسمى والشعبى منذ فترة طويلة ، فإن أهالى المدينة ظلوا على تمسكهم بالاحتفال بالمحمل التشريفى . ذلك النموذج المصغر للمحمل الذى تحتفظ به عائلة "أيوب جمال الدين" فى قاعة خاصة بمنزلها فى منفلوط .

وليس من شك فى أن بعض المجتمعات المحلية الصغيرة أو المنعزلة نسبيا ، تتمتع بقدرة أكبر على التمسك ببعض ملامحها الثقافية مقارنة بمجتمع العاصمة أو المدن الكبرى . ويمكننا أن نلاحظ ذلك بصورة واضحة عندما تكون تلك الملامح الثقافية متعلقة بالعادات الشعبية التى من



# مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

اهم خصائصها القدرة على الاستمرار والتوارث من جيل إلى آخر، على الرغم مما قد تتعرض له من اندثار أو تداخل أو إحلال لبعض عناصرها، بعناصر ثقافية أخرى، بديلة أو وافدة من الثقافات الأخرى التى تحتك بها.

ويتفق ذلك مع التعريف الذى جاء من قاموس مصطلحات الإثنوجرافيا والفولكلور للعادة الشعبية بأنها هى نمط السلوك الذى يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم ويميل الى الثبات بمرور الوقت، بل والانتقال الوراثى.

وقبل أن نبدأ فى رصد المظاهر الاحتفالية بمحمل مدينة منفلوط فى ضوء دراستنا الميدانية، نرجع الى الظاهرة الرئيسية - وهى ظاهرة المحمل فى مصر.

## ● بداية إرسال المحمل

وظاهرة إرسال المحمل الى مكة المكرمة ترجع إلى عهد بعيد جدا، كما ذكرت من قبل، فقد اعتاد ملوك مصر وحكامها أن يرسلوا كل عام لمكة محملا يحمل "صرتهم" وهداياهم بالاضافة إلى كسوة فاخرة للكعبة. وكانت تلك الهدايا توضع على جمل يُزيّن بأفخر زينة ويسير أمام ركب الحجاج فى موكب عظيم.

وقد اختلفت الآراء حول بداية ارسال المحمل من مصر الى الكعبة، فيقال إن الظاهر بيبرس سلطان مصر كان هو أول من ارسل المحمل مع موكب الحجاج الى مكة عام ٦٧٦ هجرية. ويقال أيضا ان تلك العادة ترجع الى عهد سابق، وذلك حين قامت الملكة "شجرة الدر" زوجة الملك الصالح نجم الدين، والتى تولت حكم مصر بعد وفاة ولده "طوران شاه"، لخر ملوك الأيوبيين، بمصاحبة موكب الحجاج الى مكة، فاتخذت لنفسها هودجا رائعا مزينا يحمله جمل، وكان ذلك عام ٦٤٥ هجرية. ويروى أن هودجها ظل لعدة سنوات متتالية يُرسل خاليا أمام قافلة الحجاج الى مكة كل عام - ثم صارت عادة اتبعها الملوك بعد ذلك.

وطبقا لما جاء فى التواريخ القديمة فان المحمل قديم جدا يرجع الى ما قبل الاسلام. وكان يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا الى مكة. ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سير محملا الى مكة محملا بهداياه الى البيت المعظم. كما أن هناك بعض الاشارات المتفرقة فى كتب التراث نستشف منها أنه كان هناك محمل شامى وآخر عراقى وثالث يمنى، ومحمل لابن الرشيد ومحمل لابن سعود ومحمل لابن دينار. وكان يحمل صررهم الى الحرمين الشريفين مغطاة بكسوة من الجوخ.

## ● عناية من قبل الحكام بالمحمل

ويصف المستشرق "إدوارد لين" الذى عاش فى مصر عام ١٨٢٤ - المحمل بأنه "عبارة عن اطار مربع من الخشب هرمى القمة، له ستر من الديباج الأسود، عليه كتابة وزخارف مطرزة تطريزا فاخرا بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر فى بعض الأجزاء. يحدُّه هدبة حريرية وشراريب تعلوها كرات فضية"

وقد كان لركب المحمل في الدولة المصرية شأن كبير . وكان الملوك والحكام يبالغون في العناية به كل عام ـ حيث كان الاحتفال به من أعظم الاحتفالات التي ينتظرها الناس منذ ايام الدولة الأيوبية . فكان ينادى على الناس قبل موعده بثلاثة ايام ان يزينوا حـوانيتهم ودورهم . وفي الليلـة المحددة للاحتفال يحرق النفط وتعمل الصواريخ . وكانت العادة أن يحتفل بدوران المحمل مرتين في العام . مرة عند طلوع الناس للحج ومرة عند عودتهم منه . وفي بعض الأحيان وخاصة في عصر المماليك ، كان يقام موكب ثالث في شهر رجب ـ الغرض منه اعلام الناس أن طريق الحج آمن .

وكان يعين في خدمة المحمل أمير للحج والمحمل ، وأمين صرة ، وأطباء ، وكتبة ، وصيارف ، وكثير من الخدم ، والجمالة ، والخيمية ، والسقاءون وغيرهم .

● الطريق القديم للحج

كانت مصـر طريق المسلمين الى حج بيت الله الحرام ـ في الزمن القديم . فكانت القوافل القادمة من الأندلس ، والمغرب ، والسنغال ، والقوقاز وغيرها . تجتمع في مدينة القاهرة قبل شهر رمضان ، ثم يسير الحجاج منها الى قوص ( في الصعيد ) برا أو في النيل ، ومنها يقطعون الصحراء الشرقية الى ميناء عيذاب أو القصير ـ حيث يعبرون البحر الأحمر إلى ميناء جدة .

وقد عرف هذا الطريق منذ عهد الفراعنة ـ وكان يستخدم آنذاك للتجارة بين بلاد العرب واليمن والحبشة وبين مصر . ثم زادت أهميته بعد الاسلام حيث صار طريقا للحجاج .

وقد ظل مستخدما للحج منذ القرن الاول الهجرى حتى القرن السابع تقريبا . حيث اتخذ طريق اخر بجانبه هو طريق العقبة البرى .

وكان هناك بعض الحجاج الذين يسافرون بواسطة المراكب الشراعية في البحر الاحمر من الطور أو السويس ـ إلا ان معظمهم كان يسير مع القافلة الرسمية عن طريق العقبة البرى .

وقد استمر ذلك الطريق الى ان انشىء ميناء السويس ، ومُدَّ خط حديدى يصل ما بين السويس والقاهرة واصبحت هناك بواخر تنقل الحجاج الى جدة ومنها الى مكة .

● الطريق القديم للمحمل

كانت لمدينة منفلوط ـ اهمية خاصة ـ في تلك الفترة البعيدة عندما كان طريق الصعيد هو الطريق الرسمي للحجاج والمحمل . فكانت القوافل القادمة من القاهرة ، تتوقف ببعض البلدان في طريقها الى مدينة قوص . ومن أهم تلك البلدان كانت مدينة منفلوط ـ حيث كانت تمكث بها تلك القوافل لفترة طويلة للراحة وللتزوُّد بالطعام والشراب . وفي نفس الوقت لانتظار الحجاج القادمين عن طريق درب الأربعين .

وكان أهالي مدينة منفلوط ـ يحرصون كل الحرص على المشاركة في توديع المحمل والحجاج ـ عند مغادرتهم للبلدة صباح أول أيام العيد ، فكانوا يقيمون الاحتفالات ـ ويصحبونهم الى خارج المدينة . ويقال أن الاهالي ظلوا يحتفلون

# مازالت منفلوط تحتفل

# بالمحمل

بهذه المناسبة ـ بعد أن تحول طريق الحج الى طريق العقبة ـ لفترة ـ الى ان جاء أيوب جمال الدين ـ فأعاد إحياء هذه العادة ـ ومازالت قائمة الى الآن .

وقد يقال لماذا مدينة منفلوط ؟ ولماذا أيوب جمال الدين ؟

ترجع الأهمية التى حظيت بها مدينة منفلوط فى تلك الفترة الى عدة أسباب .

أولا : لموقعها فى منتصف المسافة بين القاهرة وقوص .

فمدينة منفلوط تقع فى منتصف المسافة بين القاهرة وقوص تقريبا على الشاطىء الغربى للنيل . تجاورها شمالا مدينة ملوى ، وجنوبا مدينة أسيوط .

وقد ذكرها ابن جبير الاندلسى ، الذى حج من هذا الطريق ـ طريق الصعيد ـ عام ٥٧٩ هجرية ، قائلا : ( ومن المواقع التى اجتزنا عليها فى الصعيد موقع يعرف بمنفلوط بمقربة من الشط الغربى ميامنا للصاعد فى النيل . فيه الأسواق وسائر ما يحتاج اليه من المرافق ، وهى بلدة فى نهاية من الطيب وليس فى الصعيد مثلها . وقبل الوصول اليها فى بحريها جبل يعرف بجبل المقلة بالشط الشرقى من النيل مياسرا للصاعد فيه . وهو نصف الطريق الى قوص ) . أما ابن بطوطة فقد امتدحها عندما زارها ـ فى طريقه لمكة عام ٧٢٥





ـ اهالى مدينة منفـــــلوط
يحرصون على المشاركة فى توديع
المحمل، فكانوا يقيمون الاحتفالات

طلع يوم الجمعة محملك
للنبى طلع يوم الجمعة

# مازالت منفلوط تحتفل بالمحمل

هجرية قائلا : ( هى مدينة حسن رواؤها ، مؤنق بناؤها على ضفة النيل . شهيرة البركة ) .

ثانيا : موقعها بالقرب من درب الأربعين .

تقع مدينة منفلوط على مقربة من درب الأربعين الذى يعتبر مهبطا للقوافل القادمة من "مملكة دارفور" فى غرب السودان وما يليها من دول غرب إفريقيا .

وقد جاء فى الخطط التوفيقية أنها ( منذ عهد بعيد كانت مركزا للتجارة السودانية التى تجلبها القوافل القادمة من دارفور ونحوها . فتنزل على "بنى عدى" فيبيعون كثيرا من أشيائهم ، وكان الناس يتلقونهم هناك ثم ينقلون البقية الى هذه المدينة .

ثالثا : مكانتها فى عهد المماليك :

مدينة منفلوط من المدن القديمة جدا . وكانت تسمى منبالوط ـ وهى كلمة قبطية معناها "الحمر الوحشية" . وكانت لمنفلوط فى زمن المماليك أهمية خاصة فقد كانت رأس مديرية ، وكانت إقليما منفصلا . فقد جاء فى الروك الناصرى سنة ١٣١٥ م أنه أنشىء إقليم جديد فصلت قراه عن أعمال الأشمونيين ، وعن السيوطية وعرف بالأعمال المنفلوطية . ومنذ سنة ١٨١٢ م ضمت مأمورية منفلوط الى أسيوط وأصبحت من وقتها قسما من أسيوط .

## ● أيوب جمال الدين

جاء فى الخطط التوفيقية أيضا ان ( أيوب جمال الدين كان رئيسا للولاية المنفلوطية . وهو من بيت تأصل مجده هو بيت جمال الدين ، فهو الابن الأصغر لأحمد الكاشف حفيد على الكاشف الذى عاش فى العقد السابع من القرن الحادى عشر . وقد كان حسن السيرة وبنى عدة مساجد أشهرها مسجده بمدينة منفلوط المجاور لمنزله ومدفنه . أما جده الأكبر جمال الدين فقد كان تاجرا مشهورا وقد تشرف أيوب جمال الدين بالمرتبة الثانية من إحسانات المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر سابقا حين شرف مدينة منفلوط وتناول الطعام عنده ) .

## ● مراسم المحمل

كانت المراسم الخاصة بالموكب تبدأ صباح اليوم السابق لطلوع الموكب ـ وهو يوم وقفة عيد الفطر فى منزل عائلة أيوب جمال الدين فى مدينة منفلوط ـ بالقاعة الخاصة بحفظ المحمل . حيث يقوم بعض الرجال بإعداد الأجزاء المكونة للمحمل وهى الهيكل الخشبى المربع ذو القمة الهرمية ، وكسوته الخضراء الحريرية المشغولة بوحدات زخرفية بأشكال النباتات ومثبت عليها قطع من المرايا ، والكواكب النحاسية الخمسة التى توضع فى قمم زوايا الهيكل المربع ووسطه .

وكان عمر هذه الكسوة حوالى مائة عام ـ وقد روى أن أيوب جمال الدين كان يقوم بتجديدها سنويا .

وكان بعض الرجال يقومون بإعداد الطبول التى سترافق الموكب ـ وهى عبارة عن طبلة كبيرة من النحاس ذات شكل نصف كروى . قطرها حوالى ٦٠ سم مشدود عليها رق من الجلد ( طبلة نقارة ) وطبلتين أقل حجما تحملهما قاعدة خشبية ( نقرازان ) .

وعند الانتهاء من تلك الأعمال يقوم أحد الرجال باطلاق البخور فى القاعة ـ ثم تبخير المحمل سبع مرات متتالية ـ بينما كان الموجودون يقومون بقراءة الفاتحة . المحمل حيث يقرءون الفاتحة ثلاث مرات . واثناء ذلك يقوم رجال " العائلات القابضة " بتبخير المحمل ـ ثانية ـ وتظل القاعة مضاءة حتى الصباح .

## العائلات القابضة

وكانت ثلاث عائلات تقوم بخدمة المحمل وقد توارث أبناؤها شرف القيام بخدمته منذ بدأ الاحتفال به . وهذه العائلات الثلاث هى : عائلة حلقا وعائلة مريم وعائلة جلال المنفلوطى الذى كان يعرف بنقيب المحمل . ويطلق على هذه العائلات الثلاث "العائلات القابضة" .

ومن بين الاستعدادات لخروج المحمل كانت تجرى استعدادات فى موضع اخر من المدينة بمنزل عائلة "الديك" . حيث يبدأ اعداد الكسوة الخاصة بالجمل الذى سيقوم بحمل المحمل . وهذه الكسوة من القماش الحريرى الأخضر المزين بشراريب ملونة . أما الجمل فيتم تنظيفه وتزيين رأسه ورقبته وصدره بالأجراس والجلاجل والشراريب الملونة . وقد توارثت عائلة الديك مهمة القيام برعاية جمل المحمل وخدمته منذ عدة أجيال .

وهم يروون أنه فى بعض الأحيان يتم صبغ شعر الجمل بالحناء . ويروون أيضا ان هذا الجمل مخصص لحمل المحمل فقط ـ على أن يعفى من العمل بقية العام .

وفى مساء ـ ليلة العيد ـ يتم الاعداد لترتيب أجزاء الموكب والاتفاق على خط سيره فى المدينة . حيث يتوافد رجال الطرق الصوفية ورجال المدينة الى منزل أيوب جمال الدين ـ ثم يقومون بأداء صلاة العشاء ثم صلاة التراويح . ثم يتوجه الجميع بعد ذلك الى القاعة الخاصة بحفظ

## ● الموكب

بعد صلاة العيد مباشرة توجه الجمال ومن بينها جمل المحمل ـ مزينا ـ الى منزل أيوب جمال الدين فيرفع عليه المحمل وسط زغاريد نساء البلدة .

وترديدهن لهذه الاغنية :ـ

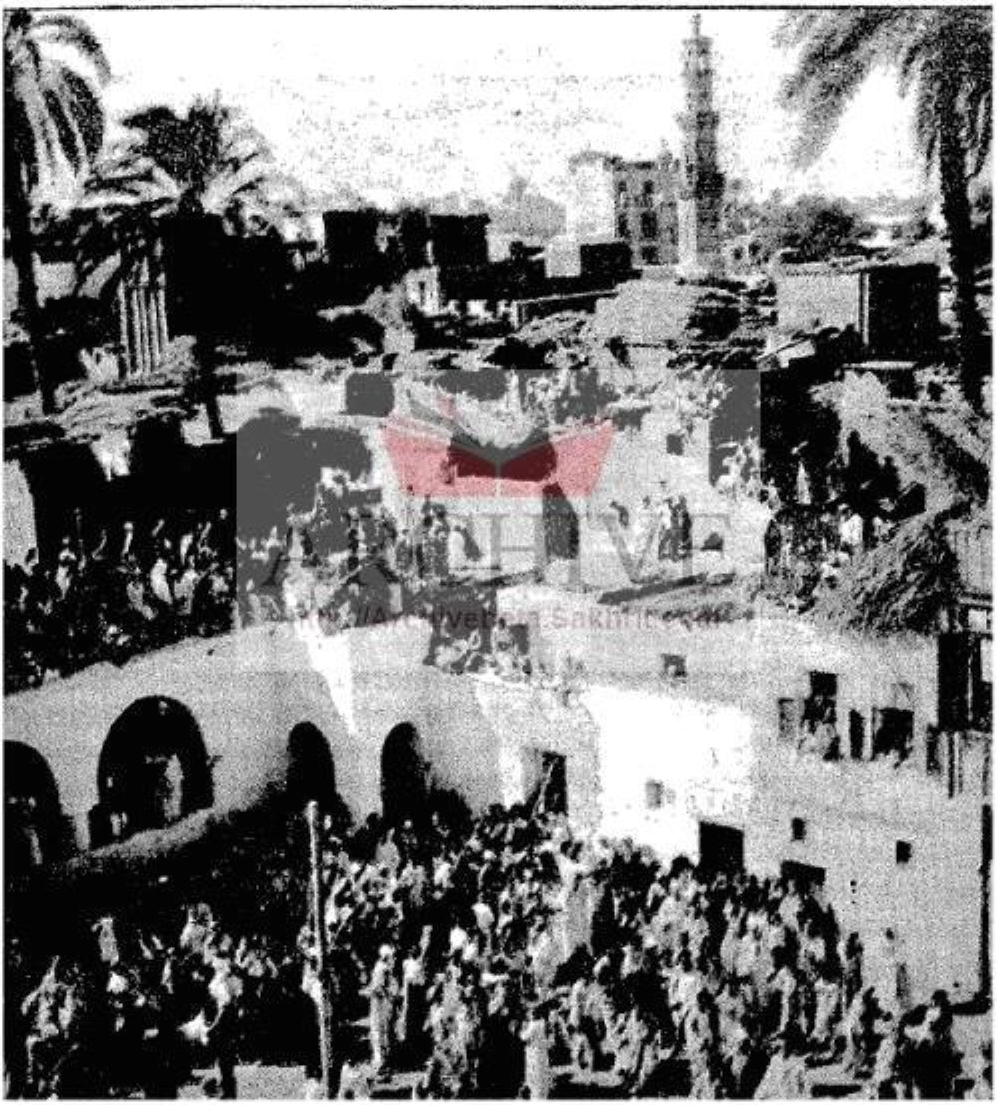
**طلع يوم الخميس محملك**
**للنبى طلع يوم الخميس**
**طلع يوم الخميس والمواكب**
**بالذهب والفوانيس**
**طلع يوم الجمعة محملك**
**للنبى طلع يوم الجمعة**
**طلع يوم الجمعة والمواكب**
**بالذهب وفى الوسط شمعة**
**شالوه ع المولد محملك**
**للنبى شالوه ع المولد**
**شالوه ع المولد خليكوا**
**يوم جمارنا كرامة للنبى**
**شالوه ع الهجين محملك**
**للنبى شالوه ع الهجين**
**شالوه ع الهجين رشرشوا**
**له السمسم على باب نبينا**

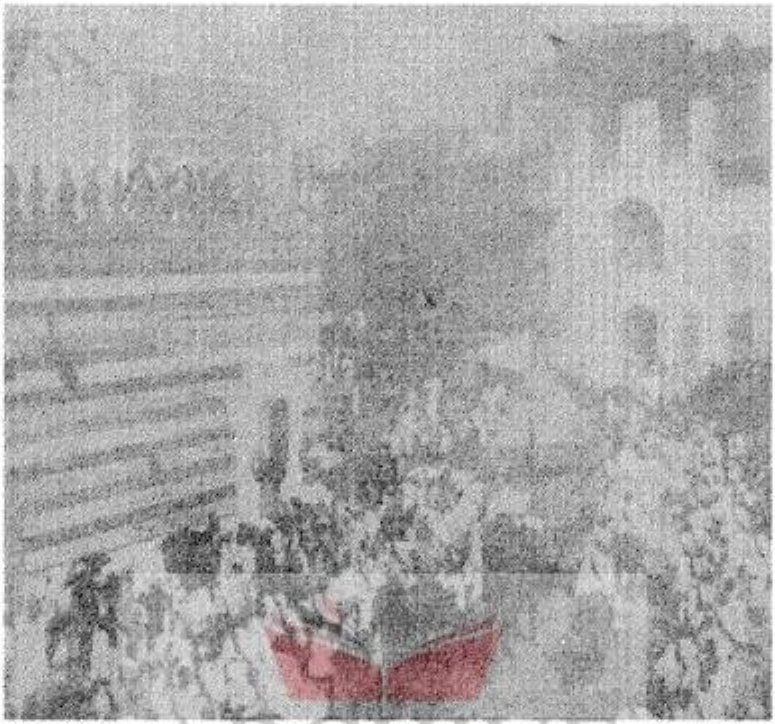
وكان من بين العادات التى تتم زيارة ضريح الشيخ على أبو اسماعيل وهو اخر جمّال قاد المحمل الشريف الى الحجاز عن طريق القصير ثم يبدأ الموكب رجال الشرطة من ضباط ، ومشاة ، وخيالة .. وفى مقدمته موسيقات الجيش ، وخفراء المراكز والقرى وخلفهم عربات المطافىء والنجدة والاسعاف ، ثم يلى ذلك

مازالت منفلوط تحتفل

# بالمحمل

مجموعات رجال الطرق الصوفية التى تسير فى صفوف منتظمة . وكانت جماعات من الفتيان تسير حول المحمل . يحمل كل منهم عصا من الجريد الأخضر يرفعونها لأعلى وهم يهللون : الله أكبر .. ويسمى هؤلاء الفتيان حماة المحمل .





المحمل المصرى الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة استمر منذ العصور الوسطى وحتى سنوات قليلة مضت



وكان للموكب خط سير محدد يبدأ من شارع الجمهورية وينتهى بميدان الأمير جاثم ، حيث يتوقف الموكب لفترة طويلة ، يقـوم فيها الفتيـان بلعب التحطيب والبرجاس ، ورقص الخيل .

ويروى "محب جمال الدين" حفيد أيوب جمال الدين أن الأمير جاثم كان أميرا للحج والمحمل من قديم الزمان ، وذلك عندما كان الحج الى الكعبة عن طريق القوافل ، وقد توفى هذا الأمير بمدينة منفلوط ودفن بها أثناء رحلاته للحجاز ، وقد اعتاد أمراء الحج من بعده أن يمروا على ضريحه لقراءة الفاتحة .

وقد جاء في بدائع الزهور لابن إياس أن الأمير جاثم كان أميرا للحج فى عام ٩٢٧ ، وكان كاشف الفيوم فى ذلك الوقت !

ثم يبدأ الموكب فى رحلة العودة ، حيث تنفصل أجزاء الموكب ، ويعاد كل منها الى موضعه لتحفظ فى القاعة المخصصة لها فى منزل أيوب جمال الدين لتبقى الى العام التالى .

قضايا حيوية

# القبلية الفكرية

## وأزمة البحث في نهضتنا الحديثة

بقلم: جمال سلطان

**الحركة الفكرية والثقافية التي شهدها المجتمع العربي طوال القرن التاسع عشر، وعقود عدة من القرن العشرين، وبكل ماعكسته من آثار وبصمات وملامح، في الواقع الاجتماعي المتحرك سواء على مستوى الشخصية الانسانية الفردية، أو على مستوى البنية الاجتماعية وتشابكاتها وعلاقاتها: الروحية والعقائدية والسياسية والتشريعية والاخلاقية، أو حتى على مستوى وضعية المجتمع المسلم نفسه ككتلة بشرية ذات تميز حضاري معين، تجاه الحركة العامة للمجتمع الانساني الدولي كله .**

أقول: هذه الحركة الفكرية والثقافية بكل ما خلفته من نتائج نفسية واجتماعية، كانت تمثل انعطافا هاما، وبالغ الحساسية، من المسار التاريخي الطويل لهذه الامة، وكان الالتقاء غير المتوازن، بين هذه الامة المنهوكة حضاريا ونفسيا، مع البناء الحضاري الاوربي في فترة شموخه واستعلائه، بمثابة لحظة الكشف والتعرى أمام الذات، حيث انتبهت الامة ـ بعد سبات طويل، أغواها فيه ستار العزلة الانسانية ـ وقد أصبحت وجها لوجه، أمام عوراتها المشينه، وأمراضها المزمنة الخبيثة، وخللها النفسي والاجتماعي الخطير، وسقوطها الحضاري التاريخي المروع، وتلك اللحظة، لحظة الانتباه، هي ما اصطلح الباحثون المعاصرون على وصفها «بالنهضة الحديثة» .

والمتأمل في تراث هذه «اللحظة» التاريخية الصعبة، يلحظ على الفور



د . محمد حسين هيكل



على مبارك

وجود شعور غامض ، يسرى فى أوصال كتابات أبناء جيلها ، وطلائعها المثقفة، بأن ثمة « خللا » ما ، فى تكوين الامة، وهذا الخلل يمثل « جوهر » المرض الذى دلت عليه تلك الظاهرات الانسانية المنحرفة والفاسدة، فى الفكر والتصور، وفى الفاعلية والسلوك ، وفى الروح الدافعة للبناء والسبق ، وفى التنظيم الاجتماعى ، سياسيا ، واقتصاديا ، وتشريعيا « قانونيا » ، حيث أصبح هذا « التنظيم مكرسا لحالة الجمود الحضارى ، بدلا من أن يكون دافعا للحيوية والانطلاق ، ولم تكن « الحالة الدينية » ذاتها ، بمنأى عن هذا « الفلك الحضارى » المريض ، حيث أصبحت مجرد طقوس متوارثة ، ناقصة لاشعاعاتها الروحية القوية ، التى قرأوا عن سحرها ، وأعاجيب فعالها فى ضمائر السابقين ، وفاعليتهم الحضارية العالية ، بل لقد أصبحت « الحالة الدينية » مختزلة — عقائديا — فيما يشبه عقيدة « الارجاء » المنحرفة (١) ، التى ظهرت — فى نطاق ضيق — فى الزمن الماضى ، وذلك الارجاء الحديث، هو أحد العوامل الاساسية ، التى عمقت من وضعية « الفصام » بين الاسلام والواقع ، فكان مبررا ذاتيا للتخلف الكبير الذى أحرزه الانسان المسلم ومجتمعه أيضا ، فى الواقع الانسانى الحى ٠

بيد أن لحظة الانتباه ، أو النهضة ، كانت تخضع لمؤثرات داخلية وخارجية، جعلت من هذه المحاولات الاصلاحية ، نحو مراجعة شاملة ، ووقفة جذرية مع النفس ، غير متزنة ، وغير ممتلكة لشرائط الحمل الموضوعى الناجح والمثمر والصحيح ، فمن جهة ، كان هناك دولاب الحركة الدولية الصاخبة من حولهم ، ينشط بحركة فكرية واجتماعية متجددة ومتلاحقة ، وذات سرعة واندفاع لم يتعود عليهما العقل العربى المسلم منذ دهر ، ومن جهة أخرى ، كانت هناك ضغوطات سياسية دولية متنوعة، ومريكة ، انتهت الى احتلال عسكرى سياسى ، دام عدة عقود ، تجاوزت القرن فى مناطق ، وقاربته فى مناطق أخرى ، وكل ذلك مما كان يضغط على نفسية الطلائع المثقفة والمستنيرة ، ويجعلها مدفوعة الى توجهات جزئية أو قاصرة ، فبعضهم — مثل على مبارك —

١ — الارجاء ، هى عقيدة احدى الفرق الاسلامية القديمة ، وقد تبلورت هذه العقيدة فى مقولة « لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة » !

# القبلية الفكرية

رأى الداء في تخلفنا العلمي التقني والمادي ، واخرون رأوا ذلك في تخلفنا التشريعي القانوني ، فراح يترجم – كما فعل رفاعة الطهطاوي ومن بعده فتحي زغلول – بعض القوانين الفرنسية ، وبعضهم رأى السبب في تمسكنا بالاسلام حيث خلط بين ما يراه من مسخ مشوه له في الواقع ، وبين دين الله ، كما بينه في كتابه ، وكما انفذه رسوله الكريم (ص) في الواقع الانساني الاسلامي الاول ، اضافة الى التأثر بالتجربة التاريخية الاوربية الماثلة امام أعينهم ، وقد انقسم هذا الفريق الاخير الى قسمين : قسم يطالب بعزل الاسلام عن الدولة والحكم والسياسة كشرط للنهضة ، كما فعل « علي عبد الرازق » ، وقسم دعا الى نفض أيدينا من الدين جملة ، وبناء ما أسماه « مجتمعا علميا مستنيرا » ، وهذه الوجهة الحادة قد اختلطت ببعض الرواسب العاطفية الطائفية ، وغير ذلك مذاهب أخرى ، من النظرات القاصرة ، أو الجزئية ، والتي نتجت – كما قلنا – عن غياب المناخ النفسي – الاجتماعي ، الملائم لتوفير شرط « الاتزان » الفكري لابناء هذا الجيل ، فاتت أطروحاتهم ، تتميز بالسطحية البعيدة عن العمق ، أو النقلية البعيدة عن الابداع الاصيل هذا بالاضافة الى عمل اخر ، هام وجوهري ، لا يجوز اغفاله في هذا المقام ، وهو عملية الاختراق الفكري والثقافي ، الذي قام به نفر من المستشرقين الاوربيين ، المدفوعين بأغراض « مشبوهة » ممن استطاعوا استقطاب عدد من فعاليات أبناء جيل النهضة، بطرق عديدة ماكرة، ونجحوا في أن يبثوا – من خلال حناجرهم – الكثير من الآراء والتصورات والمناهج ، التي ما زالت تشكل جزءا هاما من تراث ذلك الجيل .

ذلك الاختراق الذي رصد لنا بعض معالمه ، أحد رجالات ذلك الجيل ، حيث كتب الدكتور « محمد حسين هيكل » يقول : « لقد رأينا أخيرا طلابا وطالبات غربيين ، يفدون الى مصر ، والى مختلف جهات الشرق العربي ، يحاولون – فيما يقولون – تحقيق هذه المسألة ، ( مسألة النهضة ) ، يتصلون بكل من يتوسمون فيهم أنهم رجال الادب الحديث، وأشعر بأنني في حل من القول ، بأن هذه الطليعة الغربية ، متجهة الى مثل هذا البحث ، ربما شابتها غايات تسوغ الاعتقاد ، بأن المسألة لم تثر للبحث العلمي وحده ؟! (١) .

على كل حال ، لقد افرزت لنا لحظة الانتباه هذه ، أو حقبة « النهضة » نتاجا فكريا وعلميا وأدبيا ودينيا متنوعا ، يمثل مزيجا عجيبا من الافكار المتنافرة، والتصورات المتضادة والآراء المتعاكسة ، والمناهج المتخالفة ، في المنبع والرؤية والهدف ، شكلت « لوحة اجتماعية وحضارية » ، أقرب ما تكون الى مدرسة الفن الساخر « الكاريكاتور »، الا انها تتميز « كلوحة » بالتكامل الفني، فلا تستطيع ان تدرك معالم الجمال فيها ، أو مواطن الخلل في أبعادها ، أو لفتات السخرية منها ، الا اذا نظرت

(١) راجع كتابه « ثورة الادب » ص ١٢ ط ٠ القاهرة « الثالثة » ١٩٦٥

اليها كلوحة متكاملة ، واستطعت أن تحدد موقع كل « نتوء » فيها ، ممـا يجاوره ويحازيه ، ثم استطعت ـ أيضا ـ أن تحدد « حجم » و « لون » كل جزء منها بالنسبة للحجم أو اللون الطبيعي له في الحقيقة ، وبالنسبة للخلفية الموضوعية العامة .

ومن هنا تأتي خطورة عرض نتاجات هذه اللحظة الحضارية ، على أجيالنا الجديدة ، بصورة تجزيئية ، أو تسليط الضوء على أجزاء من تلك النتاجات ، وتعتيم الضوء على النتاجات الاخرى أو ابراز بعض معالم هذه الجزئيات ، والمتمثلة في فكر رجل ، أو تيار عام ، أو جماعة ما ، واخفاء معالمها الاخرى التي تكمل صورتها ، وتوضح قيمتها على الحقيقة ، أو عرض لناحية من هذه اللوحة ، دون الكشف عن نتائجها وامتداداتها التي تمخضت عنهـا في الواقع العملي المتحرك .

الا ليس من شك ، أن هذا الواقع الحي ، الذي تعيشه الامة اليوم ، هو نتاج مباشر ، ووليد طبيعي ، تمخضت عنه التجربة الانسانية التي مرت بها الامة في « لحظة الانتباه » أو « النهضة » ، وبالتالي ، كان ادراكنا لأصل الداء ، وموطن الخلل في الكثير من اشكالياتنا الحضارية والانسانية الحية اليوم ، متوقفا على تبصرنا النافذ ، لجذور هذا الخلل ، في تراث حقبة « الميـل والحضانة » ، وطبيعي أن هذه البصيرة ، لا تكون نافذة ، وموضوعية ، وصحيحة الا اذا نظرنا الى « اللوحة كلها » نظرة شمولية ، متكاملة ، متوازنة ، متقارنة تضيء جوانب الموقف كله ، وتعريها أمام النقد الفاحص والمتزن ، والصارم أيضا .

فيما سبق ، كشفنا عن المخاطر البالغة ، التي يتعرض لها تكوين العقل العربي الجديد ، من جراء ظاهرة ثقافية شاعت مؤخرا ، وتجلت في الدراسات التاريخية والتراثية ، التي تتجه نحو عرض أو بحث تراث حقبة النهضة الحديثة ، وهذه الظاهرة ، تتمثل في مجهودات طوائف ، من الباحثين والمؤرخين ، مختلفي الميول الثقافية ، والتكوينات الفكرية ، والخيارات الايديولوجية ، يعمدون الى دراسة « أجزاء معينة » من هذا التراث ، ممثلة في أشخاص ، أو تيارات ، أو حركات ، مما يمثل « الجذور الفكرية في حقبة النهضة » لصاحب هذا البحث الجديد ، فيسلطون الاضواء الباهرة ، على هذه الاجزاء ، بل حتى على معالم محددة من هذه الاجزاء ، مع تعتيم الضوء في بقية المعالم ، أو الاجزاء الاخرى الفاعلة في الحقبة ، والتي تمثل الخلفية أو الارضية الموضوعية ، التي تشكل فيها ذلك الجزء ، بل أكثر من ذلك ، يحاولون استقطاب بعض النتاجات المستنيرة في هذه الحقبة ، نجاحات أو مكاسب وطنية أو حسنات ، ونحو ذلك ، الى هذا الجزء المعروض ، مما قد يضفي عليه قداسة هو غير مستحق لها على الطبيعة ، أو يضخم آثارا بصورة لا تتفق والواقع الموضوعي ، وفي كثير من الاحيان ، يعمد هؤلاء الباحثين الى تشويه أجزاء أخرى من هذه الحقبة ، أو عرض لمحات مبتورة شائهة لمواقفها ، مما يظهرها في صورة مزرية ، ومثيرة للامتعاض ، تختلق حاجزا نفسيا ، يحول بين القارىء ، وبين تبصر القيمة الحقيقية لهذه الاجزاء الفاعلة في تراث النهضة .

قضايا حيوية

# تكنولوجيا جديدة في عالم جديد

بقلم: د. عصام الدين جلال

**لاتزال الدول والمجتمعات غير المتقدمة تجاهد في تحصيل ما حققه العالم المتقدم من استغلال واستخدام المواد التقليدية، سـ ـستفاجأ بعد ان تستنفد جهودها في تحقيق ذلك في اواخر هذا القرن، ان تكنولوجية ومواد القرن الجديد والعلم الجديد، قد انطلقت في ظل عصر ما بعد المواد التقليدية .**

● لقد اصبح استخدام كوابل الالياف الزجاجية كبديل أكثر كفاءة وسعة من الكوابل النحاسية في الاتصالات التليفونية والتليفزيونية . ونقل كل صور المعلومات استخداما نمطيا يتعاظم دوره بحيث يصبح هو الموصل الاكثر شيوعا واستعمالا حيث يستطيع الكابل الواحد ايجاد الاف القنوات في حيز محدود عالي الاداء ، ومن ثم لم يعد غريبا ان النحاس احد المعادن الاستراتيجية التي اثيرت المخاوف من نضوب موارده وقامت الحروب في افريقيا للتنافس على احتكاره اصبح الان سلعة راكدة لا تحقق مردودا ذا شأن

والحقيقة ان التكنولوجيا تطرح مجموعة متزايدة من المواد الجديدة الاكثر كفاءة واقل تكلفة وغير محدودة الارصدة كبديل لكثير من المواد الاساسية التي تقوم عليها دعائم الثورة الصناعية المعاصرة بما يؤكد اننا على ابواب عالم جديد في امكانياته وادائه ومواده .

ونقل الطاقة الذي مازال يعتمد على كوابل المعادن والنحاس خاصة وهو على ابواب ثورة مماثلة تغير طبيعة اللدائن ، ووظيفتها والتي استخدمت حتى الان كعوازل غير موصلة للكهرباء . فاحد اكثر المواد ناقلية الان مصنع من لدنة بولي استيلين المطعم باليود وهو يمتلك ناقلية ضعف النحاس على اساس وحدة الوزن . ويمثل هذا المركب من الكربون والهيدروجين بداية فصيلة جديدة لاشك انها ستكون ارخص واخف وزنا واكثر طواعية من المعادن

ويرتكز هذا التطور على اكتشاف ان حركة الالكترونات الناقلة للكهرباء اكثر كفاءة فى اللدائن ذات الالياف الاكثر انتظاما وطولا . والمادة الجديدة لا تنحل فى الماء او الاحماض مما يعطيها ميزة على الموصلات الحالية مثل النحاس .

والحقيقة ان المواد الجديدة الموصلة للكهرباء لاتقف احتمالاتها عند مجرد زيادة نسبية فى كفاءة نقل التيار فان مجموعة جديدة من هذه المواد الجديدة لها خاصية الافراط فى كفاءة النقل وانعدام المقاومة بحيث سميت سوبر موصلات .

ورغم تعدد المواد والتكنولوجيات الجديدة فانها كانت تعانى من صعوبتين الصعوبة الاولى فى احتياجها لدرجات حرارة منخفضة تصل بها الى حالة انعدام المقاومة . وبعض هذه المواد مثل مزيج اكسيد النحاس والباريوم واللانثوم وهى التى تصبح سوبر موصل عند درجة ٣٠ فوق الصفر المطلق . ومع ذلك يمكن رفع درجة العمل الى اربعين درجة تحت ضغط عال ( درجة كلفن ) الصعوبة انه لا يمكن الحصول على درجة الحرارة المنخفضة المطلوبة الا من الهيليوم الغالى السائل عند درجة ٤ والهيدروجين السائل تصل حرارته الى ٣ر٢٠ ولكنه قابل للاشتعال مما يسبب مخاطر فى توليد ونقل الطاقة والمستهدف ان نحصل على مواد قادرة على العمل كسوبر موصلات عند درجة ٧٧ كلفن باستخدام التبريد بالنيتروجين السائل وهو ارخص الغازات وغير قابل للاشتعال وخامل والمتوفر فى كل مكان .

وقد وصل الباحثون السويسريون اخيرا الى اكاسيد خزفية تملك هذه الخواص الثمينة عند درجة ٣٠٠ كلفن وماzال السباق العالمى المحموم للوصول الى سوبر موصل يعمل عند درجة حرارة البيئة ولا يمكن ان يحصر الخيال التغيرات التى ستدخلها مثل هذه المادة على العالم الجديد المرتكز على توليد الطاقة ونقلها واستخدامها فى كل نواحى الانتاج والخدمات والمواصلات الخ ..

والمواد من الالياف الزجاجية الاكثر صلابة من الحديد شائعة الاستخدام الان فى صنع القوارب والسفن والطائرات لخفة وزنها وكذلك اجيال أخرى من اللدائن ذات الخواص المركبة الباهرة التى تجعلها بدائل اقل نفقة واكثر دواما ومقاومة واسهل تشكيلا من الالياف النباتية والمعدنية والياف الكربون الاكثر مقاومة للحرارة بما يجعلها الغشاء الخارجى الامثل للصواريخ الفضائية ليست الا امثلة مبدئية عن بوادر ثورة المواد الجديدة والتى تصنع منها الان القلوب والمفاصل والاسنان وبدائل الدم الصناعية والنظارات الصناعية والملابس والادوات المنزلية والمنازل نفسها .

فالمعروف ان بعض المحركات لا تؤدى عملها بالكفاءة المتوقعة لانها لا تعمل عند درجة الحرارة العالية التى تسمح لها بتحقيق المردود الكامل لدوران المحرك . فمثلا محرك استرلينج للديزل والذى يعتمد على التسخين العالى لغاز محصور التى تدفع المكابس لم تحقق المرجو منها لان مواد التزليق او التزييت اللازمة لحركة هذه المكابس لا تتحمل هذه الدرجة العالية من الحرارة فهى تتفكك عند درجة ٣٥٠ فهرنهيت وحتى الجرافيت لا يتحمل اكثر من درجة ٩٠٠ فهرنهيت .

ان عالم الغد لن يكون مختلفا فقط اداء وتنظيما ولكنه ايضا سيكون مختلف المواد .

# البحث عن مسرح بريل

بقلم: د. مجدى يوسف

ما هو ذلك الشيء الذى نحس جميعا ان الثقافة فى بلدنا تفتقر اليه كما يحس الجسم انه يفتقد قيمة غذائية اساسية ، على الرغم من انه يبتلع كثيرا من الطعام ؟ وكيف يمكن ان نحس بهذا الخور الثقافى على الرغم ان مصرنا تعج بالمثقفين فى كل مكان ؟ ولماذا نحن فى حالة من الخور الثقافى والفنى العام على الرغم من وجود هذا الكم من الكفايات الفنية الرفيعة فى بلدنا ؟

ان نستقبل التجارب الثقافية والفنية الجديدة من البلاد الاخرى هذا شيء جيد ، بل ان الاهم من ذلك هو ما نلاحظه من احتفال جمهورنا بتلك التجارب ٠ هذا الاحتفال بتجارب الغير الفنية يجعلنا نحس أنه نوع من التعويض عن عدم قيام هذا الجمهور المصرى باكتشاف تجاربه الثقافية الفنية النابعة منه ٠

ولكن : كيف يمكن لجمهور غير « مدرب » على تقنيات الفن أن تكون له تجاربه الفنية الابداعية ؟ وأى فن ذاك الذى يمكن ان يكون له بمثابة الهواء الذى يستنشقه بحيث لا يشعر منتجه او متلقيه انه يقوم باى عبء وهو يبدع فيه ؟ وهل يحتاج أداء هذا الفن لتقنيات عالية حتى ينتج ابداعا عالى المستوى ؟

اعتقد ان هذا الفن لابد أن يكون فنا مباشرا ؟ كالخبز الطازج يخبره متلقية لحظة ميلاده على أيدى منتجيه وليس اقرب الى تحقيق هذه التجربة

الفنية من المسرح الجامع لكل الفنون التعبيرية أو معظمها . ولكن : كيف يكون هذا « المسرح الجامع » ؟ هل يكون « مسرح نجم » مثلا ؟ . لوفعلنا ذلك لما فعلنا شيئا ، لان النجم لا يصبح جماهيريا الا اذا « مثل » دور الانسان البسيط ( أى اللانجم ) ما المانع اذا فى ان يقدم الانسان البسيط ما يخبره فى حياته اليومية بطريقة فنية الى سواه من « البسطاء » ؟ يبدو ان المانع هنا هو هذه « الطريقة الفنية » ، ولكن هل هو مانع حقا ؟ الا توجد لدى عامة الناس وسائل فنيه تلقائية للتعبير عما يريدون توصيله الى الاخرين ؟ طبعا توجد ، ولكن : كيف تستخرج هذه التلقائية العفوية القابعة فى أعماق الناس العاديين كى تصبح طاقة ابداعية متجسدة فى تواصلها غير العادى ؟ ( الفنى التجريبى ) مع الاخرين ؟ لايمكن لهذه الطاقة العفوية ان تظهر الى الوجود الا اذا كانت تعبر عن شىء حقيقى يشغل المعبرين عنه . وهذا « الشىء الحقيقى » ليس فنا فى حد ذاته ، وان كان يمكن التعبير عنه بصورة غير « عادية » حتى يمكن ان يصبح توصيله الى الاخرين : اكثر فعالية ، أى ان يجعلهم يكتشفون فيه حقيقته التى لا يرونها اذا عرضت عليهم بالوسائل والطرق المالوفة وهذا هو «فن العرض» أما تقنياته فيجب ان يكون هذا هو هدفها . اى يجب الا تكون تقنيات معيارية ( تدرس فى معهد المسرح مثلا ) ، بل تقنيات خاضعة للابتكار الذى يفرضه عليها ما يراد توصيله الى الاخرين .

ما هى اذا الصيغة العملية لاقامة هذا المسرح الجماهيرى الجامع ؟

هل تتحقق هذه الصيغة بأن تاتى له بمؤلف يضع له المسرحيات ، وبمخرج وبممثلين يؤدون ما يطلب اليهم من « ادوار » ؟ لسنا بحاجة للاجابة على هذا السؤال . اذا فما هو البديل ؟ وهل يمكن للناس ان يؤلفوا لانفسهم ، وان يعرضوا ، ما يألفونه من واقع حياتهم ؟ هذا ممكن طبعا ، ولكنه بحاجة الى تحريك هذه الطاقات الدفينة ، او بالاحرى « المدفونة » فيهم ، بحيث تصبح لها هذه الفعالية الخلاقة . وهذا هو « دور » الشخصية ( او الشخصيات ) الثقافية التى بامكانها ان تفجر كل تلك الطاقات الابداعية ، بحيث لاتقوم هى وحدها بتأليف العمل المسرحى ، وانما باقتراح فكرته ، وخطوطه العامة على الاخرين ليشاركوا فى ابداعه وبهذا يصبح تأليفا واخراجا وعرضا جماعيا يتميز بتفتح ذهنى ونفسى ، مستمر لاكتشاف كل ما هو جديد فى التجربة .. ومن اجل هذا اقترح تسمية هذا المشروع : «مسرح الحياة»

# الأفق الأوبرا..

بقلم: د. على الراعى

ونحن نتهيأ لافتتاح مركز فنى كبير ، متعدد النشاط هو ما اصطلحنا على تسميته « دار الاوبرا » ، ينبغى ان نقف قليلا لنتأمل ماحدث فى حقل فنون الاداء الدرامى من تطورات بدأت مع ثورة يوليو ١٩٥٢

● فى حقل مسرح الكلمة قامت وازدهرت فنون التأليف والتمثيل والاخراج . فى ميدان الرقص الشعبى قامت ثورة فنية وثقافية و - قبل هذا - اجتماعية . جعلت من هذا الرقص فنا قوميا معترفا به ، ومقدرا . فى حقل عروض المهارة البدنية تجمعت من جديد فنون السيرك واصبحت قوة ادائية وترفيهية تملك القدرة على جذب الجماهير وتوسيع قاعدة متفرجى فنون الاداء المسرحى . وفى صعيد فنون التمثيل بالوساطة - التمثيل عن طريق العرائس - شق هذا الفن طريقا واضحا وعميقا فى وجدان الناس ، صغارا وكبارا معا . وفى ميدان الباليه استطاع هذا الفن الجميل ان يؤصل نفسه ، ويحصل على تقدير جمهور كبير من المتفرجين المتحمسين ، واعداد

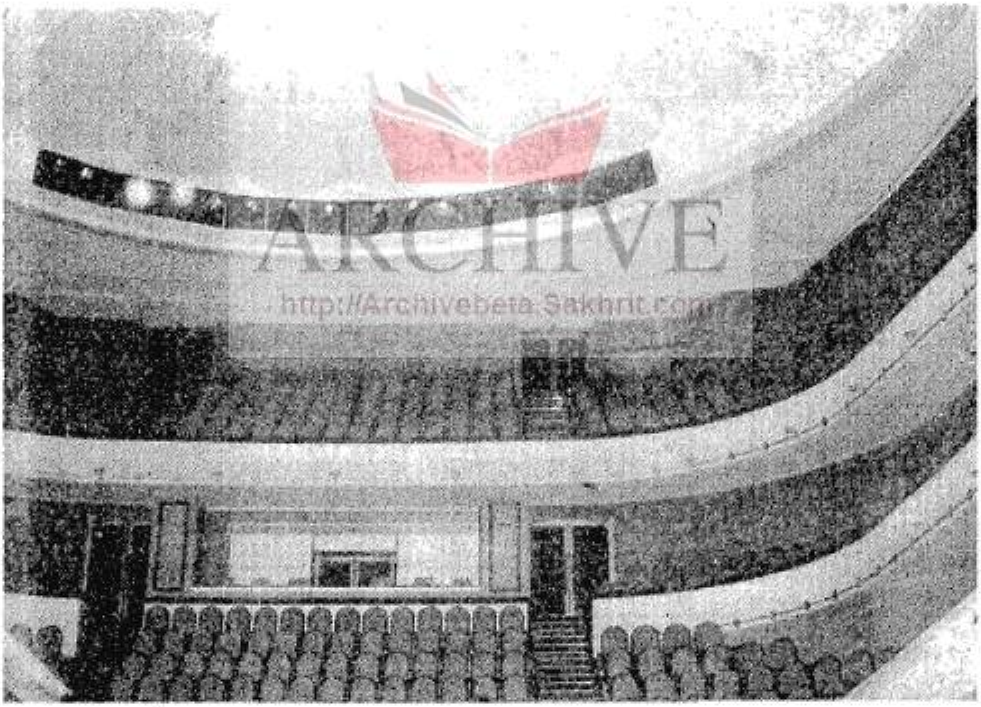
متجددة من راغبى دراسته وممارسته الا فن الاوبرا ! لقد ظل هذا الفن فى مصر فى وضع ثابت يقوم بعملية محلك سر ، ويقدم عروضا متقطعة ، لم تحظ ابدا بجمهور عريض . وبعض اسباب هذا التوقف ترجع الى طبيعة فن الاوبرا ، فهو فن غنائى خطابى يخرج من الصدر والحنجرة موجها الى الاذن ولايعنى كثيرا بالوصول الى القلب . هو فن استعراض القوة فى الاداء الصوتى - قوة وصلت الى اعلى الذرى فى الاوبرات العالمية . واصبحت فنا رفيعا جديرا بكل تقدير . ولكنه ظل دائما مقصورا على الصفوة ولم يتعد حدود الارستقراطية الفنية . لم يحظ ابدا بشعبية الاوبريت ولا المسرحية الموسيقية الغنائية الراقصة وهو فى مصر فى وضع اكثر صعوبة . ذلك ان الجهود التى بذلت حتى الان لانشاء غناء اوبرالى مصرى لم تحرز تقدما يذكر ان هذا الغناء لايمس الوجدان المصرى ولا العربى ، والمتفرج الذى يذهب ليشهد عروض الباليه أو حفلات الموسيقى العالمية ربما يضجر حين تعرض عليه اوبرا كاملة . اما المتفرج العادى فانه يضحك ويتندر ويميل الى السخرية من طريقة الغناء التى هى فى اساسها شىء

مصطنع ، فالاوبرا تدعوك الى عالم خيالى ، يغنى الناس فيه الحوار بدل ان يتكلموه .

هذا رأى قلته فى السبعينيات ، وكتبته يومها فى مجلة روزاليوسف .. وقد عبرت عنه اخيرا بصراحة فى ندوة اقيمت فى « الاهرام » قبل اسابيع وحضرها وزير الثقافة فاروق حسنى وقائد الاوركسترا يوسف السيسى والدكتورة ماجدة صالح ، التى كانت – انذاك – مديرة لدار الاوبرا ، ثم نحيت عن المنصب دون شرح ، او اعتذار ، كما حضرها عبد الله العيوطى المدير الفنى للاوبرا والدكتور فوزى فهمى نائب اكاديمية الفنون ، ومحمد السلماوى المشرف على العلاقات الثقافية مع الخارج ، وفنان الباليه عبد المنعم كامل عبرت عن رأيى هذا ، فكأنما فجرت قنبلة ! اختلفت ردود الفعل اختلافا بينا بين الاعتراض التام ، والاعتراف المشوب بالحذر ، والرغبة فى تلمس الاسباب ومحاولات التصدى للظاهرة .

وكانت ماجدة صالح اول المعترضين . ففى رأيها ان الاوبرا تحظى باقبال كبير ، بدليل ماحدث حين عرضت « عايدة » فى الاقصر والهرم ، اما وزير الثقافة فقد أوضح ان فن الاوبرا هو فن الخاصة

الاوبرا الجديدة .. صرح المستقبل



# الأفق الأوبرا..

ورأى ان عدم وجود المخرج الاوبرالى هو السبب في عجز فن الاوبرا عن الوصول الى الجماهير ، وقال يوسف السيسى ان الحل يكمن فى تعريب الاوبرات العالمية ، واشار الى ان فن الاوبرا ليس غريبا على الوجدان الغنائى المصرى ، بدليل ان اقوى ممثلى هذا الوجدان . فنان الشعب الكبير سيد درويش كان يبكى حين يشاهد الاوبرا ، وانه كان يسعى الى السفر الى ايطاليا لدراسة هذا الفن ، وكاد يفعل . لولا ان عاجله الموت

● تقريب حقيقي لفن الأوبرا !

وقد رددت على هذه الاراء واحدا واحدا ، فقلت لماجدة صالح ان اقبالا كبيرا على حفلتين سياحيتين من حفلات الاوبرا لاينهض دليلا على تقبل واضح ومطمئن لهذا الفن ، وقلت لوزير الثقافة ان مخرج الاوبرا لايصنع وجدان اناس لم يتعودا هذا الفن ولم يتدربوا على تلقية ، وقلت ليوسف السيسى اننى واثق من ان سيد درويش لو كان درس الاوبرا فى ايطاليا لعاد وفي حقيبته محاولات خلاقة لتقريب حقيقى لفن الاوبرا من الناس . تقريب لا يقوم على مجرد ترجمة كلمات الاغانى بل يتناول الصياغة الموسيقية ايضا ، ويسعى الى ان تكون نابعة بالفعل من الوجدان المصرى والعربى روحا وعاطفة وان لم تهمل التكتيك العالمي .. قلت هذا متحاشيا ان اذكر ـ مع ذلك ـ ان اوبريت « الباروكة » الذى وضع موسيقاه سيد درويش . وكان من اواخر اعماله ، قد تشابه الى حد ملحوظ روح غريب عن الوجدان المصرى . جعل هذا الاوبريت بالذات يتراجع تراجعا ملحوظا فى قائمة الاعمال الكثيرة التى قدمها فنان الشعب . مستوحيا روح مصر وتراثها وطريقتها فى الغناء والاداء .

واغلب الظن ان سيد درويش كان جديرا بان يصل الى القرار الذى وصل اليه الاخوان رحبانى فيما بعد ، والذى يضع الاذن الشرقية وتراثها فى الغناء والموسيقى والشعر ، فى المحل الاول من الاهتمام ، ويضيف الى هذا التراث مانطيق هذه الاذن تلقيه من التكتيك الغربى فى الغناء والموسيقى معا ، وهو

فاروق حسنى



رتيبة الحفنى



ماجدة صالح



كان خليقا - ايضا - بان يدرك - كما ادرك الرحبانيان - ان فن الاوبريت هو اقرب فنون المسرح الغنائي الى روح الشعب، وأن فرص نجاح اعمال اوبرالية كاملة فرص ضئيلة حقا. لقد نجح مسرح الرحبانية فى الوصول الى الناس لانه افاد من كل محتويات الوجدان العربي، قدم الاغنية العربية العصرية، وقدم اغنيات من التراث، قدم الموشحات القديمة ولحن شعر أبي نواس. طوع الحوار العربي للغة المسرح واستخدم صيغة الاوبريت للتعبير عن هموم الناس البسطاء ووقف الى جوارهم مدافعا عنهم، ضد الظلم والاستبداد، ومن ثم كان هذا التقبل الشعبى العارم لمسرح الرحبانية، رغم حواجز اللهجة اللبنانية، ومحلية الموضوعات المطروحة فى بعض الاحيان.

ان علينا ان نتريث كثيرا، وندقق كثيرا قبل المضى فى محاولات تأصيل فن الاوبرا فى بلادنا واولى بنا ان نعى الدرس الذى وعاه الاخوان رحباني، ووعاه من قبلهما محمد عبد الوهاب وهو ان الناس غير مستعدين لتلقى فن الاوبرا بصيغته الغربية الحالية، وانهم - على النقيض - يقبلون فى جذل على فن الاوبريت، ان هذه اشارة مؤكدة تضيء الطريق امام كل من يسعى الى ان يقام فن اوبرالى حقيقى. فهذا الفن لن يقوم فورا، وانما ينبغى ان تسبقه محاولات متصلة فى تقديم الاوبريت، قد تتدرج فى العمق والصنعة بحيث تسلم يوما ما الى تقديم الاوبرات الخفيفة ذات الموضوعات الشعبية المقبولة - كارمن مثل طيب لهذه الاوبرات - ومن ثم قد يقدم فن أوبرالى مصرى يستوحي الوجدان المصرى، ويقترب كثيرا من روحه صيغة وموضوعا.

● محاولات مقضى عليها

والى ان يحدث هذا، فان محاولات غرس فن الاوبرا الغربية. فى التربة المصرية مقضى عليها بانعدام فاعلية. بل هي تتعرض لما هو اخطر من هذا، وهو التآكل، بفعل اختفاء بعض العناصر الفنية، كما حدث فى حالة الفنانة الراحلة اميرة كامل. او بانصراف بعض هذه العناصر الى الغناء على الطريقة الغربية مثلما كان حال الفنانة عفاف راضي، لقد أعلن الشعب المصرى رايه فى الغناء الاوبرالى الغربي منذ الاربعينيات حينما قدم الى مصر الفنان العربي ذو الصوت القوى العذب عبد الهادى البكار، فغنى غناء اوبراليا مدة من الزمن واستمع اليه الناس قليلا، ثم انصرفوا عنه واخذوا يتندرون به وبغنائه، ثم تدهور حاله فاذا به يقبل ادوارا فى السينما تسخر من ادائه الاوبرالى وتضحك الناس عليه، تماما كما حدث فى حالة الفنان حامد مرسي - والقياس مع الفارق طبعا - فقد استخدم هو الآخر وسيلة اضحاك من الغناء الجهورى شبه الاوبرالى الذى كان يؤديه فى مطلع شبابه.

**ان احدا لايصادر على التجريب والمحاولات المخلصة لغرس فنون جديدة فى التربة. غير ان التجريب ليس مقصودا فى حد ذاته، وانما الذى ينبغي ان يهمنا هو ثمار هذا التجريب، فان استجابت التربة وانبتت الزرع فهذا دليل واضح على ان البذرة صالحة والارض مستجيبة، وان تعثر النبت، فجاء ضعيفا، او غير مزدهر فقد وجب ان نقف من فورنا ونعيد الحساب.**

# ثورة يوليو والسينما السياسية

**بقلم : مصطفى درويش**

**كان للثورة من العمر ستة عشر عاما عندما قدم الى مصر من الولايات المتحدة باحث شاب اسمه « ريموند ويليم بيكر » كي يعمل استاذا زائرا**

**ولم يمض على قدومه هذا سوى ثلاثة اعوام حتى كان قد انتهى من تاليف بحثه الشهير « مصر ناصر : السلطة الايديولوجية والتطور السياسي » ( جامعة هارفارد )**

**وحتى كان قد شاهد مائة فيلم مصرى او يزيد بعضها قديم وبعضها الاخر جديد .**

وعن هذه الافلام يقول « بيكر » ان اختياره لها قد تم بطريقة عفوية من بين ماكان معروضا فى دور السينما الشعبية داخل القاهرة وحولها .

● ذهب المعز

ويبدو ان مشاهدته لهذا الكم الهائل من الافلام خلال عام واحد ( ٦٨ / ١٩٦٩ ) من عمر الزمان قد اهله للحصول على منح دراسية من جامعة بوسطن وغيرها من المراكز الامريكية المكرسة ميزانياتها الضخمة لتمويل عمليات وصف العالم ابتغاء الابقاء على هيمنة العم سام الى اخر الدهر .

ومن هنا قيامه بالعديد من الزيارات الى عدد كبير من المراكز السينمائية على امتداد الوطن العربي الفسيح بحثا عن نسخ ما وقع عليه الاختيار النهائى من افلام فى القاهرة وبيروت ودمشق والجزائر .

**ومن هنا بحثه الثاني عن مصر ناصر الذى خرج به على الناس والثورة قد بلغت العشرين تحت هذا العنوان الاخاذ « مصر فى الاطياف » ... « الافلام والنظام السياسي »**

واول مايلاحظ على منهج « بيكر » فى بحثه الاخير هو جنوحه إلى تجنب الاعتماد فى العرض بالنقد للافلام التى ورد ذكرها ـ وعددها اربعون فيلما ـ على ماكتب منها



توفيق الدقن وشفيق نورالدين فى "المتمردون"

عن السينما المصرية سواء بلغتنا العربية او بغيرها من اللغات ... لماذا؟ ليس الجواب على هذا السؤال عسيرا.

● الأرض الخراب

فقد سر ... عن هذه السينما من عمومه مما لايعتمد عليه . واية ذلك دراسة المخرج « محمد خان » عنها والمنشورة باللغة الانجليزية ( ١٩٦٩ ) : فهى فى رأى « بيكر » جاءت مخيبة للآمال ، موجزة مخالفة للحقيقة فى تفاصيلها ، مضللة فى تفسيراتها .

ومن هنا اعتماده اساسا على المشاهدة اكثر من اعتماده على اى شىء اخر حتى وصل به الامر الى حد تكرار المشاهدة لبعض الافلام مرتفعا بعددها فى بعض الحالات الى اربع مرات ..

ومما يجعل بحث « بيكر » هذا ذا قيمة كبيرة رغم قصر حجمه ( ثلاثون صفحة ) هو ان احدا من بعده وحتى هذه الساعة لم يسخر قلمه لكتابة بحث مقارب فى الجدية عن السينما فى مصر

وهذا هو العجب العجاب .

والاعجب ان احدا لم يكلف نفسه مشقة ترجمة البحث حتى يومنا هذا

● انقلابات وكلمات

وعلى كل فالبحث يبدأ بكلمات جاءت

# ثورة يوليو والسينما السياسية

على لسان المخرج صلاح ابو سيف اثر انقلاب الثالث عشر من مايو ١٩٧١ المسمى بحركة التصحيح ، فيها يصف ليلة العرض الاول لفيلمه « القضية ٦٨ » على الوجه الاتى :

« احاط رجال الشرطة بالسينما ليلة الافتتاح . وبعد انتهاء العرض حاول البوليس السرى المنتشر فى صفوف المتفرجين ان يضربنى ولانى لست الا بشرا فقد كنت فزعا فى كل يوم من ايام العرض ، احس ان اولادى سينتهى بهم الامر الى تحمل نتائج تصرفاتى »

ولقد استخلص صاحب البحث من هذه الكلمات ان الافلام المصرية متورطة بين حين وحين فى معترك سياسات مصر المعاصرة .

واذا بصانعيها مكرهون على المشاركة فيها وتحمل تبعات هذه المشاركة .

وعنده ان مصر لم تنجح فى انتاج الكم المفروض من الافلام الرسمية التى تستهدف تعبئة الجماهير فى مجتمع محكوم بنظام ثورى

---

● انتصار القديم

---

فالجهود التى بذلت فى اعقاب ثورة ١٩٥٢ ابتغاء انتاج افلام وطنية مؤيدة للنظام الجديد ، قد باءت جميعها بالفشل فى المجالين الدعائى والتجارى على حد سواء

ولو بحثنا عن اسباب فشل الثورة فى صنع سينما سياسية رسمية ذات تاثير فعال لوجدناها كامنة اولا فى نشأة النظام الناصرى واصوله الاولى حيث بدأ بالاستيلاء على السلطة بفضل تنظيم عسكرى قوامه ضباط احرار من الطبقة المتوسطة ، وليس بفضل ثورة اجتماعية وسياسية عارمة .

وثانيا فى الاستراتيجية التى تبناها هذا النظام من اجل مواجهة مشاكل مصر الاجتماعية والاقتصادية ، وهى استراتيجية تقوم فى جوهرها على اساس سياسة خارجية نشطة متحركة لاتبتغى سوى الحصول على الرأسمال الاجنبى اللازم لتحقيق التنمية ، ومايتبع ذلك من تغلب على المشاكل المستعصية بحيث تصل مصر فى امن وامان الى بر الرخاء والهناء

وليس يعنينا هنا ان نبين ما اتيح لهذه السياسة من نجاح او سقوط بقدر ما يعنينا ان نلاحظ مع صاحب البحث ان سياسة التنمية المعتمدة اساسا على الخارج قد اغنت الثورة عن ضرورة تجنيد الجماهير ، واغنتها كذلك عن مواجهة التخلف الداخلى مواجهة حقيقية ، اى عن النظر الى حقائق الاشياء داخل المجتمع فى غير خداع ولا انخداع .

وكل ذلك استتبع بحكم اللزوم الشعور بعدم الحاجة الى سينما سياسية رسمية ، وبالتالى الاستغناء عما كان قد داعب النظام فى البدايات من احلام فى هذا الشأن .

واذا بالنظام الجديد يؤثر سينما العهد

القديم ، تلك السينما المقيدة باغلال الربح

● بعد السقوط

واذا به يرى الافلام اداة لهو ولعب ومجرد سلعة هامة تصدر الى دنيا العرب

وفى مواجهة وجهة النظر الرسمية هذه للفن السابع تمرد نفر من صانعى الافلام .

وفى الحق فان مادفع هذا النفر الى التمرد ليس ما انجزته الثورة ضد الاستعمار والاقطاع وانما ماعجزت عن انجازه فى مجال التنمية الداخلية بسبب اعتمادها على سياسة خارجية قوامها المغامرة ، ومحاولتها اخفاء هذا الفشل بارتداء ثوب الاشتراكية

● الخوارج

وفى وصف هذا النفر يقول « بيكر » انهم كانوا متاثرين بماركسية مرنة يرون السينما اداة نقد للمجتمع الذى كانوا ضائقين بما كان يملؤه من فساد . يأملون فى صنع افلام تساعد على الفهم تمهد الى تغيير العالم .

وافلام هذا النفر من المخرجين هى التى ركز « بيكر » عليها بحثه وذلك لانها مرتبطة بالواقع المصرى وهذا مايجعلها وحيدة نوعها ، مختلفة تمام الاختلاف عن ركام الافلام المصرية الاخرى التى لا طائل فيها ولاغناء فهى تهتم بالمشاكل الاجتماعية الحقيقية اشد الاهتمام تلقى الاسئلة المنطوية على نقد المجتمع من منطلق المثل الاشتراكية التى تبناها النظام .

وفى نفس الوقت تلتمس الاجوبة لها فى بعض الاحيان

ومهما يكن من شىء فبعض هذا النوع النادر من الافلام قد ادخله صاحب البحث فى عداد الاعمال السينمائية التى تخلص للنقد الاجتماعى ( مع مضمون سياسى كامن )



لقطة من فيلم رد قلبى

# ثورة يوليو والسينما السياسية



كمال سليم

اما الباقى ـ وهو اقل من القليل ـ فمما يدخل فى عداد الاعمال السينمائية التى تجنح الى النقد السياسى دون لف او دوران .

واذا ماتتبعنا هذا التقسيم تتبعا يسيرا لتبين لنا ان اخص مايميز افلام النقد الاجتماعى انها جميعا متصلة اتصالا مستقيما بالعزيمة ( ١٩٣٩ ) فهى من حارته قد خرجت كما خرج الادب الروسى من معطف جوجول فى النصف الاول من القرن الماضى .

وهى لا تزال متأثرة بطريقة هذا الفيلم فى النقد الاجتماعى وبالاطار الذى احاطه به صاحبه المخرج الراحل « كمال سليم » .

واهم افلام هذه المجموعة فى نظر صاحب البحث خمسة لاتزيد هى « القاهرة ٣٠ » ( ١٩٦٦ ) و « القضية ٦٨ » ( ١٩٦٨ ) لصلاح ابوسيف و« الرجل الذى فقد ظله » ( ١٩٦٨ ) و« ميرامار » ( ١٩٦٩ ) و« شروق وغروب » ( ١٩٧٠ ) لكمال الشيخ

## المشروع ممنوع

اما الافلام ذات المنحى السياسى الظاهر فليس لها عند « بيكر » الا فارس وحيد هو « توفيق صالح » . ذلك المخرج الملعون المضطهد الذى لم يخرج طيلة عشرين عاما من الحياة السينمائية فى مصر سوى ستة افلام ، لعل اهمها عند « بيكر » « المتمردون » ( ١٩٦٧ ) الذى عرض فيه « توفيق صالح » للثورة وقائدها من خلال طبيب شاب فى مصحة يتزعم تمردا للمرضى ضد الظلم .

ولا يكاد يفعل ذلك حتى تفلت الامور وشيئا فشيئا ينهزم التمرد . وتعود الامور سيرتها الاولى

وهنا يزعم « بيكر » صاحب البحث ان الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة وقتذاك قد ناصب رائعة توفيق صالح العداء بحجة تطاولها على قائد الثورة . وينسب اليه انه قال فى هذا الخصوص انه لايستطيع ان يوافق على فيلم يهاجم جمال عبد الناصر ( ص ٤١٥ من مجلة اميركان بهفيرال سابنتيست عدد يناير ـ فبراير ١٩٧٤ )

والان عندما نرى رائعة المخرج الملعون تندهش لكل هذه الضجة التى ثارت حولها . ونندهش لكل هذه المقاومة التى ووجهت بها .

ولايسعنا الا ان نقول ماعجب امر الحكام .

# صلاح جاهين
# ومحاولة بطولية لترجمة الرباعيات

مع ان كل الخلق من اصل طيب
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقايق والسنين
تلاقى ناس اشرار وناس طيبين
عجبى

ها هو ذا عمل صعب يكاد يجاور المعجزة ·

ها هو ذا عمل مستحيل ·

فكيف يمكن أن تنقل هذا الشعر الى لغة أخرى ؟

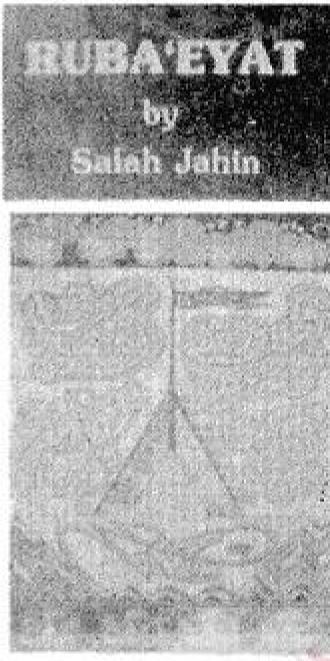
كيف يمكن أن نجد فى كل القواميس معان للكلمات ليس لها قاموس مكتوب ·· كلمات تخلقت عبر مئـــات السنين ، وعشرات المعارك ·· ومن ركام الحضارات التى جـــاءت ورحلت ، تكونت وانتشرت ·· فكانت هذه اللغة التى يسمونها بكل شقة « عامية » رغم يقصدون غالبا الاساءة ·

عجبى عليك ·· عجبى عليك يا زمن
يابو البدع يا مبكى عينى دما
ازاى انا اختار لروحى طريق
وانا اللى داخل فى الحياة مرغما
عجبى

على أى حال اننا لا نستطيع الا ان ننظر فى « النص » الذى أحسن الناشر فجاور فيه بين الترجمة والاصل · فنجد المحاولة وقد بذلت السيدة المترجمة « نهاد سالم » فيها الكثير ، وان كانت فضلت السلامة فى كثير من الاحيان فترجمت المعنى المباشر أو سطح جبل الجليد ، دون أعماقه ·

أولا : هى لم تترجم اللازمة « الرباعية » عجبى · وتخلصت منها · لانها كانت سوف تضفى على النص معنى سخيفا وايقـــاعا غير مقبول بالانجليزية ، على عكس ما هى عليه فى العربية ، نهاية رباعية ، وضبط ايقاع ، وتأوه جميل عاكس لمتاعب الحياة ·

# صلاح جاهين





صلاح جاهين


احمد بهاء الدين

ولنقرأ الرباعية التالية التى يقول فيها جاهين :

مرغم عليك يا صبح مغصوب ياليل
لا دخلتها برجليا ولا كانلى ميل
شايلنى شيل دخلت انا فى الحياة
وبكره ح اخرج منها شايلنى شيل
عجبى

ولنقرأ ترجمتها ـ التى تصل فى هذه الفقرة الى حدود الاستحالة . تقول الترجمة :

Forced on meday , imposed onight
It was not by choice I come to light
By someore borne into this life I come
And when I leave it , it will bethesame .

ومن أول نظرة يمكنك أن تكتشف ان مثل هذه الفقرة لا يمكن ترجمتها ، ولكن يمكن ان ننقل جزءا من المعنى . لان المعنى الذى يريد أن يقوله صلاح جاهين يستعمل الصورة فى نقل « نفسه » اليك . لذلك فاننا نجد المحاولة من مثل هذه الفقرات ما هى الا محاولة يائسة ، ومع ذلك هى محاولة بطولية .

ولان الكتاب موجه الى قارىء الانجليزية كان لابد من تقديمه له ، وقد احسن الناشر ، باختياره لاحمد بهاء الدين ، فهو صاحب المصداقية التى اتسعت دائرتها خارج الحدود ، ثم ان هذه الرباعيات ولدت بين يديه ، فكان لها حاضنا اثناء توليه رئاسة تحرير صباح الخير وعمل صلاح جاهين معه .

يقول بهاء الدين فى المقدمة :

● يقدم هذا الكتاب للقارىء المهتم بالفن المصرى فرصة اكتشاف طبيعة الروح المصرية المستترة فى الادب والفن الشعبى .

ومؤلف هذه الرباعيات شخصية غير عادية عاشت بيننا وهو قد عبر بنجاح عن الروح المصرى فى رسومه وشعره وأغانيه ·

وفى هذه الرباعيات ـ التى هى شكل قديم من أشكال الشعر كما هى شكل من أشكال الفلكلور المصرى المعبرة ـ يقدم صلاح جاهين خصوصيات الشخصية المصرية ، من حكمة وايماء وحزن وتفاؤل وسخرية وهى تتفاعل لتبرز الطبيعة المميزة لهذه الشخصية ·

ويقول أحمد بهاء الدين ليطمئننـــا عن امكانيات الترجمـــة واقترابها من شخص وروح الشاعر :

ونهاد سالم مترجمة هذه الرباعيات الى الانجليزية هى مؤهلة بلا شك للاضطلاع بمثـــل هذا العمل ، ليس فقط . لكونها دارسة ومدرسة للادب الانجليزى . لكنها فوق ذلك ومثلها فى ذلك مثل صلاح جاهين كانت شخصيه ملحوظه من شخصيات هذه الفترة التى كتب فيها جاهين اشعاره ·

وهى وان كانت واحدة من أبناء الطبقة العليا المصرية أمضت طفولتها فى مدرسة خاصة فى سويسرا ، ولكنها منذ شبابها الباكر أضحت متورطة ضمن الحركه القومية والشعبية فى مصر ·· أسهمت فى التيارات السياسيه والثقافية التى صاغت صراعاتها الفكرية روح الفترة التى أعطت كلا من الشاعر ومترجمته ·

وصداقتها الحميمة لصـــلاح جاهين ـ الـــذى كان يدعوها بـ « لسانى الاجنبى » تجعل منها الشخص الامثل للقيام بمهمة نقل هذه النوعية الخاصة جدا من الشعر ـ الرباعيات ـ الى الانجليزية· مما يجعل من هذه الترجمة وثيقة فذة فى اللغة الانجليزية ـ خاصة للقارىء الباحث عن ماهية الروح المصرى ·

والحقيقة أن المترجمة قد تصدت لهذه المهمة بروح الداخل الى المغامرة وبين يديه أسلحة كافية لتمنع عنه غوائل الطريق ، ولـكن كيف يمكن ان تنقل هذا اللعب بحروف الشين :

انا كنت شىء وصبحت شىء ثم شىء
شوف ربنا ·· قادر على كل شىء
هز الشجر شواشيه وشوشنى قـــال :
لابد ما يموت شىء عشان يحيا شىء

عجبى

كيف يمكن أن تنقل تلك الايقـــاع النافر من جســـد الصورة المجسمة فى كل شطر من هذه الرباعيات التى أجمع الناس جميعـــا على أنها عمل فذ لشاعر كبير ، واعتبرها نقاده ـ هى والسونيتات ـ أفضل أعماله ·

انها محاولة بطولية تستحق الاشادة والاشارة ولعلها تكون مقدمة لنقل ابداعات صلاح جاهين الى اللغات الاخرى حتى تتسع دائرة التعريف به ·

● بقلم : رضوان الساعى

# الآثار الإيجابية للموسيقى والغناء في المجتمع الإسلامي

بقلم: د. نبيل شوره

**الطرب غريزى في الإنسان مولود معه ، يؤيد ذلك الفقرات والعظام المثقبة المهياة للزمير والصفير التى عثر عليها علماء الجيولوجيا فى المغارات التى قطن بها الانسان أول ظهوره على سطح الأرض ، فلا يبعد أن يكون الإنسان قد تغنى قبل أن يتكلم ، وهكذا أثرت الموسيقى فى الإنسان الفطرى والإنسان المتمدن ، اثرت فى مزاجه واعتقاداته ، وفى حياته وعاداته .. وامتزجت به اينما كان .**

والإسلام دين الفطرة ، فهو لايصادم الفطرة الإنسانية ، ولكنه يواكبها راعيا لها ومرشدا لخطاها يردها إذا جنحت ويقومها إذا انحرفت .

ويهدف بحثنا هذا الى توضيح الجوانب الايجابية للموسيقى والغناء وبحث مدى امكانية توظيفهما لخدمة المجتمع الإسلامى .

ويستمد هذا البحث اهميته من الدور الهام الذى يعتقد الباحث أن الموسيقى والغناء يمكنهما القيام به في المجتمع الإسلامى .

ويستعرض البحث بعجالة أهم الآثار الايجابية للموسيقى والغناء عبر مختلف العصور وخاصة فى القرن الاخير .

وتحتوى الدراسة على مبحثين :

- علاقة الموسيقى بـ (الدين - الوطن - التربية - العلاج) .
- تأثير السماع (من خلال مقدمة ابن خلدون)

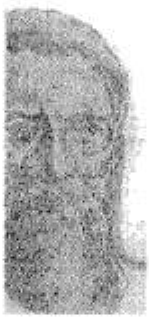
**أولا : الموسيقى والدين .**

لقد احتضنت الاديان على اختلافها قديما وحديثا ، فنون الموسيقى

لتنسج من الحانها حلة نورانية تسبغها على المشاعر ، وتجتذب بها العواطف وتوقظ بها الأرواح الصافية لتبعث فيها نورا من الحب الآلهي الأعلى ثم تتدرج بها الى خلق العاطفة والشعور في الجانب الروحي ثم توجيه تلك العاطفة إلى الخير وبذله للغير ، فالموسيقى السماوية التى تستمد من الدين شعاعا قدسيا ، تلعب دورا خطيرا في حياة الإنسان ، ويقول (كونفوشيوس) الفيلسوف الصينى :

«أن الغرض الأساسي للموسيقى والطقوس ، هو تنظيم سلوك الأفراد وتعويدهم الطاعة والنظام وتحديد العلاقات الاجتماعية فيما بينهم فالموسيقى هى السبيل الوحيد لصد الأفراد عن الماديات وارجاعهم الى طبيعتهم الخيرة الروحية . لأنها توجه الأفراد الى المعانى السامية والمثل الأخلاقية العليا وتنأى بهم عن الماديات والحقد والشر ، وذلك بفضل ماتوجده في نفوسهم من انسجام .

ويرى الباحث انه لابد أن يصحب الحضارة المادية حضارة روحية تهذب النفوس وتسمو بالعواطف وتغذى الروح بقدر ما تقوم به الحضارة المادية من توفير اسباب السعادة والراحة للإنسان وتسخير قوى الطبيعة وفق مشيئته وإخضاعها لسلطانه .



أفلاطون

فهذان الجانبان من الحياة الإنسانية ينبغى لهما أن يجتمعا وأن يصادفا قدرا واحدا من الرعاية وذلك لأن الاندفاع وراء المادة فقط قد يؤدى إلى الانحطاط ، وربما يهبط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان .

وإذا كانت الحضارة المادية تقوم على العلم والاختراع ، فإن الحضارة الروحية تقوم على الآداب والفنون ، فالعلم والاختراع وسيلتان اوليان تقتحمان اسرار الطبيعة وتسعدان الإنسان في حياته الخارجية المادية .

أما الأدب والفن فإنهما وسيلتان تفتحان مغاليق النفس البشرية وتنميان قواها الكامنة وتقدمان لها مايلزم من الغذاء الروحي لتلك الحياة الباطنة .

بحاسة السمع التى تعتمد عليها الموسيقى من أرهف الحواس جميعا لأنها تتأثر بالذبذبات والاهتزازات والموجات الصوتية التى تنشأ من احتكاك الاشياء أو اصطدامها دون ملامستها .

وقياسا على هذا تكون الموسيقى أرقى الفنون جميعا لأنها أرهفها واقلها كثافة ، ولأنها تتجاوز عالم المادة العنصرى وتخاطب النفس دون وساطة بلغة التجريد ، التى لاتنتمى إلى المكونات الارضية . وقديما قالوا : إن الموسيقى لغة الروح ، ولذلك تقترن بالتراتيل الدينية والألحان المعبدية

التى تخلص النفس من ثقلها المادى وتحلق بها فى أعلى الآفاق بعيدا عن الأرض .

**ثانيا : الموسيقى والوطن :**

لقد ساهمت الأغنية الوطنية بتصيب كبير فى الدعوة إلى المثل العليا ، حيث أنها تقوم باثارة معانى اليقظة القومية وبث روح الحماسة والاقدام فى جل المناسبات ، كما تعمل على اذكاء الروح المعنوية فى انحاء الوطن ، بل أنها تخلق من الشعب جيشا مسلحا بالإيمان مستعدا لتلبية النداء يوم يدعى للبذل والفداء ، فالأغنية تقوم بتصفية المشاعر من نزعات الأنانية والجشع وحب الذات .

لقد كان الدعاة المنشدون والضاربون على الطبول والنافخون فى الأبواق ، إعلاما موجها إلى الجند يشحذ الهمم ويثير الشجاعة والاقدام ويقوى العزائم وروح التضحية والفداء عند العرب ، كما كانت الأغنية الوطنية للإنسان المصرى كظله ، فصاحبته يوم أن ثار على نابليون عام ١٧٩٨ م ثم على خليفته كليبر عام ١٨٠٠ م واستمر حتى طرد فرنسا عام ١٨٠١ م ، كما صاحبته أثناء ثورة سنة ١٩١٩ ، ومن قبلها ثورة عرابى سنة ١٨٨١ ... حتى كانت ثورة ١٩٥٢ م فسجلت الأغنية الوطنية بكل صدق وأمانة كل أحداث حياتنا الوطنية . لقد ساندت الأغنية ثورة يوليو فى معاركها ، كما ناصرتها فى حركة البناء والتعمير ، كما شاركت الشعب كفاحه أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ م ، كما صاحبته أثناء نكسة ١٩٦٧ م فتخطى بها الأزمة التى تعرض لها حتى كان نصر أكتوبر ١٩٧٣ م .

وهكذا عبرت الأغنية الوطنية ومازالت عن الأحداث التى مر بها شعبنا البطل ، فكانت وثيقة مضيئة دونت بالنغم والايقاع والكلمة .

**ثالثا : الموسيقى والتربية :**

التربية عملية توافق بين الفرد والمجتمع ، والتربية الموسيقية جزء لايتجزأ عن التربية بوجه عام ، فالتربية تعمل على خلق مواطن متكامل الشخصية يحس بالجمال ، ويساهم فى بناء وطنه ، والموسيقى تحتاج إلى الأساليب والمفاهيم التربوية لتحقيق ذلك ، فالموسيقى تبدا ببساطة فى اداء دورها فى تربية الطفل ، مستمدة عناصرها من البيئة والتراث (حفل السبوع - نوم الطفل - تعلم الطفل المشى ... الخ) .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى حاسة السمع ، وهى الجهاز الذى نعتمد عليه فى التذوق الموسيقى ، وكانت هذه الحاسة أول مركز يأخذ فى

الترقى ، فيسمع الطفل الكلمات ويفهمها قبل ان يستطيع النطق على الوجه الاكمل .

كما أن الأغنية والنشيد يجعلان المدرسة مكانا مرغوبا فيه لدى الطفل ، فهما يُشعرانه بالجانب الجمالى الذى يجعله سعيدا ومتفائلا وبهذا يمكن للمدرسة أن تقوم بأداء وظيفتها على الوجه الامثل .

نستطيع ان نعلم الطفل المسلم عن طريق الاغنية الأشياء المفيدة فى الاكل ، نعلمه كيف يحافظ على صحته ، كيف يكون امينا ، كيف ينظم وقته ، نعلمه مكارم الاخلاق وبهذا نخلق منه مواطنا صالحا ، متكامل الشخصية .

يتعلم الطفل من خلال الغناء الجماعى كيف يتعاون ويتعامل مع من حوله ، يتعلم كيف يذوب بشخصيته مع الجماعة فيتحدون حسيا ووجدانيا وفكريا وثقافيا ، ويتم بينهما التعارف والتالف والحب . كما يتعود الطفل من خلال الغناء الفردى الاعتماد على النفس والشعور بالمسئولية ، كما ان الغناء الوطنى يعطى للطفل الشعور بالانتماء للوطن فيزرع الحب فى نفسه ، فيتغنى بامجاده ويعرف زعماءه وتاريخ بلاده .



ابن خلدون

ومن أهم أهداف الغناء التربوية للطفل ، معالجة بعض عيوب النطق والكلام عند الأطفال المتخلفين أو الخجولين ، مثل التهتهة واللجلجة والكلام المتأخر والكلام المضطرب والطمطمة (ابدال الطاء بالتاء) واللعثمة (عدم القدرة على نطق الحروف أو تكرار مقاطعها) والغمغمة (عدم تبيان مقاطع الحروف) وعدم تبيان الكلام ، على النحو الذى ورد فى كتاب «علاج الكلام» لحسين خضر .

وهكذا وفى حالة الاختيار الموفق لأغانى الأطفال ، نستطيع أن نفيد الأسرة والمجتمع .

**رابعا : الموسيقى والعلاج :**

لقد أشار (أفلاطون) الى القوة العلاجية للأغنية ، كما اشار (فيثاغورث) إلى أنه يمكن استخدام الموسيقى كوسيلة لعلاج جنون الانسان ، كذلك يصف (جالينوس) أشهر عباقرة الطب الرومانى ، الموسيقى كترياق ضد سموم الأفاعى والعقارب ، كما أشار الفيلسوف العالم المسلم (ابن سينا) إلى أثر الموسيقى على الإنسان واستخدامها فى علاج المرضى .

«وقد استخدمت الموسيقى منذ فجر التاريخ لادخال البهجة والسرور على النفس بازالة حالة حزن أو توتر نفسى تكون هى أصل العلة النفسية ،

كذلك تبعد الموسيقى المرء عن وساوسه أو اعتقاداته المرضية الخاطئة إذا ما شغل بها وتفرغ للاستماع إلى انغامها . كما استخدم الفراعنة الموسيقى فى تهدئة النفوس فى أثناء الجراحات ... وفى العصور الوسطى لجأ إليها المغنون والمنشدون لتهدئة نفوس الناس فى أوقات الطاعون وانتشار الأوبئة القتالة . وجدير بالذكر أن دخول الموسيقى في عالم الطب ، وتوظيف انغامها فى علاج أمراض كثيرة نفسية وجسدية يعتبر من السمات البارزة لعصرنا الحديث حيث يقول (فولتير) :

«إن الهدف من الذهاب إلى الأوبرا هو مساعدة الهضم» .

فالمعدة تعمل بموجات ايقاعية تسمى التقلصات الدودية ، وهى أبطأ بكثير من ضربات القلب ، ومع ذلك فـ (شوجرمان) يقول إنها يجوز أن تتأثر بالإيقاعات الموسيقية ، فالموسيقى الهادئة تثير عواطف سارة تساعد على تنشيط الافرازات الهضمية .

وكما استخدمت الموسيقى كعنصر ترفيهى أثناء فترات الراحة والفراغ ، دخلت أيضا إلى أماكن العمل لزيادة الإنتاج لأنها تساعد على التخفيف من التوتر والملل والاجهاد المصاحب لهذه الأعمال .

● **المبحث الثاني : تأثير السماع من خلال مقدمة ابن خلدون**

وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الخامس والثلاثين عن تأثير السماع ، قائلا :

«إن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك ، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب .... ولذلك تتخذ العجم فى مواطن حروبهم الآلات الموسيقية ..... ويغنون فيحركون نفوس الشجعان ... ولقد رأينا فى حروب العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب ... إلخ» .

وفى مكان آخر يقول " .. لما خرج العزيز إلى فتح الشام كان معه خمسمائة من الأبواق" .

ومن انواع الغناء التى عرفها عرب الجاهلية ، كان الغناء الحربى ، الذى كان على شكلين :

**أولا : الارتجاز بالشعر**

وكان يستخدم فى حالة التأهب لخوض المعركة ، وغالبا مايكون حوارا شعريا بين محاربين .

**ثانيا : الأناشيد والاغانى الحماسية**

وهى اغان جماعية الآداء ، يؤديها المحاربون ، أو يغنيها النسوة من ورائهم ، لبث روح الشجاعة والحماس فى المقاتلين .

الرجز :-

أن الرجز كان فوق مصاحبته للإنسان العربى فى خصوصيات حياته فى بيته وعمله وسفره ، إطارا للحماسة الحربية والفخر بالنفس أثناء القتال ... الرجز هو الايقاع الذى انصبت فيه هذه الأشعار ، أو فلنسمها الأغانى المرقصة ، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعرى الذى يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها ، وهو ايقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة .

فمن هذه الاشعار ما يرقص بها الذكر ومنها ما ترقص بها الانثى ، فمن نماذج الأول قول امنا التراثية :

ياحبذا ريح الولـــــد
ريح الخزامى فى البلـد
اهكذا كـل ولـــــد
ام لـم يلـد مثلـى أحـد

«وكان الملك الأشورى (شمس ادد) الاول ، المعاصر للملك البابلى حمورابى ، الذى حكم بلاد أشور قبل (٣٧٢٠ سنة من الآن) ، قد بعث برسالة لأحد عماله فى الاقاليم يطلب فيها منه تجنيد ثلاثة مغنين لمرافقة الحملة العسكرية الاشورية ، لكى يساهموا فى المعركة بتقديم الأغانى الحماسية واثارة حماس المحاربين الأشوريين" .

وهكذا ساهم الغناء منذ الممالك القديمة فى جميع جوانب حياة الإنسان . ثم تناول ابن خلدون قراءة القرآن الكريم ، حيث قال فى مقدمته :

"انكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين واجازها الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعى فانه لاينبغى أن يختلف فى خطره ، اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه لأن القراءة والأداء يحتاجان الى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف من حيث اتباع الحركات فى موضعها ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره ، وأمثال ذلك ، والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لايتم إلا به من أجل التناسب الذى قلناه فى حقيقة التلحين ، واعتبار احدهما قد يخل بالآخر إذا تعرضا ، ... فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين البسيط الذى يهتدى اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه ، فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ، ... لأن القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده ، وليس مقام إلتذاذ بادراك الحسن من الأصوات ، وهكذا كانت قراءة الصحابة رضى الله عنهم كما فى أخبارهم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم ، لقد أوتى مزمارا من مزامير داوود ، فليس المراد به الترديد والتلحين ، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والابانة فى

مخارج الحروف والنطق بها .

**موقف الإسلام من الغناء من خلال مخطوط**
**(فرح الاسماع برخص السماع)**

لاشك أن الغناء ظاهرة إنسانية واجتماعية ، يقوم بدور رئيسي في تهذيب الذوق والأخلاق ، فهو شيء غريزي فطري عريق بالنسبة للانسان الذي بدأ يقلد ماحوله من اصوات ، ثم اخترع الآلات الموسيقية ثم شارك بصوته مع الآلة التي صنعها .

وفي عصر صدر الإسلام حيث نشر الدين الحنيف وإقامة دولة الإسلام ، فكان من الطبيعي أن ينشغل الناس عن الموسيقى والغناء ، إلا أن الرسول ﷺ لم يبد أي اعتراض على أنواع الغناء مثل (الحداء) أو (النصب) واغاني الأعياد والأعراس .

كما يجب أن نتذكر رعاية أشراف القوم لفن الموسيقى منذ خلافة عثمان ، والأثر الهام لأبناء الشعوب المفتوحة وتدفقهم على الحجاز ، في اخصاب الغناء واثراء محتواه .

لقد احتل اللهو ركنا هاما في حياة الناس منذ العصر الأموي ، حيث انصرف معظمهم إلى السماع واقتناء الجواري والمغنيات إلى أن وصل العصر العباسي الذي صارت فيه الموسيقى موضوعا للدراسات الجادة .

**تقسيم** الإمام الغزالي للأصوات . المسموعة .

**القسم** الأول : غناء الحجيج ولو مع الطبل والشاهين (مباح)
**القسم** الثاني : غناء للتحريض على الغزو والشجاعة (مباح)
**القسم** الثالث : ما ينشده الأبطال عند اللقاء (مباح)



**ملحوظة** :

لابد أن تكون الكلمات والألحان والأصوات والآلات قوية صارمة .

القسم الرابع : صوت النياحة ونغماتها .

أ ـ منها ماهو محمود مثل البكاء على الخطايا والذنوب

ب ـ منها ماهو مذموم مثل النياحة على الأموات .

القسم الخامس : السماع في أوقات السرور مثل الأعياد والأعراس (مباح) .

القسم السادس : سماع المغترب المتشوق للعودة للوطن (مباح)

القسم السابع : من أحب الله سبحانه وتعالى واشتاق للقائه (التعبير الصوفي) (مباح)

# شريكتي أنت



شعر: أحمد محمود مبارك

لما حجبت الرحيق المشتهى عنى
وارهقتنى وعود غيمت ظنّى

لثمت كأساً مضيت العمر أنبذها
وكنت أناي نفوراً إن دنت منى

اما سمعت ندائى والربى عطش
كي تقذفيني بالأنداء والمزن

شحت سماؤك والأنداء تملؤها
وضن قطرك لم يسعد به غصنى

تركتنى لكئوس الليل ارشفها
فأطفأت ومضات الفجر فى عينى

فلا تلومى اذا ما عمنى غَلَسٌ
فالكاس مذ ذقتها لم تبتعد عنى

شريكتى أنت أطفأت الضياء معى
لمّا خنقت الهوى بالشح والمنِّ

ماكان زهر الضيا يخبو على فننى
اذا سماؤك عند القيظ روّتنى

فلا تلومى اذا الأنغام بعد سنا
بدت بلون جبين الليل فى لحنى

شريكتى أنت جرّحتِ الرباب ولم
تشاركينى على أنّاتِهِ حزنى

● قراءة فى رواية تنبأت بالانتفاضة ●

# سحر خليفة

# سأطلق ضحكة وأفجر قنبلة

بقلم : فاروق عبد القادر

● السطور التالية ليست عن مجمل أعمال الروائية الفلسطينية سحر خليفة ، لكنها قراءة فى روايتها ذات الجزاين : "الصبار ، ١٩٧٨" و "عباد الشمس" ، ١٩٨٠" ، ولأنها تحاول ان تبقى داخل هذا الاطار فهى لا تقف بالتفصيل عند عمليها : الأول "لم نعد جوارى لكم ، ١٩٧٤" والأخير "مذكرات امرأة غير واقعية ، ١٩٨٦" ثم هى كذلك تصرف النظر عما حملته الأنباء أخيراً ( انظر أسبوعية "اليوم السابع" فى ١٩٨٨/٦/١٣ ) من تطورات فى حياة الروائية الفلسطينية وابداعها ، أهم تلك التطورات روايتها الجديدة التى أعلنت عن الانتهاء من كتابتها بالانجليزية بعنوان "نساء الأرض الحرام WOMEN G IVOMAN'S LAND ، ثم قرارها بالانتقال من مدينتها ومدينة ابطال روايتها التى نعرض لها : نابلس فى الضفة الغربية ، لتقيم وتعمل في الأردن ، لأنها "لم تعد تحتمل البطالة ، خاصة بعد ان حصلت على الدكتوراه" كما جاء بالمصدر السابق .

● ولعل الأهمية الأولى لهذه الرواية ذات الجزاين هى انها تقدم لوحة بانورامية كثيرة التفاصيل للحياة فى كبرى مدن الضفة الغربية فى ظل الاحتلال الاسرائيلى . فالجزء الأول يبدأ بعد الاحتلال بخمس سنوات ، والثانى يبدأ بعده بست سنوات أخرى ، اى ان أحداثه تدور فى ٧٨ / ١٩٧٩ . وعلى نحو من الانحاء يمكن القول بأن صورة الحياة كما تقدمها الروائية فى عملها كله تجعل انبثاق الانتفاضة التى يشهدها الآن جسد فلسطين كله : أرض الاحتلال الجديد ( ٦٧ ) و القديم ( ٤٨ ) على السواء ، أمراً طبيعياً ، نبع وتراكم على مهل من نسيج العلاقات القائمة بين مختلف فئات الشعب الفلسطينى : عماله وفلاحيه ومثقفيه ، نساءه ورجاله ، كهوله وشبابه وفتيانه ، من جانب ، والوجود الاسرائيلي الثقيل والرازح ، فى وجهيه المدنى والعسكرى ، من الجانب الآخر . هى انتفاضة أصحاب الأرض والحق والتاريخ والذكريات ضد مختلف صور القهر والبطش التى يلقونها فى سعيهم لتأمين خبزهم اليومى ، وحد ادنى من كبريائهم القومى والانسانى : فتصادر اراضيهم ، وتنسف بيوتهم ، ويلقى بأبنائهم وشبابهم فى السجون سنوات قد تطول بغير نهاية ، ويعاملهم الاسرائيليون - المدنيون منهم والعسكريون -



بصلف وتجبر ، وليس لهم - في افضل الاحوال - غير مكانة مواطنى الدرجة الثالثة فبينهم وبين مواطنى الدرجة الاولى يقع الاسرائيليون ذوو الاصول العربية والشرقية .

وحين رجع اسامة الكرمى إلى نابلس بعد غيبة طالت خمس سنوات ، قضى أغلبها فى إحدى دول النفط حتى تخلصت منه "لأنه فلسطينى" ( بعبارة أخرى : إنه مقبول من حيث هو قوة عمل فقط ، اما قوة محتملة للثورة ، فهذا شيء آخر ) ، ومن ثم عرف طريقه الى الجزائر وسوريا ، حيث تدرب ، وعاد محترفاً وملتزماً ، فوجيء بالواقع الذى خلقته سنوات الاحتلال ، واهم وجوهه أن عمال الضفة قد تخلوا عن أرضهم وأعمالهم ، واتجهوا غرباً للعمل فى مصانع اسرائيل ، بين هؤلاء قريبه ومعلمه قبل الخروج : عادل الكرمى ، ترك المزرعة وذهب يعمل مع العاملين ، يقول لاسامة فى لقائهما الأول : "للصورة أكثر من بعد واحد" ، ويظل الخلاف بين الرؤيتين قائما يبقى على الرواية تماسكها من مونولوجات اسامة وأحاديثه المتناثرة يمكن أجمال رؤيته : الارض جنة أحالها الاحتلال الاسرائيلى والرضوخ الفلسطينى الذليل الى قمقم - الفلسطينيون يدخنون السجائر الاسرائيلية ، ويلبسون الثياب الاسرائيلية ، ويأكلون خبزاً عليه لغة العدو - السلم الطبقى مال وشبع كل الناس ، لكن الاحتلال مازال احتلالاً . والكرامة المسحوقة مازالت ملغاة - هذه المنطقة الواقعة بين النهر وشريط العدو اصبحت خطرا على الوعى الثورى فى المنطقة - هذا الشعب يهزمنى أكثر من اسرائيل .. احتلال هذا أم انحلال ؟

بالمقابل حين يسأل أسامة أين الصمود ؟ يأتيه الجواب من عمال الضفة للذين قبضوا ثمنه . وحين يوجه لهم اتهامه الجارح اطردوكم ، وغسلوا أدمغتكم بالاكاذيب والليرات . يأتيه جواب عادل نحن نتمغص وأنتم تتمخضون ، وتعيروننا بعدم الولادة .. ماذا تلد ؟ هل لقحنا النهر المقدس ولم تلد ؟ .. وفى سياق آخر يلقى عادل فى وجهه ببعض الحقيقة : عن اى ناس تتكلم ؟ عن المغتربين فى الكويت والظهران ودول الخليج ؟ دع هؤلاء يساهمون فى تصنيع الضفة والقطاع فنترك العمل هناك فوراً ، ولكنهم لن يفعلوا .. لأن أى واحد منهم لن يجازف ببعض ماله ، ويريدون منا ان نتحمل عبء المجازفات والتضحيات بكل شيء وحدنا ..

وتتلاحم الخيوط الطبقية بالوطنية فى نسيج التناقضات الذى يكسو وجه الحياة فى ظل الاحتلال ، فعادل الكرمى قد سبقه عماله فى المزرعة الى العمل فى المصانع الاسرائيلية ، وبلسانهم ينطق الشيخ العجوز حارس البيارة الذى يرفض التعرف على هذا العائد من بلاد النفط بعد أن طردته ، يقول له : « أنا ياسيدى اجير .. طول عمرى كنت أجير .. وابنى كان اجيراً كذلك ولم يزل .. لما متنا من الجوع ماحدش سأل عنا .. والساعة بقيتوا تسألوا عناليش ؟»

وهذا العامل يتحدث عن صاحب العمل الذى استغل البطالة المتفشية بعد الاحتلال ليطلب من عماله العمل بنصف الاجر ، أما النصف الثانى فهو خدمة وطنية .. "قلت له : طيب الخدمة الوطنية على ويس ؟ .. وأنت ؟ .. رميت الأجرة المخسوقة فى وجهه وقلت له .

خد . بكرة أنا نازل هناك .. قال لى : علموكم العمالة والسفالة .. قلت له : ماحدش سبقنا عليهم غيركم .. وكالة الشركة اللى عندك إيش بتسميها ؟ .. خدمة وطنية ؟ ..»

وحين يستجيبون للضرورة ويعملون فى "كرخاناتهم" كما يقول زهدى - سيأتى الحديث عنه حالاً - فأول ما يواجههم هو التفرقة الحادة ، التى تمتد لكل شىء ، بين العاملين العرب واليهود .. والفرق شاسع بين محمد وكوهين ، الشغلة الثقيلة لمحمد ، والخفيفة لكوهين .. "ليس هذا فقط ، بل ثمة تفرقة أخرى بين العرب الذين يعملون بشكل رسمى ، وأولئك الذين يعملون "تهريب" ، لكن الجميع لا حقوق لهم ، وكلمة "عرافيم" تشملهم دون تمييز ، وهى تعنى - فى قاموس زهدى الذى يعرفهم حق المعرفة - "أنك لص قذر ، وخنزير ابن قواد ! ..".

إنما لهذا لا يصدق زهدى - العامل البسيط الأمى الذى خرج للعمل ثم عاد لأنه لم يحتمل الغربة - ما يقول به عادل من أن العمال العرب واليهود إنما هم - معا - ضحايا فئة قليلة تستغلهم لصالحها ، وهو يقول لنفسه عن العمال الاسرائيليين : "أصحيح أنهم مظلومون مثله ؟ .. وأنهم ليسوا أكثر من أدوات تستغلها أطماع فئة صغيرة ؟ ولكنهم ساعة الحرب يلبسون خوذاتهم ويحملون الرشاشات ويطلقون الرصاص ويقتلون .." تلك حقيقة صلبة يصل اليها زهدى ، وحقيقة أخرى مرتبطة بها . أنهم - العمال الاسرائيليين - مميزون - "أقل واحد منهم يقبض ضعف ما يقبض أى عامل عربى مهما بلغ من كفاءة واجتهاد .. يقبضون بدل مواصلات وبدل غلاء وبدل .. وبدل .. ويتمتعون بفوائد التأمين الاجتماعى وتأمين العجز والشيخوخة وما الى ذلك ، كما أنهم ينتخبون أعضاء الكنيست ، ونحن لا كنيست لنا ولا جيش ولا حكومة .."

لهذا كله لا يصدق زهدى ما يقول به عادل ، وما أن يقول له زميله شلومو عن "المخربين" إنهم "عرافيم ملو خلاخيم" ( أى : عرب أقذار ) حتى تمتد يده بالمفك الى رأسه "والتحم الفريقان فى معركة ضارية جنونية ، دون أن يتساءل أى واحد منهم عن سبب المعركة .." ، ويعرف زهدى الطريق الى السجن ، ويصف نفسه بعد خروجه وصفا يوجز ما طرأ عليه من تطور : دخلت أونطجى ، وخرجت رفيقا . نعم . فى السجن أكمل زهدى رحلته ، اكتسب المعرفة التى تدعم انتماءه الطبقى ووعيه الصحيح .

بين عادل وأسامة يجد زهدى طريقه ، صقلته تجربة السجن وأنضجت وعيه وأسقطت من أمام عينيه كل حجب الزيف ( ويلفت النظر فى أدب الأرض المحتلة بوجه عام الدور الذى تلعبه السجون فى تطوير وعى من يدخلها ، وتثبيت أقدامه فى الطريق الصحيح ، حتى أسميت "مدرسة الشعب" ، وحق لهم أن يعكسوا فى وصفها المثل السائر ليصبح . الداخل اليها مولود . والخارج مفقود ! ) . وحين يخطط أسامة للهجوم على الباصات التى تقل العمال العرب الى أعمالهم فى اسرائيل . وتدور معركة بين جماعته الصغيرة وقوات الجيش الاسرائيلى ، فى هذه المعركة سرعان ما عرف زهدى طريقه الصحيح ، رغم أنه كان بين العمال ، ورغم أنه رأى وجه أسامة وتعرف عليه ، الا أنه لم يتردد لحظة الاشتباك : قتل جنديا اسرائيليا واستولى على رشاشه ، وراح يطلق النار فى الاتجاه الصحيح .

تنتهى "الصبار" بأن يلقى أسامة وزهدى مصرعهما ، وتنسف دار الكرمى لأن باسل - شقيق عادل الأصغر - كان من رفاق أسامة ، وحين ينسى عادل - عامدا متعمدا - الآلة التى تنقى دم أبيه ، فهو يحكم عليه بالموت ، ويبقى هذا هو التعبير الرمزى عن تحرره من سيطرة الضرورة ، والأب الذى يفرض مرضه وتسلطه

معا على الجميع ، ويبقى عادل هو الذى يحمل إمكانات التطور فى الجزء الثانى من مشروع سحر خليفة الروائى ، جنبا لجنب الأمل فى الجيل الفتى : جيل باسل ورفاقه ، وقد عرفت اقدامهم اول الطريق .

## أروع صور المرأة الفلسطينية

كان مدهشا أن تغيب المرأة في "الصبار" أو تكاد ، فنحن لا نرى سوى الأم التقليدية التى لا ترجو لابنها سوى أن يستقر وأن يتزوج ، وتحيطه بالبسملات والتبريكات إن بقى أو ذهب ، ثم "نوار" شقيقة عادل وباسل ، تأخذ من الاول تردده ، لكنها تقترب من الثانى فى تزويجها ، اما لينا ، شقيقة صالح ، التى يبدو انها اجتازت الصراط الصعب بين الصورة التقليدية للمرأة من جانب ، والمرأة التى دخلت مجال العمل الثورى من الجانب الآخر ، فلا نكاد نسمع لها صوتاً !

فى "عباد الشمس" تقدم لنا سحر خليفة ـ هى المهمومة بقضية المرأة فى اول أعمالها وآخرها ـ أروع صور المرأة الفلسطينية التى تخرجها الضرورة الى الحياة والعمل ، فتعمل وتتعلم ، وتقودها الممارسة الى ان تنصهر ـ تدريجيا ـ فى بوتقة النضال الحتمى ضد المحتل القاهر ، وحين يتحطم حلمها الفردى بالخلاص تندفع الى الاتون ، وتدفع نحوه أبناءها ، مؤكدة بذلك جوهر وجودها ، ووفاءها للمعنى الحقيقى الذى من أجله قتل زوجها .

إن سعدية ـ أم حمادة وأرملة زهدى ـ تبتعد عن هاته النسوة الفارغات ، اللاهيات الثرثارات ، الموليات أردافهن للواقع بمن فيه ، هاربات الى امريكا ، اللائى عرفناهن فى "لم نعد جوارى لكم" كانت مثل اية امرأة فلسطينية امية ـ تعيش فى ظل الزوج ، ينحصر عالمها فى البيت والأطفال ، لكن قتل زهدى على أيدى الاسرائيليين دفع بها إلى ضرورة العمل ، فانكبت على ماكينات الخياطة ، وربتت بيع ماتصنع فى تل أبيب ، ومن خلال العمل وعلاقاته ، وشيئاً فشيئاً ، تكتسب الثقة فى ذاتها وقدراتها ، ويرتفع صوتها الجديد حين يتطاول عليها أحدهم ، محاولاً فرض وصايته عليها لانها حرمة : «انا مش حرمة ، انا مثلى مثلك ، انت صاحب مصلحة وانا صاحبة مصلحة ، وماحدا مسئول عنّى غير الله ونفسى ..» لقد خرجت الى العالم الواسع لتواجه بما فيه من قسوة وعداء من جانب ، ومقاومة وانسحاق من جانب أخر ، وراحت ـ شيئاً فشيئاً ـ تفقد بكارتها الحياتية والثقافية حتى استوت ـ هى الأمية المحاصرة بالقيم الموروثة التى تحاصرها وتحد من عالمها حتى تكاد تختنق فيه ـ نموذجا رائعاً للمرأة العربية الساعية للتحرر ، دون أن تعرف التمزق بين رغبتها فى التحرر من سيطرة الرجل واثبات كيانها المستقل من ناحية ، ورغبتها للذوبان فى صدر الرجل ، من الناحية الأخرى ، على نحو ماتعانى رفيف ، ابنة القدس المعاصرة ، التى تعمل بالصحافة وتشتغل بالقضايا العامة ، لكنها تخوض اقسى معاركها مع ذاتها فى علاقتها بزميلها الشيوعى عادل الكرمى .

رفيف ـ فى ذات الوقت الذى تتقدم فيه سعدية نحو إدراك أن القهر الخاص لا ينفصل عن القهر العام ، ولا يزول إلا بزواله ـ تبقى مترددة خطاها دون أن تلقى بنفسها فى أتون الثورة ، تثقل خطاها أولاً رغبتها فى التمايز ، فهى لا تود أن تصبح ـ فى الثورة رقماً بين الأرقام ـ .. «ونظل أرقاما بغير عدد» .. والتاريخ يصهر الأرقام فى رقم واحد ؟ لا . إننى ارفض . انا إنسانة لى خصوصيتى وما يميزنى .. ارفض ان اصهر فى بطن الحوت .. لن أجعل منه الها ـ فقد كفرت بالآلهة منذ سنين ليس لها عدد .. وتثقل خطاها ـ ثانيا ـ تلك المخاوف ـ المبررة تاريخيا فى سياق هذا الواقع ـ حول المصير الذى ستلقاه المرأة المنغمسة فى أتون الثورة بعد انتصارها : ثم

## سحر خليفة

.. ماذا يُحل بنا ؟ ما حل بالمرأة الجزائرية بعد الاستقلال ؟ ناضلت وحملت السلاح وتعذبت فى السجون الفرنسية .. ثم ماذا ؟ خرجوا للنور وتركوها فى الظلمة ، وكأن الحرية مقصورة على الرجل وحده .. الحرية للرجل والاستقلال للرجل والصلاحيات للرجل ، ونحن ؟ المساندات للثورة حتى يتم التحرير ويتم الاستقلال ، لنا من كل هذا المجد زاوية المرأة ، ثم لنا بعد العشاء حديث آخر . وهذا عادل : المثقف الممزق ، يريدها امرأة ويريدها رجلاً ويريدها ثائرة ويريدها مثقفة ويريدها حمارة كذلك « يطالبنى بأن أكون وقوداً للثورة البردانة ، وان أكون وقوداً لبروده ، وأن اكون وقودا لرأسه البارد » ..

ولا تكتفى رفيف بذلك ، بل هى تنظر لقضيتها ، وترتفع بها .. فى فصل كامل تفرده سحر خليفة بكرم وسخاء وتدفق ، فتلك هى قضيتها بامتياز ! ـ لافق شامل ، وتروح تدلل على صدق وصحة ماقال به انجلز من أن المرأة هى "أمة الرجل المستعبده .. أو هى "بروليتاريا الرجل" ، وتضرب الأمثلة بتصيب المرأة فى الثورات التى لم تكتمل : فى تركيا وفى الجزائر وفى ايران ، وتلقى ـ ببلاغة ـ فى وجوه الرجال مرافعة الادعاء : منذ بداية عصركم وأنا أعيش لغيرى ولا أعيش لنفسى ، طبخت فأكلتم ، زرعت فقطفتم ، حملت بذوركم فى بطنى وسقيتها غذاء عينى وأسنانى واشتداد عضلى ، وحين تتلقف ايديكم المولود يحمل اسمكم .. افقد هويتى وشخصيتى فى مطابخكم ومعابدكم .. وتاجرتم بى شرعاً و بغير شرع ، حين انخمدت عيرتمونى بجهالتى ، وحين استفقت عيرتمونى بغضبتى ، وحين نهشت الغيرة قلبى عيرتمونى بالقصور والمحدودية ، وحين كشفت انفصامكم جارتم فى وجهى الوقت ليس وقتك . تجاوزى . لن اتجاوز ..

التى تتجاوز حقاً هى سعدية ، لا رفيف . فهى كانت تأمل فى الخلاص حين تهجر الحارة فى قاع نابلس ، وتبنى بيتها الخاص على قطعة الأرض التى اشترتها فى الجبل "بدم القلب ودم الأصابع وسهر الليالى ومشاوير الشركة .. بعرقى ودموعى ورملتى وسواد الليل ويتم الاطفال .. ولكن الأرض تصادر ، لتقيم اسرائيل عليها وفيما حولها مستوطنة جديدة ، وتصرخ سعدية : "كل الشقا جمعته بها الأرض .. راح الشقا وراحت الارض .. وأيقنت ـ مرة واحدة وللأبد ـ أين عدوها الحقيقى ، واستجمعت كل الخبرات التى عانتها لتعرف ، كذلك ، كيف تواجهه ، وتجمعت كل الخيوط ـ مثل أشعة الشمس فى بؤرة واحدة ـ لترسم المشهد البطولى الأخير : "وبدأت سعدية تضرب والنسوة تضرب حجارة ، حصى ، تراب ، شظايا زجاج ، صراخ النسوة ، ضرب وحجارة ومقاليع .. جموع وأصوات رصاص ، أفواه مفتوحة ، فتيان وفتيات يقفزون كالجن ، اشتعل الدم فى الجبهة واجتاح النسوة حماس عنيد .. تعثرت الاقدام وقفت سعدية لمحت «رشاد» يضرب من فتحة مقليعة ، من أعمق الأعماق صاحت : عليهم يارشاد .. عليهم ياوادى .. عليهم يا حبيبى يازهدى ! .

وتكاملت سعدية : جسراً انسانياً حياً بين افضل ما فى الماضى وأروع مايعد به المستقبل .

★★★

فى « الصبار » رأينا عادل الكرمى وقد الجأته الضرورة للعمل فى المصانع الاسرائيلية ، وهو فى صفحاتها الاخيرة ـ ينبىء عن صحوة جديدة تشى باحتمال تحوره من عبودية الالة الكريهة ، وتردده بين الضرورة والاختيار ، ثم هو فى « عباد الشمس » صحفى يعمل بمجلة « البلاد » التى تصدر فى القدس ، لايزال على ولاء لافكاره

الاساسية كشيوعي ، ومن بينها ايمانه باهمية التحالف بين العناصر التقدمية والديمقراطية بين العرب والاسرائيليين . وهو يتقدم للمجلة باقتراح اصدار ملحق بالعربية والعبرية ويغذي هذا التحالف ، ويصوغ مبرراته ٠ « ان باستطاعتنا كسب ذوي الضمائر في اسرائيل ، وباستطاعتنا - بل وهذه مسئوليتنا - ان نعمل على زيادة نسبة الوعي وايقاظ روح العدالة في الجانب الاخر .. وقد يتطلب الامر جهدا كبيرا ، وسنوات طوال ، لكن حلم الدولة الفلسطينية العلمانية لن يصبح حقيقة مالم يصل الشعبان الى نسبة كبيرة من الوعي ، والتعايش بين الشعبين لن يتم بشكل صحي مالم يبلغ الشعبان مرحلة النضج والاقناعات المشتركة وهذا لن يتم دون جهد كبير ونفس طويل .

وحين يطرح هذا الموضوع للنقاش في هيئة تحرير المجلة يتركز الحوار حول اليسار الاسرائيلي، مدى تأثر الشارع الاسرائيلي بطروحاته من جانب ، وتأثيره على النظام الاسرائيلي من الجانب الاخر ، ويدور الجدل طويلا ولايصل لشيء ، ويبقى القرار الاخير خاضعا لحسابات اخرى يجريها مدير المجلة وصاحبها .. حين يطلب التصريح لعبور الجسر الى الضفة الاخرى من النهر ، ثم يعود بما يدعم « الصمود » !

اما باسل الكرمي - وقد رأيناه في « الصبار » مصدر التحدي لسلطة الأب القاهرة ، وخنوع الاخت والام ، وتردد عادل بين النقمة والضرورة - فقد قضى الفترة بين زمني الجزء الاول والثاني في السجن ، ثم خرج منه وقد اكتسب - الى جانب خبراته الثمينة ، والمعرفة التي تدعم وعيه الصحيح وتحميه - اسمه الجديد ، ابا العز ، ومنهجا جديدا في النضال يستفيد من خبرات من سبقوه ، لكنه يضيف اليهما مايثريها ويغنيها ويكسبها افقا انسانيا رحبا ، وهو حين تحيره تناقضات واقعه ومجتمعه ، يطلق ضحكة ويفجر قنبلة ، ويصفه أخوه عادل في خواطره فيحسن تقديمه . « لقد عرف الشاب طريقه ، وقد لاتعدو المسالة صدفة ان تورق العائلة الذابلة برعما شديد الاخضرار كهذا وصدفة ان تتناسب عودة اسامة الى الضفة في وقت تفتحت فيه روح الفتى واحلامه كتفتح الشمس والكبرياء ، وتلاءمت الظروف وخرج من الطفل العفريت الضاحك ابدا رجل يعتنق دين الارض ودين الشمس ..»

باسل الكرمي عشق في السجن « الكتب واللون الاحمر » وخرج متحررا من شلل اخيه الاكبر عن الفعل فحين بدأ تحويل مزرعة الكرمي الى مستوطنة اسرائيلية جديدة لم يتردد باسل . « تيمموا انتم اما انا فغدا اتوضأ بالبترول لاشتعال بدون احتراق » .. ووجد تحققه الكامل لحظة الفعل . اشتدى ازمة تنفرجي ، وعدك وحدك عباد الشمس وسيدها ، اضرب في القاع يا ابن الشمس اضرب .. اضرب .. معول ينبثق حريق .. معادن مصهورة وبراكين .. اضرب واهرب «..

وانطلقت قذيفة ، وانسكب اللحم على الارض ، وهددت مكبرات الصوت تعلن منع التجول ..

يفعل هذا دون ان يزايد او يصرخ او يتشنج او يقطع علاقاته بالتقدميين والديمقراطيين في اسرائيل ، لكنه لايعول عليهم كثيرا كذلك ، القضية قضيته ، والهوية هويته هو ، حملها عمرا ودهرا راى العالم منها ، ومنها سيراه العالم وحين اشتعلت نابلس وحوصرت ، لم يكن ثمة سبيل لدخولها الا في سيارة خضرون اليهودي المصري - الالماني الذي ينتمي لحركة « السلام - الان » وشريك عادل في مشروع الملحق مزدوج اللغة ، وتقدم الكاتبة صورة رمزية رائعة الدلالة الكل في سيارة واحدة ، مهشمة الزجاج والمصباح ، والطريق مليئة بالحجارة والشظايا والحفر ..

عند مفترق الطرق طلب ابو العز من خضرون ان ينزله : لن احلم اكثر ، ساعود للقرية والناس ، قال له خضرون ان المئات في

# سحر خليفة

طريقهم الى القرية .

- من هم ؟ جماعات انصاف الحلول واللافتات ؟ انا لا اريد السلام - الان - انا اريد السلام الان - غدا وينزل باسل الكرمي ، ليواصل طريقه الى قلب الناس واللهب .

هذا هو الجيل الذى يشعل النار الان .. فى نابلس وطولكرم وجنين ورام الله - والقدس وغزة ، ومئات القرى باسماء وبغير اسماء على ارض فلسطين .

● ● ●

سواء بقيت سحر خليفة تعانى البطالة فى نابلس ، او عبرت الجسر الى الضفة الاخرى ، وسواء كتبت عملها التالى بالعربية أو بالانجليزية ، فستبقى لروايتها تلك « الصبار - عباد الشمس » مكانتها المتميزة لا فى ابداع صاحبتها فحسب ، بل فى تيار الرواية العربية المعاصرة على العموم ، لا من حيث وجوه امتيازها الفنى - وهى عديدة - فحسب ، بل ومن حيث قيمتها كوثيقة تصور الحياة فى مدن الضفة تحت قهر الاحتلال الاسرائيلى ، وهى تثبت - بين ماتثبت - قدرة الادب الصادق ، لا على حسن رصد الواقع وتسجيله فحسب ، بل وعلى استقرائه والتنبؤ بمسار الاحداث فيه ويكفيها دليلا ان المشهد الاخير الذى تنبات به صاحبة « عباد الشمس » قد اصبح الان - ولشهور خلت - حياة كل يوم فى ارض الاحتلال الجديد والقديم على السواء فى فلسطين .



● لا فرق

أبصرت السيدة صبيا فناولته طردا صغيرا ورجته أن يقذف به إلى داخل إحدى حافلات القطار الكهربائي قائلة:

- إنه غداء زوجي وأحرص على أن يصله في الوقت المعين.

فسألها الصبي عن رقم القطار الذي يجب أن يقذف فيه الطرد ، فأجابته:

- لا فرق ... ضعه في أي قطار ، فزوجي يعمل في قسم الأشياء المفقودة في

# لغويات

● تصف العامة الرجل الضعيف او البخيل أو الكسول بانه « رخم » بكسر الراء والخاء ، و « الرخم » بفتح الراء وتشديدها وفتح الخاء نوع ضعيف من الطيور الجارحة يعجز عن مقاتلة النسور العظيمة ، ويكثر فى الشعر العربى تفضيل «النسر » على «الرخم » .. قال البحترى .

تغدو الكلاب ولافضلُ يُعَدُّ لها
سوى الذى بان من نقص الخنازير
قد قلتُ للرَّخَمِ المرذول مكسبها
خُشَّ الجدا فَقَعى إن شئت او طيرى

اخذ المتنبى البيت الثاني فقال :

وَشَرُّ ما قنصته راحتى قَنَصٌ
شُهْبُ البزاة سَوَاءٌ فيه والرَّخَمُ

● فى كتاب النصوص للثانوية العامة يزعم مؤلفوه أن كلمة « الحشا » اى « الأحشاء » لايصح استعمالها في الشعر لان معناها «الامعاء» وقد اخطأ مؤلفو الكتاب لان المراد بالحشا والأحشاء ما فى داخل الجوف ، اى القلب او الفؤاد ، ولكن المؤلفين ظنوا ان المراد هو الأمعاء والمصران ، وذلك لعدم معرفتهم بأساليب الشعر العربى واللغة العربية .. قال المتنبى :

لاتعذل المشتاق فى اشوقه
حتى يكون حشاك فى أحشائه

اى حتى يكون قلبك فى قلبه ، فتشعر مثل شعوره ، ولم يقصد المتنبى طبعا أن يقول : « حتى تكون أمعاؤك فى امعائه » كما يظن مؤلفو كتب الثانوية العامة الفضلاء ! »

● وقال البحترى :

فكأنما ضمنت معالمها الذى
ضمنته أحشاء المحب الموجع

فجعل الاحشاء ـ اى القلب أو الكبد ـ موضع الحب ..

# بهاء طاهر وعالمه الخاص

بقلم: عبد الرحمن أبو عوف

لان ابسط مبادىء تقصى عناصر خصوصية وابعاد وجوهر العالم الروائى عند ( بهاء طاهر ) هو الوقوف طويلا عند السمات النفسية والاخلاقية والفكرية والسلوكية (للانا الراوى ) الذى هو قاسم مشترك فى معظم رواياته وقصصه ، وما يهمنا تحليله وتقييمه هنا هو الكشف عن قناع هوية هذا ( الانا ) الفكرية والجمالية فى رواياته ( قالت ضحى ) و ( شرق النخيل ) والقصة القصيرة الطويلة ( بالامس حلمت بك ) وبعض قصص مجموعته الاولى ( الخطوبة ) .

ولكن قبل القبض على هذا الخيط فى السرد الروائى ، وبتعمق المفردات الجمالية لاستخدامات ( الانا الراوية ) هنا فسوف نجده غير راوية الرواية التقليدية الواقعية النقدية المستوفية الشروط الاجتماعية والسيكولوجية اقصد الراوية المتاله ، الذى يعرف كل شىء عن حياة وافكار وسلوكيات الشخصيات الاخرى ، ويوقع القارىء فى وهم كاذب لانه يستحيل ان يعايش الراوية الشخصيات الاخرى ٢٤ ساعة فى اليوم .

● ان عملية السرد الروائي هنا تشبه سيمفونية متعددة الالحان متناغمة ، ولكن لها نسقها الهارموني ، وتداخل وتقاطع الالحان . ليقدم الحديث بتعدد جوانبه واستداراته ، وتفاعل الشخصيات معه في ايقاع درامي متصاعد ، عبره تتلمس بانوراما الموضوع الروائي المتشابه الذى نراه بثراء الواقعية الرحبة المزوجة بشجن رومانسي في روايتي ( قالت ضحى ) و شرخ النخيل ) .

والامر يقتضى فحص مدى الصدق الموضوعي والفنى للبعد البانورامي للاحداث والشخصيات التى تنمها لمسيرة ثورة ١٩٥٢ وفهم اسهامات ( بهاء طاهر ) التى تكشف تتابعها ونشرها فى سنوات ٨٤ ــ ٨٥ وسط كتاب جيله الذين لم يكتفوا بالفرجة على الصراع الاجتماعى والسياسى ، ونالهم قسط من التأزم والاحباط الوجودى والغرق فى الغربة ، بل خاضوا اتون عملية التمرد السياسى والاجتماعى الى اخر مدى فى الصدام مع السلطة والتكوين السياسى والاجتماعى الذى شكل مرحلتى عبد الناصر والسادات ، ونوعية كل منهما وتوجيهات الثورة فى مدها الوطنى والاجتماعى ثم انحسارها وانقلابها على التوجهات الوطنية والاجتماعية التقدمية .

**اولا : تقصى هوية السمات العقلية والنفسية والمزاجية للراوية عند ( بهاء طاهر ) .**

**فى تحولاتها : ــ**

بتحليل واستنطاق ابداعه القصصى والروائى سوف نلتقى بتشكلات ومكونات الراوية فى المجموعة الاولى الخجولة ( الخطوبة ) التى اصدرها للكاتب وهذا امر مثير للغرابة ( رشاد



بهاء طاهر

رشدى ) فى سلسلة مجلة ( الحديد ) سنة ١٩٧٢ ( اشرس مجلات اليمين انذاك ) بعد وفاة عبد الناصر وبداية الطفح الثقافى .

وفى قصة ( الظاهرة ) بالذات والتى اعتقد انها انتشرت وللغرابة قبل جمعها فى المجموعة فى مجلة (الكاتب) سنة ١٩٦٤ ( مجلة اليسار الناصرى انذاك ) اننا نتعمد تقصى التواريخ وذلك للدلالة السياسية لموقف الكاتب والتى سنحصل عليها فى النهاية كنتيجة وطرح للتحليل الجدلى لاعماله

ان ( الراوية ) فى قصة الظاهرة ) وهذه هى اول سمات الراوية التى ستتكرر بشكل انضج فيما يأتى من أعمال لاحقة ، هذا ( الراوية ) ليس هيئة محددة بالبطاقة الشخصية او اللبس أو الشكل أو الاسم أو العنوان مجرد اشارات قليلة وبخيلة نلتقطها اثناء سرده لنوعية حياته ونمط سلوكياته واختباراته او تفاعلاته مع

## بهاء طاهر وعالمه الخاص

الاحداث التى غالبا ما تصدم به وتفرض عليه اكثر مما يصفها .

الراوية هنا فى قصة ( المظاهرة ) يبدو موظفا شابا عزبا مصابا بتورم ذاتى واحساس وجودى سازج ، فهو دائما يرفض روتين حياته الاسرية والاجتماعية ، انه يرفض رغبة امه فى زيارة اخيه الكبير ، يأكل مالا يحب لا يرتبط بموعد للعودة الى المنزل ، رغم ذلك يخرج ويزور اخاه الكبير ويتشاجر معه حول رغبته فى بيع ميراث ابيه ،ويتركه وهو لا يدرى من ( اين جاء والى اين يذهب ) فلا يجد لقتل الوقت بعد جهد التسكع واللامبالاة الا الدخول لظلام السينما حفلة الساعة الثالثة ظهرا ( رمز واضح طبعا ) وطبعا سيجد فى السينما حفلة الساعة الثالثة ظهرا جارة له وحيدة ، ومن اول نظرة يجدها تبادله نظرات فاحصة ، نظرات امرأة فى الاربعين جميلة ... الخ تدخن بشراهة ، موضوع الفيلم فرقة جنود محاصره ، والقائد يرفض ان يستسلم واثناء الفيلم تتلامس السيقان بين ( الراوية ) والمرأة ، ويحدث جس نبض فتتلامس الاذرع فى استجابة صامتة ، فيتم التفاهم حتى نصل للذروة حتى ( تقبض يد المرأة فى تشنج وشبق على يده فى ظلام السينما ) لقد تم التعارف الصامت يتدخل مع نماذج واحداث الفيلم وطبعا يعلق بعض المتفرجين من الرجال على هذا الوضع بين ( الراوية ) والمرأة بالفاظ تجرح حساسية المرأة ، مما يدفعها لمغادرة السينما ، ولاحظ انها تبكى ، لنجد ان الرجل المتفرج علق قائلا ( هذا فيلم جنسى ممنوع لاقل من خمسين سنة ) انها متضخمة الاحساس بعمرها ويلتقط ( الراوية ) هذا الخيط ، ويبدأ فى مغازلتها ، واشعارها انها صغيرة وجميلة ، لقد استكانت له على الفور عبر سيرهما فى الطريق ، وغرقا فى حديث عرف منه انها عاشت فى باريس فترة كانت تدرس ( سوف نلاحظ ان المرأة التى يرتبط بها الرواية دائما من النساء التى لهن تجربة فى خارج مصر ) سيتضح ذلك فى اخر اعماله و ( قالت ضحى ) بل انه يتعرف على فتاة اوربية فى قصة ( بالامس حلمت بك ) اخذته الى احد مشارب الشاى الهادئة حدثته عن ممارستها لفن الرسم ، وزواجها وتركها لزوجها وسألته : ( لماذا انت حزين ، عبر هذه الثرثرة التى تتورم على حساب السرد القصصى وتطور الحدث المبهم ، نتعرف على اكتئاب واختناق وملالة حياة ( الراوية ) ونتيجة الثرثرة لمناقشة ( معنى الحب ) ولا تتعدى المناقشة بنية الرومانسية المعتدلة الساذجة فى علاقة الرجل بالمرأة ، ثم تتحول الثرثرة الى البحث عن ( معنى للحياة ) ان المرأة عملية اكثر من هذه الازمة الهشة المصطنعة التى يعيشها ( الراوية ) فهى تدرك قصدها منه ( امرأة تصيدت شابا متأزما من ظلام صالة السينما ) فهى تعرف النهاية الطبيعية ، اما هو فيهرب محاولا اقناعنا بانه ليس مجرد صيد بسيط لمرأة مجربة ، لقد هرول فى الطريق مندفعا الى المكان حتى اصطدم بتجمع من الناس واصوات ، وموسيقى وزحام ، فاوقف شخصا ،

وسأله – ما الخبر ؟
رد عليه : أخذنا الكأس ٠
لقد خرج من وحدته وانغمس يرقب تحركات هدير التجمع البشرى
ونصل ( الى حقيقة هوية وازمة الراوية التى ستشكل الاساس لموقفه كما قلنا فى بداية الدراسة لتحولات وجدلية صراع العملية الاجتماعية والسياسية لثورة ١٩٥٢ ) ٠
نعود لجوهر هذا الحوار من القصة ٠
وبينما كنت أتابع المظاهرة وانا اسير على الرصيف هجم رجل قصير يرتدى قميصا ازرق وامسكنى من ذراعى وهو يقول متذمرا :ـ
ـ الست معنا ؟
ـ بالطبع انا معكم ( لم اكن فى حياتى شاهدت مباراة ) قال فى شك لا يبدو عليه الحماس ٠
ـ بل انا متحمس ، خمسة لواحد : تصور ٠
وعلى الفور غرق ( الراوية ) فى الانتماء الى المظاهرة متحمسا مع هدير الناس حتى افاق على رائحة النشادر النفاذة تملأ جوفه كله – وسيق الى القسم بتهمة التجمهر ليلا ٠
تلك هى الرؤية المصطنعة لأزمة البحث عن انتماء فى مرحلة ١٩٦٤ ، عبر عنها ( بهاء طاهر ) ، وما يهمنى هو المصداقية مع لحظة الزمنية التاريخية ، وجوهر ازمة كتاب جيل الستينيات الذى احدث فى القصة القصيرة ثورة فى المبنى والمعنى وشارك فى تشكيل متسق هذه الرؤية التى درسناها وتابعناها نقديا ٠
وفى رواية ( قالت ضحى ) يضعنا (الراوية) فى حضور اطار (الزمنية التاريخية السياسية للحدث الرئيسى ) هو الموظف المثقف فى احدى ادارات هامشية فى وزارة غير محددة ، موقعها الجغرافى امام بورصة الاوراق المالية صباح يوم صيفى فى ( اول الستينيات فى اليوم الذى تلا التأميم) وفى حوار له دلالة بينه وبين زميلته ( ضحى ) تعرف انها من الاسر التى اصابها قرار التأميم ويظهر ( سيد ) فى خيوط السرد الروائى كمنادى للسيارات كسدت بضاعته بعد اغلاق البورصة ٠
ان ( ضحى ) رغم تأميم الارض وبطالة زوجها ابن الارستقراطية ، تتقبل بأفق واسع ووعى متجاوز ما حدث لها ( فأمثالهم فى اوربا المتقدمة ذبحوا امثالنا ايام الثورة الفرنسية والروسية ) ، ويجيب ( الراوية ) محددا موقفه الباهت من ( الثورة ) الذى يخفى اعماقا ستتكشف فيما بعد ( لايهم ان اكون معها او ضدها ، انا مجرد موظف لا افهم كثيرا فى السياسة ، ولا اريد ان افهم ) ويردد فى نفس الوقت بينه وبين نفسه ( لم اقل لها ان السياسة كانت ذات يوم مأكلى ومشربى ، كنت انا نفسى قد نسيت ذلك ) فتجيبه ضحى بتحديد اعمق يكشف عن سمات شخصيتها ( لايضيع الدنيا الذين مع او الذين ضد ولكن يضيعها المتفرجون ) ٠
الخيط الذى نلتقطه ( ان سيد منادى السيارات ) طلب من ( الرواية) ان يبحث له عن وظيفة فى الوزارة ، فلم يجد الا زميله الناجح وظيفيا ( حاتم ) وبالتداعى نعلم ان كلا من ( حاتم ) و ( الراوية ) زملاء قدامى ، كانا يعملان بالسياسة فى ( اى اتجاه لا تعرف ) و ( لن تعرف حتى نهاية الرواية ) اللهم من استنطاق مصداقية الرؤية للتحولات السياسية للثورة ( لقد اشتركا معا فى تظاهرة ) فى

# بهاء طاهر وعالمه الخاص

ميدان الاسماعيلية الذى صار ( التحرير ) فيما بعد ضد معسكر الانجليز لعله ( يقصد تظاهرات ١٩٤٦) وهذا امر له دلالة ، فى تحديد الزمنية التاريخية لاندلاع وتصاعد الثورة فى الثورة الوطنية الديمقراطية التى شاركت فيها كل الاتجاهات المعبرة عن جدل العملية الاجتماعية وصراع الطبقات وتوحدها ضد الاحتلال والقصر وكان ابرزها تعبيرا عن المتطلبات السلبية والاقتصادية برنامج ( لجنة الطلبة والعمال ) التى قادت انتفاضات ٤٦ ، ٤٨ واسقطت معاهدة صدقى ـ بيفن .

## ● مصداقية بهاء طاهر

وعلى ضوء هذا القياس التاريخى والسياسى ، سنجد الذى نفذ بعض عناصر برنامج لجنة الطلبة والعمال هو ثورة ١٩٥٢ ولكن بتحويل جهاز القمع وهو الجيش الى الانقلاب على القصر والانجليز ولو استقصينا الانتماءات الفكرية والسياسية لقيادة تنظيم الضباط الاحرار لوجدناها لا تتجاوز برنامج لجنة الطلبة والعمال ان لم يكن بعضهم متخلفا عنها ونلتقط من هذا التحليل السياسى مدى مصداقية ( بهاء طاهر ) على لسان ( الراوية ) فى ( رواية قالت ضحى ) عند ما تختلط اوراق الزمنية التاريخية لسن ووعى ( الرواية ) فى انه كان هو وزميله (حاتم) من اعضاء هذه التظاهرات وكانوا ثوارا من اى اتجاه لا نعلم .

نعود لتحليل الرواية ، يؤكد ( الراوية ) ولم ندخل انا وحاتم اى حزب ولكنه بعد الثورة ، وكنا قد توظفنا ، داخل ( هيئة التحرير ) ولم اعد أنا أهتم باية سياسة اذن ( فالراوية ) مجرد وطنى كالماء والهواء ليس له انتماء محدد ، أما ( حاتم ) فشخص انتهازى سرعان ما التحق بتنظيمات الثورة فى فترة بحثها البرجماتى عن تنظيمات بديلة للاحزاب الليبرالية واليسارية ، وكانت تتلاعب وقتها بتنظيمات الاخوان ، يحاول ان يقنعنا ( بهاء طاهر ) انه سيشهد من رؤية وموقف المتفرج الذى رفض الانتماء فنتساءل نحن بدورنا ان تجربة الكاتب ذى الوعى السياسى لابد أن تدرك انه بالرغم رفض قوى وطنية عديدة الانخراط فى منظمة ( هيئة التحرير ) التى كانت بلا جدال تنظيما سلوطيا فاشيا لم يمنع هذه القوى من النضال العنيف ضدها وحماية خط الثورة الوطنى من تطبيقاتها البرجماتية وهنا لا يجب رصد هذه الوضعية السياسية والاجتماعية بهذه البساطة . (فحاتم) شخص ( انتهازى فى نظر الراوية ) لانه دخل ( هيئة التحرير ) ولذلك هو فى نفس الوقت وصولى فى الوظيفة ، وصل الى ( وظيفة وكيل ادارة المستخدمين ) وسبقنى بدرجتين ) بينما هو ظل راكدا فى وظيفة هامشية بالوزارة يحمل حبا صامتا ، لزميلته ( ضحى ) المرأة ـ النموذج للاستقراطية المصرية فهى تتقن عدة لغات ، مثقفة تقرأ رواية الازل لاندريه مالرو لها تعدد فى جوانب شخصيتها ولها حضور غامض لعلها تحمل سرا دفينا .

ان ( بهاء طاهر ) يعطى لنفسه صلاحيات يجب ان يناقش فى محاولته

التعبير والتحدث باسم الجيل السياسي والادبي الذى وعى ويشكل مبكر ازمة الديمقراطية ومفترق الطرق للثورة فى عام ١٩٥٤ ، هذا موضوع مازال مطروحا للفكر السياسي والاجتماعي لتتابعيات وصيرورة ثورة عام ١٩٥٢ وتفاعلاتها وتقلباتها واستمراريتها حتى الان فى مواجهة ازمة اقتصادية وعسكرية وقومية ، وتوازنا بين القوى الكبرى واخطر مواجهاتها الاتية مع عدو سياسي وحضارى هو الصهيونية ٠

لقد اقام ثنائية ( سيمتيرية ) اوصد مصنوعة لنموذجين ، المناضل السياسى الذى ضعف لحظة التمرد واكتشف امام اجهزة القمع انه صغير بل ربما خائن وهو ( الراوية ) اما ( حاتم ) فالنمط للمتمرد قبل الثورة ثم المتسلق لكل مؤسسات الثورة السياسية والوطنية من وجهة النظر تلك سترصد تفصيلات البانوراما السياسية والاجتماعية للحياة المصرية فى مراحل الثورة غير هذه الزمنية ٠

ولكن هناك شخصية اخرى لها اهميتها، بناها الكاتب بتخطيط وتصميم يقينى ( بذكرنا ببناء شخصيات نجيب محفوظ بالمنظور الوضعى الاخلاقى البرجوازى ) ليس فى بنائه حيوية وتلقائية وتخلق ابعاد النمط الشخصية النموذج ، الرمز بمزاجها النفص وسماتها الحضارية ومبررات صعودها الطبقى والسياسى ٠

ان الراوية يبدأ تعريفنا على (سيد) بانه ( صعيدى ) ( لماذا صعيدى بالذات ) وبالتالى يقول حاتم وبضحكة صفراء ( ضحكة الصياد ) ( ان سيد لديه حماس ثورى ) اما ـ ( ضحى ) فتحاور ( سيد ) حول عمله بالقطاع الخاص كمنادى سيارات طبقة ( بورصة الاوراق المالية ) ويعمل الان بالحكومة ( حكومة الثورة ) وفى هذا الحوار يتحدد الموقف الطبقى لكل منهما ( فسيد ينسف اخلاقيات هذه الطبقة التى لا تعرف الرحمة ) فى حين يهز الراوية رعبا ٠

وخلال شهور بدأت الوزارة كليسما تعرف ( سيد ) فهو قد حصل على الاعدادية وترقى من فئة السعاة الى فئة ( الموظفين ) ( عين ملاحظ عمال ) ، وبدأ يعى مطالب العمال فدخل فى معركة مع ( حاتم ) حول حقوق أجر العمال فى اجازة ( الجمعة ) و ( حاتم ) مفزوع يتساءل ( من ملأ رأسه بهذه الافكار ) ويهدده بالفصل ولكنه يجتاز هذه المعركة ، بصلابة ويرقبه فى عطف وشفقة ( الراوية ) وهو يقول بحماس ( كل شىء قد تغير والبلد الان أصبح بلدنا ، الثورة جعلتها بلدنا اليس كذلك يا أستاذ ؟ )٠

سيغادر ( الراوية ) مصر ( هو ) و ( ضحى ) بعد ان تواصلا عاطفيا الى روما وستعود لما تم فى روما من أحداث مكثفة وكشف عن جوانب جديدة فى شخصية ( ضحى ) كذلك يتعرض الراوية لعديد من التجارب على المستوى الاعلى فى روما ستوضح ازمات حياته ، ولكننا الان نتابع ( سيد ) وتطور حياته ونمو شخصيته٠

عندما عاد ( الراوية ) من روما محملا بالاشجان والاحباط والفجيعة فى حبه لهذه المرأة التى كانت تخفى أعماقا رهيبة من الاسرار فوجىء الراوية أن ( سيد ) ضاعت رجله فى حرب اليمن ، ان سيد قد ادرك بالمعاناة الرهيبة فى حرب اليمن حقائق جديدة لعل ابرزها ( عندما هجم علينا رجال الامام بالليل وراحوا يضربون علينا بالنار من بيوت عالية فى الجبل كان هناك فلاحون يقفون

## بهاء طاهر وعالمه الخاص

معنا بعضهم لم يكونوا يعرفون ضرب النار وكانت تلك هى بيوت كبراء البلد ، ثم يكتشف من حارب من المصريين ومن تاجر كذلك يقول ( اما رجال الامام فكان اول شيء عملوه حين نزلوا القرية هو انهم احرقوا المدرسة الخشبية التى بناها مهندسونا لصناديق الذخيرة ) .

ويغيب ( سيد ) فترة ويرجع من الحجاز وقد أصبح حاجا ، ويحاول بمناسبة الانتخابات الجديدة للاتحاد الاشتراكى بالوزارة أن يستفهم لماذا يرفض ( الراوية ) الاشتراك فيها فهو يثق فيه وفى رأيه ومستعد للتراجع لو علم سنه الحقيقية ، ولكن الراوية يتهرب وتتم الانتخابات وينجح ( سيد ) و ( حاتم ) ومعظم الناجحين ، كانوا من قائمة وكيل أول الوزارة ومن بينهم ( عبد المجيد ، الزوج المتفسر لاخت الراوية ) التى بدأت هى أيضا تتكلم فى الاشتراكية بافتعال كزوجها ، مما جعل البيت جحيما بالنسبة ( للرواية ) الحائر المصدوم فى ابسط واهم داخلياته بعد فقدانه ( ضحى ) وموقفه السلبى الرافض للاتحاد الاشتراكى والثورة ) .

ان ( سيد ) فى رؤية الكاتب وعلى لسان الراوية هو نموذج ابن الشعب الفقير الذى ظل مؤمنا بالثورة غير انه بالممارسة يكتشف ما وراء الظاهر من تناقضات تخبره واكتشفها فى دفاعه عن اجور العمال ، ثم حرب اليمن وفى الاتحاد الاشتراكى وهو يعى بالممارسة أن ( سلطان بك ) وكيل الوزارة الاول ورئيس لجنة الاتحاد الاشتراكى بالوزارة هو رأس العصابة التى تضم (حاتم) وعبد المجيد زوج اخت (الراوية) غير أن الاخطر والذى اثار دهشة ورعب ( الراوية ) أن ( ضحى ) هى الطرف الاقوى فى العصابة وهى التى تتقاسم الرشاوى مع ( سلطان بك ).

ونتساءل هنا ، أليست ساذجة رغم ما يحتمل واقعيتها أن يرمز ( بهاء طاهر ) للطبقة العاملة أو جماهير الشغيلة بنموذج انسانى ليس له أرضية طبقية محددة ، رجل بدأ حياته فى العمل منادى سيارات ، ثم ساعى ، ثم ملاحظ عمال ، ثم موظف كتابى ، تلك النماذج التى تتكون فى طريقة صعودها الاجتماعى سلوكيات انتهازية مع وعى ضبابى طبقى وبالممارسة تخدم هنا وهناك لقد أراد ( بهاء طاهر ) أن يصب ضلالة جماهير الثورة ، وتلاعب الثورة بمصيرهم فى نفس الوقت حتى أن ( سيد ) نفسه ( فقد ساقه فى حرب اليمن ) وهذا هو التبسيط الساذج ، لجدل عملية الصراع الطبقى فى سياق تحولات ثورة ١٩٥٢ ولعلها منطقية لو اخذنا الطرف الآخر ، وهو الراوية كنموذج للمثقف البرجوازى الصغير الذى اكتشف قدرته الثورية فى محنة بسيطة اثناء ازمة الديمقراطية فى١٩٥٤ وسيد نظرته من لحظتها على تحولات الثورة ومؤسساتها ، بمنطق المكتشف للعبة ، وفى نفس الوقت الشاهد المتفرج السلبى .

لقد مارس ( بهاء طاهر ) انبهاره بتقاليد الراوية فى العالم الثالث قضية الشرق والغرب ، والمقاومة الحضارية من ( عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وقنديل أم هاشم ) ليحيى حقى ،

و ( موسم الهجرة الى الشمال ) للطيب صالح ، والحى اللاتينى لسهيل ادريس، لقد أراد أن يقرأ الشخصية المصرية وأحداث ثورة مصر والاحساس بها فى روما ، غير أنه وعلى لسان الراوية وبالتحديد ان التى اوردناها غرق فى تورمات الرومانسية الجديدة ، صفحات وصفحات من الوصف لآثار وتناثر الحضارة الرومانية والحدائق والميادين والتماثيل ، لقد استغرق فى نشوة حب ( ضحى ) وتمازجا حتى وصلا لمرحلة الجنس ، فقد وقع فى براثن امرأة مدربة ابنة الارستقراطية المصرية والتى لها خيوطها التى تكاد تصل للتعامل مع شبكات التجسس الصهيونى ، من خلال صديقة لها وهى التى تعمل بالمعهد الذى يدرس فيه ( الراوية ) و ( ضحى ) للدراسة ·

والقارىء يتساءل ما هو المبرر الروائى لاستعراض ثقافة الكاتب بالاساطير ، واصداء التاريخ فى روما، ثم هذا الحوار والتقريرية الشاعرية التى خلط فيها بين شخصيتى ( ضحى ) و (اسيت) كيف يبرر لنا استخدام الاسطورة المصرية ايزيس وأزوريس فى أبعاد معاصرة لقد سقط فى رمزية الرواية الواقعية المستوفية الشروط التى استنفدها ( نجيب محفوظ ) فى الرمز لمصر بامرأة فى عديد من رواياته ابرزها ( ميرامار ) و ( الكرنك ) ·

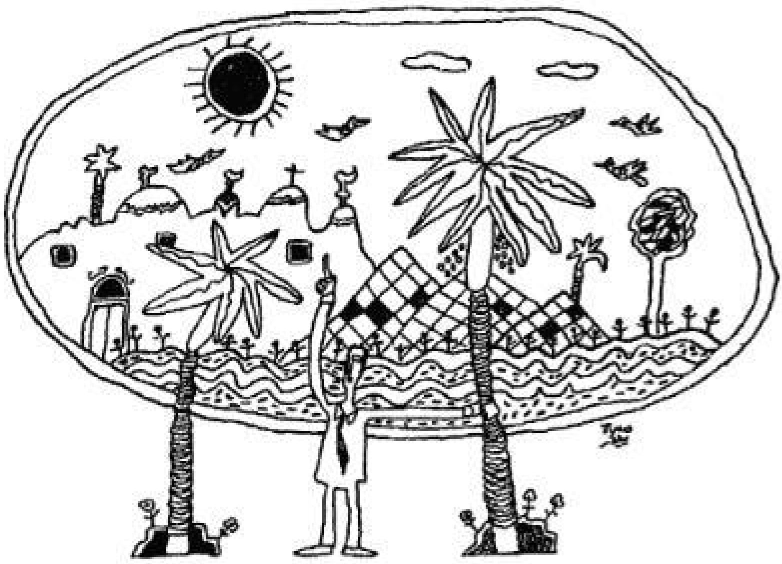
وطبعا لا أنكر على ( بهاء طاهر ) امكاناته الثقافية ولكن الموضوع هو استخدامات هذه الامكانات الثقافية أو تجربة التعرف على عوالم أخرى اللهم الا التورم والظن أنه يتجاوز المكان والبيئة الطبقية التى صورتها الرواية المصرية اننا لسنا ضد تصوير الحدث والتشخصية فى الامتداد المكانى خاصة فى أوربا ولكن لابد من منطق يتسق الرواية هو الذى يحدد هذا وليس رغبة التعالى للكاتب ·

لن نجد بعد تقصى هذه الاحداث ، والنماذج الا استطرادات مملة عن ضياع ( الراوية ) وغربته واقامته الدائمة فى الصفورة يلعب الطاولة والشطرنج ويمارس اللامبالاة والجنس فى زوايا الاماكن المعتمة كأحياء محيطة بالمدافن وخلال هذا الاملال الرومانسى فى وصف ازمة الراوية يتصاعد (سيد) حتى يصبح عضوا فى التنظيم الطليعى، ويكتشف وكر القمار الذى يديره زوج ( ضحى ) والذى يتردد عليه (حاتم) ·

تلك هى رؤية (بهاء طاهر) لتناقضات ثورة ١٩٥٢ وتقلباتها بين اليمين واليسار فى مرحلة ما قبل هزيمة يونية ١٩٦٧ ·

اننا لا نظلم بهاء طاهر ، فهو فى بناء وتشكيل ابداعه الروائى له مهاراته واسلوبه وتصويره للحدث الدرامى وغنائيته الشاعرية وتأثر السرد الروائى عنده بالموسيقى ، فالبناء سيمفونى ، وهناك اكثر من لحن يعزف بتنوعات متناغمة غير ان المهارات التشكيلية تتصدع لشحوب الرؤية ·

من هذه الرؤية الباهتة الساذجة حاول ان يشهد على اضرابات الحركة الطلابية الشهيرة عام ١٩٧١ ، ١٩٧٢ حيث كتب عن اعتصام الطلاب فى ميدان التحرير ( أمل دنقل ) قصيدته المشهورة الكعكة الحجرية لقد حاول بهاء طاهر فى رواية (شرق النخيل) ان يشهد على هذه المرحلة من ثورة ١٩٥٢ ، ولكن هذا موضوع يستحق دراسة مستقلة لاننا سنجد نفس ( الراوية ) الفاقد الهوية الذى كان يعمل بالسياسة ويقرأ ثم قرر الصمت والعزف فى التآكل ·



# الشروق فى بلادى



شعر: سالم حقى

اشرق الصبح يارفاق .. فهيا   نجتلى الحسن فى المروج ندياً

موطن السحر ههنا فى بلادى   مصر فى باقة النجوم الثريا

جنة الارض .. صاغها مبدع الحسن   فاعطى ماشاء فنا ووشيا

كل شىء ، تراه فيها .. قشيب   مسرف فى الجمال ! طلق المحيا

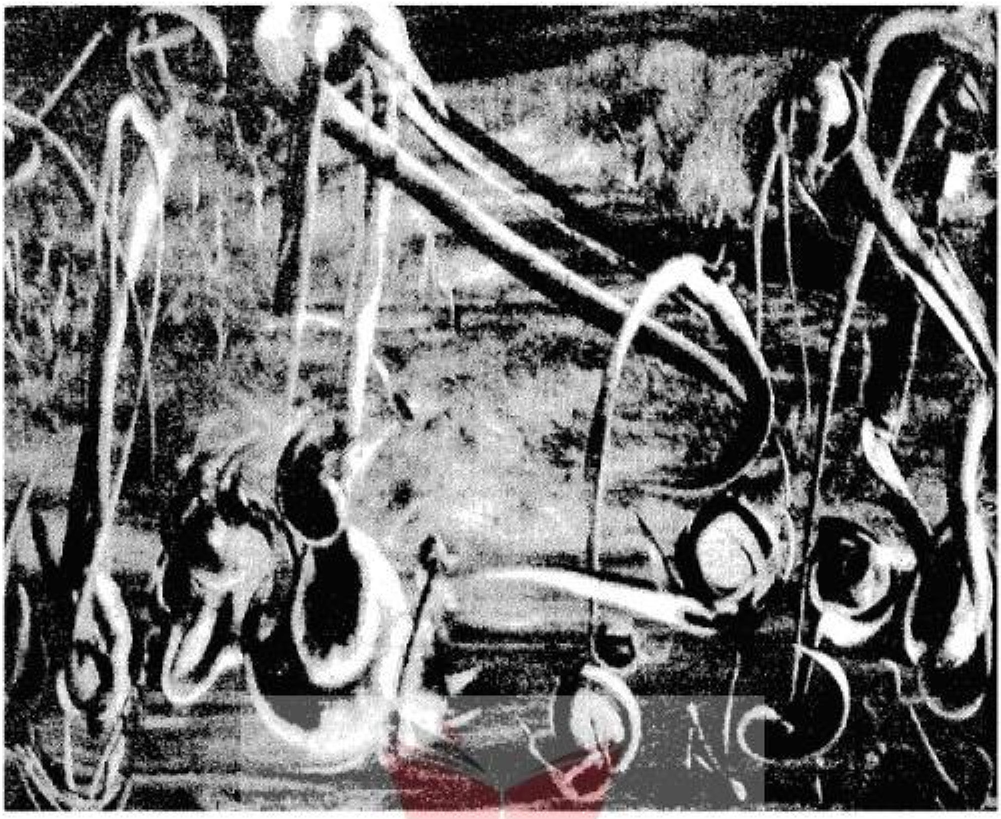
من تغيا يعيش فى كنف السحر
فطوباه ! .. ههنا ما تغيا
انظروا الشمس حين تصحو عروسا
ترسل الشعر مخملا عسجديا !
فى سماء زرقاء .. صحو كقلب
ليس يحوى ضغينة .. أو غيا !
توقظ الكون بالشعاع المصفى
فيلبى .. نداءها الشاعريا !!
فتغنى الطيور فى موكب الأنوار
مرحى .. نشيدها الفطريا
وتميل الأغصان ترقص نشوى
ويهيم النسيم جذلا .. شذيا
يلثم الورد .. والسنابل لهفان
ويشكو .. غرامه العذريا! !
وخرير المياه فى الجدول الحالم
شوق .. ينساب لحنا شجيا
للضفاف الخضراء .. للنخلة السمرا
للنور .. سلسلا ذهبيا
وتخال الأنداء فوق خدود الزهر
دُرّاً .. ولؤلؤا .. وحليا ! !
نفحات .. تشيع فى النفس بشرا
وسلاما .. وروناقا قدسيا
أشرق الصبح فى سماء بلادى
فانهضوا .. نجتلى الشروق مليا
واملأوا القلب بهجة وصفاء
وابتغوا الخير والطريق السويا
واسجدوا للبديع .. حمدا وشكرا
واذكروا الله .. بكرة وعشيا

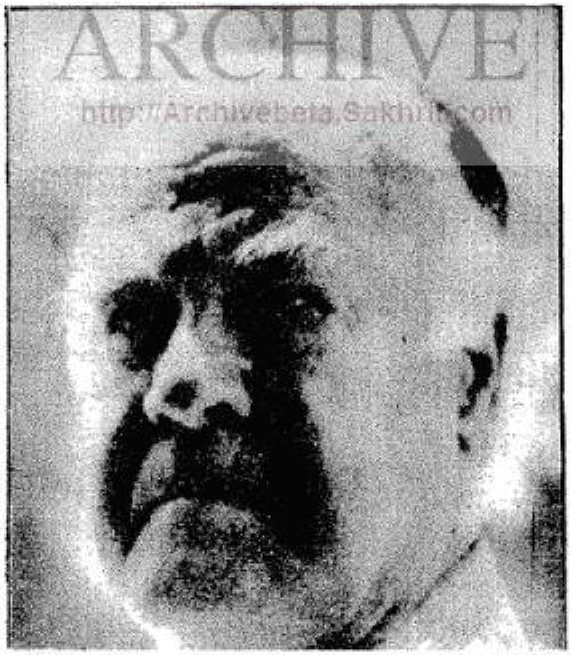
# الثابت والمتغير في لوحات صلاح طاهر

بقلم: محمود بقشيش

ان لوحات الفنان الكبير « صلاح طاهر » تكشف في جملتها عن تداخلات وتناقضات أسلوبية تستوقف المتابع ، وأحيانا تثير دهشته ، لما في انتقالاته من مفاجآت.. تبدو في الظاهر غير مبررة . ان تطوره لم يحدث في صورة توالد مسلسل منطقي يمكن التكهن به . . بل جاء في شكل انقلاب عاصف على ماسبقه ، ورغم ذلك ـ وهذا هو المدهش ـ ابقى عليه .. ليتعايش النقيضان جنبا الى جنب .. بلا تواصل ! . وفي الوقت الذى تنوعت فيه لوحات مابعد الانقلاب ظلت ، واغلب الظن ستظل لوحات ماقبل الانقلاب ـ واعنى بها لوحات «البورتريه» او الصورة الشخصية ـ على ماهى عليه من التزام بالاصول التقليدية والقوالب المحفوظة .. رغم ادراكه ـ فيما اظن ان تلك القوالب لاتسعف بالكشف عن كوامن الشخصية المرسومة .

● وهو لا يمارس المصالحة بين النقيضين الا عندما يكون منصرفا عن ( النموذج / المقتنى للوحة ) .. عندئذ تتألق لمساته وطريقته البارعة في تحريك وحذف عجائب اللون كما في لوحة بعنوان : « فلاحة » .. وهى فلاحة تنتمى الى خيال مبدعها اكثر من انتمائها الى الواقع . عيناها شديدتا الاتساع .. شديدتا الدهشة . وقفتها ساكنة . تذكر بوجوه الفيوم القبطية . تغطى بغطاء قرمى . معبدى . ويبدو أن الفنان لم





# الثابت والمتغير
# فى لوحات صلاح طاهر

يكن يريد لنا أن نستدرج الى ايحاءات الوقار والسكون فبث فى خطوطه المؤطرة انفعاعات حاسمة ، وملأ جسد المرأة باللمسات الجريئة ، البارعة ، المتنوعة ، فاشاع نوعاً من الحركة المحسومة وان حوصرت بالوضع السكونى ، النحتى ، للمرأة ، قامت اللمسات بدور اخر هو الترجمة البصرية لعناصر المرأة ، فاللمسات تأخذ شكلا لولبيا مع جدائل الشعر ، ودائريا مع كتلتى الثديين ، وعريضا وممتدا مع الملاءة ، بل ان زخارف الفستان ومنديل الشعر وجدت من اللمسات ما عبر عنها .

على الرغم من تناقض هذه اللوحة اسلوبيا مع معظم لوحات «البورتريه» الاخرى له فانه لا يتناقض جوهريا معها .. بمعنى التمسك بنفس الاساس التكوينى والطابع السكونى والموقف التبريرى لعمل صورة شخصية ، أى خلق الملابسات الشكلية لالتقاط صورة ( رسمية ) .. يظهر فيها النموذج فى أحسن حالاته . وهو تصور ساد جيل « صلاح طاهر » من رسامى البورتريه أمثال « حسين بيكار » .. و « عز الدين حموده » . وجعل هذا التصور مهمة الكشف عن مكنون « النموذج » محفوفا بعوائق الاناقة الخارجية وحاجز الوقار والسكون .. غير أن « صلاح طاهر » كان اقل مبالغة من زميليه فى اغراق سطح اللوحة بما يستوقف العين من المشهيات .

ومهما كانت الاسباب الاجتماعية والاقتصادية التى جعلته يتمسك باسلوب بعينه مع موضوع « الصورة الشخصية » فان العودة الى الطبيعة بين الحين والحين ودراستها تصقل مهارات الفنان وتشحنه بالجديد من الزاد . وفى ظنى انه لكى نجسد او نصف ما يعتمل فى نفوسنا من انفعالات علينا اولا ان نكون قادرين على وصف ما يدور امام عيوننا من اشكال .

## ● نقطة التحول

حتى عام ١٩٥٦ ـ اى قبل رحلته الى الولايات المتحدة الامريكية مباشرة ـ كان يدخل فى اطار الفنانين

الاكاديميين الذين يعدون الاسلوب « التأثرى » أقصى درجات ثوريتهم ، ولم يكن يشارك الجماعات الفنية التى عاصرها فى الاربعينيات طموحاتها فى تجديد ملامح الفن المصرى ، أو التمرد على القديم من القوالب الفنية ، أو الاعتراض على أوضاع سياسية واجتماعية تدعو لذلك .. بل اتخذ دائما من المواقع الرسمية التى كلف بها معبرا الى توصيل الثقافة الفنية . ولم يكن يحفل بالاسلوب السيريالى والاسلوب التجريدى الذى ظهر على أيدى جماعة « الفن والحرية » على وجه الخصوص .. ربما بسبب وجودها ـ أى الجماعة ـ فى موقف الضد من الثقافة الرسمية والسياسة الرسمية .

وبسبب الغزو السيريالى والتجريدى المرفوض كان يحتمى بعالم لوحاته الريفية ، التى كانت تتغنى بحياة ريفيين هانئين .. لا علاقة لهم بالواقع ! .. ثم اعتنق ما سبق أن رفضه فى مدينة « بوسطن » بالولايات المتحدة الامريكية .. على الرغم من أن الفنانين الامريكيين كانوا مثل المصريين من حيث أنهم لم يبدعوا الاسلوب التجريدى بل نقلوه ! ..

وهناك التقى بلوحة تجريدية لفنان مجهول . فوجىء بفوزها بالجائزة الاولى .. فى معرض من المعارض السنوية الكبرى . لقد أدرك هناك ـ فيما أظن ـ أن القيم الفنية ثابتة وان تبادلت مواقع التأثير والاهمية ، فقد يحفل اسلوب فنى بالقيمة اللونية أو اللمسية أو الضوئية الخ .. ويغلبها على بقية العناصر لتحقيق غرض تعبيرى أو تنظيرى ما . جعلته تلك اللوحة التى نسى اسم مبدعها أن يستخلص حكمة ما .. وكانت الحكمة التى استخلصها هى ضرورة الانقلاب على نفسه ! .. وفى لقاء قريب معه أخبرنى بأنه ظل عاما كاملا مستغرقا فى انتاج اكثر اللوحات تطرفا فى التجريد ، غير انه حاسب نفسه بقسوة فى نهاية المدة ، فقد اكتشف أن كل ما انتج مستعار من لوحات الاخرين فقرر الاقلاع فترة عن التجريد ، واستلهام الطبيعة من جديد .. الى أن استقر على ثوابت شكلت فيما بينها ملامحه الاسلوبية الخاصة .

## ملامح تجريديته

لو اتفقنا مع عدد من النقاد ومع الفنان نفسه فى وصف جزء من انتاجه بالتجريدى فاننا نلاحظ خلافا واضحا بين تجريدية « صلاح طاهر » والتجريدية الغربية ـ باعتبارها الاطار

# الثابت والمتغير في لوحات صلاح طاهر

لوحات صلاح طاهر .. عين مثقفة ، ويد بالغة المهارة





احدى اللوحات الربلية .. فى ثياب سريالية

# الثابت والمتغير
# فى لوحات صلاح طاهر

المرجعى لهذا الاسلوب . وأول نقاط الخلاف وأهمها بين التجريبيتين هى ان اسلوب « صلاح طاهر » لا ينفى بعض المشابهة مع الواقع المرئى ، ولا ينبذ التجسيم ..بل يتجه به احيانا الى أن يكون نحتيا . وأبداعه يتسق مع التصور الرامى الى وصف الذاكرة المصرية للفن بأنها ذاكرة الاشكال المجسدة والواصفة للواقع ، والميالة للبناء ، وتظهر تجلياتها فى آثار الفن المصرى القديم والفن القبطى ومدرسة الاسكندرية ، ففى لوحة « موقعة حربية » والتى انجزها عام ١٩٦٧ تلمح فيها ما ذكرته من خصائص فالعين لا تخطىء التعرف على أشكال السفن المتصادمة .

كما نشاهد فيها استبقاء لاصول المنظر الواقعى تكوينا واحتراما للفضاء ، ويلمس المتلقى احترامه لاسس التصميم الكلاسيكى فى لوحاته التجريدية وغير التجريبية على السواء .. بل ان بعض لوحاته تشبه تصميمات يمكن تطبيقها معماريا كما فى مجموعة بعنوان : ( معبد ) ..

وحتى عندما يصف لحنا موسيقيا فانه يقدمه مجسما . منحوتا . واضح المعالم . كما فى لوحة : ( نغم ثلاثى ) ان اللافت للنظر فى مرحلة ما بعد الانقلاب هو اتجاه اللون الى التقشف الشديد ، فاللوحة يسيطر عليها لون واحد يساعده لون آخر .. ليس فقط للترميز أو الاقتصاد الاعلانى ولكن ـ فى تقديرى ـ للتركيز على القيمة الخطية .

## الحروف والكلمات

برز ارتفاع المد الاحتفالى لاستلهام جماليات الحروف العربية بين الفنانين العرب انتقاله الى عالم الحرف العربى . قدم ما لم يتناقض به ـ هذه المرة ـ مع اسلوب فنى سابق فلايزال ملتزما بمنهج الاقتصاد البليغ فى اللمسات . قد تصل عدد لمسات اللوحة الواحدة الى خمس لمسات .. وربما أقل ، كما فى لوحة تعبر عن حرف الـ « ح » ، حيث رسم هذا الحرف بلمسة عاتية . متقنة وبارعة . يشبه قوساها موجة دوامية .. تتسيد كل مسطح اللوحة . ولا ينبذ فى رحلته الجديدة ما تعلق به فى مرحلة ما قبل وما بعد الانقلاب : أعنى

التجسيم والاعتراف بالبعد الثالث ، والباس الحروف ايحـاءات بكيانات انسانية ومعمارية ٠ اختار لتجربته الحروفية الجـديدة كلمة « هو » ٠٠ يقول عنها انه قدم نحو ٤٠٠ تنويعة عليها ٠

ان ما يتبدى فى حروفه يتسـق من أبرز الملامح فى تراثنا الفنى : اعنى عدم نبذ المشابهة فى الواقع المرئى ، والعناية بالبنائية ٠٠ الى آخـر تلك الملامح التى ذكرتها فى سياق الحديث عن ابداعاته ٠

ان لوحاته تجعلك تستشف منها ـ مهما كانت درجة اختلافك معه ـ عينا مثقفة ، ويدا بالغة المهـارة ٠٠ فى تحريك عجينة اللون ، كما تستشف ايضا فنانا عاشقا لموسيقى الخطوط ٠

قال لى : احيانا أعود الى لوحة استلهمها من عمل موسيقى فاكتشف اننى نسيت تصـوير بعض التفعيلات الموسيقية فاضيف نغمة هنا او هناك ! واضـاف : لو لم اكن رسـاما لكنت مؤلفا موسـيقيا بغير شك ٠٠ ولكنه القـدر ! ٠

## بطاقة تعريف

- ولد بالقاهرة عام ١٩١٢ ٠
- تخـرج فى مدرسـة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤ ٠
- تولى مهمة الاشراف على مرسم كلية الفنون الجمـيلة بالاقصر عام ١٩٤٣ ولمدة عشر سنوات، واحتل عددا من المناصب منها :
- مدير المتاحـف الفنيه ومدير مكتب وزير الثقافة والارشـاد القومى ومدير الادارة العـامة للفنون الجميلة كما تولى ادارة دار الاوبرا واخيرا يعمـل مستشارا فنيا لمؤسسة الاهرام ٠
- قام بترجمة كتاب فى ظلال الفن بالاشتراك مع احمد يوسف ، كما قام بمراجعة ترجمة كتاب ( حول الفن الحـديث ) الذى ترجمه كمال الملاخ ٠
- حصـل على جـائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤ ٠

# أسرار السرو

## قصة قصيرة :
## بقلم : اعتدال عثمان

● فجر صيفي · اشجار السرو متاهبة في تسامقها ، وكانها جند قد استدعاهم الليل في نوبة صحيان · قاماتها مشدودة في اهاب الظلمة · واطراف قممها الابرية حراب تخز كبد السماء ، ولا تسمح للريح ان تفلت اعنة الهبوب الرخى ، او تطلق نسائم الحياة في هذا الفجر الكابي ·

رائحة مفعمة بالسر تفوح في اركان الكون وبالسماء غموض وابهام ونذر موقوتة ، تتوجس منها طيور متوفزة في الاعالي ·

وحتى الارض المنبسطة في استواء وسكينة ابدية ، المنداحة في آفاق ليلكية الزرقة ، بدت اليوم على خلاف حالها ، تتململ · يغلي باطنها بانصهار غير مرئي · تدمدم باصوات حبيسة تحت السطح تتكلم لغة قديمة كالازل ، حاضرة ابدا ، تظهر وكانها منسية او مخفية · لغة يعرفها اهل المكان ويحفظونها في قلوب غويطة بلا قاع مثل الزمن · لكن ابدا لا تنطق بها الشفاه ، الا في يوم مثل هذا ، صحت فيه ارضهم على شقوق العطش · تتسع الشقوق مثل الجراح ، وهم على انتظار صبور لفيض غزير مؤجل ، يغمر الارض ، فتلتئم منها الشقوق الجراح ، قبل ان تجار فتسوق الاحزان والخيبات الدفينة المترسبة ·

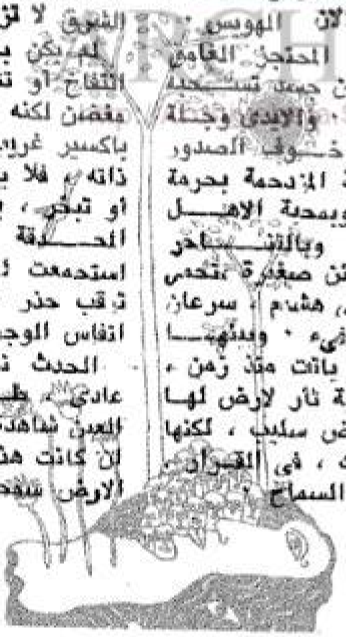
في العيون كلام صامت الابدان والارجل كلها متواطئة على امر واحد ، عازمة على التوجه صوب مكان واحد ، تلفه الآن الهويس ·

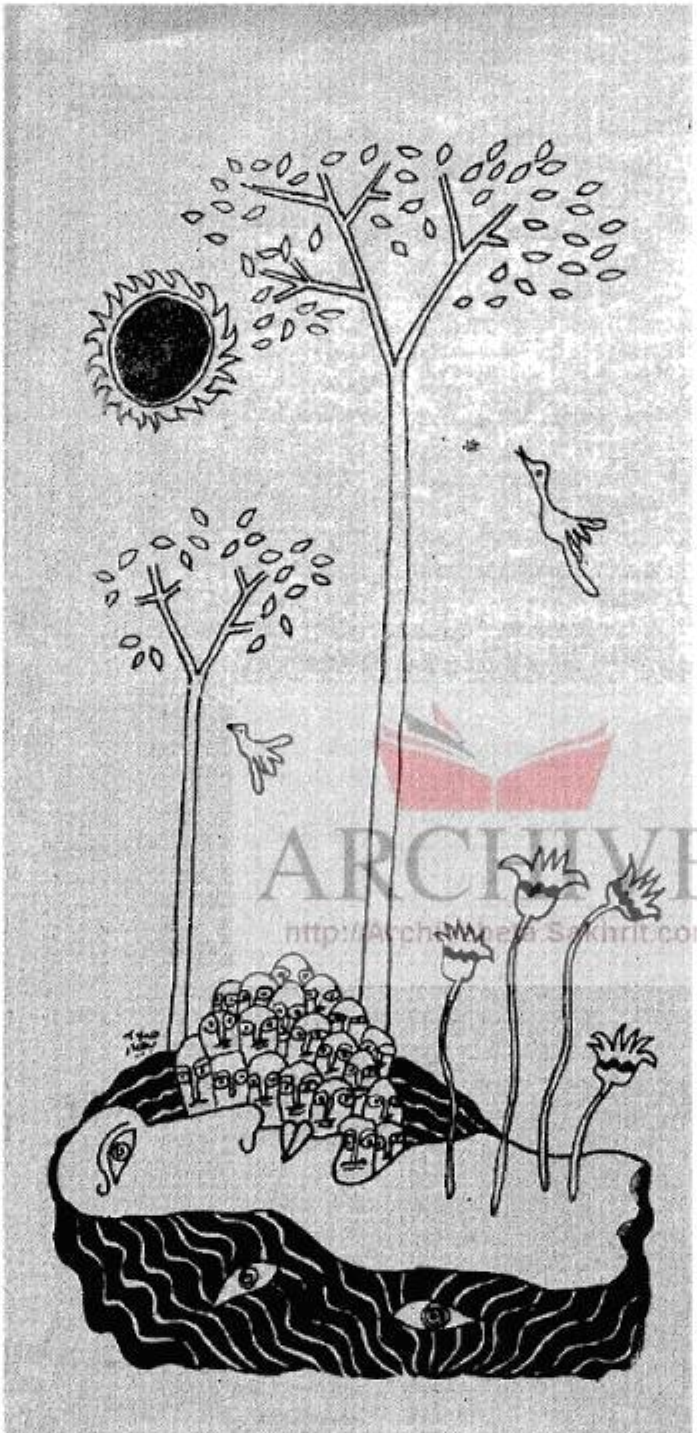
الماء المحتجز الغامض يبدن عن جسد تستجديه الايدى · والايدى وجلة تغالب خشوف الصدور العامرة المزدحمة بحرمة الموت وبمحبة الاهل وبالفقد وبالتشاجر وبضغائن صغيرة تتحدى كثار في هشيم ، سرعان ما تنطفىء · وبينهما صدور باتت منذ زمن على قمة ثار لارض لها او عرض سليب ، لكنها مع ذلك ، في القرار ، تتمنى السماح ·

وجلة هي الايدى ، والابدان ترتعش منها ارجل غائصة في الوحل ، لكنها تجاهد كي تسحب الجسد الطافي · تغالب وتواطئها يغلب ويسحب ، حتى يسجى الجسد ، مكشوفا في وضح الصبح ومن فوقه عين الشمس ، مائلة الى الشوق لا تزال ·

لم يكن بالجسد انتفاخ او تشوه · الجلد مقضن لكنه حي ، ناضح باكسير غريب ، يتزوى من ذاته ، فلا يعتريه جفاف او تبقع ، بفعل العين المحدقة ، تلك التي استخدمت لهيبها في ترقب حذر ، حبست له انفاس الوجود ·

الحدث نفسه امس عادي ، طالما كانت العين شاهدة عليه ، منذ ان كانت هذه البقعة من الارض منفتحة في ادوها





البهى ، تلبس الاخضر على امتداد الفصول وانصرام السنين ، ومحتشدة فى باطنها باسرار ناسها ، احلامهم واشواقهم وخطاياهم ·
تحملهم على ظهرها وتشكلهم ، تجعل منهم انصاف الهة او طغاة احيانا ، تعزهم او تدمغهم بالطاعة ، ثم تغيبهم فى حناياها ·
وكل حين ينجلى المخبوء فى ساعة مثل هذه الساعة ، عن جسد يحمله التيار حتى الهويس
لكن ما بال الارض اليوم تتشقق احشاؤها· والناس صبار شوكى تطل منه عيون بكماء ، تتزين صدورهم بعقد محموم من خفق القلوب، وشىء ما قد ختم على الافواه · الجسد مسجى فى مركز الارض وجند شجر السرو ما برح مشرع الاسنة ، والصمت يريم على المكان ، ثم يحوم · والكل وكان على رءوسهم الطير ·
اخيرا ·· اخيرا ، انقض طير الكلام ، جارحا نهما ·
الجمع يتكلم فى آن واحد،ولا احد يسمع يتعقد الكلام فى سماء الناس ويدوم · سحابة من اصوات مختلطة تهمى برذاذ عبارات ناقصة · تكهنات ولعنات واسترحامات لا تنتهى ·

## أسرار السرو

ارتجافات شفاه بمودات وذكريات • افكار ورضا قسمة ونصيب • أعمار مقهورة أو مستباحة ، وكيفما كانت لابد من التصالح معها والعيش بها ، والزمن كفيل بأن يفتت كل شىء ، وأى شىء ، ولا يبقى سوى رضوخ ايام تتسرب فى سنوات متشابهة • لكن الحزن كان قد غافلهم وتحوصل فى حبة القلب واليوم ، وبدون أن يدرى احد ، اخذ المكبوت يتفتق وحبة القلب تتصدع وتسقط عنها قشرتها السميكة ، أما الجسد المسجى ، وقد تحلق الناس حوله •

فجأة وكأنما بأمر من دخيلة واحدة ، متوارية فى أعماق اصحابها ، دخيلة جمعت بينهم بعد ان فرقهم الصخب وفوضى الكلام وشتات الذكريات ، ساد الصمت من جديد •

صمت هذه المرة قد زايله وقع الحدث المألوف ، بياغتهم ذاك الخطب وكأنهم ما انتظروا وما توقعوا ابدا حدوثه • صمت اصبح عيونا تتسع احداقها السمراء ودوائرها الدامية بالسهر والكيف ، المغروسة فى اديم الجلود المناسبة المصمصة بوقد لا يرحم • والشمس ذاتها تسمرت فى موضعها ، وارجوانها الحمى صار يتداح فى دوائر لا نهاية ، تبتلع المكان •

كان الجسد قد بدأ يتمطى وكأنه يفيق من نوم طويل ، أرقه رذاذ الصخب المتساقط • صدره الضامر لا ينتفخ بالهواء لا يعلو ولا يهبط ، وانما يتمدد فى المساحة الفارغة ، المحكومة بحلقة الناس • كانت ذراعاه مكدودتين بعمل ما ، شاق ومجهد ، تحتشدان ، مع ذلك ، بطاقات عزم هائل ، بدا فى العروق النافرة وفى أصابع مسحوبة تخط على الارض نقوشا متشابكة •

الرأس الكهل مكلل بهالة بيضاء كأنها نور ، يومىء ايماءات يسيرة منتشية بأنغام ترنيمة او ذكر كونى غير مسموع الا فى أذنيه • ومع الايقاع الشجى الانسيابى تلين أخاديد الاحزان وتتفرج أسارير الهم والفكر ويذوب الوجه فى رونق بهاء أيس بأرضى •

الجسد كله تعتريه انتفاضات هينة ، تكاد لا تلحظ ، لا تصاحبها صحوة او نعاس ، بل استطالة فى الذراعين ومساحة النقوش المخطوطة تزداد شبرا شبرا ، والصدر يلسع معها وحلقة الناس تكبر ، الدانى منهم يفسح موضعا للقاصى من اجل ان يتملى المشهد العجيب

رأى الناس الجسد يتعملق ، حتى كاد يبلغ حدود الوادى ، وفى الصدر ينمو زغب مخضوضر كثيف يتحول بسرعة مذهلة الى سيقان سميكة منتهية بأوراق عريضة داكنة الخضرة ، ممتلئة بعصارات النيل ، من بينها تبرز تيجان اللوتس ، شاهقة ، تتكاثر من نفسها وتتفتح كعهدها لعين السماء •

الساقان تنفرجان ، وما بينهما رحم مفتوح ، بحجم الارض ، تتعلق اجنة لا حصر لها بجدرانه الطرية الزلقة • الأجنة لا تنزلق وانما تتشبث بذوائب معقوفة ، تنبت لها فى الحال • يتكور كل جنين منها على نفسه ، كأنه ينافح عن وجود له مهدد من قوى تضمر له فناء او اجهاضا ، مثلما تجهض الفكرة ، وكالفكرة أيضا ينمو الجنين ويستوى خلقا مكتملا ، يخرج بقوة دفع ربانية • يخرج متعثرا بالدهشة والغربة ؛ اول الامر ، ثم ما يلبث ان يشق طريقه فى النور وينضم الى بقية الخلق •

شـــــريط الارض الخضـــراء ، الذى بدا ضيقا مزدحما ، تكشف اليوم عن طيات اخـــرى له مختزنة فى الصحارى المحيطة • وحين تداخل الاخضر واليابس ،ايقن الناس انه سيقال الان ولاعوام كثيرة تاليـة ، ان ما من حبة رمـــل الاوتقشـــت عليهــــا اليد شـــيئا ، وما من احـــد ، من اولئك الذين قد اتـــوا من كل فج عميق فى ذاك الصبح، الا وشهد ، فى مخلوقات الرحم المفتوح ، ما كان ما يكون ، ما ســـوف يكون • ايقن الناس ذلك كله على حين كـــانت الاجنة تتكاثر ونبت النيل يتكاثر وزهـــور اللوتس تتفتح كعهدها بغير انتهاء

وحين حلت الساعة ، واصبحت الشـمس فى وسط السمــاء ، وحين تساوى الظل بالجســد الحى وتلاقيا فى نقطـة البدء والمنتهى ، النقطة التى هى كمال الوجـود ولابد بعدها من افول ، حين ذاك ادرك النـاس العلامة ، فانقض الكلام من جديد،وصاح الحشد بصوت واحد :

ـ نفتح الهويس •

ولما كان البدء علامة والمنتهى علامة ، وكانت العلامة كلمة ، والكلمـة سر يتخلق فى رحـــم الروح ، ثم يتجســد صوتا او نقشا ، يشغل الفضاءوالحجر والورق، ولما كانت اليد قد خطت منتهاها وملات صحارى الورق ، ولما ادرك الناس السر ونطقوا الكلمة ، اذ راوا الشمس تمد اذرعها الالف ، كى تســـترد وديعتها ، لما كان ذلك كله وليس قبله ، فقــد ســـكنت الارض وكف تململ الجســـد وعاد متكمشا الى بدنه الاول•

عندئذ هب الكل هبة واحدة وحملوا الجسـد الى فوهة الهويس وقـــد بدات بواباته حركتهـا ، ثقيلة وئيدة ، تدافع معها الماء المحتجز ، متخـــللا شـــقوق الارض ، تلك التى باتت تنبت الخلق والنبت والاحــــزان • وكان الماء يتدافع حاملا البدن الكهل الخصـــب ، اخر الجدود،اخر الاباء، الى الافـــق اللازورد ، حيث تنتظر عروس البحر التى هواؤها عنبـــر وترابها نشوان •

والشمس ، وكانت فى المنتصف ، ابت الان الى رحيل محتوم ، غيـــر انها وهى تنحـــدر الى الغرب فى مغيب البحـر الكبير ، جادت بزفرة ، جعلت ذؤابات شجـــر السرو ، هنـــاك على البعد ، تهتز متهدجـــة فتلين اعطاف قاماتهـــا المشرعة وتتشابك منهـا الاغصان لحظة •

لحظة ظليـــلة كانت كافية لان يسترد النـاس انفاسهم • لحظة واحدة فى نعمة الظل • لحظـة كافية لعـــودة الروح ، واصل الناس بعـــدها سعيهم فى هجير الارض فى عيونهم لا يزال عزم دخيلة واحدة متـــوارية فى الاعمـــاق • وفى قلوبهم ذكرى حيــــة وعرفان بانه عنـــدما يصير الوقت الى خلود، سيرونه من جديد ، ذلك الواحد المتعدد ، لانه صائر الى هناك ، وباق معهم ، حيث الواحد فى الكل •



● من ذخائر الكتب العربية

# العالم والغازى :
# لقاء ابن خلدون وتيمورلنك

بقلم : مصطفى نبيل

**ونمضى مع العلامة ابن خلدون وهو يروى سيرته الذاتية .. نتوقف عند ذلك اللقاء التاريخى الذى جرى فى ظروف بالغة الدقة ، على مشارف دمشق ، فى صدام أقدار وسط أحد الصراعات التاريخية الكبرى ، ومع صليل السيوف وبين المعارك الضارية ..**

**جمع اللقاء بين أكبر علماء العصر ، وأكبر قادته العسكريين العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، والغازى تيمورلنك .**

**يتعرف كل منهما على صاحبه ، ويرى كل طرف لدى الآخر ما يقدمه ، يلتقى القلم والسيف ، المعرفة والقوة ، العلم والدهاء ، يأمل ابن خلدون - وهو المؤرخ - فى التعرف على هذه الشخصية التى أذهلت العالم ، ويحلم تيمور أن يصل بسيفه وفرسه الى آخر الدنيا .**

**فهل يقربه ابن خلدون بمعرفته من غايته .. ؟ !**

● روى لنا ابن خلدون فى كتابه «التعريف» ، كيف هيأت له اقامته فى مصر التى استمرت أربعة وعشرين عاماً ، ثلاث رحلات هامة ، مرة ليؤدى فريضة الحج ، ومرة أخرى لزيارة فلسطين والتجول فى القدس ، والثالثة فى صحبة السلطان فرج الى دمشق للدفاع عن المدينة أمام تهديدات قوات تيمورلنك .

وسنتناول رحلته الى دمشق ، وما حفلت به من مغامرات سياسية ، والتى وصفها ابن خلدون وصفا حيا مستفيضا ، لا ينقصه الصراحة والوضوح ، ومدخلنا



ابن خلدون

الى هذه الرحلة السباق الذى تمت فيه . والذى مهد للقاء عالمنا بذلك الغازى المندفع من سهول آسيا .

لم تكن هذه الموجة العاتية التى قادها تيمور ، هى الموجة الأولى ، فقد سبق وصدت القوات المصرية الموجة التترية الأولى فى موقعة «عين جالوت» ، بعد ان اجتاحت امامها كل شىء ، أسقطت الخلافة العباسية ، واستولى هولاكو على العاصمة بغداد ، وجرت الدماء انهارا ..

ولم يمض وقت طويل وبدأت الموجة التالية التى يقودها نجم بازغ هو تيمورلنك الذى اقام دولة قوية عاصمتها سمرقند ، وأخذ يشعل الحرب سنويا ، وفى كل مرة يقضم مملكة او امارة من حوله ، ووصل بقواته من موسكو الى نهر الكنج ، واستولى مرة أخرى على بغداد ، وأرسل رسله الى القاهرة ، الا ان السلطان الظاهر برقوق ، عمل ما سبق وقام به سلفه الظاهر بيبرس ، واعدم رسل تيمور رافضا التهديدات التى حملوها ، وقاد قواته متوجها الى الشام لمواجهة حملة تيمور ، وسرعان ما غير تيمور اتجاه حملته وتوجه بها الى الهند .

وعندما علم بوفاة السلطان برقوق ، عاد وتوجه الى الشام ، ويذكر ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة .. «بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، فكاد يطير بموته فرحاء . ويذكر السخاوى فى الضوء اللامع .. «لما بلغ تيمور موت الظاهر برقوق ، فرح وأعطى من بشره خمسة عشر الف دينار ، وتهيأ للسير الى بلاد الشام» .

وكتب على مؤرخنا ابن خلدون ان يشهد تلك الأحداث الجسام ، وأن يسجل وقائعها ، ولم يعد مؤرخ المغرب والاندلس فحسب ، بل ومؤرخ المشرق العربى ايضا

● سقوط حلب

كانت القاهرة ترقب زحف تيمور وانتصاراته بحذر بعد فقدان سلطانها ، وتعيش مخاطر انتقال السلطة فى ظل أمراء المماليك المتنازعين ، وتولى السلطنة فرج بن برقوق وهو مازال طفلا

صغيرا ، وحين تصل حملة تيمور الى مدينة حلب ، بعد أن أخضعت كلا من فارس والعراق ، وبعد ان قضت الحملة على الحشاشين فى مذبحة رهيبة ، يصل تيمور الى حلب وقد زين تاجه باكثر من مملكة غنية ذات تاريخ قديم ، واستمر ظمؤه للقتال لم يخمد ، وتتحرك قوات المماليك يقودها السلطان فرج ، ويصحب السلطان ـ كعادة ذلك الزمان ـ الخليفة والعلماء والقضاة ومن بينهم عالمنا ابن خلدون ..

ويستعرض ابن خلدون جيش تيمور بقوله : «القوم فى عدد لايسعه الاحصاء ، إن قدرته الف الف ، فغير كثير ، ولا تقل انقص ، وإن خيموا فى الارض ملأوا الساح ، وإن سارت كتائبهم فى الأرض العريضة ضاق بهم الفضاء ، وهم فى الغارة والنهب والفتك بأهل العمران ، وابتلائهم بأنواع العذاب ، على ما يحصلونه من فئاتهم آية عجب ، وعلى عادة بوادى الاعراب» .

ويروى لنا «وساد العبث والنهب والمصادرة ، واستباحة الحرم بما لم يعهد الناس مثله .»

● حول دمشق

وتحركت قوات تيمور بعد تدمير حلب الى دمشق عن طريق حمص وبعلبك ، وتحركت قوات السلطان الناصر فرج للدفاع عن دمشق .

ويسجل لنا ابن خلدون السجال الذى



حروب تيمور كما سجلتها ريشة الفنان العربي

وقع بين الفريقين ، ففى ذات اليوم الذى وصل فيه السلطان ، دحر مائة فارس مصرى ألف جندى من طلائع جيش تيمور ، ويذكر شرف الدين اليزدى مؤرخ بلاط تيمور .. «أن **الخيالة المصرية كانت أحسن خيالة العالم**» . وفرت جماعة من جيش تيمور ولجأت الى السلطان فرج ، واخبروه بنقاط الضعف فى قواتهم ، وكان بينهم حفيد تيمور سلطان حسين ، وبعد فترة وجيزة من الاشتباكات عرض تيمور الصلح والانسحاب ، واطلاق الاسرى وطلب



قلعة دمشق : الاسوار الباقية



الأفراج عن أحد امرائه المسمى أطلمش وهو زوج ابنة تيمور الذى سبق ان خطف وأسر وسلم للسلطان فى القاهرة .

وخلال الاستعدادات للدخول فى معركة فاصلة ، وردت للسلطان فرج انباء حول مؤامرة لخلعه تجرى فى القاهرة ، فعاد اليها مسرعا .

ويروى ابن اياس القصة بقوله : «حضر السلطان الى الديار المصرية على حين غفلة ، وحضر صحبة الخليفة المتوكل وجماعة من النواب ، وهم نائب الشام ونائب صفد ونائب غزة وغالب أمراء دمشق ، وحضر مع السلطان من العسكر نحو الف مملوك وحضر مع كل امير مملوكان من مماليكهم ، وليس معهم برك ولا خيول ولا قماش ، وكان سبب حضور السلطان على هذا النحو ، أن عسكر السلطان بعد أن أوقع مع عسكر (تمرلنك) مرتين وهو ينكسر ارسل تمرلنك يطلب من السلطان الصلح ، وأرسل الى السلطان اميرا من أمرائه يمشون بينه وبين السلطان فى أمر الصلح ...

وبلغ السلطان فى تلك الليلة ان العسكر تقلبوا عليه ، وهرب منهم جماعة من

الأمراء تحت الليل .. فقام الأمراء على السلطان وأركبوه غصبا وخرجوا من دمشق قبل التسبيح .. وكان سبب تسحب الأمراء من دمشق أن جماعة تقلبوا هناك على الملك الناصر وخرجوا من الشام وقصدوا مصر ، لكى يسلطنوا الأمير لاجين الجركسى ، فلما تحقق الأمراء من ذلك قاموا على السلطان وأركبوه غصبا وخرجوا من دمشق» .

وهاهو السلطان يغادر دمشق بعد أن قاتل دفاعا عنها اسبوعين

● أهالي الشام

وفجأة يلحظ اهل الشام انسحاب قوات المماليك ، ويتصورون انها خطة مدبرة من اجل الالتفاف خلف خطوط تيمور ، ومالبثت الحقيقة ان ظهرت ، فالمدينة التاريخية بدون حماية ، وحتى حاكم دمشق تغرى بردى ـ والد المؤرخ المعروف ـ رحل مع السلطان ، وبقى اربعة امراء وقواتهم محصنين فى القلعة ..

عندها لجأ أهالى دمشق الى الفقهاء والقضاة ، فاجتمع العلماء والفقهاء ، ومدينتهم تحت الحصار ، إذا اقتحمها تيمور حربا فسيفعل ما سبق وفعله فى حلب ، وجاء الفرج ، عندما نادى رسول تيمور تحت أسوار القلعة .. «الأمير يريد الاتفاق فابعثوا من يفاوضه» ، وانقسم اهل الشام ، ورفض الجنود فى القلعة اى صلح او تفاوض مع قوات العدو ، أما العلماء والفقهاء فقد قصدوا الغازى يطلبون الامان لأهل دمشق .

وعندما قصدوا الخروج من باب النصر للمفاوضة ، منعهم جند القلعة ، فتدلوا من السور ، وفى هذه الظروف يبرز دور ابن خلدون على المسرح السياسى ، والذى تركه المماليك وراءهم .

وينقل لنا ابن خلدون ، صورة تاريخية حية تختلط فيها مشاعر الخوف والأمل .

يقول : «وجاءنى القضاة والفقهاء ، واجتمعت بمدرسة العادلية ، واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير تمر (تيمور) على بيوتهم وحرمهم ، وشاوروا فى ذلك نائب القلعة ، فأبى عليهم ذلك ونكره ، فلم

مخطوط كتاب "التعريف" بخط وتحقيق ابن خلدون





ـمور وحوله الاتباع والامراء

يوافقوه ، وخرج القاضى برهان الدين بن مفلح ومعه شيخ القراء ، فأجابهم الى التأمين ، وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة ، فخرجوا اليه متدلين من السور ، فأحسن (تيمور) لقاءهم ، وكتب لهم الرقاع بالامان ، وردهم على أحسن الآمال ، واتفقوا معه على فتح المدينة من الغد .. وأخبرنى القاضى برهان الدين انه سأل عنى – والحديث مازال لابن خلدون – وهل سافرت مع عساكر مصر ام اقمت بالمدينة ، فأخبره بمقامى فى المدرسة حيث كنت ، وبتنا تلك الليلة على اهبة الخروج اليه ، فحدث بين الناس تشاجر فى المسجد الجامع (المسجد الاموى) وأنكر البعض ما حدث من الاستنامة الى القول (التخاذل) وبلغنى الخبر فى جوف الليل ، فخشيت البادرة على نفسى ، وبكرت سحرا الى جماعة القضاة ، عند الباب ، وطلبت الخروج او التدلى من السور ..»

وتدلى ابن خلدون بالحبل من السور ، بليل وهو كهل عجوز فى السبعين من عمره فى مغامرة سياسية محفوفة بالمخاطر ، يتنازعه الخوف على نفسه وعلى ابناء دمشق .

ويضيف ابن خلدون .. «فوجدت بطانته (بطانة تيمور) عند الباب ، ونائبه الذى عينه للولاية على دمشق واسمه شاه ملك ، فحييتهم وحيونى ، وفديت وفدونى ، وقدم لى شاه ملك مركوبا (دابة) وبعث معى من بطانة السلطان من اوصلنى اليه فلما وقفت بالباب خرج الاذن بإجلاسى فى خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه ..» «وزيد فى التعريف باسمى ، بأنى القاضى المالكى المغربى ، فاستدعانى ، ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، ويشير بها الى عصب المغل جلوسا امام خيمته حلقا حلقا ، فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام ، وأوميت ايماءة الخضوع فرفع رأسه ومد يده الىّ فقبلتها وأشار بالجلوس حيث انتهيت ..

وظل هذا اللقاء محل جدل المؤرخين ، واعتبر البعض مادار فيه دليل قدرة ابن خلدون وبراعته عندما أخرجته مهارته من المأزق الصعب الذى وجد نفسه فيه ، وأثار لدى البعض الاخر الشكوك

والتساؤلات حول ما تم فيه .

● الاثير الاعظم

يطلق ابن خلدون على تيمور كل انواع الالقاب فيسميه اميرا وسلطانا واحيانا يطلق عليه «الاثير الاعظم» وقد حرص على تقديم الهدايا . تقدم لتيمور مصحفا رائعا وسجادة انيقة ، ونسخة من قصيدة البردة للبوصيرى ، واربع علب من حلاوة مصر الفاخرة ، وزعها تيمور على جلسائه ، وبدأه ابن خلدون بالقول ايدك الله ، لى اليوم ثلاثون او اربعون سنة اتمنى لقاءك ، فقال المترجم عبد الجبار بن النعمان ـ صاحب تيمور وإمامه وعالمه ، الذى كان يتقن اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية ـ وماسبب ذلك ... ؟ قلت : امران .

**الأول** . انك سلطان العالم ، وملك الدنيا ، وما أعتقد انه ظهر فى الخليقة منذ آدم لهذا العهد مثلك ، ولست ممن يقول الأمور بالجزاف ، فإنى من اهل العلم .

**واما الأمر الثانى** . ماكنت اسمعه كثيرا بالمغرب من الحدثان فى ظهوره ـ زحل والمشترى ـ وكان المنجمون المتكلمون فى قرانات العلويين يترقبون القران العاشر فى المثلثة الهوائية ـ اى اتفاق ثلاثة بروج هى الجوزاء والميزان وبرج الدلو ، مما يدل على ترقب ظهور نجمه ـ وكان يترقب عام سنة وستين من المائة السابعة ، فلقيت ذات يوم بجامع



تيمور ، صورة تخيلية

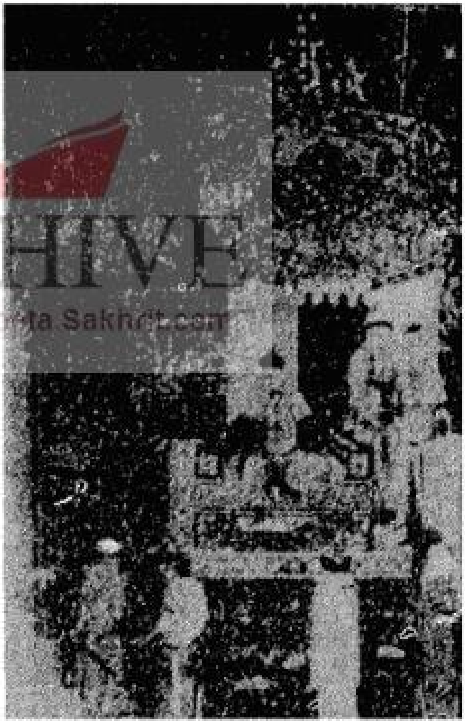
القرويين الخطيب ابا على بن باديس خطيب قسنطينة ، وكان ماهرا فى هذا الفن ، فسألته عن هذا القران المتوقع ، وماهى آثاره ؟ فقال لى يدل على ثائر عظيم فى الجانب الشمالى الشرقى من امة بادية اهل خيام ، تتغلب على الممالك ، وتقلب الدول ويستولى على أكثر المعمور . فقلت ومتى زمنه ، فقال عام اربعة وثمانين تنتشر اخباره ، وكان شيخى امام المعقولات محمد الآبلى متى فاوضته فى ذلك يقول ، امره قريب ولابد لك أن عشت أن تراه ...

وعالمنا هنا يدغدغ عواطف تيمور ، بطرق مختلفة ، فإذا لم تفلح معه الهدايا التى قدمها ، فلابد أن تفعل تلك النبوءة معها ، فى دغدغة عواطفه ، رغم انه سبق

وكتب في تاريخه ، عن ظاهرة هؤلاء الاجلاف الذين خرجوا من سهول آسيا ، والذى يلعب التنجيم دورا رئيسيا في حياتهم ، وكان له معرفة واسعة بقبائل المغول وحروبهم ، مما سبق وذكره في كتاب «العبر» المجلد الخامس ، في اخبار التتر ، وتناول جنكيز خان وابناءه وأولى غزوات تيمور ، وهذا يعنى أن لديه معلومات تاريخية كاملة عن تيمور وقومه ، أحسن استخدامها خلال هذا اللقاء .

**وتظهر من خلال اللقاء قدرته الكبيرة على التعامل مع الملوك والسلاطين والقادة والذى اكتسبه من سفاراته السابقة ، ولا يخفى ابن خلدون في سيرته ان الوجل غلبه بما وقع من نكبة قاضى القضاة الشافعية صدر الدين المناوى .**

تيمور يلتقي بابن خلدون كما سجلت في المنمنمات التركية



ويورد ابن عربشاه هذه الواقعة التى تظهر الفارق بين ابن خلدون وصدر الدين عند لقاء تيمور ، يقول : «وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير ، وإذا بالقاضى صدر الدين المناوى في ايديهم أسير ، وكان قد تبع السلطان (فرج) في الهرب ، فأدركه في ميسلون الطلب ، فقبضوا عليه ، وأحضروه بين يديه ، واذا هو بعمامة بالبرج ، وأردان كالخرج ، فتخطى الرقاب ، وجلس من غير إذن فوق الاصحاب ، فاستشاط تيمور غضبا وملأ المجلس لهبا ، وانتفخ سحره ، وسجر غيظا نحره ، وشخر ونحر ، ومخر بحر حنقه وزخر ، وأمر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضى صدر الدين ، فسحبوه سحب الكلاب ، ومزقوا ما عليه من ثياب ، وأوسعوه سبا وشتما ، وأشبعوه ركلا ولكما ، ثم امرهم بتشديد أسره ، وقد توفي بعدها خلال مصاحبتهم له أسيرا غريقا في نهر الزاب .



● من المشهد

ويذكر ابن خلدون دون حرج « فزدت في نفسي كلاما اخاطبه به ، واتلطفه بتنظيم احواله وملكه ... فيعرف ابن خلدون جزاء من يتحدى سلطانه ، ويعرف أيضا مدى ضعفه امام العلماء والفقهاء ، ويدرك قدرته على خلب لبه ، ويعرف ذا

دار بين تيمور والقضاة والفقهاء فى حلب من محاورات ومناظرات .

وهو يعرف ماذا جرى عندما سأل تيمور العلماء والفقهاء فى حلب ، قتل منا ومنكم أمس ، فأى الفريقين هم الشهداء ؟ قتلانا أم قتلاكم ؟ فأجاب احد علماء حلب ، هذا سؤال سئل عنه النبى ﷺ وأجاب عنه عندما جاء اعرابى الى الرسول ﷺ وقال يارسول الله إن الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا فى سبيل الله ؟

فقال الرسول ﷺ : منْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو شهيد .

فقال تيمور .. جيد .. جيد ..

ويعرف أنه عندما كان جنده ينهبون اصفهان نهاهم عن أن يتعرضوا بسوء للحى الذى يسكنه الفقهاء ، وأنه يستهويه التفاف العلماء والفقهاء من حوله

## تيمورلنك

وأن لنا ان نتوقف عند شخصية الغازى تيمورلنك ، والتى تبدو بعض ملامحها خلال حملته على الشام ، يصفه المؤرخون ، أنه كان متين البنيان ، منتصب القامة ، له صوت جهورى يطغى حتى على صليل السيوف فى المعارك ، وله ملامح آسيوية خالصة ، ولحية طويلة ، وغطاء رأس مغولى قلنسوة من الفراء مخروطية الشكل يعلوها ياقوتة على هيئة الكمثرى يحيط بها الجواهر والماس .

خضعت نصف آسيا لسلطانه ، واندفعت قواته حتى وصلت داخل روسيا ووصلت الى موسكو واضرمت فيها النيران عام ٧٨٩ هـ ــ ١٣٨٤ م .

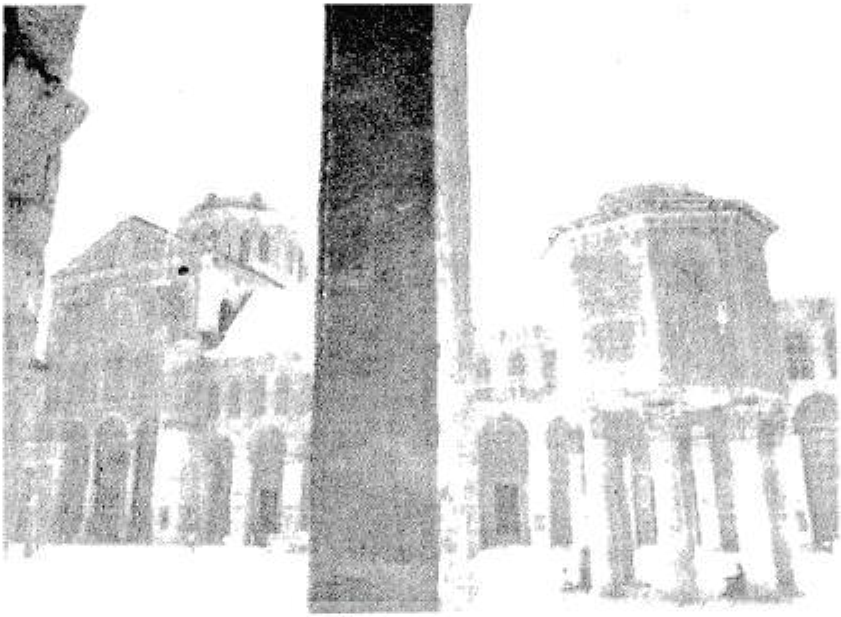
ويتصور نفسه قرينا للاسكندر الاكبر وقيصر روما ..

فهل كان مجرد فاتح مثل هولاكو وجنكيزخان ، أم أن هناك مثلا عليا تحركه ، وهو القائل .. «أنه فى كل اقليم يسود الظلم ، فعلى الامير اجتثاثه ، وهذا دفعنى الى فتح خراسان ، والى تخليص فارس والعراق والشام من الفوضى التى كانت تسودها ..» فيدعى أنه مبعوث العناية الالهية لاصلاح العالم ..

وإذا تأملنا الفارق بين موجة التتار الأولى على الدولة الاسلامية ايام هولاكو ، وتلك التى قادها تيمور نجد وحدة قوات المماليك تحت قيادة الظاهر بيبرس فى مواجهة الخطر على الوطن وعلى العقيدة ، وجاءت الموجة الثانية والمماليك متنازعون ، والغزاة الجدد يحملون راية الاسلام ، يقودهم من يدعى أنه يسعى لتوحيد عالم الاسلام تحت راية واحدة !

**وينظر الترك الى تيمور على أنه سجل بداية تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ويمثل انتصار الترك على النظم المغولية والصينية ، فكانت نظمه مزيجا من عادات القبائل التركية وما جاء به الاسلام ، وأنه استهدف توحيد الترك تحت زعامته ، وكانت اخطر معاركه مع آل عثمان**

وعندما قمت بجولة فى المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفييتى ، فاجأتنى



المسجد الأموي

حركة احياء قوية لتراث تيمورلنك ، كأحد الابطال القوميين ، فيشكل الترك نسبة ٧٥٪ من سكانها ومازالت سمرقند وبخارى (كاش) تزدحم بالاثار المعمارية والحضارية التى تركها تيمورلنك .

وعند لقائى باساتذة المعهد العالى للامام البخارى فى طشقند . كان يشغلهم اعادة كتابة تاريخ اسيا الوسطى ، واعادة الاعتبار لتيمورلنك ، الذى كان يهدف فى رأى اساتذة المعهد الى توحيد عالم الاسلام لمواجهة التحديات الأجنبية . والذى كان يرى ان تنتقل قوة الاسلام العربية ومابقى من فروع الحضارة الاسلامية الى سهول تركستان ، وينقلون عنه قوله : «اذا كان هناك رب واحد ، فينبغى الآ يوجد سوى سلطان واحد ..» !

ويورد ابن خلدون فى رسالته الى صاحب المغرب تقييمه الصادق لتيمور .. اى تقييم العالم لذلك الغازى ، يقول : «هذا الملك من زعماء الملوك وفراعنتهم ، الناس ينسبونه الى العلم ، وآخرون الى اعتقاد الرفض ، لما يرونه من تفضيله لأهل البيت ، وآخرون الى انتحال السحر ، وليس من ذلك كله فى شىء ، انما هو شديد الفطنة والذكاء ، كثير البحث واللجاج بما يعلم وبما لا يعلم» .

## ● طنجة وسبتة

ونعود الى لقاء تيمور وخلدون .. يقول ابن خلدون ..

سألني (تيمور) : من أين جئت من المغرب .. ؟ ولم جئت ؟

فقلت جئت لقضاء الفرض ، والمقرحات بأسوارهم (فى القاهرة) لجلوس الظاهر على تخت الملك .

فقال : وما فعل معك ، قلت : كل خير ..

فقال : وأين ولدك ؟ قلت : بالمغرب الجواني .

فقال : ما معنى الجواني في وصف المغرب ؟ فقلت : معناه الداخلي اى الأبعد .

فقال : وأين مكان طنجة من هذا المغرب ؟ فقلت فى الزاوية بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق . فقال : وسبتة ؟ فقلت : على مسافة من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية الى الاندلس .

ويلاحظ اهتمام تيمور بكل من طنجة وسبتة بما لهما من قيمة استراتيجية خاصة ، وهو الذى يداعب احلامه فتح العالم ..

ويكمل ابن خلدون .. «ولم يكتف تمر بما قلته له شفويا .. وقال «احب ان تكتب لى بلاد المغرب كلها ، أقاصيها وادانيها ، جباله وأنهاره وقراه وامصاره ، حتى كأنى اشاهده ، فقلت : يحصل ذلك .. وكتبت له بعد انصرافي من المجلس ما طلب وأوعيت العرض فيه في مختصر وجيز يكون قدر اثنتى عشرة من الكراريس المنصفة القطع» .

وفقد مخطوط ابن خلدون عن المغرب ولعله لم يكتب سوى المعروف من المعلومات الجغرافية ، وهو يعرف انه ضمن خطط تيمور اعداد حملة الى ساحل الاطلنطى وغزو المغرب ، وأنه استجاب لتيمور لكى يلتمس وسيلة للابتعاد ، ويعود الى مصر يواصل البحث والتدريس ، او لعله استهدف العفو عن الاسرى ، وأن يؤمن اهالى دمشق ويجنبهم انتقام تيمور ..

وتتوالى اللقطات والمشاهد التاريخية التى وقعت بين ابن خلدون وتيمور ، ويسجل عالمنا ابن خلدون بعض المناظرات التى كان يديرها تيمور ، والتى تعكس ثقافة عصره ..

ومن هذه المحاورات ، قول تيمور لابن خلدون : أراك قد ذكرت بختنصر مع كسرى ، وقيصر والاسكندر ، ولم يكن بختنصر فى عدادهم لأنهم ملوك أكابر ، وبختنصر قائد من قواد الفرس ..

وسأل : من أى الطوائف هو بختنصر .. ؟ فقلت : بين الناس فيه خلاف ، فقيل من النبط بقية ملوك بابل ، وقيل من الفرس الأولى .

فقال : يعنى من ولد منوشهر .

قلت : نعم هكذا ذكروا .

فقال : وأى القولين أرجح عندك . ؟

فقلت : إنه من عقبة ملوك بابل . فذهب الى ترجيح القول الآخر .

فقلت : يعكر تملينا رأى الطبرى ، فإنه مؤرخ الأمة ومحدثهم ، ولا يرجحه غيره .

فقال : وما علينا من الطبرى ، نحضر كتب التاريخ للعرب والعجم ، وتناظرك .

فقلت وأنا أيضا اناظر على رأى الطبرى ..



لقاء ابن خلدون وتيمور كما سجله ابن خلدون في كتابه

أمّا ما وقع مع ابن خلدون قبل الرحيل، فيرويه قائلا .. «دخلت على تيمور فالتفت الي.

وقال: عندك بغلة هنا.

قلت: نعم

قال: حسنة.

قلت: نعم قال: وتبيعها؟ فانا اشتريها منك.

فقلت: ايدك الله مثلي لا يبيع لمثلك وانما انا اخدمك بها، وبأمثالها لو كانت لي.

فقال. أردت أن أكافئك عنها بالاحسان ..

فقلت: وهل بقي احسان وراء ما أحسنت به، اصطنعتني، واحللتني في مجلسك محل كل خواصك، وقابلتني من الكرامة والخير بما ارجو الله ان يقابلك بمثله، وسكت وسكت، وحملت البغلة - وانا معه في المجلس - اليه.

وينهي ابن خلدون حكايته مع تيمور بقوله .. «سافرت في جمع من اصحابي الى مصر، فاعترضتنا جماعة من العشير قطعوا علينا الطريق، ونهبوا ما معنا، ونجونا الى قرية هنالك «عرايا» .. ثم .. مر بنا مركب .. فركبت معهم البحر الى غزة، ونزلت بها وسافرت منها الى مصر .. وحمدت الله تعالى على الخلاص من ورطات الدنيا ..

## ● قصص وحكايات

وقد عالج لقاء تيمور وابن خلدون الكثير من الكتاب، القدماء والمحدثين، ونسج حوله الكثير من القصص والحكايات، وأفرد له الكاتب الامريكي والتر فيتشل كتابا بعنوان ابن خلدون وتيمور، وأبرز من تناوله من المؤرخين العرب ابن عربشاه، في كتابه «عجائب المقدور في نوائب تيمور»، ويروي في هذا الكتاب رواية مغايرة لما رواه ابن خلدون والفرق بينهما هو الفرق بين من رأى ومن سمع. يقول ابن عربشاه «لما اقلع السلطان بفلك

عساكره المشحون وقع في بحر العساكر التيمورية قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون وكان من أعلام الأعيان ، وممن قدم مع السلطان .. توجه الأعيان اليه في تدبير القضية فوافق فكره فكرهم ، فملكوه في ذلك أمرهم .. فتوجه معهم بعمامة خفيفة ، وهيئة ظريفة ، وبرنس كهو رقيق الحاشية ، يشبه من دامس الليل الناشئة ، فقدموه بين أيديهم ، ورضوا بأقواله وأفعاله لهم وعليهم .

وحين دخلوا عليه ، راى (تيمور) شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا ، قال : هذا الرجل ليس من هاهنا ، فانفتح للمقال مجال ، ونشروا سماط الطعام ، فكوّموا تلالا من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به يليق ، فبعض تعفف عن ذلك تنزها ، وبعض تشاغل عن الأكل ، وبعض مد يده واكل .. وكان من جملة الآكلين ، قاضى القضاة ، ابن خلدون وكل ذلك وتيمور يرمقهم ، عينه الخزراء تسرقهم ، وكان ابن خلدون ايضا يصوب نحو تيمور الحدق فإذا نظر اليه أطرق ، وإذا ولى عنه رمق ، ثم نادى (ابن خلدون) وقال بصوت عال ..

يا مولانا الأمير . لقد شرفت بحضورى ملوك الأنام ، واحييت بتواريخى ما مات لهم من ايام ، ورأيت من الملوك فلانا وفلانا ، وشهدت مشارق الأرض ومغاربها ، وخالطت في كل بقعة اميرها ونائبها ، ولكن لله المنة اذا امتد بى زمانى ، ومنّ الله علىّ بأن أحيانى ، حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة ، والمسلك شريعة السلطنة على الطريقة ، فإن كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف ، فطعام مولانا الأمير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف ، فاهتز تيمور عجباً ، وكاد يرقص طربا ، وأقبل يوجه الخطاب اليه ، وعول في ذلك دون الكل عليه ، وسأله عن ملوك الغرب وأخبارها ، وأيام دولها وآثارها ، فقص عليه من ذلك ماخرع عقله وخلبه ، وجلب لبه وسلبه» .

ويذكر ابن عربشاه ، كيف تحول ابن خلدون فأصبح موضع رعاية تيمور وفي ضيافته طوال اقامته وحتى رحيله والتى استمرت خمسة وثلاثين يوما . اما الاختلاف بينهما فى الكثير من التفاصيل فيرجع الى أن ابن عربشاه لا يرى فى تيمور سوى غاز جاء يحتل بلاده ، ويصيب اهلها بالنكبات ، وانه شخصيا عانى الكثير من حملة تيمور ، فقد أخذه أسيرا وهو صبى فى الثانية عشرة من عمره ، ومع امه واخوته من دمشق الى سمرقند ، وهناك عرف الكثير عن تيمور واعماله ، وتعلم اللغتين الفارسية والتركية ، ثم عين كاتبا للسلطان محمد الأول بن بايزيد الذى سبق أن أسره تيمور فى أحد معاركه وانتقم منه بوضعه فى قفص ، ثم عاد ابن عربشاه الى دمشق عام ٨٢٤ هـ ـ ١٤٢١ م . ورحل منها الى القاهرة ، واستقر بها سنة ٨٤٠ هـ ـ ١٤٣٦ م ، والف كتابه فيها ، وحياته تلك تزيده بتيمور معرفة ، وتزيده به أيضا كراهية ..

## ● حريق في الجامع الأموي

اما بقية القصة ...

فقد استسلمت دمشق لقدرها ، واستولت عليها قوات تيمور باقل الخسائر ، وبكل أنواع الوعود الكاذبة

ومالبث ان انتشر فيها السلب والنهب والحريق ، لا فرق بين الرجال والنساء والاطفال ، ولم يلتفت الى رقاع الأمان التى كتبها تيمور .. «أما القلعة ، فإنها استعدت للحصار ، وكان نائبها يدعى ازدار ، فحصنها ، وبالأهبة الكاملة مكنها ، وانتظر من السلطان نجدة ، أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة ، فلم يلتفت تيمور فى أول الأمر اليها ، ولا احتفل بها ولا عرج عليها ، بل صرف همه الى تحصيل الأموال ، وتوثيق الأحمال بالأثقال» .. «وحاصرها ثلاثة وأربعين يوما ..» ابن عربشاه .

وامتدت النيران التى اطلقت بالمنجنيق تأكل المدينة ، ووصلت الى الجامع الأموى ، فسال رصاصه وتهدمت سقوفه وجدرانه ، ودمر عن آخره فى المدينة الجزء الواقع بين المسجد الاموى والقلعة ، ويصف ابن خلدون ماجرى بقوله : «كان أمراً بلغ حداً من الشناعة والقبح» وأعدم ازدار نائب القلعة بعد أن حصل من تيمور على وعد بالأمان ، وعاش أهل الشام مرحلة من الرعب والخوف ، وهاجم تيمور فى خطاب له أهل الشام على مساندتهم للأمويين خلال «الفتنة الكبرى» !

كل هذا وابن خلدون عاكف على كتابة رسالة عن المغرب ، ويقدمها الى تيمور ، ويجالسه يناظره ويحاوره فى الحضارة والتاريخ وماجاء فى الطبرى .. !

وعقب اختبار القوة الذى جرى بين تيمور وفرج ، وبعد اقامة تيمور فى دمشق ثمانين يوما ، انسحب تيمور بقواته ، واتصلت العلاقات بين تيمور والمماليك ، وتمكن تيمور من ان يحقق عن طريق الاتصالات الودية مالم يحققه بالحرب ، وادت المراسلات بين تيمور والسلطان فرج الى عودة العلاقات بينهما ، فظهرت فى تبادل الوفود والهدايا ، وبعد نجاح تيمور فى اطلاق اسيره اطليمش ، مقابل ان يطلق ما لديه من أسرى .

وعاد الهدوء من جديد ، وكان حملة تيمور مثل اعصار عنيف اقتلع الزرع وأرعد السماء ، ثم صفا الجو وهدات العواصف من جديد .

ولم يحاسب احد ابن خلدون على مادار بينه وبين تيمور ، ولا على أنه كان ضمن الفقهاء المنادين بالصلح والأمان ، فلا يحق للذين تركوا دمشق تحت الحصار مهرولين أن يحاسبوا أحدا على مواقفه .

**وقضى ابن خلدون بقية حياته فى القاهرة ، يواصل تاليف كتابه «العبر» ، وفى كتابة سيرته الذاتية ، والذى وصل فيها إلى قبل التسعة شهور الأخيرة من حياته وكان آخر ما خطه قلمه «لزمت كسر البيت ، ممتعا بالعافية لابسا برد العزل ، عاكفا على قراءة العلم وتدريسه والله يعرفنا عوارف لطفه ، ويمد علينا ظل ستره ، ويختم لنا بصالح الأعمال ، وهذا آخر ما انتهيت اليه..» .**

**واطفات المنون حياة هذه الروح المتقدة بعد كوارث الزمان المتلاحقة ، وبعد أن قدم بحياته وفكره تلك الاعمال الفذة ، وهو المفكر الكبير والفيلسوف العظيم وعالم علوم العمران الذى ملأ الافق بجلاله ، بعد أن عاش ستة وسبعين عاما ، وانتقل الى رحمة الله يوم ٢٦ رمضان ٨٠٨ هـ ـ ١٦ مارس ١٤٠٦ م ، ودفن فى مقبرة الصوفية بالقرب من باب النصر فى القاهرة .**

شهريات

## رأى فى الثقافة

### تبديد التراث .. متى يتوقف ؟

كل يوم تحمل لنا الاخبار المتداولة فى الوسط الثقافى نبأ جديدا عن مكتبة لاحد اعلامنا تباع على الاسوار ، أو تذهب الى جامعة غير مصرية كما حدث لمكتبة سليم حسن ، او مخطوطات قديمة وحديثة تذهب ادراج الرياح « ما حدث لتراث رفاعة الطهطاوى » بالاهمال او البيع لعربات الروبابيكيا » أو كما رأيت فى منزل الشيخ مصطفى عبد الرازق مخطوطاته غارقة فى مياه المجارى المتسربة الى المنور الملقاة به بكل اهمال .

مكتبة طه حسين ومكتبة العقاد مازالتا فى المخازن ، اما الكثير من مكتبات ومخطوطات اعلامنا المعاصرين فقد تبددت ..

لكن موضوع هذا الرأى الاساسى هو ماجرى ليس فقط لمخطوطات ومكتبة وأرشيف الامام الاكبر محمد عبده والامام الاكبر رشيد رضا بل لجثتيهما ، فمن محزن الكلام ان نصف ماعليه حال المكان « الحوش » المدفونان به ، حيث اختارت البلدية هذا المكان بالذات لتراكم فيه زبالة مساكن منطقة المجاورين كلها . على الرغم من أن هناك الكثير من الاماكن المجاورة التى يمكن ان تكون مكانا اكثر مناسبة لاكوام الزبالة .. لماذا هذا المكان بالذات ؟

هل هو الجهل أم أن الموضوع متعمد : لاهانة رائدى التنوير فى العصر الحديث ؟

وقبل كل شىء : أين هى مخطوطات الامامين وتراثهما ؟ ولماذا تركناه نهبا للاهمال ؟

هل هو فقط مجرد التخلف : أم تعمد أن نهيل التراب على رموز التنوير حتى تبرز رموز الظلام ؟

عبده جبير

## المفكرة الثقافية

### ● الصعيد وسيناء خارج الدائرة ●

● لا من اجل شيء الا الصالح العام نسوق هذه الملاحظات الاولية على البرنامج الثقافي الذى اصدرته وزاره الثقافة المصرية وحمل عنوان « مفكرة الصيف الثقافية » التي تغطي ثلاثة اشهر هي يونيو – يوليو – اغسطس ·

اولى هذه الملاحظات ان المفكرة لم تصدر الا فى اوائل يوليو ، وكان من المفروض ان تصدر قبل اول يونيو ، او على الاقل فى اوله ·· وهذه قد تبدو ملاحظة شكلية انما هى فى الحقيقة ملاحظة اساسية اذ كيف يراد لنا ان نقتنع بان هناك « برنامجا » مدروسا ومخططا ثم لا نراه الا فى نصف الزمن الذى يستغرقه هذا البرنامج ·· وهى ايضا ملاحظة اساسية بالنسبة لمصر ، لان الدليل القاطع على ان احدا ، او جهة ما ، تعمل بالفعل على الخروج من دائرة التخلف هو التزامها بدقة الاداء ومصداقيته التى لا يمكن ان تتوفر الا بالتنفيذ فى الوقت المحدد ·

الملاحظة الثانية هى ان نشاط هذا البرنامج هو نشاط قديم بنسبة تزيد على ٨٠ ٪ ( من باب الحرص ) ان لم تزد ، اى انه نشاط «تقليدى» كان يحدث منذ زمن طويل بحكم ضخامة حجم الكوادر الثقافية والاجهزة الثقافية المتوافرة والمتراكمة عبر الزمن ··· الثلاثى « التجربة » الاخرى ···

وبصرف النظر عن اسهامها فى التغيير الثقافي المنشود ·

اما الملاحظة الاساسية فتتعلق باختفاء الصعيد كله من خريطة الثقافة المصرية ·· فهل بالفعل ليس هناك اى نشاط ثقافى فى الصعيد كله بطوله وعرضه ابتداء من الجيزة وحتى اسوان ·· على الرغم من ان هناك العشرات من قصور وبيوت الثقافة ·· ثم ماذا عن الواحات ومدن البحر الاحمر وسيناء التى – مع الصعيد – لا تعتقد ان مكانا اخر فى حاجة الى ذهاب الثقافة اليه كما هى بالنسبة للمكانين : الصعيد وسيناء · فكان الاسكندرية وبورسعيد وحتى طنطا والمنصورة على تلامس واضح بحكم المصالح مع العاصمة اما هذان الاقليمان فهما الاشد حاجة الى ان نذهب بالثقافة اليهما ·· هذا مجرد سؤال ونرجو ان يكون الواقع مختلفا عما ورد فى هذه المفكرة الثقافية والا فهى كارثة حقيقية ·

### ● عام على رحيل نبيل السلمى ●

ما هى عام كامل يمر على وفاة فناننا النابه نبيل السلمي الذى يعتبر واحدا من اهم رسامى الكاريكاتير العرب عن جيل الستينات ·

بينما الفنانون يتذكرون ···

مبكرة ، ثم ارتحل الى المانيا الديمقراطية فى بداية السبعينيات واستقر هناك حيث احتك بالكاريكاتير العالمي فتطور اسلوبه واصبحت اعماله اكثر تجويدا في الرسم وتجريدا في الفكرة • واتجه الى الكاريكاتير الجرافيكي او الذهني،كما مالت أعماله الى الفكاهة السوداء •

واتاحت له اقامته الطويلة فى الخارج بين المانيا والكويت ، أن يطلق لحسه الساخر العنان فينتقد مختلف جوانب التخلف والتبعية فى المجتمع العربى ، فى سلسلة من الرسوم السياسية والاجتماعية الساخنة ، لم يتح للقارىء المصرى الاطلاع عليها ••

وفى الاتيليه اقامت له اسرته واصدقاؤه معرضا لرسومه استمر طوال النصف الاول من الشهر الماضى، ضم مختارات تغطى مراحله المختلفة والموضوعات المتعددة التى تناولها بريشته وتشمل الرياضة والحياة الالمانية ، والتاريخ الفرعونى ، وعلاقة العرب بالكومبيوتر وظاهرة « النقاب» وغيرها •



## مسرح

● عفريت لكل مواطن ●

هذا هو النص الاول للمؤلف لينين الرملى فى مسرح الدولة بعد ان تمرس وداب على تقديم العديد من العروض التجارية ، والتى لا تغيب مواصفاتها واسسها عن الكثيرين •

فاذا علمنا ان لنفس المؤلف عدة نصوص وضعت في خطة مسرح الدولة هذا العام ، فان السؤال الذى يطرح نفسه هو: لماذا يلجا هذا المؤلف وغيره الى مسرح الدولة مادام المسرح التجارى يوفر لهم كل متطلبات العروض الناجحة؟

والاجابة قد تكون من شانهم هم كمؤلفين وخاصة ان صاحب « عفريت لكل مواطن » يصرح فى الصحف ان السبب الاول فى عدم اقدامه على تقديم عروض سابقة على خشبات مسرح الدولة هو البيروقراطية والعراقيل التى لا تنتهى من اجهزة الحكومة ، وأن السبب الثانى هو أن المناخ الذى نعيشه لا يعمل على ازدهار المسرح ، ولذا فنحن لا نستطيع ـ فى رأيه ـ ان نناقش قضايانا الجوهرية والملتصقة بنا خوفا من الرقابة (!!) وقد لا نتفق مع كل هذا الكلام وخاصة حين تثبت اعمال المؤلف : ان لا شيىء أيسر من الكلام !

ولا شك ان موضوع مسرحية «عفريت لكل مواطن » بسيط وطريف ، فالمؤلف اراد أن يكشف الوجه الاخر لحياة انسان مثالى بسيط بعد أن تأزمت امور حياته وتفاقمت مشكلاته ، وتعالج المسرحية ذلك من خلال جو فانتازى ،

شهريات

ومن خلال الحيل القديمة يظهر لهذا الانسان الطيب قرينة من الجان ، ولكى يخلصه القرين من كل ما جرته عليه الطيبة والرضا والاستسلام يقوم بدلا منه بعمل كل الموبقات من احتيال ونصب وهتك اعراض وفساد ، لكى يثبت لهذا الانسان الطيب : ان المجتمع لا يعنيه طيبته ولا نبالته ولا استسلامه، والدليل هو ما حققه من خلال احلال الشرمكان الخير • والقرين يرى فى كل الذى صنعه انتصارا ، ولكن الانسان يرى هذا النصر بلايا ورزايا •

وجريا على عادة الاعمال المضحكة والمفبركة من نصوص اجنبية ، فان المسرحية تناقش هذا كله بعجالة وخفة مما يفسد هدفها ومضمونها ، فهذا المواطن المثالى جعله المؤلف موظفا فى احدى الشركات ، وجعله محاطا بأنماط معتادة من الموظفين ، يحمل كل نمط كما من المبالغات السلوكية الفجة التى توحى باننا امام عمل هازل لا قيمة له ، فالمؤلف يجعل احدى الموظفات تقوم بغسل ملابس اطفالها على المكتب وتقوم بنشرها بعد ذلك ـ هكذا ـ بالاضافة الى ما اعتادت الدراما المصرية على لصقه بالموظف الكسول ، فهذا يغازل عشيقته فى التليفون طوال الوقت ، وذاك يأكل واخرى تتجمل وتتمايع ، ومعهم مدير لايبحث الا عن الموظف الذى يعمل لكى يفصله ـ هكذا ـ وكل ذلك من اجل اظهار ان هؤلاء جميعا هم وجه الفساد والبيروقراطية فى مواجهة الموظف الشهم الهمام الذى اسماه المؤلف ( راضى عبد السلام ) لكى يقول انه راض ومسالم حتى من خلال تركيبة اسمه !

واذا كان الكل يرمى عليه اعباء وظيفته من اجل اغراضه الخاصة ، فهل يمكن ان يحدث بهذه الطريقة ٠٠ واين : ليس فى المصالح الحكومية ولكن فى احدى الشركات ! عدم الصدق هذا يجرنا الى استمراء الكذب طوال المسرحية ، فانت ترى انماطا لا شخصيات من لحم ودم ، فهذا صعيدى يلقى بالنكت وينكت عليه ، وهذه حماة متسلطة وعجوز متصابية ، وهذا زوجها الخائف المطيع الجبان ، وهذه الخطيبة البلهاء الدميمة ٠٠ وهذا الكل يلف ويدور فى ثرثرات كلامية تضحك احيانا ولكنها تبقى بلا روح وبلا حس وبلا تأثير،فانت لا تعرف عن معظم هذه الشخصيات الكثير ، ما هى الا صفة او صفتان ولا تعرف اصلا ولا منبتا ولا نشأة ولا تكوينا ، الكل يتكلم بنفس الطريقة وبنفس الاسلوب ومن خلفه المؤلف يستنطقه بالعبارات التى تترى استسهالا واستعجالا كاد ان يودى بكل شىء رغم انه مع قليل من التأنى كان يمكن ان تعطى المسرحية قيما جادة وفعالة •

ولذا فالمؤلف لكى ينهى ازمة انسانه الطيب الذى اركب قرينه ما يشينه حتى بمخادعة خادمته التى يؤويها ، لا يجد حلا الا من خلال الخاتمة التى تأتى له بالزار لكى يحل به كل المشاكل ـ نعم ( الزار ) !٠٠ ويتم بالفعل ممارسة ( احتفال الزار فى نهاية المسرحية ) لكى تفاجأ بسخرة جديدة حين تواجه كل شخصية مشاهدى العرض وتصرخ « ان الاخلاق بطالة والسبب هو قرينى او نصفى الاخر الشرير ! » وذلك من اجل ايصال مفهوم يقول بعد كل الخطب عن تغيير الفرد والمجموع : ان الاخلاق هى السبب (!!) •

وتضحك ملء فيك حين تدرك ان هذا

هو فهم مؤلفى المسرح التجارى الـــذين يتوافدون تباعا ليملأوا خشبات مسرح الدولة ٠

ويمكن ان نخرج من هذا العــرض ونحن نثنى على موهبة هنا او هناك ، ولكن المسرح يظل فى النهاية كلا لايتجزأ ورغم ذلك فلا يمكننا ان نغفل الاشادة بمواهب كبيرة تثبت وجودها : نبيــل الحلفاوى : ممثل جيد ومتمكن ، عبلة كامل : موهبة لا يستهان بها متالقـــة وغير عادية ، محمد ابو داود : المخرج الذى يقدم نفسه لاول مرة ، وهو يتحمل المسئولية كاملة من بداية اختيـــاره لهذا النص وعدم معالجته مع مؤلفـــه لكثير من عيوبه ، وامتــــلاء عرضه بالتلميحات الجنسية من خلال مواقف الثورية الدرامية والعبارات التى تلقى هنا وهناك وتلقى بمهانة لقدسية خشـبة المسرح ، ناهيك عن اســتظراف بعض الممثلين ٠

ولكن ما حيلة كل هؤلاء فالاساطين يفعلون اكثر فى المسرح التجـــارى ، والمسرح التجارى صـــار هو النموذج الذى يحتذى عند مدير المسرح الكوميدى فهكذا صرح وهكذا فعل وهكذا ٠٠ يثبت النظرية بالتطبيق !

محمد الشربينى

## مكتبة العدد



الكتاب : حول القومية والعروبة والنهضـة
تاليف : د٠ على مختار
الناشر : دار علــى مختار للنشر

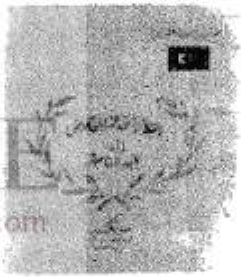
يضم هذا الكتــاب خمس عشرة دراسة كتبها المفكر القــومى المعروف الراحل الدكتور عــلى مختار ، قدم لهــا المؤرخ المعروف طارق البشرى بكلمات تنم عن موضوعية وان حملت بعض الملاحظات الجادة التى اريد بهــا مناقشة اراء على مختار وتوجهاته بما هى عليــه من مصداقية ونفـــاذ بصيرة وتوجه عـــروبى أصيل ٠

يقول البشرى « يمثل على مختار صورة مثالية للمثقف العربى القومى٠ كان موضوع العـــروبة والتوحد العــربى هو شاغله الشاغل على الدوام ولا اظنه حاد عنه فى اى وقت منذ انعقد قوميـــا عربيا وهو طالب بكليــة الطب ، ولا اظنه مر على مرحلة مصرية اقليمية فى حياته الواعية ٠٠ الا ان تكون مندسة فى لفــائف البداية مــن التـــكوين السيـاسى ، و « عــلى مختار » الـــذى يدهش عارضيه بقدرته عـــلى الانتقال المهنى ، من مهنة الطب الى الــدواء الى الكومبيوتر الى النشر فى عالم الكتب ٠

ونقــرأ من عنــاوين الدراسات التى يضـمها الكتاب « حــــول اسس النهضة العربية» و «حول مقولة تحالف قوى الشعب

العاملة » و « مستقبل الناصرية في مصر » و « الشخصية القومية» و « البحث عن الامة العربية والمنطلق القومي والمنطلق الطبقي » و « قراءة في مفهوم الامة عند سمير أمين » و « موقف القضية الفلسطينية من القضية القومية » وغيرها من الدراسات التي تصب في تيار القومية العربيةالذي آمن به كاتبنا ايمانا قائما على الدراسة الموضوعية ·

انه كتاب جدير بالقراءة ·



الكتاب : الحكام من عمرو بن العاص الى جمال عبد الناصر

تأليف : د· حسنين ربيع

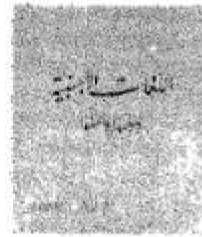
الناشر : المؤسسة العربية ٢٨٤ ص ١ ج·م·

● الامم الجديرة بالاحترام والتقدير هي تلك التي تضع تاريخها والاحداث التي مرت بها في أرض حرام على من يقترب منها بهدف البحث والدراسة والتحليل والتعليق أن يتسلح بالصدق والموضوعية والتجرد لان من يقدم على مائدة التاريخ يجب أن يكون معدا اعدادا جيدا حتى يصبح مفيدا ونافعا ليس للجيل القائم فقط ، وانما ما يليه من اجيال ، على هذا الدرب·

ووفقا لاحكام الموضوعية الصادقة نجح الدكتور حسن عبيد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية أن يقدم كتابا جيدا عن حكام مصر من عمرو بن العاص الى جمال عبد الناصر · يستعرض فيه مسيرتهم مؤكدا حقيقة سياسية لا تحتمل الجدل هي أن قوة الحاكم وسلامة المنهج وسلامة التطبيق كانت ثلاثة عوامل وراء فترات الازدهار والنصر ، وأن تخلف أحدها كان السبب في فترات الانحدار والحسر ··

لقد بلغ عدد هؤلاء الحكام وخلال أربعة عشر قرنا من الزمان مائة وستة وثمانين حاكما تتراوح فترة توليهم الحكم بين أيام وشهور وسنين في تعثر أحيانا وازدهار في أحيان أخرى ·

يقول المؤلف أن ما قام به هو مجرد الاعداد والترتيب لمسيرة حكام مصر ولكن ربما كان له اجتهادات في سرد الحوادث ، أو ربما كان له أن يضيف تحليلا يستطيع أن يخلص منه الى رسالة يوجهها للقارىء في النهاية · أو تأثر بمصريته وعروبته على نحو يتفق او يختلف مع هؤلاء الحكام ·· ويقول ليطمئن القارىء الى أنه اذا ما تصادم بمسموعة أو رؤية غير تلك التي كونها من قراءات سابقة تمليها الهوى والزيف أو قراءات كانت محقة للحق بأكثر مما يجده في هذا البحث ·



الكتاب : اللغات الاجنبية تعليمها وتعلمها
تاليف : د. نايف خرما
د. على حجاج
الناشر : سلسلة عالم المعرفة ـ المجلس الوطنى للثقافة بالكويت
٢٧٢ من .. قطع متوسط ٥٠ ف ك

مؤلفا هذا الكتاب الدكتوران نايف خرما وعلى حجاج استاذان يعملان فى مجال تعليم اللغات الاجنبية للعرب، ولهما جهود عديدة فى مجال دراسة هذه القضية الشائكة ، بالاضافة الى الخبرة التى اكتسباها فى مجال عملهما ، لذا فان الثقة تبدو متوفرة من مجرد معرفة هذه الحقيقة ...

اما الدافع الذى حدا بهما الى تاليف هذا الكتاب فهما يقررانه منذ البداية فى عدة نقاط تشمل خلو المكتبة العربية من الكتب التى تتناول مشكلة تعلم اللغات الاجنبية وتعليمها من جوانبها المتعددة ، فهناك بعض الكتب التى تتناول نظريات التعلم دون التطرق الى اوجه الاختلاف بين تعلم او اكتساب بعض المعارف والعادات وتعلم او اكتساب اللغة اصلية كانت أم اجنبية ، لذا فقد عملا على مشروع بحث شامل يحاول أن يحيطبالمشكلة منجوانبها النظرية والتطبيقية ، ولعل هذا الكتاب هو واحد من حلقات هذا البحث .

اما لماذا يريان أن مسألة تعلم اللغات الاجنبية فىوطننا العربى كمشكلة فهما يقرران : نحن ندعوها بالمشكلة نظرا الى أن تعلم اللغات الاجنبية فى المدارس النظامية قد أثبت فشله الى حد كبير . وأن الشكوى مستمرة من هذا الفشل ، وأن البحث عن اسبابه لم ينقطعفىالعالم العربى منذ أمد طويلدون التوصل الى نتيجة مرضية .

هو اذن بحث يحاول تحديد الداء ووصف الدواء الناجع له منخلال منهجية جديدة لتعليم اللغات الاجنبية فىوطننا العربى الكبير .




الكتاب : حقوق الانسان فى الوطن العربى
الناشر : المنظمة العربية لحقوق الانسان

استمرارا مع تقليدها السنوى لاصدار تقرير سنوى عن حالة حقوق الانسان فىالوطن العربى أصدرت المنظمة العربية لحقوق الانسان تقريرا هذا العام الذى تطرق لابرز الاحداثوالتطورات

المتعلقة بمجال تخصصها على مستوى العالم العربي فى مجال التشريع والممارسة وذلك على ضوء ماتوفر لدى المنظمة من معلومات وما ورد اليها من بلاغات وتقارير وشكاوى .

وقد سجل التقرير ما يعترى المنظمة من قلق ازاء ما يطول الحقوق المدنية اللصيقة بالانسان والتى لا يجوز النزرع بأية مبررات للحيلولة دون كفاءتها . ومنها الحق فى الحياة ، وفى الحرية والامان الشخصى وفى احترام كرامة الانسان ، وحمايته من سوء المعاملة ، وكفالة حقه فى محاكمة عادلة تراعى فيها الضمانات القانونية المقررة دوليا ، واحترام حريته فى الاعتقاد والمواطنة وغير ذلك من الامور .

وقد سجلت المنظمة فى تقريرها من العام المنصرم بعض مظاهر التحسن المحدودة التى طرأت فى مجال انضمام الدول العربية للمواثيق الدولية ومن ذلك انضمام اليمن الديمقراطية الشعبية للعهدين الدوليين بشأن الحقوق المدنية والسياسية ؟ وانضمام السودان للبروتوكول الاختيارى الملحق بالعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية ، وتوقيع اربع دول على اتفاقية مناهضة التعذيب ( تونس - الجزائر - المغرب - السودان ) التى كانت قد صدقت عليها قبلا .

الكتاب : النزوع إلى العالمية

تاليف : ناجى نجيب

الناشر : دار التنوير - بيروت

١٥٥ ص ق متوسط

٤٠٠ ق

ليس هذا كتاب فى النقد الأدبى بقدر ماهو تلمس لملامح ما اسماه المؤلف بالواقعية الحسية عن جيل الكتاب والادباء المثقفين الذين اكتمل تكوينهم فى العشرينات والثلاثينات

إنه حديث عن الحنين الحضارى والنزوع العالمى وعلاقتهما بالبيئة الأصلية . ومن هذا المدخل يضع الكاتب أدب يحيى حقى كنموذج واضح وبارز ممن اسماهم بادباء الواقعية الحسية .

ومن خلال يحيى حقى المؤرخ الأدبى والناقد والقصاص يؤرخ المؤلف لبعض قضايا الأدب واللغة والفكر والاجتماع التى مازالت تشغل الوجدان العربى .

ويقول :

« هذا بحث تاريخى تطبيقى ، بمعنى اننا نامل من خلال الموضوعات والنصوص التى نعرض لها ان نتعرف على بعض جوانب التطور التاريخى » .

وهو يعتقد أن يحيى حقى مرجع تاريخى عظيم سيبقى منه الكثير للتاريخ .

هذا وقد ذيل المؤلف بحثه بترجمة ادبية وببليوجرافيا لاعمال كاتبنا الكبير وكذلك ثبت باهم الحوارات التى اجريت معه منذ ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٥ .

في بيتنا فيديو

# عملية صناعة الذوق العربي

بقلم : محمود قاسم

لو دخلت اى ناد للفيديو في اية مدينة عربية ، واستطلعت أغلفة الافلام المرصوصة فوق الارفف ، لامكنك بسهولة أن تميز الذوق الفني العربي ، وسرعان ما ستلاحظ ان موضوعات هذه الافلام محصورة ، في أغلبها ، داخل اطار عام هو : العنف ، ولاشيء غير العنف . وهذه الأفلام تنتمى الى هويات وقوميات متعددة .

واذا كان العنف هو أهم سمات العصر ، فإن العنف الذى تنقله شرائط الفيديو الى بيوتنا هو فى أغلبه ساذج الصورة ، ومجوف المضمون ، وممزوج بالحركة فى أغلبه . وبعيد عن عنف الواقع الذى نعيشه .



وخطورة هذه الظاهرة ، فيما يتعلق بشرائط الفيديو ، أنها انتقلت الى البيوت ، فأصبحت ظاهرة المشاهدة الجماعية العائلية هى السائدة . وفيما قبل كان ممنوعا على الأطفال مشاهدة انواع معينة من الافلام ، أما الآن فقد أصبحت مشاهدة هذه الأفلام تتم فى جو أسرى مألوف .. يجمع بين الوالدين والابناء وأحيانا الجيران والاقارب .

وفى حارتنا الضيقة ظاهرة جديدة على مجتمعنا وهى ان مشاهدة هذا النوع من الافلام لم تعد عملية عائلية فقط . بل أصبحت جامعة لكل اهالى الحارة . شرط ان تمتلك أية من الاسرات جهاز تلفاز ايا كان حجمه .

حدث هذا من خلال جهاز صغير اسمه «الفيديو سنتر» .. ولاننى اصبحت مدمنا لمشاهدة الافلام المعروضة من خلاله . فأعتقد اننى قد تحولت فى الفترة الأخيرة الى كتلة آدمية ممزوجة بكل ما يبثه هذا الجهاز من افلام ومسرحيات .

فى شقة صغيرة بمنزل مجاور ، اشترى أحد الجيران جهاز ارسال صغير وضعه فوق الفيديو الذى يمتلكه . فراح يبث الى سكان الحارة كل ما يعرضه على شاشته الصغيرة من شرائط فيديو . كان على كل







جار ان يقوم فقط بتوليف تلفازه الخاص كى تلتقط شاشته الموجة التى يبثها جارنا وسرعان ما اكتشفنا ان جارنا مجنون بمشاهدة افلام الفيديو ، خاصة فى يوم العطلة الاسبوعية . فهو يعرض شرائطه عرضا مستمرا منذ العاشرة صباحا ، وحتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى .. وفور بدء العرض يمكنك ان تسمع نداءات النساء والأطفال فى الحارة للتنبيه على ان الحفل قد بدأ . يسود الهدوء المكان .. وتخلو الحارة من سكانها . وتنبعث عبر النوافذ اصوات الممثلين فى الفيلم المعروض التى تعلو على كل اصوات الحارة . ولايكاد العرض ينتهى حتى يبدأ عرض فيلم آخر . وتستمر هذه الظاهرة ساعات لا تنقطع إلاّ قرابة حلول الفجر .. ينام الناس ويصحون ويجدون عرض الشرائط فى حالة تواصل دائم .

## لغة مفهومة !

السؤال : ماذا يشاهد المتفرجون طيلة هذه الساعات ؟

تنحصر نوعية الافلام المعروضة فى الغالب داخل هذه النوعيات من الافلام : الرعب ، الكاراتيه ، مطاردات وحكايات بوليسية . واللغة المشتركة فى هذه الافلام هى كلمة واحدة تتلون حروفها حسب الظروف : «طاخ طيخ طوخ» . وقد اصبحت هذه اللغة هى الوحيدة المفهومة من خلال شرائط الفيديو سنتر .. ولأن العرض هنا مجانى .. ولأن الافلام المعروضة لا تكلف مشاهدها سوى الجلوس امام جهاز التلفاز . فلا شك ان

# عملية صناعة الذوق العربى

اغراء الرؤية كبير . حتى لو اعيد عرض فيلم ما أكثر من مرة . فلو خرجت احدى الاسرات الى اى من دور السينما القريبة فسوف تدفع مبلغا كبيرا من اجل مشاهدة فيلم واحد فقط . وليس كل هذا الكم من الافلام .

وهكذا دخلت الحارة عادات وتقاليد جديدة : البقاء فى المنزل اطول فترة ممكنة والسهر حتى ساعات متأخرة من الليل . والفة من نوع جديد بين الجيران .. فى الوقت الذى يتوقف فيه العرض المستمر ، لسبب او لآخر ، فإن النوافذ تفتح . وتطل منها رءوس النساء . وتثرثر الالسنة معلقة بآراء نقدية حول الفيلم الذى عرض لتوه ، وما يمكن ان يعرضه جارهم صاحب الفيديو سنتر ، فى المرة القادمة . وقد زادت درجات الالفة لدرجة ان يقوم بعض شباب الحارة باستئجار افلام تعجبهم يدفعون بها الى الجار الطيب ، مجنون الفيديو كى يعرضها على الجميع .. وتطورت الظاهرة لدرجة ان بعضم طلب أن يعرض لهم حفل زفاف تم فى الشارع . وعلى الشاشة شاهد الجميع انفسهم فاشتعلوا فرحا وطالبوا بعرض الشريط اكثر من مرة .

## ● ضرب قضية الانتاج

عندما ظهر الفيديو المركزى لاول مرة . أحس الكثيرون بالتخوف من الآثار السلبية التى يمكن ان يجلبها هذا الجهاز الخطير معه . وقد عقد العديد من الندوات لمناقشة هذه الظاهرة وتعددت الاراء حولها . حيث رأى البعض مثلا ، انه يمكن ان يبث إنسان ما يراه من افلام جنسية ـ المعروفة تحت اسم «افلام ثقافية» ـ فتحدث اثرا عكسيا فى البيوت . وفى ندوة عقدتها كلية الاعلام بالقاهرة رأى احدهم إن الانسان الذى يملك البث وراءه جهات اكبر ربما تكون دولا اجنبية من مصلحتها ضرب قضية الانتاج فى مصر عن طريق بث الافلام التى تروج المخدرات والجنس والسموم البيضاء . والدليل ان البث يبدأ بعد منتصف الليل بهدف ان يسهر الشباب امام جهاز الفيديو حتى الصباح ، وبالتالى لا يقدرون على العمل فى مراكز انتاجهم ، كما ان من يشاهد هذه النوعية من الافلام يتأثر انفعاليا ويظل متوترا وقلقا طوال الوقت .. وبالتالى نصبح مجتمع انفعالات . كما أن مشاهدة الافلام المخلة تضر بالشباب والمجتمع واخلاقياته ..

لقد راح صاحب هذا الرأى يفكر من خلال منظور ضيق لا يمكن ان يتحقق الا فى حدود ضيقة للغاية . وراح كعادته يلقى المسئولية على قوى اجنبية .. وفى رأيى أن أهمية الفيديو المركزى انه ليس جهازا خاصا يمكن للمرء مشاهدة الافلام من خلاله فى غرفة مغلقة . وانما هناك قيود اخلاقية تفرض على صاحب الجهاز من المنطقة المحيطة به . خاصة فى الأحياء الشعبية الآهلة بالسكان . تتسم بأن هناك الفة واضحة بين ابنائها ..

حسب رأيى فإن خطورة الفيديو المركزى تتجسد فى انها كشفت عن ذوق

المتفرج المصرى . فلاشك ان افلام الحركة والعنف المعروضة بصفة دائمة على هذه الشاشات قد تتناسب مع الجو العام الذى يحيط بعملية المشاهدة .. مثل وجود ثرثرة اجتماعية . وعدم تركيز فى المشاهدة . وأن المشاهدة تتم فى وجود ضوء الغرفة غالبا . مما يلغى خصوصية المشاهدة وعلى الفيلم المعروض فى مثل هذه الاجواء ان يكون لافتا للانتباه . وقد استطاعت افلام الرعب والكاراتيه ان تتغلب بما فيها من عناصر اثارة على هذه الاجواء . بل ان السينما الهندية ، والتى تتمتع بسيادة واضحة على المشاهد العربى ، قد هجرت الرومانسية التى اشتهرت بها كى تستعين بنجوم جدد يمكنهم القيام بكافة حركات العنف بالاضافة الى الغناء والاستعراض وتجسيد المشاعر الرومانسية بنفس الكيفية . وهكذا أوجدت هذه السينما مزيجا خاصا بالمشاهد يتناسب مع ذوق المتفرج الشرقى .

اذن تكمن اهمية الفيديو المركزى فى فرض الذوق الفنى . فصاحب هذا الجهاز يقوم بعرض الافلام التى تتناسب مع ذوقه الخاص ، وهو حر فيما يفعله ، وعلى جيرانه ان يتقبلوا هذه العروض المجانية بصدر رحب مهما كانت اذواقهم . وعلى من لا يجد فى نفسه هوى لهذا النواع من الافلام ان يحول القناة . وهنا تكمن الخطورة . فالدراما التى تعرضها قنوات التلفاز الثلاث لا يمكنها باى حال ان تنافس هذا الكم الهائل من شرائط الفيديو المعروضة ، أما الافلام التى سبق عرضها عشرات المرات فى السهرات . فإن المتفرج البسيط سيجد اصابعه تضغط غريزيا على قناة الفيديو المركزى .

وقد حدث ، فى «حارتنا» شىء غريب آخر . عندما فتح الله على جارن ثان واشترى جهاز فيديو سرعان ما احضر له ايريال بث . وبدأت المنافسة والتكامل بين الطرفين . حيث أصبح الجهازان يتبادلان اوقات العرض والافلام . وزادت نسبة الدماء المنسالة على الشاشة وجاء وقت جعل المرء يشعر بأن الناس فى «الحارة» فى حالة اجازة دائمة من اعمالهم من اجل متابعة افلام الفيديو المركزى . وللانسان ان يتصور ان «حارة» بأكملها تشاهد افلاما لأكثر من عشر ساعات يوميا .

وليس مجالنا هنا الحديث عن ثقافة المتلقى لكل هذه الساعات من الدراما الدامية المجوفة ولكن من المهم ان نعقد مقارنة بين هذه الظاهرة ، وانتشار شرائط الكاسيت فى سيارات الاجرة بكافة انواعها حيث يفرض السائق على الركاب ابان زمن المسافة المقطوعة اغنية معينة وذوقا خاصا . وليس للراكب حق الاعتراض لأن السائق يعمل بذلك على تسليتهم . هذه الحالة فرضت اصواتا نشازا وكلمات خالية المعنى . وساعدت على افساد الذوق العام عمدا وعن غير عمد . مثل هذه الظاهرة تتكرر فى الفيديو المركزى بشكل مكثف . واذا كنا قد قابلنا فوضى شرائط الكاسيت بسلبية وبرود . فإن فرض ذوق معين على المشاهدين من خلال الفيديو المركزى قد قوبل بارتياح . واعتقد انه من الصعب التصدى لهذه الظاهرة . الا اذا تم تغيير عناوين وموضوعات الافلام المعروضة فى نوادى الفيديو .. وهذا امر يعد من ضروب المستحيلات ..

# العالم في سطور

## واشنطن

● كتبة جانون .. هيمنجواي

ارنست هيمنجواي هو بلا شك الاديب الاكثر غموضا وجاذبية في القرن العشرين . ويمكن تلخيص هذا الرجل في أرقام هي كالتالي : اربع زوجات . ومائة كيلو من الوزن . وثلاثة ابناء . وعشرون كتابا . وآلاف الصفحات المكتوبة خلفه . وقد راحت دور النشر العالمية تكنس حوانيت الكاتب من أجل تجميع تراثه . سواء رسائله التي بعثها الى اصدقائه في مناسبات مختلفة . او مقالاته المنشورة في مجلات . أو العثور على رواية كاملة لم تنشر بعد ..

وباسم هيمنجواي أصدرت احدى دور النشر الفرنسية كتابا يحمل عنوان « الصيف الخطير » وهو عبارة عن مجموعة انطباعات كان ينشرها عن رحلته لاسبانيا في مجلة لايف .. أما الباحث جيفري مايير فقد قدم دراسة ضخمة عن الكاتب تقع في ٦٠٠ صفحة جاء فيها ان كل هذه الصفحات قليلة عن حياة هيمنجواي . الذي يعتبره نموذجا انسانيا يحتذى به . فهو رجل احب الحرب ومصارعة الثيران والنساء اللاتي يكبرنه سنا . واحب الترحال الى الغابات من أجل صيد الحيوانات ايمانا نابعا من حبه للطبيعة . وهو في نظر الباحث اخر الكتاب الاسطوريين كان يحب مراقبة الاغراب وهم نيام . لم يكن يحب الاكل كثيرا . لكنه عشق القطط . اتهمته وكالة الاستخبارات الامريكية بانه شيوعي . عرف نساء عديدات وعرض عليهن جميعا الزواج . لكنه لم يستطع الاقتران باكثر من أربع نساء .

أما كتابه « الصيف الخطير » فهو مصاغ في قالب روائي حول شاب أسباني يدعى انطونيو . يحب الصيد . ويتحدى عديله البيطري في عمله ؛ وتدور أحداثها عام ١٩٥٩ .

ويتحدث الكاتب عن حقل مصارعة ثيران في مالزجا بين رجاين وليس بين ارنست هيمنجواي



رجل وثور ، يرتدي أحدهما ملابسه وكأنه ثور ويزمجر بنفس الطريقة · ويرتدي قبقابا · ويقول ان هذه المصارعة كانت في حاجة الى شاهد ليروى تفاصيلها وها هو يفعل ذلك ·

الجدير بالذكر ان هيمنجواى قد عبر عن حبه لمصارعة الثيران في العديد من كتبه ومن بينها « الموت بعد الظهيرة » و « الشمس تشرق أيضا » ·



ارنستو ساباتو

## بيونيس ايرس

● حوار صحفي ·· مع الاشباح ●

« اشباحي » ·

عنوان كتاب صدر في بيونيس أيرس حول الروائي المعروف ارنستو ساباتو · وهذا النوع من الكتب موجود بشكل مكثف في المكتبات العالمية · حيث يدون الكاتب سيرة حياته وافكاره من خلال حوار يعقده معه أحد المتخصصين · ومن ابرز هذه الكتب « العيون المفتوحة » الذي أعده ماتيو جالي عن مرجريت يورسنار ·

وساباتو هو أحد أهم الروائيين في امريكا اللاتينية رغم انه لم يكتب سوى ثلاث روايات لا غير · لكنها رغم قلتها عكست واقع المجتمع الذي تعبر عنه · واخرجت احشاءه سليمة الى العالم · من اهم هذه الروايات « ملاك الظلام » ·

يقول ساباتو للصحفي كارلوس كاتانيا في كتابه « اشباحي » : « أنا دائما عدائي نحو نفسي · ولكن هذا لا يكفي لهدمي · يجب أن احرق الاشياء بصورة جذرية · وقد جاءت لحظات احسست فيها انني قلت كل شيء · ولكن هذا الاحساس خطير · فيجب ان نقاوم اغراء المال · وأعتقد أننا يجب أن نكتب عندما لا نستطيع ان نفعل شيئا اخر · وقد فعلت هذا بصورة محددة · عندما احسست انني غير قادر على المقاومة » ··

وعند وضعية الانسان في روايته « الرجل المتعمد » : هو في حالة غيبية لاننا نعيش في نهاية الثقافة · وهذا امر ضروري طالما اننا دخلنا في عصر التقنيات والتكنوقراط · مما اثر على كل القيم التي اختارها الانسان لنفسه · واذا اعطيت كل الاهمية للفن والتخيل · فلانها تعبر عن الممكن · وعن الطموحات الخاصة فيما يتعلق باشكال الفكر الخيالي ، وذاتية الاحاسيس التي يتم اغتصابها يوما وراء اخر ··

ويقول ساباتو عن العلاقة بين رواياته ولوحاته الفنية التي يرسمها : « انها تعبر عن نفس الشيء · فبين رواياتي ولوحاتي وحدة واحدة · والفنان بصفة عامة يبحث عن المطلق عبر محددات عديدة · ولا يمسه الا للحظة واحدة » ·



صموئيل بيكيت

## باريس

### ● في انتظار .. بيكيت ●

الصورة ..
عنوان احدث كتاب صدر في الشهر الماضي للكاتب الايرلندي صموئيل بيكيت ـ ٨٢ عاما ـ والحائز على جائزة نوبل في الادب عام ١٩٦٩ .

تجيء طرافة الخبر في انه اقصر مؤلفات الكاتب حجما . وقد صدر الكتاب عن دار نشر « منتصف الليل » التي تخصصت في طبع ونشر الادب التجريبي الحديث . مثل مسرحيات العبث وأدب اللا معقول . والروايات الجديدة . وهي تنشر اعمال كل من الان روب جرييه ، ومرجريت دوراس وكلود سيمون وميشيل بيتور ويوجين ارنسكو واقرانهم .. وتجيء اهمية هذا الكتاب في انه يمكن ان ينطبق عليه المثل العربي: « تمخض الجبل فولد فارا » . حيث ان بيكيت قد توقف عن الابداع الادبي والمسرحي بصفة خاصة منذ أمد طويل . وقد ارتبط ابداعه بحركة مسرحية ونشاط مكثف في بداية الخمسينيات . ثم قلت ابداعاته في السنوات التالية . وهي الفترة التي عرفت بازدهار مسرح العبث .

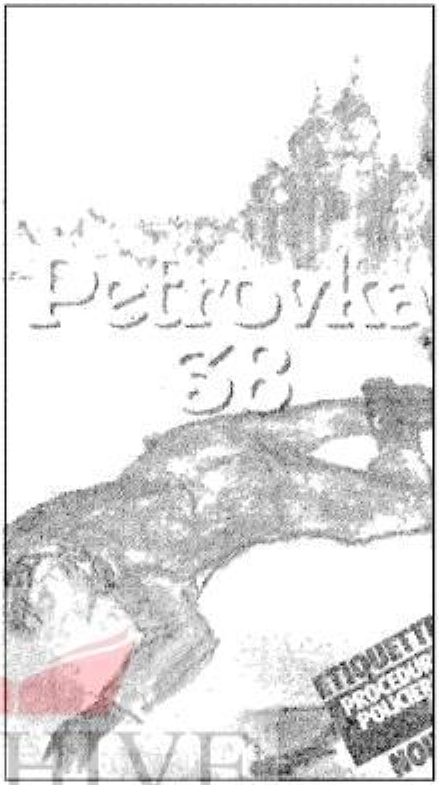
الان . بعد أن نال ابناء هذه الاتجاهات الادبية الجوائز التقليدية الكبرى مثل جائزة نوبل واعتلوا مقاعد الاكاديميات الكلاسيكية العريقة مثلما حدث مع يوجين اونسكو فقد شعروا بالاسترخاء ـ وليس لقلة ابداعهم علاقة بالسن ـ وادار وا ظهرهم للعالم بدليل أن بيكيت قد جمع مجموعة من انطباعاته النثرية وراح يطبعها في كتيب بلغ ثمنه ما يعادل عشرة الجنيهات .

من المعروف ان كتب الادباء التجريبيين المعاصرين دائما تجيء صغيرة الحجم قياسا للروايات الاخرى التقليدية . ومع ذلك فهي مرتفعة السعر بشكل ملحوظ ..

## موسكو

### ● الفودكا الفائقة ●

مهما قال اصحاب الفكر « الجاد » في مسالة الرواية البوليسية . فان هذا النوع من « الادب » هو الاكثر قراءة في العالم كله وبلغات البشرية




جمعاء ٠٠ واذا كان انتشار الرواية البوليسية في الغرب يفوق كل الانواع الاخرى من فنون الكتابة ٠ فان الحال يختلف قليلا في المعسكر الشرقي فالرواية البوليسية لا تجد كثيرا من الفرسان في الاتحاد السوفييتي مثلا ٠٠ ولكن يوليان سميونوف اثبت انه كاتب من الطراز الاول لهذا النوع الادبي٠ وذلك من خلال روايته «بتروفكا ٣٨» التي نشرها اول مرة عام ١٩٦٢ ٠ ثم أعيد طبعها ٠ عام ١٩٧٢ ٠ ولم تتم ترجمتها الى اية لغة سوى في الشهر الماضي حيث نشرت في سلسلة « أسود » المتخصصة في هذا « النوع من الادب »٠

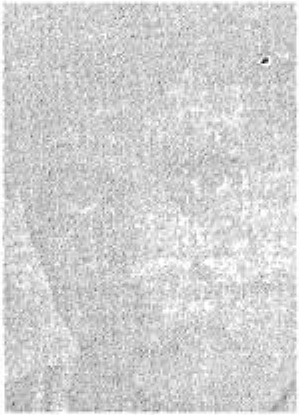
وسميونوف كان مراسلا حربيا لجريدة البرافدا ٠ وهو يعمل حاليا مستشارا لميخائيل جورباتشوف في شئون الثقافة والاتصالات ٠ وتختلف حبكة روايته عن الروايات البوليسية العادية ٠ فهي رواية سياسية حمراء٠ تتحدث عن ان « القانون قد وضع ليطبق » مهما كانت هوية الشخص الذي يرتكب الجريمة ٠

يقول المؤلف في حديث أجرته معه مجلة « حدث الخميس » : المهم في أنشطتي المتعددة هو الادب ٠ رغم انني اكتب مقالات سياسية ٠ ولست متخصصا فقط في الرواية البوليسية أو رواية التجسس ٠ فالتشويق ليس سوى طريقة لجذب اهتمام القراء ٠ وقد كان دوستويفسكي يفعل ذلك في رواياته ٠٠ مثلما حدث في «الجريمة والعقاب» الرعب يصيبني من الكتب التي لا تخدم هدفا ٠ مثل روايات اجاثا كريستي ٠ حيث لا ترى سوى مخبر يفتش عن أسرار الجرائم جل وقته ٠٠ لكن الاشياء ليست بهذه البساطة التتافهة٠

٠٠٠

العالم في سطور

نيويورك



جون ارفنج

## ● عندما يصبح القارىء مسلوب الارادة ●

تراه فيخيل لك انك امام نجم سينمائي وسيم اقرب في وسامته الى روبرت ردفورد .. أو كأنه رياضي يحرص على تنمية عضلاته الضخمة استعدادا لمباراة حاسمة . اسمه جون ارفنج . والمهنة : روائي أمريكي مشهور .. وتحقق رواياته « دائما » أعلى المبيعات . منذ أن ظهر على الساحة الادبية عام ١٩٧٢ . قليلة هي رواياته . وكثيرة هي مبيعات هذه الروايات التي تحولت جميعها الى افلام . مثل « فندق نيو هامبشير » و « العالم في عيون جراب » .

هذا الشهر صدرت أحدث رواية لارفنج تحت عنوان « اشعار شارب المياه » . وفي روايات الكاتب جميعها يبدو مسحورا بعالم الطفولة والبراءة . حتى وان كان الاطفال مزعجين مثلما يراهم كوكتو وجويس كارول أوتس . وهو يتعاطف دائما مع الضحايا من الناس . ويصبحون ابطالا في رواياته وفريد بطل روايته الاخيرة هو أحد هؤلاء البشر .

يقول الناقد فردريك فيرني ان جون ارفنج - ككاتب - أشبه بثعلب ماكر من الصعب ان تمسكه بين يديك . كما انه من الصعب ان تتابع حركة شخصياته حيث يبدون كأنهم اسماك تعوم في مياه صافية . ينزلقون بسهولة ويتحركون في اتجاهات متعددة .

ويرى فيرني ان ارفنج قد استفاد من حبه لكل من هرمان ملفيل والروائي الامريكي ناثنيل هاوثورون وشارلز ديكنز . وقد اخذ من كل كاتب أعجبه سمة خاصة . فجمع أدبه بين مزيج متعدد النكهة والالوان . ويرى الناقد ان روايته « اشعار شارب المياه » بلغت من الروعة حدا يجعل المرء يتساءل هل من الممكن ان يتفوق على نفسه في أعماله القادمة . فارفنج هو أحد الروائيين المعاصريين المؤمنين بالاخلاقيات وهو يشد انتباهك بدءا من الصفحة الاولى . ويصحبك الى حيث يشاء . فتصبح - كقارىء - مسلوب الارادة حتى تنتهي من القراءة .

# واخيرا..
# اخناتون في اوبرا

الاوبرا عمل درامي ، يجــــرى الحوار فيه بكلمات تغنى كلهـــا او بعضها بمصاحبة الات موسيقية عادة ما يتشكل منها اوركسترا •

وتعتبر الاوبرا ، وفقا لهذا التعريف فنا شابا ليس له من العمر ســوى اربعمائة عام ، وذلك عند نهاية القرن العشرين • وشبابها هذا لا يبرزها في سوى السينما التي لم تولد الا منذ ثلاثة وتسعين عاما •••



وما اريد ان الخص هنـــا تاريخ فن الاوبرا مرتدا به الى اول حدث من نوعـــه ، وهو عرض اوبرا « بيرى » المســماة « يوريديس » مصدر الهام«اورفيوس» رب الموسيقى ، واغنية حبه وانشودة وفاء ، عرضها باعتبارها حدثا جديدا فريدا في مدينة فلورنســــا وذلك كجزء من احتفالات عقد قران هنـرى الرابع ملك فرنسا على مارى من آل ميديشى الاسرة الحاكمة العريقة في الاسيف والنبل ( ١٦٠٠ )

ولا ان الخص تطور هذا الفن على مر اربعة قرون من عمر الزمن •

كيف نهض به « اليساندرو سكارلاتى ( ١٦٥٩ ـ ١٧٢٥ ) « وجان باتيست لولى » ( ٣٢ ـ ١٦٨٧ ) و جان فيليب رامـــــــو » ( ١٦٨٣ ـ ١٧٦٤ ) وكريستوف فون جلوك»( ١٤ ـ ١٧٨٧) حتى جاء « وولفجــــانج اماديوس مــــوزار » ( ٥٦ ـ ١٧٩١ ) وحي موسيقى السماء الى الارض جاء الى عالم الاوبرا « بالدون جــــوان » و « الناى السحرى » فارتفع بفنها الى أعلى عليين •

## ● تطور فن الاوبرا

وكيف ظهر في منتصف القرن الماضي واوائل هذا القرن ، ما ينبيء بما كان فن الاوبرا مشرفا عليه من تطـــور عظيم ، وآية ذلك اعمال ريتشـــارد فاجنر ( ١٣ ـ ١٨٨٣ ) و « جيسيبى فيـــــردى » ( ١٨١٣ ـ ١٩٠١ ) و « ريتشارد شتراوس » ( ١٨٦٤ ـ

## واخيرا.. اخناتون في اوبرا

١٩٤٤ ) و « كلود ديبوس » ( ١٨٦٢ - ١٩١٨ ) .

وكان هؤلاء جميعا وكثير من امثالهم يصورون آخر واول عصر آخر ، يصورون طورا من اطوار الانتقال .

**ولم يكد هذا القرن يخطو خطوات قليلة ، حتى ظهر جيل من الموسيقيين نظر الى ما قبله من ابداع نظرة سخط عنيف ، تمرد عليه رافعا راية العصيان تحت شعار اللانغم .**

ثم كانت الحرب العالمية الاولى التى هزت الانسانية كلها خمسة اعوام .

وما ان انتهت حتى ظهرت اعمال ارنولد شونبرج ( ١٨٧٤ - ١٩٥١ ) الاوبرالية « موسى وهارون » وكذلك اعمال « كارل اورف » ( ١٨٩٥ - ١٩٨٢ ) « انتيجون » وغيرهم من امثال « البان بيرج » و « انطون فيبرن » .

ومرة اخرى اهتز العالم بحرب عالمية ثانية دامت زهاء ستة اعوام ، واذا بالابواب تفتح على مصاريعها لجيل من الموسيقيين نفذت اليه نظرية اللانغم حتى النخاع .

**ومن اهم مبدعي هذا الجيل فى مجال الاوبرا الالمانى « هانز فارنر هنزى » ، والامريكى « فيليب جلاس » وعند اوبرا الموسيقار الاخير المسماة « اخناتون » ( ١٩٨٤ ) اقف قليلا .**

هذه اوبرا استكمل بها « جلاس » ثلاثيته التى تدور وجودا وعدما حول شخصيات تاريخية ثلاث لعبت دورا حاسما فى تاريخ البشرية .

والثلاثية بدأت باوبرا « اينشتين على الشاطىء » ( ١٩٧٥ ) ، وبعد انتهاء « جلاس » منها اتبعها باوبرا غاندى المسماة « ساتيا جراها » .

وفى رأى صاحب الثلاثية ان « اخناتون » و « غاندى » و « اينشتين » **هؤلاء الثلاثة قد تحولوا بافكار واحداث ازمنتهم تحولا ثوريا وذلك بفضل قوة الرؤى الكامنة فى اعماق أعماق كل واحد منهم .**

فاينشتين رجل العلم وغاندى رجل السياسة واخناتون رجل الدين - كل واحد منهم وله نصيب فى هذه الافكار الثلاثة ( العلم ، السياسة ، الدين ) التى لا يزال عقلنا وعالمنا متأثرين بها الى يومنا هذا .

ويستطرد « جلاس » قائلا انه حصل على نصوص الاوبرا من زمن « اخناتون » - فترة العمارنة .

وان المراسيم والالقاب والخطابات وبقايا قصائد الشعر ، كل ذلك وغيره مما عثر عليه فى الحفريات انما يجرى غناؤه فى الاوبرا باللغات الاصلية المكتوبة بها هذه الآثار .

**● تباعد**

**ونظرة طائرة على كل من مقدمة « جلاس » للاوبرا وقصتها المكتوبة وكلماتها ، انما تكشف التباعد الذى بينها وبين الاوبرا كما اعتدناها فى اعمال مثل « عايدة » و « ريجوليتو » و « غادة الكاميليا » و « كارمن » و « توسكا » ، وكلها بلا استثناء تنتسب الى القرن الماضى .**

تبدأ الاوبرا بمقدمة اوركسترالية حتى اذا ما اقتربت من نهايتها ، ارتفعت الستارة عن الكاتب « امنحوتب بن هابو » فى مشهد الجنازة يقول شعرا من نصوص الاهرامات - المملكة القديمة مفاده ان ابواب الافق مفتوحة والسحب

السوداء تخفى السماء والنجوم تمطر . والافلاك تترنح . وعظام كلاب الجحيم ترتعد . وحراس البوابات فى صمت .. لماذا ؟

لان الملك تحلق روحه صعودا الى السماء حتى لا يموت هنا على الارض وسط رعاياه الذين مآلهم الفناء وبئس المصير .

وما ان تنتهى هذه المقدمة ، حتى تبدأ جنازة الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون .

وهذه الجنازة مدار الفصل الاول ، وترمز الى اهتمام المصرى بالحياة فيما بعد الموت .

ونغمها سائد متكرر على امتداد الاوبرا وموكب الجنازة يقوده طبالان، يتبعهما نفر من كهنة امون يسيد فى مقدمته « اى » ( والد نفرتيتى ومستشار الملك المتوفى وفرعون مصر عند سقوط اخناتون ) .

والجميع ينشد من كتاب الموتى بلغة مصرية قديمة غير مترجمة .

« عش الحياة ، انك لن تموت ، انك ستعيش ملايين ملايين السنين .. ملايين ملايين السنين »

وشيئا فشيئا ، ومع انحسار الموسيقى فى الات الشيللو يدخل الملك المتوفى امنحوتب الثالث فى اعقاب الموكب .

واذا بنا نراه فرعونا بلا رأس ، والاغرب انه يحمل رأسه على كفيه

وهنا يعود الجوق الصغير ومعه صوت « أى » الاجش تصاحبه موسيقى الاوركسترا ، فينشد من نفس كتاب الموتى ما حاصله ان زورق رع يجوس بفرعون العباب ومن تحته فى العالم السفلى بحيرة النار

وان فرعون لن يموت ، بل سيبقى حيا يرزق ملايين السنين .

ولن احكى بقية الفصل الاول .

كيف توج امنحوتب الرابع ( يعنى روح امون ) فرعونا ، وما ان توجه بالخطاب الى الشعب اذا به يتحول الى اخناتون ( يعنى روح اتون ) مصفيا بذلك امون ومعه ماضى المصريين الوثنى لصالح اله واحد .

ولا كيف ينتهى الفصل باخناتون وحيدا يراقب جنازة ابيه فى الافق البعيد والزورق يعبر بها نهرا اسطوريا الى ارض الموتى .

وانما اكتفى بهذا التلخيص ، وذلك لانى ما حكيت بالتفصيل النصف الاول من هذا الفصل الا ابتغاء تسليط الضوء على ما يميز اسلوب « جلاس » فى الابداع الاوبرالى ، وما يباعد بينه وبين اسلوب غيره من الموسيقيين لاسيما من كان منهم باعماله سابقا على قرننا العشرين

## ● اوبرا باللغات القديمة

وهنا قد يكون من المناسب ان اقول ان اول عرض لاخناتون لم يكن فى الولايات المتحدة ، وانما كان فى المانيا الاتحادية وبالتحديد اوبرا ستوتجارت فى الرابع والعشرين من مارس لعام ١٩٨٤ .

وان الكلمات فى تلك الاوبرا لا يجرى غناؤها باية لغة من لغاتنا الحية ، وانما باللغات القديمة كما جاءت فى نصوص الاهرامات وكتاب الموتى والواح تل العمارنة ، وما الى ذلك من اثار .

ومع ذلك فثمة استثناءان من القاعدة المتقدم ذكرها .

اولهما السرد المصاحب للاحداث على لسان الكاتب والذى يعتبر بمثابة الراوى ، ذلك السرد نسمع كلماته مترجمة الى لغة المشاهدين .

وثانيهما الصلاة لاتون فى المشهد الرابع من الفصل الثانى حيث نرى اخناتون مبتهلا بلغة حية مفهومة .

ومن بين ابتهالاته المدهشة ان الله واحد لا شريك له . وان الله ليس له كفو احد .

# شجون صبية

شعر: زينب محمود أحمد

وكان الليل مرسوماً
على أحداق قريتنا ،،
فلا يرتاح إن نمنا
ولا ينسل
إن صـاحـت
ديوك الفجر !!

● ● ●

وكان الليل يطعمنا
بقايا السُّهدِ ،
إن ضنت قوافله
بأضغاثٍ ، تبعثرها
على الأرواح
فى دهمومة الذكرى
، ..................
يدوس ضروع سنبلةٍ ،،،
فتنعش ..
كلُّ أفئدة النخيل ..
المرُّ

لا يساقط الرطب !!

● ● ●

وكان الليل يجمعنا
يدثّرنا .. ..
بأوجاعٍ رماديه
يلم الشيء المصهور
فوق مشاعل الرؤيا

وإن أمطر .. .. ..
.. .. .. .. .. ..
.. .. .. .. .. ..
تحرقه شجون صبية
عثرت على الوان مهجتها ..
الخريفيه
، .. .. .. ..
يفك إسارها
شريان هدأتِهِ ،،
فيخطف قلبها النشوان





سمت مخالب الصرخة

● ● ●

فتجلس تحت أرجله
وما تنفث تحلوه
بريق الشمس
يا أحمر
بريق الشمس
يا أصفر..
ويا
أخضر..
ويا!!!....
أز.......
رق]

● ● ●

وكان الليل....

# العالم غدا

## ● مصر بالاقمار الصناعية ●

تسلمت مصر أول خريطة جيولوجية متكاملة تغطى جميع أنحاء مصر وتخدم مشروعات التعدين والتعمير والبيئة والسياحة .

والخريطة الجديدة تختلف من حيث النوع عن الخرائط التقليدية السابقة ، التى كانت تحتوى على المعلومات الاساسية ، وتخدم أساسا الاحتياجات التعليمية والتعريفية بالمناطق الجيولوجية فى مصر ..

أما الخريطة الجديدة فتحوى التفاصيل الجيولوجية الدقيقة ونوعيات الصخور المختلفة وتوزيعها ومواقع المناجم وحقول النفط ، مع تحديد الاراضى المزروعة والمسطحات المائية ، وشبكات الطرق وخطوط الكهرباء ، وغير ذلك من المعالم الانشائية والبيئية، وبالذات المستجدة منها فى المناطق الصحراوية والساحلية ..

وقد أمكن انجاز ذلك من خلال البيانات المستقاة من الصور الفضائية ( الملتقطة بالاقمار الصناعية ) والمدققة بواسطة ما يزيد على ٣٠ بعثة مساحية جيولوجية ، انجزت الاعمال الحقلية والمعملية المختلفة .. وقد تم تجميع هذه الخريطة من ٣٠ لوحة مختلفة تغطى اجزاء البلاد .

ويمكن أن يستفيد من هذه الخريطة قطاعات الطرق والزراعة والرى والكهرباء والتعمير والسياحةوالاسكان ناهيك عن القوات المسلحة .

وقد تم تمويل الخريطة بمنحة أمريكية كويتية جاوزت ثلاثة ملايين دولار ، وجرت بمتابعة مباشرة من وزارة البترول والثروة المعدنية وسوف يبدأ تسويق الخريطة الجديدة للجهات البحثية اعتبارا من شهر نوفمبر القادم ..

وفى نفس الوقت وافقت الهيئة العامة للمساحة على انشاء مركز ( تابع للهيئة ) مهمته تحليل بيانات الاقمار الصناعية للاستعانة بمعلوماتها فى مصر الاراضى الزراعية وتحديث خرائطها (!) وتنظم الهيئة دورات تدريبية فى اللغة الانجليزية والكمبيوتر فى اطار الاعداد لانشاء المركز .. هذا كما صرح مدير معهد الصحراء أن المعهد انتهى من اعداد خريطة تفصيلية (!) لصحراء مصر بعد بحوث ودراسات ميدانية ومعملية قام بها خبراء فى مختلف تخصصات التربة والمياه والرى والزراعة ..

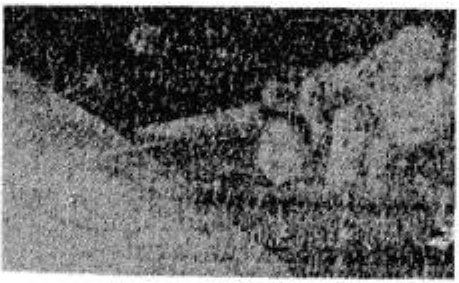
## ● مسلسل آرو الاسرائيلي الامريكي ●

بعد انتهاء الجزء الاول من المسلسل الاسرائيلى الامريكى حول صنع الطائرة « لافى » وانسحاب الولايات المتحدة منه لتضطلع « باخراج » الجزء الثانى منه ، مع اسرائيل ، جمهورية جنوب افريقيا ، بدأت وقائع مسلسل اسرائيلى أمريكى حول صناعة الصواريخ «آرو»

المضادة للصواريخ ( تتحمل الولايات المتحدة ٨٠٪ من تكاليفه ) ، وحول ايجاد سوق لصواريخ « يوباي » الاسرائيلية الصنع باعتماد استخدامها فى القوات البحرية الامريكية ..

ومسلسلا « لافى » و « ارو » يجريان فى اطار استراتيجية واحدة هى استراتيجية اليد الطولى الاسرائيلية التى يجب أن تكون مطلقة التأثير فى المنطقة . وهكذا فرغم اعلان اسرائيل عن تطوير صواريخ « أريحا » لتصبح صواريخا بعيدة المدى ، يمكنها أن تحمل رءوسا كيميائية وذرية ، يجرى استخدام العرب على طريقة يونيو ١٩٦٧ الشهيرة : « انظروا كيف يصرون على القائنا فى البحر .. هل نقف مكتوفى الايدى حتى يفعلوا ؟! » . ومن هنا كان التمهيد بشائعات حول شراء دول عربية عديدة لصواريخ صينية ، وحول ...

ذلك رغم أن المسألة تدخل أساسا ضمن مبادرة الدفاع الاستراتيجى للرئيس ريجان ، الامر الذى حذرت منه مجلة « الهلال » منذ يونيو ١٩٨٥ ( نصيب العرب من حرب النجوم ) وقد اختير توقيت المسلسل الامريكى الاسرائيلى الجديد حتى تتخلص اسرائيل بالتعهدات الامريكية ، خوفا من خفوت الحماس لمبادرة الدفاع الاستراتيجية بعد ريجان الامر الذى لاحت بوادره بالفعل ...



## ● كارثة شرنوبيل .. بداية أم نهاية ●

فى السادس والعشرين من أبريل آثر واحد من أكثر علماء الذرة فى الاتحاد السوفييتى موهبة ومقدرة، آثر الموت على الحياة ، فكان أن انتحر وله من العمر واحد وخمسون عاما .

من هو هذا العالم المنتحر الذى مزق مأساته الشعب السوفييتى ؟

ولماذا اختار الانتحار ؟

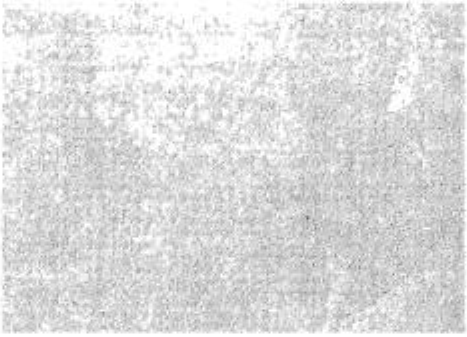
هو فاليرى الكسييفيتس ليجاسوف.

وفى وصف شخصيته قال الاكاديمى السوفييتى « تريتياكوف » انه يجمع فى شخص واحد « دون كيشوت » و « جان دارك » .

وفى مذكراته التى نشرتها جريدة « البرافدا » بعد انتحاره بقليل وبالتحديد فى العشرين من مايو ، يقول انه ما ان اثار موضوع تغيير الفاعلات النووية الى مفاعلات أكثر امنا وامانا حتى هبوا ثائرين عليه متهمين اياه بالجهل وبالتدخل فى مسائل لا يعرف من امرها شيئا .

أما أكثر ما يدعو للحزن الشديد ، فهو غياب اى تحليل موضوعى على جاد لتحديد احتمالات ما يمكن ان يحدث مستقبلا وفحص مواقع المتاعب الممكنة فحصا كاملا شاملا ، فضلا عن اكتشاف الوسائل الكفيلة بالتغلب عليها .

لقد توصلت بعد ذهابى الى شيرنوبيل الى نتيجة واحدة لافكاك منها وهى ان فاجعة شيرنوبيل ليست الا قمة ونتيجة لكل ما هو سىء فى ادارة اقتصاد بلادنا على امتداد عقود عديدة .



## كتب ناطقة

ظاهرة جديدة [illegible] الاستعمار [illegible] الكتب [illegible] وهي كتب [illegible] للاوراق [illegible] الجال للمستمع [illegible]

[illegible]

[illegible] يجب [illegible] كما [illegible]

[illegible]

٢٧٦



## ● وداعا للمكاتب ●

تطور جديد يشهده عالمنا اليـــوم في دنيا الاتصالات بعد هاتف السيارة الذي مكن من ادارة مؤسسات بكاملها من الطرق العامة والجانبية فقد ظهـــر في اسواق لندن جهاز هاتف صــغير ( نصف كيلو جرام ) مصمم بحيث يأخذ مكانه في جيب المرء على نحو مريح . ويتيح لحامله أيا كان موقعه الاتصــال بأي مكان في العالم ..

والجهاز الجديد اشبه بحاســـبة الجيب الصغيرة ، وان افترق عنها في وجود هوائي مثـــل هوائي الراديـــو الصغير مبيت في أحد أطراف الجهـــاز ليتم اخراجه عند الكلام .. ويعـــود صغر حجم الجهاز الجديد الى الاستفادة من الامكانات الحديثة لشرائح السليكون اذ طورت شرائح الهاتف الجديد بحيث تقوم الواحدة منها بالمهام التي يقـــوم بهـا مليـــون وثلاثمائة الف مـــن الترنزستورات المستخدمة في أجهـــزة الهاتف العادية وذلك ناهيك عن استخدام تكنولوجيا جديدة فيما يخص تركيـــب الدوائر الالكترونية على الشريحـــة . وذلك عن طريق اللصق السطحي بدلا من تكنولوجيا التثبيت في الثقوب التي كانت متبعـــة من قبل . ويبلغ ثمـــن الهاتف المنمنم الجـــديد ١٧٠٠ جنيـــه استرليني وكان ، لفترة طويلة ، مـــن احلام رجال الاعمال و .. اذ يوفـــر لهم درجة هائلة من الحرية والمنـاورة في اتمام أعمالهم .

هذا وتوجد طرازات من هذا الهاتف مؤمنة ضد استخدام الغـــير لخطـــه التليفوني ، وضد تنصت أحـــد على مكالماتك .

## ● الطاقة المتجددة ●

نظمت اكاديمية البحث العلمي وهيئة تنمية الطـــاقات الجـــديدة والمتجددة وجامعة ميامي الامريكية مؤتمرا دوليا للطاقة المتجددة في القاهرة اخيرا .

وقد تناولت ابحاث المؤتمر المعـــارف الخاصة بالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وطاقة الكتـــلة الحيـــــوية وطـــاقة الهيدروجين مـــن حيـــث التقنيـــات والتطبيقات ونواحي التخزين والتخطيط علاوة على الاقتصاديات ، واثر الطاقة المتجددة على المجتمع ومن التطبيقـــات الهامة التي ناقشها المؤتمر تحلية المياه باستخدام الطاقة الشمسية ...

وتطرقت الابحاث الى تجربة استخدام طاقة الرياح والشمس في ضخ الميـــاه الجوفية بمنطقة شرق العوينـــات وفي انتاج الثلج ( ٤ أطنان يوميا ) بمنطقة أبو غصن جنوب الغـــردقة ، ومشروع المركز القومي للبحوث حول استخدام الطاقة الحيوية ( البيوجاز ) في بعض قرى الدلتا والصعيد وفيه يتم الحصول على الطاقة من غازات تخمر المخلفات الزراعية ، التي تتحول هي ذاتهـا الى سماد .

وجدير بالذكر انه يجرى تشـــغيل محطات لتوليد الكهرباء بالرياح ( ٤٠٠ كيلووات ساعة ) فى منطقة رأس غارب، ولاستخدام الطاقة الشمسية فى التسخين الصناعى (مصانع النسيج) والثلاجات الكبيرة ( أسوان والفيوم ) .. ويتم تنفيذ هذه المشروعات فى اطار أموال معونات واتفاقيات ( تناهز ٤٠ مليـون دولار ) تقـدمها الولايات المتحدة الامريكية والسوق الاوربية المشتركة ..

هذا وقد اثبتت الدراسات ارتفـاع سرعة الرياح بمحافظة شمال سيناء وشواطيء البحر الاحمر الامر الـذى يشجع على اقامة محطات لتوليد الطاقة من الرياح هناك ، بالذات وان تكلفة الكيلووات ساعة باستخدام الانظمة الحديثة تناهز عشرة قروش وهى تنافس بذلك الطاقة التقليدية ..

وقد أوصى المؤتمر بضرورة تشجيع تصنيع وحدات الطاقة المتجددة محليا، مع مراعاة التصـميمات الحديثة ، والتوسع فى استخدام وحدات هـذه الطاقة فى توليد الكهرباء وضخ المياه والتطبيقات الزراعية الاخرى مثـل تجفيف المحاصيل ، كما أوصى بربط وحدات الطاقة المتجددة بشبكة الطاقة الموحدة .

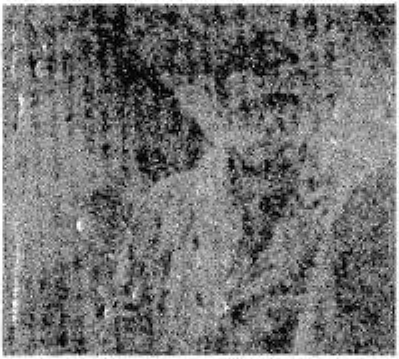
## ● العودة الى استخدام المعالجة الطبية الطبيعية فى المانيـا ... ●

بون ـ على الرغم من أن طـرق العلاج الطبيعى أو ما يعرف بـ « الطب الشعبى » ، قد عرف منذ قرون طويلة فى معظم دول العالم واعترف الكثيرون بنتائجه الايجابية على صحة الانسان وأجهزته الداخلية واستفاد منه الكثيرون من المرضى وفى حالات متعددة ، فقد ظل هذا النوع من المعالجة الطبية الطبيعية بعيدا عن التطبيق العملى والاستخدام الشامل سنوات طوال ، ولكن الفترة الاخيرة شـهدت تغييرا جذريا فى هذا المضمار حيث عـاد الاهتمام مرة أخرى الى الطب الشعبى.

وقبل سنوات قليلة ركزت الدكتورة فيرونيكا كارستنز عقيلة رئيس جمهورية المانيا الاتحادية السابق السيد كارل كارستنز اهتمامها على احياء الطرق القديمة الخاصة بالمعالجة الطبية ونادت بضرورة « طرق المعالجة الطبية الاكثر انسانية » ، مما زاد فى الاهتمام بهذه الوسائل الطبية الطبيعية بصـورة تدريجية. وقد هدفت الدكتورة كارستنز بهذه الطرق القديمة وعبارة « انسانية الطب » خفض نسبة المعالجة بواسطة الادوية الكيمائية لتجنب النتائج الضارة التى تسببها ، والتى تظهر غالبا بعد الانتهـاء من العـلاج فترة طويـلة .

فالمعالجـة الطبية الطبيعية تقوم ـ بصورة رئيسية ـ على تناول الاغذية الصحية وتجنب الادوية والعقاقيـر الكيمائية والصناعية واسـتعمال الاعشاب الطبيعية المعروفة منذ الاف السنين والعمل على تقـوية الارادة النفسية والروحية لدى المريض .

وقد عمـدت الدكتورة فيرونيكا كارستنز الطبيبة المتخصصة بالامراض الباطنية ، الى انشاء هيئة خاصة تسعى الى تشجيع انتشار المعالجة الطبيعية، وقامت بالقاء سلسلة من المحاضـرات الطبية واصدار مجلة خاصة للفت نظر المواطنين والاطباء والمرضى الى احياء وسائل المعالجة القديمـة التى كانت مطبقة فى الماضى .



## • افطر بنظارتك •

كشفت دراسة اجريت على ١٨٠ الف شاب تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ١٩ سنة عن أن من يرتدون النظارات اكثر ذكاء من غيرهم وأن هنـــاك علاقـة احصائية واضحة بين الاصابة بقصر النظر وارتفاع درجة الذكاء ...

لكن العلماء لم يعرفوا بعد ما اذا كان اهتمام قصيرى النظر بالمعرفة هـو تعويض على الفشل في اهتمامات أخرى (ممارسة الرياضة مثلا) أم أن الانكباب على الكتب هو سبب اصابة « الاذكياء » بقصر النظر ..

## • موعد مع القلق •

القلق شعور يساور الجميع بدرجات مختلفة ، وحتى حد معين يكون القـلق شعورا ايجابيا يدفع الى الاحتشـــاد والتقدم ، لكنه يتحول الى شعور مدمر اذا زاد عن هذا الحد .. وهناك أنـاس لا يهدأون ولا يتـــوقف تدفق أفكارهم المهمومة أبدا، وآخرون يكدون في البحث عما يقلق ان لم يتيسر لهم ذلك ..

ومن يعانون قلقا مزمنا يصابون عادة بتشنج في العضلات ، ويحصر نفسي ، وشعور بالكآبة ، ويقودهـــم ذلك في مشاكل صحية اكثر خطورة .. ومشاعر القلق من المشاعر الدائرية التي يؤدى حصرها الى التفاعل والتعـاظم لتزداد حالة المريض سوءا ..

ونظرا لتزايد من يعانون من القلق مع اسـلوب الحيـــاة العصرى تزايد الاهتمام بعلاج القلق ، وأمكن التوصل الى علاجات مختلفة ومن أطرف هـذه العلاجات علاج ذاتي محوره أن يحـدد المرء سلفا وقتا يمارس فيه القـــلق كل يوم ..

وعلى المرء مع هذا العلاج أن يتعلم تمييز نقطة بدء دورة القلق لديه ، وما أن يحس حلولها حتى يعترض تدفقهـا بالاسترخاء ، واقنـــاع النفس بتوافر الوقت للقلق لاحقا حسب الخطة ، ثـم بالتركيز على فعل أمر ايجابي اخـر ، حتى يحل موعد الفترة ( ٣٠ ق مثلا ) التي حددها مسبقا للقلق ، ويعتمـــد هذا التصور على أن العقل لا يستطيع التركيز على عمليتين فكريتين في آن واحد .

والطريف ان كثيرا من النـــاس ينجحون في الكف عن القلق المزعج ، بهذه الطريقة ، خلال اسبوع واحـد ، من خلال استبدال عادات أخرى بعادة القلق ، واقناع أنفسهم بتوافر فرصـة لاحقة للقلق مما يسهل من الامتنـــاع عنه في الفترات الاخرى .

ورغم أن بعض من واظبـــوا عـلى احترام موعدهم مع القلق يؤكدون أنهم لا يلبثون يفقدون ما يقلقون بشأنه في خلواتهم . لكن يجب التنويه بأن القلق لا يموت وأن ما يسعى اليه هذا العلاج هو التدرب على ترشيد القلق وتخفيفه، لا القضاء عليه قضاء مبرما ..

دراسة الهلال

# بيريسترويكا الصين سبقت الاتحاد السوفيتي

بقلم: مجدى نصيف

إذا كان الزعيم السوفييتي جورباتشوف . قد جذب الاضواء إليه بسياسته الجديدة عن «البيريسترويكا» ، التى الف عنها كتابا قرأه العالم . وما ارتبط بها من شعار الجلاسنوست . ويعنى العلنية والمصارحة ، فإن جذور هذه السياسة . بما فى ذلك العودة إلى السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لينين بعد انتهاء حروب التدخل ضد ثورة اكتوبر الاشتراكية . إنما رسخت فى الصين قبل الاتحاد السوفييتى على يد دنج سياوبنج ـ ربما لأن الصين كانت اكثر احساسا بالحاجة إلى إعادة بناء اقتصادها المتخلف على أسس جديدة ، اكثر من الاتحاد السوفييتى ، الذى ساعد على تركز الأضواء عليه كونه إحدى القوتين الكبريين . وأن جزءا لا يتجزأ من سياسة البيريسترويكا فيه هو الاتفاق التاريخي مابين هاتين الدولتين على نزع السلاح النووى . ومع ذلك فقد جذبت وقائع المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الصينى الذى انعقد فى بكين فى العام الماضى اهتمام العالم . فالصين قوة كبرى يزداد دورها على المسرح الدولى . والحزب الشيوعى الصينى الذى يصل عدد اعضائه إلى ٤٦ مليون فرد ، هو اكبر حزب حاكم واكبر حزب شيوعى فى السلطة أو خارجها على الإطلاق . والخط الذى يتبعه الحزب يؤثر دون شك على مسار الأحداث الدولية . ويؤثر بشكل اكبر على مسار الحركة الشيوعية العالمية

هذا المؤتمر بالذات هو انطلاقة [illegible] في مسار الإصلاح الذي [illegible] القيادة [illegible] عام ١٩٧٨ ، بعد [illegible] الثورة [illegible] [illegible] في العالم الثالث الذي [illegible] [illegible] على مشكلاته [illegible]

## ● إنجازات ومشكلات

[illegible]

( ١٩٨١ ، ١٩٨٩ ) بنسبة ٨,١٪ في المتوسط كل عام ، وتحسن تدريجياً [illegible] [illegible]

[illegible] ( [illegible] والأرز [illegible] ) [illegible] محصولات [illegible] المحدودة في المناطق [illegible] . أما الإنتاج [illegible] [illegible] الأدوية [illegible]

[illegible]

نقول إن الصين قد تلقت منذ بداية الثمانينيات مايزيد على ٥٥ بليون دولار في شكل قروض واستثمارات مباشرة . استخدمت منها بالفعل ٣٢ بليون دولار اى بنسبة اكثر من ٥٨٪ وهى نسبة كبيرة . ولقد تم استيراد ١٤ الف جهاز ووحدة حديثة ومعدات تساوى ١٢ بليون دولار . وعقدت اتفاقيات لاقامة وانشاء ٨٩٠٠ منشأة بمشاركة راس مال اجنبى . كانت هذه عملية تحديث كبرى لبناء الصين الجديدة ، وكانت النتيجة إقامة صناعات جديدة حديثة هى صناعة المستقبل ، الا وهى صناعة الكومبيوتر ، وكذا التليفزيون الملون ، وتم تحديث صناعة الطائرات وصناعة السيارات ، واخذت صناعة التعدين والحديد بالذات وكذا الصناعات الكيماوية وصناعة الأسمدة دفعات قوية الى الأمام وكذا المواصلات .

● صياغات جديدة

ولكن ... منذ بدأت مسيرة الاصلاح فى أواخر عام ١٩٧٨ ، وهى لاتنطلق فى خطوط مستقيمة صاعدة ، بل فى دورات من الابطاء والاسراع ، وكان هذا واضحا على وجه الخصوص فى المجال الصناعى ، حيث ادت الى ضغوط تضخمية ، وعجز فى الميزانية ، وعجز فى الميزان التجارى ، فبعد ان وصلت النتائج الايجابية الى قمتها فى نهاية الخطة الخمسية السابقة عام ١٩٨٥ ، بدأت نتائجها السلبية فى الظهور .

لم يكن معنى هذا ان الاصلاحات خاطئة ، وانه لابد من الرجوع عنها ، بل كان معناها انها وصلت الى مرحلة حرجة ، لابد معها من خيارات جديدة تماما ، خيارات حساسة من الناحية الايديولوجية او معقدة من الناحية التقنية

فعندما اتخذت القيادة الصينية الاجراءات الاصلاحية الأولى ، اعتمدت فى الدفاع عن الشرعية الماركسية للاجراءات على الفصل بين مفهوم الادارة ومفهوم الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، وتم ذلك باسلوب مبسط ملائم وان كان سطحيا متعجلا ، فقدمت على اساس انها تغيرات فى نظام الادارة الاقتصادية فحسب ، دون المساس بملكية وسائل الانتاج ، ولما لم تحقق الاصلاحات الزيادة المأمولة فى الانتاجية ، بدأت القيادة السياسية أو بالأحرى « الجناح الاصلاحي الراديكالى » ، ترى أن الحل الوحيد يكمن فى ارتياد افاق جديدة تماما على الماركسيين كان لابد من اتخاذ اجراءات خارج الاطار التقليدى ، ووضع صياغات نظرية جديدة لها .

● الإطار القديم

فشلت القيادة السياسية فى اصلاح نظام الأسعار غير المرشد بسبب القلق السياسى لوقعها التضخمى ، ولذا عانت الاصلاحات فى مجال استقلالية المصانع والمؤسسات وادارتها ذاتيا ، عانت من عدم قدرة الحكومة على ادخال تغييرات جذرية فى السلوك « الميكرواقتصادى »

[ على مستوى المؤسسات والمصانع ] المفضى الى الربح ، ونظام محاسبى جديد ، وظلت الأنظمة القديمة سائدة رغم إدخال الاجراءات الجديدة ، فظلت المؤسسات لاتحاسب ، ولاتعاقب لأى خطأ أو خلل أو خسارة ، رغم أن الدولة ـ وهى المالك الوحيد ـ استمرت تقدم الدعم لهذه المؤسسات وتواجه الخسارة بتمويلها فى نفس الوقت .

هنا توصل الاقتصاديون الصينيون ، الى انهم اذا أرادوا الاستمرار فى الاصلاحات لتصبح المؤسسات مستقلة استقلالا ذاتيا حقيقيا ولها جهاز محاسبى ، **فيجب مواجهة قضية الملكية العامة لوسائل الانتاج ، لادخال تغييرات على اشكال الملكية ، والحفاظ فى نفس الوقت على الطبيعة الاشتراكية للدولة الصينية** . وقدمت فى هذا الاطار اقتراحات بتغيير شكل الملكية العامة الحالى لوسائل الانتاج ، الى اشكال مختلفة من الملكية المشتركة ، حيث تؤول الملكية للدولة بالمشاركة مع مؤسسات أخرى ، أو افراد يملكون الأسهم ، ومعنى هذا انه لابد من حدوث تغيير أيضا فى نظام تسويق الاقتصاد الصينى ، وتنمية رأس المال ونظام العمالة ، والاسكان ـ الى جانب أشياء أخرى .

### ● اعتراضات

واعترض على هذه الاجراءات بطبيعة الحال ، الجامدون عقائديا ، والماركسيون الأرثوذكس فى القيادة الصينية . هؤلاء رفضوا اتخاذ أى اجراءات من اى نوع ، اكتفاء ببعض الحلول هنا وهناك فى اطار الشكل الحالى لكل شيء . لكن كان هناك جناح آخر أطلق عليه اسم « جناح المحافظين » ، هؤلاء « اصلاحيون » أيضا ولكن بطريقتهم الخاصة . انهم يفضلون سياسة اقتصادية ـ لينينية من نوعية « السياسة الاقتصادية الجديدة » NEP ( النيب ) . وهى تلك التى طبقت فى روسيا بعد ثورتها البلشفية عام ١٩١٧ ، وهو نظام يسمح بوجود علاقات السوق ، ولكن على هامش نظام تملك فيه الدولة الاشتراكية كل وسائل الانتاج ، مما يسمح بتخطيط مباشر أو غير مباشر .

منذ ذلك الحين ، ادركت الأجنحة الثلاثة انه لدفع الاقتصاد الصينى الى الأمام باتخاذ المزيد من الاجراءات ، فلابد من تخطى الشكل الحالى للنظرية الماركسية والتطبيق الماركسى ، وطرق سبل جديدة غير معروفة من قبل ، ومعنى هذا تخطى التعاليم الماركسية التقليدية ، والاتجاه نحو آفاق جديدة . كان هذا يحتاج فى حقيقة الأمر الى جراة ، ومن أقدر على الاقتحام والجراة غير ذاك الذى يعرف مشكلات بلده جد المعرفة ، والذى يعلم تمام العلم أن الماركسية هى فى حد ذاتها تعنى الابحار نحو آفاق جديدة ؟ من الذى يقتحم الجديد غير الذى شارك فى تأسيس الحزب وخاصة حرب التحرير ، وعبر فترة الظلام « للثورة الثقافية البروليتارية » ؟ من غير دنج سياو بنج الذى يقود جناح « الاصلاحيين الراديكاليين » . الذى ينشد الاصلاحات والاجراءات الراديكالية ؟

نظر « الاصلاحيون الأرثوذكس » بسلبية الى المشكلات الناتجة عن تطبيق الاجراءات ، منادين بالتوقف عند هذا

[illegible]

## نحو المؤتمر الثالث عشر

[illegible]

[illegible]

وعلى الطريقة الصينية .

● استراتيجية للتنمية

وانعقد المؤتمر الثالث عشر للحزب فكان عليه تقييم تجربة سنوات الاصلاحات التسع ، ووضع استراتيجية جديدة للتنمية في المستقبل . وهذا ما فعله بالضبط التقرير الذي قدمه للمؤتمر زاو زيانج باسم اللجنة المركزية
ويتركز التقرير على ثلاثة موضوعات اساسية

الأول : ان الماركسية كعلم حديث ، يحتاج الى مراجعة اساسية ، واثناء عملية بناء مجتمعنا الجديد ، تشكلت في السابق بعض المعتقدات التي تتضمن عناصر يوتوبية في ضوء التحديدات التاريخية . وهذه يجب رفضها ؛ وبالمثل يجب رفض كل جمود عقائدي لتفسير الماركسية . ومايترتب على ذلك من أخطاء . ويجب أن تتطور النظرية الاشتراكية العلمية وتتطور الى الامام على ضوء الخبرات الجديدة .

وأكدت المناقشات على أن يضع الحزب في اعتباره أن تقترن الاشتراكية بالواقع وبهذه الطريقة تبنى الاشتراكية بخصائص الصين ، واعترف الحزب « بالاخطاء اليسارية » في الماضي ، وهو انحراف كان على حساب نمو القوى الانتاجية وانتاج السلع الاجتماعية » . ولاحظ المؤتمر كذلك ، وجود انحرافات ، وأخطرها هو الانحراف اليساري الذي يقدم تفسيرا يتسم بالجمود العقائدي الماركسية ، ضد الاصلاح الحالي وسيتم شن حرب ضد كل هذه الانحرافات ، ليس عن طريق حملات سياسية كما كان يحدث في الماضي ، ولكن عن طريق التعليم الايجابي والنقد الحقيقي .

والثاني : حول تحديد مقياس نشاط الحزب يقول التقرير ان معيار الحزب ونشاطه يتحدد ان مدى مشاركته في نمو قوى انتاج الشعب الصيني ومهمة الحزب الشيوعي الصيني المرحلة والمهمة هي توسيع قوى الانتاج . وكل مايساعد على انجاز هذا بسد الاحتياجات الحيوية للشعب وهو لذلك شيء تسمح به الاشتراكية . والفشل في تطبيق هذا المقياس والقيام بالتنمية طبقا للمواصفات المجردة والنماذج الجاهزة اليوتوبية . لايمكن الا ان يهين الماركسية ..

لقد واجهت الصين هذا الوضع عندما ساد الجمود العقائدي في الستينات و وائل السبعينات عندما اتبع الحزب الشيوعي الصيني سياسة تصعيد الصراع الطبقي وتكثيفه ، وتجاهل الانتاج والاحتياجات المادية للشعب الصيني ..

والثالث : يحدد المرحلة الحالية التي تمر بها الصين فيقول : ان الصين تمر الآن بالمرحلة المبدئية لبناء الاشتراكية . فلقد نمت الاشتراكية في بلادنا من مجتمع شبه مستعمر شبه اقطاعي . ومن ناحية مستوى التطور . فما زالت قوى الانتاج عندنا متخلفة جدا عن الدول الرأسمالية . وفي ظل هذه الظروف . فاننا يجب ان نسير في طريق طويل في المرحلة

المبدئية ، وخلالها ينبغى تصنيع البلاد ، ونقوم بتحديث الانتاج ، وبمعنى اخر ينبغي أن نفعل ما فعلته الدول الأخرى فى ظل الرأسمالية » .

ثم يقول التقرير « والمرحلة المبدئية لبناء الاشتراكية هى مرحلة خاصة فى الصين ، فالصين دولة آسيوية تبنى مجتمعا جديدا فى سياق قوى انتاجية متخلفة ، فما زالت الصين تأتى فى ذيل قائمة فى العالم من ناحية نصيب الفرد من الناتج القومى الاجمالى » وستستمر هذه مائة عام على اقل تقدير منذ بدأت فى الخمسينيات حين تم استكمال تأميم الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، ولو كان الحزب الشيوعى الصينى قد توصل الى هذه النتيجة فى أوائل الخمسينيات لتفادى الدخول فى كثير من الظواهر السلبية التى حاولت القفز على المراحل ، وبالتحريف فى المجالات الاقتصادية والسياسية : مثل « القفزة الكبرى الى الامام » و« الكوميونات » ، و« الثورة الثقافية البروليتارية » .

هكذا وضعت الأسس النظرية للبناء فى الصين ، مبنية على الواقع وليس بشكل مبتسر ولا بلوى الذراع ، فالاشتراكية لايمكن ان تبنى « بالحماس وحده أو بالحقن » ، و« قوانين الانتاج السلعى يجب ألا تنتهك وكذا المنتجون الصغار فى المرحلة الحالية » .

« إن خلق ميكانيزم اقتصادى يدخل السوق فى تكامل مع التخطيط ، أى ان يصبح ميكانيزم الدولة للسوق وتوجه السوق ناحية الاقتصاد ... سيستمر لأن يكون هو الاتجاه الرئيسى لتحول المجتمع ... ويرى الحزب انه من الضرورى ، مع الحفاظ على دور الملكية العامة القيادى فى المجتمع ، ان يدفع الى الأمام بالاقتصاد الصينى ذى البنى المتعددة ، تطوير التعاونيات والأشكال الأخرى للقطاع الخاص على وجه الخصوص ، فى الريف والمدينة » .

هكذا يقول التقرير ان الاقتصاد الصينى فى المرحلة الحالية يتكون من خليط مركب من قطاع الدولة السائد ، والقطاع التعاونى ، والقطاع الخاص ، والقطاع المشترك الذى يشارك فيه رأس المال الاجنبى وأساسه التحديث . ويتحدد الاقتصاد الصينى فى هذه المرحلة بأنه « اقتصاد اشتراكى سلعى » يعلق أهمية كبرى على تنمية علاقات السوق . ويعنى الاقتصاد المخطط لهذا المفهوم : « أن تنظم الدولة السوق ، وأن تنظم السوق المصانع ، وتظل سيطرة الدولة مستمرة ، وان كانت هذه السيطرة ليست فى شكل اصدار التعليمات والأوامر الادارية المباشرة الى المصانع . ولكن لتنظيم السوق ، صحيح انه سيكون هناك اطار عام فى شكل تعليمات من الدولة الى المصانع ، لكن الشكل الأساسى هو التنظيم بواسطة السوق » .

هذا هو جوهر مسيرة الاصلاح الصينية ، ويتطلب هذا أن تفهم كوادر

الحزب دورها . وقد جاء هذا بالفعل فى التقرير فى الفصل بعنوان « عمل الحزب فى الظروف الراهنة » ، فهو يقول إنه « يجب أن يكون هناك فصل تام بين العمل الحزبى والعملين الاقتصادى والادارى ، فينبغى الا تتدخل المنظمات الحزبية منذ الآن فصاعدا فى الادارة الاقتصادية ولا فى نشاط الدولة . وينفذ الحزب مهامه وسياساته بعمل كوادره وعن طريق العمل الايديولوجي والتعليمى » ... و« ينبغى أن يتوقف الحزب وأجهزته عن السيطرة المباشرة على الصناعة والادارات الحكومية ، وأن تبتعد كوادره عن مناهج وأساليب الماضى ، تلك التى استخدمت على سبيل المثال خلال الثورة الثقافية البروليتارية » .

● ● ●

وتردد فى المؤتمر انه لايمكن لأية دولة أن تحقق تقدما ملموسا وفعالا فى بنائها فى عالمنا المعاصر ، وهى تشيد حول نفسها سورا من العزلة . لقد جذبت الصين استثمارات وتكنولوجيا لاشك فى أنها ستساعد على أن تسد الصين الثغرة بينها وبين الدول المتقدمة ، ولعل خبرة الصين فى اقامة علاقات مع الدول الغربية ، ودعوة شركاتها لاقامة مشاريع مشتركة مختلفة على أراضيها فى « مناطق صناعية خاصة ، خبرة غنية دون شك ، فلقد فتح هذا الطريق أمام الصادرات المصنعة الصينية الى الدول الصناعية » .

وبطبيعة الحال فان الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات لن تقوم هنا بالدور الاستغلالى الذى تقوم به فى كثير من دول العالم الثالث الفقيرة ، وان كانت ستستفيد من فتح أسواق الصين امامها .

### ● إصلاح البنية السياسية للمجتمع

ولعل الدور الأساسى والهام للحزب الشيوعى الصينى فى هذه المرحلة هو اصلاح البنية السياسية للمجتمع لبناء نظام سياسى اشتراكى « حيوى قابل للتطبيق » ، « نظام عالى الكفاءة تسود فيه ديمقراطية عالية التطور ، ويسود فيه القانون » .

**وهدف الصين « هو الاتجاه نحو ديمقراطية متقدمة وذات فعالية اكثر من ديمقراطية الدول الرأسمالية ، وهذا لايعنى على الاطلاق تقليد النماذج الغربية ، لكن الهدف هو ارساء ديمقراطية ذات سمات صينية » .**

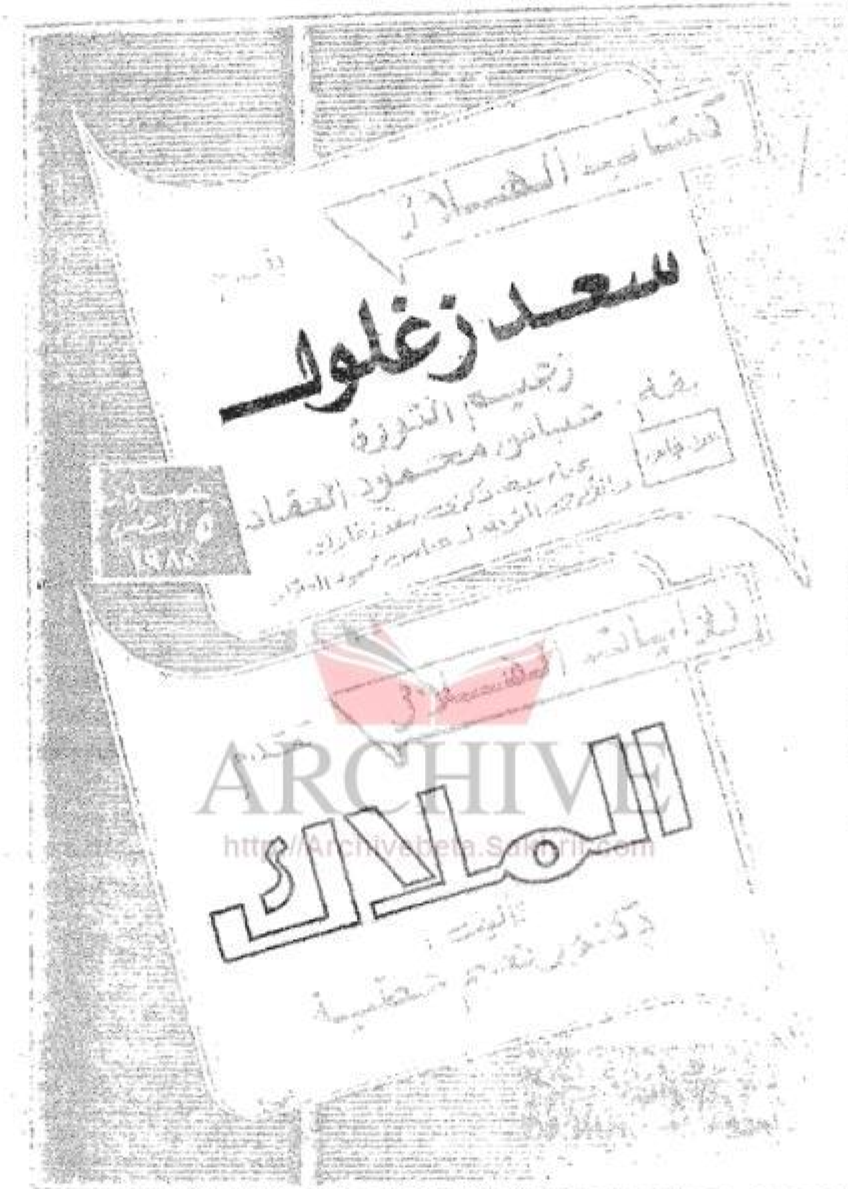
وتشير وثائق المؤتمر الى ان اصلاح البنية السياسية سيكون محدود الأهداف فى المستقبل القريب ، وينبغى أن يتم بحذر شديد ، خطوة خطوة وبتوجيهات صارمة ، بطريقة بسيطة ودون خشونة يعتمد عليها ، حتى لايمس استقرار الحزب ويقف حجر عثرة فى طريق وحدته .

ورغم هذه التحفظات اتخذ المؤتمر قرارات هامة على طريق اصلاح « النظام السياسى » منها تلك التى « تحدد مهام الحزب ومنظماته والادارات الحكومية » ، التى وصفت بأنها « حجر الزاوية لاصلاح البنية السياسية » ، وكذلك أشير الى أن « الحزب يقوم بنشاطاته داخل اطار

الدستور والقوانين الأخرى .. وهو يترجم خطط الحزب الى قرارات حكومية بالقيام بتفسيرها بشكل واضح ومحدد فى المنظمات الحزبية . وبطبيعة الحال فان فصل أعمال الحزب عن الحكومة مازال قضية فى خطوطها العامة وستتبين الطرق والأساليب فى المستقبل من خلال العمل . أما إعادة تنظيم الأبنية الحكومية نفسها . فقد بدأت منذ عدة سنوات وحتى الآن لم تتم تغييرات جذرية فى هذا المجال . وبذا سيستمر العمل فى هذا المجال حتى تحدث التغييرات المطلوبة . ووجه المؤتمر اهتماما كبيرا الى تحسين مؤسسات الديمقراطية السياسية الاشتراكية . وعلى وجه الخصوص مجالس ممثلى الشعب ..

وستبدأ الاصلاحات السياسية بالحزب الشيوعى الصينى نفسه . بل وبدأت بالفعل فى المؤتمر نفسه عندما تقرر أن يتحسن نظام القيادة الجماعية والمركزية الديمقراطية من القمة وحتى القاعدة وهكذا تقدم أكثر من مرشح لكل منصب فى هيئات الحزب جميعها بما فى ذلك اللجنة المركزية وهذا شىء جديد تماما على النظام الداخلى للأحزاب الشيوعية كذلك تخلى كل أفراد « الحرس القديم » بما فى ذلك القائد الذى أثرى مسيرة الاصلاح بأفكاره وتنظيمه . دنج سياوبنج . حتى يفتح الطريق أمام الشباب . وهذا بدوره شىء جديد على العمل السياسى والحزبى فى أية دولة اشتراكية يقودها حزب شيوعى . وكان المؤتمر نفسه نموذجا . للمناخ الجديد . حيث ساد جو من الديمقراطية . وقد ظهر هذا بوضوح للمراسلين الأجانب الذين دعاهم زاو زيانج الى حفل كوكتيل لشرح أعمال المؤتمر وسير وقائعه . فى تقليد لم يسبق له مثيل

لقد أكد المؤتمر على أن « النظرية رمادية أما الواقع فأخضر » . لذا فالواقع يغنى النظرية باستمرار . فالنظرية ليست شيئا جامدا تتحرك الناس حوله . بل هى كائن حى يتأثر بالواقع فيطوره وتتطور هى نفسها . فالنظرية اذن لا تقدم قوالب جاهزة . ولا نماذج خيالية تتبع . وهكذا أكد زاو زيانج على « ضرورة تطوير سياسة الحزب والخطوط العامة . ان أفكارنا العامة عن التناقضات فى التنمية والسمات الكامنة للمرحلة الحالية سطحية وغير مضبوطة . وحث الزعيم الصينى المنظرين على أن يتمسكوا فى دراساتهم بشعار الثورة القديم « دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة تتنافس » .


سعد زغلول
زعيم الثورة
عباس محمود العقاد

# أنت.. و الهلال

## التباس فى الاسماء

● نشكر لسيادتكم ، تصرفكم الحكيم ، تجاه رسالة الصديق الشاعر عزت الطيرى ، والمنشورة فى عدد يونيو ١٩٨٨ . وقد تمثل هذا التصرف فى نشر رسالته . وفى نفس الوقت ، نشر ابداعات من اتهمتم عفوا ، بسرقته ؛ وكان ذلك دليلا على حيادكم ، ورغبتكم فى معرفة الحقيقة .

وقد قرأت تعليقا ، تحت جزء من قصيدة ( أحـزان فصـل من الفصول ) ، حول نفس الموضوع . ولـما قرأت رسالة الاخ عـزت الطيرى مرة أخرى ، وجدت أن « اسمى » لم يذكر فيها ، وانما الذى ذكر هو ( خالد غازى ) . نارجو من سيادتكم ، التنويه ــ مشكورا ــ لان هذا الاتهام يسىء الى سمعتى ، فى الوقت الذى وفقت ــ بحمـد الله ــ الى نشر قصائدى ، فى مختلف البلدان العربية .

ولا يفوتنى ان أشكر سيادتكم ، وأسرة تحرير الهـلال ، لما قدمتموه لى من تعاون صادق ، وتكريمكم بنشر قصائدى ، فى أعـرق واكبر مجلة ثقافية ، فى الشرق الاوسط .

وقد أرسل لى الاخ عزت الطيرى خطابا يشرح لى أنه لم يقصدنى فى رسالته التى نشرت فى عدد شهر يونيه سنة ١٩٨٨ وأحمد الله الذى أوضح الامور وأرجو من سيادتكم ايضاحها لان الذين يحبون مجلتنا « الهلال » لا يحصى عددهم . وقد اتصل بى وكتب لى الابنـاء من كل مكان حول هذا الموضوع . مما يدل على المتابعة الممتازة للمجلة وانهم يشاركونى مشاعرى الجياشة تجاه مجلتنا الرائعة الهلال .

**نبيل خالـد**
**المنصـورة**

## اعترافات لص

● تحت عنوان « اعترافات لص » ارسل الينا الشاعر محمـود أحمد المصلى ردا على ما وجهه اليه الشاعر عزت الطيرى من تهمـة سرقة احدى قصائده .. قال الشاعر المصلى :

الشاعر « عزت الطيرى » من الذين يحبون الظهور ، ويطيرون فرحا برؤية أنفسهم أكثر من مرة بذات الشخصية لذلك نشر قصيدته العصماء « حصاد :احصاد » حتى كتابة السطور خمس مرات !! وربما

يكون عدد مرات الارسال عشرين مرة !

أولا : منذ متى كان القاموس اللغوى حكرا على واحد بعينه وهو الذى يتالف من اثنى عشر مليونا من الكلمات ، وأعظم شاعر لا تزيد الفاظه عن ٥٪ فقط !! ولو أن صاحبنا تجرد من الهوى و « الالكترا » لتيقن أن اغراض الشعر منذ بدء قوله على لسان الناس الى نهاية الخليقة هى هى تحت مسميات مختلفة منتزعة من الخمس المعلومة ولا يخفى أن الشعراء قد يشتركون فى المعجم الشعرى ·

ثانيا : لست اول المتهمين بالسرقة فقد سبق أن أعدت صحائف اتهامات للامراء ·· المتنبى والحمدانى وشوقى وغيرهم بل صنفت مؤلفات للكشف عن سرقاتهم المزعومة وشاء الله أن تسقط الاقنعة وتذهب تلك المصنفات بذهاب أصحابها الى عالم الموتى !!

ثالثا : تعال معى ـ هداك الله ـ الى فن المعارضة الشعرية وهو ذو حظ عظيم فى تراثنا الادبى اذ عارض ابن المعتز الحسين ابن الضحاك ، وعارض ابن عبد ربه مسلم بن الوليد ومعارضة ابن دراج لابى نواس مشهورة ، وشوقى له كلف بمعارضة المجيدين ، عارض الحصرى فى داليته : « ياليل الصب متى غده » ·· اذ نظم شوقى داليته « مضناك جفاه مرقده » ·

أضف الى ذلك معارضته للبحترى وابن زيدون والبوصيرى واجادته للتشطير والتخميس ·

رابعا : التضمين جائز فى الشعر ، والاقتباس شرعة المبدعين ، ولا شيء فى ذلك مادام المضمن لم يخل بالنص ، ويحدده وهذا الغرض لا حصر له فى القديم والحديث يستوى فيه الملوك والصعاليك ، الصغار والكبار ، ولو شئت ـ بضم التاء ـ أن أرجع قصائد صاحبنا « عزت » التى فى ديوانه الى مصادرها لفعلت أن اتسع مجال النشر وساكتفى هنا بقصيدته « منيرفا » ص ٥٧ لقد اقتبسها من ديوان « اغاريد ربيع » ص ٦٥ ·

أخيرا : جريمتى الآن كما يرى هى « اجراء بعض التعديلات ·· » أى تعديل اراد هل حدد الشاعر بحر المتقارب ليصبح من موروثه الذى آل اليه بعد رحيل الخليل والاخفش أن ما أخذته لا يتعدى كلمتين ( لان الرياح ··· ) وقد وضعتهما بين قوسين !! ولسيادتكم الاطلاع على قصيدة الشاعر وموازنتها بقصيدتى لتستبينوا الحقيقة وكلاهما مرفق بمقالى !!

وأخشى أن يتطير « الطيرى » فيزعم أن « الملك الضليل » سرق لانه تحدث عن الطبيعة وهى من موضوعات عزت !! اننى وقد وضحت الرؤية أحب لفت نظر صاحبنا الى اننى أقول الشعر منذ سبعة أعوام ، وحصلت بحمد الله على المراكز الاولى فى جل مسابقات الشعر والزجل آخرها عام ١٩٨٨ من كلية اللغة العربية بالمنصورة وبعد فهذه كلمة كتبتها مكرها فى ظروف امتحاناتى الجامعية وعلى عهد بالدفاع عن نفسى ، وحسبى ما أعرفه عن الشاعر من « بريد

# أنت و الهلال

و... الهلال ... له ... وكس

محمود أحمد الصعلى
كلية اللغة العربية
المنصورة

● تعقيب

— نظن أن ما أخذته من شعر عنترة العبسي لا يمكن أن يدخل في باب توارد الخواطر ولا يدخل في باب المعارضة الشعرية ولا في باب التضمين ، وليس من اللائق بناشىء مثلك أن يتمسح في كبار الشعراء القدماء دفاعا عن نفسه ، وكان يجب أن تكون أكثر صراحة وتعلن اقلاعك عن أخذك كلام غيرك ، وأن تتوب من ذنبك وأنت طالب في كلية اللغة العربية !

● قضية فلسطين ●

تبك يا شعبي قضيـــة
من همـــو اس البلية ؟!
قد ذبحتـــا في مســاء
في صباح في عشـــيه
أين أنتم من صـــلاح
أين الدم والقضـــية ؟!
عيشـكم عار علينـــا
يا حمـــاة الجـــاهليه
عيشـــكم عيش ضـــلال
في حيـــاة الوثنيــــه
كي تعيشوا في ســـلام
اذبحوا كـــل الرعيـة

زين الدين يسسو
غـزة

● القلم الحر ●

انفض يراعك يا فتى
واغمـده في قلب الخديعه
وابسط صحائفك الوضيئة
في وجوه الادعيـــاء
ودع الدروع فلن تصد سهامهم
والسهم لا يعمي قلوب الاتقياء

زغلول توفيق
بني سويف

## الصخرة .. والاقصى

كثير من المواطنين فى الاقطار العربية يحسبون أن المسجد الاقصى هو قبة الصخرة فقط .. والحقيقة أن الاقصى ليس قبة الصخرة بزخرفتها الجميلة التى صورتها كاميرات التليفزيون العالمية .. ان المسجد الاقصى مسجد واسع له عدة أبواب وفيه آثار قديمة ، وهو منفصل عن قبة الصخرة .. فالمسجد الاقصى فى شرقى القدس ، وهو فى شماليها الشرقى ، والبعد بينهما ٥٨ مترا ، ويوجد فى ساحة الاقصى دور لتعليم القرآن ومدارس تذكرية وغيرها .. وبعض العرب والمسلمين يجهلون أين يوجد المسجد الاقصى ، وقد قرأت فى احدى الصحف أن بعض طلاب احدى الجامعات فى بلد عربى كتبوا فى الامتحان أن الاقصى موجود فى تونس ، واذا كان بعض المتعلمين العرب لا يعرفون أين يقع المسجد الاقصى ، فهل يعرفون أين تقع فلسطين ؟!

محمد قاهر أحمد
المزروع ـ فلسطين

## اقتراح وقصيدة

ـ نشكر لسيادتكم الاهتمام بما يقدمه اليكم قراء الهلال من انتاج أدبى ونشكر ارشاداتكم وتوجيهاتكم الى هذا الانتاج ونرجو لهذا الباب الاستمرار ، وأود أن أقترح على سيادتكم بأن يعلن فى الباب عن مسابقة كل مدة معينة فى الادب بين قراء الهلال لخلق جو من التنافس البرىء والحماس بين القراء أو هواة الادب فأرجو أن تكون مجلتنا « الهلال » هى البادئة بمثل ذلك فهى مجلة الادب والفن وهى التى قدمت الكثيرين من الادباء والفنانين .

كما أرفق لى هذا قصيدة من انتاجى :

آه لو تعلمى ما حقيقة شعرى
أنت قد صغته يا حبيبة عمرى
كل حرف به فيه صوتك يشدو
أنت وحى له فى خميلة فكرى
كل سحر به فيه سحرك يبدو
أنت نبع له أنت واحة سحر
منك ما قد بدا من خلال قصيدى
فيه من نشوتى صغت باقة عطر
ان تكونى معى أو طواك فراق
أنت فى مهجتى فى قصائد شعرى

حسن على محمد جابر
الاسكندرية

● تعليق :

ـ أقامت مجلة « الهلال » عشرات وربما مئات المسابقات طوال تاريخها الذى يمتد قرابة مائة عام ، والمسابقات تقام فى مناسبات

معينة ، ونحن نترقب فرصة لاقامة مسابقة فى القصة او الشعر او غيرهما ، ونشكرك على اقتـــراحك ·· اما مقطوعتك الشعرية فانك اردت ان تصوغها من بحر الخفيف ، وهو على خفته وبساطته بحـر عميق يغرق فيه الكثيرون من الناشئين . فلا بأس عليك فى عدمقدرتك على اقامة الوزن فى ابياتك الخمسة ، فكلها مع الأسف يحتاج الى مراجعة فى وزنه ، ولا يصح أن تقول « لو تعلمى » والصواب : « او تعلمين » ··

● انتحار ●



حين ولدت
كانت كل دموع العالم فى عينى ··
كان الجهل الكامن فى احشائى
يدفعنى نحو العالم ··
حين كبرت قليلا ··
عاودنى الحزن ··
ادركت بأنى كنت ضحية جهلى
ما ذنبى الان ؟!··
قالت نفسى
ليس الآن الذنب
الذنب قديم
بين ضلوعى الان خناجر ·· ضعف وإباء
تتصارع فى الاهواء ·· فالكون هباء ·· والقمر هباء ··
فدعونى الآن !···

محمد ابراهيم المحريسى

● الشاعر والعروض ●

● انك لا تعلم اننى رجل ادارة وشاعر حق معا ، وكان لك ان تفطن الى ذلك · أفلا تعلم أن من حقى ان اناقشكم فى انكم ناقضتم انفسكم منذ اللحظـــة الاولى ؟ انك بدأت الرد بقولك : « لماذا انت منفعل فى رسالتك الينا بدون أن يكون هناك سبب للانفعال ؟! وكان عليك ان تحذف ( الباء ) من ( بدون ) · هذا أمر ، والامر الثـانى هو اننى عندما كتبت رسالتى انمـــا كنت أعمد الى حديث ذى حمية للمشتغلين بالكلمة والمهتمين بها باعتباركم أهملتم قصيدتى : « فى ذكر حفنى ناصف » ، وهذا الامر الثانى يجر الحديث الى أمر ثالث هو تناقضكم مرة أخرى فى ختام ردكم اذ قلتم : « نرجو ان قصائدك القادمة أقل طولا » · ولا يفوتنى انـكم لا تقصدوننى بمـــا كتبتم ،

ولكنكم تستهدفون القراء أعينهم ، اذ تريدون ان ترجموا اتهاما وانتم لا تستطيعون ان تقيموا عليه دليلا ، وكثير من القراء لا يعلمون ، لبعد النص عنهم .

كل هذه الامور تكشف لكـــل الشعراء والنقـــاد والمتخصصين الاكاديميين الذين تربطني بهم صلات شخصية في كثير من محافظات مصر انكم أسرفتم على انفسكم ، وهذا ما لم أكن أرجوه لكم أيهمـــا المتكلمون بالمصطلحات !!

محمد سليم القشاط
وكيل بمدرسة النصر بشبين
القناطر

● تعليق :

ـ كنت اود ان انشر مزيداً من سطور رسالتك الينـــا لولا انك كتبتها على وجهي الورقة معا ، لا على وجه واحد ، فتعذر نقلهـــا وجمع حروفها ، فاكتفينا بهذه السطور منها وهي تدل على سائرها .

وبعد ... فنحن لا نجادلك في قولك انك شاعر كبير وعالم من علماء العروض ، فضلا عن كونك كما تقول رجل ادارة في مدرستك.. هذه كلها أمور نسلم لك بها ، ولكنا لا ندرى حقا لماذا انت منفعل ؟! الأننا لم نتمكن من نشر قصيدتك في ذكرى حفني ناصف ؟! فهل تظن انك تعرف حفني ناصف وتقدره اكثر مما نعرفه نحن ونقدره ؟! دع ذا عنك ، اما قصيدتك من بحر البسيط فنحن نأخذ عليك انك قلت فيهـــا :

في ليلة القدر كان البدء فيض هدى
لم ينقطع بعـــدها الوحي ولا السور

فلكي تتسق الشطرة الثانية موزونة عليك ان تمط كلمة «الوحي» فتجعلها « الوحيو » .. ولو انصفت نفسك كما يفعل الشاعر المطبوع لقلت ببساطة : « لم ينقطع بعدها وحي ولا سور » .. فاستقام لك الوزن ولم ينقص المعنى فتيلا بدون « ال » التعريف ، وبالمناسبة فان قولك « بدون » افصح من قولك « دون » .. ولـكل منهما مقـــام في المقال ..

وهل انت مطمئن الى الوزن في قولك :

ما بال من لم يفز بهــــداك أين له
ذاك المـــلاذ اذا ما حطه الوطر

دعك من معنى البيت ومبناه ، فلا نناقشهما هنا ، ولكن ما هذا الذي فعلته بالوزن في الشطر الاول ؟! افحص عن الزلل العروضي في كلمة « بهداك » .. ثم اخبرنا بالنتيجة ! ..

● اذكريني ●

اذكريني اينمـــا كان الرفـــاق
وافحصي عن خفقـــات الاشتياق

# أنت .. و الملاك

واذا قالوا ... وما سر اللوى
لا تقولي قد خسرنا في السباق
خبريهم يا حياتي كم راينا
كم بنينا الحب صرحا و عتلينا
ومزجناه بحور وارتوينا
ونسجناه خيوطا وارتدينا
وزرعناه كنوسا واحتسينا
وزرعناه ربوعا وجنينا
وعزفناه لحونا فانتشينا
فاذا اليوم اكتوينا .. به علينا
قد كفانا منه حبا واكتفينا
خبريهم .. ربما عدنا التقينا

رفعت عبد الوهاب المرصفي

● محمد المختار ●

من عالم الخلود .. تنفس القدر
فانبثق المولود .. فشرف البشر
محمد بدا .. فبدد الظلام
اذ جاء بالهدى .. والخير للانام
الى الهدى والنور .. محمد دعا
لفيضه المبرور .. طوبى لمن وعى
صلى عليه الله .. رب الورى مولاه

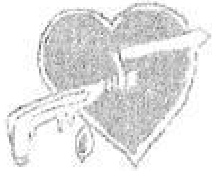
محمد الشهاوى




● امنا الضحية ●

قوات الردع العربية
تتقدم داخل لبنان ..
حركة توحيد لبنانية
تتصدى .. تطلق نيران

في عالم : جمعة الغريبة
. .. ..
تمسا ..
كلنا يجثو يداه الأبدية
لهذا ...
أصبحنا أمس الضحية
والكل في نفسي القضية


[illegible] الفنان محمد الصغير
مؤسسة دار الهلال

## ● مع الاصدقاء ●

● جان وهيب ميخائيل ـ أسوان !

ـ قصيدتك التي تقول في أولها : « قلت : أهواك ، فقالت : اين برهان هواك » .. ليس فيها بيت موزون الا مطلع البيت الاول وبيتان اخران هما قولك : « أي بيت سوف تبنيه من الشعر يدلك » .. وقولك : « واستدارت ودعتني ثم صاحت بي : كفاك » .. والبيت الاول جميل ، وددنا لو جاءت بقية الابيات على غراره .

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ أنت شاعر حسن الديباجة ، ومن سوء الحظ أن قصيدتك التي عنوانها « حوار » ليست في مستوى قصائدك السابقة لا في المعنى ولا المبنى .

● رفعت محمد بريري ـ سوهاج :

ـ يعجبني ولاؤك للشعر ومثابرتك عليه ، مما يدل على انك ستبلغ ذات يوم مرامك فيه ان شاء الله .

● سمير رمزى المنزلاوى ـ كفر الشيخ :

ـ القصيدة التي تذكرها في رسالتك لم تصل الينا مع الاسف .

● هشام محمد عبد الوهاب ـ شبين القناطر :

ـ لم تصلنا القصائد التي تتكلم عنها ، أما قصيدتاك « الحب يسأل عني » و « حديث الى شباب مصر » فينقصهما الوزن نقصانا تاما ، وهما في الحقيقة نثر ..

● اشرف يوسف عمر الازهرى ـ نجع حمادى :

ـ قصيدتكم « فلسطين تعاتب العرب » تنقصها الاوزان .

● وتشكر اصدقاءنا السادة : محمد متولى .. عبد الناصر عبد الرحيم احمد .. اسامة محمود .. عاصم فريد البرقوقى .. عبد الرحيم الماسخ .. عبد العزيز جويدة .

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص . ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤



اسعار البيع للعدد العادى فئة ... الرشيا

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |



# الهلال ٩٦

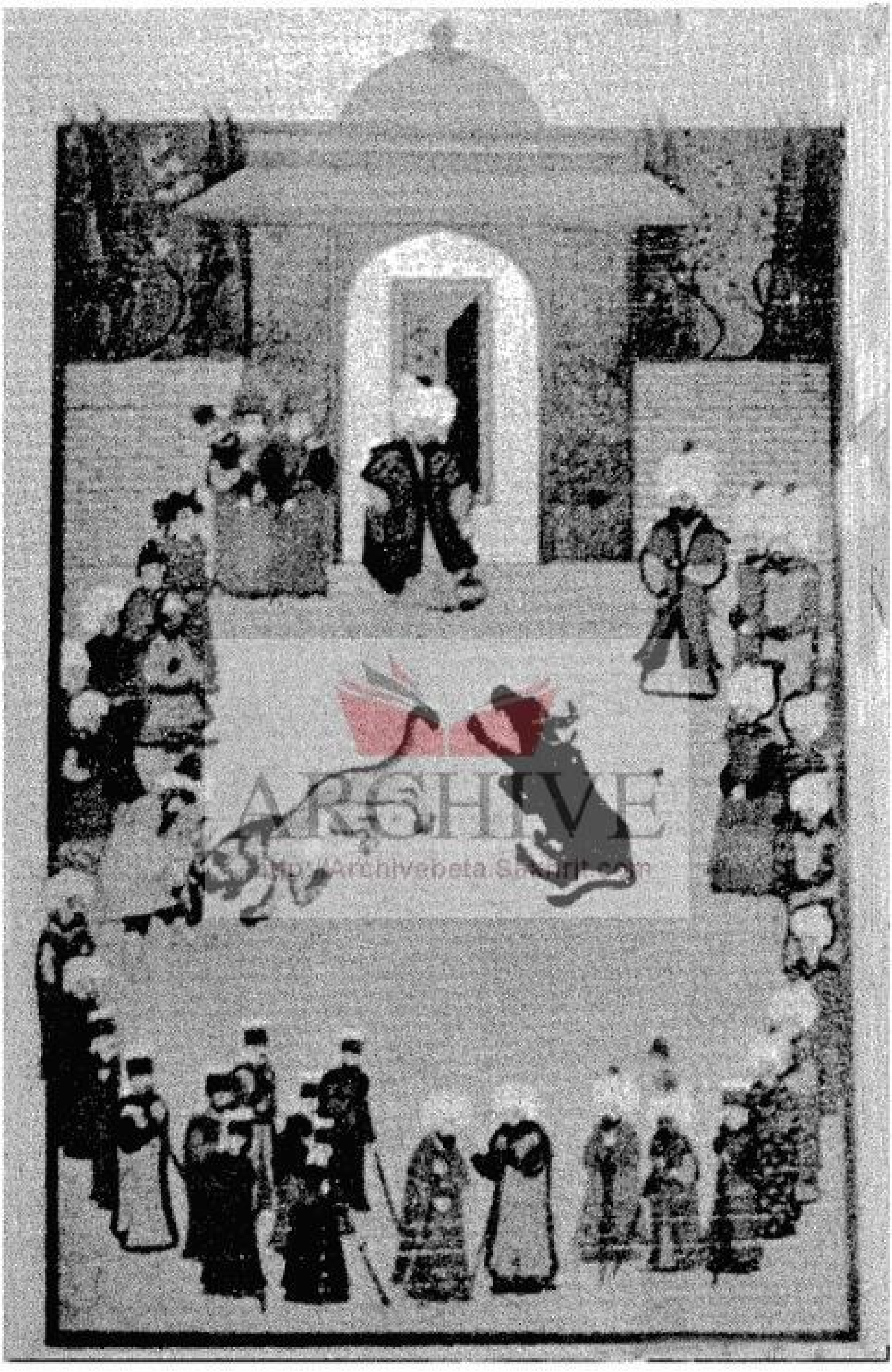
ستة وتسعون عامًا من عمر المجلة

١٨٩٢ الهلال ١٩٨٨

AL-HILAL

## السينما والمستقبل

جزء خاص



# الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م . اول سبتمبر سنة ١٩٨٨ ـ ٢٠ محرم ١٤٠٩ هـ




## من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن التركي تمثل مصارعة بين رجل وأسد وثور أسود في حضور السلطان بايزيد الثاني . وتنبع اهمية المعركة في ان الأسد هدية من سلطان تونس . اما الثور فهدية من السلطان بايزيد نفسه الذي قام بقتل الثور عقب المصارعة .

وتكشف اللوحة عن اهتمام الفنان باستخدام العديد من الألوان البراقة ، خاصة الأحمر والذهبي والأصفر .




الغلاف الأول : تصميم الفنان
محمد أبو طالب

في هذا العدد

## فكر وثقافة

ص



## قضايا حيوية

## السينما والمستقبل - جزء خاص -



## فن تشكيلى



## رسائل صحفية



## قصة وشعر





## دراسة الهلال



## الأبواب الثابتة

## عزيزى القارئ

# الهلال فى عيد ميلاده

كل عام وانت بخير .. عزيزى القارىء .

اليوم عيد ميلاد مجلة "الهلال" إذ تبلغ بهذا العدد الذى بين يديك عامها السادس والتسعين من مسيرتها البعيدة المدى المفتوحة الآفاق على عقود السنين الطوال ، فى خدمة الثقافة العربية ، منذ صدر العدد الأول فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ على يد منشىء الهلال جرجى زيدان ، وحتى لقائنا بك فى هذه السطور ..

إن مجلة "الهلال" لاتريد أن تتخذ من هذه المناسبة سبيلا الى حديث فخور عن النفس ، ولعلك تتذكر ـ عزيزى القارىء ـ اننا التقينا من قبل تحت هذه النافذة غير مرة فى احاديث ذات شجون عن التاريخ الممتد الحافل الذى جمع "الهلال" وقراء الهلال ، مرحلة بعد مرحلة ، من أواخر القرن التاسع عشر إلى هذا الزمن الذى نستشرف به نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين !

ويالها من رحلة طويلة باسلة ، باهظة التبعات ، تقطعها مجلة مخصصة للأدب والفكر والثقافة فى بلد عربى على امتداد قرن من الزمان ، ظهرت واختفت خلاله العديد من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية وغيرها .

ولم يصمد فى كل مراحل الطريق إلا اقل القليل من تلك الصحف والمجلات ! .. ولا نزيدك علما حين نقول لك إن "الهلال" كانت الصامدة الوحيدة بين جميع المجلات الثقافية العربية فى ذلك السباق الذى

تتقطع فيه الانفاس ! ..

إن الصمود على مشقة الرسالة التى حملتها مجلتك على مرور السنين الحافلة بالسراء والضراء ، لايقل أهمية عن الصمود على مشقة الطريق ذاته ، والتغلب على وعورته ، والتقلب بين ظلماته واضوائه ! ..

لقد مرت "الهلال" بمراحل كثيرة متغيرة تبعا للمراحل الاجتماعية والفكرية والسياسية التى مرت بها مصر والأمة العربية .. وواكبت "الهلال" التغير والتطور ، تدعو اليهما أو تسبقهما بشيرا الى الناس ..

ولعل فى قصة إنشاء الجامعة التى كانت بدايتها مقال نشر فى الهلال فى فبراير عام ١٨٩٩ خير دليل على ذلك ..

كانت "الهلال" فى جميع المراحل تبشر بالتطور الى الأفضل .. وذلك هو جوهر رسالتها الذى حافظت عليه فى جميع الأحوال ! ..

ويحمل غلاف هذا العدد من "الهلال" بعض ما يتصل باسم "الهلال" من رموز ومعان خطرت فى ذهن منشئه جرجي زيدان عند إصداره الاول وكان الهلال رمزا للدولة العثمانية ، وكان علمها ذو اللون الأحمر يتوسطه هلال ونجمة واحدة ، وهو نفس العلم المصرى ..

وظل هذا العلم مرفوعا على قصر عابدين ورياسة مجلس النظار "الوزراء" حتى رفعته جماهير ثورة ١٩١٩ فوق رءوسها وسقط فى سبيله الشهداء .. ثم اتخذت الدولة المصرية العلم الأخضر بهلاله ونجومه الثلاث عندما تمخض تصريح فبراير ١٩٢٢ عن إعلان "أستقلال" مصر .

وقد يبدو لنا الآن الهلال الذى تصدر العدد الاول منذ ستة وتسعين عاما ، مجرد رسم ساذج ، ولكنه مع ذلك كان قوى التصوير للمعنى الذى اراده منشىء الهلال الذى لم يكن عثمانى الاتجاه ، ولكنه قصد أن يصور انحيازه للشعب المصرى ضد الاحتلال البريطانى ، وكان "الهلال" فى ذلك الوقت راية يستظل بها هذا الشعب ، بل كان الهلال فى الحقيقة تعبيرا عن مصر والبلاد "الشرقية" والعربية والاسلامية فى تلك المرحلة التاريخية ..

ومازال اسم "الهلال" فى ايامنا يحمل هذا المعنى ، فهو رمز جامع للمصريين والعرب والشرقيين فى كل مكان وزمان ..

ومازالت مجلة "الهلال" سائرة فى النهج نفسه وإن تغيرت الأساليب وتجددت الطرائق باختلاف الزمان والمكان ! ..

# الهلال

# .. وإنشاء الجامعة المصرية

بقلم : مصطفى نبيل

واليوم ونحن نشاهد انتشار الجامعات على طول الوطن العربى . ونرى اقبال المرأة العربية على التعليم ، نذكر اهمية ذلك المقال الذى نشر فى مجلة الهلال فى فبراير عام ١٩٠٠ ، والذى كان بمثابة اشارة البدء للجامعة المصرية ، فقامت الجامعة بمبادرة من الرأى العام وبالتبرعات التى جمعت من الاهالى ، وكان قيامها نتاج مخاض طويل وصراع مرير ضد السيطرة الاجنبية من اجل إعادة الحياة الفكرية فى البلاد فى مواجهة التحدى الغربى المتقدم ، فارتبط قيام اول جامعة بكل رموز الحركة الوطنية وقادة الاصلاح ..

واذا عدنا للمناخ الذى بدأت فيه فكرة الجامعة أدركنا مغزى القصة كلها ، فبعد هزيمة الثورة العرابية امام قوات الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ، سادت البلاد موجة من اليأس ، وما تبعه من فتور الهمة ، وتمضى دورة زمنية ، ويظهر جيل يتلفت حوله باحثا عن اسباب الهزيمة وعن وسائل قهرها . وترتفع صيحات المصلحين والمفكرين ان الهزيمة أحد نتائج التخلف الذى يعيشه الشرق .. والتخلف أحد نتائج نقص المعارف الحديثة ، وعمّ اليقين ان تحديث التعليم وتطويره هو البداية الصحيحة من أجل انتزاع الحرية والدخول الى العصر الحديث .

وكانت فى مصر ـ قبل دخول الاحتلال البريطانى ـ مدارس عليا ، مدرسة للطب ، واخرى للحقوق ، ومدرسة للمهندسين ، واضيفت فيما بعد مدرسة الزراعة العليا . بل وعرفت القاهرة الحياة الجامعية قبل الغرب باكثر من قرنين من الزمان ، والتى تمثلت فى الازهر الشريف الذى تأسس فى القرن العاشر الميلادى ، ولكن التعليم فى الأزهر تجاهل علوم العصر واقتصر على علوم الدين واللغة العربية ، وفقد الأزهر مع سنوات

تجربة رائدة حدثت فى مطلع هذا القرن ..
البداية .. طرح فكرة فى مقال نشر فى مجلة الهلال .
تتحول الفكرة الى حقيقة واقعة ، ولم تذهب الفكرة سدى ، ولم تتبخر الكلمات فى الهواء ، وانما تحولت الى برنامج محدد المراحل والمسئوليات ، واقيم هيكل تنظيمى يصل الفكرة بغاياتها .. تدور الفكرة حول الحاجة الملحة لاقامة جامعة تمد المجتمع باحتياجاته العلمية وترتفع بمستوى حياة البلاد العقلية .
ولمّا كانت الفكرة تعبيرا صادقا عن هدف نبيل . تلقفها مجتمع حى طموح ووصل بها إلى هدفها .

● البعثة الاولى للجامعة المصرية إلى الجامعات الأوربية والتى ضمت عزمى خزام وحسين رمزى ويوسف نور الدين وحسن صادق وسالم هنداوى و د . على توفيق شوشة والمشرف على البعثة الشيخ احمد ضيف .



## .. وإنشاء الجامعة المصرية

التخلف وظيفته كمؤسسة علمية بالتدريج ، ومن يطالع كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين وكتاب "حياتى" لأحمد امين ، يدرك حجم الأزمة التى كان يعانى منها الأزهر الشريف ، وكيف اصبح دوره هامشيا فى الحياة العقلية للبلاد .

وتطلع القادة لمؤسسة علمية جديدة تفجر طاقات الإبداع والتفكير الحر ، وتلاحق مستجدات العصر ، وتعيد تكوين وجدان الأمة ، إلى "جامعة" أى مجمع للعلم والفكر ، تقوم على قواعد راسخة من الحرية والاستقلال ، وتقوم بتثقيف الشعب لا التبرير للحاكم ، وتمكن كل صاحب رأى من البحث عن آفاق جديدة ، ويمتزج فيها الفكر بالفن ، والعلم بالفلسفة ، وتغدو قادرة على إمداد المجتمع بالمثقفين القادرين على إنجاز التقدم والتحديث .

وتعبيراً عن ذلك الأمل نشرت مجلة الهلال عام ١٨٩٩ ، فى سنتها السابعة ، مقالاً يمهد لفكرة إقامة الجامعة بعنوان "علموهم" و"اتركوهم" . والارجح ان كاتبه هو منشىء الهلال ، جرجى زيدان" وجاء فى المقال :

"لم يبق بين أهل العصر من ينكر فائدة التعليم ، والغاية القصوى من التعليم مصلحة عمومية تتعلق بالبلاد وتمس مصالح الأمة بجملتها وعليها يتوقف استقلالها أو استعبادها .."

ويشير إلى البعد السياسى للدعوة بقوله : "كم من مرة حاول الهنود التخلص من نير الإنجليز ، ونادت جرائدهم "الاستقلال . الاستقلال" ، وكم استحثوا الامم واستنهضوا الهمم ، وكم ثارت شعوبهم ، فهل فازوا بما أملوا ..؟! كلا ، لأن عامتهم لم يتعلموا .. ولا تفلح أمة فى مشروع وعامتها من الجهلاء .." ويذكر .. "دخل الانجليز مصر بقوة السلاح فغلبوا المصريين على مافى أيديهم ، والمصريون أوفر عدداً وأمنع موقعاً ، وهم المدافعون وأولئك المهاجمون فقد غلبوهم بالاتحاد والعلم ، لأن الجند المصرى معظمهم يومئذ رجالاً لا يعرفون للحركات العسكرية فائدة .. فقضى المصريون بضعة عشر عاماً يتذمرون مما آلت إليه حال البلاد من سلطة الأجنبى ، وهم سكوت وقد بهرهم الفتح واسكتتهم المواعيد ، حتى نشأ منهم جيل من الشبان ذو غيرة وحمية أوعز العلم إليهم أن الاستقلال حسن" ، "نعم . إن الفئة المتعلمة من أهل القطر كبيرة ، ولكن الاستقلال يحتاج إلى علم عام يتناول الزارع والصانع فضلا عن التاجر والكاتب وغيرهم ، فطريق الاستقلال العلم .. علموهم معنى الوطن ، علموهم كيف يتحدون ، علموهم كيف يجتمعون ، عودوهم الاستقلال بالرأى ، علموهم الحرية الشخصية" .

### ● حاجتنا الكبرى

ونشر "الهلال" فى عدد فبراير سنة

١٩٠٠ مقالاً بعنوان "مدرسة كلية هي حاجتنا الكبرى" ، واقترح إنشاء كلية لتثقيف الشباب في بلادهم ، وقدم اقتراحاً محدداً بتكوين لجنة برئاسة أحد قادة الأمة للسعي في الاكتتاب ، حتى يرى مشروع الجامعة النور . "نحن في حاجة إلى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية يتولى أمرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والإقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات ، فإذا خرج التلامذة منها أنشأ بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في أبنائها ويبثها الآخرون في رفاقهم بالأسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية" .. "لا ننكر تعداد المدارس في مصر على إختلاف مذاهبها ونحلها ، وكلها نافع ، ولكننا في حاجة إلى مدرسة كبرى تعلم الرجال ، فتثقف الشباب وتدربهم على ما فيه خيرهم ، وبدلاً من أن نرسل أولادنا لإتمام دروسهم في بعض جهات أوربا أو غيرها ، نعلمهم في هذه المدارس فينشئون على حب الوطن ، وتحيا اللغة العربية فينبغ بيننا الخطباء والعلماء والأطباء والقضاة ، وفيهم روح جديدة يبثونها بين مواطنيهم روح الإقدام والاعتماد على النفس .

"والمطلوب لإتمام هذا المشروع ، المال الكافي ، أساتذة يصح أن يكونوا قدوة في سيرتهم وثقة في أقوالهم ، أما المال فقد دلتنا الحوادث الماضية ، أن في مصر قوماً كراماً ، لا يدخرون وسعاً في سبيل النفع العام ، فلابد من تشكيل لجنة يرأسها أحد كبار الأمة المشهورين بالغيرة على الوطن ، فتسعى إلى جمع المال بالاكتتاب والله مع الجماعة .. ونرغب إلى الجرائد الوطنية أن تتضافر في استنهاض الهمم للوصول إلى هذه الغاية" .

وهذا المقال كان النبتة التي أزهرت ، والكلمة التي تحولت إلى عمل ، وقامت الجامعة في النهاية استجابة لدعوته .

● الرد على الخصوم

ولم تقل مجلة الهلال كلمتها وتمشي .. بل أخذت تعالج الفكرة بأساليب مختلفة ، وتكشف جاذبيتها ، وترد على خصومها ، ونشرت الهلال ترجمة لحياة أحمد خان مؤسس جامعة "كلية على كره" في الهند ، ويستعرض أسلوب اقامتها على غرار جامعة أوكسفورد وكمبردج ، والتي بدأت بدورها على المبادرات الشعبية وعلى أساس الاكتتاب العام .

وقبل قيام الجامعة المصرية بنحو عامين ، نشر "هلال" نوفمبر سنة ١٩٠٦ مقالا شاملا يقدم تصورا كاملا للجامعة ، كلياتها ، وعلومها ، ونظمها ، واستعرض المقال الجامعات الأوربية ، والكليات التي تضم كل منها ، مع الالحاح على أن يكون التعليم في الجامعة الجديدة باللغة العربية

واستمرت مجلة الهلال في نشر كل جديد يتناول مشروع الجامعة ، وطرحه

# .. وإنشاء الجامعة المصرية

على الرأى العام حتى شهد المشروع النور .

## ● من الفكرة .. إلى الحركة

واستجاب المجتمع المتعطش للتقدم والراغب فى التحديث للكلمة الصادقة والفكرة الحية .

وعثر الزعيم مصطفى كامل فى مشروع الجامعة على ضالته ، وهو الذى يرى ان مهمته قهر حالة اليأس التى شاعت فى الامة ، فاخذ يدعو الى قيام الجامعة على صفحات جريدة اللواء ، واطلق دعوته فى ٢٦ اكتوبر عام ١٩٠٤ قائلا .. « ان الاوان ان يفكر قادة الامة فى عمل جديد ، الامة فى اشد الحاجة اليه ، وهو انشاء جامعة للامة بأموال الامة .. » .

ونشرت جوليبت آدم فى كتابها "انجلترا فى مصر" احدى رسائل مصطفى كامل الى محمد فريد فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩٠٦ .. "خير هدية اقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز ، وللامة المحبوبة ، ان تقوم بطرق باب كل مصرى لتأسيس جامعة اهلية تجمع ابناء الفقراء والاغنياء على السواء ، وتهب الوطن الرجال الاشداء ، الذين يزيدون عدد خدامها الصادقين ، ممن لا يخشون فى الحق لوما ولا عقابا ، ويعملون لمداواة داء الامة ، وجمع امرها وبث روح الوطنية العالية فى نفوس ابنائها ، لان كل مليم يزيد عن حاجة المصرى ثم لا ينفق فى سبيل التعليم هو لا محالة بائد ، والامة محرومة منه بغير حق .

فلتنس الاحزاب انقساماتها ، ولينس الصحفيين خصوماتهم ، ولنلق بالاحقاد ـ ولو يوما واحدا ـ فى هوة لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم ، ولتجتمع الامة لاتمام هذا العمل .. »

وكما اقترحت الهلال ، اقيمت لجنة لمشروع الجامعة ، تضع برنامج تحقيق المشروع ، وتدعو اليه ، وتجمع الاموال اللازمة ، وجمعت فى اول نداء وجهته للامة ثمانية الاف جنيه ولم يكن العمل ميسورا ، وظهرت الكثير من العقبات ، ودعى اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى والحاكم الفعلى الى اقامة الكتاتيب بدلا من الجامعة ، ورأت الحكومة ان الجامعة فكرة سابقها لأوانها ..

## ● الجامعة أم الكتاب

واستمرت الهلال تدافع عن الفكرة وتتصدى لخصومها .

وعندما اثار اللورد كرومر المطالبة بنشر الكتاتيب بدلا من الجامعة ، تصدت الهلال لهذه الدعوة عام ١٩٠٥ ، وردت على صحيفة المؤيد التى تبنت افضلية الكتاتيب « لانها اعم نفعا واكفل لنشر العلم بين العامة وهم جمهور الامة ، فالكتاتيب مشروع حيوى اساسى يجب ترميمه قبل كل جزء من اجزاء البناء ، ومتى تم الاساس يقام البناء فوقه »

وترد مجلة الهلال : "فى اعتقادنا اننا فى حاجة الى مدرسة كلية عليا اكثر منا

الى كتاتيب صغرى .. فاذا كان المراد بالتعليم مجرد تلقى العلوم والاداب كالنحو والحساب والتاريخ والجغرافيا والهندسة والطب والفقه وغيرها ، ففى مصر مدارس كثيرة لا ينقصها شىء ، ولكن ذلك ليس كل المراد بالتعليم ، اذ لا يكفى ان نعلّم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشىء بل يجب ان نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم ، يجب ان نعلمهم معنى الوطن ، وكيف يتحدون وكيف يجتمعون ، وان نعوّدهم الاستقلال بالرأى ونعلّمهم الحرية الشخصية حتى يمتاز المتعلم منهم عن غير المتعلم » .. « فلا خلاف فى حاجتنا الى زيادة نشر العلم بالمدارس الصغرى والكبرى ، واما البحث هل نبدأ بالصغرى ام بالكبرى ، والذى نراه تقديم المدارس الكبرى ، فننشىء مدرسة كلية وهى اضمن لترقية الامة"

وترد مجلة الهلال على ما اعلنه رئيس الوزراء ، بان مشروع الجامعة سابق لاوانه ، "اذا كنا فى حاجة الى مدرسة كلية مصرية ، ونحن قادرون على انشائها ، فلماذا يقال ، انها سابقة لاوانها » ، الا اذا قيل ، ان الحكومة تخشى من عواقب

● تدعيما لوجهة نظر مجلة الهلال بضرورة التعليم فى الجامعة باللغة العربية ، نشرت قائمة بالكتب العلمية التى كتبت باللغة العربية

في الطبيعيات والكيمياء

| اسم الكتاب | اسم المؤلف | سنة الطبع |
|---|---|---|
| الآيات البينـ في ... بيات | محمود فوزي | ١٨٨٨ |
| الظواهر ... في ... الطبيعة | » » | ١٣٠٨ |
| منافع الخيـ ... ت | » » | ١٣٠٦ |
| علم طبقات ... حيولوجيا | احمد ندى | ١٢٨٨ |
| بنية الكرة ... | » » | ١٢٥٧ |
| حسن ... في ... زراعة | » » | ١٢٩١ |
| علم النبات | » » | ١٢٨٣ |
| علم الحيوانات | » » | ١٢٨٤ |
| ... | ابو السعود | |

# .. وإنشاء الجامعة المصرية

الأمير أحمد فؤاد ومجلس إدارة الجامعة ١٩٠٨ وفى الصورة يعقوب ارتين وكيل نظارة المعارف وعبدالخالق ثروت النائب العام وحسن باشا وماسبيرو مدير المتحف المصرى أنذاك .



ارتقاء العقول وتهذيب النفوس بالعلوم العالية فيثقل النير الاجنبى ، فيؤول ذلك الى اقلاق راحة الدولة المحتلة » ويختم الهلال مقاله " اذا كانت الحكومة ترى عدم استعدادنا لهذا المشروع لاعتقادها عجزنا بوجه من الوجوه ، ولم تمد لنا يد المساعدة فينبغى لنا الثبات حتى نبرهن لها اننا صرنا من الامم الحية" ..

● تأييد الرأى العام

وساند الرأى العام مشروع اقامة الجامعة ..

واذا كان الانجليز يفخرون بان اغنياءهم يقيمون المتاحف وينفقون على الفنون ، واذا كان اثرياء الامريكان يرصدون جزءا من ثرواتهم وينفقونها على معاهد الدراسات والابحاث ففى مطلع هذا القرن ، كان السراة فى مصر يقدمون اموالهم للتعليم ، استجابة لنداء قادة الفكر ، ويحكى مشروع انشاء الجامعة العديد من الحكايات المشرفة .

فبعد الزعيم مصطفى كامل ، جذبت الفكرة الامام الشيخ محمد عبده ، وقدم احمد منشاوى باشا ارضا يملكها فى باسوس للمشروع ، واعلن استعداده لاقامة الجامعة من ماله الخاص ، ولكن

مالبث ان توفى الشيخ ومات الباشا .
وتبارى الاعيان الذين يقدمون تبرعاتهم للمشروع ، وجذبت الدعوة اكبر زعيمين قامت على اكتافهما النهضة ، فبعث مصطفى كامل الامل ، وجاء سعد زغلول ليضع الامل موضع التنفيذ ، فرأس اللجنة التحضيرية لمشروع الجامعة ، ومن دار سعد زغلول صدر البيان الاول ، بعد اجتماع اعضاء اللجنة التى ضمت قاسم امين ، ومحمد فريد ، وحفنى ناصف ، والشيخ عبدالعزيز جاويش .

ويظهر البيان الاول الامال المعقودة على الجامعة ، والذى نشر فى كتاب عباس العقاد عن سعد زغلول : "هذه السنة هبَّ فى الرأى العام تيار تلقائى لتحقيق هذه الامنية لان الامة انتهت بان تفهم تمام الفهم ان طريق التعليم فيها ناقص ، ودائرته ضيقة ، تقف وتنتهى بالطالب قبل بلوغه الغاية ، وان من وراء الحدود التى انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية ، وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها ، واختراعات جديدة ، واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبراء العلماء فى اوربا وما يصل الينا منها الا صداها الضعيف ، فمنها ما يختص بالوجود ، وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية ، وما يبحث فيها عن لغة الانسان ، وعن الاداب والفلسفة والشرائع والتربية ، وكل ما يهم ماضى الانسان وحاضره ومستقبله ، وهو موضوع علوم شتى لا يعرف احد شيئا منها ، ولا يهتم بما كمل منها ، ولا بما هو سائر نحو الكمال ، وابلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية فى الاداب والفلسفة والعلوم ، ولاقيمة من اشتهروا من مؤلفيها عن الاوربيين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاقدام » ..

"ان امتنا لا يمكنها ان تعد فى صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة ، او ان يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم شبابنا الذين يجدون فى اوقاتهم سعة ، وفى نفوسهم استعدادا ، ان يصعدوا عقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم » ...

فتيات الجامعة فى صدام مع الشرطة .



# الهلال
# .. وإنشاء الجامعة المصرية

واستمر عمل اللجنة ، حتى انجزت المشروع ، ورغم ان سعد لم يستمر طويلا فى رئاسة اللجنة اذ عين وزيرا للمعارف فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٠٦ ، وحل محله الامير فؤاد ، ولكنه تمكن من تقديم مساهماته فى خدمة المشروع من موقعه الجديد ..

وتم افتتاح الجامعة الاهلية ، والتى اطلق عليها جامعة فؤاد ( جامعة القاهرة الان ) يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨ ، بمقرها فى قصر جناكليس – وهو المبنى الذى تشغله الجامعة الامريكية اليوم

● الكلمة والفعل

هذه هى قصة اقامة الجامعة المصرية والتى بدأت بمقال نشر فى الهلال ، واكتملت الفكرة بمساندة الرأى العام وتأييده .

ويحق لنا ان نتساءل : لماذا لا يتكرر ما وقع فى مطلع هذا القرن ؟ ولماذا لا تتحول العديد من الافكار الحية الى حركة تصل بالفكرة الى مرادها ..

ولماذا وقع الفصل الحاد – هذه الايام – بين الكلمة والفعل ..

فى مطلع هذا القرن ، كنا نعيش فى ظل السيطرة الاستعمارية ، واليوم نعيش فى ظل الديمقراطية ، واهم منجزات الديمقراطية ، انها تجعل الفرد قادرا على التحرك من اجل تحقيق مايؤمن به ، وبالتالى ينبغى ان تزيد المبادرات الشعبية .. زمان .. كنا نعيش حكم الصفوة ، واليوم .. نعيش فى ظل زيادة اعداد الطبقة الوسطى ، والتى يفترض ان يسعى أبناؤها الى التصدى للمصاعب التى تعترضهم ، فلماذا لا تتحول الفكرة الصائبة لديهم الى برنامج وهيكل تنظيمى قادر على وضع الفكرة موضع التنفيذ .. ؟

صحيح ان قيام الجامعة اسهل من قيامها بوظيفتها على الوجه الصحيح ، فالمطلوب اليوم هو الانتقال من البسيط إلى المركب ، كان الهدف هو اقامة الجامعة ، ومطلوب اليوم قيامها بدورها كبؤرة اشعاع ، وعامل تغير ، وكيان عضوي يمد المجتمع باحتياجاته وتجيب على تساؤلاته ، وهو ما يحتاج الى جهد اكبر وخيال اوسع .

والازمة التى تعانى منها الجامعات المنتشرة على طول البلاد ، عالجتها العديد من المقالات والدراسات ، واريق فى كشفها الكثير من الصفحات ، واستمرت الجامعة تعانى من تكدس طلابها ، ومن قلة الامكانيات ، ومن عدم الاستجابة لحاجات المجتمع ، وعجزها عن تقديم البحوث العلمية فى المجالات المختلفة ، ومساعدة المجتمع على مواكبة الثورة العلمية والتكنولوجية فى عالم متغير ، ورغم تزايد الحاجة اليها كمصنع للقادة ، وتجمع للعلماء الذين يكرسون انفسهم للعلم ..


واكتتب الحاضرون بما جادت به نفوسهم ونحن ناشرون اسماءهم تدويناً لفضلهم لانهم في مقدمة المكتتبين في هذا المشروع :

| | |
|---|---|
| جنيه مصري | |
| ١٠٠ | قاسم بك امين |
| ١٠٠ | خالد بك سعيد |
| ٣٠٠ | محمد بك فريد ( سنوياً ) |
| ١٠٠ | محمد بك سليمان اباظه |
| ١٠٠ | صادق بك اباظه |
| ٢٠٠ | حسين بك ابو حسين |
| ٢٠٠ | علي بك فهمي |
| ١٠٠ | حنفي افندي ناجي |
| ١٠٠ | محمود بك الشيشيني |
| ٢٠٠ | محمود بك عثمان اباظه |
| ١٥ | حنفي بك ناصف |
| ١٠٠ | عبد الله بك اباظه |
| ٥٠٠ | مصطفى بك كامل الغمراوي |
| ١٠٠ | زكريا افندي نامق و ٥٠ جنيه سنوياً |

| | |
|---|---|
| جنيه مصري | |
| ١٠٠ | الدكتور عبد الحليم افندي حلمي |
| ١٠٠ | مشاوي افندي سيد احمد |
| ١٠٠ | اخنوخ افندي فانوس |
| ١٠٠ | محمود بك حبيب |
| ٥٠ | عبد العزيز بك فهمي |
| ٢٠ | حسن بك سعيد |
| ٥٠٠ | الشيخ عبد العزيز جاويش ( سنوياً ) |
| ١٠٠ | محمد بك راسم |
| ١٠٠ | سعد بك زغلول |
| ١٠٠ | محمد بك هاشم و ٢٥ جنيهاً سنوياً |
| ١٠٠ | محمد بك يوسف المحامي |
| ١٠٠ | احمد افندي رمزي المحامي |
| ١٠٠٠ | حسن بك جمجوم |
| ٤٥٨٥ | المجموع |

الجزء الثاني من الهلال (١٠) السنة الثامنة عشرة

● دأبت « الهلال » على نشر أسماء المتبرعين لمشروع الجامعة

فلماذا لا يقدر الجيل الحالى على تسلم الشعلة من اجيال عملاقة سبقته وان يعيد الجذوة للشعلة المقدسة من جديد ؟ !

يعرف الجميع ان عودة الجامعة الى دورها ، مرهـون باسـتـرداد الجامعـة لاستقلالها وحصانتها ، عندها لن تقبل طلبة يزيدون عن قدرتها ، وبذلك تسترد دورها كحصن لحرية الفكر .

وبعد التغيرات الواسعة التى حدثت فى المجتمع ، تزايدت الحاجة ليكتمل بناء الهرم ، وان يضم فى قاعدته الزراع والصناع والحرفيين ، مما يعنى المزيد من التطور النوعى للجامعات .

لقد حان الوقت لاحياء التقليد القديم الذى يقوم على المبادرات الشعبية التى تنقل الفكرة الصحيحة الى برنامج وهيكل تنظيمى وطريق لحل كل المصاعب التى تواجه المجتمع ..

# جرجى زيدان و الـروايـة التاريخية


جرجى زيدان

بقلم: أحمد حسين الطماوى

ارتبط جرجي زيدان - منذ ان عالج الكتابة - بالحقيقة . فهو ليس من الكتاب الخياليين الذين يرسلون خيالهم المجنح فى كل واد . وليس من الكتاب المنشئين الذين يسترسلون فى التوصيف والترسيم، وانما هو رجل ينطلق عقله فى رحلة بحث عن الحقيقة .

وفى سبيل الوصول الى الحقيقة او ما يعتقد انه حقيقة ، بذل زيدان جهدا لاينكره قارئه ، ولا يستهين به عارفه . والحقائق تستلزم التقصى والتمعن والتمحيص ، والموازنة والمقابلة ، ولعل هذا - او شبيهه - ما نهض به العلامة المدقق جرجي زيدان .

والنظرة العاجلة الى موضوعات كتاباته تدلنا على ارتباطها بحقائق التاريخ والادب واللغة والعلم ، فكتبه عن تاريخ اداب اللغة ، والتمدن الاسلامى ، وفلسفة اللغة والتاريخ العام ، وتراجم مشاهير الشرق والغرب هى مثال واضح على اتجاه ذهن منشىء الهلال الى الاحداث الاجتماعية، والواقعات التاريخية، والمقارنات اللغوية ، والمخترعات العلمية ، ودراسة العصور الادبية واعلامها .

واعمال جرجي زيدان الروائية هي نوع من ارتباط ذهنه بالحقائق · اذ ان هذه الروايات استمدت موضوعاتها من احداث تاريخية شهيرة او من اعلام التاريخ الذين اثروا في مجراه مثل صلاح الدين وابي مسلم الخراساني وعبد الرحمن الناصر وشجرة الدر وغير ذلك ·

والرواية التاريخية بطبيعتها ليست ابداعا ادبيا او فنيا كاملا نظرا لان اسانيدها وروافدها الرئيسية مسطورة في كتب التاريخ ، فالمؤلف لا يبدعها او يختلقها ولا ننكر قدر الاختراع فيها ، وجهد القاص وبراعته في الاضافة الى الحدث ، واختلال الشخصيات الثانوية او المساعدة لتتلاءم الاجزاء ، وتتلاحم المشاهد · ومع كل ذلك فان الفن فيها اقل منه في القصص المبتكرة ، والروايات المخترعة · ومن ثم فنصيب الحقيقة في الروايات التاريخية اكثر من نصيب الفن وبخاصة في اعمال زيدان ذات الصبغة التاريخية حيث يبرز فترات زمنية واسعة ويلزم نفسه بسردها وذكرها ·

وطريقة زيدان في كتاباته تدل على ارتباط ذهنه بالحدث التاريخي فهو لم يكن يكتب الرواية كلها سلفا ثم يأخذ في نشرها منجمة في الهلال · وانما كان يختار شخصية تاريخية او فترة زمنية مليئة بالاحداث والارهاصات ويدرسها دراسة متأنية ثم يستخرج منها قصة بعض ابطالها من الشخوص المعروفين · ثم يشرع في نشرها فصلا فصلا ، بحيث يكون الفصل الاول المنشور في عدد اكتوبر مثلا هو كل ما انجزه بالفعل ، ولا يدري ـ كما صرح هو بذلك ـ على وجه التحديد ما سيكتبه في الفصل الثاني حتى تتم فصول روايته · وقد تدعو هذه الطريقة الى القلق · ولكن الامر يختلف مع جرجي زيدان لانه ينمي الحدث ، ويحلل الشخوص وفقا لمعطيات التاريخ · أي ان الامر متروك للحقيقة التاريخية وليس للخيال الخلاق المبدع ، ومادام يتصرف في المواقف طبقا لروايات المؤرخين والدارسين فان الخطأ يكون قليلا الا اذا كان يعترض على رواية واقعة او صياغة حدث ، فيتدخل لتعديله بناء على رؤية شخصية ، او لشيء في نفسه ، ومجال الفن الروائي ربما يتيح له ذلك في مذهب بعض النقاد ، لذلك فالحقيقة عند زيدان مقدمة على الخيال ، والتاريخ يفوق الفن ·

ولما كان التاريخ الخالص غير القصة التاريخية من حيث عرض احداث التاريخ ، وطريقة تناول الشخوص ، وتنسيق الاخبار ، فان كاتب الرواية التاريخية يستعين على تجميع عناصر موضوعه بشخوص يتخيلهم ، او بمصادفات يصطنعها ، او بافعال عارضة يضيفها ، ليلم شمل المفردات الشاردة ، والاخبار المتناثرة · وهذا ما قام به زيدان في مختلف رواياته · وقد يتساءل القارىء كيف كانت تسير الرواية لو لم تقع تلك المصادفة مثلا ؟

ورغم هذه الاضافات الفنية فان الروايات الاولى لجرجي زيدان ـ او اغلبها ـ يعتورها التفكك احيانا ، وتعوزها الحبكة في احيان اخرى · ولكن الاحداث التاريخية الهمة تظل ظاهرة واضحة وهي المحور الرئيسي في القصة التي يدور حولها الفن ·

وقد عمل جرجي زيدان في رواياته على توفير عنصر من اهم عناصر القصة الفنية ، الا وهو عنصر التشويق حيث يجعل مدار الحديث حول غرام ناشىء سرعان ما يستعر في

نفس المشوق ، وهذا العنصر شجع قراءه ، وسهل عليهم قراءة التاريخ · فهو يعلم الناس التاريخ من باب التشويق ، حيث يتطلع القارىء الى معرفة ما سوف ياتى من خلال موضوعات العشق اللاهب ، والغرام الطاحن ، وهى الموضوعات التى تستهوى معظم الناس وبخاصة الشباب حيث يستميلهم المؤلف بانتصار المحبين بعد مصارعة الشر والاشرار الذين وقفوا فى سبيل غرامهم ، ويتمثل فى كثير من قصصه مثل عذراء قريش وفتاة القيروان ، وصلاح الدين ·

## ● نشأة الرواية التاريخية

ظهرت الرواية التاريخية فى ادبنا فى اطار شعبى حيث كانت تحكى قصة عنترة وسيف بن ذى يزن والزير سالم وغيرها ، وهذا اللون من الرواية فيه من الخيالات اكثر مما فيه من الحقائق · ثم اخذت الرواية التاريخية طريقها الى ادبنا الحديثة بعد ظهورها فى اوربا على يد عدد من الكتاب كان ابرزهم اسكندر دوماس ، ثم راحت تتطور وتتراقى حتى نضجت عند سير والترسكوت ·

وقد ظل الدارسون فى بلادنا العربية يرددون مقولة فحواها ان اول من انشأ الرواية التاريخية الحديثة هو جرجى زيدان حتى ظهرت دراسة رائدة للدكتور محمد يوسف نجم هى « القصة فى الادب العربى الحديث » التى بينت ان « سليم البستانى » هو اول من حاول محاولة كبيرة فى كتابة هذا اللون من القصة بكتابة قصة « زنوبيا » و « الهيام فى فتوح الشام » ·· وتبعه زيدان بسلسلته المعروفة ·

**ويكاد يجمع النقاد ان جرجى زيدان لجأ الى الرواية التاريخية لاثارة شوق القراء الى مطالعة التاريخ والرجوع الى مصادره ·**

ولما كان منشىء الهلال يعتقد ان تاريخ الاسلام « عبارة عن تاريخ الشرق الحديث او هو تاريخ العالم كله بعد عصر الرومان والفرس » فقد اقدم على التاريخ له بهذه الطريقة · وراعى ان تكون رواياته مسايرة للحقب التاريخية المتعاقبة فى هذا يقول : « وقد تدرجنا فى حلقات هذه السلسلة بنشر تاريخ الاسلام من ظهور النبى (ص) وفتح الشام والعراق الى فتح مصر ثم ما كان من الفتنة فى ايام عثمان وانقسام المسلمين الى مقتل الامام على وانتقال الخلافة من الراشدين الى الامويين ثم مقتل الحسين فى كربلاء فتاييد الدولة الاموية من زمن عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف · وما كان بعد ذلك من فتح الاندلس على يد طارق ابن زياد ثم فتحهم بلاد الافرنج الى الواقعة الشهيرة بين شارل مارتل وعبد الرحمن الغافقى واخيرا انحطاط شأن بنى امية وسقوط دولتهم وقيام دولة العباسيين على يد ابى مسلم الخراسانى ·· »

ولم يقف زيدان عند هذا الحد وانما تجاوزه ، فمثل العصر العباسى برواية ابى مسلم الخرسانى والعباسة اخت الرشيد ، والامين والمأمون ، ومثل للعصر الايوبى برواية صلاح الدين. وحكى الفترة الانتقالية من العصر الايوبى الى عصر المماليك برواية شجرة الدر التى بينت احوال الخلافة العباسية فى ايامها الاخيرة وتضمنت مبايعة شجرة الدر ومسيرة الملك الظاهر بيبرس ، ثم اوغل فى العصر المملوكى فقدم لقرائه رواية « استبداد

المماليك » والمملوك الشارد ، ويبين لنا مشاهداته في السودان أيام مرافقته الحملة الانجليزية فى رواية أسير المتمهدى وتتضمن وصف مصر والسودان فى أواخر القرن التاسع عشر واحداث الثورة العرابية فى مصر والثورة المهدية فى السودان ، ثم يعرج على تاريخ المسلمين العثمانيين فى رواية الانقلاب العثمانى، ولا نقول : ان روايات زيدان غطت كل احداث التاريخ الاسلامى ولكنها مثلت لكل عصوره وشملت ابرز واقعاته ، واعظم رجاله • وقد راجت هذه الروايات فى الشرق والغرب وترجمت الى مختلف اللغات مثل الفارسية والهندية والتركية واللسان الاذربيجانى من اللغات الشرقية ، والفرنسية والانجليزية والروسية والالمانية من اللغات الاوربية •

## ● انتقاد روايات جرجي زيدان

ولكن رواياته لم تسلم من النقد ، ففى عام ١٨٩٩ نشر روايته « عذراء قريش » وتناول فيها مقتل عثمان واحداث الفتنة الكبرى وتولى الامام على الخلافة ، وعند حديثه عن هذه الفترة قال زيدان فى هلال نوفمبر ١٨٩٩ أن الروايات التاريخية تحتاج الى المراجعة والتنقيب لتمحيص الحوادث التاريخية وتطبيقها على الحوادث الغرامية حتى لا يظهر فيها التكلف او الضعف • ولكن زيدان لم يلتزم بما قال ، فنسب الى بعض الشخصيات الاسلامية ما ليس فيها مما اثار جمهور المسلمين ، وقد تصدت مجلة « الموسوعات » لهذه الرواية وانتقدتها فى موضوعية ، فعذراء قريش ( أسماء ) بطلة الرواية لا وجود لها الا فى ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض الحق فى هذا ، ولكن الباطل انه نسب لمحمد بن ابى بكر المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء ونسب الى الحسن بن على عشقه لهذه العذراء ( الوهمية )وغيرة محمد بن ابى بكر منه ، وادعى ان الامام على اعجب بعذراء قريش عندما دخلت عليه فى زى رجل ، مع ان الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ( حديث ) وقد عرف عن على تمسكه بالدين مما ينفى عنه ان يعجب بمثل هذا • ولم يستطع زيدان ان يدافع عن نفسه دفاعا منطقيا • ومهما يكن فى ضرورة وجود الخيال عند كاتب الرواية التاريخية ، فان هذا لا يجب ان يناكر الحقائق ، ويجافى الاحداث، ويغير من الصفات الشهيرة فى الشخوص المعروفة ، فلا نصور زاهدا فى صورة عاشق غيور او العكس • وقد اقترح احد قراء الهلال على زيدان أن ينسب حوادث الحب الى اشخاص آخرين غير ابناء الصحابة ، وقد استجاب صاحب الهلال لهذا الاقتراح وقال : « اما الان فقد عولنا بعد ان تتم عذراء قريش فى آخر السنة السابعة من الهلال ان شاء الله ان نجرى فى رواياتنا التالية على رأى حضرته وما غرضنا الا الفائدة العامة، وكان هذا اعتراف منه بالخطأ •

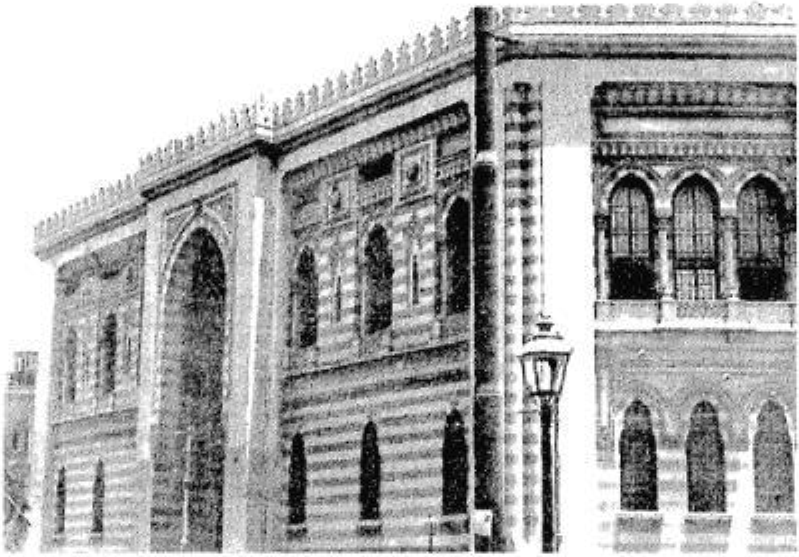
وعلى اية حال فان زيدان يعتبر من رواد هذا الفن الروائى المستند الى احداث التاريخ وشخوصه ، وقد تبعه كثيرون من المؤلفين مثل فرح انطون وعلى باكثير وسعيد العريان وفريد ابو حديد وعباس خضر •• وغيرهم ورغم الانتقادات التى وجهت الى جرجى زيدان فان القراء ابدوا اعجابهم بطريقته فى سرد الاحداث مع تحفظاتهم على ما يمس المشاعر الدينية •

# دار الكتب ودورها الثقافي
## من ينقذها من الخراب والتخريب؟

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

ظلت دار الكتب المصرية ، ولسنوات طويلة بعد إنشائها ، معلما شامخا من معالم مصر الحضارية ، شأن الأهرام وأبي الهول والأزهر والجامعة ، وكانت خلية ثقافية متميزة ، يردها الراغبون في البحث ، والعاكفون على المخطوطات ، والداخل رحابها القديمة في باب الخلق ، ذات الطراز المعماري العربي الأصيل ، تتغشاه مهابة وجلال منذ يطأ عتبة الدار ، فإذا وصل إلى قاعة المطالعة تلقاه القائمون عليها بالبشاشة والترحاب ، يقدمون له العون والمشورة ، وحوله شتى المصادر والمراجع والموسوعات العالمية المتعددة ، في اللغات المختلفة ، والمصورات والأطالس المتفاوتة الأحجام والأنواع ، ورأى هناك خلقا يعكسون الدنيا بأجمعها ، أعمارا وألوانا وثقافات وأزياء ، مصريين وعربا وفرسا واتراكا واكرادا وأعاجم من كل زوايا الأرض .

والفهارس فيها كاملة ودقيقة ومستوفاة ، والمرشدون اكفاء ومستعدون ، والهدوء خاشع شامل ، كأن القوم في صلاة ، ومع أن الدار نظريا مفتوحة للجميع ، كانت واقعا وقفا على الباحثين وحدهم ، لأن غيرهم ليس بحاجة لأن يردها ، فمكتبات المدارس والمعاهد والكليات غنية بما يحتاجه القارىء الراغب في الاطلاع والقراءة لمجرد الثقافة وحبا في المعرفة .



دار الكتب منظر خارجي

كان مدير دار الكتب مثقفا معروفا ، وموظفا مرموقا ، ولا يرقى إلى هذا المنصب إلا بعد شهرة مستفيضة ، تنبيء عن معارفه الواسعة ، وتفانيه في حب الكتاب ، وإخلاصه عالما قبل أن يكون موظفا كبيرا ، وحين اراد طه حسين ، وكان وزيرا للمعارف ودار الكتب تتبعها ، أن يكرم صديقه توفيق الحكيم ، وأن ينقذه من مخالب دار أخبار اليوم ، وبدأت تتنكر له ، وتدير ظهرها لقلمه ، وتتجاهل قدره ، وتعامله موظفا ، عينه مديرا لدار الكتب ، وبعد الثورة حين أرادت هذه أن تفض الاشتباك بين أساتذة قسم اللغة العربية فى كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، وقررت أن تنقل بعضهم إلى خارجها ، فى مواقع تعدل مواقعهم فى الجامعة أو تفوقها ، نقلت أمين الخولى مديرا لدار الكتب .

ولم تكن دار الكتب مهبط القراء القارئين فحسب ، وإنما مدرسة لتخريج كبار محققى التراث ، وأمل النابهين من ناشئة الأدب ، والشادين فى دنيا الشعر ، فهى تقوم على تحقيق روائع التراث فى تؤده وعلى مهل ، آخذة بكل وسائل التحقيق الحديثة ، وتطبعها فى مطبعة خاصة بها ، مكانها أسفل الدار نفسها ، وتقوم على تصحيح وطبع ما يتحقق ، فيخرج للقارىء بريئا من كل الأخطاء المطبعية والعلمية على السواء ، وأصبح ما تحققه وتنشره نموذجا عاليا ينتظره عالم القراء والباحثين فى مختلف بقاع العالم ، ولا تزال طبعاتها لكتاب الأغانى ، وصبح

الأعشى ، ونهاية الأرب ، وتفسير القرطبى ، وديوان مهيار الديلمى ، وكتب أخرى كثيرة ، شواهد لا تخطىء على مجدها الباذخ فى هذا المجال .

● سوء الحظ !

غير ان سوء الحظ كان ينتظرها فى الطريق ، مع بداية الثورة ، فضحوا بها دون أن تجد من يدافع عنها ، أو يقول عن دورها كلمة حق وعدل ، وتجلى سوء الحظ هذا واضحا فى أمرين خطيرين :

أولهما : أن سياسة "تضبيط" المصالح ، اى ملئها بالضباط ، حين اقتضت السياسة نقل عدد ضخم من كبار ضباط الجيش فى أول الثورة إلى المصالح المدنية ، وضعت على راسها ضابطا ، كانت له بعض الاهتمامات الأدبية دون شك ، ولكنه وقد جاءها مرة تحت السلاح كان أبعد ما يكون معرفة بأهداف دار الكتب الأساسية والجوهرية ، فلم يفرق بين دار كتب قومية غايتها إتاحة الفرصة أمام الباحثين والعلماء وتقديم العون لهم ، ودار كتب غايتها أن توفر للجمهور كتابا يقرأه ، وكلاهما مطلوب ، وفى الوقت نفسه كلاهما له رسالة مستقلة ، والخلط بينهما ضار ومؤذ ، إلا أن صاحبنا خلط بينهما دون وعى ، فأنشأ بها مكتبة للأطفال ، وأمر بأن تقام على جدارها عارضات زجاجية ، تلصق بداخلها الصحف اليومية ليقرأها العابرون فى الشوارع !

وتجلى سوء الحظ الثانى فى حاجة الثورة الملحة إلى الاعلام واستعانتها بأحدث الوسائل الحديثة وخبرة الخبراء ، واهتمامها به كليا ، فتدفقت الأموال على الإذاعة ، والتلفزيون من بعد ، والمطبوعات الرسمية التافهة على ورق فاخر مصقول ، وعلى كل ما يؤدى إلى إعلاء شأن الثورة إعلاميا ، وفى المدى القريب ، وكان على دار الكتب ، بوصفها مؤسسة حكومية ، أن تسهم فى هذه « الزفة » فاكتسبت حركتها طابعا إعلاميا وسياسيا موجها ، وهو أمر مطلوب ، ولا بأس به فى حينه ، ولكنه تم بطريقة فجة ، وعلى حساب الرسالة الأساسية ، وقد تبخر ذلك ، ولم يبق منه شىء !

● هدم التقاليد !

ثم جاءت القضية حين ضمت دار الكتب إلى مطبعة بولاق ، وهى بدورها إحدى مفاخر مصر الحديثة ، وكان يجب أن تظل قائمة باسمها وتقاليدها ، ومعهما شركة لبيع الكتب وأخرى لتصديره ، وجعلوا من ذلك كله شيئا واحدا اسمه : هيئة الكتاب !

ولم يسأل أحد نفسه من الذين اقدموا على هذه الجريمة ما الصلة بين هذه الفروع الأربعة ؟

الصلة واهية تماما ، والقصد من تجميع كل هذه المؤسسات فى واحدة توسيع سلطات وهيلمان من يكون على القمة ، ليكون جديرا بالمنصب والمرتب والسلطان ، وكأن واحدة منها لا تكفى .

وهكذا تحولت دار الكتب المصرية ، العظيمة فى تقاليدها ورسالتها ، إلى مصلحة حكومية ، واصبح العاملون فيها



الشيخ امين الخولى .

مجرد موظفين ، تشغلهم العلاوات والترقيات فحسب ، و « على قد فلوسهم » بعد أن كانت مؤسسة ذات طابع أخلاقى عظيم ، يشعر العاملون فيها بأنهم أصحاب رسالة ، وتحكمهم سلوكيات لا تجدها خارج دار الكتب إلا فى جامعاتنا قبل ربع قرن من الزمان . ونسينا أن ثمة شيئا اسمه التقاليد له اثره البالغ فى سلوك العاملين وتسيير دفة العمل ، والحيلولة دون الخطأ والإهمال ، فهدمنا هذه التقاليد العظيمة فى دار الكتب ، ولم نقم على انقاضها تقاليد جديدة صالحة ، لأن من فيها يفتقدون القدوة ، وهى العامل الأول فى التقاليد العظيمة .

ولأن العمل الصامت الجاد لا يوصل إلى غير الاحترام ، وعائده قليل فى عالم الدرجات والترقيات ، فقد شغل رئيسها الأعلى نفسه بالعمل الإعلامى ، ممثلا فى المعارض الداخلية والخارجية ، حضورها وافتتاحها ، وهى معارض إذا حللنا محتواها تدين هيئة الكتاب ، لأن جهده فيما تنشره من نافع وقيم محدود ، وأغلب ما يضمه المعرض كتب مسروق من مطبوعات دار الكتب التى كانت أو من منشورات مطبعة بولاق ، صورت بلا إذن ولا حقوق لمؤلف أو محقق ، وطبعت على ورق جيد ، احتواه غلاف فاخر ، وأظن أننا وحدنا فى العالم الذين نقيم معرضا لكتب جلها مسروق من مؤسساتنا ، أو من أدبائنا ، بدل أن نعاقب السارقين وأن نفضحهم .

● سلاسل تافهة !

وبدأت دار الكتب تتخلى عن رسالتها العظيمة فى نشر تراثنا الخالد ، محققا على نحو علمى ، وتبيعه بسعر معقول ، واستعاضت هيئة الكتاب وهذا هو اسمها الجديد ، عن ذلك بنشر مجموعة من السلاسل التافهة ، تحت أسماء عديدة ، بحجة تشجيع الشباب ، وإتاحة الفرصة للكفاءات ، ومن يتتبعها يجد أكثرها تافه لايستحق أن ينشر ، وبعض ما نشر فيها لايمكن أن يعد صاحبه شابا . هل يصح أن تنشر كتابا لعبد الرحمن الشرقاوى ، كتابا فى سلسلة يقال عنها أنها للمبتدئين ؟

ولا يعرف أحد القواعد المتبعة فى النشر ، ومن الذى يجيزه ، أو يحول دونه ، أو يبطىء به ، فكتاب يأخذ طريقه للنشر فورا ، وآخر تمر عليه أعوام وأعوام وهو ينتظر ، وكتب يقال عنها أنها محققة ، وتباع بأغلى الأسعار ، وليس فيها من التحقيق شىء ، لأنها مصورة عن طبعة حجرية قديمة سيئة الخط ، وقراءتها تدمى العين والفكر ، وجهد المحقق فيها مقدمة ملحقة بأولها ، أتى فيها على حياة

المؤلف ، نقلها من أى كتاب ، أما النص نفسه فلم يصنع فيه شيئا ، لسبب بسيط ، هو انه تصوير لطبعة حجرية !

وطبعا قبض مكافأة المحقق كاملة ! .

على أن الأمر ليس كذلك دواما ، فالحق أن الهيئة تعرف قيمة كبار موظفيها وفى وزارة الثقافة ، فكتبهم تطبع فورا ، وعلى ورق فخيم ، حتى لو كان توزيعها لا شيء ، وبيعت بعد ذلك بالوزن .

وتقتضى الأمانة أن نقرر أن دار الكتب افادت على نحو ما من التقدم العلمى الذى خطته مصر ، فكثير من العاملين فيها من قسم الوثائق والمكتبات فى كلية الآداب ويحاولون جاهدين ، وإن افتقدوا القدوة والحافز ، أن يطبقوا العلم الذى درسوه نظريا عن البطاقات والفهرسة والقوائم التى تنشر من حين لآخر ، كما أن مجلة "عالم الكتاب" التى تعكس نشاطهم من أفضل المجلات التى تنشرها هيئة الكتاب ، ومن حق مصر أن تفخر بها ، وأظنها المجلة الوحيدة ، بين طوفان المجلات الهابطة ، التى تحقق دخلا ، أو على الأقل تفى بنفقاتها ولا تكلف الهيئة شيئا .

ويحاول مركز تحقيق التراث الملحق بالهيئة أن يؤدى دوره بقدر ، أقول بقدر لأن من شرائط من يحاضر فى معهد التراث أو يعاون أن يكون له باع فى هذا المجال : حقق كثيرا ، وأسهم فى مراجعة ما حقق الآخرون ، ولا أظن أن ذلك ما يجرى فى المركز ، حتى أن مدرسا جامعيا تتبع الأخطاء التى وقعت فى ديوان شاعر شهير نشره المركز فإذا بها تتجاوز المئات !

● إجراء غريب !

مثل هذا المناخ جعل من دار الكتب مصلحة حكومية عادية ، يعانى المترددون عليها من المتاعب ما يعانى الباحثون عن الزيت فى الجمعيات الاستهلاكية ، فبعض الكتب ضائع ، وبعض الدوريات مستهلك أو غير موجود ، والمترددون من غير المصريين لا يتاح لهم تصوير أية مخطوطة إلا بعد موافقة جهة الأمن ، وهو اغرب إجراء يتخذ فى اية دولة ! .

نعم هناك من نوادر المخطوطات ، أو الوثائق السياسية الهامة ، أو الخطرة ، أو ذات طبيعة حساسة ، أو حتى مغرقة فى المجون ، مالا يتاح لأى إنسان أن يطلع عليها ، اما أن ينسحب هذا الإجراء على كل المخطوطات ، وبعضها مطبوع ، أو صور لمخطوطات أصولها فى الخارج ، أو له شبيه فى مكتبات أخرى خارج مصر ، فأمر يثير الاشمئزاز .

لا أظن ما ذكرت كل ما يجرى ، وإنما هناك الوان أخرى من البلاء ، تتمثل فى إرسال نسخ من الكتب التى تنشر حديثا هدايا لمن لا يقرأ ، وفى مجلات هابطة تنشر ولا توزع ، ولا يقرأها أحد ، وفى الميزانية المحدودة جدا المخصصة لتزويد الدار بالكتب ، وذوبان العاملين فيها فى طوفان الإدارات الأخرى ، مما يضعف ولاءهم ، مما يجعل الأمر فى حاجة ماسة إلى إصلاح عاجل وجذرى يعيد دار الكتب إلى أمجادها القديمة .

● مكان للعلماء والباحثين

أول ما يجب أن نفكر فيه أن دار الكتب ليست مكانا للقراءة أو الثقافة العامة ،

فهذه لها مكتباتها الخاصة بها ، والمنتشرة فى الأحياء المختلفة ، وإنما هى مكان للعلماء والباحثين ، وذلك يتطلب الا تكون مفتوحة لكل من هب ودب ، وإنما يدخلها الباحث ببطاقة تصرف له ، ولن يحصل عليها إلا بشروط معينة يجب أن تتوفر فيه ، ومقابل اشتراك لا يكون كبيرا ، ولكنه ليس تافها على أية حال .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن غير المواطنين ، إذ يسمح للباحثين منهم بالتردد عليها بتصاريح محددة ، نظير رسم معقول ، ويمكن أن يجدد التصريح عند إنتهائه .

وما يجيء من هذه الاشتراكات ينفق على تحسين الخدمة فى داخل الدار ، فهكذا يفعلون فى كل المكتبات القومية التى رايتها فى باريس ومدريد وروما ! .

وأن تستقل دار الكتب إدارة ومبنى ، وأن نضع على رأسها عالما بحق ، يدرك جلال الوظيفة التى يشغلها ، فلا يغرق ، ويغرقنا معه ، فى أمور بهلوانية دعائية غايتها أن يلفت النظر إليه .

وسوف يقع على عاتق المدير أن يصلح ما أفسده الذين قبله ، فيجعل من دار الكتب مكانا محببا للمترددين عليه والعاملين فيه على السواء ، الأولون بتسهيل الخدمات التى تقدم لهم ، والآخرون بالحوافز الدافعة ، والثواب المجزى ، ومن هنا يصبح العمل فى دار الكتب ، كما كانت من قبل ، غاية يطمح إليها النابهون ، ويحرصون على الاستمرار فيها .

ولا شيء عند الباحث أثمن من الزمن ، والمكتبات فى البلاد المتحضرة تفتح مع بداية اليوم ، وتغلق أبوابها مع بشائر الليل ، وتيسر لمن يمضى اليوم فيها ان يجد مكانا مريحا يشرب فيه فنجان قهوة إذا هبطت قواه ، وأن يتناول طعاما خفيفا إذا ألحت عليه معدته ، وكانت دار الكتب القديمة عندنا تفتح أبوابها طوال أيام الأسبوع ، ولاتغلقها إلا فى وقت صلاة الجمعة لزمن محدود ، وحتى هذه يمكن الاستعاضة عنها الآن بإقامة صلاة الجمعة فى جانب من دار الكتب نفسها .

وتملك دار الكتب المصرية أكبر قدر من المخطوطات العربية وأثمنه وأندره ، حقيقية أو مصورة ، وتتطلب رعايتها وإثراؤها بالمزيد أن تكون الجهة المسئولة عنها مستقلة ، تحت اسم « معهد المخطوطات » مثلا ، يقوم على هذه المخطوطات حفظا وفهرسة وتنمية ، فيضم إليها المخطوطات العربية المتناثرة فى أنحاء أخرى من مصر والعالم بأجمعه ، واكتشاف الجديد منها لا يتوقف ، وفى أمكنة لا تخطر على البال ، ولنفائس كان المظنون أنها فقدت إلى الأبد ، ولا بأس أن يصور ما عنده لمن يريد بثمن ، وأن يتيح الاطلاع عليها مقابل رسم والمهم أن يجيء اليوم الذى تتحول فيه القاهرة إلى مركز لكل المخطوطات العربية ، مصورة على الأقل ، ومن هنا تصبح مصر مركز جذب ثقافى ، يشد إليه أعدادا كبيرة من الراغبين فى البحث ، لأن المعهد لن يكتفى بتقديم المخطوطة مصورة أو حقيقية فحسب ، وإنما يزود الباحث بالمعلومات المتوفرة عنها ، وعن مؤلفها ، والفهرسة المعينة على فك صعابها ، والإرشاد المفيد لكل ما يتصل بها ، وهى أشياء لا تتوفر فى غير مصر ، وإن توفرت المخطوطات نفسها .

وسوف يعيد معهد المخطوطات إلى تحقيق التراث جلاله القديم ، إذ ليس مهما

أن ينشر عشرات الكتب فى العام الواحد ، وإنما أكثر أهمية أن يقدم النموذج الذى يحتذى ، والنص الذى يحرص المثقفون على اقتنائه ، ويدعم مكانة مصر الرائدة فى هذا المجال .

ويمكن أن يقال الشىء نفسه عن الدوريات المختلفة ، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية ، وفى كل اللغات الممكنة ، وتملك دار الكتب مجموعات لا بأس من الدوريات العربية ، وقدرا محدودا من الدوريات الأجنبية ، ولكن بعض الدوريات فقد ، وبعضها استهلك ، وتجديد ذلك واستكماله أصبح متاحا وميسورا مع تقدم التقنيات الحديثة ، وأصبح تصوير الدوريات القديمة بتكلفة زهيدة أمرا شائعا ، ولقد قامت دار نشر تجارية فى بيروت بتصوير ونشر كل مجلة الرسالة فى سنواتها العشرين ، وتصوير مجلة الأستاذ لعبد الله النديم ، وعدد من المجلات التى كانت تصدر فى المهجر شماله وجنوبه ، وتباع فى المكتبات العامة للراغبين .

● مصر مركز جذب ثقافى

لقد كانت دار الكتب قديما تتلقى وتشترك وتحتفظ بالدوريات التى تراها تهم القارىء المصرى على أيامها ، ومع الزمن اتسعت دائرة اهتماماتنا ، وأصبحنا نتحرك فى مجالات عربية وأفريقية أوسع ، وعالمية بلا حدود ، ومطلوب أن تتسع دائرة الاشتراك فى هذه الدوريات ، واستكمال الناقص منها . ولكى ندرك كيف كنا وما نتمنى أن نكون أضرب مثلا بالمغرب الكبير ، لقد عزله الاستعمار عنا ، وعزلنا عنه ، فلم نكن نحصل قبل استقلاله واستقلالنا على صحفه ومجلاته كاملة ، ولا تملك دار الكتب غير القليل منها ، وهذه الدوريات هى المصدر الأول الآن لدراسة المغرب كله أدبا وتاريخا ، وتعانى مكتباتهم نفسها ، فى تونس والرباط والجزائر هذا النقص الخطير ، وبخاصة العربية منها ، ومع ذلك توجد كاملة فى دار الكتب القومية فى باريس ، وفى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية ، ومن يريد من الباحثين توثيق أبحاثه ، وإقامتها على أسس منهجية ، عليه أن يذهب إلى باريس ليتردد على مكتباتها ، أو يدرس فى جامعاتها .

والشىء نفسه يمكن أن يقال عن الطلاب الافارقة ، وكان من طموحاتنا يوما أن تكون لهم مصر مهبطا للدرس والبحث ، فأغدقنا عليهم فى المنح ، وأنشأنا معهد الدراسات والبحوث الأفريقية ، وكان فى الأصل خاصا بالسودان ، وأملنا أن يكون طريقنا لفهمهم علميا ، ووسيلتهم لاكتشاف بلادهم تاريخا وحضارة وتراثا ، ولكن ما إن وقعت هزيمة عام ١٩٦٧ حتى شغل جمال عبد الناصر ، وشغلنا معه ، بالجيش والتحرير ، وبعده شغلنا السادات وشغل نفسه بأمريكا والتوجه الغربى والحضارة الغربية ، وأصبح المعهد الذى أملنا الكثير معه شيئا هامشيا فى جامعة القاهرة ، رغم أهميته ، وخطورة المهمة الملقاة على عاتقه .

هل يمكن أن يتصور أي مفكر أن مصر هذه ، وعلاقاتها بأفريقيا ما نعرف ، لا تملك فى دار كتبها القومية أعداد مجلة افريقيا كاملة ، وظلت تصدر بالفرنسية على امتداد قرن من الزمان أو يزيد ، وحافلة بالبحوث والوثائق والدراسات والنصوص والخرائط ، والشيء نفسه يقال عن مجلة هيسبيرس الفرنسية ، وتخصصت فى دراسات المغرب الكبير ، وظلت تصدر قرابة ثلاثين عاما ، وتمثل مصدرا اوليا وأساسيا لمن يدرس تاريخ المغرب الكبير وحضارته ، والبلاد التى كانت على علاقات معه ، وبعد اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا تبين لمكتبة الكونجرس أنها تفتقد الكثير منها ، فقامت بتصويرها لحسابها كاملة ، ثم تولت إحدى دور النشر فى المغرب الأقصى طباعتها تصويرا ، وبيعها لمن يريد .

هذه مجرد أمثلة ، وغيرها كثير .

ثم يأتى تحديث الخدمات فى دار الكتب ، من حفظ ورعاية ، وطبع وتصوير . لم يعد أحد الآن يعكف على نص ينقله بيده ، فهناك آلات التصوير الآلية موزعة فى كل أركان قاعات المطالعة ، تعمل آليا بالعداد ، وما على الراغب إلا أن يدفع ويصور دون حاجة إلى تدخل أحد ، ومثلها آلات قراءة المخطوطات وتصويرها ، واستخدام الكومبيوتر فى معرفة ماهو موجود أو معار او لا يعار لسبب أو لآخر .

ثم نصل إلى الوثائق ، وهى عصب أية دراسة لتاريخنا الحديث ، وحان الوقت لتصبح جهازا مستقلاً ، له رئاسته المسئولة عنه ، فلازلنا عمليا كيوم أن بدأنا منذ مائة عام ، رغم تقدم العلم والتقنيات فى مجال الوثائق والمحفوظات ، وأن قسم الوثائق والمكتبات فى كلية الآداب بجامعة القاهرة يدرس قضايا التوثيق والوثائق فى أحدث نظمها ونظرياتها ، وبقى أن نفيد من خريجيه ، وأن نشجعهم على العمل فى هذه الإدارة ، وأن نقوم برصد كامل لها ، وفهرسة جيدة ، وأن نضم إليها ما نشر من وثائق متصلة بنا ، وأن نصور ما لم ينشر بعد ولكنه يهمنا .

### ● مكتبات الأقاليم

وجاءت الساعة التى يجب ان نفكر فيها عن المكتبات فى الأقاليم ، وألا تستحوذ القاهرة وحدها بكل اهتماماتنا ، فى الوقت الذى نشكو فيه من تضخمها المريع ، وازدياد السكان فيها على نحو لا يتسع لمزيد ، ومن وسائل وقف هذا النمو الشيطانى أن ننقل الجوانب الحضارية التى اختصت بها إلى الأقاليم ، فتكون لكل محافظة مكتبتها ودار وثائقها الخاصة بها ، وتعكس فى الوقت نفسه طابعها الإقليمى والتاريخى ، ومع أن هذه المكتبات الإقليمية قليلة ، ولكن هذا القليل له تاريخ عريق .

وأولى هذه المكتبات العريقة خارج القاهرة مكتبة بلدية الإسكندرية ، فهى غنية بالكتب والمخطوطات المتميزة ، وما تحويه من كنوز ثقافية مدعاة فخر الإسكندرية ومصر بأجمعها ، وتعكس فى صدق دور هذه المدينة العظيمة وأهميتها فى حياتنا الثقافية على امتداد كل العصور ، وبخاصة مع الغرب الإسلامى ، فقد ظلت على الدوام مهبط العلماء والطلاب القادمين من الأندلس والمغرب وتونس والجزائر وليبيا ، وبعض هؤلاء

# دار الكتب ودورها الثقافي

الوافدين اتخذها مقاما واستقر فيها إلى الأبد ، ومع أنها أقل تدهورا مما عليه دار الكتب في القاهرة ، لكن بينها وبين ما يجب أن تكون عليه المكتبة الحديثة التي تفيد من تقدم العصر في مجال التقنية بونا سحيق .

وشهرت من بين هذه المكتبات الإقليمية مكتبة بلدية سوهاج ، يوم أن كان لكل مدينة بلدية ، وضمت عددا قليلا من المخطوطات النادرة والقيمة ، وتضم أقدم وأقيم مخطوطة لرسالة الغفران لأبي العلاء ، ولكنها توقفت كتبا ومراجع وخدمات عند الحال التي كانت عليها منذ سنوات طوال .

هناك مدن كبرى كثيرة في مصرنا العزيزة ، لا تعرف شيئا اسمه المكتبة ، وحين أنشأنا الثقافة الجماهيرية وجعلنا لها في كل محافظة فرعا وإدارة ، تضمن نشاطها أن يكون بها مسرح ومكتبة ، إلى جوار النشاطات الفنية الأخرى ، وكلها بما فيها المكتبة نشاطات موجهة سياسيا ، فلما توقف التوجيه أو وهن توقف نشاط المكتبات وتوزعت كتبها ، وحولت قاعاتها إلى مكاتب للموظفين ، وبعضها بقي قائما شكلاً ، ولكن ما فيه من الكتب لا يتجاوز الرديء من المؤلفات المعاصرة التي تطبعها الهيئة مجاملة أو نفاقا ، فأمسك الجمهور عن التردد عليها ، وبعضها أغلقه العاملون بالضبة والمفتاح ، ونقلوا الكتب إلى « البدرومات » تعبث فيها الحشرات والصراصير والفئران .

ويلفت النظر أن بين كل النشاطات التي يزهو بها المحافظون ، باستثناء الإسكندرية ، لا تجد شيئا يتصل بالثقافة عموما وبالمكتبة على نحو خاص ، فهم يفخرون بما شقوا من طرق ، وربوا من عجول ، وأقاموا من مساكن ، ولا تجد بينهم من يزهو بأنه افتتح مكتبة ، أو شهد مسرحية ، أو أعطاها مزيدا من رعايته .

ربما لأن فاقد الشيء لا يعطيه !

ولا تعرف محافظاتنا كلها شيئا اسمه دار الوثائق والمحفوظات ، وإنما تبعث بها بعد سنوات معينة إلى القلعة في القاهرة لتضاف إلى ما فيها ، علما بأن ما تجري عليه الأمم المتقدمة أن تكون لكل وحدة إدارية محفوظاتها الخاصة بها ، ليسهل ترتيبها ، وتنظيمها ، والوصول إليها .

★ ★ ★

حين تهبط مدينة ما ، في أي بلد متحضر ، سوف يسترعي انتباهك في المجال الثقافي ثلاثة أشياء رئيسية واضحة المعالم : مكتبة البلدية ، ودار المحفوظات ، ومسرح المدينة .

فمتى يكون لنا في مدننا هذا الطابع الحضاري !

# أقوال معاصرة



- « ضبط النسل حلال »

الدكتور : محمد طنطاوى

**مفتى الجمهورية**

- ثقافة الصعيد هى نقطة الوصـــــل بين مصر والسودان »

الاديب السودانى الطيب صالح

- « ما هو الاكثر استفزازا الاحتلال ام قصـيدة تصم الاحتلال »

الشاعر محمود درويش

- الامريكيون يعيشون حياة معوقين »

آرثر بارسكى

أستاذ علم النفس المساعد بجامعة هارفرد

- « تعتبر احداث « قاجورنو كاراباغ » بمثـــابة قديرتوبيل روحية ومشاكل اليوم لا يمكن ان تحـل بوسائل الامس »

الشاعر السوفييتي الداغستاني

« رسول حمزة توف »

- « بقاء العالم على ما هو عليه فى الارض المحتلة ضرب من المستحيل »

رئيس وزراء بولنـدا

رود لوبرز

- « ان الخطر الرئيسى فى مجتمعنـا لا يأتى من اولئك الذين يؤمنون بالله ، بل من اولئك الـذين لا يؤمنون بأى شىء »

الشاعر الروسى

يفيجين يفتيشينكو

- « كل اختياراتنا سيئة ، ولذلك فعلينا ان نختـار اقلها سوءا »

بيهو شافات هاركابى

رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية سابقا

- « نحن فى الربيع ساعة الاخير ، وفيها تـدور اشرس المعـارك »

ياسر عرفات



د . محمد طنطاوى



الطيب صالح



ـ ياسر عرفات

القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# صور الحب

مسكين من يعلق في شباك الحب . فهانحن اولاء نريد ان نتحدث عن الحب ، مجرد الحديث ، فتتشعب بنا السبل ، ويتنكر لنا الخبيث في الف صورة ، ومن ورائه الاف بل ملايين الكلمات التى دعتها ذاكرة البشرية عن الحب وسيرة الحب . ومشكلتنا هي اننا بدانا نتساءل عما اصاب الحب في هذا الزمان ، ولماذا برزت حالات الخيانة والقتل . فاذا نجا الحب من الخيانة والقتل اصابه مرض نقص المناعة فاعتل مع كل لطشة برد ، ثم لا يكون خلاصه وخلاص ذويه منه الا حين يسكن سكون الموت . مشكلتنا هي اننا اردنا ان نبحث كيف يعود الحب صحيحا قويا لتصح الحياة وتقوى . ولكن الشعر والادب لم يخلدا من الحب الا حالاته المرضية ، كما ان الصحف لا تنشر عن الحب الا حوادث الخيانة والقتل . فالحالة السوية لا تدعو اصحابها الى الكلام عنها ، واذا تكلموا عنها كان كلامهم فى غاية الغثاثة والثقل .

ولكن ماالذى نقصده بالحالة السوية للحب ؟ اننا لانقصد ، بالتأكيد حالة الرضى التى تشبه البلاهة : تلك الحالة التى سماها بعضهم "الانانية المزدوجة"



، والتي صورها جوجول في لوحة من اروع لوحات روايته الكبرى "نفوس ميتة" : صورة زوجين من النبلاء متوسطي الحال ، يعيشان في ضيعتهما دون ان يهتما كثيرا باحوال الضيعة ، فاهتمامهما منحصر كل في الاخر ، وربما وجدا نفسيهما منفردين فقام الزوج الى زوجته ـ هكذا بلا سبب ـ وقبلها قبلة طويلة طويلة . لاشك ان قليلا من المرض يمكن ان يجعل مثل هاتين الشخصيتين اكثر انسانية ، كما كان كُثَيِّر انسانيا الى درجة تثير الشفقة حين خاطب عزة بهذه الابيات المهذبة :

**الا ليتنا ياعزُّ ـ من غير ريبة**
**بعيران نرعى في الخلاء ونعزبُ**
**كلانا به عُرّ ، فمن يرنا يقل**
**على حسنها جرباء تُعدى واجربُ**
**اذا ماوردنا منهلا صاح اهله**
**علينا ، فما ننفك نُنفى ونضربُ**

وقد عاب نقادنا القدماء هذه الابيات ، وزعموا ان عزة قالت لكثير حين سمعتها : لقد اردت بنا الشقاء ! اما وجدت امنية اوطأ من هذه ؟ ولعل عزة ـ ككل محبوبة منعمة ـ لم تشعر بما كان يشعر به الشاعر المسكين من ظلم المجتمع ، ولكن ما عذر النقاد ؟ ولو كان للقطط الاليفة في عصر كُثير مكان يضاهي مكان النوق والجمال لجاز ان يقول كما قال صلاح عبدالصبور :

**« وسنجلس في الركن النائي قطين**
**اليفين**
**مقرورين**
**نتحسس ما ابقت ايام الذل على**
**وجهي المكدود »**

فانانية الاخرين هي اثقل شيء على النفس . فما بالك اذا كانت هذه الانانية مضروبة في اثنين ؟ وانما تصبح مقبولة حيث يكون المحبان في موقف الدفاع ، ويكون « الاخرون » في موقف الهجوم . هنا يكون الحب ، مع مرضه ، اقرب الى ما نفهمه من معنى الحب الصحيح ، اى اقرب الى الحالة "السوية" للحب ، من تلك

القفز على

## الأشواك

السعادة البلهاء التى وصفها جوجول ذلك بان الحب المطارد هو حب فى حالة حركة ، والحركة - مهما يكن نوعها - هى الصفة الجوهرية للحب ، كما انها الصفة الجوهرية للحياة ، فكلاهما لا يقبل الجمود ولا الهمود .

● الحب والجنون

وما دامت "الحركة" هى الصفة الجوهرية للحب والحياة جميعا ، فلابد ان يظل الحب معرضا لكل انواع الحركة ، العنيف منها والهادىء . فالحركة الانسانية لا تجرى بقوة دفع منتظمة كالالة ، بل تخضع لالاف الدوافع المتباينة والمتعارضة . وهكذا تتقلب القلوب . وتصبح الحالة السوية ، فى الحياة وفى الحب ، وهى الحالة التى تقل فيها الانحرافات نسبيا ، بحيث يمكن ان نمثلها بخط بيانى ، توجد فيه انكسارات بل وارتدادات ، ولكنه يتجه بوجه عام - صعودا او هبوطاً . وهذه حقيقة يؤيدها علم النفس المعاصر . فليس هناك انسان سوى مائة فى المائة ولا مريض مائة فى المائة . ولكن المشكلة التى تميز الحب عن سائر جوانب الحياة انه بؤرة تتركز فيها كل متناقضات الحياة كما تتركز كل قوى النفس ، ثم تنصب هذه وتلك على هدف واحد فلا عجب ان احرقته

او احرقت نفسها ، وبما ان اضعف المواد تماسكا هى اسرعها احتراقا ، والعقل اضعف شىء فى الانسان ، فذهاب العقل اثر من اثار الحب ، ومجنون ليلى لم يكن مجنونا واحدا بل مجانين كثيرين كما ذهب طه حسين ، اخذا برواية عن الاصمعى ، ولكن طه حسين ربما كان مصيبا ايضا فى قوله ان الرواة كان لهم دخل كبير فى صناعة هذا الشعر وما اتصل به من اخبار ونرجح نحن انهم لم يكتفوا بان تحلوا هؤلاء المجانين مالم يقولوه ، وهى الفكرة التى تمسك بها طه حسين ، بل حذفوا منه ايضا ما كان شاهدا بينا على الجنون ، وابقوا فقط ذلك الشعر الرقيق الذى نستمتع بقراءته حتى اليوم ، لان ما فيه من الجنون لا يعدو القدر تستلذه انت وانا

ولكن بقيت ابيات ظاهرة الحمق ، مثل قول احدهم :

اهيم بليلى ماحييت فان امت
فياليت شعرى من يهيم بها بعدى ؟

فهذا ضرب من الرقة زاد على قول شاعرنا المعاصر : "وتجيب خضوعى متنين ولوعتى فى هواك" ، اذ من المعقول ان يتخيل المحب المحروم ان ذله فى هواه أصبح ضروريا للمحبوب ، لانه شاهد على عزة جماله ، ولكن الشاعر المسكين يتجاوز حدود العقل حين يشغله امر المحبوب بعد إن يموت هو ، فلابد له ( اى للمحبوب ) من ذليل اخر يخلفه ( اى يخلف الشاعر ) فى مهمته الضرورية . وربما تساءل الانسان الخلى البال ، او العاشق الذى لم يبلغ هذه الدرجة من الوله : لماذا لم يوحى

هذا المجنون لشاعر اخر ، يتوسم فيه الجنون مثله ، كى يصبح ـ بعد وفاته ـ مجنون ليلى رقم ٢ ؟

ويقرب من هذا فى الحماقة قول الاخر :

الا ايها النوام ويحكمو هبوا
اسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ ؟

فماذا كان يفعل هؤلاء النوّام لو استيقظوا من احلى نومة ، وهم معرسون فى امان الله ، وهرعوا الى اسلحتهم وهم يحسبون ان جماعة من اللصوص اغارت عليهم ، او سبعا نهش احدهم ، فاذا بصاحبه يسألهم هذا السؤال السخيف ؟ اظنهم كانوا يأخذونه بنعالهم .

ولكننا لم نعد نسمع بمجانين الحب هؤلاء ـ شعراء او غير شعراء ـ فى ايامنا هذه . ربما كان خروج واحد منهم الى الصحراء ليعيش بين قطيع من الغزلان ـ كما عاش قيس بن الملوح ـ مطلبا بعيد المنال ، فقد اصبح من العسير ان تجد فى صحارى العرب كلها قطيعا واحدا محترما من الغزلان بعد ان افنتها رحلات القنص ، ولكن اى شاعر مجنون ـ لو انه وجد حقا وصحّت نيته على عمل كهذا ـ كان يمكنه ان يذهب يوميا الى حديقة الحيوان ويقف سحابة نهاره امام حظيرة الغزلان ، وهذا اضعف الايمان . ولكننا لم نسمع بخبر كهذا والذى سمعناه مما يشبه ذلك ـ ولابد من ذكره فى هذا المقام حتى نضع الحقائق كلها امام عينى القارىء ـ ان صديقا لنا من الشعراء كان ـ فى اثناء الحقبة الرومنسية من سيرته ـ يتعشق شجرة فى حديقة حيوان الجيزة . وليس هذا كل ما فى قضيته من طرافة فقد بلغه ان شاعرا اخر وقع فى غرام الشجرة نفسها ، وعرف الاوقات التى يزورها فيها ، فتحرى أن يلتقى به عندها . وزعم الراوى أنه اتهم صاحبه بالخيانة . ولكننى لم امن بمعرفة بقية القصة . والحقيقة انى بقيت مترددا فى امرها بين التصديق والتكذيب الى ان قرات الابيات التى كنى فيها حميد بن ثور عن حبيبته بشجرة ثم اطلعت على شيء من علم نفس الجنس فعرفت ان عشق الشجر انحراف معروف .

اقول : لم نعد نعرف هذا اللون الهادىء من جنون الحب ، الذى يدفع بصاحبه الى التوحش والعزلة فى الصحراء ، ولكننا نعرف المئات والالـوف من العشاق المصريين الذين يرحلون الى الصحراء ليجاوروا حقول الذهب الاسود ويعودوا بعد سنين الى المحبوبة التى تنتظرهم ـ كما يعتقدون ـ وفى ايديهم المهر والشبكة وثمن الشقة . ويمكن ان يحدث ذلك او لا يحدث . فبينما يكون المحب مشغولا بجمع المال فى البلد البعيد ، وليس حوله اية وردة تشغله من حلمه الذى يثابر على زخرفته كلما زاد رصيده فى البنك ، تكون المحبوبة فى مصر يأكلها الضجر ويحيط بها الفراغ القاتل . ويعود المحب بعد رحلته الطويلة فتلقاه المحبوبة ـ زوجة ام خطيبة ـ بوجه متجهم ، ولا يبعد ان يقتلها او تقتله . ولكننا لم نسمع بان احدا منهما انتحر كما كان العشاق الطيبون يفعلون فى العصر الرومنسى .

لهذا يمكننا ان نخلص الى النتيجة الاتية : ان عصر المجانين الانطوائيين قد انطوى ، وان مجانين الحب فى هذا

## القفز على الأشواك

العصر اصبحوا من النوع الانبساطى الخطر .

### ولكل عصر طريقته فى الحب

نعم ، ان الحب بين الرجل والمراة غريزة ثابتة فى النفس البشرية ، لانها اصل بقاء النوع . ولكن صور الحب تختلف اختلافا واسعا بحسب اختلاف الحضارات ، حتى ليصح القول ان للعادات الاجتماعية تأثيرا فى الحب يكاد لا يقل عن تأثير الغريزة . وقد درس المؤرخون الاجتماعيون وعلماء احوال الشعوب ( الاثنوجرافيا ) انواع العلاقات بين الرجل والمراة فى مختلف العصور والبيئات ، فوجدوا بينها من ضروب الاختلاف ما يذهل له الغريب عن البيئة ، وربما ارجعه الى تبذل المراة او انعدام الانفة فى الرجل ، او ميل الرجال عن النساء او ميل النساء عن الرجال . وكلمة "الحب" نفسها لا تستعمل عند الشعوب المختلفة على قياس واحد . فهى عند اليونان القدماء تكاد تقتصر على محبة الرجل للرجل ، فى حين ان علاقة الرجل بالمراة تقتصر على المتعة الوقتية ثم الانجاب ( اخيل يعتزل الحرب لان قائد اليونان انتزع منه محظيته بريزيس ، ولكنه يعود الى القتال وينتقم من هكتور ـ بطل طروادة ـ انتقاما فظيعا لانه قتل صديقه باتروكلس ) وعند بعض الشعوب لا توجد كلمة واحدة تفيد معنى الحب بين الرجل والمراة ، وعند بعض الشعوب الاخرى توجد اكثر من مائتى كلمة .

ومرّد هذا الاختلاف ـ على ما يبدو ـ الى وضع المراة الاجتماعى . ودون ان نستطرد فى الامثلة نقول ان الحب العذرى ، الذى كاد يتجاوز حدود العقل او تجاوزها فعلا عند البعض ، لا يمكن تصوره الا فى مجتمع يحمل المراة من المسئولية مثل ما يحمل الرجل تقريبا ، ويخضعهما معا ـ فى الوقت نفسه ـ لاعراف قبلية شديدة الصرامة .. ولو نقلنا مثل العائد من بلاد البترول ليجد حبيبته قد هجرته ـ لو نقلنا هذا المثل خمسين سنة الى الوراء لكان المرجح الا يقتل بطلنا صاحبته ولا تقتله صاحبته بل ان يقتل شخصا اخر ( هو الذى اغواها ، او اجبرها على الخيانة ) او يقتل نفسه . ذلك ان المراة ، منذ خمسين سنة ، لم تكن تملك امر نفسها كشانها اليوم .

لهذا نقول ان مفهومنا للحب صنعته الطبقة المتوسطة عندما بدأت تتصدر المجتمع وتصوغ خلقياته ، وارتبط بتغير وضع المراة الاجتماعى ومشاركتها للرجل فى اعباء الحياة الاجتماعية والمنزلية معا ، واستطاعتها ـ اذا ارادت او اضطرت ـ ان تستقل ماديا واجتماعيا عن الرجل . وبذلك ملكت حرية الاختيار ، واصبحت مسئولة عن اختيارها . لا أدّعى ان هذا التطور قد تم بصورة كاملة ، ولكننى ادعى انه ابرز نموذجا واضحا للحب والزواج ، وان هذا النموذج كان ناجحا ـ اى سويا

بالمعنى الذى وصفناه ـ حتى وقت قريب . وانما اخذ هذا النموذج فى الاختفاء ، ومن ثم اخذت الحالات غير السوية تغلب على الحالات السوية ، عندما تغيرت احوال الطبقة المتوسطة وتغير وضعها فى المجتمع .

فأولا ـ تدل الملاحظة العادية على ان الطبقة المتوسطة تضخمت الى درجة كبيرة ، كما انحط مستواها ، ماديا وثقافيا ، فى الوقت نفسه ، فالطبقة المتوسطة عندنا اليوم لا تشمل الموظفين وصغار الملاك والرأسماليين والمهنيين فقط ، ولكنها تشمل ـ بجانب هؤلاء ـ كل الشرائح العليا من العمال ، وحتى صغار المزارعين . ولعلنا لا نخطىء اذا قدرنا ان هذه الطبقة تمثل اكبر نسبة فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر . ولكن هذه الزيادة العددية يقابلها انحدار فى القدرة الاقتصادية والتأثير الثقافى . بل ان هذه الطبقة اصبحت عديمة التجانس ثقافيا رغم التشابه فى اوضاعها الاقتصادية . ومن هنا جاء ما يشكو منه المحللون من فقدان "الرأى العام" وطبيعى ـ بعد ذلك كله ـ ان تفقد هذه الطبقة قدرتها على صياغة نموذج اخلاقى . ويصبح المجتمع ككل مستعدا لتقبل اى نموذج اخلاقى يرد من الخارج ، ولا سيما اذا وجد ممثلون "وطنيون" لهذا النموذج .

والنموذج الذى بدأ يتسلل الى مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ولكنه لم يستطع ان يكتسحها الا فى فترة الانفتاح ، هو النموذج الامريكى الحديث . والولايات المتحدة الامريكية قارة عظيمة ، ومعرض هائل لثقافات كثيرة متنوعة ، وتاريخها ـ الذى لم يكد يتجاوز القرنين منذ الاستقلال ـ حافل بالتغيرات العميقة المتلاحقة . ولكن النموذج الاساسى الذى يمسك هذا الكيان الهائل هو نموذج التقدم المادى : النموذج الذى ترسمه ـ كما تقول مرجريت ميد ـ اعلانات السيارات والاجهزة المنزلية ومستحضرات التجميل ، وسائر وسائل الحضارة المادية التى يطمح كل امريكى ـ منذ الطفولة حتى الرجولة ـ الى ان يحصل عليها فى يوم قريب او بعيد . ان هذه الصورة السوقية من المذهب البرجماتى او العملى ( وهو مذهب فلسفى معتبر ) يمكن ان تهدم اية حضارة ، ولكن تأثيرها الضار لا يكاد يلحظ فى المجتمع الامريكى ، لان السلوك العملى فى ذلك المجتمع يعتمد على اساس راسخ من الالتزام الاخلاقى المتشدد الذى ارسى دعائمه المهاجرون الاول من البيوريتانيين ، ثم هناك شعور قوى بالانتماء الى الوطن الامريكى والمجتمع الامريكى ، تغذيه نفس وسائل الاعلام الجماهيرية التى تروج لكل جديد مبتكر من ماركات السيارات ومستحضرات التجميل .

اما اذا انعدمت مثل هذه العوامل المعارضة او ضعف تأثيرها ، فإن النجاح المادى كمعيار اخلاقى ، يغدوا سرطانا يفتك ببنيان المجتمع اذ يلتهم خلاياه الحية : الاسرة التى لا تصح ولا تعيش الا بالحب .

# حرية الممنوع
# والممنوع فى الحرية

**منذ مايزيد على عقد من السنين داهمت حياتنا وسيطرت عليها أو تكاد موجة عاتية من الفوضى الفكرية باسم الحرية ، وقد بلغت هذه الموجة أن رسخت وجودها فانتجت قيما وانماط سلوك تسود بيننا حتى اصبحنا نتعامل معها بقدر كبير من الاعتياد الخطر ، حتى أصبحت كثرتنا معتقدة فعلا ان هذه القيم وانماط السلوك هي تطبيقات صحيحة وممارسات سليمة للحرية ، وحتى القلة منا التي تدرك خطرها اصبحت تجد لبعضها التبرير ، واصبحت تميل للتسامح مع تطبيقاتها ـ خصوصا على المستوى الفكرى . بقدر غير مفهوم من التسامح الذى لايستساغ ولا يجوز .**



بقلم : مصطفى الحسيني



غير أن هذه الموجة قد أصبحت تهدد مقومات الحرية ومقومات الفكر ، بل ومقومات الوطن ، وباتت تستدعي مواجهة حاسمة من النخبة الفكرية والثقافية التي تدرك خطرها ، أو التي هكذا يفترض أن تكون .

ـ ١ ـ

أول ما تبدت هذه الموجة اتخذت لنفسها شعارا ظاهره الجاذبية وباطنه الازدراء ، شعارا يدعو الى "احترام الرأى والرأى الآخر" . وكانت جاذبيته أنه رفع وروج له بعد سنوات وعقود من القيود على حرية الفكر وحرية الرأى . أما ما يخفيه من الازدراء لحرية الرأى ذاتها فلا تكاد تخفيه كلماته . فلو تأملنا كلماته وجدناها ذاتها تضع الرأى على مستويين متفاوتين من الاحترام ، فهناك "الرأى" وهو ما تنتشر سيادته على وسائط الترويج الفكرية والاعلامية ، والذى يتمتع بقوة ليست بحال هى قوة حجته ، وليست بحال هى صلابته الفكرية ، وليست بحال هى مشروعيته الوطنية ، إنما قصارى قوته أنه يستند الى

سلطة الدولة وسطوتها . ويلى هذا "الرأى" "الرأى الآخر" الذى يسمح به أصحاب "الرأى" يسمحون به من باب التساهل والتسامح على مافيها من استعلاء عليه وعلى حرية الرأى .

ولذلك لم يكن غريبا أن نرى أصحاب "حرية الرأى والرأى الآخر" يروجون فى الوقت ذاته لقيود كريهة على حرية الرأى ، فيهللون لـ "الديمقراطية ذات الأنياب" عند ما أرادها الحاكم كذلك ، ويهللون لـ "مفرمة" الحاكم عندما هدد بها خصومه ومخاليفه فى الرأى . وهم الذين بلغ بهم الحماس مبلغه لقانون يحرم حرية الرأى المنظم فى معارضة اتفاقيات كامب ديفيد والسلام مع اسرائيل ، رغم انه كان واضحا لكل عين ترى وجليا لكل اذن تسمع ان هذه الاتفاقيات كانت ومازالت محلا لخلاف وطنى .

وعدا عن التعالى الفظ والأريحية الكاذبة التى تنطق بهما تلك العبارة الخادعة "حرية الرأى والرأى الآخر" ، وعدا عن التهليل الذى التزمه اصحابه ، وخارج هاتين الدائرتين ، أخذت هذه المدرسة تروج لنوع من التسوية بين الآراء من حيث القيمة والمشروعية ، وهى ترويج يحمل خطرا فكريا داهما ، لأنه اذا كانت الآراء جميعا سواء حسابيا ، كلها تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ وبنفس القدر ، فإنها جميعا ( عدا عن ما يعارض مشيئة الحاكم ) مقبولة . وهذا خطر فكرى داهم . لأن القبول المسبق على قاعدة من تساوى احتمالات الصواب والخطأ ، يفقد العقل والفكر الرغبة فى تمحيص الآراء والقدرة عليها ، فتتحول العقول الى مرايا لامعة ينعكس عليها كل شيء ، لكنها صماء ولا تستوعب شيئا ولا يترك شيء على سطحها أثرا لا مذكورا ولا منكورا .

وربما لذلك وبسببه تنتشر بيننا على مستوى الفكر السطحية والتسطيح والوقتية فى معالجات الفكر لأخطر أمورنا . وربما لذلك أيضا أصبحنا نرى امختلفين من ساستنا ـ حاكمين ومعارضين ـ والذين يختلفون على مسائل وقضايا تتعلق بالوطنية عندما يلتقون وتجمعهم المناسبات والمجالس يتبادلون الابتسام ويتصافحون وقد يتعانقون ، على قاعدة أن "خلاف الرأى لا يفسد للود قضية" ، وكدنا ننسى انه لا الوطنية ولا الخيانة تتصلان بالرأى ، وأن ايا منهما ليست مجرد وجهة نظر ، حتى ليحق لنا ان نظن أن الذين يعارضون بعض السياسات والآراء على أساس من الوطنية لا يصدقون ما يقولون ، لأنهم قد نسوا أن المصافحة من الصفح ، ونسوا ـ إن كانوا صادقين فيما يقولون فى وطنية بعض السياسات أو خيانتها للوطن ـ انه لا صفح عن الخيانة .

وتضمحل قيمة الرأى وقيمة الوطنية معا

... ٢ ...

أصبحنا وأمسينا كل يوم نقرأ ونسمع ونشاهد ، ما يزرى بالشخصية الوطنية ويزدريها ، اعتدنا أن نقرأ ـ وباعتزاز ـ شهادات الأجانب فى وطننا ، وكأننا نحتاج الأجانب حتى نعرف قيمة الوطن ، أصبحت الدعوة الى نظافة الشوارع ارضاء للسياح وجلبا لإعجابهم ، وكأن النظافة ليست من متطلبات حياتنا ، وأصبح المطعم أو المقهى يعلن عن امتيازه أو امتياز خدمته باعلان انه "سياحى" كأننا لا نستحق ، بل وسمعنا من الدولة عن "الأرز السياحى" ، وأصبحنا وأمسينا وقد غاب عنا أن هذا كله يعلن أن المواطن ادنى قدرا من الأجنبى . وأصبحنا وأمسينا نقرأ ونسمع لأناس يدعون الى "مكافحة التسول" لأن المتسولين "يزعجون السياح" ويحطون من قدرنا فى عيونهم ، وكأن التسول ليس حطا من كرامة الانسان ، وليس من أعراض عجز المجتمع عن مواجهة مشاكله وحلها .

# حرية الممنوع والممنوع فى الحرية

واصبحنا وامسينا نقرأ ونسمع من يدعون الى بيع اجزاء من الوطن للأجانب حلا لمشاكله ، ونرى سياسات ترعى المواطن الذى هاجر او هجر الوطن ووضع ملكاته وقدراته فى خدمة بلد آخر وشعب آخر ، اكثر من رعايتها المواطن المقيم الذى يحمل على كاهله مشاكل الوطن ويسهم على قدر جهده فى محاولات حلها ، حتى سمعنا ليس مجرد اقتراحات وإنما مطالبات ترفع فى مؤتمرات تنظمها الدولة لهؤلاء المهاجرين او الهاجرين ، الذين مازالوا يحملون جنسية هذا البلد وبها يعيشون حيث يعيشون ، باعفاءات لابنائهم من الخدمة العسكرية ، اى مسئولية الدفاع عن الوطن .

بل ، ولهجة الفخر والتباهى التى تطالعنا لدى كل نبأ عن نبوغ عالم من "أصل مصرى" ، ويفوتنا أن هذا العالم النابغة قد هاجر من هذا البلد واصبح مواطنا لبلد آخر وأن نبوغه يخدم هذا البلد الآخر ، وكأننا نتباهى بالسلالة ، كأننا فصيلة من الخيول . واصبح يغيب عنا أن الأوطان التى تحترم شخصيتها الوطنية وتعتز بها وترعى صالحها ، عندما ينبغ واحد من ابنائها بعد أن هاجر ، بقدر ما تتجنب أن تلقى عليه مسئولية هجرته ، تشغل نفسها ببحث الاسباب التى ادت به الى الهجرة ، كى توجه جهدها لاستعادته . ولا تتباهى به حيث هو .

**على أن حملة ازدراء الشخصية الوطنية لا تتبدى فى هذه المظاهر وحدها ، فهذه من نتائج الحملة و آثارها ، أما الحملة الحقيقية ذاتها ، فقد رأيناها ونراها ، فى هجوم ضار على العرب ووصفهم بالبداوة بل والهمجية ، وفى وصف الاسلام بالتخلف ، رغم أن العروبة والاسلام مع المسيحية الشرقية هى العمود الفقرى لتاريخنا وحضارتنا .**

ـ ٣ ـ

يتصل بازدراء الشخصية الوطنية ماهو منتشر من معالجات لقضية السلام الذى انعقد بيننا وبين اسرائيل ، وليس هذا المقال بصدد مناقشة هذا السلام ، ليس بصدد الحكم عليه بمعايير الحق والباطل ، ولا الوطنية والخيانة ، بل ولا حتى الصواب والخطأ . إنما هذا المقال بصدد كيفية التعامل معه ، على المستوى الفكرى ، وباعتباره حقيقة قائمة نعيش معها .

**شهدنا فى تبرير هذا السلام جهدا ينسب نفسه الى الفكر ، يعلى من شأن الاسرائيليين واليهود على شأننا ، ويدعونا إلى التسليم بتفوقهم وتخلفنا ويحضنا على التماثل معهم .**

إن الامم منذ عرف التاريخ تتقاتل وتتسالم . لكنها فى الحرب تتقاتل كى تؤكد مالها فى مواجهة العدو ، وعندما تتسالم فإنها تفعل هذا ـ ايضا ـ لتأكيد مالها والحفاظ عليه وتمييزه عمّا قد يكون لهذا الذى كان قبل السلم عدوا . السلام صفقة سياسية ، لكنها ليست صفقة على حساب القوام والقيمة والشخصية والحضارة ، لكننا قرأنا اننا نحن المسئولون عن حالة العداء ، وأن نقصا فى نضجنا وتأثير "بداوة العرب" علينا هى التى جعلتنا نحارب اسرائيل ، وكأنها لم تكن هى البادئة بالعداء منذ النشأة بل وبمجرد واقعة النشأة ذاتها ، وقرأنا ان حروبنا معها كانت أخطاء ، ولم يأبه أحد من الذين كتبوا الى ان قولهم يهين دماء الشهداء ، ويحول الشهداء الى ضحايا .

ـ ٤ ـ

ولعل من أخطر مانراه من معالم ازدراء الشخصية الوطنية وضرب مقوماتها هو ما يجرى فى ميدان التعليم . وخطورته انه يؤثر أخبث الأثر على مستقبل الوطن .

فباسم الحرية تجرى هجرة واسعة النطاق من نظام التعليم الوطنى الى نظم تعليم غربية واجنبية تحت مختلف التسميات ، واكثرها شيوعا مايسمى "مدارس اللغات" . واذا كانت مصر الاربعينيات قد عانت من تغلغل "الاجانب المتمصرين" فى نسيج حياتها ، فى الاقتصاد والفكر والاعلام . فإن مايتهيأ الآن عن طريق مايحدث فى مجال التعليم اكثر خبثاً واشد خطرا ، لانه يهيىء لنا نخبة جديدة من المتعلمين الذين سوف يصبحون "مصريين متغربين" ( من الغربة وليس من الغرب ) . فالتعليم هو الذى يصوغ الفكر والوجدان . وهذا التعليم المتسع الانتشار يهيء نخبة متعلمة تفكر بلغات أخرى ويتشكل لها وجدان مستعار من ثقافات أخرى وحضارات مغايرة والثقافات والحضارات هى فى النهاية مصالح ، لانها وعاء المصالح ولأنها العين التى ترى المصالح .

وقد وصل هذا الوباء من الخطر الحد الذى يجعل حتى العارفين بخطره يرسلون ابناءهم وبناتهم الى هذه المدارس . مسايرة للأعراف الاجتماعية التى تسود ، وتعللا بتدهور مستوى التعليم الوطنى .

فى جيل هذا الكاتب ، الجيل الذى يعيش الآن العقد السادس من عمره ، وربما بعده بجيل أو جيلين هى التى شكلت وجداننا الوطنى ، كما انها كانت البوتقة التى تصهر الحد الضرورى من الادراك الجماعى لمصالح الوطن . ففى هذه المدرسة كان التلاميذ يتجاورون ويتصادقون عبر خطوط الفصل الطبقية ، كان ابناء الباشوات والاقطاعيين والوزراء تضمهم مدرسة واحدة وفصل واحد ، وربما يتقاسم اثنان المقعد المزدوج ذاته . وكان الواحد منا يدرك خطوط الفصل الطبقى فى البيت والشارع ، لكنه كان يتشارك مع "خصومه الطبقيين" وجدانا وطنيا واحدا تشكله المدرسة . ولم تكن تشذ عن هذا سوى اقلية ضئيلة من الاجانب المتمصرين والمتشبهين بهم .

اما فى ظل الموجة التى تسود ، فإنه حتى من يعرفون منا الخطر ويدركونه يشاركون فى ممارسته تحت ضغط تدهور التعليم الوطنى ، بدلا من ان يعبئوا جهدهم لانقاذ هذا التعليم .

فى بريطانيا ، وفى ظل حكم المحافظين ، والذين يعتبرون أنفسهم "حراس الحرية" الى أقصى حد ، جرى على مدى الشهور الماضية جدل حول "حرية الاباء فى اختيار مدارس ابنائهم" . وكان المقصود هو اختيار هذه المدرسة أو تلك ضمن نظام واحد موحد للتعليم الوطنى . وكانت الحكومة التى نادت بهذه الحرية تستجيب لنزعة بعض المتطرفين البريطانيين . الذين لا يريدون لأبنائهم أن يختلطوا فى المدرسة بأبناء الاقليات المهاجرة لكن الحكومة هزمت . لان الرأى الذى غلب حذر من اخطار هذه الحرية على قابلية هذه الاقليات المهاجرة للاندماج فى المجتمع .

اما عندنا ، فيسود التسليم بـ "حرية" اختيار جنسية التعليم .

حتى اصبحنا نستطيع أن نرى بالعين المجردة ، شعبا ذا وجدانين ، صفوة وجدانها اجنبى ، وعامة مازال وجدانها وطنيا ، إنما يفتقر الى التعليم والتثقيف .

●●●

هذه هى بعض اخطار هذه "الحرية" التى تسود حياتنا يوما بعد يوم . وهى "حرية" سامة ومسمومة ، واذا كان الصواب ان يكون الصراع الفكرى هو وسيلة المجتمع لحل خلافاته ، فإن الحرب الفكرية ليست حراما ، وان كانت كرها للحريصين على الحرية . لكن الحرب الفكرية على هذه الحرية ، جديرة بأن تكون امر اليوم وأمر الغد ، لانها أمر الوطن .

من الناس من يتصور ان ترجمة العرب والمسلمين للفلسفة اليونانية هو دليل يمكن ان يساق ضد مانسميه « الخصوصية الحضارية » وتميز حضارتنا العربية الاسلامية فى سمات وقسمات من بينها «النظرة إلى الكون» و «مكانة الانسان فى هذا الوجود » ..

وحتى نتبين الخيط الأبيض من الأسود فى هذه الدعوى ، علينا ان نستطلع راى واحد من اعظم الخبراء فى هذا الميدان ؟! ..

# المسلمون والفلسفة اليونانية

بقلم : د . محمد عمارة

● فالشيخ الرئيس ابن سينا [ ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ] كان اول من أفرد لعرض وشرح الفلسفة المشائية اليونانية موسوعته الضخمة [ الشفاء ] ومع ذلك فلقد شهد هو نفسه ، بأنه قد عرض هذه الفلسفة وقدمها وشرحها ، لا لأنها «الفلسفة الحقة» ، وإنما لمكانتها عند المشائين الذين لايستعينون بغيرها ولايألفون سواها .. وأنه ، لذلك ، وحتى لايظن المحققون تبنيه لمقولاتها ، قد وضع فى ثنايا عرضه لكتابى [ الشفاء ] و [ اللواحق ] إضافات لو فطن اليها المدققون لرأوا فيها الفلسفة الحقيقية للشرقيين ، المتميزة عن الفلسفة المغربية - [ اليونانية ] - .. وأنه لم يكتف بهذه الاضافات ، التى تكفى المدققين ، ذوى الفطنة فى ادراك هذه الحقيقة ، حقيقة تميز امتنا فى فلسفتها عن اليونان ، وإنما عمد ، ايضاً ، الى افراد فلسفتنا بكتاب خاص ، هو كتاب [ الحكمة المشرقية ] - أو [ الفلسفة المشرقية ] - بسط فيه ، صراحة ، معارضة فلسفتنا للفلسفة اليونانية ، وعلى الاخص فى الالهيات .

بل لقد نبه ابن سينا على هذه الحقيقة صراحة فى مقدمة الكتاب الذى بسط فيه الفلسفة المشائية اليونانية - [ الشفاء ] .. فقال فى هذا التقديم : « ولى كتاب غير هذين الكتابين [ «الشفاء» و «اللواحق» ] - أوردت فيه الفلسفة على ماهى بالطبع ، وعلى مايوجه الراى الصريح الذى لايراعى فيه جانب

الشركاء فى الصناعة ، ولايتقى فيه من شق عصاهم مايتقى فى غيره ، وهو كتابى فى «الفلسفة المشرقية» . واما هذا الكتاب - [ «الشفاء ]- فاكثر بسطا ، واشد مع الشركاء من المشائين مساعدة

ومن اراد الحق الذى لامجمجة .. فيه ، فعليه بطلب ذلك ، الكتاب [« الفلسفة المشرقية » ] - ومن اراد الحق على طريق فيه ترض ما إلى الشركاء ، وتبسط كثير ، وتلويح بما لوفطن له استغنى عن الكتاب الآخر ، فعليه بهذا الكتاب - [ « الشفاء » ] .

فمن أراد الحق فى الفلسفة على ماهى عليه بالطبع ، فإن طلبته - كما يقول ابن سينا - ليس كتاب [ الشفاء ] ، لأن فلسفة اليونان ليست هى الحق فى هـذا الموضوع !

وفيما بقى لنا من تراث ابن سينا ، هناك كتابه [ منطق المشرقيين ] أو [ كتاب المشرقيين ] ، والذى يغلب على الظن انه قطعة من كتابه الذى نبه عليه [ حكمة المشرقيين ]، يسوق فى مقدمته حديثا ، ينهض «كالوثيقة الفكرية التاريخية» فى هذا الموضوع البالغ الاهمية - موضوع تميز فلسفتنا عن الفلسفة اليونانية - وبشهادة من بلغ فى عرض الفلسفة اليونانية درجة «الشيخ الرئيس » ! .. يقول ابن سينا :

«نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف اهل البحث فيه ، لانلتفت فيه لفت عصبية او هوى او عادة او الف ، ولانبالى من مفارقة تظهر منا لما الفه متعلمو كتب اليونانيين الفا عن غفلة وقلة فهم ولما سمع منا فى كتب الفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد الا اياهم ، ولم ينل رحمته سواهم .

[ سنفعل هذا ] ، مع الاعتراف منا بفضل أفضل سلفهم فى تنبيهه لما نام عنه ذووه واستاذوه ، من تمييزه اقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفى ترتيبه العلوم خيرا مما رتبوه ، وفى ادراكه الحق فى كثير من الاشياء ، وفى تفطنه لأصول صحيحة سرية فى اكثر العلوم ، وفى اطلاعه [عامة ] الناس على ما بينها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك اقصى مايقدر عليه انسان يكون أول من مد يديه الى تمييز مخلوط ، وتهذيب مفسد ، ويحق على من بعده ان يلموا شعثه ، ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولا أعطاها ، فما قدر من بعده [ ارسطو ] على ان يفرغ نفسه عن عهدة ماورثه منه وذهب عمره فى تفهم ماأحسن فيه والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها مااستحل أن يضع ما قاله الاولون موضع المفتقر الى مزيد عليه او اصلاح له او تنقيح اياه .

وأما نحن ، فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ، ولايبعد أن يكون قد وقع الينا من غير جهة اليونانيين علوم ، وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ماقصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه . ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه اليونانيون «المنطق» - ولايبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره - حرفا حرفا ، فوقفنا على ماتقابل - [ اى مايتفق معه ] - وعلى ماعصى - [ أى مايختلف واياه ] - وطلبنا لكل شىء وجهه ، فحق

ماحق وزاف مازاف [ اى وكانت نتيجة هذا ان بان ماهو حق وما هو زائف ].

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء الى المشائين من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا اليهم وتعصبنا للمشائين اذ كانوا اولى فرقهم . [فرق اليونانيين ؟] - بالتعصب لهم . واكملنا مارادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا اربهم منه ، واغضبنا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجها ومخرجا . ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى ظله واقفون . فإن جاهرنا بمخالفتهم ، ففى الذى لم يكن الصبر عليه . واما الكثير فقد غطيناه باغطية التغافل ... ولكنكم ، اصحابنا ، تعلمون حالنا فى اول امرنا واخره ، وطول المدة التى بين حكمنا الاول والثانى واذا وجدنا صورتنا هذه ، فبالحرى ان نثق باكثر ما قضيناه ، وحكمنا به واستدركناه ، ولاسيما فى الاشياء التى هى الاغراض الكبرى ، والغايات القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات . ولما كانت الصورة هذه ، والقضية على هذه الجملة ، احببنا ان نجمع كتابا يحتوى على امهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيراً . وفكر [illegible] . ولم يتن من [illegible]

وما جمعنا هذا الكتاب [illegible] إلا لانفسنا - اعنى الذين يقومون منا مقام انفسنا - واما العامة من مزاولى هذا الشان ، فقد اعطيناهم فى « كتاب الشفاء » ماهو كثير لهم وفوق حاجاتهم ، وسنعطيهم فى « اللواحق » مايصلح لهم زيادة على ما اخذوه . وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده .

تلك هى « وثيقة » الشيخ الرئيس ابن سينا تحمل شهادة خبير . [ ولاينبئك مثل خبير ] شهادة خبير بالفلسفة اليونانية ، وبالفلسفة المشرقية .. عرضهما عرض واقف على الخلاف المميز بينهما « فى الأغراض الكبرى والغايات القصوى »

وهو فى هذه الوثيقة الشاهدة يحدد :

أ - أنه مع فضل أرسطو ، وأضافاته بالنسبة لمن سبقه ، فأن فى بنائه الفكرى والفلسفى أخطاء وثغرات ..

ب - وأن الذين أتوا بعده بدلا من أن يطوروا فكره ، ويعالجوا نواقصه ، ويرمموا ثغراته .. جمدوا عند مقولاته ، وقدسوا كل ميراثه ! .. وتحاشوا حتى إصلاح الأخطاء التى ادركوها ! ..

جـ - وأن ابن سينا لما استوعب فلسفة اليونان ، منذ وقت مبكر فى حياته العلمية ، عرضها على « المنطق » معيار العلم والنظر - فتبين له مافيها من حق ومافيها من زيف ..

د - وبسبب من تعلق المشتغلين بالعلم بالفلسفة المشائية اليونانية ، وإلفهم لها وعهدها واستنامتهم لمقولاتها ، فلقد [illegible] فى « [illegible] » - مع إضافات وبعض انتقادات - يدركها أهل الدرجة العليا من الاختصاص - لكنه تغافل عامدا عن نقد أغلب ماتخبط فيه اليونان - اللهم إلا فيما لم يصبر على السكوت عنه من مواطن الخلاف ! ..

هـ - وبعد هذا الموقف الأول ، وجد من

الأوفق أن يتخذ موقفا ثانيا .. فكتب كتابه « فلسفة المشرقيين » الذى عرض فيه خلاف فلسفتنا مع الفلسفة اليونانية فيما هو « خصوصية حضارية شرقية » فى الفسلفة ، مركزا على « الأغراض الكبرى والغايات القصوى » بعد أن راجع مسائلها مئين المرات ! .. قاصدا أن يكون هذا الكتاب مرجعا للخاصة ، كما أن « الشفاء » و« اللواحق » هى مراجع « العامة » من المفتونين بالفسلفة اليونانية فى غفلة وقلة فهم ! ..

نعم .. إنها « شهادة » تبلغ فى الدقة والعمق مبلغ « الوثيقة » عندما يكتبها « خبير - صانع » للحدث الذى « يوثقه » و« يشهد فيه » ! ..

ولقد شهد الذين وعوا دلالة هذه الشهادة لابن سينا بمالها ، فى موضوعنا ، من دلالات .

● ليست فلسفة اليونان

- فأتى الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل « ٤٩٤ - ٥٨١ هـ - ١١٠٠ - ١١٨٥ م » فى مقدمة رائعته الفلسفية غير المسبوقة « حى بن يقظان » ليؤكد هذه الحقيقة .. حقيقة أن فلسفة الاسلام ليست هى فلسفة اليونان .. بل ويعيد نشر شهادة ابن سينا ، عنوانا على تبنيه لمضمونها .. فيخاطب مخاطبه قائلا : « سألت أيها الأخ الكريم الصفى ... أن أبث إليك ما أمكننى بثه من أسرار الحكمة المشرقية التى ذكرها الشيخ الرئيس ابو على ابن سينا ... » .

فيعلن ابن طفيل بهذه العبارة عن أن طلب الحديث عن الحكمة المشرقية وإبراز تميزنا الفلسفى كان من القضايا التى تشغل العقل الفلسفى الإسلامى ، والتى تدور حولها الأسئلة والأجوبة ، وتخصص للاجابة عن فحواها الصفحات ..

ثم يستطرد ابن طفيل فيستدل على القضية بإيجاز شهادة ابن سينا فيقول : « واما كتب أرسطوطاليس ، فقد تكفل الشيخ ابو على بالتعبير عما فيها . وجرى على مذهبه ، وسلك طريق فلسفته فى « كتاب الشفاء » ، وصرح فى اول الكتاب بان الحق عنده غير ذلك وانه إنما الف ذلك الكتاب على مذهب المشائين وأن من اراد الحق الذى لاجمجمة فيه فعليه بكتابه الفلسفة المشرقية » .

ثم يقدم ابن طفيل شهادته كثمرة لقراءته كتب ارسطو ولقراءته عرضها فى « كتاب الشفاء » لابن سينا فيؤكد أن لابن سينا فى « الشفاء » إضافات هى من إبداعه ولاتتفق مع آراء أرسطو . وانها لاتظهر إلا لأهل الفطنة من ذوى الاختصاص ... ثم يعيد ذكر رأى ابن سينا القائل إن من أراد الكمال ، بواسطة الفلسفة ، فسبيله ليست فلسفة اليونان ، وإنما فلسفة المشرقيين .. يقول ابن طفيل : « ومن عنى بقراءة « كتاب الشفاء » وبقراءة كتب أرسطوطاليس ظهر له فى أكثر الأمور أنها تتفق ، وإن كان فى كتاب « الشفاء » اشياء لم تبلغ إلينا عن ارسطو . وإذا اخذ جميع ماتعطيه كتب ارسطو وكتاب « الشفاء » على ظاهره ، دون أن يتفطن لسره وباطنه ، لم يوصل به إلى الكمال ، حسبما نبه عليه الشيخ أبو على فى كتاب « الشفاء » .

- أما مؤرخ الحكمة والحكماء ، ابن أبى أصيبعة « ٥٩٦ - ٦٦٨ هـ - ١٢٠٠ -

١٢٧٠ م » فإنه يخبرنا عن اسم كتاب مفقود لابن سينا عنوانه « كتاب الانصاف » ـ [عشرون مجلدة] ـ ويقول إنه ميز فيه بين فلسفة « المشرقيين » وبين فلسفة « المغربيين » ! .. شرح فيه جميع كتب ارسطوطاليس ، وانصف فيه بين المشرقيين والمغربيين » .

ـ وغير هذه الشهادات التى اتفق أصحابها أثر ابن سينا واستدلوا بأدلته .. نجد هذا الموقف الذى يميز فلسفة الاسلام عن فلسفة اليونان لما لكل منهما من « خصوصيات حضارية » يتكرر لدى الكثير من أعلام فلسفتنا ، والذين خبروا منهم اليونان على وجه الخصوص ..

ففخر الدين الرازى « ٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ ١١٥٠ ـ ١٢١٠ م » ينهض بإبراز معارضة الفلسفة الاسلامية للفلسفة اليونانية .. والفلسفة « المشرقية » الاسلامية عنده هى إبداع المسلمين فى علم الكلام ، المعبر عن « خصوصيتنا الحضارية » فى الفلسفة .. أما الفلسفة « المغربية » اليونانية ـ « فهى أفكار المشائين اليونانيين ، وخصوصا طريقتهم فى بحث المسائل ومن قلدهم وسار فى أثرهم من المسلمين » .

ـ أما أبو الوليد بن رشد « ٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م » فإن إبداعه كله « وثيقة » شاهدة فى هذا الموضوع ..

لقد أنجز ابن رشد أضخم مشروع عربى لتقديم فلسفة اليونان إلى العقل العربى والمسلم .. وقدم لأعمال أرسطو الشروح ـ الكبرى .. والمتوسطة .. والموجزة وصحح الأخطاء وضبط المصطلحات وحدد المفاهيم وحرر المقولات .. ورعت الدولة مشروعه هذا ، كما ترعى الأمم والدول العريقة ـ فى زماننا ـ المشاريع الثقافية والعلمية الكبرى التى تتيح لأبنائها الاطلاع على الحضارات الأخرى والتفاعل وإياها ..

ولهذا الانجاز الرشدى العملاق ، فى شرح أعمال حكيم اليونان أرسطو ، استحق ابن رشد على النطاق العالمى لقب « الشارح الأكبر » ... ولقد حدثنا ابن رشد عن مكانة أرسطو فى الفكر « الانسانى ـ اليونانى » وكيف بلغ هذا الحكيم « أقصى ماوقفت عليه العقول الانسانية » فشابه فى هذا التقييم قول ابن سينا عن أرسطو : « إنه صنع أقصى مايقدر عليه انسان يكون أول من مد يده إلى تمييز مخلوط أو تهذيب مفسد »

لكن ابن رشد لم يقف عند حدود « الشارح » لأرسطو ولاكان « المتبنى لكامل مقولات فلسفة اليونان » ففى شروحه ذاتها إضافات وانتقادات ، لم يغلفها ، كما صنع ابن سينا وإنما برزت للعيان ، من حيث الحجم والوضوح .. وفى هذه الإضافات الرشدية تتجلى خصوصيات الفلسفة الاسلامية ، عندما يبدعها ابن رشد المسلم المتكلم القاضى والفقيه .. ففى مسائل جوهرية وكثيرة تبرز خصوصيتنا الفلسفية المتميزة عن الفلسفة الأرسطية .. وفى مقدمة هذه المسائل :

أ ـ تصور ابن رشد للذات الالهية .. وهو إبداع « رشدى ـ إسلامى » لاعلاقة له بالفلسفة اليونانية .

ب ـ تصوره لمعضلة وحدة الوجود ، العقلية والمادية .

جـ - تصوره لعالم الصور ..

د - تصوره المنهجى للتوفيق بين الحكمة والشريعة .. وهو إبداع إسلامى غير وارد فى الاطار اليونانى ..

هـ - تصوره لقضية الحرية الانسانية ، والجبر والاختيار .. ومكانة الانسان فى الكون ..

و - نظريته فى المعرفة .. والعلم الانسانى والعلم الالهى ..

ز - منهجه فى تقسيم الناس إلى مراتب .. ليست طبقية ، لا بالمعنى اليونانى ولا بالمعنى الاقتصادى ..

حـ - رؤيته لمكانة المرأة فى المجتمع .

**لقد اختلفت هذه المقولات الاساسية فى الابداع الرشدى ، عن نظيرتها فى الابداع الأرسطى ، لأن الابداع الرشدى كان إسلاميا ، لم يقف عند « منتهى ماوقفت عليه العقول الانسانية » كأرسطو والفلسفة اليونانية - وإنما اضاف إلى ذلك فى تزامل ومؤاخاة ، حقائق الشريعة الالهية التى نزل بها الوحى على رسول الاسلام ، صلى الله عليه وسلم ..**

وإذا كانت شروح ابن رشد على اعمال أرسطو قد اشتملت - فى استقامة ووضوح - على ملامح هذه « الخصوصية الحضارية الاسلامية » فى الفلسفة فإن مصادر الابداع الرشدى الخالصة هى الموطن الطبيعى الذى يجب أن نلتمس فيه « الرشدية الاسلامية » المعبرة عن خصوصيتنا الحضارية .. فابن رشد : المتكلم والقاضى والفقيه وفيلسوف الاسلام تلتمس حقائق إبداعه فى « مؤلفاته » لأنها « إبداع خالص » وليست مجرد « إضافات » فى ثنايا « الشروح » ..

إن « منهج » ابن رشد الذى صاغه فى كتابه الفذ « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » هو إبداع إسلامى متميز ، بل ومختلف تماما ، عن منهج اليونان الذين أبدعوا فلسفتهم فى إطار لايعرف الوحى ولا الشريعة فلم يحتكم إلا إلى البرهان العقلى ..

وإن كتاب ابن رشد « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » هو الابداع الرشدى فى الصورة المناسبة لجمهور الناس ..

اما كتابه « تهافت التهافت » فهو مستودع فلسفة الاسلام ، كما تصورها ابن رشد على النحو المناسب لأهل الاختصاص ..

ففى هذه الكتب الثلاثة نجد ابن رشد « المتكلم » اى « الفيلسوف الاسلامى » وليس « الشارح » .. كما نجد فيها خصوصيتنا الحضارية فى الفلسفة التى تميزت بها حضارتنا عن حضارة اليونان ..

فهو إذن إبداع شاهد - من خلال هذا الصرح - على القضية التى نعقد لها هذه الصفحات .. وهو « شهادة إبداع » على أن الانفتاح على الحضارات الأخرى ، وفقه مقولاتها والتبحر فى بحارها ، والعناية بعلومها وفنونها ، كاهلها أو اكثر ، لايعنى إغفال الفروق بين ماهو « خصوصية حضارية » وماهو « مشترك إنسانى عام » لأن الوعى بهذه الفروق هو سبيل الأمن وطوق النجاة من الوقوع فى اسر « الغزو الفكرى » الذى سقط فى اغلاله دعاة « الهلينية » قديما ، وأنصار « التغريب » فى عصرنا الحديث ! ..

تلك هى حقيقة صفحات تفاعلنا الحضارى مع مواريث الفرس .. والروم .. والهند .. واليونان .



# د. أحمد ماهر

## دفع حياته ثمنا لمعتقداته

بقلم: أحمد عبد الرحيم مصطفى

هو من ابرز ساسة مصر فى فترة ما بين الحربين وزعيم الحزب السعدى الذى كان احد الاحزاب التى انشقت عن الوفد بسبب عدم مرونة زعامته وتشددها وعدم قبولها بالنقد والمعارضة فلما كان حزب الوفد حين تاسس لايعتبر نفسه حزبا بل تجسيدا لارادة الامة بل الامة نفسها تضع مصيرها وقدرها بين يدى قائد ـ زعيم تسير كلها وراءه فانه لم ين عن المطالبة بالاستقلال وبتقييد السلطة الملكية المطلقة مستندا فى تحقيق اهدافه الى حماسة الجماهير الا ان اعضاءه كانوا ينتمون الى طبقات بالغة التفاوت : فمنهم كبار ملاك الاراضى الزراعية ومنهم البورجوازية الصغيرة والكبيرة والفلاحون والحرفيون والعمال والطلبة ومن ثم كان الحزب عرضة للتصدع : فكثيرا ما كانت الاستقالات الصادرة عن بعض قادته تهز دعائم تنظيماته الداخلية ، وهى استقالات ترجع اما الى اسباب سياسية او الى منافسات شخصية وبالتالى حدثت الانشقاقات فى صفوفه وادت الى ظهور احزاب جديدة تزايدت اعدادها بمرور الزمن ، وهى احزاب ليست لها برامج واضحة بل ان قوتها او ضعفها كانا مرتبطين بطبيعة زعاماتها ،ولكن هذه يقتفى اعتمادها على القصر او على الانجليز ..

واحمد ماهر مؤسس حزب السعديين ينتمي الى الشريحة الاجتماعية الشركسية التى جعل محمد على منها ومن الاتراك ركيزة لحكمه واوسع لها فى الاملاك والمناصب ، ومن ثم فقد نعمت بالثروة وتبوأت ارفع المناصب قبل ان « تتمصر » وتذوب فى المجتمع المصرى الكبير . ووالده هو محمد ماهر باشا الذى كان وكيلا لوزارة الحربية فى عام ١٨٩٤ حين اثار الخديو عباس الثانى ازمته المشهورة مع سردار ( قائد ) الجيش المصرى هربرت كتشنر حين وجه انتقاده الى الضباط الانجليز وندد بسوء اوضاع الجيش مما جعل اللورد كرومر – حاكم مصر الفعلى فى ظل الاحتلال البريطانى – يقف موقفا صلبا ويرغم الخديو على التراجع والخضوع . وقد خلف محمد ماهر باشا ابنا اخر – هو على – قيض له هو الاخر ان يلعب دورا هاما فى السياسة المصرية حتى اوائل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقد تخرج احمد ماهر فى مدرسة الحقوق الخديوية فى عام ١٩٠٨ واشتغل بعض الوقت بالمحاماة فى القاهرة وفى عام ١٩١٠ توجه الى مونبلييه فى فرنسا حيث حصل بعد ثلاث سنوات على درجة الدكتوراه فى القانون والاقتصاد . وفيما بين عامى ١٩١٣ و ١٩٢١ عمل بالتدريس فى

الهيئة السعدية : احمد سعيد باشا والدكتور احمد ماهر والنقراشى باشا واعضاء الهيئة



# د.أحمد ماهر

مدارس التجارة المتوسطة والعليا حيث توثقت علاقته بصديق عمره محمود فهمى النقراشى . ولم تكن الدوائر البريطانية تشك كثيرا فى اشتراكه فى الاغتيالات السياسية .. وفى عام ١٩٢٢ قبض عليه بعد مقتل حسن عبد الرازق وزهدى ، وأن لم يقم على تورط ماهر دليل ملموس .. وقد فاز احمد ماهر فى الانتخابات التى اجريت بعد صدور دستور ١٩٢٣ وعين وزيرا للمعارف فى اكتوبر ١٩٢٤ بعد عودة سعد زغلول — رئيس الوزراء حينئذ — من لندن على اثر مفاوضاته مع رمزى مكدونالد ، ولو أن الوزارة استقالت فى اواخر عام ١٩٢٤ على اثر مقتل السردار السير لى ستاك . وكان شقيق منصور الذى شنق بتهمة الاشتراك فى اغتيال السردار فى مكتب احمد ماهر القريب من مسرح الجريمة حين جرى ارتكابها ولهذا قبض على احمد ماهر فى ١٩٢٥ وجرت محاكمته هو وآخرون وقد رأس الهيئة القضائية التى نظرت فى القضية قاض انجليزى ( كيرشو ) ومعه قاضيان مصريان . الا ان تبرئة المتهمين ادت الى استقالة كيرشو ، اما ماهر فقد حصل على مقعد فى مجلس النواب واصبح رئيسا للجنة البرلمانية الخاصة بالحسابات وعضوا فى لجان الميزانية والتعليم والدستور. وفى عام ١٩٢٧ مثل مصر فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى انعقد فى ريو وما لبث أن عجل بالعودة الى القاهرة حين تراءت الى مسامعه انباء وفاة الزعيم سعد زغلول ثم عين رئيسا لتحرير جريدة البلاغ وانتخب فى ديسمبر ١٩٢٩ عضوا بمجلس النواب وفى العام التالى صحب الوفد المسافر الى لندن للتفاوض حول معاهدة مصرية — بريطانية وذلك باعتباره خبيرا ماليا .

وعند هذا الحد كان احمد ماهر قد تمرس بالاجراءات البرلمانية وبرز باعتباره برلمانيا لا يشق له غبار بحيث احكم سيطرته على مجلس النواب ، وقد لوحظ أنه قليل الكلام فى البرلمان ولو انه كان لا ينفك عن الهمس الى اصدقائه وحثهم على عمل ما يجب عمله ، ومن ثم فقد وصفه سعد زغلول بأنه « الببغاء الصامت » وفى مايو ١٩٣٤ اصبح رئيسا لتحرير « كوكب الشرق » ، وحينئذ كان قد ازداد توثق علاقاته بمحمود فهمى النقراشى بحيث برزا باعتبارهما قطبى الاتجاه الواقعى فى دوائر الوفد الداخلية . وفى مايو ١٩٣٦ اصبح رئيسا لمجلس النواب ثم عضوا فى الوفد المصرى الذى اجرى مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ مع الانجليز

## ● معاهدة مرفوضة

ورغم موافقة احمد ماهر على المعاهدة فقد كان من رأيه انها لم تحقق « الشرف والاستقلال » وفق ما ذهب اليه مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، بل لم تعد كونها خطوة صوب الاستقلال ومع ذلك فانه لم يستطع فرض رأيه على دوائر حزب الوفد الذى كان احد اقطابه ، ولكنه نصح النحاس بأن يعتبر توقيع المعاهدة

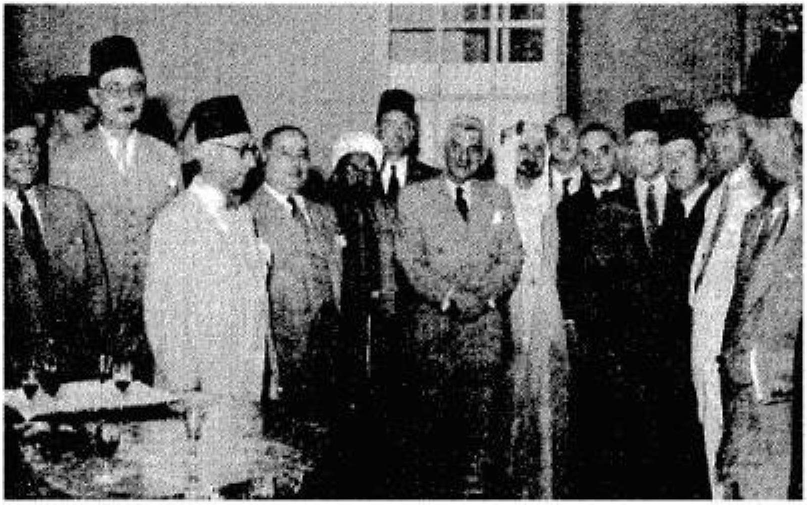




الدكتور احمد ماهر رئيس تحرير مجلة كوكب الشرق

الشقيقان. احمد ماهر باشا وعلى ماهر باشا

خاتمة عهد وفاتحة عهد اخر تندمج فيه الاحزاب كلها فى حزب واحد بصورة تشبه ما تحقق فى عام ١٩١٩ ولكن النحاس لم يوافق على هذا الاقتراح لشدة اعتقاده بانه يمثل الامة ولانه بعد تجربته فى الحكم رئيسا لمجلس الوزراء كان لا يميل الى الحكومات الائتلافية او الى التعاون مع الاحزاب الاخرى ، وحين اعاد النحاس تشكيل وزارته فى عام ١٩٣٧ استبعد منها النقراشى ومحمود غالب بسبب موقفهما من مسألة استنباط الكهرباء من مساقط المياه بخزان اسوان . وكان سبب الخلاف هو ان شركة انجليزية عرضت ان تنفذ المشروع على ان يتم الامر بينها وبين الحكومة مساومة ومن غير مناقصة . وقد اثار زعيم المعارضة ـ محمد محمود ـ هذه المسألة فى مجلس النواب وطالب بطرح امر الاستنباط فى مناقصة عالمية تتقدم فيها الشركات العالمية الكبرى بعطاءاتها بحيث يسند العمل الى اكثرها خبرة وامتنها مالية. وانحاز النقراشى وغالب لرأى محمد محمود الا ان مكرم عبيد الرجل الثانى فى الوفد ـ دافع عن وجهة نظر الحكومة التى اخذت باتجاه الشركة الانجليزية ، وتابع مكرم سائر الوزراء بالاتفاق مساومة مع الشركة بحجة ان لديها سرا فنيا



حفل رئيس الوزراء للوفود العربية .

لا يمكن الشاؤه وانه يسمح للحكومة بالتجاوز عن المناقصة الى الممارسة . وادى خروج النقراشى وغالب من الوزارة الى ازدياد الخصومات خاصة وقد اشيع ان احمد ماهر يؤيدهما وانه مرشح لرئاسة الوزارة فيما لو ايده مجلس النواب .

● تحطيم وحدة الوفد .

وحاول احمد ماهر اقناع النحاس بالعدول عن رأيه مما ادى الى توتر العلاقات بينهما . واجتمعت الهيئة الوفدية لتسوية هذا الخلاف الذى كان ينذر بانقسام الوفد . وانسحب احمد ماهر من الاجتماع ولم يتبعه من الحاضرين سوى ثلاثة اعضاء — وعلى باب النادى السعدى استقبلته مظاهرة صاخبة هتفت بسقوطه وبحياة النحاس . وكان هذا الانشقاق بالغ الاهمية وادى — كما ادت الانشقاقات السابقة والتالية التى حدثت فى تاريخ الوفد الى نشأة حزب جديد اتخذ لنفسه اسم « الهيئة السعدية » وادى ذلك الى تحطيم وحدة الوفد والى تشجيع القصر على ان يقاوم سياسة التخويف التى كان النحاس يتبعها ازاءه ، بحيث لم يجد صعوبة كبيرة فى اقالة وزارة الوفد ، التى خلفتها وزارة محمد محمود التى حلت مجلس النواب واجرت انتخابات جديدة اسفرت عن خروج الكثيرين من الوفد وانضمامهم الى احمد ماهر الذى حصل حزبه الجديد على عدد كبير من كراسى البرلمان . وحين تم تعديل الوزارة دخلها ماهر والنقراشى وسعديان آخران ولو ان ماهر وانصاره رفضوا اقتراحها بانضمامهم مع الدستوريين تحت رئاسة محمد محمود لانهم كانوا يؤمنون بانهم ورثة سعد زغلول وبانهم سينتصرون اذا ما احتفظوا باستقلالهم،

وما لبث شبح الحرب العالمية الثانية ان خيم على الافق فى اعقاب الاعتداءات التى قامت بها دول المحور ( ايطاليا والمانيا واليابان ) وبعد ان اتضح ان اطماع هذه الدول لاتقف عند حد . وقد انقسم المصريون حول الموقف الواجب اتخاذه من هذه الازمة العالمية : فقد كان الكثيرون - ومنهم الملك فاروق وحاشيته « محورى الهوى » ، فى حين كان كثير من المصريين لا يكنون ودا لدولة الاحتلال وحين دخلت ايطاليا الحرب فى ١٠ يونية ١٩٤٠ نادى أحمد ماهر بضرورة اعلان مصر الحرب على دول المحور على اعتبار ان عدم دخولها الحرب يعد اقرارا منها بان انجلترا تحميها وبانها هى المسئولة عن استقلالها ، فى حين ان اشتراكها فى الحرب يعطيها الحق - بعد انتصار الحلفاء - فى ان تتوصل الى جلاء القوات البريطانية عن اراضيها . ولكن رأى احمد ماهر لم يؤثر كثيرا على الرأى العام الذى لم يكن يتوقع انتصار انجلترا فى مواجهة الانتصارات الالمانية المتلاحقة وسيطرة هتلر على غربى اوروبا ، خاصة ان الكثيرين لم يكونوا يتوقعون جلاء انجلترا عن الاراضى المصرية فيما لو خرجت منتصرة من الحرب واهم من هذا ان المصريين كانوا يخشون ان يؤدى اعلان مصر الحرب على دول المحور الى ان تتعرض اراضيها للقصف الجوى والدمار ، وبالتالى فقد مالوا الى سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب ، وهى السياسة التى سارت عليها وزارة على ماهر التى خلفت وزارة محمد محمود . ومع ذلك فقد تمسك السعديون بضرورة دخول مصر الحرب واستقالوا من وزارة حسن صبرى الذى خلف على ماهر . وان يكونوا قد عادوا الى الاشتراك فى الحكم فى عهد وزارة حسين سرى ذاهبين الى انهم لا يمانعون فى الاشتراك فى وزارة تسير على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب مادامت هذه الحرب بعيدة عن مدنها واراضيها ومادامت القوات الايطالية المتمركزة فى ليبيا تتراجع ولا تتقدم وكان على بريطانيا ان تتكيف لسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب وان تكن قد استطاعت ان تفرض تفسيرا يزداد صرامة لمواد معاهدة ١٩٣٦ ، ولم تكن لتتردد اذا ما لاح لها ان مصالحها الاساسية تتعرض للخطر فى ان تتدخل بشدة فى شئون مصر الداخلية حتى ولو اضطرت الى استخدام القوة كما حدث فى اوائل فبراير ١٩٤٢ .

فقد تقدمت القوات الالمانية التى جرى نقلها الى ليبيا الى داخل الاراضى المصرية وانتقلت تحت قيادة القائد المظفر اروين روميل من نصر الى نصر واقتربت من الاسكندرية وأدى انتصارها الى ازمة سياسية كبيرة بعد ان اصرت الدوائر البريطانية على ضرورة ان يتولى النحاس ، زعيم الوفد المصرى الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ ، رئاسة الوزراء على اعتبار انه اقدر من غيره على تنفيذ بنود المعاهدة نصا وروحا خدمة لجهود الحلفاء العسكرية ، وبوجه خاص البند السابع الذى كان ينص ، فى حالة دخول احد الطرفين الحرب ضد طرف ثالث ، على ان يبادر الطرف الثانى الى معاونته بصفته حليفا . وحاول الملك فاروق - الذى كانت الدوائر البريطانية تشك فى اتصاله بالمانيا وايطاليا ، وهو الشك الذى كشفت الوثائق التى ظهرت بعد الحرب

العالمية الثانية انه يستند الى اسس قوية · حاول ان يفوت على الانجليز تنفيذ تهديداتهم · لهذا اجرى مع كبار الساسة المصريين اتصالات اقترح خلالها تشكيل وزارة قومية برئاسة النحاس الذى اصر على ان يشكل وزارة وفدية خالصة ، وفى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ وجه السفير البريطانى انذارا الى الملك فاروق حمله فيه المسئولية وما قد يترتب على ذلك من نتائج اذا لم يكلف النحاس بتشكيل الوزارة قبل الساعة التاسعة مساء ، وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين فى الوقت الذى عقد فيه الملك اجتماعا حضره كل كبار ساسة مصر الذين حاولوا ان يفوتوا على الانجليز انذارهم بالتوصل الى صيغة تنهى الازمة · وحين لم يوافق النحاس على اى حل وسط خطب احمد ماهر قائلا : « اننا نعرف وطنية النحاس باشا وحرصه على استقلال بلاده وسيادتها، وهذا الانذار الذى وجهته الحكومة البريطانية الى الملك ضربة قاضية على هذا الاستقلال ولاسبيل الى رد هذه اللطمة الا ان يرفض النحاس باشا تأليف الوزارة وان يرفضها بسبب هذا الانذار ، فانا ارجوك يا رفعة الباشا واهيب بوطنيتك ان تنقذ استقلال بلادك وسيادتها » · واخيرا اضطر الملك ازاء تمسك النحاس بموقفه والتلويح بخلعه الى الرضوخ للضغط ، فقرر تكليف النحاس بتشكيل الوزارة — وعندئذ قال احمد ماهر للنحاس : « انك ··· تؤلف الوزارة على اسنة الحراب البريطانية»

وظل النحاس فى الحكم لاكثر من عامين تململ خلالهما الملك فاروق ولم يستطع ان يفعل شيئا بسبب ظروف الحرب ، حتى اذا ما اخذ مجراها يتحول وبدت دلالات قرب هزيمة المحور بادر الى اقالة النحاس للمرة الرابعة وعين احمد ماهر رئيسا للوزارة · وقرر احمد ماهر ان يشرك فى وزارته جميع الاحزاب غير الوفدية — وفى الانتخابات التى جرت فازت احزاب الحكومة على الوفد وفاز السعديون باغلبية نسبية على سائر الاحزاب التى اشتركت فى الحكم ، وشن احمد ماهر — منذ تشكيله الوزارة — الحرب على النحاس واتهمه فى احد تصريحاته بانه كان اسوأ الدكتاتوريين وبانه كان يريد ان يحكم مصر باساليب هتلر وموسولينى محتميا وراء واجهة برلمان يعرف الجميع اى انتخابات جاءت به · ومالبث ان بلغته الحكومة الامريكية بأن دول الحلفاء ستعقد مؤتمرا فى سان فرنسسكو فى ابريل ١٩٤٥ لانشاء هيئة دولية جديدة تحل محل عصبة الامم وبأن الدول التى تشترك فيها يجب أن تعلن الحرب على خصوم الحلفاء قبل اول مارس ١٩٤٥ ، وفى ٢٤ فبراير اعلن ماهر امام البرلمان وخلال جلسة سرية عزمه على اعلان الحرب على المانيا واليابان، ولم يكن لهذا القرار من هدف — وقد اوشكت الحرب على الانتهاء — سوى

ان يسمح لمصر بالحصول على مقعد في مؤتمر السلام ، ولما كان اعلان الحرب لا يمكن أن يعتبر اعلانا لحرب دفاعية فقد تقرر عرض الامر على البرلمان فى جلسة سرية يعقدها مجلس النواب ثم يعقدها مجلس الشيوخ . ولكن الاسباب التى ساقها احمد ماهر لاعلان الحرب لم تنل ما تستحقه من فهم وبعد ان عرض الامر على مجلس النواب ومر بالبهو الفرعوني متجها الى مجلس الشيوخ تصدى له بعض الشباب الذين اطلق احدهم عليه الرصاص فأراده قتيلا وذلك في يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ وخلفه فى رئاسة الوزارة صديقه محمود فهمى النقراشى الذى اغتيل هو الاخر فى اوائل عام ١٩٤٩ .

❋❋❋

وهكذا انتهت حياة سياسى مصرى تميز بحنكته وتمرسه باساليب الحياة البرلمانية . ويصفه معاصره الدكتور محمد حسين هيكل بانه لم يكن يكتب خطبه ويتلوها على البرلمان بل كان يحضر النقط الاساسية ثم يرتجل فى ترتيب ومنطق دقيق ، وبانه ، لم يكن خطيبا ساحرا يبهر سامعيه بقوة بلاغته ولكنه كان برلمانيا ممتازا يقدم بين يدى رأيه بحجج خصمه ويضفى عليها من منطقه البارع قوة اكثر من قوتها الذاتية ثم يتناولها بعد ذلك بالتنفيذ فى دقة وبراعة تجذب اليه سامعيه . وهو لم يكن يضيق بالمقاطعة او بالمعارضة وهو يخطب ، بل كان يرحب بكل مقاطعة لانه كان فى عهده الاول بالحياة البرلمانية مقاطعا بارعا - فاذا قوطع استل من مقاطعات خصومه حججا له يؤيد بها رأيه .وكان له من حدة الذكاء وسعة الاطلاع ما يعاونه على ادراك غرضه اشد المعاونه ، ويضيف الى ذلك انه ، كان الى ذكائه حازما والى لطفه وظرفه شديد الاعتداد بنفسه ، ولقد سمعته وهو رئيس للوزراء يخطب فينا - نحن الطلبة - مدافعا عن سياسة حكومته حين استبعدت بريطانيا عن الترشيح للانتخابات البرلمانية سودانيا وحنوبيا وهز على البرير الذى سعى الى انيمثل مصر والسودان فى البرلمان المصرى تحقيقا لمبدأ وحدة وادى النيل ، وقد شرح احمد ماهر موقف حكومته فى مواجهة الاعتراض البريطاني بهدوء ومنطق والابتسامة لا تبرح شفتيه مما هدأ ثائرة الطلاب ، والحق ان الحياة الحزبية قد ربت عددا لايحصى من الخطباء الذين ساعد الكثيرين منهم على البلاغة والتأثير فى السياسيين واصطناع المنطق احترافهم للمحاماة التى كانت هي الاخرى مدرسة اخرى لتربية الخطباء . وتلك سمة بارزة لمعظم ساسة ما بين الثورتين ( ١٩١٩ - ١٩٥٢ ) الذين لمع منهم امثال وليم مكرم عبيد وابراهيم عبد الهادى واحمد حسين ( زعيم جماعة مصر الفتاة ) حسن البنا ومصطفى النحاس وفى قمة هؤلاء سعد زغلول الذى كان ساحرا فى خطابته بحيث ان بعض فقرات خطبه جرى تداولها من جيل الى اخر . بل وحتى اليوم .

فاحمد ماهر . اذن ، هو ابن عصره ووطنى آمن بضرورة استقلال بلاده وتبوئها المكانة اللائقة في المجال الدولى واصطنع لذلك وسائل عدة حاول بها الوصول الى ما يستطيع الوصول اليه من اهدافه في شجاعة تعمد له دفع حياته فى نهاية الامر ثمنا لها .

# في الذكرى السابعة والسبعين لرحيل الزعيم أحمد عرابي

# الصهيونية واحتلال الإنجليز مصر

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

انه لامر يدعو الى الغبطة والتقدير . حقا ان ينشط الباحثون للتنقيب في تاريخنا الحديث للكشف عن ذلك الدور الذى لعبه الاستعمار بكل صوره واشكاله للهيمنة على مقدرات بلادنا ، ووأد اية حركة ثورية ، والقضاء على اية جهود للتطوير والتغيير .

ومن اهم ما بدا بعض الباحثين يشيرون اليه اخيرا ، التأكيد على ان الأطماع الصهيونية على العالم العربى ، قد بدأت منذ وقت مبكر للغاية ، يرجع الى القرن الثامن عشر

ولكن الامر الذى لا يدعو الى الغبطة حقا هو ان نشهد محاولة جديدة لالقاء مسحة من التشكيك ، وظل من الشبهات على ثورة جليلة عظيمة نعتز بها ، بل ونفخر بقيامها ، على الرغم من انها انتهت بالفشل والخذلان ، الا وهى الثورة العرابية ، التى ظلوا يلطخون صفحاتها البيضاء منذ انتهائها عام ١٨٨٢وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢

فطوال هذه الفترة ، كانت مصر تحكمها الاسرة العلوية التى حاربتها الثورة ، وكانت ترزح تحت نير الاستعمار البريطانى الذى تصدت له الثورة العرابية ، فكان طبيعيا ان يصورها بانها ( فتنة ) وانها ( هوجة ) .. الى غير ذلك من الصفات ، حتى انصفتها ثورة يوليو واعادتها الى مكانها الطبيعى كثورة وطنية تحررية .

أنه بقدر فرحتنا بالجانب الاول بقدر حزننا من الثانى حيث يربط البعض بين قيام الثورة العرابية وبداية التآمر الصهيونى على العالم العربى ، بالايحاء بأن حركة عرابى قد استخدمت كأداة فى هذا التآمر .
لقد أكد هؤلاء على اتهام عرابى بأنه هو الذى تسبب فى احتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ ، تماما مثلما ذهب البعض الى اتهام جمال عبدالناصر بأنه هو الذى تسبب فى الاحتلال الصهيونى لمناطق جديدة سنة ١٩٦٧ تفوق مساحة اسرائيل ، ونسى هؤلاء وهؤلاء ، ان كلا من الزعيمين قد حاول تطوير مصر ودفعها على طريق التقدم والقوة ، فأبت عليهما ذلك القوى الاستعمارية



أحمد عرابي

فهذا يعني زوال هذه القوى وزوال القوى الاخرى المحلية التي ترتبط مصالحها بها ، فالقى هؤلاء بكل ثقلهم لضرب هذا الجهد الثوري الوطني فكان ما كان ..

● المحاولات الاولى لليهودية الدولية

فمن العوامل التي مهدت للاحتلال البريطاني ، عامل هام لا يجوز اهماله عند تقدير الواقع ، وهو عامل ( الصهيونية ) ، وقد رأينا طائفة من المؤرخين يتكلمون عن هذا العامل الهام في سياسة العالم وكأنه ( هيئة دائمة مؤلفة من شيوخ محنكين يجتمعون في مواسم مختلفة ويصدرون في كل اجتماع قرارا يتتبع موعد الاجتماع التالي ، ويوشك أن تنطبق الحوادث في هذه الفترة على ما رسموه ورتبوه .

ونحن لم نعرف دليلا قاطعا يثبت وجود هذه الهيئة من الشيوخ المحنكين والرؤساء والطاعنين الذين لا يعلم أحد كيف يقع الاختيار عليهم ، وكيف تنعقد لهم طاعة الملايين في أقطار الارض . ولكننا نحسب ان الحوادث التي يذكرها أولئك المؤرخون لا تستلزم تفسيرها بوجود تلك الهيئة المختارة ، وأن التدبير المقصود يمكن ان يتم بين أقطاب الصهيونية من وحدة الغرض والقدرة على اغتنام الفرص والانتشار في جميع جهات العالم التي تفتح لهم منافذ الفرصة في أمكنة متعددة مع اشتغالهم جميعا بأسواق المال والتجارة التي تتصل سرا وجهرا بمسائل السياسة . ( عباس محمود العقاد : ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ص ٨٠ ) .

وسنرى فيما يلي مثالا : ( للتدبير ) الذي يتم في حينه خطوة بعد خطوة على غير تفاهم سابق ، فيظهر بعد حين كأنه خطة مرسومة وضعها أناس متفاهمون وأملوها على أتباع يدينون لهم بصدق الطاعة واخلاص النية ، ولا تفاهم هناك في الحقيقة ولا املاء :

فقد اتفق في سنة ١٧٩٨ ، سنة الحملة الفرنسية على مصر ، أن يهوديا فرنسيا أذاع في باريس خطابا الى قومه يدعوهم فيه الى تأليف مجلس عام يضم اليه مندوبين من اليهود المنتشرين في أنحاء العالم ويكون اجتماعه الاول في باريس لتقديم طلب الى الحكومة الفرنسية يسألونها ان تساعدهم على رد وطنهم ( ١ ) ويشفعون هذا الطلب بالسعي في الاستانة لاقناع السلطان العثماني بقبوله ، وقد جاء في ذلك الخطاب ان البلاد يريدونها تشمل الوجه البحري من مصر الى عكا والبحر الميت وشواطيء البحر الاحمر ، وهي رقعة من الارض تجعلهم سادة التجارة الهندية والفارسية والعربية . نقل سوكولوف

SOKOLOW هذا الخطاب في كتابه عن تاريخ الصهيونية منذ سنة ١٦٠٠ الى سنه ١٩١٨ ، ونقل معه التصريح الذي اعلنه نابليون في الصحيفة الرسمية بعد ذلك بسنة واحدة ودعا فيه يهود افريقيا واسيا الى موافاة جيشه ليدخل بهم في ظل رايته الى مملكة (اورشليم) ( العقاد : ص ٨١ ) .

وكما اتفق في سنة الاحتلال الفرنسي توجيه تلك الدعوة ، اتفق كذلك في سنة الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ ، ان جماعة باسم « بيت يعقوب تعالوا نذهب » تالفت في الاستانة لاستئناف المساعي حيث انتهى بها « موسى مونتفيور » . وهو يهودي تجنس بالجنسية الانجليزية اشتغل بالتجارة في الشرق ، وكانت له معرفة بمحمد علي ، وقد كتب في مذكراته في ٢٤/٥/١٨٣٩ « انه سيطلب من محمد علي ان يؤجر له اقليما يزرعه من ارض فلسطين ويؤلف لاستغلاله شركة انجليزية تؤدي اجرته مدة خمسين سنة » ، وكان اثنان من الانجليز المسيحيين ، هما اللورد شافتسبيري والمستر لورانس اوليفانت يبذلان المال لتوسيع الارض التي يزرعها اليهود في فلسطين .

## الصيد المصري الثمين

وتتعدد محاولات أساطين اليهودية العالمية في ايقاع مصر في شباك الاستعمار والرأسمالية العالمية ، وقصة الديون التي جر الخديو اسماعيل الى اقتراضها ، طويلة يضيق المقام عن ذكرها ، ويكفينا الاشارة الى ما انتهت اليه لندرك ما الهدف الذي كان قصدوا منها ، ومن هم المستفيدون من ذلك ؟ ولم يستطع اسماعيل ان يمضي في طريق الاقتراض الى ما لا نهاية ، فامكانات الوفاء بسد الديون محدودة، والمرابون والرأسماليون الاجانب لا يلقون بأموالهم عبثا دون تقدير لمدى الوفاء بها وما عسى ان تؤدى اليه الظروف السياسية من ضياع فرص السداد ، خاصة وان الخزانة المصرية قد استنفدت حتى الثمالة ، وأثقال الديون قد ارهقت من امر البلاد عسرا . وهنا زين الافاقون لاسماعيل ان يبيع نصيب مصر في أسهم القناة من اجل المزيد من الاموال ما دامت المؤسسات المالية الاوربية والمرابون الاجانب في مصر قد بدأوا يزورون عن اقراضه .

وعندما ارسل اسماعيل رسله الى أسواق باريس المالية عارضا هذه الصفقة ، أسرع قطب اليهودية العالمية دزرائيلي ورئيس وزراء انجلترا في ذلك الوقت ، محاولا اقتناص هذا الصيد الثمين قبل ان ينفرد به احد ، فكتب الى الملكة فيكتوريا في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٥ يقول :

« ان خديو مصر على وشك الافلاس المالي ، وانه يرغب في بيع اسهمه في قناة السويس » ، واتصل لذلك الغرض بالجنرال ستانتون ( معتمد انجلترا في مصر ) : « انها مسألة ملايين اربعة على الاقل ، ولكنها تعطى لمالكها نفوذا عظيما ان لم يكن متفوقا في ادارة القناة ، وانه حيوى لسلطة جلالتك ومركزك في هذا الوقت العصيب ان تصبح القناة ملكا لانجلترا .. ولقد حاولت ان اقنع « داربي » ـ وزير خارجية انجلترا ـ ونجحت في اقناعه بأهمية تحول مصالح الخديو الينا » . ( محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس ، ١٩٥٢، ص ٤٧ ) .

ولما تمت موافقة الحكومة البريطانية

على شراء الاسهم . كان لابد من النظر بسرعة فى كيفية تدبير المبلغ اللازم للشراء . فالبرلمان الانجليزى لم يكن منعقدا . ولا يمكن تدبير المبلغ بغير موافقته . ولا يمكن عقده بسرعة للنظر فى هذه المسألة . ولم يكن الموضوع يقبل الانتظار والا ضاعت الصفقة من انجلترا . ولذا تحول ذهن دزرائيلى الى اصدقائه من آل روتشيلد اليهود الماليين المعروفين فى انجلترا . وكان دزرائيلى متأكدا من تعاون هذا المصرف معه فى سياسته نحو مصر . ولكن لم تكن هناك سابقة لمثل هذا العمل الخطير . فماذا يحدث لو رفض البرلمان الانجليزى حين يجتمع لاعتماد هذا المبلغ ؟ ولكن دزرائيلى أخذ على نفسه المسئولية . ومن ناحية ثانية . كان لبيت روتشيلد ثقة لا تنتهى بدزرائيلى والحكومة البريطانية التى ضمنت هذا القرض . وبذلك اصبحت الحكومة البريطانية تملك خمس الاسهم . واكبر مساهم فى قناة السويس . وكانت تلك الخطوة من أقوى الاسباب والدوافع التى حفزت وحمست الانجليز للسعى لاحتلال مصر .

وقد علقت صحيفة ( التيمس ) بتاريخ ١٨٧٥/١١/٢٦ على هذه الصفقة فقالت : « ان الجمهور هنا وكذلك فى البلاد الاخرى سينظر الى هذا العمل العظيم الذى قامت به الحكومة من وجهته السياسية لا من وجهته التجارية فهو بمثابة مظاهرة . انه لاعلان عن نيات معينة والمبادرة بالعمل على تحقيقها . فمن المستحيل ان نفرق فى اذهاننا بين شراء اسهم قناة السويس وبين علاقات انجلترا المقبلة بمصر او بين مصير مصر وما يحيط بمستقبل الامبراطورية العثمانية من المخاوف فاذا أتت الثورة . وايضا الاعتداءات من الخارج والرشوة من الداخل الى سقوط الملك الامبراطور سياسيا وماليا . فقد تعين علينا اتخاذ الوسائل التى تكفل سلامة ذلك القسم من املاك السلطان لما لنا به من الصلة الوثيقة » .

( روزستين : تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده . ص ٥٣ ) .

ولما بدا لاسماعيل ان يدير ظهره للرأسمالية العالمية ويتخذ من الحكم الدستورى أداة للتخلص من تبعات ديونه . لعبت لعبتها . وبذلت جهدها لتأنيب هذا العميل الذى حاول ان يثور على ملوك المال اليهود . فقد ذهب ( ويلسون ) الى بيت روتشيلد وانبأهم بالخطر الذى تستهدف له اموالهم بعد التحول الذى دار اخيرا على الاحوال فى مصر والاسكندرية فالخديو يريد أن ينكر ديونه ويحتمى وراء اعلان الحكومة الدستورية فى مصر . فاذا لم يمنعوا ذلك . فقدوا كل شىء . وبذلك نجح فى ارهاب آل روتشيلد وحملهم على استخدام نفوذهم السياسى الكبير فى مصلحة التدخل العاجل .

( رعبا من الثورة المصرية )

وفى نوفمبر سنة ١٨٨١ سقطت وزارة ( جول فيرى ) فى فرنسا . وكان سانت هيلير وزيرا للخارجية بها . وخلفه غمبتا بيهوديته المتعصبة العمياء . الذى كان وزيرا للخارجية . كذلك ووجد امامه ثورة اسلامية على الحكومة الفرنسية فى تونس والجزائر وقد ازعجته صبغتها الاسلامية وعزاها الى نشر الدعوة التى كان يقوم بها السلطان عبد الحميد وقد ظن ان الحركة المصرية قائمة على الاساس ذاته . وقد قال غمبتا فى محادثاته مع اللورد « ليونس » الانجليزى بصدد استدعاء مجلس النواب المصرى ( وموعده ١٢/٢٤/ ١٨٨١ ) : « قلبى يمتلىء رعبا

والذكرى السابعة والسبعين لرحيل الزعيم أحمد عرابي

ليس من الممكن الحذر والتخمين على ما عساه يقرره الحزب الوطني ، ومن الجائز أن يمتد الى تقرير طريقة مختلفة تخالف مصالح الاوربيين . لا أجد وسيلة للاحتياط لمنع نهضة جديدة افضل من افهام المصريين ان انجلترا وفرنسا لا يمكنهما ان يحتملا شيئا من هذه المطالب وتلك النزعات » ( محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ص ٣٩ ) .

وقد عبرت هذه الكلمات عن معاداة الحركة الوطنية المصرية لزعيم حزب الانتعاش القومي في فرنسا والانتقام لبلاده من هزيمتها على يد المانيا في عامي ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ، ومن ثم كان اتجاهه الى تقوية مركز فرنسا في الخارج بتشديد قبضتها على شمال افريقيا وتقوية علاقاتها بانجلترا دون ان يسمح لهذه الاخيرة بتفوق نفوذها في مصر على حساب النفوذ الفرنسي ، وكان من رأى غمبتا ان اوربا بوجه عام وفرنسا بوجه خاص لا تصنع الديموقراطية للتصدير ، ولهذا كان ينظر الى الحركة الوطنية الدستورية في مصر بعين الاحتقار ويعتبرها « تعصبا اسلاميا » و « اوهاما ثورية » و « عصيانا عسكريا » بحيث كان يفسر مبدأ ( مصر للمصريين ) بأنه لا يعني سوى ان مصر لانجلترا . ( احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، ص ٧٧ ) .

واذا كان غمبتا يهوديا ، فقد كان متصلا بالمصالح المالية في بورصة باريس ، وكذلك ذا صلة متينة ببيت روتشيلد وغيره من اصحاب الاموال الذين اشتروا بملايينهم سندات الدين المصري . وكان نوبار باشا وريفرز ولسون يعيشان يومئذ في باريس ، فكانا أخص من ينتصح بآرائهما في المسألة المصرية ، وقد كون رأيه في الموقف بنـاء على المعلومات التي يستمدها منهما ، فلم تمض بضعة أيام في الوزارة حتى اخذ يفاوض وزارة الخارجية البريطانية ابتغاء حمل انجلترا على الاشتراك مع فرنسا في القيام بعمل عنيف ضد الحركة الوطنية يكون بمثابة حملة صليبية تقوم بها الدولتان تحت ستار الدفاع عن المدنية وتنظيم مالية مصر ، وبهذا تنجح اليهودية العالمية في التخفي وراء ستائر اخرى تكون مقبولة نوعا ما أمام العالم ، بينما هي تحقق أهدافا صهيونية بالدرجة الاولى .

ونتيجة لهذه الجهود ، توجه سير ادوارد مالت ، معتمد انجلترا في مصر في ٨ يناير سنة ١٨٨٢ ومسيو سنكس ، المعتمد الفرنسي مجتمعين الى سراى عابدين وقدما الى الخديو مذكرة مشتركة من الدولتين مؤرخة في ٧ يناير عام ١٨٨٢ مكتوبة بصيغة رسالة برقية من وزارة خارجية كل منهما الى معتمدها في مصر وأبلغاها الى شريف باشا رئيس مجلس النظار .

ونحن اذ نأتي الى هذه المذكرة نشعر بدهشة كبيرة لما اورده عنها أحد الباحثين بغية تأكيد وجهة نظره في التشكيك في الثورة العرابية ، فما ذكره عن المذكرة المشتركة يختلف تماما مع وقائع التاريخ واحداثه .

فلم يحدث ان دعا غمبتا في هذه المذكرة المصريين الى ان يقفوا موقفا موحدا ضد الخديو ، ولم يحدث أن دعت هذه المذكرة الخديو ان يرتمي في أحضان الانجليز لسبب بسيط هو ان المذكرة كانت ( مشتركة ) بين انجلترا وفرنسا

ونظرا لما رتبه باحثنا من احكام ونتائج خطيرة على هـذه المعلومات



الخديو إسماعيل باشا

غير الصحيحة ، لابد أن نسوق نصها فيما يلي : ( جمهورية مصر : القضية المصرية ، ١٩٥٥ ، ص ١ ) .

« كلفتم غير مرة بأن تنهوا الى علم الخديو وحكومته ارادة فرنسا وانجلترا وعزمهما على تأييده للتغلب على الصعوبات المختلفة التى تعترض انتظام الشئون العامة فى مصر .

ان الحكومتين على تمام الاتفاق فى هذا الصدد ، وان الحوادث الاخيرة ، وبخاصة الامر الصادر من الخديو باجتماع مجلس النواب ، وقد هيأت الفرصة لتبادلهما الاراء مرة اخرى فى هذا الشأن . فالمرجو أن تبلغوا توفيق باشا بالاشتراك مع سير ادوارد مالت الذى كلفتم به ، بأن الحكومتين الفرنسية والانجليزية تعتبران ان تثبيت الخديو على العرش طبقا لاحكام الفرامانات التى قبلتها الدولتان رسميا هو الضمان الوحيد فى الحال والاستقبال لاستتباب النظام ولتقدم سعادة مصر ورفاهيتها التى يهم فرنسا وانجلترا أمرها ، والحكومتان متفقتان تمام الاتفاق على بذل جهودهما المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل الداخلية والخارجية التى قد تهدد النظام والاخطار التى يمكن ان تستهدف لها حكومة الخديو ، ومن المحقق ان هذه الاخطار ستلقى من فرنسا وانجلترا اتحادا وثيقا للتغلب عليها ، وتعتقد الحكومتان ان سمو الخديو يجد من هذه التأكيدات الثقة والطمأنينة والقوة التى هو فى حاجة اليها لادارة شئون الشعب المصرى والبلاد المصرية » .

ان القراءة البسيطة لهذا النص تجزم بعدم صحة قول باحثنا : « تصور ان غمبتا هذا يدعو المصريين مدنيين وعسكريين الى ان يقفوا موقفا وطنيا موحدا ضد الخديو » و « وهذه المذكرة أصابت الخديو بالرعب صمم على اثرها على الارتماء فى احضان الانجليز » .

وبتأمل هذه المذكرة يمكن ملاحظة ما يأتى :

ـ ذكرت المذكرة السبب المباشر الذى اتخذه غمبتا مبررا للتخاطب مع الحكومة الانجليزية بشأن هذه المذكرة المشتركة وهو دعوة مجلس النواب للاجتماع ، ولم يكن هناك مبرر للخوف منه على الاتفاقات المالية والمعاهدات الدولية القائمة ، فقد اكد الخديو احترامه فى خطبة العرش التى تلاها بنفسه يوم افتتاح المجلس فى يوم ١٢/٢٦/ ١٨٨١ ، ثم اكد النواب فى جوابهم الذى اعدوه فى ١٢/٢٩ على خطبة العرش احترامهم للاتفاقات المالية والمعاهدات الدولية ( محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، ص ١٩٥ )

٢ ـ يدل ذكر « المشاكل الداخلية والخارجية » على خوف فرنسا من تدخل الباب العالى ـ مشاكل خارجية ـ ثم خوفها من انتصار العسكريين ـ مشاكل داخلية ـ

في الذكرى السابعة والستين لرحيل الزعيم أحمد عرابي

كذلك انطوت الاشـــارة الى ان هذه المشاكل « قد تهدد النظام القائم » ، على نحو للرغبات الوطنية التى تريد تحقيق آمال دستورية عريضة بتوسيع اختصاصات مجلس النواب ، ثم ان عبارة « ومن المحقق ان هذه الاخطار ستلقى من فرنســا وانجلترا اتحادا وثيقا للتغلب عليها » ، حملت معنى ان هاتين الدولتين سوف تتدخـــلان تدخلا فعليا قد يكون فيه او قد يجر الى الاحتلال المشترك ، وفى هذا تحقيق لسياسة غمبتا ·

٢ ـ تنطوى الفقرة الاخيرة على تشجيع الخديو على اتباع اية خطوة يريدها نحو تعطيل أماني البلاد ازاء الحزب العسكرى ·

ولما كانت الدولتان قد تقدمتا بمذكرة اخــرى فى ٢٥ مايو من نفس العام ١٨٨٢ ، فــانه من الافضل ايضــا قراءتها لاننا لن نجد فيها ما ذكره باحثنا ، فضلا عن ان غمبتا كان قد استقال وحلت محله وزارة (فريسينيه) تقول المذكرة :

« ان قنصلى فرنســا وبريطانيا العظمى الموقعين على هذا يحيطـــان علما عطوفتكم بأنه من حيث ان عاطفة الوطنية حملت سلطان باشا رئيس مجلس النواب وكذا رغبته فى تأييد سلم مصر ورفاهيتهــــا على عرض الشروط الاتية عطوفتلو محمود سـامى البارودى رئيس مجلس النظار ، اذ رأى انها الوسيلة الوحيدة لوضـــع حد لحالة الاضطراب فى مصر ، وهذه الشروط هى :

١ ـ ابعاد سعادة عرابى باشــا مؤقتا من مصر مع بقاء رتبته ومرتباته

٢ ـ ارســال كل من على باشا فهمى وعبد العال باشــا الى داخل مصر مع بقاء رتبتهما ومرتباتهما ·

٣ ـ استقالة الوزارة الحالية ·

وقد رأينا ان هذه الشروط لما فيها من روح الاعتدال تمنع المصائب التى تســتهدف مصر لها ، فهما باســم حــكومتيهما ، وبتفويض منهمـــا ينصحان حضرة رئيس مجلس النظار وزملاءه بقبولها ، وعنــد الاقتضـــاء يشترطان تنفيذها ، وليس لحكومتى فرنسا وانجلترا غاية من التدخل فى شئون مصر سوى حفظ الحالة الحاضرة STATUSQUO وبالتالى ان يعيدا للخديو الســـلطة المختصة به ، اذ بدونها يخشى على هذه الحالة المقررة، وبما ان توسط الدولتان ليس مبنيا على حب الانتقام والتشفى ، فستبذلان الجهد فى عفو عمومى من الحضـــرة الخديوية وستسهران على تنفيذ هــذا العفــو » ·

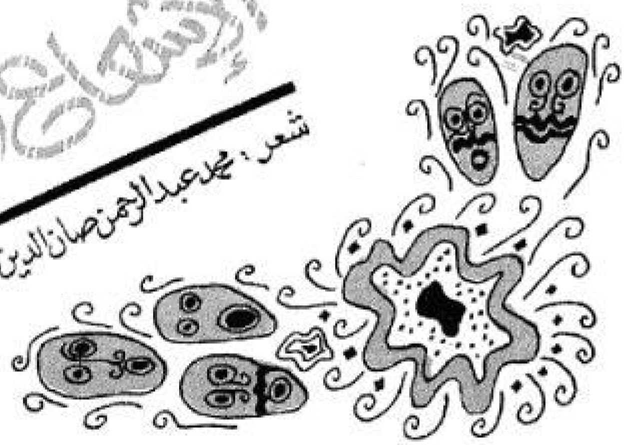
وهكذا يتبين لنا بالفعل كيف كانت الصهيونية وراء تلك الجهود المحمومة من الراسمالية العــالمية والاستعمار لتخـــريب مصر وجرها الى حظيرة الاستعباد والاستغلال ·

كما يتبين لنا ان ليس فى المذكرتين المشتركتين ما يشير من قريب او من بعيد الى حفز المصريين للثورة على الخديو ، وانما العكس هو الصحيح·

كما يتبين لنا ان الخطط الاستعمارية ظلت مشتركة وبتنسيق بين انجلترا وفرنسا ، ثم انسحبت فرنسا منهـــا ليخلو الميدان لانجلترا وحدها ·

# الإشعاع النووي

شعر: محمد عبد الرحمن صلاح الدين



جاء الحياة رهيب السطو والباس
فى فعله مارد ، فى الذر مستتر
كالسم يفتك بالاحياء ممتزجا
او شربة حلبت من ضرع سائمة
قد كان مختبئا فى عمق مكمنه
حتى اتى العلم فى طيش فاطلقه
قد ظنه وادعا ، يبقى بقبضته
او شاء سخره فى كشف خافية
أو شاءه منذرا ، او حارسا يقظا
لكنه نزق ، للشر منزعه
فانقض يفتك بالاحياء مضطغنا
فى كل صقع على الدنيا بوائقه
حتى لقد دارت الابصار زائغة
وانهار حراسه سرعى بلا رمق
ويل الحضارة فوق الارض ان نشبت
والعلم شر على الاحياء ان ملكت
صمت مسامعها ، لاترعوى ابدا
والطفل ان عبثت يوما اصابعه
وب .. ملكك قد ابدعت صنعته

اعمى له قوة من غير احساس
تخفى غوائله عن عين حراس
فى طعمة جلبت من بنع اغراس
كانت مطهرة من كل ارجاس
ينأى بشرته عن مرتع الناس
ـ عمدا ، الموجة ـ من قيد امراس
ان شاء اخضعه للطب والاسى
فى الارض نافعة ، او ضوء نبراس
من سطو جائحة ، او شر خناس
يسعى بعربدة الشيطان والكاس
وانداح بالضر ، او اخماد انفاس
راحت تبث الضنى فى كل اجناس
فى حيرة ، لاترى فى الارض من آس
واستسلم العلم فى عجز وابلاس
فيها براثن ذاك المارد القاسى
سلطانه فئة متبولة الراس
والهول احداثه دقت باجراس
بالنار اودى ، واودى الغافل الناسى
فاحفظه من عابث فى الارض ذى باس





# بين العرب والفرس والترك

بقلم: د. محمد رجب البيومي

سماه الأستاذ عباس محمود العقاد الضاحك ، وكَتَبَ عنه مؤلَفا ممتازا بهذا العنوان ، وفي رأيي ان جُحا مُضحِك ، وليسَ ضاحكاً ، فلا يلزَمُ ان يكون هذا الذي يفجر الضحك من الأعماق ذا ضحكة رنانة ، فالرجل ساخرٌ يرسل في ابتسام شاحب فكاهته ، وقد يعاني من الألم النفسي حينئذ ما لاطاقة له باحتماله فيكون تطبيقا عمليا لقول الأستاذ على الجارم :

واشد الآلام أن يرسل الثغر ابتساما والقلب رهن إكتئابه !

● وما راجت نكات جحا وانتشرت على هذا النحو الشاسع في رحاب الارض الا لما تحمله من السخر الهازىء حين تصور الوضع المنقلب ، والعزم الذى أصبح عملاقا ، والقمة التى هوت الى السفح ، وهى أمور تتكرر وتتوالى فيتكرر تبعا لها ما قال جحا ، ونحن نعرف ان جحا لم يكن مصريا ، ولكنه بطل شعبى فى مصر ، تؤلف باسمه النوادر ، وتعزى اليه النكات ، فعندنا طرائف مصرية خالصة عن « ساقية جحا » ، وعن « ثور جحا » ، الذى هو أولى بلحمه ، وعن « مسمار جحا » ، وعن « بيت جحا » ، وكلها ترمز الى أوضاع عرفت في مصر ، ولم يكن الرجل العربى الاموى فى اكثر حياته ممن يتصلون فى تاريخهم البعيد بمصر بوشيجة من الوشائج ، بل لعل اسمها لم يجر على لسانه ، ولكنه بقوته الاسطورية قد شق الغيوب حتى تمكن من احساسها النابض قرنا وراء قرن ، وقد رأينا ساخرا كبيرا كالاستاذ عبد العزيز البشرى يخترع الدعابة الساخرة لنفر من اصدقائه فتنسبها مجلات الفكاهة حينئذ لجحا ، مع استحالة صدورها عن الرجل الاموى زمانا ومكانا ، لقد كان شيخ العروبة احمد زكى باشا يخوض معركة ادبية مع الاستاذ محمد الههياوى فى العشرينيات من هذا القرن ، فقال البشرى لبعض منادميه ان زكى باشا لو تحدث حديثا وديا مع الاستاذ الههياوى فلابد من حضور البوليس ، أما اذا كان الحديث بينهما حديثا علميا فلابد أن تتدخل أساطيل الدول الكبرى ، قال البشرى هذه الطرفة ، فظهرت اثرها فى صحف الفكاهة ـ وما اذيعها حينئذ ـ منسوبة لجحا ، واتصل البدوى بالصحيفة ليسأل ساخرا عن عنوان جحا كى يحظى بمعرفته !

● جحا العربى

لم يكتب التاريخ العلمى عن جحا العربى شيئا ذا بال ، بل ان كتب الادب العربى غير كتابين فقط لم تعن بتسجيل شىء من نوادره فانت تقرأ فى صحف التراث الكثير من نوادر أشعب ، ومزيد وأبى دلامة وأبى نواس وأبى العيناء وأشباههم وكذلك لا تقرأ من نوادر جحا فى صحف الادب الرصين غير القليل مع أن اسمه من الشهرة بحيث يكتسح هؤلاء جميعا ، فقد فرض نفسه فرضا أكيدا على الالسنة فى الشرق والغرب ، ولكنها السنة المتكلمين فى الاسواق والمتاجر والاندية ينتقل حديثها من عصر الى عصر دون عائق ، وفى كل زمن ينمو هذا الحديث ويتزايد ويمتد ، وكأنه جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فاذا أراد المتطلع أن يعرف ما بقى من تاريخ جحا العربى موثوقا منه ، فلا يجد الا أن اسمه أبو الغصن دجين بن ثابت ، وأنه نشأ بالكوفة ، ولم يبارحها الا فى زعم من روى عنه نوادر تتعلق بحجه ، وذهابه الى مكة ، وهى نوادر تنسب الى غيره كما تنسب له ، فليس حديثها عن مكة بدليل يرجح انتقاله اليها ، أما كيف شغل الرجل أهل الكوفة بسخريته فذلك شرة نبوغه الناقد ، لانه وقف منهم وقفات المؤدب الواعظ ، الذى لا يرسل النقد فى خطبة رنانة ، او قصيدة مؤثرة ، ولكن فى موقف هزلى هو اشبه بالصور الكاريكاتيرية ٠

لقد قامت الدولة العباسية بجهود أبى مسلم الخراسانى ، وانزعجت الكوفة لما يروى عنه من الغرائب الذهلة التى تضاف الى سيرته ، وكأنه جبار من

# جحا الساخر

جبابرة الجن ، يملك أن يطوى الارض، ويصل ما بين الشرق والعـــرب في لحظات ، وابو الغصـــــــن يسمع الحضارين ميزنوا بميزان عقـــــله لا يصدق ، فاذا ناقش هذه الاساطير في هدوء احتشـــــد حوله الغوغاء ليسمعوا كلامه ، ثم رأى أن يستخفيهم من أمر يظهر سذاجتهم السطحية دون مغالطة ، فأعلن أنه سيطير من فـــوق المئذنة في عصر الجمعة القادم ، وذاع النبأ في أنحاء الكوفة ، فتجمع الناس عصر الجمعة حول المئذنة ، يرتقبــون طيران جحا ، وحضر الفنان الساخر ، وصعد الى أعلى مكان بالمئذنة ، وأخذ يلوح بيديه ، كأنه يهم بالطيران ، حتى اذا مل الحاضرون موقفه ، ساخرا به لم لا تطير ؟ فقال جحا ، وكم عددكم ؟ فقالوا فوق خمسمائة ! فقال : وكلكــم عقلاء، فقالوا نعم : فقال وقد صدقتم أني سأطير ، كما صدقتم أن أبا مسلم جبار من الجن يطوي الارض ، ويصل ما بين الشرق والغرب ! فانصرفوا دهشين .

وذهب رجل كوفي الى أبي مســـلم فأخبره بما صنع جحا وزعم أنه يعرف أبا الغصن ، فوجه أبو مسلم بمن يدعوه، وأحس جحا بالخطر ، فمال الى التبالة وأدعى الجنون ، حين قدم على القائد المغضوب وأخـــــذ يكلم الواشي كأنه أبو مسلم ، فقال أبو مسلم أنت لاتعرف هذا ، فصاح معاذ الله أن أجهل القائد الخطير ، ونجا بالتبالة .

وكان بالكوفة وال لا يعرف العدل ، وأراد جحا أن يكشف مستوره عـــلى الملا ، فدخل عليه هائجا وهو يصيح : مولاى ان ثورك الاحمر قد نطح ثورى الاسود فشق بطنه .

فقال الوالي ، وما شأني ؟ وأي تبعة تقع على الحيوان الاعجم ! ولكن جحا بادره قائلا :

عفوا سيدى عفوا ، لقد تذكرت أن الذى نطح ثورى الاسود ، وأن ثورك الاحمر هو المشقوق المنطوح ودمه يسيل !

فانزعج الوالي وقال : ويلك لقد تغيرت المسألة ، فتغير الحكم ، عليك بالعوض السريع ! والناس شهود ، والجمع حافل ، وهكذا اظهر جحا بما لا يقبل الشك انحراف الوالي ودناءة ما يرضيه .

وشاءت النوادر أن تجعل أبا الغصن قاضيا يحكم بين الناس ، ولكنه لم يكن بالقاضي الجائر ، بل كان الحكيم المدرك البصير .

تقدم اليه مختصمان يدعى أحدهما أنه صاحب مطعم تفوح منه رائحة الشواء ، وأن غريمه مر على مطعمه ، ومعه قطعة من الخبز أكلها على رائحة الشواء دون أن يدفع الاجر .

فسأل جحا : وكم ثمن ما شم من الشواء ؟ فقال الخصم : ربع دينار :

فأخرج جحا ربع دينار من جيبه ، ورنه على الخشب ، فسمع له صوت واضح ، وصاح القاضي : انتهينا الآن لقد سمعت صوت الدينار كما شم رائحة الشواء ! فاذهب ومعك حقك .

واتفق رجل مع حامل أحطاب أن يساعده في رفع صندوق على كتفه ، فقال له الحطاب ، وماذا تعطيني فقال الرجل : لا شيء !

وجدان الحطاب أن لا شيء مال يدفع ، فطالب به ، ولم يجد السداد ، ورفع الامر الى قاضي الكوفة ابى الغصن !

واستمع جحا الى الشكوى ثم سأل الحطاب أتريد اللاشيء الذى وعدك به، فقال نعم .

قال القاضي، ارفع هذا الكتاب فماذا ترى تحته ؟ . فرفعه الحطاب قائلا : لا شيء

فابتسم جحا وقال خذه اذن فهو ما تطلب !

ولا يمكننا فى هذه العجالة ان نتابع ما روى عن جحا العربي ، ولكننا نذكر أن عشرات من أمثال هذه الطرف قد خلدت ذكره ، بل ان مئات من أمثال هذه الطرف قد نسبت اليه وأصبحت من آثاره الخالصة دون أن يدرى عنها شيئا ، كما نسبت مقطوعات من شعر الغزل الى قيس ليلى دون أن ينظمها وكما نسبت بعض النوادر الماجنة لابى نواس دون أن يقولها ، اذ ان أمثال جحا وقيس وأبى نواس لم يكونوا أعلام أشخاص فحسب ، بل أصبحوا أعلام أجناس .

● جحا الفارسي

ذكر جحا فى الادب الفارسي، ورويت نوادره الجديدة موسومة بخصائص البيئة الفارسية ، ولم يشتهر شخص فارسي معين باسم جحا ، كما اشتهر جحا العربي وجحا التركي، ولكن كبار المؤلفين هناك قد نحلوه نوادر كثيرة ، واذكر أن الدكتور عبد الوهاب عزام ذكر من هؤلاء عبيد الزاكاني الشاعر المؤلف ، ومولانا جلال الدين الرومي فى مثنوياته الفارسية ، وعبد الرحمن الجامي الشاعر الصوفي ، ولعل أقرب هؤلاء جميعا الى شخصية جحا هو عبيد الزاكاني اذ جمع بين الجد والهزل فى مؤلفاته ونوادره جمعا يلحقه بجحا العربي ، وأهم فرق بين الجحوين العربي والفارسي أن أبا الغصن كان محدثا مسامرا فحسب يرمي بالطرفة الساخرة عفوا لساعته دون أن يجهد فى تأليفها ، ودون أن أن يحرص على تدوينها بعد أن تقال ، أما عبيد فقد أصدر عدة كتب تجمع بين الهزل والجد ، وقد كان شقيا بحياته اذ ركبه الدين ، ولازمه الفقر ، وذوو التفاهة من الادباء والمؤلفين أمثال الزاكاني يهولهم أن يقاسوا لواعج الحرمان روحا ومادة مع ما يتمتعون به كثيرا من مواهب أدبية راقية على حين ينظرون فيجدون من ذوى الجهالة من يتمتعون بالجاه والمال والصحة والسلطان دون موهبة، وهنا تتدفق على ألسنتهم النوادر الناقدة فى المجالس متحدثين ، وفى الكتب مؤلفين .

ذهب جحا الفارسي ( عبيد الزاكاني ) للقاء أمير شيراز أبى اسحاق ، ليقدم له مؤلفا فى ( المعانى النفيسة ) وكان يظن أن الامير سيسمح بلقائه حين يعرف أنه مؤلف أديب يحمل اليه آخر ثماره الفكرية ، وهى من النفاسة فى رأى المؤلف بمنزلة عالية ، ولكن الزاكاني قد حجب عن اللقاء ، وقيل له ان ( المسخرة ) عند الامير يضاحكه ولن يفرغ له فى هذا الوقت ، والمسخرة بمجالس الامراء فى هذه الازمان يهلوان يهرج بالطرائف والسخائف ليضحك الامير ويرفه عن خواصه من الندماء ، فدهش الزاكاني وصاح : لقاء السلطان ميسر للمساخر كل حين ، والعلماء يطردون ، وطارت الكلمة الى أبى اسحاق ، وأحضر الزاكاني ليناقشه الحساب فقال ان هذه العبارة ليست من انشائه ولكنها تنسب الى جحا !

# جحا الساخر

ثم غربت شمس الأمير ، وحل مكانه سواه ، فانشأ الزاكاني رباعية شعرية ترجمتها عن الفارسية كما يلي « لا تكن مثلي عالما فاضلا ، لئلا تكون مثلي لدى الامراء حقيرا ، ان ترد تكون مقربا عند أهل الزمن فكن مسخرة أو راقصا أو زامرا» ويذكر مؤلفو التاريخ الادبي ان للزاكاني كتابا مضحكا تحت عنوان ( ريش نامة ) وهو حوار هزلي بينه وبين لحيته ، كما أن له كتبا هزلية أخرى ، وأخرى تتسم بالجد ، ولم يكون الهزل في مؤلفاته الا تنفيسا عن أوار حبيس ، ومما يروى من طرائفه الجحوية أن رجلا مع أهل قزوين خرج لغزو الاعداء في جيش كثيف ، وكان مع الرجل ترس كبير ، فلما قرب من حصن العدو أصاب رأسه حجر فأدماه وصرخ ، فسأله بعض أصحابه عما ماذا دهاك ، فقال يا أخي أحارب قوما عميا يرمون رأسي بالحجر ولا يرون هذا الترس .

ومن نوادره ان رجلا شاهد انسانا يجري وهو يؤذن للصلاة دون أن يقف في مكان واحد ، فسأله عن أمره ،فقال لا تنتقد يا أخي ، لان صوتي لا يكون حسنا الا اذا سمع من بعيد ، وها أنذا أبتعد ليحسن الصوت !

أما جلال الدين الرومي فيكتفي بذكر هذه الطرفة التي نسبها الى جحا في الدفتر الثاني من المثنويات حيث قال، والترجمة للدكتور عبد الوهاب عزام بتصرف .

« مشى صبي في جنازة والده يبكي ويلطم رأسه ويصيح ، يا أبت ، الى أين تحمل ؟ أتوضع تحت الثرى ! تحبس في دار ضيقة مقفرة ، ليس فيها سجادة ، ولا حصير ، ولا سراج بالليل ، ولا خبز بالنهار ولا سقف ولا باب ولا جار مؤنس » وكان جحا يمشي مع أبيه في المشيعين ، فقال لوالده يا بني أظن هذا الميت يذهب الى دارنا، فالاوصاف منطبقة .

وللجامي نوادر عن جحا نذكر منها انه كان مدينا لبعض الناس بمائة درهم فشكاه الدائن للقاضي حيث لا شاهد ، فطلب القاضي من جحا أن يحلف ، فقال له جحا : امام المسجد عندنا مستعد أن يحلف مكاني فابعث اليه ، ليطمئن هذا المدعي !!

● جحا التركي

كان نصر الدين خوجة أحسن الثلاثة حظا ، لان أدباء الاتراك قد اهتموا بجمع كل شاردة تنسب الى جحا شرقا وغربا ثم نسبوها الى جحا التركي ، لذلك نجد دائرة المعارف الاسلامية ، تذكر صريحة أن ما عزي الى نصر الدين خوجة التركي انما هو ترجمة لنوادر عربية قديمة كانت منتشرة بين الناس وتدور حول شخص من قبيلة فزارة بالكوفة يدعى جحا ، وورد بعضها في الميداني وفي فهرس ابن النديم ، ثم ترجمت جميعها الى التركية ونسبت الى شخص يشك في وجوده .

هذا ما جاء في دائرة المعارف ، والصحيح منه أن أكثر ما نسب الى جحا الكوفي قد نسب الى جحا التركي، والخطأ الواضح منه هو الشك في وجود نصر الدين خوجة لان تاريخه مسجل محفوظ ، وله قبر يزار في مدينة (آق شهر ) وقد تلقى علومه الدينية بتوسع. ثم عين امام مسجد ، يعظ الناس ، فاشتهر بالتقوى وذلاقة اللسان وشغل منصب القضاء في ضواحي قونية حتى

مات سنة ٦٨٣ هـ ، والناس يتبركون به ، ويزورون قبره ، وقد انتهز خادم الضريح عقب وفاته اقبال الناس على الزيارة المتكررة ، فكان يدخل القبر من مكان خفي ، ويحيي الزائرين والزائرات موهما القوم ان الولي الدفين صاحب كرامات ، وانه حي يتحدث في قبره ، ويتبع ذلك كثرة الزائرين ، ومعهم النذور الوفيرة ، وبها يثرى خادم الضريح .

واذا كان الشك في ولاية جحا العربي القضاء امرا يتردد ، فان ولاية نصر الدين خوجة لا تقبل الشك ، ومؤهلاته العلمية والخلقية ترشحه لذلك ، واذا اعتقد الناس فيه الولاية والعلم في الحياة افلا يكون من السهل الهين ان ينصب قاضيا .

ومن طرائفه ان بعض التجار من ذوى الحظوة لدى الحاكم اراد انتقاصه على رءوس الاشهاد ، فقال له : انت قاض وعالم وتخطيء في قراءة القرآن، فقال جحا على البديهة : لقد اخطات مرة واحدة يا سيدى اذ قرأت قول الله « وان التجار لفي جحيم » والاية تقول « وان الفجار لفي جحيم » فصفق الحاضرون ، وذاعت النادرة .

وفي المجموعة المنسوبة الى جحا التركي نوادر طريفة للرجل مع الطاغية الجبار تيمور لنك ، تزعم احداها انه ذهب لزيارة الطاغية ، فوجده يجلس مادا رجله لعاهة بها، فجلس جحا غير بعيد ، ومد رجله كما فعل تيمور لنك ، فصاح به الطاغية انت حمار ، وهنا تقول النادرة ان جحا اجاب بقوله ليس بيني وبين الحمار غير ذراعين ، وهما المسافة بين تيمور لنك وجحا ، فتعجب تيمور لنك من سرعة جوابه .

وتزعم رواية اخرى ان تيمور لنك ذهب الى الحمام مع نصر الدين ، واتزر كل منهما بازار واخذا يستحمان ، فقال له تيمور لنك : تعلم انى فاتح عظيم فاذا عرضت للبيع فبكم تشتريني ؟ فقال نصر الدين اشتريك باربعين فلسا . قال تيمور : ان ازارى وحده يباع باربعين فلسا يا رجل ! فقال نصر الدين اردت شراء الازار ، وما افعل بمغولي مثلك !!

وثالثة اخرى من هذا الوادى ،وانا لا اتردد في القول باختلاق هذه الثلاث، لان تيمور جبار لا يرحم ، وقد قتل مئات العلماء لهفوات يسيرة لا تتعلق بشخصه هو ، أفيصبر على من يطعنه في عظمته تارة ويصفه بالحمار ثانية، والمجلس حافل ، والقوم شهود ! ان فقيها كبيرا طاحت رقبته بأمر تيمور لنك لانه لم يعلن كفر معاوية! أفيسكت الجبار عن هذا الهجو الشنيع ، ثم ما هي الصداقة العريقة التي تجعل فاتح البلاد غصبا يأذن لقاض متواضع أن يدخل معه الحمام ، ليستحما معا، وأين الحاشية وكبار القواد والوزراء!

واذا جاز لنا ان نشك فيما دار حول تيمور لنك من طرائف ، فلن نشك في ما يعقل ان ينسب الى جحا من المعقولات وليس الذنب ذنب نصر الدين فيما كتبوه عنه بعد رحيله ، ولكن الذنب لدى من اختلق الغرائب العجيبة ، واعتقد انه يسجل احداث التاريخ ، وغرائب تيمور لنك .

هذه المامة يسيرة بتاريخ جحا الساخر ، على تعدد اشخاصه ، واختلاف مواطنه ، وتشابه غرائبه ، وفيها مجال للتحليل النفسي والتشريح الاجتماعي والنظر النقدي ، لمن يريد.

قصة قصيرة

# زهرة

بقلم : سليمان فياض

لا. أعرف ، على وجه التحديد ، متى تحجبت ابنتي ، ولا متى غادر وجهها الابتسام والتألق ، وذلك الوميض المرح المفعم صبا وشبابا وحيوية وشقاوة محببة .

يوما بعد يوم لاحظت تغيبها عن البيت نهارا في أوقات غير محددة ، ولكنني كنت أجدها دائما في البيت مع الغروب ، لا تغادره ، إلا حين تكون وراءها محاضرة بالجامعة ، عندئذ تغادر البيت معي ، فأصحبها معي إلى سيارتي ، وأنزلها أمام باب كليتها بالجامعة ، وأذهب أنا إلى كليتي ، وحين أفرغ من إشرافي على القسم ، ومحاضراتي إذا كانت ورائي محاضرة ، أجدها جالسة وحيدة على الدرج فوق كتبها ، فيرتعش قلبي شفقة عليها ، وأصحبها معي عائدا إلى البيت .

حدثت نفسي في ذلك الحين ، أنها ربما مرت بتجربة عاطفية خلفت لها ذلك السهوم والشرود وانطفاء بريق العينين ، وجمود ملامح الوجه ، وكأنها قد وضعت قناعا على وجهها ، وربما كانت تشعر بالوحدة ، وتحركها الرغبة في حب أو زواج ، وربما أرهقتها هذه المسئولية عن البيت منذ وفاة أمها وهي بعد صبية في الثالثة عشرة ، والجهد الذي تبذله في المذاكرة ، لتجتاز أعوامها الدراسية بتفوق .

قلت لها ونحن في الطريق كلمات قصيرة قلت :

- افتحي لي قلبك ، فأنا لك أب وأم وأخ وصديق .

فلم تزد على أن قالت ، دون أن تلتفت إليّ :

- أنت خير أب .

ولزمت الصمت ، والتفت إليها ، فرأيت وجهها من جانب ، ساهما ، شاردا ، وعينا تنظر إلى داخلها .

في عودة أخرى إلى البيت ، والمطر رذاذ ، والمساحتان تروحان وتجيئان على زجاج السيارة ، سألتني فجاة ، وقد بدا لي أنها ظلت تنظر إليّ طويلا ، وأنا مشغول بالنظر إلى الطريق ، في ضوء المصابيح الضعيفة على الجانبين ، قالت لي :

- أبي . لماذا لا تصلي ؟

نظرت إليها نظرة خاطفة . وعدت أنظر إلى الطريق ، وارتعدت كفاي على مقود السيارة . ولزمت الصمت ، حدثت نفسي أن ابنتي ، في هذه السن المراهقة ، تعاني من خوف ديني ، أو



# البنفسج

حنين للدين ، مثلما كان يمكن أن تعاني ، أو ربما قد عانت ذلك بالفعل ، توقا إلى الحب ، وفشلت في الحصول عليه ، أو مرت بتجربته وفشلت فيه ، فانطوت تنشد سلام روح عازف عن كل شيء .
قلت لها متضاحكا :

- قولي إنني عاص . مسلم عاص . لكنني أؤمن بخالق لهذا الكون .

ولا أعرف لماذا ضحكت . وقلت :

- سيهديني الله يوما ، واصلي وأحج .

وساءني انها سألتني مغاضبة :

- لماذا تضحك ؟

فلزمت الصمت ، وشعرت هي بالحرج ، فاطرقت مرتبكة .

في تلك الليلة ذهبت لاطمئن على ابنتي في غرفتها ، واربت بابها . فوجدت النور مطفأ ، ورأيتها على سجادة تصلي ، وقد وضعت على رأسها طرحة بيضاء ، وقد ارتدت قميصا ابيض طويل الكمين ، ولا اعرف متى اتت بهذه السجادة ، وتلك الطرحة ، وذلك القميص الطويل الكمين ، ولم تكن قبلا ترتدي سوى قميص يترك ذراعيها عاريين . وخيّل إليّ، وانا انسحب في سكون انني قد رأيت على وجهها ابتسامة وانها لمحتني وهي تصلي .

منذ تلك الليلة وفي الأيام التالية ، اعتدت على رؤيتها تصلي ، وأحيانا تصحو في الليل قبيل الفجر ، وتسحب المصحف ، وتفتحه عند موضع توقفت عنده من صفحاته ، تقرأ آية ، وشفتاها تتحركان في

همس لا يسمع له صوت .

وبدأت أراقبها ، في رضى يشوبه القلق ، والاحظ ان وجهها قد شاعت فيه طمأنينة ، واستلقت في عينيها وداعة محببة ، ومعجبة ، بعيدة القرار اشعرتني بأنها قد استسلمت ، وفقدت عنفوانها وقوتها وذلك الحب المحرق للحياة . ولا أعرف لِمَ تذكرت في تلك اللحظة زهرة البنفسج ، دون غيرها من الزهور .

كان اليوم يوم جمعة . ووجدتني اغتسل ، وارتدي ثيابي ، واتعطر واغادر البيت في سكون . في طريقي إلى المسجد وإذ عدت إلى البيت ، وجدت على وسادتي مصحفا . امسكت به ، ووضعته على الكومدينو برفق ، فوق الكتب الأخرى وفهمت دعوتها المستترة لي ، فلم أعلق بشيء .

في يوم جمعة اخر ، ذهبت إلى المسجد ، وازعجتني خطبة الامام المزهدة في الدنيا المذكرة بالموت ، المكفرة للحياة وللأحياء وصليت مع الناس خلفه ، وإذ سلم الامام خارجا من الصلاة ، وسلمنا في اثره ، رأيت شابا ملتحيا بلا شاربين يقف حيث وقف الامام مصليا بالناس ، وأخذ يخطب ، والناس بين هرج المغادرة للمسجد ، والانتظار لسماعه ، ودهشت لصراخه منابيا بالفريضة الغائبة . وهممت بأن أسأله : ضد من ؟ ومن يقرر الدعوة إلى ذلك ؟ وبلسان من ؟ لكنني خشيت العاقبة . فقد كان يتجمع من حوله شباب ملتحون قصار ، وطوال . لكن سحنتهم واحدة ، وسمتهم واحدة ، وكأنهم يأكلون معا ، من طعام واحد .

غادرت المسجد ضجرا ، وإذ كنت أعبر الميدان جذبت عيناي لافتة على سرادق بدأ في الظهيرة ، لا صلة له بفرح ، ولا بمأتم . كانت اللافتة مكتوبة بخط فارسي ، لكلمتين اثنتين : "ثياب المحجبات" ، ودفعني الفضول لأرى بعينيّ . دخلت السرادق . كانت به نسوة بائعات محجبات ، وشباب ملتح فقلت لنفسي : "ويدعون إلى عدم الاختلاط" . لم يعرني احد اهتماما ، لكنني شعرت بأن عيونهم تراقبني ، وانني حيثما توجهت في السرادق ، تغادر بائعة محجبة مكانها ، ويحل مكانها شاب ملتح ، يقف امامي وينظر في استرابة وتوجس وصمت مستعدا للابتسام لي ، أو لزجري . لا أرى .

كانت ثمة ثياب حريرية سميكة ، رمادية ، وبيضاء ، وصفراء بلون الكريم وزيتية اللون اعادت إلى رأسي موضة الشوال التي انتشرت في الأربعينيات . وكانت ثمة طرح بيضاء . وبألوان الثياب ، ودبابيس لامعة ، ذات رءوس بلاستيكية بيضاء وعقالات لحفظ الطرح على الرءوس سوداء ، وبيضاء ، وبألوان أخرى ، وبعضها متعدد الألوان . وكانت ثمة نقابات . مثقوبة أمام العينين ، واخرى مواربة الثقوب ومنشاة لم تكن ثمة هوية لموديلات الحجاب . وتذكرت ثياب النساء في العصرين التركي والمملوكي . وشغلت

نفسي باحصاء الأثمان وجمعها لطاقم واحد، يرتدى في المساء، أو في النهار ادهشتني الأسعار. فالثوب الذى قدرت له ثمنا مائة وخمسين جنيها كان بثلاثين جنيه. والحذاء الحريمي الواطىء الكعب كان بخمسة جنيهات. وسالت نفسي: كيف؟ ومن يتحمل الفرق؟ واية فتاة أو امراة متعلمة أو جاهلة تتردد امام هذا الاغراء؟

عدت إلى البيت، وإذ فتحت الباب، كان النور مضاء. وسقطت عيناى على ابنتي، كانت محجبة: ثوب ابيض. طرحة بيضاء. عقال على الطرحة ابيض دبابيس برءوس بلاستيكية بيضاء. حذاء ابيض بلا كعبين. والوجه هادىء وادع والعينان بعيدتا القرار ونظرت إلى ابنتي دون ابتسام خفت أن اقول لها اى شيء، اعجل به لحظة الصدام. جاوز عمرى الخمسين، وتعلمت من الأيام حكمة. وكانت ابنتي الوحيدة، ومن اجلها عشت اعزب عشر سنوات. قلت لها وقد اغلقت الباب:

ـ حرما.

قالت لى:

ـ جمعا ساعد الغداء.

دخلت غرفتها، وردت وراءها الباب. وجلست في الصالة تحت النور المضاء احسست بالارهاق، واستسلمت لمشاعر متناقضة لم استطع فرزها، ولا تحديدها، ووجدتني لاهث الانفاس. وإذ خرجت ابنتي، من غرفتها. كانت في ثوب بيتي، طويل الأكمام، في عز الصيف، وقد احاطت براسها طرحة بيضاء. واخذت ابنتي تجلب اطباق الطعام الساخن إلى المائدة، وجلست معي لتاكل تمتمت بلا صمت مبسملة، ولم اجد في نفسي قابلية للأكل فنهضت قائلا:

ـ الحمد لله.

نظرت ابنتي إلىّ ادركت ما بي. ولكنها لم تقل شيئا وانا ارنو إليها في انتظار ان تتحدث فذهبت إلى غرفتي في سكون، واغلقت علىّ الباب. حدثت نفسي. ابنتي تدبر امرا. متى جاءت بهذه الثياب؟ هل تورطت مع هذا الشباب الملتحي والنسوة المحجبات؟

في الليل جلست في الانتريه وناديتها فجاءت وفي يدها كتاب كنت قد اتخذت قرارا لا جدوى من المناقشة لا جدوى من الحوار لا جودى من مواصلة الصمت. لا جدوى من الانفعال ولا الغضب. لا جدوى من الخضوع لابنتي ولا من الالحاح عليها باسئلة. ستتهرب من اجابتها بصراحة. او تواجهني بقسوة بانها مع ذلك الشباب الملتحي، والنسوة المحجبات، يبيعون التاريخ كله، ويحلمون بعصر ذهبي لم يدم سوى ثلاث وعشرين سنة. يحنون للبداوة وللعودة الى الصحراء، ويقتلون بعضهم البعض حين تختلف المعتقدات والمذاهب والرؤى جلست الىّ وقلت لها.

ـ اتذكرين معيدا بقسمي اسمه: عماد.

قالت:

ـ نعم.

قلت لها:

- ماررايك فيه ؟
قالت وقد فهمت ما اسعى اليه .
- لا باس به .
قلت لها :
- عماد خير تلامذتي ، وله في العلم شان يوما ما ، كم تمنيت ان يكون لك .
شعرت بالخطر فقالت لي :
- لِمَ لَمْ تتزوج كل هذه السنوات .. امامك عمر لتتم نصف دينك .
صدمتني عبارتها ، اهي ابنتي التي تدعوني الى الزواج وقد دعوتها لادعوها اليه ، شعرت بانني افقدها ، بل لقد فقدتها بالفعل منذ زمن ، تضاحكت ، وقلت لها :
- اعدك بالزواج بعدك اريد ان اطمئن عليك ، وانت في سنتك الأخيرة بالكلية ، مع رجل وفي عمل .

وتنهدت ، واردفت .
- لا احد يعرف متى يحين الأجل .
وفاجاتني بقولها ، وهي تنظر الى بوداعة صامدة :
- الانني تحجبت ؟
تجاهلت سؤالها قلت لها :

- اليوم عماد طلب يدك .
لم يكن ذلك صحيحا .
فلم يطلب عماد يدها بعد ، لكنني كنت واثقا من ذلك كان يسالني عنها مضطربا بين حين واخر وكان احيانا يأتي الى هذا البيت والمح عينيه تتابعانها رائحة وغادية ، وفي اختلاس . وقدرت طوال عامين انه ينتظر ربما ليجد مالا ، ومسكنا ويتحسن راتبه ودخله من الحوافز والمكافات وربما من الدروس الخصوصية التي نما الىّ خبرها قلت :
- ما رايك ؟
كانت ساهمة تنهدت وهي ساهمة ومض للحظة خاطفة وميض رضى في عينيها قالت بيقين وهدوء :
- ساستشير اميرى .
- اميرها ؟ وجمت .
هي معهم اذن في جماعة ولها امير وما يخص حياتها وجسدها وروحها صار ملكا لهذا الامير .
احسست بفكي يتقلصان ها هي قد فرضت المواجهة افلتت من فمي جملة ، وددت لو لم اقلها قلت بسخط :
- واميرك هذا [illegible]من

بتعدد الزوجات .
قالت بهدوء :
- الشرع يبيحه . حين يكون الرجل ميسورا وحين يقل عدد الرجال ويزيد عدد النساء .
قلت :
- وانت .. اتقبلين يوما ضرة ؟
قالت :
- لم لا .. الرجل يكفي اكثر من امراة .
اوشكت ان اصرخ .. كتمت غيظي .. قالت :
- لقد خرجت عن الموضوع .. لا مانع لدى من تزوج عماد ، إن وافق اميرى .
اجتاحني غضب مشكوم نهضت واقفا .
قلتُ لها :
- غدا . عصرا ، سنذهب إلى اميرك .
وغادرت البيت ، وتركتها جالسة وحدها .. ولاول مرة شعرت بالحاجة إلى الذهاب إلى مقهى ، او ناد اجلس فيه مع صحبة ، او مع اى احد ..
عدت إلى البيت بعد ثلاث ساعات ، ارتديت ثياب النوم .. وجفاني النوم ، والنور مطفأ ، عند الفجر ، سمعت تراتيل الفجر ، تدوى بها

ميكرفونات متضاربة ، فتحت النافذة ، رحت انظر الى الطريق الخالى ، مستسلما لنسمات صيفية صباحية باردة ، كان الطريق خاليا ، رأيت باب العمارة المواجهة يفتح ، وتخرج منه سيدة محجبة ، متزوجة عرفتها في ضوء صباح الطريق القريب .. كانت وحدها ، تسير بثبات ، دون أن تلتفت نحوى ، أدركت أنها في طريقها في الطرق الخالية ، تسير وحيدة لصلاة الفجر ، خرجت من باب عمارتنا اخرى ، محجبة ، في ثياب بيضاء . لم ارمنها ، حين انتبهت ، سوى ظهرها داخلني شعور بأن هذه المحجبة ، هي ابنتي . عدت مسرعا إلى غرفتها اضأت النور .. كان سريرها خاليا منها ، مرتب الملاءة ، مطبق الغطاء .. مهندم الوسادة ، وشبشبها البيتي بانتظار عودتها .

عدت إلى النافذة ، انظر في اثرها ، كانت قد اختفت . كبحت نفسي كي لا اخرج في اثرها وظللت واقفا انتظر .. انصت الى اذانات متضاربة بين بداياتها ونهاياتها . وإلى اصوات الائمة يجهرون بالفواتح والسور القصار والتكبيرات والتسميعات .. وإذا احسست باقدام مقبلة لرجال ونساء واصوات استغفار ، عدت إلى سريرى ، وجلست عليه ، ثم لم أطق صبرا ، فذهبت إلى مقعد وراء باب البيت ، وسمعت صوت مفتاحها يفتح الباب .. إذ دفعت الباب ، ودخلت في الظلمة ، ضغطت مفتاح النور . فارتبكت للحظة خاطفة ، والتفتت إلىّ ، وقالت :

ـ لِمَ صحوت ؟

نظرت إليها ، ولم اقل شيئا . نهضت ودخلت غرفتي ، واغلقت بابها ورائي .. وسمعتها تغلق الباب ، وتطفىء مفتاح النور ، وتسير بهدوء ، دون ان تصطدم بقطعة اثاث ، نحو غرفتها ، منذ متى تخرج وحيدة في الفجر ؟ وكم تعرف من المحجبات ، في الشارع وفي الحى ، متى يلتقين ؟ واى الرجال يعظهن ، ويغسل لهن رءوسهن بالوعيد من عذاب الجحيم ، ويؤكد لهن امورا اخر ، لا اعرف عنها شيئا ..

عصر اليوم التالي ، ركبت معى ، ابنتي ، محجبة ، قادتني ابنتي إلى طريق ضاحية .. امرتني ابنتي ، فعبرت بالسيارة احياء الميسورين في الضاحية ، امرتني ابنتي فاوغلت بها في حى شعبى ، تتراكم فيه اكوام الزبالة على الجانبين ، وأسراب الذباب ..

اميرها يعيش في هذا الحى ، بين الفقراء ، والمرضى ، والمهزومين ، رق قلبي لها وله ، لامير لم اره بعد ، لكن لِمَ يترك اميرها ، وشبابه الملتحى ، ونسوته المحجبات و"هل صرن كلهن ، بالروح ، نسوة له" حيا يعيشون فيه ، يحوم فيه الذباب ، وتتكوم في جنباته اكوام الزبالة والدين يامر بالنظافة ؟

عند دكان بقال ، امرتني ابنتي فتوقفت بالسيارة .. فتحت ابنتي بابها ونزلت ، وفتحت بابى ونزلت ، استدارت أمام السيارة ، ووقفت

بجانبى ، واشارت الى رجل كهل ، وقالت .. بهدوء لا يشوبه زهو ، ولا حرج :
- اميرى .
صدمت لرؤية الأمير .. لحية قذرة محروقة الأطراف بها بقايا لا اعرف لها كنها ، ولا وصفا . يلبس ثوبا بلديا ، مزيت الياقة ، بجانبه براميل زيت . قدرت انه بقال تموين .. يشهد بذلك ، مع ياقته ، الميزان المزيت ذو الكفتين . وجوالات السكر والشاى والأرز فى قلب الدكان المتراكمة ، وقد حط عليها الذباب ، قلت لها ، لابنتى ، بذعر يرعب :
- هذا ؟!
قالت بحياد :
- نعم .. هذا
التفت الرجل نحونا . اقبل الينا . نظر اليها ببسمة خاطفة .. فقالت له :
- أبى .
التفت إلىّ .. قال :
- نعم .
قلت باختصار يخفى غضبا ، يسعى لمجرد نوال موافقته :
- ابنتى طلبت ان استاذنك ، جه طلب يدها منى عريس . شاب بالجامعة ، يعمل معيدا بقسمى فى الكلية ..
نظر البقال نحو ابنتى نظرة خاطفة باستياء ، لدهشتى ، رأيت ابنتى تطرق خجلى ، مصفرة الوجه ، كمن حُرِم من الرحمة ، التفتَ إلىّ وصاح مشوحا بيده :
- يأبى الله هذا ورسوله . يأبى الله هذا ورسوله .. يأبى الله هذا ورسوله .. والمؤمنون
بهت .. نظرت إلى ابنتى فى غضب . قبل ان احاوره .. قال لى بجبروت :
- هذا هو زوجها على سنة الله ورسوله ..
نظرت إلى حيث اشار وهو ينادى آمرا من اشار اليه :

- تعال ..
اقبل نحونا من اشار اليه .. شاب ملتح .. مزيت الثوب ، فى الثلاثين . هادىء العينين . بدا لى انه صبيه .. وانه يحمل براميل الزيت ، وانه .. قال لى الامير البقال
- هذا هو ..
نظرت الى ابنتى وجدتها مطرقة ، مسلوبة القوى ، امام اميرها .. وقال الامير وهو ينظر إلى ابنتى مقرعا :
- "ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم" ..
صحت بالأمير :
- ليس كفئا لها ، ولست انت كفئا .. لعلمى بالدين والدنيا .
فقال الأمير ساخرا :
- لا كفاءة بين مسلمة ومشرك

وعيت فى لحظة اننى قد تنازلت حين حاورته .. حين عارضته القول ، واننى ساضعف امام ابنتى ، وترجح كفته هو عندها حتى لو هزم فى حوار معى استدرت لابنتى ورفعت كفى ، واهويت به على خدها ، ودفعتها امامى ، فركبت السيارة فى صمت ، هم صبى الأمير بالتوجه نحوى ، فاعترضه اميره بساعده .. ركبت السيارة قدتها ، ادرت مقودها بعنف عائدا من الحى الشعبى ..
طول الطريق لم انطق بحرف .. كانت كل ذرة فى





ترتجف .. رأيت وجهها فى المرآة كانت هادئة ، وادعة مستسلمة ، تنظر للاشيء ، وعيت اننى لم احررها من اسرها بعد ، قلت لها ، دون أن انظر إليها :

– من أدرا ، هذا الـ ..

انه مشرك .. من يجرؤ ان يكفر احدا ، واحدا لم يره ، ولم يعرف ما فى قلبه إنه خارجى .. من الخوارج من ليس معه فهو كافر ..

لم تجبنى بحرف .. وظل وجهها هادئا ، وادعا ، مستسلما ، وكأنها قد وضعت قناعا على الوجه .. صارت غريبة عنى ، صرنا معا ، الأب ، والابنة ، غريبين ، وبت لا اعرف ما ياتى به الغد ..

■■



# زمن يوسف القعيد الضائع

بقلم: نبيه القاسم

" لم يعد النيل هو الذى يهب لنا الحياة ، لأن الحياة تاتى لنا من العواصم الاخرى . من البلاد البعيدة ، عبر المطارات والموانىء ومن خلال الجمارك » .

هكذا قال الصديق الذى لم يغادر أرض الوطن أبدا ، جوابا على سؤال العاشق العائد له : عن النيل . فى رواية «بلد المحبوب» .

أما العاشق الكهل والمقاتل سابقا فقد خاطب المعشوقة العانس فى رواية « القلوب البيضاء » قائلا :

ـ « الديار تخلت عن ساكنيها ، أدارت لهم ظهرها : حتى لمن فقدوا رجولتهم دفاعا عنها .. هذا هو كل ما هنالك . لقد نسى الرجال أن العدوّ كان من الخلف ومن الأمام : والآن علينا أن نتعامل كل يوم مع أعداء الخلف » .

هاتان العبارتان تلخصان لنا الموقف العام الذى تتميز به روايتا يوسف القعيد الجديدتان ... « بلد

المحبوب » و « القلوب البيضاء » .

ويوسف القعيد ليس غريبا علينا فقد عرفناه في رواياته الممتازة « يحدث فى مصر الآن » و « الحرب فى بر مصر » و « أيام الجفاف » وغيرها . ويعتبر من كبار كتاب الرواية فى مصر والعالم العربي . هو وكوكبة من كتاب مصر مثل ابراهيم اصـلان وعبدالحكيم قـاسم ومحمود الورداني وبهاء طاهر وآخرين .... شكلوا الظاهرة الصحية فى الثقافة المصرية .. وكانوا الرد الحاسم على الثقافة الرسمية التى عانت منها مصر فى سنوات السبعينيات .

## ● ملخص الروايتين

تتلخص رواية « بلد المحبوب » فى أن بطل الرواية العاشق ـ يعود الى مصر بعد أحد عشر عاما من الغربة المختارة : حيث هرب من بلده وترك محبوبته وآثر العيش بعيدا مؤثرا السلامة الفردية على مواجهة الواقع .. واذ تلفحه رياح الوطن البعيد بشدة يعود ليجد كل شيء فى مصر قد تغير .. الا الصديق القديم الذى لم يغادر مصر وتزوج هموم الوطن والذى أخبره أن محبوبته تزوجت من مهندس رى . وأنها تعيش مع زوجها وأولادها فى مدينة تنام فى حضن ثلاثة انهار .. ويبدأ العاشق العائد برحلة البحث عن المحبوبة البعيدة حتى يجدها فى بيتها تنتظره .. وهناك تخبره أنها انتظرته طويلا وأنها تزوجت من مهندس الرى بعد يأسها من عودته وأنها رزقت بولد أسمته على اسمه وابنة اسمتها على اسمها هى .... ويخرج معها فى رحلة نيلية تنتهى بسقوطها فى النهر وغرقها ، وهو لايصدق ما يجرى أمامه ويؤكد انها لابد ستظهر ثانية .. وإذ أيقن موتها وغرقها قرر أن يبلغ مركز الشرطة بالأمر . وهناك كانت مفاجآته عندما قيل له : إن محبوبته قد غرقت منذ سنوات وأنها لم تنجب أبدا وأن كل ما رواه ليس إلا هذيانا يثير الشك حوله ويوقعه فى مطبات عديدة . وفى النهاية يتقرر إرساله الى مستشفى الأمراض العقلية : بينما يصر هو على أنه وجدها وخرج معها فى رحلة نيلية انتهت بسقوطها فى النهر والموت غرقا .. وما تثبته ملفات الشرطة وأقوال زوجها انها ماتت غرقا فى النيل قبل عدة سنوات ولم تترك بعدها أولادا لأنها لم تنجب : ليس إلا تخرصات لايمكنه ان يصدقها .

لقد عاد الى الوطن تلبية لنداء النيل له . وهو موقن أنه لابد من لقاء محبوبته . ولا مفر من فيضان النيل .

ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ولسان حاله يردد :

ـ ان محبوبى النيل خدعنى .. وعدته ووفيت بوعدى . عدت جريا وهو لم يف بوعده لى . أخذ منى محبوبتى ... لقد غدر بى محبوبى النيل .. لقد غدرت بى يابحر النيل .

أما رواية « القلوب البيضاء » فتروى قصة حب غريبة بين رجل كهل كان مقاتلا فى السابق وفقد ساقه فى إحدى الحروب واستعاض عنها بساق صناعية وكانت هذه الصدمة قد جعلته يهجر بلده وأهله وأصدقاءه ويؤثر العيش وحيدا فى المدينة منطويا على نفسه حاقدا على كل ما يحيط به : الى أن عرفته قريبة له على « شهد » الشابة الممرضة : كى يساعدها فى نقلها من منطقة البحر الأحمر الى بلدة خالتها

# نص
# يوسف القعيد الضائع

حيث تقيم بعد موت والدها وزواج امها من رجل غريب خافت عليها أمها منه .. فيقع هذا الرجل في حب « شهد » ويتخذها بديلا له عن الوطن الذى غدر به . مؤكدا انه لم يعد أمام الواحد سوى أن يخلق بلده الخاص به وينتمي اليه وانها ستكون وطنه ويشرح لها موضحا · أنت لا تعرفين معنى أن يعيش الانسان معلقا فى الفراغ .. لاحبال تشده إلى أعلى ولا ارض يقف عليها . ويرسم لها نظاما غريبا لحياتها .. ويربطها به برباط المال القوى حيث يجعلها تتعلق بنقوده التى يمنحها اياها بداية كل شهر . وتستمر هذه العلاقة الغريبة بين العاشقين رغم الهزات العنيفة التى تعتورها .. ولكنها تصل بهما الى حالة نفسية مفزعة حيث تصاب شهد بحالة نفسية تثير مخاوف وشكوك خالتها .. ويصاب الرجل بحالة مشابهة تجعله لا يعرف الراحة ولو للحظات قليلة .. تبكى شهد فى سريرها حتى يأتى النوم اليها .. وفى الصباح تذهب الى عملها وتقول لنفسها أن حياتها بدون رجل جحيم لانهاية له . أما هو فيبدأ صباحه بالنظر إلى البيت وكل ما فيه .

يقول انه بيت لم تعش فيه امرأة من قبل ابدا . فيهرب من هذا العالم .. يرتدى ملابسه بسرعة . يقول لنفسه فى المقهى قد ينسى كل هذا مرة واحدة .. ينزل متجها الى المقهى الذى يجلس فيه كل يوم ..

### ○ كلمة أولى

قد يسأل قارىء هاتين الروايتين نفسه عدة أسئلة حول الغاية التى كتب من اجلها يوسف القعيد هاتين الروايتين ؟ ؟ أو الدافع الذى جعله يكتبهما ؟؟ وعن الجديد فيهما ؟ ؟

لن نجد الصعوبة فى الاجابة عن السؤالين الأول والثاني . بعد رسم الواقع الذى عاشته مصر وصورته كلمات العديد من كتابها وشعرائها ونقادها التى اقتبسنا بعضا منها .. فالغاية كما لاتخفى هى الاصلاح والتغيير والدافع هو هذا الوضع السيىء الذى ساد .

يظل السؤال الأخير : عن الجديد فى الروايتين ؟ ؟

والجديد يتشعب الى عدة نقاط ... منها الأساسية ومنها الثانوية .. ولكنها فى مجموعها تشكل عملية متكاملة تعطى عملا خلاقا جديدا جديرا بالوقوف والتحليل .

وحتى نفهم هذا الجديد بكل تشعباته علينا أن نقف عند مواقف معينة طرحها القعيد فى مقابلات صحفية مختلفة ... وعند مفاهيم جديدة وتحولات ظهرت عند كتاب الرواية الحديثة فى أدبنا العربى .. وفى مصر خاصة ..

لقد ذكرت أن يوسف القعيد ينتمى الى كوكبة الكتاب والشعراء والنقاد الذين برزت مواهبهم الادبية فى أواخر سنوات الستينيات ... وهو ابن الجيل الذى وصفه الناقد غالي شكرى بأنه « كان طفلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما



انتصر الحلفاء وانهزم العرب فى فلسطين

وكان صبيا مراهقا عندما قامت الثورة الناصرية . وبلغ بواكير الشباب فى حرب السويس وثورة الجزائر والوحدة المصرية السورية وثورة العراق واستقلال المغرب وتونس ومع بداية الستينيات كان شابا . كان جيلا عربيا جديدا بكل معنى الكلمة . جيلا يشاهد أحلام التاريخ ، احلام الآباء والأجداد تتحقق . الاستقلال ، الوحدة العربية ، تأميم الثروة الوطنية ، الى آخر القائمة . جيلا من أبناء الكادحين المنتجين فى القرية والمدينة من صغار الفلاحين والحرفيين والموظفين والتجار . جيلا استطاع أن ينهى على الأقل دراسته المتوسطة : الثانوية أو الثانوية الفنية وجزء منه تمكن من استكمال الدراسة الجامعية . وفى الحالين هو جيل مثقل بأعباء اجتماعية موروثة من الماضى أو مكتسبة من الحاضر . تختلف جذريا عن نموذج جيل الأربعينيات . ابن الطبقة المتوسطة والجامعى غالبا : المرتاح أو المستور .. جيلا اقترن بالانتماء السياسى الى حركة الثورة وفكرها الأكثر راديكالية . جيلا امتزجت فى حياته النظرية بالتطبيق والفكر بالعمل

وقد دفع ضريبة هذا الارتباط وذاك الانتماء ثمنا باهظا فى السجون والمعتقلات والجوع والمرض . ولكنه الى جانب ذلك كان جيل العطاء المختلف نوعيا عن عطاء الأجيال السابقة .. كتب رواية جديدة وقصة جديدة ونقدا جديدا .

هذا الجيل وجد نفسه فى مواجهة حادة مع السلطة فى السنوات الأولى لحكم السادات ... فقاطعها وقاطعته .. البعض منه آثر الرحيل والتغرب والبعض أرغم على ذلك بعد اقفال كل الأبواب أمامه وفتح ابواب السجون فقط . والبعض اختار البقاء والمواجهة الصامتة أو الصاخبة . وشاهد كل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية التى المت بمصر ..

وإذ بدأت رياح التغيير فى بداية سنوات الثمانينيات تهب على مصر .. أخذ الغياب يعودون الى الوطن ... والى الساحات التى عرفتهم .. والى الناس الذين انتظروا عودتهم .

وأمام هذا الواقع الجديد ثارت ثائرة البعض الذين أطلقوا على أنفسهم اسم ـ المرابطون من مصر ـ وراحوا يكيلون مختلف الاتهامات ضد العائدين بعد سنوات الضياع .. وقد كان يوسف القعيد واحدا من أشد المتهمين حيث قال : « هناك الآن إشكالية ـ المرابطون من مصر ـ والذين هجروها فى سنوات المحنة : ثم عادوا الآن فى مرحلة تضميد الجرح

# زمن يوسف القعيد الضائع

المصرى . ومشكلة هذا العائد أنه جاء ليحصل حتى على الزمن الذى غاب فيه يريد الحصول على الماضى والحاضر وان يكون المستقبل لحسابه أيضا . مع أنه فى سنوات المحنة أصبح فأر سفينة غارقة قفز منها الى بر أمان : سافروا الى أوروبا ونعموا هناك بالثلج والضباب والعيون الزرق والشعر الأصفر : ثم عادوا . الغريب أن كل الذين عادوا انما جاءوا بطريقتهم الخاصة : قوم ههنا وقوم ههناك : مشروع هنا ومشروع هناك : وبين القدر الذى هنا والقدر الذى هناك مساومات وطلبات توظيف . جاء أحدهم فمنع ابنه من شرب مياه مصر ومن تنفس هواء مصر .. سألت نفسى : لماذا لم يحضر له صوبة بلاستيك من الخارج ؟؟ ..

بهذه الحدة استقبل من بقى فى مصر سنوات المحنة هؤلاء الذين تركوها راضين أو مرغمين عند عودتهم . وطبيعى ان يكون هناك من رد على هذه الاتهامات بحدة أشد واتهامات مقابلة ....

هذا الواقع الجديد طرح مواضيع جديدة لم تتناولها الرواية العربية من قبل .. وكان من المفروض ان تتناولها الان للتباين الكبير فى مواقف الكتاب والاختلاف فى المواقع السياسية والاجتماعية والثقافية لكل منهم : وطبيعى أن يكون كاتبنا يوسف القعيد من ابرز الكتاب الذين يخوضون هذه التجربة رغم ما فيها من مخاطر ..

● بطل يوسف القعيد المتساوى

**لم تكن اتهامات يوسف القعيد للذين رحلوا وعادوا : ناتجة عن خوفه من فقدان مكانة تبوأها فى غيابهم كما اتهمه البعض ... ولكنها كانت نتيجة اقتناعات آمن بها وركن اليها مدة من الزمن .. لكنه عاد وعرف انه تسرع فى إصدار الأحكام الشاملة فحاول ان يساوى بين الجميع فى تحمل تبعة ما أصاب البلاد ..**

**وفهمنا لمواقف يوسف القعيد هذه . يجعلنا نفهم روايتيه والدافع الذى كان وراءهما ومن ثم هذا التجديد الذى تميزتا به .**

فقد كتب روايته الأولى «بلد المحبوب» وهو يتمسك باتهاماته للرجال العائدين .. وكتب روايته الثانية «القلوب البيضاء» بعد أن أدرك تسرعه فى اتهاماته .

فبطل «بلد المحبوب» هو الرجل العائد بعد سنوات البعاد والغربة والحنين ليكفر عن غيابه وليعيد للمحبوب البسمة التى حرمه اياها والسعادة التى سرقها منه برحيله وابتعاده عنه .

أما بطل «القلوب البيضاء» فهو الرجل الباقى فى الوطن يعايش المحنة ولكنه يعجز عن ايقاف التدهور ومنع الخراب العام .. فهو انسان مشوه .. أفقده حبه للوطن إحدى ساقيه . لكن هذا الوطن أصبح غريبا بالنسبة له : فقد حرم من الفرح والسعادة والحب والأمل فى مستقبل جميل .

وكما فشل بطل «بلد المحبوب» فى العثور على محبوبته وتعويضها عن سنوات الهجر والبعد والعذاب .. هكذا فشل بطل «القلوب البيضاء» فى المحافظة على محبوبته وتحقيق السعادة معها ومثلهما فشل المهندس فى انقاذ زوجته من الغرق : وحتى عندما سمع بقصة العائد وغرق الزوجة لم يكلف نفسه الحضور واستجلاء الحقيقة وأعلن ان هذا موضوع قديم قد انتهى منذ سنوات . ولم يختلف عنهم صديق بطل رواية «بلد المحبوب» فقد التزم هذا الصديق البقاء فى الوطن : ولكنه لم يفعل شيئا لصالح الوطن وانقاذه وانما اكتفى بمهاجمة الذين هاجروا ... وبمهاجمتهم وبشدة عندما بدأوا بالعودة الى الوطن : «عادوا لكى يشاركونا فى رضاعة ما تبقى من لبن الأم التى اصبحت عجوزا .. بعد أن سافروا وهربوا من مواجهة الأوقات العصيبة : وعندما عادوا انقضوا على البلاد : نزلوا بالباراشوتات : لكى يزاحموا من بقوا فى البلاد عادوا لكى يحصدوا ارضا لم يزرعوها : ويستولوا على ثمار زرع لم يرووه ص ٣٢ .

هكذا تشابه ابطال روايتى يوسف القعيد فى مواقفهم السلبية ... فالكل مسئولون عما حدث للبلاد .. والكل متهمون فى نظره ... وان كان موقفه من الذين هاجروا وتركوا البلاد اكثر حدة وعنفا ... فإنه لا يعفى الباقين من تبعة ما جرى : وفى هذا التوزيع العادل للتهم .. يتراجع القعيد عن تصريحاته الشديدة التى هاجم بها العائدين ويوضح أن رأيه الأخير لم يتبلور بعد ... ولا يستطيع ان يحدده . ولهذا فكثيرا ما تتداخل شخصية هذا البطل مع الثانى .. وتتشابه المشاهد ... فكما ان المهندس فى رواية «بلد المحبوب» طراز نادر وفريد من البشر : ولم يظهر له أى قريب : وتنقلاته كلها فى أوقات محددة : وتضبط عليها ساعتك .. هكذا ايضا بطل «القلوب البيضاء» فقد اختلفت الاراء حوله .. وله اكثر من قصة .. يعيش وحيدا ولا أحد يعرف عنوانه . لا يقوم بأى عمل الا فى وقته المحدد ... ومشهد غرق المحبوبة وعجز البطل عن انقاذها أو تقاعسه فى رواية «بلد المحبوب» يتكرر فى «القلوب البيضاء» حيث يحلم البطل أنه ومحبوبته وسط جزيرة : ينزلها فى النهر العذب : يغطسها ويخرجها من الماء ثم يكتشف أنها ماتت ولم يستطع انقاذها .. وكما اتهم النهر فى «بلد المحبوب» بأنه غدر به وأمات له محبوبته . يتهمه فى «القلوب البيضاء» بأنه ضحك عليه .. فالنهر أصبح بحرا : وماؤه العذب أصبح تلالا من الملح .

## ● انقطاع الانسان عن وطنه

لاشك أن أكبر نتيجة سلبية لردة السادات وسياسة الانفتاح التى اتبعها وما لحقها من توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد والسلام مع اسرائيل كانت هذا الانشطار القاسى بين الانسان المصرى ووطنه مصر ... فقد بات الانسان الواعى الرافض لكل ما يجرى حوله غريبا فى وطنه ... لا رأى له فيما يحدث .

وهذا الانقطاع صوره القعيد بقسوة على لسان بطل روايته «بلد المحبوب» - لاحظت أن اللذين تحدثا معى كان فى نبرة

# نصوص: يوسف القعيد الضائع

كلاهما قدر لم أحبه من الحياد . تصورت أنهما يتحدثان عن بلد آخر . غير وطنهما .. كنا نتحدث عن بلادى وإن كانا قد ذكراها بضمير الغائب . ولم أتمكن من جعل الضمير الغائب حاضرا . فتعجبت من هذا الحال ـ ص ٧١ .

فجغرافيا الوطن تغيرت . ومعالم الوطن القديمة تاهت . ص ٤٠ حتى نهر النيل الوحيد الذى يعرفه يتحول ليصبح ثلاثة انهار .. وبيته الذى ولد فيه وترعرع وكبر ... يضيعه ولا يجده الا بعد تعب شديد ... وهذا الوطن الذى أحبه وحمله تعويذة فى الغربة .. يستقبله بوجه الضابط المتجهم الذى يحجزه فى المطار ـ ص ٥ ، ونهر النيل الذى كان مصدر الخير والعطاء والعذوبة تحول ليكون الابن العاق الغادر ، والبحر المالح الخاطف ابناءه .

ولم يختلف موقف بطل « القلوب البيضاء » فهو يخاطب محبوبته قائلا بألم :

ـ أنت لاتعرفين معنى أن يعيش الانسان معلقا فى الفراغ : لاحبال تشده الى أعلى ولا أرض يقف عليها . الديار تخلت عن ساكنيها : أدارت لهم ظهرها حتى لمن فقدوا كل شىء ـ حتى رجولتهم ـ دفاعا عنها . ص ٤٢ .

ولم يجد الرجال ما يعوّضون به أنفسهم الا تحويل الوطن الى حلم جميل يعشقونه ويتعبدون له ويستعيدونه كلما اشتد بهم السوق .. وتمازج الوطن مع المحبوب . ليشكلا معا وحدة غريبة .. فالوطن هو المحبوب ... والوطن هو بلد المحبوب . واذا كان المحبوب يستجيب الدعاء ويزور العاشق المتعبد : ويخرج وإياه فى رحلة نيلية ساحرة فى « بلد المحبوب » . ويزوره فى الشهر مرة فى « القلوب البيضاء » فان الوطن يظل مجافيا وبعيدا وغريبا . وعبثا يحاول البطل التوحد ثانية معه .. لكن النيل يرفض أن يفيض من جديد ... والنهر العذب يتحول الى بحر مالح يغدر بالاعزاء .... وكأنا بالكاتب يوسف القعيد يريد أن يعلنها صريحة :

ـ أن الوطن تخلى عن أبنائه عندما تخلوا عنه ... والارض جفت أهلها بعدما هجروها .. وما كان من حب وسعادة وتوحد ما بين مصر والنيل وأبنائها . لن يكون ثانية طالما الواقع لا يتغير .. وطالما ما أصاب مصر من نكسات وردات يظل قائما .. فالعقم هو الباقى .... والحبيبة الولود المعطاءة لن تستجيب إلا لفارسها القديم اذا عاد .

## ● الجديد فى فنية القعيد

لايعترض أحد على أن التحولات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى أى مجتمع تؤدى الى هز بنية هذا المجتمع وتفكيك حلمه وإعلاء مبدأ الخلاص الفردى وتسييد الانتهازية والوصولية والردة ... وكم بالحرى أن يصدق هذا الكلام على المجتمع المصرى

فى فترة الردة الساداتية التى اتسمت بالدعوة لسيادة اللاعقل فى الـواقع الحياتى للمواطن المهزوم المأزوم الذى يقوم بدوره داخل إطار غير ديمقراطى ونظام تعليمى فاسد . هذا المجتمع الذى شهد انقلابا خطيرا في مفهوم القيمة : بعد أن اجتاحته لعنة الانفتاح : وطرحت فيه مفاهيم جديدة وافدة على الساحة الادبية والفنية هددت تراثا عـريقا بـالتبدد والانحسار .

هذه التحولات بدلت صورة الواقع وفهم وتصور الكاتب له واحساسه بمكانه فيه وهذا الواقع الجديد جعله يتساءل عن دوره ومدى تداخله مع هذا الواقع المحيط به . وخلق عنده إشكالية العلاقة الجديدة بين إبداعاته والواقع وما مدى نجاحه فى المحافظة على عملية التواصل بين مادته الابداعية والقارىء المتلقى .

هذا الواقع الجديد خلق ادبا جديدا على القارىء - ادبا ابتعد عن الخطابة السياسية المباشرة : ومال الى تقديم الموقف الاجتماعى أو السياسى ضمن سياق تشكيل فنى .... والى التعبير عن القضايا عن طريق اللمسات البسيطة التى يمكن أن تختصر عالما كاملا بشكل مكثف .

تميز هذا الادب بخلق عالم جديد مواز للعالم الواقعى . فهو ليس انعكاسا له : وإنما يشبهه ويختلف عنه فى الكثير ، ورغم ذلك ، فهذا الواقع الجديد يستطيع ان يـوقفنا على الجـوانب المتعددة والتفصيلية للواقع المعاش رغم انه لم يعتمـد على التصويـر الفوتـوغرافى الخارجى : وانما كان اعتماده على الحساسية الداخلية الذاتية .

وقد برزت هذه التجديدات فى روايتى يوسف القعيد الذى ينقلنا من البداية فى روايتيه الى عالم مواز للواقع وناقد له . ففى « بلد المحبوب » يحجز العائد الى وطنه فى المطار بدل أن يستقبل بالترحاب والعناق .. وتستمر الاحداث كلها فى هذا الاطار الموازى .. يخلق عالما متكاملا لا أرضية له فى الواقع : ومن خلال هذا العالم الموازى نطلّ على الواقع المعاش فنكتشف فيه الأشياء الكثيرة التى تدفعنا للتمرد والعمل للتغيير .

وهذا صحيح أيضا فى رواية « القلوب البيضاء » حيث تدور الأحداث فى عالم لا يمكن أن يكون واقعيا بكل تفصيلاته : ولكن هذا ينقلنا وبثقة الى الواقع لنعلن موقفنا الرافض له ...

وفى هذا الواقع الموازى يفقد الزمن مكانه فى العمل الروائى لأن الكاتب لايقص علينا حدثا ماضيا وانما يوقفنا أمام حقيقة تدور أمامنا ويخلقها لنا هو : وفيها ينحسر الزمن ويمتزج الماضى بالحاضر فى حركة دينامية متسارعة فيتنقل بنا ما بين الأزمنة .. ويدفع بنا أحيانا لنطل على المستقبل لكنه يشدنا الى الحاضر الممتزج بالماضى ... فنخرج من هذا الواقع الموازى ونحن أشد سخطا على ما نحن عليه .. حنيننا الى الماضى يزيد كرهنا للحاضر وخوفنا على مستقبلنا يحرك فينا الرغبة للخروج ، وإعلان الثورة ضد الواقع والقائمين عليه .

# هذه الأغنية البديلة

## وقراءة فى ملف مطربى الثمانينات

بقلم : عـدلى فخـرى

**●● إن مجرد ظهور مثل هذا العنوان : « الأغنية البديلة » بين عناوين الكتب الكثيرة المتنوعة عند بائعى الصحف لأمر هام للغاية ، ولأن مثل هذا العنوان غير مالوف فى الكتابات المنشورة على الأرصفة ، وفى فتارين المكتبات ، فان كاتب هذه السطور لم ينتبه اليه للوهلة الأولى ، حيث مر بصرى به سريعا ، لكنه ارتد بسرعة اليه ، فالتقطت الكتاب لارى ـ ايضا ـ اسمى المؤلفين : ابراهيم عيسى ، وعبد الله كمال ، وهما اسمان شابان سبق ان التقيت بهما على صفحات مجلة روز اليوسف ●●**



● ومنذ البداية علينا ان نقرر ، فى معرض تصدينا لما ورد من اراء فى هذا الكتاب الهام ، ان كتابات كثيرة واحاديث اذاعية وتليفزيونية ، كررت ماوصفته بـأزمة الاغنيـة ، لكن اغلب هذه الكتـابات والاحاديث لم يزد عن انطباعات واراء تلقائية دون بحث دقيق أو علمى يربط مابين الاغنية ومايحيط بها فى المجتمع من ظواهر ومشكلات مختلفة ، سواء كانت هذه سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ـ لذلك فان هذا الكتاب من حيث منهجه العلمى المستخدم يعتبر بداية جديدة وجيدة لوضع منهج نقـدى للاغنيـة المصرية ، خاصة ان التعرض لمثل هذا الموضـوع الشـائك « الأغنيـة فى الثمانينيات » أو ما آلت اليه الاغنية المصرية الآن ، يعد من موضوعات السباحة الطـويلة فى بحـر متلاطم ( ونستعير هذا التعبير من المؤلفين ) ونعتقد ان مجرد فتح الباب لمناقشة موضوعية وعلمية لهذه القضية هو عمل جاد يستحق التنويه به .. خاصة اذا كان الجهد المبذول على هذا القدر الذى قام به المؤلفان من الارهاق .

### ● متاعب ومصاعب

وبداية بالمقدمة يستعرض المؤلفان المتـاعب والمصاعب والعقبـات التى



عبدالحليم حافظ



نادية مصطفى



محمد فوزى



محمد منير

واجهتهما ان يكن فى سبيل جمع المادة ، أو الحوار مع المشتغلين الجدد بالأغنية ويقرران ان عوامل نجاح اى عمل ابداعى ( سواء كان مكتوبا أو مرئيا أو مسموعا ) يجىء من درجة الوعى الذى يعبر عنه هذا العمل ، وهذا الوعى يرتكز فى تصورهما فيما يأتى عليه العمل الابداعى من وضوح رؤية وقوة ايمان وانحياز كامل لابناء هذا الوطن من الكادحين واصحاب الجباه العرقانة والقلوب المتفتحة العامرة .

وارجو أن يسمح لى المؤلفان بأن يكون تقييمى للنتائج التى توصلا اليها فى ضوء

هذه العوامل التى حددها للنجاح الحقيقى للعمل الابداعى فهى عوامل لايمكن للمرء الا ان يتفق معهما عليها .

وإذا انتقلنا الى الجزء الخاص بالمسح السياسي الاقتصادى الاجتماعي لمصر بدءا من القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ ( قانون الانفتاح الاقتصادى ) لوجدنا انفسنا أمام فترة يصفها المؤلفان بالاحتكارات الدولية والمخطط الأمريكي لجذب مصر للتحالف الأمريكى ،، ثم زيارة السادات للقدس ، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد . ومعاهدة « السلام » اى ان المؤلفان يستعرضان الأحداث السياسية التى اثرت على المجتمع المصرى مما كان له انعكاساته على الابداع .. لأن هذه المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة ادت الى تغيرات فى طبيعة التعامل فى المجتمع الذى تعرض لغزو اسواقه بالسلع الترفيهية والاستهلاكية وتكوين الطبقات الطفيلية من السماسرة وتجار العملة ومقاولى العمارات المنهارة ومستوردى الاغذية الفاسدة والسلوكيات الغريبة للشرائح الهامشية وظهور انواع شاذة من جرائم قتل الزوجات للأزواج وتكرار ظاهرة الاغتصاب وظهور الدجالين ومدعى النبوة وحروب المليونيرات خارج مصر بما استطاعوا عمله . بالاضافة الى هجرة العمالة والتشوه الاجتماعى والنزعات الفردية الاقليمية وظهور الجماعات الاسلامية المتطرفة فى نفس الوقت الذى تم فيه افتتاح مئات من مراكز اللغات الاجنبية .

### ● عدوية ينتشر

لكن المؤلفان نسيا انتشار المخدرات خاصة تلك الانواع الواردة مع الانفتاح ، لأن لها اثرا كبيرا على رواج انواع معينة من الأغانى ذات المعانى والموسيقى والايقاعات الخاصة بالحذر .

فى هذا الجو كان لابد لعدوية من ان ينتشر على الرغم من منع اغانيه وربما بسبب ذلك من الاذاعة والتليفزيون ، ويذكر المؤلفانّ بهذا الصدد عاملين :

اولهما : ان الزمن كان زمنه .

وثانيهما : أن الاذاعة والتليفزيون فقدا دورهما المطلوب فى خلق غناء جديد أو حتى المساهمة فى انتشاره .. الأمر الذى صاغه المؤلفان فى صيغة الماضى دون ان يتعرضا لواقع الحال فى هذه الايام . ولن يفوت الكاتبان استعراض تدهور الحال على السينما مثلما كان على الاغنية مما كان له اثره فى انتشار ظاهرة الكاسيتات لمغنين يظهرون فجاة ويوزعون الملايين ايضا فجاة ، بالاضافة الى انتشار كاسيتات الفرق الأجنبية .

وفى هذا الجزء من الكتاب كان للمؤلفين موقف شجاع فى نقد كثير من نجوم الغناء الكبار الراحلين امثال ام كلثوم ، وعبدالحليم حافظ ، وفريد الاطرش ، ومحمد فوزى ، وان كان هذا النقد قد انصب فقط على كلمات الأغانى دون تحليل لسلبيات أو ايجابيات الموسيقى والاداء .

وسوف نلاحظ بطول الكتاب ان الكاتبين لم يتعرضا الا لكلمات الأغانى بالقدر المطلوب ، اما تعرضهما للموسيقى ، والأداء والتوزيع الموسيقى أو الايقاعات ، كان تعرضا عابرا على الرغم من ان هذه هى العناصر المهمة فى تكوين الأغنية حيث ان النمط الأوربى فى التوزيع على

سبيل المثال ، هذا اذا لم يكن الميلودى نفسه من النمط الأوربى ، نقول ان هذا قد يؤدى إلى أضرار جسيمة على الرغم من قيمة الكلمات .. وان كان هذا حديث اخر .

يقول الكاتبان فى نهاية هذا الجزء : « والحقيقة ان الجذور الاجتماعية والثقافية لأبناء جيل الاغنية البديلة تشكل الاساس الذى يستطيع عليه المحقق بناء كثير من نتائجه » لكن المدهش أنهما وفى صفحة ٥٠ من الكتاب يؤكدان عكس هذه المقولة النظرية القديمة وذلك حينما يتكلمان عن محمد عبد الوهاب فيقولان انه « خرج من باب الشعرية ، بعد ان تربى بين الحارات التى تصب كلها عند مقام سيدى الشعرانى ـ جد عبدالوهاب ـ ثم اصبح صاحب لقب ( مطرب الملوك والعظماء ) » .

ثم اصبح الرجل واحدا من اشهر اصحاب السلوك الارستقراطى فى مصر ، ولانعرف ماذا كان هذا مدحا او ذما مما يلقى بظلاله على ماوصفه بالجذور الاجتماعية والثقافية لابناء جيل الاغنية البديلة من المغنين والمغنيات .

## ● استعراض سريع

واذا تجاوزنا كل ذلك الى الجزء المعنون بـ « عصور الطرب » لوجدناه استعراضا تاريخيا للغناء والموسيقى فى مصر ، جاء بشكل سريع منذ قدماء المصريين ، ومرورا بالموسيقى القبطية ، ثم الموسيقى بعد الفتح الاسلامى ، وفى عهود الفاطميين والمماليك ، ثم التأثير التركى على الموسيقى المصرية ، ثم فترة الصهبجية، وسعيد الدبك والشيخ المسلوب ، ثم فترة عبده الحامولى ومحمد عثمان وسلامه حجازى .. حتى ظهور سيد درويش الذى يقول عنه المؤلفان انه « بعد ان غنى فى بداية حياته ( طب وانا مالى .. هى اللى قالتلى .. روح اسكر وتعالى طينة ) الا انه عاش واقعه بعد ذلك . فى فترة مخاض ثورة ١٩١٩ .. » وهذا يؤكد على أن فنان الشعب سيد درويش بدا بغناء هابط فى كلماته والحانه الا ان الحركة الشعبية جعلته يفكر بوعى ووضوح رؤية وانحياز للطبقات والطوائف الكادحة ، حيث ان كل ماغناه سيد درويش بعد ذلك كان اختيارا واعيا من الفنان وليس موقفا اجبر على ان يكون فيه .

ثم يستعرض المؤلفان ـ نقلا عن ايهاب الازهرى فى كتابه ( الاذاعة وبناء الانسان ) التقرير السري لانشاء الاذاعة المصرية ـ الذى يحدد شكل الاغنية حيث ان اجر الأغنية كان على اساس عدد الدقائق التى تستغرقها مما جعل المطربون يتبارون فى الاطالة والتكرار ، كما ان قانون المطبوعات والرقابة كان مليئا بالمحظورات ليقوم بتضييق الخناق على المؤلف فيدور فى حلقة واحدة ضيقة ، واظن ان هذا القانون لازال ساريا حتى الان تحت اسم الرقابة على المصنفات ، أو رقابة الاذاعة والتليفزيون والذى كان من الواجب على المؤلفين التعرض له فى التأثير على الاغنية فى الوقت الحالى .

ثم يستغرق الكتاب بعضا من الأغانى ـ الملتزمة ـ فى فترة الستينيات حيث يقول المؤلفان انه « رغم زخم العديد منها بالصدق الشديد ، فإن المنصف لاينكر عدم توافر هذا فى اغان كثيرة لاسيما مع تبدل مواقف اصحابها الى النقيض تماما

## هذه الأغنية البديلة

فيما بعد ، وهذا الكلام منقول عن المؤرخ الموسيقى « فرج العنترى » فى بحثه « المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى » .

ومن وجهة نظرى ان هذا التبدل فى الموقف امر طبيعى حيث ان ماتم غناؤه فى تلك الفترة كان بتوجيه اعلامى رسمى ، دون أن يكون لكثير من هؤلاء الفنانين موقف أو دور فى اختيار هذه الاغنيات ويجب ان يكون هذا ايضا مقياسا لتقييم دور فنانى « الأغنية البديلة » وهل مايتم انتاجه كان عن وعى واختيار ام كان موقفا وضع فيه المغنى نتيجة اختيار مخرجى المسلسلات الجادة ، ام كان موقفا من بعض المؤلفين الملتزمين والذى انعكس على المغنين دون أن يكون لهم موقف فى هذا الاختيار .

### ● الأغنية المقاومة

وهنا لابد من وقفة مع المؤلفين حيث انهما لم يذكرا شيئا عن الأغنية المقاومة بعد هزيمة ١٩٦٧ ،والذى من روادها الشيخ امام ، واحمد فؤاد نجم ، والشعراء سمير عبدالباقى ، وزين العابدين فؤاد ، وحمدى عيد ، وايضا فرقة اولاد الأرض وكابتن غزالى فى السويس ، وكورال الطليعة الذى ساهم فى تكوينه وانشائه الفنان عبدالعظيم عويضة ، والكاتب المسرحى مهدى الحسينى ، وكذلك فرقة شباب روزاليوسف ، وهم مجموعة من عمال مطابع روز اليوسف اختاروا هذا النوع من الغناء بوعى كامل وانتماء حقيقى واختيار واضح .

وهؤلاء جميعا مازالوا يغنون ويبدعون وتنتشر شرائطهم فى مصر قليلا وفى بعض البلدان العربية والأوربية كثيرا باستثناء فرقة « أولاد الأرض » ، وكورال الطليعة اللتين انتهى نشاطهما منذ سنوات .. ولادرى هل هذا موقف من المؤلفين ضد هذه الأغنية أم لا .. اذا كان كذلك ضمن باب الامانة كان من الواجب عرض المسألة ثم تقديم اسباب الوقوف ضدها . ونعتقد ان هذا موقف التاريخ العلمى الذى لايخضع لموقف شخصى ، أو موقف سياسى خاصة ان الذين قدموا هذه الاغنية عانوا كثيرا من اجل موقفهم الواعى ووضوح رؤيتهم وانحيازهم لابناء هذا الوطن من الكادحين واصحاب الجباه العرقانة والقلوب المتفتحة العامرة على حد تعبير الكاتبين وهما يحددان ملامح العمل الابداعى الجاد .

ثم نتقدم خطوة لنجد الجزء الثالث من الكتاب يشمل حوارات وشهادات مع مجموعة من فنانى الثمانينيات على الحجار ، وايمان البحر درويش ، واحمد منيب ، ونادية مصطفى، ويحيى خليل ، وعصام عبد الله ، ومحمد منير ، ومدحت صالح ، وأحمد الحجار وعلاء عبد الخالق ، وحنان .

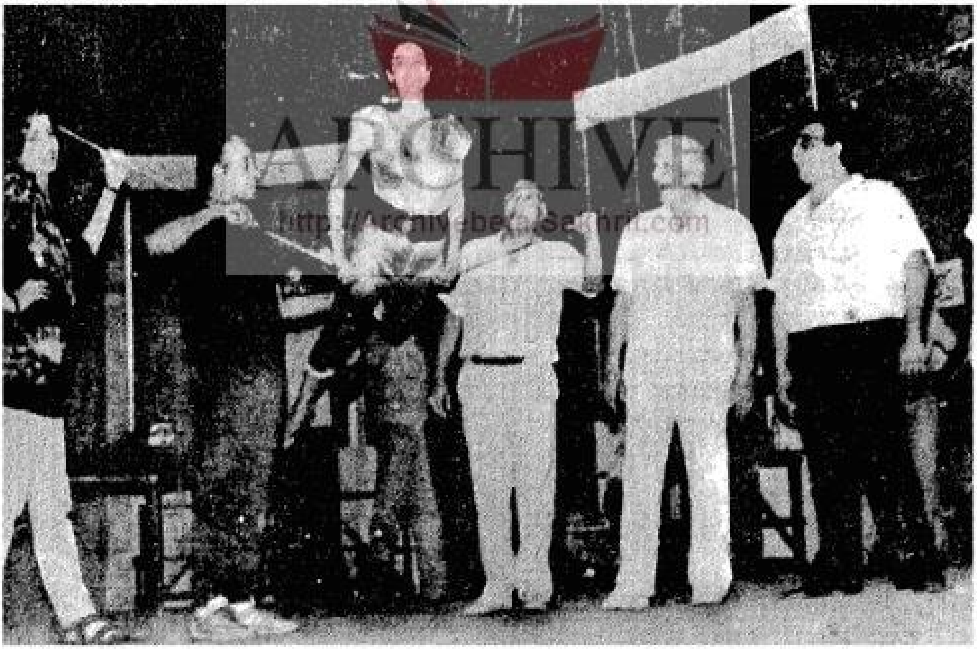
وهذه الحوارات فى تقديرنا كانت تحتاج الى تحليل أكثر استضافة نظرا لكم التناقض الفكرى الوارد فيها ، وهو مايدفع بعدد من الاسئلة الهامة تترتب على السؤال المركب لمن يغنى هؤلاء . وماهو موقفهم من العمل فى الكباريهات ، وما هو هدفهم أصلا من الغناء .

يحيى الفخراني في مواجهة :

# البهلوان

بقلم : صافي ناز كاظم

□ ● بينما احتشد مسرح القطاع الخاص بجمهور غالبيته من السياح من الأشقاء العرب ، اكتظ المسرح القومي بجمهور مشاهد مصري صميم ! □



# البهلوان

قد نتصور أن السبب هو ثمن البطاقة في القطاع الخاص وقد بلغ الثلاثين جنيها بينما وصل اقصى سعر للبطاقة في المسرح القومي إلى خمسة جنيهات فقط ، لكنى أحسب أنه هناك عوامل أخرى عديدة منها أن المشاهد المصرى لا يزال مصراً على مناصرة مسرح القطاع العام خاصة لو كان هو المسرح القومي .

ومن زمن المسرحيات "الهادفة" اختار المخرج د . عادل هاشم نص "البهلوان" ليوسف إدريس . ولقد استقر الرأى النقدى منذ أعوام طويلة على ان يوسف إدريس هو "هرم" فنية القصة القصيرة .

إلا ان نصوصه للمسرح ظلت إلى الآن نصوصاً تحتاج إلى "مسرحة" ـ أى جهد إعداد لقولبة مسرحية يبذله مخرج فاهم لمهمته كمخرج صاحب للعرض المسرحي ـ وهذا كلام قد لا يعجب يوسف إدريس وهذه ليست مشكلة ، المزعج اننا صرنا عام ١٩٨٨ نلجأ لما كنا نرفضه بحزم في الستينيات ، ونجد انه طوق نجاة من طوفان الاسفاف المسرحي ، فصرنا

نرحب بنص مثل "البهلوان" لأنه ـ على الأقل ـ يمكن أن يتبلور في هدف نبيل وهو : ادانة الانتهازية ، ولو كان ذلك عبر نص مثقل بالعبارات الإنشائية والتفاصيل البديهية والأنماط المستهلكة ، وصرنا نتغاضى ، بل نسقط ـ كأن لم يكن ـ حيلاً ممجوجة ومقززة لإضحاك الجمهور عن طريق مؤثرات صوتية عالية لما يحدثه البطل داخل دورة المياة ! ولقد حاولت طيلة مشاهدتي للعرض ان أبحث عن الجسر الإيجابي الذى يمكن ان أعبر عليه لابرهن لنفسى أن ليلتى لم تذهب هباء ، وكان هذا الجسر هو "يحيى الفخرانى" ، الذى كان اختيار المخرج له كتلة مسرحية في ذاتها بإمكانها ان تترجم ترجمة فورية مدلولات النص اللغوية وتحركها بعيداً عن جمود التصوير المسطح للشخصية الانتهازية .

لعب يحيى الفخرانى دورة ديالوجاً بين شخصية البهلوان ـ ( الصحفى الانتهازى حسن المهيلمى ) ـ وبين معلق خارجى هو يحيى الفخرانى ، فكان بذلك ناقداً للشخصية ، ساخراً منها ومكثفا لإدانته لها ، وحقق بهذا الأسلوب ـ في مواجهة الشخصية واعلان عدائه لها ـ معالجة رأبت الكثير من الصدع في رسم صورة الصحفى حسن المهيلمى .

شخصية حسن المهيلمى كما بدت لنا نموذج لصحفي انتهازى وُجد ويُوجَد في حياتنا واضحاً أو كامناً : إنه الصحفى الذى يشغل منصب رئيس تحرير لمواهبه الخاصة في قدرة التنقل بسهولة من النقيض الى النقيض إذا دعت المصلحة . وهو انتقال مختلف تماماً عن التحول الذى قد يطرأ على الإنسان فيتغير موقفه بشكل مبدئى بناء على اقتناع بعقيدة مغايرة لعقيدته السابقة . حسن المهيلمى لا يتغير ، إنه يتلون بلون الأرضية المطلوبة . وهو شخصية فاسدة بالضرورة ، يخون امراته كما يخون مبادئه وشرف مهنته :



يوسف ادريس مع البهلوان



يوسف ادريس والمخرج عادل هاشم

إنها شخصية "بهلوان" الحياة الذى يقفز على حبال العلاقات ليطفو دائما كاسباً فوق السطح ، وهو بهذا ، فى نظر يوسف إدريس بهلوان أحط من بهلوان السيرك الذى يلبس قناع الاضحاك لينتزع التصفيق ، وبالتالى يمكن ـ فى رأى يوسف إدريس ـ أن يكون بهلوان السيرك "مَطْهرا" لبهلوان الحياة يكفر من خلاله عن أخطائه . والفكرة وإن بدت فوسفورية لامعة ، فإنها مغالطة كبيرة لا نجد لها مبررات تساندها . الذى وصلنا من العرض المسرحى أن حسن المهيلمى شخصية فاسدة منحلة تحتل موقعا هاما بمسئولية جادة وداخلها بهلوان يراوغ ويلعب مع كل الأضداد . فاذا أخذنا هذا الفاسد ووضعنا على وجهه قناع بهلوان السيرك فستكون النتيجة : بهلوانا ـ لا يزال يقفز على الحبال ـ ويخفى فى داخله حسن المهيلمى الفاسد المنحل ، ويكون حاصل الحسبة مرفوضا فى الحالتين :

١ ـ حالة إخفاء البهلوان .

٢ ـ حالة إخفاء حسن المهيلمى .

ومحاولة استجلاب العطف للحالة الثانية هى محاولة بها خطأ أخلاقى وخطأ فنى كبيران . ولم يكن بوسع المخرج أن يتلافى هذا الخطأ إلا باصراره على حذف شخصية بهلوان السيرك والتركيز على بهلوانية حسن المهيلمى والاكتفاء بإدانتها دون التورط فى خلق تعاطف معها ـ لأنها فى الحقيقة لا تستحق التعاطف بأى شكل ـ ولكن . من ذا الذى يتصور أن يرضى يوسف إدريس بهذا التعاون بينه وبين المخرج ؟ إذن لم يكن من بد سوى أن يبحث المخرج عن ثغرة مع بطله الممثل ليتعاونا سوياً ليقنعانا بالهدف الايجابى فى المسرحية برمتها ، وكانت هذه الثغرة التى انطلقا منها هى : إهمال بهلوان السيرك ليصبح ظهوره كماليا ، مثل الزائدة الناتئة التى يجب أن تستأصل من الإصبع لكنها تترك بسبب الخوف من الألم ! وهكذا أصبح كل جزء السيرك كذلك ، عرضا منفصلا لا لزوم له ، مع اننا لا ننكر انه روَّح عن البعض بمشاهده الاستعراضية اللطيفة !



بقلم: كامل زهيري

# مصر بعيون نسائية



بورتريه لتحية حليم .. رسم حامد عبدالله

## غنائيات تحية حليم

في لوحات تحية حليم غنائيات وانغام .

لأن خطوطها تُنشد والوانها تُغني .

وقد ورثت تحية حليم موهبة الموسيقى عن جدتها لامها . وعن امها ايضا .

وكانت الجدة عازفة كمان في قصر الخديو اسماعيل ـ برتبة اليوزباشي أي النقيب .

وكانت أمها تجيد العزف على العود في ساعات الصفاء . وقد ورثت تحية حليم الموسيقى من هذا الفرع النسائي الذي ينزل من اصول تركية قوقازية . ونقلت تحية حليم الموسيقى من الاذن الى العين . فوضعت ايقاعها وانغامها . وغنائياتها في رسمها ، واغلب لوحاتها ـ لذلك ـ شديدة الضخامة ، كبيرة المساحة ، هائلة المعمار كالسيمفونيات . وبعضها : عزف جميل منفرد .

ومنذ امسكت التلميذة الصغيرة بالقلم لتعلم الهجاء احست بشغف جارف للانتقال الى "الوان الشخبطة" ، وفى كشكول الواجب فى مدرسة الاشراف الابتدائية للبنات بالعباسية ، اكتشفت مدرستها مسز دافيدسون مدرسة اللغة الانجليزية ان التلميذة لا تترجم الكلمات من الانجليزية الى معناها بالعربية . بل ترسمها .

وتذكر تحية حليم ان المدرسة فوجئت أن تلميذتها وضعت امام كلمة Kick ، اى يقذف أو يضرب رسما لولد صغير يركل بقدمه كرة القدم .

وقد لفت المدرّسة بالكشكول على بقية الفصول ، وعلى فصول الفتيات الاكبر بالذات للفرجة على ابتكار الصغيرة والتحريض على الفنون الجميلة . وبقدر ما احست تحية حليم بالرضا والاعتزاز تذكر ان امها الحنون كانت تبدى قلقا من ولع ابنتها بالرسم بأى شىء على كل شىء . واعلنت فزعها لأن الصغيرة تغطى مخدات النوم بالرسوم بكل ما يتوفر لها من الوان واصباغ .

وكانت الأم - كأى سيدة تركية ، مهمومة بالنظافة الى حد الوسوسة ، ويبدو ان النظافة عند الاتراك ليست مجرد وسوسة . بل فضيلة ايضا .

واذكر اننى منذ سنوات بعيدة ، كنت ازور مدينة ايفيزوس التركية على تخوم مدينة ازمير على شاطىء البحر الابيض . وبها أطلال مدينة رومانية قديمة ومسرح ضخم وسوق واسع ومكتبة كبيرة .

وكان المرشد السياحى التركى مفتول العضلات يردد ما يحفظه .

ويبدو اننى لم اخف اعجابى بضخامة المسرح الرومانى . ثم ابديت انبهارا بالطريقة التى تضمن وصول الصوت من جوف المسرح الى أعلى المدرجات الحجريّة البعيدة .

وحين مررنا على بقايا المكتبة ، قال المرشد :

- وكانت بجانب المكتبة بيوت النساء السملة . اى الساقطات . وقد سقطت جميعها أيضا .

وقلت :

- الفكر والجسد . فأى جوار بين المكتبة والماخور . كانهم لم ينسوا شيئا .

ومال عنى المرشد . خارجا عن نصه المحفوظ ، قال :

- بل نسوا امرا هاما جدا .

وتوجست ان يقطع هذا المفتول اندماجى فى الخيال . وانا اكسو بالوهم تلك الاطلال الشاسعة الممتدة وقد حمصتها الشمس ، وشققها طول الزمن .

واستمر المرشد كأنه يصدر حكما قطعيا ونهائيا :

- لم تفطن الامبراطورية الرومانية على عظمتها لمرفق هام تميزت به الامبراطورية العثمانية !

فالتفت نحوه مستفسرا .

وقال المرشد المفتول :

- نسوا الحمامات .

وقال باغتباط واعتزاز :

- الحمام التركى هو ارقى ابتكارات الامبراطورية العثمانية .

* * *

ولم ينس الأم وسوستها بالنظافة التامة ، ولم يهدىء من روعها من ولع الصغيرة بالرسم على المخدات سوى قصة كشكول المدرسة . فقد وصلت إليها قصة الكشكول والجولة بين الفصول بتفاصيلها كاملة . وادركت الأم ان البنت

# غنائيات
# تحية حليم

بها ميل جارف للفنون وللرسم بالذات واهتمت الأم بموهبة الصغيرة التي كانت قد عكفت الى البيت ، ولم تكمل تعليمها الثانوى حتى السنة الثانية . فتعهدها المدرسون وتعهدتها الدروس المنزلية على عادة البعض فى تعليم البنات . ولكن الصغيرة استبد بها حب الرسم ، حتى اختلط ما تراه وما تراءى لها .. ما تراه من اشخاص واشياء وما يتراءى لها من خطوط والوان . وكان لابد ان يرعاها ويضبط رؤيتها واحد من مدرسى الرسم .

وفى مصر الجديدة ، وبين شارع الزقازيق امام سباق الخيل ، وشارع النجوم ـ واسمه الان شارع حسن علام ، انتقلت العائلة الى بيتها الملك .

وعاشت العائلة فى بحبوحة ويسر . فوالدها الاميرالاى محمد احمد حليم وصل فى مراتب ضباط الجيش الى رتبة كاتم اسرار حربية ، ثم لواء ثان ، ثم وظيفة الياور الأول للملك فؤاد .

وكانت تحية حليم تنتقل من مصر الجديدة الى ميدان الخديو اسماعيل حيث مرسم استاذها الأول جورج طرابلسى . وكان المرسم يقع فوق مقهى ايزائفتش الشهير . لانه كان مقهى رحبا يجاور محلا لا يقل عنه اتساعا لبيع الفول ! كما تخصص فيه عدد من المهاجرين اليوغوسلاف المسلمين بوسط القاهرة . وكان المقهى ملتقى المثقفين والموظفين ، لموقعه المركزى ولانه يجاور مطعم الفول . فكان المطعم والمقهى يستطيعان تعهد الزبون بالنواشف الراسخة الى السوائل المهضمة ومن الصباح حتى منتصف الليل . وكان الفنان السورى جورج طرابلسى يتعهد هواة وهاويات الفنون الجميلة . ومنهم تحية حليم . ولكنها لم تستمر معه سوى عامين فى دراسة منتظمة ، لانه قرر فجاة ان يترك مصر مهاجرا الى كندا .

وفى هذه المرحلة حدث لقاء تحية حليم مع الرسام حامد عبدالله .

وكان اللقاء فى معرض صالون القاهرة على احدى لوحات الفنان . وكان حامد عبدالله قد اصاب شهرة بين المجددين . وكان شديد الحرص على استقلاليته الى حد العنجهية ، ويانف من اخضاع الرسم للأيدلوجيات . وما حاجته ؟! فقد كان بسليقته وطبقته شعبيا ولد وعاش فى وسط شعبى وسط مزارع حى المنيل . وكان اغلب هذا الحى مزارع تطل على النيل وتمتد فى خضرة يانعة . ولم يكن اثرياء الحرب أو الذين اغتنوا من تجارة الجلود والدباغة . قد قرروا بعد العبور من الضفة الشرقية للنيل الى ضفته الغربية ومن حى المدابغ خلف سور العيون الى جزيرة الروضة لبناء عماراتهم الشاهقة .

وفى صالون القاهرة تسمرت تحية حليم اما لوحة حامد عبدالله كانت خطوطه معبرة قوية ، وبها عنفوان وعناية بالتكوين والتوازن والمعمار ، وفى اللحظة التى جالت تحية بعينيها مع خطوطه القوية المعبرة ، وكانت تحدث نفسها فى سرها تتمنى لو سارت فى طريقه ، اقترب منها صاحب اللوحة .

وعليه ملاحة فى اعتداد . يسألها رأيها .

وفى حديث ، يتقاطع بين الرؤية والكلام ، وبين اللوحة وصاحبها اعترفت تحية انها تعشق الرسم ، هائمة به ، تجربه ، وتتعلمه ايضا عند الفنان جورج طرابلسى .

وقالت : ولكنه غادر مصر مهاجرا .

وابدى حامد عبدالله استعدادا للمعاونة ، ولطفا بالمعجبة الشابة واقترح ان يعرفها بصديق من الرسامين اليونانيين . له مرسم ومدرسة في شارع قصرالنيل جوار جريدة جورنال ديجيبت . وقال ان اسم جيروم اختصارا فرنسيا لاسم يوناني اطول هو جيروتوميدس .

وفى مرسم قصر النيل التحقت تحية حليم ، وتدربت على رسم الموديلات ، وثنيات الأقمشة ، والطبيعة الصامتة والسيطرة على المنظور وعلاج الظل والنور .

وقد بقيت من هذه المرحلة المبكرة لوحات ،منها زهور ( ٤٠ × ٤٠ سم ) عام ٤٢ من مجموعة الدكتور احمد رياض زوج شقيقتها الصغرى احسان . وبقيت كذلك صورة "راس رجل" ( ٢٠ × ٣٠ ) عام ١٩٤٢ ، وهى لعجوز موديل كان يحضره جيروم ، وتحتفظ الفنانة بها . فى بيتها المرسم بالزمالك .

وتطورت العلاقة بين الرسام الواثق والرسامة الشابة من اعجاب الى حب فزواج .

وعاش الرسامان فى بيت عائلتها بمصر الجديدة .

وفى هذه المرحلة رسم لها حامد عبدالله احدى روائعه ـ التى لازالت تحتفظ بها فى غرفة نومها مع صورها الفوتوغرافية العائلية ، وجاءت لوحة حامد عبدالله «لتحية» فريدة فى القطع ، اخاذة للوجه والتعبيرات ، وهى بالباستيل تجمع بين القوة والرقة . ولعل الحب حينذاك اختصر المسافة بينهما ، فاقترب الرسام

**لوحة للفنانة تصور الرئيس جمال عبدالناصر**



# غنائيات
# تحية حليم

اكثر من موضوعه ، وجاءت الملامح اوضح ، واطلت نظرة اللوحة على نظرة المشاهد . لتلتقى النظرتان لتلدا احساسا بالالفة الحميمة .

وجاءت لوحة تحية حليم بريشة حامد عبدالله رائعة . وترى تحية أنها تضارع روائع الباستيل التى برع فيها مانيه وديجا ورينوار .

وكانت اللوحة رائعة حقا ، لأنها ثمرة القرب والحب بين رسام ورسامة . واثمر الحب بين الفنانين فكرة اصبحت هاجسا تحول الى مشروع وخطة للسفر ـ الى باريس .

[ ٢ ]

وباريس كانت غوايتنا جميعا . وكانت غواية جيل بأسره . فقد اغوانا بها طه حسين وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك وأحمد الصاوى محمد .

وكان الجميع يتحدثون عنها بأصوات مختلفة ، وكأنها معنا .

ومن نجا من عصفور من الشرق وشطحات الحكيم الفنية بين المقاهى والملاهى فى مونمارتر ومونبارناس وفتاة شباك مسرح الاوديون ، لن ينجو بالقطع من احاديث طه حسين عن اندريه جيد وجان كوكتو وايتامبل واندريه موروا . وقد كانت مجلته الشهرية الرائعة ـ الكاتب المصرى ـ تنقل كل شهر فى ذلك العهد احدث الكتب واخر الصيحات فى المسرح والفن والفكر والادب ، وكأننا نعيش فى ضواحى باريس .

ومن نجا من طه حسين ، أو توفيق الحكيم ـ ونادرا ما يحدث ـ لابد أن تدهشه مباهاة الدكاترة زكى مبارك بباريسياته ، أو يطيب له هذا الغزل المفتون بمدينة النور لأحمد الصاوى محمد .

ولم ينج جيلنا من روائع الغزل وفيض الاعترافات .

فقد ورث جيلنا من أجيال قبله هذا النسيب بالادب الفرنسى . والعجيب أن اغلب القراء اتجهوا مع أدبائهم اتجاها لاتينيا ، والى الادب الفرنسى من مطلعه الكلاسيكى عند هوجو ولامارتين وترفال وموباسان وبلزاك وصولا الى بريتون وميشو وسوبو وجاك بريفير .

ولم يتجه أدباؤنا الا قليلا الى الادب السكسونى .

وكما اتجهوا الى الادب الروسى فى مطلعه اتجهوا الى الادب الفرنسى من مطلعه الى اخر صيحاته .

وكان الحديث عن الفن لا يختلف . حتى اصبحت باريس مدينة الفن والنور ، حلما وغواية لا ينجو منها مراهق او رشيد . كاتب او رسام .

* * *

وسافر الفنانان عن طريق البحر الى فرنسا على سفينة يونانية فوق السطح صيفا .

**وكان اخطر ما فى تلك الغواية الباريسية ان باريس فيها كل المدارس الفنية . فاذا اردت الجوكنده رايتها ، واذا اشتقت للرسم التاثيرى وجدت له متاحف ومعارض وطقوسا ودراسات . واذا جنحت للرسم التعبيرى عثرت على روائع رو ولوكوشكا . واذا تطوحت الى السوريالية وجدت المدرسه حية بأحبارها وكهنتها ، وشهدت معارض حية لبيكاسو وسلفادور دالى واندريه ماسون وماكس**

نكار الفخراني ـ حوائش على ورق مكسيكي ( يدوي ) ٣٠ ×
٢ المقص مقتنيات شوقي جلال



# غنائيات
# تحية حليم

لرنست وملجريت .

تجمعت عصور الرسم من النهضة. الى للسوريالية فى مدينة واحدة . وراء اسوار المتاحف ، وفى قاعات المعارض .

وفى باريس ، ما هو اكثر .

لانك لا تكاد تفتح النافذة حتى يطالعك منظر جميل يليق برسام .

فالفن والذوق على قارعة الطريق !

ولم يكن يصل تحية حليم سوى ٢٥ جنيها من امها كل شهر . وهو يقل عن ماكل فرد واحد يقتنع بالكفاف . فكيف بالماكل والمسكن والدفء والانتقال ؟

ولكنى اذكر ان حامد عبدالله كان ايامها مهموما بقضية اخرى غير الماكل والمشرب والمسكن ! هى قضية الضوء الشرقى واختلافه عن الضوء فى الغرب . وكنت نفسى قد انتقلت من الهند الى باريس ، ولاحظت نفس الملاحظة حتى انى كتبت عن الفوارق بين السماء فى دلهى والقاهرة وباريس .

ففى دلهى يشتد الضوء ، ويتسع الفضاء ، وتصبح السماء اعلى سقف فى العالم . وفى مصر سماء بين السناء والضياء . بينما السماء فى باريس مثقلة بالسحاب الرمادى الذى يتكىء على قمم ابراج الكاتدرائيات .

وكان حامد عبدالله مهموما بمشكلة البعد الثالث . فالضوء الباهر يلغى المسافة ، ويبهت الخطوط ، وقد ظلت هذه قضية تؤرقه بعد انتقاله من النور الظليل الى الدواكن والرماديات !

وفضلت تحية برقتها وهدوئها ان تقتصد من قوتها اكثر من النصف لتدفع نفقات الدراسة المنتظمة فى اكاديمية جوليان بشارع بيرى بالقرب من الشانزلزيه . وهى اكاديمية عريقة اخرجت ماركية وفرنان ليجيه وغيرهما .

وكانت حياة شديدة القسوة فى الشتاء واغلب الصيف .

جربت الفنانة وزوجها الحياة اياما على شرب الماء القراح .

وعكفت تحية حليم على دراسات التشريح والحركة والاكواريل . والفن فى باريس تخمة . وكانا عامين قاسيين لذيذين صورت فيهما تحية لوحات من النافذة ، والحى اللاتينى ، ومونمارتر ، وحديقة فى مارس ، وملابس دى ترتر ، وشارع كولومبو وبائع ابو فروة ، والباعة الذين يفرشون موائدهم فى سان ميشيل ، وانشغلت الفنانة بالسيطرة على قواعد النمو ، واجرومية التكوين ، ومزج الالوان ودراسة التشريح والحركة ، لانها تريد ان تستكمل الدراسة الاكاديمية قبل ان تطلق لقلبها وخيالها ويدها العنان .

وقد رسمت تحية حليم المقهى الذى كنا نفضله فى الحى اللاتينى ، وهو مقهى الماسكوت او تميمة الفال الحسن . ولايزال المقهى قائما حتى الان على مشارف حديقة اللوكسمبورج ولقاء الميدان بنافورته المتدفقة ، وبولفار سان ميشيل وشارع سوفلو الذى يسلم نفسه للبانتيون مثوى فولتير وموليير ، ولمكتبة سانت جنفييف اقدم مكتبات باريس والمكان المفضل لطه حسين ، وقد شهد حبه لسوزان ، حين كانت تقرأ له ، فى غرفة خصصوها لهما .

وكنا يوم الاحد نهجر مقهى الماسكوت لان فرقة فن الموسيقيات

تغزوه فى الظهر ، تعزف موسيقى الفرقة . وما كانت تلك الموسيقى تكفى آذاننا الشابة المتعطشة لما هو اعنف عند فاجنر او حتى موزار .

وكنا نهجر المقهى يوم الأحد ، لتاتيه تحية حليم لرسم عازفات مقهى الماسكوت !

واذكر من تلك الايام ان حامد عبدالله وتحية حليم ذهبا لمتحف اللوفر ، وقد صحبتهما لان حبيب جورجى كان يقيم معرضا فريدا عن الفن المصرى . وكان جورجى مربيا عاشقا لمصر . واراد ان يثبت مواهب المصريين فى الفنون التشكيلية بالبرهان القاطع . فاحضر عددا من صبية الفلاحين الذين لم يتعلموا الهجاء ، ووضعهم امام مادة الصلصال . فاذا بايات من الفن التلقائى تخرج من بين اصابعهم الفضة .

وقد سبق حبيب جورجى بتجربته فى الخمسينيات تجربة الحرانية فى الرسم باعوام واعوام وكان كثير من المصريين يقضون الصيف ـ بطوله ـ فى باريس . فكان جورج حنين وزوجته اقبال ـ بولا ـ العلايلى حفيدة احمد شوقى يقيمان فصل الصيف فى فندق ماديسون بسان جرمان دى بريه . وكان رمسيس يونان يقيم فى شارع نيرون فى غرفة صغيرة مشطوفة السقف قرب السطح وكان توفيق صالح وعبدالقادر التلمسانى ونبيل الالفى وحمدى غيث ومصطفى صفوان وعشرات من اعضاء البعثات ، والفنانين ، والدارسين ، والمتنزهين المصريين .

وعاشت تحية حليم تخمة باريس العقلية ، تنتقى كل يوم من عشرات المتاحف ومئات المعارض التى تنشر اخبارها مجلة "آر" . فامامها عروض حية لماتيس ودالى ، وبيكاسو ، وماكس ارنست ، وفرنان ليجيه والمثال مايول والمثال جياكوميتى .

ولكن الضائقة المالية كانت تزداد ، وكانت الضائقة الزوجية . وكان الشحان ثم كان الشجن .

وتذكر تحية حليم انها ادركت ذلك من يومها الاول فى باريس .

فقد هبطت فندقا زريا ببولفار سان ميشيل الشريان الرئيسى فى الحى اللاتينى . ولم تكن باريس قد جددها المتوطنون العائدون من الجزائر بعد ، ولا غسل وجهها اندريه مالرو ، حين بيض عماراتها الداكنة . وتذكر انها فتحت دولابا متهالكا فكاد يسقط عليها باكمله لولا ان لحقها زوجها بذراعه .

فصاحت : ـ من اولها .

ولكنهما ضحكا ، وانطلقا الى شوارع باريس بالليل .

واذكر ان تلك الايام لم تخل من متعة وطرافة ، واكتشاف نوع من شبع العين بمشاهدة الفنون ينسى مواعيد الطعام .

فقد اقام حامد عبدالله ـ بعد عدة فنادق ـ فى بيت مدام فيلر وراء كاتدرائية نوتردام . فى قلب باريس القديمة .

وكانت الكاتدرائية الضخمة تبتلع كل شىء . او كانها اكبر من الجزيرة التى بنيت فوقها ، وتتوسط نهر السين .

وكانت الحركة تتركز فى الصباح داخل الكنيسة وامامها . اما وراءها فالشوارع مهجورة صامتة . وبقدر ما كان النشاط كبيرا امام الكنيسة بقدر ما كان الحى وراءها هادئاً .

# غنائيات تحية حليم

حتى موهمارتر سباريس زيت على قماش ١٩٥٠

فالمقاهي والدكاكين لا تشتغل الا على السياح الذين يزورون الكاتدرائية فى الصباح . وكان الباعة يبيعون الورد ، أو تماثيل العذراء . ولا احد يشترى مثل هذه التماثيل اذا اقبل الليل .

وبقدر النشاط والجلسة ساعات الصباح والظهيرة كان الحى خلف نوتردام يحيطه الصمت . والشوارع الفرعية لاتكاد تجروء على النظر فى داخلها من فرط الوحشة والجهامة . كان جريمة قتل قد وقعت فى الحى ، وانتهى البوليس من رفع الجثة وجمع الادلة ، ولم يلتقط سكان الحى انفاسهم بعد !

وعلى حافة الشارع كان دكان واحد . يقفل زجاجه ويرفع بابه فلا تدرى اذا كان مغلقا ام مفتوحا . ولكنك تستطيع ان تلمح من خلف واجهته الزجاجية عشرات التماثيل الدينية التى تصور المسيح مصلوبا ، والعذراء ساجية ، والقديسين باكين !

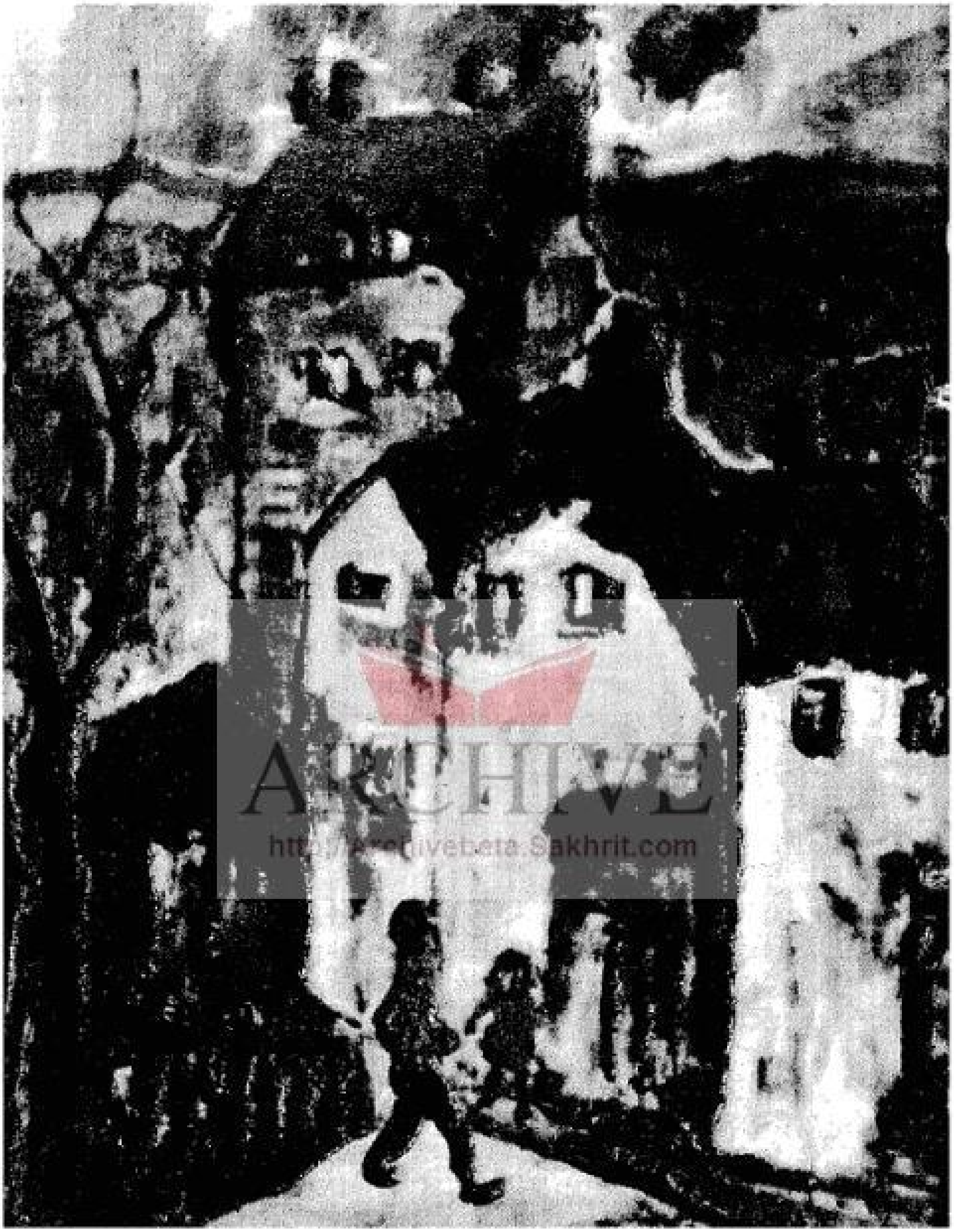
وكنت أحس بالدهشة فى طريقى كلما مررت بذلك الدكان المغلق المفتوح .

ـ فكيف تجتمع كل هذ الآلام فى مكان واحد ؟

وبيت مدام فيلر ، قديم فى زاويته

يوم الحنة من تقاليد اهل النوبة (جواش) ١٩٨١





# غنائيات
# تحية حليم

دكان بقالة كانت تجلس فيه ولا تبرحه ، وكانت ذكية منفعلة ومترهلة . وكانت لا تسمح لاحد بسكنى بيتها الا اذا كان موهوبا .

ولا يهم بعد ذلك ان دفع الاجرة بالفريكات او باللوحات والتماثيل .

وكانت السيدة فيار تصدر ايضا مجلة خاملة لاحدى الهيئات . واصبحت فى سنها وسمنتها غريبة الاطوار !

فقد كانت لا تسمى الفنانين من سكان بيتها باسمائهم .

وكانت تسميهم باسماء مدارسهم الفنية .

فتطلق على ساكن الغرفة التى تقع تحت بير السلم "التكعيبى" . والرسام الذى يسكن بعد السرداب "السوريالى" . ومن يسكن الغرفة التى لها شرفة "الانطباعى" .. وهكذا .

ونادرا ماكانت المالكة تنطق باسماء سكانها . ولا نادت على احد باسمه . عرف الجميع انها تحس بالوحشة وتريد ان تثرثر معه حول ذكرياتها عن ايام مونبارناس ومونمارتر وليالى سوتين وموديليانى .

وفى اول زيارة . سالتها عن غرفة حامد .

فقالت :

- فى نهاية الحوش .

ودخلت غرفة اكبر من ان تكون غرفة . واصلح ان تكون مخزنا .

وكانت الرطوبة تهبط من سقفها وتصعد من ارضها !

وقال حامد عبدالله مفسرا :

- تحتنا الان بئر كبير . وقد يصل الى سرداب طويل الى كاتدرائية نوتردام ، وهالنى ان يعيش الصديق هذه الحياة الرطبة فى غرفة اقرب الى البئر فى اقدم بقعة فى باريس .

وادرك حامد عبدالله حيرتى . فقال :

- انها اللعينة !

وادركت انه يقصد المالكة راعية الفنانين .

وسالته : الا يمكنك ان تحصل على غرفة اخرى . فوق قليلا قرب غرفة السوريالى او غرفة التكعيبى .

فقال من جديد : اللعينة !

انها تقسمنا حسب مدارسنا الفنية .

وحين سالتنى اى المدارس اتبع ، قلت لها :

- انا حر مستقل وليست لى مدرسة .

فقالت اللعينة :

- غرفة البئر تصلح لك الان . مادامت اتجاهاتك لم تتضح بعد . هل هى البلكونة ام السرداب ؟!

وضحكنا لغرابة مدام فيار ، ونحن نضع اقدامنا فوق المدفأة



* * *

وكانت تحية قد آثرت العودة

ويقدر ما ازدحم العامان من حياتها الباريسية بالمعاناة والطرائف كشفت تحية حليم عن صبر ايوبى ، ومثابرة بغير مكابرة ، وانفتحت لها ابواب مدارس الفن على مصراعيها ، وتوقفت كثيرا عند سيزان الذى احبت فيه التقسيم الرائع بين خطوطه الثرية ودوائره المشعة وتراتيل الوانه الزرقاء والخضراء . وتيقظت عينها لسلم الوانه الذى يتصاعد كالسلم الموسيقى والصوت الموهوب القوى ،

وبحثه العنيد عن فن الرسم بعيدا عن الأدبيات . ووقفت ـ وهذا ايضا طبيعي ـ عند رسام اخر هو جورج رو . فقد كان رائعا بجرأته في التكوين ، واقتحام المساحات ، وثراء اللون الرنان ، وكأنه يرسم لوحته بريشة مشتعلة .

ووضح لنا في باريس أن تحية حليم تنتحى جانبا ، وأن ما يشبه حرب الاستقلال قد بدأت بينها وبين زوجها ، وكان واضحا تماما انها مشغولة عن أي شيء ، في صمتها البليغ ، بالمغامرة مع اللون .

فكيف يمكن للون في اللوحة أن ينبع منها ، ولا يسقط عليها . كيف تضع اللون على اللوحة فيبدو انه يخرج منها ولم يوضع فوقها .

وعادت من باريس للقاهرة ، اكثر نضجا واشد حزنا .

وهي تحس انها تخرجت في مدرسة الاستاذ السوري ، والاستاذ اليوناني ، ثم الاستاذ المصري ، ثم مدرسة باريس ، وقد اكتمل لها اسلوبها الخاص الذي كان يبحث عن موضوعه الاثير : ـ مصر .

وبين لقاء معرض القاهرة وتجربة باريس ، ظلت هواجس تصوير المجاميع الشعبية ، وجماهير القاهرة ، وقد حان الوقت لتعود الى المواضيع التي تمنت وهي شابة .

ولكنها عادت اشد حزنا واكثر نضجا ، وقد اتسقت فيها الرؤيـة والرؤيا .

ـ الى مزيد من الرسم .

**[ ٣ ]**

وبقدر ما تلمح الالوان القاسية ـ مع عناية دائمة بالتكوين ـ في لوحة الجوع ( ٣٥ × ٦٠ سـم ) ١٩٥٢ ، أو الصيـاديـون ( ١٢٠ × ٨٠ سـم ) ١٩٥٢ ، والأم ، ( ٨٠ × ١٢٠ ) عام ١٩٥٢ ، وفي سليمان والهدهد ( ٦٠ × ١٠٠ سم ) عام ١٩٥٨ ، وبمار الحرب ( ٣٠٠ × ١٥٠ سم ) ١٩٥٩ ، استمرت تحية حليم في موضوعاتها المصرية الاثيرة . وقد بدأتها منذ بدايتها بتصوير المظاهرات عام ٤٦ أو ٥٤ ، وتصوير الجماهير الخارجة من المسجد .

لكن تحية حليم بدأت تتخلص من القسوة اللونية التي تراها عند جورج رو أو لوكوشكا وأئمة التعبيرية ليصفو لونها ، ويتهدج خطها ، وصهلت موهبتها الغنائية الشاعرية كلما عالجت موضوعا مصريا شعبيا ، سواء كان موضوعها مكانا .. أو انسانا .

ومن منا لم يسمع في مقهى الفيشاوي بحي الحسين قراءة الفجر صوت الشيخ ابراهيم بائع الكتب ( ١٠٠ × ٨٠ سم ) ١٩٦١ . والشيخ ابراهيم كان كفيفا . فقد كان ربعة . لم تسعفه الحياة باتمام

تعليمه الازهري حتى العالمية ، ولكن بقيت في نفسه بقية من حب الادب والفكر ، فارضاها ببيع الكتب بين عشاق السهر وسمار الليل والملتذين بطول السهاد .

وكان الشيخ القصير في حجمه المربع يكشف عن قوة بدنية خذلتها بلاريب عاهته . ولو لم تصبه تلك الافة اللعينة التي تضيف كل عام للازهر صفوفا لا بأس بها من المجاورين او حتى المقرئين ، ولو كان ابراهيم بقربه الى الأرض ، وتربيعة جسده ، قد جمع وفرة العافية والقدرة على

## غنائيات تحية حليم

البصر لاحتمى عن جدارة فتوة ـ له حول وطول ـ بين فتوات الحسينية وباب الشعرية وسوق الليمون .

وحتى لو كان اهتدى بالله ، وارتضى بما دون ذلك لأصبح بالقطع مكيسانيا فى حمام بشتك المشهور ، أو فى احد الحمامات العديدة التى تندس سرا كالشقوق الملتهبة بين البيوت القديمة حول

تفاصيل من لوحة الزواج في النوبة متحف الفن الحديث
زيت على قماش (١٩٦٢)



الهودج للفنانة نجيبة حميد زيت على قماش (١٩٦٣)



# غنائيات تحية حليم

مقام الحسين .

وكان الشيخ ابراهيم صاحب فراسة وظرف . لا ينسى صوتا من زبائنه سواء كان قد جادله في الثمن أو كشف عن علم واطلاع .

وكان الشيخ ابراهيم قبل الخطو الى المقهى يرسل صوته الينا .

ويستطيع ان يميز بيسر مواقع التجمعات ، وانواع الاصوات ، فيدرك منها انماط سمار الليل ، ما بين جاد وهازل وساهم أو بين هلوك متلكع ومستشرق قابع مترقب ، أو حتى خليعة معتادة من بنات الكومبارس تتشبث ان تجعل ليلها ليلين ، فلا تكاد تنهى سهرة المسرح ، حتى تأتى سملة ، مادام في الليل بقية . لا تريد العودة الا بعد ان يفلق الارهاق حواسها تماما !

وكان الشيخ الربعة ـ يتأبط كتبه ، ويربط جلبابه في خصره ، لتفسح خطاه ، ويقطع طريقه بين اكوام الساهرين وقد بدأ طول السهر يفك من ربطة تجمعاتهم ، وبدأت خطوطهم تنهزم وتتفك كجيش عائد بعد معارك الكلام !

وكان الشيخ ابراهيم بصوته ، وألطفه الساخر ، وصوته العميق الذى يرن باسماء طه حسين ومصطفى صادق الرافعى واحمد حسن الزيات وجوستاف لوبون ،

لونا من تجليات الحسين ، والازهر والسوربون ، فالتقطته تحية حليم بمقدرتها وحبها ، وتذكرنا تلك اللوحة الرائعة ( ١٠٠ × ٨٠ سم ) المجموعة الخاصة بالفنانة ، بخطوطها القديمة وضرباتها الواثقة ، بلوحة أخرى سبقتها بنحو عشرة

اعوام ، لبائع ابو فروة ( ١٩٥٠ ـ خاصة بالفنانة ايضا ) وألوانها المائية ، لكن اللوحتين تتشابهان فى العمارة اللونية ، والخطوط القوية ، والزواج البسيط السعيد بين الالوان . وهى ايضا لرجل ربعة . وإن كان اختيارها القاهرى بعد عودتها كانت للشيخ ابراهيم لرجل الغذاء الادبى ، وكان اختيارها الباريسى لرجل ابو فروة شوقا للدفء والغذاء .

* * *

وبقدر ما توجهت تحية حليم بالحنين والحنان ، وانكسرت امامها حدود الزمان ، التقت بالفن الفرعونى ، ومنه تعلمت روائعه الفريدة وتداخل اللون فى خامة الجدار ، مما ينتج ملمسا خاصا ويعطى الانطباع ان الرسوم تتفسُ ، وتنبض .

وآية الاعجاز ان ينبع اللون ويشع من اللوحة ولا يسقط عليها . وكانت هذه دائما قضيتها المحورية ، وقد خلصت من فزع الالوان فى الاتجاه التعبيرى الاوربى الى صفاء وتنغيم أصبحا طابعها الخاص والمميز .

وكانت مصر النوبية ـ الرحلة ، والمرحلة ـ قمة رحلاتها الروحية والفنية .

وقد وجدت ضالتها واودعت قلبها .

ولو ان تحية حليم خيرت فى اية بقعة

تفضل الحياة لاختارت النوبة ، تلك البقعة الضوئية التى ينبجس من ذراتها المتلألئة نور سعيد .

انها بلاد الغبطة الضوئية . وبلاد الهدوء النفسى ، بين سماء مفتوحة ونهر نشيط . فى رحلة يقطعها هادراً من فخم سماء ، يغير عمائمه السحابية التى تتشكل وتتلون ، لايكاد يعقد عمامة حتى تفكها الرياح ليعقد أخرى من لون اخر وبشكل جديد . ويعوض ما بإقدامه فى بحيرات شاسعة ويتبذل متلافا بين العشب وبحر الغزال ، ليستعيد رشده ، متجها صوب النوبة حيث الرعد ، وهو يمر بثمان دول ثم يكاد يصبح سلسبيلا كلما اقترب من النوبة ، المفصل الذهبى للنهر طويل القامة الذى يشبه النخلة ذات الفرعين عند المصب .

وقد تدفقت تحية حليم ، وتوهجت ـ فى الستينيات ـ فى مرحلة النوبة ، وتقول تحية حليم انها لم تشهد بوليسا ، ولم تسمع رجلا يشتم زوجته ، ولم تحضر شجارا او نقارا . بل هم اشتراكيون دون ايدلوجية ـ لان المركب تجيىء محملة البضائع والشاى والسكر . ولا احد يقول هذا ملكى فكل شىء يوزع على الجميع .

وتوهجت وتدفقت تحية حليم ـ وجاءت رائعتها الضخمة "الخبز من الصخر" وجاء السلام ، وعروسان فى النوبة ، والسيدة والمصباح ، وهذه الارض لنا ، والانسان ، وفرحة النوبة بالرئيس عبدالناصر والسلام واغنية النيل ، والنيل بالنوبة ، وزواج فى النوبة ، واربع نوبيات فى مركب ووفاء النيل والانسان ، وسيمفونية النوبة ، وغيرها وغيرها تعاقبت كالأمواج انغاما فوق انغام تنشد فيها تحية حليم لمصر المكان والزمان .

وبقدر ما تكاكا الفنانون الرسامون والشعراء والمفكرون على النوبة قبل ان تذهب فى سبات طويل تحت الماء ، وبقدر ما افلتت لوحة او لوحتان من ابداع كل فنان ، كانت النوبة هى اللحن المميز لاعمال تحية حليم ، فقد صبت كل حنانها فى النهر والناس .

وقد كشفت تحية حليم قدرتها المذهلة على استخلاص الحنان حتى من قلوب الرجال . ومنذ رسمت لوحة حنان ـ ١٩٥٨ والتى فازت بجائزة

جوجنهايم الدولية كشفت عن تلك القدرة العاطفية الفذة حتى تحسب ان الفنانة لم تعد عظما ولحما ولكن دفقا هائلا من مشاعر الحب والحنان

والصورة لرجل معمم بجلباب ابيض يجلس على دكة وقد حمل طفلا فى عبه بجلباب ازرق وعند قدميه اوزة سمراء وعلى الدكة ابريق برتقالى ، وكليم ابيض وبرتقالى وازرق واسود .

احتضان الرجل لابنه ، والتداخل المنغم ، يكشف مفتاح تحية حليم .

وهى القدرة على تصوير العلاقة الانسانية ولا يختلف ذلك الحنان عن ذلك الشوق الذى تمتد فيه الايدى فى صورة عبدالناصر ويداه تمتدان الى الناس ايضا .

وعلاقات اللون مثل علاقات الناس ، كالموسيقى لا يجيد عزفها الا قلب ملىء بالحنان .

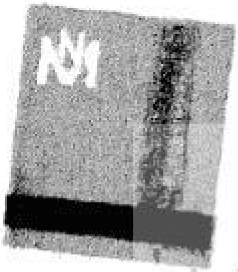
■

# شركة النيل

إحدى شركات هيئة القطاع العام للصناعات الكيماوية

## رائدة صناعة الثقاب والأبلاكاج
## والمساكن الخشبية سابقة التجهيز

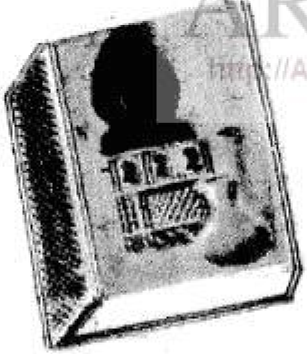
### دور - دورين



تفخر الشركة بأن تقدم
لعملائها
إنتاجها المتنوع والمتطور من:

- ثقاب للاستهلاك المحلي والتصدير
- كبريت علب خشب
  ٤٠ ، ٥٠ عود
- كبريت أمشاط كرتون
  ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عود
- طلبات خاصة من:

**الثقاب الفاخر**
للفنادق والسياحة





للاستعلام: الإسكندرية ١٩ شارع الصحافة المنشية ت: ٨٠٠٤١٥ / ٨٠٠٣٦٧

# للكبريت

## مشروع المساكن الخشبية سابقة التجهيز

كما تفخر الشركة بأنه تقدم إنتاجها الجديد ذا التصميم المصري المطور بالخبرة الفنلندية من وحدات المنشآت الخشبية سابقة التجهيز ذات الدورين وذلك بمعرض الإسكندرية الصناعي الزراعي

وذلك بجانب إنتاجها المطور من الوحدات الخشبية سابقة التجهيز ذات الدور الواحد ... وتقدم الشركة خبرتها المتخصصة في تصميم النماذج حسب مساحة الموقع واحتياجات العميل.





صورة من داخل الفيلا للسيد الرئيس حسني مبارك أثناء زيارته لاحدى المساكن الخشبية سابقة التجهيز وبجانبه السيد المهندس أحمد شكري حطب رئيس مجلس ادارة الشركة وقد أبدى السيد الرئيس إعجابه بالتصميم والإنتاج وبما وصلت إليه الشركة من تقدم في هذا المجال.

القاهرة مصنع بشتيل ت: ٣٤٧٢٢٤٢ / ٣٤٧٢٢٤١

# شركة النيل للكبريت

## رائدة صناعة الكبريت والمساكن الخشبية سابقة التجهيز

●● شركة النيل للكبريت هى رائدة صناعة الكبريت والمساكن الخشبية فى مصر ، وقد شهدت هذه الصناعة تطورا كبيرا على مدار عمرها الطويل ، وذلك بفضل الجهود التى يبذلها ابناء شركة النيل للكبريت واستخدام أحدث الأجهزة التكنولوجية التى تظهر فى العالم ●●



السيد المهندس/ احمد شكرى حطب
رئيس مجلس ادارة شركة النيل للكبريت

اولا

● فيلات خشبية من دورين :

واذا كانت شركة النيل قد قدمت فى السنوات السابقة المساكن الخشبية الجاهزة خدمة للتعمير فى مصر واسهاما منها فى خدمة السياحة المصرية .. فانها تفخر بان تقدم للمتعاملين معها احدث منتجاتها من المساكن الخشبية الجاهزة .. فيلات من دورين ودور واحد كاملة المرافق وعلى احدث النظم العالمية وذلك بالاشتراك مع الخبرة الفنلندية المتطورة فى مجال صناعة المساكن الخشبية .

وشركة النيل للكبريت لم تدخر جهدا فى سبيل النهوض بهذه الصناعة وذلك بالتدريب المستمر لعمالها للوصول الى المستوى العالمى والاطلاع على احدث النظم العالمية فى هذا المجال ، كما قامت الشركة باستيراد احدث الاجهزة التكنولوجية فى هذا المجال .. ومن هنا كان هذا التطور الكبير الذى شهدته الشركة فقد قدمت لعملائها فيلا من طابقين على مستوى عالمى وبتصميم مصرى بالاشتراك مع الخبرة الفنلندية وذلك بجانب انتاجها المتطور من الفيلات ذات الطابق الواحد وهذه المنشآت تاخذ اشكالا متعددة .

- فيلات حديثة التصميم .
- وحدات سكنية لمواقع الانشاءات
- وحدات مكاتب ادارية للمشروعات

● عنابر اعاشة لحقول البترول واستصلاح الاراضي .
● شاليهات للمصايف والاستراحات
● اكشاك ومخازن .
● وحدات متعددة المنافع والاغراض

## ● مواصفات عامة للمنشآت

هذا وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة في تصميم النماذج حسب مساحة الموقع المقامة عليه واحتياجات العميل وتقوم الشركة بتنفيذ الطلبات الخاصة طبقا للرسومات التي يقدمها العميل باى مساحة وبعدد الحجرات المطلوبة والتوزيع الداخلي للمنافع والشكل الخارجي .

وتقوم الشركة بصناعة الحوائط الخاصة بالمبنى من بانوهات من الخشب السويدى المكسو بالوان الجارد بورد ، ويتكون السقف من طبقتين : الأولى سقف افقي بارتفاع الحوائط ، والثانية سقف جمالون من الخارج مغطى بالصاج المجلفن المضلع .

وتصنع الابواب الخارجية من الخشب السويدى بخردوات حديثة وكذلك الابواب الداخلية ، ويتم الطلاء بالبويات المقاومة للرطوبة والحرارة والحريق بثلاثة اوجه ، وتجهز الحمامات بحوض لافونو فاخر بقاعدة ومرحاض وكومبنيش ودش بخلاط وسماعة تليفون وبانيو .

ويجهز المطبخ بحوض استنلس استيل بالخلاط ودولاب تحت الحوض ٢ ضلفة وتجهز الوحدات بالتوصيلات الكهربائية بالكامل .

ثانيا :

## ● ثقاب أمان للاستهلاك المحلي :

كما تقوم شركة النيل للكبريت بانتاج جميع انواع الثقاب من العلب عبوة ٥٠ ، ٤٠ عودا وتنتج الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عودا وكذلك الثقاب الخاص بالتصدير عبوة ٤٠ ، ٥٠ من العلب وتنتج الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عودا والذى تقبل عليه شركات السياحة والفنادق وشركات الطيران نظرا لجودته الفائقة

## ● تصدير الثقاب

كما تقوم الشركة بانتاج انواع متميزة من الثقاب العلب والامشاط المخصصة للتصدير الخارجي والتي تحمل علامات المستوردين على اغلفة فاخرة مطبوعة طباعة جيدة . وقد قامت الشركة في الفترة الأخيرة بتصدير انتاجها الى تونس والسعودية والعراق وقد تم الاتفاق على تصدير الكبريت المصرى للسوق الأوربية بـ ٢٠ مليون دولار خلال السنوات الخمس القادمة ، كذلك تم فتح اسواق كبريت جديدة في بلجيكا وشمال افريقيا والسودان الشقيق .

ثالثا :

## ● صناعة الأخشاب :

وتنتج الشركة اخشاب الفينير والأخشاب المضغوطة ذات الكثافة العالية والتي تستخدم في صناعة قطع غيار الات النسيج كالانوال والمواكيك وغيرها بمواصفات مختلفة .. كما تنتج الشركة خشب الابلاكاج من جزوع الاشجار والحور والاسبن المستورد .

هذه لمحة سريعة عن شركة رائدة من شركات الصناعة المصرية .. تقدم نموذجا لما يمكن ان يحدث من تطور للانتاج ومن قدرة على المنافسة على المستوى العالمي وذلك بفضل الادارة الرشيدة الواعية والعمالة المدربة التي تعي دورها في خدمة وطنها تحمل شعار "صنع في مصر" الى كل العالم

# دعوة الرحيل

للشاعر الفرنسي : شارل بودلير

ترجمة : محمد محيي [illegible]



ياطفلتى ، ياأختى
احلمى بعذوبة ان نحيا معا هناك
نحب فى هدوء بال
نحب ونموت
فى البلد الذى يشبهك !
الشموس الندية
فى تلك السموات الغائمة بروحى
لها السحر الغامض لعينيك الخائنتين
اللامعتين عبر الدموع
هناك ، كل شىء لا يكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا
اثاث فاخر صقلته السنون
يُزين حجرتنا
واندر الزهور
تمزج عطورها بأريج العنبر
الاسقف الغنية والمرايا العميقة
الفخامة الشرقية
كل شىء يتحدث فى سرّية الى الروح بلغته الاصلية





هناك ، كل شيء لايكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا
انظرى : على تلك القنوات
تنام تلك المراكب شاردة المزاج
ولكى تشبع اقل رغبة لكِ
فانها قد اقبلت من اقاصى العالم
والشموس الغاربة
تكسو الحقول ، القنوات والمدينة بأكملها
بالذهب والياقوت
والعالم يغفو فى ضياء دافىء
هناك ، كل شيء لايكون الا منسقا وجميلا
فاخرا هادئا وشهيا

---

★ [ كتب شارل بودلير هذه القصيدة وهو يفكر فى مارى دوبرين التى احبها فى براءة وتبتل ]

★★ إطلاق لفظ الاخت على الحبيبة كان شائعا لدى الرومانسيين

قضايا حيوية

# حول أساليب الصراع الفكري

بقلم: طارق البشري

تفضلت مجلة «الهلال» ونشرت في عددي مارس ومايو الماضيين موضوعا عن أساليب الصراع الفكري. وقد اسعدني كثيرا ان يجد هذا الموضوع صدى لدى عدد من كبار مفكرينا ذوي الثقافة العالية.. وذوي الاهتمام الجاد بشئون الجماعة الوطنية، وهم على توجهات فكرية متعددة. وهم الاستاذ الدكتور محمود عبدالفضيل، والكاتب الكبير الاستاذ مصطفى الحسيني، والاستاذ الدكتور محمد سليم العوا. فكان إثراؤهم الحوار غاية في الأهمية، ووددت لو ان لنا جميعا من فسحة الوقت مايمكن من استمرار هذا الحوار على هذا النحو الموضوعي الجاد المطمئن، بعيدا عن كل ذلك الصخب الذي يختلط فيه الفكر بالدعاية، وتختلط معارك الفكر بمعارك السياسة اليومية باختلافات الأفراد.

وتعقيبا على هذا الحوار، يهمني ان اشير الى عدة ملاحظات تتعلق بحديثي السابق عن «أساليب الصراع الفكري».

**الملاحظة الأولى** انني كنت قسمت موضوعي قسمين، قسم حاولت فيه ان اوضح رؤيتي الخاصة للتضاريس الاساسية للخريطة الفكرية في الحياة السياسية المصرية، مع الاشارة العاجلة للظرف التاريخي الذي اوجد تلك التضاريس حسبما ظننت، وحرصت ان اوضح هذه الرؤية في البداية، لأني حرصت على الا يلتبس موقفي في نظر القاريء، ولأن الحديث عن اساليب الصراع المستخدمة من اطراف الصراع جميعا، قد يوهم القاريء انني «محايد» او انني بعيد عن هذا الصراع أو انني أنصب نفسي حكما بشأنه. وهذا غير صحيح وهو لا يجوز. وحرصت نفيا لهذا الوهم أن اوضح للقاريء انني اقف داخل نطاق الصراع الفكري القائم ولست خارجا عنه، ولعل الحديث عن اساليب الصراع من أطراف الصراع انفسهم أجدى كثيرا.

**الملاحظة الثانية**، كان اهم ما يهمني توضيحه في هذا الأمر، أن ثمة

اسلوبين للصراع الفكرى ، اسلوب الحوار الذى يبغى الوصول الى تسويات فكرية بين المتحاورين فيرفع عناصر التنافى فى الافكار المطروحة والاسلوب الثانى اسلوب قتالى يبغى استبعاد الطرف الآخر وتصفيته الفكرية . ولا اعتراض لى طبعا على اصل وجود الصنفين ، كما انه لا اعتراض لى على أصل وجود اسلوبى الحرب ، والتسوية فى الصراعات الدولية . انما وجه الاعتراض الذى اقتضى منى الحديث هو ان هذين الاسلوبين قد اتبعا بالمخالفة لما يتعين ان يجرى عليه الحال ، فاستخدمت ادوات القتال بين من اتصور انهم حلفاء وساد اسلوب التسوية بين من اتصور أنهم خصوم . ارايت لبنان ، كيف إندار مواطنو البلد الواحد على بعضهم بعضا تقتيلا وذبحا ، وكيف اندارو على خصومهم تفاوضا وهدوءا . هذا بالضبط ما حدث عندنا فى المجال الفكرى ، ونحن اليوم فى مصر نشكو من « لبننة » الصراع السياسى والفكرى .

وفى هذا السياق ذكرت ما ذكرت عن ان كلا من قوائم رصد المشكلات وقوائم رصد الحلول تكاد تكون سليمة ... ولكن المعضلة تقوم فى وصل الخطوط بين كل مشكلة ونوع حلها وكان القصد توضيح المعنى السابق . فالحديث موجه لهؤلاء الذين تجمعهم أهداف عامة واحدة إستقلالا للوطن ونهوضا به . وهؤلاء بالافتراض « وبالتعريف » يجمعهم إدراك عام واحد لنوع المشكلات المطروحة ونوع حلها . ونحن اذا فقدنا « مجمع الأهداف والحلول العامة » فلن يكون لحديثى معنى لأننا سنفقد ما يقوم به النظر العام المشترك بين الأطراف المتحاورة . وعندئذ يصير من المنطقى والواقعى ان تقوم الحرب الفكرية وان تستمر . وأننى عندما تحدثت فقد افترضت أن من اتحدث عنهم واتحدث إليهم هؤلاء الذين يلتقون فى هذا « المجمع العام » .. اى اننى اتكلم « بالتعريف » والافتراض فى اطار التيارات الفكرية للحركة الوطنية .

وقد عاب علىّ د . عبدالفضيل انى اتصور ان الخلاف يقوم « فى مجرد توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين ( قائمتى رصد المشاكل والحلول ) ، وصيغته تعنى انه انني اهون من الخلاف ، رغم اننى قصدت التهويل وليس التهوين ، لأن الخلاف فى ادراك المشاكل او ادراك الحلول ، أيا كانت خطورته وضخامة حجمة ، فهو معقول وهو قابل للمواجهة باساليب المواجهات الفكرية والاجتماعية والسياسية المختلفة ، من التصويب البسيط للخطأ البسيط ، وانتهاء باستخدام العنف والاقتتال . اما ان تكون المشاكل والحلول مدركة ولكننا نصل بين المشكل وعكس حله ، فهنا نجد انفسنا امام ظاهرة تشبه المرصد العقلى فى الساحة الاجتماعية ، هى نوع من الخطل واضطراب الادراك ، وكنت احسب اننى بهذا التصور الذى ذكرته اثير ازعاج القارىء ولا اهون عليه .

وعلى سبيل المثال بالنسبة لاوضاعنا المادية ، نحن لدينا مشكلة نقص فى الأرض الزراعية بالنسبة لاحتياجاتنا من الزراعة ، ولدينا مشكلة اسكان وامامنا حلول تتعلق بزيادة الرقعة الزراعية وزيادة المساكن ، والحلول مدركة ، ومتاحة

بشكل نسبي . فاذا شاهدنا اننا في سلوكنا الاجتماعي نعكس بين المشكلة وحلها ، بان نقيم المساكن على الارض الصالحة للزراعة او المزروعة فعلا ، ونستصلح الارض الجدباء حتى تخضر ثم نقيم عليها المصانع فتبور . واذا شاهدنا ان القاهرة تنمو للغرب فتأكل الأرض الزراعية رغم امكان نموها اصلا في الصحراء المتاخمة شرقا . هنا نحن لا نهوض من مشكل ولكن ننبه الى نوع من اضطراب العقل الاجتماعي ، هو أشد خطرا من المشكلة ذاتها وهو اعظم ضررا على اهدافنا كلها . وبالمثل في صيغتي الوافد ، والموروث ، نبقي استرداد الضائع وحفظ القيم ، فاذا صنعنا العكس لم يكن هذا خطأ وغفلة في ايجاد الحلول ، ولكنه خطل وارتباك في ميزان الامور ومنهج ادراك الامور ، وهذا افدح اثرا واشد ضلالا واعظم خطرا على الامة ومستقبلها .

**ومثل ثالث** : اذا نظرنا الى التراث وجدنا فيه ما يلزم استبقاؤه واستصحابه وما يحسن تجاوزه . فاذا رأينا بين ظهرانينا من ينظر الى الفقه الاسلامي والشريعة على انها مما يحسن تجاوزه ، ثم ينظر الى « الف ليلة وليلة » على انها مما يتعين استبقاؤه بنصه وفصه والا صار ذلك عدوانا على الفن وانتهاكا لقدسيته ، كان هذا من الخطل الذى يتعين علينا ان نشير إليه .

**والملاحظة الثالثة** على حديثي السابق ، انني حرصت على الا احدد مسئوليات ، ولا حاولت ان اشير الى تيار بعينه أيا كان ، على انه المسئول عن شن تلك الحرب الفكرية ، أو على الاستمرار فيها . حرصت الا أفعل ذلك لعدد من الاسباب ، منها انني لست حكما وقد ابعدت نفسي من البداية عن شبهة كوني كذلك ، ومنها ان تحديد المسئوليات عن الاحداث العامة امر يملكه المؤرخ كمحاولة منه لتحليل ظواهر الماضي . اما ظواهر الحاضر فالحديث عن المسئوليات فيها هو جزء لا ينفصل عن صراعات الحاضر . وان الخصام الذي يدور حول اية قضية عامة ، خليق ان يثور هو نفسه بين ذات الأطراف التى تتجاذبه ، وذلك حول من المسئول عن اثارة هذه القضية او هذا الخصام والاحداث العامة تقوم وتنمو وفقا لتسلسل للافعال وردود الأفعال ، تسلسل لاتكاد تبين بدايته ، فالحديث عمن بدأ هذا الحدث أمر سيبقى محلا للخلاف من جانب الأطراف التى تتناول هذا الحدث ، ومادام أن الحدث العام انما يتشكل غالبا وعامة من تسلسل افعال وردود أفعال ، فستبقى البداية غالبا بداية ظنية ليست يقينية ، ولن يعدم اى طرف ان يجد فى هذا التسلسل نقطة بداية من صنعه او من صنع خصمه ، حسبما يرى فى الحدث من اوزار يريد القاءها على الغير او من محاق يريد نسبتها لنفسه .

ولننظر مثلا الى الحرب الايرانية العراقية ، فالايرانيون يرون فى اقتحام جند العراق اراضيهم بداية للحرب ، والعراقيون هذا الاقتحام مجرد رد فعل للهجوم السياسى والاستفزاز الايرانى للعراق . ويبقى الامر هكذا متشابها حول أى الاعمال يعتبر فعلا وايها يعتبر رد فعل . ومادامت الحرب قائمة فهى راد ومردود ، ومن يعلق إنهاء الحرب على تحديد من المسئول عن قيامها ، يكون قد علق الانهاء على شرط لن يتحقق ، لأن تحديد المسئولية فى هذا الظرف سيبقى وجها من وجود الصراع الدائر ، ولن يعدم كل فريق ان يجد وقائع يسند بها دعواه ، ولن يعدم كل فريق أن يستنبط منطقا معينا يؤكد به وجاهة الاشارة الى نقطة معينة فى تسلسل الوقائع يراها بداية للحدث القائم ، والأحداث تجرى على تسلسل معين كراد ومردود ، كما نعلم .

لذلك ارجو من القارىء ان يتفهم وجهتي فيما كتبت فى هذا الشأن ، وانى حرصت على ألاّ يتطرق الحديث الى مسألة من المسئول عن استخدام الاسلوب الحربى . وحسبى ان نعرف ماذا يحدث واى اسلوب يستخدم واى ادوات تستعمل فى الجدال ، واى مخاطر تتربص بنا جميعا فى هذا الشأن ، ثم ينظر كل منا الى نفسه فيحاسبها بروح المسئولية العامة عن الامة والوطن .

ولذلك ارجو ان يتفهم د . عبد الفضيل هذا الامر ، فانه بدأ حواره وجرى فيه مسرعا فى فواتحه الى قول « دعونا نتساءل من ذا الذى يبادر باغلاق الحدود الفكرية واغلاق باب الاجتهاد والحوار » « وأجاب على الفور بان القى التهمة على ممثلى « تيار الاسلام السياسى ومن يشايعه » ، ولم يعدم قولا يقتطف من « أحد ابرز ممثلى حركة الاخوان » يشير فيها الى من يرفض الشريعة لا يعتبر مسلما وذكر أن منهج الأستاذين الشيخ محمد عبده ورشيد رضا يخالف هذا الموقف الجامد .

ويمكننى ان أعلق كثيرا على هذه النقطة ، فاقول ان اصل تطبيق الشريعة هو مقوم من مقومات الاسلام ، ومحمد عبده ورشيد رضا لايجحدان هذا الأصل ، ولا أظن الدكتور محمود اهتدى الى نص لأيهما يفيد هذا النكران ، ولو كانا هكذا لما بذلا حياتهما وجهدهما فى تفسير القرآن الكريم ، وتجديد الفقه الاسلامى ، يمكننى ان استطرد فى التعليق ولكن ارجو ان يتنبه القارىء اننى ان فعلت أكون قد جاوزت الموضوع الذى قصدت الحديث . وارجو للدكتور محمود ولنفسى ان نتحاور هنا فى اساليب الصراع ، والا نستدرج الى استخدام هذه الاساليب . وعلى اى حال فان الصيغة التى يشكو من استخدام « تيار الاسلام السياسى » لها ، يمكن لهذا التيار ان يشكو من مثيلاتها التى تستخدم على ألسنة العلمانيين واقلامهم عندما تنعى على الاسلاميين التخلف والجمود وترميهم احيانا بالخيانة وبمعاداة الشعب والمرأة والفنون والتقدم والعصر ، وسؤالى اليست كل هذه ادوات نفى للخصم ، وفيها مصادرة للحوار باسم عدم الشرعية ؟ ..

بقيت نقطة حوار مع الدكتور عبدالفضيل الذى أغنى هذه المجادلة أيما اغناء ،

وهي تتعلق بالجبهة وتحفظه على ما أطمح أنا اليه مما سميته « التيار الغالب » وهو في ظنه امر قد يطمس التمايزات الفكرية والسياسية للقوى المختلفة . وهذه مسألة تحتاج الى عرض أوضح وشرح اكثر لوجهة نظرى ، وقد اسعدنى ما اثاره من تحفظات ، لأن الفكرة في عمومها لا تقوم على استبعاد الآخرين وانما تقوم على اقامة كيان مرن يعتبر بمثابة « مجمع للأهداف والحلول العامة » يقوم على اسس عامة ويحتمل في داخله الخلافات والتميزات ويقبل التجدد وهو يقوم على اسس فكرية وسياسية واجتماعية وليس على اسس قانونية ، بمعنى أنه يقوم بالجهد البناء والاقتناع العام وليس بالقهر القانونى ومن ثم يبقى حق الجماعات فى التشكل قائما ، بل يعتبر هذا التيار الغالب هو قوة الدفاع الاساسية لهذا الحق .

ولمصطفى الحسينى تجربة فكرية بالغة العمق ، هى حصيلة خبرة عريضة وعقل متأمل ونفس لا تطيق القيود . وقد فصل ببراعة وبرشاقة بين ما يراه خلافا ليس المجال مجال بيانه ، وبين ما يراه معًا يتشابه فيه دعاة الموروث ودعاة الوافد من سلبيات علقت بهم جميعا وتسببت فى تلك الظواهر التى تراها فى اساليب الصراع بينهم .. ومن اهم السلبيات المتشابهة لدى الطرفين عنده بعدهما معا عن معالجة الواقع .وهو هنا يضع ايدينا على مفتاح هام لحل مشكلة « اساليب الصراع » المثارة ، وهو ان نحاول صرف الجزء الأرجح من جهودنا فى الجوانب التطبيقية ولادراك الحلول للمشاكل الواقعية المطروحة ، لنحدد مساحات الخلف فى الواقع ومجالات الالتقاء . على انه تظل هناك نقطة قد تكون مجالا لحديث مقبل ، وهى تتعلق « بما هية الواقع » فالبعض قد يتصور ان « الواقع » هو مجمل الاوضاع الاقتصادية او السياسية الملموسة ، فالوطن كقيمة معنوية هو من الواقع ، والمعتقدات السائدة وما تدين به الجماعة من اصول وقيم هو من واقع هذه الجماعة ايضا .

واذا كان مصطفى يرى اننى ادخلت فى اطار المسلمات ما ليس كذلك مشيرا الى ما ذكرته من وجوب الاقرار العام المتبادل بالاصل المرجعى للشريعة الاسلامية وبحركة التجديد فى الفقه الأخذ منها ، وهو يستند فى هذه الملاحظة الى انه رغم موافقته على قولى فانه يرى ان ثمة صراعا فكريا حاصلا فعلا بالنسبة لهذه المسألة ويخشى ان يكون فى قولى مصادرة لهذا الصراع . وهذه

النقطة هامة جدا فالخلاف حول أصل الرجوع الى الشريعة الاسلامية هو خلاف قاسم للامة ، وهو انقسام لا اظن اننا نرجو منه البروء، الا ان يحوز مبدأ الشريعة مكانه بين الاصول العامة التى ينبغى ان يلتقى عليها جمهور الامة فى مصر .

واعيد الاشارة هنا الى ما سبق ذكره فى البداية ، من اننى اتوجه بالحديث كله لجمهور الحركة الوطنية ، وفى هذا الاطار فان الانقسام الاساسى داخل هذه الحركة انما يتأتى من الخلاف حول هذه المسلمة . لقد تحولنا الى طوائف متناحرة بسبب وجود من ينكر هذه المرجعية . وانا اتصور ان المصالح العليا للجماعة الوطنية تقوم على اسس ثلاثة تتعلق بالاستقلال العقيدى والحضارى والاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى ، وانه لايمكن اهدار واحد من هذه الوجوه ، ثم انها جميعا فيما يظهر لنا من سباق حركة التاريخ والفكر والسياسة المصرية ، تمثل حصيلة عامة لهذه الحركة كلها ، واننا اذا تتبعنا برامج الأحزاب كلها ، وما وجدنا مؤسسة سياسية واحدة فى مصر تنكر صراحة هذا الأمر ، وذلك ايا كانت النوايا بشأنه وأيا كان حجم التناقض بين هذا الوضع وبين المواقف الفعلية . وهذا دليل على ما يتحله هذا الأمر من مكانة بين المسلمات ، فلا يقدر مخالف ان يجهر بمبدأ المخالفة من شأنه .

وقد اسعدنى تعليق الاستاذ الدكتور محمد سليم العوا ، فقد تناول معنى فكرة «السيادة للشريعة» وربط ربطا موفقا بين هذا الأمر وبين الديمقراطية ، وهو ينظر الى سيادة الشريعة لا من وجهة كونها مقوم عقيدى فقط ، ولكن بوصفهما مقوما حضاريا يرعى اوضاع غير المسلمين فى الجماعة الوطنية ويتشكل منه درع المساواة بين المواطنين ، ثم هو يتوجه بالنقد الجاد لبعض روافد التيار الاسلامى ومظاهر التقصير فى هذا المجال ، سواء من حيث الاكتفاء بالظواهر او من حيث الغفلة عن اوضاع السياسة والاقتصاد ، فكان حديثه من موقعه لأزما وخصبا لأنه وقف على ثغر اخر ليؤكد على روح التجديد فى الفكر الاسلامى ومنهج التجاوب مع الواقع بشأنه .

ان الموضوع كله فى ظنى هام جدا ، وهو يحتاج الى هذا الحوار الهادى الرصين الصريح الذى يبتعد قليلا عن صخب الاحداث الجارية وإن بقى متصل الوشائج بحركة الفكر الدوار فى المجتمع وهو يحتاج الى هذا المنبر الجاد الوقور «مجلة الهلال» التى افسحت لهذا الحوار ، وارجو ان تفسح له مرات اخرى فالموضوع لم يأذن بالانتهاء بعد .

قضايا حيوية

# فى أىّ وحدة مقترحة ...

# من يملك الابتعاد عن قضية اللغة ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

**اذا كان المستشار المؤرخ طارق البشرى ، قد اعلن فى مقدمته لكتاب المرحوم الدكتور على مختار ، الذى يحمل عنوان : (( حول القومية والعروبة والنهضة )) ، ان الحوار قد توقف بينه وبين صديقه الراحل فى حياته ، بسبب ماسماه (( بالتباعد الفكرى )) الذى بدأ ينمو بينهما حول ما يمكن تسميته - على حد تعبيره - (( بالوطنية الاسلامية )) (( والوطنية العلمانية )) ، فانه فى مقالة اخيرة للدكتور على مختار - لم يطلع عليها الا بعد وفاته - قد وجد فيها جسورا موضوعية للحوار حاول مختار ان يبنيها بين التيار القومى والتيار الاسلامى ، ويضيف فى آخر مقدمته ، (( واذا كان القدر لم يمهله لمزيد من الحوار ، فلا تزال دعوته تستدعى منا اسلاميين وقوميين كل الحرص على استمرارها ، وهذان هما فريقا الوطنية العربية فى هذا العصر ، اذا تقاربا واتفقا ولو تطابق ، فلن يقوم عائق فى وجه بناء مجتمعاتنا المستقلة الناهضة المتحررة باذن الله .**

● اول ما تلحظه العين ، فى عبارة البشرى الاخيرة ، أنه حينما أراد أن يجمع بين الاسلاميين والقوميين فى اطار واحد يشملهما ، لم يجد سوى تعبير « الوطنية العربية » . ولو تأمل طارق عبارته لاكتشف انه بهاتين الكلمتين ، قد اسلم الراية لصاحبه الراحل دون ان يشعر ! فما كان على مختار ، وأمثاله من القوميين الا دعاة « للوطنية العربية » ، وتسميتها « بالقومية العربية » لا يغير من الامر شيئا . وليس

هذا من باب « القفش » ألزم بـه طارقا فى شىء من فكره ، ولكننى أناشد فيه عدالة القاضى ودقته ، وأسأله مـاذا يمكن أن تعنى عبارته بالتحديد ، لـكى تضم الاسـلاميين ـ كما يرى نفسه ـ والقوميين من أمثال على مختار ،خلاف ما قلت ؟! ورحم الله أياما كان أصحاب هذا الضرب من « الوطنية » فى بلادنا يرون العروبة والاسلام وجهين لعمـلة واحدة ، لا يكادان ينفصـلان ، ولعل طارقا قد ألمح الى شىء مـن ذلك ، فى بدايات مقدمته ·

## ● انها لغة القرآن

ومن يتتبع « النظرية » ، التى حاول على مختار رحمه الله ان يصوغها حول قضية الامة ، خـلال المقالات والبحوث التى يضمها كتابه ، والتى جادل فيها كثيرا من الكتاب والمفكرين ، والصيغ الجاهزة والمقترحة لتعـريف الامة او تحديد هويتها ، فيمكن تلخيص الصيغة التى اختارها ، ويكاد يعتبرها ظـاهرة خاصة بالامة العربية ، فى رفضه لبعض الشروط التى حددها ستالين فى تعريفه المشهور فى أدبيات الماركسية للامـة ، بأنها جماعة من الناس تكونت تاريخيا، ولها لغة واحدة وتاريخ مشـتـرك ، وتضـمها أرض متصـلة ولها كيـان اقتصادى موحد · وأن ظهور فـكرة الامة ينتهى تاريخيا الى فترة نشـوء الرأسمالية المعـاصرة ، وتحولها مـن رأسمالية تجارية الى صناعية ثم مالية، وأن الحاجة الى « السوق الوطنية » ، أبرزت فكرة الامة ،والسعى الى توحيدها، أو الاستقلال بها عن أمة أخرى ، بحيث تتطابق الحـدود السياسية للامـة مع حدودها الثقـافية ، الممثلة أساسا فى لغتها الواحدة وتاريخها المشترك ،بعد عصر الامبراطوريات التى كانت تقـوم طبقا لقـدرة احـدى الامم على الفتح والسـيطرة على سواها من الامم أو اجزاء الامم

يرفض على مختار ربط فكرة الامـة بالشرط الاخير فى صيغة ستالين وهـو شرط « السـوق الوطنيـة » او الكيان الاقتصادى المشترك ، وبالتالى يرفض اعتبار ان « الامة العربية » وهى قضيته الشاغلة فى الكتاب كله ، بل قضية عمر المرحوم مختـار بأسره ·· يرفض ان يقول ان وجود الامة العربيةبهذه الصفة يتوقف على وجود سوق واحدة لهـا ، أو ان نشوءها كان عليه ان ينتظـر عصر الراسمالية ، التى ظهرت اسـاسا فى غرب اوربا ، وان الامةالعربية قائمة قبل هذا العصر بزمان طويل ، وان مـا آل اليه امرها بعد الغزو الاوربى ، من الحاق اجزائها كل على حدة ، بالسـوق العالمية للراسمالية ، وتقسيم العمـل العـالمى لهـا ، من موضـع التبعية باعتبـارها مستعمرات او اشـباه مستعمرات ، قد حال دون نشوء الحياة الاقتصادية الموحدة ، والسوق الوطنية الموحدة لها ، ان لم يكن قد دمر ما كان قائما من ذلك فيها من قبل هذا الغزو الاستعمارى الاوربى ·

تبقى اذن مقومات الامة العربية عند على مختـار ، هى اللغـة والتراث والتاريخ المشترك ، والارض المتصلة ، وواضح ولو لم يقل ذلك على مختار ـ ان اللغة العربية اذا انتشرت على هذه الارض المتصلة ، وظلت باقية عليها ، تتحدى فروق اللهجات المحلية من جانب ومحاولات الاستعمار احلال لغته محلها من جانب اخر بفضـل القرآن ، وان التاريخ المشترك الجامع لهذه الامة هو تاريخ الاسلام والثقافة المشـتركة

## قضايا حيوية

تفرض لغتها ، ليس فحسب على العلوم الطبيعية عند المسلمين حين اشتغلوا بها ، بل ايضا على العلوم الدينية عند غير المسلمين من يهود أو نصارى كانوا يعيشون في ديار الاسلام ، وبهذا أوجد الاسلام والقرآن الامة العربية على هذه الارض المتصلة من الخليج الى المحيط · والفارق الرئيسي بين أمتنا والامم الاوربية أن الحضارة المسيحية ـ اليهودية التى قامت هناك ، وكان الكتاب المقدس ولا يزال هو كتاب عبادتها وأصل ثقافتها ، الا انه لم يكن له نص لغوى واحد يلتزم به الجميع فيما يتعبدون كالقرآن ، الذى يعتبر بيانه العربى هو معجزة نبى الاسلام ! ·

وعليه ، فاذا ما تطلع الاسلاميون أمثال طارق البشرى الى وحدة اسلامية ، فان دولة الوحدة الاسلامية ، لابد لها من لغة ، مثل أية دولة وحدوية فى العالم ، مثل الولايات المتحدة الامريكية التى تتكلم الانجليزية ومثل الاتحاد السوفييتى الذى يتكلم الروسية ، فهل يمكن ان تكون هذه اللغة الا اللغة العربية ؟ اننا نتكلم هنا عن وحدة تختارها الامم الاسلامية ، أو جماع الشعوب التى تمثل الامة الاسلامية اذا شاء « الاسلاميون » استخدام هذا التعبير ، ولا نتكلم عن وحدة « مفروضة » تمليها أمة أعجمية باسم الاسلام ، مثل الدولة العثمانية مثلا ، فضلا عن انه على حسب ما قال الدكتور محمد حرب فى احدى مقالاته عن هذه الدولة ، أن لغة التعليم بها كانت العربية الى عام ١٩٢٣ ! فاذا شاءت الامة أو الامم الاسلامية أن تتحد مع العرب ، فمعنى ذلك أنها سوف ترتضى أن تصبح ـ بل تعود عربية اللسان ، والعروبة كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال : انها ليست بأب لاحدكم ولا أم ، انما هى لسان ! لذلك خلت فكرة العروبة ، والقومية العربية من قضية الاعراق نهائيا ، وأصبحت قضية لسان لاأكثر ، من تكلم به فهو عربى · وحق على كل مسلم أن يعرف العربية أو شيئا منها حتى يتعبد ويقرأ القرآن ، حقا انه لافرق بين عربى ولا أعجمى الا بالتقوى ، هكذا تقضى شرائع الاسلام ، ويمكن للاعجمى أن يصبح مسلما ويبقى على لسانه ولسان قومه ، ولكن الاسلام لا يمكن الا أن يكون عربيا ، لانه نزل على قلب نبيه بلسان عربى مبين !

هل هناك جسر اقرب من هذا بين دعاة الوحدة العربية أو الاسلامية لو تأملوا القضية ؟ ان أيا منهما لابد وأن تنضى الى الاخرى ، وان اتحد العرب ، فلا غرابة فى أن يسعى مسلمون من الامم الاخرى الى الوحدة معهم على شرط عروبة اللسان ، وان اختار المسلمون أن يتحدوا فلا مفر من ان يتخذوا لسان العرب لغة لدولتهم المتحدة ، حتى ولو احتفظت أصقاع من بلادهم بلغاتها الاعجمية المحلية ، كما هو الحال الان فى بعض الدول الاتحادية ، مثل الاتحاد السوفييتى والهند ، مع وجود لغة عامة شاملة للاتحاد وجميع من يعيش على أرضه ·

واذا كان التوحيد السياسى ، عربيا أو اسلاميا ، اذا ما تحقق فى الظروف

الحاضرة لابد وأن يكون بالاختيار الحر من جانب الامم أو الشعوب المعنية ، حيث لا يبدو فى الافق أن أحداً سوف يعيد توحيد هذه البلاد بالقوة أو الفتح أو حد السيف ·· وحيث أن الوحدة على هذا النحو لابد وأن تكون وحدة ديمقراطية ـ واعتذر لمن يضيق من الاسلاميين بهذا اللفظ الدخيل علينا من لغات الاوروبيين ـ فان نظام الحكم أيضا فى دولة الوحدة لابد وأن يكون كذلك · واختصر الطريق فأقول ان الثورة الايرانية بعد ان قضت على حكم الشاه · وأرادت أن تقيم نظاما تنسبه الى الاسلام ، اوجدت ما يسمى « بالجمهورية » الاسلامية ، وواضح ان لفظ الجمهورية هذا ليس من موروثات الاسلام ، وانما هو ترجمة لكلمة أوربية ومفهوم أوربى ، ولهذه الجمهورية « برلمان » ، وهو كالديمقراطية ، والجمهورية ، تعبير ومفهوم أوربى سواء بسواء ، بغض النظر عن مدى ديمقراطية هذه الجمهورية ، أو حتى اسلاميتها عند من يخالف مذهبها أو يأخذ شيئا على سياستها !

فاذا ما أراد المسلمون اذا ما اتحدوا فى دولة واحدة ، أن يكون لهم نظام حكم أقرب ما يكون الى الاسلام ، ولنقل « الخلافة » مثلا: فهل يتصور أن يقتصر اختيار الخليفة ، أو أمير المؤمنين ، أو الحاكم ، على أهل الحل والعقد مثلا ؟ ومن الذى يحدد من هم فى هذا الزمان؟ وهل يمكن أن تؤخذ البيعة له بالتراضى

أو حد السيف كما حدث فى بعض [تار]يخ الاسلام ، بعد أن عرف العالم [وع]رفت بلادنا ورقة الانتخاب ؟ وهى

وسواها من الواضح أنها وسائل لم تكن متاحة فى الماضى ، ومن الخيال ان يتصور أحد الاعراض عنها بعد أن وجدت وعرفت ، ولا أحسب أحدا يزعم ان فى استخدامها خروجا على الدين !

تبقى نقطة الخلاف الرئيسية الاخرى بين الإسلاميين والعروبيين فى موضوع تطبيق الشرعية الاسلامية ، وأعتقد أن حل هذه القضية أيضا رهن بالديمقراطية ، فجموع الامة فى الدولة الوحدوية أيا كان اسمها اذا ما قامت هى التى سوف تفرض من خلال ورقة الانتخاب والتصويت فى المجالس المنتخبة ، المدى الذى تذهب اليه الامة فى التقيد بنصوص الشريعة فى أحكامها ولن يستطيع احد ان يصد الاغلبية عن تقرير ما تريد ، لو ضمنت لهذه الاغلبية حرية الاختيار ·

انه فى اطار الحرية والديمقراطية يمكن للحوار ان يتصل ما بين الاسلاميين والعروبيين كما قال طارق البشرى فى تقديمه لكتاب على مختار ، ولكننى لا أرى ما بين الفريقين جسورا للحوار فحسب ، بل انني أراهما ، على فروق بينهما فى الاصول الفكرية ، قد لا يلتقيان بسبب منها أبدا مثل الخطين المتوازيين ، ولكن لقاءهما غير مطلوب ، بل انهما على توازيهما قد يعملان مثل خط السكك الحديدية ، يحملان معا « قطار » الوحدة لبلادنا الممزقة ، حتى يتحقق الكيان الكبير · الذى يؤكد على مختار عن حق فى كتابه انه ضرورة لتحقيق النهضة والتقدم العلمى والاقتصادى والصناعى حتى تمثل امتنا المكانة اللائقة بها بين الامم ، وهو غاية المراد من رب العباد!

السينما والمستقبل

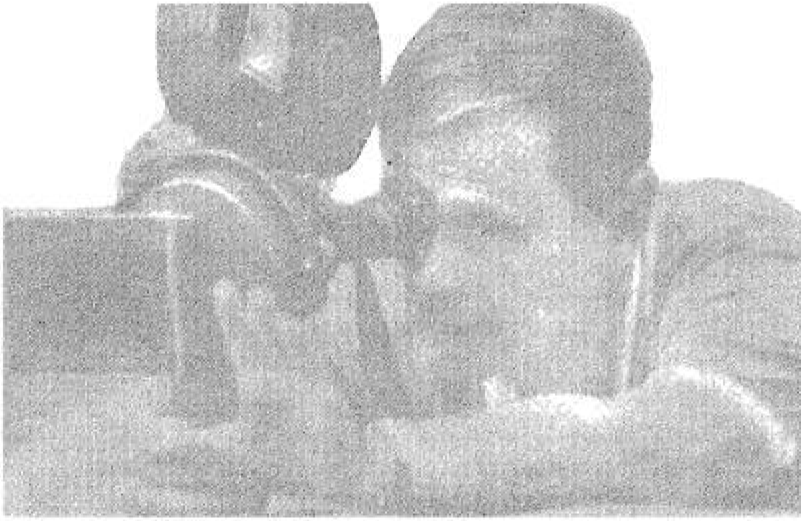
# الثقافة السينمائية
## الرسائل والوسائل

بقلم : د. أحمد أبوزيد

**انتبه الكثيرون منذ اول العهد بظهور السينما الى اهميتها وخطورة الدور الذى يمكن ان تلعبه في توجيه سلوك الناس وتعديل قيمهم الاجتماعية والاخلاقية وتغيير اسلوب الحياة الذى اعتادوا عليه ، بل ان هناك من الكتاب من اعتبرها ابعد الفنون اثرا وفاعلية فى تشكيل العقل البشري والثقافة الانسانية بوجه عام**



وعلى الرغم من ان ارتياد دور السينما قد تراجع فى السنوات الأخيرة فى كل انحاء العالم بما فى ذلك مصر حسب ما تذكر بعض الكتابات (وإن كانت تنقصنا الاحصائيات عن ذلك) فإن السينما بالمعنى الواسع للكلمة ، وكما تتمثل فى صناعة الفيلم وإنتاجه ، لاتزال تقوم بنفس الدور القديم من حيث قوة التأثير وعمقه واتساع دائرته بحيث وصل ذلك التأثير الى مناطق وقطاعات ، من الناس لم يكن يصل اليهم من قبل . وحدث ذلك بعد ان ظهرت وسائل واساليب جديدة تعتمد اساسا على الفيلم وعلى المادة الفيلمية فى اداء رسالتها الثقافية والاعلامية مثل التليفزيون ثم الفيديو . فقد ادت هذه الوسائل الى ملء الفجوة الهائلة التى نجمت عن قلة الاقبال على دور السينما وتراجع ارتيادها . ومن هنا فقد يكون من الصعب الكلام عن السينما كوسيلة من وسائل الثقافة وعن الرسالة التى تضطلع بها دون ان تتعرض بشكل او بأخر للتليفزيون والفيديو اللذين يعتبران الى حد كبير امتدادا للسينما ودورها فى الحياة الثقافية والاجتماعية . فالتليفزيون يقوم الآن وبشكل اكثر فاعلية بنفس الدور الذى يفترض ان تقوم به السينما ، وجاء



ذلك على حساب دور العرض بغير شك . وهو يؤدى هذه المهمة فى ظروف وأوضاع تختلف تماما عن الظروف والأوضاع التى يتم تحتها عرض الفيلم السينمائى فى دور السينما . فبعد ان كان المرء ينتقل بنفسه لمشاهدة الفيلم فى دار العرض اصبح الفيلم هو الذى ينتقل اليه فى بيته .. وقد صاحب ذلك تغيير واضح فى كل المظاهر (الاحتفالية) التى كانت حتى عهد غير بعيد ترتبط بالذهاب الى دار السينما . فقد كان (لحفلات) السينما ـ كما كانت تدعى ـ نفس الطقوس ونفس الاهتمام والهيبة التى تحيط بكل العروض الفنية الرفيعة الراقية ، ابتداء من الحرص على ارتداء الملابس الكاملة على الأقل فى الحفلات المسائية الى المحافظة على مواعيد العرض الى الالتزام بآداب السلوك المهذب الرصين الذى يعتبر فى حد ذاته مقياسا ودليلا على الاستمتاع بالفيلم كما كان يساعد فى الوقت نفسه على تحقيق تلك المتعة او ذلك الاستمتاع وهذه كلها أمور لم يعد لها وجود الآن فى الأغلب ، نظرا للتغيرات التى طرات على بنية المجتمع المصرى واختلاف القطاعات التى ترتاد دور السينما الآن وتغير انماط السلوك والقيم واختلاف الاهتمامات والنظرة الى الحياة ، بل اختلاف معنى ومفهوم المتعة الفنية وتباين المدارك وتغير فهم الهدف من السينما ورسالتها وما أدى اليه هذا كله من اختلاف المادة الفيلمية ذاتها فى الأغلب عما كانت عليه لكى تلائم هذه النظرة الجديدة وتتفق مع امزجة وثقافة الرواد الجدد .

## ● السينما وديمقراطية الثقافة

فالوظيفة التى يقوم بها الفيلم الآن فى مجال التليفزيون والفيديو إذن هى امتداد لوظيفة السينما بالمعنى الدقيق للكلمة ، وذلك على اعتبار ان الفيلم هو شكل من اشكال التعبير الابداعى عن الفكر يعتمد على الصورة وعلى الحركة أو على الصور المتحركة بقول اصح ، وانتقال الفيلم الى البيوت عن طريق التليفزيون ادى الى

اتساع نطاق التأثير الثقافى للسينما ، وساعد ذلك على التقريب بين (ثقافات) مختلف قطاعات المجتمع التى تحرص على متابعة الارسال التليفزيونى وبذلك فإن التأثير الثقافى للسينما يفوق الآن تأثيرها فى الماضى حين كان عرض الأفلام مقصورا على دور العرض السينمائى فقط . كما أن هذا التأثير يفوق ايضا بدون ادنى شك تأثير المسرح .

ولقد كان المسرح يخاطب دائما جمهورا اضيق بكثير من الجمهور الذى تتجه اليه السينما وذلك بحكم طبيعة العمل المسرحى واسلوب المعالجة والاعتماد على السمع - وليس على البصر كما هو الحال فى السينما - فى المتابعة وفى التذوق والاستمتاع وهى عملية اصعب بكثير من الاعتماد على البصر وتحتاج الى مستوى ثقافى اعلى وأرقى - او هذا هو المفروض على الاقل بالنسبة لبعض المسرحيات - وعلى ذلك فإنه يمكن القول ان السينما تساعد على تحقيق مقولة (ديمقراطية) الثقافة ، بمعنى تيسير الثقافة وتقريبها لكافة الأذهان والميول والمستويات الاجتماعية بدرجة لا تتوافر للمسرح وإن كان ذلك يعتبر من المآخذ التى يأخذها بعض (الصفوة) المثقفة على السينما لأنها تنزل فى نظرهم بالثقافة الى المستويات الدنيا من الفهم بدلا من ان ترتفع بأذواق الناس وتفكيرهم وتعمل على تهذيب ميولهم وتربية مداركهم والارتقاء بها .

وليست السينما مجرد شكل من أشكال الفن التى يمارسها البعض ويعجب الآخرون ، إنما هى ايضا صناعة وتجارة ، بل انها من اعقد الصناعات نظراً لاعتمادها على إنجازات تكنولوجية كثيرة ومعقدة وتزداد تعقيدا طيلة الوقت وبشكل لا نجد له مثيلا فى غير السينما من الفنون بحيث اصبحت تدرج لها ميزانيات ضخمة تصل فى بعض الاحيان الى عدة ملايين من الجنيهات ، أو الدولارات للفيلم الواحد . ولقد اصبحت السينما وصناعة الافلام ميدانا هاما لاستثمار رءوس الأموال الكبيرة لأنها يمكن ان تعود الى اصحابها بعائد ضخم ، وذلك اذا احسن اختيار موضوع الفيلم والقائمين بالعمل فيه كما احسن توجيه الفيلم او الرسالة التى يحملها الى الجمهور المناسب . وتكاد صناعة الفيلم تتركز الآن فى الخارج فى ايدى عدد محدود من الشركات فيما يشبه الاحتكار ، ونحن لا نتكلم هنا عن مصر بطبيعة الحال حيث لا تتوافر مثل هذه الأموال الضخمة التى يمكن تكريسها للعمل السينمائى من ناحية ، وحيث يتخيل كل ممثل او ممثلة من الناحية الأخرى أن بإمكانه ان يصبح هو نفسه منتجا ومخرجا بقدر ما هو ممثل وكاتب قصة وكاتب سيناريو فى الوقت ذاته . وإنما نحن نتكلم عن البلاد التى اصبح لفن السينما فيها اوضاع وتقاليد راسخة وواضحة المعالم امام الجميع وحيث يعرف كل انسان مكانته وقدراته وقدره ويلتزم بها ، وحيث تقوم الحياة كلها على أساس دقيق وصارم

من تنظيم العمل وتقسيمه واحترام التخصص .

تعتمد السينما فى توصيل رسالتها على (الكلمة) ، وشأنها فى ذلك شأن كل رسائل الاعلام والثقافة وليس المقصود من (الكلمة) هنا الكلمة المنطوقة ـ المسموعة فقط وإنما المقصود فى المحل الأول الكلمة المرئية او الكلمة المحسوسة التى تتمثل فى الصورة والحركة ..

ولقد كانت الكلمة المنطوقة او الكلام اول اداة للتعبير فى تاريخ الانسان ـ وذلك اذا نحن استثنينا الاشارة او اللغة الصامتة كما تدعى فى كثير من الكتابات ، وكان الكلام دائما وسيلة نقل وتوصيل التراث الشفاهى كما أنه لايزال وسيلة نقل الثقافة وتوصيلها من خلال الراديو فى العصر الحديث .. ثم ظهرت الكلمة المكتوبة المقروءة فى مرحلة تالية للكلام واصبحت (أداة ووسيلة نقل الثقافة وتوصيلها من خلال الصحف والمجلات والكتب وما اليها ، حتى ظهرت اخيرا الكلمة المرئية المتجسدة فى الصورة والحركة والتى هى أداة التعبير ونقل الثقافة وتوصيلها من خلال افلام السينما والتليفزيون والفيديو .. وليست الصور المتحركة مجرد اداة تعبير او وسيلة توصيل فقط وإنما هى ثقافة ايضا لانها تحمل بين طياتها رسالة معينة بالذات لا يمكن توصيلها بهذه الدرجة من الدقة والتركيز الا من خلال الفيلم ، ولذا فإنها تحتاج الى قدرة وبراعة ودراية لقراءتها وفهمها وفك رموزها ولا ينطبق هذا على السينما التسجيلية او على الافلام الوثائقية وحدها وانما ينطبق ايضا على السينما الترفيهية التى هى فى آخر الأمر ـ ومهما تختلف الآراء حولها ـ وسيلة للتعبير عن آراء وافكار ومواقف معينة وبالتالى فهى ثقافة فى حد ذاتها حتى أن لم يظهر ذلك بشكل جلى وواضح لأول وهلة .

وهذا هو ما كان يقصده عالم الاجتماع الكندى المشهور مارشال ماكلوهان الذى توفى فى آخر يوم من عام ١٩٨٠ وذلك حين قال عبارته التى أصبحت بمثابة قول مأثور يستشهد به كل الذين يدرسون وسائل الاعلام والاتصال والتواصل والثقافة الجماهيرية وهى ان «وسيلة الاتصال هى الرسالة» . والمقصود بذلك ان أية وسيلة من وسائل الثقافة والاعلام كالسينما والتليفزيون والصحافة وما اليها هى فى حد ذاتها اهم بكثير جدا من مضمون او محتوى البرامج التى تذيعها او تنشرها وتقدمها للناس . فالناس يقبلون على مشاهدة التليفزيون مثلا بصرف النظر عن البرامج التى يقدمها لهم وعن نوعية المادة التى تتضمنها تلك البرامج اى أن للتليفزيون القدرة على التحكم فى الناس وفى حياتهم وتفكيرهم وأذواقهم واخضاعهم لقوته وسلطانه دون ادنى اعتبار لما يقدمه لهم من مادة ثقافية او ترفيهية او اعلامية . وهذا يصدق ولكن بدرجة اقل على السينما وعلى بقية وسائل الاتصال والثقافة الجماهيرية الأخرى .

ولذا فإن الأهمية بمكان ان ندرس ونفهم وسائل الاتصال واجهزة الثقافة وطبيعتها لإنها هى التى تشكل حياة الناس وعقولهم بطريقة لاينتبهون اليها ولا يدركونها ولا يكادون يقدرون خطرها وهذا تغيير جذرى وثورى فى ثقافة الناس وطبيعة هذه الثقافة التى تعتمد على الرؤية والمشاهدة وعلى الصورة والحركة ـ اى

على الكلمة المرئية ـ بعد ان كانت تعتمد على الكلمة المطبوعة أو الكلمة المكتوبة المقروءة . فالسينما تمثل نقطة تحول خطيرة فى اسلوب التعبير عن الثقافة ونقلها وتوصيلها وبالتالى فإنها تساعد على قيام مجتمع جديد وثقافة جديدة تعتمد على الصورة المتحركة أو الكلمة المرئية بدلا من الكلمة المنطوقة او الكلمة المطبوعة المقروءة .

وهناك ميزة اخرى اساسية تتميز بها السينما او الكلمة المرئية بشكل عام على الكلمة المنطوقة والكلمة المطبوعة فالكلمة المطبوعة ، بل والطباعة بوجه عام لا تتطلب من المرء سوى الناحية البصرية ، كما انها تقدم له المعلومات مجزأة تجزيئا شديدا فى شكل حروف وكلمات وعبارات وجمل ، أى ان المعلومات مقطعة . وقد أدى ذلك الى ان يصبح الفرد قادرا على الفصل بين فكره واحساسه . والكتاب المطبوع يعتبر بذلك امتدادا لحاسة البصر وذلك بعكس السينما التى هى تجربة بصرية وسمعية معاً وليست تجربة بصرية فقط ، كما أن الشخص المشاهد يندمج تماما مع الفيلم بكل فكره واحساسه . ويظهر هذا بوضوح شديد فى حالة الأطفال حين يجلسون امام شاشة التليفزيون فيملك عليهم امرهم تماما . ومن هنا اعتبرت السينما حين ظهرت لأول مرة بمثابة خطر حقيقى يهدد الكتاب المطبوع . ثم زاد هذا الشعور بعد انتشار التليفزيون والفيديو حيث يعتقد الكثيرون ان بالامكان الإستغناء عن الكتاب تماما . وهذه مسالة فيها نظر ، وأن كان عالما مثل مارشال ماكلوهان لا يستبعد ذلك ، بل انه يذهب الى حد القول بأنه حين تزول سطوة الطباعة ويضعف سلطانها بدرجة كبيرة فسوف يمكن للانسان ان يستعيد (الجنة المفقودة) التى خرج منها باختراع الكتابة فاختراع الكتابة يشبه فى نظره التفاحة التى استعانت بها الأفعى فى الاغراء والاغواء والتى ادت الى الخروج من الجنة .

**فالسينما إذن خطوة هامة وجبارة فى سبيل ربط الناس بعضهم ببعض ليس على المستوى المحلى او حتى على المستوى القومى فقط وإنما على مستوى العالم ككل . وهنا تكمن القوة الحقيقية للسينما .**

**ولكن هنا ايضا يكمن الخطر الذى تحمله السينما بين ثناياها والذى يجب الانتباه اليه .**

● ● ●

يتمثل خطر السينما فى رأى الكثيرين فى أنها عن طريق ذيوعها وانتشارها الواسع فى كل انحاء العالم قد تؤدى الى سيطرة ثقافة معينة بالذات على بقية ثقافات العالم وإخضاعها لسطوتها وادخال تعديلات جذرية فيها بحيث تفقد هذه الثقافات اهم مقوماتها وملامحها الاساسية التى تميز بعضها عن بعض ، أى ان السينما التى تعتبر فى نظر البعض عاملا هاما فى خلق التقارب الثقافى والفهم المتبادل بين مختلف الشعوب والتى تساعد على التعريف بالعادات والتقاليد وانماط القيم ومظاهر السلوك فى المجتمعات المتباعدة والمتباينة تعتبر فى نظر البعض الاخر عاملا من اكبر عوامل القضاء على الذاتية الثقافية وعلى التمايز

الثقافى الذى يؤلف عنصرا هاما وأساسيا فى الهوية القومية لاى شعبٍ من الشعوب . والمثال الذى لا يحب اصحاب هذه النظرة الأخيرة الرجوع اليه والاستشهاد به دائما هو سيطرة وانتشار الثقافة الأمريكية وغزوها لثقافات الشعوب الأخرى من خلال افلام السينما الأمريكية وبرامج التليفزيون الأمريكى التى تستند الى قدرات مالية ومادية وتكنولوجية جبارة تساعدها على الانتشار وعلى السيطرة بسهولة وعلى جذب الانتباه اليها والاعجاب بها ومحاولة محاكاتها وتقليدها وتقبل الافكار والآراء واساليب الحياة التى تعكسها تلك الافلام والبرامج فالسينما ثقافة ورسالة ووسيلة للتعبير عن هذه الرسالة التى تتألف من افكار وآراء واتجاهات ، ونظرة الى الحياة وقيم معينة .. وقد ساد كل فيلم فكرة . وهذا ينطبق على الافلام الترفيهية ذاتها وإن بدا الأمر على خلاف ذلك . وتصل الرسالة الى المشاهدين فى شكل صور متحركة فتجد سبيلها فى سهولة ويسر الى عقولهم ووجدانهم دون وعى منهم أو ادراك وهذا هو بالضبط ما يحب البعض ان يطلقوا عليه اسم (الغزو الثقافى) عن طريق السينما والتليفزيون وما اليهما ، وهو تعبير لنا عليه بعض المآخذ وقد سبق أن عرضنا لذلك على صفحات هذه المجلة (ويمكن الرجوع فى ذلك الى مقالنا عن اسطورة الغزو الثقافى الذى نشر فى عدد مارس ١٩٨٨) .

**والواقع ان هذه التأثيرات الاجنبية عن طريق السينما ثم عن طريق التليفزيون تتعرض لها كل الدول وتشكو منها وتخشاها اشد خشية ، اى أن المسألة ليست مقصورة على مصر أو على الدول النامية . ومنذ سنوات قليلة ارتفع صوت وزير الثقافة الفرنسى جاك لانج فى مؤتمر اليونسكو فى مدينة نيومكسيكو يشكو من الهجمة الاعلامية والثقافية الأمريكية على العالم بما فى ذلك المجتمع الفرنسى المثقف ، وهى هجمة ضارية تحمل كثيرا من ملامح السلوك والتصرفات والقيم الأمريكية التى تعتبر فى نظر اوربا سلوكيات وقيما فجة وتفتقر الى العمق الحضارى الذى تتمتع به الثقافة الأوربية العريقة ومما له دلالة فى هذا الصدد انه فى اوائل الثمانينيات تكونت فى فرنسا ايضا ـ وهى احد المعاقل الشامخة للثقافة الانسانية العميقة ـ لجنة تعرف باسم (لجنة الهوية الوطنية) ـ وهى تسمية لها مغزاها ودلالتها ـ وتقوم على اساس التخوف من الفيلم الامريكى والسينما الأمريكية والتليفزيون الأمريكى وتحاول البحث عن اساليب وطرق للمحافظة على هذه الهوية (الوطنية) وليس فقط الهوية (الثقافية) .**

● المحافظة على الهوية الثقافية

وليس المقصود بالمحافظة على الهوية الثقافية إغلاق الابواب والنوافذ دون كل التأثيرات الخارجية لان هذا من شأنه الانعزال عن العالم وبالتالى تدهور الحياة الثقافية ذاتها والتخلف عن القيادات والموجات الثقافية والفكرية التى قد تزيد الثقافة غنى وثراء لو أحسن الاستفادة منها . إنما المحافظة على الهوية الثقافية تتم عن طريق زيادة الاهتمام بمستوى الانتاج المحلى فى مجال السينما (وغيرها

من فروع الثقافة ومؤسساتها) من خلال معالجة الموضوعات ، الاساسية والهامة ذات البعد الانسانى . وليس معنى ذلك ابدا التمسك بطابع الجدية المتزمتة التى قد تثقل على النفس وتخرج بالسينما عن اهدافها الحقيقية ان لم تؤد الى نتائج عكسية تماما . فكما ان الصورة الواحدة يمكن ان تقوم مقام آلاف الكلمات فى توصيل الفكرة والمعنى فأن الموقف او المشهد الفكاهى الجيد قد يغنى عن عشرات المواقف الجادة الصارمة التعبير عن الفكرة ايضا وتوصيلها ، بل وقد يثير فى الذهن من التساؤلات حول واقع الناس والمجتمع ومثله وقيمه مالا تثيره تلك المواقف الجادة الجامدة .

**وليس من المفروض ابدا ان توجه السينما (او التليفزيون) طيلة الوقت للتربية الأخلاقية والدينية والاجتماعية والفكرية بشكل مباشر وصريح او أن تتحول صناعة السينما والافلام الى دروس فى الوعظ والارشاد وان كان ينبغى فى الوقت ذاته الا تخرج عن انساق القيم التى يؤمن بها المجتمع والتى يقوم عليها بناؤه ويرتكز اليها كل العلاقات ، والنظم الاجتماعية السائدة فيه . وهذا هو المحل الذى ينبغى ان يعتمد عليه المجتمع فى رفض الفيلم السينمائى اذا تعارض تعارضا صارخا مع تلك القيم بحيث يؤدى الى التشكيك فيها ويعرض الحياة الاجتماعية كلها للخطر . وليس فى هذا القول اية دعوة للجمود ورفض التجديد او قبول الواقع المؤلم وتبريره بحجة المحافظة على كيان المجتمع وتماسكه .**

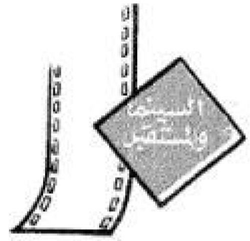
وهذا كله منوط فى آخر الأمر بالمخرج وتصوراته وفهمه للمجتمع القومى وللطبيعة الانسانية . فالفيلم هو محصلة اختيار المخرج بين عدد من البدائل والامكانات ومن هذا المنطلق فإن الفيلم يكون - على ما يقول البرت هنث هو التعبير المجسد لمخيلة المخرج ، الذى يعتبر المحور الاساسى الذى يدور كل العمل السينمائى حوله والذى يحرك ذلك العمل السينمائى بكل عناصره البشرية والتكنولوجية والفنية .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا علينا هنا فى مصر حيث يزيد الكلام الى درجة المبالغة المجموحة عن الممثلين من دون المخرج وحيث ترتبط الافلام باسماء الممثلين الذين قاموا بأدوار فيها وحيث يدور الاعلان عن الفيلم ايضا حول الممثلين كوسيلة لجذب الجمهور . وهذا موقف لا يخلو من فجاجة فى التفكير وقصور فى الفهم والنظرة . فكما ان اللوحة الفنية ترتبط دائما باسم الفنان المبدع الذى ابدعها ورسمها وحقق على القماش الفكرة التى تمكن وراءها والتى اوحت اليه بالموضوع مستعينا فى تنفيذ الفكرة بالالوان والأصباغ وغيرها . كذلك الفيلم يرتبط - او يجب ان يرتبط باسم المخرج المبدع الذى قرأ النص وسبر اغواره وخرج منه بتصور معين ثم اخرج ذلك التصور الى حيز الوجود مستعينا بالممثلين والمناظر والاضاءة وبكل الفنون الأخرى المعاونة وإن كان هذا لا يعنى انكار الممثلين ودرهم الايجابى اوالتهوين

من شأن هذا الدور . ولكننا لو قبلنا مبدأ ان السينما ثقافة ورسالة ووسيلة لتوصيل هذه الرسالة فإننا نستطيع حنيئذ ان نميز فيها بين اربعة عناصر اساسية هى صاحب الرسالة او المرسل (المخرج) والرسالة ذاتها (مضمون الفيلم) والجمهور الذى يتلقى الرسالة ثم الوسيلة التى يتم بها نقل الرسالة من المرسل الى المتلقى ويؤلف الممثلون جزءا من هذه الوسيلة التى هى صناعة السينما ككل . فالمخرج هو فى الواقع صاحب الرسالة ومرسلها رغم اننا لانكاد ننتبه الى دوره ونعطى اكبر الأهمية للممثلين ، وإن كان لدينا مخرجون مبدعون تنسب افلامهم اليهم اكثر مما تنسب الى الممثلين الذين قاموا بادوار فى اداء الرسالة وتوصيلها ، وهو وضع نجد له مثيلا فى الخارج بالنسبة للمخرجين الفنانين المبدعين الذين يتمتعون بدرجة عالية من الثقافة والوعى والمخيلة الابداعية الخالقة واذا كان تاريخ السينما ـ رغم قصره نسبيا ـ يسجل لنا وجود حركات واتجاهات فنية متميزة ويكاد بعضها يكون مدارس ومذاهب مثل السينما الواقعة او سينما الموجة الجديدة فى فرنسا وما الى ذلك فإن هذه الحركات ترتبط فى الأغلب بالمخرجين اكثر مما ترتبط بالممثلين . فالمخرج هو صاحب الاتجاه وصاحب الرأى والفكر وهو الذى يقرأ النص ويفهمه ويفسره وينقل هذا التصور او تلك (القراءة) للنص الى كاتب السيناريو والى الممثلين الذين يعبرون عن ذلك التصور فى المواقف والمشاهد التمثيلية التى تتحول الى الصور المتحركة التى تؤلف الفيلم .

• • •

وأيا ما يكون الأمر فإن السينما بكل قدراتها الفائقة على التعبير من خلال الفيلم عن الأفكار - والآراء والايديولوجيات ، المختلفة وبكل الفنون الأخرى التى تستعين بها لتوصيل رسالتها كالموسيقى والرقص والغناء وما اليها ، وكذلك بكل المادة الثقافية التى تمتلىء المجلات والدوريات والكتابات المتخصصة عن الفن السينمائى ، وبكل الكتاب والمؤلفين الذين يكتبون عن السينما وللسينما بحيث اصبح هناك ادب سينمائى مستقل ومتميز عن الاعمال الادبية والروائية الأخرى ، وايضا بكل ذلك الجمهور العريض الذى يتابع تلك الأفلام فى دور السينما أو من خلال التليفزيون والفيديو مثلما يتابع كل ما يكتب وينشر عنها . كل ذلك يجعل من السينما مؤسسة ثقافية ضخمة لا يقل تاثيرها وفاعليتها عن المؤسسات الثقافية الكبرى مع فارق واحد هائل وهو أن تاثير السينما يتجاوز كل الحدود والحواجز المحلية والقومية والاقليمية والدولية . وهذا هو ما يعطى للسينما كل تلك الأهمية البالغة فى المجتمع المعاصر وفى مجتمع المستقبل ويدعو الى ضرورة الاهتمام بها ودراستها وفهمها كرسالة ووسيلة لتوصيل هذه الرسالة . وجانب كبير من هذا الاهتمام يجب ان ينصرف الى نوع الرسالة ومضمونها . فالارتقاء بهذا المضمون هو ارتقاء فى آخر الأمر بالانسان والمجتمع وتحقيق لماهية الانسان وجوهره ووجوده كإنسان . وهذا هو اعلى ما يمكن أن تصبو اليه اى وسيلة ثقافية فى اداء رسالتها .




أزمة السينما ليست وقفا على مصر .. فهاهي تعاني في فرنسا من هبوط في التردد على دور العرض وصلت نسبته الى ١٦,٨ في المائة خلال الربع الأول من عامنا الحالي ، وهو هبوط حاد وخطير .

والأكيد انها في ايطاليا وطن الواقعية الجديدة تنهزم لحظة فلحظة أمام موت زاحف ، قد لا يكون لها منه نجاة .

والاكيد .. الأكيد انها في المانيا بشطريها ليس فيها من دم الحياة الا بقية ضئيلة تختفي شيئا فشيئا .

وهكذا .. وهكذا في جميع البلاد على امتداد العالم الفسيح ، وذلك باستثناء الولايات المتحدة حيث السينما لايزال لها شأن كبير .

فما سبب هذه الأزمة التي نشأ عنها ان اصبحت السينما مهددة بالاختفاء ؟

# الرقابة وأزمة السينما



بقلم : مصطفى درويش

ليس الجواب على هذا السؤال بالامر اليسير وذلك لان هذه الأزمة الطاحنة ليس لها ، في حقيقة الأمر ، سبب واحد بل اسباب كثيرة تزداد تشابكا وتعقدا على مرّ الأيام .

وليس من شك ان من بين هذه الاسباب انتشار التليفزيون والفيديو وارتفاع تكاليف انتاج الفيلم ارتفاعا جنونيا ، فضلا عن تزايد العجز عن مواجهة الفيلم الامريكي والمنافسة له ، هذا الى استمرار القيود التي تحدّ من حرية التعبير السينمائي بما خفي من قواعد الرقابة وما ظهر .

وعند السبب الأخير الذي تعاني منه السينما في مصر بوجه خـاص ، وبالتحديد الرقابة الرسمية المعلنة في شكل قوانين ولوائح وتعليمات عندها اقف قليلا .

وأول ما يلاحظ على هذه الرقابة الرسمية ان قواعدها وتفسيراتها راسخة



سلم الدين مصطفى
خرج درب الهوى



عادل امام .. وشرطى فى
حادثة الـ ٥٠ باب.

رسوخ الجبال .. يتغير العالم ، ومع ذلك تظل جامدة صامدة للاعاصير لا يصيبها من التغيير الا النزر اليسير .

ومحنة السينما مع الرقابة فى مصر ترتد الى ما قبل الحرب العالمية الأولى بقليل ، وبالتحديد الثانى عشر من يولية لعام ١٩١١ ، عندما عملت سلطات الاحتلال البريطانى على استصدار لائحة التياترات (المسارح) التى قننت المنع بأن جعلت عرض أية مسرحية مرتهنا بالحصول على ترخيص سابق بذلك من جهة رقابية لها مطلق تقدير درجة تلائم المسرحيات مع النظام وحسن الآداب ، بحيث تمنح وفق هواها الترخيص لمن تشاء او تحجبه عمن تشاء بغير حساب .

واغلب الظن ان السينما لم تكن فى حسبان المشرع وقت صدور تلك اللائحة فى هذا التاريخ الموغل فى القدم .

إلا ان هذا لن يحول فى المستقبل

# الرقابة وأزمة السينما

القريب دون تطبيق احكامها على السينما بطريق القياس .

فما أن اندلعت نيران الحرب العالمية (١٩١٤) حتى سارعت سلطات الاحتلال الى حظر عرض جميع افلام المانيا والدول المتحالفة معها ، مستندة فى ذلك الى احكام تلك اللائحة التى تخولها الحق فى منع عرض اى عمل فنى ابتغاء حماية الامن ومصالح الدولة العليا .

## جمود وصمود

ومما يثير الدهشة استقرار لائحة التياترات هذه ، واستمرار العمل بها زهاء اربعة واربعين عاما من عمر زمن كثرت فيه الحروب والثورات ، فسقطت عروش واختفت امبراطوريات ونهضت قوميات .

وادت كل هذه الاحداث الجسام الى ادخال الكثير من التعديل والتبديل على البناء السياسى والقانونى لمعظم دول العالم .

ومع ذلك فرغم ما تقدم من احداث كان من شأنها تغيّر الحياة فى الشرق والغرب تغيرًا خطيرا ، ظلت اللائحة دون اى تعديل من يوم العمل بها الى يوم نسخها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعشرة اعوام وذلك بموجب القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ لتنظيم الرقابة على الاشرطة السينمائية ولوحات الفانوس السحرى والاغانى والمسرحيات والمونولوجات والاسطوانات واشرطة التسجيل الصوتى .

(يلاحظ انه لم يأت اى ذكر لاشرطة الفيديو لا لشيء سوى انها وقت صدور القانون كانت فى علم الغيب لم تخرج بعد فى شكل اختراع يحمل الامتاع للناظرين) .

وهنا يتعين التنبيه الى ان ادارة الدعاية والارشاد التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية كانت قد اصدرت فى فبراير لعام ١٩٤٧ تعليمات خاصة بالرقابة على الافلام ، ولا تعتبر تعديلا لتلك اللائحة ، وذلك لانها لا تعدو ، فى حقيقة الامر ان تكون مكملة لاحكامها ، مقننة لما جرى عليه العمل رقابيا تحت امرة وزارة الداخلية فيما يتعلق بالسينما واطيافها خلال ٣٦ عاما او يزيد .

## طوفان الممنوع

وقد يكون من المفيد أن نستعرض هذ التعليمات ثم نستظهر ما كان لها من آثا على مسار السينما فى مصر .

تنقسم هذه التعليمات الى شقين

اولهما : خاص بالناحية الاجتماعي والاخلاقية ويشتمل على ثلاثة وثلاثين محظورا ..

والثانى : خاص بناحية الامن والنظ العام ، ويشتمل على واحد وثلاثي محظورا .

والمحظورات الخاصة بالشق الأول تبد بالدين وتنتهى بالجنس والعنف .

فليس مباحا ان تمثل قوة الله باشيا حسية او ان تظهر صور الانبياء او ا يتلى القرآن الكريم على قارعة الطريق فى مكان غير لائق او بواسطة مقرىء مز حذاءه ، أو أن يظهر النعش او النساء وه يسرن فى الجنازات وراء الموتى .

وليس مقبولا ان يساء الى سمعة

البلاد الشقيقة باظهار منظر الحارات تظاهرة القذارة والعربات الكارو ، وعربات يد ، والباعة المتجولين ، ومبيض لنحاس ، وبيوت الفلاحين الفقراء محتوياتها اذا كانت حالتها سيئة ، التسول والمتسولين .

وليس جائزا ان تصور الحياة لاجتماعية على وجه فيه مساس بسمعة لاسرة المصرية اوالتعريض بالالقاب او لرتب اوالنياشين اوالحط من قدر هيئات ما اهمية خاصة فى نظام الحياة العامة ، كالوزراء والباشاوات ومن فى حكمهم رجال الدين ورجال القانون والاطباء .

وليس مشروعا ان تظهر الاجسام لعارية سواء بالتصوير او بالظل ، او ظهر اجزاء الجسم التى يقضى الحياء سترها ، او ان تذكر الموضوعات او حوادث الخاصة بالأمراض التناسلية الولادة وغيرها من الشئون الطبية التى لها صفة السرية ، أو أن تصور طرق لانتحار وحوادث التعذيب اوالشنق او بجلد وما الى ذلك من مناظر العنف القسوة البالغة .

ما المحظورات الخاصة بالشق ثانى ، فلها وجوه كثيرة من بينها ، منع تعرض لموضوعات فيها مساس بشعور مصريين اوالنزلاء الاجانب ، او وضوعات ذات صبغة شيوعية او تنطوى ى دعاية ضد الملكية او نظام الحكم قائم ، اوالعدالة الاجتماعية .

ومنها عدم اجازة اظهار مناظر الاخلال نظام العام بالثورات او التظاهرات او لاضرابات ، أو التعريض بالمبادىء التى وم عليها دستور البلاد ، او بنظام الحياة النيابية فى مصر ، او نواب الامة وشيوخها او اظهار رجال الدولة بصفة عامة بشكل غير لائق وخاصة رجال القضاء والبوليس والجيش ، او التعرض لانظمة الجيش او البوليس او تناول رجالها بالنقد .

وفى ضوء هذه المحظورات ـ وهى قليل من كثير ـ فلا عجب اذا ما انصرفت السينما المصرية عن تناول اى موضوع اجتماعى او سياسى فيه بعض النفع للناس .

## ● الجديد قديم

والآن ، ماذا بعد انتهاء العمل بلائحة التياترات غير المأسوف عليها ، هل اتى القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ المشار اليه بجديد يخدم الفن السابع فى مصر ، أم ان جديده قديم ليس فيه نفع كبير لهذا الفن ؟

وقبل القطع برأى فى هذا القانون المعمول به على مر ثلاثة وثلاثين عاما ، قد يكون مفيدا الوقوف امام احكامه هو الآخر وقفة يسيرة ، لعلها تلقى بعض الضوء على ما يؤثر سلبا على فن السينما عندنا .

يقرر الشارع فى المادة الاولى من القانون المذكور ان الاشرطة السينمائية تخضع للرقابة .

وفى المادة الثانية انه لا يجوز بغير ترخيص تصوير الاشرطة السينمائية او لوحات الفانوس السحرى او ما يماثلها فى مكان عام ..

وفى المادة الخامسة ان الترخيص يسرى لمدة سنة من تاريخ صدوره بالنسبة الى التصوير ، ولمدة عشر

سنوات بالنسبة الى العرض ..

وفى المادة التاسعة ينبه الى انه يجوز للسلطة القائمة على الرقابة ان تسحب بقرار مسبب الترخيص السابق اصداره فى اى وقت اذا طرأت ظروف جديدة تستدعى ذلك .

وفى المواد من ١٤ الى ١٨ يتكلم القانون عن العقوبات التى توقع على كل من يخالف احكامه .

ومن بين هذه العقوبات الحبس والغرامة وغلق المكان العام ، ومصادرة الأدوات والاجهزة والآلات التى استعملت فى ارتكاب الجريمة .

وواضح من الاستعراض المتقدم ان جميع الافلام المصورة بقصد الاستغلال التجارى ، انما تخضع لرقابتين رقابة سابقة على التصوير ، ورقابة نهائية لاحقة عليه وانه بدون الترخيص بتصوير الفيلم ثم الترخيص بعرضه بعد الانتهاء من اخراجه يتعذر ، بل قل يستحيل عرضه عرضا عاما .

وطبعا الادارة هى الجهة صاحبة الولاية فى ممارسة هذه الرقابة .

ولها مطلق التقدير فى أن تمنح او تحجب الترخيص بالتصوير وبالعرض حسبما تشاء .

ولاحد لسلطتها التقديرية فى هذا الخصوص سوى ان يكون قرارها متسما بمراعاة حسن الآداب واحترام النظام العام ، وحماية مصالح الدولة العليا .

فاذا جرأ شخص على مخالفة القانون بان صوّر فيلما او اخرجه او عرضه قبل الحصول على ترخيص بذلك وجد نفسه فى زمرة اعداء المجتمع ، متهما معاقبا بالحبس او بالغرامة او بالاثنين معا ، فضلا عن مصادرة الادوات التى اقترفت بها الجريمة ، ومعاقبة المكان الذى جرى فيه العرض الآثم بالغلق .

## القاعدة والاستثناء

القانون اذن ، لا يتعامل مع السينما بوصفها فنا لمبدعيه حرية التعبير عنه .

فاحد لا يتصور ان يطلب الى فنان ان يحصل على ترخيص بان يمسك القلم كى يكتب قصة او قصيدة أو قطعة موسيقية تجول افكارها فى خاطره ، او بان يقبض على الفرشاة كى يرسم لوحة كامنة فى مخيلته .

ومع ذلك ، فهذا الذى لا يتصوره احد هو الذى كان ، ولا يزال يطالب به الفنان اذا كان من صانعى الافلام فهو لا يستطيع ان يمسك بالكاميرا كى يكتب ما يعنّ له من اطياف الا اذا كان مسلحا بالترخيص .

وهو اذا واجه القانون متحديا فامسك بالكاميرا دون ان يكون محصنا بالترخيص ، عاقبته الدولة عقابا شديدا والواقع اننا بعد تلك الوقفة مع القانون واحكامه ، لا نحس اننا بازاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل فاحكامه لا تعدو ،

فى حقيقة الامر ، ان تكون ترديدا لاحكام اللائحة المنسوخة ، ولكن فى ثوب جديد يساير روح العصر .

## ● الحرية .. لمن ؟

ومما يؤيد ذلك ويؤيده استمرار العمل بتعليمات وزارة الشئون الاجتماعية الصادرة فى فبراير لعام ١٩٤٧ حتى ٢٨ من ابريل لعام ١٩٧٦ تاريخ نسخها بقرار وزير الاعلام والثقافة رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ بشأن القواعد الاساسية للرقابة على المصنفات الفنية .

ومما يلاحظ على القرار الاخير انه اكتفى بدمج المحظورات الواردة فى تعليمات وزارة الشئون الاجتماعية مركزا على عدم اظهار صور الانبياء والخلفاء الراشدين ، مضيفا اليهم اهل البيت والعشرة المبشرين بالجنة مع لفت النظر الى عدم سماع اصواتهم وانه باستثناء اباحة محظورات تافهة مثل السخرية بالباشاوات والبكوات ورجالات العهود البائدة لم يتح القرار لاى ممنوع ان يدخل فى نطاق المشروع فيما عدا ممنوعا واحدا هاما ، الا وهو اظهار المناظر الخاصة بتعاطى المخدرات .

فقبله كان اظهار هذه المناظر امرا ممنوعا ، اما بعده فقد اصبح امرا مشروعا لاقيد عليه ولا شرط سوى الا يوحى

عماد حمدى .. الوجه الضائع فى .. المذنبون



# الرقابة وأزمة السينما

ظهورها على الشاشة بان التعاطى شىء مألوف .

وهكذا اصبح لقعدات التعاطى بكل لوازمها من جوزة وخلافه حق الظهور بفضل القرار الوزارى الأخير .

● مذبحة الرقابة

ومن عجب ان تجيء هذه الاباحة مواكبة لامرين اولهما سحب ترخيص فيلم «المذنبون» (١٩٧٦) بالاستناد الى حكم المادة التاسعة من قانون الرقابة على المصنفات الفنية .

والامر الثانى قرار احالة مديرة الرقابة وقتذاك مع اربعة عشر رقيبا الى المحاكمة التاديبية بتهمة الترخيص بعرض الفيلم المذكور والتصريح بتصديره ، رغم ما انطوى عليه من مخالفات صارخة تمس الآداب العامة والقطاع العام ، وتنال من قيم المجتمع الدينية والروحية بما تحمله فى طياتها من دعوة سافرة لنشر الفساد والحض على الرذيلة ، فضلا عن عدم احترام الدين بما له من قدسية وتكريم واجبين ، الأمر الذى من شأنه الاساءة الى المجتمع والحطّ من قدره واظهاره فى صورة مشوهة وتصويره على أنه مجتمع انتشرت فيه كل مظاهر الانحلال والانحراف ، وكذا التشكيك فيما تنادى به الدولة من مبادىء ، وما ترفعه من شعارات اهمها شعار العلم والايمان !!

واعجب من العجب ان تجنح المحكمة التأديبية لمستوى الادارة العليا التابعة لمجلس الدولة فى حكمها الصادر بجلستها المنعقدة فى ٢١ نوفبر لعام ١٩٨١ الى معاقبة المديرة المتهمة ومعها بعض الرقباء ، مقيمة العقوبات الموقعة عليهم على اساس تلك الاتهامات الموجهة الى الفيلم .

● القضاء والقدر

ولا تمرّ سوى ستة اعوام على هذ السحب وعامين على هذا العقاب ، إ ويسحب الترخيص الصادر من الرقاب بعرضى فيلمى «درب الهوى» و «خمس باب» (١٩٨٣) ويبنى القرار الصادر بذلا على اساس استياء جمهور المشاهدي لهذين الفيلمين ، لما انطويا عليه م تشويه لتاريخ مصر واساءة لسمعتها فم الداخل والخارج ، وما قد يؤدى اليه ذل من انهيار للحياء الخلقى للمواطني والمساس بمشاعرهم .

فاذا ما لجأ اصحاب هذين الفيلمي الى محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة ملتمسين منها الحكم بوقف تنفي قرار سحب الترخيص لم يجدوا منها لفكرة ان الفيلم عمل فنى ، وان منع عرض يشكل اعتداء صارخا على حرية التعب وفى الاستطاعة المضى بعيدا فى الحدي عن محنة السينما مع الرقابة والقضاء ف مصر .

ولكن المقام لا يسمح بذلك .

ومهما يكن من شىء ، فالقدر المتية ان السينما عندنا لا تزال تقاسى م محظورات شداد تحول بينها وبي الانطلاق متحررة من القيود ، لاسيما قي رقابة عفا عليها الزمن .

السينما والمستقبل

# النقد وأزمة السينما

بقلم : مصطفى محرم

قد يذهب احد الأشخاص إلى أحد محلات البقالة ويطلب شراء سلعة من السلع فلا يجدها فيغادر المحل ساخطا وهو معتقد أن هناك أزمة في هذه السلعة ..

وقد يلتقط شخص آخر ثمرة من إحدى السلال فيجدها عفنة فيظن أن الثمار التى تمتلىء بها السلة كلها عفنة .. وينطبق هذا الحال إلى حد كبير على وضع السينما عندنا ، فيذهب احدهم ـ ناقدا كان أو كاتبا صحفيا او مسئولا فى اى مكان ـ ويشاهد أحد الأفلام المصرية فلا ينال إعجابه او لا يرغب هو نفسه فى أن يعجبه هذا الفيلم فيصدر حكمه ببساطة شديدة على كل أفلام السينما المصرية بانها رديئة وان هناك ازمة ، ثم يتناقل البعض هذا الحكم ويصدقونه ويصبح حديث اليوم والأمس والغد ..

نادية .. فيلم تباينت حوله اراء النقاد



# النقد وأزمة السينما

ومنذ مايقرب من العامين والكلام لاينتهى عن ازمـة السينمـا المصرية وتزاحم اصحاب الرأى يعلنون فى ثقة تامة العوامل والأسباب التى أدت إلى هذه الأزمة حتى حفظها الناس وسئموا منها .. وبالطبع كان المبدعون والمسئولون فى مجال السينما هم جزء هام من تلك العوامل والأسباب وأصبحت أصابع الاتهام تشير إلى كل من يعمل فى الحقل السينمائى ، ولكنهم تناسوا ان هناك عاملا لم يعلنه أحد أو لم يقو أو تواتيه الشجاعة على إعلانه رغم أهميته والدور الكبير الذى يلعبه .. وهذا العامل هو النقد السينمائى على اعتباره جزءا من الحركة الأدبية .. وخاصة أن السادة النقاد هم الذين اصدروا حكمهم على السينما بأنها تعانى من ازمة طاحنة ، وبالطبع قد تجاهلوا هذا التزايد من عدد الأفلام الجيدة عاما بعد عام حتى أن إحدى الجمعيات السينمائية قد أعلنت صراحة بأنها تلقى صعوبة شديدة فى اختيار سبعة افلام جيدة لعرضها فى مهرجان الجمعية لأن عدد الأفلام الجيدة يفوق هذا العدد بكثير واضطرت منذ عامين إلى اختيار أربعة عشر فيلما وكان فى مقدورها أيضا أن تختار مايفوق هذا العدد .. وأعلنت جمعية أخرى أنها تلقى صعوبة بالغة فى منح الجوائز للافلام لشدة التنافس ، وكثرة الأفلام التى تستحق هذه الجوائز ، وأصبح وجودنا فى المهرجانات ـ إذا كان هذا مقياسا له اعتباره ـ يتضخم عاما وراء عام ، بل إنه اصبح وجودا إيجابيا ، منذ حصلت بعض افلامنا المعروضة فى تلك المهرجان على جوائز فى مختلف الفروع السينمائية ... ومازال المخرجون الذين يصنعون هذه الأفلام يمارسون فن الاخراج .. بل إن احد النقاد المشهورين عندنا قد اختار مجموعة من أولئك المخرجين ومنحهم شرف ريادة مذهب الواقعية الجديدة فى مصر رغم أن مبرراته لهذه الريادة تعبر للأسف عن جهله المطلق بالمذهب الواقعى وسوف يكون لنا حديث اخر فى هذا الشأن ..

وانا اعلم تماما أن كلامى هذا سوف يثير الغضب والحنق فى نفوس الكثيرين ممن يعتقدون أنهم يمارسـون النقد السينمائى او ممّن اطلقوا على أنفسهم أو اطلق عليهم بعض الغافلين بنقاد السينما ، وهى فى الواقع تسمية غير محددة المعالم أو هى من الاتساع بحيث يتخبط هؤلاء النقاد فى جنباتها .. فالسينما نفسها كلمة عامة فى حد ذاتها .. فهى مثلى تتدرج كفرع من شجرة الفن الضخمة يندرج من تحتها ايضا من تصـانيف الأشكال السينمائية مايجعلها ، تشبه الأدب من حيث شمول المعنى ، فنحن نعلم أن « الأدب » كلمة شاملة يندرج تحتها الشعر والرواية والمسرحية والملحمة والقصة والقصيدة والنثر الأدبى ، فكذلك السينما يندرج الأفلام الروائية الطويلة والقصيرة والأفلام التسجيلية والأفلام التعليمية وأفلام الكرتون والجرائد السينمائية ..

وقد يعجز الناقد فى مجال الأدب أن يتناول الفنون الأدبية بكفاءة متميزة أو بصيرة نفاذة ، ولذلك يتخصص البعض فى نقد الشعر أو الرواية أو المسرحية فما بالك بأناس لاتتوافر لهم المقدرة الكافية والثقافة التى تؤهلهم إلى إصدار الأحكام

على شكل من الأشكال السينمائية ويغامرون بجرأة تحسدهم عليها ، ويتصدرون لمهمة من أصعب المهام فى حياتنا الفنية وهى الوصاية على الجماهير العريضة من مشاهدى الأفلام السينمائية ..

يقول روجر مانفيل فى كتابه ( الفيلم والجمهور ) .. بأن انتشار مهنة النقد فى وقتنا الحاضر قد أدى إلى كثرة التعليقات على المسائل الفنية المتصلة بالفنون من جانب أناس هم فى الغالب لايمكنهم ممارسة هذه الفنون فكانت وبالا على السينما وذلك لأنها لاتتسم بالدقة ، وذلك لسبب بسيط وهو أن السينما أكثر الفنون اعتبارا فى أعين الجمهور ..

وفى الحقيقة أن روجر مانفيل قد استطاع أن يضع يده على إحدى المشكلات الحقيقية فى السينما وهى فوضى النقد السينمائى ، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن الأمور قد اختلطت عندنا وشمل هذا الخلط كل جوانب حياتنا الثقافية حيث تصور كل من يمسك قلما أو توفرت له بحكم وظيفته مساحة فى جريدة أو مجلة أن فى مقدوره أن يفصل فى كل أمور الثقافة ... ولذلك فلا عجب أن تحدث هذه البلبلة وتتأرجح الموازين حتى اختلط الحابل بالنابل والطالح بالصالح وأصبح من الصعب على المرء أن يدرك أين الحقيقة .. وكانت النتيجة أن ظهر هذا التفاوت الكبير خاصة فى مجال السينما بين مايحكم عليه النقاد من أحكام وبين أذواق الجماهير العريضة حتى أصبح النقاد فى جانب وأصبحت الجماهير فى جانب آخر .. وأصبح البعض يتساءل عن السبب فى نجاح الأفلام التى يهاجمها النقاد ولماذا تفشل الأفلام التى تحظى برضاء النقاد وثنائهم ؟

وقد تكون الأجابة على هذين التساؤلين هو الوضع الراهن الذى انتهى إليه النقد السينمائى عندنا والذى من خلاله نستطيع أن نقسم نقاد السينما إلى عدة تصنيفات وهى الآتى :

١ ـ أصحاب الاقاعيات الصحفية

وهذا النوع من النقاد يمتلك صفحة كاملة فى جريدة أو صفحات فى مجلة أو يملك المجلة نفسها .. ويحاول هؤلاء الاقطاعيون أن يفرضوا سلطانهم وسطوتهم على أصحاب النفوس الضعيفة من أهل السينما .. ونحن لاننكر أن هناك للأسف طبقة كبيرة من بين المنتجين والمخرجين والممثلين متواضعى الثقافة والادراك ويعتقدون أن الأمن والامانة فى رضاء هؤلاء النقاد ذوى السلطة والجاه عليهم .. ولذلك فقد سعى بعض السينمائيين إلى إرضائهم بشتى الطرق والوسائل .. وكان أخطر انواع الاسترضاء هو استكتابهم قصص وسيناريوهات ، فلم ينبغ واحد من هؤلاء لضعف الموهبة أو انعدامها أصلا .. وفى النهاية أصبحوا عبئا كبيرا على نقابة المهن السينمائية وعبئا آخر على من يتولى اعادة كتابة سخافاتهم والأهم من كل ذلك أنهم أصبحوا سببا قويا من أسباب أزمة السينما ..

٢ ـ المستشارون والمستوظفون :

وهم نقاد السينما الذين اثروا السلامة وأنقذوا الجمهور من شر كتاباتهم للسينما .. فقد اتخذ هؤلاء النقاد طريقا آخر وذلك بأن وضعوا ارجلهم فى إصرار داخل أكبر شركات الانتاج السينمائى .. ومن خلال وضعهم هذا قاموا بفرض

## النقد وأزمة السينما

أذواقهم السقيمة على إنتاج هذه الشركات من الأفلام التى يخاصمها الجمهور منذ اليوم الأول لعرضها وكأنه يشم رائحتها .. وبالطبع يدفع الولاء هؤلاء النقاد المستوظفون إلى تدبيج مقالات المديح لهذه الأفلام ويتحولون فى النهاية من نقاد إلى مجرد مندوبين للدعاية .. واذكر أن أحد هؤلاء النقاد قرر أن يكتب سلسلة من مقالات المديح لأحد هذه الأفلام .. وعندما نشر المقال الأول كان الفيلم قد انتهى عرضه .. وفى المرة الثانية قام بتشبيه فيلم آخر بالسيمفونية ونشر الحركة الأولى وعندما نشر الحركة الثانية لم يكن باحدى دور السينما التى تعرض هذا الفيلم سوى متفرج واحد ..

٣ ـ أعضاء لجان القراءة فى شركات السينما :

أحيانا تكون لجان القراءة فى شركات الانتاج السينمائى مجرد مصيدة خبيثة لمن يظهر التعفف من النقاد الذين يقبلون على العمل داخل هذه اللجان معتقدين انهم يقدمون الخدمات الجليلة لصناعة السينما .. ولكن فى كثير من الأحيان يرفض صناع الأفلام التى يقومون بقراءتها قبل التصوير أن ينفذوا ملاحظاتهم طالبين السلامة لأفلامهم .. وعند عرض هذه الأفلام يخجل هؤلاء النقاد من التعرض لها فقد قبضوا ثمن سكوتهم ..

تحظى السينما فى العالم كله ببريق واهتمام من الجميع ، وقد يظل الناقد الأدبى يبدع المقالات والدراسات حول قضية أدبية تستغرق منه الكثير من الجهد والوقت ، وفى النهاية يقرأها قلة من المتخصصين أو محبى المعرفة .. وكذلك الحال بالنسبة للمسرح فربما كان النقد المسرحى عندنا ذا بريق عندما كان المسرح يحظى بهذا البريق فى فترة معينة ثم مالبث أن خبا هذا البريق فخبا بريق الناقد المسرحى .. فما كان من بعض هؤلاء الناقد أن اقتحموا مجال النقد السينمائى وذلك من أجل هذا البريق اللعين ..

ونحن ندرك جيدا ان السينما تختلف عن الأدب .. اختلافا كبيرا ولكل منهما مقاييسه التى تتطلب العمق والدراية بأصول كل منهما ، ونحن ننصح القارىء بالرجوع إلى مقالنا ( العلاقة بين الفيلم الروائى والأدبى ) . فى مجلة الفنون العدد ٢١ السنة الخامسة .. ونكتفى هنا أن نورد قول كلود موررياك عن الفرق بين السينما وبقية الفنون :

« إن السينما لاتجمد الحلم كما تفعل الفنون التشكيلية ولا تبطنه كما يفعل الأدب ، ولكن لها القدرة على إسباغ اكبر مظاهر الواقع على ما هو غير واقعى » ..

وقد اكد كلود موررياك على هذه القدرة كميزة للشاشة على المسرح ورأى أن السينما تفوق المسرح لأنها خير من تكشف ماوراء الواقع فى قلب الواقع ذاته ..

ولذلك فالناقد المسرحى إن لم يكن على دراية كبيرة بإمكانيات الفن السينمائى التى فوق امكانيات المسرح وإذا لم يدرك تماما ان اللغة السينمائية تحتوى على العديد من المفردات التى تفوق مفردات

للغة المسرحية فإن مايكتبه من نقد قد يكون اكثر مناسبة للمسرح وعليه أن يعود من حيث جاء .

٥ ـ الايدولوجيون .

يصر بعض النقاد على فرض اتجاههم العقائدى على الجمهور وذلك بمدح نوعية معينة من الافلام مثلما يحدث بالنسبة لنقاد اليسار المتطرفين .. ونحن نعلم جيدا أن الكثير من الدول الاشتراكية قد تخلصت من هذه النوعية من الأفلام بعد .. أن أعرض الجمهور عن مشاهدتها .. ولقد بدأت هذه الدول فى إنتاج افلام تتناول المشاكل الانسانية أو تلك التى تهتم بالجوانب العاطفية من الرجل والمرأة وذلك بعيدا عن ضغوط الأيدولوجيات مثلما فعلت المجر وبولندا وبعض الافلام التشيكية .. ومساوىء التفكير الأيدولوجى المتعنت انه يحدد للفن غاية محددة أو وظيفة أو منفعة .. والخطأ فى هذا الاتجاه أنه يقوم بحصر الفن فى هذه المنفعة فيحيله إلى شىء وقتى مرتبط بزمن معين أو بمكان معين فيخرجه هذا عن شموله وهى الميزة العظيمة فى الفن العظيم ..

٦ ـ النقاد الفرانكو أراب :

وهذا النوع من النقاد يكره كل ماينتمى إلى العربية من ثقافة .. وهناك من هم أقل كراهية فيتركز سخطهم فقط على كل ماهو مصرى ..

ويمجد هذا النوع البائس من انعقاد كل ما تأتى به رياح الغرب ويعلمون عن السينما فى اوربا وأمريكا اكثر مما يعلمون او شاهد فى مصر .. والويل كل الويل لو شاهد واحد منهم أحد الأفلام المصرية المسكينة ..

ولذلك فنحن نقرا لهم نقدا غريبا ونشعر بمدى الازدراء الذى يشعرونه تجاه كل ما هو مصرى .. وتكمن خطورة هذا النوع فى أن بعض المجلات الكبرى بدأت تفتح لهم صفحاتها وكذلك وسائل الأعلام كالاذاعة والتليفزيون ..

٧ ـ تزايد عدد الصحف والمجلات

فقد انتشرت الصحف والمجلات على صعيد الوطن العربى ، وكثرت الحاجة لمن يقومون بسد النقص فى الأبواب الفنية وخاصة السينما .. فظهرت طبقة غريبة من المدعين وطالبى الشهرة السريعة ممن كانوا يعملون فقط فى مجال الحصول على الأخبار الفنية فسولت لهم نفوسهم بأن يخوضوا مجال النقد السينمائى ..

وطالعتنا الصحف والمجلات بكتابات فى النقد السينمائى لهؤلاء المتسلقين تحت شعار المثل الشهير .. خالف تعرف ..

وفى النهاية لانستطيع أن نغفل بعض العوامل الأخرى فى حركة النقد السينمائى مثل المجاملات التى بين النقاد وأصدقائهم من السينمائيين وكذلك الخلافات ، التى تحدث بين النقاد أعضاء لجان المهرجانات ومنح الجوائز والصراعات التى تسفر فى النهاية عن سوء الأختيار وأحكام خاطئة مما يزيد من حدة أزمة السينما ويؤكد بما لايدع مجالا للشك بأن نقاد السينما عندنا هم جزء لاينقسم ، من أزمة السينما ..

شهريات

## رأى فى الثقافة

### نقاد السينما

على الرغم من ان لدينا عددا لا بأس به من نقاد السينما الجادين ، فاننا ولسبب مجهول نفتقد المؤلفات المراجع عن هذا الفن وهو الذى تجاوز عمره الستين عاما باعوام .

لا يوجد حتى الان كتاب واحد له قيمة حقيقية عن السينما المصرية ،وان كانت هناك مجهودات تتناول هذه القضية او تلك من قضايا السينما المصرية العديدة .

اما النقد السينمائى الجاد فى الصحف اليومية فهو كالعنقاء ، موجود كالاسطورة وغائب فى الواقع ، لا من يسمع به ، ولا من يحس .. وربما هذا هو السر الذى يدفع بعض كتاب الاعمدة المعروفين للتطرق لهذا الفيلم او ذاك ، او هذا المخرج او تلك الممثلة .. أليس هذا دليلا قاطعا على غياب النقد السينمائى الذى يريده الجمهور والذى لا يصبح اى كلام بعده الا مجرد زيادة .

مخرجو السينما الجديدة وعلى رأسهم على عبد الخالق ، ومحمد خان، وعاطف الطيب ، وعلى بدر خان ،وخيرى بشارة ، وبشير الديك،وغيرهم لم « ينقدوا » حتى الان ذلك النقد الذى يقربهم للناس ، ولا ذاك النقد الذى يفجر داخلهم القدرة على المزيد من العطاء .. شكوى تسمعها كلما التقيت باحدهم ، وتتأمل الامر فتجدها حقيقة قاسية ، خاصة لان هؤلاء بالذات يعانون اشكاليات معقدة من الانتاج حتى دلع الممثلين والممثلات ، وحتى التوزيع والعرض وهجر الناس عادة ارتياد السينما الا فى المواسم والموالد والاعياد .

على اى حال هى دعوة لنقاد السينما الجادين ان يوفروا بعض الجهد ، ويكتبوا بعض الكتب ، عن بعض السينما ، قبل ان يفوت الاوان فتصبح العادة : الا توجد كتب عن السينما المصرية .

## إشـــارات ثقافيـــة

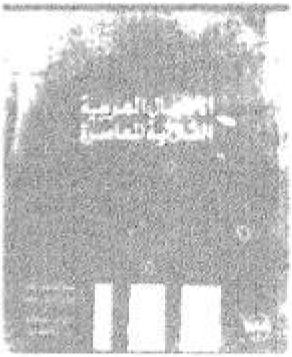
### معجم الأفعال العربية الثلاثية المعاصرة

بعد مصنفه الفريد « الدليـــــل اللغوى » الذى اصدره منذ نحو عام ها هو القاص والروائى ســـليمان فياض يفاجئنا بهذا المصنف الجـديد الضخم الحجم،الشديد الاهمية ، الذى يتجاوز به موت الكثير من قـــديم المعاجم التى ما زالت هى المراجــع الاساسية ، على الرغم من ان الكثير من مادتها لم تعد مســـتعملة ، لذا ، فانها جزء من التاريخ ، لا تساهم فى الحاضر الا لمن يسعى الى الماضى يريد اكتشاف مغالقه .

وفى ٢٣٦ صفحـــة من الحجـــم الموسوعى الكبير يقدم لنا ســـليمان فياض هذا المعجم الذى اسماه «معجم الافعال العربية الثلاثية المعاصـرة » بعد جهد استغرق ثمانى ســنوات ، ويقول عنه انه معجـــم نوعى خاص بالافعال العربية الثلاثية المستعملة فى عصرنا ، بدرجة من درجات الاستعمال فى الواقع اللغوى المعاش ، قـــولا وكتابة ، شيوعا او كثـرة او قلة او ندرة .

واقد اسقط المصنف نحـــوا من اربعين فى المائة من الافعال الثلاثيـة المجردة التى هجر اســـــتعمالها لحوشيتها ، او لكونها غير مستعملة فى عصرنا الحديث .

كذلك اسقط المصنف بعض مصـــادر افعال هذا المعجم لنفس الاســـباب وبعض ضروب الافعال وابوابهـــــا استغناء عنها بغيرها من الضـــروب والابواب وفقا لقـوانين وترجيحـات لغوية . رأينا انها ادق واصــــوب من غيرها من الضروب والابواب . كما



اثر تجميع الافعال فى ابـواب حســب نوعيتها البنيوية الصرفية ، ســـوالم ومهموزات ومضعفات ومجوفـــــات ونواقص ، ومثـــــالات ولفيفات ، وتيسيرا للكشف عن الافعال لن لاخبرة له بابنيتها الحق المصنف بمتن المعجم كشافا ابجديا عاما للافعال ، وابوابها وارقام الصفحات الواردة بها

وتيسيرا للوصول الى معـــرفة تصريفات الافعال فى مصادرهـــنا الخاصة ، ومشتقاتها القاموســـية ، اختار المصنف ستة وثلاثين فعـــلا نمطيا تمثل اتساق الافعال الثلاثيـــة المجردة كلها فى التصريف للقيـــاس عليها ، والجرى على منوالها .

انها فرحة حقيقية بعمل جـــاد ، فليس ادل على حيوية امة من الامـم اكثر من دخولها ميدان الموسوعات والقواميس والمعاجم التى ما زلنـــا نحتاج الى المزيد منها فى فنـــون كثيرة .

مجهود على ضخم ذلك الذى تزفر عليه المجلس الاعلى للثقافة المصرية وسوف يصدر عن الهيئة المصـــرية

الدعامة للكتاب خلال الاسابيع القليلة القادمة .. مجهود كنا فى حاجة اليه منذ زمن ولا ربما ياتى ليستكمل موسوعة جمال حمدان الفذة «شخصية مصر» التى حللت وبينت قسمات عبقرية المكان من جوانبها المختلفة .

هذا المجهود العلمى الكبير الذى توفر عليه عشرة من كبار الجغرافيين المصريين يأتى حاملا عنوان «جغرافية مصر» فى عشرة اجزاء وقد اشرف على انجازه وراجعه الدكتور صبحى عبد الحكيم ، والدكتور يوسف ابو الحجاج .

هذه الاجزاء العشرة تصدر تباعا وبالترتيب التالى «جغرافيا مصر الزراعية» للدكتور السيد نصر ، و «جغرافيا السكان» للدكتور السيد غلاب ، و «جغرافيا الصناعة» للدكتور محمد الديب ، و «جغرافيا السياسة» للدكتور عبد الغنى السعودى ، و «جغرافيا المدن» للدكتور محمود عصفور ، و «الجغرافيا التاريخية» للدكتور يسرى الجوهرى و «جغرافيا المناخ» للاستاذ يوسف فايد ، و «جغرافيا التضاريس» للدكتور جودة حسنين جودة و «جغرافيا التنمية والتخطيط» للاستاذة عايدة بشارة ، و «الجغرافيا الطبيعية» للدكتور يوسف ابو الحجاج

ومن المتوقع ان يتم صدور هذه المجلدات العشرة خلال العامين القادمين .

## ● الناقد وملف الحداثة

مجلة جديدة قشيبة الثوب اضيفت الى مجلاتنا الثقافية العربية ، ارادت لنفسها ان تكون مجلة نقدية لجوانب الثقافة العربية المختلفة ، اى انها منبر رأى فى الاساس قبل ان تكون مجلة ثقافية جامعة ، فيها بعض النصوص الا ان الطابع الغالب عليها هو نقد الظواهر الثقافية فى حياتنا المعاصرة .

هذه المجلة الجديدة التى صدر عددها الاول فى بداية الشهر الماضى عن دار رياض الريس للنشر فى لندن، وعلى الرغم من «خفتها» التى صدمت من رآها وكان يتوقع مستوى اكثر جدية لها ، احتوت الكثير من الاسماء المألوفة ، وقد يهمنا هنا فى هذه الاشارة السريعة عنها ما احتواه عددها الاول فى ملف مرعب حمل تفريغا لكاسيت قالت المجلة انه قد وزع سرا فى المملكة السعودية احتوى على هجاء عدائى لما اسماه اصنام الحداثة فى الثقافة العربية ، نقول انه ملف مرعب لانه بقدر ما فيه من جهل ، فيه نزعة لمعاداة المثقفين العرب بكل اتجاهاتهم ورؤاهم ، وفيه خلط بين مذاهبهم ، فلم يذكر اسما ولا اتجاها الا وصفه بالضلال . والاخطر من كل ذلك انه حمل نبرة التبليغ ضد مثقفين سعوديين مرموقين يتوعدهم ويرميهم بدعاوى جاهلة ضالة .. ونحن على اية حال لا نعرف قيمة من يقفون وراء هذا الكاسيت ، ولكن المؤكد انهم جماعة فاعلة ترصد وتترقب ، تتابع بدقة وان كان جهلها قد جعلها تضع «اوليفر توسيت» فى قائمة الكتاب والكاسيت على اى حال ما هو الا مجرد حلقة من حلقات دعاة الظلام والتخلف الذين استكثروا على المثقفين والكتاب والشعراء والقصاصين السعوديين الشباب ان ينفتحوا على الثقافة العربية وان ينفتحوا على الثقافة العالمية .. وارادوا لهم ان يظلوا قابعين فى مجرى التخلف والجهل ..

# رحيل السندباد



● بعد وحدة طويلة ، وعذاب مع المرض الشديد ، مات الدكتور حسين فوزى عن عمر يناهز الثامنة والثمانين .

عاش حسين فوزى حياته بالطول والعرض ، كتب القصة فى بداية حياته على الرغم من أن دراسته كانت علمية ، وعده البعض فى طليعة جيل يحيى حقى ومحمود تيمور ، لكنه ابتعد عنها ، كما ابتعد عن دراسة الطب وممارسته ، وعمل فترة بالاحياء المائية الأمر الذى قاده لعشق البحار ، فاخذ يجوبها كما جاب فى مغارز الإنسان المصرى فانشأ أول كتاب له قيمة فى ادب الرحلات هو كتابه الذى تناولته الأجيال التالية بحب وتقدير «سندباد عصرى» .. ثم تتالت منظومته حديث السندباد القديم ـ وسندباد إلى الغرب ، ورحلة تاريخية فى البحار السبعة ، وسندباد عصرى يعود إلى الهند ولندن تطفىء الأنوار ، وحول العالم بمايوه ، وهى الكتب التى جعلته رائدا حقيقيا لأدب الرحلات الذى يضرب فى عمق التاريخ وعمق الإنسان ..



السندباد د . حسين فوزى

عرف حسين فوزى باسلوب أدبى رصين متميز تعرفه قبل أن ترى اسم كاتبه ، وتحس معه بشمول ثقافته وعمق رؤيته .

وهو وإن كان أدب الرحلات قد استغرق جل إنتاجه فإن كتابته فى الموسيقى كانت أيضا من المعالم الأساسية لنشاطاته الابداعية ، فكان كتابه «الموسيقى السيمفونية» فريدا فى بابه باللغة العربية عمل الكثير فى سبيل توجيه المثقفين المصريين لحب الموسيقى السيمفونية .

وتأتى كتبه « هو وهى ، وقلوب للبيع ، والمرأة كتاب ، ومشروع انتحار ، والاسكندرية فى الخريف »

لتؤكد على أسلوبه فى الكتابة والحياة ، كمثقف متحرر يدعو إلى الحياة المشبعة بالمباهج

لا احد يستطيع أن يحد من قيمته ومن قيمة إنجازاته وعلى راسها إنشاؤه للبرنامج الثانى بإذاعة القاهرة الذى كان نافذة جادة للثقافة الرقيقة ، وأحاديث عن الموسيقى هى من اهم معالم مرحلة الازدهار الثقافى فى الستينيات .

كان حسين فوزى من ذلك النوع المتقلب فى افكاره ، إذا راى رايا فعله دون أن يسمع الآخرين ، وحينما انزلقت قدماه إلى أرض إسرائيل داعيا المثقفين كى ينهجوا نهجه لم يستمع لكل الأصحاب الذين نصحوه بأن يخفف من غلوائه ، لذا انصرف عنه الجميع فعاش سنيه الاخيرة فى وحدة وعزلة ، حتى اختفى من الحياة الثقافية اختفاء ظنه البعض موتا كاملا له .

رحم الله حسين فوزى رحمة واسعة ، وغفر له أخطاءه ، ولعل حياته بكل جوانبها الايجابية والسلبية فيها درس لمن يأتى بعده من المثقفين .

---

## نـــــــــدوات

### الفلسفة والمرأة

فى مقر جمعية تضامن المرأة وتحت اشراف الدكتورة نوال السعداوى تحدث الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلســـفة عن المعالجة الفلسفية لقضية المرأة .. وعلى الرغم من خصوصية الموضوع وتميزه كــان عدد الحاضرات قليلا جدا لا يتناسب مع دور الجمعية وهدفها ومما اثر فى حرارة المناقشة والحوار .

وقد اوضح الدكتور فؤاد زكريا بان هناك عقبات غير هينة تواجه المرأة فى مقدمتها عنصر المصلحة لدى الرجـــل والنظرة الدينية التى تعرض فى معظم التيارات الدينية المعاصرة من خـــلال تفسيرها المتحجر للنصوص والفجــوة الكبيرة بين ما يذاع ويعلن من الافكار على المستوى النظرى وبين الممارسات الفعلية ثم ان الفلسفة تميل الى التجريد الزائد والبحث فى المشكلات المجـــردة كذلك الفيلسوف الذى يحتاج الى التفرغ والعزلة باعتباره شـــخصا محلقا فى الافكار الميتافيزيقية الشديدة التجريد .

ثم عرض الدكتور فؤاد زكريا نماذج من الفلاسفة القـــدامى والمعـاصرين وموقفهم من المرأة فى أسلوب ســـهل ممتع واوضح ان الفلاسفة منذ قـديم العهد قد اتخذوا موقفا معاديا للمـرأة فسقراط طرد زوجته وهى تبكى وتولول عليه بعد أن حكمـــت المحكمة عليـه بالاعدام وشرب السم الذى أخـذ يسرى فى اوصاله لانها افسدت عليه جلسـته الاخيرة مع تلاميذه وافلاطون فى مدينته الخيالية جعل المرأة مكافأة للرجـــل الشجاع فى الحرب . وفى العصر الحاضر نجد ان اغلب الفلاسفة امتنعوا عـن الزواج وعاشوا حياة العزوبة مثـــل ديكارت واسبينوزا وديفيد هيوم وكانت

وهيجل وشوبنهور وكيرك جاردونيتشه وسارتر ويكفى ان فيلسوفا مثل نيتشه اقترح على كل رجل قبل ان يذهب الى المرأة الا ينسى أن يحمل معه الكرباج أما سارترفقد اتخذ موقفا طفوليا عندما عاش مع سيمون دى بوفوار حياة الازواج ثم تمرد على كتابةورقة رسمية والاولى ان يكون تمرده كاملا لا ان يخضع لمؤسسة الزواج ثم يمتنع عن كتابة ورقة ٠

أما عن الفلسفةالماركسية فقد عالجت قضية المرأة باعتبارها نظرية فى علم الاجتماع اكثر منها مذهبا من مذاهب الفلسفة وقد كان كتاب انجلز قصر العائلة اضافة لانه ربط بين قضية المرأة والتطور الاقتصادى للانسان وجمع بين فكرة شكل العائلة كمانعرفه فى مجتمعاتنا القديمة وبين فكرة الملكية الخاصة ٠

ثم تعرض الدكتور فؤاد زكريا لقضيتين هامتين تصلحان لان تكونا اطارا لمعالجة جوانب اساسية من قضية المرأة هما الطبيعة والعرف والوجود والماهية وعن القضية الاولى يقول : هل القانون الموجود جزء من طبيعة الانسان أم انه عرف واصطلاح واتفاق وضعه الانسان ويستطيع تغييره متى يشاء ؟ وبعبارة أخرى ان المجتمع قد خدع نفسه حين استقر من خلال العرف علىأن يكون الرجل هو المسيطر وهو المتفوق لان ذلك من طبيعته ومن طبيعة المرأة أن تكون فى مكانة ادنى وهذا يحدث خلطا بين ما هو موجود فى طبيعة ثابتة وبين ما هو موجود نتيجة لوضع اجتماعى معين ٠ هذا يربطنا بتفسير بعض التيارات الدينية الاسلامية المعاصرة لقضية المرأة فهم يستندون الى فكرة أساسية وهى ان الشرائع غير قابلة للتغيير لانها من طبيعة الانسان وبهذه الطريقة تصبح الشريعة التى هى اداة لتنظيم حياة الانسان شيئا ثابتا غير قابل للتغيير ومفروضا على الانسان الذى يجب ان يفصل حياته على حسب هذه الشريعة وليس العكس ٠

أما القضية الاخرى فهى الوجود والماهية والوجود هو حيوية الانسان ومعيشته وتجاربه وذلك التيار المتدفق الذى يمضى فى الانسان من اول لحظات حياته حتى اخرها والماهية ما يكونه الانسان أو السمات التى تشكله ، والوجود يسبق الماهية أما خصوم المرأة فلهم رأى اخر فهم يحاولون ان يجعلوا لها ماهية سابقة على الوجود وطبيعة محددة لا تستطيع أن تخرج منها وهذه الطبيعة هى التى يجب ان تحكم حياتها من البداية الى النهاية ٠

وقد كان للدكتورة نوال السعداوى بعض الملاحظات هى :

● تحدث الدكتور فؤاد زكريا عن المرأة كزوجة لفيلسوف ولكن المرأة كمفكرة كنتيجة للفلسفة أين هى من التاريخ ؟ ان حضارات مصر القديمة والاله ايزيس بوجه الخصوص كانت صاحبة فلسفة وبين أى هناك أمثلة ودلائل تؤكد ان المرأة كان لها دور فكرى وفلسفى فىالتاريخ فالمرأة انتجت الفلسفة ولم تستهلكها فقط فكيف عزلت عن هذا الدور وأصبحت الفلسفة رجولية ؟

● اننا نواجه تيارات متعصبة خطيرة والمرأة هى ضحية أولى وكثير من الشابات يصدقن ما يقال مثل ان

الوجه عورة حتى ضــوء عينيها ثم تعيش هذا الفكر وتتمثله وتتصور انه فكر المهى فتقهر نفسها ثم تتحول من مقهورة الى قاهرة من ذاتها وهذا اعلى انواع القهر ٠

ثم نرى فى مجتمعنا معظم المفكرين توفيقيين وهذا نوع من التضليل فهل يمكن للمفكرين والفلاسفة فى بلادنا ان يلعبوا دورا فى تغيير الفكر الجـامد بشجاعة ؟

وقد رد الدكتور فؤاد زكريا عــلى هذا التعليق قائلا : اتفق مع الدكتـورة نوال بأن المرأة كان لها دور فى فترات ماضية ويكفى ان اقول انه كان يوجد الهة نسائية فى العقائد القديمة لكن نتيجـة لظروف اجتماعية معينة توارى هــذا الدور الذى كانت تلعبه المرأة فى صميم العقيدة نفسها وعندما أصبح الرجـل وقوته العضلية هو المتحكم فى الانتاج والمعيشة الاجتماعية كان من الضرورى والطبيعى ان يختفى الدور الذى تقوم به المرأة ٠ ولكن لم يكن يفيد كثيرا ان اثبت ان هناك فيلسوفات من النســاء لان عقيدتهم كانت تنتمى الى العقيـدة السائدة فى ذلك الوقت » ٠

النقطة الثانية بالنسبة لقضــية الدين فان الفلسفة قادرة على تقــديم منهج حقيقى بعيـــداً عن التطـــرف والتعصب ٠

**محسن فهمى**

## مكتبة الهلال



الكتاب : الفاظ عامية فصيحة

تأليف : د. محمد داود التنير

الناشر : دار الشروق

٢٦٨ ص ٦ ج ٠ م

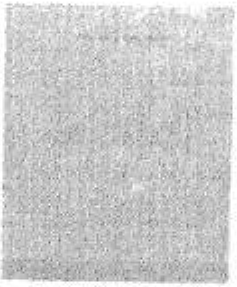
يضم هذا الـكتاب اكثر من الف واربعمائة كلمة عربية سليمــة درجت فى الكـلام حتى حسبها الناس عاميــة وهى فصيحة ، جمعها الدكتور محمد التنيـر وقدمها للجنة اللهجات بمجمع اللغة العربيــة الذى كان عضــواً به، فعرضتها اللجنة عــلى مؤتمر المجمع منــذ سنوات ٠

ويأتى هذا الجهــد استكمالا لما كان بــداه من جهد عدد كبيـر من الاساتذة والـكتاب من امثـــال محمد على الدسوقى فى كتـــاب « تهذيب الالفاظ العامية» واحمد تيمور فى كتاب « معجم تيمور الكبير » واحمد عيســى فى كتاب « المحكم فى اصول اللغة العامية » ومحمود تيمور فى كتابه «العامية والفصحى » و د ٠ عبد المنعم سيد عبد العـال فى « معجم الالفــاظ العامية ذات الحقيقــة والاصول العربية » ٠

ويقول الدكتور شوقى ضيف فى مقدمته للكتاب ان هــذا الموضوع كان مثار اهتمام عــدد من اعضاء المجمع اللغــوى منذ انشــائه ، وعلى رأسهم عيسى اسكندر

العلوف و عبد القادر المغربي . وفريد ابو حديد ، ومحمود تيمور ومحمد شوقي امين . حتى اصبح اليوم الذى تلتقى فيه العامية بالفصحى ، بل تمحى محوا قريبا شديد القرب ، بعد ان كان يبدو بعيدا كل البعد .

وكتاب الدكتور التنير لا يهدى فقط الى الالفاظ العامية العربية الجارية على السنة الجماهير ، بل هو يهدى الى تصحيح طائفة بل طوائف كثيرة من الالفاظ العربية التى حرفها العامة ، ونطقت بها على غير وجهها العربى السديد وهو ينير الطريق الى عملين لغويين كبيرين ، اولهما التقاط الكلمات الفصيحة من العامية اليومية وتدوينها ، وثانيهما رد الكلمات العربية التى حرفتها العامة الى صورتها الفصيحة بازالة مادخل عليها من تحريف . وبذلك نثرى الفصحى ونقوم ما اعوج منها والحرف فى العامية عن نطقه الصحيح .



الكتاب : الربيع الازرق
شعر : فرانسيس كومب
ترجمة : الطاهر وطار
٢٢٣ ص ٢٥ د . ج

هذه اول ترجمة للكاتب الجزائرى الطاهر وطار جاءت ضمن نشاطاته الاخرى لتدفع به الى قائمة المترجمين لذلك هو يتساءل لماذا الترجمة ولماذا هذا الديوان بالذات . ويجيب :

عندما عدت من احدى رحلاتى الى باريس .. كان من جملة ما فى حقيبتى ديوان صغير الحجم لشاب فرنسى لم يبلغ الاربعين بعد .. اضطررت لقراءة هذا الديوان الى قضاء وقت طويل بين القواميس اللغوية والقواميس النباتية والحيوانية ودائرات المعارف .

ذلك لان الديوان ملىء باسماء الاشجار والازهار والنباتات والحيتان والجزر وما الى ذلك .

ويضيف : ينبغى هنا ان اعترف ايضا بانى واصلت قراءة هذا الديوان بنوع من التحدى للغة العربية ، او بالاحرى للقاموس المعاصر للغة العربية والذى يقتصر على ما يبدو لى على المفردات السهلة المتداول والتجريدية فى اغلب الاحيان .

وهذا الشاعر الذى ربما يترجم للعربية لاول مرة يقدمه لنا الطاهر وطار كنموذج للشاعر المناضل الذى يعطينا درسا فى الايحاء وفى عدم المباشرة والشعارية والصراخية الجوفاء ومن اجواء الديوان :

كن عشبا ـ ( بلا قضايا فلسفية ) ـ فالحياة مرداء وبسيطة ـ مثل سكة حديدية قروية ـ لكن حياة البشر قاسية ـ ومن يرم حياة شاقة ـ تكن حياته شاقة ـ لهذا السبب ـ لا ارغب ان اضحك مع الينابيع .




الكتاب : البراري
تأليف : عمر فاروق السيد
١١٠ ص . ٧٥/ق م

هذه دراسة جديدة تتناول المنطقة المعروفة باسم شمال الدلتا المصرية التي هي من الناحية الإدارية محافظة كفر الشيخ .

ويبين لنا الباحث ان « البراري » قد تلاشت كظاهرة بعد ان كانت تشغل الثلث الشمالي من دلتا النيل منذ نهاية العصر الفرعوني وحتى بدايات القرن العشرين .

لقد تقلصت تدريجيا وتزحزح خط البوار القديم نحو الشمال هداتا بعد فدان بفضل جهود سكان الدلتا من المزارعين واختفت ظواهرها من السياحات والحزازي والمستنقعات وحلت محلها خضرة الزراعة والمحاصيل ، وتكاثرت بها القرى والكفور والعزب ، حتى شارف العمران ساحل بحيرة البرلس الجنوبي

اى ان البراري قد انتهت او كانت جغرافيا وان ظلت دلالتها التاريخية والحضارية ماثلة في هذا النطاق من دلتا النيل ، سواء كصفحة مطوية من تاريخ الدلتا العمراني الطويل ، او كبقايا متناثرة تدل عليها هنا وهناك .

وبالاضافة الى الاستعراض التاريخي الجغرافي فان هذا الكتاب البحث يضم ايضا تصورا لخطة تنمية شاملة لهذه المنطقة الحيوية من مناطق الجمهورية ، كما يدعو المؤلف الى تدعيمها بعدد اخر من الدراسات في شتى التخصصات المتضافرة بهدف التنمية الشاملة للمنطقة .

الكتاب : وكر الوطاويط
تأليف . إحسان عبد القدوس
الناشر : مركز النشر بالأهرام
٢٣٢ ص : ٣ ج م

لا يملك المتابع لاحسان عبد القدوس الا الاعجاب بقدرته على الاستمرار في الكتابة والانتاج على الرغم من ظروفه الصحية ، ومن سنه المتقدمة ، وهو بهذا يقدم نموذجا للكاتب المخلص لعمله ، الذى يعتبر الكتابة هى الشىء الاساسى فى حياته ، وهى النشاط الذى لا يتوقف الا مع توقف القلب عن الحركة

احسان عبد القدوس يقدم لنا مجموعة جديدة من القصص ، اطولها هى التى تحمل عنوان الكتاب ، وهى قصة فنان اجبرته عائلته في بداية حياته على الاتجاه لدراسة الهندسة ، لكنه وهو الفنان بالفطرة يجد نفسه عاجزا عن الاستمرار فى هذه الدراسة التى لم يرغب فيها ، وتلقى به الاقدار الى وكر الوطاويط وهو « غرفة » في احد احياء الحسين يجتمع فيها عدد من الرسامين والنحاتين



ليمارسوا فنهم ويعيشوا حياة شبه بوهيمية . وفي هذا الوكر يكتشف الفنان نفسه ، وامكانياته الابداعية كما يشتاق الى ان يعيش حرا كالوطواط لا يقف في مكان واحد ، بل ينتقل من امراة الى اخرى ، لكن الايام تمر ، والزمن يتقدم به ، وتدفعه الحاجة الى الاستكانة ، والحاجة الى ان يعيش ، الى ان يهجر حياة الوطاويط ، ويقرر الزواج الذى يجعل منه انسانا عاديا ، وربما فنانا عاديا لا يتقدم خطوة الى الامام .

ان هذه القصة - الرواية القصيرة - لتثير الكثير من التساؤلات حول التفاصيل النوعية التى تضمها ، لكنها تعبر بصدق عما يعتمر جنبات كاتبنا الشهير من افكار واراء .

وبالاضافة الى هذه القصة تضم المجموعة ايضا خمس قصص اخرى اقل طولا .



الكتاب بروفة للجريمة
(مسرحية)
تأليف : محمد سالم
الهيئة المصرية العامة للكتاب

محمد سالم اديب معروف في عالم القصة وعالم المسرح ، قضى في الادب والمسرح زهرة شبابه ، وهو الان يواصل عمله وراء كواليس المسرح في كهولته التى تشبه في نشاطها شبابه المبكر الذى كان « مسرحا » لقصة نضال رائعة ، بناها محمد سالم بتعليم نفسه وتثقيفها ، وصقل موهبته في الكتابة بصبر واناة وذكاء حتى برزت موهبته ككاتب للقصة والمسرح ، وان حالت الظروف والامكانات دون ان ياخذ مكانه الذى يستحقه .

يضم كتابه الجديد مسرحيتين ، كلتيهما من فصل واحد .. اما الاولى واسمها « بروفة للجريمة » فتدور وراء كواليس احد المسارح حيث توجد حياة كاملة مثيرة تتطاحن فيها الاهواء والمطامع والحب والكراهية ، ومأساة الانسان وتطلعه الى الخير والاخاء ..

وقد عاش محمد سالم حياة حقيقية عميقة وراء خشبة المسرح ، فقد عمل في مسارح وزارة الثقافة ، اداريا كادحا ، وجنديا مجهولا لا يحس الجمهور به ولا يعرف عنه شيئا .. وظهر في دور صغير جدا باحدى المسرحيات .

والمسرحية الثانية في هذا الكتاب عنوانها « عقد مع الشيطان » .. وهي كما يقول « يمكن ان تدرج ضمن الفاوستيات في الادب العالمي » .. لانها صياغة مسرحية جديدة لفاوست وهي اشهر الاعمال العالمية في هذا المنحى الفني الانساني الخطير .

والمسرحيتان كلتاهما باللهجة العامية القاهرية وتتضمنان مادة غزيرة تصلح لمسرحيتين من فصول متعددة ، وربما وقعت هاتان المسرحيتان ذات يوم في يد مؤلفي المسرح الخاص ، ولن يتورعوا عندئذ من تحويلهما الى مذهبهم الفني .. وكان محمد سالم نفسه يستطيع ان يكتب هاتين المسرحيتين للقطاع الخاص ، ولكنه لم يفعل ، واثر ان يخرجها في كتاب انتظر سنتين ليراه مطبوعا .. وهكذا عاش محمد سالم طوال حياته ، يؤثر الفن الصحيح الذى يروق لمزاجه ولا يبالي بعد ذلك ان يجد ما يواجه به الحياة !

## العالم في سطور

### نيويورك

● اليا كازان يحاكم نفسه ●

الراجح انه لا يوجد مثقف مصرى عاش ابان عقدى الاربعينيات والخمسينيات الا وسمع باسم المخرج الامريكى اليا كازان المنحدر من اصل يونانى ، او على الاقل سمع براحد من افلامه « يحيا زاباتا » ، « عربة اسمها الرغبة » و « على رصيف الميناء » و « شرق عدن » .

وها هو ذا صاحب هذه الافلام يحكى سيرته فى مؤلف من ثمانمائة واربع وثمانين صفحة اعطاه هذا الاسم « اليا كازان : حياة »

واهم حدث فى هذه الحياة الطويلة الحافلة بجلائل المسرحيات والافلام ، تلك المواجهة التى جرت بين صاحبها « كازان » وبين لجنة الكونجرس المشكلة للتحقيق فى النشاط المعادى لامريكا ، وانتهت بسقوطه سقوطا مشينا عندما وشى برفاقه اثناء عضويته للحزب الشيوعى الامريكى مدة لم تدم الا عاما واحدا .

وفى الحق ، فهذا السقوط المدوى لا نجد له تفسيرا مقنعا حتى بعد خروج هذه السيرة الى الناس فلقد كان امام « كازان » عدة خيارات منها الا ينبس ببنت شفة فيزج به فى السجن او ان يدافع عن نفسه متخذا من التعديل الخامس للدستور الامريكى طوق نجاة .



اليا كازان

او ان يهاجر من الولايات المتحدة مثلما فعل المخرجان « جوزيف لوزى » و « جول داسان »

او ان يخرج من المحنة بريئا طاهرا دون ان يشى باحد .

ولكنه لم يفعل شيئا من هذا ، واختار ان يشى برفاق السلاح ، وهو اختيار لم يصفحه له الاحرار فى جميع انحاء العالم الى يومنا هذا

والسؤال هو لماذا اختار « كازان » ان يشهد امام تلك اللجنة معرضا بذلك نفسه الى الاتهام بخيانة المبادىء وحمل هذا الوزر حتى هذه الساعة

وعلى كل فالذى يبين من قراءة سيرته انه وقت اتخاذ القرار كان حائرا بين الاشمئزاز من الشيوعية

والتخويف من ضياع الشهرة والثروة ·

وهو فى سيرته لا يحسم ايهما كان السبب فى اتخاذ القرار ، تاركا الحكم فى ذلك للقارىء ·

ومع ذلك فثمة شيء أكيد ، هو ان افلامه بعد عام ١٩٥٢ أى بعد محنته مع لجنة الكونجرس تعتبر احسن ما اخرجه ·

والعجيب فى سيرة « كازان » ان صاحبها لا يترك فرصة الا وانتهزها للتحقير من شأن نفسه ·

فهو كاتب هذه السطور فى وصف « كازان » « انا لست مثقفا ، ولست واسع الافق ، الادب الكلاسيكى ليس فى متناول فهمى . استمتع بالدعابة وبالمهرجين العظام ولكنى لا استطيع أن انحت نكاتا وليس عندى اذن شعرية »

## هوليوود

● ذهب مع الريح نصف قرن ●

تستعد هوليوود هذه الايام للاحتفال بمرور خمسين عاما على انتاج فيلم « ذهب مع الريح » احد اهم الافلام فى تاريخ السينما العالمية قاطبة · وهو الفيلم الذى حقق أعلى الايرادات فى كل تاريخ السينما · كما انه اول فيلم تم تلوين النسخة « الابيض والاسود » · منذ نيف وعشرين عاما منذ عامين احتفلت الاوساط الادبية الامريكية بنفس المناسبة على صدور الرواية التى تحمل نفس الاسم



من تأليف مرجريت ميتشيل وهى الرواية الوحيدة لكاتبتها ·

تدور احداث الفيلم اثناء الحرب الاهلية التى دارت فى منتصف القرن الماضى من خلال قصة حب متدفقة الاحداث بين امرأة ورجلين · احدهما يطاردها عبر سنوات طوال والثانى تطارده فلا يشعر بها ··

ارادت هوليوود ان تستثمر نجاح هذا الفيلم وايضا الرواية ، فدفعت اخيرا بالرواية للكاتبة الكسندرا ريبلاى ان تستكمل الاحداث بعد ان ذهب الزوج ريت بكار ادراج الرياح · وادعى البعض ان الكسندرا قد اكملت بذلك الحدوتة التى استكملتها مرجريت ميتشيل بالفعل فى اوراق لم يتم العثور عليها الا اخيرا ··

وفى نفس الوقت الذى ظهرت فيه الرواية فى الاسواق · بدأت شركات الانتاج التلفزيونى فى تصوير مسلسل ضخم يتم عرضه مع بداية العام القادم الجدير بالذكر ان الكاتبة الفرنسية المعروفة ريجين ديفورج قد

اعادت معالجة نفس الـــــرواية فى مجلدات روائية ضخمة منـــذ ثلاثة اعوام تحت عنوان « الدراجة الزرقاء » . ولكنها لم تهنأ بنجـــاحها حيث رفعت دعوة ضدها تتهمها بانه ليس من حقها قط ان تقتبس هذه الرواية لاسمها .. ومازالت هذه القضية منظـــورة فى

**مونت كارلو**



انتونى بيرجيس

● أدباء الآلة الكاتبة

هل ساعدت الآلة الكاتبة على كل هذا الابداع العالمى المتدفق ؟

الاجابة مؤكدة ان هـــذه الآلة الصغيرة قد ساعدت ادباء عديدين على هذا العطاء وعلى رأسهم انتونى بيرجيس الذى اطلقوا عليــه دعابة « اديب الالة الكاتبة » لكثرة ما يطرق عليها ويصدر الى المطابع ..

احدث كتاب لهذه الالة يحمل عنوان « تكريم كورت بيوب » وهو اســـم موسيقار مشهور عـــرفه انتونى بيرجيس عن قرب . وتجىء اهمية هذا الكتاب فى انه يعيــد بيرجيس الى عشقه الاول : الموسيقى . فقـــد كان والده عازف بيانو . اما امه فقـــد كانت راقصة ، وفى الســـنوات الاولى لحياته كان يذهب مع ابيه الى الصالات من اجل سماع الموسيقى . ثم مالبث ان تعلم العزف مثله .. ولكنه عندما قرر الكتابة لاول مـــرة عام ١٩٥٨ اكتشف انه لو احترف الموسيقى فسوف يكون اقل شهرة لانه موهـــوب فى الكتابة اكثر ..

ومنـــذ ذلك الحين وحتى الآن لم يتوقف الكاتب عن قرع الته الكاتبة كتب الرواية والفيلم السينمائى والدراســـة النقدية . وعن عالم الموسيقى قـــدم منذ عشر سنوات كتابا عن « سيمفونية نابليون » . تلك الســـيمفونية التى كتبها الموسيقار بيتهوفن تكـــريما لنابليون ثم مالبث ان اعلن ســـحبها من اسمه ..

الغريب ان ادب بيرجيس قد جاءت تيمـــاته مختلفة تماما عن تيمـــات الموسيقى التى عشقها فهـــو ادب ملىء بالعنف . ويعكس صورة المجتمـــع المعاصر . بما يمـــلؤه من دمـــاء واغتصاب وجرائم . ولعل اهم رواية للكاتب فى هذا المضمار هى « البرتقالة الآلية » التى نشـــرها عام ١٩٦٢ وترجمتها روايات الهلال هذا الشهر فى نصها الكامل لاول مرة باللغـــة العربية .

## جنيــــف

● الاباحية فى الصيف

فى موسم الحــــر .. الذى يحلو للانسان ان يتخفف من ملابسه انتهزت دور النشر الفرنسـية الفرصـــة واصدرت مجمــوعة من الروايات الاباحية لعلها تساعد القــارىء على خفض درجة حرارة جوه الداخلى .. وراحت هذه الدور تبحث عن اكثـر هذه الروايات الهابا واثــارة .. فى عز الحر ..

وقـــد حظى الكاتب بيير لويس ( ١٩٢٥ ـ ١٩٧٠ ) على نصيب الاسد من هذه الكتب . حيث صـــدرت له مجموعة من : اشعاره المكشـــوفة . بالاضافة الى روايته المعروفة « ثلاث بنات من صلب أمهن » كمـا اصــدر جان بول جوجون كتابا اخــص عن « الحياة السرية لبيير لويس » تناول فيه غرامياته الخاصة وجنونه بالنساء هذا الجنون الغريب الذى عكسـه فى روايات عديدة منهــا « افروديت » و « مغامرات الملك بوزول » .. ولانه اشهر المصابين بهذا الهوس النسائى الغريب . فقد راح الى الشرق يستلهم حواديته ويعجب به بشـــدة ويكتب الكثير عنه .

ويقال ان ادب لويس المكشـــوف يتميز بان كلماته جميعهــا قد خلعت ارديتها لتظهر للقارىء بدون مكيــاج او ساتر . وان الكاتب لم يسع فقط الى تعرية نسائه . بل ايضا ضمائرهن وسلوكهن . فاصبحت الاشياء مكشوفة الماضى واضحا . والحــاضر جليا .. والمستقبل منتظرا ..

## بـاريـــس

● الكاتب .. فى جوف المدينة

« مدينة الليل الجميل »

هو عنوان الكتاب الذى يتصــدر قائمة المبيعات الفرنسية منذ صــدوره فى شهر ابريل الماضى من تــأليف ريشار بورنجيه ..

تجىء اهميـــــة هذا الخبر ان ريشاربور نجيه ليس سوى ممثــل فرنسى مغمور لم يتعود عليه المشاهد بعد . وقد استطاع بكتــابه الاول ان يتفوق على اسماء عـــديدة احترفت الكتابة فى تحقيق هذه المكانة .

كما تجىء طرافة هذا الخبر ايضـا ان بورنجيه كان قد فاز قبل ذلك بشهر، اى فى مارس الماضى ، بجائزة احسن ممثل فى فرنســا عن دوره فى فيلم « الحساب » متفوقا ايضـــا على كل نجوم فرنسا المعروفين .

وتجىء غرابة هذا الخبر كذلك ان ان كتاب بورنجيه ليس رواية ولكنــه اقرب الى انطباعات فنان حول علاقته بالمدينة التى ولد وتربى وعاش فيها .

يقول بورنجيه : « لم اجد شـيئا افضل من الكتابة عن المدينــة التى عشت بها ، هذه المدينة التى حملت فى طياتها نماذج مختلفة من البشـــر الصالح والطالح . الجميل والدميم . الطيبين والاشرار . المبدع والمتلقى انها نفس المدينة دائما من الخــارج . لكن البشر يتوافدون عليها على مدى القرون . يموت الكثيرون فيتم دفنهم فى مقابرها . فلا يبتعدون كثيرا عن جرف المدينة . وهكذا اردت ان اجعل مدينتى هى البطل الرئيسى لاحداث هذا الكتاب .

# رسالة لندن

## جولة فى مركز الوثائق البريطانى

# ماذا جرى

## فى الوثائق البريطانية عن قضية طابا ؟

فعبر ما يزيد على مائة وخمسين عاما من الاحتلال البريطانى للأرض العربية ، كان الدبلوماسيون والعسكريون والباحثون عن الكنوز الاثرية ، وقبلهم السياسيون البريطانيون ، يكتبون تاريخهم الخاص للوطن العربى ، كما لكل العالم الذى كان بين ايديهم ، وقبل ان يكتبوه كانوا ، والحق يقال ، يصنعونه ، وربما كتبوه اولا ثم صنعوه بعدها .

فى هذا المبنى ثروة هائلة من المعلومات ، من حق كل عربى ان يطلع عليها ، وهذا حق لم تعد تمانع فيه بريطانيا الان ، لانه تاريخ ، ولانها تجنى من عرضه الاموال الطائلة ..

فإذا اردت ان تعرف متى جرت الفيضانات سيولا فى رمال بيجان ؟ ومتى بدأت ايران تطالب بالبحرين ، ولماذا تزوج الامير فلان ببنت الملك فلان ؟ ، ولماذا عينت بريطانيا وزير دولة مصر ابان الحرب العالمية الثانية ؟ ، ولماذا طلق الامير فلان ابنة الملك فلان ثم تزوجها فلان ؟ ، ولماذا خرقت بريطانيا معاهدة الصداقة مع اليمن التى عقدتها عام ١٩٣٤ ، رغبة بالاحتفاظ بشبوة التى كانت تعرف ان النفط يفيض من اعطافها ( ثم استخرجه ابناء اليمن عام ١٩٨٧ ) ، وما هو موقف الدول العربية كلها من قرار بريطانيا تسليم فلسطين لليهود ..

واخيرا ، ما هى حكاية طابا ، ولماذا حاول البريطانيون ضمها للقسم اليهودى من توزيعهم لارض فلسطين

ستجد كل ذلك فى مركز الوثائق البريطانى الواقع فى ضاحية لندن المسماة ريتشموند ..

● مصالح بلا حرج !

وعندما يغوص القارىء والباحث فى اعماق هذا البحر العميق ، يدرك لماذا لايريد البعض ان يطلع العربى على ما فيه ، ويدرك ايضا ، ان كل ما فيه ليس حقائق مجردة ، بل هو فى معظمه رؤية للحقائق من زاوية المصالح البريطانية الامبراطورية ، تعرض بلا حرج .

في مبنى اشبه ما يكون بابراج المراقبة ، قريب من حدائق "كيو" المشهورة في احدى ضواحي لندن ، حيث اكتشف الانكليز اخيرا ان فرعون مصر خبا قوت آخرته في صندوق طمره تحت ترابها ، وغير بعيد عن المتاحف التي وجدت اثار مصر ، بل اثار كل الدنيا ، طريقها اليها ، وبدافع الانتماء لبيوت الحضارة العتيقة ، في ذلك المبنى يستطيع العربي ان يكتشف الكثير الذي يرقى الى الحقيقة بعينها !

بقلم : محمد عمار

بعض من يزورون المركز يبحثون عن اصول عائلاتهم وتاريخها ، بعد ان هاجر قسم منها الى استراليا او كندا او نيوزلندة ، وبعضهم يبحث عن تاريخ امة او قضية سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، حتى ان البعض الاخر جاء يبحث عن حيثيات حكم صدر عن احدى المحاكم قبل ثلاثمائة عام ..

ذلك ان هذا المبنى ، ومبنى اخر في وسط لندن ، يضم بين جدرانه كل الوثائق والمراسلات الرسمية الصادرة عن مختلف وزارات الحكومة البريطانية ، بل وعن كل الحكومات التي كانت تقيمها بريطانيا فيما كانت تسميه "الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار" مثل حكومة الهند ، وحكومة عدن ، ثم انك تكاد تجد كل تاريخ الامبراطورية التركية ( العثمانية ) هناك ، خاصة منذ ان بدأت بريطانيا تقتطع بمعولها اجزاء تلك الامبراطورية جزءا جزءا ، خاصة في المنطقة العربية .

وفي مراحل الحرب العالمية الثانية .. وما بعدها تجد معالم الصراع البريطاني ـ الاميريكي للسيطرة على المنطقة العربية واضحة تماما ، وكل منهما يستخدم خطر الغزو السوفييتي ـ الذي لم يقع ـ وسيلة لتخويف العرب وضمهم الى معكسره .

ولكن كيف يصل الباحث إلى ما يريده من معلومات في هذا البحر الزاخر من الوثائق ؟

الجواب على هذا السؤال هو موضوع بحثنا هذا .. ولنجعل الاجابة اكثر سهولة وفائدة ، سنورد مثلين حيين معاصرين : موضوع طابا ثم موضوع شبوة اليمنية ..

قبل الدخول في التفاصيل ، او بالأحرى دخول المبنى ذاته ، سيطلب منك جواز سفر او بطاقة هوية ، ثم يطلب منك ملء طلب للحصول على بطاقة « قارىء » لن يستغرق الامر مدة طويلة ، ولن يكلفك شيئا .. قبل ان تتوجه الى المكتب الذي تسجل في سجلاته اسمك وساعة وصولك ، استعدادا للصعود الى الطابق الاعلى عبر كاشف للمتفجرات ، تؤخذ منك حقيبتك ، ان كان معك حقيبة ، ولا يسمح لك باصطحاب غير الورق الابيض وقلم

رصاص وربما الة كاتبة يدوية ، ولن يسمح لك بادخال اى نوع من آلات التصوير ..

فى الطابق الاول ، طابق الوثائق ، ( فالطابق الثانى يضم الخرائط فقط ) تجد ثلاثة اقسام رئيسية : غرفة الميكروفيلم ، وغرفة المراجع ، وغرفة القراءة .. تتجه اولا إلى غرفة القراءة . وهناك تعطى جهازا صغيرا ، عليه رقم احد المقاعد الذى يصبح مخصصا لك منذ تلك اللحظة .. وللجهاز مهمة اخرى سنتحدث عنها بعد قليل ، فعليك الاحتفاظ به سواء كنت على مقعدك ام فى اى زاوية اخرى من زوايا البناء .

بعد ذلك تتجه الى غرفة المراجع ، ولنقل انك تريد البحث عن تاريخ طابا . عليك اولا ان تحدد التاريخ الذى تبحث عنه ، هل طابا التى تبحث عنها هى طابا العهد العثمانى ، ام طابا فترة الاستعمار البريطانى لمصر ، أم طابا ايام الانتداب البريطانى على فلسطين ؟ ربما كنت تبحث عن كل هذه التواريخ معا ، وربما يدفعك هذا الى الطابق الاعلى ايضا لتبحث عن خرائط ترتبط بتلك المنطقة فى التواريخ المطلوبة .. ستجد مثلا انك لتجد الوثائق المتعلقة بطابا خلال الانتداب البرياطانى على فلسطين ، لابد من البحث عنها فى فهارس الأرقام تحت عنوان : مصر ثم فلسطين ، ثم لفرط دهشتك ، تحت "العربية السعودية" وتحت "الجزيرة العربية" ـ عام ، ولكن لماذا تحت العربية السعودية ؟ ذلك ما سيكشفه لك البحث الذى تقوم به ...

اذا كنت تبحث فى الاعوام ما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٦ ، فالامر سهل . هناك وزارتـان فقط من وزارات الحكومـة البريطانية اهتمتا بهذا الموضوع : وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية . ستجد فهارس مطبوعة بعناوين الوثائق وارقامها التى اعطتها لها دائرة حفظ الوثائق فى وزارة الخارجية ، تبحث تحت "مصر" و "فلسطين" و "العربية السعودية" حتى تجد فى ملخص الوثائق الوارد فى هذه الفهارس ما يشير الى طابا او ما تشعر من خلال معلوماتك المسبقة ( فلابد ان يكون لديك حد ادنى من المعلومات عما تحاول دعمه بالوثائق ) ان يتعلق بها .. مقابل هذا الملخص تجد رقما يسبقه حرف ، هو غالبا حر الـ E اللاتينى ( وهو اختصار لكلمةEast ، اى : الشرق ) . الرقم مؤلف من ثلاثة اقسام : القسم الذى يلى حرفE مباشرة هو رقم الوثيقة التى تبحث عنها ، والرقم الثانى ( وبينهما خط مائل ) هو رقم المجلد الذى يضم الوثيقة ، اما الرقم الثالث ( والذى يفصله عن الثانى خط مائل ايضا ) فهو رقم يرمز الى البلد الذى تتعلق به الوثيقة ..

فلنأخذ مثلا عمليا على ذلك الوثيقة .

E 2864 /22 /31 /G /37

فالرقم بعد حرف E هو رقم الوثيقة والرقم 22 هو رقم الملف او المجلد ، والرقم 31 هو الرقم الرمزى لوثائق فلسطين . الحرف G غير دائم فى هذه الوثائق ، وكذلك رقم 37 وهو يدل على عام صدور الوثيقة ( ١٩٣٧ ) . هنا نجد فى الملخص محاولة البرفسور كوبلاند ووزارة الخارجية البريطانية حل مشاكل موانىء البحر الاحمر بين الدولتين

العربية واليهودية ، واقتراح باعطاء منطقة طابا للدولة الجديدة ، مع دراسة لاحتمالات ردود الفعل المصرية .

بعد هذه المرحلة يتوجب علينا البحث في قائمة اخرى عن رقم اخر ، الرقم الاخر هو رقم مركز الوثائق لنفس الوثيقة ، وهو الرقم المسجل على ذاكرة الكومبيوتر الخاص بالمذكرة ، والعملية سهلة للغاية ، فالقائمة الثانية موجودة على نفس الرف ما عليك الا ان تفتح على عام ١٩٣٧ ، فتجد ان الرقم الذى دوناه اعلاه مدون بجانب رقم اخر ، فتسجله ، وتصبح بذلك مستعدا للتوجه الى الكمبيوتر . هذا الجهاز يخبرك بما ينبغي ان تفعله بعد ان يقول لك انه جاهز لاستقبال المعلومات ، تعطيه اولا رقم بطاقتك ، ثم رقم مقعدك ( الموجود على الجهاز الذى سلم اليك ) ثم رقم الوثيقة الذى حصلت عليه من القائمة الجديدة . ثم تضغط على زر اخضر ، وتنتظر قليلا . بعد لحظات تظهر على الشاشة رسالة تقول لك احد ثلاثة اشياء :

١ ـ اما ان الوثيقة لا تزال غير معدة للنشر

٢ ـ او ان شخصا اخر طلبها قبلك

٣ ـ وان كنت سعيد الحظ تكون الرسالة : طلبت لك والوثيقة في طريقها اليك !

تستطيع بعد ذلك ان تبحث عن وثيقة اخرى ، او تذهب الى الطابق السفلى لتناول فنجان من الشاى ولتدخن سيجارة ( لان التدخين محظور قرب الوثائق ) ، بينما الجهاز الصغير معك طيلة الوقت . وبعد حوالى ٢٠ دقيقة من استعمالك للكمبيوتر يبدأ الجهاز بإصدار صفير متقطع . هذا يعنى انَّ وثيقتك بانتظارك .

تذهب الى المكتب الذى اعطاك الجهاز ، وتعطيهم رقم مقعدك ـ الذى هو رقم الجهاز ـ فيأتونك بمجلد او صندوق فيه كل وثائق الملف الذى طلبته .. تبحث عن رقم وثيقتك .. حتى تجدها ، ثم تقرؤها او تطلب صورة منها من قسم التصوير ( الصفحة الواحدة ثمنها ٢٦ بنسا ) .

ونفس الاجراء ينطبق على وثائق شبوة اليمنية . الوثائق السابقة لعام ١٩٢٠ لم تطبع في فهارس جاهزة ، ولابد من الرجوع الى بطاقات فردية موجودة فى خزائن في نفس الغرفة ، مرتبة حسب البلد والتاريخ ايضا ، فتأخذ من البطاقة رقم الوثيقة ، ثم تستبدل به رقم الكمبيوتر كما ذكرنا ، وتطلبه بنفس الطريقة .

ويجد الباحث ان معظم وثائق وزارة المستعمرات موجودة في وثائق وزارة الخارجية ، نظرا للتعاون الذى كان قائما بينهما ، خاصة فيما يتعلق بالمنطقة العربية .

اما سجلات وزارة الحربية او وزارة الداخلية ، فلها فهارسها الخاصة ، ولكنها تتبع نفس الاسلوب . ورقم الكمبيوتر يبدأ دائما برموز الوزارة التى تمتلك الوثيقة .. فوزارة الخارجية رمزها FO ووزارة المستعمرات CO ووزارة الحربية W ٠ O وهكذا . وقد تجد نسخا من وثيقة وزارة ما فى وثائق وزارة اخرى ، ربما ارسلتها اليها للاطلاع ، ولكنك تجد الوثيقة الاصلية دائما فى ملفات الوزارة التى اصدرتها ...

( وثائق بلا ذمة )

ان التساؤل حول مدى مصداقية هذه الوثائق امر يخطر على بال كل مهتم بها ،

ويزيد من الحاحه كلمة «وثيقة» العربية التى توحى بان مافى هذه الوثائق حقائق لا تقبل النقاش .

والواقع ان هذا ينطبق على العديد منها . فمن غير المعقول ان يكذب سفير على حكومته ، او حاكم لمقاطعة ما على وزير المستعمرات ، او قائد عسكرى على وزارة الحربية . ولكن هناك العديد من الوثائق التى تنقل الشائعات الرائجة ، واكثر من ذلك ، احاسيس وتوقعات منشئيها ، ولن يصعب على الباحث التفريق بين «الوثيقة الرسمية» وبين وثيقة تنقل الشائعات والتكهنات والاحاسيس .

نضرب مثلا على ذلك ، الحقائق التى يسجلها حاكم عدن السير جون هاتوين هول ، حول موضوع هجرة اليهود اليمنيين الى فلسطين عن طريق عدن . ففى ملفات وثائق عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٤ عما كان يسمى فى ذلك الحين وثائق بعنوان "ملخصات استخبارات عدن السرية" كانت تغطى كل اليمن ، شماله وجنوبه ، فى ذلك الحين ، وتلخص ما كان يجرى فيهما من اتصالات رسمية وغيرها ، فى تلك الفترة بدأ يهود اليمن بالهجرة عن طريق عدن ، التى سمحت بريطانيا بان يفتتح فيها فرع للوكالة اليهودية التى كانت تنظم عمليات الهجرة . وفى تلك الفترة ايضا ضربت المجاعة والقحط المنطقة ومات آلاف المواطنين جوعا ، خاصة فى المحمية البريطانية . طلب يهود اليمن ، هربا من المجاعة ، الهجرة ، ووافق امام اليمن انذاك على هجرتهم ، مشترطا عليهم التنازل له عن املاكهم ، اهم شيء بالنسبة له . ووصلت افواج اليهود الى عدن ، واستقبلتهم الوكالة اليهودية اختارت من اختارته منهم ، ورفضت الباقين ، بحجة "عدم لياقتهم" للهجرة الى فلسطين . لم تعط الوكالة اسبابا تفسر معنى "عدم اللياقة" ، ولم يسأل الحاكم البريطانى السير جون هول عن تلك الاسباب ، ولكنه هيأ البواخر والسفن والحماية اللازمة لسفر "المقبولين" على حساب حكومة عدن "اى من اموال الشعب العربي فى عدن ، وتساءل الشعب هناك ( وكل هذا من الوثائق الرسمية ) كيف يجد الحاكم كل هذه الاموال لترحيل اليهود الى فلسطين ( وكان الشعب العربى على قناعة فى تلك الفترة بان بريطانيا اعطت وعدا سريا لليهود بإقامة مملكتهم فى فلسطين ) ولا يجد حتى وسائل النقل لمساعدة الحجاج المسلمين على السفر الى مكة ، من اموالهم هم ؟! ولكن الحاكم كان ينفذ سياسة محددة مدروسة ، وكان عليه ان يجد حلا لمشكلة اليهود اليمنيين الذين رفضت الوكالة اليهودية وفرعها فى عدن السماح لهم بالتوجه الى فلسطين . لم يطل الامر حتى وجد الحاكم ذلك الحل . اتصل بامام اليمن ، الامام يحيى بن حميد الدين ، الذى كان ابنه ، ولى العهد سيف الاسلام احمد ، قد عين واليا يهوديا على بلدة يمنية ليس فيها يهودى واحد ، وطلب منه السماح بعودة المهاجرين اليهود «سيىء الحظ» ، فوافق الامام . عاد اليهود الى اليمن ، وطالبوا باملاكهم التى كان قد وضع يده عليها ، فاشتكى اليهود الى حاكم عدن ! ! ارسل السير جون هول رسالة فورية الى الامام المستقل ، الذى سمح لاولاده دون غيرهم بتصدير الحبوب

والاغذية من اليمن فى الوقت الذى كان ٤٠٠٠ متسول يتجولون فى شوارع صنعاء بحثا عن الطعام ويموتون جوعا على ارصفتها ، "يطلب" منه فيها اعادة املاك اليهود اليهم ، فاطاع الامام ونفذ طلب الحاكم البريطانى فى عدن ! !

وفى نفس تلك الفترة التى كانت احصائيات وفيات مواطنى المحمية جوعا لا تقل عن المائة رجل وطفل وامراة ، لم يرد اسم واحد منهم فى التقارير ، بل كانوا مجرد ارقام فى احصائيات ، ماتت يهودية واحدة من الجوع ايضا ، فى منطقة تسمى الشيخ عثمان قريبة من مدينة عدن ، ارسل الحاكم الى وزير المستعمرات عدة تقارير عن هذه الحادثة ، أولا عن تاريخ الوفاة ، ثم عن قراره بتشكيل لجنة تحقيق طبية ، وامنية لتقرير اسباب الوفاة ، ثم عن نتائج التحقيق ، الذى اثبت بالرغم من انها يهودية مثل كل اليهود ، فانها ماتت ، مثل كل الذين كانوا يموتون فى تلك الفترة ، من الجوع !

فمثل هذه التقارير لا يمكن ان يتطرق الشك اليها ، لانها حقائق وقعت بقرارات ومعرفة الحاكم البريطانى الذى كتب التقارير عنها الى وزيره ، وزير المستعمرات ، الذى عممها على وزير الخارجية والوزارات الاخرى المعنية . وايضا قرار الامام بحظر تصدير الحبوب من اليمن اثناء المجاعة ، وعن الاف الجائعين المشردين فى شوارع صنعاء ، فهى تقارير مبنية على بلاغات صدرت عن الامام نفسه ، ولكن استغلال ابناء الامام لظروف المجاعة وارتفاع الاسعار بشكل جنونى اثناء الحرب ليقوموا هم بتصدير هذه الحبوب وجنى الثروات الهائلة والشعب اليمنى يموت من الجوع ، فان هذا كله مبنى على تقارير استخبارية كان الحاكم يتلقاها من الحديدة ، ميناء اليمن الوحيد فى ذلك الوقت . فقد زرع البريطانيون فى ذلك البلد شخصا مسلم الاسم فارسى الاصول ، اسمه صالح جعفر محمد جعفر ، ظل يعمل جاسوسا لحسابهم هناك عشرات السنين ، تحت اسم "الكاتب السياسى البريطانى" فى الحديدة . ثم رفعوه الى مرتبة "مساعد ضابط الحدود" بعد توقيع اليمن وبريطانيا على معاهدة صنعاء لعام ١٩٣٤ . كان صالح جعفر صاحب اعمال تجارية كبيرة ، فى الحديدة وعدن ، وكانت له علاقاته القوية مع المصدرين والمستوردين . وهو الذى كشف ان اولاد الامام ، خاصة ولى العهد ، كانوا يصدرون الحبوب بموجب رخص تصدير يصدرونها هم ! فى وقت منع الامام رسميا تصدير هذه المواد من اليمن . هذه حقائق استخبارية يمكن الطعن فيها ، ولو ان انكارها سيكون مستحيلا حين يتعرف الباحث على بقية تصرفات هؤلاء الابناء وممارستهم واخلاقهم . ولكنها تبقى استخبارية ، لانها غير موثقة باذون تصدير موقعة مثلا ، والوثائق المرسلة الى وزير المستعمرات البريطانى حول هذا الموضوع تبين هذا الامر بوضوح ، فهى تسبق ذكر الخبر بكلمات "بلغنا" ، "علمنا" ، "يقال » و "سرت شائعة تقول" وغير ذلك .

ومهما يكن من امر ، فان فى مركز الوثائق الرسمية البريطانية من المعلومات بالغة الاهمية ما يكفى لتغيير نظرة المواطن العربى الى الكثير من الامور الحالية والماضية ، وربما لتغيير اسلوب تعامله مع المستقبل ايضا .

# العالم غدا

● استخدام الذاكرة الاثرية وهدرها .. ! ●

حين يواجه الانسان موقفا ما يعود الى ذاكرته ( او مخزون تجاربه ) فى محاولة لتمحيص الجهود التى يبذلها مجددا لمواجهة هذا الموقف ، وحتى لا يبدو وكأنه محكوم عليه بالبدء من الصفر دوما ، مهدرا كل الخبرات السابقة ..

ومع تطور البشرية لم تعد الذاكرة مجرد « مخزن » داخل رأس الفرد وانما تحولت الى مكتبات وأراشيف ، بل ومعلومات هائلة مخزونة فى الذاكرات الكمبيوترية ..

وبمناسبه الجهود الجارية لانقاذ الآثار المصرية فى منطقة الاهرامات يحق للمرء أن يتساءل هل توجد ذاكرة ( أو أراشيف ) للجهود العلمية التى بذلت قبلا ، لفهم نواميس تشييد ووجود هذه الآثار ؟ وهل يستفيد القائمون بالجهود الجديدة من معلومات وحقائق هذا الارشيف ؟

ان هذه نقطة جوهرية بصدد جدوى ما نبذله من جهد ، ولا بأس من تفصيلة صغيرة تكشف لنا مدى أهمية توجه من هذا النوع . ففى بحث اجراه مهندس الانشاءات الانجليزى د. دافيدسون ( ترجمة أحمد فهمى أبو الخير ) عالج لغز « السمنت » الذى لا يتجاوز سمكه ورقة النشاف ، والذى استخدمه المصريون القدماء فى الربط بين أحجار يتراوح وزنها بين ١٢ و ٢٠ طنا (!!)

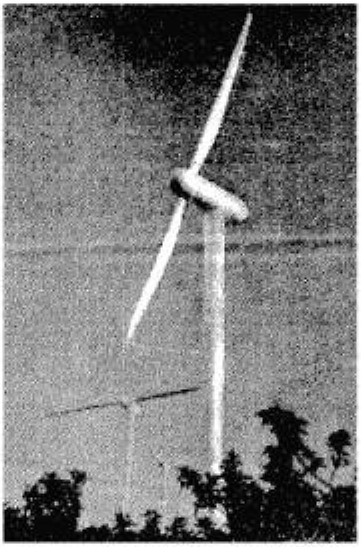
وبين الفروض التى حاول دافيدسون تمحيصها ، مع تصوره استحالة الوصول الى سطوح اللصق الميكروسكوبية للحجارة الهائلة للهرم الاكبر بأية وسيلة من وسائل الوصل الحديث بالسمنت .. بين هذه الفروض فرضية أن تكون سطوح الاحجار قد دلكت بمحلول قوى للشبة ( المادة الوحيدة التى أمكنه التحقق من وجودها وقت البناء ) وبالتالى لم يكن الالتصاق يجرى بين الاحجار بصورة طبيعية بل نتيجة لتفاعل كيميائى بين الشبة



والحجر الجيرى على كل من سطحى الالتصاق • ومن هذا الاستواء العجيب والمظهر الاملس المصقول لاوجه الاحجار ورقة الطبقة اللاصقة والطبيعة الميكروسكوبية للوصلة ..

واذا صح هذا الفرض فهل يؤخذ ـ هو وما شابهه طبعا ـ بعين الاعتبار من قبل من يقومون بجهود الانقاذ الحالية ؟ واذا لم يصح فما هى الفروض الاخرى وهل تؤخذ بعين الاعتبار ؟..

مجرد تساؤلات لابد وان تفرض نفسها حول حقيقة وجود الذاكرة الخاصة بالابحاث الاثرية ، ومدى اعتماد علماء عصرنا عليها حتى لا يتحول جهدنا ، كجهد من سبقونا ، الى حرث فى البحر ..



## • مصر وطاقة الرياح •

عرف الانسان من قديم الزمان اهمية الرياح ، والطاقة التى يمكن أن تتولد عنها ، بل واستخدمها بالفعل فى أغراض حياته المختلفة.. وما طواحين الهواء الا أحد الادلة الحية على ذلك.

ومع ارتفاع أسعار النفط ، وظهور ما يسمى بـ « أزمة الطاقة » ، انهمك المتخصصون فى البحث عن مصادر جديدة أو منسية ، للحصول على ما يلزم بلدانهم من طاقة ، ومن هنا كانت التجارب المكثفة التى تجرى خلال السنوات الاخيرة للاستفادة من طاقة الرياح بصورة أكثر تقدما وتوائما مع العصر واستخداماته ، وعلى نطاق أكثر اتساعا .

وقد أسفرت التجارب فى بلدان عديدة مثل بريطانيا والدانمارك والولايات المتحدة الامريكية عن وحدات اقتصادية لتوليد الطاقة من الرياح يمكن أن يقترب سعر طاقتها من أسعار الطاقة المولدة فى محطات الفحم والمحطات النووية ( ٢ ـ ٣ سنتات للكيلوات ) ..

ولمحطات طاقة الرياح أفضليات كثيرة فهى تبنى خلال ثلاثة شهور ( مقابل ست سنوات على الاقل للمحطات النووية ). وهى أنقى الوسائل المعروفة لتوليد الطاقة ، ولا تسبب اضرارا بيئية مثل تلك التى يمكن أن تسببها المحطات النووية أو الحرارية ( مثل الامطار الحامضية الناتجة عن محطات الفحم والنفط ) .

والجدير بالذكر أن محطات طاقة الرياح تستوعب عددا من الايدى العاملة يضاهى ما تحتاجه المحطات الشبيهة

## العالم غدا

من حيث القدرة ، التى تولد الطاقة من الفحم . بينما يجرى العمل بها فى جو صحى لا توجد به اخطار تهدد العاملين، من قبيل الاشعاعات أو الغازات والاتربة الضارة .. لكن ذلك لم يمنع مهووسى حماية البيئة من الاعتراض على مثل هذه المحطات . زاعمين أنها ستشوه « المنظر العالم » للمناطق التى ستقام فيها بالذات وانها ستقام فى مجموعات، ذلك ناهيك عن الضوضاء العالية التى تصاحب تشغيلها .. وقد دفع ذلك الى البحث عن مواقع بعيدة عن المناطق الطبيعية الخلابة لاقامة مثل هذه المحطات ، والعمل على أن تجىء وحداتها جزءا مكملا للمشهد الطبيعى لا جزءا متنافرا معه .

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات المناخية ودراسات انماط تحرك الرياح أثبتت وجود مناطق عديدة فى مصر تعد بين اكثر المناطق العالمية مواءمة لاستخدام طاقة الرياح . هذا وقد وقع الدكتور عاطف صدقى ، خلال مباحثاته الاخيرة مع الاردن ، اتفاقا لاقامة مصنع لمراوح طاقة الرياح .

وسوف تكشف السنوات الخمس القادمة بصورة أفضل على المستوى العالمى ــ عن امكانات طاقة الرياح ، اذ سيجرى خلال ذلك صنع مراوح بقوة ميجاوات بدلا من الوحدات الصغيرة التى تستخدم حاليا .

### ● ادراك الجنين للاصوات ●



بينت سلسلة من الدراسات التى أجريت أخيرا أن الطفل يسمع ويدرك الاصوات وهو ما زال جنينا فى بطن أمه ، بقدر أوفى مما كان معروفا من قبل ..

فقد أثبتت تجارب أجريت فى نيوزيلندا أن الاطفال الحديثى الولادة يستطيعون تمييز صوت والدهم من بين الاصوات الاخرى ويفصحون عن ذلك بعلامات توحى بالغبطة والسعادة ..

هذا وذكرت مجلة « لانست » الطبية أخيرا أن الاطفال الذين اعتادت أمهاتهم مشاهدة برامج تليفزيونية معينة، خلال الحمل ، سرعان ما يهدءون ويكفون عن البكاء عندما يسمعون اللحن المميز لهذه البرامج ..

ومن الملاحظات التى سجلها طبيب آخر أن زوجته كانت تتسلى أثناء الساعات الاولى من المخاض بلعب الطاولة . فظل صوت أحجار النرد ــ الذى يتردد خلال اللعب ــ يرن فى أذن

الطفل وهو يعانى تقلصات الرحم خلال المخاض .. وظل الطفل أربعة شهور بعد ولادته يستيقظ باكيا كلما سمع قرقعة أحجار النرد على الطاولة ، مع أنه لم يكن يتأثر بأصوات أعلى منها بكثير ..

## ● أعضاء الخنازير للبشر ●

أعلن الدكتور مايكل ديويك وهو جراح بريطانى أجرى ما يزيد على ألفى جراحة لزرع الاعضاء خلال السنوات العشرين الاخيرة . أن الجراحين البريطانيين قد توصلوا الى أسلوب يمكنهم من استخدام أعضاء الخنازير ( القلب والكبد والكلى ) لانقاذ حياة البشر الذين يحتاجون لمثل هذه الاعضاء .. وأن فريقه الطبى سيبدأ باجراء التجارب على الحيوانات فى وقت لاحق من هذا العام ، فى مزرعة الابحاث التابعة لكلية الجراحين الملكية ، وذلك بنقل الكلى من الخنازير الى الخراف ، واذا نجحت التجارب فسوف يبدأ الفريق اجراء مثل هذه الجراحات على البشر فى العام القادم .

ويدعى الطبيب البريطانى أن فريقه قد توصل الى أسلوب سيمكنه من التغلب على مشكلات الطرد التى تصاحب زراعة الاعضاء ، وذلك بمعالجة دم متلقى العضو وتصفيته من جميع الاجسام المضادة الموجودة فيه . ان أن هذه الاجسام التى يساهم جهاز المناعة فى تكوينها لمواجهة أى عنصر أو جرثوم غريب يدخل الجسم هى العامل الذى يسبب رفض الاعضاء الجديدة .

هذا كما أن الاعضاء - على الجانب الأخر - تعد مصدرا لا مثيل له للاعضاء البديلة لان أعضاءها مشابهة كل الشبه من الناحية العضوية لاعضاء الانسان ، ناهيك عن ان الخنزير يقارب الانسان من حيث الحجم ، بالاضافة الى وفرته ورخص ثمنه مقارنة بالشمبانزى (البديل الممكن للخنزير) .

لكن خبراء المناعة يشككون فى نجاح مثل هذه التجارب ويعتقدون أن الوقت لم يحن بعد للتفكير فى نقلها الى الانسان .. ذلك حتى وان أمكن التغلب على عملية رفض العضو المزروع ، لان الاعضاء الحيوية ( كالكلية مثلا ) معقدة التركيب ، تعتمد فى أداء وظائفها على توازن دقيق للهرمونات ، وتوزيع محكم لضغط الدم ، الامر الذى يهدد حياتها تدريجيا عند الانتقال ، لاختلاف مثل هذه العوامل بين حيوان وآخر .. ومن المعروف أن العقاقير الكابحة لرفض الانسجة ، مثل عقار السيكلو سبورين ، تسبب تلفا مستديما فى الكلى لا يظهر الا بعد سنوات من اجراء عملية الزرع ، لذلك فالانتقال من التجارب على الحيوانات الى التجارب على البشر بعد سنة واحدة فيه تسرع غير محمود هذا كما أن تلف العضو الاصلى الذى يخلق الحاجة الى استبداله بعضو آخر به يرجع فى معظم الاوقات الى مشاكل فى الجهاز المناعى . واذا نجحت الاساليب الحديثة فى منع رفض الاعضاء المزروعة فقد يتمكن الاطباء من استخدامها فى منع تلف العضو الاصلى ، فلا يحتاج الى عضو بديل من الخنزير أو غيره ..

ومن الجدير بالذكر أن هناك فتوى من المجمع الفقهى التابع لرابطة العالم

## العالم غدا

الاسلامي ( يناير ١٩٨٥ ) . ولعدد من المؤسسات الفقهية الاسلامية بعد ذلك ، تؤكد ان الخنزير « طاهر العين محرم اللحم » وأن تحريم تعاطي لحم الخنزير واستهلاكه لا يمنع الاستفادة من اجزائه عند الضرورة في انقاذ حياة الانسان ( وفق مذهب الامام مالك ) ..

وقد اثارت انباء هذه التجارب لجاجا عنيفا في الاوساط الطبية والاجتماعية والدينية حتى أن الجراح الذي صرح بها اضطر الى الاستقالة من عمله بعد أن احتج زملاؤه في البحث على اذاعته للموضوع قبل أن تتضح دلالاته .

### الالكترونيات والنحل القاتل

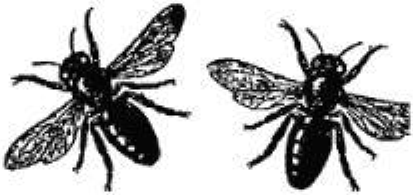
في عام ١٩٥٦ قام العلماء بتجارب للمزاوجة بين صفات النحل الاوربي والنحل الافريقي في محاولة للحصول على أنواع جديدة اقدر على انتاج العسل يمكنها العيش في المناطق الاستوائية .

انئذ تسرب بطريق الخطأ أحد الانواع المهجنة ، الذي لم يرث وفرة الانتاج عن النحلة الاوربية ، بل وجاء شديد الشراسة في الدفاع عن خليته ، حتى انه يهاجم أي انسان أو حيوان يمر على بعد نحو كم منها ، وقد يتمادى في هجومه حتى قتله ، ومن هنا عرف هذا النوع فيما بعد باسم النحل القاتل ..

ولم تكن الشراسة الصفة الوحيدة التي دفعت الى العمل على التخلص من هذا النحل ذلك انه بات، وبعدوانيته ينافس النحل المحلي في مزارع تربيته، لانه اقدر على جمع الرحيق ، ناهيك عن توريثه لصفاته غير المرغوب فيها الى انواع النحل الاخرى ، الامر الذي هدد تجارة العسل بالانهيار نهائيا في بعض المناطق التي هاجمها .

وقد أخذ النحل القاتل في الانتشار على نطاق واسع ، وبعد انتقاله من البرازيل الى أمريكا الوسطى والمكسيك، يشد رحاله حاليا الى الولايات المتحدة الامريكية مستبقا خطة كانت وزارة الزراعة الامريكية قد وضعتها لنصب كمين له في أضيق مناطق الارض المكسيكية ، تعتمد على تدمير أعشاشه. ثم اطلاق عدد كبير من ذكور النحل الاوربي الوديع ، لمنافسة النحل القاتل، في تلقيح الملكات ، سعيا الى اجيال اقل شراسة،وطمعا في ازالة هذه الصفة نهائيا على مدى بضعة أجيال ..

ولم يعد أمام الحكومتين الامريكية والمكسيكية حاليا الا استعمال المبيدات الحشرية . التي ساهم في الاحجام عن استخدامها حتى الان كونها تبيد النحل المحلي ناهيك عن النحل القاتل ، فتؤذي منتجي العسل ومزارعي المحاصيل التي تعتمد على النحل في لقاحها ..



ولحل هذه المشكلة تمكن المهندسون الالكترونيون الامريكيون من تصنيع رقائق سليكون تعمل بالطاقة الشمسية يمكن لصقها فى بطن بضع نحلات قاتلة. ومتى أطلقت هذه فى الخلاء وعادت الى أسرابها أمكن للمتخصصين اقتفاء أثرها باتباع اشارات صادرة عن رقائق السليكون ، وبالتالى يمكن ابادتها بالكيماويات ، دون التعرض للانواع المحلية المفيدة ..

● قمح مقاوم الملوحة ●

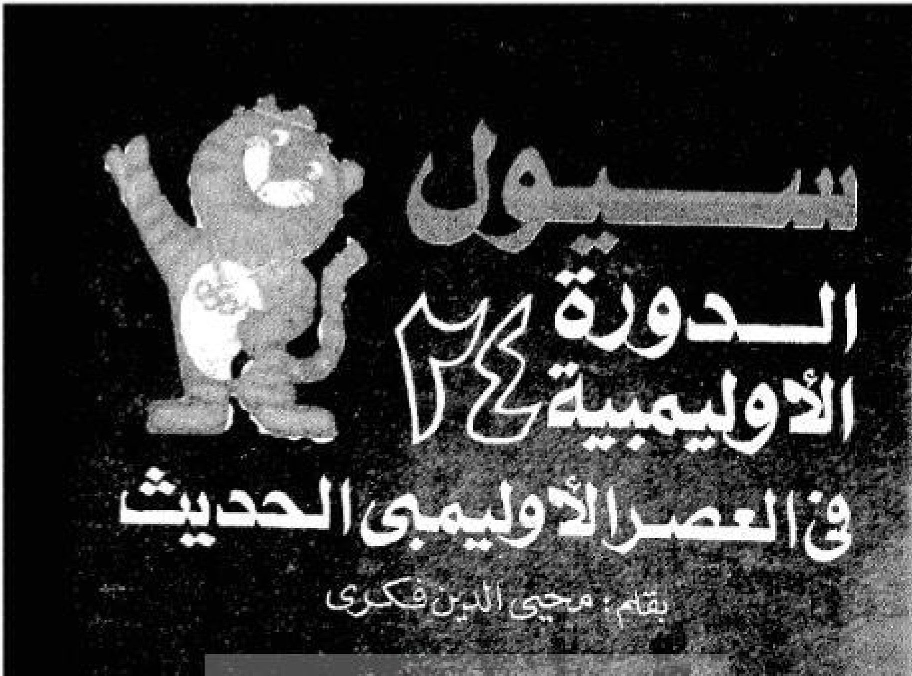
القمح هو عماد الغذاء وقوت الحياة ومن هنا لا يزال أهم المحاصيل الغذائية فى عالمنا حتى اليوم . وقد بدأت ملوحة التربة تلعب دورا معاكسا لهذا المحصول الخطير فى كثير من البلدان ( بينها مصر) . ذلك أن مشاريع الرى الحديثة التى تستهدف النهوض بالاستفادة من الاراضى الزراعية ، ساهمت من جانب اخر فى تحويل مساحات واسعة ( ثلث الاراضى المروية تقريبا ) الى صحراوات ملحية قاحلة ، نتيجة المعدل المرتفع لبخر المياه فى الاراضى التى تروى بالغمر فى البلاد الحارة الجافة ، مما يؤدى الى تراكم الملح . تدريجيا فى الطبقات السطحية للتربة ، ويخل بالتوازن بين كمية الملح داخل الخلية النباتية وخارجها مما يؤدى الى موت النباتات ..

وتجىء مشكلة القمح بالذات نتيجة شدة حساسيته للاملاح مع فقدان الصفة الموروثة التى تجعل بعض أنواعه قادرة على تحمل نسبة الملوحة العالية ..

وقد كد العلماء فى البحث عن اسلاف نبات القمح التى تتميز بهذه الخاصية ، ووجدوا ضالتهم فى نوع من القمح العشبى البرى فقاموا بدمغ صبغياته ( جيناته ) مع صبغيات قمح الغلال ليتكون لديهم صنف جديد ، قادر على تحمل نسبة عالية من الملوحة ( نصف نسبة ملوحة مياه البحر تقريبا ) .

ومع أن ريع هذا النوع من القمح مازال محدودا يعد هذا الانجاز ، دون شك ، خطوة كبرى على طريق التقدم الزراعى عامة لان توصل العلماء الى التعرف على المورث المسئول عن خاصية تحمل الملح يعنى امكان نقلته الى أجناس نباتية أخرى ، للحصول على أصناف جديدة من النباتات يمكنها العيش فى تربة ملحية .

وتشهد باكستان حاليا وهى صاحبة أوسع شبكة من قنوات الرى فى العالم والتى يبور ٨ الاف هكتار من اراضيها سنويا ، نتيجة للرى بالغمر ، تشهد تجربة زراعة الصنف الجديد من القمح ومعها ينتظر العالم كله النتيجة التى يمكن أن تكون فاتحة خير بالنسبة لزراعة القمح وغيره من المحاصيل ..




## ● ١٦١ دولة فى سيول تحطيم للرقم القياسى السابق ..



وبعد ايام.. وعلى وجه التحديد يوم ١٧ سبتمبر الجارى .. سوف تبدأ فى عاصمة جمهورية كوريا الجنوبية سيول الدورة الأوليمبية رقم ٢٤ بالحساب الزمنى .. ورقم ٢١ بالحساب العددى الفعلى .. ويتوقع معظم الخبراء الرياضيين العالميين لسيول أن تحطم اسطورة طوكيو وتقضى عليها وتنتزع منها القمة على رأس كل الدورات الأوليمبية .. خصوصا بعد ذلك التصريح الذى أدلى به أخيرا خوان انطونيو سامارانش رئيس اللجنة الأوليمبية الدولية وقال فيه ..

### ١٦١ دولة فى الدورة ..رقم جذا

« اننى على يقين من أن كل الد الرياضية الرائدة سوف تكون حاضرة ف سيول .. فقد بذلت حكومة سيول جهو خيالية لا يصدقها عقل لم يحدث لها م مطلقا من أية دولة أو مدينة نظمت الدو الأوليمبية من قبل .. فجميع الإمكانات الرياضية أصبحت جاهزة تماما لكى تبد المنافسات .. وقد أرسلت اللجنة الأوليمبي الدولية الدعوة للاشتراك فى دورة سيو الى اللجان الأوليمبية فى ١٦٧ دولة ه الدول الأعضاء فى اللجنة الدولية .. وكا

● هناك إجماع عالمى على أن دورة طوكيو الأوليمبية ١٩٦٤ هى أحسن وأفضل وأرقى دورة أقيمت فى العصر الأوليمبى الحديث منذ أول دورة أقيمت عام ١٨٩٦ حتى آخر دورة فى لوس انجلوس ١٩٨٤ وسبب هذا الاجماع يرجع إلى الامكانات الهائلة الباهرة التى جهزتها اليابان ورصدتها لاخراج دورتها فى أبدع وأزهى صورة يمكنها أن تفاخر بها وتباهى بما ابتكرته وأدخلته فى تنظيم الدورات الأوليمبية من وسائل اليكترونية كانت فى ذلك الوقت تعد حدثا مفاجئا جديدا .. أضف إلى هذا ما تميز به اليابانيون من أدب جم وكرم ضيافة لا مثيل له من قبل ولا من بعد .. وبعد طوكيو توالت الدورات فى المكسيك .. فى ميونيخ .. فى مونتريال .. فى موسكو .. فى لوس انجلوس .. ورغم إمكانات المانيا الغربية وكندا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية .. فإن الذين عاصروا كل هذه الدورات وما سبقها لم يتراجعوا أبدا عن وضع التنظيم المثالى لدورة طوكيو على قمة التنظيم فى كل الدورات السابقة واللاحقة على الاطلاق

## ● ملاعب عديدة وقريتان جديدتان وحمام سباحة سابق العصر ..



أمام هذه اللجان ٤ شهور لترسل ردودها حتى منتصف ليلة ١٧ يناير ١٩٨٨ .. واللجنة الدولية تشعر بابتهاج عظيم لان الرقم القياسى لعدد الدول التى اشتركت فى الدورات الأوليمبية السابقة قد تحطم فى سيول باعلان ١٦١ دولة اشتراكها فى الدورة » ..

هذا ما قاله سامارانش وهو اذا قال فإنه يعنى كل كلمة .. ذلك انه تردد على سيول عدة مرات وارسل مبعوثيه لمراقبة الاعداد للدورة على مدى السنوات الأربع الماضية .. ولمس بنفسه كيف أن الكوريين قد بذلوا الكثير من الجهد وانفقوا الكثير من الأموال حتى أصبحت سيول مدينة من أعظم واجمل مدن الشرق الأقصى بصفة خاصة والعالم بصفة عامة .. ولكى تخرج ألعاب سيول الأوليمبية بأسلوب عصرى حديث خال من الشروخ او العيوب فى تواصل كامل للفكرة الأوليمبية .

### ● الإغريق بدأوا الحركة الأوليمبية ق . م

وقبل أن نستطرد فى الحديث عن دورة

سيول نجد من المهم أن نوضح أمرا .. ذلك أنني قلت انها الدورة رقم ٢٤ بالحساب الزمني .. ورقم ٢١ بالحساب الفعلي والعددي .. فلقد بعث البارون دي كوبرتان الفرنسي الحركة الأوليمبية الى الوجود في عام ١٨٩٦ بعد ان توقفت الحركة الأوليمبية القديمة بقيام الامبراطورية الرومانية على أنقاض امبراطورية الاغريق .. وكان الاغريق .. وهذا طبعا قبل الميلاد .. قد وجهوا الدعوة إلى الدول المحيطة ببلادهم لخوض منافسات رياضية تغنيهم عن القتال والحروب .. أي أن الهدف الأوليمبي الذي سعى إليه قدماء اليونانيين هو السلام .. وقد ظل الهدف قائما في العصر الأوليمبي الحديث ..

### ● الحروب منعت إقامة ٣ دورات

وفيما بين عام ١٨٩٦ حين اقيمت اول دورة أوليمبية حديثة وعام ١٩٨٨ حين تقام آخر دورة في سيول مضى من الزمن ٩٢ عاما .. فإذا حسبنا ان بين كل دورة وأخرى ٤ سنوات .. فإن عدد الدورات الذي يتخلل هذه الفترة الزمنية يبلغ ٢٤ دورة .. غير أن ظروف نشوب حربين عالميتين قد حالت دون إقامة ثلاث دورات في ١٩١٦ و ١٩٤٠ و ١٩٤٤ .. ومع ذلك فقد حرصت اللجنة الأوليمبية الدولية على عدم شطب أرقام هذه الدورات التي لم تظهر إلى الوجود حتى يتذكر العالم دائما أن هذه الدورات الثلاث كان يجب أن تقام لولا الحرب .. وانه مادام السلام قائما فإن الحركة الأوليمبية ستظل ماضية على الطريق .

### ● مقاطعة متبادلة بين الأمريكان والسوفييت

على أن الحركة الأوليمبية تعرضت بعد ذلك لحادثين خطيرين .. في عام ١٩٨٠ حين اقيمت الدورة بموسكو .. قادت الولايات المتحدة حملة شعواء هدفها إسقاط الدورة السوفييتية وإفشالها بسبب الغزو السوفييتي لأفغانستان وإهدار السلام فيها .. وقاومت اللجنة الأوليمبية الدولية هذه الحملة داعية إلى فصل السياسة عن الرياضة واعتبار الدورة في موسكو ملتقى لكل المتصارعين سياسيا .. فاللقاءات الرياضية كفيلة دائما بالتقريب بين النفوس وتصفية ما في القلوب .. ومع ذلك فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في اقناع عدد كبير من الدول المحبة للسلام بمقاطعة الدورة في موسكو ..

وكان رد السوفييت على ما فعله الأمريكان بدورتهم جاهزا في الدورة التالية مباشرة التي اقيمت بعد أربع سنوات في لوس انجلوس ١٩٨٤ .. فسعى الاتحاد السوفييتي لاقناع أكبر عدد من الدول لمقاطعة الدورة الأمريكية .. ولكن الحجج التي ساقها لم تقنع معظم دول العالم .. فلم يشارك الاتحاد السوفييتي في مقاطعة دورة لوس انجلوس من دول العالم إلا دول الكتلة الشرقية الدائرة في فلك السياسة والنفوذ السوفييتي .





● انفجرت الطائرة .. وهددت بيونج يانج بالمقاطعة

ولقد واجهت سيول صعوبات خطيرة وهى فى بداية اعدادها لاقامة الدورة الأوليمبية .. وكانت المفاجاة فى مطالبة حكومة جمهورية كوريا الشمالية الشعبية الديمقراطية باعتبار الدورة كورية عمومية وليست جنوبية بمعنى انها طالبت باشتراك الكوريتين فى تنظيم الدورة واقتسام اقامة المسابقات فى مختلف الألعاب مناصفة بين سيول وبيونج يانج .. وبينما هذا الصراع دائر على أشده وقعت فى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧ حادثة اليمة .. فقد انفجرت طائرة ركاب تابعة لكوريا الجنوبية فوق بورما ولقى ١١٥ راكبا مصرعهم !.

تفاقمت الأمور .. واتهمت حكومة سيول حكومة بيونج يانج بالتورط فى التدبير للحادث .. وردت حكومة بيونج يانج بان الحادث لم يكن إلا « دراما مفتعلة » من جانب حكومة سيول .. وهددت كوريا الشمالية من جديد بمقاطعة الدورة ما لم تقاسم كوريا الجنوبية مناصفة فى استضافة العاب الدورة الأوليمبية ..

● هل تهدد بيونج يانج امن الدورة ؟

قد يقول البعض .. وما اهمية ان تقاطع كوريا الشمالية الدورة ؟ .. بناقص دولة .. ولكن المجتمع العالمى ممثلا فى مجموعة دول الشرق الأقصى والباسيفيك والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى بالاضافة إلى اللجنة الأوليمبية الدولية لم ينظر للتهديد بالمقاطعة هذه النظرة الضيقة .. إنما راى فى هذه المقاطعة ما قد يهدد أمن الدورة والفرق المشاركة فيها من ١٦١ دولة والصحفيين وكبار رجال العائلة الأوليمبية من كل انحاء العالم .. لذلك فقد دعت اليابان فى مؤتمر دول اسيا والباسيفيك إلى احكام التعاون لمحاربة الارهاب الدولى ولتاكيد أمن دورة سيول التى أصبحت مهددة بالمخاوف وبما اوردته التقارير عن الارهابيين الذين هاجموا الطائرة الكورية الجنوبية وفجروها فى الجو .

ووصلت المفاوضات بين اللجنة الأوليمبية الدولية والوسطاء من اليابان وأمريكا من ناحية وبين حكومة سيول إلى اقناع حكومة سيول بالتنازل عن عدد من اللعبات لتقام فى كوريا الشمالية .. غير أن حكومة بيونج يانج أصرت على موقفها

# ● هل تقضى سيول على أسطورة قمة طوكيو؟





ومطالبتها باقتسام اللعبات وتنظيم الدورة مناصفة متساوية تماما بين الكوريتين ..

● كوريا الشمالية وكوبا ترفضان .. إلا إذا

وتأكيدا لموقفها ردت اللجنة الأوليمبية التابعة لحكومة كوريا الشمالية على الدعوة الموجهة إليها للاشتراك فى دورة سيول بأنها ترفض الاشتراك ما لم تتم الاستجابة لمطالبتها باقتسام استضافة الفرق وتنظيم المسابقات مناصفة مع كوريا الجنوبية .. وتحالفت معها حكومة كوبا وارسلت ردا طبق الأصل إلى اللجنة الأوليمبية الدولية .. على حين اعتذرت نيكاراجوا عن المشاركة فى الدورة للظروف التى تمر بها البلاد .. بينما لم يصل للجنة الدولية اى رد أو اعتذار من دول ثلاث هى ألبانيا وسيشيل وأثيوبيا .

● تصريح نارى لسامارانش

وما أن تلقت اللجنة الأوليمبية الدولية رد لجنتى كوريا الشمالية وكوبا حتى أطلق رئيسها سامارانش تصريحا ناريا قال فيه .. « لقد جاء رد اللجنتين مخيبا لآمال الحركة الأوليمبية وأهدافها النبيلة .. بصفة خاصة ونحن نرى اللجنة الأوليمبية لكوريا الشمالية كما لو كانت لا تفهم أو لاتريد أن تحقق المغزى التاريخى للعرض الذى قدم إليها فى منتصف يوليو ١٩٨٧ بالموافقة على تنظيمها لعدد من اللعبات .. وهى على اى حال سوف تعانى فى الأسابيع القليلة القادمة من مظاهر نجاح حكومة سيول فى تنظيم الدورة ما يمس مركزها وسوف يصبح عليها أن تبذل مزيدا من الكفاح لوقت طويل للابقاء على الباب مفتوحا أمام احتمالات الوصول الى اتفاق معها .. ولسوف تعرف اللجنة الأوليمبية لكوريا الشمالية أن أهم ما فى الأمر أن هذه الدورة بهذا التجمع بين الرياضيين الشبان ستكون مهرجانا حقيقيا لربيع جديد للبشرية والأخوة والصداقة والتفاهم الطبيعي والسلام » .

فما الذى يدعو سامارانش رئيس اللجنة الأوليمبية الدولية إلى كل هذا القدر من الثقة فى أن دورة سيول سوف تكون أفضل الدورات التى أقيمت حتى إقامتها على الاطلاق .. إلا أن تكون حكومة سيول ولجنتها الأوليمبية واللجنة المنظمة العليا واللجنة التنفيذية قد انتهت إليه من انشاءات وتجهيزات تفوق كل ما سبقتها إليه الدول التى نظمت الدورات السابقة بما فيها دورة طوكيو اليابانية .

● ملاعب وحمام سابق للعصر

أما عن الانشاءات الرياضية فحدث ولا حرج .. فلقد تم تشييد ٣٣ مجمعا رياضيا للمباريات وصالتين لاقامة ٣٤ مباراة و٦ ملاعب مجهزة بالاحتياجات الضرورية اللازمة لاقامة ٢٣٧ مسابقة فى ٢٣ لعبة رئيسية فى الدورة .. وهذا فضلا عن حمام السباحة الأوليمبى الذى تم تشييده على أحدث نظام عالمى فى الحديقة الأوليمبية « أوليمبيك بارك » .. وسوف يكون الحمام سابقا للعصر الذى نعيشه بالسطح الزجاجى الذى يغطيه ليكفل انتظام نظام تكييف الهواء ويسمح فى نفس الوقت بدخول أشعة الشمس إلى داخله .

● قريتان للرياضيين والصحفيين

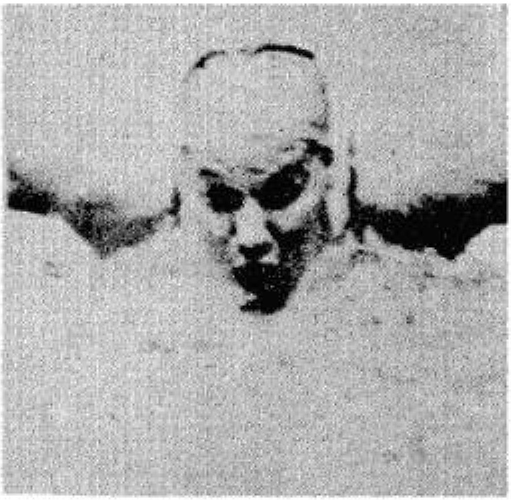
أضف إلى ذلك أن حكومة سيول انتهزت فرصة الاعداد للدورة لتجميل العاصمة وإقامة نهضة عمرانية رائعة .. وكان عليها أن تدبر أماكن الإقامة لأكثر من ١٣ ألف رياضى و٦ آلاف صحفى .. فانشأت قريتين إحداهما للرياضيين تتكون من ٨٦ مبنى

تضم ٣٦٩٢ شقة والأخرى للصحفيين وتتكون من ٣٦ مبنى تضم ١٨٤٨ شقة على ان هذه المباني التى سيقيم بها الرياضيون والصحفيون وهى جديدة حديثة الإنشاء تماما سوف تتحول بعد الدورة إلى ضاحيتين سكنيتين يمتلكهما ابناء الشعب الكورى .. وهذا فضلا عن الشقق الفاخرة التى اتخذت لإقامة اعضاء العائلة الاوليمبية من كل انحاء العالم .

ولم تنس اللجنة التنفيذية العليا للدورة ان عشرات الألوف من مختلف انحاء العالم سوف يحرصون على زيارة سيول لمشاهدة المنافسات والمسابقات الأوليمبية والاستمتاع بمعالم سيول السياحية الخلابة .. فانشات ١٢٠ فندقا سياحيا جديدا تضم ١٤ ألف غرفة . كما عهدت إلى إحدى شركات السياحة الكورية الكبرى بامر تدبير الاقامة مع العائلات الكورية للسياح الذين يفضلون ذلك فى مقابل ٢٥ دولارا للغرفة المفردة و٣٠ دولارا للغرفة الزوجية .

● الشعلة انطلقت من أوليمبيا

وفى اثينا .. مهد الحركة الأوليمبية القديمة والحديثة .. ومنها تنطلق الشعلة فى كل دورة إلى مركز إقامتها .. فى اثينا انعقد اجتماع خاص بانطلاق الشعلة .. فانطلقت يوم ٢٣ اغسطس الماضى من مدينة اوليمبيا عند سطح جبل اوليمبيا حيث ينهض شامخا تمثال الآلهة اوليمبيا .. وبعد مرورها على مدينة كورينتوس ثم وصلت يوم ٢٥ اغسطس إلى اثينا حيث اقيم احتفال كبير فى ستاد باناتيناك الذى اقيمت عليه اول دورة اوليمبية فى العصر الحديث .. ومن الاستاد طارت الشعلة إلى جزيرة « شيجى دو » فوصلتها بعد يومين .. ومن المقرر ان تصل يوم السبت ١٧ سبتمبر إلى الاستاد الأوليمبى بسيول بعد ان تقطع رحلة داخل اراضى كوريا الجنوبية طولها ٤ آلاف كيلو متر .



● أغلى تذاكر لحفلى الافتتاح والختام

وتخوض سيول منافسة من اهم المنافسات الأوليمبية فى حفلى الافتتاح والختام .. ولعل الجميع الذين تابعوا على شاشات التليفزيون هذه الاحتفالات فى دورات ميونيخ ومونتريال والمكسيك وموسكو ولوس انجلوس لازالوا يذكرون ان كل دولة تفننت فى اخراج حفلى الافتتاح والختام باهرين مبهرين .. .. ولازال حفل افتتاح دورة لوس انجلوس ماثلا فى الاذهان بالاستعراض الرائع الذى قدمته عن تاريخ الولايات المتحدة منذ الهجرة الأوربية إليها حتى توحيد الولايات المتحدة فى تشكيلات رائعة .. وحفل الختام الذى استخدمت فيه امريكا اشعة الليزر .. ولقد اعدت سيول حفلين تؤكد المصادر الأوليمبية انهما سيصبحان حديث العالم كله .. ولذلك فليس عجيبا ان اللجنة المنظمة العليا للدورة حددت اسعارا مرتفعة جدا لتذاكر حضور كل من الحفلين

.. والأسعار هى .. مائتان من الدولارات الأمريكية و ١٦٠ دولارا و ١١٠ دولارات و٧٠ و٤٠ دولارا .. وعرضت التذاكر للبيع فى داخل كوريا وخارجها ابتداء من اكتوبر ١٩٨٧ عن طريق اللجان الأوليمبية ومكاتب التوكيلات فى مختلف بلاد العالم .. ويقول نبأ وارد من مصدر أوليمبى أن التذاكر التى تم عرضها خارج كوريا قد تم بيعها بالكامل .. بينما عشرات الألوف من ابناء شعب كوريا الجنوبية قد وضعوا اسماءهم على الكمبيوتر لحجز أماكنهم فى حفلى الافتتاح والختام وايضا لحجز بطاقات حضور المسابقات التى يرغب كل منهم فى مشاهدتها .

● ٥ شركات عملاقة للاجهزة الاليكترونية

هذا وقد تعاقدت اللجنة المنظمة العليا للدورة مع خمس شركات عملاقة لأداء الخدمات الاليكترونية .. فتقوم شركة فيليبس الهولندية بتوريد جميع أجهزة التليفزيون الملون لوضعها فى القريتين الرياضية والصحفية وفى المركز الصحفى الرئيسى والمراكز الفرعية المنتشرة فى كل الملاعب وفى المركز الدولى الذى تم إعداده خصيصا للإذاعة والتليفزيون .. وقامت شركة ماتسوشيتا اليابانية بتوريد كافة اجهزة الفيديو ومعداتها لإذاعة جميع المسابقات والمباريات على الهواء على ٢٠ قناة تليفزيونية .. وتم تحديد شركتى جولد ستار وسامسونج الكوريتين لتوريد وتركيب الأجهزة الاليكترونية الأخرى .. بينما تعاقدت اللجنة مع شركة الزيروكس الأمريكية التى وردت ٤١٦ جهاز كمبيوتر عالى القوة لوضعها فى مراكز الكمبيوتر المنتشرة فى كل الملاعب والمراكز الصحفية والإذاعية ومعها ١٢٠ فنيا متخصصا لخدمة الأجهزة وصيانتها

● ٨٤ الف شخص لخدمة الدورة

ويعمل فى خدمة الدورة ٧٩ الف شخص من الجنسين .. منهم ٢٩ الفا فى وظائف المنشات الرياضية و٤٤ الفا فى المسابقات و٦ الاف فى الخدمات .. فضلا عن خمسة آلاف متطوعة ومتطوع للقيام باعمال الترجمة لمختلف اللغات قضوا وقتا طويلا فى عمل جاد خلال دورة عقدت خصيصا لتدريبهم على فنون مرافقة الرياضيين والصحفيين والضيوف من اعضاء العائلة الاوليمبية .

● مركز صحفي لم يسبق له مثيل

وقد صرحت الآنسة ميشيل فيردير الفرنسية التى قامت بدور حلقة الاتصال بين اللجنة الاوليمبية الدولية واللجنة المنظمة العليا الكورية واصبحت بالفعل المتحدث الرسمى فى المركز الصحفى .. صرحت قائلة .. « ان الامكانات فى المركز الرئيسى والمراكز الفرعية يفوق مستواها بكثير أى مركز صحفى فى أية دورة سابقة » .. وميشيل فتاة جميلة ذات ملامح جذابة يقترب عمرها من الثالثة والثلاثين وقد صرحت بأنها لم تتزوج ولا تفكر فى الزواج فى الوقت الحالى .

● أوتوبيسات بين المساكن والملاعب

وقد تم تنظيم وسائل الانتقال تنظيما مثاليا .. فسيارات الأوتوبيس التى ستحمل الرياضيين والأخرى التى ستحمل الصحفيين من اماكن إقامتهم إلى الملاعب سوف توجد فى أماكن الإقامة قبل مواعيد كل مباراة أو مسابقة بساعة كاملة ولا تتحرك عائدة بهم إلا بعد ساعتين من انتهاء كل مسابقة أو مباراة حتى لا تترك احدا قبل أن ينجز اعماله .

● التليفزيون للصحفيين .. بالإيجار !

وبينما تم تجهيز اماكن إقامة الضيوف

من أعضاء العائلة الأوليمبية بتليفزيون في كل غرفة .. فإن مساكن الصحفيين سوف تكون خالية من أجهزة التليفزيون إلا لمن يقدم طلبا بالحصول على تليفزيون مقابل ايجار ١٥٠ دولارا طوال الدورة .. أما الذين لا يستطيعون تأجير أجهزة تليفزيون فعليهم أن يشاهدوا ما يريدون مشاهدته على تليفزيونات المراكز الصحفية .. كذلك لن يتم تزويد مقاعد الصحفيين في مدرجات الملاعب المختلفة بأجهزة تليفزيون .. وهذه هي نقطة الضعف في تنظيم الدورة حتى الآن .. أما تأجير السيارات الخاصة لمن يريد فإن ذلك أمر متاح إلا أن الحصول على تصريح باستخدام الأماكن المخصصة للانتظار فهو الأمر المستحيل .. وهذه نقطة ضعف أخرى .. ولو أن العادة جرت على أن يستخدم الصحفيون والرياضيون سيارات الأوتوبيس المخصصة لكل منهم .

● المحترفون يستعرضون في التنس

يبقى أن اللجنة الأوليمبية الدولية في اجتماعها الأخير باستانبول وافقت على اشتراك لاعبي التنس المحترفين في الدورة باعتبارها لعبة استعراضية .. وحددت لمسابقة فردي الرجال ٦٤ لاعبا ولفردي السيدات ٣٢ لاعبة ولزوجي الرجال ٣٢ لاعبا ولزوجي السيدات ١٦ لاعبة ويشترط في كل زوجي حتى الزوجي المختلط أن يكون كل زميلين حاملين لجنسية واحدة ومسجلين باتحاد دولة واحدة .

● عقوبات لمتعاطي العقاقير المنشطة

ومن قرارات اللجنة الدولية منع ارتداء الرياضيين ملابس تحمل إعلانات مباشرة أو غير مباشرة .. وتشديد العقوبات على الرياضيين الذين يثبت تناولهم عقاقير منشطة .. فبعد أن كان يكتفى في الدورات السابقة باستبعادهم من المسابقات وترحيلهم خارج الدولة المنظمة .. تقرر أن يصدر قرار بالوقف ثلاثة شهور في المرة الأولى . وفي المرة الثانية يتقرر الوقف عامين .. أما المرة الثالثة فيتم الشطب مدى الحياة .

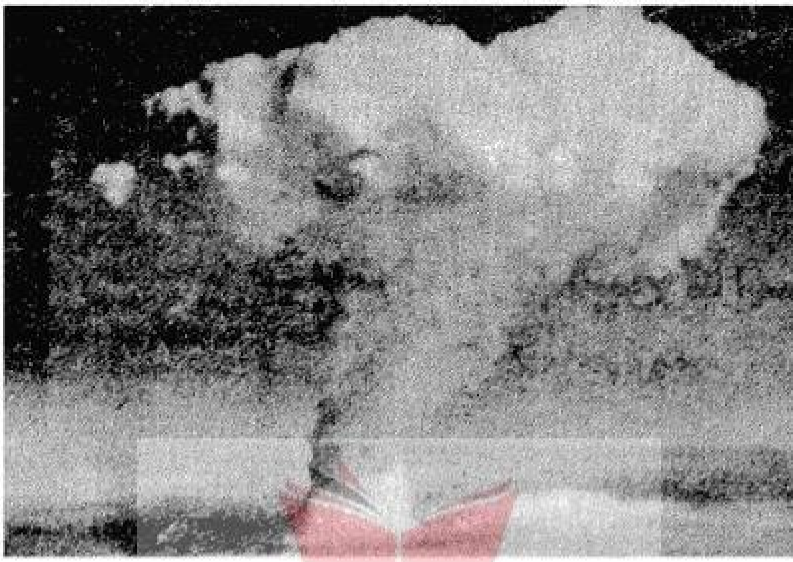
● تحذير من فارق التوقيت

ويحذر دكتور كازانو طبيب الخطوط الجوية الفرنسية من أن الذين سيشاركون في دورة سيول سوف يحتاجون إلى ثمانية أيام على الأقل ليتأقلموا على فوارق التوقيت الشاسعة بين توقيت سيول وتوقيت دول أوربا وافريقيا وأمريكا والشرق الأوسط الآسيوي .. وينصح دكتور كازانو المسافرين إلى سيول بشرب كميات كبيرة من أي مشروبات أثناء الرحلة الطويلة بالطائرة لتجنب الإصابة بالمغص الكلوي نتيجة الفارق بين الجفاف في الطائرة والرطوبة العالية في سيول .

● ١٠٠٫٠٠٠ جندي للأمن

هذا بينما تحرص حكومة سيول على إشاعة الاطمئنان في نفوس جميع زوارها من رياضيين وصحفيين وسياح إلى أمن الدورة بأن الحكومة قد دربت أعداداً كبيرة من رجال قوات الكوماندوز على مكافحة الإرهاب .. ويبلغ عدد القوات المكلفة بالمحافظة على أمن الدورة مائة ألف جندي وضابط مدربين تدريباً على أعلى مستوى .. فاذهب إلى سيول وأنت مطمئن إلى أمنك .. ولا يهم أن تكون قلقاً .. فيكفي أنك ستشاهد أعظم مهرجان أوليمبي في القرن العشرين .. وحتى لو وقع ما يكدر الأمن فيكفيك أن تعيش الأحداث وتشاهد المفاجآت .

دراسة الهلال





قراءة لما وراء سطور..

# اللغز النووي العربي

بقلم : محمد فتحي

●● ثلاثون سنة دراسة : نظرية وعملية ، ومازلنا فى سنة اولى ذرة ؟! معادلة ان لم تصب المرء بالاحباط

والتشاؤم فلابد أن تدفعه الى التساؤل والبحث ، بالذات :

● اذا عرفنا ان من جلسوا على مقاعد الدرس معنا مثل الهنود - بل ومن بعدنا مثل الباكستانيين - باتوا يبنون مفاعلاتهم النووية معتمدين على انفسهم .

● واذا عرفنا ان حاجتنا لاتقل - ان لم تزد - عن حاجتهم الى الطاقة النووية والقدرات النووية عامة ..

امر لابد ان يدفع المرء الى قراءة ماوراء السطور طالما عجزت السطور ذاتها عن ان تشفى غليله ، وسعيه الى الفهم والمعرفة ●●

● لعل اول مايتبادر الى ذهن القارىء سؤال عن دافع البحث فيما وراء السطور لكنى اعتقد ان هذا السؤال لن يبقى طويلاً امام علامات الاستفهام الكبيرة التى تثيرها السطور ذاتها ..

لقد وقعت مصر عقد انشاء اول مفاعل نووى ( ٢ ميجاوات ) لاغراض البحث العلمى فى انشاص مع الاتحاد السوفييتى بعد شهور من توقيع اتفاقية ثنائية فى مجال الاستخدام السلمى للطاقة النووية .. وبدا تشغيل هذا المفاعل مع اول عام ١٩٦١ ..

ولم يجىء بناء هذا المفاعل عشوائيا اذ جرى التفكير فيه فى اطار تصور متكامل عالج - الى جوار المفاعل - مسالة الكوادر العلمية والفنية فأنشأ قسما للهندسة النووية فى جامعة الاسكندرية لاستغلال متخرجية ، بعد تدريبهم فى مفاعل انشاص ومن خلال البعثات ، فى بناء وحدة نووية انتاجية كبيرة

واوشكت مصر عام ١٩٦٦ على بناء مفاعلها النووى الاول .. طرحت مناقصته ، وصدر خطاب نوايا بشأنه وباتت احدى الشركات الغربية تحضر لانشاء المشروع الذى كان يضم محطة نووية ووحدة لتحلية المياه ، ومصنعا للوقود النووى .. لكن « النكسة » جاءت لتطوى صفحة هذا المشروع مع ماطوته من صفحات .

واذا نظرنا اليوم الى الدول التى بدات طموحاتها النووية فى نفس الوقت مع مصر لهالتنا المسافة التى باتت تفصلنا عنها ، فالهند صارت العضو السادس الذى طرق باب النادى الذرى عنوة ، وعلى نحو درامى ، كما صارت تصنع وحداتها النووية بنفسها ، مثلها مثل باكستان التى بدات رحلتها بعدنا بما يقرب من عشرين عاما ، وبين الاثنين بلاد كالارجنتين وتايوان والبرازيل وكوريا الجنوبية و ... كلها صارت ذات قدرات نووية يعتد بها ، ناهيك عن ان معظمها بات عضوا فى « نادى الظل النووى » الموازى لنادى الكبار الخمسة الذين كانوا اول من انتج الاسلحة النووية ..

وقد يتبادر الى الذهن ان مرجع تعثرنا وانطلاقهم ، ربما تمثل فى حاجتهم - وعدم حاجتنا - الى مثل هذه القدرات النووية ، لكن واقع الحال يكشف عن حاجتنا ، وربما اكثر منهم ، ولا باس من لمسات سريعة تكشف لنا ابعاد هذه الحاجة .

● اللحاق بالعصر

من المعروف ان متوسط نصيب الفرد من الطاقة بين المؤشرات المعيارية التى تستخدم فى قياس مدى تقدم امة من الامم .. ونصيب المصرى ( والعربى لاتختلف عنه كثيرا ) من الطاقة نصيب فردى ( ٧٥٠ كيلو وات ساعة ) قياسا بالمتوسطات العالمية التى تصل فى اوربا الغربية الى ٤٠٠٠ كيلوات ساعة ، والولايات المتحدة الامريكية ١٠٠٠٠ كيلو وات ساعة ، والتى بلغت فى بعض البلاد كالنرويج مثلا الى ١٨٠٠٠ كيلو وات ساعة ..

وينبغى التنوية هنا ، وفى اتصال بازمة كهرباء السد العالى مع الفيضانات المنخفضة المتكررة ، ان المشكلة التى تواجه مصر ليست مجرد تعويض مايمكن ان ينقص من طاقة السد العالى ، اذ انها مطالبة بانشاء قدرات جديدة تساعدها على اللحاق بالعصر لان الكهرباء بعيدا عن السفه الاستهلاكى ، صناعة وزراعة وخدمات ..

وليس امام مصر من الناحية العملية مصدر اخر يعول عليه لقدرات جديدة فى الطاقة سوى المحطات الكهرنووية ، التى تنتج الواحدة منها ١٠٠٠ ميجاوات ( يولد السد العالى ٧٥٠ ميجاوات ) ذلك ان الانتاج المصرى من النفط والغاز لايكاد يكفى الا لسنوات قليلة ، كما ان مصر لاتملك ثروات طبيعية من الفحم ، مما سيضاعف تكاليف نقله وتخزينه ، وناهيك عن تكاليف حماية البيئة من التلوث البشع الذى تتسبب فيه محطات الفحم .. هذا كما ان مايسمى بالطاقات الجديدة والمتجددة ( الشمس والرياح وباطن الارض والموج والمياه المالحة .. ) طاقات محددة القيمة فى الوقت الراهن وتفوق تكاليفها كثيرا تكاليف الطاقة النووية ..

لقد صارت الكهرباء المولدة من المحطات النووية تشكل نسبة لايستهان بها فى موازنة انتاج الكهرباء فى فرنسا ( ٦٥٪ ) وبلجيكا ( ٦٠٪ ) واليابان ( ٢٨٪ ) والولايات المتحدة ( ١٨٪ ) .. هذا كما ان عددا متزايدا من الدول لم يعد يكتفى باستخدام الطاقة النووية فى توليد الكهرباء ، لان هذه لاتشكل سوى قطاع واحد من قطاعات استخدام الطاقة وراح يوظفها فى سد احتياجات التدفئة والصناعة وغير ذلك من القطاعات ..

ولايقتصر الامر على تشكيل الطاقة النووية نسبا لايستهان بها فى موازنات الطاقة فى كثير من بلدان العالم شرقه وغربه ، وشماله وجنوبه ، ذلك ان الاهم هو انها ـ النسبة ـ فى تزايد مستمر ، وهى المؤشر الديناميكى الحقيقى الذى يعبر عن اتجاه التطور ..

● انظف وارخص طاقة

واهتمام الدول على اختلاف توجهاتها ودرجات تقدمها بالطاقة النووية ليس نزوة وانما اتجاه قائم على اسباب موضوعية اهمها ان الكهرباء المولدة من المحطات النووية هى ارخص انواع الكهرباء ، كما ان هذه المحطات ـ بعيدا عن الكوارث وسوء الادارة ـ انظف ماهو معروف من محطات الطاقة فهى مصممة بحيث لايتجاوز تاثير الاشعاع الناتج عنها سنويا ، تاثير الاشعاع الذي يتلقاه من يشاهد

التلفاز الملون لمدة نصف ساعة يوميا ، كما انها اقل المحطات اضرارا بالبيئة ، ذلك ان استخدام المحطات الحرارية فى توليد « كميات » الكهرباء النووية يسفر عن عوادم من غاز ثاني اكسيد الكربون ـ مجرد واحد من العناصر الضارة ـ تفوق قدرة الخضرة المتآكلة على تحويله من خلال عملية التمثيل الضوئى الى اوكسجين الامر الذى يهدد بارتفاع درجة حرارة الكوكب ، وذوبان الجليد فى المناطق القطبية وارتفاع مستوى المياه فى البحار ، و ...

## ● هزل شماعة تشرنوبل

وبالطبع فان الطريق الى خيرات المحطات الكهرنووية ، مثلها مثل غيرها ، ليس مفروشا بالورد ، وينطوى على مخاطر لامجال لتجاهلها ولكن يجب عدم المبالغة فيها ..

لقد ارتبطت الطاقة النووية فى ذهن الانسان بمشاعر ماساوية منذ طالعته بصورتها البغيضة فى هيروشيما وناجازاكى ، لكن فاعلية المجتمعات البشرية تظل رهنا فى نهاية المطاف ، بقدرتها على التفرقة بين الاوهام والحقائق ، وعلى كسر الحواجز النفسية مهما تعاظمت سعيا ، وراء الانطلاق .. ولعل التجربة اليابانية هى الامثل فى هذا الصدد من حيث بلاغة دلالتها ، فقد وصلت نسبة الكهرباء التى تنتجها المحطات النووية الى حوالى ٢٨٪ من مجمل انتاج الكهرباء فى اليابان ، ويعمل اليابانيون على زيادة انتاجهم من هذه المحطات الى اربعة اضعاف ماينتجونه فى عام ٢٠٠٠ ، ذلك ناهيك عن محاولاتهم الجادة للاستفادة من الطاقة النووية فى مجالات صناعية وتطبيقية اخرى ..

وليس من حق احد ان يزايد على اليابانيين بصدد مدى ادراكهم لمخاطر الطاقة النووية والمامهم باثارها .. **هذا كما قدم السوفييت تاكيدا اضافيا فى هذا الصدد باعلانهم ، بعد تشرنوبل ، انه لايمكن تصور الحضارة البشرية فى مرحلة تطورها الراهنة دون امكانات الطاقة النووية ، وانهم ماضون قدما فى تنفيذ خططهم الخاصة باقامة المحطات النووية الجديدة ، ناهيك عن تشغيل المحطات القديمة ، بل واعادة تشغيل وحدات محطة تشرنوبل نفسها ( فيما عدا الوحدة التى انفجرت ودفنت ).**

واكاد اسمع من يدعو الى التريث والتمعن فى اسماء الدول التى تدير حديثنا حولها والتسليم بالبون الشاسع الذى يفصل بيننا وبينها فاين نحن من اليابان والاتحاد السوفييتى و.. ، ولعله المكان المناسب لقطع السياق وطرح القضية على نحو اكمل قبل الرد على اصحاب هذه الدعوات ، ذلك ان الطاقة ليست دافع مصر الوحيد ، الى تحصيل قدرات نووية ، فالمخاطر التى تحيط بالطاقة النووية مخاطر لاتعرف الحدود ، وقد صارت مصادرها منتشرة ، او فى سبيلها الى الانتشار ، حولنا ، ولايعفينا منها عدم وجودها فى اراضينا اذ يمكن ان تحط علينا من الفضاء ( بعض الاقمار الصناعية تعمل بالطاقة النووية وقد سبق ان سقط بعضها على اليابسة ) كما يمكن ان تاتينا على متن الريح ( شىء شبيه بسحابة تشرنوبل ) او موج البحر ( نتيجة نفايات تلقى بعيدا عن شواطئنا )...

● اعتبارات استراتيجية

ولايقتصر الامر على هذا النوع من المخاطر فالمشروع النووى المصرى المجهض جاء مواجهة لبرنامج نووى اسرائيلى ( لم تتاخر بدايته عن اغسطس ١٩٤٨ ) يتسم بالاستمرارية والشمول وتنوع الاغراض ، ولايتورع عن استخدام اساليب القرصنة و .. وهو برنامج كشر عن انيابه العسكرية منذ الوهلة الاولى وبات يمتلك اسلحة ووسائل نووية ( وربما نيوترونية وهيدروجينية ) متعددة الأغراض تتيح لاسرائيل مرونة واسعة لاستخدامها فى ساحات القتال ناهيك عن « الردع بالظن » والخطير فى هذا البرنامج انه يجرى فى اطار تصور استراتيجى بالغ الجسارة والشراسة ( انظر استراتيجية اسرائيل النووية : « الهلال » نوفمبر ١٩٨٧ ) ومن دواعى خطورته :

● انه يعمل على حصر الاصابات الاشعاعية فى اطار عدوه ، دون مساس بمستخدم السلاح بعيدا عن استراتيجية « علىّ وعلى اعدائى » التى ارتبطت بتصورات استخدام السلاح النووى فى المنطقة خلال فترة سابقة ..

● ان اسرائيل ترفض حتى تاريخه التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ولاتقبل اى تفتيش دولى على منشآتها النووية .

● ان اسرائيل تجاوزت ، فى اطار استراتيجيتها النووية الشاملة الاهداف التقليدية للقوة النووية الى « ردع الاخرين بالظن » والضغط عليهم لاتمام تحالفات لايرغبون فيها حماية لانفسهم من القوة النووية الاسرائيلية ..

● ان للاستراتيجية النووية الاسرائيلية شقا عدوانيا فظا ، يسعى الى حرمان الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل وهذا الشق لايحتاج الى مزيد من الايضاح بعد تدمير مفاعل تموز العراقى .

● حالة اللياقة النووية

ولعلها النقطة المناسبة للعودة الى من ينبهون للفوارق بيننا وبين العالم المتقدم وصعوبة الانضباط فيما يخصنا الامر الذى يجعلهم يضعون ايدهم على قلوبهم خوفا من التكنولوجيا النووية الخطرة .. ولعل النظرة الكلية للصورة تكون قد كشفت خواء موقف الهروب من الخطر ، امام عدو او قرصان او مخطىء يفرض علينا ، اردنا ام لم نرد ، هذا الخطر النووى الذى لايعرف الحدود ..

ان النظرة الكلية للصورة تكشف عن حاجتنا الماسة الى نوع من « اللياقة النووية » التى تمكننا من التعامل المسئول الكفء مع اى موقف ، ولايمكن اكتسابها ـ اللياقة ـ بحال الا عن الطريق التعامل المسئول مع الطاقة النووية لان الخبرة الحقيقية لاتتاتى الا من خلال ممارسة حقيقية بعيدة عن التمارين الهيكلية التى ينشغل المتورطون فيها بالبحث عن العلاوات والالقاب و ..

وجدير بالذكر ان النهج الذى يفرض نفسه علينا هنا ليس بجديد فذريعته من قبيل عدم الانضباط لايمكن ان يعتد بها

مثلا بصدد تكنولوجيات التسلح المتطورة ، فلايمكن ان يقول قائل : « مالنا والنفاثات التي تطير اسرع من الصوت ، والصواريخ ، بل والاسلحة الكيميائية والبيولوجية ..»

ان الضرورة الاستراتيجية تفرض علينا اجادة التعامل مع التقنيات مهما كانت خطورتها بصورة منضبطة ، ولايمكن ان نستثنى من ذلك القدرات النووية لتصبح في وجه العدو او القرصان او المخطيء : « كله الا دى » ، والا نكون قد وضعنا انفسنا مقدما كرهائن مقضى عليهم فى يده ..

هذا بالاضافة الى ان الحالمين بوهم الامان ينظرون الى الناس والمجتمع نظرة استاتيكية وكأن قدرا قد حكم علينا بالتخلف الذى لافكاك منه ، وشبهة الثبات مجرد وهم ، وماعلينا الا قبول التحديات ، ذلك ان الانضباط صار قضية حيوية تخص كل جوانب الحياة ، ولم يعد بالنسبة لنا ترفا يمكن ان نتمسك به هنا ونستغنى عنه هناك ، وانه بدون انضباط سيكون علينا ان نضع ايدينا على قلوبنا لألف اعتبار واعتبار غير المحطات النووية .

## ● فيم النكوص الانتحارى

ولايستطيع المرء عند هذا الحد ان يمنع نفسه من التساؤل والبحث عبر السطور وفيما وراءها عن سر هذا النكوص الانتحارى من جانبنا ، بعد ان تبينا ان مشكلتنا الحقيقية ليست كما يشاع فى امتلاك الطاقة النووية وانما فى عدم امتلاكها ..

ولايمكن ان تكون معارضة البعض لبناء محطة كهرنووية هى السر فى هذا النكوص فليست للمعارضة فى بلادنا مثل هذه السطوة ( كما تدل ممارستنا التشريعية ) بالذات اذا اخذنا بعين الاعتبار ان قطاعا كبيرا من المعارضين ، لابد ان يغير وجهة نظره ، حين تطرح عليه القضية طرحا متكاملا صحيحا ، وحين يتم وضع الاطارات الادارية المناسبة للتعامل المنضبط مع طاقة لها ما للطاقة النووية من تكاليف ومخاطر ..

هذا كما لايمكن ان تكون مسالة المخاطر التى تحيط بهذه الطاقة ، وعدم « امانها سبب النكوص ، وقد فصلنا ذلك من قبل على مثال اليابان والاتحاد السوفييتى او على مثال المخاطر التى يمكن ان تداهمنا دون استئذان عبر الحدود ، وبصرف النظر عن عدم وجود قدرات نووية خاصة بنا ..

ويبقى بعد ذلك اعتباران لاشك فى انهما وراء هذا النكوص اولهما يتصل بالتكاليف المالية التى يجب تحملها ابتداء ، ولسنوات قبل جنى ثمار مانزرعه من قدرات .. ويجب التحلى فى هذا الصدد ببعد نظر انفاقى مع حشد القدرات الذاتية التى توفر الموارد وتقلل التكاليف و.. لكنه لايمكن ان يفوت المرء هنا لفت الانظار الى قصور عربى يلف الموقف كله ، رغم القدرات المالية العربية الضخمة ، ورغم ان الطاقة النووية احد الامتدادات الاستراتيجية للنفط ، ناهيك عن ان المخاطر النووية لاتواجه مصر وحدها ..

وينبغى هنا الاشارة الى ان مجلس الملوك والرؤساء العرب قد قرر فى دورته الثانية بالاسكندرية انشاء « المجلس العلمى العربى المشترك لاستخدام الطاقة

الذرية فى الاغراض السلمية » فى كنف الجامعة العربية ، وجرت الدراسات لوضع مشروع « اتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية » وجرى تشكيل المجلس العلمى العربى المشترك ، وانعقد فى دورته الاولى بالفعل ، ووضع مشروع اتفاقية التعاون .. وعرض الموضوع على الجامعة العربية فى ٢١ مارس ١٩٦٥ فاوصى بالموافقة على المشروع ، وفى دورة

اجتماعه الثانية فى ٤ سبتمبر ٦٥ اتخذ عدة قرارات يحث فيها الدول العربية على وضع اتفاقية التعاون العربية موضع التنفيذ .. وعلى كثرة المهام والوظائف التى حددتها الاتفاقية كى يمارسها المجلس فى مجال اختصاصاته لايجد المرء الا التساؤل اين هذا المركز اليوم ، واين نشاطه من نشاط المنظمات الشبيهة ، ونذكر منها على سبيل المثال الوكالة الاوربية .

الا يحق على العرب ان يكرسوا من جهدهم ومالهم مايتناسب مع المازق المصيرى الذى يتعرضون له ، كما يتكشف على امتداد هذه الدراسة ..

● طاقة على الجاهز

بقى العامل الاخير الذى يكبح امانينا النووية وهو وجود قوى عالمية عديدة لايروقها ان يكون لنا قدراتنا النووية المستقلة ، مهما وقعنا على معاهدات الحد من انتشار الاسلحة النووية ، ومهما قبلنا من التفتيش على منشاتنا النووية ..

وهذه القوى تمارس لاشك ضغوطا مباشرة وغير مباشرة لمنعنا من دخول هذا الميدان .. وفى اطار مايدور من حديث حول مسكنات من قبيل المحطات الحرارية والطاقة المتجددة وربط شبكات الطاقة فى البلدان العربية بشبكة الطاقة الكهربائية فى اوربا ( مصر بالاردن ، والاردن بتركيا ، المرتبطة فعلا بالشكبة الاوربية ) يبدو ان هناك مخططا لان يكون المخرج المقترح على البلدان العربية هو ان نحصل على مانحتاجه من طاقة عبر الشبكة الاوربية فيتحملوا هم « مخاطر وعناء » المحطات النووية ويقدمون « خيراتها » لنا على الجاهز ـ كما القمح ـ دون مخاطرة او « وجع دماغ » ...

ولكن هذه المخططات مخططات عرجاء اذا وعينا الابعاد الحقيقية للمشكلة التى يبقى خروجنا منها رهنا برصيدنا من الطموح والجسارة والقدرة على التماسك والحركة بما يساعدنا على العيش فى هذا العصر ... ودون مبادرة باستخدام هذا الرصيد لن نكون جديرين بالعصر ، وسيكون علينا ان نقبع فى سراديب مظلمة ، ننتظر مايفعله « الفاعلون » بنا ..

**والسؤال الصحيح فى هذا الصدد كما سبق ان نوهنا ليس : « نبنى أم لا نبنى محطات نووية ؟» بل : « كيف نلحق بقطار الطاقة النووية على نحو اسرع واكثر امانا ؟» ، و « نعيش العصر او لانعيشه » ، « نكون او لا نكون » ...**


كتاب الهلال
يقدم:
جوائز أوسكار
١٩٢٧ - ١٩٨٨
بقلم: محمود عبد الرحمن الزواوي
يصدر ٥ سبتمبر ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
البرتقالة الآلية
تأليف: أنتوني بيرجيس
ترجمة: محمود مسعود
تصدر في ١٥ سبتمبر ١٩٨٨

# أنت.. والهلال

● رسالة من تونس

● اطل علينا الهلال في تونس بعد طول احتجاب ، فاستبشرنا باطلاله على هذه الرقعة من أرض العرب ٠٠ ويحق لنا أن نبتهج بمجلة الهلال لانها والحق يقال مثال نادر ، وقطب متميز ، فهي جماع البحث المتين المتعمق ، والبيان الناصع المشرق ، والشكل الجميل الذى يبهر العقل ، فجمال الهلال ليس جمال زخارف ونقوش والوان ، ولكنه جمال فكر وجوهر قبل كل شيء ٠٠ ولا عجب أن يقود الهلال مسيرة الفكر العربي ما يناهز القرن ، وان يبرز على صفحاتها عباقرة الفكر وعمالقة الادب ٠

على ان أخشى ما يخشاه قارىء الهلال أن يطلب الهلال فلا يجدها ، وهو ان وجدها فى مصر لم يجدها فى تونس ، وان وجدها فى تونس فقد لا يجدها فى غير تونس ٠٠ والقول غير مبالغ : الويل للثقافة العربية فى البلد العربى الذى لا تقرأ فيه الهلال !٠٠

محمد الناصر الصبعى
القلعة الكبرى ـ تونس

● تعليق

● نشكركم أجزل الشكر على هذه التحية الكريمة التى وصلتنا ونحن نحتفل بالعام السادس والتسعين للهلال ، اقدم مجلات الثقافة والادب والفكر فى الوطن العربى ، ويسرنا دائما أن نتلقى رسائلكم ٠٠ أما مسألة وجود الهلال بانتظام هنا أو هناك فى هذا البلد العربى أو ذاك ، فلسنا نحن الذين نتحكم فيها ، ولكننا نبذل جهدنا لكى يصل الهلال الى كل بلد عربى ٠

● والهلال والموسيقى

● كان عملا ثقافيا وصحفيا رائعا وجديدا ، هذا الجزء الخاص الذى افردتموه للموسيقى فى هلال مايو الماضى نرجو استكمال هذا الجزء فى أعداد قادمة لان الموسيقى تحتاج الى بحوث كثيرة ٠

علي حسن ابو خالد
أسيوط

● تعليق

● نشكركم وقد كان هذا الجزء عن الموسيقى تلبية لحاجة القراء اليه ، ولن نقتصر بطبيعة الحال على هذا الجزء فى الكلام عن الموسيقى ، وستجد بحوثا خاصة فى الاعداد المتوالية ان شاء الله ٠٠

● الفوسفات

● قرات باهتمام فى عدد يوليو الماضى مقال د٠ رشدى سعيد عن « اكتشاف الفوسفات بهضبة ابو طرطور بالصحراء الغربية المصرية » ٠٠ واود ان اقول انه يجب على الدول العربية ان تؤسس مصرفا او اتحادا عربيا افريقيا عالميا لمنتجى الفوسفات يشمل كل البلدان العربية والافريقية المنتجة للفوسفات ، وبذلك يمكن التغلب على الضغوط الاقتصادية لاسرائيل والولايات المتحدة الامريكية بايجاد كل العناصر الكفيلة بزيادة جودة الفوسفات العربى بما يتناسب مع النسبة العالمية المطلوبة ٠٠

محمد العاشى القفونى
شركة فوسفات قفصة ـ تونس

● زيادة الشعر والقصة

● نرجو زيادة عدد الصفحات المخصصة للشعر حتى يمكن ان تنشروا قصائد عمودية واخرى تفعيلية لاربعة شعراء فى كل عدد ٠٠ كما نرجو ذلك فيما يخص القصة القصيرة وهى ذات جمهور عريض من القراء ٠

عبد الشكور صديق احمد
اسوان

# انت .. و الهلال

● تعليق

● نرجو أن نتمكن من تلبية رغبتكم في الاعداد القادمة إن شاء الله، وتجد في العدد الماضي ثلاث قصائد وقصتين ..

● خطاب من المغرب

● الحمد لله .. وجدت ضالتي المنشودة : « الهلال » .. المجلة التي بحثت عنها في الاكشاك فما وجدتها الا عند صديق لي . وكنت في ابداية اظنها مجلة كسائر المجلات ،. ولكن بتصفحي لها ومطالعتي لكتابات المبدعين فيها ، تيقنت انها تتميز عن كل المجلات .. وقد قررت ان اتابعها ونزلت الى شوارع فاس ــ المغرب ــ لعلي اعثر على أعدادها الجديدة فلم اجدها فقررت أن ابعث برسالة اليكم معبرا عن شعوري .. فهل استطيع الاشتراك في الهلال لمدة اشهر معدودة نظرا لضعف حالي ، واذا كان الجواب نعم فكم تبلغ قيمة الاشتراك بالدرهم المغربي ؟

يتعبو عبد العزيز
فاس ــ المغرب

● تعليق

ــ نشكر لكم هذا الشعور الكريم ، ونعتذر اليكم من الاكتفاء بهذا القدر من رسالتكم الطويلة ، وقد تعبنا من قراءة خطك المغربي ولكنا سررنا بما تضمنه خطابكم . ويبلغ الاشتراك السنوى في الهلال في المملكة المغربية ١٠ دولارات بالبريد الجوى ، قيمة الاشتراك عن عام ثم ترسله الى قسم الاشتراكات في دار الهلال ، ونكرر شكركم .

● غلطة التصحيح

● قصيدة الاستاذ سالم حقي في العدد الماضي من الهلال وعنوانها: « الشروق في بلادى » لم اتمكن من قراءتها بسبب اعوجاج السطور ،

بحيث يتعذر على القارىء العادى معرفة الشطرة الثانية من كل بيت !··

أمينة رجب فضلي ـ طنطا

● تعليق

● نأسف لهذا الخطأ الذى وقع من قسم التصحيح فشوه شكل القصيدة ، ونعد بعدم تكراره ·· وقد أصبح الشعر العمودي عقدة مستعصية عند بعض عمال الجمع فى المطابع المصرية الحديثة ، وعند المصححين الحديثى التخرج الذين لا خبرة لهم ! ·· واللغة العربية بشعرها ونثرها تعانى الآن من أغلاط المطابع فى جميع البلاد العربية، فضلا عما تعانيه من أغلاط أجهزة الاعلام وأجهزة التعليم العام والجامعي ! ··

● الأقمار الصناعية

● اطلعت على المقال المنشور فى عدد يونيو ١٩٨٨ في باب « دراسة الهلال » بعنوان « بعد الأقمار الصناعية : أقول المواجهات الخائبة »·· وانى أسجل اعجابى بالمقال من حيث سهولة الصياغة وعمق التحليل الذى يدل على مستوى ثقافة الكاتب « محمد فتحى » ·· كما أتقدم اليكم بمقترح أن تخصصوا مقالا آخر حول نفس الموضوع يتركز حول الجانب العلمي والمعلوماتى والذى لم يركز عليه الكاتب كثيرا فى مقاله ·

علي محمد أبو بكر
زنجبار ـ محافظة أبين
اليمن الديمقراطية الشعبية



● السفر الشاق

● ابعث اليكم قصيدة لى راجيا أن تخبرونى عن أى خطأ فيها ، وهى أول محاولة لى ، وجعلت عنوانها « السفر الشاق » :

سوف أمضى « اليكى » يا مدى عمرى ··
وروحى ··
سوف أمضى « اليكى » ·· كى ··
تشفى جروحى ··
كى أعالج « الألم » ··
هل ترى أمضى « اليكى » ··

# أنت.. و الهلال

هل اهون « عليكى » ..
اعايش الاوهام ..
« ولاكن » .. لا ..
مع « هبيب » الريح سوف امضى « اليكى »

عوض احمد لكوع
محافظة شبوه حتى
٤٠١ مكتبة جمال عبد الناصر
جمهورية اليمن الشعبية

● تعليق

● نشرنا قصيدتك بحروفها ، ولا تجزع من الاخطاء التى فيها لانها محاولتك الاولى ، ولا شك ان مثابرتك على مدى سنوات طوال قادمة ستبلغك املك فى الشعر .. وانت تقول هنا « اليكى » و « عليكى » .. ولا داعى لهذه الياء فى اخر الكلمة .. وتقول « الالثم » وصوابها « الالم » ولا ندرى من اين جئت بهذا الرسم لهذه الكلمة .. وكلمة « ولاكن » التى كتبتها كما تنطقها ، يكتبونها هكذا « ولكن » فاكتبها كما يكتبها الناس .. وقولك « هبيب » صحته « هبوب » .. ولا شك انك بعد ان تصلح الناحية الاملائية فى كتابتك ، ستلتفت الى مسالة الاوزان فى شعرك ، ونرجو لك التوفيق ..



● حسام



تقول زوجتى :
اعانى الليلة .. الام الوضع ..
الليلة يولد طفل لك ..
ليخفف عنك كوابيس الاحلام ..
ويهاجم ـ عن حب ـ شيطان الوهم ..
القابع فيك ..
الليلة الشعر ـ ولاول مرة ـ
انى امتلك الفرحة ..
اطلقها انى شئت ..
امنحها ـ عن عطف ـ لك ..
فالامر الى ..

وانا صـاحبة الحـلم ••
وانا واهبـة الامن اليـك ••

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقيـة

## ● ما هى الثقافة

● فى الاونة الاخيرة تحولت مجلة الهلال عن خطها التى سـارت عليه ، وبدلا من كونها مجلة شهرية ثقافية كما ارادها مؤسسها غـدت مجلة شهرية فنية تهتم بالموسـيقا والتمثيل واخبار الروك ومهرجـان طشقند وباليه البجعـة ، وانتهى المطاف بافرادها ما يناهز التسـعين صفحة من أجل « معلمة الانسان ما ليس يعلم » •

م خضر محمد العملي
شربين

● تعليق

● اجتزانا من خطابك الطويل هذه الفقرة لانها تدل على بقية الخطاب، وان كانت هذه البقية غاصة بالسباب الرخيص ، ونحن لا ندرى ان كان اسمك هذا هو اسمك الحقيقى أم انه مستعار ، كما لا ندرى أأنت من شربين أم انك تستعير اسم البلد أيضا •• وعلى كل حال نحن لا نناقشك فيما أظهرته فى رسالتك من قلة معرفة بمعنى الثقافة ، فأنت تنكر السينما والمسرح والموسيقى ، وتظن انها خارج نطاق الثقافة ، فماذا نقول لك ولامثالك ممن انحـدروا الى هذه الدرجة فى قلة المعرفة؟!

● مع الاصدقاء

● معتز محمد منتصر ـ الاسكندرية :
ـ مقالتكم عن عمر بن أبى ربيعـة : مقالة طيبـة ، ولكنها مجـرد شذرات مدرسية ، نشكرك عليها ••

● حورية البدرى •• هشام محمد عبد الوهاب •• عـلى سيد محمد برمهـات :
ـ قصائدكم الزجلية العامية جميلة ، ولكنا نقتصر على نشر الشـعر باللغـة الفصيحة ، لاننا رسالة الى الامة العربية كلها لا الى بلد واحد، وهذا يوجب علينا ان نخاطب الامة العربية بلسانها القومى وهو اللغـة الفصيحة •

● ونشكر السادة : عبد الرحيم الماسخ •• كريمة ثابت •• هانىء محمد اسماعيل •• عبد الله السمطى •• عاصم فريد البرقوقى •• محمد أحمد سيد أحمد عمار ••

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص . ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

أسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا



| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |

# مصر للطيران

مواعيد مناسبة ... خدمة متميزة ... كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات

**٨٠ مكتباً لمصر للطيران فى جميع أنحاء العالم ترحب بكم**



مصر للطيران

اختيارك الأول دائماً



نانات
ن النوبة

نائيات"
ية حليم
س ٩٤

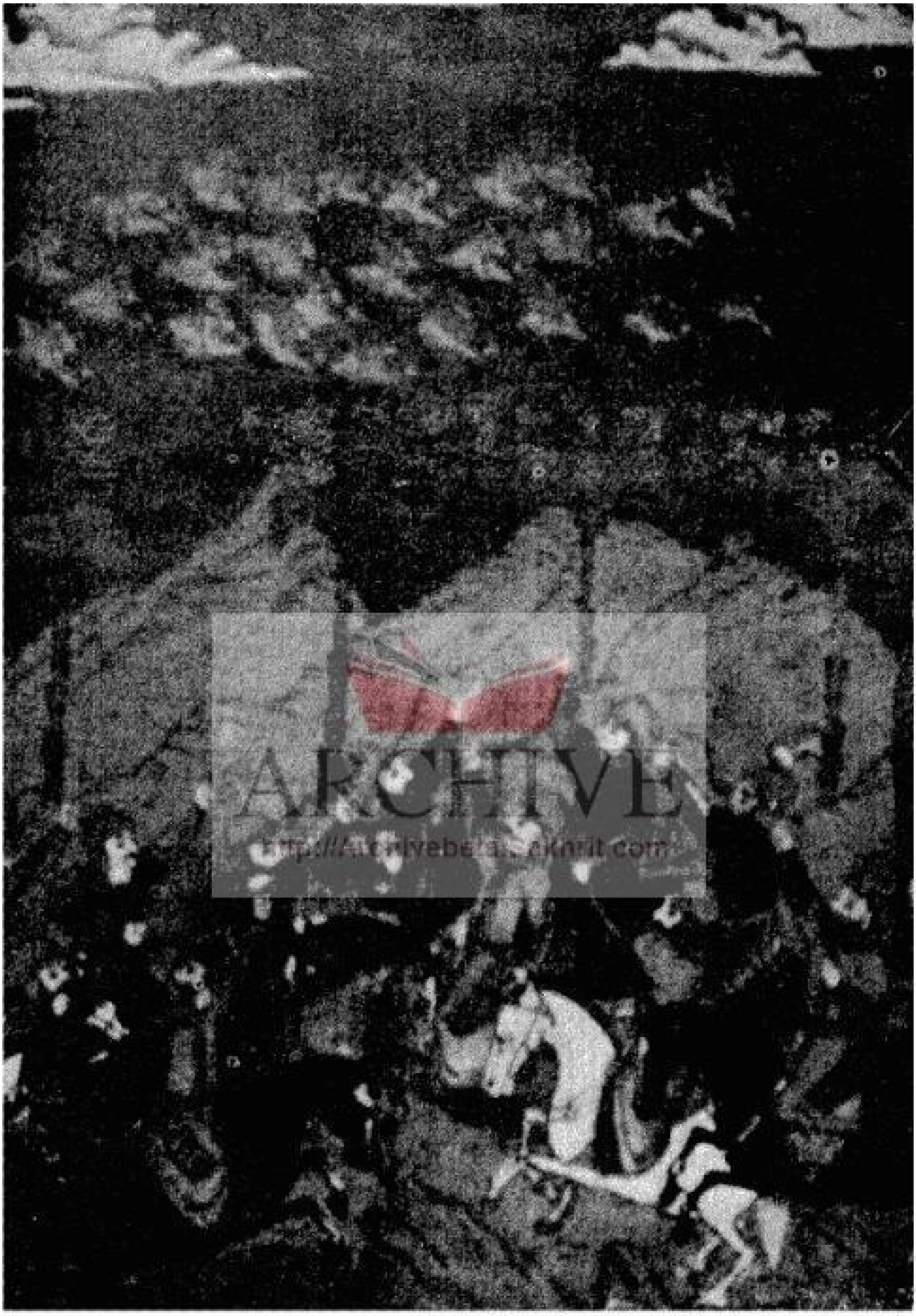
# الهلال

أكتوبر ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا





- الانتفاضة وعودة روح أكتوبر
- ربيع براج وشتاء موسكو
- الحب والزواج المبكر د. شكري عياد



# الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢م . اول اكتوبر سنة ١٩٨٨ م - ٢٠ صفر سنة ١٤٠٩هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

## من روائع الفن الإسلامي

العام الذى ولد فيه الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، يطلق عليه « عام الفيل » ، ذلك العام الذى اتجه فيه جيش ابرهة إلى الكعبة ليدمرها . « الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول » صدق الله العظيم

وعبر عن هذه اللحظة التاريخية الرسام التركى ، بهذه اللوحة التى يحتفظ بها متحف طوب قابى فى اسطنبول .




**الغلاف : الأول تصميم**
**الفنان : محمد أبو طالب**

**الغلاف الأخير لوحة**
**من أعمال الفنان : بيكار**

في هذا العدد

## ● جزء خاص .. حرب أكتوبر ●

ص



## ● فكر وثقافة ●

# عزيزى القارئ

الذكرى الخامسة عشرة لانتصار اكتوبر ، تطل علينا فى هذه الأيام ، فتتجسد أمام عيوننا ضخامة الانجاز الذى حققته القوات المسلحة المصرية ، ومن ورائها الشعب المصرى ، فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .. إذ عبرت قناة السويس فى هجوم لامثيل له فى تاريخ الحروب ، وقفت له الدنيا مبهورة الأنفاس ، وتكلل بالروعة والمهابة .. وانتهى بالنصر المبين !

كان عبور الجيش المصرى لقناة السويس فى ذلك النهار الساطع من اكتوبر أو رمضان ، أول انتصار للأمة العربية كلها ضد الغزو الصهيونى منذ بداية هذا الغزو ، سلميا ، فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين ، حتى تفجرت منه ثلاث حروب دموية باغية ، شنتها علينا آلة الحرب الاسرائيلية .



لقد فازت إسرائيل فى تلك الحروب الثلاث ، ولهذا كان فوزنا فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ حدثا تاريخيا بارزا ، لأنه اثبت بالبرهان القاطع ان الأمة العربية تستطيع ان تنتصر بالاستعداد الشامل ، والتخطيط الدقيق ، ووضوح الهدف ، واليقظة لمناورات الأعداء ، وارتفاع الروح المعنوية إلى اوج الحماسة والاشتعال فى الجيش والشعب ..

وكل أولئك كان متوافرا فى هجوم اكتوبر الذى عبرت فيه قوات



مصر قناة السويس في مشهد تاريخي جليل لن ننساه نحن ولن ينساه الأعداء ..

إن إنجاز اكتوبر فى ميدان القتال قد دخل التاريخ كذكرى مليئة بالعبر والعظات للأمة العربية التى مافتئت تخوض معارك الحرب والسلام فى اكثر من ميدان .



وصحيح أن النصر لم يحقق كل الأحلام ، ولكن من الصحيح كذلك انه ليس ثمة قوانين ثابتة لنتائج الحرب والسلام .. فالنتائج قد تتعثر أو تتبعثر أو تتباعد معالمها وتتفرق طرائقها ، ولكن النصر فى آخر المطاف لايذهب ادراج الرياح ..

وقد جاء انتصار العراق الشقيق فى دفاعه المجيد عن حدوده ضد الغزو الفارسى الرافضى المتعصب المقيت برهانا على ان العرب الذين انتصروا يوم ٦ اكتوبر لن ينهزموا فى ميادين القتال بعد ذلك اليوم ابدا إن شاء الله ، مهما كانت قوة عدوهم ، لأنهم درسوا جيدا معالم السبل المؤدية إلى الانتصار ..

وفى الذكرى الخامسة عشرة لانتصار اكتوبر ، تبلغ انتفاضة

الشعب الفلسطينى مداها ضد الغزاة الاسرائيليين الذين أعماهم تعصبهم العنصرى والدينى ..

وتوشك الانتفاضة أن تحقق نصرا تاريخيا ، اذا لم يستطع العدو أن يفرق صفوفها بدسائسه الشيطانية ، وأخطرها إثارة النعرات الدينية بين جماعات فيها تفتقر إلى الوعى الصحيح .

إن اطراد مقاومة الأمة العربية لمشروعات أعدائها ، يدل على أن التعبئة المعنوية والمادية التى أثمرت انتصار أكتوبر ، لم تكن مصادفة لا تتكرر ، ولا كانت لمعة بارق توهجت فى وقتها ثم انطفأت ولا عودة لها .. وإنما كانت « حالة دائمة » لبست الأمة العربية رداءها منذ ذلك اليوم التاريخى العظيم ، يوم أكتوبر ، ولن تخلع هذا الرداء المقدس حتى تبلغ أهدافها ، برغم ما يبدو من تصدعات هنا وهناك ، أو تقاعس فى هذا الجانب أو ذاك !

وبعد

فقد استثار انتصار أكتوبر قرائح الشعراء والأدباء والفنانين والمثقفين المبدعين المصريين والعرب فى كل مكان ، ولكن الانتصارات تبقى دائما أوسع مدى من التعبير الفنى أو الأدبى عنها ..

ولا نعتقد أن المبدعين قصروا عن إيفاء ملحمة العبور حقها ، أو بعض حقها على الأقل ، ولكنا نقول إن أعظم الملاحم لم يسجلها الأدب والفن إلا بعد انقضاء عصرها .

ومع ذلك فإن ما فاضت به قرائح المبدعين فى الأدب والفن ، عن أكتوبر ، لايعد قليلا لا فى الكم ولا فى الكيف .. وربما تفتحت من هذه الملحمة الفريدة أبواب فى الأدب والفن لا تخطر لنا الآن على بال ! ..



## بقلم : د. على الدين هلال

● قليلة هى الأحداث التى يمكن أن توصف « بالتاريخية » ، ومع ذلك فإن العرب من اكثر الناس استخداما لهذا التعبير فكل خطاب سياسى لحاكم هو خطاب تاريخى ، وكل قرار له يحمل ذات الصفة ، لذلك ـ للاسف ـ فقدت الصفة دلالتها فى النفس العربية ، واختلط الحابل بالنابل ، مع ان التعبير له معناه ودلالته ومغزاه ●

فالتاريخ الانساني هو شلال متدفق من الاحداث والوقائع والتطورات ، منها الايجابي ومنها السلبي ، منها ماهو في صالحنا ومنها ماهو خصم علينا ، منها ما تفرضه قوى اكبر ومنها ما نشارك في صنعه ، وفي وسط هذا الحشد الهائل من الاحداث والوقائع والتطورات ترتفع هامة بعضها بفعل ما احدثته من تغييرات أو ما بشرت به من تطورات .

تلك الاحداث يتوقف التاريخ امامها كثيرا . فتلك تمثل نقاط تحول في مسار مجتمع ما او حياة جماعة ما . وتلك هي التي توصف بحق بالتاريخية ، وهي توصف بذلك لأنها اوجدت حقائق جديدة في حياة البشر والمجتمعات ، لأنها فتحت امامها افاقا جديدة من البدائل والاحتمالات ولأنها غيرت موازين القوى فيها . من تلك الاحداث الثورات والحروب .

وإذا أخذنا الثورات للتدليل على ذلك نقول ان الثورة الفرنسية مثلا لم تغير فقط شكل النظام الحاكم في فرنسا ولكنها غيرت وجه أوربا بأسرها ، والثورة الامريكية بشرت بدولة جديدة ذات موارد وقدرات هائلة ، والثورة البلشفية كانت بداية انقسام العالم الى نظامين اجتماعيين مختلفين . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن ثورات كبرى أخرى كالثورة الصينية والثورة المصرية كما يمكن ان يقال عن الحروب الكبرى التي شهدتها البشرية .

والحدث التاريخي بهذا المعنى ينشأ من رحم التاريخ ويعكس تطوراته وهو قد يبدو عنيفا او مفاجئا ، ولكنه في واقع الأمر نتيجة تخمر بطيء وحصيلة تراكم لجزئيات بسيطة وتفاعلات متداخلة عبر فترة ممتدة من الزمان . الحدث التاريخي من ناحية اخرى لايمكن فهمه خارج إطار الارادة الإنسانية . وإذا كان من الصحيح ان التاريخ لايتحرك بطريقة عشوائية او عفوية ولكن في إطار محددات موضوعية ، فإن ذلك لايعني ميكانيكية الحركة التاريخية او استقلالها عن البشر ، فدور الانسان جوهري والتاريخ لا يتحرك بمعزل عن البشر .



● من اكتوبر ٧٣ إلى ديسمبر ٨٧

ما بين هذين التاريخين سالت دماء عربية كثيرة وتعددت الخلافات العربية وكذا بؤر النزاع والتمزق في الوطن العربي . اختلفت الادوار والتوجهات ، كما اختلفت الاهتمامات والأولويات . وساعد هذا وذاك على مزيد من الاختراق الأجنبي للجسد العربي .

ولكن حتى لانكون من الذين يبكون على اللبن المسكوب ، فمن الضروري أن نتأمل في الواقعتين : واقعة حرب اكتوبر التي تمت وانتهت ، والتي بعد اقل من ثلاثة سنوات من نشوبها انفرط العقد العربي . والواقعة الثانية





حسنى مبارك والمشير عبدالحليم أبوغزالة — حسنى مبارك .. شركاء سلاح وهدف قومى واحد

التى بدأت فى ديسمبر ۱۹۸۷ والتى مازالت مستمرة حتى اليوم .

ولأول وهلة فإن كلا الحدثين يجمع بينهما أكثر من اعتبار . يجمع بينهما انهما يتعلقان بالقضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى ، ويجمع بينهما أن زمام المبادرة فى يد العرب وانهم وضعوا إسرائيل فى موقف الدفاع ورد الفعل ، ويجمع بينهما الاستناد الى جبهة عريضة من التضامن العربى .

ولكن هذه التشابهات لاينبغى أن تغفل من الاختلافات بينهما فحرب اكتوبر هى حرب نظامية بين جيوش دول ، وهى حرب شنتها مصر وسوريا من أجل تحرير أراضيهما الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى . أما الانتفاضة فهى حركة شعب تحت الإحتلال ، وهى ممارسات يومية لكل أشكال العصيان المدنى تتم على الأرض المحتلة نفسها وتتضمن مواجهة مباشرة بين جنود الاحتلال والشعب الذى يخضع لسلطة الاحتلال .

## ● الاعتماد على الذات

من اهم دروس الواقعتين تكريس مفهوم الاعتماد على الذات كشرط للانجاز أو النصر . ففى حالة حرب اكتوبر كان القرار العربى بأخذ زمام

المبادرة قرارا « قوميا » . ولم يكن يعكس التوازنات الدولية التى كانت سائدة وقتذاك او يستند اليها . ولعلنا نتذكر انه فى مايو ١٩٧٢ انعقد مؤتمر قمة موسكو والذى تضمن إعلانه اتفاق الدولتين العظميين على الاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط . من هذا الوقت كان العملاقان يطوران العلاقة الجديدة بينهما فى سياق حالة من الانفراج الدولى ، ولم يكن احدهما على استعداد لعمل مواجهة ساخنة مع الطرف الآخر بسبب نزاع إقليمى . بعبارة أخرى كان استمرار الأمر الواقع لايمثل خطرا على احد غير العرب ، ومن ثم فإن مسئولية تغييره كانت عليهم كاملة . ولايعنى هذا بالطبع الانتقاص من الدعم الخارجى - اساسا السوفييتى - لمصر وسوريا وقتذاك ولكن يعنى ان دفة تحريك الأمور كانت فى يد العرب وانهم خلقوا موقفا جديدا كان على الآخرين ان يتعاملوا معه وان يستجيبوا الى مقتضياته

وبنفس المنطق فإن قيام الانتفاضة كان فى المقام الأول يعبر عن نفس مفهوم الاعتماد على الذات . لقد ظلت اسرائيل تردد لسنوات وسنوات انها تواجه « إرهابيين » « ومتسللين » . إرهابيون يقومون بإثارة الفزع والاعتداء على حياة المدنيين ، ومتسللون يعبرون الحدود للقيام بهذه العمليات او تلك . وتضمن هذا ان عمليات المقاومة لا تنبع من داخل الأراضى المحتلة ولكنها تتم بتنظيم وتمويل من الخارج . ولطول مدة الاحتلال ( منذ ١٩٦٧ ) تصورت القيادات الاسرائيلية ان الجيل الجديد من الفلسطينيين قد قبل الأمر الواقع وانه لم يعد يرى بديلا واقعيا وبالذات مع إستمرار التمزق العربى والتناحرات العربية . تحدثوا ايضا عن ارتفاع مستوى معيشة الفلسطينيين تحت الاحتلال وانهم كانوا احسن حالا مما كانوا عليه قبل عام ١٩٦٧ .

ويقال ان الكاذب قد يصدق نفسه مع تكرار اكاذيبه يوما بعد يوم ، ويبدو ان شيئا من هذا قد حدث فى سلوك اسرائيل سواء بالنسبة لحرب ١٩٧٣ او لانتفاضة ١٩٨٧ .

بالنسبة لحرب ١٩٧٣ فقد جاءت كمفاجأة كاملة لأجهزة المخابرات الاسرائيلية وللمحللين الاستراتيجيين فيها لذلك اطلقوا عليها اسماء مثيرة مثل الزلزال او الكارثة ، ويرجع ذلك الى ان الفكر الاسرائيلى خلال الفترة ٦٧ - ٧٣ وصل الى عدد من الاستنتاجات التى ارتفعت الى مستوى المسلمات والبديهيات . فقد سلموا مثلا بأن العرب لايستطيعون التنسيق فيما بينهم وانهم ليست لديهم القدرة على التخطيط المشترك او التنسيق الجماعى كما سلموا بأن أية دولة عربية بمفردها لن تجرؤ على منازلة إسرائيل . والحقيقة ان هذا الاعتقاد لم يقتصر على إسرائيل بل على كثير من الدوائر الغربية وفى التعليقات الصحفية المبكرة على نشوء حرب



الفريق : حسني مبارك .. وانور السادات .. والمشير احمد اسماعيل دريشة عسكرية

اكتوبر نجد فيها الكثير من الأسف والأسى على اولئك المصريين الذين لم يدركوا اى مصير ينتظرهم عندما يقدمون على الحرب مع اسرائيل . لذلك فعندما نشبت الحرب واستطاع المصريون عبور القناة واكتسحوا خط بارليف فإن ذلك حطم لدى الاسرائيليين مجموعة متسقة من الأفكار التى رددوها وصدقوها عن الانسان العربي وقدراته وادائه .

وبنفس المنطق فإن الانتفاضة حطمت مجموعة متسقة اخرى من المفاهيم لدى الاسرائيليين ، فقد بينت الانتفاضة بوضوح لاشبهة فيه ولا مظنة انها تتمتع بالتاييد الجارف لمجمل اهالي الضفة الغربية وغزة ، وانها حركة مقاومة وطنية ضد قوة احتلال تتم على الارض بتنظيم داخلي ، وما كان يمكن للانتفاضة ان تستمر لولا درجة عالية من التنظيم من ناحية ، ومن التاييد الشعبي من ناحية اخرى .

والاعتماد على الذات بالمعنى الذى عرضت له لاينفصل عن وجود الارادة الوطنية القادرة على الحشد والتعبئة والحسم .

ونقول اخيرا ان اكتوبر ١٩٧٣ من ناحية وديسمبر ١٩٨٧ من ناحية اخرى هما معلمان فى إطار مواجهة حضارية وتاريخية كبرى ، مواجهة تاخذ اشكالا عسكرية وثقافية واقتصادية ، والمواجهات الكبرى فى التاريخ لم تحسمها القوة العسكرية وحدها ، وكم من حضارات هزم اصحابها عسكريا وبقيت الحضارة نفسها منتصرة تستولى على الفاتحين وتؤثر فيهم لذلك فإن هذا النوع من المواجهات تتعدد ادواته وطرائق نضاله ، ولأنها مواجهة تاريخية فإن عنصر الزمن يلعب فيها دورا اساسيا وتصبح القدرة على الصمود والاستمرار معينا لاينضب .

● اعترف بانني لم اكن احب كلمة « زخم » التي يكثر إخواننا الشوام من استخدامها ، ولكنني في النهاية لم أجد افضل منها للتعبير عن المعنى الذى اقصده فى هذا المقال ...

# هل يعود إلينا زخم اكتوبر؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

بالرغم من أن الجنرال حاييم هرتزوج ، الذى يوصف بانه اكبر المعلقين العسكريين والسياسيين فى اسرائيل ، حاول ان يصور حرب اكتوبر – فى كتابه المعروف باسم « حرب الغفران » او « التكفير » ، بطريقة ترضى الغرور الاسرائيلي . وان هذه الحرب قد انتهت والقوات الاسرائيلية فى الجبهة الشمالية على الطريق الى دمشق بحيث تسمع اصوات مدافعها فى العاصمة السورية . وفى الجبهة المصرية فى الطريق الى القاهرة . عند الكيلو ١٠١ « الشهير » على طريق السويس القاهرة . فإن مجموعة « اعترافات » قد افلتت منه . رغم انفه . فيها الكثير مما يدحض الصورة التى حاول ان يرسمها لنهاية الحرب ، أو على الأقل يجعلها موضع الشك والجدل الكثير .

● فبالنسبة للجبهة المصرية على الاقل حاول المعلق « الكبير » أن يسرق لفظ « العبور » ، الذى عرف به عبور القوات المصرية قناة السويس فى بداية الحرب ، وسماه بدلا من ذلك « الهجوم » فى الفصل المخصص لوصفه . أما كلمة « العبور » فقد احتفظ بها ليجعلها عنوانا للفصل الخاص بعبور القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية من القناة ، فيما عرف عندنا باسم « الثغرة » عند الدفرسوار . وجعل من هذا « العبور » الاسرائيلى آية النصر التى استطاعت ان تقلب منضدة الحرب فى وجه العرب ! حيث وصلت القوات الاسرائيلية الى مشارف مدينة الاسماعيلية شمالا ، ثم انحدرت جنوبا الى السويس ، مدمرة حائط الصواريخ .

الذى كان يحمى الجيش الثالث من هجمات الطيران الاسرائيلى المتفوق ، محاولة فرض الحصار على هذا الجيش بالوصول الى كل من ميناء الأدبية ومدينة السويس ، بعد ان وصلت الى طريق السويس ـ القاهرة قاطعة بذلك خط التموين الرئيسى لهذا الجيش . وان الجيش الثالث لم ينقذه من « الحصار » المفروض عليه من القوات الاسرائيلية الا التحرك الدولى من جانب الاتحاد السوفييتى اساسا ، الذى تحركت قواته المحمولة جوا الى يوغسلافيا استعدادا للقفز الى منطقة القتال لرفع الحصار عن الجيش الثالث المصرى ، وترتب على ذلك اعلان التأهب الفورى لحلف الأطلنطى من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، التى أمر وزير خارجيتها فى ذلك الحين هنرى كيسنجر ، جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل بالسماح بمرور قوافل التموين إلى الجيش الثالث ، والا فإن قوات دولة كبرى سوف تتولى هذا الأمر ، وانصاعت رئيسة الوزراء الاسرائيلية للأوامر الأمريكية ـ وسمحت بمرور قوافل التموين الى الجيش الثالث ، تجنبا لنشوب حرب نووية بين القوتين العظميين !

**ذلك هو « السيناريو » الذى طالعه العالم فى ذلك الحين ، ولكن بماذا يعترف هرتزوج فى كتابه :**

● يقول ان الجيش الاسرائيلى كان متهما بأنه قد خرق وقف اطلاق النار الذى صدر فى ٢٢ اكتوبر وشرع فى التقدم الى السويس ، بما فى ذلك احتلال أول طريقها الى القاهرة ، بينما الحقيقة هى ان الجيش المصرى الثالث كان هو الذى يخرق قرار وقف اطلاق النار ، ويهاجم القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية لقناة السويس ! وان الجيش الاسرائيلى قد استفاد من هذا الخرق ، وشرع فى التقدم جنوبا الى السويس لمحاولة احكام الحصار المفروض على الجيش الثالث .

● ثم فى موضع آخر يصف معركة محاولة اقتحام مدينة السويس ، والخسائر الفادحة التى لحقت بالقوات الاسرائيلية فى هذه المحاولة ، ويعلق عليها بأن « السويس كانت غلطة » ! وبالطبع لم يكن ليقول ذلك لو ان القوات الاسرائيلية نجحت فى اقتحام السويس ، والذى باقتحامها وحده كان يمكن ان يقال ان الجيش الثالث الذى عبر الى شرق القناة كان قد تم احكام الحصار عليه ...

## ● تصفية الجيش الإسرائيلى

فالجيش الثالث كان ملتحما بشعب السويس فى الدفاع عن المدينة الباسلة ، ومن الصعب ان يحكم احد على مدينة لم تسقط بعد ، وان كانت تحت الحصار ، بأنها على وشك التسليم للعدو الذى يحاصرها ، هى والقوات التى تدافع عنها ، لقد لبثت ليننجراد عامين كاملين تحت الحصار الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، وعانت الكثير ، ولكنها لم تسقط ، وكان فى استطاعة السويس ان تصمد طويلا هى والجيش الثالث ، حتى تتحرك قوات مصرية أخرى سواء من الجيش الثانى ، أو من القاهرة لضرب القوات الاسرائيلية المتمركزة غرب السويس الى الدفرسوار ، فضلا عن مشاركة سلاح الطيران المصرى فى الهجوم عليها .. والسيناريو الذى لم يتكر الا قليلا ويتعلق

# هل يعود إلينا زخم اكتوبر؟

بوزير الخارجية الامريكى هنرى كيسنجر ايضا ، هو انه قد حذر الرئيس الراحل السادات من محاولة تصفية الجيب الاسرائيلى غرب قناة السويس ، ذلك الجيب الذى كان يحتوى على الاحتياطى الاستراتيجى للقوات الاسرائيلية ويصفها هرتزوج بانها زبدة القوات الاسرائيلية ! بل لعل هذا السيناريو الأخير ، القليل الذيوع عن تحذير السادات ، هو السبب فى اختيار كيسنجر السيناريو الأول الذائع الصيت ، حول مطالبته جولدا مائير بالسماح لقوافل التموين بالمرور الى الجيش المصرى الثالث .

● وعلى كل ، فان الاعتراف الثالث من جانب هرتزوج ، حول موضوع الثغرة او العبور الاسرائيلى المضاد ، الذى هدد فى زعمه الجيش الثالث ، بل وضع القوات الاسرائيلية على طريق القاهرة ... هو الذى يكشف عن طبيعة الموقف كله ، وهو ان موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ، والمسئول الأول عن الحرب ، لم يكن موافقا على خطة العبور الاسرائيلى برمتها التى نفذها اريل شارون ، وانه كان من رأيه ان دولته قد خسرت الحرب على قناة السويس بالفعل ، بالنجاح المذهل للقوات المصرية فى العبور ، بخسائر اقل بكثير مما كان يتوقعه واضعو خطة العبور انفسهم ، واجتياحها خط بارليف الحصين ، وتمركزها على شريط ضيق بطول قناة السويس برمتها على الضفة الشرقية منها ، على نحو يعترف هرتزوج بأنه جعل محاولة مهاجمتها جوا غير مجدية بالمرة وحائط الصواريخ على الضفة الغربية وراءها ، وانه حينما كان الطيران الاسرائيلى ينجح فى ضرب المعابر التى انشأها سلاح المهندسين المصرى ، وقد ضربت كلها الا واحدا ، اكثر من مرة ، كان يعاد اصلاحها بسرعة مذهلة ، فى ساعة او اقل ! لذلك كان من رأى وزير الحرب ديان ، ان على القوات الاسرائيلية ، ان تحاول الدفاع عند خط تال لقناة السويس ، عند الممرات مثلا ، وتترك القناة التى افلح المصريون فى استرداد ضفتها الشرقية ، على نحو لا طاقة للإسرائيليين بزحزحتهم عنه .

دلالة رأى ديان ، هى ان العبور الاسرائيلى الى الضفة الغربية لقناة السويس ، كان مغامرة خطيرة ، أقل ما فيها ان القوات الاسرائيلية التى عبرت كانت مهددة بأن تغرق فى بحر الكثافة السكانية المصرية ، فضلا عما بقى فى قدرة القوات المصرية النظامية على التصدى لها ، بالرغم من نجاحها فى تدمير حائط الصواريخ الذى كان يحمى ظهر الجيش المصرى الثالث فى شرق القناة من تهديدات الطيران الاسرائيلى .

النتيجة اذن كانت « مفتوحة » على الاقل ، على طريقة نهايات بعض الافلام السينمائية والروايات المسرحية ، ولم يكن نصرا إسرائيليا ذلك الذى وضع قواتها على رأس طريق السويس — القاهرة ، فربما لو استمرت الحرب — ولم تتدخل السياسة — لكان فى ذلك هلاكها !

## ● الزخم الجديد

ذلك كان بعض « زخم » أيام اكتوبر



الطريق الى النصر.. عبر طريق ضيق



جنرال حاييم هرتزوج

المجيدة ، التى ذهبت بخيرها وشرها ، منذ خمسة عشر عاما ، اقل ما فيها واعترف به هرتزوج ايضا ، ان الجيوش العربية التى واجهت الدولة الصهيونية كانت خلاف جيوش ١٩٦٧ بالمرة ، كان الجيش المصرى كما وصفه ـ جيشا جديدا كل ضباطه ومعظم جنوده من المتعلمين ، القادرين على ادراك مايفعلون ، ووضع الخطط التفصيلية الدقيقة والتدريب المتقن عليها ، فضلا عن نجاح قادة كلا الجبهتين فى تضليل المخابرات الاسرائيلية عن الموعد الحقيقى للهجوم ، والقدرة على التنسيق بين الجبهتين ، وسحب سلاح النفط فى المعركة ، من خلال سياسة تضامن عربى ناجحة .

لذلك كان من الطبيعى جدا ، ان يشعر العرب بانهم قد اصبحوا القوة السادسة فى العالم فى اعقاب حرب اكتوبر ، وقد استتبع الزخم العربى فى تلك الفترة زخما مماثلا فى الدائرتين الوثيقتى الارتباط بالعرب ، وهما الدائرتان الاسلامية والافريقية ، فقد قطعت معظم الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل تضامنا مع العرب ، وانعقد المؤتمر الاسلامى فى باكستان فى أوائل ١٩٧٤ ، وكان من بين ما ناقشه اقتراح من أحد القادة الافريقيين باحياء الخلافة الاسلامية بعد ان نجحت حرب اكتوبر فى رد الهيبة الى العرب والمسلمين !

نعم ، لقد تبدد كثير من هذا الزخم الذى حفلت به المنطقة العربية الاسلامية الافريقية بعد حرب اكتوبر ، لاسباب سياسية كثيرة ، وعوامل كان من بينها

# هل يعود إلينا زخم اكتوبر؟

تدفق ارباح النفط الذى ارتفعت أسعاره كثيرا بفضل تلك الحرب . واختلف العرب فى وجوه التصرف فيها . ولم يستطيعوا ان يتفقوا على خطة موحدة لاستثمار تلك الأرباح الهائلة فى اعادة بناء اقتصادهم ، وقوتهم العلمية والصناعية والعسكرية . بل حل الشقاق والتنازع محل الوفاق او الاتفاق . مفسحا المجال للمآرب الشخصية لكي تسيطر . وحلول هدف الاثراء الفردى محل اى مشروع عربى موحد . بما فى ذلك استثمار فائض الأموال فى بلاد الغرب ، حيث يستفيد منها العدو الصهيونى اكثر من اصحابها العرب ، وهلم جرا .

على ان زخما عربيا جديدا يفرض نفسه الآن .

فالحرب العراقية الايرانية ، كانت كابوسا رهيبا يجثم على انفاس المنطقة العربية الاسلامية ويهدد مصيرها ، كان امرا مهلكا بالنسبة للقوى البشرية والمادية لأبناء هذه المنطقة على حد سواء ، واستمرارها كان يعنى تآكلا لاتفرح به الا الدولة الصهيونية وحدها ومن وراءها ، بل لعلها كانت تحلم بان توقع المشرق العربى بين فكى كماشة تمثل هى واحدا منها وايران هى الفك الآخر ! ولكن الله سلم ، واستطاع العرب الصمود فى تلك الحرب الطويلة ، واستطاع العراق ان يصل الى وضع حد لتلك الحرب ، والوصول الى مشارف صلح مشرف مع جارته ايران ، وخرجت دول الخليج سليمة معافاة من ويلات تلك الحرب الا ما استنزف من اموالها فيها ، واستطاع الوجود المصرى ان يعود بقوة الى ساحة التضامن العربى ، عبر المؤازرة المصرية الفعالة للعراق فى دفاعه عن كيانه وفى المنطقة العربية بأسرها .

ولكن انتهاء الحرب العراقية الايرانية ليس كل شىء .

فهناك حقيقة قد فرضت نفسها على الساحة الفلسطينية ، القضية العربية الأولى ، والتى بسببها كانت كل الحروب ، بما فى ذلك حرب اكتوبر المجيدة :

**لقد فشل المشروع الصهيونى رغم جهوده المتواصلة بعد حرب اكتوبر فى تفريغ الأرض الفلسطينية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ من سكانها العرب ، واحلال المستوطنين اليهود محلهم ، وصولا الى الحلم الصهيونى فى بناء اسرائيل الكبرى .**

كان ذلك بالرغم من نجاح العدو الصهيونى منذ ست سنوات فى اجبار قوات المقاومة الفلسطينية على مغادرة مواقعها فى بيروت ، بعد حصار دام ثلاثة اشهر ، وبالمناسبة اعود فاذكر حصار السويس فى اول هذا المقال ، واسأل حاييم هرتزوج : هل كانت السويس المحاصرة ومعها الجيش المصرى الثالث اقل قدرة على الصمود فى وجه الحصار الاسرائيلى ، من بيروت التى صمدت فى وجه هذا الحصار ، تحت القصف الجوى



والبحري والبرى المتواصل ، وليس فيها الا قوات المقاومة الفلسطينية ومعها القوى الوطنية اللبنانية ، وخطوط امدادات جيش الدفاع الاسرائيلي الذى يحاصرها اقصر بكثير من خطوط امداده الى مدينة السويس أيام الثغرة ؟ !!

لا ، بل اقول ان الصمود الفلسطيني اللبناني في حصار بيروت قد استلهم روح القتال العنيد للمصريين والسوريين في حرب اكتوبر ، التي ايقظت هذه الأمة العربية من سباتها ، بعد الهزيمة المروعة في حرب ١٩٦٧ .

واليوم فان الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة تواصل المسيرة ، وتستلهم كلا من الصمود الفلسطيني اللبناني في بيروت ، وروح القتال المصرية السورية في أكتوبر ، وسائر تاريخ الأمة العربية الاسلامية في التصدى للغزوات الاستعمارية ، والتضحية بالنفس والنفيس لرد غارات المعتدين .

ان الانتفاضة الفلسطينية المعاصرة ، هى معركتنا ، معركة جميع العرب والمسلمين ، ولابد من زخم عربي اسلامي مواكب لها ، مثلما واكب حرب اكتوبر زخم عربى اسلامى افريقى .

قبل ان أشرع في كتابة هذا المقال بساعات قليلة ، علمت من برنامج تليفزيوني ، ان جريدة « هيرالدتريبيون » الأمريكية ، التي هى في الواقع جريدة دولية لدى الغرب ، حيث تطبع في نيويورك ولندن وباريس في آن معا ، هذه الجريدة كان موضوع افتتاحيتها هو « الدولة الفلسطينية » ، التي تراها حقيقة لاشك آتية في الطريق بعد الانتفاضة الحالية ، التي دخلت - حتى كتابة هذه السطور شهرها العاشر ...

واليوم فإن الموقف في يد منظمة التحرير الفلسطينية ، التي تقود الانتفاضة وسائر نضال الشعب الفلسطيني سياسيا وعسكريا ، هي قائدة المعركة المعاصرة ، التي يتوقف عليها مجمل المصير العربي ..

فهل كثير علينا ان نطالب لها وللانتفاضة بزخم عربي مثل زخم اكتوبر ؟!

# حرب اكتوبر
# فى الأدب العربى

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

ماحدث ظاهرة تحتاج الى بحث متعمق ، ومناقشة مستوعبة ، فى حلقة دراسية ، لأنه يتجاوز ماهو ممكن ومتصور .. كان النصر عظيما ، وكان الابداع بالمقابل عقيما او لا شىء .

واظن اننا بعد سنوات من الحرب نستطيع ان نقرر هذه الحقيقة ، بلا خجل او تردد او خوف او تزويق او تحايل : لقد كانت حرب اكتوبر اعظم الحروب العربية الحديثة ، ومع ذلك ظل الأدب المعبر عنها فى اقل مستوى ، جودة ووفرة وتصويرا .

وهو موقف جدير بان يناقش ، ولكى تؤدى المناقشة الى نتائج صحيحة ينبغى ان تعرض على وجه صحيح . وان يقال فيها ماهو حق وعدل . والا تتمحور حول قضايا شخصية ، ينظر اليها من جوانب بعينها ، ومن خلال رؤى ذاتية خالصة . وان تاخذ شكل تواجه او تقابل ، فيصبح الامر ان كل ماقيل من شعر قبل حرب اكتوبر يجب ان نسقطه وكل ماكتب فيها او بعدها يجب ان نمنحه البركة والرضا

● ان تحويل القضية الى صراع شخصى بحت ، بصرف النظر عما وراءه من اسباب نقدية او ايديولوجية يعنى ببساطة تشتيت القضية وتعقيمها واضاعتها ، على حين ان الأمر فى جوهره ينبغى ان يكون عن الرؤية الادبية لقضية المصير التى يواجهها العرب ( اقول العرب لامصر فقط ) ومقدار ما فى هذه الرؤية من الصحة والخطا ، لتعميق الايجابيات وتجاوز السلبيات .

● حرب عظيمة النتائج

ان رؤية الادب لحرب اكتوبر تحتاج الى مناقشة تحليلية جادة ، بمثل ماتحتاجه الحرب نفسها ، وهو مالم نقم به حتى الآن على نحو جدى ، على اى



صلاح عبدالصبور



احمد عبدالمعطي حجازي



محمد السيد مهران



نجيب محفوظ

مستوى ثقافي جاد ، ربما ـ ببساطة ـ لأن ماقيل في مصر من هذا الأدب ليس فيه كبير غناء .

كانت حرب اكتوبر قصيرة الزمن . عظيمة النتائج والخطر ، ولايزال الزلزال الذى احدثته يلقي ببراكينه حتى يومنا . ومع ذلك . فما افرزته هزيمة يونيه من الأدب . شعرا وقصة ورواية ، ومسرحا ، لأدباء عمالقة ومتوسطين واقزام ، صادقين ومجروحين او حاقدين كان هائلا وعالي الجودة فنيا ، مهما يكن رأينا في محتواه ، على حين ان النصر لم يفرز شيئا ذا اهمية على مستوى .

لاينبغي ان نقف عند دراسة ماقيل في حرب اكتوبر وهو ضئيل ، وانما علينا ان نتجاوزه الى دراسة لماذا لم يكن ، وان نتخذ من الوسائل والاسباب مايجعله يكون اذا تكررت الدواعي وقصير النظر جدا من يظن ان الحرب توقفت وان الاعداء استسلموا وانه لاحاجة بنا ان نشحذ السلاح ، وان نكون في حالة استعداد على الدوام .

لقد توقفت حرب اكتوبر ولكن دورنا محاربين لمّا يتوقف ، فهناك قيود على حركتنا في سيناء .. وثمة اراض عربية مغتصبة علينا تجاه تحريرها مسئولية اخلاقية ، واخرى تفرضها وحدة المصير ، والنظرة البعيدة المسئولة التي لاتقف بدور مصر عند قدميها وانما تمتد به الى ابعد مدى في الزمان والمكان .

اول مايجب ان ننتبه اليه من اسباب وجهت هذا الأدب في عالم اللاوعي اننا مجتمع زراعي في جملته ، تغلب عليه الحماسة والاندفاع والانفعال ، والتطرف والشيء عندنا ابيض او اسود . فكنا قبل مأساة فلسطين نقيّم عدونا باقل مما هو ، وبعد اغتصابه لها صرنا نقدره باكثر مما هو ، والأمل الكاسح في كسب الحرب قبل ١٩٦٧ انقلب الى يأس قاتم بعدها ، وكنا نؤمن بان الكلمة الحماسية لها دور بالغ في الحرب والنصر فصرنا نؤمن بانها لاشيء . وهكذا ظللنا ننتقل من النقيض الى النقيض ، ونتارجح بين الأمل واليأس ، وهو مايفسر لنا ماكتبه توفيق الحكيم غداة إعلان الحرب في مقاله « عبرنا الهزيمة » : « عبرنا الهزيمة الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك ( لاحظ التردد ) فان الأهم الوثبة .. نعم

عبرنا الهزيمة فى الروح » ثم طلب من الحكومة ان تهيىء له عملا يدويا يناسب سنه ، يشارك به فى معركة الشرف بدلا من صناعة الكلمة التى لامكان لها فى ساحة القتال ، واعلن عجز الأديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الادب بانه كلام على ورق !

## ● العبور الأسطورى

وحتى نزار قبانى ، والشعر الرائع فى مكتبته دائما ، كتب مجموعة من المقالات ابان الحرب نفسها ، نشرها فى مجلتى الأسبوع العربى والبلاغ البيروتيتين ، يسير فيها على هذا النهج . يقول فى مقاله « دعوة عاجلة لاحتياطى الأدب » « عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصبح آلة الادب فى مرتبة ثانوية » . ثم يتجاوز الحكيم فيقدم لمقولته توضيحا وتعليلا :

« ليس هذا انتقاصا من منزلة الأدب بقدر ماهو محاولة لتقييم الاشياء بحسب مردودها فنتائجها المباشرة . ان العمل الأدبى بطبيعته يحتاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر ، بينما لاتحتاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها ، ان عبور قناة السويس مثلا كان يعتمد بالدرجة الأولى على لعبة الزمن ، وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى ، فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى » .

كلاهما الحكيم ونزار قبانى كان يكتب كلاما عاطفيا ، وراءه انفعال حاد مبعثه الدهشة ، من الحرب التى كدنا نيأس من بدئها ، فارادا ان يحرضا الناس على العمل من اجلها . وكلاهما اخطأ التعبير ، فليست مهمة المبدع ان يقاتل ، وقد يفعل ، ولكن ان يصوغ وجدان المقاتلين ، واية معركة انما هى كل ذو اجزاء ، والكلمة جزء منها كالمدفع والطائرة والصاروخ والدبابة ولها الاهمية نفسها فى صياغة وجدان الانسان المقاتل العامل الحاسم فى استخدام كل تلك الوسائل والمعدات .

ان الكلمة ليست نقيضا للعقل ، وانما هى الوجه الآخر له ، وهى التى صاغت وجدان الاسرائيلى صياغة عرقية نازية معادية للعرب ، وتدفعه للاعتداء عليهم ، وتبرر له خلقيا وعقديا قتلهم وتشريدهم وتعذيبهم واغتصاب اراضيهم .

ان القلم والخنجر من نسب واحد ، كل منهما يقاتل فى جبهته ، وكل جبهة تمد الأخرى بالطاقة ومن جماع قتالهما يكون النصر .

فى الجانب الآخر نجد ان الشاعر الكبير بابلو نيرودا حين اتخذ جانب الجمهوريين ضد الفاشيين فى الحرب الأهلية الاسبانية ( ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ) شأن كل المثقفين الاسبان والعالميين فى ذلك الوقت ، ونظم ديوانه الشهير « اسبانيا فى القلب » كتب الشاعر الفرنسى لويس ارجون فى مقدمة ترجمته بالفرنسية يقول عنه : « ان فيه



انهيار خط بارليف

هذه القوة التي تسقط الاسوار بالغناء .

وقد اصدر جنود الجمهورية في الجبهة اعجب طبعة منه . صدرت لديوان شعر في التيم او الحديث . فقد تولى الجنود بانفسهم صناعة الورق الذي طبع عليه الديوان واستخدموا في ذلك ملابس الجنود الذين سقطوا دفاعا عن الجمهورية وفضلات الحرب ، وماربحوه من الأعداء .. راياتهم وقمصان جنودهم المسلحين وجمعوا حروفه بايديهم وطبعوه ووزعوه على الجنود في شتى الجبهات في اعجب طبعة يعرفها التاريخ .

وبعد انتهاء الحرب العالمية وقف ستالين خطيبا عام ١٩٤٦ يقيم نتائج الحرب العالمية الثانية ، أو حرب التحرير الوطنية كما يسمونها في الاتحاد السوفييتي فقال : ان الكاتب ايليا اهرنبورج اسهم اسهاما كبيرا في ربح الحرب وسحق العدو ، رغم انه لم يحمل بندقية ، ولااطلق رصاصة ، وانما شرع قلمه ، وعبا شعبه بشحنات هائلة من الكراهية والحقد على العدو ، وقاتل بمقالاته وقصصه بالضراوة نفسها التي قاتل بها الجنود .

## ● أسباب أخرى

على اننا نظلم الحقيقة اذا ردنا قلة الادب المتصل بحرب اكتوبر الى مفهوم توفيق الحكيم ونزار قباني وحده ، وهما مجرد نموذج ، وانما هناك اسباب اخرى كان لها دورها .

منها ان الذين قاتلوا هم الضباط والجنود ابناؤنا القادمون من الريف ،

وابناء العمال والفلاحين فى الجانب الاكبر منهم ، وهم الذين دفعوا الثمن غاليا ، تضحيات بالأرواح ، وبالغالى من اجسامهم ، ولهم يرجع الفضل ، واليهم ينسب النصر تخطيطا وتنفيذا ، وفيهم يقال الشعر تمجيدا وتاريخا ، وتكتب القصة والرواية ، ولكن بطانة السوء حاولت ان تسرق هذا المجد الجماعي وتنسبه الى فرد ، وان تجعل الحديث عن النصر حديثا عن هذا الفرد ، مما جعل المبدعين الحقيقيين ينفرون .

وقد التقى ، السادات ، بالشاعر عبدالرحمن الأبنودى فى احدى زياراته للسويس فى تلك الأيام ، وطلب منه ان يسجل بفنه ملحمة العبور ، وكان الأبنودى على قدر من الذكاء ادرك معه مايريد الرئيس ، فقال ماممعناه : نعم ، ولكن هذا العمل لايتم بقرار ، وطبعا لم يكتب الأبنودى شيئا لانه وعى ان المطلوب منه ان يكتب عن السادات صانع هذه الامجاد .

ثمة عامل اخر لايقل اهمية ، وهو قصر زمن حرب اكتوبر ، واختلاط الأمور فيها ، ولم يحدث ان اختلفت النتائج عن المقدمات فى حرب من الحروب كما حدث فيها ، وتناقض مسار التطورات مع خواتيمها ، فلم يكد الرأى العام باجمعه ، والمبدعون فى شتى المجالات ادوات تعبيره ، يتمثل النصر حتى كانت عوامل الاحباط تحاصره من كل جانب ، من الثغرة الى حصار السويس فالجيش الثالث ، وربما كان هذا كله اقل خطرا ، لأن الحرب تقدم وتقهقر ، وانتصار وانكسار وانما اجتاح الغم وجدان الادباء لأن السياسة لم تحسن استثمار هذا النصر لافى التقدم ولافى المفاوضة ولافيما انتهى اليه فض الاشتباك اولا ، والمعاهدة ثانيا ، والوضع العربى برمته اخيرا ، ولاحظ المفكرون ان ارادة القتال ، وهى عامل جوهرى فى بعث الاعتزاز الوطنى بدات تتلاشى ، وبدا الناس يعودون بمشاعرهم الى نقطة الصفر ، وغامت الرؤية امام اعين الناس ، وبدات همهمات بان الاحداث تاخذ طريقا لايرتضيه الشعب بعامة ، والمفكرون بخاصة .

واخيرا كانت الرقابة بوسائلها المختلفة تعمل عملها ، رقابة تجيء من خارج المبدع ، تحرص على الصورة زاهية ، وتبقى على النصر لامعا ، وتبالغ فلا تريد لأحد الا ان يراه سليما من كل عيب ويرينا من اية شائنة ورقابة تنبع من داخل المبدعين انفسهم ، فهم يخشون ان تؤدى اية كلمة تفلت الى احباط ، او ان تكون اشارة انهزام ، او دعوة الى ياس ، وبين الرقابتين غاض الابداع الحقيقى ، وطفا على السطح الأدب الذى يكتبه الموظفون والمتسلقون واللاهثون من الشادين حريصين على ان تنشر اسماؤهم فى الصحف والمجلات ، وتذاع فى الاذاعة وربما التليفزيون ، وكان المجال يومها متاحا وفسيحا لكل راغب وحريص على هذا اللون من الظهور .

● في الشعر .. واقع مختلف

الشعر اول مايتوقعه المرء من ادب المعركة . لأنه انفعال فورى ، وبالغ التكثيف ، وولد مع المعارك ، يحث عليها ، او يعبر عما حدث فيها ، او يتيه بانتصاراتها . وله تقاليد راسخة فى الادب العربى منذ حرب البسوس قبل الف ونصف الف من الاعوام ، ومرورا بالصراع بين الفرس والعرب قديما ، وبمدائح المتنبى لسيف الدولة فى صراعه مع الدولة البيزنطية ، او ابى تمام فى فتح عمورية ، وانتهاء بشوقى فى قصيدته « الله اكبر كم فى الفتح من عجب » يشيد بانتصار كمال اتاتورك فى حربه مع اليونان ، او فى رثائه للبطل عمر المختار فى نضاله ضد الايطاليين ومئات من قصائد اخرى :

لكن الواقع مع حرب اكتوبر كان مختلفا ، فقد كانت ساحة الشعر خالية من الشعراء الكبار فى مصر ، وودعت مصر اخرهم برحيل محمود حسن اسماعيل ، وبقى عدد محدود من رجال الشعر الحر ، يغنون لانفسهم ، ولمجموعة من « الشيعة » حولهم ، تهتف بهم فى مقهى او منتدى او بيت احدهم : « الله ، اعد .. الله يفتح عليك » لكن الجماهير التى يكتبون لها هذا الشعر ، خارج الحلقة - وربما داخلها ايضا - لاتفهم مايقال ، ولاتسيغه ، ولاتستوعبه ، ولايشدهم بموسيقاه غير المألوفة لهم ، فسقط فى منتصف الطريق ، ولم يبلغ من يوجه اليهم ، وفقد التأثير ولم يعد له صدى .

وقد ظل اصحاب الشعر الحر يهاجمون الشعر العربى الاصيل بانه شعر مناسبات ، وانهم يربأون بانفسهم ان يكونوا كذلك ، فلما واجهوا النصر اسقط فى ايديهم ، وبخاصة ان الكبار منهم كانوا موظفين فى الدولة ولهم طموحاتهم الادارية . مثل هذا الصمت يؤخذ عليهم ، فحاولوا ان يقولوا شعرا ساقطا ، والناجون من اسار الوظيفة لاذوا بنظرية « الاختزان » ، وهى مقولة نقدية مؤداها ان ليس من الضرورى ان يعبر الشاعر عن الحدث لحظة وقوعه ، وانما يختزن تجاربه حتى تتبلور وتنضج وتتفاعل معه ، ويختزن ذلك كله فى اعماقه مدة تقصر او تطول تبعا لمقدار حساسية الشاعر ومواهبه وامكاناته . وهو كلام ينقضه الواقع وان صح فى مجال الأعمال التى تحتاج لوقت طويل فى صياغتها كالرواية والمسرحية فلا يصدق فى مجال الشعر والقصة .

وعلى اية حال فقد مرت خمسة عشر عاما دون ان يختزنوا او يتفاعلوا او ينضجوا ولم يثمروا غير الصمت .

اخرون ستروا عجزهم بانهم يرفضون ادب المناسبة ويخشون ان تموت قصائدهم بانتهائها ، وهو امر يصدق فعلا على الادب الردىء والمتوسط ، ودون ان نغمط قدر احد فان كل ماكتب عن حرب اكتوبر فى مصر نسى فعلا ، ولكن لا لأنه ادب مناسبة ، وانما لانه متوسط او ردىء ، اما الأدب العظيم فيخلد ، وتخلد المناسبة معه ، فلم تنته قصائد المتنبى فى سيف الدولة ، ولاقصيدة ابى تمام فى فتح عمورية ، ولاقصيدة شوقى فى عمر المختار ، وكلها قصائد مناسبات ،

وكلهم من اعظم الشعراء فى عصورهم باعتراف النقاد .

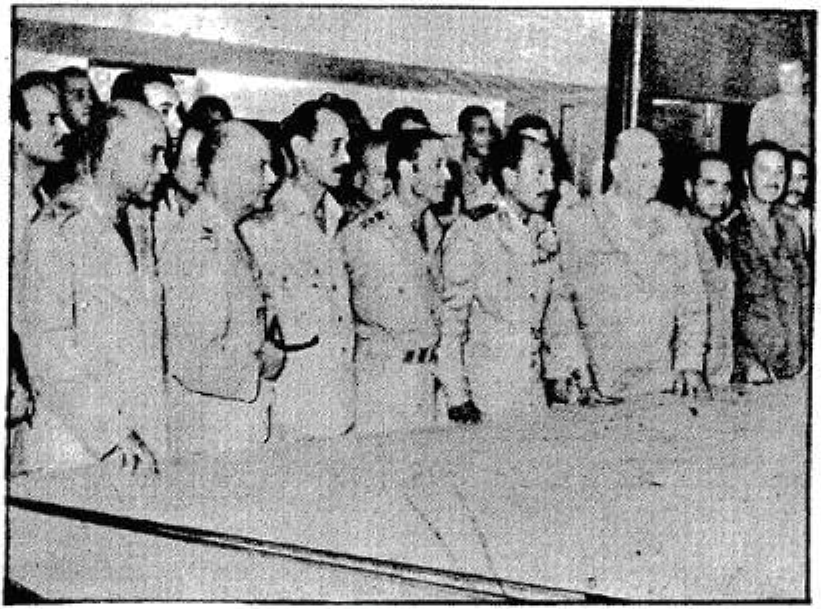
ان الفنان العظيم قادر دواما على ان ينقل الادب من الخاص الى العام ، وان يطابق بين مافى اعماقه وما يجرى خارجها ، والادب الذى يأتى من خارج الاحداث وبعيدا عنها ، ولايهتم ، بمن يصنعونها ، لن يجد الآخرون حرجا فى ان يصموا آذانهم عن سماع مايقول ، فهم لايعيرون سمعهم ، الا لمن يعيرهم اهتمامه . ( كان هذا وراء ان سرادق العزاء الذى اقيم للدكتور حسين فوزى لم يحضره غير خمسة بالعدد ) ، وهم فى تلقيهم يطمحون منه الا ينقل صورة ماحدث كما هى ، ويطلبون منه ان يضيف اليها رؤيته المستقبلية ، وليست بالضرورة من الوثائق فقد تأتى وليدة حدس صادق ، وحدس الفنان ، يتميز بالشفافية ، ويعين على جلاء الصورة امامهم ، اذ ليس صدفة ان الفن والتنجيم والكهانة كانت شيئا واحدا فى طفولة الانسانية ، وان لفظ الشاعر والنبى كانا يتعاوران فى الاستعمال قبل الاسلام .

حين نطالب بشعر يقال فى اتون المعركة ، وإبانها وليس بعدها فنحن لانريده شعرا محايدا يصف ، وانما شعرا مقاتلا يناضل ، ويفجر فى اعماق الانسان روح الصلابة والنضال ، ويلهم الجند الحماسة والثبات ، ويقوى وجدانهم لحظة اللقاء والصدام ، ويصبح مادة سمرهم وغذاء مشاعرهم لحظة الراحة والاستجمام .

ليس اديبا من يعيش فى وطن متخلف ولايوظف ادبه للتقدم ، او مجتمع يعتصره الاستبداد ولايبشر بالثورة ، او تحاصره قوى الشر الداخلية والخارجية ثم يمضى فردا يتغنى بهمومه ، المغرقة فى الذاتية بعيدا عن مشكلات مواطنيه الاساسية وقضايا امته الجوهرية .

الذين قالوا الشعر فى حرب اكتوبر عموديا وحرا ، « اكثر من الهم على القلب » ويتفاوت ماقالوه بين التوسط والرداءة ولااظن شيئا منه ثبت فى ذاكرة احد ، او سيبقى له اثر ، فصلاح عبد الصبور ، وكان يومها موظفا كبيرا ، فى ديوانه « الابحار فى الذاكرة » وجاء بعد صمت سنوات قضاها فى الهند ، وهو اخر دواوينه واسواها ، يتضمن قصيدتين عن حرب اكتوبر هما اسوأ مافيه ايضا ، الاولى « الى اول مقاتل قبل تراب سيناء » والثانية « الى اول جندى رفع العلم فى سيناء » وفيها يرى هذا الجندى ، والعياذ بالله ، جذع جميزة على ترعة ، او قطعة صخرة من الاهرام منتزعة ، او حائطا من جانب القلعة ، وفى الصعيد عندما يريدون ان يصفوا انسانا بالجمود والبلادة وقلة التصرف والحركة يقولون : « كالحيط » .

ولأحمد عبد المعطى حجازى ثلاث قصائد باهتة اثنتان لمصر ، وواحدة لدمشق ، لاتحس فيها بذلك الدفق العالى من الحيوية والشعور الذى عودنا اياه ، وان كانت قصائده احكم بناء واقرب الى الصدق من قصيدتى



قادة حرب أكتوبر في غرفة العمليات

صلاح عبدالصبور .

وكان محمد مهران السيد نسيجا متميزا في قصيدته « اشواق كل مسلم » من ديوان « ثرثرة لاعتذر عنها » فهو يتجاوز اللحظة الى الغد ، ويستشرف المستقبل ، ويمزج بين الواقعي والمتخيل ، ويمسك بالأمل حريصا ، وهو في « لغة الأيام المنتصرة » من الديوان نفسه يبدو متفائلا ، واثقا في مصر ، رغم مرارات الهزيمة ، واحباطات القهر ، ويعبر عن ذلك في بساطة وتواضع يتسربان الى الاعماق في لذاذة :

حين رأيت فتاتي اخر مرة
كانت تتألق اكثر من لمعان السيف
تمضي واثقة تحت غطاء الأيام
المخلصة من الخوف .

تضحك حينا

.. او تتحدث حينا في لغة منتصره

وليس في الشعر العمودي الذى قيل في مصر مايستحق حتى ان يشار اليه .

● إبداع متدني

وندع الشعر الى القصة وهي توأمه ، وقادرة على التقاط نبض اللحظة ، والتعبير عن حركة الحياة اليومية ، وقابليتها للنشر في الصحف والمجلات والاذاعة ، الى جانب قالبها البسيط ومسلحتها المحدودة . يغرى الكثيرين بكتابتها ، ولو ان معظمهم ينسى ان قصرها لايعني الحجم ، وانما يعني قصر الزمن ، ومحدودية الشخوص ، وانها تجيء تعبيرا عن

لحظة معينة أو موقف محدد . وهى حقيقة غابت عن كثيرين من كتابها الشبان ، جهلا أو عجزا ، وبعضهم يعتذر عن ذلك فى تواضع ، واخرون يغطون عجزهم فى تبجح وادعاء بان مهمة الفنان المبدع ، ان يحطم القوالب الموروثة .

لم يكتب نجيب محفوظ ولايحيى حقى ولايوسف ادريس ، ولايوسف جوهر ،وهم اعمدة القصة الجديرين بالتقدير قصصا ابداعيا عن حرب اكتوبر . والذين عالجوا ملحمة العبور فى هذا النوع الأدبي كتّاب من الدرجة الثانية . وابداعهم فيها ادنى درجة مما كتبوه قبلها او بعدها فى غيرها ، اذ يغلب عليه اجمالا طابع الإستطلاع الصحفى ، او الخطابة الحماسية ، ويغلب على تصوير الشخوص اللون الواحد ، والموقف الواحد . فكل جنودنا شجعان ابطال لايهابون الموت ، يقدمون على الحرب مبتهجين ، وليس فى حركتهم تنفس انسانى واقعى ، فلا تردد امام الخطر ، ولاحنين الى الاهل ، وكل جنود العدو جبناء وضعفاء ، ولو كان ذلك حقا لفقدت روعة العبور كل اسباب وجودها ، ونحن معها بازاء قصص يفتقد اسس الفن القصصى ، ويتسم بالسطحية المفرطة ، والمباشرة الصارخة .

القليل جدا ، من بين هذا القصص له اهمية فنية ، وربما كانت قصة ابراهيم عبدالمجيد ، تعليقات من الحرب ، تمثل خير تمثيل هذا القليل الجيد ، فهو يلتزم البناء الفنى بدقة ، ويقول مايود دون خطابية او مباشرة ، مستخدما تيار الوعى بطبقاته المتعددة استخداما جيدا ، ومن استطاع ان يجمع فى حياة شخصيتها بين رؤية النكسة ونتائجها واحداث العبور وروعتها .

وقد تأخرت الرواية وربما لم يحاولها احد حتى اليوم ، مع انها النوع الأدبى الأكبر اتساعا وتصور مجتمعا وجموعا ، وتستوعب ازمنة عديدة ، ماضية وحاضرة وقابلة ، وهى القادرة على تخليد نضال الشعوب بكل تفاصيله وتحتاج الى وقت اطول وتامل اعمق وقدرة على الامساك ببؤرة الاحداث الاساسية .

ومع ذلك ظلت ابعد الانواع الادبية عن حرب اكتوبر ولو ان بعض الكتاب العرب خارج مصر حاولها ، ولكن ماكتبوه تغلب الحماسة فيه على الفن .

والاشياء القليلة التى كتبت فى المسرح ، وهى فيما اعرف : مسرحية « عملية نوح » لعلى سالم ( ١٩٧٤ ) ، و « رسول من قرية تميرة للاستفهام عن مسالة الحرب والسلام » لمحمود دياب ( ١٩٧٥ ) و « العبور » لفؤاد دوارة ( ١٩٧٦ ) .

● ● ●

ويبقى السؤال قائما : لماذا ظلت ملحمة العبور العظيمة لاتجد من يرتفع بالفن الى مستوها ، مهما تكن الاحداث التى سبقتها ، او صحبتها ، او جاءت بعدها ، فذلك كله لاينتقص من روعة هذا الحدث العظيم !

# أقوال معاصرة



طارق عزيز



سميح القاسم



غادة السمان

● « ربما ليس لايران أصدقاء ، ولكن لها العديد من طالبي اليد » .

طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء العراقي

● « لقد أصبحت صواريخنا متوسطة المدى في ذمة التاريخ » .

جورج بوش

نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة

● « نحن المثقفين العرب نقطر فكرا ، وأصحاب القرار يقطرون سما وينطقون كفرا » .

الدكتور سعد الدين ابراهيم

● « ما ترفض المرأة أن تعيه هو أن أحدا لا يملك أن يعطيها شيئا او يحرمها من شيء » .

الكاتبة غادة السمان

● « كنت آمل أن أستمتع بصراع سياسي مع ضياء الحق في الانتخابات القادمة » .

بنازير بوتو

زعيمة المعارضة الباكستانية

● « كانت قضيتنا يوما حلما قوميا وصارت هما قوميا » .

الشاعر الفلسطيني

سميح القاسم

● « الزواج هو موت الأمل » .

الممثل الكوميدي الامريكي

وودى آلن

● « الباحثون والمهندسون السوفييت أشبه بجنود يحاولون القتال في حرب عصرية بأقواس خشبية » .

رولد ساجدييف

مستشار جورباتشوف للشئون العلمية

الفزع على

# الأشواك

# الحبّ والزواج

**الأصل في الحب ان يكون مقدمة للزواج ، والأصل في الزواج ان يكون امتدادا للحب .**

**هكذا تقول الطبيعة ، عندما تغرد الطيور فيأتلف ذكر وانثى يبنيان عشهما وينجبان افراخهما . عندما تسفر الرياح بين الأشجار فتحمل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة . عندما يجوس الأسد الفتى خلال الغابة فيلتقي بلبؤة شاردة .**

بقلم : د. شكري محمد عياد

● ولكنك تلاحظ ان الكائنات التي تعرف الحب الناجح والبيت السعيد هي تلك التي تتسم حياتها بطابع الفردية ، اما تلك التي تحيا حياة اجتماعية فان العلاقات بين افرادها - ومنها العلاقات الجنسية - تخضع لعامل الصراع . ففي قطيع القرود او حمر الوحش يقتل الذكر الأقوى سائر الذكور أو يتعمد اذلالها حتى يتمتع بالاناث وحده . والانسان اجتماعي بطبعه . لكن بما انه يختلف عن سائر الكائنات اختلافا كيفيا من حيث الذكاء والمهارة والقدرة على التعلم . فان نسيج العلاقات الاجتماعية بين البشر يبلغ درجة عالية من التعقيد ، وينطبق هذا الوصف بصورة خاصة على علاقات الحب والزواج .

فنحن نتكلم عن « الحب » حين تكون العلاقة بين الزوجين اقرب الى التعادل ، فيتقرب الذكر الى الانثى حتى يظفر برضاها ، وفي هذه الاثناء ربما عانى من الشوق والحنين والاكتئاب . وربما عانت من الحرمان والكتمان والضنى . هذه المشاعر التي تجتمع وتتحد في عاطفة الحب كما تتحد الاصوات الساذجة في النغمة الموسيقية ، لاتنشأ الا حين يشعر الرجل باحترام المرأة ، ويرى في جمالها خلاصة لجمال الوجود ، وفي عطفها انسا من وحشة الروح ، وتشعر المرأة بأنه يريدها لذاتك ، لا لتكون ضجيعة فراشه ، وخادمة بيته ، ولعلك تجد مشابه من هذا



« الحب » في الطيور وبعض اجناس الحيوان ، اما الانسان المؤهل بتكوينه النفسي للرقى الى اعلى مراتب الحب ، فقلما ساعدته اوضاعه الاجتماعية على السمو الى هذه الدرجة من حب المرأة . ان العلاقة بين الرجل والمرأة تشكلها حاجة القبيلة أو المدينة ، وظروف المجتمع الزراعي أو الصناعي ، واسلوب تقسيم العمل ، وطبيعة العلاقات الطبقية في كل مجتمع ، بحيث يصبح التعبير عن تلك العلاقة مقننا باعراف وتقاليد .

● دور الجواري

ان المجتمعات العبودية القديمة لم تعرف عاطفة الحب ، كانت الزوجة تقتنى للانجاب ، وادارة المنزل ، وكان الزواج داخلا في نسيج العلاقات الاسرية التي يمليها التقسيم الطبقي للمجتمع ، اما « الغراميات » التي حفظها لنا التاريخ والتراث الأدبي من تلك العصور ، واضفى عليها الخيال الفني في العصور المتأخرة مفهومه الخاص للحب ، فلم تكن في حقيقة امرها الا ضربا من اللهو يتخفف به الرجال ، وبعض النساء ، من واجباتهم الاجتماعية ، وكان للجواري الدور الاكبر في هذه الغراميات ، سواء لدى الاغريق أو الرومان أو العباسيين ، الا ان « فضائح القصور » شكلت جانبا مهما من التاريخ الجنسي لتلك المجتمعات ، إذ كان لها تأثيرها السياسي على هيئة الحكم ، وقد فقد لوفيد حريته ، وفقد وضاح اليمن حياته ، في بعض تلك الفضائح .

ومعروف ان الادب اليوناني يخلو من تصوير عاطفة الحب بين الرجل والمرأة ، وثمة عبارة في كتاب « الشعر » لارسطو تضع ايدينا على سبب هذه الظاهرة يقول ارسطو عند الكلام على « الأخلاق » أو « الشخصيات » في التراجيديا : « فقد يكون للمرأة والعبد خلق حسن ، على ان المرأة ليست شريفة جدا ، والعبد ليس بشريف على الاطلاق ، واذا كانت المرأة في منزلة وسطى بين الحر و « العبد » فغير محتمل ان يشعر الرجل نحوها بتلك العاطفة التي تكاد ترفعها فوق منزلة البشر .

كان المجتمع البدوي في الحجاز في اوائل العصر الأموي ظاهرة متميزة من حيث الزمان والمكان ، ولذلك ابرز لنا ظاهرة متميزة وهي الحب العذري . من حيث الزمان كانت الدعوة الاسلامية

جديدة غضة ، وقد أحيت القلوب والضمائر ، وقد ساوت بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات إلا مااقتضاه تقسيم العمل بينهما حيث كان « للرجال عليهن درجة » ولم يكن المجتمع العربى فى « وادى القرى » وهو نصف بدوى نصف زراعى ، بعيدا عن الاستقرار ولامعتمدا على استخدام العبيد ، ومن ثم تهيأت لسكانه علاقات طويلة المدى تحكمها سماحة الاسلام من ناحية واعراف البداوة من ناحية اخرى ( والقصة التى تقول إن الحسين بن على رضى الله عنهما توسط فى امر احد متيمى الحجاز ، ترمز الى العلاقة بين هذين العاملين ) واذا كان مؤرخو الأدب العربى قد وقفوا عند ظاهرة الغزل العذرى باعتبارها ظاهرة فريدة فى هذا الادب ، فما اظنهم تتبعوا تأثيرها كما ينبغى . لقد وضع العذريون فى الشعر العربى تقليد تعظيم المحبوبة الى حد القناعة منها بالنظرة أو الكلمة ، واستعذاب الألم فى بعدها دون التمتع بوصل غيرها ، بل توهم انها تملك نوعا من القوة الكونية بحيث يمكن ان يجيب المحب تحيتها وهو فى قبره . وكان هذا التقليد مخالفا لتقاليد الغزل فى العصر الجاهلى ، ولكن اصداءه ظلت تتردد فى تراث الشعر العربى بقوة اكثر من سابقه بل لعلى لااغلو اذا قلت انها امتدت الى أوربا فى اواخر العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة .

ولكن مانعرفه اليوم تحت اسم « الحب الرومانسى » كان وليد ظروف أخرى . الحب الرومنسى ، مثل الحب العذرى لم يكن مرتبطا بالزواج بل منافيا له . ولكن هذا الانفصال كان راجعا الى اسباب مختلفة . فاذا كنا قد فسرناه فى الحالة الأولى بالتناقض بين سماحة العاطفة الدينية وجمود الاعراف القبلية ، فانه فى الحالة الثانية راجع الى التناقض بين الحرية الفردية والحواجز الطبقية . كان الحب الرومنسي كما يقول هاوزر ، تعبيرا عن الثورة فالطبقة المتوسطة الناشئة بشرت بحرية الفرد كما بشرت بحرية التجارة ( ولاغنى لاحداهما عن الاخرى ) ولكنها لم تلبث ان تحولت الى طبقة رأسمالية مستغلة واقامت من عزة الثراء حاجزا طبقيا بينها وبين الطبقات الشعبية لايكاد يختلف عن عزة النبالة ، سوى ان النبلاء فى المجتمع الارستقراطى كانوا يعتزون بالجاه القديم مع ما فى ذلك من التمجد باخلاق الفروسية ، أما الطبقة الجديدة فلم تكن تتمجد الا بسلطان المال . وكانت الطبقة الارستقراطية « ترعى » الثقافة ( التى تتفق مع مصالحها وميولها بطبيعة الحال ) ، أما الطبقة الجديدة فكانت « توظف » المثقفين لهذا رفض المثقفون ــ سواء فيهم ذوو الميول الارستقراطية وذوو الميول الشعبية ــ سوقية المجتمع الجديد . وحيثما كان ذلك الرفض عاطفيا ، لاعقلانيا ، تبلور فى موضوع الحب الرومنسى . فالذات ــ كما تتمثل نفسها فى الشعر والرواية والمسرح ــ مستغرقة تماما فى فكرة الحب لانسان اخر تعلم أنه من شبه المستحيل أن تربط حياتها بحياته . هذا الحائل المنيع ــ وهو طبقى فى الواقع ــ ربما شكله الفن فى صورة أخرى ، كاختلاف السن أو البيئة أو المصادفة المحضة . ولكن المهم ان كثيرا من الدموع تذرف على الحب الضائع . هذا الا اذا انقلبت الأمور ــ كما يحدث فى القصص الاكثر شعبية ــ فاصبح الشاب

الفقير وريثا لقريب مجهول ، أو تبين ان البنت الشحاذة هى الحفيدة الضائعة لنبيل عظيم .

أى ان الحب الرومنتسى يبدأ حلما ، وينتهى بحلم او بمأساة .

ولكن المجتمعات الحديثة كانت ـ فى الوقت نفسه ـ تسير نحو مزيد من الاعتراف بقيمة الفرد . وواضح ان فرصة التقدم الحقيقى فى السلم الاجتماعى لم تكن تتاح الا لأبناء الطبقات المتوسطة . هؤلاء حاولوا ان يعيدوا الميزان الى اعتداله الطبيعى بين الحب والزواج . ولكن ذلك كان يكلفهم كثيرا من التنازلات . كان عليهم ان يقصوا اجنحة الحب حتى يسكن فى الحظيرة التى قسمت له . ولذلك كان حب البورجوازية الصغيرة زريا مهينا . وحب البورجوازية الكبيرة مزودا بكمية كبيرة من النفاق . وكان جميع الأزواج « الناجحين » كأزواج دستويفسكى ، يكذبون على انفسهم وعلى الآخرين لتسير الحياة ، والصادقون فى الحب والحياة يعيشون على هامش المجتمع ، أو « تحت الأرض » وافرز الأدب الواقعى ، كما افرزت الحياة الواقعية مآسى بلا دموع ، مآسى الآمال الخائبة والقلوب الكسيرة .

ان الواقع لايمكن ابدا ان يكون مساويا للحلم ، والجمال فى الحياة والاحياء ، فى المادة والروح ، ومضة تزول ، ولكن الحب السعيد والزواج السعيد هو ذلك الذى يحاول دائما ان يستنزل الحلم الى ارض الواقع ، وان يبعث وميض البهجة فى العيون ، وهو دائما فى صراع مع الظروف ولكنه بخير مادام قادرا على الصراع .

والخوف من هذه التجربة ـ وهى تجربة تتطلب قوة فى الشخصية ـ كثيرا مايدفع الشاب او الفتاة ، فى عصرنا هذا ، الى الهرب من فكرة الزواج ، اى من العلاقة الكاملة بشخص من الجنس الآخر ، ولكن هناك عاملا آخر يباعد بين الحب والزواج ، وهو العامل الاقتصادى .

فالغريزة الجنسية تبلغ تمام نضجها فى الشاب والفتاة عادة قبل سن الخامسة عشرة بقليل ، ويكتمل نموها الجسمى قبل سن العشرين ، ولكنهما يظلان عاجزين عن احتمال اعباء الزواج وتأسيس الاسرة لمدة طويلة بعد ذلك . والملاحظ ان هذه الفترة بين القدرة ـ جسديا ونفسيا ـ على الزواج والتمكن من تحقيقه تطول باستمرار مع تزايد مطالب الحياة المدنية ، وانها فى المدينة اطول منها فى الريف ، وبين الطبقات الاعلى تعليما اطول منها بين الطبقات العاملة . خلال هذه المدة الطويلة يندر الا يتعلق الشاب بفتاة ، أو تتعلق الفتاة بشاب . وربما تنقلا بين علاقات متعددة ، بريئة او اقل براءة ـ اعنى انهما يمكن ان يقطعا شوطا ما فى تلك المرحلة التى تمهد للعلاقة الجنسية الكاملة . وربما كانت نية الزواج مستبعدة من البداية لاختلاف المستوى الاجتماعى فتكون العلاقة جسدية محضة ، اى انها تكون مبتورة مشوهة لافتقادها الجانب النفسى الذى يرفعها ويطهرها بالحب ، فضلا عن انها تظل ناقصة ( تجنبا للمشاكل ) فى اغلب الاحوال ، مثل غيرها ، من العلاقات التى تربط بين الشباب والفتيات فى هذه المرحلة . وان تكن اكثر جرأة واقل التزاما .

وعلماء التحليل النفسى يتحدثون عن التسامى بالغريزة والمتشددون الدينيون يذهبون الى تحريم الاختلاط بين الجنسين ( والدين لايحرم الا الخلوة بالاجنبية ، اى

## القفز على الأشواك

ان اختلاط الشبان والفتيات فى اماكن الدراسة والعمل والمناسبات الاجتماعية مباح مع الاحتشام فى الملبس والسلوك ) . ولكن لا الحمية الدينية ولاممارسة الفن أو الرياضة تكفى للسيطرة على الدافع الجنسي . ولذلك نرى كثيرا من البلاد « المتطورة » حضاريا تعترف بمبدأ « الصداقة » بين الجنسين ، مقدمة للزواج وبديلا عنه فى الوقت نفسه ، والاسلوب الأمريكى فى هذه « الصداقة » يتراوح بين مجرد المصاحبة وبين الملاعبة الجنسية التى يمكن ان تصل الى مدى بعيد وذلك كله مبنىّ على استعداد الطرفين . غير ان القوم يعترفون بأن « البكارة » ـ بمعناها الاصطلاحى فى الفتاة ـ فقدت اهميتها منذ مدة طويلة ، وكانوا لا يتشددون نوعا ما الا فى الانجاب غير الشرعى ، وفى بلد مثل انجلترا لم يعد ذلك مهما ـ ايضا ـ فالاسرة « ذات الوالد الواحد » معترف بها ولها من الحقوق فى الرعاية الاجتماعية ما للاسرة العادية . وعلى كل حال فقد كفلتهم اساليب منع الحمل هذا الهم حتى بلغوا من التسامح فى العلاقات الجنسية وتعددها حدا بعيدا ، ولم يوقفهم الا شبح « الايدز » الذى يعملون جاهدين للسيطرة عليه .

وهناك نمط اخر « للصداقة » بين الجنسين اشتهر به الفرنسيون ، ولكنه يوجد عند غيرهم ايضا ، وبكثرة ! وهو ان يقيم الرجل والمرأة فى مسكن واحد ويعيشا كزوجين امام الناس دون ان يكون بينهما عقد دينى أو مدنى سوى الايجاب والقبول ، والمعروف ان العقد المدنى يمكن ان يغنى عنه دليل مكتوب ، فالأمر فى هذا النوع من المعاشرة ـ وان كان بعضنا يستغربه ـ لايكاد يختلف عن الزواج العرفى الذى يلجأ اليه الكثيرون عندنا لظروف مختلفة ، وهو ـ بكل تأكيد ـ اقرب الى معنى الزواج من « زواج المتعة » ( اى الزواج لأجل محدد سلفا ) الذى يبيحه الشيعة .

### ● الزواج المبكر

وكل تلك اساليب لتجنب الالتزامات الاقتصادية التى يتطلبها الزواج ، وهى لاتغنى عن الزواج الصحيح ولاتحل محله ، بشرط تيسره ، وقد اصبحت « الاسرة الشابة » اكثر شيوعا فى امريكا ، وزادت نسبة الزواج فى فرنسا وانت اذا قرأت باب آداب النكاح فى كتاب احياء علوم الدين للغزالى ـ حتى اعفيك من الفقه وتعقيداته . وتفريعاته ـ وجدت ان الزواج الشرعى يكاد يلغى هذا العامل الاقتصادى الغاء . وليس فى حياتنا المدنية العصرية ما يمنع من ان يتزوج الشباب حين يبلغون درجة النضج الجسمى والنفسى التى تدعو الى ذلك ، كما كان يتزوج اهل الصدر الأول ، زواجا ينشأ عن حبّ ويدعمه الحب ، والحب من النظرة الاولى معروف عندكم فى القصص والروايات ، والنظرة الاولى مباحة مطلقا فى الأسلام ، ومندوبة مع نية الزواج .

فطول الفترة التى تسبق الزواج بين اثنين مرشحين له ـ سواء سميناها حبا أم صداقة أم خطبة ـ تضر بالزواج ضررا بليغا ، كما ان السرية التى تحاط بها هذه العلاقة عندنا تعلم الكذب والنفاق والخداع ( لذلك لايزال بعض الشباب عندنا يمتنع عن الزواج بالفتاة التى احبها ، لانها يمكن ان تخدعه كما خدعت اهلها حين احبته ) . ولعل افدح هذه الاضرار فى نظر الرجل هو العنة أو خوف العنة . و( الناس من خوف الموت فى موت ، ومن

خوف العنة فى عنة ) . وبسبب ذلك - نفسيا وفسيولوجيا - ان تعوده الملاعبة دون اتمام الفعل الجنسى يدخل الخلل على استجاباته الطبيعية ، النفسية والجسدية ، وربما احتاج إلى مدة ليعيد تكيف جهازه العصبى والنفسى لظروف الزواج، وربما عاوده هذه الوسواس حتى بعد ان تستقيم احواله ولاسيما ان النشاط الجنسى لايطرد على حال واحدة ، بل يزيد وينقص بحكم الطبيعة .

ومما يضاعف المشقة على الشاب ( وهو اشد تاثرا من الفتاة بهذه الأمور ) ان المثيرات الجنسية اصبحت جزءا من حياتنا العادية اليومية ثمة اناس فى مهن راقية ، مرموقة ، يتربحون من الجنس ، ولايرون فى ذلك - لاهم ولاغيرهم - مايدعو الى الخجل . دور الأزياء وماادراك مادور الأزياء ، نقصر هنا ونطيل هناك مرة ، ثم نطيل هناك ونقصر هنا مرة أخرى . نفتح مرة ماسددت فى المرة السابقة . ونسد مافتحت فهم يعلمون ان العرى الكامل ، حتى لو سمحت به قوانين « الآداب » ( اضحك ) لايثير كما يثير اللعب بالكشف والستر ، فضلا عن ان جمال الاجسام فى النساء شيء نادر ، ولعله اندر من جمال الوجوه ، فهم يخفون قبحه بالملابس ، ولايكشفون الا مايغر ويخدع . وانا شخصيا قلما اثارني - اتكلم عن الماضى ! - منظر النساء على البلاج ، بل كثيرا مابعث فى نفسى اشمئزازا شديدا . والاحتشام فى الملابس يرجع اولا واخيرا الى العرف ، ولكل مكان عرفه الخاص . ومع ذلك فبيوت الازياء تعبث ايضا باشكال المايوهات فتقدم الجميلات الاجسام كل مايرضى غرورهن من « البكينى » وعلى الشاب ان يتعلم بلادة الاحساس .

وهناك العاملون فى الاعلان ، وهؤلاء يستخدمون الصوت والصورة بدون رحمة - سواء فى الملصقات الكبيرة على الجدران - وكبر الصورة يوحى للمشاهد بالقماءة والعجز ، أم بالشرائط الناطقة على التليفزيون . وهناك اصحاب التمثيل ، ولاسيما السينما والتليفزيون ، فهؤلاء لايرجون الربح الا اذا اشتمل الفيلم على منظر أو اكثر لراقصات فى كباريه . أو لحبيبين فى مخدع . ولو كان الشاب يستطيع اذا اثر فيه منظر من هذه المناظر ان يأوى الى زوجة يحبها . لما كان هنالك خطر كبير . ولكننى اقول ايضا انه لو كان يستطيع ذلك لما وجدت هذه المناظر سوقا الا لدى المتبطلين المتفرغين للجنس .

الوضع الأمثل للعلاقة بين الرجل والمرأة هو الزواج المبكر . عن معرفة وحب . واذا قلنا « الوضع الأمثل » فليس معنى ذلك ان مشاكل الحب والزواج سوف تنتهى . فليس فى طوق الحياة الانسانية ان تكون بلا مشاكل . ولكننا نقول انها ستكون حياة انسانية صاعدة لاهابطة ، حياة كريمة تليق بالانسان .

ثمة اعتراض وحيد يمكن ان يثيره بعض الناس . وهو ان الزواج المبكر يؤدى الى زيادة النسل ، ومصلحة الوطن . فى الوقت الحاضر . تدعو الى تحديده ( ونحن نتكلم صراحة عن « التحديد » لأننا لانحب تلك العبارة المراوغة « تنظيم النسل » ) و الجواب ان تحديد النسل بمختلف الوسائل مباح فى شريعة الإسلام على ارجح الاراء . مادامت فيه مصلحة . ولاعبرة بما يقول المتفقهون او المتفيهقون ، من علماء الدين ، الذين يتوقفون فى المباحات ، ويسكتون على المنكرات ، هدانا الله وإياهم !

# مواردنا البشرية المهدرة

بقلم: د. جلال أمين

**في مطلع الخمسينيات جاء إلى القاهرة اقتصادى سويدى شهير اسمه راجنار نيركسه (R· NURKSE)، بدعوة من البنك الأهلى المصرى، وألقى مجموعة من المحاضرات، التى حازت بدورها شهرة واسعة، عن مشاكل الادخار وتكوين رأس المال فى الدول المتخلفة. جاءت فى هذه المحاضرات إشارة إلى مصر، وبالذات إلى حجم الفائض فى العمالة الزراعية، حيث أشار نيركسه إلى أن أكبر تقدير وصل إلى علمه لفائض العمالة الزراعية فى أى بلد فى العالم، هو ذلك الخاص بمصر، حيث قدّر هذا الفائض بما لا يقل عن النصف، أى أن نصف الأيدى العاملة فى الزراعة المصرية زائد عن الحاجة، ويمكن تحويله إلى قطاعات أخرى دون أن يتأثر الناتج الزراعى.**

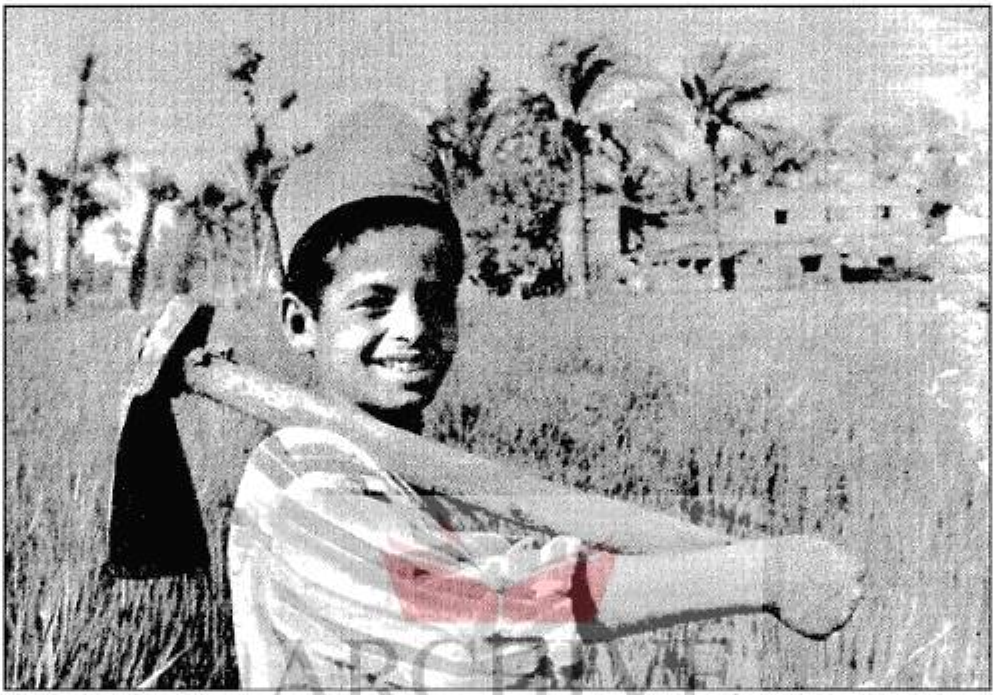
---

وردت إشارة نيركسه إلى هذا الفائض فى العمالة الزراعية المصرية، وهو بصدد شرح فكرة (أو نظرية) جديدة اقترنت باسمه وعرفت باسم (Saving Potential) أو ما يمكن ترجمته إلى العربية بعبارة "القدرة الكامنة على الادخار". هذه الفكرة، التى ربما كان من قبيل المبالغة وصفها بالنظرية، لفتت الأنظار وقتها وكثر التعليق عليها. وإذا كان قد وجه إليها كثير من الانتقادات والاعتراضات، فإن هذه الانتقادات لم تمس منطقها الأساسى وإنما كانت تتعلق فقط بالصعوبات العملية التى تواجه تطبيقها فى الواقع.

فإذا عدت إلى ذكرها اليوم، فإنما يرجع السبب إلى أن هناك فى الواقع الاقتصادى لمصر اليوم ما قد يجعل لإثارتها من جديد بعض الفائدة.

وإذا كان تطبيقها العملى لا يزال يثير نفس الصعوبات، فإن ما تحتويه من خيال قد يكون مطلوبا اليوم عندما تشتد بنا الأزمة الاقتصادية، وتضيق علينا الخناق. بل إنى أحيانا أقول لنفسى إن المنطق القائم وراء هذه الفكرة، قد

---





يتضمن في الواقع أمل مصر الوحيد في العدم الاقتصادى .

● **الاستهلاك المبتّد**

تتلخص فكرة نيركسه فيما يلي : إذا صحّ أن بلدا ما لديه فائض في الأيدى الزراعية في القطاع الزراعي ، قد يصل إلى ٥٠٪ من اجمالى الأيدى العاملة الزراعية ، بحيث يمكن الاستغناء عنه دون أن يتأثر الانتاج الزراعي ، فإن من الصحيح أيضا أن هؤلاء الملايين الفائضين عن الحاجة يأكلون ويشربون ويلبسون ويسكنون المنازل وقد يذهبون إلى المدارس ويتلقون خدمات صحية ... الخ ، شأنهم شأن أقرانهم المساهمين مساهمة فعلية في الانتاج . بعبارة أخرى ، إن عجز طائفة من القوة العاملة عن المساهمة في الانتاج لا ينفى أنهم مع ذلك مستهلكون . هذه السلع والخدمات التي يستهلكونها هي ما يمثل في نظر نيركسه " القدرة الكامنة على الادخار " ، بمعنى أن توجيه هؤلاء المستهلكين غير المنتجين إلى قطاعات

اقتصادية أخرى ، أو تشغيلهم فى أعمال منتجة داخل قطاع الريف نفسه قد لا يتطلب أى إنفاق جديد عليهم ، طالما أن الأجور التى سوف نحتاج لدفعها لهم ، يمكن الا تزيد عن قيمة ما كانوا يستهلكونه بالفعل . بعبارة ثالثة : فلننتقل هؤلاء الزائدين عن الحاجة من أوجه " النشاط " التى لا ينتجون فيها إلى أوجه أخرى للنشاط المنتج فعلا ، دون أن نحتاج إلى أن ندفع لهم أكثر مما كانوا يستهلكونه فى مواقعهم القديمة .

فلنستخدمهم مثلا فى رصف الطرقات ، أو تطهير قنوات المصرف ، أو شق قنوات رى جديدة ، أو بناء المصانع ، فيضيفون إلى حصيلة المجتمع من رأس المال دون أن يضطر المجتمع إلى التضحية بأى نشاط آخر ، طالما ظلت أجورهم مساوية لقيمة استهلاكهم القديم . سوف يتطلب الأمر ،بالطبع فرض ضريبة (بصورة أو بأخرى) على الباقين فى النشاط الزراعى الذين سوف يزيد ما بحوزتهم من سلع بعد رحيل أقرانهم الزائدين عن الحاجة ، وذلك حتى يتسنى ، عن طريق هذه الضريبة ، منع زيادة استهلاك الباقين فى الزراعة ، وتمويل هذا التشغيل الجديد للمسحوبين من الزراعة إلى قطاعات أخرى .

● اعتراضات وتحفظات

الفكرة جذابة بلا شك ، مهما وجه إليها من اعتراضات عملية تتعلق بما يواجه هذا الادخار المحتمل من " تسرب " .

إن هناك من قال مثلا إنه ليس من السهل فرض ضريبة على الأشخاص الباقين فى الزراعة الذين يتسم مستوى استهلاكهم بالتدنى الشديد ، ومن ثم سوف يكون من الصعب جدا منعهم من رفع مستوى استهلاكهم لدى رحيل أقرانهم إلى قطاعات أخرى . وهناك من قال إنك لابد مضطر إلى رفع أجور هؤلاء العمال الذين قمت بنقلهم من قطاع إلى آخر ، تفوق مستوى استهلاكهم الأصلى ، بسبب ما يبذلونه الآن من جهد إضافى ، وبسبب اضطرارك إلى حفزهم إلى هذا الانتقال برضاهم ، مالم تلجأ إلى أعمال القسر والسخرة المقيتة . وهناك من قال إن هذا النقل للعمال من مكان لآخر له نفقاته التى يتعين تدبيرها ، كنفقات بناء مساكن جديدة لهم فى مكان عملهم الجديد .. الخ . كل هذا صحيح ، ولكن ما زال المنطق الأساسى وراء الفكرة صحيحا : إن لديك من يستهلك دون أن ينتج ، ومن الممكن توجيهه إلى نشاط منتج دون أن تحتاج إلى مدخرات جديدة كبيرة ، فاستهلاكهم القديم هو نفسه ادخارك الجديد أو على الأقل يمثل جزءا هاما من هذا الادخار الجديد .

● الموارد البشرية المهدرة فى مصر

عادت إلى ذهنى هذه النظرية القديمة لنيركسه وأنا أتأمل التوزيع السكانى الجديد لمصر بين القطاعات الاقتصادية ، والتوزيع العمرى لسكان مصر بعد مرور ٣٥ عاما على عرض نيركسه لفكرته . لم يعد من الممكن الآن الحديث عن وجود فائض بهذا القدر فى الأيدى العاملة فى

القطاع الزراعى ، بل قد يستحيل القول بوجود فائض عمل فى القطاع الزراعى على الاطلاق ، مع تيارات الهجرة الواسعة التى لحقت بالريف المصرى منذ منتصف السبعينيات ، إما إلى بلاد النفط ، أو إلى المدن المصرية للحلول محل من هاجر إلى بلاد النفط ، ومع انتشار التعليم فى الريف المصرى خلال العقود الثلاثة الأخيرة الذى ساهم بدوره فى تقليص حجم المعروض من العمل .

ومع ذلك فإن لدينا قطاعات أخرى ، غير الزراعة ، تعج بالفائض من الأيدى العاملة التى لا تساهم مساهمة تذكر فى الانتاج . هناك بالطبع القطاع الحكومى الذى زاد عدد العاملين فيه بدرجة مذهلة خلال العقود الثلاثة الماضية بحيث أصبحوا يشكلون نحو ثلث إجمالى القوة العاملة المصرية . والقطاع الحكومى ، كما نعرف ، زاخر بالبطالة المقنعة . وهناك قطاعات الخدمات الأخرى غير الحكومية التى يتسم كثير منها بانخفاض شديد فى إنتاجيتها خاصة فيما يسمى بالقطاع غير الرسمى ، كتجارة التجزئة الصغيرة والباعة المتجولين وماسحى الأحذية وبائعى الصحف وغيرهم من القائمين بأعمال " رثة " ، قليلة العائد وضعيفة الناتج . هناك أيضا المتبطلون بطالة مكشوفة الذين قدرت نسبتهم أخيرا إلى اجمالى القوة العاملة مما يتراوح بين ١٠٪ و١٥٪ .

هذه الطوائف الثلاث : موظفو الحكومة ، والمشتغلون بخدمات قليلة الانتاجية فى القطاع غير الرسمى ، والمتبطلون بطالة مكشوفة ، تزيد نسبتهم بكل تأكيد على ٥٠٪ من إجمالى قوة العمل المصرية . فإذا افترضنا ، وهو ما قد لا يبعد كثيرا عن الحقيقة ، أن نصف هؤلاء يمكن توجيههم إلى أعمال منتجة دون أن نخسر شيئا فى مجال " عملهم " الأصلى (مع إعادة تنظيم بسيطة لأوجه " نشاطهم " الأصلية) كان معنى هذا أننا نستطيع أن نزيد العمل البشرى المنتج فى مصر بنحو الثلث على الأقل دون الحاجة إلى موارد مادية جديدة (اللهم إلا ما نحتاجه لمواجهة مختلف أنواع " التسرب " التى أشار إليها ناقدو فكرة نيركسه وسبق أن أشرنا إليها) .

● التعليم : استهلاك أم استثمار ؟

ولكن هناك موردا بشريا آخر لم نذكره ويجب أن يضاف إلى ما سبق ، ويتعلق بذلك الجزء من السكان الذى لايدخل فى عداد القوة العاملة ولكنه قادر على العمل ، وأقصد به طلبة المدارس والجامعات الذين تزيد أعمارهم على ١٥ سنة ، وهم بالطبع مستهلكون ، وقد يشمل استهلاكهم أحيانا ، ليس فقط الطعام والمسكن والملبس الضرورى بل وأيضا السيارات الفارهة ومختلف أدوات الترف والاستهلاك المظهرى . إن استهلاك هذه الطائفة قد يصح اعتبار جزء كبير منه من قبيل الاستهلاك الضائع والمبدد رغم انشغال أصحابه فى الدراسة وذلك فى ظروف اقتصاد مريض كالاقتصاد المصرى . فقد يجوز القول إنه فى ظروف مثل ظروفنا ، تتحول كثير من أنواع الدراسة إلى ترف بدلا من أن تكون ضرورة ، وذلك حينما تكون مساهمتها فى الانتاج ، حتى فى الأجل الطويل ، غير ملموسة . هذا النوع

# مواردنا البشرية للهدرة

من التعليم قد يكون استهلاكا محضا بدلا من أن يكون استهلاكا واستثمارا فى نفس الوقت ، كما يجب بالفعل أن يكون . ومن ثم فقد ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من صور الاستهلاك المبدد الذى يجب تحويل أصحابه إلى أعمال منتجة حقيقية .

● **الطفولة اختراع حديث .**

لا أتذكر أين قرأت أن " الطفولة " نفسها هى اختراع من اختراعات الدول الصناعية المتقدمة ، التى تستطيع أن تتحمل امتداد فترة الدراسة سنوات طوالا ينقطع خلالها الطالب عن تقديم أية مساهمة للانتاج دون أن ينقطع بالطبع عن الاستهلاك . لم يكن الأمر كذلك قبل الثورة الصناعية إلا فى حدود ضيقة للغاية حيث كانت أسرة العامل الزراعى البسيط تتوقع من الابن أو البنت أن يبدأ فى المساهمة فى الانتاج وكسب العيش بمجرد أن يبلغا الحد الأدنى من القدرة المادية والذهنية . وهى ظاهرة لا تزال نشاهدها ، وإن كانت آخذة فى الزوال ، فى أسر طبقتنا الفقيرة التى لا زالت تتوقع من الابن أو البنت أن يساعدا والديهما فى مختلف الأعمال داخل المنزل وخارجه ولا يتحمل منهما تذمر مما يطلب منهما من أعمال لا يتصور أن يقبل القيام بها أقرانهما فى البلاد الثرية .

إن التجربة التى طبقتها وزارة الثقافة فى مصر منذ سنوات قليلة ، من تشغيل مئات من الطلاب فى إعادة طلاء وتجميل وصيانة القلعة هى مثال جيد لما أقصده بمجالات العمل المنتج التى يمكن توجيه الطلبة المصريين إليها دون أعباء مادية تذكر . ويمكن أن نضيف إليها أعمالا مماثلة كتمهيد الطرق وصيانتها ، ومحو الأمية ومختلف الأعمال الإنشائية التى تحتاج إليها منطقة بكر كسيناء ، من حفر الآبار إلى إعداد الأراضى للزراعة إلى أعمال البناء ومن خطوط الكهرباء وشق طرق جديدة وغرس أشجار النخيل ... الخ .

إن تطبيق هذه الفكرة التى أسماها نيركسه "بالقدرة الكامنة على الادخار" على بلد مثل مصر ، غنى بموارده البشرية ولكنه فقير إلى رأس المال ، تصادفها بالطبع مختلف العقبات ولكن هذه العقبات من النوع الذى يحتاج إلى محض الارادة القوية لتخطيه وتجاوزه . ولكن الارادة القوية تحتاج بدورها إلى إيمان بجدوى الفكرة والحماس لها ، وهذا الايمان وهذا الحماس نفسه هو الذى يمكن أن يخفض إلى الحد الأدنى من مختلف "التسربات" التى أشرنا إليها والتى تضعف من القيمة العملية للفكرة ، إذ كلما زاد الحماس قلت الحوافز المادية التى نحتاج إليها لدفع الناس إلى العمل المنتج .

قلت فى بداية مقالى إنى أحيانا أشعر بأن مثل هذا المنطق هو الذى يمثل الأمل الوحيد لتحقيق النهضة الاقتصادية فى مصر . ذلك أنه كلما اشتدت الأزمة احتاج الأمر إلى تفكير من نوع جديد ، وكلما قلت الموارد المتاحة كلما ارتفعت قيمة الخيال والارادة .

# لغويات

● تقول العامة : « فلان شخص هايف » .. أى تافه قليل الأهمية .. وفى اللغة : هاف الزرع ، أى ذبل وذوى ولم ينتج محصولا ، وزرع هائف ، أى بلا محصول أم بمحصول ضئيل .. وهكذا يكون الشخص الهائف والزرع الهائف سيين .. « ملحوظة : كلمة « سيان » « تصبح سيين » حين تقع منصوبة ، وهى هنا خبر كان .. أى منصوبة » ..

● حين أعلن وقف إطلاق النار بين العراق وإيران انتشر فى الصحف قولهم : « وضعت الحرب أوزارها » .. أى اثقالها ، أى الأسلحة .. وأصل الاوزار مايحمله الانسان من ثقل على ظهره أو كاهله ، فسميت الأسلحة أوزارا ، لأن الناس يحملونها .. والمفرد « وزر » بكسر الواو .. وفى القرآن الكريم : « ولاتزر وازرة وزر أخرى » .. أى لا تحمل ثقل أخرى .. أى لايؤخذ إنسان بذنب انسان آخر ..

● يكثر قولهم : « أضغاث أحلام » .. والمعنى : « أخلاط أحلام » .. والأصل فى هذا التعبير أضغاث الحشيش ، أى الأعشاب يجمعها المرء من المرعى أو الحقل فتختلط فيها أنواع مختلفة من نباتات المرعى .. والمفرد : ضغث ـ بكسر الضاد ـ وهو ملء الكف من الحشيش أو العشب .. وأضغاث الاحلام هى الأحلام الكاذبة ..

● وفى القرآن : « إنى أرانى أعصر خمرا » .. أى استخرج الخمر من العنب .. وكانت العرب تستعمل كلمة « الخمر » بمعنى « العنب » والعنب بمعنى الخمر .. حكى الأصمعى عن بعضهم قال : لقيت أعرابيا فصيحا ومعه عنب فقلت له : ما معك ؟ .. قال : « خمر » .. أى عنب ، وقال الشاعر المعاصر :

بعثت فينا الكئوس الطربا
أغناء نستقى أم عنبا ؟ !

يعنى أن الطرب ينبعث فى النفس من الكئوس ، كأنما العنب أو الخمر غناء مذاب يملؤها ونحن نستقيه ! ..




# نغم
# "عيد المولد النبي"

بقلم : صافي ناز كاظم

عندما كان عمرى ست سنوات توفى والدى ، لكنى لم اعرف اننى حصلت بهذا على لقب «يتيمة» ، إذ لم اعرف الكلمة ومعناها الا عندما جلست جدتى رحمها الله لتحكى لنا قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالت : كان يتيما ! مات ابوه قبل ان يولد وماتت أمه وعمره ست سنوات ، ومات جده وعمره ثماني سنوات . وقلت لجدتى : هل يجب ان يموت كل هؤلاء ليكون الانسان يتيما ؟ قالت : هناك يتيم الاب ، وهناك يتيم الأم . وشعرت بزهو غامض لان هناك شيئا يجمعنى بطفولة الرسول الحبيب .

● وكنت احرص فى صلاتى على ان اردد سورة : «والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث ، صدق الله العظيم . وكانت عيناى تغرورقان بالدموع عند : ألم يجدك يتيما فآوى ، ويأخذ صوتى رنة الحسم عند : فأما اليتيم فلا تقهر !

تعودنا منذ الطفولة أن نحتفل بمولد النبى صلى الله عليه وسلم : الحلوى والعرائس والزينات وبرنامج خاص فى ركن الأطفال بالاذاعة . لم يكن الاحتفال فى يوم من الأيام مبالغا فيه أو صاخبا مثل احتفالات الغرب بالكريسماس او عيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام ، ولذلك عندما ترتفع فى بعض الأحيان نغمة متجهة تنادى بعدم الاحتفال بمولد النبى بحجة أن هذه بدعة ، أتجهم بدورى : إن الذكرى بهيجة فعلا ومولد الرسول يبعث على الفرح حقا . فكيف تكون بدعة أن نفرح وهو أمر لا حيلة لنا فيه ؟

آمنة بنت وهب وخديجة بنت خويلد : صديقتان .

هذه تزوجت عبد الله بن عبد المطلب وتزوجت خديجة من آخر . قد تكون آمنة اكبر فى العمر قليلا وقد لاتكون ، لايهم . المهم أن آمنة بدأت الميلاد وأكملت خديجة الاحتضان .

● شخصية وديعة

حين أتصور آمنة بنت وهب أتصور امرأة ذات جسد نحيل ووجه هادىء مائل الى البياض وعينين عسليتين صافيتين واسعتين وشعر ناعم منسدل وجزء منه يغطى جبينها العريض النبيل . وأتصور صوتها خفيضا قليل الكلمات ، أتصورها شخصية وديعة تزوجت فى هدوء لأيام قليلة ثم سافر زوجها الشاب حبيب أبيه وتركها دون أن يعلم انها تحمل له جنينا . لايعود الزوج المسافر ثم يأتى النبأ الحزين آمنة فأتصورها تتلقاه بالحزن الموجع العميق الذى لايصدر أنة ولايطلق صراخا ، وتتحسس حملها دون أن تدرى إنه ما حفظه الله فى الغيب منذ آدم ليكون نبى آخر الزمان ، حيث لانبى ولارسول من بعده .

فى عام يسمى عام الفيل تلد آمنة فى يُسر طفلا وضيئا تحمله الجارية بركة الى جده عبد المطلب ، الذى يأخذه ليطوف به الكعبة يعلن عن فرحه ويسميه محمدا . فى الفترة نفسها تقريبا تلد زوجة شابة لعبد المطلب طفلا آخر يسميه الحمزة : عم الرسول الكريم وصديق طفولته وأشجع من آمن به وسلم برسالته . ويقولون فى الكتب ان فرحة عبد المطلب بمحمد كانت اشد من فرحته بالحمزة ، لعل ذلك صحيحا لكن المؤكد ان الشيخ الجليل كان فرحا فرحا بالغا بمحمد الذى عوضه فقدان ابنه الحبيب عبد الله .

انصرفت المرضعات عن الطفل اليتيم

# نعم: عيد مولد النبى

لكن بركة جارية آمنة استطاعت أن تجد له حليمة السعدية . كانت حليمة كذلك مرضعة فقيرة انصرفت عنها الأمهات فتجانس الطفل اليتيم مع المرضعة المتروكة ليضع الله الخير فى الاطار الذى يقدره ويحتاجه . وعم الخصب بيت حليمة وفاضت البركات ثلاث سنوات حتى عاد الطفل المبارك إلى أمه موفورا صحة وعافية . لا ادرى هل كانت آمنة تراه اثناء تلك السنوات الثلاث التى قضاها عند حليمة ام كان انقطاع كلى عند المرضعة فى البادية ، لكننى على كل حال عندما اتأمل فى تلك العادة العربية بأخذ الأطفال بعيدا عن الأمهات السنوات الثلاثة الاولى من عمرهم ، أجدها عذابا للام وحرمانا لها من لذة ارضاعه بنفسها ولذة رؤيته ينمو أمام عينيها يوما بعد يوم ، ولا أدرى كيف تحملت آمنة البعد عن محمد .

● معجزات فى الطفولة

حكت حليمة لآمنة المعجزات التى رأتها تحدث للطفل المبارك وابتسمت الام الهادئة ولعلها تصورتها حكايات يصوغها الحب وينسجها الخيال ، لكنها لم تكن تعرف أنه فى يوم مولده المشرق تصدع إيوان كسرى فى بر الشام ولم تكن تعرف انه يصنع على أعين الله لحظة بلحظة

ودقيقة بدقيقة فى كافة أطوار حياته .

تمتعت آمنة بطفلها ثلاث سنوات فقط فى حضانتها ثم مالبثت أن فاجأها المرض فى رحلة العودة ومعها صغيرها الذى اخذته ليزور أخواله ، وماتت آمنة فى الطريق الى مكة ودفنت بمنطقة كان الرسول حين يمر عليها فيما بعد : تد عيناه

● ● ●

كأن الصغير كان ينضج على الألم فقدان الأب الذى لم يره ثم الام التى لم يلبث فى حجرها سوى ثلاث سنوات ، ولم يبق له من الحنو سوى جده الكبير الطيب عبد المطلب وجارية أمه بركة ـ التى صار اسمها فيما بعد أم أيمن ـ ومرضعته حليمة التى لم تقطع صلتها ابدا ، فهو طفل لاينسى لأنه ، كما رأت وسمعت وتأكدت ، ليس ككل الاطفال . ويمر عامان ويموت الجد ويقف محمد ابن الثامنة صبيا يعرف أن رجولته المبكرة قد بدأت .

● ● ●

« ألم يجدك يتيما فاوى » ؟

يأويه عمه أبو طالب ـ الشقيق الوحيد لابيه عبد الله ـ كثير العيال محدود الرزق لكنه الكريم الشهم ، يحب محمد ويرقبه فى اعجاب ، لايضجر منه لا هو ولا أمرأته ولايتأففان ، ويبدا محمد فى رعى الأغنام فلا يكون بعمله عالة على احد . ويشب يافعا ومعه تلك

الرجولة التى ميزته منذ صباه بالصلابة والثقة والامانة والصدق وشجاعة قول الحق . والرهافة والحياء اللذين تناقضا تناقضا بينا مع فظاظة قريش وغلاظة الجاهلية . به الجميع وانس اليه الغرباء ضعفاء من العبيد والمساكين .

وصاغ الله سبحانه وتعالى الميقات الذى يلتقى فيه محمد بخديجة : سيدة أمه القديمة والارملة التى مات لها زوجان وبقى لها ثلاثة ابناء . ثرية رشيدة فى قومها . شابة فى الاربعين . حين أتصورها أراها لا بالطويلة ولابالقصيرة ، ممتلئة قليلا امتلاء القوة والخصوبة والحيوية . صبوحة الوجه باسمة الثغر قوية الاحتمال . يقف عندها الانسان بين الاحساس بالالفة مع الهيبة والاحترام . اتصور لها صوتا له رنين فيه الأمومة والندى . لها ثقة بالنفس تنبع من خبرتها ومعرفتها بالصحيح والسليم والذى يجب ان يكون . لها حضور بارز فلا يمكن أن تخطئها فى جمع فهى قيادة تجمع بين الذكاء والقلب الفياض بالعطاء والمحب له . هذه السيدة صاغها الله سبحانه وتعالى لتكون سكن الرسول التى تشد عضده وتؤازره فيما سوف يلقى على كتفيه من أمانة وأعباء لاتقبلها الجبال .

« ووجدك عائلا فاغنى »

يلتقى محمد صلوات ربى وسلامه عليه بالسيدة المثلى . يتاجر لها ويربح ويكسب حبها وثقتها ولاتتردد فى أن تخطبه لنفسها فهو الكفء الذى يليق بسيدة مثلها ، ولامعنى لفارق العمر بينها وهى فى الاربعين وبينه وهو فى الخامسة والعشرين ، فلقد قاسته بالحكمة والنضج والنبل ووجدت أنها لاتستشعر تفوقا بمالها او نقصا بكهولتها ، ولكنها . عندما ألقى الله محبة «محمد» فى قلبها قدرته بمعيار «الندية» فوجدته اكبر منها وأجل وأثرى فسقط المعياران : المادى والزمنى اللذان لم يكونا سوى صنم من الوهم خضع له الناس فى عجز وغباء .

عاشت خديجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين عاما ، خمسة عشر قبل البعثة وعشرة بعدها وأنجبت له وحدها دونا عن نسائه جميعا ـ باستثناء مارية القبطية ـ البنات والأولاد . انجبت زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والطيب والطاهر وضمت فى بيتها فوقهم على بن ابى طالب ترعاه وتحنو عليه .

وعلى مدى خمسة عشر عاما عرفت خديجة ، حتى قبل النبوة المعلنة ـ نزعة التأمل التى تميز بها محمد الامين منذ طفولته وصباه ، ورأتها تتعمق فى شبابه ورجولته نحو كهولته المتوجهة لتنفيذ امر الله يبعثه بالحق بشيرا ونذيرا . وتبينت خديجة منذ البداية انها حاضنة تلك الشمس التى رأتها فى رؤياها تخرج من منزلها فتنير الدنيا . راقبت انكاره للأصنام حجارة وبشرا ووجدته يأخذها ليلوذا معا بـ « مكارم الأخلاق » التى بقيت من تعاليم

# نعم: "عيد" مولد النبي

ابراهيم واسماعيل ، حتى يلزم نفسه بعزلة يتفرد فيها بنفسه في غار حراء في جبل موحش على بعد ميلين من مكة في رمضان على مدى ثلاث سنوات قبل نزول الوحي .

دبر الله سبحانه وتعالى هذه العزلة للرسول المنتظر يتطهر اعدادا له لحمل الامانة الكبرى يعطيه خلالها الرؤيا الصادقة في النوم وعلامات النبوة تتقارب لاينقصها إلا أن تتم باللقاء الصريح بين روح الله الأمين والنبي الرسول المختار ليكون آخر وخاتم الانبياء والمرسلين حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وحين يظهر جبريل عليه السلام يقول باخبار وتعليم ووضوح : « يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل » تتلقى خديجة الخبر بكلماتها الخالدات : « ابشر يا ابن عم واثبت . فوالذي نفس خديجة بيده ، انك لنبي هذه الأمة والله ! لايخزيك الله ابدا » .

مبادرة فورية بالعطاء وانحياز حاسم ويقين بالتكليف الالهي للنبي المختار . وعي لا رجعة فيه أن التصديق بهذه الدعوة معه الفداء بلا حدود ، بيعة خالصة لله ولرسوله امام وعد حق من الله سبحانه وتعالى : انه اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .

● ● ●

ويسجل الزمن الاسلامي أسماء المؤمنين الأوائل : أول النساء خديجة ، أول الرجال أبو بكر ، أول الصبيان علي بن ابي طالب ويبدأ السرب الطويل من المؤمنين يمتد وينتشر . ونسترجع حياة محمد منذ بدأ الوحي والتنزيل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » حتى سورة النصر ، آخر ما نزل من القرآن الكريم : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » عبر ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة في مكة وعشر في المدينة ، في البداية جهاد بالصبر وتحمل الأذى ، حصار في شعب أبي طالب وجوع ، تربص ثم هجرة ، ثاني اثنين ، لاتخف ان الله معنا ، أمر بالقتال مثابرة ورباط ، نصر في بدر ثم هزيمة في أحد ، أحزاب تتحالف على بغض «محمد» ـ بأبي أنت وأمي وفداؤك روحي يا «محمد» ـ و «محمد» يرقب صحبه : « .. هذا ما وعدنا الله ورسوله .. » المسلمون يمتحنون : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا .. » . ويعود النصر ويبشر الرسول المسلمين في حجة الوداع : « ... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ... » وتدمع أعين المؤمنين .. وتخفق القلوب الى اليوم : إنهم في رباط الى يوم القيامة دفاعا عن هذا الدين الذي بزغ نور رسوله في اليوم «العيد» الذي لاينسى : الثاني عشر من ربيع الأول !

# محمد رسول الله

شعر:

محمد عبد الرحمن صان الدين

مازال نورا فى العيون ... بالرغم من مر القرون
مازال لحنا فى شفاه ... الدهر سحرى الرنين
تشدو به الاجيال وهى ... تمر فى فلك السنين
تياهة نشوى بما ... نهلته من احلى معين
كشفت بمولده يد الاقدار ... عن سر دفين
قد ظل ذخرا فى ضمير ... الغيب حينا بعد حين

●●●

انقام ذكرى الذى ... ذكراه فى نبض الوتين ؟
فى كل آن وصفه ... نغم يهز الذاكرين
خفاقة ارواحهم ... تهفو اليه من الحنين

●●●

هذا هو القرآن آيته ... منار الحائرين
ما جال بين رياضه ... عات غدا فى الجاحدين
الا وخر مسبحا ... مستعبرا فى الساجدين
هل ثم دستور سواه ... حكمه فى الناس دين
يقسو ليزدجر البغاة ... على الضعاف الامنين
ويخط منهاج الحياة ... منزها عما يشين
ليعيش بين ظلاله ... الانسان مرفوع الجبين

●●●

ياليت من عشيت بصيرته ... السقيمة يستبين
ليت المعنى يستريح ... بواحة الدين الحنون
فتمس اجنحة السكينة ... قلبه الدامى الحزين

●●●

يا ايها الشمس التى ... بهرت عيون الناظرين
واستشعر الانسان فى ... اكنافها دفء اليقين
لا دورة الافلاك تجمل ... ضوءها فى الافلين
كلا ولا يتنابها ... ما يحجب النور المبين
بالنفحة القدسية ... من فيض رب العالمين
كانت على الازمان روحا ... فى صدور المؤمنين
وبدا تكفكف بالحنان الثر ... دمع البائسين
صلى عليك الله ... والثقلان والروح الامين

# الغرب والحضارة العربية

بقلم : د . محمد عمارة

عندما كان الغرب بسبيل نهضته ، التى اخرجته من عصوره الوسطى والمظلمة ، وانفتحت قوى هذه النهضة على حضارتنا العربية الاسلامية ، وجدنا قانون التفاعل الحضارى عاملا عمله الطبيعي . فكان التمييز بين ما هو « مشترك إنسانى عام » فتبنوه ، وانطلقوا منه ، واضافوا إليه إبداعهم الحضارى العملاق .. وبين ما هو « خصوصية حضارية » للعرب والمسلمين ، وقفوا منه موقف الحذر والشك ، والرفض والعداء ، بعد ان عرضوه على « خصوصيتهم الحضارية » التى ميزت الحضارة الغربية ، وطبعتها بما ميزها منذ تراثها اليونانى وحتى عصرها الحديث ..



● لقد اقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة العربية الاسلامية من العلوم الطبيعية .. علوم المادة وظواهرها وخصائصها .. علوم التمدن المدنى والعملى .. من مثل علوم : الطب ، والصيدلة ، وقواعد النظافة العامة والخاصة ، وعلوم الزراعة والنباتات ، والحيوان ، وفنون وعلوم الحرف والصناعات ، والتجارة والمواصلات ، ووسائل الاتصال ، وفنون القتال واستحكامات الحرب ، وطبقات الأرض وانواعها - [ الجيولوجيا ] - والمعادن ، والبصريات والمناظر ، والكيمياء ، والفلك ، والرياضيات ، من جبر وهندسة ، وحساب - بفروعه - والميكانيكا - [ الحيل ] - والجغرافيا ، والرحلات ، وعلوم البحار والملاحة فيها .. الخ .. الخ .. الخ ..

كذلك اخذ الغرب عن علمائنا

# الإسلامية

وحضارتنا الابداع فى « المنهج التجريبى » ، الذى تجاوزنا به نطاق « القياس الأرسطى » إلى الملاحظة والاستقراء والتجريب .. فكان ثورة إنسانية فى صناعة الفكر نقلت العلوم والمعارف إلى « كيف جديد » ..

لقد أخذوا ما سبق ان أخذناه نحن عن اسلافهم اليونان ، وغيرهم من الفرس والهنود ، وما أخذناه عن مدرسة الإسكندرية من « علوم الصنعة » ، مضافا اليه ابداع حضارتنا ونقدها وإضافاتها الى هذا الموروث .. فلقد كان ذلك جميعه من « المشترك الانسانى العلم » ..

أما فيما هو « خصوصية حضارية » عربية إسلامية ، مما يتصل بالانسانيات الاسلامية ، سياسة واجتماعا واقتصادا وفلسفة وانماطا خاصة فى الذوق والسلوك والقيم والمثل والأعراف .. الخ .. الخ .. فكل ذلك قد تحفظ عليه الغرب الناهض ، وذلك حتى يكون انفتاحه على حضارتنا ، كافلا إضافة مصادر القوة ، وحافظا - فى ذات الوقت - على حضارته هويتها و« بصمتها » وخصوصيتها التى تميزت بها عن غيرها من الحضارات ..

لقد اجمعت واجتمعت تيارات فكر النهضة الغربية على رفض ابرز خصائص حضارتنا العربية الاسلامية .. خصيصة « التوحيد » .. وخصيصة « الوسطية » .. وخصيصة « التدين » - بالمعنى الشامل والعميق .. اى أنهم قد رفضوا هويتنا الحضارية ، كى يحفظوا لحضارتهم الناهضة هويتها ..

ورفض هذه الهوية الاسلامية ، هو الذى ميز الحضارة الغربية الحديثة بطابعها الاصيل : الطابع المادى .. وتبنى « الثنائية - الانشطارية » فى الكثير من القضايا والسمات التى اهتدت فيها حضارتنا - بالوسطية - إلى « التوازن التوحيدى » ..

● لم يأخذوا توفيق حضارتنا مابين « الحكمة » و« الشريعة » .. فتميزت حضارتهم بالثنائية التى أخرجت التدين من اطار العقل ، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين .. والتى قسمت الفلسفة والفلاسفة إلى « ماديين » و« مثاليين » بثنائية « الفكر » و« المادة » ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا الحضارية فى علاقة « الدين » بـ « الدولة » .. فكانت « علمانيتهم » فصلا للدين عن الدولة ، وتحريرا لعلوم الدنيا من الروح الايمانية .. فى مقابل « الكهانة » التى سبق والفت الطابع المدنى المتطور للدولة والدنيا وعلومهما ، لحساب « المقدس - الثابت » ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا فى التوفيق بين « الفرد » و« المجموع » ..

فكانت « ليبراليتهم » انحيازا للفرد ، بإطلاق ، ضد المجموع ، بإطلاق .. وعلى عكس ذلك تماما كانت « شموليتهم » .. حدث ذلك في « الفكر السياسي » وايضا في « الاقتصاد والمال » ..

● ولم يأخذوا بخصوصيتنا الحضارية التي ربطت الأعمال بالحكمة منها – والوسائل بأخلاقية الغايات المبتغاة من ورائها – والدنيا كلها بدار الحساب والجزاء .. فكان اهتمامهم باللذة والشهوة واللحظة .. وكانت سياستهم – الميكيافيلية – « فن الممكن من الواقع » ، بصرف النظر عن الأخلاق .. على حين كانت السياسة عندنا هي « الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد » ! ..

● ولم يأخذوا خصوصيتنا التي وازنت بين « سيادة الله » و« سلطان الأمة » في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران .. لأن حضارتهم قد جعلت الإنسان « سيد الكون » فأطلقت ديمقراطيتها العنان لسلطة الشعب من كل إطار ديني وقيد سماوي ، حتى ليجوز للأمة فيها ان تحل الحرام وتحرم الحلال – على حين وازنت خصوصيتنا الحضارية بين « سيادة الله وحاكميته » – المتمثلة في مقاصد الشريعة الإلهية وحدودها – وبين « سلطان الأمة وسلطاتها » – المتمثلة في حريتها المحكومة بإطار الشريعة ومقاصدها .. لأن حضارتنا قد تميزت عن حضارتهم في تحديدها لمكانة الإنسان في الكون .. فهو ليس « سيد الكون » ، وإنما هو « سيد فيه .. وخليفة » عن سيده ، سبحانه وتعالى ! ..

● ولم يأخذوا خصوصية نظام الخلافة الإسلامي ، الذي يكون فيه الحاكم الأعلى نائبا عن الأمة ، وحاكما مدنيا ، لكنه منفذ لمقاصد الشريعة .. أي سائس للدنيا – دون علمانية تتجاهل الدين – وحارس للدين – دون كهانة تقدس المدني وتثبت وتجمد المتغيرات – ! ..

نعم .. فقد عمل القانون الذي حكم التقاء الحضارات العريقة وتفاعلها عبر التاريخ .. عمل ايضا – وكان لابد له ان يعمل – عندما انفتحت أوربا ، إبان نهضتها الحضارية ، على حضارتنا العربية الإسلامية ... وكما أخذ عمر بن الخطاب من الرومان « تدوين الدواوين » ورفض شريعتهم المتمثلة في قوانين « يوستنيان الأول » [ ٤٨٣ – ٥٦٥م ] لتميزها عن شريعة الإسلام .. كذلك أخذ الغرب عنا ، إبان نهضته ، علوم التمدن المدني والعملي ، دون أن يأخذ شريعتنا الإسلامية قانونا يحكم ويضبط مجتمعاته وشعوبه .. لتميزها عن شريعته – القانون الروماني – بمقاصدها الدينية الثابتة وإطارها الإلهي ، وعلاقتها الوثيقة بدين الإسلام .. فهما نمطان في الشريعة والقانون متمايزان تمايز الخصوصيات التي ترسم الحدود للحضارات ! .. وصدق المستشرق « دافيد دي سانتيلا » David de Santillana

[ ١٨٤٥ - ١٩٣١م ] عندما قال : « ... عبثا تحاول أن تجد أصولا واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الاسلامية والرومانية) كما استقر الرأى على ذلك . إن الشريعة الاسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لايمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا ، لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا .. » .

هكذا عمل « قانون التفاعل الحضارى » . فتم التمييز بين ما هو « مشترك إنسانى عام » وبين ما هو « خصوصية حضارية » ، تكوّن « الهوية » و« البصمة » و« الشخصية » لكل حضارة من الحضارات ..

وحيثما كان الاطار « طبيعيا » للتفاعل الحضارى ، كان الطابع الصحى هو مناخ عمل هذا القانون .. لأن « الغزو الفكرى » ، وليد « القسر » و« القهر » يبدأ بهما ، ثم تأتى - بعد احتلال العقل - مرحلة التقليد والتبعية من المقهورين ، أسرى هذا الغزو الفكرى ، للغزاة القاهرين ... حدث ذلك أيضا ودائما ، عبر التاريخ ... عندما فرض الاغريق والرومان « الهلينية » على الشرق بعد غزوة الاسكندر الأكبر ... وعندما فرض الغرب الاستعمارى « فكرية التغريب » على الأمم التى ابتليت باستعماره في عصرنا الحديث ! ..

● ابن رشد والفلسفة الإسلامية

وإذا كان يحلو لبعض انصار التغريب ، من أسرى الغزو الفكرى ومروجى سلعه الفكرية ، محاولة افتعال « الاستثناء » في القاعدة التى أوضحنا التزام قانون التفاعل الحضارى لحدودها .. بالحديث عن الدور الذى لعبه فكر الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد بن رشد في النهضة الغربية الحديثة ، زاعمين أن « فلسفة ابن رشد » قد تبناها الغرب ، وأقام عليها بنيان نهضته ، أو بعض بنيانها .. بل ويزعمون أن ابن رشد الفيلسوف المسلم قد « بعث حيا » في الغرب ، بينما « قبر ميتا » في بلاد الاسلام ! ..

إذا كان يحلو لهذا البعض ترديد هذه المقولة .. فإننا ، كما بددنا مقولة تبنى حضارتنا للفلسفة اليونانية ، إبان نهضتنا ، نبادر فنبدد مقولة تبنى الغرب لفلسفة ابن رشد الاسلامية ، إبان نهضته الحديثة .. وذلك حتى لاتبقى ثغرة واحدة للتشكيك فى استقلالة وعموم هذا القانون الحاكم لتفاعل الحضارات ..

إن الغرب الناهض ، لم يأخذ ابن رشد « الفيلسوف المسلم » ، بل رفض هذا الجانب من فيلسوفنا ، وأصدر ضده قرارات الحرمان والتحريم من المجامع الكنسية ، لتلتزم بتطبيقها الجامعات .. لكنه أخذ ابن رشد « الشارح الأكبر لأرسطو » .. أى أنه أخذ منه : التراث اليونانى الغربى ، ورفض خصوصية حضارة الاسلام :

فإذا كان الغرب قد تبنى ما عرف في عصر نهضته بـ « الرشدية اللاتينية » ، فإننا نضيف : أن هذه « الرشدية اللاتينية » ، التى قبلها الغرب ، هى شروح ابن رشد على أرسطو ، حكيم

اليونان . اما ابداع ابن رشد ، الفيلسوف المسلم ، والمتكلم ، والقاضي ، والفقيه ، والذى تمثل - بحقل الفلسفة - فى مؤلفاته [ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ] و[ تهافت التهافت ] و[ مناهج الأدلة ] .. والتى يجب ان نسميها « الرشدية الاسلامية » ، فإن الغرب قد رفضها ، بل وناصبها العداء .. لقد فصلوا ابن رشد إلى شطرين . فاتخذوا الشطر الذى هو تراثهم وخصوصيتهم الحضارية ، ورفضوا الشطر الاسلامي ، الممثل لخصوصيتنا الفلسفية الاسلامية .. وكما يقول « الفريد جيوم » : « فإن علينا ان نضع حدا فاصلا بين ابن رشد كفيلسوف ، وابن رشد كشارح لأرسطو » ... وإذا كان الغرب قد رفض ، منذ البداية ، « الرشدية الاسلامية » ، كما تمثلت فى « مؤلفات ابن رشد الابداعية .. فإنه قد فصل ، ايضا ، « إضافاته » التى تخللت شروحه على اعمال ارسطو .. ونهض بهذه المهمة « القديس توما الأكويني » [ ١٢٢٥ - ١٢٧٤م ] .. « فبعد ان اوغلت تعاليم ابن رشد ، التى تضمنتها إضافاته على الشروح ، فى الفكر المسيحى ، طوال قرون متعددة ، ونفذت عميقا حتى اصبحت خطرا على تعاليم الكنيسة .. جاء القديس توما الاكوينى وفصل ارسطو عن شارحه ، ونقد التفاسير العربية لفلسفة ارسطو ... » .. ولذلك راينا الجامعات الغربية تتبنى ارسطو ، فى ذات الوقت الذى تحرم فيه فكر ابن رشد ، وتحكم بالكفر على ٢١٩ مسالة تمثل إضافاته على الشروح التى قدمها لأعمال حكيم اليونان ..

فكما ان نهضتنا القديمة لم تتخذ الفلسفة اليونانية فلسفة للامة ، على الرغم من ترجمتها ودراستها ، على النحو الذى يعرفه الجميع .. فكذلك كان حال النهضة الغربية الحديثة مع فلسفتنا الاسلامية ، حتى فى صورتها الرشدية ، لأن فلسفة الأمة - اية امة عريقة ذات تراث غنى - هى واحدة من اخص « خصوصياتها الحضارية » ، وليست من « المشترك الانسانى العام » ، الذى هو مشاع بين الأمم والقوميات والحضارات .

بل إننا نستطيع ان نضيف إلى هذه الحقائق الساطعة القاطعة ، حقيقة اخرى ، هامة وبالغة الدلالة فى قضيتنا .. تتعلق بمغزى ترجمة الغرب ، إبان نهضته ، لما ترجم من الكتابات الفلسفية لحجة الاسلام الغزالى [ ٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م ] .. ذلك ان بعضا من أسرى الغزو الفكرى التغريبي قد يرى فى ترجمة الغزالى إلى اللاتينية - وهو ليس شارحا لفلسفة اليونان ، بل من نقادها - شبهة على تبنى الغرب ، إبان نهضته ، لفلسفتنا الاسلامية .. على حين ان الحق فى هذا الأمر هو على النقيض من هذه الرؤية تماما ! ..

لقد المحنا الى جزع الكنيسة الغربية من « العقلانية الاسلامية » ، التى تمثلت فى إضافات ابن رشد على

شروحه لأعمال أرسطو ـ وهي « عقلانية إسلامية » ، وليست « عقلانية يونانية » ! .. فذهبت هذه الكنيسة الغربية في بحثها عن أسلحة المقاومة لهذه « الرشدية الاسلامية » إلى حد الاستعانة بـ « صوفية الغزالي » « لمحاربة » عقلانية ابن رشد » ؟! .. فلم تكن ترجمات الغزالي مقصودا منها تبنيه . وإنما كان المراد محاربة المفتونين بابن رشد ـ من اللاتين ـ بسلاح مصنوع بذات الحضارة التي بها يفتتنون ! ..

وهنا نتذكر ـ ونُذكِّر ـ بذات القانون وذات الحقائق التي سقناها عندما تحدثنا عن مغزى ترجمة العرب المسلمين لعقلانية ارسطو اليونانية .. لقد كانت الغنوصية اللاعقلانية هي الخطر الذي حاربت الهلينية به الاسلام ، فاستعان الاسلام ـ بعد أن ابدع لأمته عقلانيتها المتميزة ـ بالعقلانية الأرسطية ، ليهزم الغنوصية ، وليصرف المفتونين بكل ما هو يوناني عن الهلينية والغنوص ، بسلاح مصنوع ببلاد اليونان ، التي هم بإبداعها مفتونون ! ..



أما في حالة الغرب وكنيسته ، فلقد كانت العقلانية الإسلامية الرشدية هي الخطر الذي اقتحم عليها معاقل اللاهوت ـ فسعت إلى « صوفية الغزالي » تحارب بها « عقلانية ابن رشد » .. ليس حبا في الغزالي ، ولا تبنيا لفلسفته ـ فذلك لم يحدث ـ وإنما كضرورة من ضرورات الصراع بين الأنساق الفكرية والمذاهب والتيارات ..

ويشهد على ذلك ، أيضا ، نوعية ما اختاروه من الغزالي ـ وهو « الظاهرة المتنوعة » بحكم تطوره الفكري وغنى تجربته العلمية ـ .. فلقد اخذوا منه ما رأوه معينا لهم على التصدي للخطر الأعظم الذي اقتحم عليهم دوائر الفكر : العقلانية الاسلامية ، كما تمثلت في ابداع وإضافات ابي الوليد ! ..

وبقيت لحضارتهم الغربية خصوصيتها الفلسفية .. رغم ماترجموه للغزالي ، حجة الإسلام .. كما بقيت لحضارتنا خصوصيتها الفلسفية .. رغم ترجمتنا لأرسطو ، حكيم اليونان ! ..

فلقد تم جميع ذلك في مناخ صحي لتفاعل حضاري طبيعي . فكان العمل لقانون التفاعل الحضاري حرا وخلاقا .. فازدهرت الحضارات الناهضة عندما استلهمت « المشترك الانساني العام » ، وحافظت على تميزها وطابعها بتنمية مالها من « خصوصية » في السمات والقسمات .

إنه « تفاعل حضاري » طبيعي وخلاق .. وليس غزوا فكريا يفرضه القاهرون على الأسرى المقهورين والمقلدين ! .

... وبعد ... ... ... ... ... ... ... ... ...

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

فحتى لا « يغبن » الغزو الفكري التغريبي خصوصيتنا الحضارية ، وينسخ ويشوه هويتنا العربية الاسلامية ، فتكون تبعيتنا الحضارية للغرب « القيد الفكري » الذي يؤيد ، بل ويؤبد تبعيتنا له في السياسة والأمن والاقتصاد ...

وحتى لاتقودنا هذه التبعية الحضارية الى المازق الذي قادت الحضارة الغربية إنسانها إليه .. مازق

الطريق المسدود ، عندما حققت له القوة الغاشمة والوفرة المادية ، وافقرته فى الروحانيات .. والمثل .. فأصبح عبدا للأنية ، واللذة ، والشهوة .. فاقدا للتوازن ، الذى هو شرط ـ بل حقيقة ـ سعادة الانسان فى هذه الحياة .

وحتى لايكون مصير إسلامنا ـ وهو جوهر هويتنا الحضارية كمصير التوحيد المسيحى الأول ، الذى « غبشه » الغزو الفكرى الهلينى بالغنوصية الباطنية .. فيتحول إسلامنا ـ بالتغريب ـ إلى « كهانة بابوية » تقدس المدنى وتجمد المتغير .. أو علمانية تجرد الدولة والدنيا وعلومها من إطار الشريعة وروح الايمان ... وتتحول عروبتنا إلى عصبية عرقية جاهلية ... وتتحول المرأة العربية المسلمة إلى « غانية رومانسية » أو « مسترجلة اسبرطية » أو « صورة غلاف وإعلان سلعة راسمالية » أو « جارية مملوكية » ... وحتى لاتذبل فينا رغبة الابداع . عندما يرضى ليبراليونا بليبرالية الغرب ، وشموليونا بشمولية الغرب ، وتقدميونا بتقدمية الغرب ، ورجعيونا برجعية الغرب ، فنقنع بدونية المستهلكين لسلع الفكر والمادة معا !

حتى لايحدث لنا ذلك ، علينا ان نميز فى تفاعلنا مع الحضارة الغربية بين ماهو « خصوصية حضارية » وما هو « مشترك إنسانى عام » .. فتلك بداهة الفكر ومنطقه ، وهذه هى شهادته .. وأيضا شهادة التاريخ عندما سجل عمل قانون التفاعل بين الحضارات .

● قرانا هذه الشهادة التاريخية فى حقبة تفاعلنا ، قديما ، مع حضارات الفرس والهند واليونان ..

● وقراناها فى حقبة تفاعل الحضارة الغربية الحديثة مع حضارتنا العربية الاسلامية ..

● بل وقراناها ، ايضا ، فى صفحة نهضتنا الحديثة ، التى عالجها الاستعمار ، عندما سلكت بلادنا سبيل النهضة ، على عهد محمد على باشا الكبير [ ١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ ـ ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م ] فذهبت كل بعثاتنا العلمية إلى الغرب لتتعلم العلوم العملية والطبيعية ، مثل :

١ ـ الفنون الحربية والادارة العسكرية .
٢ ـ والملاحة والفنون البحرية .
٣ ـ والهندسة الحربية .
٤ ـ والمدفعية .
٥ ـ وصناعة الاسلحة وصب المدافع .
٦ ـ وبناء السفن .
٧ ـ وهندسة الرى .
٨ ـ والميكانيكا .
٩ ـ والطباعة والحفر .
١٠ ـ والزراعة .
١١ ـ والتاريخ الطبيعى والمعادن .
١٢ ـ والكيمياء .
١٣ ـ والطب والجراحة .
١٤ ـ وفن ادارة الماكينات .
١٥ ـ وفن المعمار .
١٦ ـ ورسم الخرائط .

١٧ ـ والترجمـة .
١٨ ـ والادارة .
١٩ ـ والدبلوماسية .
٢٠ ـ والصياغة والجواهر .
٢١ ـ والغزل والنسيج والصباغة وتجهيز الأقمشة .
٢٢ ـ والسراجة .
٢٣ ـ وصناعة الجلود والأحذية .
٢٤ ـ وصناعة الأختام وتصنيع الشمع .
٢٥ ـ وصناعة النقش والدهان .
٢٦ ـ وصناعة الساعات .
٢٧ ـ وصناعة الصيني والفخار .
٢٨ ـ وصناعة التنجيد والفراشة .
٢٩ ـ واللغــات .
٣٠ ـ وعلم توازن القوى والآلات .
٣١ ـ والطبوغرافيا .
٣٢ ـ والتحصينات .
٣٣ ـ وفن معدن الفحم .
٣٤ ـ وصناعة الحرير .
٣٥ ـ وصناعة الورق ... وغيرها من « العلوم ـ الطبيعية وتطبيقاتها » .. بينما لم يذهب مبعوث واحد الى الغرب لدراسة العلوم الانسانية او الاجتماعية او الفلسفية التى تتصل مناهجها ومثلها بخصوصية الحضارة الغربية فى الطابع « المادى ـ العلمانى » ... وليس كما صنع بنا الغزو الفكرى عندما ذهب ويذهب مبعوثونا يدرسون علوم الشريعة والحقيقة والفلسفة والآداب والفنون وغيرها ، بمناهج الغرب ، وعلى ايدى المستشرقين ! ...

لقد كتب رائد فكر تلك النهضة ، رفاعة رافع الطهطاوى [ ١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ ـ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م ] ينبه على ضرورة التمييز ، فى الفكر الغربى ، بين « المفيد » و« الضار » فقال : علينا ان ناخذ عن اوربا « المعارف البشرية المدنية .. والعلوم الحكمية العملية » .. اما روح حضارتهم وفلسفاتهم ، فإنها مليئة « بالحشوات الضلالية ، المخالفة لسائر الكتب السماوية .. » ؟!

فتلك صفحة من صفحات نهضتنا الحديثة ـ وإن طواها الغزو الاستعمارى إلا أن تاملها ، واستخلاص دلالاتها فى موضوعنا ، لابد وأن يفتح لنا السبيل الى الكلمة الحق والموقف العادل فى هذا الموضوع .

● سبل النهضة الحضارية

إن الانغلاق الحضارى ـ فضلا عن استحالته العملية ـ هو اقصر الطرق لنيول الذين يفرضون على حضاراتهم أسوار العزلة والانغلاق ..

والتبعية الحضارية ، قاتلة للابداع ، ومفضية ، هى الأخرى ، إلى النبول ، الذى يقنع أصحابه بتقليد القردة وتبعية العبيد والضعفاء ..

وليس كالتمييز بين ما هو « خصوصية حضارية » ـ فنحافظ عليها ـ وما هو « مشترك إنسانى عام » فنسعى لامتلاكه والتفوق فيه ، سبيلا للنهضة الحضارية المستقلة التى تحقق للأمة مكانا لائقا فى « منتدى الحضارات العريقة » ، وإسهاما خلاقا فى تنمية الفكر الانسانى العام ..

لقد قال رسولنا ، صلى الله عليه وسلم : « الحكمة : الاصابة فى غير النبوة » ... وقال : « الكلمة الحكمة

ضالة المؤمن ، انىَّ وجدها فهو احق بها .. لكنه نهى ، صلى الله عليه وسلم ، عن التقليد ـ [ التشبّه ] ـ الذى يمسخ الذات .. فقال : « من تشبه بقوم فهو منهم وقال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ... » .. واستنكر صنيع المتشبهين بالجاهلية ، فقال : « او بصنع الجاهلية تشبّهون ؟! »

كذلك قال فقهاؤنا : « إن شريعة من قبلنا شريعة لنا ، مالم تنسخ »

وقال الكندى الفيلسوف [ ٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣م ] : « خليق بنا ان لانخجل من الاعتراف بالحقيقة واستيعابها مهما كان مصدرها .. »

وكذلك قال ابن رشد : « إنه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك .. سواء اكان مشاركا لنا فى الملة او غير مشارك فإن كان كله صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه .. » .

اما جمال الدين الافغانى [ ١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م ] فانه هو القائل : « إن ابا العلم وامه هو الدليل ، والدليل ليس ارسطو بالذات ولا جاليليو بالذات .. والحقيقة تلتمس حيث يوجد الدليل ... والتمدن الأوروبى ، هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشا فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى .. ولا ملجىء للشرقى فى بدايته ان يقف موقف الأوربى فى نهايته .. ولابد من التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين واسلافهم ... اما المقلدون ، فإنهم يشوهون وجه الأمة ، ويضيعون ثروتها ، ويحطون من شانها .. إنهم المنافذ لجيوش الغزاة ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون لهم الأبواب .. » !

★ ★ ★

لقد خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان « ذكرا » و« انثى » .. فالانسانية « مشترك عام » و« الذكورة » و« الانوثة » « خصوصية » لكل من الذكر والأنثى ... تلك هى « القاعدة » و« الطبيعة » ... لكن الشذوذ ياتى بالهجين ، المفتقر الى وضوح القاعدة والطبيعة ، فيسميه فقهاؤنا وعلماؤنا بـ « الخنثى المشكل » ، لانه ليس بالذكر ولا هو بالانثى ....

وكذلك الحال فى الثقافات والحضارات .. بينها « المشترك الانسانى الجامع » .. وفى كل منها ماهو « خاص » .... فطوبى للذين يعون هذه الحقيقة ، فلا يطغى عليهم « شذوذ الانغلاق » ، ولايقعون اسرى « الغزو الفكرى » ، الذى يحول ضحيته الى « مشكل ثقافى » ؟! .. لا « هوية » تعرفه ، ولا « بصمة » تميزه عن الآخرين ! .

وفى الختام ... فإننا ننبه على ضرورة التمييز بين هذا الموقف الذى التزمناه ، والذى ندعو اليه وتزكيه .. عندما نميز بين « المشترك الانسانى العام » وبين « الخصوصية الحضارية » .. موقف اولئك الذين

لايرون فى الحضارات الاخرى الا ماهو موضوع للنقد بل والهجاء ! ..

ذلك ان نقدنا لما ننتقد من سمات الحضارة الغربية ورفضنا لما نرفض من قسماتها . هو نقد لصلاحيته كي يكون من سماتنا الحضارية ، ورفض لاستعارته وتبنيه كي يكون من قسمات شخصيتنا القومية .. اما عن مدى صلاحيته فى بيئته الغربية فتلك مهمة الغربيين وليست المهمة التى تعنينا ، بالدرجة الأولى ، فنحمل همومها الفكرية - فقد تكون الكثير من السمات والقسمات والأفكار والقيم « خصوصيات حضارية غربية » ، ملائمة للغرب ، نشأت ونمت هناك النشأة الطبيعية .. لكنها بالنسبة لنا تمثل النشاز والجسم المقحم بالقسر على طبيعة انساننا العربي والمسلم وخصوصيتنا الحضارية العربية الاسلامية ..

فالذين يتصورون الحضارة الغربية شرا مطلقا . هم ابعد ما يكونون عن التزام المنهج العلمى فى التفكير ..

والذين يتصورون ان حضارتنا ، بكل سماتها ومكوناتها ، خير خالص ، إنما ينظرون فى « الفكر » وإلى « الواقع » بعيون « الرومانسيين الحالمين » ! ..

والذين يحسبون إمكانية الاكتفاء الذاتى ، فى الميدان الحضارى ، هم ابعد ما يكونون عن « فقه الواقع » المعاصر ، واستكناه شهادات الفكر وشهادات التاريخ ..

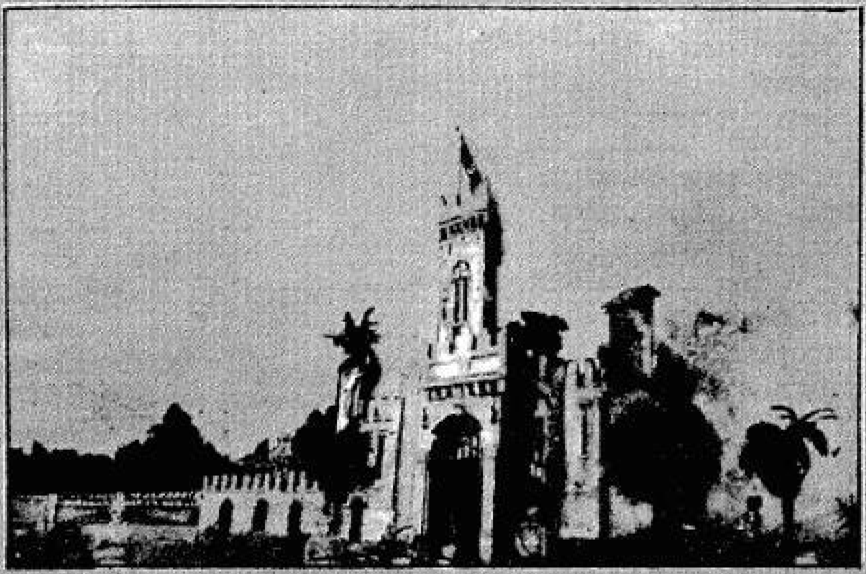
والذين يدعون الى تبنى « النموذج الغربى » فى الحضارة فى مشروع نهضتنا التى نحاولها - هم إما جاهلون بقانون التمايز الحضارى .. وقانون التفاعل بين الحضارات او خبثاء - ولانقول عملاء - تدعوهم الكراهية للاسلام - باعتباره جوهر الذاتية الحضارية المميزة للعرب والمسلمين - إلى تبنى « التغريب » بديلا للاسلام الذى يكرهون ؟! ..

فلا « الانغلاق » او « العداء » الحضارى ، بالموقف اللائق بالعقلاء .. ولا « التبعية » الحضارية ، بمفيدة او ملائمة لمن يمتلكون « بصمة » حضارية تميزهم عن الآخرين ..

وإنما هو « التفاعل الحضارى » مع كل الحضارات .. مع إدراك مواطن وميادين « المشترك الانسانى العام » الذى هو ميراث كل بنى الانسان .. ومواطن وميادين « الخصوصية الحضارية » التى تحفظ على الحضارة العربية ذاتيتها وهويتها كي لاتذوب فى الآخرين .

* * *

اقول قولى هذا ، وأُذَكِّر الجميع ، علماء وقراء ، مؤيدين .. ومتحفظين .. ومعارضين .. بالحكمة النبوية التى توارثناها ، والتى غدت شعار العلم والعلماء فى حقب الازدهار الحضارى لأمتنا .. والتى تقول : من اجتهد واصاب فإن له اجرين .. ومن اجتهد فاخطأ فإن له أجرا واحدا . فالله - فى كل الأحوال - لايضيع أجر المجتهدين .


بعد أن أشرق فجر الثورة ، الدبابات فى الإسكندرية تحاصر قصر الملك

# ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك ؟

عرض وتعليق د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

برز اسم عبدالمنعم عبدالرؤوف فى عام ١٩٤١ بسبب اشتراكه فى مغامرة أحدثت ضجة حينذاك : فقد قاد هو وحسين ذوالفقار صبرى الطائرة التى أزمع الفريق عزيز المصرى أن يخرج بها من مصر لكى يلتحق بقوات المحور الموجودة فى ليبيا والتى كان يتولى قيادتها أحد ألمع الضباط الألمان خلال الحرب العالمية الثانية وهو إروين روميل الذى لعب دورا هاما فى إلحاق الهزيمة بفرنسا وإخراجها من الحرب فى عام ١٩٤٠ ثم أرسل إلى ليبيا بعد أن اتضح فشل الإيطاليين فى إدارة الحرب ضد القوات البريطانية الموجودة فى مصر . وكانت مهمة روميل الأصلية هى شغل بريطانيا وتحويل أنظارها عن جبهة البلقان التى تدفقت عليها القوات الألمانية التى كانت مهمتها هى حماية جناح جيوش الرايخ حين يجرى تنفيذ عملية "بربار وسا" الهادفة إلى هزيمة الاتحاد السوفييتى والتمهيد للنصر الألمانى الذى لاحت بشائره فى الأفق .



الطيار اول عبدالمنعم عبدالرءوف




# أين التاريخ الصادق للتنظيمات السرية فى الجيش ؟

ومن الطبيعى أن يهتم المصريون بالحرب التى كانت رحاها تدور على مقربة من حدودهم خاصة أن الكثيرين منهم كانوا يتمنون أن تلحق الهزيمة ببريطانيا التى احتلت أراضيهم وسلبت استقلالهم منذ عام ١٨٨٢ ، وأن إذاعتى بارى وبرلين كانتا تلوحان للمصريين بالاستقلال وتنفى الأطماع المحورية فى البلاد وأن كثيرا من المصريين كانوا يبدون إعجابهم بالعسكرية الألمانية ويطربون حين تترامى إلى أسماعهم أنباء الهزائم البريطانية فى الصحراء الغربية ويبدون اعجابهم بخطط روميل "ثعلب الصحراء" . اما عزيز المصرى فكان قد لعب دوراً هاما فى الجمعيات السرية العربية التى تشكلت قبل الحرب العالمية الاولى وكانت تستهدف تحرير البلاد العربية من السيطرة العثمانية وقيام دولة عربية موحدة فى المشرق ، ثم انضم إلى الثورة العربية التى أعلنها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية وبعد الحرب استقر به المقام فى مصر حيث كان لا يزال يذكر الضباط الالمان الذين تلقى عليهم تدريبه العسكرى فى استانبول قبل الحرب العالمية الأولى ولا يخفى إعجابه بالعسكرية الألمانية وبالمانيا النازية منذ أن تولى مقاليدها أدولف هتلر وسار على نهج قومى متطرف . وفى عام ١٩٣٩ تولى

## ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك ؟

عزيز رئاسة أركان حرب الجيش المصرى وقرب اليه مجموعة من شباب الضباط الذين كان يوجههم توجيها وطنيا ويشربهم كراهية الانجليز حتى إذا كان عام ١٩٤١قرر الخروج من مصر لتنسيق الخطط مع الألمان . وكانت قد جرت محاولات للاتصال بقوات المحور فحلقت طائرة تقل طيارا مصريا وصف ضابط فوق منطقة تمركز القوات الألمانية فى الصحراء الغربية ، ولكنها أسقطت عن طريق الخطأ مما أدى إلى وفاة طاقمها . يضاف إلى ذلك أن الملازم أنور السادات الضابط بسلاح الاشارة كان على صلة بالألمان وبجواسيسهم وبعزيز المصرى مما أدى الى القبض عليه وطرده من القوات المسلحة المصرية ـ وحين بهر روميل الانتظار باستيلائه على طبرق وتقدمه داخل الأراضى المصرية ازداد تعاطف المصريين مع المانيا من قبيل كرههم للانجليز ، وأقام الملك فاروق وبعض الساسة المصريين علاقات مع دولتى المحور فى الوقت الذى كانت فيه دوائر القصر الملكى "محورية الهوى" ـ بل لقد خرجت مظاهرات إلى شوارع القاهرة هاتفة "إلى الأمام ياروميل" وذلك فى اوائل عام ١٩٤٢ فى الوقت الذى كانت فيه المشاعر معادية للانجليز ليس فقط فى مصر بل ايضا فى المشرق العربى حيث جرت انتفاضة فى العراق فى عام ١٩٤١ تزعمها رشيد عالى الكيلانى الذى كان هو الآخر على صلة بالألمان قبل أن يتمكن الانجليز من إخماد الثورة العراقية[١] .

وسقطت الطائرة التى كانت تقل عزيز المصرى بعد إقلاعها بقليل وتخفى ركابها الثلاثة بعد نجاتهم ثم أمكن القبض عليهم ومحاكمتهم امام مجلس عسكرى عال ولكن بعد أن أصبحوا ابطالا وطنيين مما جعل حكومة الوفد التى رأسها مصطفى النحاس فى أعقاب حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهورة تفرج عنهم .

### انتماء وطنى

أما عبدالمنعم عبدالرؤوف كاتب المذكرات التى نقدمها إلى القراء فقد انتمى إلى أسرة من الطبقة الوسطى انخرط بعض افرادها فى الخدمة العسكرية ، فى حين انضم هو حين كان طالبا بالدراسة الثانوية إلى جمعية سرية هى جمعية "اليد الخفية" التى تميز اعضاؤها بالميول الوطنية مما جعلهم يفجرون عدة قنابل لإلحاق الضرر بالانجليز . وفى عام ١٩٣٥ ، وهو فى سن الحادية والعشرين ، التحق بالمدرسة الحربية ( الملكية ) بدءا بقوة خفر السواحل وانتهاء بمدرسة الطيران العالى التى تخرج فيها فى عام ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٤٠ تعرف على عزيز المصرى وأنور السادات وفى العام التالى اشترك فى مغامرة عزيز المصرى التى أشيع أنها كانت تستهدف الوصول إلى العراق لمساندة حركة رشيد عالى الكيلانى ضد الانجليز . وبعد تدخل النحاس لتبرئته عين مدرسا فى مدرسة المشاة لمدة ثلاث سنوات اعتبارا من عام ١٩٤٦ لتدريس فن التكتيك .

ومن أهم ماورد فى المذكرات ما أشار إليه مؤلفها حول علاقته بالتنظيمات السرية التى تشكلت فى صفوف الضباط

المصريين - وهو يورد أن المحرك الأول لجميع هذه المغامرات هو الفريق عزيز المصرى يسانده بعض قادة الحزب الوطنى وجمعية مصر الفتاة . ويذكر أحمد عبد مقدم المذكرات أن التنظيم الوحيد فى الجيش كان تنظيما ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين وأن عبدالمنعم عبدالرؤوف أنشأه فى عام ١٩٤٢ بعد أن انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وشكل أول خلية فيه من جمال عبدالناصر وآخرين وأنه أطلق عليه اسم "تنظيم الضباط الإخوان" ، فى حين يذكر المؤلف أنه بدأ فى أوائل عام ١٩٤٣ فى إنشاء تنظيم داخل الجيش أطلق عليه اسم "تنظيم الإخوان الضباط" وذلك على اثر اللقاء الذى تم بينه وبين المرشد العام للإخوان المسلمين (حسن البنا) والصاغ محمود لبيب وكيل جماعة الإخوان ، والدكتور المهندس حسين كمال الدين ويضيف أن من بين من بايعوا معه على فداء الدعوة الإسلامية جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين وأن حسن البنا عين الصاغ محمود لبيب ليكون حلقة الاتصال بين الاخوان المسلمين وبين تنظيم الإخوان الضباط .

ولا يذكر المؤلف الكثير عن نشاط هذا التنظيم حتى عام ١٩٤٨ الذى تشكلت فيه الكتيبة الأولى من متطوعى الاخوان المسلمين الذين ازمعوا مساندة الفلسطينيين بقوة السلاح فى مواجهة الأطماع الصهيونية والمؤامرات البريطانية وكان من بينهم كاتب هذه المذكرات الذى اشترك فى حرب ١٩٤٨ - ورغم ما يرويه عن بطولاته خلال الحرب فإن سياق رواياته لا يؤيد الأمجاد التى خلعها على نفسه خلال معركة العصلوج . وعلى أى حال فإن ماهو معروف عن تنظيم الضباط الأحرار يؤكد ان فكرة تشكيله قد راودت جمال عبدالناصر خلال حصار الفالوجا خاصة ان حرب فلسطين قد بينت لشباب الضباط مدى تردى الأوضاع فى مصر بوجه عام وبوجه خاص فى قواتها المسلحة وأن العدو الحقيقى يتمثل فى الملك وحكومته والقيادات التى فرضها على الجيش ولم تكن على مستوى الموقف .. وحتى الآن لا نستطيع أن نقطع بالفترة التى تشكل فيها تنظيم الضباط الأحرار : فهناك الروايات الرسمية المأخوذة عن جمال عبدالناصر إلى جانب روايات أنور السادات فى كتابه "البحث عن الذات" ، اضافة الى رواية عبدالمنعم عبدالرؤوف التى أوردها فى مذكراته - وغير ذلك مما ادعاه الكثيرون عقب نجاح حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، وملخص الأمر أن نشأة تنظيم الضباط الاحرار بحاجة إلى دراسة علمية وموضوعية تفصل القول فيما ادعاه الكثيرون بصدده وبخاصة إذا ما أمكن الاطلاع على الوثائق التى تنير الطريق أمام المؤرخين .

ويذكر عبدالمنعم عبدالرؤوف أن التنظيم الذى تأسس بمباركة من جماعة الأخوان المسلمين ظل يكبر ويقوى إلى أن اقترح الصاغ محمود لبيب فى عام ١٩٤٩ استبدال اسم تنظيم "الضباط الأحرار" الجديد باسم تنظيم الإخوان وذلك حرصا على ابعاد نقمة الملك والحكومة عن جماعة الأخوان المسلمين بعد عودة الجيش من حرب فلسطين . وبعد اغتيال حسن البنا

## ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك؟

ظهرت حركة عصيان وتفكك فى النظام الخاص للإخوان المسلمين وفى مارس ١٩٤٩ عادت القوات المحاصرة فى الفالوجا ومنهم جمال عبدالناصر وبعض الضباط المنتمين إلى جماعة الاخوان المسلمين . ويذكر المؤلف أن عدة اجتماعات عقدت برئاسة محمود لبيب تقرر فيها مايلى :

- الثأر لمقتل حسن البنا .
- الحذر من افراد الحرس الحديدى الذى شكله الملك من بعض ضباط القوات المسلحة وبذل الجهود لمعرفة كل شىء عن افراده[٢] .
- وجوب التخلص من النظام الملكى واستبدال نظام إسلامى به .
- الاستمرار فى التدريب ومد الإخوان المسلمين بالذخائر والأسلحة والمفرقعات لطرد الانجليز من مصر .

وبهذا الصدد يشير المؤلف إلى وقوع خلاف بينه وبين جمال عبدالناصر الذى رأى بعد عودته من حرب فلسطين أن القيام بانقلاب يقتضى جمع أكبر عدد من الضباط "من كل من هب ودب" ـ حسب تعبيره (ص٧٠) حول التنظيم فى حين أبدى هو اعتراضه على بعض الأشخاص بسبب عدم ارتياحه إلى أخلاقياتهم وعلى قيام عبدالناصر ببعض الأعمال التى لا تتفق مع أهداف التنظيم بل وتعرضه للأخطار . وهو يجزم بأن عبدالناصر كان حتى أوائل ١٩٤٩ لايزال ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين وتدريبهم مما ادى إلى استدعائه فى مايو ١٩٤٩ الى مكتب رئيس الوزراء إبراهيم عبدالهادى واتهامه بهذا الانتماء ولو انه استطاع نفى التهمة . وفى سبتمبر ١٩٤٩ ابلغ عبدالناصر المؤلف انه يريد القيام بانقلاب وانه لا يستطيع تجميع الضباط حول مبادىء الإخوان المسلمين واتباع نفس الأسلوب "المتزمت" فى اختيارهم . كما يشير إلى أن الخلاف بينه وبين عبدالناصر اشتد قبل عام ١٩٥٢ لأنه ـ أى المؤلف ـ كان يريد من تنظيم الضباط الاحرار أن يكون مرتبطا عضويا بالإخوان المسلمين ، بينما كان عبدالناصر يصر على أن يكون التنظيم مستقلا عن كل الأحزاب والجماعات وأن يستقيل كل ضابط ينضم اليه من الحزب أو الجماعة التى كان مرتبطا بها من قبل ، وأنه بعد أن رفض هذا العرض وأصر على عضويته بجماعة الاخوان المسلمين أسقط عبدالناصر عضويته فى تنظيم الضباط الأحرار . وكانت النتيجة ، من وجهة نظره ، هى أن التنظيم لم يتصف بالانسجام والأخلاق الحميدة والالتزام الايديولوجى الذى كان هو يصر على أن يكون على نهج الإخوان المسلمين .

### ● تشويه للحقائق

ولما كان عبدالمنعم عبدالرؤوف مستمسكا بالبقاء عضوا نشطا فى جماعة الاخوان المسلمين فإنه لم يلعب أى دور فى حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، التى افضت إلى سيطرة "الضباط الأحرار" على القاهرة بعد أسرهم لكبار قادة الجيش الذين عقدوا اجتماعا فى قيادة القوات المسلحة للبت فى "التمرد" الذى لاحت بوادره فى الجيش . ولكن مع ذلك صدرت إليه التعليمات للانضمام الى القوات التى أعدت فى القاهرة للسيطرة على

الإسكندرية وكان يتولى قيادتها زكريا محيى الدين . ورغم أن المؤلف اشترك مع غيره فى حصار قصر راس التين الى أن تنازل الملك فاروق عن العرش فإنه يضيف إلي عنوان المذكرات عنوانا آخر جانبيا هو "ارغمت فاروق على التنازل عن العرش" ويلمح إلى أن حقه قد غمط بهذا الصدد خاصة وان زكريا محيى الدين مزق كشفا بأسماء الضباط الذين اشتركوا فى تنفيذ عملية الحصار ، بل انه يذهب إلى أن الظروف والملابسات اثبتت "إصرار مجلس قيادة الثورة وجهاز مخابرات الجيش على طمس اسمى وتاريخى من اى عمل مجيد وتشويهه فى بعض الحالات" ، وذلك دون أن يقر بأن انتماءاته السياسية والدينية كانت من وراء استبعاده من الاشتراك فى حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، وخاصة أن عضويته فى تنظيم الضباط الاحرار كانت قد أسقطت قبل تنفيذ الانقلاب وان يكن يذكر فى موضع آخر انه أبعد عن التنظيم فى اول اغسطس ١٩٥٢ ويعلل ذلك بما أشيع من أنه رجل خطير يعمل مع الاخوان المسلمين على الاعداد لانقلاب خاصة وأن زملاءه فى التنظيم توجسوا خيفة منه لانه صرح بأنه طالب بالنقل من الكتيبة ١٩ إلى الكتيبة ١٧ المسلحة والمدرعة .

وعلى أى حال فقد كلف بقيادة وتدريب قوة بوليس حدود فلسطين التى يدعى انها كانت مقدمة لتأسيس منظمة "فتح" . ولم يلبث بعد ذلك أن حول على المعاش ثم



حريق القاهرة .. اللغز الابدى

قبض عليه فى اوائل ١٩٥٤ واودع السجن الحربى ثم سجن الأجانب نتيجة لنشاطه فى دوائر الاخوان المسلمين وبين زملائه الضباط خاصة وانه كلف من جانب المرشد العام للإخوان المسلمين بتنظيم وتدريب النظام الخاص للاخوان وانه ابدى حرصه على ضرورة الاستعداد المنظم لتوجيه ضربة قاصمة الى مجلس قيادة الثورة ( ص ١٠٤ ) ثم قدم للمحاكمة أمام محكمة الشعب بتهمة ترتيب عملية الحزام الناسف لقتل جمال عبدالناصر فى المنشية بالاسكندرية واعتباره احد قادة التنظيم السرى للاخوان المسلمين . وفى

● من الذى حرق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ... ؟

# ماذا يقول الرجل الذى حاصر قصر الملك؟

خلال تقديمه للمحاكمة جرت مقابلة بينه وبين الدكتور حسين كمال الدين عضو مكتب الارشاد بجماعة الاخوان المسلمين وفى أثنائها اقترح الاسراع فى تنظيم خمسمائة من الاخوان المدربين وتسليحهم تسليحا كاملا على أن يتولى قيادتهم ويقوم بالقضاء "على هذا الحكم الفردى القائم وزعمائه" . وأخيرا تمكن من الهرب من السجن واللجوء إلى لبنان فالأردن وتركيا وأن يكن قد استقر به المطاف فى النهاية فى لبنان . وهو يشير إلى أن أعداء عبدالناصر قد حاولوا فى البلدان التى عاش بها فى المنفى أن يغروه بمهاجمة النظام القائم فى مصر وأنه رفض كل العروض التى قدمت له برغم ظروفه الصعبة وذلك حرصا منه على الا يخون بلاده . وقد بقى فى المنفى حتى عام ١٩٧٢ حين الغى السادات كافة الأحكام الصادرة ضده وما ترتب عليها . وبقى بعد ذلك مغمورا الى أن توفى فى يولية ١٩٨٥ عن واحد وسبعين عاما .

★★★

والمذكرات التى عرضنا لأهم ما جاء فيها ليست فى مستوى غيرها مما كتبه شهود حركة ٢٣ يولية ١٩٥٢ : إذ يشوبها كثير من التكرار والافتقار إلى التنظيم بحكم أن كاتبها قد سطر بعضها فى أوقات متفاوتة وأنه ربما استكملها فى أواخر حياته حيث أثر فيه المرض والاغتراب والمرارة . ولعل أبرز عمل قام . هو اشتراكه فى مغامرة تهريب عزيز المصرى وانخراطه فى التنظيمات السرية فى دوائر الضباط والاخوان المسلمين . وتستطرد المذكرات فى العرض لعمليات الهرب والتخفى التى قام بها فى العهدين الملكى والجمهورى فى داخل مصر وفى خارجها كما تشير إلى اتصالاته بفلول الاخوان المسلمين الذين هربوا إلى خارج مصر بعد أن وجه اليهم النظام الجديد ضربة قاضية .

وانتماء عبدالمنعم عبدالرؤوف الى جماعة الاخوان المسلمين وايمانه بمنطلقاتهم ومحاولته تنفيذ خططهم قد كيفا نظرته الى الاحداث والأشخاص وهو يرى أن لجمال عبدالناصر مزايا وعيوب : "أما المزايا فهى طموحه وكرمه وأما عيوبه فهى حقده وخبثه وقسوته" . وفى معرض حديثه عن عبدالناصر يورد ( ص٢٨٢ ) ملحوظة هامة عن نشاط زعيم الضباط الأحرار قبل الثورة : فهو يروى أن عبدالناصر أبلغه فى نهاية عام ١٩٤٩ أنه استولى من الجيش على مادة ت ن ت من داخل المخازن بمعرفة بعض أعضاء التنظيمات العسكرية داخل الجيش وأنه كان ينوى استخدام هذه المادة فى حرق أجزاء من العاصمة .. "وكانت هذه المواد داخل بيوت عبدالناصر وبعض أعضاء التنظيم .. وفى حريق القاهرة اتهمت السفارة البريطانية تارة والملك فاروق تارة واتهم آخرون تارة ثالثة وكان ذلك من انواع التضليل" . وبهذه المناسبة فإن الوثائق البريطانية التى اطلعت عليها فيما يتعلق بحريق القاهرة توجه الاتهام صراحة إلى الاخوان المسلمين وإلى أحمد حسين زعيم جماعة مصر الفتاة وحكومة الوفد القائمة آنذاك مما يدل على

عدم صحة اتهام الانجليز بتدبير الحريق . أفليس من المحتمل أن يكون عبدالناصر ورفاقه هم الذين قاموا به بهدف إيجاد حالة من القلق تعجل بالانقلاب المزمع تنفيذه ؟

وفي المذكرات ملحوظات عن بعض المعروفين من الضباط الأحرار لا تتصف بالعمق بل لا تعدو أن تكون سردا لبعض الأحداث لا يخلو من المرارة والنقد ولو أن ما يتصل منها بالقائمقام يوسف منصور صديق الذى لعب دورا هاما لم يلق عليه كثير من الأضواء في ليلة ٢٣ يولية ١٩٥٢ يتضمن قدرا من الثناء قد يكون مرده أن يوسف يشبه كاتب هذه المذكرات في كونه قد صفى من تنظيم الضباط الأحرار في بداية الثورة بسبب دعوته الى عودة الجيش إلى ثكناته ودفاعه عن الديمقراطية وميوله الماركسية(٣)

ورغم بعض المآخذ التى سجلناها عن هذه المذكرات فإنها لا تخلو من إضافات إلى تاريخ مصر المعاصر وثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وحبذا لو خرج إلى حيز النور غير ذلك من المذكرات وجرى تنسيقها وضبطها بعد الحد من نرجسية من كتبوها . وحبذا أيضا لو اتيح الاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من الأوراق الرسمية بحيث تؤدى حصيلة كل ذلك إلى التوصل إلى الحقيقة النسبية المتعلقة بتنظيم الضباط الاحرار خاصة وقد هدأت العواصف والانفعالات وبارح الكثيرون مسرح الأحداث سواء بسبب وفاتهم او ظروفهم الصحية او ايثارهم البعد عن الحياة العامة .

وهناك كلمة أخيرة عن هذه المذكرات هى ما نمى الى علمى خلال كتابة هذا العرض من أن من قاموا على نشرها قد قاموا بحذف قدر لا يستهان به منها لسبب او لآخر وهذا إجراء لا يقره المؤرخ بحكم ان من يقومون بالحذف قد يستبعدون من المادة التاريخية ماقد يلقى أضواء على الأحداث والأشخاص وهذا مايتنافى مع الأمانة العلمية . وكان من الممكن في سياق تقديم المذكرات ان يشار إلى ذلك وبيان أسبابه .



## هوامش

(١) عن تفاصيل كل ذلك راجع كتاب لوكاز هيزوويز : "المانيا الهتلرية والمشرق العربي" الذى قمت بترجمته ونشرته دار المعارف .

(٢) تشير بعض المصادر إلى ان أنور السادات كان على صلة بالحرس الحديدى والدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الذى كان مسئولا عن هذا التنظيم الذى كان الهدف منه تشديد قبضة الملك على الجيش .

(٣) صرح يوسف صديق لكاتب المذكرات بأنه "يؤمن بالماركسية في الاقتصاد فقط وفي نفس الوقت يؤمن بالله الواحد الأحد" .

كتاب الشهر

# صعود وسقوط القوى العظمى

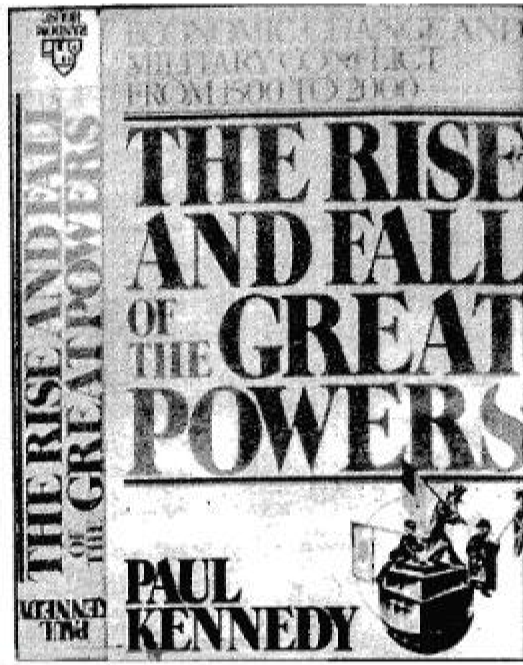
عرض وتقديم
د. السيد أمين شلبي

**ربما لم يثر كتاب صدر في الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة مثلما اثاره هذا الكتاب الذي وضعه بول كنيدي المؤرخ والاستاذ في جامعة ييل الامريكية . فعلى مدى الشهور الاخيرة ومنذ صدوره ، وموضوعه محل نقاش واسع عريض ، ونادرا ما عقد الكونجرس الأمريكي جلسات استماع لمناقشة كتاب مثلما عقد لمناقشة هذا الكتاب ومؤلفه . بل ان موضوعه ـ وخاصة فيما يتعلق فيه باوضاع ومستقبل الولايات المتحدة ، قد استخدمه المرشحون للرئاسة الامريكية في حملاتهم الانتخابية .**



والواقع ان هذا الاهتمام الواسع بهذا الكتاب لم يكن حول استعراضه التاريخي العريض لأوضاع القوى العظمى منذ عصر النهضة ودورات صعودها وسقوطها والعوامل والقوى العسكرية والاقتصادية التي كانت وراء ذلك ، انما كان الاهتمام أساسا حول الفصول التي خصصها لمناقشة القوى العظمى في عالم اليوم : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتي ، وغرب أوربا ، واليابان ، والصين ، وبشكل خاص الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الاولى منذ ظهور النظام الدولي لما بعد الحرب الثانية والتغييرات العسكرية والاقتصادية التي تتعرض لها اليوم وإمكانات احتفاظها بهذا المركز الدولي في المستقبل .

وباعتبار أن هذا العمل الضخم ـ الذي خصص له صاحبه ٧ سنوات لكتابته ـ يبحث ويتتبع كيف صعدت وسقطت القوى




العظمى عبر القرون الخمسة الماضية فقد كان من الطبيعي ان يعنى بالحروب وخاصة الكبيرة منها ، والصراعات التي خاضتها وتحالفاتها وتأثيرها على النظام العالمي ، ومع هذا فهو ليس بالتحديد كتابا عن التاريخ العسكري ، كذلك رغم انه يهتم بتتبع التغيرات التي حدثت في التوازنات الاقتصادية العالمية منذ عام ١٥٠٠ ، ومع هذا . فهو ليس عملا في التاريخ الاقتصادي ، اما ما يركز عليه الكتاب فهو :

**علاقة التأثير المتبادل بين الاقتصاد والاستراتيجية خلال محاولة كل من الدول العظمى دعم قوتها وثروتها لكي تصبح او تظل قوية وغنية معا .**

وعلى هذا فان «الصراع العسكري» الذي يشير اليه عنوان الكتاب الفرعي انما يدرس دائما في سياق «التغير الاقتصادي» فانتصار واحدة من القوى العظمى في الفترة موضع الدراسة ، او انهيار اخرى ، كان دائما نتيجة حرب طويلة خاضتها قواتها المسلحة ، ولكنها كانت أيضا نتيجة الاستخدام الاكثر أو الأقل كفاءة لموارد الدولة الانتاجية في زمن السلم ، وأكثر من هذا للطريقة التي يتقدم أو يتراجع بها اقتصاد الدولة نسبة للدول الكبرى الاخرى خلال الحقب التي سبقت الصراع الفعلي .

لهذا السبب تعتبر الدراسة أن كيفية تغير وضع الدولة في زمن السلم هو بنفس اهمية كيف حاربت في زمن الحرب ، ومن هنا كان تركيزها على اهمية الاساس الاقتصادي للبناء العسكري ، فتعتبر أن الأمة بدعمها لقواها الانتاجية فانها ستجد من السهولة تحمل عبء الاتفاق على جيوش واسعة واساطيل في زمن الحرب ، فالثروة مطلوبة لدعم القوة العسكرية ، كما ان القوة العسكرية ضرورية لحماية الثروة . غير انه اذا ما تحول جزء كبير من موارد الدولة من عملية خلق الثروة الى الاهداف العسكرية فانه من المحتمل ان يؤدي هذا الى اضعاف القوة القومية على المدى الطويل ، وبنفس المعنى ، اذا ما توسعت الدولة استراتيجيا بغزوها لاقاليم واسعة أو شن حروب مكلفة ، فان المزايا التي يمكن أن تترتب على هذا التوسع قد يثبت انها اقل مما بذل فيها من نفقات ، وهو مأزق قد يصبح حادا اذا ما كانت هذه الدولة قد دخلت في مرحلة التراجع الاقتصادي ويؤكد الكاتب نظريته تلك بشواهد منذ تاريخ صعود وسقوط قوى كبرى منذ القرن ١٦ مثل اسبانيا ، وهولندا ، وفرنسا والامبراطورية البريطانية ، ثم يطبق احتمالاتها القائمة

وخاصة على الولايات المتحدة ، باعتبار انها تمثل القوة العظمى رقم ١ ، اذا لم توفر لنفسها ظروفا معينة وحيث تظهر هذه الشواهد على المدى الطويل علاقة هامة بين القدرات الانتاجية وخلق الموارد من ناحية ، وبين القوة العسكرية من ناحية اخرى

ويدرك المؤلف ما سوف يتعرض له منهجه من نقد من حيث تغليبه للعنصر الاقتصادى والعامل المادى فى تقرير أوضاع القوى العظمى ومستقبلها فيقرر منذ البداية أنه رغم اهتمامه بتتبع «الاتجاهات العريضة» فى الشئون الدولية عبر القرون الخمسة الأخيرة ، فانه لايقول ان الاقتصاد دائما يقرر كل حدث أو انه السبب الوحيد فى نجاح أو فشل كل أمة فهناك أسباب أخرى مثل الجغرافيا ، والتنظيم العسكرى ، والحالة المعنوية للأمة ، ونظام التحالفات وعديد من العوامل التى يمكن أن تؤثر جميعها فى القوة النسبية لاقتصاديات الدول . الا أن هذا لايمنعه من أن يقول أنه مما لانزاع فيه أنه فى الحروب الطويلة بين القوى العظمى ، فان النصر كان فيه دائما حليف الجانب الذى يمتلك قاعدة انتاجية أكثر ازدهارا .

ولأن مركز القوة للدول العظمى قد ساير بشكل وثيق مركزها الاقتصادى النسبى عبر القرون الخمسة الماضية ، فانه مما يجدر التساؤل عنه هو المعانى التى تحملها الاتجاهات الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية اليوم بالنسبة لميزان القوى الحالى ، وهو فى هذا يبحث فى وضع القوى العظمى لعالم اليوم من حيث عناصر القوة والضعف فى مكوناتها الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية والعسكرية ومدى مساهمة هذا كله فى استمرار وضعها فى النظام الدولى المعاصر كقوى عظمى .

## ● دروس الماضى

غير ان الكاتب قبل أن يفعل هذا ، يعود الى التاريخ لكى يستخلص دروسه باعتبار «أن افضل وسيلة لفهم ما ينتظرنا فى المستقبل هو النظر الى الماضى ..» ولكى يرصد القوى الرئيسية التى حكمت عملية صعود وسقوط القوى العظمى ، ومن خلال المسح التاريخى لهذه العملية عبر القرون الخمسة الماضية ، يستخلص اتجاهين رئيسيين .

الاتجاه الأول : أن هناك دائما ديناميكية التغير مدفوعة اساسا بالتطورات الاقتصادية والتكنولوجية التى تؤثر حينئذ على الهياكل الاجتماعية ، والنظم السياسية والقوة العسكرية ، وعلى مركز الدول والامبراطوريات . على ان سرعة هذا التغير الاقتصادى العالمى لم يكن على صورة واحدة ذلك أن مدى التجديد التكنولوجى والنمو الاقتصادى ذاته غير منتظم ومشروط بظروف المكان والمناخ والحروب والاطار الاجتماعى وهكذا . كذلك اختبرت مناطق وتجمعات مختلفة عبر العالم معدلا سريعا أو بطيئا من النمو معتمدة فى ذلك ليس فقط على الانماط المتغيرة للتكنولوجيا والأنتاج . والتجارة ، ولكن أيضا على مدى تقبلها للطرق الجديدة لزيادة ثروتها وانتاجها .

أما الاتجاه الثانى : فهو ان هذا المعدل غير المنتظم للنمو الاقتصادى كان له اثر حاسم طويل الأجل على القوة العسكرية النسبية والمركز الاستراتيجى لأعضاء النظام الدولى . فلم يكن العالم فى حاجة لأن ينتظر انجلز لكى يكتشف له ان « لا شيء أكثر اعتمادا على الظروف الاقتصادية من الجيش والبحرية » كان هذا واضحا بالنسبة لأمراء عصر النهضة كما هو واضح اليوم لقادة البنتاجون ولادراكهم ان القوة العسكرية تعتمد على الموارد الكافية للثروة التى تنبع بدورها من قاعدة انتاجية مزدهرة ، ومن مصادر تمويل صحية ، ومن تكنولوجيا متقدمة . ورغم ان مؤشرات التاريخ لاتعنى دائما ان الازدهار الاقتصادى يترجم نفسه وعلى الفور الى فعالية عسكرية ، تظل الحقيقة ان كل التحولات الكبرى فى التوازنات العسكرية فى العالم كانت تالية لتغيرات فى التوازنات الانتاجية ، وأبعد من هذا فان ارتفاع وسقوط الامبراطوريات المختلفة كانا نتيجة لحروب القوى العظمى حيث كان النصر دائما معقودا للجانب الثرى الذى يمتلك أعظم الموارد المادية

● التاريخ والتنبؤ

ماذا تعنى هذه المؤشرات والدروس التاريخية لما سيكون عليه العالم والقوى الدولية على مدى العشرين أو الخمسة وعشرين عاما القادمة . يقول الكتاب أنه رغم أن التقديرات حول ما سيكون عليه العالم فى هذه الفترة قد تخطىء ، فإن هذا لايمنع من التوقعات التى تستند على التطورات العريضة القائمة الآن . فى هذا الاطار فانه من المعقول ان نتوقع استمرار واحد من التيارات الواضحة التى تجرى الآن الا وهى صعود منطقة الباسفيك ، ذلك ان التطور فيها يقوم على أساس عريض ، فهو لايتضمن فقط اليابان تلك القوة الاقتصادية الضخمة وانما ايضا العملاق الذى يتغير بسرعة وهو الصين الشعبية ، وليس فقط تلك الدول المزدهرة والصناعية التى استقرت مثل استراليا ونيوزيلاندا بل ايضا الدول الصناعية الجديدة التى حققت نجاحا ضخما مثل تايوان وكوريا الجنوبية ، وهونج كونج ، وسنغافورة ، وكذلك دول مجموعة الآسيان ، ومع امتدادات هذه المنطقة فى الولايات الباسفيكية من الولايات المتحدة وولايات من كندا ، وقد شجع النمو الاقتصادى فى هذه المنطقة الواسعة مزيج سعيد من العوامل : من ارتفاع ملحوظ فى الانتاجية الصناعية المتجهة الى التصدير ، الأمر الذى أدى بدوره الى زيادات ضخمة فى التجارة الخارجية ، وحركة الملاحة ، والخدمات التمويلية والتحول نحو أحدث التكنولوجيا والانتاج الرخيص القائم على العمالة الكثيفة وجهود بالغة النجاح لزيادة الانتاج الزراعى وبشكل اسرع من نمو السكان . وقد تداخل كل نجاح من هذا مع الآخر بحيث انتج فى النهاية معدلا من التوسع الاقتصادى الذى تفوق على توسع القوى الغربية التقليدية ، وكذلك مجموعة الكوميكون . لذلك لم يكن غريبا ان يتنبأ أحد الاقتصاديين بثقة ان منطقة الباسفيك بأسرها التى تمتلك الان ٤٣ ٪ من مجموع الانتاج العالمى ، سوف تمتلك بحلول عالم

# كتاب الشهر

٢٠٠٠ لـ ٥٠ ٪ من هذا الانتاج ويستخلص وان مركز الجاذبية الاقتصادية فى العالم يتحول بسرعة نحو آسيا والباسفيك حيث تأخذ منطقة الباسفيك مكانها كأحد المراكز الرئيسية فى القوة الاقتصادية العالمية .

بالاضافة الى هذا التطور المتوقع ، فانه من المعقول ايضا أن نفترض ان الحقب القليلة القادمة سوف تشهد استمرارا لاتجاه عريض وان كان أقل جاذبية الا وهو الثمن المتصاعد لسباق التسلح الذى سيغذيه ارتفاع اثمان نظم الاسلحة الحديثة ، وتزايد المعدات والمنافسات الدولية . فقاذفة القنابل ثمنها الأن مائتى مرة ثمنها فى الحرب العالمية الثانية . وهكذا الحال مع اسلحة اخرى مثل الطائرة المقاتلة التى ارتفع ثمنها مائة مرة ، وحاملة الطائرات عشرين مرة ، والدبابات ١٥ مرة ، مما كانت عليه اثمانها فى الحرب العالمية الثانية .

● **المدفع والزبد**

فى ضوء هذا التطور الأخير ، فإنه مالم يكن هناك عدو يطرق الباب ، فان الانفاق العسكرى فى هذا القرن انما يثير دائما نقاشا حول قضية المدفع مقابل الزبد ، كما يثير ، وان كان بشكل اقل علانية ، قضية العلاقة السليمة التى يجب ان تقدم بين القوة الاقتصادية والقوة العكرية ، الامر الذى يثير التناقض بين بحث امة ما عن الأمن الاستراتيجى بما يتطلبه من اسلحة حديثة ومن تحويل لموارد واسعة الى القوات المسلحة ، وبين بحثها عن الأمن الاقتصادى بما يعنيه من رخاء اقتصادى يعتمد على النمو الذى يتحقق بدوره من خلال اساليب جديدة للانتاج وخلق للثروة .

هذا التوتر بين الهدفين : الأمن الاستراتيجى ، والأمن الاقتصادى ربما يأخذ شكلا حادا فى نهاية القرن العشرين بسبب وجود نماذج حققت نجاحا بارزا واختارت وركزت على الأمن الاقتصادى وخاصة فى آسيا مثل اليابان وهونج كونج ، واقطارا مثل سويسرا والسويد والنمسا التى تؤكد سياستها الخارجية على العلاقات السلمية والتجارية ، ونتيجة لهذا فقد عملوا على خفض الانفاق الدفاعى ولكن فى الشكل الذى يتفق مع المحافظة على السيادة الوطنية وبهذا تتحرر الموارد الاقتصادية وتتوجه للانفاق الداخلى والاستثمار الراسمالى ، ومن ناحية اخرى هناك الاقتصاديات التى صبغت بالصبغة العسكرية مثل فيتنام ، وجنوب شرق آسيا ، وايران والعراق واسرائيل وجيرانها والاتحاد السوفييتى نفسه وجميعهم قد خصصوا اكثر من ١٠ ٪ من مجموع انتاجهم القومى للانفاق العسكرى كل عام حيث يعتقدون بشدة ان هذه المستويات من الانفاق ضرورية لضمان الأمن العسكرى والغايات السلمية .

بين هذين النموذجين من الدول التجارية والدول المحاربة يوجد القدر الأكبر من دول العالم والتى ليست مقتنعة ان العالم آمن بما فيها الكفاية وبشكل سمح لها بخفض انفاقها الدفاعى ، ولكنها

فى نفس الوقت لاتشعر بالاطمئنان للثمن الاقتصادى والاجتماعى العالمى للانفاق الدفاعي ، وتدرك أن هناك علاقة ما بين الأمن العسكرى القصير الأجل ، وبين الأمن الاقتصادى الطويل الأجل .

من أجل هذا يصبح التحدى الضخم الذى يواجه ـ معظم ان لم يكن كل النظم فى العالم ـ تحديا ذا ثلاثة وجوه : (أ) بضمان القدر الكافي من الأمن العسكرى (ب) باشباع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعها (جـ) بضمان النمو المستمر .

ويبدو تحقيق هذه الوجوه الثلاثة معا وفى فترة زمنية متصلة امرا بالغ الصعوبة ، ومع هذا فان تحقيق الهدفين الاول والثانى مع إهمال الهدف الثالث وهو النمو انما سيؤدى الى تراجع نسبى على المدى الطويل وهو ما كان مصير المجتمعات والقوى التى نمت بشكل بطىء وفشلت فى التوافق والتكيف مع ديناميكية القوى العالمية .

عند هذه النقطة يتجه الكاتب الى وجهته الرئيسية وهى : التساؤل عن امكانات القوى الخمس الكبرى فى عالم اليوم على مواجهة هذا التحدى ذى الوجوه الثلاثة ، وكيف ستتمكن من معالجة التوتر الكامن بين متطلباتها ، والى اى حد تستطيع ، وخاصة القوتين العظميين ، الاحتفاظ بمكانتيهما ، وهى مقبلة على القرن الواحد والعشرين بفروضه وتحدياته .

غير أن الكاتب قبل أن يبحث فى امكانات كل قوة ينبه بوجه عام انه ليس هناك حل كامل لهذا التوتر بين الاوجه الثلاثة ، وربما كان افضل ما يمكن تحقيقه هو ابقاء الاهداف الثلاثة فى تناسق تقريبى ، غير ان التوصل الى هذا التوازن سوف يتأثر بشكل كبير بالظروف القومية الخاصة وليس بالتحديد النظرى للتوازن ، فالدولة المحاطة بجيران معادين سترى أنه من الأفضل لها أن تخصص جانبا من مواردها للأمن العسكرى أكثر من الدولة التى لاتشعر بتهديد عسكرى مباشر . والدولة الغنية بالموارد الطبيعية ستجد من الممكن ان تلبى احتياجات الزبد والمدفع معا ، والمجتمع الذى يتجه الى النمو الاقتصادى واللحاق بالآخرين سيكون له اولوياته المختلفة عن ذلك الذى يقف على حافة الحرب . فالجغرافيا ، والسياسة ، والحضارة تؤكد جميعا أن الحل الذى ستتبعه دولة ما لن يكون بحال هو الحل الذى تتبعه دولة اخرى ، ومع هذا يبقى المبدأ الرئيسى وهو .

**انه بدون توازن تقريبى بين المتطلبات الثلاث : الدفاع ، والاستهلاك ، والاستثمار ، فانه من غير المحتمل ان تحافظ قوة عظمى على مكانتها لمدة طويلة .**

## ● الصين والتوازن

قد لاتبدو الأهداف الثلاثة المتصارعة : من تحديث للسلاح ، والاستجابة للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، والحاجة الى توجيه كل المصادر المتاحة الى مشروعات انتاجية غير عسكرية ، قد لاتبدو أكثر وضوحا

وضغطا مما تبدو اليوم فى الصين ، والتى هى فى نفس الوقت افقر الدول الكبرى ، وأكثرها حرجا من حيث الموقع الاستراتيجى . غير انه اذا كانت الصين تعانى من صعاب مزمنة ، فان قيادتها الحالية تبدو أنها تطور استراتيجية كبرى اكثر تماسكا فى مجموعها وفى تطلعها الى المستقبل من تلك التى تطبق فى موسكو او واشنطن او طوكيو ودعك من اوربا الغربية . وفى الوقت الذى تبدو فيه الضغوط المادية على الصين عظيمة ، فان هذه الضغوط تواجه بتوسع اقتصادى ، اذا ما استمر ، فإنه يعد بنقل الصين نقلة كبرى فى حقب قليلة

وتبدو نقاط ضعف الصين معروفة جيدا ، سواء كانت دبلوماسية أو استراتيجية من حيث القوى التى تحيط بها سواء كانت اليابان او الاتحاد السوفييتى أو حتى الولايات المتحدة رغم الجسور التى قامت بينها ، وتواجه الصين هذا الوضع فى وقت ليست فيه على نفس القوة العسكرية والاقتصادية للقوى التى تواجهها . ورغم الحجم العددى لجيش الصين فان اسلحته ومعداته ليست الا صورا محلية للنماذج الروسية أو الغربية ، واقتصاديا مازالت الصين تبدو متخلفة كثيرا ، عن المستويات المتقدمة فدخل الفرد فيها يبلغ ٥٠٠ دولار مقارنة بـ ١٢٫٠٠٠ فى كثير من الاقطار المتقدمة ، ٥٠٠ دولار فى الاتحاد السوفييتى . ومع احتمال تزايد سكان الصين من بليون الى ١٫٣ بليون عام ٢٠٠٠ ، فان امكان زيادة كبيرة فى الدخل الفردى قد لاتكون كبيرة .

يضاف الى هذا صعوبة حكم هذه الدول الكبرى سكانيا وجغرافيا والتوفيق بين القوى المختلفة : الجيش ، الحزب ، البيروقراطية ، الزراع ، وتحقيق نمو بدون اثارة غليان اجتماعى وايديولوجى

● سجل مؤثر

غير انه رغم هذا كله فان مؤشرات الاصلاح والتقدم الذاتى فى الصين خلال السنوات الثمانية الماضية تبدو مشجعة جدا وتوحى بأن عهد دنج سياو بنج قد ينظر اليه يوما ما بالشكل الذى رأى فيه المؤرخون عصر كولبرت فى فرنسا ، أو المراحل الاولى لحكم فردريك ، أو اليابان فيما بعد عصر الميجى ، أى الدولة التى تجهد نفسها لتطوير قواها ( بكل معانى الكلمة ) وبكل الوسائل العملية موازنة الرغبة فى تشجيع المشروع الخاص والمبادرة والتغيير بتصميم من الدولة على توجيه الاحداث حتى تتحقق الاهداف الوطنية بأقصى درجة من السرعة والهدوء . هذه الاستراتيجية تتضمن القدرة على رؤية كيف ترتبط الجوانب المتصلة لسياسة الحكومة بعضها ببعض ، وهى لهذا تتضمن توازنا على درجة كبيرة من الدقة ، الأمر الذى يتطلب أحكاما دقيقة فيما يتعلق بالسرعة التى يمكن ان تتحقق بها هذه التحولات بشكل آمن ، ومقدار الموارد التى يمكن تخصيصها على المدى الطويل مقابل احتياجات المدى القصير ، وتنسيق احتياجات الدولة الداخلية الخارجية ، واخيرا وليس آخرا فى دولة مازال لها نظام ماركسى «معدل» وبالشكل

الذى تتصالح فيه الايديولوجية مع التطبيق . ورغم ان صعابا قد حدثت ، وصعابا اخرى من المحتمل ان تثور فى المستقبل ، فإن سجل ما تحقق حتى الآن هو سجل مؤثر .

ويبدو مثل هذا السجل المشجع مثلا فى الطرق المختلفة التى تتحول بها القوات المسلحة الصينية وخاصة بعد اضطرابات الستينيات ، فخفض عدد الجيش من ٤ر٢ مليون جندى الى ٣ ملايين هو فى الواقع دعم لقوته الفعلية ، ويصاحب هذا تحديث واسع المدى للأسلحة الصينية وكذلك الاسطول ، وما هو أكثر تأثيرا بالنسبة لظهور الصين كقوة عسكرية عظمى السرعة غير العادية لتقدم التكنولوجيا النووية . ففى بداية الثمانينيات اختبرت الصين الصاروخ العابر للقارات ICBM بمدى يصل الى ٧ آلاف ميل وهو النطاق الذى لايضم فقط كل الاتحاد السوفيتى بل أجزاء من الولايات المتحدة . وبعد هذا بعام اطلق أحد صواريخها ثلاث سفن فضاء الامر الذى يدل على تقدم تكنولوجيا الصواريخ المتعددة الرءوس النووية . ورغم أن معظم قوات الصين النووية هى قوة أرضية وذات مدى متوسط أكثر منها ذات مدى طويل فإنه قد اضيف اليها الصاروخ العابر للقارات ، وربما كانت أهم خطوة ( فيما يتعلق بالردع النووى ) ، هو ظهور أسطول من الغواصات الحاملة للصواريخ ، فمنذ عام ١٩٨٢ ، والصين تختبر صواريخ بالستيكيه تطلق من الغواصات ، كما تعمل على تحسين نطاقها ودقتها ، كما أن ثمة تقارير حول تجارب صينية بأسلحة نووية تكتيكية .

## ● عنصر الوقت

كل هذا يدعمه ابحاث واسعة النطاق فى الحقل الذرى ، ورفض لتجميد برنامجها النووى من خلال اتفاقيات دولية تحد منه حيث ترى ان هذا سوف يساعد فقط القوى العظمى الاخرى . غير ان هذا التطور فى القوة العسكرية الصينية لايعنى غياب عناصر الضعف ، فهناك دائما التخلف فى عنصر الوقت بين انتاج نظام ما من السلاح وبين اتاحته بكميات كبيرة بعد اختبارها ، وعدم استبعاد النكسات بما فى ذلك احتمال انفجار غواصة صينية حين كانت تحاول اطلاق صاروخ ، أو الغاء أو إبطاء برنامج للتسليح ، والافتقار الى الخبرة فى فروع معينة مثل محركات الطيران المتقدمة ، والرادار ، والملاحة ومعدات الاتصالات ، كل هذا يعوق تقدم برنامج الصين نحو مساواة حقيقية مع الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، هذا فضلا عن عنصر التمويل الذى يجعلها غير قادرة على التخطيط للحصول على كل فروع التسلح او أن تعد نفسها لكل تهديد متصور . ورغم هذا فان القدرة العسكرية الصينية تعطيها نفوذا أكبر مما كان لها بحيث اصبح من غير المتصور أن يتمكن الاتحاد السوفييتى مثلا من تدمير نظم الصواريخ الصينية الارضية قبل أن تكون الصين قادرة على الانتقام .

على أن اهم المظاهر لقوة صينية محاربة على المدى الطويل انما تكمن فى موضع آخر : فى النمو السريع الملحوظ لاقتصادها والذى جرى خلال الفترة القليلة الماضية . فالواقع انه مع نهاية السبعينيات كان الاقتصاد الصناعى الصينى من الاتساع ان لم يكن اوسع مما كان عليه الاتحاد السوفييتى أو حتى اليابان عام ١٩٦١ ، علما بان هذه الفترة

دخل فيها الهزات الاقتصادية والاجتماعية ، وانسحاب السوفييت ، وغليان الثورة الثقافية ، وما لم تحدث هذه الاحداث لكان النمو الصينى أسرع فى مجموعه وهو ما يؤكده حقيقة انه عبر السنوات الخمس الماضية من اصلاحات ، دنج سياوبنج حققت الزراعة نموا قدره ٨ ٪ ، والصناعة ١٢ ٪ . على انه ولدرجة كبيرة يظل القطاع الزراعى هو فرصة الصين ونقطة ضعفها . فحيث تشكل الزراعة أكثر من ٣٠ ٪ من مجموع الناتج القومى الصينى ، وتوظف ٧٠ ٪ من سكانها ، فان اى تصدع أو حتى انخفاض فى هذا القطاع سيمثل عائقا للاقتصاد باسره مثلما حدث فى الاتحاد السوفييتى ، وهو التحدى الذى يضاعفه القنبلة السكانية الموقوتة فالصين الآن تحاول اطعام بليون شخص يعيشون على ٢٥٠ مليون هكتار من الارض الصالحة للزراعة ( مقابل ٤٠٠ مليون هكتار فى الولايات المتحدة الـ ٢٣٠ من السكان ) ، فهل ستستطيع أن تطعم ٢٠٠ مليون صينى آخرين مع حلول عام ٢٠٠٠ بدون اعتماد متزايد على استيراد الطعام .

أنه من الصعب الاجابة الواضحة على هذا السؤال الحرج ، ذلك ان الخبراء يقدمون شواهد مختلفة . فبينما تدهورت صادرات الصين الزراعية التقليدية عبر الحقب الثلاث الماضية وأصبحت عام ١٩٨٠ وبشكل وجيز جدا مستوردا صافيا ، فإنه من ناحية اخرى تكرس الحكومة الصينية موارد علمية ضخمة لتحقيق الثورة الخضراء على النمط الهندى ويشجع دنج الاصلاحات المعتمدة على السوق على زيادة كبيرة فى اثمان السلع الزراعية دون تصدير هذا الارتفاع الى المدن ، الامر الذى أدى الى ارتفاع ضخم فى انتاج الطعام خلال نصف الحقبة الماضية . منذ ١٩٧٩ الى ١٩٨٣ حين كان معظم العالم يعانى من الركود الاقتصادى رفع الـ ٨٠٠ مليون صينى الذين يشتغلون بالزراعة من دخولهم بـ ٧٠ ٪ بحيث انتج الصينيون عام ١٩٨٥ ، ١٠٠ مليون طن زيادة من الحبوب عما فعلوه فى حقبة ماضية وهو ما يمثل واحدا . من أكثر الموجات الانتاجية التى سجلت حتى الآن .

اما اندفاع الصين نحو الصناعة فهو اكثر اهمية وان كان اكثر حساسية اذا أخذنا فى الاعتبار الاوضاع الداخلية . فالتقدم فى الصناعة لم يعوقه فقط الافتقار للقوة الشرائية ، وانما ايضا سياسات التخطيط المغالى فيها على النمط السوفييتى . الا أن اجراءات التحديث فى السنوات الاخيرة قد ادت الى ارتفاعات مؤثرة فى الانتاج كما ادت أيضا الى بعض المشكلات ، فقد اثار ما خلقته من عشرات الالاف من المشروعات الخاصة أيديولوجى الحزب ، كما ادى ارتفاع الاسعار الى شكوى عمال المدن . ورغم هذا فان معدلات النمو المخطط لها ( ٧ ½ ٪ ) ورغم انخفاضها عن المعدلات السابقة منذ عام ١٩٨١ ( ١٠ ٪ ) فانها سوف تضاعف مجموع الناتج القومى للصين فى أقل من عشر سنوات . ومن العوامل التى ستساهم فى هذا بشكل بارز ان آلاف العلماء من الصينين الذين ذهبوا الى الولايات المتحدة والغرب مع نهاية

السبعينيات سيقدمون للصين مع عام ١٩٩٠ كادرا علميا قادرا وسينفذون هم وغيرهم الذين سينفذون فى الداخل برنامجا لجعل التكنولوجيا الصينية الصناعية فى مستوى أفضل المستويات العالمية على الاقل فى مجالات النشاط الاستراتيجى .

على ان من اكثر الجوانب اللافتة المرتبطة باندفاع الصين نحو التقدم هو التحكم الصارم فى نفقات الدفاع حتى لاتستهلك القوات المسلحة المصادر المطلوبة فى مجالات اخرى . ومن وجهة نظر دنج فان الدفاع يجب ان يظل فى المرتبة الرابعة من التحديثات الاربعة بعد الزراعة والصناعة والعلم . ورغم صعوبة الحصول على الارقام الحقيقية حول الانفاق الدفاعى الصينى فانه من الواضح ان النسبة المخصصة من مجموع الناتج القومى للقوات المسلحة قد انخفضت خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة من ١٧٫٤ ٪ عام ١٩٧١ الى ٧٫٥ ٪ عام ١٩٨٥ . ويعتبر هذا الاتجاه من اكثر المؤشرات دلالة على التزام الصين بالنمو الاقتصادى وهو مايقف على تناقض واضح مع سيطرة عقدة الأمن العسكرى على الاتحاد السوفييتى ، والمبالغ التى تخصصها ادارة ريجان للقوات المسلحة . هذا الاختيار الصينى يعكس اعتقاد بكين أن الأمن العسكرى على المدى الطويل سوف يتأكد حين يتضاعف انتاج الصين وثروتها .

ماهو تأثير هذه السياسات الداخلية على سياسة الصين الخارجية والدولية ؟ على العكس مما كان يتعلق به «ماو»

ومن توتر اقليمى ودولى ، تفضل الصين الآن الاحتفاظ بعلاقات سلمية مع جيرانها حتى مع هؤلاء الذين تنظر اليهم بشك ، فالسلام هو شىء جوهرى بالنسبة لاستراتيجية دنج الاقتصادية . فالصين وقد حققت قدرة صناعية معقولة تستطيع الآن ان تركز اكثر على التصور الاقتصادى . أما علاقاتها مع موسكو وواشنطن ، فقد اتبعت بكين فى السنوات الأخيرة سياسة مدروسة وانتهت الى ان الوضع النموذجى هو ان تبقى مسافة متكافئة بينها وبين كلا القوتين وان تجعلهما يتنافسان على استرضائها . وقد قدمت هذه السياسة للصين مصداقية كبيرة وكمركزها كقوة ناهضة . ففى كثير من الأحيان تصرفت الصين بشكل يمثل تحديا لما تفضله أو تطالب به موسكو أو واشنطن ، وفى أوقات أخرى سلكت شكل مختلف مختلف جدا عما يتوقعه الآخرون .

وعلى هذا ، وبمعنى ما ، فان الصين يمكن أن تعتبر قوة مرشحة لمكانة ومركز القوة الاعظم ولكن بمعاييرها وطريقتها الخاصة وليس تقليدا او محاكاة للولايات المتحدة او الاتحاد السوفييتى . وايا كان مقياسنا لمركز الصين الفريد فى السياسات العالمية وعلى المدى الطويل ، فان الصين تمثل قوة سياسية واستراتيجية اكثر اهمية من ان ينظر اليها كشىء لاحق لموسكو او واشنطن او كمجرد قوة متوسطة .

ونعالج فى عدد قادم مستقبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واليابان ودول السوق الأوربية المشتركة كقوى عظمى ، كما يطرحها بول كيندى .

## حين يكون الصديق مؤرخاً

# بين جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

بقلم : د. محمد رجب البيومي

**كان الأستاذ عبدالعزيز البشرى يحرّر فى ( السياسة الاسبوعية ) باب ( المرآة ) فيجلو بعض مايعرف من ملامح الكبار فى دنيا السياسة والأدب والعلم ، كما كان صديقا حميما لشاعر النيل حافظ إبراهيم ، وجاءت نوبة الصديق العزيز فبدأ البشرى مقاله بقوله :**

**« وإذن فساجلو حافظا فى هذه المرآة ، وارمى فيه بالقول ، وإنى سادخل فى الورطة ، وتحق على الكلمة فى كل حال ، ويح نفسى من عنت أهل العنت من القراء ، فإننى إن قلت فيه خيرا ، قالوا : شهادة صديق لصديق فهى متهمة مهدورة ، وإن قلت شرا قالوا ما انكره للودّ وما أكفره ، وإنى لأعوذ من السن هؤلاء بالحق ، فالحق اجدى من مصانعة هؤلاء » .**

وقد وقع ميخائيل نعيمة فيما وقع فيه عبدالعزيز البشرى حين ألف كتابه عن صديقه ( جبران خليل جبران ) إذ قال فيه الخير والشر معا ، وكان على الناقدين أن يرتاحوا لإنصاف صديق آثر الحق على الباطل ، وأن يعدّوها مأثرة نزيهة من مآثر الكاتب الكبير، ولكن القيامة قامت على الرجل فى لبنان ومصر والمهجر ، ورفع الراية فى المعركة نفر من ذوى الألسن والاستطالة ، وفيهم الناقد المر الأستاذ مارون عبود ، والخطيب المناظر الأستاذ فليكس فارس ، والأديب المهجرى يوسف البعينى ، واتسعت الصحف والكتب لحوار مديد منذ نصف قرن ، ثم رحل ميخائيل نعيمة إلى جوار ربه ، وقال الراثون عنه ما قالوا ، وبدا لى أن أتفيض فى شىء من



جبران خليل جبران



ميخائيل نعيمة

ذكره فأثرت الحديث عن موقفه من جبران .

● بين الصديقين

اقترن اسم ميخائيل نعيمة باسم جبران كما اقترن اسم المازني باسم العقاد ، لصحبة أدبية عريقة جمعت بين الأديبين الكبيرين ، وقد رحل جبران مبكراً عن صاحبه إذ بقي بعده أكثر من نصف قرن يرقد وينير ويسخو ، وإذا كان جبران رهيف الاحساس ، قوي التصوير ، رائع الوثبة ، فإنه في تقديري الخاص لايبلغ مبلغ نعيمة في النفاذ الموغل إلى أقصى شعاب النفس ، فأنت تقرأ جبران فتعجب بالوثبة الطائرة ، والريشة المصورة ، والحس الرهيف ، ولكنه بعد ذلك كله يدعك في مكانك حيث أنت ، أما نعيمة فيرجُك رجا ، ويرتفع بك إلى عالم أعلى وأضوأ ، فأنت تتابعه في انبهار ، وتشعر بعد قراءته أن شيئا جديدا طرأ عليك فنقلك من مكان إلى مكان ، وأورثك قلقا روحيا يشغل خاطرك ، وتظل طيلة يومك تفكر فيما اهتدى إليه نعيمة من بوارق تسطع في أحلك الغيوم ، وقد تخالفه في بعض منحاه ، أو في أكثر منحاه ، ولكنها مخالفة من يحذر ، ويقيم لها ألف حساب ، لأنه لا يجد الأدلة الكافية على اليقين ، وإذا لم يترك نعيمة قارئه على صخرة ثابتة مما يقول ، فحسبه أن حرك خواطره ، وأيقظ كوامنه الهاجعة ، وأفاقه من نوم طويل .

لقد عرف الناس قوة الأصرة بين الصديقين الحميمين ، فهبوا بعد رحيل جبران يسألون الصديق عن مشاعر الصديق ، وكتب نعيمة كلمة الرثاء في الصحف ، وأبدى بعض مايعتقد في إنصاف ومودة ، ثم رحل إلى لبنان عائدا من المهجر ، فرأى حديث الناس عن صاحبه يجعله أسطورة لا حقيقة ، إذ قرءوا له كتاب ( النبي ) فرفعوه إلى مقام الأنبياء ، وكتبوا على قبره ( هنا يرقد نبينا جبران ) وانتشرت كلمات الرثاء تستشهد

ببعض ما قال ميخائيل نعيمة عن صاحبه بعد رحيله في مقاله ( تخليد جبران ) وفي كلمته ( جبران الحي ) التي افتتح بها حفلة التأبين في بروكلين في مجمع أقامته الرابطة القلمية هناك ، ووقع ميخائيل في حيرة ، لأنه يعتقد في أطوائه أن ما قاله في مواقف التأبين يتسم بما يتطلب المجال من مجاملة كريمة تصبح زهرة رفافة على قبر راحل ، وليس لصاحب المجاملة أن يكون باحثا يتغلغل إلى الأعماق ، ويكتنه السرائر ، وها هو ذا صار شاهدا على نبوة جبران ، فلابد إذن من كتابة مؤلف يرسم انطباعه الحقيقي عن صاحبه ، ليريح نفسه من تبعة أدبية أَوْقَرَتْ صدره ، وليست هذه الراحة وحدها هي الدافع الى تحرير سيرة جبران ، فإن مع ذلك كله ما يخشاه ميخائيل نعيمة حين يصبح جبران أسطورة تعجز ذوى القدوة من الناشئين ، إذ لو كان كذلك ، ما اشرأب أحد إلى منزلته الأدبية ، فيؤنس محبيه بدل أن يكون أملا ينعش ، ودافعا يحدو ، لابد إذن أن يظهر جبران للناس كما كان في عالم الأحياء ، ولن يستطيع أحد الحديث عن حقيقة جبران كما يستطيع ميخائيل ، ولابد أن نعيمة قد عانى حربا نفسية قبل أن يعزم على الكتابة ، إذ تعاظمه حينا أن يظهر جبران كما كان ، ثم تعاظمه ثانية أن يسكت عن باطل قد ذاع ، وشارك هو في بعضه مجاملة وتكريما ، هذا الصراع الناهض في نفس نعيمة قد انتهى بعد الدفع والجذب إلى وفاق صارم يتجاوز حقوق اللياقة ، منتقلا إلى احترام الكلمة ، وارضاء الضمير .

## ● كتاب جبران

الف ميخائيل نعيمة كتابه عن صديقه على نمط غير معهود ، إذ أن أمثال هذه الكتب تبدأ عادة بالحديث عن الأسرة والمنزل متدرجة إلى وصف البيئة والمناخ ثم تتتبع المترجم مولودا وطفلا وناشئا وشابا وكهلا على نحو مترابط يسد الفجوات ، ويربط النتائج بالأسباب ، وفي خلال ذلك يأتى التحليل الأدبى لروائعه ، ومدى توفيقه فى مجاله الفنى تعبيرا وتصويرا ، ولكن المؤلف بدأ بالنهاية فوصف لحظات الاحتضار وفاجأ القارىء بآلام لايتوقع الابتداء بها ، ثم انقلب من النهاية الى البداية فجأة فأرسل لخياله العنان فى وصف لبنان وموطن جبران ببشرى ، وسمح لنفسه أن يتصور أحاديث متخيلة بين القابلة والأب مما لا يعقل أن يلم به الطفل الوليد ليذكره فيما بعد ، ونقطة الضعف في هذه التخيلات أن القارىء يحس اختلاقها ، فينتقل من قراءة ترجمة حقيقية لانسان مشتهر إلى مسرح قصة خيالية يتفنن أديب كبير في ابتكارها ، ويتساءل هل يعم هذا التخيل ما نسب الى جبران من الوقائع فيما يلى هذه الابتكارات ، وبذلك يقف موقف الحذر فيما يرويه الصديق عن الصديق ، والذين يُحَبِّذُون منحى نعيمة يذكرون أنه يرسم المسرح للأحداث بهذه التخيلات ، فهو يقيم الأعمدة التى تحمل المظلة ، وإذا

جاز هذا في قصة ، فما أبعده عن الجواز في سيرة تاريخية ، نقول هذا ونحن نعلم أن الحواجز ليست من الصرامة بحيث تمنع التقاء السيرة والقصة في نطاق واحد ، ولكنها مع هذا الالتقاء تفرض على كاتب السيرة أن يكون واقعيا ، وإذا لجأ إلى الخيال التصويري ، فإن وظيفة الخيال هنا أن يعين على وصف الحقيقة كما كانت لا كما يتخيلها أديب قاص ، فإذا تجاوزنا هذا المأخذ ، وهو ما نؤيد من ألحوا على تسجيله من الناقدين ، فإننا نلتقي بمأخذ آخر ، هو موضع الجدل الحقيقي الذي اتصل منذ ظهر كتاب نعيمة إلى اليوم ، والذي أغضب نفرا من كبار الناقدين ، وأرضى فريقا آخر ، وإذا رجعنا إلى المقدمة الموجزة التي كتبها نعيمة فإنها تعلن أن في حياة كل إنسان أسرارا يكتمها عن الناس ، وقد وقف الصديق على بعض هذه الأسرار وفاته الكثير ، وإنه ليتساءل : أيليق به أن يبوح ولو ببعض مايعرف ؟ وإذا لجأ الى الكتمان فما معنى الذي يكتبه ؟ أيخون القارىء ويخون جبران نفسه حين يخفي ما ليس بخاف في سجل الحياة ، وإن لم يكن مستورا عن أعين الناس ، أيصور نعيمة صورة لا وزن بين ظلالها وأنوارها ليرضي بعض من لا ذوق لهم في الفن ، ولا رأى لهم في الحياة ، وحينئذ يجور الكاتب على ذوقه وعلى أدبه فيواري الحقائق الصريحة ، ويغدو ضائق الصدر بمسلكه ، نهبا للصراع بين الحين والحين ! .

لقد صمم الكاتب على أن يقول بعض هذه الأسرار ، مهما كان موقعها ، والذين يظنون أن نعيمة كان سيىء النية في هذا الاتجاه ، عليهم أن يفهموا أن الكاتب الكبير قد تحدث عن نفسه في كتاب ( سبعون ) فذكر من الأسرار الخاصة به ماكان يجب أن يستره لو اقتدى بمنطقهم الحريص ، لأن نعيمة يرى تعرية النفوس اقرب الوسائل لعلاجها ، وكان يجد لذة فنية في كشف ما استتر من الخوالج والمعاني أو من الوقائع والأحداث ، لأن اللذة التي يلاقيها الانسان ، كما يقول نعيمة في كتابه سبعون - إذا هو تعرى امام الناس تريح نفسه إذ يصير كيانه الداخلي واضحا للعيان ، وكأن جسده قد استحال بيتا من زجاج يشف عما فيه دون حجاب ، فهل نقول إن نعيمة قد حمل غلا لنفسه ، حين كشف عن نزوات الضعف ، أو نقول إن مبدأ كشف الأسرار قد نزل منه منه منزلة الحق الصائب ، فالتزمه مع نفسه كما التزمه مع جبران ! .



فيلكس فارس .. الخطيب المناظر

● بعض المآخذ

حين ظهر كتاب نعيمة عن جبران لم تشتعل الحومة حول آرائه الأدبية في صديقه ، ولم يتوجه النقد إلى هنات خاصة بالتأليف إذ لم يطرد على نسق واحد ، فإن ذلك كله لم يكن من الأهمية بحيث يدور حوله الأخذ والرد في صخب مرتفع ، بل مر النقد عليه في همس يتلمس التبرير ، ويحترم وجهة النظر المقابلة ، ولكن الضجيج الصارخ قد احتدم حول ما سرد نعيمة من وقائع خاصة بصواحب جبران ، حيث ذكر أسماءهن ، وفصل أدوارهن ، وكشف المخبأ عن واقع غير منتظر .

فالذين رفعوا جبران الى مرتبة النبوة ، وكتبوا على ضريحه ( هنا يرقد نبينا جبران ) قد ساءهم أن يسجل على جبران ، إرتكاسه في حماة الرذيلة مرات متتابعات مع نساء مختلفات ، ولن نجاري نعيمة في ذكر أسمائهن ، فذلك ما كان الأولى أن يكتم إذ لا فائدة من ذيوع الاسم لأن التعرية التي يقصدها نعيمة تتحقق دون تحديد الطرف الآخر ، فأولاهن ذات زوج غافل تستقبله في مخدعها ، وتشكو إليه زوجها البغيض الذي قضت معه عشر سنوات هي عشرة الدهور من الألم والمرارة ، وأنه مشتغل بتجارته ومنزله خال في أكثر الأيام ، ويمضي الحديث في هذا المنحى حتى ينتهي إلى غايته المعلومة ، ويخرج جبران مشمئزا من نفسه ، ولكنه يعتاد ما ألف ويتكرر السقوط طيلة عام كامل ، وقد اعتقد أن صاحبته ليست مذنبة فالذنب ذنب من أكرهها على الزواج ، وهو تبعا لهذا المنطق غير مذنب .

والثانية ذات حديث طويل ، فقد خدعها جبران ، وذكر أنه صاحب حقها ، لأن قلبه قد توافق مع قلبها ، ووعدها بمعسول الأماني ، وقد حملت منه ، فأشار عليها بالتخلص من الجنين ، ثم سافر إلى باريس ودعاها فأسرعت لتكون الزوجة ، فأصر على أن تكون الخليلة ، فصرخت وتركته لاعنة .

والثالثة ، عطفت عليه ، ورتبت له معلوما شهريا ينفق منه في باريس ، ولاطفته بدءا ، ولكنها كانت مجربة فطنة ، فأدركت مأساته مع غيرها ، ولمس جبران حاجته إلى مالها ، فعرض عليها الزواج ، ولكنها بتجربتها العميقة كشفت دواعيه ، وعاجلته بسؤالها القاتل ؟ هل أنت نظيف ؟ فأحس بالطعنة النجلاء ، وخرج نادما يتأوه .

هذا أوجز مايمكن أن يختصر في هذا النطاق ، وقد صوره نعيمة بما يملك من ايحاء وافتنان ، وكان ما كتبه مفاجأة لبعض قارئيه ، فهبوا لاغطين .

● رسالة المنبر

كان الأستاذ فليكس فارس أوسع من تعرضوا لنقد ميخائيل نعيمة ، إذ خصه ببحث ضاف في كتابه ( رسالة المنبر ) جاوز السبعين من الصفحات ، وكاد يصبح كتابا مستقلا ، والأستاذ فارس خطيب عربي جهير المكان ، لذلك ظهرت

روح الخطيب فى دراسته ، فاعتمد على الانفعال السريع ، والحماسة الرنانة ، وقد اعترف أنه لم ينعم بصحبة جبران غير سبعة شهور ، وأنهما لم يتحدثا فى غير الشئون الفكرية بعيدين عن السرائر والأسرار الذاتية ، وهذا مما يضعف تصديه لرواية صديق عاشر جبران خمسة عشر عاما فى مصاحبة دقيقة تلمس موضع النجوى ، وتتوغل فى أدق الشعاب المستترة فى أطباق الدم واللحم ، ولا أدرى لماذا ينكر على نعيمة أن يتحدث عن خوالج صديقه وكأنها شيء محرم ، وإذا أجاز فارس لنفسه ألا ينتقل الى منطقة يراها محظورة ، فليس لغيره أن ينحو منحاه فى التحليل والتحريم ، وأنا معه فى أن ميخائيل أسرف فى التخيل إذا ألم بطفولة جبران ، ولكن هذا لايعنى أنه اخترع أحداثا ، تفرق بين التخيل الموهوم ، والواقع الصريح .

يشك فارس فى الواقعة الخاصة بالحبيبة الأولى ذات الزوج البغيض ، ويراها مما لا يصح أن ينقل ، وأنا معه فى أنها قد لا تنقل فى منطق من يتحرج ، ولكنى لست معه فى أنها متعذرة الوقوع ، إذ ليست غير التقاء رجل بامرأة فى أمريكا ! وذلك مما يتكرر دائما ! .

أما الثانية ، فقد تعاظمه أن يقول نعيمة عنها على لسان جبران ، لقد اقترنت بها أمام الله ، لقد جعلت من جسمى وجسمها هيكلا واحدا لعبادة الحب الواحد الطاهر ، وحين تسأله متى تقترن برفيقتك أمام الناس بعد أن اقترنت بها أمام الله ؟ يجيب جبران صاحبته قائلا : ما أكثر ترابك وأقل تبرك ، تقولين : الناس الناس ، ما همى بالناس ، وما يقولون ويفعلون ، هل جمعوا بين قلبين إلا ليفصلوهما أو ربطوا متناقضين إلا ليقتلوهما برباطهم .

فتجيبه صاحبته ، ولمن ترسم رسومك ياخليل ، ولمن تنظم قصائدك ؟ أليس للناس ، ومجد من تطلب يا خليل أليس مجد الناس ! .

فيرد جبران متضايقا : أنت منهم ، أنت كذلك ابنة الديدان والأكفان ! .

ويطرد الحوار فى هذا المنحى ، وإذا جاز للأستاذ فليكس فارس أن يشك فيه ، فأنا لا أشك قيد لحظة لأن جبران قد قال فحوى هذا الحوار فى كتاب « الأجنحة المتكسرة » وسجله بقلمه فى كتاب أذاعه بين الناس وتعددت طبعاته .

يقول جبران - بعد أن جرح رجال الدين بأقسى مايقال - إن من حق المرأة أن تهجر بيت الزوج لتلقى حبيبها كما تشاء ، بدون معاناة لوخز الضمير ، لأن العقد الذى يمضيه الحب أصدق من العقد الذى يمضيه المطران ! .

أليس هذا أنموذجا لقوله : ما شأنى والناس ، لقد اقترنت بها أمام الله .

أما الثالثة ، فسيدة مفكرة عرفت انحدار جبران مع غيرها فسألته هل أنت نظيف ، فأى غرابة يستحيل معها هذا السؤال ؟ .

ثم خاطب الأستاذ فليكس نعيمة قائلا « أيها المفكر الذى يجول فى دمه شمم

لبنان ، انما كان الاجدر بك أن تستنير بما فيك من نور ، وبما فيك من كرامة ، وأنت تورد لنا هذه العيوب ، بل هذه الجرائم سواء أكانت الوقائع خيالية أم حقيقية ، إنك تسىء إلى الأدب العربى وإلى الناشئة العربية التى تتطلب من أرباب القلم أن يخلقوا لها المثل العليا لا تنتهج سبيل العدل والكرامة والنخوة والمروءة فى الحياة » . وفارس هنا خطيب داعية ، وما كان ميخائيل خطيبا ذات يوم ! .

● بيت القصيد

فرحت حين علمت أن الأستاذ ميخائيل نعيمة قد تحدث عن سيرته الذاتية فى كتاب رائع هو « سبعون » إشارة إلى عمره الزمنى حين أصدر هذا الكتاب ، وأنا أعلم منحى الكاتب الكبير فى تعرية النفوس ، والكشف عن الدفائن المستورة دون حرج ، ولابد لمن قطع فى بيداء العمر سبعين عاما أن تهب عليه أعاصير عاصفة ، تجبره على الاستسلام تارة ، وتدفعه إلى المقاومة تارة أخرى ، فالإنسان ضعيف الحول مهما اصطنع القوة ، وله من غرائزه الأدبية سباع ضارية تثور عليه مسلحة بالأنيـاب والبراثن ، وقد هبت هذه الأعاصير على المحارب الباسل فانتصر وانهزم ، وسعد وشقى ، وفى حالة انتصاره لمعت البسمة فى خاطره ، فسجل تأبيه على الغريزة فى موقفين ، أولهما فى حفل موسيقى تيسر فيه السبيل للهو فاستعصم الأديب الشاب ، وثانيهما فى نزهة خلوية بغابة الدير فى ضوء القمر وقد استلقى هادئا جوار رفيقته التى جاوبته عاطفته ، ولكنه أسكت صراخ نفسه ، ولم يشأ أن يستسلم ، وميخائيل إنسان لا ملاك فليس من الطبيعى أن يطول امتناعه بل من المتوقع أن يهوى فى مآزق متتابعة ، تحدث عنها بإفاضة ، مرة فى روسيا ويجد القارىء حديثها فى « سبعون » ص ٢١٣ وما بعدها ، ومرة فى أمريكا ويجد القارىء حديثها فى ص ٢٥٦ وما بعدها ، وثالثة ، بنيويورك يجد القارىء حديثها فى ص ٢٣١ ، وقد سرد الكاتب ملابسات هذه الجرائر وعين الأسماء كما عينها فى حديثه عن مواقف جبران ، وليس من شأننا أن نفصل هذه النزوات ولكننا نشير اليها لنؤكد أن الميزان الذى وزن به صديقه وأثار عليه الثوائر هو نفسه الميزان الذى وزن به نفسه ، فإذا ظن أحد به خبث الطوية فى كتابه عن جبران ، فقد تبدد هذا الظن بعد أن سجل الرجل على نفسه ما سجله على صاحبه ، إلا إذا غالى مكابر عنيد فزعم أن ميخائيل كان خبيث الطوية أيضا حين سرد عن نفسه مالم يشأ أن يحجبه عن الناس ، ولا يسعنا حينئذ إلا أن نقول له ، لك أن تفهم ما تشاء ، ولكن ليس لك أن تفرض شططك على المتزنين .

# الشيخ على يوسف

## صعيدى فى بلاط صاحبة الجلالة !

بقلم : أحمد حسين طماوى

**يعد الشيخ على يوسف من ابرز رجال الوطن ، ورجال القلم فى ظروف بالغة الصعوبة فقاد المعارضة للاحتلال البريطانى وهو الرجل العصامى الذى تبوا مكانة رفيعة فى الصحافة المصرية .**

● ولد الشيخ على يوسف فى « بلصفورة » التابعة لمركز سوهاج من أعمال جرجا بصعيد مصر عام ١٨٦٣ ، وسرعان ما توفى والده بعد مولده بقليل فانتقل مع امه الى « بنى عدى » ( اسيوط ) حيث نشأ بين اخواله ، وتلقى قسطا من التعليم الدينى فى الكتاتيب كان ابرزه حفظ المصحف الشريف ،ثم انتقل الى القاهرة ليلتحق بالازهر .

ويصف لنا الصحافى اللبنانى سليم سركيس دخوله القاهرة ، وهو من عارفية ومعاونيه فى تحرير المؤيد ، فيقول فى مجلته المسماة باسمه :

« مشى من المحطة الى شارع باب الحديد فرأى عربة جميلة تقل رجلا جليلا تحيط به مظاهر الابهة والعظمة فقال لاحد المارة بسذاجة القروى :

ـ من هذا العظيم يا سيدى .

ـ هو رئيس النظار .

فتنحى الشاب قليلا ، ووقف بعيدا متهيبا ، ومر رئيس النظار بموكبه وهو لا يشعر بوجود الشاب . الا أن الشاب شعر بعظمة الوزير الكبير ولابد انه قال فى نفسه : من لى بأن أعرف هذا الرجل العظيم » .

### ● الى العواصم الكبرى

ولم يمض طويل وقت على هذا الكلام حتى سما به طموحه ورسخت قدمه ، واطلق قلمه ـ فى جريدتى الاداب والمؤيد ـ لينطق بنجابته ، فشاع صيته، ولهج القوم بقدره ، وسعى اليه رئيس النظار الذى تهيب الشيخ موكبه ،

وصار جليس الخديو عباس الثانى ومستشاره · وسرعان ما استقبلته الاستانة ضيفا عليها أثناء مرافقته للخديو ، وهناك انعم عليه جلالة السلطان بالرتب الكبيرة · وقد فصل الشيخ رحلة الخديو الى عاصمة الخلافة فى مقالات كثيرة طالعها على الناس على صفحات المؤيد ، ثم جمعها فى كتاب أطلق عليه « أيام الجناب الخديو المعظم عباس الثانى فى دار الخلافة » وقد اتخذ من مشاهد البحر المتوسط موضوعا سياسيا تاريخيا عالجه بعقلية واقعية سياسية ، ولم يتخذه موضوعا أدبيا خياليا خالصا على حد قول الدكتور عبد اللطيف حمزه فى الجزء الرابع من « أدب المقالة الصحافية » فقد بين أهمية موقع مصر، وشأنها فى مدنية البحر المتوسط ، وما دار من منازعات دولية فى تلك المنطقة من العالم · على أن قصر الخلافة فى يلديز لم يتوقف عن الانعامات السلطانية على الشيخ فقد منحه الخليفة الدالية الذهبية لجهوده فى دعم خط حديد الحجاز ، وانعم عليه بالباشوية ·

ويمرور الوقت تزدهر « المؤيد » ويدوى اسم الشيخ فى العالم الاسلامى والعالم الاوربى وتقام له الحفلات أنى توجه · فبين ١٩٠٢ و ١٩٠٧ زار الشيخ لندره وباريس أكثر من مرة ، وقوبل هناك بما هو له أهل ، والتقى به رجال السياسة والصحافة ونواب الشعب ، من أمثال مستر موزلى وكان قاضيا بمصر ، ومستر دولوتكل وتشمبرلين وروبرتسون وقد اغتنم الشيخ هذه المناسبات ليعرض قضية مصر من وجهة نظر وطنية ، وينتقد مسلك الانجليز ويطالب بالغاء المحاكم القنصلية والاكتفاء بالمحاكم المختلطة للنظر فى قضايا الاجانب ·

وعدا العواصم الرئيسية فى العالم فى ذلك الوقت الاستانة ولندره ( لندن ) وباريس ، زار دمشق والقى فيها خطبة سياسية بمناسبة افتتاح خطة سكة حديد الحجاز أثنى فيها على السلطان عبد الحميد وامتدح توجهاته الاصلاحية ·· وعقب الانقلاب العثمانى وقف بين الناس خطيبا بعد اعلان القانون الاساسى ( الدستور ) وحذر الاتحاديين من الخلط بين الجيش والسياسة · ورأى انهم يجب ان يقفوا عند حدهم ، ولا يتدخلوا فى ادارة البلاد حتى لا تنتشر الفوضى ويعم الفساد ·

● فى بلاط صاحبة الجلالة

فقد بدأ على يوسف حياته الثقافية شاعرا أدبيا وله فى هذا المجال ديوان « نسمة السحر » ويغلب عليه شعر المناسبات من مديح وتهانى وبعض الغزل من مثل قوله :

عجبت لقدها لما تثنت
بحلية حسنها تسعى لقلبى
طلبت دنوها منى فضنت
ولكن بعد ذا منت بقرب

الشيخ على يوسف



وهو يصور لعبة المرأة التى لاتغيرها امام الرجل ، فتصد وهى راغبة ، ولا تلبث أن تستجيب طائعة بعد أن تمارس لعبتها المفضلة . ومثل هذا الشعر يناسب نزق الشباب حيث مفاتن المرأة الممثلة فى القد الجميل ، والتثنى المثير ، والحسن الخلاب ، وليس فى هذا الغزل من جديد فى المعنى ، ولكن لغته زائفة ، وعبارته صافية وموسيقاه مشتقة حيث جعل عروض الشطرين الاولين بقافية واحدة ، وضرب الشطرين الاخيرين منهما بروى واحد مما أحدث موسيقى تصيخ لها الاذان وتلذ الوجدان .

ولكن الشيخ «على» الطموح ابداتطلع الى انشاء صحيفة ، ولما كان يعوزه المال فقد اتفق مع الشيخ احمد ماضى ليعينه بالمال ويشاركه فى اصدارها ، فاستجاب الاخير فكانت « جريدة الاداب » التى استمرت فى الصدور عدة سنوات ، و « الاداب » لم تعن بالادب فقط وانما مدت نطاقها الى قضايا الاجتماع والعمران ، وانلجت الى السياسة على استحياء ، ومن بين ما اثارته قضية التعليم فى مصر الذى تدهور على ايام الانجليز ، فرأت ضرورة تعميمه وتوسيعه . وقد أوقفت « الاداب » اكثر من مرة بفعل السلطة ولكن الشيخ كان يجاهد من اجل اظهارها .

واذا كانت مواهب الشيخ قد تفتحت فى « الاداب » فانها تفجرت فى جريدة المؤيد التى ظهرت اول ديسمبر ١٨٨٩ . وهى اكبر اثاره على الاطلاق ، حيث لمع اسمه فى الشرق والغرب ، وصار الصحافى الاول فى العالم الاسلامى . حتى أن مجلة « نورث أميريكان رفيو » الامريكية ارسلت اليه برقية ليوافيها بمقالة تتضمن رأيه فى خطبة الرئيس روزفلت عندما زار مصر عام ١٩١٠ وامتدح كرومر وشجع الانجليز على احتلال مصر والسودان . فما كانت تلجأ اليه المجلة الامريكية الا لشهرته الصحافية ، ومكانته العالية فى الشرق ، وصواب نظراته فى قضايا السياسية والاجتماع .

كانت المؤيد تقف بالمرصاد لجريدة المقطم الموالية للانجليز ، فبينما تنادى المقطم باحسان الظن بالاحتلال ، كانت المؤيد تطالب بالجلاء ، وبينما كانت المقطم ترى أن « كرومر » أعظم شأنا من بانى الاهرام ، وأعماله اكثر نفعا من اعمال محمد على ، وافعاله أجل اثرا من نابليون ، كانت المؤيد تهاجم عميد الانجليز وترى أنه من التحامل خلع الصفات النبيلة عليه وتصف تقريره الاخير بأنه « أسود » وظلت المقطم على الدوام تناصر الاحتلال وتحقر المصريين وتنعتهم بنكران الجميل ولكن المؤيد كانت تشيد بأعمال الوطنية المصرية ، وتدافع عن العالم الاسلامى ، وتتحدث عن الجامعة الاسلامية والوحدة العربية .

وقد التف الوطنيون والشرقيون حول « المؤيد » ، وراح الشعراء يكيلون المديح للشيخ وصحيفته ، ويندون بالمقطم وسياسته . ومما ينسب لاحمد شوقى:

قل للهمام على فى مؤيده
يبقى مؤيده البارى ويبقيه
دع المقطم لا تذكر مساوئه
من حرمة الميت ان تطوى مساويه

ومما قيل شعرا فى الموازنة بينهما

ففى صدر المقطم قد قرأنا
سطورا خطها قلم الغواية
وفى صدر المؤيد قد تلونا
بحمد الله ايات الهداية

يصـــدعنا المقطم كـــل يـــوم
ويزعجنـــا باعـلان الحمـــاية

وهذا النظم يظهر مسار الصحيفتين المتنافستين بلغة الشعر من غير تفصيل في القول والقصد ، بل ان هناك من خص المقطم بالهجاء الشديد ، والتقريع الذميم • فقد نشرت المؤيد ابيـاتا بدون توقيع نسبها الدكتور صبرى السربوني لشوقى منها :

بين المقطـم والمقطـم نسبـة
في الثقل لا تخفى على العقلاء
فصخور ذا وسطور ذا وكلاهما
متالف من صـخرة صمـاء

والمقطم الاول هو جبـــل المقطم المعروف ، والمقطم الثاني هو صحيفة المقطم ، ولما كان اصحاب جـــريدة المقطم يقولون ( المقطم الاسبوعى فى ٢٧ من فبراير ١٨٨٩ ) انهم اختاروا اسم جبل المقطم ليكون اسما لجريدتهم لانه اعظم ما في بلاد مصر شأنا ولانه قطعت من صخوره حجارة الاهرام ، فان الشاعر يرى صحيفة المقطم ثقيلة على الوجدان مثل جبل المقطم الاجرد الثقيل على الارض ، وكلاهما اخرس اصم • على ان اشارة المقطمين الى ان حجارة الاهرام من المقطم تحمـــل معنى آخر يتعلق بصحيفة الاهـــرام التى كانت تظاهر الفرنسيين فى كثير من الاحيان ، وهذا المعنى الخفى يكمن فى ان صحيفة المقطم هى اصـــل كل شىء مفيد فى المعرفة والسياســـة ودونها صحيفة الاهرام فى كل ماترمى اليه •

وقد اخذت شوكة « المؤيـد » تقوى يوما بعد يوم ، فهاجمت الجرائد غير الوطنية ومن بينها صحيفـــة الاهرام وبخاصة عندما غيرت سياستها تجاه مصر والباب العالى وراحت تهاجـــم الوطنية المصرية، وفى هذا المجـــال كتب الشيخ على يوسف سلســـلة مقالات تحت عنوان « الالغام فى هدم الاهرام » •

واستمر قلم الشيخ سيفا مصـــلتا على المحتلين واعوانهم ، ولكنه اخـذ فى الاعتدال ثم اللين والتهاون شيئا فشيئا بعد الاتفاق الودى بين عباس الثانى وغورست خليفـــة كرومر فى مصر ، دون التوقف تمـــاما عن اثارة قضايا مصر السياسية والاجتماعيـــة والاقتصادية • وعندما شـــعر ان الاوضاع الجديدة لم تعد تصلح له او يصلح لها انسحب من المؤيد ليتولى منصبا دينيا كبيراً •

## ● عام الكف وعام الكفء

والمتتبع للظواهر الاجتماعيـــة والادبية والسياسية فى تلك الفتـــرة يجد عدة احداث ترتبط بمسميـــات معينة ، وكل منها شغل فترة زمنيـــة تقرب من العام ، لذلك اقترن كل حدث منها بكلمة عام ، فهناك « عام الكف » و « عام الكفء » « وعـــام الكفر » و « عام الخف » ••• وسنقف عنـــد هـــامى « الكف » و « والكفـــء » لارتباطهما بصاحب السيرة • فعـام الكف عبارة عن حادث بسيط لطـــم فيه احد ابناء الذوات محمد المويلحى « بكف » على صدغه فى احد المقاهى اثناء مزاح بينهما ، وعندما عـــلم الشيخ على يوسف بهذا الامر ، وكان خصيما للمويلحيين ( ابراهيم ومحمد) فقد كتب فى المؤيد شامتا ســـاخرا ، وفتح صفحات جريدته لكل من يعرض بالمويلحيين ويصف هذا الكف وقـــد حاول محمد المويلحى الدفاع عن نفسه فى « مصباح الشرق » ضـــد هـــذه الحملة الا ان وطأة المؤيد كانت شديدة عليه فسكت والحسرة فى قلبه واخذ يترقب صروف الايام ليثأر من الشـــيخ حتى اذا جاء ما سمى بعـــام الكفء ثأر لنفسه وهو حادث اجل اثرا واوسع

انتشارا وفحواه ان الشيخ على يوسف عقد قرانه على « صفية » بنت الشيخ عبد الخالق السادات الذى ينتمى الى ال البيت – فى بيت البكرى من غير علم ابيها لمودة نشأت بينهما · فغضب الاب ورفع قضية لفسخ عقد القران ، لعدم الكفاءة فى النسب ، وفى نهاية المطاف قضت المحكمة الشرعية بفسخ العقد ، ثم اعيد عقد القران من جديد فى بيت الشيخ السادات وبموافقته ، وكان هذا الحادث من اشهر حوادث تلك الفترة فقد قادت بعض الجرائد حملة واسعة ضد على يوسف اشتركت فيها « اللواء » و « الظاهر » وقيل ان المويلحى كان وراء ابى شادى صاحب الجريدة الاخيرة ، وفى هذه القضية الاجتماعية نشرت اشعار ومقالات تسفه الشيخ على وتنال من قدره وهو ما عرف بعام « الكفء » وقد تأثر صاحبنا بهذه الحملة ، ولكنه تقبلها بهدوء حتى تجاوزها ·

## حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية

كان للاتفاق الودى بين عباس وغورست اثاره فى نفس صاحب الترجمة ، ولانه معتدل بطبعه فانه لم يجمع ويقطع صلته بالخديو مثل مصطفى كامل ، وانما احتاط لنفسه وخفف من لهجته ، بل ان له تصريحات لم يحمد عليها ، واخذ يفكر فى اسس اخرى يبنى عليها موقفه وبعد درس وتأمل انشأ حزب « الاصلاح على المبادىء الدستورية » بعد تأسيس حزب الامة ، وكان من مبادىء الحزب تأييد السلطة الخديوية ومطالبة انجلترا بتنفيذ وعودها بالجلاء ، والعمل على انشاء مجلس نيابى مصرى له سلطة تامة وان يكون التعليم الابتدائى عاما ومجانا وتكون العربية لغة التعليم فى جميع المدارس المصرية ، وطالب بمحاكمة الاجانب امام المحاكم المصرية المختلطة واسناد الوظائف للاكفاء من المصريين ، وتقليل عدد الاجانب فى الوظائف بقدر الامكان ويوسعنا الان وبعد مضى اكثر من ثمانين عاما على هذه المبادىء ان ننتقد بعضها ، ولكن الشيخ رأى ان هذا ما تسمح به الظروف فلم يشتد او يتطرف · وكان مصطفى كامل ينادى باستقلال مصر والجلاء الفورى وهو كلام يقال ولكن كيف التنفيذ ؟ هل يكون بالخطب الرنانة والحماسة المفرطة ، وهل جلى المحتل بناء على نداء مصطفى كامل ؟ · ولعل هذا هو الفارق الهام بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح فى شأن الاستقلال · فبينما كان على يوسف يطالب انجلترا بتنفيذ وعودها لانه – فى واقع الامر لا يملك الا هذا كان مصطفى كامل يطلب حلا حاسما للمشكلة ويعجز عن تقديم الوسيلة الى ذلك ·

وقد قام شجار حار بين الاحزاب المختلفة فكل حزب يناقش ويجادل ولم ينفذ الانجليز شيئا من كل هذا ·

وقد اضمحل الحزب الوطنى بعد موت مصطفى كامل ، واخذ حزب الاصلاح فى الضعف بعد ترك على يوسف الصحافة والسياسة ليتولى مشيخة السجادة الوفائية ، وسرعان ما توقفت « الجريدة » وخاب امل حزب الامة ·

ولكن لم يذهب سدى كل ما قيل فى الوطنية والجلاء ، فقد تغذى عليه جيل كامل ، وكان له دوره واثره فى النفوس وتزوير العقول ، واذكاء الشعور الوطنى ، وعندما انتهت الحرب العظمى الاولى وقبل ان تضمد الجراح افاق الانجليز على صوت الشعب ، وغضب الجماهير ، واندلاع التظاهرات الحامية فى ثورة شعبية دامية تطالب بالاستقلال فى مارس ١٩١٩ تحت زعامة سعد زغلول ·



# أدب تشيكوف قراءة ورؤية

بقلم: جمال الغيطانى

لا اذكر متى كان ذلك على وجه الدقة!

لكنه من المؤكد فى نهاية الخمسينيات، عندما خرجت ذات عصر من بيتى فى قصر الشوق، بالقاهرة القديمة، قاصدا وسط المدينة، مسافة لاتزيد عن كيلو متر ونصف. ولكنها بالنسبة لى وقتئذ. بالنسبة لعمرى، تعادل الآن انتقالى ورحيلى من القاهرة الى بلد ناء. بعيد كنت قرأت خبرا، أو إعلانا لا اذكر بالضبط، عن صدور كتاب جديد، عنوانه، «فن القصة القصيرة» ولأننى كنت مازلت بعد فى أولى خطواتى الادبية، فتطلعت إلى الحصول على هذا الكتاب، لعله يأخذ بيدى، أو يفسر لى، بعضا من جوانب هذا الفن الذى كنت قد بدأت ابدعه بدافع تلقائى تماما، ولم يكن يدرس بالطبع فى مناهج تعليمنا.

● قطعت شارع الأزهر الذى يصل المدينة القديمة بالمدينة الحديثة مشيا، حتى وصلت إلى إحدى المكتبات المعروفة، دخلتها وجلا، مترددا، دفعت ثمن الكتاب الذى ادخرته من مصروفى الشحيح، وخرجت أضمه إلى صدرى، متعجلا العودة إلى البيت لأبدأ قراءته. متوقفا بين الحين والحين لأقلب صفحاته،

ثم اضمه مرة أخرى ، ولم اكن ادرى اننى اضم نصا لكاتب عظيم سوف يسكن روحى الى الأبد .

كان الكتاب لأستاذ جامعى ، هو الدكتور رشاد رشدى ، يقدم فن القصة القصيرة ، تاريخه ، تصوره لطرق كتابتها ، وفيما بعد أدركت أن على المرء أن يقرأ مثل هذه الكتابات وأن يتساها فورا ، ولكن أهم ما تضمنه الكتاب ، كان عدة نصوص مترجمة عن الانجليزية ، اذكر من الأدباء اثنين فقط ، هما موباسان ، وتشيكوف .

كان النص التشيكوفى الأول الذى لاقيته فى العصر الذهبى ، البكر لقراءتى ، قصة قصيرة ، عنوانها « الحزن » أو « الالم » ، لا اذكر بالضبط ، وعلى الرغم من صعوبة تلخيص قصة قصيرة ، أو رواية ، فإننى سوف أحاول ، نظرا لما تحتله هذه القصة من منزلة وبكارة عندى ، وفيما بعد ومازلت اعاود حكاية العديد من النصوص الأدبية التى تقوم بينى وبينها علاقة خاصة ، احكيها على المقهى ، للآخرين الذين لم يقرءوها ، احكيها وكأنها جزء أساسى من ذكرياتى ، وخبراتى الحياتية ، ولأنطون تشيكوف النصيب الاكبر فيما اعاود روايته ، وحكيه ، وربما لأنه التقط لحظات نادرة من هذه الحياة الدنيا ، بقدر ما فيها من خصوصية ، وفرادة انسانية ، بقدر ما فيها من حقائق أساسية وجوهرية تجدها فى الحياة البشرية ، ان فى القديم أو الحديث . اننى الخص القصة من ذاكرتى .

★ ★ ★

غسق المساء ، الثلج يغطى كل شىء ، والحوذى « ايونا » ابيض تماما كالشبح ، فرسه على مقربة منه ، ساكن ، لايتحرك ، فجأة ، يجيىء عسكرى ، يطلب منه ان يذهب به إلى جهة ما ، تنطلق العربة . يلاحظ العسكرى أن ايونا لايسوق كما يجب ، فيصيح منزعجا : انت لا تعرف كيف تسوق ، الزم يمينك .

يتطلع ايونا الى الراكب ، يحرك شفتيه ، يبدو وكأنه يريد أن يقول شيئا ، يسأله العسكرى .

ـ ماذا ؟

فيقول ايونا بصعوبة :

ـ انا ياسيدى .. هذا الاسبوع .. ابنى مات ..

ـ ام .. وبم مات اذن ؟

يستدير ايونا بجسده كله نحو الراكب ، يقول :

ـ من يدرى ! الظاهر من الحمى ، رقد ثلاثة ايام فى المستشفى ومات ، مشيئة الله .

ويتردد فى الظلام صوت غاضب

ـ حاسب ياملعون .. افتح عينيك

يقول الراكب :

ـ هيا سر .. بهذه الطريقة لن نصل ولا غدا ..

يبدو الراكب غير راغب فى الانصات ، وبعد ان ينزل يعود ايونا الحوذى إلى وحدته ، ثم يركب ثلاثة شبان ، يتبادلون الحديث ، وينتهز ايونا فرصة الصمت ، يتطلع نحوهم ، يتمتم .

ـ انا .. انا .. هذا الاسبوع .. ابنى مات .. فيرد أحدهم

ـ كلنا سنموت .. المهم عجل .. عجل ..

# أدب تشيكوف قراءة ورؤية

لم يصغ اليه احد من الركاب . أو من الذين التقى بهم فى الطريق اثناء انتظاره كان يرغب فى الحديث ، عما قريب سيمر اسبوع على موت ابنه ، لم يتحدث مع أحد كما يحب ، كان يود أن يروى ، كيف مرض ابنه ، كيف تعذب ماذا قال قبل وفاته ، كيف مات ؟ ما اكثر ما كان يريد ان يرويه ، لكن ما من احد يريد ان يصغي اليه بعد ان يدخل بيته ، يمضى إلى الاصطبل ، إلى حيث تقف فرسه ، وعندما يرى عينيها البراقتين يقول :

ـ تمضغين ؟ حسنا ، امضغى ، امضغى ، انا كبرت على السياقة ، كان المفروض ان يسوق ابنى لا انا ، كان حوذيا اصيلا .. لو انه فقط عاش ..

يصمت لحظات ثم يواصل ..

ـ هكذا ـ يا أخي الفرس ، لم يعد كوزما موجودا ، رحل عنا ، خسارة ، لنفرض ان عندك مهرا ، وانت ام لهذا المهر ، لنفرض ان هذا المهر رحل فجأة .. اليس مؤسفا ؟

وتمضغ الفرس ، وتنصت ، وتزفر على يدى صاحبها ، وينسجم ايونا الحوذى ، فيحكى لها كل شيء .

★ ★ ★

هكذا دخلت إلى العالم التشيكوفى . ومنذ تلك السن المبكرة ، الثالثة عشرة ، رحت ابحث عن كل اثر مترجم لاقرأه . واشير هنا بصفة خاصة الى ترجمة ممتازة قام بها الدكتور محمد القصاص . لعدد من نصوص تشيكوف صدرت في اوائل الستينيات في مصر تحت عنوان . قصص وروايات قصيرة . ، اضافة الى ترجمات اخرى جيدة ، وللمسرحيات التشيكوفية ايضا ، ثم صدر فى موسكو منذ سنوات قريبة اربعة مجلدات تضم اعمالا مختارة وتلك اول ترجمة الى العربية تتم من الروسية مباشرة .

سعيت ايضا لقراءة ما كتب عن تشيكوف . هناك مبدعون عظام . تقرا نصا لاحدهم . فتقوم على الفور علاقة خاصة بينك وبين المبدع . بالرغم من الفواصل المكانية ، والزمنية التى قد تصل الى عصور متعاقبة . هناك اجزاء فى النص الادبى يمكننى من خلالها ان استنتج الحالة الوجدانية التى كان عليها المبدع لحظة كتابتها . يقول الاديب السوفييتى الكسندر كوبرين عن تشيكوف . إنه لم يتح لانسان أن يقف على تفاصيل العملية الابداعية عند تشيكوف . وان احدا لم يره قط اثناء عمله . واقول انا إنه من خلال بعض سطور تشيكوف اكاد اشعر بانفاسه ، بحالته الوجدانية ، بمزاجه الذى اتخيل انه كان رماديا ، بروحه الساخرة ، والسخرية التشيكوفية احد تجليات الحزن ، الحزن الانسانى الشفيف فى ارق صوره ، واقساها ، الحزن الذى ينوء به كاهل مبدع كبير يرى أن الحياة لا تمضى كما يجب ، ولا تكون كما يجب ان تكون عليه بالنسبة للآخرين .

## ● صلة ومودة

اقول أننى سعيت لقراءة ما كتب عنه ، وأشير هنا إلى كتابين هامين . الأول للناقد

السوفييتى (بيرملون) ، والثانى للأديب الفرنسى هنرى ترويا ، وقد ترجم إلى العربية أخيرا ، واشير إلى المقالات التى كتبها كل من مكسيم جوركى ، والكسندر كوبرين .

واشير الى نصوص غير ابداعية ، لكنها تكشف عن العالم الداخلى لتشيكوف ، اقصد مجموعة الرسائل التى كتبها ردا على رسائل مكسيم جوركى .

مع الزمن ، يصفو نهر القراءة ، ويتركز فى فروع محددة ، اصبح بينى وبين عالم تشيكوف صلة ومودة ، قرأت اعماله عدة مرات على امتداد حوالى ثلاثين عاما ، وهناك بعض رواياته القصيرة اقرأها بانتظام ، تقريبا فى كل عام مرة ، الى جانب عدد من الأعمال الادبية الاخرى التى اصبحت كالثمار التى لاتذبل ابدا فى حديقة قراءاتى ، وكلما تطلعت اليها ، كلما اكتشفت فيها مالم اجده من قبل ، فكأنها المطالعة الأولى .

احيانا توحشنى احدى قصص تشيكوف ، فأسعى اليها كما يسعى الانسان الى شخص يحبه ، ودائما يترك فى نفسى حزنا ، مطهرا ، خفيفا ، قاتما ، وكأن عالمه يقع دائما فى المنطقة الخريفية من فصول السنة ، حيث الضوء الرمادى ، والغمامات السابحة ، ولسعات البرد التى تنذر بشتاء قادم لكنها تذكر دائما بأيام الربيع الجميلة التى ستقبل يوما ، ودفء الصيف ، التعاقب ، التغير ، لاشىء يبقى كما هو ، الملامح ، العواطف ، الذكريات ، أظنها ملامح اساسية فى العالم التشيكوفى ، ملامح اكتشفتها من خلال قراءاتى المتعاقبة ، وكان كل اكتشاف منها مواز لدرجة من النضج وصلت انا اليها ، واحيانا كانت الرؤية التشيكوفية تضىء لنا جانبا استغلق فهمه على بالنسبة لى ، أنا مشغول جدا بالزمن ، بالصيرورة ، منذ ان كنت طفلا ، وكنت اسأل نفسى ، أين ذهب الأمس ؟ هل اذا مضى الانسان فى اتجاه ما ، واستمر فى المضى ، هل يصل الى لحظة منقضية ؟ الانشغال بالزمن ، يؤدى الى الانشغال الشديد بالنقيضين الأبديين ، الحياة ، الموت ، فاذا كان كل شىء يمضى ، يندثر ، اذا كانت الحياة قصيرة جدا ، فلماذا لانحاول ان نجعلها جميلة ، أكثر انسانية ، وفى كافة ملامح العالم التشيكوفى سوف نجد ، ونلاحظ هذا التوق الدائم الى حياة اجمل ، الى حياة افضل ، إلى حياة اكثر انسانية ، لنصغى الى هذا النص من القصة التى ترجمت إلى العربية تحت عنوان ( العروس ) .

« اما نادية فكانت تتجول فى البستان ، وتسير فى الشارع وتتطلع الى البيوت ، والاسوار الرمادية ، وخيل اليها ان كل ما فى المدينة قد شاخ منذ زمن بعيد ، وانتهى ، وان كل شىء ينتظر اما النهاية ، واما بداية شىء ما فتى وطازج ، اوه .. لو تأتى هذه الحياة الجديدة الصافية ، عندما يصبح بالامكان ان تحدق فى عينى قدرك مباشرة وبجرأة ، وتحس بنفسك على حق ، وتصبح مرحا وحرا ، نعم ، سوف تأتى هذه الحياة عاجلا ام آجلا ! »

الانشغال بالزمن يؤدى إلى الانشغال بالموت ايضا ، واظن ان هذا هو السبب الكامن وراء هذا الحزن الشفيق فى سائر أعمال تشيكوف ، حزن يشبه الحزن الانسانى عند رؤية حمرة الغسق . حزن على مصير قرص الشمس ، الذى يفارق . الزمن بطل أساسى فى أعمال تشيكوف

، خاصة فى قصصه الطويلة الى حد ما ، فى قصة ( ايونيتش ) ، يهيم الطبيب حبا وعشقا بكاترينا ايفانوفنا ، ويتقدم لخطبتها الا انها تقول له :

- يا ديمترى ايونيتش ، انا ممتنة لك جداً على هذا التشريف

انني احترمك ولكن ..

ولكن .. تعتذر ،انها تهوى الموسيقى وهبتها كل حياتها ، تحبها بجنون ، تريد أن تصبح فنانة مشهورة ، تريد الشهرة والنجاح ، وهو يريدها ان تواصل الحياة فى هذه المدينة ، الحياة التافهة ، الخاوية ، ان تصبح زوجة . تقول له ..

- لا .. اعذرنى .

يصوم ديمترى ايونيتش . يظل ثلاثة ايام غير قادر على العمل ، لم ياكل ، لم ينم وتمضى أربع سنوات ، يصبح ديمترى ممتلئا ، بدينا . يحشو جيوبه بنقود المرضى وفى احد الأيام يتلقى دعوة من اسرة بكاترينا ، ويمضى اليها ، يلتقى بحبيبة الزمن القديم ..

يااه .. لقد هزلت وشحبت ، اصبحت اجمل وأرشق ، لكن .. لم تعد فيها تلك النضارة السابقة وتعبير السذاجة الطفولية ، وكان فى نظراتها وحركاتها شيء جديد ، شيء متردد ومذنب ، عندما رأته بدا واضحا أن قلبها يدق بقلق ، كانت تعجبه جدا ، ولكن .. ولكن كان ينقصها شيء ما ، او كان فيها شيء زائد ، ولم يكن بوسعه تحديد هذا الشيء ، شيء ما كان يعوقه عن الاحساس بما كان يحسه من قبل ، لم يعجبه شحوبها ، والتعبير الجديد على وجهها ، وابتسامتها الواهنة ، وصوتها ، ثم بعد فترة قصيرة لم يعد يعجبه فستانها ، والمقعد الذى جلست فيه ، لم يعجبه شيء ما فى الماضى عندما كاد ان يتزوجها ، وتذكر حبه واحلامه وآماله التى اثارته قبل أربع سنوات فشعر بالحرج !

كان ينظر اليها ويردد بينه وبين نفسه ..

« حسنا .. اننى لم اتزوجها .. »

كم مرة ردد كل منا هذه الخاطرة ، كم شعر كل منا بالحزن والأسف على الماضى ؟ كم تعجب كل منا من عشق كاد يهلكه يوما ، ثم اصبح مجرد صور تثير الحنين المحض ، او الدهشة .

هكذا عبر تشيكوف باقتدار ، ببساطة ، عن الحقائق الجوهرية فى الحيـاة الانسانية ، بحيث يجد كل منا فى نفسه شيء ما من شخوصه ، من أبطاله . وهذا يقودنا الى مسألة النمط عند تشيكوف ، فى عالمه الرحب نجد تنوعا هائلا فى الشخصيات ، نجد الشحاذ ، والاديب ، والضابط ، والطبيب المجنون ، والعاقل ، المتشرد ، الموظف ، المدرس ، الرسام ، الخولى ، نجد ايضا تنوعا كبيرا فى المكان ، فعالم تشيكوف المكانى يمتد من المدن إلى الغابات ، الى القرى النائية ، الى شواطيء البحار ، بقدر هذا التنوع نجد ايضا النمط الانسانى الموصوف بدقة ، والمجسد فى خصوصية عميقة ، الا ان الانسان ما ان يفرغ من قراءة قصص مثل « حبوبة » او « الانسان المعلب » او « الحرباء » او « الجراءة » او « السيدة صاحبة الكلب » الا ويجد نفسه يستدعى الى ذاكرته العديد من الشخصيات التى تشبه ما قراه ، كنت اتذكر على الفور هذا الشخص او ذاك ، واقول ، انه يشبه ذلك

الذي عبر عنه تشيكوف ، بقدر ما كان في ابطاله من فرادة ، بقدر ما حملوا من سمات عامة ، تجعل منهم نماذج بشرية نلتقي بها في كل زمان ومكان .

## ● الاديب يموت من الجفاف

يخيل الي انه كان يراقب الحياة بعين مدببة ، حادة ، بقدر ما كان يبدو فيها من دقة وصفاء ، بقدر ما كان فيها من قدرة مذهلة على التقاط ادق الملامح والتفاصيل ، حتى لاثق انه كان في اشد لحظاته خصوصية ينظر اليها بعين الاديب ، كيف يمكن ان توصف في عمل ؟ او كيف يمكن ان يعبر عنها ؟ كان من رأيه ان الاديب يجب أن يغذى عمله الادبي بالعناصر التي تمنحه اياها الحياة ، ودون هذه الارتشلحات الدائمة بين الواقع والخيال ، فان الادب على حد تفكيره يموت من الجفاف ، انني استطيع ان افهم جيدا لحظات صمته المفاجئة التي تحدث عنها معاصروه . ولحظات شرود عينيه ، وخلوته الطويلة في حجرته بمنزله ان في يالطا ، او في موسكو .

يقول الكسندر كوبرين :

« وانا لا اريد ان اقول انه كان يبحث عن النماذج كغيره من الادباء ، ولكنني اعتقد انه كان دائما وفي كل مكان يرى مادة للملاحظات ، وكان ذلك يحدث دون إرادة منه ، وربما كثيرا حتى عن غير رغبة ، وذلك حسب عادته القديمة المتاصلة التي لم تستاصل ابدا ، عادة تامل الناس وتحليلهم ، وتعميمهم ، ويبدو ان هذا العمل الدفين كان يحمل في طياته لتشيخوف كل عذاب وافراح عملية الابداع الخالدة اللاواعية .

لم يكن يبوح لأحد بانطباعاته . كذلك لم يفصح لأحد عما كان ينوى ان يكتبه ، وكيف سيكتبه ، وكان من النادر ايضا ان يبدو في كلامه اثر الفنان الروائي . فكان يستخدم في حديثه ، الى حد ما عن قصد ، والى حد ما غريزيا ، تعابير عادية ، متوسطة ، دارجة ، ولا يلجأ الى التشبيهات ولا إلى الصور ، كان يحافظ على كنوزه في نفسه . ولايدعها تتبدد في رغوة الحديث ، وفي هذا كان الفارق الضخم بينه وبين اولئك الكتاب الذين يتحدثون عن موضوعاتهم افضل بكثير مما يكتبونها .. »

من ملاحظات تشيكوف التي وردت في رسائله ، ومن ملاحظات المعاصرين له ، تعلمت الكثير من ابجدية عمل الاديب ، فعلى الرغم من شهادات المعاصرين له القائلة إنه لم يكن يبوح باسرار عمله الابداعي ، الا ان ثمة ومضات في رسائله تكشف عن مفهومه للعمل الابداعي ، ولنصغ الى بعض ماكتبه الى جوركي . يقول في رسالة مؤرخة في ٣ يناير ١٨٩٨ .

سابدأ بما يبدو لي انه في رأيي فقدان الانسجام عندك ، انك تشبه الناظر في المسرح الذي يظهر حماسته بتحفظ قليل الى حد لا يستطيع معه ان يسمع ما يدور على الخشبة ، لاهو ولا الاخرون . ان هذا حماس ، خاصة في اوصاف الطبيعة التي تقطع بها محاوراتك ، فالمرء عندما يقرأ هذه الأوصاف يتمنى لها لو كانت اكثر تركيزا واشد قصرا اى شيئا لا يتجاوز السطرين او الثلاثة . ان كثرة استعمال

كلمات مثل "النعومة"، "الهمس"، "المخملى"، يضفى عليها طابع التكرار، ويكسبها رتابة تشيع البرود وترهق تقريبا. ان امثال هذه المفردات تصدم السمع، انك تكثر الكلام عن الامواج، وفى الصور التى ترسمها للمثقفين يشيع الجهد، ويتجلى شىء كأنه الحذر، وليس يرجع هذا الى انك لم تر المثقفين، انك تعرفهم، غير انك لا تعرف على وجه الدقة من اين تتناولهم ؟"

وفى رسالة اخرى مؤرخة فى عام ١٨٩٩ يقول له :

"ان نقيصتك الوحيدة هى الاطالة، فنحن عندما نستعمل اقل ما يمكن من الحركات لاحداث اثر معين، فاننا نطلق على هذا اسم كياسة والمرء يشعر فى اقاصيصك فى هذه الحالة بالافراط.. ان اوصافك للطبيعة انما هى اوصاف فنان، انك رسام للمناظر عريق، غير ان كثرة تشبيهك للطبيعة بالانسان، كالبحر عندما يتنفس، والسماء تنظر، والسهب تحنو، والطبيعة تهمس، تحزن.. الخ، كل هذا يجعل وصفك رتيبا، انه حينا يفسده، وحينا اخر يجعله غامضا. فالجمال والتعبير فى اوصاف الطبيعة، لا يمكن اكتسابهما الا بالبساطة وبالجمل غير المنمقة، مثل "غربت الشمس". "ساد الظلام"، "اخذت السماء تمطر"، وانك لتملك هذه البساطة الى حد يندر وجوده عند كاتب»..

وفى رسالة اخرى.. مؤرخة فى ٣ يناير ١٩٠١. يقول :

.. عندما تقرأ مسودات الطبع، احذف ما امكنك ذلك النعوت والظروف، انها كثيرة عندك حتى ليضل فيها انتباه القارىء ويتولاه التعب منها، ان المرء يفهمنى عندما اقول "جلس الرجل على العشب" انه يفهم ذلك، لانه جلى واضح، ولانه لا يعيق الانتباه، وخلافا لذلك، فانى اغدو غامضا وأرهق القارىء..

وفى رسالة مؤرخة فى ٢٤ يوليو ١٩٠١ يقول :

"ان من الامور المألوفة انه لا يسر المرء بالمسرحية عندما يكتبها، ويزداد هذا فيما بعد، ان على الاخرين ان يحكموا عليها ويتخذوا قرارا بشأنها، لا تعطها الى اى انسان كى يقرأها، اقول الى اى انسان، وابعث بها مباشرة الى موسكو".

ان هذه الاشارات فى رسائله الى جوركى خاصة يمكن ان تلقى الضوء على مفهومه ورسائله للابداع، كان انسانيا، وكان يعامل بحرص واهتمام اولئك الادباء الذين تنشأ بينه وبينهم علاقة روحية ولو بسيطة، يذكر الكسندر كوبرين انه كان دائما يقول للادباء الجدد.

ـ اكتبوا، اكتبوا اكبر قدر ممكن، لا يهم اذا لم توفقوا احيانا، فيما بعد ستوفقون، اما الشىء المهم فهو الا تبددوا شبابكم ومرونتكم سدى.. عليكم الان بالذات ان تعملوا، انظروا، ها انتم ذا تكتبون بصورة رائعة، ولكن رصيدكم اللغوى قليل، ينبغى جمع الكلمات والتعبير، وهذا يتطلب ان تكتبوا كل يوم.

ـ اما هو فكان يعمل بلا كلل من اجل تطوير نفسه، واثراء لغته الساحرة المتنوعة، بالكلمات المستقاة من كل مجال، من الاحاديث، والمعاجم، والكتالوجات،

ومن المؤلفات العلمية ، والكتب المقدسة ، كانت الحصيلة اللغوية لهذا الرجل الهادىء ، الحنون ، الصموت ، هائلة .

ومع الزمن تتراكم الخبرة ، وافهم اكثر واكثر مجهود تشيكوف فى اتجاه اللغة ، فى عام ١٩٨٠ زرت روما ، وقفت امام تمثال النبى موسى الذى نحت من الرخام ، كانت تفاصيل الجسد رائعة ، ودقيقة ، وتعكس مدى الجهد والابداع اللذين بذلهما الفنان ، قلت لنفسى ، هذا ما يجب ان اقوم به فى اتجاه اللغة ، اداتى ، وان مهمتى لاصعب ، فمايكل انجلو كان ينحت مادة مرئية ، ملموسة ، لها قوام ، وابعاد ، اما نحن الكتاب فننحت الفاظنا من الهواء ، من الصور التى تمر بالذهن ، من الافكار من الرؤى ، اليس هذا اصعب بكثير ؟

* * *

زرت موسكو مرتين .

يوليو ١٩٨٦ ، وفبراير ١٩٨٧ .

وفى كليهما زرت بيت تشيكوف الصغير الذى اقام فيه لمدة عامين ، فى المرة الثانية كان الشتاء الروسى الذى طالما سمعت وقرأت عنه ، وعندما كنت امشى فى الطريق الموسكوفى العريض متجها الى البيت الاحمر اللون الصغير ، الذى عاش فيها مع اخيه ميخائيل منذ عام ١٨٨٦ وحتى ١٨٨٨ ، اى منذ مائة عام بالضبط ، رايت الضباب الشتوى ، والثلج الابيض ، والمبانى الضخمة الهائلة ، تقوم من الارض لتذوب فى الضباب ، توقفت لحظات ، كانت المدينة تقف بين عالمين ، الواقع المادى الملموس . والحلم اللانهائى ، وبد لى هذا غريبا انا القادم من بلاد الشمس والصحو الدائم ، الا اننى خيل الىّ اننى رأيت الاساس المادى لرؤية تشيكوف الاسيانة فى سائر قصصه ، تذكرت هذا الاحساس الذى كانت تتركه قراءته فى نفسى ، هذا الحزن الحقيقى ، الغائم ، الشفاف .

فى الزيارة الاولى ، انتابتنى انفعالات شتى ، رحت ادخل البيت متمهلا ، الم يتنفس ويعيش هنا ، توقفت لالقى نظرة على الصالة الرئيسية ، لارى من نفس الزاوية المنظر الذى كان يراه تشيكوف عند دخوله ، قبل ان يخلع معطفه ، ويطوى مظلته. كنت بمفردى ، يلفنى الهدوء الابدى ، هذا مكتبه ، مسند الى الجدار ، يغطيه قماش اخضر ، خشبه يميل الى قتامة ، عليه مصباح يضاء بالكيروسين ، ومحبرة من نحاس مشغول ذات شعبتين ، على المكتب نسخة من مسرحية « ايفانوف » التى كتبها هنا ، كان فى المكان ثمة شيء انسانى ، عميق ، كان الصمت العميق يتدفق من اللانهائية ، اما الضوء فكان يختلط بلون الطلاء الابيض ، كنت احاول الاصغاء الى ماقنى .

ويبدو ان انفعالى انعكس على ملامحى ، حتى لاحظت ذلك المسئولة عن المتحف ، وإذا بها تقدم تجاهى .. تزيح الحبل الذى يحجز الزوار عند حد معين ، فوجئت ، فهذا خرق لاشد القواعد صرامة ، برهبة خطوت ، لمست المكتب ، ونظرت فى الصور الموضوعة بحب على المقعد ، وكانت السيدة ترقبنى بود شديد ولأن تصرفها كان مؤثرا جدا ، لم اشأ المكث طويلا ، وعندما اشارت الى المقعد ، الذى كان يجلس اليه تشيكوف ، نظرت اليه ، ولكننى لم استطع ان اجلس اليه ولو لثوان .. ابدا .

# الهلال تودع زميلاً عزيزاً

فقدت الهلال واحدا من ابنائها المخلصين ، الذين تمتعوا بجدية العمل والاخلاص والتفانى ، وانكار الذات .

فقدت زميلنا الغالى الأستاذ موريس عزيز الذى ظل يعمل بيننا شعلة من النشاط المتجدد والحيوية حتى اخر لحظة من عمره .. حيث سقط شهيدا فى ميدان صاحبة الجلالة التى لا ترحم ، ويتساقط ابناؤها دائما فى عمر الزهور .

مات موريس عزيز ولما يتجاوز عمره الثانية والخمسين بعد ان أدى دوره كاملا ، فقد كان يتمتع بالصدق وشرف الكلمة والحرص على اداء عمله بدأب ونشاط كنا نحسده عليهما فى زمن يندر فيه من يعطى بسخاء وينكر الذات ...

كان معنا يؤدى عمله ولم نكن نعلم أن يد المنون سوف تختطفه بعد لحظات من عودته الى منزله ، كانه جاء ليودعنا فلم يكن زميلنا الغالى إلا محبا لزملائه ، مجاملا لهم فى كل مناسباتهم ، يتحمل الكثير بصمته الأثير الذى أحببناه فيه ، كان من زملائنا الذين اعطوا جهدا كبيرا للعمل النقابى بمفهوم اخر .



فكان جنديا مجهولا فى نقابة الصحفيين ، يؤدى دوره لخدمة زملائه ، بلا عقد انتخابية ، او لافتات يضعونها ، وتنتهى بانتهاء الاختيار عضوا فى مجلس النقابة .. لم يكن زميلنا من هؤلاء وظل لعشرين عاما يخدم زملاءه الصحفيين بلا تمييز داخل النقابة بلا كلل ولا تعب ، برغم ان قلبه الواهن لم يكن يتحمل كل هذا التعب والعمل المضنى ، وكنا ننصحه بان يعطى جسده المتعب راحة ، ولكنه كان يأبى بابتسامة هادئة ان يتوقف عطاؤه النبيل .

ونحن إذ نودع زميلا عزيزا اختطفته يد المنون من بين زملائه واحبائه فلن ننسى ابدا دوره الهلم الذى اداه فى "الهلال" .. شعلة من النشاط ، لم تطفئها الأيام ، فسوف يظل حيا باقيا فى ضمائرنا .

# المسرح التجريبى

# المهرجان والمستقبل

بقلم : الفريد فرج

**اكتب هذه السطور بعدان قرات عددا كبيرا من المقالات والانطباعات والريبورتاجات عن مهرجان القاهرة الدولى الاول للمسرح التجريبى ..**

**ولو كان للمهرجان فضل واحد هو استثارة النقاد والكتاب لابداع هذا الفيض من التحليل الفنى والتامل الفكرى والوصف الشيق للنخبة الممتازة من العروض المسرحية التجريبية لكان فضل المهرجان عندى كافيا لكن المهرجان كانت له افضال كثيرة ..**

فقد وضع القاهرة فى موقعها الصحيح والجديرة به على خارطة المهرجانات المسرحية العربية والدولية .

وقد عقد اللقاء الضرورى والذى طال انتظاره بين نخبة من اكبر الفنانين العرب والمصريين فى رحاب مصر .

كما عقد اللقاء بين الفنانين المصريين والعرب وبين نخبة ممتازة من فنانى المسرح التجريبى الاوروبى لأول مرة .

وأتاح للجمهور فضلا عن النقاد والفنانين مساحة عشرة أيام من الاثارة الفنية المسرحية ومن الدهشة والتساؤل والتأمل والمراجعة فى سياق من الاستمتاع والبهجة الفنية الخالصة .

فماذا يهمنا بعد أن تحقق هذا كله أننا مرة ذهبنا الى أحد المسارح لمشاهدة مسرحية وجهنا اليها البرنامج فلم نجد المسرحية ؟ ..

وماذا يهم أن ندوة من الندوات العشر تأخرت عن موعدها ساعة ؟ ..

وماذا يهم أننى لم اتلق دعوتى للافتتاح الا بطريق الصدفة ؟ وماكانت لتصلنى لولا هذه الصدفة ؟ ..

وماذا يهم أن المسارح كانت متباعدة ومواعيد العروض متقاربة فى مدينة تعانى مشكلة فى المواصلات .. وهذه طبيعة الواقع الجغرافية لدور المسرح بها ؟ ..

يؤسفنى أن أشغل القارىء بمثل هذه الهنات التى صادفها كل من اهتم

# المسرح التجريبي

بالمهرجان .. ولم اكن لافعل .. لولا انني قرأت ملحوظات في الصحف حولها وتكرارا لها في غير موضعه وفي غير حجمه الحقيقي ، فتذكرت بذلك الصحفي الشاب الذي اقترب مني في احدى الندوات وشهر قلمه واوراقه وسألني بصوت هامس حتى لا يزعج المتحدثين بالندوة .

## التنوع التجريبي

أدهشتنا الفرق الاجنبية والعربية والمصرية بعشرات العروض المسرحية التي اقيمت فوق ١٤ مسرحا واشتركت فيها ١٩ دولة وفدت منها ٢٤ فرقة قدمت ٥٧ مسرحية غير المسرحيات المصرية .

أدهشتنا باختلاف اساليبها وطرق ابداعها ..

فمنها من ابتدع سياقا صوتيا من الصيحات والآهات والزمجرات والهمهمات بديلا كاملا عن اللغة ، فكان فصيحا في التعبير عن السياق الدرامي كأنه يتحدث باللغة .. ( الفرق الانجليزية والبلجيكية ) .

ومنها من ابتدع سياقا موسيقيا وتشكيليا رائعا ، تناوبت فيه الآلات الشعبية وآلات موسيقى الجاز والازياء الجميلة والاقنعة المسرحية الساحرة .. بديلا كاملا عن الحوار اللغوي ، فسحرني بصنوف البلاغة والفصاحة في كل هذه الادوات .. ( الفرقة الايطالية )

ومن أسف أن الفرقة الايطالية كانت تقدم مسرحية عزيزة على المشاهد المصري هي شهر زاد ، توفيق الحكيم فأثار ذلك بعض السخط بين من لم يتعودوا ذلك اللون من التعبير .

ومن الفرق من ابتدع تصورا جديدا لدمج صالة الجمهور بالمنصة ، فتجاوز ما ألفناه من حيل قديمة مثل توسط المنصة بين صفوف الجمهور - كما فعل الفريق البلجيكي - أو تداخل المنصة في صالة الجمهور من خلال صعود الممثل من الصالة أو نزوله من المنصة - كما فعل الفريق النمساوي في مسرحيتنا العربية الرائعة « مسافر ليل » للشاعر الكبير صلاح عبد الصبور .. ثم رأينا من تجاوز ذلك كله فاعتبر الصالة هي المنصة والمنصة هي الصالة فبعد أن بدأ التمثيل على جانب أمام الجمهور الواقف في صحن وكالة الغوري اندفع الممثل ووراءه الممثلة في قلب الجمهور واختلط الممثل بالمتفرج كما يختلط الحابل بالنابل والممثل لايني يمسك بمتفرج من ذراعه ليوجه اليه عبارات السخط على زوجته ( الممثلة ) فتمسك الممثلة بالمتفرج الآخر من ياقته وتقرأه دفاعها عن نفسها .. حتى انتهى المشهد بالموت في ميضأة الفسقية التي تتوسط صحن الوكالة - مسرحية داليا التونسية .

أما التجريب الاكثر شيوعا فقد كان المونودراما ، وهو دراما الممثل الواحد

احدى المسرحيات التجريبية مصرية



# المسرح التجريبي

الذى يفجر الصراع ويشد الجمهور بحكايته وبوصف حاله فى صيغة المونولوج ·

وهذا لون شاركت فيه مصر وعرفناه فى مسرح الطليعة المصرى مرات عديدة ·

وقد شهد المهرجان الى جانب ذلك كله التجريب بادخال عنصر الرقصة الرمزية ( للنورس ) فى السياق الدرامى المبنى على الحوار اللغوى والمشاهد المتتابعة ، والشباك السابحة فى الهواء تترصد النورس لاصطياده – رافع العلم للفريق الفلسطينى ·

## ● لماذا التجريب

وفى خلال الايام العشرة للمهرجان لم تكن الفرصة تتيح للمشاهد أن يشبع فضوله كله ، أو أن يحيط بكل الوان المسرح الطليعى الحديث – المصرى والعربى والاوروبى ، ولا اتيحت الفرصة لأى ناقد أو متذوق بمفرده أن يشمل الوان المسرح الحديث فى المهرجان بنظرة واحدة ·

فما بالك بالمشاهد والمتذوق الذى يريد أن يحيط بكل فنون المسرح الحديث فى أوروبا أو أمريكا ، وفى كل قطرٍ من اقطار القارتين مئات الفرق الطليعية المرموقة التى تقدم كل واحدة منها صيغة مسرحية وأسلوبا مسرحيا متميزا فى منهج التعبير ·

حتى الفرق الكبرى تتسابق فى تطوير فن المسرح ، فبعد صعود نجم فرقة برلينر انسامبل بقيادة برتولد برخت منذ عام ١٩٤٨ واتجاهها المتكامل للمسرح الملحمى ، تسابقت الفرق المسرحية الكبرى فى العالم فى مسارات التحديث المسرحى ··

المسرحيات التاريخية بملابس عصرية ··

تجريد الديكور والتمثيل فى الفراغ المسرحى العارى ·

الخروج على الواقعية وتثوير الادب المسرحى واظهار عجز اللغة مثلما فعل مؤلفو مسرح العبث ·

صعود نجم مصمم الازياء والديكور ، وتحول هذا الفن من التصويرية الواقعية الى التعبيرية الحرة ·· وكان من فرسان هذا الفن المصمم الجزائرى الاصل الانجليزى الاقامة عبد القادر فراج الذى استخدم لأول مرة خام الجلد فى تصميم الملابس التاريخية العسكرية فى خطوط للتصميم حديثة ، فاضفى على الجند الرومان مظهر العنف للنازية حيث كان الجند الالمان هم أول من ارتدى الملابس الجلدية العسكرية ··

ثم أتت تجارب الفنان البولندى جروتوفسكى ليستعيض عن بلاغة اللغة ببلاغة التعبير الجسدى فأنشأ فن التمثيل انشاء جديدا ، ولم يعد الممثل مجرد حنجرة ذات أوتار ، وانما أصبح ممثلا بكل أعضاء جسمه ·

وامتدت ثورة المسرح الى ادخال كل أدوات الفرجة المسرحية من غناء ورقص واكروبات وحيل تقنية تعبيرية فيما سمى بالمسرح الشامل ·

وامتدت يد التحطيم للعلبة المسرحية التى يحجبها الستار التقليدى على النسق المعمارى الايطالى كما يسمونه ، فالغيت الستائر وعدلت أوضاع المنصة

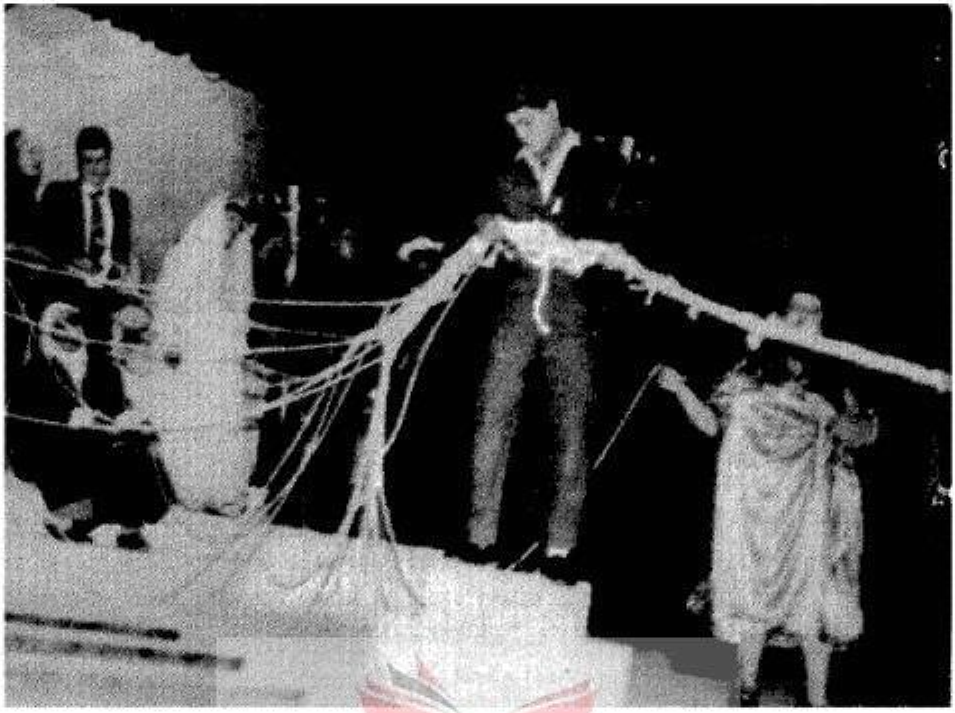
بالنسبة للجمهور
وعاد الفنان الى ما قبل عصـــر النهضة يستلهم التراث كما تقول ويعمد الى احياء فن الممثل الشعبي لمسرح الشارع في العصور الوسطى .. وهكذا ..وهكذا..الى ما لا نهاية..

## ● المسرح يتحدى

وقد صاحب هذا كله انتشار واتساع الظاهرة المسرحية من كل جانب ..
فبعد أن كان المسرح متعة للخاصة ومتعة ثقافية تقليدية ، وكانت مدينة لندن أو مدينة باريس لا تتلألأ فيها غير أضواء عشرة مسارح أو عشرين أو ثلاثين دارا مسرحية .. وبعد أن كانت الاقاليم لا تتمتع بفن التمثيل الا من خلال فرق العاصمة أثناء تجوالها في المدن .. انتشرت المسارح وتكاثرت بشكل انفجاري وحاصرت الفرق المسرحية التقليدية بألوان الحداثة والتجديد واجتذبت جماهير الشباب الجديد في سياق تطور المجتمع الاستهلاكي وتعميم الخدمات الاجتماعية والتعليمية في المجتمعات الغربية .
وقد طال الطابع الاستهلاكي للمجتماعات الغربية مجال الثقافة .. الكتاب والصحيفة والمسرح والسينما والتليفزيون .. كما طال سائر السلع الاستهلاكية .
وصنع التنافس بين الفرق الكثيرة وحب اجتذاب الجماهير عن طريق الاغراب والتحديث حركة مسرحية جياشة يبرز من خلالها فنانون مغمورون ويغرق في أمواجها فنانون لامعون .
ولكن الحركة المسرحية كلها كانت تقف صفا واحدا أمام طغيان التليفزيون ثم طغيان انتقال الصورة التليفزيونية عبر الكواكب الصناعية ، ثم انتشار الفيديو في الاسواق .
وكما زلزلت الكاميرا فن التصوير والرسم بدقتها الواقعية ، فتطور الفن بسرعة الى التأثيرية والتكعيبية والرمزية والسريالية .. وحرر حتى البورتريه من القوالب التقليدية لفن التصوير .
.. كان التليفزيون والفيديو انذارا لفن المسرح ، زلزل التقليدية والواقعية، ودفع الفنان الى تطوير الاشكال المسرحية واضفاء السحر الفني عليها.
لم يعد المسرح يستطيع الاحتفاظ بسحره بمجرد الحضور السحري للممثل في الاضواء ، وانما تجاوز ذلك الى الوان من السحر تخطر على البال والوان لا تخطر على البال .
وواجه التحدي بالتحدي ، فحافظ على جمهوره واستطاع توسيع قاعدة المشاهدة المسرحية ، والالتقاء بالمجتمع الاستهلاكي في ساحة الزحام والاقبال.
وها هو اليوم يقدم مع كل ثلاثة ثقات سحرا جديدا مدهشا ، وقد تكاثر الفنانون المساهمون في صناعة هذا السحر الحديث .
والعجيب أن المسرح الطليعي في أوروبا يرفد الفرق الكبرى بفكر متجدد، فلا يتحرج الكبار من استلهام الصغار .. ويضيفون الى مسرحهم القائم على المسرحية الكلاسيكية أو المسرحية الدرامية الحديثة تأثيرات مما يتميز به مسرح الطليعة .. في الاطار الفني أو في الايقاع والتمثيل ، بينما تعمد الفرق الطليعية الى استلهام المسرح الكبير الرصانة والتقنيات العالية واحكام الصنعة والتجارب التي

رقصة العروس عن الفرقة الفلسطينية





رحلة قطار لتوفيق الحكيم واخراج [illegible]

يبدعها الكبار من أمثال بيتر بروك الانجليزى ولوبيموف الفنان الروسى وداريو فو الايطالى ..

وهذا التجريب الحافل كله .. يزورنا طرف منه فى القاهرة ، ونتمنى أن نشاهد المزيد من نماذجه والمزيد من ابداعه ..

كما شهدت القاهرة طرفا من التجريب المسرحى العربى المبدع ، والتجريب المصرى الذى لا يقل اثارة للدهشة .

فنتمنى أن يطول تأثير مهرجان القاهرة أكثر من مجرد مدة انعقاده ، وأن يكون ذلك المهرجان قد أكد الاعتبار للفنان المصرى المجدد بحيث يصل أثر الفنان المصرى الطليعى والفنان الشاب الى مسرحنا الكبير الذى يعانى فى الواقع من اغراقه فى التقليدية والواقعية التصويرية الى حد كبير .

وان كنا جميعا نتمنى أن تصيب مسرحنا صحوة وافاقة يفرد فيها الجناحين بقوة .. فان تحديث المسرح هو أحد الطرق الى بلوغ هذه الغاية .

وقد كان لمهرجان القاهرة الدولى الاول للمسرح التجريبى فضل النفخ فى النفير لمسرح الدولة والقطاع الخاص على السواء ..

فلمنظمى المهرجان الشكر ، ولوزارة الثقافة التحية انها قدمت هذه الخدمة الجليلة لفن المسرح المصرى والعربى من غير ادعاء او ضجيج اعلامى زائد ..

قدمت هذه الخدمة بنظرة بعيدة الى المستقبل واعتزاز مكين بمكانة مصر وفنها المسرحى العريق .

# وجه الإنسان عند بيكار

بقلم : محمود بقشيش

**عندما فكرت فى الكتابة عن الفنان الكبير « حسين بيكار » شعرت بشىء من الحيرة .. بسبب تنوع عطائه الفنى ، فهو أحد أعمدة فن رسوم الأطفال فى مصر والعالم العربى ، وأحد نجوم الرسوم التوضيحية بالصحافة ، ومن أفضل رسامى « البورتريه » فى العالم العربى ، وأحد نقاد الفن البارزين . إن كل جانب من جوانب تلك الشخصية الثرية يستحق دراسة مستقلة .. لهذا أستأذن القارىء فى التركيز على جانب واحد من جوانب ابداعه .. وهو فن « البورتريه » .**



يُعَدّ « بيكار » من أكثر الفنانين المصريين التزاما بأصول فن « البورتريه » أو الصورة الشخصية ، وأكثرهم براعة وإتقانا لهذا الفن .. الذى يزهد فيه معظم الفنانين او يهمشونه فى أحسن الأحوال . ولم يلمع من ممارسى هذا الفن ـ منذ انشاء مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ حتى الآن ـ غير اسماء تقل عن عدد اصابع اليدين . ولهذا اسبابه ، منها ـ فى تقديرى ـ ان لوحة « البورتريه » ترتبط بمشتر محدد هو نفسه النموذج المرسوم . وهذا ( النموذج / المشترى ) له شروط لامفر من تلبيتها .. والتى قد يكون من بينها التدخل فى الأسلوب الفنى للفنان ! .. ومن بينها ايضا تضاؤل الاهتمام بفن الرسم والتجسيم بالألوان . ولخبرتى المباشرة فى متابعة انتاج الفنانين المصريين فإننى استطيع القول : إن اكثر الذين لاذوا بالأساليب الحديثة كان دافعهم الى ذلك تغطية العجز فى ممارسة الرسم وفق اصوله المدرسية . ولست ممن يدعون الى التمسك بالأساليب التقليدية ذات الأطر المرجعية الثابتة ، بل ـ بالعكس ـ أدعو الى التمرد عليها .. « لكن » بعد هضمها ، فكيف نصدق فنانا يزعم لنا انه يصف

مايدور في خياله وصفا دقيقا وأمينا دون ان تكون لديه القدرة على وصف ماتراه العين محددا واضح المعالم ؟ .. كيف يستطيع وصف الغامض والمعقد من المشاعر ولايستطيع وصف البسيط. الواضح . المحكوم بأبعاد المكان ؟!

★ ★ ★

إن وجه الانسان مثل أى مثير جمالى آخر .. به ما يحرك فى الفنان نوازع الخلق ، ويحفزه على استنطاق الأسرار .. بما يتيحه له أسلوبه الفنى . ولأن الأساليب متعددة فالنتائج ، أيضا ، تكون كذلك ، تبدأ من نقل الواقع وتنتهى الى التحريف الكامل ، وتحتفظ ـ رغم ذلك ـ وبدرجات متفاوتة بصلتها بالنموذج الفردى . المراد رسمه وبين تلك الدرجات يقف « بيكار » مع الاتجاه الذى يرى فى الشكل الانسانى الذى أبدعه الله جمالا لايجب تشويهه . وكان من الطبيعى أن يتوجه الى أصول هذا الفن فى إنجازات عصر النهضة الفنية ، فالتزم بالنسب الواقعية ، والتجسيم عن طريق مصدر ثابت للنور ، كما التزم بالوضعة التي تتسم بالفخامة ، واحتلال العنصر الانسانى المحاور الرئيسية للوحة .. غير ان مذاقا خاصا يسرى فى لوحاته ، يميزها عن غيرها ، كاشفا عن صلة بملامح الفن المصرى القديم .. تتجلى فى الطابع البنائى . الهندسى . والتلخيص . ووضوح المعالم وسكونيتها .

## ● تجميل القبح

إن شخوصه تتبدى فى اللوحات مثالية

بيكار مع موضوعه المفضل . وجه الانسان



# وجه الإنسان عند بيكار

وجه يجمع بين الكبرياء
والصلابة والخلود

محمود سامي واضع قواعد الفصحى





# وجه الإنسان عند بيكار

، لايشوبها ضعف بشرى .. بل تصاحبها الصحة والشباب والرشاقة . ولايفضح قبحها الواقعى ـ إن وجد ـ بل يستخدم كل براعته فى تفادى الدمامة .. مثلما حدث مع « بورتريه » رسمه للمرحوم « جناو » ـ أحد نقاد الفن ـ وكان رحمه الله مصابا بعاهات مستديمة .. فهو قزم . أحدب . أعور . ورغم ذلك استطاع « بيكار » أن يتخطى تلك الحواجز ، والتقط من الوجه زاوية بدا فيها جميلا . خاليا من أية عاهة .. وغطى الوجه بابتسامة صريحة صاحبتها لمعة متألقة فى العين السليمة .. اما العين العوراء فقد القى عليها ظلالا ، وراوغها بالتماعات عدسة النظارة .. فبدت العين عبر تلك الحيل الذكية بريئة من عاهتها .. ناعسة أو متأملة !

ونجح فى اجراء جراحة تجميل اخرى مع وجه لسيدة ذات اسنان بارزة .. جعلها تبتسم ، فانقلب القبح فى الواقع الى جمال . وهو يحرص دائما على ان يلتقط من العناصر مايجعل من الوجه الانسانى قطعة من الجواهر ، لهذا تكثر فى لوحاته الثياب المخملية . الجواهر اللماعة . البريق المتألق فى العينين ومقدمة الأنف والفم .

ربما قرأ « بيكار » خواطرى فقال لى : إننى لا أنافق الأشخاص الذين أرسمهم . بل أرى إن لحظة رسم « بورتريه » لحظة نادرة بالنسبة للشخص المراد رسمه ، فالناس لايجلسون كل يوم كى يُرْسموا .. ربما فعلوها مرة واحدة فى حياتهم .. لهذا يجب ان تكون تلك اللحظة النادرة لحظة « رسمية » يظهر فيها الانسان فى افضل حالاته ليرحب بمشاهديه !

إن « بيكار » ليس استثناء بين فنانى « البورتريه » المصريين من حيث كونه سترا وغطاء على عيوب الواقع . ولايسمح هذا الموقف الجمالى والانسانى الا بالتعامل الرفيق مع النموذج . الذى يظهره متماسكا ، مهذب التعبير . ويبدو أن الغطاء الأخلاقى . المصرى . يحول ، فى اغلب الأحوال ، دون ان تكون الفرشاة جارحة . كاشفة عن مناطق العتمة .. كتلك التى نطالعها ـ على سبيل المثال ـ عند وجوه الفنان الانجليزى (الألمانى الأصل) « لوسيان فرويد » .



## ● لامكان للمصادفة !

إن الوجه الانسانى فى لوحاته ـ وهو وجه نسائى فى معظم الأحوال ـ رغم تنوعه ورغم تطابق نسبه مع النموذج الواقعى يكشف عن تعلق الفنان بملامح محددة ، فهو يميل الى الحواجب المرتفعة ويسيِّدها على كل الوجوه تقريبا ، كما يميل الى نقاط الضوء اللماعة ـ كما ذكرت من قبل ـ ولايكاد وجه واحد يفلت منها . حتى فى اسلوب التجسيم يكاد يكون ثابتا : ففى حين يجسم كتلة الوجه تجسيما اسطوانيا فى معظم الأحوال ..

فإن كفة التجسيم بالمسطحات ترجح فى بناء وتحليل معظم أشكال الثياب . وربما كان قصده من تلك الثنائية فى التجسيم الكشف عن التباين بين ملامس البشرة الانسانية والملابس . واستعار من المنحوتة المصرية القديمة حرص مبدعها على البناء ، ووضوح المعالم ، وابراز الطابع السكونى .. او مايفضل بعض النقاد وصفه بالحركة الداخلية لتفريقها عن الحركة الخارجية فى النحت الاغريقى . وهو يلتزم بالوضعة الكلاسيكية ذات الشكل الهرمى ، كما يلتزم باحتلال الجزء المصور من النموذج (وهو غالبا الرأس واليدين) كل المساحة .. بحيث يبتعد عن التماس مع اطارها الخارجى .. كما يهتم ـ شأن فنان عصر النهضة ـ بالتوازن عن طريق تكامل الخطوط والأشكال .. بحيث يكون لكل شكل او خط صداه داخل اللوحة . ويلتزم فى كثير من اللوحات بمستويات العمق : [ الأبعاد الثلاثة ] . يعتم الخلفية وتزداد الدرجات إضاءة كلما اقترب خطها الوهمى من عين المشاهد .. لتصبح نقاط الضوء فى العيون والأنوف والأفواه هى البطل الرئيسى . إن تلك الومضات تتجاذب فى الفراغ وتخلق نوعا من الحركة المجردة .. التى تكسب الشكل الواقعى . الوصفى بعدا شعريا ، ومذاقا خاصا . ومبررا للاعتراف بان ماتراه فن متحفى .

فى لوحاته تتوارى المصادفة ، والمغامرة غير المحسوبة . يظهر العقل قائدا ومحركا . كل هدف تسبقه خطة مدروسة . تسبق اللوحة دراسات تخطيطية . يختار من بينها الأفضل . حتى الرسوم التحضيرية ذاتها ينفذها بعناية فائقة .. تتميز برشاقة اللمسة وجراتها ورشاقتها . واذكر اننى عندما كنت طالبا فى كلية الفنون الجميلة فى أواخر الخمسينيات كان تأمل حركة يده بالفرشاة او اقلام الفحم شيئا ممتعا حقا . خطوطه



بطاقة تعريف

○ مواليد الإسكندرية عام ١٩١٣ .

○ تخرج فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٣ وكان ترتيبه الأول . ومن بين افراد دفعته . رمسيس يونان . نحميا سعد . على الديب . امين صبحى .

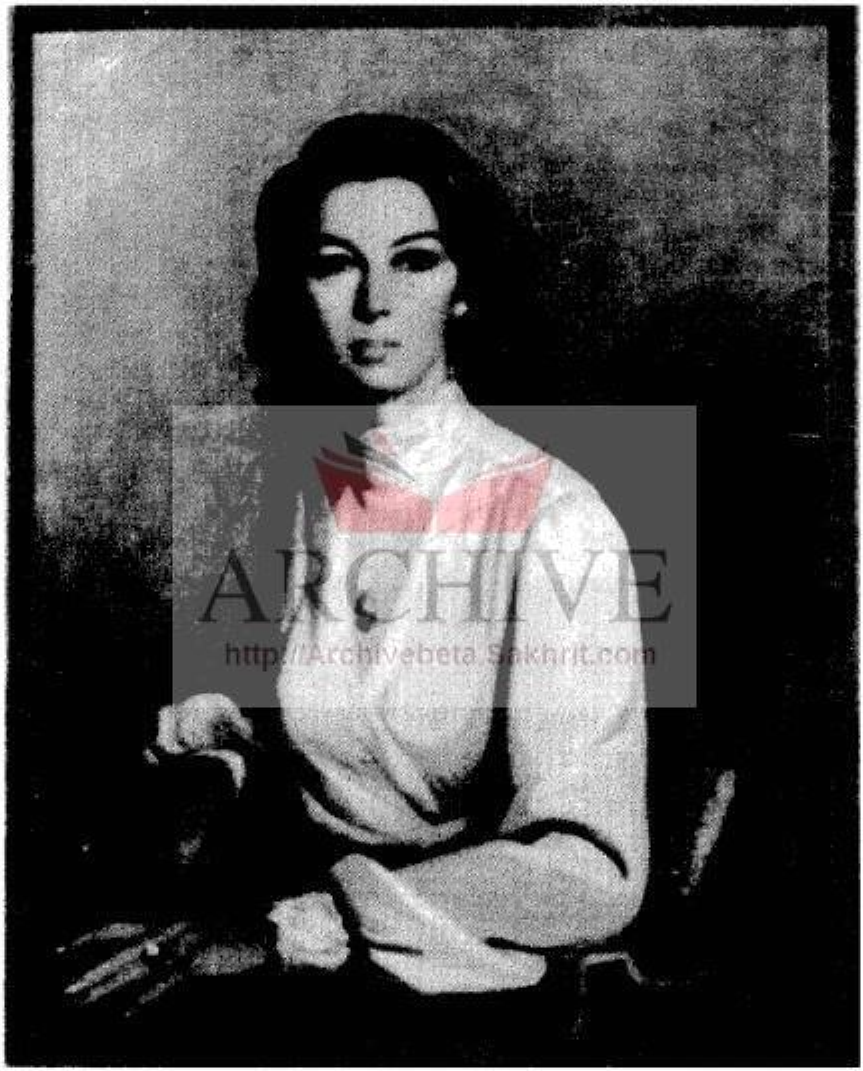
○ عمل مدرسا بعدد من المدارس قبل انتدابه الى المغرب حيث ظل بها ثلاث سنوات .

○ عمل معيدا بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٢ بعد عودته من المغرب .

○ استقال عام ١٩٥٩ وتفرغ للصحافة

# وجه الإنسان عند بيكار

الرقة والاعتداد



رشيقة لاتردد فيها على الاطلاق . قادر على رسم الصعب من الاوضاع ومن أعضاء الجسد الانساني وخاصة أصابع اليدين ، بل انه يعد احد الفنانين القلائل فى مصر الذين يجيدون رسم الأصابع

وجه يجمع بين البراءة والرزانة



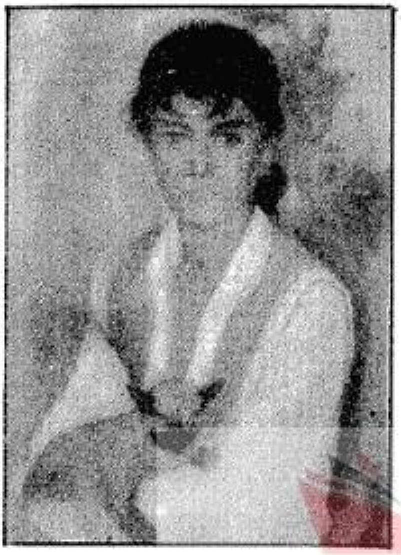
# وجه الإنسان عند بيكار

والأيدى وخلق توافق تعبيرى بينها وبين الوجه . وإذا كانت وجوهه تتسم بالجمال والرقة والاتزان فكذلك تظهر الأصابع .

إن وجوهه وإن ارتبطت بأصول فن « البورتريه » فى عصر النهضة فإنها اتسمت بما يجعلها تتمتع بخصوصية شخصية الفنان . المثقف . الذى استوعب مدارس وأساليب الفن المختلفة . فقد تخلص ـ مثلا ـ مما تحفل به اللوحة الغربية من تفاصيل دقيقة ، كما استعان ببعض ما انجزته التكعيبية والتجريدية والتأثيرية .. غير أنه مصرها ، بمعنى أن « التكعيبية » تحولت لديه الى مسطحات هندسية قريبة من مسطحات النحت الفرعونى . كما استفاد من التجريدية الهندسية فى تكويناته المختلفة . كما يظهر فى لوحاته بين الحين والحين مايوحى باستفادته من التأثيرية (فى اللمسات المتدفقة لا فى التحليل الضوئى) .

أما عجائن الألوان الزيتية فإنه يتعامل معها تعامل النساج .. فهى طبقات فوق طبقات .. خاصة فى مناطق الوجه والأطراف ، حيث تظهر لمسات الفرشاة الدقيقة ، وتبدو فى نهاية الأمر أشبه بخلايا بشرة حقيقية . ورغم تلك الكثافة الملمسية فإنه يقتصد فى التنوع اللونى ، ويمتنع عن الاستعراض به حتى لاتتعرض الكتلة . النقية . والاستدارات المحكمة للوجوه والصدور الى التشوه .

وهو يقيم الف حساب لحركة النور



لوحة الفنان .. جزء من ذاته

والظل ، والدرجات الضوئية والدرجات الظلية . يتابعها بعناية ، ليس فقط من اجل وصف شكل او لتحقيق درجة من درجات المتعة المباشرة بل للترميز بذلك الى ماهو ابعد وأعمق .. وإن كان يحدث له أحيانا ـ رغم الحذر ـ أن يُستدرج إلى تقديم وجوه تستثير فينا الشهوة وأمنيات الملامسة الفعلية مع الشفاه والصدور !

قلت له ذات مرة مداعبا : الوجوه التى ترسمها تبدو أحيانا فاتنة أكثر مما ينبغى فأجاب بجدية : إننى لا أستطيع أن أصور القبح .. وأرى الانسان دائما أشبه بملاك !



مهرجان الاسكندرية السينمائى الخامس

# وداعاً.. للشباب المتمرد

بقلم : محمود قاسم

**لوتابعت مانشرته الصحافه ، اخيرا ، حول وقائع مهرجان الاسكندرية السينمائى الخامس لروعتك المعالجة السطحية التى تم بها تناول موضوع اكثر جدية ولادركت ان البشر ، وعلى راسهم مدعى الثقافة ، يحكمون على الامور من قشورها .. ولعرفت ان كلمة « مهرجان » تعنى عند الكثير من البشر مزيجا من السمك واللبن والتمر هندى شىء لا طعم له ولا هوية فالمهرجان فى مفهوم الناس هو مكان للبهرجة ولاجتماع النجوم ولتسليط الاضواء ومنح الجوائز وتاجير صالات ولحفلات كوكتيل وما اليه ..**

**ومنظور الاخرين الى مهرجان الاسكندرية ، يعكس بالتالى منظورهم الى كافة المهرجانات التى تقام فى شتى مجالات الفنون والثقافة والحياة ..**



واذا كان مهرجان الاسكندرية الاخير قد استطاع ان يتعاقد على قرابة أربعين فيلما متميزا جاءت من انحاء متعددة من العالم . فان البعض قد راح يتحدث عن غياب النجوم أو عما حدث فى حفلات الاستقبال . او عن المشادات الخاصة التى دارت فى ندوات الافلام .. وخلع هذا البعض عن المهرجانات صفته كظاهرة ثقافية وجربية الحدوث فى ظروفنا الحياتية المعاصرة ..

نسوق هذا الكلام بمناسبة الحديث عن أزمة الرؤية .. وليس أزمة السينما . فقد اثار البعض ان السينما فى خطر .. وانها تعانى من أزمة .. والحقيقة ان المشاهدة هى التى فى خطر .. فقد جاءت الى الجماهير



محمود عبدالعزيز .. طار على جناح يمامة

غرق الشباب في الحب .. وابتعد عن التمرد في "الحب في أول يوم"



افلام متميزة من كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي وفرنسا وأسبانيا والولايات المتحدة ، وتونس وغيرها .. وكانت فرصة للجمهور ان يعاود الالتقاء مع فنون جادة . وأعمال تستحق الرؤية فـ « الذرة الحمراء » فيلم صيني حاصل على الجائزة الكبرى في مهرجان برلين . وفيلم من المجر « الحب حتى أول دم » حصل على جائزة مهرجان ستراسبورج ، ومجموعة افلام منتقاة من مهرجان كان الاخير .. ولكن مثلما راح الصحفيون يفتشون عن فضائح المهرجان واسراره .. فان الجمهور قد راح يفتش عن لقطات بعينها تعكس مدى حرمانه وجوعه الاجتماعي .. وازدحمت الصالات بالجماهير أمام افلام دون غيرها .. وراح بعض صانعي الكتابة يغازلون هذه الجماهير فيتولون ارشادهم الى هذه الافلام من خلال ما ينشرونه يوميا عن المهرجان .

## ● وداعا الشباب المجري

اذا كانت « الكرة أجوال » . مثلما يردد الكابتن لطيف .. فالمهرجان افلام . ويقاس نجاح أي مهرجان في العالم بمدى ما يمكن أن يحصل عليه من افلام تميزه . ومن خلال هذا الكم من الافلام يقاس نبض الابداع العالمي والمحلي . لان المفروض أن المهرجان ينتقي احسن افلام الاعوام السابقة لتقديمها الى جمهورها .. وبالقياس الى ما عرض في الاسكندرية سنكتشف ان في مجموع الافلام عدة سمات يمكن ايجازها في النقاط الآتية :

مشاكل الشباب هي الشاغل الاول لدي صناع السينما في العالم . مدى مواجهتهم مع المجتمع . وظروفهم الخاصة . وقد فقد اغلب هؤلاء الشباب سمته الهامة وهي التمرد على ما يحدث في العالم . بل اصبح هذا الشباب ضحية فوق محراب البشرية . فهو مطحون غالبا . وقد تحول الى ترس آدمي يعمل على تسيير عجلة الحياة . حدث هذا في الفيلم المجري « حب حتى أول دم » من اخراج جيورجي دوبراي وبيتر موروفات . فالشاب فيوج نموذج للعديد من الشباب المجري ، الذي ركب معه يوما قاربا صغيرا ووقفوا يرقصون على الطريقة الامريكية وارتدوا فانلات عليها العلم الامريكي . وراحوا يحتسون شراب الكوكا . هذا الشاب يحاول الانتحار، على الطريقة الغربية ، لانه تصور أن حبيبته قد خدعته . وهذا الشاب عبارة عن كتلة انفعالية . يملاه الاضطراب . ويقيم في مدرسة داخلية ويعكس كل هذه السمات في علاقته بالفتاة أجوتا .

والشاب بافل هو نموذج مشابه . في فيلم « حب في المر » لباروسلاف سوكوب . فهو لا يستطيع ان يتكيف مع الظروف المحيطة به من خلال اسرة منقسمة ومسكن غير مناسب . وهو يضطر للارتباط بعصابة اجرامية تقوم باعداد سطو مسلح من خلال تقديم تسهيلات لاعضائها ..

**اذا كانت بعض الافلام قد حاولت محاكاة السينما الامريكية من خلال شغفها بالحدوتة المثيرة ذات الايقاع السريع فان اغلب الافلام المتنوعة في فرنسا واوروبا الاشتراكية تتسم « بجوانبه » خاصة . تعتمد في المقام الاول على التجزيب والخروج عن المألوف . يمزج فيه المخرج بين فنون عديدة كالمسرح ، والادب والتراث والميثولوجيا مثلما حدث في فيلم « حالتي » للمخرج البرتغالي مانويل دى اوليفيرا .**

# وداعاً.. للشباب المتمرد

حيث صور مزامير داوود من خلال رؤية مسرحية صعبة الفهم الا للحالات الخاصة • ونتيجة لصعوبة الفيلم فقد اكتفت ادارة المهرجان بعرضه في حدود ضيقة •• أما المحاولة الثانية فهى « الحب الساحر » للمخرج الاسبانى كارلوس ساورا •• والفيلم اشبه بواقع تدور احداثه داخل مسرح واسع لا نهاية له •• السماء هى جدران المسرح • والحركات ايقاعية يتراقص بها الابطال كأنهم اسماك فى حوض أسماك زجاجى لا يمكنهم ابدا الانفلات منه •

## ● التقليد فى الافلام المصرية

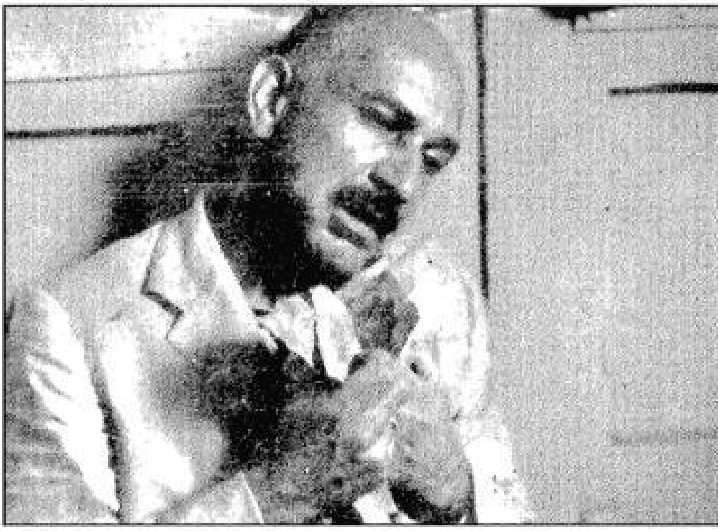
رغم ان السينما تحتفل هذا العام بمرور قرن على ظهورها • فانها لم تستطع الانفصال أبدا عن الكلمة الادبية المكتوبة • حيث راح صناع الافلام يفتشون عن مصادر افلامهم فى الروايات والكتب المنشورة • وذلك بدءا من فيلم الافتتاح « صرخة الحرية » لريتشارد اتنبروا وحتى فيلم الختام « حرب الفاصوليا » •• ففى مصر استعان سعيد مرزوق بأقصوصة قصيرة لجمال الغيطانى ليقدمها فى فيلم « أيام الرعب » • كما استعانت المخرجة الفرنسية ديان كيريس بكتاب عن حياة الكاتب الايطالى ريتشارد بافيزى كى تكون خلفية لاحداث فيلمها « رجل عاشق » ، واستعان دى أوليفيرا بنص مسرحى كتبه صموئيل بيكيت ليقدم فيلمه التجريبى « حالتى » ، أما كلود شابرول الذى قام بتطليق الموجة الجديدة فى السنوات الاخيرة فقد استعان برواية بوليسية للكاتبة الامريكية باترشيا هايسميث ليقدم فيلمه « صرخة البومة » • أما جيمس ايفورى البريطانى فقد بدا مشدوها بأدب هنرى جيمس فى فيلمه « الاوربيون » الذى يكاد يكون فيلما منسوخا عن رواية بنفس الاسم •

والظاهرة الثانية المتعلقة بالنص السينمائى هى أن المخرجين يحشرون انوفهم دائما فى كتابة افلامهم • ويصرون ان يشاركوا كتاب السيناريو المحترفين فى كتابة نصوصهم • أو يؤثرون القيام بهذ المهمة وحدهم •

تنعكس أزمة السينما المصرية التى تواجهها حاليا فى مدى اشتراكها فى المهرجانات المحلية قبل الدولية منها • فطول أيام انعقاد المهرجان والمشرفون عليه فى حالة ارتباك شديد بشأن عروض الافلام المصرية • هناك افلام لم يتم تشطيبها الا فى اللحظات الاخيرة من اجل عرضها فى المهرجان أما الافلام الاخرى فهى اقل اهمية وجودة • ورغم ان خمسة افلام قد نالت جوائز لجنة التحكيم • فانه والكلام للمخرج صلاح ابو سيف رئيس اللجنة ، ليس هناك فيلم لامع يستحق جائزة •

واذا كانت الجوائز الممنوحة هى التى اسقطت مهرجان الاسكندرية الرابع عام ١٩٨٤ • فان شهادات التكريم الورقية التى تمنحها المهرجانات هى محاولة لارضاء كل من اشتركوا بالحضور فى المهرجان على المستوى المحلى • حيث ان هذه الظاهرة ترضى الفنان الذى يقاس مدى وجوده ، ويا للعجب ، بمدى ما يناله من استحسان فى مثل هذه المناسبات •

والملاحظة بارزة فى الافلام المصرية العشرة التى عرضت فى اطار ليالى الاسكندرية انها تهتم بوضعية الثقف



بن كنجسلي فى جزيرة باسكالى

فى المجتمع · هذا المثقف الذى يمكنه ان يتكيف بسهولة مع لغة المجتمع الجديدة فى عصر الانفتاح فى فيلم : «الدنيا جرى فيها ايه» · وهو الانسان المليء بالخوف والرعب لجرد انه سمع ان غريمه سوف يأتى الى القاهرة للقنص منه فى جريمة ثأر فى فيلم « أيام الرعب » · وهذا المثقف يرضخ بسهولة للطغاة سواء فى هذا الفيلم او فى « التحدى » لايناس دغيدى او « كل هذا الحب » لحسين كمال ·

## ● الحياة .. تستمر

أثبت النجاح النسبى الذى حققه المهرجان أن جمعية اهلية فقيرة يمكنها اقامة حدث ثقافى وسط تعثرات مالية ومعنوية ومنافسة وسلبية من جانب بعض المسئولين · ومع هذا فقد استطاعت ان تقيم مهرجانا يستضيف اكثر من ثلاثمائة ضيف فى افخم فنادق الثغر ويستجلب نيفا واربعين فيلما من جنسيات مختلفة · ويعود هذا النجاح للحماس الذى علا وجوه اللجنة المنظمة للمهرجان تحسبا من منافسة لمهرجان اخر ومحاولة اثبات ان الحياة يمكنها أن تستمر فلا شك ان المهرجان قد افتقد اسماء بعينها تخصصت فى اقامة المهرجانات ·

وقد اضعفت هذه الامور من المهرجان لكنها ايضا كانت اشبه بضربات العصا المتوالية ، كما يقول غاندى ، التى تزيد من قوة الظهر · واثبتت هذه الظاهرة أن الحياة « ولودة » بطاقات جديدة يمكنها الوقوف بنفس الكفاءة مكان الطاقات التى آثرت الانسحاب او الوقوف ضد المهرجان ..

تلك بعض السمات لمهرجان قديم يعود فى ثوب جديد · محاط بتوترات لكنه فى داخله ، يحمل عوامل بقاءه .. واذا كانت للمهرجان بعض سلبياته فهى سلبيات مرتبطة بصفات عامة فينا جميعا مثل التعجل ، وعدم الدقة فى التخطيط ، والانتظار حتى اللحظة الاخيرة ، والتركيز على شكليات مثل حضور النجوم والحصول على جوائز ورقية وما اليها ·

# موجة جديدة في السينما

بقلم : مصطفى درويش

حصادنا من الأفلام التي تريد ان تقول شيئا جديدا جادا . وجرى عرضها اثناء النصف الاول من العام ، اراه حصادا لايزيد عن فيلمين لاثالث لهما .

بل ان احدهما ، سرقات صيفية ، لم تتح حتى الان فرصة مشاهدته في عروض عامة الا لفئة قليلة من النقاد هنا في القاهرة ، وفئة قليلة من الناس هناك في الاسكندرية بمناسبة انعقاد مهرجان سينما البحر المتوسط قبل ايام وبه ابدا الحديث .

الطفل سمير .. بطل سرقات صيفية



« سرقات صيفية » اول فيلم لصاحبه المخرج « يسرى نصر الله »

وهو عمل فني غير مثقل بقيود سينما نظام النجوم التى لاتتعمق ، ولاتكاد تتجاوز موضوعات معينة ، مكررة الا نادرا .

## ● وجوه بريئة

فأول مايلاحظ عليه ان صاحبه لم يجنح فى إخراجه الى الاعتماد على نجوم ، بل ولا حتى على ممثلين محترفين .

وإنما جنح الى الاعتماد على هواة منهم من وقع فى هوى السينما وانتظر مجىء الفرصة . ومنهم ما ان وقف امام الكاميرا حتى وقعت فى هواه .

ومن هنا غلبة الوجوه العابية النقية الفتية فى معظم وأهم ادوار الفيلم ، مما اضفى عليه طابعا غير مألوف ملؤه حيوية متحررة من اثقال سينما قديمة عفا عليها الزمان .

## ● ايام لها تاريخ

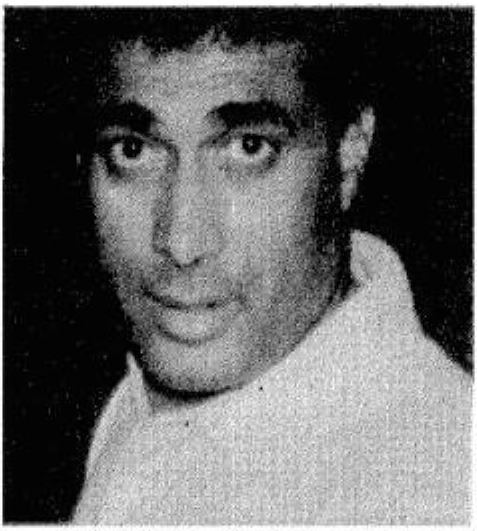
وخصلة اخرى يمتاز بها فيلم « يسرى » وهى أنه يعرض لجوانب من الحياة فى مصر لم تخطر من قبل على بال احد من صانعى السينما عندنا .

فعالم الأطفال بكل سحره ، بكل احلامه وأوهامه هو محور « سرقات صيفية »

وعالم شهر يوليه ١٩٦١ بتأميماته وتفجراته الاجتماعية التى كان لها أكبر الاثر على مسار مصر .

هذا العالم هو الذى تدور حوله أحداث الفيلم وجودا وعدما .

ولعل هذه الجدة الخصبة غير المعهودة فى افلامنا منذ « المومياء » أو ليلة حساب



احمد زكى باع كازوزة فى الدرجة الثالثة

السنين رائعة المخرج الراحل « شادى عبدالسلام » لعلها هى التى حدت بمهرجان كان الاخير الى اختيار « سرقات صيفية » من بين عشرات الافلام كى تفتتح به تظاهرة اسبوعى المخرجين .

ولاول وهلة يبدو الفيلم وكأنه مأخوذ دون تصرف عن سيرة صاحبه الذاتية ، وكأنه لم يغير من هذه السيرة شيئا .

## ● عائلات محترمة

أليس اسم بطله الطفل « ياسر » قريب الشبه من اسم مخرجه « يسرى » .

وأليس الفيلم يحكى لنا اياما من عمر طفل ينحدر من صلب احدى العائلات المصرية العريقة التى مسها يوليه بقوانينه ، فأفقدها ثراءها الذى اصبح فى خبر كان .

# موهبة جديدة في السينما

ومعروف عن صاحب « السرقات » انه سليل احدى تلك العائلات الكبرى التى ظلت محتفظة بمكانة رفيعة فى المجتمع الى ان هبت عاصفة يولية فهزت مكانتها هزا عنيفا .

وأليس الفيلم يلتقط من ذاكرة مخرجه الاعوام الاربعة التى طواها على ارض لبنان اثناء حقبة عجيبة من الزمان تفجرت عن احداث جسام ، وكأنها الحمم من البركان . فيضمنها حياة هذا الطفل عندما اصبح شابا يافعا

فاذا بنا نراه قريبا من ختام الفيلم ، وقد عاد مصورا الى ريف مصر من لبنان المثخن بالجراح والخراب .

يحاول ان يسترد على شاشة الذاكرة ملذات واوجاع ايام الطفولة فى قصر العائلة الذى تحولت به الخطوب والاهوال الى اطلال .

## ● المستحيل

ومع ذلك فالفيلم ليس من نوع السيرة الذاتية

ثمة اوجه شبه مافى ذلك شك فى بعض التفاصيل والدقائق التى يتالف منها عمر « ياسر » فى الفيلم وعمر « يسرى » صاحب الفيلم .

ولكن ما اكثر التفاصيل والدقائق الاخرى المختلفة فى عمرى « ياسر » و « يسرى » .

فعلى سبيل المثال الطلاق فى اسرة الاول سهل المنال . وآية ذلك تهديد ابيه لامه به ، وانتهاء حياة خالته الزوجية بالطلاق ويعقد قرانها على آخر قريب من السلطة فى حين ان الطلاق فى اسرة الثانى « المخرج » يكاد بسبب الدين ان يكون امرا مستحيلا .

## ● زاوية جديدة

ومهما يكن من امر ، فسرقات صيفية عمل من تلك الاعمال السينمائية النادرة التى تعرض لعالم الاطفال قبل ان تثب بهم الحياة الى الفتوة باسلوب بسيط يحبب الناس فى عالمهم الذى محوره وقائع صغيرة غالبا ماتبدو لهم كبيرة .

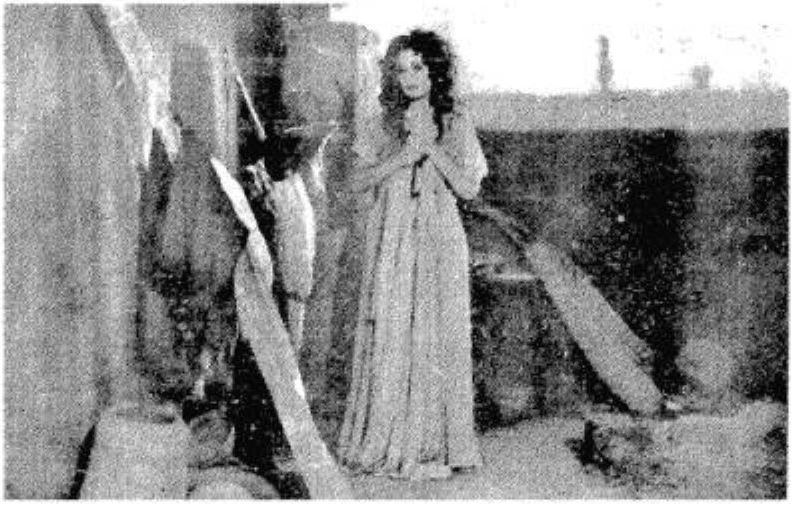
**والفيلم يبدا بداية هادئة كل الهدوء غير انه سرعان مايتبين لنا انه من ذلك النوع من الهدوء الذى يسبق العاصفة .**

فما ان تنتهى العناوين حتى نرى الطفل « يسرى » ( احمد محمد احمد ) جالسا الى جوار الفلاحة « خضرة » ( اميرة غزال ) على حافة ترعة حيث يسبح فلاح شاب « عنتر » ( حسن فتحى ) عارضا مفاتنه للناظرين .

وفجأة ، إذا بهذا المشهد المشع رقة وبهجة ينفجر عن ذعر يعقبه موت أكيد .

فهاهو ذا « عنتر » غريق وجسده على شاطىء الترعة جثة هامدة فى رقبتها ضفدع لصيق .

وهاهو ذا ضابط الشرطة ( طارق حلمى ) ممتطيا جوادا سائلا فى عنجهية الفرسان عن هوية صاحب الجثة ، فتجيبه الاجابة من « خضرة » بصوت ملتاع خفيض .



سعاد حسنى

وقبل ان اترك هذا المشهد الأخاذ ، أحب ان اقول أن ماتحلى به من بساطة وجمال ، انما يرجع اكبر الفضل فيه الى عين كاميرا « رمسيس مرزوق » التى استطاعت ان تنفذ الى اعماق الاشياء ، فاعادتها باحجامها والوانها اطيافا تسحر الابصار .

والآن ، وبعد انتهاء الكلام عن هذا المشهد ، اعرض لخط الفيلم الدرامى ، فأجده رغم تعدد وتشابك نسيجه الفنى بسيطا بساطة غير مشوبة بأدنى تعقيد .

يتقدم علوا وصعودا مع كل اكتشاف « لياسر » ومع كل تجربة يمر بها خلال شهر واحد من عمر مصر ، وياله من شهر !!

● صرخات وهمسات

انه يوليه ١٩٦١ شهر التأميمات الكبرى والمزيد من التحديد للملكية الزراعية ، ومن الحقوق للفلاحين .

شهر الكلمات المنطلقة من الاذاعات بصوت قائد الثورة تحمل الامل الى العمال والفلاحين الذين يشاركون الملاك فى الانسانية والوطن ، ومع ذلك يسامون بينهم سوء العذاب .

وطبعا هذه الاحداث الخطيرة كانت لابد ان تنعكس آثارها على « ياسر » .

ومن بين هذه الآثار نشوء صداقة بينه وبين الطفل الفلاح « ليل » ( هانى حسين ) واشتراكهما فى سرقة الاغنياء انتصارا للفقراء .

● محلك سر

بقى ان اذكر ان الخيط الاساسى فى حبكة الفيلم هو هزيمة الفلاح .

ففى لقطات الفيلم الاولى يدفع الموج

## موجات جديدة فى السينما

« عنتر » الى الموت غرقا .

وقريبا من منتصف الفيلم تلقى الشرطة القبض على الطفل « ليل » وتزج به فى السجن بتهمة السرقة دون ان يسمع له دفاع .

وقبل النهاية بقليل نعرف ان الضابط الفلاح « عبد الله » ( مجدى كامل ) قد مات شهيدا فى حرب الخامس من يونيه ( حزيران ) .

وتسمع من الفلاحة ( عبلة كامل ) التى تعمل فى عزبة الاسياد انها على موعد مع موت رهيب بالسرطان .

واثناء اللقطات النهائية نرى « ليل » وقد اصبح رجلا ، مستقلا حافلة مع جمع من الفلاحين الشبان تشق طريقها الى العراق حيث تدور رحى حرب ضروس اما الاسياد واصحاب الارض من ابناء الاسر الكبيرة فقد تكيفوا مع النظام الاجتماعى الجديد ، واستعانوا بما تبقى لهم من علاقات واموال على تحقيق مايريدون من المآرب والآمال .

### ● فجر جديد

فاذا ما انتقل بنا الحديث الى الفيلم الثانى « الدرجة الثالثة » فسنجد انفسنا امام عمل فنى وصلت فيه حرفة السينما الى ذروة عالية من البراعة فى الاخراج « شريف عرفه » وفى الحوار « ماهر عواد » وفى التصوير « محسن نصر » وفى التوليف « عادل منير » .

واسلوبه الذى يتزاوج فيه الواقع بالخيال انما يذكرنا باحدى روائع السينما الامريكية الأخيرة « اختطاف اريزونا » الذى لم يترك صغيرة أو كبيرة من طريقة الحياة الامريكية الا وسخر منها من خلال حكاية رمزية ذات مغزى .

والرمز المختار فى « الدرجة الثالثة » عبارة عن ناد لكرة القدم تديره « جمعية حبايب النادى » المشكلة من جمهور البسطاء مشجعى الدرجة الثالثة ، ومن اعضاء مجلس الادارة المتربحين من حب وحماس هؤلاء البسطاء .

وطبعا هذا النادى الموزعة جمعيته بين اغلبية من الناس البسطاء ، وقلة من الصفوة اهل القمة ، انما يرمز الى مجتمعنا الكبير بعبيده واسياده .

وهذه التفرقة نلاحظها حتى قبل ظهور العناوين فى مشهد مدهش سابق عليها اطلعنا على جميع الشخصيات التى لها دور رئيسى ومعظم الشخصيات التى لها دور ثانوى .



### ● كأس العذاب

فها هو ذا الجمهور الصاخب فى هذا المشهد الفريد ترتفع حناجره بالدعاء ، وواحد فى صفوف المدرج يزمر ، وآخر يطبل وثالث يعزف على عود ، وجموع تصفق وتهتف فى جنون .

وهاهو ذا « سرور » « احمد زكى » بائع المياه الغازية ينادى عطشان فيجيبه رد « مناعة » ( سعاد حسنى ) بائعة « لحمة الراس » جريئا مثيرا « قروشك وانا

جاهزة ، وبعد لقطات متدفقة تمر بنا على وجوه كل ابطال الفيلم من رواد الدرجة الثالثة ، تنتقل بنا الكاميرا الى رئيس مجلس الادارة ( جميل راتب ) واعضائه جالسين فى مقصورة الاكابر ، مرتدين جميعا زيا موحدا من حرير يليق باصحاب المقام الرفيع .

وما ان تنتهى هذه اللقطات اللاهثة حتى تمتلىء الشاشة بالكأس .

وليس هنا موضع الحديث عن هذا الكأس الذى فاز به النادى ، وحكاية تداوله بين الايدى والرءوس حتى تتوقف به الكاميرا فى ميدان الجزيرة امام الزعيم « سعد زغلول » واقفا على قاعدة تمثال « مختار » ويده مرفوعة ، وكأنه يقول لكل هذا العبث العابث كفى .

ولا الحديث عن الصراع ـ بعد إنتهاء العناوين فيما بين الفئة القليلة الباغية من اعضاء مجلس ادارة جمعية محبى النادى ، وبين جمهرة المشجعين البسطاء المغرر بهم الى حين .

فذلك شىء يطول .

وانما اكتفى بالحديث عن بائعة « لحمة الرأس » ( سعاد حسنى ) مرتدية ثوب عروس ابيض تبحث مع عريسها بائع الفازوزة البرىء ( احمد زكى ) عن مكان يمارسان فيه متعة ليلة الزفاف .

فاقول فى وصف هذا المشهد الذى انتهى بحثهما فيه الى اصطناع فراش من ارض ملعب النادى ، انه سوقى متكلف ، تكرر كثيرا فى الافلام ، ولايدل على عمق فى التفكير ، ولا على براعة فى الابتكار .

ومن هفوات الفيلم الاخرى ان دور بائعة لحمة الرأس هذا غير ملائم لنجمة لها زهو وعلو شأن سعاد حسنى .

وفى اعتقادى ان التوفيق فى اختيار هذا الدور قد جانبها الى حد بعيد .

ومن هنا ضآلة ونحولة دورها فى الفيلم ، فهى لاتكاد تظهر حتى تختفى .

**ومع ذلك فهذا الظهور النادر لهذه الممثلة البارعة كان كالواحة التى يرتاح لها المشاهد بين الحين والحين .**

وختاما ، فاخص مايؤخذ على الفيلم هو التعثر فى الربع الاخير منه ، لا لشىء سوى ان صاحبه قد اراد له نهاية سعيدة يخرج فيها الشعب منتصرا .

فكان ان جاءت الاحداث ظاهرة التحكم والسذاجة ، وآية ذلك قرار كبار اعضاء مجلس ادارة النادى نسف مدرجات الدرجة الثالثة ، وذلك بعد ان تبين لهم ان الرعاع فى قاعدة الهرم قد فهموا قواعد اللعبة ، ولن يذعنوا فى غير مقاومة .

حقا الكبار يكذبون ويسرقون ويقارفون آثاما لاتحصى ولاتقدر ولكن ليس الى حد التخلص بالنسف من جمهور الدرجة الثالثة اى من البقرة الحلوب فهذا امر جلل لايخطر على بال احد من المتربحين .

ورغم هذه الهفوات وغيرها مثل الاغراق فى الرموز ، فالدرجة الثالثة فيلم فيه المتاع كل المتاع .

**واغلب الظن انه سيكون له حظ من التاثير على السينما العربية غير قليل .**



# عسل الشمس

قصة قصيرة • بقلم : فؤاد قنديل



دفعتـــه عن انفها ، فعاد وحط على جبهتها، بصـــعوبة رفعت يدها وابعدته ، حام وهبــط على فمها ، صبرت عليه لحظات ، ثم نفخته فطار .. عـــاد فوقف على خدها المعظمى .

تاكدت اخيـــرا ان الذباب لم يخلق الا لها وانه لن يرحل عن وجهها، لم يكن دفعها له احساسا خالصا بقذاراته ، بقدر ما كان رفضا لوجوده الذى يعوق تامـــلاتها الكسولة فى مسافة بعيدة من الزمان .

قالت لها امها : لقد وضعتك يوم شنق زهران

حاولت ان تتذكر ماذا قالت عن زهران ـ ثم تسعفها الذاكرة وتخلت عنها تماما كما تعودت ان تفعل فى مناسبات عدة ، لقد غدا الماضى كصفحة محـــا الزمان ما بها من سطور .ربما تتذكر موقفا من المواقف الحرجة . كيوم طردها زوجها واهله الى الشارع ولم تبـــارح الدار الا

بصحبة اولادها الستة، وابت ان تذهب الى اهلها فى الجزيرة ٠

بقيت فى القرية تكافح مرفوعة الراس وترعى اولادها ، تحت سمع وبصر زوجها واله الى ان جاءواهم بانفسهم واجبروها على العودة فرضيت متشحة بالكبرياء

وتذكر يوم معركة الجسر مع الهلالدة بسبب نزاع الرى الشهير، لقد اشتركت فيها بنفسها ولم ترضخ لامر زوجها بالعودة الى الدار الا بعد ان شجت بحجر ثلاثة رءوس ٠

حتى هذه الذكريات المعدودة تسبح فى فضاء رمادى يلفه الضباب وهى مصرة على ان تمضى رغم ذلك فى محاولاتها العديدة للتذكر ٠

ولم تنتبه الى انها – فى السنة الاخيرة بالذات – كلما اسرفت فى نبش الماضى ، فى محاولة للانتقال اليه ، طافت بها مخلوقات غير مرئية وخفقت باجنحتها لتسمح لها بالتعرف عليها

فتقول :

– ارجعوا ٠٠ ليس الآن ٠٠ ارحلوا ٠٠

كانت تعلم انهم رسل الموت ، يطلبون اليها الاستعداد، فقد ان الاوان وهذه ميزة لا تتاح لكل الناس ٠٠ فها هو الموت يمنحها الفرصة باعلانه عن نفسه ٠ بدت خائفة وعاجزة ، لكنها لا تريد ان تستسلم ٠

عاد الذباب ، لوحت له بكفها النحيل ليبتعد بدا الذباب كأنه يود لو يعرف فيم تفكر :

يلفها صراخ احفادها وشقاوتهم ، كان الاولاد فى اول زمانها بلا صوت وبلا مطالب ولا خبل ٠٠ انجبت احد عشر ٠٠ لم تحس باحدهم ٠٠

اندفع حفيدها هربا من اخيه فاصطدم بها ووقع عليها ، لم تتوجع رغم ما اصابها ٠ رأت ان تبارح المكان لانه طريقهم وسوف يقعون عليها مرات ٠

سقطت الشمس الان عن الجدران ، وهبطت الى الارض ٠

استدارت الى الحائط واعتمدت عليه ونهضت ٠٠ السحابات السوداء على عينيها لا تكاد تتيح لها الفرصة كى ترى الخطوط المحددة لمعالم الاشياء ٠

تقدمها ذراعها يحوم فى الفضاء كقرن الاستشعار ، يكشف لها الطريق الى الحارة ٠ ، اجتازت العتبة ، واكملت ثلاث خطوات ثم جلست

هذا مقامها النهارى، هنا اقرب مكان الى الدنيا ٠٠ تمضى خلاله فى دراسة صامتة لما يدور حولها ، رأسمالها الوحيد سمعها الذى يعمل بكفاءة ٠ تميز هذه البنت من اختها ، وهذا الولد على اخيه ، وتميز صوت المسبة جوهرى واقدام ولدها

وتميز نباح كلبهم من كلب البنداري .

منذ سنوات وهي تراقب نفسها تمضي في طريق شاحب الضوء ، سرعان ما بدأ الظلام يكسوه ، ومع مضي الزمن الرديء تحيط بها العتمة كلفافة من خيوط العنكبوت .

لا احد يحنو عليها في هذه الدنيا الا الشمس المهيبة الحنون، وما عدا ذلك فالكل اعداؤها ويودون لو ترحل .

تحس ان الشمس تحتضنها وتخلع عليها ارديتها المتعفنة ،وتمسح عظامها الرميمة وتداعب كساءها الجلدي ، وتسلمها للذكريات .

يمكنها ان تسترجع طوفان الذكريات دون ادنى احساس بالمرارة او الندم ، وهي ترى ان هذه السنوات ليست كالسنوات السابقة .

طويلة تلك المسافة التي قطعتها مع الزمان، تعمل وتعمل ، حتى اذا ارادت ان تتسلى ، فانها تتسلى بشيء مفيد .. كانت دائما ذات فائدة .. زوجة اصغر ابنائها التي تعبث بوجهها طيلة النهار .

قالت له :

- ان امك تضيع خرزات المسبحة المقطوعة للبط .

لم تدافع العجوز عن نفسها حين قال لها :

- ارجوك يا امي .. لا تفعلي شيئا ..

وكانها فقدت الاحساس بالظلم ، لم تهتم بان تقول له انما وضعت للبط حبات الفول . كانت متأكدة ان دفاعها غير ذي جدوى فابنها المنبهر بجمال زوجته لن يستمع الا لقولها ، هي متأكدة انها القت للبط حبات الفول .

- جيل مجنون . هل يعقل ان القي للبط خرزات المسبحة .

صحيح ان رؤيتها بالعين مضطربة او ربما معدومة . لكنها تستطيع ان تتعرف على الاشياء وتحددها باللمس اذا امسكتها .

بيديها تستطيع ان تفرق بين رغيف صنع بقمح خالص ، ورغيف اضيف اليه قليل جدا من الذرة .

انتهت الى الاقتناع بان هذه السنوات رديئة ، زيفها المزيفون وغشها التجار .. لم يكن لامرىء ان يفكر من قبل ان تمتد يده الى طقوس النبل والحياء ، لكنها الان تمتد الى ما مدى ..

اكتشفت ان الشمس ترحل عنها ويغطيها الظل والثلج ، بسطت راحتيها على الارض ، واعتمدت عليهما ، تحركت قليلا في اتجاه الشمس المزدهرة .. تحسست مداسها المهترىء ، قربته منها .

قالت زوجة ابنها التى تلوك فى شدقها – فى خلاعة – فص اللادن

– هل احملك الى الشمس يا خالة ؟ ٠

نسيتها وواصلت تأملاتها ٠ لقد عاشت طويلا وشرب جسدها كثيرا من عسل الشمس كثيرا جدا من برودة الظل ، رحل الزوج مبكرا ومضت وحدها تربى احد عشر رجلا وامراة ٠٠ انتشروا فى الارض لا تراهم ، الا الاصغر الذى يقيم معها باولاده ٠٠ والكلمات بينهما قصيرة ومكررة ٠

بلغها من جديد صراخ الاولاد وضجتهم ٠٠ خرجوا من الدار مندفعين يتضاربون ويتقاذفون الاشياء ٠

فجاة انحنى احدهم ومد يده الى نعل الجدة، وقبل ان يقذف به اخاه قبضت عليه يد الجدة ، فوجىء الولد ، الولد الذى يعرف انها عمياء، بيدها تكاد تسحق يده ، حاول ان يخلص يده بلا فائدة ، بهت الولد الذى كان يرى يدها طيلة النهار ترتعش فكيف اصبحت الان فى منتهى القوة والصلابة ، كانها ليست لانسان ، انما لالة حديدية صدرت الاوامر لها ان تقبض فقبضت ٠

سقط النعل وجرى الولد ٠٠

ابتهجت العجوز لهذا النصر المؤزر ٠ تنهدت وابتلعت ريقها وجددت لعابها دست فى فمها سنة من القرنفل ٠٠ انشغل بها لسانها ، خامرها احساس بالامل فى استمرار الحياة ، دفعته عنها بكل حماس لوهام الياس والاستسلام

ورغم انها تفتقد الانسجام مع هذا العالم لكنها تود لو تبقى كى تتفرج عليه وهو ينتفض بالجنون ٠

مازال لها فى الدنيا عمر ، ولايزال مطلوبا منها ان تعيش ، يريد الله لها ان تشهد مزيدا من الاحداث فى هذه الحياة المتربة ٠

شردت قليلا وغلبها احساس بالاسى ، انتهى فجاة بالدمع والتشنج المحموم ٠٠ تذكرت ان الوقت فات دون ان تسجد سجدة واحدة لله وقد اصبح لقاؤه وشيكا ٠٠ ماذا تقول له وكانت همتها الى وقت قريب افضل ما تكون ٠

اختلفت باليأس والكمد ، وخطر لها طيف سؤال :

هل يكلفها ان تسلم لله قلبا طاهرا ؟

فتح ملف المراكز الثقافية ...

# من يصنع ثقافة الشمس المشرقة؟

**هذا الشهر يفتتح المركز الثقافي التعليمي ( دار الاوبرا الجديدة ) الذى قدمته حكومة اليابان هدية لمصر رمزا للتواصل الثقافي بين الشعوب .**

**وهذا المشروع الثقافي ليس سوى سلسلة لا تنتهي في انشطة ثقافية وفنية جاءت من بلاد الشمس المشرقة .**

**لكن السؤال هو من المسئول عن صناعة ثقافة هذه البلاد ؟**



يتعاظم الدور الثقـــافي لاحـدى الدول ، لدى دولة أخرى ، حسبما تؤديه هــذه الدولة من انشطة وخدمات ثقـافية مكثفة في مجال الفنون واللغات والمنح الدراسيه وتعليم اللغات . وهــذه الانشطة جميعهـا تخدم الايديولوجية السياسية التى تنتهجها هذه الدولة . ولذا ترصد لهـذه الانشطة مبالغ ضـخمة ، لان تاثيرها ، وغالبا مـا يكون عميقا ، طويل المدى وله مدلولات متعددة .

وان نظرنا الى الانشطة الثقافية الاجنبية في القاهرة ، على سـبيل المثال ، فسنجد أن هناك علاقة طردية بين أهمية الدور السياسى العـالمى لدولة ما ، وبين الانشطة التى تمارس فى المراكز الثقـافية التـابعة لها : الولايات المتحدة ، فرنسا ، ألمانيـا الغربية ، ايطاليا ، المملكة المتحدة ، ثم دول المعسكر الشرقي وعلى رأسها الاتحـاد السوفييتى والمجر .. وهى المراكز التى ظلت معطله عن العمل قرابة عشر سـنوات نتيجة لقـرار سياسى .

وقد آمنت اليابان بهـذه المفاهيم ، خاصة فى السـنوات الاخيـرة ، فسعت للدخول فى مجـال المنافسة



مشهد من فيلم الحضيض .

الثقافية . وحاول المركز الثقافي الياباني التابع للسفارة اليابانية في القاهرة أن يضع في خطته برامج ثقافية متعددة أسوة بما يحدث في المراكز الاخرى .. حتى لو جاء ذلك في خدمة الجانب السياسي والاقتصادي بشكل اكثر وضوحا مما يحدث في مراكز اخرى مثل معهد جوته والمركز الفرنسي .

## ● الكيمونو .. يرتدي قبعة

فيما قبل ، كان على المرء الذي يسعى للمعرفة عن اليابان أن يطالع اخبار بلاد الشمس المشرقة من خلال ما تبثه وسائل الاعلام الغربية .. وكان من الغريب أننا عرفنا الادباء والفنانين اليابانيين المعاصرين من خلال مرشحات الاعلام الغربية . حيث قامت هذه الوسائل باختيار من تتناسب أفكاره وايديولوجيته مع الفكر الغربي الحديث .

وقد حدث هذا في الادب مع ياسونا كاوا باتا ويوكيو ميشيما وباسو شواروتو واخرين . وفي السينما اكيرا كروساوا وشينووا واوشيما واخرين . وهكذا في فنون اخرى كالشعر والفن التشكيلي والمسرح .

وتكشف هذه الطريقة اننا نسعى للتعرف على عالمنا المعاصر من خلال طرف ثالث . يسعى هو من جهته للمعرفة المباشرة . فيسافر أفراده بأنفسهم من أجل التقصي والمعرفة ثم بث ما يعرفونه الى عالمنا .. وفي رأيي ان الملحق الذي خصصته ــ مثلا ــ جريدة لوموند في ٨ يوليو ١٩٨٥ تحت عنوان « الثقافة في اليابان : أعوام السفر » .. هو أفضل مدخل للحديث عن الثقافة

## من يصنع ثقافة الشمس المشرقة؟

اليابانية المعاصرة . وقد جاء فيه انه رغم عراقة هذه الثقافة وجذورها الممتدة في تاريخ قديم . اكثر أصالة من الفكر الغربي الحديث .. فان الثقافة اليابانية المعاصرة ترتدي البدلة الغربية أسفل رداء فخم من الكيمونو ..

ومن المعروف مثلا ان أوربا والولايات المتحدة قد قامت بتمويل العديد من الافلام التي أخرجها يابانيون معروفون .. وقد ذكرنا هذا المثال . لان الفن السينمائي يحمل هوية البلد الممول مهما كانت هويات الفنانين الذين يعملون فيها . وهذا يعني أن اغلب افلام كيروسـاوا واوشيما في السنوات الاخيرة قد حملت الجنسية السوفييتية والفرنسية والامريكية رغم أن موضوعات هذه الافلام يابانية صميمة .. وقد عرضت بعض هذه الافلام في المراكز الثقافية الفرنسية والامريكية بالقاهرة على أساس انها تحمل هويات هذه البلاد .

وتعد النشرة الاخبارية التي تصدرها السفارة اليابانية بالقاهرة عنوانا صادقا على المنظور الياباني للثقافة الحديثة .. فهي تصدر نصف شهرية في طباعة فاخرة ملونة باللغتين الانجليزية والعربية . وبهذا تكون مطبوعة فريدة قياسا الى المطبوعات التي تصدرها المراكز الثقافية الاخرى كما انها خالية من الاعلانات التجارية مما يعني ارتفاع تكلفتها المالية ... ولكنها ليست نشرة ثقافية فقط . فهي تشمل الانشطة اليابانية المختلفة في مصر . المنح العلمية والانشطة الاقتصادية والاخبار السياسية . ومعلومات عن الانجازات العلمية أو الدبلوماسية اليابانية . اما الانشطة الثقافية فهي محدودة للغاية وفي مجالات محددة دون غيرها .. وخاصة السينما ..

ومثل كل المراكز الثقافية ، فان الانشطة الثقافية اليابانية الاولى في مصر تتمثل في عرض مجموعة من الافلام المتباينة الاتجاهات والاهمية . بعضها افلام روائية . والكثير منها أفلام اعلامية . وتخصص السفارة امسية واحدة في الاسبوع لعرض برنامجها السينمائي ايا كانت نوعية الافلام المعروضة .. فمن بين الافلام الاعلامية مثلا فيلم عن « الدراسة في اليابان » واخر عن « الصناعات اليدوية واستخدامها في الحياة العصرية » وثالث عن « حفظ الاغذية » وهكذا فان هذا النوع من الافلام يأكل الرصيد الزمني للافلام الروائية . فعلى سبيل المثال ، في شهر فبراير الماضي عرضت ستة افلام اعلامية في ثلاث سهرات بينما عرض فيلم روائي واحد هو « ابني ابني » من اخراج كيسوكي كينو شيتا .. وفي شهر مارس عرض ثانية أفلام اعلامية وفيلم روائي واحد هو « الحضيض » الذي أخرجه كيروساوا عن مسرحية بنفس الاسم لمكسيم جوركي ..

وقد خصصت السفارة اليابانية عرضا واحدا فقط للافلام الروائية كل شهر .. وبصرف النظر عن اهمية هذه الافلام التي عرضت في الشهور السابقة فان هناك ترجمة عربية مطبوعة على كل اشرطة الافلام

الروائية . ومن وقت لاخر يتم عرض مجموعة من الافلام فى اطار ما يمكن تسميته بانوراما سينمائية . او « اسبوع افلام » وفى الاعوام الثلاثة الاخيرة عرضت مجموعة افلام من خلال هذه البانوراما . تم الاسبوع الاول باسم سفارة اليابان في القاهرة بالتعاون مع وزارة الثقافة المصرية . حيث عرض خمسة أفلام روائية فى ملعب التنس بنادى الجزيرة . وهى افلام قديمة الانتاج مثل فيلم « سانجورو » لكيرساوا وهو أحد افلام الساموراى – كلمة يابانية تعنى مرتزق بلغة الحرب المعاصرة – يرجع فيه مخرجه الى القرون الوسطى . الفترة الحبيبة لدى كيروساوا ومن ابرز افلامه حول هذه الحقبة « ظل المحارب » « الساموراى السبعة » . و « ران » .

وقد عرض للمخرج يوشيتارو نومورا في هذه البانوراما فيلمان هما : « ثلاث رسائل لم تسلم » و « قلعة الرمال » .

اما البانوراما اليابانية الهامة فقد نظمها المركز الثقافى الفرنسى بالقاهرة بالتعاون مع السفارة اليابانية فى شهر مارس الماضى . حيث عرض قرابة عشرة افلام تنتمى الى اتجاهات فنية متعددة . فهناك افلام لياسوجيرو أوزو . وأخرى لكوماى كام واخرين . واقيم فى اطار هذه البانوراما معرض ضم عرائس يابانية . ولوحات فوتوغرافية وفازات للزهور . ونماذج من الطعام اليابانى .

## غزو العالم .. تقنيا

اذا كان هذا هو حال السينما فى الانشطة اليابانية . فان الفنون والثقافات الاخرى ليست بأحسن حالا قياسا الى ما تقدمه المراكز الثقافية الاخرى . كل بما يتناسب مع اهمية الدول التى تمثلها المراكز . فاذا كانت اليابان قد اهدت جمهورية مصر العربية منحة لبناء المركز

فنون الشرق لها تميزها .. وخاصة في اليابان



تحقيق من المركز الثقافي

# من يصنع ثقافة الشمس المشرقة؟

الثقافي والتعليمي المعروف محليا باسم الاوبرا الجديدة · فان الانشطة الموسيقية اليابانية محدودة للغاية في القاهرة ·· وغالبا ما تقوم بها الفنانه جونكونا كاياما بصفة شخصية ·فهي تقيم في القاهرة منذ فترة · وتتعاون مع الفرق المصرية في العزف بين فترة واخرى في انشطتها الدورية ··

لوحة من الفن التشكيلي الياباني .. الاصالة والمعاصرة



حيث اشتركت مع اوركسترا القاهرة السيمفوني في حفلاته العديدة خلال الفترة الماضية · كما قامت بعزف ريستال بيانو في حفل ياباني خاص في مارس ١٩٨٨ ·

وقد قام المركز الثقافي والاعلامي بطبع مجموعة من الكتب الاعلامية عن الثقافة اليابانية منها كتاب صدر منذ اعوام تحت عنوان « مدخل الى الادب الياباني »· وفي العام الماضي صدر كتاب اخر عن « التاريخ الثقافي الياباني » · في طباعة فاخرة جاء فيه ان الشعب الياباني منذ عصر جومون اخذ « يخلق ويرعى باستمرار نحو ثقافة جديدة تميل تجاه الثقافة الاجنبية عن طرق عملية لاستيعابها وتكييفها · في حين تميل بعض الظواهر ، الى الابقاء على الطابع المميز العميق لاصولها المتنوعة · فان ظواهر اخرى اتخذت روحا يابانية فريدة من خلال عملية تقطير وتهذيب » ·

وهكذا ، فان الانشطة الثقافية اليابانية محدودة للغاية قياسا الى الانشطة الاخرى ·· ورغم ان السفارة تعد برنامجا دوريا لتعليم اللغة اليابانية · فان المطبوعات والكتب المرصوصة في ارفف المكتبة اغلبها باللغة الانجليزية · والبعض منها باللغة العربية ·· وبالرجوع مرة اخرى الى النشرة الدورية التي تصدرها السفارة اليابانية في القاهرة فانه من السهل ان نكتشف التفكير الياباني الحديث · وهو ان الدخول الى قلب العالم يتم من خلال التقنيات اليابانية في المقام الاول اما الثقافة ·· فهي تجيء دائما في المؤخرة ·· وان اليابانيين قادمون ·· من باب اخر يختلف عن الباب الذي ولجت منه الثقافات الغربية المعاصرة·

# الموسيقى

## بين العلم والفن ولغة الوجدان

بقلم: عبدالحميد توفيق زكى

● الموسيقى علم كأى علم آخر من العلوم التى ندرسها له قواعد ونظريات وتطبيقات ، والموسيقى نوعان :

الأول : آلى وهو مايصدر عن الآلات الموسيقية .

الثانى : غنائى وهو مايصدر من الحنجرة البشرية .

الآلات الموسيقية : وهى أنواع : وترية - نفخ - ايقاعية .

● ومن الآلات الوترية مجموعة الفيولينة ( الكمان ) .

الكمان - الفيولا - الفيولنسيل - الكونترباص .

الآلات الوترية العربية : العود - البزق - القانون - الربابة .

● ومن الات النفخ العالمية : الفلوت - الأوبوا - الكلارنيت . وتسمى المجموعة الخشبية ، حيث انها كانت تصنع من الخشب اصلا ، ويمكن صناعتها من الابنوس أو المعدن . والات نحاسية كالتروميا والترومبون والباص .

● ومن الات النفخ العربية : الناى - السلامية - المزمار - الأرغول .

● ومن الآلات الايقاعية العربية : الدف - الرق .. الطار - الدرابوكا ( طبلة ليست من الفخار ولكن مطعمة بالصدف ) .

● وهناك الات جميلة لها مذاق خاص لاتندرج تحت اى نوع من الانواع السابقة: البيانو - الأورج - الأوكرديون - الهارب - القربة . لأن لها صفات مشتركة مع الأنواع السابقة .

ثانيا : الاصوات البشرية وهى نوعان :

١ - اصوات الرجال : تينور ( حاد ) باريتون ( متوسط الغلظة ) باص ( غليظ ).

٢ - اصوات النساء : حاد ( سوبرانو ) - متوسط الحدة ( ميتزو سوبرانو ) - الغليظ ( كونترالطو ) .

..............

● الموسيقى فن : كأى فن من الفنون السبعة ، واذا كانت الفرشاة هى أداة المصور ( الرسام ) فأداة الموسيقى هى

## الموسيقى

الآلة الموسيقية أو الحنجرة البشرية .

● والموسيقى لغة : كأى لغة اخرى الا انها منغومة النطق ولكنها تكتب وتقرأ ايضا . تكتب من اليسار الى اليمين على مدرج موسيقى مكون من خمسة اسطر بينها اربع مسافات تدون عليها وعلى بعض الخطوط الاضافية أسفل وأعلى المدرج .

واللغة الموسيقى حروفها ولكنها سبعة فقط هى :

( دو ـ رى ـ مى ـ فا ـ صول ـ لا ـ سى ) .

ومن هذه الحروف تتكون الكلمات وهى ماتعرف بالمازورات ( جمع مازورة ) وهى كل مايقع بين عمودين راسيين على المدرج الموسيقى .

ومن هذه الكلمات تتكون الجمل الموسيقية التى هى فى العادة ٨ موازير أو مضاعفات هذا العدد ، ومن الجمل الموسيقية تتألف المقطوعات الموسيقية الغنائية أو الآلية وهى ماتعرف بالقوالب الموسيقية أو المصنفات الموسيقية .

● عناصر الموسيقى الأربعة :

الايقاع ـ اللحن ـ التوافق ( الهارمونى ) الطابع الصوتى .

١ ـ الايقاع : هو تنسيق النسب بشكل منتظم بين المساحة الصوتية والزمن .

٢ ـ اللحن : وهو مايلحق بالأذن من نغم والمسار اللحنى للمقطوعة الموسيقية .

٣ ـ الهارمونى : هو اداء اكثر من نغمة مختلفة تعزف أو تغنى فى آن واحد فى انسجام يلذ للأذن فى توافق موسيقى .

٤ ـ الطابع الصوتى : ماتحسه الأذن من لون او نوع الأداء الموسيقى انفراديا أو اجماعيا وتميزه الأذن .

النسيج الموسيقى : ٣ انواع .

١ ـ موسيقى منفردة ذات لحن واحد دون اى مصاحبة هارمونيـة تسمى مونوفونية ( مونوفونى ) كاغلب موسيقانا الشرقية .

٢ ـ موسيقى لها مسار لحنى اساسى وتراكيب هارمونية مصاحبة لها ، وعلى هذا فهى لحنان مختلفان متوافقان تسمى الهوموفونية ( هوموفونى ) مثل غناء الذكر .

٣ ـ موسيقى من عدة ميلوديات ( الحان ) متقابلة اكثر من لحنين وتسمى البوليفونية وهى ارقى الانسجة الموسيقية كالسيمفونى والغناء الأوبرالى .



الفن وسيلة سامية من وسائل المعرفة .. بل يراه البعض من اعمق المفكرين اعلى وسائل المعرفة وارفعها فهو المعرفة العقلية والمعرفة العاطفية والمعرفة الروحية .. والموسيقى أم الفنون بل وأم الوعى الانسانى .. فالوعى الانسانى يولد موسيقيا . واول مايعى به

الانسان فى الرحم هو ايقاع الحياة كما ينقل لأذنيه من قلب الأم .. بل وبعث الموتى يكون بالموسيقى - بالنفخ فى الصور - وقلبى يتمزق الما من التشويه والتمزيق والتضليل الذى يمارس على بعض شبابنا الاحياء ليصل بهم الى تردى انكار هذه البديهيات والرغبة فى تحريم الموسيقى وتحطيم الاتها - كل آلة موسيقية نشأت احتفالا بالخالق العظيم وتمجيدا لاعجازه فى الخلق .. الوتريات هى الاحتفال الانسانى باعجاز اوتار القلب والات الايقاع تتعبد فى محراب ايقاعات الحياة .

وليس مبررا لتحريم اى مجال من مجالات المعرفة انها انحرفت او انها تستغل لاغراض هابطة فهذه ليست جريمة المعرفة ولكن جريمة الاستعمال والتطبيق وجريمة ترك الناس فى جهل وسذاجة وحرمان لكى يكونوا فريسة سهلة لكل من يستغل بهم وعليهم القوى التى تتيحها المعرفة فى اى مجال .

وهناك من ينحرف بالدين ويستغله فى اغراض هابطة فهل نحرم الدين ؟؟

( د / طارق على حسن )

يقول الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله :

ليس من المعقول ان يطلب الله من الانسان نزع عاطفته او اماتتها بعد ان اودعها فيه .

ويقول الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر فى القرن الثالث عشر الهجرى كان شديد الولع بسماع الموسيقى وكان يقول ( من لم يتأثر برقيق الاشعار تتلى بلسان الأوتار على شطوط الأنهار فى ظل الاشجار فذلك جلف الطبع ) .

ويقول فضيلة المفتى الحالى الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى ( التمثيل مرحبا به ، والموسيقى مرحبا بها ، الغناء مرحبا به مادامت هذه الأمور الثلاثة لاتصل الى حد الاثارة التى تتنافى مع مكارم الاخلاق . لنفرض أن تمثيلية فيها عدد من الرجال يؤدون مشهدا يحض على الفضائل ويحارب الرذائل وان يغرس فى النفوس الطهر والعفاف والحب للوطن فأى معنى من هذه المعانى الشريفة مرحبا به .

يقول المستشرق دكتور هنرى فارمر ( ان ابن قتيبة - المتوفى سنة ٨٨٩ م - يؤكد لنا ان القران كان يُغَنَّى بقواعد لاتختلف عن القواعد الفنية المعتادة لالحان الغناء والحداء .

ويؤكد ذلك اراء الامام الغزالى الذى كتب عنه وعن أرائه الاستاذ الفاضل كمال النجمى فى العدد ٣٣١٦ الصادر فى ٢٩ ابريل ١٩٨٨ من المصور ( دار الهلال ) يؤكد اباحة الرسول صلى الله عليه وسلم الموسيقى الرفيعة . فرحمة بنا ايها الشباب الغر وعودوا الى الدين الحنيف .

شهريات

## رأى فى الثقافة

### ● اهانة التفرغ

مشروع تفرغ الكتاب والفنانين لانجاز اعمال ابداعية تحتاج الا يشغلهم شىء ·· هذا المشروع هو واحد من المشاريع الحضارية النبيلة التى لا اعرف شخصيا من هو صاحب فكرتها ، ولا من بداها ، وهو قائم منذ بداية الستينيات حيث كان ، وقتها ، فاعلا ومؤثرا ، وكان سندا لكثير من المبدعين

هذا المشروع ككثير من المشروعات الثقافية فى مصر ، يحتاج الى اعادة نظر بالنسبة لما يمنحه للمبدعين الذين يتقاضون اجورا هزيلة فى اعمالهم الاصلية ، ويأتى التفرغ ليحذف منها البدلات ، ويقرر لهم اصل الرواتب ، فاذا كان المبدعون يشكون غلاء المعيشة ، وغلاء ما يحتاجونه هم بالذات كادوات ضرورية لعملهم : الكتب ، والاسطوانات ، وتذاكر المسرح والسينما ، بالاضافة الى تكلفة الورق والتوال والالوان والكتابة على الالة الكاتبة ، وكل هذه اصبحت مشاكل حقيقية ، تقول ان هؤلاء المبدعين يشكون مع غيرهم عدم كفاية رواتبهم ببدلاتها ، ويأتى التفرغ لينتزع منهم هذه البدلات ·· عندئذ كيف يمكن ان يتفرغ المبدعون ؟

والادهى والامر ان المبدع الذى لا يعمل فى عمل حكومى منتظم تقرر له لجنة التفرغ مائة جنيه مصرى لاغير ليتفرغ ·· كيف ؟ هل هانت المواهب الى هذا الحد ؟

● عبده جبير

## ندوات

### ● هذه الندوات وقضية الكم والكيف

ما بين الايام الاخيرة لاغسطس الماضى وحتى منتصف سبتمبر شهدت الساحة الثقافية المصرية عددا كبيرا من النشاطات الثقافية ·

وباستثناء مهرجان المسرح التجريبى الاول ، ومهرجان السينما فى الاسكندرية يجد القارىء مقالين عنهما فى هذا العدد تعددت اللقاءات



المثال الكبير محمود مختار

والندوات الثقافية لتشمل نصف «الكرة المصرية» في القاهرة والاسكندرية وعدد من مدن الشمال ، تقول وتكرر ، دون ان يظهر اثر للنشاط الثقافي في الصعيد الامر الذى اشرنا اليه سابقا .

فما بين ندوة المثال الكبير الراحل محمود مختار التى اقيمت بقصر ثقافة المحلة الكبرى ، وصحبتها محاضرة عن حياته بالاضافة الى عرض لاعماله بالفانوس السحرى .. الى معرض فن القراء الذى اقامه المركز القومى للفنون التشكيلية فى قاعة «الشوتة» بالعجمى التى يرعى مقاطعها الفنان احمد نوار ، حيث قدم خلاله اعمالا لثلاثة فنانين سويسريين هم « سابينا كولتشكا » و هانز جلجن » و « رسو اريك » الذى قدم اعماله تحت عنوان « فن القراء » وقد اتجه من اخشاب قذفتها الامواج على شاطىء العجمى حيث كان يداوم على زيارة الشاطىء كل صباح ويجمع ما قذفت به الامواج من اخشاب ويصنع منها ما يسميه تراكيب فنية ( عجيبة .. أليس كذلك ؟ ) .

ثم كانت ندوة الثقافة الجماهيرية فى مدينة مرسى مطروح مناسبة ليعرض فيها الدكتور طه حسين رئيس قطاع الثقافة الجماهيرية خططه وبرامجه فى المحافظات واعلن عن تخصيص نسبة من ميزانية هيئته للمبدعين من ابناء الثقافة الجماهيرية للحصول على منح تفرغ تمكنهم من انجاز اعمال تحتاج الى التفرغ ، بعيدا عن ادارة التفرغ التابعة للمجلس الاعلى للثقافة التى كانت ـ لسبب غير مفهوم ـ تستبعد العاملين فى الثقافة الجماهيرية . كما اعلن عن عودة نوادى المسرح التى اغلقت ابوابها من قبل الى قصور وبيوت الثقافة ، بعد ان تكشفت اهميتها فى دفع الحركة المسرحية ، كما اعلن عن تحويل احد الملاهى الليلية فى مرسى مطروح الى واحة للابداع ، واقامة المؤتمر الثانى للتراث الشعبى البدوى بمدينة مطروح خلال اكتوبر القادم .. وقد شارك العديد من الشعراء والكتاب فى هذه الندوة وقرأ محمد ابراهيم ابو سنة ، واسماعيل عقابه ، وحسن عبد الجواد ، وحسن عزيز اشعارهم .

ثم كانت ندوة محمد حسين هيكل التى عقدت فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وناقشت اعماله الادبية ومجهوداته العلمية ، وضمنها ندوة اقامها المركز القومى للثقافة السينمائية عرض خلالها فيلم « زينب » ( انتاج ١٩٥٢ ) عن قصة هيكل الذى جاءت الندوتان فى اطار الاحتفال المئوى لميلاده ، واعلن هاشم النحاس رئيس المركز القومى للسينما عن قيام المركز بتسجيل فيلم عن حياة الاديب الراحل يخرجه ماهر السيسى .

كما عقدت الهيئة المصرية العامة ايضا ندوة هامة جاءت تحت عنوان : « الاسلام والفن » وطرحت الاسئلة

التالية : هل يتعارض الاسلام مع الفن، وهل يمكن ان يكون الاسلام دعوة ضد الحضارة ، وما هى الاسباب الكامنة وراء دعوة البعض بتجريم الموسيقى والفن •

شارك فى الندوة الدكتور عبد المنعم النمر ، والدكتور احمد نوار والدكتور جابر عصفور والناقد السينمائى سامى السلاموني والمؤرخ الموسيقى عبد الحميد توفيق زكى وقد اتفق الجميع على ضرورة طرح قضية مستوى الفنون حتى ترتقى ولا تكون ذريعة للرافضين ، وقال جابر عصفور انه « فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية لم يوجد التحريم الا فى لحظات الضعف والشعور بالخطر الخارجى ، فالخائف الذى يخشى على دينه من كل اغنية ومن كل مسرحية لا يمكن ان يعتمد عليه فى تأسيس دعوة نبيلة مثل دعوة الاسلام » •

وفى المنصورة اقيم المهرجان الثقافى الخامس احتفالا برائد التعليم فى مصر على مبارك ، ووزعت جائزتين تقديرية وتشجيعية فاز بالاولى بمتها البدوى محمد بدوى مناصفة مع المرسى الخولى مرسى وفاز بالثانية محمد عبد الفضيل عبد القادر •

اما فى جامعة القاهرة فقد اقامت كلية الاداب ندوة استمرت ثلاثة ايام ( ما بين ٢٠ الى ٢٣ سبتمبر ) لمناقشة السفر الكبير الذى نشره اخيرا الدكتور حسن حنفى من خمسة اجزاء شكلت اكثر من ثلاثة الاف صفحة من القطع الكبير وشارك فيها عدد من المفكرين والنقاد منهم محمود امين العالم ، ومحمود اسماعيل ، ورمضان حامد رزق ، واحمد عبد الحليم ، وعلى مبروك ، ومحمد عثمان ، وكانت ندوة مغلقة على الجمهور •

ثم جاء مؤتمر ادباء الاقاليم الرابع باشراف الثقافة الجماهيرية هذا العام فى مدينة دمياط ( ما بين ١١ الى ١٥ سبتمبر ) ليناقش القضايا الازلية التى يعانيها ادباء الاقاليم ، هذه التسمية التى يرفضها الجميع لكن سرعان ما يستعملونها ، وناقش ما نفذ من قرارات المؤتمرات الاربعة السابقة ، كما ليكرم ابن دمياط الشاعر الغنائى طاهر ابو فاشا •

ثم كان مهرجان « نحو ابداع مصرى اصيل » الذى كرم فيه وزير الثقافة الحالى فاروق حسنى منشىء الثقافة الجماهيرية الكاتب الفنان ثروت عكاشة عرفانا بمجهوداته الكبيرة والمتنوعة التى قدمها اثناء توليه منصب وزير الثقافة مرتين ، وبعده بمؤلفاته الفنية العديدة ، وقد قامت تسع فرق فنية بتقديم عروضها الموسيقية والمسرحية كما قام الوزير بتوزيع شهادات التقدير على عدد من رواد الثقافة الجماهيرية والفائزين فى المهرجان بجوائز القصة والمسرح والشعر والابحاث •

وفى النهاية لا نملك الا ان نقول ان بعضا من هذه النشاطات الثقافية جاءت على درجة كبيرة من حسن الاعداد واختيار المشاركين ، وهى، وان كانت تفوق طاقة اى راغب فى المتابعة ، فانها تعكس رغبة المثقفين المصريين فى تحريك الحياة الثقافية بعد طول ركود ، وهى وان كان بعضها قد احتشد بالاعداد الكبيرة من المشاركين الا ان هذه الاعداد جعلت السؤال التالى يطرح نفسه : اى ثقافة نريد •• ثقافة جادة تهتم بالكيف ، ام ثقافة هزيلة تجرى وراء الكم ؟

هذا هو السؤال الذى يطرح نفسه الآن على الساحة بقوة ، والاجابة العاجلة عليه ستكون هى الحد الفاصل بين ما نريد •

# مسرح

● البهلوان افضل مسرحيات يوسف ادريس ومع ذلك فهذا لا يكفي

جمهور المسرح في ايامنا لم يعد يرضى بما كان يقدمه مسرح الخمسينيات والستينيات كان يكفي ان يقول المؤلف المسرحي ( ان الخليفة دكتاتور ظالم ، والشعب مطحون مظلوم ) • او (ان الوزير يرهق الشعب بالضرائب والوان الاستغلال ، ويحجب عن الملك معاناة الناس ) او ( ان العرب يضعفهم التفكك وكثرة الفتن ، وان الحل في التماسك والاتحاد ) كان يكفي مثل ذلك حتى تضج قاعة المسرح بالتصفيق •

وكما اكتشف جمهور مسرح الخمسينيات والستينيات سذاجة مسرح العشرينيات والثلاثينيات ، ذلك المسرح الذى كان يقدم فيه يوسف وهبي – مثلا – الخطب والمواعظ ، مثل ( الجلباب الازرق الذى يرتديه الفلاح ، هو العلم الذى يرفرف على جبين مصر )

كذلك اكتشف جمهور مسرح الثمانينيات سذاجة مسرح الستينيات • اصبح الجمهور – بفضل الوسائل الحديثة للاعلام والاتصال – اكثر وعيا بما يحدث من حوله ، واقوى احساسا بمقدار الصدق والثراء في الاعمال الفنية ، وبسبب هذا اصبح يتطلب من الاعمال المسرحية ما لم يكن يتطلبه من مسرحيات الخمسينيات والستينيات ، ولعل هذا هو سر الازمة التى يمر بها مسرح اليوم ، السر الذى لا يدركه اغلب المشتغلين بالمسرح

ومسرحية ( البهلوان ) هي اخر مسرحيات يوسف ادريس ، وهي بكل المقاييس اشجع مسرحياته ، لم تحدث الضجة التى احدثتها مثلا مسرحيته الاولى ( ملك القطن ) عندما عرضت في اواخر الخمسينيات ، او الضجة التى احدثتها ( الفرافير ) في اوائل الستينيات • وقد كثرت كتابات النقاد حول الاختلاف بين ( البهلوان ) والمسرحيات الاولى ليوسف ادريس – وخاصة ( الفرافير ) – ولكنهم لم ينتبهوا الى اختلاف الجماهير •

يكفي يوسف ادريس فخرا ما اوضحه في ( البهلوان من بهلوانية رؤساء تحرير بعض الصحف والمجلات ، ويكفي الحوار الذكي الممتع في كثير من مشاهد المسرحية ، وخاصة المشاهد التي تقع في الصحيفة ، ويكفي رجال الثقافة الجدد فخرا ( من اول وزير الثقافة فاروق حسني حتى مدير المسرح محمود ياسين والمخرج عادل هاشم ) انهم قدموا هذه المسرحية للجماهير ، بعد ان كانت محجوزة لسنوات طويلة في ادراج البيروقراطيين والانتهازيين ومع كل ذلك ، فان هذا العرض لا نعتبره الا خطوة في طريق حل الازمة ، ودرسا لبعض مؤلفي مسرح الستينيات الذين ما زالوا يتصورون ان ازمة المسرح العربي محصورة في المناخ العام ، ودرسا لبعض مؤلفي مسرح السبعينيات الذين لا يتصورون موضوعات المسرح الا حول ( الملك الظالم والوزير المنافق والشعب المظلوم ) ، ودرسا لبعض مؤلفي مسرح القطاع الخاص ، الذين لا ينظرون الا الى الخلف ، وخاصة الى مسرح روض الفرج •

في الوقت الذى انتشرت اجهزة التليفزيون في بلادنا ، حدثت نكسة يونيو سنة ٦٧ ، نكسة المسرح العربي وقد ارجع الكثيرون سبب نكسة

المسرح الى هزيمتنا فى حرب ١٩٦٧ ، وهو تفسير لو صح لانتعش من جديد بعد انتصار اكتوبر ١٩٧٣ ، اما نحن فنرجع سبب النكسة الى انتشار اجهزة التليفزيون فى المنازل ، تلك الاجهزة التى بهرت الناس فى ذلك الوقت ، واغنتهم عن بذل الجهد والمال للذهاب الى المسارح •

وبمرور الوقت ، بدأ الملل يتسلل الى نفوس الكثيرين من مشاهدى التليفزيون ، فتطلع البعض الى اعمال درامية يستطيعون المشاركة فيها ،بعد ان اصابتهم الشاشة الصغيرة بالسلبية ازاء تلقى الاعمال ، ولكن المسرح كان خلال السبعينيات ثلاثة اقسام •

١ ــ قسم يريد للمسرح الرجوع الى الاشكال التى كانت السبب فى ازدهاره من منتصف الخمسينيات حتى منتصف الستينيات •

٢ ــ وقسم يريد للمسرح الرجوع الى الاشكال التى كان مسرح القطاع الخاص يقدمها قبل ثورة ١٩٥٢ ، وقبل ازدهار مسرح القطاع العام •

٣ ــ وقسم استولى على الوظائف الكبيرة فى وزارة الثقافة ، واراد ان يحتكر التأليف المسرحى لنفسه •

هذه المجموعات الثلاث تتصارع فيما بينها صراعا عنيفا ، ولكنها تتحد وتتماسك عندما تواجه الاعمال والمؤلفات التى تريد ان تقدم للمسرح شيئا جديدا ، وهو امر ليس بالعجيب، فنحن نرى نظيره فى كل نشاط اخر: فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى الثقافة وفى كل شيء •• ثلاث جماعات فى كل نشاط ، تتصارع ضد بعضها ، من اجل المنافع الخاصة ، حتى اذا ما ظهرت قوة جديدة تهددها فى هذه المنافع ، اتحدت وتصالحت ، وركزت كل جهودها للقضاء على هذا الجديد لهذا ، عندما صور يوسف ادريس فى ( البهلوان ) صراعا جديدا يهدد هذه الجماعات الثلاث،تماسكت كلها، ووقفت ضده وقفة الحياة او الموت ، لسنوات طويلة ، الى أن جاء الى المجال المسرحى من أستطاع ان يزيح العوائق ويفتح الابواب لهذا اللون الجديد •

فى ( البهلوان ) اشياء كثيرة جديدة على المسرح العربى ، انتبهت اليها الجماهير ، فاقبلت على العرض اقبالا رائعا ، بل لعل انتباه الجماهير كان اكثر وضوحا من انتباه النقاد •

انتبهت الجماهير الى ان الصراع بين امريكا وروسيا،او بين الراسمالية والشيوعية ، لم يعد امرا ذا بال ، بجانب صراع آخر بين قوم موجودين فى كل مكان ، يعملون على انقاذ الناس من العفن والفساد ، وقوم آخرين ، لا يهمهم الا ان يبقى الحال كما هو عليه ، سواء استمر هذا الحال تحت اسم(الاشتراكية) او (الراسمالية) كذلك اظهر يوسف ادريس أن البهلوانية فى الصحافة والسياسة ــ برجالها ونسائها ــ هى نفس البهلوانية فى الثقافة ، وفى الاسرة وفى الفنون فالبهلوانات لابد لهم ــ حتى يتوازن نظامهم ــ ان يسيطروا علىكل شيء وان يصبغوا لونهم علىكل نشاط من انشطة المجتمع •• من اول السيرك حتى الصحف والمجلات •

موضوعات جديدة واشكال مبتكرة، نجدها فى ( البهلوان ) يرحب بها مسرح الثمانينيات ، بعد ان تغيرت قياداته ، ويقبل عليها الجمهور ،الذى ادرك ان صراعات الخمسينيات والستينيات اصبحت صراعات عقيمة، يستغلها الانتهازيون لتحقيق مصالحهم الخاصة ، صراعات تقف من وراء حكايات عن الملك والوزير ، ويقف

السلطان ، وابن البلد .

الجماهير تريد مسرحا جديدا ... والمسرحيات الجديدة موجودة منـــذ ســنوات طــويلة حبيســة ادراج البيروقراطيين .. فاما ان تخرج الى النور ، او تغلق المسارح ابوابها .

السؤال الان ... بعد مســرحية ( البهلوان ) هو :

« هل سيستطيع الوزير الجـديد ، والمدير الجديد مواصلة الطـريق ؟ » لقد فتحت ( البهلوان ) باب الامل .. ولكن هذا وحده لا يكفى .

**حافظ احمد امين**

## اشارات ثقافية

### ● الكتابة السوداء

مجموعة الشعراء الشبان الذين كانوا قد انضووا من قبل تحت تسمية « اصوات » واصدروا عـــددا من المجموعات الشعرية بطريقة الماستر رأوا اخيرا ضرورة انشــــاء منبر مستقل لاتجاههم الشعرى الذى يرون اختلافه عما هو قائم فى الســاحة الشعرية المصرية .

وخلال الايام القليلة القادمة يصدر العدد الاول من هـــــذه المجلة التى اطلقوا عليها « الكتابة السوداء » . ، ويعنون بها الكتابة التى تكسر حـدة القائم الراسخ من القوالب الشـعرية البيضاء المستريحة ، الى افق الضباب الشعرى غير النهائى .

يشرف على اصدار المجلة الشعراء احمد طه ، امجد ريان ، عبد المنعـم رمضان ، محمد سليمان وغيرهم .

### ● الجنوبى

فى اطار النشاطات التى يقوم بهـا عدد من الشعراء والكتاب والقصاصين فى مدينة المنيا ، وعلى هامش جامعة المنيا ، خاصة كلية الدراسات العربيـة تصدر ايضا خلال الايام القليلة القادمة مجلة جديدة لنشر ابداعات وكتـــابات ابناء الصعيد .

المجلة الجـــديدة تحمل اســـم « الجنوبى » ويرأس تحريرها الدكتور عبد الحميد ابراهيم عميـــد كليـة الدراسات العربية .

## رسائل جامعية

### ● مجلة الهـلال ومجلة الازهر

تحرير المجلة الدينيـــة والعامة دراسة مقارنة للشكل والمضـمون لمجلات الهلال والازهر والدعـــوة وروزاليوسف ـ تحت هـذا العنوان الطويل تقدم الباحث عبد الصبور محمد فاضل لنيل درجة الماجستير من قســم الصحافة جامعة الازهر وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور فاروق ابو زيـد رئيس قسم الصحافة بجامعة القـاهرة والدكتور عبد العظيم المطعنى اسـتاذ البلاغة بجامعة الازهر مشرفا مشاركا والدكتور محمد سيد محمد وكيل كلية الاعلام بجامعة القاهرة والدكتور حسن رجب الاستاذ بجامعة قطـر والكاتب الصحفى بجريدة الاخبار .

وقد عرض الباحث فى رسالته بانه يهدف من هذا البحث الى دراسة فنون الكتابة الصحفية فى كل من المجـلة الدينية والعامة والاسبوعية والشهرية .

وقد لاحظ الباحث ان اغلب البحوث والدراسات والرسائل الجامعية قد اهتمت بالجرائد اليومية على حساب المجلات على الرغم من انتشار المجلات الدينية والعامة وقدرتها على الاتصال بالجماهير في وطننا العربي ككل ·

وقد حدد الباحث المنهج والمجلات التي هي محل الدراسة فاعتمد على المنهج التاريخي في كشف نشأة كل مجلة ثم المنهج المقارن ثم منهج تحليل المضمون اما المجلات فقد اختار للمجلات الدينية الازهر والدعوة واختار للمجلات العامة الهلال وروزاليوسف واما المجلات الاسبوعية فهي روزاليوسف والدعوة وقد شرح سبب اعتبار مجلة الدعوة مجلة اسبوعية بانه وجدان مجلة الدعوة ظهرت عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٣٦ اسبوعية ثم من عام ١٩٧٦ الى مصادرتها عام ١٩٨١ شهرية وبعد جمع الدقين فضل اعتبارها اسبوعية لطول صدورها بهذا الشكل ولانه مدون في المجلة انها اسبوعية وتصدر شهرية مؤقتا · وقد حدد الباحث اعوام ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ مجالا للبحث لمختلف المجلات وقد توصل الباحث الى مجموعة من النتائج تتلخص في عدة نقاط :

● لا تهتم المجلة الشهرية الدينية بفنون الكتابة الصحفية في عرض مضمونها وتعتمد اعتمادا كليا على المقال التحليلي والنقدي بينما تهتم المجلة الشهرية العامة بجانب المقال ببعض فنون الكتابة الصحفية الى حد ما كالتحقيق والحديث ·

● اهتمت مجلة الهلال بالابواب الثابتة والمتخصصة اكثر من الازهر حيث بلغت نسبة هذه الابواب في الهلال ١٠ر٢٧٪ من المساحة العامة للمجلة في حين انخفضت نسبتها في الازهر الى ٧ر١٢٪ فقط ·

● اهتمت مجلة الهلال بفن الاخراج الصحفي عن مجلة الازهر ·

● نجحت مجلة الهلال في توصيل رسالتها للقارىء العربي منذ صدورها واتفق مضمونها مع سياستها المعلنة واخذت في التطور حتى بداية الخمسينيات بعدها اخذ دورها يتضاءل والحصر اهتمامها في الدعوة للاشتراكية وشرح مصطلحاتها واهدافها وفي مرحلة السبعينيات اهتمت باصدار اعداد خاصة في المجالات الادبية والاجتماعية وغيرها وفي كل الاحوال غلب عليها طابع التحرر في عرض المضمون ·

● في مجلة الازهر احتل المجال الديني المقدمة بنسبة ٦٤ر٥٢٪ من مجموعة مساحة الفئات بينما في مجلة الهلال احتل المجال الثقافي المقدمة بنسبة ٣٢ر٥٧٪ يليه المجال الديني ١٠ر١٣٪ فالعلمي ٦ر١٠٪ فالفن ٢٥ر٦٪ والسياسي ٣٣ر٥٪ والطبي ٨٠ر٣٪ والتعليمي ٦٨ر١٪ والعسكري والاقتصادي ٠٧ر١٪ ·

● تتميز المجلة الشهرية الدينية والعامة بعدم اهتمامها بعنوان الكتابة الصحفية في عرض المضمون وذلك مثل مجلتي الازهر والهلال حيث لم توفق كل منهما في توظيف فنون الكتابة الصحفية في عرض مضمونها في الوقت الذي تهتم فيه المجلة الاسبوعية الدينية والعامة بمختلف فنون الكتابة الصحفية في عرض المضمون وذلك مثل مجلتي روزاليوسف والدعوة ·

● تتميز المجلة الاسبوعية باهتمامها بالموضوعات الحالية والخبرية المطروحة على المساحة والتي تحظى باهتمام الرأى العام في الوقت الذي لا تهتم فيه المجلات الشهرية بمثل هذه الموضوعات ·

ثم بدأ الدكتور حسن رجب مناقشة الباحث فاظهر له بعض الاخطاء

الاملائية والمطبعية فى الرسالة ثم نبه الى ان الباحث مثل زملائه الباحثين يتعجلون الحكم على كثير من الظواهر الدراسية التى يناقشونها مع ان الافضل هو استخدام المنهج فقط فى التصدى لهذه الدراسات مع ترك الحكم بعد النضوج العلمى •

ثم أبدى الدكتور حسن رجب عدم رضائه عن اختيار الباحث لمجموعة المجلات التى اختارها مجالا لبحثه فما الصلة بين الهلال والازهر او روزاليوسف والدعوة منتهى الاختلاف فى الشكل والنشأة والمنهج والمضمون

ثم ناقش الدكتور محمد سيد محمد الباحث ووصفه فى البداية بانه صاحب فهلوة منها الايجابية ومنها السلبية ثم علق على الكثير من الفهلوة السلبية منها ما ذكره الباحث فى رسالته من اعتبار مجلة الدعوة مجلة اسبوعية مع انها تصدر شهريا منذ عام ١٩٧٦ اى واقع الحال بالمجلة انها تصدر شهريا وليست اسبوعيا فكيف يعتبرها اسبوعية ؟

ثم ما اثير فى الرسالة من ان المجلات الشهرية لا تهتم بالاخراج الفنى مشيرا الى مجلتى الهلال والازهر واوضح بأن المجلات الشهرية تهتم بالاخراج الفنى وقد ذكر له العديد من المجلات التى تعتنى بهذا الامر • كذلك اعتبر الباحث ان غلاف مجلة الهلال فيه اسراف لانه استخدم فيه الوان ثلاثة واسرف الهلال ايضا فى الاكثار من البراويز والاطارات مما دعا الدكتور محمد سيد محمد ان يسال الباحث عن عدد الالوان التى يستخدمها المخرج الفنى للمجلة حتى لا يكون مسرفا ؟ ثم تساءل ايضا اليس البرواز هو الاطار ؟

وقد علق الدكتور عبد العظيم المطعنى المشرف المشارك على الرسالة على نقطتين اولاهما : انه لم يتفق مع الباحث فى حكمه على مجلة الدعوة بانه يجب عليها وهى مجلة دينية الا تخوض فى السياسة مشيرا الى اتفاقية كامب ديفيد •

ثانيا ان الدعوة قد وصفت بعض رؤساء دول الصمود والتصدى ببعض العبارات الجارحة مما يخرج بها عن خط الالتزام الدينى والادبى فى التعبير بينما يرى الدكتور المطعنى ان الدعوة التزمت بهذا الخط لان انتقاد حافظ الاسد قاتل المسلمين فى حلب وحماه ومعمر القذافى الذى طلب الغاء السنة النبوية الشريفة لا يخرج بالمجلة عن خط الالتزام بل يجب تعريف المسلمين بهؤلاء الحكام الذين يعملون ضد دينهم وشعوبهم •

وقد حصل الباحث على درجة الماجستير بتقدير ممتاز •

● محسن فهمى

## محمد شفيق غربال فى ذكراه

عندما مضى محمد شفيق غربال الى جوار ربه فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٦١ كتب عنه استاذه المؤرخ الفيلسوف الانجليزى ارنولد توينبى مقالا عنه فى جريدة التايمز البريطانية وضعه فى مصاف كبار المؤرخين العالميين • وكتب عنه الاستاذ عباس محمود العقاد فى معرض تأبينه انه « كان شعاره المطبوع فى التربية وفى التاريخ الاستقلال •• وكان من مبدئه المستقل فى انه كان على ابسلاله لاستاذه العلامة توينبى قلما يتقيد بنظراته العامة الى عوامل التاريخ الانسانى وغاياته وعوارض القوة والضعف فى

امم الماضى وجماعاته ، بل كان له وضعه لكل حادث من الحوادث الكبرى على حده ، وتعليله لكل نتيجة من النتائج الباقية على نحو يستقل به عن سائر التعليلات . وكانت السمة الغالبة عليه وتميزت بها حياته هى التاريخ الذى اشتغل بدراسته وتدريسه، وقضى زهرة حياته فى العمل له فكان له تلاميذه فى الجامعة الذين حضروا عليه ، واخذوا عنه ، واتبعوا منهجه العلمى وكان استاذا لجيل او جيلين ممن درسوا التاريخ فى الجامعات والمعاهد المصرية وفى جامعة الدول العربية .

نشأ محمد شفيق غربال فى الاسكندرية فى حى يحمل اسم اسرته، وكان مولده فى ٤ يناير سنة ١٨٩٤ دخل مدرسة روضة التعليم التحضيرية وحصل على الابتدائية سنة ١٩٠٨ ، وحصل على الكفاءه من مدرسة رأس التين الثانوية ، ثم التحق بمدرسة العباسية الثانوية ، ونال شهادة البكالوريا ، ثم دخل مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٢ وتخرج فيها سنة

فى بعثة اثناء الحرب الاولى والتحق بجامعة ليفربول درس خلالها التاريخ الحديث والاقتصاد والفلسفة والجغرافيا البشرية والطبيعية والاقتصادية ، ودرس ايضا عصور التاريخ المختلفة، وكيفية العمل فى الوثائق ، وامضى فى بعثته اربع سنوات ، حصل فى نهايتها على البكالوريوس فى الاداب سنة

١٩١٩ وعقب عودته الى مصر اشتغل لمدة ثلاث سنوات مدرسا للتاريخ فى التعليم الثانوى فى مدارس الاسكندرية وفى سنة ١٩٢٢ ارسل فى بعثة الى انجلترا للحصول على درجة علمية عليا ، درس فى جامعة لندن مدة سنتين ، وتتلمذ فيها على يد الفيلسوف المؤرخ العالمى ، ارنولد توينبى ، وحصل على درجة الماجستير سنة ١٩٢٤ فى العلوم التاريخية ، وعين عقب عودته من بعثته استاذا للتاريخ فى مدرسة المعلمين العليا ، وفى سنة ٢٨ نقل استاذا مساعدا للتاريخ بكلية الاداب جامعة القاهرة فوكيلا للكلية ثم عميدا لها ، ولم تقتصر حياته على التدريس فى الجامعة بل عين وكيلا مساعدا لوزارة المعارف ( التربية والتعليم ) سنة ١٩٤٠ ثم وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية ثم عاد وكيلا لوزارة المعارف مرة اخرى واستمر فى الخدمة الحكومية حتى احيل للمعاش فى ٤ يناير سنة ١٩٥٤ واستمرت صلته بالتدريس ، فكان كلما شغل مناصب الوزارة عاد الى الجامعة منتدبا او استاذا غير متفرغ درس التاريخ الحديث لطلبة الماجستير واشرف على العديد من رسائل الدكتوراه ، واسهم فى سنة ١٩٤٧ فى انشاء متحف الحضارة المصرية ، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ومثل الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية ، وترأس وفد مصر للجمعية العمومية لليونسكو سنة ١٩٤٨ ، واختير عضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة سنة ١٩٥٦م، وعمل مديرا لمعهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية ونائبا لرئيس للجمعية التاريخية المصرية واختتم حياته العلمية باشرافه على اخراج الموسوعة العربية الميسرة ( ١٩٥٩ - ١٩٦١ ) ، وترأس مجلس مديرى للموسوعة الى ان اختاره الله لجواره

اما عن مؤلفات شفيق غربال التاريخية فانه يمكن القول بانه ترك تراثا خالدا يكشف عن عمقه فى للبحث وسعة اطلاعه فى مجال تخصصه واهتمامه ، فقد خلف لنا كتبا وبحوثا



محمد شفيق غربال

عديدة منها كتابه « المسألة المصرية وظهور محمد علي باللغة الانجليزية وكتابه « محمد علي الكبير » فقد أصدرته سلسلة اعلام الاسلام في القاهرة سنة ١٩٤٤ ، وأعادت طباعته ونشره مؤسسة الهلال في الثمانينيات وأثار عند صدوره ضجة في الاوساط المثقفين المصريين وذهب البعض الى ان شفيق غربال أصدر هذا الكتاب ارضاء للقصر الملكي وتمجيداً لاسرة محمد علي . اما كتابه « المفاوضات المصرية البريطانية » فقد بحث فيه تاريخ العلاقات المصرية البريطانية منذ الاحتلال حتى الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وقد دعم هذا البحث بالوثائق والمستندات والمذكرات والبيانات والتصريحات المتبادلة بين البلدين ومناقشات البرلمان المصرى حول هذا الموضوع واخرجه سنة ١٩٥٣ ونال عليه جائزة الدولة فى الآداب .

ولا جدال فى ان شفيق غربال وهو يكتب التاريخ استلهم رسالة المؤرخ كما حددها فى انها النظر لاحوال البشرية ممثلة فى امها وشعوبها واقوامها واجتماعاتها نظر يقوم على عرض تلك الاحوال عرض تطور وتعاقب فى الزمان .. وهذا النظر التاريخى ينتهى بالناظر ايا كان الى موقف معين من أحداث مجتمعه وزمانه ولذلك فقد كان دائما يتوخى فى كتابته للتاريخ أن يبتعد عن الخيال ، وأن يكتب بواقعية وأمانة .

وقد تجاوز العلامة محمد شفيق غربال باعماله وفكره نطاق الاقليمية فى كتابته للتاريخ لينطلق الى افاق العالمية ، فكان واحداً من اثنى عشر مؤرخا عالميا اختارتهم الامم المتحدة لكتابة تاريخ العالم والجنس البشرى . ومن الغريب بل المؤسف ان هذا المؤرخ المصرى ، العالمى «تتساه» مؤسساتنا العلمية وجامعاتنا ومجمعنا اللغوى ولا تتذكره فى مناسبة رحيله وكأنه لم يقدم شيئا .

عمرو عبد المنعم حمودة

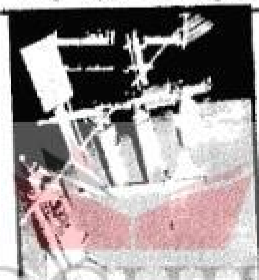



الكتاب : التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية فى الوطن العربى

تأليف : د . محمود عبد الفضيل
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ٢٥٢ ص، ٥ د

بالاشتراك بين مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الامم المتحدة ( منتدى العالم الثالث ) تم انجاز هذه الدراسة التى تعمل على التعرف على تضاريس الاوضاع والمواقع والتركيبات الطبقية فى المنطقة العربية فى خصوصيتها التاريخية ، وفى انعكاساتها على عملية التنمية والتطورات السياسية والاجتماعية ، وهى وان كانت تتناول موضوعا واسعا للغاية يحتاج الى جماعات تعمل فيه سنوات طوال الا ان المؤلف وضع يدنا على مفاتيح ورءوس المسائل ببحث تجميعى بمثابة تتويج لجهد بحثى مستمر فى اطار مشروع المستقبلات البديلة الذى شارك فيه عدد من الباحثين من كل من العراق واليمن والسودان والمغرب وتونس والجزائر وهو جهد لاشك انه حين اكتماله ستكون له اهمية فائقة .

ومن اهم ما جاء فى هذا الكتاب هو عرضه للمشاكل العملية التى تعترض البحث فى موضوعه وعلى راسها عدم ملاءمة البيانات الاحصائية المتوافرة للقيام بمعاينة دقيقة للاوضاع والهياكل الطبقية، وتفاوت مستوى ودرجة التكون الاجتماعى، للفئة او الجماعة الطبقية الواحدة ، ثم ما يلاقيه الباحث من مشاكل لرسم الحدود بين الطبقات ، وغيرها من المشاكل التى تجعل الكتابة فى هذا الموضوع مشروعا دائما ومفتوحا .

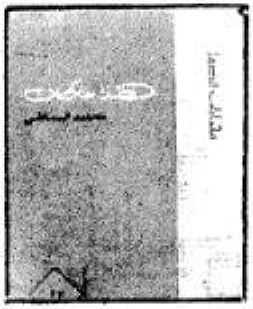


الكتاب : اسرار الفضاء
تأليف : مهندس سعد شعبان
الناشر : هيئة الكتاب ، ٤٦٤ ص ، ١٢ ج

منذ زمن طويل اهتم المهندس سعد شعبان بتعريف القارىء العربى بما يجرى فى هذا العالم الذى يتنامى بسرعة رهيبة ، محاولا ان يقرب الصورة اليه فى عدد كبير من المقالات حول تلاحق احداث الفضاء بهذه السرعة والانجازات التى تحققها تكنولوجيا الفضاء التى اصبحت تبهر البشر .

يقول المؤلف : وبعد ان مضى من عصر الفضاء » اكثر من ثلاثين سنة ، لم يعد لنا عذر ان نعيش على هامشه ، متفرجين نكتفى بنظرات الانبهار ، وان العرب قد بداوا يعيشون عصرهم نحوه ، فان الامال المرجوة ان تتوالى خطوات اكثر جدية ، واكثر ايجابية » .

ويبدأ الكاتب بما حدث فى تشرنوبيل من انفجار المفاعل النووى السوفيتى متعرضا لقضية التلوث بالاشعاع النووى ، وباعتبار ان احتراق المفاعل السوفيتى بمثابة ناقوس الخطر لمراجعة وسائل الامان من كل المفاعلات فى العالم ثم يتكلم عن سفن الفضاء وكيف تبوح باسرار الكواكب ، وعدد اخر من الموضوعات الشائعة .

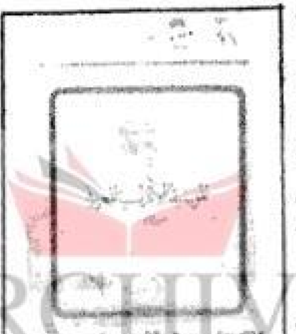


الكتاب : هذا ما كان
تأليف : محمد البساطي
الناشر : مختارات فصول
هيئة الكتاب ، ٨٠ ص ، ٥٠ ق.م

بهذه المجموعة الجديدة يعود محمد البساطي الى مكانته الفريدة بين كتاب القصة في مصر ، ليضيف الى قائمة اعماله السابقة « الكبار والصغار » ، « حديث من الطابق الثالث » و « التاجر والنقاش » وغيرها هذه القصص الجديدة التي يلاحظ انها نوع من التنويع على لحنه السابق الذي عزفه منذ اواسط الستينيات كاحد كتاب القصة الواقعية بمفهومها الجديد الذي خرج بها عن الطرق المسدودة التي وقفت عندها فترة طويلة .

هنا يلتقط البساطي اللحظات الانسانية الشفافة ليقدم شخوصه وهم في حالة حراته مما يعكس قدرته على فهم البشر ، وقدرته على تقييمهم وهم احياء يعيشون ويتنفسون حياة، لذا يبدو المكان هنا موجودا في الزمان المحدد ، هنا والآن ، عن طريق كشفه الخاص للواقع الموضوعي وبما توحيه ملامسة هذا الواقع من شرارة الداخل الذي تمور به نفوس الشخوص

هذه عودة جديدة للبساطي نرجو ان يرفقها باعمال اخرى تضاف الى مجموعة اعماله المتميزة .



الكتاب : الموسيقى الاندلسية المغربية
تأليف : عبد العزيز ابن عبد الجليل
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت ٢٧٢ ص، ٥٠ ف

تواصل سلسلة عالم المعرفة عطاءها الشهري بهذا الكتاب المتميز الذي يفتح لنا « طاقة » جديدة الى عالم الموسيقى العربية المتنوع وغير المكتشف بعد .

فالكتاب يعرض لبعض الالوان والقوالب الموسيقية الشرقية التي تغيرت نتيجة اتصالها بتراث جنوب اسبانيا ، وان لم تتغير معها اسماؤها الاصلية .

فالموسيقى الاندلسية وان كانت من بقايا حضارة العرب وتراثهم المحفوظ في الشق الغربي من الوطن العربي فانها حملت معها عبر العصور خصائص ومميزات ظلت تطبع تركيب الحانها ونظام تاليفها بطابع خاص هو وليد عملية امتزاج الموسيقى الشرقية والغربية بالموسيقى الاسبانية القديمة .

ويؤكد المؤلف ان الموسيقى العربية قد بذلت لاوربا بسخاء منذ ان استتب الامر للعرب في الاندلس وصقلية وكريت ، كما افاضت على ما حولها من خصائصها وطبائعها وملامحها مما لا تزال تلمس اثره في موسيقى هذه البقاع ، ولكن ذلك لم يحل دون ان تأخذ من غيرها ما يطعمها ويزيدها ثراء وجمالا .

# المستشرق الأسباني جوميث

# عندما ساهم العرب في اكتشاف القارة الأمريكية

بقلم: خالد سالم

**اميليوجارثيا جوميث ، شيخ المستعربين الاسبان وابرزهم، ولد في مدريد في ٤ يونيو / ١٩٠٥ ، تخرج في كلية الفلسفة والاداب بجامعة مدريد المركزية وحصل منها على الدكتوراه ولم يتعد بعد الاثنين والعشرين عاما وبعدها عين استاذا بقسم اللغة العربية ، ثم اوفد الى مصر وسوريا بمنحة دراسية لتوسيع معارفه بالادب العربي واللغة العربية ، وفي عام ١٩٣٠ حصل على درجة استاذ كرسي بجامعة غرناطه ومنحته اكاديمية اللغة الاسبانية جائزة كبيرة عن كتابه « نص عربي في اسطورة الاسكندر » .**

ونظرا لمعرفته بالمشرق الاوسط تم تعيينه سفيرا لاسبانيا بالعراق في ١٩٥٨ ، ثم تنقل في العمل الدبلوماسي بين كابول ولبنان وتركيا ، ثم ترك عمله بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩٦٩ ليعود الى عمله بالجامعة المركزية في مدريد حتى تقاعده في عام ١٩٧٥ .

ولقد قامت جامعات ذات شهرة عالية مثل جامعة بوردو بفرنسا ، والقاهرة ، والجزائر واشبيلية وقرطبة وغرناطة بمنحه الدكتوراه الفخرية اعترافا منها بنشاطه الاكاديمي اللامع، كما نال عضوية مجمع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ، وفي العام الماضي حصل على جائزة وبغداده



المستشرق الاسبانى اميليو جوميث

التى تمنحها اليونسكو وذلك باعتباره من اشهر المستعربين الاسبان ·

ولقد اثرى مكتبة الاستعراب والدراسات الاندلسية فى اسبانيا والعالم بالعديد من الكتب القيمة التى ازالت الكثير من الغموض عن هذه الحقبة من تاريخ العرب بالشرق فى اسبانيا · ونذكر من كتبه ما يلى :

كتاب اعلام المبرزين لابن سعيد المغربى ( ترجمة ودراسة ) ، شعر ابن الزقاق (ترجمة) ، ابن زمرك ، شاعر الحمراء ( دراسة وترجمة لاشعاره ) ، ازجال ابن قزمان ( دراسة وترجمة ) ، طوق الحمامة لابن حزم ( ترجمة مع مقدمة للفيلسوف اورتيجا اى جاسيت ) ، اشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء ( جمع ونشر ( ترجمه الى العربية د· الطاهر احمد ( ترجمة الى العربية د· الطاهر احمد مكى ، القاهرة ١٩٨٢ )، حوليات الحكم الثانى ، ابن قزمان ، عروض الموشحات والعروض الاسبانى ( دراسة ) ·

وقائمة دراساته وترجماته الطويلة ، تركت بصماتها على نتاج جيل كامل من شعراء وكتاب اسبانيا · فلقد كان صديقا للشاعر ( الاسطورة ) جارثيا لوركا ، يتذكره بحزن ، وقد جرت اخر مرة التقى به ، قبل ان تقتله الايدى السوداء بثلاثة ايام ·

ولقد التقينا به فى منزله بمدريد ودار بيننا حوار طويل ، قد يغضب البعض منه ، ولكن الرجل( اسبانى) وثابت عند رأيه ·· ينظر للتاريخ العربى فى الاندلس من الضفة الاخرى ··· الا اننى أود أن انبه القارىء الى أن جارثيا جوميث بالنسبة لاسبانيا يعد من كبار المستعربين الذين يمثلون جيل المستعربين القدامى ، ومن هنا جاءت افكاره المحافظة بالاضافة الى كون لتجاهه الفكرى اقرب الى الاتجاه الرجوعى ـ اللاهوتى ـ القومى · وبالرغم من بعض ارائه المتعسفة التى جاءت فى المقابلة فانها فى نهاية المطاف اقرب الى الاعتراف الكلى باهمية الوجود العربى فى اسبانيا الذى امتد حوالى ثمانية قرون ·

والحديث عن جارثيا جوميث لاينتهى، فلنتعرف عليه من خلال هذه المقابلة ··

ـ وصلت الى مصر فى عام ١٩٢٧ ، كان عمرى حينها ٢٢ سنة · وفى الواقع كانت أول مرة أسافر فيها الى خارج اسبانيا ، فلم أكن أعرف سوى بعض مناطق جنوب فرنسا · ولقد توجهت الى مصر وأنا احمل رسالة توصية الى احمد زكى باشا ، لم اكن انتظر ان تكون ذات أهمية كبيرة ، اذ استقبلنى احمد زكى باشا استقبالا حارا ، وخلال العام ونيف الذى عشته فى مصر ، كنت اذهب الى منزله مرتين كل اسبوع · وهناك تعرفت على كثير

من الشخصيات فى « دار العـــروبة » بالجيزة ·· واثناء هذه الفترة تنـازل أحمد زكى باشا للدولة عن جزء مـن كتبه وبها تم انشاء « الخزانة الزكية» فى الغورية . وعندما كنـــت فى مصر اخر مرة اردت ان ازورها ولكن كـــل شىء تغير هناك · وكان يشرف عـلى مكتبة « الخزانة الزكية » هذه محموه حسن زناتى ، وهو رجل ذو تكـوين ثقافى تقليدى ، ولكنه كان احد زميلى طه حسين اثناء « ثورته » بالازهر ، التى يتـــكلم عنـــها فى كتـــاب « الايام » ، الذى ترجمته الى الاسبانية

ولقد سعيت الى دعوة طه حسين الى اسبانيا مرتين ، وفى المرة الاولى كان ضد الحكومة ، ولهذا لم تتحـرك السفارة لاستقباله ، ولـكننى قدمتـه الى الكثير من الشخصـيات ، مثـــل أورتيجا أى جاسـيت وهو فيلســوف وكاتب اسباني عاش فيما بين عـــامى ١٨٨٣ و ١٩٥٥ ـ وفى المرة الثانية اتى بصفته وزيرا للمعارف لافتتاح المعهد المصرى فى مدريد ، الذى تم بنـــائه بعد أن تغلبت أنا وطه حسين عـلى الصعاب التى كانت تقف فى طريقه ·

وكان من عـادتى أن اسافر الى مصر مرة كل عام التقى به خلالها، ثم التقينا فى باريس ذات مرة ، حيث كنت أترأس جلســات مشروع منظمة اليونســكو المشروع الكبير للشرق والغرب وكان طه حسين يترأس الوفد المصرى ·

ويتوقف البروفيسور جارثيا جوميث قليلا ويســـتطرد قائلا : لى فى مصر شخص عزيز تربطنى به صداقة قـوية حتى الان وهو توفيق الحكيم ، فهــو اقدم صــديق لى فى مصر الان وقد ترجمت كتــابه « يوميــات نائب فى الارياف » ونفدت هــذه الترجمة مـن السوق ، وكلما ازور مصر التقى بـه ومن هناك كانت تصلنى اخباره حتى وفاته ·

## ● شعر اقليمي .. داخل الاسلام

ووجهت اليه الملحوظة التالية :

ـ قــرانا تصريحات كثيرة لبعض الشعراء الاسبان مثل خوان رامـون خيمينيث ورفـــائيل البرتى وجـارثيا لوركا وغيرهم من الشعراء والنقاد ، جاء فيهـــا انهم استقبلوا ترجمـاتك للشعر الاندلسى ، فى حينها استقبـالا منقطع النظير وانهم تدارسوها · وحول نقاط الضوء التى اثارت اهتمام كـــل هؤلاء يقول :

كنت على صلة مع كبار الشخصيات الادبية من اترابى ، منهم اورتيجـا اى جاسيت الذى كتب مقدمة ترجمتىلكتاب « طوق الحمامة » واخيتـــو د أورس كاتب وناقد فنى اسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨٢ و ١٩٥٤ ـ ، بيريث دى أيالا ـ قاص وناقد عاش فيما بين عامى ١٨٨١ و ١٩٦٢ ـ ··· الخ · حينئــذ لم يكن الجو فى صالح ما هو عـربى ، اى ان الجو الثقافى لم يكن يتقبل ما هو عربى ، فيما عدا اورتيجا اى جاسيت·

وقد توفى خوان رامـــون خيمينيث ـ وهو شاعر اسبانى عاش فيما بـين عامى ١٨٨١ و ١٩٥٨ ، بعــد أن نـال جائزة « نوبل » للاداب فى عام ١٩٥٦، فى المنفى فى بويرتو ريكو ـ وهو لم يقرأ ترجماتى هذه فى اسبانيا ، بـل قراها فى المنفى ، وكثيرا ما تحـدث

عنها دون الاشارة الى اسمى كمترجم لها ، نفس الشيء حدث مع غوميث دى لاسيرنا وهو قاص ومؤلف مسرحى اسبانى عاش فيما بين عامى ١٨٨٨ و ١٩٦٣ ، واخترع صورة أدبية جديدة تسمى « جريجيريا » ووصل به الحد الى درجة نسخ بعض هذه الابيات ووضعها فى صورة « جريجيريا »

ويجب ان اشير هنا الى ان للشعر العربى ـ الاندلسى لا يمكن مقارنته بكثافة واتقان شعر المشرق . ففى الادب العربى ـ الاندلسى لا يوجد متنبى ولا ابو تمام ولا بحترى كان نوعا اخر من الشعر ، يمكن ان نطلق عليه اسم شعر اقليمي داخل الاسلام . فهذا الشعر لا يتمتع بالقوة التى نجدها ، على سبيل المثال ، فى شعر المتنبى ، الذى اعتبره احسن الشعراء العرب واتمتع بقراءة شعره اكثر من قراءتى لاى شاعر اخر، فهو لم يكن شاعرا جيدا فقط من ناحية الشكل والموسيقى واتقان البيت .... بل شعره به شحنة فكرية لا توجد فى الشعر العربى ـ الاندلسى ، فى حين ان هذا الشعر يبرز فى المجال الوصفى والاستعارات .

## ● الاسلام.. والثقافة الكلاسيكية

**وقد وجهت اليه الملحوظة التالية : ترجمات ابن عربى والحلاج وما كتب عنهما فى فرنسا اثارت اهتماما كبيرا فى الاوساط الثقافية الفرنسية والعالمية ، فى حين ان كتابات الاسبانى أسين بلاثيوس عن ابن عربى ظلت محظورة فى النطاق الاقليمى ، وتعليقه على هذا كما يلى :**

« من المنطقى ان تكون الدراسات الفرنسية قد لاقت على المستوى العالمى انتشارا يفوق مثيلاتها فى اسبانيا . وبالنسبة لاسين بلاثيوس فقد كتب كتابا عن تأثير التأثيرات الاسلامية فى الكوميديا الالهية لدانتى ، وقد نشر هذا الكتاب عشية الاحتفال بالذكرى المئوية لدانتى ، وكان له وقع كبير فى العالم ، وبشكل خاص فى ايطاليا ، وبعد وفاة أسين بلاثيوس تم نشرالكتاب الذى يؤكد نظريته ، وهو كتاب اسمه « المعراج » ترجم فى اسبانيا فى عهد الفونسو الحكيم ـ الفونسو السابع ـ وهناك نسخة منه فى الفاتيكان واخرى فى جامعة اكسفورد .

وبالفعل الدراسات التى كتبها اسين بلاثيوس عن ابن عربى لم تنل نفس الاهمية فى الخارج لانه مات قبل ان ينهى دراسته ، كما انه كانت له نظرية لم تعجب الكثيرين حينئذ ، لذلك فان كتابه عن ابن عربى وضع له عنوان « الاسلام المتنصر » وتدور نظريته هذه حول وحدة الثقافة بالعالم ، اى ان الاسلام نهل من ثقافة العالم الكلاسيكى حتى من الشرق الاقصى وفارس ، وقام بهضم هذه الحضارات ليعود ويحملها الى الغرب من خلال الاندلس وبذلك تغلق الدائرة . وهذه النظرية صحيحة فى جزء منها ولكنها لم ترق لاحد يومها . فالفرنسى ماسينيون ، الذى كان تلميذا لاسين بلاثيوس ، عارض هذه الاطروحة ، ولم يسلم بتاثر الاسلام بالاخرين ، فمن رأيه ان التصوف انبثق عن الاسلام ذاته دون اى تاثير خارجى . وكرس حياته لدراسة « الحلاج » ، ولكنه لم يجد من ينافسه

او يعارض نظرياته حول هذا الموضوع، وله كتاب حول « الحلاج » لم يستطع أحد ان يكتب كتابا ليحل محله بالرغم من مرور ستين عاما على صدوره · وبات من الواضح بالفعل ان نظرية آسين بلاثيوس حول دانتي ونظريات الفرنسي · « الغازيل » حول الغزالي نالت شهرة واسعة لم تنلها دراسات آسين بلاثيوس عن ابن عربي ·

– لكن هناك نظريات حول اصل كلمة ( اندلس ) · هناك من يقول انه ياتي من كلمة ( وندل ) ؟

نعم هناك الكثير من النظريات ، ولكن هذه وغيرها لم تثبت صحتها حتى من الناحية الصوتية للكلمة · هناك بعض الشبه بين كلمتي ( الاندلس ) و ( اندلوثيا ) · والافضل ترجمة لها هو « اسبانيا الاسلامية » ، اما الاندلس الحالية فلا صلة لهما ( بالاندلس ) القديمة ، وفي بداية القرن التاسع عشر ، كانوا يطلقون على هذه الفترة من تاريخ اسبانيا ( الاحتلال العربي لاسبانيا ) · والان نطلق عليها « اسبانيا المسلمة » لان العرب الذين دخلوا اسبانيا كانوا قلة، واغلبهم من المولدين ، او المسلمين الجدد ·· !!

وقد وجهت اليه الملحوظة التالية : « تذكرون ان اميركو كاسترو له اطروحات في كتابه ( الواقع التاريخي لاسبانيا ) تنصف العرب في اسبانيا وتؤكد فضلهم على اسبانيا المعاصرة ، ولكن هناك البعض الاخر الذي ينكر ذلك ، بل وصل الحد ببعضهم الى حد تفنيد اوطروحات اميركو كاسترو في حين ادار البعض الاخر ظهره للعرب وتوجه صوب «الجذور» الاوروبية – القوطية لاسبانيا » مثال ذلك كتاب اوخينيو اسبنسيو تحت عنوان ( اسبانيا المتخيلة حسب اميركو كاسترو ) ، فما رايكم في هذه المشكلة ؟

وكانت اجابته على ذلك : « هذه مسالة لم ارد الخوض فيها اطلاقا · فالمشكلة قامت من الاساس بين اميركو كاسترو وسانتشيث البورنوث، لكن الغريب في الامر انهما كانا يجهلان اللغة العربية · اميركو كاسترو كان استاذي ، وفي بداية الامر كان معاديا لكل ما هو عربي ، ولكنه بعد الحرب الاهلية الاسبانية تغير تماما ، عندما خرج من اسبانيا منفيا ·

« واذكر انه عندما بدات قراءة كتاب ( الواقع التاريخي لاسبانيا ) قلت انه ليس لديه حق ، وظللت على ذلك صفحة بعد الاخرى ، وعندما انتهيت من قراءة الكتاب قلت عنده حق ··· !! فالتناقض يوجد في روح الكتاب نفسه اكثر مما يوجد في المعلومات التي يحتوي عليها ، ومن الطبيعي ان تكون هناك بعض المعلومات غير الدقيقة لانه كان يجهل العربية ···· ومع ذلك فانه كان اكثر صوابا من سانتشيث البورنوث · مع ان كاسترو بالغ بعض الشيء فيما يتعلق بالعرب واليهود في اسبانيا ·

وكان كتاب اوخينيو اسينسيو ردا على مبالغة اميركو كاسترو في تقييم دور اليهود في اسبانيا ، في حين ان البورنوث ركز على مبالغة كاسترو في تقييم دور العرب في اسبانيا ·

والمرة الوحيدة التي تدخلت فيها

فى هذه المشكلة ، كانت فى مقدمة ترجمتى لكتاب ( طوق الحمامة ) ، فيما يتعلق بمؤلف كتاب ( الحب الحميد ) حيث حاولت توضيح الامور فقط وقلصتها الى حدودها المعقولة والعادلة ، لذلك لم يغضب منى اميركو كاسترو ، اى انه قبل بارائى

والتاثيرات العربية فى الادب الاسبانى احيانا ما تكون موضعا للمبالغة فى بعض الامور • فى حين انه فى احيان اخرى تكون واضحة ولا يتطرق اليها احد • على سبيل المثال التاثيرات العربية فى الامثال الاسبانية كثيرة وواضحة واذا طال عمرى ساقوم بعمل دراسة حول هذا الامر • وهناك الكثير من الامور لم يتعرض لها الباحثون •• !!

## التواصل الحضارى

ثم وجهت اليه الملحوظة التالية : قامت السلطات الاسبانية اخيرا بتوجيه الدعوة الى جامعة الدول العربية للمشاركة فى احتفالات الذكرى المئوية الخامسة لاكتشاف القارة الجديدة ، امريكا ، التى ستقام فى اسبانيا فى عام ١٩٩٢ ، وقد تتضمن هذه الدعوة اعترافا اسبانيا بمساهمة العرب من خلال الفلكيين والبحارة ،الموريسكيين الذين اصطحبهم كريستوفر كولمبس فى رحلته تلك • فما هى معلوماتك عن هذا الموضوع من الناحية التاريخية ؟ وهل هناك ما يثبت بالفعل مشاركة الموريسكيين فى اكتشاف القارة الجديدة ؟

وكان رده كالاتى :

• لاتوجد وثائق تاريخية حول هذا الموضوع • فاسبانيا تتميز بالتواصل الحضارى مع الشعوب التى عاشت على ارضها ، بما فى ذلك اليهود ،ومع العرب اكثر من ذلك • الان يكثر الحديث على التعايش بين الاديان الثلاثة على الاراضى الاسبانية فى الماضى ، ولكنه ليس هناك وجه للمقارنة ، لان اليهود لم تكن لهم دولة فى اسبانيا ، واكثر ما وصلوا اليه فى اسبانيا المسلمة ، ان اصبحوا وزراء مكروهين من قبل الجميع، فى حين ان العرب كانت لهم دولتهم السياسية باسبانيا ، ومن هنا جاء التداخل بين الحضاريتين ، العربية والاسبانية ، هناك ثوابت انسانية تؤكد ذلك ، فاذا اخذنا العنصرية كمثال ، نجد شريطا كبيرا من العالم يشمل الدول العربية ويمر باسبانيا ليصل الى امريكا اللاتينية ، حيث لا يوجد فى هذا الشريط اى مظهر من مظاهر العنصرية • فالاسود والاصفر والابيض يعيشون سويا دون تفرقة ضد جنس او لون ، وهذه الظاهرة لا توجد فى بلاد مثل فرنسا والمانيا وبريطانيا •

ولقد بات من الواضح ان الاسبان الذين ذهبوا الى امريكا حملوا هذا النوع من الثقافة اما التاثير العربى المباشر فى القارة الجديدة فقد حدث عن طريق من يسمونهم بـ ( الاتراك ) وهم اللبنانيون والسوريون الذين هاجروا الى امريكا وكونوا جاليات عربية كبيرة فى البرازيل والارجنتين•

٢١ أغسطس ١٩٦٨

عشرون عاما على غزو القوات السوفييتية ـ فى عصر ليونيد بريجنيف ـ مع قوات أربع دول اشتراكية أوربية أخرى في « حلف وارسو » لتشيكوسلوفاكيا ، ولم يهدد هذا آمال الشعب التشيكوسلوفاكي وحده . بل كل من كان يريد اشتراكية ذات وجه انساني ، اشتراكية تطلق كل الحريات الديموقراطية .

بعدها بعقدين كاملين من الزمان تبدأ القيادة السوفييتية بزعامة ميخائيل جورباتشوف في السير على نفس الدرب ، لبناء اشتراكية تقترن بالديموقراطية .

لكن التاريخ لن ينسى أن هذا الطريق ادركته القيادة التشيكوسلوفاكية التي خلفت آنذاك ما أطلق عليه « ربيع براغ » . فقضت عليه الدبابات السوفييتية .

بقلم : مجدى نصيف

# « ربيع براغ » و« شتاء موسكو »

● ثورة القيادة

وكما جاءت البيروسترويكا من القيادة السوفييتية بعد انتخاب السكرتير العام الجديد . ، هكذا ، جاءت الثورة ضد الستالينية والبيروقراطية فى تشيكوسلوفاكيا ، بعد انتخاب قيادة جديدة بزعامة الكسندر دوبتشيك فى اجتماع اللجنة المركزية الذى انعقد فى شهر يناير عام ١٩٦٨ . ولقد جاءت هذه القيادة من بين صفوف الحزب ، تمرست بالعمل الحزبى بين صفوف الشعب فعرفت مشاكله وحلولها . معظم افراد هذه القيادة من بين الذين شاركوا فى المقاومة المسلحة السرية ضد النازية ، ورحب بدخول الجيش الأحمر ، بل وشارك البعض فى الحرب الاسبانية ضد فرانكو .

فعلى مدى سنوات ازداد السخط من نظام سياسى واقتصادى ، شمولى وبيروقراطى ، نظام اتخذ سماته الاساسية من التجربة السوفييتية . لكن هذا النظام



الغزو السوفييتي لشوارع براغ

مدمر وغير مقبول وغير مناسب لدولة مثل تشيكوسلوفاكيا ، ! دولة فى وسط أوربا ذات مجتمع مدنى حزبى متطور له تقاليد ديموقراطية منذ قبل الاشتراكية ، مجتمع احتياجاته الأساسية ومتطلباته متقدمة . وتولد المزيد من السخط بسبب انحراف وقصور الطموحات القومية للسلوفاك فى دولة بها قوميتان .

كان الشعور السائد هو عدم المبالاة بما يحدث ، وعدم الاهتمام بالمناقشة لأن نتائجها معروفة مقدما . لكن بعد اجتماع اللجنة المركزية فى يناير ، حل محل كل هذا الاهتمام بالسياسات وخاصة بين الشباب . وطرحت الاحتياجات المطلوبة للمجتمع ، مرتبطة بالمزيد من المعرفة والمعلومات عن الموضوعات المطروحة للنقاش ، والمشاركة فيما يحدث فى البلاد وفى اتخاذ القرار ، واعتبر الجميع أن الايديولوجية والتقاليد الماركسية تعطى كل هذه الحقوق التى لم تكن متاحة من قبل .

● فترة خصبة

وكانت هذه الفترة القصيرة فى تاريخ تشيكوسلوفاكيا ، على قصرها ، أخصب فترة مرت بها بعد أحداث ثورة فبراير ١٩٤٨ .

برز الكسندر دوبتشيك وبقية أعضاء القيادة الجديدة ، ونزلوا إلى التجمعات الشعبية فى اجتماعات ديموقراطية خلاقة ، يتحدثون وينصتون ويجيبون على الأسئلة والتساؤلات : فى المصانع والمؤسسات والاجتماعات الحزبية ، التى اختفى منها البوليس السرى ، والبوليس التقليدى .

وكانت وسائل الاعلام على رأس دعاة الديموقراطية الجديدة ، تماما كما فى

# "ربيع براغ" و"شتاء موسكو"

الاتحاد السوفييتي اليوم . وأصبحت هذه الوسائل الاعلامية بالمقابل هى هدف العناصر الستالينية – الجديدة والقوى المحافظة فى المجتمع ، تلك العناصر والقوى التي كانت تخشى على سلطاتها الفوقية الشمولية وامتيازاتها وفسادها . لقد كانت هى هدف هجوم قوى التقدم والديموقراطية .

وفي فبراير رفعت الرقابة عن الصحف التي بدأت تناقش امورا كانت مقدسة من قبل ، وحوادث تاريخية .. كانت الصحف تتسلم خطابات من القراء من جميع انحاء البلاد فى شئون حساسة ودقيقة ، فبدأ الناس ينغمسون فى حوار ديموقراطى حر .

وصحا البرلمان التشيكوسلوفاكي من نومه الذي يغط فيه ، وبدلا من رفع الايدى بشكل تقليدى ، بدأ حوار مثمر ، وتحول إلى ممارسة عمله الدستورى الأصلى ومناقشة شئون البلاد ، بشكل لم يحدث منذ عشرين عاما . وانشغل البرلمان بشئون مثل : إعادة الاعتبار إلى عشرات الآلاف الذين سجنوا وشردوا وقتلوا فى الخمسينيات فى عهد ستالين الرهيب ، وتعويضهم ماديا ، وكذا رفع الحظر عن التحرك والسفر داخل البلاد ، ورفع الحظر عن السفر إلى خارج البلاد ، ذلك الحظر الذى سبب سخطا شديدا . وبدأت الاستعدادات لتحويل تشيكوسلوفاكيا إلى دولة فيدرالية تضم قوميتى التشيك والسلوفاك المتآخيتين حقا .

اما الأحزاب الديموقراطية الأخرى المتجمعة تحت مظلة « الجبهة الوطنية » فقد بدأت تتحرك بعد سنوات من الجمود والشلل ، وأصبح لها كلمة حقيقية – وليس على الورق – فى تشكيل سياسات الدولة فى إطار الجهة التى قبلت بقية الأحزاب قيادة الحزب الشيوعى .

وبرزت التعددية التنظيمية والايديولوجية إلى جانب ، منظمة الشباب التشيكوسلوفاكى « C S M » التى كانت تحتل مجالات العمل وحدها دون منازع بسلطة الدولة والحزب . ونشط العمال وشاركوا بشكل ملحوظ فى هذه الفترة ، وأخذ زعماء النقابات يدافعون عن مصالح اعضاء نقاباتهم واتحاداتهم بعد أن كان شعارهم « طالما ان الدولة هى دولة العمال ، فلابد من تاييدها بشكل كامل وعدم ابراز المشاكل والمصالح العمالية » .

## ● الإصلاحات الاقتصادية

وكان أهم عناصر « ربيع براغ » هو برنامج « الاصلاح الاقتصادى » : منح المؤسسات الاقتصادية استقلالا ذاتيا بالبعد عن المركزية وانتخاب « مجالس عمالية » تسير الانتاج وتحل كافة المشاكل والاستخدام « السوق الاشتراكى » الذى تسيطر عليه الدولة فى ظل الملكية العامة لوسائل الانتاج والتخطيط المركزى .

وهنا يجب أن نلاحظ الشبه الشديد بين تلك الاصلاحات التى اقترحتها القيادة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨ وبدأت فى تنفيذها ، وبين الاصلاحات التى بدأ الزعيم السوفييتى ميخائيل جورباتشوف فى إدخالها فى الاتحاد السوفييتى .

كسبت القيادة التشيكوسلوفاكية ، ثقة الشعب والطبقة العاملة فى الاساس والمثقفين بكافة تياراتهم واتجاهاتهم منذ بدات برنامجها فى يناير ، فتقدمت خطوة اخرى فى ابريل ، ونشرت « برنامج العمل » الذى ستسير على هداه .

● برنامج العمل

ولعل هذا أول برنامج لحزب شيوعى فى السلطة يقدم شيئا جديدا ، نموذجا آخر غير النموذج السوفييتى الستالينى التقليدى ، نموذجا يرفض الستالينية وعبادة الفرد ومركزية السلطة ، ويجعل الناس تتناقش وتشارك فى اتخاذ القرار ، نموذجا لايستخدم البوليس السرى والقمع .

وركز « برنامج العمل » على النقاط الاساسية التالية :

● « تعتمد سياسة الحزب على مبدأ عدم تركيز السلطة فى اى قطاع من قطاعات الدولة ، أو إحدى هيئاتها ، او اى فرد من الأفراد فيها » . « وكان معنى هذا رفض « الأبوية » التى لعبت دورا مميتا فى الدول الاشتراكية ، رفض « الابوية » من الدولة الاشتراكية الأم – أى الاتحاد السوفييتى – ورفض الأبوية التى تفرضها الدولة على الشعب . وقد نص « برنامج العمل » على أن « الطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية التى لم تعد تتلقى اوامرها من أية طبقة مستغلة ، لايمكنها أن تتلقى اوامرها من اعلى الآن ، ولايمكن أن تؤمر بما تقوله وبما لا تقوله ، وبما الدور الذى يلعبه الرأى العام ، والدور الذى لايلعبه » .

● « ينبغى تغيير قانون العقوبات ، خاصة تلك المواد التى تضع ألمواطن العادى فى موقف ضعيف أمام الدولة ، ومؤسساتها » .

● « دور الحزب الشيوعى قيادى للمجتمع ، لكن هذا لايعنى أن هذا يأتى من خلال إصدار الاوامر ، بل من خلال تأييد الجماهير الطوعى للقضايا السياسية والأفكار التى يطرحها الحزب .. »

● « نريد أن نبدأ فى بناء نموذج ديموقراطى – مكثف – لمجتمع اشتراكى ... إن كل شىء يعتمد علينا الآن ونحن نشق طريقنا فى الظروف المجهولة ، ونحن نجرب .. »

● « نريد أن نخلق ظروفا يشعر فيها كل مواطن شريف أنها الظروف الصحيحة لتشكيل قدر أمته ، وأنه يمكنه الاعتماد عليها ، وأنه فى حاجة اليها .. »

● قال الزعيم الكسندر دوبتشيك فى التليفزيون الوطنى ببراغ يوم ١٨ يولية ١٩٦٨ ما يكمل ما طرح من افكار فى « برنامج العمل » .. « ..... نحن لايمكن أن نفرض سلطتنا بإصدار الأوامر ... فى الفترة السابقة لم تكن جماهير شعبنا راضية عن الطريقة التى تنفذ بها سياساتنا ... إن الحزب لايمكنه أن يغير جماهير الشعب ، ولذا تعين علينا تغيير القيادة ، وكان على هذه القيادة الجديدة أن تغير من أساليبها السياسية » .

● تحذير مايو

وفى شهر مايو حذر الكسندر دوبتشيك

# "ربيع براغ" و"شتاء موسكو"

والقيادة الجديدة من أن القوى « المعادية للاشتراكية » تحاول استغلال الحريات الديموقراطية الجديدة ، ولذا ينبغى هزيمتها - ليس باستخدام الأساليب القديمة - ولكن بالحوار الايديولوجى المفتوح والعلنى الذى سيكشفها . وقد انضمت إلى هذه القوى عناصر صهيونية معادية للعرب ، خاصة أن هذه الفترة جاءت بعد هزيمة عام ١٩٦٧ المرة وانتصار اسرائيل على ثلاث دول عربية فى خط المواجهة . وقد استخدمت القيادة السوفييتية وقيادات عدد من دول أوربا الاشتراكية هذا ضد « ربيع براغ » . لكن عموما منذ أن تولت القيادة السياسية التشيكوسلوفاكية الجديدة بزعامة الكسندر دوبتشيك المسئولية ، حاولت قيادة ليونيد بريجنيف السكرتير العام الأسبق للحزب الشيوعى السوفييتى ، بكل ما فى طاقتها ، مع عدد من قيادات دول حلف وارسو إيقاف السياسة « المراجعة » التى اتبعتها القيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة ، دون جدوى . وقد عبروا عن هلعهم الحقيقى بوجه خاص من رفع الرقابة على الصحف ونادوا بإعادة فرضها .

كان من المفروض انعقاد مؤتمر خاص للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ببراغ يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٨ . وكان قد تم انتخاب الاعضاء الذين سيحضرونه باقتراع سرى تم فى جميع أنحاء البلاد . وكان نتيجته اغلبية مؤيدة لألكسندر دوبتشيك « ومقرطة » البلاد « وبرنامج العمل » . وكلما اقترب موعد المؤتمر ، ازداد ضغط قيادة بريجنيف على القيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة لتغيير خطها السياسى ، ولكن دون نجاح .

## ● والغزو ..

وفى فجر ٢١ أغسطس دخلت الدبابات السوفييتية براغ ، ٦٠٠ الف جندى من قوات حلف وارسو ، من الاتحاد السوفييتى وأربع دول اشتراكية أوربية أخرى هى : بولندا والمجر والمانيا الديموقراطية وبلغاريا .

وجاء فى الكتاب الأبيض الذى نشره السوفييت عام ١٩٦٨ بعنوان « حول الأحداث فى تشيكوسلوفاكيا » ..

« ... خلقت مؤامرة القوى المعادية للثورة ، التى ساندتها الرجعية الامبريالية من الخارج ، تهديدا مباشرا للاشتراكية فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .. وفى مثل هذه الظروف ، أجبر الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الأخرى ، المخلصون لواجبهم الأممى ، على اتخاذ خطوات متطرفة ، بما فى ذلك إدخال قواتهم المسلحة إلى براغ .. !

وأخمد « ربيع براغ » ..

وبدأ شتاء قارص البرودة .

## كهرباء ..



فوق السلك السابح فيه الموت
عصفوران
عصفور واحد
عصفوران
عصفور واحد
والثانى فوقه
عصفور واحد
لا شيء ..
سيظل السلك السابح فيه الموت
يحلم بالحب !!

## ضيق ...



اصغر ابنائى
يعبث بالقلم الجاف على ورق الحائط
انهره واعود بوجهى لكتابى
يعبث بالقلم الجاف على فرش الكنبة
انذره واعود بوجهى لكتابى
ويعود الى نفس اللعبة
اقذفه بكتابى !!



شعر : محمد محمد السنباطى

# العالم في سطور

## روما

### ● الشيخوخة لا تصيب الجميلات

« امرأة من روما » .. الرواية الايطالية التى احدثت دويا فى الاوساط الفنية والادبية عندما نشرها البرتو مورافيا لاول مرة فى الاربعينيات حول أم تدفع ابنتها لاحتراف الدعارة . وهى الرواية التى كانت سببا فى شهرة الممثلة الايطالية جينا لولو برجيدا فى اوائل الخمسينيات عندما جسدت دور الحسناء الشابة ادريانا فى الفيلم الذى اخرجه لويجى تساميا

جينا لولو برجيدا ..



هذه الرواية التى ترجمت الى عشرات اللغات ومنها اللغة العربية ( ونشرت فى روايات الهلال ) خمس ترجمات وعشرات الطبعات قام التليفزيون الايطالى باعادة انتاجها مرة اخرى .. قد يبدو الحدث عاديا ، خاصة ان اعادة اخراج الروايات شيء مألوف . لكن الجديد فى هذا الخبر ان المخرج الايطالى جوزيبه باروني قد نجح فى اقناع جينا لولو برجيدا للاضطلاع بالبطولة . وبعد طول تردد قبلت العرض .. شريطة ان تقوم بدور الام على ان يسند دور ادريانا الى ممثلة جديدة هي فرنشسكا ديلليرا ـ ٢١ عاما .

تجيء اهمية الحدث ان جينا لولو التى ابتعدت عن السينما منذ خمسة عشر علما قد اختارت الا تبتعد كثيرا عن الفن المصور . فراحت تتنقل بكاميرتها المتطورة عبر انحاء متعددة من العالم تصور ما تراه قريبا من قلبها . المشهورين والمغمورين . الفقراء قبل الاثرياء الحوارى الضيقة قبل الشوارع الواسعة الفخمة . وتميزت صورها التى التقطها بالحيوية والصدق ومن الاسماء المشهورة التى قامت بتصويرها : انديرا غاندى وفيلليني وتقول مرددة عن اليوماتها المصورة « تهزني كثيرا ملامح الشوارع الالوفة التى تذكرني بماضي الفقير » .

وتعلن جينا عن عودتها الى السينما بعد ان تجاوزت الستين قائلة ، لا تهم

مسألة السن ، لاننى احب المشاركة فى المغامرات الجديدة التى تثير فى الحماس فأنا اعمل من اجل متعة الحياة وبهجتها .

## ليفربول

### ● اكتشاف كبير

لا حديث لمحبى الموسيقى الكلاسيكية وعشاقها ، الا عن اكتشاف سيمفونية جديدة لواحد من ملوك النغم توفى منذ مائة وخمسين عاما او يزيد .

وهذا الموسيقار الذى أصبح عمله المكتشف على كل لسان بعد فوات كل هذه الاعوام هو « لودويج فون بيتهوفن » الذى ودع الحياة تاركا وراءه عددا من السيمفونيات آخرها التاسعة ، وهى سيمفونية يقال عنها ان حركتها الاخيرة تحمل رسالة الى الانسانية ملؤها التفاؤل بمستقبلها مصوغة فى كلمات للشاعر الالمانى « شيللر » تغنيها جوقة من المنشدين .

والسيمفونية المكتشفة ، لم يعثر منها الا على الحركة الاولى .

والفضل فى ذلك يرجع الى الدكتور « بارى كوبر » من جامعة « ابردين » الذى ما ان قرأ فى مذكرات « كارل هلتز » سكرتير « بيتهوفن » ان الموسيقار قد عزف الحركة الاولى من سيمفونية عاشرة له على البيانو ، حتى اسرع بالبحث .

واذا به يجد اجزاء من تلك الحركة فى مكتبة برلين الغربية ، واجزاء اخرى فى ارشيفات مدينة « بون » حيث ولد « بيتهوفن » .

وما جمعه الدكتور « بارى » من السيمفونية ، تصل مدة عزفه الى اثنتى عشرة دقيقة .

هذا ، وسيقوم اوركسترا ليفربول السيمفونى ، بعزف تلك الحركة يوم التاسع والعشرين من اكتوبر القادم ، أى بعد فوات ١٦١ عاما على ابداعها .

وليس شك ان كل هذا الجهد والمثابرة فى البحث لما يملأ النفس اعجابا .



بيتهوفن

## لوس انجلوس

### ● الأغراء الأخير

عندما نشرت قصة « الاغراء الاخير للمسيح » لصاحبها الاديب اليونانى الراحل « نيكوس كازانتزاكيس » لم تقم تظاهرات عارمة تطالب بمنعها .

لم تتحرك الكنيسة محرضة الاتباع على حرق نسخها .

# العالم في سطور

ولكن ما أن تحولت شركة يونيفرسال الامريكية بتلك القصة الى فيلم سينمائى من اخراج « مارتين سكورسيزى » حتى أسرع المتعصبون المتسللون الى الشوارع على امتداد الولايات المتحدة متظاهرين ضد الفيلم · وحتى بادر رؤساء بعض الكنائس بمخاطبة تلك الشركة عارضين عليها شراء جميع نسخ الفيلم ابتغاء التخلص منها حرقا ·

وقد كان من نتائج هذه الحملة دعاية مجانية للاغراء الاخير للمسيح· فاذا بطوابير المقبلين على مشاهدته تزيد على مر الايام ·

صورة من فيلم «المسيح»



واذا بطوابير المحتجين المحاصرين لدور عرضه تقلص وتنكمش حتى أصبحت أثرا بعد عين ·

واذا بأرباح الشركة المنتجة تتكاثر، حتى انه يقال ضمن ما يقال ان مديرها يتوجه كل يوم الى المصرف للاطلاع عليها مقهقها ·

وعلى كل فهذا الاختلاف فى ردود الفعل لنشر الكتاب وعرض الفيلم ، انما يدل على خطورة الصورة المتحركة، وتفوقها على الكلمة المكتوبة فى التأثير على الجماهير ·

## باريس

● عندما يموت الكاتب بالايدز

« يموت اناس كثيرون يوميا من الامراض المستعصية ، لكن موت فنان واحد مشهور من أحد هذه الامراض كفيل ان يصيب ملايين البشر بالحزن والكآبة والخوف »·

صرح بهذه العبارة الكاتب الفرنسى جان بول أرون فى حديث له الى احدى قنوات التلفاز الفرنسية فى نوفمبر الماضى · فى تلك الاونة لم يكن قد بدا شيء بالمرة على الكاتب من اعراض مرض الايدز الذى نخر فى دمائه بسرعة غريبة وأتى عليه مع مطلع الشهر الماضى ··

جاء هذا الخبر مثيرا فى الاوساط الادبية العالمية · فاذا كان دومنيك فرنانديز هو اول الادباء المصابين بهذا المرض · فان أرون هو اول من

يموت به من الانباء . وهكذا بيان احصائية جديدة تتعلق بهذا المرض واسبقية المصابين به .

وقد نشرت مجلة لوبوان الفرنسية قائمة قصيرة بالفنانين الذين لاحقهم المرض وكان على رأس القائمة بالطبع الممثل الامريكى روك هدسون . والمخرج المسرحى الامريكى مايكل بنيت الذى اخرج المسرحية الاستعراضية « خط الكورس » تحدثنا عنها فى العالم فى سطور فى يوليو ١٩٨٨ - كما اصيب بالمرض من المشاهير شخصان من عائلة كروب الالمانية الشهيرة .

ابرز ما يتعلق باصابة ارون بهذا المرض ووفاته به هو تصريحه انه من الشواذ . ولم ينف هذه التهمة ويرى أن على الاخرين ان يعرفوا ان الام الفنان تتضاعف عن الام الاشخاص العاديين .

## والتعليم

● برامج دراسية

« ان الطلاب الذين حصلوا أخيرا على شهادات من الجامعات ، يجهلون ابسط المعلومات ، حول تاريخ أمتهم وحضارتها وأدبها ، وفنها وأسسها الفلسفية » .

هذا الكلام ليس لوزير التربية المصرى الدكتور فتحى سرور ، ولكنه لوزير التربية الامريكى ويليم بينيت .

وردا على تدنى مستوى التعليم الجامعى فى الولايات المتحدة ، قامت احدى الجامعات الامريكية بوضع مقررات تختلف عن بقية الجامعات التى تعطى للدارس حق اختيار المقررات التى يرغب فى دراستها .

انها جامعة سان جون فى ولاية ميريلاند ، والتى تقوم خططها على تدريس أمهات الكتب الغربية . وتحيى كبار المؤلفين الذين ماتوا منذ عدة قرون ، وتستحضرهم فى قاعات الدرس ، فتقوم برامجها على دراسة حوالى ١٣٠ نصا من النصوص الكلاسيكية للحضارة الغربية . فيتعلم الطلاب حساب التكامل والتفاضل من كتاب اسحق نيوتن ، ويدرسون كتاب مينو لافلاطون كما كتب باليونانية ، وكتاب فيدر لراسين كما وضعه بالفرنسية ، وكتاب سيجموند فرويد عن النفس البشرية ، ويطالعون « الاوديسة » لهوميروس ، وكتاب الحيوان لبلوتارك ، وتراجيديات شكسبير ، والانتقادات الفلسفية لكانت ، ويطالعون ما كتبه داروين عن نظرية النشوء والارتقاء ، ويتناولون نظرية النسبية كما كتبها اينشتين .. وهكذا .

والجامعة تركز على ثقافة واسعة لا على ثقافة تساعد على ايجاد فرص العمل ، ويذكر جورج دوسكو الاستاذ فى الجامعة : « ندرس افضل الكتب التى نستطيع أن نقدمها ، ونتحدث عنها بأفضل طريقة نستطيعها .. » .

فمتى تدرس جامعاتنا امهات الكتب ، التى تتناول الحضارة العربية والاسلامية الى جانب امهات الكتب الغربية .

وستقدم مجلة « الهلال » من العدد القادم امهات الكتب العربية ، وسبق ان دعى احد كتاب مجلة الهلال الى قيام جمعية خاصة تشرف على تحقيق ونشر امهات الكتب العربية ، وستواصل المحاولة .

# العالم في سطور

## لندن

### ● اليهود .. وتصفية الحسابات القديمة

لم تهدأ بعد تلك الحملة الساخنة التي شنتها الصحافة العالمية على الفيلسوف الالماني مارتن هيدجر ، اهم من كتب في الفلسفة الوجودية . منذ اشهر بعد اكتشاف علاقته بالنازية

ويبدو ان هواية البعض التفتيش في الفكر العالمى الغير يهودى والبحث عن اى هجوم ضد اليهود من اجل الاسراع بادانة صاحب هذا الهجوم ، خاصة مشاهير المفكرين والادباء ، وتحطيم الهالات الكبيرة بتهمة معاداة السامية

احدث من وقعوا في هذه المصيدة هو الشاعر والناقد الانجليزى ت.س. اليوت صاحب قصيدة « الارض الخراب » ابرز ما كتب من شعر في العصر الحديث .. حيث عثر على بعض ابيات من شعره جروء وانتقد فيها اليهود .. وبمجرد اكتشاف هذا الحدث تحول اليوت الى لقمة سائغة بين براثن الكتاب والصحفيين الصهاينة في العالم . وبدات الاقلام تؤول قصائده الاخرى وابياته بما يتناسب مع محاولة تدمير مكانته في عالم الادب ..

فقد جاء في قصيدة نظمها الكاتب في مقتبل حياته :

اصبح بيتى متآكل .

وركب اليهودى فوق النافذة .

وكانه بيته .

وفى قصيدة اخرى كتب قائلا :

تكمن الجرذان اسفل الركام

وهناك يهودى يكمن في نفس المكان

الجدير بالذكر ان مكتشف هذه الابيات هو دافيد ناثان نائب مدير تحرير الصحيفة اليهودية « جويش كرونيكال » .

بهذا المنظور يتحول اغلب اعلام الفكر الغربى القديم والحديث الى معادين للسامية من شكسبير وديكنز وبرنارد شو وسرفانتس وموليير ..

## نيويورك

### ● لورانس .. فوق تجارب البشر

هناك حقيقة واقعة يقرها الكثير من الادباء المعاصرين بدون خجل . بل بفخر شديد . وهى انهم خرجوا من جعبة الكاتب الانجليزى د . هـ . لورانس الروائى الذى عبر عن الحس الانسانى برهافة شديدة ومنظور جوانى بالغ الخصوصية في رواياته المدينة . مثل امراة عاشقة ، و « عشيق الليدى تشاترلى » و« ابناء وعشاق » .

من هؤلاء الادباء تينس ويليامز وهنرى ميللر .. ورغم ان هذا الاخير كان اكثر جراة وحساسية في رواياته . ورغم انه عرف كمبدع وليس ككاتب دراسات ادبية . فانه اراد ان يعبر عن اعجابه بلورانس فقدم عنه دراسة هامة تحمل عنوان « عالم د . هـ . لورانس » . تقع في اكثر من ثلاثين صفحة .. وهى دراسة تعد مدخلا لكل ادب الكاتب وحياته الخاصة .

ولذا اعيد طبعها المرة تلو المرة . وقد صدرت أول طبعة فرنسية لهذا الكتاب منذ شهرين تقريبا . « انا لا اكتب نقدا لاعمال لورانس . ولكننى اعبـر عن مشاعرى الخاصة تجاهه . من خـلال كتلة من الوثائق الاحساسية » .

ويقول ميللر ـ الذى مات فى عـام ١٩٨١ ـ ان مباشرة هذا الكتاب بدأت من ناشره الخاص جاك كاهان عندما اقترح عليه ان يكتب مقالا عن لورانس فى عام ١٩٣٢ ـ يتحدث فيه عن الاباحية فى اعماله . وبعد اكثر من ثـلاثين عاما بدأ ميللر فى تسطير كتـابه . وهو يقول ان الذى دفعه للعودة الى هذا البحث هو العبارة التى كتبهـا اندريه مالرو يوما : « لا يوجـد فى عيون لورانس سوى الوعى بكل ما هو خاص جدا ، انه وعى اكثر قوة يكمن فيه اكثر من الاخرين . هو وحيـد الحس » .

اما ميللر فيرى ان لورانس ينتمى ، مثل القلائل من عظماء البشر ، لنظام وراثى خاص جعل منه متجـاوزا لكافة التجارب البشرية .



بروكسل

## ● روايات الحياة العائلية

هل يمكن للمناصب الادبية ان تمنح ادب الكاتب اهمية فى اية بقعـة من الارض ؟

اجابة هذا السؤال تنطبق تمامـا على حالة الروائى هيرفيه بازان ـ ٧٧ عاما ـ فرغم انه يتولى رئاسـة اكاديمية جونكور الادبية منذ عشرين عاما تقريبا . ورغم انه بدأ حيـاته الادبية منذ اربعين عاما تقريبا . ورغم



هيرفيه بازان

غزارة انتاجه ، فانه لم يترك عمـلا ادبيا واحدا له اهميته سوى روايـة واحدة هى « نيران تخمد نيرانا اخرى» عام ١٩٧٨ .

احدث رواية لبازان هى « شـيطان منتصف الليل » التى نشرت الاسـبوع الماضى . والتى تنتمى الى ما اطلـق عليه بروايات العائلة . اى ان احداث الرواية جميعها تدور فى اطار عائلى تتحدث عن مشاكل الاسرة ومعـاناتها التقليدية . ومن اشهر هذه الروايات « باسم الاب » . و « الكنيسـة الخضراء » .

والاسرة فى رواية بازان الجـديدة تتكون من رجل وامرأة يتبايـنـان فى العمر ، ورغم ذلك فالزوج متعـدد العلاقات النسائية . وهو يخاف على ابنته الصغرى من ان تصيبها حـالة تعدد العلاقات عندما تبلغ سن الرشد

ورغم ذلك فان الابنة ايفلين تتحول الى امرأة متعددة العلاقـات . تحت سمع وبصر ابيها . وتشكل بالنسـبة له تهديدا خطيرا . ليس فقط فيمـا يتعلق بوظيفته بل فيما يتعلق بعلاقاته الخاصة والعامة .

تقول الناقدة جيل برنلوفسـكى ان روايات بازان اشبه بتيار الحيـاة الهادىء لذا فانها تجىء وتروح دون ان يشعر بها احد .

# علوم

# نقل الطاقة الكهربائية تحت الماء

بقلم: د. صلاح خليل

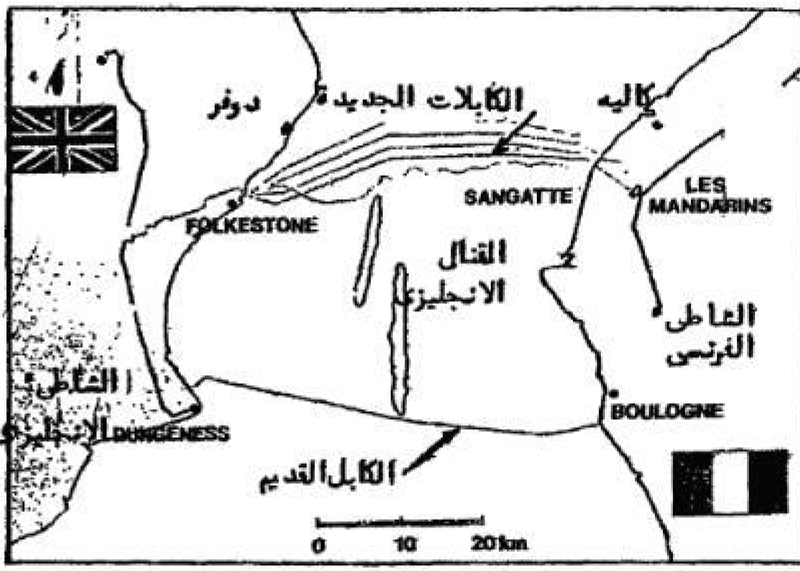
**طالعتنا الصحف بانباء متفرقة، ومقتضبة عن دراسات ومقترحات بمشروعات لربط الشبكات الكهربية لكل من مصر والاردن والسعودية وتركيا، واحتوت هذه الانباء على الإشارة الى استخدام كابلات بحرية بين محطة كهرباء العقبة الاردنية وحتى مدينة طابا المصرية .**

● وتهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على الاتجاهات العالمية فى ربط الشبكات الكهربية للدول المختلفة واسباب ذلك، مع ابرزها الاتجاه نحو نقل الطاقة الكهربية تحت الماء، كاحدى الوسائل المستخدمة فى ربط الشبكات الكهربية حيث تتجلى فيها انجازات تكنولوجية ضخمة للعقل البشرى تجاوزت أحيانا، الخيال العلمى للمفكرين العظام الذين انجبتهم البشرية على مر العصور، كما تحتوى هذه الدراسة على استعراض ومسح لخطوط نقل القوى الكهربية عبر البحار والممرات المائية فى العالم منذ انشاء أول كابل بحرى فى العالم وحتى اليوم.

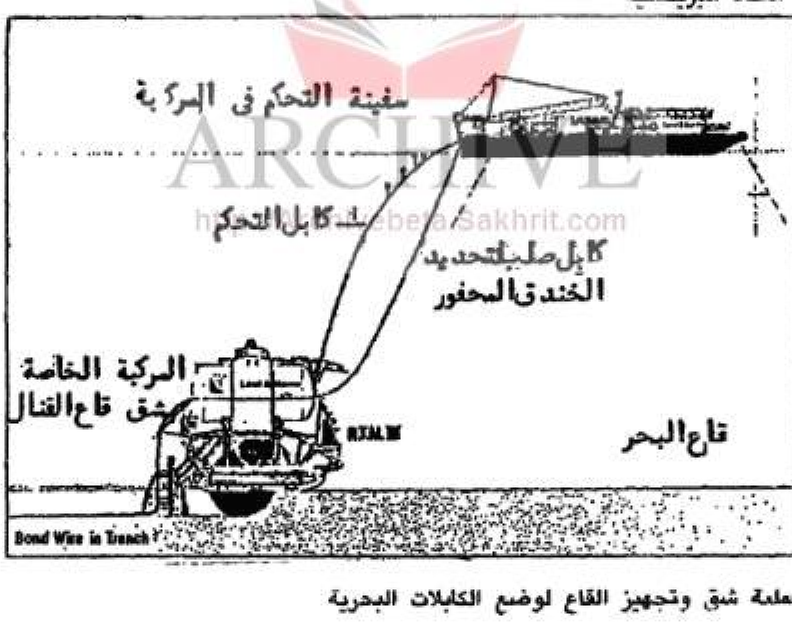
● ربط الشبكات الكهربية .. لماذا ؟ وكيف ؟

ترتبط عملية ربط الشبكات الكهربية للدول المختلفة، بازدياد الحاجة الى الطاقة الكهربية وتنوع مصادر توليدها واقتصاديات الحصول عليها وطريقة استهلاكها، وقد أظهرت العديد من الدراسات، ان ربط الشبكات الكهربية المختلفة يؤدى الى زيادة قدرة هذه الشبكات، كما أن التنوع فى مصادر القدرة المتاحة للشبكة الكبرى يكسبها مرونة اكثر ويقلل من احتمالات وزمن انقطاع التيار الكهربى عند حدوث خطأ فى احدى محطات التوليد، حيث يمكن لأية شبكة تزويد الاخرى بالطاقة الكهربية المطلوبة فى حالات الطوارىء أو فى حالات التحميل القصوى لاحدى الشبكات، حيث ان من المفترض اختلاف أشكال التحميل لكل شبكة عن الاخرى طبقا لاختلاف توزيع احتياجات المستهلك بالنسبة للزمن لكل شبكة .

كذلك فان ربط الشبكات الكهربية للدول المتجاورة يسمح لأى من تلك الدول بشراء الطاقة الكهربية من الاخرى، وذلك فى حالة اختلاف نمط الاستهلاك وتكاليف انتاج الطاقة الكهربية فى احدى الدولتين عن الاخرى، كتوفر




مواقع الكابلات البحرية الجديدة وكذلك الوصلة القديمة بين فرنسا وبريطانيا عبر القناة البريطانية






عملية شق وتجهيز القاع لوضع الكابلات البحرية

# نقل الطاقة الكهربائية تحت الماء

المصادر الطبيعية للطاقة في احداهما (توفر الوقود أو مساقط المياه الطبيعية) وقد أثبتت التجربة ان عمليات ربط الشبكات الكهربية الكبرى للدول تؤدى الى توفير عائد اقتصادى في تكاليف التشغيل أيضا ·

وتتضمن عمليات ربط الشبكات الكهربية نقل الطاقة الكهربية من مكان لآخر عبر مسافات تكبر وتصغر حسب طبيعية المشروع ، كما تختلف طريقة النقل حسب جغرافية المكان الذى يتم نقل الطاقة عبره ·

وعادة ما يتم نقل الطاقة الكهربية من مكان توليدها ( حيث تتوافر العوامل الطبيعية والاقتصادية لتوليد هذه الطاقة كوجود مناجم الفحم أو مساقط المياه الطبيعية ) الى مكان استخدام هذه الطاقة بكفاءة عندما توجد المناطق الصناعية المستهلكة لهذه الطاقة ، وتدخل هنا تكلفة التوليد والنقل بشكل رئيسي - وعلى سبيل المثال : فقد وجد الامريكيون - ان توليد الكهرباء في شمال داكوتا حيث يتوافر الفحم ، ونقلها الى ولاية مينيسوتا - والتى تبعد ٧٥٠ كم - أرخص من نقل الفحم الى مينيسوتا وتوليد الكهرباء هناك ، بينما اقام السوفييت محطة لتوليد الكهرباء فيسيبريا حيث يتوافر الفحم أيضا ، وقاموا بنقل هذه الطاقة الكهربية المتولدة ، لمسافة ٢٠٠٠ كم - عبر سيبيريا الى روسيا الاوروبية ، وذلك لنفس السبب ، ويعرف هذا المشروع باسم (EKIBASTUZ CENTRE)

وهناك امثلة عديدة مماثلة ، لنقل الطاقة الكهربية عبر مسافات طويلةبين مواقع توافر عوامل توليد الطاقة الكهربية ومناطق استهلاك هذه الطاقة، خصوصا في تلك الدول التى تتميز بالاتساع كالاتحاد السوفييتى وكندا والولايات المتحدة الامريكية والسويد··

وتنقل الطاقة الكهربية أيضا من دولة الى أخرى لأسباب مشابهة وذلك مثل مشروع نقل الطاقة الكهربية بين موزمبيق ( نهر زامبيا ) وجنوبافريقيا ( جوهانسبرج ) والمعروف باسم مشروع كابورا - باسا (CABORA BASSA ) حيث يتم نقل حوالى ١٩٢٠ ميجاوات على مسافة ١٤١٤ كيلو مترا - وقد تم تنفيذ هذا المشروع عام ١٩٧٩ ، وكذلك هناك مشروع نقل الطاقة الكهربية بين باراجواى والبرازيل فيأمريكا الجنوبية والمعروف باسم مشروع (ITAIPU.) حيث يتم نقل حوالى ٦٠٠٠ ميجاوات لمسافة تصل الى ٨٥٠ كم ·

## ● مميزات التيار المستمر

وقد ارتبط التقدمبنقل الطاقةالكهربية على هذه المسافات الشاسعة بالتقدم في تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربية باستخدام التيار المستمر ( D.C ) بدلا من التيار المتغير ( A.C. )

ويرجع ذلك - وبدون الدخول في تفاصيل علمية ، الى ما للتيار المستمر من مميزات تتمثلفيتحقيق اقتصاديات نقل أفضل ، حيث ان فقد الطاقة في حالة التيار المستمر اقل ، كما انتكلفة نقل الطاقة اقل في حالة التيار المستمر منها في حالة التيار المتغير ، وتزداد أهمية هذا العامل عند نقل الطاقة لمسافات شاسعة ، ولحسن الحظ ، فان للتيار المستمر أيضا عدة مميزات أخرى في حالة ربط الشبكات المختلفة، ففى حالة ربط الشبكات بالتيار المستمر ، يمكن التحكم بسهولة في

سريان الطاقة مع تحقيق اتزان أفضل حيث لا يمكن فى هذه الحالة نقل خطا احدى الشبكتين الى الاخرى، وبالتالى فان استخدام التيار المستمر فى الربط بين شبكتين يسمح بسهولة بمواجهة الاحتياجات الطارئة وتحويل الطاقة الكهربية من شبكة الى أخرى بسرعة ودقة .

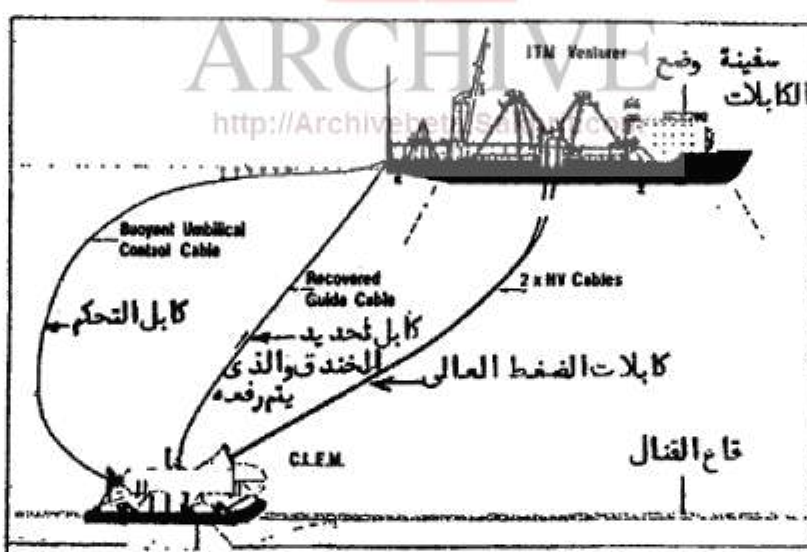
### ● نقل الطاقة الكهربية تحت الماء

عادة ما تنقل الطاقة الكهربية باستخدام الاسلاك الهوائية OVERHEAD Transmission lines أو الكابلات المدفونة تحت الارض Underground Cables. وكلتا هاتان الطريقتان مألوفتان لدى القارىء ، لا أن هناك أيضا طريقة ثالثة لنقل الطاقةالكهربية وهى استخدام الكابلات البحرية والمعروفة باسم (Submarine Cables) لنقل الطاقة الكهربية عبر البحار والانهار والممرات والمضايق المائية .

ويستخدم هذا النوع من الكابلات اذا ظهرت حواجز مائية طبيعية بين مواقع توليد الطاقة الكهربية ومواقع استهلاكها سواء داخل الدولة الواحدة مثل ايطاليا واليابان ونيوزيلندا ، أو ظهرت هذه الحواجز بين الدول المختلفة مثل وجود القنال الانجليزى بين فرنسا وانجلترا ، أو خلجان بحر الشمال بين السويد والدانمارك والنرويج .

وقد ظهر أول كابل بحرى لنقل الطاقة الكهربية تحت الماء على يد السويديين حيث تم تدشين أول كابل بحرى عرفه العالم عام ١٩٥٤ ـ وهو المشروع المعروف باسم كابل السويد ـ جوتلند بين السويد والدانمرك ويقوم بربط السويد والدانمارك حاملا قدرة قدرها ٢٠ ميجاوات ويبلغ طول الكابل ٩٦ كيلو مترا . وتبع انشاء هذا الكابل،

عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق الخاصة بقاع القناة البريطانية



مشروع الكابل البحرى الاول بين فرنسا وانجلترا عبر القنال الانجليزى عام ١٩٦١ ، ويحمل قدرة كهربية قدرها ١٦٠ ميجاوات ، ويبلغ طول هذا الخط ٦٤ كيلو مترا .

وشهد عام ١٩٦٥ انشاء ٣ كابلات بحرية فى مناطق مختلفة من العالم - فقد تم تدشين وصلة بحرية فى نيوزلندا يبلغ طولها ٤٠ كيلو مترا عبر مضيق « كوك » ضمن مشروع كبير لنقل الطاقة الكهربية من جنوب نيوزلندا الى شمالها حاملا قدرة كهربية تبلغ ٦٠٠ ميجاوات .

- وفى شمال أوروبا تم تدشين الكابل البحرى الثانى بين السويد والدانمرك والمعروف باسم Konti Scon وقد قصد بانشاء هذا الكابل البحرى ربط الشبكات الكهربية لهذا الجزء من اسكندنافيا بشبكات بعض دول شمال ووسط أوروبا عن طريق الدانمرك ، ويبلغ طول هذا الكابل البحرى ٨٧ كيلو مترا ، وقد صمم لنقل قدرة كهربية تصل الى ٢٥٠ ميجاوات .

- أما فى ايطاليا فقد تم توصيل الشبكة الايطالية الرئيسية بشبكة جزيرة سردينيا عن طريق جزيرة كورسيكا باستخدام كابلات بحرية ، ويصل طول هذه الوصلة الى ١٢١ كيلو مترا ويحمل قدرة تصل الى ٢٠٠ ميجاوات وهو معروف باسم خط سردينيا - كورسيكا - ايطاليا .

وشهدت السبعينيات انجازات كبيرة فى تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربية باستخدام التيار المستمر ، وانعكس ذلك فى هيئة مشروعات ضخمة لنقل الطاقة الكهربية وزادت كميات القدرة المنقولة زيادة ملحوظة ، وقد تم فى هذه الفترة انشاء الكابل البحرى بين النرويج والدانمرك - والمعروف باسم مشروع «SKAGERRAK» ويبلغ طوله ١٣٠ كيلو مترا وقد صمم هذا الخط لنقل قدرة تصل الى ١٠٠٠ ميجاوات وقد تم تدشين المرحلة الاولى عام ١٩٧٧ (٥٠٠ ميجاوات ) كذلك تم انشاء مشروع نقل قدرة تصل الى ٣٠٠ ميجاوات ، وجدير بالذكر أن عمق المضيق بين هاتين الجزيرتين يصل الى ٣٠٠ متر ، ونقل الطاقة الكهربية بين جزيرتى هونشو وهوكايدو ، ويبلغ طول الكابل البحرى فى هذا المشروع ٤٣ كيلو مترا لنقل بدأ هذا الخط فى العمل عام ١٩٧٩ .

## نقل الطاقة الكهربية بين بريطانيا وفرنسا عبر القنال الانجليزى

فى عام ١٩٨١ تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا على توصيل شبكات الكهرباء فى كل من الدولتين عن طريق وصلة بحرية جديدة تعمل بقدرة تصل الى ٢٠٠٠ ميجاوات لتحل محل الوصلة القديمة ، ويوضح شكل (١) مواقع الكابلات البحرية الجديدة وكذلك موقع الوصلة القديمة عبر القنال الانجليزى . وسوف يتم توصيل الشبكتين باستخدام ٤ أزواج منفصلة من الكابلات البحرية ويبلغ طول كل كابل ٥٠ كيلو مترا وبدون الدخول فى تفاصيل فنية ، سوف نعرض هنا لبعض الملامح المميزة لهذا المشروع والتى تعتبر انجازا تكنولوجيا ، لم يسبق للعاملين فى هذا المجال التعرض له من قبل .

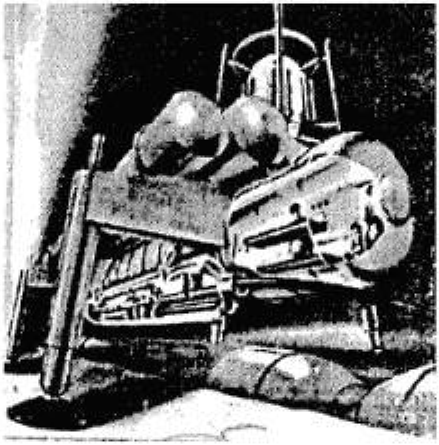
● وضع الكابلات البحرية تحت الماء

أظهرت الخبرة السابقة، أن مخاطيف السفن وأجهزة صيد السمك كانت سببا في الحاق بعض الاضرار بالكابل الراقد على قاع القنال ، وبالتالى فقد تم التوصل الى ضرورة دفن الكابلات الجديدة على عمق ١،٥ متر من قاع القنال ذات الطبيعة الطباشرية .

وبظهور ضرورة دفن الكابلات فى القاع على هذا العمق ، ونظرا لعدم وجود سابقة مماثلة لهذه العملية فقد تقرر أن تقوم كل من مؤسسة الكهرباء الفرنسية والهيئة المركزية لتوليد الكهرباء فى بريطانيا (     ) وهما الهيئتان المسئولتان عن تنفيذ هذا المشروع، تقرر أن تقوم كل منهما منفصلة بعمل الابحاث اللازمة للتوصل الى الوسيلة الفنية المناسبة لعملية دفن الكابلات البحرية فى قاع القنال الانجليزى ، وذلك ضمانا للتوصل الى حل لهذه المشكلة التكنولوجية الفريدة.

وقد تبنى الجانب الانجليزى فكرة تنفيذ هذه العملية على مرحلتين . الاولى شق خندق فى قاع القنال والثانية وضع الكابلات داخل هذا الخندق ودفنها .بينما تبنى الفرنسيون فكرة شق الخندق ووضع الكابلات فى نفس الوقت .

ويبين شكل ٢ ــ عملية شق وتجهيز القاع لوضع الكابلات البحرية وقد ابتكر الجانب الانجليزى لهذا الغرض مركبة يتم التحكم فيها اليا من سفينة تحكم ، وتقوم هذه المركبة بشق الخنادق اللازمة وحفرها فى القاع الطباشيرى ، أو الصخرى ، وتعتبر هذه المركبة انجازا تكنولوجيا فريدا ، حيث انها الى جانب قدرتها على شق القاع ، فانها مزودة بكاميرات



التصور المبدئى لمركبة اصلاح الكابلات

تليفزيونية وأجهزة حيوتية ( سونار ) ويتم التحكم فيها بواسطة كومبيوتر وذلك لتوجيهها بحيث تتبع مسارا محددا أثناء الحفر ويمكن متابعة عمليات حفرها على سفينة التحكم .

وتلى عملية الحفر ــ عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق المحفورة، وتستخدم لهذا الغرض مركبة أخرى تم تصميمها لهذا الغرض ويتم التحكم فى هذه المركبة من سفينة القاء الكابلات والتى تحمل زوجا من الكابلات كل بطول ٥٠ كيلو مترا ، ويبلغ وزن هذه هذه الكابلات ٢٤٠٠ طن ، ويبين شكل ٣ عملية وضع الكابلات ودفنها فى الخنادق الخاصة بها .

● تقنية أصلاح الكابلات تحت الماء

من الانجازات التكنولوجية لهذا المشروع ، تصميم مركبة خاصة لاصلاح الكابلات تحت الماء ، وهذه المركبة تشبه الغواصة الى حد كبير ــ ويستطيع الفنيون البقاء بها والعمل فى اصلاح الكابلات فى جو مريح ولمدة ٣ أيام متواصلة تحت الماء ويبين شكل (٤) التصور المبدئى لهذه المركبة .

# العالم غدا

## حصاد انجازات الوخز بالابر

شاع استخدام الوخز بالابر كعلاج لكثير من الامراض خلال العقود الاخيرة ، ولهذا كانت هذه الطريقة العلاجية محورا لجهود بحثية مستفيضة ٠

وقد اثبتت الدراسات فى مرحلة من المراحل ان النقاط الفعالة الموجودة على سطح الجسم الحى ، التى تتعرض للوخز فى العمليات العلاجية ، تتميز عن مساحات الجلد المحيطة بها من حيث قدرتها على تمرير الكهرباء ٠

وفى مرحلة بحثية تالية ظهر ان هذه القدرة تتغير على مدار اليوم والاسبوع والشهر والسنة ، وظهر ان منحنى تغيرها يتطابق بشكل كامل مع منحنى تغير شدة الموجات الكهرطيسية المنطلقة من الشمس ٠

ومع الزمن تأكدت فرضيات نظرية حول ارتباط خصائص نقاط الوخز ، على نحو ما بتغير الاشعاع الكهرطيسى فى الجسم ، وحول وجود مثل هذه النقاط على اجساد كثير من الثدييات ، حتى بات من المسلمات ان لها قيمة بيولوجية عامة ٠

ولعل اطرف الامور تحول هذه الفرضيات النظرية الى مناهج علاجية فيما يخص الملاحين الكونيين الذين سينطلقون فى رحلات بين الكواكب !! نظرا لأنهم سيبقون خلال هذه الرحلات منعزلين عن البيئة الخارجية وتاثيرها٠

ولن يدهش او يجهد القارىء فى البحث عن سبب عدم تحول هذه الفرضيات النظرية لمناهج علاجية واسعة الانتشار بين ظهرانينا على الارض ، اذا عرف ان ما يباع من الدواء فى السوق العالمية يناهز ٢٠٠ مليار سنويا ، وان جماعات ضغط شركات الادوية فى الولايات المتحدة الامريكية مثلا من اقوى جماعات الضغط داخل الكونجرس و ٠٠٠ فما بالنا بالاوساط الطبية العالمية ٠

ترى اين تقف مؤسساتنا الطبية من الانجازات العلاجية البعيدة عن الدواء وهى كثيرة وليست الابر الا نوعا واحدا منها ، هل لنا جهودنا الخاصة فى هذا الصدد ؟ أم ان التعلق بقواديس ساقية الدواء الدولارى هو الحل الاسهل ٠

## التخدير عبر التلفاز

لم تكن المريضة البالغة من العمر ٤٠ عاما بقادرة على تحمل عقارات التخدير لفرط فى حساسيتها تجاه عدد من المواد ٠ وتكرارا ، عند خلع عدد من اسنانها ، ساعدها احد الاطباء النفسيين فى المستشفى الذى تعمل — على تحمل الالام مستخدما الايحاء والامر ٠٠



مرت الايام وواجهت المرضة موقفا عصيبا فقد كان ولابد من استئصال ورم ظهر داخل جسدها . ولم تكن المشكلة في قدرة الطبيب اياه على تخديرها هذه المرة ، ولا في ثقتها في هذه القدرة ، وانما في أن الجراحة ستجرى في مدينة اخرى تبعد الف كيلو متر حيث المعهد المتخصص في استئصال الاورام.

انئذ اقترح الطبيب الصديق أن يقوم بتخديرها على البعد عبر شاشة التلفاز ، وفق طريقة محصها خلال ممارسة طبية دامت اكثر من عشرين سنة .

بعد أن وافق متخصص معهد الاورام رقدت المريضة على طاولة العمليات والموقف حولها يبدو غير طبيعي بالمرة .. المريضة ترقد وعيناها تبحلقان في شاشة التلفاز ، وعلى اذنيها سماعتان ينساب صوت طبيب التخدير منهما على نحو صارم :

ـ انتبهي . انتبهي انظرى الى عيني .. واحد اليد اليسرى شلت .. اثنان اليد اليمنى .. ثلاثة القدمان .. اربعة .. هكذا حتى فقدت الاحساس بجسدها تماما ، وراح مبضع الجراح يشق طريقه الى الورم والمريضة ترقد هادئة مطمئنة طوال ١٥ دقيقة حتى تم استئصال الورم بعدها ظهر القلق على وجه الجراح ، الذى حول الورم للتحليل السريع ، وطبيب التخدير على بعد ١٠٠٠ كيلو متر يؤكد له عبر الشاشات انه يضمن له أن يستمر التخدير اى وقت يريد، مهما كان طوله.

ثم ينتقل الى المريضة عبر الشاشة يسألها عن حالها : حالي جيد ولا احس باننى الم يا عزيزى » ..

الطريف أن التلفاز انتهز فرصة التجهيز الخاص لحجرة العمليات بحيث يسهل الاتصال بين طبيب التخدير والمريضة على البعد واذاع الجراحة على الناس مباشرة ..

ويؤكد الطبيب الذى قام بالتخدير أن وقتا طويلا لن يمر حتى تستخدم « القنوات التليفزيونية العلاجية » في علاج كثير من الامراض ( مثل اللجلجة وسلس البول الليلي و .. ) على البعد ..

وقد تم تمحيص التدخل النفسي بهذه الطريقة من خلال ٢٥٠٠ تجربة علنية تمت فيما يشبه الجلسات الجمعية للعلاج النفسى ، وهى تتم بدون الحركات المالوفة في جلسات التنويم المغناطيسي.

## • طائرة تعمل بالهيدروجين •

اختبرت بنجاح في الاتحاد السوفييتي الطائرة « تو ـ ١٥٥ » وهى اول طائرة تستخدم الهيدروجين كوقود في عالمنا. والمعروف أن الهيدروجين هو العنصر الاكثر انتشارا في الكون ، ومن الممكن الحصول عليه عند توفر الماء والطاقة

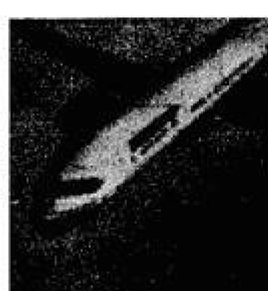
# العالم غدا

في أي بقعة من عالمنا ، وان نتائج احتراقه هي بخار الماء وقليل من غاز الاوزون ، مما لا يشكل أدنى ضرر على البيئة ..

وقد تم تجهيز الطائرة بحيث تحمل مستودعا من الهيدروجين السائل في درجة ٢٥٣ درجة مئوية تحت الصفر كما زودت بما يقرب من ثلاثين منظومة تؤمن عمل المحركات ، وتساعد على تحاشي حدوث حرائق أو انفجارات ، كما أنشئت مجموعة أرضية لتزويد الطائرات الجديدة بالوقود ووحدات اخرى لخدمتها ..

ويمكن عمل محركات الطائرة الجديدة [illegible]

واجتيازها مختلف انواع الاختبارات بدء تصميم وصنع طرازات منها يمكن استخدامها على خطوط نقل الركاب ..



## التوازن النفسي للطفل

لم يعد خافيا ان التقدم العلمي والتقني العاصف بات يمارس تأثيرات سلبية على الاطفال . فقد صار هؤلاء يتلقون جرعات اعلامية هائلة ( عن طريق التلفاز والفيديو والسينما أساسا ) بحيث صار نموهم النفسي يسبق كثيرا نموهم الطبيعي ..

ويوسع المرء اصطحاب طفله اليوم الى عمل فني مخصص للكبار . ولن يكون فيه ما يدهش الصغير من حيث المبدأ لانه بات يعرف شيئا عن جميع القضايا .. لكن المؤكد ان الطفل يقوم ما يجرى امامه تقويما غير صحيح ، ذلك ان تطوره الاخلاقي لا يلاحق سيل اصناف المعارف المتدفق حوله .

لقد ظل الانسان طويلا يعالج مشكلة عامل التشغيل ، او الضغوط النفسية [illegible]

واذا اضفنا مثل هذه الامور الى فيض اعباء البرامج التعليمية لما صار غريبا ان يتعرض للخلخلة التوازن النفسي للطفل وهو مازال بسبيله الى النضج .. ومن هنا ظواهر مثل صغر سن الاصابة بالامراض .. فقد صار بيننا اطفال يعانون من ارتفاع ضغط الدم والسكر والسرطان .. ناهيك عن بذور ظواهر خطيرة تتوزع على دائرة واسعة ، من التواكل الى معاملة الطبيعة والبيئة على نحو فظ .



● الابصار ليس ٦ / ٦ ●

عقود طويلة من السنين مرت وقد درج الانسان على تقويم نظرة اعتمادا على الحدة التي يجرى قياسها من تحديد اتجاه فتحات الحلقات المختلفة الاحجام ، على اللوحة المشهورة ..

لكن التطورات يؤكد ان حالة البصر لا تستقيم بالحدة وحدها فبصر [illegible] فرز المكونات الاساسية بدقة ، ومن هنا اجتهاد المتخصصين اليوم في التوصل الى اختبارات جديدة لتقويم القدرة على الابصار ..

وبين الاختبارات الجديدة اختبار صممه طبيبان لينينجراديان يتلخص في مراقبة المريض من وراء فتحة عرض لـ ٨ جداول وهى عبارة عن اشرطة متنوعة العرض واللون تتابع حركتها البطيئة على التوالى من اعلى الى اسفل - وتكون مهمة المريض تحديد اللحظة التى تبدأ العين عندها فى تمييز بداية كل شريط ، وتترجم نتائج مشاهدة المريض فى مخطط واحد يجرى انكساراته فى تعيين هذا الخلل او بموجبه تقدير البصر .

وجدير بالذكر أن هذه المخططات او المنحنيات يمكن ان تساعد فى تشخيص عدد من الامراض فى اطوارها الباكرة مما يساعد على علاجها

● وسائل جديدة لمنع الحمل ●

انطلاقا من عدم فعالية وسائل منع الحمل الموجودة ـ على كثرتها لتعارض بعضها مع كثير من الاذواق ، ولعدم راحة بعضها الاخر فى التناول والاستعمال و .. تبذل جهود مستمرة للتوصل الى وسائل جديدة ايسر ، مثل حقن ولزقات الهرمونات ..

وتسعى منظمة الصحة العالمية الى [illegible]

ونظرا لان هذا اللقاح هو فى التحليل الاخير وسيلة للاجهاض المبكر وليس لمنع الحمل ، مما يجعل استخدامه منافيا لتقاليد كثير من المجموعات البشرية ، يجرى اعداد اللقاح الثانى من بروتين يؤثر على جدار البويضة فيمنع افراز المادة التى يتعرف الحيوان المنوى من خلالها على هدفه ، وبالتالى لا يحدث اللقاء ولا يتم الاخصاب بالمرة .

قصة قصيرة
من المكسيك

# مانيو سالين قرية بلا زمن

تأليف: جيراردو ماريا
ترجمة: شوقي فهيم



جيراردو ماريا كاتب قصة قصيرة . ولد في المكسيك عام ١٩٥٦ ظهر اول كتاب له عام ١٩٧٤ وكان عمره ثمانية عشر عاما . يعتبر جيراردو ماريا ان اهتماماته الاساسية هي علم الاجتماع، والاقتصاد ، والعلوم السياسية.



ـ « قلت اين كانت توجد ؟ »

ـ « هناك فوق ، خلف الجبال . انها تغطي كل الوادي تقريبا

ـ « وماذا حدث لهذه القرية ؟ لابد انه كان شيئا غريبا للغاية » .

ـ « هناك اساطير كثيرة وحكايات شعبية قديمة ولكن اميل الى تصديق ما رواه لي جدي منذ عشرات السنين لانه كان مسئولا عن برج الجرس » .

ـ « استمر ياميليتون، ماذا قال جدك ؟

ـ لم اعد اتذكر كل شيء بالتفصيل ، لكني ساحاول : كانت مانيوسالين قرية مزدهرة بكل المقاييس . لقد اسسها الكهنة الفرنسيسكان ، لكن اول رئيس للمجلس البلدي يدعي لنفسه انه وضع

حجر الاساس . كان رجلا قصيرا بدينا ذا شارب اكبر من رأسه وقدميه معا . وطبقا للشائعات السائدة كان هذا الرجل دائم الشجار مع كاهن الكنيسة الصغير ، ولكن احدا في الحقيقة لم يعرف سبب هذا الشجار . الا ان ثمة شيئا واحدا مؤكدا وهو ان كليهما كل من جانبه ، كان يرغب في البقاء بالقرية

« كانت توجد حول القرية عدة مزارع ومباني تحيط بها ، وهذه دخلت في زمام القرية عندما ازدهرت . كانت مكانا بالغ الغنى والثراء ، حيث الشوارع مرصوفة والمجارى تعمل في كل مكان . وفي الليل كانت مصابيح الغاز تبدد الظلام ، وعشرات من الحراس كانوا يدورون في الطرق ويصحبون المتنزهين . كانت هذه القرية اول مكان تصنع فيه السيارات والشاحنات جاءت الثورة من المناجم التي كان كهنة الكنيسة يديرونها ، وبهذه الاموال جلبوا حكماء هذه الفترة من أجل استخدام حكمتهم لخدمة الوادى . هنا عاش اينشتين ، وماركس ، وجوتنبرج ، ولافوازيه ، وداروين ، وكثيرون غيرهم . وعاليا ، في اعلى مكان بالوادى ، كان ثمة مبنى كبير جميل عاش فيه كل هؤلاء وعملوا ، مشاركين من خلال اكتشافاتهم في تقدم القرية وازدهارها .

« كان الكاهن يرتدى دائما رداء ابيض ويعظ الناس . علم الجموع واطعمهم ، بطريقة معجزة ، بعدد قليل من الارغفة . قالوا ايضا انه حاول ان يحول الماء في الانهار الى نبيذ ، مؤسسا بذلك اول شركة لصناعة النبيذ في المنطقة . كان ينام عادة في بيوت اصدقائه ، وكان شغفه الرئيسي ان يجلس وسط حديقة خلف الكنيسة . كان الاهالي الاصليون في المنطقة يسمونها حقل الزيتون . كان الكاهن ، الذى لم يعرف اسمه احد ، هو الذى قام بمعظم العمل بالاشتراك مع رجل اسمه بطرس ، الذى هو جدى .

« عاش بطرس في اعلى مكان على التل جهة الشمال ، وهناك بنى برجا عاليا جدا اذ اراد ان يصل الى السماء ولما لم يفلح في هذا ، جعل من البرج مكانا للجرس يخبر به عن الوقت . ساعة بعد ساعة كان بطرس يصعد الى قمة البرج ليدق الجرس ، ولما كان احد لا يحب استعمال الساعات ، فقد اعتمد الجميع على دقات الجرس لمعرفة الوقت . وزيادة على ذلك فان المخمور ، وسنابل القمح ، والحقول التى شقتها المحاريث لم تعد تحسب الوقت واسلمت قيادها الى صوت الجرس وجد بطرس بالحساب ، ان الصعود الى الجبل والنزول منه يستغرق ساعة ، ولذلك ، فما فعله هو انه كان ينزل من الجبل ، ثم يستدير ويصعد اليه ويدق الجرس ولما اراد ان يكون نافعا ومفيدا اثناء رحلة الصعود والهبوط كان يفكر في مشاكل العمل ويعطى الحلول للكاهن الصغير ذى الرداء الابيض . وهؤلاء الذين عرفوه لم يتخيلوا انه مشغول بهذه المسائل اكثر من عملية الصعود والهبوط من الجبل » .

« وكيف حدث انهم خسروا كل شيء ؟

« انتظر لحظة ، سوف اصل الى هذه النقطة » .

« لبعض الوقت سارت الامور على ما يرام ، وبافكار الرجال الحكماء ، ومغامرات الكاهن في العمل ، والحلول التى يقدمها بطرس ، كانت القرية تزدهر وتزدهر . جاء الخبراء الاقتصاديون من كل مكان لزيارتها ، ولم يستطيعوا تفسيرا لهذا التقدم ولا لهذا الثراء .

قصة قصيرة من المكسيك

# ماتيو سالين
# قرية بلا زمن

كان المستوى الثقافى للناس مرتفعا حتى ان صناع الاحذية هجروا ادوات مهنتهم وافتتحوا مدرسة يتعلم فيها من تخرجوا فى كل التخصصات، حتى الادباء جاءوا ليتعلموا منهم • ولم يعرف احد بالضبط سبب هذا التقدم السريع، اذ ان الكهنة لم يصلوا الا منذ عشرين عاما ليعلموا الانجيل لهنود أمريكا • حتى ان كورتس نفسه خلع قبعته وجعل جنوده يمرون من الجانب الاخر دون ان يمس هذا المكان المقدس كما اعتقد

• لكن، شأن كل المشاريع العظيمة التى تنتهى، كان على قرية ماثيوسالين ان تختفى • وقد حدث هذا بسبب سرها الخاص، الذى تمثل - حسب رواية جدى - فيما يلى :

• ذات يوم، قبل ان تصبح القرية مزدهرة، صعد الكاهن ليتام فى برج الجرس • وفى الطريق قابل بطرس ودعاه الاخير لتناول الغذاء وليمضى الليل معه • كانت الشمس فى طريقها للمغيب واسرعوا قليلا فى طريقهم الصاعد حتى لا يدركهم الليل بظلامه • وحين وصلا الى برج الجرس، دار الحديث بينهما لساعات وساعات، ونسى بطرس ان يدق الجرس • وحين ادرك ذلك وخرج لينظر الى الليل، وجد ان الزمن متوقف ولم يمر اى وقت • كانت الشمس والسحب، والنجوم الاولى، كل شىء كما هو • كان الناس فى الوادى لا يزالون يعملون كما لو ان شيئا لم يحدث نقل هذه الاخبار الى الكاهن الذى اكدها : لقد وقف الزمن ساكنا • قررا ان ينتظرا دون دق الناقوس • ورأيا ان الزمن لم يتحرك • فقط بعد ان حرك بطرس الحبال وارسل الجرس دقاته واضحة وجاء الصدى كأنه يرد عليها، فقط بعد هذا هبط الليل • اذهلت المفاجأة والاعجاب كليهما ولكنهما لم يلفظا حرفا واحدا •

• فى اليوم التالى صعد الكاهن مرة اخرى واجريا التجربة من جديد : وكانت النتيجة واحدة، ثم جربا فكرة الاسراع بدق الجرس فجاء الفجر، ثم قرعا الجرس اثنتى عشرة مرة، وجاء الليل دون ان يظهر على الناس انهم تأثروا بذلك، وبعد ذلك جعلا الوقت فجرا وغسقا، ثم اصبح عصرا ثم صباحا، حتى تأكدا من قوة الجرس فى مملكة الزمن • واخبرنى جدى فيما بعد ان التحكم فى الزمن كان ممكنا فى الوادى فقط، لان الجبال كانت تحجز الصوت فلم يكن يصل لمسافة ابعد •

• ولعدة شهور كانا يحاولان توقيف الجرس وقوته، وذات يوم اكتشفا ان محاصيل السنة يمكن الحصول عليها فى دقائق قليلة • عندئذ فكرا فى عمل كبير • كانت المشكلة الوحيدة ان الناس ادركتهم الشيخوخة بسرعة رهيبة، كما حدث لهما شخصيا، ولهذا السبب قاما بعمل تجهيزات تجعل الجرس يدق وحده بسرعة أكبر، وتركا القرية حتى لا يسمعاه • وبهذا امكنهما تجنب الشيخوخة المبكرة، وسارت الامور كما يريدان وحصلا على مكاسب كبيرة فى بضعة ايام •

• لم يدرك السائحون ابدا ان اهل القرية

كانوا مختلفين كل شهر عن الاخر لانهم كانوا يتغيرون ويموتون بسرعة فائقة طبقا لسرعة الزمن واذ اخذوا بالتقدم الذى حدث للقرية ، يتوقفون لينظروا فى وجوه الناس وكان رئيس المجلس البلدى ، ظاهريا ، يعى السر واراد ان يشارك فى جنى ثمار العمل ، واذ اعترض الاخران على هذا ، اختار هو شراء مشاريع مختلفة وترك القرية فى الزمن الذى تتحكم فيه دقات الجرس: وبهذا امكنه هو ايضا ان يصبح غنيا .

– « وكيف حدث انك انت واسرتك لم تهلكوا مع القرية » ؟

– «لان بطرس «جدى» طلب من والدى ان يرحل، وقال انه سيرسل لنا نقودا كل حين .

« بين وقت واخر كنا نتلقى اخبار الانجازات والتقدم فى ماتيوسالين وما كنا نفعل سوى ان نغمض عيوننا ولا نفتح افواهنا حتى لا نكشف سر جدى . كانت السنوات الحقيقية فى باقى العالم تمر وتتوالى، وبلغ بطرس سن الشيخوخة ومات . ترك لنا ثروته الهائلة، ولكننا لم نستطع جمعها ابدا، لانه عندما مات ، ماتت القرية ايضا . يقول الكثيرون انه عند لحظة وفاته طار كل شىء فى الهواء مع انفجار هائل فى قلبه الملىء بالندم وتأنيب الضمير . ويقول اخرون انه حدثت مذبحة بين اولئك الذين كانوا فى جانب الكاهن وبين الذين وقفوا فى صف رئيس المجلس البلدى ، بينما يقول البعض الاخر ان ثقل التقدم جعلهم يغوصون فى باطن الارض، واخرون يقولون .. ويقولون .. لكن شيئا ليس مؤكدا .

« الحقيقة انه عند موت بطرس كان الزمن يبدىء من سرعته بالتدريج ورغم جهود الكاهن تحمل الناقوس يعمل مرة اخرى ، وشيئا فشيئا احس كل واحد ان الحياة بطيئة جدا وان الكاميليا تنمو ببطء ، ببطء شديد والسيارات التى وجدت بشكل هائل الانتشاء الازدهار والتى حققت سرعات هائلة اثناء تراجيديا الزمن ، حتى، ان مؤشر السرعة كان يصل الى ٢٠٠٠ كيلو متر فى الساعة ، وهذه السيارات اصبحت بطيئة بطيئة جدا . وعندما حدث بالصدفة ان سقطت بعض الاشياء على الارض ، سقطت مثل كل شىء ، ببطء شديد شديد وبدا ان قلوب الناس لاتدق، لكنها كانت تدق ، وانما ببطء شديد شديد . وهكذا بدأ سكان القرية يموتون ، حتى جاء اليوم الاخير، وقد توقف الزمن تماما ، فاختفت كل الاشياء : الوادى ، والكنيسة ، وبرج الناقوس ، والرجال الحكماء ، والسيارات، والكاهن الصغير برداءه الابيض ، اختفى كل شىء

– « يالها من قصة مضحكة حقا » .

– « نعم ، واغرب شىء هو ما حدث لهؤلاء الرجال بعد ذلك الم تشعر ابدا بقشعريرة مفاجئة ، دون اى سبب؟ او هل فكرت ان شخصا ما يحملق فيك فى اى ملعب خاو من الناس ؟ او لم تفكر ابدا ان شخصا ما يسير الى جوارك فى الشارع حيث لا يوجد احد بالمرة ؟

هؤلاء هم سكان ماتيوسالين ، القرية التى عاشت بلا زمن ، يهيمون على وجوههم هنا وهناك فى هذا العالم بحثا عن الزمن الذى لم يمتلكوه ابدا فى واديهم » .

دراسة الهلال

# نحو خريطة جديدة لمصر

بقلم : د. يوسف أبو الحجاج

لعله من المفيد ان نتفق على المقصود بعبارة « خريطة جديدة » . الذى نعنيه بكل بساطة هو الصورة العمرانية المنتظرة للقطر المصرى التى تتألف جزئياتها من مجابهة المشكلات الاساسية التى تعرقل عجلة التقدم الحضارى وتحول دونها ودون الانطلاق .

لن نتحدث هنا عن خريطة تزخر بالصناعات الثقيلة ، والفيافى الفسيحة المستصلحة واحدث نظم التعليم واعظم الجامعات ، وافخم المستشفيات ، وارقى طرق المواصلات وما الى ذلك من اضواء وردية تتمناها وتهفو اليها نفوسنا ، وان كان الاحجى ان نرجئها الى حين .

انما هى خريطة مصر التى انجزت علاج امراضها الاساسية القاعدية ، التعليمية منها ، والاقتصادية والسلوكية على حد سواء .

خريطة استقام فيها امر « الجذور » و« البذور » ، واختفت منها « امهات » المشكلات المعوِّقة ، واصبحت بذلك مُعدَّة للانطلاق العظيم .

ودون مزيد من المقدمات ـ وما اكثر ماتعانى من طول المقدمات ! ـ تعال بنا ايها القارىء الكريم نستعرض سويا مايمكن عمله فى هذا المضمار .

---

● يوسف ابو الحجاج حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية لعام ١٩٨٧ وهو امين عام الجمعية الجغرافية المصرية وعضو المجمع العلمى المصرى وخبير بمجمع اللغة العربية .

من نافلة القول ان نقرر ان الهدف من أية رؤية مستقبلية اصلاحية انما هو محاولة رسم الطريق الى التقدم الحضارى بمعناه الشامل ، املا فى اللحاق بالركب المتحضر فى عالمنا الراهن ، ايا كان موقع هذا الركب على خريطة العالم : فى اوربا او فى امريكا او فى الشرق الاقصى على وجه التحديد .

وقد اتيح لفئة منا نحن ابناء مصر معايشة هذه البيئات المتحضرة فى عقر دارها ، والوقوف بذلك على مدى اتساع الهوة بين اوضاعها واوضاعنا وبالتالى تكوين فكرة واقعية عن صورة الخريطة الجديدة المنشودة .

والمشكلة ان هذه الفئة لاتؤلف الا نسبة ضئيلة من مجموع المواطنين وتبقى الاغلبية الساحقة التى لم تتح لها مثل هذه المعايشة المباشرة ، وقد يتسنى لطائفة منها تصور مقبول عن شكل التقدم المستهدف مما يستخلص من القراءة او السماع او مشاهدة الوسائل البصرية الحديثة ، ولكن النسبة الكبرى من شرائح المجتمع هى فيما نعتقد ممن لم تسعدهم الظروف حتى بمثل هذا التصور من بعد .

ولهذه الاغلبية ينبغى ان تتجه الانظار .

ماذا لو وضعت خطة لايفاد قادة العاملين من افراد هذه الاغلبية فى بعثات قصيرة لهذه الدولة او تلك من دول العالم المتقدمة ، بهدف التعرف المباشر ، بقدر الامكان على مظاهر الحضارة الحديثة ، مادية وغير مادية ، وعلى سلوكيات الناس ، عاملين وغير عاملين ، الشباب منهم والشيوخ ، الرجال منهم والنساء ؟

قد تكون هذه البعثات لمدة شهر او نصف شهر ، وفقا للتخطيط المرسوم وقد يوفد بعضها لاوربا او امريكا وقد يوفد بعضها الاخر لليابان او الصين ، بل قد يوفد فريق منها الى بلاد مثل كوريا الجنوبية التى نجحت فى القفز باقتصادها الى اعلى عليين والتى اصبحت تنافس اليابان اليوم فى بعض المجالات ، وارتفعت قيمة صادراتها الى بلايين الدولارات .

كيف يعمل الناس هناك وكيف يتعاملون ؟ بأية صفات خلقية وسلوكية يتصفون ؟ ما مدى التزامهم بالصدق فى القول والجدية فى العمل ، والامانة فى التعامل ؟ مامدى حرصهم على النظام ورعاية المرافق العامة ؟ وكيف يسلكون فى اماكن عملهم من مصانع ومدارس ومستشفيات ودواوين حكومة وغيرها ؟ وماهى وسائلهم ، التكنولوجية وغير التكنولوجية ، فى اداء مايقومون به من اعمال ؟

كل ذلك وكثير غيره من شأنه ان يصبح جزءا لايتجزأ من التصور بل والتكوين الفكرى للمبتعثين ، مما سينعكس بكل تأكيد فى حياتهم الوظيفية وغير الوظيفية حين يعودون للوطن ، ويجعل منهم – ومن مرؤوسيهم ومخالطيهم الى حد كبير – عناصر ايجابية فى رسم خريطة مصر الجديدة .

سوف يكون لقوافل التنوير هذه فعل السحر فى النفوس فيما نرى ، وقد صدق من قال ان الخبر ليس كالعيان .

ومن الطبيعى ان يحتاج تنفيذ مثل هذا المشروع الى قدر كبير من التنظيم الدقيق ، قد يحتاج مثلا الى هيئة قومية

خاصة تحدد الاولويات لمن يبتعثون ( المديرون اولا ثم رؤساء الاقسام على سبيل المثال ) وتتصل بسفاراتنا فى الخارج للاسهام فى عمل الترتيبات اللازمة لافواج الموفدين ، وتتولى تنسيق المواعيد ، ووضع برامج التوجيه والارشاد ، الى غير ذلك من جوانب التخطيط والتنفيذ .

ومن الطبيعى ان يحتاج هذا المشروع الى تمويل سخىّ ، ولكن الفائدة المرجوة لاتقدر بمال ، وتمويل مثل هذا المشروع انما هو فى الحقيقة استثمار تنويرى ناجح بكل المقاييس . ثم إنه من المتوقع بل والمرجح ان الكثير من الدول المتقدمة سوف تسهم فى نفقات اقامة هذه البعوث [illegible] هذا المقال وزميل له زيارة مدتها اسبوعان لمؤسسات علمية معينة فى احدى الدول الاوربية المتقدمة ، وهى زيارة نظمتها وموّلتها هيئة من تلك الهيئات .

وحتى لايتردد احد فى تقبل « مصداقية » هذا المشروع نود ان نلفت الانتباه الى ان اليابان فى بدء نهضتها الحديثة فى القرن الماضى قد بعثت بالكثيرين من ابنائها فى زيارات قصيرة إلى الدول المتقدمة فى ذلك الوقت ، ومنهم من جاء الى مصر ، بهدف التعرف على مقومات نهضتها حينذاك .

● الثواب والعقاب

امر آخر سيكون له فيما نعتقد أبعد الاثر فى تصميم خريطتنا الجديدة ، هو تطبيق مبدأ الثواب والعقاب فى كل مجال .

لامندوحة من اثابة المجدّ الملتزم ، طالبا كان او من العاملين ، وفى اى موقع كان وثمة الوان عديدة من الاثابة والحوافز ، المادية منها والادبية ، لاشك فى قيمتها فى التشجيع واستنهاض الهمم والحث على الانجاز طالما وضعت لها القواعد المضبوطة التى يراعى التدقيق فى تطبيقها والتى تكون حقا للمستحقين .

ولامندوحة ايضا من عقاب المخطىء والمتسيب ، وكل من يضنّ بالعطاء اذ يستطيع العطاء . وهنا ايضا سنجد العديد من الوان العقاب ودرجاته ، [illegible] ويتلاشى الانضباط ، وتتعطل المسيرة .

● الامية .. معوّق وسُبّة

لعل الامية هى اخطر المعوقات فى سبيل التقدم الذى نصبو اليه ، خاصة ان نسبتها لاتزال اكثر من ٥٠٪ فى جميع التقديرات

وغنى عن البيان ان تفشى الامية فى

المجتمع هو قرين التخلف وهو العدو اللدود للتنمية الصحيحة في كل مجالاتها .

ومن الصحيح ان انتشار التليفزيون ــ ومن قبله الراديو ــ قد اسهم في نقل المعرفة للأميين دون حاجة الى الكتاب ، ولكن هذه الاجهزة لاتنقل الا النزر اليسير ، والمعارف التي تنقلها مفروضة على المشاهد والسامع فرضا تسلبه حق الاختيار كما تسلبه إمكانية المراجعة ، فضلا عن انها لاتتوفر بالضرورة لجميع المواطنين

لامناص اذن من محو الامية محوا تاما وفى اقرب وقت ممكن ، فالامى يعيش في ظلام دامس من الجهالة ، ويظل طيلة حياته عاجزا عن فهم العديد من الامور التي تمس التنمية المنشودة في الصميم ، والتفصيلات هنا كثيرة ، وما اظن ان القارىء بحاجة الى سردها او حتى ضرب امثلة عليها : لا خلاف فيما نعتقد على ان الامي عضو ناقص في المجتمع ، بل هو معوّق لركب التقدم في الامد القصير والامد الطويل على السواء ... ومن البحث [illegible]

عن اى ابداع .

والامية فوق ذلك سُبّة ووصمة ، ويكفي ان نعلم ان متوسط الامية في العالم قد قدر في عام ١٩٨٥ بنحو ٢٨٪ بينما النسبة في مصر لاتزال كما اسلفنا اكثر من ٥٠٪ بل ان العدد المطلق للاميين قد زاد عن ذى قبل ، وهو في ازدياد مستمر في ضوء تزايد السكان

ومن الطبيعي ان بناءنا الحضاري كله سيبقى دائما معرضا للانهيار او التصدع في اقل القليل ــ طالما ظلت الامية تنشب اظفارها على هذا النحو الرهيب ، ومحو الامية هو في الواقع اساس حتمى لابد من ارسائه قبل ان نطمع في ارتفاع البناء .

ذلك مافعلته كل دول العالم المتقدم ، وهو ايضا مافعلته الدول الاخيرة في التقدم بخطى سريعة من امثال الصين الشعبية ــ بلد الالف مليون ــ وكوبا ، اللتين قضيتا على الامية ــ او كادتا ــ في بضع سنين

وطريق العلاج الذي لاطريق غيره هو ان نقتنع اولا بأن محو الامية ينبغي ان تكون له اولوية خاصة في خريطة التعليم باعتباره « جذور » الشجرة ، واساس البنيان ، ويأتي بعد ذلك شن حملة قومية تجند فيها كل الامكانات المتاحة : امكانات الحكومة وامكانات المواطنين على حد سواء .

ليس من الضروري ان تقتصر فصول محو الامية على المدارس وحدها ، بل [illegible]

وليس من الضروري كذلك ان تقتصر مهنة التدريس على المؤهلين لهذه المهنة التأهيل التربوي المثالي ، فالباب مفتوح امام كل قادر على تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، سواء كان طالبا ، او اماما في مسجد ، او موظفا يحمل مؤهلا متوسطا او عاليا ، او غير هؤلاء وهؤلاء من القادرين المتحمسين .

ومن الخير ان تكون هذه الحملة

القومية مصحوبة بالاعلام على اوسع نطاق ممكن فى التليفزيون والاذاعة وفى الصحف ، وفى المساجد والكنائس وفى اماكن العمل وفى دور السينما والمسارح وذلك فى اسلوب حماسى شلاق يتناسب مع مواجهة هذه الكارثة القومية الخطيرة .

على ان تركيزنا على مكافحة الامية لايعنى بطبيعة الحال التلكؤ فى تنفيذ مختلف جوانب التطوير الاخرى فى التعليم .. ومن حسن الحظ ان هذه الجوانب تشهد اليوم مشروعا ثوريا للتطوير يقوم على استراتيجية محددة واضحة المعالم .. وترتكز هذه الاستراتيجية على عدة محاور منها التوسع فى التعليم الفنى ورفع مستواه ، وحسن اعداد المعلم وتاهيله ، وتوفير التمويل اللازم للتعليم فى كل مراحله ، وزيادة فعالية الادارة التعليمية فى المدارس والجامعات ، وتمتد هذه الاستراتيجية الى الارتقاء بالمستوى الكيفى للتعليم العام ، وبمستوى الثانوية بوجه خاص ، كما تمتد الى تطوير نظم التعليم العالى وانماطه واساليبه ، والى زيادة فعالية الدراسات العليا والبحوث ، ومن شأن كل ذلك ان ينعكس حتما على رسم خريطة التعليم الجديدة التى يؤمل تحقيقها فى مستقبل غير بعيد .

والهدف الذى نرمى اليه من التركيز على مشكلة محو الامية انما هو الحث على ان يكون علاج هذه المشكلة فى موضع القمة بين اولويات التطوير فى قطاع التعليم . مرحبا بادخال الكمبيوتر فى مدارسنا الثانوية ، وبالتعليم من بعد عن طريق المراسلة او الجامعة المفتوحة وبالتعليم المستمر ، وبتعليم تكنولوجيات الاجهزة الطبية وبغير ذلك من جوانب التطوير العديدة اللازمة فى عصرنا الحديث .. كل ما نامله هو ان يكون محو الأمية فى بؤرة الاهتمام ، حتى يقوم البناء على اساس سليم .

## ● ضرورة حضارية

« اساسية » اخرى ينبغى ان تحتل مكانا علياً فى سلم الاولويات هى العناية باللغات الاجنبية فانه غنى عن البيان ان منابع الحضارة المعاصرة تتركز فى اوربا وامريكا فى المقام الاول ، والالمام بلغة او لغتين رئيسيتين فى هذين العالمين الكبيرين هو اذن ضرورة حضارية بلا جدال .

وقد اتى علينا حين من الدهر كنا نقدر فيه تعليم اللغات الاجنبية حق قدرة ، وكان المنهج فى المرحلة الابتدائية منهجا ممتازا حقا ، ودون ان يكون لذلك ادنى تأثير على مستوى اللغة العربية . وفى التعليم الثانوى كان تعليم اللغات الاجنبية يسند الى مدرسين انجليز وفرنسيين الى ان تم ترحيلهم الى بلادهم قبل الثورة .

ومن اسف ان الصورة اصبحت اليوم غيرها بالامس ، فلم تعد اللغة الاجنبية من مقررات المرحلة الابتدائية بحجة الحفاظ على مستوى اللغة الوطنية ، وتضاءل الاهتمام باللغات الاجنبية فيما بعد المرحلة الابتدائية من مراحل التعليم العام

بحيث لم يعد تحصيل التلاميذ منها يزيد على القشور . بل ان هذا الضعف فى اللغة الاجنبية قد امتد الى الجامعة ، حتى بالنسبة لكليات الاداب التى تدنى مستوى خريجيها بحيث لايستطيع الواحد منهم ان يفهم جملة واحدة فى كتاب اجنبى ، مع استثناء خريجى اقسام اللغات بطبيعة الحال .

وسوف يفسر التاريخ يوما كيف حدث هذا الجفاء بين مناهج التعليم واللغات الاجنبية فى مصر ، فى دفعات متلاحقة كأنها سلسلة غليظة متعددة الحلقات صنعت صنعا ، كأنما اريد بها ان تكون قيدا على العقل المصرى ، يحول بينه وبين اسباب الحضارة الحديثة .

ولن يغفل التاريخ تسجيل حصيلة هذه المأساة ، الا وهى التقوقع العلمى والتكنولوجى الذى اخذ ينتشر فى مجتمعنا انتشارا النار فى الهشيم ، وما اكثر مايفوتنا اليوم من ثمرات المطابع الاوربية والامريكية من كتب وابحاث ودوريات علمية فى كل فروع المعرفة ، وما اكثر مايفوتنا من افلام تعليمية وثقافية ، وميكروفيلمات ، وميكروفيشات ، وبرامج كمبيوترية ، وغير هذه وتلك مما يشكل تلك الثورة الجديدة فى عالم المعرفة ، ثورة المعلومات .

ولعله من الواجب هنا ان نذكر بالعرفان فضل من ترجموا بعض المراجع العلمية ، وفضل امثال الدكتور مصطفى محمود فى تعريب الافلام التعليمية التى يذاع بعضها فى صورة برامج تليفزيونية وفضل غيرهم ممن تنبهوا الى نقل اقباس اخرى من الحضارة المعاصرة الى لغتنا العربية ومع ذلك فهذه قطرات فى بحار لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ويبقى اننا بسبب هذا الضعف فى اللغات الاجنبية ، لانزال فريسة لهذه الغربة الحضارية الفتاكة ، الا يعجز الكثيرون منا حتى عن فهم النشرات الارشادية المصاحبة للادوية والاجهزة والالات وغيرها من الواردات الاجنبية ؟

والمخرج فيما نرى هو العودة للتركيز على التحصيل الرشيد للغات الاجنبية ، ابتداء من مرحلة التعليم الاساسى ، ولعل فى الاقبال على مدارس اللغات فى الوقت الحاضر دليلا على ادراك اولياء الامور لاهمية اللغات الاجنبية ، ولعلنا فى الوقت نفسه ننزع من تصورنا فكرة ان اللغة الاجنبية تضعف من مستوى اللغة القومية فى السنوات الاولى من التعليم العام ، فلهذا الضعف اسباب اخرى ، وهو فى الواقع جزء من ضعف التلاميذ فى سائر المواد .

ولعله لا مانع ايضا من الاستعانة بمدرسين انجليز وفرنسيين فى المرحلة الثانوية ، على غرار ماكان من قبل ولاخوف منهم ولاضير فى استخدامهم ، فهم سيكونون منتدبين للعمل فى الحكومة المصرية ، ولافارق فى ذلك بينهم وبين من نستخدم من خبراء اجانب فى مجالات اخرى ولعلنا نستفيد بخبراتهم فى تدارك مافات وقد نستغنى عنهم حين نرى الخير فى هذا الاستغناء .

## ● الخريطة الاقتصادية

فى ضوء هذه النظرات التى تنصب على « الانسان المصرى » نفسه ، ذلك الانسان الذى نريده مواطنا مستنيرا ، يجيد القراءة والكتابة على الاقل ، وربما اتيح له ان يرى رأى العين كيف تتحرك

المجتمعات المتحضرة ، او ان يتعرف على هذه الحركة من وسائط معلوماتها المختلفة .. مواطنا يعيش فى مجتمع يضمن الاثابة لمن احسن والعقاب لمن اساء ويصمم على تحقيق النهضة الشاملة - فى ضوء ذلك ننتقل الى خريطتنا الاقتصادية ، أم الخرائط و« جماعها » ان صح التعبير .

ومن الطبيعى ان نبدأ هنا بالخريطة الزراعية ، فهى الدعامة فى مجتمعنا الزراعى ، ونحن فى امس الحاجة الى تطويرها فى اكثر من جانب من جوانبها المتعددة .

وقد بذلت جهود كبيرة حقا فى سبيل زيادة الانتاج الزراعى ورفع انتاجية الفدان ، فارتفعت انتاجية القمح مثلا الى اكثر من ١٣ اردبا للفدان بعد ان كانت من قبل اقل من عشرة اراديب ، بل انها وصلت هذا العام ( ١٩٨٨ ) الى اكثر من عشرين اردبا للفدان فى بعض المسلحات ، كذلك تم استصلاح نحو ثلثمائة الف فدان فى الخطة الخمسية السابقة ( ١٩٨٢ - ١٩٨٧ ) ، كما ان المساحة المحصولية قد ارتفعت بعد السد العالى من نحو تسعة ملايين من الافدنة الى نحو احد عشر مليون فدان .

وقد تعددت الاقتراحات والتوصيات التى تستهدف على الاقل تضييق هذه الفجوة الخطيرة ويبدو لنا انه من بين وسائل الخروج من هذا المأزق ينبغى ان تكون التنمية الرأسية فى بؤرة الاهتمام بمعنى ان تكون فى قمة الاولويات .

والمقصود بالتنمية الرأسية هو اصطناع الاساليب التى تؤدى الى زيادة انتاجية الوحدة المساحية ( الفدان ) بمعنى الحصول على غلة اكبر فى نفس المساحة ، وقد شهد العالم ثورة علمية وتكنولوجية مذهلة فى هذا المجال فى السنين الاخيرة .. ومن عناصر هذه « الثورة الخضراء » مايتصل بالبذور المحسنة ، والمخصبات الكيماوية المتطورة ، والتهجين ، والاصناف المبكرة النضج العالية الغلة والمبيدات الحشرية ، وانسب الدورات الزراعية ، والزراعة المحمية فى الصوبات .

وبفضل هذه الوسائل العلمية وامثالها شهد انتاج الحبوب فى دول شرقى اسيا مثلا تطورا كبيرا بحيث توفر لدى هذه الدول مخزون استراتيجى من هذه الحبوب وخاصة من الارز فأصبحت من الدول المصدرة لهذه الحبوب بعد ان كانت من مستورديها منذ سنين قليلة ومن الامثلة المعروفة فى هذا المضمار اندونيسيا التى كانت تستورد الارز فأصبحت تنافس غيرها فى سوق التصدير وقد وصلت اندونيسيا الى هذه القفزة بعد حملة قومية اعطى المزارع خلالها كميات معينة من تقاوى الارز المحسنة ومن الاسمدة والمبيدات الحشرية ، مع قرض مالى ، وتولى الارشاد الزراعى عدد كبير من خريجى الجامعة وطلابها فى اطار نظام محدد للتجميع الزراعى للحيازات الصغيرة ، ومع ضمان الحكومة لحد ادنى لسعر الارز ، وهكذا ارتفع الانتاج وفاض عن حاجة السوق المحلية ، وكل ذلك رغم ارتفاع معدل الزيادة السكانية فى اندونيسيا التى يتوقع ان يصل سكانها الى اكثر من مائتى مليون نسمة عند نهاية هذا القرن .

ولايزال امامنا الكثير مما يمكن تحقيقه فى مجال التنمية الرأسية . واذا كان متوسط انتاجية القمح قد وصل فى هذا العام الى اقل من طنين للفدان ، فان هذه الانتاجية يمكن ان تصل فى تقدير الخبراء الى ثلاثة اطنان كاملة بزراعة الاصناف عالية الغلة ، ولامبرر لما كان يقال من ان مصر تقع خارج حزام القمح فى محاولة لتعليل نقص الانتاجية عندنا ، فان التقدم التكنولوجى الحديث لايترك مجالا لهذا التبرير . وقد ثبت كذلك ان متوسط انتاجية الفدان الحالية من الذرة ( نحو ١,٧ طن ) يمكن ان يرتفع الى اكثر من ثلاثة اطنان للفدان وقس على ذلك بالنسبة لمحصول الارز ، وقصب السكر والخضر والفواكه ، والنباتات الزيتية ، ففيها جميعا مجال فسيح للتنمية الرأسية باستخدام الاساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة .

الواقع اننا بحاجة الى الجانبين ، التنمية الافقية والتنمية الرأسية على السواء ولكن الذى نود ان نبرزه فى هذا المقام هو ان التوسع فى المساحة المزروعة سيكون فى معظمه فى الاراضى الصحراوية واستصلاح الصحراء واستزراعها ينطوى على مشقة بالغة ونفقات كبيرة فى سبيل توفير الماء - سطحيا كان او جوفيا - وتوفير الصرف وتمهيد الارض ، وانشاء المرافق كالطرق ومياه الشرب ، والاسكان والماشية والالات الزراعية وذلك بعد اجراء الدراسات الاولية على خصائص التربة والمياه .. الخ ، ويقدر ان استصلاح الفدان الواحد يزيد اليوم على خمسة الاف جنيه ، وذلك فضلا عن ان التربة الصحراوية والتى يغلب أن تكون تربة رملية لاتصلح بطبيعتها الا لمحصولات معينة ، كما ان زراعتها تحتاج الى خبرة خاصة .

وفى قطاع الصناعة شهدت مصر الحديثة تقدما كبيرا فى عدد من الصناعات . ومن الصحيح اننا لانزال بعيدين عن الصناعات الاكثر تعقيدا كصناعة الموتورات والاجهزة الالكترونية وغيرها ، ولكن علينا ان ندرك اننا لانزال نتلمس الخطى الاولى فى رحلة الالف ميل ، وان نوطد العزم على تثبيت اقدامنا اولا فى كافة الصناعات التى تلائم هذه المرحلة من تطورنا الاقتصادى ونتدرج صعدا نحو صناعات اكثر تعقيدا وفقا لتخطيط واقعى مدروس يضعه المتخصصون .

ولعلنا نطيل النظر فى خطوات التصنيع الاولى فى دولة مثل اليابان التى بدات بالتركيز على الصناعات الاقل تعقيدا مثل المنسوجات الحريرية والقطنية ولعب الاطفال واقلام الرصاص ، وغيرها مما كان جيلنا يتعلمه فى دروس الجغرافية فى مراحل تعليمنا الاولى . ولعله من المفيد ان نتذكر انه حتى اوائل الثلاثينيات من هذا القرن كان نحو ٩٠٪ من جملة المصانع اليابانية يستخدم الواحد منها اقل من ثلاثين عاملا .

ومن المأمول اذن ان تحظى الصناعات الصغيرة عندنا بنصيب اكبر من الاهتمام والتشجيع اننا نتطلع فى الواقع الى خريطة صناعية تزخر بالمصانع الصغيرة لا فى المدن الكبيرة وحدها بل فى كل المدن المصرية ، بل وفى القرى كلما امكن ذلك ، وفى ذلك مافيه من تطوير للعقلية الصناعية فى المجتمع خطوة بعد خطوة ، وتوازن فى الانفاق فى مختلف القطاعات سعيا وراء بلوغ الهدف

# أنت.. والهلال

## ● رسالة من قارىء موريتانى

● ربما ينعم الله على بان اطلع بين الفينه والفينة على عدد من المجلة الموسوعة « الهلال » غير ان ذلك لا يكون الا لماما ومرور كرام فهى أعز من بيض الانوق واندر من عنقاء مغرب فى بلادنا فربما تلقى شخصا يملك منها عددا غير انه أعز عليه من نفسه ان كان شىء أعز من النفس ويبدو ان سبب ذلك انها لا توزع فى بلادنا ولا تباع فى مكتباتنا .

اكتب لكم راجيا ان تساعدونى بما تيسر لكم من اعداد هذه المجلة — ان كان ذلك ممكنا — وسيان عندى الجديد منها والقديم لان العلم لا يبلى ولا يدرس .

فان جدتكم فانتم مشكورون والا فانتم معذورون ..

وارجو ان يكون الارســـال — ان كان — بالبريد العادى غير المضمون لانه أيسر استلاما وأسرع وصولا .

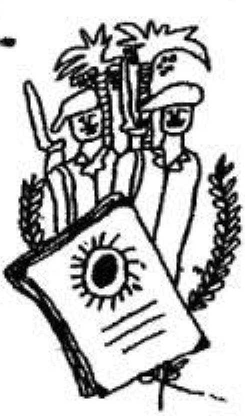
احمد كورى بن محمادى

انواكشوط — دولة موريتانيا

## ● تعليق

— نشكركم على رقتكم وحسن ظنكم ، ويؤسفنا ما تحدثتم به عن عدم وصول الهلال اليكم ، ولا ندرى المسئول عن ذلك بالضبط ، ولو كـــان فى استطاعتنا ان نرسل الى كل قارىء فى موريتانيا نسخة من الهلال كل شهر لفعلنا ، ومن عجب أن يكون البريد العادى عندكم اسرع وايسر من البـريد المسجل أو المضمون ، ولكن لا عجب فالامور عندنا نحن وعند بلاد عربيـة الاخرى تشبه الامور عندكم .. وكلنا فى الهم شرق ، كما قال احمد شوقى امير الشعراء قبل ستين عاما .. ولعل كلمتنا هذه تصل اليكم ..

● اغنية للعراق المنتصر



دعوا قلبي
يغني .. وارقصوا .. فالناس تقرؤنا
سطورا فى كتاب الشمس ..
هل تبغون شيئا فى انتصار الارض .. املكه
سوى نغمي ، اقول لكم بملء فمي :
سهرت الليل بين معازفي ..
لا استطيع الركض خلف الجند ..
هب « الفرات ودجلة » والنخل اطيارا سماوية
تسوق الغيم صوب الزرع ..
قرص الشمس فلاح يسوى الارض ...
كل الاذرع ارتفعت
وقالت للمدى ـ فصمت ـ عيون الحق مهدية !!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

● الحب والحشيش

● لم اجد افضل من مجلة الهلال الغراء كى ابعث اليها بكلماتى هذه، وارجو الرأى المنصف والمشجع لى من جانبكم ، واعلمونى ما اذا كنت قد وقفت على كتابة بدايات الشعر ام لا ؟!

الشفاه ترسم الحروف .. وتنحدر من عينى « الدوع »
كل شىء عن الحبيب مشغول .. يتلهف اليه فى خشوع
القلب يسال العين .. اين الحبيب المفقود
فتجيب العين فى حسرة .. ذهب ولن يعود
فيعود يقلب ويسال ابصرى .. لى نور الطريق يا عيون
فتجيب العين ذهب نورى .. وانطفات شموعى و « قليتنى » الشجون
فاتنى الحبيب وكنت شيئا .. وبفقده اصبحت لا اكون
تركنى فى بحور الهم والحزن .. تائها فى دهاليز السنين .
واصبحت من بعده .. لم ادر لماذا اعيش ؟
طوى حبها قلبى وعقلى .. كانى ادمنت الحشيش

عبد الصبور الصادق
كلية اداب قنا ـ قسم اللغة العربية

● تعليق

ـــ من حسن الحظ انه لا توجد فى « قصيدتكم » هذه اغلاط نحوية ، وهذا يدل على انك طالب مجتهد فى اللغة العربية ، ولكنك تسرعت لكتبت كلمة الدموع هكذا : « الدوع » .. والعجلة من الشيطان فتأن فى الكتابة

## انت والهلال

لكيلا تخطىء فى الاملاء .. ولم تفهم معني قولك « وغليتنى الشجون » .. لعلك تريد أن تقول ان الشجون أصبحت كالماء المغلى وانت فيه .. وهو تعبير غير صحيح وصوابه « وغلتنى الشجون » .. وأطرف ما فى قصيدتك خاتمتها التى تقول فيها ان حب صاحبتك هذه قد اذهب عقلك ـ وقاك اللهن ذهاب العقل ـ كانك أدمنت الحشيش ! ..

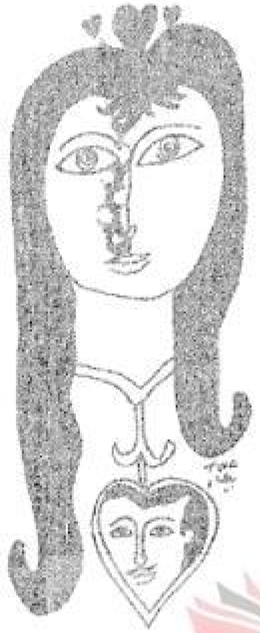
بقى ان نصارحك بانه لا يوجد بيت واحد موزون فى قصيدتك هذه ، فهى نثر وليست شعرا .. ولا نتحدث عن معناها ولا عن مبناها ولكن عن مجرد وزنها .. فلعلك تهتم بالتعرف على الاوزان حتى تبلغ منها ما تشاء ان شاء الله ! ..



يهاجمنى الدهر .. تلك سهام
قد اشتعلت فوق رأسى تضىء
وينذرنى العمر : انى حطام
ويلهث قلبى بانى الجرىء
فيا ضوءها لا تصب اعينى
وكن لى سلاما فلست اسىء
ويا شبح الشيب لا تنهنى
تمهل .. فخلفك زحف خبىء
ويهجرنى الحب رغم صباى
فكيف اذا ما رآوه تجىء ؟!
ايا رحمة الله رفقا بنا
اذا ما استبد الزمان الردىء
لقد مسنا الضر .. لا تنسنا
وانت الرحيم .. اليك نفىء
اتتركنى فى اللظى مستوى
وتعلم انى المحب البرىء ؟!
د. احمد عامر ـ قبين القناطر

## ● لماذا ؟

لماذا أحس ... لماذا ... ؟
بانك اقرب منى الى ..
وانك دوما
بر أمان ... ونهر حنان ..
يسافر عبر ربوع المآقى ..
يصب حنانك فى مقلتى ..
وانك حب يفوق احتمالى ..
وحبك دوما كثيرا على ..
وان هوانا قرار مسبقى ..
لا بيديك .. ولا بيدى ..
لماذا أحس ..
بانك دوما طريق البداية ..
وانى ضللت كثيرا كثيرا ..
وبين يديك عرفت الهداية ..
وانى احترفت العشق لديك ..
وقبلك كل النساء هوايه ..
تجارب عمرى وسيلة عشق ..
تؤدى اليك لانك غاية ..
فحبك باق لما لا نهاية ..



عبد العزيز جويدة
الجيزة ـ شارع الشرفا



## ● البارودى وشوقى

● أيهما الشعر فى رأيك : محمود سامى البارودى باشا الذى كانت على يديه نهضة الشعر وبداية عصر احياء الادب العربى ، أم أحمد شوقى الملقب أمير الشعراء لانه كان شاعر الامير أو الخديو عباس حلمى ؟

وحيد الدين محمد رجب
الاسكندرية

## ● تعليق

كان البارودى ـ رحمه الله ـ شاعرا مطبوعا ، قرأ دواوين الاقدمين فنظم الشعر كأنه نشأ فى البادية أو فى بيئة الشعراء الامويين والعباسيين ، ولم يبدأ البارودى حياته بدراسة علم العروض وعلوم اللغة فى الأزهر

كثيره من بعاصريه ، بل نظم الشعر قبل ان يعرف شيئا عن العروض أو اللغة ، وكل عدته محصوله الذى استثار طبيعته الشاعرة من قراءاته فى الشعر العربي ، فهو بحق نموذج للشعر المطبوع الذى يكفيه ان يتعرف على الشعر لتتدفق قريحته شعرا .. ولكن مهمة البارودى انتهت عند احياء الاساليب الذهبية القديمة ، أما احمد شوقى فقد كان مرحلة أعلى وأبعد مدى من مرحلة البارودى ، ولم يكن شوقى اميرا للشعراء بكونه شاعرا للأمير ، وانما كان أشعر شعراء عصره بلا منازع ، لا يطعن فى هذا الا مكابر ، او جاهل ، او دعى من ادعياء الشعر ، خصوصا فى الزمن الاخير ..

## ● الهرة والنظافة



هرتى جد أنيقة .. وهى للبيت حليفة ..
هى ما لم تتحرك .. دمية البيت الظريفة ..
فاذا جاءت وراحت .. زيد فى البيت وصيفه ..
شغلها الفار : تنقى الر .. ف منه والسقيفه ..
وتقوم الظهر والعصر باوراد شريفه ..
ومن الاثواب لم تملك سوى فرو قطيفه ..
كلما استوسخ او اوى البراغيث المطيفه ..
غسلته ، وكوته .. باساليب لطيفه ..
وحدت ما هو كالحمام والماء وقيفة ..
صيرت ريقتها الصابون ، والشارب ليفة ..
لا تمرن على العين .. ولا بالانف جيفه ..
وتعوه ان تلاقى .. حسن الثوب نظيفه ..
انما الثوب على الانسان عنوان الصحيفة ..

**محمد على الغوريي**
**صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية**

## ● مع الاصدقاء

● **رفعت محمد برويى ـ سوهاج :**

ـــ لعلك من اكثر الشعراء انتاجا .. نهنئك على نشاطك ، ويبدو انك تمر الان بمرحلة « الكم » وستنتقل منها ان شاء الله الى مرحلة «الكيف»

وهى مرحلة التجويد فى المعنى والمبنى فضلا عن الوزن ••

● زينب محمود احمـد ـ قوص :

ــ قصائدك السابقة كانت طيبة •• واقول لك بصراحة : ان قصيدتك التى عنوانها « كتـابة على جدار الزمن » ليست من نفس المستوى •• لعل التكلف هو السبب ، أو لعل السبب هو جنوحك الى تقليد بعض الشـعراء المعنين فى تقليد نماذج الشـعر الاوربى والامريكى بغير مبالاة بالطابع القومى الفريد للشعر العربى ! ••

● ايمـن فاروق فـؤاد ـ بنى مزار :

ــ قصيدتك « ذات مساء » تدل على حساسيتك الشاعرة ولكنهـا مـع الاسف تفتقر الى الاوزان ، كما ان بها اخطاء نحوية ولغوية واملائية ولكنها لحسن الحظ ليست كثيرة ••

● سعاد احمد محمد الصاوى ـ الثانوية الزراعية بكفر صقر :

ــ ان مستواك الادبى جيد ، مع انك طالبة زراعة ، ولكن لابد لك من معرفة الاوزان اذا أردت أن تنظمى الشعر بالتفعيلة أو بالاوزان المتكاملة •• اجتهدى ونتمنى لك حظا سعيدا ••

● محمد ابو الريش ـ فلسـطين :

ــ لم تعرف من أى مدن أو قرى فلسطين انت •• اما قطعتك الصغيرة التى عنوانها : « لا تبكى يا أم » فهى مليئة بالشعور ، وهذا طبيعى من انسان فلسطينى يعيش تحت نير الغزو اليهودى البربرى المجنون ! ••

● محمد سـليم القشاط ـ شبين القناطر :

ــ هون عليك يا رجل ، فنحـن لا نجاملك فى شىء ، وكل ما هنالك اننا نرجو ان تكتب على وجه واحد من الصفحة اذا أرسلت الينا نثرا أو شعرا •• ونرحب به غاضبا او راضيا ، وأرسل الينا قصائد جديدة ••

● صـلاح شـفيع ـ بلقاس :

ــ نرجو ان تكتب الشياء الاخرى اكثر وضوحا من الاسطر القـلائل التى ارسلتها الينا ، لكى نفهم ما تريد قوله •

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :

ــ شعرك ليس شـعرا ولكنه زجل عامى •• واما الموسيقار محمـد عبد الوهاب فقد كتبنا عنه فى الشهر الذى تم فيه الاحتفال به ( شهر يونيـو الماضى ) •• اما دار الاوبرا فلا ندرى ماذا سيعرضون فيها •• واخيرا : ليس صحيحا ما قلتموه من اننا نهتم بالشعر اكثر مما نهتم بالنثر •• فنحن « متهمون » بعكس ذلك تماما !!••

● رفعت عبد الوهاب الرمطى ـ قبرا ـ القاهرة

ــ قصيدتكم « مقاطع فى الحجارة » حافلة بالاوزان السليمة الى جانب بعض الاوزان التى تحتاج الى مراجعة •• وهناك بعض الالفاظ التى تحتـاج الى مراجعة نحوية أو صرفية ••

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه - ص.ب ٢١٨٣٣ - 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

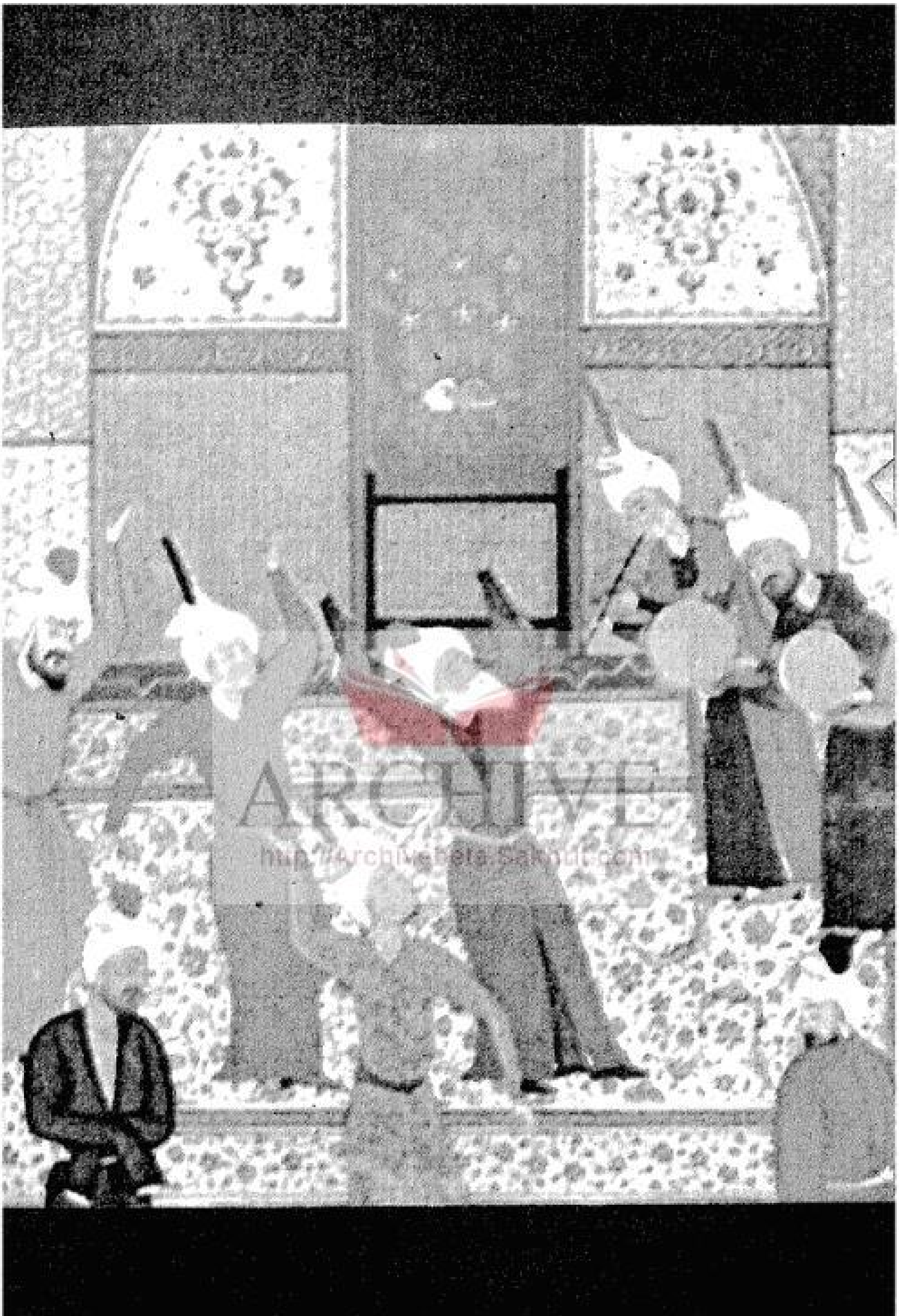


اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |




الهلال
ب محفوظ
عربيّ يفوز
ئزة نوبل للآداب
نوفمبر ١٩٨٨



# الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية . تصدر عن دار الهلال . أسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م . أول نوفمبر ١٩٨٨م - ٢١ ربيع أول ١٤٠٩ هـ




## من روائع الفن الإسلامي

**حفلة دراويش ..**

**اسم اللوحة الإيرانية التى استلهمها الفنان رضا عباس من وقائع الحياة اليومية .. والفنان هو أحد المتخصصين فى فن المنمنمات عبر سنوات هذا الفن الذى اعتبر منبعا لإلهام العديد من الفنانين التشكيليين فى بلاد عديدة ولقرون طويلة ..**

**وتكشف اللوحة عن مدى شغف فنانى القرن الثامن عشر بعنصر الحركة وايقاعة اللون وعمق الكادر**

## في هذا العدد




الغلاف الأول تصميم

الفنان : محمد أبوطالب

### فكر وثقافة



### كتاب الشهر





### رسالة يوغوسلافيا :



### قضايا حيوية

## ● نجيب محفوظ .. وجائزة نوبل «جزء خاص» ●



## ● فتحي رضوان .. نهاية عصر ●



## ● الأبواب الثابتة ●

# عزيزي القارئ

لولا ضيق الوقت لأصدرنا عددا خاصا عن نجيب محفوظ لمناسبة فوزه بجائزة نوبل ١٩٨٨ .. فنحن في « الهلال » نفرغ من طبع الغلاف في اليوم العاشر من كل شهر .. وكنا قد فرغنا فعلا من طبع غلاف الهلال عندما علمنا بالنبا الكبير ، فسارعنا تطبع غلافا آخر يسجل هذه المناسبة التاريخية للأدب في مصر وفي جميع البلاد العربية وبلدان العالم الثالث ، فضلاً عن بلاد العالم المتقدم التي جاءت منها جائزة نوبل تطرق باب اديبنا العظيم نجيب محفوظ ..

في فبراير ١٩٧٠ اصدر « الهلال » عددا خاصا عن نجيب محفوظ بعد أعداد خاصة متوالية عن طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وشوقي امير الشعراء .. وكان مما احتواه العدد الخاص بنجيب محفوظ كلمة لكاتب صحفي الماني قال : « في مصر يعرفون نجيب محفوظ ولايعرفون ادبه ! .. لو كان نجيب محفوظ عندنا لانفقنا عليه الملايين حتى يحصل على جائزة نوبل »..

إن هذه الكلمة التي جمعت لأول مرة بين نجيب محفوظ وجائزة نوبل قبل ثمانية عشر عاما ، مرت في حينها بالقراء والأدباء مرور الكرام ، فلم يتنبهوا لمغزاها .. ولكنها الآن تثير الدهشة والعجب ، وتبعث على التأمل العميق !

فنحن في مصر لم ننفق قرشا واحدا من خزائننا لتوفير حياة خاصة لنجيب محفوظ يتفرغ فيها للانتاج والابداع ، متحررا من كل عبء يعوق حركته ، حتى يجتمع له من أعماله الأدبية ما تقتنع به المحافل العالمية ، ويجذب إليه اضواء الجوائز الكبرى وفي مقدمتها جائزة نوبل ..

إن كل قرش دخل جيبه قبل تلك الكلمة التي أطلقها الصحفي الألماني وبعد تلك الكلمة ، لم يدخله إلا مارا بسن قلمه ، مضمخا بعرقه ، وربما بدمه ودموعه .. فقد كان عليه طوال تلك السنين ان يعمل بلا انقطاع ، ويقدم للصحف والسينما والتليفزيون والاذاعة ودور النشر ، مايستخلص به رزقه بلا كلال ولا ملال ! ..




# جائزة نوبل اختارت نجيب محفوظ

وهذا الكفاح المضنى لم يتوقف فى يوم من الأيام ، ولم يكن رغم ذلك يفى إلا بالقوام من العيش بلا زيادة ولا نقصان ، حتى قال نجيب محفوظ فى حديث عابر له فى إحدى الصحف منذ مدة : لولا قصصى التى اشترتها السينما لمت جوعا !

هذه كلمة لم يقلها الرجل على سبيل الشكوى ، وإنما تقريرا للواقع الذى يجثم على كل مشتغل بالأدب فى مصر .. فالأديب المصرى - فى الحقيقة - يحصل على رزقه بشق النفس ، وإذا إنتج وأبدع فبرغم هذه الحال التى تعوق كل انتاج وابداع .. ولم يكن نجيب محفوظ مستثنى من هذا « التقدير » ! .. ومع ذلك هذه الجائزة العالمية الكبرى لمصر وباسم مصر ..

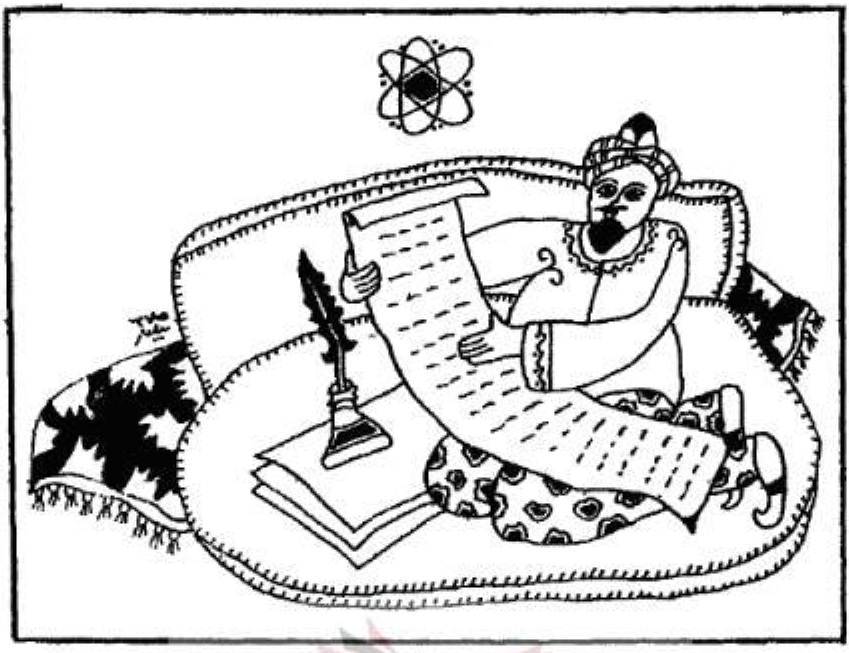
فالآن وقد نال نجيب محفوظ تقديرا عالميا ، ينبغى أن نعترف بأن أديبنا الكبير قد استطاع الوصول إلى المحافل الأدبية العالمية فى الوقت الذى كانت فيه وسائله لاتتعدى جهده الفردى ، ولكن هذا الجهد الفردى ظفر فى النهاية بمالا تظفر به جهود الجماعات ! ..

لقد اختارت الجائزة الكبرى أديبنا الكبير وأجلسته على عرشها العالمى ، وجاءت إليه تجرر أذيالها ، قاصدة إليه وحده دون أدباء العالم كله ..

ولقد مر نجيب محفوظ بجوائز مجمع اللغة العربية فى الأربعينيات ، وجوائز الدولة فى الخمسينيات والستينيات .. وبوأته أعماله قمة الأدب العربى فى عصرنا حتى استطاعت جائزة نوبل أخيرا أن ترى قسمات وجهه المشع بالعبقرية والنبالة والتواضع وانكار الذات ..

وكان للقاء جائزة نوبل بفارسها العظيم ، فرقعة أعظم دويا من فرقعة الديناميت الذى اخترعه صاحبها العلامة « الفريد نوبل » فى سالف الأيام ! ..

و « مبروك » ... نقولها مهنئين جائزة نوبل ولجنتها الموقرة ، ثم نقولها مهنئين نجيب محفوظ .. ونقولها أيضا مهنئين مصر والأمة العربية من المحيط إلى الخليج ..



# لماذا تخلف المسلمون ؟

بقلم : د. محمد عمارة

أن يُطلب من المرء أن يكتب عن أسباب تخلف المسلمين في هذا الحيز المحدود ، فتلك مهمة تبلغ فى الصعوبة درجة التعجيز !.. ومن هنا فليس غير تكثيف الحديث ، والاكتفاء برءوس الأسباب والعوامل سبيلا للوفاء بحق هذا الموضوع الخطير فى هذا الحيز المحدود ..

● لقد عرفت الإنسانية العديد من الحضارات التى نمت وازدهرت ، قبل الحضارة العربية الاسلامية ، وحولها ، ومن بعدها ـ وشهدت الإنسانية تميز العريق من هذه الحضارات بالمذاق الخاص "والبصمة" الخاصة التى ميزت الواحدة من هذه الحضارات على غيرها .. ومن هذه الحضارات من وقف إبداعها وعطاؤها عند حدود أمتها ، ومنها من امتدت تأثيراتها خارج الحدود ، ولكن بالقهر والغزوات واضطهاد مواريث الأمم التى خضعت للقهر والاضطهاد ..

وشهدت الإنسانية ، ايضا ، تميز حضارتنا العربية الاسلامية بخصيصة برزت فيها ، فلونت قسماتها ، حتى غدت عنوانا عليها .. وكانت هذه الخصيصة هى سر ازدهار هذه الحضارة ، لا فى إطارها المحلى الإسلامى فقط ، بل وسر الجاذبية التى صنعت تأثيراتها العالمية سلما واختيارا ، رغم انها لم تمارس - حتى فى البلاد التى فتحها العرب - أساليب القهر الحضارى ، وإنما - على العكس من ذلك - احيت وجددت واحتضنت المواريث الحضارية للآخرين !..

فما هى هذه الخصيصة الحضارية لحضارتنا ، التى مثلت جوهر هويتنا الحضارية ، والتى كان ازدهارها العامل الأول فى ازدهارنا الحضارى ، كما كان تراجعها السبب فى تخلف المسلمين ؟

فى اعتقادى ، أن هذه الخصيصة هى "الوسطية الإسلامية" ؟!..

وقبل الحديث عن أبرز معالم هذه "الوسطية الاسلامية" ، لابد من التنبيه إلى ان تطورات واقعنا وفكرنا قد أصابت مصطلح "الوسطية" بما جعله مصطلحا "سيىء السمعة" !.. فهو لدى العامة من المثقفين ، وأشباه المثقفين من العامة قد غدا مرادفا للثنائية و"للتميع الفكرى" و"انعدام الموقف المحدد" و"إمساك العصا من المنتصف" وغيبة اللون والطعم والرائحة عندما يتطلب الأمر الحسم والتحديد .. وهو لدى كثير من خاصة المثقفين يعنى مضمونه فى الفلسفة الارسطية : نقطة رياضية بين قطبين ، فالشجاعة ، مثلا ، وسط بين الجبن والتهور ، والكرم وسط بين البخل والاسراف .. الخ .. الخ ..

وماهكذا مضمون "الوسطية" ، كالخصيصة العظمى لحضارتنا العربية الاسلامية .. فهى ليست الموقف الوسط بين امرين ، وإنما هى الموقف الثالث الذى يرفض تطرف الانحياز لأى من القطبين ، ولا يكتفى بالوقوف فى نقطة تتوسطهما ، وإنما يجمع ويؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه من سماتهما وقسماتهما .. فالكرم غير البخل وغير الاسراف ، لكنه موقف جامع لسمات وقسمات من البخل والاسراف ، على نحو يجعله غيرهما ، ومتميزا كل التميز عنهما .. وقس على ذلك كل الفضائل والمواقف والقسمات الحضارية التى كونت ملامح الحضارة التى ابدعتها هذه الأمة الوسط ..

وإذا كان الله سبحانه قد نبه على اختصاص هذه الأمة بهذه الخصيصة - التى يستطيع كل من امتلكها ان يدخل فى إطارها - فقال سبحانه : ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ) .. - البقرة : ١٤٣ - فإن نجاح المسلمين فى الحفاظ على هذه الخصيصة فى بنائهم الحضارى ، هو الذى مثل سر تقدمهم .. كما ان اختلال التوازن ، ومن ثم افتقادهم هذه الوسطية ، هو الذى افقدهم ميزتهم ، فدخلوا دروب الجمود والتراجع والتخلف الذى ساد حياتهم لعدة قرون ..

وإذا كنا نقول مع القائلين : "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" .. فإن لهذه المقولة عندنا مضموناً أعمق مما لها عند الكثيرين ؟!.. فهى تعنى : أن ازدهارنا الحضارى رهن بتميز نهضتنا المعاصرة بالخصائص التى تميزت بها نهضتنا الحضارية الأولى .. تلك الخصائص التى ترتبط "بالخصيصة الجامعة" ، خصيصة "الوسطية الإسلامية" .. فهذه الوسطية هى التى ميزت حضارتنا عن كثير من الحضارات الأخرى بالتوازن والموازنة بين ما عدّ فى أنساق فكرية أخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها ، فضلا عن الجمع بينها والتأليف بين قسماتها وسماتها .. ففى الحضارة العربية الاسلامية تجسدت هذه الوسطية فى العديد من السمات والقسمات التى كونت جوهر البناء الحضارى ، ومثلت سر تفوق المسلمين وتقدمهم .. وذلك من مثل :

● تميز الاسلام ـ وهو "دين" ـ بـ "العقلانية" . فـ "النقل" فيه ـ وهو قرآنه المعجز ـ لم يأت ليدهش العقول فيذهبها ، بل ليحتكم إليها ، جاعلاً منها مناط التكليف ، مؤاخيا بين "الحكمة" و"الشريعة" ، جاعلا من صريح المعقول وصحيح المنقول ، ومن "كتاب الوحى" و"كتاب الكون" سبلا متآخية ، خلقها خالق واحد ، ويسرها لهداية الإنسان ، دونما تناقض أو تضاد .. حتى لقد قالوا ـ صادقين ـ عن الاسلام : إنه نسق فكرى ، فيه تدينت الفلسفة ، كما تفلسف الدين !..

ولقد تقدم المسلمون عندما حافظت وسطيتهم على هذا التوازن ، فلما سادت فيهم "النصوصية" ، التى تنكرت للعقل والعقلانية ، انفتح عليهم باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه !..

● وتميز الاسلام ـ وهو الدين العالمى ـ بعدم تجاهل الواقع القومى المتميز للأمم التى دخلت فيه .. إنه لا يتجاهل التمايز القومى ، ولا يقفز عليه .. فمن آيات الله فى البشر : اختلاف الألسنة والألوان .. لكنه ـ بالوسطية ـ يعطى هذا التميز القومى المضمون الحضارى الذى يؤلف بين التعددية القومية وبين عالمية الاسلام الدين ، على النحو الذى يجعل أمة الاسلام وحضارته "محيطا" يحتضن "الجزر القومية" دونما تناقض أو تضاد .. فالعروبة الاسلامية ، مثلا ، دائرة انتماء حضارية ، تسبقها الدائرة الوطنية ، وتليها جامعة الاسلام .. فمضمونها هذا ثمرة إسلامية متميزة عن مضمونها العرقى الجاهلى ، ومن ثم فأفقها مفتوح ، وهى ليست بالفكرية ـ الأيديولوجية ـ المناقضة لفكرية الاسلام ..

وعندما حفظت الوسطية هذا التوازن بين "العروبة" و"الاسلام" كان تفوق

المسلمين وتقدمهم .. فلما حكم الأعاجم ـ المماليك والترك ـ أمتنا ، ووقفوا عند الاسلام الدين ، دون العروبة الحضارية ، ونشأت مزاعم تناقض العروبة والاسلام ، حتى لقد هم هؤلاء الأعاجم بتتريك العرب ، انفتح على المسلمين باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه !..

● وبالوسطية الاسلامية : لم يقف فكر حضارتنا ـ إبان ازدهارها ـ عند "النظر" ، وإنما زواج ـ فى توازن ـ بين هـذا "النظـر" وبين "الممـارسـة والتطبيق" .. فلم يقف المسلمون عند علوم الوحى والشرع وحدها ، وإنما برعوا فى علوم الكون والطبيعة أيضا .. ولم يقفوا عند "القياس" النظرى الأرسطى ، وإنمـا تجاوزوه فـأبـدعـوا "المنهـج التجريبى" .. ورأينا حضـارتنا ـ فى الأصول ـ كما أبدعت فى "أصول الدين" فلسفتها النظرية ـ علم الكلام ـ تبدع فى أصول التشريع للدنيا "أصول الفقه" أيضا .. وكذلك صنعت فى الفروع ، فضم "الفقه" : فقه "المعاملات" مع فقه "العبادات" ..

وعندما ساد ذلك فى حضارتنا كان تفوق المسلمين وتقدمهم .. فلما وقفنا عند "الحواشى" و"الشروح" و"التعليقات" على "أصول الدين" و"فقه العبادات" ، وأغلقنا باب الاجتهاد فى "أصول الفقه" و"فقه المعاملات" ، كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذى دُفع إليه المسلمون فدخلوا فيه !..

● وكانت الوسطية الاسلامية : قد حددت "للإنسان" المسلم فى هذا الكون مكانا ممتازا ومتميزا .. فهو ليس سيد الكون ـ كما قررت ذلك الحضارات ذات الطابع المادى ـ حتى لقد زعمت تجسد الله فيه !.. كما أنه ليس "الفانى" "المتلاشى" فى ذات الله ـ كما قالت الحضارات ذات الطابع الصوفى ـ.. وإنما هو سيد فى هذا الكون ـ سيد فيه ، وليس سيده ـ لأنه ، مع تفضيله حتى على الملائكة المقربين ، وتسخير الطبيعة له ، يحتل فى هذا الكون مكان الخليفة عن السيد الحقيقى ، لامكان هذا السيد الحقيقى .. فهو سيد فى نطاق الخلافة والنيابة والتوكيل ، سخرت له الطبيعة لعمارتها ، وليس للعدوان عليها والتدمير لمقوماتها .. وبهذه الوسطية ربطت حضارتنا بين "العلم" و"الحكمة" ، بين "الوسائل" و"الغايات" .. وعـرفنـا فيهـا أن "السياسة" هى : "الأعمال التى يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد" .. وليست هى : "فن الممكن من الواقع" ـ بصرف النظر عن الوسائل والأساليب ونصيب الغايات من الفضائل والأخلاقيات ؟!..

ويوم أن كانت سائدة فى حضارتنا هذه الوسطية تقدم المسلمون .. فلما دعا فريق إنسانها ـ بالتصوف ـ إلى الفناء فى ذات الله .. ودعاه آخرون إلى مادية لا تقيم فى الوجود وزنا لسواه .. كان ذلك بابا من

# لماذا تخلف المسلمون؟

أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون !..

● وكانت الوسطية الإسلامية قد أقامت توازنا نموذجيا بين "الفرد" "والمجموع" .. حتى لقد استنت فى ميدان الثروة والمال سنة ممتازة ومتميزة، رأينا فيها الملكية الحقيقية ـ ملكية الرقبة ـ فى الأموال لله سبحانه .. ورأينا فيها الانسان ـ كإنسان ـ خليفة ومستخلفاً عند الله فى إدارة الأموال وتنميتها ـ وله فيها ـ كفرد ـ بملكية مجازية ـ هى ملكية المنفعة ـ الوظيفة الاجتماعية للملكية ـ محكومة بشروط الوكالة والنيابة والاستخلاف .. وثمرة للعمل المشروع .. ومحدودة بحد الاكتفاء..

وبهذه الوسطية تقدم المسلمون .. فلما جنحوا إلى الانحراف، فتحولت أرضهم وأموالهم إلى "إقطاع حربى" لقادة العسكر وأمراء الأجناد والمماليك .. ثم كان انحياز صفوة مفكريهم الاجتماعيين والاقتصاديين إلى قطبى التطرف الوافدين من الحضارة الغربية : الليبرالية المطلقة .. أو الشمولية المطلقة .. غابت الوسطية الاسلامية، ودخل المسلمون إلى التخلف من هذا الباب !..

● وكانت الوسطية الاسلامية قد أبدعت التوازن بين "الدين" و"الدنيا" .. فنحن نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا، ونعمل للآخرة كأننا نموت غدا .. وإيماننا بالآخرة هو الذى يدعونا إلى أن نزرع الفرسة حتى عندما تقوم القيامة ونشهد بأعيننا أشراطها ؟!.. بل ويقول حجة الاسلام الغزالى : إن صلاح أمر الدين مؤسس على صلاح أمر الدنيا !.. لأن الانسان إذا لم تصلح "دنياه"، بتوفر الكفاية فى المأكل، والملبس، والمسكن، والأمن، لن يجد الوقت اللازم لتحصيل ما يصلح به أمر "دينه"، من العلم والمعرفة والعبادة لله !.. وحتى لقد قال فقهاؤنا : إن صلاة الجائع والخائف لا تجوز، لأن الأمن "المادى و"الروحى" هو أساس التدين بالدين ..

وعندما ساد هذا التوازن الذى صنعته الوسطية الاسلامية، كان تقدمنا وتفوقنا .. فلما غابت هذه الوسطية، فأدار البعض منا ظهره للدنيا وعلومها وفنونها، باسم الدين، وأدار البعض الآخر ظهره للدين وعلومه ومناهج تهذيبه، باسم الدنيا، اختل التوازن، فكان ذلك الباب من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه !..

● وكانت حضارتنا قد أقامت ذلك التوازن الفريد بين "فروض العين" و"فروض الكفاية"، أى ـ بتعبير مألوف ـ بين "الفرائض الفردية" و"الفرائض الاجتماعية" ـ كجزء من موازنتها بين "الفرد" و"المجموع" ـ.. فكانت هذه الموازنة لبنة من لبنات تقدمنا .. فلما

أصابها الخلل ، ورأينا الذين يهتمون لهموم الأمة ويناضلون لنهضة "الجماعة" ، يتحللون من التكاليف الفردية ، بل ويسخرون منها .. على حين قد غرق فيها آخرون حتى لقد استنفدت منهم الطاقات فأهملوا مصالح "المجموع" .. كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون !..

● وكانت حضارتنا قد استنت - بالوسطية - سنة الموازنة بين "حقوق الحكام" و"حقوق المحكومين" ، فللحكام - وهم نواب عن الأمة - حق السمع والطاعة فيما فوضتهم الأمة فيه ، مما هو لازم لبلوغ الغاية من التفويض .. وللمحكومين على حكامهم حق العدل والانصاف فى ممارسة هذا التفويض ..

فلما اختل هذا التوازن .. تنكب الحكام سبيل العدل إلى مسالك الاستبداد والمظالم .. وسلك المحكومون سبل التواكل واللامبالاة ، إنشالا لخطط الحكام ، ونكاية بهم وانتقاما من ظلمهم واستبدادهم ، فغلب السمع والطاعة مع غيبة العدل والانصاف .. فكان ذلك بابا واسعا من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه !..

● وكانت وسطيتنا الاسلامية قد اقامت لنا توازنا بين "العقل" و"القوة" ، تحدث عنه تراثنا ، أحيانا ، تحت عنوان : التوازن بين "القلم" و"السيف" .. وبهذا التوازن صارت القوة الضاربة أداة بيد العقل والفكر والحضارة ، عليها أن تحمى الحمى ، ولها حق "الوعى" الحضارى عندما يطلب منها أن "تطيع" ؟!.

وعندما كانت هذه القوة الضاربة "عربية الفكر والحضارة" - أى من ذات الأمة - ساد التوازن بينها وبين "عقل الأمة" .. فكان التقدم والازدهار .. فلما أصاب الترف بأمراضه هذا القطاع من قطاعات الأمة ، وأعجز الترف وأقعدت الرفاهية العرب المسلمين عن النهوض بمهمة القوة الضاربة اللازمة لمواجهة التحديات ، الداخلية - كالإقليمية ، والثورات ، والتمردات - والخارجية - بيزنطية .. وصليبية .. ومغولية - لجأت الدولة إلى الترك المماليك ، فلما تضخمت مؤسسة العسكر المماليك ، تحولوا من أداة بيد الخلافة إلى القوة الحقيقية التى تلعب بمنصب الخلافة - وكانوا غرباء عن حضارة الأمة ، لم يألفوا - لأنهم عسكر وترك مماليك - ما تعنيه عقلانية الاسلام من استنارة ، ولا ما عقده الاسلام الحضارى مع العروبة الحضارية من عروة وثقى .. فاختل التوازن ، لحساب "القوة" ، وعلى حساب "العقل" .. لحساب "النصوصية" الجامدة ، وعلى حساب "العقلانية المستنيرة" .. ثم كان أن فرضت الأخطار الخارجية - وخاصة الصليبية والمغولية والغربية الحديثة - على الأمة أن تسلم القياد لهذا اللون من ألوان "القوة" ، فامتدت

قرون الحكم للترك المغول ـ المماليك ـ والترك العثمانيين ـ فلما طال ليل التخلف ، التابع من غيبة التوازن ، لاختفاء الوسطية ، رأينا التراجع وقد صار جمودا .. ورأينا هذا الجمود وقد أثمر ـ بمرور القرون ـ هذا التخلف ، الذى نتساءل الآن عن سبب وقوع المسلمين فيه !..

● وكانت وسطيتنا الاسلامية قد صنعت ذلك التوازن الدقيق بين "الدين" و"الدولة" ، عندما وقفت شريعتها الاسلامية الالهية الثابتة عند المقاصد والفلسفات فيما يتعلق بشئون الدولة وسياسة المجتمع وتنمية العمران ، الأمر الذى جعل من هذه الشريعة إطارا ، الامة بداخله هى مصدر السلطات ، تبدع فى شئون "الدولة" إبداعها المحكوم بروح الشريعة الالهية ومقاصدها التى وقفت عند الثوابت والأصول ..

وفى ظل هذا التوازن صنعت أمتنا تقدمها .. فلما غاب ، وتوزعتنا دعوات تبعنا فيها سنن الأمم الأخرى ، شبرا بشبر وذراعا بذراع !.. فقال منا نفر بما يشبه "الكهانة" و"الدولة الدينية" .. وقال آخرون "بعلمانية" تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؟!.. كان هذا الباب من أبواب التخلف الذى دخله المسلمون يستعيرون "مشكلا" كى يستعيروا له "الحلول" ، ذاهلين عن وسطيتهم الإسلامية ، وغافلين عن التوازن الذى أثمرته فى هذا الميدان !

تلك هى "الوسطية الاسلامية" : الخصيصة الجامعة ..

كانت "زاوية الرؤية" لكل سمات حضارتنا العربية الاسلامية إبان ازدهارها وعطائها ..

وكانت "المزاج" الذى طبع قسمات هذه الحضارة ، عندما كانت منارة الدنيا بأسرها ..

وكانت "الروح" السارية فى "المكونات : الثوابت" ، التى مثلت "هوية" هذه الحضارة و"جوهرها" ..

فإذا نحن سألنا وتساءلنا : لماذا تخلف المسلمون ؟.. فعلينا أن نعى هذه الحقيقة عندما نجيب ..

وإذا قلنا ـ مع القائلين : " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" .. فعلينا أن نعى المضمون الحقيقى لما صلح به أمر "أسلافنا العظام" .. والذى ، عندما غاب ، أصابنا ما أصابنا فى عهد "السلف غير الصالح" ؟!.. منذ عسكرة المجتمع الإسلامى وشوائب عجمته على يد الترك المماليك !..

وصدق الله العظيم : ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ) ..

وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : "الوسط : العدل . جعلناكم أمه وسطا[١]" . انها الخصيصة الجامعة .. تقدم المسلمون عندما كانت لها فى حضارتهم هذه المنزلة التى أشرنا إليها .. فلما غابت ، افتقدت هذه الحضارة خصيصة تقدمها ، فكان التخلف الذى عشناه ، والذى تجتهد يقظتنا الإسلامية الحديثة فى معالجته حتى الآن !

(١) رواه الامام احمد

# أقوال معاصرة

● « انا سعيد وفخور لانني اعيش عصر نجيب محفوظ »

**عاطف صدقي**
**رئيس الوزراء**

● « المصريين حتى لو كانوا لامبالين لهم كرامة وطنية كامنه ، وهذا شيء غريب جدا »

**نجيب محفوظ**
**الحائز على جائزة نوبل ١٩٨١**

● امريكا لم تستطع التاثير على شامير، ولكن شامير هو الذى اثر على امريكا !! »

**ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق**

● « لن نقبل ما ترفضه اسرائيل .. »

**دوكاكيس مرشح الرئاسة عن الحزب الديمقراطي**

● « نحن لسنا من فصيلة اولئك الذين يدخلون مكتب الرئيس بارائهم ويخرجون برأيه »

**نيكولاى ايفانوف وكيل نيابة سوفييتى**

● نحن نسير ببطء ، نحن نفقد الوقت، وهذا معناه اننا فى طريقنا الى الفشل .. »

**جورباتشوف**
**الرئيس السوفييتى**

● « الحكومات قد تذهب ولكن المشاكل تبقى .. »

**زفينجو مسنر**
**رئيس وزراء بولندا السابق**

● « يستطيع اليهود دائما أن يصنعوا ضجة كبيرة ، انهم اساتذة فى صنع الضجة ، ولا شيء يعلو على الضجيج الذى يحدثونه .. »

**المخرج الامريكى هوارد هوكس**

● « اننا نعيش فى عالم فيه أسلحة نووية ، وما دامت هذه الحقيقة لن تتغير ، فلنتعلم كيف نعيش مع القنبلة .. »

**ريتشارد نيكسون**



عاطف صدقي



دوكاكيس



جورباتشوف

بقلم : د. شكري محمد عياد

# الحُبّ والغريزة

في أول لقاء لكمال ، بطل ثلاثية " بين القصرين " بجسد المرأة ، تكاد تصعقه المفاجأة :

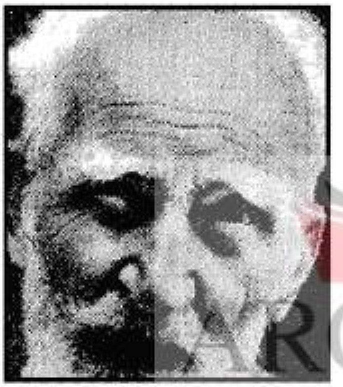
« اتسعت عيناه إنكارا .. وشعر بان كلا منهما في واد . وما ابعد المدى بين وادي اللذة ووادى العمل .. انهدم في لحظة ما اقامه الخيال في ايام ، وجرت مرارة الامتعاض في ريقه . غير ان الرغبة في الاكتشاف لم تفتر فغالب انزعاجه ثم حرك ناظريه صوب الجسد العارى حتى استقر على هدف ، وبدا حينا كانه لا يصدق عينيه . واحدّ بصره في انزعاج وتقزز حتى شعر في النهاية بما يشبه الرعب . أهذه هي الحقيقة ام انه أساء اختيار المثال ؟ ولكن مهما يكن من سوء اختياره فهل يغير هذا من الجوهر ؟! ونزعم اننا نحب الحقيقة ! »



عمانويل كانط



شارل بودلير



برنارد شو .. مؤلف بيجماليون

● إن هذا الشعور طبيعي جدا ، ولايدل على أن " كمال " أو الروائي العظيم الذي صور شخصيته ، كان مصابا بالعنة المؤقتة أو الدائمة كما توهم بعض النقاد ، إن حيرة الحب بين المثال والواقع ، بين الجمال والغريزة الجنسية ، ليست إلا مظهرا من مظاهر الحيرة بين مطالب الجسد ومطالب الروح . ولو كان الخيار واضحا ومحددا لهان الأمر . ولكنه ليس كذلك بالنسبة لمعظم الناس ، أوقل إن الطبيعة البشرية لا تحتمل التضحية بأحد الجانبين لتخلص للجانب الآخر . فالمثال يحن دائما للتجسد في واقع حي ( كما تدل أسطورة بجماليون ) والغريزة تسبغ على نفسها من صفات الجمال ما يجعلها مقبولة لدى الجانب الأسمى في الانسان ، ثم تتوهج حين تصل الى قمتها فلا يدرى إن كان يذوب في سعير الجسد أم يسبح في سموات الروح .

ومن عبث الحب والغريزة بالإنسان أن أحدهما يمكن ان يتخفى في ثياب الآخر بسهولة تامة ، بل وربما تغيرت ملامحه نفسها فاصبح هو الآخر بذاته كما كان يحصل للدكتور جيكل والمستر هايد . ومع أن الانسان يحرص على الا يخلط بينهما ،

التقفز على

# الأشواك

فيرفع أحدهما الى درجة القداسة وينزل بالآخر الى حضيض الدنس ، تراه أحيانا يتعمد فيمد يده الى " الحب " محاولا تعرية جزء من جسده لتظهر " حقيقة " الغريزة تحت " أكذوبة " الجمال . ولعله بذلك يحاول ـ دون وعى ـ أن يشفى نفسه من تلك الصدمة القديمة التى زلزلت كيانه حين همس له طفل يكبره قليلا بحقيقة مجيئه الى هذه الدنيا . ولعله بقى مدة غير متقبل لهذه الحقيقة . ولا اظن ان اى برنامج حديث للتربية الجنسية يمكن ان يقيه من هذه الصدمة ، ولا ان يعطيه المعلومة الضرورية فى الوقت المناسب . ستظل " الحقيقة " محرمة ، كالقدر فى ماساة يونانية ، لايعرف كنهها إلا حين تهبط كالصاعقة .

والحب يعم ويخص ، ويجد فى خصوصيته القوة الدافعة التى تبقيه حيا . ولو بقى الحب معلقا بالجمال المجرد لما أطاق المحب النظر الى المحبوب ، فإما أن يجن أو يقتل نفسه وإما أن يهرب من وجهه . ولا محبوب أجمل منظرا من هذا العالم ، بسمائه ونجومه ، بأشجاره وأنهاره ، بشمسه وقمره . فلو أن طفلا قيل له أن هذا كله من صنع الله وصورة من جماله وكماله ، ووعى قلبه هذه الحقيقة لما أطاق النظر الى هذا الجمال كله ، ولاعتراه من الوجد ما يجعله يلقى بنفسه من قمة جبل ، كما تصور الغزالى . ولكن اكثرنا ننظر إلى هذا الجمال ولا نعيه ، ونعيش فيه ولا نشعر به ، وحين أراد "كانت" أن يحلل الشعور بالجمال أخذ نموذجه من زهرة ، ولم يأخذه مثلا من جبل أشم ، أو واد سحيق ، واصفا مثل هذه المناظر "بالجلال" وهو عنده شعور مختلف عن الشعور بالجمال . ومثل هذا الشعور لايطيقه المرء إلا فى لحظات عابرة .

ولكن الحب ، هذه العاطفة الثابتة ، يتعلق بشيء مخصوص أو إنسان مخصوص . فالحب ـ كما قلنا فى مناسبة سابقة ـ ينزع الى امتلاك المحبوب ،

وأنت لاتقدر أن تمتلك كل جميل ، ولا كل الأشياء الجميلة ، ولا الجميل الذى لاتستطيع أن تحتويه فهذه الرغبة فى الامتلاك هى القوة الدافعة التى تحيل الشعور بالجمال الى حب كما أن الشعور بالجمال هو الذى يمسك الحب أن يصبح شهوة مجردة ، وسيطرة خالصة فيموت الدافع بمجرد تحققه ، ولا يتجدد الطلب إلا بتجدد الدافع ، والحب الصحيح مقترن أبدا بالشعور بجمال المحبوب ، ولذلك يظل لصيقا بأمور الروح ، فهو مثل الإيمان لايحتمل التشريك ، فإذا مال نحو إشباع الشهوة استزاد من السرور بالجمع بين اكثر من محبوب واحد ، كما يجمع الآكل بين ألوان الطعام . وإذا تمكن الحب من النفس غلب على شهوة الامتلاك وحل محلها الشوق الى الامتزاج أو الفناء فى المحبوب فلا يكون للشهوة الجسدية حظ إلا بقدر إرضاء المحبوب وموافقة هواه . وإذا استغرقت محاسن المحبوب شعور محبه فربما اقتلعت شهوة الامتلاك من

اصلها فتكون لهذا البتر هزة أشبه بمس الجنون ، كما قال الشنفرى ، ولو أنه أسقط الجنون على شخص المحبوب :

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت
فلو جُنّ إنسانٌ من الجن جُنّتِ

## ● الملل

ولكن ما بال الملل الذى يعترى المحبين ؟

لو قلنا إن المحب الصادق لايعرف قلبه الملل أبدا ، لما وجدنا فى الدنيا ، ولا فى التاريخ ، محبا صادقا واحدا بهذا المعنى !

فالروح تمل ، وتتعب ، كما يتعب الجسم ويمل .

ونشاط الروح يرجع الى شعورها بأن ثمة جديدا فى المحبوب لم تكتشفه بعد ، مع أملها فى قرب اكتشافه . فإذا نقص أحد هذين الشرطين اعتراها السأم . وكثيرا ما يحدث ذلك بعد فترة من الزواج ، بل ربما كانت هذه هى القاعدة . إلا أن ضحالة الشخصية والاستغراق فى التوافه ينزل بالعلاقة الزوجية إلى مستوى العادة أو الواجب . وثمة فرق بين العادة والألفة . فالألفة تزيد على العادة بأنها لا تخلو من انعطاف الحب ، ولكنه حب يستمد قوته من الشعور بالتشابه ، أكثر مما يستمدها من جاذبية الشىء الجديد . ويظل فى الألفة مع ذلك نوع اكتشاف ، إذ أن كلا الشريكين يتساءل فى أعماق نفسه ، بينما يكون مشغولا مع شريكه بأى أمر من جد أو لهو ترى هل يستجيب لهذا الشىء ، أو لهذا الفعل ، كما أستجيب له ؟ وهكذا يظل الشريكان يرتادان آفاقا مجهولة ، فهما لايتقاربان تقاربا عفويا ، كما قد نتوهم ، بل يتقاربان بإرادة من كليهما لهذا التقارب ، وبذا تستحكم الألفة . ويكون الزمن رافدا للحب ، لا هادما له . لا سيما وأن العلاقة الجسدية إذا لم تقترن بالحب نزلت الى مستوى التخلص من بعض افرازات الجسد . وإذا اقترنت بالحب أصابها ما يصيب العلاقات الروحية من القلق الدائم ، والشعور باستحالة التحقق الكامل ، وهو شعور يمكن أن يدفع بصاحبه الى اليأس أو الاحباط ، وربما ظهر هذا الشعور سخطا على الطرف الآخر ، ولعل لهذا التحول دخلا فى الفكرة الرومنسية المشهورة عن اقتران الحب بالكره ، أما الحقيقة التى يجب التسليم بها فهى أن الحب لايعمر إلا إذا تحول الى ألفة ، وأن الملل يترصد لعلاقة الحب حين يتحول الى عادة جسدية ، أى حين تخلو من الشعور بالجمال ، فتبتعد عن منطقة الروح .

## ● الجنس لاجمال فيه

فالجنس وحده لاجمال فيه ، بل إنه قبيح ، كريه !

يقول هافلوك اليس ، أعظم أساتذة علم النفس الجنسى فى القرن العشرين ، أن أعضاء التناسل بعيدة كل البعد عن معنى الجمال ولولا فساد فطرة كثير من الناس فى هذا العصر لما احتجنا أن نستشهد فى هذا المقام بقول عالم نفسى كبير أو صغير . فالأمر واضح لاخفاء فيه فيكفى أن أعضاء الجنس هى نفسها أعضاء الإخراج ، فجمعت الأرتباطات الذهنية

المتقز على

# الأشواك

المستقذرة الى قبح الشكل ويلاحظ اليس أن التماثيل اليونانية العارية تتعمد إخفاء هذه الأعضاء أو تصغير حجمها الى درجة غير عادية ، ونضيف الى هذا أن المثال اليوناني لايبرز العلاقات الجنسية الثانوية مثل بروز العضلات وظهور الشعر فى جسم الرجل ، وكبر الأثداء فى جسم المرأة ، فتماثيل الرجل لاتشبه ما يسمونه اليوم كمال الأجسام ، وتماثيل المرأة لاتنطبق مقاييسها على ملكات الاغراء وما ذلك إلا لأن المثال اليونانى اراد أن يصور الجمال ، فتجنب ما يشير الى الجنس .

ولم يزد الفنان القديم على أن احتذى نموذج الطبيعة فى ذلك : فجمال الزهرة فى أوراقها ، وجمال المرأة فى قسمات وجهها وتناسق خطوط جسمها وكان الخالق الحكيم جعل ما يليف بالجنس جميلا ، دون الجنس نفسه ، لحكمة أرادها فى اجتذاب الكائن الحى للمحافظة على نوعه ، وشحذ قواه فى سبيل ذلك ، إذ كانت عملية الاخصاب نفسها - مع كونها تتم فى ثوانٍ معدودة - شديدة الاجهاد حتى انها لتنتهى بالموت عند ذكور بعض الكائنات . على أن طرق الاجتذاب تختلف . فقد تجتذب النحلة رائحة الرحيق ( ولو أن دور النحلة فى عملية الاخصاب ميكانيكى محض ) . وقد تجتذب بعض الطيور نغمة خاصة فى صياح الذكر أو الانثى ، وقد تجتذب أجناسا من الحيوان رائحة خاصة لعرق الأنثى فى موسم الاخصاب ، ولايمكننا أن نقول عن واحد من هذه الأحياء إن "الشعور بالجمال هو الذى يدفع الذكر نحو انثاه ، فالشعور بالجمال قسم من النشاط الشعورى الذى يخص الانسان ويمكنه أن يتحكم فى الغريزة . وهو شعور يلتحق بالمجردات ، ومعلوم أن الايقاع والانسجام - وهما ميدان لجميع الفنون وإن ظهرا فى الموسيقى على وجه الخصوص - يقومان على نسب هندسية . **فالانسان فى علاقاته الجنسية ميدان صراع بين نزوعه الى قيم الجمال الخالدة وخضوعه لمطالب الغريزة العمياء** . وعله وحده دون سائر الكائنات ( جزء من الأمانة التى حملها ! ) أن يوفق بين الاثنين فعزوف الشخص عن الجنس فى بعض الاحيان أمر طبيعى كإقباله عليه فى أحيان أخرى ، وقد حاول بعض علماء الجنس إرجاع هذا الاختلاف الى أسباب طبيعية ، كاختلاف الفصول أو منازل القمر ، وهى اجتهادات لم تثبت ، أما الظاهرة نفسها فلاتحتاج إلى اثبات ..

وقد وجدت عبادة الجنس فى بعض الديانات البدائية ، كما وجد تحريم الاتصال الجنسى فى بعض الحالات ، وكما وجب التحريم البات فى الرهبانية . وكان فى روسيا القيصرية فريق من المؤمنين يخصون انفسهم حتى يقتلوا شهوة الجنس من أصلها . والاسلام لارهبانية فيه ، ولكن القرآن الكريم يمدح سيدنا يحيى بأنه كان حصورا ، أى ممتنعا عن اجابة الشهوات ولا سيما شهوة النساء ، ويحرم الاتصال الجنسى اثناء الاعتكاف والحج .

والحرية الجنسية التى تشاهد اليوم

فى أوربا وأمريكا أمر حادث ، وكأنها رد فعل للعصر الفكتورى الذى اشتهر بالتزمت ، وكانت "بريطانيا العظمى" آنذاك ( النصف الثانى من القرن التاسع عشر ) نموذجا تحتذيه المجتمعات الغربية كلها . ففى فرنسا مثلا لقب بودلير بالشاعر الملعون ، لأنه صرح فى بعض شعره بوصف جسد المرأة وبشىء من علاقاته الجنسية . ومع ذلك فقد كان دائما الشاعر الممزق بين المثال والاكتئاب . وكانت الأخلاق الفكتورية تسمح للرجل بأن يكون شهوانيا ( فلا بد من أحد يتحمل هذا العبء ! ) أما المرأة فلا يجمل بها أن تظهر أى اهتمام بالجنس ، بل لعل الفكرة السائدة عنها كانت انها تختلف عن الرجل بحكم الطبيعة ( وهو ظن خاطىء مبنى على دور الرجل الإيجابى فى هذا الأمر ) ومن ثم فالمرأة ، الشريفة ، لا تسمح بالجنس إلا لمرضاة عشيرها ، وإن كان الرجال نظرا لطبيعتهم الشريرة كثيرا ما يلتمسون شيئا أكثر من هذه الموافقة السلبية لدى النسوة الساقطات .

ولكن هذا العصر كان فى الوقت نفسه عصر " الحب الرومنسى " ، الحب اليائس ، الحب بدون أمل ، الحب الذى يمكننا أن ننظر اليه ، من الناحية الاجتماعية ، على أنه احتجاج باك أمام المظالم الطبقية ولكننا ننظر اليه ، من الناحية النفسية ، على أنه تجريد لعاطفة الحب من أى ارتباطات جنسية ، إننا لا نتصور ، بمنطق الواقع ، أن علاقة ارمان بغادة الكاميليا كانت خالية من الجنس ، ولكننا بمنطق الرواية مطالبون بنسيان ذلك . ولم تبدأ الحضارة الغربية فى تصحيح العلاقة بين الحب والجنس إلا فى أواخر القرن ، عندما بدأت دراسة مشكلات الجنس ضمن الأبحاث الطبية ، ولكنها لم تلبث ان تشابكت مع العلوم الانسانية التى وقعت كلها تحت تأثير نظرية النشوء والارتقاء ( لم يكن فرويد ممكنا بغير داروين ) وهكذا بدأت تسود فى العالم العربى نظرة اكثر واقعية لأمور الحب والجنس والزواج ، نظرة تربط هذه المفاهيم كلها ، وتراها وجوها مختلفة لحقيقة واحدة .

وفى ضوء هذه النظرة العلمية تحدث علماء الجنس عن "فن الحب" اى ان الحب لم يعد فى المفهوم الحديث مرضا يحل بالمرء ، أو مصيبة تنزل عليه ، وهو مسلوب الارادة لايملك لها دفعا ولا صرفا ، بل أصبح فعلا يزاوله بقصد ، ويتوخى ان يتقنه ما أمكن ، مثل كل " فن " وإذا كان المفهوم القديم لنازلة الحب قد بقى فى حديثهم عن " الوقوع فى الغرام " to fall in love او Tomber amoureux فإن المفهوم الحديث قد شاع فى عبارة "عمل الحب" to make love او faire l'amour إلا ان الشىء الجدير بالالتفات هو ان هذا حب كما ان ذاك حب ، اى ان كلمة الحب اصبحت قادرة على الجمع بين المعنيين : معنى العلاقة الجنسية العابرة ومعنى الانجذاب الشخصى العميق .

ولكن نشوء هذا العلم فى بيئة الأطباء أدى إلى إهمال نسبى لعاطفة الحب - بالقياس الى "فعل" الحب ، فتركت عاطفة الحب ، في عصر العلم هذا ، لعناية الأغانى الخفيفة ، المائعة ، مما يدخل ، باصطلاح هؤلاء الأطباء ، فى مرحلة التمهيد أو الامتلاء ، التي تعقبها لحظة الاطلاق ، (كما ترى "مطرقة الخازوق" ترتفع قليلا قليلا بفعل ضغط البخار ، ثم تهوى دفعة واحدة على رأس العمود - حسب تشبيه هافلوك اليس ) . وطبقا لمبدأ التخصص ، ترك موضوع الزواج أيضا لعناية علماء الاجتماع ، وهؤلاء يبحثون فى مسائل مثل الزواج الناجح وغير الناجح وعلاقة ذلك بالأوضاع الاجتماعية لكلا الزوجين وتأثيره فى الأطفال الخ ، دون أن ينظروا الى علاقته بالحب ، أو حتى بفعل الحب .

وثمة أثر سيىء آخر لنشوء هذا العلم فى بيئة الأطباء ، وهو اهتمامهم المفرط بتصنيف "أفعال" الحب إلى أفعال سوية وأفعال غير سوية ، ولاشك أن الحالات المتطرفة موجودة في كل شيء . ولكن الطبيعة البشرية تحتمل كثيرا من التنوع ، ولاسيما إذا تجاوزنا الكلام على "فعل" الحب ، الى الحب ذاته ، بحيث يمكن القول إن لكل انسان طريقته الخاصة في الحب ، كما أن لكل إنسان طريقته الخاصة فى التدين .

والعرب الذين كانوا روادا فى فن الحب ، كما كانوا روادا فى الكثير الكثير من فنون الحضارة الحديثة ، عرفوا ذلك حق المعرفة . كان اكثرهم يرون الزواج لازما للتقوى ، كما قال ابن عباس : "لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح" . وكان بعضهم يكثرون منه ، ويعلل الغزالى ذلك بأن الشهوة اغلب على مزاج العرب ، وبعضهم لاتحصنه المرأة الواحد فيزيد على الاربع ، وربما استبدل ، وزعم أن الحسن ابن على تزوج اكثر من مائتى امرأة ، وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد وربما طلق أربعا فى وقت واحد . وكان الجنيد الصوفى المشهور يقول " احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت" يرون معاندة الطبيعة لونا من التغرير بالنفس ، وشغلا للقلب بالوساوس . وفى الطرف المقابل نجد من كبار الصوفية ابراهيم بن ادهم يقول : "لا اغر امرأة بنفسى ، ولا حاجة لى فيهن !" وبشر بن الحارث يعتذر بقوله : "يمنعنى من النكاح قوله تعالى : "ولهن مثل الذى عليهن" .

وكما تختلف طبائع الرجال تختلف طبائع النساء فلا يستقيم فى حال ما يستقيم فى حال أخرى ، أو فى معظم الأحوال . كما روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، إن لى امرأة لا ترد يد لامس . قال طلقها . فقال : إنى أحبها ، قال : امسكها !

روى الغزالى هذا الحديث وعلق عليه بقوله : وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه أنه اذا طلقها اتبعها نفسه ، وفسد هو أيضا معها .

وهذا الحديث ضعّفه الحنابلة ، ولكن فيه دليلا على أن رواته ، على الأقل - سلموا بأن للحب أحوالا قد يستسيغ فيها المرء مالا يستساغ !

# عود على بدء :

# حول مذكرات الزعيم سعد زغلول

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى




**اثار لدى نشر الجزء الثانى من مذكرات الزعيم سعد زغلول ، كما اثار نشر الجزء الاول من قبل ، بعض الخواطر التى يتصل بعضها بهذا الزعيم والبعض الآخر بالطريقة التى قدمت بها هذه المذكرات على يد الزميل الدكتور عبد العظيم رمضان .**

اما الزعيم سعد زغلول فقد اصبح ، كما اصبح عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد ، ملكا لمصر التى انجبته وللتاريخ والمؤرخين لا لحزب ما او لكتاب معينين . ولما كنا نعلم ان التاريخ حمال اوجه فمن الطبيعى ان نتوقع الا يجمع المؤرخون على حكم واحد على هذا الزعيم او ذاك ، وذلك بحكم ان نظرة كل مؤرخ تتأثر بانتماءاته السياسية والاجتماعية وبميوله الشخصية ونوع الفلسفة العامة التى تحكم تقييمه ، ولا نغض الطرف فى هذا المقام عن بعض المصالح الخفية ، وغير الخفية ، التى قد يكون لها اثرها فى توجيه الدراسات توجيها ما .

اما الفلسفات التى تحكم تقويم الشخصيات البارزة فقد تطورت من

عصر الى عصر : فحتى بروز العاملين الاجتماعي والاقتصادي في تفسير التاريخ كان جل الاهتمام منصبا على القادة والزعماء واقطاب الفكر محورا لنشاطات مجتمعاتهم وعصرهم فيما عرف باسم «العبقريات» التي عبر عنها الكاتب الانجليزي توماس كارلايل في كتابه « الابطال وتقديس الابطال والبطولة في التاريخ » وذهب الى أن التاريخ ليس سوى سجل لهؤلاء الابطال الذين يكفي ظهورهم لتوجيه مجتمعاتهم الى السير وراءهم دون أن يكون لها ادنى تأثير في حركة التاريخ ولا تزال مجتمعات معينة في العالم الثالث بوجه خاص تأخذ بهذا المنطلق بحيث تعتبر حكامها مبعوثي العناية الالهية للاخذ بيدها هي أن لم يكن بيد الانسانية جمعاء ، وبحيث اذا أوتي أحدهم الاجل المحتوم زلزلت الارض زلزالها ووقفت حركة التاريخ الى حين، انتظارا لظهور مبعوث آخر للعناية الالهية ! ومما ساعد على هذا التوجه تطور وسائل الاعلام مرئية ومسموعة ومقروءة،وهي لاتنفك تطارد الجماهير وتفرض عليها المفاهيم الشمولية المتركزة في شخص زعيم أوحد يخلع عليه من الصفات مايجعله اقرب الى الرسل والقديسين وذلك بحجة بلورة الاماني القومية في شخصه وتقديم نموذج حي من شأنه ان يقرب الى افهام الجماهير المتخلفة التجريدات التي قد يصعب عليها تمثلها . وللحفاظ على هذا النموذج تتوقف حركة النقد ويعتبر من ينقد الزعيم « مهرطقا » تحل عليه اللعنة وأعمال التنكيل جزاء وفاقا لما اقترف قلمه او لسانه وبالتالي لا يطفو على السطح الا من يتبارون في التغني بمزايا الزعيم ومآثره ويضفون عليه من الاوصاف ما يجعل منه اسطورة ..

وفي مثل هذه البلدان الشمولية لا يبرز من المؤرخين سوى من يعبرون عن وجهة النظر الرسمية بحيث تفتقد دراساتهم التوازن والنظرة النقدية الشاملة التي تنزل الزعماء من مستوى الرسل والقديسين الى مستوى البشر الذين يمشون على قدمين . **ونحن لا نضع زعماءنا في قائمة الرسل «وانصاف الآلهة» ، وانما نقيمهم في اطار عصرهم ونعتبرهم انعكاسا للاوضاع العامة التي تحيط بهم وتؤثر فيهم ـ اذ النظرة الاجتماعية في تفسير التاريخ تعطي الاسبقية للمجتمع لا للزعيم (!) . والزعيم الحق** هو الذي يتمثل آمال مجتمعه ويحسن التعبير عنها بعد ان تتيح له صفاته العامة ان يتقدم الصفوف . ومن الطبيعي أن يصيب الزعيم ويخطىء ، وعلينا أن نغتفر له بعض اخطائه غير المقصودة حين نقارنها بانجازاته وأهدافه وبالقوى التي تتصدى له وقد ترغمه على الانحراف عن هذه الاهداف ، أو تتسبب في فشله والاضرار بالمصالح القومية .

## ● اتهامات باطلة !

وفي القرن الماضي وأوائل هذا القرن وجهت المطاعن الى الزعيم احمد عرابي وبالتالي الى الثورة العرابية فقيل عنه أنه « فلاح » جاهل لم يدرك ابعاد السياسة الدولية وانه اخطأ حين تصدى للسلطة الشرعية بل لقد قيل انه تقاضى من الانجليز رشوة من النقود ، التي بولغ في أمرها فقيل انها كانت نقودا مزيفة ، وذلك في مقابل ان ينهزم في موقعة التل الكبير، ووجهت سهام الاتهام الى اولى



احمد عرابى



سعد زغلول



جمال عبد الناصر

الثورات المصرية الكبرى واطلق عليها اسم « هوجة عرابى » وقيل عن الزعيم مصطفى كامل انه خيالى مجنون وقيل مثل ذلك عن محمد عبده وهوجم قاسم أمين فى حياته وبعد مماته ـ وكثير من الاتهامات صدر عن انصار الاحتلال وبعض الفئات الرجعية فى المجتمع المصرى .

وفى التاريخ المعاصر اخذت معاول الهدم توجه الى الزعيم جمال عبد الناصر بعد وفاته ، وحمل هذه المعاول بعض من سبحوا بحمده اثناء حياته وخلعوا عليه من الصفات ما يخلع عادة على زعماء الدول الشمولية .

وأهمها ايطاليا الفاشية والمانيا النازية وروسيا ستالين وخروشوف وبريجنيف وصين ماوتسى تونج . وكانت نتيجة كل هذا مراجعة كتب التاريخ من وقت الى اخر بعد كل تعديل فى القيادة ، وذلك وفقا لتوجهات الحكام الجدد ورغبة فى ارضائهم .

أما سعد زغلول فلا يمكننا ان نقيم دوره فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر دون ربطه بكفاح الشعب المصرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : وهو الكفاح الذى قدمت مصر خلاله مئات ، بل الاف الضحايا دون ان تنثنى لحظة عن العمل على التحرر الوطنى وتحقيق الاستقلال ولهذا فان انفجار الثورة فى عام ١٩١٩ ، وهو الانفجار المفاجىء الذى أذهل بعض المصريين كما أذهل سلطات الاحتلال . لم يكن حدثا عرضيا ، بل حصيلة كفاح الشعب المصرى المستمر ضد أعتى القوى الاستعمارية فى التاريخ الحديث . فقد عمت الثورة مصر من اقصاها الى اقصاها واشتركت فيها جميع فئات الشعب من اعلاه الى أسفله . ورغم ان أسباب الثورة كانت مختمرة فان السبب المباشر لاشتعالها كان القبض على سعد زغلول ورفاقه ونفيهم الى جزيرة مالطة فى مارس ١٩١٩ . وفى غياب سعد فى مالطة ثم فى باريس نظم المصريون صفوفهم وبرزت قياداتهم ، وتحول سعد الى رمز للثورة وساعده على ذلك ما كان من قوة شخصيته ونشاطه السابق فى الحياة العامة وبلاغته . ولكن اخذ عليه منذ البداية انه كان يضيق بالمعارضة ويسعى الى فرض رايه على زملائه فى الحركة الوطنية وهو الاتجاه الذى ادى الى خروج الكثيرين من « الوفد » وهم لا يقلون وطنية عن سعد واتباعه ، وانقسام الحركة الوطنية الى « زغلوليين » وغير زغلوليين ، بعكس ما حدث فى الهند حيث توفرت للحركة الوطنية زعامة اوسع افقا تمثلت فى المهاتما غاندى الذى حافظ على وحدة حزب المؤتمر حتى تحقق الاستقلال .

ومنذ البداية سجل بعض معاصرى سعد اخطاءه التى أدت الى انقسام الصفوف والانحراف بالزخم الجماهيرى عن مقاومة الاحتلال الى الصراع الحزبى الضيق الذى عانت منه مصر الكثير فى اعقاب الثورة واستغله الانجليز احسن استغلال او اسوأه . وقد انتقد بعض معاصرى سعد توجهه هذا ، ومنهم عبد العزيز فهمى (٢) الذى يعتبر من أنزه معاصريه واكثرهم وطنية والدكتور محمد حسين هيكل وعبد الرحمن الرافعى حقيقة قد انتمى امثال هؤلاء لاحزاب معارضة للوفد ، الا إنهم كانت لديهم اسباب فعلية تدعوهم الى انتقاد سعد منها محاباته لانصاره وتشكيله بخصومه الذين أسرف فى مهاجمتهم ووصفهم بأنهم « برادع الانجليز » وانهم «جورج الخامس يفاوض جورج الخامس »، علما بأنه هو ذاته قد فاوض ملنر فى أوائل العشرينيات وفاوض رمزى مكدونالد فى عام ١٩٢٤ حين كان رئيسا للوزارة . فكأنه الوطنى الاوحد وكان الاخرين الل وطنية ، وبذلك وضع سنة أنه دون المصريين يمثل الشعب ، وهى السنة التى سار عليها حزب الوفد حتى ثورة ١٩٥٢ ، ومن ثم رفضه – هو وخليفته النحاس – أى توحيد للصفوف الا تحت زعامته وبشروطه أيا كانت النتائج .

ويذهب الدكتور عبد العظيم رمضان الى أن المقدمة التى كتبها للجزء الاول من الذكرات قد اثارت ثائرة القوى السياسية التى حاولت اهالة التراب على تاريخ الوفد دون أن يحدد هذه القوى او الاسباب التى جعلتها تثور بعد نشر هذا الجزء . وهذا القول انما يذكرنى بدون كيخوته وهو يحارب طواحين الهواء ! فتاريخ الوفد قد تمت دراسته فى رسالتين قدمتا الى جامعة عين شمس تحت اشرافى أيضا، ولا توجد عقبة فى وجه من يريد الاطلاع عليهما ، وبالتالي فلا يوجد من يود أن يهيل التراب على تاريخ حزب الوفد او تاريخ غيره من الاحزاب ، يضاف الى ذلك أن الدكتور عبد العظيم كرر فى تقديمه للجزء الثانى من الذكرات تهجمه على زميل كان قد تقدم برسالتيه للماجستير والدكتوراه عن دور سعد فى السياسة المصرية وذلك لان النهج الذىاتبعه هذا الباحث – الدكتور عبد الخالق لاشين – لم يرض الدكتور عبد العظيم وحزب الوفد الجديد الذى ينتمى هو اليه ويكتب فى صحيفته . وحين قدمت لدراستى لاشين اشرت الى خطورة عبادة البطولة بالنسبة الى الاحياء والاموات ، واضعا نصب عينى ما كان يقال حينئذ عن هذا الزعيم او ذاك دون أن اقصد سعد زغلول بوجه خاص – اذ كان هدفى هو ارساء النظرة النقدية الموضوعية فى حياتنا العامة سواء بالنسبة الى التاريخ او الى السياسة المعاصرة ، دون أن أزج بالدراسات العليا فى الكلية فى صخب التوجهات الحزبية الضيقة وما تتضمنه من مغالطات وتجريح وتحريف .

ولطالما اختلفت مع أستاذنا الراحل الدكتور أحمد عزت عبد الكريم حول سعد زغلول بالذات وحول التاريخ المعاصر بوجه عام . فلقد كان أستاذنا شديد الحرص على الموضوعية التاريخية التى كان يخشى أن تمس نتيجة لتناول الفترات قريبة العهد بنا ، فى الوقت

الذى كان فيه منجذبا عاطفيا الى سعد زغلول الذى صافحه ـ وهو تلميذ ـ فى قنا ، وظل يصف لنا حتى وفاته شعوره وهو يصافح هذا الزعيم السياسى الشهير . وعلى غير قناعة منه وزعت تاريخ أحزابنا السياسية على بعض طلبة الدراسات العليا ، وحين اشترك أستاذنا فى مناقشة رسالتى لاشين عن سعد زغلول كان شديد الوطأة على الممتحن الذى وجه النقد فى مواضع من رسالتيه الى زعيم أستاذنا المحبوب . ورغم ذلك كله سارت القافلة وشقت طريقها دون فرض راى على الباحثين الناشئين الذين الينا على أنفسنا أن نشرب فيهم حرية الراى بشرط أن يتحملوا مسئولية استنباطاتهم . ولا اكتم اننى لم اكن مقتنعا بتوجهات احزاب ما قبل ١٩٥٢ وأننى لم اقر يوما الاساليب الديماجوجية التى سار عليها بعض زعمائنا الذين لعبوا على عواطف جماهيرنا الطيبة ، ولا اقول الساذجة ، دون ان يسعوا الى تربيتها سياسيا واعلاء توجهاتها (٣) .

ومع تقديرى للجهد الذى بذله الدكتور عبد العظيم رمضان فى تحقيق جزئى المذكرات فاننى لا اوافق على بعض ما جاء فى تقديمه لهما وفى التذييل الذى اورده الجزءالثانى . فلقد كنت افضل له ان يقصر تقديمه على التعريف بالعمل الذى قام به وأن يورد ملحوظاتهعلى جهد الاخرين فى دوريات علمية لان يقصرها على لجانالترقيات! وقوله ان مقارعة الحجة بالحجة لاتكون الا بين الاكفاء فى الدرجات العلمية والمناصب الجامعية انما هو من قبيل الشطط ، اذ معنى ذلك تقسيم المعرفة تقسيما طبقيا بمعنى أن لا يحاور المدرس الجامعى الا المدرس الجامعى ، ولا يحاور الاستاذ المساعد الا أستاذ مساعد ولا يحاور الاستاذ الا أستاذ مثله وان ليس لكل هؤلاء ان يحاوروا العميد أو العميد السابق الذى هو ـ فى رأيه ـ أعلى درجة ! واذا صح هذا المنطلق ، وهو ليس صحيحا أصلا ، فليس من واجب من هم خارج الجامعة ان يحاوروا أعضاءها التدريسية . فهذا اغرب ما سمعناه عن وضعية الحوار العلمى الذى اعتدناه مفتوح الابواب بغض النظر عن المناصب والالقاب مادام المتحاورون على درجة من المعرفة تؤهلهم له سواء أكان لديهم انتاج علمى غزير او لم يكن ـ فما أكثر الانتاج الذى لا يضيف شيئا ذا بال ، وما أقل الاعمال المتميزة فى هذا الزمان الذى غلب فيه الكم على الكيف .

وأخيرا فنحن فى انتظار الاجزاء التالية من مذكرات سعد زغلول التى لا شك ستضيف الكثير الى تاريخ مصر الحديث خاصة وان كاتبها قد سطرها على شكل يوميات ـ لا ذكريات ـ وأودعها آراءه الصريحة بالاحداث والاشخاص حتى ولو على حساب نفسه ونود أن لا يورد المحقق هذه الاجزاء تعريضا بالاخرين حتى لا يشوه الجهد المبذول فى تحقيقها . فالدراسةالعلمية لها من المواصفات ما يختلف عن الصحافة اليومية والدعايات الحزبية .

---

(١) راجع كتاب بليخانوف : دور الفرد فى التاريخ .

(٢) راجع مذكراته .

(٣) راجع نقدى لاحزابنا السياسية القديمة فى كتابى عن « توفيق الحكيم ـ افكاره ، اثاره » الذى نشر فى عام ١٩٥٢ .

# بين صراع الأفكار والحرب الفكرية

بقلم: مصطفى الحسيني

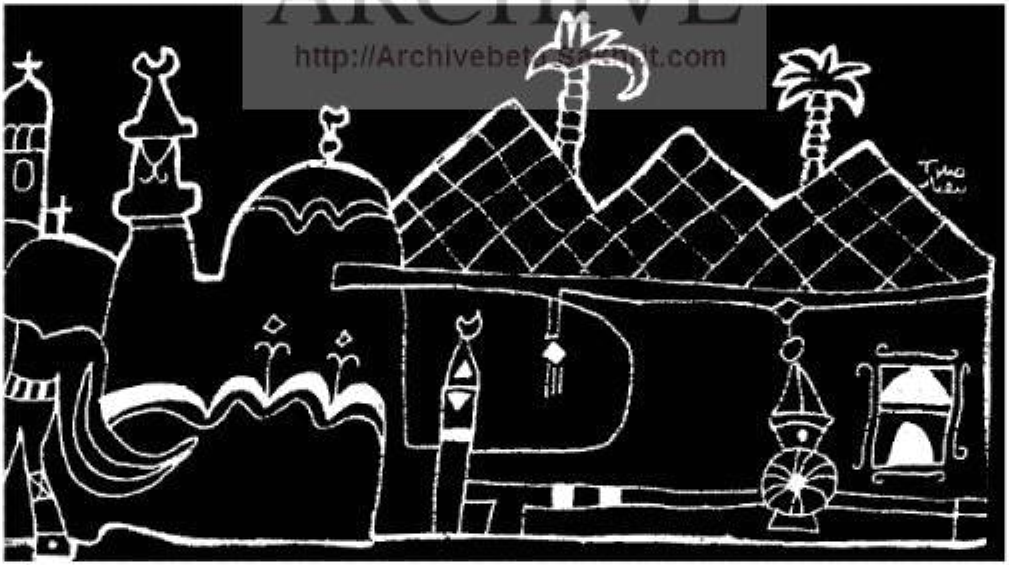
ولقد كنا امة حصيفة

فما ان وقعت بنا تلك الهزيمة الكبرى فى ١٩٦٧ ، حتى رحنا نفتش في داخلنا عن ماعساه يكون فينا ، اوردنا ذاك المورد .

على انه مالبثت ان عصفت بنا وبالبابنا جيوش غير مرئية اسلحتها من سموم الافكار .

فخرج علينا من صفوفنا من يتباهون باننا ، بناة الاهرام ، ثم يسفهون ما بنينا إبان سعينا الى النهضة ، يسفهون السد العالي والصناعة وانتشار التعليم ، واى منها اجدى لنا من الاهرام بل وانفع مما كانت لمن بنوها .





ومن يسمون ذودنا عن الوطن مغامرة وحماقة ، ويسمون تضحياتنا تبذيرا .

وتصدّر منابر للرأى والتعبير نفر من هؤلاء .

ومن يتباهون بأننا "قهرنا الصليبيين" ثم يجعلون من « الظاهر بيبرس » و « قطز » موضوعا للهزل الهزيل فى تمثيليات تليفزيونية كتبها وقدمها واجازها نفر بضاعتهم الجهل و التجهيل ، هذا ان اخذنا انفسنا بحسن الظن والنية .

ومن هذه البذور المسمومة ، انتشرت « قيم شعبية » خطرة على رغم مايبدو فيها من هزل او من مرح .

قيم من قبيل الهتاف فى مناسبة وفى غير مناسبة « المصريين اهم » . دون ان يفكر الهاتفون والمرددون فى ان يسألوا انفسهم : « وماذا يفعلون » ؟ ...

ومن قبيل المزاح بالمباهاة مثل القول : « احنا اللى خرمنا التعريفة » أو « احنا اللى دهنا الهوا دوكو » . ولم يخطر على بال احد أن هذه الترديدات - على مايبدو فيها من مرح ساذج - اعلان الافتقار الى المنجزات والمآثر .

ومن قبيل ماتنشره صحفنا بجدية ورصانة مضحكتين ومؤلمتين معا عن « الفهود المصريين » . فتروى قصة مصرى فى بلد عربى اندفع بين سيارات مسرعة لينقذ عجوزا تعثر ، أو قصة شاب قفز إلى النيل بثيابه الكاملة لينقذ طفلة سقطت فيه .

ولاشك ان الافراد الذين فعلوا هذا شجعان ذوو نخوة وشهامة . وشجاعتهم ونخوتهم وشهامتهم هى بعض خلق فاضل تميز به هذا الشعب .

**لكن مايدل عليه هذا التباهى هو اننا لم نعد نجد فى حياتنا ما نفخر به من تعبيرات هذا الشعب سوى هذه الافعال العارضة .**

بل ولعل من يروجون لهذه الحوادث ولقصص « الفهود » - ودون ان يدروا - يخدعون انفسهم ويخدعون الجمهور معهم عن عادات البلادة وضعف الحس العام والخاص التى تنتشر فى حياتنا .





## بيان
## صراع الافكار والحرب الفكرية

وليست هذه الامثلة من قبيل التفاصيل، وليس ايرادها من باب المبالغة فى دلالتها . فما الحياة الا تفاصيل، تفاصيل، ومنها يتكون نسيجها، وبقدر رثاثة التفاصيل يكون ترهل النسيج .

هذه المباهاة الكاذبة هى اعلان عن الفقر .

وهو اخطر الفقر، لانه فقر الثقة بالنفس، افرادا وجماعة . ولا يأتى فقر الامم الى الثقة بنفسها اكثر مما يأتى من تدهور الوعى بقيمة الوطن، ومن تمزق العقيدة الجامعة الدافعة لابنائه .

وهذا هو الذى يجعل الحرب الفكرية لاقرار قيمة الوطن والحفاظ على عقيدة ابنائه الجامعة الدافعة، فرضا على المشتغلين بالفكر والرأى، حتى تستقر قيمة الوطن والعقيدة الجامعة الدافعة للمواطنين، خارج صراع الافكار المشروع، وشرطا له .

فما بالنا اذا كان بعض ما يجرى عدوانا صريحا على هذا الحرم ؟

ـ ٢ ـ

لماذا القول بان "قيمة الوطن والعقيدة الجامعة الدافعة لابنائه" يجب ان تبقى خارج دائرة الصراع الفكرى المشروع، ومهما احتدم هذا الصراع ؟

والاعتقاد المستقر ان الجواب بديهى :

"لانه لا قيمة ولادورا ولاوجودا حقيقيا لجماعة بشرية ان كانت تفتقر الى الوطن كوجود مادى، او الايمان به وبتميزه ـ اى امتيازه النسبى واولويته على غيره عند الجماعة كوجود معنوى . ولا يبقى وطن ويتعزز دون جهد ابنائه المنتمين اليه ـ عقولهم وسواعدهم ووجدانهم ـ مُسخَّرة لاعماره وبنائه وانمائه، وكلها اضافة الى دمائهم للذود عنه، ولا يتحقق هذا اوشىء منه دون عقيدة دافعة وجامعة .

لكن تواريخ الاوطان والامم قد تعرف غير ذلك، ففى ازمنة الهزات والزلازل التى قد تصيب الامم، يحدث احيانا ان تختلط الامور، وتهتز البديهيات، فنجد الامم انفسها وهى تسأل انفسها : من نحن ؟ وبماذا نعتقد ؟ وماذا نريد ؟

ولقد شهد تاريخنا المعاصر شيئا من ذلك تميز بالعمق والقسوة متمثلا فى الهزيمة العربية امام اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ .. وربما زاد من قسوتها انها اتت فى خضم موجة من الثقة بالنفس وبالمستقبل ولعلها كانت ثقة بالنفس مفرطة وغير بصيرة .

وان كانت لمرير الهزائم فوائد، فالفائدة التى كانت ترتجى من هزيمتنا فى ١٩٦٧، هى بالذات ان تكسر من افراط هذه الثقة بالنفس وان تجلو بصيرتها . كان المرتجى ان نتعلم منها ان حد السيف يكذب مهما كان مرهفا وصقيلا، وان الرمح يطيش مهما كان ثقيلا، طالما اليد كليلة والبصر زائغ والوعى مدخول والفؤاد ذاهل .

فى اعقاب الهزائم الكبرى، وفى باب مراجعة النفس، تدخل الى حلبة الصراع الفكرى الموضوعات التى لم يكن يجوز ان تدخل ويصبح كل شىء تقريبا مادة

مشروعة للمناقشة والجدل . انما "كل شيء تقريبا" ، لا "كل شيء على اطلاقه" .

ففيما يتصل بالوطن وقيمته ، يدخل الى حلبة الصراع مدى وضوح ادراكنا لقيمته ، وكيفية تعاملنا مع هذه القيمة ، وصحة ادراكنا لقدراته وكيفية استخدامنا لهذه القدرات .

انما ليست هوية الوطن ولا قيمته . فهذه تبقى خارج ماهو مشروع في المناقشة .

وفيما يتصل بالعقيدة التي تجمع ابناءه وتدفعهم ، تدخل الى المناقشة المشروعة ترتيب اهمية عناصر هذه العقيدة ، ومدى السداد او التقصير في استنباط طاقتها واطلاقها .

انما ليست مكونات العقيدة ، فضلا عن القول بالحاجة الى استبدالها بعقيدة اخرى .

فالاوطان تتكون تاريخيا ، وخلال عملية التكون يكتسب الوطن قيمته عند ابنائه ، ولا تتوقف عملية التكون التاريخي ، انما هي تستقر على اسس رواسخ ، تستوعب ما يتجانس معها ويضيف اليها من المستحدثات والمستجدات ، وتلفظ ما عداها . اما الاسس الرواسخ فتبقى هي قيمة الوطن اما العقيدة التي تجمع ابناء الوطن وتدفعهم ، فلا يختارها افرادهم او قادتهم او اهل الصفوة منهم ، انما يستنبطونها استنباطا صحيحا من تاريخ ابناء الوطن فاعلين في تربته وفي سبيل اعماره ونمائه ، باذلين في سبيل الحفاظ عليه .

وما يحكم اصول هذه العقيدة يماثل ما يحكم صيرورة المادة في الطبيعة ، فان كانت المادة لا تفنى ولا تستحدث فان العقيدة الجامعة الدافعة لابناء الوطن لا تستورد ولا تستجلب ، فضلا عن انها لا تهلك ولا تتقادم ولا يعفو عليها الزمن . يسري هذا على العقيدة بكيانها المتكامل مثلما يسري على كل من مكوناتها . انما هذه العقيدة بتمامها وبمكوناتها ، يجري عليها التطور والتحور ، بالاكتساب وبالاسقاط خضوعا لقانون الزمن وفعله ، وتبقى المكونات ثوابت الا ما يتغير من اوزانها النسبية في مجمل العقيدة ، على نحو ما يجري في تفاعل عناصر المادة في الطبيعة . وفي سياق هذا كله ومجراه ، فان ما يدخل عليها منافيا لها لا يبقى ، رواسخها واصولها تلفظه .

وبالطبع ، لا يعني هذا ان هذه العقيدة تتكون وتنمو منغلقة على انفسها ، انما تتكون هذه العقيدة وبعض مكوناتها ات اليها من غيرها تهضمه وتتمثله ، وتتوقف قدرة المكونات الوافدة على البقاء على قابليتها لان تنهضم وتتحول الى بعض ماء الحياة . كذلك فان قدرة الامم على الاستفادة من معارف غيرها ومآثرهم تتوقف على قابلية هذه المعارف والمآثر على الاندماج في مكونات عقائدها والتوحد فيها ، كما تتوقف على قدرة الامم على ما تتلقى من هذه المعارف والمآثر . كما تتوقف على قدرة الامم على ان تعطي غيرها من معارفها ومآثرها حتى يتحول التلقي الى تلاقح . فبهذا تقوم كرامة الامم وتصان ، وبه تنمو حضارتها وتزدهر .

فالامة ان عولت في معارفها على سواها ، اضاعت على نفسها وبنفسها القدرة على الاتيان بالمآثر ، وان عولت في قيمها على تقليد من عداها تعذر عليها الادعاء بالكرامة وضيعت احترام نفسها مهما تباهت ، فلن يكون هذا الا خواء ، خواء .

# بين صراع الأفكار والحرب الفكرية

وفى هذا كله لا خير ولا نماء ، ولا مستقبل .

\- ٣ -

اذا تأملنا قيمة الوطن عند مواطنيه ، وجدناها مع العقيدة التى تجمعهم وتدفعهم كلا لا يتجزأ ، بل يستحيل ان تجرى عليه التجزئة حتى ولو كانت لغرض المناقشة والبحث .

فقيمة الوطن تتركز فى تعريفه . وتعريفه يتكون اجمالا من جغرافيته وتاريخه ممتزجين ، وبهذا الامتزاج لا تعود الجغرافيا "طبيعة صامتة" ، وبه تتسع الجغرافيا بواسطة روابط التاريخ ، والتاريخ هو مادة العقيدة الجامعة الدافعة فهو المصدر الصحيح الذى لاصحيح غيره لوجدان المواطنين وقيمهم ، وهذا الوجدان هو الوعاء المنضبط لعقيدتهم يتسع لها دون سواها ، ومالا يتسع له الوجدان الجمعى للامة فشانه شأن ما يلفظ الجسم الحى من فضلات

فإن نظرنا الى تاريخنا - نحن المصريين - فى هذا الضوء ، وجدنا هذا التاريخ فرعونيا - هيللينيا - مسيحيا - اسلاميا ، وعربيا ، وان نظرنا الى هذا التاريخ بهذه المكونات ، واردنا النظر الصحيح ، فعلينا ان ننظر الى سبيكته ، لا ان ننحرف بنظرنا الى واحد او اخر من المعادن التى صاغت السبيكة . وعلينا ان ننظر - وفى الوقت ذاته - الى هذه المعادن كى نتبين القيمة النسبية لكل منها فى هذه السبيكة ، ولقد نجد ان اقلها اسهاما فى التكون التاريخى للوجدان المصرى هما الفرعونية والهللينية ، لم يندثرا وانما بقى منهما ما استطاعت المسيحية المصرية والاسلام والعروبة هضمه واستيعابه ، وقد نقر بدور من هذا التاريخ الحديث طفت على سطحه بعض الاستعارات والتأثيرات الهللينية بفعل البعثات التعليمية المصرية الى الخارج ، كما بفعل بعثات التبشير الثقافى الى الداخل ، كما بفعل ظروف نشاة الحركة القومية العربية الحديثة ، التى بزغت وفيها بذور من محاولة الرد على تخلف الدولة العثمانية وتهاتكها وتآكلها بالانسلاخ عنها ، فتأثرت فى ذلك بفكر الحركات القومية الاوروبية ، كما تأثرت بالتشجيع الخبيث الذى قدمته لها فى البداية الدول الاستعمارية الاوروبية قبل ان تنقلب ضدها فيما بعد .

هذا النظر الى سبيكتنا التاريخية يكشف عن ان جوهرها وجل مكوناتها هى معادن المسيحية والاسلام والعروبة ، وانما يؤخذ كل من هذه المعادن على نحو خاص ومتميز .

فالمسيحية عندنا مسيحية شرقية او مسيحية اصيلة ، فقد تبنتها مصر على نحو ما تلقتها من السيد المسيح ، وجعلتها «عقيدة وطنية» تواجه بها الحكم الرومانى ، وحافظت عليها «تعطى ما لقيصر لقيصر ، ومالله لله» ، بينما اعتنقتها الدولة الرومانية لتعطى "مالقيصر لقيصر وماالله لقيصر»

وفى هذا الفارق امران لهما مغزى اى

مغزى فى حياتنا الوجدانية المعاصرة . الامر الاول ان كون المسيحية الشرقية استمسكت بأن « تعطى مالقيصر لقيصر وما لله لله» ساعد على اقامة اقوى الروابط بينها وبين الاسلام عندما وفد اليها . فالاسلام ، من ناحية جعل من السلطة الزمنية مرشدا للناس ورقيبا عليهم فى "اعطاء ما لله لله" ، ومن ناحية اقر حقوق الناس المستحقة من بين عمد حقوق الله على الناس محكومين وحاكمين ، اما الامر الثاني فموجزه ان هذا الفرق المهم بين المسيحية الشرقية والمسيحية الرومانية يعيننا على فرز ماهو غث وما هو ثمين فى فكرة "العلمانية" التي وردت الينا ضمن ماورد من فكر هلليني ، فأصول هذا الفكر مسيحية غربية ، وهى خلاف ماعندنا فى المسيحية الشرقية التى ترابطت وتمازجت وتلاقحت مع الاسلام .

والاسلام فى مصر نأى به التاريخ عن ان يكون اسلام مذاهب ولا اسلام طوائف ، حتى ان المسلم المصرى العادي لا يكاد يعرف انه مسلم سني ، فان عرف لا يكاد يعرف ان كان شافعيا او مالكيا او حنفيا او حنبليا ، وهو ينزل الخلفاء ابا بكر وعمر وعثمان وعليا منزلة واحدة ، ولم تدخل الى تاريخه عقلية التفتيش لا فى ضمائر الناس ولافيما بينهم وبين الله ، عندما عرف الاسلام فى اصقاع اخرى هذه العقلية ، هو اسلام ان "لكم دينكم ولى دين» وهو اسلام الدعوة « بالحسني والموعظة الحسنة » ، كما انه اسلام الاندماج فى المسلمين ومعهم ، لا اسلام الانسلاخ الذى عرفته اطراف من ديار الاسلام ، الا ما وفد الينا فى العقدين الاخيرين من افكار التفتيش والانسلاخ ويتصل فرز هذا الوافد على قاعدة من الاصول الاسلامية أوثق الاتصال ايضا بحياتنا الوجدانية ، وبحياتنا الاجتماعية المعاصرة .

كما ان الاسلام فى تاريخ مصر بقى هو اسلام الناس الساعين الى ارزاقهم باعمار الديار ، وهو باق كذلك ، رغم ما يبدو على سطح حياتنا الراهنة من "ازياء" اسلامية مجلوبة من بلدان الثروات المفاجئة تستر فحش المال وجشعه بدعوى احتشام الثياب ، وتحل المضاربة على مال المسلمين فى غير ديار المسلمين بينما لا توفى العمل حقه ولا تؤتى العاملين حقوقهم . وبينما تسهم فى اعمار "دار الحرب" بما هبط عليها من ثروات بقدر ما تسهم في خراب "دار الاسلام" بحرمانها مما هو فيء للمسلمين .

ولقد نقول ان المسيحية والاسلام كما عرفهما التاريخ المصرى لم يتنازعا لان لهما هذا الوصف المميز ، فلا الكنيسة الارثوذكسية نازعت يوما الدولة الاسلامية شرعيتها ولا الدولة الاسلامية انكرت على الكنيسة وصف "الراعي الصالح" لشعبها ، بدوره ومسؤليته

اما العروبة ، كواحد من معادن سبيكة التاريخ المصرى فلم تكن "مغامرة سياسية ناصرية" كما يتردد على مسامعنا فى زماننا الاخير . فقد عرف المصريون العروبة فى وعاء اللغة العربية وتراثها قرونا وقرونا ، كما عرفوها تعريفا لذواتهم وتمييزا لانفسهم عن الاجناس الوافدة التى حكم بعضها هذه البلاد ازمانا ، هضمت فيها عروبة البلاد هذه الاجناس وجعلتهم يُعرِّفون ذاتهم كما يعرِّف المصريون انفسهم ، ولقد تداول المصريون ـ مثلا ـ قولا شعبيا مأثورا يقول ان "ظلم الترك ولا عدل العرب" عندما استبدل محمد على بجباة الضرائب الاتراك

جباة مصريين ، كانوا اكثر دراية بما يحتال به الفلاح الفقير على الحكومة واكثر حنكة فى التعامل معه لحساب الدولة التى هم عمالها ، وكان هذا قبل « المغامرة السياسية الناصرية » باكثر من قرن .

كما عرف المصريون العروبة اتصالا بشريا وامتزاجا ، عرفوها قبائل هاجرت الى مصر ، وعرفوها جنودا سُرِّحوا فى نهايات الحروب فاستقروا حيث كانوا يقاتلون ، وعرفوها ملاحين استوطنوا موانىء عربية بعيدة جمعتهم الى اهلها وحدة اللغة والثقافة والوجدان ، وعرفوها قوافل جاءت تتاجر وترحل فقرّت واستقرت ، وعرفوها حجيجا اختار ان يثوى في تراب وطئته اقدام الرسول ﷺ وآله وصحبه اجمعين .

وفوق هذا عرفوها مدارس واوقافا « تقوم على خدمة اللغة والدين » ، كما ادركوها فى ساحات القتال اكتمالا لأمنهم وإكمالا لأمن العرب جميعا ، بل ان جمال عبدالناصر نفسه ادركها عندما ادرك ان فشل نابليون بونابرت على ابواب عكا ، كان حاسما فى انكسار الغزو الفرنسى لمصر واستقراره .

هذه السبيكة التاريخية المصرية هى التى اعطت الجغرافيا حيويتها ومداها ، لهذا رأينا الاراضى الواقعة شرق البحر المتوسط حتى شط العرب وجبال زاجروس ، والى الجنوب من جبال طوروس ، وامتدادها جنوب هذا البحر تحت ضفاف افريقيا الزنجية وحتى بحر العرب هى الوطن المستقر للمسيحية الارثوذكسية والاسلام العربى معا ، مع امتداد هذه العقيدة المسبوكة عبر المضايق الجنوبية الى جوار ساحل شرق أفريقيا ، ولا استثناء يعتد به لهذه الحدود الوطنية سوى الكنيسة الارثوذكسية الروسية التى كانت هبة كنيسة انطاكية لشرق اوربا .

وفى هذا المدى الجغرافي يقع الوطن وتستقر عقيدته .

- ٤ -

نحن ان نظرنا الى سبيكة الجغرافيا والتاريخ وما كوّنا من عقيدة على هذا النحو ، عرفنا معنى الوطن وادركنا كنه العقيدة الجامعة الدافعة لابنائه .

وعرفنا ايضا ان اختزال الوطن والعقيدة معا او اى منهما الى ماهو دون ذلك تجديف بالوطن وقذف فى حق المواطنين .

وهو ما يخرج عن دائرة الصراع الفكرى ، ويوجب ان تشن عليه حرب فكرية لا هوادة فيها .

يستوى فى استحقاق هذه الحرب ، الذين يريدون اختزال الوطن المصرى الى مراجعه الفرعونية البعيدة ، مع الذين يبذرون تنافيا بين المسيحية الشرقية والاسلام ، او بين الاسلام والعروبة .

فالمروجون للفرعونية يهبطون بانتماء المصريين الى مستوى اثرى ( اركيولوجى ) لم تعد له فى هذه الحياة حياة ، ويمزقون الامتداد التاريخى للجغرافيا المصرية اشلاء ، ويقيمون دعوة عدم شرعية الفتح

الاسلامي لمصر وما يجاورها ويتصل بها . ويسعون لفصم العرى بين المصريين وبين بقية اهلهم .

بل ولعلهم يقدمون شرعية مجانية لدعوى اليهود الوافدين من اوربا وامريكا بحقهم فى فلسطين ، فهذه الدعوى ليس لها من سند -الى ما يدخل فى باب العلوم الاثرية ، فإذا اقمنا دعوى مصرية المصريين على مراجعهم الفرعونية ، ترتب عليها اقرار مماثل وملزم بفلسطينية يهود بولندا وروسيا وغيرهما .

والمروجون للتنافى بين المسيحية الشرقية والاسلام ـ ان كانوا يريدون او لا يريدون ـ يحاولون قصم ظهر امة تكونت تاريخيا بالنماذج لابمجرد التعايش ، وينكرون من الاسلام سماحته وطاقته الفائقة على "التأليف بين القلوب" .

وينسبون المسيحيين العرب ـ فى عامتهم ـ الى كنيسة وحضارة انكرتهم وحاربتهم واضطهدتهم واوقعت بهم الحيف .

اما اصحاب التنافى بين الاسلام والعروبة على اختلاف المواقع والفرق ، فهم بين الذين يحاولون ان يمدوا ما لايمتد والذين يحاولون طى ما لا يطوى .

الذين يحاولون مد ما لايمتد هم الذين ينفون العروبة بالاسلام . فان قبلنا دعواهم ، وجدنا انفسنا ابناء انتماء مفصوم ، ننتسب الى امة لا تقدر على التواصل بالكلمة واللسان ، ولا يعقد لواءها سوى وجه العبادات من الدين الحنيف ، لان اسلام الملايين غير العربية من تلك الامة المتوهمة استمد حياته التاريخية من حضارة غير الحضارة وبلغات خلاف اللغة .

والذين يحاولون طى ما لا يطوى هم الذين يكتفون بالعروبة دون الاسلام ، فان قبلنا دعواهم خلصنا الى عروبة بلا روح وبلا تاريخ مشترك ، فما هو موثق متيقن من تارخ العروبة قد حدث وجرى ونما وانتصر وانتكس وانتسك وانجبر وقام فى حضن الاسلام .

ـ ٦ ـ

على هذه الاسس يدعو هذا المقال الى حرب فكرية ضد من يغمطون سبيكتنا التاريخية حقها ، ويهيلون فوقها الصدأ .

وهى حرب فكرية مفروضة على القابلين بهذه السبيكة التاريخية جميعا ، على خلافاتهم فى تفسير عناصرها ، وفيما يختلفون فيه من مذاهب فى غلبة عنصر على عنصر من مكوناتها الغالبة : الاسلام والعروبة والمسيحية الشرقية .

وهم فى هذا ـ وبالضرورة ـ جبهة واحدة ، تتصارع فكريا فى داخلها ، وتقاتل من هم خارجها من دعاة استبدال الهوية ، ايا كانت دعاواهم .

# صعود وسقوط القوى العظمى

عرض وتقديم :
د. السيد أمين شلبى

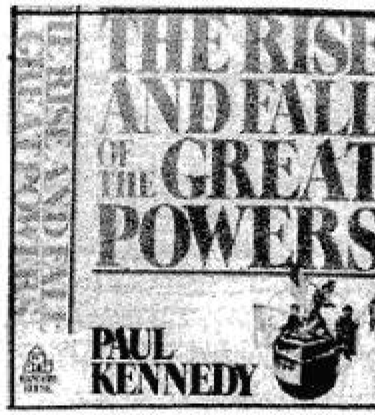
**يعالج كتاب بول كنيدى الية قيام وانهيار القوى العظمى ، وقد أثار الكتاب اهتماما واسعا ، وعقد الكونجرس الأمريكي جلسات خاصة لمناقشة ما انتهى إليه من حقائق ونظريات ، وفرض نفسه على الجدل القائم فى حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية بين كل من دوكاكيس وبوش .**

**وتعالج هذه الحلقة مستقبل اليابان وقد عالج بول كنيدى المازق اليابانى بقوله :**

**"من الحقائق التى استقرت حول أسباب ظاهرة النجاح الاقتصادى اليابانى ، هو توجيه مواردها القومية من الانفاق الدفاعي والتوسع العسكرى الى النمو الاقتصادى المستمر والتصدير ، هذا فضلا عن خصائص شعبها والسياسات الاقتصادية التى اتبعتها" .**

● وحيث أن نجاح اليابان الراهن يكمن بشكل خاص فى الحقل الاقتصادى ، فإن هذا الحقل بالذات هو من أكثر المجالات التى تثير قلق طوكيو اليوم . فمن ناحية فإن النموين الاقتصادى والتكنولوجى يقدمان جوائز متألقة للبلد الذى يقف اقتصاده فى أفضل المراكز بالنسبة للقرن الواحد والعشرين ، ولكن من ناحية أخرى فإن نفس هذا

النجاح قد أثار بالفعل ردود فعل ضد توسعها التصديرى ويأتى رد الفعل هذا




من تقليد قوى أخرى لليابان وخاصة القوى الآسيوية الطموح او الجديدة Nic مثل كوريا الجنوبية ، وسنغافورة ، وتايوان ، وتايلاند والصين نفسها وجميع هذه الاقطار تنتج وتتمتع بعمالة منخفضة التكاليف عن اليابان . اما رد الفعل الثاني والاكبر إزعاجا لليابان فهو رد الفعل العدائي المتزايد من جانب الأمركيين والأوربيين إزاء التغلغل القاسي للمنتجات اليابانية لأسواقهم الداخلية . وبسبب الاعتقاد الأمريكي في مبدأ التجارة الحرة ، فقد ترددت الادارات الأمريكية في منع او تحديد الواردات اليابانية ، إلا ان اكثر المتحمسين لمبدأ حرية التجارة بدءوا يشعرون بالضيق إزاء تزويد الولايات المتحدة المستمر لليابان الأمر الذى جعل الولايات المتحدة في مكانة المستعمرة أو الدولة الأقل تقدما الأمر الذى لم تعرفه لمدة قرن ونصف . كذلك فإن العجز التجاري المتزايد للولايات المتحدة مع اليابان ـ ٦٢ بليون دولار في السنة المالية المنتهية في ٣١ مارس ١٩٨٦ ـ والضغوط من الصناعات الأمريكية المحاصرة التي تحملت عبء واشنطون بإجراءات لحفظ عدم التوازن مثل تشجيع ارتفاع قيمة سعر الصرف للين ، وزيـادة كبيـرة للصـادرات الأمريكية لليابان .. وهكذا ...

### ● انخفاض معدل النمو

كل هذا في اعتقاد البعض قد يؤدى الى إنهاء الازدهار التصديرى اليابانى ، وتراجع في فائض مدفوعاتها وانقاص معدل نموها . يضاف الى هذا ما ينبه اليه البعض من أن مايقلق اليابان اليوم ليس فقط اقتصادها الذى وصل الى مرحلة النضج وانما ايضا هيكل العمر الزمنى لسكانها ، فمع حلول عام ٢٠١٠ سيكون لليابان اقل معدل من السكان في سن العمل (مابين ١٥ ـ ٦٤) بين الأمم الصناعية المتقدمة ، الأمر الذى سيتطلب منها تخصيص جانب كبير للتأمينات الاجتماعية ، وقد يؤدى الى فقد الاقتصاد اليابانى لديناميكيته .

ورغم انه قد يكون من الحقيقى ان معدل النمو اليابانى بدأ ينخفض بدخولها مرحلة النضج ، وانه من المؤكد ان دولا أخرى لن تسمح لليابان بان تحتفظ بمزاياها الاقتصادية التى ساعدت قدرتها التصديرية السابقة ، رغم هذا تظل هناك اسباب جوهرية تفسر امكانية ان تتوسع اليابان في المستقبل بشكل اوسع من القوى الكبرى الأخرى .

ففى المقام الأول ، وباعتبار الاعتماد الضخم لليابان على استيراد المواد الأولية ( ٩٩ ٪ من بترولها ، ٩٢ ٪ من الحديد ، ١٠٠ ٪ من القصدير ) فإنها ستستفيد بشكل ضخم من الشروط المتغيرة للتجارة التى تحققت من أسعار كثير من المواد الأولية وخاصة البترول عام ١٩٨١ والتى وفرت على اليابان بلايين الدولارات كل عام . بالإضافة الى هذا فان أزمة البترول عام ١٩٧٣ قد دفعت باليابان الى البحث عن كل انواع اقتصاديات الطاقة ، ففى الحقبة الأخيرة فقط خفضت اليابان من اعتمادها على البترول بنسبة ٢٥ ٪ كما دفعتها الى البحث عن مصادر جديدة للمواد الأولية . ورغم أن أيا من التطورات السابقة لاتجعل من المؤكد بشكل مطلق ان اليابان تستطيع الاعتماد على تدفق مواد أولية بأسعار منخفضة ، فإن البشائر على ذلك طيبة .

● قوة [illegible]

وماهو اكثر أهمية بالنسبة لاتجاهات ومستقبل الاندفاع المستمر للصناعة اليابانية إتجاهها نحو أكثر القطاعات اهمية للاقتصاد فى أوائل القرن الواحد والعشرين الا وهو التكنولوجيا المتقدمة وبعبارة اخرى ، فإن انسحاب اليابان بشكل مستمر من انتاج المنسوجات وبناء السفن ، والصلب تاركة إياها للأقطار ذات العمالة المنخفضة الأسعار ، يعنى بوضوح انها تعتزم ان تكون قوة قائدة ان لم تكن القوة القائدة فى هذه المنتجات المتقدمة علميا ، بل أن انجازاتها قد وصلت بالفعل الى مستوى الأسطورة فى حقل الحاسبات الآلية ، وهو المجال الذى تتحرك فيه اليابان بتصميم نحو آفاق جديدة ابرزها هو انتاج الجيل الخامس الاكثر تقدما من الـ Sup Ercom Puteis والذى يستطيع ان يعمل اسرع مئات المرات فى كل شيء ابتداء من كسر الشفرات الى تصميم أشكال الطائرات .

أما عنصر القوة الثانى بالنسبة لمستقبل الاقتصاد والإنتاج فهو القدر الضخم والمتزايد من المال المخصص للبحث والتنمية فى اليابان .. R. L. D. فالنسبة المخصصة لهذا المجال من مجموع الناتج القومى اليابانى سوف تتضاعف تقريبا حيث سترتفع من ٢ ٪ عام ١٩٨٠ الى ماهو متوقع من ٣,٥ ٪ عام ١٩٩٠ ومايثير الانتباه أن نسبة كبيرة من الجزء المخصص للبحث والتنمية فى اليابان إنما تقدمه الصناعات بشكل مباشر وليس الحكومات كما هو الحال فى أمريكا وأوربا . وبعبارة أخرى فإن هذه البحوث تتجه مباشرة نحو السوق ، فالعلوم البحتة تترك للآخرين ويلجأ اليها حين تبدو أهميتها التجارية بشكل أوضح .

أما الميزة الأخرى للاقتصاد اليابانى فهو المستوى العالى للمدخرات الوطنية فى اليابان والذى يتضح بمقارنته بالولايات المتحدة ، الامر الذى يفسره الاختلاف فى نظم الضرائب ، فحيث يُشجع فى الولايات المتحدة ،الاقراض الشخصى والانفاق الاستهلاكى ، فإنها تشجع فى اليابان الادخارات الخاصة ، وكذلك هناك السوق الداخلية المضمونة نظريا للمشروعات اليابانية فى كل شيء تقريبا باستثناء المنتجات المتصلة بالأبهة الاجتماعية وهو الوضع الذى لم تعد تتمتع به حتى المؤسسات الأمريكية .

واخيرا هناك النوعية العالية جدا لقوة العمل اليابانية والتى ينميها ويقف وراءها نظام تعليمى عام ومكثف وايضا نظام تدريبى تقوم به الشركات نفسها . وقد تبدو هناك ندرة فى العلماء اليابانيين الحاصلين على جائزة نوبل ، ولكن اليابان تخرج مهندسين اكثر من اى دولة غربية ( ٥٠ ٪ اكثر من الولايات المتحدة الأمريكية ) كما أن لديها ٧٠٠،٠٠٠ من المشتغلين فى البحوث والتنمية وهو العدد الذى يتفوق على مالدى بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية مجتمعين .. يضاف الى هذا كله الطبيعة الطيعة والمجتهدة لقوة العمل اليابانية والتناسق الذى يسود نظام العلاقات الصناعية حيث هناك دائما سعى لتحقيق توافق في الآراء وحيث لااضرابات تقريبا ، وساعات عمل أطول ، وتوافق مع روح الجماعة ( ابتداء من تمرينات الصباح المبكرة فصاعدا .. ) ولأن تقليد المعجزة الصناعية اليابانية سوف يتضمن ليس فقط تقليد هذه القطعة أو تلك من التكنولوجيا أو الادارة اليابانية ، وانما تقليد النظام الاجتماعي اليابانى ، فإن هذا هو الذى يجعل حتى المراقبين الأمريكيين يعتبرون « أن هذا أحدث وأكثر التحديات بالنسبة للولايات المتحدة حتى نهاية القرن ٠٠٠ ومنافسة اكثر صعوبة من المنافسة السياسية والعسكرية مع الاتحاد السوفييتى » .

● أعلى مستوى معيشي

وكأن عناصر القوة الصناعية تلك لم تكن كافية فقد اضيف اليها بزوغ اليابان السريع المدهش لكى تكون فى مقدمة الدول الدائنة حيث تصدر بلايين الدولارات سنويا . ووفقا للتقديرات فان باقى العالم سيكون مدينا لليابان عام ١٩٩٠ بـ ٥٥٠ بليون دولار . ومع عام ١٩٩٥ فانه من المتوقع أن تبلغ أرصدة اليابان فى الخارج مايزيد على ترليون دولار ، وليس غريبا أن تصبح البنوك اليابانية بسرعة الأكبر والاكثر نجاحا فى العالم .

والسؤال الآن هو الى أى حد ستكون اليابان قوية فى القرن الواحد والعشرين ؟ اذا ما استبعدنا حربا كبيرة ، أو كارثة بيئية ، أو ركودا عالميا كالذى ساد فى الثلاثينيات وما صحبه من سياسات حمائية ، فالاجابة التى تتفق عليها الآراء هى : اكثر قوة بكثير . ففى مجال الحاسبات والانسان الآلى ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، والسيارات والقاطرات والبواخر ، وربما التكنولوجيا الحيوية Biotechnology ستكون اليابان أما الامة الاولى او الثانية . وفى النواحى المالية ، فستكون اليابان قوة متفردة . فالتقارير تشير بالفعل إلى ان نصيب الفرد اليابانى من مجموع الدخل القومى قد تعدى الولايات المتحدة وغرب أوربا الأمر الذى يجعل لها اعلى مستوى معيشى فى العالم . اما ماسيكون عليه نصيبها من ناتج مجموع الانتاج العالمى فهو من المستحيل تقريره . غير أن مايستحق ان نذكره انه فى عام ١٩٥١ كان مجموع الناتج القومى لليابان ثلث بريطانيا و $\frac{١}{٢٠}$ من الولايات المتحدة . على انه في خلال حقب ثلاث ارتفع إلى ضعف بريطانيا ، ونصف الولايات المتحدة . صحيح ان معدل نموها فى هذه الحقب كان سريعا بشكل غير عادى وبسبب ظروف خاصة . ومع هذا ، ووفقا لعدد من التقديرات ، فإن الاقتصاد اليابانى مازال

## كتاب الشهر

من الممكن ان يتوسع ١,٥ الى ٢ ٪ سنويا اسرع من الاقتصاديات الكبرى الأخرى ( فيما عدا الصين ) خلال الحقب القادمة . وهذا هو السبب الذى يجعل اقتصاديين مثل هرمان خان وازرا فوجل يعتبران ان اليابان ستكون القوة الاقتصادية الاولى فى أوائل القرن الواحد والعشرين .

وأيا ماكان مقياس نمو قوة اليابان الاقتصادية الآن وفى المستقبل ، فثمة عاملان لهما السيطرة فى هذا الشأن ، الأول أن اليابان هى أمة منتجة ومزدهرة بشكل كبير وأنها مستمرة على هذا النحو وبشكل اكثر ، اما العامل الثانى ، فهو أن قوتها العسكرية وانفاقها الدفاعى ليس لهما اية علاقة مع مكانتها فى النظام الاقتصادى العالمى . فوفقا لارقام « التوازن الاستراتيجى » لعام ١٩٨٣ تنفق اليابان ١١,٦ بليون دولار على الدفاع مقارنة بـ ٢٤ ـ ٢١ بليون لكل من فرنسا والمانيا الغربية ، وبريطانيا ، ٢٢٩ للولايات المتحدة ، وهكذا فان نصيب مايتحمله الفرد اليابانى للدفاع هو ٩٨ دولار مقارنة بما يتحمله البريطانى من ٤٣٩ ، الأمريكى ١٠٢٣ دولارا .

فإذا ماإستجابت اليابان للضغط الأمريكى والغربى لزيادة انفاقها الدفاعى الى المستوى الذى تخصصه دول الناتو من مجموع انتاجها القومى ( ٣ ـ ٤ ٪ ) فان هذا التحول سيكون جذريا حيث سيجعل اليابان ـ مع الصين ـ ثالث قوة عسكرية فى العالم بنفقات عسكرية تبلغ ٥٠ بليون دولار سنويا . وليس ثمة شك ، بالنظر الى امكانيات اليابان التكنولوجية والإنتاجية ، من أن فى قدرتها حيث إن فى قدرتها مثلا أن تبنى حاملة قوات لأسطولها ، أو صواريخ طويلة المدى ، كقوة رادعة . وسيكون هذا بالتأكيد ميزة لمؤسسات وطنية مثل ميتسوبيشى ، كما سيمثل قوة مضادة للقوة السوفييتية فى الشرق الأقصى الأمر الذى سيساعد الولايات المتحدة التى تتحمل عبئا دفاعيا فى هذه المنطقة .

على أن ماهو أكثر احتمالا أن يحدث أن طوكيو سوف تحاول أن تتهرب من هذه الضغوط الخارجية أو على الأقل أن تحتفظ بانفاق دفاعى منخفض بالقدر الذى تستطيعه دون أن تثير او تتسبب فى تصدع فى علاقاتها مع واشنطن . وحين تفعل اليابان هذا ، فإنها فى حقيقة الأمر ستكون مدفوعة بما قد يثيره أى بناء أو توسع عسكرى يابانى كبير من اعتراضات داخلية واقليمية . فدستورها يمنع إرسال قوات الى الخارج أو بيع أسلحة ، بالاضافة الى مايثيره تسلح يابانى ضخم من شكوك وتوتر جيرانها وخاصة موسكو وبكين ، واقطار كانت تخضع من قبل للسيطرة اليابانية ، وهى التى تستجيب بالفعل وبشكل عصبى لأية علامة على احياء العسكرية اليابانية وتحث طوكيو على التركيز على المجالات الانتاجية غير العسكرية لكى تدعم سلام وأمن جنوب شرق آسيا .

### ● أخطار المستقبل !

غير أن ما يقلق اليابانيين بحق وأن كان نادرا ماينافشونه بشكل علنى هو ما يتعلق بمستقبل توازن القوى فى شرق آسيا ، فالدبلوماسية السلمية المتعددة الجهات قد

تكون صالحة جدا للوقت الحاضر ، ولكن الى أى حد ستكون كذلك إذا ما اضطرت الولايات المتحدة الى ان تسحب التزاماتها من آسيا ، أو وجدت نفسها فى وضع لا يسمح لها بحماية تدفق البترول من المنطقة العربية الى يوكاهوما ، وإذا ما نشبت حرب كورية أخرى ، أو بدأت الصين تسيطر فى المنطقة ، وإذا ما قام الاتحاد السوفييتى الذى تتملكه العصبية لتدهور وضعه بأعمال عدوانية . ليس هناك بالطبع سبيل للاجابة على هذه الاسئلة الافتراضية ، ومع هذا فإن الدولة التجارية ذات القوة الدفاعية الصغيرة قد تجد انه مما لا يمكن تجنبه يوما ان تقدم بعض الاجابات ، وكما اكتشفت امما أخرى فى الماضى ، فان الخبرة التجارية ، والثروة المالية قد لا تكفى فى بعض الأحيان فى عالم مضطرب .

**المجموعة الأوربية الاقتصادية : الامكانيات ، والمشكلات :**

من بين تجمعات القوة الاقتصادية والعسكرية الخمسة فى عالم اليوم ، فان التجمع الوحيد الذى لا يمثل دولة واحدة ذات سيادة Nation State هى اوربا ، وهو الأمر الذى يمثل المشكلة الرئيسية التى تواجه هذه المنطقة وهى تتحرك نحو النظام البازغ للقوى العظمى للقرن الواحد والعشرين . وحتى اذا ما استبعدت مناقشتنا بوضع هذه المنطقة الدول التى تحكمها النظم الشيوعية فى الشرق ، فستكون ازاء مجموعة من الدول تنتمى بعضها لمنظمة حلف الاطلنطى ، وبعضها للمجموعة الاقتصادية الأوربية . E . E C وبعض آخر لا ينتمى الى هذه أو تلك . وبسبب هذه الاختلافات ، فان الحديث هناك سوف يتركز على المجموعة الاقتصادية الأوربية بوجه خاص باعتبار أنها المنظمة والكيان الوحيد القائم الذى يحتوى على إمكانية قوة عالمية خامسة .

فمن الواضح أن المجموعة الأوربية الاقتصادية لديها الحجم ، والثروة ، والطاقة الانتاجية لقوة عظمى ، فبانضمام أسبانيا والبرتغال ، بلغ سكان اعضائها الاثنى عشر ٣٢٠ مليونا وهو ما يزيد ٥٠ مليونا على سكان الاتحاد السوفييتى وقرابة ١٠٠ مليون عن الولايات المتحدة ، كما تتميز بسكانها المدربين بشكل عال ، وبمئات الجامعات والكليات وملايين العلماء والمهندسين . ورغم ما يكشف عنه متوسط دخل الفرد من تباين بين ألمانيا الغربية والبرتغال مثلا ، فهى أغنى بكثير فى المجموع من الاتحاد السوفييتى ، كما ان بعض دولها تفوق من حيث دخل الفرد الولايات المتحدة . وهى الى حد كبير اكبر كتلة تجارية فى العالم رغم ان جانبا كبيرا من هذه التجارة تجرى بين دولها . وربما كان المقياس الأفضل لقوتها الاقتصادية يكمن فى انتاجها من السيارات ، والصلب ، والأسمنت والذى يضعها فى هذه المجالات امام الولايات المتحدة واليابان ، والاتحاد السوفييتى ( فيما عدا الصلب ) . واعتمادا على الاحصاءات السنوية ، فان مجموع الناتج القومى للمجموعة الاقتصادية الأوربية يوازى تقريبا ( فى اعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨٦ ) مجموع الناتج القومى الأمريكى . وهى بالتأكيد اكبر بكثير من الإتحاد السوفييتى ، او اليابان ، أو الصين من حيث نصيبها من مجموع الناتج العالمى .

● فى العدد القادم

● مستقبل دول السوق الأوربية

■ قضايا حيوية ■

# هنري كورييل

## بين الأسطورة والواقع التاريخي

بقلم: د. رؤوف عباس

في يناير الماضي صدر كتاب « اوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية » الذى قمت فيه بنشر بعض ما استطعت الحصول عليه من اوراقه التى يحتفظ بها بعض رفاقه الذين عملوا معه في باريس . وتستمد هذه الاوراق اهميتها من الدور الذى لعبه صاحبها في الحركة الشيوعية في مصر . وهي عبارة عن سيرة ذاتية قصيرة خصصها لنشاطه في مصر وبعض التقارير التي كان يرسلها من باريس الى رفاقه في « حدتو » وهو التنظيم الذى شارك كورييل في اقامته . كما تضمنت الاوراق رسالتين بعث بهما الى [illegible] التى كانت مسجونة بمصر . وقدمت لهذه المجموعة من الوثائق بدراسة تحليلية لابعاد الدور الذى لعبه كورييل في الحركة الشيوعية المصرية ، استنادا الى اوراقه . والى بعض المؤلفات التى تناولت تاريخ الحركة في الاربعينيات والخمسينيات .



**ولما كان الموضوع يتناول دور المنظمين الأجانب من اليهود في الحركة ، ويعرض لجذور منظمة كانت من أهم المنظمات الشيوعية في مصر ، فقد أثار الكتاب اهتمام فصائل اليسار المصرى بمجرد صدوره ، بقدر ما أثار اهتمام المعنيين بدراسة تاريخ مصر المعاصر ، واختلفت مواقف الأطراف المتباينة باختلاف منطلقاتها السياسية ، ومدى القرب من او البعد عن « حدتو » على وجه الخصوص .**

**ورغم ذلك لم يحظ الكتاب بمناقشة علمية ـ بمعنى الكلمة ـ الا من جانب الاستاذ طارق البشرى على صفحات « الهلال » الغراء . وكان طبيعيا ان تاتى استجابة د . رفعت السعيد للكتاب سياسية محضة ، فالرجل كان من**

مناضلى حدتو ، والكتاب يلقى أضواء على مسائل أسدل عليها رفعت السعيد ستائر كثيفة فى مؤلفاته ، ومن ثم كان مقاله القصير على صفحات « الأهالى » بيانا سياسيا ندد فيه بالكتاب وصاحبه ، مدعيا اغراقه فى الاخطاء التى كان مردها - فى رأيه - الى موجة « العداء للشيوعية » . وقمت بالرد على « بيان » رفعت السعيد على صفحات الجريدة نفسها ، فاذا به يعود ويكرر نفس الادعاء باسلوب بعيد تماما عن الحوار العلمى ، ثم اغلقت « الأهالى » باب الحوار . فلم تتح لى ممارسة حقى القانونى فى تفنيد التهم التى كالها رفعت السعيد للكتاب ولنوايا صاحبه ، ولم اهتم - من ناحيتى - بالرد عليه طالما انه لم يلتزم بآداب واصول الحوار العلمى الذى يقرع الحجة بالحجة ، وخاصة ان الموضوع يستند الى وثائق دامغة يتضمنها الكتاب . وجاء مقال الاستاذ طارق البشرى ثم مقال الاستاذ محمد سيد احمد بالهلال ليؤكدا صحة ماتوصّلت اليه من نتائج عند دراستي لاوراق هنرى كورييل .

ولكن منذ أسابيع طرحت بالاسواق طبعة جديدة للترجمة العربية لكتاب جيل بيرو تحمل عنوان « هنرى كورييل » رجل من نسيج خاص » نسبت الى الاستاذ لطيف فرج ، وتصدرتها إشارة الى ان « جماعة اصدقاء هنرى كورييل بباريس قد خصت هذه الطبعة بمجموعة هامة من التعليقات كتقدير منها لجهد المترجم والناشر المصرى » . والطبعة المصرية الجديدة للكتاب اجود أسلوبا من الطبعة اللبنانية التى ظهرت منذ نحو ثلاث سنوات ،وقد حذفت منها بعض الألفاظ النابية التى استخدمها المؤلف الفرنسى عند وصفه لبعض خصوم كورييل من الشيوعيين المصريين ، كما حذفت منها اشارة هامة أوردها المؤلف على لسان مكسيم رودنسون ذكر فيها ان كورييل كان سطحيا فى فهمه للماركسية ، وان قدراته التنظيمية تجاوزت بكثير معرفته النظرية .

غير ان الجديد اللافت للنظر فى هذه الطبعة ، ملحق فى تسع صفحات بعنوان « رسالة الى الدكتور رءوف عباس » بتوقيع يوسف حزان نيابة عن « اصدقاء ورفاق هنرى كورييل » ومؤرخة فى ٢٢ فبراير ١٩٨٨ . ولست أدرى لماذا اختار صاحبها ان يوجهها لى بهذه الطريقة ، وربما اراد بذلك ان يترك عند القارىء انطباعا باننى تلقيت الرسالة واهملت الرد عليها ، فلم يجد الرجل مفرا من ارفاقها بهذا الكتاب الذى جعل من هنرى كورييل أسطورة ، والذى كانت وراء اصداره « مجموعة روما » لحدتو ، أو مايسمى اليوم بجماعة اصدقاء ورفاق هنرى كورييل .

ويوسف حزان أو « الرفيق سوسو » ينتمى الى الجيل الثالث لأسرة يهودية دمشقية ، نزحت الى مصر أواخر القرن الماضى ، وولد يوسف حزان بمصر عام ١٩١٧ ، حيث تلقى ثقافة عربية وفرنسية ، وحصل على بكالوريوس الزراعة من فرنسا ، ومارس المهنة بمصر ، وانضم الى الحلقات الماركسية فى الأربعينيات ، ولكن صلته بكورييل ترجع إلى عام ١٩٤٧

ومنذ غادر مصر إلى فرنسا عام ١٩٤٩ ، كان الذراع الأيمن لهنري كورييل في « مجموعة روما » التي كونها هنري من الشيوعيين اليهود من اعضاء حدتو بباريس . كما كان مسئولا عن النواحي المالية والتنظيمية للجماعة . ومازال يحظى بتقدير خاص من رفاق حدتو القدامى .

وتتناول رسالة « الرفيق سوسو » سالفة الذكر ، نفس النقاط الثلاث التي جاءت ببيان رفعت السعيد ، فهو يعترض على ماجاء بكتاب « أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية » من اشارة - مستندة الى الوثائق - الى موقف هنري كورييل من القضية الفلسطينية وعلاقاته مع الوجود الصهيوني في فلسطين في الاربعينيات وخاصة وصف كورييل لحرب فلسطين ١٩٤٨ بـ « الحرب الظالمة ضد اسرائيل » و« الحرب الامبريالية ضد اسرائيل » . فتذكر « الرفيق سوسو » ان قرار المكتب السياسي لحدتو بقبول قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ كان اجماعيا . نظرا لموافقة الاتحاد السوفييتي على القرار ، ولأن القرار يعني رحيل القوات البريطانية عن فلسطين وانهاء الانتداب ، وتمكين « الشعبين » العربي والفلسطيني و« الشعب اليهودي » من ممارسة حقهما في تقرير المصير . ومن ثم كانت حرب ١٩٤٨ - في رأيه - من تدبير الامبريالية البريطانية بمساعدة الانظمة الرجعية العربية في المنطقة ، ويستدل على ذلك بالانسحاب المتعجل للقوات البريطانية من فلسطين ، وسماح الانجليز للجيش المصري بالتوجه الى فلسطين عبر قناة السويس . والهدف من ذلك « زعزعة الوضع في فلسطين حتى تقوم الأمم المتحدة بتمديد الانتداب البريطاني ، واستغلال حالة الحرب لفرض الأحكام العرفية في بلدان المنطقة وتوجيه الضربات إلى الحركة الوطنية في البلدان العربية » .

أما النقطة الثانية فتتعلق بما أوردناه تعليقا على خطابي كورييل إلى نعومي كانل وصلاتها بالاسرائيليين المسجونين بمصر ، وهنا يؤكد الرفيق سوسو ان نعومي كانل كانت تتصل بالفلسطينيين الشيوعيين المعتقلين بالسجون المصرية وليس بالاسرائيليين .

أما النقطة الثالثة فتتصل بالاشارة التي أوردناها بالكتاب عن نشاط كورييل في تأييد حركة التحرير الجزائرية ، ومن انه قد أصبح بعد نجاح الثورة من مستشاري احمد بن بللا ، فرأى « الرفيق سوسو » ان هذه الاشارة المقتضبة لاتكفي لتقدير الدور النضالي لكورييل ، ونفى ان يكون من مستشاري بن بللا .

وقبل ان نفند هذه النقاط الثلاث أود ان أعرب عن تقديري الكامل للاستاذ يوسف حزان ، واعجابي باسلوبه المتحضر في طرح وجهة نظره فيما كتبت عن « رفيق نضاله » هنري كورييل ، فهو يصدر طبعة « مصرية » من كتاب جيل بيرو ، ويبعث الي بهذه الرسالة التي اعرب في صدرها عن تقديره هو ورفاقه في مصر وباريس للكتاب الذي قمت بنشره ، وتاكيده على اهميته وصحة ماجاء به من وثائق ولم ينسب عملي الى « الموجة الغبية المعادية للشيوعية » كما فعل « الدكتور » رفعت السعيد ، وأود ان الفت نظر

« الرفيق سوسو » الى الفرق الكبير بين مؤرخ يتناول الوثائق بمنهج علمي يسعى لإلقاء الضوء على ظاهرة سياسية تتعلق بتاريخ بلده المعاصر، ورفيق وصديق لشخصية لعبت دورا في تكوين هذه الظاهرة . فعلى حين تتوفر الحيدة التامة للمؤرخ تغلب العواطف الشخصية والذكريات المشتركة على رؤية الرفيق والصديق .

فبالنسبة لموقف كورييل من القضية الفلسطينية كانت هناك صلات حميمة بين هنرى ورجال الهاجاناه المجندين في الفيلق اليهودى خلال الحرب العالمية الثانية ، والذين كانوا بمصر ، ونجده يتحسر في سيرته الذاتية ( والأصل الفرنسى بين يدى الرفيق سوسو ) لأن الانجليز لايشركونهم في المهام القتالية حتى لايكتسبوا خبرة عسكرية . وطبعا كانت هذه الخبرة لصالح « نضال » « الشعب اليهودى » ضد « الشعب العربى الفلسطينى » بداهة . وبعد استقرار كورييل بباريس وسعيه الدائب للتوصل الى سلام عربي ـ اسرائيلى ، كانت المجموعة التي ينسق جهوده معها من رجال كانوا من قيادات الهاجاناة وقيادات منظمتى شيترن واراجون الارهابيتين ، فقد كان كورييل لايرى جدوى في الحوار العربي مع الحمائم وحدهم ، ويسعى لاشراك العناصر « المحبة للسلام » من الصقور . ولااظن ان الصقور قد قبلوا بالتعاون مع كورييل دون ان يضعوا في اعتبارهم صلاتهم به أثناء الحرب العالمية الثانية .

## ● ضرب الحركة الوطنية

اما عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، فاتفق مع الرفيق سوسو انها اتاحت للأنظمة الرجعية فرصة فرض الاحكام العرفية وضرب الحركة الوطنية ، ولكن الوثائق التاريخية تكشف ان بريطانيا كانت تعلم جيدا ان انسحابها من فلسطين لصالح ماأسماه « الرفيق سوسو » بالشعب اليهودى » ، مليسميه العالم كله بالصهيونية ، ففي مذكرة قدمت لمجلس الوزراء البريطاني في ٣ يوليو ١٩٤٦ ، قدرت قوة الهاجاناه بحوالي ٧٠ الف مقاتل ، والبالماخ ( القوة الضاربة في جيش الهاجاناه السرى ) بخمسة الاف مقاتل ، كما قدرت قوة الأرجون بحوالي خمسة او ستة الاف مقاتل مدربين تدريبا جيدا على حرب الشوارع واعمال التخريب ، وقوة شتيرن بحوالي ٣٠٠ ـ ٤٠٠ فرد متخصصين في اعمال الاغتيال . وفي نفس الوقت قدر التقرير ان بامكان عرب فلسطين تقديم ما لايزيد على ثلاثة عشر الفا من المقاتلين على اعتبار ان عدد العناصر النشطة بصورة فعالة بين العرب فيما بين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ لم يتجاوز الألفين . وتحدث التقرير عن تسليح الطرفين وشتان بين تسليح « الشعب اليهودى » وعرب فلسطين ، فلم يكن هناك اى تكافؤ . لصالح من ـ اذن ـ كان انسحاب بريطانيا ؟! لقد ايقنت بريطانيا ان « اسرائيل » قائمة لامحالة . فلم تشأ ان تورط نفسها في تطبيق التقسيم بالقوة حتى لاتغضب العرب الذين كانت تعول على مصالحها الاستراتيجية والبترولية في بلادهم ، وتغضب حليفتها الولايات المتحدة التي لم تقبل الا مايقبل به

اليهود ، وكان اليهود يرفضون التقسيم ( كما هو معروف ) .
ولكن يحسب لهنرى كورييل انه كان بعيد النظر - الى حد كبير - ويدرك ان « اسرائيل » لاتستطيع البقاء الى الأبد وسط محيط عربى معاد ، ومن ثم كان تبنيه لفكرة « السلام العادل » الذى يسمح بقيام دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل و« تعايش سلمى » بين اسرائيل والبلاد العربية ، حتى انه حاول ان يقنع الاسرائيليين بلعب دور لمساعدة جبهة التحرير الجزائرية ( كما يذكر بيرو ، ص ٤١٤ من الطبعة المصرية ) على امل ان تقوم الجزائر بعد تحقق الاستقلال بتسويق السلام العربى - الاسرائيلى ، ولكن مصالح اسرائيل كانت مع المعسكر الامبريالى ، ففشل سعى كورييل ، غير ان مستقبل اسرائيل كان يلح على ضميره السياسى . ومن هنا كان حرصه على فتح قنوات الاتصال مع القيادة المصرية بمد الملحق العسكرى المصرى فى باريس بالمعلومات وتدبير لقاءات بين بعض قوى اليسار الاسرائيلى وشخصيات مصيرية من رفاق حدتو القدامى ( بعد حرب ١٩٦٧ ) بالتنسيق مع القيادة المصرية . واخيرا محاولات مد الجسور بين ممثلى المجلس الاسرائيلى للسلام ومنظمة التحرير الفلسطينية التى اشترك فى بعضها يوسف حزان ورفعت السعيد ( مايو ١٩٧٦ ) ، ومن ذلك - ايضا - تدبير اللقاءات بين عصام السرطاوى ( ممثل عرفات ) وبعض العناصر الاسرائيلية من حركة السلام .
اما عن حكاية نعومى كانل ، فهى من كوادر حدتو ، يهودية متمصرة غير محددة الجنسية ، نشأت بمصر ، وكانت زوجة لشاعر مصرى من اعضاء حدتو ، وحوكمت عام ١٩٥٤ فى « قضية الجبهة » التى اتهم فيها بعض الشيوعيين واليساريين المصريين وبعض المثقفين والفنانين وضباط الجيش وحكم عليها بالسجن خمس سنوات ، ويبدو انى قد تورطت - دون قصد - فى جرح مشاعر رفاق حدتو ، لأن هذه السيدة كانت وراء جهود المنظمة لتخصيص احد مقاعدها العشرة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد للرفيق يونس ( هنرى كورييل ) ، وتمسك مفاوضو حدتو بذلك فى المفاوضات الخاصة بالوحدة عام ١٩٥٧ وكان رفعت السعيد - عندئذ - امينا للجنة التفاوض - واثار المقعد الذى خصص للرفيق يونس المتاعب - فيما بعد - لحدتو - كما افقدها صوتا باللجنة المركزية لوجود كورييل بالخارج . وقد شكر الرفيق يونس نعومى كانل على مابذلته من جهد لعودته الى الحزب ، وخاصة ان « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » قد تفرد بذلك بين احزاب المشرق العربى بقبول عودة « عنصر يهودى » - على حد تعبير كورييل - الى قيادته .
وقد استنتجت من احدى الرسالتين الموجهتين من كورييل الى نعومى كانل انها لعبت دور ضابط الاتصال بين بعض الاسرائيليين الذى كانوا مسجونين بمصر فى احدى قضايا التجسس وبين اسرائيل من خلال هنرى كورييل ، فقد اشار بيرو الى شىء من هذا تلميحا دون ان يذكر اسم كانل

صراحة ، كما ان هنرى كورييل استخدم كلمة « الفلسطينيين » عند الاشارة الى رجال الفيلق اليهودى خلال الحرب الثانية . واستخدمها بنفس الطريقة عند الاشارة الى يهود فلسطين بأحد تقاريره . ولايمنع ذلك من ان تكون نعومي قد نقلت رسائل من فخرى مكي الشيوعى الفلسطيني المعتقل بمصر واخيه اسعد مكي عبر كورييل ايضا . كما انه ليس هناك مايمنع كانل من ان تنقل الرسائل من المسجونين الاسرائيليين الى هنرى كورييل لينقلها بدوره الى ماأسماه « ايلى » فى اسرائيل . فصلات كورييل بالاسرائيليين واضحة تماما فى رسالته تلك وفى كتاب بيرو ، سواء اولئك الذين عرفهم خلال الحرب من رجال الهاجاناة او بعض رفاقه الذين غادروا مصر الى اسرائيل ، كما ان صلات كورييل بالصقور فى اسرائيل كانت تعادل صلاته بالحمائم . فلماذا هذه الحساسية عند الرفيق سوسو ورفعت السعيد ، ولماذا لم يكشف لنا الرفيق سوسو عمن يكون « ايلى » الذى كان يتلقى الرسائل فى اسرائيل عبر هنرى كورييل ؟!

ولست فى حاجة الى التعليق على الملاحظة المضحكة التى ذكرها رفعت بين نزلاء السجون المصرية وعدم وجود نعومي كانل مع الآخرين فى سجن واحد ، فقد كانت خطوط الاتصال قائمة بين الرفاق فى مختلف السجون ، والا لما استطاعت الرفيقة نعومي ان تتصل بمفاوضى حدتو فى مفاوضات الوحدة ، ولما كانت هذه الرسائل المتبادلة بينها وبين الرفيق يونس فى باريس .

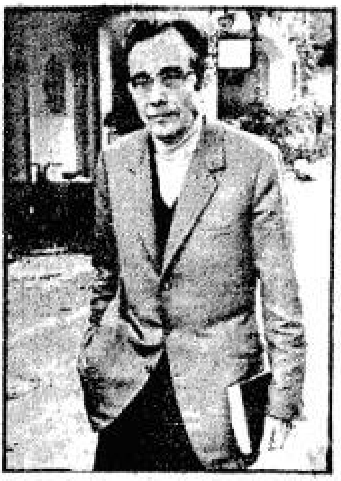
اما عن الملاحظة الاخيرة التى ذكرها يوسف حزان والخاصة بدور كورييل فى حركة التحرير الجزائرية فلم تكن موضع دراستى فى الكتاب لعدم توفر المادة الوثائقية الخاصة بها . ومعلوماتنا عن هذا النشاط مستقاة من كتاب بيرو . ومن الواضح ان هذا الدور لم يكن منقطع الصلة عن جهود كورييل لاقامة سلام عربى ـ اسرائيلى ، وماقصدته بقولى ان هنرى كورييل كان من مستشارى بن بللا انه كان من ثقاته . وكان هنرى يعتمد على بن بللا فى تمويل نشاط منظمة « التضامن » التى انشاها فى باريس للعمل مع حركات التحرر الوطنى وانقطع التمويل الجزائرى بوصول بومدين الى السلطة ولعل كان لديه مايبرر ذلك .

بقيت نقطة فرعية تتمثل فى تاكيد الرفيق سوسو لمصرية كورييل ، وهو امر لم يخطر ببال الرجل نفسه كما يتضح من سيرته الذاتية ، وكما يتضح ايضا مما كتبه قبل اغتياله بعام واحد اذا يقول : « ان الوطن الوحيد الذى شعرت بارتباطى به هو فرنسا » ( ص ٥٣ من الطبعة المصرية لكتاب بيرو ) .

ان الحديث عن رجل مثل هنرى كورييل لابد ان يتشعب بتشعب نشاط هذا الرجل الذى كان بحق « رجل من نسيج خاص » ولعلنا نكون قد وفقنا هنا فى تحديد اهم خيوط هذا النسيج ، ومع تقديرى الكبير للرفيق سوسو ، لااظن انه يختلف معى فى ان السياسى « انسان » له ما لسائر البشر من فضائل ونقائص ، وان لكل « مناضل » هدف يسعى لتحقيقه ويبذل حياته من اجله ، وكذلك كان هنرى كورييل .

## قضايا حيوية

### حول أوراق هنرى كورييل



# مطلوب تقتيم موضوعي للتاريخ الحديث

بقلم : مصطفى طيبه

العقبة الرئيسية التى تعترض كتابة تاريخ مصر الحقيقى منذ اوائل القرن العشرين ، وحتى الان ، يمكن تلخيصها فى امرين متلازمين : اولهما ، يتمثل فى التحيز او التعصب النابع من الانتماء الى اطار فكرى او حزبى محدد ، يدفع المؤرخ الى اختيار مايشاء من أحداث بعد انتزاعها من سياقها ليصل الى مايتفق مع افكاره المسبقة .

وثانيهما : (( التقولب )) المنطقى وقد يبدو هذا التعبير غريبا ، ولكننى اقصد به معنى محددا .. وهو اختيار (( قالب )) يبدو منطقيا ، لتفسير الاحداث بما يتفق مع هذا (( القالب )) .. ثم الاجتهاد فى (( تقطيع )) أو (( تقصير )) كل حدث ، بحيث يدخل فى (( القالب )) المنطقى المقرر سلفا .

وتلك قضية قديمة تناولتها الاساطير اليونانية ، عندما تحدثت عن سفاح كان يصنع صناديق ضحاياه ، وفق مقاسات محددة .. فاذا كانت الضحية أطول من الصندوق ، يقوم بتقطيع أطرافها حتى تدخل فى قالبها المحتوم .. أو يسعى الى شد أطرافها ، عندما تكون أقصر من الصندوق .

ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه « التقولب » .

ومن الواضح أن المنهجين ، أى التحيز الحزبى أو الايديولوجى ، أو « التقولب » لا يقدمان لتاريخ مصر الحديث الرؤية الموضوعية لدلالات ما جرى من احداث .. ولا يخدمان قضية البحث عن الحقيقة كما هى ، بدون اضافات أو حذف ، وبغير الابتعاد عن الهدف الكبير ، وهو : كيف نقدم تاريخ مصر ، ونضال أجيالها المتعاقبة من خلال منهج يعلو على كل « تحزب » أو « تقولب » .. غايته الكبرى حماية أبنائنا من التشويه ، أو التلاعب بالقوالب المنطقية الشكلية ؟ .

هذه المقدمة برزت فى ذهنى ، بعد قراءة مقالين هامين للاستاذين طارق البشرى ، ومحمد سيد أحمد ( فى عددى ابريل ومايو ١٩٨٨ من مجلة الهلال ) .

ذلك أن هذين المقالين ، رغم الاختلاف الفكرى لمنطلقات الكاتبين ، يتفقان أو يلتقيان حول نقطة رئيسية ، وهى أن اعتناق أحد اليهود للماركسية ـ هنرى كورييل ـ واسهامه فى تكوين منظمة شيوعية ، قضية تدخل فى نطاق الالغاز المحيرة التى تحتاج الى ابحاث مكثفة للكشف عن الاهداف الحقيقية لهذا الاختيار « الغريب » .. أى لاختيار أحد اليهود للماركسية اثناء الحرب العالمية الثانية !

ولان هذه القضية بدت شديدة الغرابة للاستاذين الكاتبين ـ مع انها كانت ظاهرة عادية فى ذلك التاريخ ـ فان البحث عن خفاياها عند الاستاذ طارق البشرى ، قاده الى نتيجة بدت له منطقية جدا .. وهى أن هنرى كورييل « كان منقطع الجذور .. بارد الفكر والاعصاب .. قراراته تتشكل دون دخل لاى عواطف او غرائز .. مثل هذا التكوين الوجدانى يتلاءم بشدة مع انشطة المخابرات » !

وهذا هو الحكم الاول الذى أصدره الاستاذ طارق البشرى على هنرى كورييل .

. اما القرار الثانى ، فهو انه بهذه الصفة « يقوم بتوجيه التنظيم لمقاومة حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية باسم انها حركات فاشية » .

والاستاذ البشرى ، يقصد طبعا ، مقاومة الاخوان المسلمين ، والتيارات التى كانت تُرى فى المانيا النازية ، وايطاليا الفاشية ، المنقذ الاعظم لمصر من الاحتلال البريطانى .. أى حزب مصر الفتاة .. وربما الموقف من حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واتهامها بالفاشية .

ثم يضيف الاستاذ طارق البشرى ، حكما ثالثا ، وهو : أن طبع الكتب الماركسية كان يستهدف كما يقول بالحرف الواحد « فكان النشاط يتعلق اذن بدعوة مذهبية اكثر مما يقوم على برنامج سياسى .. يتعلق بترويج ايديولوجى فى الاساس . واولوية هذا الامر هنا ، تتفق مع الوجهة اليهودية الاجنبية ، من السعى لتكوين منطقة أيديولوجية فى السياسة المصرية بين الشباب ، منطقة تصلح للوجود الاجنبى فى السياسة المصرية » !!

أما رابع هذه الاحكام ، فهو « والتقاء الحرب كان لكورييل وتنظيماته السياسية ، نشاطها مع من يسميهم

« يهود فلسطين » .. وهى عبارة لا تلتبس لدى القارىء المصرى والعربي ، فهى لا تعنى لديه غير الصهاينة فيما يبدو .. والفرقة التى كونوها ايام الحرب ، لتعمل مع الحلفاء ، وهو العمل الذى اكسب الصهاينة خبرة وتدريبا ، استخدموه بعد الحرب فى طرد الفلسطينيين العرب وقتلهم وتذبيحهم ، حتى نشأت اسرائيل » .

بهذه الاحكام الحاسمة ، تكون الحركة الشيوعية التى اسست اثناء الحرب العالمية وبعدها . مجرد اداة لفئة من « اليهود » ، لتحقيق اهداف الصهيونية ، وربما المخابرات البريطانية أيضا !

ويصبح كل ما كتب عن النضال الوطني والاجتماعي للحركة الشيوعية المصرية في ذلك التاريخ ، بل وما كتبه الاستاذ طارق البشرى نفسه عن منجزات واخطاء هذه الحركة فى بعض مؤلفاته ، مجرد وهم او خداع .. ما دام المهيمن والموجه على اكبر هذه الحركات ، وهو هنرى كورييل ، شخصية « منقطعة الجذور » ، تخدم أهدافا صهيونية وبريطانية .. ويوجه نشاط الشيوعيين المصريين ، نحو الاصطدام بالحركات السياسية والحركات القومية !

أما الصديق محمد سيد أحمد ، فانه لم يهتم بما يحمله مقال الاستاذ طارق البشرى من اتهامات لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية .. ولم يقف لحظة واحدة عند المنهج المستخدم ، انما انطلق بعيدا .. ليشيد « أحد قوالبه الرياضية المنطقية » ، ويقحم بداخله ما يتفق مع هذا القالب من أحداث ، ــ حتى ولو كانت تفتقر الى الدقة ــ ليخرج فى النهاية متفقا مع الاستاذ طارق البشرى في الاهداف « الخفية » لليهود الماركسيين ، وان اختلف معه فى « القالب المنطقى » المفضى الى النتيجة نفسها ! .

وقبل الرد على هذين المقالين ــ أريد توضيح حقيقتين هامتين ، للحيلولة دون حدوث أى وهم أو التباس :

الحقيقة الاولى :

اننى قد انتهيت منذ شهرين ، من كتابة المراحل الاساسية لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية الوسيطة ، التى تكونت فى بداية الاربعينيات وحتى منتصف الستينيات .

والحقيقة الثانية :

أن أحد الاجزاء الهامة التى يتكون منها كتابى الجديد ، يتناول بالبحث والتحليل ، القضية المثارة الان ــ رغم أن هذا الجزء كتبته منذ اكثر من عام ــ أى قضية هنرى كورييل ، ولكن من منطلقات تختلف جذريا عما طرحه الاستاذ البشرى والصديق محمد .

فلم أطرح القضية على أسس دينية أو تآمرية .. ولا من خلال علاقات مريبة بالصهيونية والمخابرات البريطانية . انما من خلال المنجزات والاخطاء التى عايشتها واشتركت فيها . وشرحت بالتفصيل ، لماذا تحولت من « يونس » ــ الاسم الحركى لكورييل ــ متشدد ، الى خصم سياسى وأيديولوجى له ..

من هاتين الحقيقتين ، ينطلق حوارى مع المقالين اللذين نشرتهما مجلة الهلال .

فلا يمكن اذن تصنيفي ضمن دائرة من ظلوا على علاقات وثيقة مع كورييل ، حتى بعد ابعاده من مصر. فقد انقلبت علاقتي به من الزمالة الى الخلاف .. منذ أوائل عام ١٩٤٩ ولم يهدأ لحظة واحدة .. بل اشتعل وانتقل الى من احتفظوا بعلاقات معه وهو فى المنفى .. من قيادات « حدتو » .

وبالتالى يصعب تفسير موقفى الان بأنه دفاع عن كورييل .

وبما أن حملة تشويه هذا التاريخ، تستتر الان تحت قناع الهجوم على « اليهود » الماركسيين ، الذين أسهموا بدور كبير فى اعادة تأسيس الحركة الشيوعية فى بداية الاربعينيات ، فمن واجبى التصدى لهذه الحملة من خلال الوقائع التى لا خلاف حولها ، والتى ترسم الخطوط الحقيقية لهذا التاريخ .

يقول الاستاذ طارق البشرى : « اما ان يقوم هؤلاء بوضعهم الاجنبى المتميز ، وبدوافع تبدأ بكونهم جاليات اجنبية على راس تنظيمات سياسية مصرية ، تقاوم حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية ، باسم انها حركات فاشية ، فهذا ليس غريبا لدى كورييل . ونحن نلحظ منا ان الاسباب التى ساقها كورييل واقعية .. وان نظرته تنسجم مع وضعه هو وزملائه بوصفهم اناسا مقتلعى الجذور . ولكن الغريب ان يوجد من بيننا نحن من ينظر الى الامور بنظرة هؤلاء »

تلك كلمات واضحة لا لبس فيها . فالاستاذ البشرى ، يرى أن التنظيمات السياسية ، التى كان هؤلاء الاجانب على رأسها ، كانت تقاوم حركات شعبية اسلامية ، وعربية مصرية ، باسم انها حركات فاشية ! .

فهل تتفق الحقائق التاريخية ، التى تحدث عنها باستفاضة الاستاذ طارق البشرى فى أكثر من كتاب له مع الاتهامات التى ساقها فى مقاله « قراءة مصرية فى أوراق هنرى كورييل » ؟ .

لنبدأ بالحركات الشعبية الاسلامية. ونطرح بعض الاسئلة الهامة : من الذى بدأ باعلان الحرب على الاخر ، الحركات الشيوعية ، أم الحركات الاسلامية ، أى الاخوان المسلمين ؟

ومن الذى حمل لواء الدعوة الى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال

ومن الذى عمل على تحطيم هذه الجبهة ـ وان لم تحمل وتتخذ اسم الجبهة ـ بل وتحالف مع اسماعيل صدقى ، لضرب الحركة الوطنية ؟ .

من يا أستاذ طارق الذى كان يسعى الى بناء الوحدة الوطنية ، ومن الذى عمل بكل ما يملك ، فى الطريق المعاكس ؟

فى اعتقادى أن أفضل رد على هذه الاسئلة يأتى من كتاب « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ » للاستاذ طارق البشرى فى صفحة ١٠٧ ، وصفحة ١٠٨ « بعد أن تولى صدقى الوزارة رأى مركز الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين ورأى أن اعتماده عليها هو خير ما يفتت الوحدة التى ظهرت بين الشباب فى مظاهرات هذه الفترة ورأى أن يستغل موقفها التقليدى المعادى للوفد وللتنظيمات الشيوعية والشباب التقدمى . وقد بادر الاخوان بتأييد صدقى غداة مجيئه للحكم ، وروجوا لما قاله فى البداية عن عزمه على خدمة بلاده وعدم استعمال العنف ، وعلق زعيم الاخوانبالجامعة على وعود اسماعيل صدقى بآية من القرآن « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا

# قضايا حيوية

حول أوراق هنري كورييل

نبيا » . وفي مواجهة اللجنة التنفيذية العامة للطلبة شكل الاخوان لجنة الطلبة التنفيذية العليا تفتيتا لحركة الشباب ، فلما انشئت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وقادت مظاهرات يوم الجلاء في ٢١ فبراير ، بادر الاخوان الى تشكيل « اللجنة القومية » ، شكلت في اجتماع بمركز الاخوان منهم ومن مصر الفتاة وحزب الفلاح الاشتراكي وجبهة مصر التي كان قد انشاها على ماهر منذ ١٩٤٥ وبعض شباب الاحرار الدستوريين والحزب الوطني . وقابلت اللجنة صدقي في اول مارس فاظهر عطفا عليها ( واتفق على أن يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف هو ممثل الحكومة في اللجنة ) ثم اعلنت بيانا بشان الموافقة على اعتبار ٤ مارس يوم الحداد العام ، وافسحت الحكومة للجنة في الصحف بنشر بياناتها في ذات الوقت التي كانت تمنع فيه نشر بيانات واخبار اللجنة الوطنية » .

ويستطرد الاستاذ طارق البشرى فيقول : .

« على انه من الملاحظ ان جماعة الاخوان كان يطرد مسلكها على رفض الاشتراك مع غيرها من الهيئات والتنظيمات في شمل واحد وعلى الحرص على العمل المنفرد ، وقد ساهمت في تشكيل اللجنة القومية لتحطم بها اللجنة الوطنية التي جمعت حولها الكثير من عناصر الشباب في الاحزاب المختلفة .. » .

اما تقييم الاستاذ طارق البشرى العام للحركة الشيوعية المصرية فاننا نراه واضحا في صفحة ٥٩٧ من كتاب « المسلمون والاقباط في اطار الجماعة الوطنية » فيقول « وفي الاربعينيات ايضا ، ظهرت الحركة الشيوعية كواحدة من القوى ذات التاثير واسهمت اسهاما لا باس به بين فيالق حركة التحرير الوطنى ضد الاستعمار ، واغنت السياسات الوطنية بمفاهيم جديدة ، تتعلق بالمضمون الاجتماعى لحركة التحرير الوطنى ، والتصنيف الطبقى للمجتمع ، والتاكيد على التحرر الاقتصادى من الاستعمار جنبا الى جنب مع التحرر السياسى » .

فكيف يتفق هذا التقييم مع منهج مقاله في مجلة الهلال — أوراق هنري كورييل — والذى لا يرى في الحركة الشيوعية المصرية الا كل ما هو سلبى ومريب !

ويقول الاستاذ البشرى في المقال نفسه :

« بهذه الرؤية ومن هذا الموقف ينظر كورييل الى المظاهرات الشعبية الكثيفة التى جرت في ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، وتضامنا مع شعب فلسطين في جهاده ضد الصهيونية . يقول كورييل : « حاول الاخوان المسلمون بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية ، اثارة المظاهرات المعادية للسامية ، وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية في حماية البوليس . لكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، استعدت لهذا اليوم وكشفت المناورة » .

تلك فقرة من مقال الاستاذ طارق البشرى ، ومنها يستخلص ما يريد الوصول اليه ، وهو ان اتجاهات الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، التى كان يتزعمها كورييل ، كانت تقف موقفا مضادا للحركات الشعبية

الاسلامية ، ضد الصهيونية ٠

فهل كانت مظاهرات تلك اليوم المشهود ، جهادا حقيقيا ضد الصهيونية ، وتضامنا مع شعب فلسطين ؟ ٠

لنترك الاجابة الى الوقائع التاريخية كما جرت ٠

ان مظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ ، قادها منذ البداية الاخوان المسلمون ٠٠ الى جانب حزب مصر الفتاة كشريك صغير ٠٠ وحملت شعاراتها طابعا ٠٠ لا يخدم التضامن مع جهاد شعب فلسطين ٠٠ بل قد يكون العكس هو الصحيح ٠

فمثل هذه المظاهرات ، التى اقترنت بالهجوم على المنشآت والمحلات « اليهودية » ٠٠ لم تكن واعية بجوهر الصراع ضد الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطيني ، بل انطوت على اتجاه لا يخدم قضايانا الوطنية، وتشويه صورة هذا الصراع ، بتحويله الى عداء لليهود !

ولا يستطيع مؤرخ منصف أن يتجاهل الاثر السلبي لمثل هذا الاتجاه ٠٠ فالهجوم على المنشآت او الاحياء اليهودية ، بلا تمييز بين الصهيونية كحركة مرتبطة بالامبريالية العالمية وبين اليهود كافراد ينتمون الى تيارات فكرية مختلفة ، انما قدم أعظم خدمة للحركة الصهيونية ، التى كانت تقوم بتحريض اليهود المصريين على الهجرة الى اسرائيل بدعوى أن حياتهم فى خطر ٠٠

فكيف يصف مؤرخ كبير مثل الاستاذ طارق البشرى ، الاعمال المتعارضة مع تاريخ مصر ، بل وتاريخ الامة العربية والشعوب الاسلامية ، والمتمثلة فى هستيريا الصراع ضد « اليهود » المصريين ، بدلا من الوعي بجوهر القضية ، وهى أن الصهيونية — وليست اليهودية على اطلاقها — هى العدو الرئيسى لمصر وللعرب ؟ ٠

ان العرب ، ومصر فى المقدمة ، تعاملوا تاريخيا مع اليهودية ، باعتبارها دينا سماويا له احترامه٠٠ واحترام حق معتنقيه فى حرية اقامة شعائرهم ٠ وعشنا قرونا بهذه الروح الاصيلة النابعة من الفهم الحقيقى للاسلام ٠

أما عدونا ، فهو الكيان الصهيونى العدوانى ٠٠ الذى زرعته الامبريالية العالمية فى قلب وطننا العربى ٠

وضد هذا العدو بالتحديد ، ينبغى أن نوجه كل ما نملكه من طاقات ٠

وتبقى بعد ذلك بعض الملاحظات المنهجية ٠

أولى هذه الملاحظات ، أن منهج الاحكام المسبقة حول المجموعات التى اسهمت فى تاسيس الحركة الشيوعية المصرية الوسيطة ، يصطدم بحقائق يصعب تجاهلها ٠ فافتراض صراع بين المصريين ، والاجانب المتمصرين ، حول قيادة الحركة الشيوعية المصرية، وافتراض الاثر الحاسم لهذا الصراع فيما حدث من انقسامات فى هذه الحركة ، لا يستند الى اسس واقعية ٠ فالصراع الذى عشته وشاركت فى معظم مراحله الحاسمة ، لم يدر حول هذه القضية ٠ والانقسامات التى أحالت « حدتو » الى اشلاء مبعثرة ، نبعت من حيث الجوهر من الخطيئة الرئيسية للحركة الشيوعية المصرية ، والمتمثلة فى نظرية « النمو الذاتى » ٠

وهى النظرية التى حفرت بصماتها فى فكر وسلوك جميع التنظيمات الشيوعية بلا استثناء ٠٠ واعتقاد كل تنظيم بانه « التيار الثورى » الذى ينبغى التسليم بجدارته فى قيادة الحزب والثورة ٠

وتلك قضية لم يختلف حولها

جوزيف هنري كوريل

الاجانب أو المصريون ..

وثاني هذه الملاحظات : أن اشتراك الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية ،كحليف رئيسي للولايات المتحدة وبريطانيا والمقاومة الفرنسية والاوربية عامة ، حطم الستار الحديدي الذي كان هؤلاء الحلفاء يحيطون به الاتحاد السوفييتي .. وأتاح لشعوب العالم ، ولاول مرة منذ اندلاع ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، رؤية الوجه الاخر لاول تجربة اشتراكية .. وجه الصمود والمقاومة الاسطورية ضد الجيوش النازية .

. ومن هنا برزت في العالم كله ، بما في ذلك مصر ، موجسات من التعاطف مع الاتحاد السوفييتي ، وما يمثله من فكر اشتراكي .. رغم الدعاية الصاخبة التى كانت المانيا تطلقها بواسطة الاحزاب والجماعات المتعاطفة معها .. وخصوصا في مصر ، حيث اعتقد فريق من المصريين، بأن المانيا النازية ، صديقة لمصر لانها في حرب مع العدو التاريخي ، وهو بريطانيا .

لكن تعاطف قطاعات من المصريينمع النازية بسبب العداء للمحتل الانجليزي لم يحل دون وجود قطاعات أخرى واعية ضد العدو الاشد خطرا ، وهو النازية .. ومن بينها حزب الوفد .

في ظل هذه الظروف ، ظهر الفكر الماركسي في مصر .. مثلما وصل وانتشر في معظم بلاد العالم .

ومن الطبيعي جدا أن يصل هذا الفكر الى المثقفين المصريين في البداية بواسطة بعض الاجانب ، أو المتمصرين يهودا كانوا أو من أى اديان اخرى .

فلماذا يرى البعض ، في ظاهرة عادية جدا ، تكرر مثلها في معظم دول العالم ، أمرا يستوجب التحقيق ، والتحليل والتعقيد ؟ .

لماذا يكون انتشار الفكر الصهيوني ظاهرة عادية بين اليهود في مصر ، وفي جميع دول العالم تقريبا ، ويكون وجود الفكر الماركسي المعادي للصهيونية ، بين قطاعات قليلة جدا من اليهود ، ظاهرة شاذة وغريبة لا يقبلها العقل أو المنطق ؟

وثمة حقيقة أخرى . وهي أن انتشار الفكر الماركسي بواسطة بعض الاجانب ، هي القاعدة التى صاحبت ظهور هذا الفكر في جميع الدول الفقيرة والمستعمرة في القارات الثلاث آسيا وافريقيا .. وأمريكا الجنوبية . وما كان من الممكن ان تكون هناك وسيلة اخرى .. فجميع النظريات العلمية والاجتماعية التى صاحبت الثورات الصناعية والعلمية والاجتماعية في أوروبا ، انتقلت الى البلاد المستعمرة أو الفقيرة ، بواسطة أفراد ينتمون الى جاليات اجنبية ، كقاعدة عامة .. فنظريات آدم سميث وريكاردو في الاقتصاد .. ونظريات المفكرين والمنظرين للنظم الرأسمالية والافكار الليبرالية والديمقراطية .. ونظرية داروين حول النشوء والارتقاء ، أو اصل الانواع ، انتقلت بنفس الأسلوب في معظم الاحيان .. فضلا عن عشرات النظريات والمكتشفات العلمية ، التي وصلت الى الدول الاقل نموا ، عبر الطريق نفسه .

فالافكار لا تعرف الحدود . انها مثل الغلاف الجوى . يصعب حصر حدوده بين دولة وأخرى .

والملاحظة الثالثة : أن جميع المؤرخين ، ومن بينهم الاستاذ طارق البشرى . يعترفون بأن هؤلاء « الاجانب » الذين أسهموا فى اعادة تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات ، اختلفوا حول قضية رئيسية ، وهى تمصير قيادة الحركة. فهناك من رأى فى وجود قيادة أجنبية ضرورة فى المرحلة الاولى . بينما رأى فريق ثان حتمية استبعاد الاجانب منذ البداية ، وتمصير القيادة ، اى أن تكون من مصريين ١٠٠٪ .

وكان رأى هنرى كورييل ، بعد مرحلة قصيرة من تكوين الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وقبل الوحدة مع « اسكرا » ، ضرورة التمصير .. بل وسعى الى أن تكون اللجنة المركزية » من ١٠ مصريين ، و ٢ فقط متمصرين .

وتلك واقعة تحدث عنها الاستاذ طارق البشرى فى كتاب « المسلمون والاقباط » .

ومن حقى ، استنادا الى خبرتى الشخصية ، ومما نشر من وثائق حول تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، أن أسأل الاستاذ طارق البشرى ، والصديق محمد سيد أحمد : أين كان يدور هذا الصراع ، بين الاجانب والمصريين ، اذا كان هنرى كورييل — المؤسس — هو نفسه الذى رفع شعار التمصير ، وأسهم فى تصعيد ١٠ مصريين الى اللجنة المركزية ، التى لم تكن تضم بجانب هؤلاء العشرة ، سوى ٢ من الاجانب ، وهما كورييل وجومتالون ؟

هناك فرق كبير ، بين ابتكار « قالب » منطقى ، و « اختراع » قوانين تحكم ما يدور من صراعات داخل هذا « القالب » ، ثم الوصول « منطقيا » الى ذروة هذا الصراع ، وهى الانقسامات ، وبين حركة الاحداث كما جرت ، بعيدا عن التميز أو « التقولب » .

فمنذ الايام الاولى للوحدة ، كان التوجيه الاساسى لكوادر وأعضاء الحركة المصرية يتركز حول هدف رئيسى ، وهو السعى الى « تجنيد » كوادر وأعضاء « اسكرا » ، الى « التيار الثورى » ، وهو الحركة المصرية للتحرر الوطنى .

وكان هنرى كورييل ، من أنشط المروجين لذلك . فالوحدة منذ بدايتها كانت شكلية هشة . بل كانت أشبه بجبهة بين اتجاهات مختلفة .

ولا أدرى كيف يقع مؤرخ كبير مثل الاستاذ طارق البشرى فى مثل هذه الاخطاء . ولا أدرى ايضا ، كيف يؤدى الانحياز الى اتجاه فكرى يتميز بعدائه للشيوعية ، الى دفع مؤرخ ومفكر كبير ، الى التقاط وقائع بعينها ، أو فقرات من كتاب تنتزع بقسوة من سياقها ، لمجرد الرغبة فى تشويه أحد التيارات السياسية التى أسهمت بدور هام فى « اغناء السياسة الوطنية بمفاهيم جديدة تتعلق بالمضمون الاجتماعى لحركة التحرير الوطنى ، والتصنيف الطبقى للمجتمع ، والتأكيد على أن التحرر الاقتصادى من الاستعمار ، جنبا الى جنب مع التحرر السياسى » .. كما سبق أن كتب الاستاذ طارق البشرى عن الحركة الشيوعية فى الاربعينيات فى كتاب « المسلمون والاقباط » .

من العسير ، ان لم يكن من المستحيل ، أن نجد صلة بين الفقرات السابقة من كتابات طارق البشرى فى مؤلفاته ، وما كتبه فى مقاله بمجلة « الهلال » ، وان كان ظاهر المقال ، يوحى بأنه ضد هنرى كورييل .. أو الاجانب فى الحركة الشيوعية .. وليس كل من شارك فى هذه الحركة من المصريين .

## قضايا حيوية

هنري كوريل

بينما جوهر المقال للاسف ، يؤكد أن الوجه الاكبر لهـــذه الحركة في الاربعينيات ــ كوريل ــ كان يدفعها الى اعمال تخريبية ·· مثل مناهضة الحركات الاسلامية والوطنية ، ونشر الفكر المذهبي الـــذى يتيح للاجنبي مكانا للوجود فى السياسة المصرية · والتصدى للمظاهرات الشعبيةالمعادية للصهيونية ·

لست أعترض على حق كـل كاتب او مؤرخ فى اعادة النظر فى تكوينه الفكرى ·· أو تغيير رؤيته الى أحداث تاريخية بعينها ·

فذلك حق يستحيل انكاره · لكن تغيير المناهج أو الافـــكار ، لا يعنى بالضرورة تجاهل ما هو جوهرى فى الاحداث التاريخية ، والتقاط ما هـو ثانوى ، ثم تركيز الاضواء على هذا الوجه ·

فمن المعـــروف ، أن الاحـداث المعاصرة ، وأحداث الماضى البعيد أو القـــريب ، تنطوى على جـانبين متناقضين · كلاهما يعبر عن أحــد وجوه الاحداث ·

فكما يستطيع الحزب الوطنى فى مصر ــ مثلا ــ التأكيد على ما تحقق من انجازات هائلة خلال السـنوات القليلة الماضية ، تستطيع المعارضة اثبات العكس ·

والامر نفسه ينطبق على حــركة مصطفى كامل ومحمد فريد ، أو حتى ثورة ١٩١٩ وقائدها سعد زغلول · كما ينطبق على المرحلة الناصرية ·

الفــرق بين التقييم الموضوعى ، والتقييم « المتحيـز » يكمن فى نقطة أساسية · وهى الخلاف حول ما هو جوهرى أو ثانوى لكل مرحلة ·

وفى اعتقادى ، أن ما هو جوهرى فى مرحلة الاربعينيـــات فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، يتمثل فى السطور التى كتبها الاستاذ طـارق البشرى فى صفحة ٥٩٧ من كتـابه « المسلمون والاقباط » ·

وهى السطور التى أشرت اليها من قبـل ·

أما الثـــانوى فى تاريخ هـــذه الحركة ، فهى الاخطاء ، التى يعترف بها وبشجاعة كل من شارك فى الأحداث العظيمة ــ من حيث الجوهر ــ لهذه المرحلة من تاريخ مصر ·

والملاحـــظة الاخيرة أوجهها الى الصديق محمد سيد أحمد ، خلاصتها: أن الحركة الشـــيوعية المصرية فى الاربعينيات لم « تشكل رافدا للصراع العربى الاسرائيلى » كما جـــاء فى مقاله ، بل كـــانت رافدا متشـــددا للاممية ·

فالاندفاع العنيف نحــو الاممية ، كان السمة الرئيسية · وهو اندفـــاع تعترف الآن بأخطائه أو خطاياه ·

بل أن هذا الاندفاع ، ظل يهيمن على الحركة الشيوعية المصرية طوال الخمسينيات ، وحتى قرب منتصف الستينيات ·

ولعل الصديق محمد ، يذكر الجدل العنيف الذى كان يشتعل بين الفصائل المختلفة للشيوعيين ، لمجرد نشر مقال لهذا القائد الماركسى أو ذاك ، فى الدول الاشتراكية ·· أو قادة الاحزاب الشيوعية فى الدول الاوربية ·

وهل نسى الصـديق محمد ، كيف كانت كلمـــة الاممية ، أو مواقــف الاتحاد السوفييتى ، أو حتى مقـــال تنشره صحيفة أو مجلة سوفييتية ، لها الكلمة الحاســـمة عند نشوب أى

خلاف بين الشيوعيين ؟

ان الموقف من قرار تقسيم فلسطين لم يكن وحده النموذج على هذا السلوك .. فالاقلية التى رفضت هذا الموقف ، كانت توصف بالانحراف عن الاممية ، والخروج على تعاليم الماركسية .

وأستطيع أن أقرر، أن احد المصادر أو الاسباب الكامنة فى الاخطاء السياسية للحركة الشيوعية المصرية، انما يرجع الى التطرف فى الالتزام بالاممية وليس العكس .

وظل هذا الالتزام يحكم خطى الحركة الشيوعية ، حتى بداية الستينيات .. عندما ظهرت التحليلات السوفييتية تتحدث عن « الطريق اللارأسمالى » وعن « البورجوازية الوطنية التى تنازلت عن مصالحها من أجل مصالح الامة » ، وعن امكانية السير فى الطريق المؤدى الى الاشتراكية .. بدون قيادة الطبقة العاملة .

وهى التحليلات ، التى اسهمت بدور هام ، فى تبرير قرار « حل الحزب » عام ١٩٦٥ ، والانضمام الى التنظيم الطليعى ، وهو التنظيم الوهمى الذى اثبتت الاحداث مدى عبثيته .

ومن جهة اخرى ، فان الصديق محمد يفترض أثناء الحقبة موضوع البحث أن الشيوعيين المصريين ، كانوا يملكون وعيا كاملا بالخطر الصهيونى ، وأثره على الامن المصرى والقومى .. وبالتالى الوعى بالعلاقة بين الوطنية المصرية والقومية العربية

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها ان هذا الوعى جاء متأخرا . وكل ما كتب فى الصحافة الشيوعية واليسارية خلال مرحلة الاربعونيات ضد الصهيونية لم يكن سوى أحد الاشكال البارزة للتضامن الاممى مع شعب يعانى الاضطهاد . مثلما كان عليه الامر ، مع الشعوب الاخرى فى مختلف حول العالم .

الوعى القومى بالامة العربية ، والوعى العميق بمخاطر زرع الكيان الصهيونى ، جاء متأخرا .

وحديثك أيها الصديق محمد عن صراع موهوم بين الاجانب والمصريين حول هذه القضية ، أثناء الاربعينيات لا يستند الى وقائع حقيقية .. لان جميع الخطوط السياسية للحزب الشيوعى المصرى ، وكافة تقاريره ضد المنظمات الاخرى ، لم تنطلق مما ذكرته فى مقالك .. بل من انها تنظيمات انتهازية .. أو حتى خائنة .. خصوصا بعد أن باركت « حدتو » حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، التى اعتبرها الحزب الشيوعى المصرى « المتطهر » من كل يهودى أو أجنبى ، حركة فاشية استعمارية يجب مقاومتها واسقاطها .

● تلقت « الهلال » عددا من المقالات ردا على المقالة التى نشرناها فى عدد اكتوبر الماضى للدكتور الطاهر احمد مكى بعنوان « حرب اكتوبر فى الادب العربى » .. وقد كتب هذه المقالات الاساتذة احمد محمد عطية ويوسف القعيد ومحمد السيد سالم وسننشرها فى العدد القادم ان شاء الله ●

# ملاحظات على المنهج

تميز الاستقبال الاعلامي للعدد السنوى الثالث من « التقرير الاستراتيجى العربى » ( ١٩٨٧ ) بحفاوة ملحوظة ..

ولا غرو ، فالتقرير بدون شك ، هو أهم دورية سياسية عربية ، وذلك بحكم موضوعه ، خصوصا لدى جمهور لم يتعود الاهتمام بأمور .. « استراتيجية » إلا بعد أن داهمته الهزيمة العربية أمام اسرائيل .. وإن كان اهتماما لم يصب حقه من الاستخدام الصحيح للكلمة ومفهومها ، فقد أصبحت الكلمة تتردد فى الكتابات من كل مستوى وأى مستوى ، بمقتضى ودون مقتضى ، وبمعنى وبدون معنى ..

وربما لذلك ، جاءت هذه الحفاوة الاعلامية الملحوظة دون مستوى الموضوع .. فما نشرته الصحف كانت فى عمومها كلمات تحية واحتفال بصدور هذا العدد الثالث .. ولايملك قارئها أن يتجنب انطباعا بأن كاتبيها لم يبذلوا فى سبيلها أكثر من جهد تصفح التقرير بصفحاته التى تقترب عددا من المئات الخمس .. وقد يستثنى من هذا ماكتبه الزميل فهمى هويدى فى « الأهرام » وإن كان قد اقتصر على ما ظن أنه يعنى اهتماماته من التقرير فتوقف عند الصفحات القليلة جدا التى تناولت « قوى الاسلام السياسى » ..

على أى حال ، فربما تنجح الندوة التى نظمها « مركز البحوث والدراسات السياسية » بجامعة القاهرة ، ( والتى لم تكن قد انعقدت بعد عند كتابة هذا التعليق ) ، ربما تنجح فى اعطاء التقرير حقه من المناقشة الجدية ..

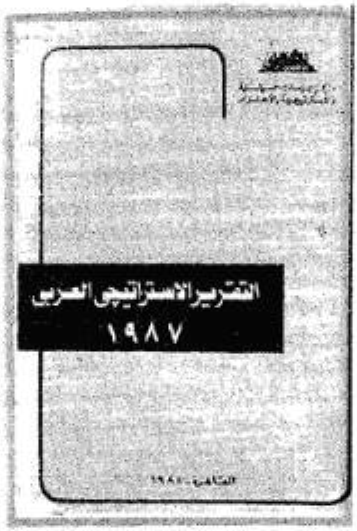
* * *

لايسمح الحيز المتاح بمناقشة شاملة للتقرير ، لذلك يقتصر هذا التعليق على ابداء عدد من الملاحظات التى تتصل بالمنهج ، على حسبان أن المنهج هو البداية الصحيحة للمناقشة ..

١ ـ عنى التقرير بالافصاح عن محدداته ، فأورد فى المقدمة التى كتبها رئيس تحريره ، تعريفا للاستراتيجية .. « لايقنع بالتركيز على الجوانب العسكرية ، وانما يتسع ليشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ... الذى لابد يكتمل باضافة بعد أساسى له ، وهو الوعى التاريخى » ..

وهو تعريف يبدو شاملا ومكتملا ، إلا أن مايغيب عنه هو تحديد وظيفة الاستراتيجية التى هى « صياغة الخطط أو استخدامها لتحقيق هدف » ..

وهذه التكملة للتعريف تؤخذ فى الاعتبار عند النظر فى التقرير ذاته ، إذ تصبح وظيفته هى أن يعين من يقرأه على أن يتبين بقدر المستطاع إذا ما كان يصف التقرير من




احداث وتغيرات وتطورات قد آعانت موضوع التقرير ( أى المنطقة التى يتناولها وشعوبها ) على الاقتراب من أهدافهم ، أو ابعدتهم عنها وبأى قدر فى الحالين .. وهو ما لايجده القارىء فى التقرير إلا لماما ..

٢ ـ يبرز التعريف الذى تبناه التقرير لـ « الاستراتيجية » أهمية « الوعى التاريخى » ومع ذلك ، فمنذ قراءة التقرير كاملا لانجد أنه يلى هذا الابراز حقه ، فلا نرى عنصر الوعى التاريخى فى معالجة التقرير للقضايا والتطورات إلا فى امثلة قليلة ، مثل تقييمه الصحيح لمدى تحقيق احتمالات للوفاق الدولى على ضوء ما جرى من تطورات بين القوتين الدوليتين الكبريين ، وتقييمه الصحيح ايضا لمدى ايجابية ما جرى من تطورات فى العلاقات العربية .. ولعل المثالين يثبتان أهمية عنصر الوعى التاريخى ، وهو اثبات يجعل قارىء التقرير يتمنى لو أن هذه الأهمية قد امتدت لتشمل التقرير بأكمله ..

ففى النقطة الأولى يزيل التقرير وهما ينتشر ، ربما بفعل التسرع ، أخذ يعامل الوفاق السوفييتى ـ الأمريكى وكأنه قد أصبح حقيقة قائمة وحاكمة ، وعلى هذا الأساس أخذت تصاغ مواقف وسياسات ، فالتقرير يحذر ، وبقدر كبير من بعد النظر من أنه « قد يكون من قبيل المبالغة والتسرع الحكم بأن وفاقا جديدا قد أصبح ممكنا بين الطرفين » (ص ١٨) وينبه إلى أنه رغم التحسن الملموس فى العلاقات بين موسكو وواشنطن « فإن الصراعات الأقليمية فى الشرق الأوسط احتدت خلال العام معلنة فى ذلك عن استقلالية نسبية للنظام الاقليمى عن النظام العالمى » .. ويصل من هذا إلى انه « قد يؤذن باحتمالات للتوتر فيما بينهما بصدد القضايا الاقليمية التى لاتزال تشكل نقطة شائكة فى علاقات القوتين » ( ص ١٧ ) .. وتبدو أهمية هذا التنبيه الصائب واضحة ، فى وقت تسود فيه نغمة أن قمة موسكو قد توصلت إلى اتفاق بين الدولتين الكبريين على حل القضايا الاقليمية ، وهى نغمة تنطوى على البحث للقوى الاقليمية على « حد إعفاء » .. من خوض صراعاتها ..

ويعود التقرير إلى تأكيد هذه النقطة على نحو آخر ، ومن خلال متابعة يحفزها حس تاريخى لما وقع من تحسن فى العلاقات بين موسكو وواشنطن .. فيقول « وعليه فليس من المنتظر ، كما يدعى البعض أن يحدث تقسيم لمناطق النفوذ فى العالم ، أو اتفاق سوفييتى أمريكى لحل المشكلات الاقليمية كما يدعى البعض الآخر ، فالواقع أن القوى الاقليمية لاتزال تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة والتأثير فى علاقات القوتين » (ص ٥١) .

أما فى النقطة الثانية والخاصة بمدى ايجابية ما جرى من تطورات فى العلاقات العربية خلال العام الماضى ، فإن التقرير يزيل فى هذا الشأن كثيرا من الأوهام ..

## ● قاعدة التراضى

يسمى التقرير عام ١٩٨٧ ، « عام وقف التدهور » فى العلاقات العربية ، ويرصد على هذا خمسة عوامل رئيسية هى « تحقيق درجة من السيطرة على مناطق الصراعات الملتهبة داخل الوطن العربى ، وتحقيق درجة من

● التطبيق للتنافس وعلاقات التهديد المتبادل بين دول عربية رئيسية ، ونتائج مؤتمر القمة العربي الطارىء فى عمان التى أعطت انطباعا بالعودة إلى الاقتراب من نوع الاجماع العربى ، واعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وغالبية الدول العربية ، وأخيرا النهوض الرائع للمقاومة الفلسطينية وخاصة فى الأرض المحتلة » (ص ١٩٢) ..

وهى كلها نقط رصد صحيحة ، وربما تشمل جميع مكونات الظاهرة التى يسميها التقرير « وقف التدهور » ..

ويكتمل هذا الرصد الوافى ، بملاحظة نوعية صحيحة ، عندما يحذر التقرير من انه « يبقى لمنطقة التراضى العربى هذه عيب جوهرى ينشأ من غياب الاتفاق الاجرائى حول الادارة الشاملة للصراع والمواجهة مع اسرائيل بجانبيها العسكرى والسياسى ، ومن هنا فقد يستحيل عمليا التنبؤ بدرجة استقرار قاعدة التراضى أو الاجماع السلبى التى أمكن التوصل اليها خلال العام .. إذ أنها قد تتسع وقد تضيق » (ص ٢٠٦) .

ومع أن هذه النقطة تعتبر من علامات تواؤم التقرير مع دعوة رئيس تحريره إلى وضع « الوعى التاريخى » فى مكانه الصحيح من مفهوم الاستراتيجية .. فإنها لم تكتمل ..

فلا ينبئنا التقرير بالعوامل أو الدوافع التى أنتجت هذا التراضى ، كما انه عندما يتحدث عن غياب الاتفاق الاجرائى حول الادارة الشاملة للصراع .. الخ .. « لا يمتد بنظره للبحث عما إذا كان هناك اتفاق اصلا على طبيعة الصراع (مع اسرائيل) وعلى ترتيبه بين أولويات الأطراف التى شملها هذا التراضى ..

خصوصا وأن قمة عمان ، والتى هى من بين ما رصد التقرير من مؤشرات هذا التراضى ، قد وضعت الصراع مع اسرائيل فى المكانين الخامس والسادس من مقرراتها ، حتى أنها جاءت بعد « أحداث الشغب والفتنة التى قام بها الايرانيون .. »

وربما لو كان التقرير قد مد نظره إلى الخلف وإلى الامام على هذا النحو ، لكان التنبؤ بمستقبل قاعدة التراضى ، أقل صعوبة ، ولم يصل الى ترجيح الاستحالة كما رأى التقرير ..

٢ ـ ولقد يلزم التنويه بهذا التفاوت الواضح بين « موجز التقرير » الذى يتصدر مجلده ، وبين صلب التقرير ..

فالموجز محكم مترابط يرسم لمجمل الموضوعات التى تناولها التقرير صورة متكاملة ، تتبادل مكوناتها الاضاءات والظلال على نحو يجعل الموجز « تقريرا » ، يبدو الى جانبه صلب التقرير ذاته اقرب إلى التجميع الأرشيفى الذى تتخلله فقرات أو مقالات لا تقترب من التحليل .. القصد من هذه الملاحظة الثالثة ، أن ما يتوقعه القارىء من « تقرير استراتيجى » أن يعينه على رؤية الاجزاء ضمن كل متكامل وأن يستخلص منها إلى حد كبير مؤشرات له على الكيفية التى جرت بها التطورات وعلى الوجهة التى يمكن أن تتخذها فى المستقبل ..

وهذا مايفى به « الموجز » إلى حد كبير ..

وهو مايفتقر اليه التقرير والى حد كبير ايضا ..

ولو اردنا مثلا واضحا على هذا نجده فى القسم الخاص بجمهورية مصر العربية ..

فهذا القسم يتوزع الى اربعة اقسام فرعية تتناول النظام السياسى والدبلوماسية والعلاقات الخارجية ، والدفاع والقوة العسكرية والاقتصاد القومى ..

وعند قراءتها ، لاتجد فى أى منها مايؤدى الى الآخر ، أو ما يتصل به ، بل ولا تجد مايشير الى أن هذه المكونات الأربعة يجرى بينها تفاعل ، تأثر وتأثير ، كأن كلا منها يجرى فى أنبوب مغلق عن الآخر ، مع أنها بالضرورة مستطرقة ..

وينطبق الأمر ذاته داخل كل قسم من هذه الأقسام الفرعية ، فتبدو سلطات الدولة وكأنها لاتؤثر فى الاحزاب والنظام الحزبى ، فضلا

عن أن تتأثر بهما ، وهكذا ، ويبدو النظام السياسي بمكوناته من الدولة الى الأحزاب الى جماعات المصالح الى القوى المحجوبة عن الشرعية ، وكأن لا أثر لها ولا أثر فيها لعلاقات مصر الخارجية ، وفي القسم الخاص بالدفاع والقوة العسكرية ترى انفصالا بين السياسة الدفاعية وسياسة التسلح ..

وهكذا ..

وحتى تتوضح هذه النقطة ، يفيد عقد مقارنة بين التناسج الملحوظ في التقرير لعوامل الوضع الدولي والوضع الاقليمي والوضع الفلسطيني فيما تخص الصراع العربي الاسرائيلي ، وبين التفاصل الشديد الذي نجده بين العناصر المكونة لاوضاع جمهورية مصر العربية كما يعرضها التقرير ..

٤ ـ في مقدمة الموجز ، اشارة إلى أن الجزء الخاص بالنظام الدولي والاقليمي لم يتناول « دول الجوار الجغرافي » دون أن يقدم سببا لهذا الاسقاط .. هل لأن ما ورد عنها في التقرير السابق قد كفى ووفى ؟ هل لأنه لم يقع في هذه الدول وفي علاقاتها بالنظام الدولي والنظام الاقليمي من التطورات مايستحق الذكر ؟

اليس فيما جرى في ١٩٨٧ من مقدمات لتغيرات جوهرية في المشكلة الافغانية ، تطورا من شأنه أن يكون ذا أثر يلحظ على الجناح الشرقي لهذا الجوار الجغرافي ؟ مثلا ..

٥ ـ في القسم الخاص بالصراعات الاقليمية رصد لتطور صراعات ثلاثة :

العربي ـ الاسرائيلي ، والعراقي ـ الايراني ، والليبي ـ التشادي . وهنا غاب صراع اقليمي آخر هو ذلك الدائر في الصحراء ، خصوصا وأن ماشهده العام الماضي من وضوح توجهات الى حله ، يتصل اتصالا وثيقا بما اسماه التقرير « قاعدة التراضي » العربي ، والشاهد أن هذه التوجهات أصبحت فيما بعد عنصرا مهما في فعل هذه القاعدة على جبهة المغرب العربي ، وعلى نحو يوحي بأن مايحدث هناك قد يتخطى الحدود التي وصلتها هذه القاعدة فيما بين بقية البلدان العربية ..

٦ ـ وهذه ملحوظة تتناول نقطة حساسة ، لأنها معرضة بحكم الحساسية لسوء الفهم .. فهي تتعلق بالانتفاضة الفلسطينية ..

بدأت هذه الانتفاضة في مطلع الأسبوع الثاني من الشهر الأخير من السنة التي يتناولها التقرير ..

لذلك كان منطقيا الّا يستطيع أحد ، مهما بلغت قدرته على التنبؤ أن ينسب الى هذه الانتفاضة ، وهو ينظر إليها في هذا الوقت قيمة بعيدة المدى .. لأن هذه القيمة لم تتضح الا فيما بعد ، أي بتوافر عنصرى استمرارها وتطورها ..

لكن التقرير والمفترض أنه ينظر إليها في حدود أسابيع ثلاثة من عمرها نسب اليها كونها تغييرا نوعيا .. و ..... و ...... الخ ..

صحيح أن كثيرا من هذا اثبتته الانتفاضة ..

إنما اثبتته فيما بعد أي بعد السنة التي يغطيها التقرير .. وتشير هذه الملاحظة الى محذور منهجي يسهل الوقوع فيه ..

محذور النظر الى التطورات ، كما هي الآن ، بينما الموضوع هو النظر اليها كما كانت في حينها ، طالما التقرير محدد بإطار زمني .. وخصوصا أن التقرير التزم منهج الالتزام بالزمن في تقييم التطورات في كل ما عالجه ، ماعدا الانتفاضة ..

* * *

قد لاتكون هذه الملاحظات على منهج التقرير هي كل ما هنالك من ملاحظات وقد لايكون المجال قد اتاح إيفاءها حقها ..

كما قد لا تكون قد أوفت التقرير حقه ...

لكن دافعها يبقى هو الحرص على هذه الدورية التي احتلت وبسرعة .. مكانا بارزا انفردت به بين الدوريات السياسية العربية .. ويبقى هدفها هو أن يكون عددها الرابع ومايليه أوفى بالفرض ..

رسالة يوغسلافيا

عشرون يوما في أحضان الطبيعة والفن، قضيتها في يوغوسلافيا، بالتحديد في جمهورية مقدونيا .. احدى جمهورياتها الست .. حيث تشكل الطبيعة أجمل اللوحات العفوية .. اما أعمال الفنانين اليوغوسلاف المعاصرين فلها شان آخر .. مستقل تماما عن هذا الجمال الطبيعي.

إن علاقتي بالفن المعاصر في يوغوسلافيا قبل هذه الزيارة لم تتخط مشاهداتي لجناحها المنتظم في دورات بينالي الاسكندرية باعتبارها إحدى دول حوض البحر المتوسط، وكان الجناح في

# فنانون

# فوق جبل ماركو !!

بقلم: عزالدين نجيب

● اننا نجد مختلف اوجه الرعاية للفن والفنانين، مثل الانتشار الواسع لقاعات العرض والمتاحف الفنية في كل ربوع البلاد، واقتناء الدولة أعمال الفنانين بصفة منتظمة وتكليفهم باقامة أعمال صرحية بمختلف المرافق العامة .. بما يجعلهم يعيشون في مستوى اقتصادي جيد .. وانتشار المجلات والمطبوعات الفنية بكل جمهورية على حدة، الأمر الذي يخلق منافسة خلاقة وثقافة جمالية بين شعوبهم المختلفة، وتقدما نقديا كبيرا (حيث بلغ عدد نقاد الفن التشكيلي بيوغوسلافيا ستين ناقدا)... لكن بالاضافة الى كل ذلك وغيره .. فان الدولة تقيم ملتقيات أو مستعمرات فنية بكل مكان على أرض يوغوسلافيا، تستضيف بها الفنانين من شتى المناطق، لمعايشة الطبيعة والتعبير بحرية تامة عن دخيلة نفس كل فنان دون اى شروط أو قيود يعيشون كأفواج متتالية خلال شهور الصيف تتغير كل ثلاثة أسابيع وتتكفل المستعمرة خلالها بنفقات الاقامة والخامات الفنية في مقابل عمل فني واحد يهديه كل فنان الى المستعمرة لتضمه الى متحفها أو متنزهاتها المليئة بالأعمال الفنية .. وقد بلغ عدد هذه المستعمرات في كل يوغوسلافيا مائة وتسعة بالاضافة الى خمس مستعمرات اخرى تستضيف فنانين من جميع انحاء العالم بنفس الشروط .. وقد وجهت الدعوة

المعتاد صورة فنية متقدمة بالنسبة لبلد نامٍ أقرب الى الفقر ، وكنت أعتقد أن وجودها عند المفصل بين اوروبا الغربية واوروبا الشرقية هو ماجعل فنانيها يتطلعون دائما الى حركة الفن الغربى ويقتفون أثرها أكثر مما يفعلون مع حركة الفن بالمعسكر الاشتراكى .

لكن معايشتى لواقع الحركة الفنية بهذا البلد خلال تلك الفترة القصيرة ، أعطت للصورة فى ذهنى أبعادا أخرى ، انها أساسا نتاج لواقع يضع الفن والفنانين فى مرتبة بالغة الاهمية .. ربما أعلى من الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية .

---

الى مصــر من احدى هذه المستعمرات ، وكان من حظى أن أكون الفنان الممثل لمصــر فيها . بل أن أكون أول فنان مصــرى يدخلها ، وثالث فنان عربى ، حيث استضافت من قبل فنانا عراقيا وآخر كويتيا .

تقع هذه المستعمرة الفنية فى أعالى جبل « ماركو » المطل على مدينة بريليب بجمهورية مقدونيا .. بجنوب يوغوسلافيا ، وهى مدينة تاريخية قديمة حافلة بآثار دينية منذ عصور الاضطهاد الرومانى للمسيحيين ، وازدادت أهميتها الدينية والتجارية فى القرون الوسطى .. لذا فان المستعمرة تحتل مبنى أثريا متميزا ذا طراز فريد يجمع بين القوطى والعثمانى .. كان فى الماضى ديرا للرهبان ، وهو مجاور لكنيسة بنيت فى القرن الثانى عشر ، والأثران معلقان على حافة جرف صخرى ، ويتم الوصول اليهما بطريق ملتو على مدارج الجبل ، وتبدو أسفلهما بيوت « بريليب » بسقوفها الفخارية الحمراء الهرمية الشكل مطلة من بين خمائل الاشجار التى لايخلو منها أى منزل ، فى لوحة بانورامية بديعة .. ولعل هذه المدينة من أكثر المواقع فى يوغوسلافيا قربا إلى الطابع الريفى ، سواء فى طـرازها المعمارى أو فى اعتمادها على الزراعة ـ خاصة التبغ ـ أو فى علاقات الناس البسيطة الحميمة مع احتفاظها بدرجة ملحوظة من النظافة وتمتعها بكل الخدمات الحديثة التى تتوافر بأى مدينة كبيرة .

لكن أكثر ما استحوذ على اهتمامى وخيالى من هذه الطبيعة هو صخورها البركانية العقيدة ، انها تتشكل فى الفضاء شامخة فى أشكال أسطورية وخرافية ، ملهمة جماليا وتعبيريا لأى فنان ، مما يذكرنى فى بعض النواحى بجبال سيناء ، هذا بالاضافة الى قيمتها التاريخية ، حيث شهدت هذه الصخور ، وما تضمه من كهوف وتجاويف ، تاريخا حافلا من الجهاد الدينى للمسيحيين الأوائل فترة الاضطهاد الرومانى ، أو الجهاد الوطنى خلال حروب التحرير المتعاقبة منذ الحكم العثمانى الطويل حتى الحرب العالمية الثانية .. وقد أرشدتنى الى هذا التاريخ علامات وأرقام سجلها فوقها خبراء « الأركيولوجى » المنتشرون بالمنطقة .. وهكذا كنت أشعر خلال تجوالى الطويل

# فنانون
## فوق جبل ماركو !!

بين تلك الصخور برهبة وقدسية من يتجول فى متحف أو معبد قديم .

وقد مضى على انشاء مستعمرة بريليب الفنية حتى اليوم ثلاثون عاما ، ويشرف عليها معهد متخصص فى الآثار « الاركيولوجى » يحتل مبنى ضخما على مسافة قريبة منها .. ملحق به جهاز ادارى لخدمة المستعمرة والفنانين ، برأسه عالم اثرى هو البروفيسور « بوشكو » له مؤلفات تعد مراجع فى آثار المنطقة ويضم المبنى قاعة عرض كبيرة غاية فى الأناقة ، ومرافق واسعة لتخزين أعمال الفنانين واحتياجاتهم بطريقة عصرية تحافظ على الأعمال الفنية الى ما لانهاية ، وأرشيفا

● صخرة طبيعية تبدو فى شكل فيل فوق جبل ماركو



كبيرا يحتوى تصنيفا دقيقا لكل فنان زار المستعمرة طوال تاريخها ، بما فى ذلك أحدث المعلومات والوثائق عنه .. كما تتناثر فى حديقة المبنى المترامية الأطراف أعمال نحتية للفنانين الذين اقاموا بالمستعمرة من جميع انحاء العالم ، وهى اما من المرمر الذى تتميز به المنطقة ويمثل إحدى ثرواتها أو من خشب الأشجار الضخمة المنتشرة فى يوغوسلافيا أو من الحديد .. وقد أنشىء مصنع على مقربة من المستعمرة لتنفيذ أعمال النحاتين فى الحديد والصلب .

وتضم قاعة العرض ومبنى المستعمرة ومخازنها ( فضلا عن ميادين مدينة بريليب ) ألفا ومائتى عمل فنى أنتجها حوالى خمسمائة فنان من يوغوسلافيا ومختلف دول العالم على مدار السنوات الثلاثين الماضية ، وهى مجموع ما أهدوه الى المستعمرة خلال تلك الفترة ، وقد أقيم العديد من المعارض السنوية بهذه الأعمال فى جمهوريات يوغوسلافيا المختلفة .. كما اننى شاهدت مجموعة منها معروضة بمتحف مدينة « سكوبيا » عاصمة مقدونيا ( على بعد ساعة ونصف بالسيارة من بريليب ، أو نصف ساعة بالطائرة من بلجراد ) وهو متحف رائع التصميم فوق قمة ربوة عالية .

## ● مستعمرة فنية

وتقوم مستعمرة بريليب للفنانين على نفس النظام الذى تقوم عليه جميع الوحدات الاجتماعية والانتاجية فى يوغوسلافيا .. وهو نظام التسيير الذاتى ، اذ ينبع من قناعة القائمين عليه وليس من خارجهم .. فهم الذين يحددون شروط الدعوة لحضور الملتقى والاقامة فيه والعمل به وأساليب ادارته ، ويتحملون وحدهم المسئولية كاملة عن عائدة وقد استفادت المستعمرة من طبيعة الحياة بالدير القديم ، فأنشأت مزرعة صغيرة تحتوى على مختلف أنواع الخضراوات والدواجن والماشية ، وهى التى تغذى سكانها بمعظم احتياجاتهم الغذائية ، فضلاً عما يوفره ذلك لهم من حياة أقرب الى الفطرة والبساطة الريفية ، والى التعايش مع الطبيعة بمنابعها النقية .

● ● ●

إن هذه الرعاية للفن بيوغوسلافيا لاتمثل وحدها قوة الدفع للحركة الفنية ، فقد نجد نظائر لهذا الوضع فى بلدان اشتراكية أخرى دون أن يتحقق بها نفس العطاء الفنى ، لكن الحرية التى يحظى بها الفنان فى يوغوسلافيا بلاحدود فى تعبيره وأساليبه وموضوعاته ، دون أن يضطر بأى حال الى مسايرة التوجهات السياسية للنظام الحاكم هى التى تجعل هذا الوضع متميزا بين الدول الاشتراكية .

هكذا انعكس هذا المناخ على مستوى الإبداع الفنى واتجاهاته العامة ، التى نمت فى جو من حرية التعبير .. ومن الرغبة فى تجاوز الحدود الى الآفاق العالمية الى الحد الذى يجعل الحركة الفنية بشكل عام حركة طليعية تسابق التيارات الغربية ، دون أن تبالى كثيرا بمدى استقبال الجماهير العادية لهذه الاتجاهات .

وربما كان العدد الذى أمكننى الاطلاع عليه من أعمال الفنانين فى تلك الفترة القصيرة ، فى المراسم وقاعات العرض والمتاحف كافيا لرسم « اسكتش » سريع

لاتجاهات الحركة الفنية خاصة بجمهورية مقدونيا ، وهى من الناحية التشكيلية تحظى باحترام كبير فى الأوساط الفنية بيوغوسلافيا .

لقد عايش الفنان اليوغوسلافى حركات التحرر الوطنى فى قومياتها المختلفة وأثناء اندلاع الحرب العالمية ، وشارك بدور فعال فى تغذية الشعورين القومى والثورى وتخليد الكفاح الوطنى وبعد التحرير والاستقلال شارك أيضا بدور فعال فى تدعيم عملية البناء الاجتماعى وتأسيس تيار يربط الفن بالواقع ويعمل على الارتقاء به .. لكن يبدو أن هذا التيار أصبح الآن أقرب الى أن يكون متحفيا أو تذكاريا بالميادين والحدائق العامة أكثر منه متفاعلا على خريطة الحركة الابداعية الحديثة .

● خصوصية البيئة

اما هذه الحركة الابداعية الحديثة فتقوم اليوم على اتجاهات تساير تماما نفس الاتجاهات فى أوروبا الغربية ، ويجمع بينها على اختلافها التعالى على الطبيعة ، والبعد عن المشخصات وعن الالتزام بالمنظور ( البعد الثالث ) وعن المضامين الفكرية فى الوقت الذى يعطى الفنان اهتماما بالغا للجوانب التقنية ، محاولا اثارة الاهتمام بغرابة الخامة وملمسها وبطرافة التكوين ، مع ميل أكثر الى العلاقات الهندسية والرياضية فى بناء العمل الفنى ، سواء كان نحتا ام تصويرا .

ولاشك أن هذه الجوانب التقنية تمثل قيما أساسية وجوهرية لأى عمل فنى على اختلاف المدارس الفنية .. لكن قيمتها ترتفع بقدر تفردها وجدتها بين الأساليب السائدة فى الفن الحديث وبحثها فى خصوصية البيئة التى تنبع منها عن علاقات جمالية متميزة ، وتنخفض أيضا بقدر تبعيتها لتلك الأساليب السائدة دون اضافة ذاتية .. ان هناك حقا بعض المحاولات المحدودة تتمثل فى الاستفادة بالايقونات المسيحية المتآكلة ، وبالنسيج الشعبى السلافى وبطراز العمارة العثمانية وبالطبيعة الجبلية الوعرة .. لكنها تظل استثناءات قليلة بالنسبة لمجمل الأعمال التى شاهدتها .. وهى فى أغلبها تكرار لما أنجزه الفنان الغربى فى مجال الخبرة التقنية والجمالية على مدار ثلاثة ارباع هذا القرن ..

أما الموضوع فى هذه الأعمال فقد انتهى عهده واذا كان ثمة مضمون فهو ملفوف بالغموض ، خاصة فى الأعمال التى مازالت تقتفى أثر المدرسة السريالية ولعل النبرة الجهيرة بين مختلف التيارات الفنية التى قد تحمل مضموننا هى نبرة الايحاءات الجنسية ... ولاينبع ذلك بالتأكيد من كبت جنسى نتيجة انغلاق العلاقات الاجتماعية فى هذه الناحية ، فالعكس هو الصحيح ، بل لعل الأرجح هو محاولة الفنان التعبير عن الخصوصية والتلاحم الانسانى مستخدما الرمز وبشكل عام فقد شعرت أن رسالة الفنان اليوغوسلافى رسالة صغيرة على المستوى الفكرى والانسانى ، على الرغم من الحرية الهائلة التى يحظى بها تعبيريا ومن يدرى ! .. فربما كان صغر هذه الرسالة ايضا رد فعل لتلك الحرية ، التى تبدو للأجنبى العابر مثلى عميقة الجذور فى بنية المجتمع .

● نحت من المرمر لفنان امريكى انتجه فى مستعمرة الفنانين ويعرض بحديقة عامة



# فنانون

## فوق جبل ماركو !!

● نحت في الحديد لفنان من كوبا انتجه بالمستعمرة ويعرض في الحدائق العامة



بينما قد تكون فى حقيقتها شكلا فارغا إذا إصطدمت بجوهر الواقع وصراعاته المصيرية ، أما الفيصل فى ذلك فلن يكون إلا بعد معايشة أطول وأعمق للحياة فى ذلك المجتمع المعقد ، بتجربته المتفردة فى السياسة والاقتصاد ، وتجاور القوميات والأديان واللغات والعقائد المختلفة .

نفس الوضع قد ينطبق على مصداقية تجربة المستعمرات الفنية ، فيما إذا كانت قوة دافعة للتفاعل بين الفنان والمجتمع والطبيعة ، أم أنها مجرد "شكل" آخر اتخذ طابع التقليد الراسخ على مدى سنين طويلة . لقد التقت عيناى فى أكثر من ميدان وحديقة وفى العديد من المنشآت العامة بمدينة بريليب - التى تقع بها المستعمرة - ومدينة اسكوبيا عاصمة جمهورية مقدونيا ، بالعديد من أعمال النحت الحديثة التى يغلب عليها التجريد الهندسى ، معظمها من إنتاج النحاتين بالمستعمرة ، لكنى لم أشاهد مرة واحدة - مع دقة ملاحظتى لذلك - شخصا يتأمل تمثالا من هذه التماثيل المتناثرة أو يشعر بوجودها ، علما بأن أغلبها وضع حديثا فى تلك الأماكن ، بما لايجعل العادة تقتل فى المشاهد حس الانبهار ، كما اننى خلال زيارتى الطويلة لمتحف الفن الحديث كنت الزائر الوحيد ، وظلت جميع قاعاته فى صمت القبور ، وعلى أية حال فهذه نقطة خلافية حرجة بين المدارس المختلفة فى التربية الجمالية للجماهير ،

لكن فى مقابل ذلك ، ينبغى أن اشير الى عدة علامات عايشتها فى المستعمرة تعد نقاطا إيجابية تحسب لصالح التجربة ..

الأولى هى مشاركة عدد من كبار أساتذة الفن بأكاديميات يوغوسلافيا فى الانتاج داخل هذه المستعمرات وتشبعهم بهذه الفكرة وتلقينها لتلاميذهم . وقد التقيت بواحد من هؤلاء الفنانين هو البروفيسور "الكسندر لوكوفيتش" . ويعد أحد شيوخ أساتذة التصوير بأكاديمية بلجراد .

والثانية هى استضافة المستعمرة لأحد نقاد الفن التشكيلى مع الفنانين فترة وجودى ، حيث تتولد الرؤية النقدية من داخل التجربة الفنية وليس من خارجها . وكان هذا الناقد - واسمه فلاديمير فيليكوفيتش - مرتبطا بهدف محدد هو كتابة دراسة نقدية عن الفنان اليوغوسلافى الكبير تاسكوفسكى الذى كان مشاركا معنا فى المستعمرة خلال نفس الفترة ، مع فنانين آخرين من ألمانيا الشرقية وبولندا . !

والثالثة هى مداومة عدد من أطفال المدينة على زيارة الفنانين بمراسمهم أو مرافقتهم أثناء الانتاج وسط الطبيعة المفتوحة ، ولاشك أن ذلك من شأنه أن يرسب فى نفوسهم النقية حب الفن والطبيعة وهم فى عمر الزهور ، وأن يساعد المواهب الكامنة فيهم على التفتح مبكرا .

وأخيرا ، فإن الثروة الفنية التى تقتنيها كل مستعمرة من أعمال الفنانين على مدار السنين ، كفيلة بأن تصبح فى المستقبل استثماراً قيما ، قوميا وعالميا ، للأجيال القادمة .

كم اتمنى أن تستفيد مصر من هذه التجربة الزاخرة ، خاصة أن لديها من الامكانات الجمالية والحضارية القديمة أضعاف أضعاف ما تملكه يوغوسلافيا أو أى بلد آخر .

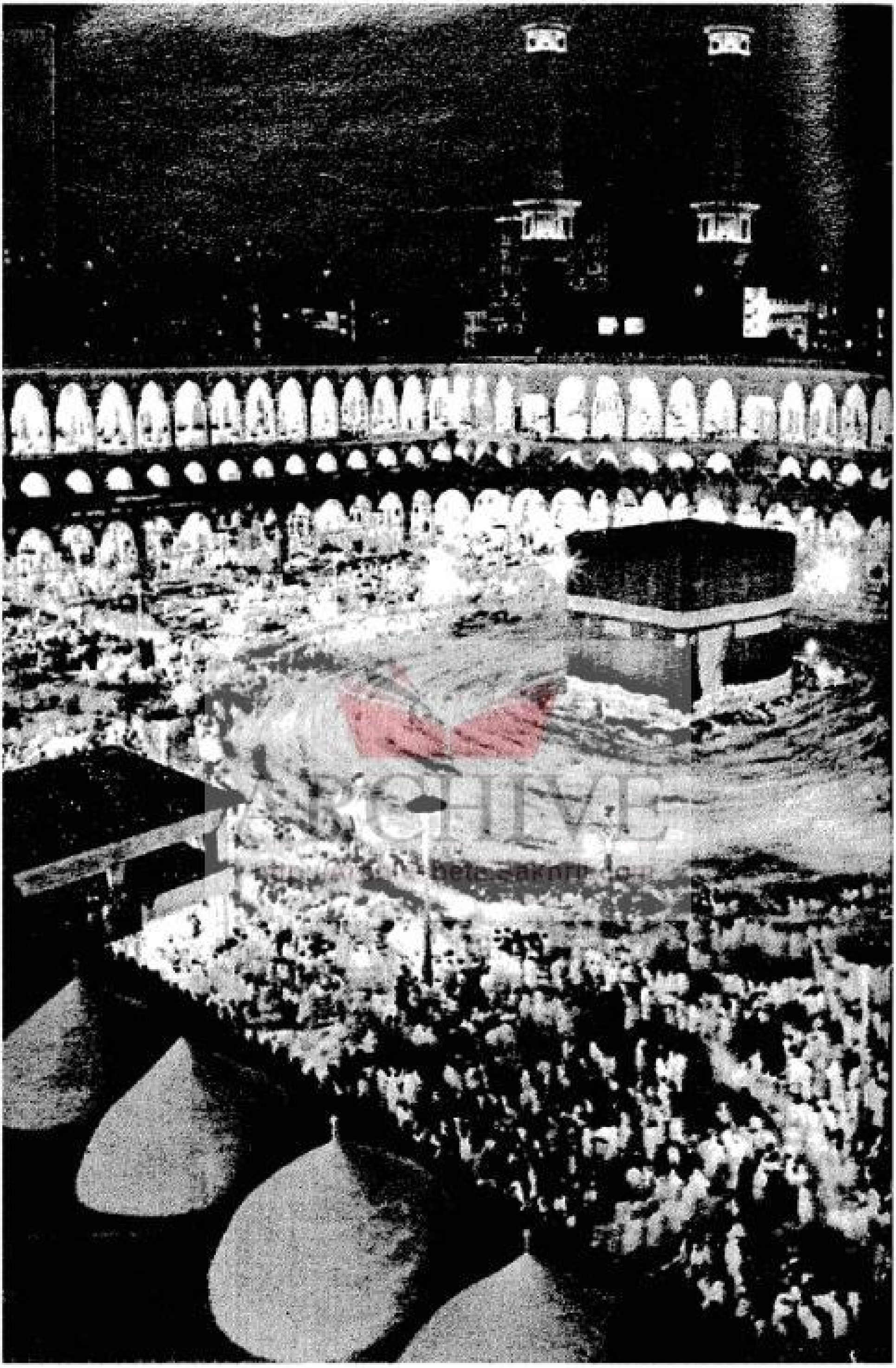
# كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

بقلم : مصطفى نبيل



عدد قليل من المجلات الشهرية ، تعد على أصبع اليد الواحدة ، في كل انحاء العالم ، استطاعت أن تجذب إليها القارىء ، وتثير اهتمامه طوال قرن من الزمان ، ومن هذه المجلات ، المجلة الجغرافية "ناشيونال جيوكرافيك ماجازين" ، والتي احتفلت في سبتمبر الماضي بعيدها المئوى ..

وفي البلدان العربية ، لا يوجد سوى مجلة "الهلال" التي تحتفل بعيدها المئوى بعد أربع سنوات .



# كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

حقا .. إنها قدرة فذة ، أن تتصل مطبوعة طوال هذا المدى الزمنى فى ظل عالم يتغير بوتيرة متسارعة ، وتحتاج هذه القدرة على الاستمرار الى التامل والدرس ، حتى نعرف .. كيف فعلتها المجلة الجغرافية .. ؟!

فالمجلة مثل الكائن الحى ، تولد وتنمو ، وتكتسب عافيتها وعنفوانها من تحقيق شروط الاستمرار بعد تحقيق شروط الوجود ، وسر البقاء واهم شروط الاستمرار هو القدرة على التجدد ، وفن التجدد هو فن مواكبة ماحولها من تغيرات ، واليقظة فى رصد هذه التغيرات ، ثم التجاوب والتفاعل معها ، والأهم من هذا كله هو قدرتها على تبنى "الحلم العلم" .

فكيف حققت المجلة الجغرافية كل ذلك على مدى الف ومائتين من اعدادها .. ؟

وربما نجد فى قصة نشاتها ، وطبيعة مادتها ، وشكل تطورها ، ما يساعد على اجابة هذا السؤال .

كانت المجلة الجغرافية مجرد فكرة داعبت خيال اعضاء الجمعية الجغرافية الامريكية ، وامامهم نموذج هو الجمعية الجغرافية البريطانية ونشاطاتها المتعددة ، والتى ساهمت بدور بارز فى قيام الامبراطورية البريطانية الواسعة الارجاء ، وحمل اعضاؤها من المستكشفين والرحالة الأعلام البريطانية الى آخر المعمورة ، وقادوا حركة الاستعمار البريطانى ، تساندهم وتقف خلفهم مجهودات علمية كبيرة ، وقدموا للامبراطورية مغامرات مثيرة ، وتتبعت خطاهم الجيوش والأساطيل البريطانية ، عندما كانت كل مغامرة مثيرة تنتهى بضم بلد جديد ناء من العالم .. !

وسارت الجمعية الأمريكية على درب الجمعية البريطانية ، بما يتناسب مع النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكان فى رحاب القارة الأمريكية اوسع مجال للابتكار والتجديد والمغامرة ، واستحدثت طرق جديدة لتنظيم وضبط الرأى العام وطريقة مخاطبته ، ومن بينها المجلات الثقافية ، واهتمت الجمعية بنشر الحس الجغرافى لدى الأمريكيين ، على اعتبار أن الجغرافيا معرفة بالذات وبالعالم ، وهى علم قراءة الواقع من اجل المستقبل ، وهذه المعرفة هى البداية المنطقية للتفاعل او السيطرة ، إذا احسن تقديمها وتبسيطها ، فستخلق الرغبة العارمة فى المبادرة والترحال واكتشاف المجهول ، وتقتحم بالخيال كل ما يلفه الغموض ، وتدفع القارىء إلى آفاق جديدة .

والمجلة اداة مناسبة لتحقيق هذه الأهداف . وجاء فى عددها الاول الصادر فى سبتمبر عام ١٨٨٨ .. "نامل ان تقيم المجلة علاقة حميمة مع قارئها ، وتقدم إليه مادة بسيطة وشيقة ، وتنقل إليه كل ما يتعلق بالكشوف والابحاث الجغرافية" ، واستطاعت بالفعل ان تفى بوعدها خلال مائة عام ، وان تحول علم

الجغرافيا وما يتسم به من برودة وجفاف ، الى مادة طازجة ومشوقة . لا تخلو من الدراما البشرية ، واخذت تتابع خطوات الانسان وتطلعه لاكتشاف المجهول ، فقدمت ما يزخر به العالم من روائع تبحث عمن يتعرف عليها ، وسلكت درب المجهول فوق اليابسة ، واوفدت اول بعثاتها الاستكشافية عام ١٨٩٠ الى جبال سانت إلياس فى الاسكا بالقطب المتجمد الشمالى ، ومضى درب البحث عن المجهول من اليابسة الى الفضاء ، وقدمت وصول الانسان الى القمر وصحبته للتعرف على الأجرام فى الفضاء .

ولم ادهش والمجلة الجغرافية تحتفل بإصدار عددها المئوى ، فقد رأيت أسلوب عملها المتقدم، واستخدامها احدث الوسائل الفنية فى فن الطباعة والتصوير ، عندما زرت مبناها الضخم فى واشنطن ، والتقيت بعدد من محرريها ، وتجولت فى مكاتبها ومطابعها وأقسامها الفنية ، وشاهدت الامكانات الكبيرة التى تتاح لمحرريها ، ولاحظت ما تتسم به من التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم ، وعندما تدلف الى المبنى الضخم العريق ، تطالع عرضا شيقا لمطبوعاتها من مجلات وكتب وخرائط وأفلام فيديو .

وتخطط المجلة تخطيطا دقيقا لاعدادها المقبلة ويطالع الزائر خريطة تحدد المستقبل فى برنامج وتوقيت دقيق خلال عام مقبل ، وتجهز المجلة على الدوام مواد ستة أعداد قادمة ، مع دراسة لما تضمه موادها من معارف موسوعة ، فتشمل مدينة او منطقة امريكية ، واحد مناطق العالم المختلفة ، وتتابع كل انباء الاكتشافات الجغرافية والعلمية ، كما تنشر العلوم والتاريخ الطبيعى ، وتفرد مكانا خاصا لتقديم احدى الشخصيات البارزة .

ومن الامكانات الفنية العالية التى استخدمتها ، جهاز يستطيع فصل الألوان الكترونيا ، ويستطيع هذا الجهاز تغيير ألوان الصورة ، وحتى تغيير زى المرأة ، وتغيير لون شعرها ولون عينيها ، وتحويل السماء الملبدة بالغيوم الى سماء صحو زرقاء ، بمجرد الضغط على بعض الأزرار !

ولم يكن غريبا ان توزيعها يصل الى عشرة ملايين نسخة فى كل انحاء العالم .

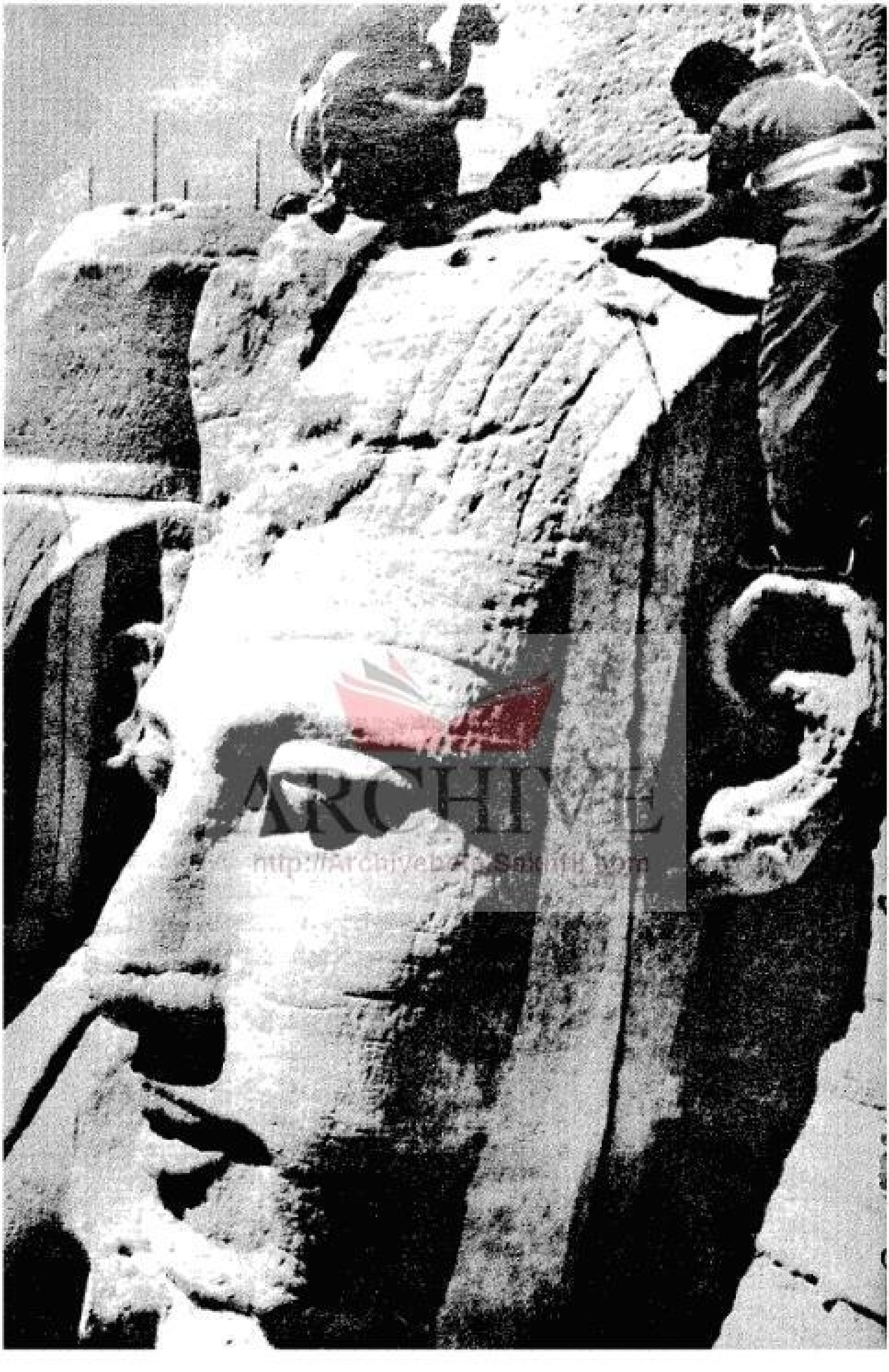
## ● أزمة القراءة

ولم يعد يكفى مجرد التجدد من اجل الاستمرار ، فى ظل ما جاء به العصر ، من ثورة الاتصالات وبعدها ثورة المعلومات ، بل الح على ضرورة التغير النوعى من اجل البقاء ، بعد أن تعرضت الثقافة وأوعيتها من كتب ومجلات وصحف الى ازمة خانقة ، وبعد ان اخذ التغير يطول حتى عادات الانسان التى استقرت مع الزمن .

وقد نمت عادة القراءة منذ عرف الانسان الحرف وتبين الكلمة ، وعندها خرج من ظلمات الجهالة الى المعرفة ، وانتقل نقلة حضارية واسعة ، ومرت صناعة الكتاب بتطورات مختلفة عكست مراحل تطور الحضارة ، وكانت القراءة يوما تقتصر على النخبة ،



● نقلت عدسة المصور كل ماهو فاتن وساحر في البلدان العربية . لقطة للحياة في اعماق الصحراء الجزائرية . واخرى في اعماق مصر عند بناء السد العالي ونقل معبر ابي سمبل



# كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

في عصر "الندرة". عندما كان "الوراقون" ينسخون ما بين ايديهم من كتب في أعداد محدودة، توضع في قصور الأمراء والعلماء أو في المساجد والمدارس.

وعبر الجاحظ عن معنى الكتاب وقيمته أيامها بقوله: "لولا الكتب المعروفة، والاخبار المخلدة، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب، لبطل اكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس من مفزع الى موضع استذكار".

ويتغزل في الكتاب وفضله بقوله: "والكتاب هو الذي اذا نظرت فيه أطال امتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجود بيانك، وفخم ألفاظك، ونجح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك، وعرفت فيه في شهر ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر.."

وكان كبار العلماء مثل ابن الهيثم، عندما تنفد نقوده، يترك ما يقوم بتأليفه وينسخ احد الكتب ويعيش على ثمنها!

وانتقل الكتاب من عصر الندرة الى عصر الوفرة بعد مطبعة جوتنبرج. وشهد طبع الكتب ثورة واسعة. وصاحب ظهور المطبعة عصر التنوير ونمو الطبقة الوسطى، وتربع الكتاب على عرشه، كمتعة اولى تملأ اوقات الفراغ وتنقل الأفكار والمعارف

وفي عصرنا الحاضر ظهر التأثير السلبي على القراءة من الاذاعة والتليفزيون والفاكس والحاسب الآلي. واهتز عرش الكتاب. واخذ الناشرون والقراء يتساءلون: هل انتهى عصر الكتاب. وعصر الكلمة المطبوعة..؟ وهل تخلى الكتاب عن المنزلة العالية التي كان يحتلها. وعن الولع الشديد الذي كان يحظى به..؟!

وفقدت كلمات الجاحظ معناها: "لولا الكتاب لغلب سلطان النسيان سلطان الذكر"، واصبحت ذاكرة

● ودعت المجلة الأمريكية عالم الهنود الحمر في امريكا بأسى وحزن، على عالم قديم يتهاوى وعالم جديد يرتفع.



الكمبيوتر بديلا عن الكتب المدونة ، وجاء التضخم العالمي وتصاعدت الأزمة بارتفاع أسعار الكتب ، ولم يعد سوى القليل من القراء القادر على اقامة مكتبته الخاصة في شقق العصر الضيقة ، واستبدلت الأجيال الجديدة اشرطة التسجيل وافلام الفيديو والمعرفة السهلة لتحل محل الكتب على أرفف المنازل ، وقدم من جانب اخر التليفزيون تسلية اكثر تشويقا واقدر على ملء أوقات الفراغ ..

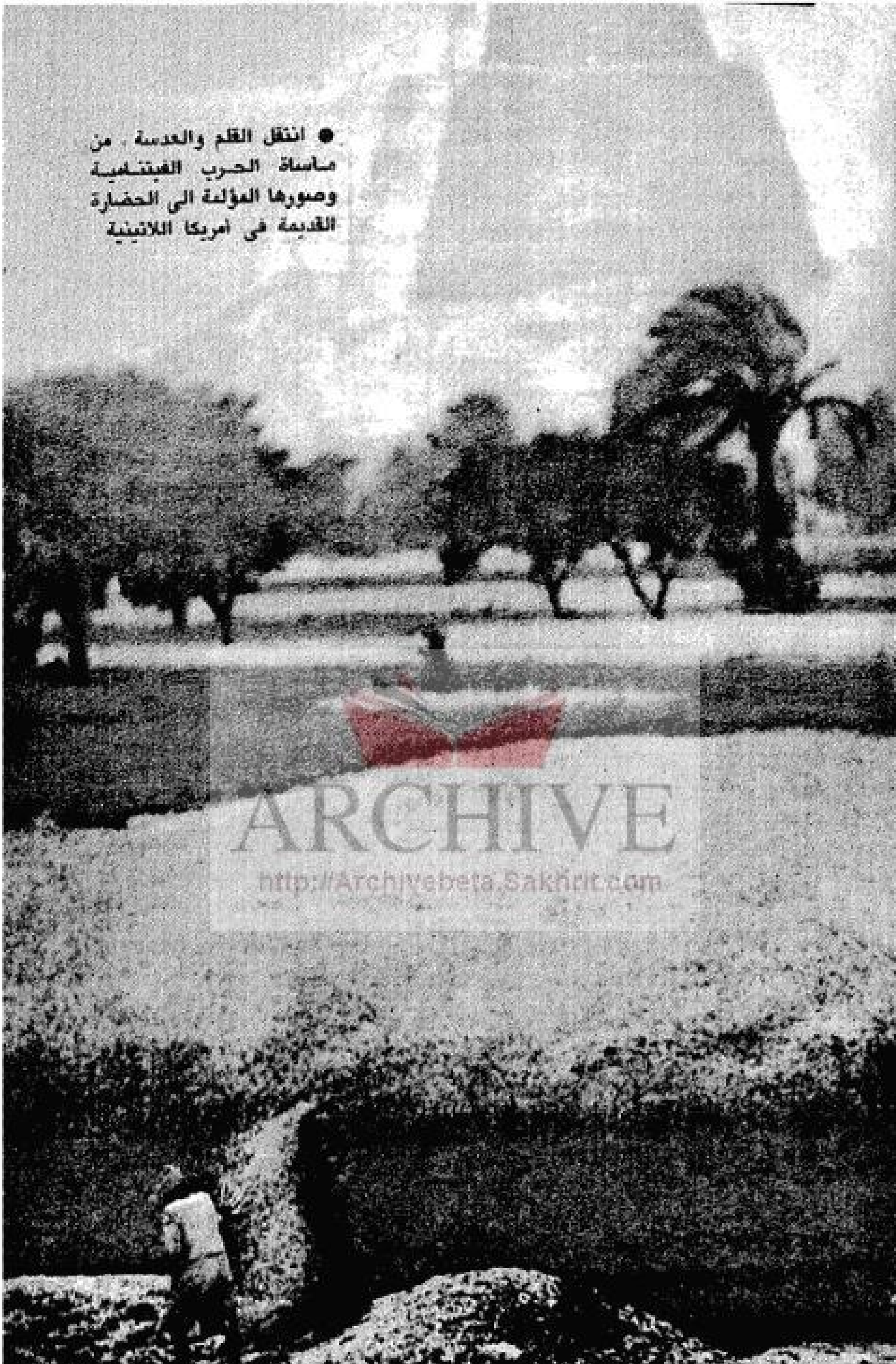
واصبحت مكتبة المستقبل الخاصة تضم مجمعا من الأجهزة الالكترونية ، ووسائل الاتصال الحديث مثل الكابل ، وجهاز الكمبيوتر الذى يختزن المعلومات ، وشهد العالم تغيرات واسعة أمام الأجيال الجديدة ، وصاحب العصر الحديث الصخب والضجيج ، وحل الضجيج محل السكون ، ذلك السكون الذى كان احد شروط خلق عادة القراءة والاستمتاع بها ، ولم تعد جدران البيوت الحديثة عازلة للصخب ، واظهرت البحوث النفسية والاجتماعية التى نشرت مؤخرا في الملحق الأدبى لجريدة الصنداى تايمز - أن حوالى ٨٥٪ من المراهقين الأمريكيين ، لا يستوعبون صفحة واحدة مطبوعة ، اذا لم تكن قراءتهم مصاحبة لخلفية من الضجيج المنبعث من التليفزيون ، او المسجل !

● عزوف القراء

. وواجهت المجلة الجغرافية كل هذه التغيرات ، والتى اضيف لها انصراف القارىء عن الجغرافيا والعالم من حوله ، فكان لابد لها من أن تجد وسيلة فعالة لاعادة الاهتمام وممارسة دورها ، ومن غير مكابرة درست طبيعة الأزمة التى تواجهها ، واثارت لدى المشرفين على المجلة روح التحدى ، والاصرار على استمرار دورهم في خدمة القارىء ، ولم يقفوا عاجزين امام الأزمة وكانهم أمام الزلازل والبراكين التى لا حيلة لهم بها ، وإنما لخضعوا الأزمة للتامل والدراسة والبحث ، يتعرفون على الأسباب ويضعون البرامج والحلول ، وكانت نقطة البداية ضرورة احياء الاهتمام بالمادة الجغرافية ، وخلق التعطش الى معرفتها لدى




HAVE A PITY ON US LET



● انتقل القلم والعدسة ، من مأساة الحرب الفيتنامية وصورها المؤلمة الى الحضارة القديمة في أمريكا اللاتينية

# كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام؟

الاجيال الجديدة . وعليهم ان يذهبوا الى المدارس حيث البراعم التي يمكن اعادة تشكيلها . فأخذوا ينظمون المحاضرات والندوات التي غطت كل المدارس الأمريكية ..

واقيمت جمعية جديدة تهدف الى نشر هذه المعرفة والبحث عن وسائل تعليم الجغرافيا وتبسيطها . وتعمل على ابتكار وسائل جديدة لتعليمها ، ودعت مدرسي الجغرافيا الى الانضمام الى صفوفها ، مع تركيز خاص على الهدف القديم وهو تنمية الحس الجغرافي .

واكدت التجربة من جديد على وجود مكان خاص في كل المجتمعات الحية لكل صاحب رسالة ، لديه ما يقدمه ، وان هناك متسعا لمن لديه الاصرار على تجاوز ما يواجهه من عقبات . عندما نجحت الجمعية الجديدة في اغراء كل من يشترك في أهدافها في الانضمام الى الجمعية الجديدة . وداخل الجمعية يتفقون على خطط وبرامج تحقق ما يسعون اليه . وتجاوزت المجلة ازمتها . وعادت الى ارقام توزيعها السابقة .

● فن التصوير

وعندما ظهر التليفزيون الملون ، واكتسح أمامه كل وسائل الاتصال ، استطاعت المجلة الجغرافية ان تحافظ على قرائها ونفوذها ، وان تتشبث "بالخانة" التي رسمتها لدورها ، وتواجه المتغيرات الجديدة ، عن طريق ابتكار حلول جديدة ، وتطوير في تقديم المادة الثقافية . وصدرت اعدادها جيدة الطبع . ذات ورق مصقول وطباعة متقدمة . وقفزت قفزة واسعة في "فن التصوير الجغرافي" . واصبحت رائدة في فن جديد جميل ساحر . وقدمت العدسة صورا لمناحي الحياة المختلفة . ونقلت العدسة القارىء لكي يرى باللون اماكن يصعب عليه الوصول اليها .

وأدى تطوير طباعة المجلة الى كسب قراء جدد . ومكنتها الطباعة الحديثة والاخراج الجيد من منافسة التليفزيون ووسائل الاتصال الحديثة الاخرى . واثبتت تجربتها ان الحاضر والمستقبل مازالا للتحالف بين كلمات الكاتب وعدسة المصور . وفن الطباعة الحديثة . فالمجلة تقرأ بالعقل وترى بالعين . ويكسر الاخراج الجيد الرتابة . وينوع الايقاع . ويقطع الرسم مجرى الكلمات . فتضيف الى قارئها معنى ومغزى . كما ساعدت الطباعة الالكترونية على حسن توظيف اللون .

ونجحت في اقامة ركائز ثلاث تقوم عليها المطبوعة الناجحة . وهي التحرير والتصوير والاخراج . وبالنسبة للتحرير . استطاعت المجلة ان تجعل القارىء يسافر على الورق في ربوع العالم . ويصل الى اخر اركانه ويرى خفاياه . وتقدم جوانب من ثقافات الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم . وتنقل شخصية المكان وتاريخه وتطوره . وتصحب القارىء الى افاق

العلم وتـأثيـراتـه على مستقبـل الانسانية ، وابتدعت فنا جديدا هو فن الخرائط ، وفن تقديم المعلومات في جداول مبسطة ، وكان اكبر انجازاتها ، فن التبسيط ، وهو فن صعب عندما يكون راقيا عكس ما يتصور الكثيرون ، مما ساعد المجلة على التوجه الى القارىء العادى ، من طلب الجامعة حتى الكهل ، ومن ربة البيت حتى عارضة الازياء ، وبذلك اخذت تحرك العقول ، وتترك اثرا لا يمحى في ذاكرة القراء ، واحدثت ببساطتها تأثيرات عميقة على كل من الادراك والخيال بصورة تجذب وتبهر .

وجعلت شعارها ، "العالم بما فيه .. فيها" The world and all that in it واصبح التحرير والتصوير فيها يتوازنان توازنا دقيقا ، وتجد الدراما الحية في قصص الرحالة وما يلاقونه من صعاب ، الى جانب لقطات بكر للمناطق التي وصلوا اليها ، فتهز القارىء بفتنة الاكتشاف ، وتزيح الستار عن كل غامض ومجهول ، وتتوقف عند كل غريب .. وفاتن .. وجميل .

● مائة سنة تصوير

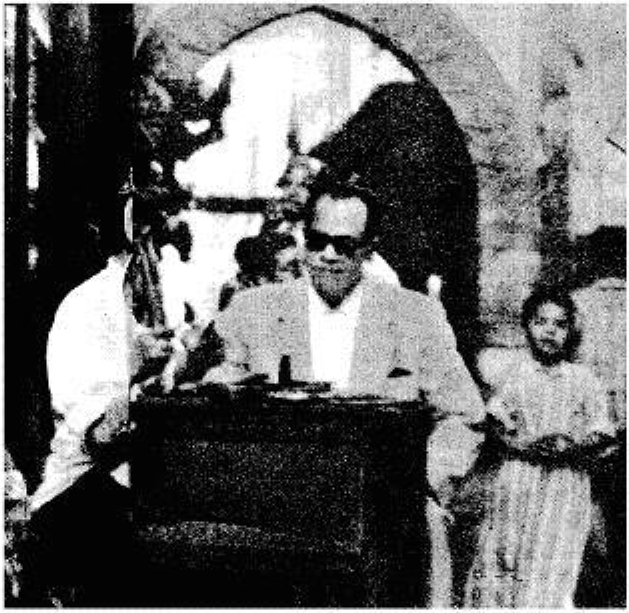
قدمت المجلة بمناسبة عيدها المئوى معرضا لأهم واجمل ٢٠٠ لقطة لديها ، من ثروة اللقطات التي تراكمت على مر السنين ، تضم افضل اللقطات التي سجلتها عدستها ، واذهل المعرض من رآه ، وضمت صورا لما بقي من الحياة البرية ، وجولة الكاميرا وهي تنقل عادات وازياء الشعوب المختلفة ، وهي تصحب القارىء الى الثلوج البيضاء فوق قمم الجبال ، وهي تنقل الاشجار والطيور وسط الغابات ، ووصلت عدساتها الى اعماق البحار وعنان السماء ، والهبت الخيال بلقطاتها الفريدة التي طافت كل فاتن في العالم ، وشكلت لقطاتها عرضا ثريا ومتنوعا وجليلا ..

يضم "البورتريه" لملامح الشعوب المختلفة ، ولقطة اخرى لنمر افريقي يلتهم فريسته ، ولقطات مجسمة بالعدسة المقربة لحشرات او اسماك في اعماق البحار ، ذات الوان زاهية ، ويعكس اختيار الصور وترتيبها في المعرض اهتمامات المجلة المتنوعة على مدار الزمن .

وهي لقطات بديعة تدهش من يراها ، تتذوقها العين ، يراها بشغف المصور المحترف والعالم المتخصص والقارىء العادى ، بعضها لوحات بديعة تلقائية وطبيعية ، تريح العين ولا تثيرها او تخدشها .

تقول لقطاتها : "لا يدهش اكثر من الحقيقة" ، وتوصف "بالأيقونات المصورة" .

ولولا القفزة الواسعة التي قفزها فن الاخراج ، وتطور فن الطباعة ، ما امكن تقديم وسائل الجذب البصرى في هذه اللقطات ، وما تمكنت المجلة الجغرافية من ان تعيش وتؤثر مائة عام .



# نجيب ...

بقلم: يحيى حقي

كان من حسن حظي انني جاورت نجيب محفوظ ثلاث سنوات في مصلحة الفنون .. مكتبه بجانب مكتبي ، فمن ذات يوم لأطل عليه .. ثم الحظ ان الباب مقفول على غير العادة .. اتوقع ان أراه جالسا إلى مكتبه انه يصل اليه كل يوم في الساعة الثامنة بالضبط .. وينصرف في الساعة الثانية بالضبط كأنما الفيلسوف «كانت» علم عندنا الحياة من جديد .. نجيب يلتزم الواجب وينأى بنفسه عن كل مسلس بخط سيره ..

فوجئت انني رأيته وسط الحجرة قد رفع رأسه إلى السقف .. علقت نظرتي بجبهته ، لحب ان اتأمل جباه رجال الفكر ، وضلمة كأنها السماع نور باطني .. يداه مشتبكتان وراء ظهره .. جسده مشدود كقوس المنجم لو لمسته باصبعك لانقضت ..

لم يحس بدخولي ، ولا بوجودي بل اخذ وهو في هذا التوتر الشديد يذرع الحجرة ذهابا وايابا .. عرفت فيما بعد انه مقبل على تأليف رواية «اللص والكلاب» ..

حضرت لحظة هامة في فكر المبدع ، كان نجيب قد جمع مواده الرئيسية في ذهنه .. ووضعها مبعثرة في كيس .. حضرت لحظة هندسة العمل وضع الاشياء في اماكنها متناسقة مسلسلة بعضها بآخذ برقاب بعض ..



# نجيب ...

نجيب استاذ فذ فى فن هندسة الرواية . النسب والتناسب والمكان الصحيح . توقعت له ان يمر بمرحلة اخرى وتمثل فى ذهنى فلاحة جلست الى ماجور . وتاملت مالديها من دقيق ، وحسبت بسابق خبرتها مايلزمه من ملح وماء ثم اخذت يداها تفركان هذا الخليط وتصطاد ما تناثر منه ثم تعمل يداها فى العجن واللت لاتنقطع لحظة حتى يصبح فى الماجور كتلة .من العجين متماسكة لها عرق ينجيها من السيولة .. غلب الكل فى الجزء وغلب الجزء فى الكل حتى الهندسة غابت فى هذه الكتلة ، حينئذ ينشأ القوام الأصيل للعمل ، وتتحقق الروابط بين المعطيات وبين الالفاظ مهما تباعدت .. هى لحظة من اسعد لحظات حياتى اننى حضرت مخاض اللص والكلاب ، وحينما قراتها اثنيت عليها ثناء جما ، ولعلى لم اقل حينئذ ان من اسباب انبهارى بها اننى وجدت نفسى اعيش داخل محفل صوفى ، تتردد على سمعى جميع الفاظ ومصطلحات القاموس الصوفى .. لاتضحك اذا قلت لك ايضا ان العمل العظيم كالنهر العظيم له روافد جانبيه تثريه وتطغى عليه .

يجب البحث فى كل ما كتب نجيب عن تلك الروافد انظر اليه فى الثلاثية ، كيف كان من روافدها التاريخ للاغنية المصرية فى عهد الرواية ..

اننى ابحث فى كل نثر عن لمسة من الشعر ، وقد خضع النثر فى الرواية لارهاب استمر زمنا طويلا .. يقول بعض النقاد ان الاسلوب الادبى فى الرواية عائق يقف بين القارىء واستمتاعه بالرواية ككل مستقل قائم بذاته ، يطلبون اولا من المؤلف التزام الحياد التام ازاء شخوصه فترتب على ذلك ايضا حياده التام ازاء الاسلوب فى الرواية فيصبح مستقلا عن الانفعالات التى يعبر عنها ..

فتشت عن هذه اللمسات الشعرية عند نجيب محفوظ وجدت اروع مثال لها فى مناجاة كمال لنفسه فى الثلاثية وهو يسير خلف نعش لايعلم انه يضم حبيبته .. لا اخجل اذا اعترفت لك ان عينى اغرورقتا بالدموع وانا اقرا هذا الشعر الجميل المنثور ، كما اغرورقتا وانا اشهد الست امينة مطرودة من بيتها لانها خرجت بدون اذن زوجها ولو لزيارة مسجد قريب ..

وضعت يد رحيمة كريمة فى مهد

نجيب محفوظ موهبة ورسمت له اصلح طريق يسلكه .. هاهو ذا يدخل كلية الفلسفة لا الآداب ولا التربية فلا ينبغ كاتب قصصي الا إذا كانت له زخيرة متكاملة من الفكر الفلسفي في جميع العصور .. وقيل له وهو في مهده انت مخلوق للفن الروائي فالزمه ، فالتزمه ولم يحد عنه رغم اى اغراء ، وقيل له انك ابن القاهرة وحي الجمالية فالزم مسرحك ، فالتزمه رغم اى اغراء بان يستجيب الى مطلب من اهتمامه الى القرية .. صدقت موهبته وصدق هو معها ..

ورفض نجيب ايضا الخضوع لمطلب ان يكون الحوار دالا على صاحبه فيتكلم الجزار والنجار بالعامية لأنه بصدق احساسه الفني وبراسته فهم ان كل عمل في جميع الفنون مسبوق بكلمة كان ، فالعمل الفني هو حقيقة متوهمة او هو وهم محقق في الواقع الخارجي فالتزم كتابة الحوار بالفصحى ..

ينبغي للغتنا الشريفة ان تجله وتحمد له اخلاصه لها وهاهوذا انضم الى النادى الذى يجمع جميع من نبغ بالفصحى من شعر ونثر منذ اقدم العصور الى يومنا هذا ..

اذا مسَّك غم او هم واردت ان تغسل قلبك فاذهب الى ندوة نجيب محفوظ ، ستدلك عليها وانت بعيد جلجلة ضحكة منطلقة بانشراح من صميم القلب .. لاجل هذه الضحكات كنت اقصدها فيما مضى .. روح الفكاهة متفجرة ليست وليدة تلاعب لفظى او من قبيل المخول فى قافية فى قهوة بلدية ، بل هى وليدة فهم لمتناقضات الحياة والطبائع وخداع المظاهر مبراة من وصمة السخرية ، لايبتغ كاتب إلا إذا رايته احيانا يضحك ضحك نجيب محفوظ ..

وهذه الأيام التى تزدحم الدنيا حول نجيب لم ينس ان يذكر صداقتنا الحميمة اين منها اخوة الدم .. اسأل نفسي كيف وصلت ذكراى اليه وسط هذا الزحام .. من اكبر نعم الله على هذه الصداقة التى ربطت بيننا لا تعادلها نعمة اخرى ..

ومسك الختام اقول يانجيب انت تحس معنا جميعا بفضل التحامك بامتك مذ كنت ، ان هذه الجائزة هي كاشفة غير منشئة لقرار اجماعي من شعبك بانك تستحق هذه الجائزة ، ولذلك فلعله لأول مرة فى تاريخنا ان تعم الفرحة كل قلب وفى كل بيت لان اديبا من ابنائنا قد نال الاعتراف به على الساحة الدولية ..



# درس من الجائزة

بقلم: د. شكري محمد عياد

أخلفت لجنة جائزة نوبل ظنوننا السيئة هذا العام وفاجأتنا بالخبر السعيد . ما أسرع ما تصدر نشرات الأنباء والتقطته مانشيتات الصحف . تبادلنا التهاني ، فأنا لا أعرف إنسانا واحدا يعادى نجيب محفوظ ، أو يعاديه نجيب محفوظ . وما أجمل أن يظفر الرجل ، بعد كفاح أكثر من نصف قرن في حركة الأدب ، بالتقدير العالمي الذي يستحقه ، وفوق ذلك مبلغ طيب من المال ، يمكن أن يقارن بالجائزة التي تمنح لملاكم محترف أو لاعبة تنس محترفة بعد مباراة واحدة من المباريات الكثيرة التي تقام كل عام .



# درس من الجائزة

ولكنني ، بعد أن مرت على الخبر بضعة ايام ، وطلب منى « الهلال » ان اكتب بهذه المناسبة ، ساورتني بعض الشكوك ، كما يحدث للكثيرين غيرى عقب اى نبأ سعيد وخصوصا عندما يكون النبأ سعيدا جدا ومفاجئا جدا ، كهذا النبأ الذى جاءنا عن المجمع السويدى الشهير .

تخيلت اننا - جماعة من الفقراء على باب الله - جاءتنا دعوة لحضور حفلة تنكرية راقصة فى قصر احد النبلاء ، شىء ولا فى الأحلام . فلم شعثنا ونذهب . حاسبوا يا اولاد . انتبهوا جيدا لئلا تفضحونا . فنحن مازلنا اولئك الفقراء ساكنى الأكواخ ، حتى حين ندعى الى قصر الأمير .

وملازلك لاننا نستصغر أنفسنا ، فنحن مازلنا - بحمد الله - نملك تلك الكبرياء التى لا يشعر بها سوى الانسان الفقير ، لأنها كل ما يملكه . إنما الذى يزعجنا ان فى اعماقنا سؤالا لم نظفر له بجواب : لماذا تذكرونا هذه المرة ؟ ونحن نعلم انهم ينظرون إلينا على اننا بشر غير كاملى الانسانية . وكل من لم يولد تحت سماء الغرب فهو جاهل شقى لايحسن ان يقوم بامر نفسه ، وقلما يقبل التعليم لأن طبعه النكد إما ان يرفض التعليم وإما ان يسخِّر ما حصله منه لخدمة نزعاته الشريرة .

فهل الدعوة التى جاءتنا الى مهرجان نوبل تعنى انهم قرروا ان يتالفونا ، ولأى غرض ؟ وإلى اى أمد ؟

أود ان أقول لمجتمع القوم ، بكبرياء الفقير المنبوذ : كاتبنا العظيم نجيب محفوظ ليس فى حاجة الى اعترافكم ، رواياته تدرس فى جامعة القاهرة منذ الخمسينيات ، نقادنا عرفوا قدره ورافقوه فى مسيرته الطويلة . وانتم ماذا قرأتم لنجيب محفوظ ؟ رواية او روايتين ، او ربما بضع اقاصيص ؟ اعظم اعماله « الثلاثية » التى توجَّت مرحلة الواقعية ، و« الحرافيش » التى أحيت فن القاص العربى بعد عهود طويلة من التلمذة المتواضعة للغرب ، كلاهما لم يترجم بعد إلى الانجليزية او الفرنسية ! لقد اتهمت معلوماتى ، فراجعت الدكتورة سيزا قاسم صاحبة البحث القيم عن الثلاثية ، الذى نالت به درجة الدكتوراة من جامعة القاهرة ؟ فأكدت لى صحة هذه المعلومات ، وزادت عليها أن ترجمة فرنسية للجزء الأول من الثلاثية ظهرت منذ وقت قريب .

وسمعت ان اللجنة نوهت برواية « أولاد حارتنا » ولعلها الرواية الوحيدة التى قرأوها له . ولعل معنى هذا التنوية ان الروائى العربى منح

الجائزة عن هذه الرواية ( والعادة في جائزة نوبل أن تربط بعمل أساسى واحد ) .

أنا لا أريد أيها الأصدقاء أن أكون صوتا ناشزا فى جوقة الفرح . ولكننى لا أريد أيضا أن يربط أحد فى الشرق أو فى الغرب ، اسم نجيب محفوظ باسم باسترناك أو سولجنتسن ، لا تقليلا من قيمة هذين الروائيين الكبيرين ، بل لأن مثل هذا الربط يحمل دلالات كريهة .

وحسنا فعلت مصر الرسمية ومصر المثقفة حين أعلنت سعادتها بمنح جائزة نوبل لنجيب محفوظ ، إذا كان القصد من هذا الإعلان أن يعلم العالم أن نجيب محفوظ لم ينبذ ، ولم توصد أمامه أبواب النشر ، لأنه كتب « أولاد حارتنا » حسنا فعلت إذا كانت تعنى بهذا الترحيب أن منع نشر « أولاد حارتنا » كان عملا سياسيا ، واضطرت إليه مصر الثقافة ، مصر الفن ، فى وقت من الأوقات اتقاء لفتنة فئة جاهلة متعصبة .

يستنكر بعض الأدباء أن تبقى « أولاد حارتنا » محظورا تداولها فى مصر بالذات ، بينما تقام الأفراح والليالى الملاح لكاتبها الذى منح جائزة نوبل من أجلها ! وكأنهم يرون أن الافراج عن هذه الرواية يصحح الموقف .

وأقول : « على رسلكم ! لا نريد ؟ وبكل تأكيد لايريد نجيب محفوظ ، أن يأتى أمر الافراج منْ إحدى عواصم الشمال .

إذا كان للجنوب أن يتحرر ، فعليه أن يتحرر من داخله .

إذا كان للجنوب أن يتعلم ، فعلى متعلميه أن يعلموا جهاله .

إذا كان للجنوب أن ينبذ التعصب ، ويستقبل النور ، فعلى أهله أن يتحاوروا بالحسنى ، وعلى كل صاحب دعوة أن يعلم نفسه ، قبل أن يتصدى لتعليم غيره .

من تاريخ الحكم « المصرى الانجليزى » فى السودان الشقيق ، أن نائب « المأمور » المصرى كان يأخذ أهل البلاد بالشدة تنفيذا لتعليمات رئيسه « المأمور » الانجليزى . فاذا شعر السودانيون بالظلم لجئوا الى المأمور الانجليزى ، فيرفع عنهم أحكام مرءوسه المصرى ! وهكذا كره السودانيون المصريين . وأحبوا الانجليز .

مغزى القصة لايحتاج إلى شرح . ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

# نوبل نجيب محفوظ

## قيراط بخت أم.. فدان شطارة ؟

بقلم : يوسف القعيد

●● كنا جميعا في أمس الحاجة لأن يحصل نجيب محفوظ بالذات على جائزة نوبل حتى نتوقف جميعا للحظات لالتقاط الأنفاس نستعيد فيها ذلك المعنى البسيط "أنه لا يصح في النهاية سوى الصحيح" مهما اعوجت الأمور . وخابت الأحوال وضجت الأمم . وأن العمل الدءوب والصامت هو المبرر الوحيد لأن يجيء الإنسان إلى هذا العالم .

جاءت الجائزة في التوقيت المناسب لتحاول استعادة البعض منا من الضفة الأخرى لليأس . وقبل أن نقترب من الهوة السحيقة ونطل عليها ويصبح من الصعب أن لم يكن من المستحيل مقاومة السقوط فيها .





# قيراط بخت أم.. فدان شطارة؟

انا لا اتحدث عن جماعة المثقفين المصريين والعرب ، كنخبة أو صفوة تتجلى فيها صورة المجتمع المصرى والعربى بدقة . ولا اتحدث عن مصر والأمة العربية . ولكنى اتوقف بالتحديد امام سلم القيم الاجتماعية التى كانت تمثل درعا واقيا لهذه الأمة العربية ، وحبلا سحريا يجمعها حوله ولم يعد لهما الآن اى وجود .

لقد انفرط العقد الاجتماعى ، وحصلت هوجة لا احد يعرف من اين بدات ولا اين تتوقف . وجاءت القيم البديلة . ومن الصعب حتى ان نسميها قيما .

بعد العرق والعمل والكدح فى الخمسينيات والستينيات . اذ بعقد السبعينيات اللعين يفرز قيمة رهيبة تقول كلماتها :

"قيراط بخت ولا فدان شطارة"

دعوة مخربة لعدم العمل . للبلادة والكسل والفتور وأدمان المناورات والطعن والسخرية حتى من الذين اختاروا طريق العمل . ومازالوا يرون انه الاختيار السليم .

اكل الطوفان بداخله الجميع وسبحنا جميعا فى زمن « السداح مداح » . وأصبحت الجالية الصغيرة التى مازالت تقاوم معرضة كل يوم للتآكل والانهيار وسقوط رموزها ..

دعونا من كافة التفاصيل ولكن أزمة هذا الواقع ـ والمثقفون جزء جوهرى منه ـ كانت فى الخصام الرهيب مع الشطارة . والجرى وراء البريق الكاذب للحظ والبخت بكل ما يعنيه هذا من تخريب لروح الانسان وتدمير لضميره .

ولكن الرجل كان يقف على أرض الشطارة وحدها . ينحت بأظافره ، يقرأ ويكتب . يتابع بدقة متناهية تفاصيل الوجه المصرى وما يعلوه من قسمات وتغييرات يأخذ نفسه بشدة متناهية ـ تصل الى حدود اهل التصوف . .

كان حزب الحظ ، الذى حول وجوده كله إلى محتويات حقائب سفره اليومى يسخر من نجيب محفوظ . لدرجة انهم اطلقوا عليه النكات فى بعض الاحيان .

وخلال هذه الدراما المأساوية كنت أراه فى بعض الأحيان . وبدلا من الحديث عن أبناء الحظ . كان يسألنى عن الجديد فى الأدب .

وكان يتحدث عن مشروعاته الادبية والقصصية والروائية . ولاشىء أكثر من هذا ..

كنت اشم فيه رائحة الفلاح فى قريتى . فلاح الخمسينيات والستينيات الذى كان لايشم سوى رائحة عرقه فقط . والذى كان يقول دائما انه كلما اعطيت الزرعة اعطتك .

ولقد اعطى هذا الرجل للقلم والأوراق اكثر من نصف قرن من عمره ..

بعد نوبل اقتحمت بيته ولولا نوبل وجائزته ماحدث هذا ابدا . وجلست على مكتبه . وتحرك الفضول القاتل بداخلى ورحت التقط هذه التفاصيل الصغيرة التى تصنع الصورة الكلية .

تصفحت الكتب التى على مكتب نجيب محفوظ . وانا أعتبر ان مكتبة المثقف هى روحه وضميره . وان ورشته الخاصة من اجل العمل . هى الوسام الحقيقى . واقصد بالورشة المكتب والأوراق والاقلام .. أى عدة الشغل ومكان العمل . وجو الابتكار والخلق والابداع .

كان مكتب الرجل جزءا من غرفة الطعام . وتذكرت صراخنا اليومى ولهاثنا ليلا ونهارا بحثا عن شقق واسعة . امام المكتب مباشرة مائدة الطعام .

عند التقليب فى الكتب ذهلت من امرين . هذا الجد الذى تعدى السبعين من عمره امامه وعلى مكتبه كتب عبارة عن مجموعتين الأولى حوالى عشرين كتابا فى النحو والصرف وقواعد اللغة العربية وعلامات الترقيم فى الكتابة العربية والمجموعة الأخرى كل ما ترجم لشاعر الهند العظيم "طاغور" من اعمال ادبية الى اللغة العربية .

درسان فى غاية الأهمية مازال الجد الذى تعدى السبعين يحاول ان يستنطق اللغة العربية اسرارها ورموزها ويفك طلاسمها بعد كل هذا الذى كتبه من خلالها ..

ومازال ابن السبعين يقرأ ولكن بطريقة منظمة . طاغور مرة واحدة بدلا من قراءات الفوضى والصدفة وقراءات الفعل ورد الافعال والمناسبات .

وكل هذه الاهتمامات لم تاخذ الرجل من زماننا فعلى المكتب نفسه العدد الأخير من "المصور" وكتاب الدكتور فايز منصور الطبيب الخاص لجمال عبد الناصر عنه والذى عنوانه : مشوارى مع جمال عبد الناصر .

والذى كان قد نشر قبل ذلك بايام فقط ..

### ● زمن الفهلوة

فى مواجهة احد ابناء الشطارة .. أورد واقعتين عن ابناء زمن الحظ



قيراط بخت
أم..
فدان شطارة؟

والفهلوة . زمن الذين دهنوا الهواء بالدوكو وخرموا التعريفة . تحدثت مرة مع كاتب شاب انتهى من عمله الأول عن ضرورة أن يعاود قراءة قواعد اللغة العربية .. فاللغة هي سلاح الروائي الأول . وأداته الوحيدة من أجل الكتابة والابداع .

لم اكمل جملتي لان الشاب وقف كما يفعل سفراء الدول الاجنبية عندما يقدمون انذارات خطيرة لدول اخرى . قال ..

- غيرة وصراع اجيال واحقاد ومضى لآخر مرة ..

ولن أتحدث عما فعله بعد ذلك ..

كاتب آخر كنت أحدثه عن الجديد في الابداع الروائي العربي وضرورة متابعته بداب ودقة فتوقف ونهرني .

- كثرة القراءة تتم على حساب الكتابة نفسها . نحن اصبحنا كبارا .. إن القراءة الكثيرة تفسد صفاء الذهن ..

مرة اخرى انها بكل دقة رحلة مصر المرهقة والخاسرة معا من فدان الشطارة الى قيراط البخت .

كنت ارغب في كتابة كلمة متفائلة عن علاقتي بنجيب محفوظ على مدى ربع قرن واعجابي الأدبي به . واختلافي السياسي معه ورحابة صدره الفريدة وقدرته المتحضرة على الاختلاف . ومشوار هذه العلاقة . ولكنني أدركت أن الوقوف أمام هذا المعنى ربما يستعديني - شخصيا - من الضفة الأخرى للياس وربما يعصمني من انهيار يوشك أن ياكل كل شيء بداخله .

فهل فعلا سندلف الى زمن لا يصح فيه سوى الصحيح ؟!

وهل سنقول إن فدان الشطارة افضل من كل ارض الدنيا من الحظ والبخت والفهلوة وخفة اليد ؟!

لو حدث هذا لأصبحت نوبل نجيب محفوظ معجزة بكافة المقاييس في زمن بلا معجزات .

المسألة باكبر قدرة على الاختصار هي :

هل يحاول كل منا أن يعدل هرم القيم الذي انقلب في أعمق أعماقه ؟

هل يبحث كل منا عن درعه الواقي من القيم النبيلة ؟!

هل يمد كل انسان الحبل السري في روحه وضميره بعد الانهيار الشامل الذي جرى .

وهل نعرف الآن فقط أن من يزرع في ارضه ومن يبني كل يوم طوبة واحدة في الميدان الذي يجيد البناء فيه بدلا من كل التنلحر والقتال اليومي على الفضلات . افضل وأشرف من كل البدائل الأخرى ؟

هل يحاول كل منا أن يفعل هذا ؟!

مجرد محاولة أيها السادة .



كتاب الهلال
يقدم:
عالم نجيب محفوظ
من خلال رواياته
الدكتور رشيد عنانى
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
أهل الهوى
بقلم: نجيب محفوظ
الفائز بجائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٨
تصدر فى
١٥ نوفمبر ١٩٨٨

# أثر الهزيمة فى تقتنية الرواية عند نجيب محفوظ!

بقلم : د سهير القلماوى

حظى نجيب محفوظ بدراسات حول اعماله لم يصل إليها روائى غيره فى اللغة العربية . ولكن هذه الدراسات على كثرتها وتنوعها لاتزال ناقصة ، وخاصة فى النواحى التقنية التى تكشف عن صنعة هذا الروائى العظيم . وبالرغم من ان هذه الدراسات تفترش فترة زمنية ممتدة وبالرغم من انها متنوعة من حيث انها مقالات او دراسات او كتب مستقلة او اجزاء من كتب فان عناية الدارسين الجامعيين لنجيب محفوظ تعد نسبيا حديثة .

لعل ابرزها دراسة د . عبدالمحسن طه بدر « الرؤية والأداة » ودراسة د . سيزا قاسم التى قارنت بين « الثلاثية » وروايات الأجيال فى الادبين الفرنسى والانجليزى وخاصة رواية « جالزووردى » Galsworthay « الفورسيت ساجا » ، ومع ذلك لاتزال صنعة نجيب محفوظ محتاجة الى تعمق فيها ودراسة لتطورها .



● لقد عنى دارسو نجيب محفوظ بابراز تطوره الزمنى من خلال مجموعات تتقارب زمنيا فى انتاجه . فهناك الطور التاريخى ثم الواقعى ، ثم الميتافيزيقى ، وهكذا . ووقفوا كثيرا عند المضامين . كما وقفوا بالمرحلة الواقعية فى انتاجه لربطها بالواقع الذى تصوره والواقع الذى بقى منه وهكذا .

مع ان الدارس لنجيب محفوظ يلمس بوضوح ثبات الرؤية عنده عند اساسيات استمدها من دراسته للفلسفة وهى الدراسة الوحيدة التى ملأت الجزء النظرى فى رؤيته واستمد سائرها من ظروف حياته . فلقد عاش طفلا يكاد يكون وحيدا ، ( لفارق السن بينه وبين من هو اكبر منه مباشرة من اخوته مما جعله وحده مع والديه لان الكبار خرجوا من البيت بالزواج او بالعمل ) .

ان اهم مايجب ان نقف عنده ونحن نتامل او ندرس فن نجيب محفوظ هو البدايات الأولى لاتجاهه نحو الادب .




بريشة : شريف

لقد سجل موضوعا لدراسته العليا مع الشيخ مصطفى عبدالرازق «مفهوم الجمال فى الفلسفة الاسلامية» ، واهم ماكانت ستدور حوله الرسالة هو تطورات هذا المفهوم . ومن البداية نلمح عنصر التجريد فى تفكيره وعنصر التغيير الذى سيطر بشدة دامغة على كل انتاجه فيما بعد .

ان اولى مقالات محفوظ كانت بعنوان «احتضار معتقدات وتولد معتقدات» ، نشرها له سلامة موسى فى مجلة الجديد سنة ١٩٣٠ وكانت سنه اذ ذاك تسع عشرة سنة . وتوالت بعد ذلك مقالاته فى الفكر والفلسفة والادب وملخصات لاعمال روائية اجنبية . ولعل اهم هذه المقالات عندى تلك المحاورة التى دارت بينه وبين العقاد فلقد هاجم العقاد القصة والرواية ، وكان محفوظ يرى ، بحق انهما ورثتا مكانة الشعر الاولى بحكم التطور، لذلك ادخل النقاش فى ماهية الفن وهو يدافع عن الرواية . ان العلم عند نجيب محفوظ «سيد جديد» كما يقول ولكن عمق الإيمان الدينى عنده ، وجنوحه نحو التصوف والتجريد ، حفظا له كيانه الدينى الاصيل الذى يطل علينا من خلال اعماله فى بساطة وعمق وجلال بشكل لافت .

ومن خلال مسيرة التغيير الرهيبة بسبب العلم وغيره من مؤثرات اقل شيئا بهرت محفوظ عملية التغيير نفسها . ففى «همس الجنون» ترتفع روح «توتى» فوق العالم فترى العالم الماضى والحاضر دفعة واحدة . ويعلق محفوظ فيقول وبدا لى كانه لا حقيقة الا «التغيير» .

● النهايات مأساوية !

وامام التغيرات التى كانت تحدث



# أثر الهزيمة في تقنية الرواية عند نجيب محفوظ!

كان يقف متمهلا ثابت الاقدام راسخ النظرة وان كانت نهاية التغيير عنده ماساوية فهو يحن الى ماجرفه التغيير فى تياره من صلات انسانية حميمة وجو هادىء مستقر يتجلى فيه التسبيح بعظمة الخالق . التغيير عنده يجب ان ياتى على مهل . ولكن هل يستطيع التطور ان يبطىء من خطواته . ايام ان كان التغيير لعوامل سياسية استطاع ان يقف صلبا . « لا » للدكتاتورية واهلا بكل مايشارك الانسان فى صنعه ثم يسير مختارا فى طريقه . الديمقراطية اساس إنها وجدان الشعب وفكرة الحق إنها نتيجة بحث الشعب بنفسه لاتطبيق افكار حاكم يقول « كمال » بطل الثلاثية والذى نرى انه شخصية محفوظ نفسه « ربما كان من الخطأ ان نبحث فى هذه الدنيا عن معنى بينما مهمتنا الاولى ان نخلق هذا المعنى »

بدأ حياته بكتابة المقال ، واضطر الى ان يدافع عن شكل الرواية فى ايجابية واضحة تخلو من الغلو او الشراسة ، مع انه تعرض الى كثير . فلقد كان مضطرا ان يخفي اسمه من المقالات والقصص المنشورة له عن زملائه فى الديوان فى مقر عمله خوفا من سخريتهم ، كما يقول ، لأن شكل القصة او الرواية كان منبوذا . ويكفى ان يهاجمه العقاد . وعندما تقدم هو وصديقه الروائى ، الذى اجهض نفسه للاسف الشديد ، عادل كامل ( مؤلف « مليم اكبر » الرواية الرائعة ) رفض المجمع اللغوى منحهما الجائزة لاسباب اخلاقية ربما لبعض تلميحات عن الجنس فى روايتهما المقدمتين للجائزة .

كذلك اضطر كثيرا الى الدفاع عن رؤيته لما يحدث حوله . وكان منظوره انه من خلال وصف السطح يبرز الجوهر الجذرى الكامن وراءه والذى يتحكم فيه دون ان نتبين بوضوح اثره .

وكانت التغييرات السياسية هى فوران يسهل رصده مادام الشعب كله وراء التغيير مثل ثورة التحرير سنة ١٩١٩ لكنه عندما يكون التغيير نتيجة عوامل تعمل فى الخفاء لتقوض او تحاول ان تقوض ، الجذور فهنا يكون الامر فى غاية الصعوبة ، ويحتاج عرضه الى تقنيات جديدة فى الكتابة ترتكز على القديمة منها ولكنها تتخلى واضحة صارخة بوضوح فى الجديد .

لذلك نجد نجيب محفوظ يصمت اكثر من خمس سنوات بعد ثورة سنة ١٩٥٢ . ما الذى ستقود اليه هذه الحركة ؟ لم يكن احد يعرف . ولم يكن احد يسلم بتحقيق المعلن عنها من

اهداف . اما هزيمة سنة ١٩٦٧ (وقد كانت رجّتها للمجتمع اعنف من رجة المجتمع للثورة) فقد اخرسته عامين او نحو ذلك وعاد (لانه كان قد ابتدا بالفعل) يكتب الرواية بشكل مختلف .

## ● تقنيات جديدة

عندما ندرس انعكاسات الهزيمة (١٩٦٧) على الشكل الروائي نقف بظواهر عديدة فلقد تدفق الانتاج الـروائـي بشكـل قـوي ملحـوظ الفلسطينيون اخرجوا في ثلاث سنوات اضعاف اضعاف ما اخرجـوا في السنوات السابقة منذ وضوح الرؤية في نكبة زرع إسرائيل . وكذلك غزر انتاج الروائيين في كل اقطار الوطن العربي . وبدأت الرواية تقف على مسرح الانتاج الادبي بقوة وشموخ

واضطرت الرواية إلى اصطناع تقنيات جديدة : التركيز على الحوار ، ضغطه وتحميله وجهة نظر المؤلف في غير سفور ، بلغة تكاد تكون شعرية . البعد عن البطل الاوحد والراوي « العليم لكل شيء » والبعد عن التعدد الكثير والتبدل الشديد للمكان وضغط زمان الرواية وهكذا ثم التناقض بين الايمان والواقع ومشكلات تصوير التناقض المضبب .

ولنأخذ رواية « ثرثرة فوق النيل » مثلا لقد كانت هي ورواية « ميرامار » ارهاصا وفتحا للعيون على الاسباب التي ستؤدي الى الهزيمة . ولذلك تعرضت إلى سخط السلطة وكادت الرقابة ان تتدخل في أمرهما . ففي سنة ١٩٦٦ وقبيلها كانت النفس المصرية موجوعة يائسة تضضمض بالالم . أهذا ما آلت اليه ثورة بشرت بالكثير وبدأت بالكثير ثم انحدرت كل هذا الانحدار ؟ .. ولتصوير هذه البراكين التي تغلي كان لابد من ترك الرومانسية والواقعية والاتجاه نحو التجريد . وافكار المؤلف في التجريد لايمكن ان تجتمع في بطل واحـد ، فـلابـد اذن من تحـدد الشخصيات ، لا مفرودين على مساحة مكان وزمان وانما مجتمعين في جلسة (العوامة) او مقهى (خمارة القط الاسـود) او بنسيون « ميـرامار » والشخصية الواحدة تسلط عليها مرايا من عدة زوايا لترى وكأنها شخصيات تجتمع حول جذر عميق . لا شخصية واحدة .

وتبهت صورة « دواوين » الحكومة وهي البؤرة المكانية الى جانب البيت



أثر الهزيمة في تقنية الرواية
# عند نجيب محفوظ !

والمقهى التي ألفت منها الأمكنة في حياة محفوظ ورواياته . واصبح المكان مثل خشبة المسرح لا يحتمل الكثير من التغيير ، وليس هو بؤرة الاهتمام . فالاهتمام كله للافكار . وهنا لابد من الاستعانة كما استعان المسرح بالرمز ، والاسقاط والتاريخ والاسطورة والقصة الشجية الخ . لانها كلها ادوات تعين على رصد هذا التغيير « الزئبقي » السريع ـ الذي يفلت منا باستمرار .

ومن هذا التغيير يعنينا تغيير وسائل الفن للتعبير ، فمن كلمة مكتوبة الى صورة متحركة ( سينما ) الى صورة وكلمة ممزوجة مزجا قلما يصل الى ذروة مايجب أن يصل إليه من إيحاء رسوخ الكلمة و « عبودية » الصورة ثم تكامل مجموعة الصور عبر التغيير السريع فيها وهكذا مثلما نجد في السينما في كثير من روايات محفوظ .

وفي « ثرثرة فوق النيل » نرى مجموعة من « المساطيل » كما يسمون كل في فلكه ، لايجتمعون الا على ان الهروب من الواقع هو طوق النجاة ، وهربوا ولم ينجوا . عوامة تهتز على النهر الخالد مثلما يهتز واقع مصر على نهر ماضيها الخالد . تقدم الينا هذه الشخصيات مثلما تتقدم الينا شخصيات المسرحية ، كل منها على حدة بمجرد وصولها او وصول الاثنين معا الى مجلس « الانس » ويعرف المستجد من الموجود سابقا من خلال خلفية لاتجاوز اسطرا قليلة وهنا كان لابد من الوقوف على تسلسل الراوى وهو يصف الشخصية المظهر الخارجي ( الملامح الخ ) ثم يصف الاخلاق او السلوك ثم يحرك الشخصية دون ترتيب وانما في تداخل فني بين هذه العناصر . فالشخصية تعرف من خلال مظهرها واقوالها المعلنة والتي تسرها الى نفسها ( مونولوج داخلي ) ومن خلال اقوال الغير عنها ثم اساسا من تصرفاتها وسلوكها وحركتها خلال الحدث .

وتختلط خيالات التاريخ وحكم الفلاسفة وتعاليم الدين في رأس هؤلاء المساطيل ، وينطقون باوجاع مصر في اسلوب مركز جميل . كان يجول بخاطر الراوى ومن يأترى الرجل الذى قال « ان الثورات يدبرها الدهاة ، وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء » او « وقال لنفسه لم يكن عجيبا ان يعبد الناس فرعون ولكن العجيب ان فرعون امن حقا بانه إله » .

او يقول خالد عن ليلى زيدان « مشكلتها الحقيقية هي مشكلة الوطن كله إنها فتاة عصرية اما الزواج فبرجوازي »

او يقول . و « هل من جديد عن العمال والفلاحين والرشوة والعملة

الصعبة والاشتراكية واكتظاظ الطرقات بالسيارات الخاصة ، او يقول ، وصدرت عن اوتارها الصوتية انغام رقيقة من النوع الذى لاتسمح به الرقابة الا فى اعقاب سعي طويل هادف ،

وغير ذلك كثير من الاقوال التى تتطلب الوقوف بها . ولكن الأهم ان الرواية كلها تدور حول محور المسئولية . المسئولية التائهة التى تعد بحق من اسباب الهزيمة .

فالبطل انيس زكى مسطول يكتب التقرير فى اول الرواية وقد افتتحها نجيب محفوظ ، بيوم من ابريل شهر الغبار والاكاذيب ، وواضح انه ينظر الى مصر وقد ملئت بالغبار والاكاذيب . ثم ينضب حبر القلم ويظل انيس يكتب بقلم لاحبر فيه ( ونعلق على ذلك بانه بمثل هذا القلم تدون معاهدات السلام ) وهو تجسيد للموظف غير المسئول . ولما اعلنت سمارة عن مشروع مسرحية تريد ان تؤلفها . يقول رجب ، امامكم ساحرة ستحول بقلمها المهزلة الى دراما هادفة ، ويسألون اليس من الجائز ان نؤمن بالعبث بجدية .

وتبرز افكار نجيب محفوظ احيانا عارية عما يدور فى هذه الفترة ، وكلنا اوغاد لا اخلاق لنا يطاردنا عفريت اسمه المسئولية ، ويناجى الحكيم الفرعونى القديم ويجعله يغنى قائلا ، ان ندماءك قد كذبوا عليك . هذه سنوات حرب وبلاء ... ولديك الحكمة والبصيرة ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد ..... هل لك ( ايها الحاكم ) ان تامر حتى ياتيك من يحدثك بالحقيقة !!

ولان محفوظ قد اتقن تقنية ان تبدا مرحلة الهبوط او الانتهاء الماساوى عندما تفيق الشخصية الرئيسية على الحقيقة . وكانت الحقيقة فى ، ثرثرة فوق النيل ، ان المجموعة قتلت انسانا بالسيارة التى تحملهم ( جميعا ) جماعية المسئولية . ثم تنصل كل منهم من المسئولية وجادل وناقش ليبرر التنصل وعدم الاحساس باية مسئولية .

إن تقنيات نجيب محفوظ فى الرواية تاثرت ، كما تاثر غيره بهزيمة سنة ١٩٦٧ ولكن دارسا لم يقف بالذات عند هذه التقنيات البالغة الدقة والروعة . فهل تكون التحية اللائقة لهذا الروائى العظيم دراسة اثر الهزيمة فى تقنية الرواية عنده ؟؟

اكتوبر سنة ١٩٨٨

# نجيب محفوظ والفن التشكيلى

بقلم : محمود بقشيش

منذ اكثر من ربع قرن .. وكنت وقتها طالبا فى السنة النهائية فى كلية الفنون الجميلة .. دعيت إلى برنامج إذاعى عنوانه : « كاتب وثلاثة قراء » ، وكان الكاتب هو الروائى العظيم « نجيب محفوظ » .. اما القراء الثلاثة فكانوا : المرحوم « زهير الشايب » مترجم كتاب وصف مصر ، والقاص « محمد جاد » .. والعبد لله ! .. وكان محور المناقشة أو بمعنى أدق « الاستفسار » رواية « زقاق المدق » ، وكان على كل قارىء ـ كما نبه علينا ـ أن يتقدم للكاتب الكبير باستفسارين لا ثالث لهما .. لضيق الوقت !

.. ولما جاء دورى فى الحديث قلت ما معناه : إن ميله إلى التكوين المعمارى . المجسم .. ليس فقط فى أشكال البيوت والمقاهى والأزقة .. بل في أشكال البشر ، وعلاقات البشر بالبشر ، وعلاقاتهم بالأماكن التى يحيون فيها ؛ فالمكان عنده رغم وضوح معالمه فإنه لايقوم بدور خشبة المسرح .. اى استضافة فريق يقدم احتفالا وقتيا .. بل على العكس فإن المكان بطل من ابطال العمل الدرامى . واذكر اننى قررت يومها ـ ثم تكاسلت ـ ان اكتب عن ميل « نجيب محفوظ » إلى البناء المجسم . والحركة الداخلية . ونبذ

الاستعراضات اللونية : ففي رسومه المكتوبة عن عمائر الأزقة والحواري تختفي أو تكاد الألوان الصدّاحة ، وألوان عماراته ، وملابس أبطاله تتجه أكثر إلى الوقار الرمادي ! .. وأزعم الآن .. إنه اكتشف في لون مدينة القاهرة مالم ينتبه إليه كبار الفنانين التأثريين المصريين أمثال « يوسف كامل » ، وكامل مصطفى » و « حسني البناني » ، فقد صوروا القاهرة غارقة في الألوان الصداحة ، بينما هي في حقيقتها غارقة في رماديات أتربة المقطم !

إن الاحتفالية اللونية عند الفنانين التأثريين تهمل البناء المجسم . الراسخ . وهم يهملون الكتلة الراسخة .. ليس فقط لأنهم يريدون ذلك بل لأن الصراخ اللوني يتناقض بطبيعة تكوينه معها .. والمدهش حقا عند « نجيب محفوظ » هو ترجيحه « الكتلة » على « اللون » إن ميله إلى التركيب والبناء المجسم يخفض - بطبيعته - من البوح الخطابي ، ويهذب التعبير المنطوق .. وحتى عندما يتجه بريشته إلى مناطق الابهام والحلم فإنه لايهمل التجسيم ، بل يؤكده للدرجة التي توهم بواقعية المشهد .. شأن كبار السيرياليين أمثال « ماجريت » وسيلفادور دالي ، وماكس إرنست » ، وإذا عددنا « التهذيب » ملمحا أخلاقيا في فنون مصر التراثية : الفرعونية والقبطية والاسلامية ، فإن الميل إلى « التجسيم » ملمح آخر من ملامح الذاكرة الفنية المصرية . وأراه في ذلك شبيها بمثال مصر العظيم « محمود مختار » ؛ فانتاجه هو الآخر يتسم من ناحية « الشكل » بالطابع البنائي ، والحركة الداخلية ، ومن ناحية « المضمون » بالتعفف الأخلاقي ؛ فمنحوتته المسماة : أسطورة الحقول مهذبة حيية رغم عُريها على النقيض من « المرأة » في منحوتة « رودان » المسماة بنفس الاسم ، والتي تستفز كوامن الاشتهاء . الاختلاف ليس بين فنانين . فرديين . بل بين ثقافتين مختلفتين . وإذا كان « نجيب محفوظ » قد إرتبط أشد الارتباط بذاكرة فنية مصرية تحتفل بالبناء والتجسيم ، كما تحتفل بركائز أخلاقية تميزها عن النموذج الغربي فإن إجادته لشكل فني أبدعه ذلك النموذج الغربي وهو « الرواية » ، وتوجهه إلى كل ماهو مشترك بين البشر . جعله مستحقا لتلك الجائزة الفريدة في تاريخنا الثقافي العربي

لقد ايقظ ذلك الفرح الذي كنا في أشد الحاجة إليه تلك الرغبة القديمة التي ظننتها تلاشت نهائيا .. وهي عمل دراسة مقارنة بين ما يرسمه « نجيب محفوظ » بقلمه ، ويجسمه بازميله .. من أشكال ملونة وبين ما أبدعه بعض كبار الفنانين المصريين ...

فإلى لقاء !

# صباح الورد

بقلم : غالى شكرى

يدعوها صاحبها « مجموعة » لمجرد اشتمالها على « ام احمد » مستقلة عن « صباح الورد » ، وكلتاهما مستقلتان عن « اسعد الله مساءك » . ولكنى ساحاول هنا ان اقدم اجتهادا مغايرا اراها بمقتضاه « ثلاثية » على نحو جديد .

انها تنتمي من حيث البناء الى تلك المرحلة التى بداها نجيب محفوظ فى الستينيات ، ومن حيث الموضوع تقترب كثيرا من « الماضى » الذى حفرته اعماله الاولى حتى ثلاثية « بين القصرين » . ولكنها ليست كالثلاثية القديمة مقسمة الى ثلاث روايات تفضى احداها الى الاخرى فيما يشبه الحتمية .



بريشة : جمعة

«صباح الورد» هي أحدث مؤلفات نجيب محفوظ، وقد صدرت عام ١٩٨٨

# يانجيب محفوظ

● صحيح أن الثلاثيتين تتشابهان في اطروحة الزمان والمكان والانسان . لكنهما يختلفان في تجسيم هذا الثالوث نفسه ، لأن المقصود في « صباح الورد » هو ان الانتقال من زمان الى آخر ، يتضمن انتقالا موازيا للمكان والانسان . لذلك فهي ثلاثية « اجيال » كالثلاثية القديمة . ولكن الراوى في الظل او في الضوء يكاد يكون شاهدا على فكرة « الانتقال » بحد ذاتها .

ماذا يفعل الزمن بالدنيا ؟ هذا هو السؤال المحورى على طول « صباح الورد » وعرضها .

والدنيا هي مصر التي يمسك الكاتب باطرافها ويضعها في مكانين اثيرين لديه هما حي الجمالية الشهير وحي العباسية الذي لايقل شهرة .

وتبدو مصر بين هذين المكانين في زمانين يؤرخان للراوى ـ الكاتب .

وبالطبع ، فليس الراوى دائما أو بالضرورة هو الكاتب ، بل لعل العكس تماما هو الاغلب ولكننا في « ام احمد » و « صباح الورد » نكتشف تطابقا مثيرا بين ذكريات نجيب محفوظ الحقيقية وبين ما جاء في هذين القسمين ، ولا اقول القصتين . ربما كان التغيير الوحيد في اسماء الأشخاص .

وهو امر قريب مما فعله الكاتب في « ميرامار » اشخاصها حقيقيون وان تغيرت اسماؤهم وبعض سماتهم . وكان الكاتب يفضل كتابة سيرته الذاتية على هذا النحو الذي يعفيه من الحرج .

غير اننا يجب أن نلاحظ ان « المرايا » كانت لها بؤرة محددة هي هزيمة ١٩٦٧ . هذا هو الحدث التاريخي الضخم الذين يتخذ منه الكاتب عدسة يصور بها الشخصيات والفكر والسلوك وفي « صباح الورد » نجد هذه البؤرة ايضا ، وهي « الانفتاح » مرورا بالناصرية ..

## ● العودة الى الماضي

والبنائية الحالية ، وفي بقية الحالات التي نجدها مبعثرة في اعمال نجيب محفوظ الاخيرة ، هو العودة الى الماضي . العودة وليس الاستحضار الحلمي او الكابوسي او التذكرى انها العودة الى الماضي قصدا مقصودا بهدف البحث عن الجذور وليست هي الهدف بحد ذاتها . وهنا فرق اصيل بين ثلاثية « صباح الورد » وثلاثية « بين القصرين » ففي الثلاثية الجديدة نتوجه الى الماضي لنربط بينه وبين



# صباح الورد يا نجيب محفوظ

الحاضر فنسأل ما اذا كان ذلك الماضي هو جذر هذا الحاضر حقا ، ام ان المصائر للاقدار لا تتشكل على هذا النحو الميكانيكي ، فهناك تربض دائما « المفلجات » و « المصادفات » وغيرها من الظواهر التي تنفي حتمية النمو الجبري للبذرة على هذا النحو المحدد سلفا دون ذاك .

في جميع الاحوال ، فاننا امام ثلاثية لها مواصفات تغاير - اكرر ذلك - مواصفات الثلاثية العتيدة ( التي لم تكن في الاصل سوى رواية واحدة اعتذر الناشر عن طبعها في مجلد واحد ، لضخامة حجمها وتدخل صديق آخر الامر فاقترح تقسيمها على النحو الذي عرفت به )

اننا هنا في المقطوعة الأولى المسماة « ام احمد » في قلب « الزمن القديم » و « الحي العتيق » . هكذا يقترن الزمان بالمكان من بداية الرواية ولذلك فان العين التي ترصد ، هي عين الطفولة . اي اننا برفقة راو واحد مختلف اطوار العمر ، وقد اقترن كل طور بزمان ومكان معينين . ومن ثم فاسلوب الرؤية وطريقة الحضور تختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان اختلاف درجة الابصار التي تطورت عند الراوي من الطفولة الى الشباب الى الكهولة .

وهو حين يختار « ام احمد » فليس فقط لانها وكالة انباء الحي العتيق ، وانما لانه « الطفل » الذي يرى اول ما يرى هذه المرأة من خارج افراد الاسرة . والكاتب يقول صراحة « لم يبق من حياته الحافلة الا ما تعيه الطفولة » . ماذا يرى اذن من خلال « ام احمد » ؟

يرى بعينيه كبار التجار القادمين من الصعيد او من القدس وقد اصبحوا من البكوات . ولكن ام احمد تقول عن احدهم « كان ابوه يسرح بالبن على باب الكريم . وفتح دكانا صغيرا في الخرنفش ، وقامت الحرب فامر الله بالثراء ولا راد لامره » . وتقول عن آخر بل تقسم « انها رأت اباه المرداني الكبير يتجول في الحارة حافيا » . هذا هو الماضي ، فماذا يكون حاضر « الذرية » التي انبثقت من صلب هؤلاء ؟

ثورة يوليو كان لها نصيب موفور في تحديد الاقدار والمصائر ، فقد فرضت الحراسة على البعض وسجنت البعض الاخر ، ورحل قائدها فتغيرت البوصلة او انقلبت . هكذا انفجر شريان في مخ علي بك البنان في الستينيات ، وهكذا ايضا اصبح ابنه محمد من وحوش الانفتاح في السبعينيات .

اما عباس بك المرداني الذي اصابته رصاصة طائشة ، فقد استطاع ابنه ان يعمل في المخابرات والقواده ابان المرحلة السابقة فتكونت لديه ثروة ساعدته لان يقفز « الى درجات خيالية من الثراء » في ظل الانفتاح .

وكان الانتقال من حال الى حال انتقالا من حي الجمالية الى حي العباسية ومن العصر الملكي الى العصر الثوري ، كما ان الانتقال من العباسية الى الاحياء الجديدة او القديمة الراقية ، الاكثر رقيا ، كان انتقالا من العصر الثوري الى عهد الانفتاح .

● اكبر الاقسام

واذا كانت مقطوعة « ام احمد » نظرة سريعة شاملة لحي الجمالية اساسا ـ بالرغم من زيارات ام احمد المتقطعة للعباسية ومن كونها قد عمرت حتى الثمانينات ـ فان « صباح الورد » اكبر الاقسام واطولها تتناول بالتفصيل مجموعة محددة من العائلات التي سكنت شارع الرضوان القديم القائم في الزمن القديم بين شارعي العباسية وبين الجناين . وكان الشارعان يقسمان العباسية إلى شرقية للاغنياء وغربية للمتوسطين . ويكرر نجيب محفوظ ، سبق تاكيده في جزء « ام احمد » حول الحد الفاصل المفقود بين الحقيقة والوهم فيقول « رب كذبة أصدق من حقيقة » و « لاشك ان بعض الاساطير تتفوق على الوقائع بصدقها وجمالها » . وهما عبارتان يصوغان الاطار الفني الذي اختاره الكاتب لهذه « الذكريات » .

و« صباح الورد » هي تفصيل ما جاء في الجزء الاول . ولكنه التفصيل الخبري الشديد الاختصار . اى ان نجيب محفوظ ، بعين الشباب ، اكتفى بالملامح التي توجز المرحلة الجديدة ، الوسطى . وهي مراحل الازدواجية الثقافية والتبلور الطبقي . وسنلاحظ صراعا مريرا بين الاحتفاظ بحي الجمالية في القلب واللحاق بالعباسية الشرقية في العقل . وهو صراع بين مجموعتين من القيم : الاولى هي القيم الدينية وشبه الدينية ، والاخرى هي القيم الاوربية ، واساسا الفرنسية .

وسنلاحظ ان عثمان بن جمال بك اسماعيل ، هو نموذج التحول العنيف الى التفرنس ثقافة وعادات وتقاليد ( ولإسمه مغزى لا يغيب ) . ولكن هذا الفتى الذي يكبر فيسافر في بحثه الى



# صباح الورد
# يانجيب محفوظ

فرنسا ينتهى به القمار الى السجن الفرنسى . فالموت . هذه « نهاية » علينا أن نجمعها مع بقية الدلالات . فهناك حسين الجمحى الذى عاد من أوروبا دكتور فى الزراعة فاكتشف ان والده الشرس الجبار قد اغتيل فى وضح النهار . وامضى الابن عمره يفكر بالانتقام . وحين اقبلت هزيمة ١٩٦٧ كان فى مقدمة السعداء . وفى الانفتاح اصبح من اغنى الاغنياء . ولكنه يفكر فى « هجرة بلا رجعة » . اما سامح شكرى فهو لم يكن « ممن يعتبرون الحضارة الغربية حضارة غريبة عنا . وهى لم تسم باسم خاص الا بسبب البيئة التى نشأت فيها . ولكنها فى الواقع الثمرة الأخيرة فى شجرة الحضارات الانسانية التى اسهم البشر جميعا فى غرسها » . وهو رأى يقترب من آراء عزت ورأفت ابنى حسن قيسون . واحدهما قال ذات مرة « اعداؤنا ليسوا الانجليز والملك فقط ولكن الجهل ايضا والخرافات » .

الا ان ابن سامح نفسه ـ شكرى على اسم جده ـ هو الذى انطوى تدريجيا على ذاته . وانضم الى احدى الجماعات الاسلامية حينئذ يسلم الاب « انه جيل يعانى من ذكريات الهزيمة والغلاء والمستقبل المسدود » .

وسنضيف الى بقية النماذج ـ الدلالات من رأى فى ثورة يوليو « انجازات اجتماعية رائعة » . ومن هرب امواله الى الخارج « بمعاونة بعض اصدقائه من اليهود » . واضحى يردد انه اذا كان لابد من جيش يحكمنا فالافضل ان يحكمنا جيش متحضر ( يقصد الاحتلال ) . حتى انتهت ذات يوم الى الصراحة الكاملة « ويقولون اننا نرتمى باختيارنا فى حضن الاستعمار الامريكى فالهم بارك خطانا » .

هذه اذن « الصورة المفصلة » للقطة العامة التى التقطناها بعدسة ام احمد . الانتقال من حى إلى آخر هو انتقال الثروة والزمان والمكان والبشر من حال الى حال . متابعة سريعة لما آلت اليه المصائر فى اطار الصراع من اجل هوية حضارية اصيلة ومعاصرة فى آن . ولكنها الهوية المضطربة . لان القوام الاجتماعى الآخذ فى التبلور عشية الثورة لم يتبلور قط . بل تعرض لهزات عنيفة فى ظل الثورة وفى ظل الانفتاح معا . ومن واقع هذه السيولة الاجتماعية المائعة . نشأت ظواهر يصعب القول انها نبات طبيعى فى

شجرة ممتدة الجذور .

نجيب محفوظ ياخذ بيدنا الى الجذور ، ويعود الى الفروع . لنكتشف معا ان التغيرات ليست حتمية . واذا كان هناك قانون اجتماعى شامل فهو « الفوضى المخيفة » .

لذلك نصل الى الجزء الثالث واذا بالكاتب يختار لنا نموذجا واحدا مكبرا وهو النموذج الوحيد الذى يروى قصته بنفسه ، فليس هناك راو . ولكن هذا الذى يروى حكايته ينتمى الى عصر الكهولة ، فيتكامل الانتقال الزمنى ،من الطفولة الى الشباب والرجوله ثم الى الكهولة اخيرا . عندئذ يحتاج الفنان ، ونحن معه ، إلى عدسة مكبرة ومقطوعة . « اسعد الله مساءك » ، تكاد ان تكون بكاملها حوارا مع الآخر ومع النفس ولايتوانى نجيب محفوظ عن تذكيرنا بالاصل الاجتماعى الذى اطلعنا على بعضه فى القسمين السابقين ، « ان جدى البيه كان فطاطريا فى شارع الشيخ قمر » .

يجب الا ننسى بقية الاصول ، حتى ندرك ان مصدر الالقاب والثراء كان دوما السرقة او الغش او الاختلاس او الحروب .

بطل « اسعد الله مساءك » انكشفت له العورة الاجتماعية بموت ابيه ، فلم بعد يستطيع ان يتزوج من « ملك » حبيبته التى انتظرته طويلا . ولكن الام والاختين العانستين لا يسمحن لمثله بمغامرة الزواج . هكذا يولى الشباب ادباره وهو اعزب .

اما الحبيبة فتتزوج وتنجب ابنين هما ـ الآن ـ فى السعودية ـ كلاهما اصبح كهلا ، وكلاهما وحيد . واذا كانت الوحدة تغرى بالعودة المستحيلة الى الماضى ، فهل تسمح الكهولة ؟ يجيب نجيب محفوظ نعم . ولكنه يقولها بمرارة وحزن كبير من خلال الحوار المستمر مع النفس والآخر وهكذا تتكامل ثلاثية « صباح الورد » التى يراها صاحبها ثلاث قصص مستقلة عن بعضها البعض . اما انا فاراها وادعو القارىء لان يراها مثلى ثلاثية من نوع جديد . ثلاث مقطوعات تجسد « الانتقال » من زمن الى آخر ومن مكان الى مكان ومن جيل الى جيل . وليست الاصول دائما هى مصدر الجديد ، ولا الينابيع تنتهى الى مصاب معروفة سلفا

وانما هناك « الهوية » الوطنية ، القومية ، الحضارية هى محور الصراع الخفى بين الطبقات والاجيال . هذه الهوية التى تبلبلت فى الزمن الناصرى وبلغت ذروة الاضطراب فى عهد الانفتاح .

# حارة نجيب محفوظ

جمال الغيطاني




نجيب محفوظ وصديق عمره محمد عفيفي

بريشة : بهجت

ولد نجيب محفوظ فى بيت مطل على ميدان بيت القاضى ، فى مواجهة قسم شرطة الجمالية ، ومبنى الشرطة الذى كان فى الأصل قصرا من قصور عائلة السَرجانى مازال قائما ، اما البيت الذى ولد فيه كاتبنا العظيم ، فقد ازيل ، ومكانه الآن منزل من عدة طوابق ، وتحته مقهى شعبى ، يقع البيت على ناصية درب قرمز .. ومازال الدرب محتفظا بمعالمه الاساسية التى رآها كاتبنا فى طفولته البكرة .. والتى انطبعت فى ذاكرته .. وشكلت معالم الحارة التى اصبحت محورا لاعماله الابداعية العظمى فيما بعد .. ويقع درب قرمز بين ميدان بيت القاضى .. ويمتد لمسافة قصيرة وينتهى بالقبو المعروف بقبو قرمز والذى يقع تحت مسجد الامير منقال الذى شيد فى العصر المملوكى ..

ولد نجيب محفوظ عام ١٩١١ .. اى فى بداية القرن الحالى .. وتلك حقبة شهدت اكتمال تحول القاهرة من مدينة قديمة ، كانت لاتزال محتفظه بطابع العصور الوسطى ، الى مدينة حديثة ، اوربية الطابع ، هذا التحول بدأ فى عصر الخديو اسماعيل ، وعلى يدى على باشا مبارك ..

وتبع ذلك انشاء احياء جديدة ، وظهور مناطق جديدة للسكنى ، مثل منطقة الحلمية الجديدة ، والعباسية ، وتبع ذلك التغير الجغرافى توزيع جديد شبه طبقى .. فقد بدات الاسر الثرية تنتقل الى الامتدادات الحديثة ، وكانت الجمالية فى القرون الوسطى مقرا لسكنى الأمراء ، والطبقة الوسطى ، وايضا الحرفيين والعمال وكانت مقسمة الى خطط ، وحارات ، ودروب ، وازقة ، وعطف ، وكانت الحارة تطلق على اسم منطقة متكاملة تضم عدة ازقة ودروب ، وكانت ايضا تضم عدة مستويات اجتماعية مختلفة ..

وتلك هى الحارة التى ادرك بقاياها نجيب محفوظ فى اوائل هذا القرن ..

●●●

فى عام ١٩٢٤ ، ونجيب محفوظ يبلغ من العمر اثنى عشر عاما ، انتقلت اسرته من البيت القديم الى منطقة العباسية ، غير ان الاعوام الاثنى عشر التى قضاها الاستاذ فى الجمالية غاصت الى اعماقه ، وانعكست بقوة فى عالمه الروائى ، ولم تظهر ضاحية العباسية التى عاش فيها شبابه كله وصدر رجولته الا كمكان ثانوى ، يكون الذهاب اليه انطلاقا من الجمالية ، كما يبدو ذلك خاصة فى الجزء الثانى من الثلاثية ، قصر الشوق ، عندما يسعى كمال عبد الجواد من بين القصرين الى قصر آل شداد فى العباسية ، ولكن فى



# حارة نجيب محفوظ

آخر اعمال نجيب محفوظ ، « صباح الورد » ، و « قشتمر » نجد العباسية بقوة ، حيث تصبح محورا اساسيا للعملين الذين اعتبرهما بمثابة ذكريات الكاتب الكبير وقد صيغت بقناع فني ..

ولكي تظل الحارة هي محور ما كتبه من اعمال عبر سيرته الطويلة .. غير ان الحارة في رواياته تتخذ ابعادا اخرى .. لتصبح ملخصا للعالم كله .. فهو لم يصور الحارة تصويرا فوتغرافيا سطحيا ، انما يمكن القول انه استوعب جيدا عناصرها ، ثم فكها واعاد ترتيبها من جديد ، خلقها مرة اخرى ، ولذلك تتضمن حارة نجيب محفوظ مستويين ، الاول واقعي ، والثاني رمزي ، فلسفي ، فالحارة ، او ملامح القاهرة القديمة خاصة في زقاق المدق ، وخان الخليلي ، والثلاثية . محددة الملامح ، الوصف الفني مطابق تماما للوصف الواقعي ، ولو تتبعنا حركة الشخصيات في هذه الروايات سوف نجدها تتحرك في المكان نفسه ، ما من خطأ في الوصف الدقيق ، حتى يمكن بحق اعتبار هذه الأعمال تسجيلا امينا لمعالم المكان ، خاصة في الزمن الذي دارت فيه الأحداث ، انه يصف مثلا مقهى سي عبده الذي كان يقع تحت الأرض .. وتوجد به نافورة ، وكان على مقربة من ضريح مولانا الحسين ..

هذا مقهى حقيقي تماما ازيل .. في زقاق المدق لايزال المقهى قائما .. ودكان العطارة ، ودكان الحلاق ، الا ان انشغال كاتبنا بالمصير الانساني ، وبتطور الزمن ، وتتابعه ، تتخذ الحارة ابعادا اشمل ، لتصبح رمزا للعالم ، ولكن هذا الرمز يتجسد اكثر في رواية ( اولاد حارتنا ) التي تعتبر من اعماله الفذة بحق ..

في ( اولاد حارتنا ) تطالعنا حارة اخرى ، حارة لاتحمل لافتة تشير الى مكان واقعي ، حارة لها مفرداتها من المستوحاة من الواقع ، ولكن صيغت من جديد وفقا لرؤية الكاتب .. سنجد البيوت المتجاورة ، وشجر اللبلاب ، وذقن الباشا ، والمقاهي ، والقبو ، والخلاء ، والتكية التي تتصاعد منها اناشيد الدراويش الغامضة ، المبهمة ، حيث رجال الحق قابعون يذكرونه دائما ، احيانا يسفرون فيظهرون ، واحيانا يحتجبون ، ولكن يظل الاحساس بهم ، بوجودهم قائما ، اما الخلاء ، او جبل المقطم فهو نهاية هذا كله .. نهاية حدود المكان ، وليس نهاية الحيوات المتصارعة ، والاجيال المتعاقبة ..

داخل الحارة ذاتها تتوالى الايام ، يتعاقب الزمن ، احد الهموم الرئيسية لنجيب محفوظ ..

تظهر شخصيات ، وترحل شخصيات

ويختفى البعض الى الابد ، وتنشب خناقات ، وتشج رءوس ، ويحل الجيل مكان الجيل ، ويتوه الشيخ متولى عبد الصمد بعد ان بلغ من الكبر عتيا فلا يعرف اقرب الناس اليه .. ويتساقط فتوات الزمن القديم ..

هذه الحارة التى تقف على حافة الحلم والواقع ، على حافة الرمز والتصريح ، نجدها ايضا فى الحرافيش ، هنا تبدو الحارة شفافة ، تلخص كل مافى الحياة وتعكس ملامح الانسان فى اطواره المختلفة ، انها صورة مقطرة لهذه الدنيا ، وعبقرية كاتبنا انه نفذ الى صميم المكان والزمان ، فجعل من حوارى القاهرة القديمة ، التى يتراكم فيها التاريخ ، رمزا وملخصا ليس لعالمنا فقط ، ولكن للكون كله .. والسر الانسانى ! ..



بريشة : رضا عبد السلام





سرجا ذبية

# أدب نجيب محفوظ

## كما تراها مستشرقة سوفيتية

بقلم : ڤاليرا كيرستشانكو

فرحة الجائزة
.. نجيب محفوظ
واســـــرته



محفوظ عبد العزيز ابراهيم احمد الباشا والد الأديب الكبير نجيب محفوظ

فاليريا كريستشانكو مستشرقة سوفييتية بمعهد الدراسات الشرقية بموسكو ، وقد ارسلت مقالها « قراءاتى فى أدب نجيب محفوظ » الى مجلة الهلال .

والهلال ينشر المقال لأهميته ، ولدلالته ، على ان أدب نجيب محفوظ ، بصدقه ، قد شق طريقه الى أربعة أركان المعمورة ، وكما جاء بالمقال ، فإن نجيب محفوظ ابن بلده ، مصرى حتى النخاع ، وان مصريته اغلى ما يملكه فى الحياة ..

وترجع أهمية المقال الى تتبعه بالقراءة والدرس لانتاج نجيب محفوظ من « المرحلة الفرعونية » حتى احدث كتاباته ، وهى قراءة أمينة ، بريئة من وجهات النظر المسبقة ، بل تصل الى احكامها النقدية عبر أعمال نجيب محفوظ ذاتها .



سر جاذبية
أدب
# نجيب محفوظ

ماهو سر القوة الجاذبة فى ادب نجيب محفوظ الروائى ؟ ولماذا يعتبر اكبر الروائيين العرب بينما العالم العربى غنى بالمواهب الروائية ؟ ألانه وضع اسس الرواية العربية المعاصرة ؟ أم لانه كتب اكثر من ثلاثين رواية فى ظرف خمسين سنة ؟

وما هى مكانته فى الأدب اليوم ؟

تطرق اسماعنا بين الفينة والأخرى اصوات صادرة عن بعض الكتاب والنقاد العرب تؤكد ان نجيب محفوظ قد ولى زمنه وانه تخلف عن رَكْب الحياة وعن تيار الحداثة فى الادب وانه تقليدى جدا ولاجديد لديه يقوله .

على الرغم من هذه الاقوال فان كل رواية تصدر لكاتبنا تسترعى الاهتمام وتثير المناقشة ويظهر لها عقب ظهورها المعجبون والمنكرون وقليلون هم اولئك الذين لايبالون بها ، ويدور النقاش لا فى مصر وحدها وانما يشمل مشرق العالم العربى ومغربه وهذا معناه ان مايقوله نجيب محفوظ يلقى الصدى فى نفوس قرائه .

فما هو سر جاذبيته ؟ واين تتجلى تقليديته ؟ وما هو وجه الحداثة فى أدبه ؟

اظن ان السر كان فى شخصية نجيب محفوظ نفسها ، شخصية المبدع والانسان ذى المشاعر والاحاسيس القوية الجامحة لقد اختار طريقه قبل نصف قرن وضحى بكل غال ونفيس من اجل حبه للأدب .

وثمة وجهة نظر تصور نجيب محفوظ انسانا هادئا ساكنا ومتعقلا الى حد الجمود ، بيد انى اراه رجلا ذا عواطف متوترة ، متطرفا فى شغفه بالادب . ومع انه هو نفسه يميل الى التشكيك فى قيمة عمله الادبى ويذهب مرارا الى القول بان الادب فى ايامنا هذه قد فقد دوره القيادى الذى كان له سابقا ولكنى على يقين بانه فى اعماق نفسه يؤمن ايما إيمان بقداسة رسالة الادب وبواجب الفنان فى التوجه بكلمته الى الناس وبالقوة الفعالة للكلمة .

كان فى شبابه تلميذا للمنوِّرين العرب وبين اساتذته سلامة موسى وطه حسين وعباس محمود العقاد وهو نفسه بطبيعته وغريزته معلم ومن اصحاب الدعوة الى التنوير امضى طيلة عمره يعظ بحرارة ويدعو الى الخير والكمال ويبذل قصارى جهوده فى سبيل فتح أعين البشر على دورهم الحقيقى فى الحياة داعيا اياهم الى الوعى والادراك بجدارتهم الانسانية وبروحانيتهم التى يسمون بفضلها مرتفعين فوق فطرتهم الحيوانية

يمكنه ان يخطيء وان يضل في اشياء ، كما يمكنه ان يتخذ مواقف سياسية غير مقبولة ، ولكنه في نتاجه الادبي ، في كتبه جاد دائما وصادق لايزيف ، دافعه الباطني في كل ما يكتبه هو البحث عن الحقيقة والحقيقة كما نعرف عسيرة المنال فهو يظل باحثا عنها بلا ملل ولا كلل .

● شمولية .. وحس مرهف

نجيب محفوظ فنان ذو عقلية روائية صحيحة واصيلة يجمع بين شمولية الرؤية والحس المرهف بالزمن فهو كبير في قدرته على المزج مابين التاريخ الاسطوري واليوم الحاضر ، القضايا الخالدة والمتطلبات المعاصرة . يتكلم عن الأمور الشاغلة لبال الانسان منذ اقدم الزمان ولكنه يتكلم عنها من موقف انسان عصرنا الذي يحس نبض العصر ويعبر عما يقلق الناس في بلده وسواه من البلدان .

قلما يتجاوز في رواياته حدود القاهرة والاسكندرية ويفضل ان يركز احداثها في اطار حارة واحدة وهذه الحارة تتسع عنده فتشمل العالم برمته بماضيه وحاضره ومستقبله ذلك المستقبل البعيد الذي لا يمكن للانسان ان يتصوره الا في مخيلته ، وهو يقص حكايات « اولاد حارتنا » فتواتها وحرافيشها قاصدا بها مصائر البشرية في سعادتها ومآسيها ويقصد مصائر الانسان في ضعفه وبطولته .

وهو طبعا ابن بلده فهو مصري حتى النخاع ولعل مصريته تكون أغلى ما يملكه في الحياة عدا الادب ولكنه يتحلى كذلك بجرأة في الكلام عن وطنه بصراحة وبرؤيته الواقعية الموضوعية يقول الحقيقة المرة احيانا عن أوضاع ، يكون الايمان والحلم بضد هذه الأوضاع هو الأفضل .

وقد اتضحت عقلية نجيب محفوظ الروائية في رواياته الثلاث الأولى من المرحلة المسماة « بالفرعونية » استخلص من الأساطير القديمة المعنى العصري وطرح الأسئلة التي شغلت بال المصريين في أعوام الثلاثينيات وهي أسئلة عن طبيعة النظام الملكي والعلاقة بين الملك والشعب . يطرح بطله الفرعون خوفو على حاشيته سؤالا : عن الذي ينبغي ان يبذل حياته في سبيل الآخر ؟ أشعب لفرعون ام فرعون للشعب ؟

وأجاب الكاتب عن هذا السؤال بخلقه في رواية « كفاح طيبة » الصورة الرومانتيكية للملك المثالي أحمس وهو الفرعون البطل ذو الكرامة والشجاعة والذي يضحي بمصالحه الشخصية ويضحي بحبه من أجل وطنه وشعبه .



# سر جاذبية أدب نجيب محفوظ

وبعد صدور الرواية الفرعونية الثالثة يغير نجيب محفوظ فجاة وبدون مهلة أسلوبه الروائى. ظهرت «كفاح طيبة» سنة ١٩٤٤ وفى السنة التالية ١٩٤٥ تصدر «القاهرة الجديدة» الرواية الأولى من سلسلة الروايات المسماة بالمرحلة «القاهرية» فهى روايات واقعية يدرس فيها الكاتب واقع الحياة الجارية فى خلافتها وتناقضاتها وصراعات القوى الاجتماعية. يدرسها ويصفها بتفاصيلها الدقيقة الأصيلة. وتسفر هذه الدراسة التى تستمر حوالى عشر سنوات عن رائعته الأولى «الثلاثية»، وهى ملحمة عائلية انعكست فيها ثلاثة عقود من تاريخ مصر الحديث. ونطلع من «الثلاثية» على مصر ومصريين. على الحياة اليومية والأحداث السياسية الهامة اكثر من اطلاعنا عليها من المؤلفات التاريخية. و«الثلاثية» فى الحقيقة موسوعة عن الحياة المصرية فى حدود زمنية معينة – من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٤. يغرق القارىء فى هذه الحياة ويتعرف عليها من داخلها فهو يشاهدها بعيون الشخصيات الروائية وبعيون المؤلف نفسه. ويخيل القارىء ان هؤلاء الشخوص اناس قريبون اليه يعرفهم من زمن. التاجر المحترم والرجل المحب للعربدة أحمد عبد الجواد وزوجه الذليلة المظلومة امينة وابنهما الأصغر الحالم الحائر كمال وغيرهم من الشخصيات نراهم اناسا من لحم ودم وذلك هو سحر الفن الواقعى.

ان «الثلاثية» رواية مصرية جدا ومع ذلك وفى نفس الوقت اوربية جدا. استخدم فيها نجيب محفوظ نمط الملحمة العائلية كما يسمونها فى الآداب الأوربية. وباستعمال النمط الروائى الأوربى كانه اتخذ وجهة نظر معينة الى العالم الذى يصوره. يبتعد قليلا عن هذا العالم الذى ولد ونشا فيه ويقدر كل مايحدث فيه بعين الناقد المقارنة بينه وبين العالم الغربى الذى تعرف عليه من قراءاته.

وما تكاد تمضى سنتان على انتهاء نشر «الثلاثية» فى عام ١٩٥٧ حتى تبتدىء جريدة «الاهرام» سنة ١٩٥٩ نشر رواية جديدة لكاتبنا هى «أولاد حارتنا» المكتوبة بطريقة تختلف تماما او تكاد عن اسلوبه السابق. اتسعت فيها حدود الزمن الى مالا نهاية من الماضى الأسطورى الى المستقبل البعيد كل البعد.

ومع أن المكان الذى تتطور فيه

الأحداث ضيق جدا وهو « حارتنا » وبعض الحارات المجاورة وان جبل المقطم كان هو المنفى البعيد لأبطال الرواية فرغم ذلك تتسع المسافات الروائية لتشمل اراضى الشرق الأوسط برمته هذا الشرق الذى هو مهد أديان التوحيد الثلاثة .

أما أبطال الرواية فهم ليسوا بالاناس العاديين بل انهم أصحاب الرسالة الموحى بها ولعل مصدر الوحى جدهم الجبلاوى او هو نفوسهم المملوءة بعذاب البشر . وهم مناضلون فى سبيل اقامة العدل بين أهل الحارة ومن أجل الرخاء والسعادة .

صيغت الأساطير الدينية فى « أولاد حارتنا » صيغة السيرة الشعبية معبرة عن أمانى الناس البسطاء الدائمة الخالدة بالغد المشرق . وهذا الغد المشرق بعيد جدا وصعب المنال لأن السعادة والكمال لايقتصران فى نظر كاتبنا على الرخاء المادى فحسب بل ايضا السمو الروحى للانسان .

ينتقل نجيب محفوظ من أسلوب إلى أسلوب بسرعة وسهولة كأنه يلهو وهو يبدع انماطا روائية مختلفة . وهذه السهولة طبعا ظاهرية يكمن وراءها الدأب اليومى والمعرفة العميقة بالآداب العالمية والحس المرهف بروح العصر .

وما من شك فى أن انتقاء الفنان لموضوعاته ومواده وأساليبه اختيار ذاتى يمليه عليه وجدانه وغريزته ، كما ان الفاعل الخارجى وهو عامل الظروف التاريخية والاجتماعية يلعب دوره فى هذا الاختيار . اما نجيب محفوظ ففى رأيى ان اختياره لانماط الرواية وأنواع السرد يتوقف على مايطرح العصر من القضايا والمتطلبات اكثر منه على خياله الفردى وتغييرات ذوقه الفنى . إنما هو يرى واجبه كفنان وانسان فى البحث عن الجواب على الاسئلة الملحة التى يطرحها التاريخ . لذلك يظل نجيب محفوظ دائما فى طليعة الحركة الأدبية .

فى أعوام الستينيات كانت عجلة دولاب التاريخ المصرى تدور بسرعة عجيبة . واجهت البلاد القضية المصيرية ، قضية اختيار الطريق ، ولبى محفوظ نداء العصر فكتب ست روايات قصيرة ذات دينامية وتوتر عكست الحالة السيكولوجية والايديولوجية للمجتمع الذى يجتاز مرحلة انعطاف هى احدى اهم مراحل تاريخه . يمكننا ان نسمى كل هذه الروايات باسم واحد منها « روايات الطريق » لأن كل واحد من أبطاله يبحث عن طريقه فى الحياة ، الطريق المؤدى الى السعادة والكرامة والسلام . ولا يمكن ان ينفصل هذا الجهد الفردى عن مصائر البلاد وعن اختيارها التاريخى !

وفى الرواية الأخيرة من الروايات الست نجد الجهد والبحث يسفران عن استنزاف إمكانيات الاختيار . لاتلقى بطلة



# سر جاذبية أدب نجيب محفوظ

« ميرامار » الفلاحة الحسناء زهرة – وهى ترمز الى مصر – لاتلقى فى حاشيتها اى فارس امين ومخلص على استعداد أن يخدمها سوى الوطنى العجوز الوفدى السابق « عامر وجدى » .

مرة أخرى يخيب الامل ويتلاشى الحلم منتقلا من الواقع الى الماضى والى المستقبل البعيد جدا .

## ● أصعب الفترات

الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٥ كانت على مايظهر أصعب الفترات فى حياة كاتبنا . فى هذه السنوات علت الاصوات المدعية انه قد انتهى وصار فى خبر كان ولكن تحديا لتلك الادعاءات خرج محفوظ من مرحلته السوداء برائعة جديدة فى « ملحمة الحرافيش » .

ثمة للوهلة الاولى تشابه كبير بين « ملحمة الحرافيش » و« أولاد حارتنا » . فى الروايتين يحكى محفوظ حكاية الأجيال العديدة التى تعيش وتتلاحق فى حارة واحدة . وتنتظم سير الافراد فى صف زمنى لانهائى . ولكن « ملحمة الحرافيش » خلقها فنان عاش حياة طويلة مليئة بخيبات أمل ، ذو تجارب مريرة تتسع رؤيته فى هذا الكتاب للدنيا بانحائها وللبشرية كلها . واذا كانت سيرة البشرية لاتنتهى فحياة الانسان الفرد لها اجلها المحتوم . تتجلى فى الرواية هذه الفكرة الوثنية فى بساطتها وبيانها كما كانت تتجلى فى قصائد فحول شعراء الجاهلية . وكذلك لغة الرواية تشابه كل جملة فيها برصانتها وتكاملها بيتا من الشعر وعلى الرغم من التحام الواقع والأسطورة فى « ملحمة الحرافيش » بصورة مدهشة فان شخصياتها ليست بأبطال أسطوريين بل انهم ناس عاديون بحبهم ومقتهم ، بقوتهم وضعفهم بأشواقهم ومآسيهم . ولايزال الانسان يكن حلم السعادة والعدالة . ولايرى الكاتب طريقا الى تحقيق هذا الحلم الا فى انتصار الانسان على نفسه ، على رغبتين تشكلان اضعف ما فى الانسان ، حب المال وحب السيطرة على العباد .

وياله من طريق طويل وملىء بالاشواك !

الصورة الاسطورية عند محفوظ يتجسد فيها المثل الاعلى . حلم الكمال والانسجام . عندما يتهدم الواقع والاحلام وليس للمرء الأمل فى المستقبل ، ذلك المستقبل الذى يمكنه ان يتصوره كواقع حياته وحياة اولاده ، يلجأ الى الحلم الابدى ويستمد الثقة والقوة الروحية من المثل العليا لأجداده ومن التراث الثقافى للبشرية وقيمة الانسانية . وبذلك يحافظ على الحلم ولايدعه يتلاشى نهائيا .

فى السنوات الأخيرة كثيرا مايرجع نجيب محفوظ الى صيغ القص العربى التقليدى . بعدما جرب فى « أولاد

حارتنا » نوع السيرة الشعبية وصيغ رواية « المرايا » عبارة عن تقليد لكتب التراجم وقد واصل فى « ليالى الف ليلة » تطوير حكايات شهرزاد وملأ الرواية بالعفاريت وتقمص الأرواح والعجائب والغرائب . وفى « رحلة ابن فطومة » يبعث نوع الرحلات ويسافر بطله فى انحاء الدنيا بحثا عن « ارض الميعاد » « دار الجبل » ويقارن عادات البلدان والشعوب الاخرى مع نظم وأعراف وطنه « دار الاسلام » يسعى الكاتب الى خلق نوع الرواية العربية الاصيلة التى لاتشابه الرواية الغربية . وتعبر عن العقلية العربية والذوق العربى .

## • دفاع عن القيم

ولكن هل صح القول بان كل هذه الأشكال والانماط القصصية ذوات اصل عربى حصرا ؟ اذ ان أدب الرحلات ـ والحكايات والأساطير والخرافات وأوصاف الحياة والمعيشة والسير ويضمُّ السيرة النبوية له ـ صور ماثلة فى التراث الأدبى لجميع الشعوب ويلتفت الكتاب فى جميع بلدان العالم حاليا على نطاق واسع نحو قيم التراث الثقافى معارضين اياها بخطر فقدان الذاكرة الثقافية وهو الخطر المتعاظم جدا فى عصرنا وحقبتنا حين تروج الدعاية على المدى العريض لتقدير التفرد الشخصى من جهة أما من الجهة الأخرى فيتعاظم نصيب الثقافة الجماهيرية المبسطة على المستوى الوسطى بالتعميم .

ولهذا السبب فان نجيب محفوظ محاولا بعث التقاليد يجد نفسه فى الخط الأمامى للعصر . واذ يذود منافحا عن القيم الاخلاقية « العربية » التقليدية يطلع الى النزعة الشمولية ، وذلك لكون هذه القيم ذوات دلالة بشرية عامة ومشتركة .

وهو كذلك كاتب شمولى بالنسبة الى الأدب العالمى النمط المفضل والمحبب لدى كاتب الحكايات ذوات المغزى التى يقوم بناء القص فيها على اساس من مبدأ القطع المكافىء الخارج والمبتعد عن العالم المحدد والزمن المحدد بحيث يتسنى عن طريق العودة الى اليوم الحاضر سرد التقييم الفلسفى ـ الاخلاقى لما يجرى فيه من وقائع وأمور .

ويوسعنا رؤية هذا على مثال احدى آخر رواياته « رحلة ابن فطومة » وهو فيها يقيمُ منتقدا الأعراف ونمط الحياة ونظام الادارة والحكم فى بلدان شتى . وهو فيها يلحى باللائمة ضمنا على شعب « دار الامان » لكونه يختار لنفسه حاكما على مدى العمر وطول الحياة . وكما تعرفون فان شعب هذه البلاد قد اصاغ سمعا إلى صوت الانتقاد فقرر أخيرا ادخال التعديلات المناسبة على تشريعاته محددا





فترة بقاء قائد البلاد فى منصبه كحاكم لفترتى ولاية طول كل واحدة منها خمس سنين لئلا يتحول الى زعيم مقيم ولكى يحول دون تكريس عبادة الشخصية الفردية .

ويبين هذا المثال عينة مدى ابتعاد نجيب محفوظ نفسه عن تصوراته فى عهد شبابه التى عبر عنها فى رواياته « الفرعونية » حيث يمجد سلطة الملك والحاكم الحكيم والعادل ويعترف بالطبيعة السماوية لهذه السلطة .

وينطق هذا كله بأن محفوظا لم ينغلق على نفسه فى « حارته » وانه ينظر الى انه « حارة له » هذه كجزء لا يتجزأ عن عالم البشر المشترك ويشغل باله كل ما يجرى فى ذلك العالم .

اما فى حالة تحدثنا عن تقليدية نجيب محفوظ فانه تقليدى بالاحرى من حيث فحوى فهمه للرواية باعتبارها قصا ثابتا ومثابرا للمضمون متطورا مع الزمن وله بداية ونهاية (رغم ان البدايات والنهايات كما نرى فى رواياته الاخيرة تعد وتمدد لتصل الى طرفى وجود العالم) . وتستحوذ على زمن القارىء وعنايته واهتمامه المفاجآت المباغتة فى سرد سيرورة الحدث فى المحتوى والانعطافات التى تستدعيها اما ظروف خارجية ما او خواص السجية وتقلبات الاحاسيس الحماسية فى نفوس الشخوص ذواتها والتى لا قبل لها بها ولا قدرة على التحكم فيها والسيطرة عليها وخوض الصراع ضدها .

وعلى هذا يبقى اسلوب نجيب محفوظ دوما اسلوب القص الموضوعى .
والعالم بالنسبة له ماثل لا وفق تصوره الخاص ولا كثمرة من نتاج بنات افكاره وبنات مخيلته وانها الواقع الراهن الموضوعى المنسجم مع قوانينه التى يحاول معرفتها والتوصل الى بلوغ كنه امرها .

وهو من هذه الناحية يحافظ على وفائه لتقاليد النزعة الواقعية مبرهنا فى الوقت عينه على المطلقية غير المحدودة بحدود وغير المقيدة بقيود فيما يخص امكانيات واحتمالات تطورها وتجديدها الى ما لا نهاية .

* * *

# العالم في سطور

## نوبل ١٩٨٨

# نجيب محفوظ في عيون العالم

باريس :

« عبقرية المكان » وزخم الشخصيات ، وتنوعه ، هي ايضا من الاشياء التي ميزت ادب الشاب نجيب ، وايضا عالم الفتوات ومعاركهم المحترفة وهم يسيطرون على حي الجمالية ، قدمت جميعها في اعمال محفوظ ..

« كاتب واقعي منذ بداياته ، وقد وصف ايضا ناسا من اعماق المجتمع مثل زيطة الذي يبتر الاعضاء في زقاق المدق : « لقد حدثني صديق عن شخص يمتهن هذه المهنة واختفى » كما حدثني الكاتب عن هذه الشخصيات في دنيا الشحاذين : « لم يعد هناك وجود اليوم لمثل هؤلاء الشحاذين .. الشحاذون الوحيدون هم نحن » اضاف الروائي وهو يجلجل في ضحكته .. وبفضله اصبح الكاتب معروفا في مصر التي بها نسبة ٦٠٪ من الامية ويلعب التليفزيون دورا منذ فترة طويلة حيث يتم عرض اعمال نجيب محفوظ » ليس التليفزيون منافسا بل على العكس .. فهو وسيلة ممكنة للثقافة لمختلف قطاعات الشعب .. ولذا فانا بالغ الرضا عن مسلسلات التليفزيون التي اخذت عن رواياتي في فترة الستينيات » ..



**الكسندر بوكيانتي ـ لوموند ٢٠ سبتمبر ١٩٨٥**

في عام ١٩٨٥ سالت ليبراسيون الكاتب « لماذا تكتب » ؟ ضمن نفس السؤال لادباء العالم الثالث .. فرد الكاتب بالاجابة ..

« كي احلل الجواب الى المعاصرة التاريخية على ان اعود إلى



الماضي البعيد واطرح السؤال ، لماذا كنت اكتب في ذلك الوقت ..
« والجواب انني كنت اكتب لما استمده من الكتابة بين سرور شخصي واشباع لقدرة مجهولة في اعماقي .. كنت اكتب دون أدنى تفكير في النشر او الربح اى سبب خارجي ..
مع الزمن ، انضافت اسباب جديدة تدعم الرغبة في الكتابة مثل :
١ ـ تحقيق الذات وان اكون شخصية ذات وزن مثل فلان او علان ..
٢ ـ ان يكون لى قراء وبالتالي شهرة ومجد .
٣ ـ ان اربح من العمل ما يدره من دخل
٤ ـ ان اعبر عن مبادىء معينة تكون قد تكونت في صدرى وفكرى
٥ ـ وفى النهاية تصبح الكتابة وحياتي شيئا واحدا بحيث ان العجز عنها يفرغ الحياة من اى معنى واتمنى معه الموت ..

نجيب محفوظ
١٩٨٥/٦/٢١

منقولة عن النص العربي الذى كتبه نجيب محفوظ بيده ونشرته ليبراسون في ١٤ اكتوبر ١٩٨٨

وصفت روايات محفوظ تحول المجتمع المصرى من الأصالة الى المعاصرة وعكست مرآته التضادات الموروثة في هذا التحول .. والعلاقة بين الرجال والنساء .. وبين الدين والدنيا .. وبين الاغنياء والفقراء .. وهو على وعي شديد بالظلم الاجتماعي .. وجذور الفساد والمعارضة في المجتمع المصرى .. مما جعل من بعض اعماله عرضة للرقيب ..

ومن بين العديد من الكتاب الكلاسيكيين ، فتح محفوظ امكانية الكتابة حول موضوعات كانت فيما قبل من المحرمات مثل البغاء وتعاطى المخدرات ، واهمية التطور الوظيفى في الحياة .. والجنس .. والشذوذ .. وقد بدت كلها في اعماله جلية وواضحة ، وواقعية لم تكن معروفة من قبل في الأدب ابان الاربعينيات والخمسينيات ..

الجارديان ـ ١٤ اكتوبر ١٩٨٨

متواضع الى حد مذهل .. مما يجعلك تشعر أن نجيب محفوظ شاب في السابعة والسبعين استقبل في دهشة بالغة إعلان فوزه بجائزة نوبل في الادب « هذه الجائزة كبيرة جدا بالنسبة لى » .

ثم انفجر في ضحكة عالية وهو يردد : « من الآن فصاعدا سوف يسميني اصدقائي محظوظ بدلا من محفوظ » ..

« ... وهو الذى استقبل سقطة الملك فاروق عام ١٩٥٢ بأمل مالبث ان خابت حدته .. فمنذ عام ١٩٦١ وكان عبد الناصر قد وصل الى قمة مجده نشر روايته الرمزية « اللص والكلاب » .. غير خائف من يد النظام الحديدية .. ونشر روايتين يتضمنان انتقادا حادا للسلطة هما « ثرثرة فوق النيل » و « ميرامار » ورغم انه مؤيد لمعاهدة السلام مع اسرائيل فإنه هاجم النظام الليبرالى والاقتصادى الذى انتهجه الرئيس السادات » ..

الكسندر بوكيانتى - لوموند ، ١٤ اكتوبر ١٩٨٨

ومن بين رواياته المميزة « ثرثرة فوق النيل » وهى نموذج واضح للرواية التعبيرية القصيرة .. كما ان « محفوظ » اهتم بمزج الميتافيزيقا بالواقع والخيال .. بالاضافة إلى الوضعية الفكرية لبلاده .. وقد قسم نقاد القاهرة انتاج محفوظ الى ثلاثة مراحل .. المرحلة التاريخية ، والمرحلة الواقعية ، ومرحلة الواقع الميتافيزيقى » ..

**شيزارى ميدال**

جريدة كوربيرى ديللاسيرا الايطالية
١٤ اكتوبر ١٩٨٨

رغم كل سمات القص التى تهز المشاعر الرائعة التى تخلق جوا مميزا .فإن تميزه فى خلق الحوار قد عكس اسلوبه الفكرى ..فلم يشأ محفوظ ان يبدع رواية تقليدية من خلال ثلاثيته التى اثارت الانتباه اليه فى العالم الغربى .. وايضا الاذاعات ووسائل الاعلام فى الدول العربية اولا .. ثم اوربا فيما بعد وخاصة النقاد ولقد تمكنت من قراءة افضل الروايات العربية الحديثة .. إلا ان روايات نجيب محفوظ ، بلاشك .. على قمة الادب العربى بفضل حساسيته وقدرته على الوصف .. مما ساعد هذا الأدب على الدخول إلى عصر الحداثة .. وخاصة فى القصة القصيرة ..

**سرجيو نوجا**

بتصرف عن جريدة الجورنالى الايطالية
١٤ اكتوبر ١٩٨٨

« من المثير للغرابة والفضيحة ان احدا من الكتاب العرب لم يحصل على جائزة نوبل حتى الآن ، توفيق الحكيم .. وعبد الرحمن الشرقاوى (وكلاهما رحل فى عام ١٩٨٧) ويوسف ادريس ونجيب محفوظ ككتاب مميزين ويستحقون الجائزة

واخيرا جاءت الجائزة ، وذهبت الى محفوظ وليس الى ادريس .. ونحن نشعر بسعادة لهذا الاختيار من اللجنة السويدية التى وجهت ضدها مزاعم عديدة ..

ونجيب محفوظ ينتمى الى البرجوازية السائدة وطبعت حيوتيه عن حركة التطور فى مصر .. اثناء النصف الاول من القرن العشرين .. فقد كان فى الثامنة عندما اندلعت ثورة ١٩١٩ .. ورأى شبابه وتكوينه يتشكلان فى السنوات الثرية ابان الثلاثينيات وهى فترة شهدت إحساسا عاما بالإنفتاح على الفلسفات والفكر الغربى .. وقد اختار نجيب محفوظ الفلسفة بصفة خاصة ليدرسها فى جامعة القاهرة ، حيث استكمل دراسته الجامعية .. وكان متحمسا لفلسفة هيجل الذى قراه مترجما الى اللغة العربية على عكس الغالبية من معاصريه .. لم يمتلك محفوظ ابدا اى اتقان للغة اجنبية .. ولم يفكر ابدا فى الذهاب الى اوربا لقضاء بضع سنوات كى يستكمل تشكيل فكره .. مثلما فعل الكتاب من جيله ..

مجلة بوليتيكا ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٨٨

تجىء اهمية اثار رواياته ، فى الحقيقة ، من خلال واقعية الحياة فى مصر . ففى كتبه الأخيرة توغل فى المجازات ، والمعانى السياسية والميتافيزيقية للفكر المصرى وقد نبعت شهرته من مصادر ثرية عديدة للحياة من بينها الفقراء وابناء الطبقة المتوسطة . هذا الاسلوب قد تولد من خلال قنبلة موقوتة فى « ثلاثية القاهرة » المنشورة فى الخمسينيات وهى حول عالم يعرفه كابن تاجر ..

هذه البيئة التى شهدت قليلا من التغير عبر القرون ولكنها فى كل يوم تشهد حدثا دراميا عظيما .. ومن بين اعماله العظيمة المترجمة « زقاق المدق » المنشورة عام ١٩٧٤ وفيها تبدو قدرته على وصف الشخصية ومنهم الحشاشون والشواذ وادمى يدعى زيطة « يبتر الاعضاء وهو شخص لايزال بقايا من امثاله موجودة فى القاهرة حتى الآن ..

فى هذه الأزقة ، يعيش الاشخاص عالمهم . ويشكلون عناصر أدب نجيب محفوظ الذى يردد : « انا اكتب ما اشعر بانه يجب ان يكتب » وما كتبه كان قويا استحق به جائزة نوبل ..

كرستوفرويكى .. مجلة نيوزويك
٢٤ اكتوبر ١٩٨٨

## من اقوال نجيب محفوظ

- « للمراة حق التعليم والعمل ، وهذا هو موقفى الفكرى ، أما من الناحية الشخصية فيسعدنى أن تكون زوجتى ربة بيت ! ..

- « لم أر القرية إلا من خلال نافذة قطار » !

## الأعمال المترجمة للأديب الكبير نجيب محفوظ

الأعمال المترجمة إلى الإنجليزية

زقاق المدق ١٩٤٧ ، بداية ونهاية ١٩٥١ ، أولاد حارتنا ١٩٥٩ ، اللص والكلاب ١٩٦١ ، السمان والخريف ١٩٦٢ ، دنيا الله ١٩٧٣ ، الطريق ١٩٦٤ ، الشحاذ ١٩٦٥ ، ميرامار ١٩٦٧ ، المرايا ١٩٦٢ ، افراح القبة ١٩٨١

الى الفرنسية

زقاق المدق ١٩٤٧ ، بين القصرين ١٩٥٨ ، قصر الشوق ١٩٥٧

إلى الألمانية زقاق المدق ١٩٤٧ ،

اللص والكلاب ١٩٦١

ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦

إلى السويدية

زقاق المدق ١٩٤٧

ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦

بين القصرين الجزء الأول من الثلاثية



بريشة : حلمى التونى

# تتويج للأدب في الوطن العربي

بقلم: سليمان فياض



بريشة : عبد العال

فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل لهذا العام مرحلة هامة ليس بالنسبة لنجيب محفوظ نفسه، وهو يستحقها عن جدارة .. ولكن ايضا بالنسبة للأدب العربي عامة، والمصري خاصة في القرن العشرين .

ويبدو دلالة هذا الفوز في أن هذه الجائزة اعتراف وتتويج لما بلغه الادب القصصي في مصر خاصة من ذرى رفيعة . نجيب محفوظ هو واحد من دررها العديدة منذ سنوات الاربعينيات الى يومنا هذا .

واذكر من هذه الذرى يحيى حقي، وعادل كامل، ويوسف ادريس، ومحمود البدوي، وادوار الخراط، وشكري عياد، ويوسف الشاروني ،

وابناء موجات اخرى فى القصة المصرية القصيرة والطويلة جاءت من بعدهم منذ منتصف الستينيات .. ولكل منهم طريقته فى القص واكثرهم صدقا من بينهم اولئك الذين كان قصهم مصريا صميما ليصدق عليهم قول احد المستشرقين ، هذه بضاعتنا ردت إلينا ، (فى التجربة والموضوع والرؤية والشكل) ولم يكن الادب القصصى فى مصر على ايدى هؤلاء ، ولا فى الوطن العربى الكبير على ايدى امثال حنا مينا والطيب صالح والطاهر وطار ، ومحمد زفزاف ، وزكريا تامر ، وهانى الراهب ، وعبدالرحمن منيف ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وغيرهم من احفاد رواة الأخبار والأسمار العربية كثيرون - لم يكن بحاجة الى فرمان غربى يشهد بجدارته كادب من الآداب العالمية - لم يكن ينقصه سوى ان يجتاز الباب الضيق مع اداب عالمية اخرى فى الهند واندونيسيا والصين واليابان والقارة الافريقية الى الترجمة للغات الحية وخاصة اللغتين الفرنسية والانجليزية وسوى ان ينسى الغربيون سادة الحضارة البشرية فى العصر الحديث - بعض الوقت - شعورهم بالتفوق الآرى على غيرهم من الاجناس والأمم والشعوب .

ان هذه الجائزة سوف تترتب عليها نتائج عديدة داخل الوطن العربى وخارجه - ان صح تنبؤنا - سوف نشهد لاطمعا فى جائزة مثل جائزة نوبل موجات من كتاب القصة ، ومستويات من التجويد للقص ، واتجاها معمقا الى المحلية والبحث عما هو انسانى فى تجارب الواقع ورصد للمتغيرات الحضارية والاجتماعية والسياسية فى موضوعات القص ، واستئنافا لكتابة الاعمال الروائية الطويلة والقصيرة ..

وسوف نشهد اقبالا متزايداً على ترجمة عيون الكنوز القصصى العربى المعاصرة الى شتى لغات الارض ..وقد بدات هذه المرحلة بالفعل منذ عشر او خمس سنوات فقط .. على حين انها بدت ظاهرة كبيرة فى دول العالم الاشتراكى منذ منتصف الستينيات .

ان نجيب محفوظ بعمله كان تتويجا مع يحيى حقى ويوسف ادريس لجيل من الرواد جهدوا من قبلهم لتعضيد طريق الادب القصصى الحديث فى الوطن العربى على يد المازنى والحكيم وعيسى عبيد وطاهر لاشين ولطفى جمعة وطه حسين والعقاد .. ولاتحضرنى اسماء موازية لهم كرواد فى عواقب الادب العربى الحديث ، ولا ابالغ اذا قلت ان نجيب كان اكثرهم دأبا واخلاصا ومغامرة فى حياة القصص العديدة متاثراً بمعاصريه ومؤثراً فيهم عبر مدارس القص واتجاهاته .. وتكاد اعماله القصصية عبر تاريخه تمثل مغامرات بيكاسو فى الفن التشكيلى عبر مدارس الفن المختلفة ...

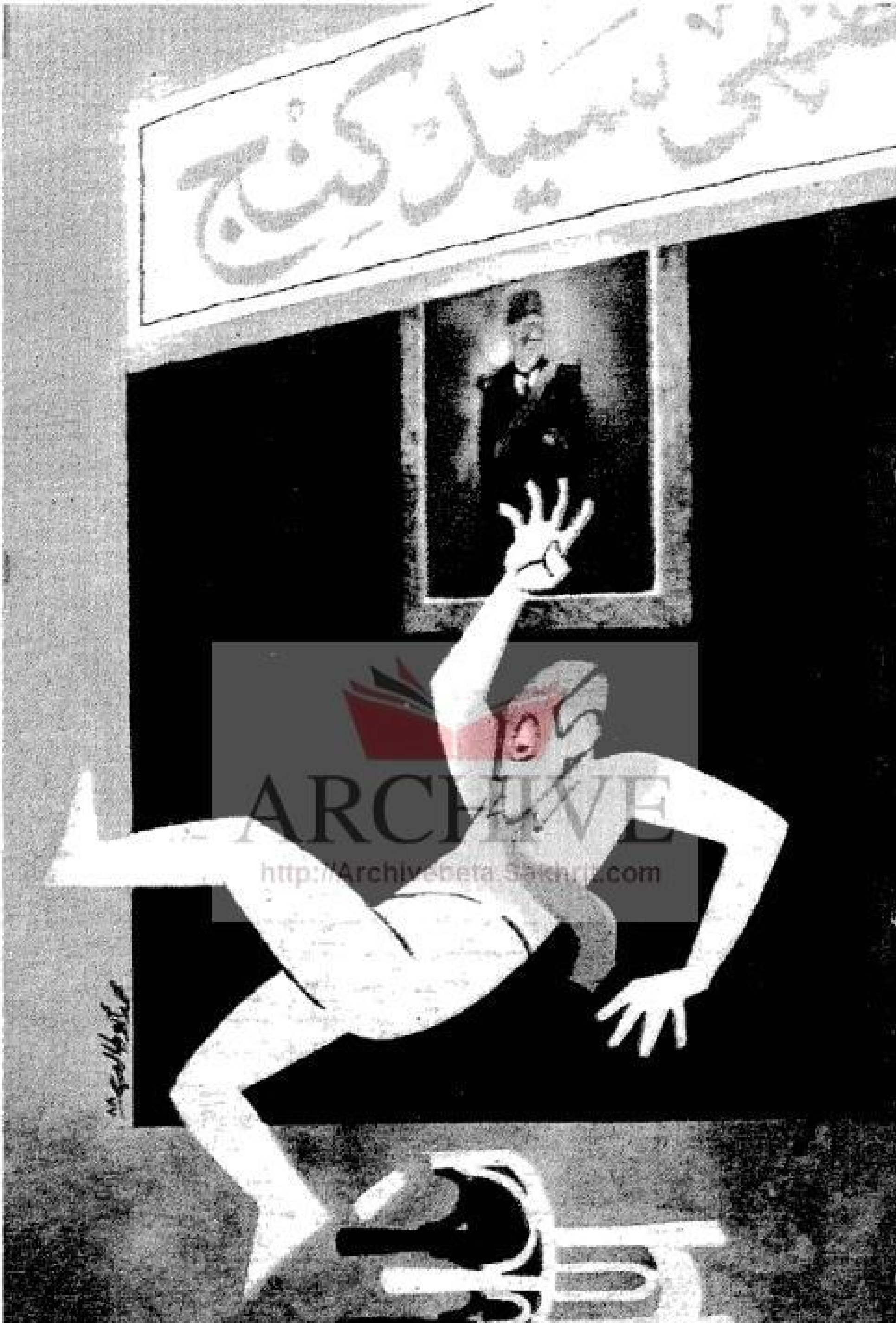
## قصة قصيرة جديدة للكاتب الكبير

# نجيب محفوظ

# دفن الباشا

**ينفرد « الهلال » بنشر هذه القصة القصيرة لأديب مصر الكبير الاستاذ نجيب محفوظ ، رأى الكاتب الكبير أن يخص بها « الهلال » ونحن نهديها إلى قرائنا فى هذه المناسبة التاريخية التى رفع فيها نجيب محفوظ راية الأدب العربى فى كل انحاء العالم ..**

متى فتح هذا المقهى ؟ .. علم ذلك عند الله .. لم يخطر لى أن اطرح هذا السؤال فى الزمن القديم .. فى صباى كنت أعبر الطريق أمامه كثيرا فى الذهاب والجيئة كأكثر أبناء العباسية .. وكانت تشع منه إلى صدورنا هيبة .. وإجلال ، فنغض إذا مضينا ناحيته بسرعة وأدب متحاشين النظر اليه حيث يجلس الآباء ونخبة من مدرسى مدرستنا بكل مايحملون بين جوانحهم من وقار ورهبة .. وهو صغير إذا قيس الى مقاهى وسط البلد او حتى مقاهى السكاكينى .. مستطيل الشكل ، أنيق المنظر ، تقوم فى عمقه المنصة الرخامية والموقد ، ويعلوها رف أول تصطف فوقه برطمانات البن والشاى والسكر والقرفة والزنجبيل والكراوية والاينسون ، ورف ثان تتجاور فوقه .. النراجيل البيضاء الشفافة والكحلى الزاهية ، أرضه مدكوكة بالبلاط المعصرانى وجدرانه وسقفه زرقاء صافية ، وفى منتصف الجدارين المتقابلين تلتصق بالغراء والمسامير المذهبة مرآتان مستديرتان مصقولتان مؤطرتان بالأبنوس .. وثمة طابوران من الموائد الرخامية المتواجهة على الجانبين ولوازمها من الكراسى الخيزران ، أما الطوار امام المقهى فمزروع ببلاط صغير ملون ، ويمتد فوقه صفان متوازيان من الموائد فى مركز الوسط منها تنطلق شجرة لبخ فارعة تتهدل فوقها اغصانها حانية ، وبها شهر المقهى باسم ذقن الباشا على حين أن لافتته تحمل اسم صاحبه « سيد كنج » .. ولا أحد يعرف أصل لقبه ، ولكن الجميع يسلمون بسطوته على الاحياء الشعبية المجاورة ، وبالرغم من عبيره البلدى ، ومن ان النُدُل العاملين به يسعون فى الجلابيب حفاة الأقدام إلا أنه امتاز بالنظافة المطلقة فى ارضه وجدرانه وادواته كما عرف بجودة مشروباته .. انه



مجمع أهل الوقار من الآباء والمدرسين ، وفي مواسم الانتخابات يهرع اليه المرشحون من الباشوات يخطبون ود صاحبه المهيمن على الناخبين في الحوارى والازقة .. ودائما يسبح في هدوء فالحديث يتجاذب في تؤده والضحكة تند بحساب والحوار السياسى يمضى في وفاق وانسجام وصورة سعد زغلول تطل على الجميع من موضعها فوق التراجيل ، وهو منتصب القامة في بدلة التشريفة المحلاة بالقصب ..

وتغير سكان المقهى ، بصورة غير ملموسة أول الامر ، ثم وضحت المعالم قبيل الحرب العالمية الثانية وفيما تلا ذلك من أيام .. رحل الآباء والمدرسون او لم يبق منهم الا نفر من المعمرين .. واكتسبنا مع تقدم العمر والتوظف الحق فى اقتحام أجمل مقهى فى حينا .. جلسنا مكان الآباء وشربنا القهوة والشاى ودخنا النارجيلة وخضنا فى احاديث السياسة والحب والجنس باصوات مرتفعة تترامى أحيانا الى الطريق .. ولم نعد نجفل من المعمرين من اساتذتنا فاقبلنا عليهم نصافح ونتوادد ونتبادل الذكريات ، وربما مازج حوارنا المزاح ، بل منهم من شاركنا لعب النرد ، ولكن حظى كل واحد منهم بحقه الكامل فى الأحترام .. وهلت علينا مشكلات جديدة فتنوعت احاديثنا بين الدستور والغلاء واليمين واليسار والملك والوفد والأنجليز والجلاء وفلسطين واليهود .. ولم يوقف ذلك مسيرة الحياة الطبيعية فعشق منا من عشق وتزوج من تزوج وانجب من انجب ، واستفحل التشكى وانفجر النقد ولم يسلم من السنتنا رجل أو أمرأة أو حزب ، وحتى الندل الحفاة شاركوا فى الكلام بعد ان خفت رقابة سيد كنج لطعونه فى السن وتوغله فى الضعف وزهده فى الانشغال بالحياة اليومية ، وجاء وقت فبدأ ان كلا منا قد أصبح حزبا قائما بذاته له اهدافه ووسائله ، وتسلل الشيب الى الرءوس ورحل آخر المدرسين المعمرين ، وتوترت أعصابنا يوم توفى سيد كنج ، واحتل مكانه فى الادارة ابنه الاكبر الشافعى ، من جيلنا كان ، فأسدينا اليه النصيحة ان يحافظ على سمعة المقهى ، وان يعنى عناية خاصة بالنظافة وجودة الاصناف والا يتهاون فى سمعته طمعا ، فى مضاعفة ارباحه كما يفعل قصار النظر ، ووعد الرجل ، وانجز ما وعد بصفة عامة فلم يطرأ على المقهى الا تغير طفيف يمكن التسامح معه كما اعتدنا ان نتسامح مع كل مكروه يجد ..

وزحف الجيش بثورته ، فانطوت صفحة وانبثقت صفحة جديدة ، وتفجرت ينابيع الأمل وتضاربت الخواطر .. وباتت جماعتنا ركن المقهى الركين وقاعدته الثابتة .. وكالمنتظر تسلل الى الاركان شباب صاعد ، واشتبكت حباله بحبالنا بحكم الجوار والعشرة ومع تتابع الامجاد اعترضت أزمات كما عودنا التاريخ ، وحملقت أعين الأمن تطارد الخوارج ، ونادى أهل الحكمة بيننا حذارى من السياسة وحديثها يا محبى السلام والسلامة ، وعقدنا العزم على ذلك ولكن اجتاحتنا الاغراء والح علينا كحكة الجرب .. وقبض على نفر منا لتهور التعبير ونزقه ، فتعلمنا التفاهم بالهمس والاشارة ، والرمز ونحن نستعيذ بالله من المهالك .. وكلما بد وجه غريب رمقناه بحذر ، واذا طرح شاب سؤالا محرجا تساءلنا ترى ماذا وراءه ! .. وحدثونا عن

اجهزة التسجيل التى تلتقط الخواطر من بعيد ، حتى اقترح البعض ان تقبع فى دورنا آمنين .. وعجزنا عن تنفيذ ذلك ، وقلنا إنه لاغنى لنا عن سلوى اللقاء ، وان الامان متاح لمن يصون لسانه ، وعكر صفونا الشباب الصاعد بتعاليه علينا ، وتجاهله لماضينا ، وازدرائه لأمجادنا .. نحن لاننكر المعجزات التى تقع ، ولا الانتصارات التى تتحقق ، ولا انطلاق الايدى القوية لتحرير الشرق والغرب ، ولكن ما الداعى الى انكار امجاد سلفت وانتصارات سبقت ؟ ! .. وتجنبنا مع ذلك الخصام ، وتراجعنا عن العناد ، واستبشرنا خيرا بالغد وما بعده ، وكنا اذا تحدانا سؤال مستفز مثل « من يكون سعد زغلول » أجبنا بكل تواضع « كان محاميا ناجحا » ، أو « من يكون مصطفى النحاس » .. قلنا بمنتهى اللطف « كان تاجر منى فاتورة بالغورية » .. قلنا لا داعى لتكدير الصفو بالجدل العقيم ، ولنترك للتاريخ ماينفرد بتصحيحه عندما يشاء ، ولنشارك فى الفرحة الشاملة بكل بناء يقوم او عدالة ترسخ ..

ودهمنا ونحن فى غفلة يوم ٥ يونية الأسود .. تطايرت آمالنا اشلاء وشظايا ثم سقطت فى اعماق بئر من رماد عفن .. تحول سكان المقهى الى اشباح تهيم فى وادى الظلام مهمهمة فى هذيان متواصل .. الحزن شامل .. الحزن باك ، الحزن ساخر .. لم يخل حزننا من تمرد اما حزن الاصدقاء الجدد فتلقفته دوامة الضياع .. قالوا لنا بنبرة جديدة « حدثونا عن دنياكم كيف كانت » .. ليكن ، فالحديث هو السلوى المتاحة ، ولكن ماجدواه ؟ .. وسألونا ايضا « ماحكمة خلق الانسان فى هذا الوجود » ، وتراكمت الاجابات مثل تل من الهواء .. واستمر الحديث واستمر الزمن .. تراجعنا الى ركن الشيوخ وانبسطوا فى كل مكان .. وحدثت أمور .. وواصلت الحياة العطاء .. والموت الافناء ، وارتفع شعار الانفتاح ، فريق هاجر بلا أسف ، وفريق ارتفع تحوطه الريب ، وفريق عوى عواء الذئاب ، لم نكن نفرح بالنصر إلا يوما وبعض يوم ، ولا بالسلام الا ساعة او بعض ساعة ، وانصبت الأحاديث على الخيار والطماطم والرغيف وزاغ البصر بين الغيم الداكن والبرق الخاطف اللامع ..

* * *

وذات مساء قال لنا الشافعى صاحب المقهى ..

« آسف ياحضرات ، تم الاتفاق على بيع المقهى ! » .

لم نصدق اول الأمر ، حتى تأكد لدينا انه سيقوم مقامه سوبر ماركت ، يالطاف الله .. أنه خير كطعنة خنجر ، مقهى العمر والذكريات والآباء .. المقهى الذى داعب صبانا وآوى شبابنا وكهولتنا ، وشهد حبنا وزواجنا وانجابنا وهزيمتنا ونصرنا .. وتساءلنا اين نتلاقى كل مساء ؟ .. قال احدنا ..

ـ اقرب مقهى الى حينا مقهى الانشراح فى اول الظاهر .

قال آخر ..

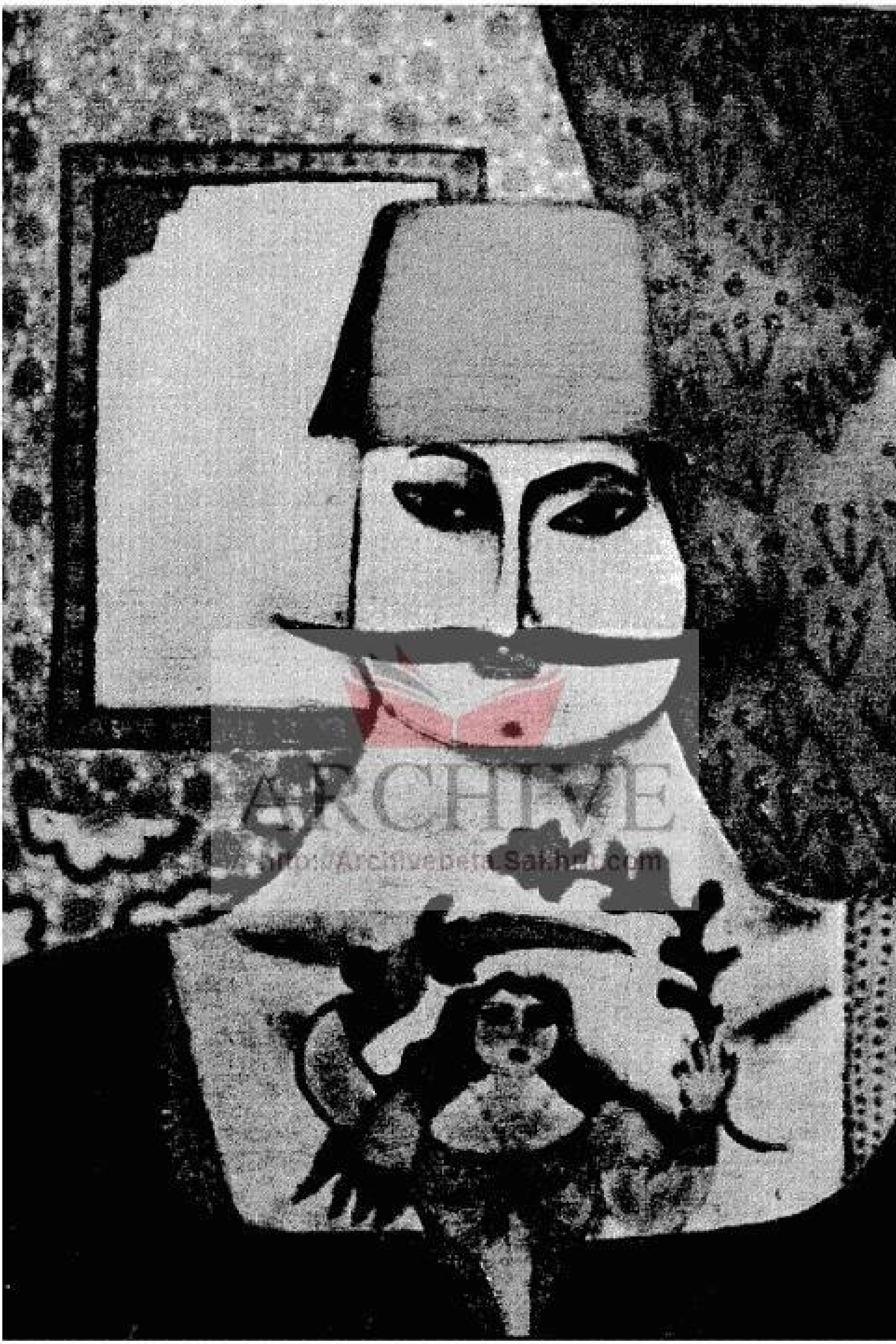
ـ لكنه مقهى الحرفيين ، غاية فى الفقر والقذارة ..

فقال الأول .

ـ اصبح ، حقا مازال مقهى الحرفيين ولكنهم يذهبون اليه اليوم فى سياراتهم الخصوصية الملاكى وقد تجدد المقهى بتجددهم فأصبح انشراحا بالمعنى الصحيح ..

ثم وهو يضحك ..

ـ سنمثل فيه الطبقة الكادحة الجديدة !



# شخصيات خالدة
# من الأدب العربي إلى الأدب العالمي

## بقلم: الفريد فرج

بحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ستنتقل شخصياته الروائية الرائعة من المكتبة العربية ، ومن السينما المصرية ، وشاشات التليفزيون .. إلى الاضواء العالمية .

وسيتعرف الناس فى اربعة اركان الارض الى « سى السيد » بين القصرين ، « وسعيد مهران » اللص والكلاب ، « وعيسى الدباغ » السمان والخريف ، « ومحجوب عبدالدايم » القاهرة الجديدة و« صابر سيد الرحيمى » الطريق ، و « نفيسة كامل » بداية ونهاية ، و« حميدة » زقاق المدق ..

ستنضم هذه الشخصيات المؤثرة إلى المكتبة العالمية الحافلة بالشخصيات الخالدة المؤثرة « أنا كارنينا » تولستوى ، و« الملك لير » شكسبير ، و« أوليفر تويست » ديكنز ، و« جان فالجان » فيكتورهيجو ، و« ويلى لومان » أرثر ميللر ، « وراسكولنيكوف » ديستوفسكى ، و « دكتور زيفاجو » باسترناك » .

وبعد أن نجح نجيب محفوظ فى اثراء الوجدان والفكر والتجربة لشعراء العربية ستطرق شخصياته ابواب الفكر والوجدان فى العالم كله لتضيف الى الفكر والوجدان والتجربة لكل قارىء فى العالم ، ولكل عشاق القصص اللمسات المؤثرة لهذه الشخصيات الروائية الرائعة .

ان الشخصية الروائية الخالدة تكتسب بقدرة المؤلف حياة فى واقع الحياة ، فكأنها شخص نعرفه ، نتأثر به ونتأسى بمصيره ، ونزداد به معرفة بانفسنا وبغيرنا من الناس .

---

من رحاب العالم الذى اختار منه نجيب محفوظ شخصيات رواياته ، اختار حلمى التونى لوحات شخصياته ، ونقل ملامح سى السيد ( الثلاثية ) ونفيسة ( بداية ونهاية ) وحميدة ( زقاق المدق ) ، انها من عالم الحارة والحياة الشعبية المصرية ..

كما نزداد بهذه الشخصية قدرة على تقييم انفعالاتنا وسلوكنا .. وعلى تقييم انفعالات وسلوك الناس من حولنا .

تصبح الشخصية الروائية دليلنا فيما نحب وفيما نكره ، واخلاقها معيارا نقيس به القيم والاخلاق الاجتماعية بالاستحسان أو الاستهجان .. وتصبح ضوءا يكشف لنا جوانب من الحياة كنا نجهلها أو لا نفهمها أو كانت غائبة عن ادراكنا قبل التعرف على الشخصية الروائية وقبل قراءة الرواية الأدبية .

## ● انتماء للواقعية

وادب نجيب محفوظ ينتمي الى الواقعية ، وفيه تصوير دقيق للحياة المصرية لايغفل تفاصيل التفاصيل للبيئة المحلية .

وربما يصبح هذا ـ على خلاف الراى الشائع ـ هو سبب الجاذبية لذلك الأدب ومصدر سحره .. لما لهذا الاسلوب الواقعي ولما لهذه البيئة المصرية التى تجرى عليها الاحداث الروائية من غرابة وطرافة لم يعهدها القارىء الأوروبي أو قارىء الادب الاوروبي .

وبهذه الواقعية التفصيلية يرسم نجيب محفوظ شخصياته بدقة فكانها حية تتحدث للقراء بذاتها وتتحدث اليهم من صميم ذاتها .

فمن هم الرجال والنساء الذين يصنعون عالم نجيب محفوظ ويعتبرهم القراء العرب من أعلامه وعلامات قصصه البارزة .. الرجال والنساء الذين ينتظرهم القراء الاجانب في غير اللغة العربية ليتعرفوا بهم وليعرفوا من خلالهم جوانب من الشخصية المصرية والنفس المصرية العربية الاسلامية الحديثة ..

من هم شخصيات نجيب محفوظ الروائية ؟

## ● سى السيد

مَن مِن القراء العرب ومشاهدى السينما ينسى « سى السيد » .. الأب المصرى القاهرى الصارم المتناقض في عالم يتغير .

تعتبر رواية بين القصرين وثيقة تاريخية للاسرة المصرية المتوسطة فى اوائل القرن العشرين ، والاب السيد أحمد عبدالجواد هو عماد الأسرة وركن الأمان لكل افرادها .

وينتهى السيد احمد عبدالجواد الى شريحة اجتماعية كانت هى الشريحة القائدة للمجتمع المصرى فى اوائل القرن العشرين وقبل الاستقلال ١٩٢٢

فهو تاجر ومن اصحاب الوكالات ـ طبقة وسطى ـ من مساتير الناس نموذجى فى صرامته واستبداده الابوى بالزوجة والاولاد لا تخاطبه زوجته الا بالاسم مسبوقا باللقب ، فهو عندها دائما « سى السيد »

وقد كانت هذه الطبقة الوسطى من التجار هى معيار الاخلاق وسلوكها هو السلوك الاجتماعى النموذجى .

ولكن أحلام الاستقلال التى تفجرت بثورة ١٩١٩ وبقيادة سعد زغلول جعلت تلك الطبقة تدفع بابنائها ـ دون بناتها ـ للتعليم ، وكانت الحكومة تتهيأ للاستقلال بتمصير الوظائف وتوسيع الاداة الحكومية ..

وسرعان ما ستصبح الشريحة المتعلمة من الموظفين هى الشريحة الصاعدة الى قمة الطبقة الوسطى ، القائدة لها .. لتكون اخلاقها هى معيار الاخلاق وسلوكها هو السلوك النموذجي .. بينما تتراجع الشريحة القديمة الى الوراء وتتعرض للذبول ..

لذلك نرى نحن السيد أحمد عبدالجواد في قمة العنفوان ثم نتابع تراخى قبضته الحديدية .

وروعة ثلاثية نجيب محفوظ تكمن في وصفه الرائع لهذا التطور الاجتماعى التاريخى ، بقلمه الانسانى المؤثر .

السيد احمد عبدالجواد رب أسرة صارم مستبد ، ويتميز بالاستقامة والجدية في معاملاته الاجتماعية والتجارية .. فاذا اقبل الليل اسلم امسياته للحظ والطرب والقصف والخمر .. دون أن يحس بالتناقض بين حكمه الجاد الصارم لاسرته وبين فروسيته ومجونه ساعات الفرفشة فى صحبة العالمة زبيدة ثم سلطانة ثم زنوبة الصبية .

وقد بلغ من استبداد عبدالجواد بأسرته انه طرد أم اولاده من البيت لمجرد انها خالفت أوامره بالتزام الدار ، وذهبت خفية عنه لزيارة حبيبها الحسين رضى الله عنه بصحبة أولادها للتبرك والدعاء ، وكاد أن يطلقها ..

وقد رد خطيب ابنته لانه استراب فى انه رآها فى الشباك ، وأعلن الأم انه لن يرضى بزواجها الا اذا ثبت له أن من يخطبها يفعل ذلك « بدافع من رغبته الخالصة فى مصاهرتى أنا .. أنا »

يروى نجيب محفوظ : « أن الكذب فى هذا البيت لم يكن بالرذيلة المخزية فلم يكن بوسع أحد منهم أن يتمتع بالسلامة فى ظل الأب دون حماية من الكذب . هم يجاهرون بذلك بينهم وبين أنفسهم ، بل ويتفقون عليه فى الموقف الحرج »

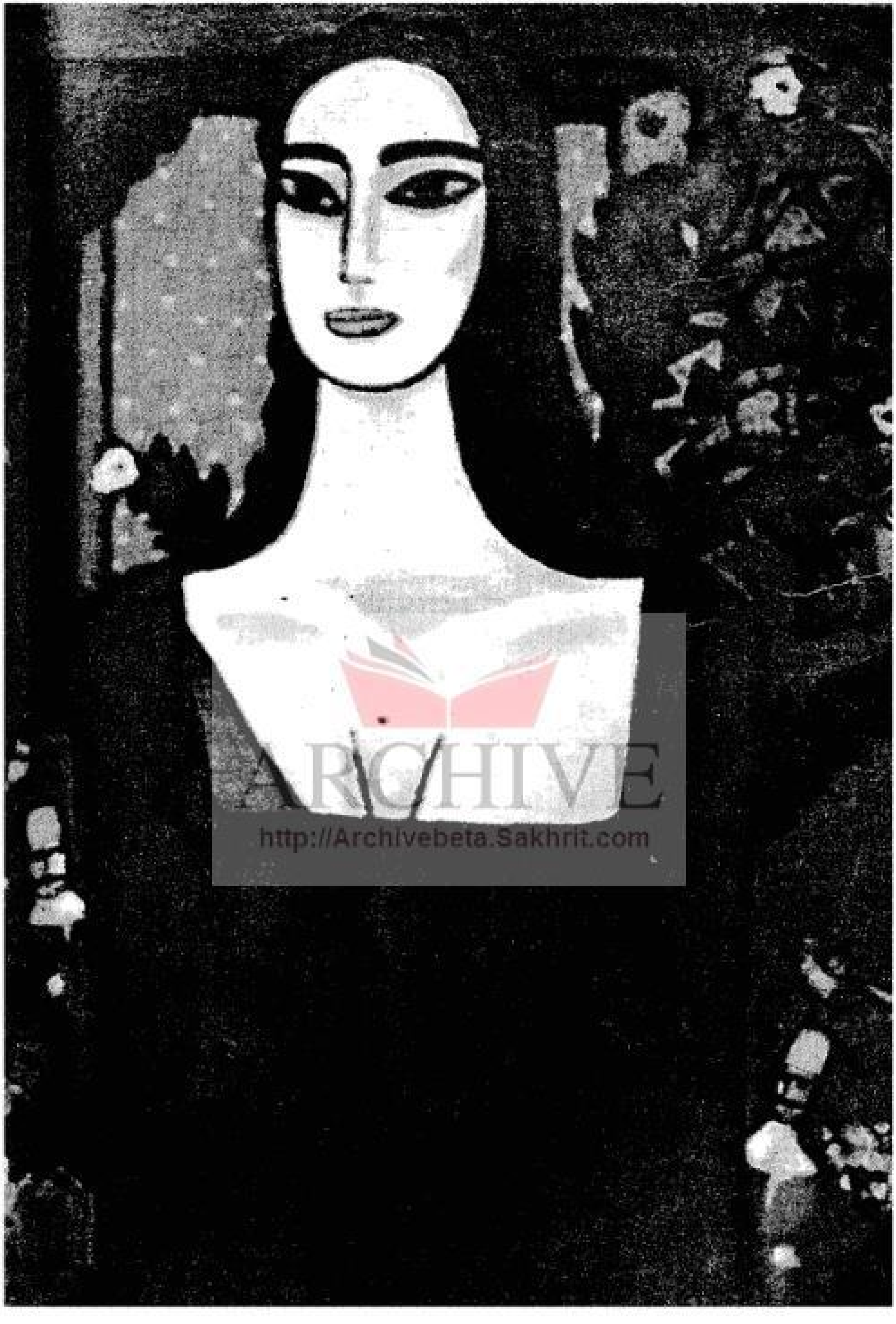
فماذا يمكن أن ينقذ الابناء من استبداد الأب الا الرياء والاكاذيب البيضاء .. .

والسيد احمد عبدالجواد رجل متدين حريص على تمسك الابناء بالقيم الدينية . وهو يعتذر عن مجونه بالليل بانه ما ارتضى لنفسه يوما أن يعتدى على عرض أو كرامة قط ، ويحمد الله على ذلك .. ثم يتعلق بثقته فى رحمة الله ..

وهو رجل وطنى يجيش قلبه بحب الوطن وكراهية الانجليز ، ويزيد من حقده عليهم أن الجنود الانجليز صادفوه وهو عائد من ليلة حمراء فارغموه على العمل بالسخرة فى رفع الأحجار .. فأحس بعمق الاهانة واهتزاز كرامته .

ولكنه يأمر ابنه البكر فهمى الطالب بمدرسة الحقوق بعدم المشاركة فى المظاهرات ويحاول أن يجعله يقسم على المصحف بانه لن يخرج فى المظاهرات الوطنية . ولكن فهمى الذى يؤمن بقداسة القسم على المصحف ويؤمن أيضا بحق الوطن على شبابه ، يغادر الغرفة منفعلا دون أن يقسم على ما يريد أبوه .

ويدفع الأب فى سبيل استقلال الوطن اكثر مما كان يتمنى أن يدفعه ـ ولده فهمى نفسه الذى قتل فى مظاهرة





الابتهاج بعودة سعد باشا من منفاه .
نوهت لجنة جائزة نوبل بثلاثية بين القصرين واتوقع أن يكون لهذه الرواية البديعة ولشخصية السيد أحمد عبدالجواد نجاح كاسح في العالم ..
الرواية تؤرخ للتطور الاجتماعي بمصر فيما بين الحربين العالميتين وهي فترة حاسمة في تاريخ بلادنا .

● سعيد مهران

اللص والكلاب ..
سعيد مهران طريد يطارد الخيانة .. لص خانه أقرب معاونيه فوشى به للشرطة بالتواطؤ مع زوجته ، التي تزوج بها بعد أن طلقت سعيد وبذلك لتحتضن ابنته في بيت الخيانة .

ولكن الاقدار كانت تدخر لسعيد مهران ان يكتشف خيانة أعظم .. تلك هى خيانة الصحفى المثقف رءوف علوان

رءوف كان يسكن بيت الطلبة أثناء دراسته بالحقوق بينما كان سعيد ابن البواب ، وعندما ارتكب سعيد أولى سرقاته الصغيرة حماه رءوف علوان وعلمه أن سرقة الاغنياء ليست جريمة لانها مجرد سرقة من اللصوص الكبار ، وعلمه القراءة والكتابة وشجعه على قراءة الكتب وحب الثقافة .

وحين خرج سعيد مهران من السجن وقرر الانتقام من الخونة زار رءوف صديق صباه ، ولكنه لاحظ تغير احواله الى النجاح والثراء وتغير أرائه ايضا ورأى منه الزجر والتهديد ، فوضعه فى قائمة الخونة وقرر سرقته ثم قتله مع الآخرين .

سعيد سيقاتل حتى الموت تحت تأثير شعوره بأن قتل الخونة هو ما بقى لمن فقد كل شىء ولا أمل له فى الغد .

وهو ذكى ، ماهر ، قادر على الفرار من الكمائن ، بارع فى التنكر ، ثابت القصد واليد .. الا أن حظه العاثر يضع المرة بعد المرة فى طريقه الابرياء ليسقطوا قتلى برصاص مسدسه بدلا ممن خانوه .

لايجد ملاذا من المطاردة الا بيت نور الفتاة الطيبة الساقطة التى تريد أن تثنه عن اندفاعه الطائش، ليخترق حصار الشرطة حتى يرمى اعداءه بالنار ، وتريد أن تزين له الفرار الى مكان قصى بصحبتها والحياة فى امن بعيدا عن الانظار .. ولكنها لا تستطيع أن تفهم حافزه الغلاب لمعاقبة ما يراه شرا وخيانة . كما أنها لا تستطيع ان تخترق بمنطقها صلابة سعيه وعناده

سعيد مهران شخصية عدمية .. تعلم العدمية فى مدرسة رءوف علوان الذى أوهمه أن كل ملكية للاغنياء ليس لها سند مشروع وان سرقتهم واجب حتمى ..

ولكنه بعد خيانة زوجته وصبيه ، ثم روح العداء التى لاقاه بها رءوف علوان صاغ عدميته الأصيلة صياغة جديدة فى اتجاه القتل العمد واستئصال شأفة الخيانة .

وليس مستغربا أن سعيد مهران يلجأ لنور الفتاة الضائعة لتهيىء له مخبأه ولا نستغرب انه يلجأ الى الدرويش الذاهل ليامن عنده خارج الدنيا الواقعية .. وليغتنم عنده لحظة هدوء خارج الزمن المضنى ، والدرويش لا يكف عن تأنيبه وتذكيره بضرورة الخلاص بالتامل خارج الواقع الفانى ، وفى الزمن السرمدى ؟

الملجآن يهيئان له مكانا خارج المكان ليستريح فى كل منهما ساعة .

رواية اللص والكلاب فى ظاهرها من روايات الجريمة والعقاب ، وفى جوهرها المثير صورة للنفس العدمية التى قهرها المجتمع ، واظهر ما يمكن أن يصل اليه المطارد واليائس والمحروم من نزعة للانتقام الرهيب .

● ماساة نفيسة .. فى بداية ونهاية

نفيسة بنت عاطلة عن الجمال فى اسرة منكوبة .

مات عائلها فجاة وترك الأم واربعة ابناء بلا معاش يذكر .

الاخ الكبير حسن ترك المدرسة واشتغل عاملا ثم مطربا ثم فتوة وتاجر مخدرات في حي الدعارة .

حسين وحسنين واصلا الدراسة ، بينما اشتغلت اختهم نفيسة خياطة تخيط ملابس العرس للبنات وتصابر شوقها للزواج .

وبينما كانت الأم تبيع اثاث البيت قطعة قطعة وتدبر أمور الاسرة بصعوبة بالغة ، تدرج حسين وحسنين في الدراسة حتى حصل الأول على شهادة الكفاءة واشتغل كاتبا ليتيح لاخيه الصغير مواصلة التعليم .

نفيسة تتعرض لخديعة ابن البقال الصغير الذى يحنث بوعوده ليتزوج ابنة البقال الكبير الذى يطل دكانه على الشارع العمومي .

نفيسة يطحنها الفقر والياس وقلة الأجر وتحيط بها الاغواءات الرخيصة للشباب فتنزلق الى الدعارة .

ولكن اكثر ما يخيفها أن ينكشف أمرها فتكون سببا في فضيحة اخويها المحترمين ..

انها الصورة الأصلية وظلها اخوها الكبير حسن الذى يتدهور في حي الساقطات بدوره بدافع العوز وانعدام الحيلة . والشك في المستقبل .

الا أن حسن رجل ، ونفيسة فتاة .. حسن يصارع قدره وينافح عن وجوده بقوته البدنية وبجراته على المخاطر .. بينما نفيسة هي الطرف الضعيف في الصراع مع الحياة تتحايل على البقاء بالتخفي والحذر والكتمان والاستسلام .

مع أن رواية بداية ونهاية هي قصة ماساة نفيسة كامل ، فهي تدور حول محور الاخ الاصغر حسنين الذى افسده تدليل الكبار له والتضحية من إجله حتى صار يشعر بحقه في هذه التضحيات ويطلبها صراحة .

فهو يخطب ابنة الجيران برغم حالة الاسرة التعسة . ويدفع اخاه حسين الى الاكتفاء بشهادته المتوسطة حتى يكمل هو تعليمه ، ثم تدفعه تطلعاته الطبقية لابتزاز واسطة من صديق قديم لأبيه من كبار الموظفين ليدخل الكلية الحربية ، وحين يتخرج ضابطا يفسخ خطبته ويحاول خطبة ابنة صديق ابيه الثرى .

اخوه حسن مشكلة يخاف أن تنفجر فتصبح فضيحة خطيرة .

لكن الضربة القاسمة تاتيه بعد ضبط نفسية في بيت دعارة ، واستدعائه في قسم الشرطة لاستلامها . يشعر أن عالمه ينهدم . واحلامه كلها تنهار ..

ولكنه ينتظر تضحية أخيرة من نفيسة .. ونفيسة التى اضناها الحرمان واحتملته مضاعفا لتخفف وطاته عن اخويها .. والتى سقطت لانها عديمة القوة واضعف حلقة في اسرة المرحوم كامل افندى الضعيفة ، قدمت دائما التضحيات ومازال عندها ما تملكه ويمكن أن تضحى به : حياتها .

لاتقتلني فيضيع مستقبلك .. دعني اقوم عنك بهذه المهمة !

رحلة مؤسية ومفزعة التى رافقها فيها حسنين بسيارة التاكسى الى كوبرى ابى العلاء ، وانتظر يرقبها خلف جذع شجرة ليتاكد انها القت

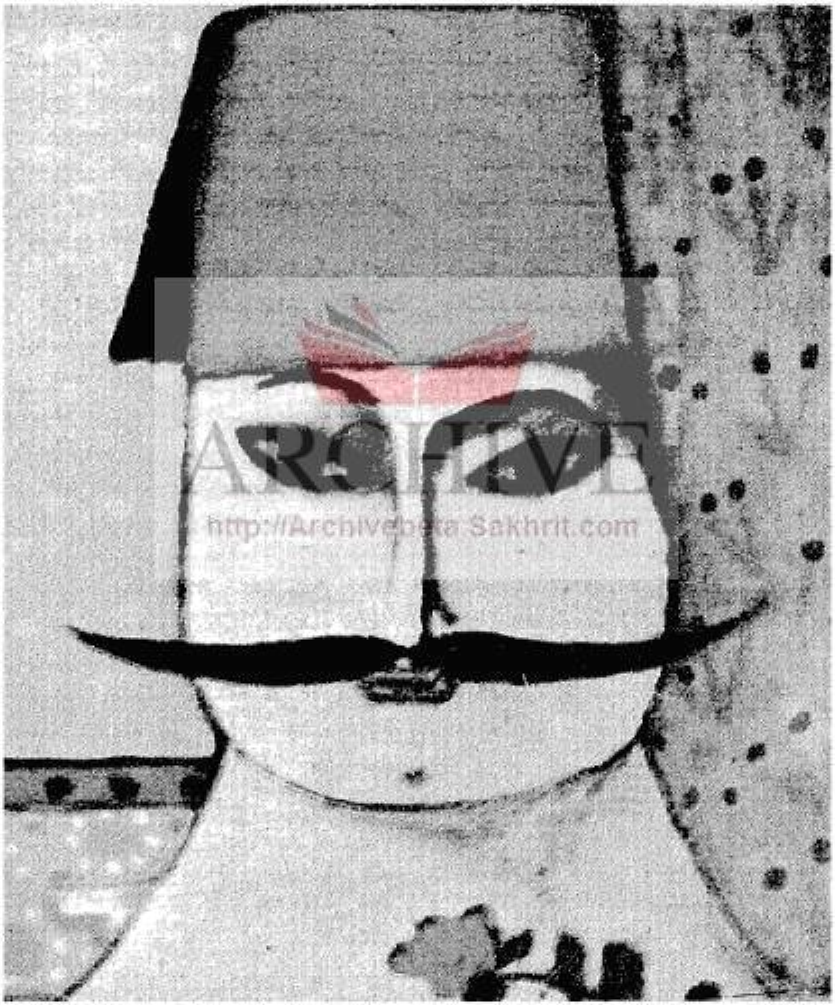
بنفسها فى النيل .. ثم تتلاطم فى نفسه النوازع ويغلبه القنوط والضعف والتمرد على الضعف فيلقى بنفسه هو الآخر منتحرا .

بداية ونهاية صيحة انسانية تحتج على ضعف الفقر ، وضعف المرأة ، وضعف حسنين امام طموحه فى الصعود الاجتماعى الذى يجعل منه الشرير الانانى .

ونفسيـة من اروع الشخصيات المأساوية فى ادب نجيب محفوظ .

● صابر سيد الرحيمى

امه تدير بيوتا للدعارة .. صودرت املاكها واعترفت لابنها الوحيد وهى على فراش الموت ان اباه مليونير كبير الشان اسمه سيد الرحيمى واعطته





وثيقة زواجها منه وطلبت اليه ان يبحث عنه ليحتمى فى ظله .

ولما ماتت انطلق اليتيم الحزين يبحث عن ابيه فى الاسكندرية ثم فى القاهرة .

نزل بفندق متواضع يملكه خليل ابو النجا الرجل العجوز المتهالك وزوجته كريمة فتاة صغيرة جميلة .

اتصل بالصحفية الهام لنشر اعلان يطلب فيه من ابيه الاتصال به وقعد ينتظر ..

نشأت صداقة بريئة بينه وبين الهام ، الا ان كريمة كانت تفتح له ابواب الاهتمام بها فلما التقيا فى غرفته وتوطدت علاقتهما اغرته بمعاونتها فى قتل زوجها لتصبح ثروته الكبيرة لهما من بعده .

لم يسفر بحثه عن ابيه عن شىء وكانت تفرغ نقوده . وكلما استبد به اليأس وروعه شبح الافلاس وهو بلا مهنة ، صار اقرب لقبول اقتراح كريمة .. وحبه لها يتمكن من قلبه . ولما تحين الفرصة ينفذا الجريمة وتنتقل كريمة الى بيت امها لتقضى فترة الحداد .

يصبح صابر وحيدا ويداخله الخوف من الحاح المحققين على نزلاء الفندق وموظفيه .. حتى يبذر فى قلبه عامل الفندق « الساوى » بذور الشك بايعاز من الشرطة .ومعه ان كريمة تحب زوجها الاول الذى باعها لزوجها

الثانى خليل ابو النجا وربما يعود لها وتعود له .

الخيبة والاحباط والشك والخوف كلها تستبد به فيندفع بطيش الى كريمة فى بيت أمها ويتهمها انها وزوجها الاول أوقعا به واستغلا غفلته .. ويدفعه العنف والغيرة لقتلها ، وتقتحم الشرطة البيت وتضبطه متلبسا .

الهام الصديقة الصحفية تساعده على توكيل محام ، ولكن يحكم عليه بالاعدام ويعرف وهو ينتظر الاستئناف طرفا من انباء أبيه وانه زار مصر اياما فى طريقه الى الهند .

« الطريق » رواية غريبة فى اجوائها ، وقصة البحث عن الاب لها اكثر من بعد فكرى واحد .

البحث عن الهوية والاصل ؟ .. ربما

البحث عن الملاذ والشعور بالأمن ؟ .. ممكن .

البحث عن المجهول ، أو الاسطورى ؟ .. يجوز ولكن شخصية صابر هى محور هذه الأحداث التى يكتنفها الغموض .. فهو يبحث بحثا فاضلا بريئا عن أبيه وعن ملاذه وعن أمنه وطمانينته .. والطمانينة بعيدة والأمن مستقر فى الضباب والملاذ يحوط سيرته الغموض ..

إلا أن الشاب يبحث عن أصوله فى مجتمع حافل بالرغبات ومخاوف الافلاس والسقوط ، ملىء بالمكائد والمسالك الغريبة .. عالم واقعى صلب ابوابه عصية على شاب قليل المال عسير المطلب ..

وفى هذا المجتمع يصبح صابر سهل المنال ، ضحية لظروفه يختلط حبه بالشهوات وغرامه بالغيرة والشك

ولصابر وجه شرير وميراث شرير أوقعه فى جريمة القتل .

وله وجه برىء ساقه الى حب برىء لالهام الصحفية التى عاونته فى الاعلان مرارا لأبيه ، وايقظت امله فى حياة طيبة ..

ومن العجيب ان نجيب محفوظ حافظ بصدق واقعيته على توازن هذين الضدين فى نفس صابر ، الذى لم يفقد امله فى حياة آمنة فى كنف ابيه الغائب المجهول حتى وهو قاعد فى ظلال المشنقة .

وأكد نجيب محفوظ بهذه الشخصية ان النفس الانسانية مركبة ، وان الانسان مؤهل للحياة الطيبة او للحياة فى الجريمة بنفس القدر ..

كما أكد المعنى السلحر وراء المصير الانسانى ، وهو أن المرء يحلم دائما ببلوغ الواحة الخضراء مهما طال السفر فى الصحراء .

● حميدة .. زقاق المدق

« زقاق المدق » من اشهر روايات نجيب محفوظ التى صور بها احياء القاهرة الشعبية اثناء الحرب ..

وشخصياتها زيطه والدكتور بوشى صانع العاهات والمعلم كرشة ، وهى جزء لا يتجزأ من معمار الزقاق وجدرانه المهدمة وشبابيكه العربية وفقره وكفاحه من أجل الرزق .

وفى هذا الزقاق العتيد تتفتح حميدة كالزهرة الفريدة مثيرة فواحة تدير الرعوس .

لما أحبها الحلاق عباس الحلو سافر الى معسكرات الانجليز ليربح بعض

المال يعينه على الزواج منها .

ولكن القاهرة كانت حاشدة بالجنود الانجليز وغير الانجليز ، وكانت الملاهي تنتشر فى احيائها الافرنجية . وصائدو الفتيات ينتشرون هنا وهناك طلبا للوجوه الجديدة لالحاقهن ببنات الليل فى البارات والملاهى للترفيه عن الجند .

وهكذا استطاع فرج أن يستميل حميدة وأن يغرى أمها بالخروج من الحارة الفقيرة والتطلع الى مستقبل يعد بالمال وبعض الترف .

وتحولت حميدة بنت الحارة الشعبية إلى حياة غير الحياة التى كان يعدها بها عباس الحلو ، والحياة التى يمكن ان توفرها لها الحارة .

ولما جاء عباس الحلو وعلم خبرها اصطحب حسين كرشه صديق طفولته الى البار الموعود حيث راى حبيبة القلب تجالس الجنود الانجليز ، فصرخ فى وجهها ورماها بزجاجة سال لها دمها على وجهها ، فما كان من الجنود الانجليز الا ان قاتلوه بالايدى والأرجل حتى مات وهو ينادى على صاحبه حسين ، بينما حسين قد فر على وجهه مذعورا ..

زقاق المدق رواية تهتم بالبيئة وتحفل بالعادات الشعبية والحرف الغريبة والوصفات البلدية العجيبة .

ولكن محور الرواية هو قصة حب حميدة وعباس ، وسقوطهما معه ..

وتبدو حميدة احيانا شخصية شديدة الطموح ، الا أن ما تتمناه وتحلم به فى الواقع ليس الا الحقوق الدنيا المتواضعة ، وثمن هذه المطالب الدنيا البسيطة هى السقوط المروع والخروج على القيم والتقاليد وهو ثمن فادح ، لم تدفعه وحدها وإنما دفع مثله حبيبها الشاب البرىء الذى ارغمته مطالب الزواج البسيطة ان يهجر الحارة بدوره ليعمل فى معسكرات الانجليز .. فاى مفارقة واى مقابلة بارعة رسمها نجيب محفوظ فى روايته الرائعة .

ان زقاق المدق رواية واقعية بسيطة الا انها بليغة فى تحليلها لاحوال المجتمع المصرى تحت وطاة الاستعمار والفقر .. الذى أحبط أحلام الحب والشباب فى اعماق القاهرة خاصة في مرحلة السطوة الاستعمارية الثقيلة اثناء الحرب .

ينسج نجيب محفوظ هذا المعنى الكبير بخيوط واقعية تصف باسلوبه الجذاب مصائر الناس البسطاء الذين لايملكون القدرة على تحقيق الأحلام الانسانية الصغيرة .

ومع أن زقاق المدق تصف حيا من احياء القاهرة عايشه جيلنا ، فانها قد اصبحت صورة تاريخية نادرة .. حيث ان اربعين سنة قد غيرت معالم هذه الاحياء الشعبية العتيقة فضلا عن العادات والأزياء والروح الحميمية للجيران وابناء الحرف وبساطة التفكير والسلوك .

● عوامة الثرثرة

نجيب محفوظ متنوع الانتاج جدا .

ورواية ثرثرة فوق النيل من رواياته المثيرة باسلوبها الفريد .. فهى لا تعدو ان تكون تسجيلا لجلسات عديدة يجتمع فيها جماعة من الاصدقاء حول الجوزة فى عوامة على النيل يثرثرون .

ومع ذلك فهي صورة مفعمة بالحيوية والتشويق مثيرة للدهشة .. تعكس حالة خاصة لفريق من الناس ينتمون الى شريحة الطبقة الوسطى المثقفة قد ثقل حياتهم الاحباط .

لو سألتني ماهي الشخصية الرئيسية فى هذه الرواية فلن اختار احدا منْ ابطالها ولكنى سأختار الموقع .

العوامة ذات الجوزة هى الشخصية الرئيسية فى الرواية ، وسحابات الدخان المخدر السابح فى ارجائها . الجماعة هم احمد نصر موظف ومصطفى راشد محام وعلى السيد ناقد فنى وخالد عزوز ثر وقصاص ورجب القاضى فنان وانيس زكى موظف ومثقف وسنية كامل وليلى زيدان مترجمة وسناء الرشيدى طالبة . وسمارة بهجت الصحفية المعروفة بالمواضيع الجادة .

والحوار الدائر تختلط فيه الاوهام بالتهويمات . والسخرية من الواقع بالتقشر بالذات ..

ويتميز الحوار المسترسل فصلا بعد فصل بالفكاهة السوداء والتشويق واصابة الشعارات السياسية والقيم الاجتماعية التقليدية .. الى جانب التلميحات الجنسية والملامسات الغرامية فى جو موشى بالاحلام ويفجعه الواقع . وفيه مرارة ..

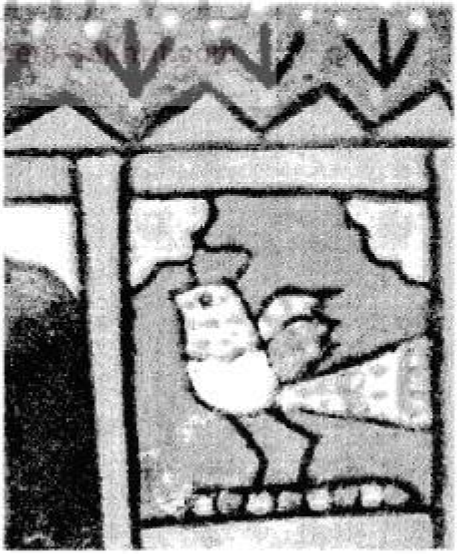
انهم صورة لشريحة اجتماعية استسلمت باختيارها او على رغمها للاحباط العام الذى عانى منه كثيرون من المثقفين بعد كل هزيمة وطنية او اجتماعية .

حادث واحد يقع فى تلك الرواية الفريدة . ويقع خارج جدران العوامة الحالمة حيث تستقل الجماعة سيارة فى منتصف الليل . تدفعها نزوة الخروج من الجدران التى احتوت احباطهم للذهاب الى سقارة .. فيصدمون رجلا صدمة قاتلة ويفرون بالسيارة فزعين .

وفى اليوم التالى لاتوقد الجوزة وانما يتبادلون الراى حول ماحدث وما ينبغى ان يفعلوه .

وعندها يتهجم انيس زكى على رجب القاضى الذى كان يقود السيارة ويهدده بابلاغ الشرطة وهو فى حالة هياج لم يسبق ان عانى مثلها .. ربما من يقظة ضمير عارضة او من غيرته على سمارة بهجت التى يبدو انه احبها ورجب يتقرب منها .. غير ان الثورة هدات ولم يعد للتجمع مذاقة الحلو القديم وتفرقت الجماعة .

قال عم عبده خفير العوامة تعليقا على الشجار : كانت ساحل رباط العوامة لو لم تتوقف الخناقة .



فقال انيس زكى صاحب العوامة : ولكنى كنت ساغرق مع الغارقين لو فعلت !

ولكن رباط العوامة لم يحل .. ولا يزال سقفها العتيد وسحبه الطافية تظل شريحة المثقفين الذين صورهم نجيب محفوظ بمظلة الاحباط والمرارة واللاجدوى ..

فان هذه الشريحة العجيبة التى نراها فى ثرثرة فوق النيل هى ثمرة الأحلام المجنحة فى واقع راسب ، هى مرارة الطموح الذى لايناسب القدرات .

هى مرض شريحة من المثقفين فى العالم الثالث ، وهى حالة عرضت لكل مثقف فى كل انحاء العالم مرة او مرات بعض الوقت او لوقت طويل .

هى مرض العجز عن المطابقة بين الفكر والفعل ، بين القدرة والتحقيق ..

لذلك اقول ان رواية الثرثرة فريدة وستحتمل التاويل والتفسير على وجوه متعددة .. ولكن بطلها الحقيقى وشخصيتها الرئيسية فى نظرى هى العوامة ذاتها ، التى تترنح فى الدخان .

● قراءة نجيب محفوظ

هذه بعض شخصيات روايات الكاتب الكبير .. وفى أدبه الفنى مئات الشخصيات المثيرة .

ويستطيع القارىء أن يستمتع بروايات نجيب محفوظ بمجرد الاخذ بظاهر الوقائع فيها .. فهى مسلية وشيقة وتتميز بالبناء الدرامى الاخاذ .

ويستطيع القارىء ايضا أن يستمتع بما توحى به روايات نجيب محفوظ من أبعاد اجتماعية ودعوة للتطور والتقدم . وتصوير ماسوى لما يعانيه الرجال والنساء البسطاء من الظلم أو التجنى عليهم او من الحرمان او من العجز عن تحقيق الأحلام او ما يحاولون الاجتهاد فيه من البحث عن السعادة والتوازن النفسى والمصالحة مع الآخرين .

والقارىء يستطيع ايضا أن يستمتع بقراءة روايات نجيب محفوظ بالتامل فى الفلسفة الانسانية والاجتماعية التى تمثل النواة الصلبة لفن الرواية عنده ..

ولكن امتع ما فى فن نجيب محفوظ هو براعته فى تصوير الشخصيات المصرية فى مواجهة ظروفها المختلفة ان أدبه متحف كبير يضم تماثيل الشمع الا انها مفعمة بالحياة والحيوية لآلاف المصريين فى مواجهة انفسهم والمجتمع ، طامحون وقانعون ، يحبون ويكرهون ، أشرار وطيبون .. فى حالة تسامى أو فى حالة انحطاط ، فى موقف القوة او فى موقف الضعف .. يبشرون وينذرون ، يفكرون ويشعرون . وهم دائما فى حركة دائبة ، اقدامهم فى طين هذا البلد المبارك وعيونهم مع ذلك فى السماء .. وكلهم شخصيات يحب القارىء لقاءهم ويستعذب حديثهم ويتعلم منهم ، ويمرح معهم وياسى لهم ويعرفهم ويحس بالألفة معهم .. لانهم مواطنون اقرب شبها بمن نعرف من المواطنين .

# نجيب محفوظ في ضميرنا الأدبي

بقلم : د . سيد حامد النساج



منذ زمن بعيد وأنا استشعر في داخلي احساسا بأن جائزة نوبل العالمية لن تخطيء نجيب محفوظ . ربما يعود ذلك الى الأيام الأولى التى كان ينشر فيها ثلاثيته مسلسلة في مجلة "الرسالة الجديدة" اذ بهرني معمارها الفني . واخذتني شخصياتها المتنامية . وتلك المسحة المحلية ذات المذاق الخاص . واخلاصه الشديد لبيئة محددة . قوامها تلك الأحياء الوطنية الشعبية . من القاهرة الفاطمية والإسلامية . ولما أخذت طريقي الى التخصص في فني الرواية والقصة القصيرة .. بدا اعجابي يزداد بالثلاثية . فكنت اتردد عليها بين الحين والحين . بل إني كنت أعود اليها ـ دائما ـ كلما كانت تصدر رواية جديدة لنجيب محفوظ . لأقارن بينهما . ولأحدد خطوات تطوره . ولأقف عند الظواهر الجديدة في فنه .

● وكلما كنت اقرأ عن جائزة نوبل ، وعن انها تختار بين الفنية والفينة كتابا اتسمت كتاباتهم بالمحلية وانطلقت منها الى العالمية . كلما عمق هذا شعورى الداخلي واحساسي الباطني بأن الجائزة لن تخطيء نجيب محفوظ .

ويبدو ان اخلاص نجيب لبيئته ، وصدقه في التعبير عنها ، وحرصه على تصويرها ، هو الذي جعله يدور في فلكها في معظم رواياته منذ "القاهرة الجديدة" و"بداية ونهاية" "وخان الخليلي" و"بين القصرين" و"السكرية" و"قصر الشوق" حتى آخر رواية تنشرها جريدة "الاهرام" (قشتمر) . وعلى الرغم من محدودية البيئة الجغرافية والمساحية التى تحركت فيها معظم روايات نجيب محفوظ ، فإن ذلك زاده احتكاكا بانسانها . بل إنه عانى مشكلاتها ووعى واقعها . وفهم تناقضاتها وتنسم ترابها واختلط بعرق ابنائها . ودرس قضاياها . والتقط احلام فتوائها وفتياتها ، وواكب حركتها ، منذ الثلاثينيات .. لذا فاني سعدت جدا حين عرفت ان نجيب محفوظ قد حصل على جائزة نوبل . فقد صدق حدسي النقدي والانساني ، إذ ان "الثلاثية" كانت في مقدمة تقرير اللجنة تحتل أبرز مكان لأنها لا تقل بحال من الأحوال عن أعمال ديكنز وتولستوي وبلزاك ، كما انها ـ في ظني ـ تفوق أعمالا سبقتها إلى الجائزة في سنوات ماضية . وهكذا جاء تتويج تاريخ طوله نصف قرن من العمل الدءوب في ميدان الرواية . ومن الانتاج القصصي الذى يتسم بالأصالة ، والعمق ، ومواكبة حركة الحياة في المجتمع .

ذلك ان نجيب محفوظ اخلص لفنه وحده دون سواه . إلى جانب إخلاصه لمجتمعه دون غيره . فهو لم يلجأ إلى البروبلجاندا ولا الاعلام الصارخ عن كتاباته . ولا الدعاية الفجة عن آرائه ، ولا اللهاث المحموم وراء من يكتبون عنه وانما حصر همه في الكتابة وحدها . ومع ذلك كله ، فقد كان أكثر



# نجيب محفوظ
## فى ضميرنا الأدبى

الكتاب المعاصرين مجالا للدرس والبحث والنقد . بل إن الجامعات العربية تنبهت لدوره الخطير بالنسبة لحركة الرواية العربية ، فوجهت طلابها نحو دراسته فى مناهجها العادية ، كما هيأت لطلاب الدراسات العليا سبيل التخصص فيه .

ومن ثم لم يترك الباحثون جانبا من جوانب فنه إلا درسوه ، ولا رواية من رواياته إلا فحصوها ، ولا شخصية من شخصياته الفنية إلا وقفوا عندها ، ولا فترة إلا حللوها . ولم يكتف النقاد بذلك ، بل إنهم شغلوا الصحافة اليومية والأسبوعية والمجلات الشهرية المتخصصة وغير المتخصصة ، بمقالات ضافية حول نجيب محفوظ .

نذكر من المؤلفات التى كان موضوعها نجيب محفوظ ، كتاب الدكتور / عبدالمحسن طه بدر (نجيب محفوظ الرؤية والاداة) . وكتاب الدكتور محمود الربيعى (قراءة الرواية . نماذج من نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور / غالى شكرى (المنتمى دراسة فى ادب نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور/ رجاء عيد (دراسة فى ادب نجيب محفوظ) وكتاب الدكتور نبيل راغب "قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ . وكتاب الدكتور محمد حسن عبد الله (الاسلام والروحية فى ادب نجيب محفوظ) . وكتاب الأستاذ محمود امين العالم (تأملات فى عالم نجيب محفوظ) . وكتاب الأب جاك جومييه (ثلاثية نجيب محفوظ) وكتاب جورج طرابيشى (الله فى رحلة نجيب محفوظ الرمزية) . وكتاب الأستاذ احمد محمد عطية (مع نجيب محفوظ) . وكتاب ابراهيم فتحى (العالم الروائى عند نجيب محفوظ) . وكتاب الدكتور / سليمان الشطى (الرمز والرمزية فى ادب نجيب محفوظ) . وكتاب فاطمة الزهراء محمد سعيد (الرمز والرمزية فى روايات نجيب محفوظ) . وكتاب الدكتورة / سيزا احمد قاسم (بناء الرواية ـ دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) .

بالاضافة الى عدد من الرسائل الجامعية . نذكر منها (نماذج الشخصيات المكررة فى روايات نجيب محفوظ) . عودة الله سالم القيسى و(البطل فى روايات نجيب محفوظ) . محمود خليل عثمان العطشان . و(نجيب ـ محفوظ دراسة فنية) محمد عبدالحكم عبدالباقى ، و(ثلاثية نجيب محفوظ) . جهاد عبد الجبار الكبيسى . الى غير ذلك من البحوث والدراسات التى تناولت فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ . مما يكشف عن ان النقاد والباحثين قد تنبهوا منذ زمان الى قيمة

هذا الكاتب الكبير ، فراحوا يتتبعون خطواته منذ بداية عهده بالكتابة .

## ● التزام بالتاريخ

ذلك انه بدأ يسهم بجهوده الروائية بعد تجارب جيل الرواد بروايات تاريخية : (عبث الأقدار) ١٩٣٩ ، (رادوبيس) ١٩٤٣ ، (كفاح طيبة) ١٩٤٤ . وفيها كان مشبعا بالدعوة الى الفرعونية واحياء امجاد مصر القديمة . متأثرا باستاذه سلامة موسى فى ذلك الوقت . وهى روايات تاريخية نعتبرها القمة التى وصلت عندها الرواية التاريخية عندئذ . وكان قد استفاد من كتاب (تاريخ مصر القديمة) فى روايته (عبث الأقدار) . كما استعان بقصة سيدنا موسى . وفى روايته الثانية (رادوبيس) صور الصراع بين الملك والكهنة ، والاحتفال بعيد النيل . وفى (كفاح طيبة) احتلت المعارك الحربية والرحلات ، الجزء الأكبر منها . والتزم فيها بالتاريخ التزاما قويا وان كان قد حملها جميعا رموزا تشير الى الواقع الاجتماعى أثناء حكم أسرة محمد على . فالأولى تدين سياسة القوة والاستبداد . والثانية تنتقد الفساد الملكى . ورواياته التاريخية عموما أكثر تماسكا من غيرها من الروايات التى عاصرتها . ويتحول نجيب محفوظ منذ روايته (القاهرة الجديدة) الى اتجاه جديد . حيث يلتقى مع الواقع الحى التقاء مباشرا . وقد تخير من قطاعات هذا الواقع شريحة البورجوازية الصغيرة فى مختلف مراحل تطورها . واستقطب الجانب الماساوى فى حياة المجتمع بعامة ، وفى التكوين الداخلى لهذه الطبقة بخاصة . ذلك أنه ابن البورجوازية المصرية الصغيرة ، المستوطنة فى مدينة القاهرة . وكانت القضية الاجتماعية هى الشغل الشاغل لنجيب محفوظ . ومشكلة الفقر بالذات هى مشكلته المفضلة . بكل ما يحيط به من أبعاد أخلاقى وسياسى واجتماعى .

## ● عناصر أساسية فى البناء

وتستمر "القاهرة الجديدة" فى "خان الخليلى" ثم تنتقل عدسته الى "زقاق المدق" داخل هذه الحارة الضيقة المحدودة . لتصور لنا أهل الزقاق . وقصة كل منهم . وحياته واخلاقه . ومزاجه . ومواطن الخير والشر فيه . ثم تأتى روايته "بداية ونهاية" فى نهاية هذه المرحلة . لتضرب على نفس الوتر الحساس الذى





بدأ به نجيب محفوظ رواياته الاجتماعية . وهكذا التقينا فى هذه الروايات الأربع بمجموعة من الشخصيات لم يلتفت إليها احد من الروائيين من قبل نجيب محفوظ . ولم يرسمها بدقة : عضويا ونفسيا واجتماعيا . كما وجدنا الأحداث والشخوص تتحرك فى إطار بيئة مكانية ، وحيز زمنى ، وظروف اقتصادية واجتماعية محلية ودولية . لا ينحيها الكاتب جانبا . لأنها تفعل فعلها الحقيقى . ومن ثم فانه يجعلها عنصرا رئيسيا من عناصر بناء رواياته بناء فنيا . إنه يصور البيئة تصويرا دقيقا ، ويلتقط ادق جزئياتها ، ويرتب هذه الجزئيات ترتيبا عضويا لتصبح شخصية حية فى الرواية . إذ يعتقد ان رد الفعل الذى تحدثه البيئة فى الشخصيات قوية للغاية . وهى فى (زقاق المدق) من اهم عناصر الرواية . وفى "خان الخليلى" يوفى البيئة المكانية حقها من الضبط والتحديد والتفصيل .

ونجيب محفوظ إبان الثورة استطاع ان يجرب ، وان ينقد ، وان يكتب فى الصحف السيارة ، وان يكون له جمهوره الكبير الذى ينتظر حلقة جديدة من "اللص والكلاب" او "السمان والخريف" او "الطريق" او "الشحاذ" او "ثرثرة فوق النيل" او "ميرامار" التى صدرت ١٩٦٧ .

والواقع ان العالم الجديد الذى حاول نجيب محفوظ صياغته بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، جاء فى شكل القصة القصيرة وليس الرواية إذ إنه كتب مجموعات قصصية كثيرة فيما بين ١٩٦٧ - ١٩٧٢ . منها "تحت المظلة" و"خمارة القط الأسود" و"حكاية بلا بداية ولا نهاية" و"شهر العسل" فقد كتب قصصا قصيرة بعد النكسة ، كانت لها سمات مميزة واضحة ، اثرت - فنيا - فى الجيل الشاب الذى كان يكتب حينذاك . او ذلك الجيل الذى اخذ طريقه نحو الكتابة بعد ١٩٦٧ :

واذا كانت الثلاثية قد حددت معالم فارس فى الميدان الروائى فإنه بعدها اخذ يضرب فى اكثر من اتجاه فنى . وقد اثبت فى الحقيقة قدرته كفنان ، لا يفصل رؤيته عن الواقع من حوله ، ولا ينعزل عن التيارات الفنية العالمية ، فيقدم روايات فنية ، لا ينفصل فيها الرمز عن الواقع . وإنما يزيده تكثيفا وتركيزا . حيث لا يكمن الرمز فى جزئيات صغيرة تعادل جزئيات مشابهة لها فى الواقع الموضوعى الخارجى .. وانما يكمن فى البناء التعبيرى ككل خلال معادلة لواقع موضوعى شامل .

وهذا هو ما نلاحظه فى "اولاد حارتنا" و"اللص والكلاب" و"السمان

والخريف" و"الطريق" و"الشحاذ" وفيها جميعا اضافات فنية ، شغلت النقاد .

فهو لا يبتعد عن الواقع ، ولا يدور حول فكرة مجردة فلسفية أو اخلاقية ، وانما هو يستمد فكرته من الواقع القائم الذى يعيشه الناس جميعا ، ثم يسعى الى التعبير عن هذه الفكرة مستخدما الادوات والوسائل الفنية التى تتواءم مع موضوعه . ولعل هذا سر اقبال الجمهور على مثل هذه الروايات . فقد وجدوا فيها شيئا غير غريب ولا شاذ ، وانما وجدوا واقعهم مصاغا بشكل فنى جيد ومشوق .

والتزم نجيب محفوظ الواقعية النقدية فى روايته "ثرثرة فوق النيل" و"ميرامار" . وهما الروايتان اللتان اثبتتا انه قادر على اتخاذ موقف مما يجرى حوله . وأن له دورا يفهمه . فتناول كل التناقضات القائمة فى مجتمعه . وهو ما حظى باقبال شديد من الجمهور لأنه وجد فيه ضميره الحى ، وقلبه النابض ، وعقله النافذ ، ورؤيته الصائبة .

واذا كنا قد لاحظنا أن عددا كبيرا من الدراسات والمؤلفات قد تناول نجيب محفوظ فإننى أزعم أن جوانب كثيرة تحتاج الى دراسات ودراسات . ذلك أن "لغة" القصة والرواية عند نجيب محفوظ وتطورها ، تحتاج الى مزيد من البحوث . بدءا من أعماله الأولى . فأن لغته فى "بداية ونهاية" غير لغته فى "الطريق" ولغته فى "ميرامار" تختلف عن لغته فى "اللص والكلاب" . وعلى هذا النحو "الحرافيش" و"الشحاذ" وغير ذلك . كما أن جانبا هاما جدا لم يلتفت اليه حتى الآن . ذلك هو اختيار نجيب محفوظ لأسماء شخصياته : كيف ؟ ولماذا ؟ وما دلالات الأسماء عنده ؟!

وعلى الرغم أيضا من وجود دراسة تناولت المرأة فى الرواية فانى اظن أن شخصية المرأة فى أعمال نجيب محفوظ ينبغى أن تدرس دراسة فنية ، سيكلوجية اجتماعية . والمرأة عنده تحتل مكانا ملحوظا فى رواياته بل إنى أضيف الى ذلك قصصه القصار . وهى التى لم تدرس بعد دراسة مستوعبة ودقيقة كما أن تجاربه فى الكتابة المسرحية اغفلها نقاد الدراما . يضاف الى هذا أنه أخذ فى السنوات الأخيرة يكتب وجهة نظره فى أمور سياسية واجتماعية ونفسية وفنية فى صحيفة "الاهرام" وهذه قد تلقى أضواء على فنه وفكره وأدبه .

لو أننا فعلنا ذلك لبقى طويلا طويلا فى ضميرنا الادبى .

وأخيرا . هنيئا لنجيب محفوظ رائد الرواية العربية بالجائزة . هنيئا للرواية بنجيب محفوظ . وهنيئا لمصر بالرائد وبالجائزة معا !!



# مـع نجيب محفوظ

بقلم : محمد دروميش

... لا اذكر تحديدا متى قرأت نجيب محفوظ لأول مرة . لعل ذلك في اواخر الاربعينيات ، اثناء مرحلة الدراسة الثانوية ، وقد كنت متتبعا لكل ما كان يكتبه العقاد ، ولعله في تلك الفترة البعيدة ، قد وقعت على الكتاب الوحيد الذى ترجمه نجيب محفوظ ، اذ لم يعد الى تجربة الترجمة بعد ذلك ، وبلغته هو ، كان قد عرف طريقه الى فن الرواية ..

والكتاب الذى ترجمه نجيب محفوظ ، وهو ذو دلالة على اتجاهاته الفكرية الاولى ، والتي استمرت بعد ذلك ، هو كتاب « مصر القديمة » تأليف جيمس بيكى ، نشر مجلة « المجلة الجديدة » التي كان يصدرها ، في الثلاثينيات ، استاذنا سلامة موسى ، وهو الاستاذ الذى وضع في فكر نجيب محفوظ ، قيمة العلم ، كما سبق أن اقر هو ، مثلما اقر - ايضا - ان العقاد ، هو الذى وضع في فكره ، قيمة « الحرية » وهما قيمتان محوريتان في انتاج نجيب محفوظ وان كان نجيب محفوظ ، في لحظة فوزه ، تذكر اساتذته الكبار ، العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ، فقد سها عن ذكر سلامة موسى ، صاحب الاثر البالغ في فكر نجيب محفوظ ، فالعلم ، فوق انه منهج في التفكير ، يسم حياة صاحبه ، وكل ما تتبدى فيه صور الفكر وجزئياته ، لايغض من هذا الاثر أن نجيب محفوظ ، خريج فلسفة .





فكم خرج هذا القسم دراويش ومعادين للقيم العلمية ، وقد تجسدت هذه القيمة ، أعنى قيمة العلم ، فى شخصية « عرفة » فى رواية « اولاد حارتنا » وقد رأى فيه نجيب محفوظ آخر الانبياء ، ورأى في عرفة ، واسمه كما هو واضح من المعرفة اى العلم ، مستقبل البشرية . وإن أخذنا نجيب محفوظ ، على سهو فى تذكر استاذه سلامه موسى ، الا اننا نفهم اعترافه بفضل العقاد ، فالعقاد هو صاحب المقولة المشهورة ، حين حصل الروائى الامريكى جون شتاينبك على جائزة نوبل ، ان نجيب محفوظ يضارع شتاينبك وقد يفوقه فى تصوير شخصياته الادبية* ، قال العقاد هذا ، قبل أن يبدع نجيب محفوظ العديد من اعماله الروائية ومن اهمها « الحرافيش » [ العقاد مات فى مارس ١٩٦٤ ] .

ولعل ماينسب نجيب محفوظ الى العقاد ، ان كليهما وفدى قديم ، وان كان العقاد قد ترك « الوفد » مضطرا فى سنة ١٩٣٥ ، فقد بقى نجيب محفوظ على تشيعه للوفد ، وثورة ١٩١٩ ، والزعيم سعد زغلول ، الذى لايرى زعيما غيره ، وعلى الجانب الفكرى ، بفكرة الحرية السياسية اعنى الديمقراطية الغربية ، التى آمن بها العقاد ، ايمانا شديدا ، قبل ان ينتقل الى احزاب الاقلية . وقد اثرت هذه القيمة « الحرية الديموقراطية » على مجمل موقف نجيب محفوظ من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، اذ افتقد فيها ، كمتشيع للوفد ، جانب « الحرية السياسية » ، ولم يستسغ ما كانت تعلنه ثورة يوليو من ديموقراطية اجتماعية ، رغم ما يقرره ، نجيب محفوظ ، من أن العدالة الاجتماعية واحدة من ركائزه الفكرية .

وفى جانب الابداع الادبى الخالص ، فبعد « مصر القديمة » وفى اوائل الخمسينيات ، كنت قد اهتديت الى اعمال نجيب محفوظ الابداعية : « خان الخليلى » ، « بداية ونهاية » ، « زقاق المدق » ، « القاهرة الجديدة » ، وقد أسرنى البناء المعمارى ، المحتمى ، والذى يبدو ، وكأنه بناء قدرى ، فى هذه الاعمال ، كما أسرتنى كثافة الاسلوب ، وآمنت اننى بإزاء روائى موهوب ومتفرد ، بل إن هذه الكتابات ، مع غيرها من كتابات أخرى متعددة ، بنت داخلى حاسة التعرف على الكتابة الفنية عن غيرها من الكتابات التى تلتبس بها ، ومازالت هذه الحاسة تعمل وتشكل ملمحا ثابتا من ذوقى الفنى والأدبى ، اتعرف بها على الكتابة التى أعدها من جسد الادب عن تلك التى لا تعدو ان تكون شيئا كتب فى غفلة من صاحبه .

وفى هذه الفترة ظهر كتاب « فى الثقافة المصرية » للاستاذين محمود العالم وعبدالعظيم انيس ، وقد تضمن الكتاب تقييما لكتابات نجيب محفوظ ، باعتباره

كاتب الطبقة المتوسطة . الا انى مع تعاطفى الشديد مع هذا الكتاب ، فقد ظل بالنسبة لكتابات نجيب محفوظ ، مجرد معرفة خارجية ، وبقى احساسى الخاص ، وتأثرى الخاص ، بكتابات نجيب محفوظ ، بعيدا عن هذه المعرفة ، ومع ذلك حين كتبت القصة القصيرة ، كان هذا الكتاب ، مع غيره من الابداعات ذات الاتجاه الواقعى الاجتماعى ذا اثر حاسم فى مضمون ما اكتب ، وفى الموقف الاجتماعى الذى اتخذته داخل هذه القصص .

وقد تابع نجيب محفوظ تطوره الفنى مستخدما أساليب اخرى ، غير الاتجاه الواقعى ، فكتب الروايات والقصص القصيرة ذات الاتجاه الفكرى ، مثل « الطريق » ، « السمان والخريف » ، « وتحت المظلة » ، و « خمارة القط الاسود » إلا انى بقيت مشدودا إلى انتاجه الواقعى ، بداية ونهاية ، خان الخليلى ، زقاق المدق واضفت اليها الثلاثية والحرافيش .

مؤدى ما سبق ان تأثرى بكتابات نجيب محفوظ انصب على الشكل وعلى الاسلوب ، الا ان « الموقف » فيما كتبته ، كانت له مصادره الاخرى .

ولم يكن « الموقف » وحده هو ما اختلفت فيه مع نجيب محفوظ ، اللغة كذلك ، فنجيب محفوظ ، لم يستغل اللغة ، كسمة من سمات شخصياته ، فالسرد وحوار الشخصيات فى لغة عربية فصيحة ، وارى ان اللغة لايجب أن تستخدم بشكل املس ، بل بمستويات متعددة ، تنبىء عن سمات الشخصية .

وعلى مستوى التواصل مع الاجيال اللاحقة ، فلم يعرف عن نجيب محفوظ ، اتساع اهتمامه بالتواصل مع الاجيال التى اتت بعده .

ألا أن هذا الموقف الذى يبدو انه موقف عام ، لايحول دون ان نتابع ابداعات نجيب محفوظ فى مراحلها المختلفة ، متذوقين ، ومستمتعين متعة فنية راقية ، عارفين اننا إزاء عبقرية روائية عظيمة ، جادة تماما ، صادقة مع نفسها ومخلصة فى كل ابداعاتها الفنية . بل ان المقالات القصيرة المباشرة والتى لا تخلو ـ وبا للغرابة ـ من سذاجة ، وموقفه الذى يبدو لى غير مفهوم من اسرائيل ، لم يحولا دون أن نعرف بيقين اننا بإزاء عبقرية روائية فذة ، بنت مع غيرها من المواهب العديدة أدبا مصريا عربيا انسانيا باقيا .

ويقينى ان جائزة نوبل لا تضيف جديدا الى ادب نجيب محفوظ ، وانه ـ بدون الجائزة ـ قد استوى روائيا شامخا ، وما أجدره ان يردد مع الكاتب الايرلندى جورج برناردشو ، وقد قدموا له جائزة نوبل ، أن هذه الجائزة ، كطوق النجاة ، ألقى الى الغريق ، بعد وصوله الى الشاطىء .

على ان نجيب محفوظ كان دائما على الشاطىء .



# بين البداية وتحقيق الحلم

بقلم: عـاطف مصطفى

فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس الماضى ٢ ربيع اول ١٤٠٩هـ الموافق ١٣ اكتوبر ١٩٨٨، حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للاكاديمية الملكية السويدية، كان قرار اللجنة، الذى اعلنه الناقد فنتور اللبين امام حشد هائل من الصحفيين والمراسلين من كل بلاد الدنيا.

اعلن فوز الأديب العربى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ اديبا وكاتبا عالميا كانوا مرشحين لجائزة نوبل ...



# بين البداية وتحقيق الحلم

فاز نجيب محفوظ ... وكان نصرا عالميا لكل أديب عربي ، وبعد أن حجبت هذه الجائزة عن أدباء وعلماء العربية منذ إنشائها حتى الآن ، ولكن لماذا فاز نجيب محفوظ ؟ ... ويجيء الرد من خلال حيثيات الأكاديمية السويدية .. لأن إنتاجه الأدبي يتميز بالثراء والتنوع الواسع في الألوان ، وبالواقعية ذات الرؤية المباشرة الصافية ، والغموض المثير بدلالاته النافذة ، فضلا عن أن أعمال نجيب محفوظ تشكل فنا عربيا في القصص والرواية ، يخاطب البشرية كلها ، وأن هذه الأعمال استهدفت إعطاء دفعة كبيرة للرواية كجنس أدبي في الآداب العربية كما أن إنتاج نجيب محفوظ الأدبي أدى إلى تطوير اللغة الأدبية في الدوائر الثقافية الناطقة باللغة العربية ، كما يخاطب أدب نجيب الإنسانية كلها من خلال أعماله ، خاصة الثلاثية ، بين القصرين - قصر الشوق - السكرية ، وغيرها من الأعمال الهامة التي ركزت على المجتمع المصري خاصة المناطق الشعبية في القاهرة ..

هذا النبأ الذي تناقلته وكالات الأنباء العالمية كان فرحة لكل عربي بل إنه أهم حدث عربي ثقافي في السنوات الأخيرة ، لأنه تكريم لأدبنا العربي .

جاءت الفرحة لتعم كل الأوساط الثقافية في القاهرة ، والتي كانت ومازالت ، تعيش فرحة أهم حدث ثقافي ، وهو افتتاح الأوبرا الجديدة التي حضر افتتاحها العديد من كبار الشخصيات العالمية والعربية ، وقلنا إن هذا أهم حدث ثقافي ، ويجيء فوز نجيب محفوظ بالجائزة تتويجا للأدب العربي ، ولدوره الرائد في الثقافة العالمية ، وما يؤديه هذا الأدب في المجال الانساني ، وفي عالمية الرواية العربية ، وما قدمته من فن متقدم ..

ونحن لا يعنينا هنا قيمة الجائزة المالية التي وصلت إلى ٣٩٣ الف دولار ولكنها تتويج لرحلة هذا الكاتب العملاق ، الذي ظل يعمل في صمت لمايزيد على نصف قرن من الزمان ، لاتزعزعه عواصف الأيام ، ولايحيد عن مبادئه قيد أنملة ، شامخ كأهرام مصر ، لا تلين قناته ، ولايخضع لحاكم ، ولا يمالىء حزبا من الأحزاب ، قوى العزيمة عالى الصوت ، شجاعا ، يقول رأيه ، لم يتوقف عن العطاء أبدا .. ونجيب محفوظ هو الأب الشرعي للرواية العربية ، والتي بدأ يمارس كتابتها وعمره يقترب من السابعة عشرة ، حيث كان من أعز أمنياته أن يصبح أديبا .

يحدثني عن بداياته كقاص من خلال

حوار أجريته معه فى عام ١٩٧٦ ...
« جاءت هذه البداية بطريقة تلقائية .. فمن قراءة الروايات تولدت رغبة قوية عندى فى كتابة مثل ما أقرأ من غير هدف بعيد أن يصبح الانسان قصاصا . ومع مرور الأيام أصبحت رغبة ثابتة ، ظلت تقوى بتقدم العمر ، وبالتقدم فى الثقافة بجميع فروعها الأدبية والفنية والعلمية .

وفى فترة التجارب كتبت الكثير مما لم يطلع عليه أحد ، وهذه التجارب السلاجة بدأت سنة ١٩٢٦ . ومنذ التحاقى بالجامعة وبعد تخرجي بدأت أؤلف القصة حتى تجمع عندى ثلاث روايات لا أمل فى نشرها بعد أن طفت بها على جميع الناشرين . وفى سنة ١٩٣٩ نشر لى سلامه موسى أول رواية وهى « عبث الأقدار » وفى سنة ١٩٤٣ نشر لى عبدالحميد جوده السحار الرواية الثانية « رادوبيس » وأثناء هذه السنوات كنت قد ألفت روايتين أخريين هما « كفاح طيبة » و « القاهرة الجديدة » ..

ولقد ظللت حوالى عشر سنوات فى محاولات جادة ليخرج أول عمل لى الى النور ..

## ● معاناة فى بداية الطريق

... وكان مشوار نجيب محفوظ محفوفا بالأشواك ، ولم يكن سهلا ، فقد حفر طريقه وشقه بأظافره ، هو بطبيعته ومنذ صغره كان شامخا فليس بالذى يطلب أو يرجو ، أو يتشفع له أحد

ويحدثنى نجيب محفوظ قائلا : لم يكن النشر ميسرا ، رفضنا عشرات المرات قبل أن ينشر لنا شيء فى مجلة ، أما الكتاب فبدا أن النشر فيه مستحيل للغاية حتى نشأت لجنة النشر الجامعية عام ١٩٤٣ . وكل الروايات التى رفضت « رادوبيس » « كفاح طيبة » « خان الخليلى » احترت بها على نور النشر ، ولم توافق على نشرها حتى نشرت عن طريق لجنة النشر الجامعية بعد ذلك .

.. كنت أحس بالحزن ، ومع هذا كنت أستمر فى الكتابة بلا أمل فى النشر على الاطلاق ، بعد سنة ١٩٣٩ أغلقت مجلة « الرواية » وكنت أنشر فيها معظم أقاصيصى ، وحددت أزمة الورق عدد صفحات الصحف والمجلات فلم تعد تهتم كثيرا بنشر الأقاصيص . فانصرفت بكل جهودى إلى الرواية ...

بعد أزمة النشر جاءت أزمة الاهمال ، ورغم ما كان ينشر لى فى « المجلة الجديدة » و « الرواية » و « الرسالة » و « الثقافة » بعد عذاب شديد فإن الحياة ابتسمت ، وتجددت الآمال والهمة وأحسست بالطمأنينة .



# بين البداية وتحقيق الحلم

بدأ الاستمرار في الكتابة والتأليف بهمة متجددة ومضاعفة .. ولكن اتعلم ما الذي جعلني استمر ولا اياس ؟

لقد اعتبرت الفن حياة لامهنة ، فحينما تعتبره مهنة لا تستطيع إلا أن تشغل بالك بانتظار الثمرة ، أما أنا فقد حصرت اهتمامي بالانتاج نفسه وليس بما وراء الانتاج .. وكنت اكتب واكتب على أمل أن ألفت النظر إلى كتاباتي ذات يوم ... بل كنت اكتب وانا معتقد أني ساظل على هذا الحال دائما ...

وحينما نشرت « رادوبيس » كانت فرصتها لا تقل عن الأولى ، لأن هذه الرواية كانت الحقيقية ، والفرحة الاساسية في حياتي ، ووقتها أعلن عنها في « الأهرام » .. وكل هذا كان جديدا بالنسبة لي .

● أمل النهوض بالرواية العربية

ونجيب محفوظ عملاق الرواية العربية كان دائما في مواجهة الحقيقة ، خلال رحلة صعبة وشاقة ويحدثنا عن الصعوبة التي واجهت جيله من الروائيين بقوله : كان دور جيلنا من الروائيين ومازال تاسيس الفن الروائي وتاصيله في البنية العربية ، وقد سرنا في طريق مليء بالعثرات لاننا لم نجد تراثا روائيا نعتمد عليه ، سبقنا جيل من الرواد ، وقدم كل رائد عملا أو عملين ، درسناها بفطرة لاتستند الى علم ، ودون أن نعرف مواقعها من التراث الروائي الضخم الذي كان مجهولا لنا ، وقمنا برحلة طويلة وارتطمنا باخطاء بدائية ، وتخبطنا كمن يسير معصوب العينين ، وكان علينا ان نغوص في واقعنا ، وان ندرس فن الرواية ، وان نؤلف في وقت واحد ، وتبين لنا اننا مسبوقون باجيال واجيال وان تجاربنا تقتضي التعبير باشكال اعتبرت في مواطنها بالية ، وان الأشكال الحديثة تمثل رؤى لاتبصرها اعيننا ، ولكننا قمنا بواجبنا على قدر ما نستطيع ، ويتلخص هذا الواجب في تطويع لغتنا للفن الجديد ، وتمثيل اشكاله المناسبة والتعبير عن الشخصية المصرية ولكنني ساظل اقول ماحييت إن الأمل معقود على الشباب في النهوض بالرواية العربية الى اعلى مستوى ، وصولا إلى المستوى العالمي فالكتاب يسيرون في كل اتجاه ، ويستفيدون من كل تجربة ، إنما الكلمة لمجهودهم تتحدد بالاصالة النابعة من اجتهاداتهم ، ومن حذرهم من الوقوع في التقليد وبيع الروح للغير .

إننا نريد الأصالة الفنية الحقيقية ، وهذا المطلوب هو هدف الأدب العربي في هذه اللحظة من حياته .

# نجيب محفوظ
# والفكر الإنسانى
## فى القرن العشرين

محمود قاسم

« لم اكن اعلم اننى مرشح للجائزة .. من الذى رشحنى »

عبارة رددها الكاتب الكبير نجيب محفوظ مرات عديدة لوسائل الاعلام عقب اعلامه بنبأ فوزه بجائزة نوبل فى الادب لعام ١٩٨٨ . قالها الكاتب وقد امتزجت دهشته بسعادة وتواضع وتلقائية وبساطة .

وفى نفس التصريحات ردد الكاتب الكبير : « ... اتذكر فى هذه اللحظة اساتذتى من كبار الأدباء المصريين الذين كانوا يستحقون نيل هذه الجائزة من قبل مثل طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم »

إذا كان ادب نجيب محفوظ قد استطاع ان يضع اسم صاحبه فى قائمة الفائزين بجائزة نوبل فانه بذلك قد استطاع ان يطال تلك القائمة الشامخة التى ضمت خمسة وثمانين من شوامخ رجال الفكر والادب فى القرن العشرين وعلى راسهم : برناردشو وتوماس من ، ويوجين اونيل وهيرمان هليسه و ت . س اليوت ، وبرتراندراسل وويليام فوكنر ، وونستون تشرشل وارنست هيمنجواى . والبيركامى وبوريس باسترناك ، وايفو اندريتش وجون شتاينبك وجان بول سارتر وشولوخوف وصموئيل بيكيت وبابلو نيرودا وجابر ييل ماركيث و ...



بريشة : ايهاب





هذه الأسماء ، وغيرها ، التى فازت بالجائزة عبر نيف وثمانين عاما بدأت مع مطلع القرن العشرين ، قد استطاعت ان تشكل الوجدان البشرى من مشرق الارض الى مغربها . وان تحرك مشاعره وتوقد منها مشاعل للتفكير واثراء الروح والعقل من خلال عطاء متدفق يحمل لواءه كل كاتب موهوب اثر ان يعطى لوطنه وللعالم من ذاته مايثرى ذوات الآخر.... وهذه الاسماء بمثابة رموز لعطاء بلادها وعصرها . ونبض لهذا التوقد الابداعى بصفة خاصة فى كل من الرواية والشعر والمسرح . واحيانا قليلة فى التنظير الانسانى .. وهذه الحالات لم تتعد كلا من الفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون والبريطانى برتراندراسل .

فالابداع الادبى هو المنوط فى المقام الاول من قبل اكاديمية ستوكهولم ، وكل اكاديميات الدنيا التى تمنح جوائز ادبية ، الى الذين يفوزون بالجائزة . او الاسماء التى يمكن ان يتم الاقتراع على فوزها ..

اذن ، فأول ما يمكن التعليق به حول جائزة نوبل انها لم يكن يمكن ان تمنح لطه حسين أو العقاد . فرغم عطائهما الفكرى العميق فى البحث والدراسة . الا ان إبداعاتهما فى الرواية والشعر لايمكن ان تجعلهما مدرجين فى قوائم النوبليين . حتى لو تردد يوما ان طه حسين قد جاء ترتيبه الستين فى احدى هذه القوائم . اما توفيق الحكيم فلعله كان يستحق الجائزة عن مسرحه . ولكن الجائزة تاخرت فى الوصول اليه مثلما تاخرت سنوات فى الوصول الى نجيب محفوظ .

### ● الخروج عن الوصية

من المعروف ان الفريد نوبل قد ذكر فى وصيته التى تركها قبل وفاته انه يجب ان تمنح الجائزة لافضل عمل ادبى ظهر فى العام السابق للحصول على الجائزة . الا ان القائمين على امور الجائزة فى اكاديمية ستوكهولم يقدمونها لكاتب له تاريخه الادبى مع التركيز على كتاب بعينه .. وهذا التجاوز فى اللائحة لم يحدث اى مشاكل خاصة بهؤلاء الذين نالوا الجائزة .

ومن المهم ان نشير ان الجائزة التى منحت فى بعض الاحيان لكتاب انصاف موهوبين ، خاصة فى اوروبا ، الا انها اهملت اسماء هامة لا جدال حول شموخها مثل تولستوى وهنريك ابسن ، وتوماس هاردى ، ود . هـ . لورانس

ومارسيل بروست وجيمس جويس وآخرين .. مما أثار حولها جدلا وريبة استطاعت في بعض الاحيان أن تحد من اوارهما بأن قدمت لأسماء لا تقل أهمية عن الاسماء التي تجاوزتها .

● الناموس الغامض

فلاكاديمية ستوكهولم نظام غريب ومعقد في حيثيات منح الجائزة او عملية الاقتراع التي تتجدد كل عام وتتغير سنويا بشكل جذري . وهو نظام غريب من الصعب فهمه وتفسيره او شرحه لأنه أشبه بطلسم لايبوح باسراره القائمون عليه وكأنهم اقسموا اليمين على عدم الخروج على ناموسه مهما ابتعدوا او اقتربوا من مسئولية العمل فيه .

فهناك لجنة ، في فرع الادب ، تتكون من خمسة أعضاء يتم « تعيينهم » من قبل البرلمان السويدي يضاف اليهم بعض المستشارين في مجالات محددة ويبدأ عمل اللجنة في أول فبراير من كل عام بسرية تامة . وينتهي عملها في اول اكتوبر بتقديم تقارير سرية عن الاقتراعات التي قدمت بالطريق القانوني الى الهيئات التي تمنح الجائزة . وتظل السرية محاطة ـ بكل ما يتعلق باسم الفائز حتى لحظة اعلانه حيث تتم غربلة الاسماء المقترع عليها الى مجموعات أصغر . والى ان يتم الاستقرار على اسماء يتم الاقتراع النهائي عليها . ولرئيس اللجنة صوتان عند حالات تساوى الاصوات . ومن غير المعروف تماما كيف يمكن للاداب المكتوبة بلغات عديدة بعيدة عن التناول ان تصل الى اعضاء اللجان . ومن المرجح ان ذلك يتم من خلال الترجمات التي حدثت لادب الكاتب الى اللغات الاوربية خاصة الانجليزية والفرنسية والالمانية .

فمن نواميس هذه الأكاديمية انه لايجوز لأديب ان يقوم بترشيح نفسه . كما لايجوز لدولته او اى هيئة فيها ان تفعل ذلك . حيث هناك نظام معقد لمتابعة الابداع العالمي خاصة لهؤلاء اقل شهرة خارج بلادهم على ان يكونوا اكثر تأثيرا في مجتمعاتهم . ولايخفى في ذلك الدور السياسي الذي يلعبه الكاتب سواء بالمعارضة او المباركة في هذا المجتمع خلال تاريخه الادبي .

● رواية واحدة .. تكفي

وقد اثار هذا النظام الغريب كل من بحث في خفايا جائزة نوبل خاصة





المتعلقة بالادب . فعندما اعلن ممثل الأكاديمية في العام الماضي الاسماء التي تم الاقتراع النهائي عليها لم يكن من بينها اسم نجيب محفوظ . وبالتالي فمن المتوقع هذا العام ان بعض التعديل قد طرا على النظام . حيث دخلت اسماء جديدة في نظام الاقتراع مع وجود الاسماء التقليدية القديمة وعلى راسها جرهام جرين والبرتو مورافيا ونادين جورديمر التي على اصحابها الانتظار . او الرحيل عن الحياة في هدوء . لان اغلب المنتظرين تجاوزوا الثمانين بسنوات .

كما اثار هذا النظام الغريب روائيا امريكيا هو ارفنج والاس . فسجله في رواية ضخمة الحجم نشرت عام ١٩٦٢ تحت عنوان « الجائزة » ما لبثت السينما ان اختطفتها لتخرجها بعد ذلك بعام واحد للسخرية من كل هذا الغموض والهالة الكثيفة التي استطاعت اكاديمية ستوكهولم ان تمنحها لنفسها رغم انها لم تعد اعلى الجوائز العالمية قيمة مادية .

واذا كانت الجائزة تمنح للكاتب كعمل تقديري على عطائه الابداعي طيلة حياته . فانه في الغالب يتم التركيز على عمل واحد من بين اعماله وذلك من خلال صياغة الديباجة السنوية التي يتلوها ممثل الأكاديمية امام رجال الاعلام . وهي ديباجة متكررة المعاني . تكشف عن مدى الهدف الانساني والاخلاقي الذي تلعبه الأكاديمية باختيارها نوع محدد من الادب . هو في الغالب ذي شكل كلاسيكي قريب الى عامة القراء في وطنه والعالم . ويجب ان يبتعد عن التجريب قدر الامكان وفي حالة اصحاب التجارب الطليعية مثل فوكنر وسيمون وبيكيت كان التاكيد دوما ان هذا الادب يعمل ايضا على رقي المجتمع والانسان .

الا انه عادة ما يتم منح الجائزة للكاتب فيما يتعلق بعمل ابداعي معين مع التركيز على اهمية ما يمثله هذا العمل وسط عطائه الآخر . مثلما فعلت الأكاديمية حين اشارت إلى انْ نجيب محفوظ قد منح الجائزة على روايته « اولاد حارتنا » مع الاشارة الى الثلاثية و « ثرثرة فوق النيل » وهي اعمال نشرت من عشرات السنين . هذه الحالة تكررت كثيرا مع رواية « الهة الذباب » لويليام جولدنج التي لفتت انظار الأكاديمية بعد ظهورها بنيف وثلاثين عاما . كما حدثت مع فوكنر

الذى فاز بالجائزة عام ١٩٤٩ عن روايته « الصخب والعنف » المنشورة قبل ذلك بعشرين عاما .

● لا .. للقصة القصيرة

وهذا الحال لا يسرى دوما . فرواية « العجوز والبحر » قد فازت مع كاتبها ارنست هيمنجواى عقب نشرها باشهر قليلة فى علم ١٩٥٤ . كما حدثت نفس الظاهرة بعد ذلك باربعة اعوام مع الكاتب السوفييتى بوريس باسترناك وروايته « دكتور زيفاجو » رغم ان حيثيات المنح آنذاك اكدت انه فاز بالجائزة كشاعر وليس كروائى . والآن وبعد ثلاثين عاما من الحدث ، فان اشعار باسترناك قد دخلت الاراشيف بينما بقيت روايته . ويكشف هذا عن مدى غرابة وتعقيد حيثيات منح الجائزة او منعها لكاتب أو آخر .

وقد فسر البعض هذا بان الأكاديمية ترى ان لكل كاتب حالات تباين فى ابداعه من مراحل حياته . فالكاتب مخلوق زئبقى فى صعود وهبوط . وان ماضى الكاتب البعيد شيء لايمكن استعادته وانه قد رسخه من خلال ابداعات جديدة . فلايمكن مثلا لكاتب مثل هيمنجواى ان يمنح الجائزة عن اعمال مثل « الموت بعد الظهيرة » و « تملك او لا تملك » . إلا اذا اشارت الاكاديمية انها تخص عملا بذاته عن بقية الاعمال .

ومن اشهر الروايات الاخرى التى فاز اصحابها بالجائزة « الغريب » لالبير كامى ، و « مائة عام من العزلة » لماركيث . و « طريق الفلاندر » لكلود سيمون . وهى تمثل تتويجا لاعمال كتاب جاءت ابداعاتهم الاخرى جيدة . لكنها لم تكن ابدا على نفس المستوى .

واذا كانت الجائزة قد منحت للشعراء والروائيين وكتاب المسرح . فقد تجاهلت تماما كتاب القصة القصيرة . ولم يفز بالجائزة عباقرة الاقصوصة فى القرن العشرين . وعلى رأسهم تشيكوف . حتى ان الكاتب الامريكى اسحاق سنجر ، فاز بها علم ١٩٧٨ ، والمعروف بغزارة ابداعه فى الاقصوصة اثناء الاربعينيات قد فاز بالجائزة عن رواياته التى كتبها فيما بعد .

# فوز نجيب محفوظ يعتبر فوزاً للحضارة العربية

حسن محسب

الحرافيش يحتفلون بنجيب محفوظ عقب نبأ فوزه بجائزة نوبل



**جائزة نوبل لا تضيف جديدا لنجيب محفوظ ولا إلى انسانيته ولا إلى رواياته الشهيرة .. هذه حقيقة يجب أن نتذكرها فى جلجلة الفرح الذى يجتاحنا الآن من المحيط الى الخليج .. فالجائزة لا تصنع كاتبا كما نعرف ومع ذلك يجب أن نعترف أن جائزة نوبل لفتت انظار العالم كله الى الثقافة العربية والابداع العربى المعاصر بعد أن كانت الدنيا لا تعرف عنا غير أننا متحف للآثار الفرعونية والقبطية والاسلامية إلى جانب حواديت الف ليلة وليلة .**

ولعلك تذكر معى عندما زار مصر كتاب عالميون مثل البرتو مورافيا وجان بول سارتر وسألوهما هل تقرآن الادب المصرى والعربى فقالا انهما قرءا الف ليلة وليلة وهذه كانت الحقيقة المرة طوال عهود الاستعمار الماضى وحتى لحظة إعلام نجيب محفوظ بالجائزة .. وهنا اهتزت الدنيا كلها على المفاجأة بالنسبة لهم فى الخارج وهى ان اللغة العربية فيها ابداع ادبى روائى وقصصى يفوق الاعمال المماثلة لها فى اللغات الاجنبية الحية الأخرى .

هذه أحد ابرز مكاسب جائزة نوبل لنجيب محفوظ . الدنيا كلها الآن تريد أن تعرف الحضارة العربية الجديدة والادب العربى والفنون العربية فى عصر نجيب محفوظ وما قبله ومابعده .

إن نجيب محفوظ لم يأت من فراغ كما نعلم جميعا فهو ينتسب الى حضارة كاملة شاملة عظيمة التأثير على حضارات الدنيا قديما وحديثا . فكما تعرفون فهو يتكىء على حضارة مصر القديمة الفرعونية قبل ان تمتزج بالقبطية والاسلامية ثم بعد أن امتزجت بهما لتصنع نسيج شخصيته ومداد قلمه ورؤى افكاره منذ أول رواياته عن مصر القديمة وكفاح طيبة ورادوبيس وعبث الاقدار تلك كانت جذورا فكرية مبكرة فى حياة نجيب محفوظ عندما كان يتبنى موهبته حينذاك المفكر سلامة موسى وينشر له اعماله الاولى .

وقد تركت تلك الفترة آثارا واضحة على شخصية نجيب محفوظ عقلا وابداعا وسلوكا طوال رحلته التالية بعد ذلك وصولا إلى المرحلة الواقعية والاجتماعية ولابداعاته الروائية حيث نجد امتزاج الرموز الحضارية القديمة والحديثة والمعاصرة تمتزج مع نشأته فى حى الحسين والجمالية وباب الشعرية برموزها الدينية والشعبية والوطنية العميقة ثم بزوغ وعيه السياسى المبكر واعجابه بجهاد الأمة المصرية فى كفاحها ضد الاستعمار وضد الظلم الاجتماعى والرغبة والسعى الدءوب نحو التعليم والتعلم عند افراد الطبقات الشعبية .

كل ذلك صنع الخلفية الواقعية لثلاثية بين القصرين وقبلها كانت زقاق المدق وبداية ونهاية ، إعلانا واضحا عن تمصير وتأصيل فن البناء الروائى وجعله عربيا



# فـــوز نجـيـب مـحـفــوظ

صميما متطورا مستفيدا من فن الرواية الأوروبية وبنائها الفنى المتعارف عليه عند ديكنز وديستوفسكى وغيرهما .. وأيضا مستفيدا من فنون الملاحم العربية والمعلقات الشعرية الخالدة وفن القص القرآنى ومحاولات الدكتور هيكل فى رواية زينب وعاشق الروح لتوفيق الحكيم وإبداعات يحيى حقى وطه حسين كل هذا دخل بوتقة نجيب محفوظ الذهبية لتمتزج برؤيته هو الشخصية والفكرية والابداعية وموهبته الآلهية المتفردة ليصنع لنا فى النهاية فن الرواية المصرية والقصة المصرية فمهما اختلف بعضنا مع نجيب محفوظ فى بعض رؤياه الفكرية او بعض ابداعاته الروائية لكننا جميعا نتفق أن نجيب محفوظ هو الذى أسس فن الرواية فى الادب العربى تعلم كل ادباء العالم العربى وكل الاجيال فى مصر ذلك بدون اى تعصب او نظرة استعلاء على الآخرين فإن شهرة الطيب صالح وابداعه تفرحنا نحن فى مصر ونفرح لادباء الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وسوريا ولبنان والعراق وبلاد الخليج واى انجاز أدبى لأى اديب عربى هو شرف نباهى به جميعا الدنيا كلها .

وأخيرا : يبقى أن تكرر مرة أخرى بعد اذنكم : أن نجيب محفوظ ومؤلفاته اكبر من كل جوائز الدنيا وان نجيب محفوظ أعاد الكبرياء للثقافة العربية وأن نجيب محفوظ وأعماله فتحت الطريق امام جميع الادباء العرب إلى الذيوع والانتشار عالميا وأخيرا كانت جائزة نوبل اعلانا دوليا وعالميا صريحا جدا ...

إن النهضة الجديدة فى حضارة الأمة العربية قد جاءت أخيرا لتضىء حياة البشرية جمعاء بفكر عربى لأدب عربى وبفنون عربية جديدة وإننى بذلك اعتبر الجائزة ليست لنجيب محفوظ وحده وإنما جائزة لتكريم حضارة الأمة العربية الجديدة والقديمة معا .

يبقى أن يواصل ادباء الأمة العربية الطريق بنفس الاتقان والابداع الذى فعله نجيب محفوظ بل علينا جميعا أن نحاول ليس الوصول فقط إلى مستوى قمة نجيب محفوظ بل علينا أن نحاول دائما صنع قمم اخرى كثيرة فالمواهب الادبية فى مصر والوطن العربى كثيرة وعظيمة المستوى ، وقد آن للدنيا أن تقرأ الادب العربى الجديد وهذا يحتاج من الدولة والحكومة فى مصر والوطن العربى دعم وتدعيم نشر الكتب والروايات وحل مشاكل الأحبار والورق والاستيراد والتصدير بالنسبة للكتب وايضا لابد من تنشيط وتدعيم حركة ترجمة الادب العربى إلى اللغات الاجنبية فالدنيا تنتظر لتقرأ وتعرف كل شىء عن الثقافة التى جاء منها نجيب محفوظ .

## ش شهريات

## رأى فى الثقافة

### نجيب محفوظ
### قضية الترجمات المدشوتة

هنا وعلى صفحات شهريات الهلال صرخنا قبل حدوث المأساة بوقت كاف نطالب النائمين في العسل ان يستيقظوا قبل ان تقع ، لكنهم ظلوا نياما حتى هذه اللحظة ، ووقعت المأساة وهم نيام ، واعتقد انهم سيظلون نياما إلى آخر مدى ..

هذه المأساة التى طالبنا بتفاديها قبل ان تقع فى عدد الهلال فبراير ١٩٨٨ تسبب وقوعها الآن فى ان نسخة واحدة من كتب نجيب محفوظ المترجمة إلى اللغة الانجليزية غير متوافرة الآن فى مكتبات البلدان القارئة بالانجليزية ومئات الألوف من الأشخاص يتجولون فى شوارع لندن ونيويورك وواشنطن وتورنتو وسيدنى وغيرها من البلدان المتكلمة بالانجليزية بحثا عن كتاب لهذا الأديب العربى الفائز بجائزة نوبل ، لكن الخيبة تردهم على اعقابهم خاسرين ..

ذلك لأن دار النشر ( هاينمان ) كانت ومنذ يناير الماضى قد بشتت كتبه المترجمة للانجليزية .. وباعتها للجامعة الامريكية فى القاهرة بتراب الفلوس . بعد ان قررت اغلاق سلسلة « مؤلفون عرب » التى كانت تصدرها منذ ١٩٧١ بعد ان بدأت السلسلة تخسر لعدم اهتمام العرب ونومهم وكان ضمنها كتب نجيب محفوظ المترجمة للغة الانجليزية وطالبنا في حينه وقبل ان تقع المأساة بوقت كاف بانقاذ الموقف . بل اننى ذهبت شخصيا لمكتب السيد فاروق حسنى وزير الثقافة وسلمت الصديق سمير غريب مستشاره الصحفى نسخة من وثائق هذه القضية ، وهى الخطاب الذى وصلنى من المترجم والمشرف على السلسلة دينس جونسون ديفز يخبرني فيه بالانذار الذى ارسله له الناشر بانه يزمع إغلاقها . علاوة على قائمة الدار وفيها بيانات كافية باسماء الكتب المترجمة ( وضمنها - نذكر - اعمال نجيب محفوظ )

وعنوان الدار ، وارقام التليفونات التى تسهل الاتصال بهم ، وعنوان المترجم والمشرف على السلسلة ، اى كل المعلومات المطلوبة ، ولم يتحرك احد ، وبيعت الكتب دشتا ..

إننا نسجل هذا الموقف الآن وقد وقعت الماساة لا لشيء إلا لننبه إلى عدة حقائق :

● أن هناك من عرف ونبه وانذر وتحرك ..

● ان احدا من المسئولين لم يتحرك ولم يقدر الموقف التقدير الصحيح .

● انه لاتوجد الآن نسخة واحدة من مترجمات نجيب محفوظ إلى الانجليزية ، يمكن ان يحصل عليها واحد من بين مئات الوف قراء الانجليزية المتلهفين على قراءته فى العالم كله ..

● انه لابد من تحرك مسئول ينقذ الموقف وإلا فإن ماساة أخرى ستقع هى ان فوز كاتبنا الكبير بالجائزة لن ياتى بنتائجه المرجوة من انتشار ادبه ، وبالتالى ، من انتشار الأدب العربى بين قراء الآداب الانجليزية الذين يعدون بمئات الألوف ، وفى هذا الاطار يمكن عمل الكثير ..

● انه لابد من تشكيل لجنة قومية تنظر فى موضوع ترجمات اعمال نجيب محفوظ لانه هو نفسه لا تتوافر له الاتصالات الكافية ، وهناك الآن من الناشرين من يقوم بالهجوم عليه لانتزاع توقيعه على عقود قد يقع كاتبنا الكبير بطيبته المعهودة فى خطا قد يؤدى إلى نتائج وخيمة ، لا من الناحية المادية فحسب ، بل من الناحية الأدبية فليس كل ترجمة يمكن أن تعبر بصدق عن النص المنقولة عنه ، وهناك افاقون كثيرون فى هذا المجال يتحينون الفرص للصيد فى الماء العكر ..

هذا فقط ما نهدف اليه ونرجوه حتى لايحس احد بالندم بعد كارثة جديدة ..



● عبده جبير ●

## متحف وارشيف نجيب محفوظ

أصبح كاتبنا الكبير الآن اول عربى يفوز بجائزة نوبل للآداب ، وهذه الحقيقة الجديدة التى قد لاتزيد كثيرا من القيمة الأدبية لكاتبنا العظيم ، بل فى تقديرنا أن الجائزة هى التى شرفت به كاول عربى يضاف إلى قائمتها ، لكنها بالتاكيد جعلت الأهتمام الدولى به يغطى القارات الخمس جميعا ..

والآن والأمور فى ايدينا ، وكسرا للعادة الربيئة التى اصطلحنا عليها ، بعمل المتاحف للموتى او إهمالهم حتى بعد أن يموتوا ، واثناء

حياته المديدة أطال الله في عمره ، ندعو لأن يكون فوزه بنوبل ، دافعا ، لعمل متحف تجمع فيه :

● مخطوطات أعماله التي يمكن جمعها من بين أيدى الناشرين ، ومنه شخصيا ، وعدد من النقاد ودور الصحف التي لاتزال المخطوطات في حوزتها ، وجمع هذه المخطوطات ليس بالعمل المظهرى بل إنه من صميم عملية البحث العلمي حيث تعد دراسة مخطوطات الكتاب الكبار الآن ، علما قائما بذاته له أساتذته المتخصصون ، وأقسامه في دور البحث والجامعات ، مما يكشف عن الكثير من المعلومات الضرورية لفهم الأعمال المنشورة نفسها ..

● المقابلات الحية التي أجريت معه فى التليفزيون والاذاعة سواء في مصر أو فى العالم الخارجى ..

● الأفلام التسجيلية التى سجلت له وأرخت لبعض فترات حياته ..

● تسجيل كامل للمقاهى والمنتديات التى تردد عليها ..

● نصوص المسلسلات الاذاعية والتليفزيونية المأخوذة عن أعماله ..

● الأفلام السينمائية التى أخذت عن أعماله .. وهذه أيضا يمكن أن تكون موضوعا لدراسته من حيث تأثير هذه الأفلام على دائرة انتشاره بين الجماهير العريضة ، بالإضافة إلى أنها موضوع دراسة للفروق الحاسمة بين الروايات والأفلام المأخوذة عنها ، مما يعنى الوصول إلى حقيقة كيف فهمت الجماهير العريضة نجيب محفوظ ..

● المقابلات الأدبية التى أجريت معه فى الصحف والمجلات ..

● الصحف والمجلات التى نشر فيها قصصه القصيرة ورواياته المسلسلة ..

● الطبعات المختلفة لكتبه بالعربية ..

● نسخ من الترجمات التى صدرت لأعماله ، وهنا أيضا مجال كبير يدخل فى إطار مبحث الأدب المقارن ..

● المقالات التى كتبت عنه وعن أعماله ..

● الكتب التى صدرت عنه ..

● الرسائل الجامعية ( الدبلوم والماجستير والدكتوراه ) من مصر وبقية الأقطار العربية ودول العالم ..

● ثم قصاصات الصحف التى نشرت أخباره هنا وعبر انحاء العالم !

فهل هذه مهمة شاقة لا نقدر عليها .. نخشى أن يقوم بها غيرنا قبل أن نتحرك ..

## الترجمة الانجليزية « لأولاد حارتنا » هى النص الكامل الوحيد ..

الآن وكاتبنا الكبير يفوز بالجائزة نتذكر روايته « اولاد حارتنا » باعتبارها العمل الوحيد له الذى تعرض لمشاكل ادت إلى امزين الأول انها لم تنشر فى كتاب حتى الآن فى مصر ، على الرغم من انها نشرت فى بيروت ( دار الآداب ) التى علم صاحبها الدكتور سهيل إدريس فى حينه بقرار منعها من الصدور فى كتاب فجمعها من جريدة الأهرام التى كانت قد نشرتها مسلسلة على صفحاتها ونشرتها فى حلقات متتالية .. عام ١٩٥٩ ..

والمعروف انه بعد نشر الحلقات الأولى من الرواية تدخلت بعض الجهات لمنعها لكن محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام تمسك بنشر بقية الحلقات إلا انه طلب من نجيب محفوظ ممارسة دور الرقيب على نفسه وحذف فقرات عديدة منها يمكن ان تزيد المحتجين احتجاجا ..

وهكذا نشرت الرواية مسلسلة ناقصة ، ثم نشرت فى كتاب ناقصة ، وعند نشرها مترجمة للغة الانجليزية اتصل المترجم « فيليب ستيوارت » بنجيب محفوظ وحصل منه على النص الكامل وقام بترجمته للغة الانجليزية بعنوان Childrden Of gebelawi اى ابناء الجبلاوى ..

لذا فإن هذا النص المطبوع بالإنجليزية هو النص الكامل لاولاد حارتنا ( !! ) .

## نجيب محفوظ يرفض نشر أول كتاب أصدره فى حياته

بدأ كاتبنا الكبير حياته الأدبية بنشر اول كتاب له على الاطلاق وهو المصنف رقم واحد فى قائمة نشاطاته ولاتخلو منه قائمة من القوائم التى تصاحب كتبه العديدة .. بنشر ترجمة لكتاب عالم المصريات الأنجليزى جيمس بيكى .. وعنوان الكتاب « مصر القديمة » ..

وقد قال : الكاتب الكبير بعد فوزه بالجائزة إجابة عن سؤال : لماذا لم يُعد نشر هذا الكتاب إنه لايرى اى اهمية له ، كما انه لايحب ان يذكر كمترجم ويفضل ان يبقى فى ذاكرة قرّائه ككاتب قصة وروائى فقط ..

هذا الكتاب يعد خلفية هامة من خلفيات اعماله الروائية التاريخية الأولى « عبث الأقدار » و « رادوبيس » و « كفاح طيبة » ..

## مقالات نجيب محفوظ

لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ ٤٧ مقالة بدأ بها حياته الادبية ونشر

اولاها فى مجلة المجلة الجديدة بتاريخ اكتوبر ١٩٣٠ ، وحمل عنوان : احتضار معتقدات ، وتولد معتقدات .. و اخرها بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٤٦ فى مجلة كليوباترا وكان بعنوان قتيل برىء ..

هذه المقالات لم تجمع حتى الآن فى كتاب على الرغم من اهميتها فى تبيان اهتمامات الكاتب الكبير الثقافية والتاكيد بشكل مباشر على آرائه فى الفلسفة والأدب والحياة .

# مكتبة الهلال

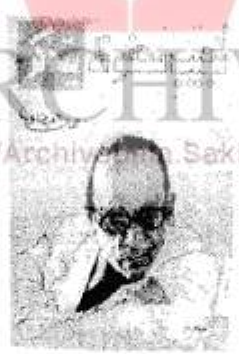
●● من بين عشرات الكتب التى صدرت عن كاتبنا الكبير نجيب محفوظ اخترنا ستة كتب طبعت اخيرا فى مصر والبلدان العربية تعكس الاهتمام الكبير الذى أولاه النقاد العرب بنجيب محفوظ .. وهو ما يدل على أن « أهله » كانوا مدركين لقيمته الحقيقية التى تمثلت فى نحو ٢٠٠ كتاب خصص أربعون منها عنه وافردت فصول خاصة به فى الباقى وحوالى ٢٠ رسالة جامعية وعدة الاف من المقالات والمقابلات الأدبية ..

الكتاب : نجيب محفوظ يتذكر

تاليف : جمال الغيطانى

الناشر : اخبار اليوم

١٥٩ ص ، ٣ ج م



بين دفتى هذا الكتاب نقرأ ما يمكن أن يعد الملامح الأساسية لسيرة نجيب محفوظ الشخصية بالاضافة الى مسيرته عبر نشاطه الادبى منذ بداية كتابته وحتى الزمن الذى املاه على جمال الغيطانى عام ١٩٨٧ ويقول نجيب محفوظ فى تصديره للكتاب بخط يده .. هذا الكتاب اغنانى عن التفكير فى كتابة سيرة ذاتية لما يحويه من حقائق جوهرية واساسية فى مسيرة حياتى فضلا عن أن المؤلف يعتبر ركنا من سيرتى الذاتية .. وقد سارت الذكريات .. كما تبادرت الى ذهن المتحاورين وان كانت قد توقفت عبر نظام زمنى امام المحطات الرئيسية فى حياة كاتبنا الكبير منذ طفولته فى الحسين وشبابه فى العباسية ، والشخصيات التى اثرت فى المرحلتين

وحبه الأول ، وبداية الصراع الذى دار فى نفسه بين الفلسفة والأدب ، وايمانه بالواقعية ورؤيته

لقضايا التراث والتاريخ والعلم وعاداته فى القراءة .. ثم يحكى كيف كتب الثلاثية ويتوقف عند فترة الياس التى اعقبت كتابتها ويبدى اراءه فى اللغة والعقلانية والعبث والقضايا الهامة التى شغلته فى حياته .

إنه كتاب هام يكمل الصورة بشكل اساسى عبر مشوار نجيب محفوظ الذى يبلغ الان ستين عاما من الكتابة .

---

**الكتاب : الفن القصصى بين طه حسين ونجيب محفوظ**
**تاليف : د . يوسف نوفل**
**الناشر : هيئة الكتاب**
**٣١٢ ص ، ٢٩٠ ق م .**



هذا هو اخر كتاب صدر عن نجيب محفوظ فى مصر

وهو دراسة اكاديمية يقدم صورة فنية للجهود العقلية لجيلين ادبيين تركا اثارا فنية واضحة ـ باعلامهما واثارهما ـ على الحركة الادبية العربية المعاصرة وعلى الفن القصصى بالذات . ويدعو فيه كاتبه الى ضرورة تبين فنون القصة المعاصرة فى البيئات العربية لافى بيئة واحدة احتراما للتراسل الفنى بينها . كما يعد دراسة مقارنة بين طه حسين ونجيب محفوظ تبين ملامح الالتقاء وملامح الافتراق .

---

**الكتاب : نجيب محفوظ .. حياته وادبه**
**تاليف : نبيل فرج**
**الناشر : هيئة الكتاب ،**
**١١٢ ص ، ١٢٥ ق م .**



يتوخى مؤلف الكتاب هنا الربط العضوى بين حياة الكاتب وادبه ، فهو المثقف القاهرى الذى ينتمى الى الطبقة الوسطى . ويعيش حياته موظفا فى دواوين الحكومة لذا فهو يرتبط بالحبل السرى للمجتمع مما يجعل معرفته به على درجة كبيرة من الصدق .

الكتاب فى النهاية يعتمد فى تجسيده للقضايا التى يطرحها على كلام كاتبنا الكبير وحواره معه . وان كان المؤلف قد تجنب فيه الاسلوب التقليدى فى اغلب فصوله فسرد اراء نجيب محفوظ دون ان يقحم السؤال الذى يمكننا ان نفهمه من السياق .

يتوقف المؤلف عند ظواهر الحياة المعاصرة واراء نجيب محفوظ ومواقفه منها كالتكنولوجيا والايديولوجيات المختلفة وفن السينما ، ومشاكل الانسان المعاصر .

---

**الكتاب : الرؤية والاداة ( نجيب محفوظ )**
**تاليف : عبدالمحسن طه بدر**
**الناشر : دار التنوير ـ لبنان ، ٤٤٨ ص ، ٧ ج م .**



تعد هذه اشمل دراسة من الفترة الاولى من ابداع نجيب محفوظ وان كان مؤلفها يبدو على درجة كبيرة من التعصب لافكاره الا ان ميزاتها الكبرى تتمثل

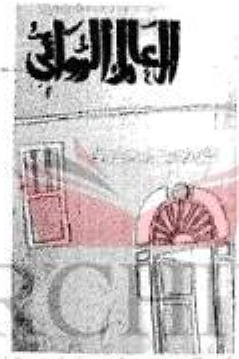
فى الداب الشديد فى جمع المعلومات وعلى دقتها، وان كان الرقم الذى اورده الدكتور بدر لعدد مقالات نجيب محفوظ التى نشرها

ولم يجمعها فى كتاب وهو ٤٧ مقالا قد صححه الدكتور حمدى السكوت الذى يؤكد على انه قد حصل على عناوين اكثر من ٣٠٠ مقال كتبها نجيب محفوظ.. وهذه قضية خلافية نرجو ان تكون موضوعا لمزيد من الدراسة.

لكن هذا الكتاب الذىَ هو الجزء الأول من دراسة طويلة مستفيضة يبقى على اية حالة أهم مرجع فى العربية عن كاتبنا الكبير.

---

الكتاب : العالم الروائى عند نجيب محفوظ
تأليف : ابراهيم فتحى.
الناشر : دار عيون - المغرب ١٦٣ ص، ٢٥ د.م

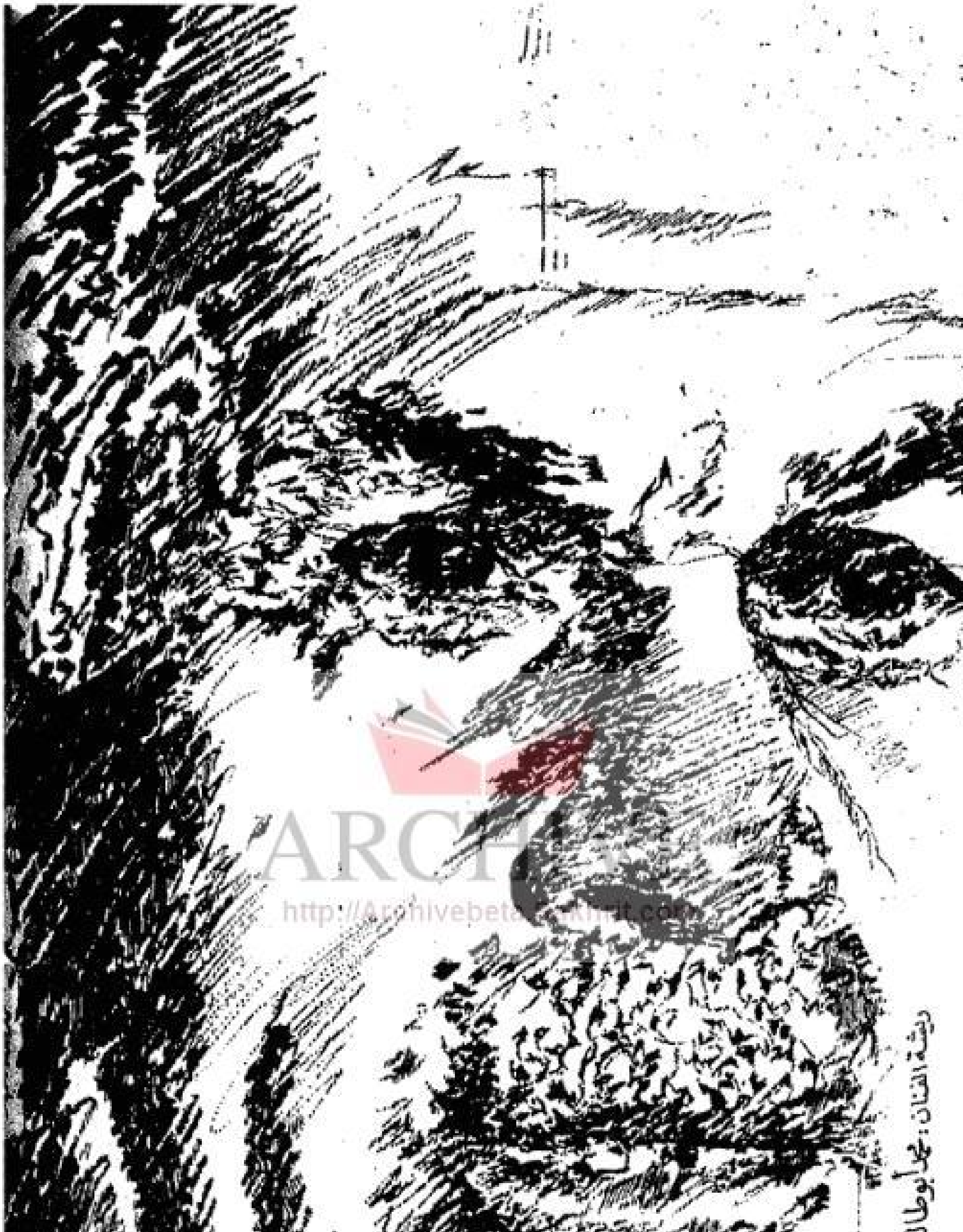



هذه هى الطبعة الثانية من هذا الكتاب، الشديد، الذى صدرت طبعته الأولى بكثير من الأخطاء مما دفع مؤلفه الى نشره مرة اخرى منقحا هذه المرة، وهو يتناول بالدراسة والتحليل المرحلة الجديدة التى تلت الثلاثية عند نجيب محفوظ فى دراسة عميقة تابعت الخطوط الأساسية والملامح العامة الفارقة فى فكر نجيب محفوظ ورؤيته للعالم، واختياراته فى فنه الابداعى مؤكدا على انه، استطاع ان يضم فى عالمه الرحب ماتحتويه عوالم معاصريه من الروائيين جميعا، ولايمكن لتجربة جديدة فى الخلق الروائى لن تحقق ميلادا بلا تراث، ابتداء من الصفر والهواء المعقم بمعزل عن عالم نجيب بقبوله او تطويره أو رفضه.

---

الكتاب : نجيب محفوظ على الشاشة
تأليف : هاشم النحاس
الناشر : هيئة الكتاب - ٢٢٤ ص، ٨٥ ق.م

يعد هذا على وجه الاجمال اهم مرجع كتب بالعربية عن علاقة السينما بالأدب، واعداد الفيلم عن الرواية لذا فان الجانب النظرى فيه هام للغاية وعند التطبيق لايجد المؤلف اكثر من نجيب محفوظ جدارة لان يكون هو المختبر، ليس فقط لانه عمل شخصيا بكتابة السيناريو، ولكن ايضا لكثرة عدد رواياته التى اقتبست او اعدت للشاشة البيضاء.


ريشة الفنان: محمد أبو طالب

فتحى رضوان .. نهاية عصر

# فتحى رضوان

## المفكر الإسلامى الحر

بقلم : كمال النجمى

كان فتحى رضوان مثقفا مصريا عربيا اسلاميا . لايجد ادنى تناقض بين مصريته وعروبته واسلامه . ولايقول مثل بعض المتخلفين عن الزمان والمكان : انا مسلم والاسلام لايعرف الجنسية المصرية ولا القومية العربية !..

وكان اسلامه واقعيا وهو الذى يأخذ من صميم الحياة كما تأخذ الحياة من صميمه ، ويجرى مع الزمن اولا وآخرا . ولايجعل نفسه نقيضا له . ولايصيح اهلوه فى اربعة اركان الدنيا بدعاوى عريضة لم يستطيعوا هم اقامتها وراء جدران بيتهم الخاص . حتى ليتصور الغلاة السذج منهم انهم مبعوثو العناية الالهية لانقاذ البشرية جمعاء فى القرن العشرين ومايليه من قرون .

● سمعت فتحى رضوان يحكى مرة فى سياق حديث ذى شجون قصة نشرها كاتب العربية الكبير الأمير شكيب ارسلان - رحمه الله - قبل بضعة وخمسين عاما . فحواها ان اميرا يابانيا

كبيرا - لعله كان ولى عهد اليابان - نزل ضيفا على السلطان عبدالحميد الثانى فى الاستانة منذ اكثر من تسعين عاما . والدولة العثمانية يومئذ معدودة برغم ضعفها وتخلفها احدى الدول الكبرى .

وعبدالحميد خليفة المسلمين الاعظم .. فكان مما قاله الخليفة للأمير اليابانى

- سمعت ايها الأمير انكم تبحثون عن دين لتدينوا به . يعنى بدلا من الوثنية التى ورثوها عن اسلافهم .. فهل تسمحون لى ان اوصيكم بالاسلام !..

فاجاب الأمير اليابانى محتدا :

- كلا ! نحن راضون بديننا . ولانبحث عن دين آخر !..

قال فتحى رضوان : ان السلطان

عبدالحميد كان متأثرا بشائعات عن اسلام عشرة ملايين يابانى فى يوم واحد .. وانما راجت هذه الشائعات ايامئذ بايعاز من الانجليز للايقاع بين اعدائهم اليابانيين ، وبين المسلمين الذين كانوا يقاومون الاستعمار الانجليزى فى الهند !..

فالمسلمون فى الحقيقة لايملكون عصا سحرية لانقاذ البشرية وهم عاجزون عن انقاذ انفسهم ، وليس لهم ان يتصوروا انهم فى القرن العشرين مازالوا خير امة اخرجت للناس كما كان اسلافهم فى القرن السابع الميلادى عند نزول القرآن .. وعليهم انفسهم ، فليصلحوا امورهم ويلحقوا بركب الحضارة ويفهموا دينهم ودنياهم فى اضواء عصرهم ، لا فى ظلال احلامهم وامانيهم !

هذا هو موقف فتحى رضوان الذى تطالعنا به جميع كتبه ومقالاته الاسلامية ..

لقد كان خطيبا مفوها ولكنه لم يستسلم قط لنزعته الخطابية فى امر الدين ، والتزم الامانة والرصانة فى تبصير المسلمين بحقائق الدنيا التى يعيشون فيها بين اصحاب ديانات ومذاهب وسياسات لا اول لها ولا آخر ..

وكانت له فى بعض كتاباته سبحات صوفية يلجأ اليها فى ساعات الكلل او الملل من الواقع الثقيل ، ولكنه فى كل حال كان شديد اليقظة الى الحقائق التى ينبه اليها الناس .. وبلغ غاية اليقظة فى الشوط الاخير من حياته العظيمة ، فتصدر الدعاة الى مقاومة الصهيونية والاستعمار الامريكى ، وكافح فى صفوف المناضلين من اجل العدالة الاجتماعية والسياسية وحقوق الانسان .

وفى موقفه من التشريع والجماعة الانسانية ، اوضح ان المشرع « يجب ان يكون من الجماعة التى يشرع لها ، عارفا بخصائصها وفضائلها ، عالما بنقائصها ورذائلها ، واقفا على اساليب حياتها ومداخلها ومخاربها ، مدركا لما تستجيب له وما تنفر منه » ..

والتشريع للامة العربية فى عهد النبى عليه السلام ، كانت تحدده الآية : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »..

يقول فتحى رضوان :

« .. دلت هذه الآية الكريمة على ان محمدا كان من العرب ، بُعث لهم من انفسهم ، وقد كان من اعرف العرب بالعرب ، فإن طول تامله فى حياتهم قبل البعثة ، واضطراره الى العمل منذ صباه لفقره ويتمه الذى استفتح به حياته ، وانتسابه الى امجد احياء العرب واعلاها مقاما ، أطلعه من امور العرب على شئونهم السياسية والاجتماعية ، ثم جاء اشتغاله بالتجارة فى اموال السيدة خديجة رضى الله عنها ورحلاته بين الحجاز والشام ، فزادته معرفة باخلاقهم وتقاليدهم ومشكلاتهم الاقتصادية والمعيشية » ..

وهكذا جاءت الشريعة على مقتضى مصالح القبائل العربية التى صارت امة كبيرة ذات مصالح متنوعة تختلف من حال الى حال ، ولهذا كان « من الاسس فى الشريعة الاسلامية » ، ان الانسان هو الشريعة » .

اما نظام الحكم فى الاسلام فيختلف

فتحي رضوان آخر العمالقة ، سار على درب مصطفى كامل ومحمد فريد وعاش مثلهما لمبادئه ، ومات وهو يناضل في سبيل هذه المبادئ .

وآخر كلمات أطلقها قلمه البليغ كانت مسددة إلى صدر العدو الاستعماري ، وهو نفسه العدو الذى ناضل ضده مصطفى وفريد وإن تغيرت ملامحه ، وتبدلت أسماؤه ، ولبس في العقد الأخير من القرن العشرين لبوسا غير الذى كان يلبسه في العقدين الأول والثاني ..

وصورة فتحي رضوان على صفحات الهلال كانت في الأغلب هي صورة الأديب والمفكر الاجتماعي أو المتأمل أو الفيلسوف . ذلك أن فتحي رضوان الذي كان جانبه السياسي شديد الوضوح أمام الجماهير كان له جانبه الأدبي البارز في كتاباته في الصحف والمجلات الأدبية منذ كان طالبا في المدارس الثانوية خلال العشرينيات ، وكان أسلوبه الأدبي من بداية أمره أسلوبا متميزا بارعا ينم عن مواهبه الأدبية الكبيرة .

وعلاقة فتحي رضوان بالهلال بدأت عام ١٩٣٣ عندما كتب مقالا في شهر فبراير من ذلك العام يروى فيها مشاهداته وملاحظاته في تركيا بعد أن صارت جمهورية علمانية برئاسة مصطفى كمال (أتاتورك) .. وفي هلال مارس ١٩٣٣ كتب فتحي رضوان مقالة بعنوان «المجتمع الأمثل في نظر غاندى وفي هذه المقالة يصف المدينة الفاضلة ، كما كان يتصورها غاندى ويعلق على ذلك ويصف شعب الهند وأديان الهند وماتموج به الهند من لغات وعادات وأزياء ومشكلات ، ومانرزح تحته من نير استعماري ..

وهذان المقالان وقعهما فتحي رضوان باسمه الكامل (سيد فتحي رضوان) وهو الاسم الذى ظل يكتب به في الصحف حتى رأى أن يكتفي منه باسمه الذي اشتهر به بعد ذلك طوال خمسين عاما في عالم الأدب والسياسة والمحاماة والكفاح الوطني ..

وفي السنوات القلائل الماضية اتصل عطاء فتحي رضوان على صفحات الهلال شهرا بعد شهر ، فلم ينقطع قط مع أنه كان يكتب في الوقت نفسه في عدد غير قليل من الصحف والمجلات في مصر والبلاد العربية وكانت مقالاته هذه في الهلال وغيره شديدة التنوع والثراء ، تناولت الدين ، والقانون ، والتاريخ ، والأدب ، والفن ، والسياسة ، بأسلوب موسوعي ، وبيان عربي مبين ، وفكر عميق ، وإخلاص في طلب الحقيقة في كل مجال .

ولسنا نحاول في هذه الكلمة أن نحيط بجميع الجوانب في حياة وفكر هذا الرجل الكبير ولكنا فقط نحاول التعليق على صورته العظيمة التى عاشت تتلألأ في عيون القراء خلال ستين عاما تقريبا .

إن صورة فتحي رضوان هي صورة المصرى العربي المسلم ، والكاتب الأديب السياسي المناضل في سبيل حقوق الوطن ، وحقوق الإنسان بلا هوادة ، وبإيمان عميق ، وبإصرار على النضال حتى آخر أيامه .

لقد لحق فتحي رضوان بالرفيق الأعلى ولم تبق لنا إلا آثاره وصورته المعلقة في قلوبنا .

● الهــــلال

من مجتمع الى مجتمع ومن عصر الى عصر ، لأن القرآن الكريم لم يورد بيانا عن نظام حكومة خاصة بالمسلمين ، فسبيلهم الى اقامة هذه الحكومة هو ماتدلهم عليه مصالحهم ..

ومستقبل الشريعة الاسلامية مرتبط بنجاح حركة التحرير والمقاومة للاستعمار والصهيونية ، ولن يقيم الشريعة قوم تحركهم وتلهو بهم أصابع اجنبية استعمارية وصهيونية ، مهما علا صراخهم بالشريعة ، « والشريعة الاسلامية بقدر ماتكسب من حركة التحرير والمقاومة ، ستعطى هذه الحركة زادا ووقودا »..

إلا ان الشريعة الاسلامية لن تنهض وحدها من بين ركام كتب التفسير والفقة والأصول ، ولابد ان يسبق الاحتفال بالشريعة ، الاحتفال بالتراث الاسلامي والعربي كله ، من ادب وشعر وتاريخ وعلوم وفلسفة .. فهؤلاء جميعا اخوات في عائلة واحدة ، يمشين معا ، ويتقدمن معا ، ويتأخرن معا » !

لقد كان فتحى رضوان صوتا حقيقيا من أصوات الاسلام في عصر كثر فيه أصحاب الاصوات الزائفة الذين يصفون كل جديد بانه بدعة ، وقد كثر استخدامهم لكلمة « البدعة » حتى صارت مساوية لكلمة « الكفر » فالذين يكثرون الآن من قولهم : « هذا بدعة ».. يشبهون او يساوون القائلين : « هذا كفر »..

وقديما سئل الامام مالك عن اهل البدع .. من هم ؟!.. فأجاب : هم الذين يتكلمون في اسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون ..

اما الامام الغزالى فقال : أعنى بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق ..

وقال عبدالوهاب بن السبكى في طبقاته : أهل البدع الذين هم أهل البدع حقا بلاخلاف بين المحدثين والفقهاء هم المجسمة والمعتزلة والقدرية والجهمية والرافضة ـ الشيعة ـ والمرجئة .

هذا هو كلام العلماء الكبار عن « البدعة » نقلناه بحروفه ..

فالبدعة ـ حقا بلا خلاف على حد تعبير ابن السبكى ـ هي اللجاجة في الكلام عن ذات الله تعالى .. ولابدعة على الاطلاق في غير هذه اللجاجة ..

اما الكلام عن الغناء والتمثيل وما الى ذلك .. فلا يتصل بكلمة « البدعة » من قريب ولا من بعيد ، ومع ذلك اقلقم بعضهم الدنيا واقعدها في الزمن الاخير احتجاجا على هذه « البدعة » !

نقول هذا استطرادا في الكلام عن هذا الداعية الاسلامى المجدد الممتلىء فطانة وزكانة فتحى رضوان ، رحمه الله .

إن فتحى رضوان لم يستنكف ان يكتب وسط الفصول الحافلة التي كتبها عن الشريعة ونظام الحكم في الاسلام ومستقبل التشريع الاسلامى واعجاز القرآن فصلا عن « موسيقى القرآن » !

ولعل عشاق كلمة « بدعة » ومرادفتها « ضلالة » سيفزعون من الجمع بين « الموسيقى » و « القرآن » في سلك واحد !

فنود ان نزيدهم فزعا بالالمام هنا بما كتبه فتحى رضوان ـ رحمه الله ـ في هذا الشأن الذى لايهرب من العلم به المسلم الحق ، ولايخشى من معرفة

اصوله وفصوله فى ادق تفاصيلها ..

قال فتحى رضوان :

« لست ادرى هل لاحظ احد ان اكثر المشتغلين بالموسيقى والغناء فى بلادنا ، كانوا ممن طلبوا العلم فى الازهر ، ولبسوا العمامة ، وحملوا لقب « شيخ » وحفظوا القرآن فجودوه ورتلوه وعرفوا أصول قراءاته ؟ »..

ويزيد الأمر ايضاحا فيذكر اسماء هؤلاء المشتغلين بالموسيقى والغناء فيقول : « حسبنا أن نذكر منهم الاعلام ، امثال سلامة حجازى ، وسيد درويش ، وزكريا أحمد ، ومحمد القصبجي ، وابو العلا ، وأم كلثوم نفسها حفظت القرآن وادته ولايزال اثره واضحا فى اسلوب ادائها ومخارج الفاظها وحتى الذين اشتهروا بنظم الاغانى كانوا ممن انتسبوا الى الازهر، فالشيخ يونس القاضي وبيرم التونسي ايضا ، انتسبا الى هذا المعهد العريق »..

ثم قال :

« والمسلمون وغير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعرفون اثر النظم القرآني فى نفوسهم ، ويدركون مايبعثه فيها من النشوة الوجدانية والروحية ، وقد سمعت بنفسي سيدة إنجليزية كانت مشغولة بفن الباليه ، وطافت البلاد الإسلامية بحثا عن موضوعات للباليه من التراث الإسلامي ، سمعت هذه السيدة وهى تتلو سورة النجم ، وتردد اياتها ، ورأسها يتمايل مع ايقاع الآيات .. وقد مدت يدها وفيها منديل صغير لتمسح عبرة ترقرقت فى عيونها ».

ثم قال :

« أورد الدكتور زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى عن فواتح السور مثل : الم ، حم ، الر ، ص ، ق .. مايلى : « كنت اتحدث عن فواتح السور مع المسيو بلانشو فعرض علىّ تأويلا جديدا بالدرس والتحقيق .. وفى رأيه ان هذه الحروف ليست الا اشارات موسيقية يتبعها المرتلون ، وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار الى الحانها بحروف وكان ذلك كافيا لتوجيه المغنى او المرتل الى الصوت المقصود .

ثم يعلق فتحي رضوان قائلا :

ان الشعوب التى تعمل الموسيقى فى تكوين جماعاتها وتاسيس بنائها ، شعوب تتهيأ للنهوض بتبعات خطيرة وجسيمة فى عالمى الحرب والسلام .. فالشعوب التى تحب الموسيقى هى اكثر الشعوب تحملا لتكاليف واعباء النظام ، والموسيقى كالاناشيد والمسرحيات الغنائية الكبيرة والصغيرة وموسيقى الاوركسترا ، كلها عمل جماعى يعمل فيه الجميع عملا متكاملا .. على أن الموسيقى بما تودعه فى العقول والنفوس من بذور التناسق والتناسب تهيىء هذه العقول لكل ماتطلبه الحضارة من ذوق ومن استجابة لأصول البحث العلمى التى تقوم على قواعد صارمة من النظام والتكامل والاتساق ، لذلك لم يكن دور القرآن الكريم مقصورا على الآثار الواضحة من كونه اداة التبليغ وديوان بلاغة العرب ووعاء المعرفة الاسلامية وقانون المسلمين وشريعتهم الكبرى ... فهو الى جانب هذا كله اداة لصقل الأذواق .

# قراءة فى رسالة مصطفى كامل



# إلى مدام جولييت آدم

بقلم : فتحى رضوان

هذه هي المقالة قبل الاخيرة للمرحوم الاستاذ فتحى رضوان فى مجلة الهلال وهى مقالة لها قصة قصيرة جـداً .. فقبل ان يطرأ المرض عليه ويدخل المستشفى فى رحلته الاخيرة من الحياة الى الموت ، كتب هذه المقالة عن الرسالة المشهورة التى ارسلها مصطفى كامل الى مدام جولييت ادم الكاتبة الفرنسية التى ذاع صيتها طويلا فى عهد ذلك الزعيم الوطنى.

وبعد ان جمعنا المقالة واعددناها للنشر فى اواخر سنة ١٩٨٧ اتصل بنا الاستاذ فتحى رضوان وطلب تاجيلها ونشر مقالة اخرى كتبها بدلا منها ، ثم فوجىء الاستاذ بالمرض الذى منعه من الكتابة ، واحتفظنا نحن بمقالة مصطفى كامل وجولييت ادم حتى شاءت الاقدار الا ننشرها الا بعد رحيل فتحى رضوان عن الدنيا ، واتخاذه مكانا الى جـانب مصطفى كامل فى مثواه الابدى !

● حدثت القارىء الكريم عن « مدام جولييت ادم » ، ومن تكون ، فى مقال سابق - واحسب انه بدأ من هذه الترجمة الموجزة لحياة « مدام جولييت » الجانب الهام من صورتها ، كما اتضح الدور الخطير الذى لعبته فى السياسة الفرنسية من جهة ، والسياسة الدولية من جهة ثانية ، ثم السياسة المصرية من جهة ثالثة ، فمدام « جولييت » كانت زعيمة من زعماء الفكر الفرنسى السياسى والادبى .. تكتب وتصدر الصحف ، وتفتح دارها فى باريس ، وقصرها فى « حف » باقليم « والدو هيفروز » ، او فى منتجعها الصيفى بـ « كان » . وهى كلها ندوات يشارك فيها الساسة المشهورون من امثال « جامبتا » السياسى والخطيب ، والكاتب « كامى موكلير » والشاعر « بييرلوتى » . والضابط « مارشا » ، واخيرا - وليس اخرا - « مصطفى كامل » زعيم مصر ، وباعث حركتها الوطنية بعد هجعة ما بعد الاحتلال ، ونوبة اليأس بعد هزيمة ثورة المصريين سنة ١٨٨٢ .

وقد قلت فى مقالى السابق ان زعيم مصر الشاب ، تعرف فى خطاب مؤرخ ٢٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٥ على هذه الاديبة والكاتبة والسياسية التى امتد عمرها الى مائة سنة كاملة ، والتى بقيت تؤلف وتكتب وتتحدث الى الصحفيين والادباء والنواب والشيوخ من كل دولة ومذهب ، بعد ان تجاوزت الثمانين واشرفت على التسعين . وكانت فوق ذلك تقوم بخدمة نفسها فى دورها وقصورها .. فاعداد طعامها ، والعناية بثيابها ، وخدمة ضيوفها كلها اعباء تنهض بها ، لا تحفل بالسن ، ولا تقيم وزنا لاعتبارات

الصحة التى تقتضيها الراحة والبعد عن بذل الجهد ·

ثم اتصلت الرسائل بين «مصطفى» و «مدام جولييت» ، وتناولت من الجانبين شئون مصر والعالم كله · وقد كان خطاب الافتتاح وثيقة بيانية وسياسية وروحية،مهما اطال الناقدون والسياسيون واهل البيان التأمل فيها وتحليلها ، فانهم لا يستطيعون ان يحيطوا بكل ما فيها من وجوه الحسن، ومن اتساع النفس ، وترامى الافق ·

وقد احاط الخلود بما جاء فى هذه الرسالة من عبارات ·· واليك هذه السطور ننشرها ، ثم نستخرج منها معانيها ودلالاتها ·

قال مصطفى :

سيدتى ·

انى لا ازال صغيرا · ولكن لى اطماعا جساما ، فانى اريد أن اوقظ فى مصر الهرمة « مصر الفتاة » ·

ونحن اذا احصينا هذه الالفاظ ، لوجدناها لا تكمل العشرين عدا · ولكن هذه الالفاظ القليلة هى فى واقع الأمر محيط متلاطم من الغايات السياسية ، وعالم متألق باجمل الالفاظ ، واسمى المعانى · وهى مع ذلك الفاظ بسيطة ، ليس فيها لفظ واحد غامض ، ولا معنى واحد يصعب فهمه على ابسط الناس، واقلهم حظا من الثقافة والالمام باللغة العربية ·

لقد قدم زعيم المستقبل نفسه للسياسية التى سلخت عقودا واجيالا وهى تمارس الكتابة الادبية والصحفية وتصدر الصحف ، وتنازل اكبر حملة الاقلام فى عاصمة السياسة والفكر والفن آنذاك ·

ولكن العبارة التالية مباشرة للحن الافتتاح ، لاشك انها اثارت انتباهها، وكانت لها بمثابة الصدمة · فقد عرف « مصطفى كامل » أن « مدام جولييت ادم » احبت حضارة مصر القديمة حبا ملك عليها زمام قلبها ، وبلغ اعمق اعماق روحها · ولذلك فان اعترافه الموجز القصير الذى لم تزد كلماته عن اربعة الفاظ ــ وهى الخبيرة بالالفاظ وما تحويه من معان ــ لابد ان يكون قد هزها هزة بقيت تذكرها حتى مات « مصطفى كامل » فى ريعان شبابه ، وهو فى الرابعة والثلاثين،فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ ، وحتى لفظت هى آخر انفاسها سنة ١٩٣٦ ، بعد ان اكملت قرنا من الزمان ·

فقد قال لها : « ولكن لى اطماعا جساما » · وكانت المفارقة هائلة · وهذا ضرب من ضروب البلاغة يتقنه الذين منحهم الله البلاغة الروحية التى تتدفق من القلب ، ولا يتكلف لها القلم ما يفسدها ويثقلها بالبديع والجناس والطباق ·

« وانى لازال صغيرا » ، تقف جنبا الى جنب مع « لى اطماع جسام » ·

ثم تأتى المفاجأة الكبرى بقول مصطفى :

« انى اريد أن اوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة » ·

واذا كان هناك فى عالم العواطف والمحبين ما يعرف بالحب الصاعق ، اى الحب الذى يستولى على قلب الحبيب فى لحظة ومن النظرة الاولى، فلا شك فى أن « مدام جولييت ادم » ،

قد وقعت فى غرام « مصطفى كامل » حينما قرأت قوله : « اريد ان اوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة » .

فهذا مقطع جديد بأن يلهـم الاف الشعراء ، فينظموا به ومنه القصائد الرائعة . وقد الهم المثـال الفرنسى « سيرين » حينما صنع لمصطفى كامل تمثالا بعد وفاته ، كما الهم «مختار» حين نحت تمثال نهضة مصر سـنة ١٩٢٠ عقب ثورة سنة ١٩١٩ .

فالتمثالان جملا « مصطفى » والفلاحة المصرية يوقظان ابا الهول الحضـارة المصرية القديمة ، وتاريخ مصـر القديم .

ولا شك ان « مـدام جوليبت ادم » التى عاشت السنين الطـويلة تقرأ الكتب المسهبة والمزينة بالصـور ، والمفاضة بالوصف الذى كاد يـكون شعرا وغزلا ــ عاشت السنين الطوال، تقرأ كتب المؤرخين والاثريين من اهـل الغرب ، وهم يعرضون روائع الحضارة المصرية القديمة فى النحت والتصوير والادب والشعر ، والحياة اليوميـة الاثيلة .. راحبت كل هذا،وهامت به. ولكنها لم تتصور انه سيأتى واحـد من احفاد صانعى هذه الحضـارة ، ويقول لها : مصر هـذه القديمة الوادعة ، التى مضت عليها القـرون وهى فيما يشبه السبات ، لابـد ان توقظ ، وان تنفض عنها اكفان الماضى، وتقف على قدميها شابة وفتية .

ورأت الكاتبة العجوز نفسها امام تجربة لم تعان قبلها على طول ما رأت وسمعت وما قرأت ، وكتبت . شـاب صغير من بلد ذات اطول حضـارة ، واطول عمر ، واطول مجد ، يقـول ببساطة : اريد ان ابعث هذا الماضى . هل يمكن ان يتحقق شىء من هذا ؟ .

لقد جاء الجواب في الحال ، وبنفس الرقة ، واللطف .

« هم يقولون ان وطنى لا وجود له ، وتعرف « مدام جوليبت ادم » بالضبط هؤلاء الذين يقولون ان مصر لا وجود لها وأول هؤلاء جميعا الانجليز الذين وقفت حياتها على محاربتهم ، والوقوف فى وجههم ، لانهم كرهوا ان تنـافس امبراطوريتهم ، امبراطورية فرنسا . وهى تعرف ايضا ان هؤلاء نجحـوا فعلا فى ان يطمسوا تاريخ مصـر ، ويحجبوا مكانتها ، ويحيـلوها الى عدم .

ان هذا الشاب الذى خرج من ركام الاف السنين التى عاشت فيها مصر ، يعرف بالضـبط ، ماذا يريد . فانه يعرف ان خصوم وطنه يقـولون ان مصر لا وجود لها . لانهم لا يطيقون ان يكون لها وجود ، او ان تعـود الى الوجود . والقوة الوحيدة التى تعينه على ان يقف فى وجه هؤلاء الاقوياء هو هذا الايمان الواضح العميق الذى يعبر عن نفسه ببساطة تشبه بسـاطة خطوط الفنان المصرى الذى صـنع التماثيل التى تملأ وادى النيل . قال مصطفى كامل :

« انا اقول يا سيدتى انه موجود ، واشعر بوجوده » .

ببساطة هذا هو المعسـكر المقابل . معسكر المؤمنين بأن مصر موجودة وشعورهم بوجودها يملأ قلوبهم .

ثم تتدفق ينابيع البلاغة على نفس النسق فيقول :

« انى اشعر بوجود وطنى بما انس له فى نفسى من الحب الشـديد الذى سوف يتغلب على كل حب سواه » .

هذا هو الجانب القابل فى المعادلة وبهذا الجانب تكمل هذه المعادلة .

هم يقولون ان وطنى لا وجود له .
وانا اقول انه موجود .

والدليل على وجوده هو انى احبه حبا شديدا . وهذا الحب سوف يتغلب على كل حب سواه .

ثم يأتى العهد .

سأجند فى سبيله جميع قواى، وافديه بشبابى ، واجعل حياتى وقفا عليه .ولا اشك فى ان شوقى ، اهتز لهذا السطور اهتزازا شديدا .

ثم يبلغ هذا الخطاب القصير قمته حينما يواصل « مصطفى » تقديم نفسه فيقول :

انى ابلغ من العمر احدى وعشرين سنة ، واريد ان انشر الحمية والاخلاص اللذين اجدهما فى نفسى .

وعاد مرة اخرى الى اللحن الاصلى يكرره : قيل لى اكثر من مرة انى احاول محالا ، وحقيقة ماتصبو نفسى الى هذا المحال »

هذه هى القمة التى يستشرف لها هذا الكاتب الصغير المبتدىء ، والتى بقى ينظر اليها ، ولا يطرف عينه عنها والتى يعبر عنها بقوله :
قيل لى اكثر من مرة انى احاول محالا .. ولست اريد ان ادخل فى جدل مع هؤلاء القائلين.: هم يقولون انى احاول محالا .. ليكن ! هـــــو محال ، انا اصبو الى تحقيق هذا المجال . وعذرى فى هذه المحاولة ان ايمانى يتلخص فى انه لا معنى للحياة مع اليأس .

ويختم « مصطفى » خطابه القصير، الذى اقام علاقة استمرت نحو خمسة عشر عاما ، استطاعت ان تشيد خلالها صرحا شاهقا من التعاون المثمر العظيم بين هاتين النفسين الكبيرتين « مصطفى كامل » المصرى ، و « مدام جولييت ادم » الفرنسية .

وقد ختم « مصطفى » خطابه بالطلب الذى حققته له الكاتبة الفرنسية الكبيرة فقد قال :

يا سيدتى انك من الوطنية بمكان يغريك بمزية تقدير قولى ، وتقوية عزمى ، وشد ازرى » .

ولقد تقدرت قوله ، وقوت عزمه وشدت ازره .

وقد حددت له موعدا فى مقر المجلة الجديدة بباريس ، فلما دخل عليها ، لم تستطع ان تتصور ان ضيفها هو محرر هذا الخطاب. فقد كان«مصطفى» نحيلا ضعيف البدن ، فظنته صبيا ، فلما قال لها انه بلغ الحادية والعشرين ، قالت له انك لم تصدقنى القول ، ولكنها بعد ذلك رأت نفسها امام رجل واثق بنفسه ، صديق لها ثم ابن روحى الى اخر العمر .

# أنت.. و الهلال

## • تشطير الاطلال •

• ان تشطير الشعر او تخميسه كثيرا ما يعطيه رونقا وبهاء وقد قمت بتشطير قصيدة الشاعر المرحوم ابراهيم ناجي التى تغنيها السيدة أم كلثوم ، أرسل لسيادتكم جزءا منها ·



ضاق قلبي اليوم نزعا بالنوى
وشكا الحرقة دهرا فـــذوى
قد جفا مضناك ، وقد عز الدوا
يا فؤادى لا تســل اين الهوى
كان صرحا من خيـــال فهوى
لا تلم فالهجـــر من أحـــواله
لا تحك دوما عـــلى منـــواله
لا تقل اليـــوم انى ساله
اسقنى واشرب عـــلى أطـــلاله
وارو عنى طالما الـــدمع روى
هذه الاطلال تروى عبـــــرا
قد قضى الهجران منها وطــــرا
فتامل حالنا الـــذاوى تـــرى
كيف ذاك الحـــب أمسى خبرا
وحديثا من أحاديث الجـــوى

محمد شكرى سويرجو
غزة ــ محلة الشيخ رضوان

## • تعليق :

ــ التشطير فن جميل بلا جدال ولكنه مات مع موت الشعر العربى الحقيقى فى أيامنا هذه · واما تشطيركم للاطلال فلا باس به ، غير اننا لا نسيغ قولكم : « انى ساله » ·· تقصد « انى ساليه » ·· فلا حق لك فى جزم الفعل بهذه الصورة مهما تكن الضرورة الشعرية ··

● أنت وأشياء أخرى ●

صبي هواك العبقري لعله ... يشدو فؤاد حطه الإعياء
قد صرت كالحليب المصفق موجه ... يطفو وتغرق هامه الأنواء
اني انازع والحياة قصية ... وعلى دروب المجتنى اقذاء
هل يصبح الكلم الوديع مجاهدا ... بلوائه تطفا الدنا وتضاء
هذى عيون القلب أمتعها رؤى ... لما زهت أحلامنا الخضراء
وانساب من فجر الصبابة عالم ... ثر الخواطر شاده العظماء

السيد عثمان محمد اللبلي ـ برديس بحرى ـ البلينا

● شعرور وشعارير ●

● تستعملون فى هذا الباب احيانا كلمة « شعرور » وجمعها « شعارير » .. فما معنى هاتين الكلمتين ؟

زينب عبد الرحمن رجب ـ الاسكندرية

تعليق :

ـ الشعرور هو الذى يدعى انه شاعر وليس له من الشاعرية والشعر نصيب حقيقى .. والجمع شعارير .. والشعرور غير الشويعر، لان الشويعر شاعر صغير او قليل الحظ من الشاعرية ولكنه منسوب الى الشعر على كل حال .. ومعظم الذين نقرا لهم شعرا فى الصحف الآن.. شعارير ، وخصوصا ادعياء شعر التفعيلة ..

قصة قصيرة جدا

● العربة الطائشة ●

● افاق لطفى من نومة طويلة وارتدى ثيابه « متعجل » وهم « خارج » الى الشارع وبينما يعبر الطريق وجد « طفل صغير » امام سيارة اوشكت على ان تداهمه فاسرع لطفى ورمى بنفسه وأبعد الطفل عن السيارة .. فى هذه اللحظة « اندفعوا » نحو الرصيف ومرت السيارة بسلام دون أن تحدث « بهم خدوش » سوى الطفل الذى اغمى عليه فاسرع لطفى الى تليفون الشارع كى يبلغ الاسعاف وملا اسمه « كمبلغا » عن الحادث وفى لحظة جاءت سيارة وبها مجموعة من « العاملون » « كمسعفون » اخذ الطفل واعطاه حقنة كى « يفوق » من الصدمة وبعد ذلك قام لطفى وسار بالطفل كى يوصله الى منزله وبينما كان سائرون فى الشارع اذ يصطدموا بعربة أخرى فوقع لطفى « غارق » فى دمه فقام الطفل بالاتصال بعربة الاسعاف ولكن لطفى كان قد فقد دماء كثيرة مما لم يستطع ان يعيش بعد ذلك وتوفى على الفور وهكذا كان نصيبه ..

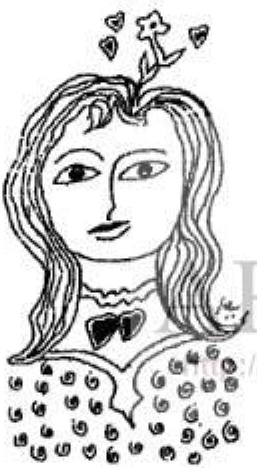
خيرى السيد ابراهيم ـ سوهاج

● تعليق :

ـ يا بنى سطوركم هذه الساذجة اشبه بكلام طفل صغير يحكى حادثة شاهدها فى الشارع . ولغتكم فى هذه « القصة » لغة طفل ايضا ، لان الطفل فى السنة الثانية الابتدائية ربما كتب سطورا لا تحوى كل هذه

## انت.. والهلال

الاغلاط التي في قصتكم وقد وضعناها لك بين الاقواس ، كقولك « متعجل » وصحتها « متعجلا » •• وقولك « خارج » وصحتها « خارجا » وقولك طفل صغير »، وصحتها « طفلا صغيرا » وقولك « كمبلغا » وصحتها « كمبلغ » وقولك « من العاملون » وصحتها « من العاملين » •• الى آخر الاغلاط الفاحشة التي وضعناها لك بين الاقواس •• وننصحك ان تتزود بمعرفة اللغة قبل ان تكتب بها •• وهي نصيحة نوجهها الى كل الناشئين الذين يقتحمون باب الكتابة قبل أن يعرفوا اللغة التي يكتبون بها ! ••



### ● وجه امرأة ●

ماذا يفعل من مثلي •• ؟!
نزلت بأرض
كانت تخصب احلامي
ومضى عام
وأنا مهموم بين الناس
فاجأني وجه امرأة
ـ « كان جميلا » ـ
تصرخ : ! أين الحب الأكبر •• ؟!!
أيام مرت
وأنا ابحث عن وجه المرأة
وسط جموع الناس
ـ كان الهم ثقيلا ـ
وأنا أصرخ ••• !
آين امرأة الوجه ••• ؟!

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

### ● الصوصة :
### في القاهرة .. بحر ●

● في القاهرة الواسعة ليس هناك بحر ، لكن هناك تجمع ميـاه بهذا المنحدر اكتسب لون الشفق لقرب مغيب الشمس •
علا صوت غريق يطلب الاستغاثة • انها فتحية بنت عم رسلان •
خضت المياه حتى وصلت اليها • وجدتها واقفة تضرب الماء بكلتا يديها •

حاولت جذبها ولكن مقاومتها كانت شديدة · لكمتها واجبرتها على الخضوع حتى استطعت ان اصل بها الى الشاطىء · هنأني العيال الواقفون على حافة الشاطىء لبراعتي في انقاذ فتحية · قلت لهم ان ما فعلته هو شيء بسيط وانه بامكاني انقاذ اي فرد فغوصوا في اعماق البحر ولا يهمكم شيء

جلست بجوار فتحية على الشاطىء الومها

ـ اليس من العيب ان تغرقي في شبر ماء ؟

ـ ما المانع ما دمت انت المنقذ ؟! ··

مرت بجوارنا مجموعة من البنات تردد « شط اسكندرية يا شط الغرام » ·· راقبنا قرص الشمس الاحمر ونافورة المياه التي بداخلها شوكت وجمال يتبادلان رش المياه حتى ابتلت ملابسهما · الكل يضحك منهما ·· اخذت انا وفتحية نكوم التراب ونبني سورا بداخله مساحة فضاء لتكون الجنينة · في الوسط حاولنا ان نشيد قصرا واسعا ··وقف على فوق قطعة حجارة يصفر مشاورا لعزت ليقترب من الشاطىء ··

هجمت شوقية بنت عم حسن نحو البحر في شوق ورفعت طرف فستانها الى اعلى · اقبل اخوها نحوها وزجرها ·

ـ اختشي يا بنت ·

اخذ الاولاد قطعة خشب مستطيلة ودخلوا بها المياه · حاولوا ركوبها ولكنهم سقطوا من عليها واحدا تلو الآخر ·· امسك الاولابخناق « الواد » زكي الذى اخذ الكرة من سيدة وعلية اللتين كانتا تتبادلان التقاطها باليد ، ويلقي بها في المياه · فيضطران الى خوض المياه للعودة بها · جذبوا زكي من قدميه وساعديه والقوا به في الماء ·

القصر الذى بنيناه تهاوى بسرعة لان التراب لم يصلح لبنائه · هدمنا القصر وبنينا بيوتا صغيرة كالتي نسكن بها ·

مر امامي شوقي ابن عمي حسب الله وبيده زجاجة مياه غازية فارغة يدق عليها ويصيح « المثلج » ·

نادى علينا على للاشتراك في سباق « عبور المانش » · تجمعنا على حافة الشاطىء واخذنا نشمر سراويلنا · وقف على فوق الصخرة واطلق صفارته فانطلقنا نخوض المياه مسرعين · زكي كان في المقدمة يحاول بكلتا يديه الا يسبقه احد ، ومن كان في المؤخرة يحاول جذب ثياب المتقدم او دفع زميله المجاور · وصلنا الى نهاية البحيرة ثم عدنا نتعارك اكثر من ان نتسابق · استطاع زكي ان يكون اول الواصلين الى نقطة البداية على حافة الشاطىء · وقف زكي فوق الصخرة وعزت بجانبه الايسر وانا بالجانب الايمن حيث فزت بالمركز الثالث ، والكل من حولنا يصفق ويصفر ·

وعندما اختفى قرص الشمس وعم المكان زرقة قاتمة ، تجمعنا وعدنا الى بيوتنا معا ·· اثناء سيرنا كنا ندعو الله ان لا تحمى الشمس اليوم التالي حتى يحفظ لنا بحرنا الصغير فنستطيع ان نصطاف على شاطئه ·

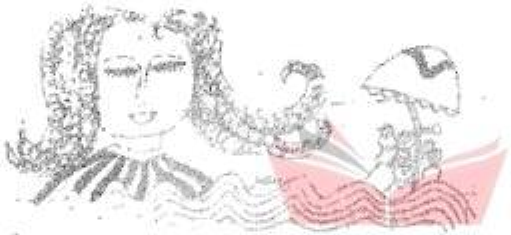
هشام عبد الله قاسم

## أنت .. و الهلال

### على شاطىء الحب

وجلست فوق الرمل انظر للمدى … واجيل طرفى فى الشطوط الساحرة
الفبت وجهك قد تراءى صافيا … كالبحر لم تات الرياح تعكره
عيناك تنهل من سطور كتيب … وكأنه طيف الحبيب تسامره
والكل حوله فى هياج عارم … يتقاذفون الكرة ـ تجرى طائرة
يجرون فى وثب سريع مثلما … سكنت صدور القوم روح ثائرة

رفعت محمد بروبى
اخصائى اجتماعى بمجلس مدينة سوهاج



● تعليق :

ـ فى البيت الاول والرابع والخامس جعلتم القافية راء مفتوحة ( الساحرة .. طائرة .. ثائرة ) .. وفى البيت الثانى والثالث جعلتم الراء مضمومة ( تعكره .. تسامره .. ) وهذا لا يجوز ، فلابد من فتحة او ضمة على جميع القوافى ، ولعلك ظننت ان الراء فى كلمتى « تعكره .. تسامره » مفتوحة وهذا خطأ نحوى لا يجوز فى اية ضرورة شعرية .. وقولك « يتقاذفون الكرة ـ تجرى طائرة » مكسور الوزن ، واراك تخطىء فى عروض بحر الكامل مع انك فى العادة لا تخطىء فيه !..

### طائر غريب

ما عدت انس فى الديار مقاما … لفتى يذوب محبة وغراما
كالطائر المأسور يقضى نحبه … بين الأزور على التراب حطاما
وهو الذى غنى الروابى حالما … غررا تفيض صبابة وهياما
نوحى حمامات الاراكة واندبى … حالى لتشجيتى أسى وضراما

ابو بكر محمد محمد حسانين
مدرس الانجليزية بمدرسة ابو تشت الاعدادية

## ● مع الاصدقاء ●

● عكاشة فهيم غازى ـ منية النصر ـ دقهلية :

ـ لم نطالع المجلة العربية التى تذكرها فى رسالتك · نرجو أن ترسل الينا هذه المجلة ، أو ترسل صورة من المقالة التى هاجمت فيها الكتاب المصريين كما نرجو أن تكتب لنا عنوان المجلة كاملا واسم رئيس تحريرها · ونشكركم ··

● عباس صالح كنه ـ الرياض ـ السعودية :

ـ لا يوجد لدينا مع الاسف الكتاب الذى تذكره ، ولا نعرف هل هو من كتب جرجى زيدان أم لا ·· نرجو موافاتنا بتاريخ صدوره ،فاننا لم نجده بين مطبوعاتنا ·

● عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :

ـ شعرك متفاوت لا يستقر على حال ، فتارة يكون جيدا ، وتارة يكون غير ذلك ، ولا تعرفنا بنفسك فى كل خطاب فنحن قد عرفناك من خطاباتك الكثيرة السابقة ·· حاول أن تجعل شعرك مفهوما ··

● وفيقة عواد سلامة ـ مديرة مدرسة الشبان المسلمين الاسلامية الخاصة بالدقى :

ـ نرحب بك ، وقد وصلتنا قصيدتك فى ذكرى المولد متأخرة ، ولعلك قرأت قصيدة الاستاذ عبد الرحمن صان الدين فى عدد اكتوبر من الهلال · نرحب بأعضاء ندوة شعراء العروبة ·

● عبد الملك لمعى عبد الملك ـ كلية العلوم بجامعة المنيا :

ـ قصيدتكم عن فلسطين والصهيونية حسنة المعانى ، ولكنها مفتقرة الى الاوزان ، فليس فيها مع الاسف تفعيلة واحدة موزونة · لا تيأس ، وحاول أن تتعرف على الاوزان والتدرب عليها طويلا ··

● عمرو عبد المنعم ـ شربين :

ـ نرحب بالدراسة التى تتحدث عنها فى مقالتك،وحاول أن تجعلها وافية لا مختصرة ولا مطولة ··

● احمد عامر ـ شبين القناطر :

ـ نعتذر اليكم من الخطأ المطبعى الذى وقع فى أحد أبيات قصيدتكم المنشورة فى عدد اكتوبر من الهلال ·· وصحته كما تقولون :
أتتركنى فى اللظى سيدى ·· وتعلم أنى المحب البرىء ··

● كمال محمد ابو شامة ـ المنيل ـ القاهرة :

ـ نشكركم على حسن ظنكم ، وسنحاول تنفيذ اقتراحاتكم بقدر الامكان ، وأما كبار الكتاب فكل منهم متعاقد ومرتبط مع صحيفة ولا يستطيع أن يتخطاها الى صحيفة أخرى ، ويضم « الهلال » بحمد الله مجموعة من اكبر الكتاب فى العلوم والفنون والاداب ··

● هشام محمد عبد الوهاب ـ شبين القناطر :

ـ قصيدتكم « الفاتنة » تفتقر الى الوزن ··

● عاصم فريد البرقوقى ـ ٣٧ شارع خليل مطران بالاسكندرية :

ـ نشكر لكم حسن ظنكم وتهنئتكم بعيد مجلة الهلال ··

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

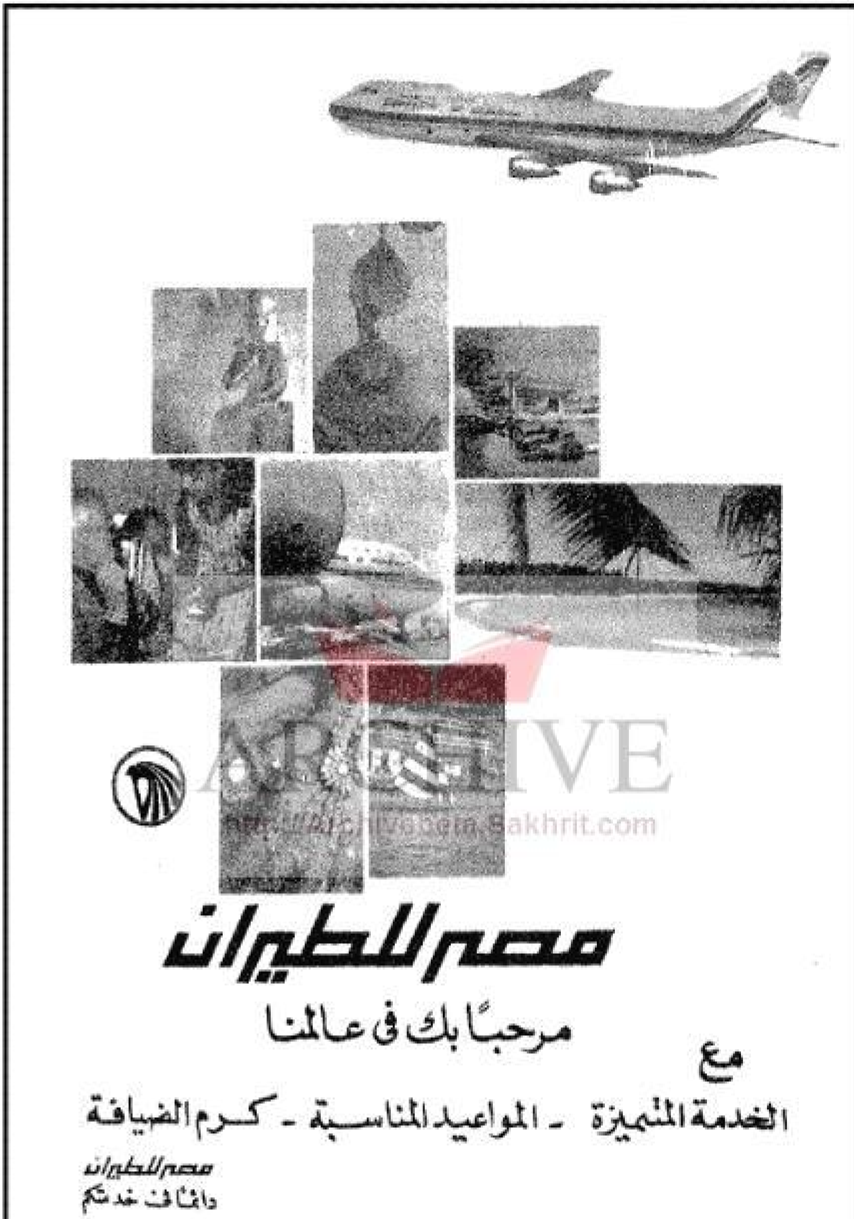
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

أسعار البيع للعدد العادي فئة ٦٠ قرشا



| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


مصر للطيران
مرحبًا بك فى عالمنا
مع
الخدمة المتميزة - المواعيد المناسبة - كرم الضيافة
مصر للطيران
دائمًا فى خدمتكم


صخر
للتعليم العربي في كل مكان
العلم في الصغر كالنقش في الحجر

# الهلال

ديسمبر ١٩٨٨
الثمن ٧٥ قرشا


عام على الانتفاضة الفلسطينية

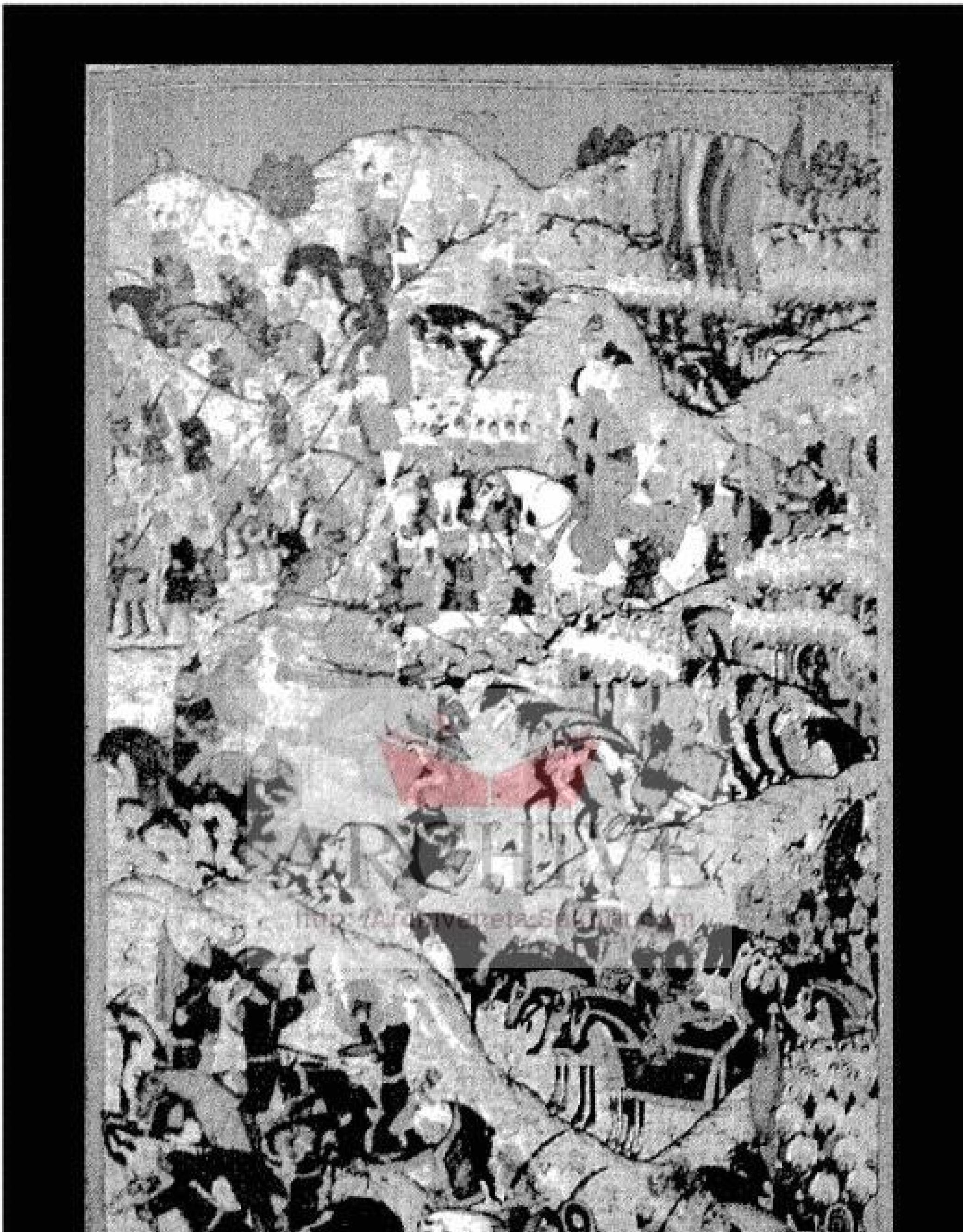
## المائة الأعظم
## تاريخ الإسلام





## نجيب محفوظ وسيد قطب

ندوة الهلال الشعرية



## من روائع الفن الإسلامى

لوحة من فن المنمنمات التركى رسمها الفنان المبدع موهاسن سن فى القرن السادس عشر ..

وتصور اللوحة احدى الحملات العسكرية التى كان يقوم بها السلطان التركى سليمان المعظم ومدى ما كانت جيوشه تتمتع به من قوة وسلطان ..

وتكشف اللوحة عن مدى اهتمام الفنان التركى بتصوير المجموعات البشرية رغم انه ينظر الى الاشياء دائما من خلال منظور احادى البعد ..


# الهلال

السنة السادسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال أسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م أول ديسمبر ١٩٨٨ م - ٢١ ربيع الثانى ١٤٠٩ هـ

● في هذا العدد ●




الغلاف : تصميم الفنان
محمد ابو طالب
بريشة الفنان :
محمد حماد

## ● فكر وثقافة ●



## ● كتاب الشهر ●



## ● قضايا حيوية ●

## ● رسائل صحفية ●



## ● ندوة الهلال الشعرية ●



## ● أدب أكتوبر ●



## ● الأبواب الثابتة ●

## عزيزى القارئ

# أفراح الثقافة المصرية ومشكلاتها

● نشكر لك - عزيزى القارىء - ما اوليتنا من تشجيع فى العدد الماضى من «الهلال» الذى كان النصيب الاوفى منه خاصا بالروائى الكبير الأستاذ نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل ١٩٨٨ وكانك كنت معنا تشعر بالجهد الذى بذلناه عندما فوجئنا بالنبأ الكبير ، فنحينا جانبا اكثر ما كنا أعددناه من مواد ، وأعددنا لهذا النبأ المفرح ما هو خليق به من الحفاوة التى استغرقت عشرات الصفحات ، كتبها أصحابها فى ساعات محدودات ، تعبيرا صادقا عن فرح الثقافة المصرية الذى طرق أبوابها فجأة وبغير انتظار ..

إن الدوى الذى أحدثته جائزة نوبل مازال يحيط باسم نجيب محفوظ ، بل إن شهر ديسمبر الحالى هو ذروة هذا الدوى الذى يملأ الآن ما بين المشرق والمغرب ، ففى اليوم العاشر من هذا الشهر يقام حفل الجائزة فى استكهلم عاصمة السويد - وطن الفريد نوبل مؤسس الجائزة - ولاشك أن دوى الجائزة العالمية حول نجيب محفوظ ، وبلاده مصر ، هو أبرز حدث فى تاريخ الأدب المصرى والعربى المعاصر منذ انطلق فى دنيا العرب دوى المهرجان الضخم الذى بايع فيه شعراء الأمة العربية شاعرنا أحمد شوقى بامارة الشعراء سنة ١٩٢٧ فكان المهرجان فرحا تاريخيا للثقافة المصرية والعربية .

● نتذكر الآن مهرجان شوقى - مرة أخرى - ونحن نقدم اليك ندوة الشعر التى اعتدنا تقديمها اليك فى أوقات معينة .. إننا ننشر فى كل عدد قصيدة أو قصيدتين ، ولكن «ندوة


أحمد شوقي


نجيب محفوظ

الشعر» التى تطالعها فى هذا العدد تجمع قصائد كثيرة ، تتمثل فيها مذاهب الشعر من عمودية وتفعيلية ، فضلا عن اتجاهات موضوعاته واغراضه المختلفة ، وطرائف الشعراء التى تتنوع بتنوع أفكارهم ومنازعهم الوجدانية ..

ولانقول : هذا اللون من الشعر أفضل من ذاك ، ولكنا نقول مع شوقى أمير الشعراء :
والشعر فى حيث النفوس تلذه
لا فى الجديد ولا القديم العادى

نعم .. إن الشعر الجيد هو ما تلذه النفس ويأنس اليه الوجدان ، سواء كان شعرا جديدا ممعنا فى الجدة أو التجديد ، أو كان شعرا تليد الشكل ، قديم القوافى والأوزان ، عاديا فى موسيقاه ، اى منسوبا الى عهد عاد ، وهو العهد الذى مضت عليه الاحقاب ! ..

● وعلى مقربة من مجال الشعر تجد فى هذا العدد مقالا عن فن الاوبرا لمناسبة افتتاح دار الاوبرا المصرية الجديدة ، افتتاحا باهرا كان مهرجانا او فرحا ثقافيا ..

إن الاوبرا فن قديم فى أوربا ، حاولنا اللحاق به منذ سنة ١٨٦٧ حين بنى الخديو اسماعيل دار الاوبرا الرائعة التى احترقت سنة ١٩٧١ ولكن علاقتنا بفن الاوبرا تجمدت خلال هذا الزمن الطويل ، ولم تزد على استجلاب فرق اجنبية تعرض علينا الاوبرات الاوربية .. ومازال الحال يجرى على هذا المنوال بعد بناء الأوبرا الجديدة !.. وانظر معنا - عزيزى القارىء - مقال عن فن الاوبرا فى هذا العدد ، واحكم بنفسك ! ..

● ثم نلتقى فى هذا العدد بالمقالة الأولى من سلسلة مقالات بعنوان : «المائة الأعظم» .. يكتبها الاديب والباحث المعروف الاستاذ حسين احمد أمين عن أعظم مائة شخصية فى التاريخ العربى الاسلامى .

وغنى عن البيان ان هؤلاء المائة قد جاءوا جميعا بعد الصدر الاول من عظماء الاسلام ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، أعظم درجة من أن تقام لهم الموازين ، وهم فوق الموازنة والمقارنة .. وكل عظيم من هذه الأمة على مدى

## عزيزى القارىء

تاريخها الطويل ، فإنما هو مقتبس من نور هؤلاء العظماء الأولين الذين يتصاغر لهم أكابر الرجال فى التاريخ الانسانى كله ..

**وسيجتمع من تاريخ العظماء المائة الذين اختارهم الاستاذ حسين احمد امين ما يشبه الموسوعة المبسطة التى تضم الأدب والتاريخ والسياسة والفن واللغة والعلوم المختلفة ، من خلال اسماء هؤلاء العظماء المائة المختارين من الأدباء والشعراء والمؤرخين والعلماء والفقهاء والمقاتلين والساسة وغيرهم ممن لمعوا فى التاريخ العربى الاسلامى على امتداد الف سنة او اكثر ..**

وقد سبق ان قدم «الهلال» موسوعة الاشتراكية منذ عشرين عاما فى كتاب كبير ، بعد أن نشر مواد هذه الموسوعة خلال شهور طوال متوالية ، وكان لهذه الموسوعة فى حينها صداها الطيب ، ونرجو أن يكون للموسوعة العربية الاسلامية الموجزة التى ننشر لك موادها ابتداء من هذا العدد نفس الصدى الطيب ان شاء الله ..

● ثم لا نختم لقاءنا بك هنا حتى نتناجى قليلا حول «السعر» الذى تجده مكتوبا على غلاف الهلال ..

إن الصحف المصرية كلها ـ كما تعلم ـ قد زادت فى سعرها اضطرارا لمحاولة تعويض شىء من الخسائر الناجمة عن الارتفاع الشديد المتواصل فى الأسعار العالمية للورق !.. والحق أن هذا الارتفاع المستمر قد صار شغلا شاغلا لصحافتنا ، وهى لاتستطيع أن تلاحقه .. وإن أكثر الصحف عجزا عن ملاحقته لهى المجلات الثقافية والأدبية التى ليس لها موارد اعلانية تسد جانبا من الثغرة بين ما يذهب وما يجىء من النفقات ! ..

وما أشد الضيق الذى انتابنا حين اضطررنا الى زيادة السعر هذه الزيادة الطفيفة . ولكن لابد مما ليس منه بد ، ولانكتمك أن عدد «الهلال» يكلف أكثر من ضعف ثمنه . ولو كانت دار الهلال تعمل فى مجال الأدب والثقافة للكسب ، لبلغت بسعر الهلال حد التكلفة على الأقل ، ولكن مجلة الهلال هى العمل الثقافى الباقى على الزمن ، والذى تتحمل الدار فى سبيله كافة الأعباء ..

وقديما قيل لنا ان مصنعا لورق الصحف سينشأ فى مصر ، ولكن هذا المصنع مازال مشروعا يقال إنه سيقام فى احدى مدن الصعيد ، ولعله يقام فى وقت قريب ليكون اساسا لحل مشكلة الورق التى تتفاقم بلا انقطاع ! ..

وهلم ـ عزيزى القارىء ـ إلى هذه الباقة الحافلة من الشعر والأدب والتاريخ والفن ، ولتحاول أن تنسى معنا فى غمرة افراحنا الثقافية مشكلة الورق التى تطارد الثقافة والمثقفين .. ناهيك عن المشكلات الأخرى التى يضيق النطاق عن الالمام بها الآن ! ..



# ١٢ شهراً على ثورة الحجارة

## مستقبل الانتفاضة الفلسطينية

بقلم: جميل مطر

راهن الكثيرون على ان الانتفاضه الفلسطينية لن تكمل عامها الاول . ولهؤلاء المراهنين عذرهم ومبررهم فى خوض هذا الرهان . فالانتفاضة عمل عربى ، ولم يتعود هذا الجيل على عمل نضالى عربى تمتع بهذا النفس الطويل وهذا الصبر . كما ان هذا الجيل واثق ان العالم الخارجى واذا اهتم بالعرب واعمالهم لفترة فانها لن تكون الافترة قصيرة يعود فيها الى طبيعته فى اهمالهم وتجاهلهم .

واستمرت الانتفاضة واكملت عامها الاول وقدمت نموذجا للصمود والصبر والنفس الطويل ولكنها مع ذلك لم تنجح فى ان تغير طبيعة علاقات العالم الخارجى مع العالم العربى . اذ بعد ان اهتم العالم بها لفترة ، عاد الى طبيعته فى التعامل مع القضايا العربية .

هذه الحقيقة تزداد ايلاما حين ينظر المراقب الى الانتفاضة نظرة مقارنة فانتفاضة الفلبينيين ايام ماركوس تلقفها الاعلام الغربى وجعلها محط اهتمام الرأى العام الدولى وحكومات الدول الكبرى حتى ان سقط ماركوس وانتفاضة هايتى اثارت تدخل الدول الكبرى والهيئات الدينية الدولية وجماعات الضغط حتى اجبر دوفاليه على مغادرة البلاد . وانتفاضة التضامن فى بولندا تسببت فى عقوبات اقتصادية وتجميد علاقات دبلوماسية وايقاف معونات ، وتنافست دول عظمى وكبرى وصغرى واجهزة اعلامها على انها اقدر على تلميع صورة منظمة التضامن وزعيمها الذى استقبله بابا روما ، وحجت اليه السيده تاتشر .

انتفاضة اطفال وشباب فلسطين لعام كامل ، ومئات القتلى والاف الجرحى ، كلها لم تحرك العالم الخارجى مثلما تحرك لاسقاط ماركوس، ودوفالييه ، ومثلما يحاول تغيير بولندا ومؤسساتها ونمط حياتها .

هذه حقيقة نعرفها منذ زمن ، واعادت تكيدها الانتفاضة . ومن راهن على ان الانتفاضة تحرك العالم الخارجى لصالح الفلسطنيين خسر الرهان ، فالانتفاضة شانها شأن كل الاعمال النضالية العربية ، ان لم تمس المصالح المباشرة للدول العظمى، وان لم تمس الخط الاحمر للمواجهة بين الشرق والغرب ، فان حكومة فى الغرب او الشرق لن تتحرك حركة غير عادية لتكسب للفلسطينيين حقوقا لقد اخطأ الذين عاملوا الانتفاضة معاملة المقامر لورقة من أوراق اللعب، ورفضوا ان يتعاملوا معها كتطور اساسى وجوهرى فى قضية ممتدة طويلة الاجل . ولو نظروا اليها من هذا المنظور لادركوا حجم وعمق التغيير الذى احدثته ولادركوا حجم وعمق البذور التى غرستها فى داخل البيئة اليهودية وفى فلسطين وفى المنطقة باسرها .

لقد قامت التعبئة الصهيونية منذ وقت طويل خارج وداخل اسرائيل على اساس خطين متوازيين ، مضمون احدهما تضخم القمع الذى مورس فى اوروبا ضد الاقليات اليهودية وخصوصا فى فترة النازية ، اما مضمون الاخر فهو التهويل من نضال واستبسال المقاومة اليهودية ضد هذا القمع وخصوصا ضد النازيين بولنده .

فالخط الاول مبالغة لاشك فيها ، وفى الخط الثانى تزييف تاريخى بلا حدود . بل ان ضعف المقاومة المتناثرة كانت العقدة النفسية التى لازمت تطور الحركة الصهيونية منذ الحرب العالمية الثانية . وهى العقدة التى تثير حتى الان تبادل الاتهامات بين الجاليات اليهودية الاوربية والامريكية ، وداخل اسرائيل نفسها ، وهى ايضا العقدة التى تسببت فى ظاهرة الارهاب اليهودى ضد الفلسطينيين العزل كنوع من التعويض عن العجز او الخلاص من تعذيب النفس والضمير .

ومن خلال هذه الممارسات على مدى اربعين عاما بل اكثر وبسبب الانتصارات العسكرية ومع ظهور جيل جديد من مواليد اسرائيل ،كانت هذه العقدة تحل نفسها الى ان جاءت

انتفاضة المقاومة الفلسطينية تدق ابواب الذاكرة اليهودية بعنف ، فتفجرت ذكريات العجز اليهودى عن المقاومة ضد النازيين وغيرهم ، وتفتح جروحا فى الجسم العقائدى الصهيونى كانت تندمل ، وهو التطور الذى لا يمكن لمنظرى الصهيونية وقادتها ان يغفروه للانتفاضة وقادتها، بل هو التطور الذى سوف تكون اثاره العميقة ليس فقط على علاقات الشعبين الفلسطينين واليهودى بل على المجتمع الاسرائيلى بوجه خاص والحركة الصهيونية بشكل عام ·

مرة اخرى – وعلى عكس مسار الصراع الاسرائيلي – احدثت الانتفاضة شرخا فى التكتل اليهودى العالمى ، فقد بنى اليهود لانفسهم سمعة سياسة فى مختلف المجتمعات الاوربية قوامها انهم لبراليون ،ودعاة حضارة ، ومدافعون عن حقوق الانسان والطبقات والشعوب المقهورة ، ولم تهتز هذه السمعة خلال الحروب العربية والاسرائيلية او خلال المعارك مع المقاومة المسلحة الفلسطينية ،لان قادة اليهود استطاعوا ان يضعوا العرب فى موقف المعتدى وساعدهم على ذلك اتجاهات تقليدية فى مجتمعات الغرب تقف موقف العداء من الشعوب العربية ، وممارسات سلطوية او استبدادية عربية وظروف تخلف وقهر وقمع ·

اما الانتفاضة الشعبية الفلسطينية فشىء آخر · فلم تفلح القيادة الاسرائيلية فى تصويرها كعمل ارهابى او عسكرى · واجبرت ممارسات الانتفاضة يهود العالم على اتخاذ موقف الصمت تجاه قضية يبرز فيها بوضوح طرفاها القاهر والمقهور، وهو الموقف الذى لاشك سوف يدفع اليهود ثمنه من خلافات وشقاقات . وربما من مكانتهم السياسية فى المجتمعات التى يعيشون فيها ·

من ناحية ثالثة ، اسقطت الانتفاضة مقولة اليهود ان فلسطين ارض بلاشعب وهى المقولة التى دعمتها الممارسات الفلسطينية فى السابق ، حيث كان العمل النضالى الفلسطينى فى مجمله يتم خارج فلسطين ولا يشارك فيها شعب الداخل · لم تكن تظهر فى الصورة حينذاك سوى منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المتعددة ونضالها فى اوروبا ولبنان وباكستان وغيرها، بحركتها السياسية والدبلوماسية والاعلامية ، وكلها ممارسات تبدو للرأى العام العالمى ممارسات جماعات قد تمثل او لا تمثل شعبا ·اما الشعب فنضاله اما يخضع للتعتيم او لا يفرض نفسه على الرأى العام والاعلام الدولى حتى جاءت الانتفاضة لتعلن ان هناك ارضا بشعب ، وتلغى تماما مقولة ارض بلا شعب ، اذ لم يعد ممكنا ان يصدقها احد بعد ان استمر الشعب ثائرا عاما كاملا ·

اما على الصعيد الفلسطينى فقد غيرت الانتفاضة تغيرا مهما فى نسيج الفكر والعلاقات الفلسطينية والعلاقات الفلسطينية العربية ، وهو التغير الذى قد يصل الى حد التحول الجذرى فى المستقبل ·

فعلى جانب الفكر والعلاقات الفلسطينية ، احتلت الانتفاضة مكانة الاولوية فى النضال الفلسطينى بعد ان ازاحت المنظرين والعقائديين التقليديين · ولانها تعاملت مع الواقع على ارض الداخل ، وواجهت البطش والغطرسة دون حماية خارجية ، وحاربت بدون مخابئ ولا خنادق وبعيدا عن التلال والجبال وبغير رصاص

ولا صواريخ ، فقد صارت التعبير الاقوى ــ وربما الاكثر مصداقية ــ فى الحركة الراهنة للنضال الفلسطينى ومن هذا الموقع فرضت على فصائل النضال الفلسطينى الاخر هدنة فى الحرب الناشبة بينها ، لانها جعلتها اى هذه الفصائل المتناحرة ــ تبدو سخيفة ، وهزيلة . وجعلت حربها تبدو على حقيقتها ، صراعات زعامات او صراعات وكالات ، وجعلت خلافاتها الايديولوجية تبدو خلافات فلسفية فى افضل الاحوال وسفسطة بيانات ومجالس ونوادى وشلل فى احوال اخرى . وكانت تقول لكل الفصائل ، لقد امهلناكم طويلا ، والان جاء دور الشعب الصامد حقيقة على الارض ليقود النضال ، وعليكم ان تتبعوه وتنفذوا رغباته او تنفضوا

الا ان هذا التحول الجذرى فى علاقة الشعب بفصائل الخارج لا يعنى ان الشعب الثائر قد تخلى عن منظمة التحرير الفلسطينية او عن قيادتها التى يجسدها ياسر عرفات . فالشعب فى حاجة للرمز الذى يجسد وحدته ومطالبه وينظم اموره الدولية ويحافظ على استمرار القضية على جدول اعمال المجتمع الدولى ويعى حقيقة ان غياب هذا الرمز يخدم قوة الاحتلال التى يسعدها ان تفصل بين شعب الداخل والمنظمة .

وفى جانب اخر اثارت الانتفاضة مجددا وبشكل حاد مشكلة قومية وقطرية النضال الفلسطينى وهى قضية مطروحة منذ بدايات النضال الفلسطينى . قضية لم تحسم بسبب ظروف النظام العربى وعلاقات اطرافه بمنظمة التحرير الفلسطينية وطبيعة تشكيل وانشطة وتواجه هذه المنظمة . فالمنظمة حين صارت طرفا فى تفاعلات النظام العربى اضطرت لان تلعب ادوارا فى عملية التحالفات والمحاور لتحافظ على نفسها ولتكسب التأييد العربى المتواصل للقضية . ولذلك كان من المعتاد التشكيك فى حقيقة تمثيلها لشعب الداخل حتى من جانب اطراف عربية التزمت دوليا وعربيا بأن المنظمة هى الممثل الشرعى الوحيد .

**وجاءت الانتفاضة لترفع هذه الوصاية العربية ، وتنتزع المنظمة نسبيا من اسار ثنائية القومية والقطرية ، لانها حين احتلت مكانة الصدارة الفكرية والعملية فى حركة النضال الفلسطينى ، وضعت فعليا اطارا جديدا لكل الاجتهادات من كافة الاطراف .**

ولم يعد الاجتهاد من جانب قطر او حزب عربى ، او من جانب فصيل من فصائل المنظمة يقدم كحل حتمى وحيد، او يصاغ بصياغات ابتزاز وتهديد او يوضع كورقة مساومة من اجل تحقيق اهداف اخرى . هذا الاطار الجديد الذى وضعته الانتفاضة يستند الى شروط مرجعية اولها واهمها ان هناك شعبا منتفضا لمدة عام ، اى انه ليس من حق احد مهما كانت دوافعه قومية ونبيلة ونضالية . ان يزايد عليه ، او يتجاهله .

من جانب ثالث ، ولعله اهم الجوانب ، فان الانتفاضة بتواصلها اثنى عشر شهرا . قد جددت دماء الثورة الفلسطينية وبثت روحا جديدة فيها . ان الاطفال الذين يشاركون فى الانتفاضة ، انما يشاركون حقيقة فى

وضع أسس ثورة اطول عمرا مما كان يتوقع لها اليهود والعالم الخارجي .

ويشاركون ايضا فى اعادة صياغة فكر وممارسات المقاومة السلمية والعصيان المدنى فى مواجهة احدث الاساليب والادوات التكنولوجية فى القمع ، ويقدمون نموذجا خطرا فى منطقة ملتهبة نموذج عصيان الانسان الذى يشعر بالتآكل التدريجى والمتواصل فى حقوقه وممتلكاته ومصادر دخله ومستقبله ومستقبل اولاده .

لقد اثمرت الانتفاضة نتيجتين مرتبطتين ، والمتوقع لهما ان تتفاعلا خلال العام القادم بشكل سوف يؤثر حتما على الكثير من تفاعلات المنطقة.

المتوقع اولا هو استمرار المواجهة .

ولا يعنى هذا الاستمرار ان تستمر الانتفاضة فى ابسط درجات العنف فى مواجهة اقصى درجاته ، بل المنطقى ان يضطر الشعب الفلسطينى الى استخدام درجات اعلى ومتنوعة من العنف ، وربما لجأ فى المرحلة القادمة الى استخدام انواع واليات مختلفة من العصيان المدنى .

هذا التنويع فى اساليب العنف ودرجات وقنواته له مزايا متعددة ، فالى جانب انه منهك للقدرات الاسرائيلية ، وعبء على نظم التعبئة والحشد العسكرى ، فهو ايضا قد يسمح ـ اذا احسن التخطيط له ـ بتشغيل افضل الطاقات الانتاجية الفلسطينية ، وتدريب الشباب على اساس اساليب جديدة ، للمقاومة السلمية او المسلحة ونشر الاضطراب فى سوق العمل ، وبالتالى تعطيل المشروعات الاقتصادية الاسرائيلية .

ولاشك ان الثمن سيكون باهظا على الانتفاضة لن يأتى فقط من الجانب الاسرائيلى ، فالاطراف الدولية لن تسمح للانتفاضة بان تحقق امرين ، أن تصبح عبئا لا يحتمله الاستقرار السياسى والتفوق العسكرى فى اسرائيل ، أو أن تصبح نموذجا تقتدى به حركات شعبية اخرى فى مناطق حساسة فى العالم العربى .

ففى الحالتين تكون الانتفاضة قد اقتربت من خطوط المصالح المباشرة للدول الكبرى ، ومن خط المواجهة الامريكية ـ السوفييتية .

والمتوقع فى هذه الحالة هو ان تلجأ القوى الخارجية الى اتخاذ عدد من الاجراءات المتكاملة ، اهمها مواصلة فرض الحصار الاعلامى على انباء الانتفاضة ووحشية العنف الاسرائيلى وتصعيد محاولات خنق المجتمع الفلسطينى اقتصاديا ، حلقات متصلة من المبادرات السياسية مشروطة بوقف الانتفاضة او تهدئتها خطط للايقاع بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وقيادات الداخل ، تصعيد الانقسامات بين الفصائل العاملة بالوكالة ومحاولة نقل هذه الانقسامات الى الداخل ، اثارة مشكلات طائفية أو اقليمية داخل الوطن المحتل .

والنتيجة الثانية التى اثمرتها الانتفاضة والتى يحتمل أن تكون لها آثار كبيرة ، هى المتعلقة بحالة الشلل التى اصابت النخبة السياسية الاسرائيلية ، هذا الشلل عبرت عنه افضل تعبير نتائج الانتخابات الاسرائيلية .

**فالنخبة الاسرائيلية الحاكمة التى شاخت لم تعد قادرة على توليد افكار او مبادرات جديدة .**

**فجاءت نتيجة الانتخابات تحمل معنى توجه اسرائيل ، باكملها نحو انتهاج سياسة التخندق الجماعى امام احتمالات فلسطينية ودولة متعددة لايقوى الفكر الصهيونى التقليدى على مواجهتها .**



• قوة الكلمة المكتوبة •

# هل مضى عصر الكتاب؟



د. أحمد أبوزيد

من القصص التى يحب بعض علماء الانثربولوجيا الاستشهاد بها للتدليل على عمق التغيرات التى تطرا على انماط الحياة والفكر فى المجتمعات (( التقليدية )) حين تتعرض لتاثيرات الحضارة الحديثة ومفاهيمها قصة احد (( امراء )) غرب افريقيا القبليين الذى تلقى تعليمه فى احدى الارساليات ثم اكمل ذلك التعليم فى الغرب وكتب قصة حياته فى كتاب يعتبر فى الوقت ذاته سجلا اثنوجرافيا رائعا للعادات والتقاليد واساليب التفكير فى افريقيا ..

الامير اسمه موديبوب ، والكتاب عنوانه « كنت متوحشا » وهو عنوان له دلالته ومعناه · وجزء كبير من الكتاب يدور حول ما يمكن تسميته بالكلمة المكتوبة او الكلمة المطبوعة لمفتاح الحضارة فى نظر موديبوب والانتقال من حالة الوحشية الى حالة الحضارة الحديثة هى تعلم القراءة والكتابة · والكتاب يعكس فى اكثر من موضع مدى افتتان الامير بتلك التجربة لاول مرة · فهو يقول مثلا :

« ان المكان الوحيد المزدحم فى بيت الاب بيرى كان ارفف الكتب · ولقد بدأت ادرك شيئا فشيئا ان العلامات المرقومة على صفحات الكتب كانت عبارة عن ( الفاظ محبوسة ) وان اى شخص كان يستطيع ان يتعلم كيف ( يفك ) طلاسم تلك الرموز ويحرر هذه الالفاظ من الشرك الذى وقعت فيه فيطلق سراحها منه ويحولها الى كلام حقيقى · لقد كان حبر الطباعة يحبس الافكار ويقيدها ، ولم يكن فى استطاعة تلك الالفاظ ان تتخلص من ذلك الشرك الا بقدر ما يستطيع الحيوان الحبيس ان يخرج من الحفرة التى سقط فيها · وحين ادركت المعنى الحقيقى لهذا كله احسست بنفس النشوة ونفس الدهشة اللتين احسست بهما حين رأيت لاول مرة فى حياتى اضواء المدينة الباهرة فاهتز كيانى بعنف من قوة الرغبة فى ان اتعلم كيف افعل هذا الشىء فى الواقع بنفسى » ·

والامر لا يقتصر على الالفاظ التى تتحول الى علامات على الورق بالكتابة وانما هو يمتد لكى يشمل ويغطى كثيرا من المفاهيم والمقولات التى لها معنى واضح فى ذهن الافريقى التقليدى فاذا بها تصبح مجرد علامات ورموز تحتاج الى من يفك طلاسمها واسرارها ويحررها من الاسر ويشير الامير موديبوب الى ذلك حين يصف لنا كيف تعلم ان ( يقرأ ) الخرائط فى المدرسة وما حدث حين حمل معه الى القرية خريطة للنهر المجاور الذى اعتاد ابوه ان يعبره لسنوات طويلة بقصد التجارة ، ورد الفعل الذى قوبلت به الخريطة :

« كان ابى يرى ان الفكرة كلها مجرد عبث لا معنى له ·وكان يرفض تماما ان يرى فى الخريطة ذلك النهر الذى كان يعبره عند بوماكو والذى لم يكن اعمق من قامة الانسان على امتداد مساحات واسعة من المياه فى دلتا النيجر · فلم يكن لقياس المسافات بالكيلومترات ، او الاميال اى معنى او اهمية بالنسبة له · كان يرى باختصار ان الخرائط هى مجرد اكاذيب ضخمة واحسست من كلامه ومن نبرات صوته اننى جرحت شعوره بطريقة لم اتبينها تماما آنذاك فالخرائط لا تبين الاشياء التى تؤلم الانسان مثلا ، بينما يستمد المكان الفيزيقى حقيقته وواقعه من البهجة او الالم الذى يسببه ذلك المكان للانسان ··· » ·

وهذا كله يبين كيف ان الكلمة المكتوبة او العلامة المطبوعة تتعارض مع الثقافة التقليدية ومع الكلام المنطوق الذى هو اداة ووسيلة التواصل ونقل تلك الثقافة التقليدية والذى يحمل فى ثناياه تعبيرات وانفعالات لا يمكن ان نتبينها فى الكلمة المطبوعة · فالكلمة المنطوقة لها ذاتية ولها شخصية متميزة لانها تعبر عن ثقافة محلية محددة بكل مقوماتها الواضحة كما تعبر عن انفعال المتكلم بتلك الثقافة المحلية ، وذلك بعكس الكلمة المطبوعة التى تكتسب طابعا عالميا عاما وتستمد قوتها من ( لاشخصانيتها ) · ومن هنا كانت هذه العلامات المطبوعة هى مفتاح

# هل مضى عصر الكتاب؟

الحضارة الانسانية والمدخل الى هذه الحضارات لانها هي التي تنقل الى الانسان القارىء خلاصة الفكر الانساني الذى لا تحده اية حدود مكانية او زمانية ضيقة وتفتح بالتالي امامه افاق الحضارة الانسانية العميقة المتنوعة على مصاريعها . ومن هنا ايضا احتل الكتاب مكانه ومكانته بين ادوات ووسائل الاتصال والتواصل الحضارى والثقافى الرئيسية .

وهذا هو الذى دفع الكثيرين من علماء الانثربولوجيا الى اعتبار اختراع الكتابة بمثابة ( الاعلان الرسمى ) لانتهاء عصور ما قبل التاريخ ومولد الحضارة الانسانية بالمعنى المفهوم من الكلمة . وبعد ان كانت الكتابة الانثربولوجية تعرف الانسان بانه ( الحيوان الوحيد المتكلم ) او ( الناطق ) اصبحت تعرفه بانه(الحيوان الوحيد الكاتب القارىء) وهذا معناه ان المسالة ليست مقصورة على ( اختراع ) الكتابة وانما هى تتعدى ذلك الى ( استخدام ) هذه الكتابة والمجالات التى تستخدم فيها . وبعد ان كانت الكتابة تستخدم فى اول الامر فى مجالات محددة ومحدودة لا تكاد تتعدى امور الدين والسحر وكان استخدامها مقصورا على عدد محدود من الاشخاص الذين يشتغلون بهذه الامور اصبحت تستخدم على نطاق واسع بتقدم الزمن بحيث شملت كل جوانب النشاط البشرى والمعرفة الانسانية .

## ● ازمة الكلمة المطبوعة

ومع ذلك فهناك من الكتاب من يتشككون فى الدور الذى يلعبه الكتاب الان كاداة للثقافة ووسيلة لنشرها وينظرون نظرة التشاؤم الى مستقبل الكاتب ومستقبل الكلمة المكتوبة او المبدوعة ، ويرون ان الكتاب والصحيفة والمجلة . وهى كلها ادوات ووسائل نقل المعرفة وتوصيلها من خلال الكلمة المكتوبة المقروءة تتعرض لخطر التوارى والتراجع والانزواء ان لم يكن الاختفاء والانتشار تماما امام التغيرات الهائلة التى تحدث الان نتيجة للثورة الالكترونية فى مجال الاتصال والتواصل . فقد ادت هذه الثورة الى ان يصبح التليفزيون هو الوسيلة الاولى والاكثر فاعلية وتاثيرا فى نشر الثقافة ليسود الان الرأى بان الثقافة التليفزيونية هى ثقافة العصر نظرا لامكان توصيلها بسهولة الى اكبر عدد ممكن من افراد المجتمع ... اى مجتمع ... ولانها تستطيع ان تخاطب الجماهير الواسعة العريضة التى قد لا تحتاج الى الالمام بالقراءة والكتابة، كما انها تستطيع تبسيط الامور المعقدة وتقريبها الى الاذهان البسيطة بشكل قد يعجز عنه الكتاب او الصحيفة أو المجلة . وقد انتقل البعض من هذا الرأى الى رأى اكثر خطورة واثارة للقلق وهو ان هذه الثقافة التليفزيونية تنذر بنهاية عصر الكتابة والقراءة كما تمثل تهديدا حقيقيا ومباشرا للكتاب كوسيلة واداة فعالة وعملية فى المجال الثقافى . وهو رأى يحتاج الى تامل ومراجعة فى ضوء الواقع والشواهد العيانية ، خاصة وان الكتاب لا يزال يعتبر حتى الان فى نظر الكثيرين هو الوسيلة الاساسية للثقافة ، ولا يزال يرتبط بها فى اذهان الناس ، بينما يقوم التصور الرئيسى

للتليفزيون على انه وسيلة للترفيه اكثر منه اداة للثقافة وبخاصة الثقافة الرفيعة والعميقة .

## ● ثورة الكتاب

والواقع انه على الرغم من كل ذلك الانتشار الواسع لرسالة الراديو والتليفزيون في مجالات الثقافة المختلفة فلا تزال الكلمة المكتوبة او المطبوعة هي سيدة الموقف - ان صح هذا التعبير ، ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الحقة للثقافة بكل مستوياتها وبالذات الثقافة الرفيعة . وعلى الرغم ايضا من كل المعوقات والصعوبات التي يصادفها الكتاب والتي قد تحد من انتشاره او التي قد تصرف الكثيرين عن القراءة فان ( صناعة ) الكتب تعتبر واحدة من اهم الصناعات رواجا وتقدما في كثير من انحاء العالم . وهذا يصدق الى حد كبير على العالم النامي او المجتمعات النامية التي تدخل مصر في دائرتها . بل ان صناعة الكتاب تمر الان في رأى بعض المفكرين بما يشبه الثورة ، لدرجة ان الكثيرين منهم يستخدمون الان بالفعل تعبير ( ثورة الكتاب ) للاشارة الى الاوضاع العامة المتعلقة بامور التاليف والطباعة والنشر والتوزيع وشدة الاقبال عليه . والنظرة السريعة الى انتشار المكتبات واكشاك بيع الكتب والمحلات سواء في الشوارع والميادين او محطات السكك الحديدية وقيام موزعي الصحف ببيع الكتب - او على الاقل نوعية معينة من الكتب العامة وغير المتخصصة - دليل على ذلك الاقبال على القراءة ، وان كانت تنقصنا الاحصائيات هنا .

فالمشكلة الحقيقية التي يجب علينا مواجهتها ليست الان هي رواج هذه الصناعة او كسادها وانما المشكلة التي يجب ان نعطيها مزيدا من الاهتمام هي نوع ( السلعة ) التي تعرضها هذه الكتب وجودتها ومستواها وطريقة عرضها والموضوعات التي تتناولها ومدى جديتها واحترامها لعقل القارىء وارتباطها بثقافة العصر والدور الذي يمكن ان تلعبه في تنوير الاذهان واثارة التفكير وخلق الوعي الكافي بمشكلات المجتمع والانسان المعاصر والقدرة على ربط القارىء بتيارات الفكر واتجاهاته في العالم الخارجي . فهذه وامثالها هي المشكلات الحقيقية التي ينبغي ان تشغل اذهان الباحثين والمهتمين بشئون الثقافة والتخطيط لمستقبلنا الثقافي .

وانا لا اقصد هنا بطبيعة الحال الكتب العلمية المتخصصة فهذه يكون انتشارها محدودا للغاية بحكم تخصصها وتعمقها في معالجة الموضوعات التي تعرض لها وهذه بذلك تخرج من نطاق الكتب الثقافية او كتب الثقافة العامة وتدخل في باب الكتابات الوظيفية . ولكن الذي اقصده هو الكتب الثقافية الجادة او الرصينة التي تتناول موضوعات عامة بشكل جاد ومتعمق والتي تستحق لذلك العمل على نشرها في اوسع نطاق ممكن لانها هي التي تساعد على ظهور الفئات المثقفة في المجتمع ثقافة عالية وعميقة . فهذا النوع من الكتب قلما تجد اقبالا على نشرها من الناشرين او اقبالا على اقتنائها من القارىء العام ، وهي تعاني من قلة التوزيع نسبيا حتى في المجتمعات الاكثر تقدما . ومن الطريف في هذا الصدد ان احد مديري النشر باحدى الجامعات الامريكية لاحظ مدى انصراف القراء عن الكتب الجادة الرصينة فأوحى في نهاية حديثه بانشاء هيئة لترويج الكتاب الجاد الذي لا يجد اقبالا شديدا عليه واقترح

# هل مضى عصر الكتاب؟

ان تسمى تلك الهيئة باسم ( نادى الكتاب غير الرائج ) او ( نادى الكتاب غير المحبوب ، وذلك اسوة بنوادى الكتب التى تنتشر فى الخارج والتى تتنافس فيما بينها تنافسا شديدا على تقديم الكتب العامة المشوقة لاعضائها بأثمان منخفضة جدا تشجيعا للقراءة وتوزيع الكتاب ذاته على اوسع نطاق وقد اقترح فى سخرية ومرارة ان تفتح هذه الهيئة او النادى باب عضويتها لكل من يريد الانضمام اليه بغير قيود وان الشرط الوحيد هو ان يقبل العضو هدية مجانية عند انضمامه وهى عبارة عن كتاب ( براغيث شواطىء المحيط الهادىء ) ، وهى سخرية تكشف عن حقيقة الواقع المؤلم من الانصراف عن الكتاب العلمى الجاد الى الكتب الاكثر اثارة وتشويقا والتى تصطبغ فى العادة بالتفاهة والسطحية ٠

## الكتاب هو انتشاره

واذا نحن صرفنا النظر ولو مؤقتا عن موقف هذا الاستاذ الجامعى المهتم بعمليات نشر الجاد العلمى الرصين فاننا نجد ان ( ثورة الكتاب ) تعبر عن نفسها فى الحقيقة والواقع فى عدد من الظاهر الهامة مثل ازدياد الاقبال على القراءة وعلى اقتناء الكتب بشكل عام والتسهيلات الكثيرة التى تلقاها صناعة الكتاب والتى تتمثل فى تقدم اساليب الطباعة بشكل يتماشى مع زيادة الاقبال على الكتب ٠ ليس من شك فى ان التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى طرأت على كثير من المجتمعات منذ أواخر القرن الماضى والتى بلغت اوجها وقمتها منذ النصف الثانى من هذا القرن ٠ كان لهـا دخل كبير فى قيام ( ثورة الكتاب ) ٠ فالزيادة السكانية الهائلة فى كل انحاء العالم وانتشار التعليم بين مختلف الطبقات بل ومجانية التعليم فى كثير من المجتمعات وتنفيذ مشروعات محو الامية فى الدول المختلفة واتساع افاق الثقافة وتنوعها وتيسير الوصول اليها والتشجيع على الاقبال عليها ساعدت كلها على ادراك اهمية الكتاب وبالتالى الاقبال على القراءة وعلى اقتناء الكتب ٠

وانتشار الكتاب ورواجه هو الذى يعطى الكتاب قيمته وأهميته وهو الوسيلة الواضحة للاعتراف بوجوده وبوظيفته وبرسالته وتأثيره فى حياة الفرد والمجتمع ٠ وهناك تعبير طريف ولكنه عميق فى دلالته وهو أن «الكتاب هو انتشاره » ، اى أن الكتاب لن يحقق وظيفته ودوره الا عن طريق الذيوع والانتشار بين الناس ، وأن الكتاب لا يصبح كتابا الا حين يجد من يقرأه ويتدبره فانه يكون مجرد كلمات والفاظ وحروف وعلامات مطبوعة ، وقصة الامير الافريقى موديبو وتجربته أمام الكتاب والقراءة وفك رموز العلامات المطبوعة على صفحاته مصداق لهذا القول ، بل ان تاريخ الكتاب نفسه وما طرأ عليه من تغيرات وتحولات فى الشكل وفى الاخراج وفى المادة التى كان يصنع منها فى مختلف العصور تؤكد صحة هذا القول ٠ فقد كانت هذه التغيرات والتحولات تصدر دائما عن رغبة الانسان فى العمل على نشر ( الكتاب ) وتذليل الحصول عليه واقتنائه عن طريق تحسين شكله واختيار المادة التى يصنع منها والاداة التى تستعمل فى الكتابة والوسيلة

التى تساعد على انتشاره وذيوعه بين ( القراء ) ابتداء من النقش على الجدران والصخور فى الكهوف القديمة التى كان يسكنها الانسان الاول ، الى الكتابة على العظام ولفائف البردى والرق حتى استخدام الورق ؟ وكذلك ابتداء من استعمال أدوات الحفر الحجرية أو الحديدية الى الكتابة باليد باستخدام الاصباغ والالوان الطبيعية الموجودة فى البيئة المحلية الى الطباعة بأشكالها ومراحلها المختلفة وحتى استخدام التصوير الضوئى فى الوقت الحالى وغير ذلك من الاساليب التكنولوجية الحديثة التى تعمل بغير شك على تيسير وتسهيل طبع أعداد كبيرة جدا من النسخ بأسعار منخفضة وبالتالى تيسير القراءة والاطلاع . وبعد أن كان اقتناء الكتب مقصورا على الطبقات الغنية والموسرة والتى كانت تأخذ على عاتقها فى القرون السابقة مهمة تشجيع الثقافة بألوانها المختلفة وتحيط نفسها بالمثقفين والمبدعين أصبح الكتاب الان بفضل هذا التقدم فى وسائل الطباعة والنشر فى متناول القارىء العادى الذى يتخذ من القراءة وسيلة لتوسيع أفقه أو حتى لتمضية وقت الفراغ . فلقد أصبحت القراءة فى الوقت الحالى ( هواية ) عند عدد كبير جدا من الناس فى مختلف المحيطات ، وأصبحت هذه الهواية ( ظاهرة ) من أهم ظواهر العصر الحديث فى العالم الغربى على الاقل ، ولكنها ظاهرة تستحق الدراسة والتعمق فى معرفة ملامحها وأثرها فى المجتمع الغربى عسى أن نخرج منها ببعض الدروس التى تساعد على تشجيع القراءة واقتناء الكتب فى مجتمعاتنا نحن ، وان كانت هناك على أية حال دلائل واضحة على اتجاه كثير من الشباب عندنا الى القراءة .. ولكن السؤال المهم هنا هو : أى نوع من القراءة يقبلون عليه الان ؟ هذا هو ما يجب البحث عنه .

## الكتاب فى مصر

ويدعونا الانصاف الى الاعتراف بالجهود الطيبة التى تبذل الان لترسيخ هذه ( الثورة ) وتوسيع نطاقها فى العالم كله بما فى ذلك المجتمع المصرى وتتخذ هذه الجهود أشكالا كثيرة لعل أوضحها وأهمها وأكثرها فاعلية هو الاهتمام بنشر السلاسل أو المجموعات التى تغطى جوانب الثقافة المختلفة وتباع بأسعار زهيدة لتشجيع الاقبال على القراءة . ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه ( السلاسل ) أو الطبعات الشعبية لا تنشر سوى الكتب الخفيفة أو الطريفة المشوقة. فكثير منها ينشر أعمالا رصينة لها قيمتها ومكانتها فى تاريخ العلم والثقافة . ولكن الانتاج الواسع الكبير وطبع هذه الكتب على ورق عادى رخيص وتغليفها بغلاف من الورق العادى بدلا من التجليد الفاخر هى التى تؤدى الى انخفاض الثمن وبالتالى الى سعة الانتشار والتداول. والفكرة ذاتها قديمة وترجع فى الحقيقة الى أواخر القرن الماضى فى أوروبا ، ثم اتسع نطاق تنفيذها قبل الحرب العالمية الثانية حين شهدت بريطانيا بالذات بعض هذه المجموعات أو السلاسل العامة مثل مجموعة بنجوين التى تعتبر أشهر هذه المجموعات والسلاسل وأرخصها وأكثرها انتشارا وذيوع حديث . وقد عرفنا نحن أنفسنا هنا بعض المجموعات والسلاسل التى كانت تصدرها بعض دور النشر المصرية الكبرى والتى تتفاوت تفاوتا كبيرا فى مجال المجالات الثقافية التى تهتم بتغطيتها وفى

# هل مضى عصر الكتاب؟

المستوى العلمي والثقافي . ولكن أحد الامثلة الطيبة لهذه السلاسل هي سلسلة الالف كتاب التى اصدرتها منذ سنوات ادارة الثقافة في مصر ثم سلسلة الالف كتاب الثانية التى تصدرها الان الهيئة المصرية العامة للكتاب .. فهذه كتب قيمة ورخيصة وتصلح اساسا صلبا لنشر الثقافة الرفيعة الراقية والعالمية بين عامة القراء في مصر والعالم العربي

والذى يثير فى النفس الارتياح هو انه على الرغم من كل الدور الذى يلعبه التليفزيون فى المجال الثقافى وعلى الرغم من كل التخوف الذى يبديه المهتمون بأمور الثقافة عن طريق الكلمة المكتوبة والمطبوعة فان حركة صنع الكتاب ونشره ظلت كما قلنا فى تقدم واطراد ولكن كان يتعين على هذه الصناعة ان تطور نفسها لتواجه المزاحمة الخطيرة من التليفزيون وبقية وسائل الاعلام والثقافة الجماهيرية . وقد أدى ذلك الى ادخال كثير من التجديدات على شكل الكتاب التقليدى وطريقة اخراجه وبخاصة فيما يتعلق باخراج الغلاف الخارجي الذى يعتبر فى كثير من الاحيان لوحة فنية رائعة يتفنن الرسامون فى وضعها والتخطيط لها . ولا يقتصر ذلك على كتب الثقافة العامة وانما امتد الى الكتب المدرسية فى الخارج كوسيلة لتحبيب النشىء فى القراءة وترغيبهم فيها وتكوين عادة القراءة عندهم منذ الصغر . وهى ناحية نغفلها عندنا ولا نكاد نعطيها أى قدر من اهتمامنا بحيث ان الكتب المدرسية عندنا تتولى فى الحقيقة عملية تنفير التلاميذ من القراءة بسبب سوء اخراجها ورداءة الورق الذى تطبع عليه وانحطاط مستوى الطباعة . وليس من شك فى أن ذلك يعتبر من أهم الاسباب التى تجعل القراءة عندنا لا تؤلف عنصرا فى حياتنا اليومية كما هو الشأن فى المجتمعات الاكثر تقدما .

والمشاهد على اية حال ان بيوتنا تكاد تخلو من وجود مكتبة فيها الا فيما ندر مع أن الكتاب كان فيما يبدو - يؤلف حلما من الاحلام الجميلة التى يهفو اليها الانسان المصرى فى فترة قديمة من تاريخه الطويل العريق .

والحكيم المصرى القديم خيتى دواوف يقول فى أحد تعاليمه : « ليتنى استطيع أن أجعلك تحب الكتب اكثر مما تحب أمك ، وليت فى استطاعتى أن ابرز لك ما فى الكتب من روعة وجمال . فالكتابة أشرف مهنة فى الوجود » .

وربما كانت هذه العبارة هى اول حكمة او عظة سجلها تاريخ البشرية عن الحث على حب الكتب والتشجيع على القراءة وابراز الدور الذى يمكن ان يلعبه الكتاب فى حياة الفرد والمجتمع بل وفى تشكيل الحضارية الانسانية كلها ، ولذا فليس بغريب ابدا ان يكون احد التماثيل الرائعة التى تركها لنا المصريون القدماء هو تمثال الكاتب المصرى الشهير .

فهل يمكن لنا ان نتعقل معنى هذه العظة التى صدرت عن خيتى دواوف منذ الاف السنين ؟ وهل يمكن لنا أن نستوعب ايضا معنى ان يكون احد تماثيلنا القديمة العريقة هو تمثال كاتب يجلس وقد فتح امامه الكتاب ؟ لعل وعسى .



# أقــوال معـاصـرة

● نحن مع تيار التـاريخ ٠

**ياسر عرفات**

● **اقوال معاصرة**

● لو حدث ان تخلى عنى الدافع للكتابة فى اى يوم ، فاننى اتمنى ان يكون هذا اليوم اخر ايام عمرى ٠

**نجيب محفوظ**

● نجيب محفوظ راهب من رهبان الكتابة ، والادب العربى بحاجة الى رهبـان ٠

**نزار قبانى**

● لا اريد ان اصبح جزءا من الماضى ٠

**فيروز**

● لست موظفـا بل فنـانا ٠

**المخرج السوفييتى « ايليم كليموف »**

● نحـن ما نأكل ٠

**رى تانهيل صاحبة كتاب الطعام فى التاريخ**

● الانتخابات اثبتت ان اسرائيل واحة الديموقراطيـة بالمنطقـة ٠

**فرانك كارلوتشى وزير الدفاع الامريكى**

● كانت الحملة الانتخابية صراعا بين البلهاء والعجزة ، وانتهت بفوز البلهـاء ٠

**ايزر وايزمان منظم حملة حزب العمل الانتخابية**

● الانجازات التى تحققت للشعب الامريكى خلال فتــرة حكمى جعلت العالم كله يحسده عليها ٠

**رونالد ريجان**

● مازلت عند رأيى فى ان الخالدين اعظمهم محمد ٠

**مايكل هارت مؤلف كتاب « الخالدون مائه »**



ياسر عرفات



نجيب محفوظ



نزار قبانى

القفز على

# الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# لغة الحب

يقول ابن حزم الأندلسى فى أول « باب الإشارة بالعين » من كتاب « طوق الحمامة » :

« ثم يتلو التعريض بالقول ، اذا وقع القبول والموافقة ، الإشارة بلحظ العين ، وانه ليقوم فى هذا المعنى المقام المحمود ، ويبلغ المبلغ العجيب ، ويقطع به ويتواصل ، ويوعد ويهدد ، وينتهر ويبسط ويؤمر وينهى وتضرب به الاوعاد ، وينبه على الرقيب ، ويضحك ويحزن ويسأل ويجاب ، ويمنع ويعطى ».

« ولكل واحد من هذه المعانى ضرب من هيئة اللحظ لايوقف على تحديده الا بالرؤية ، ولايمكن تصويره ولا وصفه الا بالاقل منه ، وانا واصف ماتيسر من هذه المعانى »

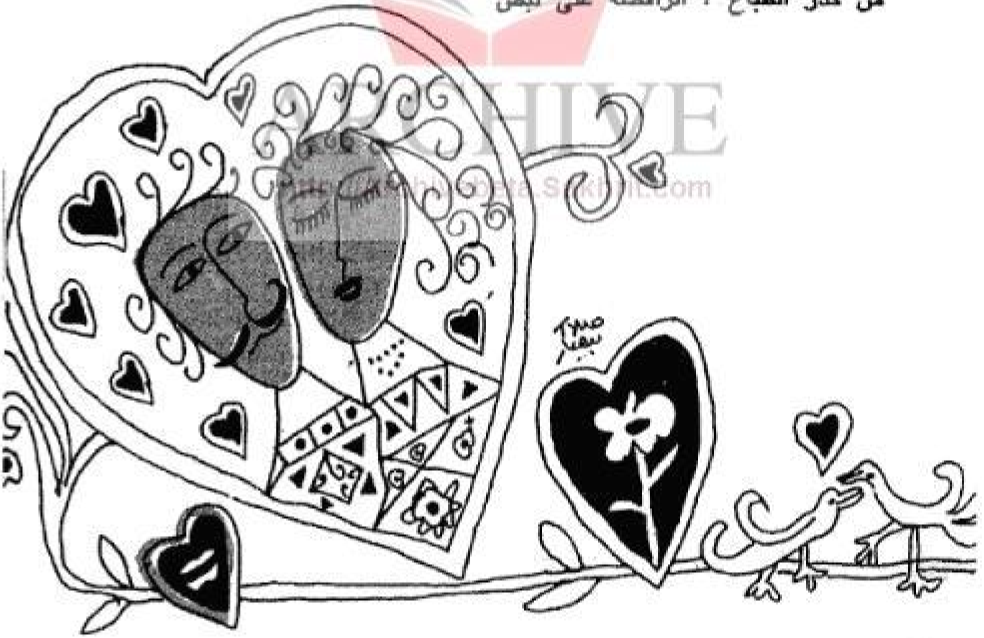
فالاشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر وتفترها اعلام بالقبول ، وادامة نظرها دليل على التوجع والاسف ، وكسر نظرها اية الفرح ، والاشارة الى اطباقها دليل على التهديد ، وقلب الحدقة الى جهة ماثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه ، والاشارة الخفية بمؤخر العينين كلتيهما سؤال ، وقلب الحدقة من وسط العين الى الموق بسرعة شاهد المنع ، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهى عام ، وسائر ذلك لايدرك الا بالمشاهدة .

ولغة العيون عامة لجميع البشر ، خالدة على مدى العصور ، والغلط فى فهمها لايكون الا عن غفلة او فساد فى الفطرة ، وعاقبته المؤكدة ان يسقط المحب من عين المحبوب ، فيلقى بعد « القبول والموافقة » الطرد والمنع ولكن العيون التى تحسن الكلام والفهم هى العيون الصافية من كدر الطباع ، الراقصة على نبض القلوب ، ورحم الله فقيه الاندلس العظيم ، ماكان اخبره بلغة العيون !

فهذه اللغة الفصيحة ، المرهفة الخالدة معرضة اليوم للفساد واللحن كلغتنا العربية الفصحى سواء بسواء . وتوشك أن تزيحها عن مكان الصدارة فى حوار المحبين ، لغة اللمس ( على طريقة برايل ) ولاسيما حين تطفأ انوار السنما .

**فالحب يتكلم بالف لغة ، ولكن لغات الحب تتفاوت رهافة ونعومة ، فمنها مايشبه موسيقى الحجرة ، ومنها مايشبه ضجيج القرب والابواق والطبول فى حفلات الزفاف هذه الايام وتعترى لغة الحب فى مادتها وتشكيلها مايعترى لغات الادب والفن من تاثيرات البيئة وروح العصر .**

واذكر من عهد المدرسة الثانوية انه كان لنا مدرب العاب ـ وكان يسمى ضابط ألعاب ، ويعين عادة من الجنود المسرحين



# الأشـواك

ولايشترط فيه الا معرفة القراءة والكتابة ( فلم يوجد ، في عهد الجاهلية هذا ، معهد واحد للتربية البدنية ) ، وكان من مهام هذا الضابط او المدرب ان يكلف بدخول الفصول اذا غاب احد المدرسين ، وتنحصـر مهمته بطبيعـة الحال في « ضبط » الفصل ، وبما ان ضبط الفصل من اصعب الامور اذا لم يشغل التلاميذ بشيء ما ، وربما لان صاحبنا اعجبه ايضا ان يتكلم امام الفصل ، مثل سائر الاساتذة ، والتلاميذ ينصتون ، بل ينصتون باهتمام لايمنحونه لاى استاذ اخر - اخترع موضوع « القزاقيز »

والقزاقيز جمع تكسير ومفرده قزقوزة ، وانا اكتبها هكذا بالقاف - مع ان صاحبنا كان ينطقها دائما بالهمزة - لانى اظنها مشتقة من « قزقزة اللب » وهذه تكتب بالقاف دائما مع ان نطقها بالهمزة ويحتمل ايضا إنها مأخوذة من « وظوظة » بعد ابدال الواو همزة والظاء زايا لمزيد من التمليح .

واراك تتساءل عن معنى القزقوزة او الازوزة ، فاعلم هداك الله انها كلمة ، اخترعها ذلك الشخص ، وانها كانت تعني الفتاة الصغيرة ومع كثرة الاستعمال دخلها المجاز فاصبحت تدل ايضا على قصة غرامية مرحة بطلها يمكن ان يكون اى واحد منا ، وبطلتها بنت صغيرة جميلة والمفهوم انها بنت الجيران .

وبما ان صاحبنا كان يتمتع بموهبة تمثيلية غير عادية ، فقد كانت قصصه تتالف من مواقف ، وتعتمد على لغة الاشارات ، اذكر منها :

الصبية تنظر من شباك منزلها ، وانت قادم في اول الشارع لمحتك ، فواريت النافذة قليلا ، ولكنك لاتزال تراها من خلف الشيش

تسير متمهلا . وعندما يصبح بيتك وبين النافذة عشرة امتار تقريبا على ارض الشارع ( لم يكن الاستاذ يعرف المسقط الرأسي ) تخلع طربوشك . ( هذه الحركة معناها انك فهمت انها فهمت )

اذا نكست رأسها فمعنى ذلك أنها مستعدة لسماع أقتراحاتك عند ذلك تنفخ كأنك حران ( بصرف النظر عن حالة الطقس ) وتضع طربوشك على رأسك اذا كان الزر جهة اليمين فمعنى ذلك انك تريد مقابلتها امام محطة السكة الحديد في الساعة الثالثة اذا جعلته معتدلا الى الخلف فمعنى ذلك الساعة السادسة . اذا كان جهة اليمين فموعدك الساعة السادسة طبعا لايمكنك ان تختار الساعة الثانية عشر ، مع ان الظهر موعد مناسب جدا ، لان وضع الزر في هذه الحالة سيجعلك اضحوكة .

فيما عدا هذه المواقف العملية لا اذكر شيئا من قزاقيز « الاستاذ » واغلب الظن انها كانت ذات موضوع واحد ، مثل القصص الغرامية التي يكتبها بعض الروائيين المشهورين في ايامنا ، فانت تسمعها او تقرؤها بشغف ، وتنساها على الفور .

ولا ادعى انني جربت نصائح الاستاذ ، او حاولت اخراج هذا الموقف ، او غيره ، على ارض الواقع ، فقد كنت انذاك صبيا دون الثانية عشرة ( وكانت المدرسة الثانوية في ذلك العهد خمس سنوات تتبع الابتدائية مباشرة اعطيك هذه المعلومة

حتى لاتنسب الى عبقرية لا أستحقها ) فلا يمكن ان تأخذ اى فتاة ولو كانت مثلى فى السن ، هذه الحركات مأخذ الجد ، ويحتمل ايضا الا تفهم معناها لان الانسان لايولد مزودا بهذه المعانى ، ويبعد ان يوجد فى كل مدرسة ثانوية للبنين ، فضلا عن مدارس البنات ضابط ألعاب من سلاح الاشارة وعندما كبرت واصبحت محتاجا الى الارشاد فى ممارسة الغزل وجدتنى اتصرف بعصبية لا تسمح باستخدام هذا التكتيك المحكم ، فكنت اما شديد الحياء واما شديد الاقتحام ، وكانت تجاربى كلها ، الناجح منها والفاشل على السواء ، خبط عشواء ، وكما يتوقع ، كان الفشل اكثر كثيرا من النجاح ولذلك قررت أن من خطل الراى أن يقدم المرء على هذه المخاطرات فى بحار الغرام دون أن يكون مسلحا ببوصلة النظرية ، فاتجهت الى الملاحظة والدراسة ، ولم ازل فيهما حتى الان ، ولم اشعر فى وقت من الاوقات أنى بلغت من العلم بلغة الغرام حدًا يسمح لي بالانتقال من حيز النظرية الى حيز التطبيق ، هكذا حتى فات الأوان ، ولكنى لن أضن عليك بخلاصة افكارى حول هذا الموضوع ، وانى لارجو ان تنفعك اكثر مما نفعتنى نصائح ضابط الالعاب .

واول ما ابدأ به انى ساتكلم عن لغة الحب بصيغة المفرد لابصيغة الجمع ، رغم انى قلت منذ قليل ، ونحن بصدد الحديث عن لغة العيون ، ان الحب يتكلم بلغات كثيرة ، لابلغة واحدة ولكن التعمق فى البحث هدانى الى ان هناك لغة واحدة للحب ، وان اختلفت وسائط التعبير ، او قل ان هناك نحوا عالميا مشتركا يجمع ـ مثلا ـ بين كلام فقيه الاندلس وكلام ضابط الالعاب وليس معنى ذلك ان اللغات سواسية فى مستواها الفكرى ، ولا ان المتكلمين بنفس اللغة يتساوون فى بلاغة التعبير ، ولكن مزية هذا النحو العام هى ـ بالضبط ـ انه يضع فى يدك ، المفتاح الاستاذ ، الذى يمكنك ان تطلع به على محتويات كل لغة وتحكم على براعة كل

## ● اختلاف التفاصيل

ويقول بعض الناس ان معجزة الكمبيوتر هى انه اكتشف الوحدة اللغوية التى تصلح للتخاطب بين الانسان والالة ، ومن ثم فهذه الوحدة صالحة ايضا للتخاطب بين الانسان والانسان ، سواء اكان التخاطب بلغة من اللغات الطبيعية ، ام باشارات الايدى ام بنظرات العيون ، ولم تكن هذه الوحدة مجهولة قبل اختراع الكمبيوتر ولكنها كانت تائهة وسط تفاصيل النحو والصرف ومتن اللغة واختلاف هذه التفاصيل بين لسان ولسان ، الى درجة اتعبت المترجمين من قديم الازمان هذه الوحدة هى ببساطة الايجاب او النفى . نعم او لا . ومادمنا نتكلم عن نعم و لا كوحدة فيجب ان تمثل اصغر العناصر فى الموضوع . الحرف اذا كان الموضوع كلمة والمعلومة الواحدة اذا كان الموضوع خبرا . والمعلومة الواحدة التى يمكن التفاهم حولها بالقبول او الرفض هى المعلومة المحددة التى يمكن الاشارة الى طرفيها : اى الى المخبر عنه والمخبر به .

من هذه الوحدة البسيطة يتكون كل انجاز علمى ، وكل بحث فلسفى ، وباختصار كل ما انتجه عقل الانسان ، ومايحاول الكمبيوتر ان يقوم به نيابة عن الانسان ، وبديهى ان هذه الوحدة المتواضعة ماكانت لتنتج تلك الاثار الجليلة دون ان تدخل فى تركيبات متزايدة التعقيد

المتـفـزعـلى

# الاشواك

، تسميها المنطق او المنهج العلمى – وان كانت التركيبات العقلية ذاتها لاتخرج عن المبدأ الاثنينى نعم او لا . ولكن هناك شرطا اخر مهما يجب الاتفاق عليه فى كل خطوة : وهو تحديد المعنى المراد بكل مخبر به ومخبر عنه . وهو شرط عزيز ، وبسبب فقدانه عجز الكمبيوتر عن ترجمة روائع الادب ، وان كان قد نجح نجاحا طيبا فى ترجمة حقائق العلم ، وبسبب فقدانه ايضا قامت الحروب ، ووقعت المنازعات وتبودلت الاتهامات على مستوى الافراد والجماعات ، فاللغة ليست الا مجموعة من الرموز ، يترجمها المتلقى فاما طابق مراد المرسل او لم يطابقه . ولان لغة الكلام عرضة دائما لاساءة التعبير واساءة التأويل ، لم يعتمد عليها العشاق فى التفاهم ، بل كانت التهنهة ، والتمتمة ، والعبارات المبتورة ، والجمل السخيفة ، ابلغ فى التعبير عن الحب من كل كلام منمق ، وناهيك بلغة الدموع ، ورحم الله ابراهيم ناجى حيث يقول :

**وحبيس من عتاب فى فمى**
**قد عصانى فتفجرت دموعا**

والمشهور ان الدموع سلاح المرأة ، ولكن هذا القول لم يعد ينطبق على الواقع ، اذ لم تعد المرأة اقل قدرة من الرجل على استعمال اسلحة الحرب المعتادة ، وربما نافسها الرجل فى استخدام سلاح الدموع ، وان كنت اعتقد انا شخصيا ان ابراهيم ناجى بالذات لم يكن يحسن استخدام هذا السلاح ، بل انه فى الحقيقة كان يصوبه الى نفسه ، كما فى هذا البيت المشهور ، وسالخص لك هذه المسألة وغيرها مما يتصل بلغة الحب ، راجيا ان تنتفع بها فيما لايغضب الله :

قد تبين لك مما قلناه عن كثرة وسائط التعبير ووحدة المعانى فى لغة الحب ان العبرة بما تنطوى عليه القلوب من معانى الايجاب والقبول ، او الانكار والرفض ، واذا كان التفاهم بين الاحباب والازواج قد اصبح صعبا فى هذه الايام ، حتى تجاوز الصفع والركل والعض وخمش الوجوه وتمزيق الثياب الى الضرب بالرصاص والطعن بالسكاكين فما ذاك الا ان تلك المعانى قد حالت عن مستقرها فى النفوس ، ولم تسكن بعد الى مستقر جديد .

فمعانى الحب الكلاسية لاتخرج عن اصلين :

حب المرأة للرجل يعنى انها تثق به ، وتقبل ان تعيش فى ظل رعايته ، وتسبغ عليه من حنانها الذى تشعر انه محتاج اليه .

وحب الرجل للمرأة يعنى انه قادر على حمايتها واشباع عواطفها بقدر حاجته الى حبها وحنانها .

ومثل هذا الحب ، من الطرفين ، لايحتاج الى « كلام » كثير ولكن الملاحظ ان المحبين والازواج فى هذه الايام يتكلمون كثيرا . والتفسير السطحى لهذه الظاهرة هو ان الرجل والمرأة اصبحا متقاربين فى الاهتمامات وطريقة التفكير ويكفى للدلالة على فساد هذا التفسير اننا لانتزوج كل من نعجب بتفكيره واننا لو اقتصرنا على تبادل الافكار مع ازواجنا ، دون غيرهم او غيرهن من الزملاء والاصدقاء لكان ذلك دليلا على ضعف العقل ، وضيق الافق .

انما السبب الاساسى فى تقديرى ان لغة الحب الكلاسية قد تصدعت ، وان المشاركة فى الافكار والاهتمامات ليست الا محاولة يائسة لرأب الصدع ، وكثيرا ماتئول هذه المحاولة الى عكس المرجو منها ، فيكون الزوج زملكاويا والزوجة اهلاوية ، ويكون الزوج اشتراكيا والزوجة انفتاحية ( واغلب المناقشات التى شهدتها بين الازواج الشبان لاتتجاوز هذين الموضوعين ، فلم اعثر حتى اليوم على زوجين يتناقشان فى الادب او الفن او الموسيقى ) وربما كانت ميول كل من الزوجين الى هذا الجانب او ذاك ضعيفة فى البداية ، ولكنها تزداد حدة بعد الزواج .

ولب المسألة ان المرأة لم تعد تعترف بانها فى حاجة الى حماية الرجل ( لها حق : سمعنا بخطف كذا رجلا ، ولم نسمع بخطف امرأة واحدة ) ومن ثم فهى غير مضطرة الى تبنى ارائه : بل ولم تعد ترغب فى الانتساب اليه ، واذا كانت على علم بشيء من اخبار الحركة النسائية المعاصرة فلعلها توافق على ان الرجل لم يعد له لزوم « اصلا » ، وان صداقة المرأة للمرأة افضل كثيرا من ان تتنازل عن حريتها للرجل ، وان مسألة بقاء النوع محلولة بدون حاجة الى زواج ، وان النسوة اللائى يشعرن بميل قوى الى الامومة يمكنهن اشباع هذا الميل بالطرق الصناعية ، بل وان من المستطاع التحكم فى عدد الرجال على سطح الارض ، او فى البلاد المتقدمة فقط ، حيث يكون للعدد قيمة باستخدام العلم الحديث ، بحيث يكتفى بالعدد الضرورى لاستمرار الحياة على سطح هذا الكوكب .

والمرأة معذورة فقد كانت جدتها تقول « ظل رجل ولا ظل حيط » ، وكانت العروس تنتقل من بيت ابيها الى بيت زوجها معززة مكرمة ، مخدومة منعمة ، يقيها زوجها هموم العيش ، كما تقيها حيطان المنزل من الحر والبرد ، فكيف بها الان وهى ترى الزوج لا يقدم على الزواج الا بعد ان يسأل عن مرتب زوجته ، وهى تشقى مثله فى المكتب او المصنع او المتجر ، ثم تعود منهكة لتجده الخسيس ! راقدا ينتظرها لتهيىء له الطعام وتصنع له كوب الشاى او فنجان القهوة ، وهو مضطجع ولا هارون الرشيد فى زمانه فكيف لاتثور ؟

ولكن الرجل لايريد ان يتعلم ، ولا يريد ان يطور لغته . وقد ضحكت من الاعماق وانا اشاهد فيلما تليفزيونيا لكاتب يقاربنى فى السن ، وقد جعل الزوجة الشابة العاملة ، تضيق بزوجها الطبيب ، المطواع وتجرى وراء رجل مغرور ، ثقيل الظل ، كل مزاياه انه يفرض عليها رأيه بالحاح سمج وفى امور هى اصلا من اختصاص النساء ( ولكن بها ايحاء جنسيا ) مثل لون الحمام !

المرأة الشابة كما اعرفها الان لاتقبل هذا الوضع المهين ، ورجل الاقدار هذا - وهو هنا متوسط العمر - لم يعد موجودا ايضا ، الا فى خيال بعض الكتاب الشيوخ الذين ارتدوا الى المراهقة ، ولغة الحب الجديدة المناسبة لهذا العصر ، لن يبدعها صانعو الحب ، وبائعو الحب من اشباح الماضى ، بل سيصنعها الشبان والشابات بانفسهم من احترامهم لانفسهم ، وحبهم للحياة واملهم فى المستقبل !

# كل الوزراء أتوا من منازلهم..

# وجاء فتحى رضوان من السجن !

## بقلم: يحيى حقى

**ولد فى بوتقة السياسة ، ولكن هوى قلبه مع الادب والفن .. فى السياسة سيتمسك بالمثل العليا .. يذدرى خصومه ، ويانف ( ممن ) يسمون انفسهم بالعمليين .. النظر كله للاستراتيجية لا الى التكتيك ، وكل تضحية فى سبيل الوطن واجبة بلا جدال وبلا جدل .. نور لواء مصطفى كامل وضع كل انسان غيره فى الظل ( حتى ) سعد زغلول .**

**وكما التصقت الزكاة بالصلاة .. التصق اخلاصه للشعب باخلاصه لقضايا وطنه السياسية .**

● انضم الى ثورة يوليو لانه رأى الحكم لاول مرة فى يد فتية من ابناء البلد كما يطالبون بحقوق مصر السياسية يطالبون بالعدل الاجتماعى .. كل الوزراء جاءوا من منازلهم .. اما هو فقد جاء من السجن . كل رجل خدم مصر عبر التاريخ هو من اصدقائه الحميمين ، يجلى فضلهم .. ويشيد بمن تراجع الضوء عنه .. حبه لمصر نار متقدة فى قلبه فهو دائم التحفز .. دائم القلق .. دائم الحركة .. شديد الحساسية .. احلامه مشروعات عملية ينتظر اللحظة التى يتولى هو تنفيذها .. مشروعات تتدفق كالنافورة ، ولكن هوى قلبه مع الادب .. واسع الاطلاع على الادب العربى والاجنبى له اسلوب متدفق سيال .. كتب القصة والمسرحية والسيرة الذاتية .. والتراجم والتاريخ .. لم تقتصر بلاغته على قلمه بل هو خطيب مفوه فى المحاكم وفى كل محفل يحضره .. يغلبه التأثر احيانا خاصة فى اواخر ايامه فتدمع عيناه .

ليس فى هذا الكلام نص او تاريخ لوثائق ، ولكنه شهادة عيان امليها عن تاريخ مضى عليه اكثر من ثلاثين عاما ولامر ما طمست ملامحه ..

لما تولى وزارة الارشاد اندفع فورا بسبب حبه للادب والفن الى انشاء



فتحى رضوان

مصلحة مستقلة للفنون فى بطن الحكومة وكانت مصلحة الاستعلامات حينئذ هى التى تتولى أطرافا من اشتباك الدولة بهذه الفنون ، وبخاصة فى المسرح والسينما .. وقال لا يعقل ان يعرض على رئيس هذه المصلحة اعداد بعثة صحفية لتسافر الى موسكو .. ثم تكون الورقة الشيطانية التى تعرض عليه الترخيص لبطالة للسفر للخارج ، فمن بطن مصلحة الاستعلامات خرجت مصلحة الفنون التى تعتبر نواة وزارة الثقافة الحالية ، وان كان عنوانها مبهما فما هى هذه الفنون على وجه التحديد ، وهل اعدت لها العاملين القادرين على الوفاء بواجباتهم من خلال مصلحة الفنون ، اقيل بنفاذ كل الطموحات فى الادب والفن .

## ● فى الادب

طلب الاستاذ حلمى سلام وقال له ان مجلتك هى عبارة عن برنامج الاذاعة بين غلافين ، وهى مجلة تدخل كل بيت فلابد ان يطعمها بأبحاث ادبية لعلنا نتسلل بها الى هذه البيوت .. وتحولت هذه المجلة الى مجلة تعنى بالادب وتستكتب كبار الادباء .

طلب الخواجا الكسندر بابا دوبولو اليونانى الاصلى وكان يصدر فى القاهرة مجلة باللغة الفرنسية اسمها مجلة القاهرة ، وقال له انك تستولى على اعانة من حكومة فرنسا تخفيها عن مصر ، واعانة من مصر تخفيها عن فرنسا ، فالعدل يقتضى ان تعطى كل صاحب فضل حقه .. كما تعرض للادب الفرنسى فى مجلتك يجب ان تعرض الادب العربى .. لم يكن فى كلامه تهديد بقطع الاعانة لكن بابا دوبولو خرج وهو يرتجف وتضمن العدد التالى حيزا كبيرا خصصه لترجمة بعض أعمال الكتاب العرب المصريين ، واستمر الحال على ذلك الى ان انقطعت بسبب دخول صاحبها الى السجن فى قضية اتهام بعثة تجارية فرنسية بالتجسس .

طلب مدير الاذاعة وقال له : فى برامجكم مادة ادبية قيمة تضيع فى الهواء ، فلماذا لا تصدر كتبا تسجل هذه المادة .. وهكذا اصدرت سلسلة احاديث الاذاعة الادبية التى لم يكتب لها البقاء بعد خروجه من الوزارة ..

قال لحسين فوزى وكيل الوزارة ان مجلاتنا الادبية هى كسلق البيض .. مقالات مكتوبة على عجل ، وبأسلوب كراجيات الانشاء عند التلاميذ ، وانا اريد مجلة تنشر ابحاثا يتعب صاحبها فى كتابتها اشد التعب ، ولو دفعنا له اجر المقال الواحد خمسين جنيها ،

## كل الوزراء أتوا من منازلهم ..
## وجاء فتحي رضوان من السجن !

وهكذا صدرت فورا مجلة المجلة التي تولى رئاسة تحريرها المرحوم الاستاذ عوض محمد عوض ثم حسين فوزى الذى عين لها مترجما عن الفرنسية واخر عن الانجليزية ، وكان لهـا ايضا فى عهد لاحق مراسل مقيم فى باريس ، وشرعت فى البحث عن مراسل يقيم فى برلين ، ولكى يعلن عن غرضه كتبت المجلة على راس غلافها عبارة سجل الثقافة الرفيعة ، وكم هممت بأن احذف هذه العبارة حين اشرفت على هذه المجلة لاننى اريد ان تتحدث المجلة عن نفسها بمضمونها لا بالاعلان السافر عنها ..

● فى السينما

كانت السينما تعانى حينئذ ازمة شديدة ، وتقدم اليه طلب بنفع اعانة مالية لبعض المخرجين المتعطلين فقال : بدلا من الاعانة والدفع من اليد العليا الى اليد السفلى سنكلفهم باخراج افلام تسجيلية قصيرة للاخذ بيد هذا الفن المهمل فى مصر ، فتم انتاج اكثر من ستة افلام الى جانب فيلم عن مختار .. اخراج ولى الدين سامح ، وتصوير الحاج وحيد .. وفيلم عن ناجى ، وفيلم عن الواحات

واما عن كبار الممثلين فقد اعانهم بان طلب اليهم ان يكتبوا نظير اجر مذكراتهم الفنية .

كنت معه حين انصرفنا من مكاتبنا فى قصر عابدين فمررنا بفناء القصر فتوقف عن السير وتلفت حواليه وقال: هذا مكان جميل لنقيم فيه ندوة سينمائية على غرار الندوات التى تقام فى مراكز الثقافة التابعة للسفارات الاجنبية ، وامرنى بتنفيذ هذه الفكرة فكان لى سؤال واحد اضمرته فى سرى .. هل لى فى هذا الفناء مراحيض؟

وقد دفعه فرحه بتنفيذ هذه الفكرة ان دعا سفير روسيا لحضور اول حفلة اذ سيعرض فيها فيلم عطيل من اخراج روسى ، فلما اطفئت الانوار .. غابت الشاشة البيضاء فى سواد الليل لان آلة العرض كان ينقصها شىء اسمه الفحم .. ليل أسود ، وعطيل اسود ، وفحم اسود ، ووقعت الفضيحة على راسى ، ولكن الاستاذ فريد المزاوى القوة الدافعة لهذا المشروع قال : لا تبتئس كل بداية عسيرة .. وهكذا انشأ ندوة الفيلم المختار التى تخرج منها عديد من الشبان المتحمسين لفن السينما .. واليه وحده يرجع الفضل فى انشاء معهد السينما ، لقد استدعى خبيرا فرنسيا فوضع لنا اسس المعهد وبرامجه

● مسرح العرائس

استغل صداقته بسفير رومانيا فى مصر ، وهى مشهورة بتقدم مسرح العرائس لديها .. طلب اليه ان يوفد الينا خبراء فى هذا الفن فاذا بنا نستقبل سيدتين تحملان موسيقات عديدة ومراجع وكراسات ، وملاحظات وابلغناه بعد ايام قليلة ان جميع هذه الاوراق سرقت منهما .. ولكن هذا لم يمنع من ظهور مسرح العرائس فى مصر لاول مرة بفضل صلاح جاهين لا ازال اعجب كيف تم تدريب الايدى اللازمة لهذا المسرح فى فترة زمنية وجيزة ..

التزمت مصر بان توفد للصين بعثة للرقص الشعبى ردا على زيارة فرقة صينية مماثلة لها ، وهكذا انشئت اوبريت ياليل ياعين التى تعتبر اول محاولة لاعتلاء هذه الفنون خشبة المسرح بل خشبة الاوبرا ..

● فى السيرك

كان يعتبر السيرك من اهم الفنون الشعبية العريقة التى لا يلقى اى انتباه من الحكومه ، فقرر ان يحتضن هذا الفن ، وامرنى ان ازور السيرك وقال : اننا لن ندفع نقدا له ، ولكن نعينهم على تحسين ادواتهم فنشترى لهم بساطا كبيرا جميلا لوضعه مكان هذا البساط الرث القذر الذى يفرشونه على الارض حين يأتى دور تقديم مسرحية قصيرة اهمها مأساة الثالوث الشهير ، يحيى البرمكى والخليفه هارون واخته العباسه .

وهكذا سرعان ما اصبح السيرك من مؤسسات وزارة الثقافة المحترمة .

بل امتد نظره الى العروسه الحلاوه فى مولد النبى وقال اتمنى ان تحظى بنظرة من اساتذة الفن التشكيلى عندنا ليحاولوا ابرازها فى صورة اجمل فزرت بناء على امره ساحة الموالد ودخلت اسفل المنصات وعاينت العرائس وانتهيت بزيارة المعامل فوجدت الحكاية كلها قالبا خشبيا يشق نصفين ، ويصب فيه محلول السكر ثم تذوق باقاصيص من الوان فاقعه ، فتركنا كل شىء على حاله .. هكذا كان يتردد بين الحلم والواقع ..

● فى الخطابة

ساءه ولاشك ان فن الخطابه قد انحسر فقرر ان يقيم فى حضن وزارته مسابقة لاختيار احسن الخطباء بين الشبان ومنح الفائز منهم جائزة ماليه، ولكن هذا المشروع لم يكتب له الاستقرار .

● فى المكتبة

افتتح مكتبة فى ميدان التوفيقيه لبيع مطبوعات وزارة الثقافة التى كان من العسير العثور عليها كما افتتح مكتبه فى ميدان الاوبرا لبيع مطبوعات الدوله فكان الشراء عند من الوقائع المصريه كالبحث عن ابره فى كيس من الرده .

● فى وجه العدوان

جند كل وسائله لوقوفه بجانب الشعب فى مواجهة العدوان .. سافرت بعثة من المرحوم سعد نديم ، وحسين التلمسانى ، وتسللت داخل مدينة بورسعيد ، وصورت فيلما عن المقاومة الشعبية .. تولى الاستاذ باكثير نصا والاستاذ احمد صدقى الحانا تقديم مسرحية البيرق النبوى التي عرضت على المسارح فى ذلك الوقت .

استخرج من تحت يد احد اصدقائه نسخة من فيلم المانى اسمه العم كروجر من تمثيل .. اعظم ممثلى المانيا اميل يانتج يمثل كفاح البوير ضد الغزو الانجليزى .. وعرض هذا الفيلم صالات السينما والتجول بالمجان ولكن الاهم من ذلك كله انه بمعاونة حسين فوزى وضع اسس المعاهد الفنية فى المسرح والموسيقى والسينما ..

كان فتحى رضوان رجلا طاهر القلب .. طاهر اليد . جم الحياء .. نعم الصديق .. عليه رحمة الله .

# فتحى رضوان
# المعارض الأبدى

بقلم : د. جلال أمين

**في حياتنا السياسية طراز من الناس ، يعرفه الجميع ، يمالىء الحاكم ايا كان اتجاهه وصفاته طمعا فى تحقيق مغانم شخصيته . فهو يمتدح الحاكم الاشتراكى وخليفته الراسمالى ، ويبدى مظاهر الولاء للاتحاد السوفييتى ثم للولايات المتحدة حسب تقلب اهواء الحاكم ، وهو يقف يوما مع القومية العربية ويوما اخر ضدها ، وهو يظهر يوما اقصى التشدد مع اسرائيل ويبدو يوما اكثر الناس استعدادا للتودد اليها وهكذا .. الخ هذا النوع من الناس معروف ومشهور ، وهو ممن تجده ، بدرجات مختلفة فى البلاد المختلفة ، ولكن على الاخص فى بلاد العالم الثالث حيث اتجاهات الحكم اكثر تقلبا ، والرأى العام اقل يقظة ، والمغانم الشخصية التى يمكن تحقيقها عن طريق التقرب الى السلطة اكبر واوسع .**

● ولكن هناك ايضا طرازا اخر من الناس اقل شيوعا بكثير هو بالضبط نقيض ذلك النوع من الناس ، وهو طراز « المعارض الابدى » . وهو يضم اناسا يبدون احيانا وكانهم غير قادرين على غير المعارضة ، غاضبون على الجميع ، وكأن لا شىء يعجبهم ولا شىء يمكن أن يرضيهم . وهو طراز أقل شيوعا بالضرورة لأن مغانمه الشخصية ، المادية على الاقل ، معدومة . من بين هذا النوع الاخير



فتحي رضوان

من الناس طراز تأتى معارضتهم الابدية للسلطة من أنبل الدوافع وأرفعها شأنا • ذلك انهم يتميزون أولا باعتزاز شديد بالنفس ، وبرغبة حقيقية فى تحقيق صالح الوطن ، ثم أن لديهم من الذكاء ما يمكنهم من تمييز الخط الفاصل بين الحق والباطل فى أكبر الأمور وأصغرها على السواء ، ومن الشجاعة ما يجعلهم يصرون على الجهر بالحق ومعارضة الباطل • هذا النوع من الناس تجدهم لا يكادون يقتربون من السلطة حتى يبتعدون عنها ، اذ انهم حتى فى أكثر العهود صلاحا واخلاصا • يزعجون السلطان بذلك الاعتداد الغريب بالنفس • وتلك الجرأة الغريبة على الجهر بالحق • فالسلطان ، أيا كانت قوة ميله الى جانب الحق ، لم يظفر بالسلطان ، فى أغلب الأحوال ، الا بسبب ميل طبيعى لديه فى نفس الوقت الى الاستبداد بالرأى ، ولم ينجح فى الاحتفاظ بالسلطان الا بدرجة أو بأخرى من القهر • والسلطان ، حتى اذا كان يحمل تقديرا دفينا لهذا الطراز الفريد من الناس ، طراز « المعارض الأبدى » لا يجد من الحكمة ان يعترف بالخطأ ، وعلى الأخص على الملأ ، اذ أن للسلطان مصلحة محققة فى أن يظهر بمظهر المحق دائما ، الذى لا يخطىء أبدا ، ولا يجد من الحكمة دائما أن يتصل الجاهر بالحق على أهل الباطل اذ أن فى هذا تشجيعا غير مرغوب به على انتشار المعارضة لهذا نجد أن العلاقة بين هذا المعارض الأبدى والسلطان ، هى فى أزهى العهود وأقربها الى قلبه ، قصيرة العمر • ان لم تفتر بسبب زهد المعارض الأبدى نفسه فى علاقة تطلب منه السكوت أكثر مما تطلب الكلام والتعبير عن موقف • فانها تفتر لضيق صدر صاحب السلطان به لما يسببه له من متاعب مستمرة بسبب كونه دائما على حق •

# فتحى رضوان
## المعارض الأبدى

من هذا الطراز الفريد من الناس كان فتحى رضوان : معارضا أبديا حقا ، مدفوعا الى هذا الموقف بأنبل الدوافع وأشرفها .

***

لمحت صورته وأنا جالس فى مترو الانفاق ، منشورة بالصفحة الاولى من الجريدة التى يقرؤها جارى ، ففزعت من أن يكون الخبر الذى كنا نخشى وقوعه قد وقع بالفعل . وقد كان هو فعلا ذلك الخبر الكريه . اذن فقد مات ذلك الرجل الذى احببناه جميعا ، وظللنا نتغذى على مقالاته ، اسبوعا بعد اسبوع لسنوات طوال ، وفى كل مرة نقرأ له نحمد الله على انه مازال بيننا من وصل تمييزه الفارق بين الحق والباطل الى هذا الحد من الصراحة والوضوح ، ووصلت به الشجاعة فى الجهر بالحق هذا الحد الذى عجزنا جميعا عن الوصول اليه . وفى كل مرة ندعو فى قرارة انفسنا ان يمد الله فى عمره حتى يستمر هذا الجهر بالحق لاطول مدة ممكنة ، ونشعر بقلق حقيقى من انه اذا حرمنا من هذا الصوت فقد لا نستطيع ابدا تعويضه ، اذ من الذى يمكن أن يحل محله ؟ .

ثم بدأت أستعيد فى ذهنى ذكرى تلك المقالات النارية التى دأب على كتابتها منذ منتصف السبعينيات وحتى مرضه الاخير فى ١٩٨٧ . وقلت لنفسى أن المسألة لم تكن ابدا أن هذه المقالات كانت تحدث التغيير المطلوب فى السياسة ، بل لعل الحقيقة هى أنها لم يكن لها أثر على الاطلاق فى مسار السياسة التى تتبعها الحكومة . ومع هذا ، ومع ادراكنا التام لهذه الحقيقة ، فان المقالات كانت عزيزة علينا لدرجة يصعب وصفها ، ولعل السبب فى ذلك أنها كانت تؤنس كلا منا ، نحن المعارضين ، فى وحدته ، وتوحد فى المشاعر اناسا كان كل منهم يعتريه الخوف ، بين الحين والآخر ، من أن يكون هو الوحيد الذى يشعر بالغربة فى وطنه فاذا بصوت فتحى رضوان يأتى ليس فقط ليطمئنه على انه ليس وحده ، بل وليبين له ان هناك اسبابا وجيهة للغاية للشعور بهذه الغربة ، ويشرح له هذه الاسباب شرحا مبينا ، فاذا بالمعارض يستعيد ولو لبعض الوقت ثقته بأنه على صواب ، وأن ما يحيط به من غير المعقول ، هو غير معقول فى نظر كثيرين أيضا غيره .

***

كان اسم فتحى رضوان ، منذ أيام ما قبل ثورة ١٩٥٢ يمثل لى ولجيلى اسما من ذهب ، لم تعلق به شائبة ، اذ لم يستطع احد أو حادث ان ينال من شرفه او يشكك فى استقلال رأيه . وكنا نقرأ له فى الشهور التى سبقت الثورة مباشرة ، وقد كان وعينا السياسى يتشكل لأول مرة ، ما يلهب حماسنا ونحن لم نبلغ العشرين بعد ، اذ نراه يتجرأ على اكبر رأس فى البلد ، فى وقت

أجمع الناس فيه على فساد هذه الرأس دون أن يستطيع احد ان يمنعها من الاستمرار فيما هى فيه من فجور واستهتار · كان من الطبيعى اذن أن يكون فتحى رضوان فى السجن عند قيام ثورة ١٩٥٢ ، بدون تهمة محددة ودون سند من القانون ·

وان كانت هناك قضية اخرى ضده امام محكمة الجنايات بتهمة العيب فى الذات الملكية كان من الطبيعى ايضا ان يكون ، بعد ان اطلقت الثورة سراحه ، من اوائل الناس الذين تفكر الثورة فى اسناد منصب الوزارة اليهم · وبالفعل شغل منصب وزير الدولة ثم وزير الارشاد القومى ثم وزيرا للثقافة والارشاد ثم وزيرا للمواصلات خلال السنوات الست الاولى للثورة· على انه كان من الطبيعى جدا الا يستمر تعاون فتحى رضوان مع الثورة لاطول من ذلك كان الرجل طوال عمله مع عبد الناصر وحتى النهاية يحمل تقديرا عميقا لشخصية عبد الناصر ووطنيته واخلاصه ·

ولكن «المعارض الأبدى» كان لابد عاجلا أو اجلا ان يصطدم بالسلطان ودائما فى امور تتعلق بالمبدأ او الكرامة الشخصية او الانتصار للحق ، والسلطان يضيق صدره فى النهاية برجل ·· يجمع بينهما الاحترام والتقدير المتبادلان ، ولكن دواعى السلطة من ناحية والاعتزاز بالنفس من ناحية اخرى تجعل استمرار التعاون بينهما مستحيلا ·

فى كتابه الممتاز «٧٢ شهرا مع عبد الناصر» يروى فتحى رضوان هذه القصة التى تكفى فى ذاتها لأن تبين استحالة استمرار التعاون بين مثل هذين الرجلين ، وترسم فى نفس الوقت صورة رائعة لما لا بد انه تكرر فى التاريخ مئات المرات وفى مختلف البلدان من اصطدام صاحب الرأى الحر بالحاكم المستبد والعادل فى نفس الوقت :

« عندما قامت ثورة سنة ٥٢ كنت معتقلا فى معتقل ( الهاكستب ) ·· وقد كان زملائى فى المعتقل ، ممن نسب اليهم شىء يتصل بحريق القاهرة الا أنا · وقد احتاج زملائى فى خارج المعتقل الى رفع دعاوى متكررة امام مجلس الدولة طعنا فى أمر اعتقالى الباطل ·· والاجراءات القانونية فى مصر تقتضى أن من يطعن فى قرار ادارى ويلتمس من المحكمة الحكم بالغائه أن يرافق بدعوى الالغاء دعوى تعويض ··· ولما اخترت للوزارة بعد قيام الثورة بقيت القضية مرفوعة ·· وفى هذه الفترة سلمنى عبد الناصر تقريرا من المخابرات ، كان أولى حلقات الدسائس الصغيرة التى سلطها ضدى عدد من الذين ضاقوا بمكانى من قائد الثورة ··· وقد اتهمنى كاتب التقرير انى طامع فى مال الدولة ، مع انى أحد وزرائها ( بدلالة انى رفعت دعوى ضدها امام مجلس الدولة طلبت فيها الحكم لى بتعويض ) !! ·· قال عبد الناصر :

( هل صحيح ان هناك دعوى من هذا القبيل ؟ ) فقلت ( انها دعوى مرفوعة قبل الثورة ، وضد حكومة عزلتم انتم رئيسها ووزراءها واعتقلتم بعضهم ·· وكان لابد لى ـ لكى ارفع دعوى الغاء قرار الاعتقال ـ أن يصحبها طلب التعويض ) فأجاب عبد الناصر ::

( ولكن كل شىء انتهى ، وأنت

# فتحي رضوان
## المعارض الأبدي

الان مطلق السراح ، فلماذا يستمر طلب التعويض ؟ ) فضقت ذرعاً بهذا الذى بدا لى فقلت لة ( وهل تعرف ما هو التعويض المطلوب ؟ ) فقال : ( تعويض على كل حال ) فصرخت : ( انه قرش صاغ واحد ) . وهنا بدا على عبد الناصر شيء من الارتباك وقال ( ولماذا تجعل لمثل هذا الامر هذه الاهمية مادام التعويض بهذه التفاهة ؟)فقلت : ( الامر يهمنى من حيث المبدأ ، هل يجـوز أن تكتب ورقة كهذه ، يريد أن يظهـر بها كاتبها أنه ضبط لى سقطة .. وأنه رقيب على يهديني الى الصواب .. مثل هذا لا يقبله الا رجل احساسه بالشرف معدوم ، وانا لن اتنازل له عن الدعوى ، ولن التفت الى هذا الاسلوب فى الدس الصغير ، وأرجوك ان تضع له حدا من الان ، والا فانه سـيستفحل وتهب من ورائه رياح خطرة ) . ولم يهتز عبد الناصر لهذه الخطبة الحـارة ، وانما هز كتفيه وقال : ( لسـت معك ، ان الموضوع صغير جـدا ، وأرى انه لا مبرر لتضخيمه ) .

وما توقعته تحقق تماما ، فقـد نقلت الى وزارة المواصلات .. » .

***

منذ اربع او خمس سنوات عقدت ندوة فى قبـرص عن « ازمـة الديمقراطية فى العالم العـربى » كانت كل الحـكومات العربية قـد رفضت أن تعقد على ارضها ندوة بهذا العنوان فعقدت فى قبرص .

وكنت مدعوا للاشتراك فى الندوة ، وكذلك كان فتحى رضوان . وظلت الندوة منعقـدة ثلاثة ايام أفاض خلالها المثقفون فى الحديث والنقاش وكان اكثر الحديث والنقاش ، كما هى العادة فى مؤتمرات المثقفين ، تحذلقا وتفلسفا لا يقدمان ولا يؤخران وظل فتحى رضوان جالسا كالأسد المهيب لا يفتح فمه ، وكلما نظـرت اليه ، والنقاش والتفلسف مستمران بدا لى وكان لسان حـالة يقول : « أما لهذا اللغو من آخر ؟ » جاء تدخله فى الحـديث ، فيما أذكر ، مرتين ، مرة قرب نهاية المؤتمـر حيث صب علينا جام غضبه لاننـا كنا فى أحـاديث لن تفيد القضية العـربية قيد أنملة والاسرائيليون يعيثون فى بلادنا فسادا ، ويهاجمون لبنان ، ونحن ساكتون او نحاول ان نتفلسف ... وظل يتحـدث ببـلاغة وتأثر على هـذا النحو حتى قامت سيدة عربية من الجلسة لم تستطع أن تغالب دموعها من فرط تأثرهـا بحديثه وتركت القاعة على عجـل لتنفجر بالبكاء خارجها . ومال على جارى المثقف التونسى وعلى وجهـه علامات الاستغراب الشديد ليقول لى انهم فى شمالى افريقيا لم يجـد حظهم قط بمثل هذا النوع من الخطباء او هذا النوع من الخطابة السياسية .

ولكن فتحى رضوان كان قد تدخل فى النقاش مرة واحدة قبل ذلك حينـا كان النقـاش يدور حـول موقف الديمقراطية السياسية من الاقليات ،

وتطرق الحديث الى أمور من بينها علاقة المسلمين بالاقباط فى مصر ، فاذا بفتحى رضوان يروى علينا الواقعة الاتية • قال ان المرحوم عبد الرحمن عزام باشا ، أول أمين عام لجامعة الدول العربية ، روى له انه كان عائدا الى بيته يوما فوجد أمه ترتدى السواد فسألها عن الخبر فقالت انها فى طريقها لتعزية جارتها أم جرجس • فسألها : وماذا حدث ؟ هل حدث شىء لابنها جرجس ؟ فقالت : لا ، انه فقط قد اعتنق الاسلام !! فعبر عبد الرحمن عزام عن دهشته الشديدة فى ان تعتبر أمه المسلمة ان من الواجب أن تذهب لمواساة جارتها المسيحية اذ اعتنق ابنها الاسلام ، فكانت اجابة أمه أن الذى يهمها فى الامر هو شعور جارتها « وانت تعرف قلب الام » • روى لنا فتحى رضوان هذه القصة باعتبارها انها هى التى تعبر عن الموقف الحقيقى للمصرى من مسألة الاقليات اذا تركت الاعيب السياسة والقوى الخارجية المصرى وشأنه !

***

ذهبت للاشتراك فى تشييع الجنازة وأنا أتصور ان الشوارع المحيطة بالسرادق ستكون كلها مكتظة بالجماهير التى جاءت لتوديع هذا الرجل العظيم ، وان ازدحامها لابد ان يؤدى الى تعطيل حركة المرور ، وان الشباب بالذات سيأتون جماعات للاشتراك فى تشييع الجنازة وهم لا يستطيعون مغالبة دموعهم لوفاة الرجل الذى اثار مشاعرهم لسنوات طوال • ولكنى فوجئت بحركة المرور تسير كالمعتاد ، والشوارع لا يزيد اكتظاظها بالناس عن اكتظاظها فى اى يوم اخر • صحيح ان السرادق الكبير كان قد امتلأ عن اخره ، ولم تتسع الكراسى المرصوصة فيه لجميع المشيعين ، فوقف من جاء متأخرا ، وصحيح ان بعض الشباب كان واقفا على الطوار ينظر الى السرادق من بعيد ولكنى لم أستطع الجزم بما اذا كان هؤلاء الناظرون الى السرادق قد أوقفهم شعورهم بالحزن والاسى ، أم رغبتهم فى تأمل وجوه بعض المشاهير الذين أتوا لتشييع الجنازة • كانت الغالبية العظمى من المشيعين هم بالفعل اصحاب الاسماء المعروفةلدى الجميع ممن يعرفون لفتحى رضوان فضله ويعرفون تاريخه الوطنى منذ الثلاثينيات ، ولكن الذين افتقدتهم هم الشباب الذين كنت اظنهم يعدون بعشرات الالاف وكان فتحى رضوان يشكل وجدانهم السياسى فى السبعينيات والثمانينيات ، وسألت نفسى فى حزن : هل المسألة تنحصر فى أن فتحى رضوان هو نفسه الذى مات وليس قريبا له ، والا لاتى عدد اكبر لمواساته ، أم ان هموم الحياة اليومية ومصاعب التضخم وأعباءه الثقيلة كانت اقوى اثرا فى الناس من فتحى رضوان وقلبه النبيل ؟

ثم طالعت الصحف والمجلات بعد ذلك فوجدت اشادة بالرجل ولكن على نحو بدا لى اقل بكثير مما يستحق رجل مثله ، فقلت لنفسى : وما الذى تتوقعه من الصحف والمجلات اكثر من ذلك تجاه رجل كان دائما فى صفوف المعارضة ؟ ان هذا المعارض الابدى لابد ان يقنع بهذا القدر من الثناء الآن ، اما الباقى فسيسديه اليه التاريخ •

كتاب الشهر

# صعود وسقوط القوى العظمى

عرض وتقديم :

د. السيد أمين شلبى

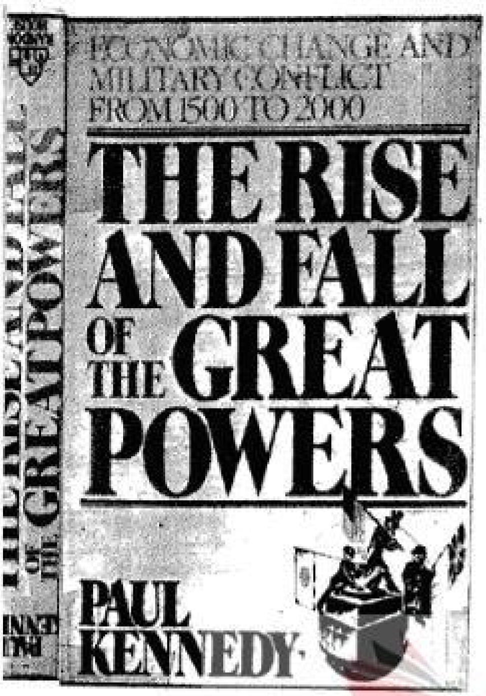
نستكمل فى هذا الجزء الأخير من كتاب بول كنيدى تصوره لمستقبل المجموعة الأوروبية فى العشرين عاما القادمة .

ثم ننتقل إلى استعراضه لأوضاع القوتين العظمتين وهما تقبلان على القرن الواحد والعشرين ، وامكانياتهما فى الاحتفاظ بمكانيتهما المتميزة وسط ضغوط اوضاعهما الداخلية ، وتزايد تأثير وظهور قوى ومراكز دوليه مثل الصين ، واليابان وتوقع إنتقال مركز الثقل الاقتصادى فى العالم إلى منطقة الباسفيك .



إذا كان التجمع الأوربى لايمثل دولة واحدة ذات سيادة ، فإن خطوات الوحدة الاقتصادية التى ستكتمل عام ١٩٩٢ لابد من أن تدفع المحلل إلى اعتبارها قوة ذات عوامل تدعو للتقارب . بعضها اقتصادى وبعضها عسكرى .

على انه مع كل هذه العوامل الكامنة ، فإن قوة وفعالية اوربا الحقيقية هى اقل بكثير مما يوحى به المجموع العام لقوتها الاقتصادية والعسكرية . فقواتها المسلحة لاتقاسى فقط من تعدد اللغات وانما أيضا من تعدد نظم تسليحها وتدريبها مثلما هو قائم مثلا بين جيوش المانيا الغربية واليونان ، وبين الأسطول البريطانى والأسبانى ، ورغم محاولات الناتو المتعددة لتوحيد مستويات التسليح ، فمازلنا إزاء عشرات الجيوش والأساطيل والقوات الجوية ذات النماذج المتنوعة . وحتى هذه المشكلات تبدو ضئيلة أمام العقبات على المستوى السياسى المتصلة بأولويات السياسات الدفاعية والخارجية لاوربا مثل خلافات تركيا واليونان (موقف




فرنسا المستقل ، والاولويات الدفاعية لألمانيا المتجهة الى حدودها نحو الشرق .

هناك أيضا القلق الملح من أنه بعد حقب ما بعد الحرب من النمو الاقتصادى الناجح ، فأن اوربا بدأت فى الركود بل ربما فى التراجع فالمشكلات التى سببتها الأزمة والضغوط على ميزان المدفوعات ، والركود العالمى العام فى الطلب ، والانتاج ، والتجارة تبدو انها سوف تضر بالاوربيين بشكل اصعب من اى اقتصاديات كبرى فى العالم . كما أن من الاهتمامات الأوربية الأساسية هى فى تاثير هذا الركود على مستويات العمالة ، فعدد الذين يفقدون وظائفهم فى غرب أوربا فى السنوات الأخيرة كان اكبر بكثير من اى وقت مضى بعد عام ١٩٤٥ ( فقد ارتفع مثلا من ٥،٩ ٪ الى ١٠ ٪ بين دول المجموعة الاقتصادية من ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢ ولم تبد الا دلائل قليلة على الهبوط ، وما استلزمه هذا من تأمينات اجتماعية الأمر الذى ترك نسبا أقل للاستثمار ، كما لم يتم خلق وظائف جديدة على النطاق الذى حدث فى الولايات المتحدة . وماهو اكثر مدعاة للقلق هو علامات التراجع الأوربى وراء المنافسين الأمريكيين والأوربيين فيما يتعلق بالتكنولوجيا المتقدمة .

## ● صورة متشائمة

وقد يعتبر البعض أن هذه الصورة الأوربية المتشائمة قد رسمت بشكل قاتم ، وأن هناك مؤشرات أخرى كثيرة عن قدرات أوربا التنافسية فى مجالات هامة مثل نوعية السيارات ، والاقمار الصناعية ، والكيماويات ، ونظم الاتصالات ، والخدمات المالية .. الخ

ومع هذا فان المسألتين الاكثر ضغطا تبدوان موضع شك : الاولى هى : هل تستطيع المجموعة الاقتصادية الأوربية بتنوعها السياسى والاقتصادى ان تجارى منافسيها فى الاستجابة للتحولات السريعة والواسعة المدى ، فى أنماط التوظف ؟ أما المسألة الثانية فهى مدى قدرة دول المجموعة على تعبئة مواردها العلمية والاستثمارية لكى تقف كمنافس رئيسى فى مجال التكنولوجيا المتقدمة فى الوقت الذى لاتبدو فيه شركاتها بضخامة وامكانيات العمالقة الأمريكيين واليابانيين .

فاذا نظرنا الى اوربا ، كما تتمثل

أساسا فى المجموعة الاقتصادية الأوربية ، كقوة سياسية فى النظام العالمى ، فان اكثر المشكلات أهمية التى تواجهها هى : كيفية تطوير سياسة دفاعية مشتركة للقرن القادم والتى تبقى صالحة خلال حقبة من التغيرات الهامة فى توازنات القوة العالمية .

● الاتحاد السوفييتى وتناقضاته :

رغم أن الاتحاد السوفييتى والنظرية الماركسية اللينينية تتحدث عن « تناقضات » النظام الرأسمالى فإن هذا المفهوم نفسه يمكن ان ينطبق على الاتحاد السوفييتى اليوم بتناقضاته التى تتمثل فى الفجوة بين أهدافه والوسائل المستخدمة لتحقيقها وفى المشكلات التى يواجهها فى مجالات أساسية وحاسمة وفى مقدمتها مجال الزراعة الذى يحتاج فيه الاتحاد السوفييتى الى ٧٨ بليون دولار سنويا لمجرد المحافظة على مستوى المعيشة والى ٥٠ بليون دولار لدعم أسعار الطعام . وفى مجال الصناعة فانه رغم الانجازات التى حققها هذا القطاع منذ عام ١٩٤٥ معتمدا على الاستثمار الكثيف بحيث تفوق على الولايات المتحدة فى الآلات ، والحديد والصلب والأسمنت ، والمخصبات والبترول ، فان هناك اليوم مؤشرات عديدة على أن الصناعة السوفييتية تعانى ركودا وأن مراحل التوسع السهل انما تقترب من نهايتها . يضاعف من هذا مايعانيه الوضع السوفييتى من مشكلات فى التكنولوجيا المتقدمة مثل الانسان الآلى ، والآلات الحاسبة ، والليزر ، والبصريات ، والاتصالات السلكية .

وفى المجال العسكرى فان الأسلحة الميدانية المتقدمة ، ونظم الكشف يمكن ان تحدد المزايا الكمية السوفييتية فى المعدات العسكرية وان تحدد مواقع الغواصات تحت سطح المحيط وان تتعامل مع مسرح معركة سريع التحرك وأخيرا وليس آخرا أن تحمى القواعد الذرية الأمريكية ، كما .. يمكن لنظم الرادار المتقدمة والليزر والتكنولوجيا التحكم والتوجيه ان تمكن الطائرات والمدفعية الغربية وقوى الصواريخ من تحديد وتدمير طائرات العدو ودباباته دون أن تتعرض للانتقام .

وتبدو المشكلة التى تواجه الوضع السوفييتى أعظم فى المجال المدنى باعتبار الحدود التى وصلتها العناصر التقليدية للإنتاج مثل العمال ورأس المال وباعتبار ان التكنولوجيا ينظر اليها اليوم كأمر حيوى لزيادة الانتاجية السوفييتية ، فمثلا كان الاستخدام الواسع للآلات الحاسبة يمكن ان يخفض بشكل كبير فى اكتشاف وانتاج وتوزيع امدادات الطاقة ، غير ان تطبيق هذه التكنولوجيا الجديدة لايتطلب فحسب استثمارات ضخمة ( ومن اين ستأتى ؟ ) ولكنها ايضا تتحدى

النظام السوفييتى القائم على السرية الشديدة والبيروقراطية والمركزية .

يضاف الى هذه المشكلات التوقعات السكانية غير المشجعة وتبدو مظاهرها فى التدهور الثابت فى الأعمار ( حيث وصل معدل عمر الفرد السوفييتى ٦٠ عاما فقط ) وفى تصاعد وفيات الاطفال منذ السبعينيات . والمتضمنات الخطيرة لهذا التراجع السكانى هو مايتطلبه من موارد للرعاية الطبية والاجتماعية كما أن لها معانيها السلبية للصناعة السوفييتية ، والقوات المسلحة بالنظر الى الهبوط الجذرى لمعدلات نمو قوة العمل ، فوفقا للتقديرات فسوف تزيد قوة العمل فى الفترة من ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠ بنسبة ٥,٩٩٠,٠٠٠ فقط بينما زادت فى فترة العشر سنوات السابقة بمقدار ٢٤,٢١٧,٠٠٠ .

## ● صورة قاتمة

على أن هذه الصورة للوضع السوفييتى قد تبدو قاتمة بالنسبة لعدد من المراقبين الذين يعتبرون ان الانتاج السوفييتى العسكرى كان دائما فعالا ومؤثرا ويتجه دائما الى تطوير نفسه بسبب ديناميكية سباق التسلح ، وكما عبر أحد المؤرخين ، وكان هذا عام ١٩٨١ ، فان الصورة قد لاتكون فى مجموعها سلبية خاصة اذا مانظر المرء الى انجازات الاقتصاد السوفييتى خلال النصف قرن الاخير . على أن أيا كان التقدم الذى حققه الاتحاد السوفييتى فانه من الحقائق الخطيرة ان الفجوة فى مستويات المعيشة تتسع منذ السنوات الأخيرة لعهد برجنيف وحيث تفوقت معايير الانتاج والكفاءة الانتاجية لليابان وبعض الدول الآسيوية .

وفى سياق مايحاوله جورباتشوف من زيادة ودفع التطور الاقتصادى والاجتماعى فان ثمة عقبتين سياسيتين تقفان فى طريق تحقيق قفزة كبرى . العقبة الأولى هى مركز مسئولى الحزب والبيروقراطية ، والصفوة التى تتمتع بامتيازات ضخمة تحجبهم عن مصاعب الحياة اليومية ، ويعتبرون اى اصلاح حقيقى تهديدا لسلطتهم وامتيازاتهم ، وهنا فإن مايطالب به جورباتشوف من تحول عميق فى النظام من غير المحتمل ان يحدث اثرا كبيرا على معدلات النمو فى المدى الطويل . اما العقبة الثانية فتتمثل فى النصيب الكبير من الناتج القومى المخصص للدفاع والذى يقدر بنسبة مابين ١١ ـ ١٣ ٪ الامر الذى له تأثيره على فرص الرخاء .

وشأنه شأن كل القوى العظمى الأخرى ، فان الاتحاد السوفييتى عليه ان يختار فى تخصيصه لموارده القومية بين :

١ ـ المتطلبات العسكرية .

٢ ـ الرغبة المتزايدة للمجتمع السوفييتى فى السلع الاستهلاكية .

٣ ـ حاجة الزراعة والصناعة لاستثمارات جديدة .

ومن الصعاب التى يواجهها المخططون السوفييت تلك المتصلة بالتكنولوجيا السوفييتية التى اختبرت فى بعض الحروب المحلية وتفوقت عليها التكنولوجيا

الامريكية والغربية وهو ما لايمثل علامة مشجعة لقوة اعتمدت تقليديا على السلاح لتنفيذ أهدافها الاستراتيجية المتعددة. كما يتعلق برنامج الدفاع الاستراتيجى الأمريكى S D I وقد يصعب تصور ان هذا البرنامج سوف يجعل الولايات المتحدة مرضية تماما ضد هجوم ذرى ، إلا انه بما لايرحب به الكرملين هو مايفرضه منذ هذا البرنامج من قيود وضغوط على نفقات الدفاع السوفييتى لانتاج المزيد من الصواريخ والرءوس النووية لاغراق نظام الدفاع الاستراتيجى الأمريكى .

● مشكلات طويلة الأجل

وهكذا فان الاتحاد السوفييتى - أو النظام الماركسى فيه - انما يختبر فى السباق العالمى على المستوى الكمى والنوعى . وقد كان من الممكن ان تكون علاقات القوى فى هذا السباق افضل بالنسبة للاتحاد السوفييتى إذا ماكان الاقتصاد اكثر صحة وهو مايعود بنا الى مشكلات روسيا طويلة الأجل . فالاقتصاد امر يهم العسكريين السوفييت ليس لمجرد انهم ماركسيين او لأن الاقتصاد هو الذى ينفق على اسلحتهم وأجورهم وانما لانهم يدركون اهميته بالنسبة لمحصلة حرب طويلة وممتدة بين القوى العظمى .

غير ان هذا كله فى تقدير الكتاب لايعنى أن الاتحاد السوفييتى على وشك التصدع انما يعنى انه يواجه اختبارات صعبة .

● الولايات المتحدة : القوة الاولى فى تراجعها النسبى :

فى مجال المقارنة بين القوتين العظمتين ، يعتبر الكتاب أنه رغم ان نصيب الولايات المتحدة فى القوة العالمية فى الحقب الماضية يتراجع نسبيا بشكل أسرع من الاتحاد السوفييتى ، فإن المشكلات التى تواجهها لاتبدو بضخامة ما يواجهه، الاتحاد السوفييتى من مشكلات ، هذا فضلا عن أن قوة الولايات المتحدة المطلقة Absolute Strength مازالت اكبر من الاتحاد السوفييتى .

كما أن طبيعة النظام والمجتمع الأمريكى ربما تمنحه فرصة أفضل لاعادة التكيف مع الظروف المتغيرة ، غير ان هذا يعتمد على قيادة وطنية تستطيع أن تتفهم التغيرات الأوسع التى تعمل فى عالم اليوم ، وتدرك نقاط الضعف والقوة فى وضع الولايات المتحدة وهى تحاول أن تتلاءم مع البيئة الدولية المتغيرة .

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة مازالت تمثل قوة متميزة اقتصاديا وعسكريا فإنها لاتستطيع أن تتفادى مواجهة اختيارين : الأول قدرة كل قوة كبرى وخاصة التى تمثل مركز القوة الأولى على البقاء والاستمرار .

على ما اذا كانت تستطيع فى المجال العسكرى والاستراتيجى أن تحتفظ بتوازن معقول بين متطلبات الدفاع الوطنى وبين الوسائل الفعلية للابقاء على هذه الالتزامات .

الثانى هو ما اذا كانت تستطيع أن تحافظ على الأسس التكنولوجية والاقتصادية لقوتها من التفتت النسبى فى مواجهة الانماط المتغيرة بشكل مستمر للانتاج العالمى .

وتعتبر الدراسة ان هذا الاختبار للقدرات الامريكية سيكون هو الاختبار الأعظم لأن الولايات المتحدة - شأنها شأن اسبانيا الامبريالية عام ١٦٠٠ ، والامبراطورية البريطانية حتى عام ١٩٠٠ - هى الوارثة لنطاق واسع للارتباطات الاستراتيجية التى تمت فى حقب سابقة حين كانت قدراتها السياسية والاقتصادية ، والعسكرية فى التأثير على العالم تبدو اكثر تأكدا ووثوقا مما هى عليه اليوم . ونتيجة لهذا تتعرض الولايات المتحدة لخطر مألوف لدى المؤرخين حول

صعود وهبوط قوة عظمى سابقة وهو مايمكن أن تدعوه بالتوسع الامبريالى الذى يفوق الامكانيات والقدرات الفعلية وهو Impereial Overstrength مايعنى ان الساسة الامريكيين عليهم ان يواجهوا الحقيقة الصعبة والمستمرة وهى أن مجموع المصالح والالتزامات الأمريكية والعالمية هى اليوم اوسع من قوة الولايات المتحدة وقدرتها على الدفاع عنها جميعا فى وقت واحد .

بالاضافة لهذا فإن اهتمامات وروابط الولايات المتحدة الخاصة كانت تبررها وقتها اسباب معقولة ، وفى معظم الحالات فان اسباب الوجود الأمريكى لم تقل بل انه فى بعض اجزاء العالم فإن مصالح الولايات المتحدة قد تبدو الآن أوسع بالنسبة لصناع القرار فى واشنطون عما كانت عليه منذ عدة حقب ماضيه . وينطبق هذا وبالتأكيد على الالتزامات الامريكية فى الشرق الأوسط حيث تواجه الولايات المتحدة اوضاعا معقدة تجعل من الصعوبة البالغة بالنسبة للادارة الأمريكية أن تتبع سياسة متماسكة طويلة فى الشرق الأوسط .

وتركز الدراسة على أن العسكريين الأمريكيين هم اكثر الدوائر اهتماما بالتباين القائم بين الالتزامات والقدرات الامريكية لانهم سيكونون أول من يعانى اذا انكشف الضعف الاستراتيجى امام اختبار الحرب الصعب . ومن هنا كانت تحذيرات البنتاجون من نقل القوات على نطاق عالمى ومن منطقة ساخنة الى اخرى

كما ظهر بشكل خاص فى نهاية عام ١٩٨٣ حين استخدمت قوات اضافية فى أمريكا الوسطى ، وجرانادا ، وتشاد ، ولبنان الأمر الذى جعل رئيس الأركان الأمريكى يقول « ان سوء التوافق بين القوات الامريكية وبين الاستراتيجية هو اليوم أعظم مما كان عليه من قبل » على انه من ناحية أخرى فإنه من غير المحتمل أن تواجه الولايات المتحدة موقفا تحتاج فيه ان تدافع عن مصالحها الخارجية فى وقت واحد وبدون مساعدة حلفائها الغربيين فى

اوربا او اليابان أو حتى الصين فى الباسفيك او اسرائيل فى الشرق الأوسط .

● تحديات

اما التساؤل الآخر حول العلاقة المناسبة بين « الامكانيات والأهداف » فى السياسة الأمريكية انما يتعلق بالتحديات الاقتصادية التى تواجهها وأول هذه التحديات التراجع النسبى فى الصناعة نسبة للانتاج العالمى ليس فقط فى الصناعات القديمة مثل المنسوجات او الصلب او الحديد وبناء السفن والصناعات الكيماوية ، وانما أيضا فى انصبتها العالمية فى انتاج الانسان الآلى ، والآلات الحاسبة ، وأجهزة الفضاء فقد اظهرت دراسة للكونجرس أن الفائض التجارى الأمريكى فى سلع التكنولوجيا المتقدمة قد انحدر من ٢٧ بليون علم ١٩٨٠ الى مجرد ٤ بليون عام ١٩٨٥ وهو يتجه بسرعة نحو العجز . أما التحدى الآخر فهو الزراعة لظهور فائض زراعى فى مناطق أخرى مثل دول السوق المشتركة بنظام أسعارها المدعم ، وعدد من دول العالم الثالث مثل الهند والصين التى كانت أسواقا للانتاج الزراعى الأمريكى الأمر الذى ادى الى هجرة كثير من المزارعين الأمريكيين للزراعة . الى جانب هذه الصعوبات فى الصناعة والزراعة الأمريكية هناك اضطرابات غير مسبوقة فى الأوضاع المالية الأمريكية .

غير أنه مقابل هذه السلبيات ينبه البعض الى ان من يركزون على العناصر السابقة انما يبالغون فى خطورة مايحدث فى الاقتصاد الأمريكى ويفشلون فى ملاحظة « طبيعية » معظم هذه التطورات وانها تمثل اتجاهات عادية بالنظر الى أن العالم يتحرك من الانتاج القائم على المواد إلى الانتاج المعتمد على المعلومات ، ويضيفون الى هذا الظواهر الايجابية للنمو التى تتطور فى الاقتصاد الأمريكى ، فبسبب الازدهار فى قطاع الخدمات خلقت الولايات المتحدة وظائف فى الحقبة الماضية أسرع من اى وقت فى تاريخها فى زمن السلم واسرع بكثير من العالم الغربى .

ويصل بول كنيدى الى مناقشة السؤال الأشمل المترتب على دراسته الا وهو : هل تستطيع الولايات المتحدة أن تحافظ على مركزها الراهن كقوة أولى فى العالم ؟ ويقول ان الاجابة هى : لا ويفسر هذا بأنه لم يتح لأى مجتمع عبر التاريخ أن يظل بشكل دائم متقدما على المجتمعات الأخرى اذ ان هذا يعنى تجميد الانماط المتباينة لمعدلات النمو والتقدم التكنولوجى والعسكرى . غير أن هذا فى رأيه لايعنى أن الولايات المتحدة محكوم عليها بالأفول مثلما حدث مع قوى عظمى سابقة منذ اسبانيا وهولندا ، وأنها سوف تتفكك مثلما حدث لامبراطوريات روما والنمسا والمجر . غير أنه لكى تتفادى الولايات المتحدة هذا ، فإن على ساستها أن يدركوا ان اتجاهات عريضة تأخذ مجراها الآن فى العالم .


كتاب الهلال
يقدم:
أوراق من الرماد والجمر
متابعات مصرية وعربية ٨٥ - ١٩٨٨
بقلم: فاروق عبد القادر
يصدر ٥ ديسمبر ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
ثلاثة رجال في قارب
تأليف: جيروم ك. جيروم
ترجمة: د. أحمد مستجير
تصدر في ١٥ ديسمبر ١٩٨٨

# الحبّ والجنس
# في حياة جورج برنارد شو

عن: مايكل هولرويد . بقلم: د. أمين العيوطي

في عام ١٩٧١ شرع الأوصياء على تركة جورج برنارد شو ، وهم المتحف البريطاني وجاليرى ايرلندا الوطني والأكاديمية الملكية للفن الدرامي ، في البحث عن مؤلف يكتب سيرته بشكل دقيق ، ووقع اختيارهم على مايكل هولرويد لخبرته في كتابة السير ، فتح الأوصياء له أبواب المكتبات العامة وسجلات المحفوظات في كل أنحاء العالم ، فبدأ بحثا استمر خمسة عشر عاما بين الآلاف المؤلفة من مخطوطات شو ومذكراته .. أثار هذا اهتمام الأوساط الأدبية حتى أن مؤسسة شاتو ووينديس دفعت مقدما رقما قياسيا ٦٢٥٠٠٠ جنيه استرليني في كتاب شاع عنه أنه سيرة هذا العصر ، السيرة تقع في ثلاثة مجلدات .. المجلد الأول ، البحث عن الحب ، يغطي حياة شو في الفترة ما بين ١٨٥٦ إلى ١٨٩٨ ، وقد صدر في سبتمبر ١٩٨٨ ، المجلد الثاني ، البحث عن السلطة ، ينشر في عام ١٩٨٩ .. أما المجلد الثالث ، فتنة الخيال ، فسوف ينشر في ١٩٩١ .. وقد قامت جريدة الصنداي تايمز بنشر مقتطفات من المجلد الأول على ثلاثة أعداد في الفترة ما بين ٤ إلى ١٨ سبتمبر ١٩٨٨ ، تغري بأن نستبق الزمن حتى نلاحق هذه السيرة الشاملة الموحية ..



جورج برناردشو واميرة بريطانية وشارلي شابلن

# الحبّ والجنس
## في حياة جورج برنارد شو

● في المجلد الأول يرى كاتب السيرة أن فهم ج . ب . ش يكمن في طفولته التعيسة ، إذ كان نتاج زواج غريب بلا حب بدأ في ١٨٥١ حين شرع أبوه يبحث عن زوجة ثرية ، كان الأب ينحدر من أسرة من أعيان الريف فقدت ثروتها وتركته بلا ميراث أو وظيفة أو مهارة يدوية أو مؤهلات من أى نوع ، وحين إلتقى ببيسي جيرالد كان سكيرا تعسا لا يهمه من الحياة إلا الشراب والمال ، ولا يبدى إهتماما بالنساء . كانت بالنسبة له حبل النجاة إذ كانت ابنة أحد ملاك الأراضى لكنها حين أصرت على الزواج من جورج كارشو حرمتها خالتها الوصية عليها من الميراث .. هكذا «كسب الرجل زوجة وخسر ثروة» .. وعاشت الأسرة التى ولد لها بنتان وصبى حياة متواضعة فى بيت متواضع بعد أن اتجه الأب إلى تجارة الحبوب ..

كانت أم شو هى الشخصية الرئيسية فى طفولته ، وهى المرأة التى خاب ظنها فى الزواج بعد أن اكتشفت أن زوجها سكير ، وعانت معه شظف العيش ، وتولد لديها الاحساس بأنها زوجة مخدوعة ، مضطهدة ، خائبة الظن فى الحياة مما حدا بها إلى الهروب إلى عالم تحضير الأرواح ، ووجد الصبى نفسه مهملا لا يتهم به أحد ، يحيا حياة بلا حب ، يعيش على الأحلام ، وإن كان عدم اهتمام الأهل به قد علمه الاعتماد على النفس ، والاكتفاء الذاتى ، ومن العلاقة الفاترة بين أمه وأبيه توصل إلى اكتشاف موضوعية الجنس والقدرة على أن يباعد بين نفسه وبين من يحب .. تولدت فلسفته فى طفولة ضائعة جعلته يرى نفسه مجرد انسان يقيم على الأرض دون أن يكون من أهلها ..

### ● حياة متناقضة !

فى السادسة من عمره دخل حياة الأسرة مدرس موسيقى أدخل فى حياة الأم عالما جديدا من الخيال وسحر الموسيقى .. كان جورج لى محدثا بارعا حتى ان الأم كانت تدب فيها الحياة تحت تأثيره وهى تصغى إليه .. كانت الموسيقى وجوده ، ودراسة الأصوات عشقه ، وتدريس الموسيقى كل حياته .. ويبدو أن المرأة كانت قد التقت به عقب زواجها وهو يجوب شوارع دبلن بحثا عن أصوات يضمها إلى الجمعية الموسيقية للهواة ، إذ كان يسكن على بعد ياردات من بيتها وسرعان ما أصبحت قائدة الكورس ومسئولة عن مهام جمعية لى الموسيقية ..

لم يكن شو يحب جورج لى ، لكنه كان يعجب به ، وكثيرا ما راودته هواجس ، كما راودت كثيرين غيره ، أنه كان الابن الطبيعى لهذا الرجل ، وهناك احتمال أن شو كانت تراوده رغبة خفية فى أن يكون ابن هذا الموسيقى العبقرى بدلا من أن يكون ابنا لجورج كار شو التعس الضعيف الشخصية ، ولكى يطهر العلاقة بين أمه والرجل من أى شبهة جنسية فإنه أقامها فى خياله حصنا جنسيا لا يقهر ، حتى أنه كان يعجب كيف أمكنها أن تنجب على الاطلاق ثلاثة أطفال مالم يكن زوجها ، فى لحظات سكره ، قد اغتصبها عنوة .. ولما كان يتقاسم مع الرجلين الاسم الأول «جورج» ، فقد حذف من اسمه كلمة «جورج» واكتفى بالحرف الأول من الاسم فقط ، حتى انه كان يدمدم إذا أخطأ أحد فناداه باسم جورج .. لكنه كان قانعا بأن يكون ابن جورج كار شو لمجرد حماية سمعة أمه ..

غير أن جورج لى سرعان ما أصبح أحد أفراد العائلة حين استأجر بيتا صيفيا خارج دبلن واقترح أن تتقاسمه معه أسرة شو ، حيث مكث الجميع معا قبل أن ينتقلوا إلى بيته فى دبلن مع الابقاء على البيت الصيفى لقضاء

العطلات الصيفية ، كان لى يدفع الايجار للجميع بالاضافة إلى تكاليف البيت الصيفى ، وإذا كان هذا الترتيب قد وفر لأسرة شو مقاما مريحا ، إلا أنه وفر لجورج لى وجود بيسى ، وربما ابنتيها أيضا معه ملأ لى البيت بالموسيقى وأفرغه من الصلوات العائلية .. ومنه تعلم شو أن ينام والنوافذ مفتوحة ، أن يأكل الخبز الأسمر بدلا من الخبز الأبيض ، وأن يبدى احتقاره لكل أصحاب المهن من اطباء ومحامين وأكاديميين كما وفر له الكثير من الكتب التى لم يكن يقرأها والتى راح شو يلتهمها ويتذوق من بينها ألف ليلة وليلة ، قصيدة «الملاح القديم» لكولريدج ، وعالم المغامرات فى كتابات وولتر سكوت واسكندر دوماس ، وأعمال شيكسبير وجورج اليوت وتشارلز ديكنز وجيته وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره ، كان يرى شخصيات شكسبير وديكنز أكثر واقعية وأشد حيوية من الحياة ذاتها .. أما الجو الموسيقى الكورالى والأوركسترالى الذى اشاعه لى فى البيت فقد أيقظ حواس شو الموسيقية ، فعرف أعمال بيتهوفن وهاندل وموتسارت وفردى قبل أن يبلغ الخامسة عشر .. لكن الرجل مالبث أن رحل عن دبلن الى لندن ، حيث هجرت الأم أسرتها ولحقت به تاركة شو يتمنى حظه ويعمل كاتبا فى وكالة لبيع الأراضى ..

غير أن هذه التجربة تركت اثرها على شو بعد أن تعلم النوتة الموسيقية والعزف بنفسه وقرأ الكثير من الكتب الاكاديمية فيما بعد حين لحق بأمه وجورج لى فى لندن مركز الأدب والفن ناقدا موسيقيا كان فى الواحدة والعشرين حين أصبح مساعدا لجورج لى يكتب له مقالاته النقدية عن الحفلات الموسيقية ، حتى اكتشف رئيس تحرير مجلة «هورنيت» الحقيقة ، وأفل نجم لى وتخلت عنه أم شو ، خاصة بعد أن حاول الزواج من ابنتها لوسى ، واتخذت مهنة تعليم الغناء ..

## ● سطوة المرأة ●

وبموت لى فى ١٨٨٦ انتهت حياة شو كناقد موسيقى من الباطن ، ويبدأ حياته باحثا عن الحب ، أو عن طفولة ثانية ينعم فيها بالاهتمام والسعادة اللتين افتقدهما فى أمه وهكذا بدأت أول قصة حب حقيقية ، وأول علاقة جنسية له مع احدى صديقات أمه ..

فلما كان قد حرم فى طفولته من تكوين أى ارتباطات عاطفية فإنه وجه كل عواطفه نحو الفكر ..

كان يلغى جسد المرأة ليخاطب عقلها حتى جعل النساء تظنه عنينا .. غير أن الأرملة مسز باترسون جعلت منه دون جوانا .. كانت صديقة لأمه تعلم على يديها دروسا فى الغناء وتكبره



جورج برنارد شو الأب وزوجته

# الحبّ والجنس

## فى حياة جورج برنارد شو

بخمسة عشر عاما .. وكان شو حين يعود من قراءاته فى المتحف البريطانى يجدها مع امه فيشاركها الغناء ويصحبها إلى محطة الأوتوبيس المتجهة إلى بيتها فى ميدان بروميتون .. وذات مرة عاد ليجدها فى البيت فقضى معها الأمسية ، ثم ذهب لزيارتها فى بيتها فوجدها وحيدة وظل يثرثر معها حتى منتصف الليل ، وقد أدى هذا إلى تطور فى مظهر شو الذى تخلى عن ثيابه المهلهلة التى كانت تتألف من معطف بال .. شذبت أطراف اكمامه المهترئة بالقص وحذاء رث ، واشترى حلة جديدة دفع ثمنها من التأمين على حياة والده الذى توفى فى ١٥ ابريل ١٨٨٥ ، ووصفها بأنها حلة لا يمكن للنساء مقاومتها .. ولعل الحقيقة انه فى حلته هذه أصبح أكثر ثقة فى نفسه عند مخاطبة النساء وقد شجعته مسز باترسون على الاقتراب منها وهى تتمنع وتتدلل . وفى عيد ميلاده التاسع والعشرين احتفل بالدخول فى تجربة جديدة حين أخذت مسز باترسون زمام المبادرة واخترقت حاجز عفته .. ومن خلالها عرف سطوة الجنس ..

غير أنه استاء من سطوة المرأة عليه إذ قلبت كيانه واخترقت وحدته واستقلاله والنظام الصارم الذى كان يتبعه فى عمله .. وتكشف مذكراته عن الأحاسيس المتضاربة التى كانت تنتابه وتتأرجح بين الملل والاحساس بالذنب وقلقه من استحواذ المرأة عليه .. لكنه ظل يتردد عليها ويقضى معها ردحا طويلا من الليل ويسجل فى مذكراته عدد المرات التى طارحها فيها الغرام فى كل زيارة .. لم يكن يرتب لقاءاته معها ، بل كان يزورها حين لا يستطيع ان يظل بعيدا عنها .. وكان احيانا يرفض دعوتها له ، أو يذهب متأخرا حين تكون هى قد اوت الى فراشها فيظل يتسكع فى الميدان متطلعا الى نوافذ البيت المظلمة وكثيرا ما حاول ان يضع حدا لهذه العلاقة ليؤكد لنفسه تفوقه على مشاعره الجنسية ، الا انه كان لا يلبث أن يجد نفسه مشدودا إلى المرأة ، وكثيرا ما كانت المرأة تغريه ، بالذهاب اليها إذ تلوح له بأنها ستقدم له أعنابا طازجة وعسل نحل وكاكاو وخبزا اسمر ، وتؤكد له أنه حر فى أن يفعل ما يشاء ، وتحذره فى نفس الوقت من أن يقع فى غرام امرأة أخرى ، وعلى الرغم من محاولاته أن يضع حدا لعلاقته بها إلا انه كان يؤنب نفسه لأنه استغل جسد المرأة ووجد الحل فى أن يعرض عليها أن تكون علاقتهما افلاطونية ..

غير أن هذه العلاقة الأفلاطونية لم تدم طويلا ، فظل يتردد عليها ولكن على فترات أكثر تباعدا ويغادرها مبكرا ..

كان الصراع فى نفسه يدور بين قضاء الليل معها وإهماله لعمله وبين التزامه بعمله وإهماله .. وجاهد شو نفسه ليخمد مشاعره الشهوانية انما ليجد نفسه راغبا فى علاقة افلاطونية مع علاقة جنسية كاملة فى ان واحد ، وادى هذا إلى شك مسز باترسون فى اخلاصه وإلى غيرتها من علاقاته النسائية الأخرى وخاصة علاقته مع ان بيسنت ، إحدى الاشتراكيات البارزات فى الحركة الفابية التى رفض شو أن يقيم معها كزوج ففكرت فى الانتحار ووجدت الحل فى أن تنغمس فى نشر الفكر الفابى فى الطرقات ، كانت علاقته الأخيرة هذه تثير مشاهد عاصفة بين شو ومسز باترسون تهدأ حين يطارحها الغرام .. غير أنها لم يغب عنها أن مشاعره نحوها قد تغيرت خاصة بعد ان اكتشفت خطاباته الى ان بيسنت ، واستبعاده لها من حياته الحافلة باللقاءات والخطب السياسية فى هايد بارك وقراءاته وكتاباته .. والحقيقة أنه فى حين كانت هذه العلاقة جزءا من اهتمامات شو المتعددة ، إلا أنها كانت كل حياة مسز

باترسون .. كانت تحبه بكل ذرة في كيانها ولم يكن يستطيع ان يبادلها نفس الحب .. كان هذا يثير بكاءها وثوراتها ومشاحناتها مما افقد علاقتهما مذاقها ، ودفعه إلى الارتماء في علاقة حب جديدة مع الممثلة فلورنس فار ..

كانت علاقته مع فلورنس فار مختلفة ، حافلة بالأحاديث الذكية والأفكار والمشاعر والضحك ، وشأنها شأن مسز باترسون كانت هي التي أخذت زمام المبادرة لتجذبه إليها .. لكنها كانت تختلف عنها في أنها كانت تنظر إلى الجنس نظرة واقعية ، فلم تكن مبهورة بالاعيب الجنس السخيفة ، كانت ترى لحظة الجنس لحظة لهو وسعادة ورياضة صحية على شرط الا تطغى على العلاقات الجادة .. وفي موقفها هذا وجمالها وقراءاتهما المشتركة كانت تكمن جاذبيتها بالنسبة لشو .. اثارت هذه العلاقة الجديدة غيرة مسز باترسون الى حد انها كانت تحاصره في غرفته فيضطر الى استخدام القوة حتى يستطيع مغادرة بيته ، وإلى الاعتصام في المتحف البريطاني وارسال برقيات الى امه لتخلى البيت قبل أن يعود .. حتى كان مساء اقتحمت فيه مسز باترسون غرفته لتجده مع فلورنس فار فتسبها وتحاول الاعتداء عليها ويمنعها شو بالقوة .. كان في هذا نهاية لعلاقتهما .. فلم يعد يجيب على سيل خطاباتها وبرقياتها إليه ، وامتنع عن مخاطبتها والتراسل معها حتى ادركت انها لم تعد بالنسبة اليه سوى « شيء يلقى به جانبا مثل لعبة سئمها صاحبها » ..

جورج برناردشو اثناء تصوير بيجماليون مع الممثل ليزلي هيوارد



# الحبّ والجنس
## في حياة جورج برنارد شو

### حب حقيقي ●

كان شو في الحقيقة في حاجة إلى زوجة تمنحة الاستقرار وتحول بينه وبين مغازلة الفتيات الفابيات وزوجات الرجال الآخرين لتمكنه من التركيز على عمله .. كان الحل يكمن في اندماج انفعالاته الجثمانية في عمل مشترك مع زوجة .. وقد حاول ان يجد ضالته في علاقات من هذا النوع مع بعض الممثلات .. إلا انه في صيف عام ١٨٩٦ التقى في حفل غداء بسيدة ايرلندية ثرية وجميلة تدعى شارلوت بين « تارنشند » . كانت فوضوية ترفض الخضوع لاية قواعد ، واشتراكية لا عن فهم للاشتراكية ولكن لمجرد انها كانت ذات طبيعية متمردة .. تصادق الاثنان فأصبحا رفيقين دائمين يجوبان الريف على دراجتين طول النهار ويتحادثان شطرا طويلا من الليل .. كان شو قد طلق في تلك الفترة حب الممثلات .. واحب في المرأة الجديدة صدقها واستقلاليتها وانخراطها في الجانب السياسي من حياته ..

اصبحت شارلوت شيئا لا يمكن لشو الاستغناء عنه .. فقد تعلمت كيف تقرأ اختزاله وتكتب له على الآلة الكاتبة وتعد مسرحياته للطبع .. وعلى الرغم ان ذلك كان يتم في شقتها ، إلا انه كان لا يستطيع ان يهبط عليها دون موعد سابق كما كان يفعل مع الأخريات لم تكن شارلوت بوهيمية .. كان يدعوها الى المسارح ومتاحف الفن ومحاضرات الجمعية الفابية - وكانت هي تلاحقه حين يلقى خطبه عن الاشتراكية عند نواصي الشوارع وبوابات الموانيء ، وتدعوه الى تناول الغداء والعشاء ، وتهتم بان يتعلم طباخها الاكلات النباتية ..

وسرعان ما اصبحا صديقين .. بل ان شارلوت اصبحت شديدة التعلق به دون أن يبدى هو من جانبه اية عاطفة حقيقية ..

عندما عرضت عليه شارلوت من جانبها الزواج زلزل عرضها كيانه حاول ان يشرح لها انه لم يكن يستطيع ان يتصرف في حياته الخاصة بما يتعارض مع التزاماته العامة .. كانت ثرية .. وكان فقيرا .. وكان زواجه منها سيبدو زواج مصلحة ، وهو الذي كان ينادي بأن زواج المصلحة نوع من الدعارة حاولت شارلوت ان تقنعه انه لم يكن بحاجة الى ان يكون ثريا مثلها ، بل يكفيه ان يكسب ما يفي بحاجاته من عمله وأن يظل مستقلا عنها ماليا .. واصر على موقفه .. لكن شارلوت لم تتخل عن اصرارها على الزواج منه ، بل اكتفت بتغيير تكتيكاتها .. فلم تعد تبدو حريصة على لقائه ، وبدأ هو يعترض ، وعندما رحلت إلى ليستر لزيارة اختها راح يشكو : «اين اقضي امسياتي ؟ ليس هناك من اتكلم معه وعندما عادت تعمدت ان تختفي عنه .. كلما سأل عنها قيل له انها كانت بالخارج ، حتى صاح ذات مرة في وجهها : «لا ادرى بحق الشيطان اين اذهب - ولا بحق الشيطان ما افعله .. ثم اختفت في رحلة الى باريس - وعندما عادت اتجهت مباشرة الى هارتفورد شير لتمكث مع بعض الاصدقاء الفابيين الاثرياء .. ولاحقها شو على دراجته ..

كانت المفارقة الساخرة في موقفه انه كان ينادي باستقلالية النساء ، لكنه يريدهن أن يعتمدن عليه وأن يحرمهن من سطوتهن الجنسية عليه .. كان يثير اهتمامهن ثم يجري ، ومنه تعلمت شارلوت اسلوبه .. فجعلته مناوراتها يبدو كمن يلاحقها .. وفي صيف ١٨٩٨ رحلت شارلوت إلى روما لمدة سبعة اسابيع .. وكلما طالت اقامتها في ايطاليا ، كلما زاد عدم احساسه بالاستقرار وعدم قدرته على اتخاذ القرار ، كان يردد احيانا انه سوف يتزوجها ثم تراجع عن قراره في اليوم التالي غير انه حين اصيب بالتهاب في مفاصل اصبع قدمه الكبرى ، واجريت له جراحة ، واضطر الى الاعتماد على عكازين لم



جورج برناردشو فى ضيافة البيجوم فى الهند عام ١٩٣٣

يجد سوى شارلوت تعتنى به فى بيت ريفى استأجرته له ، كما استأجرت له ممرضات وخدما ..

وأدى نجاح مسرحيته حوارى الشيطان الى ازالة تردده فى الزواج منها على اساس الحجة المالية التى ساقها قبلا .. كتب مشيرا الى نجاح مسرحيته : «إنها لم تجعلنى ثريا مثل زوجتى ، لكنها وضعتنى أبعد من كل شك فى ان اكون صائد ثروة او طفيليا» .. ففى عام ١٨٩٦ كسب ٥٨٩ جنيها وخمسة شلنات ، وفى علم ١٨٩٧ وصل دخله الى ١٠٩٨ جنيه استرلينيا ، وهكذا وصلا الى اتفاق بأن يتقاسما المصروفات الاساسية فيما بينهما ، وأن يحتفظا بدخليهما منفصلين .. وفضل أن يظل جاهلا بالرقم الحقيقى لثروة زوجته ، وأن كان يعلم انها كانت تملك قدرا هائلا من المال ..

فى اول يونيو ١٨٩٨ ابرق شو الى صديقيه جريام والاس وهنرى سولت ليكونا شاهدى زواجه . وصل الاثنان فى ابهى ملابسهما ، فى حين حضر شو على عكازين وهو يرتدى سترة قديمة رقعت عند الابطين بجلد مهترىء ، فظنه مسجل العقود «الشحاذ المحتوم الذى يكمل مواكب الزفاف» ، وشرع فى اجراءات الزواج ظنا منه أن والاس كان هو العريس ـ غير ان والاس تنبه الى ان اجراءات الزواج وصياغة العقد كانت تتجه الى شخصه بصفته زوجا لا مجرد شاهد على العقد فانقذ الموقف وتخلى عن الدرة الثمينة لشو ..

وعلى الرغم من ان شو كان يريد ان يتم الزواج سرا ، إلا ان الخبر تسرب الى صحيفة «ستار» التى صدرت فى اليوم التالى تحمل خبرا صياغه شو بنفسه يقول :

حين خرجت احدى السيدات واحد السادة بالامس يقودان سيارتهما ، قادهما وابل من المطر إلى الاحتماء بمكتب مسجل الزواج ، ووسط فوضى اللحظة قام بتزويجهما ، كانت السيدة سيدة ايرلندية تدعى الآنسة بين ـ تاونشند ، وكان السيد هو جورج برنارد شو ..

وبهذا البيان بدأ شو ، وهو فى الثانية والاربعين ، «المغامرة الرهيبة» التى جعلت منه زوجا محترفا ..

# ندوة الهلال الشعرية

### ٩ شعراء وشاعرات في موسم «الهلال» للشعر

ذكرياتنا وذكرياتك - عزيزي القارئ - مازالت تتعلق بموسم الشعر الذى قدمته «الهلال» فى العام الماضى، متضمنا عددا من قصائد الشعراء والشاعرات ..

لقد تلقينا أكثر من ألفي رسالة خلال الاثنى عشر شهرا الماضية عن قراء كرام يطلبون موسما للعام الحالي - ١٩٨٨ - قبل انقضائه .. وها نحن أولاء نلحق بالشهر الأخير من هذا العام ومعنا ٩ شعراء وشاعرات من مصر والبلاد العربية يتبارون فى إنشاد قصائدهم فى هذا الموسم الجديد المقام على صفحات الهلال كما كانت تقام مواسم الشعر قديما فوق أديم الأرض العربية العريقة فى عكاظ وذى المجاز ومربد وغيرها من أسواق البلاغة والفصاحة ..

نحن نقدم إليك هنا أجود ما تلقيناه من الشعر بغض النظر عن الأسماء التى ربما ضخمتها الدعاية بغير حق .. وبعيدا عن الانحياز إلى هذا المذهب أو ذاك من المذاهب الشعرية التى يتعارك حولها بعض الشعراء الآن، وكان الأجدر بهم أن يتركوا جميع الأزهار تتفتح تحت شمس ربيع الشعر! ..

إن فيما نقدمه إليك هنا شعرا تفعيليا، وشعرا عموديا، ومذاهب فنية مختلفة، واتجاهات متعددة، من الشعر العاطفى إلى الشعر الوطنى إلى الشعر السياسى، تحت خميلة وارفة الظلال تجمع الأصوات الشعرية على افتنانها الباسقة ..

وإننا إذ نقدم إليك هذه الندوة الشعرية أو هذا الموسم الشعرى، لنترك لك أن تختار وتتذوق كما تشاء .. ولعلنا نلتقى فى العام القادم فى موسم احتفالى حي يجمع عشرات الشعراء يلقون قصائدهم بأنفسهم على جمهورهم، ليتحقق الشكل والمضمون الحقيقيان لمعنى الموسم كما عرفه شعراء الأمة العربية فى سالف الزمان.

# لذة الخطر

شعر: جليلة رضا



أريد أن اكون بحارا على سفينة
في ليلة نامت بها السماء والأنوار
حتى أحس انني نهايتي وقمتي
لا ادعي إذا ضللت انها الاقدار

★ ★ ★

لسوف اغدو رجلا في رحلتي المروعة
فإن خوفي ربما يعوق لذة الخطر
وربما شعري يجدل الرياح الطيعة
وقد يشق مهجة السفين دمعي المنهمر

★ ★ ★

سيستقر فوق جبهتي السواد والسواد
وسوف يهبط الأسى وسوف يصعد الألم
ستمحي من خاطري اطياف قرب او بعاد
وتستوى عندى اتجاهات العيون والقدم

★ ★ ★

وسوف لا ارقب في السما طلوع الأنجم
فما أرى اسخف من تلهفات الانتظار
لن يسبح النجم على سواعد التوهم
ولن يصير لي دُنى ولن يكون لي نهار .. !

★ ★ ★

لكنني في خلوتي بالموجة المرتعده
سيعصف الجوع بروحي بعد هداة الشبع
ساحضن المجهول في رياحه المعربده
واعبر الأهوال في اقصى مداها .. والفزع ..

# قلقيلية .. المدينة الفلسطينية

شعر : مصطفى غنيم

ليس على قسماتك سيماء الحزن
ولا لون الضعف
ولايبست اغصان بساتينك
من ريح الهمجية
قلقيلية
يامجد الأمس وإصرار اليوم
وزهور المدن العربية
من بياراتك ينساب اريج الليمون
وأحجار المقلاع
وتكبير المنتصرين
وعلى ايقاع الدبكة فى ساحاتك
يهتز شباب لايسكنه الخوف
ولا الليل الشتوى
ولا ضعف البشرية
قلقيلية
رغم الدبابات الشائهة السحنة
قاموس القبح .. محاصرة الحلم
ورغم الوحشية
سيظل على جدرانك
رونقها العربى
وإصرار حجارتها
وجلال احاديث نبوية



# أذوب في المطر

شعر: ماجدة بركة



بلى اذوب فى المطر
ولاتذوب فى ... انت رحمة ورقة
بلى اذوب قطرة بلا اثر
اذوب فى الحزن الجميل مرة
ومرة فى الحزن احتضر
الريح زائرى الوحيد
يرانى طائرا فريد
احلق فى سماء من رماد
وفضتى هى القمر
.....................
اه حبيبى وغضبى منك
جدائلى الذهب
وتمرى الرطب ... وعيناى البحور
وانت مبتعد ؟!
سلام عليك والف سلام

والف متلم ورؤيا اليك .

......................

سمعت همسك الخجول همهماتك الضحوك
نزلت استحم فى شمس الغروب
غمرت نفسى فى برتقالها الوضىء
سرقت انت حلتى ومئزرى وشالى الموشى بالذهب
فكيف بالله أعود ؟
اكالحقيقة عارية !

......................

ياحبيبى الذى عيونه هديل
سمعت صوتك الجميل
سكبت حنتى على الطريق
وصار كفى المحنى خاويا
ياويلتى
ماذا تقول امى التى فى البيت تنتظر
حبيبى الذى فى الصمت مسكنه
حروف ابجديتى اضعتها فى صمت محضرك
فهل لى حفنتا ماء وحفنتا كلام
لازرع ايكة من طيب الكلم
فى ظلها انام

......................

ياحبيبى الذى عيونه سفر
فتشت عنك كل البلاد
حملت صرتى على ظهرى وجبت
عبرت كل بحر وجزت كل بر
سألت الطير فى السماء
والوحوش والبشر
ففاجانى ربك فى كل صوت
بعيد أنا كنفسك عنك

# لحظة صمت

شعر: أحمد سويلم



- رائع ان تكون على اهبة الحب
ثم يجيئك نسراً يعانى الظمأ ..
- رائع ان تظل سطوراً من الحلم
ثم تصير الحروف شفاها
تصير عيونا
تصير قلوبا
وتملك من موجك المبتدأ
- رؤيتى اتسعت فى امتداد ذراعى
بالامتداد الرؤى .. وانهمار المدد
وتضيق العبارة ..
أين احتمال الحروف .. وفيم البدد
والذى كان يأسرنى فى الزمان القديم
تجدد بين يدى .. واتقد ..

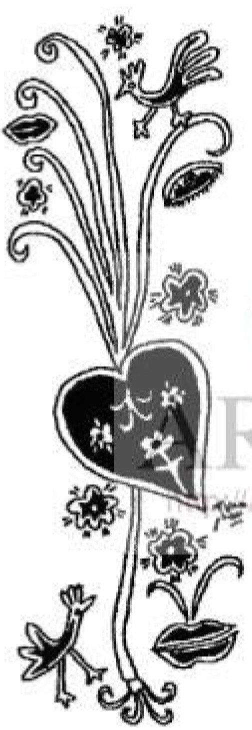
-----------

- سيد وجعى .. وعميق
ومفترش لغتى .. طرقات من الجمر
فيها تسكعت
فيها كبوت
ولكننى الآن اعرف كم تتقاطع فى ناظرى
المسافات
كم يزحف الصمت يترك فى القلب نافلة
فى غياب التباريح .. قافلة
- مدن قد تغيب
واخرى تقوم جزائر
لكن ماتغرس الآن ليست كهذى المدائن
- ياايها اليم .. فتت كما شئت موجك
كل الرذاذ الذى يسقط الآن فوق الوجوه

طيور من العشق
ياايها اليم .. هات المفاتيح
كل المغاليق توشك أن تصدا الآن
لن تجد اليوم من يمنح القلب .. والعين .. والصلوات
استو الآن فوق الأكف
حماما لأحلى الرسائل
نحن إليك انتماء
ونحن احتراق
ونحن ارتخاء على الموج ..
- حين غرقنا .. بعدنا
لم يجرؤ الخوف أن يخنق الماء ..
لم يجرؤ الصمت أن يتمطى مع الليل
كنت الأمان لنا .. والطيور
وكنت الجنون .. الفتون .. العبير ..
- رائع وجع العاشقين
نتطهر فيه .. فننمو نخيلا يطول .. يطول
يشق السماء جناحين
وردا هناك .. وتعويذة فى العيون هناك
وبينهما الوجه يورق صفصافة
والمسافات .. لاتتعدى انفراجة كف ..
وفاصلة الأرض فى القلب .

----

ياايها اليم
صوت القصيدة يبدأ من لحظة الصمت
والنور من بقعة الظل
كيف تؤرخ هذا الزمان الجديد
ولاتتوخى الحقيقة والصدق
إنا ظللنا على اهبة الحب
حتى استوى الحب فى القلب سارية
ايها اليم ..
جد بلحتوائك
إنا اتينك من زمن المستحيل ..



# الحيتان

شعر: أحمد فضل شبلول

البحر البحر البحر
ذات صباح منى هرب البحر
ذات مساء كنت أعد النحر
البحر البحر البحر

يدخل غرفة احلامى ويمزلجها
ويبعثر أملاح الفوضى فى الأركان
استنشق رائحة اليود
ورائحة الاسفنج
ورائحة الطوفان

فوق سريرى ..
تتقافز اسماك البهجة والاحزان
تركلنى الحيتان
وتمر سفائن حبلى بالشمس وبالاقمار
ملاحوها يقفون على اعتاب الكون
على اعتاب جزيرة «فاروس»
ويشير الملاح الأكبر للرئتين التائمتين على صدرى
- نبنى فوق الرئة اليمنى ..
فندق رقص وسعار
... فوق الرئه اليسرى ..
قصرا للدولار
... بينهما نبنى ....
تمثالا للحرية
ومنارة خوف ابدية

تركلنى الحيتان
استنشق رائحة الطوفان
البحر البحر البحر
البحر وهذا البحر

# الجلوس فوق حافة الضياء

شعر: زينب محمود أحمد

(١) المخاض

وجئت كالشروق فوق صفحة
الحقول
بلون خطوة اليفة لساقية
بطعم دهشة السؤال في
قصيدة مواتية
فانت روح ذلك المكان ...
ولحن اغنياتنا بموسم
الحصاد ...
وانت فرحة هنا ...
وبهجة هناك ..
لم يجيئها المخاض
بعد ...
وانت لحظة وشيكة الحدوث
ومستحيلة الحدوث



(٢) صديقي القديم

صديقي القديم كان دائما
حزين !!
فظله على الجدار مرهق ...
يفند التجهم البطيء ...
يمد في الفضاء قشعريرة
الفناء
وصوته مسافة ...
تدفء التاوه الحبيس في
العيون ..

وتحرق الصفصافة التى
باول الطريق
صديقى القديم كان دائما
حزين !!
ومنذ موته ـ
اعيش بعض حزنه ..
تقلصت اضالعى ..
وتهت فى مغارة السكوت
كتبت فوق قبره
رسالة قصيرة ـ قصيرة ..
وحين عدت
لم اجد رسالتى ...
ولم أجد جواب !!!



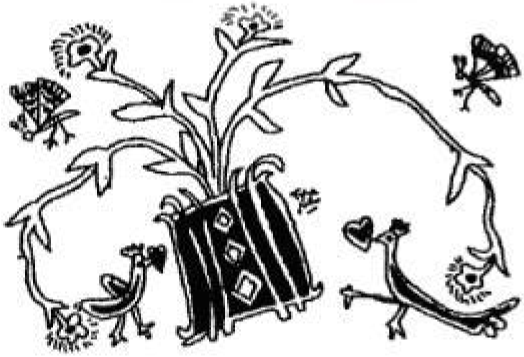
(٣) الجلوس فوق حافة الضياء
واستدير كى أرى ـ قبالتى ـ
اواخر النهار

تزيد من صبابتى فاعشق
الجلوس فوق حافة الضياء
واستثير غضبةً الرياح ..
كى تطارد المساء
وعندما يطل وجهك الرقيق
فوق صفحة القمر يراقص
الغصون ...
ويوقظ الضفادع التى على
جـوانـب الـتـرع فيسقط
الخريف من سنين عمرنا
ويولد النشيد

# قيلولة

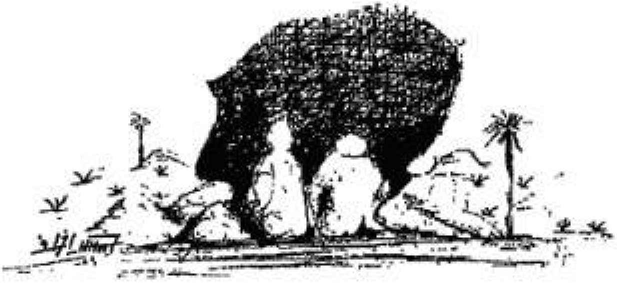
شعر: محمد محمد السنباطى

يتدلى غصن من اغصان الذكرى نحو الوجدان الغافى تحت الشجرة
ويمس جبينه
ويحرك من تحت الرأس ـ يمينه
يوقظ من لم يهنا بالنوم لحيظات
فيحدق فى اشياء تسر العين واخرى مافونه
ويغمض اجفانا ارقها الوجد وارهقها
يستهويه استجماع الأطراف على الذات ليدفئها
يتقوقع منغلقا ويريح عيونه
والشجرة آلات للموسيقى تعزف فيها الريح واحيانا يتغنى صيدح او تنعق بومه
الشجرة فى الصيف تقاوم سيف الشمس وتتحداها
تنقذ من ضربتها الآوين إلى الظل وكم آوت من وائل !
تتحدى ناب الجوع فتعطى ثمرتها المحرومين وهذا كرم ليس بزائل
والنائم تحت الشجرة فى ظل النسيان الحائل
يوقظه غصن لم يعرف بعد ذبولا ، لم يتشاق غب جفاف
والآوى لم يهنا بالنوم لحيظات ، يتمنى ـ معذرة ـ كاس سبات
والغصن المتهامس يتدلى ليعابثه ... هل يتركه ؟!
هيهات !!



# ميخائيل نعيمة

شعر: سليم الرافعي - لبنان



كرموه .. فهو اولى ان يكرم
ذلك العاشق فى صومعه
ذلك الفاتح الفى سيفه
فوق وادٍ جبلا عاش وفى
سيقولون : هو (الارز) بدا
سيقولون : فتى ملحمة
سيقولون : تراب مؤمن
اسقير هو ؟ ام مملكة
ايها القائد .. ملاذا فى العلا
ايها الشاعر .. ملاذا فى الهوى
وغدا يروون من اسطورة
ناسك فى جبل .. لكنه
مجده الحب ومن سطوته
ويصلى طائفا فى مكة
كرموه .. فهو للشرق اب
واغرسوا فى الجرح منه واسحوا

ذلك الطيف على صهوة ملاهم
مسلا الشرق ولامحراب مريم
مثل (جبران) وصلى ثم سلم
قمة (الشحروب) غنى حين حوّم
علما .. او نسر سوريا تقدم
من (نيويورك) إلى لبنان تضرم
فى صدى الحرف تندى وترنم
كان (ميخائيل) من لبنان اضخم
غير عرش الفكر للإنسان مغنم ؟
غير ايلاك من (جبريل) تلهم
فى الشعاعات نبيا قد تجسم
يحكم العالم فكرا ان تكلم
انه يغفر لله .. ويرحم
عربيا فى الحنيفيين اسلم
فى المساكين تجلى وتالم
بلسمه الروح .. فميخائيل بلسم

# يتركنا النهر ويمضي

شعر: نبيل خالد



جاء ليروينا حبا
يجمعنا في جسد واحد
يزرع فيه القلبا
يتركنا النهر ويمضي
لكن الارض
طرحت هرما
طرحت انشودة عمل
مع كل العمر ستبقى
يتركنا النهر ويمضي
لكن روافده
نقشت بالقلب ..
كوشم يبقى ..
تمشى في العقل ..
كشمس لن تمحى
تجمعنا حولك طول العمر .
كلحن يسكن وترا
يتركنا النهر ويمضي
لكن ، لن يمضي الا ..
كي يزرع حبا في الأرض
ونجني مايزرع
يتركنا ، لكن مبادئه
المزروعة في داخلنا
كجذور ، لن تقلع
يتركنا ، لكن الود سيبقى
والحب سيبقى
والوصل ، سيبقى ويزيد ..
وهل الصبح ، من الشمس ، سيشبع ؟؟

# سحر الجبال

# في الواحات البحرية



# سحر الخيال
## في الواحات البحرية

"يبدو أن هناك أشكالا بالذات تأسر خيال شعب بعينه فيستخدم هذه الأشكال فى مركبات كثيرة التنوع . وقد يتخلص من استعمالاتها غير المناسبة ولكنه ينشىء منها لغة بصرية زاهية اللون تؤكد ذاتيته وتتناسب تماما مع شخصيته وطبيعة وطنه" .

**● على عكس ما نجده في مدننا ومعظم قرانا اليوم من تعقيد وقبح فى تصميم المبانى ـ رغم استخدام أحدث الوسائل الفنية والتقنية فى التنفيذ ـ ففى الواحات المصرية تتجلى براعة الانسان فى خلق وابتكار أنماطه المعمارية التى تعتمد على البساطة واستخدام الامكانيات الطبيعية وتوظيفها فى أطارها الثقافى والبيئى الملائم ..**



● والواحات عبارة عن سلسلة من المنخفضات الأرضية فى الصحراء الغربية ، أهمها واحة سيوه فى الشمال الغربى ثم الواحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة .

ورغم أن طبيعة الصحراء قد فرضت خواصها على جميع تلك الواحات ، فإن تباعد المسافات بينها ، ووجود الهضاب التى تفصل بين كل واحة والأخرى ، أوجدت نوعا من العزلة ، خاصة فى الماضى ، نتج عنها تفرد كل واحة عن غيرها فى التقاليد واللغة والزى والفنون والعمارة .

**● الموقع والسكان**

تقع الواحات البحرية فى منخفض أرضى جنوب غرب الجيزة فى محاذاة مدينة سمالوط بمحافظة المنيا .

ومنذ العصر الحجرى القديم قامت هناك حضارات متتالية ، وكان الفراعنة يسمونها واحة الشمال ، وواحة امنحتب البحرية ، وواحة هابو والبهنسا ، كما كانت تعرف فى العصر الرومانى بالواحة الصغيرة .

ولاتزال هناك بعض الآثار لمعابد وأديرة من العصر الرومانى مثل قصور محارب والمعيصرة .

وعندما دخل الاسلام مصر ، أرسل عمرو بن العاص فرقة تحت قيادة عقبة بن نافع الى الواحات البحرية لفتحها وكانوا يسمونها أنذاك الواحة الوسطى وواح الخاص والواح الشمالية وواح الأولى .

اما اسم الواحات البحرية فقد أطلقه عليها على باشا مبارك حين ذكرها فى الخطط التوفيقية .

وتوجد عدة طرق تصل الواحات البحرية بغيرها من المدن والواحات الأخرى ،أولها الطريق الرئيسى وهو طريق الواحات ـ الجيزة ، وطوله ٣٧٦ كم ، كما أن هناك طرقا تصلها بالفيوم وواحة سيوه وواحتى الفرافرة والبهنسا .

وتتكون الواحات البحرية من عدد من البلدان والقرى ، وأهمها مدينة "الباويطى" ـ العاصمة ـ وقد سميت بهذا الاسم بسبب وجود ضريح الشيخ الباويطى بها . وهناك بلدة القصر التى تجاورها ـ وبها كثير من المعالم الأثرية ، ثم بلدة "منديشة" و"الزبو" و"الحارة" و"الحيز" و"العجوز" .

## ● خليط سكانى

ويرجع الدكتور "أحمد فخرى" السكان فى الواحات البحرية الى خليط من مجموعات ثلاث :

● السكان الأصليون للواحة ـ وهم قدامى المصريين الذين تحولوا للمسيحية ثم اعتنقوا الاسلام بعد ذلك .

● البدو المهاجرون من أجزاء متفرقة من الصحراء الغربية والساحل الشمالى الغربى وليبيا .

● أما المجموعة الثالثة فهم النازحون من صعيد مصر وخاصة من محافظة المنيا التى كانت الواحات البحرية تتبعها إداريا فى عهد محمد على .

ويتحدث أهالى الواحات البحرية بلهجة مميزة . وخاصة عند كبار السن ، انهم يحولون حرف ( الشين ) الى ( سين ) فينطقون كلمة ( سمس ) بدلا من ( شمس ) . وحرف ( الجيم ) ينطقونه ( زين ) فيقولون مثلا ( زوزتى ) لا من ( زوجتى ) . اما حرف ( القاف ) فى الفصحى والذى ينطقه أهل القاهرة ( همزة ) فهم ينطقونه ( جيم ) مثلما نجد فى صعيد مصر .

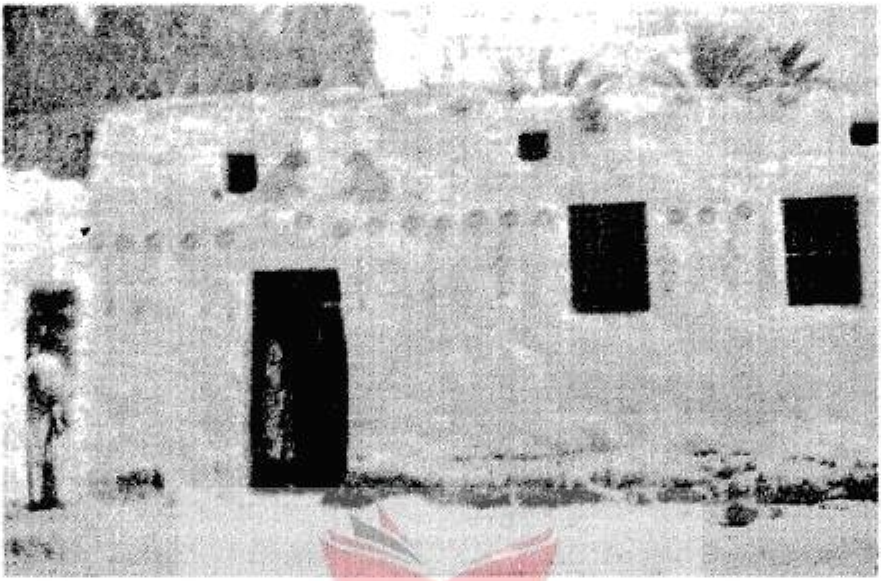
## ● الشكل العام للواحة

أول ما يستلفت انتباهنا عند الاقتراب من منطقة الواحات البحرية ـ تلك المساحات الشاسعة التى تمتد عليها مبان منخفضة تحيط بها الحدائق وأشجار النخيل .

فبلدان الواحات البحرية جميعها تمتد على مساحات منبسطة سهلة ، فيما عدا بلدتى القصر والعجوز المشيدتين على روابى عالية .

وتقوم الحياة الاقتصادية فى الواحات البحرية بشكل أساسى على الزراعة وخاصة زراعة الزيتون والبلح والشعير والفاكهة . ويعتمد الأهالى فى رى هذه المزروعات على مياه الآبار المنتشرة فى أرجاء الواحة ، كما أنهم يعتمدون أيضا على القنوات المشتقة من عيون المياه ، وخاصة فى الأرضى القريبة من هذه العيون ـ مثل أراضى بلدة "القصر" لقربها من "عين البشمة" .

# سحر الخيال
## فى الواحات البحرية



واجهة منزل عليها رسوم جدارية عبارة عن أسود وزخارف



### ● وحدة معمارية

رغم أن لكل بيت ملامحه الخاصة المتميزة ، فإن هناك بعض الخواص التى تجمع بين مبانى الواحة وتعطيها روحا عامة واحدة . فارتفاع البيوت لايزيد على طابقين ، والنوافذ متسعة ومعتدلة ، والأبواب معظمها تكاد تكون موحدة النمط ، تغلق "بترابيس" خشبية يسمونها ( ضبة ) وهى نفس ( الضبة ) الى مازالت تستخدم للآن فى قرى وادى النيل ، وكانت تستخدم قبل ذلك فى الحصون والقلاع الفرعونية والاسلامية .

أما الجدران فتبنى بقوالب الطوب النيىء ( الأخضر ) وهى عادة جدران سميكة جدا وسقوفها مغطاة بجذوع النخيل المضاف اليها الجريد "والمدهوكة بالطين" .

### ● تكوين البيت

يتكون البيت التقليدى فى الواحات البحرية من حوش متسع ، تمتد بمحاذاة أضلاعه الداخلية ومطلة عليه ، عدد من الغرف ( المقاعد ) اثنتان أو ثلاث ، تخصص للمعيشة والنوم . ومنور لوضع أدوات الطعام والخزين ، ثم مندرة أو مضيفة لاستقبال الضيوف ، يراعى أن

تكون مجاورة للباب الرئيسي للبيت ، وقد يلحق بالبيت ، عند المؤخرة ، مكان لمبيت المواشي ( زريبة ) يراعى أن يكون لها مدخل خاص . وتوجد أيضا دورة للمياه تسمح بتصريف الفضلات بعيدا عن باقى أجزاء المسكن .

وفى أحد أركان الحوش سلم يصعد الى الدور الثانى ـ الذى يحتوى على عدد من الحجرات ( المقاعد ) وسطح يخصص جزء منه كمنشر لتجفيف البلح والحبوب .

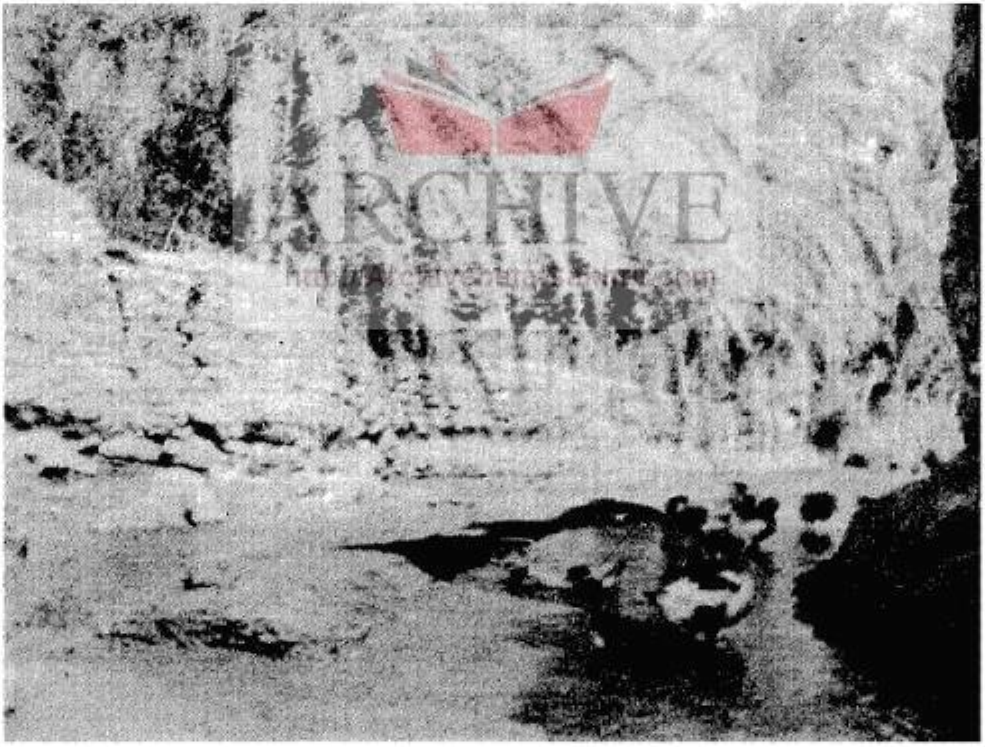
والملاحظ أنه فى داخل كل بيت وفى ركن من أركان الحوش توجد بئر خاصة لاستخدام أهل المسكن . كما أنه من الملاحظ أيضا وجود مصطبة اما أن تكون ممتدة على طول الواجهة الأمامية للبيت ، أو تكون امام المضيفة داخل الحوش ـ حيث تستخدم للجلوس فى الأمسيات الصيفية .

● تخطيط المسكن

يتم تخطيط مساحة الأرض المراد إقامة البيت عليها طبقا لاحتياجات ساكنيها من عدد الحجرات ومدى اتساع كل حجرة ( مقعد ) .

وفى العادة يتراوح اتساع الحجرة ما

عين البشمة فى قرية القصر



# سحر الخيال في الواحات البحرية

بين أربعة أمتار طولا ومثلها للعرض . أو ٤ × ٥ أمتار . اما ارتفاع الجدران فيصل الى خمسة أمتار .

## ● مواد البناء

يحرص أهالى الواحات البحرية على استخدام العناصر الطبيعية المتوافرة فى البيئة . فهم يصنعون الطوب ( الأخضر ) محليا ، ولهم طريقة خاصة فى خلطته حيث يستخدمون خليطا من الرمل الجيرى مضافا اليه بعض القش - ويعجنونه بالماء ثم يصبونه فى قوالب تترك فى الشمس حتى تجف .

وتستخدم الخلطة ذاتها فى لصق "مداميك" الطوب عند البناء ، وكذلك "دهاكة" الجدران وتبطين أرض الحجرات . أما السقف فيغطونه بجذوع النخيل بعد شقها الى نصفين ( فلقين ) .

## ● طريقة البناء

تقوم عملية البناء هناك إما على أساس التعاون والزمالة فيتبادل الناس العمل لمساعدة كل واحد منهم فى إقامة بيته أو بواسطة بناء محترف . ويروى لنا أحد البنائين طريقة البناء قائلا :

عندما يقرر أحد الأهالى بناء مسكن فإنه يتفق مباشرة مع البناء على عدد الحجرات ومساحة كل حجرة . فيقوم البناء بتخطيط قطعة الأرض بمسحوق الجير الأبيض حسب اتساعها لتلائم عدد الحجرات المطلوبة .

ثم يبدأ فى وضع الأساس . وهنا تتحكم طبيعة الأرض فى كيفية وضع الأساس . فإذا كانت الأرض صلبة ومتماسكة فيكتفى ببناء حائط اعلى سطح الأرض مباشرة ، طوله حوالى متر ونصف المتر . أما فى حالة رخاوة الأرض وإفتقادها للصلابة فإنه يلجأ للحفر بعمق يصل الى ٦٠سم تقريبا حيث يصب فيه الأساس ثم يرتفع الى مسافة متر ونصف أعلى سطح الأرض - ويبدأ فى تحديد أماكن النوافذ لتُترك مساحتها خالية ، ويستمر فى تعلية الجدران الى ان يصل للارتفاع المناسب .

ويغطى سقف البيت عادة بجذوع النخيل - فيشق كل جذع الى نصفين طوليين يرص بعضها الى جوار البعض بحيث يرتكز كل من طرفيها على أحد جانبى الحجرة ويراعى ترك مسافة خالية - ضيقة - بين كل ( فلق ) وآخر تغطى بعد ذلك بالجريد والسعف ثم "تُلّيس" بالطين .

وتصنع النوافذ والأبواب ، فى الوقت الحالى من الخشب الأبيض ، وكانت فيما مضى تصنع من انوع الأشجار -حيث تربط بجوار بعضها البعض .

## ● البيـــــاض

تتم عملية بياض الجدران على مرحلتين - المرحلة الأولى هى وضع "البطانة"- ويقوم المبيض فيها "بتلييس" الجدران بالخليط السابق ذكره ، وبعد جفافه ترش الجدران بالمحارة ، وهى عبارة عن خليط من رمل الغرد الناعم جدا - الموجود فى هذه المنطقة - مع نسبة من الجير الأبيض .

وقديما كان أهالى الواحات البحرية

يستخدمون الأكاسيد الطبيعية المتوافرة فى بيئتهم لتكوين الجدران . فمن المعروف أن منطقة الواحات البحرية من أغنى مناطق مصر بمادة الحديد التى توجد على لونين : الأحمر والأصفر الغامق . وهناك أيضا بعض الأحجار ذات اللون الأخضر أو الأزرق - ( الجنزارى )
أما فى الوقت الحالى فهم يستخدمون الألوان الجيرية المعروفة فى المدن والقرى فى وادى النيل .

## ● رسوم جدارية

وتميل الوحدات الزخرفية التى تضاف لتزيين جدران المنازل فى الواحات البحرية الى الأشكال الهندسية ، فهى إما وحدات - متكررة - مثلثة على شكل الأحجبة التى يتيمنون بها ، أو وحدات مربعة الشكل أو دائرية ، تمتد فى شرائط مستقيمة تحيط بالمنزل .

وبالاضافة لهذه الأشكال الهندسية - التى تنفرد بها منطقة الواحات البحرية هناك بعض الرسوم التعبيرية للعناصر والرموز الشعبية المأثورة - مثل الأسد - رمز الشجاعة - والسفينة والقطار وغيرها من المفردات التشكيلية التى ترمز للحج وقد تكتب بعض الآيات القرآنية على مداخل بيوت الحجاج أيضا . كما أن هناك بعض الرسوم المستوحاة من الحياة اليومية المنزلية .

والمساجد فى الواحات البحرية ذات طراز بسيط للغاية يذكرنا بتلك المساجد التى بنيت فى صدر الاسلام .

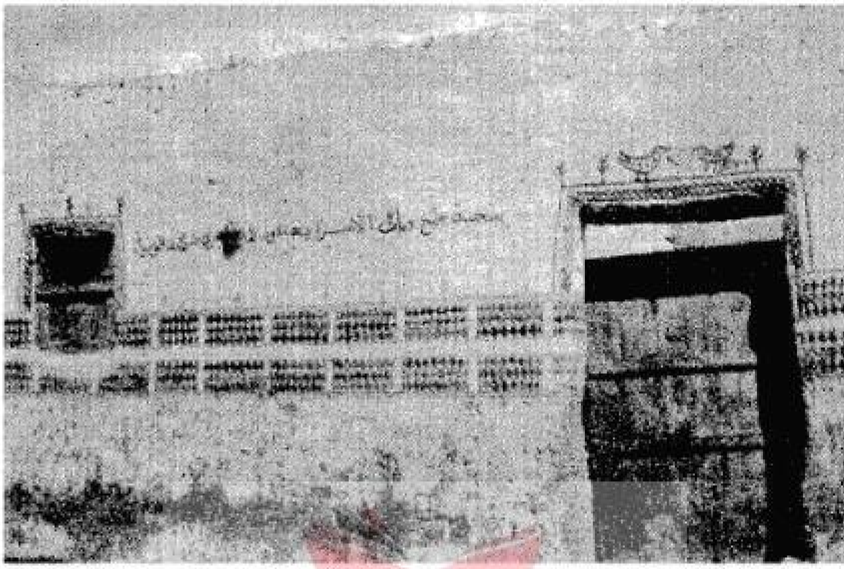
وتنفرد المساجد القديمة فى الواحة بوجود مآذن ، لايتجاوز ارتفاعها من ١٠ الى ١٢ مترا . أما المساجد الحديثة فهى تبني بدون مئذنة .

واقدم مساجد الواحات البحرية ، وهو جامع الزاوية المطل على ساحة بلدة "القصر" ويقال بأن الملك "أدريس السنوسى" ملك ليبيا السابق هو الذى أمر ببنائه .

ويتكون المسجد من مساحة مستطيلة من الأرض ، محاطة بسور من ( الطوب الأخضر ) ، تمتد بمحاذاة أضلاعها الداخلية صفوف من الأعمدة مقامة من جذوع النخيل .
وهناك مساحة يصل عمقها الى حوالى ثلاثة أمتار - بين هذه الأعمدة وبين السور - مسقوفة بجذوع النخيل ومفروشة بالحصير للصلاة .
وللجامع مئذنة مخروطية الشكل طولها حوالى عشرة امتار تحيط بها شرفة من فروع الأشجار ، ولها سلم داخلى حلزونى .

## ● المضيفة العامة

وكما هو متبع فى بعض المناطق ، وخاصة فى النوبة ، وبعض قرى وادى النيل ، يقام فى بعض بلدان الواحات البحرية ، بناء مستقل يتعاون "اعيان" البلدة على إقامته وتجهيزه لاستقبال الضيوف الذين يفدون اليها ولاقامة المناسبات الاجتماعية وعقد مجالس المشاورة والصلح بين الرجال . ذلك البناء هو المضيفة العامة .
ولا يختلف التصميم المعمارى والشكل



واجهة منزل عليها زخارف وكتابات

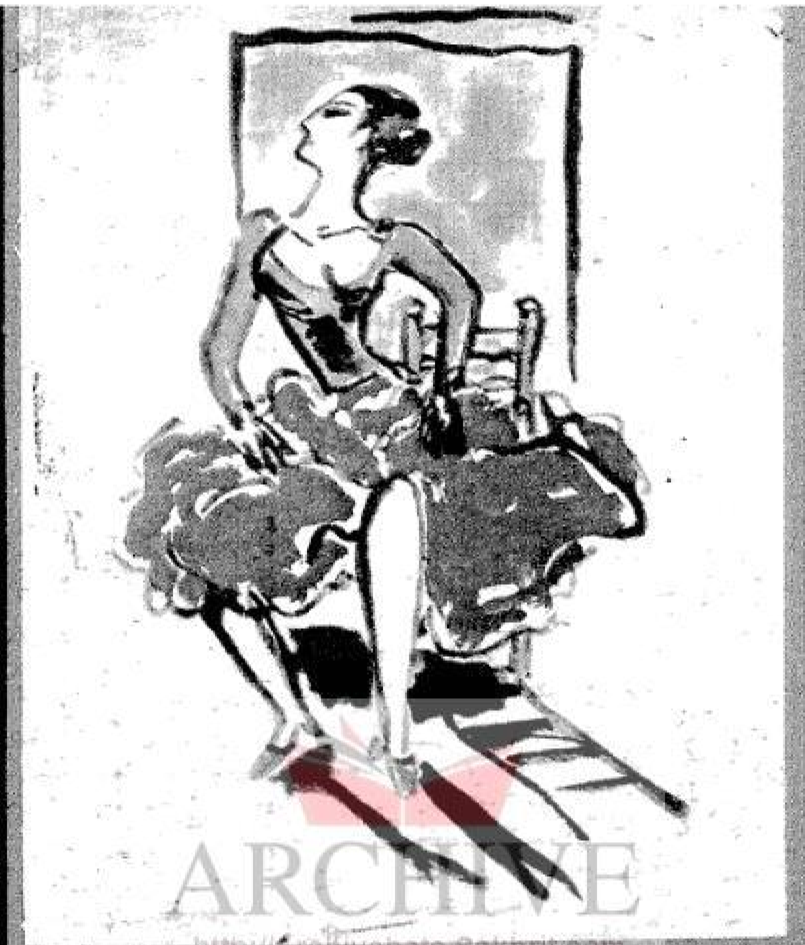
العام للبناء عن باقي أبنية البلدة ـ وإنما يشكل معها وحدة معمارية واحدة .

وتتكون المضيفة من قاعة متسعة ، وشرفة . وهي عادة مزدانة ـ من الداخل والخارج بالرسوم الجدارية ، ومؤثثة بالمصاطب أو الأرائك الخشبية ( الدكك ) .

## ● أضرحة الأولياء

تتميز الواحات البحرية بوجود عدد كبير من الأولياء تنتشر أضرحتهم في بلدان الواحة ، منهم الشيخ الباويطي في بلدة الباويطي المسماه باسمه ، والشيخ نجيم ، ومقامه في بلدة "الزبو" وآخر من "العجوز" . اما في بلدة القصر فهناك ضريح "للشيخ بدوى" والشيخ "على ابو رمانة" ، وفي بلدة "منديشة" يوجد ضريح "للشيخ إسماعيل" . ويزعم بعض أهل الواحات البحرية أن هناك أضرحة لثلاثة من الصحابة .

والاضرحة في الواحات البحرية تشيد على شكل قباب تقام على الأرض مباشرة ، اما المقابر فلا تقام لها أبنية فوق الأرض ، فيما عدا قطعة من الحجر أو جريدة نخل تقام كشاهد ـ عند رأس المتوفى .





ميلاد الأوبرا

# كارمن ونفائس أخرى

بقلم : مصطفى درويش . لوحات : الفنان حلمى التونى

**كان حلما ان نعود فنلتقي بفرقة باليه «انطونيو جادس» الاسبانية ، تلك الفرقة الرائعة التي سبق ان رأيناها قبل أربعة أعوام . وهي ترقص وتغني وتمثل مأساة «كارمن» على الشاشة البيضاء في فيلم من ابداع المخرج «كارلوس ساورا»**

**وان يكون حلم التلاقي بها هنا على ضفاف النيل لا مع اطيافها في السينما ، وانما معها بكل لحمها ودمها . نحس انفاسها الحارة وهي تتحرك وتدور ، نعيش معها لاهثين مدهوشين على خشبة مسرح يليق بعاصمة قاهرة لها من العمر الف عام أو يزيد .**

### ● حلم أم علم

وكان جميلا ان يتحقق الحلم فور افتتاح المركز الثقافى القومى - دار الاوبرا المصرية ، وباسرع مما كنا نتصور .

فإذا بتلك الفرقة الأسرة بمبدعها وراقصها الاول «جادس» وراقصتها الاولى «ستيلا اراوزو» .

إذا بها متجسدة امامنا ، نستمتع بسحرها حيارى متعجبين ، أنحن في كامل وعينا يقظين ام نحن لانزال حالمين .

وكان رائعا حقا ، انه ما ان انتهت السهرة الوليمة وخرجنا الى الهواء الطلق شبعانين بعد جوع اليم ، مرتوين بعد عطش مهين ، حتى اكتشفنا ان واحدا من فنانينا افنى نفسه فى محراب التشكيل . قد قادت الرقصات والاغنيات الملتهبة قلمه .

واذا بهذا القلم الذى يعشق الجمال والكمال ، ودون سابق تصميم ، وبالهام من المؤثرات العربية المنعكسة على الراقصات فى الوقفات والجلسات والدبدبات والوشوشات ، اذا به يسيل ابداعا .

### ● مقام رفيع

وقبل الكلام عن كارمن الباليه بقليل من التفصيل ارى من المناسب ان اقول ان جميع العروض التى كانت سابقة عليها او جاءت لاحقة لها ، قد اتسمت بمستوى عال يليق بمركز ثقافى رفيع المقام .

فخلال مدة تقل عن شهر من عمر الزمان ، انطلقت بين جدران المسرح الكبير اجمل الالحان يعزفها اوركسترا الحجرة السيمفونى «برنستون» الامريكى واوركسترا بروكنر «لنز» النمساوى .

فاذا بأذاننا تسمع افتتاحيات وكونشرتات وسيمفونيات وفالسات اساطين النغم .. موزار ، بيتهوفن ، ستراوس وغيرهم كثير .

واذا بنا بعد انصات اقرب الى صلاة نطرب ونلتذ موسيقاهم ، فنتزود لرحلة الحياة ، وبالزاد نزداد نضارة وازدهارا .

وهذا الفرح الشديد ، قد بدأ بفن يابانى غير مألوف ، الا وهو الكابوكى .

ومعروف عن هذا الفن انه لم يكتب له أن يرى النور إلا قريبا من نهاية القرن السادس عشر .

وكلمة كابوكى تكتب بثلاثة حروف صينية .

أولها «كا» وتعنى الغناء ، والثانى «بو» ومعناه الرقص ، أما الحرف الاخير «كى» فينصرف إلى التمثيل الكابوكى اذا مسرح شامل جامع لهذه الفنون الثلاثة .

ولمســـارح «نوه» و «كيـوجين» و «العرائس» تأثير عليه كبير .

وفى الحق ، فانته الايماءات فيه واقلها شأنا اقرب الى الرقص منها الى التمثيل .

وتكاد كل حركة جسمانية فيه ان تكون مصحـوبة بمـوسيقى يطلق عليهـا «شاميسين» نسبة الى الآلة الرئيسية المستعملة فى العزف ، وهى آلة ذات أوتار ثلاثة ، ويوجد بينها وبين «البالاليكا» آلة العزف الروسية أوجه شبه كبيرة .

وعلاوة على الموسيقى فثمة مؤثرات صوتية أخرى للكابوكى ، تستعمل فى أصدارها قطع خشبية .

ومن بين مهام هذه المؤثرات غير الموسيقية الاشارة الى افتتاح المسرحية ، والتنبيه الى قرب الختام .

هذا ومن سمات الكابوكى الفريدة ان جميع الادوار ـ حتى ما كان منها نسائيا ـ مقصور اداؤها على الرجال .

وعلى كل ، فما كدنا نفيق من حفل الكابوكى الكبير ، حتى بدأنا نستعد للالتقاء ولأول مرة ، اولا بفرقة لندرة للباليه الاحتفالى وثانيا بفرقة باليه جولبنكيان التى قدمت الينا من البرتغال ذلك البلد الصغير الفقير .

## ● الكبير والصغير

وما استطيع ان الخص خير ما فى عروض هاتين الفرقتين ، كيف كان يقفز الرجال ، وكيف كانت تتهادى النساء على رءوس اطراف الاقدام خفافا ، وكأنهن اطيافا نورانية او حوريات اساطير .

وانما اكتفى بالقول بأن عروض الفرقة الثانية القادمة من البلد الصغير الفقير كانت أكثر تجديدا ومعاصرة ، وأشد التصاقا بالواقع من فرقة عاصمة الامبراطورية التى كانت لاتغرب عن ارضها شمس .

ولعل خير مثل على ذلك باليه ذكرى المغنية «اديث بياف» الذى صممت رقصاته بوحى من شجو المغنية الفرنسية بصوتها ذى الرنين والانين .

وباليه آخر صممت رقصاته ومناظره بالاستناد الى موسيقى من التراث الامريكى ، واعطوه اسم «رقصات الاشباح» .

والآن ، مرة اخرى اعود الى باليه كارمن كما ظهر على المسرح الكبير ، فامتلأت القلوب بما رأته منه رضى وسعادة .

معروف ان «كارمن» ليست من النوع الموسيقى المسمى بالباليه ، وانما هى اوبرا فاقت شهرتها معظم الاوبرات الاخرى .

وموضوعها مأخوذ عن قصة للاديب الفرنسى «بروسبير ميريميه» .




كارمن ترقص بين المرايا

كارمن تتزين ليلة العرس ◀



الأوبرا

المحرمة ويذوق حلاوتها . تبدأ المحنة .
فهو يريد من التي الهته عن واجبه ان تبقى لصيقة رفيقة الحياة حتى نهاية العمر .

«بفضل الموسيقار الفرنسي مجورج بيزيه» الذى مات وهو فى ريعان الشباب ، تحولت تلك القصة الى اوبرا ترمز رمزا مزدوجا للحب والموت .

## ● غجرية أم عربية

ومأساة كارمن كما تحكيها الاوبرا الفرنسية تبدأ فى أحدى مدن الاندلس حيث نرى العاملات يتسكعن مستعرضات مفاتنهن ، يتبادلن عبارات الغزل مع فتية لاحديث لهم ولاسؤال الا عن اكثرهن صيتا ، الكارمنسيتا «الغجرية» .

وما ان تظهر ، الا ويتدافع حولها هؤلاء الفتية اشتياقا واشتهاء .

ولكن واحدا منهم لايطير بها هياما انه «دون جوزيه» الوحيد المتعالى الذى لايسعى الى جمالها الثائر كى يحييه زاحفا .

واذن فلابد من اشعال النار فى قلبه ، من جعل انفاسه ملتهبة راقصة مع انفاسها .

وهنا تنطلق حنجرتها بكلمات اغنية «الهاباتيرا» «الحب طير متمرد» ، لا يعرف لا الحدود ولا القيود . ان كنت ما بتحبنى باحبك ، وان حبيتك ياويلك» .

ومع نهاية هذه الكلمات النارية تلقى اليه بوردة حمراء تغرى به قلبه المتمرد .

وبعد أن يقطف دون جوزيه الثمرة

وغاب عنه انها امراة لعوب ، لاتستقر على حب واحد .

وفى ختام الاوبرا يصل به الهوان الى حد الاستعطاف وتسول حبها ، بعد خياتتها له مع «اسكاميللو» مصارع الثيران .

فاذا ما تهددها بالموت ، سخرت منه متحدية «كارمن لاتركع ابدا ، كارمن ولدت حرة ، وحرة تموت» .

ثم اندفعت الى حيث عشيقها الجديد فى حلبة المصارعة ينازل الثور الهائج منتصرا .

وطبعا يغلى الدم فى عروق العاشق المجروح ، فيقطع الطريق على «كارمن» ، يغمد خنجرا فى قلبها ثم يلقى بنفسه على جسدها الذى فارقته الحياة صائحا منتحبا .

هذه الحكاية الاوبرالية مرت وقائعها امامنا على المسرح الكبير دون تبديل أو تغيير .

## ● التحول والتجلى

ولكن بعد ان حدث لكل شيء فيها تحول جوهرى خطير وذلك بفعل الساحرين الاسبانيين «انطونيو جادس» و «كارلوس ساورا» .

فبفضلهما ولدت كارمن فى ثوب قشيب جديد اما كيف ولدت ، وكيف خرجت من الاوبرا فى شكل باليه فريد ، كما خرجت



«منزفا من رأس «جوبيتر» فى سالف الزمان » ؟

فهذه الاسئلة لست املك عليها الجواب .

**كل ما املكه هو ان اقول اننا رأينا على خشبة المسرح مأساة «كارمن» تحكى لنا بذوق اسبانى خالص وبمزاج روحى وجسدى مختلف عن المزاج الفرنسي اختلافا تاما .**

وهذا الذوق والمزاج هو الذى ساعد المخرجين «جادس» و «ساورا» فى تنسيق وتصميم الرقصات ، وفى نبذ الكثير من اغانى الاوبرا ، مع الاحتفاظ بالقليل ، القليل منها الذى يخدم الباليه مثل اغنية «الهابانيرا» ترسلها حنجرة «ماريا كالاس» غناء حلوا يتغلغل فى السويداء من قلب «دون جوزيه» .

وفوق هذا ساعدهما هذا الذوق والمزاج على اقتباس احدى قصائد الشاعر الشهيد «فيديريكو جارسيا لوركا» ، وبعض انغام مستمدة من معين الموسيقى الشعبية الاسبانية بجمال الحانها واناتها المؤلمة التى تكاد تتبثق منها الدماء .

لكل ذلك جاء باليه «كارمن» صورة صادقة عن الفن الاسبانى الاصيل .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب اذا ما قلت انه كان أكثر عروض الشهر نجاحا .

وفى الحق ، فكل ما سمعته عنه كان مليئا بالاشادة والاعجاب .

**ولسوء الحظ فاغلب الذين استمتعوا بكارمن هنا فى القاهرة ، لم يكونوا منا بل كانوا اجانب سائحين او مقيمين وهذا هو العجب العجاب .**

■



قصة قصيرة

بقلم

نجيب محفوظ



# العشاق والأحزان

لفت نظرى منظر جديد فى اثناء مسيرتى اليومية على شاطىء النيل بشارع الجبلاية. الساعة السابعة صباحا، اوائل الربيع، الطريق تكاد تخلو تماما من اى عابر. رايت على سفح المنحدر نحو النهر، رجلا وامراة. الرجل عجوز يقارب الثمانين، طويل القامة مع احديداب خفيف، ابيض الشعر خفيفه، عتيق القسمات، يرتدى بدلة متهدلة من التيل السنجابى. والمراة فوق الستين امحت من صفحة وجهها امارات الأنوثة وحل الجفاف والخشونة. على الارض بينهما انطرحت خيمة مطوية وتناثرت حلل نحاسية وانية شاى وموقد غاز خطر لى انهما جاءا يمضيان يوما على شاطىء النيل تسلية عن الوحدة والكبر. فاشفقت على صفوهما من حصا المنحدر القاذورات المتراكمة فوق اديمه. فى اليوم التالى ادهشنى ان ارى الاثنين بنفس موضع الأسى وضاعف

من دهشتي ان اراهما متهمكين في رفع الحصا وكنس القاذورات على مدى مسافة غير قصيرة من الشاطىء . ترى ما شانهما ؟ هل يبغيان اقامة طويلة ؟ . و تمهلت في السير ممعنا النظر . انتبها الى فتطلعا نحوى باعين متوجسة مرتابة ، فلم ار بدا من الاسراع في الخطو دفعا للحرج . هل داخلهما شك في نيتي ؟

هل حسبا انني ارقبهما من موقع مسئوليتي عن الشاطىء ؟ شعرت نحوهما بالعطف والرثاء وتمنيت على الله الا يخيب لهما رجاء . في صباح اليوم الثالث رايت الارض قد خططت فاصبحت احواضا متتابعة على هيئة مستطيلات ، على حين ركب اسفل المنحدر شادوف لرفع المياه ، وغير بعيد جلس الزوجان يحتسيان الشاي . ولما رأياني مقبلا رفعا راسيهما نحوى في قلق قلق قلق الأمس . مررت مسرعا مشفقا متحاشيا التقاء الأعين . انه الخوف عليه

اللعنة . بطاردهما في مهجرهما الجديد ولاشك . وثمة سبب تخمينه رغم جهلي بتلك الامور . انهما يسيئان الظن بمسيرتي الصباحية ويتوهمان انها تدور من اجل مراقبتهما . كيف اعفيهما من جرعة النكد اليومية التي اصبحهما بها ؟ . لاغناء لي عن الطريق ولكن بوسعي ان اتجالهما او اشعرهما بذلك . ويوما بعد يوم ارى - بلحظ العين - المياه وهي تغمر الحقل ، والخيمة وهي تنتصب في رشاقة . ويوما بعد يوم تغير وجه الأرض فاذن بمولد حياة جديدة . ويوما بعد يوم نبت القرون الخضراء كالاغاريد الخفيفة مبشرة بالبهجة المشرقة . تمنيت لو كان في قدرتهما ان ينشرا العمران في الشاطىء كله ويريحا البصر من سوء مطلعه . ولن يكدر صفوى الا اصرارهما على التوجس والحذر . حتى قررت يوما ان احيي وابتسم . وملكت الفعل حتى لوح لي العجوز بيده ، وصعد

حتى وقف امامى ، ثم سألنى .
- حضرتك موظف ؟
فاجبت بالايجاب فعاد يسأل .
فى المحافظة ؟
فقلت بوضوح .
- كلا ، لا علاقة لى بالمحافظة ولا الداخلية ولا ما شاكل ذلك .
فصمت حائرا فقلت ضاحكا .
- لماذا تنظر الى فى ارتياب كانى عدو ؟
فقال بنبرة اعترافية .
- انا رجل عجوز على المعاش ، كنت موظفا بالزراعة ، اخلت الشرطة بيتنا الايل للسقوط فكرت فى سكنى الشاطىء بدلا من المقابر !
- فكرة جميلة .
- المعاش قليل ، قلت ازرع لآكل لا لاتاجر ، بعنا العفش القديم واشترينا ما يلزمنا كالخيمة والشادوف ..
- فعلت خيرا ..
فتردد قليلا ثم قال .
- اعتقد ان هذا لا يسىء الى احد ؟
- حسبك انك جملت رقعة من الشاطىء القذر .

- ولكنى اخالف التعليمات والاجراءات .
فقلت بصدق .
- الحق انه لا دراية لى بذلك .

وتمنيت له الخير ثم صافحته وذهبت . ولما هل الصيف قمت باجازتى السنوية . وعدت من المصيف بعد شهر ونصف شهر لأواصل حياتى المألوفة . واستأنفت مسيرتى الصباحية ، ولما اقتربت من شارع الجبلاية تذكرت - ربما لأول مرة - الرجل والمرأة اقبلت نحو موضعهما تواقا للاستطلاع ولكنى لم اجد اثرا لهما ولا للحقل . رجع المنحدر الى حاله القديمة من الخراب والقذارة . لا تفسير لذلك الا ان مخاوف العجوز قد وقعت وتحققت . فاض قلبى بالاسى وانا اتساءل عن مصير العجوزين . ورأيت جندى المرور على مبعدة يسيرة من المكان ، فقصدته وتبادلنا كعادتنا منذ سنوات . قلت له .

- كان هناك رجل وامرأة يزرعان الأرض ..
فضحك الرجل قائلا .
- لم يدم الحال وسبحان من له الدوام . جاء شرطى ذات يوم للتحقيق ، وقاد الرجل الى القسم لعمل محضر مخالفة .

صمت مغتما متفكرا فقال الجندى .
- ارض الحكومة ليست لكل من هب ودب ، وجاء عمال فاقتلعوا الزرع قبل ان ينضج ولا علم لى بما حصل للرجل بعد ذلك .

انقبض صدرى حزنا على آدم وحواء وحقلهما ، وصحبتنى ذكراهما زمنا حتى تلاشت فى خضم الحياة اليومية . مضى اليوم على ذاك التاريخ اكثر من عشرين عاما . اذكره احيانا عند مرورى بالموضع اياه . اذكر الرجل والمرأة والحقل الأخضر الذى عصفت به التعليمات المقدسة .



# سيّد قطب ونجيب محفوظ

« سيد قطب » اول من قدم اعمال نجيب محفوظ . وهو الناقد الذى اكتشف نجيب فى الأربعينيات . عندما كان واحدا من كتاب مجلة « الرسالة » وله فيها ركن مستقر عنوانه : « على هامش النقد » . كان خلاله نجيب موضع اهتمام النقد من موقف الاكتشاف .

وإذا كان لأحد أن يرى فى هذا « التوافق » بين نجيب محفوظ وسيد قطب مفارقة . فهى لا تعدو ظاهر الأمور . فالمفكر الاسلامى المعروف بدأ حياته ناقدا أديبا ذى حس فنى متميز . ولم تتصل اهتماماته بما أصبح معروفا به إلا فيما بعد .

والوجه الآخر لهذه القصة . أن فى إنتاج نجيب محفوظ . ايضا ظاهرة لم تتكرر كثيرا . فقد كتب بدوره . مقالا عن أحد أعمال سيد قطب هو « التصوير الفنى فى القرآن » .

وفيما يلى مقتطفات من مقالات سيد قطب التى تناولت « كفاح طيبة » « وخان الخليلى » « والقاهرة الجديدة » وأخيرا الصورة العلمية التى رسمها نجيب محفوظ لسيد قطب فى المرايا .

في عالم القصة

# كفاح طيبة

لـ نجيب محفوظ

بقلم: سيد قطب

نشرت في مجلة الرسالة

أحاول أن أتحفظ في الثناء على هذه القصة، فتغلبني حماسة قاهرة لها، وفرح جارف بها! ... هذا هو الحق، أطالع به القارىء من أول سطر، لأستعين بكشفه على رد جماح هذه الحماسة، والعودة إلى هدوء الناقد واتزانه!!

ولهذه الحماسة قصة لا بأس من إشراك القارىء فيها:

لقد ظللت سنوات وسنوات أقرأ ذلك التاريخ الميت الذى نتعلمه فى المدارس عن مصر في جميع عصورها، والذى لا يعلمنا مرة واحدة أن مصر هذه هي الوطن الحي الذى يعاطفنا ونعاطفه، ويحيا فى نفوسنا وأخلادنا بحوادثه وأشخاصه.

وظللت أستمع إلى تلك الأناشيد الوطنية الجوفاء، التى لا تثير فى نفوسنا إلا حماسة سطحية كاذبة، لأنها لا تنبع من صلة حقيقية بين مصر وبيننا؛ وإن هى إلا عبارات صاخبة: تخفى ما فيها من تزوير بالصخب والضجيج.

ولم أجد - إلا مرة واحدة - كتابا عن مصر القديمة يبعثها حية فى نفوسنا، شاخصة فى أذهاننا. ذلك هو كتاب المرحوم «عبدالقادر حمزة»: «على هامش التاريخ المصرى القديم» ففرحت به مثلما أفرح اليوم بقصة كفاح طيبة. ودعوت وزارة المعارف إلى أن تجعله في يد كل تلميذ وطالب، بدل هذه الكتب الميتة التى فى أيديهم. ولكن تغيير الكتب فى وزارة المعارف أمر عسير، لأن مصنعيها هم مقرروها فى أغلب الأحايين.

وكنت أرى الطابع القومي واضحا ـ بجانب الطابع الإنساني ـ في آداب كل أمة ، ولا سيما في الشعر والقصة . بينما أرى الطابع المصرى باهتا متواريا في أعمالنا الفنية ، مع بلوغها درجة عالية تسلك بعضها بين أرقى الآداب العالمية .

وطالبت بأن تنقل إلى اللغة العربية كل قطعة أدبية كشف عنها في مصر العريقة ، وإلى أن ترسم باللغة العربية صور الحياة المصرية بكل ما فيها من ظلال ، وإلى أن تعقد بين النشء وبين الآثار المصرية صلة وثيقة في كل أدوار نشاتهم ؛ وإلى أن تنفث الحياة في تلك الآثار والتماثيل والتواريخ ، بما يصاغ حولها من القصص والأساطير والملاحم والبيانات .

قلت هذا كله في عشرات المقالات ، واليوم التفت فأجد بين يدى القصة والملحمة ، كلتاهما في عمل فني واحد . في « كفاح طيبة » . فهي قصة بنسقها وحوادثها ، وهي ملحمة ـ وإن لم تكن شعرا ولا أسطورة ! ـ بما تفيضه من وجدانات ومشاعر ، لا يفيضها في الشعر إلا الملحمة !

هي قصة استقلال مصر بعد استعمار الرعاة على يد « أحمس » العظيم . قصة الوطنية المصرية في حقيقتها بلا تزيد ولا ادعاء ، وبلا برقشة أو تصنع . قصة النفس المصرية الصميمة في كل خطرة وكل حركة وكل انفعال

* * *

إن العمل الفني هو الذي لايمكن تلخيصه . وقيمته في هذه القصة لا تقل عن قيمتها القومية . وهذا هو المهم . فقد يحاول الكاتب إثارة العواطف القومية وينجح ، ولكنه ينسى السمات الفنية ، فيحرم عمله الطابع الذى يسلكه في سجل الفنون .

إن كل شخصية من الشخصيات في هذه القصة لهي شخصية إنسانية وشخصية مصرية في آن . وإن كل موقف من مواقفها لهو الموقف الطبيعي الذى ينتظر من الآدميين المصريين . وإن السياق الفني لهو السياق الذى يلحظ الدقة الفنية بجانب الهدف القومي ، بلا مغالطة ولا ضجة ولا بريق .

لم يحاول المؤلف أن يقلل من شجاعة الرعاة ، ولا مميزاتهم النفسية . ولم يحاول كذلك أن يستر مواطن الضعف المصرية ـ وهي مواطن ضعف إنسانية ـ لم يجعل أبطال مصر أشخاصا أسطوريين ، ولم يجعل المصريين شعبا من الملائكة ولا من الشياطين . ومرة واحدة أو مرتين جاوز بهم طاقة البشر ، ولكن بعد تهيئة وتمهيد .

لهذا كله تسير الحياة سيرة طبيعية في القصة ، وتنبعث المشاهد شاخصة . لشد ما شعرت بالحقد الملتهب على الرعاة وحكامهم وقضاتهم ، وهم يجلدون المصريين ويحقرونهم ويدعونهم استهزاء الفلاحين ( ويبدو أن هذا اللقب هو الذى يتشدق به دائما أولئك الأجانب المغتصبون في جميع العصور ، ومن الرعاة إلى الرومان إلى

العرب إلى الترك إلى الأوربيين . وإن كان هؤلاء الفلاحون اشرف واعرق من الجميع ) . لشد ما شعرت بالقلق واللهفة على مصير الجيش المصرى في عدده القليل امام اعدائه المتفوقين . لشد ما خفق قلبي واحمس المتخفى فى زى التجار ، يلقى الملك ويصارع القائد ، وينتفض للعزة الجريحة ، ويمسك نفسه فى جهد شديد . لشد ما عطفت عليه وهو يقع فى صراع اشد واعنف من كل صراع حربى ، ويجاهد نفسه بين قلبه وواجبه ، فيؤدى الواجب على حساب قلبه الجريح .

ولم يكن الشعور القومى وحده هو الذى يصل نبضاتى بنبضات ابطال القصة . بل كان الطابع الإنسانى الذى يطبعها ، والتنسيق الفنى الذى يشيع فيها ، هما كذلك من بواعث إحساسى بصحة ما يجرى فى القصة ، وكانه يجرى فى الواقع المشهود . بكل ما فى الواقع من عقد فنية ، وعقد نفسية ، يتسقها المؤلف فى مواضعها بريشة متمكنة ، ويد ثابتة ، تبدو عليها المرانة ، والثقة بمواقع التصوير والتلوين .

ولا احب ان يفهم احد من هذا ان مؤلف « كفاح طيبة » قد بلغ القمة الفنية . فهذا شيء آخر لم يتهيا بعد . إنما انا انظر إلى المسألة من ناحية خاصة . ناحية تحقيق هدف قومى جدير بعشرات القصص والملاحم . فإذا استطاع فنان ان يحقق هذا الهدف ، دون المساس بالطابع الإنسانى والطابع الفنى ، وبلا تزوير فى المواقف والعواطف ، او تزوير فى وقائع التاريخ . فذلك توفيق يشاد به بكل تاكيد . وفى هذه الحدود احب أن يعنى هذا المقال .

* * *

قصة ( كفاح طيبة ) هى قصة الوطنية المصرية ، وقصة النفس المصرية ، تنبع من صميم قلب مصرى ، يدرك بالفطرة حقيقة عواطف المصريين ـ ونحن لا نطمع أن يحس ( المتمصرون ) حقيقة هذا العواطف ، وهم عنها محجوبون .

ولقد قراتها وانا اقف بين الحين والحين لاقول : نعم هؤلاء هم المصريون . إننى اعرفهم هكذا بكل تاكيد ! هؤلاء هم قد يخضعون للضغط السياسى والنهب الاقتصادى ، ولكنهم يجنون حين يعتدى عليهم معتد فى الأسرة أو الدين . هؤلاء هم يخمدون حتى ليظن بهم الموت ، ثم يثورون فيتجاوزون فى ثورتهم الحدود ، ويجيئون بالمعجزات التى لم تكن تتخيل منهم قبل حين . هؤلاء هم يتفكهون فى اقسى ساعات الشدة ويتندرون . هؤلاء هم تفيض نفوسهم بحب الأرض وحب الأهل ، فلا يرتحلون عنهما إلا لأمر عظيم ، فإذا عادوا إليهما عادوا مشوقين جدا ، مشوقين هؤلاء هم ابدا فى انتظار الزعيم ، فإذا ما ظهر الزعيم ساروا وراءه إلى الموت راغبين .

هؤلاء هم المصريون الخالدون ، هؤلاء هم ثقة وعن يقين لو كان لى من الأمر شيء لجعلت هذه القصة فى يد كل فتى وكل فتاة : ولطبعتها ووزعتها على كل بيت بالمجان ؛ ولأقمت لصاحبها ـ الذى لا أعرفه ـ حفلة من حفلات التكريم التى لا عداد لها فى مصر ، للمستحقين وغير المستحقين !

# خان الخليلي

قصة مصرية

تأليف الأستاذ: نجيب محفوظ

تقديم: سيد قطب

نشرت في مجلة الرسالة

عدد ٦٤٩ - ديسمبر ١٩٤٥





هذه هي القصة الثالثة للمؤلف الشاب ، سبقتها قصة « رادوبيس » وقصة « كفاح طيبة » وكلتاهما قصتان معجبتان مستلهمتان من التاريخ المصري القديم .

ولكن هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تفرد لها صفحة خاصة في سجل الأدب المصري الحديث ، فهي منتزعة من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر ؛ وهي ترسم في صدق ودقة ، وفي بساطة وعمق ، صورة حية لفترة من فترات التاريخ المعاصر ، فترة الحرب الأخيرة ، بغاراتها ومخاوفها ، وبأفكارها وملابساتها ؛ ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطارا لحوادثها الرئيسية ، وبيئة عاشت القصة فيها .

ولكن هذا كله ليس هو الذي يقتضي الناقد أن يفرد لهذه القصة صفحة متميزة في كتاب الأدب المصري الحديث ...

إنما تستحق هذه الصفحة ، لأنها تسجل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قومي واضح السمات متميز المعالم ، ذي روح مصرية خالصة من تأثير الشوائب الأجنبية - مع انتفاعه بها - نستطيع أن نقدمه - مع قوميته الخاصة - على المائدة العالمية ، فلا يندمج فيها ، ولا يفقد طابعه وعنوانه ، في الوقت الذي يؤدي رسالته الانسانية ، ويحمل الطابع الانساني العام ، ويساير نظائره في الآداب الأخرى .

وهذه الظاهرة حديثة العهد في الأدب المصري المعاصر ، لم تبرز وتتضح إلا في أعمال قليلة من بين الكثرة الغالبة لأعمال الأدباء المصريين وهي في هذه القصة أشد بروزا وأكثر

وضوحا . فمن واجب النقد إذن أن يسجل هذه الخطوة ويزكيها .

* * *

وبعد ، فقد كنت أود أن أضع أمام القارىء ملخصا للقصة يعينه على تتبع السمات الفنية فيها ، ويشركه معي في تحليل هذه السمات . ولكن القصة بالذات من الأعمال الفنية التي لا سبيل إلى تلخيصها . وحين تلخص تبدو هيكلا عظميا خاليا من الملامح والقسمات التي تحدد الشخصية ، وتبرز مواضع الجمال والقبح فيها .. فلا مفر إذن من الحديث العام عن القصة دون الدخول في التفصيلات إلا بمقدار .

ليس في القصة كلها صخب ولا بريق .. إنها خلو من الالتماعات الذهنية والأفكار الكبيرة . ليس فيها « لافتة » واحدة من اللافتات التي تستوقف النظر . ومحيطها ذاته محيط عادي . وأحداثها وحوادثها مما يقع كل يوم في أوساطنا المصرية العادية . اللهم إلا تلك الغارات الجوية التي روعت بعض المدن في زمن الحرب والتي روعت أسرة « أحمد أفندي عاكف » فأزعجتها عن حي السكاكيني الذي استوطنته زمنا طويلا ، إلى الحي الحسيني وخان الخليلي ، لتكون في منجاة من الغارات . في حي ابن بنت رسول الله !

* * *

حياة هذه الأسرة وجروحها وأحداثها وأحاديثها هي محور القصة ، وقد أدار المؤلف حول هذا المحور حياة أهل القاهرة في هذه الفترة من فترات الهول أيام الغارات ، فعرض منها لوحات بسيطة صادقة تشبه في بساطتها وصدقها فطرة هذا الشعب الطيب الفكه المؤمن المستسلم للقدر ، المتأثر بشتى الخرافات والدعابات .

ومن بين الصور التي عرضها صورة مقاهي خان الخليلي و « غرزه » أيضا وقد حوت أشكالا وشخصيات لم تكن لتجتمع إلا في مثل هذا الحي الغريب حقا ؛ كما رسم صورة مقاهي حي السكاكيني و « شلل » الشبان فيه ! وسجل أطوار المقامرين ومجالسهم رسما قويا في جو مزيج من الجد والدعابة !

ولقد كان هذا الإطار من مكملات الصورة الأصيلة كما كانت الريشة في يد المؤلف هادئة ومتئدة ، فوفق في إبراز الملامح والقسمات الجزئية ، وساير الحياة مسايرة طبيعية بسيطة عميقة ، منتفعا إلى جانب مهارته الفنية بمباحث التحليل النفسي ، دون أن يطغى تأثره بها على حاسته الفنية الأصيلة . وعاشت في القصة عدة شخصيات من خلق المؤلف لا تقل أصالة عن نظائرها في الحياة !

ولكن ليست المهارة الفنية في التسلسل القصصي ، والبراعة الصادقة في رسم الشخصيات ، والدقة التامة في تتبع الانفعالات ... ليست هذه السمات وحدها هي التي تعطي القصة كل قيمتها ... إن هناك عنصرا آخر هو الذي يخرج بالقصة من محيطها الضيق ، محيط شخصياتها المعدودة ، وحوادثها المحدودة في فترة من فترات الزمان ، إلى محيط الإنسانية الواسع ، ويصلها هناك بدورة الفلك وحلبة الأبد ...

إنك لتقرأ القصة ثم تطويها ، لتفتح قصة الإنسانية الكبرى ... قصة الإنسانية الضعيفة في قبضة القدر الجبارة . قصة السخرية الدائبة التي تتناول بها الأقدار تلك الإنسانية المسكينة .

# خان الخليلي ...

هذه اسرة تفر من هول الغارات وخطر الموت من حى إلى حى : فما تغادر هذا الحي الآمن ! إلا وقد أصابها الموت في أنضر زهرة وأقوم عود !

وهذا رجل شاخ قلبه ، وانطوى على نفسه ، وآوى إلى يأس مرير ولكنه هادىء ساكن . فما يلبث القدر أن يثير في قلبه إعصارا على غير أوان ، ويزيح الركام عن البذور المطمورة في قلبه الهرم ، ليعود فجاة فيقصف الأعواد التي تنبت في بطء وحذر يقصفها في قسوة عابثة ، وبيد من ؟ بيد أحب الناس إليه : شقيقه وربيبه ! ولو قد امهله بضعة أيام لا تنتهي إلى الواحة الممرعة بعد طول الجدب في الصحراء . ولو قد تقدم به أياما لأعفاه من إضافة تجربة فاشلة إلى تجاربه المريرة !

وهذا شاب مستهتر عابث ، ما يكاد الحب يقومه ، ويبعث فيه الجد والمبالاة حتى يخطفه الموت ، الذي لم يخطفه أيام العبث والاستهتار !

والأرض تدور ، والزمن يمضي ، والناس يقطعون الطريق المجهول كأن لم يكن شيء مما كان : رفاق الشاب في قهوتهم يقامرون ويعربدون ، وأصحاب الرجل في « غرزتهم » يدخنون أو في قهوتهم يتندرون . والقدر الساخر من وراء الجميع لايبدو عليه حتى مظهر الجد في سخريته المريرة . والمؤلف نفسه لايكاد يلتفت إلى الدائرة الوسيعة التي تنتهي إليها قصته أنه يلقى انتباهه كله إلى إدارة الحوادث ورسم الشخصيات ! ! !

* * *

ولعل من الحق حين أتحدث عن قصة « خان الخليلي » أن أقول : إنها لم تنبت فجأة . فقد سبقتها قصة مماثلة ، تصور حياة أسرة وتجعل حياة المجتمع في فترة حرب إطارا للصورة ... تلك هي قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

ولكن من الحق أيضا أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة في « خان الخليلي » أوضح وأقوى . ففي « عودة الروح » ظلال فرنسية شتى . والمع ما في عودة الروح هو الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية ؛ أما « خان الخليلي » : فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة ، وواقعية العرض ، ودقة التحليل .

وقد نجت « خان الخليلي » من الاستطرادات الطويلة في « عودة الروح » . فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها .

وكل رجائي ألا تكون هذه الكلمات مثيرة لغرور المؤلف الشاب ، فما يزال أمامه الكثير لتركيز شخصيته والاهتداء إلى خصائصه ، واتخاذ أسلوب فني معين توسم به أعماله ، وطابع ذاتي خاص تعرف به طريقته ، وفلسفة حياة كذلك تؤثر في اتجاهه .

وبعض هذه الخصائص قد أخذ في البروز والوضوح في قصصه السابقة وفي هذه القصة ؛ وهي الدقة والصبر في رسم الخوالج والمشاعر وتسجيل الانفعالات المتوالية ، والبساطة والوضوح في رسم صورة لحياة أبطاله .

والبقية تأتي إن شاء الله !

على هامش النقد

# القاهرة الجديدة

تأليف الأستاذ:
نجيب محفوظ
للأستاذ:
سيد قطب

نشرت في مجلة الرسالة
العدد ٧٠٤ ، ديسمبر ١٩٤٦



من دلائل « غفلة النقد في مصر » التي تحدثت عنها في كلمة سابقة ، أن تمر هذه الرواية القصصية « القاهرة الجديدة » دون أن تثير ضجة أدبية أو ضجة اجتماعية !

ألأن كاتبها مؤلف شاب ؟ لقد كان « توفيق الحكيم » قبل خمسة عشر عاما مؤلفا شابا عندما أصدر أولى رواياته التمثيلية « أهل الكهف » فتلقاها الدكتور طه حسين ، وأثار حولها فرقعة هائلة . كانت هي مولد « توفيق الحكيم » الأدبي . ولم يمنع كونه في ذلك الحين شابا من إثارة ضجة حوله ، أبرزت أدبه للناس فانتفعوا به ، كما انتفع هو نفسه لأنه وجد الطريق بعدها مفتوحا أمامه للنشر والشهرة .

و « القاهرة الجديدة » شأنها شأن « خان الخليلي » للمؤلف نفسه لا تقل أهمية في عالم الرواية القصصية في الأدب العربي عن شأن « أهل الكهف » و « شهر زاد » لتوفيق الحكيم في عالم الرواية التمثيلية .

ولكن كان على النقد اليقظ ـ لولا غفلة النقد في مصر ـ أن يكشف أن أعمال « نجيب محفوظ » هي نقطة البدء الحقيقية في إبداع رواية قصصية عربية أصيلة . فلأول مرة يبدو الطعم المحلي والعطر القومي في عمل فني له صفة إنسانية : في الوقت الذي لا يهبط مستواه الفني عن المتوسط من الناحية الفنية المطلقة . فهو من هذه الناحية الأخيرة يساوي أعمال توفيق الحكيم في التمثيلية .

أم أنه لابد لنجيب محفوظ وأمثاله أن يلقوا بأنفسهم في أحضان أحد ،

ليقدمهم إلى الناس ؟ .
لقد فات الوقت الذى كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للظهور . والجمهور لم يعد ينتظر هؤلاء الشيوخ ليقرأ ويحكم فعلى هؤلاء الشيوخ أن يؤدوا واجبهم إذا شاءوا أن تظل الأنظار معلقة بهم كما كانت الحال ! .

القاهرة الجديدة ...

هى قصة المجتمع المصرى ، وما يضطرب فى كيانه من عوامل ، وما يصطدم فى أعماقه من اتجاهات .

قصة الصراع بين الروح والمادة ، بين العقائد الدينية والخلقية والاجتماعية والعلمية ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الغنى والفقر ، بين الحب والمال ... فى مضمار الحياة .

وهى تبدأ فى نقطة الارتكاز فى الجامعة ، حيث تصطرع الأفكار الناشئة هناك بين طلابها ـ بفرض أن الجامعة ستكون هى ، حقل التجارب والاختبار ، للأفكار النظرية التى تسير الجيل ... ثم تدفع بشتى الأفكار والنظريات النابتة فى هذا الحقل ، إلى مضمار الحياة الواقعية ، وغمار الحياة اليومية ، وتصور صراع النظريات مع الواقع خطوة فخطوة ، تصوره انفعالات نفسية فى نفوس إنسانية ، وحوادث ووقائع وتيارات فى خضم الحياة .

وصفحة فصفحة نجدنا فى صميم الحياة المصرية اليومية . هذه الأفكار المجردة نعرفها ، وهذه الوجوه شهدناها من قبل ؛ وهذه الحوادث ليست غريبة علينا . نعم فيها شىء من القسوة السوداء فى بعض المواقف ، ولكنها فى عمومها أليفة . تؤلمنا ولا ننكرها ، وتؤذينا أحيانا ، ولكننا نتقبلها !

هذا هو الصدق الفنى . فنحن نعيش فى الرواية لحظة لحظة نعيش مصريين ، ونعيش آدميين ، وفى المواقف القاسية ، فى مواقف الفضيحة ، حيث تبدو الرذيلة كالحة شوهاء مريرة ، نود لو ندير أعيننا عنها كيلا نراها ، ولكننا نقبل عليها مضطرين فى القبح جاذبية ! . إنها الدمامل والبثور فى جسم مصر ، وفى جسم الانسانية كذلك ، وإذا انفعلنا لهامرة لأننا مصريون ، انفعلنا لها أخرى ، لأننا ناس وإنسانيون .

وبعد أن يسجل سيد قطب على نجيب محفوظ أنه كان قاسيا على بطل روايته قسوة غير مبررة ... يضيف :

وشىء آخر آخذه على الرواية : لم جعل الفتى المؤمن المتدين لا تصطدم نظرياته بواقع الحياة ؟ لقد اصطدم ، على طه ، صاحب الايمان بالمجتمع . اصطدم فى قلبه وشعوره . فقد كانت هذه الفتاة التى زفت إلى زميله هى فتاة أحلامه وموضع إيمانه الاجتماعى . ولكنه احتمل الصدمة ومضى يؤمن بالمجتمع الكبير . واصطدم محجوب صدمات شتى وجف لها واضطرب ،

ولكنه احتملها في سبيل ذاته المقدسة ! فلم لم يصطدم أبدا « مأمون رضوان » ؟

هل يريد المؤلف أن يقول : إن إيمانه القوي بالله والدين والرجولة قد أعفاه من الاصطدام ، كلا . إن المجتمع الفاسد المنحل الذي صوره في مصر ـ والذي هو مع الأسف واقع ـ لابد أن يصطدم به كل صاحب إيمان ، سواء كان إيمانا بالمجتمع أو حتى إيمانا بالحياة !

ربما لاحظ أن التنسيق الفني يحتم عليه ألا يبرز على المسرح إلا شخصية واحدة رئيسية . ولكن لا . فالرواية القصصية من طبيعتها أن تسمح لأكثر من شخصية بالبروز ، والتنسيق الفني يتحقق بتنويع درجات البروز .

هذه نقطة من نقط الضعف في الرواية ، كالنقطة الأولى كذلك .

* * *

وبعد فهناك صفحات رائعة قوية في تصوير المجتمع المصري ومافيه من انحلال يشمل الطبقات الأرستقراطية ودوائر الحكومة وآثام الفقر والثراء ، وآفات المظاهر والرياء ... الخ ، ولكن يضيق عنها المقام ، وأنا معجل عنها إلى مسألة أخرى لها أهميتها في وزن الرواية ، وفي وزن كل عمل فني

إن هذه الرواية على ما فيها من براعة في العرض ، ومن قوة في التصوير ـ تصوير النماذج وتصوير المجتمع وتصوير المشاعر والانفعالات ـ هي أصغر من قيمتها الانسانية ـ وتبعا لهذا في قيمتها الفنية ـ من سابقتها « خان الخليلي » .

رواية خان الخليلي أضيق في محيطها الداخلي ولكنها أوسع في محيطها الخارجي أضيق في المجال الذي تعالجه وتضطرب فيه حوادثها . فهي قصة أسرة تفر من الموت بالقنابل فيخترم الموت أجمل زهراتها بلا قنابل ! وقصة قلب إنساني شاخ قبل الأوان فانطوى على نفسه ورضي بنصيبه . فلا الأقدار تخايل له بقطرة ندية فيندى ، ثم تجف هذه القطرة قبل أن تبلغ فاه . يرشفها منه أعز إنسان عليه : أخوه المستهتر السادر . وحينما يجد هذا المستهتر ويقومه الحب العميق ، تخطفه الأقدار فيموت !

ولو استأنت الأقدار لحظة هنا أو هناك ، ولو تغير خيط واحد في ذلك المنوال الأبدي لتغير وجه الحياة .

أما رواية « القاهرة الجديدة » فتعالج جيلا وتصور مجتمعا ومجالها مع هذا أضيق من مجال « خان الخليلي » .

في « خان الخليلي » ننتهي من الرواية لنجد أنفسنا أمام رواية الحياة الكبرى : الانسانية والأقدار الضعف الانساني والقوى الكونية ، أشواق الناس وأهدافهم أمام الغيب المجهول .

وفي « القاهرة الجديدة » نبدأ ونتنهي ، ونحن أمام جيل من الناس ومجتمع قابل للزوال . فلا تبقى إلا بعض الملامح الانسانية الخالدة .

المجال هناك أوسع لأنه خالد بخلود الانسان والقيمة الانسانية هناك أكبر ، وهي جزء من القيمة الفنية له أثره في وزن الرواية . وراء المهارة الفنية في العرض والتنسيق والاختيار .

# التصوير الفني في القرآن

للأستاذ :
سيد قطب

بقلم :
نجيب محفوظ

كتب الأديب نجيب محفوظ هذا المقال في مجلة الرسالة العدد ٦١٦ بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٤٥ ينقد كتاب سيد قطب . وننشره ضمن المقالات التي تبادلها الأديبان نقدا لمايكتبان .



قرأت كتابك «التصوير الفني في القرآن» بعناية وشغف ، فوجدت فيه فائدتين كبيرتين :

أولاهما للقارىء : خصوصاً القارىء الذي لم يسعده الحظ بالتفقه في علوم القرآن ، والغوص إلى أسرار بلاغته . بل حتى هذا القارىء الممتاز لاشك واجد في كتابك نوراً جديداً ولذة طريفة ، ذلك أن كتاباً خالداً كالقرآن لا يعطي كل أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظه من الذوق وقدره في البيان . فللجيل الحاضر عمله في هذا الشأن ، كما سيكون للأجيال القادمة عملها . والمهم أنك وفقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر في أداء هذا الواجب الجليل الجميل معاً ، مستعيناً بهذه المقاييس الفنيـة التي يألفهـا المعاصرون ويحبونها ويسيرون في وادي الفن على هداها ونورها . إن عصرنا ـ من الناحية الجمالية ـ عصـر الموسيقى والتصوير والقصة ، وها أنت ذا تبين لنا بقوة وبإلهام أن كتابنا المحبوب هو الموسيقى والتصوير والقصة في أسمى ما ترقى إليه من الوحي والإبداع . ألم نقرأ القرآن ؟ بلى وحفظنا ـ في زمن سعيد مضى ـ ما تيسر من سوره وآياته ، وكان ـ ولايزال ـ له في قلوبنا عقيدة وفي وجداننا سحر ، بيد أنه كان ذاك السحر الغامض المغلق ، تحسه الحواس ، ويهتز له الضمير ، دون أن يدركه العقل أو يبلغه التذوق ، كان كالنغمة المطربة التي لا يدري السامع لماذا ولا كيف أطربته ، فجاء كتابك كالمرشد للقارىء والمستمع العربي من أبناء جيلنا ، يدله على مواطن الحسن ومطاوي الجمال ، ويجلي له أسرار السحر ومفاتن الإبداع . كان القرآن في القلب فصار ملء القلب والعين والأذن والعقل جميعاً .

ولقد قلت بعد نظر طويل وتدبر «التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ..» ومضيت تستشهد لكل حالة بالأمثال مفسراً شارحا موضحا ، ولم تقتنع بذلك فتوثبت للبحث عن القواعد التى يقوم عليها هذا التصوير المعجز من التخييل الحسى والتجسيم فى فيض من الأمثال والشواهد . ثم لم تقنع بما فتح الله عليك من سحر هذا الفيض الإلهى فقلت «حينما نقول إن التصوير هو القاعدة الأساسية فى تعبير القرآن وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان فى هذا التصوير لا نكون قد بلغنا المدى فى بيان الخصائص القرآنية عامة ولا خصائص التصوير القرآنى خاصة .. هنالك التناسق الذى يبلغ الذروة فى تصوير القرآن .» فكان هذا الفصل الذى بلغت به أنت أيضا الذروة فى النقد والذوق والفهم . كنت أود لو استشهد ببعض ما جاء فى كتابك من النقد التطبيقى للآيات الكريمة ، ولكن تضيق عن ذلك كلمتى الموجزة ويأباه ذوقى الذى يأبى المفاضلة بين أى الذكر على أى وجه من الوجوه .. ومهما يكن من أمر فينبغى أن أقرر هنا أنه فى فصلى «التناسق الفنى» و «القصة فى القرآن» قد بارك القرآن مجهودك فرفعك إلى مرتقى يتعذر أن يبلغه ناقد بغير بركة القرآن .. !

أما أخرى الفائدتين : فهى لك أنت ! لأن الكتاب فى جملته إعلان عن مواهبك كناقد . إنك تستطيع أن تعبر أجمل التعبير عن أثر النص فى نفسك ، ولا تقف عند هذا فتجاوزه إلى بيان مواضع الجمال فى النص نفسه وما يحفل به من موسيقى وتصوير وحياة ، ثم تستنطق الموسيقى أنغامها وضروبها ، وتستخبر الصورة عن ألوانها وظلالها ، وتستأدى الحياة حرارتها وحركتها . ولا تقنع بهذا كله ! فيقترن ذهنك بين النص والنص ، حتى تظفر وراء الظواهر بوحدة ، وخلف الآيات بطريقة عامة ، تجعل من الكتاب شخصاً حيا ذا غاية واضحة ، وسياسة بارعة ، وخطة موضوعة ، تهدف جميعاً إلى الإعجاز الفنى فتناله عن جدارة . فهذا ذوق جميل ، وتذوق عسير وفكر نفحة فلسفية ..

والآن اسمح لى أن أوجه إليك سؤالا ، وأن أسوق ملاحظة :

أما السؤال : فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر ، ألم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟

وأما الملاحظة فعن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وهو قد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها ، والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة ــ على اختلاف تقسيم علماء النفس لها ــ أما الطبائع فلا حصر لها ، فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج .

... كان هذا الفصل من "المرايا" لنجيب محفوظ ، يرسم شخصية "سيد قطب" ويوجز تاريخ حياته فى مفاصلها الرئيسية ، انما بقدرة الفنان الذى يضمر بقدر ما يفصح ، ويستخدم الإبهام ببراعة فذة ، حتى لا يكشف عن سر معرفته بشخوصه ، فيلقى هذا العبء على القارىء الأريب .

# المرايا

## من هو عبد الوهاب اسماعيل الذى رسم ملامحه نجيب محفوظ؟



إنه اليوم أسطورة ، وكالاسطورة تختلف فيه التفاسير . وبالرغم من اننى لم ألق منه الا معاملة كريمة أخوية إلا اننى لم ارتح ابداً لسحنته ولا لنظرة عينيه الجاحظتين . وقد عرفته فى صالون الدكتور ماهر عبدالكريم فى أثناء الحرب العظمى الثانية . كان فى الثلاثين من عمره ، يعمل مدرساً للغة العربية فى احدى المدارس الثانوية وينشر احياناً فصولاً عن النقد فى المجلات الأدبية أو قصائد من الشعر التقليدى .

كان أزهرياً ، لا علم له بلغة اجنبية ، ومع ذلك اثار اهتمامى واحترامى بقوة



منطقه وهو يناقش اشخاصا من المعروفين بثقافتهم الواسعة واطلاعهم العميق على اللغات الاجنبية مثل الدكتور إبراهيم عقل وسالم جبر وزهير كامل .

وامتاز بهدوء الاعصاب وادب الحديث فما احتد مرة او انفعل ولا حاد عن الموضوعية ولا بدا في مستوى دون مستوياتهم الرفيعة . فكانه ند لهم بكل معنى الكلمة . فاقتنعت بحدة ذكائه ومقدرته الجدلية واطلاعه الواسع ، رغم اعتماده الكلي على التراث والكتب المترجمة ، ولم يداخلني شك في انه اذكى من إبراهيم عقل وسالم جبر وزهير كامل جميعاً . وحتى نقده للكتب العصرية لم يتسم بالهزال او السطحية بالقياس إلى نقد المختصين من حملة المؤهلات الباريسية واللندنية . وان كان ثمة فارق دقيق فلم يكن لينكشف إلا لعين العارف المدقق .

قال لي عنه يوماً الدكتور ماهر عبدالكريم :

ـ انه شاب موهوب ومن المؤسف انه لم يرسل في بعثة ..

وكان الدكتور ماهر عبدالكريم ممن يزنون اقوالهم بميزان دقيق .

وبالرغم من ان عبد الوهاب اسماعيل لم يكن يتكلم في الدين . وبالرغم من تظاهره بالعصرية في افكاره وملبسه واخذه بالاساليب الافرنجية في الطعام وارتياد دور السينما إلا ان تأثره بالدين وإيمانه بل وتعصبه لم تخف على اذكر ان كاتباً قبطياً شاباً اهداه كتاباً له يحوي مقالات في النقد والاجتماع فحدثني عنه ذات يوم في مقهى الفيشاوي فقال :

ـ انه ذكي مطلع حساس وذو اصالة في الاسلوب والتفكير ..

فسألته ببراءة وكنت مغرماً بالكاتب :

ـ متى تكتب عنه ؟

فابتسم ابتسامة غامضة وقال :

ـ انتظر وليطولن انتظارك ..

ـ ماذا تعني ؟

فقال بحزم :

ـ لن اشترك في بناء قلم سيعمل غداً في تجريح تراثنا الإسلامي بكافة السبل الملتوية ..

فتساءلت باستعاض :

ـ افهم من ذلك انك متعصب ؟

فقال باستهانة :

ـ لا تهددني بالاكليشيهات فانها لا تهزني ..

ـ يؤسفني موقفك

ـ لا فائدة من مناقشة وفدي في هذا الموضوع . وقد كنت وفدياً ذات يوم ، ولكني اصارحك بانه لا ثقة لي في اتباع الاديان الأخرى .

وقد كان حقاً وفدياً ، ثم انشق على الوفد وراء احمد ماهر وكان عظيم الاعجاب به . ورقي في عهد السعديين إلى وظيفة مفتش . وكم تخلى عنه حلمه بسبب مصرع الدكتور احمد ماهر ، كأنما اصيب بنفس الرصاصة التي اودت بحياة الرجل وقال لي بحزن بالغ :

ـ ضاع اعظم رجل في الوطن .

وكان يشكو صحته كلما سنحت مناسبة ، وبها يتعلل في إفطار رمضان ولكنه لم يصرح بحقيقة مرضه لأحد كما انه لم يهتم في حياته بالنساء ولم

يتزوج ، وعرف في تلك الناحية بالاستقامة الكاملة . وعلى جدية اخلاقه ، وحملاته الصادقة على المنحرفين ، تكشف لى جانب منه لم اكن لاصدقه لو لم اخبره بنفسى . ذلك انه كان يوجد كاتب صاحب مجلة ومطبعة تصدر سلسلة شهرية من الكتب ، وكان عبد الوهاب يحتقره ويقول عنه :

- لولا مجلته لما وجد مجلة تقبل أن تنشر له كلمة .

وكم ادهشنى ان اطالع له مقالة في الرسالة عن صاحب المجلة رفعه فيها إلى السماء ! حرت في تفسير ذلك ، حتى علمت بانه اتفق معه على نشر كتاب له في سلسلته الشهرية نظير اجر ممتاز لم يظفر بمثله كاتب آخر ، وتذكرت في الحال موقفه الأعمى من الكاتب القبطي فازعجنى جداً اكتشاف ذلك الجانب الانتهازى في شخصيته وساورنى شك من ناحية صدقه وامانته ، واستقر في نفسى - رغم صداقتنا - نفور دائم منه . وظل يعمل مفتشاً وكاتباً حتى ولي الوفد الحكم علم ١٩٥٠ ، فلم يرتح إلى معاملة الوزير الوفدى له ، فقدم استقالته وتفرغ للعمل في الصحافة - وعرف في تلك الفترة بهجومه المتواصل على حكومة الوفد ، وفي نفس الوقت شرع يكتب كتاباً عصرياً عن الدين الإسلامى لاقى نجاحاً منعدم النظير .

وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ وهو منغمس في محاربة الوفد والدفاع عن الدين الإسلامي ، وكان مر عامان على الأقل لم نلتق فيهما ابداً وانقطعت عنى اخباره الخاصة .

ويوماً كنت في زياره للاستاذ جير فقال لى :

- الظاهر ان نجم عبدالوهاب إسماعيل سيلمع قريباً .

فسألته باهتمام :

- ماذا تعني ؟

- أصبح من المقربين .

- ككاتب سياسى أم ككاتب دينى ؟

- باعتباره من الاخوان المسلمين ..

فهتفت بدهشة :

- الاخوان .. لكننى عرفته سعدياً متطرفاً .

فقال متهكماً :

- سبحان الذى يغير ولا يتغير .

وقابلته بعد ذلك بعام او نحوه امام «الانجلو» فتصافحنا بحرارة وسرنا معاً نتحادث حتى جاء ذكر الثورة فقال بتحفظ :

- ثورة مباركة ولكن من العسير ان تعرف ماذا يريدون ..

ولمست في حديثه مرارة لم اقف على سرّها ولم يبح به . كانت له قدرة على الاحتفاظ باسراره ليست إلا لقلة نادرة من المصريين وقلت له :

- بلغني انك انضممت إلى الاخوان المسلمين ؟

فابتسم ابتسامة غامضة وقال :

- اى مسلم عرضة لذلك .

- من المؤسف حقاً انك نبذت النقد الأدبي .

فضحك قائلا :

- يالها من تمنيات جاهلية .

وافترقنا وانا اشعر باننا لن نلتقي مستقبلا إلا مصادفة في الشوارع . وعند أول صدام بين الثورة والاخوان قبض عليه فيمن قبض عليهم من اعضاء الجماعة ، وقدم للمحاكمة فحكم عليه بعشرة اعوام سجن . وغادر السجن ١٩٦٥ فرايت ان ازوره مهنئاً ، فذهبت إلى مسكنه بشارع خيرت والحق انه لم يتغير كثيراً ، شاب شعر راسه كما يتوقع لرجل في السابعة او الثامنة والخمسين من عمره ، وزاد وزنه حتى خيل إليّ ان صحته تحسنت عما كانت عليه . وتبادلنا الاسئلة عن الظروف والأحوال ، وكان يحافظ على رزانته المعهودة وبرودة اعصابه الفذة . وخاض دون مقدمات في المسائل العامة فادلى بارائه بكل ثقة :

- يجب ان يحل القرآن مكان كافة القوانين المستوردة وقال عن المرأة :

- على المراة ان تعود إلى البيت ، لا باس من ان تتعلم ولكن لحساب البيت لا الوظيفة ، ولا باس من ان تضمن لها الدولة معاشاً في حال الطلاق او فقد العائل ..

وقال بقوة :

- الاشتراكية والوطنية والحضارة الاوروبية خبائث علينا ان نجتثها من نفوسنا ..

وحمل على العلم حملة شعواء حتى ذهلت فسالته :

- حتى العلم ؟

- نعم ، لن نتميز به ، نحن مسبوقون فيه وسنظل مسبوقين مهما بذلنا ، لا رسالة علمية لدينا نقدمها للعالم ولكن لدينا رسالة الإسلام وهي كفيلة بانقاذ العالم وخلاصه ، فعندنا العدالة الاجتماعية والأخوة الإنسانية وعبادة الله وحده لا راس المال ولا المادية الجدلية ..

استمعت إليه طويلا ضاغطاً على انفعالاتي حتى لا اخل بواجب المجاملة ثم قمت للانصراف وانا اسأله :

- ماذا عن المستقبل ؟

- هل لديك اقتراح ؟

- لدى اقتراح ولكني اخشى ان يكون جاهلياً .. هو ان تعود إلى النقد الأدبي . فقال بهدوء :

- تلقيت دعوة للعمل في الخارج .

- وعلام عولت ؟

- اني افكر ..

وودعته وانصرفت .. وبعد انقضاء عام على المقابلة طلعت علينا الصحف بانباء مؤامرة جديدة للاخوان ولم اعرف وقتها شيئا عن مصير عبد الوهاب إسماعيل الذي رجحت انه غادر الوطن للعمل في الخارج . غير ان الصديق قدرى رزق اكد لي انه كان ضمن المؤامرة وانه قاوم القوة التي ذهبت للقبض عليه حتى اصيب بطلقة قاتلة فسقط جثة هامدة .



# العلم فى أدب نجيب محفوظ

بقلم: د. صلاح خليل

«يتعرض هذا المقال لرؤية الكاتب الكبير «نجيب محفوظ» - على لسان ابطال رواياته - لقضية من اهم القضايا الفكرية المعاصرة الا وهى وضع الادب والادباء فى عصر يلعب فيه العلم والعلماء دورا رئيسيا فى توجيه الحضارة الانسانية».



● يتميز عمالقة الفكر والادب بالحساسية المفرطة لكل ما يحدث فى مجتمعاتهم من تطور، ويستطيع القارىء - من خلال ادبهم - الاحساس بنبض العصر وادراك متغيرات الزمن وتأثيراته، وقد يصل الامر - احيانا - بهؤلاء العمالقة الى القدرة على التنبؤ بمستقبل المجتمع وملامح تغيره.

وقد نجح كاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" فى رصد الكثير من ملامح المجتمع المصرى وتسجيل الاحداث التى مرت به وتأثيراتها السياسية والاجتماعية خلال حقبة طويلة من الزمن - وذلك من خلال صياغة فنية رفيعة من النادر ان تتوفر - إن توافرت - لروائى اخر.

وان كنا نعيش هذه الايام عصر العلم والتكنولوجيا - حيث اصبحت منجزات العلم تلعب دورا اساسيا فى تشكيل حياتنا




وتؤثر تأثيرا مباشرا فى نمط هذه الحياة ، فقد استطاع "نجيب محفوظ" ، بحساسيته الشديدة ورؤيته الثاقبة وإدراكه الواعى لمعطيات عصره ، اظهار اهمية العلم فى حياتنا ومجتمعنا المصرى المعاصر ، وهو فى تناوله لهذه القضية ـ وان كان على لسان ابطال رواياته ـ انما يؤكد الحقيقة المعروفة ـ ان الاديب الحق ـ مرآة لعصره ـ فان من احدى مميزات المجتمع المصرى ـ الاهتمام بالعلم والطموح الى تعليم ابنائه .. اليست مصر هى نبع الفكر والعلم فى منطقتنا ؟ .. اليست مصر هى مصدر الاساتذة والعلماء فى منطقتنا العربية ؟ .. بل لا اعتقد انى اتجاوز الحقيقة اذا قلت ان مصر ـ بحبها للعلم والتعليم ـ قد استطاعت تصدير بعض ابنائها الى اوروبا وامريكا ـ حيث يشغل عشرات ـ بل مئات المصريين ، مراكز قيادية فى جامعات الغرب المتقدم ومراكز ابحاثه ..

### ● تقدير للعلم

والقارىء المتأنى لأدب "نجيب محفوظ" يكاد ان يلمح خطا واضحا ، يظهر تقدير "نجيب محفوظ" للعلم واعجابه وتبجيله للعلماء ، ومما يحسب لاديبنا ان ادراكه لاهمية العلم الحديث ودوره فى حياتنا قد جاء مبكرا عندما كانت الثورة التكنولوجية فى بدايتها بلا ضجيج او بريق كما فى هذه الايام .

ففى روايته فضيحة فى القاهرة ( ١٩٥٣ )، يقول على لسان احد ابطاله "الايمان بالعلم بدل الغيب هو ما يحتاجه جيلنا" ص ٨ .. هل هناك اقوى من هذه العبارة ؟

اما فى "السمان والخريف ( ١٩٦٢ )" فنحس بمدى اعجاب نجيب محفوظ بالعلماء حتى ليجدهم اولى من السياسيين بامساك ناصية السلطة فيقول على لسان احد ابطال هذه الرواية ( ابراهيم خيرت ) .. "هذا يشير بأفول نجم الساسة ، فليتنزلوا عن مكانتهم للعلماء وليذهبوا فى داهية ..." ( السمان والخريف ص ١٤٥ )

وتعلو نغمة الاعجاب بالعلم فى السكرية ( ١٩٦٤ ) فيقول فى وصف احد ابطال ثلاثيته ، ".. انه كجده لا يعدل بحب العلم شيئا " ص ١٥ وتزداد النغمة شدة فى نفس الرواية ، فيقول على لسان احد ابطال هذه الرواية "... لا تدهش ان يصارحك بهذا الرأى رجل مغرور من الادباء ، فالعلم اساس الحياة الحديثة .. ثم فى توجيه واضح ..» ينبغى ان ندرس

# العلم في أدب نجيب محفوظ

العلوم وان تتشبع بالعقلية العلمية ، الجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ، ولو كان عبقريا ، وعلى الادباء ان ينالوا حظهم منه ، لم يعد العلم وقفا على العلماء ..." ... ثم يقول في موقع اخر "... ادرس الاداب كما تشاء ، واعن بعقلك اكثر ما تعنى من المحفوظات ، ولا تنس العلم الحديث ولا يجب ان تخلو مكتبتك الى جانب شكسبير وشوبنهور من كانت وداروين وفرويد ..."

وتعلو النبرة مرة اخرى فيقول موضحا مدى احترامه للعلماء .. "ينبغي ان تذكر ان لكل عصر انبياؤه وانبياء هذا العصر هم العلماء .." ( السكرية .. ص ١٠٨ ) .

ثم يتساءل مقارنا بين العلم والفن .."الايمان بالعلم له وجاهته .. ولكن الفن ؟" ويستمر متغزلا في العلم قائلا .. "العلم سحر البشرية ونورها ومرشدها ومعجزتها ..." ( السكرية ص ١٢٧ )

ترى هل هناك اقوى من هذه العبارات ، تعبر عن حب نجيب محفوظ للعلم وانبهاره بالعلماء ؟ ..

وتحتوي رائعته الشحاذ ( ١٩٦٥ ) على اشارات واضحة الى مدى تبجيله للعلم بالمقارنة بكل من الفن والأدب ، بل ان القارىء ليشعر شعورا مبهما باحساس الكاتب بشيء من الحسرة لانتمائه الى فئة الادباء .. في عصر العلم والعلماء ، وكان لسان حاله يردد قول ابي فراط .. "ليس عندي من العلم سوى ادراكي بانني لست بعالم"

ففي هذه الزاوية .. يقول نجيب محفوظ على لسان احد ابطال روايته ".. قديما كان للفن معنى حتى ازاحه العلم من الطريق وأفقده كل معنى » ثم في فقرة اخرى "..إقرا اي كتاب في الفلك او في الطبيعة او في اي علم من العلوم - وتذكر ما تشاء من المسرحيات او دواوين الشعر ، ثم اختبر بدقة أحساس الخجل الذي سيجتاحك .." ( ص ٢٢ وما بعدها ) ، ويقول في موضع اخر مؤكدا المعنى السابق .. "هذا الشعور المخجل لا يعانيه الا الفنان المنبوذ من الزمن .." فنجيب محفوظ .. يربط العلم بالزمن برباط مباشر ، فمن لا يتطور مع العلم يصبح منبوذا من الزمن .. اي بلاغة في التعبير عن اهمية العلم في نظره اكثر من هذه البلاغة ؟ ويستطرد كاتبنا العظيم في نفس الرواية مقارنا بين الفن والعلم والقانون فيقول "... لقد مات القانون قبل الفن ، وتغير مفهوم الفن ونحن لا ندري ، عهد الفن قد مضى وانقضى وفن عصرنا هو التسلية والتهريج ، هذا هو الفن الممكن في زمن العلم ويجب ان نتخلى للعلم عن جميع الميادين عدا السيرك ... ".وفي موضع اخر من نفس الزاوية .. "بل قضى العلم على الفلسفة والفن ..."

ولعل القارىء قد يجد بعض المبالغة في تقدير قيمة العلم بالنسبة للفن والادب والفلسفة ، ولكن الهدف الاساسي - في رأيي - من هذه المبالغة هو ابراز وتعظيم دور العلم في النشاط الفكري الحديث للانسانية - وليس معناه إلغاء لدور الفن والادب .

ويحس القارىء بنفس النغمة في تقديس العلم وتبجيله عندما يتابع الحوار بين بطل روايته "الشحاذ" وابنته ، وكانها نصيحة جيل مضى الى جيل آت يقول البطل لابنته - التي تهوى الشعر .. "هل

اطمع ان تعدينى بالا تفرطى فى دراستك العلمية ؟ .. يمكن ان تكونى شاعرة وفى ذات الوقت مهندسة مثلا .." ثم يقول لها ".. لا احب ان تنتهى يوما فتجدى نفسك فى العصر الحجرى على حين يعيش من حولك عصر العلم .."

الا تجد معى – عزيزى القارىء – ان تقديره للعلم قد فاق كل حد ؟ ثم نقرأ له فى موضع اخر.. "نحن ابناء وانتاجنا محدود باوطاننا .. اما العلم .. فلغة عالمية ولا وطن للعلم .." وهو فى هذه العبارات يثير نقطة اخرى تؤكد مدى اهمية العلم وعالميته ومحدودية الادب ومحليته

● مستقبليــات

هذه بعض فقرات من انتاج "نجيب محفوظ" وهى تظهر بكل وضوح اهتمامه بقضية دور الادب والفن فى عصر العلم ، وتبرز ايضا موقفه من هذه القضية ، واذا كان نجيب محفوظ قد ظل قرابة اربعين عاما يدعو الى التغيير ويروج للعلم فى رواياته واعماله ، فمن الظلم بل انه لمجافاة للحقيقة ، أن يزعم البعض ان كتاباته قد خلت من الرؤية المستقبلية وانها مجرد ترديد للماضى ، وحتى اذا صدقت هذه المقولة على بعض الادباء ، فانها بالقطع لا تصدق على ادب نجيب محفوظ .

وعلى الرغم من وضوح رؤيته فيما سبق مما سقته من امثلة ، فقد كتب الرجل فى باب وجهة نظر العبارات التالية – بالاهرام فى يوليو ٨٨ .. وهى تؤكد ما سقته فى مقالتى هذه .

يقول نجيب محفوظ تحت عنوان .. "عصر العلم والعلماء"

"... ذلك اننى اعتبر العلم ومنجزاته فى مقدمة مايقود الأمم الى التقدم والقوة والرخاء ، اجل ان الامم لا تعيش بالعلم وحده بل ان العلم نفسه لا يزدهر ولا يثمر الا فى احضان حضارة متكاملة تقوم على اسس متينة من النظم السياسية والمبادىء الاخلاقية والعقائد الراسخة والمثل العليا ، ولكن يظل العلم جوهرة فريدة فى هذا التاج ويظل للعلماء كرسى الصدارة ومنصة القيادة..." انتهى كلام نجيب محفوظ .

وهو هنا يلخص فى جزالة ووضوح رؤيته بالنسبة لدور العلم فى العصر الحديث وبطريقة مباشرة .

ولسنا فى حاجة الى اثبات لهذه العبارات ، فقد وضعت الدول المتقدمة على اختلاف انظمتها السياسية – علماءها فى أرقى الدرجات ، ففى الاتحاد السوفييتى يتمتع العلماء بمميزات خاصة ويعاملون كطبقة شديدة التميز ويمنحون امتيازات لا مثيل لها ، وتتبنى الولايات المتحدة اى عالم عبقرى ، بصرف النظر عن جنسيته ، حتى لقد اصبحت الولايات المتحدة مركز جذب لجميع علماء العالم حتى من الغرب نفسه ، حيث يمنحون كل ما يحلمون به من امكانيات ومغريات لتحقيق احلامهم العلمية ، ودفع التكنولوجيا الامريكية الى الامام ، وعالم الفضاء الامريكى المصرى – الدكتور فاروق الباز – واحد من عشرات الامثلة على ذلك ، وقد احتل العلماء كل مجالات العمل بما فيها بالطبع المجالات العسكرية ، وحتى الدبلوماسية فسفارات الدول الكبرى ، تكتظ بالدبلوماسيين حاملى الدكتوراه فى العلوم والهندسة ، فهم اقدر الناس بلاشك ، على رصد كل جديد فى مجال التكنولوجيا وسباق العلم الرهيب

وبعد .. فهل نتنبه ايها السادة الى مايقوله ويكتبه مفكرونا العظام ؟ ومتى ننصف علماءنا ونضعهم فى المرتبة التى يستحقونها ؟

قضايا حيوية



هنري كورييل

# قول أخير في أوراق هنري كورييل

بقلم: طارق البشري

اعود مرة ثالثة للحديث عن هنرى كورييل . اعود اليه على مضض وارجو الا تضطرنى الظروف لعودة اخرى . كان اول حديث لى عنه ضمن طيات كتابى « المسلمون والاقباط » اثبت فيه ما انتهى اليه بحثى بشأن دوره السياسى ، ودور امثاله من اليهود الاجانب . وهو بحث جرى فى مناسبته فى اطار ذلك الكتاب ، ودار مع الكتاب فى نطاق التوزيع المحدود للكتب ، وبين قراء الكتب الكبيرة ، لاننى اردته ان يدور فى نطاق البحوث لا فى مجالات النشر الواسع ذات الدلالات السياسية المباشرة ، واردته حديثا هادئا خافت النبرة ليسعى لاثارة نقاش رصين ، ولحسن التفاهم مع من يعنيهم الامر ، ولاعادة النظر فى المواقف الفكرية ، واستخلاص التجربة التاريخية ، وذلك كله لا من اجل الصراع ، ولكن من اجل تفادى الاخطاء وتطوير الاداء الوطنى العام .

● حاولت التزام هذا الاسلوب في الحديث عن اى من تيارات الفكر والسياسة ، سواء في ذلك الكتاب أو غيره ، مبتعدا بقدر الامكان عن مثيرات الحفائظ ، مقتربا الامكان من محركات النظر الفاحص الاواب ، ذلك أن كلا من تيار الفكر والسياسة — في الاطار الوطني — له وعليه • ونحن نرجو ان تتفاعل ايجابياتها جميعا بدلا من ان تتفاعل في سلبياتها ، نحن نأمل ان يتغذى كل منها بايجابيات غيره بدلا من ان تتقاتل بنقائصها • وفي ظني انه ليكون جهدنا خصبا ومثمرا ، يتعين ان ننهج نهج التكامل وليس نهج التنافي ، لينضاف بعضنا الى بعض ، بدلا من ان يخصم بعضنا من بعض ، فننحط بالتدريج الى مستوى الصفر في السياسة والحضارة وغيرها •

ومتى كنا في اطار القوى الوطنية، فان نفي اى من تياراتنا السياسية والفكرية بسبب يرجع الى سلبيات ذلك التيار ، من شأنه أن ينقص من الحصيلة العامة لقوة الامة ، وهو يهد في البنية الاساسية التى تقوم عليها حركتها • لقد اهدرنا الكثير من قوانا بسبب هذه المعالجات القاتلة ، واستنفدنا قدرا هائلا من طاقتنا السياسية والحضارية بهذا الصنيع ، وضاعت علينا فرص وسنون، وانكسرت أوعية حضارية واجتماعية وسياسية ، وانهدت مؤسسات ، وتناثرنا اشلاء •

هذه مقدمة ضرورية للحديث حول ما ذكره الاستاذ مصطفى طيبة في مقاله بالعدد الماضي من « الهلال » ، والذى اثار فيه جملة من الاعتراضات على عرضي لكتاب « اوراق هنرى كورييل » الذى كانت نشرته لى « الهلال » في ابريل ١٩٨٨ • ووجه الضرورة انني احاول ايضاح ما يجب الا نفقده من عموم النظر الوطني ، حتى لو كنا نناقش أمرا جزئيا بحتا • وما كنت احسب ان « كورييل » هذا سيكون معيارا للحكم على الناس في بلدنا ، فيوصف المرء بانه متحزب أو متقولب حسب موقفه من « كورييل »، وتثور المخاصمة بشأنه ونحن على مشارف التسعينيات من القرن العشرين في بلد فيه ما فيه ، وطريقه للمستقبل فيه ما فيه •

## ● بناء شخصية المواطن

كان يمكنني الا اتعرض لكورييل اصلا ، والا اتعرض لأوراقه « ثانيا ، لولا ان حاك في صدرى هاجس مثير ، وهو انه لا يزال في بلدنا من لا يشعر بغرابة ان يتولى حركة سياسية مصرية نفر من يهود الاجانب • لأن الامر هنا لا يتعلق بحركة ما ولا بتاريخ فترة ما ولا باشخاص محددين ، انما هو أمر تمتد مضاعفاته لتمس خواص المناعة الوطنية ، سيما في هذه المرحلة التى نعيشها ، بما تحمل من عمليات غزو واقتحام وتسرب • ونحن في هذه المرحلة التى نحياها نحتاج أول ما نحتاج في بناء شخصية المواطن، ان تنمو فيه خواص المنعة والاقتناع بما يغذى عناصر المقاومة فيه ، وبما يبقى « أهل الرباط » مرابطين دفاعا عن الحوزة والوطن وعن العقائد والتراث والحضارة •

والاستاذ مصطفى طيبة لا يجد غرابة في ان يتولى يهود أجانب قيادة تنظيمات سياسية مصرية في فترة ما ، ويعتبر ذلك ظاهرة عادية طبيعية ، بل انه يعيب على الاستاذ الكبير محمد سيد احمد وعلى ان ظننا ذلك أمرا غير طبيعي • والمعنيون هنا يهود اجانب ، وقد التزمت اقتران الوصفين بشأنهما في كل ما كتبت ، الا ما عسى ان يكون ند عنه القلم — لأن الوصفين كانا

مقترنين فى واقعهم . ولكن الاستاذ مصطفى استخدم لفظ « اليهود » فقط فيما نعاه علينا ، وهذا من شأنه ان يساعده لدى القارىء على استساغة وصف « التحزب » بشأنى ووصف « التقولب » بشأن الاستاذ سيد احمد . لذلك انوه الى هذا التصويب ، وارجو الا يكون سعى الاستاذ المعقب فى الاقتصار على الوصف الدينى مقصودا ، لانه سعى يخالف واقع ما نكتب .

اننا هنا لا نتكلم عن فكر وفد ولا عن كتاب ترجم ولا عن علم ينتقل من بيئة الى بيئة ، ولا نتكلم عن نظرية سياسية تشيع ولا عن نظام سياسى او اقتصادى يقلد ولا عن دعوة تذيع . اننا على وجه التحديد نتكلم عن تنظيم سياسى ومؤسسة متشخصة فى افراد وقيادة وقرارات واوامر بالتحرك وكل ذلك يستهدف الوصول للحكم والسيطرة على مقاليد المجتمع . فاذا لم يكن غريبا ان يتاح ذلك لاجنبى فما الغريب فى السياسة ، واذا اعتقدنا هذا الامر وطنتنا طبيعيا ، وبخاصة فى بلد يسعى للاستقلال وتخليص نفسه من السيطرة الاجنبية ، الا ينطوى ذلك على تمام « التسليم » ، ولا اريد ان ازيد فى شرح معنى « التسليم » .

وعلى اية حال ، فهناك ظاهرة نراها غريبة ويراها الاستاذ طيبة طبيعية ، ولا يملك ايتا للاخر اقتناعا ، فلنترك هذا الامر لجمهور القارئين ، راجين من الله سبحانه ان يحفظ لهم قدرتهم على الاندهاش ازاء الهيمنة الاجنبية بكل اشكالها . ان كورييل يقول فى اوراقه ان التنظيم صار يمثل « جميع القوميات » فهل يرى مصرى انه من الطبيعى ان يتشكل حزب سياسى فى بلده تمثل فيه جميع القوميات ؟!

ننتقل الى بعض التفاصيل التى وردت فى تعقيب الاستاذ طيبة ، لقد عاب على وصفى لكورييل انه متقطع الجذور ، فهل يخالفنى القارىء فى وصف كهذا اطلقته على من قال على نفسه انه من اسرة يهودية اسبانية نزحت لمصر قبل ميلاده بستين عاما ، وامه يهودية من استانبول تنصرت وعمدت اولادها بالنصرانية من وراء ابيهم ، وزوروا لانفسهم جنسية ايطالية وهم بمصر حتى يتمتعوا بالامتيازات الاجنبية ، وهو ( هذا زعيم الحركة المصرية ) يصرح بانه لم يشعر بان له وطنا الا فرنسا ، وانه تربى يهوديا وحيدا فى مدرسة كلها مسيحيون فى بلد جله مسلمون ... الى القارىء احتكم . ويعيب على قولى ان كورييل كان يوجه تنظيمه ضد حركات شعبية اسلامية وعربية بدعوى انها حركات فاشية ، واظن ان قارىء الاوراق لا يخطئه تبين هذا الامر ، واليه احتكم .

ثم هو يعيب على قولى ان كورييل كان يهتم بالدعوة المذهبية اكثر من البرنامج السياسى ، ولولا ضيق المساحة لنقلت نص عبارة كورييل فى اوراقه ، ولقد نقلتها فى مقالى ، وهى حول الدعوة لمضاعفة عدد من يعتنقون المذهب « كمذهب مجرد لاتزال تطبيقاته العملية مبهمة على اقل تقدير » . لقد كان يمكن للاستاذ طيبة ان يتحفظ على قولى بان شيوعيين مصريين احالوا المذهب المجرد الى دعوة لاستقلال الوطن ، او ان تنظيمات شيوعية اخرى ظهرت وصدرت نشاطها ببرنامج سياسى اجتماعى ، كان يمكنه ذلك ، وكنت اوافقه ، لولا انه يصر على ان لا فرق بين اجنبى ومصرى فى ذلك الوقت .

● **مشكلة مع اوراق كورييل**

ثم هو يعيب على اشارتى الى ان

من أساهم كوربيل « يهود فلسطين » كشفت عن صلته بالفيلق اليهودى الذى انشأته الصهيونية خلال الحرب ، والذى قام بعد الحرب بنشاطه التدميرى فى طرد عرب فلسطين من أراضيهم ووطنهم · وهنا ايضا للقارىء أحتكم · ان مشكلة الاستاذ طيبة هى مع كوربيل وأوراقه وليست معى ، فأنا لم استخلص من الدلالات الا ما افصحت عنه الاوراق بوضوح لا يحتاج الى جهد توليد ولا الى فرط ذكاء ·

وينتهى الاستاذ مصطفى من ذلك الى القول بأنى قصدت الى اهدار « النضال الوطنى والاجتماعى للحركة الشيوعية المصرية فى ذلك التاريخ » ·· وأساس هذا الاستخلاص عنده ان الشيوعية تهاجم ، وان الهجوم عليها يتستر تحت قناع الهجوم على اليهود الماركسيين ، وبهذا الظن ساغ لديه الجزم بأن الهجوم على اليهود الماركسيين هو هجوم على الحركة الشيوعية وهجوم على الشيوعيين المصريين · ويبدو ان هذه الظنون ملكت عليه نفسه ، فجاءت أقواله اقوال معاركة ، تستهدف التجييش واشاعة روح الحرب · لذلك جاءت استخلاصاته مسرفة فى المغالاة ومبالغة فى تضخيم المعانى والآثار · كمن يمسك سلاحه يتلفت ، يحسب الخطر آتيا من كل سكتة ونبرة ·

العلاقة بين الشيوعية واليهود ( الاجانب ) فى ذهن الاستاذ المعلق، ليست علاقة طبيعية فقط ، ولكنها علاقة تلازم : وأظن ان رأى الكثيرين من الشيوعيين المصريين يخالف هذا النظر ، سواء الآن أو منذ الاربعينيات ، عندما قامت تنظيمات تلزم نفسها باستبعاد اليهود الاجانب، أو تجعل استبعادهم شرط توحد التنظيمات · وأنا لم اخض فى هذا الامر معركة ، انما اثرت واثير فقط حوارا ، وانا لا اتستر ولا ابهم ولا الغز ، ولا تعوزنى شجاعة الجهر ولا جراءة الافصاح ، ثم ان الامر اصلا لا يحتاج الى فرط شجاعة وجراءة ·

اننى فى صدر مقالى حددت نطاقه بعبارة « أهم ما يلفت النظر هو دور اليهود الاجانب فى تأسيس الحركة الشيوعية ··· » ، وفى وسط المقال ذكرت القارىء بأن « السؤال هو ماذا نرى فى هذه الاوراق ( أوراق كوربيل ) مما يمسموضوعنا هذا ، الوجود اليهودى فى الحركة الشيوعية فى مصر ودوافعه واثاره » ·· والمقال يتحدث فى خصوص هذا الامر ، ولم يتناول عموم الحركة الشيوعية ·

لقد فهمت من حديث الاستاذ مصطفى طيبة ، أن قد راقه ما قرأه لى عن الحركة الشيوعية فى كتاب « المسلمون والاقباط » ·· كما شعرت بمدى استفزازه من مقالى عن كوربيل · وهذا مما أدهشنى ، لان ما ورد فى « المسلمون والاقباط » هو جذر كل ما كتبت فى مقالى الاخير ، وقد افصحت عن ذلك فى صدر المقال ، وكل ما اضافه المقال انه استخلص من أوراق كوربيل ما يؤكد نتائج البحث التى سبق ان وردت بكتاب صدر من سبع سنوات·

والسؤال هو كيف رضى الاستاذ المعلق بالكتاب ورفض المقال ؟ الجواب هو اننى فى الكتاب كنت اتكلم عن الحركة الشيوعية فى عمومها ، بينما قصرت حديثى فى المقال على خصوص دور الاجانب اليهود ، وكان من الطبيعى ان يختلف تقويم العموم عن تقويم الخصوص وان يختلف الحكم على المريض عن الحكم على المرض ، ولكن الاستاذ المعلق

لم يلحظ هذا الاختلاف لانه لا يفرق بين المريض والمرض ، بل انه ينادى قائلا بأن الهجوم على المرض هجوم على المريض · ولم يلحظ مغزى استعانتي بنصين للاستاذين محمد سيد احمد وسعد زهران ، لانهما شهادة شيوعيين مصريين كبيرين في موضوع اليهود الاجانب مما يؤكد أن ثمة تمييزا بين هذه وتلك ·

استحسن الاستاذ مصطفى ان يعقب على بنص اقوال لى سابقة ، لعله قصد ان يوقعنى في حرج · وأن يترك لدى القارىء انطباعا بانتى أتقلب بين رأى ورأى · وهذا الجانب « الشخصى » واضح في مقال المعلق كله ، فقد توقعنا ان يتكلم عن كورييل وحركته ، فاذا به يصرف غالب حديثه عما كتب الاستاذ سيد احمد وعنى وعن اقوال لى سابقة ، ولم يتحدث عن كورييل الا نزرا ·

وفي عرضه لاقوالى اقتطف فقرة لى نقدت بها الاخوان المسلمين على موقفهم من الجبهة السياسية من كتاب « الحركة السياسية ·· » ، واقتطف قولا لى انصفت به الحركة الشيوعية عن كتاب « المسلمون والاقباط » ·· وعارضني بهذه الاقوال كما لو انى متناقض معها الان ·

وانا اسلم ان لى اقوالا وتقويمات تغير رأيي بشأنها على مدى عشر سنوات أو يزيد · وقد جهرت بذلك في حينه قبل ان يهمس غيرى به ، بل كنت انا من اعلم غيرى بذلك في وضوح ، لم يعد لى في هذا الامر فضل حديث · والاستاذ مصطفى يقول عن نفسه انه كان نصيرا لكورييل ، ثم صار خصما له ، ووعدنا ان يشرح ذلك في مذكراته · فلا اظنه يجادل في ذلك ، متى كان العدول صادقا والفؤاد مستقرا ··

وان كانت دعوى الاستاذ مصطفى عن عدوله عن موالاة كورييل قد صارت بعد مقاله الاخير تحتاج الى جهد من يثبت لنا صحته ·

المهم أن المقتطفين اللذين أوردهما المعلق ، قد اخطأه التقدير في ايرادهما ، لانهما لا يصلحان أداة لما كان انتواه ، وذلك لسببين :

أولهما : كان المقتطف الاول يتعلق بالجبهة السياسية ، وانا لم يتغير موقفى من هذا الامر · وفي مقدمة الطبعة الثانية من ذات الكتاب اثبت وجود التغيير في موقفى الفكرى ، ولم يكن من بينها موضوع الجبهة · كما أن الوجود اليهودى الاجنبى في الحركة الشيوعية لم يتغير فيه موقفى قط · ولا أدرى لماذا لم يقتطف المعلق نص حديثى في ذلك ( ص ١١٧ ) وهو تال مباشرة لما ذكر عن الجبهة ( ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ) · كنت قلت « كان وجود اجانب ومتمصرين على رأس أهم هذه التنظيمات مما عاق انتشارها · ولم يكن سهلا على شعب يكافح الاحتلال الاجنبي وتتسم مشاعره بالتدين المتعاظم لكيانه وتاريخه وتراثه · ويستمد من ذلك بعضا من مناعته ضد الاستعمار ويتمثل شعبه منذ ١٩١٩ خاصة الى تمصير مصر كلها ، دولة وسياسة ومؤسسات وفكرا وخبرة فنية · لم يكن سهلا عليه قبول قيادة اجانب له او النظر اليهم بغير حذر ، وكان عدم تدارك الحركة الماركسية لهذا الامر سريعا مما اضر بها ، وهو ايضا دليل على ضعف حسها السياسى بالنسبة لمشاعر الجماهير » ·

فأمرى ازاء الاجانب في التنظيمات السياسية لم يختلف ، وأمرى ازاء الجبهة لم يختلف وان كانت عناصر قيام الجبهة زادت من عنصرى الاستقلال السياسى والاقتصادى الى

اضافة عنصر الاستغلال العقيدى والحضارى ·

ثانيهما : « ان ما التقطه عن انصافى للحركة الشيوعية فى « المسلمون والاقباط » ورد فى ذات الفصل الذى اثرت فيه موضوع اليهود الاجانب باسهاب واطناب وتفصيل لم يحدث من قبل فيما اظن · ولا أدرى كيف ساغ هذا الفصل لدى المعلق مع انه الاصل ، وكيف نبا عنه مقالى مع انه مجرد فرع · وعلى اية حال فان ما فرح به المعلق من أقوال هذا المقتطف لم أعدل عنه وقد جاء ضمن نظرة كلية وتقويم فكرى سياسى اظنه متكاملا · ولا ادرى كيف غاب عنه ذلك ، وكيف اجتزأ قولا جزئيا من تقويم كلى ، ثم عارض به الاجزاء الاخرى من التقويم ذاته ·

أنكر الاستاذ طيبة انكارا جازما ان الخلافات والانقسامات داخل الحركة الشيوعية ترجع الى نوع من الصراع بين المصريين والاجانب بداخلها · ولقد ظننت وما ازال اظن ان كثيرا من هذه الخلافات والانقسامات كان يرجع لهذا السبب ، وان جزءا من نشاط المصريين كان موجها ضد العنصر الاجنبى فى هذه الحركة ، وبخاصة بعد ان نشط تعاملهم السياسى ووجدوا انفسهم يواجهون بهذا الامر · وقد كان حديثى هذا حديث باحث ، ساغت لديه بعض النتائج استخلاصا من روايات من اعتبرهم ، ثقات ومن وجوه النظر فى الاحداث · ثم عزز نظرى كتابات الاستاذ محمد سيد احمد بما عرف عنه من غيرة وعلم لا يضاهيه الا استقامته الخلقية ·· وهذا النظر مع صحته البحثية يمثل انصافا لشباب وطنى مصرى اتخذ هذه الحركة وعاء لكفاحه لاستقلال وطنه ، أيا كانت وجوه الخلاف الفكرية بينهم وبين غيرهم ·

لذلك فاجأنى هذا الحسم الجازم من الاستاذ مصطفى وهو ينكر فضيلته وفضيلة غيره · وهو هنا لم يتكلم كباحث دارس ، انما تصدى للامر بوصفه مشاهدا ومشاركا من « اصحاب الدار » ، تكلم بموجب حجيته الذاتية وباعتباره مرجعا وشاهدا · ونحن نعلم ان الشاهد لا يبدى رأيا انما يقدم خبرا مما وقع تحت بصره وسمعه وتجربته المعيشية · ومن حقنا ان نفحص اخباره فى ضوء ما نراه من واقع حاله ومن شدة حرصه فى الوصول الى نتيجة معينة ، ومن حقنا ان نقوم شهادته بالقوة والضعف والاستاذ الشاهد هنا شديد الحرص على اثبات ان الوجود الاجنبى وجود طبيعى · هذه واحدة ·

والملاحظة الثانية على شهادته ، ان ثمة آخرين شهود عدول قالوا غير مقاله وارجعوا الكثير من اضطرابات الحركة الشيوعية الى الانقسام العضوى بين المصريين والاجانب ·· ثم هناك اقوال كورييل نفسه فى أوراقه عندما ينتقد هؤلاء الصابين بالحقد ضد الاجانب ، وهناك تنظيم أو اكثر نشأ واستمد بعضا من شرعية قيامه من انه خال من الاجانب ، وهناك الخلاف حول هذه المسألة عند توحيد التنظيمات الشيوعية · وهناك التقويم العملى الذى استخلصه الاستاذ الدكتور رؤوف عباس ، سواء فى مقدمة أوراق كورييل او فى مقاله بعدد « الهلال » السابق ·

كل ذلك اسقطه الاستاذ طيبة بقوله القاطع « من حقى استنادا الى خبرتى الشخصية ··· » ، وحاشاى ان انكر عليه حقه او خبرته ، فهما مصونتان عندنا نستخلص منهما الدلالات فى ضوء معرفتنا بنسبية كل

قول ، واذا كانت الشواهد تتكاثر على أن قول الاستاذ ليس صحيحاً على اطلاقه ، فسيبقى لقوله دلالته من حيث كونه « خبرة شخصية » لصاحب القول • ومنها نستفيد ان « الشعور بالمصرية » ، وان « النفور من قيادة الاجنبى فى العمل السياسى المصرى » لم يكونا محركين له فيما نشط وما صارع وما خالف ، هذا قول على نفسه لا نملك ان نجحده ، ونحن مضطرون ان نسلم له به •• ويعزز شهادته على نفسه ، انه بعد اربعين سنة يقول ان هذا الامر كان طبيعيا •اما قوله ان كورييل كان هو من رفع شعار التمصير ، فقد سبق ان شرحت هذه النقطة فى كتاب « المسلمون والاقباط » ولا اريد ان اشغل اكثر من المساحة المتاحة لى هنا •

لا اجد مساحة كبيرة متاحة لمزيد من الحديث عن النقاط الاخرى ، وارجو الا يكون اجمالى لها اجمالا مخلا ، فقد تكلم الاستاذ مصطفى عن المظاهرات التى حدثت فى مصر فى ٢ نوفمبر ١٩٤٥ ( فى ذكرى وعد بلفور باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ) • وكنت اشرت الى اتهام كورييل الاخوان المسلمين انهم قاموا بها بتحريض من الامبريالية ، ويعيب على مصطفى أن انتقد تهمة كورييل ، قائلا ان الاعتداءات على اليهود المصريين قد دفعتهم للمهاجرة الى فلسطين ، وطفق يشرح الفرق بين اليهودية والصهيونية • واذا كان الاستاذ مصطفى يتفق مع كورييل فى اتهام الاخوان بتعزيز الصهيونية وبطرد اليهود من مصر بتحريض الامبريالية ، فهل يستصحب هذا الحكم بالنسبة لمسلك ثورة ٢٣ يوليه عندما شاهدت مصر فى عهدها هزات واسعة لليهود والاجانب فى عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ • وهل صار من يغضب اليهود أو يتسبب بطريق غير مباشر فى هجرتهم ، عميلا للامبريالية ، ومن يواليهم بريئا من التهم حكما على وطنية الوطنيين •

ثم يتجه الاستاذ مصطفى الى مناقشة الاستاذ محمد سيد احمد ، فيقول ان الوعى الكامل بالخطر الصهيونى أتى متأخرا للشيوعيين المصريين ، وان الوعى القومى بالامة العربية والوعى العميق بمخاطر زرع كيان صهيونى جاء متأخرا • وتعليقا على ذلك اقول ، ان كان يمكن ان نجد عذرا لهذا التأخر فى الوعى من جانب طليعة سياسية بالنسبة لواحدة من اخطر القضايا ، فهل يسوغ لمن يلتمس العذر هنا ان ينعى على الواعين السابقين فى الوعى بالنسبة لهذه القضية بأنهم متخلفون او انهم خاضعون لتحريض الامبريالية •• الا نترفق قليلا فى احكامنا •

اننى اشكر للاستاذ مصطفى ما ذكره فى اخر مقاله من اشارة الى ما امكن له الاعتراف به اخيرا من اخطاء نتجت عن « الاندفاع العنيف نحو الاممية » حسب تعبيره ، والذى رد اليه سبب الخطأ فى الموقف من موضوع الصراع العربى الاسرائيلى ، ولكنى اتساءل ، اذا جاز نقد « الاممية » وفرط التأثر بالتوجيه السوفييتى ، فهل برىء العنصر اليهودى الاجنبى من تأثير على موضوع الصراع العربى الاسرائيلى • ان من يقرأ « أوراق كورييل » يجده يعتمد فى تبرئة نفسه وامثاله على التركيز على هذا العامل الاممى •• هكذا كما فعل الاستاذ مصطفى طيبه، لان المنهج الواحد يفضى الى نتائج واحدة •

قضايا حيوية

## نحو خريطة جديدة لمصر

# البيئة الطبيعية ومستقبل التنمية

بقلم: د. عصام الدين جلال

**في خلال تطور طويل استغرق آلاف الملايين من السنين تشكلت البيئة الطبيعية في مختلف مناطق الكورة الارضية الى وضعها المتميز في حقبتنا الحالية وفي خلال حقبات لاحقة من تسلسل تطور لاحق استغرق عشرات من ملايين السنين تشكلت الكائنات الحية لتتوافق مع ظروف البيئة الطبيعية المحيطة بها في المناطق والمستويات التي حددها هذا التوافق .**

ولم يجرد كائن حي من قدرة على مغالبة قدر من تذبذب مواءمة البيئة الطبيعية المحيطة به خارج المعايير النمطية الاكثر ملاءمة لاحتياجاته ولكن هذه القدرة على المغالبة دائما محدودة في اطار هامش محدد كبيات الكائنات الدنيا للفترات في انتظار عودة درجة الحرارة والرطوبة الملائمة لنموها وتكاثرها ..

وتميز الانسان بقدرة منفردة من خلال تميز عقلي وتميز يدوي على اختلاق الظروف البيئية لترعرعه وانتشاره بداية من الملبس والمسكن الى الري والزراعة والتعدين والصناعة وهو في ذلك لم يبدأ في مجابهة مع الظروف البيئية مجابهة فريدة في الطبيعة من حيث فرض التغيير على الظروف البيئية بدلا من الاستسلام لضغوطها بتغيير ذاته فقط ، ولكنه

فيقس ايضا على الكائنات المعايشة له قدر استطاعته ملاءمة وتوافقا مع احتياجاته مثل ما استأنس من حيوان ونبات لسد احتياجاته .

ويبقى قدرة الانسان على فرض هذه المواءمة لاحتياجاته على ظروف البيئة الطبيعية وكائناتها المتوافقة مع مطالبه واغراضها اساس الحضارة الانسانية على مدى الازمان .

ورغم النجاحات الباهرة التى حققها الانسان فيبدو انه مازال فى اول الطريق نحو تحقيق نجاحات اكثر ابهارا وروعة من كل ما خطر على باله او حتى خياله .

فحتى عصرنا الحاضر بقيت دائرة انتصار الانسان محددة بابعاد سطحية من بيئته الطبيعية فلم يخدش من القشرة الارضية الا سطحها وبقى الجزء الاكبر من سطح المعمورة المغطى بماء المحيطات والبحار لا تصل الفاعلية الانسانية الا فى لمسة عابرة او زائرة وبقيت الصحارى والقفار نائية مقفلة .

ولكن مرحلة التطور العلمى والتكنولوجى المقبلة لابد ان تقوض هذه العوائق وتزيل هذه الحدود على مجابهة ظروف البيئة الطبيعية فى اعماق القشرة الارضية حتى تقدر عليه من نبش طاقتها ومعادنها وكنوزها وكذلك اعماق المحيطات والبحار والصحارى .

ومن ثم فالانسان على ابواب عصر تتقلص فيه تدريجيا المساحات التى طالما انغلق بابها فى وجهه من اعماق القشرة الارضية والمحيطات والصحارى مهما قست ظروفها واستعصت منافذها ومداخلها .

وتحرك الانسان نحو هذا الهدف يتطلب جبهة واسعة تحيط بافرع المعرفة والخبرة الانسانية كلها .

## ● ثروات مختزنة

فصحراؤنا الشرقية مثلا وقد كانت احراشا ومراتع للحيوانات تقوم على بحر من الماء العذب المخزون الذى ستتوفر التكنولوجيات المناسبة لاستخراجه وتوزيعه واستخدامه بما يحول قفرها الى خصب وازدهار وسماؤها متخمة بطاقة شمسية ورياح تحقق لها كفاية ذاتية لها احتياجات الطاقة اللازمة لهذا التعمير والاستيطان وانجازات البحث العلمى فى مجال استنباط وتوطين السلالات الجديدة الملائمة لظروف البيئة الجافة او الاعلى ملوحة او الاشد حرارة لا يبدو لها حدود .

وعمق الاستكشاف والاستغلال للموارد الطبيعية للبترول والثروة المعدنية تزداد كل عام ووسائل الاستخراج والاستخلاص تزداد كفاءة وفاعلية بما يوسع دائرة الجدوى الممكن والمتاح باستمرار ووسائل الاتصال والنقل لم يعد امامها صعب أو مستحيل . ومصادر المواد البديلة والاساسية جعلت من حبات الرمل مصدرا لصناعة العقول الالكترونية وكوابل الاتصال ومناعة اجسام على وسائل النقل والانتقال .

واصبحت البحار بحركة امواجها وحرارتها مصادر للطاقة ومزارع للنباتات والكائنات البحرية ومناجم للمعادن النادرة والثمينة ومصادر للبترول والغازات ومنابع للمياه العذبة لا تنضب .

واصبحت مصادر المياه التى طالما

حددت مساحات العمران والمدنية امام ابواب تقدم في خزنها وتوزيعهـا واستغلالها بما يغطي لوسائل النقل والري الحديثة لاحتياجات مساحات تساوي عشرات المساحة التاريخيـة المحدودة واصبحت احتمالات التنمية الرأسـية من حيث زيادة كثـافة غلة الارض وتحسن خصائص ثمارها وزيـادة فائدتهـا وقدرتهـا على مقـاومة الظـروف المتغيـرة وقدرتها على التخزين والنقل والحفظ والتصنيع تضاعف العائد والفائدة ٠

وابواب التطوير والاستنباط والتخليق في مجالات الكائنات الحيـة من نبات وحيوان اللازمة للانسـان تكاد تتفتح امكانياتها وعائداتهـا من النجاحات التي وضعت فعلا حـدا لمجاعات الصين والهند وحولت جنوب شرق اسيا لمصدري الغذاء بدل الجوع تبشر بفتوحات لاحد ولا نهاية لها ٠

ولم تقف قدرتنا العلميـة على مضاعفة عائد الارض المزروعـة بل زرعت القفار والارض الجافة والمالحة والمستنقعات بل وزرعت المياه والهواء والمرتفعات والمنخفضات ٠

ولم يعد هناك نهاية المستنبط من المحاصـيل التقليدية التي تلائم كل بيئة وحالة مناخية وتربة ولم يعـد هناك حد لمستقبل المستحدثات ولم يعد هناك حدود للاستنباط من نبـاتات مطورة ومستحدثة وغير تقليدية مثـل الخمائر والفطريات والطحالب ٠

ويصاحب هذا مستقبلا تطور مواز في وسائل التعمير ومواد البنـاء ووسائله واشكاله ونظمه وتخطيطـه ووسائل اتصاله ومواصلاته وطـرقه وقنواته من موارد البيئة المتاحة وبما يلائم طبيعتها ٠

ووسائل المسح والكشـف الجوي والفضائي ووسائل الاختبار والاستقصاء الاشعاعية والموجية يبدو انها ستكشف كل مكنونات الارض والمحيطـات والفضاء ٠

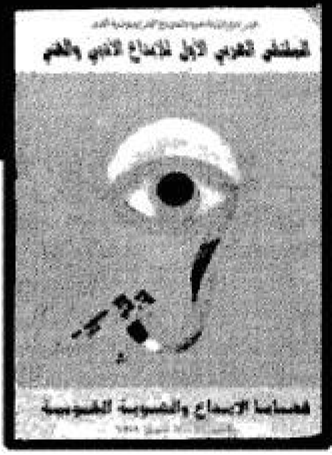
ومصادر الطبقات الاعمق من بنية ارضنا الجيولوجية ستفتح باب كنوزها على امتداد الزمن امام تقدم وسائلنا العلمية وادواتنا التكنولوجية ومواردها بثروتها من الطاقة والمواد الاوليـة والاشعاعية ستجعل من قارتنا منابـع للتنمية والازدهار ٠

والوضع في صحرائنا الشـرقية لا يختلف عنه في الغربيـة وان بدت ثروتها المعدنية اقرب مثالا ٠

ان مستقبل التنمية سيغير النظرة الى مساحة سلطان الانسان على البيئـة الطبيعية المحيطة به وستتقلص المساحات الشاسعة الخارجة عن سلطانه اليـوم من محيطات وصحارى وجبال ٠ ولن يعود في خريطة المستقبل ما هو مؤهل للتعمير والاستغلال وما هو متعـذر عليهما ولكن ستتدرج امكانية وتكلفـة استغلال موارد كل بقعة والتفاعل مـع امكانياتها وكنوزها ٠

واين تتحدد جدوى ومواءمة وكفاءة استغلال الكنوز التي تزخر بهـا كل بقعة على سطح ارضنا وبحـارنا بصعوبة ظروفها البيئية واستعصاء النفاذ اليها ولكنها سـتتحدد بتوفر المعرفة والتكنولوجيا اللازمة وتعبئـة الاستثمار والجهد والتخطيط والادارة الملائمة لها ٠

فخريطة التنمية المستقبل لن تتحكم فيها الحقائق الجيولوجية التقليـدية ولكنها في الحقيقة ستكون خريطـة لكفاءة التقدم العلمي والتكنـولوجي والحشد الاستثماري والتوسع العمراني وكفاءة التنظيم والادارة ٠ ومن هـذه العناصر ستتشكل خريطة التنمية بما يجعل من الطبيعة البيئية والجيولوجية مجرد خلفية تسبغ على التنميـة خصوصية محلية بدلا من انه تكـون كما هي اليوم موانع وعوائق ٠




على هامش الملتقى العربي الأول للإبداع الأدبي والفني ...

# المثقفون والكلام

بقلم: محمود قاسم



الفنانة منى واصف والكاتبة اعتدال عثمان ود. لطيفة الزيات وعبلة الرويني في الملتقى الاول ..

[redacted]

جاءت اهمية « الملتقى العربي الاول للابداع الادبي والفني » الذي عقد في مدينة اغادير بالمغرب في الفترة مابين ٢١ و ٢٥ اكتوبر ١٩٨٨ ، في انه بالفعل « ملتقى » حقيقي للعديد من المبدعين والمفكرين العرب الذين جاءوا من مشارق الوطن ومغاربه . والذين اختاروا الحياة بعيدا عن حدوده في اوروبا والقارة الامريكية اكثر من مائتي شخص حطت بهم الطائرات ذات صباح فوق مدينة صغيرة تعيش في سكون وهدوء . ومصنوعة من اجل راحة السائحين القادمين من اجل نسيان ما يدور في العالم من حولهم . فاختاروا ان يتجردوا من كل هموم الدنيا .

وسط هذه الاجواء ملأ المبدعون العرب ثلاثة فنادق كبيرة في مدينة صغيرة . تعانقوا بحرارة في اول اللقاء .. وتناقشوا بنفس الحرارة في ايام الملتقى .. وعند الرحيل كانت حرارة الوداع اشد حدة وسخونة .. كل منهم يخرج بطاقته الخاصة لزميله يطلب منه ان يراسله .. وان يكتب له .. فيشعر المرء باهمية مثل هذا الملتقى .. فالكلمات الكثيرة التي رددها المحاضرون والشهود في قاعة الملتقى والاوراق المتكدسة في الحقائب عن الملتقى لا تساوي شيئا قياسا الى ما احدثه الملتقى في قلوب ابناء الوطن الواحد من حب .. وتقارب .

اهمية الملتقى اذن . انه جمع كل هذه الاسماء والاكثر اهمية انه جمع المبدعين في مجالات العطاء المتعددة . فمن المعروف ان هناك هوات واسعة بين المبدعين العرب داخل القطر الواحد وليس داخل الوطن كله . هوة بين السينمائيين والروائيين ، واخرى بين الشعراء والمسرحيين . او بين السينما والفنون الشعبية .. او بين التشكيليين والادباء . أو نقاد الادب .. لكن في القاعة الكبرى التي اقيمت فيها ندوات الملتقى . اجتمعت اسماء عربية تمثل كلا من الرواية والسينما والشعر والمسرح والفن التشكيلي والنقد والفن الشعبي .. مما اكد اهمية ملتقى الابداع العربي بشكل عام . وكان من الطبيعي ان يقوم فنان تشكيلي ، مثلا ليشترك في النقاش حول هوية الرواية العربية . او ان يشترك اديب في ادارة ندوة الفن التشكيلي . او ان يقوم السينمائيون بمناقشة مشاكل المسرح العربي والمشاركة في الادلاء بارائهم في الشعر او الفنون الشعبية هذه هي اهمية الملتقى الذي نظمه المجلس القومي للثقافة العربية . ولانه من الصعب حصر كل الاسماء التي حضرت الملتقى فانه من الاهمية ان نتحدث عن هدفه .. ووقائعه .. ونتائجه .



### ● مصالحة .. اسرع من الخصومة

استهدف الملتقى تحقيق عدة اغراض منها : التاكيد على مكانة الابداعين الفني والادبي في صياغة الوجدان القومي ، وعلى الوشائج التي تربط بين مختلف مجالات الابداع الفني والتعبير الادبي باعتبار انها تكمل بعضها البعض وتسعى لتحقيق رسالة واحدة ، كما استهدف بلورة موقف مشترك من القضايا المصيرية ، والدفاع عن حرية المبدع العربي ، والاستعانة بجهود الادباء والفنانين لوضع

رسالة
أغادير (المغرب)

استراتيجية العمل لشعبة الابداع الادبي والفني في المجلس الوطني للثقافة ، ومقره الرباط ، والمساهمة في تنفيذ برامجها مستقبلا .

وتاكيدا على مقولة اهمية الملتقى في احداث مشاعر الود الحميمة بين مبدعي الوطن . فان الجلسة الاولى التي عقدت في اليوم الاول للملتقى شهدت سجالا حادا بين الكاتب محمود أمين العالم وعمر الحامدي أمين عام المجلس . فعندما القى العالم بورقته حول جدلية الابداع والهوية اكد ان هناك اربعة اتجاهات فكرية تحكم الان العالم العربي : منها الاتجاه الديني السلفي والاتجاه القومي المثالي ، واتجاه ابداعي تجاوزي . وواقعي نقدي .

وراح العالم يؤكد على ابعاد كل اتجاه من هذه الاتجاهات . على نقائصها . وسماتها .. ثم بدأت المناقشة التي اشترك فيها كل من الدكتور محمد احمد خلف الله واخرين الا أن عمر الحامدي ، كان اخر المتحدثين ، واطلق النار على العالم بصفة شخصية . فذكر انه - أي العالم - قد اكسب القومية مرجعيته الايديولوجية ، وتكرارية ما اسماه بالخطاب السياسي الكلاسيكي الذي لم يضع في اعتباره ملامح خريطة الوطن العربي بصراعاته الفكرية والسياسية

وقد عقب كل من استمع الى رد محمود أمين العالم ان هذا الاخير لم يتكلم ابدا بهذه البلاغة والحجج القوية والاراء السديدة .. حيث اشار أن ازمة الفكر القومي ناتجة عن الطبيعة المثالية التي تحكم جانبا كبيرا منه . وان القومية ليست حكرا على الفكر القومي . كما طالب بحركة قومية هي مشروع مفتوح لقوانين الواقع وقوانين العصر .

● المسرح .. والجمهور ؟

وعند مناقشة قضايا الابداع المسرحي في الوطن العربي . اكد الملتقى أن هذا الابداع لا يمكن ان يزدهر ويجد طريقه الى وجدان وعقول الناس الا اذا ارتبط بالجماهير في اوضاعها وتطلعاتها الحضارية . وأهم هذه التطلعات ان تكون هي صاحبة القرار وهي الرقيب على التنفيذ في جو من الحرية والمساواة والعدل .

وطالب الملتقى أن من حق رجال المسرح ان يأخذوا نصيبهم من الامكانات المادية والمعنوية حتى تكون الظروف مواتية لتحمل المسئولية واطلاق عنان الابداع والخيال .

وقد أدلى بشهاداته وتعليقاته في هذه المناقشة عن المسرح كل من : مصطفى كاتب ( الجزائر ) وأحمد الشرقي ( اليمن ) . وعلى سالم وسمير العصفوري ود . مراد وهبة .. أما محمد أبو العلا السلاموني فقد اكد ان النص المسرحي مكتوب أساسا ليعرض على الجمهور . مما حدا بالمسرحيين من الجيل الحالي الى خلق تيار جديد يعتمد على مفردات واشكال فنية تراثية مثل فنون الراوي والحكواتي ، والشكل الاحتفالي وفن السامر الشعبي وحلقات الذكر والمداحين والمنشدين . كما رأى انه من خلال النص المسرحي كجنس أدبي والشكل التراثي كعرض مسرحي وفرجة شعبية ، يكتمل فرز عمر ملامح المشروع المسرحي وسمات الشخصية والهوية في المسرح العربي

● شكاوى السينمائي الفصيح

وفي ندوة السينما احتشدت مجموعة كبيرة من الاسماء لمناقشة هوية السينما قوميا . واشترك في

المناقشة كل من فردوس عبد الحميد وهاشم النحاس وهشـام ابو النصر وعلى بدرخان . واكدت المناقشات ان هنـاك غيابا لاى تبادل فعلى بين السينمائيين ومختلف المثقفين العرب، الا فى بعض الحـالات النـادرة . مما خلق هوة كبيرة بين حقول انتاج الفكر والسينما فى الثقـافة العربية الامر الذى أدى بأحـد المخرجين العرب الى القول بأن « المثقف العربى ليس فقط مبتعـدا عن المساهمة فى السينما العربية ، ولكن ينظر اليها بطريقة متعالية وبكثير من الاحتقار »

وأثير أن السينما حاولت أن تتجذر فى الواقع الثقافى العـربى ، وأن تواكب مختلف تحولاته ومشاكله .. وباستثناء النزعة الميلودرامية التى سيطرت على جل الافلام المصرية او نماذج « الحدوتات » المقـلدة للنمط الامريكى فان السينما المصرية عرفت خلال عمرها المديد محاولات ابداعية متقدمة سواء على مستوى الالتزام المبدئى او الصيغ الاسلوبية .

وقد تحدث العديد من السينمائيين عن مشاكلهم المتعلقة بالحرية والانتاج والرقـابة والتوزيع . فبينما يشكو المخرج المغربى محمد الرجـاب من سيطرة السينما المصرية على العقلية العربية ، وفشله فى تمويل فيلمه القادم فان على بدرخان يحكى عن تجربته مع جامعة الدول العربية حين قـام باخراج فيلم تسجيلى لحساب جامعة الدول العـربية عن مذبحتى صابرا وشاتيلا . وكيف واجه الصعوبات فى الحصول على المـادة المرجعية .. فاشتراها من مصـادر أعجمية رغم انها عن الفلسطينيين وبعد الانتهاء من الفيلم واجه مشاكل رقابية من ممولى الفيلم متمثلين فى ادارة الجامعة التى التى اختارت الاحتفاظ بهذا الفيـلم داخـل الادراج .. فراحت مبـالغ طائلة ، وجهد وابداع متميز داخل اروقة البيروقراطية .

وبينما اكدت فردوس عبد الحميـد انها كلمات التصقت بالمثقفين . كلما شـعرت اكثر بالجهـالة والاغتراب لأن لغتهم متعددة وبعيدة عن بعض الناس ، فان عزت العلايلى راح يؤكد بحماس شديد انه ابن ثورة يوليو وانه سار على ركابها منذ أن وعى بها .. فعمل من أجلها سنوات طويلة .. وانه لبى نداء السينمائيين العرب ليعمل فى كل من العـراق والكويت والجزائر والمغرب .

## أمية العيون

وحظت مناقشـات الرواية بنفس السخونة التى حظت بها ندوة السينما . خاصة انها اول مناقشة من نوعها عقب فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الادب ، وبينما هنأ الحاضرون كاتبنا الكبير بجائزته . فان الملتقى اكد ان الجائزة ممنوحة لل الادب المكتـوب باللغة العربية . ورأى الدكتور محمد برادة فى هذه المناقشات ان :

١ ــ لم يكن اهتمام الرواية العربية بالطبقى ، موجهـا ضد القـومى بالضرورة ، بل جسدا موصلا اليه فى أغلب الاحيان .

٢ ــ باستثناء التراثى الذى تناول القومى بطـريقة فنية ، عبر البناء اللغوى والسردى ، فان الرواية العربية انساقت بصفة عامة ، نحو التناول الاطروحى المباشر .

٣ ــ تعتبـر توظيفات اللهجـات العامية ، فى النص الروائى العربى ، ضمن حـدود معقولة ، مبررا فنيا وايديولوجيا ، غير ان تجاوز تلك الحدود يجعل ذلك التوظيف ذا طابع اشـكالى على المسـتويين القومى والابداعى .

وقد اشترك فى النقاش حول هوية الرواية قوميا كل من الدكتـور على

# رسالة أغادير (المغرب)

شاش ود. لطيفة الزيات وكامل زهيرى والكاتبة اعتدال عثمان التى رأت فى شهادتها ان حق الكتابة هو الاثر الباقى ، هو علامة الرحلة ، والمعنى الذى يتحقق على نحو كامل . كما ان النص يصبح موضع استشهادات ومنطلق استعادات وتأويلات تتباين فى كل قراءة جديدة .

واذا كان المبدعون العرب قد ناقشوا ايضا هوية الموسيقى قوميا . والفن التشكيلى وما اسماه كامل زهيرى بأمية العين العربية فى رؤية الجمال .. فاننا نؤكد معه ان هناك امية للاذن المستمعة وللعين المشاهدة فى السينما . وامية الاذن التى تسمع الشعر .

وفى رأيى ان اجمل ما فى هذا الملتقى ، بعد كونه ملتقى ... هو تلك الشهادات التى ادلى بها المبدعون العرب فى مختلف المجالات الابداعية وكانت هذه الشهادات مليئة بالصدق والحيوية والتجربة .. ومن المعروف ان الفنان لا يجيد صياغة العبارات مثلما يفعل المثقفون .. او ما يمكن تسميتهم بمحترفى الصعود على منصات الكلام وما اكثرهم .. لذا فعندما يتكلم الفنان .. فان كلماته تجىء اقل رصانة وحرفية .. لكنه اكثر سخونة وصدقا .. فتسرى فى مسام مستمعها .. لانها مرتبطة اساسا بالوجدان وقد بدت هذه الشهادات مليئة بكل العفوية والصدق كما اشرنا ، لدى محمد الرجب وهشام ابو النصر وعلى بدرخان ومحى الدين اللباد .. لكن اكثر هذه الشهادات حرارة هى التى جاءت من امرأتين متناقضتين فى الجذور تصبان عند منبع واحد .. هو عطاء الفن ..

## ● فنانة فقيرة .. فنانة ثرية

المرأة الاولى هى الفنانة السورية منى واصف التى شاهدها الجمهور المصرى فى دور زوجة المدير المستقبل فى فيلم « التقرير » ومن ابرز افلامها الاخرى « الرسالة » لمصطفى العقاد امام عبد الله غيث و « الشمس فى يوم غائم » عن رواية لحنا مينا .

لم تخف الفنانة الكبيرة كيف بدأت حياتها فى اسرة فقيرة معدمة . وكيف انها حاولت ان تكون كاتبة فى اول حياتها ففشلت .. لذا استعاضت عن هذا الفشل بأن جسدت الشخصيات المسرحية التى صنعها كل من شكسبير ، وتشيكوف ، وبيرانديللو وبرنارد شو فعوضت فشلها ككاتبة فى نجاح وصدق باديين كممثلة فى نصوص مسرحية عظيمة .. وشخصيات امتلأت بالحياة والعطاء

أما النموذج الثانى فهى الفنانة التشكيلية انجى افلاطون . التى قالت انها تربت فى اسرة ارستقراطية تتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة .. ولكنها تمردت على كل هذا البذخ واختارت ان تعيش بين الناس وتعبر عنهم .. فاختارت ان تتعلم اللغة العربية . وناضلت من اجل حقوق الناس . فدخلت السجن ورأته اكثر رحابة وسعة من الحرية . حيث تمكنت من الرسم والابداع بشكل لم يكن يتوفر لها خارج القضبان .

مرت ايام الملتقى سريعة .. فى بدايته كنت اسمع بعض الهمسات تحسبا لتحويل هذا الملتقى الى مزايدات سياسية .. وشد البعض اعصابه .. وتحين فرص الرد .. لكن ما ان بدأ حتى ذابت كل هذه



نماذج من الحاضرين فى الندوات . كلهم عرب ومثقفون

التصورات تحت شمس اغادير الدافئة . ورغم ان برنامج الملتقى كان مشحونا بالبرامج لساعات طويلة بالنهار فان شيئا غريبا كان يعلو حوارات المبدعين العرب حين تجمعهم اية فرصة .. فراحوا ينسون الحكم والخلافات السياسية .. ويتحدثون عن عطائهم الانسانى .. وأيضا عن حياتهم الخاصة ..

وبنفس الحرارة أيضا غنوا من اجل وحدة لبنان .. وصفقوا طويلا للدكتور سهيل ادريس وهو يتحدث عن وطنه الذبيح .. فرأيت كاتبة من المغرب تبكى مجهشة .. وبنفس الحرارة ايضا قبل ابناء اغادير المبدعين العرب .. رأيت عشرات الصبية والفتيات يأتون باوتوجرافات من أجل أن يوقع عليها روائيون وشعراء ورسامون وسينمائيون .. ومن لا يمتلك اوتوجرافا راح يحضر كراس الفصل .. وراح البعض الاخر يأتى بأوراق متناثرة حتى لا تفوته الفرصة .

وفى ليلة الرحيل ، لم يشأ احد أن ينام .. لا يمكن ان يترك لسلطان النوم سطوته عليه ولا يسامر أصدقاءه القادمين من اطراف الوطن وجنباته وتبودلت العناوين وارقام الهواتف فى المفكرات الخاصة وتتردد فى ردهات الفنادق عبارات « وحياتك خى لا تنسى أن ترسل لى خطابا » او عندما آتى بلدك سوف اتصل بك

وجاء صباح السفر .. وجاءت طائرات تقل كل عربى الى وطنه الصغير .. ويحس المرء انه نسى كل الكلام الكثير الذى تبودل فى القاعات .. وبقى فى الذاكرة شىء واحد .. هو حرارة الحب المتولدة دائما بين أبناء الشريان الواحد .

شهريات

## رأى فى الثقافة

### اتحاد الكتاب .. الغائب الحاضر !

● حرام أن يكون لدينا اتحاد كتاب على هذا الشكل الذى هو عليه، فحتى حصول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل لم تحرك فيه طرفا .

وبدلا من أن يكون اتحاد كتاب مصر هو الداعي للاحتفاء بهذه المناسبة الكبيرة ، كان طوال الوقت مدعوا ، ثم كان غائبا طوال الوقت عن الفعل والمبادرة .. فاذا كان مثل هذا الحدث الكبير لم يحركه فيه شيئا ، فأى حدث آخر يمكن أن يحركه .

لقد بدا اتحاد الكتاب فى آخر الصف من قائمة الهيئات المصرية والعربية والعالمية المبادرة للاحتفاء ، وحتى كتابة هذه السطور لم يقم حتى بحفل شاى من أجل المناسبة ، مع أنه كان من المفروض أن يكون هو صاحب المناسبة ، وأن يكون الهيئة الأولى المتحمسة لها ، بندوة جادة ، أو حلقة دراسية يدعو لها ويخطط ، أو مؤتمر عام لكتاب مصر يناقش فيه مغزى الحدث ، ولو من باب اقتناص الفرصة للتدليل على وجوده .

ان هذه الملاحظة لم تكن مجرد خاطر شخصى لكاتب هذه السطور ، وانما كانت ابنة تساؤل تكرر كثيرا طوال الايام الماضية ، ليس فقط بين الزملاء من الكتاب المصريين ، بل من كل الضيوف الذين التقينا بهم اثر الاحتفال من كتاب العالم الذين كانوا يتساءلون ما اذا كان لدينا أصلا اتحاد للكتاب ، ثم يفاجئون بوجوده، فيعودون للتساؤل : وماذا فعل اتحاد الكتاب بالمناسبة ، سوى مشاركة الاستاذ ثروت اباظة بكلمته فى احتفال رئاسة الجمهورية ، وصدقونى لقد عجزت انا نفسى عن الاجابة .. فهل من مجيب ، والى متى يظل اتحاد كتاب مصر مجرد مقر ولائحة وبعض الخدمات الشخصية .. الى متى ؟

عبده جبير

## « الف » وباكورة الانتاج

في اطار الاهتمام المتصاعد في السنوات الاخيرة بنقل الآثار العربية الى اللغات الاجنبية تاسست عام ١٩٨٦ جمعية ادبية في فرنسا قامت باشهارها عدد من الكتاب والصحفيين والمهتمين بالثقافة العربية على راسهم الصحفية النشطة سلمى فاخوري والسيدة هيفاء قباني بيهم ، وذلك لترجمة الآثار والاعمال الابداعية العربية من شعر وقصة ورواية وبعض الاعمال التراثية •

وما يشغل « الف » في الدرجة الاولى هو نقل طابع النص الاصلي وغناه ، لذا تركز خطة عملها على الترجمة المزدوجة : حرصا على حساسية اللغة العربية ، ويقوم بالترجمة المبدئية مترجم عربي اللغة ثم يعهد بهذه الترجمة الى كتاب فرنسيين يتم اختيارهم بشكل خاص بحيث يتبنى كل ترجمة كاتب فرنسي معروف بعمقه وبراعته الادبية •

وبعد الانتهاء من الترجمة تقوم « الف » بتقديم النصوص الى ناشرين فرنسيين لهم خبرة في مجال النشر ، بحيث توضع هذه الترجمات ضمن اعمالهم دون تفرقة •

ومنذ انشائها وحتى الآن ، وعلى الرغم من الصعوبات التي قابلتها فقد عملت الجمعية على ترجمة الاعمال التالية :

- مختارات من شعر نزار قباني •
- مواقف النفري •
- كتاب البخلاء للجاحظ •
- ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ
- قنديل ام هاشم والبوسطجي ليحيى حقي •
- مجموعة قصصية ليوسف الشاروني •
- اصوات لسليمان فياض •
- مالك الحزين لابراهيم اصلان •
- النزول الى البحر لجميل عطية •

ومنذ ايام صدر بالفعل اول كتاب من هذه الترجمات المنجزة وهو مجموعة مختارات لنزار قباني تمثل مراحل مختلفة من شعره ، وهي اول مجموعة تترجم له الى الفرنسية على الرغم من شهرته في العالم العربي •

وقد جاء الكتاب المنشور بالنصين العربي والفرنسي متواجهين حتى تتم الفائدة لمن يريد ان يعود الى الاصل ، وسوف تصدر خلال الايام القادمة ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ •

## اشارات ثقافية

### المطبوعات الاقليمية وتجاهل النقاد

لا شك انها اضافة حقيقية لساحة الثقافة في مصر ان تعود حركة النشر في الاقاليم الى نشاطها القديم • فتتعدد وتتنوع وتنتشر في كل ربوع مصر •• ولا يملك المرء الا ان يغتبط

ويشعر بالامتنان لهؤلاء الابطال المجهولين الذين يقتطعون من لقمة خبزهم لكى يصدروا هذه المجلات ومجموعات القصص والشعر فى غالب الاحيان على نفقتهم الخاصة ، وفى القليل على نفقة بعض المؤسسات ، لكن دون أن يتقاضوا مليما واحدا على انتاجهم ، منهم فى الحالتين يضحون ، وهى ظاهرة ، لو تعلمون تكاد تتفرد بها الديار المصرية ،اقصد بها ظاهرة المبدع الذى يقدم نتاجه دون مقابل ، الى أن يصل عمله للناس ، اقول هذا وفى الذهن عدد من المسائل التى لابد من الوقوف امامها •

الاولى هذا الاهمال الشديد من اجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لمجمل هذا النتاج ، وان كانت هنا او هناك اشارات لهذا الانتاج فهى نتيجة لسعى اهالى الاقاليم لهذه الاجهزة ، وبناء على صدف تتدخل فيها العلاقات الشخصية التى قد تتوفر لمجموعة ولا تتوفر للاخريات لا سعى الاعلام القابع فى العاصمة الى هؤلاء الابطال ، وبين الحالتين فرق هائل •

الثانية هو تجاهل نقاد العاصمة لمجمل هذا الانتاج الذى يعنى أن هذا النقد غير عادل ، على الاقل ، لانه يرى الاشياء من زاوية واحدة ،ويهمل عنصر المكان فى تصديه لدوره ، وهو أمر يقع على كاهل النقاد وتتحمله ضمائرهم •

الثالثة هى تلك « البصمة » التى أصبحت علامة مسجلة على كل ما يصدر من الاقاليم باعتباره مواطنا من الدرجة الثانية يتعامل معه الجميع باستعلاء لا يحسدون عليه ، وهذا دليل قاطع على التخلف الذى يسود حياتنا الثقافية بشكل عام •




من هنا وعلى هذا الاساس فاننا ندعو جميع العاملين فى الحقل بالجدية المطلوبة ، لا الشفقة او العطف ومعاملته بالشدة اذا جاء على غير مستوى ، ووضعه فى مكانه الذى يستحق اذا كان متميزا وله قيمة •

وكخطوة اولى تخطوها « شهريات» الهلال فى هذا السبيل فاننا ننوه هنا بعدة مطبوعات تقف على راسها مطبوعة نادى القصة بالاسكندرية التى تصدر شهرية منذ ثلاث سنوات عن قصر ثقافة الحرية ، وهى مطبوعة على درجة كبيرة من الجدية ، وتتعامل مع ابداعات كل ادباء مصر ويراس تحريرها عبد الله هاشم ويشاركه فى ادارتها ، سعيد بكر ، ومحمد حميدة، المطبوعة الثانية هى مجلة دشنا التى يصدرها قصر ثقافة دشنا ويشرف على تحريرها الاديب محمد محمود عبيد ، والثالثة مجلة الواحة ويصدرها قصر

ثقافة الخارجة ويشرف عليها قدرى عبد العزيز وقد تميز العدد الاخير بقصائد فصحى وعامية للشعراء ناصر محسب ، ايهاب على محمد ، عمر عابدين ، أحمد مسعود ، حسين عبد المنعم ، وجدى هنادى ، أسامة حسن وقصة واحدة للاديبة عبير أحمد فوزى ، ومجمل هذا الانتاج يحتاج من النقاد الى نظر وتتبع ففيه لمحات جادة ٠

ثم نذهب الى جنوب الوادى حيث مجلة « اقلام اسوانية » التى تصدر بدورها عن قصر ثقافة اسوان وجاء العدد الاخير مزدوجا ( السادس والسابع ) خصص الاول منهما لشعر العامية وضم قصائد للشعراء حجاج الباى ، ابراهيم البان ، يسرى العزب ، يوسف فاخورى ، نجيب عطا الله ، حشمت يوسف ، فتحى التايه ، بدر عبد العظيم ، محمد مصطفى ، محمد الزمراوى ، وهو عدد متميز وجاد ويستحق من السادة النقاد النظر بعين الاعتبار ٠

ثم نأتى الى مجلة متميزة حقا وجادة حقا صدر عددها الاول فى الشهر الماضى ، ونقصد بها مجلة « الجنوب » التى يضطلع بمسئوليتها الدكتور عبد الحميد ابراهيم واللواء عبد التواب رشوان ، وتصدر عن قصر ثقافة المنيا ايضا ، ويشارك فيها تحريرا كل من حسن الشريف وجمال التلاوى وجمال عبد الناصر ، وكامل الصاوى ، محمد نجيب التلاوى ، ومحيى الدين محسب ، شادى صلاح ، وثروت فتحى ، وهى مجلة ترى بعين الوعى دورها منذ البداية فنقرأ فى افتتاحيتها ان ٠٠ عنوان الجنوب لا يعنى التعصب باى حال من الاحوال ، فالتعصب كراهية وقبح ، والفن ضد الكراهية والجمال عكس القبح ، ولكن العنوان بالدرجة الاولى الخصوصية وهو معنى يضعنا مباشرة فى قلب الوجود والحياة ، فان تكون لك الخصوصية هو ان يكون لك وجود بالمعنى الانسانى ، وانعدام الخصوصية هو فقدان للهوية ، وهو تحول الانسان الى شىء من الاشياء ، لا يختلف فى معناه عن بقية الكائنات ٠

واذا كان لنا أن نرفع هذه الدعوة باخذ هذا النتاج بالجد المطلوب فاننا لا ننكر ان هناك اشياء كثيرة مبتذلة بين ما تنشره هذه المجلات والمطبوعات ، ولكن ايضا فيه جاد كثير ولنقرأ هذا العدد الاول من الجنوب لنجد نماذج ناضجة من الدراسات والنصوص الشعرية والقصصية ، وخيرا فعلت اذ افردت مساحة لا بأس بها لشعر العامية الذى تترفع عن نشره اغلب مطبوعات العاصمة على الرغم من الجميل والجاد الذى نلقاه فى قصائد الكثيرين من شعرائه ٠

وعذرا لضيق المساحة عن استعراض بقية المطبوعات التى تصلنا ٠٠ والى لقاءات قادمة ٠

---

« القرد ابو برنيطة »

---

قرر انيس منصور ( الاهرام ١٠-١٠ ) ان ينافس داروين فى نظريته عن « اصل الانواع » بنظرية جديدة ولطيفة وبسيطة وموجزة : الانسان تطور من « القرد ابو صديرى » الى « العصر الحجرى » حتى انتهى الى « العصر السيمفونى » ، وبين « القرد ابو صديرى » و « العصر الحجرى » هناك حلقة مفقودة ٠

ويتميز « القرد ابو صديرى » وانسان « العصر الحجرى » ومابينهما

بانه يجد « متعة مطلقة » في نفخات المعلم متقال وابو دراع » و « قلنا حنبني وادى احنا بنينا ‥ » ود لبن الجاموسة » والاخيرتان عنه الاستاذ انيس مجرد ضوضاء القاهرة ٠

ولان الاستاذ انيس قد سافر « الى كل بلاد السيمفونيات شرقا وغربا ، فانه يضع نفسه في تعداد الانسان السيمفوني ٠

اما نحن جميعا ، فمكاننا الصحيح هو عصر « القرد ابو صديرى » او « العصر الحجرى» او ما بينهما والله اعلم ٠

وهكذا يضعنا جميعا ، بحكم الموسيقى التى نجد فيها « متعة مطلقة» فى ادنى درجات تطور المخلوقات ،اما هو فيقف فى العلياء مع الانسان السيمفوني ، يتفرج علينا ويراقبنا ويدرسنا ، ويرى فينا اكتشافات تاريخية ٠

و الطبع لم يجد الاستاذ ان عليه ان يقنعنا لا بمكاننا في هذا الدرك الاسفل ولا بمكانه هو فى هذه العلياء السابقة ، وقصارى علمنا ان اسلافه هم بعض اسلافنا ، وان ايا منهم لم يبدع اية سيمفونية ٠

ولن نتسرع فنقول ان انيس منصور يقصد مضمون ما كتب ، فهو عادة يكتب ليتسلى ولكي يسلي ، اما مضمون ما كتب فهو ببساطة اننا ـ كشعب ابناء ثقافة منحطة ٠

والذى يؤكد هذا المضمون ـ الذى لا نظنه يقصده ـ انه فى سياق مقاله القصير ، يترك لدى قارئه انطباعا بان « الانسان السيمفوني » لا يستمع الا الى الموسيقية السيمفونية ٠

وعلينا ان نصدق الاستاذ انيس ، ونعتبر من باب الوهم ما نعلمه من ان فصيلة « الانسان السيمفوني » هذه والتي ينتسب اليها الاستاذ ، عندها انواع اخرى من الوسيقى مثل .البوب POP والروك ROCK والجاز JAZ والبلوز BLUES والريفية COUNTRY ، اضافة الى اللون ارقى مثل الـ الروحانيات SPIRTU ALS والانجيليات GOSPELS وفيها كلها كثير كثير مما استعاره هذا الانسان السيمفوني من موسيقى « العصر الحجرى » و « القرد ابو صديرى » وما بينهما في افريقيا وامريكا الجنوبية قبل ان تصبح لاتينية والشرق الاقصى وشرقنا نحن ٠

وعلينا ايضا ان نصدقه ونعتبر من باب الوهم ما نعلمه من ان الاغلبية العظمى من تعداد ذلك « الانسان السيمفوني » لا تستمع الا الى هذه الالوان ، وعندما يستمعون اليها يصخبون ويرقصون ويتمايلون ويتاوهون ، اكثر كثيرا مما نفعل نحن عندما نستمع الى موسيقانا التى تنتمى الى « القرد ابو صديرى » وتنسبنا اليه فى راى الاستاذ انيس ٠

ومرة اخرى لن نتسرع فنقول ان الاستاذ يقصد ان يرى فينا احساسا بدونية نوعية لا فكاك منها ٠

لقد كان قصده ان يسلينا ٠ وقد تسلينا ٠

فهل نتمنى عليه ان يسلينا مرة اخرى بكلمة عن « القرد ابو برنيطة »؟

## فن تشكيلي

### معرض خميس خلف

اقام الفنان « خميس خلف بسكرتير تحرير مجلة سمير معرضه الثاني فى مجال الرسم بالحبر الصيني باتيليه القاهرة للفنانين والكتاب ٠ كان الرسم

بالحبر الصيني أو بالرصاص او بغيرها من الخامات المتقشفة يعد فنا من الدرجة الثانية ، او تابعا للوحة الرئيسية ، وموضعه الدائم هو التحضير والتجهيز .. غير ان هذه النظرة قد تغيرت كلية بعد جهود فنانين تتزايد اعدادهم عاما بعد عام .. للدرجة التي دفعت الى تخصيص جائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٨٧ لفن الرسم . ونفذ « خميس خلف » لوحاته « بالرابيدوجراف » على ورق ابيض . تكشف رسومه عن حساسية فائقة وتمكن من استخدام ادواته الفنية ، ويميل في تجسيد اشكاله الى الشكل الاسطواني ، واشكاله مبتكرة : توحي بانتمائها الى هيئة الانسان والنبات معا ، ويعبر بها عن اشجان دفينة . مبهمة .

يقترب من السيرياليين من حيث الانشاء الآلي ، فاللوحة عنده وعندهم مجال لاستقبال التداعيات الحلمية ، واحلامه كما اشرت حزينة .. وان كانت اقل صراخا من لوحات معرضه السابق !

## « الثلاثية » بالانجليزية منذ ١٤ عاما

● من معلوماتنا المؤكدة ، وغير الشائعة في الاوساط الادبية والثقافية في مصر والعالم ان ثلاثية نجيب محفوظ باجزائها الثلاثة « بين القصرين ، قصر الشوق ، والسكرية » قد ترجمت بالفعل للغة الانجليزية ، وقد قامت بهذا الجهد الشاق الناقدة والمترجمة المعروفة واستاذة الادب الانجليزي انجيل سمعان بطرس وانها



قضت في ترجمتها اكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدءوب حيث عادت عشرات المرات لكاتبنا الكبير تستفسر منه عن بعض الكلمات والجمل واسماء الاماكن والمصطلحات وغيرها ، بالاضافة الى بحثها الخاص في المواد المتوافرة عن الكاتب الكبير .

هذه الترجمة الكاملة للثلاثية كانت الجامعة الامريكية بالقاهرة ( مركز النشر ) قد اشترت حقوق طبعها من المترجمة منذ اربعة عشر عاما ولم تطبع حتى كتابة هذه السطور .

وقد علم المحرر أن المسئولين عن قسم النشر بالجامعة الآن يقومون بعدد كبير من الاتصالات مع دور النشر العالمية للاتفاق معهم على نشر الثلاثية نشرا مشتركا ، بالاضافة الى طبع اعماله الاخرى المترجمة ، وتنفيذ مشاريع ترجمة اعمال اخرى كان قد جرت مناقشتها من قبل .

جدير بالذكر ان الجامعة الامريكية كانت قد اشترت حقوق ترجمات اعمال نجيب محفوظ من دار « هاينمان » الانجليزية التي كانت قد قررت منذ يناير الماضي التخلي عن اصدار سلسلة « مؤلفون عرب » التي كانت تصدرها منذ عام ١٩٧٦ .

# مكتبة الهلال

الكتاب : حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ دراسة ودروس
تأليف : فريق أول محمد فوزى
الناشر : دار المستقبل العربى ، القاهرة
٢٧٠ ص ، ٣٠ج



بخبرته كوزير سابق للحربية وبوعيه القياض كرجل استراتيجى من الطراز الرفيع يقدم لنا الفريق محمد فوزى هذا العمل الذى يوضح فيه بدراسة متانية جميع المعارك التى وقعت خلال المدة من ٦ اكتوبر ١٩٧٣ الى ٢٨ من نفس الشهر حيث توقف القتال نهائيا عقب وصول قوات هيئة الامم المتحدة الى قطاع السويس ، وكانت القوات الاسرائيلية قد احتلت من اراضينا ١٢٠٠ كم من النطاق الخلفى لمواقع الجيش الثالث والمعارك والعمليات التى قامت بها تشكيلات الجيشين الثانى والثالث واحتياطى القيادة العامة والوحدات الخاصة ، وكل هذه ثلاث عشرة معركة هجومية بالاضافة الى معركة العبور الشهيرة شرق القناة ، وعشر معارك دفاعية غرب القناة .

ويوضح بالشرح والتحليل عبر فصول مستفيضة من الكتاب معركة الشرق والغرب على جبهة قناة السويس وكيف تداخلت السياسة فى العمليات الحربية مقدرا موقف تشكيلات القوات المسلحة المقيدة بدرجة الترث على نتيجة المعركة التى ضحى من اجلها شهداء ابرار .

الكتاب : أمريكا « سرى جدا »
تأليف: أحمد هريدى
الناشر: مكتبة مدبولى




مؤلف هذا الكتاب هو الاستاذ احمد هريدى .. الكاتب الصحفى الشاب الموهوب الذى حصل اخيرا على جائزة نقابة الصحفيين المصرية ... وهو صاحب قلم شاعرى الاسلوب ، دقيق التعبير ،

ذكى الملاحظة ، واسع الثقافة .. وقد صدر له ديوان شعر جيد اسمه « الحب يسالكم المغفرة » .. والحقيقة ان احمد هريدى مجموعة مواهب وكفاءات ؟ فهو مهندس، حصل على بكالوريوس فى الهندسة الكهربائية وعمل فترة فى هذا المجال ثم حصل على دبلوم فى الترجمة من انجلترا ، وعلى دبلوم دراسات عليا فى النقد الفنى ، ودبلوم دراسات عليا فى الصحافة ،وهو يعد الآن رسالة ماجستير فى المسرح العربى ، ويعمل ناقدا فنيا بمجلة الاذاعة والتليفزيون ويواصل فيها نشر فصول نقدية ممتعة غزيرة المادة ..

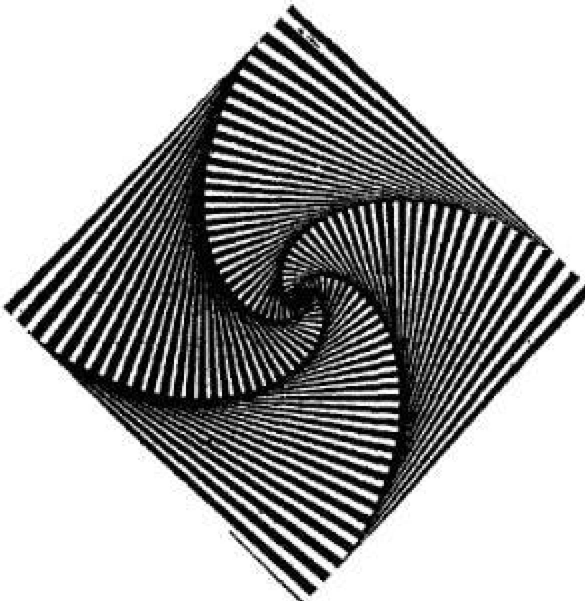
ومنذ سنوات قلائل سافر احمد هريدى الى الولايات المتحدة الامريكية فى عمل يتصل بتخصصه الهندسى ، وعاش اربعة اشهر فى مدينة نيويورك ذات الشهرة العالمية ، ورأى فى هذه المدينة الهائلة وجه أمريكا على حقيقته ، لبلاد يجتمع فيها الثراء والفقر ، والعلم والجهل، والابيض والاسود ، والعنف والدعوة الى محاربة الارهاب ، والطب والمخدرات ، وصناعة الاسلحة الجهنمية وصناعة ادوات الرفاهية .. وقد بلغ احمد هريدى فى كتابه هذا مستوى رفيعا فى رسم صورة شاملة، وان كانت سريعة ، للولايات المتحدة الامريكية التى يتوقف الكثير مما يجرى فى العالم على مايجرى وراء كواليس حكامها وجنرالاتها ورجال المال والصناعة فيها ، وجاء الكتاب بكل هذه الحقائق فى تعبير ادبى صحفى ممتع ، وتحليل سياسى واجتماعى وتاريخى شامل رائع ..

الكتاب : مقاطع من اغنية قديمة
تأليف : اسامة انور عكاشة
الناشر : دار الغد ، القاهرة ١٢٢ ، ٢جم



هذه هى المجموعة القصصية الثانية للكاتب المعروف اسامة انور عكاشة ، وكانت الاولى قد صدرت عام ١٩٦٧ بعنوان « خارج الدنيا » ، وعلاوة على هاتين المجموعتين فان السيناريست الشهير له ايضا رواية صدر الجزء الاول منها عام ١٩٨٤ بعنوان « احلام فى برج بابل » وهو الجزء الاول من رباعية طويلة تحمل عنوان « الخطوط والدوائر » .

كتب اسامة انور عكاشة القصة القصيرة منذ بداية الستينيات وفاز بخمس جوائز من نادى القصة ، ومع ذلك فان نقاد الادب قد شغلتهم اعماله الدرامية عن اعماله القصصية ، والمعروف انه قد قدم خلال السنوات العشر الاخيرة للدراما التليفزيونية ما يزيد عن عشرين مسلسلا كان اشهرها الشهد والدموع ورحلة السيد البشرى . وقال البحر ، وعابر سبيل ، وعصفور النار، وليالى الحلمية .وتضم مجموعته الجديدة عشر قصص جيدة .



# محمد صبري والمفاجأة السارة!

بقلم: محمود بقشيش



وقعت لي خلال الشهر الماضي مفاجأة .. ادهشتني ، واسعدتني كشفت - اولا - عن جهلي بمجال ابداعي لفنان ، كنت اظنه مكتفيا بابداعه في مجال اخر !!.. فلم اعرف من قبل ان الفنان الكبير « محمد صبري » يمارس الرسم الى جانب ابداعه في مجال التصوير الضوئي ، واذا بي اكتشف رساما بارعا ، يبز الكثيرين من المرموقين في هذا المجال !!.. واكتشف ايضا انه لم يتوقف ابدا عن ممارسة الرسم .. بل ان الفن الذى اشتهر بالبراعة فيه وهو فن « التصوير الضوئي » لم يكن هدفه الاول .. بل جاء عن طريق المصادفة .. ثم تعلق به بعد حصوله على العديد من الجوائز المحلية والدولية ..

وجه . وزهور حمراء

ومورر شمس منعت المحاجر الزجاجي . للفنان محمد صبري



# محمد صبرى
# والمفاجأة السارة!

انه لم يدرس الفن دراسة معهدية ، بل علم نفسه بنفسه • ويأتى – أخيرا – معرضه الشامل الأول بعد أن ترك عالم الصحافة ، وربما لو لم يورطه بعض اصدقائه فهو عزوف عن المشاركة فى المعارض العامة • وعلى الرغم من انه كان أحد صناع الأضواء فهو يلوذ – غالبا – بالظل ! لكن ها هو ذا قد وقع فى المحظور •• فأقام معرضا •• ! ولا مفر من مناقشة أعماله ، والقاء المتاح من الضوء عليها !

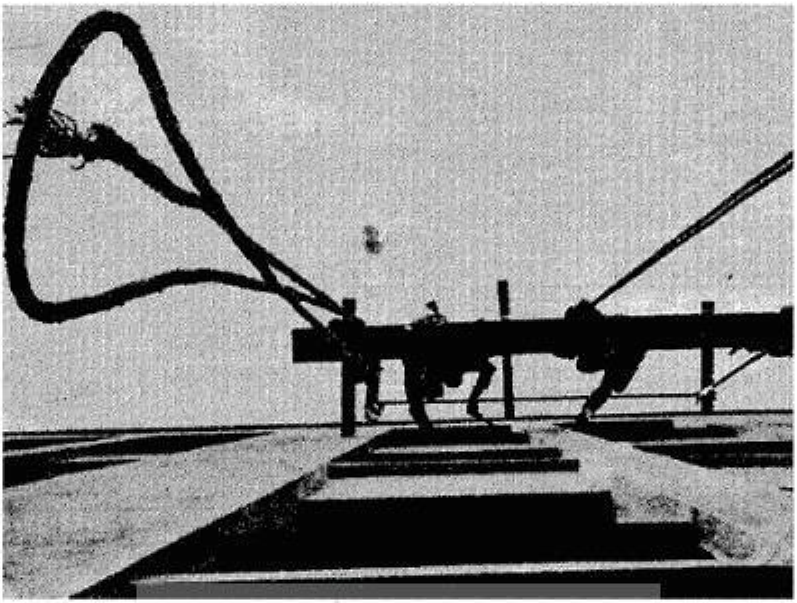
## ● الرسام والمصور : مقارنة

هناك نقاط التقاء ونقاط افتراق ، بين رسومه ولوحاته الفوتوغرافية • ان لوحاته جميعا ، تكشف عن روح دارسه دءوب بارعة • لا يمل صاحبها من اعادة العمل الفنى مرات ومرات حتى يبلغ الدرجة التى أرادها لعمله • حدث أثناء تجوالنا معا بين لوحاته أن لفت نظرى مجموعة من العناصر المشتقة من دوائر الثمار – أو دوائر عدسات الكاميرا ! – تتحرك على أرضية من خطوط زرقاء أفقية •• ظننتها للوهلة الاولى لون ورق اللوحة ، فنبهنى الى أنه هو الذى قام برسم تلك الخطوط الدقيقة خمس مرات متتالية ، وان ما أراه هو النسخة التى رضى عن شكلها النهائى ! •• واذا تخطينا تلك النقطة التى تدخل فى نطاق الاستعداد الشخصى ودرجة الامانة الفنية الى نطاق فنى بحت مثل « الملامح التصميمية » للوحات •• فاننا نجد – فى معظم لوحات الجانبين – حرص الفنان على وضع محاور العمل الفنى الرئيسية فى وسط اللوحة تماما •• بحيث تبدو معلقة فى الفراغ ، مقاومة لجاذبية الارض • واذا اضفنا حرص الفنان على ربط رؤيته بالنموذج الاوربى فى الفن •• فاننا لانجد بين رسومه وصوره الا الافتراق الطبى بينهما !

•• مع اللوحات المرسومة استخدم أدوات الهندسة : البرجل والمسطرة وقلم الجدول ، وأنشأ بها لوحات تحفل باستعراض المهارة • وتستهدف الاثارة البصرية الحادة ، ومع الكاميرا كان شاعرا للضوء •• يسحبنا برفق الى عالم البهجة المبهمة والفرح بالاكتشاف • تبرته فى الرسم عالية ومتصنبة ، ومع « الكاميرا ناعمة وعميقة !

## ● نظرة الى الرسم

تنتمى رسوم « محمد صبرى » الى الاسلوب الفنى المعروف بال « أوب آرت » أو الفن البصرى ، أو ما اشيع عند النقاد المصريين بفن الزغللة البصرية • ولقد حدد مبدعو هذا الاسلوب وعلى رأسهم « فازاريللى » مجال « الابصار » اطارا للتراسل بين المبدع والمتلقى ، وهو تراسل يستهدف اثارة العين وابلاغها بكل شىء دفعة واحدة ! •• ونرى تطبيقا لهذا فى مجال الاعلان • ان تلك



عمال البناء .. للفنان محمد صبرى

اللحظة « التليفرافية » هي ما تشغل فنان « الأوب » لهذا يتخلص هذا الاسلوب من كل الارتباطات السابقة لفن التصوير : الأدب والرمز · وهو اسلوب لا يرى في « الانسان » صانعا لتاريخ ، بل يراه « فردا » أو بمعنى أدق « شبكية » تستقبل ذبذبات ضوئية يشاغلها الفنان ·· فيختفي بكل ما يجعل من مسطح اللوحة حالة « دينامية » للدرجة التى تثير «الدوار» ·· وهو ما حدث لى على الاقل ! لقد ادركت على الفور براعة الفنان وصبره ، غير اننى لم استطع النظر طويلا الى اللوحات حتى لا اسقط فى الدوار !

لقد التزم الفنان « محمد صبرى » التزاما واضحا بأصول هذا الاسلوب، وان حاول ـ على حد تعبيره ـ أن يرتاح من الادوات الهندسية ويأخذ اجازة من الزغللة والدوار ، ويرسم بخطوط حرة بالالوان المائية ، ويترك لفرشاته أن تسقط نقاطا هنا وهناك ويترك لبعض البقع اللونية فرصة الانتشار ·· دون ان يترك الفنان للعشوائية بل يراقبها ويضبط تحركاتها !·· فجاءت لوحاته الثلاث الفريدة واحة مريحة للعين والحواس وتغرى بالتأمل ·

## ● التصوير الضوئى

·· مع الكاميرا تالق ، وابدع ، وامتع مشاهدة !

ونبهتنا بقوة الى ان « الجمال » كامن فى أتفه الاشياء · المهم هو الطريقة التى نستطيع بها استنطاق هذا الكامن الجميل · المعبر : ان



تشكيلات بالكاميرا  امجد صبرى

موضوع التأمل « المصورى » فى المعرض .. قطعة صخرية صغيرة . نرى منها بالعشرات دون أن تحرك انتباهنا . وجدها عند زميلته الصحفية « بثينة البيلى » فقرر ان تكون موضوع معرضه !.. وبعد أن استخلص منها عشرات اللوحات عرضها فى ذاتها .. حتى يقارن المشاهد بين الاصل والصور . والفارق الهائل بين « المثير الجمالى » و « المنتج الفنى » المستخلص عبر أدوات التصوير : الضوء والمؤثرات الشكلية الاضافية كالفلتر . والعدسات المختلفة كقطرات الماء على الزجاج . وتضبيب ملامح كتلة الصخرة بتحريك نقطة التركيز فى العدسة . وغير ذلك من الطرائق التى يسيطر عليها الفنان . قد تظهر بعض المصادفات .. كأن تمنح صور الصخرة ايحاءات انسانية مبهمة ـ أظن ـ لا أهمية لها عند الفنان الا من حيث كونها تشارك

# محمد صبرى
# والمفاجأة السارة !

مع مجمل العناصر الفنية السابقة فى محو كل مشابهة مع الاصل !.. بالاضافة الى المجموعة فائقة الجمال « مجموعة الصخرة » قدم لنا بعض تجاربه العملية فى لوحات جاءت أشبه بالرسوم المرسومة بالحبر الصينى مع لون مساعد .. بعد أن تخلص فى المعمل من بقية الالوان الطبيعية .. كما احتفظ للانسان أو بمعنى ادق لجسد المرأة العارى بركن مستور فى القاعة ، ظهر فيه مضببا ومخططا .. عبر حواجز الزجاج المبلل وانعكاسات الفانوس السحرى !

كان المعرض ـ بالفعل ـ مفاجأة سارة !

**• بطاقة تعريف •**

١٩٢٥ ـ ولد الفنان محمد صبرى بالقاهرة .
١٩٤٢ ـ مارس الرسم والتلوين بدون انقطاع حتى الان .
١٩٤٨ ـ انهى التعليم العام وبدأ دراسة التصوير الضوئى .
ـ جائزة اولى ـ مسابقة التصوير الضوئى ـ وزارة المعارف العمومية ـ أنشأ قسم التصوير الضوئى بدار الهلال بتكليف من المرحوم « اميل زيدان » ـ رأس القسم وأسس معامله وادارة حتى تقاعد ١٩٨٥ .
١٩٥٤ ـ ميدالية فضية ـ مسابقة التصوير الضوئى الدولية التى نظمتها مؤسسة « انتر ـ بريس » ـ الاتحاد السوفييتى .
١٩٦٤ ـ ميدالية ذهبية ـ المسابقة الدولية للتصوير الضوئى ـ فرنسا .
١٩٦٦ ـ ميدالية فضية ـ مسابقة التصوير الضوئى العالمية ـ المانيا .
ميدالية ذهبية من جمعية التصوير الضوئى ـ مصر .
١٩٦٩ ـ بدأ أبحاث وتجارب التصوير الضوئى عن طريق المعمل .
الثمانينيات : اقام عدة معارض لقسم التصوير بمؤسسة دار الهلال ، وفاز مرتين بالجائزة على المؤسسات الصحفية .
الزيارات الفنية ـ أسبانيا ـ المانيا ( شرقية وغربية ) يوغسلافيا ـ بلغاريا ـ هولندا ـ لمشاهدة المتاحف ايطاليا ـ النمسا ـ سويسرا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ الاتحاد السوفييتى .



# سنان باشا

« .. تحتفل الأوساط الثقافية فى تركيا هذا العام بمرور اربعمائة عام على وفاة المعمارى الشهير سنان باشا عام (١٥٨٨) .. »

• • •

## أعظم المعماريين الإسلاميين

بقلم : أسماء البكرى

... لقد كان فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ على يد العثمانيين نقطة تحول حاسمة في تاريخ الانسانية ، فكما كان إيذانا بنهاية العصور الوسطى ، نجده قد فتح افاقا جديدة للفن والفكر مهدت لبزوغ فجر عصر النهضة الأوروبية ، وظهرت أسماء كبيرة في ذلك العصر تركت أثارا لاتمحي في مختلف المجالات ، فكان « آل بورجيا » ، و« آل سفورزيا » ، و« آل الميديتيش » حماة للفنون ، وقاد « كولومبوس » ، و« ملجيلان » ، و« فاسكو داجاما » ، بكشوفهم الجغرافية الجديدة ، العالم نحو حياة اقتصادية منتعشة وآمال عريضة . كما كان اختراع الطباعة على يد « يوحنا جوتنبرج » دافعا قويا لنشر المعرفة في انحاء المعمورة ، وبفضل « جاليليو » ، و« كوبرنيكس » اعاد الناس اكتشاف قوانين الطبيعة .... وأمام ضربات فرشاة « رافايل » . وأزميل مايكل انجلو تفتحت الأعين للجمال ، وبينما ارتفع صوت « سافانارول » ينادى بالايمان ، كان صوت « ميكيافيللى » ينادى هو الآخر بالرجوع الى العقل ... عصر اختلط فيه الجنون مع الحكمة وكانت الانسانية فيه متعطشة للخروج من ظلمات العصور الوسطى فتفجرت ينابيعا فى كل ربوع الأرض ... وكان عصرا للنهضة بحق .



احد الصوانات الاولى التي نقشت في الصخر . وهو معروف باسم « صوان الثكنة » .

جامع السليمانية ذو المآذن الاربع صممه سنان وبناه عام ١٥٥٧



# سنان باشا

تميز القرن السادس عشر بظهور القادة العظام ... ففى إنجلترا يصل هنرى الثامن الى السلطة (١٥٠٩) ـ ملك واسع الثقافة من اتباع « إيرازموس » له طموح بلا حدود ، جسور الى حد الخروج عن كنيسة روما وانشاء كنيسة خاصة به في انجلترا . وفى فرنسا يتولى العرش « فرانسوا الأول » (١٥١٥) الملك الفارس المتفتح للجديد ، يحيطه ثلة من الفنانين والمفكرين ويؤسس « الكوليج دى فرانس » ، كما كان من رجال السياسة الأفذاذ والأهداف الجسورة . وفى اسبانيا كان « شارل الخامس » ملك أسبانيا وامبراطور المانيا ، تضيق به أوربا ، ويمتد حلمه خلف المحيطات فيجهز الأساطيل البحرية بملايين الفرنكات الذهبية لتبحر باسمه عبر المحيط الهادى والأطلنطى . وفى القرن السادس عشر توحدت دويلات شرق أوروبا وظهرت روسيا العظمى التى كونها « إيفان الرهيب » بالحديد والنار . وفى عام ١٥٢٠ تمتطق « سليمان الأكبر » بسيف عثمان .

تميز هذا العصر بظهور جيل من المحاربين العظام امتلكوا مهارات دبلوماسية فائقة الى جانب ولع ونهم بالفنون وكانوا هم انفسهم أحيانا من الفنانين ، كما كانت تدفعهم طموحاتهم الشخصية ونادرا ماتؤرق الأحداث ضمائرهم .. !! ، والملاحظ انهم لم يخلطوا بين العقيدة الدينية والتى دافعوا عنها بكل حماس وبين القوانين الأخلاقية ، حدث هذا في الغرب والشرق معا .

★ ★ ★

من حسن الطالع ان يكون المرء موهوبا ، الا انه يكون أسعد حظا إذا ما عاصر أحد هؤلاء القادة العظام ... وكان « سليمان الأكبر » رجل دولة عظيما .... و« سنان » عبقريا .

أطلق على « سنان » اسم « كوشاسنان » بمعنى سنان الأكبر أما اسمه بالكامل وأين ولد وماهو أصله فلا أحد يعرف ، ويمكن القول انه ولد فيما بين عامى ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ربما فى الباتيا أو مقاطعة « كابادوتشيا » (آسيا الصغرى) ، ومن المؤكد انه اخذ كغيره من الغلمان حسبما كان معمولا به في الدولة العثمانية (كانت قوانين الدولة تنص على جلب الآف الصبية من المستعمرات ـ اليونان ، مقدونيا ، ارمينيا ، الصرب ، بلغاريا ، بوسنيك ، هرسيك (يوجوسلافيا) ، تشيكوسلوفاكيا مرة كل سبع سنوات أو خمس ثم أصبح ذلك سنويا) حيث يتم فرزهم وتصنيفهم ثم تدريبهم تدريبا حربيا ، عاليا للقتال ليشكلوا ماعرف بوحدات الانكشارية التى كانت صفوة مقاتلى الجيش العثمانى . ولما انتهى الشاب « سنان » من فترة تدريبه الحق بكتيبة صيانة حدائق السلطان ومكنه ذلك من زيارة القسطنطينية وعمره ١٦ عاما حيث وقعت عيناه للمرة الأولى على مسجد « ايا صوفيا » الذى شيده البيزنطى « انطوميوس » ANThEMiUS دى ترال ، واخذ الفن المعمارى بلبه وهو

يسائل نفسه كيف يبنى الانسان الفانى قبة بهذه الروعة تبدو طائرة فى الهواء لتطاول الزمن ... ؟؟

اشترك « سنان » وعمره ١٨ عاما (١٥١٢) فى الحملات العثمانية فى أوروبا وآسيا وفى عام ١٥٢٢ كان فى رودس ، وفى بلجراد (١٥٢٦) وفى عام ١٥٢٩ كان امام فينا وصاحب سليمان فى حملته الحربية فى كورفو ، وبلاد المجر وهناك سنحت له فرصة اظهار مواهبه عندما اضطر الجيش لعبور مستنقع فقام بتصميم وإنشاء كوبرى عبر عليه الجيش فى وقت قياسى مما لفت اليه أنظار العاهل الكبير ، وكانت لحظة نادرة من تلك اللحظات التاريخية التى يتفاهم فيها رجلان عظيمان ، ويبدو ان القدر قد رتب هذه اللحظة رجلان من رجال الحرب والفن وكأنهما قد خلقا لبعضهما ... نتاجا حقيقيا لعصر النهضة . وفى غمار الحروب سنحت الفرصة لسنان كى يطلع على آيات الفن المعمارى فى جنوب شرق اوروبا وآسيا الصغرى ، والشرق الأوسط حيث زار بغداد واثينا وبلجراد وستيزيفون (إيران) فكون لديه تصورا معماريا ومعرفة وثيقة بهذا الفن .

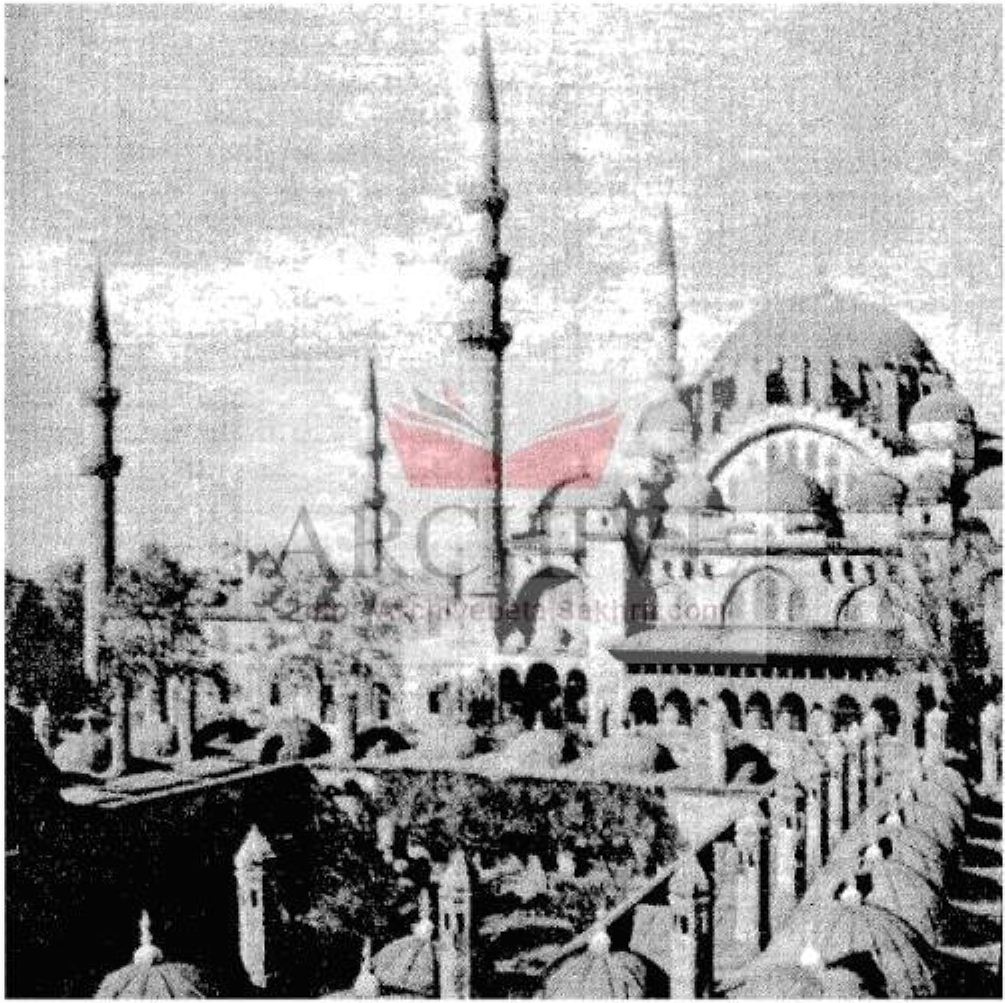
## ● عشــق واحــد

ولدى عودته للقسطنطينية عينه سليمان مهندسا البلاط وكبيرا لمهندسى الامبراطورية العثمانية ... وتبلور عشقه لهذا الفن فلم يكن له سوى عشق واحد وطموح واحد ان يكون معماريا كبيرا .. أما الحلم الذى ظل يؤرقه فهو كيف يتفوق على « انطونيوس دى ترال » وكان لابد له من تحقيق هذا الحلم وأن يشيد قبة أكبر وأجمل من « أيا صوفيا » وفى هذا قال قولته المشهورة « ... مالفائدة أن نستولى على بيزنطة اذا كان المنتصر لايستطيع ان يشيد ما انشاه المهزوم منذ ١٠٠٠ عام ... » إن بناء قبة يمكنها منافسة قبة ايا صوفيا ليس بالأمر الهين ولن يكفيه التأمل والانبهار ، وكان على سنان أن يتعمق فى البحث والدراسة لكى يستوعب تماما الطريقة التى استطاع بها « انطونيوس » أن يبقى قبته معلقة فى الهواء تتحدى قانون الجاذبية لابد أن هناك سرا استغلق عليه فهمه ، وجاءته لحظة التنوير بعد شهور من التأمل والتفكير والدراسة ... كان يفكر فى الطريقة التى تهجم بها فرق الانكشارية ملتحمة معا فى وحدة واحدة فكانت تنتصر انتصارا ساحقا ... لو استطاع العدو اختراق تلك الكتلة البشرية لانهار الهجوم من فوره .. إذن فقد شيدت الاحجار بطريقة متداخلة متلاحمة تماما بحيث تنهار القبة اذا انهار حجر واحد منها .

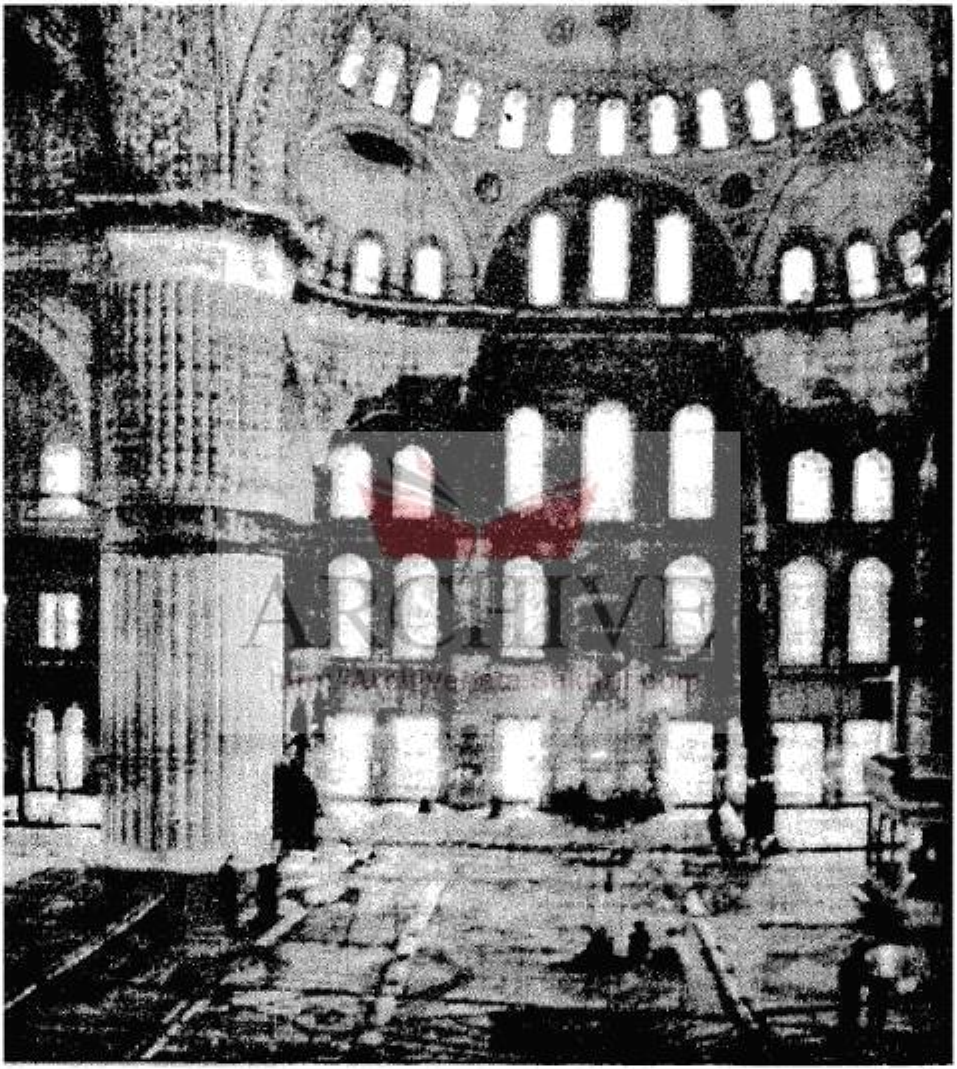
ويبدأ سنان عمله المجيد من فوره ... وكان أول إنجازاته مسجد الأميرة « محرمة » ابنة السلطان المدللة ، وتلاه بمسجد شهرزادة الذى بدأ العمل فيه عام ١٥٤٣ وانتهى منه بعد خمس سنوات ١٥٤٨ (وفى نفس الوقت (١٥٤٦) كان مايكل انجلو فى روما منكبا على قبة القديس بطرس) ، كما قام ببناء مسجد شكله بناء على رغبة الأميرة محرمة . وفى عام ١٥٤٨ كان سنان فى قمة نضوجه وأدرك انه أصبح الآن قادرا على تحقيق حلم حياته : التفوق على البيزنطى « انطونيوس » . وكان جامع

# سنان باشا

الواجهة الامامية لمسجد السليمانية أحد أبرز وأهم الابنية المعمارية التي بناها سنان وانتهى من بنائها عام ١٥٥٧ م



صحن جامع السلطان احمد المعروف باسم الجامع الازرق



# سنان باشا

« السليمانية » الذي وضع حجر أساسه عام ١٥٥٠ وانتهى منه بعد ست سنوات ، عاونه فيه ٣٠٠٠ فني ومهندس من الانكشارية ، وجاءت النتائج عملاقة فكان الجامع صرحا دينيا يسع ٢٧٠٠٠ شخص وبلغ ارتفاع القبة ٥٣ مترا وقطرها ٢٥,٥ مترا وضم الجامع حديقة تبلغ مساحتها ١٢٧٥٠ مترا (٢٢٥ طول × ١٥٠ عرض) وأضاف اليه عدة أبنية كمدارس ابتدائية ، ٤ أكاديميات ، وقاعة لقراءة القرآن ومدرسة للطب ومستشفى ودار ايواء للفقراء الى جانب مكتبة ونافورات . وحمامات . وافتتح مسجد السليمانية عام ١٥٥٦ يوم جمعة . وأمام الجامع الكبير كان سنان منحنيا امام السلطان ليقدم له مفتاح المسجد الذهبي وكرمه السلطان التكريم اللائق به عندما أمره بالوقوف وناوله المفتاح قائلا : إنه صاحب الفضل الأول فى إنشاء ذلك الصرح وليكن له شرف الدخول أولا ورغم كل هذا التكريم إلا أن سنان كان حزينا ومحبطا فى أعماقه حيث لم يستطع ان يحقق حلمه كاملا ويتفوق على غريمه البيزنطى إذ كانت مقاسات القبة أقل من نظيرتها فى ايا

الجامع الكبير من الداخل



صوفيا ، رغم أن ذلك لايبدو للعين المجردة (وكانت تربيته الانكشارية لاتسمح له بالغش) الى جانب ان القبة التى انشأها كانت محمولة على عقدين مع وجود كتيفة امامية على شكل نصف دائرة وهو مالم يكن موجودا فى ايا صوفيا ، ولذا ظل سنان لايشعر بطعم نجاحه ويحس بمرارة طوال سنوات اختفى فيها واحتجب عن الظهور فى المحافل العامة .

ولما مات السلطان سليمان دفن فى الحديقة الملحقة بالجامع الى جانب زوجته ، وظل سنان هائما لسنوات تؤرقه فكرة تعديل الانشاء وسافر الى تراس (شمال اليونان) وآسيا الصغرى وهناك اكتشف نوعا من الاحجار المسامية انسب لتشييد القباب فقد كانت اقل وزنا ، وابتسم الحظ له مرة ثانية لدى عودته للقسطنطينية فطلب منه السلطان « سليم » الثانى ان يبنى له مسجدا فى اندرنبول (شمال تركيا) وهنا عاوده الأمل القديم فى تحقيق حلمه الاكبر : ان يتفوق على انطونيوس ويتفوق على نفسه أيضا !! وكان « السليمية » مسجدا أكبر من السليمانية توجته قبة رائعة اكبر من ايا صوفيا ... لقد هُزم البيزنطى اخيرا وانتهت المعركة الشرسة بانتصار العثمانيين ...

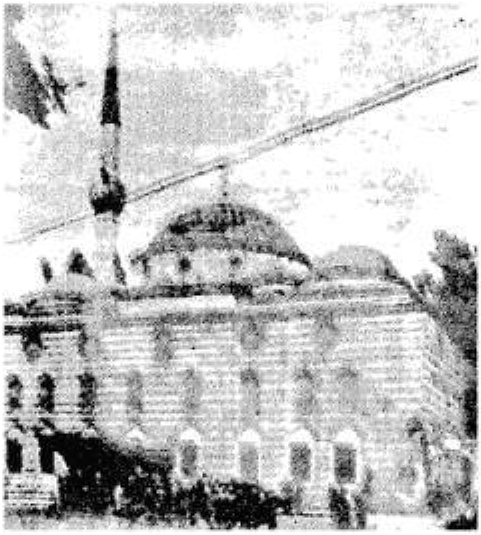
ان « لسنان » أن يستريح بعد ان حقق حلمه الكبير ، ومات عن عمر يناهز المائة عام محاطا بالتبجيل والاكبار من مريديه واصدقائه (منهم محمد أغا الذى شيد الجامع الشهير المسمى بالجامع الأزرق عام ١٦٠٩) .

ودفن الانكشارى العجوز بجوار راعيه السلطان فى ظل حديقة السليمانية .

ترك لنا « مصطفى ساعى » وهو شاعر من أصدقاء المعمارى العظيم كتالوجا كاملا لأعماله وهى :

٨١ « جامع » (مجمع دينى)
٥٠ « مسجد »
٦٢ « مدرسة »
٣ « مستشفيات » .
٧ « مجارى لتوصيل المياه » .
٨ « كبارى » .
١٧ « خان » .
١٢ « قصر » .
٥ « مخازن » .
٣٣ « حمام » .

وقد قال سنان : ان من اعظم الانتصارات التى يقوم بها الانسان هو الانتصار على النفس .


مسجد سنان باشا فى استانبول

# المائة الأعظم



# في التاريخ الإسلامي

بقلم : حسين أحمد أمين

على مدى خمسة وعشرين عددا من اعداد مجلة الهلال ، وابتداء من هذا العدد ، يقدم لنا الكاتب حسين احمد امين عرضا لأهم الإسهامات التى اسهم بها فى الحضارة الإنسانية من يعتبرهم المائة الأعظم فى التاريخ الإسلامى ، من خلفاء وملوك ، وسلاطين وأمراء ، وولاة ووزراء وقواد ، ومؤرخين وفقهاء ، ونحاة وشعراء وادباء ، وعلماء وأطباء ، وجغرافيين ورحالة ، وفلاسفة ومتصوفين وموسقيين ومغنين .

وقد شاء المؤلف الا يلتزم فى المرحلة الراهنة بهذه التقسيمات او بالترتيب الزمنى لهذه المائة . وسيعاد الترتيب عند نشر المادة كلها فى « كتاب الهلال » عقب انهاء السلسلة .

كما سيقتصر الكاتب فى عرضه على الانجازات الحضارية الخالدة لكل من الشخصيات المائة ، دون سرد ترجمتها إلا فى حدود الضرورة .

الهلال

## ابن رشد

١١٢٦ - ١١٩٨ م

●● فيلسوف وطبيب وفقيه اندلسى . اهم كتبه فى الطب كتاب « الكليات » الذى حوى أول وصف علمي لوظيفة شبكية العين ، وكان فيه اول من لاحظ ان من يصاب بالجدرى لايصاب به مرة ثانية . وبالكتاب عرض واف لعلمي التشريح ووظائف الأعضاء . وقد ترجم إلى اللاتينية . غير ان شهرته فى اوروبا لم تثبت طويلا امام منافسة كتاب ابن سينا « القانون فى الطب » ●●

وأهم كتبه فى الفقه « بداية المجتهد » . وبالرغم من انه حرص فى كتبه الفقهية والفلسفية على ألا يجابه الناس بكل ما يعرف ، وعلى أن يعرض آراءه بصورة غير مباشرة ، حتى لا يصدم مشاعر قومه ، فقد هوجم بما لم يهاجم به مفكر قبله ، وألصقت به تهمة الإلحاد ، وأحرقت كتبه ، واستنكر الناس منه قوله بقدم العالم ، وإنكار حشر الأجساد ، وما ذهب إليه من أن الله لايعلم عن الجزئيات أكثر مما يعلمه الحاكم عن جزئيات تنفيذ مرءوسيه لسياسته العليا .

غير أن أهم إنجازاته هو فى ميدان الفلسفة . وهى قسمان : شروح لأرسطو ، وعطاء أصيل .

فهو الشارح الأكبر لفلسفة أرسطو . وكان له الفضل فى أن فرق بين هذه الفلسفة وأفكار مدرسة الأفلاطونية الحديثة ، فى حين كان الفلاسفة العرب قبله يخلطون بين هذه وتلك ، وينسبون إلى أرسطو آراء غيره . وكانت شروح ابن رشد على ثلاثة مستويات ، قصد بها ثلاث فئات من القراء : المبتدئين والمتوسطين والمتقدمين من دارسى الفلسفة وكان فى شرحه الكبير للمتقدمين يورد فقرة تلو فقرة من كتب أرسطو ، ثم يتناولها بالشرح ، وذلك على غرار ما يفعله مفسرو القرآن مع الآيات . غير أنه لم يقتصر على الشرح ، وإنما كان يدرج من آرائه هو ما جعل كتبه تبدو أقرب إلى أن تكون من تآليفه من أن تكون مجرد شروح . وأهم شروحه على الإطلاق هو شرحه لكتاب أرسطو فى الميتافيزيقا .

وهو وإن لم يكن أول شارح مسلم لأرسطو ، فهو أعظم هؤلاء الشارحين وأعمقهم تأثيرا فى الحضارة الأوروبية التى سرعان ما أغفل أبناؤها سائر الشروح السابقة عليه ، وأقبلوا على دراسة ترجمات كتب ابن رشد إلى العبرية واللاتينية ، قبل أن يتجهوا إلى دراستها فى أصلها اليونانى . بل إن ثمة من بين كتب أرسطو ما فقد أصله ولم يصل إلى الأوروبيين إلا عن طريق شروح ابن رشد وغيره من المترجمين والفلاسفة العرب . وكان أن عمت « الرشدية » ( أى دراسة فلسفة أرسطو كما شرحها ابن رشد ) أقطار أوروبا ، وأضحت من الدراسات الرئيسية فى جامعاتها ، وأهم المؤثرات فى الفكر الأوروبى على مدى ثلاثة قرون ، ومن أبرز دعامات عصر النهضة ، رغم اتهام توما الأكوينى له بالمبالغة فى الركون إلى العقل ، ومحاربة جامعة باريس لأفكاره ، وتحريم البابا عام ١٢٣١ دراسة كتبه إلا بعد أن يحذف منها مايخالف تعاليم الكنيسة . غير أن النصر فى النهاية كان لعقلانية ابن رشد ، بحيث يمكن القول بأن الفضل الأكبر لعصر التنوير الأوروبى فى القرن الثامن عشر كان لأساتذة الفلسفة الذين أخذوا على عاتقهم تعليم فلسفة ابن

رشد ونشرها . اما فى العالم الإسلامى فكان النصر حليف السلفية .

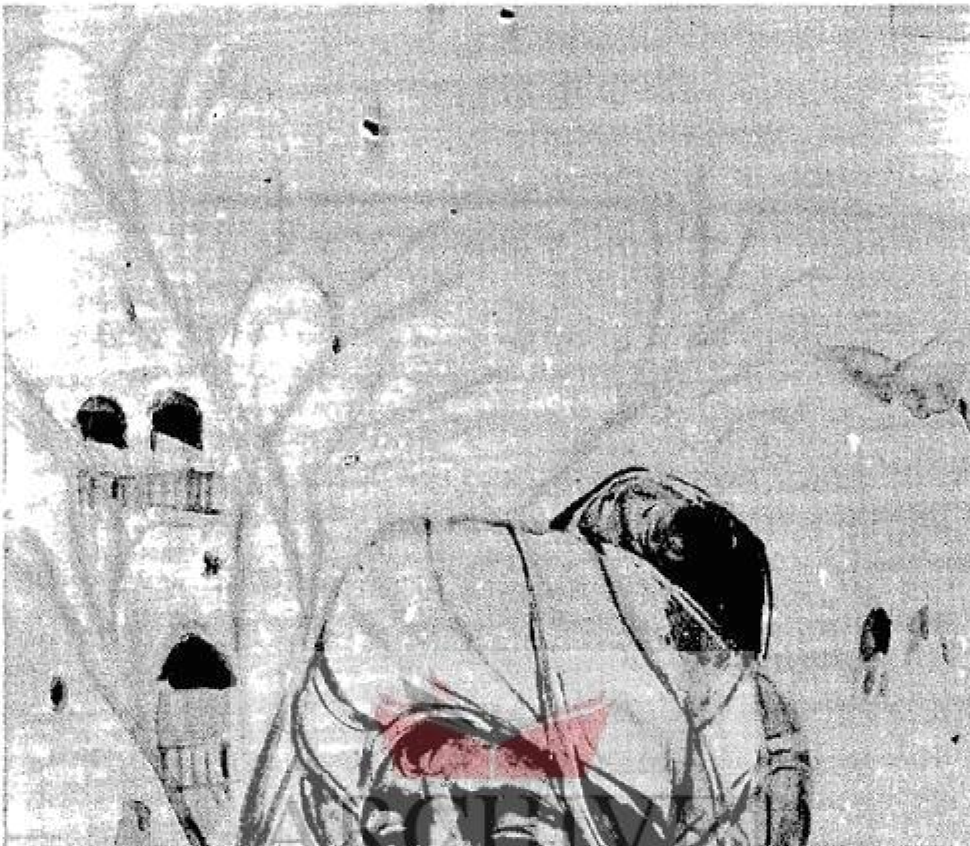
فشروح ابن رشد إذن لارسطو كانت شروحا غنية بعطائه الفكرى الخاص غير ان له ايضا إلى جانبها مساهمة اصيلة فى ميدان الفلسفة ، خاصة فيما يتصل بمشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة ؛ وذلك فى كتابيه الشهيرين : « تهافت التهافت » الذى رد فيه على كتاب الغزالى « تهافت الفلاسفة » ، و « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ، وهما اهم كتبه على الإطلاق ، وقد ترجما ايضا إلى العبرية واللاتينية . وفى الكتابين دافع ابن رشد دفاعا مجيدا عن الفلسفة ضد تهمة الإلحاد . فهو لايرى الفلسفة مختلفة فى جوهرها عن الحقيقة كما بينها الانبياء ، وإن كان من الصعب احيانا إيراد براهين فلسفية على بعض ما تذكره الديانات ، كالقول بخلود الروح او فكرة المعاد . كما اكد ان التراث الفكرى الإغريقى لايتعارض مع الإسلام ، وانه من الممكن التوفيق بينهما ، قائلا إن الحقيقة الواحدة يمكن ان يتصورها الإنسان بصور مختلفة .

وقد حاول « فصل المقال » ان يثبت وجود الله عن طريق السببية ، إذ لا شىء يمكن ان يحدث دون مسبب ، والاسباب جميعها تنتظم فتفضى إلى العلة الاولى ، وهى منشىء الكون ، او العلة الخلاقة المتحركة التى تتجدد تلقائيا نتيجة للتغيرات التى تطرا لحظة بعد لحظة . وهى فكرة مهدت السبيل امام نظرية النشؤ والتطور وإن كان فقهاء المسلمين قد رأوها تتعارض مع آية « كن فيكون » .

على اى حال ، فقد امر الخليفة الاندلسى المنصور بن ابى يعقوب بمحاكمة ابن رشد ، بنفيه وإحراق كتبه فى كل من الاندلس ومراكش ، نزولا على إرادة علماء الدين ، واستجابة لنقمة عامة الشعب على الفلاسفة والفلسفة . ولهذا لم ينج من هذه الكتب التى قيل إنها لا تقل عن خمسين غير عدد جد قليل . واهمل الشرق حتى هذا العدد القليل الباقى حتى بداية القرن العشرين ، حين نبه فرح انطون ( الصحافى المسيحى ) ابناء الامة إلى اهميته ، مما اثار جدلا عنيفا بينه وبين الشيخ محمد عبده ، بالرغم من ان محمد عبده نفسه اخذ كثيرا عن ابن رشد وفلسفته فى مبدا السببية ..

وقد كان هذا الإغفال طويل الأمد لابن رشد اصدق دليل على الانحطاط الفكرى الذى تردت فيه لثمانية قرون امة المسلمين ، التى أهدت ـ دون قصد منها ـ إلى الحضارة الاوروبية مفكرا اسهم إسهاما جليلا فى ازدهارها .

■■■■



# ياقوت الحموي

## ١١٧٩ - ١٢٢٩ م

●● صاحب أهم موسوعة جغرافية في الأدب العربي . وهو من أب رومي ، اشتراه تاجر من حماة وهو غلام ، وسماه ياقوت بن عبدالله ، كما جرت العادة مع من كان أبوه غير معروف . ورغم أن سيده أتاح له تعليما إسلاميا جيدا ، وأصبحت العربية لغته ، فإن نثره الفني لم يبلغ درجة عالية من البلاغة بسبب أصله الأجنبي ●●

ألف معجمين لاغنى عنهما في أية مكتبة عربية : « معجم الأدباء » الذي لا يقل حجما أو أهمية عن معجمه الجغرافي ، بل وربما يفوقه فيما يتعلق بالمادة التاريخية والحضارية عن العالم الإسلامي ، وفيه يترجم لغالبية المؤلفين العرب حتى عصره . و « معجم البلدان » الذي أصبح يعتبر بفضله واحدا من أبرز الجغرافيين في تاريخ البشرية .

أحس ياقوت بالحاجة إلى مرجع علم يجمع فيه شتات المادة الجغرافية المعروفة لعصره ، خاصة بعد اجتياح المغول لشطر عظيم من العالم الإسلامي ، واحترقت أو اندثرت كتب جمة من بينها مؤلفات جغرافية هامة . فكان أن اتقد في همة على تأليف « معجم البلدان » ، وهو أفضل مصنف عربي من نوعه في العصور الوسطى ، إذ تتجاوز أهميته بكثير حدود الأهداف الجغرافية الضيقة ، فهنا جماع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية والرحلات أيضا ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية ، إلى جانب الدين والحضارة وعلم الأجناس والفضائل البشرية والأدب الشعبي والأدب الفني .

ومع هذه القيمة الكبرى للكتاب ، فإن أوروبا ظلت جاهلة به ومعتمدة اعتمادا أساسيا على كتابي الإدريسي وأبي الفدا ، حتى تسربت مخطوطات « معجم البلدان » إلى أوروبا بالتدريج خلال القرن التاسع عشر ، ثم طبع المتن الكامل فيما بين عامي ١٨٦٦ و ١٩٧٣ . ومن وقتها أصبح لياقوت المكانة الأولى بين كافة الجغرافيين العرب ، لما لمس في معجمه من دقة وأمانة بالغتين ، خاصة أنه في تجواله بأقطار العالم الإسلامي وغيره على مدى ستة عشر عاما ، زار معظم البقاع التي يتحدث عنها في معجمه ، وبحث طويلا في مكتباتها .

وهو في حديثه عن الأقطار أو المدن أو القرى التي يتناولها ، يذكر ما قد يكون قد ورد بشأنها من قرآن أو حديث ، ويفسر الاسم وأصله ، ويبين النطق الصحيح له ، ثم يتعرض لتاريخ نشأة الموضع الجغرافي والظروف التي أحاطت بها ، والدور التاريخي الذي لعبه ، والأخبار والأساطير المتعلقة به . ثم يذكر تاريخ فتح المسلمين له وكيفية فتحه ، وأسماء كبار العلماء الذين نشأوا فيه أو زاروه ، خاصة الفقهاء وأهل الحديث ، وأسماء أساتذتهم وتلامذتهم ثم يورد تفاصيل دقيقة عما زاره من أبنية ومرافيء وقلاع ، ويقف طويلا ليصف عادات السكان وأخلاق القبائل . ويتخلل عرض كل هذا حكايات ونكات عن البلد الذي يتحدث عنه ، مع مختارات واسعة من الشعر الذي قيل فيه ، بحيث قد يمتد الحديث عن البلدة أو القرية الواحدة الى عشر أو خمس عشرة صفحة .

فهي إذن مادة متنوعة للغاية . وهو لم يقتصر على الحديث عن العالم الإسلامي كما اقتصر معظم من سبقوه من الجغرافيين العرب ، وإنما تطرق أيضا إلى الحديث عن الشرق الأقصى وأوروبا الشرقية والشمالية وبعض أقطار أوروبا الغربية . غير أنه كان في إلمامه بأحوال المشرق أكثر دقة وتفصيلا من المامه بغيره ، وكان في حديثه عن إيطاليا وكورسيكا ومالطة وكالابريا عدة أخطاء .

وقد وضع ياقوت لمعجمه هذا مقدمة طويلة في خمسة أبواب هي بمثابة مدخل له ، يعرض أولها للنظريات المختلفة في صورة الأرض ، معتمدا في ذلك على معطيات الجغرافيا الرياضية ، ويذكر فيه ميله إلى اعتبار الأرض كروية لامسطحة ، تتجاذبها أطراف الفلك من جميع النواحي كالمغناطيس ، ويبحث الباب الثاني في نظام تقسيم الأقاليم ، والطرق العملية المتبعة في تحديد موقعه . أما الباب الثالث ففي تفسير المصطلحات التي يرد ذكرها في المصنفات الجغرافية ، كالبريد والفرسخ والميل ، ومصطلحات الجغرافيا الفلكية ، كالطول والعرض والدرجة ، والمصطلحات الخاصة بالخراج وغلة الأرض والفيء والغنيمة . ويعطي الباب الرابع تصنيفا قصيرا للبلاد المختلفة التي فتحها المسلمون ، والخراج الذي يجبى من كل منها . أما الباب الخامس فأشبه بمقدمة في أخبار البلاد ، وسكان النواحي المختلفة ، وتوزيع الممالك بحسب مكانتها وعراقتها .

وبعد هذه المقدمة التي تشغل نحو خمسين صفحة من الكتاب ، يبدأ المعجم بمعناه الدقيق ، موردا أسماء المواضع بحسب الترتيب الأبجدي .

وبالرغم مما طرأ على المعارف الجغرافية من اتساع عظيم منذ زمن ياقوت ، فإنه لأكبر شاهد على الأهمية التي لا تضارع لمعجمه ، انه لايزال إلى اليوم في أيدينا يخدم غرضه ، ويلعب دوره كمرجع موثوق به ، لاغنى عنه لكل من يكتب في تاريخ الإسلام ، أو يدرس الحضارة الإسلامية .

# صلاح الدين الأيوبى

١١٣٨ - ١١٩٣ م

●● سلطان وقائد حربى من أصل كردى . لم يكن ـ بالرغم من انتصار جيشه الساحق على الصليبيين فى موقعة حطين ـ من المبرزين كقائد عسكرى ، أو كمخطط استراتيجى . وإنما كان تكتيكيا جيدا . ولا كان إداريا بارعا ؛ فالظاهر أنه لم يول اهتمامه الشخصى للتفاصيل الادارية إلا قليلا ، ودون أن يتعدى ذلك محاولة القضاء على المفاسد والفصل فى المظالم . وإنما كان إنجازه الأكبر أنه استطاع أن ينتشل الإسلام طلية فترة حاسمة ( وإن كانت وجيزة ) من وهدة الانحطاط الأخلاقى السياسى ، وذلك بفضل ما أوتى من صلاح وطيبة وثبات فى الخلق ، ودفاعه العنيد عن مثل أخلاقى أعلى ، وتجسيده هذا المثل فى حياته الخاصة وأعماله ، موجدا بذلك حوله حافزا للاتحاد كان كافيا لمجابهة التحدى الذى ألقته الأقدار فى طريق الأمة ●●



إنه من الطبيعى ، حين يقوم امرؤ بإنجاز عمل عظيم ( كطرد صلاح الدين الفرنجة من فلسطين وبلاد الشام ) ، أن نحسب ذلك بمثابة الهدف الذى وضعه دائما نصب عينيه . غير أن الواقع أن ما ينجزه الإنسان من أعمال ليس فى غالب الأحيان سوى جزء مما عقد العزم على إنجازه فى البداية . ولعله لم ينجح فى تحقق ما انجزه إلا لأنه وضع نصب عينيه هدفا أبعد منا لا مما أنجزه بكثير .

ولم يكن المخطط الأوسع لصلاح الدين إلا مخطط رجل يتصف بطموح لايعرف حدا ، أو ببساطة لاحد لها . وقد اتصف صلاح الدين بالأمرين معا . لكن طموحه نشأ عن بساطة خلقه وسداد نظره . فقد رأى بوضوح أن ضعف الجسم السياسى الإسلامى ، ( وهو الضعف الذى أفسح المجال لقيام الدويلات الصليبية واستمر فى إفساحه امام بقائها ) ، كان نتيجة للانحطاط فى الخلق السياسى . وعلى هذا الانحطاط ثار صلاح الدين . فلم يكن هناك



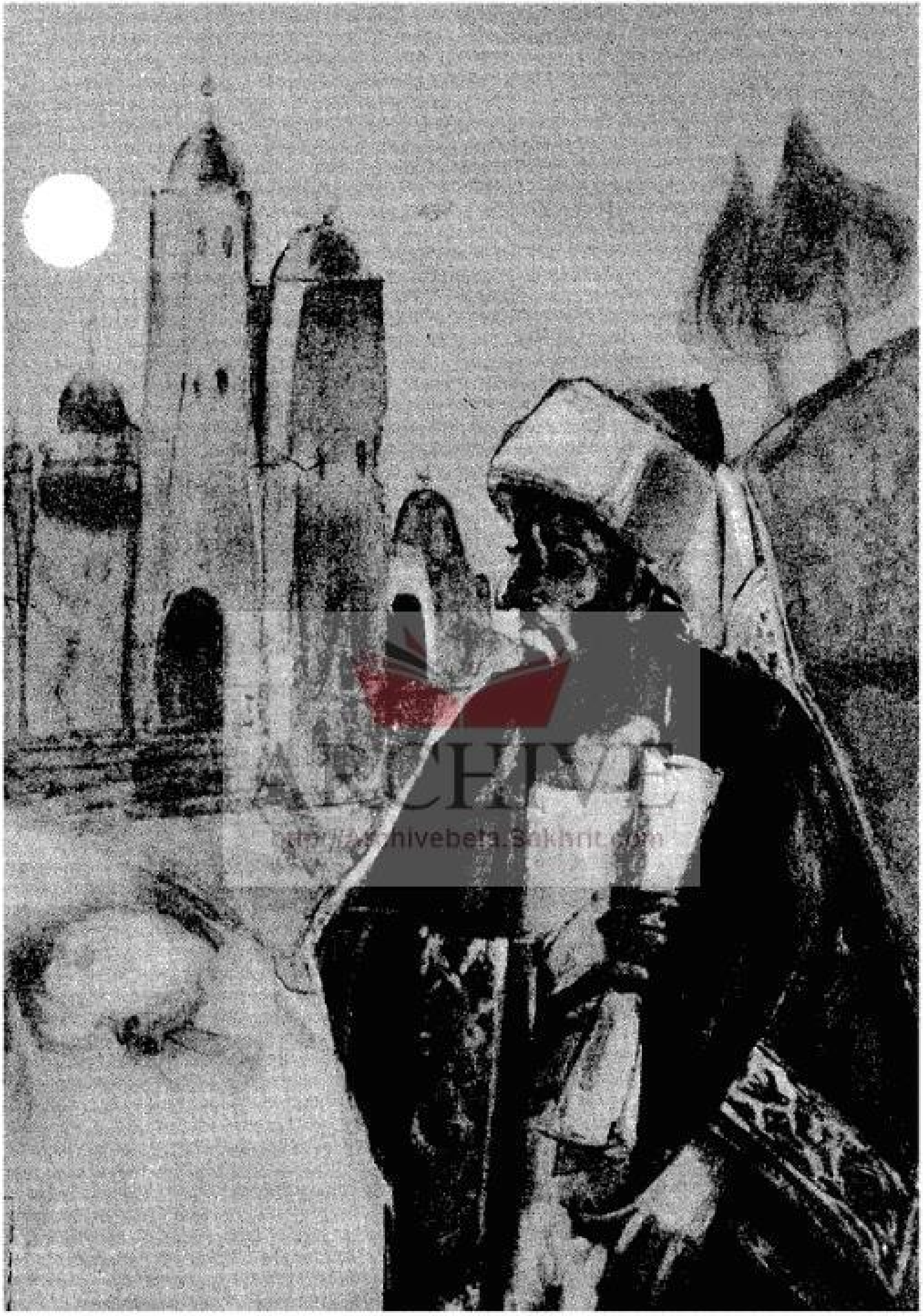
فى رأيه سوى طريق واحد لوضع حد له : وهو إحياء الكيان السياسى الاسلامى فى ظل دولة واحدة موحدة ، ليست تحت حكمه هو ، وإنما تحت إشراف الخلافة العباسية .

كان يدرك أن مشكلة العالم الإسلامى ليست سياسية فحسب ، بل هى أيضا ، وإلى حد كبير ، مشكلة أخلاقية ونفسية ، وأن التصدى لها على مجرد الصعيدين السياسى والعسكرى من شأنه أن يؤدى إلى الإخفاق فى حلها . فقد رأى أنه إن شاء الحصول على نتائج فعالة ، فمن اللازم أن يعزز الولاء السياسى بحوافز وروادع أخلاقية ونفسية . وكان إصراره على هذا الرأى مثيرا للحيرة والدهشة فى نفوس أصدقائه ومعاونيه .

كان ديدنه فى التعامل مع الأمراء والقواد ، سواء كانوا من الأصدقاء أم الأعداء ، هو الصدق فى قوله والوفاء المطلق به . حتى مع الصليبيين أنفسهم كانت الهدنة تعنى له هدنة ولايحوى سجله حالة واحدة نقض فيها العهد معهم . غير أنه كان عليه من أجل تحقيق هدفه ، أن يعزز إنجازاته وانتصاراته بخلق تيار خلقى ونفسى يعمل فى صالح الأمة جمعاء ، ويكون من القوة بحيث تتعذر معه مقاومته . وقد نجح فى هذا بفضل إلزام نفسه بمبادىء العدل والاخلاص والصدق وإنكار الذات . فهو وإن لم يكن حاكما مدربا ولا قائدا ملهما ، كان المصدر الذى ألهم كافة العناصر والقوى الساعية الى وحدة الاسلام فى وجه الغزاة ، والبؤرة التى اجتمعت هذه العناصر حولها . وقد تحقق له هذا الأمر بسبب القوة التى تجلت فى شجاعته وعزمه ، ونكرانه لذاته وتواضعه وكرمه ، وبساطته ونزاهته .

وقد أوقعت هذه الخلال فيه أعداءه من المسلمين ومن الصليبيين على السواء فى حيرة من أمره ، لأنهم توقعوا أن يجدوا الحوافز التى تحركه على غرار حوافزهم ، وتوسموا فيه أن يمارس اللعبة السياسية على طريقتهم .. كان بريئا كل البراءة ، ولا كان بالقادر حتى أن يفهم المكر عند الآخرين . وهو ضعف استغله أعداؤه بل وأفراد أسرته فى بعض الأحيان ، ثم إذا هم فى النهاية يصطدمون بصخرة إخلاصه الموطد العزم على خدمة مثله العليا ، وهو إخلاص لم يتهيأ لأحد أو لشىء أن يزعزعه أو ينتقص منه .

وكانت صفاته الخلقية هذه هى المسئولة عن أن صار صلاح الدين ، منذ زمنه وإلى يومنا هذا ، أحب وأقرب شخصية فى التاريخ الإسلامى إلى قلوب غير المسلمين . أما تشخيصه لداء بنى قومه ودينه ، وهو التشخيص الوحيد الذى كان جمهورهم أن يفيدوا منه ، فقد تناسوه ، وركزوا بدلا منه فى حديثهم عن الرجل ، على انتصاراته وإنجازاته العسكرية .



# ابن المقفع

## ٧٢٠ - ٧٥٦ م

●● كاتب عربي من أصل فارسي ، أحدث مايمكن اعتباره أهم نقلة في تاريخ اللغة والأدب العربيين في مضماري الأسلوب والمضمون ، وهي نقلة دعا إليها أمران : انتقال العرب من حياة البداوة إلى حضارة المدن ، ثم تغلغل غير العرب في مجال التأليف الأدبي ●●

لقد فشل الشعوبيون الذين ادعوا تفوق الشعوب غير العربية على الشعب العربي ، في الانتقاص من مكانة اللغة العربية ، واعترفوا بأن لغة القرآن قد صارت عند المسلمين ، أيا كانت لغتهم الأصلية ، جزءا لاينفصل عن حقيقة الإسلام .. غير انهم استنكروا أن تظل القواعد العربية تعتمد كلية على الاستعمال اللغوى عند عرب البادية ، لايسوق واضعوها في شواهدهم شاعرا محدثا فقط . وساءهم أن يعد البدو حجة لايعتروها الشك في جميع مسائل اللغة ، وأن يكون أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد الكتاب أو المثقفين أنه ينطق أو يكتب كما يتكلم البدوى . غير أن حياة الأمة ـ خاصة منذ بداية العصر العباسي ـ كانت بعيدة عن حياة البدو بعدا كبيرا ، وكان أصحاب النفوذ في تلك الدولة ، ومعظمهم من الفرس ، لايشعرون بالصلة النفسية الداخلية بحياة العرب وطبيعتهم وقيمهم الخلقية والفنية . وما كان بوسعهم أن ينطقوا كما ينطق البدو ، ولا أن يصبوا أفكارهم الحديثة الثرية العميقة في قوالب اللغة القديمة فكان لابد من تغيير جذرى في أساليب العربية ، وتطوير اللغة تطويرا يساير ما طرأ على حياة الأمة من تغيير ، ويسمح بالتعبير عن أفكار ومعان لم تخطر ببال العرب قبلهم .

وقد كان ابن المقفع هو الرائد في هذا المجال . طرح العربية القديمة جانبا ، وتبنى أسلوبا عربيا شفافا مبسطا يتكيف وفق الأغراض والمعاني . كما طرح الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة ، ومترادفاتها الخاصة بعالم الظواهر ، واتجه إلى التبسيط الموائم للهدف ، والتركيب النحوى الواضح ، وتجنب الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة ، وتصفيف الكلام ، وصيغ التعجب والاستغاثة ، والتداخل العسير الفهم ، وكل ما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين .

كان يرى أن تقليد القدماء حجر عثرة في طريق كل تطور في الأسلوب . فاختار لموضوعاته أسلوبا أنيقا رائقا ، وبيانا ناصعا شفافا لم يسبق إليهما ، وحرص على التخلص من الطابع الوحشي للعربية القديمة ، وأن يستبدل لغة سهلة منسكبة واضحة ، هي في استوائها وعذوبتها في متناول الأفهام .

وسرعان ما احتذيت لغة ابن المقفع ، واستخدمت في الأدب من قبل جل المثقفين والكتاب في العالم الإسلامي .

وإذ كانت ثقافة ابن المقفع مدينة فى أكثر معانيها للفرس ، وكان هو شديد التحيز لهم ، راغبا فى إحياء أمته بنشر آدابها وسياستها وتاريخها ، فقد كان أسبق من كتب العربية إلى تطعيم أدبها بالتأثيرات الأجنبية ، وتوسيع أغراضها ومعانيها ومفاهيمها . وقد ترجم إلى العربية كتبا كثيرة من اللغة الفارسية ، فكان بذلك أول دعاة الوحدة العقلية التى تنشأ عن التعاون والتضامن وتظاهر الأجيال والقرون بين أمم الشرق على اختلافها ، والتى حققته الثقافة الإسلامية بعده على أحسن وجه أيام كانت هذه الحضارة حية قوية مؤثرة فى حياة الأمم والشعوب .

أما عن روعة ترجماته فإنه يكفى القول بأنه لم يعرف لمتقدم ولا لمتأخر أن نقل إلى اللسان العربى شيئا فى الأدب والعلم لاتحس فيه أثر اللغة المنقول عنها إلا ابن المقفع . فترجماته آية فى البلاغة العربية التى توصف بالسهل الممتنع .

وأهم ماترجمه كتاب «كليلة ودمنة» ، الذى دخل وعى أفراد الشعب العربى وخالط تكوينهم الذهنى كما لم يدخله غير القرآن وكتاب ألف ليلة . فقد توالت طبعاته فى العالم العربى منذ بداية الطباعة فيه وإلى اليوم ، واتخذ فى كثير من الأقطار كتابا مدرسيا ، بحيث لا تجد فيها عالما أو متعلما إلا اطلع عليه ، وقرأه كله أو بعضه .

وقد ترجم «كليلة ودمنة» إلى أكثر من عشرين لغة ، أخذ معظمها عن الترجمة العربية لابن المقفع . وكان للكتاب بالأخص أثر عميق فى الأدب العربى ، إذ حذا الكثيرون حذوه ، سواء فى أسلوبه أو فى استخدام الرمز الذى يمكن به استنكار معايب الحياة السياسية والمظالم الاجتماعية فى العهود التى تغيب فيها حرية التعبير الصريح عن الرأى .

وقد أراد ابن المقفع نفسه تدارك عيوب النظم الاجتماعية والسياسية فى العصر العباسى عن طريق الدعوة إلى تطبيق الصالح من النظم الفارسية . وكان لفكره الأصيل فضل آخر ، فهو أول من أوضح من العرب أن نبل الأخلاق قد يأتى عن طريق الفكر والفلسفة كما عن طريق الدين . وفى رأيه أن رجال الخلق قد يكون خلقهم تدينا أو تفلسفا .

وكان يفخر بأن باعثه الخلقى فلسفى محض ، إن تمسك بالمكارم فلأن فى المكارم شرفا ورفعة ، ولو لم يأمر بها دين لكانت فى ذاتها مطلبا نبيلا . فهو رجل مدنى وعالم مدنى ، لا رجل دين ولا عالم دين . إن كتب فى الإيمان لم يورد مايشهر بإلمامه بتفاصيل دين بعينه ، وإن تعرض للأخلاق بررها تبريرا عقلانيا محضا ، وقل أن يستشهد فى دفاعه عنها بآية أو حديث .

وقد أعدم ابن المقفع فى عهد الخليفة المنصور ؛ قيل بتهمة الزندقة ، وقيل بسبب رسالة أرسلها إلى الخليفة وتعرف باسم «رسالة الصحابة» التى نقد فيها نظام الحكم وبين وجوه إصلاحه .

وكان وقت مقتله فى السادسة والثلاثين من العمر

---

فى العدد القادم : ابن خلدون ـ زرياب
حافظ الشيرازى ـ البخارى

# أدب أكتوبر

وصل الينا عدد من المقالات ردا على مقال د. الطاهر احمد مكي حول ادب اكتوبر ننشرها ، مع تعليق للدكتور مكي حول مقال الاستاذ احمد محمد عطيه .

# أدب الخنادق

## وفرة الابداع.. انصراف القراء.. كسل النقاد

بقلم : يوسف القعيد

●● كان اكتوبر ، مازال وسيظل شهر الانتصارات . ويبدو لي ان الفرح قد ضبط توقيت وصوله الى نصر هذا الوطن الجميل ، قليل البخت ، على ساعة اكتوبر ..

ولكن اكتوبر نفسه اصبح بالنسبة لي شهر السؤال ، واصبح اخيرا شهر الاكتشاف المتجدد الذى لا يدفع الى النفس سوى بالاحزان .

الانتصارات والاغتيال الذى جرى فى اكتوبر ايضا، من امور السياسة .. ولكن السؤال والاكتشاف من قضايا الادب واكتوبر ولهذا اكتب بالتحديد عن ادب اكتوبر . ى

● وقبل ان يجيء اكتوبر من كل عام ، وقبل ان تصلني مقدماته الخريفية ، التي احبها لحد العشق . فان السؤال كان يعلن عن مجيء اكتوبر . والسؤال تقول كلماته :

ــ أين ادب اكتوبر ..؟!

ولانني روائي ، ولانني كنت احد ابناء قوات مصر المسلحة ، خلال صدمة يونيو ٦٧ ، ويقظة اكتوبر ٧٣ كان لي دائما نصيب لا بأس به من هذه الاسئلة . والسؤال يشكل نصف الطريق الى الاجابة . ولكن التساؤلات كانت لا تحمل الاشارة الى الاجابات عليها ، وهكذا تاهت منى المسكة الى الاجابة المحفورة فى حبة القلب ..

أدب أكتوبر

# أدب الخنادق

لكن الذين يطرحون التساؤلات معهم بعض العذر . فالبحث عن ثرثرة يومية . والوقوف امام قضايا المناسبات هو الدافع لمثل هذا الكلام المقرر والمعاد . ثم ان من يسألون هم من ابناء العمل الصحفي . ونحن لم نعرف بعد المحرر المتخصص ولا الصحفي الذى يجهد نفسه فى التجول فى دروب موضوعه . علاوة على ان المهنة تعج الان بعدد كبير من الذين يمسكون بالاقلام لان مكتب التنسيق حملهم دون اى اختيار منهم الى كلية تخرج من يقولون عن انفسهم : « صحفيين » .

معهم اكثر من عذر ، فى زمانهم العداء للكلمة المكتوبة ، عليل تحضر ومخاصمة الفكر شكل من اشكال الشباب الدائم .

يبقى الاكتشاف ، والحقيقة انه ليس اكتشاف اكتوبر ١٩٨٨ ولكن اكتشاف كل اكتوبر منذ ١٩٧٣ وحتى الان ..

يكتب ناقد ادبى او استاذ جامعى يدرس الادب فى احدى جامعات مصر عن الموضوع الذى عمره الان خمسة عشر عاما . والعنوان فيه الكثير من الاغراءات : اين ادب اكتوبر ؟! متى نكتب ملحمة الحرب ؟!

وبدلا من البحث والتحرى والقراءة هناك الاحكام الجاهزة . والنقل المسبقة . واحد هذه الاحكام المغرية يقول : ان ادب اكتوبر لم يكتب بعد . وملحمة الحرب والانتصار لم يروها فم حتى الان .

انه الاستسهال الظريف . يكفى ان يكتب اى ناقد هذه الجملة ويبنى عليها مقالا طويلا وينشره . فوق المقال اسمه — وفى اخره اسمه مرة اخرى . وفى المرتين لقبه العلمى ووظائفه وتستم .

لكن هناك طريقا اخر ، الطريق الذى لم يعد احد قادرا عليه .. ان يدرس موضوعه وتكون لديه حقيقة تدفعه الى الكتابة . وان يكون لديه هدف مهم وقضية من وراء الكتابة .

خمسة عشر عاما مضت والمقالات تكتب فى البداية كنت افكر فى الرد . ولكنى كنت اقول لنفسى . ولماذا يحلم الانسان ان تكون الامور صحيحة هنا . النقد الادبى والمتابعة والقراءة جزء من الكل .. والكل نعرف بالتحديد ماذا جرى له على مدى السنوات التى تفصلنا عن اكتوبر ١٩٧٣ .

لكن فى اكتوبر الماضى نشرت الهلال مقالا للدكتور الطاهر احمد مكى عن حرب اكتوبر . وما ان قرات المقال حتى اكلتنى يداى . حزنت بدون حدود . ها هو واحد من الناس الجادين و الجيدين يقف فى طابور الاحكام المسبقة والحلول السهلة . ويدوس بقدمه على عرق وجهد من كتبوا عن اكتوبر . وكأنه يتمسح فى اصيل جميل .

لدى دليل اكيد انه لم يقرا شيئا من ادب اكتوبر . والدليل يخصنى فلى روايتان وعدد كبير من القصص القصيرة عن اكتوبر . وهناك سبب عام — اكثر اهمية من السبب الخاص — يتمثل فى كثير من الانتاج الادبى المنشور فعلا عن حرب اكتوبر .

دعونا من كل هذا ، الم يسمع الدكتور ان هناك سلسلة ادبية كاملة تصدر من هيئة الكتاب عنوانها « من ادب اكتوبر » ؟! وهذه السلسلة الم تكن اولى بقراءتها ودراستها بدلا من

هذه الاحكام . خاصة وان مبدعيها من القاتلين يقسمون شهادة ادب الخنادق والبنادق .

ان تناول القضية بصورة محترمة كان يقتضى قراءة ما كتب عن اكتوبر ثم متابعة ما كتب من دراسات نقدية عن هذا الادب . وهناك دراسة جيدة للناقد الادبى احمد محمد عطيه . لم يكتب غيرها حتى الان .. ثم يتابع ما استجد من انتاج ادبى ابداعى بعد هذه الدراسة الوحيدة عن ادب اكتوبر حتى يصل الى وقتنا الحاضر . ومن الدراسة يخرج بالاحكام .

لكن هذا هو الطريق الصعب . انه يتطلب ليالى من العمل والقراءة وهل يوجد الان من يوجد لديه استعداد ان يمنح اكثر من ليلة من العمل لكى يعد المادة المطلوبة لكتابة مقال ، او حتى كتاب كامل .

اقسم لو كان لدى اقل امل حقيقى فى ان يقرأ الدكتور مكى او غيره لنشرت فى اخر هذه الكلمات قائمة بأعمال كثيرة جيدة وممتازة عن اكتوبر .

ولكن الاكتشاف الذى يصل الى مشارف المأسى هو ان الصفوة او النخبة المثقفة لا تقرأ . من قبل كنا نتحدث عن القارىء العادى الذى لا يقرأ . لانه محاصر بالامية والاعلام وضيق ذات اليد واستحالة الانفراد بالنفس مع كتاب ولكننا الان على مشارف الزمان الذى لا يقرأ فيه من كنا نعتبرهم قراء بالاحتراف . اى قرأ لان جزءا من ادوارهم تتطلب بل تفترض هذه القراءة .

ولذلك لابد وان اعترف هنا بهذا الاعتراف التراجيدى ، انا لا اكتب الان لان هناك من سيقرأ ، لا يوجد اى وهم فى التواصل .



يوسف ادريس

المسألة ببساطة اننى اكتب لان الكتابة هى الخلاص الوحيد . اكتب لان البديل الوحيد للتوقف عن الكتابة هو الجنون .

اكتب على امل ان يأتى جيل بعد الجيل القادم قد يقرأ ما نكتبه الان . فانا لا اجرؤ على الحلم ان الغد ربما يكون افضل من اليوم . وعندما اقدر على الحلم اقول ربما كان بعد بعد الغد افضل من اليوم ..

ويا دكتور الطاهر احمد مكى متعك الله كثيرا بطريق الحلول السهلة والاحكام المسبقة . حقيقة لا ادرى من اين تأتيك هذه القدرة على الثقه فى نجوم الكتابة وما داموا يكتبوا عن اكتوبر . اذن لا ادب هناك ، لا اعرف من اين جاءك هذا الحكم الغريب ؟

لا اعرف كيف طاوعك قلمك وكتب حكما نهائيا فان من كتبوا عن اكتوبر انما هم من الكتاب المتوسطين وكتابتهم عن اكتوبر ليست افضل ما قدموا من نتاج ادبى .

لن اسألك ولكنى اسأل نفسى : ماذا جرى لك .. ؟!

يبدو ان المطلوب سؤال اخر هو ماذا جرى لنا . ؟! اقصد لنا جميعا نحن المصريين . وربما العرب .

أدب أكتوبر

# أستاذنا الكبير

بقلم: محمد السيد سالم

●● استاذنا الكبير د. الطاهر مكى هبط فجاة فى مقاله «حرب اكتوبر فى الادب العربى» الذى نشر فى هلال اكتوبر ٨٨ من منبر المعارضة السياسية بكل ما فيه من حوار ساخن متجدد الى اصقاع المعارك الادبية الراكدة منذ زمن بسبب انشغال الاساتذة النقاد فى المعارك السياسية ، وغياب اقلامهم عن الساحة الادبية ، وانعدام اهتماماتهم بكافة الاعمال الثقافية والتجارب الادبية .. لهذا مضى الدكتور فى مقاله فوق مناطق نائية من «ادب اكتوبر» ، واصبحت بمرور الزمن اثارا غير ماهوله بالقراء دون ان تتيحه مشاغله السياسية واهتماماته الحزبية معرفة ان تجارباجديدة وعديدة ظهرت من قلب معركة اكتوبر وباقلام نفس الرجال الذين خاضوا المعارك، واكتووا بنيرانها

ورغم ان د . الطاهر يعلن فى بداية مقاله ان ما حدث فى اكتوبر هو ظاهره تحتاج الى بحث متعمق ( ! ) ومناقشة مستوعبة ( ! ) فان سيادته – كما يبدو – لا يعلم ان ثمة سلسلة ادبية تصدر منذ سنوات عن الهيئة العامة للكتاب وتدعى ( ادب اكتوبر ) وانه صدر منها حتى الان تسعة اعداد تجمع بين الروايات والمجموعات القصصية ، ولو كنت اعلم ان سيادته سيتولى القيام بمهمة دراسة ادب اكتوبر باعتباره – كما يقول – جديرا بان يناقش وان يقال فيه ما هو حق وعدل ، لبادرت وسعيت اليه وانا احمل كل الاعداد التى صدرت عن هذه السلسلة كاضافة جديدة لمراجعة ، واستكمالا لدراسته ، حتى لا تصاب تجارب الادباء القاتلين من اسهمت قلمه بذلك الانصاف المهدر ، والعدل الضائع .. ولكن ماذا يهم كل ذلك مادام النقد عظيما والابداع بالمقابل عقيما او لا شىء الذى لا مفر من اظلام كل الطرق ، وهدم حتى الاثار .. ولكن يبدو ان نقادنا الكبار ومنهم د . الطاهر مكى لابد ان تنصب دراساتهم النقدية على اعمال الادباء


أحمد عبدالمعطى حجازى


صلاح عبدالصبور


يوسف جوهر

الكبار فحسب امثال صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى ونزار قبانى ، ولا ضير عند ذلك من اضافة اسماء كنجيب محفوظ ويوسف ادريس ويوسف جوهر رغم ان اقلامهم لم تغمس بعد فى حبر هذه التجارب ·

ويبدو ان الدكتور الطاهر مكى متأثر والى حد بعيد بحكاية ذلك الثعلب الذى فشل فى الوصول الى عناقيد العنب ، فاضطر ازاء ذلك ان يزعم بأن هذه العناقيد البعيدة من الدرجة الثانية ، وان ما تحمله من عنب اقل حلاوة من العنب الذى ذاقه وسوف يذوقه » اذ يغلب على هذه العناقيد الطابع الفج والملابح المرة ·· ولكن مادام الموقف كان جديرا بأن يناقش بلا خجل او تردد او خوف او تزويق او تعديل ، لكى تؤدى المناقشة الى نتائج صحيحة ، وان يقال فيها ما هو حق وعدل ، فقد كان يتوجب فى نفس الموقف على استاذنا الناقد ان يكون فى دراسته اكثر عمقا وشمولا ، واشد سعيا نحو الحق والعدل حتى لا يضل قلمه بين تخوم الاثار وبعيدا عن اوراق كثيرة لا يضمها ملف مراجعة ·



٣

## ● جهنم ●

دخل ابو حازم على بشر بن مروان فى قلق وحيرة ، فقال له : ما المخرج مما نحن فيه ؟!...

فقال له بشر : تنظر ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وماليس عندك فلا تأخذه إلا بحق ..

فقال ابوحازم : من يطيق هذا يا ابا بشر ..؟

فأجاب : من أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين

أخبار أدبية

# عفواً يادكتور مكى!!



د. الطاهر احمد مكى

بقلم: أحمد محمد عطيه

سررت عندما رأيت الاعلان عن موضوعات عدد اكتوبر ١٩٨٨ من مجلة « الهلال » المنشور بمجلة « المصور » فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٨٨ اذ وجدت به مقالا يحمل عنوان احد كتبي. وضاعف من سروري ماتضمنه الاعلان من اسم كاتب المقال . فهو استاذ جامعي كبير، ورئيس تحرير سابق لمجلة ثقافية شهرية ، وكاتب له عدة كتب اكاديمية وعامة غير ان سروري لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما تبدد لدى قراءتى للمقال ، فقد فوجئت بان هذا الاستاذ الكبير اعتمد فى مقالة على كتابى ، المنشور فى سلسلة شهرية مصرية مشهورة ولم يشر الباحث الكبير باية اشارة الى الكتاب .

● عنوان الكتاب هو « حرب أكتوبر فى الادب العربى الحديث » ، وقد نشر فى سلسلة « اقرأ » بالعدد رقم ( ٤٨٠ ) الصادر فى شهر اكتوبر ١٩٨٢ . والمقال عنوانه أيضا « حرب أكتوبر فى الادب العربى » . وجدير بالذكر انه خلاصة جهد ودراسة استغرقا عدة سنوات قضيتها فى جمع وانتقاء مصادر أدب اكتوبر المصرية والعربية .

وان هذا الكتاب لم يكن نتاج جهد سنوات فى جمع النصوص العربية ودراستها فحسب ، ولكنه جاء أيضا كنتيجة مجسدة لدراسة حرب أكتوبر العربية العظيمة على أرض المعارك بتنقلاتى وأسفارى فى الجبهتين المصرية والسورية ، وثمرة متابعة اعلامية دقيقة لكل ما نشر وأذيع عربيا واسرائيليا وعالميا .

وقد استهدفت بكتابى تأكيد الاهمية العربية لحرب اكتوبر ولادب أكتوبر العربى .

ثم جاء الاستاذ الكبير الدكتور الطاهر احمد مكى ، بمقاله المشار اليه ، لينقل من كتابى بعض محتوياته دون أى ذكر له . وقد تنوعت أساليب كاتب المقال من النقل والاقتباس الى اعادة التحرير والتضمين وانتزاع الكلمات والفقرات الواردة بالكتاب من سياقها ، محاولا اخفاء النقل ، الى نقل المقتطفات والاستشهادات من النصوص الادبية دون توثيق أو ذكر لبياناتها على النحو الذى يعرفه كل باحث .

. ولا أعرف كيف يمكن لمقال صغير ، كمقال الدكتور مكى ، أن يستوعب موضوعا كبيرا متشعبا ، مثل موضوع « حرب اكتوبر فى الادب العربى » ، الذى يتطلب قراءة المئات من الاعمال الادبية الصادرة على مدى الخمس عشرة سنة الماضية بالوطن العربى كله ، واقول « المئات » تحديدا وقصدا !؟ ولكنه الاستسهال ، اذ وجد كتابا جاهزا عن « حرب اكتوبر فى الادب العربى » .. فظن انه بانتقائه لبعض عباراته وأحكامه ومنطلقاته واعادته لصياغتها يمكن الاستغناء عن دراسة موضوع كبير وهام استغرق عدة سنوات من صاحبه فى القراءة والمتابعة والانتقاء والكتابة . بل انه لم يكلف نفسه مشقة القراءة الدقيقة المتأنية للكتاب الذى نقل منه معظم فقرات مقاله ! كما أن انتزاعه لكلماتى من سياقها أوقعه فى الكثير من الاحكام الجزافية المجحفة بمئات المبدعين بانكاره لصدور ابداعاتهم أو باصدار أحكامه العامة المتسرعة فى كلمات وجمل قصار .

ولعل أكبر دليل على أن الاستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكى لم يكلف نفسه عناء قراءة أو دراسة بخصوص أدب اكتوبر العربية ، فما أكثرها ، اذ انه اكتفى بذكر النصوص الواردة فى كتابى دون اضافة اية نصوص اخرى سواها !؟ مع ملاحظة ان كتابى نشر بعد مضى تسعة اعوام على حرب اكتوبر ( ١٩٨٢ ) أما هو فقد عمم أحكامه على الاعمال الصادرة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ولم يأت على ذكر أى عمل منها ، وذلك بالرغم من صدور مئات الاعمال الابداعية المصرية والعربية ، فى الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرحية ، بعد كتابتى لكتابى ، اذ لم أتناول فيه سوى الاعمال الادبية العربية الصادرة قبل سنة ١٩٨١ ( تاريخ اتمامى لمخطوطة الكتاب ) ، ولعل أشهر وأبرز تلك الاعمال ، الصادرة بعد صدور كتابى ، سلسلة « ادب اكتوبر » التى اصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى القاهرة .

ولكى اثبت وأؤكد ان الدكتور مكى

# عفواً يادكتور مكي!!

لم يقرأ ولم يرجع الى أى نص من النصوص التى استشهد بها فى مقاله وانه اكتفى بالنقل من كتابى بانتقاء بعض كلماته وعباراته وباعادة تحرير بعضها الاخر مع اجراء بعض الحذف والتعديل فى تركيبها وترتيبها ، لكى اثبت هذا فانى اطالبه اليوم بأن يأتى بالبيانات الخاصة بهذه النصوص ومصادرها ومراجعها وتاريخ نشرها؟! واذكر هنا ، على سبيل المثال ، قصة ابراهيم عبد المجيد « تعليقات من الحرب » التى استشهد بها الاستاذ الكبير واشاد بها نقلا عنى مستخدما ذات كلماتى وعباراتى ، فليقل لنا الدكتور اين قرأها واين نشرت ؟!

والان سأترك التعميم والجأ الى التخصيص ، لاوضح تفصيلا ما ذكرته من قبل اجمالا ، وذلك بذكر أمثلة محددة ومؤكدة لكل ما قلته بالمقارنة بين ما جاء فى كتابى وفى مقاله ، تاركا لكل ذى فطنة استخلاص الدلالات واطلاق الاحكام على هذا العمل الذى اقدم عليه أستاذ جامعى كبير يشرف على الدراسات العليا وعلى رسائل الماجستير والدكتوراه فى كليته ، وكاتب ودارس وباحث أصدر عددا كبيرا من الكتب والدراسات ؟!

وسأبدأ بذكر بعض الامثلة على قيامه بالنقل والاقتباس من كتابى ، بدءا من عنوان الكتاب : فعنوان المقال « حرب اكتوبر فى الادب العربى » ، وعنوان الكتاب « حرب اكتوبر فى الأدب العربى الحديث » . وفى مستهل مقاله كتب الأستاذ الكبير : لقد كانت حرب اكتوبر أعظم الحروب العربية الحديثة ، ومع ذلك ظل الأدب المعبر عنها فى أقل مستوى .. » ( مجلة الهلال ـ ص ٢٠ ) وكتبت فى كتابى : « ومع أن حرب اكتوبر هى اعظم الحروب العربية الحديثة تحقيقا لقدرات الانسان العربى فى اقتحام حصون العدوان وتحديه وقهره ، فان الادب المعبر عنها ظل اقل من مستوى .. » ( ص ٩٢ من الكتاب ) .

وكتب د . مكى أيضا : « ما كتبه توفيق الحكيم غداة اعلان الحرب فى مقاله « عبرنا الهزيمة » : « عبرنا الهزيمة الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك ( لاحظ التردد ) فان الامم الوثبة . نعم عبرنا فى الروح ثم طلب من الحكومة ان تهيىء له عملا يدويا يناسب سنه ، يشارك به فى معركة الشرف بدلا من صناعة الكلمة التى لا مكان لها فى ساحة القتال ، واعلن عجز الاديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الادب بانه كلام على ورق ! » ( مجلة الهلال ص ٢١ ، ٢٢ ) .

وجاء فى كتابى : « فتوفيق الحكيم لم يبدع رواية او مسرحية ولكنه اكتفى بمقالته الشهيرة « عبرنا الهزيمة » ، التى صارت مدخلا للكثير من الاناشيد واغنيات الحرب ، ورأى الحكيم فى العبور تأكيدا لأصالة شعبنا وعبورا للهزيمة التى بداخل نفوسنا ، قائلا : عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك فان الامم الوثبة .. نعم عبرنا الهزيمة فى الروح .. » ثم أعلن الحكيم عن عجز الأديب عن ابداع عمل بمستوى الحرب ، ووصف الأدب بأنه « كلام على ورق » ، وطلب من الدولة ان توفر له فرصة عمل يدوى فى صنع امدادات ومعلبات ) . ( الكتاب ص٧)

وقد اتبع الدكتور مكى فى هذه الفقرة اسلوب النقل والانتقاء والحذف من كلماتى وعباراتى ، ولكن الأعجب

من هذا أنه أضاف كلمتين من عنده الى كلام الحكيم ، لم يكتبهما الحكيم فى مقاله « عبرنا الهزيمة » ، هما : « يناسب سنه » ، وهما تتعارضان مع مغزى طلب الحكيم للعمل اليدوى لأنه رأى ان عمله فى الأدب مجرد كـلام على ورق ، ولكنه كان يريد المشاركة الفعلية فى المعركة بعمل يدوى .

وأضاف الدكتور مكى ، فى مقاله: « وحتى نزار قبانى ، والشعر الرائع فى مكنته دائما ، كتب مجموعة من المقالات ابان الحرب نفسها ، نشرها فى مجلتى الاسبوع العربى والبلاغ البيروتيتين ، يسير فيها على هـذا النهج . يقول فى مقـالـه « دعوة عـاجلة لاحتياطى الادب » « عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصـبح آلة الادب فى مرتبة ثانوية » ، ثم يتجاوز الحكيم فيقدم لمقولته توضيحا وتعليلا : ليس هذا انتقاصـا من منزلة الأدب بقدر ما هو محـاولة لتقييم الأشـياء بحسب مردودها فنتائجها المباشرة ان العمل الأدبى يحتـاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر بينما لا تحتـاج الرصاصة الا للمسة أصبع لتنطلق من ماسورتها ان عبور قناة السويس مثلا كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن ،وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى ، فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق أشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى » ( المجلة ص ٢٢ )

وكتبت فى كتابى : « بل ان شاعرا كبيرا كنزار قباني لم يكتب شعراً فى حرب اكتوبر ، بل كتب مقالات عبر فيها عن تضاؤل دور الكلمة أمام نعل الحرب ، ولكنه لم يقلل من شأن الكلمة بل دعا الادباء الى المشاركة فى الحرب بأقلامهم وأوراقهم ،فكتب مقالة بعنوان : « دعوة عاجلة لاحتـياطى الحرب » بمجلة « الاسبوع العربى » البيروتية قائلا :

« عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصـبح آلة الادب فى مرتبـة ثانوية ، وليس هذا انتقاصا من منزلة الأدب ، بقدر ما هو محاولة لتقييم الأشـياء بحسب مردودها فنتائجها المباشرة ، ان العمل الادبى بطبيعته يحتـاج الى حد أدنى من الصـبر والنضج والتخمر ، بينما لا تحتـاج الرصاصة الا للمسة أصبع لتنطلق من ماسورتها . ومن هنا يتضح ان منطق المدفع هو غير منطق القصيدة ان عبور قناة السويس مثلا ، كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن وهو فى الحروب المعاصرة يحسب بالثوانى فى حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق أشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطورى» ( الكتاب ص ٨ ) .

وجاء فى مقـال الدكتور مكى : « وتدع الشعر الى القصة ، وهى توأمه وقادرة على التقاط نبض اللحظة ، والتعبير عن حركة الحياة اليومية ، وقابليتها للنشر فى الصحف والمجلات والاذاعة ، الى جانب قالبها البسيط ومساحتها المحدودة ، يغرى الكثيرين بكتابتها ولو أن معظمهـم ينسى ان قصرها لا يعنى الحجم ، وانما يعنى قصر الزمن ، ومحدودية الشخوص ، وانها تجىء تعبيرا عن لحظة معينة أو موقف محدد ، وهى حقيقة غابت عن كثيـرين من كتابها الشـبان .. » ( المجلة ص ٢٧ و ٢٨ ) .

وكتبت ، فى كتابى : « ..ان القصة القصيرة تنفرد بحضورها وحيـويتها وحساسيتها ، لانها الفن الادبى القادر على التقاط نبض العصر والتعبير عن التطورات الجارية فى المجتمع . وهذا راجع الى قالبها المميز بالقصر الذى

## عفوا يا دكتور مكي!!

يسمح لها بالنشر السريع في الاجهزة الاعلامية والجماهيرية الواسعة الانتشار كالصحافة والاذاعة ، كما أن قصرها يكفل لها ايضا سرعة التلقي واتساع دائرة المتلقين ... ويغرى قالب القصة القصيرة البسيط في ظاهره ، الكثيرين بكتابتها ، لذلك يبرز من بينهم القليلون الذين يستوعبونها كفن حساس وقالب شعرى .. فليس المقصود بقصر القصة هو قصر حجمها فحسب ، بل قصر زمنها ومحدودية شخصياتها ايضا » .. ( الكتاب ص ٢٤ و ٢٥ ) .

وفي نقله وانتقائه لكلماتي عن قصيدتي الشاعر محمد مهران السيد: « اشواق كل ساعة » و « لغة الايام المنتصرة » ، نقل الدكتور مكي عنوان القصيدة الاولى خطأ فذكر انه « اشواق كل مساء » ، في حين ان صحته : « اشواق كل ساعة » ، كما كتبته في كتابي ( ص ٦٩ ) ، وفي ديوان مهران « ثرثرة لا اعتذر عنها » ( ص ١٢٢ ) ، كما اخطأ ايضا في نقل كلمة « المخلصة » وصحتها « المتخلصة » .. ومضى الاستاذ الكبير في تعليقه على القصيدتين قائلا : « وكان محمد مهران السيد نسيجا متميزا في قصيدته « اشواق كل مساء » من ديوان « ثرثرة لا اعتذر عنها » فهو يتجاوز اللحظة الى الغد ، ويستشرف المستقبل ، ويمزج بين الواقعي والمتخيل ، ويمسك بالامل حريصا ، وهو في « لغة الايام المنتصرة » من الديوان نفسه يبدو متفائلا ، واثقا في مصر ، رغم مرارات الهزيمة ، واحباطات القهر ، يتسربان الى الاعماق في لذاذة :!

ويعبر عن ذلك في بساطة وتواضع

حين رايت فتاتي لخر مرة
كانت تتألق اكثر من لمعان السيف
تمضي واثقة تحت غطاء الايام
المخلصة من الخوف
تضحك حينا
.. او تتحدث حينا في لغة منتصرة

( المجلة ص ٢٦ و ٢٧ ) .

وهذا هو ما كتبته عن القصيدتين في كتابي : « في قصيدتيه ، « اشواق كل ساعة » و « لغة الايام المنتصرة » يبدع الشاعر محمد مهران السيد رؤيته لحرب اكتوبر ، فيرتفع من الواقع الجديد ، الذي خلقته معارك الحرب ، ليحلق في سماء الحدس والفكر والتنبؤ والكشف الشعرى الجديد ، انطلاقا من معطيات حرب اكتوبر ، فيصوغها في صياغة جديدة تمزج بين الواقعي والمتخيل ، وتعبر عن الهموم والامال المختزنة في الضمير الجمعي لشعبنا وامتنا . فكشف الشاعر مهران السيد في قصيدته الاولى « اشواق كل ساعة » .. رؤيته لمصر الجديدة ، مصر اكتوبر ، وجمع في صوره الواقعية والمتخيلة افراحه واشواقه وتنبؤاته للمستقبل الجديد الذي تبدعه معارك الرجال وسيوف الشجعان التي تمضي العروس في حمايتها ، مصورا حرب اكتوبر كتحقيق لامالنا واشواقنا .. متمنيا دوامها حتى تتحقق كل الاشواق والطموحات .. وفي قصيدته الثانية « لغة الايام المنتصرة » ، يصور محمد مهران السيد رؤيته المتفائلة لمصر اكتوبر ، مصر المنتصرة ، حيث تعلو لغة الايام المنتصرة لتؤكد صدق نبوءة الشاعر بالثقة في قدرات مصر العربية ، شعبنا وامتنا ، برغم كل مرارات الهزيمة واحباطات القهر ... » ( الكتاب ص ٦٩ و ٧٠ و ٧١ ) .



توفيق الحكيم



نزار قباني

. وساكتفي بهذه الامثلة ، فما اكثرها الدالة على اساليب النقل والاقتباس والتحرير وانتزاع الكلمات والعبارات من سياقها في كتابي واعادة تضمينها في مقاله ، لانتقل الى نوع اخر من النقل اقترن فيه النقل باطلاق اراء واحكام مجحفة ومخطئة ، ولعل الغريب ان يصيب الخطأ في التعميم الاراء التي انفرد بها الكاتب !؟ كوضعه ، في مستهل مقاله ، للابداع الادبي العربي عن حرب اكتوبر بأنه «لاشيء» ؟ !؟ (المجلة ص ٢٠ ) .

ومع انه اعتمد في فقرات مقاله على المقتطفات والاستشهادات التي درستها في كتابي للقصائد الاخاذة البديعة التي ابدعها الشاعران الكبيران صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ، وهي : « رسالتان » للاول ، و « ثلاث اغنيات للوطن » و « اغنية لدمشق » للثاني . وقد ذكر الكاتب عناوين تلك القصائد فحسب ، الا انه هاجم الشاعر صلاح عبد الصبور بل وهاجم شعر اكتوبر كله مطلقا حكما معمما مجحفا بحق كل الشعراء ، زاعما بأن « الذين قالوا الشعر في حرب اكتوبر عموديا وحرا ، « اكثر من الهم على القلب » ويتفاوت ما قالوه بين التوسط والرداءة ولا اظن شيئا منه ثبت في ذاكرة احد » المجلة ص ٢٦ » واكد انه « مع حرب اكتوبر كانت ساحة الشعر خالية من الشعراء الكبار في مصر ، ودعت مصر اخرهم برحيل محمود حسن اسماعيل ، وبقي عدد محدود من رجال الشعر الحر ، يغنون لانفسهم ، ولمجموعة من « السميعة » حولهم .. » ( ص ٢٤ ـ مجلة الهلال ) وواصل الناقد الكبير اطلاق احكامه المجحفة ، الناتجة من كراهيته للشعر الحديث عامة ولصلاح عبد الصبور بوجه خاص ، بقوله : « وقد ظل اصحاب الشعر الحر يهاجمون الشعر العربي الاصيل بأنه شعر مناسبات ، وانهم يربأون بانفسهم ان يكونوا كذلك ، فلما واجهوا النصر اسقط في ايديهم ـ وبخاصة ان الكبار منهم كانوا موظفين في الدولة ولهم طموحاتهم الادارية ، مثل هذا الصمت يؤخذ عليهم ، فحاولوا ان يقولوا شعرا ساقطا ... » !؟ ( المجلة ص ٢٥ ) .

وعندما اراد الاستاذ الكبير الدكتور مكي ان يؤكد اهمية الشعر في المعارك والحروب انتقى ذات

أخبار أكتوبر

# عفوا يا دكتور مكي!!

كلماتي وضرب الامثلة بالشعراء الذين ذكرتهم في كتابي ، فكتب : « الشعر أول ما يتوقعه المرء من أدب المعركة • لأنه انفعال فوري ، ربالغ التكثيف ، وولد مع المعارك ، يحث عليها ، أو يعبر عما حدث فيها ، أو يتيه بانتصاراتها ، وله تقاليد راسخة في الادب العربي منذ حرب البسوس قبل الف ونصف الف من الاعوام ، ومرورا بالصراع بين الفرس والعرب قديما ، وبمدائح المتنبي لسيف الدولة في صراعه مع الدولة البيزنطية او أبي تمام في فتح عمورية •• » ( المجلة ص ٢٥ ) •

وجاء في كتابي : « فقد انضجت حرب البسوس العربية ، التي وقعت بين أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس بين قبيلتي بكر وتغلب واستمرت نحو اربعين سنة ، الشعر الجاهلي وحققت للقصيدة العربية صورتها الفنية المعروفة ، كما ظهرت في قصائد المهلهل بن ربيعة فارس تلك الحرب وشاعرها الاول ، وأبدعت حروب العرب في الجاهلية « أيام العرب » ، ذلك الادب النثري الذي نتج من وصف المعارك ورواية أحداثها ، وخلد أبو تمام فتح عمورية ، وصاحبت قصائد المتنبي حروب سيف الدولة بتصويرها بطولات الحروب ووقائع المعارك ، وتقديم النماذج البطولية التي حركت الناس ودفعتهم للمشاركة في تلك الحروب ، وشجعت سيف الدولة على المضي في طريق حروبه التحريرية ضد الروم » • ( الكتاب ص ٦ ) •

وعندما جاء دور الحديث عن الرواية وحرب اكتوبر ، اكتفى الدكتور مكي بنقل بعض ما جاء بمقدمتي عن رواية اسماعيل ولي الدين « أيام من أكتوبر » ، وانكر وجود روايات مصرية اخرى !؟• رغم ذكرى لهما وكتابتي عنهما واشادتي بها • وهي روايات مشهورة طبعت في عدة طبعات وتحول بعضها الى اعمال درامية في الاذاعة والتليفزيون والبعض الاخر منها في طريقه للسينما ، وأيضا هناك الكثير من الروايات المصرية الصادرة عن حرب اكتوبر بعد صدور كتابي ( سنة ١٩٨٢ ) • فكتب الباحث الكبير ، في مقاله : « وقد تأخرت الرواية وربما لم يحاولها أحد حتى اليوم ،مع انها النوع الادبي الاكبر اتساعا وتصور مجتمعا وجموعا ، وتستوعب ازمنة عديدة ، ماضية وحاضرة وقابلة ، وهي القادرة على تخليد نضال الشعوب بكل تفاصيله وتحتاج الى وقت أطول وتأمل اعمق وقدرة على الامساك ببؤرة الاحداث الاساسية • ومع ذلك ظلت ابعد الانواع الادبية عن حرب اكتوبر ولو ان بعض الكتاب العرب خارج مصر حاولها ، ولكن ما كتبوه تغلب الحماسة فيه على الفن » ( المجلة ص ٢٨ ) •

وكتبت ، في كتابي : « الرواية هي أكبر الفنون الادبية عمقا واتساعا ، لان معمارها الفني الكبير يشمل اساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية ويتعداها الى تصوير المجتمعات والجموع ، واستيعاب الازمنة والتنبؤ باتجاهات المستقبل والتعجيل بها • لهذا خلدت الرواية العالمية نضال الشعوب والجماعات والافراد في الحروب الكبرى وحروب التحرير الانسانية •• » ( الكتاب ص ٩٢ ) وأضفت : « •• فقد الأدب

التعبير الادبي والفني على ما يمكن تسميته بفنون اللحظة الحماسية من اللوحة التشكيلية الى اللوحة الادبية والقصة القصيرة والقصيدة الشعرية. اما الفنون المركبـــة ، كالرواية ، والمسرحية ، التي تتطلب الكثير من الوقت والفكر والفن لبنائها وتركيبها .. فانها ظلت بعيدة عن حرب اكتوبر ... » ( الكتاب ص ٩٣ ) .

وعندما جاء دور المسرح ، اكتفى الاستاذ الكبير بنقل عناوين ما ذكرته ودرسته من مسرحيات مصرية في الفصل المعنون بـ « حرب اكتوبر في المسرح المصرى » ، رغم وجود عشرات المسرحيات المصرية والعربية الصادرة قبل وبعد صدور كتابي ، فكتب د. مكى : « والاشياء القليلة التى كتبت فى المسرح ، وهى فيمـــا اعرف : مسرحية « عملية نوح » لعلى سالم ( ١٩٧٤ ) ، و « رســـول من قرية تميره للاستفهام عن مسالة الحرب والسلام » لمحمود دياب ( ١٩٧٥ ) و « العبور » لفؤاد دواره ( ١٩٧٦ ) » ( المجلة ص ٢٨ ) .

وجاء في كتابي : « الان ، وقد مرت ثمانية اعوام على انتهاء معارك حرب اكتوبر ، يحق لنا أن نتساءل ، اين مسرح اكتوبر ، وكيف انعكست حرب اكتوبر فى المسرح المصرى ؟. هذا ما تحاول هذه الدراسة أن تجيب عنـــه بمتابعتها لثلاثة نمـــاذج من مسرحيات اكتوبر فى المسرح المصرى، الذى تصدر الانتاج العربى ، كمـــا وكيفا فى التعبير عن حرب اكتوبر . المسرحيات الثـــلاث هى : « عملية نوح » لعلى سالم ( ١٩٧٤ ) ، « رسول من قرية تميرة للاستفهام عن مسالة الحرب والســـلام » لمحمـــود دياب ( ١٩٧٥ ) ، و « العبور » لفؤاد دواره ( ١٩٧٦ ) » ( الكتاب – ص ١٤٤ ) .

كمـــا أن انتزاع الدكتـــور مكى لكلماتى من سياقها اوقعه فى العديد من الاخطاء والآراء المجحفة ، كما فعل فى القصة القصيرة عندما نقل كلماتى عن مجموعة عبد الفتاح رزق « قصص الدم والرصاص » وعممها على القصة القصيرة كلها ، كما فعل من قبل فى نقله لمقدمة كلماتى عن رواية اسماعيل ولى الدين وعممهـا على الرواية ، وذلك بالرغم من ان القصة القصيرة كلهـــا تمثل أعظم إبداعات حرب اكتوبر الادبية مصريا وعربيا .. كمـــا اوضحت فى الفصل الخاص بالقصة القصيرة وحـــرب اكتوبر ، من كتابى ، فكتب الاستاذ الكبير : « لم يكتب نجيب محفوظ ولا يحيى حقى ولا يوسف ادريس ولا يوسف جوهر ، وهم اعمـــدة القصة الجديرون بالتقدير قصصا ابداعية عن حرب اكتوبر ، والـــذين عالجوا العبور فى هذا النوع الادبى كتاب من الدرجة الثانية ، وابداعهم فيهـا ادنى درجة مما كتبوه قبلها أو بعدها، فى غيرها ، اذ يغلب عليه اجمـــالا طـــابع الاستطلاع الصـــحفى ، أو الخطـــابة الحماسية ، ويغلب على تصوير الشخوص اللون الواحد ، فكل جنودنا شجعان ابطال لا يهابون الموت ، يقـــدمون على الحـــرب مبتهجين ، وليس فى حـــركتهم نبض انساني واقعى ، فلا تردد امام الخطر .. ولا حنين الى الاهل ، وكل جنود العدو جبناء وضعفاء ، ولو كان ذلك حقا لفقدت روعة العبور كل أسباب وجودها ، ونحن معها بازاء قصص يفتقد اسس الفن القصصى ، ويتسم بالسطحية المفرطة ، والمبـــاشرة الصارخة » ( المجلة ص ٢٨ ) .

وهذه هى كلمات كتابي : « وتبـــرز ملاحظتان حول قصص اكتوبر العربية القصيرة ، الاولى هى أن غالبيـــة الكتاب من الاجيال الاولى لم يكتبوا

أخبار الأدب

# عفواً يادكتور مكي!!

رؤيتهم القصصية لحرب اكتوبر والمنطلقة من وحيها ، والثانية ان الكثير من القصص القصيرة التي كتبت عن حرب اكتوبر ، ومعظمها لم نتعرض لها في هذه الدراسة ، تبدو قد وقعت تحت تأثير الانفعال والمواكبة السريعة ‥ » ( الكتاب ص ٥٨ ) وقلت ايضا : « هذه الأسس الفنية لفن القصة القصيرة ، تفتقدها في كثير من قصص اكتوبر العربية القصيرة ، لان الحماسة طغت عليها فاربكت فنية القصة القصيرة وحولتها الى تحقيقات صحفية تغص بالوصف السطحي الخارجي والعبارات الخطابية الصارخة وأسلوب التقارير المباشر . وتمثل كل هذا بأوضح صورة في مجموعة عبد الفتاح رزق « قصص الدم والرصاص » ‥ لان المجموعة كلها مكتوبة ، بقلم مراسل حربي يجرى التحقيق الصحفي حول وقائع العبور المعروفة للجميع ، والتي تنتظر الفنان والاديب لينفذ الى ما تحت السطح الخارجي للناس والاشياء ويتعمقها ويصور الحرب من خلال لحظات خاصة وشخصيات متميزة ، ولكن الحماسة والمباشرة تغلبتا على الفن فالكاتب كثيرا ما يتحدث حديثا مباشرا عن رحلته الى سيناء او يدير بعض الاحاديث الصحفية مع بعض الجنود المقاتلين . أو يسب العدو ويتهمه بالجبن ، فكل الجنود الاعداء جبناء وضعفاء ، وكل جنودنا ابطال وشجعان ، وهكذا بسذاجة شديدة ينقسم كل شيء الى أبيض وأسود . وكان جنودنا حرروا سيناء بدون مقاومة وفي رحلة عبور سهلة . فما ان يظهر جنودنا حتى يفر جنود العدو . هكذا رفع جنودنا علمنا بيساطة وسهولة كما يقرر عبدالفتاح رزق ‥ » ( الكتاب ص ٤٦ و ٤٧ ).

اما ما كتبه الدكتور الطاهر احمد مكي عن قصة ابراهيم عبد المجيد « تعليقات من الحرب » فهو : « ‥ القليل جدا ، من بين هذه القصص له اهمية فنية ، وربما كانت قصة ابراهيم عبد المجيد « تعليقات من الحرب » تمثل خير تمثيل هذا القليل الجيد ، فهو يلتزم البناء الفني بدقة ، ويقول ما يود دون خطابية او مباشرة ، مستخدما تيار الوعي بطبقاته المتعددة استخداما جيدا ، ومن استطاع ان يجمع في حياة شخصيتها بين رؤية النكسة ونتائجها واحداث العبور وروعتها » ( المجلة ص ٢٨ ) .

وكتبت في الكتاب : « القصة التالية ، من قصص حرب اكتوبر القصيرة ، كتبها ابراهيم عبد المجيد بعنوان « تعليقات من الحرب » ‥ وهي قصة تقول ما تريده دون خطابية او مباشرة ، وتعتمد على عدة اساليب فنية من المونولوج الداخلي الى تيار الوعي الى التعبير بالصور الى الحوار القصير والرمز . فتنتقل القصة مع بطلها من رؤية النكسة القاتمة وتداعياتها الى احداث العبور واعمال الفداء في حرب اكتوبر » ( الكتاب ص ٥٥ ) .

وبعد ، هذا قليل من كثير مما نقله الدكتور الطاهر أحمد مكي في مقاله « حرب اكتوبر في الادب العربي » من كلمات كتابي « حرب اكتوبر في الادب العربي الحديث » ، ومن عباراتي وارائي ومصادري ومراجعي الواردة في الكتاب . واللهم اني بلغت ، اللهم فاشهد . وعفوا يا دكتور مكي ؟!

تعقيب

# باختصار شديد :

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

**١ - ادع للكاتب قوله ان كتابة جهد سنوات فى جمع النصوص العربية ودراستها .. ونتيجة مجسدة لدراسة حرب اكتوبر على ارض المعارك بتنقلاته واسفاره فى الجبهتين المصرية والسورية وثمرة متابعة اعلامية دقيقة لكل ما نشر واذيع عربيا واسرائيليا وعالميا .**

ويلاحظ ان هذا الجهد لم يجد أحدا يقدره الا سلسلة « اقرأ » الشعبية ، وبعد عشر سنوات من انتهاء الحرب ، وحين هبط مستوى السلسلة الى الحضيض ، فلم يعد يقبل عليها أحد ، وأصبحت تباع فى المعرض بنصف ثمنها .

ظلم عظيم ، فى عصر لا يقدر عظماء الكتاب !

بالمناسبة : انت كنت تتابع ما ينشر عربيا باللغة العربية طبعا ، فهل كنت تعرف العبرية لتتابعه اسرائيليا ؟ . وماذا تعرف من اللغات الاجنبية لتتابعه عالميا .

مجرد ملاحظة !

٢ - يقول السيد احمد اننى نقلت النصوص التى استشهدت بها فى مقالى من كتابه اسمع يا مولانا :

● كلمة توفيق الحكيم ( وهى ليست مقالة وانما خاطرة ) نشرها فى الاهرام فى اليوم التالى للعبور ، وكنت يومها اعى واقرأ ، ونصها موجود فى كتاب « أدب الحرب » للدكتورة طلعت الرفاعى وحنا مينا ، والكتاب عندى فى مكتبتى ، يا من تابعت ما نشر عن الحرب متابعة اعلامية دقيقة عربيا واسرائيليا وعالميا وأنا لم اضف ، وانما علقت ، الا تفرق بين الاضافة والتعليق ؟ .

● النصوص الخاصة بنزار قبانى لا تمثل شيئا بسيطا للغاية مما تحت يدى ، لان الباحث عبد الرحمن

النصيرى يعد منذ سنوات رسالة ماجستير عن نزار قباني شاعرا سياسيا ، ولدينا كل ما كتبه نزار في مجلات : البلاغ والاسبوع العربي والحوادث والمستقبل ، وما لم نجده أرسل لنا الشاعر صورة ، مما يكون « ارشيفا » كاملا ، بالغ الاهمية ، ومعظم ما كتبه نزار عن الحرب نثرا أو شعرا لا يصلح للنشر ، ولو اقتباسا ، في مجلة لا أدير أنا سياستها ، ولا تستطيع ان تنشر انت منها حرفا بتوقيعك ، والا رفتوك من وظيفتك . هل تعرف شيئا عن قصائد : « مرسوم بإقالة خالد بن الوليد » ، و « اليوميات السرية لبهية المصرية » ، و ... وغيرها كثير !

● لست في حاجة لأن أنقل النصوص الخاصة بصلاح عبد الصبور أو مهران السيد من أي كتاب آخر ، لأن الديوانين عندي ، في مكتبتي ، مهدية بتوقيع الشاعرين .

وتوجد اشارة اليهما أيضا في كتاب « أثر أكتوبر في الشعر المصرى » ، للأستاذ ابراهيم سعفان وصدر عن الهيئة العامة للكتاب في اكتوبر ١٩٨٦ .

● الفقرات الخاصة بالصلة بين الشعر والقصة ، هي في كتابي « القصة القصيرة » تفصيلا ، وصدرت طبعته الاولى عام ١٩٧٧ ، وتصدر طبعته الخامسة بعد أيام ، وفيه حديث عن الفارق بين القصة والرواية وتطورهما .

٣ ــ يقول السيد احمد أنني نقلت عنه القولجان « الشعرله تقاليدراسخة منذ حرب البسوس » ، وهو يجهل ان لي كتابا عن « امرىء القيس » ، طبعته الخامسة في المكتبة ، وفيه الكثير مما يتصل بالشعر الجاهلي ، فلست بحاجة لأن أنقل عنه هذه المعلومة التي يدرسها تلاميذ المدارس الثانوية في السنة الاولى .

والشيء نفسه يمكن ان يقال عن طبيعة الشعر الغنائي فقد درستها في الفصل الخاص بطبيعة الابداع الشعرى وفوريته ، في كتاب الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل الى قراءته ، وطبعته الرابعة على وشك الصدور وبالمناسبة فيه فقرة عن شعر « ما تحت الارض » ، تتصل بالحرب ، وليس مكانها مجلة الهلال ، فلم اشر اليها .

٤ ــ قصة ابراهيم عبد المجيد التي يتحدى بها ، نصها تحت يدى ، لأن كتاب « القصة القصيرة : جيل السبعينيات » يتضمنها وسوف يصدر قريبا ، وسبق أن نشرها صاحبها في مجلة سورية .

وأخيرا يتحدث السيد احمد عن المصادر والمراجع ، والصفحة وتاريخ النشر ، ومكانه ، ويبدو انه لا يفرق بين المقال والبحث والدراسة ، ولا يعرف أن الاول منها يحمل رأيا ذاتيا ، في ظل مساحة محدودة ، وللقارىء معين ، وغاية تثقيفية بحتة .

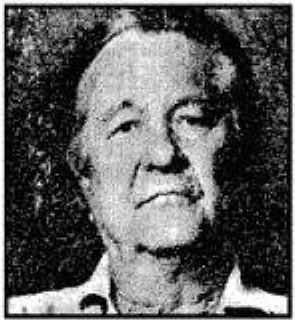
أما اختلافه معي في الرأى فهو حر بداهة ، وله أن يعتقد ما شاء .

وتبقى كلمة انها المرة الاولى التي يرد فيها اسم السيد / احمد عطية محمد في أذني ، ولو كنت اعرف ان له كتابا في موضوع المقال ، لبحثت عنه ، مهما تكن قيمته ، ولافدت منه ان كان فيه ما يفيد ، لان الحكمة ضالة المؤمن يلتمسها ان وجدها ، وأتمنى عليه شاكرا ومقدرا أن يدلني على أسماء مؤلفاته ، فسوف أسعى بنفسي للحصول عليها .

وشيئا من التواضع يا مولانا !

# العالم في سطور

## واشنطن



ويليام ستايرون

### ● عندما يكون الرئيس مفكرا ●

أثار الحديث الذى أجرته احدى المجلات مع الكاتب الامريكى ويليام ستايرون جدلا شديدا حيث راح يتحدث ـ كعادته فى الفترة الاخيرة ـ عن السياسة والسياسيين . وبمناسبة انتخابات الرئاسة الامريكية قال ستايرون : « يجب أن يكون رئيس الدولة جادا فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية لبلده . والا يتجاهل التعرض لها . وقد حدث هذا طوال سنوات حكم ريجان . لذا يجب اعادة التدخل لاعادة توزيع الثروات الهائلة التى نمتلكها » .

وردا على سؤال حول مدى امكانية أن يكون الرئيس مفكرا ، رد : « مثل ميتران . لا اعتقد هذا كثيرا . فدوكاكيس ليس مفكرا . وكذلك بوش . ولكن يجب أن يكون ذا علاقة بالثقافة والفكر ، ورؤية النظر الانسانية ليصبح رئيسا عملاقا . مثلما حدث مع توماس جيفرسون ومنذ أن مات لم نر رئيسا مثله . فقد كان الفكر فى وجدانه بمثابة فضيلة واجبة للرئيس » .

ويقول ستايرون أن الانتخابات الاخيرة اكدت ان اكثر المفكرين اللامعين فى امريكا لم يفكروا أبدا فى التقدم للترشيح لمنصب الرئيس . لانهم يرون أن السياسة ليست سوى ديكور خارجى . وأنها بمثابة غابة ، وعالم من المؤامرات والتملق . ولا تصنع أبدا من أجل الجنتلمان .

وعن علاقته بالسياسة اكد ستايرون أنه يحبها ، اما اغلب الكتاب الامريكيين فانهم لا يبالون بها كثيرا مثلما يحدث فى فرنسا . مما يفسر أن الكتاب الامريكيين قد تخلوا عن فكرة حماية أنفسهم وعلى سبيل المثال موقفهم لثمانى سنوات من حرب نيكاراجوا الصغيرة .

ومن المعروف أن ويليام ستايرون قد أصبح شخصية أمريكية شعبية فى السنوات الاخيرة عقب نجاح روايته « اختيار صوفى » المنشورة عام ١٩٧٩ .. وهو حول معسكرات التعذيب النازية . ومن أشهر أقواله ان الثقافة الامريكية يهودية بشكل أو بآخر ..

العالم فى سطور

## شيكاغو

● ماذا بعد حنا .. ك ●

« يد الشيطان اليمنى » .
عنوان أحدث افلام المخرج المعروف كوستاجافراس . وهو فيلمه الاول بعد توقف عن الاخراج استمر ست سنوات عقب فيلمه « حنا .. ك » .
اختار جافراس الا يبتعد كثيرا عن الموضوعات السياسية الساخنة التى دأب على اخراجها . من خلال يهودى امريكى يعيش على هامش المجتمع ، ولكنه يعكس صراعا سياسيا حول مدى ما تشكله النازية الجديدة من خطورة على المجتمع الامريكى والاوربى والمعاصر ..

فجارى سيمونز ( يجسد الدور توم برنجر ) مزارع أرمل يعيش مع ولديه الصغيرين الى أن تدخل حياته امرأة من المباحث الفيدرالية تدعى كاثى ويفر ( جسدت الدور ديبراونجر ) والتى تردد دائما « و اشعر انني قذرة » . وذلك من خلال طبيعتها الوظيفية التى علمتها ان تحتك بالزنوج واليهود والمشبوهين . فيرد عليها جارى : « لا تهتمى . فسوف تعتادين » . هناك عملية عليها ان تشارك فيها ضد ما اسماه الفيلم بحكومة الاحتلال الصهيونى وسط عمليات عديدة مشبوهة حول تجارة الاسلحة . ومعسكرات الاعتقال . ويقول جافراس حول بطله جارى انه ليس متوحشا ولا مصابا بالفصام . ولكنه يحلم بسمات انسانية معينة . وبلغة اجتماعية . وكانه زميل ( لوبان ) .

من المعروف أن لوبان ـ المرشح السابق لرئاسة الجمهورية الفرنسية ـ قد وضع فى برنامجه الانتخابى طرد العرب من فرنسا .. اما جافراس فقد قام بتمويل بعض الافلام التى يخرجها عرب فى فرنسا مثل « الشاى فى حريم ارشميدس » و « الانسة منى » لمهدى شرف .





يد الشيطان اليمنى

## باريس

● القانون الخاص لنجيب محفوظ ●

« حكايات حارتنا » ..
اول كتاب لنجيب محفوظ تم نشره الى اللغة الفرنسية عقب حصوله على جائزة نوبل . فبينما كانت اكاديمية

ستوكهولم تعلن اسم الكاتب العربي كصاحب جائزتها لهذا العام · فان مطابع دار سندباد بباريس كانت تقوم بالرتوش الاخيرة لاعداد الكتاب وتجهيزه للعرض ·

وقد جاء في جريدة ليبراسيون ان « سندباد » لم تكن بالدار الفرنسية الوحيدة التي عكفت على نشر اعمال نجيب محفوظ · فهناك دار نشر لاتيس وبورين · وقد ترجم محفوظ لاول مرة عام ١٩٦٩ من خلال روايته « زقاق المدق » · ومع ذلك فان القارئ الفرنسي لم ينتبه الى اهميته لدرجة أن احد مقدمي البرامج الثقافية في التلفاز الفرنسي قد سأل احد النقاد عن نجيب محفوظ يوم حصوله على الجائزة فقال له : كل ما اعرفه عنه لا يزيد عن معرفتك به ··

وقد أشارت الجريدة ان مكانة نجيب محفوظ في الادب العربي تشابه مكانة مارسيل باثيول في الادب الفرنسي الحديث · وباثيول هو صاحب كل من « طوباز » و « فاني » وهي اعمال وجدت طريقها الى الاقتباس في المسرح والسينما بمصر · لكن باثيول لم يكتب الرواية قط · وكانت شخصياته من التسطيح ما جعل مقارنتها بعالم نجيب محفوظ أمرا محالا ··

يقول فيليب جارونيل ان نصوص مجموعة « حكايات حارتنا » تكشف للقارئ مسألة الوعي بالشر · والنماذج البشرية السلبية التي تعيش على هامش المجتمع · وقد تميز بأن الكاتب يصنع لهذه النماذج قانونه الخاص ··




## نيويورك

● مؤامرة سقراط ضد الديمقراطية ●

سقراط التاريخي شخص مميز شأنه في ذلك شأن شخص المسيح ·
فهو قد خرج من الدنيا مثل المسيح دون ان يترك كتابات تدل على تعاليمه · وباستثناء « اريستوفان » مؤلف مسرحيات الملهاة فلا أحدٌ من معاصريه وصف ما كان يعمل ويقول الا اثنان احدهما افلاطون الذي كان يكرس معظم وقته لا لشيء سوى نفسه وما تفكر ·

# العالم في سطور

اما الاخر « فاكسنفون » الذى لم يكن الفيلسوف « برتراند راسل » يكن لطاقاته الفكرية من التقدير الشيء الكثير .

ومع ذلك ، فما اكثر الذى كتب عن سقراط ، وعن ارائه الفلسفية ، وعن محاكمته بتهمة الافساد التى انتهت بخروجه من الدنيا منتحرا بالسم .

وهاهوذا كتاب أخير « محاكمة سقراط » للصحفى الامريكى الشهير « ا٠ ف٠ ستون » يقول فيه ان سقراط كان يمقت الديموقراطية وحرية القول وانه من فرط مقته لهما قد خطط لموته حتى يشوه سمعتهما فى نظر المواطنين الاثينيين .

فجوهر تعاليم « سقراط » ـ حسب ادلة « ستون » ـ هو العداء لفكرة الحكم بواسطة الجماهير أو الدهماء .

فسقراط وفق مفاهيم السياسة فى أيامه لم يكن من المنتمين الى القلة المستأثرة ( الاوليجاركية ) ولا الى المؤمنين بالديموقراطية .

وانما كان يصيخ السمع الى صوت القديم متمثلا فى الدعوة الى اعادة احياء الحكم الملكى أو حكم الشخص العالم ببواطن الامور .

وعلى مر سنين كثيرة ، كان ينظر الى افكار سقراط باعتبارها مادة مناسبة للتندر بالشعر .

غير انه خلال سنة ٤١١ قبل الميلاد، ومرة أخرى بعد ذلك بسبع سنوات ، اطيح بالديموقراطية فى اثينا بواسطة عناصر منشقة تآمرت مع العدو اللدود فى اسبرطة .



برتراند راسل

وبسقراط ، ولئن لم يكن أحد دعاة الاطاحة بالديموقراطية ، الا ان نفرا من تلامذته قد تورط فى المؤامرة .

وهكذا بدأت افكاره تبدو للمناصرين للديموقراطية اقل هزلا . وأكثر خطرا.

وعند « ستون » ان تلك الخلفية هى التى وراء احالة سقراط الى المحاكمة. فهو فى نظر صاحب الكتاب لم يحاكم ويدان عن تعاليمه الفلسفية واللاهوتية، وانما عن تعاليمه السياسية .

وهنا يزعم « ستون » ان « سقراط » لو اراد البراءة لتحقق له ذلك فيما لو استند فى دفاعه الى الحريات المدنية التى تخوله حق قول ما يشاء.

وهذا ما امتنع سقراط عن فعله ، وذلك لانه لو لم يتصرف على هذا الوجه ، لما كان ثمة مناص من ان يستند للنجاة بالحياة الى نفس المبادىء التى كان يحمل لها مقتا شديدا .

والظاهر انه كان فى أشد احتياج للخروج من الدنيا بالسم ، مثلما كان المسيح محتاجا للخروج منها بالصلب ، وذلك حتى تنتهى الرسالة الى غايتها ، وهى الذيوع والانتشار.

الكتب الشرقية أكثر انتشارا فى الغرب

# ليون الأفريقى

بقلم : د. سيزا قاسم

اود ان اسـجل بعض الانطباعات التى تركتها فى نفسى قراءة رواية تحقق الان نجاحا جماهيريا كبيرا فى فرنسـا ، وهى رواية ليون الافريقى ، او كما يقولون JEUNE AFRIQUE اريد ان اشكر الصـديق الذى اعـارنى اياها ، ووضعنى فى اطار (( قرائى )) ومزاجى هيأنى لاستمتع بقراءتها استمتاعا عميقا ، وذلك عنـدما قال لى : (( يمكن قراءة هذه الرواية على عدة مستويات فى ان واحد مستوى المغامرات ، مستوى طرافة الشخصيات وما تأتى به من نوادر ، مستوى الاحداث التاريخية ، مستوى التقاء الحضارات وتفاعلها )) . والحقيقـة تقال ، فلم يتح لى منـذ زمن بعيد ان استغرق فى قراءة رواية مثلمـا استغرقت فى قراءة هذه الرواية ، فهى من النـوع الذى لايستطيع القارىء ان يضعها جانبا قبل ان ينتهى منها ، ويشـعر انه يريد المزيد .

● والغريب ان صـاحب هـذا « البست سـيللر » ، امين معـلوف ، الذى يكـتب بالفرنسية ، لبنانى يعيش فى باريس منذ سنة ١٩٧٦ ، يعمل فى الصحافة، وقد شغل لفترة من الزمن رئاسـة تحرير مجلة افريقيا الفتاة ، JEUNE AFRIQUER وامين معلوف يهتم بصـفة خاصة بالعلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، فله مؤلف صدر عن دار لاتيس سنة ١٩٨٣ وترجم الى عدد من اللغات بعنوان الحروب الصليبية من منظور العرب يعتمد فيه على عدد من المراجع العربية ـ بطبيعة الحال يوحنا ليون دى مديتشى الذى ظهره الاثير ، وابن جبير ، وابن القلنيسى ،

# ليون الأفريقي

وابن الاثير ، بالاضافة الى المراجع « الافرنجية » و غني عن الذكر ان تناول مثل هذه الفترة يضع الحضارتين الغربية والعربية وجها لوجه بكل دوافعهما ومحركاتهما ، بكل مصالحهما وصياغة قيمهما • غير ان كتاب الحروب الصليبية كتاب تاريخي بالمعنى الضيق للكلمة ، اى انه يوثق كل حادثة ويرجعها الى المصادر التاريخية المسجلة ، اما كتاب LEon AFRicain فرواية اى ان الكاتب يطلق خياله فى نسج الاحداث والشخصيات رغم الاعتماد على هيكل تاريخى معروف وموثق •

اختار امين معلوف بطلا لروايته شخصية عربية تاريخية مشهورة هى الحسن بن محمد الوزان الزياتى الغرناطى الفاسى • ولد الحسن سنة ١٤٨٥ م بغرناطة وتوفى سنة ١٥٥٤ م بفاس والحسن من الشخصيات المثيرة فى تاريخ الاسلام ، والمسيحية على السواء ، فيقول عن نفسه :

« انا حسن بن محمد الوزان ، حلاق وعمده بابا • يسموننى الافريقى ولكنى لست من افريقيا ولا اوروبا ولا الجزيرة العربية • يسموننى الغرناطى والفاسى والزياتى ولكنى لست اتيا من بلد او مدينة او قبيلة انا ابن السبيل، وطنى هو القافلة وحياتى من اغرب الرحلات ••• عرف رسغى ملمس الحرير وخشونة الصوف ، ذهب الامراء وقيود العبودية • كشفت اصابعى الف ستر ، واخجلت شفتاى الف عذراء ، ورات عيناى احتضار المدن وانهيار الممالك ستسمع من فمى العربية والتركية والقشطالية والبربرية والعبرية واللاتينية والايطالية حيث امتلك كل اللغات واعتنق كل الصلوات، ولكنى لا انتمى الى اى منها • انا ملك الله والارض واليهما اعود فى يوم من الايام »

من بيتها مؤلفات ابن الجوزى ، وابن

## ● بين التاريخ والتخيل

ومن الواضح ان اختيار مثل هذه الحقبة التى تضع حضارتين وجهـا لوجه بكل دوافعهما وقيمهما ، وعلى مختلف المستويات كان احد اسباب نجاح الرواية • وقد اتاحت الرواية للكاتب حرية ان يجمع بين التاريخ والتخيل • فالاسد الافريقى شخصية من تلك الشخصيات « الجسور » التى تربط بين الحضارات • وكيف يمكن الربط بين الساحات الجغرافية والحضارية المختلفة الا من خلال شخصية ترحل — وتقيم — وتتنقل من مكان الى اخر حاملة معها اللقاح مثل الطيور المهاجرة ؟ هذا ما فطن اليه امين معلوف ، ووظفه فى روايته التى قسمها الى كتب مستقلة حمل كل منها اسم مدينة :

١ — كتاب غرناطة (٥ — ١٢ — ١٤٨٨م ١ — ١٠ — ١٤٩٤ م )

٢ — كتاب فاس ( ٢ — ١٠ — ١٤٩٤م ٨ — ٣ — ١٥١٣ م )

٣ — كتاب القاهرة (٩ — ٣ — ١٥١٣م ٢ — ١ — ١٥١٩ )

٤ — كتاب روما (٣ — ١ — ١٥١٩م ٢٦ — ٩ — ١٥٧٢ م )

المكان بطبيعته ساكن لا يتحرك الا من خلال انتقال البشر ، ولا يتغير الا بفعل الزمن والزمن فى هذه الرواية زمن تاريخى وليس زمنا « طبيعيا » اذ ان التغير الذى اجتاح المكان كان تغيرا جذريا حول وجه المنطقة والتاريخ : سقوط الاندلس ونشوء دولة الملوك الكاثوليك بصعود فرديناند وايزابللا، انشقاق الكنيسة البروتستنتية وصعود



امين معلوف

نجم شارل الخامس كارلوس كينتوس تفتت المغرب العربي ، قيام العثمانيين

يعيش الحسن هذه الفترة شاهدا ومشاركا : ففي كل بلد يدخله ينجرف في مسار الاحداث ، ويوضع في بوتقة القدر الذى يعقد مصائر الممالك والافراد ويحلها : فكان الحسن هناك عندما سقطت غرناطة فنزح مع النازحين ، وكان هناك عندما شنق طومان باى ، وكان هناك عندما سقطت روما واقتحمت جيوش شارل الخامس اسوار قلعة سانت - انج مقر البابوية ويمكن أن نقسم حياة الحسن الى قسمين : القسم الشرقى والقسم الغربى . عاش الحسن السنوات الاولى من طفولته وشبابه متنقلا بين الاندلس ، والمغرب العربى ، ومصر وتركيا ، ثم بعد ان اختطفه بعض القراصنة الايطاليين واهدوه للبابا جان ليون دى ميديتشى وعاش فى بلاط البابا حتى استطاع ان يعود الى دار الاسلام ، الى دينه والى جذوره .

يصعب أن اتابع مع القارىء الاحداث المثيرة التى تكون نسيج هذه الرواية الشيقة ولكن الذى اثر فى اكثر من أى شىء اخر هو الموازاة التى يعقدها الكاتب بين الحضارتين الشرقية والغربية . يقدم امين معلوف العالم العربى الاسلامى فى العصور الوسيطة تقديما يبرز روح المرونة والسلام الاجتماعى ، فكان المسيحيون واليهود والمسلمون يعيشون فى وئام وتصالح قبل سقوط غرناطة واجتياح حملاتمحاكم التفتيش المجتمع الاندلسى ونزح كثير من اليهود مع النازحين الى المغرب هربا من البطش والتنكيل . وقد نجح الكاتب فى نقل هذه القيم من خلال علاقات الشخصيات بعضها بالبعض الاخر . هذا الى جانب تقديم المرأة العربية لا على انها جارية او غانية مستسلمة لمصيرها ولكن انسان يساهم فى تشكيل مسار حياتها وحياة مجتمعها . لا يحاول امين معلوف ان يقدم صورة وردية للمجتمع العربى فى العصور الوسيطة ، فحياة البشر فى هذه الحقبة كانت قاسية يتعرضون لكثير من الاهوال الطبيعية ( الامراض والاوبئة مثل الجذام والطاعون ) والسياسية ( السجن والتنكيل وبطش الحاكم واستغلال العمال ) والاجتماعية ( ففى مثل هذه الفترات الانتقالية تسود الفوضى ويستشرى الفساد ، اكثر من غيرها ، ويعم تعرض الفرد للنهب والسرقة والاغتيال ) . وكذا يفعل امين معلوف بالنسبة للمجتمع الاوروبى فى الفترة نفسها ، وهو يفسح دائما المجال للمقارنة ( هارون الرشيد والبابا جان ليون دى مديتشى ) . فالتشابهات والاختلافات من شانها ان توضح الصورة اكثر مما يوضحها غيرها من اساليب العرض .

وختاما احاول الرد على سؤال طرحته مجلة اليوم السابع معلقة على نجاح الرواية الجديدة لامين معلوف

اللبناني سمرقند التى باعت نحو ٢٠٠ الف نسخة حتى الان مع انه لم يمض على نزولها الى الاسواق اكثر من ثلاثة اشهر ، بالاضافة الى نجاح روايتين آخريين هما الليلة المقدسة للطاهر بن جلون المغربى ومن طرف اميرة ميتة لكنيزه مراد التركية . تقول اليوم السابع :

« لماذا فى هذا الزمن تكثر فيه العنصرية ضد كل ما هو عربى ومسلم يقبل القراء الفرنسيون ـ وليس قراء النخبة وحدهم بالطبع على قراءة كتب شرقية عربية واسلامية من هذا النوع ؟

ان السؤال وجيه والاجابة ليست ميسرة ، ولا نستطيع ان نصدق ان الجمهور الفرنسى اصبح متعاطفا مع العرب وعاشقا لهم ، ثم ان الصورة التى تنبعث من هذه الروايات لا تطابق صورة الشرق السحرية الحالمة الشبقية التى كانت تنبعث من روايات الشرق باقلام كتاب فرنسيين فى القرن التاسع عشر ؟ بالنسبة لامين معلوف قد يفسر اقبال القراء على رواياته مجموعة من الاسباب ومن بينها انه قاص عبقرى يستحوذ على وجدان القارىء استحواذا مطلقا ويجيد كتابة الفرنسية اجادة فنية فائقة ، وانه بحسه الفنى عرف كيف يستثمر التراث العربى الاسلامى ويختار من كنوزه ما يصلح لتوصيل الرسالة التى يؤمن بها ، وقد يكون سبب آخر هو احياء ملكة التخييل التى جف معينها فى الادب الغربى ، فلقيت آداب امريكا الجنوبية فى ترجماتها الى الانجليزية والفرنسية ، والهنود او الباكستانيون الذين يكتبون بالانجليزية ، او الاستراليون ، كل هذه الروايات اقبل عليها ، بشغف وحمية ، جمهور القراء الواسع فى جميع انحاء العالم الغربى . وقد يكون من دواعى ازالة عوائق الرفض لكل ما هو عربى او اسلامى ان الجمهور العريض فى الغرب سئم ابتزاز الصهيونية العالمية مشاعرهم بعد ان رأى تحول هذا الابتزاز الى غلظة سافرة وتعلت اجرامى متبجح . اننى لا ادعى ان الغرب قد تحول من معاداة العرب الى حبهم ومساندة قضيتهم ، ولكن ما ازعمه هو ان التمييز العنصرى يفعل اليوم ضد اسرائيل ايضا مثلما يفعل ضد العرب والمسلمين ، حيث ان هذه الموجة فى الغرب تنصب ايضا على الصهيونية ( وان كان اى تعصب ضدها لابد وان يلجأ الى « التقية » خوفا من زوابع الاتهام بمعاداة السامية وما تجلبه من عواقب وخيمة)

ومن ثم فان هذه الموجه الخفية تعمل عملها فى الاعماق وقد تظهر فى شكل هذا الاقبال لاحبا فى على ولكن كرها فى معاوية ! كما يبدو لى ان الجمهور فقد الثقة فى اللغة التى يسمونها فى فرنسا « اللغة الخشبية » اى لغة رجال السياسة « وبدأوا يبحثون عن الحقيقة بأنفسهم : لاشك ان هذا الطريق طويل ولن يؤتى ثماره الا بعد حين ولكننا رأينا بعض انعكاساته فى رد الفعل العالمى تجاه الانتفاضة فى الارض المحتلة ارجو الا تشع من كتابتى هذه نبرة فرحة او فخر من مجرد ان بعض الكتابات العربية قد حققت هذا النجاح فى الغرب فما حقق منها نجاحا يستحقه عن جدارة بل ان بعض الاعمال التى ترجمت لم تلق حقها من النجاح لكثير من العوامل التى لا تحابى العرب او ظروف التوزيع وصعوبات الانتشار فى الخضم الهائل من المنشور يوميا .

# العالم غدا

## ● الطفل المصرى عام ٢٠٠٠

اصدر الرئيس حسنى مبارك قرارا بانشاء المجلس القومى للامومة والطفولة برئاسة رئيس الوزراء وعضوية الوزراء المختصين ورئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة وثلاث من الشخصيات العامة ·وحدد القرار ان المجلس هو السلطة العليا التى تتولى اقتراح السياسة العامة التى يسير عليها ، ووضع خطة قومية للطفولة والامومة فى اطار الخطة العامة للدولة بالاضافة الى متابعة وتقويم التطبيق ..

هذا كما اصدر الرئيس وثيقة اعلان حول اعتبار السنوات العشر القادمة ( ١٩٨٩ ـ ١٩٩٩ ) عقدا لرعاية الطفل المصرى وحمايته تدعم خلالها المبادرات الرامية الى اعطاء مزيد من الاولوية ، لمشروعات الطفولة ، ووضعت الوثيقة اهدافا محددة يجب الالتزام بتنفيذها حتى عام ٢٠٠٠ هى :

ـ تنمية الوعى لدى المجتمع المصرى بوجوب استخدام وسائل العصر فى مجالات حماية صحة الطفل ورعايته ·

ـ القضاء على الاصابات بمرض شلل الاطفال وعلى الوفيات الناجمة عن مرض التيتانوس بين المواليد قبل عام ١٩٩٤ ·

ـ خفض نسبة الوفيات بين الاطفال الرضع لاقل من خمسين فى كل الف رضيع ·

ـ توفير اكبر قدر ممكن من الرعاية الصحية للامهات بهدف خفض معدلات وفيات الامهات بسبب الانجاب ·

ـ كفالة التعليم الاساسى للاطفال واعطاء الطفل نصيبا عادلا من الثقافة وتوفير المساحات الرياضية واماكن ممارسة الهوايات التى تنمى الابداع ، وتوفير قدر مناسب من الرعاية الاجتماعية والصحية والنفسية للاطفال المعوقين ·

وقد شكلت للمجلس القومى للامومة والطفولة لجنة فنية استشارية برئاسة السيدة قرينة الرئيس ، التى اشارت خلال الاجتماع الاول للمجلس الى اعداد مشروع اتفاقية لحقوق الطفل مع منظمة اليونسيف ، واكدت على ان الجديد فى مناقشة قضايا الطفل هو معالجتها بمنهج تكاملى بعيدا عن التناولات الجزئية ·

## ● برنامج للاقمار الصناعية

اطلقت اسرائيل بنجاح اول قمر صناعى لها « افق ـ ٩ » الذى يبلغ وزنه ١٥٦ كجم ويحلق على مدار منخفض ( ٢٥٠ ـ ٣٢٠ كم ) ويتم دورة حول الارض كل ٩٠ دقيقة ..

ووفق تصريحات المسئولين الاسرائيليين يعد هذا القمر خطوة

## العالم غدا

اولى فى برنامج متكامل لاطلاق سلسلة من الاقمار الصناعية يجرى وفق خطة تنفذ بالتعاون مع وكالة الفضاء الامريكية ( ناسا ) ووكالة الفضاء الاوروبية .

وتسعى اسرائيل الى الوصول فى اطار هذا البرنامج الى اطلاق اقمار لما يسمى المدار الثابت ( ٣٦٠٠٠ كم ) خلال سنوات ..

ومما يلفت النظر ان اسرائيل صنعت واطلقت قمرها بنفسها وهى تشكل فى ذلك حالة خاصة بين الدول التى قدرت على هذا الانجاز مثل الدول الخمس الكبرى ( الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، وفرنسا ، والصين وبريطانيا ) اضافة الى اليابان بقاعدتها التقنية الهائلة ، والهند بقاعدتها السكانية الضخمة .. وقد عوضت اسرائيل ضيق ذات اليد بالمعونات الامريكية السخية وضيق القاعدة السكانية بقطفات متواصلة من خلاصة كوادر ( ولا نقول سكان ) البلدان المتمدنة ناهيك عن التعاون مع وكالتى الفضاء الامريكية والاوروبية

وينبغى النظر لهذه السلسلة من الاقمار الصناعية الاسرائيلية فى اطار برامج التسلح المتنوعة التى تضطلع بها اسرائيل وفى اطار استراتيجية اليد الطولى التى تسعى الى تكريسها فى المنطقة ..

وجدير بالذكر ان المدار المنخفض الذى أطلق اليه « افق ـ ١ » يستخدم عادة فى الاستطلاع العسكرى ذلك انه يتيح تمييزا افضل للاهداف الارضية بواسطة اجهزة التصوير المحمولة عليه والتى ترسل بصورها الى الارض مباشرة .. ويمسح القمر الاسرائيلى من مداره الحالى كل الاراضى العربية من المحيط الى الخليج اكثر من مرة يوميا .

---

### على هامش الالعاب الاولمبية

---

على هامش الدورة الاولمبية نظمت كوريا الجنوبية مجموعة من الانشطة المرتبطة بمختلف جوانب الحياة . وقبل الدورة بأيام عقد فى سول مؤتمر حول نبات الجنسن أو الجنشن وهو نبات يرجع الاهتمام به ، بالاضافة لـ « القدرات الخارقة » التى تنسب اليه ، الى حاجته لبيئة خاصة ، من الظل والرطوبة والصحبة الشجرية ينمو فيها الأمر الذى يجعل نموه محصورا فى مناطق خاصة مثل كوريا والصين و ؟؟..

والثابت ان الجنس يحث نشاط وحيوية الانسان ، من الناحيتين البدنية والذهنية ، الامر الذى جعله «اكسيرا» يوصف للناس فى الفترات الحرجة التى يمرون بها فى حياتهم . وهكذا فقد شاع منذ زمن طويل استخدام خلاصاته وتحضيرها بطرق مختلفة ، سواء بالتخمير او باستخدام الكحول او السكر ..

لكن الاشاعات التى ربطت هذا النبات بحث القدرات الجنسية ( اسمه مشتق من الجنس ) ، التى تعتمد على حقيقة تكامل اداء الجسد البشرى

حتى ان ما يرفع حالته عامة لابد وان يدعم وظائفه المختلفة .. ساعدت على فتح الباب أمام المغامرات التجارية التصنيعية والتسويقية التى تروج للنبات ..

وهنا تكمن اهمية عقد مؤتمر علمى حول هذا النبات الاسطورة . والثابت أن له تأثيرات مفيدة فى الظروف غير الاعتيادية التى يواجهها الانسان ( الاقدام على اجراء جراحة اومواجهة اعباء مهمة محددة ليستحسن نشاط الانسان المعتاد ) وانه تسرى عليه المقولة الشهيرة « ما يزيد عن حده ينقلب الى ضده » .

وجدير بالذكر أن الثورة كانت مجالا لترويج كثير من النباتات والاعشاب المفيدة والمنشطة ، حيث حوت القرية الاولمبية متجرا للعطارة يبيع انواعها المختلفة ، كما كان هناك عيادة للعلاج بالابر الصينية ، وهو علاج منتشر فى كوريا ( يدرس فى ٧ جامعات ، وهناك ٢٥٠٠ طبيب متخصص فيه ) وشهدت هذه العيادة اقبالا كبيراً من رياضى الدورة ، على اختلاف جنسياتهم .

● مهماز لاختبار الخيل

من الامور الطريفة فى مجال اختبار تناول العقاقير ان الخضوع له يسرى على الخيول التى يستخدمها لاعبو الفروسية وان اتمام الاختبار يتطلب اخذ عينة من البول .. وقد يتحول اجراء روتينى مثل هذا ، وفى ظروف خاصة من التوتر النفسى والعضلى الى مشكلة ..

فعلى سبيل المثال اختير فولفمانج فونكيل لاعب خط الدفاع بمنتخب المانيا الغربية لكرة القدم ، بعد مباراة فريقه ضد البرازيل فى الدور قبل النهائى للبطولة ، لاخذ عينة بوله لتحليلها والتأكد من عدم تناوله مواد منشطة . ومكث فونكيل ثلاث ساعات داخل معمل التحليل . ولم يفلح فى الوفاء بالعينة المطلوبة الا بعد تناول عشرة اكواب من البيرة ..

واذا كان الامر على هذا النحو مع لاعب مدرك فما بالنا بالخيول .. المهم ان الاطباء البيطريين توصلوا الى طريقة يجرى بها تنشيط الجهاز البولى للخيول تتلخص فى سماع الحصان شريط كاسث مسجلا عليه أصوات بعض الصفافير .. وحين استخدمت هذه الطريقة مع الحصان « هسوريال فلورى » الخاص بالفارسة الفرنسية دومينيل ديسمين والذى وقع عليه الاختيار لاخذ عينه من بوله لم يتطلب الامر الا ثوان معدودة وكان لدى الاطباء العينة التى يحتاجونها .

● جهاز يقرأ الكتب

شهدت الاسواق اخيرا جهازا لا يتجاوز حجمه علبة السجائر بمقدوره أن يقرأ بصوت مسموع أى نص يجرى تمريره أمام عدسته .
والجهاز عبارة عن مركب لاصوات الحروف ، مثل ذلك الذى شاع استخدامه فى الاجهزة الكمبيوترية اخيراً ، ويعتمد على نفس نظرية عملها . ولهذا لا تتجاوز امكانياته حتى الان قراءة الحروف الطباعية . لعدم نمطيةالنصوص الخطية ..
والجهاز متخصص حتى الآن فى قراءة النصوص المكتوبة باللغة

## العالم غدا

الانجليزية وان حوت خطط صناعيه مشروعات لانتاج نماذج منه تقرأ النصوص المكتوبة باللغات الاخرى .

ويمكن للجهاز قراءة النصوص المختلفة بواحد من اصوات خمسة ( لرجلين وامراتين وطفل ) حسب اختيار المستخدم .

وعلى الرغم من حداثة ظهور الجهاز الا ان اجيالا ( تتمتع بامكانات مختلفة ) منه اخذة فى الظهور بعضها قادر على اعادة قراءة اجزاء من النص حسب الطلب ، وبعضها قادر على تقسيم قراءة النص بين اكثر من صوت ، و ...

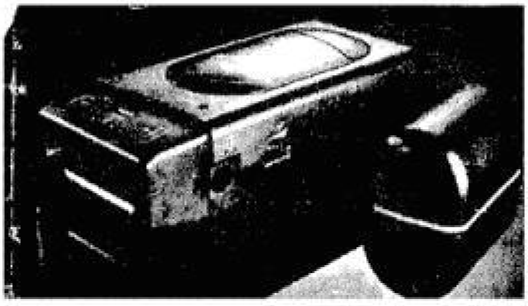
والجهاز على هذا النحو يشكل ثورة حقيقية فى طرق اطلاع المكفوفين ( سواء قورن بالحروف البارزة او الشرائط المسجلة نافيك طبعا من القارىء البشرى ) لكن ليس هناك ما يمنع سليمي الابصار من الاستعانة به لتخفيف العبء على عيونهم او حتى للاستفادة بامكانات قرائية اوسع كقراءة مسرحية باصوات مختلفة لشخصياتها .. ذلك بالاضافة الى قيمته الهائلة بالنسبة لسبل تعلم اللغات ذاتها ..

لكن شيوع استخدام مثل هذا الجهاز مازال رهنا بانخفاض سعره حتى يصبح فى متناول قطاعات اعرض من الناس .

### ● اول منظم للقلب

فى ولايه نيوجرسى زرع فريق من الجراحين اول منظم لضربات القلب متكون من غرفتين يعمل بالطاقة النووية فى صدر مريض عمره ٥٧ سنة وصرح رئيس الفريق ان هذا المنظم سيظل قادرا على العمل طوال ٤٠ سنة وانه يمثل خطوة الى الامام مقارنة بالمنظم الذى يتكون من غرفة واحدة حيث لا تتجاوز فترة صلاحيته ١٦ سنة ..

المعروف ان الاستعانة بالطاقة النووية كقوة محركة لادارة القلب الصناعى او بعض الاجزاء المرتبطة ترجع الى الستينيات وكان قد صرف النظر عنها بعد تقرير اللجنة التى شكلت لدراسة الجوانب التشريعية والاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية التى تحيط بمثل هذا الاستخدام .. وكان التقرير قد حذر من المخاطر التى يصعب التنبؤ بها ، وطرح تساؤلات من قبيل : « ماذا يحدث اذا اصيب حامل مثل هذا القلب فى حادث ؟ » ، وذلك بالاضافة الى مخاطر اصابة الجسم بالاشعاع ومخاطر الاخرين له



يبلغ ثمن « بلمار - ن » المنظم الجديد الذى تمت زراعته للمريض ٦٠٠٠ دولار ، غير تكاليف عملية الزرع داخل الجسم طبعا .

## ● الباز يتحدث عن الفضاء

فى مناظرة علمية جرت عبر الاقمار الصناعية بين د . فاروق الباز عالم الفضاء المصرى . رئيس مركز الاستشعار عن بعد بجامعة بوسطن ، وبين عدد من المهتمين بالعلوم فى مصر والسعودية والجزائر والمغرب اكد العالم المصرى ان دول العالم الثالث تأخرت فى اعداد خرائط التنمية التى تمكنها من الاستفادة من ابحاث الفضاء وتكنولوجيته .

واكد د . الباز ان تكنولوجيا الاستشعار عن بعد كانت العامل الرئيسى فى الكشف عن وجود مياه جوفية فى الصحراء الغربية مما مكن من استخدام ٣٢ بئرا تكفى مياهها لاستزراع ٢٠٠ الف فدان لمدة قرنين .

هذا كما صورت الاقمار الصناعية بنفس التكنولوجيا مراكب الشمس الجديدة المدفونة خلف الهرم الاكبر على تحمل ٦ اقدام والتى يبلغ عمرها ٤٠٦٠ سنة .

وقال ان عدد رواد الفضاء سيشهد طفرة كبيرة خلال السنوات القادمة بعد ان وقف عند ٢٠٠ رائد ( من ٢٠ دولة بينهم ١١ سيدة ) وذلك لان مكوك الفضاء الذى يستخدم حاليا سيتطور فى القريب الى اوتوبيس يحمل عددا اكبر من الركاب ، ولان محطات الفضاء المدارية التى تدخل العالم عصر صناعتها ونشرها بالفعل ستسهل من عمليات السفر والاقامة ..

## ● مستوطنة على القمر

فى برنامج تليفزيونى اعلن د . الباز مدير مركز الاستشعار من بعد فى جامعة « بوسطن » الامريكية بأن هناك تفكيرا وتخطيطا للعودة الى القمر لبناء مستوطنة يعيش فيها بشر، يستمدون احتياجاتهم من الاوكسجين والهيدروجين والماء من صخور القمر.

★ حذر فيرنون هول مساعد المراقب العام للصحة الامريكية من ان غاز الرادون المشع ، الذى يؤكد الخبراء انه احد نواتج اجهزة التكييف، يتسبب فى عشرين الف حالة وفاة سنويا من بين ١٤٠ الف حالة تتوفى بسبب سرطان الرئة .. وينصح الخبراء بتحسين دورة الهواء عن طريق ابقاء الابواب والنوافذ مفتوحة، واستخدام مراوح لتغيير الهواء .. بدلا من التكييف .

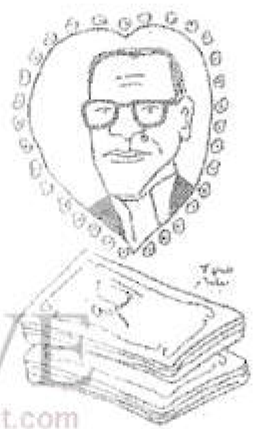
★ طرح فى اسواق الولايات المتحدة نوع جديد من السجائر يتميز بقدر اقل من الدخان ، مقارنة بالسجائر التقليدية ، كما انه لايتخلف عنها رماد .. السجائر الجديدة لن يتم الحكم على صلاحيتها الا بعد ستة اشهر على الاقل ..

★ ستؤدى موجات الجفاف التى تعرض لها العالم الصيف الماضى الى نقص فى انتاج الحبوب ( القمح والارز والذرة .. ) والمتوقع ان يصل هذا الانتاج الى ٣٥٢٠ مليون طن بعجز يزيد على ٢٥٠ مليون طن عن استهلاك العالم من الحبوب .وسيؤثر ذلك على احتياطى الحبوب فى العالم. وقد صرح ليستربراون رئيس معهد الرقابة العالمية ان موجة اخرى من الجفاف فى العام القادم ستؤدى الى تدهور شديد فى امدادات الغذاء .

# أنت .. و الهلال

● إلى نجيب محفوظ ●

رفعت لواءنا .. وبنيت مجدا
فعش للفن يا « محفوظ » فردا
جعلت لمصرنا ذكرا يدوى
تردده الدنا بدءا وعودا
وانزلت العروبة فى « الثريا »
وقبلا ما الا الباغون هدا
بيانك كان للفصحى بيانا
وزاد سراجها فى الكون وقدا
أراد عداتنا « للضاد » جزرا
فجئت بـ « نوبل » للضاد مدا
عطاؤك لم يحط يوما بمن
فكان جزاؤه الميمون خلدا
أردت القول يا « محفوظ » سبلا
يعبر عن مديح ـ ليس يهدا
ولكنى وجدت القول اوهى
واضعف أن يرى للفوز ندا
فعشت «نجيب» للفصحى نصيرا
وزدت ـ وزدتنا ـ شرفا ومجدا



احمد قاسم احمد
قنا ـ شارع على بن ابى طالب



● شكوى ●

● وجاءتنا من الاستاذ أحمد قاسم أحمد الكلمة التالية :
« كان ثمن نسخة « الهلال » خمسين قرشا ثم صار ستين ، والآن أصبح ثمنها خمسة وسبعين قرشا واشتريناها وسنشتريها ما دام فى الاجل بقية ، ونقول : رفقا بأرباب المعاشات المدمنين شراء الهلال .. اجعلوالهم اشتراكا سنويا مخفضا يسدد على اقساط » ..
ونقول للأستاذ الفاضل أحمد قاسم : انظر مقالة «عزيزى القارىء»

## ● اسم بقراط ●

● اختلفت مع بعض زملائى حول اسم الطبيب القديم ابو قراط ، هل هو « بقراط » أم « ابو قراط » .. فما اسمه بالضبط ، وهل لـه اصل لغوى ؟!

حسن على وهبة الله
اسيوط

ـهذا الاسم يكتبه بعضهم « بقراط » وبعضـهم الآخر يكتبه « أبو قراط » وأصله الاغريقى « هيبوكرات» والباء هنا ثقيلة كما ينطقها الاوربيون ومشددة . وهو أشهر الاطباء القدماء .. عاش فى القـرن الخامس قبل الميلاد . وبعض كتاباته مترجمة الى العربية من قديم ..

## ● خطاب من شهيد عراقى ●

عـبق خطـابك بالامـل ... عـطر تـائق فاكتمـل
رقـت عـلى افيـائه ... صـور النضـارة والحلل
رفـت عـلى افنـائه ... زمـر الحمـائم والحجل
هـذا خطـابك قـد اتى ... كالمـزن ابـرق فانهمل
فيـه المعـانى قـد بدت ... دراً ترقرق اذ هطـل
تخطـو منغمـة بـه ... اشـواقه ، وبهـا القبـل
نصـر يشـب كانـه ... نـار عـلى راس الجبـل
يـا ايهـا الشعب الابى ... وايهـا الجيـش البطـل
قـد كنت نجمـا قـد تـآزر بالفخـار ولـم تزل
فى « الفـاو » قلت وكـان دابـك فى المواقـع أن تقـل
« وطـن » العـروبة ما تغـاضى قط عنـك وما غفـل
« وطـن » تبـاهى ان يكن ... منـه الشـهيد من الاول
منـه التحـايا سافرات ... ومنـك امجـاد تطـل

محمد على الخوربى
صنعاء ـ اليمن الشمالى

## ● الشعر التنفيلى واغراضه ●

● نراكم تحملون على الشعر التفعيلى ، فهل تطلبون من الشعراء أن يكفوا عن كتابته ، ولماذا اذن لم يطلب النقاد القدماء من الشعراء فى عصرهم أن يكفوا عن نظم التواشيح وهى نوع من الشـعر التفعيلى ؟:

عبد الله عبد الصمد أبو خشب
الاسكندرية ـ الابراهمية

# أنت.. و الهلال

● تعليق

ـــ لا نطلب من الشعراء أن يكفوا عن نظم الشعر التفعيلي ،ولكن نطلب الاحتفاظ ايضا بالشعر الموزون المقفى كما احتفظ به الوشاحون القدماء الذين لم يحاربوا الشعر لكي يخلو الميدان للتواشيح فقط .. ان الشعراء التفعيليين الآن فريقان .. أحدهما يجهل الاوزان والتفاعيل، والثاني يعرف الاوزان والتفاعيل ، ولكن الفريقين يلتقيان في العداوة الشديدة الحمقاء للشعر العربي الموزون المقفى ، وكأنهم فرقة جديدة من المبشرين الاجانب الذين تنادوا قديما بهدم اللغة العربية وآدابها !..

● عودة طابا ●



طفلة تصرخ ..
والقلب الأمومي عليها يتشظى
بعد صبر كغمام النار طار
أحرق البحر ، أذاب الصخر في ركض يدوي :
ها أنا .. أين عدوي ؟
فاتقاه الوهم مخذولا وولى
ساحبا ملهاه إلا أحرف الشك بأنقاض الجدار
وأمام الطفلة .. الأم ، وناس من ربوع الأرض جاءوا
درسوا الدم ولون العين والروح ومالوا
فأزالوا حاجز الشك بعيني القرار !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

● مقلب غير برىء ●

● اندهشت وأنا اقرأ « الهلال » ـ بأن لى قصة « ساذجة » منشورة بعنوان ـ الحربة الطائشة ، ومنسوبة لى وعنوان ســـوهاج « بلدى » . والحقيقة أن دهشتى زالت ، لما أحسست بأن هذا قد يكون « مقلبا » ، أو تعبيرا عن « أحاسيس » دفينة ظهرت فى لحظات تأكيد نجـــاحات تضاف الى .

فالحقيقة : باختصار شديد ، اننى لم أرسل للهلال قط - على الاقل فى الخمس سنوات الماضية ، ناهيك ان لدى اثباتا بسيطا وسهلا يدحض هذا الافتراء ، اذ أرسل لك قصة من قصصى لتتأكد على الاقل بأننى لست بهذه السذاجة ، التى يحاول البعض تشويه صورتى ٠

خيرى السيد ابراهيم - سوهاج



● فلسطين

يا بيت القدس والطهر
يا مهبط « احمد » اذ يسرى
يا ارضا ذابت فى القهر !
ورمالا اثمن من تبر
ستبوء باثمك ما دمنا
بالنغم الحلوة ننساك
بالطفل الهانىء فى حجرى
بالبهجة تمرح فى صدرى
بالرزق الوافر من عملى
ونجس الدنيا ٠٠٠ بالامل !
وكانك امسيت قصيدا ؟
يحكيك السامر فى السهر !!
يا بيت القدس والطهر
ستبوء باثمك فى الدهر
ونلوك الذل المستشرى
ما صلى اهلك فى الفجر
يدعون ونحن كما نشرى !!
ودماء شبابك كالنهر

السيد مصطفى الجرف
الكويت



## ● فتحى رضوان فارس الكلمة ●

● تاثر فتحى رضوان بمصطفى كامل كقدوة ومثل ، ومحمد فريد، ثم تولستوى ، وديفاليرا وحركة المقاومة الايرلندية ، وغاندى ، ثم كانت الروافد الجانبية التى شكلت شخصيته الفكرية والادبيـة ، بقـراءاته فى تشيكوف ودستوفسكى وتورجنيف واسكاروايلد ، وبرنارد شـو ، وفى الادب الفرنسى قرأ فلوبير واناتول فرانس ، ووقف طويـلا فى قـراءاته مع ستيفان زفايج ، وفى اطار عصره تتلمذ على كل الادباء فى مصر الـذين كانوا يكتبون منذ العشرينيات ٠

وكتب فتحى رضوان تراجمه الست الاولى : غاندى - محمد ومحمد الثائر الاعظم وموسولينى وديفاليرا ومصطفى كامل فى فترات متقاربةبين

سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٤٥ ، متأثرا بازدهار فن التراجم على أيدي أميل لورفيج ، وموروا ، وزفايج ، وأصدر كتابه « محام صغير » ترجمة ذاتية له عن تجاربه فى عالم المحاماة ، وكتبه الاخرى : أخي المواطن ـ في المعركة ـ آراء حرة فى الدين والحياة ـ الاسلام ومشكلات الفكر والقصة القرآنية ـ والملك والثوار فى عربه ـ وأفكار للكبار ـ وأسرار حكومة يوليو هذه الكتب تمثل بعضا من كل يمثل ما خلفه فارس الكلمة والرأى.

ولم يقتصر نضاله على مقالاته وكتبه بالكلمة المباشرة ، وانما كتب المسرحية الفكرية الهادفة ومنها : دموع ابليس ، وشقة للايجار ، والـه رغم أنفه ، وعشر شخصيات تبحث عن مؤلف ، ومسرحياته تدور حول قضية الانسان ومستقبل الانسانية .

ولهذا امتزجت حياته السياسية بحياته الفكرية والادبية ، وأصبح من الصعب الفصل بينهما ، وكانت معاصرته للحركة الوطنية منذ الثلاثينيات ملهما له فى كتاباته وابداعاته .

وشارك فتحى رضوان فى نظام عبد الناصر وزيرا للدولة ثم وزيرا للارشاد القومي ، وكان بالنسبة لعبد الناصر كما كان أندريه مالرو بالنسبة لديجول ، وسنحت له الفرصة فى تجسيد حلمه لينشر الثقافة للشعب من خلال وزارته ، فأنشأ ادارة للشئون الثقافية أصدرت سلسلة من الكتب ومختارات الاذاعة بأقلام أعلام الفكر عالجت ألوانا من المعرفة الانسانية ، واهتم بالفنون الشعبية وأسند الاشراف عليها الى الاديب الكبير يحيى حقى وفى ظله أنشئت دار الوثائق القومية لتجمع وثائق تاريخنا الحديث ، وفتح أبواب الاوبرا لجماهير الشعب لتتذوق زادا جديدا من الفن الرفيع ، ولاول مرة يستقدم فرقا للاوبرا العالمية لتقدم عروضها فى مصر . وكلل جهده فى نشر الثقافة الاصيلة والرفيعة باصدار مجلة « المجلة » فى نهاية الخمسينيات لتكون جسرا قويا للمثقف يصله بتيارات الفكر المعاصر ويطلعه على خير ما تجود به .

وفى غمار اهتماماته السياسية ومسئولياته الوطنية كان يرفد الهلال مجلاته وكتبه بانتاجه الفكرى والادبى من مقالات وبحوث ودراسات، حتى انه يعد بحق من كبار كتاب الهلال الذين راكبوا مسيرته منذ الثلاثينيات .

وبعد ، فقد ذهب فتحى رضوان الى الخالدين ، ثائرا فى صوفية ، شامخا فى تواضع ، متدفقا فى عطاء . كالنيل ، راسخا وثابتا على دين الوطنية وأخلاق الانسانية كالهرم .. ذهب فى الخالدين تاركا من ورائه مصر التى شكلت عقله ووجدانه والتى عاش ومات من أجلها .

عمرو عبد المنعم حمودة

## ● مع الأصدقاء ●

● أبو بكر محمد محمد حسانين ـ أبو تشت :

ـــ شعركم لا بأس به ، الا أن الاوزان واللغة تكون على غير ما يرام أحيانا ، ولكن معظم أبياتكم موزونة ، ونرجو أن تثابروا حتى تبلغوا هدفكم ٠

● جميل محمود عبد الرحمن ـ سوهاج :

ـــ لم نهمل شيئا من رسائلكم ، وليس من عادتنا اهمال اية رسالة ، أما قصيدتكم فقد نشرنا قصائد مماثلة لها فى موضوعها ، ونرجو مواصلة رسائلكم الينا ٠٠

● محمد ابراهيم المجريسى ـ أبو تيج :

ـــ ليس هذا الباب مخصصا لنشر القصائد الكاملة ، ولكنا نقتطف ما تيسر من هنا وهناك لكى يتسع الباب لأكبر عدد من القراء ، وهذا هو السبب فى اجتزاء قصيدتكم ، ونأسف لذلك ٠

● محمود عبد الحفيظ ـ كفر صقر :

ـــ شعركم لا ينقصه الوزن ولا اللغة ، ولكن ينبغى أن تكون اقرب الى القراء حتى يفهموك ! ٠

● زينب محمود أحمد ـ قوص :

ـــ ما معنى أن تكتبى كلمة مجنون هكذا : م ٠ ج ٠ ن ٠ و ٠ ن ؟ هل عدت الى السنة الاولى الابتدائية لتتعلمى حروف الهجاء ؟! ٠٠ يا سيدتى ليس التجديد فى الشعر بهذه الطريقة ، ولا تقلدى أمثال أدونيس ممن يريدون هدم الشعر العربى واللغة العربية ! ٠

● عبد الحق المسود ـ تونس :

ـــ نشكركم أجزل الشكر على كلماتكم الطيبة عن الهلال ، واذا كنتم ـ كما تقولون ـ قد انقطعتم عنها بسبب الحرب العالمية الثانية ، فان هذه الحرب قد انقضت منذ ثلاثة واربعين عاما،ونرحب باقتراحاتكم فيما يخص العدد المئوى للهلال ٠

● درهم جبارى ـ سان فرانسيسكو :

ـــ نرحب بكم صديقا جديدا وقديما للهلال فى مهجركم بأمريكا ونحيى غيرتكم العربية التى الهمتكم قصيدتكم عن « طفل غزة » وانتفاضة فلسطين ، ونرجو أن يتاح لنا نشر بعض ما تجود به قريحتكم فى الاعداد القادمة ان شاء الله ٠٠

● ويسعدنا أن نتلقى دائما نفثات أقلام السادة : أشرف محمد أبو العز ٠٠ حسن السيد علام ٠٠ عبد العزيز الشراكى ٠٠ هشام محمد عبد الوهاب ٠٠ رمضان الهجرسى ٠٠ كريمة ثابت ٠٠ رفعت محمد بروبى ٠٠ السيد أحمد زرد ٠٠ امل فرغلى أحمد ٠٠ سمير أبو الحمد حافظ٠٠ رفعت عبد الوهاب المرصفى ٠٠ ابراهيم خليل ابراهيم ٠٠ عاصم فريد البرقوقى ٠٠ محمد عبد العزيز ( قرية مشروع خمسا ـ فلسطين ) ٠٠ محمد طه وهبة ٠٠ سعاد أحمد ٠٠ حسن عمر خلف الله صالح ٠٠ شيماء عبد الفتاح رضوان ٠٠ رضا ابراهيم عبد المعطى ٠٠

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

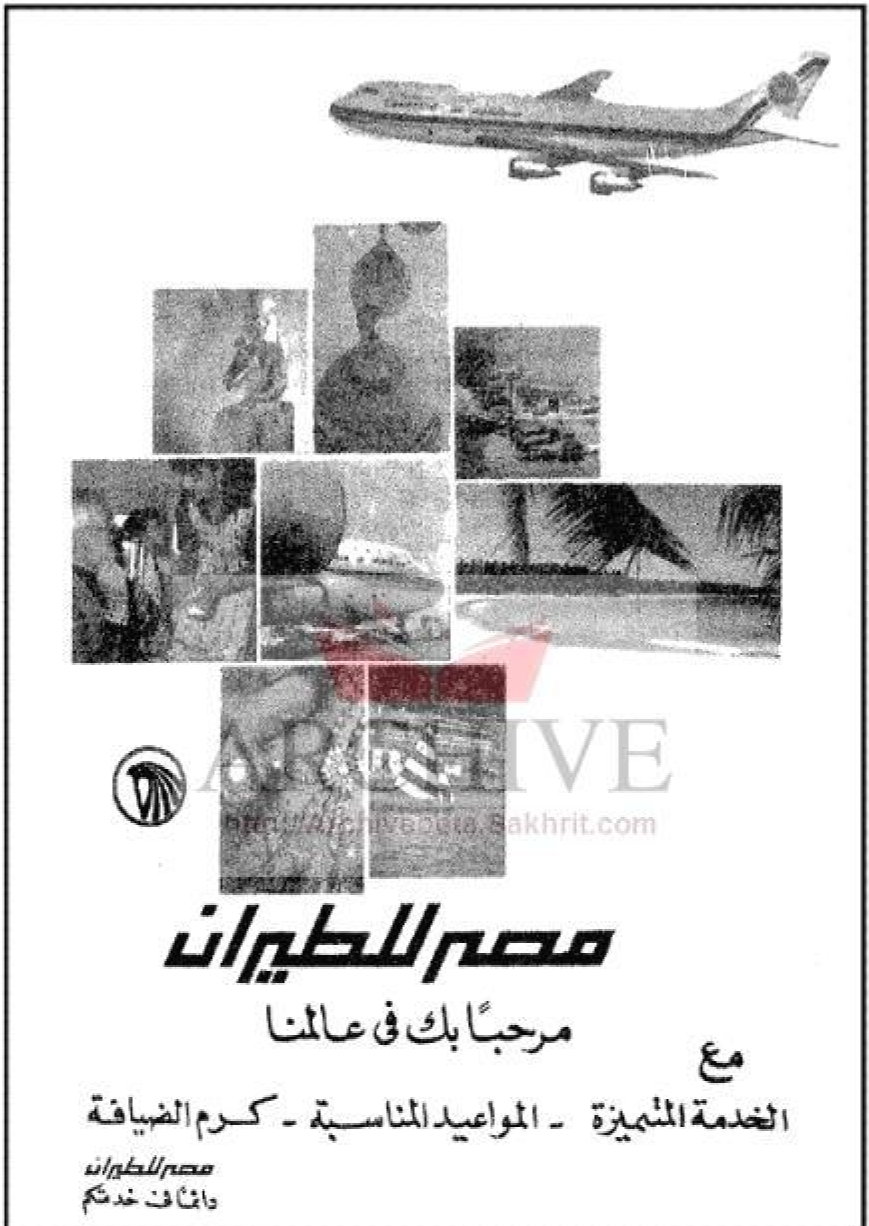
رقم التلكس : **92703 HILAL U . N**

وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤



اسعار البيع للعدد العادى فئة ٨٠ قرشا

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٣٠٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


مصر للطيران
مرحبًا بك فى عالمنا
مع
الخدمة المتميزة - المواعيد المناسبة - كرم الضيافة
مصر للطيران
دائمًا فى خدمتكم


صخر
في كل بيت
AX170
تدع الفرصة تفوت أبناءك
al Alamiah
العالمية